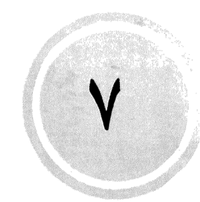


السنة العاشرة
يوليو ١٩٧٤





□ من هم الفلسطينيون ؟

□ ندوة استثمار رأس المال العربى والأجنبى

□ ثورة يوليو : دورها قائم ومستمر

□ فرنسا .. الى أين تتجه .. ؟
تحقيق من باريس فى معركة انتخابات الرياسة

□ وثائق مناقشات مجلس الشعب
حول الميزانية والقطاع العام



مجـلة شـهرية

تصـدر اول كل شـهر

رئيس التحرير :

لطـفي الخـولي

■

أن [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفـاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحـده الـذى يستطيع ان يبـلور ويستخلص وحدة فـكرية اصيلة .

من هـذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنـة بشعار الحرية المجيد الـذى اطلقه فولتير فى القرن الثـامن عشر [قد اختلف معـك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شـارع الجـلاء القـاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ ـ قرشـا

الفهـرس

العـدد السـابع ـ السنة العـاشرة ـ يوليـو ١٩٧٤

ص

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

كلمة من « الطليعة »

فى اجتماع التحرير ، وعندما جلسنالنضع خطة العدد ، كان موضوع **ثورة يوليو** يفرض نفسه من كل زاوية : فالثورة تستقبل فى ٢٣ يوليو القادم عامها الثالث والعشرين . و « **الطليعة** » لم تتوقف منذ صدورها عن معالجة قضايا الثورة فى مدها وجذرها . وكان فى مقدمة الاقتراحات الا تقتصر المعالجة على عدد من الموضوعات الفكرية والسياسية ، وانما تمتد الى آفاق أخرى . من هنا كان الاهتمام فى اجتماع التحرير بأن **يعالج الملحق الادبى القضايا الثقافية لثورة يوليو** : ماذا تم فى مجالات الادب والنقد والسينما والمسرح : ماهى الانجازات وما هى السلبيات .

لكن اسرة التحرير ، اكدت أيضا على ضرورة تقديم مقالات ودراسات سياسية عن ثورة يوليو . بدأتها فى هذا العدد وستوالى فى أعداد قادمة نشرها : عن الفلاحين وثورة يوليو ، وعن الاصلاح الزراعى ، وعن العمال ، وعن موقف ثورة يوليو من الطبقات الاجتماعية .

« أسرة تحرير الطليعة »



من هم الفلسـطينيون ؟

تكتب « **الطليعة** » هذه الافتتاحية بعد انجاءت الانباء ببدء عملية رابعة للفدائيين فى المستوطنات فى أقل من ثلاثه شهور هى « نهاريا » .

هذا التصاعد فى العمل الفدائى الجسورداخل الارض المحتلة ، يمكن أن يطرح أكثر من قضية جدية تتعلق بالوضع الراهن لمشكلة فلسطين ـ ولنضال عرب فلسطين .

غير أننا نؤثر أن نركز ، فى هذا المقال ، على قضية طالما أرقت القيادات الصهيونية المتعصبة ، واضطرتها اضطرارا الى معالجتها : على مستوى الفكر : باختلاق الاسطورة ، وعلى مستوى السياسة بالتمادى فى حرب الابادة . ونعنى بها قضية « **وجود الشعب الفلسطينى** » .

فلقد روى عن السيدة **مائير** أنها طرحت ذات مرة هذا السؤال :

« **من هم الفلسطينيون ؟** » وتولت هى تقديم الاجابات فقالت : « **اننى لا أعرف شعبا بهذا الاسم** » .

والسيدة مائير فى سؤالها وجوابها انما تواصل تأكيد الاسطورة التى اختلقها زعماء الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر . فقد زعموا أن **فلسطين هى أرض بلا شعب** .

كما رسم **هرتزل** فى كتابه « **الدولة اليهودية** » الطريق الى تطهير فلسطين من الفلسطينيين عندما قال :

« **اننا نريد ان نطهر بلدا من الوحوش الضارية . طبعا لن نحمل القوس والرمح ، ولن نذهب فرادى فى اثر الدببة ، كما كانوا يفعلون فى أوربا فى القرن الخامس ، ولكننا سننظم حملة جماعية ومجهزة ، ونطرد الحيوانات ، ونرمى وسطهم قنابل شديدة الانفجار** » .

فالاسطورة ، او المعتقد الصهيونى ينطلق ابتداء من نقطة نفى الوجود الفلسطينى .

وقد وضعت هذه الاسطورة فى التطبيق ـ بالكيفية التى طبقت بها الاساطير العنصرية التى خلقتها واذاعتها الحركة النازية فى ألمانيا . فاتجه المنفذون ، من ثم ، الى عمليات ابادة حقيقية للشعب الفلسطينى لانتزاع أرضه واغتصاب وطنه .

ولسنا فى حاجة الى أن نذكر ـ بهذا الصدد ـ تاريخا بأكمله من المذابح التى سبقت وواكبت وأعقبت قيام اسرائيل .

ولقد تمادى قادة الصهيونية خاصة ، بعدقيام اسرائيل ، فى انكار وجود الشعب الفلسطينى انكارا تاما . وكان الدافع العملى ، من وراء هذا الانكار ، التهرب من مشكلة اللاجئين ، وعدم الالتزام بحدودواضحة لدولتهم . وفى معظم الاحيان رفض الصهاينة أن يطلقوا اسم الفلسطينيين على سكان فلسطين من العرب . فهم : اما « لاجئون » مشكلتهم مشكلة «انسانية »تعتمد على الغوث والصدقة ، واما « عرب » يتعين عليهم آن يذوبوا فى البحر العربى المحيط بالجزيرة الاسرائيلية .

ولكن ما الذى أدى اليه ـ فى واقع الامر ـ الاصرار على نفى « وجود الشعب الفلسطينى » ؟

لقد ادى ، وفقا لمخططات استعماريةوبتشجيع من قوى الغرب الامبريالية الى البحث عن « اسرائيل التاريخية » اى الى التوسع .

حتى اذا جاءت حرب يونيو ١٩٦٧ ، وهى الحرب التى توهم قادة اسرائيل أنها ستنهى جميع الحروب مع العرب ، وتقيم ألف عام من السلم الاسرائيلى ، فوجىء الصهاينة بما لم يكن فى الحسبان . حقيقة أن العرب هزموا عسكريا فى حرب يونيو ، لكن قادة اسرائيل اكتشفوا شيئا عجيبا :

ذلك ان نفى الوجود الفلسطينى ورده ، أو « الحاقه » بالوجود العربى المحيط بفلسطين ، نتج عنه مولد فلسطين فى بعدعربى حقيقى . أصبحت مشكلة فلسطين قضية عربية بحق : قضية تحرر سياسى بل واجتماعى أيضا ، من الامبريالية ومن الاستيطان الاستعمارى الصهيونى .

وبينما كانت قضية فلسطين تتخذ هذا البعد القومى ، اخذت ـ أيضا ـ تتشكل بصورة أوضح الشخصية الخاصة والمميزة للشعب الفلسطينى كشعب اغتصب وطنه وطرد من دياره ، وهذا ما ادركه **موشى ديان** ـ بعد حرب يونيو ـ وعبر عنه بقلق ودهشة عندما قال فى فبراير ١٩٦٩ :

« ان حرب الايام الستة أدت الى ثقل الفلسطينيين ، وبذلك حولت المشكلة وجرفتها من نتائج حرب الايام الستة الى وجود دولة اسرائيل ذاته » .

اذن فقد « عاد الفلسطينيون الى الوجود » بعد حرب يونيو ، وأن كره قادة اسرائيل . لكن سياستهم خططت للاصرار على نفى هذا الوجود . فبينما سلمت بعض الاوساط الصهيونية بأن الفلسطينيين امة ، وبأنه يمكن أن تكون لهم « دويلة » أكدوا أن هذه الامة ليست لها علاقة بالعرب الاخرين . ومع ذلك ، فقد أرادوا من الاعتراف بحقهم فى تكوين هذه « الدويلة » أن تكون جسرا مفتوحا الى بقية البلاد العربية (ليبدأ عهد طويل من الغزو الاقتصادى والثقافى لمصلحة اسرائيل ولمصلحة قوى الامبريالية العالمية) .

لكن المشكلة التى أرقتهم كانت بدء تحرك العمل الفدائى . . هنا بذلت المؤسسة العسكرية كل جهد لنفى وجود هذا « الجديد » فى حياة شعب فلسطين العربى . فدعا الجنرال **حرقابى** رئيس المخابرات السابق الى معاملة أخبار الفدائيين ، كما تعامل أخبار حوادث السيارات . وشدد **ديان** على فشل المقاومة ، وعلى ضرورة أن تسير الحياة فى اسرائيل والارض المحتلة سيرها الطبيعى .

لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد تعددت « حوادث السيارات » ونفشت . أما الارض المحتلة فلم يغمض لها جفن على القذى الاسرائيلى . واما المستوطنات الاسرائيلية فقد تسلل اليها قلق حقيقى . واتسع نطاق كل هذا حتى أن قادة اسرائيل وجدوا أنفسهم يقومون بعمليات عسكرية واسعة ، ضد من أصروا على تسميتهم بالمخربين . هنالك وقعت معارك الاغوار والكرامة ، وذلك بعد أقل من عام من نكسة يونيو .

وفى اصرارهم على نفى الوجود الفلسطينى ، ومع تصاعد العمل الفدائى ، ادعت اسرائيل أنها أمام خطر يهدد أمنها وكيانها . وحددت أن هذا الخطر يأتى من البلاد العربية . وفى محاولة لـرد هذا « الخطر » قامت بغارات العمق على مصر وسوريا ولبنان والاردن .

هنا ، مرة أخرى ، تعزز اسرائيل ـ على غير قصد منها ـ البعد العربى لقضية فلسطين .

ان كل ما فعله ذكاء قادة اسرائيل هو أنهم استمروا ـ على مستوى الاسطورة ـ ينكرون حق شعب فلسطين فى الوجود . واستمروا ـ على مستوى الواقع ـ يدفعون العرب الى التعبئة والتضامن .

وهكذا : جاء ٦ أكتوبر بأحداثه العظيمة وبانجازاته البارزة ـ وبالزلزال الذى قال الاسرائيليون أنه أصاب المجتمع الاسرائيلى .

هنالك فتح القادة الاسرائيليون أعينهم على واقع أشد ترويعا وازعاجا .

ـ فالعرب لم يستسلموا ولكنهم قاتلوا أعداءهم بشجاعة وبكفاءة وكبدوهم خسائر فادحة .

ـ ودولتا المواجهة ، مصر وسوريا ، لم يتجها الى حلول فردية وجزئية ، بل أن قضية فلسطين قد أصبحت ـ كما قال **الرئيس السادات** هى لب مشكلة الشرق الاوسط .

ـ وفصائل المقاومة تزداد تقاربا على مستوى برنامج سياسى يمثل الحد الادنى الذى تفرضه المرحلة . وكانت قراراتهم فى المجلس الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى الشهر الماضى فى القاهرة تعبر عن الشوط الهام الذى قطعوه فى هذا الاتجاه : فهم سيقيمون السلطة الفلسطينية على الاجزاء المحررة من الارض المحتلة .

ـ والمجتمع الدولى كله يرى أنه بات أمرا مفروغا منه أن تتضمن أية تسوية مقبلة لمشكلة الشرق الاوسط تأكيد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

هذا على المستوى السياسى .

أما على مستوى العمل الفدائى ، فقد شهدت الفترة التى تلت حرب اكتوبر تطورا جديدا فى أساليب هذا العمل ، أبرز ما فيه تصاعد العمليات من داخل الارض المحتلة وفى لب المستوطنات الاسرائيلية .

هنا نتصور أن قادة اسرائيل قد أعادوا ـ على الاقل ـ فى همس ـ طرح هذا السؤال العتيد « **من هم الفلسطينيون** » ؟ .

ثم هم قد بدأوا يجيبون على السؤال . ولكن الاجابة تميزت بخلط مروع وتناقض بين الموقف الفكرى وبين الموقف العملى .

الموقف الفكرى ـ المؤسس على الاسطورة ـ نفى وجود شعب فلسطين ـ يرسلهم الى القيام بحملات ابادة ضد سكان المخيمات من أهل فلسطين فى لبنان .

والموقف العملى يقهرهم على الاعتراف غير المعلن بوجود شعب فلسطين .

وفى جميع الحالات ، فانه ليس امامهم من سبيل الا الاعتراف العملى . ألم يرسل زعيم الارهاب مناحم بيجين هذا القول : الذى أصبح مثلا . قال :

ـ انا أقاتل اذن فانا موجود ...

ومناحم بيجين قد اعاد فى صياغة ارهابية مقولة الفيلسوف الفرنسى ديكارت « انا افكر فأنا موجود »

فاذا أخذ قادة اسرائيل بمقولة **مناحم بيجين** فهم لابد واصلون الى أن الفلسطينيين

موجودون لانهم الان يقاتلون ويقتلون . وهم لابد ، بعد ذلك ـ متخذون الاجراءات التى تدلل على هذا الاعتراف . يكفى أن نرصد بعض الوقائع القليلة :

ـ رابين يحذر سكان المستوطنات الشمالية من أن الفدائين قد يظهرون هنا وهناك فى أى وقت .

ـ اسرائيل بدأت تبنى سورا حديديا ملغما من البحر المتوسط الى الحدود السورية لتحد من تسلل الفدائيين .

ـ اسرائيل تخصص قوات جوية لتكون مظلة جوية مستمرة فوق المدن الاسرائيلية . وتدعم المطارات الحالية ، وتبنى وسائل دفاع حديثة على طول الحدود ، وتنشىء هيئة للدفاع المدنى .

ـ اسرائيل تسلح السكان المدنيين .

ـ وزير الدفاع الاسرائيلى يعلن أن المقاومة تملك أسلحة حديثة . والمصادر العسكرية الاسرائيلية تصرح بأن وزير الدفاع انما يشير الى استخدام المقاومة لصواريخ سام ـ ٧ فى اعتراض القاذفات الاسرائيلية فى منطقتى صور وصيدا

« أنا اقاتل » اذن فأنا موجود »

مرة أخرى يجد غلاة الصهاينة من قادة اسرائيل انفسهم فى طريق مسدود . فكيف تراهم ـ بعد ذلك ـ يطرحون سؤالهم التقليدى :

من هم الفلسطينيون ؟

ليس أمامهم فى الواقع غير أحد حلين :

ـ فأما تغليب الاتجاه الواقعى فى السياسة والاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى الوجود مع كل ما يفرضه هذا الاعتراف من مواقف متسقة معه .

ـ واما الاستسلام النهائى للاسطورة الصهيونية التى تنفى وجود الفلسطينيين .

الحل الاول : يفتح طريق سلم عادل فى المنطقة

والحل الثانى : يفرض عودة القتال الى المنطقة .

فأى الطريقتين يسلك قادة اسرائيل ؟

ان تصريحات قادة الحكومة الجديدة فى اسرائيل ، والغارات الاجرامية على لبنان ، وطلبات السلاح الهائلة من الترسانة الامريكية . كل هذا لا يدعو الى التفاؤل .

فاذا كان الامر كذلك فمعناه ان المنطقة مقبلة على مرحلة من الهزات العنيفة ، ومن الازمات والتعقيدات التى لم تعرفها من قبل .

ولقد تطول هذه المرحلة أو تقصر .

لكن الامر المؤكد هو ان اسرائيل مطالبة بأن تحدد اجابتها على سؤال هى التى طرحته . ولن تكون الاجابة على سؤال :

« من هم الفلسطينيون » ؟

غير اجابة واحدة : هى أنهم حركة التحرر الفلسطينية وحركة التحرر العربية

فهل تستوعب المؤسسة العسكرية هذه الاجابة ؟

ان الامر المؤكد هو أن الحياة ستعاقب ـ وبصرامة ـ كل من يحاول ان يحل الاسطورة محل التاريخ المكتوب ، والواقع الحى ، خصوصا فى عالم اليوم .

« الطليعة »



ثورة يوليو :
دورها قائم ومستمر

كمال السيد

دور ثورة يوليو لم ينته . لسبب بسيط ، هو انها لم تنجز بعد ، مهمتها التى قامت أصلا من اجل تحقيقها . ذلك لان لهذه المهمة طبيعة خاصة ، تتسم بانها مهمة متجددة ، تفجر كل يوم بل كل ساعة مهام جديدة ، ومن ثم يستحيل تحقيق المهمة الاصلية دون انجاز هذه المهام الجديدة .

ولا يكفي تعداد مناقب ومآثر ثورة يوليو وحده ، لتفسير انها ما زالت ثورة مستمرة ، بلغت عامها الثانى والعشرين . وانما تفسير ذلك يكمن فى حقيقة أن المهمة التي نشبت ثورة يوليو ابتداء لانجازها ، هي مهمة طويلة الاجل لا تتحقق بعمل واحد ، أو حتى بمجموعة من الاعمال ، مهما علت قيمتها وارتفعت .

كما أن بقاء ثورة يوليو لا يعتمد — فقط — على انجازاتها فى الماضى ، والا كانت كمن أنجز مهمته وهدفه ، واصبح عليه أن يخلى مكانه لمن سينهض بالمهام الجديدة التى تطرح نفسها بعد حل المهام السابقة . وتلك هي نواميس الحياة وسننها التى لا تتغير .

لكن الامر على النقيض من ذلك تماما . فان ثورة يوليو على الرغم مما حققته — وهو كثير بكل المقاييس وفى كافة المجالات — لم تنجز مهمتها بعد ، وما زال لها دور تؤديه . وذلك هو مفسر استمرارها ومبرر بقائها .

ماهى المهمة التى قامت من اجلها ثورة يوليو؟ وما طبيعتها ؟

لقد نشبت ثورة يوليو أساسا لتحقيق الاستقلال السياسى ، والقضاء على أوضاع اجتماعية بادية الظلم والجور ، فضلا عن انها مهترئة ومتفسخة وتشكل سدا أمام أبسط أنواع التقدم ، ودعامة واضحة للقوى الخارجية التى تنتهك السيادة القومية . ومهمة تحقيق الاستقلال السياسى فى عالم اليوم ، تتميز بأنها مهمة **معقدة**

ومتشابكة وطويلة الاجل ، تتضمن بطبيعتها عددا من المهام الاخرى ، بحيث لا يمكن تحقيق الهدف الاصلى أو حمايته وضمانه بعد ذلك ، دون انجاز هذه المهام الاخرى . ذلك ما أكدته واثبتته بوضوح وجلاء ثورة يوليو ، التى كانت نموذجا برهن على صحة وسلامة النظرية القائلة بأن ثورات التحرر الوطنى ، تتحول أثناء تطورها الى ثورات اجتماعية معادية للرأسمالية كنظام اجتماعى ، وتلعب دورا أهم مما يتوقعه لها الجميع عند قيامها .

فلقد اكتشفت ثورة يوليو خلال مسيرتها — وبالممارسة — ان تصفية الاستعمار السياسى والتحرر الوطنى ، يستحيل تحقيقه دون تصفية الاستعمار الاقتصادى وتحقيق التحرر الاقتصادى ومن ثم طرحت ثورة يوليو ، استجابة للضرورات التى جابهتها على طريق تحقيق هدفها ، مهمتين جديدتين :

□ **تصفية الهياكل الاقتصادية والاجتماعية البالية** ، التى تهدد الثورة نفسها ، وتعوق اشباع ابسط الامال الجماهيرية التى طال بها الامد ، وآمنت بأن الاستقلال بداية لتحقيقها ، فضلا عن انها تحكم على البلاد بحالة من التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى ييسر مهمة السيطرة عليها من الخارج .

□ **التنمية** والسير بخطى واسعة فى طريق تحقيق العدالة الاجتماعية ، أو ما أوجزته الثورة فى شعار اقامة مجتمع الكفاية والعدل .

وقد شكل الهدفان السابقان ، سببا جديدا لتفاقم واحتدام التناقضات مع الاستعمار ، أضيف الى السبب الاصلى لتدهور العلاقات معه ، وهو الرغبة فى الاستقلال السياسى . بل ان السبب الجديد للتناقض والناجم عن ارادة البناء والتحرر الاقتصادى ، **أقوى** من السبب القديم **وأخطر** من وجهة نظر المصالح الاستعمارية . فهذه الاخيرة لا تمانع اذا ما اضطرتها الظروف واجبرتها ، فى الموافقة على الاستقلال السياسى للمستعمرات السابقة شرط ان يكفل لها ذلك استمرار السيطرة الاقتصادية . لكن البناء والتنمية والتحرر الاقتصادى ، أى تصفية المصالح الاقتصادية الاستعمارية والقضاء عليها نهائيا ، يدفع بالتناقض — وهو عدائى أصلا — الى أقصى مراحل عنفوانه وضراوته .

لكل ذلك — وكثير غيره — فان التصدى للاستعمار مهمة دائمة ومستمرة لثورة يوليو لا تنتهى أبدا . ليس لرغبة فى العداء والتناقض من قبل الثورة ، وانما لان الاستعمار نفسه — وبحكم طبيعته كنظام للسيطرة والاستغلال — لن يترك هذه البلدان تحقق حتى أبسط آمالها . **وتحت ضغط الظروف قد يغير الاستعمار أساليبه وممارساته ، لكنه لا يغير هدفه وغاياته أبدا ، والا فقد جوهره ولم يعد استعمارا** ، فهذا الاخير بحكم تعريفه عدوان مستمر — متجدد الاشكال والاساليب — يستهدف اخضاع مقدرات الغير لصالحه واجهاض الامال المشروعة لجماهير البلدان النامية .

ولا شك ان للاستعمار سياسييه ومفكريه واستراتيجييه الاكفاء القادرين على اكتشاف التغيرات فى موازين القوى على النطاق العالمى والاقليمى ، وتبديل الخطط والاساليب لتحقيق نفس الغايات والاهداف . لكن الذى لا يعرف تبديلا أو تغييرا بأى حال من الاحوال ، هو مرامى وأغراض الاستعمار . تلك باقية لا تتحول ما بقى الاستعمار ، ولن تختفى الا باختفائه . وكل ما يتبدل ويتغير هو المناهج والاساليب التى تتطور فعلا — وبكفاءة مذهلة — لتساير التطورات العالمية عامة ، ولتواكب وعى الشعوب وخبرات الدول المتحررة بصفة خاصة . فكلما فضحت هذه طريقا للاستعمار وكشفته ، سارع هذا الاخير بسلوك طريق جديد أكثر حذرا ودهاء للوصول الى نفس الاهداف .

والحق ان خبرة ثورة يوليو فى هذا الصدد نموذجية ، وذلك على النحو التالى :

□ **تعدد وسائل وأساليب الاستعمار معها تحقيقا لنفس أهدافه** : فمن ادعاء الصداقة فى البدء ومحاولة استيعابها فى احلاف وتكتلات ، الى الضغوط الاقتصادية والحروب التجارية والمالية ، صعودا الى العمل المسلح الذى اتخذ شكلا دوريا . وبالطبع نجم هذا التصاعد فى عنف الاساليب الاستعمارية من جراء حقيقتين ، هما اصرار ثورة يوليو على هدفها وهو الاستقلال ، ثم التوسع فى الاهداف والمهام التى تكفل تحقيق هذا الاستقلال. لقد جرب الاستعمار القديم أو التقليدى ، خاصة بريطانيا وفرنسا ، طرقه التقليدية لاخضاع ثورة يوليو — بما فى ذلك الغزو المسلح — وخابت خططه ولم تفلح . وظن الاستعمار الجديد انه أكثر ذكاء . وجرب وسائل وأساليب أخرى ، تعتمد فى الاساس على التسرب والالتفاف والتخدير ، لكنه خاب بدوره فأسفر عن وجهه ولجأ بدوره الى الغزو المسلح . فهو أيضا استعمار ، وليس شيئا آخرا . لكنه فى الحق اكثر حنكة وقدرة على تبديل وسائله من اللين الى العنف ثم الى اللين وهكذا ، حسب الاحوال .

□ **ان تصاعد حدة وعنف تصدى الاستعمار**

لثورة يوليو ، قد ارتبط بصورة مباشرة وفورية ، بتحول هذه الاخيرة من ثورة وطنية الى ثورة وطنية اجتماعية ، تستهدف الاستقلال الاقتصادى والتنمية وصولا للعدالة الاجتماعية والتقدم . فقد رأى مفكرو الاستعمار الجديد بفطنتهم وثاقب نظرهم — وتلك حقيقة لا يمارى فيها الا المكابرون — ان هذا لا يهدد باخراج مصر — والى الابد من قبضتهم — وانما يتضمن أيضا خطر تشجيع الاخرين على الاقتداء بالمثل والنموذج المصرى فى الاستقلال الاقتصادى والتنمية . وهذا ما حدث فعلا ، فقد اقتفى كثيرون خطى مصر فى كافة تجاربها : فى التصدى للاستعمار ، فى مساعدة حركات التحرر ، فى بناء حركة عدم الانحياز ، فى اقامة علاقات واسعة لم يسبق لها مثيل بين الدول الفتية والبلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتى تحديدا ، فى التنمية الاقتصادية بمتطلباتها : تصفية المواقع الاقتصادية للاستعمار وتصفية مواقع الرأسمالية المحلية الكبيرة وضرب قواعد الاقطاع ، واقامة قطاع عام ووضع خطط للتنمية . كما ترسموا خطاها فى اقامة تنظيمات سياسية واتخاذ الاشتراكية هدفا رسميا . وكل هذا يعنى فى التحليل الاخير ، ضربة مميتة للنفوذ الاستعمارى الذى لم يجد بدا من العدوان المسلح اجهاضا للتجربة .

ولقد كان عدوان ١٩٦٧ ، قمة المواجهة الاستعمارية للتجربة المصرية ، استهدفت فى المحل الاول ضربها كنموذج رائد للتنمية الاقتصادية والاستقلال طريقا للعدالة الاجتماعية والتقدم . وذلك بعد ان يئس من جدوى أساليبه الاخرى فى اثنائها عما اعتزمته . فصمم على الاطاحة بها اتقاء لمخاطرها الحالية والمحتملة . ومرة أخرى ، خاب فأله ، **اذ كانت ثورة يوليو ، بانجازاتها الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، قد رسخت بجذورها فى تربة مصر . وتمكنت بفضل القطاع العام الذى اقامته ، وعدد من المكاسب التى اعطتها لجموع العمال والفلاحين مما اتاح لها تعبئتهم للدفاع عن خطها ، من الصمود للغزوة الاستعمارية ، بل واستطاعت ان تثأر فى ٦ اكتوبر لضربة ١٩٦٧ .** ولم يكن صدفة أن **الرئيس السادات** قد اكد فى خطابه الشهير قبل معركة أكتوبر بأيام ، الاختيارات الاجتماعية والاقتصادية الاساسية لثورة يوليو . تلك هى الدعامة الحقيقية بل والسبب المباشر والوحيد ، لثأرة ٦ أكتوبر ولحماية النتائج التى ترتبت عليها من كافة محاولات الالتفاف من حولها والتى لن تتوقف ابدا ، والتى ستلجأ لكل الطرق .

واذا كان الاستعمار قد فشل فى القضاء على التجربة بالغزوة المسلحة فى ١٩٦٧ ، فانه لن يتخلى عن أهدافه ابدا ، كل ما سيفعله هو تغيير أساليبه مراعاة لعلاقات القوى الجديدة فى المنطقة ، خاصة بعد أكتوبر وذلك لان السبب الاساسى للتناقض مع ثورة يوليو قائم : وهو اصرار هذه الاخيرة على الاستقلال السياسى والاقتصادى ، والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية ، فى حين يريد الاستعمار اخضاع مقدرات مصر تحقيقا لمصالحه المباشرة والقضاء على التجربة والمثل . وكلا **الطرفين لا يريدان ، ولا يستطيعان ، التخلى عن أهدافهما .** لذا سيحاول الاستعمار التوسع فى الاساليب الاخرى للالتفاف — وسيحاول أن يتخلى — الى حين — عن العنف الذى لا يملك أن يهجره نهائيا لانه جزء من طبيعته — وان يجتهد فى الوصول الى وسائل اخرى للغزو الاقتصادى والايديولوجى والسياسى ، الخ . **لكنه قدر مكتوب أن تتصادم المصالح من جديد ، وبأسرع مما يتوقع الجميع .**

ذلك أن القضاء على آثار عدوان ١٩٦٧ حتى وان تحقق كاملا ، لن يقضى على التناقض . اذ أن مصر تريد أن تتفرغ فورا للبناء والتعمير ، على نفس الاسس والاختيارات القديمة وهى التنمية والعدالة الاجتماعية ، والاستقلال الاقتصادى والتقدم . وذلك مالا يرضى به الاستعمار أو يقبله ، بل انه كان السبب الاساسى فى العدوان المسلح فى ١٩٦٧ . وثورة يوليو التى لم ينجح الغزو المسلح فى حملها على التخلى عن خطها الاقتصادى والاجتماعى ، لا يتصور أن نجاحها فى ازالة آثار العدوان اعتمادا على عملها العسكرى فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وما ترتب عليه من تغيير أسلوب الولايات المتحدة فى التعامل معها ، سيؤدى الى تخليها عن اختياراتها . ان هذه الاختيارات فضلا عن اتفاقها مع مثل وقيم الدين والعدالة والانسانية والاخلاق الخ ، **ضرورات حياة** لا يمكن الرجوع فيها . فمشاكل التخلف وحاجات التقدم ومتطلبات النمو ، لا يمكن الوفاء بها جميعا بدون : الكفاية والعدل الشعار الذى صاغته ثورة يوليو من واقع تجربتها ومن واقع **ادراكها** للضرورة ، ولحقيقة أنه ليس هناك بلد واحد من بلدان العالم الثالث ، استطاع بانتهاج الطريق الرأسمالى والتبعية ، ان يحقق اى تقدم او نمو او اشباعا ولو جزئيا لحاجات جمهرة سكانه التى طال بها الانتظار . لقد أدركت ثورة يوليو ذلك خاصة وأن ظروفها الذاتية تجعل هذه الضرورات أكثر الحاحا : فعدد سكانها الضخم ونموه السريع ، والمستوى المنخفض لمعيشتهم فى بدء الثورة واشتداد نضالهم الطبقى فى سبيل رفعه وتحسينه وارتفاع وعيهم بمصالحهم الاجتماعية ، والدور القيادى لمصر فى المنطقة ، وما يفرضه ذلك من أعباء لا يمكن الوفاء بها الا بالتنمية والاستقلال فضلا عن التحدى الاسرائيلى المستمر ونفقة مواجهته الضخمة .

لكن هذا وكثير غيره لن يصفى التناقض بين ثورة يوليو والاستعمار لسبب بسيط هو اننا مصرون على اختياراتنا . ونحن بالفعل لا نملك ترف التخلى عنها .

لكن هل يعنى ذلك مقاطعة الدول الاستعمارية وعدم التعامل معها على الاطلاق وقطع العلاقات معها كلية اتقاء لشرورها ؟ بالقطع لا . فالدول الاشتراكية نفسها مع وعيها الكامل بأهداف الدول الاستعمارية ونواياها تجاهها بصفة خاصة ، رفعت شعار التعايش السلمى والدعوة للتعاون الدولى ، وذلك منذ فترة مبكرة ، ابان أن كان العنف سمة مميزة لمواجهة الدول الاستعمارية للنظام الاشتراكى . وهذا التعايش السلمى لا يعد انهاء للصراع الطبقى على المسرح الدولى ، وانما هو أسلوب جديد لممارسته فى ظل السلم وشل يد العدوان الاستعمارى ، ايمانا بأن الاشتراكية فائزة لا محالة فى أى مباراة سلمية . ولقد رفضت الدول الاستعمارية التعايش السلمى طويلا ، واصرت على الحروب الساخنة والباردة ، لكنها ازاء التغير فى العلاقات الدولية لمصلحة الاشتراكية — خاصة بعد تضخم قوتها القتالية والذرية ومقدرتها الاقتصادية — رضيت بالتعايش السلمى **مع الاصرار على تحقيق نفس اهدافها وبوسائل اخرى :** وهى محاصرة ومنع امتداد النظام الاشتراكى وتصفيته فى بعض المواقع ان أمكن .

واذا كانت الدول الاستعمارية قدتخلت مجبرة عن العنف طريقا للتعامل مع المعسكر الاشتراكى بفضل تنامى قوة هذا الأخير أساسا . **فانها لن تتخلى عن هذا العنف طريقا للتعامل مع الدول النامية ، الا بالنسبة لتلك الدول التى ترسخ اقدامها ويصعب الاطاحة بها عن طريق العنف المسلح ، كمصر وفيتنام وكوبا مثلا .** يؤكد هذا اصرار الدول الاستعمارية على فكرة الحروب المحلية المحدودة أسلوبا لمواجهة الدول النامية أساسا ، على الرغم من رضائها بالتعايش السلمى منهجا للعلاقات مع البلاد الاشتراكية . لكن اذا فشلت الحروب المحلية المحدودة ، كما حدث فى فيتنام ومصر ، فلا بأس من التعامل معهما — كرها — بأساليب أخرى ، ولو الى حين .

وفى ظل الانفراج الدولى ، والذى ما يزال واقعا ناميا لم ترسخ جذوره بعد ، وظاهرة جزئية مقصورة على علاقة الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة اساسا تستطيع الدول النامية ، القوية بتجربتها الاقتصادية والاجتماعية وبخبرتها فى العراك مع الاستعمار وفى الصمود لمؤامراته حتى المسلحة معها ، أن تفرض عليه أسلوبا للتعامل يستبعد العنف المسلح ويحقق نوعا من التعامل الذى يكفل فى الاساس مصالح الدول النامية . والواقع أن فى مقدمة الدول المهيأة لمثل هذا الدور التاريخى ، تأتى مصر ويوجسلافيا والهند والجزائر وكوبا ؟ اكبر دول عدم الانحياز واغناها خبرة وتجربة . **على هذه الدول أن تفرض توسيع الانفراج الدولى ليشمل العلاقات بين مختلف دول العالم ،** وبالتحديد علاقات الدول الصناعية الرأسمالية بالدول النامية . ولن تنجح هذه الدول بفرض الانفراج أسلوبا لعلاقاتها بالدول الرأسمالية ، **الا من خلال اصرارها على تجربتها الاقتصادية والاجتماعية ونجاحها فيها .** أما التنازل حتى عن جزء من التجربة ، فسيغرى الاستعمار بالمطالبة بمزيد من التنازلات ولن يقنع الا بالقضاء عليها تماما .

وقد اكد الرئيس السادات أن ثورة مصر الواثقة من نفسها ، المصرة على اختياراتها ، لا تخشى من التعامل مع الجميع وفق خططها هى ومصالحها هى . وانطلاقا من هذا الموقف نص البيان المصرى الامريكى الذى وقع فى نهاية زيارة الرئيس نيكسون لمصر على « أن العلاقات بين الامم مهما كانت نظمها السياسية والاقتصادية ، يجب أن تقوم على أهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، بما فيها حق كل دولة فى الوجود ، وفى الاستقلال والسيادة ، وحق كل دولة فى أن تختار وتطور بحرية ، **نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،** وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، واحترام سلامة ووحدة أراضيها واستقلالها السياسى » .

وكما هو واضح لا نعتقد أن أمريكا تطوعت بهذه الفقرة ، بل ان مصر هى التى فرضتها .

والواقع أن اشكال الصراع الطبقى العالمى والمحلى لا بد وأن تتغير ، لتأخذ فى الاعتبار حقيقتين : الانفراج الدولى ، وفشل غزوه ١٩٦٧ العسكرية ونتائج ٦ اكتوبر . والتاكيد على أن التناقض مع الدول الاستعمارية ما يزال وسيستمر هو التناقض الرئيسى ، لا يعنى الدعوة لقطع العلاقات مع هذه الدول ، بل ممارسة التناقض مع وجود علاقات مع هذه الدول والزامها بالشكل السلمى للصراع . فالانفراج لا ينهى المعركة بين الاشتراكية والاستعمار . كذلك تحقيق تسوية سلمية فى الشرق الاوسط واقامة علاقات مع أمريكا ، لا يلغى التناقض ، وانما يضع فى الاعتبار الظروف الجديدة التى تميل لصالح القوى الوطنية والتقدمية . وفرض الاسلوب السلمى فى ممارسة التناقض مع الدول الاستعمارية ، عملية نضالية وليست تلقائية . لكن لها شروط محددة لا بد من مراعاتها . من هذه الشروط ؟

□ **عدم التفاؤل ولو للحظة واحدة عن حقيقة ان التناقض مع الاستعمار كان وما يزال وسيظل**

التناقض الرئيسي ؟ وان ازالة آثار العدوان على السيادة الوطنية والاستقلال لا تلغيه . على النقيض من ذلك ، فان الانطلاق في التنمية سيفاقمه لا محالة .

□ **ان فرض الاسلوب السلمي في ممارسة التناقض ، وشل يد الاستعمار عن العدوان ، يتفق ومصالح البلدان النامية تماما :** ويقتضي منها جهدا مستمرا . ان أبسط أشكال الصراع هي المقاطعة وفصم العلاقات ، واصعبها هو اقامة علاقات محققة لمصالح البلدان النامية أولا .

□ **عدم رفض اقامة أشكال من التعاون الاقتصادي والفني طالما أن ذلك لن يمس الاستقلال الاقتصادي ، أو الاختيارات الاجتماعية والاقتصادية .** خاصة وأن الدول النامية لا تستطيع الانغلاق على نفسها . لقد استطاع ذلك الاتحاد السوفيتي والصين لظروف خاصة ، أما الدول الوطنية فلن تستطيعه . ولا ضير في تعاون اقتصادي مع أي بلد رأسمالي ، طالما أن هذا لن يحد ولو قيد أنملة من حرية الارادة الوطنية في تشكيل الاقتصاد القومي ، وحق السلطة الوطنية في الانفراد باتخاذ القرارات وتنفيذها بما يحقق المصالح الاقتصادية القومية والاختيارات الاجتماعية . **والضمان الوحيد والاكيد في هذا ؟ هو القطاع العام والتخطيط باعتبارهما الاداة والمعبر المباشر عن ارادة الدولة والسلطة الوطنية .** بل ان القطاع العام هو المعبر عن ارادة الجماهير ، والمحقق لمصالحها ، بحكم نشأته وتكوينه وتطوراته ودوره . ولن يكون القطاع العام — كذلك — الا اذا أكد دوره القيادي في الاقتصاد ، والتقدمي في ترسيخ علاقات اجتماعية جديدة .

□ **ان التعامل من موقع القوة مع المعسكر الاستعماري ، يقتضي التنمية المتزايدة والمستمرة . وهذه لا تتحقق الا في اطار تقدمي واشتراكي .** ومن ثم يجب أن تكون كافة الاستثمارات وأشكال التعاون مع الاجانب ، طريقا لدعم النظام الاجتماعي لا تصفيته ، وتقوية الاقتصاد القومي لا نهبه واستغلاله .

لكل هذا وكثير غيره ، ما زال دور ثورة يوليو قائما ومستمرا ، وما زال امامها كثيرا من المهام لتنجزه . تلك ضرورة موضوعية تفرضها وقائع الحياة في بلادنا : فأهداف الكفاية والعدل وتصفية الفوارق بين الطبقات ، الى جانب حماية الانجازات التي تحققت في مجال الدفاع عن الاستقلال الوطني ، تخلق مبررا لاستمرار دور ثورة يوليو ، وتطويره الى الامام في ظل الظروف الجديدة .

نـــــدوة

استثمار رأس المال العربى والأجنبى

اتجـــــاهات ظهـــرت فى النقـــاش

قبل أن يصدر مجلس الشعب قانون « استثمار رأس المال العربى والاجنبى والمناطق الحرة » ؟ عقدت « **الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصـــاء والتشريع** » ندوة علمية هامة تناولت هذا القانون فى اطار نظرة عامة على أوضاع الاقتصـــاد المصرى ، واحتياجـات التنمية والتخطيط . وقد قدم النـدوة وشارك فى الحوار د . **جمال العطيفى** [وكيل مجلس الشعب ورئيس الجمعية] ، وراس الندوة وعلق على كلمات المتحدثين د . **حامد السايح** [**رئيس مجلس ادارة البنك الاهلى**] ، وقدم الدراسات الاساسية د . **ابراهيم العيسوى** [كلية الزراعة ـ جامعة الازهر] و . احمد المرشدى] » وكيل أول وزارة التخطيط] و د . **رضا العدل** [كلية التجـــارة ـــ جامعـــة عين شمس] ، وشارك بالرأى والحوار **مصطفى كامل مراد** [رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية لتصدير الاقطان ورئيس اللجنة الاقتصادية فى مجلس الشعب] و د . **على لطفى** [كلية التجـــارة ـ جامعـــة عين شمس] **وحسين زكى أحمد** [رئيس مجلس ادارة بنك القاهرة] و د . **ابوزيد رضوان** [كلية الحقوق ـــ جامعة عين شمس] **وعادل حسين** [جريدة الاخبار] **ومحمد صادق** .

وقد طرح فى هذه الندوة عديد من الافكار الهامة ، ولكنها كانت تمثل بوضوح اتجاهين متعارضين على الاقل . لقد كان هنـاك اجماع على أن الاوضــاع الاقتصادية الناشئة عن سنوات الحرب تحتاج جرعات تمويلية من الخارج . وكذلك فان الحاجة الى احداث دفعة كبيرة للتنمية الاقتصادية تحتاج حجما كبيرا من التمويل الخارجى . **ولكن كان الخلاف حول : حجم هذا التمويل ـ أسلوب استخدامه ـ المجالات التى يسمح فيها بالاستثمار الاجنبى المباشر ـ الضمانات المطلوبة للممول الاجنبى وللاقتصاد القومى** .

وقد أوضح د . السايح أن معدل التنمية الذى حددته ورقة اكتوبر يتطلب استثمار ٦٣٠ مليون جنيه سنويا تقريبا ، واذا كانت معدلات الادخار عندنا لا تتجاوز حاليا ١٢ أو ١٣ فى المائة من الناتج القومى فان معنى هذا اننا لا نستطيع أن ندبر من هذا المبلغ أكثر مـــن ٤٠٠ مليون جنيه ســنويا . وخلص د . السايح من هذا الى اننا نحتاج الى قدر من التمويل الخارجى ، وخاصة من الدول العربية بعد أن بدأنا معها تعاونا وثيقا ، ولكنه قال انه « يجب أن يكون اعتمادنا فى التنمية ـ بعد فترة من الزمن « على المدخرات المحلية والموارد الذاتية . وفى هذه المرحلة يعتبر الانفتـــاح الاقتصادى ـــ كمبدأ ـــ ضروريا ، والاستثمار الاجنبى هو جزء من عملية الانفتاح ، وقد يؤتى بعض الثمار ، « ما دام فى الحدود التى لا تضير الصالح العام ، ولا تتعارض مع مبادئنا الاساسية » .

وقد وضع د . **المرشدى** ضابطا هاما للحوار حين طرح السؤال التالى : هل استثمار رأس المال الاجنبى هدف أو وسيلة ؟ اذا كان هذا الاستثمار هدفا فى حد ذاته ، فلتفتح الابواب بدون قيد أو شرط ، أما اذا كان رأس المال الاجنبى وسيلة لدفع عجلة التنمية ، « فانه يجب أن نتحدث عن الاطار الذى يمكن أن يسرع

بمعدلات التنمية فى مصر ٧ والمشكلة ليست مشكلةهينة » . وفى الحديث عن هذا الاطار القى د . ابراهيم العيسوى نظرة عامة على مشاكل الاقتصادوالتنمية فى مصر ، وهى : بطء معدل النمو - سوء التخطيط - زيادة الاعتماد على القروض الخارجية -الطاقات المعطلة - البيروقراطية ومشكلة الحوافز .

وقد اوضح د . العيسوى أن معدل التنمية خلال الستينات ، وحتى مع استبعاد عامى ٦٦ - ١٩٦٧ و ٦٧ - ١٩٦٨ ، لم يرتفع كثيرا عن المعدل الذى تحقق فى الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٩ ، رغم الاعتماد الكبير على القروض الاجنبية . وهذا يعنى أن معدل الادخار لم يرتفع ، وهذا أمر بالغ الخطورة ، لان رفع معدلات التنمية الى المستوى الذى يتطلبه الموقف يتحقق - فى المقام الاول - برفع معدلات الادخار المحلية رفعا محسوسا ، وليس بالاستثمار الاجنبى والقروض الاجنبية . واضاف د . العيسوى انه لايقصد أن يقول لا لرأس المال الاجنبى ، ولكنه يقصد « التحذير من الانحراط فى الاعتماد على رأس المال الاجنبى » وهو تحذير ضرورى لان « عامة الشعب متصورين أن امريكا ستغرقنا بالفلوس مع أن العملية ليست بهذه البساطة » ، ولذا يجب الا يصاحب الاعتماد على بتحقق فى المقام الاول - برفع معدلات الادخار المحلية .

ولدن د . ابو زيد رضوان علق على هذه النقطة بأن القوى الاجتماعية ذات الدخول المرتفعة والتى يمكن أن تقدم المدخرات ، تخاف من تبعات التنمية ، ولذا تتجه الى مغازلة رأس المال الاجنبى كمصدر بديل للموارد .

وقال د . احمد المرشدى أن متوسط دخل الفرد فى مصر انخفض خلال الاعوام الاخيرة ، وهذا يؤكد أن مشكلتنا الاولى هى الاسراع بالتنمية الاقتصادية ، واذا كان مطلوبا تطوير التخطيط ، فان هذا لا يتم الا بتطوير القرارات الاقتصادية فى المجتمع كله ، بتحسين الاداء فى كافة المجالات والمؤسسات . وقد اوضح الوجيه الاول لوزارة التخطيط انه لا يكفى أن نزيد معدلات التنمية ، ولكن يجب أيضا أن نرفع متوسطات ذوى الدخول المنخفضة بمعدلات أسرع من معدلات التنمية ، حتى لا نقع فى خطأ أن تكون التنمية لحساب فئة خاصة من فئات المجتمع .

وبالنسبة للنص الوارد فى « مشروع » قانون الاستثمار ، والخاص بوجوب أن المشروعات يصرح بها فى اطار الخطة الاقتصادية . أوضح د . المرشدى انه لم يحدث فى الماضى أن حددت خططنا أو برامجنا تفاصيل المشروعات التى يقوم بها القطاع الخاص ، ولكن هذا ممكن فى المستقبل وعلى ضوء القانون . وقال انه يصعب حاليا أن نقدر حجم راس المال الاجنبى الذى سيرد الينا ، وكذلك ليس من مهام وزارة التخطيط أن تحدد الحجم الاجمالى للاستثمارات ، فهذا قرار تحدده القيادة السياسية ، وعلى ضوء هذا تصبح مهمة الوزارة تحضير النماذج المختلفة فى اطار هذا الرقم ، وهو أمر سهل .

بعد هذا تحدث د . **رضا العدل** وقال أن الدول النامية لابد وأن تعتمد على العالم الخارجى فى التنمية والاستثمارات ، ولكنه لاحظ أن تدفق الاستثمارات الاجنبية يعكس ركودا نسبيا فى نسبة الاستثمارات الاجنبية الى الناتج القومى فى البلاد المتخلفه ، أى أن هذا التدفق لا يشبع حاجيات الدول المتخلفة . كذلك لوحظ أن أغلب رؤوس الاموال الواردة هى تدفقات حكومية ، وليس استثمارات خاصة لشركات . ولكن هذه الاستثمارات [حكومية أو خاصة] لها مخاطرها رغم بعض الفوائد التى تحققها ، فهى تؤدى الى استنزاف كبير للفائض الاقتصادى فى الدول النامية [يصدر فى شكل أرباح] وأيضا تؤدى الى عدم الاستقرار المالى والنقدى .

وبالنسبة لمصر قال د . **العدل** أن اعتمادنا على العالم الخارجى لا مفر منه فى الاجل القصير على الاقل ، ولكن هذا يستلزم أولا بناء نظام رشيد للتخطيط ولادارة الاقتصاد المصرى . والتخطيط ليس وثيقة لبرامج اقتصادية واجتماعية ، وانما هو نظام للتحكم فى النظام الاقتصادى .

وبالنسبة لمجالات استثمار راس المال الاجنبى حدد د . **العدل** « مجال الصناعات الديناميكية الحديثة التى تحتاج لرءوس أموال ضخمة جدا وخبرات ضخمة جدا » وحيث لا يستطيع ان يشتغل القطاع العام المصرى ولا القطاع الخاص . وقد انتقد فى القانون عدم تفرقته بين راس المال العربى ورأس المال الاجنبى ، باستثناء مجال التشييد ، رغم أن رؤوس الاموال العربية يمكن أن تعبأ فى اتجاه بناء نظام صناعى متكامل حديث على المستوى العربى . وقد اقترح ايضا الا يترك القطاع الاكبر من السياحة للقطاع الخاص المصرى او الاجنبى ، فوجود جهاز مركزى لتنظيم السياحة ، ضرورى لمركزة أرصدة النقد الاجنبى المتولدة عن السياحة ، والتى يحتاجها اقتصادنا .

وقد اشار **حسن زكى** فى الندوة الى ضرورة جذب الممول العربى الذى يملك المال ، ولكنه لا يملك المشروعات الجاهزة . ولا يريد المخاطرة الشديدة ، ويتحقق هذا بأن ـه نحن بالمشروعات المدروسة والمضمونة ، وقد عارض **حسن زكى** السماح للبنوك الاجنبية بالعمل فى مجال البنوك التجارية وبالنقد المحلى ، وتساءل : ما الذى تعمله هذه البنوك بالدقة ؟ لا نستطيع ابدا أن نتجاهل ان البنك الاجنبى له أغراض سياسية ، وهو يعطى السلف لناس لايستحقون ليربط نفسه بناس وشخصيات لها مفاتيح فى الدولة . وقال أن البنوك الاجنبية ـ بنص القانون ـ لا تتقيد بقوانين القطاع العام ولوائحه . وهذا يضع البنوك المصرية فى وضع غير متكافىء « نحن لا نخشى المنافسة . نحن نرحب بها ولكن عند ظروف متساوية ، عند تحصين الاقتصاد المصرى ، عند قيامها »

ورد **حسن زكى** على المستثمرين الذين يطلبون ان يكون الجنيه المصرى قابلا للتحويل كشرط لمجيئهم . وقال أن « مواد القانون كلها تقول له تقدر تحول فى حدود الصادرات بتاعتك . لكن هذه يجب أن تكون لها ضوابط » « ثم ان فيه مواد أولية من هذه الصادرات مدفوعة بالمحلى ، ولا يصح أبدا يأخذ عائدا اجنبيا من مصادر محلية » .

وقد اضاف د . **السايح** عددا آخر من التحفظات حول موضوع البنوك قال « ان هذه البنوك ستحصل على أرباحها نتيجة الودائع المحلية ، ثم تحول ارباحها هذه . وطبعا لا داعى لهذا » . وأيضا فان هذه البنوك ستعطى أجورا مرتفعة جدا لا تتناسب مع الاجور التى تقدم للعاملين فى القطاع العام وبالتالى ستهرب أفضل الكفاءات من البنوك المصرية . وأما الحديث عن العيوب فى البنوك المصرية فان الحل الصحيح هو علاج هذه العيوب وهو أمر ممكن .

واتفق د . **أبو زيد** مع د . **المرشدى** فى أن أجهزة الاعلام تهول تهويلا ضارا حول آثار الانفتاح « كما لو أن الناس قاعدين فى الشيراتون والهيلتون ، معهم حقائبهم وواقفين طابور ليستثمروا فى مصر » . وقال انه ليس ضد الانفتاح الاقتصادى ، « ولكن يجب ان نأخذ محاذير ضخمة جدا من دخول رأس المال الاجنبى » وقال ان المستثمرين الاجانب يطالبون « باعادة الاوضاع الاقتصادية الى حالتها الطبيعية » لكى يستثمروا أموالهم عندنا ، ولكن اعادة الترتيب الحقيقية للاوضاع الاقتصادية « يجب أن يتجه الى معالجة التفاوت الرهيب فى الدخول » .

وقد تناول **عادل حسين** فى تعليقه قضية الاتجاه الغالب لحركة رؤوس الأموال نحو الدول المتقدمة صناعيا . وقال اننا على ضوء هذا لن نتمكن من جذب قدر كبير من رؤوس الاموال الاجنبية فى مصر عن طريق عدد التسهيلات التى نقدمها ، ولكن سيتحقق هذا من خلال التنسيق مع الدول العربية صاحبة الفائض الاقتصادى ، والتى تسيطر على سلعة استراتيجية هامة ، وعن طريق الضغط العربى يمكن ان نأمل فى الحصول على تكنولوجيا متقدمة ، واستثمارات فى الصناعات الحديثة التى نحتاجها . واضاف ان التعاون العربى يجب ان يكون ــ فى المقام الاول ــ تعاونا على مستوى الحكومات ، وليس مع رجال الاعمال اساسا ، وبالنسبة لمجالات الاستثمار التى فتحها القانون امام راس المال الاجنبى ، عارض **عادل حسين** مجالات : البنوك التجارية ــ تمصر الاستثمار فى الاسكان على الاسكان فوق المتوسط ــ استصلاح واستزراع اراضى السد العالى . وكذلك ابدى تحفظه على المجالات التى لا تغل عائدا من النقد الاجنبى ، ثم تصدر ارباحها الى الخارج بالنقد الاجنبى . وقال ان هذا القانون يعيد صياغة أوضاعنا الاقتصادية لسنوات طويلة ، ولذا ينبغى أن يناقش على أوسع نطاق .

وقد تحدث فى الندوة أيضا **د . على لطفى** وتناول بعض اقتراحات لتعديل النصوص الواردة فى القانون ، واشار الى المادة ٧ التى تقدم لراس المال الاجنبى ضمانات ضد التاميم او المصادرة او التجميد .. الخ . وقال أن هذا جيد جدا ولكن « ايه الضمان ان هذا المشروع لما يصبح قانونا لا يتغير الى قانون آخر ؟ » وقد طالب **د . لطفى** بأن ينص القانون على امكان احلال مستثمر بآخر عن طريق سوق الاوراق المالية ، وطالب أيضا « بضرورة عمل دراسات سنوية لتحديد الاعباء التى يتحملها اقتصادنا نتيجة تحويل العائد سنويا ، والمزايا التى ستعود علينا من الاستثمارات الاجنبية » .

أما **مصطفى كامل مراد** فقد عبر عن وجهة نظر متميزة ، تحدث أولا عن مشاكل المدى القصير ، ثم عن قانون الاستثمار باعتباره حلا للمدى البعيد بالنسبة للمشاكل المباشرة اقترح **مصطفى مراد** الاتفاق مع الدول الدائنة على تأجيل سداد الديون . وكذلك مطالبه الدول العربيه بتقديم معونات عاجلة ، وهذا حق لنا « لان المتاعب الاقتصادية لمصر كانت نتيجة التزاماتها القومية نحو العالم العربى ، ومصر هى السد المنيع امام تدفق اسرائيل الى الخليج .. وقال ان هذه الحلول مطلوبة وفورا لكى « نقف على رجلينا ، ونجيب خامات لان الطاقة العاطلة فى الصناعة والزراعة فى هذه الايام كثيرة » .

ثم ناقش فكرة قانون الاستثمار وقال انه يشعر بأن « هناك حالة رعب ، يعني خايفين ان ياتي رأس المال ليخطف ويهرب .. » وكأنه واقف متحفز لما يصدر القانون لكي يأتي بأقصى سرعة « وأوضح أن الامر ليس بهذه الصورة » ، فراس المال ــ لكى ياتي ــ يريد الاستقرار السياسي والاقتصادي ويريد نموا ديمقراطيا . ولا يزال امامنا الشيء الكثير لكى نفعله ، لكننا نحاول وربما يكون هذا القانون أحسن ما عملته الحكومة فى تاريخها ، ودى أول مرة ادافع عن الحكومة . **ودافع مصطفى مراد** عن فتح بنوك أجنبية وقال أننا نهدف الى « تحويل السوق المصرى الى سوق لراس المال ، الى سوق ودائع ، فكيف لا نسمح لاحد بأن يفتح بنك عندى ، أمال هو لماذا يسمح لى بفتح بنك عنده ؟ » . **وأضاف مصطفى مراد** ان المستثمر الاجنبى يطلب بورصة تتداول فيها الاسهم والسندات بالعملة الحرة ، وأن يكون الجنيه المصرى قابلا للتحويل ، وكذلك شركات قطاع خاص فى مصر لكى تشترك معه .

● **وقد تخللت تعليقات د . جمال العطيفى** كل فترات الندوة . وكانت اسئلته الى المشتركين فى الحوار تستهدف الاستفسار ، واحيانا تستهدف التوجيه غير المباشر ، وخاصة فى موضوع البنوك .

ويهمنا فى النهاية ان نشير الى الكلمة التى قدم بها الندوة ، فقد قال « ان هذه الندوة هى عودة للتقليد الذى كانت جمعية الاقتصاد قد بدأته منذ سنوات ، وهو ان تكون الجمعية مرتبطة دائما بالاحداث الجارية » . ونحن نرجو فعلا ان تواصل الجمعية ــ تحت رئاسته ــ هذا الدور الايجابى الهام .

● **د . جمال العطيفي :**

احيل الى مجلس الشعب مشروع قانون بشأن استثمار رأس المال العربى والاجنبى وهو منظور حاليا امام اللجان ؛ والواقع ان هذا التقليد ، الذى كنا قد بدأناه منذ سنوات وعدنا اليه فى هذه الندوة ، نرجو ان نؤكده دائما بالنسبة **للجمعية** وهو ان تكون الجمعية مرتبطة دائما بالاحداث الجارية ، وان تكون فعلا قائمة كهيئة استشارية فنية تقدم خبرتها وحصيلة مناقشتها للجهات المعنية سواء اكانت الحكومة أو **فى مجلس الشعب** . ويسعدنا ايضا ان يكون معنا الاخ الاستاذ **مصطفى كامل مراد** ، وهو عضو المجلس البارز ونائب جدس الأمة الاتحادى السابق ووكيل مجلس الشعب قبل ذلك ورئيس اللجنة الاقتصادية ، ويرجع اليه ــ الى حد كبير ــ الفضل فى تأكيد سياسة الانفتاح الاقتصادى . وقد نادى بهذه السياسة مرارا فى التقارير العديدة التى قدمها للمجلس ، ولو اذنتم لى يعنى انا باستأذن د . **حامد السايح** أن يرأس هذه الندوة ويدير مناقشتها .

شكرا .

● **د . حامد السايح :**

قبل ما نبدأ الجلسة ، أود ان أعبر انه يعز علينا كجمعية اقتصاد وتشريع ان نجتمع لاول مرة فى مثل هذه الندوة بدون رئيسنا العالم رحمه الله الدكتور **عبد الحكيم الرفاعى** ونتمنى له فسيح الجنات ، وانى انتهز هذه الفرصة ايضا واهنىء الجمعية برئاسة الزميل الصديق الدكتور **جمال العطيفى** الذى بدأ رئاسته لهذه الجمعية بالانفتاح ، وان شاء الله ربنا يوفقه فى خدمة الاقتصاد القومى بشكل اكثر عن طريق هذه الجمعية . وهو طبعا عمود واساس قديم من أسس هذه الجمعية وفقه الله وايانا فى خدمة الاقتصاد القومى .

انا عاوز انتهز هذه الفرصة ايضا ، انكم شرفتونى بادارة هذه الجلسة بانى أرجع الى مقدمة صغيرة :

أحنا تاريخنا فى التنمية الاقتصادية معروف . تاريخنا فى التنمية الاقتصادية المخططة المتعمدة بدأ مع الثورة ، بدأ فى سنة ٥٢ ، لم يكن فيه قبل كده تنمية اقتصادية متعمدة مخططة ، البلد فى فجر الثورة كان دخلها القومى ٧٠٠ مليون جنيه ــ تقريبا ــ وكان عدد السكان حوالى ٢٠ مليون بنى آدم . كان هذا الوضع ، الذى لم يصحبه اى تخطيط للتنمية ، متعمد طبعا . وكان يؤدى الى تدهور واضح ، اذا لم يتدارك الامر بسرعة . **وقد** تداركته الثورة ــ كما تعلمون ــ **بمجلس الانتاج ، ومجلس التخطيط** ووضع خطة سريعة للنمو الاقتصادى . وكان من ضمن هذه الخطة ان الثورة علمت من الاول ان الادخارات [ادخارات المصريين فى ذلك الحين] لم تكن كافية لمقابلة احتياجات النمو السريع على مستوى عال . ولذلك فى سنة ٥٣ مباشرة صدر قانون استثمار رأس المال الاجنبى اللى كان المقصود بيه تشجيع الاستثمارات الاجنبية . حتى يمكنها ان تساعد فى ملء الفجوة الادخارية وفجوة التمويل الخارجى التى كانت تعجز عن تدبيرها الموارد المحلية .

هذا القانون كان سيء الحظ واستمر . وبعد ذلك عدل الى أحسن ، يعنى عدل سنة ٥٤ للعمل على اجتذاب رءوس الاموال الاجنبية أكثر واكثر ولكنه كان سيىء الحظ . المعروف ان هذا القانون لم ينتج عنه اجتذاب رءوس الاموال الاجنبية بالشكل الكافى ، بالشكل المناسب الذى كان متوقعا . وكل ما جاء كان اساسا استثمارات فى حقل البترول والاستثمارات الخاصة بالبترول كانت ستأتى مادام وجد البترول ــ كانت ستأتى عن طريق عقود خاصة بيها ، ليست مرتبطة باستثمارات الاموال الاجنبية . فالتقدير الموجود لكل ما دخل من رؤوس اموال ــ نتيجة لهذا القانون ــ لا يزيد عن مليون أو مليون ونصف جنيه مصرى تقريبا . بالاضافة الى ما دخل فى مجال البترول وكان يقدر بـ ٥ أو ٦ مليون . ثم جاءت حرب ٥٦ زى ما انتم عارفين ، حرب السويس الاولى ، ثم بعد حرب السويس الاولى دخلنا فى التأميمات الكبرى وطبعا كل هذا كان جوا غير مناسب لجذب رأس المال الاجنبى ، ثم دخلنا فى أول خطة خمسية .. الخطة الخمسية الاولى أول تجربة لنا فى التخطيط الحقيقى كانت من سنة ٦٠ الى ٦٥ [هى السنة التى تم فيها انشاء السد العالى .. التى تم فيها وضع اساس عريض للتصنيع .. التى تم فيها استصلاح اراضى تزيد عما استصلح فى الاربعين سنة السابقة عليها ، كل هذا تم فى الخطة الخمسية الاولى ولم يكن الاساس بتاعه ــ طبعا ــ الاستثمارات الاجنبية .

فى غياب الاستثمارات الاجنبية ــ وطبعا لم يكن هناك مجال يشجعها فى ذلك الحين ــ كان الاعتماد الاساسى على الاقتراض من الخارج . فالاقتراض من الخارج فى فلسفة الخطة الخمسية الاولى ،

كان يعتمد على أساس ، وهو الانتاج الزائد أو الفائض الناتج من الطاقة الجديدة التى ستنتجها الخطة الخمسية الاولى سوف يخدم القروض الاجنبية التى يتعاقد عليها لتمويل تلك الخطة .. واقع الامر ان الخطة الخمسية الاولى بالرغم من تحقيقها الاهداف المختلفة كانت لها بعض الشوائب . ومن ضمن هذه انه زاد الاستهلاك المحلى زيادة كبيرة جدا ثم لم يمكن تحقيق اهداف التصدير ، والفائض الناتج عن الانتاج الجديد الذى كان مقدرا له ان يخدم هذه القروض ، فزادت اعباؤنا الخارجية زيادة كبيرة ، واضطرينا بعد الخطة الخمسية الاولى ــ مباشرة ــ ان نتريث ، ولا ندخل فى عملية خطة خمسية جديدة ، بل ابتدينا نخش فى عمليات لاعادة جدولة الديون القديمة ، ثم محاربة التضخم الناشىء من زيادة الاستهلاك على مستوى عال جدا .. طبعا زيادة الاستهلاك كانت نتيجة زيادة السكان وارتفاع مستوى المعيشة والانتقال من الريف الى الحضر ، كل هذه الاسباب أدت الى زيادة الاستهلاك وضغوط تضخمية شديدة نتيجة للخطة الخمسية الاولى ، فكان لابد من التباطؤ .

وبعدين ، ابتدينا نمشى على مهلنا فى النمو الاقتصادى وانخفض معدل النمو الاقتصادى من حوالى ٦ر٧ فى المائة فى المتوسط الى ما يقرب من ٥ فى المائة .

ثم جاءت نكسة ١٩٦٧ ، وتوقف النمو الاقتصادى تقريبا نهائيا لمدة طويلة .

ثم تنبه القائمون بالامر انه لابد من أن نستمر فى النمو الاقتصادى لان معدلات النمو السكانى كبيرة ، ووقوفنا فى محلنا مش معناه مجرد وقوف لكن معناه التدهور والرجوع الى الوراء . فابتدينا بالشعار « **يد تبنى ويد تحمل السلاح** » .. الخ ودخلنا فعلا فى عمليات تنمية اقتصادية لكن بمعدلات متواضعة بتاع ٣٠٠ مليون جنيه فى السنة ، ابتداء من سنة ٦٨ ــ ١٩٦٩ . وكانت أساسها ــ طبعا ــ الاعتماد على الموارد المحلية والاقتراض . قطعا فى نفس الوقت كنا نستعد للمعركة العسكرية الكبرى . فطبعا هذا أثر على مواردنا الخارجية تأثيرا كبيرا ، واثر أيضا على الانتاج : ضغوط اختناقات فى الاستهلاك المحلى ثم جاء انتصار اكتوبر .. وانتصار اكتوبر زى ما كلنا عارفين أثبت بوضوح انه ممكن الاجماع .. اجماع العرب على الاسلحة الاقتصادية بعد ما كان واضح ان العرب لا يجمعون على مثل هذا النوع من السلاح . بل ان تجربتنا فى التعاون العربى كانت تجربة سيئة للغاية منذ انشاء **الجامعة العربية** وقبل ذلك .

سلاح البترول أثر تأثيرا كبيرا ، فسلاح البترول الذى يعتبر فى الحقيقة ذو شقين أو ذو صيغتين .. صيغة البترول فى حد ذاته كسلاح .. ثم صيغة الارصدة الكبيرة التى تتراكم ــ نتيجة عنه ــ للعرب . كل هذا أوجد وعيا جديدا واوجد ثقة كبيرة فى نفسنا . الانتصار ــ نفسه ــ فى حرب إكتوبر أوجد ثقة كبيرة فى نفوسنا ، فكانت النتيجة ان احنا بعد انتصار أكتوبر كان ضروريا من التفكير جديا وبعمق فى كيف نسير بالتنمية الاقتصادية بعد أن توقفت مدة طويلة . وبعد أن أصبح توقف النمو يهدد الاقتصاد القومى ويهدد مستويات المعيشة تهديدا جديا .

جاءت **ورقة اكتوبر** .. ورقة اكتوبر تكلمت بوضوح عن أن التنمية الاقتصادية مسألة حياة أو موت .. التنمية الاقتصادية هى لها الاولوية الاولى وهى التى تثبت الجدية الحقيقية ، لان اذا لم أركز ، وأعطيت الشىء الاولوية الاولى فسنتشتت ولا يمكن تحقيق الهدف بتاعنا . فابتدينا نتكلم فى التنمية الاقتصادية عن طريق ورقة اكتوبر ، فورقة اكتوبر أوجدت الوسيلة اللى تؤدى الى التنمية الاقتصادية فاتكلمت عن الانفتاح الاقتصادى ، وعن طريق الانفتاح الاقتصادى اتكلمت عن الاستثمارات الاجنبية والتعاون العربى .. الاثنين دول مع بعض .. الحقيقة انها بحسبة بسيطة ورقة اكتوبر بتقول ان احنا عاوزين معدلات تنمية تزيد عما سبق أن حققناه من معدلات ، وما سبق أن حققناه من معدلات كان ٦ر٧ فى المائة فى الخطة الخمسية الاولى ، ده أعلى مستوى ، فاذا قلنا اننا نهدف الى ٧ فى المائة واحنا عندنا دخل بتاع ٣ر٠٠٠ مليون يبقى عاوزين نزود مثلا أول سنة ٢١٠ مليون ، واذا حسبنا ــ والاخ د . **المرشدى** خبير التخطيط ــ موجود معنا ــ اذا حسبنا على أساس ان ثلاث وحدات من رأس مال ينتجوا وحدة من العائد فيبقى عاوزين استثمار بحوالى ٦٣٠ مليون جنيه لكى نحقق فقط العائد بتاع ٧ فى المائة . فاذا حسبنا على هذا الاساس .. واحنا عارفين ان معدلات الادخار بتاعتنا لا تزيد ــ حاليا ــ عن ١٢ بالكثير ١٣ فى المائة فاذا حسبناها على هذا الاساس نجد اننا لا يمكن ان احنا ندبر من الـ ٦٠٠ أو ٧٠٠ مليون جنيه اللى مطلوبة أكثر من ٤٠٠ مليون [محليا طبعا] ممكن . وأعتقد ان هذا ضروريا **وانه مع الزمن باقول يكون الاعتماد هو الاعتماد الذاتى .. الاعتماد على المدخرات أو الموارد الذاتية** ، والا تبقى عجلة النمو فى الحقيقة

لا تسير ؟ أذا اعتمدنا اعتمادا كليا على الخارج .. فاذا حسبناها .. اذا حسبنا أنه لازال من واجبنا أن نحافظ على جيشنا قوي لاننا لازلنا فى معركة ، وحنستمر مادام العدو مرابضا على الحدود ، وسنجد أن مواردنا المحلية الذاتية لا تكفى لمقابله معدلات النمو المطلوبة فى ورقة اكتوبر ، وبالتالى ـ ضرورى نلجأ الى جميع الوسائل لتحقيق الهدف المطلوب ، ومن هذه الوسائل فتح الباب لاستثمار رأس المال العربى والاجنبى .

أنا لا أقول هنا ان هذا الاستثمار ضرورى يجيب كل ما نرجو منه ولكن أنا أقول ان الانفتاح والاستثمار الاجنبي ، الانفتاح نفسه ، كمبدأ أساسى تم الاستثمار الاجنبي جزء من عملية الانفتاح ، قد يؤتى بعض الثمار . يعنى ليس من المعقول ان احنا قاعدين هنا كناس مهتمين بالتنمية الاقتصادية:

نقول ان الاستثمار الاجنبي او حتى الاستثمار العربى ، رغم التعاون الوثيق اللى اصبح بيننا وبين العرب ، حيجيب كل شئ . ولكنه باب او منفذ ويجب أن نفتح جميع المنافذ ، ومن هذه المنافذ الاستثمار لراس المال العربى والاجنبى ، اذا كانت هذه المنافذ لا تؤذى او لا تضير الصالح العام ، ولا تتعارض مع مبادئنا الاساسية .

بعد هذه الكلمة القصيرة .. ارجو أن اعطي الكلمة للسيد د . **ابراهيم العيسوى ليلقى بعض الاضواء .**

● **د . ابراهيم العيسوى :**

الحقيقة انا كلامى مش حيكون عن ضمانات التطبيق أو ضمانات تنفيذ القانون بقدر ما هى ، انا عايز أركز على عدة نقاط أرى أنها غابت عن المناقشة ورغم أن د . **السايح** ركز من لحظة على مثل هذه النقاط لكن فى النقاش العام أعتقد أن هذه النقط مفتقدة . الخلفية دى بتتمثل فى ضرورة أن مشاكلنا الاقتصادية تكون واضحة الوضوح الكافى ، بحجمها الحقيقى وأسبابها الاساسية ، فلا نتوهم أسبابا غير موجودة أو مخالفة لما نحن فيه من مشاكل . وبعدين لازم يكون واضح عندنا تقييم ـ ولو مختصر ـ لتجربتنا فى التنمية فى السنوات العشرين الماضية ، أو حتى الخمسة والعشرين . دى طبعا موضوعات كبيرة لا أتكلم فيها بأى درجة من التوسع . ولكن عاوز أسلط الاضواء على النقط الهامة داخل كل واحد من الموضوعات الرئيسية ، لان هذا يساعدنا على توصيف علاج طيب للمشاكل ، ويساعدنا على وضع سياسات جزئية زى سياسة الاستثمار للمال العربى أو الاجنبى فى مكانها الصحيح . مشاكلنا الرئيسية ما هى : « انا بابدأ الحقيقة بداية يمكن رجل الشارع يفكر فيها على طول .. رجل الشارع يشعر ان فيه مشكلة ارتفاع فى الاسعار .. ارتفاع شديد ومتواصل فى الاسعار .. بيسمع ان احنا اقترضنا كتير من الاتحاد السوفيتى ومن الكتلة الشرقية .. مشكلة الاعتماد على القروض وتزايد عبء المديونية الخارجية .. شايفين الاعداد تزداد بكثرة ، مشكلة النمو السكانى السريع .. سامعين وحاسين بالطاقات المعطلة والكلام بيكتر عنها . خامسا فيه مشكلة البيروقراطية وكل واحد يلمسها ، وكاقتصاديين نضيف لها مشكلة الحوافز والكفاءة .. المشاكل الخمسة ـ هذه ـ يتهيأ لى بيركزوا المشكلة الرئيسية الاقتصادية او بتفريعات للمشكلة الرئيسية فى مصر .. ففى كل واحدة من دول حاقول بعض ملحوظات .

ان المعدل الرسمى لارتفاع الاسعار لا يعكس أبدا المدى الحقيقى لارتفاع هذه الاسعار . لكن حتى لو أخذنا الارقام الخاصة بالسلع الغذائية أو الخضر والفاكهة سنلاقى أن معدلات الارتفاع فى الاسعار الرسمية كبيرة فى الواقع ، حتى لو أخذناها فى خلال خمس سنوات أو فى السبع سنوات الماضية .. طبعا احنا بنسمع كثير ان مصر من أحسن بلاد العالم فى مسألة الاسعار دى وما يصح ان احنا نشكى من ارتفاع الاسعار ، ودائما يقولوا لنا : أوربا شوفوا حاصل فيها ايه ، لكن ما من انسان يقول ـ فى نفس الوقت ـ ان معدلات ارتفاع الدخل فى أوربا ومعدلات ارتفاع الاجور فى أوربا حاصل ليها ايه ؟ الاضرابات المتوالية للاوربيين تدفع الاجور باسرع مما تمشى به الاسعار .. احنا عندنا ارقام منشورة عن متوسط دخل الفرد [لا أريد أن اقتبس الارقام نفسها لكن اقول النتائج مباشرة] .. وهى مبنية ـ فعلا ـ على أرقام موجودة فى تقارير المتابعة وما الى ذلك .. نلاقى : ان متوسط الدخل الحقيقى للمشتغل ثابت تقريبا فى الحضر وآخذ فى الهبوط فى الريف ـ ٣ر٤ . الاسباب وراء هذا : زيادة معدلات ارتفاع الاسعار أعلى فى الريف عنها فى الحضر .. ارتفاع أسعار من هذا النوع فى مجتمع يقال عنه انه مخطط يكون ظاهرة غريبة جدا .. ممكن نرجع للارقام هنا .. المعدل السنوى الرسمى لارتفاع أسعار المستهلكين فى الحضر ٣ر١ فى الريف ٣ر٤ .. الاسباب وراء هذا : زيادة معدلات السكان ، وعملية النمو نفسها ممكن طبعا تؤدى

الى زيادة الاسعار ، وزيادة الاجور أعلى من الانتاجية ، والانفاق العسكرى ..

النقطة الهامة أيضا والغريبة فى مجتمع مخطط ، هى التوسع فى الاعتماد على التمويل المصرفى طوال السنوات الماضية . فى وقت كنا نتحدث فيه عن سيولة موجودة فى بعض شركات القطاع العام .. أنا بلاقى أن ده يوصلنا لايه ؟ . الى مشكلتين رئيسيتين :

أولا : بطء النمو لان ارتفاع الاسعار عرض وطلب ، ومهما استهنا بهذا القانون نلف وندور ونلاقى أنفسنا أمام مشكلة أن الانتاج لا يوفى الطلب .

ثانيا : مشكلة سوء تخطيط .. سوء تخطيط الطلب نفسه ، وسوء تخطيط مالى وعدم تمشيه مع التخطيط العينى . المشكلتين دول حنلاقى ان احنا بنرجع لهم فى كل قضية نناقشها .

الاعتماد على القروض الاجنبية : المشكلة الثانية وتزايد المديونية الاجنبية .. معروف ان معدل زيادة الواردات عالى ، وخصوصا فى السلع الاستهلاكية حيث الزيادة ماشية بمعدل سريع جدا بالنسبة لمعدل نمو الصادرات .. خدمة الدين الاجنبى بتستهلك قدر كبير من الدخل طبعا مفيش أى أرقام على الحكاية ، ولكن أنا أخذت بعض الارقام وأرجو الا يكون هناك حرج فى استخدامها .. هيكل فى وقت من الاوقات قال ان ١٤٠٠ مليون جنيه الدين اللى علينا فى العشر سنوات المقبلة .. أما اقسم هذا على عشر سنين يطلع ١٤٠ مليون جنيه سنويا . لو الدخل يزيد ٢٠٠ مليون جنيه سنويا يبقى ثلثين الزيادة من الدخل ـ تقريبا ـ رايحة لخدمة الديون الاجنبية .. مدى الصح فى كده طبعا ما أقدرش أتحقق منه ، لكن معروف والكل عارف ان رقم المديونية الخارجية كبير ، ومفروض ان احنا نعمل على تلافى هذه النقطة فى تخفيف المديونية والاعتماد على الخارج . لكن فى أى الحالات زيادة الواردات وبطء نمو الصادرات يعكس كذلك مشكلة عجز الانتاج وبطء نمو الاقتصاد وبطء نمو الانتاجية نفسها . وبعدين هذا يدفعنى الى أن أقول برضه ان مافيش سياسة فعالة لضبط الطلب المحلى ..

وبعدين المشكلة المهمة هنا ـ أيضا ـ زيادة الواردات من السلع الوسيطة ، لان هذه مرتبطة ـ كما نعلم ـ بمشكلة الطاقات المعطلة .. وسترتبط فى كلامى كثيرا بمشكلة الاستثمار الاجنبى .. هيكل التنمية عندنا اعتمد على قيام صناعات تعتمد على نسبة عالية جدا من الواردات من السلع الوسيطة ، مهما جبنا نقد أجنبى ليحل لنا المشكلة شوية ، ستكتشف أن هذا ليس العلاج للمشكلة ، انما العلاج هو بتصحيح هيكل التنمية . فهنا أيضا فى هذه المشكلة أجد ان انا بارجع الى بطء النمو وسوء التخطيط .. واعوجاج الهيكل التنموى .

مشكلة النمو السكانى : مش عاوز أتكلم فيها كثير ، لكن ما أحب أؤكده واصححه ـ لانه مفهوم شائع وخاطىء ان معدل نمو السكان فى مصر ليس غريبا وليس شاذا بالمقاييس العالمية ، يعنى هو أعلى من المتوسط بالنسبة لافريقيا ، لكن بالنسبة لدول أمريكا اللاتينية سنجده قريب من المتوسط ، وفيه دول يصل فيها معدل نمو السكان لـ ٣ ، ٣ر٧ فى المائة فاحنا لا نواجه مشكلة حادة جدا من هذه الزاوية ، احنا طبعا عندنا مشكلة سكان لان ليس هناك تنمية كافية . وفى رأيى لو كان معدل التنمية يسير بالسرعة الكافية لما تحدثنا عن مشكلة سكان اطلاقا ، يعنى مشكلة السكان لن أعتبرها سببا خارجيا ، وانما هى مشكلة مرتبطة بعملية التنمية

الطاقات المعطلة دى المشكلة الرابعة : باحب أبين ان حجم المشكلة المتحدث عنه أقل بكثير من الواقع ، والطاقات المعطلة ليست طاقات مادية فقط فى المصانع ، وليست أيضا طاقات عاطلة فى القطاع العام الصناعى وحده ، فهى موجودة أيضا فى الطاقات البشرية العاطلة .. الطاقات العاطلة موجودة فى الزراعة ، فى الارض المستصلحة اللى مش بتنزرع دلوقتى ، وفى أجهزة البحث العلمى ، والكومبيوترات اللى بتشتغل بـ ١٠ فى المائة من طاقتها ومعطلة .. فهى فى مجالات عديدة ، ولما نقول كده يبقى معناه أن فيه انتاج بيضيع علينا كان ممكن يخدم التنمية فى السنوات القادمة ، بنسمع رقم ٥٠٠ مليون جنيه واذا صح هذا يبقى معناه ان سبع الناتج القومى ضايع فى الهواء . وجود الطاقة العاطلة فى اقتصاد ، بندعى ان هوه مخطط ، أمر شاذ . ولازم أستنتج منه أن التخطيط لا يسير بالكفاءة اللازمة . ممكن نقول ان سياسة القوى العاملة ليست رشيدة ، ولازم نرشدها حتى نعين الخريجين فى الاماكن المناسبة ونودى الناس الزيادة فى التربية والتعليم . لكن هذا سبب ثانوى أو ليس هو الذى سيحل المشكلة . المشكلة مرتبطة أساسا بفرص العمل المتاحة وهذا هو مربط الفرس . وفرص العمل المتاحة لن تزداد الا برفع معدل التنمية . وبعد ذلك لابد من تخطيط سليم يعنى أرجع لنقطة سوء التخطيط ، وثالثا نتوسع

أفقيا فى حين ان عندنا مشاكل وعندنا امكانيات لزيادة الانتاج عن طريق التوسع الرأسى . الهيكل الصناعى واعتماده على السلع الوسيطة بهذه الدرجة الخطيرة يحتاج الى اصلاح .. ممكن نضيف برضه مشكلة الروتين والاجراءات المطولة التى تفوق الاستيراد والتسويق .. الخ .

آخر مشكلة هى مشكلة البيروقراطية والحوافز ؛ وساجد هنا شىء غريب ، فالانفاق على الجهاز الادارى للخدمة المدنية فى سنة ٦٥ ، ٦٦ كان ١٠ فى المائة وده فى الواقع ضعف ما ينفق على التعليم والصحة معا . هذا كثير قوى الحقيقة فى بلد مثل مصر ..

البيروقراطيــة تعكس حـاجات كثيرة منهـا : الروتين وتعدد الاجهزة الاشرافية على المصانع والمؤسـسات ، لكن مشكلة البيروقراطيه والحوافز والكفاءة مرتبطة بمشكلة هامة جدا وهى كون القطاع العام عندنا يعمل فى ظروف ندرة شديدة ، فائض فى الطلب ، وعمره ما يبقى فيه فائض فى الطلب ونتوقع أن مديرى المصانع حيبقوا متحفزين لتطوير الانتاج وتحسين الخدمة ، وهذا ينبه الى ان مشكلة البيروقراطية والحوافز والكفاءة ليس لها حل تام الا من خلال رفع معدلات التنمية أيضا .. ويوم أن تخف حدة الندوة ممكن يبقى فيه قضاء مبرم على المشكلة دى .

ممكن نتطرق الى الكلام عن اللامركزية والى ذلك لكن أنا بلاقينى ألف وأدور دايما على ثلاث قضايا وأرجع لهم . .قضية التنمية : بطء معدلاتها واختلال الهيكل ـ قضية التخطيط : سوء التخطيط وانعدامه فى مجالات هامة ـ القضية الثالثة هبوط مستوى الاداء فى الاجهزة الاقتصادية وغيـر الاقتصادية ..

لاشك انه حدثت فى مصر تغيرات هامة فى الهيكل الاقتصادى والشكل الاقتصادى اتغير لكن أنا حاولت أشوف فى خلال الربع قرن الماضى من ١٩٤٥ ، أى بعد الحرب العالمية الثانية لسـنة ١٩٧٠ .. حاولت أشوف معدلات التنمية فى نصفين من هذا القرن فى الستينات والخمسة عشرة سنة التى سبقتها .. لقيت ـ بالرغم من هذه التغيرات الهيكلية الكبيرة ـ بالرغم من الاعتماد علـى التمـويل الاجنـبى [لان التمـويل الاجنـبى للاستثمارات وصل لـ ٣٧ فى المائة فى سنتين على الاقل من سنوات الخطة الاولى والمتوسط للسنوات الخمس اللى همة بتوع الخطة الخمسية الاولى كان ٢٦,٥ فى المائة لكن النسبة طبعا انخفضت فى النصف الثانى من الستينات] اقول برغم هذا الاعتماد الكبير على التمويل الاجنبى للاستثمارات اجد ان معدل النمو خلال الستينات [العشر سنين على بعضهم] فى المتوسط كان ٤,٨ فى المائة . ومعدل النمو خلال ١٥ سنة من ٤٥ الى ٥٩ كان ٥,٢ فى المائة يعنى فيه هبوط فى معدل النمو بنسبه ٤ر فى المائة ممكن التجاوز ، ونقول ان المعدلين قريبين من بعض للاخطاء المعروفة فى معدلات النمو .. لو استبعدت حتى السنتين ٦٦ ـ ١٩٦٧ و ٦٧ ـ ١٩٦٨ أجد ان معدل النمو خلال الستينات كان حوالى ٦,٢ فى المائة يعنى اعلى ١ فى المائة عن الـ ١٥ سنة اللى مكنش فيهم تخطيط أو ادعاء بوجود تخطيط قومى شامل . وكانت العملية جزافية وفيه قطاع خاص ، والباب مفتوح الى حد ما للاستثمار بالاسعار الثابتة . لكن المقارنة ليست دقيقة ١,٠ فى المائة لانها ترجع لسنوات قديمة ... أنا فى الحقيقة لا أركز على الارقام لان الفرق بينها ٤ر فى المائة ، ولكن الاتجاه العام الذى توضحه ، هوه الذى خلانا نسأل : اذا كان برغم الاعتماد الكبير على التمويل الاجنبى فى الخطة الخمسية الاولى ، ومعدل النمو لم يرتفع كثيرا فى الفترة التى سبقتها .. معدل نمو الزراعة فى الخطة الاولى كان حوالى ٣,٦ فى المائة فى النصف الثانى من الستينات كان ٢ر فى المائة والمخطط حتى فى سنة ٧٣ كان ٢,٢ للزراعة . نمو الصناعة كان ٨,٥ فى المائة فى الخطة الخمسية الاولى فى خلال النصف الثانى من الستينات لم يتجاوز ٣ فى المائة هذا يدفعنى لان اتساءل : طيب ما هو السبب الرئيسى لو كانت التغيرات الهيكلية الكبيرة حصلت ؟ فهنا نعود لمشكلة التراكم الرأسمالى ومعدلات الادخار .

معدلات الادخار تقول انه فى حدود ١١ فى المائة ، فى الواقع فى الـ ١٥ سنة من ٤٥ الى ١٩٥٩ معدل الادخار المحسوب من القيم الجارية للدخل الجارى والادخار الجارى ١٢ فى المائة ومن ٦٠ الى ١٩٧٠ معدل الادخار ١٣ فى المائة اذن معدل الادخار المحلى لم يطرأ عليه ارتفـاع محسوس ابدا . وهذا بدوره لا يبرز خطورة الوضع بالكامل . لانه كما ذكرنا محسوب من القيم الجارية للدخل والادخار .. لو ننظر للادخار الحقيقى كنسبة من الدخل الحقيقى الاتى ان فى سنة ٦٤ ـ ١٩٦٥ معدل الادخار الحقيقى انخفض من ١٣,٤ بأسعار ٦٤ ـ ١٩٦٥ الى ٦,٦ فى سنة ٦٩ ـ ١٩٧٠ يعنى فى المتوسط كان ادخارنا يزيد بـ ٢٧ مليون جنيه تقريبا خلال الخطة الخمسية الاولى بالاسعار الجارية وفى الخطة الثانية كان متوسط الزيادة السنوية فى معدل الادخار ١٨ مليون جنيه ومتوسط الزيادة السنوية خلال العشر

سنوات من ٦٠ ـ ١٩٧٠ كان ٢٢ مليون جنيه ، ولو نستبعد نصيب الاسعار فى هذه الزيادة يبقى الواحد بتحفظ يقول ان المدخرات لا تنمو على الاطلاق .. المدخرات الحقيقية فى ظل هذا ممكن تحصل تنمية ، او تنمية بالمعدل اللى احنا بنتحدث عنه دائما .

المعدل الذى قلنا انه جيد بالنسبة للمستويات العالمية ٦ر أو ٧ر فى المائة خلال الخطة الخمسية الاولى هذا معدل ايضا منخفض ، ليس بالنسبة لمطالبنا فقط ولكن نتعلم أيضا ـ عن الفجوة التى تفصل بينا وبين الدول المتقدمة فانا عملت حسبة بسيطة ، واعترف انها ممكن تخطىء بنسبة كبيرة ، لكن حتى الخطأ لو وصل الى ٧٠ فى المائة ستبقى للارقام دلالة ، لو سألنا متوسط دخل الفرد فى مصر سيلحق متوسط دخل الفرد فى امريكا بعد كام سنة ـ بفرض ان احنا نستمر فى النمو بنفس المعدل الذى حصل خلال الخطة الخمسية الاولى وامريكا تستمر فى النمو بالمعدل الجارى اللى هوه حوالى ٣ فى المائة فالجواب اننا سنلحق بأمريكا بعد ١٦٠٠ سنة ! وهذا ليس بغريب . يعنى فيه ارقام حسبت فى الهند والباكستان لكن ما يهون من الامر ان احنا لو قلنا معدل نمو الدخل الفردى يزيد حتى بـ ٤ فى المائة سنلاقى ان المدة دى بتنزل لـ ٣٥٠ سنة . ولو قلنا معدل نمو الدخل للفرد يصل الى ٦ فى المائة سنلاقى المدة تنزل الى ١٠٠ سنة . وده يبين ان رفع معدل الادخار ولو بـ ١ او ٢ فى المائة له تأثير ضخم على سد الفجوة بيننا وبين الدول المتقدمة .

يبقى هذا ما يجعلنى أقول ان الحل طبعا عمره سيكون فى الاستثمار الاجنبى والقروض الاجنبية : **وانما هو بيتركز فى رفع معدلات الادخار المحلية رفعا محسوسا** . وهذا يلفت النظر ايضا لضرورة تخطيط الطلب ، والتنسيق بين الخطة العينية والخطة المالية . وبعدين لابد من تخطيط سليم لنمو يتلافى عيوب الهيكل الاقتصادى الموجود والمتمثلة فى الاعتماد الضخم على السلع الوسيطة المستوردة ، واللى هيه تقريبا ٥٥ فى المائة من وارداتنا حاليا .. رفع مستوى الاداء لا يحتاج الى كلام كثير ..

اختم الكلام **بأن ما تقدم ليس معناه ان نقول لا لرأس المال الاجنبى ، وان كانت هناك محاذير وتحفظات كثيرة مفروض تقال عندما نقول نعم ، واعتقد ان فيه** [لا] تقال بالنسبة لبعض المشروعات او المجالات . **لكن ما اقول أولا وأساسا هو تحذير من الانخراط فى الاعتماد على رأس المال الاجنبى .. اعتمادنا عليه فى الماضى لم يكن بالدرجه المنخفضة ولكن لم ينتج عنه ارتفاع محسوس فى معدلات النمو ، ان ما أحذر منه ثانيا هو تصور انه يمكن حل مشاكلنا حلا جذريا بغير الاعتماد على جهودنا .**

يجوز هذا واضح لبعض الاقتصاديين لكن اعتقد انه بالنسبة لعامة الشعب متصورين ان أمريكا ستغرقنا بالفلوس ، وان اخواننا العرب مش عارفين يودوا فلوسهم فين ، ويبقى لازم سيأتون بها هنا ولازم سيحدث ارتفاع فى معدل النمو . لكن العملية لا أعتقد انها بهذه البساطة واخيرا ، اذا كان رأس المال الاجنبى لا يثمر بالدرجة الكبيرة دى ، فهذا يجعلنا نكون حذرين فى معاملة رأس المال الاجنبى ، يعنى معناها ان احنا مش عايزين تساهل شديد او استسلام شديد فى مطالب رأس المال الاجنبى من ناحية الاعفاءات الضريبية ، أو تحويل الدخول للخارج ، او تحويل نسبة ضخمة من الارباح للخارج ، احنا عايزين فائض اقتصادى يتحقق هنا ويعاد استثماره هنا .. مشكلتنا عايزين نرفع معدل الادخار لو كان ما سيأتى يجعلنا نأكل اليوم ونأكل بكره ، لكن كل الفائض يخرج من الاقتصاد القومى الى الخارج ، يبقى الامال المعقودة على الاستثمار الاجنبى أكثر بكثير مما يبرره الوضع الفعلى ، هذا ما أحسست أنه خلفية ضرورية للنقاش فى موضوعنا ، وفى موضوع الانفتاح الاقتصادى بشكل عام واقف عند هذا الحد . وشكرا

● د . حامد السايح :

نشكر د . ابراهيم على التفاصيل اللى قدمها والمجهود الكبير اللى بذله فى سرد الخلفية وأسباب المشكلة وعمقها ، ولكن ما لم استطع ان ابلوره بالذات هو هل المال الاجنبى: الاستثمار الاجنبى والقروض الخارجية .. هل الدكتور ابراهيم عيسوى كان يقصد ان هذه مجتمعة لمتؤد الى زيادة النمو « واضح كما ذكرنا سابقا الاستثمارات الاجنبية فعلا فى وقت لم تقدم ولم تساهم كاستثمارات أجنبية فى مصر الا فى مجال البترول ، وقد انتجت وحقول البترول نمت ومواردنا من البترول نمت ، لكن بعض الاتجاهات فى استصلاح الاراضى كانت المبالغ مش كبيرة .. المساهمة فى استصلاح الاراضى كان اغلبها يعتمد على القروض

يعنى ما أريد ان اقوله : هناك استثمار أجنبى ، وهناك تمويل خارجي عن طريق القروض ، وطبعا هناك ـ اساسا ـ تمويل ذاتى من مواردنا الخاصة ، زائد تمويل من هيئات دولية مثل البنك الدولى وال « فاو » فى بعض الاحيان .. هل المقصود ان جميع هذه المساهمات بالتمويل الخارجى لم تؤد الى النمو بالشكل الكافى لدرجة ان نعزف عنها ؟ أم ان المقصود هو تحديد أن الاستثمارات الاجنبية بالذات لم تساهم فى جهود التنمية ولا تؤدى الى زيادة التنمية ؟

لو اذن لى الاخ **ابراهيم** انا بقول الاتى : كل تنمية اقتصادية وكل المشروعات الاقتصادية فى بلد يعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا فى نموه الاقتصادى ، وفى اقتصادياته ، اساسا على الخارج استيرادا وتصديرا .. لا شك ان فيه ضرورة للتمويل الخارجى بشكل أو بأخر .. الاستثمار الاجنبى فى حد ذاته لم يثمر ، والاستثمار الاجنبى مش واقف على الباب ومستنى ان احنا ندخله بالدور . الاستثمار الاجنبى له مخارج كثيرة يمكنه ان يذهب اليها ، والفكرة هى ان أحنا نفتح الابواب بالشكل الذى يروق لنا ، وبالطريقة التى تناسب اقتصادياتنا ، وتناسب أسلوبنا السياسى فى الحياة . بحيث نجتذب ما يروق لنا من هذه الاستثمارات للمساهمة فى جهود التنمية .. طبعا أحنا لا يمكن ان احنا نستغنى عن العالم الخارجى سواء كان هذا فى شكل اقتراض ، أو كان فى شكل شراء لسلعنا من الخارج ، وسواء كان فى شكل التعاون مع بعض رؤوس الاموال اللى احنا نثق فيها ، وسواء كانت مدخرات مصريين من الخارج أو سواء كانت اموالا عربية بالذات .

بالاضافة : احنا لانقدر نستغنى عن التكنولوجيا ، سواء كانت غربية أو شرقية . لابد ان احنا نتعاون مع هذه التكنولوجيا ، جايز نقدر نشتريها ، جايز نقدر نأجرها ، جايز نقدر نجوزها لرأس **المال** العربى ، ثم العمالة المصرية وننتج منها شيئا ذو قيمة .. فى الحقيقة انا كنت عاوز أصل لاستيضاح للنقطة القائلة بان التمويل الخارجى لم يسهم فى زيادة معدلات النمو .. يعنى يمكن الاستاذ **الدكتور ابراهيم** يقول النقطة دى بوضوح شويه .

د . ابراهيم العيسوى

لا خلاف حول ضرورة التمويل الخارجى أو الاعتماد على الخارج ، وليس لدى اى اقتراض ، أو أعتقاد بأن المفروض نقفل الباب ولا يحصل انفتاح .. الواحد بيشعر ان حتى كلمة الانفتاح غير دقيقة لان عمر ما كان فيه اقتصاد مغلق ، وفى مصر بالذات كانت عمرها ما مارست اقتصاد مغلق ، وبالتالى المفروض الواحد يضع وصف « زيادة على الانفتاح » ليوضح معناه ربما هو انفتاح على الغرب ، أو اعتقد ده شعورى العام بالنسبة لاصطلاح الانفتاح كما يفهمه البعض .. لكن انا لا أقول أن رأس المال الاجنبى لم يسهم بمعنى انه هو نفسه مسئول عن عدم اثمار فى الخطه فى السنوات الماضية ، ولكن الحقيقةان ما اعتقده هو ان الاعتماد على التمويل الخارجى بدرجة كبيرة ايا كانت صورته .. طبعا لم يكن هناك استثمارات خارجية فى الفترة الماضية ، كانت هناك قروض .. فى هذا متفقين .. لكن ما اقوله : ان الاعتماد على التمويل الخارجى ـ فى اى صورة كان ـ بيصاحبه تراخى فى رفع معدلات الادخار المحلية ، وهذا هو السبب المسئول عن ان معدل التنمية لم يرتفع بالدرجة المحسوسة .

● د . أحمد المرشدى :

لو كل واحد فينا أخذ نصف ساعة أو ٣/٤ ساعة فى الكلام حنخلص الساعة كام . انشاء الله حنروح الساعة ٣ أو ٤ الصبح ، ومع ذلك فيه جماعة قاعدين معانا هنا من وزارة التخطيط وكل واحد منهم لما بيسمع سوء التخطيط وشه يصفر ويحمر .. المسألة أبسط من كده بكثير ، طبعا مشكلة عويصة وشائكة ، لو اتكلمنا الاول على متوسط ومعدلات التنمية نجد أن متوسط دخل الفرد بدأ يتحرك .. يعنى لو أخذنا ٥٩ ــ ١٩٦٠ سنة أساس نجد أن الرقم القياسى لمتوسط دخل الفرد بالاسعار الثابتة وصل الى ١٢١ فى سنة ١٩٦٥ ثم بدأ ينخفض ، ووصلنا فى سنة ١٩٧٢ الى ١١٢ للرقم القياسى . معنى هذا الكلام : انه بعد أن وصلنا فى سنة ٦٥ الى ١٢١ انخفض متوسط دخل الفرد مرة أخرى الى ١١٢ ، يعنى كاننا وصلنا الى ما كنا عليه سنة ٦١ ــ ٦٢ . والمشكلة فى حقيقتها هى مشكلة التنمية الاقتصادية ، كيف يمكن ان نرفع معدلات التنمية سنة بعد أخرى .. فى مصر أكثر من ٣٨ مليون مشكلة . لو اننا قلنا ان فى الزراعة لا توجد مشاكل ، لو اننا بنقول ، وانه فى الصناعة لا توجد مشاكل ، ولو نقول انه لا مشاكل فى القرارات الاقتصادية لكنا دولة متقدمة . ولكننا دولة غير متقدمة ، وبالتالى لما نتكلم عن سوء التخطيط ، فنحن نتحدث ــ لا عن سوء العمل فى وزارة

التخطيط ــ لكن نتحدث عن سوء القرارات الاقتصادية فى المجتمع ، ومن هنا نبدأ ، وليس من سوء التخطيط بمعنى سوء العمل فى وزارة التخطيط . انما المشكلة أكبر من ذلك بكثير فهى تضم جميع الوزارات ، تضم الحكومة كحكومة .. تضم مجلس الشعب كمجلس شعب ، تضم القاعدة الشعبية بأكملها ، فالمشكلة مشكلة المجتمع ككل . والجامعة أولى مشاكلنا حيث ان الجامعة تعيش بمعزل عن مشكلاتنا . وبالتالى ، فعندما نتحدث عن المشكلة الاقتصادية انما يجب أن ننظر الى كل مكون من مكونات المجتمع ، نتعرف ، فلا يجوز لنا أن نتحدث هل نجح التخطيط أم فشل التخطيط ولكن القول الحق هو : هل نجح المجتمع أم فشل المجتمع .

بدون شك أحد أسباب فشل خطة التنمية كان كلامى لوزير التخطيط عندما كان وزير تخطيط منذ اكثر من ٧ او ٨ سنوات وهو ان هناك وزير للزراعة يقوم بسرد الاعذار لماذا لم تنجح الزراعة ، كذلك كان هناك وزير للصناعة يسجل الاعذار لماذا لم تنجح الصناعة فى التنمية ، ولكن لم يكن هناك ولا يوجد هناك وزير للاستهلاك يدافع عن الاستهلاك .. كيف يمكن أن نطالب فقراء بأن يخفضوا من استهلاكهم ، بل اذا كان لابد أن أطالب بخفض الاستهلاك فليكن خفض الاستهلاك من هؤلاء السادة الذين يجلسون هنا حول هذه المائدة الخضراء وليس غالبية الشعب المصرى حيث ان غالبية الشعب المصرى فقراء للغاية . فعندما اتحدث عن الادخار يجب أن تخاطبوا أنفسكم أولا ، ولا يجوز لكم أن تنادوا بما لا تفعلونه . وبالتالى ، فالمشكلة الاقتصادية مشكلة قراراتنا غير الرشيدة . نحن دائما نتحدث عن ترشيد الاستهلاك . وأنتم فى قراراتكم الاستثمارية والاستهلاكية وأنتم كقادة للمجتمع . قرارات المجتمع هى محصلة قراراتكم ، فمن المطلوب أن ترشد القرارات الاستثمارية ، ولكن هل مطلوب من كبير المخططين ــ كما قال الاخ **حامد السايح** ــ اذن المطلوب من **أحمد مرشدى** ومجموعة الشباب الذين معه فى وزارة التخطيط ان هم وحدهم الذين يقومون اعوجاج المجتمع ككل ! نحن ننادى ونبشر باشياء لا نفعلها . نحن مرددون للفظيات لا نطبقها . **نحن نرفع رايات ونجلس ولا نفعل الا أن نردد : الترشيد الترشيد** .. نردد هذه اللفظيات فى الـ ٢٥ سنة الماضية فى الـ ١٠ سنوات الاخيرة .. والمتحدث الذى سيقف بعدى سيطالب بترشيد الاستثمار ، بترشيد الواردات ، بترشيد الصادرات بالكفاءة الانتاجية .. كلها محفوظة ، ولم نفعل منها شيئا .

زوجتى ليست اقتصادية ــ عندما تتكلم فى أحوال مصر ، قالت لى : مصر دخلت قسم أدبى : انشاء وكلمات وبكل أسف لم تدخل قسم علمى : العلم والارقام والتعمق ! نحاول ان نلقى اللوم على الغير ، مشكلة التنمية هى مشكلتنا جميعا وليست مشكلة وزارة التخطيط .. فى التخطيط كل الوزارات ــ كل المؤسسات يجب ان تقوم بدورها ــ الجهاز المصرفى يجب ان يقوم بدوره ، الجامعات يجب أن تقوم بدورها ، مجلس الشعب يجب ويجب ويجب ــ ثلاث مرات ــ أن يقوم بدوره .

آدى الخلفية أو الاطار الذى يجب أن نتحرك فيه لما ننظر الى الاستثمار الاجنبى ، ويجب أن نحدد : هل هى هدف ام هو وسيلة فاذا كان استثمار المال الاجنبى هدفا فى حد ذاته فلتفتح الابواب بدون قيد أو شرط ، اما اذا كان راس المال الاجنبى سببا ووسيلة لدفع عجلة التنمية ، ليس فى مصر وحدها بل ايضا لهؤلاء الذين يشاركون بأموالهم فى مصر فلنتحدث عما هو الاطار الذى يمكن أن يسرع بمعدلات التنمية فى مصر ، والمشكلة ليست مشكلة هينة ..

متوسط دخل الفرد فى مصر الان ، مهما كنا متفائلين فيه ، لا يزيد عن ١٠٠ جنيه مصرى . ولما نتكلم عن ١٠٠ جنيه مصرى النهاردة لازم نعرف مستويات الاسعار ، ايضا لما نتكلم على ١٠٠ جنيه مصرى ، متوسط دخل الفرد يجب أن نعلم كذلك سوء توزيع الدخول فى مصر .. لو احنا حسبنا مثلا مرتب وزير بياخد ٢٥٠٠ جنيه معنى الكلام ده يجب أن يكون هناك ٢٤ واحدا مرتباتهم ودخولهم صفر حتى يمكن أن يقال ان متوسط الدخل فى مصر ١٠٠ جنيه ، وبالتالى فمشكلة التنمية ذات شقين :

الشق الاول ان احنا نزيد من معدلات التنمية بمعدلات مرتفعة وسريعة ، وأن نعمل على أن نرفع متوسطات ذوى الدخول المنخفضة بمعدلات أسرع من معدلات التنمية حتى لا نقع فى خطأ أن تكون التنمية لحساب فئة خاصة من فئات المجتمع ، وبالتالى ، لا تعم الفائدة التى تعود من استثمار المال الاجنبى على كل طبقات المجتمع .

نحن نستثمر الان حوالى ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ مليون جنيه سنويا ، ولو استمرينا على مجهوداتنا الفردية ، بدون شك ، فسوف نصل . ولكن متى نصل ؟ وبالتالى فالاعتماد على الاقتراض من الخارج احد الاسباب المؤدية الى سرعة معدلات

التنمية ، ولا يوجد هناك أى عيب سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى فى هذا .. لماذا لا نعتمد فى تنميتنا على موارد من الخارج ؟ ولكن هـذا الاعتماد يجب أن يكون مشروطا بضوابط متعددة بدأنا نأخذ ببعضها ، بمعنى رفضـنا بعض المشروعات التى كان يتقدم بها بعض المولين الاجانب لانها لا تعكس أى تنمية .. ناس كانوا عايزين يدخلوا فى البلد آلات بتاعة الالعاب .. يعنى كان طلبهم يستثمروا فى الالعاب قلنا .. لا .. كذلك نفكر ان المستثمرين يجب ان يكونوا مشتركين مع المصريين فى رؤوس الاموال .. أى واحد بيستثمر من بره لم لا يشارك مصرى فى عمله فى الداخل حتى يمكن أن يشترك المصرى فى استثمار امواله ؟

وهنا يجب أن أثير قضية : اذا كنا نفتـح لاستثمارات أموال من الخارج فكيف نغلقها أمام المصرى فى الداخل ؟ كيف يمكن لاجنبى أن يحظى بمعاملة خاصة لا يحظى المصرى بها فى وطنه ؟ وبالتالى فاذا كنا نفتح الباب امام المستثمر الاجنبى فيجب أن نمهد ونشجع المستثمر المصري قبـل المستثمر الاجنبى .

شكرا .

● د . حامد السايح :

أنا شخصيا لم أكن أفتكر أن الدكتور ابراهيم بيهاجم التخطيط كتخطيط ، ولكن أعتقد انه كان متفقا معاك فى الرأى ، أصلا ان المسالة مسالة تخلف ، وتخلف عام . وان هذا التخلف شمل التخطيط كله .

● د . جمال العطيفى :

لدى بعض أسئلة للدكتور **مرشدى** .. السؤال الاول : مشروع القانون المعروض المقدم مـن الحكومة عن استثمار المال العربى والاجنبى فيه نص على أن يكون استثمار المال العربى والاجنبى بتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية فى اطـار السياسة العامة للدولة وخطتها القومية ، وهذا النص أثار بعد مناقشات فى لجان **مجلس الشعب** ، لان بعض الاراء ذهبت الى عدم الاكتفاء بالقوائم اللى يعدها مجلس الهيئة انما يجب أن تكون المشروعات واردة فى الخطة ، فرد بعض السادة المسئولين وقالوا : ان لا توجد خطة اقتصادية واردة فيها مشروعات واذا كنا سننتظر حتى تعد هذه الخطة فان رأس المال لن ينتظر . ولما رجعنا لقانون الخطة الذى وافق عليه **مجلس الشعب** العام الماضى ، وسيادتك كنت مشارك فيه ، لاحظنا ان فيه نصـوص تقول : ان الوزارات ترسـل بيـــانا بمشروعاتها ، وهذه بتدرس ، وانها تدرج فـى الخطة . فنحن نريد أن نعرف كيف يتم ادراجها فى الخطة ؟ وهل الخطة السنوية يمكن أن تدرج بها هذه المشروعات ؟ وهل هذا الاعتراض واقعى ؟

ومن ناحية أخرى ، أيضا أشير الى ما ورد فى قانون الخطة بشأن الوسائل .. يعنى الخطـة أهداف ووسائل فأيضا اعترض على اضافة كلمة الوسائل بنفس الاعتراض . وهو أنه لا توجد خطة مبين فيها الوسائل .. اذا كانت الاهداف العامة أو الاطار العام فقط هو المعروف ، فهذه النقطة ، أنا أحب أعرف رأى **الدكتور مرشدى** فيها .

فيه سؤال ثانى خاص بما أشار اليه الدكتور مرشدى من أنه ، هو يحس أن المال الاجنبى يأتى ويستثمر يكون هذا بطريق المشاركة ... مشروع القانون المعروض علينا لا يحدد نسبة المشاركة الا فيما يتعلق بحالة واحدة . أرجو أن يقول لنا رأيه فيها ، وأقصد حالة البنوك التجارية التى أجاز فيها المشاركة : ٥١ فى المائة لرأس المال الوطنى دون تحديد ما اذا كان رأس المال عام أو خاص ، و ٤٩ فى المائة رأس المال الاجنبى ، انما المشروعات الاخرى ليس فيها تحديد لنسبة المشاركة : والحجة التى قدمتها الحكومة — فى هذا الشأن — أنه من الصعب أن نضع معيارا جامدا لنسبة المشاركة لان هذا جايز يكون مشروع كبير وتمويله معظمه من الخارج ، ولا يمكننا أن نوفى النصيب المصرى اذا حددناه بـ ٥١ فى المائة أو ٥٠ فى المائة . الخ .

فلو تفضل الدكتور مرشدى وأوضح لنا الثلاث نقاط .. النقطة الاولى خاصة بالخطة وورود المشروعات فيها والوسائل ، والثانية خـاصة بالمشاركة ، ثم موضوع البنوك التجارية التى هى الموضوع الثالث .

● د . المرشدى :

لو سمحتم : نبدأ أيضا بالملاحظة التى أبداها الاخ **الدكتور السايح** ، وفى الواقع أنا لم آخذ كلام **الدكتور ابراهيم** على أساس انه بينتقد التخطيط بل بالعكس ، وأنا انتهزت الفرصة ان هو قالها وحبيت

ان أنا يعنى أعلق وأمط الاصطلاح حتى يمكن أن نتعرف على أى شىء هو سوء التخطيط .

أنا ما كان فى ذهنى أبدا أن الاخ **ابراهيم** بينقد بل بالعكس أى انتقاد لنا يجب أن احنا نأخذه بكل تواضع على أساس أن كل عملنا فى مصر فيه مجال لتحسين كبير وصارخ ..

بالنسبة للاربع نقاط ومنها نقطة لو سمح لى الدكتور **العطيفى** سأتركها ، وهى : البنوك التجارية لان معنا الدكتور **حامد السايح** والاخ **حسن زكى** والاخ **محمود أنيس** يعنى الجهاز المصرفى يبتدى يتكلم وبعدين احنا .

بمناسبة المشروعات وهل المشروعات مسجلة باسمائها ومسمياتها . بدون شك المشروعات مسجلة بمسمياتها فى الخطة وهذا التسجيل ينصب فقط على شركات ومشروعات القطاع العام . أما مسميات مشروعات القطاع الخاص فلا تسجل ولكن يسجل اجمالى الاستثمار المسموح به للقطاع الخاص ، وبالتالى ، أمام القطاع الخاص الحرية كل الحرية لاختيار مشروعاته فى تلك الانشطة المحدد لها استثمار القطاع الخاص ، ومع ذلك فلا يجوز أن نقول – مع الانفتاح والرغبة فى استمالة المال الاجنبى ، لا يجوز أن نتمسك باسلوب وكيفية اعداد الخطط ، بل يجب فى عملنا التخطيطى أن نطوره بما يسمح بكل السياسات التى تأخذ بها الدولة ، مثلا .. لا يمكن لوزارة التخطيط ان تصدر وثيقة تخطيط بدون أن تنشر قسما خاصا للمشروعات المشتركة مع الدول العربية فى مجالات التكامل الاقتصادى ، فاذا أصدرت وزارة التخطيط الخطة بدون ابراز لهذا الفصل يعتبر هذا قصورا فى عمل وزارة التخطيط ، كذلك اذا كنا بسبيل الانفتاح الاقتصادى – بأى اصطلاح أو بأى مسمى – ممكن أن نأخذ به فيجب ، أيضا ، أن نأخذ فى الاعتبار أن نزيد ذلك الجزء الخاص بالاستثمار للقطاع الخاص . وبالتالى ، يمكن فى أى وقت لاى شركة أجنبية أن تأتى وتستثمر حيث أن هناك احتياطيا مسجلا لدى وفى الخطة ، وبالتالى وخاصة ونحن نناقش مشروعات القوانين الخاصة بالمال الاجنبى ، وما زلنا على الاقل فى حيرة لعدم وضوح الرؤيا كاملة . وما هو حجم الاستثمارات التى يمكن أن تأتى الى مصر ؟ لو صدقنا ما ورد بصحافتنا منذ شهرين وثلاثة أشهر لكان معنى ذلك أمام كل شقة عربية ، وكل واحد ساكن فى فيلا وقصر ، ومع ذلك ، وبعد ثلاثة اشهر ما زلنا ندرس ما هى المشروعات ، وما هو حجم الاستثمار الذى قد يرد الينا ، الاجابة حتى الان لا ندرى بالضبط .

هناك مفاوضات كثيرة .. هناك وفود تأتى لنا يوميا تحاول ان تتعرف على المجالات التى يمكن ان تستثمر فيها ، تريد أن تتعرف على ما هى الضمانات ما هى الشروط ، ما هو المناخ ما هى الوسائل ما هى .. وما هى .. كل ذلك مازال فى اولى مراحله . وبالتالى ما هو الحجم الحقيقى لاستثمار المال العربى والاجنبى فى مصر .. وما هو حجم الاستثمارات الواجب ان تنفذ حتى يمكن ان نرتفع بمستوى دخلنا وبمستوى معيشتنا ؟ . الرقم الذى لا يجوز ان نغفل عنه هو انه يجب علينا ان نستثمر ما لا يقل عن ١٠٠٠ مليون جنيه سنويا هذا الـ ١٠٠٠ مليون جنيه سنويايجب ان يرتفع الى ١٥٠٠ والى ٢٠٠٠ مليون جنيه سنويا هذا اذا كنا نريد ان نلحق بالركب زى ما قال الاخ **ابراهيم** بالنسبة لدخل الفرد فى مصر وفى امريكا ...

أما الوسائل والسياسات فانا اتفق تماما على أن وثيقة التخطيط لم تحتو على الاقل فى السنوات الاخيرة ، على سياسات محددة وان كانت الوثيقة تحتوى على اتجاهات وسياسات محددة على اساس ترك هذه السياسات المحددة الى الوزارات المعنية ، بل ويمكننى ان اضيف ايضا انه فى السنوات السبع الاخيرة لم يكن التخطيط الا بما يمكن وصفه بأنه تخطيط مرن حتى يمكن ان نعبىء ونوجه مواردنا الى الدفاع فى اى وقت نملكه ، أما عن المشاركة فلا اعتقد انه يمكن لى الان ان احدد اى رقم ولماذا التحديد ؟ . لماذا لا تترك للدراسة كل حالة على حدة ، وتبعا لكل نشاط على حدة ، وتبعا لكل مجال على حدة ؟ وبالتالى لا نقيد انفسنا من الان ، حتى لا يكون انفتاحا مقيدا ولكن نترك للدراسة ..

● وهنا رد د . المرشدى على تعليق لمصطفى كامل مراد حول مدى التنسيل فى دراسات الخطة . قال **د . المرشدى** :

طبعا الاخ مصطفى مراد بيناوبينه بعض مناقشات كثيرة .. المشروعات مسجلة .. مشروع .. مشروع باسم اسم ، وهذا بالنسبة لمشروعات القطاع العام ، بل أقدر أقول ان اول خطة عملناها فى سنة ٥٩ – ١٩٦٠ اصدرنا وثيقتين احداهما كتاب اسمه **كتاب المشروعات** يقع فى أكثر من الف صفحة ، كل صفحة لمشروع .. ووثيقة اخرى اصدرناها ايضا سنة ١٩٦٠ .

ولما نتكلم عما فى نية وزارة التخطيط يجب أن نتذكر ان الاستراتيجية ليست فى يد وزارة التخطيط .. وزارة التخطيط هى جهاز فنى ، وبالتالى القيادات السياسية بعد ان نقدم لها بدائل متعددة

تختار من بينها وبالتالى يصبح هذا توجيها سياسيا تعمل فى ظله وزارة التخطيط ، وبالتالى لا يمكن ان يقال ماذا فى نية وزارة التخطيط ان تفعل بل يجب ان يكون السؤال ماذا فى جعبة القيادة السياسية من توجيهات سياسية يجب ان يعمل المجتمع فى ضوئها . وبالتالى وزارة التخطيط انما تنفذ فى هذا المجال بالذات توجيهات سياسية عليا .. اذا اتفق رأى المجتمع على ان تكون معدلات التنمية ٧ فى المائة سنعمل ، ٨ فى المائة سنعمل ، ٩ فى المائة سنعمل .. وعلى كل الاجهزة المكلفة ان تسعى لتحقيق تلك الاهداف .

توزيع المشروعات على المحافظات حتى يمكن ان تعلم كل محافظة على حدة اسماء المشروعات ، ومع ذلك ، يجب ان اضيف ايضا ان المشروعات الخاصة بالقطاع الخاص لم نسجل لها اسم .. وبالتالى كل مشروعات القطاع العام مسجلة مشروعا .. مشروعا .. ومسجلة مرتين .

● **د . جمال العطيفى :**

هل يمكن ادراج مشروعات استثمار القطاع الاجنبى سواء كان منفردا او مشتركا .. ضمن مشروعات الخطة ؟

● **د . احمد المرشدى :**

فى اى وقت ممكن ... كل مشروعات الدولة داخل اطار الخطة ، بمعنى ناخد مشروعات الاسكان فليس من المعقول تسجيل بيت سكنى سيبنيه الشيخ فلان ، ليس معقول .. ولكن بنسجل ٤٠ مليون جنيه اسكان للقطاع الخاص ، وبالتالى يتحرك القطاع الخاص فى بناء المساكن فى حدود ٤٠ مليون جنيه . نقول ايضا ، مثلا ، فى قطاع الزراعة ان للقطاع الخاص الحق فى الاستثمار حتى ٥ مليون جنيه والقطاع الخاص حر فى التحرك داخل هذا المبلغ .. بالنسبة للقطاع الخاص نحن نعطى ونسجل حجم الاستثمار . اما مشروعات القطاع العام ، سواء كانت هذه المشروعات ملكية كاملة للقطاع العام ، ام مشتركة مع قطاع خاص مثل البترول ، فتسجل اسماء المشروعات ايضا ، ومع ذلك ، هذا لم ينف امكانية دخول اى شركة للعمل فى اى فترة زمنية .

● **د . جمال العطيفى :**

— دكتور المرشدى احنا نشكرك كثيرا على ايضاحاتك . فى الحقيقة انا عاوز اضيف الاتى هو سيادتك استشكلت فى ان احنا فى ضباب او ظلام من ناحية حجم الاستثمارات المطلوبة لكى نعرف نخش فى العملية بالتفصيل ، فذكرت ان احنا محتاجين ١٠٠٠ او ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ مليون جنيه ، ده كلام صحيح ان احنا محتاجين اكبر حجم من الاستثمارات ، لكن قطعا فى حدود وطاقة الاقتصاد القومى على الاستيعاب .. ورقة اكتوبر بتحدد اهداف تفوق ما سبق تحقيقه من اهداف .. احنا قلنا اعلى هدف وصلنا له كما قال **الدكتور ابراهيم** ٦ر٧ . فاذا افترضنا اننا الان فى المراحل الاولى التى لا نقدر نستوعب فيها كميات كبيرة سنحاول تحقيق معدل نمو ٧٪ ، واذا افترضنا ان فيه عندنا رقم معين محدد للناتج القومى وللدخل القومى فعلى اساس ٧٪ نقدر نحدد حجم الاستثمارات المطلوبة .. اذا حددنا هدف النمو الذى نريده ، ونفترض انه ٧٪ ، وبعدين بنحدد مواردنا الذاتية المتاحة التى تمكننا من اننا نمشى ، ويبقى الزائد هو المطلوب الحصول عليه كموارد خارجية ، سواء استثمار اجنبى سواء التعاون مع العرب ، سواء من التعاون مع الهيئات الدولية ، مثل .. البنك الدولى .. الخ فهل ممكن ان نحدد هذا ؟

النقطة الثانية : المشاركة .. انا اقول ، انه فى موضوع فى البنوك قلنا ٥١٪ يعنى امكن ان نحط رقم محدد فى البنوك على اساس مبدأ يبقى هذا يوضح المنطلق بالنسبة للمستثمر الاجنبى ، يبقى جاى على وضوح انه لما يشارك رأس المال المحلى ستبقى له حدود معينة . اذن هنا أمران :

مبدأ المشاركة ، فى حد ذاته ، ثم اذا شارك يكون واضحا فى القانون ان احنا ممكن نشارك فى حدود كذا ، بحيث رأس المال المحلى يبقى له الكسب . فى الحقيقة السؤال الموجه هو : هل فيه مصلحة فى اننا نعمل هذا ، والا بالرغم من اننا حددنا للبنوك ممكن نطلق المشروعات الاخرى كما عملنا فى خط الانابيب مثلا ، وكانت المسألة تعاون وهذه مفاوضات ودية ، وكل واحد يدفع ٥٠٪ على الماشى ..

هذان هما السؤالان اللذان يحتاجان الى استيضاح ..

● **د . احمد المرشدى :**

— لما شفنا مشروع صناعى ومشاركة فى بنك يمكن نقدر نشوف الفرق الضخم بين احتياجات انشاء بنك او المشاركة فى بنك ، وبين مشروع

صناعى يمكن يكون وحده قد ١٥ بنك .. يعنى فيه اى مصنع يمكن عاوز ٢٠٠ ، ٣٠٠ ، ٤٠٠ مليون جنيه مثلا .. وبالتالى هنا يتوقف الامر على حاجة الاقتصاد المصرى الى مثل هذه المشروعات ، وقدرة المجتمع على تمويل هذه المشروعات ، وقدرة المجتمع على المشاركة فى تمويل هذه المشروعات .. لما قلت اننا نريد ١٠٠٠ ، والف وزيادة و ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ مليون جنيه .. طبعا هذه الارقام تبدو آمالا ليس من المعقول أعملها اليوم او بكره ، ولما نتكلم عليها - كآمال - يجب اننا نحققها .. اى دولة عاوزة تنمى نفسها لازم تعمل على اتخاذ مثل هذا المسار ، يعنى ايه ؟ مصر مثلا بترتيبها فى دول العالم بالنسبة لتعداد السكان رقم ١٩ ، فلما نحاول نحدد موقع مصر حسب متوسط دخل الفرد سنجد على ما اعتقد انه ٨٩ ، وترتيب الـ ٨٩ هذا ماذا يعنى ؟ يعنى انه لما نستبعد من مجموع الدول كل الدول التى يقل عدد سكانها عن مليون .. يعنى الكويت غير موجودة ودول الخليج غير موجودة ، انما لو دخلنا بقى كل الدول فى العالم ، سواء كان تعدادها اكثر او اقل من مليون ، نجد الترتيب لمصر فى متوسط الدخل يصل اظن الى ١٢٣ .. مش آخر دولة على اى حال ، لان احنا دخلنا مجاميع اقل من مليون وعدد الدول بالتالى بيطلع حوالى ١٥٠ ، ١٦٠ ، يعنى ترتيبنا ١٢٣ من ١٦٠ .. اذا اخذنا الدول اكثر من مليون يبقى ترتيبنا يقفز الى ٨٩ .

أدى المشكلة وبالتالى لما نتكلم على آمال يعنى هل نحن جادون فى عملنا ام غير جادين ؟ هذا هو الاستشكال الذى اثيره .. واحنا ونحن - الى اليوم - لانقدر فى المرحلة التى نحن فيها نحدد حالا ما هو حجم المال الاجنبى الذى سيأتى لنا ونعتمد عليه مسبقا فى الخطة .. يعنى احنا نعد الخطة لسنة ٧٥ ، ما هو حجم المال العربى. ما هو الحجم الخاص بالمال الاجنبى ؟ لا نقدر ان نحدده . هذا الحجم لا يزال غير معروف والمجاهيل حولى كثيرة ، ولا نقدر ان ناخذ فيه قرار الا فى الاسابيع الاخيرة من هذه السنة .

سؤال من احد الحاضرين للدكتور مرشدى يعنى انت محتاج كم لتمويل الخطة ؟

● د . أحمد المرشدى :

سيدى العزيز بكل بساطة النماذج الاقتصادية من اسهل ما يمكن ، ممكن عمل ٥٠ نموذج فى اليوم الواحد .. عاوزين كم نريد من الاستثمارات ليرتفع الدخل بنسبة معينة ؟ الكمبيوتر موجود ، واى واحد فى الوزارة - والحمد لله - يقدر يمسك ورقة وقلم وآلة حاسبة صغيرة يطلع « مودل » . عندنا ٦٠٠ موظف نطلع لكم ٦٠٠ نموذج فى اليوم .. فهذه ليست مشكلة ، لكى تحسبوا كام يطلعوا كام ممكن اجيب لكم ١٢٠٠ حل ، كل يوم اخلى كل واحد فى الوزارة يشتغل على حلين ، ودى تتعمل فى ساعتين زمن .. فعملية الحساب ليست مشكلة .. انما طيب وبعدين .. ثم ماذا بعد العلاقات ...

● د . جمال العطيفى :

الدكتور المرشدى له موقعه الاستراتيجى فى الحكومة ، وهذا يجعلنا نطمع فى تفسيرات اكثر .. نرجع ثانية للنقطة الخاصة بالتحديد .. نحن لانريد ان نحدد فى القانون ، ولا حاجة ، انما نتكلم كمشكلة عامة .. قطعا اذا كنا نهدف الى التنمية على مستوى معين فضرورى نحدد لهذا المستوى حجم معين من الاستثمار ، اذا حددنا هذا الحجم المعين من الاستثمار نحدد معه الموارد الذاتية الممكن الحصول عليها من مواردنا الخاصة ، ثم نحاول - بعد ذلك - ان نستكمل هذا بشكل او بآخر .. انا قطعا موافق مع **الدكتور المرشدى** ١٠٠٪ ، اننا لانستطيع ان نقول الان كم سيأتى الينا لانقدر ان نقول ابدا حيجى لنا قد ايه من الاستثمار الاجنبى ، أنما نستطيع ان نقدر حتبقى ما هى احتياجاتنا لاستكمال التمويل اللازم .. يعنى ، اذا قلنا ان مدخراتنا ١٣٪ مثلا من الدخل القومى ، وعندنا متوسط الدخل القومى ٣٠٠٠ مليون فسيبقى عندنا ٤٠٠ مليون مدخرات ، محتاجين استثمار ٧٠٠ مليون يبقى فيه فجوة بتاع ٣٠٠ مليون فالـ ٣٠٠ مليون ، هذه ، ضرورى سنكملها من التمويل الخارجى بشكل او بآخر ، فهل مثل هذا الحساب على اساس مستوى معين ، او افتراض معين من معدلات النمو ، هل هذا هو الذى فى ذهن وزارة التخطيط انه يعمل ؟

● د . رضا العدل :

الكلمة التى سأحاول اختصر فيها تشتمل على حوالى ثلاث موضوعات رئيسية : الاول سأحاول اشير فيه الى نظرة عامة لقضية الاستثمارات الاجنبية فى البلاد المتخلفة .. واهم من ذلك خبرة البلاد المتخلفة والشبيهة بظروفنا قد تكون مفيدة لنا فى المرحلة التى احنا مقبلين عليها .. بعد ذلك ، سأتكلم حول ما يمكن ان نسميه الضابط

العام الرئيسى لنجاح الاستثمارات الأجنبية فى مصر ، وبعد ذلك سأتكلم حول بعض الملاحظات الاخيرة حول مشروع قانون الاستثمار الاجنبى .

بالنسبة للموضوع الاول :

البلاد المتخلفة الان ، وهى مقبلة على عملية تنمية اقتصادية واسعة بذلك نجد انها فى وضع افضل نسبيا من البلاد الاوروبية لما بدأت التقدم تقدمها الصناعى فى القرن التاسع عشر . وذلك، على اساس ان هذه البلدان تستطيع انها توفر وقتا فى المخترعات وفى عملية البحوث ، بالاضافة الى وجود وفرة نسبية بالنسبة للبحوث العلمية بالمقارنة الى القرن التاسع عشر ، سواء فى بلدان الرأسمالية المتقدمة او الاشتراكية . وهذا فى الواقع يعطي بيئة مواتية للبلاد المتخلفة انها تبدأ عملية تنمية اقتصادية . ولكن من زاوية اخرى ، التقدم العلمى والصناعى يضع البلاد المتخلفة فى وضع صعب ، على اساس النهاردة ان المشروعات الصناعية اليوم تحتاج الى حجوم من الاستثمارات عالية ، وتقريبا ليس هناك نسبة بينها وبين الحجوم للمشروعات الصناعية التى كانت فى القرن التاسع عشر .. يعنى ، كلنا نعرف ان مدينة زى مدينة **دبلن** فى انجلترا كانت صناعات التعدين والصلب .. الخ مبنية على اساس صناعات صغيرة . حتى ان الواحد — هناك — يشوف فى الشارع الواحد اكثر من مصنع ؛ لكن ، اليوم ، مصنع الحديد والصلب يتكلف ١٠٠ مليون جنيه ، فى الواقع هذا يضع البلاد المتخلفة فى وضع صعب من حيث امكانية تدبير مصادر ذاتية للاستثمار ، بالاضافة الى وضع صعب فى البلاد المتخلفة وهو انها تبدأ التنمية فى ظل مستوى استهلاك عال فى العالم ، وبالتالى هناك انفتاح كبير فى عملية الاستهلاك مما يحد فى المدخرات الذاتية بها . والنتيجة الطبيعية هى اعتماد هذه البلاد على العالم الخارجى فى التنمية والاستثمارات . .

ولكن ، فى الواقع ، سوف نحاول ان نشير الى بعض الارقام الخاصة بتدفق الاستثمارات الاجنبية على البلاد المتخلفة ، وبصفة خاصة ، تدفق الاستثمارات من الدول الرأسمالية .

فى الفترة من ٥٦ لسنة ٦٨ فى البلاد المتخلفة يلاحظ ان هذا التدفق ليس بالحجم الكافى لاشباع حاجات البلاد المتخلفة من الاستثمارات الاجنبية ، وتقريبا هناك ركود نسبى فى نسبة الاستثمارات الاجنبية الى الناتج القومى فى البلاد المتخلفة . يعنى على سبيل المثال ، فى سنة ٦١ كانت نسبة تدفق الاستثمارات الاجنبية الى البلاد المختلفة الى الناتج القومى فيها ٣ر٤٪ .. فى سنة ١٩٦٧ كانت هذه النسبة ٤٪ نسبة هذه الاستثمارات المتدفقة الى التراكم الداخلى فى البلاد المتخلفة كان فى سنة ٦١ حوالى ٣ر٢٦٪ وفى سنة ١٩٦٧ كان ٢٦٪ .. لو حتى قارنا نسبة المتدفق من الاستثمارات الاجنبية الى الواردات من البلاد المتخلفة سنجد ايضا هذه النسبة تقريبا ثابتة : فى سنة ٦١ ٥٠ر٢٧٪ سنة ٦٧ ٣ر٢٦٪ . فى السنوات ما بين ٦١ ، ٦٧ نجد نفس الاتجاه العام يتقلب قليلا او كثيرا حول هذه النسبة .

الظاهرة الاخرى ، السائدة فى تدفق رؤوس الاموال الاجنبية ، هى غلبة رؤوس الاموال العامة وغلبة رؤوس الاموال الحكومية على الاستثمارات الاجنبية ، اى الاستثمارات التابعة لحكومات لا لشركات خاصة .

ففى سنة ١٩٦٨ ، نجد ان رأس المال الحكومى المتدفق الى البلاد المتخلفة من البلاد الرأسمالية المتقدمة كان حوالى ٧ مليون دولار ، اما رأس المال الخاص فقد شكل حوالى ٥ مليون دولار . هنا ، نجد الغلبة لرأس المال العام وهذه ، فى الواقع ، ظاهرة عامة من سنة ٥٦ .

[استفسار وجه الى د . رضا العدل]

— تدفق رأس المال العام الحكومى هذا الا يعتبر استثمارات ؟

● د . رضا العدل :

— استثمارات ومساعدات وقروض .. فى الواقع هو مجموع كل رؤوس الاموال المتدفقة من البلاد الرأسمالية .

التكوين العام للاستثمار الاجنبى فى البلاد المتخلفة ممكن نقول انه ذو طابع مزدوج : من ناحية ، هو له اثر فعلا فى زيادة التصنيع والتنمية ، وخصوصا فى الاعوام الاخيرة لوحظ انه بدأ يتجه الى بعض الصناعات التحويلية على عكس الاتجاه التقليدى .. ولكن بعض الناس يعزون ذلك الى المنافسة التى يواجهها من الدول الاشتراكية .. فعلى سبيل المثال : الاستثمار الانتاجى ، او المتجه الى المجالات الانتاجية فى الفترة من ٦٢ الى ٦٨ ، شكل حوالى ٢٧٪ من اجمالى الاعتمادات والقروض والمساعدات الأجنبية فى البلاد المتخلفة — مقدار الاستثمارات الكبيرة فى الهياكل الرئيسية فى الفترة من سنة ٦٥ الى ٦٨ كان يتفاوت بين ٩٥٠ الى ٩٧٥

مليون جنيه في كل البلاد المتخلفة . طبعا مقدار بسيط الحقيقة .. الصناعة وبالذات الصناعة التحويلية والتعدين ،كان نصيبها من الاستثمارات الاجنبية من ٦٠٠ الى ٩٥٠ مليون جنيه ، هذا بالنسبة لحالة الاستثمارات الاجنبية او المساعدات القادمة من الدول الراسمالية الى البلاد المتخلفة . وحجمها فى الواقع ضعيف حتى فى المجال الخاص بالطرق .. والرى .. الخ .

بالنسبة للاستثمارات الخاصة ، لا زالت فى الواقع تلعب دورا مهما فى البلاد المتخلفة ففى عام ٦٧ بلغت حوالى ٥٠ مليار دولار .

اقول : ان هذه الاستثمارات الاجنبية ، سواء اكانت حكومية او خاصة ، لها فى الواقع نتيجة مزدوجة . من ناحية ، كما قلت ، انها تدفع بعملية التصنيع والتنمية ، ومن ناحية اخرى تشكل خطورة على اقتصاديات هذه البلاد .. الخطورة فى الواقع من مصدرين :

المصدر الاول : هو انه عن طريق هذه الاستثمارات وبالذات الاستثمارات الخاصة يصير استنزاف كبير للفائض الاقتصادى من البلاد المتخلفة .

المصدر الثانى : ان هذه الاستثمارات تشكل مصدرا لعدم الاستقرار المالى والنقدى فى هذه البلاد ... فعلى سبيل المثال : بعض الدراسات [ومعظم هذه الاحصائيات مشتقة من تقارير الامم المتحدة] وفقا لبيانات ٦٧ بلد من البلاد النامية بلغت نسبة العوائد المستنزفة من هذه البلاد بالنسبة لرأس المال المستثمر ٤٧٪ من اجمالى راس المال المستثمر سنة ٦٣ ، وفى ٦٧ زادت الى ٥٥٪ .. وفى بعض الحالات كان العائد فى البلاد المتخلفة يفوق مقدار الاستثمارات الموجودة فى هذه البلاد ، والمثال الواضح جدا فى البلاد المنتجة للبترول حيث بلغ العائد حوالى خمس اضعاف الاستثمارات القادمة الى هذه البلاد .

أيضا ، حوالى ٢٠ دولة من دول امريكا اللاتينية ، وهى دول عندها انفتاح اقتصادى ، وفقا لبيانات عشرين دولة ، نجد ان مدفوعاتها الاستثمارية فى فترة ٦٥ — ١٩٦٧ جاوزت ،بكثير جدا ، المبالغ الاستثمارية ، سواء كانت قروضا أو وسائل مباشرة . فى سنة ١٩٦٧ بلغ المتدفق من الشركات الخاصة الى بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ٣ر٩ مليار دولار ، بينما بلغت العوائد المنزوحة منها ٥ر١ مليار دولار سنة ١٩٦٧ [بخلاف الدول المنتجة للبترول] . وهذا ، فى الواقع ، يبين لنا ان هذه الاستثمارات بتعمل — او ممكن ان تؤدى — الى نزح جزء كبير من الفائض الاقتصادى فى هذه البلاد .

الخطورة الثانية : ان هذه الاستثمارات ممكن انها تلعب دورا فى زيادة عدم استقرار الوضع المالى ، على اساس ان هذه الاستثمارات يهمها ان الفائض الاقتصادى ينمو باطراد ولكن التدفق لايكون بنفس الاطراد ، يعنى هى لاتقدم اموالا الا فى الظروف المواتية لها . وبناء على ذلك ، نجد ان هذا مصدر من مصادر الازعاج للنظام المالى والنقدى لهذه البلاد .

هذه فى الواقع الحالة العامة فى البلاد المتخلفة ، وهذا — فى تصورى — عملية مشروعه ، لان الاستثمارات الاجنبية ليست جمعيات خيرية انما مشروعات هدفها اكبر ربح، وهذا وضع مشروع . **وليس معنى ذلك ان الدول المتخلفة تقفل ابوابها وانما نجد ان الاستثمارات الاجنبية تلعب دورا فى عملية التصنيع ودفع عجلة التنمية ، وتبقى المشكلة الرئيسية هى كيف يمكن للبلاد المتخلفة انها تنظم المنافع الاجتماعية . وكيف يمكن لها ان تقلل — على قدر الامكان — النتائج السلبية للاستثمارات الاجنبية .**

ومن هنا ننتقل للنقطة الثانية الخاصة بالوضع العام فى مصر .

سأبدا من حقيقة هامة ان فيه حاجة ماسة فى مصر لرؤوس الاموال الاجنبية والقروض ، وان اعتمادنا على العالم الخارجى امر لا مفر منه على الاقل فى الاجل القصير ، نحن فى حاجة الى اموال طائلة خاصة بعمليات التعمير ودفع عجلة التنمية ولو بشكل بسيط لاجل قصير . واضح ان احنا لازم نعتمد على المصدر الخارجى. ومن هنا ، فى الواقع ، انا اضم صوتى الى اصوات الناس المؤيدة لما يسمى الانفتاح الاقتصادى فى هذا المجال . وفى نفس الوقت اضم صوتى لاصوات الاخرين الذين قالوا : انه فى الاجل الطويل علينا ان نقلل باستمرار اعتمادنا على العالم الخارجى . لكن السؤال الرئيسى ان فى الاجل القصير لو وفرنا ورود وتدفق استثمارات من العالم الخارجى [وبفرض بقاء العوامل الاخرى فى مصر على ما هى عليه] ففى تصورى النتيجة العامة هى مزيد من الفوضى فى النظام الاقتصادى فى مصر . نجاح الاستثمارات

الاجنبية فى مصر — أىتحقيق الغاياتالاجتماعية اللى احنا نتوقعها ، وتقليل السلبيات اللى ممكن تنطوى عليها . يشترط بناء نظام رشيد للتخطيط ولادارة الاقتصاد المصرى .

والواحد ينتهز هذه الفرصة لتوجيه بعضالنقد الى التجربة المصرية فى الفترة الماضية .

وفى الواقع ، لن اقول أيجابيات ، لاننا كلنا عارفينها . كل تجربةفيها اخطاء وفيها ايجابيات . ويهمنا ان نناقش السلبيات ، بشكل نقدى بناء يدفع بالتجربة الى الامام . تعليقا على **الدكتور المرشدى** — فى هذا المجال — اعتقد ان وزارة التخطيط مفترى عليها .. بتاخد التعليمات من الهيئة اسياسية ... وقد كشفت التجربة الماضية فى مصر على ان فيه قصور فى تصور عملية التخطيط بشكل عام . التخطيط ليسوثيقة لبرامج اقتصادية واجتماعية ... التخطيط هو نظام للتحكم فى النظام الاقتصادى . احنا فى الواقع مشكلتنا فى مصر اننا كنا متصورين التخطيط وثيقة ، مجرد كتاب فيه مشروعات ... وهنا تنتهى وظيفة وزارة التخطيط . انها تحط برامج ومشروعات بشكل او بآخر .. التخطيط عملية تحكم فى النظام الاقتصادى ، يبدأ ببناء الاهداف الاقتصادية ، والاهداف الاقتصادية عبارة عن شجرة ضخمةجدا جدا ويقابلها شجرة ضخمة جدا للموارد الاقتصادية الممكنة والمتاحة حاليا وفى المستقبل . وتوضع الاهداف والموارد فى شكل برامج معينة ثم نختار البرنامج الامثل . وهنا تبقى عملية خطة او وثيقة . ففى الواقع، مفهومنا للتخطيط فى مصر انا شايف ان فيه قصور ، وارى ان مصر تسرع بتطبيق هذا النظام فى اسرع وقت ممكن . وبالتالى ، انا فى تصورى أن سبب [الضعف] فى السياسة الاقتصادية فى مصر ... سبب قصورالمدخرات، سبب تشوه الهيكل الاقتصادى ، كل هذه المشاكل سببها ان الخطة الخمسية الاولى سنة ٦٠ — ١٩٦٥ كانت برنامجا استثماريا ، اى لا كانت خطة انتاجية ولا بشرية ولا عينية .

ومن سنة ٦٥ ، نحن ماشيين ببرامج سنوية — بشكل او بآخر — لمقابلة المشاكل الطارئة . لابد ان نبدأ ببناء نظام رشيد للتخطيط والاقتصاد القومى وكما تفضل **الدكتور مرشدى** ، فان مشكلة الاهداف والبرامج وبناء الخطط دىعملية ممكنة ... انما تأتى لمشكلة التحكم فى النظام الاقتصادى . **هنا فى الواقع بعض الاصوات فى مصر بتتكلم عن السوق . يعنى فيه ناستتكلم بلغة عصر ما قبل سنة ١٩٣٠ .. السوق**

يا حضرات انتهى ... لم يعد السوق هو الذى يدير النظام الاقتصادى السوق كان بيدير النظام الاقتصادى فى القرن ١٩ . والفترة من اول هذا القرن لغاية سنة ١٩٣٠ . ثم ثبت ان السوق غير كاف وغير قادر علىادارة النظامالاقتصادى. ومن سنة ١٩٣٠ ، بدأت الدولة تدير النظام الاقتصادى بشكل جزئى ، واليوم الدولة بتدير النظام الاقتصادى فى الدول الراسمالية المتطورة بشكل مركب ومخطط .

توضيحا لذلك وباختصار جدا ، مرة [**كينز**] صاحب النظرية الشهيرة نتيجة للفوضى التىكان فيها النظامالاقتصادى الراسمالى فىالعشرينات، [كينز] القى حوالى ست محاضرات . قال أن نظام البورصات والحرية الاقتصادية مسألة غير مستساغة ولما قالوا له ، فى هذا الوقت ، ان كلامك ده شيوعى وان ده يعنى تخطيط .. فالراجل قال : انا الحاجة الوحيدة اللى باصفق لها لدى البلاشفة هى التخطيط ، بس هم بيخططوا لمصلحة البروليتاريا .. وانا لا ارمى الا الى تحسين النظام بتاعنا . ولا ادعو الىالغائه. **ومن سنة ٣٠ والدولة تتدخل ، بشكل متزايد ، لادارة النظام الاقتصادى بشكل عام . فاولىببلد متخلف امكانياتها محدودة انها تتبع نظام تخطيط سليم .**

د . **جمال العطيفى** يسأل عما اذا كان هذا الكلام يعنى انتهاء دور السوق تماما ؟

● **د . رضا العدل :**

— الزميل الفاضل يسأل : هل تدخل الدولة المتزايد الذى اشرت اليه ، يعنى ان السوق ينعدم ؟ هو فى الواقع كل مايزيد تدخل الدولة ينقص وزن السوق .

فى الواقع انا لست خبيرا فى البورصات . لكن ممكن نقول — انالبورصة — كسوق لتنظيم الاستثمارات بتتداعى اليوم حتى فى الدول الراسمالية ، ويحل محلها عملية التخطيط وعملية التخطيط طويلة الاجل .. البورصة لازالت موجودة ، ولها دور ولكن فاعليتها انيوم تقل . وهى عبارة عن مرشد عام لحركة المستثمرين فى البلاد المتقدمة وليست سوقا لتنظيم وتوجيه رؤوس الاموال .

انتقل للجزء الاخر ، بالنسبة لاسلوب التحكم فى الواقع . سيبقى عندنا اكثر من نظام للتحكم فى الاقتصاد المصرى : التحكم فى نظام القطاع

العام يختلف عن التحكم فى نظام القطاع الخاص يختلف عن التحكم فى الاستثمارات الاجنبية . التحكم فى القطاع العام اسهل نسبيا ، لان هذا نظام تبع الدولة مباشرة يمكن التحكم فيه ، ويمكن بناء نظام رشيد لتحقيق المزج الامثل بين المركزية واللامركزية فى القطاع العام .

بالنسبة للقطاع الخاص ، هذا النظام الذى انا اسميه نظام رشيد للتخطيط ممكن اقامته بحيث يقود القطاع الخاص ... فلابد ان ابقر للقطاع الخاص اقصى يقين بالنسبة للمستقبل .. لما يكون عندى نظام تخطيط كفء استطيع ان اتنبأ باحتياجات القطاع الخاص . يعنى انا ارى ان ضعف مساهمة القطاع الخاص فى التطور الاقتصادى فى العشر سنوات الماضية هو انه كان هناك انعدام لليقين ... الارتجالية والجزافية فى اتخاذ القرارات الاقتصادية تولد عدم اليقين وهو العدو رقم واحد ، ليس بالنسبة للقطاع الخاص فقط ، ولكن حتى بالنسبة لاى وحدة اخرى .

على ضوء ذلك ، ممكن ان نسترشد ونحدد مكان الاستثمارات الاجنبية بالنسبة لعملية التحكم .. وفى الواقع هنا سنحاول نلقى بعض الاضواء على مشروع القانون المعروض الان فى مجلس الشعب . [عرض المشروع على المجلس فى ٩ يونيو الماضى واقره المجلس بعد تعديلات ادخلت عليه — الطليعة] ..

فى الواقع احنا بنحكم على الاستثمارات الاجنبية من وجهة المصلحة القومية للوطن ،يعنى انا لست مستشارا لشركة اجنبية لكى ارشد لها اتخاذ القرار ، انا احكم عليها من وجهة نظر المصلحة القومية ، وبالتالى ، احدد المجال العام لها ، وهو المجال الذى لا يستطيع القطاع العام يشتغل فيه ، والقطاع الخاص لا يقدر يشتغل فيه . وهذا المجال ضرورى ، وحيوى، بالنسبة لهدفى القومى . من هنا ، تنفتح لى أتوماتيكى المجالات اللى سيشتغل فيها القطاع العام . وفى تصورى هناك اشياء ممكن القطاع العام يشتغل فيها وبكفاءة ،ومجالاتيمكن القطاع الخاص المصرى يشتغل فيها بكفاءة .

فى تصورى المجال الذى ، لا القطاع العام ولا الخاص يقدر يشتغل فيه هو مجال الصناعات الديناميكية الحديثة التى هى — بوجه خاص — الصناعات البتروكيماوية والصناعات الالكترونية .. هذه الصناعات تحتاج رؤوس اموال ضخمة جدا وخبرات ضخمة جدا .. هذا هو المجال الرئيسى الذى يجب ان نفسح له المجال لجلب استثمارات اجنبية . هذا المجال : الصناعات الديناميكية الحديثة ستوفر له — فى الاجل المتوسط والطويل — اقصى انتاجية اجتماعية ممكنة ، وبالتالى ممكن انها تدفع عجلة التنمية الاقتصادية . وهذا ، فى الواقع ، بالنسبة لتحديد المجال الخاص بالاستثمارات الاجنبية .

بالنسبة للاستثمارات العربية ملاحظتى على مشروع القانون انه مفيش تفرقة كبيرة واضحة بين الاستثمارات الاجنبية والعربية اللهم الا فى بعض المجالات زى التشييد .. فى تصورى ان احنا فى مصر نخطىء خطأ كبير جدا اذا لم نستطع ان نستثمر المصادر العربية الاستثمار الامثل ... انا ... وبالذات اذا نص طرحنا ان احنا ممكن نستخدم رؤوس الأموال العربية فى بناء نظام صناعى عربى حديث ، هنا ، ممكن ان احنا نعبىء الموارد العربية لصالح التقدم والتنمية فى البلاد العربية بشكل عام . بطبيعة الحال ، المشاكل قصيرة الاجل نحتاج فيها الى رؤوس اموال عربية زى التعمير . .ولكن التاريخ يطلب منا ان نحاول نستخدم رؤوس الاموال العربية فى توسيع نطاق الخدمات . اذا لم تكن **البداية مخططة لاستخدام رؤوس الاموال العربية فى بناء نظام صناعى متكامل على المستوى العربى ، يبقى — فى هذه الحالة — احنا فى الواقع لانستخدم الفرص المتاحة لنا استخداما سليما .. يبقى فى هذه الحالة تنظيم هذه المسألة محتاج الى تطوير .**

هذه هى النقطة الحقيقية اللى انا أركز عليها بخصوص الاستثمارات العربية . انها تساهم فى بناء نظام صناعى على مستوى البلاد العربية كلها . وامامنا تجارب كثيرة للتكامل الصناعى بين بلاد كثيرة متعددة سواء فى البلاد الاوروبية الغربية او الاشتراكية ، او حتى الشرق الاوسط مثل تركيا وايران وباكستان وخلافه .

الحقيقة فيه نقطة محددة مثل السياحة بالرغم انى لست خبيرا فيها ولكن بعض الحاجات العامة يجوز ان تلقى بعض الضوء . **فى الواقع نقدر نقول وبدون مبالغة ان مصر متحف العالم واحنا لسنا مقدرين ذلك** .. لان الناس لما تتقدم وتشبع حاجاتها المادية الرئيسية تبدأ تدور على الحاجات الثقافية ... لو سمحنا فى مجال السياحة برأس مال خاص نهذا مجال خصيب الى اقصى ربح ممكن والى اكبر فائض ممكن . اذا لم يكن هذا الفائض احنا محددينه وضابطينه بشكل معقول .. انا شايف ان خبرة البلاد الاشتراكية

فى السياحة جيدة جدا . عندهم **جهاز مركزى** للاشراف على السياحة يحققون نتائج عالية جدا بخصوص السياحة رغم انهم فقراء جدا فى المعالم السياحية . يعنى بلد مثل الاتحاد السوفيتى بتجيب عائد ضخم جدا ، وسياح بشكل عال وليس عندهم حاجات مثلى . يعنى انا عندى **جامع الرفاعى** فى مصر يمكن مثل **الكرملين** واحسن .. ورغم ذلك أرى ان احنا محتاجين هنا عملية مركزة للارصدة من النقد الاجنبى . وهذا فى الواقع لن يتحقق الا بوجود جهاز مركزى بالنسبة لتنظيم السياحة .

بقيت مسألة الضمانات والامتيازات الممنوحة. انا شايف ان هذه الضمانات والامتيازات لا تكفى فى حد ذاتها لجلب رؤوس الاموال الاجنبية ولا المناخ الافضل لهذه الاموال الاجنبية .

● د . العطيفى :

يعنى هل انت لك ملاحظات على المجالات نفسها ؟

● د . رضا العدل :

فى الواقع انا قلت الملاحظات الرئيسية انها تكون قطاع الصناعات الديناميكية ، وقطاع السياحة والتشييد يكون للقطاع العام اساسا..

وانا شايف ان الضمانات والامتيازات غير كافية لحفز راس المال على المجيء لمصر . **انا فى تصورى المناخ الافضل لرؤوس اموال تيجى من الخارج هو بناء نظام رشيد لادارة الاقتصاد القومى** .. انا فى تصورى ان هذا هو الشرط الضرورى .. نظام رشيد لادارة وتخطيط النظام القومى ... على سبيل المثال هنا نقول انه بعمل فى اطار الخطة وبعدين نعطى له ضمانات كثيرة جدا .. ازاى انا عاوزه يشتغل فى اطار الخطة واعطى له ضمانات ضد التأمين وضد .. وضد ؟ . افرض ما لم يعمل فى اطار الخطة انا ماذا سأعمل له ؟

الملاحظة الاخرى خاصة بهيئة الاستثمار العربى والاجنبى . انا شايف ان القانون يعطى لها صلاحيات اكثر . طبعا يجب ان يكون لها صلاحيات ، ولكن العلاقة بينها وبين اجهزة التخطيط المركزية ليست واضحة . هى ستعد قوائم ، طيب القوائم تعدها على اى اساس ؟ ما هى علاقة القوائم بنظام التخطيط العام ؟ هذه ليست واضحة فى تصورى . ويجب ان يتدارك المشروع هذا ويوضح العلاقة بين الهيئة العامة للاستثمار وبين اجهزة التخطيط المركزى سواء كانت وزارة التخطيط او المجلس الاعلى للتخطيط .. الخ هذا امر ضرورى ليضمن ان هذه القوائم تكون جزءا من الخطة .

باختصار .. لسنا معقدين بخصوص الاستثمار الاجنبى انه يأتى الى مصر ..وان فى القرن التاسع عشر جاء الاستثمار الاجنبى وحده ليس برغبة المصريين نفسهم ، يعنى ايام **الخديو اسماعيل أو سعيد** . ولم يحدث ان قلنا للاجانب اننا نريد قناة السويس تعالوا اعملوها او ... او ... هم انفسهم كانوا بيفكروا فى هذه المشروعات نتيجة حوافز مختلفة وبناء على ذلك ربطوا البلد بشكل او بآخر بنظام كلنا شفنا نتائجه . نحن اليوم فى وضع اكثر ملاءمة وممكن بالوعى والعلمية نحدد بالضبط ما هى المجالات الضرورية لنا . وما هى المجالات التى لا نقدر نشتغل فيها ،ونحن محتاجين فيها لخبرة اجنبية ، على اساس اننا نحاول وضع خطة ، وان نعتمد على انفسنا فى الاجل الطويل ...

باختصار ، وردا على الاستاذ مصطفى مراد بيقول طيب أين الحل ؟ . الحل هو فى بناء نظام تخطيط رشيد لادارة الاقتصاد القومى ... والتخطيط له قواعده وعلمه واصول ونظام .. الخ . هذا فى الواقع فى تصورى وشكرا .

● د . حامد السايح :

نشكر الدكتور رضا على كلمته المستفيضة وشرحه الوافى .. الحقيقة تطرق الى عدة عناصر كثيرة تمس الموضوع مسا جديا وشرح لنا تدفقات رؤوس الاموال الاجنبية الى البلاد المتخلفة . واوضح ان هذه التدفقات منقسمة الى عدة اقسام اغلبها مساعدات حكومية وجزء منها استثمارات خاصة . والاستثمارات الخاصة كانت تستنزف اموال البلاد المضيفة لرأس المال، وفى الغالب كان جزء كبير من هذه الاستثمارات بيخش فى مجالات محددة كاستغلال المناجم والبترول ، ثم تطور الى عدة نقط هامة جدا .من هذه النقط تحديد المجالات للاستثمار بوضوح ، وكان واضح فى كلامه، يمكن كان اكثر المتكلمين وضوحا فى شأن استبعاد بعض المجالات مثل السياحة وفتح بعض المجالات مثل الصناعات الحديثة التى تحتاج للتكنولوجيا . ثم التعاون العربى الدولى على نطاق الدول العربية جميعا واستغلال رؤوس الاموال العربية فى هذا المجال . ثم تكلم عن الضوابط او المزايا الممنوحة

حتى فى هـــذا القانون التى حاولت الحكومـــة فيـــه ان تزيد من جاذبيـــة المنـــاخ المصرى لاستثمار رؤوس الاموال الاجنبية . حتى هـــذه المزايا اللى موجودة يمكن تعتبر مشركانية ،ولكن، فى المجموع ، خرج بنتيجة ان استثمار الاموال الاجنبية منفذ من المنافذ التى تزيد من دفـــع عجلة التنمية على مستويات عالية فى مصر . وان هذا موضوع يجب اخذه بجدية ، وتهيئـــة المناخ المناسب له . وطبعا ليس هذا نظـــام السوق — واقعيا ، نظام السوق لا توجد دولة فى العالم الحر ، او غير الحر اصبحت بتعتمد على نظام السوق كاملا . ولكن النظم تداخلت فى بعضها ، والازمة الاقتصـــادية او الازمات الاقتصادية التى اصابت النظـــام الراسمالى ، جعلت الحكومات تتدخل فى نظام السوق .ولكن يمكن نقدر نتدارك ونقول ان ليس معنى هـــــذا ابدا ان نظام السوق الغى بالكامل . او ان النظم الاشتراكية الغيت بالكامل ، ولكن هناك مـــزيج من الاثنين سواء بالدول الاشتراكية او الراسمالية .. ونشكر الدكتور رضا ونعطى الكلمة للاستاذ مصطفى كامل مراد .

مصطفى كامل مراد :

هناك سؤال للدكتور **رضا العدل** :
سيادتك بتقول عوائد رأس المـــال المستثمر وصلت الى ٦٧٪ .. تقصـــد الربح يعنى والا القيمة المضافة والا ماذا ؟ !

د . رضا العدل : اقصد الربح فقط لا القيمة المضافة ..

مصطفى كامل مراد :

التشريعات دائما ليست مجرد قانون ومذكرة ايضاحية .. التشريعات لها جـــذور وخلفيات لا يستطيع ان يتصورها الا الشخص الممـــارس لهذه العملية ... نحن وضعنا الاقتصادى ده معروف ، العجز فى الميزان التجارى المنتظر فى سنة ٧٤ فى تقديرات الحكومة حـــوالى ٧٠٠ مليون جنيه . وطبعا هذا اكبر عجز حصل — يمكن — من عشرين سنه فاتوا يعنى صـــادراتنا بحوالى ٥٦٠ ووارداتنا ١٢٧٠ ، فيه ٧٠٠ مليون جنيه عجز .. وحتى اللحظة لم تذكر الحكومـــة العجز فى ميزان المدفوعات ... نحن — طبعا — فى مناقشتنا فى الميزانية اصرينا على معـــرفة مقدار هذا العجز ورفضنا الموافقة على الميزانية بسبب امتناع الحكومة عن انها تدلى ببيانات عن عجز ميزان المدفوعات .. انا لا استطيع اوافق على الميزانية الا لما اعرف ما هى التزاماتنا للعـــالم الخـــارجى ...

هذه الديون واكثر منها حاجة بسيطة .. فوائد الديون تصل لحوالى ١٣٠ او ١٤٠ مليون جنيه ، فاحنا بندفع حوالى ١٦٠ او ١٧٠ .وهذه هى المشكلة الاساســـــية فى مصر لانها تعمل تضخم : لماذا ؟ .. انا باصدر بـــ ٥٥٠ مليون ، وادفع ١٤٠ او ١٧٠ اقساط ديون .. انا لمـــا انتجت السلع اللى انا صدرتها دفعت اجـــور انتاجها . وبعدين مفروض ان انا استورد بقيمة صادراتى سلع ومواد انتاج ومواد غـــذائية ... الذى يحدث ان انا استقطع من هذه الصادرات حوالى ٤٥٪ ادفعها اقســـاط للديون ، واجيب بحوالى ٥٥٪ فقط . اما اصدر بـــ ٥٥٠ مليون جنيه باجيب بـــ ٣٥٠ مليون بس ... سيظل فيه اختلال فى التوازن بين الاجور التى اعطيت على صادرات قيمتها ٥٥٠ ، والانتاج السلعى والخدمى المعروض فى السوق من حاجات مقدارها ٣٥٠ فترتفع الاسعار . ولذلك احنا قلنا للحكومـــة ونصحناها ان العـــلاج السريع دلوقتى هـــو الاستثمارات الاجنبية .. وقبل التخطيط ، وقبـــل اى حاجة ، اننا نوقف هذا النزيف .. التضخم الحلزونى يرفع الاسعار بشكل غير معقول د . اسماعيل صبرى اعلن فى المجلس المعدلات الرسمية لارتفـــاع الاسعار ، ومـــع احترامى لكلامـــه حصل مشادة فى المجلس معاه ، لان الرقم الذى اعلنه لا يمثل الحقيقة ولا يمثل الواقع ، وطبعا اى واحد ليس عنده اى دراسة يقدر ينزل فى الشوارع ويشوف الخضار بقى بكام والمبـــانى بقت بكام من غير حساب ومن غير كومبيوتر .. طبعا قدرت معدلات ارتفاع الاسعار بما لا يقل عن ٢٥٪ ... فقلنا للحكومة أوقفى هذا النزيف. معنى هذا اننى — اليوم — اجمـــع الدائنين واتفاوض معاهم . نقول لهم والله احنا ظروفنا الاقتصادية تحتم ان احنا نطلب منكم تأجيـــل السداد .. سندفع ، وكل حاجة ، واقتصادنا ممكن ينمو بنسب أعلى بس ظروف الانتـــاج

العسكرى والحرب مبرر قوى جدا . وفيه قبلنا ١٥ دولة من سنة ٤٥ لحد اليوم ، ومنهـا دول اقوى منا اقتصاديا عملوا هـذا ، واجلوا لهم السداد وتنازلوا عن الفوايد ومدوا آجال السداد الى فترات طويلة ، فاحنا ، اليوم ، نحارب بقى لنا مدة طويلة ،ولنا ان نطلب هذا الان. اجمعهم واقولهم اعطونا اجازة حتى اقدر آخذ الـ ١٦٠ أو الـ ١٧٠ مليون اجيب بهم خدمات انتاج ، واجيب بهم مواد غذائية ، يقوم يتوازن مـع الزيادة والقوة الشرائية الموجودة فى السوق . هذا هو العلاج السريع .. نفتح الخراج الان .

الانفاق المباشر للقوات المسلحة زاد من ٢٣٠ مليون دخل فى ٧٠٠ واكثر ، يعنى فيه ٥٠٠ مليون زيادة من ٦٧ لغاية اليوم .. عبء جامد على الاقتصاد القومى . انا اطلب منهم هـذا واعتقد ان الموافقة عليه ليست صعبـة ابدا .

والبعض يقولون لا ، بحجة انهم سيقولوا علينا مفلسين ... لسنا مفلسين ولا حاجة لكن احنا اقتصادنا تعبان لازم نواجه الحقـائق ونتصرف تصرفات عملية ..

وبعدين النقطة الثانية اخواننـا العـرب استفادوا جدا من عملية غلق قناة السويس ، ارتفع البترول ، نط برميل البترول من ٣ دولار الى ١٢ دولارا . الزيادة فى سعر الطن الزيادة فى عوائد الطن وصلت ٥٠ دولارا ، وعنـدهم حوالى ٧٥٠ مليون طن او ٨٠٠ وبعدين يتزايد حتى انه يصل الى ٢٠٠٠ مليون طن فى سنة ٨٠ . لو ضربنا ٨٠٠ مليـون طن × ٥٠ يطلع زيادة فقط بسبب ارتفاع اسـعار البترول ٤٠ مليار .. طبعا قضية فلسطين قضية عربية ، العرب كلهم مسئولين بالتضـامن عنها ، انا ضحيت ، وانا السد المنيع أمام تدفق اسرائيل للخليج ، اسرائيل كانت تأخـذ الخليج فى ٢٤ ساعة .. الحائط هو مصر ولو وقع هذا الحائط انفتح العالم العربى كله امام اسرائيل ، ولابد من ادراك هذا بدون مجاملات ، الاخوة العرب مدعوون الى ان يقدموا ، وهذه ليست مسألة رجاء ، أو مسألة عواطف وانا دافع فى الحرب ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ مليون جنيه فلابد يدونى من الزيادة ٤ او ٥٪ . لان انا جبت لهم صفقة البترول بـ ٤٠ مليار .

ولما يدونا الـ ٥٪ يستقيم الوضع ، لان هذا نريده الان عمليات الاستثمارات وراس المال الاجنبى والمناطق الحرة هذا موضوع طـويل ولا يعطى ثماره الابعد مدة ... انا اريد اشرب كوب ماء ، فى هذه اللحظة ، فليس معقولا ان يقال سنعمل لك بئرا ... لا .. المـاء اريده الان .

لازم اوقف سداد الاقساط فـورا ، وأؤجل اقساط التسليح ايضا . وبعد هذا اطلب مـن العرب بعين قوية ..

سياسة التقارب مع ايران سياسة جيدة لابد ان يكون هناك كلام قوى . انا لا استجدى احدا .. لابد ان نأخذ جزءا مما دفعناه من دمنا ، ومن اموالنا وعلى مدى ٢٦ سنة لقضية عربيـة وليست قضية مصرية خاصة . لانه ان كان على سيناء ممكن الرئيس **انور السادات** يتفق مـع اليهود فى دقيقة يطلعوا من سيناء .. فالقضية ليست قضية سيناء والارض المصرية .. **القضية قضية فلسطين وحقوق شعب فلسطين باعتبارنا جارة قوية له ندافع عن حقوقه ، وهو شـعب عربى والعرب مسئولين بالتضامن .**

والعرب يدفعون حاليا .. لكن يقدمون حاجة بسيطة ، مثلا الكويت دفعت ٤٨٠ مليون دولار لدول المواجهة ، لما تحسب نصيب مصر حيطلع ١٥٠ على الاقل .. والسـعودية دفعت ١٠٠ مليون المجموع ٢٥٠ مليون ، فالعرب يدفعون لكن ما نريده هو الكلام المنطقى الصريح بمعنى ان هذا الدفع يزيد ولا نفقد الامل . من خلال السياسة + اقساط الديون نقوم نقدر نقف على رجلينا الى حين نقدر نجيب خامات لان الطاقة العاطلة فى الصناعة والزراعة كثيرة فى هـذه الايام .

فلاح فى اسيوط ونحن نشرح ورقة اكتوبر مع **د . حافظ غانم** جاء الينا ، وقال : تعالوا انتـوا يا افندية يا بتوع الامانة العامة واللجنة المركزية انتوا بتقولوا حتزودوا الانتـاج الزراعى تزودوه ازاى اذا كان بيدونى شوال واحد كيماوى لفدان القمح ازود الانتاج ازاى ؟ .. ما تجيبوا سماد فهذا الفلاح البسيط يعبر عن نقص مستلزمات الانتاج .. مواردنا ناقصة ونريد ان نزودهـا وهذا يحتاج الى ما لا يقـل عن ٤٠٠ او ٤٥٠ مليون .

بالاضافة الى ما تقدم فهناك الان مشـكلة اخرى نائب ١٧ سنة فى البرلـمان ، لـما نزل مصر القديمة أحب اقعد مع الناس على القهاوى لان دول القاعدة التى آخذ منها السياسة ... يأتى الرجل ليقول لى : ايه يا استاذ فلان .. كيلو الجبنه القريش وصـل من ١٤ الى ٢٤ والبيضة بقت بـ ٣ قروش والجزم من ٣٢٥ الى ٥٢٥ وبعدين الخضار ... انت شايف والا ايه

... طيب يا سيدى بلاش اللحمة لان احنـــا ملناش فيهـــا .. انا باكلمك عن الحـــاجات الاساسية رغيف العيش بيصغر هل العيش دا ١٤٥ جم .. وقد وزنت العيش فعلا طلع متوسط الرغيف ١١٠ جم .. المواطن بيقول لى انا مش عارف اعيش ، الفلوس مش مكفيانى ايه الحل مع الحكومة ؟ .. يأتى **الدكتور حجازى** يقولك : ارتفاع الاسعار والتضخم ، ارتفاع الاجـــور سيؤدى الى ارتفاع اسعار .. وارتفاع الاسعار سيمتص كل الزيادة فى الاجور نحن نعانى من ميزان المدفوعات .

الاخ المواطن فى مصر القديمة ليس له علاقة بهذا الكلام .. هذا المواطن يعيش يوما بيوم ،من ايدك لبقك .. وقضايا التضخمليستمناختصاصه، هيه من اختصاص الحكومة . والمواطن يقول اما ترفعوا مرتبىاو تخفضوا الاسعار ،ومطلوب حل الان. هذاهو منطق الجماهير ،ومنطقالحكومةان لها اسباب او معاذير . لكن صعب ان المواطن البسيط يفهم ان الوضع فى اوروبا فيه تضخم.. السيولة قدر حجم التجارة مرتين .. والدولار وقع .. هناك هم غير قادرين يحلوا الازمـــة النقدية الموجودة فارتفعت الاسعار .. فانعكس علينا لاننا جزء من اقتصاد العالم فكانت النتيجة ان البضائع التى نستوردها بـــ ٥٠٠ مليـــون ندفع فيها ١٢٦٠ مليون ، الاسعار ارتفعتفكانت النتيجة ان العجز زاد عندنا وبالتالى مستلزمات الانتاج زاد ثمنها ... الحديد .. تكاليف البناء زادت ٤٥٪ فى سنة واحدة . معنى كده ان اجرة السكن سوف تزيد . يعنى الشقة ام ١٢ جنيه ستبقى اليوم بـــ ١٧ جنيه . انعكس الغـــلاء على كل شىء . منتجات القطاع العام زادت فى سنة واحـــدة ما بين ٣٠ و ٤٠٪ طيب هـــذا رغما عنه . فلابد ان ننظر الى هيكل الاجـــور نظرة جديدة .. الحكومة خافت من زيادة الاجور لكن انا لا يجب ان اخاف من زيادة الاجور . لانه ما دام اقدر اجيب موارد جديدة ، وازود انتاجى، واشغل الطاقات المعطلة اقدر ارفع الاجور .. انت لاتقدر ان تعيش فى قوقعة وحدك والعالم كله يتحرك حواليك .. هيكل الاجور المـــالى اختلف وتغير تماما والاسعار العالمية اختلفت .. انت لا تقدر ان تعيش فى ظل الموازنات والدعم. وللاسف الحكومةتدفعدعم للزيت والسكروالقمح بـــ ٣٥٠ مليون جنيـــه ، اؤكد لك ان اكثر من نصفهم يروح الى جيـــوب النـــاس الوسطاء والمستغلين والمستهلك الغلبان لا يتمتع بهـــذا الدعم .. كلها سياسات لازم تنقلع .. ويوضع اقتصاد جديد متطور ، ولذلك لما القانون [مشروع قانون استثمار المال العربى والاجنبى] يناقش نطيل فى مناقشته [وقد حدثان بقينا نناقشفقرة من مادة من الساعة عشرة صباحا مع جمـــال العطيفى لحد ٣ بعد الظهر] اى خمس ساعات ... وهى الفقرة الخاصة بالسماح بانشـــاء بنوك برأس مال مصرى بـــ ٥١٪ واجنبى ٤٩٪، خمس ساعات فى المـــادة ؟ ما الداعى ؟ ! .. لا اعرف هل فقدنا القدرة على التفكير أم ماذا ؟! هذا يعنى ان فيـــه حالة رعب يعنى خايفين ان يأتى الينا رأس المال ليخطف ويهرب ، او ليقلع مصر ويعدى بها البحـــر الابيض . وكأنه واقف متحفز لما يصدر القانون لكى يأتى بأقصى سرعة. لا .. ليس الامر بهذه الصورة . وكل المســـألة – ببساطة – اننا نقدم تسهيلات تمكنه منالمجيء لان رأس المال – لكى يأتى – يريد الاســـتقرار السياسى ويريد الاستقرار الاقتصادى ويريد نموا ديموقراطيا . ولا يزال امامنا الشىء الكثير لكى نفعله . لكننا نحاول وربما يكون هـــذا احسن ما عملته الحكومة فى تاريخها . وأول مرة ادافع عن الحكومة . لانى مقتنع ان هذا الكلام ، كلام سليم . ومن هنا فان التخوف منه لا لزوم له . اعمل بنك وهذه محاولة حتى استطيع انى احول مصر الى [سوق لرأس المال] .. فاذا احنـــا لم نحول القاهرة الى [سوق لراس المال] فليس هناك حل .. وهذه الودائع العربية لو وصلت حوالى ١٢ او ١٣ بليون ، ستصل الى ٧٠ او ٨٠ بعد ٧ او ٨ سنين ، لو لم اقدر ان اجذب ٧ او ٨٪ منها ، اى ١٠ او ٢ بليون فلا فائدة ... ان الحل الوحيد ليس فى تدفق رأس مال اجنبى ، ولكن الحلهو فى الثقةوتحويل السوق المصرىالى سوق لراس المال ، الى سوق ودائع بهذا تقدر تحل مشاكلك . انما اليوم انا لما اجى اقول لك انا عايز اعمل سوق لرأس المال ثم لا اسمح لاحد – بعد ذلك – انه يفتح بنك عندى ، أمال هو لماذا يسمح لى بفتح بنك عنده ؟ فى ابو ظبى أو فى الاردن ؟ .. وبعد ذلك البنك المركزى اليوم يوافق على البنك ، وهيئة الاســـتثمار توافق ، وبعد ذلك البنك ٥١٪ من رأس ماله مصرى . يعنى رئيس مجلس الادارة مصرى ، يعنىاغلبية اعضاء مجلس الادارة مصريون . فهل يتعين ان نحضر جبريل وميكائيل ونعمل ضوابط وروابط واحكام الرقابة الى الحد الذى يدفع الناس الى الهرب ؟ مم نخاف ؟ نجرب ونشـــوف ما الذى يحدث .. هل سيأخذوه ويجرون ؟ نحن عنـــدنا كوادر اقتصادية وناس مثقفين الى اعلى مستوى فى مقدورهم ان يقعدوا مع الاجانب .. عنـــدنا خبرات وكفاءات تقدر اليوم تقعد مع اى مستوى اجنبى وتفهم المشروع فى مصلحة البلد ام لا .. انا اقول ان مشروع قانون الاســـتثمار الاجنبى فيه تعقيدات لكن لا بأس ... الأخ **وزير التجارة**

الخارجية قال نوافق ونطبق ندرس النتائج ، اذا وجدنا حاجة محتاجة للتعديل نعدل .. ليس فينا من جرب العملية قبل اليوم .. كلنا لا نزال نقول: يا هادى !

لكنى ارى ان هناك خلاف . هناك من يرفض بتاتا مبدأ انشاء بنوك تمارس العمليات المصرفية العادية فى مصر .. الجـزء الثـانى بيقول لك لا نسبة ٥١٪ المصرية هذه لازم ينص على انهـا قطاع عام بالكامل .. يعنى البنوك المصرية تمتلك ٥١٪ — على الاقل — من المصارف الاجنبيـة التى ستعمل برأس مال مشترك ، ولكى يكون هناك ضبط واحكام البعض يقول لك : لا مش المهم تكون قطاع عام فقط تكون قطاع مصرفى.. وما زلنا — الى الان — لم نصل الى قرار رغم الخمس ساعات مناقشة فى فقرة واحدة من المادة الثالثة من القانون [1] ..

انا اقول : ان الحكومة تدرت تصل الى الحقيقة، الى خطوط عريضة جميلة جدا فى هذا القانون. وانا كرجل اقتصادى وسياسى بقى لى مـدة طويلة اقول انا موافق عليه اليـوم .. لان القوانين من كثرة الممارسة تقدر تفهمها ،ولا يقدر اى واحد عادى يفهمها .. وما اتت به الحكومة بالنسبة لقانون رأس المال لن يعمل تدفق فى رأس المال برضو ، لانه غير ممكن ان يحـدث تدفق اليوم ، ولا هذه السنة ، ولا السنة التى بعدها .. انما تظل هناك بوادر للاستثمار .. فاذن نحن نقول : ان هذا القانون خطـوة على الطريق وانا لما اقول اننى أؤمم فيجب ان نفهم انه انا عندى سيادة ، واقدر أأمم فى اى وقت ، انما ذكر كلمة التأميم هذه يخيف الناس .. وبعـد فان اهم من رأس المال الاجنبى ثقـة المواطن المصرى فى اقتصاده ، يعنى يطلع فلوسه كلهـا يحطها فى البنك .. أؤكد لكم انكم كلكم ، وانتم مثقفين ، حاطين فلوسكم فى البيت ... نحن نريد الثقة . يعنى المواطن المصرى لما يحط فلوسه فى البنك يقدر يقبل على توسيع مشروع هـو قائم بيه . يقدر يقبل على استثمار فى مشروع جديد .. سألونى فى المانيا الغربية ، سـألنى وزير التعاون الاقتصـادى لما كنت رئيس وفد برلمانى فى يناير الماضى . قال لى : **يامستر مراد** انتوا عندكم كام شركة قطاع خاص انشئت ، فى مصر ، بعد سياسة الانفتاح ؟ قلت له : لم تتكون بعد شركات .

قال لى : طيب ! كيف تريد ان نأتى قبـل ان تتكون شركات قطاع خاص مصرية مساهمة ؟ نحن لا نقدر ان نأتى الا بالمشاركة مع القطاع الخاص المصرى ، ونحن لا نأتى كافراد بل فى شـكل شركات .

سألنى : هل عندكم بورصة اوراق ماليـة مالية ؟

قلت له : ماذا تعنى ؟

قال : يعنى الاسهم والسـندات تكون قابلة للتداول بالعملة الحرة ؟

قلت له : لا

قال لى : طيب هل الجنيه المصرى قـابل للتحويل .

قلت له : لم يتم هذا بعد .

قال لى : لكى نأتى لابد من امور معينة تكون موجودة . لانى لا استطيع — فى كل مرة اريد ان احول فيها ، ان اتقدم بطلب الى الحكومة . ان ما اريده هو اننى — وانا فى المانيا — اعمل تلكس لتحـويل ارباح بـ ١٠٠٠ جنيـه مصرى بالمارك . اعمل هذا وانا فى محلى لم اتحرك من بلدى . ولابد وان تصلوا الى هـذا المستوى انتم عندكم كل الامكانيات ... انتم عندكم البشر، وعندكم كوادر اكثر من اى دولة افريقية وعربية. وهذه كلها تشجع رأس المال انه عندكم يستثمر .. لكن رأس المال لا يأتى بمفرده ، وانما يأتى مـع نشاط قطاع خاص فى مصر . فلابد من تكوين شركات قطاع خاص فى مصر .

طبعا ان احدا لم يكون شيئا . هناك مقالات كثيرة .. **جمال العطيفى** كتب مقالة الدكتور فلان كتب مقالة .. نازلين مقالات جميلة ممكن نعمل منها كتب ، لكن احـدا لم يعمـل شركة مصرية مساهمة .. شركة سياحة — شركة غـزل — شركة ملابس اى حاجة .. هل بورصة الاوراق المالية لدينا بورصة أوراق مالية عالمية لكى يتم البيع والشراء فيها بالعملة الاجنبية ؟ ليس من الممكن — بهذا الشكل — ان تتحول مصر الى سوق لرأس المال .

● **د . حامد السايح :**

— اشـكر الاسـتاذ **مصطفى مراد** على استعراضه القيم لاقتصاد مصر . وشكرا له ،

---

(١) وهى الفقرة السادسة الخاصـة بانشاء بنوك تجارية ، وقد اقرها مجلس الشعب كما جاءت فى مشروع اللجنة المشتركة — الطليعة .

على تقييمه لمشروع قانون رأس المال المعروض. وهو ، فى الحقيقة ، تقييم جيد . **والاستاذ مصطفى** تعرض لنقاط كثيرة جدا . ونأمل انه يأتى ، فى احد الايام — ليلقى هنا محاضرة عن نظرته الفاحصة عن الاقتصاد المصرى .. هو اثار بعض النقط بخصوص مشروع قانون الاستثمار ، والمتعلقة بالبنوك بالذات . ولذلك ساعطى الكلمة الان للدكتور **على لطفى** .

● د على لطفى :

سأضطر اقول نتائج سريعة ، توصلت اليها ، فى دراستى لموضوع الندوة . لان الكلمات القيمة التى استمعنا اليها كانت الحقيقة تطوف بمشاكلنا الاقتصادية ، فاسمحوا لى اتكلم كلام محدد مختصر فى موضوع الندوة . وهو مشروع قانون الاستثمارات العربية والاجنبية ..

النقطة الاولى : فى تصورى ان المتغيرات الدولية فى السنوات الاخيرة زائد اوضاعنا الداخلية التى تكلم عنها الاخوة الافاضل ،تخلينى اخرج بنتيجة وهى ان سياستنا الاقتصادية ، سواء الداخلية او مع العالم الخارجى ، فى حاجة الى تغيرات جذرية واعادة نظر فورية ، حتى لا نستخدم كلمة انفتاح باعتبار ان البعض قد لا يحبها .

النقطة الثانية : ان وسائل الانفتاح حتمية ، والاستعانة برؤوس الاموال العربية والاجنبية ضرورة .

النقطة الثالثة : اتفق مع الاخ الفاضل **مصطفى مراد** فى ان الدول العربية عليها ان تسهم اسهاما فعالا فى اوضاعنا الاقتصادية ، لانه — بالفعل — مصر حين حاربت ، فى اكتوبر ، لم تحارب فقط دفاعا عن ارضها ولكن دفاعا عن الامة العربية باكملها .

النقطة الرابعة : اتفق ايضا فيما قيل عن حتمية وسرعة اعادة جدولة الديون ..

ان الامر لجد خطير ان تصل الديون الاقتصادية وحدها الى حوالى ٢٢٠٠ مليون جنيه ، وان تصل الفوائد السنوية وحدها الى اكثر من ١٣٠ مليون جنيه . الامر اذن يستدعى حتمية وسرعة اعادة جدولة الديون .

انتقل بعد هذا الى ملاحظات عن بعض المواد التى جاءت فى مشروع القانون .. المادة [٧] **لا يجوز تأميم المال المستثمر او مصادرته كما لا يجوز تجميد تلك الاموال او الحجز عليها او فرض الحراسة عليها بغير الطريق القضائى .**

هذا ضمان جيد جدا للمستثمر الاجنبى ، ولكننى اتساءل طيب ايه الضمان: ان هذا المشروع لما يصبح قانونا لا يتغير الى قانون آخر ؟ .. وفى نفس الوقت انا شايف المادة ١٩ بتقول :

لا تخضع المبانى السكنية المنشأة طبقا لاحكام هذا القانون لنظام تحديد القيمة الايجارية المنصوص عليها فى قانون ايجار الاماكن ٥٢ لسنة ١٩٦٩ ، أو فى أى تعديلات أو قوانين مستقبلة .

لماذا لا يضاف مثل هذا النص على المادة [٧] ؟

هنا سأل الدكتور العطيفى : وحتى فى حالة الاضافة ايه الضمان ؟ .. ما انا اقدر اغير كل القوانين ؟

● د . على لطفى :

افضل — زيادة فى الضمان — ان نضيف هذا النص للمادة [٧] لنزيد الطمأنينة لكى نستعيد الثقة فى اقتصادنا القومى ، هذا مجرد اقتراح .

المادة [٨] التى تتكلم عن تسوية المنازعات ، والمادة طويلة جدا ، اعتقد ان الافضل ان احنا نكتفى بمسألة التحكيم الدولى كمبدأ مطلق . وهذا — ايضا — مجرد اقتراح بدلا من النص الطويل العريض لهذه المادة .

المادة [١٤] فى مشروع القانون ، تتكلم عن استثناء من أحكام القانون ٨٠ لسنة ١٩٤٧ ، الخاص بالرقابة على عمليات النقد ، فيكون للمشروع — المنتفع بأحكام هذا القانون — حق فتح حساب أو حسابات .

لى ملاحظتين :

الاولى : كلمة .. حق .. انا باقول هذا واجب عليه ، لازم الزمه يفتح حساب ، وليس حق ..

الثانية : يفتح حساب أو حسابات ، **انا اقول** له حساب واحد لاضمن الرقابة عليه . وقد جاء فى نفس المادة انه يلتزم المشروع .. اذن فيه التزام انه يفتح حساب .. اذن فلا يصح ان يبقى « حق » مرة و « التزام » مرة أخرى ، وكذلك جاء فى المادة انه يلتزم المشروع بأن يقدم للهيئة بيانا كل ثلاثة شهور بحركة هذا الحساب ، ولم

يقل : « هذه الحسابات » ؟ فأرجو التنبه لهـذا أيضـا .

المادة [١٧] أيضا الصياغة لو سمح الدكتور **جمـال** يقول لنا المفهوم ، أنا غير قادر أن افهمها .. المادة [١٧] .. تقول .. تعفى من الضريبة العـامة على الايراد الارباح التى يوزعها كل مشروع بحد أقصى قدره ٥ ٪ ، من قيمة المـال المستثمر .. فما هو المقصود بهذا لو تكرمت ؟

● د . جمال العطيفى :

المشروع له اعفـاءات من الارباح التجـارية والصناعية .. بعد ذلك عندما توزع عليه الارباح كشخص طبيعى ، فاذا خضع لضريبة الايراد التى قد تصل الى ٩٠ ٪ ، فكأن ما أعفى منه من ضريبة الارباح التجارية ، عدت وأخذته منه بالشـمال بضريبة الايراد العام .. فلهذا تترك له ٥ ٪ .

● د . لطفى :

أنا موافق عليها .. فقط .. لم تكن واضـحة قبل التوزيع ، أم بعد التوزيع ؟

المـادة [٢٠] ، يسـمح للخبراء والعـاملين الاجانب القـادمين من الخارج للعمل فى أحـد المشروعات ، المنتفعة بأحكام هذا القانون ، بأن يحولوا الى الخارج حصـة من الاجور والمرتبات والمكافآت التى يحصـلوا عليها ، على الا تتجاوز ٥٠ ٪ .. أنا أقول : ليس هنا حد أقصى موضوع .. فما الذى يضمن لى انه لا يحول كمـا يريد ؟ ويقول لى والله هذا خبير يتقـاضى ألف جنيه كل شهر ، وذلك حتى يحول كما يريد .. أليس من الافضل وضع حد أقصى لهذا التحويل ؟

أيضا،نفس المادة[٢٠] بتعرف الخبراء والعاملين الاجانب القادمين من الخارج .. ما الحكمة ؟ .. طيب ربما يكون عندى — هنا — رجل عربى مقيم ويشتغل فى مشروع ..

● د . جمال العطيفى :

— المقيم طيب لماذا يحول ؟ .. فيه فرق بين المقيم وغير المقيم ...

● د . على لطفى :

اذن هى مقصودة فى القانون .. المادة [١٩] لا تخضع المبانى للقيمة الايجارية .. السؤال لماذا لا تسرى هذه المادة على المستثمر المصرى ؟!

المادة [٢١] فقرة [٢] ، لماذا اشتراط الحصول على موافقة الهيئة ، ما دام ان المستثمر ينصرف فى ماله بنقد حر أجنبى ؟ .. واحد جـاء وعمل مشروع وحيحولـه للخـارج بالنظام اللى قالـه القانون .. ايه لازمة اشتراط الهيئة ؟

● د . جمال العطيفى :

— لان المال مسجل عند الهيئة ...

● د . على لطفى :

المادة [٢١] فقرة [٢] .. يجـوز للمسـتثمر التصرف فى أمواله المسجلة لدى الهيئة الى آخر بشرط الحصول على موافقة الهيئة .

الملاحظات الاخيرة فى تصـورى ... حاقولها باختصار :

الملاحظة الاولى : لم ينص القانون على امكان احلال مستثمر بآخر عن طريق مسـألة سـوق الاوراق المالية ، وأنا بأعتقد انها فى غاية الاهمية ، ولم يتعرض القـانون للمسـتثمر المصرى المحلى وتشجيعه واعطاؤه الضمانات ...

نجاح هذا القانون مرتبط ايضا بمسألة التفكير فى اعادة ترك صرف سعر الجنيه المصرى للعرض والطلب ، وهـذه فى غاية الاهمية .. **وفى غاية الاهمية — أيضـا — ضرورة عمـل دراسـات سنوية لتحديد الاعبـاء اللى يتحملها اقتصـادنا القومى نتيجة تحويل العـائد سـنويا ، والمزايا والمنافع الاجتمـاعية التى سـتعود علينـا من الاستثمارات الاجنبية .**

وأرى أيضا ضرورة الاهتمام بعمل دراسـات لتحديد نسبة رأس المال الاجنبى فى كل قطاع فى نهاية كل سـنة ، حتى لا يطغى فى قطاع .. والبنوك الاجنبية يجب ألا يسـمح لها ان تتعامل بالعملات المحلية الا بالمشـاركة مع راس المـال الوطنى ، سواء كان قطاع عام أو قطاع خاص ، فى حدود ٥١ ٪ .. أؤكد هذا النص .

وفى الختام ، لى رجـاء ، ودى يمكن **الدكتور مرشدى** قالها ، وسائل الاعلام فى تناولها لموضوع الاسـتثمارات الاجنبية ، أعطت أمل أو آمـال عريضة للشـعب ، مع انه ليس هناك شيء يتحقق بمثل هذه السرعة . لقد أخطأت وسـائل الاعلام

ــ فى هذا ــ خطأ كبيرا .. لان كل واحد فاهم ان بعد شهور قليلة سيلاقى قدامه عربية وفيللا .

بالنسبة لموضوع التخطيط والسوق ، أنا فى تصورى انه يمكن ان يكون هناك تعايش سلمى بين التخطيط وبين السوق .. وشكرا .

● **د . حامد السايح :**

ــ شاكرين **يا دكتور على** .. والدكتور على طبعا شرح نقط كثيرة .. لكن النقطة التى لم تأخذ حقها فى الشرح هى من نقطتين :

الاولى : الخاصة بسعر الصرف .

والثانية : الخاصة بالبنوك ، وبعد اذنكم ــ نظرا لضيق الوقت ــ انا ساعطى الكلمة للاستاذ **حسن زكى أحمد** رئيس **بنك القاهرة** للتحدث فى النقطتين دول .

● **حسن زكى :**

الحقيقة **الدكتور السايح** حدد النقط .وما اريد ان اقوله هو ان استضافة رأس المال الاجنبى لها شقان . المسألة ليست مسألة اننا نركزها ــ من وجهة نظرنا على اى المشروعات نريد ، او الشروط التى سنستضيف بها هذه المشروعات والقيود التى نفكر فيها ، مفترضين ان المشروعات أو رأس المال الدولى أو العربى جاهز ليأتى الينا ويقرع الباب ، فنقول له تعالى ! لكن بشرط كذا .. وكذا .. لانه كيف نستطيع ان نحدد حجم رأس المال ؟

نحن لا نستطيع ان نحدده .. نحن نقدر ننميه، اذا درسنا ظروف رأس المال المتاحة .. ولما يجد صاحب المال ، فى المجال المصرى ، الجو الذى يرتاح اليه ، اذا قارن بين السوق المصرى والاسواق الاخرى ، والا فنحن سنجلس لنكلم انفسنا فى آخر الامر !

اصحاب المال الاجانب ينقسمون الى عدة اقسام ، وحتى الان فنحن لم نلتفت الى هذا ، يعنى فيه ناس مجرد ممولين ، يريدون ان ياخذوا فائدة ايداع ، هؤلاء المودعون كم اعطيهم كفائدة؟ اننا لا نزال نعطى ٤٫٥ فايده ، فهل هذا كلام ؟ طيب .. المدخر ــ حتى المصرى ــ فى الكويت يقدر يأخذ اضعاف هذه المعدلات من الفائدة ، المصرف العربى الدولى يمكن يعطى له اكثر .. ولكن يجب أن نعمل سياسة ثابتة . بمعنى اننا لا نقف عند اعطاء فائدة للمودع بل ونرشده الى الاماكن التى يقدر يحصل منها على فائدة ،والتى نقدر ان نوظفها فيها لحسابه .. لان المبالغ التى نأخذها ــ كبنوك مصرية او عربية دولية ــ نحن لانضعها فى خزائننا بل فى بنوك دولية اخرى ونسحب منها ونحولها ، ويمكن نحولها الى استثمارات ، فكل هذا ، انه يجب ان نكون المستشارين الامناء للمودع العالمى لكى ينمى عملية الايداع . عملية الايداع الحقيقية ليست عملية ايداع فحسب ، لان ممكن البنك يقدر يحولها الى استثمارات من غير تصريح من المودع .لان وظيفة البنك ، والمودع يعلم هذا ، ان هذه المبالغ يتصرف فيها البنك ، وتبقى تحت مسئوليته ، ويعلم ايضا انه فى اى وقت يقدر يسحبها ..

وهناك ممول عربى او اجنبى آخر لا يبحث انه يأتى بمشروعه تحت باطه ، ثم نقول له : لا انت خذ فى الكيماويات ، أو خذ فى الصناعات الجديدة ، او خذ فى الاسمدة . خذ فى كذا . لان هذا الممول ربما يريد يشترك فى مشاريع جاهزة ونحن ــ حتى هذه اللحظة ــ لم نفكر فى هذه المشاريع .. نحن نريد مشروعات عندنا اولويات فيها وليس عندنا اموال ،طيب فلنعمل الدراسات، ونطرح المشروعات للاكتتاب . فهذا سيجذب الينا طائفة من الممولين ليست موجودة الان .

فيما يتعلق بالممولين الذين نريد ان يضعوا اموالهم بمخاطر محدودة لا هى المأمن الكامل ولا المخاطرة الكاملة ، اى الخاصة بالمستثمر المباشر .. هؤلاء يجب تشجيعهم ، ولا تتصوروا اى تنمية ستحصل من غير هؤلاء . لماذا ؟ لانهم الجمهرة الكبرى من اصحاب الاموال . ومنهم المصريون . ونحن سنستقطب منهم اصحاب مدخرات مصريين يضعون مدخراتهم فى البنوك الاجنبية ونريد ان يساهموا فى مشروعات مصرية مستقرة ناجحة .. لازم نثبت انها ناجحة كيف ؟

.. انا لا غضاضة عندى ان اقول ان العائد ١٠٪ .. حكاية الضمانات الشكلية الخاصة الحراسة والتأميم اعتقد انها قديمة ، وعلى رأى **الدكتور العطيفى** القانون الدولى والمنظمات الدولية بتكفلها ... وانا لما أؤكد عليهما فى القانون ، كأنى اقول : يكاد المريب يقول خذونى .. هات المال .. « والله مش حاسرقه .. ما تخفش عليه » هذا النص لا يجوز .لانى انا لا اريد ان أؤكد لصاحب المال ان « انا والله العظيم لن اتعرض له بسوء » ...

انا كنت فى دول الخليج .. دول لنا فروع فيها ، ودول ليس فيها فروع ..هم ايضا قالوا لنا

نفس هذا الكلام وقلنا لهم ان تجربتنا علمتنـــا اننا لا نلجأ معهم مرة اخرى الى هذه الاجراءات، وهل ممكن نؤذى نفسنا تانى ؟ يعنى لازم مادام اننا انتهينا لمثل هذا الفهم ونقرره ، يبقى لازم تصدقونا فيه . وبعدين القوانين الدولية .

وانا اريد ان اوفر الامن فى استقرار العائد، ولازم اقول له ان هذا لن يقل عن ١٠٪ .

بعد كده آتى الى المشروع الذى يحمل المستثمر فكرته ، اقصد رجل الاعمال الحاضر الى هنا ، وقد جاء ليقيم ، وعارف المخاطرة وواع جدا اكثر منى .. مثل هذا الرجل ماذا اعمل له ؟ لابد ان اعمل له [الاقامة الداخلية] ، اين المدن التى انا اعددتها لاستقباله ؟ اين المرافق ؟ يعنى هذه لازم نكون فى الخطة .. صحيح ممكن استعين بالشركات الصناعية التى ستأتى الينا ، لانهـا ستتحملها كلها . لكن هناك بعض الحاجات ، من واجبى ، ويجب ان احضرها ، والبعض هى تعملها .. يعنى الحقيقة مثل هذه الواجبات تبقى على عاتق الدولة ، سواء كانت بالاقتراض من المشروعات .. والمشروعات مستعدة — ايضا — تصرف على تمويل الهياكل التحتية الخاصة بها: اما فى شكل معونة او فى شكل قروض .. المهم نصل لحل .. لكن لازم نخلى المشروع مستقر من ناحية امكانيات استخدامه دون تعويق ..

المسألة الخاصة باسعار النقـــد .. الاخ **مصطفى** قال ان فيه بعض المستثمرين بيقولوا انت عندك نقد مصرى يحول .. طيب مادام لايوجد لا اخضر .. الرد على هذا سهل : مواد هــذا القانون كلها تقول له تقدر تحــول فى حــدود الصادرات بتاعتك . لكن هذه يجب ان يكون لها ضوابط .. مسألة الصادرات واستيفاء العملة الصعبة لهذا المشروع من قيمة هذه الصادرات مسألة قومية .. ثم ان فيه مواد اولية من هذه الصادرات مدفوعة بالمحلى ، ولا يصح ابدا ياخد عائد اجنبى من مصادر محلية ، ولابد ان تكون لها ضوابط فى القانون ..

نأتى الى مسألة البنوك .. اول ما اتكلم عن البنوك اقول : هذا كان مســتقر فى جلســة الصباح فى مجلس الشعب [وانا حضرتها مــن الاول الى الاخر] ان الخدمة المصرفية لا تؤخذ منفردة .. يعنى البنك الذى يريد ان يســتثمر يقدم اولا خدمات مصرفية تجارية .. لا .. هذا غير صحيح ، لان هناك تخصصا فى البنوك .. فيه بنوك استثمار وفيه بنوك اعمال وفيه بنــوك تجارية .. واكثر من هذا البنوك التى تأتى لنا — هنا — وتزورنا ، من الخارج ، اقول له انت بنك ماذا ، وماذا تريد ؟ يقــول لى انـا بنـك استثمار .. الثانى يقول لى انا بنك اعمال .. هوه عارف ماذا يريد وكيف يعمل .

لكن لا يوجد حتى الان بنك اجنبى جاء ليمارس عمليات تجارية فى المحيط المصرى . لانه ما هو هدفه . وما الذى سيعمله وهو يعلم اننا نظـام مخطط ؟ . وتحت المراقبة من البنك المركزى ونظام اشتراكى ، ونظام كذا .. كذا ؟ انت اعطيتنى الحرية الكاملة فى المنطقة الحره ، وكذلك حريات كبيرة جدا ، فيما يختص بالاستثناء من جميــع القوانين فيما يختص بحرية التعامل من التحويل .. تحويل العملات فيما يختص بتكوين رأس المال والشركاء .. يعنى كل هــذه الحـريات مع المشروعات التى بيختارها هو ، ولكن مع مشاركة بنك مصرى لانه هو جاء لهذا ، يريد قروضا محلية فلا احد يقدمها اليه الا نحن . فهذا يعجبهم جدا .. انا رأيت واحد او اثنين من بنوك الاعمــال وبيقولوا لا .. نحن لانريد ان ندخل مرة اخرى فى الاعمال او فى اسواق اخرى مختلفة ..

النقطة الثانية على مسـتوى الدولـة : فالذى اريده من هؤلاء ؟ هــل انا عنــدى ســيولة ناقصة ؟ .. هل سيأتى لى بتسهيلات اجنبيـة زيادة من اموال اجنبية ؟ .. البنك الاهلى هــو ايضا مختص بالتجارة الخارجية . ونحن كبنوك لنا بعض الانشطة فى التجارة الخارجية ، ولن يستعصى علينا ابدا ان نأتى باموال اجنبية ،من الخارج ، من بنوك مستقرة فى الخارج .. البنك التجارى والاجنبى لن يأتى باموال ، ونحن — ايضا — لا نريد . ومفيش غير انه وليس امامه سوى ان يقعــد هنــا ليشتغل فى النقد المحلى **ما الذى تعمله هذه البنوك بالدقة . ارجــو ان نتنبه الى هذه القضية ..** هذه البنوك الاجنبية ماذا تعمل ؟ لا نستطيع — ابدا — ان نتجاهل ان البنك الاجنبى له اغراض سياسية ، يأتى ويدخل السوق ويعطى السلف لنــاس قد لا يستحقون سلف وهذا حصل فى عدة بنوك اجنبية يعنى ان البنك يروح فارش . فاذا سألنا لم يفعل ذلك . هل هى مغامرة ؟ والناس كلها تقول : البنــك الفلانى ده عظيم .. هو عمل كذلك ليربط نفسه بناس او شخصيات لها مفــاتيح فى الدولة . وايضا على سبيل الدعاية .. كل الناس تأتى اليه ، وبعد سنة او سنتين سيأخذ المبالغ التى طلعها ويعتبرها ديون ، على حساب الدعاية ، أو شىء من هذا ، وبعد ذلك يختــار العمليات بعد ما يكون كون له شهرة . **هل نحن مستعدون** لهذا ؟ مستحيل !

بالاضافة الى هذا ،هو حر ،ومشروع القانون نص على منتهى حريته فى انه يخرج بره قوانين القطاع العام ، فى انه يحدد الاجوروالعلاوات وخـلافه .. يبقى انا موظف بـ ٦٠ جنيـه يعطينى ٩٠ ومعـفى من الضرائب .. نحـن لا نخاف من المنافسة الاجنبية .. يتفضلوا ! لكن فى ظروف متعادلة ، والا فسـوف يتوغلون ويأخذون الودائع والموظفين والخبرة الفنية .

حكاية الواحد وخمسين فى المائة [٥١٪] انا عاوز الفت النظر اليها .. الـ ٥١٪ المصرية لن تكون ٥١٪ .. قطاع عام ، طيب لى هنـا بعض تحفظات .. مادام انا قلت انا لست خائفا من هذه المنافسة . اذا تعادلت الاجـواء يبقى المشاركة . وعلى رأى الاخ **مصطفى** قال : ان رئيس مجلس الادارة مصرى .. ايضا انا أريد ان اضيف ، ان تكون الغالبيـة لمجلس الادارة مصرية .. ملكية ٥١٪ من رأس المال لا تكفى ، اذا لم تنعكس فى مجلس الادارة عند اتخـاذ القرارات وفى اللجان الادارية . فلابد وان نحمى المال المصرى وسياسة الائتمان المصرية . البنك المركزى يحكمنا بصفتين .. بصفته بنك مركزى، وبصفته مؤسسة بنوك ، الدكتور **شريف لطفى** قال لنا البنـك المركزى سيزاول عمله بالنسـبة للبنوك كلها على كافة المستويات ، لكن يقـدر يتدخل فى السلفة ويمنعها عن فلان او فلان ؟ . لكن معـروف انه اذا كان يسـتطيع هـذا معنا ، لكن معه تكون هذه السياسة ممكنة مـع البنك الاجنبى ، لانه شركة قطاع خاص .

يعنى انا احب اقول ان المسألة ــ كما قال ــ الاخ **مصطفى مراد** ليست مسألة انزعاج ، ولكن لماذا الانزعاج ؟ بنك مصر ، وبنك القاهرة ــ قبـل التأميم كانوا ماشيين وعايشين .. ــ والى الان ــ متفوقين .. وفى السعودية **بنك القـاهرة** فى وسط ١٦ بنك : منهم السعودى والهولندى والامـريكانى والعـربى ، ونحن اول بنـك فى السعودية يمكن كلكم تعـرفوا هـذا .. وكل الناس تأتى من هناك تتغنى فى بنك القـاهرة فى السعودية .. **نحن لا نخشى هذه المنافسة نحن نرحب بهـا . انما نرحب بهـا عند ظروف متساوية عند تحصين الاقتصاد المصرى عند قيامها على اساس تبادل المصلحة .**

نأتى الى حكاية الجنيه ، ومسألة تثبيته او عدم تثبيته . فهنا ، ارد على الاخ **مصطفى مراد** وعلى المستثمر الذى يقول لى :

ــ اذا كان الجنيه المصرى غير قابل للتحويل فلن آتى بفلوس . لكن ما الذى يدعوك الى هذا القول فى حين اننى اكدت لك امكانية تحـويل اموالك من حصيلة صادراتك . وانا فى الوقت نفسه ــ افضـل المشروع الذى له قدرة على التصدير : فهذا التحـويل يتم اتوماتيكا ــ واذا كنت انت احضرت عملة صعبة فلماذا امنعهـا منك ؟ .. مادام انا وفرت لك الضمان للتحويل من الحصيلة ومادمت انت ماشى فى الطريق فانا لا اخشى شيئا ، ولا تكون هنـاك اعتبـارات تتعلق بعملة صعبة لمثل هـذا المشروع .

مع الشـكر ..

● د. جمال العطيفى :

ــ فى موضوع البنوك التجارية ، الاخ مصطفى مراد يمكن يقتنع مع رجال البنوك . النص [فى مشروع القانون) يقول : انها البنوك التجارية التى تتعامل بالعملة المحلية .. أما بنوك الاستثمار والاعمال فتتعامل بالعملات الاجنبية .. وهذا النوع الاخير لا نناقشه . فمن الجائز أنها تكون برأس مال أجنبى . انما البنوك التجارية التى تتعامل بالعملة المحلية لا تقدم اضافة حقيقية للاقتصاد القومى . لانها تشتغل بالودائع التى يقدمها المصريون . فما هى الحكمة ، وما الذى يؤثر على القانون ، وما الذى سيؤثر فى السياسة الاقتصادية الجديدة . ان هذه البنوك التجارية ينبغى أن تظل هى البنوك القائمة حاليا .. البنوك المصرية التى تتبع القطاع العام فى مصر ..

بنوك الاستثمار هذا موضوع آخر . انما البنك الاجنبى الذى يجىء ليتعامل بالعملة المحلية ماذا سيحمل معه ، سيحمل رأس ماله فقط . ، أى أنه لن يأتى بأى تمويل خارجى يعنى لن يحدث أى اضافة أخرى للاقتصاد القومى ... بالعكس الودائـع عنده وعمليات البنوك التجارية مربحة جدا . وبعد هذا سألتزم انا ان أحول له أرباحه بالعملة الاجنبية . هذه هى المشكلة التى تواجهنا فقط . كل رجال البنوك بلا استثناء معترضين على هذا النص ..

مصطفى كامل مراد :

ــ عملية البنوك .. القطاع الخاص لا يقدر الان يقترض من اى بنك الا بضمانات معجزة .. عملية الاقتراض اليوم من البنوك لتمويل أى نشاط تجارى أو حرفى ، أو مهنى صغير ، من أصعب ما يمكن . هذه ناحيه ، تم بطء الاجراءات الشديدة ، فلكى تصرف دفتر شيكات يقول لك تعالى بعد أسبوع .. غير معقول أبدا .. الاجراءات المصرفية فى حاجة اليوم الى تغيير .. عملية اقتراض القطاع الخاص ليست ميسرة ، والقضية مهمة عندما تزاول النشاط الحرفى الذى يكون حوالى ٢٠ فى المائة من الانتاج

الصناعى ، فى البلد ، يعنى بيطلع حوالى ٣٠٠ مليون جنيه فى السنة ، وهذه ناحية أخرى . ثم اننا لا نستطيع أن نفصل النشاط الخارجى عن الداخلى ؟ كيف ؟ فهذا مواطن يعمل حاجة محلية ويطلب انتموله ليصدرها . فعملية النشاط الداخلى والخارجى عملية متداخلة ... واذا كنتم تريدون اقامة سوق رأس المال فى مصر ، فلا بد أن تسمحوا لبعض البنوك الاجنبية ... ما الذى يخيف ؟ العملية لا تدعوا الى الخوف .. هل سينافسنى ؟ المنافسة مطلوبة .. كما شرح الدكتور **شريف لطفى الصبح** ، وكان شرحه واضحا جدا .. قال أنا لا يمكن ابقى سوقا لراس المال ، وأنا لا أسمح لبنك أن يوجد نشاط داخلى فى مصر ..

● **د . جمال العطيفى :**

ــ يمكن أريد ــ مرة أخرى ــ أن افرق بين موضوع فتح فرع لبنك أجنبى رأسماله كله فى الخارج ويحضر جزءا من رأس المال هنا ، وبين عملية انى انشىء ــ حسب هذا النص ــ بنك جديد برأس مال مصرى وأجنبى .. عملية فتح الفرع تخضع لقواعد محكومة ، انما هنا فى مجال قانون الاستثمار أنا أقول أن هذا النوع من المشروعات المشتركة بين رأس المال المصرى والاجنبى اكون به بنك لكى يعمل أى شىء ؟ ده قانون استثمار ، فاذا لم يقم هذا المشروع بعمليات استثمارية ، ولن يتأتى هذا الا بالعملات الاجنبية ، فما وجه الحاجة اليه ؟ أنا محتاج لعملات أجنبية للاستثمارات ولست محتاجا لعملات محلية للاستثمارات على الاطلاق ، بالعكس أنا عندى فائض سيولة فى البنوك المحلية مستعدة للاستثمار .

● **د . حامد السايح :**

ــ شاكرين .. والحقيقة اسمحوا لى أن أتكلم فى موضوع البنوك .. أول حاجة احنا هدفنا التنمية الاقتصادية ، والعجز الشديد فى التنمية كما شرح جميع الزملاء هو فى التمويل الخارجى .. الاستثمارات الاجنبية التى نتكلم عنها هى جزء من محاولاتنا للتمويل الخارجى .. بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال يمكنها انها تقوم بهذا العمل ، ولكن البنوك المشتركة فيها نقطتين من التخوف ، **النقطة الاولى** : ان هذه البنوك عندما تشارك فى الودائع المحليه تكون النتيجة أن البنك فى مجموعه يحصل على ودائع محلية ، ويحصل على أرباح نتيجة الودائع المحلية والعمليات الاجنبية ، ويحول أرباحه عن نشاطه الناتج من الودائع المحلية ، هذا اولا ، وطبعا لا داعى لمثل هذا ، يعنى ممكن تجنبه .

ثانيا : اذا اشتغل فى الودائع المحلية وفى الودائع الاجنبية وعمل بنكا على نظام ، مثلا أمريكانى سيعطى أجورا مرتفعة جدا لا تتناسب مع الاجور اللى احنا نعطيها ، سيحصل خلل فى نظام بناء الاجور المحلى بالنسبة للبنوك وبالنسبة للقطاع العام عموما ، دى نقطة ثانية ، **والنقطة الاساسية هى تحويل أرباحه** ، لان نشاطه سيكون مزدوجا وسيحول أرباحه عن ناتج عملياته كلها .. وليس فقط عن ناتج عملياته الاجنبية

اما الجزء الذى اثاره **الاستاذ مصطفى مراد بخصوص امكانيات البنوك المحلية** وضعفها .. فى واقع الامر فان هذا الضعف ممكن اصلاحه لان هذا عيب اساسى فى البنوك المحلية ، عيب ممكن اصلاحه .. ممكن تحسين الخدمة ، ولكن يجب أن يحدث هذا أولا ، والا **سيحدث أن البنوك الاجنبية هذه تأتى بامكانياتها الضخمة جدا ، وبعدين الحكومة لا تعطى الضخمة جدا** . فاذا كانت الحكومة لم تعط البنوك المحلية الامكانيات المناسبة فسيحدث خلل كبير جدا .

● **د . أبو زيد رضوان :**

من أربعة شهور ، وبعض أجهزة الاعلام تصور هذا الانفتاح كما لو أن الناس قاعدين فى الشيراتون والهيلتون ، معهم حقائبهم ، وواقفين فى طابور ليستثمروا فى مصر .

فى نفس الاسبوع قرأت فى « **روز اليوسف** » تصريحا لسفير اليابان يقول فيه أن اليابان عندها رأس المال ، وأن اليابانيين قادمون ويريدون أن يربحوا . فرأس المال الخاص يريد أن يربح ويريد ــ بالتالى ــ كما يقول اليابانيون اننا نقوم بتغيير ترتيب الاوضاع الاقتصادية فى مصر واعادتها الى حالتها الطبيعية . ومن غير اعادة الاوضاع الاقتصادية الى حالتها الطبيعية فى مصر فلا أمل فى مجىء رؤوس الاموال الى مصر .

هذا التصريح الذى قرأته شدنى بسرعة الى كتاب « بنوك وباشوات » عن المراسلين ما بين [ورميو] الذى كان يعمل مستشارا **للخديوى اسماعيل** . ففى هذا الكتاب واضح قوى ربط مصر من سنة ١٨٦٠ ــ ١٨٧٠ بالسوق العالمية الاستعمارية . فهذا الكلام تذكرته عندما سمعت التصريحات عن اعادة ترتيب الاوضاع الاقتصادية .

أنا ارى انه يجب اعادة ترتيب الاوضاع الاقتصادية على النحو الذى يحقق عدم التفاوت الشديد فى الدخول الموجودة حاليا فى مصر .

واقول مخلصا ان هناك قوى اجتماعية مؤثرة جدا فى المجتمع تخاف من التنمية ، تخاف من تبعات التنمية ، ولذلك تتجه الى منازلة رأس المال الاجنبى بطريقة غير مقبولة • وهذا واضح فى مشروع القانون الذى نحن بصدده •

التنمية تتطلب التعب والتضحيات والشعب المصرى يضحى من آيام خوفو حتى الان • وفى تقديرى يجب معالجة التفاوت الرهيب فى الدخول

لكن للاسف الشديد أنا سمعت فى الاذاعة مقابلة وفد يابانى مع الاتحاد الاشتراكى والجهاز التنفيذى فهؤلاء قالوا : يا جماعة عندنا سعر العامل المصرى ارخص من اليابانى ١٥ مرة • وهذا اهدار شنيع لادمية العامل المصرى • الى هذا الحد الغزل لرأس المال الاجنبى ؟ • الى حد أن نقول لهم تعالوا لان العامل المصرى يساوى « ثلاثة تعريفة » وعندكم يساوى جنيها •

بعد ذلك هناك حكاية الاشتراك مع المستثمر الاجنبى ، هذه خرافة • لان الاشتراك فى الادارة هو أن يتربع بعض الناس على كراسى مجلس الادارة . لكن هل هذا الاشتراك يعنى الاشتراك فى الارباح ؟ هل يعنى الاشتراك فى الادارة بمعنى جدى ؟ لا •• وأعتقد ان هذه مستحيلة فى رأس المال الاجنبى •••

كذلك هناك نتائج اجتماعية ، ونتائج سياسية خطيرة ••• أنا لست ضد ما يسمى بالانفتاح الاقتصادى • انما على كل حال يجب أن نأخذ بمحاذير ضخمة جدا من دخول رأس المال الاجنبى •

ثم ان الضمان ضد التأميم الذى جاء فى نص الماده | ٧ | اعتقد أنه نص مخالف للدستور ، ورأس المال الاجنبى الذى سيأتى عارف والامم المتحده ، وكل الناس عارفين ان التأميم حق من حقوق السيادة ، حتى رأس المال الاجنبى لا يجب تصور انه أهبل .. هذا حق دولى ومعترف به .. تلك ملاحظاتى . وشكرا ..

● **عادل حسين :**

— اذا احنا اعتمدنا على الانسياب الطبيعى لحركة السوق سيصل الينا من رؤوس الاموال الاجنبية اقل من القليل مهما قدمنا من تسهيلات وتنازلات •• هل يعنى هذا اننى أنظر بتشاؤم الى امكانيات التعاون مع رؤوس الاموال الاجنبية وأيضا مع الاستثمار الاجنبى المباشر ؟ • أنا ليس عندى هذا التشاؤم .. ولكنه مبنى على أساس حاجة ثانية ، ليس على اساس ان هذا هو الاتجاه الطبيعى لحركة السوق العالمية •• اتجاه حركة السوق الطبيعية هو نمو الدول المتقدمه وليس نمو الدول النامية .. لسبب بسيط هو أنه هناك يحقق معدل ربح أعلى وعنده الاستقرار السياسى اضمن ، وبما أنه يريد الاستقرار ، ويريد معدل ربح أعلى ، فالطبيعى أن المسار المنطقى سيكون نحو هذه البلاد أولا وليس نحو الدول النامية ومن ضمنها مصر ••• مصدر التفاؤل عندى منأين يأتى ؟ من حاجة ثانية • أنا اتصور ، بالفعل ، أننا — كدول عربية — تتمتع بوضع خاص • وهو هذا الفائض الهائل من رؤوس الاموال •• ومن سيطرتنا على سلعة استراتيجية هامة هى البترول •• **اذا استطعنا أن نستخدم فائض رؤوس الاموال العربية ، واستخدمنا البترول كوسيلة للضغط ، نستطيع أن نجبر رأس المال الاجنبى الغربى أن ياتى الى هنا ، وذلك رغم أن هذا ليس هو الاتجاه الطبيعى ••**

واذا كان هذا هو التصور ، فسيبقى موقفنا من رأس المال الاجنبى مختلفا ، يعنى هناك فارق بين ان ابنى استراتيجيتى للتعاون مع رأس المال الاجنبى على أساس أنه كلما قدمت التنازلات كلما تدفق ، وبين ان أنا أقول أنه سيأتي بقدر الضغط الذى سنحدثه عليه •

لو أن تصورى هو التصور الثانى ستترتب على ذلك صياغة مختلفة لقوانين الاستثمار •• فرأس المال العربى ، واستخدام البترول — كوسيلة ضغط — سيكون فى هذه الحالة رأس الرمح فى استراتيجيتى لاجتذاب التكنولوجيا الغربية والاستثمارات الخاصة الغربية •

● **د • حامد السايح**

هناك أمر خاص بهذه النقطة :

« رأس المال الاجنبى سيأتى بالقدر الذى اضغط عليه ••

— هذه المسألة تحتاج الى توضيح •

● **عادل حسين :**

ليس مقصودا — بطبيعة الحال — بالضغط اننى أقول له : تعال الى هنا ، ولن تأخذ منى مليما طبيعى لا •• لكن فى حدود تحقيق الفائدة الاقتصادية المعقولة •• سأقول له تعال •• لكن

حجم الفائدة الاقتصادية المعقولة التى استطيع ان احققها له فى ظروفى ـ كبلد نام ـ ستكون عمليا أقل من المزايا السياسية والاقتصادية اللى ممكن يحصل عليها فى بلد متقدم .. فانا سأقدم لهكل ما استطيع . لكن لو اعتمدت على هذا ، فانه لن يأتى ، لانالجزء الاكبرمنحركة رأسالمال متجهةنحوالبلدان الصناعية كما قلت .

المطلوب فى مصر ، وهى تمثل القوة الاساسية القادرة على التفكير والتخطيط فى العالم العربى ، المفروض هو ان نعرف كيف نستخدم الكلام الذى يلقى تلقائيا ، استخدام منظم وكسياسة ثابتة للتطوير فى المنطقة فالان السعودية والدول المنتجة للبترول عندها قلق حقيقى من قضية استنزاف مواردها فى الثروة البترولية .. هذا الموضوع يقلقهم ـ الان ـ ويحاولون أن يضعوا شروطا ، ويقولون اننا لن نرفع انتاج البترول أكثر من حد معين .. الا اذا قايضنا البترول الزائد بتكنولوجيا وآلات ..

هذا المنطق يقال فى أفكار سريعة ومتفرقة ، لكنه لا يطبق بشكل متناسق ومتكامل . فمصر مفروض ان تقود اتجاه التطبيق بشكل متناسق ومتكامل ، وبهذه الطريقة نحن نحدد ما هى المشروعات التى نستطيع ان نقيمها فى مصر ، وفى المنطقة العربية ،استعانة بفائض الاموال العوبية، واستعانة بثقلها وقدرتها على الضغط لاستيراد التكنولوجيا ، وللمساهمة فى المشروعات التى نريد اقامتها . بهذه الطريقة نستطيع ان نحصل على القدر المعقول الذى يحقق تنمية .

وبناء عليه : اذا كان رأس المال العربى هو القوة الدافعة الاساسية ، والبترول بقدرته الضاغطة سيمكننا من اننا نجتذب قدرا من رءوس الاموال الاجنبية ، أكثر من القدر العادى الذى تطلقه حركة السوق ، فهنا يبقى بالفعل اساس لتفاؤلنا ، بأنه من الممكن أن نستفيد بالاستثمارات الاجنبية . ولكن المهم أن يكون مفهوما اننا ـ فى هذه الحالة ـ نستخدم قوى غير القوى الطبيعية للسوق . نحن نستخدم نوعا معينا من الترتيبات والتنظيمات التى نستحدثها للوصول الى هذه النتيجة .

اذا قلنا اننا سنعمل هذا ، فهذا يجرنا الى تصور مهم بالنسبة لدور رأس المال العربى . رأس المال العربى احنا لا نريده فى الاصل يأتى ليعمل لنا هنا فنادق ويعمل حركة سياحية ، ليس عندى مانع ـ طبعا ـ انه يعمل حاجات من هذا النوع .. لكن هذه ليست الحاجة الاساسية .. الحاجة الاساسية هى اننا نريد استخدام البلايين العربية التى يلاقى الاخوان العرب صعوبة فى ايجاد منافذ استثمارية لها ، وهى صعوبة تجعل البعض يبيعون ويشترون فى أى حاجة غير مهمة ، **هذا الفائض الذى اسعى فعلا لاجتذابه ، هو فى الاساس فائض حكومات وليس فائض افراد .. وهذه القضية هامة ، يعنى هذا الفائض الكبير .. الجزء الاعظم منه ليس ملكا للمليونيرات ورجال الاعمال والافراد فى السعودية والكويت وهكذا .. ولكنه اساسا ملك لحكومات هذه البلاد ، يعنى هذا ان هناك امكانية حقيقية لتخطيط استراتيجى بالتعاون مع الحكومات .**

انا أريد ، اساسا ، استفيد من فائض رؤوس الاموال العربية فى اقامة المشروعات التى تحدث تغييرا هيكليا حقيقيا فى الاقتصاد المصرى .. أريد مصانع صلب أكبر من الذى عملته فى حلوان مجمع حلوان سينتج مليونا ونصف مليون طن .. ومكلفنى أكثر من ٣٠٠ مليون جنيه .. ولكن بالمقاييس العالمية هذا ليس مشروعا اقتصاديا .. فى عالم اليوم ، المشروع الاقتصادى لازم ينتج ٤ مليون طن .. وهذا هو نوع المشاريع التى أريد دول الفائض تشارك فيها .

هل هذا الكلام واقعى أم خيالى ؟

هو واقعى ، لانهم بالفعل فى مأزق بالنسبة لتضخم الفائض الذى وصل الى أرقام تنعكس عليهمبالحيرة فىاستخدامها .. ولا بدانيستثمروا هذا الفائض فى اكثر من مكان لتوزيع المخاطرومن ضمن هذه الاماكن لابد أن يستثمروا فى المنطقة العربية .. وفى مشروعات عملاقة [مضمونة طبعا] لان هذا هو الضمان الحقيقى لاستقرارهم الاقتصادى ، ولاستقرار العائد الذى يعيشون منه بعد عشرين او ثلاثين سنة حين ينفذ البترول .

فاذن ، نحن لا نتكلم عن تصورات خيالية ، هذا الكلام الذى أقوله يلمس وترا حساسا عند هذه الدول لكى تشعر بالاستقرار والامن الاقتصادى والسياسى فى المستقبل القريب .. فاذا كان هذا هو فهمنا للانفتاح الاقتصادى ، وللاستفادة من الاستثمار العربى والاجنبى ، فسيترتب على هذا اننا لما نضع قانونا لاستثمار رأس المال العربى والاجنبى سنضعه على أرضية تختلف عن التصور الموجود فى القانون الحالى ، لانه موضوع على أساس الاعتماد على الحركة التلقائية للسوق ،

والتى لن تؤدى الى النتيجة التى يتصـورها البعض ..

قد نقول ان مصر تختلف عن زائيرى أو عن غانا .. لان عندنا حاجات تختلف وتجتذب رأس المال الاجنبى .. فعلا عندنا تقدم نسبى فى الهياكل الاساسية ، وعندنا عمالة فنية متقدمه ، ولكن هذا موجود فى الهند .. والهند لم تعمل تأميمات ولا حاجات تخوف ، والهند فيها قطاع خاص رهيب وقوى ، وقد سعت الهند بكل الوسائل لاجتذاب رأس المال الاجنبى والنتيجة حكومة الهند تعرفها تمام المعرفة . ولذلك اضطرت ان تقيم تخطيطاتها الان على أسس مختلفة ..

طبعا قد لا يؤخذ بالتصور الذى أقدمه لطريقة استخدام رأس المال العربى والاجنبى ، ونحن الان أمام مشروع قانون أريد أن اتناول باختصار شديد بعض القضايا الاساسية التى فى مشروع القانون ..

انا بالقطع ممن أزعجهم موضوع السماح بالمساهمة الاجنبية فى البنوك التجارية ، لكن لن استطرد فى هذه النقطة بعد الكلام الذى قيل .. وموافق تماما على الكلام الذى قيل فى معارضة هذا الاقتراح ..

النقطة الثانية : بالنسبة للمجالات الاخرى للاستثمار .. انا حقيقة أتحفظ بالنسبة للمجالات التى لا تحقق عائدا من النقد الاجنبى .. وتصدر مع ذلك أرباحها للخارج بالنقد الاجنبى .. هذه مسألة لازم تحسب بدقة ، والا ممكن نطلع من عملية الاستثمار الاجنبى بخسارة .. وينطبق علينا ما ينطبق حاليا على مجموع الدول النامية فى الارقام التى تفضل الدكتور رضا وقالها ، وحيث يخرج من هذه البلاد نتيجة الاستثمار الاجنبى أكثر مما يدخلها .

فمشروعات زى مشروعات النقل جزء كبير من الدخل الذى تحصل عليه سيكون بالجنيه المصرى ، وخاصة اذا سمح لها بالعمل فى النقل البرى الداخلى .. ثم سيحول هذا العائد بالنقد الاجنبى .. نفس الشىء بالنسبة للاسكان فوق المتوسط . وهذا الموضوع .. موضوع الاسكان فوق المتوسط يستوقف النظر ... طيب ... لا مانع عندى أن الاقتصاد المصرى يتحمل شيئا من التضحية ، ويصدر العائد بالنقد الاجنبى ورغم ان الموارد بتاعة الاسكان بالجنيه المصرى ، لو أن هذا الاستثمار العربى يشتغل فى المشاريع التى أنا محتاجها لحلت حقيقة مشكله الاسكان .. ولكن مشروع القانون يتحدث عن الاسكان فوق المتوسط الذى هو أقل انواع الاسكان اختناقا اليوم فى مصر .. يعنى ــ الان ــ القطاع المصرى الخاص فى مجال الاسكان يتجه فى أغلبيته الى الاسكان فوق المتوسط ، يعنى الشريحة أو الفئة الاجتماعية التى تستفيد من الاسكان فوق المتوسط هى أقل الفئات الاجتماعية احساسا بمصيبة الاسكان ، ومع ذلك نريد أن نشجع رأس المال العربى بالذات فى هذا المجال ، وحتى اذا لم نستفد من هذا النوع من الاسكان علينا أيضا اننا نعطى له فلوسه بالنقد الاجنبى .. هذه مسألة غير مفهومة اطلاقا .

مسألة ثالثة خاصة بان يكون من المجالات التى يسمح فيها للاستثمار الاجنبى والعربى مشروعات استصلاح واستزراع الاراضى .. هذا الكلام أفهمه فى السودان .. يعنى ناس عندهم أرض ليست مستغلة على الاطلاق ، وبأقل قدر ممكن من التكاليف تنتج . لكن انا بالنسبة لى ماذا يعنى فى مصر استزراع الاراضى ؟ يعنى أن المشروع بتاع السد العالى اللى كلفته ٤٠٠ مليون جنيه يتحول الى مجرد خدمة للاجانب يستفيدوا بيه وياخدوا عائد استصلاح واستزراع الاراضى .. ان مشروع السد العالى مشروع قومى هائل ، وكلنا تحمل أعباء ومشاكل اقامته ، فكيف اسمح بأن يذهب جزء من عائده الى شركات يمتلكها الاجانب ؟ . هذه مسألة حقيقية تستوقف النظر تماما ..

مسألة أخرى .. النقطة التى تعرض لها الزملاء ، والخاصة بالنص على عدم التأميم ، هذه المادة اريد ان اناقشها من منطق من يحرصون على طمأنة رأس المال الاجنبى .. اذا كانوا يقصدون بهذا النص مزيدا من طمأنة رأس المال الاجنبى فالصحيح أن هذا النص سيزعج جدا رأس المال الاجنبى ، لسبب بسيط لانه سيفهم اننا بنقول أى كلام .. فالمطلوب ــ حتى بمنطق المستثمر الاجنبى ــ أن أقدم له ضمانات يشعر هو انها فعلا معقوله ، ولما أقولها يبقى هذا الكلام بالفعل قابل للتنفيذ .. ولكن الضمان ضد التأميم المستثمر الاجنبى يعلم انه غير معقول .. لو اخذنا قانون الاستثمار ، على انه عبارة عن مواد نقدمها ــ وقت أن نشاء ونسحبها وقت أن نشاء ، فلن يأتى أى قدر من رأس المال الاجنبى .

واذا كان الامر ليس كذلك فلابد أن ندقق فى الضمانات التى نقدمها ، ونكون متأكدين أن كل كلمة نقولها نعنيها ، وبالفعل سننفذها . ولذا يجب

أن تكون كلماتنا معقولة ليصدق المستثمر الاجنبى اننا سنحترمها ٠

ان هذا القانون غير عادى ، بل هو قانون استراتيجى يعيد صياغة أوضاع اقتصادية سوف تستمر لسنين ٠

هذا القانون حين نقره من الصعب جدا انك تغيره ، حتى لو فيه حاجة غلط حتى لا تهتز الثقة ٠٠ ولذلك هذا القانون ينبغى أن يناقش أوسع مناقشة ولا ينبغى أن نتعجل فى اصداره على وجه الاطلاق .. وانا آسف على اطالة الحديث وأشكركم ٠٠

● د٠ حامد السايح :

متشكرين للاخ **عادل حسين** ... الحقيقة القى أضواء كثيرة على المشروع خصوصا من ناحية العدالة الاجتماعية ٠ هو اضاف بعدا جديدا على المناقشة بكلام على توزيع نتائج وثمار مثل هذا القانون ٠٠ ومن شدة حرصه على هذا القانون أوضح انه يستلزم بحث طويل أكثر مما يتاح معنى ذلك انه لا مانع من ناحية المبدأ ، لكن يجب أن يكون فيه دقة أكثر فى تحديد المجالات ٠٠

● محمد صادق :

أرجو قبل ان نسير قدما فى شرح القانون أو فى تنفيذه ان نصلح جهازنا الداخلى لنكون قدوة فى جميع القطاعات بمعنى انى لا أطلب من المستثمر الاجنبى ان ينشىء عمارة ٤٠ دورا او ٦٠ دورا وهناك مشكلة مياه لا تطلع الدور السابع. لا اقدر أتكلم عن عمل شركة مصاعد اجنبية ،وهناك مشكلة قطع التيار الكهربى لا أقدر أقول اننى انشىء مدينة غرب القاهرة او شرق القاهرة ٠٠ بينما المواصلات أو التليفونات فى وسط القاهرة لا تستجيب الا بعد ساعات ٠٠ المشاريع التى نعملها لازم تكون سليمة ٠ يعنى عملنا مصنع الحدد والصلب وادينا ضمانات للمستثمر ان يكون العائد ٤ فى المائة من رأس المال يعنى ٨ قروش للسهم بعد خمس سنين نزل قيمة السهم من ٢ جنيه الى ٨٠ قرشا او ٧٨ قرشا .. كيف يأتى المستثمر العربى أو الاجنبى والمشروعات الحيوية غير ناجحة ٠٠ لازم قبل كل هذا أقوم جهازى الداخلى علشان أكون نموذج

● د٠ حامد السايح :

فى الختام .. نشكركم جميعا على مساهمتكم القيمة وواضح جدا ان احنا مجمعين على ان التعاون مع العالم الخارجى ضرورى جدا لدفع عجلة النمو ، وان استثمار رأس المال الاجنبى والعربى أحد وسائل هذا التعاون ولكن بضوابط معينة .. شكرا

قانون الاستثمارات فى مجلس الشعب

استكمالا للخدمة التى تقدمها الطليعة الى قرائها اهتمت الطليعة :

(١) بان تقدم عرضا موجزا لاهم احكام قانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى ، والتعديلات التى كانت قد اقترحتها اللجنة الخاصة التى شكلها مجلس الشعب لدراسة مشروع القانون وتقديم تقرير عنه الى المجلس ٠

(٢) وبان تقدم – فى الوقت نفسه – عرضا موجزا للمناقشات التى جرت يوم الاحد ٩ يونيو فى مجلس الشعب حول بعض مواد القانون ٠

أولا : استعراض موجز لاهم أحكام القانون

فى جلسة الاحد ٩ يونيو الماضى ، اقر مجلس الشعب مشروع قانون « استثمار رأس المال العربى والاجنبى والمناطق الحرة » ٠ وهو المشروع الذى قدمته الحكومة الى المجلس ٠

وكان المجلس قدشكل – قبلذلك – لجنة خاصة برئاسة د ٠ جمال العطيفى وكيل المجلس لدراسة المشروع وتقديم تقرير عنه الى مجلس الشعب ٠ وتكونت اللجنة الخاصة من اللجنة التشريعية : واللجنة الاقتصادية ، ولجنة الخطة والموازنة ، ولجنة القوى العاملة ٠ واشترك فى مناقشات اللجنة د ٠ عبد العزيز حجازى النائب الاول لرئيس الوزراء ، ووزير المالية ، ووزير التأمينات ، ووزير الدولة لمجلس الشعب ، ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، ووزير الاسكان والتعمير ووزير التجارة الخارجية ٠

وفى بداية مناقشة المشروع ، استعادت اللجنة ما جاء فى ورقة اكتوبر او فى ميثاق العمل الوطنى عن مبدأ الاستعانة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالاستثمارات العربية والاجنبية ، وخلصت من ذلك الى أن هذا المبدأ تقرر فى الوثيقتين السياسيتين اللتين تحكمان العمل الوطنى ٠

ثم انتقلت اللجنة بعد ذلك الى مناقشة المشروع من حيث المبدأ ، فلاحظت ان الحصول على موارد خارجية لاستخدامها فى التنمية يتخذ صورا مختلفة ٠ فهو يبدأ بالمعونات غير المشروطة ، والقروض ،

وينتهى بقبول الاستثمار المباشر لرأس المال الاجنبى . وان المشروع المعروض يتعلق بالاستثمار المباشر أى بانشاء مشروعات مصرية يشارك فيها رأس المال العربى والاجنبى . والمفهوم ، فى ذلك، ان تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة فى المرحلة القادمة ، سيظل ملتزما بالترتيب الخاص بأولويات الاستعانة باشكال الحصول على الموارد الخارجية طبقا لما ورد فى ورقة اكتوبر ، حينما قالت ان الميثاق قد اوضح أننا نقبل المساعدات غير المشروطه والقروض كما نقبل الاستثمار المباشر فى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة وان هذا بالدقة هو خطنا .

ومضت اللجنة تقول فى تقريرها :

وتقديرا للاحتياجات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة بعد حرب اكتوبر رجعت اللجنة الى البيانات الاقتصادية والمالية التى قدمت للمجلس بمناسبة مناقشة مشروع موازنة الدولة عن عام ١٩٧٤ ، ومشروع خطة التنمية عن نفس العام ، والى تقارير لجنة الخطة بالمجلس، وما أوضحته الارقام عن مشاكل الطاقات المعطلة وظهور اختناقات فى النقد الاجنبى ، وانخفاض الحصيلة الصافية للعائد الاقتصادى للتنمية ، واهمية الحصول على موارد خارجية — بالاضافة الى تعبئة شاملة للموارد المحلية — وذلك لزيادة حجم الاستثمارات الذى لم يجاوز فى عام ١٩٧٤ مبلغ ٥٦٤ مليونا من الجنيهات وذلك رغم زيادة المساهمات العربية ، والتسهيلات الائتمانية ، بينما أن الارتفاع بمعدلات التنمية يحتاج الى استثمارات قد تصل الى حوالى الف مليون جنيه ، هذا فضلا عما يحتاج اليه تعمير مدن القناة .

وذكرت اللجنة أن الاقتصاد المصرى قد تحمل ، فى السنوات السبع الماضية ، أعباء جساما فرضتها معركة التحرير ، وما ادى اليه عبء الانفاق العسكرى من الهبوط بمعدل التنمية فى مصر من ٦ر٧٪ فى عام ١٩٦٧ الى أقل من ٥٪ سنويا بعدها ، فضلا عن الاسباب الاقتصادية العامة المتعلقة بارتفاع الاسعار ، وهو ما يجعل من قضية التنمية بالنسبة لنا قضية حياة أو موت على حد تعبير ورقة اكتوبر .

وبعد ان استعرضت اللجنة التطور التشريعى لتشجيع الدولة للاستثمارات الاجنبية المباشرة لخدمة التنمية الاقتصادية منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى الان لاحظت أن المشروع المقدم يستكمل ما اثبتته الادرية العملية من قصور ، وأنه يقوم على مبادىء سبعة ، اجملتها مذكرته الايضاحية فى :

١ — ضمان تحقيق مصلحة مشتركة للاقتصاد القومى والمستثمر العربى والاجنبى .

٢ — افساح المجال لمشاركة رأس المال الوطنى العام والخاص مع رؤوس الاموال العربية والاجنبية .

٣ — تهيئة المناخ المناسب لتسهيل انتقال رؤوس الاموال العربية .

٤ — تهيئة المناخ المناسب لقيام مركز مالى ونقدى فى جمهورية مصر العربية يتمشى واحتياجات المنطقة العربية لهذا النوع من النشاط ويساعد على توفير فرص توظيف الاموال العربية فى المنطقة العربية ذاتها .

٥ — تقديم ضمانات كافية ضد المخاطر غير التجارية وحوافز مناسبة لتشجيع الاستثمار .

٦ — تخطى المعوقات الإدارية والاجرائية التى تؤثر على نمو حجم الاستثمار .

٧ — منح الاولوية للمشروعات التى تساعد على زيادة موارد البلاد من العملات الاجنبية وكذلك المشروعات التى تجلب معها تكنولوجية متقدمة .

كما لاحظت اللجنة ان الاحكام الاساسية لمشروع القانون تتضمن ماياتى :

١ — تحديد المقصود بالمال المستثمر وتحديد مجالات الاستثمار بما يخدم اهداف خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ — تقرير الاعفاءات الضريبية والجمركية التى تمنح لرأس المال المستثمر والمزايا والتسهيلات الاخرى المتعلقة بتحويل النقد والاستيراد .

٣ — اجازة اعادة تصدير رأس المال المستثمر والارباح الصافية بشروط معينة .

٤ — نظام هيئة استثمار المال العربى والاجنبى التى تبحث طلبات الاستثمار وتهيمن على المناطق الحرة .

٥ — التسهيلات والاعفاءات التى تقرر للمشروعات التى تنشأ فى المناطق الحرة .

وانتهت اللجنة من مناقشاتها العامة الى الموافقة على المشروع المقدم من الحكومة من حيث المبدأ على ان تلتزم فى نظر احكامه التفصيلية بضوابط ثلاثة هى:

١ — الارتباط بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ — التزام مبادىء المواثيق الاساسية وأحكام الدستور .

٣ — الموازنة بين الفائدة التى تعود على المستثمر العربى والاجنبى ، وبين الفائدة التى تعود على الاقتصاد القومى.

وفى ضوء هذه الضوابط الثلاثة ادخلت اللجنة بعض تعديلات على أحكام المشروع. واذا استعرضنا خلاصة لاهم احكام المشروع مرتبة حسب موضوعاته ، وبينا أهم التعديلات التى ادخلتها اللجنة عليه نرى الاتى :

بالنسبة لرأس المال المستثمر :

لعل أهم اضافة ادخلتها المشروع المعروض هو النص على تمتع المال المستثمر وفقا لاحكام هذا القانون بالضمانات والمزايا المنصوص عليها فيه أيا كانت جنسية مالكه أو محل اقامته (المادة ٦) وهذا النص يسمح للمصريين الذين يستثمرون مايحصلون عليه من أموال فى الخارج فى أحد المشروعات بالاستفادة من حكم هذا القانون .

كما ان المشروع قد اضاف الى تحديد رأس المال المستثمر ، النقد الاجنبى المحول المستخدم فى شراء أرض فضاء أو عليها مبان لتشييد عقارات عليها ، طبقا لاحكام هذا القانون، ولو كان قد تم شراؤها قبل الحصول على موافقة مجلس ادارة الهيئة متى كان الشراء قد تم فى تاريخ لاحق على سريان القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧١ وهو القانون القائم .

والمفهوم من ذلك انه لكى ينتفع المستثمر بهذا الحكم فان عليه أن يراعى الاحكام التى ينص عليها هذا القانون فيما يتعلق بشراء العقارات ، مثل الا يكون الشراء بقصد المضاربة ، بل بقصد البناء أو اعادة البناء وأن يتم البناء خلال المدة المحددة ، والا يكون الشراء منصبا على أرض زراعية أو قابلة للزراعة .

الاستثمارات الاجنبية فى المصارف

ولعل اهم اضافة فى تحديد مجالات الاستثمار هى السماح بشركات الاستثمار التى تهدف الى توظيف الاموال وكذلك بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال وشركات اعادة التامين التى يقتصر نشاطها على العمليات التى تتم بالعملات الحرة .

وقد لاحظت اللجنة الفارق بين نشاط بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال من ناحية وبين نشاط البنوك التجارية من ناحية أخرى . فبنوك الاستثمار وبنوك الاعمال لا تتعامل الا بالعملات الحرة ، ونشاطها يتناول الاهداف الاستثمارية فى مجالات التنمية التى ينص عليها هذا القانون كما انها يمكن أن تسهم فى تمويل التجارة الخارجية وأن تقوم بنفس العمليات التمويلية التى تستعين فيها بمثيلاتها فى الخارج . فهى لذلك قد لقيت من المشروع معاملة خاصة وأجيز لرأس المال العربى أو الاجنبى أن ينفرد فيها ، أما البنوك التجارية فانها بنوك تقوم بعمليات بالعملة المحلية ولذلك فقد اشترط المشروع أن تتخذ شكل مشروعات مشتركة مع رأس مال مملوك لمصريين لاتقل نسبته عن ٥١٪ أى ان تكون غالبيته لمصريين .

مشروعات الاسكان :

كذلك ينص المشروع فى صيغته الاصلية

على أن مشروعات الاسكان الادارى وفوق المتوسط ومشروعات الامتداد العمرانى تعتبر من مجالات الاستثمار الاجنبى . وترى اللجنة أن المشروع قد أحسن بوضع الضوابط الاتية :

(أ) أنه لا يعتبر شراء مبنى قائم فعلا أو أرض فضاء مشروعا فى مفهوم هذا القانون الا اذا كان ذلك بقصد البناء أو اعادة البناء . وهو بهذا قد استبعد عمليات المضاربة التى ترمى الى الاستفادة من فروق الاسعار .

(ب) أنه اشترط أن يتم البناء خلال المدة التى يحددها مجلس ادارة الهيئة ودون التزام من الدولة باخلاء تلك العقارات .

(ج) أنه أكد على أن نزع ملكية العقارات لاقامة مشروعات استثمارية لايكون الا اذا تقرر اعتبار تلك المشروعات من أعمال المنفعة العامة (المادة الخامسة)

(د) أنه قصر مشروعات الاسكان التى تقام بغرض الاستثمار ، على راس المال العربى دون الاجنبى ، سواء أكان منفردا أو بالاشتراك مع راس المال المصرى .

(هـ) أنه فرق فى تحويل عائد استثمار العقارات المبنية بين ما اذا كان الايجار يدفع بعملة أجنبية ، ففى هذه الحالة يمكن تحويل العائد كاملا ، أما اذا كان بعملة محلية فلا يسمح بالتحويل الافى حدود ٦٪ من المال المستثمر مع اجازة اعادة استثمار ما لا يتم تحويله فى حدود ٦٪ أخرى (المادة ٢٢ فقرة ثالثة) سنويا ، وقد رأت اللجنة أن تكون اعادة الاستثمار فى المجالات الاخرى التى ينص عليها المشروع .

والمفهوم أن التسهيلات التى تمنح لرأس المال العربى لبناء العقارات مرتهنة بما يستورده من رأس مال بالعملة الحرة لهذا الغرض .

(و) أن هذه العقارات غير معفاة من الضريبة على العقارات المبنية وملحقاتها .

ومن المفهوم أن الاستثمار فى مجالات الاسكان يقتضى ان يتم استيراد مواد البناء الاساسية من الخارج حتى لايؤثر ذلك على احتياجات الاستثمارات المحلية فى المبانى .

استصلاح الاراضى البور :

وقد لاحظت اللجنة ايضا أن من بين مجالات الاستثمار التى أشار اليها مشروع القانون ، استصلاح الاراضى البور واستزراعها بطريق الايجار طويل الاجل (المادة الثالثة بند (٢)).

ولاحظت اللجنة أن هذا النص قد التزم ما هو مقرر فى القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ ، من عدم السماح بتملك غير المصريين للاراضى الزراعية وما فى حكمها ، الا فيما يتعلق بحالات محدودة خاصة ببعض الرعايا العرب (القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ بالنسبة للفلسطينيين مؤقتا والقانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٧٢ بتقرير حق المتمتعين بالجنسية الليبية فى تملك العقارات بجمهورية مصر العربية) .

غير أن اللجنة قد استحسنت أن يكون ايجار الاراضى البور التى يسمح مشروع القانون باستصلاحها واستزراعها ، محددا بأجل معين قدرته بخمسين عاما ، على ان يقبل التجديد لمدد اخرى لاتجاوز فى مجموعها ٥٠ عاما اخرى وذلك بموافقة مجلس الوزراء بناء على طلب الهيئة .

وقد رجعت اللجنة وهى بصدد مناقشة هذا الحكم الى احكام الدستور واحكام قوانين الاصلاح الزراعى ، فلم تجد قيدا يحدد الحد الاقصى للحيازة بالنسبة للشركات . فالمادة ٣٧ من الدستور تنص على أن يحدد القانون الحد الاقصى للملكية الزراعية بما يضمن حماية الفلاح والعامل الزراعى من الاستغلال ، فحكمها مقصور على الملكية دون الحيازة .

ولكن الحد الاقصى للحيازة محدد طبقا لقانون الاصلاح الزراعى بالمادة ٣٧ بعد تعديلها بالقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٦ ، فهى تنص على أنه لا يجوز لاى شخص هو وأسرته التى تشمل زوجته وأولاده القصر أن يحوزوا بطريق الايجار أو وضع اليد أوبأية طريقة أخرى مساحة تزيد على خمسين فدانا من الاراضى الزراعية ومافى حكمها من الاراضى البور والصحراوية .

فهذا النص مقصور على الافراد وفى حكمهم شركات الاشخاص ، ومن ثم فانه يجوز لشركات الاموال التى تنشأ لاستصلاح الاراضى أن تحوز لهذا الغرض اكثر من خمسين فدانا .

واستخلاصا من ذلك تؤكد اللجنة على وجوب مراعاة حكم قانون الاصلاح الزراعى فى هذا الشأن ، فلا يجوز لهيئة استثمار المال العربى والاجنبى أن توافق على مشروعات الإستثمار فى استصلاح الاراضى واستزراعها لمساحات تزيد على خمسين فدانا الا لشركات الاموال التى تنشأ وفقا لمبدأ المشاركة الذى اتخذه المشروع قاعده للاستثمارات .

مبدأ المشاركة :

أخذ مشروع القانون كقاعدة عامة بمبدأ المشاركة بين رأس المال الاجنبى والوطنى (المادة الرابعة) بينما أن القانون الحالى لا يتضمن مثل هذه القاعدة . ومن المفهوم أن هذه المشاركة يمكن أن تتخذ شكل شركة من شركات الاموال أو الاشخاص — غير أن اللجنة رأت أن المشاركة فى المصارف يجب أن تتخذ دائما شكل شركة مساهمة (المادة ١٣ بعد تعديلها) .

وكان النص فى القانون الحالى على عدم جواز فرض الحراسة على المال المستثمر أو تأميمه أو نزع ملكيته الا لمصلحة عامة ومقابل تعويض عادل .

وكذلك فان القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٦ الخاص بالمنطقة الحرة فى بورسعيد ، كان ينص على الا تسرى على رؤوس الاموال الاجنبية المرخص لها بالعمل فى المنطقة الحرة ببورسعيد أحكام قوانين التاميم .

ومع ان التسليم بان حق التاميم يعد من حقوق السيادة المقررة للدولة وأنه يخضع فى ممارسته لاحكام القانون الدولى فان أيراد هذا النص يؤكد سياسة الدولة فى تشجيع الاستثمارات الاجنبية وتوفير الضمانات لها .

ومع ذلك فقد بينت المادة الثامنة من المشروع طريقة تسوية منازعات الاستثمار وجواز الاتفاق على التحكيم .

الاستثناءات :

بعد أن قرر المشروع فى المادة التاسعة اعتبار الشركات المنتفعة باحكام هذا القانون من شركات القطاع الخاص أيا كانت الطبيعة القانونية للاموال الوطنية المساهمة فيها ، وقررت بالتالى ألا تسرى عليها التشريعات واللوائح والتنظيمات الخاصة بالقطاع العام أو العاملين فيها ، عاد فضمن المواد من ١٠ الى ١٥ استثناءات مختلفة من بعض أحكام قوانين العمل والشركات والبنوك والرقابة على النقد والاستيراد به وذلك تحقيقا للمرونة وتجنبا للتعقيدات الادارية أو تقديرا لطبيعتها .

ومن بين هذه الاستثناءات عدم خضوع هذه المشروعات لاحكام القوانين الخاصة بتمثيل العاملين فى مجالس الادارة .

وقد استعادت اللجنة بمناسبة ذلك ما ينص عليه الدستور فى المادة ٢٦ من أن يكون للعاملين نصيب فى ادارة المشروعات وفى أرباحها ، ولاحظت أن المشروع اذ قرر أمكان أن يكون للعاملين فى مشروعات رأس المال الاجنبى نصيب فى الارباح تقرره الجمعية العمومية للشركة (المادة ١٢) ، فانه قد أغفل النص على حكم مماثل بالنسبة للنصيب فى الادارة فرأت اللجنة أن تضيف الى حكم المادة ١٠ من المشروع عبارة تفيد أن يحدد نظام الشركة طريقة اشتراك العاملين فى ادارة المشروع .

وتلاحظ اللجنة أن اشتراك العاملين فى ادارة المشروع يختلف عن تمثيل العمال فى مجالس ادارة وحدات القطاع العام وهو المشار اليه فى الفقرة الثانية

من المادة ٢٦ من الدستور ، فمن الممكن أن يتم اشتراك العاملين فى الادارة عن طريق تشكيل لجان للانتاج أو بأى طريق آخر يحدده نظام الشركة .

كذلك استثنيت هذه المشروعات من احكام القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٦١ الذى يحدد الحد الاقصى للاجور ، ذلك أن سريان هذا الحكم على المشروعات ذات رأس المال الاجنبى قد يكون فيه اجحاف بالعاملين المصريين ، كما أن قوانين الضرائب على كسب العمل وعلى الايراد العام تكفلت بتحديد الدخل الناتج عن العمل ، تحقيقا لما تنص عليه المادة ٢٣ من الدستور من وضع حد أعلى للاجور يكفل تقريب الفروق بين الدخول .

ولاحظت اللجنة بمناسبة نظر المادة ١١ من المشروع أن جميع أحكام قوانين العمل والتامينات الاجتماعية تسرى على العاملين فى المشروع ، على انه قد أجيز أن يكون للمشروع نظام تامينات أفضل . وبطبيعة الحال فان تقدير هذا النظام يخضع لموافقة الجهات المعنية فى التأمينات الاجتماعية .

وقد لاحظت اللجنة أن الفصل الاول من الباب الثالث من قانون الشركات يتضمن تحت عنوان الاحكام الخاصة بالعمال والمستخدمين المواد من ٩٢ الى ٩٤ ، أحكاما منها مثلا الا يقل مجموع عدد العمال المصريين عن ٩٠٪ من مجموع العمال والا يقل مجموع ما يتقاضونه من أجور عن ٨٠٪ من مجموع أجور العمال، والا يقل عدد المصريين المستخدمين فى مصر عن ٧٥٪ والا يقل مجموع مايتقاضونه من أجور عن ٦٥٪ وأجيز استثناء الفنيين من هذه النسبة بقرار من وزير التجارة والصناعة (المالية حاليا) فاستحسنت اللجنة أن تضاف فقرة الى المادة ١١ من المشروع تؤكد سريان الاحكام الخاصة بالعمال والمستخدمين الواردة فى قانون الشركات رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ على جميع المشروعات المنتفعة باحكام هذا القانون أيا كان شكلها القانونى . ذلك أن قانون الشركات رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ مقصور على شركات الاموال بينما أن مشروع القانون المعروض يجيز أن يتخذ المشروع اى شكل آخر مثل شركات الاشخاص . .

الاعفــاءات :

تتمتع المشروعات المنتفعة باحكام هذا القانون بعدة اعفاءات ضريبية كانت مقررة فى القانون الحالى ، وهى اعفاء أرباح المشروعات من الضريبة على الارباح التجارية والصناعية ، واعفاء الاسهم من الدمغة النسبية ومن الضريبة على ايرادات القيم المنقولة وملحقاتها ، ويسرى الاعفاء لمدة خمس سنوات اعتبارا من أول سنة ضريبية تالية لبداية الانتاج أو مزاولة النشاط بحسب الاحوال ، كما يقرر الاعفاء لنفس المدة على عائد الارباح التى يعاد استثمارها فى المشروع [المادة ١٦] .

وكان المشروع ينص على انه يجوز بقرار من مجلس الوزراء مد مدة الاعفاء ثلاث سنوات أخرى اذا اقتضت ذلك اعتبارات الصالح العام ، ولكن اللجنة مع تقديرها لان هناك حالات قد تقتضى منح المشروع مدة اعفاء أطول تشجيعا لبعض أنواع المشروعات أو للاستثمار فى بعض مناطق جغرافية ، رأت أن تعدل صياغة النص لتكون أكثر اتساقا مع حكم المادة ١١٩ من الدستور التى تنص على الا يعفى أحد من أداء الضرائب الا فى الاحوال المبينة فى القانون .

كما ينص المشروع فى نفس المادة ١٦ على أنه يجوز بقرار من وزير المالية بناء على طلب الهيئة اعفاء الالات والمعدات ووسائل النقل اللازمة لبعض المشروعات من الضرائب والرسوم الجمركية ، وقد عدلت اللجنة صياغة هذا الحكم بما يتفق وحكم الدستور وقانون الجمارك .

كذلك تعفى من الضريبة العامة على الايراد ، الارباح التى تؤول الى الشركاء فى المشروع بحد أقصى قدره ٥٪ وهذا الاعفاء جديد وتبدو أهميته بالنسبة للاشخاص الطبيعيين وهم الذين يخضعون للضريبة العامة على الايراد ، ذلك انه ما لم يقرر لهم هذا الاعفاء فانهم لن يستفيدوا من الاعفاء المقرر على ضريبة الارباح التجارية والصناعية لان سعر الضريبة العامة على الايراد يصل عند الشريحة التى تزيد على عشرة الاف جنيه الى ٩٠٪ . ومع ذلك فيلاحظ أن هذا الاعفاء لا يجوز أن يتجاوز ٥٪ من حصة الممول فى المال المستثمر . [المادة ١٧]

تصدير رأس المال وتحويل الارباح:

تضمن المشروع عدة مزايا للمشروعات المنتفعة باحكام هذا القانون خاصة بتحويل حصة من مرتبات واجور الخبراء الاجانب وخاصة اعادة تصدير رأس المال أو التصرف فيه بموافقة مجلس ادارة الهيئة وبتحديد القواعد الخاصة بتحويل عائد الاستثمار بحيث أصبح من الجائز أن يسمح بتحويل صافى الارباح السنوية فى بعض الحالات [المواد من ٢٠ الى ٢٢].

غير أن المشروع فى المادة ٢٢ لا يلزم بتحويل عائد الاستثمار بالنسبة للمشروعات التى تقل قيمتها الكلية عن خمسين الف جنيه وهو حكم جديد أساسه أن مثل هذه المشروعات الصغيرة ليست هى المتغياة من هذا القانون وأن استثمار هذه المشروعات يخضع للقواعد العامة الاخرى .

واللجنة تقدر انه وقد اجاز المشروع اعادة تحويل رأس المال والتصرف فيه وتحويل صافى الارباح وتحويل حصة من أجور الخبراء والعاملين الاجانب ، فان على مجلس ادارة الهيئة أن يتحقق دائما من جدية التحويلات وملاءمتها ونسب الاستهلاك للاصول الراسمالية ، كما أن عليه دائما أن يراعى الاولويات المقررة فى هذا القانون وحاجة الاقتصاد القومى عند الموافقة على أى مشروع استثمارى جديد ، وأن يضع من الوسائل ما يمكنه فى مواعيد دورية من تقدير الفائدة التى عادت على الاقتصاد القومى من هذه الاستثمارات ومقدار ما حققته من عملات حرة وما اضافته الى الاقتصاد القومى .

ثانيا : المناقشة فى المجلس

دارت فى المجلس مناقشات مستفيضة تركز معظمها حول المادة الثالثة التى تضمنت ٦ بنود . وتنص المادة ٣ على أن يكون استثمار رأس المال العربى والاجنبى فى جمهورية مصر العربية لتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى اطار السياسة العامة للدولة وخطتها القومية . على أن يكون ذلك فى اطار المشروعات التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة ، وتحتاج الى رؤوس أموال أجنبية ، وفى نطاق القوائم التى تعدها الهيئة ويعتمدها مجلس الوزراء وذلك فى المجالات الاتية :

١ ـ التصنيع والتعدين والطاقة والسياحة والنقل وذلك فى نطاق القوائم التى تعدها الهيئة ويعتمدها مجلس الوزراء .

٢ ـ استصلاح الاراضى البور واستزراعها ومشروعات تنمية الانتاج الحيوانى والثروة الحيوانية .

٣ ـ مشروعات الاسكان ومشروعات الامتداد العمرانى .

٤ ـ شركات الاستثمار التى تهدف الى توظيف الاموال .

٥ ـ بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال وشركات اعادة التامين .

٦ ـ البنوك التى تقوم بعمليات بالعملة المحلية متى كانت فى صورة مشروعات مشتركة مع رأس مال محلى مملوك لمصريين لا تقل نسبته فى جميع الاحوال عن ٥١٪ .

وتركزت مناقشات الاعضاء حول البنود ١ ، ٢ ، ٦ .

فبالنسبة للبند [١] كانت هناك فى نص مشروع القانون المقدم من الحكومة عبارة « وغيرها من المجالات » . وقد حذفتها اللجنة . الا أنه عند نظر

المشروع أمام المجلس تمسك العضو مصطفى كامل مراد – مقرر اللجنة – بالعبارة كما وردت فى مشروع الحكومة على اعتبار ، أن اضافة هذه العبارة تعطى الحكومة مرونة أكثر . وانضم اليه فى هذا الرأى الاعضاء : محمد خليل حافظ وكمال صقر وسيد جلال .

وطلب د . عبد العزيز حجازى الموافقة على النص كما ورد من الحكومة على أساس أن الضوابط الخاصة بالاستثمارات قد نوقشت فى المجلس أكثر من مرة وتأكدت . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان مصر تعمل اليوم فى مشروع قمر صناعى على مستوى الامة العربية . « فهل يمكن بمقتضى النص الذى اقرنه اللجنة الحيلولة دون اقامة مثل هذا المشروع . بالطبع لا » .

وهنا سأل العضو د. محمود القاضى:

أن النص كما أقرته اللجنة يقول :

« التصنيع والتعدين والطاقة والسياحة والنقل ، ومن المفهوم طبعا ان المقصود بالطاقة هو أستخراج البترول ، ولكن هل يشمل النص أيضا اقامة محطات كهرباء ، وهى مرافق عامة « وهل يمكن قبول ابستثمار نقد أجنبى فى شركة أتوبيس للنقل فى القاهرة :

ولما اجاب د . حجازى بالايجاب . عقب د . القاضى بقوله :

– اذا كان ذلك فاننى أرفض هذا النص .

وعند أخذ الرأى على البند [١] وافق المجلس عليه كما ورد فى مشروع الحكومة .

وعند مناقشة البند الثانى من المادة ٣ « استصلاح الاراضى البور واستزراعها ومشروعات تنمية الانتاجالحيوانى والثروة المائية » اقترح العضو محمد عبد السلام الزيات ان تضاف فقرة اخرى الى البند تنص على أنه لا يجوز الموافقة على مشروعات استثمار استصلاح الاراضى واستزراعها لمساحات تزيد على خمسين فدانا ، الا لشركات الاموال التى انشئت وفقا لمبدأ المشاركة المنصوص عليه فى المادة ، من هذا القانون . وقال الزيات أن اقتراح هذه الاضافة يرمى الىمراعاة حكم قانون الاصلاح الزراعى بحيث يحول دون قيام أسرة واحدة ، بالاشتراك مع رأس مال عربى واجنبى ، بان تستزرع أو تؤجر مساحة كبيرة ، مما قد يعيد صورة من صور الاقطاع العائلى التى قضى عليها .

وعلق د. جمال العطيفى رئيس اللجنة المشتركة التى نظرت هذا المشروع فاشار الى المقصود بالاستثمارات فى هذا البند الاستثمارات الضخمة والواسعة التى تصل فى بعض الاحيان الى مائة الففدان تستثمرها شركات أجنبية مستخدمة فى ذلك أساليب العلم الحديث والتكنولوجيا.

ووافقت الحكومة على التفسير الذى قدمه رئيس اللجنة .

وفى البند الثانى ، ايضا اقترح العضو ابو سيف يوسف أن يستبعد من النص استزراع الاراضى البور وتربية الانتاج الحيوانى . وأن يقتصر النص على استصلاح الاراضى ومشروعات الثروة المائية . وشرح رأيه بأن النص المعروض يتناقض مع جوهر الاصلاح الزراعى كما جاء فى ميثاق العمل الوطنى . فالميثاق حدد أن المواجهة الثورية لمشكلة الارض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك » . وعندما تحدث الميثاق عن ضرورة الامتداد الافقى عن طريق استصلاح الاراضىالبور فانه حدد الهدف – من ذلك – بأن هناك اليوم كثيرا ممن ينتظرون دورهم ليملكوا فى أرض وطنهم . فجوهر الاصلاح الزراعى يقوم أولا على قاعدة توسيع الملكية ، وثانيا : على توزيع مايستصلح على الفقراء والمعدمين . لذلك فان تكوين شركات تحوز عشرات الالوف من الافدنة فيه مصادرة على حق الفقراء من الفلاحين فى أرض وطنهم .

ورد د. حجازى : أن الدولة قامت باستصلاح مليون فدان وهى فى سبيل استصلاح ٢٥٠ ألف فدان أخرى. وهناك جزء من الاراضى المستصلحة مجاور للقرى وتم تمليكه . وهناك جزء آخر تم تأجيره ، ويحسن المحافظة على تأجيره فى شكل تعاونيات خاصة . والاصل أن الملكية ، ملكية خاصة ، وتعاونية ، وملكية عامة . وهذا النوع الثالث سيحتفظ به فى يد القطاع العام مهما كانت المواثيق تتضمن [نصوصا أخرى] لانه لا تعارض فى ذلك . وهذه الارض التى تظل فى أيدى القطاع العام [كمديرية التحرير] لا يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أو خمسة أفدنة ونوزعها ، لاننا ان فعلنا ، فستكون النتيجة اضاعة الاقتصاد القومى . والهدف من الاحتفاظ بها ضمان التصنيع والتصدير . بالاضافة الى أن بقاءها فى يدالدولة يضمن موازنة انتاج واسعار المحاصيل فى البلاد .

وقال د . حجازى :

ان ملكية الارض قائمة . ونحن نقول بتملك الاراضى البور المتخللة . وعندما زار الرئيس السادات منطقة القناة اتضح أن بعض الفلاحين يقومون على استصلاح أراض مجاورة لقراهم ، فقرر الرئيس الموافقة على أن يتملك الفلاحون هذه الارض التى أصلحوها فى حدود خمسة أفدنة .

وفيما يتعلق بالانتاج الحيوانى فقد عرض على الحكومة مشروعان فى مساحة ٣٠٠ ألف فدان غرب النوبارية . الاول لتربية الحيوان والثانى لتصنيع الانتاج الحيوانى . ولابد أن نعترف باننا فشلنا بالنسبة لموضوع تنمية الانتاج الحيوانى فى مصر . فهل يجوز أن نرفض احد هذين المشروعين . بالطبع لا. ومضى . د . حجازى يقول :

وقد عرض علينا المستثمرون اليابانيون أن يستصلحوا ويستزرعوا مساحة نصف مليون فدان فى الاراضى الصحراوية علما أن يستخدموا كل خبرتهم فى البحث عن المياه الجوفية مع تحملهم كافة اعباء البحث كما يحدث فى مشروعات البحث عن البترول . فهل نرفض هذا ؟ ان المسائل الاقتصادية لا جمود فيها .

وأخيرا ، وافق المجلس على نص البند ، من المادة ٣ معدلا كالاتى :

« استصلاح الاراضى البور والصحراوية واستزراعها ومشروعات تنمية الانتاج الحيوانى والثروة المائية . ويكون استصلاح الاراضى البور والصحراوية واستزراعها بطريق الايجار طويل الاجل الذى لا يجاوز خمسين عاما ، يجوز مدها الى مدة او مدد لا تجاوز خمسين عاما اخرى وذلك بموافقة مجلس الوزراء بناء على اقتراح الهيئة » .

البنوك التجارية :

وبالنسبة للبند ٦ من المادة الثالثة الذى يقول :

« البنوك التى تقوم بعمليات بالعملة المحلية متى كانت فى صورة مشروعات مشتركة مع راس مال محلى مملوك لمصريين لا تقل نسبته فى جميع الاحوال عن ٥١٪ . وتمنح أولوية خاصة للمشروعات التى تهدف الى التصدير أو تنشيط السياحة او التى تؤدى الىخفض الحاجة الى استيراد السلع الاساسية .

فقد قدم الدكتور محمود القاضى ، وابو سيفيوسفاقتراحا بحذفالبند٦ .

كما تقدم محمد عبد السلام الزيات باقتراحين اقتراح أصلى بحذف البند ٦ واقتراح احتياطى بتعديل هذا البند على النحو الاتى « البنوك التى تقوم بالعملة المحلية متى كانت فى صورة مشروعات مشتركة مع بنوك مصرية مسجلة لدى البنك المركزى المصرى على الا يقل نصيب هذه البنوك المصرية عن ٥١٪ من راس المال المشترك .

واقترح صلاح توفيق استبدال عبارة « مملوك للقطاع العام » بعبارة « مملوك للمصريين » وذلك تدعيما لاشراف المصارف على الاقتصاد القومى وحماية له ولان

القانون كفل حماية مصالح المصريين فى كثير من مواده .

واقترح احمد طه تعديل البند ٦ على النحو التالى « البنوك التى تقوم بعمليات استثمارية بالعملة المحلية متى كانت فى صورة مشروعات مشتركة مع رأس مال محلى مملوك لمصريين والا تقل مساهمة البنوك المصرية عن ٥١ ٪ » .

وقد ورد نفس المضمون فى اقتراحات عمر ابو ستيت ، وزكريا لطفى جمعة ، وانور الشماع ، وكامل الشرقاوى .

وقد شرح د. محمود القاضى لماذا يطالب بحذف البند ٦ من المادة ٣ ، فاشار الى أن محل الاعتراض هو أن تاتى بنوك أجنبية لتعمل فى العملات المحلية وتتلقى ودائع المصريين . ولسنا فى حاجة الى خبرات متطورة فى مجـال البنوك . والخبرات المتطورة التى نحتاجها تـكون فى مجالات التصنيع والطاقة ومجـالات البحث عن البترول . وبالاضافة الى ذلك فان رؤوس أموال البنوك [التجارية] تكون صغيرة بعكس ودائعها الضخمة . اذن فنحن لسنا فى حاجة الى نقد أجنبى لاقامة مثل هذه البنوك .

وفضلا عن ذلك فنحن ملتزمون بمواثيق الثورة . وقد اشارت ورقة اكتوبر الا انها لا تلغى احكام الميثاق . والميثـاق فى موضوع البنوك يعرض رأيا أتمسك به كحكمة عظمى مازالت قائمة ، ولم تقض عليها التطورات العالمية . فالميثاق فى مجال المال ينص على ما يلى :

« يجب أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة ، لان وظيفتها وطنية ، لا تترك للمضاربة او المغامرة ـ كذلك فان شركات التامين يجب أن تكون فى حيز اطار الملكية العامة » .

فالحكمة فى أن المدخـرات المصرية لا تترك فى بنوك خاصة : حتى لو قيل ان ٥١٪ فيها من المصريين مازالت قائمة. حقيقة أن البنك المركزى يمكنه ان يشرف على بعض النواحى المالية المعينة . ولكنه لا يستطيع أن يامر بنكا بان يقرض شخصا ١٠٠٠ جنيه وآخر ٣٠٠٠ جنيـه لان البنك المقرض له مطلق الحـرية فى ذلك . فاذا سمحنا باقامة مثل هـذه البنوك فاننا لن ندرى كيف توجه الاموال المصرية التى ستودع فيها وكيف تستثمر.

بالاضافة ، فان بعض السادة رؤساء البنوك الذين حضروا اجتماعات اللجنـة نشروا فى الصحف والمجلات أن انشاء مثل هذه البنوك يهدد البنوك المصرية بخطر كبير . واضاف د. القاضى انه يمكن أن يتنازل عن اقتراحه بالحذف ويشـارك أعضاء المجلس اقتراحهـم بان يكون الاشتراك ـ كما ينص الميثاق ـ فى اطار الملكية العامة اى ان نسبة الـ ٥١٪ تكون مملوكة لهيئات اجنبية او لبعض شركات القطاع العام .

وشرح محمد عبدالسلام الزيات اقتراحه فانضم الى ما قيل عن مخالفة البند ٦ للميثاق من حيث الشكل . اما من حيث الموضوع فلقد حدد الزيات ما يلى :

١ ـ واضـح ان البنـوك التجارية ستاتى بالعملة المحلية من ودائع المصريين فى المصارف القائمة حاليا . ولما كان لهذه البنوك المقترح انشاؤها من الاستثناءات والمزايا ما يجعلها قادرة على اعطاء عائد أعلى بكثير من العائد الذى تدفعه المصارف المصرية العامة ، فان هـذا سيؤدى بالمصريين الى سحب ودائعهم من المصارف المصرية العامة وايداعها فى هذه البنوك الجديدة .

٢ ـ ان هذه البنوك المقترح انشاؤها ستتمتع بميزات كبيرة تجعلها قادرة على جذب العناصر المتمرسة على الاعمـال المصرفية مما يهـدد مصـارفنا العامة بالضعف .

٣ ـ أن الحكومة تستخدم مدخرات وودائع المصارف العاملة القائمـة فى تمويل خطط التنمية ، وتمويل المشروعات وذلك لانها تابعة للدولة وتملك السيطرة عليها . فاذا ماأقيمت هذه البنوك الجديدة فاننا لن نملك سلطة عليها كتلك السلطة التى نملكها على المصارف المحلية ، لان يدا اجنبية تمتلك جزءا من راسمال هذه البنوك الجديدة .

٤ ـ أن القول بان السماح بهـذا النوع من البنوك سوف يذكى المنافسة « نتيجة استخدام الوسـائل العصرية الحديثة » لا يتفق مع الواقع لان المنافسة تفترض تكافؤ الفرص ، فى حـين ان البنوك الاجنبية التى ستتعامل بالنقـد المحلى سيكون لها امتيازات واعفاءات لا تتمتع بها المصارف المحلية .

وشرح العضو عمر أبو ستيت اقتراحه الخاص بأن تكون ملكية القطاع العام هى التى تتولى ٥١٪ مشاركة رأس المـال الاجنبى ، فاورد النقاط التالية :

١ ـ لو دخلت البنوك الاجنبية بمـا لديها من اسلوب ادارة متقدم وتسهيلات أكثر ، وخدمات أيسر ، وعائد للاموال افضل ، تعطى قروضا بشروط افضل ، فانها ستجذب اليهـا الودائع المصرية والخبرات المصرية .

٢ ـ اذا تركنا المساهمة فى هـذه البنوك للافراد متفرقين ، وليس للقطاع العام ، فمن الممكن ان ينجذب البعض منهم الى كتلة رأس المال الاجنبى فتصبـح الاغلبية له ، وتصبح السيطرة علـى الاموال والودائع ـ لدى هذه البنوك ـ للاجانب . ونحن نعرف ـ دون حرج ـ ان الرأسمالية الاجنبية تسيطر عليهـا الصهيونية فى الخارج .

٣ ـ يجب الا ننسى هنا ان البنوك الاجنبية ـ بعد تاميم قناة السويس ـ امتنعت عن تمويل محصول القطن فى مصر ، مما تسبب فى حدوث ازمة لعلنا نذكرها حتى الآن .

وردا على هذه الاعتراضات ، شرح د . حجازى موقف الحكومة فى النقاط التالية :

١ ـ يجب أن نبدأ من موقع ثقة فى الراسمالية الوطنية فى هذا البلد ، لا من موقع خوف . ويجب ان نبدأ من موقـع ثقة فى الافراد المصريين الذين يودعون أموالهم فى هذه البنوك . نبدأ من موقع ثقة فى منابع الملكية العامة .

وسأل د . حجازى : من أين أتت هذه الملكية العامة ؟ وأجاب : انها أتت فى الجزء الاول منها ، مـن شهادات الاستثمار التى بلغت مائتى مليون مـن الجنيهات ، حصلنا عليها من أفراد هـذا الشعب ، فى السنوات الست العجاف، وقد مكنتنا من أن نشغل المصانع ونبنى المنشآت فى هذا البلد . أما الملـكية العامة ـ فى الجزء الثانى منها ـ فقـد تكونت من أن كل فرد ـ منا ـ يدفع قسطا فى المعاش والتامينات الاجتماعية وقد حصلت الدولة عن هذا الجزء على مائتى مليون من الجنيهـات . فمنبـع الملكية العامة اذن ليس ملكية الدولة ، بل ملكية الشعب ، ملكية الافراد .

٢ ـ كيف نقول أن هناك انفتاحا ، ونطالب الافراد باخراج مدخراتهم وايداعها فى البنوك لاستثمارها دون أن يكون لهم صوت فى الجمعيـات العمومية لهـذه البنوك . ويترك الامر فى الجمعيـات العمومية للبنوك التى أصبحت مجـرد ادارات حكومية تدار بالاسلوب التقليدى، الذى لا يحقق الهدف من الرقابة على المال العام . اننا نريد أن يكون للراسمالية الوطنية نفس الحقوق التى تتمتع بهـا الراسمالية العربية أو الاجنبية .

٣ ـ اننا نطالب بجذب فوائض الاموال العربية فى المنطقـة بانشـاء شركات استثمار عربية ، قد يكون مقـرها فى الرياض وفروعها فى القاهرة واستثمارها فى السودان . ونحن اليوم نحاول توسيع القطاع المصرفى المصرى ، وذلك بفتـح فروع لبنوكنا فى الدول العـربية وفى الخارج . وقد فتحنا فى جدة، ونحاول أن نفتح فى الخليج العربى . ففى منطقـة الخليج فوائض أموال عربية لا يصـح تركها للبنوك الاجنبية ، بل لابد من الدخول الى المنطقة حيث أننا شركاء فى استثمار الاموال ، ولابد أن أعطى لرأس المال الوطنى ، الممثل فى الحكومة او القطاع العام ، الفرصة فى هذا المجال .

٤ ـ ليس من المعقول ان نذهب الى اى بلد ونفتح بها بنوكا تعمل بالعملة المحلية لهذا البلد ثم احرم ذلك عليهم . والا فيمكن ان يعاملونا بالمثل .

٥ ـ اننا اليوم نسمع شكوى من الادارة فى البنوك . فاذا فتحنا بنوك جديدة ، فسوف يعطى هذا قوة دفع للبنوك المصرية . كما أن الاعداد الكثيره من الموظفين غير العاملين ، أو ما نسميه بفائض العمالة فى البنوك المصرية ، يمكن أن نوزعه على وحدات اكثر .

٦ ـ اننا نبحث ، اليوم ، فى البنوك عمن يقومون بدراسة اقتصاديات المشروع . والمفروض أن تلعب بنوكنا دورا فى مناقشة هذه المشروعات . ولكن للاسف سحبنا من بنوكنا الدراسة الاقتصادية للمشروعات ولم يعد هناك خبرة فى هذا المجال . وهذه الخبرة لا تاتى الا من خلال الاحتكاك بالدوائر الاجنبية ، ولذلك طلبنا من بعض المنظمات الدولية [اليونيدو] تدريب فرق من الموظفين على عمل الدراسات الاقتصادية للمشروعات

وختم د. حجازى رده بقوله : لا ارى غضاضة اطلاقا فى اشراك راس المال الخاص ، طالما ان راس المال المحلى له اكثر من ٥١٪ ، وطالما اننا نثق فى الراسمالية الوطنية ، وطالما ان انفتاحنا هو على العالم .

وعند اخذ الرأى على البند ٦ من المادة ٣ :

ـ عرض الاقتراح الخاص بحذف البند فجاء الرأى اقلية .

ـ وعرض الاقتراح الذى يقضى بان تكون نسبة الـ ٥١٪ مملوكة للقطاع العام فجاء الرأى اقلية .

ـ وعرض الاقتراح الذى يقضى بالاتقل نسبة مساهمة البنوك المصرية عن ٥١٪ فى ملكية البنوك التى تقوم بعمليات استثمارية فقط دون العمليات المصرفية الاخرى ، فجاء الرأى أقلية .

ـ وعرض الاقتراح الرابع الذى يقضى بان تكون هذه البنوك مملوكة لمصريين وشركات وبنوك مصرية بحيث لا تقل نسبة اسهامهم فى راس المال عن ٥١٪ ، فجاء الرأى اقلية .

ـ وعرض رئيس المجلس البند ٦ كما اقرته اللجنة دون تعديل ، فوافق المجلس على ذلك .



التنمية أولا والتنمية أخيرا

حول استثمار رأس المال العربى والاجنبى [خصوصا رأس المال الاجنبى] ثارت منذ شهور مناقشات واسعة ، بعد أن طرح الاتحاد الاشتراكى ورقة الحوار [١٩٧٣] . ولقد حدث أحيانا أن اختلفت وجهات النظر واحتدمت ، واشتد احتدامها قبيل ـ وفى أثناء ـ عرض مشروع قانون « استثمار رأس المال العربى والاجنبى » على مجلس الشعب .

وليس فى اختلاف وجهات النظر ، حول هذا الموضوع ، ما يزعج أو يخيف . لاسيما ، اذا وجدت هناك بعض المنطلقات الوطنية التى تستند ـ فيما تستند ـ الى تجارب ٢٢ عاما من عمر ثورة يوليو ، والى أكثر من قرن ونصف قرن من تاريخ الحركة الوطنية المصرية ، كما تستند ايضا وبقوة ـ الى حقائق عالم اليوم .

ان هذه المنطلقات نجدها فى المواثيق الوطنية . وهكذا ، نقرأ فى **ورقة أكتوبر** ان **الميثاق** حدد :

« اننا نقبل المساعدات غير المشروطة والقروض ، كما نقبل الاستثمار المباشر فى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة . **وهذا بالدقة هو خطنا** . فنحن نصدر فى تعاملنا مع رأس المال الاجنبى من واقع استقلال بلادنا السياسى والاقتصادى ، وقدرة الارادة الوطنية الحرة على صياغة مستقبل البلاد . ونرحب بالاستثمار الأجنبى لما يحمله من معرفة تكنولوجية متقدمة نحتاج اليها . وظروف عالم اليوم ، بعد اعادة تشكيل العلاقات الدولية ، وظهور أقطاب متعددة ،

والمكانة التى أصبحت لمصر والعرب بعد حرب اكتوبر ، كل ذلك امور تتيح لنا فرصا للاستفادة من الاستثمار الاجنبى لا يمكن بأمانة الوطنية ان نضيعها » .

هذا ما جاء فى ورقة اكتوبر . وبالنظر فيه ، نجد ان الاستثمارات الاجنبية قد وضعت فى مكانها الصحيح ، وفى الاطار الصحيح ، كاحدى الوسائل التى تتطلبها التنمية المستقلة . وهى اذ تأتى فى الترتيب ، بعد المعونات غير المشروطة والقروض ، فان الحكمة من وراء ذلك لاتخفى على أحد . فانه فى حالتى المعونات والقروض تمتلك الدولة حرية كاملة فى توجيهها الوجهة التى تتفق مع متطلبات خطة التنمية .

ومع ذلك ، فلا خلاف ، على أن بلادنا تحتاج أيضا الى الاستثمارات الخارجية . وهذه قضية يمكن أن يتفق عليها — من حيث المبدأ — قوى اليمين والوسط واليسار فى بلادنا . حتى وان اختلفوا ، وهم فى الواقع مختلفون ، حول مجالات الاستثمار وأولويات استخدامه ، وحول المنهج الكفيل بجذب الاستثمارات العربية ، وحول الاعفاءات والامتيازات التى تمنح لهذه الاستثمارات ، وحول اثر هذا كله على مستقبل خطة التنمية ومكانة ودور القطاع العام فيها .

من الممكن اذن ، أن يوجد هناك اتفاق من حيث المبدأ ، وأن توجد أيضا خلافات جدية ومشروعة تعكس تعدد وتمايز المنطلقات الاجتماعية فى البلاد . لكن الامر الذى أثار القلق تمثل فى تلك المحاولات المحمومة التى اتجهت — فى عدد من الصحف والمجلات وأجهزة الاعلام — الى احاطة قضية الاستثمارات الاجنبية بهالة من المفهومات الغريبة والخاطئة :

١ — من قبيل هذا ، مثلا — ما صور للناس ، على أن الرأسماليين الاجانب يزحفون فرادى وجماعات ، ومعهم مئات وألوف الملايين من الدولارات . وان فى هذا يكمن الحل السحرى لمشكلات الاقتصاد الذى انهكته الحرب الطويلة ، ولكل المشاكل التى يشكو منها المواطن : من مشاكل التموين والنقل الى نظافة شوارع القاهرة .

٢ — واقترن بهذا تشويه ، أو هو نسيان متعمد — لتاريخ ومواقف ثورة يوليو ، حينما صور الامر وكأنها تعمدت أن تنغلق على نفسها ضد الاستثمارات الاجنبية ، وبدون سبب مفهوم . هذا ، فى حين أن وقائع التاريخ ثابتة ، وتدلنا على ذلك أن ثورة يوليو قد وضعت فى ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ — على التوالى — التشريعات التى تشجع على مجىء رأس المال الاجنبى ، وتقدم له التسهيلات الفورية .

لكننا نعلم أن رأس المال الاجنبى لما يأت فى ذلك الوقت بسبب جوهرى هو : أن الاحتكارات العالمية فضلت أن تمارس اساليب الضغط والاحتداد ، وفرض الشروط التى تمس مساسا فاضحا بالسيادة القومية ، وبحق مصر فى القيام بتنمية مستقلة تقوم على تصنيع البلاد .

٣ — وثمة أوساط حاولت أن تعرض نواقص وعثرات القطاع العام — وهى عثرات ونواقص حقيقية — لتبدأ فى محاصرته وتطويقه ، تارة بأسلوب التشنيع عليه ، للانتقاص من دوره القيادى ، وتارة أخرى بالمطالبة بطرح نسبة من اسهمه ليتملكها القطاع الخاص ، وذلك تحت دعاوى اقتصادية مزعومة .

٤ — وامتدت الحملة على القطاع العام عندما طرح شعار غريب هو اعطاء « فرص متكافئة » للقطاعين العام والخاص « ليتنافسا » فى خدمة الاقتصاد القومى . وهو شعار بادى الفساد لانه يطرح ابتداء ، وبكيفية خاطئة العلاقة بين القطاعين ، فضلا عن تعارضه مع المواثيق الوطنية ودستور جمهورية مصر العربية .

٥ — وأخيرا ، وليس آخرا ، فقد تعرض شعار الانفتاح الاقتصادى لتفسيرات وتأويلات ، باعدت بينه وبين الانفتاح كضرورة يمكن ان تسهم — فى وضع دولى وعربى محدد — بازالة عدد من المعوقات على طريق التنمية . وأخذنا نقرأ عن الانفتاح بمفهوم غريب وخطر هو مفهوم العودة الى « الاقتصاد الحر » ، وهى عودة لا تعنى — فى التحليل الاخير — سوى اعادة البلاد الى عهد التبعية الأجنبية ، أيام أن كان يتحكم فى اقتصادها البيوتات الاجنبية والوكلاء التجاريون ، والسماسرة والمضاربون وكل أنواع الطفيليين .

وعلينا أن نؤكد ان هذه المفهومات الخاطئة والضارة لا تزال تحيط بقضية

تشجيع الاستثمارات الاجنبية ، ولا تزال المهمة عاجلة وملحة - بالتالى - لكى توضع الامور فى نصابها ، ولكى تسود مفهومات وطنية وواقعية عن حدود حاجتنا الى الاستثمارات الخارجية ودورها فى الاقتصاد الوطنى .

وفى اعتقادنا ، أن قضية الاستثمارات العربية والاجنبية لابد وأن توضع فى الاطر الفكرية والسياسية والاجتماعية الصحيحة ، اذا أردنا أن تخدم الاستثمارات اقتصادنا القومى ، بل اذا أردنا أن نجذب هذه الاستثمارات بطريقة جادة وفعالة ، وللمصلحة العامة ، لا لمصلحة ضيقة تخدم شرائح اجتماعية معينة .

ونقطة البدء هنا ، هى نقطة منهجية فى المحل الاول . فمن المؤكد اننا نخطىء - فى مناقشة وضع اقتصادى معين أيا كانت صعوباته - عندما نحصر المناقشة فى حدود اقتصادية بحتة ، ضيقة ، بل وحرفية . وعلى سبيل المثال ، لو أخذنا فى مناقشة أسعار السلع المصرية بمقياس الربح والخسارة وحده لقلنا ان تكلفة كثير من المنتجات المصرية اعلى من مثيلتها المستوردة من الخارج . لكن الوقوف عند هذه الحجة - التى ظاهرها حق - يمكن أن يسلمنا على الفور - ومن وجهة نظر اقتصادية بحتة - الى التفكير فى غلق عدد من المصانع الوطنية ، والاكتفاء باستيراد السلع التى تنتجها من الخارج ، بدعوى انها أرخص وأقل تكلفة . ولكننا نعلم ان المسألة ليست بهذه البساطة . فيجب أن ندخل فى الاعتبار أولا ان البلدان النامية - ومنها مصر - لا تمتلك الخبرات التخطيطية والادارية اللازمة ، ولا تمتلك مفاتيح التكنولوجيا العصرية ، وأن غيبة هذه الامور يترتب عليها بالضرورة زيادة تكاليف السلعة المنتجة . فاذا وقفنا عند مقياس « الربح والخسارة فقط » [وليس معنى هذا أن نسقط من اعتبارنا مؤشرات الربح والخسارة ، فلن يكون امامنا سوى الانكماش والامتناع فى النهاية عن توسيع واستكمال قاعدة الصناعات الثقيلة والاساسية .

وعلى العكس من ذلك ، اذا وضعنا المشكلات الاقتصادية فى اطار الاهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تضمنتها المواثيق الوطنية ، فسوف نكتشف أن لكل قضية اقتصادية رئيسية وجهها الاخر السياسى والاجتماعى . بل اننا سوف نكتشف - أكثر من هذا - أن بعض الحلول الاساسية لعدد من القضايا الاقتصادية لا يمكن الوصول اليه الا برفع هذه المشاكل الى المستوى الفكرى والسياسى العام .

وعلى ضوء ما تقدم ، فان القضية الجوهرية ، التى تواجه مصر هى قضية التنمية المستقلة والمتسقة للاقتصاد القومى قبل ان تكون قضية الاستثمارات الاجنبية . ومن هنا يتعين ان توضع قضية الاستثمارات وضعها الصحيح ، أى داخل منظور وطنى وعربى ودولى ولن يكون هناك مفر من هذا اذا التزمنا التزاما بالاهداف الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما تتحدث عنها المواثيق الوطنية .

فى الاطار الوطنى والمحلى :

فى هذا الاطار ، سوف نجد أن المحافظة على القطاع العام ، واطلاق طاقاته الانتاجية ، وبنائه على أسس ديمقراطية وتقدمية ، كل هذا يمثل المهمة التى يجب ان يكون لها الاولوية الحاسمة من قبل الاجهزة السياسية والتشريعية والتنفيذية .

فاذا كان بعض القادة الاقتصاديين قد عبروا - من خلال الندوة المنشورة - عن مخاوفهم ، وطالبوا بأن تكون البنوك الوطنية فى وضع الاستعداد الذى يمكنها من العمل على قاعدة « متكافئة » ، عند مجىء البنوك الاجنبية [خاصة البنوك التجارية] . فان هذا القول لا ينطبق على البنوك وحدها ، بل على القطاع العام كله . وفى هذا ، لابد وأن نضع المؤسسات السياسية والتنفيذية والتشريعية أمامها المهام التالية :

١ - ترشيد القطاع العام مع ضوء خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ - تجديد آلات المصانع وتحديث عمليات الانتاج وفقا لمتطلبات التكنولوجيا العصرية .

٣ـ أن تستكمل الدولة ـ من خلال القطاع العام ـ وتتوسع فى اقامة الصناعات الثقيلة .

٤ ـ دعم الرقابة الديمقراطية داخل وحدات القطاع العام ، وذلك للحد من شرور البيروقراطية ، ولمكافحة عمليات الاثراء غير المشروع ، والتبديد والاسراف ، وضعف الكفاءة الانتاجية ، وانخفاض نوعية المنتجات . وهذا لا يتم بمجرد اصدار بعض التشريعات وتوقيع عدد من العقوبات . لكنه يتم ـ أساسا ـ باشاعة مناخ حقيقى من الديمقراطية داخل مؤسسات القطاع العام يمكن جمهرة العاملين فيه من العمال والمهندسين والفنيين من أن يشاركوا مشاركة حقيقية فى الرقابة على ادارة المؤسسة . وعلينا أن نقول أن هذه الرقابة تمارس حتى اليوم بطريقة شكلية شكلية .

٥ ـ ومن زاوية اجتماعية ، تتطلب حماية القطاع العام ، التصدى لردع انشطة الرأسمالية الطفيلية ، هذه الانشطة التى استفحلت ، والتى انطلقت لتبشر فى المجتمع بأنماط مجتمعات الاستهلاك الترفى [دون أن يكون لمصر الاساس الصناعى القوى القائم فى تلك المجتمعات] . وأخذت تكون ثروات هائلة ، تارة من داخل القطاع العام بسرقته ، وتارة من خارج القطاع العام بتطويقه واحتكار منتجاته وبيعها فى السوق السوداء ، وتارة ثالثة ، من خلال أعمال السمسرة والمضاربة والتهريب . ونحن نعلم أنه طالما طالبت تقارير مجلس الشعب فى ردها على بيانات الحكومة ، بالتحذير من نشاط هذه العناصر الطفيلية ، الا أنه لم يتخذ ـ مع ذلك ـ اجراء عملى حاسم ضد هذه الفئات .

على أن مصدر الخطر فى نشاط هذه الفئات الطفيلية لا يتمثل فى عملها التخريبى ضد القطاع العام فحسب ، لكنه كامن أيضا فى أنها تلبس مسوح الرأسمالية الوطنية ، وتسعى الحديث باسمها ، فى حين أن مصلحتها تتعارض فعلا مع أنشطة الاقسام المنتجة من الرأسمالية الوطنية [خصوصا فى مجال الصناعة] . وفى اعتقادنا أنه قد آن الاوان لكى نستقر على تعريف محدد للرسمالية الوطنية . وهو أمر يجب أن يتم لمصلحة الاقتصاد القومى ، ولمصلحة زيادة الانتاج الرأسمالية الوطنية والحرفيين ، ولمصلحة الوحدة الوطنية فى نهاية الامر .

واذا كانت التشريعات قد اهتمت ـ من وقت لآخر ـ بوضع تعريفات للعامل والفلاح ، فلابد وان نستقر على تعريف علمى لمن هو الرأسمالى الوطنى ، كأن نقول ابتداء :

ـ أنه صاحب رأس المال الذى يمارس نشاطا انتاجيا فى أحد أفرع الاقتصاد الوطنى الرئيسية .

ـ وأنه الذى يقبل أن يكون نشاطه الاقتصادى داخلا فى أهداف الخطة القومية ومكملا لها .

ـ وأنه الذى يلتزم بالتشريعات والمكاسب العمالية .

بهذا ، يمكن أن نشرع فى فرز الشرائح الطفيلية عن مجموع الرأسمالية الوطنية ، ونضمن فى النهاية أن تصب الاستثمارات الخارجية فى مجالات انتاجية تحدث تنمية حقيقية .

لقد تعرضنا لمسائل تتصل بالرأسمالية الوطنية وذلك فى معرض حديثنا عن القطاع العام . فاذا عدنا الى موضوعنا الاصلى امكن ان نقول :

ان المعول فى حماية القطاع وبنائه على اساس ديموقراطية وتقدمية هو فى وجود خطة تقدمية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وان ما يقتضى التعجيل بوضع هذه الخطة هى أن يكون القطاع العام ـ بحق ـ فى وضع الاستعداد عند مجىء الإستثمارات الاجنبية . لانه فى غياب هذه الخطة يمكن ان يتحول القطاع العام ـ عند ذلك ـ الى مجرد ملحق وخادم يحقق المزيد من الارباح لرأس المال الخاص . فيتحول من قطاع قائد الى اداة للتجارب التى تتطلب مخاطرة ولا يستطيع أن يقوم بها رأس المال الخاص لضخامتها أو ضآلة ارباحها .

من هنا تكتسب قضية التخطيط للتنمية الشاملة كل ابعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

القضية فى اطار عربى :

ولا بد وأن نضع الاستثمارات الخارجية فى منظور عربى قومى : وهنا يتعين ان نؤسس سياستنا فى جذب رأس المال العربى على ثلاث منطلقات تمثل بذاتها — فى نفس الوقت — بعض الحقائق الراسخة من حقائق العصر :

١ — فاما المنطلق الاول فهو ان لرأس المال العربى الاولوية على غيره . اذ تجمعنا مع البلاد العربية مصالح مشتركة محققة .

يضاف الى ذلك ، أن رأس المال العربى الموظف فى بلدان الغرب مهدد — فى خاتمة المطاف — بمخاطر شتى من بينها : فقدان قيمته بسبب استفحال التضخم واستحكام أزمات النقد .. الخ .

٢ — واما المنطلق الثانى ، فهو أن الشعوب والحكومات الوطنية العربية اذا كانت قد عبرت — فى أكثر من مناسبة — بالقول والعمل — عن مساندتها لمصر والتفافها حولها [وقد تم هذا فى اوقات بالغة الحرج] . وانه اذا كانت هذه الشعوب والحكومات الوطنية العربية تعترف لمصر بوزنها الخاص فى المنطقة ، فان هذا لم يكن راجعا الى ان مصر قد اشترت هذه المساندة بأموالها . ولكن كل هذا حدث لان مصر — تاريخيا — كانت سباقة فى خوض نضال وطنى تحررى واجتماعى تقدمى كانت له أصداؤه وانعكاساته العالمية . وان مصر قد جذبت — بقوة المثل — كل قوى الشعوب العربية وقياداتها الوطنية المستنيرة والتقدمية .

من هنا يجب ان نسترجع ما أكدت عليه **ورقة أكتوبر** من ضرورة التمسك الحازم بايجابيات تجربة يوليو ، فلا نتساهل بازاء أية دعايات تحاول — تحت شعار طمأنة رأس المال العربى والاجنبى — أن تخلق انطباعا بأن مصر تتخلى عن مسئوليتها الوطنية على الصعيد العربى ، وان دورها فى مكافحة الامبريالية والصهيونية وفى البناء الاجتماعى التقدمى يتقلص ويذوى . نقول : ان أية دعايات من هذا القبيل لا تثير التحفظات فى صفوف الاشقاء العرب فحسب ، بل انها قد تؤدى الى نتيجة عكسية على طول الخط ، خصوصا ، فيما يتعلق بجذب الاستثمارات العربية وتوظيفها . ذلك أن هذه الاستثمارات تأتى فقط فى جو استقرار سياسى واجتماعى . والعامل الرئيسى فى هذا الاستقرار ان تتاكد وتتعمق مبادىء ثورة يوليو فى التحرر السياسى والاجتماعى . لان هذه المبادىء قد تحولت الى مؤسسات ملموسة ، وارتبطت بتضحيات هائلة ، وتعلقت بها امال ملايين العمال والفلاحين والمثقفين . ومن هنا نعلم انه — حتى اذا اردنا ان نعالج موضوع الاستثمارات بحجج اقتصادية صرفة فسوف تكون فى مقدمة هذه الحجج أن الاقتصاد المصرى رغم كل المتاعب يستند الى ركائز قوية ، وأن القاعدة الصناعية التى أقامتها ثورة يوليو ممثلة فى القطاع العام ، هى التى تفتح اليوم مجالات كبيرة لجذب رؤوس أموال عربية واجنبية ، وهى التى تشكل الضمان الحقيقى لطمأنة رأس المال العربى والاجنبى .

٣ — والمنطلق الثالث ، هو ان المسار التاريخى والحتمى فى المنطقة العربية هو أن تتملك الشعوب العربية — فى النهاية — ثرواتها الطبيعية ، وفى مقدمتها الثروة البترولية . وما علينا الا ان نسترجع ما حدث قبيل وبعد حرب ٦ اكتوبر فى هذا البلد العربى أو ذاك ، من البلدان التى أممت جزئيا او كليا [تحت تأثير الهجوم الامبريالى الصهيونى على المنطقة] المصالح البترولية الاجنبية . ويمكن ايضا أن نضيف ان بلدا كالكويت ذاته قد اضحى يقوم فيه قطاع عام هام فى البترول وفى البتروكيماويات وفى البنوك والسمادوالاسمنت . وان الدولة تملك فى الكويت اكثر من ٣٢ فى المائة من مجموع اسهم الشركات العاملة . فاذا اضفنا الى هذا كله أن غالبية البلدان العربية المصدرة للبترول لاتستطيع ان تستوعب الزيادة الهائلة

من أموال العائد من البترول ، وذلك بسبب غيبة التخطيط [ولاسباب اخرى] ، فان الصورة التى تتشكل أمام انظارنا هى ان المستثمر العربى الذى سيتعين علينا ان نتعامل معه هو الدولة فى المحل الاول قبل ان يكون الافراد .

لكن جذب الدول العربية لتأتى باستثماراتها ، انما يتطلب أن تكون لنا - فى هذا المجال - سياسة مبادرة وجسورة وواسعة الخيال الى اقصى حد - سياسة تستثمر منجزات حرب أكتوبر ، وتأخذ بعين الاعتبار تصاعد المد التحررى فى المنطقة . وأخيرا سياسة تضرب المثل والقدوة على الرغبة فى قيام تعاون اقتصادى عربى . وتكامل مع الدول العربية ، خصوصا تلك التى تأخذ بمبادىء الاقتصاد المخطط . على أن هذا يتطلب بالتحديد :

١ - القيام بالمشروعات المشتركة مع رأس المال العربى خصوصا فى الصناعة والبترول .

٢ - فتح مجالات التعاون أمام رأس المال العربى فى بلاده .

٣ - فتح مجالات الاستثمار فى مصر ، ويتم ذلك - بالدقة - عندما نعرض على الدول العربية مشروعات ناجحة ، أى جاهزة ، تم درسها اقتصاديا وفنيا ، وداخلة فى الخطة القومية للدولة . عندئذ تتكامل اركان الثقة لدى المستثمر العربى كدولة ، بل اننا نزعم انه فى هذا الاطار ينفتح الطريق أمام المستثمر العربى الفرد ليأتى الى مصر .

أما محاولات اشاعة الثقة عن طريق اعطاء امتيازات معينة ، والنص فى التشريعات على عدم التأميم او المصادرة ، فهذه كلها لا يمكن أن تشكل بحال العناصر الرئيسية لثقة المستثمر العربى والاجنبى .

الاستثمارات فى الاطار الدولى الجديد :

لا خلاف على أن تعزيز ظاهرة الانفراج الدولى يسمح - أكثر من اى وقت مضى - بأن تقوم بين جميع البلدان على اختلاف مذاهبها وأنظمتها السياسية والاجتماعيه علاقات مضطردة النمو فى مختلف مجالات التعاون الاقتصادى . وكلما نمت هذه العلاقات ، انعكس تأثير هذا النمو - بدره - على مزيد من الانفراج والعلاقات الصحية بين الدول . وفى هذا الاطار الدولى تستطيع الدول النامية أن تستفيد من هذا التعاون بدفع عجلة التنمية والاسراع بتنفيذ مخططاتها القومية .
لكن من المهم - وحتى يتحقق هذا لمصلحة الاستقلال الاقتصادى لبلادنا ، ان نبدا أيضا من منطلقات صحيحة فكرية وسياسية :

١ - أول هذه المنطلقات أن نتعامل مع رأس المال الاجنبى من مركز القوة لا من مركز دفاعى صرف . وهذا ما يمليه الفهم الصحيح لمتغيرات عالم اليوم . من هذه المتغيرات ان دول الغرب الرأسمالية فيها رؤوس أموال هائلة لا تجد طريقها الى الاستثمار . وهذه الاموال ، يهددها التضخم وانخفاض قيمة العملة ، ومن هنا فان أصحاب رؤوس الاموال يبحثون جديا عن مجالات للاستثمار . ومن هنا فنحن أمام ظروف دولية مواتية للحصول على رأس المال الاجنبى بشروط معقولة لا تثقل اقتصادنا . ومن هنا ، أيضا ، فليس ثمة مبرر لان نتوسع وان نبالغ - وهذا نقد موجه الى القانون - فى منح المستثمرين الاجانب ضمانات واعفاءات وامتيازات لا مبرر لها .

٢ - المنطلق الثانى ، هو الا ننسى لحظة واحدة اننا نقبل الأستثمارات الاجنبية لنقوم بتنمية قومية تعزز استقلالنا الاقتصادى . ومن هنا يجب أن يكون واضحا فى كل لحظة اننا نقبل رأس المال من بلاد الغرب - بالدقة - فى المشروعات الصناعية التى تتطلب أموالا ضخمة وخبرة تكنولوجية عالية لا تتوفر محليا ، ونقبله فى المشروعات التى تدر عائدا بالعملات الصعبة [السياحة مثلا] او فى المشروعات التى تسمح لنا بالتوسع فى التصدير ، وباحلال منتجات محل المنتجات المستوردة .

ووضع النقط فوق الحروف هنا ، بتحديدنوعية الاستثمارات الاجنبية التى نقبلها ونطلبها ، يفترض ـ فى الوقت نفسه ـ أن تكون لنا خطة قومية للتنمية حددت الاولويات وحددت المشروعات التى تحتاج فيها الى رأس المال الاجنبى . فهذا يجنبنا مضار النمو التلقائى لمشروعات قد لا تكون متضمنة فى الخطة .

٣ ـ أما المنطلق الثالث هنا ، فهو أن نستبعد كل الاوهام المحيطة باستثمار رأس المال الاجنبى فى بلادنا . فمن قبيل هذه الاوهام القول بأن الانفراج الدولى فى سبيله الى أن يمحو الفروق الجوهرية بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى . فهذا الوهم ، هو من قبيل الشراك الخداعية ، التى تنصب لاحتواء اقتصاد البلدان النامية ذات الاتجاه التقدمى ، وادخالها فى دائرة الاقتصاد الرأسمالى العالمى بالكامل .

ولقد يقال ، فى الرد على هذا ان بلدان الغرب الرأسمالى تتجه منذ مدة قصيرة الى التخفيف من عمليات الاستغلال الصارخة فى مجال التجارة الخارجية . وهذا صحيح . لكن يجب أن نتذكر أن هذا الاتجاه يتم تحت تأثير عاملين : الاول نضال بلدان العالم الثالث من أجل علاقات اقتصادية متكافئة وعادلة ، والثانى خوف الدول الرأسمالية من فقدان مواقعها كلية فى أسواق تلك البلدان .

وهكذا تظل المحاذير فى التعامل مع البلدان عالية التطور قائمة . وفى مقدمتها :

١ ـ نزعة الاحتكارات العملاقه والمتعددة الجنسيات الى السيطرة والاستغلال . وهو الامر الذى نبهت اليه « **الادارة الخاصة بالشئون الاقتصادية والاجتماعية** » التابعة **لهيئة الامم المتحدة** . **فقد** جاء فى تقرير لها ، أن عشرا من هذه الشركات العملاقة يبلغ رقم أعمال كل منها ٣ آلاف مليون دولار ، اى مايزيد على الناتج القومى فى أكثر من ٨٠ دولة .

من هنا ، يجب استبعاد الوهم بأن هذه الشركات يمكن أن تتنافس على قدم المساواة فى البلدان النامية مع القطاع العام او مع المشروعات الرأسمالية الوطنية مهما بدت قوية وراسخة .

٢ ـ من هذه المحاذير ، أيضا ، أن الاحتكارات الاجنبية تملك أن تزيد بصورة مصطنعة أسعار المنتجات التى تصدرها الى البلدان النامية ، وتخفض أسعار السلع التى تشتريها منها . ونتيجة لهذه العملية يخرج من البلدان النامية من العملات الصعبة قدر أكبر بكثير مما يدخلها . وبالتالى تنكمش قدرات هذه البلدان على الاستيراد . وهنا يصبح رأس المال الاجنبى عبئا على ميزان المدفوعات للبلد المعنى .

ولقد تثار ، هنا ، بعض الاعتراضات ، من جانب الذين يعلقون كل الامال على الاستثمارات الاجنبية ، مؤداها ان من حق رأس المال الاجنبى أن يحصل على ارباح ، وأن من حقه أن يعيد تصديرها الى الخارج ، ومن حقه أن يسترجع رأس ماله . ونحن نوافقهم على ذلك . ولكننا نقول :

ان من حقه أن يحصل على ربح ولكنه الربح **المعقول** . وأن من حقه أن يسترد رأسماله ، ولكن فى المدى الزمنى **المعقول** .

ثم يبقى بعد ذلك ختام هذا التعليق :

لقد أعلن المسئولون فى الاجهزة التنفيذية والتشريعية والسياسية فى معرض المناقشات التى دارت حول الاستثمارات الخارجية أن مناط الامر معقود ، أولا وأخيرا على قوتنا الذاتية ، وعلى العمل المصرى الذى نبذله فى الداخل ، وأن الاستثمارات الخارجية تظل فى هذا النطاق عوامل مساعدة . ونحن اذ نتفق معهم تماما ، نطالب بأن يكون هذا نقطة الانطلاق التى ترتفع الى مستوى العقيدة الراسخة ، فى القول والعمل ، وفى التنفيذ والتشريع على حد سواء .

« الطليعة »

٤ ملاحظـــات

حــول الطبقـــة العامـــلة العـــربية

عبد المنعم الغزالي

مع تطور مجموع حركة التحرر الوطنى العربية فى نضالها ضدالامبريالية والرجعيــة والتخلــف ، وضــد الحركة الصهيونية واستعمــارها الاستيطانى ، ومــع طموح هذا التطور لانجاز تحــولات ديمقراطية فى بنيــة المجتمعات العربية مستهدفة الانتقال الى الاشتراكية ، دون انقطاع لمسار الثورة الاجتــماعية ــ تبرز أهميــة دور الطبقة العاملة العربية ، وضرورة تمكينها لتأخذ مكانتها الطليعية فى هذه العملية الثورية . هذه المكانة التى تعتبر شرطا ضروريا لتتمكن الثــورة العربية فى كل بلد عربى : اما أن تنجز مهــام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية فى البلدان التى شقت طريق التطور غير الرأسمالى ، واما أن تستكمل مقومات الاســتقلال الوطنــى الحقيقى ــ للبلدان التى لم تستكمل استقلالها هذا وما زالت فى تبعية للاحتكارات والمصالح الاجنبية الراسمالية .

وازدياد دور الطبقة العاملة وحركتها وتنظيمها النقابى المستقل داخلمجمل حركة التحريرالوطنى العــربية ، ســيظل الشرط الضرورى لتقــدم الثورة العربية نحو آفاق أكثر تقدما فحسب ، بل ولحمايتها ايضا ، هــذه الحماية التى اكــدت كل التجارب المريرة التى عاشتها الثورة العربية أن القوى الاساسية لتحقيقها هى جمــاهير العمال والفلاحين ، وتنظيم هذه الجماهير ، ونقــاء وطبقية ووعى وديمقراطية تنظيماتها .

وحركة الوحدة العربية ستظل تطحنهــا النزاعات الاقليمية القبلية والعشائرية والرجعية والمنافسة البورجوازية بكل شوفينيتها وروحهــا الرأسمالية لتحقيق المزيد من الربح لا المزيد من الاستقلال والحرية والديمقراطية . ستظل حركة الوحدة العربية دائرة فى طاحــونة القــرارات والشعارات ما لم تأخذ الطبقة العاملة العربية ــ وفى تحالف وثيق مع الفلاحين ــ وكل القوى الوطنية الديمقراطية ــ دورها الطليــعى فــى حركة النضال من أجل الوحدة .

لذلك ، كله ، فانــه يجب أن نولى الطبقــة العاملة العربيــة المزيد من الاهتــمام والدراسة والتحليل . علينا أن نتبين وزنها وثقلها وملامحها الرئيسية ، وكل العوامل المؤثرة على حركتهــا محليا ودوليا ، وعلى خريطة الصراع من أجل مجتمع متحرر من استغلال الانسان لاخيه الانسان ، مجتمع متحرر من التخلف والتبعيــة والخضوع لاى قهر اقتصادى أو اجتماعى أو سياسى .

■ الملاحظة الاولى ■

حول تركيب الطبقة العاملة العربية

من المهم ان نحاول ــ أولا ــ تقديم الوزن الحقيقى للطبقــة العــاملة العربيــة ، داخــل القوى القادرة على العمل الاقتصــادى ، ومن ناحية توزيعها على مختلف مجالات الانتــاج : عمال زراعة ــ عمال صــناعة ــ عمــال خدمات .. الخ . ونشير هنا الى أنــه عنــد الحديث عن وزن الطبقة العاملة العربية ودورها فى الثورة العربية ــ ثــورة التحرر الوطنــى الديموقراطى بآفاقهــا الاجتماعيــة ، نواجــه صعوبة الحصول على الاحصــائيات المحــددة بدقة والحديثة باتجاهين ، كلاهما خاطىء وخطير سواء من حيث النتائج التى يصل اليها أو التقدير الحقيقى لوزن الطبقة العاملة فى مجتمعــاتنا العربية .

والاتجاه الاول ، يعتبر كل القادرين على العمل الاقتصادى **عمالا** ، وهو بذلك يضع أرباب العمل والعمال الذين يعملون لحسابهم ، وكذلك العمال الذين يعملون لدى أسرهم عمالا مأجورين . ويؤدى بنا هذا الاتجاه الى الخلط بين العمال المأجورين وبين ارباب العمل من رأسماليين متوسطين وصغار وحرفيين . وهذا الامر لا يؤدى الى تقدير حقيقى لوزن الطبقة العاملة فى حركة المجتمع ، ومكانها ودورها فى البناء الاقتصادى . ولا يجعلنا — كذلك — نرى مدى التطور او التخلف التنظيمى للحركة النقابية العمالية . ولا شك أن الاتجاهات البورجوازية — بمختلف مواقعها — يهمها أن تختلط الامور ، وتضيع المعالم والحدود الفاصلة بين الطبقات الاجتماعية .

ولقد أدى بنا هذا الاتجاه فى مجال تقدير قدرة الحركة النقابية العربية التنظيمية ، الى التقليل من شأن تطورها وخاصة فى البلدان التى انتهجت طريق التطور اللارأسمالى ، وذلك عندما ننسب عدد العمال المنظمين فى نقابات الى مجموع كل القادرين على العمل الاقتصادى . وهنا تبدو القضية الخاصة بالحركة النقابية وكأنها مجرد قضية عضوية . ويتغاضى الباحث عن جوهر القضية ولبها — وهو هل العضوية القائمة فعالة ونشطة وطبقية ومشاركة بحق فى الحياة النضالية للمجتمع ، أم أنها مجرد عضوية دفترية بقيادات بيروقراطية ، منتمية فكريا واجتماعيا الى ارباب الاعمال متوسطين وصغار وحرفيين .

وكما أن هذا الاتجاه يخلط بين القوى القادرة على العمل الاقتصادى فانه يسوى بين أرباب العمل والعمال الذين يعملون لحسابهم ، وبين الطبقة العاملة (بأجر) مما يؤدى الى طمس القوة الحقيقية المنتجة للقيمة وفائضها ، قوة العمل المأجور ، والتى تبيع قوة عملها مقابل أجر . والتى هى المصدر لكل القيمة الاجتماعية التى ينتجها المجتمع ، وهو امر على جانب كبير من الاهمية عندما تحل ساعة الحديث من الحقوق والواجبات .

والاتجاه الثانى : لايرى الطبقة العاملة الا فى نطاق عمال الصناعة والصناعة الاستخراجية . وهذا الاتجاه يهمل التطور التاريخى للطبقة العاملة ودورها التاريخى فى الصراع من أجل الاستقلال ، فهى منقطعة الصلة بكل تاريخ النضال الوطنى لانها لم تتشكل الا مع التطور الصناعى ، وقبل ذلك لم تكن غيركم من المعدمين الخاضعين والتابعين للبورجوازية الوطنية ، وهو يتغاضى عن القاعدة العريضة للعمل المأجور فى بلدان متخلفة ، فهو لا يرى الطبقة العاملة بكل فئاتها وشرائحها — الطليعية ، والمتوسطة ، والمتخلفة . (وحيث تشكل الاخيرة غالبية صفوف الطبقة العاملة العربية] .

هو اتجاه يؤدى فى التطبيق الى اهمال العمل الثورى الحقيقى لتنظيم القاعدة العريضة ، ويتركها لتأثير ونفوذ الطبقات المالكة ،وكل التقاليد الرجعية والقبلية والاقليمية . واقصى ما يمكن أن يقدمه فى النهاية — لهذه الطبقة المسكينة ! عمل اصلاحى وشبه خيرى ! .

وعلى سبيل المثال ، فاننا طالما قدرنا عدد العمال الزراعيين فى مصر برقم يتراوح بين ٣ر٥ مليون وأربعة ملايين ونصف عامل زراعى ، وهو تقدير غير سليم ، فهو يتضمن أرباب العمل والعمال الذين يعملون لحسابهم ، أى حوالى ١ر٥٨٦ر٧٨٧ وفق احصاء ١٩٦٦ ، والعمال الذين يعملون لحساب اسرهم والذين يصل تعدادهم الى ١ر١٥٩ر٦٠٤ ، بينما نجد ان المستخدمين والعمال الزراعيين الاجراء تعدادهم وفق نفس الاحصاء هو ١ر٧٠٠ر٥٢٢ عامل . والى ماذا ادى مثل هذا التقدير ؟ أدى الى : ١ — الخلط بين صغار الملاك وبين العمال الزراعيين . ٢ — الخلط بين فقراء الفلاحين واشباه البروليتاريا الزراعية ، وبين البروليتاريا الزراعية الحقيقية ، التى لاتملك غير قوة عملها التى تبيعها فى سوق العمل الزراعى . ويعنى ذلك اننا عندما نعمل من أجل تنظيم العمال الزراعيين فى نقابات عمالية ، لا نعرف القوة الحقيقية الاكثر قابلية للتنظيم الطبقى . كما أن ذلك يؤدى الى عدم التفريق بين قضية التنظيم الطبقى الخاص بحركة الصراع اليومى لعمال الزراعة ، وبين قضية التحالف بين الطبقة العاملة والطبقات الكادحة . ان ذلك كله ، يؤدى بالفعل — وادى — الى تمييع الصراع الطبقى فى الريف،وهو الامر الذى ادى الى ضعف التنظيم النقابى لعمال الزراعة ، والى سيطرة عناصر من المستغلين عليه [مقاولو الانفار وسواقو الانفار] وكتبة الجمعيات التعاونية ، ومهندسو وموظفو الاصلاح الزراعى والهيئات والمؤسسات الزراعية .

ولذا ، فان مجموعة الاحصائيات التالية التى نقدمها عن العمل المأجور فى اغلب البلدان العربية نستبعد منها أرباب العمل والذين يعملون لحسابهم ، والعمال لدى أسرهم :

جمهورية مصر العربية :

المستخدمون والعمال الاجراء

	ذكور	اناث	المجموع
الزراعة والغابات والصيد وصيد الاسماك	١٦٢٩٢٨٥	٧١٢٣٧	١٧٠٠٥٢٢
المناجم والمحاجر	١٦٩٦٥	٤٤٣	١٧١٣٨
الصناعة	٨٠٠٢١١	٣٥٦٣٣	٨٣٥٨٤٤
التشييد	١٦٢١٩٩	١٤٥٣	٨٣٥٨٤٤
الكهرباء والغاز والمياه والمرافق الصحية	٤٨٣١٨	٨٤٦	٤٩١٦٤
التجارة	١٦٩٧٥٥	١٢٧٥٨	١٨٢٥١٣
الخدمات	٨٨٤٣٣٧	٢٢٣١٦٦	١١٠٧٥٠٣
نشاطات لم توصف بدقة	١٣٠٨١٩	٣١٩٣٠	١٦١٧٤٩
المجموع	٤١٠٧٨١٢	٣٨٣٤٤٧	٤٤٩١٢٥٩

الجمهورية الجزائرية

المستخدمون والعمال الاجراء

	ذكور	اناث	المجموع
الزراعة والغابات والصيد وصيد الاسماك	٧٧٣٦٨٠	٧٢٤٣	٧٨٠٩٢٣
المناجم والمحاجر	٢١٠١٤	٧٠٢	٢١٤١٦
الصناعة	١١٠٣٣١	٧١٤٠	١١٧٤٧١
التشييد	١١٢٠٥٦	٦٦٧	١١٢٧٢٣
الكهرباء والغاز والمياه والمرافق الصحية	٩١٠٩	٣٩٠	٩٤٩٩
التجارة	٤٨٥٤٧	٢٨٣١	٥١٣٧٨
النقل والتخزين والمواصلات	٦٦٩٤٥	٢٢٨٠	٦٩٢٢٥
الخدمات	٢٦٣٦٤٨	٥٠١٠٧	٣١٣٧٥٥
نشاطات لم توصف بدقة	٦٤٩٧٨	١٩٦٥	٦٦٩٤٣
المجموع	١٤٧٠٣٠٨	٧٣٠٢٥	١٥٤٣٣٣٣

المملكة المغربية [مراكش]

المستخدمون والعمال الاجراء

	ذكور	اناث	المجموع
الزراعة والغابات والصيد وصيد الاسماك	٧٧٣٦٨٠	٧٢٤٣	٧٨٠٩٢٣
المناجم والمحاجر	٢١٠١٤	٧٠٢	٢١٤١٩
الصناعة	١١٠٣٣١	٧١٤٠	١١٧٤٧١
التشييد	١١٢٠٥٦	٦٦٧	١١٢٧٧٢
الكهرباء والغاز والمياه والمرافق الصحية	٩١٠٩	٣٩٠	٩٤٩٩
التجارة	٤٨٥٤٧	٢٨٣١	٥١٣٧٨
النقل والتخزين والمواصلات	٦٦٩٤٥	٢٢٨٠	٦٩٢٢٥
الخدمات	٢٦٣٦٤٨	٥٠١٠٧	٣١٣٧٥٥
نشاطات لم تحدد بدقة	٦٤٩٧٨	١٩٦٥	٦٦٩٤٣
المجموع	١٤٧٠٣٠٨	٧٣٠٢٥	١٥٤٣٣٣٣

الجمهورية العربية السورية

المستخدمون والعمال الاجراء

	ذكور	اناث	المجموع
عمال الزراعة والغابات والصيد وصيد الاسماك	٦٣٤٥٨	٢٩٦٣٠	٩٣٠٨٨
المناجم والمحاجر والصناعة	٨٩١١٦	٣٧٨٩	٩٢٩٠٥
التشييد	٤٨٢٩٢	٢٤	٤٨٣١٦
الكهرباء والغاز والمرافق الصحية	٦٢٦٠	٢١٦	٦٤٧٦
التجارة	٢٤٣٧٦	٦٠٦	٢٤٩٨٢
النقل والتخزين والمواصلات	٢٩٦١٢	٤١٢	٣٠٠٢٤
الخدمات	١٢٩٠٦٣	١٧٦٩٤	١٤٦٧٥٧
نشاطات غير محددة	٧٦٤		٧٦٤
المجموع	٣٩٠٩٤١	٥٢٣٧١	٤٤٣٣١٢

الجمهورية العراقية

احصاء ١٩٥٧ يقدم مجموع القوى القادرة على العمل دون تمييز بين ارباب العمل والعمال الذين يعملون لحسابهم او لاسرهم وبين المستخدمين والعمال الاجـــراء والمجموع العراقى هو ٢٧٧ر٧٩٥ر١

أمارة الكويت [خاصة بالســكان القادرين على العمل]

	ذكور	اناث	المجموع
الزراعـــــة	٣٦٤٣	٤	٣٦٤٧
المناجم والمحـــاجر	٥٦٤٣	١٥٢	٥٧٩٥
الصنـــــاعة	٢٨٣٩٥	١١٠	٢٨٥٠٥
الكهرباء والغـــاز والميـــاه	٧٢٣٤	١٦	٧٢٥٠
التشـــــييد	٢٠٩٠١	٦٧	٢٠٩٦٨
تجارة الجملة والقطاعى والمطاعم واللوكاندات	١٥٠٦٧	٢٩٦	١٥٣٦٣
النقل والتخزين والمواصـــلات	٩٠٣٢	١٤١	٩١٧٣
خدمات البنوك والتأمين والعقـــارات	٨٢٩٨٤	١٤٧٠٦	٩٧٦٩٠
مهن غيـــر محـــددة	٣٠٩	١٣٠	٣٢٢
المجمـــــــــــــوع	١٧٥٩٠٠	١٥٧٤٧	١٩١٦٤٧

البحرين [خاصة بمجموعة الســكان القادرين على العمل]

	بحرانيون	أجانب	مجموع
الزراعـــــة	٢٩٩٥	٩٩٥	٣٩٩٠
البترول	٣٧٩١	٥١٩	٤٣١٠
الصنـــــاعة	١٨٢٣	٢٣٣١	٤١٥٤
المـــاء والكهرباء	١٤٨٠	٢٥٥	١٧٠٥
التشـــــييد	٥٦٣٩	٤٧٦٥	١٠ر٤٩٤
التجـــــارة	٤٨٥١	٢٨٥٥	٧٧٠٦
النقـــل والمواصـــلات	٥٠٦٧	٢٦٧٦	٧٧٤٣
المـــال والبنـــوك	٧٤٠	٣٤٤	١٠٨٤
الخدمـــات العامـة	١٠٩٣٠	٧٤٥٨	١٨٣٨٨
مهن اخـــرى	١٢٦٤	٣٦٦	١٦٣٠
المجمـــــــــوع	٣٨ر٥٨٠	٢٢ر٥٣٤	٦٢ر١١٤

وفى امارة **قطر** يبلغ مجموع القوى القـادرة على العمل الاقتصادى ـــ ٤٨٣٩٠ منـــهم ٨١٦٨ قطرى و ٤٠٢٢٢ أجنبى ـــ يعمـــل منهم فـــى استخراج البـــترول ٢٢٠٩ منهم ١٢٥٩ قطـــرى و ١٩٥٠ أجنبى .

دولة الامارات العربيـــة المتحدة : أبو ظـــبى ـــ دبى ـــ رأس الخيمـــة ـــ الشـــارقة ـــ الفجيرة ـــ عمان ـــ أم القيوين .

	ابو ظبى	دبى	الامارات الاخرى	المجموع
الزراعة والصيد وصيد الاسماك	٢٤٠٠	١٦٠٠	١٠ر٥٠٠	١٤ر٥٠٠
الصناعة التحويلية والمناجم والمحاجر	٩٠٠	١٦٠٠	٧٠٠	٣٢٠٠
النفط	٢٤٠٠	٥٠٠	٣٠٠	٣٢٠٠
البنـــــاء	١٢٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٢١٠٠٠
النقل والمواصلات	٢١٠٠	٤٣٠٠	٢٠٠٠	٨٤٠٠
التجارة والخدمات	٥٧٠٠	٩٠٠	٤٠٠٠	١٨٧٠٠
الحكومـــة	٤٥٠٠	٤٠٠٠	٢٥٠٠	١١٠٠٠
المجمـــــوع	٣٠ر٠٠٠	٢٥ر٠٠٠	٢٥٠٠٠	٨٠٠٠٠٠

وتوزع العمالة ـ فى دولة الامارات بالنسبـــة للجنسية على النحو التالى :

	العمال المحليين	النسبة المئوية	الاجانب	النسبة المئوية	المجموع
ابو ظبى	٧٠٠٠	٢٣ر٤٪	٢٣٠٠٠	٧٦ر٦٪	٣٠٠٠٠
دبى	٨٠٠٠	٣٢٪	١٧٠٠٠	٦٨٪	٢٥٠٠٠
الامارات الاخرى	٨ر٠٠٠	٧٦٪	٧٠٠٠	٢٤٪	٢٥٠٠٠

● ملحوظة : هذه الاحصـــاءات استخلصناها من الاحصاءات باعـوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ .

مادلالة هذه الارقام ؟

اولا : ان العمل فى الزراعة مازال يحتل المرتبة الاولى من حيث العمل المأجور . وحيث تتراوح نسبته بين ٤٠ فى المائة و ٥٠ فى المائة من مجموع العاملين بأجر فى مختلف القطاعات . ويرجع ذلك الى : ١ — التخلف الاقتصادى والمستوى المنخفض لانتاجية العمل وتخلف وسائل الانتاج . ٢ — سيادة الاقتصاد الاحادى الجانب . فقد ظل اقتصاد هذه البلدان - لفترة طويلة من الزمن - تابعا للاقتصاد الاستعمارى ، حيث كانت تنميته وتطويره خاضعة لشروط البلدان الرأسمالية الكبيرة ، ومورداً للمواد الاولية الزراعية ٣ — ضعف التطور الصناعى وانحطاطه . ٤ — زيادة الفقر فى الريف العربى وتفتت الملكية الزراعية ، وضآلة ملكية الاسرة ، بحيث لا تكفى مواردها لاعاشتها ، فتلجأ الى العمل المأجور جزءا من الوقت .. وهكذا ، فان الانتاج الصغير فى الريف يخفى البطالة والفقر ، وينتج اعدادا كبيرة فى الريف من عمال المياومة الموسميين ومن العاملين لدى أسرهم [انصاف عمال] حيث لا تكفى حيازة اسرهم من الارض ملكا كانت او حيازة [مستأجرة] لاعالة الاسرة ، هذا فضلا عن تخلف أدوات الانتاج وفقرها ، أو عدم تملكهم لها .

ثانيا : من هذه الارقام يمكننا ان نستنتج ان بروليتاريا الانتاج الكبير تشكل العمود الفقرى لجيش العمل المأجور وهى تضم عمال المصانع والمناجم والمحاجر والنقل والمواصلات والبناء . وهى — بصفة خاصة فى بلاد مثل مصر والجزائر والعراق تمثل اكثر فئات الطبقة العاملة تقدما وتطورا ووعيا .

ومع ذلك — فانه من الملاحظ ان العمال المأجورين فى الانتاج الصغير ، مازالوا يشكلون عددا كبيرا ، ونقصدبهم — عمال الورش والمصانع الصغيرة [الميكانيكا واصلاح السيارات والنقل والصناعات الهندسية والمعدنية.. وغيرها] . وعمال هذا القطاع يعيشون فى ظروف عمالة قاسية ومتخلفة ، ويعانون دائما من شبح البطالة والتشرد ، وتتميز العلاقات الانتاجية فى غالبية هذا القطاع بأنها علاقات أبوية وشبه أبوية ، وغالبا ما يعمل رب عملهم معهم بيده ، ويعانى من الفقر والتبعية للتجار ، وهذا القطاع ، يتميز بضعف الوعى ، وانعدام التنظيم ، والبعثرة والتشتت بفعل الجهل الشديد والعلاقات الابوية والاسرية فى العمل ، وهو امر يساعد كثيرا على خضوعهم بدرجة كبيرة للاتجاهات المحافظة لايديولوجية الطبقات البورجوازية ، ولاحزابها ، وهم يشكلون قاعدة للطائفية والنزعات الاقليمية والشوفينية .

وهنا يجب ان نشير الى ان الانتاج الصغير فى الريف ، وهو انتاج فقراء الفلاحين واشباه البروليتاريا الزراعية - كثيرا ما يؤدى الى نمو بورجوازيه صغيرة فى الريف ، لان هذا الانتاج الصغير هو ميراث ورثه الاقتصاد الزراعى من مراحل التبعية الاستعمارية ، ومن علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، ومن اقتصاد المرابين . وهذه العلاقات ، طالما عطلت النمو الراسمالى فى الريف ، ومن ثم لم تسمح بنمو طبقات وسطى لها كيانها ... ومن المهم هنا - أن نلاحظ ، أنه فى بعض البلدان التى أخذت تطبق اصلاحات زراعية ، فان الرأسمالية الريفية التى نمت مع هذه الاصلاحات — هى فى الغالب رأسمالية طفيلية امتدادا لرأسمالية المدن الطفيلية ، وقد أدى نموها الى ازدياد عدد فقراء الفلاحين وانصاف البروليتاريا الزراعية ، وسحق المنتج الصغير . وهنا يجب ان نفرق بين ازدياد عدد الورش الصغيرة فى المدينة والمحيطة بالمنشآت الصناعية الحديثة الكبيرة والمتوسطة والتى تعتبر — فى اقتصاد البلاد العربية المتخلفة — نتاجا ضروريا للنمو الصناعى والاقتصادى .

ثالثا : ان الارقام السابقة ، توضح انه فى البلدان المنتجة للبترول ، ورغم أنه الثروة الرئيسية ، فان قوة العمل المأجور فيه قليلة العدد الى حد كبير بالنسبة لقطاعات الانتاج الاخرى . وفى هذه البلدان تزيد العمالة الاجنبية على العمالة المحلية فى مختلف القطاعات ، وخاصة البناء والخدمات — وهذه العمالة الاجنبية تتميز بالضعف الفكرى والسياسى والطبقى ، وكل هدفها هو تحسين حالتها أو تكوين ثروة تعود بها الى بلادها لتصبح صاحبة مشروعات رأسمالية متوسطة أو مالكة للعقارات والارض الزراعية . ومثل هذا الوضع يساعد على اضعاف القدرة النضالية للحركة النقابية العمالية فى هذه البلدان .

رابعا : والملاحظ أنه فى البلدان التى تأسس فيها قطاع عام على انقاض الملكية الاجنبية والبورجوازية الكبيرة والاقطاعية — فان عدد العاملين قد ازداد فى مجالات الانتاج الكبير بشكل كبير ، وزاد تركزهم وتوحدهم [مصر — الجزائر — العراق — سوريا] . وحيث شمل القطاع العام فى هذه البلدان اهم فروع الصناعة والنقل والمال ، الى جانب الفروع السابقة التى كانت تديرها الدولة : السكك الحديدية والبرق والبريد . هذا ، بينما فى بلدان أخرى مازال هذا القطاع ضيقا وقاصرا على عمال المرافق . فان نمو العمل المأجور فى القطاع العام من ناحية

التطور الهيكلى للطبقة العاملة هو تطور تقدمى هام ، ومؤثر على تطور الحركة العمالية العربية فى مجموعها .

■ الملاحظة الثانية●

عن الوضــــع التــاريخى للحركة النقــابية العربيـــة

نشأت الحركة النقابية العربية فى ظل تبعية البلدان العربية لـــلاقتصاد الاســـتعمارى ، وارتبطت نشأتها فى كل بلد عربى بدرجة تطور علاقات الانتاج الرأسمالية فى كل بلد عربى على حدة . وأعرق وجود نقابى فى البلدان العربية هو الحركة النقابية المصرية التى نشأت فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن العشرين . ولكنه منذ منتصف العشرينيات وبداية الثلاثينيات أخـــذت الحركة النقابية مكانهــا فى العــديد من البــلاد العربية الاخرى . وان تأخر تكويـــن بعض الحركـات النقـــابية الى منتصـــف الاربعينـات [الحركة النقابية الســـودانيـــة] ، والبعـــض تشكل فى السنوات الخمس عشرة الاخيرة ، [الحركة النقــابية فى بــلاد الخليج ــ الحركة النقابية اليمنية] .

والملاحظ أن مركز ومحور الحركة النقـــابية العربية فى أغلب البلدان العربية كان عمال النقل والمواصلات والمرافق العـــامة والصـــناعات الغذائية . ولقد ظل عمال هذه القطاعات يمثلون عصب النضال النقابى حتى الحرب العـــالمية الثانية ــ وان برز دور عمال النسيج ابتداء من الثلاثينيات ـــ وخاصة فى مصر ــ وأصبحت لهم مكانة خاصة الى جانب عمـــال النقل والمرافق العامة ، وبصفة أساسية بعد الحرب العالمية الثانية . ويرجع ذلك الى طبيعـــة الاقتصـــاد المتخلف التابع للاقتصاد الاستعمارى والذى لم يــكن ليسمح بأى تطور صنـــاعى فى البلـــدان العربية ، حيث كانت هذه البلدان منتجا أساسيا للمواد الخام والزراعيـــة ، وكان لابـــد ــ بالطبع ــ من نمو قطاع نقل ومواصـــلات اساسا لخدمة نقل هذه المواد الاولية .

ومنذ الخمسينيات أخذ التركيب الهيكلى ، فى قطاعات الاقتصاد المختلفة للطبقة العاملة يتغير بحصول البلدان العربية على استقلالها واتجاهها الى بناء وتشييد صناعات وطنية . وقد أخذ هذا التغيير فى تركيب الطبقة العاملة يزداد اتساعا وعمقا فى مجموعة البلدان العربيـــة التى بدأت تخط طريق تحررها الاقتصادى ، وتنهج طـــريق تطور غير رأسمالى ، وتبنى صناعات عديدة بما فيها الصناعات الكيماوية والحديد والصـــلب ، والهندسة والمعدنية على نطاق واســـع . وقـــد فعلت ذلك بارادتها الوطنية المعادية للاستعمار ، وبمعونة البلدان الاشتراكية ، وفى غير تبعيـــة للاحتكارات الامبريالية الدوليـــة . وقـــد تـــم هذا خصوصا فى مصر والجزائر والعراق وسوريا . وقد انعكس ذلك على الحـــركة النقابيـــة وعلى بنيتها ، وان ظل مركز الصدارة فيها بحكم التطور التاريخى والاقتصاد المتخلف للنقل وصناعة النسيج .

وفى هذا الصدد يمكننا أن نذكر مجموعة من الملامح الرئيســـية التى تميز مجمـــوع الحـــركة النقابية فى البلدان العربية :

أولا : الطابع الفلاحى وروح المنتج الصغير ،
ان الطابع الفلاحى الشرقى ما زال ملازما لاغلب صفوف الطبقة العاملة العربية . وذلك بسبب أن المصدر الرئيسى لقوى العمل المأجور فى البلدان العربية ظل لفترة طويلة [ومـــا زال] بفعـــل تخلف الاقتصاد والتبعيـــة ، هو الريف . حيث يطرد الفقر المتزايد أعدادا كبـــيرة من القـــرى والزراعة لتبحث عن لقـــمة العيش فى المدينة ، دون انقطاع الصلة بالقرية وبالاسرة فيها .. وقد انعكس ذلك الطابع على حركتها الطبقية ، فساد تنظيمها النقابى ، ويسوده فى كثير من البلدان علاقات عشائرية وقبلية واقليمية وأسرية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخـــرى . فان سيـــادة الانتـــاج الصغير بكل عـــلاقاته الابوية وتميزه بالبعثرة والتشتت والعلاقة الحرفيـــة والطائفية ، أثر على قطاعات هامة فى الحركة النقابية فأضعفها طبقيا وتنظيميا .
ان هذين العاملين قد أثـــرا ـــ ومازالا يؤثران ــ بدرجات كبيرة على التكوين الطبقى للحركة النقابية العربية . وسمحا بسيادة الفكر البورجوازى الصغير ، وفكر الفقراء اللاطبقى والطابع الفلاحى التواكلى . الامر الذى أتـــاح للاحزاب البورجوازية ، والجماعات الطـــائفية والعنصرية ، وحتى لعناصر عشائرية واقطاعية بأن يكون لها نفوذ وسيادة على الجماهير العمالية العريضة ــ مما مكن لهذه القوى ان تحصل على مراكز قيادية داخل الحركة النقابية نفسهـــا . الامر الذى عطل ـــ وما زال يعطل ـــ ظهور قيادات طبقية على النطاق القـــومى والدولى . لذلك فانه ليس من المستغرب مانراه اليوم من ظهور عناصر ادارية ومهنية من خـــارج صفوف العمل المأجور تتصدى لقيادة العمـــل النقابى ، وخاصة فى البلدان التى أعطت العمال الحق فى المشاركة بنصف المقاعد النيابيـــة ، وعضـــوية مجالس ادارة الشركات ... الخ .

ثانيا : ان الحركة النقابية العربية رغم ضعف نشأتها وتكوينها الطبقى ـــ وتأخر ظهورها فى

عدد من البلدان — فانها منذ بدايتها الاولى ؟ وفى أى بلد عربى — مصر ، العراق ، فلسطين ، السودان ، الجزائر — قامت كحركة مناهضة للاحتكارات الاجنبية ولقهر الادارة الاستعمارية . وهكذا ارتبط نضالها منذ البداية بالنضال السياسي والديمقراطى العام للحركة الوطنية المناهضة للاستعمار .

وفى نفس الوقت ، فان الحركة النقابية — تأثرت منذ نشأتها بالافكار الاشتراكية — مصر فى مطلع القرن العشرين وبداية العشرينيات ، الحركة العمالية الفلسطينية ، الحركة العمالية العراقية [اضراب البصرة ١٩٢٤] . بل أن بعضها نشأ بقيادات اشتراكية علمية منذ خطواته الاولى على طريق النضال [الحركة النقابية السودانية] قطاعات من الحركة النقابية الجزائرية ، وكذلك من الحركة النقابية اللبنانية والسورية .

ثالثا : ان التضامن الطبقى الدولى بين الطبقات العمالية العربية مر بمرحلتين : **الاولى** اتسم فيها بالضعف طيلة فترات النضال ضد الاستعمار وذلك لاسباب عديدة منها ، القهر الاستعمارى ، وسيادة الاقطار الاقليمية الاقطاعية والبورجوازية والحرفية ، وضعف القوى الاشتراكية وأحزابها وتأخر نشأتها ، أو معاناتها من الأنقسام . وهو أمر عطل قيام وحدة بين منظمات الطبقة العاملة وحركاتها على نطاق البلدان العربية . **والثانية** : بحصول البلدان العربية على استقلالها الوطنى ، وخوض بعض هذه البلدان بقيادة عناصر الديمقراطية الثورية معارك عديدة ضد الاستعمار والاحتكارات الاجنبية — كان اهمها تاريخيا النضال ضد حلف بغداد وتأميم قناة السويس ، والمناداة ببترول العرب للعرب . وهو نضال فرض على هذه القيادات ضرورة الاعتماد على الطبقة العاملة العربية . نقول تحت تأثير هذا كله نشطت الدعوة الى أهمية توحيد العمال العرب فى ١٩٥٥ . وكان أن قام **الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب** [مارس ١٩٥٦] على أساس المشاركة فى معركة النضال ضد الاستعمار واحتكاراته . ولقد اعتبر قيام هذا الاتحاد ركيزة من أهم الركائز التى بنت من خلالها الطبقة العاملة العربية تضامنها الاممى مع عمال العالم المناضلين ضد الاستعمار والرأسمالية ، ومع عمال بلدان الاشتراكية .

رابعا : ضعف تنظيم عمال الزراعة حيثما وجد ، أو انعدامه ، فى كثير من البلدان العربية . ويرجع ذلك الي أسباب كثيرة منها : ١ — أن القوى الاقطاعية وشبه الاقطاعية وكذلك البورجوازية تقف دائما فى وجه أى محاولة لتنظيم عمال الزراعة (*) وحتى قبل انتصار الثورات الوطنية استثنت القوانين العمالية التى صدرت واعترفت بشرعية النقابات — عمال الزراعة ضمن من استثنتهم من حق التنظيم . ٢ — أن القوى الاشتراكية التى نشطت فى البلدان العربية قد أهملت ان لم يكن كلية فلدرجة كبيرة النضال من أجل تنظيم العمال الزراعيين . ٣ — وعندما اعترفت الثورات الوطنية الديمقراطية بحق عمال الزراعة فى التنظيم — مع اصلاحاتها الزراعية — لم يتحقق اى توجه حقيقى الى الكتلة الاساسية الواجبة التنظيم من بين عمال الزراعة ، وترك تشكيل التنظيم النقابى لعمال الزراعة للتنظيمات الادارية ، وأصبحت الحركة النقابية لعمال الزراعة فى المدن فى الظل ، وتابعة أساسا للمستخدمين والعاملين بالشركات والمصالح الحكومية . ولم ينشأ تنظيم حقيقى للعمال الزراعيين الا على الدفاتر الخاصة بتسجيل العضوية ، وشهدت الحركة النقابية لعمال الزراعة قيادة مقاولى الانفار وسواقيهم والمهندسين الزراعيين ورجال الادارات القانونية فى الشركات الزراعية والادارية بها . كل هؤلاء تصدوا ومازالوا يتصدون لقيادة التنظيم النقابى لعمال الزراعة ، والعمال الزراعيين الحقيقيين المطحونين ما زالوا غير منظمين وبلا قيادات حقيقية تمثلهم .

■ **الملاحظة الثالثة** ■

عن الحريات النقابية فى البلدان العربية

نمت الحركة النقابية فى البلدان العربية من خلال مواجهة نضالية صعبة ومريرة منذ مطلع هذا القرن . وذلك من خلال الصراع مع السلطات والادارات الاستعمارية والرجعية ، وبتضحيات هائلة ، تمكنت أن تكسب حقها فى التنظيم .

وفى ظل عدد كبير من القيادات الوطنية للبلدان التى كسبت استقلالها السياسى ، وشقت طريق التطور غير الرأسمالى ، حصلت الطبقة العاملة على مكاسب اقتصادية واجتماعية وعلى حقوق قانونية . ولكن رغم ذلك ، فان قضية الحريات النقابية والديمقراطية لحركة الطبقة العاملة مازالت ناقصة ومشوهة ، وتتعرض للعدوان ولمختلف أساليب القهر والوصاية الادارية . وفى هذا المجال نكتفى بتقديم ما جاء

فى التقرير الذى قدم للمؤتمر الخامس للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب — عن الحريات النقابية فى الوطن العربى — وقد اقر المؤتمر فى اجتماعه المنعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٦ الى ٢٩ مايو ١٩٧٢ ، وجاء فيه :

« **أساليب الضغط على النشاط النقابى :**
تنوعت وتعددت أساليب الضغط على العمال ومنظماتهم لتعويق مسيرة الثورة الاشتراكية العربية ، ولحرمان العمال من حقهم الطبيعى فى الحرية والتقدم ، ولعزل منظمات العمال عن دورها الطليعى فى خدمة الطبقة الكادحة — التى طال حرمانها » .

« وقد اتخذت وسائل الضغط صورا شتى من أبرزها :

● سلب العمال حقهم الطبيعى فى التعبير عن رأيهم ، بمنعهم من تكوين منظمات نقابية ترعى مصالحهم وتدافع عن حقوقهم ، أو بتكوين منظمات هزيلة ضعيفة ، بناء على انتخابات لم تتوفر لها ضمانات الحيدة والنزاهة — بعيدا عن تدخل السلطات ، ومن ثم لا يتوفر للعمال الحق فى اختيار ممثليهم فى حرية وديمقراطية .

● تعرض النقابيين للضغط والتعسف ، وعدم وضع الضمانات التشريعية التى تكفل حمايتهم من التصرفات المجحفة التى تصدر فى مواجهتهم ، وبصفة خاصة لحمايتهم من الفصل بسبب النشاط النقابى ، فضلا عن وضع قيود على حرية وحركة أعضاء التنظيمات النقابية داخل المنشآت .

● تدخل السلطات فى النشاط النقابى بوسائل شتى ، منها وضع قيود على حرية العمال فى الانضمام الى النقابة التى يريدونها ممثلة لهم ، والتدخل فى وضع لوائح ونظم النقابات ، وفى اعداد برامج عملها ، وعدم السماح بعقد الجمعية العمومية للنقابة ، وتعطيل اجراء الانتخابات فى موعدها المحدد عملا على استبقاء بعض العناصر الموالية على قمة التنظيم النقابى، والالتجاء الى حل النقابات بالطريق الادارى ، واحتلال مقار وأبنية النقابات بواسطة رجال الشرطة .

● خنق الحريات المدنية التى هى أساس كافة الحريات بما فيها الحرية النقابية .

● القبض على النقابيين واعتقالهم وحبسهم دون محاكمة ، ومحاولة خطفهم ، أو الضغط عليهم لاجبارهم على تقديم استقالاتهم .

● عدم الاعتراف بالنقابة ممثلة للعمال ، والامتناع عن التفاوض معها حول الاجور وشروط العمل ، ولتسوية كافة المطالب الخاصة بتحسين أحوال العمال ورفع مستواهم الادبى والمادى .

● حرمان النقابات من الاشتراك فى ادارة المنشآت ومن المشاركة بالرأى فى مختلف أوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، ومن عضوية اللجان التى تعنى بالمسائل ذات المساس بالطبقة العاملة وجماهير الشعب العامل .

● وضع قيود ، وفرض اعباء تحول بين العمال وبين الترشيح لعضوية المجالس النيابية ، سواء منها ما يشكل على مستوى الوطن كله ، أو ما يشكل على المستوى الاقليمى والمحلى .

● رفض الموافقة على تفرغ النقابيين للعمل النقابى . رغم تزايد الاعباء التى تحتم التفرغ .

● سد الطريق أمام النقابيين لمنعهم من الاستزادة من برامج الثقافة العمالية ، ومن حضور برامج التدريب المهنى التى تستهدف زيادة مهاراتهم .

● منع النقابات من الاتصال بالجماهير ، ومنع نشر البيانات التى ترسلها الى وسائل الاعلام وتعطيل الصحف والمجلات التى تصدر عنها » .

ورغم ان كل ما جاء فى هذا التقرير ينطبق على عدد كبير من البلاد العربية ، فانه يجب أن نسجل ، انه فى بعض البلدان مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر قد كسب العمال الكثير فى مجال المشاركة ، وفى مجال الحريات القانونية . ولكن الكثير ايضا من هذه المكاسب مازال فى حاجة الى الدعم ، والى النضال ليس فقط من أجل المحافظة عليها بل ومن اجل توسيعها وتخليصها من قيود عديدة مازالت تثقل كاهلها . وأن من أهم الاخطار التى تهدد هذه المكاسب وتنتقص من قيمتها هو فقدان الحركة النقابية لاستقلالية حركتها الذاتية ، واستمرار الوصاية الادارية فى أغلب الاحوال .

■ **الملاحظة الرابعة** ■

الوضع الدولى للحركة النقابية العربية

لما كانت الحركة النقابية العربية فى مجملها حركة مناضلة ضد الاستعمار واحتكاراته بطبيعة نشأتها ، فانها كانت دائما على صلة بالحركة العمالية العالمية المناهضة للامبريالية والرأسمالية ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، ومنذ قيام الاتحاد العالمى للنقابات فى ١٩٤٥ . وقد فشلت معظم محاولات القيادات النقابية الانتهازية فى المجال الدولى أن تؤسس لها قواعد ثابتة وقوية داخل الحركة العمالية العربية . لم تنجح محاولات الاتحاد الدولى للنقابات الحرة والتابع فكريا للدولية الاشتراكية

الثانية : وللنقابية الامريكيـة [والـذى تأسس بنفوذ أمريكى بعد الحرب العالمية الثانية ، وعلى أساس من **التحالف** بين الدولية الاشتراكية الثانيـة ، والانتهـازية الامريكيـة — لمناهضة الاتحاد العالمى للنقابات] ، لم تنجح محاولاته لنشر افكاره عن النقـابية البحتـة ، والبعد عن السياسة — أى عن النضـال الوطنى — فى أن تجد لها صـدى فى الحـركة النقابية العربية بشكل عام . وقد كشفت الحركة النقابية العربية — منذ البداية — طبيعتـه المعادية لحركة التحرر الوطنى العربية فى أهم القضايا النضالية، التى خاضتها الشـعوب العربية ضد الاستعمار العالمى ، وبصفة خاصة موقفه من قضية الصهيونية ، ومنحه الهستدروت مركزا ممتازا داخله ، وانكاره لحقوق شعب وعمال فلسطين ، ودعمه لكل عـدوان اسرائيـلى على الارض العربية . وحتى بعض الاتحادات العربية باستثناء الاتحاد التونسى التى ارتبطت به فتـرة من الزمن — المراكش ، وقـطاع من الحـركة النقابية الجزائرية قد قطعت كل صلة لها به بعد ان تبينت حقيقة قيـادته ، ومـدى انغماسها فى أوحال الامبريالية والرأسمالية .

وعلى عكس الموقف من الاتحاد الدولى للنقابات الحرة — كان الموقف ايجابيا مع الاتحاد العالمى للنقابات . وقد تأسس الاتحاد العالمى بعـد الحرب العالمية الثانيـة — ١٩٤٥ — كتنظيـم طبقى عالمى موحدا للحركة النقابية فى أغلب بلدان العالم تحت راية النضال ضد النازية والفاشية وضد الامبريالية والرأسمالية العالمية . وقـد شاركت فى تأسيسـه قطاعات هامـة من الحركة النقابية العربية — مصر ولبنان وسـوريا والسودان — وقد اثبتت مواقف الاتحاد العالمى للنقابات منذ قيامه أنه الصديق الحقيقى لحركة التحرر العربية ولنضال العمال العرب من أجل حرية أوطانهم وتخليص طبقاتهم العمالية من نير استغلال الاحتكارات الرأسمالية .[وقف بحسم مطالبا بجلاء قوات الاحتلال الاجنبى عن البلدان العربية — مساندته للاتحاد الـدولى لنقـابات العمال العرب منذ نشأته وقيامه على أساس أنه تنظيم يناضل ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث وضد الصهيونية ودولتها العسكريـة العنصرية - اسرائيل - ومساندته الفعالة لنضال عمال وشعب الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى ، وتكوينه مع الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب اللجنة الدولية لمناصرة عمال وشعب الجـزائر - سبتمبر ١٩٥٨ - ، واللجنة الدولية لمناصرة عمال وشعب عدن ، واللجنة الدوليةلمناصرة عمال وشعب فلسطين .. الخ .

وهكذا فانه بينما ادين الاتحاد الدولى للنقابات الحرة فى الوطن العربى، فان الحركة النقابيـة العربية زادت من ارتباطها وعلاقتها بـالاتحاد العالمى للنقابات — ولم يعد السودان وحده ، وقطاع من الحركة العمالية اللبنانية الاعضـاء العرب الوحيدين فيه ، ففى ١٩٦٩ — فى المؤتمر النقابى العالمى السابع أصبحت سوريا والعراق وفلسطين واليمن بشقيها والحركة النقابية الاردنية — الاتحاد المبعد من الاردن — أعضاء فى الاتحاد العالمى للنقابات.

ومن المهم الاشارة الى أن هناك تطورات هامة فى مجال الوحدة النقابية الدولية ، حيث يزداد العمل من أجل تحقيق أشكال من الوحدة — فمن خلال الوحدة يمكن عزل القيادات الدوليـة الانتهازية . ومع نمو هذا النضال التوحيدى والذى يتم بفعل ضغط الحركة الجماهيرية للعمـال ، ونمو الصراع الطبقى على النطاق العالمى ، فان قيادة الحركة النقابية الامريكية التقليـدية فـى اتحـاد العمال الامريـكى ، ومؤتمر المنظمات الصناعية الامريكى — أن هـذه القيـادة تركت الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، وبدأت تنشـط وتعمل بشكل مستقل . وتحول مركز القيـادة داخل الاتحاد الدولى للنقابات الحرة للنقـابية الاوربية المرتبطـة أساسا بالدوليـة الثـانية .

وعلى الحركة النقابية العربية أن تتيقظ تماما للنشـاط المستقل الذى ستمارسه هذه القيـادة النقابية الامريكية بكل اتجاهاتها الامبريالية محاولة أن يكون لها نفـوذا خاصا فى الحـركة النقابية الافريقية والعربية . ومن ثم فان دور الملحقين العماليين الامريكيين عاد الى قوته التى كان عليها فـى الخمسينيـات ، ويسـعى هـذا النشاط الى ممارسة اعمال تخريبية داخل الحركة النقابية العربية ، باثارة خـلافات فكريـة وأيديولوجية ، ونشر فـكرة النقابيـة البحتـة ، واضعاف التكوين الطبقى للحركة النقـابية العربية ، وهو التكوين الذى بدأ ينمو ويتطور مع التطور الصناعى الكبير الذى تشـهده البـلاد العربية .

ان الحركة النقابية العربيـة — ورغـم أى ضعف وقصور — قد حققت الكثير من المكاسب والانتصارات ، وأكدت طابعها المعادى للامبريالية والرأسمالية ، وهى تتطور وخاصـة فى ظـل البـلدان التى تتطور عبر الطـريق اللارأسمالى والمتجـه الى أنجـاز مهـام الثـورة الوطنية الديموقراطيـة . ولذلك فـأن النشـاط الاستعمارى والامريكى بصفة خاصة سوف يركز الكثير من جهوده ضدها ، وضد تنظيمـاتها الناهضة بطموح طبـقى، وضـد الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب— والاساءة الى العلاقات المتطورة والصحية مع الاتحاد العـالمى للنقابات والمنظمات والاتحادات النقابية فى البـلدان الاشتراكية، والحركة النقابية الاوربية المناضلة ضد الاستعمار والرأسمالية .

اسرائيـــل ما بعـــد أكـــتوبر

ابراهيم كروان

خمسة أعوام كانت كافية . لقد وصلت الى نهاية الطريق.. ان الاستمرار بحمل المسئولية يتجاوز قدراتي. بهذه الكلمات اعلنت **جولدا مائير** أمام اجتماعات قيادات حزب العمل الاسرائيلى عن عزمها على انهاء حياتها السياسية التى بدأت منذ نصف قرن وبها ايضا اشعلت نيران أخطر أزمة سياسية فى تاريخ دولة اسرائيل منذ استقالة بن جوريون عام ١٩٦٣ ، وربما منذ خلق الدولة عام ١٩٤٨ . ويظل هذا الاستنتاج صحيحا — ايضا — برغم انباء تشكيل وزارة **رابين** الجديدة حيث انها وزارة اقلية تستند الى تأييد ٦١ صوتا فى الكنيست . وحتى بفرض دخول **المفدال** « الحزب الدينى القومى » الى الوزارة وكسب الائتلاف الحاكم لمقاعده العشرة فى الكنيست ، فان طبيعة المرحلة الراهنة والمقبلة تستلزم ان تتخذ القيادة الاسرائيلية قرارات حاسمة بشأن قضايا الحرب والسلام ومستقبل الاراضى العربية المحتلة ، وهو الموضوع المتفجر فى السياسة الاسرائيلية الذى يمكن أن يعرض الائتلاف الحاكم لتفكك سريع .

ان امعان النظر فيما حدث فى اسرائيل خلال المرحلة الماضية يؤكد ان الامر يتجاوز مجرد استقالة مائير او محاولة بعض قيادات النخبة الحاكمة الاستفادة من نتائج الحرب لوضع نهاية لمستقبل ديان العسكرى والسياسى اثر اذاعة مضمون تقرير **لجنة اجرانات** التى تولت التحقيق فى اسباب عدم استعداد القوات الاسرائيلية لمواجهة الهجوم المصرى السورى فى السادس من اكتوبر . وانطلاقا من هذه الحقيقة يقوم الافتراضان الرئيسيان فى معالجتنا هذه للواقع الاسرائيلى فيما بعد أكتوبر كالتالى :

الافتراض الاساسى الاول الذى تنبنى عليه هذه المعالجة هو ان ما يحدث فى اسرائيل فى هذه المرحلة — وبرغم صعوبة اصدار احكام نهائية على تطور لم تكتمل ملامحه بعد — هو انعكاس لازمة ثقة من المجتمع السياسى بازاء النخبة الحاكمة التي سيطرت تقليديا على السلطة فى هذا المجتمع ، أزمة الثقة هذه تجد لها شواهد واضحة بدأت بوادرها قبل حرب أكتوبر ، الا أن الحرب جاءت وعجلت بتفاعلات اجتماعية وسياسية أدت فى النهاية الى تبلور ظاهرة تحدث عنها البعض احيانا تحت اسم « فجوة التصديق » وتحدث عنها آخرون تحت مسمى « الهوة بين القيادة والجماهير » . ولكنها تنعكس برغم اختلاف المسميات فى انخفاض شعبية القيادات التقليدية فى النخبة الحاكمة ، والمطالبة بقدر اكبر من المشاركة السياسية من خلال تغيير النظام الانتخابى من جانب ، وابعاد القيادات الاوتوقراطية التى حالت دون المشاركة الجماهيرية فى الفترة الماضية ، كما تمثلت فى النهاية فى تعرض الجيش — احد أهم ادوات التكامل السياسى والاجتماعى فى اسرائيل — لانتقادات لاذعة . وقد ارتبط بهذه الشواهد جميعها ارتفاع مطلب التغيير بوضوح على المسرح السياسى الاسرائيلى .

الافتراض الاساسى الثانى الذى ترتكز عليه هذه المعالجة للازمة السياسية الراهنة فى اسرائيل هو أن هناك اسبابا عميقة الجذور لازمة الثقة هذه ولحركة الرفض والدعوة الى التغيير المرتبطين بها وهى اسباب تعود باصولها الى ما قبل **يوم كيبور** الا ان الحرب قد عجلت بتفاعل تأثيراتها وهى اسباب متعددة تتراوح ما بين المشكلة الامنية والآثار النفسية لحرب اكتوبر

على الاسرائيليين ومسألة الآثار الاقتصادية للحرب ومن يتحمل اعباءها واخيرا قضية الصراع بين الاجيال على مختلف مستوياتها وابعادها .
وعلى هذا فسنقسم موضوعنا الى قسمين رئيسيين نتناولهما وفقا لترتيبهما كالتالي :

أولا : ازمة الثقة فى النخبة الحاكمة :

وربما كان من الافضل ان نتناول ازمة الثقة التى تعرضت لها النخبة الحاكمة فى اسرائيل اعتمادا على المصادر الاسرائيلية ذاتها وخاصة ان المتتبع للصحافة الاسرائيلية بعد الحرب يلمس سريان موجة نقد قاسية لكل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لعلها تثير فى الذاكرة تلك الحملة من النقد الذاتى التى شهدتها المجتمعات العربية — بدرجات متفاوتة بالطبع — فى أعقاب نكسة سنة ١٩٦٧ حيث انها كسابقتها تتضمن ايضا التسليم بان ما حدث فى ميدان القتال يجد تفسيره الاساسى فى وجود ثغرات سياسية واجتماعية فى المقام الاول ، ولذا فلا يمكن فصله على نحو تعسفى عن التطورات السابقة على اشتعال القتال المسلح ويكفى لندرك ازمة الثقة هذه ان نلقى نظرة على افتتاحية صحيفة معاريف الاسرائيلية يوم ١٩٧٤/٣/٢٩ بعنوان « اسرائيل تبحث عن قيادة » وهى التى جاء فيها: « **تعيش البلاد فى ازمة زعامة وربما يكون هؤلاء الذين يرأسونها ويقررون مصيرها هم الاغلبية فى الكنيست غير ان هذه الاكثرية لا تمثل غالبية الشعب وفى ظل هذا النظام المعقد من العلاقات بين الحكم والشعب ضاع شىء ما هو التوافق الذى يعد شيئا اساسيا لكل نظام حكم هذا التوافق لازال غير موجود . ويبدو ان الجميع يدركون هذا عدا الحكومة فهى تلتزم الصمت حيال حالة الغليان والاحتجاج بين صفوف الجماهير وتظهر اللامبالاة فى مواجهة التنظيمات السياسية الجديدة وتبدى عدم الاكتراث ازاء المشاعر اليومية للجماهير التى يبدو منها انعدام الثقة . والحكومة مخطئة فى هذا فهناك هوة آخذة فى الاتساع الان بين الحكومة والجماهير** » .

ونتيجة لهذا المناخ الذى تعكسه كلمات معاريف اقتحم المسرح السياسى الاسرائيلى خلال الاشهر القليلة الماضية اصطلاحات اولها « الزلزال والثانى هو فجوة التصديق ، وثالثها هو المحدال أى التقصير »؟ فها هو **موشى ديان** يقول فى صحيفة معاريف : « **لقد حطمت حرب يوم الغفران مثل قبضة جبار طمأنينة المغفلين .. هل ستعود حياتنا حقا الى ما كانت عليه قبل الحرب ؟** » .
ويجيب **اريك رولو** مراسل صحيفة لوموند الفرنسية الواسعة الانتشار وعقب اقامة مطولة فى اسرائيل بكتابة مسلسلة من المقالات بعنوان « اسرائيل بعد الزلزال » جاء فى احداها : « ليس من شك أن زلزال اكتوبر قد اسقط عددا من الاساطير لتبدأ اسرائيل عهدا جديدا يتمثل بالشك والريبة والقلق والرفض ، ولم يعد ثمة شىء واحد فى اسرائيل معفيا من حساب الناس ونقمتهم ، السياسيون الذين كانوا يتمتعون ببعض حرمة أصبحوا ينعتون بالمنافقين الديماجوجيين الزعماء القدامى الذين كانت لهم فى القلوب منزلة خاصة تحولوا الى أفاقين ودجالين » .

وقد انعكس هذا كله ، فى انخفاض مذهل فى شعبية القيادات السياسية والعسكرية التقليدية وعلى سبيل المثال فقد انخفضت شعبية **جولدا مائير** من ٦٥ ٪ قبيل الحرب مباشرة الى ٢١ ٪ فى شهر مارس ١٩٧٤ ، كما اصبح **ديان** اسطورة حرب ٥٦ وحرب ١٩٦٧ ، هدفا لحملة نقد قاسية مما ادى الى ابعاده من المشاركة فى التشكيل الوزارى الجديد . ويكفى لندرك ضخامة ودلالة هذا التغير أن نعرف ان استطلاعا للرأى أجراه **معهد داحاف** الاسرائيلى لابحاث الرأى العام فى فبراير ١٩٧١ ، قد أظهر ان ٦٨ ٪ من الاسرائيليين يرون ان الجنرال **موشى ديان** هو الوحيد الذى يستطيع أن يخلف **جولدا مائير** كرئيس للوزارة . بل لقد بلغ الامر بشعبية **ديان** أن اظهرت نتائج استطلاع للرأى العام اجراه معهد **يورى** فى نفس الفترة لمعرفة الشخصيات الثلاث الاكثر شعبية فى اسرائيل حينئذ عن احتلال **ديان** للمقدمة وتلته **جولدا مائير** ثم **ايجال آلون** .

غير أن حرب أكتوبر وارتفاع حجم الخسائر البشرية الاسرائيلية فيها لاول مرة فى تاريخ المواجهات العربية الاسرائيلية واضطرار الجيش الاسرائيلى — ومكانته فى المؤسسة الحاكمة وفى الوعى الصهيونى لا تحتاج الى تعليق — الى التراجع ادت الى اصابة الاسرائيليين بالاضطراب والحيرة واهتزاز الثقة فى النخبة الحاكمة [1] . ومرة اخرى تشير افتتاحية

---

[1] لمزيد من التفاصيل ارجع الى نشرة م.د.ف بتاريخ ١٩٧٤/٤/١ وخاصة مقال دان مرجليت وماتى جولان فى هآرتس بتاريخ ١٩٧٤/٣/١٥ الذى جاء فيه :. ما حدث فى الاسبوع الماضى فادكثيرين الى التساؤل حول ما اذا كانت قد بدات حقبة جونسونية فى اسرائيل هل لم يعد الوزراء يستطيعون الظهور علنا دون أن ترافق خطاباتهم هتاف بسقوطهم ص ١٩٦ .

معاريف لهذه المعانى يوم ١٩٧٤/٣/٢٩ بقولها : **« لقد ابرزت حرب اكتوبر عيوبا خطيرة فى مستوى آداء الحكومة . فقد ثبت عدم صحة توقعاتها وتقديراتها . كما ان قدرتها على العمل كانت محل تساؤل كبير وبدأ الناس يرون رجال السياسة الذين كانوا يعجبون بهم فى ضوء** جديد ، واصبح ابطال الماضى الان اناسا حائرين **ضعفاء يخفون الحقيقة وليس لديهم الجرأة والجسارة على استخلاص النتائج من فشلهم»:**
ولعل فى الصورة الجديدة للصفوة السياسية التى حكمت اسرائيل تقليديا، وانخفاض شعبيتها ما يؤكد ان النظام السياسى الاسرائيلى على أبواب مرحلة جديدة سمتها الاساسية هى انتهاء عهد الاباء المؤسسين او الحرس القديم الذين كانت المؤسسة الصهيونية تربط بينهم وبين مفهوم الريادة . ويرتبط بهذه السمة — ايضا — ضعف متزايد لنفوذ البيروقراطية العمالية التى سيطرت على مقاليد الامور فى اسرائيل منذ خلق الدولة بل والتى كانت مركز الثقل فى اليشوف قبل ١٩٤٨ . ولعل هذا ما يبرر أن يصرح **بنحاس سابير** لمجلة تايم الامريكية تعقيبا على أزمة التشكيل الوزارى بقوله : **انها ليست أزمة حكومية انها ثورة** » وهو الامر نفسه الذى أكده الدكتور **بنيامين زئييف كادر** الاستاذ بقسم التاريخ فى الجامعة العبرية حين قال : « **لقد كانت الايام صعبة .. لان نظريات اساسية قد انهارت خلالها ولان بديهيات كثيرة قد تحطمت ولان اساطير عديدة قد انتهت بعدها** » .

اذا كنا حتى الان قد استطعنا ان نلمس ومن خلال تعليقات الصحف الاسرائيلية ومقالات الصحافة الغربية أن مايحدث فى اسرائيل فى هذه المرحلة يعبر عن ازمة عميقة الجذور تحتم انتقال النظام السياسى الاسرائيلى الى وضعية جديدة وتستلزم صياغة افكار وسياسات مختلفة عن تلك التى كانت سائدة قبل حرب يوم الغفران فاننا نستطيع وقبل أن ننتقل لالقاء الضوء على حركة الرفض والدعوة للتغيير أن نلمس مظهرين لهذه الازمة فى موقفين محددين تجمعهما وتشملهما ظاهرة النقد واعادة التقييم التى امتدت لتشمل كل شىء فى اسرائيل :

١ — ارتفعت خلال الاشهر الماضية فى اسرائيل دعوة الى اصلاح النظام الانتخابى ، وذلك بالغاء نظام التمثيل النسبى كلية وادخال نظام الدوائر الانتخابية المستقلة بدلا منه ، فمن المعروف ان نظام التمثيل النسبى قد أدى الى تدعيم سيطرة الاحزاب على الحياة السياسية . وحتى نكون أكثر دقة وتحديدا فان هذا النظام قد انتهى الى تقوية نفوذ سكرتارية الاحزاب او البيروقراطية الحزبية التى تضع قوائم الاحزاب فى الانتخابات، كما ان عدم مسئولية عضو الكنيست وفقا لهذا النظام امام المواطنين الذين انتخبوه قد جعل ولاءه الاساسى بل والوحيد لقيادة الحزب التى أختارته فى قائمة الحزب الانتخابية والتى حددت ترتيبه فى هذه القائمة ، وهو امر هام فى تفسير وجوده داخل الكنيست وبذا خلق النظام الانتخابى «ازمة مشاركة» حيث اضحى الكنيست فى التحليل الاخير برلمانا لسكرتارية الاحزاب وليس لممثلى المواطنين . غير ان الذى يجب الاشارة اليه هو ان وجود هذه الحقيقة قد اقترن فى الفترة الاخيرة بتصاعد ادراكها من جانب الاسرائيليين . فقد نشرت صحيفة معاريف بتاريخ ١٩٧٤/٤/١ انه قد تم اجراء استطلاع للرأى العام الاسرائيلى بناء على طلب حركة جديدة تسمى « من أجل تطبيق انتخابات شخصية وطريقة انتخابات الدوائر فى اسرائيل » أن ٦٢٪ من سكان اسرائيل يؤيدون تغيير طريقة انتخابات الكنيست والاخذ بنظام الدوائر الانتخابية المستقلة . ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركة تمارس نشاطا متصاعدا فى اسرائيل ويوجد لها فروع فى القدس وتل أبيب وحيفا وبير سبع اى أن نطاق التأييد لمطلب انهاء سيطرة البيروقراطية الحزبية آخذ فى الاتساع وهو ما يتفق مع ما كتبه **اندرية شيماما** فى صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ١٩٧٤/٣/٢٩ : « **لقد اتفق الجميع دون أن يخفوا معتقداتهم السياسية على ضرورة تغيير النظام الحالى فهم يطالبون باصلاحين انتخابيين أولهما : داخل الاحزاب كى يترك للاعضاء مهمة اختيار مرشحيهم ، وثانيهما على الصعيد الوطنى بجعل المنتخب مسئولا أمام ناخبيه ، وليس أمام لجنة من الحزب الذى يدين له بترشيحه وتعتقد الجماعات المختلفة ان تطبيق هذه الاصلاحات سيتيح للبلاد الا يفرض عليها قادة لاتريدهم مثل أولئك الذين يحكمون حاليا** » .

ومن الواضح على هذا النحو ان الدعوة لتغيير النظام الانتخابى لا تستند الى نواقص فنية محضة فى النظام المعمول به بل تخفى وراءها ازمة المشاركة التى هى امتداد للفجوة بين الصفوة الحاكمة والجماهير ، وهى على هذا الضوء تعكس تزايد الرغبة فى التغيير القيادى وهو ما تؤكده مقالة **لرونيه بودوك** فى صحيفة لوفيجارو الفرنسية بتاريخ ١٩٧٤/٤/١١ جاء فيها : « **اذا نجحت هذه الاحزاب والجماعات الجديدة التى تنادى باصلاح النظام السياسى الاسرائيلى فى فرض نفسها على الانتخابات الجديدة فان ذلك سيؤدى الى انتهاء احتكار البيروقراطية الحزبية للانتخابات وهيمنتها على الصفوة السياسية ، وفى هذا الصدد نستطيع أن نرى نهاية عهد بالنسبة لزعماء الدولة التقليديين وبالنسبة للنظام السياسى ككل** » .

٢ ــ لاول مرة فى تاريخ الكيان الصهيونى يتعرض النفوذ الاجتماعى للجيش ومكانته لضربة كتلك التى اعقبت حرب اكتوبر ١٩٧٣ [٢] ، اما مكانة الجيش البارزة فيما قبل أكتوبر داخل اسرائيل فلا يحتاج شرح اسبابها الى كبير عناء . فاسرائيل هى نتاج المشروع الصهيونى الذى هو فى التحليل الاخير تجربة استيطانية تجد خصوصيتها التاريخية فى نموذج « المجتمع المهاجر » . ولعل اهم سمات المجتمعات الاستيطانية المهاجرة هو ، بحكم طبيعة تكوينها، وجود صراع بين المجتمع الوافد والمجتمع الاصلى، ارتبط به فى حالة اسرائيل صراع آخر بين الكيان الذى تم خلقه وبين الاطار الاقليمى المحيط به متمثلا فى العالم العربى . ونتيجة لهذه السمة تعرف المجتمعات المهاجرة درجة عالية من العسكرة Militirization وتمجيد القيم والمؤسسات العسكرية وهو أمر يجد له ما يبرره بوضوح فى التجربة الاسرائيلية التى استخدمت العنف اداة اساسية فى محاولة تفريغ فلسطين من سكانها العرب وخلق واقع ديموجرافى جديد ، ثم فى تأسيس الدولة وتدعيمها والتوسع بحدودها من خلال ضربات عسكرية ثلاث سبقت حرب أكتوبر حققت فيها جميعا المؤسسة العسكرية مكاسب واضحة . وليس هذا بالطبع مجال حصر اسباب تمتع الجيش فى اسرائيل بالتقدير الضخم الذى كان له حتى اشتعال قتال أكتوبر . فان مثل هذه المسألة تستدعى متابعة دور الجيش فى عملية استيعاب المهاجرين وصهرهم وفى مجال تعليم الشباب وتثقيفهم وصهينتهم . وفى مجال البحث العلمى والنشاط الاقتصادى وهو ما تطلق عليه الدراسات الغربية تمدد دور الجيش فى بناء الامة Role expansion in Nation brilding الظاهرة الجديدة التى جاءت بها حرب أكتوبر الى جانب ازمة الثقة فى النخبة السياسية الحاكمة والبيروقراطية الحزبية هى اهتزاز مكانة الجيش فى الوعى الاسرائيلى وخاصة لدى جيل الشباب الذين خاضوا هذه الحرب القاسية وذاقوا مرارة خسائرها وتبدو هذه الحقيقة بوضوح فى احدى مقالات **اريك رولو** بعنوان «اسرائيل بعد الزلزال»: منذ انفجار فضائح حرب الجنرالات تحول الجيش الاسرائيلى الذى كان حتى الامس موضع تقديس الى موضوع للتندر والسخرية . ان صالة مسرح بلدية حيفا تكتظ كلّ يوم بالجماهير المحتشدة لمشاهدة مسرحية بعنوان « رأيى فى الحرب » تعرض مخازى **يوم كيبور** ، وتفضح طبقة الحكام وتندد بما تواضع الاسرائيليون على تسميته بالتقصير والخذلان اللذين وصما بالعار الجيش الاسطورى » . ولعل احد نماذج هذه السخرية وذلك التندر على قيادات الجيش الاسرائيلى مما كتبه الصحفى الاسرائيلى **عاموس كينان** المعروف بانتقاداته الشديدة للنخبة الحاكمة حين قال : « يبدو أن عمداء الجيش يصلحون لكل شيء فهم يصلحون لان يكونوا رؤساء بلديات ومديرى جامعات ووزراء واعضاء فى الكنيست وحينما يثور تصور ما يهتف الجميع أئتونا بعميد يخلصنا من ذلك » . ولعل احد الشواهد على حملة النقد الموجهة ضد قيادات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية واكثرها دلالة الدور الواضح للجنود المسرحين من الاحتياط بقيادة الضابط **موتى اشكنازى** فى قيادة حركة التغيير [٣] وهذا أمر مفهوم فقد أدت التجربة العملية التى مر بها هؤلاء الجنود والضباط الى انهيار الاساطير التى لقنها قادة المؤسسة العسكرية للشباب الاسرائيلى وكان هؤلاء هم اكثر العناصر المهيأة لادراك زيف اسطورة « الجيش الذى لا يقهر » الذى لم تستطع قيادته ان توفر لهم الامن داخل قلاع **خط بارليف** الحصين وينقل لنا **اريك رولو** أفكار ومشاعر أحد هؤلاء من جنود المظلات والتى عبر عنها بقوله : « عندما حملت من الهيكل الى الجبهة لم يخطر ببالى قط ان الحرب قد أشعلتها ورحت استرجع فقط ما طالما ردده **ديان** من أن حالة اللاحرب واللاسلم الراهنة توازى معاهدة سلام يتم ابرامها فى **والدورف استوريا** وانها مستمرة أكثر من عشر سنوات » .

واخيرا فان ما ينبغى تجنبه هو المبالغة فى توقع انهيار نفوذ هاتين المؤسستين الهامتين « الاحزاب والجيش » فى الحياة السياسية الاسرائيلية استنتاجا من الظواهر السابقة واذا أردنا وضع ما حدث فى حجمه الطبيعى فاننا نكتفى بالقول « **باهتزاز** » وليس «**بانهيار**»نفوذهما فان نفوذ الاحزاب السياسية فى اسرائيل بحكم الوظائف التى تمارسها واستيعابها لكافة جوانب الحياة الفردية ــ من اسكان وتعليم وتأمين صحى وصحافة ــ لا يتوقف على اعتبارات سياسية

---

(٢) للالمام بمختلف ابعاد هذا التطور الجديد ارجع الى : صبرى جريس : من دروس حرب تشرين ــ الاسرائيليون يعيدون النظر ــ مجلة شئون فلسطينية العدد ٣٣ مايو [آيار] ١٩٧٤ . ص ٦ ومابعدها. وانظر ايضا مقالة المؤرخ الاسرائيلى يعقوب تالمون فى ملـ ق نشرة م.د.ف بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٦ . ص ١١٩ .

[٣] انظر مقال تيدى برويس فى صحيفة دافار بتاريخ ١٩٧٤/٣/٢٢ عن ظاهرة الجنود المسرحين فى اسرائيل الذين وصفهم بانهم قادة هلامية متفجرة. نشرة م.د.ف. ١٩٧٤/٤/١ . ص ١٩٨ .

فقط وبالتالى لا يمكن ان يصاب نفوذها بانهيار مفاجيء او جذرى ونفس الامر ينطبق على الجيش بل لعل غالبية الانتقادات التى ارتفعت فى اسرائيل حتى اليوم والتى عكسها كتاب المحدال « التقصير تتركز حول كفاءة الاداء والقيادة ، وليس على صلب فلسفة الامن الاسرائيلى ذاتها.

ثانيا : الرفض والدعوة للتغيير :

« اننا نتهم الجهاز الاسرائيلى بانه باعماله واهماله قاد الشعب فى اسرائيل الى هوة الجحيم، اننا نتهم الجهاز بالافلاس فى المجال الذى باسمه وجد مبررا لكل جرائمه وفشله . الا من خلال ست سنوات وربع السنة اخذ منا قرابة ٢٥ مليار ليرة لاعداد الجيش للحرب ولم يكن الجيش معدا .. اضطرونا للتنازل عن المساكن الانسانية والتعليم اللائق لنا ولاولادنا وعن خدمات الشئون الاجتماعية والرخاء ، وعن الاجر الذى نقيم به أود عائلاتنا والمليارات التى أخذت منا باسم الامن اقاموا الفيلات الراسخة وخطوط الدفاع المنضعضعة اننا نتهم الجهاز الاسرائيلى بانه هو الذى منع عنا ظروف الحياة الحسنة فى السلام وأضاع الامن فى ايام الحرب . اننا سنحارب هذا الجهاز حكومة ومعارضة حتى نسقطه . ان هذا الجهاز ليس فى وسعه ان يحقق السلام مثلما لم يكن فى وسعه ان يستعد للحرب »[٤]. بهذه الكلمات طرحت حركة الفهود السود التى تتبنى قضايا اليهود الشرقيين فى اسرائيل تصورها لضرورة تغيير المؤسسة الحاكمة والى جانب هذا ظهرت نداءات وارتفعت دعوات اخرى للتغيير فقد طالب ممثلو الجماعات المعارضة التى تتألف فى المقام الاول من قوات الاحتياط التى جرى تسريحها عقب حرب اكتوبر بتوحيد كافة حركات المعارضة فى حركة واحدة يطلق عليها اسم « **سينوى** » اى التغيير [٥] وهكذا تحول اضراب عن الطعام قام به الكابتن **موتى اشكنازى** احد ضباط الاحتياط المشتركين فى حرب اكتوبر الى حركة جماهيرية يشارك فيها الالاف وتحظى بتأييد عشرات الألوف وتعبر عن اهدافها فى صورة مظاهرات ضخمة تطالب بابعاد **مائير وديان وسابير** وسائر « الوجوه المقدسة » التى حفلت بها كل وزارة اسرائيلية خلال العشرة اعوام الاخيرة السابقة لتشكيل حكومة **رابين** .

بل لقد امتدت الدعوة الى التغيير الى حزب العمل وهو حجر الزاوية فى الائتلاف الحاكم وعلى سبيل المثال فقد طالب **اريل الياف واسحاق بن أهارون** فى اجتماع سياسى مساء ٢٣/٣/١٩٧٤ بضرورة تغيير القيادة فورا وهدد **بن أهارون** انه فى حالة عدم تنفيذ هذا المطلب فمن المؤكد أن أعضاء حزب العمل سيفقدون السلطة واكد انسكرتير السابق **للهستدروت** ان حكومة حزب العمل قد سقطت يوم نشوب **حرب كيبور** ولم تنهض من سقطتها منذ ذلك الوقت . ومن الواضح أن هذا النوع من الدعوة للتغيير يعكس مايسمى بصراع الاجيال داخل الصفوة السياسية الحاكمة يقوده الان من يسمون «**بسابرا ما قبل الدولة**» اى أولئك الذين ولدوا على أرض فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ولكن فى اطار نفس الرؤية الصهيونية التى رسم معالمها الاباء المؤسسون بدرجة او باخرى .

واذا كنا قد تناولنا ظاهرة أزمة الثقة والدعوة الى التغيير فى المجتمع الاسرائيلى فيما سبق وذلك من حيث توصيف الظاهرة وعرض ملامحها وانعكاساتها فى الحياة السياسية الاسرائيلية فعلينا ان نتقدم الان الى ما وراء رصد الظاهرة ونعنى بذلك تحديد اسبابها وارجاعها الى اصولها ويمكن اجمال أهم الدوافع المحركة لحملة الرفض والدعوة للتغيير هذه فى الاتى :

١ ــ المشكلة الامنية :

لقد صاغت الصفوة السياسية الحاكمة فى اسرائيل تصورا معينا للصراع العربى الاسرائيلى ولاستراتيجية التعامل مع العرب . وكان **بن جوريون** بالتأكيد أهم واضعى اسس الاستراتيجية التى جرى العمل وفقا لها حتى لقد تحدث بعض الدارسين للسياسة الاسرائيلية عن وجود ما يسمى « **بالبن جوريونية** » للدلالة على مجموعة أفكار **بن جوريون** فى كيفية ادارة الصراع العربى الاسرائيلى بما يحقق الامن المطلق لاسرائيل . وهى تنطلق من نظرية الحصار العربى وترى أن الوسيلة الوحيدة لكسر طوق هذا الحصار وفرض القبول بالواقع الاستيطانى الصهيونى فى فلسطين على العرب هو الردع المستمر والعنيف وبدا يمكن كفالة أمن اسرائيل . وفى كل مرة كانت القيادة تسوق الاسرائيليين للحرب ضد العرب جرى الترويج لان هذه الحرب ستنهى كل الحروب والتى ستضمن الحل النهائى للمشكلة الامنية الا ان هذا لم يتحقق حتى عقب حرب ١٩٦٧ التى حققت فيها اسرائيل اضخم انتصاراتها

---

[٤] نقلا عن صحيفة السياسة اللبنانية فى ٣٠ مارس ١٩٧٤ ص ٢ .
[٥] نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١/٤/١٩٧٤ ص ٢٠٠.

العسكرية ، الا ان ما اعقب هـذا من عـدم استسلام العرب وبدء حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية من جانب ، وظهور وتصـاعد نشاط حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة من جانب آخر ، ثم تتويج هذا كله بحـرب اكتوبر ١٩٧٣ — قد أكد عجز المؤسسة العسكرية عن تحقيق الامن وهو ما ادى باجيال الشباب الى التساؤل المستمر عن ثمن العسكرة الدائمـة التى يخضع لها المجتمع وعما اذا كان محتمـا عليهم ان يحاربوا بصفة دورية كل بضعة اعوام دون ان يتحقق الامن ولحساب من يسقط آلاف الضحايا ويعود من ميدان القتال آلاف الجرحى والمشوهين ؟

٢ — المشاكل الاقتصادية :

كسائر الظواهر الاخرى تجـد المشـاكل الاقتصادية الراهنـة فى اسرائيل جـذورها وتطورها السابق قبل حرب اكتوبر فقد اتسم عام ١٩٧٣ بارتفاع فى الاسعار بلغ اكثر من ٢٠٪ وهو ما ادى الى تدهور القيمة الشرائية للنقود فى أيدى الطبقات الفقيرة ومتـوسطى الدخل وازدياد الاضرابات ، واذا كانت حرب اكتـوبر قد ادت الى اخماد هذه التناقضات مؤقتا نتيجة التركيز على قضية الامن فهى موضوعيا وفى الاجل الطويل تعمق من هذه التناقضات [٦] . وذلك نتيجة لزيادة الانفاق العسكرى وارتفـاع الاسعار ونفقات المعيشة فاذا ربطنا هذه الاعباء بحقيقة ان انخفاض مستوى المعيشة فى اسرائيل يرتبط باليهود الشرقيين الذين يشكلون اغلبيـة قوة العمل غير الماهر فسيبدو لنا ان الحـرب واعبائها قد قدمت زادا جديدا للصراعات الامنية والطائفية وللدعوة من أجل التغيير فى الحيـاة السياسية الاسرائيلية ، ولعلنا ندرك ابعاد هذه الضغوط الاقتصادية وآثارها النفسية على تدعيم دعوة التغيير اذا ما عرفنا ان حرب أكتوبر قـد كلفت اسرائيل عبئا ضخما قدره **بنحاس سابير** وزير المالية السابق بـ ٧ مليار دولار بمعـدل ٢٠٠٠ دولار لكل اسرائيلى . وقد واجهت الحكومة هذه الاعباء بطرح قرض اجبارى تضمن خصما من المرتبات تتصاعد نسبته من ٧٪ الى ١٢٪ رغم ان المواطن الاسرائيلى يتحمل أعلى نسـب الضرائب المباشرة فى العالم ، غير ان الخطوة الاكثر خطورة من كل هذا هى اقدام الحكومـة فى اعقاب الحرب على خفض الاعانات الخاصة بمجابهة غلاء المعيشة ومحاولة تثبيت الاسـعار ونتج عن هذا ارتفاع ضخم فى اسعار المواد الغذائية الضرورية لاستهلاك الطبقات الكادحة تراوح ما بين ٤٠٪ و ٧٠٪ كما قالت مجلة تايم الامريكية فى الاسبوع الثالث من مارس الماضى. وقد ادت هذه الضغوط الاقتصادية الى اثارة تساؤلين بارزين فى المجتمع الاسرائيلى يتعلق أولهمـا « بمن يتحمل اعباء الحرب » ؟ وقد طالب اصحاب دعوة التغيير بان يتحمل الاغنياء الجدد الجانب الاعظم من اعباء الحرب وهو المطلب الذى عكسه مقال **ليورام كينوك** فى صحيفة دافار بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٧٣ الذى جاء فيه « لقد دفع الشعب ضرائب من اجل رفاهية الاغنياء الجدد والباشوات وسيضطر الى الدفع ثانيـة وسيدفع عن طيب خاطـر ان عرف ان أولئـك الذين استحموا بالشـمبانيا وطاروا بالسيارات الفـاخرة فى شوارع البلد سيدفعون ايضا [٧] .

اما التساؤل الثانى فيدور حول دور ما يسمى بالمركب الصناعى Military Industrial Complex الذى اخذ ينمو فى اسرائيل فى اعقـاب حرب يونيـو ١٩٦٧ ليشير الى التحـالف الوثيـق بين المؤسسـة العسـكرية والبورجـوازية الاسرائيلية الصاعدة ، وهو تحـالف سياسى واقتصادى فى نفس الوقت وقد جاءت حـرب أكتوبر لتعمق الاحساس العام بمخـاطر هـذا المركب ودوره فى خلق المليونيرات الجدد ، وعلى سبيل المثال فقد نشرت صحيفة **دافار** الاسرائيلية فى ٧ نوفمبر ١٩٧٣ أن المؤسسـة العسـكرية الاسرائيلية قد طلبت من الصنـاعات المحلية امدادها باسلحة ومعدات فنية تبلغ قيمتها ٦ر١ مليار ليرة ، وهى الصفقات التى تثير مزيدا من الشكوك فى القيادة الاسرائيلية واهدافهـا على النحو الذى يكشفه بيان منظمة الفهود السـود فى اعقاب الحرب والذى قالت كلماته : « تكلف خط بارليف ثلاثة اضعاف ما كان يجب ان يتكلف وهذا بصراحة ليستطيع المقربون من جهـاز الامن الاغتناء فاعلانات المناقصة التى تصدرها وزارة الدفاع كانت اكثر من مرة مرتبة مسـبقا لمليونيرى **ديان** وكانت ميزانية الدفاع لديان ليقيم بها خطوطا مليونيرية ضد خط مليونيرى **سابير**»[٨].

---

[٦] د. على الدين هلال ، الاثـار السـياسية على المجتمع الاسرائيلى . مجلة السياسة الدولية العدد ٣٥ يناير ١٩٧٤ ص ١٠٧ .
ولمزيد من التفاصـيل عـن الاعبـاء الاقتصادية الناجمة عن حرب اكتوبر فى اسرائيل ارجع الى نشرة م.د.ف بتاريخ ١٩٧٤/٣/١٦ ص ١٨٠ . وما بعدها .
[٧] نشرة مؤسـسة الدراسـات الفلسطينية . ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ص ٦٧٩ .
[٨] نقلا عن صـحيفة السـياسة اللبنانية . مرجع سابق . ص ٤ .

٣ ـ الصراع بين الاجيال :

من قبيل التعسف بطبيعة الحال تصور بداية هذا الصراع فى اكتوبر ١٩٧٣ . الواقع ان حرب اكتوبر ارتبطت بظواهر عمقت من هذا الصراع ومن احساس الجيل الجديد بالاغتراب ازاء الواقع المحيط به فالصراع بين جيل الرواد « الحالونز » وجيل **السابرا** والذى تركز من قبل حول موقف الجيل الشاب الجديد الذى ولد بعد خلق الدولة من الايديولوجية الصهيونية ومن التاريخ اليهودى ومن يهود الشتات «**الدياسبورا**» ونمو النزعة البراجماتية العملية لدى هذا الجيل على حساب الالتزام الايديولوجى هذا الصراع قد اكتسب عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ ابعادا جديدة وموضوعات جديدة يعبر عنها **نورون روزنيلوم** احد السابرا الاسرائيليين بقوله : « **لقد شهدنا ثلاثة حروب وبدلا من ان يتعزز وعينا توصلنا الى نتيجة مؤداها ان هذا الجيل هو أتعس أجيال الشباب اليهودى لانه لا يعرف هويته الذاتية .. هل نحن يهود أم صهاينة أم اسرائيليين ؟** » .

ومن المسلم به ان المجتمعات الاستيطانية المهاجرة مثل الكيان الاسرائيلى تعانى من حدة مميزة لمشكلة الصراع بين الاجيال بين جيل المؤسسين والجيل الثانى الذى يسميه بعض علماء الاجتماع « الجيل الضائع » وبطبيعة الحال لابد ان ينعكس هذا الصراع فى الحياة السياسية حيث يميل الجيل الاصغر للنظر الى ما يعتبره جيل الرواد منجزات ضخمة على انه مسائل عادية يجب تطويرها وهذا ما كان عليه الحال فى اسرائيل قبل حرب اكتوبر وجاءت الحرب وسقوط اساطير النخبة الحاكمة وقدمت مادة جديدة لتجعل موضوع الصراع ليس تقييم المنجزات ولكن « تفسير التقصير » . ولعل مما يساعد فى تفسير ظهور حركة الدعوة للتغيير فى اسرائيل النظر اليها باعتبارها احد شواهد اختلاف معدلات استيعاب حقائق ودروس حرب أكتوبر والتصرف على اساس ذلك بين طرفى صراع الاجيال فى اسرائيل « فليس ميسورا على من صاغوا الاستراتيجية الاساسية للتعامل مع العرب بكل ما تتضمنه من أوهام اسرائيل الكبرى وسياسة التوسع وضم الاراضى وعبادة القوة والاعتماد عليها والتضخيم فى الذات الاسرائيلية والتهوين من شأن العرب ان يتراجعوا جوهريا فى موقفهم [٩] . اما على مستوى جيل الشباب فانه من المرجح ان يتغير وعيهم على نحو أسرع من معدل تغير الوعى لدى النخبة الحاكمة لأن الحقائق التى تولدت عن الاحتكاك المباشر بالعرب فى الحرب الرابعة ، والخسائر العالية المرتبطة بهذا الاحتكاك على الجانب الاسرائيلى تجعل وعى الشباب أكثر تأثرا بالواقع والتجربة عن الايديولوجية ،ولعل هذا ما يفسر لنا تزعم جنود وضباط الاحتياط لحركات الدعوة للتغيير . كما انه يفسر لنا ايضا ما نقلته وكالات الانباء من اسرائيل يوم ١٩٧٤/٣/٢٦ عن نتيجة أحد عمليات استطلاع الرأى العام والتى أظهرت ان ٢ر٢٠٪ من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ ـ ٢٩ سنة قد اعلنوا انهم يفكرون جديا فى الهجرة من اسرائيل كلية .

وهكذا ونتيجة لتفاعل هذه الاسباب ، المشكلة الامنية والضغوط الاقتصادية وصراع الاجيال ظهرت حركات الدعوة للتغيير فى اسرائيل من خارج جميع الاطارات الحزبية الصهيونية ،وبرغم ان جميع هذه الحركات والتنظيمات لم تنطلق من ايديولوجية محددة وموحدة الا ان نقطة البدء لديها جميعا كانت صدمة اكتوبر وما ارتبط بها من غضب وقلق وتوتر لدى الاسرائيليين وسقوط اساطير جيل المؤسسين مما يجعل النظام السياسى الاسرائيلى على أعتاب مرحلة جديدة يتوجب علينا ان نترقبها لا بمعايير التفاؤل او التشاؤم ،ولكن بكل العلمية على مستوى التحليل، وبالتاهب لكل الاحتمالات على مستوى الحركة .

---

[٩] السيد يس : التغيرات الاجتماعية داخل اسرائيل ، مجلة السياسة الدولية العدد ٣٥ يناير ١٩٧٤ ص ١٠١ .

فرنســــا .. الى أيــن تتجـــــه ؟

تحقيـــق من باريـــس

عن معركة انتخابات الرياسة

محمــد سـيد أحمــد

في تمام الساعة الثامنة من امسية ١٩ مايو ١٩٧٤ ، كانت شـوارع باريس كشوارع القاهرة قبيـل مدفع الافطار في رمضان ، كانت فرنسا كلها امام شاشات التليفزيون ، تنتظـر التوقعات الاولى عن نتائج اروع وانضج معركة شهدتها البلاد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، معركة كان سيتوقف عليهـا مصير فرنســا لسنوات عديدة قادمة بعد رحيل رئيسها جــورج بومبيدو .

واعلنت التوقعات بمجرد اغلاق مكاتب الاقتراع اى بعد الساعة الثامنة بدقيقة واحدة : ٨ر٥٠٪ لجيسكار ديستان ، ٢ر٤٩٪ **لفرنسوا ميتران** .. ثم صححت هذه النتيجة مرة واحدة بعد ساعة من بدء ظهور النتائج ، الى ٦ر٥٠٪ لجيسكار مقابل ٤ر٤٩٪ لفرنسوا ميتران . وكان هذا التوقـع دقيقا دقة تثير الدهشة . تأكدت نهائيـا قرب الساعة الحادية عشرة وذلك بفضل قياس نتائج الاقتراع بعقول الكترونية تعمل داخل مقر وزارة الداخلية ، وفي نفس اللحظة التي ظهر فيهـا **جيسكار** على شاشة التليفزيون ليعلن بالفرنسية ، ثم بالانجليزية [!!] ، ان فرنسا قد اختـارت رئيسها الجديد في شخصه ، اخذت سيارات ترفع الأعلام الفرنسي ، مكتظة بابناء وبنات الفئـات المترفة ، تخترق شوارع باريس لتتجمع في منطقة الشانزليزيه بين جموع السواح ، لتحيي **جيسكار** بزمامير صاخبة وهتافات مدوية ، بينمـا كانت الالاف المؤلفة المتجمعة امام مقـر **ميتران** في «التور مونبارناس» وامام جريدة الحزب الشيوعي « يومانيتيه » ترد بهتـاف واحـد بالغ الحرارة « وحدة شعبية » .. « جبهة شعبية » .

بدت النتيجة وكانما فرنسا قد انقسمت بالمناصفة تماما حول المرشحين للرياسة الى يمين ويسار . وفي صبيحة اليوم التالى ، بدأت الناس تفوق للنتيجة التى اسفرت عنها معركة امتدت الى كل ارجاء الارض الفرنسية طوال عدة اسابيع ، معركة اختبرت فرنسا فيها حقيقة ما تريده ، او بتعبير أدق ، حقيقة ما تريده كل فئة ، كل طبقة من طبقات المجتمع ، فى مواجهة اتسمت بالوعى وبالنضج وبالاتزان ، وبالانضباط ، قليلا ما شهد العالم مثيلا لها .

سمعت وانا احاول ان اتعرف فى شوارع باريس على آراء الناس .. سمعت عاملا مسنا صوت طوال حياته وفق توجيهات الحزب الشيوعى الفرنسى ، يقول : **« هل محكوم علينا الى الابد ان نظل فى المعارضة ؟!** .. ان فوز مرشح رأس المال بكرسى الرياسة ، بعد حشد لقوى اليسار لم يسبق له مثيل ، وفى وجه يمين تتطاحن جماعاته وفرقه ، هو الذى يدفع الشباب الى اليأس . وهو الذى يغذى الاتجاهات المتطرفة التى لا ترى غنى عن العمل من خارج المؤسسات » .

هذه الملاحظة ، ربما راودت الكثيرين ممن ادلوا باصواتهم **لفرنسوا ميتران** . ويكفى فى هذا الصدد ان نتذكر ان ربع الناخبين والناخبات فى فرنسا ، يعطون اصواتهم — مثل هذا العامل المسن — للحزب الشيوعى .

ومع ذلك ، ينبغى ان نقول **ان نتيجة انتخابات الرياسة لم تكن قضاء وقدرا** . ومهما قيل عن « حسابات » اليمين ، و « خطته » المرسومة او الضمنية ، القائمة على تقديم عدد من المرشحين فى الجولة الاولى ، لامتصاص اكبر قدر من الاصوات ، ومحاصرة ممثل اليسار من اكثر من وجه . ثم التركيز فى الجولة الثانية والحاسمة على اكثر هؤلاء المرشحين قدرة على منازلة اليسار الموحد .. مهما قيل عن هذه « الخطة » [وقد لمستها الصحافة بتعبيرات شتى] ، فقد ثبت الان انه **لم يكن امرا مقررا او محسوما مقدما أن يعجز اليسار فى اى ظرف عن « اختراق حاجز الصوت »** . وليس المقصود بهذه العبارة « حاجز الصوت » الذى يتعين على الطائرات اختراقه ، بعد التعرض لصعاب جمة يصاحبها انفجار مدو ، بل ظاهرة مماثلة فى صعوبتها ، تبرز أمام اليسار بمجرد اقتراب مرشحه من نسبة الخمسين فى المائة من اصوات الناخبين . ذلك ان هذه النتيجة تحرك غريزة « الخوف » من وصول الشيوعيين الى السلطة لدى قطاعات لا تزال غير هينة من المجتمع الفرنسى .

نقول : لم يكن مقررا بشكل « قدرى » ان يفوز **جيسكار ديستان** . ذلك انه قد ثبت فى آخر استطلاع للرأى العام ، الذى اجرى قبل يوم الانتخاب بـ ٤٨ ساعة ، **ان فرنسوا ميتران يسبق منافسه على نحو يرجح فوزه بمقعد الرياسة** . هذا الاستطلاع للرأى العام **لم تعلن نتيجته** . وتدخل رئيس الجمهورية بالنيابة ، **آلان بوهر** ، وطلب عدم اذاعته . وكانت حجته ان النتيجة قد عرفت بعد اغلاق باب الحملة الانتخابية . ولكن احيط المكتب المنظم لحملة جيسكار ديستان علما بالنتيجة . وخرج انصاره بكفاءة لا يضاريها سوى المنشطين للحملات الانتخابية الامريكية ، لنقل الشيوخ ، والسيدات من أناى القرى ، وحتى المشلولين والعجزة عن الحركة الى صناديق الاقتراع ، مقابل مبالغ انفقت بسخاء على شتى وسائل المواصلات المتاحة . وبفضل هذا الجهد الخارق — منذ الساعات الاولى من يوم التصويت — ارتفع عدد الذين شاركوا فى الاقتراع الى رقم قياسى [٨٧٫٩٪] ، وتجاوز بنسبة ٢٪ اكثر التقديرات تفاؤلا . **وقيل انه كان يكفى الا تتعدى هذه الزيادة ١٪ ، بدلا من ٢٪ ، ليتقلد فرنسوا ميتران ، بدلا من فاليرى جيسكار ديستان ، منصب رئيس جمهورية فرنسا الان** ، بكل دلالات هذا الفرق لا على سياسة فرنسا فحسب ، بل على ملامح السياسة الاوروبية كلها خلال السنوات القليلة القادمة .

برزت النتيجة على هذا النحو ، ربما ايضا بفضل ان الشباب الذى لم يبلغ سن الـ ٢١ سنة فى فرنسا ليس له حق الاقتراع ، وذلك ، خلافا لما يجرى فى كل دول غرب أوروبا الاخرى ، باستثناء اسبانيا واليونان . وعلى الرغم من ان جيسكار ديستان ولوكانويه [وهو زعيم « الوسط الاصلاحى » المشترك الان فى وزارة جيسكار] كانا قد اعلنا مرارا تمسكهما بحق الشباب بعد سن الـ ١٨ او الـ ١٩ فى التصويت . ورجحت اجهزة استطلاع الرأى العام ان مشاركة الشباب كان سيترتب عليها فوز مرشح اليسار بمنصب رئيس الجمهورية .

لقد سجلت انتخابات الرياسة الفرنسية ، على اية حال ، نتائج بالغة الاهمية يمكن اجمالها فى التالى :

انزواء الديجولية

● لقد سجلت **انزواء الديجولية** كظاهرة استمر لها وجود حتى بعد وفاة الجنرال ديجول ، وقراره بالابتعاد عن الحياة السياسية الفرنسية ، فى أعقاب احداث مايو الشهيرة فى اواخر ١٩٦٨ . بدات ملامح السياسة الديجولية تختفى حتى فى عهد الرئيس الراحل بومبيدو . وربما لم يتح للعرب ادراك هذا التطور فى كل ابعاده لالتزام بومبيدو — فى سياسته حيال العالم العربى — بمواقف لم تتأثر بهذا التغيير ، بنفس القدر الذى تأثرت به جوانب اخرى من الديجولية ، ربما كانت اكثر تعبيرا عن « جوهرها » وعن سماتها المميزة ، بالذات فيما يتعلق بسياسة فرنسا حيال امريكا ،وحيال بريطانيا ،وفى دخولها السوق المشتركة ، وحيال غرب اوروبا عموما ، ككيان قادر على التكتل والصمود والتمايز عن التكتلات الدولية الاخرى ، وانتهاج سياسات خاصة بها .

وربما كان ابرز تعبير عن انزواء الديجولية فى معركة الرياسة الاخيرة ، سقوط مرشح الديجوليين ، **شابان دلماس** فى الجولة الاولى ، وسقوطه بنسبة [١٥ر٦٪] لا تكشف عن مجرد مزاحمة له من قبل خصوم الديجولية التقليديين ، بل من قبل اطراف تآلفت مع الديجولية ، او شكلت جزءا لا يتجزأ من نسيجها حتى فى ظل عهد بومبيدو .

وقد اختلفت الاراء فى تفسير سلوك **جاك شيراك** ، رئيس **وزراء جيسكار** الحالى ، وكان منقبل وزير الداخلية فى الوزارةالاخيرةلبومبيدو، برياسة **ميسمير** . لقد قاد **شيراك** مجموعة من النواب الديجوليين سميت « بمجموعة الـ ٤٣ » لم تتورع عن اظهار انحيازها **لجيسكار** ضد **شابان دلماس** منذ الجولة الاولى فى الانتخابات، على نحو اثار غضب اقطاب الديجولية التقليديين، واعتبر سلوك **شيراك** وانصاره «خيانة» لرسالة الديجولية ، وحزب الديجوليين ، ومبادئهم . كما حملت هذه المجموعة المسئولية الرئيسية فى حصول **شابان دلماس** على هذه النسبة الضئيلة من الاصوات فى الجولة الاولى . ولكن هناك من المراقبين المحايدين من فسر **سلوك شيراك** على نحو مخالف . واستبعد ان تكون دوافعه « وصولية » او « انتهازية » فى المقام الاول .ذلك ان **شيراك** كان من اقرب المقربين الى **بومبيدو** ، ومن « تلاميذه الخلصاء الاوفياء » . فهل يرتد على رئيسه السابق بعد رحيله بأيام بهذه الطريقة الفجة ؟

هناك من يفسر تحول **شيراك** على انه كان **تعبيرا صادقا عن التحولات الجارية فعلا** ، الان، فى البرجوازية الفرنسية ، وحاجتها — امام زحف اليسار ، وامام تغييرات مختلفة اعترت سياسة فرنسا ، وسياسة اوروبا ، والوضع الدولى عموما خلال السنوات الاخيره ، الى « معادلة سياسية » تعبر عنها السلطة ، وهى معادلة لم تعد الديجولية بصورتها التقليدية مناسبة لها . ويقال ان **بومبيدو** نفسه كان يمهد ليحل **جيسكار** محله فى انتخابات الرياسة التالية، ولكن فاجأته المنية قبل ان يستكمل حلقات هذا « التمهيد » ، وفى وقت لم تكن فيه القيادات الديجولية التقليدية مهيأة لتقبل هذا « التحول » بارتياح ، بل فى وقت بدا فيه هذا « التحول » على حساب السلطة الديجولية ، وعلى حساب اخلص ممثليها .

وهناك فى حزب **ديجول** الكثيرون الذين لا يغفرون **لجيسكار** تمايزه عن اخلص انصار ديجول باعلان تحفظاته على تأييد **ديجول** بعد احداث مايو ١٩٦٨ ، وتعرض شخص **بومبيدو** نفسه لانتقادات من قبل **جيسكار** . ولكن من وجهة نظر **مصالح البرجوازية العليا** ، هناك من يعتقد ان بومبيدو نفسه كان قد توصل الى نتيجة ان **جيسكار** كان انسب من غيره لحفظ هذه المصالح فى وجه تحديات زادت كل يوم ضراوة.

انقسام فرنسا — مناصفة — الى يسار ويمين

● كانت **القضية الثانية** ، التى ابرزتها انتخابات الرياسة ،انقسام فرنسا — مناصفة — بعد انزواء الديجولية ، الى يسار ويمين . لقد سجلت الحملة الانتخابية ، بعد ان حقق اليسار، وبالذات الحزب الشيوعى والحزب **الاشتراكى** وقطاع من الراديكاليين اليساريين ، ائتلافا قويا حول برنامج مشترك واحد ، تقدما بارزا لمواقع اليسار فى المجتمع الفرنسى بانتقال عدد الناخبين الذين صوتوا لمنبر اليسار من ١٠ ملايين اصوات فى الانتخابات للجمعية الوطنية فى مارس ١٩٧٣ الى ١١ مليون صوت فى الجولة الاولى من انتخابات الرياسة ، الى ١٣ مليون صوت فى الجولة الثانية .

ان حركة اليسار قد بلغت من القوة والاندفاع ما ترتب عليه تجمع كل الاصوات اليسارية دون استثناء حول مرشح واحد فى الجولة الثانية . كان اليسار المتطرف من تروتسكيين وماويين ، وفوضويين الى غير ذلك من المجموعات التى نشأت وترعرعت فى اوساط الطلبة بالذات بعد احداث مايو ١٩٦٨ ، قد رفضت الانتماء الى البرنامج المشترك ، بدعوى ان هذا البرنامج

لا يحقق لفرنسا الثورة او الاشتراكية ، بل هو عبارة فقط عن برنامج ديموقراطى يمكن له فى الامد البعيد ان يخدم البرجوازية فى الخروج من المأزق الذى تعانيه الان . والاتجاهات اليسارية المتطرفة اصرت فى الجولة الاولى من انتخابات الرياسة ان تقدم مرشحيها المستقلين . ولكن مع احتدام المعركة فى الجولة الثانية ، وقصرها على مرشحين فقط ، لم يعد هناك مجال لاى عبث ، وكان لابد من الاختيار بينهما . وعلى حد قول **كون بنديت** ، زعيم حركة الطلبة فى مايو ١٩٦٨ ، فان الامتناع عن التصويت لايعنى سوى التصويت **لجيسكار** . وقد تآلفت العلاقات بين قوى عديدة داخل اليسار ، حتى خارج القوى المنتمية الى البرنامج المشترك ، بدرجة ان **ميشيل روكار** ، زعيم الحزب الاشتراكى الموحد ، وهو حزب صغير العدد ، ولكنه يمثل اهمية نوعية لتجميعه عناصر اشتراكية من جذور تاريخية متنوعة ، رفضت الانضواء تحت البرنامج المشترك لاتهام هذا البرنامج بطابع اصلاحى ، قد بدأ يرى ان الظرف سانح لبحث اعادة تجميع اليسار ، فى ضوء تجربة المعركة الانتخابية ، ولتعزيز التآلف الذى اتجز ومواجهة تحديات المستقبل .

هذا الانبعاث الجديد من قبل اليسار ، والحركة الوحدوية التى اطلقها على نحو لم تشهد فرنسا مثيلا لها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والتى تذكر بأيام « **الجبهة الشعبية** » المجيدة عام ١٩٣٦ ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، والتى حشدت قوى بلغت رقما قياسيا فى كل تاريخ فرنسا المعاصر ، هذه القوة **الجديدة لليسار هى التى تقف وراء حاجة البرجوازية الفرنسية الى راية جديدة غير راية الديجولية** . وعلى الرغم من ان الديجولية كانت موضع اتهام دائما من جانب اليسار ، على انها تمثل رأسمالية الدولة الاحتكارية . وانها الوجه الذى ارتضاه اليمين لتقلد مقاليد السلطة ، الا ان الديجولية لم تكن تمثل اليمين بكل اطرافه وتشكيلاته . وكان للجنرال ديجول . [وللديجولية بالتالى] مطامح استمدها من حرصه على استقلال فرنسا وكرامتها الوطنية ، هذا التطلع الذى يرجع بجذوره الى موقفه البطولى عام ١٩٤٠ فى رفض استسلام فرنسا للاحتلال النازى . وهذه المطامح كانت تتعارض فى سياسته الخارجية بالرضوخ لهيمنة امريكا على مقدرات فرنسا ، وباعلاء كلمة فرنسا المستقلة ، حتى مقابل ثمن باهظ بتمادى فرنسا فى بناء قوتها الضاربة النووية الخاصة بها ، وهذه المطامح كانت وراء تصورات ديجول عن بناء دول غرب اوروبا ككيان متمايز على المسرح الدولى ، بارادة مستقلة عن الدول العظمى جميعها ، الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على حد سواء ، مع انتهاجه فى نفس الوقت سياسة تتسم بعلاقات تكافؤ وحسن الجوار وتبادل المنفعة مع جميع هذه الاطراف الدولية دون استثناء .

كانت القوى المختلفة المشكلة لليسار قد عقدت اجماعا على انتقاد سياسة الديجولية الداخلية . بدرجة ان اتجاها داخل الديجولية بدأ يرى بعد أحداث مايو ١٩٦٨ ، الحاجة الى محاولة « احتواء » هذه المعارضة المتعاظمة بطرح شعار « مشاركة » العاملين فى الادارة ، كوسيلة للحد من تفاقم الصراع الاجتماعى . وكان شعار المشاركة موضع انتقاد اطراف داخل المؤسسة الديجولية وخارجها بين احزاب اليمين . وكان اليسار يرى ما يبرر انتقاد صورة المؤسسات فى ظل الجمهورية الخامسة ، القائمة على تضخيم الصلاحيات التى يملكها رئيس الجمهورية ، والتى كان ديجول قد جعل منها وسيلة لتعزيز ملامح نظامه « الرياسى » .

ولكن اليسار لم يكن قد حقق اجماعا مماثلا على انتقاد سياسة الديجولية الخارجية . وكانت هناك جوانب لهذه السياسة الخارجية ، يلتقى فيها بعض الاتجاهات اليسارية [كالحزب الشيوعى مع حزب ديجول فى الموقف من ازمة الشرق الاوسط] ضد قوى اخرى داخل معسكر اليمين ومعسكر اليسار على حد سواء .

الا ان الصورة الان بعد انتخابات الرياسة الاخيرة ، وبعد انزواء الديجولية ، قد اختلفت اختلافا نوعيا .

فبفضل تعاظم شأن اليسار ، وصل الاستقطاب الى مداه . ولم يعد ممكنا لليمين — امام ائتلاف اليسار — الا أن يغلب مصالحه المشتركة على الخلافات التى قد تعترى صفوفه .

وعلى الرغم من ان اقطاب الديجولية قد نحوا من السيطرة على مقاليد السلطة ، فلا مناص من ان يسلموا بالقيادة الجديدة التى لا تنتمى الى صلب التيار الديجولى ، لان التحدى الذى امامهم هو تحدى اليسار مؤتلفا . وكان زحف اليسار فى انتخابات الرياسة من القوة بحيث انه استطاع ان ينتزع من العناصر التقليدية التى تصوت للديجولية ما يقرب من ٨ الى ١٠٪ من اصواتها .

كان لابد لمعسكر اليمين من ان يتسع ليضم فى معسكر واحد ، وحول مرشح واحد ، قوى شديدة التباين فى منطلقاتها ، من الملكيين وخصوم ديجول التقليديين الذين عارضوا سياسة منح الاستقلال للجزائر ، الى عناصر الوسط الاصلاحى

مثل **جان جاك سيرفان شريبير وجان لوكانويه** ، ذوى الميول الاطلنطية السافرة ، وهذا الائتلاف الجديد الذى لايجمعها سوى « الخوف » المشترك فى مواجهة انطلاقة « الامل » التى يجسمها اليسار ، انما تتهدده وتعترضه حزازات وحساسيات متأصلة ، وصراعات شخصية وغير شخصية ذات جذور قوية .وليس هذا كله من شأنه تيسير مهمة رئيس الجمهورية الجديد فى أن يحكم فرنسا بنصف فرنسا ، وهذا النصف بالذات الذى تستبد بهخلافاتوتطاحنات، النصف الذى شهد فجأة تغييرا فى الوجوه التى تتصدى لاعلى مواقع المسئولية ، فى ظرف تتفاقم فيه الصراعات الاجتماعية ، ويصل الاستقطاب الاجتماعى فيه الى مداه ، وتبرز وتتفاقم المشاكل الاقتصادية فى صورة ارتفاع اسعار المعيشة ، وتعاظم موجات التضخم ، واختلال ميزان المدفوعات والميزان التجارى ، وتعقد المشاكل النقدية . كل ذلك على نحو يتعذر ايجاد حلول لها دون تغيير جذرى فى كل معطيات الموقف الاقتصادى . وكان ذلك هدف برنامج اليسار . ومن هنا تصعب مقاومة مقترحات هذا البرنامج ، ومواجهة تفاقم هذه المشاكل وارضاء الاطراف ذات المصلحة فى عدم المساس بجوهريات الاقتصاد الراهن فى وقت واحد .

شخصية جيسكار

يشتهر **جيسكار ديستان** ، رئيس الجمهورية الجديد ، بأن اصوله العائلية لا تعود فقط الى ملوك فرنسا : الى لويس الخامس عشر بالذات، بل يعتبر كذلك من المع ومن اكفأ من انجبته البرجوازية الفرنسية فى الجيل الراهن من ساسة فرنسا . مما يفسر قول البعض أن الرئيس الراحل **بومبيدو** ، رغم كل مآخذه على **جيسكار** ، وكل خلافاته معه ، كان يرى فيه — ربما — افضل — القادرين علىمواصلة المسيرة بعده ، وقد اثبتعلىأى حال ، فىالمبارزة التىواجه فيها **فرنسوا ميتران** على شاشات التليفزيون ، بضعة أيام فقط قبل قفل باب الحملة الانتخابية، قدرة خارقة على خوض معركة عملاقة فى قوة الحجة ، ورصانةالتعبير وسرعة البديهة . ومعأن **جيسكار** قد ابرز صفات مماثلة لخصمه ، فى القدرة على الجدل المنطق وفق اروع التقاليد الثقافية الفرنسية ،الا انه قد ظهر — فوقذلك — القدرة على ترك انطباع لدى مشاهديه عن شخصه توحى بانه « اليق » من خصمه فىتقمص « شخصية رئيس الجمهورية » ، وفق « الصورة » التى ترضى تطلعات رجل الشارع غير المسيس، أو ربة البيت المحدودة الثقافة السياسية .

وقد سمعت من معلق سياسى لا يمكن بأىحال اتهامه **بميول لجيسكار ديستان** ، ذلك انه ينتمى الى الحزب الاشتراكى الموحد الذى يقفالىاقصى يسار الخريطة السياسية ، ان **جيسكار** ربما يستطيع — فى المستقبل — ببراعته السياسية، وبالاعتماد على كفاءاته ، كخبير فى شئون المال والاقتصاد ، أن يقوم بمجموعة مناورات تستهدفارجاء تفجر المشاكل الحقيقية التىتلاحق فرنسا اقتصاديا واجتماعيا . وانه سوف يرمى، بذلك ، الى احداث قلقلة فى صفوف اليسار الذى كاد يصل الى السلطة ويعيش الان مرارةانفلات الفرصة لنسبة من اصوات الناخبين لا تصل الى ١٪ .

وقد يتعرض **جيسكار** لمشاكل باعتبار انالیمين لم تأتلف صفوفه الا لمواجهة ائتلاف اليسار ، وطالما كان هذا الائتلاف خطرا يتهدده . ولكن بمجرد انتهاء معركةالرياسة ،واستقرار السلطة فى يد **جيسكار** وانصاره ، لم يعد هذا الخطر واردا على نحو مماثل ، ومن شأن ذلك — بالضرورة — ان تتفاقم الخلافات والنزاعات فى صفوف القوى التى لم تجد مفرا من الالتفاف حوله ضد تحدى اليسار .

وأبرز قوة سياسية تهدد **جيسكار** فى هذا الصدد هى الديجولية باقطابها التقليديين الذين نحوا من مراكز المسئولية ،رغم احتفاظهم باغلبية كبيرة داخل الجمعية الوطنية . وقد حاول **جيسكار** درء هذا الخطر بوضع **شيراك** — الديجولى الاصل على رأس الوزارة ، مع تطعيم هذه الاخيرةبعناصر اخرى كانت فىظلالديجولية تنتمى الى صفوف المعارضة ، وعلى رأسهم قادة « الوسط الاصلاحى » مثل **جان لوكانويه** ، وحتى « **جان جاك سيرفان شريبير** » الذى اختلف مع غالبية الحزب الراديكالى الذى يرأسه ، واعلن تأييده لجيسكار ، لا لميتران فى معركة الرياسة .

ويرى الكثيرون اناسلوب **جيسكار** لزيادةدعم تجانس العمل بين الفرق المختلفة التى شكل منها ركائز سلطته ، انما سوف يعتمد على تعزيز « صورته الرياسية » ، والتوسع فى صلاحياته كرئيس للجمهورية ،ومواصلة التقليد الذىوضعه ديجول فى هذا الصدد ، مع التمادى فيه الى حد أبعد ، وربما باسباغه صفة « تكنوقراطية » تقوم على فكرة « التحديث » وفكرة « الكفاءة » بدلا من الصفة « الادبية » التى كان يعتمد عليها **ديجول**، وبناء « صورته » لدى الفرنسيين باعتبارتجسيما « لمجد » فرنسا و «اصالة» تقاليدها عبر العصور، .. ان « الصورة » التى يشيعها **جيسكار** عن نفسه ، هى اكثر براجماتية ، وانسب لتطلعات

المجتمع التكنوقراطى الذى تتقمصه الرأسمالية المعاصرة ، واقرب الى « صورة » كيندى وممثلى فلسفة « تجديد الرأسمالية » فى الولايات المتحدة .

ومع ذلك يبدو ان التنبؤات القائلة بقدرة **جيسكار** على ارجاء تفجر المشاكل المتفاقمة ، وعلى احداث قلقلة فى صفوف اليسار ، وعلى اجتذاب اطراف منه للتعاون معه ، وعلى تجسيم الصورة التى طالما تحدث عنها طوال معركة الرياسة ،على انه سوف يصبح بحق « رئيسا لكل الفرنسيين » : [لا لنصف فرنسا فقط !] لم تتحقق على النحو الذى تصوره الكثيرون .

فلم تمر ايام على تشكيل الوزارة الجديدة حتى اضطر **جيسكار** ان يبعد سرفان شريبير عن منصبه الوزارى بعد ان ادلى هذا الاخير بآراء حول استمرار فرنسا تجاربها النووية فى المحيط الهادى ، ادان فيها هذه التجارب بشدة ، وادان معها تمسك الوزارة الجديدة بقوة فرنسا النووية الضاربة ، وخرج بذلك على التضامن الوزارى . وكان سيرفان شريبير قبل ذلك بايام معدودة فقط الوزير الذى خصه جيسكار — عند تقديم وزارته الجديدة — باكبر قسط من المديح!

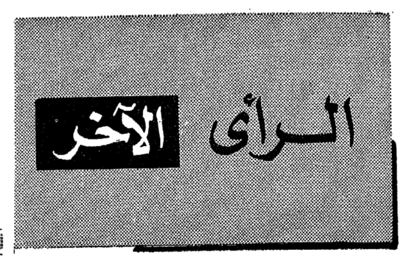
ولم تمر ايام على تشكيل الوزارة حتى اضطر **شيراك** ان يعلن عن ضرورة اللجوء الى اجراءات تقشف ، واجراءات تحد من التوسع فى الاستثمار والصناعة والانتاج ، لمقاومة تفاقم التضخم ، وزيادة الاختلال فى ميزان المدفوعات . واجراءات التقشف هذه هى نقيض السياسة المالية التى وعد بها جيسكار منذ ايام فقط طوال فترة الحملة الانتخابية . وكان قد تمادى فى وعوده للعاملين بزيادة نصيبهم من المرتبات والاجور والامتيازات المتنوعة لمواجهة برنامج اليسار ، دون اللجوء الى اى تعديل فى هياكل فرنسا الاقتصادية ، الى حد ان اليسار اتهمه علنا بالديماجوجية . وها هو يثبت الان ان هذه الوعود كانت بالفعل على غير اساس ، وثبتت صحة اتهام اليسار لها بانها غير قابلة للتنفيذ .

الواقع انه منذ ان تقلد **جيسكار** منصبه ، لم يحدث ارتداد فى المد الوحدوى الذى اتسع لمختلف تشكيلات اليسار ، بل احتفظ هذا المد بديناميكيته . وتجرى الان مناقشات حول توحيد الفرق المختلفة المنتمية للاشتراكيين ، كما تعزز الاتجاه لزيادة الانضمام الى صفوف الاحزاب اليسارية ، والى الحزب الشيوعى بالذات . بدرجة ان لجنة منطقة باريس « فى الحزب الشيوعى قرر ان يعقد اجتماعات خلايا العاصمة علنا ، وبحضور من يشاء من انصار الحزب غير المنضمين الى صفوفه ، لازالة اى التباس حول ديموقراطية نشاط الحزب ؟ ولزيادة اشعاع الحزب . وهذه تجربة رائدة — لو نجحت — قد تعم نشاط الحزب فى المدن الكبيرة الاخرى .

صورة تنبىء عن تحولات
تجرى الان على النطاق الاوروبى

لفرنسا خاصية ميزتها عبر تاريخها . وهى انها اقدر من غيرها من دول أوروبا على أن تكشف فى تحولاتها الداخلية ما يرمز لحقائق تمتد فى احوال كثيرة لنطاق اوسع ، وتصلح كمؤشرات لاتجاهات تعم غرب اوروبا ككل . كانت الديجولية رمزا لاتجاه أوروبى نحو الاستقلال باوروبا عن الهيمنة الامريكية ، بعد ان اعادت اوروبا بناء اقتصادها بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم تعد تستطيع الاعتماد على عالم المستعمرات الذى كان يتبعها من قبل . على الاقل بمقتضى علاقات التبعية التقليدية ، وكان عليها ان تعيد بناء علاقاتها الدولية بما يحقق لها شخصية جديدة تلائم المتطلبات الجديدة . وبدت الديجولية كارهاصة أولى نحو كيان أوروبى ، مع صورة معينة لما ينبغى أن تكون عليه الشخصية الوطنية لكل دولة داخل هذا الكيان . ولكن بانزواء الديجولية الان ، تتكشف صورة اخرى لاوروبا ، صورة زيادة الاستقطاب فيها بين يمين ويسار ، بين اتجاهات اطلنطية ترى — بعد ازمة البترول الناتجة عن حرب « أكتوبر » أن التوافق مع أمريكا شر أقل من تحمل زيادة الاسعار ، وتفاقم التضخم ، ومقاومة منافسة أمريكا لاستعادة علاقاتها مع الاطراف التى تملك البت فى شأن تصدير البترول من الشرق العربى . واتجاهات يسارية لم تكن فرنسا وحدها هى التى تشهد تعاظم شأنها ، وهى القوى التى تؤمن بأن نهضة أوروبا رهن مشاركة أعظم لشعوبها فى تقرير مصائرها ، بدلا من أن يكون هذا المصير رهن مصالح الشركات المتعددة الجنسيات التى تستبد بمصائر عالم « الغرب » على اختلاف الكتل الاقليمية التى تشكله .

فى مثل هذا المناخ الذى يوحى بزيادة تعاظم الصراعات الاجتماعية ، هل تملك اوروبا مقاومة خطط أمريكا لتعزيز مظلتها الاقتصادية على أوروبا ؟ وهل تملك منافستها فى مناطق أخرى من العالم ، والعالم العربى فى مقدمتها ، وهى مناطق تمثل لاوروبا مصالح حيوية ؟ ولكنها لا تملك أوروبا الارادة الموحدة التى تمكنها من حفظ مصالحها فيها ككيان موحد ، فى وجه ما يشكل من وجهة نظرها .. اكثر من تحد ؟ .



● نحو فلسفة شاملة من أجل الوحدة العربية

فتحى قبانى *

لا شك أن « الوحدة العربية » كهدف ، كانت ولازالت تستند الى فكر قومى ، دون أن يعنى هذا أن الفكر القومى قد استند الى فلسفة حية تستطيع ان تعطيه دفعة حيوية تحميه وتجنبه الوقوع فى توالب نظرية لا حياة فيها . صحيح أن الفكر القومى كان ولا زال مبررا بمعطيات تاريخية وبظروف موضوعية مثل اللغة والثقافة المشتركة والتاريخ والمصالح المشتركة الى غيرهما ، ولكن هناك فرقا واضحا بين التبرير وبين الفلسفة .

ان الفلسفة لا تكتفى بالقول ان اللغة العربية هى من مقومات القومية العربية ، وانما هى تجيب السائل : لماذا تكون اللغة احدى العناصر المكونة للشخصية العربية الواحدة ، وتبقى الفلسفة بهذا المعيار تجيب حتى تصل الى فلسفة الفكر القومى بكل مبرراته ، ثم تجيب أخيرا على السؤال العريض : لماذا الوحدة العربية ؟

الفلسفة ها هنا ، لا تخضع لاعتبارات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة .. هى فوق ذلك كله أو هى مستوعبة له فى حدود مشتركة نابعة من التحليل العميق المستند ، فيما يستند ، الى علم النفس الشخصى وعلم النفس الاجتماعى ، والمستند أيضا الى فهم وتحليل لطبيعة تطور العلاقات والصراع فى الوطن العربى وفى العالم أجمع والى تطور مجرى الانسانية عامة .

لم يكن لاية نظرية اقتصادية واجتماعية أن تطرح نفسها الى الوجود دون أن تستند الى فلسفة شاملة تكون بمثابة الكل الذى تتولد عنه الاجزاء أو تلتقى فيه أخيرا ، وتكون ضوءا كبيرا يشع دائما بلا انقطاع لانه يستمد حياته من الحياة نفسها ولا يخضع بالتالى لنزوات سياسية أو تصرفات ذاتية أو عاطفة عائمة على السطح .

ان الجواب على السؤال العريض : لماذا الوحدة العربية ؟ يبدو أهم كثيرا من البحث عن طرق ووسائل تحقيق الوحدة العربية ان بدءا بالاقتصاد أو السياسة أو الثقافة . وانه بالقدر الذى يبدو هذا السؤال ، للبعض ، سخيفا ، فانه لم يزل يعمل عمله بالخفاء وفى صمت فى أعماق كل فرد من أبناء هذه الامة من المحيط الى الخليج .

أريد أن أشير هنا الى نقطة دقيقة هامة وهى التى تسبق كل انقلاب جذرى وكل انعطاف تاريخى وكل عمل عظيم . ان النقطة التى يبدأ منها الفرد والشعوب ايضا اية عملية خلق لوضع جديد ، ولصحة التعبير اقول للانتقال الى وضع جديد

* عضو البعثة التعليمية السورية بالجزائر ــ قسنطينية .

أرقى ، لا تكمن في توقعهم مكسبا اقتصاديا سريعا او بطيئا من جراء ما هم مقدمون على فعله . انهم يقومون بعملهم قصد تحقيق حالة شعورية أرقى .. وضعا انسانيا أعلى ، وربما كلفهم ذلك تضحيات مادية كثيرة في البدء . من الممكن ان تكون المكاسب الاقتصادية المتحققة من العمل تساعد في تحقيق تلك الحالة الارقى ، ولكن لابد من التأكيد على أن نقطة الانطلاق لا تبدأ من توقع المكاسب الاقتصادية تلك لسبب بسيط هو أن الانسان ، كائنا من كان ، هو بالنهاية حالة شعورية لها منابع متعددة من جملتها المنبع الاقتصادي .

ان الماركسية ، ومن فروعها الاشتراكية العلمية ، لم تطرح ولم تهدف بالاساس ، تحقيق مكاسب اقتصادية عاجلة أو آجلة ، انها هدفت الى تحقيق حالة شعورية ـ حالة انسانية ينتفي فيها استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وتتفجر خلالها طاقات الانسان الخلاقة والكامنة فيه ، بمعنى آخر ، استثمار التناقضات الموجودة من أجل خلق انسان جديد وعالم جديد .

كثيرة هي الكتب والافكار التي بينت لنا مبررات الوحدة العربية ووسائل تنفيذها ـ وهي اليوم تبين لنا المكاسب الاقتصادية التي سوف نجنيها من جراء الوحدة العربية .

وقليلة هي الافكار التي انطلقت من نقطة الصفر [مع الحفاظ على المبررات] كي تبين لنا تلك الجمهورية الفاضلة التي ان تحققت استطاعت الامة العربية أن تنتقل الى وضع جديد ، والانسان العربي أن يخلق خلقا آخر .

كم هو جميل أن نقول مجتمعين بالوحدة العربية كضرورة ، ولكن الفلسفة هي التي تهب هذا المطلب ارادة العمل من أجل تحقيقه ، وهي التي تصهر المتناقضات السطحية وتستوعب النقيض الكامن وتطرحه كبديل لواقع التجزئة والتخلف بصورة تهز أعماق النفوس وتحدث فيها الرعشة التي لابد منها من أجل كل انتفاضة ثورية خلاقة .

بعد هذا ، أراني مشدودا لوضع التساؤلات التالية موضع التساؤل والتفكير وليس في موضع التقرير :

١ ـ في الوقت الحاضر ، هل يشعر كل فرد في الاتحاد السوفييتي ذي القوميات المختلفة ، بأنه مشدود الى الانتماء لدولته بدافع واحد ام بدوافع متعددة ومنها ذلك الدافع الذي يمليه ويرضيه في آن واحد مجرد كونه فردا في دولة حضارية قوية ؟ وهل كان هذا الدافع هو نفسه في روسيا القيصرية وبدء الثورة الاشتراكية ؟ ثم أليس هناك تضحيات مادية ، على مستوى القوميات ، في سبيل الحفاظ على الحالة الشعورية التي يخلقها الانتماء الى الاتحاد السوفيتي ؟

٢ ـ كيف يمكن الخلاص من هذه الحلقة المفرغة : ان انتمائي الى الامة العربية أو كوني عربيا يسبب لي حالة شعورية مقهورة بكل وجه نتيجة لواقع هذه الامة المتخلف من كل وجه ، فاذا أردت الخلاص من هذه الحالة أراني أنشد مطلبا من هذه الامة نفسها ومن ذات العناصر المؤلفة لها ، فكيف يمكن حل هذا التناقض ؟ وفي هذا السياق يمكن أن يطرح سؤال آخر : ترى هل الشيء المطلوب للخلاص موجود فوقنا ولا يحتاج منا سوى البحث عنه ، أم هو غير موجود وعلينا أن نخلقه ؟

٣ ـ فاذا كان طريق الخلاص علينا أن نخلقه فمن المفيد جدا أن نسأل : هل تتوقف عملية الخلق على الوحدة العربية ولماذا ؟ وها هنا يجب الاقتناع تماما أن عملية الخلق ـ خلق مجتمع جديد ـ حالة جديدة ـ انسان جديد ، متوقفة على الوحدة العربية . وها هنا أيضا لا يمكن أن تلعب النظريات النفعية نفعا ماديا سطحيا دورها في غرس ذلك الاقتناع ، كما لا يمكن ان تلعب العاطفة السطحية دورها في الغرس ايضا . لست قادرا على توضيح الفلسفة المؤهلة لذلك ، لكنني اجزم بأنها لابد أن تكون كالدين الجديد الذي يمكن في النفوس حماسة يسترخص معها الفرد حياته في سبيل انتصار ذلك الدين .

٤ ـ وبما أن الوحدة العربية ، في الوقت الحاضر ، غير قائمة . بما أن الكل الشامل غير موجود في شكل تركيبي وانما هو مبعثر في الاجزاء ، فأين يمكن أن ينصب الجهد المبذول من أجل تحقيق الكل الشامل : في الاجزاء المتفرقة أم في عناصر كلية غير متحققة في الواقع ؟ بمعنى آخر هل يمكن تصور عمل جماعي وموحد في سبيل تحقيق شيء غاية ما يهدف اليه هو تحقيق ذلك العمل الجماعي الموحد . وفي هذا المجال هل يشكل النموذج أو المثال قدوة يحتذى به ، ويعطي بالتالي ، فرصة أوسع من أجل التمسك بالحاح بالمثل الاعلى وهو الوحدة العربية ؟

٥ ـ ويبدو ضروريا اليوم وأكثر من أي وقت

بقى أن نجيب على هذا السؤال : هل هناك تناقض بين الوحدة العربية وبين حركة التحرر الوطنى العربية سواء من ناحية التكتيك المرحلى أو الاستراتيجى النهائى ؟ وفى هذا السياق أيضا هل يمكن للوحدة العربية ان تتضمن وتستوعب فى اطارها جملة الاهداف التى تطرحها حركة التحرر الوطنى العربية ، أو أن تستوعب هذه الاهداف تلك ، وأى منهما نعطيه الاولوية فى التحقيق وفقا لمعطيات الواقع فى الوقت الحاضر اذا كان هناك تناقض ؟ فاذا لم يكن من تناقض بينهما فمن هو المسئول عن انجاز الوحدة : القوى المسماة بالتقدمية أم القوى المسماة بالرجعية ، الطبقات المستغلة أم الطبقات المحرومة ، الطبقة الحاكمة ام المحكومة ، الجماهير بتنظيماتها الشعبية أم رجال السياسة ؟؟

وبعد هذه التساؤلات أود أن اقول اننى لا ادعو الى حل ميتافيزيقى لا يغنى ولا يثمر ، بل ادعو الى فلسفة حية ــ دفقة حيوية من شأنها أن تكشف الطاقة المتحركة والمتحولة فى هذا الشعور الذى يجمع كل فرد ينطق بالضاد ويعيش فوق رقعة معينة من الارض ، لان هذا الشعور موجود منذ زمن بعيد ولازال موجودا ولكن لم يثمر ، ولم يتحول الى الوحدة الشاملة او الجزئية .

أدعو الى الفلسفة التى تستوعب كل المعطيات الموضوعية وكل أشكال العمل العربى الموحد الذى ظهر والذى يمكن أن يظهر ، والتى لا تقف عند حدود تجربة معينة أو قالب مصطنع أو مبررات ثبت سكونها وثباتها خلال كل ما جرى فى الماضى .

ان السوق العربية المشتركة مثلا ، فى غياب هذه الفلسفة ، يمكن ان تكون سوقا لمصالح مشتركة بحيث ما أن تمس هذه المصالح حتى تنهار دعائمها كما نرى علائم الانهيار فى السوق الاوربية المشتركة . ولكن هذه السوق نفسها ، ومن وحى تلك الفلسفة ، يمكن أن تصبح سوقا تكاملية ، ومن المعروف ان السوق التكاملية لا يمكن ان تنجح بالاستناد الى نظرات مصلحية آنية وسريعة ، ويمكن ان تصبح سوقا لمصالح واحدة لا مصالح مشتركة .

ثم ان استثمار الاموال العربية الفائضة ، مثلا آخر ، يمكن ان يحقق مصلحة الدولة العربية صاحبة رأس المال ومصلحة الدولة العربية المستثمر فيها ذلك المال ، ولكن ما هو الضمان فى أن فائض القيمة سوف يبقى فى حدود المصلحة المشتركة ؟ وأكثر من ذلك ما هى آفاق المصلحة المشتركة وما هى حدودها . هل أن هذه المصلحة هى استبدال رأسمال اجنبى برأسمال عربى ، وهل بتغيير جنسية المال تتغير طبيعة العملية ؟ أم أن التثمير والانتاج يجب أن يجعل الراسمال الوطنى والاجنبى من أجل خدمة الاهداف الجماهيرية وأهداف الامة العربية .. هذه الاهداف التى لن تستطيع أن توضحها الا تلك الفلسفة الشاملة التى أدعو اليها ، والتى تستطيع ان تكشف الجوانب الفعالة فى عملية خلق حضارة عربية تكسر طوق التحدى الامبريالى والصهيونى الذى يرزح تحت عبئه كل انسان عربى من المحيط الى الخليج .

أسس وطرق تحقيق الوحدة العربية

د . محمد على الشهارى

اذا امعنا النظر فى حركة التاريخ ، لوجدنا انها تمر عبر حلقات ومراحل متلاحقة ، تبدو من شدة ترابطها وتتابعها وثباتها وصرامتها فى مثل القانون الطبيعى ، والحتمية التاريخية ، اللذين لا مفر منهما ولا راد لهما ، واللذين يوجدان خارج ارادة ووعى الانسان ، حتى ولو كان المجتمع الانسانى هو مجال ظهورهما وفعلهما . وتتمثل هذه الحقيقة الموضوعية فى واقع انتقال الجماعة البشرية من الرابطة العشائرية ، الى الرابطة الطائفية ، الى الرابطة الاقليمية ، الى الرابطة الوطنية ، فالقومية ، فالاممية .. واذا ما نسبنا الروابط الثلاث الاولى الى المجتمع القديم العبودى والاقطاعى ، فان الروابط الثلاث الاخيرة تعود فى نشأتها الى المجتمع الحديث الراسمالى

والاشتراكي ، دون أن يعنى ذلك ان البـذور والجذور والملامح الاولى للوطنية والقـومية والاشتراكيه لم تتكون حتى فى حضن المجتمع القديم ، وعبر صراع طبقاته الاجتماعيه وجماهيره الشعبية مع طبقاته المتحكمة الاستغلاليه والقوى الاجنبية المعتدية ، ودون ان يعنى ذلك ايضا اختفاء مشاعر الانتماء الوطني والقومى ، حتى فى حضن المجتمـع الاشتراكى الحديث بكل نزوعه الاممى ، اى دون ان يعنى ضيق الافق الـقومى او الوطنى ، او العدمية القوميه أو الوطنية ، نعم قد تضعف حدة المشاعر الوطنية او القومية ، اذا بلغ المجتمع في تطوره التاريخى المرحلة العليا للاشتراكية ، التي تعم العالم كله ، حيث تختفى كل دواعى الصراع القومى والطبقى ، وتنعدم احتمـالات العدوان الخارجي ، وتحل علاقات اجتمـاعية وبشرية اكثر رحابة ، تتلاشى معها الاحـاسيس القومية الخاصة ، وتتساقط فى ظلهـا الدول وحدودها بعد اضمحلالها التدريجى ، وتتحـول حتى الامم الاشتراكية ذاتها الى امه انسانية واحدة شاملة عامرة بالحب والاخاء ، موطنها الكرة الارضية جميعها بجميع ما فيها ، وما عليها من ــ فسيحة ، وخيرات ومنجزات عظيمة تفيض عن حاجة البشر ــ وتلغي ــ بالتالى ــ كل مبرر للاختلاف الاجتماعي فيما بينهم ، وان لم تلغ الفوارق الفردية المتنوعة فى ملكاتهم وكفاءاتهم !

واذن فالتاريخ الاجتماعي للبشر يمضى فى حركة تطور ونمو صاعدة ، من الادنى الى الاعلى ، ومن دائرة العلاقة البيولوجية ، الى العلاقة الطبقية ، فالانسانية ــ متداخلا مع الوطنية والقـومية ــ ويبدو فى حركته التاريخية الموضوعية هذه ، كما لو كان يسير نحو غاية تاريخية محددة سلفـا ، ومرسومة من قبل عن طريق قوة خفية !! وما هى ــ فى الحقيقة ــ الا الضرورة الاجتمـاعية ذاتها ، ضرورة التطور والارتقاء والاكتمـال الانسانى ، القاضية بأن يخرج الانسان من بداوته ليصير متحضرا ، ومن وحشيته ليعبر عن هويتـه الحقه وجوهره الانسانى العميق ، ووفق هـذا القانون التاريخى والضرورة الاجتماعيه فانه لا يمكن أن يتحقق له ذلك الا بالتدريج وعبر مراحل تاريخية متلاحقة ، وطبقا لتطور وسائل الانتاج ذاتها ، وتقدم علاقات الانتاج والاجتماع معها .

وبالنسبة للعـرب فانـه فـى حضـن المجتـمع الاقطاعى ــ التجارى القديم الذى ظهر بقيام الدولة الاموية واستمر عبر الحقب العباسية والفاطمية ، ومن خلال الصراع بين الدولة المركزية فى دمشق أو بغداد او القاهرة وبين محاولات الانفصال الاقليمية والقبائلية والطائفية عنها ، امكن ان تنشأ البذور والمقومات الاولى لظاهرة الكيان العربى الواحد ، ذى السمات الخاصة ، الذى لم تستطع محقه او طمسه حتى الامبراطورية العثمانية التى حاولت دلك طيلة حكمها المديد والبغيض ، من خلال محـاولة [تتريك] العرب ، ومحـو شخصـيتهم القومية . وفى غمرة الصراع اللاهب ضد هذه الامبراطورية وضـد الاستـعمار الاوروبـى ، الانجليزى والفرنسى والايطالى والاسبانى ، اخذت تنمو [ظاهرة القومية العربية] الحـديثة ، وتستكمل بقية مقوماتها الموضوعية والضرورية .

ولفترة من الزمن كانت سوريا ــ لظـروف تاريخيه ــ مركز الحركة القومية العربيه ، وبقيام ثورة ٢٣ يوليو غدت مصر المركز التـاريخى والطبيعى والقومى والثورى لهذه الحركة ، بـل ويمكن القول انه منذ غدت القاهرة مقرا للجامعة العربية ، ولكل الاتحادات المهنية العربيه ، اصبحت مصر ــ موضوعيا ــ هى العاصمة الحقيقية للوطن العربى . وكان ذلك ــ فى الواقع ــ استمرارا طبيعيا وتاريخيا لحقيقة انه كان قد أنتقل اليها مركز الثقل منذ العهد الفاطمي والايوبى والمملوكى وعهد محمد على ، حيث قامت مصر خلال هذه الحقبة التاريخيه الطويلة بقيادة عمليات المواجهة والتصدى للغزو الاجنبى فى المنطقة العربية كلها ، بل وحاولت غير مرة توحيد العرب تحت زعامتها .

واذا كانت الحركة القومية العربية ألتى ظهرت فى الربع الاخير للقرن التاسع عشر قد حاولت التحالف أو التعاون مع فرنسا او انجلترا او المانيا من أجل تحقيق هذا القدر او ذاك من الاستقلال عن الاستعمار القديم ، وانجاز هذا الحد او ذاك من الوحدة السياسية لهذه الرقعة أو تلك من الوطن العربى ، فانها ــ فى ظل الانتصار على الفاشية والنازية ، وتضعضع مكانة الانظمة الاستعمارية كلها ، وظهور المعسكر الاشتراكى بعد الحرب العالميــة الثــانية ، واشـتداد ساعـد حـركة التحرر الوطنى العالمية والقوى الديمقراطية فى الغرب ، ومع ازدياد التعاون بين حركة التحرير الوطنى العربية وبين الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتى ، وتعمق الوعى الاجتمــاعى والثورى لدى القوى القومية والوطنية العربية بفعل ذلك كله ، وبفعل حركة الجدل السياسى والفكرى الواسعة والخصبة التى دارت خلال الخمسينيات بينها وبين الاشتراكيين العلميين حول القضية القومية وحول الوحدة والاشتراكية ــ اقول فى ظل ذلك كله اكتسبت الحركة القومية العربية طابعا ثوريا وديمقراطيا متزايدا ، معاديا لـلاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية ــ فوق العـداء لاسرائيل والصهيونية ــ بل وطابعا معاديا للرجعية الاقطاعية والكمبرادورية ، وغيرها من ركائـز التخلف المحلية ، كما اخذت تتطلع نحو الاشتراكية

ذاتها ، ايا كان المفهوم الذى تعطيه لها ، والنهج السياسى الذى تتبعه للوصول اليها .

أن تطور الفصائل القومية الرئيسية [كالبعث] و [حركة القوميين العرب] و [الناصرية] وغيرها من التيارات القومية المثلة لايديولوجية البورجوازية الصغيرة العربية فى هذا الاتجاه ، اتجاه اشتراكية البورجوازية الصغيرة لهو المصداق العملى على التطور الفكرى والسياسى الذى طرأ على الحركة القومية العربيه ، وعلى علاقاتها بممثلى الاشتراكية العلمية ، والمعسكر الاشتراكى ، ولا سيما منذ مطلع الستينات وبالذات منذ صدور الميثاق المصرى الذى نص - مع تحفظات معينة تعبر عن اشـتراكية البورجـوازية الصـغيرة - على الاخذ بصـيغة [الاشتراكية العلمية] .

ومنذ البداية وحتى الان فان القوى السياسية التى تصدت لقيادة حركه القوميه العربية هى اوساط البورجوازية الصغيرة العربيه ، المدنيه منها والعسكرية والمثقفة ، ووفق مفـاهيمها السياسية المختلفة ، دون أن يعنى ذلك ان حركة الوحدة العربية لم تكن تحظى بتعاطف جماهير وقوى تقدمية أوسع ، ولكن هذه الجماهير والقوى التقدمية الواسعة ظلت - بفعل درجه التطـور الاجتماعى - بعيدة عن مركز القيادة لهـذه الحركة . ومن هنا ضعف دور هذه الجماهير والقوى التقدمية - التى ظلت منشغلة اكثر بهمومها المحلية والاجتماعية الخاصة - ازاء حركة الوحدة ، ومن هنا أيضا تعرض هذه الحركة للتعثر ، بل والاحباط ، نتيجة لذلك ، ونتيجة لصراعات فئات البورجوازية الصغيرة العربيه الضيقة فى هذا القطر او ذاك ، بل وداخل القطر الواحد ، على مواقع السلطة السياسية لحركة ودوله الوحدة ، ومن هنا كذلك انفكاك الوحدة المصرية - السورية الذى لعب الاستعمار والرجعية العربيه والمحلية دورا بارزا فى أحداثه ، باستغلاله لهذه الاوضاع المواتية ولهذه الصراعات الذاتية ، وبصورة خاصة لبقاء الجماهير الشعبية والقوى التقدمية الاخرى بعيدة وبعدة عن مواقع التأثير السياسى او حتى الاشتراك فى توجيه مسار حركة ودولة الوحدة !

غير ان حركة الانفصال فى سوريا لم تستطع ان ترتد بحركة الوحدة العربية الى الوراء ، وانما أسهمت فى اخصاب وتعميق محتواها الاجتماعى ، ودللت على مدى الحاجة الى اشاعة الحريات الديمقراطية وتمكين الطبقات الشعبية والقـوى التقدمية الاخرى من لعب دورها فى حماية وتطوير وقيادة حركة الوحدة . كما ان هذه الحـركة الانفصالية لم تستطع ان تلغى او حتى تؤثر على الدور التاريخى والقومى الخاص والمتميز الذى تضطلع به مصر ازاء حركة الوحدة العربيه . ومن هنا المحاورات التى دارت بعد ذلك من أجل تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا والعراق ، والتى تجددت مرة اخرى فى مطلع السبعينات وتكللت عام ١٩٧١ بقيام اتحاد الجمهوريات العربية الذى ضم مصر وسوريا وليبيا . !

لقد اردت من هذه العجالة التاريخية مـن [خبرات الماضى] لحركة القومية والوحدة العربية اتخاذها خلفية للوصول الى تحديد النقاط التالية - تعقيبا على ما نشرته مجلة [الطليعة] الموقرة فى عدد مايو ١٩٧٤ من دراسات حول [الوحدة العربية . . خبرات الماضى وتحديات المستقبل] :

١ - ان الدراسات ، وان كانت اقـرب الى المقالات الصغيرة والمضغوطة جدا منهـا الى الدراسات التحليلية الضافية ، الا انها تشكل - حتى فى هذه الحدود وبهذا الحجم - اسهاما جادا - ولو فى شكل اجتهادات متباينة ومتنوعة - فى محاولة تلمس مسار الخط الوحدوى العربى ، فى ضوء تجارب الماضى ، وهى - اضافة الى ذلك - دعوة واضحة ومفتوحة - ولاسيما لرافعى لواء الاشتراكية العلمية فى الوطن العـربى - لاحتلال موقعهم الطبيعى والضرورى - أكثر مما اتيح لهم أو حتى مما فعلوا الى الان - من جبهة النضال الفكرى والسياسى لحركة التوحيد القومى العربية ، التى تشكل منذ حين ساحة اللقـاء الواسعة والعظيمة لجميع كتائب النضال العربى ، ابتداء من القوميين الديمقراطيين ، مـرورا بالاشتراكيين العرب [الناصريين ، البعثيـين ، دعاة الحركة العربية الواحدة ، وغيرهم] وانتهاء بفرق اليسار الجديد المتعـددة ، والاحـزاب الشيوعية العربية ، ذلك ان حركة التوحيد القومى العربية قد اكتسبت عبر رحلتها الطويلة ، التى امتدت حوالى قرن كامل - ومن خلال النضال المرير ضد الاستعمار العالمى والصهيونية الدولية وتجسيدهما وقلعتهما المتقدمة اسرائيل - مضامين تحررية عامة ، تشكل قاسما مشتركا بين جميع هذه الفصائل الثورية العربية ، بحيث لم يعد يجرؤ أحد اليوم على التفكير فى الاستناد الى هذه الدولة الاجنبية أو تلك ، فى سعيه لتحقيق الوحـدة العربية ، كما كان يحدث من قبل .

٢ - فى تعليقها على حصيلة هذه الدراسـات اشارت [الطليعة] فى ص ٤٠ الى ان هـذه الدراسات لم تشمل قضيتين اساسيتين : « حركة المستقبل فى ضوء التغيرات المتوقعة فى شكل النزاع العربى الاسرائيلى ، واثر البترول كسلعة استراتيجية وفائض نقدى على عملية الوحدة » وطالبت الطليعة « ان تكون هذه القضايا وغيرها من المشاكل التى اثيرت محل اهتمام متواصل وسط كل الدوائر التقدمية العربية » ولحفز الكتـاب

التقدميين العرب لمعالجة وتغطية هذه القضايا الحيوية فانها أعلنت ترحيبها « بنشر كل عمل جاد في هذا الاتجاه » .

ولاننا هنا ـ رغم دعوة الطليعة الصريحة هذه ـ مضطرون فقط بالتعليق الموجز اكثر من تقديم بحث مستقل وخاص حول هذه القضايا فاننا نتصور ان « التغيرات المتوقعة فى شكل النزاع العربى الاسرائيلى » لن تؤثر على المجرى العام والرئيسى لحركه التوحيد القومى العربية التى يحكمها قانونها الداخلى الخاص ، وصراعها المستمر مع الوجود الصهيونى الاسرائيلى ، ومع الوجود الامبريالى المتعدد الاشكال داخل المنطقه العربية ، كما تحركها اهدافها الثابتة والدائمة فى ضرورة الحصول على السيادة القومية الكاملة ، والاستقلال الوطنى التام ، وايجاد الشروط الموضوعية والاجتماعية اللازمة لاقامة الدولة العربية الموحدة الديمقراطية .

اما فيما يتعلق بأثر « البترول كسلعة استراتيجية وفائض نقدى على عمليه الوحدة » فان التعرف على طبيعة ومدى هذا الاثر تتطلب الاجابة اولا على السؤال التالى : وهو ما اذا كان البترول والفائض النقدى يستندان الى « خلفية طبقية » واسعة ، ويعبران عنها ، ويرمزان الى وجود ونمو نظام اجتماعى رأسمالى ، أخذ فى البحث عن « سوق قومية » بلا حدود جمركية ، حتى يصرف فيها ـ اضافة الى استثمار رأسماله المالى الزائد ـ « انتاجه البضاعى » ويتطلع الى أحداث « نهوض قومى شامل » على امتداد الوطن العربى ، والى التغلب على جميع الحواجز الأقليمية والاقطاعية ، والى اقامة « دولة قومية برجوازية ديمقراطية متحررة من النفوذ الاجنبى » أم أن الامر ـ على العكس من ذلك ـ لا يعدو ان يكون متصورا ومتعلقا بتطلع شريحة كمبرادورية وارستقراطية مالية محدودة ، مرتبطة بالراسمال العالمى الامبريالى ارتباطا وثيقا ، وطامحة الى الحصول على مجالات استثمار محددة بذاتها ، بقصد الحصول على الربح السريع ، وبقصد التأثير السلبى على سياسة حركة التوحيد والتحرير القومى ، حتى ولو لم يرق هذا التأثير الى مستوى القدرة على توجيهها ـ ولو فى حدود ـ فى اتجاه أى شكل من أشكال التوحيد السياسى ؟ .

اننا نميل الى الافتراض الاخير ، ولاسيما اذا ما علمنا أن هذه الشريحة الكمبرادورية الارستقراطية المالية غير المنتجة والمرتبطة بالرأسمالية الاجنبية ، تحمل فى ثناياها ـ اضافة الى انها لا ترمز الى وجود علاقات انتاج جديدة ، وعلاقاتها اجتماعية متطورة ، وقيم فكرية متقدمة ـ السمات البطريركية السابقة للمرحلة الرأسمالية ، بل والكثير من السمات الاقطاعية المرتبطة ايضا بالاشكال المختلفة والمتنوعة « للاستبداد الاسيوى » مما لا يؤهلها لان تلعب بمثل هذه التركيبة الاجتماعيه والسياسية والايديولوجيه المعقدة والمتشابكه اى دور ايجابى وحقيقى فى اتجاه تنمية الحركه القوميه العربية ، حتى فى الاتجاه البرجوازى الديمقراطى التقليدى ، به الاتجاه الديمقراطى الثورى التحررى ! وبصورة خاصه فى هده المرحلة التاريخية من النضال العربى التى ظهرت فيها على سطح الاحداث السياسيه القوى الوطنية والديمقراطيه والاشتراكيه ، والتى ارتبطت فيها بفعل ذلك حركة التوحيد القومى العربية بشعارات البرجوازية الصغيرة العربية ذات التطلع الاشتراكى ، وبالكفاح ضد الرأسمال الكمبرادورى والمالى والاحتكارى والاستعمارى ، وبالعمل على تغيير الاوضاع السابقة لمرحلة الرأسمالية التى ايا كانت التحولات التى تطرا على تركيبها الطبقى ، وبنيانها السياسى ، والتى لا تغير فى كل الاحوال من سماتها الاساسيه التى تجعل منها ـ فى أحسن الحالات وأكثرها مدعاة للتفاؤل ـ اقرب الى النهج الرأسمالى الليبرالى التقليدى المرتبط بالرأسمال العالمى منها الى النهج القومى التحررى الذى بشرت به ومضت على طريقه بالفعل الثورة العربية .

ومن هنا يأتى تحفظنا على مسألة تعليق قضية الوحدة العربية على احتمال [تكامل اقتصادى] ينشأ بين الاقطار العربية ، بفضل الاستثمارات العربية ، بحيث تتوحد [درجة النمو الاقتصادى فى كل المجتمعات] وتنمو « الصناعة العربية الواحدة » وتنمو معها « طبقة عاملة واحدة » و « طبقة برجوازية واحدة . . الخ ومن تم تصبح قضية الوحدة السياسية على أى مستوى مسألة اجراءات » ـ كما قال الاستاذ فيليب جلاب فى ص ٢٩ ـ وبحيث ـ على سبيل المثال ـ لا يشعر بالضرر « منتج النفط الكويتى من الاندماج فى كيان سياسى عربى واحد » وهو نفس التحفظ الذى لا نملك الا نلجأ اليه ايضا ازاء تلك الفترة المسرفة فى تفاؤلها التى أوردها الاستاذ عادل حسين فى ص ٢٥ ـ ٢٦ من أن مثل هذه الاستثمارات العربية « يمكن أن تيسر مصاعب التنمية فى كل المنطقة العربية ، وهى يمكن ان تسرع باقامة مجمعات صناعية ضخمة ومشروعات زراعية كبيرة ، وهى تسهم ـ اذا سار الامر على نحو مخطط ـ فى خلق إساس لتكامل اقتصادى متقدم » ومن أن « اقامة مثل هذه المشروعات يؤدى الى تطوير علاقات الإنتاج و « الميكانيزم » السياسى فى اتجاهات متقاربة شيئا فشيئا] وهل يمكن لنا الا

ان نتخذ نفس الموقف المتحفظ من فقرة مشابهة اوردها الدكتور علي الدين هلال في ص ٢١ اشار فيها الى أنه بانتقال « رؤوس لاموال والبضائع ، وبازدياد عدد ونطاق القطاعات التي يشملها التكامل تصل العملية التوحيدية الى نقطه يصل التكامل فيها الى درجة الاندماج ، بحيث تصبح البلدين [يصبح البلدان] محلا واحدا ، كما هو الحال في المملكة المتحدة ، أو الولايات المتحدة الامريكية » ذلك لانه كما يؤكد الواقع ، توجد في هذه الدول العربية البترولية طبقة برجوازية ناهضة كتلك الطبقة البرجوازية الانجليزية والامريكية التي احدثت مثل هذا التكامل والاندماج الاقتصادي .

ان ذلك لا يعني انه لا توجد امكانيات للتعاون الاقتصادي المخطط والمدروس ، وفي اكثر من مجال ، بين الانظمة التقدمية والتقليدية ، ان ذلك ليس واردا فحسب ، بل هو مطلوب وضروري - حتى من الوجهة القومية البحتة - وسواء تم ذلك من خلال الهيئات الاقتصادية التابعة للجامعة العربية ، أو بشكل مباشر . ولكن ينبغي أن يكون مفهوما سلفا المدى الذي يمكن الوصول اليه من خلال هذا التعاون ، والذي لن يبلغ - على اي حال ، في ظل الشروط الموضوعية القائمة ، والتراكيب الاجتماعية المتباينة ، والرؤى الايديولوجية المختلفة - حد التكامل والتوحد الاقتصادي والسياسي . ان هذا المعنى هو ما يمكن استشفافه أيضا من مقال الاستاذ خالد محيي الدين في ص ١٧ ، ومن هنا فانه - بسبب هذه الطبيعة الخاصة والمعقدة للرأسمال المالي الكمبرادوري العربي وبسبب الخلفية الاجتماعية الضعيفة له ، والرؤى السياسية المنغلقة التي يعبر عنها ، والمتشابكة أشد التشابك بأوضاع ما قبل المرحلة الرأسمالية - لن تصل الامور الى حد أن يذهب الرأسمال المالي - حتى بتشجيع من الاستعمار الحديث - الى ذلك المدى الذي يتصوره الاستاذ عبد المنعم الغزالي بالدخول في « مشروعات وحدوية ، يكون اساسها ومحورها هو مساعدة الرأسمالية العربية على تملك زمام خط التطور داخل الثورة العربية » [ص ٣٣] بل ان ما سيحدث بالاحرى هو ذهاب هذه الارستقراطية الاقطاعية والبورجوازية - كما قال في مكان آخر - الى « استخدام ثرائها المفرط لتنميه وتغذية الرأسماليه الطفيلية وكل الاعشاب الضارة داخل البلاد المنتهجة طريق الثورة الوطنية الديمقراطية » [ص ٣٤] حتى اولا ، لا سيما اذا عملت في ضوء المبادىء والشروط التي تحدث عنها النائب الاول لرئيس الوزراء المصري الدكتور عبد العزيز حجازي المتمثلة في الالتزام - عند استخدام أموالها فعلا - « بقانون الخطة ، وانا لا نقبل أن يفرض علينا مشروع أو أموال معينة ، الا اذا كانت تخدم صالح الوطن » وفي « أن الحكومة لن تسمح بالمضاربة ، ولا بالسيطرة على عمليات تمويل مشروعاتنا » وفي « أن هناك التزاما بقوانين الاصلاح الزراعي وملكية الارض » وفي « المحافظة على القوانين الثورية والمكاسب التي حصل عليها العاملون في مرافق الدولة كالاجور » [الاهرام ١٠ - ٦ - ١٩٧٤] .

لقد برهنت تجربة السنين الماضية على أن مشاريع وحركة الوحدة العربية قد ارتبطت منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو الرائدة بالطبقات والفئات الاجتماعية المتوسطة والصغيرة ذات النزوع التحرري ، وارتبطت - كما كتب ايضا الاستاذ عبد المنعم الغزالي في ص ٣٥ - « بحتميه وضرورة استكمال الثورة الوطنية الديموقراطيه العربية لمهامها » وبحقيقة أن ازدياد « النضال من اجل الوحدة العربية ارتبط باستقلال ارادة الثورة العربية في بعض البلدان العربية، واستقلال ارادتها عن ارادة النظام الرأسمالي العالمي ، والاتجاه الى انجاز الثورة الاجتماعية التي تستشرف آفاق الاشتراكية » [ص ٣٢] دون أن يعني ذلك على اي حال استحالة الوصول الى هذا القدر أو ذاك من العمل العربي الموحد في مواجهة الصهيونية بالذات ، والذي يمكن تحقيقه بين الانظمة الوطنية والتقليدية . ولكن علينا - حسبما اوضح ايضا - « الا نخلط بين هذه الاشكال من وحدة العمل والتنسيق وغيرها ، صغر حجمها أو كبر ، ضاق نطاقها أو اتسع ، وبين النضال الحقيقي من اجل الوحدة العربية في اطار الثورة الديموقراطية » ومن هنا امكانية و « ضرورة الوحدة الاقتصادية بين البلدان العربية التي قطعت مرحلة او مراحل على طريق الثورة الوطنية الديموقراطية المستشرفة آفاق الاشتراكية » [ص ٣٤] .

٣ - واذا كانت حركة التوحيد القومي العربية تمثل في هذه الحقبة التاريخية احد ابعاد الثورة الديموقراطية فان القوى الاجتماعية والسياسية المؤهلة - تاريخيا وموضوعيا - لانجاز وقيادة عملية التوحيد هذه هي قوى هذه الثورة ذاتها من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة ، وهي أحزابها ومنظماتها الوطنية والقومية والديموقراطية والاشتراكية .

ان الاحباطات التي لحقت بمشاريع الوحدة ، أو حالات التجمد التي أصيبت بها هذه المشاريع لا تعني أن [الدخول السياسي] المباشر في هذه المشاريع كان ينبغي ان يتأخر حتى تخلق « السوق العربية الواحدة » أو يوجد « الاساس الاقتصادي

الموحد » ذلك أن تحقق مثل هذه السوق وهذا الاساس فى ظل التجزئة الاقليمية والسياسية القائمة ، والخلافات الاجتماعية الراهنة مسألة تحيط بها كثير من الصعوبات ، وتتجاذبها عدة تيارات . وهى ـ كما ذكر الدكتور رفعت السعيد فى ص ٣٠ « عملية تاريخية تنضج عبر تطورات اجتماعية طويلة الامد ، وان التدخل فى تكوينها هو بالضرورة محدودة الاثر ـ وقتيا ـ » ولا سيما انه فى مواجهة عملية التقارب تنهض عمليه التمايز الاقتصادى والاجتماعى النسبية التى تمليها الظروف المحلية الخاصة لكل قطر عربى .

أما أن يحتج بالقول بأن بعض قوى الثورة الديموقراطية لم تستطع ـ كما أشار الاستاذ فيليب جلاب فى ص ٢٧ ـ اقامة مثل هذه الوحدة السياسية ، حتى ولو كانت جزئية ومقصورة على قطرين عربيين يحكمهما [حزب قومى واحد] ـ كما هو الحال بالنسبة لحزب البعث العربى الاشتراكى فى كل من سوريا والعراق ـ فان السبب فى ذلك يعود الى أن هذا الحزب ارتكب خطأ جوهريا لم يتنبه اليه الا مؤخرا ـ والا بعد أن دفع الجميع الثمن غاليا ـ الا وهو استحالة أن يتمكن حزب عربى واحد ، يمثل بعض مراتب البورجوازية الصغيرة والمتوسطة العربية ، من توحيد قطرين عربيين أو أكثر ، بمعزل عن الحركة الوطنية والجماهيرية ، ودون مساهمه قواها المنظمة الاخرى داخل كل قطر ، وقبل أن يسعى الى تحقيق الوحدة معها أولا ، ويضع برنامج ووسائل توحيد الحركة الوطنية والقومية العربيه بالتعاون التام واياها ».

صحيح أن مثل ذلك قد حدث الان فى بعض هذه الاقطار العربية حيث نهضت جبهة وطنية تقدمية فى كل من سوريا والعراق ، ومع ذلك لم تتحقق الوحدة السياسية بينهما . غير أن قيام مثل هذه الجبهات يشكل فى الواقع ـ وحتى على المدى القريب أو المتوسط ـ خير وسيلة للاقتراب من حلم تحقيق الوحدة ، فبمثل هذه الجبهات القائمة اليوم غدت القوى القومية ـ كما تحدث الدكتور رفعت السعيد فى ص ٣٠ « أقرب الف مره من نطاق الوحدة العربية ، عما كانت عليه من قبل ، عندما كانت تسعى بعيدا ، مرددة فى حماس شعار الوحدة ، متجاهلة توحيد قوى وطنها الداخلية » وكما عبر الاستاذ وديع أمين أيضا فان « استمرار التحولات الاجتماعية الجذرية فى البلدان الوطنية المتحررة ، وتعميق التطور اللارأسمالى ، والتوسع فى الديموقراطية ، لتحقيق مشاركة الجماهير فى السلطة سوف يمهد لاقامة انظمة ديموقراطية ثورية ، وجبهات وطنية ديموقراطية ، الامر الذى يقرب فيما بين هذه البلدان العربية ، ويؤدى الى تطور نظرتها الى الوحدة » [ص ٣٩] .

ان قيام [الحركة العربية الواحدة] التى نادى وينادى بها اليوم بعض الناصريين والاشتراكيين العرب ، وقيام تنظيمات حزبية على المستوى القومى العربى ، وان ما نص عليه [مشروع البرنامج السياسى للحزب الشيوعى السورى] من انه « لابد ان يرافق بناء دولة الوحدة العربية توحيد الاحزاب الشيوعية فى حزب شيوعى موحد » وانه حتى « يتم هذا الهدف الكبير لابد من توثيق التعاون ، وتقوية الصلات بين الاحزاب الشيوعية العربية ، والعمل لكى تتخذ مواقف موحدة فى القضايا المصيرية المشتركة ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق مختلف أشكال اللقاء والتنسيق » [قضايا الخلاف فى الحزب الشيوعى السورى ، بيروت ١٩٧٢ ص ٧٧ـ٧٨] وان وجود [الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية] والعمل من أجل قيام جبهة قومية ثورية عربية واحدة تضم كل فصائل الثورة العربية ، أو ان ـ كما قال الميثاق المصرى ـ « قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى » والذى « سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال » [ص ١١٥] ان كل ذلك سوف يشكل ـ يقينا ـ خطوات ثورية ووحدوية حاسمة ومرتكزات سياسية وقومية أكيدة نحو بلوغ الغاية المنشودة والعظيمة ، غاية اقامة صرح الدولة العربية الكبرى الموحدة ، الديموقراطية الثورية .

٤ ـ على ان موضوعة امكانية [توحيد «المحاور» المتقاربة] فى الوضع الجغرافى «والتطور الاجتماعى» و « المسلك السياسى والاقتصادى » و «العادات والتقاليد» و « التصور العام المشترك » كخطوة أولى « تستهدف خلق ظروف مواتية فى المستقبل للتفكير فى توحيد عدد من هذه « المحاور » المتقاربه مع بعضها البعض ، سعيا نحو الوحدة الشاملة » هذه الموضوعة التى اشار اليها الدكتور رفعت السعيد تثير عدة تساؤلات : هل المراد بالمحاور تلك المجموعات الاقليمية التقدميه ، أم اى مجموعات اقليمية متشابهة ؟ واذا كان الجواب المفهوم تلقائيا تلك المجموعات [التقدميه] بالذات فان السؤال التالى هو أين هى ؟ « سوريا الكبرى » تشكل مجموعة اقليمية ، فهل هناك دولة تقدمية داخلها ، حتى تتحد مع الجمهورية العربية السورية ؟ واذا اعتبرنا أن العراق يشكل مع سوريا مجموعة اقليمية واحدة [الهلال الخصيب] فأيهما اسهل وافضل واصح أن تخرج سوريا من [اتحاد الجمهوريات العربية] لتشكل مع العراق اتحادا أو وحدة ، أم أن تنضم العراق الى هذا الاتحاد الثلاثى الذى يجمع مع سوريا مصر وليبيا ؟ وفى الجزيرة العربية هل هناك امكانية لغير وحدة اليمن بشطريها ، وانضمامها الى هذا الاتحاد الذى ينص دستوره أنه مفتوح لكل

جمهورية عربية تكافح ضد الاستعمار وتسير فى طريق [الاشتراكية] ؟ ومصر التى تشكل مع السودان وحدة وادى النيل ، هل تنسحب من اتحاد الجمهوريات العربية التى تشكل واسطه العقد فيه وعاصمته السياسية وروحه القومية ، لتتحد مع السودان ، أم أن الايسر والاكثر بداهة وانطباقا مع منطق الاشياء هو أن يلتحق السودان بهذا الاتحاد ؟ والجزائر التى تشكل مع بقية دول المغرب العربى وحدة اقليمية ، هل هو أصح بالنسبة لها كدولة [تقدمية] الانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية التقدمى ، أم الانتظار حتى يتحول المغرب أو تونس ، أو موريتانيا ، أو كلها ، الى دول تقدمية لتتحد معهما بعد ذلك ، أم تتحد معهما على وضعهما الحالى ، مما لا يتفق مع المفهوم الذى قصده الدكتور رفعت من ضرورة وجود تشابه بين الانظمة ؟ واضح — فى ضوء ذلك كله — أن الاجابة البديهية والواقعية هى أنه ليست هناك امكانيه — حتى من الناحيه العمليه البحته — لقيام مثل هذه [المحاور] الوطنية المتحده ، هذا اذا استبعدنا — جدلا المخاطر التى يمكن أن تنجم عنها على حركة الوحدة العربيه فى شمولها ، واقررنا — فرضا من الناحية النظريه — بسلامة قيام وحدات جزئية لا تكون مصر — كمركز ثقل قومى ، وقاسم مشترك طبيعى بين مشرق الوطن العربى ومغربه — داخلة فيها ، أو لا تكون شريكة فى اى منها !

بالنسبة لنا فاننا أميل الى القول بأن حركة وتجارب النضال القومى والوحدوى والثورى العربى المتنوعة قد أثبتت — حتى بالمحبط او المتعثر منها — بأنه لا وحدة او اتحاد لا تكون مصر طرفا فيها ، او قلبا لها ، ولا تكون فى نفس الوقت الدينامو المحرك لها ، كما اثبتت انه من المستحيل الوصول الى توحيد الحركة الوطنيه والقومية العربية بعيدا عن مصر — ناهيك عن قيام دولة الوحدة الشاملة الديمقراطية ذاتها — واثبتت لتحقيق شىء من ذلك كله — على المستوى الرسمى والشعبى — بانه لابد أن تكون مصر على رأس هذه العملية الوحدوية الثورية الصعبة ، او عاملا أساسيا فيها . ان مجرد خبو أو ضعف او عدم تنشيط الدور القومى أو الوحدوى لمصر داخل هذا الاتحاد او ذاك هو دليل فى حد ذاته على أنه لا تستقيم ولا تنجح وحدة او اتحاد دون أن تكون مصر عاملا رئيسيا وفعالا فيها . تلك هى عبرة التاريخ والواقع ، وتلك هى الحقيقه القومية الكبرى التى لا ينبغى ان يغفل عنها أحد ، او أن تغيب عن بال أحد .

أن مجرد وجود اتحاد الجمهوريات العربية « كاطار » اتحادى لثلاث جمهوريات عربية ، تمتد ما بين مشرق الوطن العربى ومغربه وتشكل مصر نواة وعاصمة وقلبا له ، لهو بذاته خطوه تاريخية وتقدمية بالغة الاهمية والقيمة والاثر على مصير حركة الوحدة العربية الشاملة ، وهو خطوة — مهما بدت اليوم فى حالة سكونية — فانه لابد أن تبعث فيه الحياة وهو خطوة لا محيص من أن تغدو البؤرة الجاذبة والبوتقة الحية لكل وحدة أو اتحاد ، بحيث يصعب على أى دولة عربية متحررة تسعى الى الوحدة أن تتجه اليها بعيدا عن هذا الاتحاد الثلاثى !

ولكن ما الذى يحول بين هذا الاتحاد — الذى يمثل كل هذه الاهمية والخطورة بالنسبة لمستقبل الوحدة العربية كلها — وبين أن يتحرك وينشط وتدب فيه الحياة ؟ وما الذى يجعل اى دولة داخلة فيه ، او ستدخل فيه ، فى غنى عن أن تفكر فى الابتعاد عنه ؟ وما الذى يغنى عن النص — كما أراد الدكتور رفعت السعيد [ص ٣١] على أن لكل شعب أو قطر عربى داخل فى نوع ما من أنواع الوحدة ، أو الاتحاد هذه الحق فى « الانفصال » هذا الحق الممنوح أساسا للشعوب او الاقطار التى تشكل قوميات خاصة مضطهدة — حتى لا يتعرض مثل هذا الشعب او القطر للقهر فى ظل دولة الوحدة او الاتحاد ؟

فى رأينا انه لا علاج لكل هذه الادواء الا شىء واحد ، وواحد فقط ، الا وهو [الديمقراطيه] والديمقراطيه الواسعة والعريضة لكل شعب عربى ، ولكل طبقه وطنية او حزب او جبهة او فصيل ، أو مناضل ثورى ، داخل اطار دولة الوحدة او الاتحاد . ان تمتع الجميع بالحريات الديمقراطية الحقيقية والكاملة كفيل ليس فقط بأن يرسخ اعمدة دولة الوحدة او الاتحاد النواة ، وانما أيضا أن يمضى بها قدما وسريعا فى اتجاه تحقيق الوحدة العربية الشاملة الديمقراطية ، بل وفى اتجاه بناء الاشتراكية الديمقراطية ، التى تقل فى ظلها ، ثم تضمحل ، احتمالات القهر الوطنى والاجتماعى ، والقمع السياسى والفكرى ، ويزدهر فيها الانسان — بكل ملكاته — كأروع ما يكون الازدهار . وفى مناخ وظل مثل هذه الحريات الديمقراطية الواسعة والعريضة يمكن أن تدور أعمق وانضج الحوارات بين مختلف القوى القومية والديمقراطية والاشتراكية من اجل تعميق اسس الوحدة العربية ، واكتشاف طرق الوصول الى ما تبقى منها من مراحل ، وتذليل كافة معضلاتها ، وجميع العقبات التى تعترض سبيلها .

ان هذه الحقيقة الموضوعية الخطيرة هى أيضا

ما نبه اليه واجمع عليه كل الزملاء الاجلاء فى دراساتهم العلمية والقيمة ، والذين اتاحوا لنا بهذا التعليق الموجز عليها هذه الفرصة الثمينة التى توفرها مجلة « الطليعة » الموقرة ، خدمة لقضايا النضال العربى .

وانى لارجو ان أكون بما قدمت فى هذا المضمار ، قد حاولت فى ضوء [خبرات الماضى وتحديات المستقبل] التعرف ووضع اليد – ولو على بعض الاسس والطرق الموصلة الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة الديمقراطية .

● حـــول الحـــوار بين لطفى الخولى وأحمد أبو الفتح

اثار الحوار الذى بدأ على صفحات الطليعة فى عدد مايو ، بين لطفى الخولى وأحمد أبو الفتح ، أهتمام دائرة واسعة من أصدقاء الطليعة وقرائها .

وفى عدد يونيو نشرت الطليعة بعض الردود على مقال الاستاذ أبو الفتح .

ومنذ ذلك الوقت والبريد يحمل الى الطليعة المزيد من المقالات والكلمات التى عنى كاتبوها – من موقف المعارضة – بالرد على القضايا والحجج التى تضمنها مقال الاستاذ أبو الفتح .

وفيما يلى بعض هذه الرسائل :

١ – رسالة من **صلاح عيسى** المحرر بالجمهورية .

٢ – رسالة من **عبد المتعال أحمد عبد المتعال** – المفتش بمديرية القوى العاملة – بسوهاج

٣ – رسالة من **يونس ابراهيم بسونس** – شركة تسرسانة الاسكندرية .

٤ – رسالة من **أحمد مصطفى عبد اللطيف** – المنصورة محطة طلخا لتوليد الكهرباء .

٥ – رسالة من **مقاتل حمدى عبد الجواد محمد السيد** – المنيرة القاهرة .

٦ – رسالة من الدكتور **السيد فهمى الشناوى** – دكتوراه فى المسالك البولية .

٧ – رسالة من **ابراهيم عبد العزيز** – الاسكندرية .

٨ – رسالة من **سيف الدين محمد كيلانى** – درس بصفط زريق – شرقية .

٩ – رسالة من **هاشم عبد الصادق عبد الحكيم** – محاسب .

١٠ – رسالة من **على عباس** – اخصائى – اعلام العلاقات العامة شركة الحديد والصلب .

١١ – رسالة من السيد **محمد نصر ياسين** – الادارة العامة لرى قنا .

١٢ – رسالة من **محمد أبو الدرداء محمود** – عامل بشركة الورق الاهلية – الاسكندرية .

١٣ – رسالة من فايز عقسل بسندوب .

و « **الطليعة** » اذ تعتز بمساهمة قرائها وأصدقائها فيما تطرح من قضايا تثير الحوار . تشكرهم وتقدر مبادراتهم الوطنية ، وتقدر أن كل من ساهم بالكتابة اليها سيتفق معنا على أن ضغط الموضوعات الجديدة التى تفرض نفسها بحكم التطورات المستمرة ، وبالتالى ضيق المجال ، يحفزنا الى ان نستأذن الاصدقاء والقراء ان نكتفى – فى موضوع الحوار – بما تم نشره حتى الان ، مرحبين – فى كل وقت – بكل رسالة جديدة وبكل رأى جديد .

« أسرة تحرير الطليعة »

تقارير الشهر

يوليو

١٩٧٤

■ جمهورية مصر العربية :

رفع أجر عمال
القطاع الخاص

■ الصومال :

مؤتمر القمة الافريقى :
اتفاقات وخلافات

■ بلغاريا :

الاحتفال بيوم
الثقافة البلغارية

■ تقرير خاص :

بعد انتهاء أعمال المجلس الفلسطينى :
ماذا يعنى القرار الفلسطينى ؟

■

معالوت .. أم ترشيحا ؟
تلك هى القضية

■ رسالة بلجراد :

مؤشرات السياسة الخارجية

■ شريط الاخبار ■

■ وقعت بين العراق وسوريا اول اتفاقية بشأن مياه نهر الفرات بعد مفاوضات طويلة . وقال مكرم الطالباني وزير الرى العراقى ان الاتفاقية تتعلق بالتنسيق بين الجانبين ، ومواجهة النقص غير الطبيعى للمياه فى نهر الفرات وتقليل الاضرار الى ادنى حد ممكن .

■ جمهورية مصر العربية ■

عهد على انجاز التحرير فى العام القادم

أمضى الرئيس **انور السادات** الايام الاولى من الشهر الماضى ، ومع ذكرى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . فى زيارة لمنطقة القناة ، وهى اول زيارة له لجبهة القتال بعد معارك حرب اكتوبر . وقد زار **الرئيس** فى جولته منطقة سيناء ومدن السويس والاسماعيلية وبورسعيد والقنطرة . وتفقد خلالها القوات المصريةوخط بارليف والمواقع الحصينة علىجبهة القتال التى استولت عليها القوات المصرية من القوات الاسرائيلية ، كما شهد عرضا عسكريا لقوات الجيش الثالث والثانى الميدانى .

وقد شهد **الرئيس** المؤتمرات الشعبية التى اقيمت فى مدن السويس والاسماعيلية وبورسعيد ، والتى حضرها آلاف من ابناء المدن الثلاث الذين عادوا الى مدنهم . وحيا الرئيس المقاومة الباسلة لمدينة السويس ، واثنى على الالتحام التاريخى بين القوات المسلحة وقوات الشرطة وجماهير الشعب فى المقاومة العنيدة للدفاع عن المدينة . وقرر **الرئيس** ان يكون يوم ٢٤ اكتوبر ، وهو تاريخ صمود المدينة فى مواجهة قوات الغزو الاسرائيلية عيدا قوميا لجمهورية مصر تعطل فيه المصالح والهيئات . واصدر توجيهاته لكى تعود الحياة الطبيعية الى مدينتى الاسماعيلية وبورسعيد قبل السادس من شهر اكتوبر القادم [باستثناء مدينة السويس لظروفها الصعبة ومد هذا الموعد الى نهاية عام ١٩٧٤] كما اصدر الرئيس ١٥ قرارا للتيسير علىأهالى منطقة القناة وسيناء فى مقدمتها :

اعفاء المزارعين من المديونات الحكومية والضرائب على الاطيان منتاريخ التهجير حتى نهاية عام ١٩٧٤ . وتمليك الفلاحين الذين استزرعوا اراضى للدولة فى المهجر . والاعفاء من كل الضرائب والرسوم المستحقة فى منطقة القناة حتى نهاية عام ١٩٧٤ . واستمرار تجميد متأخر ايجارات المساكن للمهجرين حتى نهايةشهر يونيو ١٩٧٤ .ودراسة تأمين مستقبل الاسر المهجرة التى فقدت عائلها وانقطع مورد رزقها ، واستمرار صرف مقابل التهجير للجميع حتى نهاية عام ١٩٧٤ . ورفع الحد الاقصى للتعويض عن خسائر المال من ١٠ آلاف الى ٢٠ الف جنيه . وتعويضات المستشهدين من ٥٠٠ الى ٨٠٠ جنيه .

وقد شرح الرئيس فى لقاءاته بالجماهير والقوات المسلحة ، الظروف التى سبقت المعركة ، والاعداد لها سواء من الناحية السياسية او العسكرية « لاننا لا نستطيع ان نفاجىء العالم من فراغ بمعركة لا يفهمها ولا نستطيع ان نعزل انفسنا عن العالم » .

وتناول **الرئيس** فى خطاباته موقف امريكا من قضية الشرق الاوسط وقال : ان موقف امريكا ذاته تغير تغيرا جذريا . ولم تعد امريكا تقف مائة فى المائة الى جانب اسرائيل ، وانها تضمن الان وقف اطلاق النار كما تضمن ثانيا التنفيذ الفورى للقرار رقم ٢٤٢ ، وانه منذ نوفمبر الماضى بدأ الموقف الامريكى يتزحزح عن مكانه « ما بقولش ابدا انه منحاز لنا . وعمر امريكا مش حتنحاز لنا ضد اسرائيل وعمر امريكا ما حتسيب حماية اسرائيل ، وانه لولا امريكا لهزمت اسرائيل هزيمة كاملة » .

واكد **الرئيس** ان المعركة لم تنته بعد ، وان معركتنا معركة مزدوجة ، هى التحرير والتعمير على ان يسيرا فى وقت واحد . وانه قد اصبحت تتوفر لنا الثقة فى انفسنا **وفى قدرتنا على حماية سيادتنا وفى قاعدتنا الصناعية والانتاجية القادرة على ابقاء مفاتيح الاقتصاد الوطنى فى ايدينا** .وان انتصار حرب اكتوبر جعلنا قادرين على ان نتعامل مع الدنيا كلها على قدم المساواة ،

■ شريط الاخبار ■

وهو الذى يعطى الانفتاح صورته المطلوبة من التعاون الاقتصادى : تعاون الند للند لا تعامل التابع للمتبوع .

وقال الرئيس فى كلمته امام ضباط وجنود الجيش الثانى ، لقد زرتكم هنا فى مواقعكم فى مثل هذا اليوم من العام الماضى ، وتعاهدنا ان نلتقى فى العام القادم اى فى يومنا هذا بعد النصر ،ونتعاهد فى هذا العام أن نلتقى فى العام المقبل ان شاء الله وقد انجزنا المهمة كاملة بتحرير كل الارض العربية .

ويرى المراقبون ان زيارة **الرئيس السادات** لمنطقة القناة استهدفت فى الواقع التأكيد على عدد من القضايا فى مقدمتها :

١ ــ ان المعركة لم تنته ، وان القوات المسلحة ماضية فى بناء قدراتها .

٢ ــ التزام مصر بقضية فلسطين باعتبارها جوهر قضية الشرق الاوسط .

٣ ــ التأكيد على ان منطقة القناة تدخل فى العمق المصرى ، وهو الامر الذى يعنى التزام مصر بالرد على اى عدوان اسرائيلى يصيب مدن هذه المنطقة .

□□□

■ مجلس الشعب :

رفع أجر عمال القطاع الخاص

وافق **مجلس الشعب** ، بعد مناقشة حامية وطويلة ، على تحديد الحد الادنى لاجر العامل بالقطاع الخاص باربعين قرشا فى اليوم ، وعلى ان يسرى ذلك على كافة عمال القطاع الخاص سواء بالمنشئات الصناعية او الزراعية او الخدمية دون اى قيود وعلى ان يعاقب صاحب العمل الذى يخالف احكام القانون بغرامة لا تقل عن خمسة جنيهات ولا تجاوز عشرين جنيها ، وتتعدد العقوبة بتعدد العمال الذين وقعت فى شأنهم المخالفة .

وكان العضو **أنور سالم الشماع** ، قد تقدم باقتراح للمجلس برفع الحد الادنى للعاملين بالقطاع الخاص الى ١٢ جنيها شهريا أسوة بالعاملين بالقطاع العام والحكومة . وعندما احال المجلس الاقتراح الى لجنة القوى العاملة لدراسته رأت اللجنة ، انه لم تكن هناك قبل الثورة اية قواعد تشريعية تضع حدا أدنى لاجور العمال فى المنشئات الصناعية والتجارية على جميع مستوياتها اللهم الا بعض نصوص تضمنها الامر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ بشأن اعانة غلاء المعيشة لموظفى ومستخدمى وعمال المحال التجارية والصناعية . وهو الامر الذى كانت تسرى احكامه على فئات محدودة من العاملين بهذه المحلات ، والذى وضع حدا ادنى لاجر العامل بـ ١٢ر٥ قرشا يوميا .

ثم صدرت قرارات يوليو سنة ١٩٦١ ونشأ على اثر صدورها القطاع العام . ولما كان للمنشئات الصناعية وضع خاص ، بالنسبة للاقتصاد القومى فى مجموعه ، لذلك فقد كان تدخل المشرع لتحديد حد ادنى لاجور العمال بهذه المنشآت امرا ضروريا سواء كان ذلك بالنسبة للقطاع العام او الخاص.

وعلى ذلك ، فقد صدر القرار الجمهورى رقم ٢٦٢ لسنة ١٩٦٢ بشأن تحديد حد ادنى لاجور العمال فى الشركات التابعة للمؤسسات العامة الصناعية . فقضى بأن يكون الحد الادنى لما يتقاضاه العامل الذى تجاوز سنه ١٨ سنة من أجر يومى شامل ، فى الشركات التابعة للمؤسسات العامة الصناعية ، خمسة وعشرين قرشا .

أما بالنسبة للقطاع الخاص فقد صدر القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦٢ بجعل الحد الادنى للاجر خمسة وعشرين قرشا فى اليوم بالنسبة لعمال

■ فى تصريح ادلى به الى « النهار » البيروتية د. اشرف غربال سفير مصر فى واشنطن عن زيارة نيكسون ، فقال السفيران ماهو مطلوب الان هو : « ادخال القضية فى صميم المجتمع الامريكى ، وان نكثف الاتصالات باعضاء الكونجرس وان نتمسك بوحدة الصف العربى لان الوحدة هى العنصر الاساسى الذى اثبت دوره فى تغيير الموقف . كما يجب ان نحافظ على علاقات جديدة مع الاتحاد السوفيتى»

■ شريط الاخبار ■

■ علقت صحيفة الوطن الكويتية على تجديد انتخاب ياسر عرفات لرئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية فقالت : ان هذا يعني اكثر من مجرد الثقة به كمناضل ثوري ، كمايعني الاستعداد للسير معه في نطاق الاستراتيجية التي تتبناها فتح تحت قيادته .

واشارت الصحيفة الى استراتيجية الثورة الفلسطينية في المرحلة القادمة . وذكرت انه لم يعد من السهل تجاهل الاتجاه الذي يدعو الى القبول بقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة .

المنشئات الصناعية التي تسرى عليها احكام المادتين ١ و ٨ من القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٨ [في شأن الصناعة وتشجيعها] والتي تبلغ تكاليف اقامتها ما يزيد على الف جنيه طبقا للقرار الوزاري الصادر تنفيذا لهذا القانون .

أما فيما عدا هؤلاء فان الحد الادنى للاجر فقد ظل بالنسبة لهم ٥ر١٢ قرشا يوميا ، طبقا للامر العسكرى رقم ٩٩ لسنة ١٩٥٠ .

ثم صدر القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٧١ باصدار نظام العاملين بالقطاع العام وجعل الحد الادنى لاجور العاملين بالقطاع العام تسعة جنيهات في الشهر . وذكر تقرير اللجنة انه : « اعمالا لقواعد المساواة بين العاملين في القطاعات المختلفة ، وتحقيقا لمبادىء الاشتراكية والعدالة » ، فقد اصدر المشرع القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٧٢ بتحديد حد ادنى لاجور العمال وتنظيم اجازاتهم المرضية في المنشئات الصناعية بالقطاع الخاص . فجعل الحد الادنى لما يتقاضاه العامل البالغ ثماني عشرة سنة من اجر شامل فيالمنشئات الصناعية التي تسرى في شأنها احكام المادتين ١و٨ منالقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٨ المشار اليه ثلاثين قرشا في اليوم .

وقد وافق المجلس بجلسته المعقودة في ٢٦ مايو ١٩٧٤ على مشروع القانون الذى قدمته الحكومة برفعالحد الادنىللاجور للعاملين المدنيين بالدولة والقطاع العام الى اثنتى عشرة جنيها شهريا .

وكان مشروع القانون الذى عرض على المجلس لمناقشته يقضي في **مادته الاولى** بان يكون الحد الادنى لما يتقاضاه العامل البالغ ثمانيعشرة سنة على الاقل من اجر شامل في المنشئات الصناعية التي تسرى في شأنها احكام قانون تنظيم الصناعة وتشجيعها ، والتي تبلغ تكاليف انشائها ثلاثة آلاف جنيه فاكثر ـ اربعين قرشا في اليوم ، فاذا نقص السن عن ثماني عشرة سنة جاز ان يقل الاجر بنسبة قرشين في اليوم عن كل سنة بحيثلايقل بأى حال من الاحوال عن ثلاثين قرشا في اليوم مع ضرورة حصول العامل على يوم الراحة الاسبوعية مدفوع الاجر . وان يسرى هذا الحكم علىالمحال والمنشآت غير الصناعية ايا كاننوع نشاطها اذا كانرأسمالها لايقل عنثلاثة آلاف جنيه .

ونص الاقتراح في مادته الثانية على ان يكون الحد الادنى لما يتقاضاه العامل البالغ ثماني عشرة سنة على الاقل من أجر شامل في المنشئات الصناعية التي تقل تكاليف انشائها عن ثلاثة آلاف جنيه ، ثلاثين قرشا في اليوم ، فاذا نقص السن عن ثماني عشرة سنة جاز ان يقل الاجر بنسبة قرشين في اليوم عن كل سنة وبحيث لا يقل الاجر بأى حال عن خمسة وعشرين قرشا في اليوم ، ويسرى ذلك على المحال والمنشآت غير الصناعية ايا كان نوع نشاطها .

كما نص المشروع على توقيع عقوبة على صاحب العمل اذا خالف احكام القانون .

وعند مناقشة **المجلس للمشروع من حيث المبدأ** ، أيد البعض المشروع وتحفظ البعض ، وطالبوا بمزيد من الدراسة .

فقد طالب كل من فتحى بيومي والدمرداش البزة . وخليل حافظ وبدر خورشيد وعبد الله عاصي والدكتور السيد على السيد ومحمد رشوان وكريمة العروسي وعطيه الفيومي وعبد الله البدرى وايهاب مقلد وسيد زكى وصلاح الطاروطي والدكتور جمال المطيفي وسيد جلال ، بضرورة الاسراع في الموافقة على المشروع على اساس ان الاشتراكية كفاية وعدل وضرورة مساواة عمال القطاع الخاص بعمال القطاع العام في الاجر لمواجهة موجة ارتفاع مستوى المعيشة .

وأعلن البرت برسوم وزير الدولة لمجلس الشعب أن الحكومة تقر المشروع من حيث المبدأ ولا تعارضه وترجو من المجلس نظره على وجه الاستعجال .

وقد طالب كل من صلاح توفيق ومصطفى غباشي وكمال صقر وعبده مراد ، بضرورة التريث في الموافقة على المشروع ودراسته بتأن ، لان تطبيقه سلاح ذو حدين ، فقد يحجم بعض اصحاب منشآت القطاع الخاص عن تعيين العمال ، خوفا من ارتفاع قيمة اقساط التأمينات الاجتماعية .

وعندما عرض السيد حافظ بدوى رئيس المجلس اخذ الراى على المشروع من حيث المبدأ وافقت اغلبية المجلس عليه .

وعندما طرحت المادة الاولى من المشروع للمناقشة تقدمت آراء كثيرة ، الا ان المجلس وافق بالاجماع على اقتراح العضوين مصطفى كامل مراد ومأمون مشالى بتعديل **المادة الاولى والثانية من المشروع ، ليقضى بان يكون الحد الادنى لاجر العامل في جميع المنشآت الصناعية والزراعية والخدمية اربعين قرشا في اليوم دون النظر لاى اعتبار آخر حتى يتمشى ذلك مع ارتفاع تكاليف المعيشة ، والمساواة بعمال الحكومة والقطاع العام .**

□□□

الرئيس نيكسون في الشرق الأوسط

زار الرئيس ريتشارد نيكسون جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية السورية واسرائيل والمملكة الاردنية فى الفترة ما بين ١٢ و ١٨ يونيو ١٩٦٧ .

وقد جاءت هذه الزيارة بعد التغييرات التى احدثتها حرب اكتوبر ، وهى الحرب التى دللت على انه فى مقدور البلاد العربية ان تتصدى من موقع القوة لصد النزعات التوسعية الاسرائيلية .

واذا اراد المرء ان يركز على ما هو جوهرى فى الزيارة امكن القول بأن الخطابات المتبادلة بين الرئيس **انور السادات** وبين **الرئيس الامريكى** قد عكست دلالات هامة :

فمن ناحية ، حرص **الرئيس السادات** ، منذ اليوم الاول للزيارة ، على أن يحدد ــ فى الكلمات التى القاها ــ عددا من المسائل الاساسية التى تشكل جوهر الموقف المصرى . لقد أكد الرئيس على :

١ ــ انه ليس هناك طريق آخر يؤدى الى سلام دائم بغير حل للمشكلة الفلسطينية هذه المشكلة التى تشكل جوهر قضية الشرق الاوسط .

٢ ــ ان شعب مصر بما يملك من طاقات وقدرات قادر على استرداد ارضه ، اما بالوسائل السلمية او بالقوة ،

٣ ــ ان من بين التغييرات الاساسية التى فجرها السادس من اكتوبر التغيير الذى حدث فى المسلك الامريكى . وان التحرك الامريكى هو انجاز ملموس للسادس من اكتوبر .

ومن ناحية اخرى حرص الرئيس الامريكي على التعبير عن رأيه فى اطار الخطوط العامة التى تعكس وجهة النظر الامريكية فى القضايا المطروحة . فاعلن :

[١] انه لم يحضر ومعه حلول جاهزة لمشكلات المنطقة .

[٢] ان كل الاطراف المعنية بالمشكلة قد بدأت السير على طريق طويل . وان الطريق لازال ممتدا ، وانه امام الاطراف المعنية طريق طويل يتعين عليها ان تقطعه .

[٣] ان امريكا ستكرس جهودها للسير فى هذا الطريق لتحقيق اهداف شعوب ودول هذه المنطقة : اهداف السلام والتقدم والرفاهية لكل الاطراف .

غير ان البيان الذى صدر فى ختام الزيارة تميز بانه اشتمل على تحديد اوضح فيما يتعلق بموقف الطرف الامريكى من قضية فلسطين . فقد جاء فى بيان « **مبادىء العلاقات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة الامريكية** » ان

■ شريط الاخبار ■

■ تفيد الانباء الواردة من قبرص ، ان القاعدة البريطانية « تيكيلا » فى الجزيرة قد اصبحت مأوى لاعضاء منظمة ايوكا السرية الذين تطاردهم قوات الامن وكان اعضاء المنظمة قد قاموا بتخريب عدد من المنشآت الحكومية فى المنطقة فى الفترة الاخيرة ثم اختفوا عن الانظار . وذكرت تحريات البوليس ان العناصر الارهابية قد لجأت الى القاعدة البريطانية هربا من الاعتقال .

والجدير بالذكر ان بريطانيا قد رفضت مؤخرا بناء على توصية حلف الاطلنطى الجلاء عن قواعدها فى قبرص .

ان الرئيسين يهتديان برغبتهما فى دعم العلاقات بين بلديهما بما يسهم فى رخاء المنطقة ككل ، وان تكون المبادىء التى تحكم العلاقات بين البلدين ، يجب ان تقوم على اهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وحق كل دولة فى الوجود وفى اختيار نظام الحكم الذى تراه ، وفى الاستقلال والسيادة ،وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، واحترام سلامة ووحدة اراضيها واستقلالها السياسى .

وأكد البيان : على التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وان **يأخذ فى الاعتبار المصالح الشرعية لكل شعوب الشرق الاوسط بما فى ذلك الشعب الفلسطينى وحق جميع دول المنطقة فى الوجود** . وان السلام يمكن تحقيقه عن طريق المفاوضات المتصلة طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ فى اطار مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط .

وقال البيان : ان الدولتين قد عقدتا العزم على تطوير علاقاتهما الثنائية على اساس الاحترام والنفع المتبادل ، وهما تنظران الى التنمية الاقتصادية والعلاقات التجارية كعنصر أساسى فى تقوية العلاقات الثنائية وتشجيع التبادل والبحث المشترك فى المجالات العلمية والفنية وتعميق الروابط الثقافية ، وزيادة السياحة بين البلدين .

وقد تضمن البيان برنامج عمل كبير بين البلدين فى مختلف المجالات من بينها : مساهمة الولايات المتحدة فى دعم الهيكل المالى لمصر . والتعاون فى مجال الطاقة النووية . وتشكيل ستة مجموعات عمل مشتركة بين البلدين، تجتمع فى المستقبل القريب لاعداد مشروعات عمل محددة ومقترحات تعرض على اللجنة المشتركة فى واشنطن .

وتشمل هذه المجموعات المشتركة : مجموعة عمل لتعمير وتطوير قناة السويس ـ ومجموعة لبحث الاستثمارات الخاصة الامريكية ، واقامة مشروعات مشتركة فى مصر لتنمية التجارة بين البلدين ـ ومجموعة عمل فى مجال الزراعة لزيادة الانتاج الزراعى المصرى ـ ومجموعة عمل فى مجال التكنولوجيا تركز على تبادل العلماء ـ ومجموعة عمل للتعاون الطبى ـ ومجموعة عمل للتبادل الثقافى .

كذلك اتفقت الحكومتان على تشجيع تكوين مجلس اقتصادى مشترك يضم ممثلين للقطاع الخاص فى كل من البلدين ، للتعاون واعداد ترتيبات اقتصادية وتعاونية ذات فائدة مشتركة .

وتقدر قيمة المشروعات التى عرضت المؤسسات الامريكية تنفيذها فى مصر بحوالى ٢٠٠٠ مليون دولار .

ومن المقرر ان تعرض هذه المشروعات الاقتصادية على الكونجرس الامريكى لمناقشتها ، ثم الموافقة عليها واعتمادها .

■ ■ ■

وفى السعودية . القى **الملك فيصل** كلمة فى مادبة العشاء ندد فيها «بالظلم والعدوان » اللذين وقعا على الدول العربية ، وقال : « **انه لن يكون فى الامكان اقامة سلام دائم ما دامت القدس لم تتحرر ، وما دامت جميع الاراضى العربية المحتلة لم تتحرر ، وما دام الذين طردوا من اراضيهم لم يتمكنوا من العودة الى ديارهم وممارسة حقهم فى تقرير المصير** » .

وقال **نيكسون** ، فى رده « اننا نريد ان نقوم بدور مفيد ولكن لن يكون فى امكاننا استخدام طريقة سحرية لتسوية جميع المشاكل » . ودعا الى تسوية مشاكل المنطقة خطوة بعد اخرى .

وفى مؤتمر صحفى عقده **نيكسون** قبل سفره ـ قال ، انه ابلغ **الملك فيصل** ان الولايات المتحدة تعتزم مواصلة جهودها لمساعدة العرب واسرائيل فى التوصل الى سلام عادل . واضاف ان مباحثاته تناولت ايضا المساعدة العسكرية التى تقدمها امريكا للسعودية . وقال ان الولايات المتحدة والسعودية تتحركان الان نحو مرحلة من التعاون الوثيق ، لم يسبق لها مثيل فى تاريخ علاقات البلدين . وانه و**الملك فيصل** استكشفا فى محادثاتهما

■ شريط الاخبار ■

■ **اعربت مجموعات العمل فى المصانع والمؤسسات القائمة فى المناطق الواقعة على ساحل بحر البلطيق فى شمال المانيا الديموقراطية ، فى العديد من القرارات والبيانات عن نضالها الكامل مع الشعوب العربية، وقد جرى احتفال للتضامن فى مدينة روستول تسلم فيه وفد صداقة من البلدان العربية ملفا يحتوى على مجموعة من هذه البيانات .**

وتتضمن البيانات مطالبة العمال والاطباء والفلاحين التعاونيين والمعلمين بانسحاب المعتدين الاسرائيليين من كافة الاراضى المحتلة منذ ٦٧ وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

■ شريط الاخبار ■

طرقا جديدة للتعاون الثنائى ؟ يرتكز على الاتفاق الذى تم التوصل اليه فى الاسبوع الماضى ، اثناء زيارة الامير **فهد** لواشنطن .

ودعا الملك **فيصل** الشعب الامريكى لتأييد الرئيس **نيكسون** والتجمع حوله خاصة فى جهوده التى يبذلها من اجل السلام .

وفى ختام زيارة الرئيس **نيكسون** لدمشق ، اعلن هو والرئيس **حافظ الاسد** استئناف العلاقات الدبلوماسية بين بلديهما .

وقال الرئيس الاسد فى ختام الاجتماعات ، ان الجانبين اتفقا على تطوير العلاقات بينهما فى شتى المجالات فى المحادثات التى تناولت ايضا الموقف فى الشرق الاوسط . وكان الرئيس الاسد قد قال فى خطاب ختامى له : ان الجمهورية العربية السورية تشكر الرئيس **نيكسون** على الجهود البناءة التى بذلتها الولايات المتحدة من اجل التوصل الى اتفاق فصل القوات فى مرتفعات الجولان ، وتعلن عن استعدادها للاستمرار فى التعاون البناء والمخلص مع الحكومة الامريكية من اجل ارساء القواعد الثابتة للسلم العادل والدائم فى منطقة الشرق الاوسط » .

وقال الرئيس نيكسون ، « ان المباحثات التى جرت اخيرا بين الحكومة السورية والحكومة الامريكية قد تناولت المفاوضات المتعلقة بفصل القوات، وقد ابدى كل جانب بوضوح احترامه لاستقلال وسيادة الجانب الاخر . واريد ان أؤكد ان العلاقات بين سوريا والولايات المتحدة الامريكية سوف تقوم على هذا المبدأ من مبادىء القانون الدولى .

وقال : وأريد ان انتهز هذه الفرصة لاعبر عن اعجابى بجهود الرئيس **حافظ الاسد** واعضاء حكومته فى سبيل تحقيق السلام . ان الولايات المتحدة الامريكية سوف تعمل جنبا الى جنب مع سوريا فى سبيل تحقيق العدل والسلام الدائم ، وذلك فى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم « ٣٣٨ » هذا السلام الذى سيخلق مرحلة جديدة من التطور والرخاء فى الشرق الاوسط » .

■ ■ ■

وفى ختام زيارة الرئيس **نيكسون** لاسرائيل وقبل ان يتجه الى الاردن ـ أكد الطرفان فى بيانهما المشترك على :

ان الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بالتكنولوجيا والوقود النوويين ، بموجب ضمانات متفق عليها لمنع تحويلهما لاغراض عسكرية . وقال البيان ، ان أمريكا واسرائيل ستتوصلان كخطوة آتية فى هذا الشهر الى اتفاق تمهيدى بشأن بيع اسرائيل مزيدا من الطاقة النووية .

واضاف البيان قائلا : وقد اكد الرئيس **نيكسون** من جديد الطبيعة المستمرة الطويلة الاجل للعلاقات الخاصة بالتسلح بين البلدين . وكرر تأكيد وجهة نظره بان تعزيز قدرة اسرائيل على الدفاع عن نفسها ، ضرورى لمنع قيام حروب جديدة والمحافظة على ظروف تؤدى الى السير نحو السلام. وسيحضر وفد من وزارة الدفاع الاسرائيلية الى واشنطن قريبا لوضع تفصيلات ثابتة تتعلق بالامدادات العسكرية للمدى البعيد .

وقال البيان : ان الجانبين اتفقا بالنسبة الى الوضع فى الشرق الاوسط على ان السلام الاقليمى ضرورى للسلام العالمى ، وان افضل طريقة لتحقيقه هى عملية مواصلة المفاوضات كما ورد فى قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٨ الذى حقق وقف اطلاق النار فى اكتوبر الماضى .

كما اعرب البيان : عن نية اسرائيل فى الاشتراك فى مزيد من المفاوضات بهدف تحقيق معاهدات سلام مع جيرانها تتيح لكل دولة السعى الى حقوقها المشروعة بكرامة وامن . وقد كرر **نيكسون** مرة اخرى التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل للمدى البعيد ، وبمبدأ أن كل دولة لها الحق فى البقاء داخل حدود آمنة . كما اكد ـ كذلك ـ على دعم الولايات المتحدة للتنمية الاسرائيلية واتفق مع **اسحق رابين** رئيس الوزراء الاسرائيلى على ان ذلك سيكون موضع تخطيط بعيد المدى بين الحكومتين .

■ **صرح مايك مانسفيلد زعيم الاغلبية بمجلس الشيوخ الامريكى للصحفيين ، بان قرار الرئيس نيكسون بتقديم تكنولوجيا نووية لمصر قد يكون احدى الاوراق التى فى حوزته للمساعدة فى استقرار الشرق الاوسط وضمان تدفق البترول الى الولايات المتحدة .**

غير ان مانسفلد اوضح ـ كما ذكرت وكالة «ى.ب» بانه يشعر بان عرض تقديم تكنولوجيا نووية لمصر يجب ان يبحث فى الكونجرس .

■ شريط الاخبار ■

■ صرح اللورد كاروان واضع مشروع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بأنه دون حل لمشكلة القدس لن يكون هناك سلام . وانه اذا لم يتم اتفاق فى شأن القدس فيجب ان ننسى جنيف او اى مفاوضات اخرى . واضاف كاروان انه يتصور حل هذه المشكلة على اســاس ان تـكون هنـاك « قدسان » واحدة عـربية واخــرى اسرائيلية مع حرية التنقل بينهما .

وفى رايه ان هذا هو الحل الوحيد الذى يمكن ان ينجح . واكد ان « تدويل المدينة لم يلق تجاوبا عند اى طرف . وانا اقول ذلك واعلم ان اليهود يرفضون فى اى شكل التخلى عن القدس ويرفضون الحل الذى اقدمه هنا » .

هذا وقد أدلى كاروان بهذه التصريحات فى اجتماع ببيروت كانت قد دعت اليه الجمعيــة العالميــة لنداء القدس .

وكان **ياسر عرفات** رئيس منظمة تحرير فلسطين قد ابدى تحفظات على البيان الامريكى ــ الاسرائيلى المشترك ، كمــا اشار ــ فى حــديث له فى القاهرة الى نقطتين : **الاولى** : النداء الذى وجهه نيكسون الى الدول العربية بوقف نشاط الفلسطينيين ،ووصفه **ياسر عرفات** بانه تدخل صريح فى الشئون الداخلية للدول العربية . **والثانية** : تصريح **كيسنجر** فى المؤتمــر الصحفى الذى عقده فى القدس ، وقال فيه : انه يرى ان أفضل وسيلة لاشراك ممثلى منظمــة التحــرير فى عملية الســلام هى ان يكون ذلك عن طــريق الاردن واسرائيل مع الولايات المتحدة . وقال ياسر عرفات ان هــذا اتجاه مرفوض شكلا وموضوعا .

■ ■ ■

وفى عمان دارت مفاوضات طويلة بين **الملك حسين** والرئيس **نيكســون** وذلك فى نهاية جــولة الرئيس الامــريكى فى الشرق الاوسط . وكان الملك حسين قد ارسل الى الرئيس الامريكى فى واشنطن وقبــل ان يبــدأ رحلته مشروعا مفصلا لاقتراحه الخاص بالفصل بين القوات على الجبهة الاردنية . وقد نشرت **الاهرام** نص المشروع الاردنى فى ١٨ يونيو على النحو التالى :

١ ــ تنسحب القوات الاسرائيلية من منطقة الاغوار حتى جنوب البحــر الميت عند مدينة اريحا ، وتحل محلها قوات طوارىء دولية كثيفة .

٢ ــ تبقى المستعمرات الاسرائيلية التى انشأتها اسرائيل فى منطقـــة الاغوار بعد حرب ١٩٦٧ ، على ان تظل الطرق بين الضفتين مفتوحة ،وذلك بصفة مؤقتة ، الى ان يتم اقرار التسوية النهائية فى جنيف .

٣ ــ تنسحب القوات الاسرائيلية من مدن نابلس وجنين وطولكرم والخليل ورام الله والبيرة وبيت لحم ، على ان تحل محلها قوات طــوارىء دوليــة وادارة مدنية اردنية ، وذلك ايضا لحين اقرار التسوية النهائية .

وقد علقت **الاهرام** على هذا المشروع بقولها : « تعتقد الدوائر السياسية ان هذا الاقتراح يمكن ان يكون مقبولا ، مع تعديلات ، من اسرائيل ، لتفويت فرصة المطالبة الفلسطينية باقامة سلطة وطنية فى الضفة الغربية » .

وكانت الدوائر المطلعة قد اكدت انه خلال المفاوضات الطويلة بين **الملك حسين** والرئيس **نيكســون** ، تركز النقــاش ــ بالتفصيل ــ على القضيــة الفلسطينية وعلى مستقبل مدينة القدس ، وعلى ضرورة الضغط على اسرائيل لاعادة الضفة الغربية الى السيطرة الاردنية ومضاعفــة المعــونة السنوية الامريكية غير العسكرية [٦٥ مليون دولار] الى ثلاثة أمثال .

وقد لوحظ ان البيان المشترك الذى صدر قبيــل سفر الرئيس الامريكى عائدا الى واشنطن ــ لم يتضمن اى اشارة الى مشكلة القــدس ، كمــا لم يتحدث بشكل مباشر عن موضوع الفصل بين القوات الاردنيـــة الاسرائيلية والذى يعتبره الملك حسين مسألة اساسية .

وتضمن البيان المشترك عن محادثات **الملك حسين** والرئيس **نيكســون** الفقرة التالية : « **ان الولايات المتحدة ستواصــل دعمها لاتفــاق بين الاردن واسرائيل على خطوات ثابتة نحو السلام العادل والدائم** المنصوص عليه فى قرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ و ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ . واضاف البيان ان مختلف المشاكل التى تكتنف الموقف فى الشرق الاوسط كانت موضع بحث مفصل « **وانهما سيستأنفان هذه المباحثات فى واشنطن فى وقت مبكر** » .

■ شريط الاخبـار ■

■ اسرائيل :

كفار شومير .. بعد كيريات شمونة ومعالوت

ما يزال حادث الهجوم الجرىء للثوار الفلسطينيين على مستعمرة « **كفار شومير** » فى الشهر الماضى ، يثير ردود فعل عنيفة فى صفوف المدنيين والعسكريين الاسرائيليين . اذ يعد هذا الهجوم الثالث من نوعه خلال شهرين ، بعد الهجوم على مستعمرة كيريات شمونه ، ومعالوت حيث بلغت خسائر اسرائيل فى الهجمات الثلاث اكثر من خمسين قتيلا ، فضلا عن عشرات الجرحى والخسائر المادية .

وكانت مجموعات من الفدائيين قد اقتحمت فى ١٣ يونيو الماضى مستعمرة « كفار شومير » فى منطقة الحولة بالجليل الاعلى ، لتنفيذ عملية الشهيد « أبو علي أياد » . وقام الفدائيون بعمليات تطهير للاماكن والمبانى داخل المستعمرة ، مستخدمين القنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة ، وأجبروا السكان على الهروب الى المخابىء ، وتمكنوا من السيطرة على المستعمرة لمدة ساعات ، بينما هرعت سيارات الاسعاف لنقل الجرحى والقتلى .

وقد احتجز الفدائيون عددا من الرهائن ، وقاموا منذ اللحظة الاولى بتوجيه بيان باللغة العبرية الى السكان والى الحكومة الاسرائيلية يتضمن مطالبهم . وتتلخص هذه المطالب فى الافراج عن ١٠٠ من أسرى رجال المقاومة فى السجون الاسرائيلية ، من بينهم « كوزو أوكاموتو » الفدائى اليابانى فى حادث مطار اللد ، والمناضلات المعتقلات والمناضلين من الجرحى والمرضى . على أن يتم نقلهم بوساطة الصليب الاحمر الى دمشق عن طريق تدخل السفارتين الفرنسية والرومانية . وحدد الفدائيون مدة انذارهم بستة ساعات غير قابلة للتمديد . كما تضمن البيان تحذير الحكومة الاسرائيلية من المماطلة فى الاستجابة لمطالبهم ، وحتى لايتكرر ما حدث فى كيريات شمونة فى ١١ ابريل الماضى من الاستهتار بمطالب الثوار ، مما اضطر الثوار الى نسف انفسهم مع الرهائن الاسرائيليين .

وعلى اثر وقوع الهجوم الفدائى ، دفع العدو الى المنطقة بأعداد كبيرة من قواته المدرعة والمحمولة بطائرات الهليكوبتر وعلى رأسها الجنرال **رافائيل ايتان** قائد المنطقة الشمالية ، فى محاولة لمحاصرة الثوار الفلسطينيين . ودارت معركة عنيفة بين الجانبين داخل المستعمرة . ورد خلالها الثوار على قوات العدو المهاجمة بمدافع المورتر والهاون وانزلوا بها خسائر كبيرة ، كما استشهد عدد من الثوار المدافعين .

وتبين تفاصيل الحادث ، ان العدو قد رفض الاستجابة لمطالب الثوار ، وان قوات العدو حاولت اقتحام المكان الذى يتحصن فيه الفدائيون مع الرهائن الاسرائيليين ، وعند ذلك قام الفدائيون بنسف انفسهم مع الرهائن .

وقد أثار حادث الهجوم الجرىء على مستعمرة شومير اضطرابا كبيرا داخل المؤسسة العسكرية والحكومة الاسرائيلية . بعد أن كشف تكرار مثل هذا الهجوم عن عجز السلطات الاسرائيلية عن مواجهة النشاط المتصاعد للثوار الفلسطينيين ضد الكيان الاسرائيلى .

وقد زار شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى والجنرال موردخاى جور رئيس الاركان المستعمرات الواقعة على الحدود فى محاولة لرفع معنويات سكان المنطقة الشمالية . وعقد **شيمون بيريز** مؤتمرا صحفيا فى مستعمرة كفار شومير ، ووصف بيريز الحادث بأنه يعتبر تصعيدا لنشاط المقاومة الفلسطينية ، وهدد بانزال اقصى العقوبة بالفدائيين والذين يرسلونهم ويقدمون لهم المساعدة وطمأن سكان المستعمرات بأن الحكومة الاسرائيلية ستتخذ اجراءات جديدة لتوفير وسائل الامن للمواطنين ولمواجهة نشاط الفدائيين .

■ ادعى موشى ديان بعد عودته من امريكا انه اذا ماحصلت دولة عربية على قدرة تطوير اسلحة ذرية فان هذا الامر قد يصبح خطأ سياسيا فادحا . وزعم بأن وعد امريكا بمساعدة مصر فى المجال النووى يتضمن عاملين ايجابيين : الاول : ان النفوذ الامريكى سيتزايد فى المنطقة والثانى ان مصر ستنصرف الى تنمية مواردها .

واضاف ديان، كما ذكرت « و.أ.ف » ، ان مساعدة مصر فى المجال النووى تنطوى على خطورة .

■ **شريط الاخبـــار** ■

■ على الرغم من أن وفات شاعر شيلى العظيم بابلو نيرودا قد نقلت سرار بامر السلطات ــ من مقبرة سانتياجو الىمكان مجهول، فان جماهير الشعب الشيلى لا تزال تتوجــه الى مكان المقبرة لتضع عليها الزهور والرسائل وقصـــائد الشعر الموجهـــة الى نيــــرودا والتى يبث فيها مرسلوها الشــاعر الكبير متــاعبهم والامهم التى يلقونها كل يوم.

وأعلن الجنرال موردخاى رئيس الاركان الاسرائيلى ، ان الدرس المستفاد من حادث شومير ، هو ضرورة قيام الجيش الاسرائيلى بتسليح المستوطنين المدنيين فى المستعمرات للدفاع عن انفسهم

وقد اعترف **أهارون ياريف** وزير الاعلام الاسرائيلى ، ان نشاط الفدائيين قد تميز فى الفترة الاخيرة بخطر شديد ، وأنه يجب على القوات الاسرائيلية أن تقوم بأعمال هجومية لضرب الفدائيين فى قواعدهم ــ ويبدو أنه كان يعنى بذلك ضرب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى جنوب لبنان كما حدث بعد ذلك . واذا أضفنا الى وقائع الهجوم الاسرائيلى الواسع على مخيمات الفلسطينيين فى لبنان ، ما أعلنته المصادر المطلعة فى القدس ، من أن الحكومة الاسرائيلية ستنظر فى اجتماعها القادم فى اصدار قانون بتطبيق حكم العسكرية فى اسرائيل انما تضع بهذه الاعمال كل العراقيل فى اتجاه كل الاعدام على أسرى قوات المقاومة الفلسطينية ، فانه يتضح ان المؤسسة مسعى جاء نحو اقرار السلام فى المنطقة . وهذا السر لم يعد يحتاج الى اثبات بعد أن اقتنعت اوسع اوساط الرأى العالمى بأن قضية فلسطين تشكل لب النزاع العربى الاسرائيلى .

□□□

■ **الصومال :**

مؤتمــر القمــة الأفــريقى : اتفاقات وخلافـات

في ١٢ يونيو ١٩٧٤ افتتح مؤتمر القمة الافريقى الحادى عشر لمنظمـــة الوحدة الافريقية فى مقديشيو فى ظروف دولية اقل ما يمكن ان يقال عنهـــا انها تطرح مرة اخرة ضرورة تنسيق الموقف الافريقى .



تعليق

الصـــــهيونية مـــازالت تعنى الحـــــرب

بدأت السلطة الصهيونية ــ اثر انتهـــاء زيارة الرئيـــس نيكسون للمنطقة ــ حربا وحشية ضـــد مخيمـــات الشــعب الفلسطينى فى لبنان ، واتخذت هـــذه الغارات شــكل حملة ابادة بربرية ، وصفها ياسر عرفات فى برقيته التى وجههـــا الى الرؤساء والملوك العرب ، بان هـــذه الغارات تركز على المدنيين من اللاجئين الفلسطينيين بهدف قتل وتصفية شــعبنا الصابر والمثابر . واشار الى : « ان البيـــــان الامريكى ــ الاسرائيلى الصادر فى ختام زيارة الرئيس نيكسون لاسرائيل اعطى غطاء وتبريرا للهجمة الوحشـــية الاسرائيلية ضـــــد الفلسطينيين ضـــاربا عرض الحائط كل القيم الانسانيـــة والاخلاقية » .

ولم تكن هذه الغارات الوحشية مفاجاة للمراقبين السياسيين ــ فبرنامج الحكومـــة الاسرائيلية الذى قـــدمه اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلى للكنيست منذ اسابيع ، جاء بمثابة اعلان برفض ممثلى فلسطين فى مؤتمر جنيف ، سواء اكانوا فى صورة مساهمين او مراقبين . كما جاء رافضا لانشـــاء دولة عربية مستقلة فى غرب الاردن ، اى على الاراضى التى تحتلها اسرائيل اليوم . كما رفض الرجوع الى حدود يونيـــو ١٩٦٧ والاعتراف بتوصيات الامم المتحدة فى هذا الصدد ،كما ان برنامج الحكومة الاسرائيلية قد حمل جيرانهـــا مســئولية نشاط الفدائيين .

وقد علق المراقبون على برنامج رابين هذا بانه بمثـــابة رفض للتعايش مع العرب ، واعلان حرب ضد حركة المقاومة الفلسطينية . وهو الامر الذى اكدته بعد ذلك التصريحات التى اعلنها رابين فى ٢١ يونيو الماضى عندما قال ، « ان اسرائيل لا تستطيع ان تدخل الان فى مفاوضات من اجل السلام ، لان المفاهيم العربية والاسرائيلية للســـلام والامن مازالت متباعدة جـــدا » .

■ شريط الاخبار ■

■ اتخذت القيادة العليا لحلف الاطلنطى قرارا ، حرم بموجبه على حكام البرتغال الاطلاع على اسرار الحلف — المالية ، بضغط من العسكرية الامريكية التى ابدت قلقها لوجود وزيرين شيوعيين فى الحكومة الجديدة . وفى نفس الوقت بدأت دعوة من قبل الاوساط المالية الراسمالية الدولية لتهريب رؤوس الاموال المحلية الى الخارج .

فمنذ عام تقريبا كانت المنظمة الافريقية تحتفل بمرور عشر سنوات على انشائها ، وقد بدأ التساؤل فى ذلك الوقت : هل قامت المنظمة بالدور الذى يقع على عاتقها ، على نحو مرض ؟ وهل كانت المنجزات التى تحققت على مستوى الاهداف التى وضعت ، خاصة وقد شهد العام الماضى تطورات هامة فى الظروف الدولية .

ولقد جاء هذا المؤتمر ليذكر الافارقة بان الوضع السياسى الافريقى مازال يستوجب تحركا منسقا فعالا . ففى الجزء الجنوبى من القارة مازال الاستعمار مسيطرا على الشعوب الافريقية :

— ما زالت شعوب المستعمرات البرتغالية تقود كفاحا مريرا لانتزاع الاستقلال .

— فى روديسيا وجنوب افريقيا تمارس الاقلية البيضاء سياستها العنصرية ضد الافارقة .

— فى اقصى غرب القارة تسيطر اسبانيا على ريو دى اورو . وجزر كانارى .

ولكن الحادث الذى اثار انتباه الافارقة الى خطر جديد كان دون شك حرب ٦ اكتوبر . فمنذ اللحظة التى وطئت اقدام العدو الاسرائيلى ارض افريقيا كشف القناع سافرا عن وجه الامبريالية الصهيونية التوسعية . فكان رد الفعل على الصعيد الافريقى التكتل وراء مصر مما ادى الى هدم القواعد الاقتصادية التى تسترت وراءها اسرائيل للتوغل فى القارة الافريقية والى دعم التضامن بين افريقيا جنوب الصحراء ، وافريقيا شمال الصحراء .

اما الحادث الاخير الذى ابرز اهمية الاوضاع السياسية فى القارة فهو التغيير فى الحكم الذى شهدته البرتغال نتيجة للانقلاب العسكرى الذى اطاح بحكومة **جيتانو** وتولى الجنرال **سبينولا** مقاليد الامور فى البلاد وقد تم هذا الانقلاب تحت شعار انهاء الحرب فى المستعمرات .

وهكذا — اذا لخصنا اهداف العدوان الاسرائيلى على الشعب الفلسطينى امكن القول :

اولا : ان اسرائيل تريد العودة بالمنطقة الى حالة الحرب — مستهدفة بذلك التنصل من تنفيذ قرارات الامم المتحدة بالانسحاب من جميع الاراضى التى احتلتها فى ١٩٦٧ ، وتحويل اتفاقيات الفصل بين القوات الى اتفاقيات هدنة .

ثانيا : اضعاف حركة المقاومة الفلسطينية ، واستبعاد منظمة التحرير كالممثل الوحيد للفلسطينيين ، بانتهاج مخطط يفتح الطريق امام « آخرين » ليدعوا تمثيل الشعب الفلسطينى . وذلك حتى يأتى مؤتمر جنيف والطرف الفلسطينى فى حالة ضعف ، او بلا قيادة ثورية واعية .

وقد كشفت صحيفة « دافار » الاسرائيلية عن ذلك عندما علقت على هذه الغارات بقولها : « ان الغارات الاسرائيلية توضح انها ليست بالمرة عمليات انتقامية وانما استراتيجية جديدة فى مكافحة الارهاب » . وكما قال الجنرال مردخاى جور رئيس الاركان الاسرائيلى — فى برنامج اذاعى — : « ان العمليات التى قامت بها الطائرات الاسرائيلية مؤخرا ضد مناطق تقع فى لبنان قد اتخذ قرار بها بعد دراسات عميقة واجراء مباحثات سرية حولها » .

ثالثا : تستهدف هذه الغارات السيطرة على بعض الاراضى اللبنانية فى الجنوب خاصة ان مطامعها معروفة بالنسبة لمياه الحاصبانى . وقد كشف جنرال موردخاى جور عن ذلك عندما قال : اننا نهتم بتعزيز المناطق الواقعة على الحدود مع لبنان بقصد اغلاقها اغلاقا محكما » .

وكما انها تستهدف جر لبنان الى حرب اهلية دموية بافتعال ازمات بين الشعب العربى اللبنانى والشعب العربى الفلسطينى .

ان ما يحدث اليوم من عدوان صهيونى فاشيستى على جنوب لبنان ، وعلى حركة المقاومة الفلسطينية ، وعلى مراكز قيادتها — انما هو عدوان على مجمل حركة التحرر العربية ، فى مرحلة من اخطر مراحل تطورها — الامر الذى يوجب اتخاذ موقف عربى موحد — ضد هذه العربدة الاسرائيلية ، ان اسرائيل يجب ان تعطى درسا — وهو ان ارادة السادس من اكتوبر ، التى هزت الغطرسة العسكرية الاسرائيلية وزلزلتها ، مازالت مستعدة وقادرة على ان تؤدب فى اسرائيل هؤلاء الذين لا يزالون يحلمون ان تواصل اسرائيل دور شرطى الامبريالية فى المنطقة .

عبد المنعم الغزالى

■ شريط الاخبار ■

■ ينعقد فى الشهر القادم المؤتمر الوطنى الثانى للثورة الارتيرية داخل الاراضى الارتيرية المحررة. ويتضمن جدول اعمال المؤتمر . مسالة الوحدة الوطنية للحركة الارتيرية ، وبرامج الثورة السياسية والتنظيمية وتطور الاحداث فى الوطن العربى والتطورات العالمية .

فى ظل هذه الظروف كان من الطبيعى ان يولى المؤتمر الحادى عشر اهتماما جديدا بالمسائل السياسية وخاصة تلك التى تتعلق بتصفية الاستعمار.

اعمال المؤتمر ..

١ ـ تصفية الاستعمار البرتغالى :

افتتح المؤتمر اعماله فى الوقت التى كانت تجرى محادثات فى الجزائر بين وزير الخارجية البرتغالى **ماريو سواريس** وممثل عن اللجنة التنفيذية **لحركة التحرير الغينية** . وكانت محادثات لندن فى ٢٥ مايو الماضى قد أدت الى اقرار هدنة بين المقاتلين .

وكانت منظمة الوحدة الافريقية قد تلقت منذ اسبوع رسالة من الجنرال **سبينولا** تضمنت شرحا للسياسة البرتغالية الجديدة ويفهم منه ان حكومة لشبونه الجديدة مستعدة لمنح الاستقلال « للاقاليم الافريقية » وعلى مراحل مع البدء فى ممارسة شعوب المستعمرات الثلاثة حقها فى تقرير المصير . وواضح انها سياسة تعتمد ـ اساسا ـ على كسب الوقت .

اما موقف حركات التحرير فقد عبر عنه الممثلون الذين حضروا المؤتمر :

ـ صرح **مارسلينو دوس سانتوس** رئيس جبهة تحرير موزمبيق «**فريليمو**» بان « على منظمة الوحدة الافريقية ان لا تنسى ان الاستعمار البرتغالى لم يمت بعد » . واضاف **دوس سانتوس** : ان الحرب مستمرة حتى يتم انتقال السلطة السياسية من الادارة الاستعمارية الى القوات الوطنية .

ـ اما ممثل حركة تحرير **انجولا** فقد اعلن امام المؤتمر بان الانقسامات التى شهدتها الحركة وأخفتها قد بدأت فى الزوال ، وان الحركة ستعقد اول مؤتمر وطنى لها .

وفيما يخص **غينيا بساو** ، فانها لم تحصل على الاستقلال ، وان كانت قد اصبحت منذ نوفمبر الماضى عضوا بالمنظمة .

فى مثل هذا المناخ غير المستقر يرى المسئولون الافارقة ضرورة اقناع الحكومة البرتغالية بالاعتراف بحق الشعوب الافريقية فى الاستقلال التام ، ومطالبة البرتغال بالتعجيل بتصفية الاستعمار فى غينيا بيساو والرأس الاخضر وفى انجولا وارخبيل سان تومى وبرنشيبى وفى موزمبيق . والمعروف انه خلال اكتوبر الماضى عقدت لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية دورتها الثانية والعشرين فى مقديشيو ثم دورتها الثالثة والعشرين فى ياوندى مايو ١٩٧٤ وقد تناولت اللجنة فى هذه الدورة الاخيرة الاوضاع الجديدة التى طرأت على قضية المستعمرات البرتغالية .

وقد ناقش المؤتمر الاقتراحات البرتغالية ليقرر صياغة اعلان ختامى برفض حق تقرير المصير والاستفتاء المقترحين واللذين وصفا « بالمناورات الاستعمارية » ويطالب ، كذلك ، الحكومة البرتغالية بالاعتراف الصريح باستقلال جمهورية غينيا بيساو ، وبالمبادرة بتسليم السلطات الى حركات التحرير فى موزمبيق وانجولا . ويعنى هذا الاعلان بان منظمة الوحدة الافريقية قد تبنت موقف الوطنيين فى المستعمرات البرتغالية وهى بذلك تدرك بان التحول الذى طرأ على موقف البرتغال مشجع للغاية برغم الغيوم التى ما زالت فى الافق وبالتالى فان توليد صفوف البلاد الافريقية ـ لمساندة حركات التحرير ـ كفيل بان يعجل بالاستقلال المنشود .

١ ـ النزاع الصومالى ـ الاثيوبى :

وقد لوحظ خلال المؤتمر بان لقاء خاصا قد جرى بين الامبراطور **هيلاسلاسى** والرئيس الصومالى **زيادبرى** دام ٤٠ دقيقة ، ولكنه لم يؤدى الى أى تقارب فى وجهتى النظر الخاصة بالنزاع القائم بين الدولتين الصومالية والاثيوبية حول اقليم أوجادن . فبالنسبة لمقديشيو فان النزاع يتعلق « بمسألة اقليم » فى حين ترى أديس ابابا بانه لا يتعدى مشكلة « رسم حدود » .

وان اثارة النزاع الصومالى الاثيوبى امام لجنة الثمانية التى شكلت فى العام الماضى فى العاصمة الاثيوبية قد جاء نتيجة الازمة التى قامت فى اثيوبيا .

ولكن ، على اى حال ، فان هذا النزاع الذى قام منذ اعلان استقلال الصومال لن يجد له تسوية قبل مضى وقت طويل .

٣ ــ تحرك الدول العربية فى المؤتمر :

اولى المؤتمر اهمية للتطورات التى استجدت على القارة نتيجة للحظر البترولى الذى مارسته الدول العربية والذى نتج عنه ارتفاع اسعار النفط . وكانت المنظمة قد شكلت لجنةسباعية تضم الدول الاتية : بوستوانا وكاميرون وغانا ومالى والسودان وتنزانيا وزائيرى . وقد كلفت هذه اللجنة بابداء مقترحات عملية لمعالجة النتائج التى أدى اليها رفع اسعار البترول على الاقتصاديات الافريقية . **ففى جميع العواصم الافريقية جنوب الصحراء تصاعدت الشكاوى من زيادة التضخم وتدهور ميزان المدفوعات والصعوبات التى تلاقيها فى انجاز خطط التجهيز وهى كلها عوامل ترجع الى المغالاة فى اسعار الطاقة البترولية .**

ويتلخص الموقف العربى ازاء هذه المشكلة فى الاتى : ان المسئولين العرب لديهم الاستعداد لاعطاء زملائهم الافارقة امتيازات ، ولكنهم يرفضون تحديد سعر تفضيلى للبترول . وقد اقترحت الجامعة العربية على الافريقيين قرضا قيمته ٢٠٠ مليون دولار يسدد بعد مضى ٥ سنوات على ٣ سنوات وبفائدة قيمتها ١٪ ، سيوضع مبلغ ١٠٠ الى ١٣٠ مليون دولار مباشرة تحت تصرف البنك الافريقى للتنمية . واخيرا ايدت الجامعة العربية الفكرة فى انشاء بنك عربى افريقى للتنمية .

اما موقف الافارقة فيتسم بالانقسام : فان البعض يطالب بمزيد من التسهيلات فى القروض . والبعض الاخر يطالب بان تبقى الـ ٢٠٠ مليون دولار تحت تصرفهم بصفة دائمة وفى شكل صندوق خاص . وقد ذهبت بعض الدول مثل اثيوبيا وكينيا وغانا وهى الدول التى اضطرت الى قطع علاقاتها باسرائيل ، الى المطالبة ببذل ضغوط على الدول العربية المنتجة للبترول للحصول على اسعار بترولية افضل . واخيرا ترى بعض الدول الافريقية بان على نيجيريا وجمهورية الكونغو الشعبية التى تعد من الدول المنتجة للبترول بان تخف لنجدة شقيقاتها الافريقية .

وقد راعت الوفود العربية فى المؤتمر الحفاظ على التماسك الذى تجلى فى التضامن الافريقى العربى اثر حرب اكتوبر . ووقف الامين العام للجامعة العربية السيد محمود رياض يناشد المؤتمر بعدم الانصياع لمحاولات التفرقة التى تعمل على خلق انقسامات بين الافارقة شمال الصحراء وجنوبها . وبان التعاون القائم حاليا بين افريقيا والعالم العربى يثير قلق الاعداء الذين سيحاولون فى المستقبل القريب بذر الخلافات فى الصفوف العربية الافريقية .

٤ ــ خلافة الامين العام :

وقد اثار تعيين امين عام للمنظمة خلفا لـ « **نزو ايكاناكى** » الذى اعلن عن تخليه عن مهامه ، ابتداء من اغسطس القادم ، مناقشات عديدة ابرزت وجود انقسام داخل المنظمة . وكان ايكاناكى قد تلقى لوما شديدا من العديد من الحكومات الافريقية عندما ابرم اتفاقا باسم المنظمة مع شركة « لورنو » لكى تقوم هذه الشركة الكبرى بدور المستشار الفنى فى الشئون البترولية لدى المنظمة .

وقد انقسم المؤتمر حول اختيار الامين العام الجديد فلم يحصل المرشحان المتنافسان اللذان تقدما وهما **السيد موانجا** وزير خارجية زامبيا والسيد **عمر عرته** الممثل الصومالى ، على عدد الاصوات اللازمة . واخيرا بعد اجتماع دام اكثر من خمسة عشر ساعة انسحب السيد **عرته** لصالح السيد **ويليام ايتيكى** من الكاميرون الذى عين امينا بالاجماع .

واخيرا يرى المراقبون ان اهم ثلاث قرارات اتخذها المؤتمر هى :

ــ دعوة حكومة البرتغال الى الاعلان دون لبس عن حق شعوب موزمبيق وانجولا وجزر الراس الاخضر وغينيا بيساو وساوتوس فى الاستقلال .

اما **القرار الثانى** فيسجل المام المؤتمر بالمحادثات الجارية بين ممثلى الحكومة البرتغالية وممثلى حركات التحرير ، ويعلن بان « منظمة الوحدة

■ شريط الاخبار ■

■ جاء فى البيان المشترك عن الزيارة التى قام بها ليوغسلافيا صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى ان الطرفين العراقى واليوغسلافى ينددان بالعدوان الاسرائيلى الموجه ضد الشعب العربى الفلسطينى والدول العربية واوضح البيان ان السلام الدائم والعادل لن يستتب الا بتصفية العدوان وآثاره وتقديم الضمانات الكاملة لحقوق الشعب العربى الفلسطينى .

واوضح الطرفان ضرورة قيام بلديهما بعمل مشترك من اجل تنفيذ قرارات مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذى عقد فى الجزائر ، واعربا عن تاييدهما لحق كل دولة فى التصرف فى ثرواتها الوطنية بما فيها حق التأميم ، وهى متمتعة بكامل سيادتها .

الافريقية تدعو الأطراف المعنية الى مواصلة هذه المحادثات بهدف وضع حد للنزاعات فى أقرب فرصة ممكنة » .

واخيرا يتضمن **القرار الثالث** ادانات : لبريطانيا لقيامها بعقد اتفاقات غير شرعية مع المسئولين فى روديسيا ، ولاسبانيا لابقاء سيطرتها على جزر كنارى ، واخيرا لفرنسا للمساندة التى ابدتها لحكومات الاقليات البيضاء فى افريقيا الجنوبية .

□□□

■ **بلغاريا :**

الاحتفالات بيوم الثقافة البلغارية

احتفلت جمهورية بلغاريا الشعبية ، فى ٢٤ مايو من هذا العام ، بيوم الثقافة فى ميدان ٩ سبتمبر بصوفيا ، أمام قبر زعيم الثورة الاشتراكية فى بلغاريا جورجى ديمتروف .

وقد اشترك فى الاحتفال بهذا اليوم ما يقرب من مائة الف طالب وطالبة فى مختلف المدارس والكليات والمعاهد العليا . وشهده رئيس مجلس الدولة تودر جيفكوف واعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى وبعض أعضاء الحزب الشيوعى السوفيتى ، ووفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية .

وفى مقدمة الصور المحمولة فى هذا الاحتفال ، صورة الاخوين « كيرلس وميثوديوس » ، اللذين من أجلهما يحتفل بيوم الثقافة ، اذ اليهما يرجع الفضل فى ابتكار أبجدية اللغة السلافية ، وفى وضع أسس الثقافة البلغارية والسلافية ، فى القرن التاسع الميلادى .

وابتكار هذه الابجدية ليس مجرد حدث تاريخى ، اذ هو حدث ثقافى وقومى .. هو حدث ثقافى لانه دمر الفاصل بين لغة النطق وهى التى كانت موجودة أثناء الاستعمار الرومانى ، وسيطرة الكنيسة الكاثوليكية التى كانت تشترط الكتابة بثلاث لغات هى : اليهودية ، واللاتينية ، واليونانية .

وأقيم أول احتفال بنشأة الابجدية السلافية ، أو ما يسمى بيوم الثقافة عام ١٨٥٧ ، بمدينة بلوفديف ، أثناء الاحتلال التركى . أما اختيار يوم ٢٤ مايو من كل عام للاحتفال بهذا اليوم ، فمردود الى انه اليوم الذى تنتهى فيه الدراسة فى مدرسة ٩ سبتمبر ، أى مدرسة جورجى ديمتروف .

وابتكار أبجدية اللغة السلافية ليس مجرد حدث تاريخى ، اذ هو حدث ثقافى وقومى .

هو حدث ثقافى لانه دمر الحاجز بين لغة النطق وهى اللغة السلافية ، ولغة الكتابة وهى احدى اللغات الثلاث الآنفة الذكر .

وهو حدث قومى لانه اقرار بأحقية كل أمة فى أن تكون لها لغة واحدة للنطق والكتابة ، وبذلك انفتح الطريق أمام التطور الاجتماعى ، وانمحت الفواصل بين الجماهير الكادحة والانتلجنسيا ، أو فئة المثقفين . وقد كان النظام الاقطاعى يرتكز فى تدعيم ذاته على هذه الفواصل .

وكانت بلغاريا هى أول دولة تحتضن هذا الجهد التاريخى للاخوين كيرلس وميثوديوس اللذين ، بوصفهما من رجال الدين المسيحى ، قد دخلا فى صراع مع الفاتيكان من أجل التحرر اللغوى .

فقد أقر مجلس الرياسة للجمعية الوطنية عام ١٨٩٣ ، الابجدية المطروحة من هذين الاخوين . وانضم الشعب الروسى الى تدعيم هذا الاقرار مع تحوله الى المسيحية عام ٩٨٩ .

واسم « كيرلس الفيلسوف » محفور على واجهة مكتبة جامعة باريس ، الى جوار أسماء الفلاسفة والمفكرين العلمانيين ، ذلك انه كان يعلن أن الدين

■ **شريط الاخبار** ■

■ وصلت نسبة ارتفاع الاسعار فى شيلى ، منذ الانقلاب العسكرى فى سبتمبر الماضى ، الى ١٥٠٠ فى المائة هذا بالاضافة الى تجميد وتخفيض الاجور لمعظم الفئات العاملة . وزيادة رسوم الضرائب على دخول الجماهير الشعبية ، ويقدر عدد العاطلين فى البلاد نتيجة الارهاب والفصل التعسفى بحوالى ٧٠٠ الف من الرجال والنساء .

ويعانى اقتصاد شيلى من متاعب كثيرة ، وخاصة بعد اعادة ٨٨ من المنشآت الاقتصادية الكبيرة ، والاراضى الى ملاكها القدامى ، والغاء تأميم البنوك ، ونتيجة ابقاء الحكومة العسكرية على حالة الحرب الداخلية واستمرار اعمال الارهاب واغتيال العناصر الوطنية والتقدمية من المدنيين والعسكريين فى حكومة الرئيس السابق سلفادور الليندى .

■ شريط الاخبار ■

ينبغى ان يقوم على مبادىء عقلية ؟ وان القوانين فى حالة تغير ؟ وان فى تغيرها انما تخضع للعلاقة الجدلية بين الوحدة والاضداد . فكل ظاهرة تعالج بضدها . وهو يضرب مثالا لذلك بالشجرة التى تطرح فى بداية نموها أشواكا ، ولكنها فى نهاية المطاف تحمل فاكهة حلوة .

وقد شهد الاحتفال بيوم الثقافة وفد مصرى يمثل جمعية الصداقة المصرية ــ البلغارية ، برياسة د . مراد وهبة ، أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس ، وعضوية سعيد محمد ندا عميد معهد التربية العمالية ، وعصمت الموانى بوكالة انباء الشرق الاوسط .

□□□

■ فيتنام :

حصاد ٥ سنوات بعد قيام الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام

فى ذكرى العيد الخامس لاقامة الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية جنوب فيتنام [٩-٦-٦٩] عقد سفيرها فى القاهرة مؤتمرا صحفيا ، أكد فيه الانباء التى تواترت ، بمعدل سريع فى الاونة الاخيرة ، عن انتهاك حكومة سايجون لاتفاقية باريس لوقف اطلاق النار واعادة السلام لفيتنام ، وذلك بهدف انتزاع أجزاء من المنطقة المحررة التى تسيطر عليها الحكومة الثورية ، وابادة قطاعات من جيش التحرير الشعبى ، ومنع اعادة الوفاق الى جنوب البلاد والتوحيد السلمى لكل من الشمال والجنوب .

وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد اذاعت فى ذكرى مرور عام على اتفاقية باريس [٢٨-١-٧٣] بيانا لحكومة الثوار يتهم حكومة سايجون بارتكاب ٣١٦ ألف انتهاك لوقف اطلاق النار ، وفى المناسبة نفسها اذاعت وكالة **أنباء الشرق الاوسط بيانا أكد الحقائق التالية :**

■ أن حكومة سايجون حاولت استغلال وقف اطلاق النار لتحسين موقف قواتها ، فسارعت فى أعقابه وحتى أوائل مايو ١٩٧٣ ، بتعبئة جميع قواتها النظامية والحرس الوطنى والميلشيا . وقامت بدون انقطاع بما يزيد عن ٢٠ الف عملية بهدف الاستيلاء على بعض الاراضى التى فى حوزة الثوار . وكانت أكبر هذه العمليات فى اقليمى كوانج ترى وتوى هوا . وبرغم أن أتفاق باريس قد وقع على أساس الاعتراف بوجود منطقة تحت سيطرة الحكومة المؤقتة ، الا أن حكومة سايجون ، أمرت قواتها بالتحرك الى المناطق المتنازع عليها بما فيها المناطق التى يسيطر عليها الثوار .

■ ماطلت حكومة سايجون فى اطلاق سراح المعتقلين السياسيين المدنيين ويقدر عددهم بين ١٠٠ و ٢٠٠ الف ، حتى تتهرب من تسليمهم ، وقامت بنقلهم من سجن الى آخر ، وغيرت من هويتهم فاعتبرتهم مخالفين للقانون ، وأخفتهم فى جهات غير معلومة ، ومنعت الصليب الاحمر الدولى من زيارتهم .

■ تزايد عدد المستشارين الامريكيين الذين تركتهم واشنطن فى الجنوب من ٥ آلاف عند وقف اطلاق النار الى ٢٠ الف فى أواخر مارس ١٩٧٣ ، مما أثار قلقا فى مجلس الشيوخ الامريكى ، ودعا أحد الاعضاء لطلب تفسير لذلك من وزارة الدفاع وهؤلاء جميعا ضباط فى الجيش الامريكى تستروا فى ثياب مدنية للعمل كمستشارين .

■ اعلنت الدانيمرك ــ بدون اخطار مسبق منها الى دول السوق الاوروبية المشتركة ــ عن عزمها على فرض ضريبة اضافية على الصادرات التى تأتيها من بلاد السوق المشتركة . فبعد عام واحد من انضمام الدانيمرك الى السوق المشتركة بلغ العجز فى ميزان مدفوعاتها ٣ آلاف مليون كراون ، هذا ، وقد أثار موقف الدانيمرك مخاوف شركائها فى السوق وخاصة المانيا الغربية ، الامر الذى حدا بوزير الاقتصاد الالمانى الى أن يصف عمل الدانيمرك بانه « موجه ضد روح السوق المشتركة » وأنه وجه ضربة شديدة الى الحركة الحرة للسلع داخل نطاق السوق .

ومن المعروف أن الدانيمرك بهذا الموقف انما تقتفى اثر ايطاليا التى سبقت الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات .

■ شريط الاخبار ■

■ في مساء الثلاثاء ١٩ يونيو اقام الاتحاد التعاوني حفل تكريم للرفيق قسطنطين تيلانوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري والمبعوث الشخصي لرئيس جمهورية بلغاريا .
وفي الحفل اعلن احمد يونس رئيس الاتحاد ورئيس لجنة الزراعة في مجلس الشعب ان الاتحاد التعاوني تبرع بالفي جنيه لجمعية الصداقة المصرية البلغارية وبالف جنيه لجمعيات الصداقة الاخرى مع البلدان الاشتراكية وهي الجمعيات التي تكونت فعلا أو في سبيلها الى التكوين .

■ أدخلت الولايات المتحدة للجنوب كميات ضخمة من السلاح بطريقة غير مشروعة نقلتها من اليابان الى قاعدة دانانج ، وفتحت أربع قنصليات في دانانج ونهاترانج هوا ، وكان ثو تعتبر في الواقع مراكز قيادة أقليمية أمريكية .

■ ساعدت أمريكا على تحويل البوليس من هيئة مدنية بسيطة قوامها ١٩ الفا في ١٩٦٣ ، الى منظمة شبه عسكرية تضم ١٢٠ الفا في ١٩٧٣ علاوة على ارسالها ٢٦٥ مستشارا أمريكيا للامن .

■ تعثرت مباحثات اللجنة الامريكية الفيتنامية الديمقراطية المشتركة التي تقرر انشاؤها في أعقاب زيارة كيسنجر لهانوي في فبراير ١٩٧٣ لبحث اعادة تعمير فيتنام .

وقد أكد **تران فان هوا** سفير حكومة فيتنام الجنوبية الثورية المؤقتة في مؤتمره الصحفي :

■ ان اتفاق باريس يعد نصرا للثوار ، وتتويجا لـ ١٨ عاما من النضال المضطرد ولن تسمح القوى الثورية في فيتنام بل في العالم كله بوأده أو تجميده .

■ ان الثوار بدأوا مع توقيع الاتفاقية مرحلة جديدة من النضال لترسيخ سلام حقيقي مستقر ، وبناء فيتنام جنوبية مزدهرة ، محايدة وديمقراطية ومستقلة ومسالمة ، ومن أجل التوحيد السلمي لشطري البلاد .

■ ان الشعب بدأ تحت قيادة الجبهة الوطنية للتحرير والحكومة المؤقتة في العمل على تضميد جروح الحرب ، واعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري في المناطق المحررة . لكن حكومة سايجون بغاراتها الوحشية على المناطق المحررة ، وتدميرها لما يتهبناؤونهبها لممتلكات الفلاحين ، تحاول عرقلة البناء واعادة السلام للبلاد وتوحيدها وعرقلت حكومة سايجون اعمال اللجان المشتركة وجمدت صلاحيتها ، بل وحرمت مندوبي حكومة الثوار فيها من حرية الحركة ونفس الامر فعلته مع لجان الرقابة الدولية .

■ انه يوجد في فيتنام حاليا حكومتان بكل صلاحياتهما وعلاقاتهما الدبلوماسية الخارجية ، كما يوجد جيشان منفصلان تماما .

■ لكن الشعب يناضل في المجال السياسي لشل يد حكومة سايجون . ويقاوم بملايينه في المدن والقرى ، انتهاك اتفاقية باريس ويطالب باطلاق سراح المسجونين السياسيين ، واعادة الوفاق القومي ، واطلاق الحريات ووقف أعمال القهر والارهاب وتحسين مستوى المعيشة ومنع اعتداء قوات الحكومة على ممتلكات الاهالي .
وقد تطورت حركة المعارضة هذه في قلب جيش حكومة سايجون وبين موظفيها .

■ ومن الناحية العسكرية : ما زال الشعب والقوات المسلحة الشعبية محتفظين بسلاحهما لصد ودحر كل محاولات التخريب ، وللدفاع عن المناطق المحررة وحماية أرواح وملكية الشعب وصون السلام والتحرر . وقد أوقعت هذه القوات خسائر متوالية بالمعتدين . وبالفعل فقد اذاعت حكومة سايجون نفسها في الذكرى الاولى لاتفاق باريس بيانا قالت انه قتل لها خلال عام ١٢ الفا و٨٠١ من القوات الحكومية ، وجرح منها ٥٦ الفا و٧٥ وفقد ٤٢٢٣ .
● ومن الناحية الدبلوماسية قدمت حكومة الثوار عدة مقترحات لتنفيذ اتفاقية باريس رفضتها حكومة سايجون ، الامر الذي أكسبها مزيدا من التضامن العالمي ، اذ اعترفت بها فور توقيع الاتفاق ٩ دول جديدة ليصل العدد الاجمالي الى ٤٠ دولة . كما قام رئيسها بزيارة عشر دول في العالم . وفي **المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز في الجزائر** ، تبنى مندوبو ٨٠ دولة قرارا يؤكد : أن الحكومة الثورية هي الممثل الوحيد لشعب فيتنام ، **ويؤيدها** ازاء انتهاك حكومة سايجون ومن ورائها أمريكا للاتفاق .

■ اقتصاد :

التضخم .. ومتى يصل الى النقطة الحرجة ؟

سجلت بلدان الاقتصاد الحر في العام الماضي وبداية ١٩٧٤ أرقاما قياسية في مجال ارتفاع الاسعار وانكماش القدرة الشرائية وانخفاض مستوى المعيشة . ويوضح الجدول التالي ارتفاع الاسعار بالنسبة المئوية في سنة ١٩٧٣ :

البلدان الرأسمالية			البلدان الاشتراكية	
النمسا		٧ ٪	بلغاريا	١ ٪
بلجيكا		٧ ٪	ألمانيا الديمقراطية	أقل من ١ ٪
فرنسا		١٢ ٪	تشيكوسلوفاكيا	لازيادة تقريبا
انجلترا	أكثر من	١٠ ٪	الاتحاد السوفيتي	لازيادة تقريبا
ايطاليا	أكثر من	١٢ ٪		
ألمانيا الاتحادية	أكثر من	٧ ٪		
سويسرا	أكثر من	١٢ ٪		
الولايات المتحدة		٩ر٥ ٪		
اسبانيا		١٥ ٪		

وتحاول الدوائر الرأسمالية أن ترجع ذلك التضخم الى ما يسمى « بأزمة البترول » . أما الحلول عند هذه الدوائر : لا بد من مزيد من التصدير وبالتالي مزيد من العمل وتجميد الاجور والغاء فرص العمل . وترفض دوائر الحركة النقابية في العالم هذا التفسير الرأسمالي لانه من المعروف تماما أن الشركات الكبرى لم تحقق أرباحا طيلة تاريخها بالقدر الذي تحققه الان ، وان شركات البترول الكبيرة زادت أرباحها بنسبة ٧٠ ٪ خلال عام ١٩٧٣ . وفي الوقت نفسه تنعدم زيادة الاسعار في البلاد التي لا توجد فيها احتكارات ، وبالتالي ، لا توجد فيها أرباح احتكارية ـ حيث الاتجاه السائد في البلدان الاشتراكية هو الارتفاع المضطرد في مستوى المعيشة وازدياد القدرة الشرائية .

ووفق أرقام **الجدول** السابق نجد أن الزيادة شبه معدومة في البلدان الاشتراكية . وفي نفس الوقت زادت فيه معدلات الاجور في هذه البلدان خلال عام ١٩٧٣ بنسب تتراوح بين ٢ر٥ ، ٦ ٪ وفقا لاحصائيات معهد « **المقارنات الاقتصادية** » في فيينا .

ويسعى النظام الرأسمالي الى تحميل أزماته للعمال ، فالحكومة البريطانية ترى أن مسئولية التضخم والمصاعب الاقتصادية التي تعاني منها بريطانيا تقع على الاسعار العالمية ، وأزمة الطاقة ، والمطالب « المبالغ فيها » المتعلقة بالاجور ، ويتوقف العاملان الاولان في رايها على قوى خارجية لا تخضع لسيطرتها . ولا يبقى أمام الحكومة البريطانية سوى امكانية السيطرة على « المطالب المتطرفة المتعلقة بالاجور » كذلك ترى الحكومة أن تحديد الاجور انما هو عمل يتفق مع « المصلحة القومية » .

وأغلبية الاقتصاديين في العالم الرأسمالي ، يرون **أن الوضع الاقتصادي العام يتسم في ١٩٧٤ بانكماش معتدل ، وتضخم متزايد السرعة ، وبطالة متفاقمة** . فقد أعلنت مجلة « **انترناشونال هيرالد تريبيون** » في عددها

■ أقامت المنظمات المناهضة للعنصرية في بريطانيا دعوى قضائية على النائب الليبرالي ـ لورد آران ، والذي عرف بتوقيعه على تعليقاته الصحفية باسم « الكونت الذي تودون كراهيته » وموضوع هذه الدعوى ان اللورد نشر تعليقا عن أحداث ايرلندا الشمالية جاء فيه : « انى احتقر واكره أولاد الحرام هؤلاء . انهم صعاليك متوحشون ومجرمون » شماليين كانوا أم جنوبيين» املنا الوحيد أن يغمر مد صاحب هذه الجزيرة الملطخة بالدماء . وليغطس سائر الايرلنديين في الجحيم » .

وما اخذه مناهضو العنصرية على التعليق روحه العنصرية المناهضة للشعب الايرلندي، حيث أن المشكلة الوحيدة التي تطرحها ايرلندا على اللورد آران وأمثاله تتلخص في وجودها على سطح البحر لا تحته .

الصادر فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ : « ان ٥٨ من أبرز الاقتصاديين الامريكيين يعتقدون أن الولايات المتحدة ستتعرض للانكماش فى النصف الاول من ١٩٧٤ ــ ويرون أن الانتاج الصناعى سيتباطأ ، وأن أرباح الشركات ستقل بمقدار ٢٫٧ مليار دولار عن مستوى ١٩٧٣ ، وان البطالة ستبلغ فى المتوسط ٥٫٥ فى المائة مقابل ٤٫٨ فى المائة فى ١٩٧٣ ، وأن التضخم سيرتفع من ٥٫٢ فى المائة الى ٥٫٩ فى المائة » .

وأعلنت « **يو. اس. نيوز آندورلد ريبورت** » فى عدد خصصته بأكمله « للسنة الحرجة » أن عام ١٩٧٤ « سيكون من أشد السنوات حرجا خلال العقود الماضية » وأنها تتميز « بخطر الانكماش » فى حين « ستتبدد فى الافق » الامال المعلقة على ميزانية متوازنة .

وفى ٢٦ فبراير ١٩٧٤ أعلنت « **واشنطن بوست** » : « أن مجموعة المستشارين الاقتصاديين للرئيس نيكسون صرحت بأنه يتوقع أن يكون الوضع الاقتصادى سيئا خلال النصف الاول من العام الحالى ، ولكنه سيتحسن. وأعلنت مجموعة المستشارين الاقتصاديين أن الانتاج القومى الذى زاد بنسبة ٥٫٩ فى المائة فى العام الماضى ، ربما سيزيد بنسبة ١ فى المائة فحسب فى ١٩٧٤ ، الامر الذى سيعنى تفاقما فى البطالة . كما سيرتفع المعدل العام للتضخم من ٣٫٥ فى المائة فى العام الماضى الى نحو ٧ فى المائة وسترتفع البطالة من ٤٫٨ فى المائة الى ما يزيد قليلا عن ٥٫٥ فى المائة » .

وتبرز الصحافة الامريكية دور الاحتكارات فى الازمة الحالية . حيث أصبح فى مقدور رأسمالية الدولة الاحتكارية فى المرحلة الراهنة ، التأثير على العرض والطلب بسيطرتها على التموين وأملائها للاسعار ، كما تبين ذلك أزمة الطاقة . وحيث أصبح التضخم حقيقة واقعة معروفة ، وهم يقدمونها باعتبارها علاجا لكل الأمراض الاقتصادية . وتسيطر اليوم أربعة شركات على القطاعات التالية فى الولايات المتحدة :

٨٠ ٪ فى صناعة السيارات ، ٦٥ ٪ فى الصناعة المعدنية ، ٦٧ ٪ فى صناعة الطيران ، ٧١ ٪ فى صناعة الاطارات ، ٩٤ ٪ فى المعدات التليفونية ، ٨٠ ٪ فى الالات الكاتبة ، ٩٠ ٪ فى الغسالات ، ٨١ ٪ فى مصانع الاسمنت ، ٦١ ٪ فى مصانع النحاس ، ٧١ ٪ فى صناعة الاغذية المحفوظة ، ٩٨ ٪ فى القاطرات .

وقد كتبت « **انترناشونال هيرالدتريبيون** » فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ تقول : « توجد فى قمة الهرم الامريكى ، صفوة تمثل ٤٫٢ ٪ فقط من السكان ، يمتلك أعضاؤها ٦٠ ٪ من الاسهم . وتملك هذه الصفوة حقا ، كل الاوراق المالية المصدرة فى الولايات المتحدة ، ٧١ ٪ من الاوراق المالية التى تصدرها الحكومة الاتحادية ، ٧٧ ٪ من تلك التى تصدرها الولايات أو البلديات . وتملك بالاضافة الى ذلك ثلث الاصول الشخصية العينية لكل الامة ، وربع العقارات و ٤٠ ٪ من رؤوس أموال الشركات » .

وقد علقت صحيفة « **نيوتريبيون** » **وفى** « **وولت مينسوتا** » على ذلك بقولها : « عندما أصبحت الشركات على هذه الدرجة من الاهمية ، بحيث قضت على المنافسة ، انتهت الرأسمالية بالمعنى الحرفى للكلمة وأصبحنا فى مواجهة ما يمكن أن نسميه ببساطة « الاحتكارية » . وما لم تغير هذه الاحتكارات أساليبها يصبح من المحتم القيام بحملة قومية لتأميم الصناعات»

وبينما يزداد التضخم ، فى البلدان الرأسمالية ، ويقع كل عبئه على عاتق الطبقات العاملة ــ تجنى الشركات والاحتكارات المزيد من الارباح . وهكذا فبينما قدرت نسبة التضخم فى بريطانيا فى نهاية عام ١٩٧٣ بــ ١٠ فى المائة ، فان نسبة الارباح استمرت فى الزيادة ــ فالــ ٨٠٧ شركة التى قدمت ميزانيتها حتى أغسطس ١٩٧٣ حصلت على زيادة فى الارباح متوسطها ٣١٫٦ ٪ و ٦٢٫٥ ٪ فى صناعة السيارات ، و ٤٤٫٧ ٪ فى الصحف والنشر ، و ١٠٠ ٪ بالنسبة للبنوك الرئيسية .

■ شريط الاخبار ■

■ ذكرت وكالة الاسوشيتدبرس ان تقارير المخابرات الامريكية تفيد بان الاتحاد السوفيتى قد قدم لسوريا اول سرب من طائرات ميراج ٢٣ . وانه قد تم ارسال ١٦ طائرة ميج ٢٣ الى سوريا على متن سفن تجارية روسية .
واضافت الوكالة ان المخابرات الامريكية كانت ترقب عملية نقل هذه الشحنات منذ وقت مبكر من شهر مايو ، حين شحنت طائرات الميج ٢٣ من ميناء نيكولاييف على البحر الاسود .

■ تحدثت صحيفة معاريف الاسرائيلية عن تفجير الهند لاول قنبلة ذرية فقالت ان انضمام الهند الى النادى الذرى ، لايمكن الاستهانة به على المدى البعيد ، لان هذا الانضمام ــ فى رأى الصحيفة ــ سيؤثر على امن اسرائيل.
وزعمت الصحيفة ان اسرائيل ستضطر الى مراجعة معانى توطيد العلاقات الهندية المصرية وتاثيرها على امكانية حدوث تطورات نووية .
واضافت معاريف : انه يحتمل ان يكون لهذا التقدير الجديد الاولوية فى سلم اهتمامات الحكومة الاسرائيلية فى المستقبل .

وفى فرنسا حصلت اكبر شركتين لانتاج الصلب فى البلاد على ١٫٥ مليار فرنك كأرباح خلال عام ١٩٧٣ فقد ربحت شركة أوزينور فى العام الماضى (١٩٧٣) ١٫٠٢٥ مليار فرنك ، مقابل ٦٣٢ مليون فرنك فى ١٩٧٢ — أى أنها زادت أرباحها بمعدل ٦٢ ٪ وبلغت أرباح شركة ساسيلور ٥٤٢ مليون فرنك فى ١٩٧٣ ، فى مقابل ٢٠٠ مليون فرنك فى ١٩٧٢ . وتضاعفت أرباح مجموعة بيجان — ساى لانتاج الورق والسكر فى ١٩٧٣ : ٢٣٧ مليون فرنك مقابل ١١٧ مليون فرنك فى ١٩٧٢ .

وفى الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٧٤ حققت اسو وتكساكو وهما الشركتان الامريكيتان الرئيسيتان للبترول أرباحا قياسية — فقد أعلنت اسو من ربح صاف قدره ٧٠٥ مليون دولار [وهو اقل بكثير عن الربح الحقيقى] وذلك فى مقابل ٥٠٨ مليون دولار فى الفترة المماثلة من عام ١٩٧٣ ، أى بزيادة ٣٩ ٪ . أما شركة تكساكو فقد حققت ربحا قدره ٥٨٩ مليون دولار مقابل ٢٦٤ فى نفس الفترة من عام ١٩٧٣ ، أى أن أرباحها زادت بنسبة ١٢٣ ٪ . ووفق بيانات بنك شيزمانهاتن وهو واحد من البنوك الامريكية الرئيسية ، فقد حققت شركات النفط الكبرى زيادة فى أرباحها خلال عام ١٩٧٣ تعادل ٧٠ ٪ . وقد ذكرت « **انترناشونال هيرالد تريبيون** » فى عددها الصادر فى ٢٠ فبراير ١٩٧٤ أنه خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٣ زادت أرباح شركة « **جولف أويل** » بنسبة ٩١ ٪ وارباح شركة **اكسون** ٦٠ ٪ وأرباح **موبيل** ٦٥ ٪ وأرباح أوكسيدنتال ١٥٢ ٪ .

وهكذا بينما يؤدى التضخم الى تخمة الاحتكارات والشركات الرأسمالية الكبرى ، فان الطبقات العاملة تعانى التدنى فى مستوى معيشتها . فحسب الاحصائيات الحكومية الامريكية — بلغ الارتفاع العام فى تكاليف الحياة فى ١٩٧٣ : ٨٫٨ ٪ أى بزيادة ٣٥ ٪ عن التوقعات الحكومية التى قامت عليها معظم عقود ١٩٧٣ . كما زادت أسعار المواد الغذائية بنسبة تفوق ٢٠ ٪ فى ١٩٧٣ . وفى بريطانيا فانه وفق بيان اتحاد نقابات العمال فان الاسعار ارتفعت بنسبة ٩ ٪ فى ١٩٧٣ .

ويقول **ج. بريتو** السكرتير العام لاتحاد عمال الصناعات المعدنية بفرنسا : « تتمثل أعراض الازمة الحادة التى تهز فى الوقت الراهن مجموع الاقتصاديات الرأسمالية خاصة فى أوروبا الغربية ، فى التضخم الراهن وارتفاع الاسعار المتزايد السرعة ، والاضطرابات النقدية الدائمة » .

ويقول : « ان النظام الرأسمالى يسعى الى تحميل أزماته للعمال ، ويؤكد الوضع الحالى أيضا العقبات التى يصطدم بها ، فى هذا الصدد ، من جراء رفض العمال أن يدفعوا ثمن سياسة هم ليسوا مسئولين عنها بأى حال من الاحوال » [الحركة النقابية العالمية — مارس ١٩٧٤] .

■ شريط الاخبار ■

■ اشارت صحيفة « القبس » الكويتية الى ان الرؤساء والملوك العرب تقدموا الى الرئيس الامريكى بمطلب واحد هو :

ضمان حقوق الشعب الفلسطينى .

وترى الصحيفة ان هذا هو التعويض المناسب الذى يمكن للحكومة الامريكية ان تقدمه للعرب مقابل المكاسب التى خرج بها نيكسون من جولته . واضافت الصحيفة .. ان هذا المقابل لن يكون المعونة المالية والاقتصادية والتكنولوجية التى وعد بها الرئيس الامريكى .

تقرير خاص

بعد انتهاء أعمال المجلس الوطنى الفلسطينى !

ماذا يعنى القرار الفلسطينى ؟

اخيرا .. حدد الفلسطينيون موقفهم ، بعد ان انهى مجلسهم الوطنى دورته الثانية عشرة .

كان السؤال الكبير المطروح عليهم — عربيا ودوليا : ما هو الموقف من بحث مستقبل القضية الفلسطينية ؟

بعد ٩ ايام من جلسات العمل المتصلة اصدر المجلس الوطنى الفلسطينى ٣ قرارات بالغة الخطورة :

الاول : حدد شروط اشتراك الفلسطينيين فى التسوية القادمة .

الثانى : اعلن قيام السلطة الوطنية المستقلة فى كل جزء من الارض الفلسطينية يتم تحريرها .

الثالث : اكد عمليا الوحدة الوطنية الفلسطينية بانتخاب القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية والتى اصبحت تضم لاول مرة جميع منظمات المقاومة الفلسطينية بدون استثناء .

كانت اجتماعاتهم فى القاهرة ، فى الفترة من ١ - ٩ يونيو الماضى ، بحق ، اهم واخطر الاجتماعات . وكانت هذه الدورة ،بلا ايةمغالاة، دورة القرار الفلسطينى الخالص . وكانت قراراتهم ترتكز فى الاساس على ضرورة الاستمرار : استمرار الثورة حتىتحقيق الهدف الاستراتيجى : اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية فوق كل تراب فلسطين والتى يتعايش فيها الجميع : مسلمون ومسيحيون ويهود لهمجميعا كلالحقوق وعليهم كلالواجبات.

لقد وافق المجلس الوطنى الفلسطينى باغلبية تقرب من الاجماع [ما عدا ٣ اصوات] على برنامج العملالمرحلى لمنظمةالتحرير الفلسطينية، وقرر العمل على فتح المجال الدولى لطرح قضية فلسطين فى اطار دولى محدد ، او فى اطار عالمى [غير اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢] . كما قرر العمل على اقامة السلطة الوطنية فى كل جزء من الارض الفلسطينية التى يتم تحريرها ..

وقرر المجلس كذلك ،انتشترك منظمةالتحرير الفلسطينية فى اى مؤتمر يعقد فى هذا الاطار بوصفها المثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .. كما قرر ان يعود المجلس الوطنى الى عقد دورة طارئة اذا ما نشأ موقف مصيرى يتعلق بمستقبل الشعب الفلسطينى . كما اجمع اعضاء المجلس على تجديد الثقة **بياسر عرفات** بانتخابه رئسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينيةوقائدا عاما لقواتالثورة الفلسطينية وانتخاب القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية والتى ضمت ولاول مرة ١٤ عضوا يمثلون جميع منظمات المقاومة الفلسطينية بلا استثناء .

كان السؤال الاساسى الذى واجه اعضاء المجلس - والذى يضم ١٧٤ عضوا - هو : **ما هو الموقف تجاه التطورات السياسية القادمة؟ وهل يقول ممثلو الشعب الفلسطينى « نعم » لمؤتمرجنيف..باختصار ماهو القرار الفلسطينى؟**

أسس لطرح قضية فلسطين

وفى تحديده لموقفه من بحث مستقبل القضية الفلسطينية قرر المجلس : « العمل على فتح المجال الدولى لطرح قضية فلسطين - وطنا وشعبا - فى اطار غير اطار القرار ٢٤٢ وفق الاسس التالية :

● ان يتم ذلك فى اطار دولى محدد او فى اطار عالمى .

● ان تشترك منظمة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر ، بوصفها المثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين .

● ان يستند ذلك على ميثاق الامم المتحدة الذى يؤكد فى صدر مواده حق كل شعب فى المساواة وتقرير المصير ، ويؤكد ايضا ان احترام هذا الحق هو شرط لازم لقيام السلام فى العالم، وان تمتع الشعب الفلسطينى بحقوقه الوطنية الكاملة انما هو شرط لازم لقيام السلام العادل والدائم فى المنطقة .

كذلك اقر المجلس برنامج العمل المرحلىلمنظمة التحرير الفلسطينية ، واكد فى الوقت نفسه على الا يكون الشعب الفلسطينى غائبا عن التحركات السياسية الدولية التى تهدف الى تصحيح الاوضاع فى المنطقة بانهاء الاحتلال الاسرائيلى للاراضى المصرية والسورية والفلسطينية ، وعلى الا يسمح للنظام الاردنى بانتحال صفة تمثيل الشعب الفلسطينى .

وطالب المجلس اللجنة التنفيذية لمنظمةالتحرير الفلسطينية بالعمل على وضع البرنامجالمرحلى موضع التنفيذ .. **ومن اهم ما تضمنه البرنامج :**

- تناضل منظمة التحرير بكل الوسائل وعلى راسها وسيلة الكفاح المسلح لتحرير الارض الفلسطينية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة فى كل جزء من الارض الفلسطينية التى يتم تحريرها .

- تناضل منظمة التحرير الفلسطينية ضد اى مشروع او كيان فلسطينى ثمنه الاعتراف او الصلح او الحدود الامنة او التنازل عن الحق التاريخى او حرمان الشعب الفلسطينى حقه فى العودة ، وحقه فى تقرير مصيره فوق ترابه الوطنى .

وفى بيانه السياسى الختامى اكد المجلس :

□ **اولا** : وحدة اداة الثورة الفلسطينية فى مختلف المجالاتالعسكرية والسياسية والاعلامية والمالية . وتصعيد الكفاح المسلح . وتحقيق وحدة الشعب الفلسطينى داخل الوطنوخارجه. وتصليب الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الداخل لتكون المعبر عن كفاح الشعب واطارا لكافة نضالاته .

□ **ثانيا** : التنسيق مع الانظمة الوطنيةالعربية ووضعها امام مسئولياتها الكاملة تجاه قضية الشعب الفلسطينى واستمرار التمسك بقرارات مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الجزائر فى نوفمبر ١٩٧٣ .

□ **ثالثا** : بذل المزيد من الجهود لتحقيق تلاحم اقوى مع البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم فى العالم .

□ **رابعا** : ضرورة المحافظة على امن وسلامة لبنان ، مما يتطلب توجيه دعم دائم وقوى منكافة

الدول العربية لتمكين لبنان من الاستمرار فى الصمود فى وجه العدو واطماعه التوسعية ، ولتمكين ابناء الجنوب اللبنانى وابناء الشعب الفلسطيني في مخيماته من الصمود فى وجه اعتداءات العدو ومحاولاته ضرب هذا الصمود.

خامسا : ان النظام الملكي الرجعي بالاردن بكل تاريخه وسياسته المعادية لشعبنا وامتنا والذى رفض ان يخوض حرب رمضان الى جانب امتنا العربية ، يتآمر الان فى مرحلة تنسيق كامل مع الصهيونية والامبريالية بهدف تصفية وطمس الشخصية الوطنية الفلسطينية ، والعودة الى الاستبداد بشعبنا فى الارض المحتلة بأى ثمن . ولمواجهة ذلك لابد من تشديد النضال لعزل هذا النظام وتأكيد رفض مشروع المملكة العربية المتحدة واقامة حكم وطنى ديمقراطى فى الاردن.

سادسا : يناشد المجلس الوطنى الفلسطينى جميع شعوب وحكومات العالم المحبة للعدالة والسلام وكافة قوى التحرر والتقدم فى العالم، النضال ضد نشاطات الصهيونية العالمية لتهجير المزيد من يهود العالم الى فلسطين المحتلة ، مما يسهم فى تدعيم المؤسسة العسكرية الصهيونية الاستيطانية وتسعير احلام العدوان والتوسع الصهيونى ، واستمرار التحدى الصهيونى لحقوق شعبنا الوطنية وللوجود القومى والوطنى لشعبنا وامتنا العربية .

الظاهرة المميزة لاجتماعات هذه الدورة من المجالس الوطنية الفلسطينية والتى تعتبر السلطة التشريعية العليا للشعب الفلسطينى ، هى ادراك الجميع — والجميع بلا استثناء خطورة واهمية المرحلة ، ومع هذا الادراك كان الحرص البالغ بل الاجماع بين مختلف اعضاء المجلس على ضرورة استمرار الحوار داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية وتأكيد اهمية الوحدة الوطنية . فاى خلاف مقبل ما دام اطاره هو الميثاق الوطنى الفلسطينى . المزايدات التى رافقت كثيرا من اجتماعات المجالس الوطنية اختفت هذه الدورة . الخطب الانشائية الطويلة ايضا اختفت . التعصب التنظيمى لم يكن له وجود واضح . صحيح ان عملية اختيار القيادة الجديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية رافقها كالعادة كثير من المناورات والمعاناة مما ادى الى ان يمد المجلس اجتماعاته ، يوما آخر ، بعد اعلان القرارات . الا ان المحصلة النهائية كانت محل تقدير الجميع .

ففى خلال ٦ ايام كاملة ، من اليوم الاول لشهر يونيو حتى اليوم التاسع منه ، انجزت الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى مهامها وصدرت آخر قرارات المجلس الوطنى بانتخاب اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير . ولاول مرة فى تاريخ العمل الفدائى الفلسطينى اصبحت جميع منظمات المقاومة الان داخل اطار منظمة التحرير . فالقيادة الجديدة تضم ١٤ عضوا من بينهم ممثل عن الجبهة الشعبية — القيادة العامة — التى يتزعمها **احمد جبريل** ، واربعة من شخصيات الضفة الغربية المحتلة ، الذين طردتهم السلطات الاسرائيلية . وبذلك شكلت القيادة الجديدة على النحو التالى :

— **ياسر عرفات** رئيسا للجنة التنفيذية وقائدا عاما .

— **فاروق قدومى** « ابو لطف » عن حركة فتح ومسئولا عن الدائرة السياسية .

— **زهير محسن** — احد زعماء الصاعقة مسئولا عن الشئون العسكرية .

— **ياسر عبد ربه** [عن الجبهة الديمقراطية] **واحمد اليمانى « ابوماهر» [عن الجبهة الشعبية]** **و د . عبد الوهاب الكيالى** [عن جبهة التحرير العربية] **وطلال ناجى** [عن الجبهة الشعبية — القيادة العامة] وعن المستقلين : **محمد زهدى النشاشيبى** امينا لسر اللجنة التنفيذية **وحامد ابوستة وعبدالعزيز الوجيه** والقس **ايليا خورى.** وعن الجبهة الوطنية الفلسطينية : **عبد المحسن ابو ميزر وعبد الجواد صالح** والدكتور **وليد قمحاوى** رئيسا للصندوق القومى الفلسطينى .

ولقد صدر القرار الفلسطينى . تماما كما اراده الجميع . قرارا فلسطينيا خالصا .

والان : ماذا يعنى القرار الفلسطينى ؟

القرار حدد شروطا موضوعية لاشراك الفلسطينيين فى التسوية السياسية .

١ — ان يكون اطار التسوية غير اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٢ — ان توجه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين .

٣ — ان يوضع ملف القضية الفلسطينية بأكمله على المؤتمر بوصفها قضية سياسية وليست قضية لاجئين . وداخل اطار ميثاق الامم المتحدة ومقررات الهيئات الدولية .

٤ — العمل فورا على اقامة السلطة الوطنية فى كل جزء من الارض الفلسطينية التى يتم تحريرها .

وبعد ان انهى الفلسطينيون اجتماعات مجلسهم الوطنى يمكننا ان نقرر بحق ان القضية الفلسطينية قد اصبحت اليوم وبالفعل فى ايدى اصحابها .

احسان بكر

تقرير خاص
من فلسطين

معالـــــوت .. أم ترشـــيحا ؟ تلــــك هى القضـــــية

اليوم : ١٥ مايو .. ذكرى النكبة .
الأبطال : ○ **زياد عبد الرحيم** [٢٢ سنة]
● **أحمد صالح نايف** [٢٠ سنة]
● **على أحمد حسن** [٢٧ سنة]
الوحدة : وحدة الشهيد كمال ناصر ـ الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين
العملية : **اقتحام مدرسة . واحتجاز رهائن .**
الطلبات : الافراج عن ٢٦ من الاسرى [بنفس عدد سنوات النكبة]
المكان : هنا نختلف .. وهنا يكمن جوهر الامر كله فالمكان على خريطة اسرائيل اسمه « **معالوت** » وعلى خريطة فلسطين اسمه «ترشيحا» . . . . وتلك هى القضية .

وعندما ادلى **نايف حواتمه** بحديثه الشهير للامريكى « **بول جاكوب** » ، وأعلن قبول اقامة « سلطة وطنية » فلسطينية فيما يحرر من أرض فلسطين تصور الكثيرون ان الطابع السياسى سوف يغلب على تصرفات هذه « الجبهة » ، وتأتى عملية « معالوت ــ ترشيحا » لتنفى هذا التصور .

والتوقيت فى مثل هذه العمليات هو العنصر الحاسم .. يوم ١٥ مايو ، وهكذا تهتز مشاعر الاسرائيليين حتى النخاع فى ذكرى قيام الدولة ، وكأنه لم يكفهم أحزان ٦ اكتوبر ، وما بعد ٦ اكتوبر ، وليس هذا هو الجانب الاوحد فى التوقيت **فكيسنجر** كان هناك يتفاوض ويلح ، ويقدم الضمانات ، ويذهب ويجىء مالئا صفحات الجرائد بالاحاديث عن عيد ميلاده المقبل محاولا على الطريقة الامريكية أن يسرق « الكاميرا » من الجميع ، فاذا بشبان ثلاثة ولدوا بعد النكبة وعاشوا مأساتها داخل أرض اسرائيل ذاتها يسرقون « الكاميرا » من الجميع ليسلطوا كل الضوء على الطرف الاساسى فى المأساة « الشعب الفلسطينى » .

ويؤكد **نايف حواتمه** قائد الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين هذه الحقيقة قائلا :
« الامبريالية الامريكية لا تعترف بأية حقوق وطنية للشعب الفلسطينى ، وخطتها لتلبيتها تقوم على تمزيق الارض الفلسطينية بين العدو الصهيونى ، ومشروع المملكة العربية ، وعلى الحاق الشعب الفلسطينى وتذويبه فى الاقطار العربية ، لتكون بديلا عن حقه فى العودة الى وطنه وحقه فى تقرير مصيره » ..

« ويؤكد **حواتمه** ان عملية رجال جبهته قد جاءت فى الوقت الملائم تماما لتأخذ من اسرائيل أشياء وفى نفس الوقت .. أى فى ١٥ مايو [ذكرى انشاء اسرائيل]

وتبدأ العملية .. وتعلن الجبهة الديمقراطية الشعبية البيان التالى :

« جاءنا من قيادة قوات الداخل ما يلى : بيان عمليات رقم ١ : نفذ ثوارنا من وحدة الشهيد كمال ناصر عملية الخامس عشر من أيار صباح اليوم حيث تمكنت الوحدة فى الساعة الرابعة من احتلال مدرسة معالوت واحتجاز مائة من الرهائن داخلها .. اننا نحذر ديان من أى تلاعب ، لانه سيغامر بذلك مغامرة كبيرة وسيحصد نتائج وخيمة » .

والرهـــائن من أعضـــاء « **كتائب الشباب** » [الجدناع] التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلى ، وتتراوح أعمارهم بين ١٦ ، ٢١ عاما .. ووجها لوجه تقف أعمار متقاربة .. اسرائيليون وفلسطينيون ، وتتعرف فتاة على واحد من الفدائيين ، لقد رأته كثيرا فى « صفد » ، كان دوما هناك ربما عاملوه باحتقار فهو مجرد « عربى » ، أما اليوم فهو يقف بمدفعه الرشاش ليملى شروطه . لكنه كان أكثر انسانية من الصهيونيين ، فسمح للرهائن المرضى بالانصراف ، وسمحوا للجميع بتناول افطارهم ، وأعطوهم اغطية وأدوية ، وتحدثوا اليهم بلطف ، وباللغة العبرية . ومع احدى المرضات أرسل الفدائيون الرسالة التالية الى أسر الرهائن : « **الى عائلات الرهائن** :

١ ـ لسنا هواة قتل ... نحن رجال تحرير .
٢ ـ اذا كانت حياة أبنائكم وحياتكم عزيزة .. فان حياة رفاقنا المعتقلين لديكم غالية أيضا ..
٣ ـ .. كل واحد سيحول دون تنفيذ مطالبنا سيحكم على أولادكم بالموت

افعلوا ما تشاءون . وبالطبع سوف نلتقى فى المستقبل »

ومع المرضة أرسلوا رسالة أخرى بالانجليزية الى سفيرى **فرنسا ورومانيا** .. « نحن لسنا قتلة . نحن جنود فى حركة تحرير . نحن جنود عاديون من قوات الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، نحن نؤمن بالماركسية ـ اللينينية ، وبحق تقرير

احمد صالح نايف — على احمد حسن

المصير لشعبنا وعلى أرضه وهذا ما نناضل من أجله » .

وفى الرسالة أملى الفدائيون شروطهم لاطلاق سراح الرهائن وأعلنوا انهم ينتظرون كلمة السر : وكانت « الاقصى » رمزا للمسجد الاقصى الذى افرجت اسرائيل مؤخرا عن حارقه .

لكن السفيرين لم يقدر لهما أن يقولا هذه الكلمة ، ولا حتى أن يعرفاها فقد كان الترتيب أن يصل الاسرى المفرج عنهم الى دمشق .

وبعدها تبلغ سفارتى فرنسا ورومانيا فى دمشق بكلمة السر لتبلغها بدورها الى السفارتين فى اسرائيل . والمهلة خمسة عشر ساعة .

لم يعرف السفيران كلمة السر ، فقد كان هناك **ديان** ، وبقرار من مجلس الوزراء الاسرائيلى ، الذى اوقف مباحثاته مع **كيسنجر** ! ، وتفرغ لمجابهة الفدائيين الثلاثة .

وكان الفدائيون يعرفون ان مهمتهم ليست سهلة ، وأنها قد تنتهى باستشهادهم ، فالمبدأ الاسرائيلى الاحمق لا يزال كما هو : لا تراجع أمام الفدائيين بأى ثمن ، حتى ولو كان الثمن مائة من شباب [الجدناع] وهكذا كتب شبان ثلاثة فى عمر الزهور وصيتهم الاخيرة قبل أن يتجهوا لملاقاة **ديان** شخصيا . وجاءت الوصية فى صورة خمس رسائل الى رؤساء خمس دول عربية ، من بينها رسالة للرئيس أنور **السادات** .. والرسالة محررة فى « فلسطين فى ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٤ وتقول « سيادة الاخ الرئيس **أنور السادات** رئيس جمهورية مصر العربية :

« تحية فلسطين : نحن فدائيون من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ـ وحدة الشهيد كمال ناصر ، عقدنا العزم على تحرير اخواننا ورفاقنا الاسرى فى السجون الاسرائيلية ، فاما ان ننجح فى اجبار العدو على الافراج عنهم أو نقدم ارواحنا فداء لشعبنا الفلسطينى والشعوب العربية » .

« .. اننا واثقون يا سيادة الرئيس ان الشعب المصرى الشقيق سيبقى كما عرفناه دائما رادعا منيعا ، وسدا حصينا فى وجه جميع الغزاة » .

« .. اننا يا سيادة الرئيس فى الوقت الذى نقرر فيه افتداء اخواننا ووطننا ، ونضحى من أجل ذلك بارواحنا ، لاننا ندرك مكر العدو وخداعه ، نتوجه اليكم والى شعب مصر العظيم مطالبين ان تواصلوا دعمكم لثورتنا ومساندة نضال شعبنا فى هذه المرحلة من أجل حقه فى تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية المستقلة على جميع الاراضى الفلسطينية التى ينحدر عنها الاحتلال الاسرائيلى البغيض . ولكم يا سيادة الرئيس ولشعب مصر وجيشه الباسل تحيات الثوار الفلسطينيين من ربى فلسطين الحبيبة » .

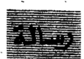
والحقيقة ان الرسائل الخمس التى وجهت الى الرؤساء العرب ، وثائق هامة تستحق وقفه متأنية من جانب الدارسين لانها تحدد الى درجة كبيرة اتجاهات الرياح الفلسطينية ، التى عبر عنها هؤلاء الفدائيون الثلاثة .

وتمضى ساعات المهلة ، وكلمة السر لا تأتى ، ويحاول **ديان** أن يخدع الجميع ، السفيرين والفدائيين معا ، وادعى ان الطائرة تجهز لحمل الاسرى ، وادعى ان نصف الاسرى سافر بالفعل ، كل ذلك فى الوقت الذى كان يستعد فيه لاقتحام المدرسة بناء على قرار صدر بالاجماع من الحكومة الاسرائيلية بعد اجتماع استغرق ثلاث ساعات

وقاد **ديان** الهجوم بنفسه ، والتحم الرصاص بالرصاص ، ونفذ الفدائيون وعيدهم وانفجرت المدرسة بهم وبشباب [الجدناع] المحتجزين ، وتصاعد عمود طويل من دخان اسود كثيف ، وذعر سكان المستعمرة ، لم يصدقوا ان الحكومة الاسرائيلية تغامر بحياة ابنائهم الى هذه الدرجة ، وكان نصيب **ديان** مزيدا من الشتائم ومحاولات الضرب ، التى اعتاد عليها منذ حرب اكتوبر .

ويرتفع عمود دخان آخر هناك فى لبنان عندما تحاول اسرائيل ان تنتقم فتقصف مخيمات اللاجئين وتقتل مزيدا من النساء والاطفال والمدنيين .. وتعلن الجبهة الديمقراطية فى نشرتها « الارض » عنيفا سيكون رد ثوارنا على الهجمات الاسرائيلية » . وفى بيروت ودمشق تسير جنازات رمزية للشهداء ، وفى تل أبيب تسير مظاهرات حانقة تهتف بسقوط الحكومة **وديان** ، وتختفى مؤقتا اعمدة الدخان الاسود الكثيف ، وتبقى فى الذاكرة الرموز .. كلمة السر « الاقصى » اسم الوحدة « **الشهيد كمال ناصر** » تاريخ العملية « ١٥ مايو » اسم المكان « ونعود مرة أخرى الى الرمز الاكبر .. « معالوت » أم « ترشيحا » . ■

د. رفعت السعيد





مؤشـــرات الســـياسة الخارجيـــة

بلغراد ــ من كمال السيد

يعتبر « المؤتمر العاشر » الذى عقدته **رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف** فى اواخر مايو الماضى، علامة بارزة بحق على طريق التجربة اليوغسلافية، بكل ملامحها ومقوماتها الخاصة .

واذا كانت « الطليعة » فى عددها الماضى قد القت الضوء على اهتمام المؤتمر وتركيزه على الاصرار على التجربة مع نقد السلبيات والاخطاء فيها ، فان هذه الرسالة ستركز على عدد من قضايا السياسة الخارجية كما حددها **الرئيس تيتـــو** فى التقرير الرئيسى الذى قدم الى المؤتمر . ذلك ان هذا التقرير كان المنطلق النظرى الذى اعتمدت عليه قرارات المؤتمر ومناقشاته . وافرد هـذا التقرير جانبا هاما منه للسياسة الخارجية تضمن الافكار السياسية التالية :

● خلف التغيرات الجذرية التى تحـدث فى العالم ، نجد يقظة قوية فى الوعى السياسى ، والثقة فى النفس لدى شعوب عديدة وحركات اجتماعية لم تعـد تستطيع ان تعيش فى ظل الظروف الاقتصادية والسياسية القديمة . ونجد ايضا انطلاقة ، لم يسبق لها مثيل ، فى القـوى الانتاجية ترتبط بالثورة العلمية والتكنولوجيـة الراهنة . ان الهياكل والعلاقات الاجتماعيـة المبكرة والمتقادمة ، لا تتفق مع النمو الديناميكى لقوى الانتاج والوعى الاجتماعى . وتظهـر علاقات اجتماعية جديدة ، اشتراكية اساسا ، فى كثير من بلدان العالم وتشق طريقـها بمختلف الطرق والاشكال . وكل هذا يؤكد ان الاشتراكية تنفذ الى مختلف اركان المجتمع الانسانى ، حتى فى مستوياته الاقل تقدما واى جمود فى معالجة الاشكال والطـرق المختلفة للاشتراكيـة سيضر بهذه المسيرة .

● وهناك جانب آخر لهذه المسيره هو نمـو الاعتماد المتبادل والتكامل بين مختلف البلدان . ولكن هذا يصحبه ــ رغم ذلك ــ نمو اختـلال التناسب والتناسق فى تطور البلدان والمناطق، وتفاقم التناقضات الموجودة حاليا على النطـاق العالمى وظهور انواع جديدة منها . وهكذا تتشابك الاتجاهات الحافزة للتكامل مع الاتجاهات التى تفرق وتقسم والتى تفرضها الامبريالية وكافـة اشكال استغلال وقهر الشعوب .

● والى جانب تزايد عدد الدول الاشتراكية والتقدمية ودورها الحاسم بصورة متزايدة فى تحديد اتجاه العالم ، فان السمة ــ الاشـد تمييزا لعالم اليوم ــ هى الانهيار السريع للنظام الاستعمارى وظهـور كثير من الدول الجـديدة المستقلة . كما ان استعداد كثير من شـعوب العالم لان تتخذ قراراتها بنفسها ، وذلك فيمـا يتعلق بالاشكال والانماط الاجتماعية لحياتهـا الداخلية ، وفى ان تعمل كشريك ند ومسـاو لغيره فى المجتمع الدولى ، امر حاسم فى دلالته فى عالم اليوم وله آثاره البعيدة على تطـوره

اللاحق . وهذا هو الاساس الذى قامت عليه سياسة وحركات عدم الانحياز ، القوة القادرة والقوية للجنس البشرى عبر طريقه نحو علاقات دولية اكثر مساواة ، ومن اجل التقدم الاجتماعى العام والسلام المعمر .

● لكن .. القوى الامبريالية لا ترضى بفقد احتكاراتها ومواقعها الممتازة . فهى تحاول ان ترجع للوراء ، التقدم الاجتماعى ، وان توقف الثورة المعادية للاستعمار ، وان تفرض على العالم سياسة تقسيم الكرة الارضية الى مناطق نفوذ . وتمثلت قمة هذه المحاولات فى الحرب الباردة التى تصاعدت الى شن الحروب المحلية. لكن قوى السلام منعت تحولها الى حرب عالمية . وفى هذا لعبت دول عدم الانحياز دورا كبيرا . فمنذ مؤتمر بلجراد ، كانت هذه الدول نشيطة للغاية فى دعوتها للانفراج الدولى

● لقد حدثت تغيرات بعيدة المدى فى العلاقات الدولية وفى التطور الداخلى لبلدان كثيرة ،غيرت علاقات القوى لمصلحة السلام والتقدم .واضحت الامبريالية والعلاقات غير المتكافئة أزمة انتهاء عصر السيطرة يفاقم من هذا احتدام التناقضات بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج فى ظل الرأسمالية الحديثة فضلا عن اشتداد الخلاف بين الدول الامبريالية . والواقع ان متطلبات التطور الاقتصادى والاجتماعى للجنس البشرى ونضال القوى الواعية اجتماعيا ، يدعمان الاتجاه العام نحو الاشتراكية التى اصبحت مسيرة ذات ابعاد عالمية . كما زاد نشاط القوى التى تناضل من اجل احداث تغييرات جوهرية فى العلاقات الدولية ، ومن اجل توزيع جديد للقوى الانتاجية ، واعادة توزيع الدخل العالمى والتقدم الاقتصادى الاسرع والتحرر الوطنى والاجتماعى. وللبلدان الاشتراكية اهمية خاصة هى وكافة القوى الاشتراكية فى العالم ، وذلك فيما يتعلق باستمرار الحركة تجاه التغيرات التقدمية فى العلاقات الدولية ، وعليها ايضا المسئولية الاكبر لان الاشتراكية كنظام اجتماعى اقيمت فى عدة بلدان متخلفة نسبيا ، يتعين عليها وهى تقوم بمهام الثورة الاشتراكية واقامة علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، أن تنجز مهاما مختلفة عن المراحل السابقة . والواقع ان حركات التحرر الوطنى جزء هام من القوى التقدمية ، تساهم بنضالها فى سبيل التحرر الوطنى ، مساهمة كبرى فى الكفاح المعادى للامبريالية والاستعمار. وعلى كافة القوى الديموقراطية والاشتراكية التزام أممى بتقديم التأييد والعون الشامل لها .

وتلعب سياسة عدم الانحياز التى انبثقت عن النضال من اجل التحرر ومعارضة الامبريالية والسيطرة الأجنبية ،من تطلعات الامم والبلاد الى الاستقلال والمساواة والتطور بحرية ،دورا هاما فى العلاقات الدولية . وقد اكدت مكانتها كسياسة عالمية وعنصر دولى متزايد النفوذ ، بدفاعها المستمر عن مبادىء التعايش السلمى الفعال . وابدت بلدان عدم الانحياز مقاومة فعالة لكافة اشكال السيطرة الاجنبية وعملا دؤوبا فى سبيل مقرطة العلاقات الدولية ، والتطور المستقل للبلدان المختلفة والحفاظ على السلام .

وقد سألت **دولانس** سكرتير اللجنة التنفيذية للرابطة عما اذا كانت هناك ضرورة لاجراء بعض التعديلات فى سياسة عدم الانحياز فى ظل « الانفراج الدولى » نظرا لأن هذه السياسة قد قامت اصلا فى ظل التوتر الدولى ، فاجاب بان ما يسمى الانفراج ليس سمة سائدة فى العلاقات الدولية ، وان مجموعة كاملة من المشاكل مازالت قائمة تؤكد هذا فى الشرق الاوسط وفى جنوب شرق آسيا وغيرها ،وان دور دول عدم الانحياز ما زال كما هو ، وانه ينبع فى الاساس من حقيقتين :

□ رغبة الدول النامية فى اتخاذها قراراتها بصورة مستقلة خاصة فيما يتعلق بشئونها الداخلية .

□ اصرار هذه الدول ايضا على المساواة فى مجال العلاقات الدولية وان تعامل كند متساوى الحقوق ، وان تسهم فى حل كافة المشاكل الدولية .

ومن المهمان الفكر اليوجوسلافى محدد وواضح عاما فيما يتعلق بمفهوم الانفراج الدولى ، اذ انه يضع لتحقيقه شرطين اساسيين ، يستحيل حقا ضمان الانفراج بدونهما وهما :

● ان يشمل الانفراج كافة مناطق العالم وعلاقاته ومشاكله والا يقتصر على العلاقة بين دولتين او اكثر ، وانما يصبح اسلوبا وحيدا للتعامل الدولى .

● الا يقتصر على المشاكل السياسية ، وانما يمتد ليضع حلولا للمشاكل الاقتصادية التى تتسبب فى قيام تناقضات حادة وصدامات عنيفة بين مختلف الدول ، اساسا من جراء تفاوت النمو والعلاقات غير المتكافئة القائمة على الاستغلال ، ومن ثم لا تكفى تصفية الاستعمار السياسى وانما لابد من تصفية الاستعمار الاقتصادى . والانفراج لا يمكن ان يتقدم ما لم يشمل ويحل المشاكل الاقتصادية الدولية . ان سلام وأمن العالم لا ينفصلان هذه حقيقة ، لكن يرتبط بهما بصورة وثيقة التطور والازدهار الاقتصادى لمختلف البلدان .

□ فى قرار عن دور الرابطة فى النضال من أجل السلام والتعاون المتكافىء والاشتراكية ،

اكد المؤتمران الاسراع فى التحرر الاقتصادى هو المهمة التاريخية العاجلة فى عصرنا الراهن، ذلك ان الاستقلال القومى والطريق المستقل ذاتيا للتنمية لا يمكن ضمانهما الا بنضال دؤوب ضد السيطرة الاستعمارية الجديدة والامبريالية ،وضد الضغوط والسيطرة وكافة انواع الاخضاع . والطبقة العاملة هى القوة الاساسية العاملة من اجل الاستقلال والسلام والتقدم الاجتماعى . و « المعيار الذى ليس له بديل » لسياسة يوجسلافيا هو عدم الانحياز وهو سياسة متكاملة موجودة للعلاقة مع كل بلدان العالم ،وهو لايمكن ان تكون اداة او احتياطيا لبعض المصالح . والتعايش السلمى يتضمن حق كل شعب فى شن حرب ثورية عادلة من اجل تحرره واستقلاله . وعلى البلدان غير المنحازة ان تبذل كل الجهد لزيادة طاقاتها المسلحة ومفاهيمها الخاصة عن الدفاع من اجل حماية استقلالها .

□ وفى القرار حول الهند الصينية اكد المؤتمر ان نضال شعب فيتنام قد برهن بصورة مقنعة على ان كل شعب صمم بثبات على ان يدافع عن حقه فى الحرية والاستقلال ، قادر على ان يقاوم بنجاح اقوى الدول العسكرية ومنعها من تحقيق اهدافها فى العدوان والاحتلال . وايدت الرابطة حق الحكومة الثورية المؤقتة فى جنوب فيتنام فى عضوية الامم المتحدة ، ودعت دول عدم الانحياز لبذل كل الجهد لتجسيد هذا الحق . كما طالبت بتأييد كفاح شعب كمبوديا من اجل التحرر الوطنى وحق حكومة الوحدة الوطنية فى استعادة حقوقها المشروعة فى الامم المتحدة . كما ايدت اتفاقية السلام فى لاوس وطالبت باحترام سيادتها واستقلالها ، وانسحاب القوات الامريكية والاسلحة الامريكية من الهند الصينية .

□ واعلن المؤتمر فى قراره حول شيلى ان الانقلاب العنيف الذى قامت به الطغمة العسكرية فى شيلى « عمل يهدف ايضا الى ضرب سياسة عدم الانحياز » . وقد تم تنفيذ هذا الانقلاب الذى قامت به الرجعية المحلية بمساندة الامبريالية الدولية . وادان المؤتمر الارهاب الفاشى للطغمة العسكرية واعرب عن تأييده للوطنيين الشيليين الذين يحاربون من اجل بعث الحريات الديمقراطية واعادة النظام الديمقراطى الدستورى ، واكد ايمانه بان مسيرة التحرر فى امريكا اللاتينية ستستمر وتقوى رغم الانقلاب العسكرى فى شيلى .

□ واكد المؤتمر فى قراره حول حركات التحرر ان هذه الحركات فى البلدان الموجودة تحت السيطرة الاستعمارية ، هى الممثل الحقيقى لشعوبها . واكد حق هذه الشعوب فى ان تستخدم كل الطرق بما فى ذلك النضال المسلح، لتحقيق تحررها الوطنى . وحيا المؤتمر انشاء دولة مستقلة فى غينيا بيساو وباعتباره نصرا على الامبريالية ، ودعا لتأييد نضال شعوب انجولا وموزمبيق وجنوب افريقيا وزيمبابوى وناميبيا والصحراء الاسبانية والصومال الفرنسى وجزر كومور وسيشل وساوتوم وكذلك نضال الشعب الفلسطينى .

وقد اكد الصحفيون الاجانب [٢٤٠ صحفيا] وممثلو الاحزاب الصديقة [٩٤ حزبا] ان المؤتمر، يعد بمثابة عملية تنقية للتجربة اليوجسلافية بمحوريها التسيير الذاتى فى الداخل وعدم الانحياز فى الخارج لتخليصها من كل المعوقات لتنطلق الى الامام صوب الهدف الذى حققته القيادة اليوجسلافية : وهى الرفاهية فى الداخل والسلام والتعاون المتكافىء فى الخارج .

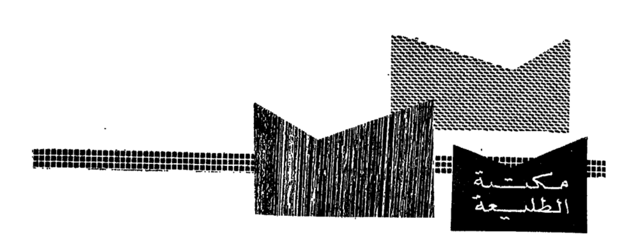
الثقافة الجديدة

عادت الى الصدور باليمن الديمقراطية الشعبية زميلتنا « **الثقافة الجديدة** » ، و « **الطليعة** » اذ تحيى الزميلة العدنية لترحب بها عضوا فعالا وبارزا فى الميدان الرحب للاشتراكية العلمية .

ان الاعداد التى صدرت من « الثقافة الجديدة » فى ثوبها الحديث لتؤكد انها تدخل ميدان الثقافة العربية بقدم راسخة مدركة ادراكا واعيا للابعاد الحقيقية للمعركة العربية ، مسلحة بسلاح الاشتراكية العلمية .

ان صدور « **الثقافة الجديدة** » هو بالاضافة الى كونه حدث سياسى هام ، تعبير عن تقدم حقيقى فى العلاقات بين مختلف القوى التقدمية فى اليمن الديمقراطية الشعبية ، وتعبير عن يقينها بأهمية الحوار المثمر والتحالف الرفاقى بين المنابر التقدمية المختلفة على اساس من الاحترام المتبادل .

ان الجهد الذى تبذله وزارة الثقافة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ووزيرها عبد الله باذيب باصدار هذه المجلة هو جهد يستحق كل تقدير ، ليس فقط لانه يتيح للمثقف العربى ان يطل على انتاج ثقافى رفيع قادم من عدن ، وانما ايضا لانه يسهم بهذه المجلة فى اثراء التجربة بين الاتجاهات السياسية المختلفة فى الاطار انعام لحركة الثورة العربية ، وأساسا بين العربية ، باساليب الحوار الخصب والمثمر فصائلها التقدمية ..



القرية المصرية

دراسة فى الملكية وعلاقات الانتاج

□ تاليف :

فتحى عبد الفتاح

□ عرض وتعليق :

حسين طلعت

□ الناشر :

دار الثقافة الجديدة

القاهرة — ١٩٧٣

فى المقدمة يحدد المؤلف أن مشكلة تطوير الاقتصاد فى البلدان النامية وخلق صناعة وطنية متقدمة انما تبدأ من حل المشكلة الزراعية على اساس اقامة علاقات انتاج جديدة وبالتالى علاقات اجتماعية على مستوى ارقى ، واكثر تطورا تسمح بدورها بتحقيق فائض من الانتاج الزراعى الذى يحقق التراكم اللازم للصناعة .

وقد فضل الكاتب اختيار منهج التعرض للموضوعات الهامة والدخول فيها بشكل مباشر، وهى اساسا : مشاكل التفتيت ، ونشر الملكية الصغيرة والارض الجديدة ، وعلاقات الانتاج والتخلف الثقافى .

والجزء الاول من الكتاب — وهو موضوع هذا العرض — يتناول ظروف وعلاقات الانتاج فى القرية المصرية منذ عصر محمد على

حتى عام ١٩٥٢ مع لمحة تاريخية عن هـذه العلاقات فى الفترة السابقة على ذلك .

وبعد ان يستعرض ظروف وعلاقات الانتاج فى القرية المصرية ايام قدماء المصريين وفى عصر البطالسة والرومان والفتح العربى والحكم العثمانى والحملة الفرنسية ، يبدأ فى دراسة عصر محمد على . وهنا يشير الى ان محمد على قد الغى نظام الالتزام والاوقاف الخيرية ، واعاد مسح الارض وتوزيعها على الفلاحين بمساحات تتراوح بين ٣ — ٥ افدنة ، وفرض عليها ضرائب عالية ، وسجل زمام القرية باسم كل السكان لضمان جمع الضرائب . كما احتكرت الدولة تسويق المحاصيل ووضعت اسعارا مرهقة بالنسبة للفلاحين . وعاد محمد على الى شكل جديد من اشكال الالتزام — العهدة — وازدادت سلطة مشايخ البلد لاعتماد محمد على عليهم فى تنفيذ سياسته واعطاهم مساحات من الاراضى معفاة من الضرائب يقوم الفلاحون بزراعتها عن طريق السخرة . وقد ادت هذه الاعباء المرهقة بالنسبة للفلاحين الى انتشار ظاهرة هجرة الفلاح من ارضه كما قام محمد على بتوزيع مساحات من الاراضى على عائلته — الجفالك — تقدر بنصف مليون فدان معفاة من الضرائب حتى سنة ١٨٥٤ حتى فرض عليها سعيد ضريبة العشور — كما وزع — الابعديات — على كبار موظفيه واعفيت من الضرائب بدورها حتى سنة ١٨٥٤ .

وتميزت سياسة محمد على الزراعية بكسب مزيد من الاراضى وخلق ارستقراطية زراعية تدعم سلطته . واعطى أصحاب الابعديات وكان اغلبهم من الاجانب — اتراك ، جراكسة — حقوق البيع والتنازل والرهن والوراثة . كما اعطى محمد على مشايخ البلد نسبة ٤٪ من زمام القرية — مسموح المشايخ او مسموح المصاطب — قدرت مساحتها بحوالى ١٥٥ الف فدان ، يقوم الفلاحون بزراعتها بالسخرة . وشكل هؤلاء الملاك المصريون معظم طبقة كبار ملاك الاراضى حتى سنة ١٩٥٢ هى الصفة التى احتلت مركز الصدارة فى السلطة حتى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، والتى اعتمد عليها الاحتلال البريطانى طوال فترة سيطرته باعتبارها صاحبة المصلحة الحقيقية فى استمرار بقائه .

كما وزع محمد على — أراضى العرب — على مشايخ البدو والأعراب ، وهى اما معفاة من الضريبة اذا كانت بورا ، أو يحصل منها نصف ضريبة اذا كانت منتجة . وترك محمد على — الاواسى — للملتزمين — حوالى ١٠٠ الف فدان — واعطى لاصحابها حقوق التصرف .

ثم عاد محمد على الى نظام الالتزام فى شكل — العهدة — واستولى هؤلاء الملتزمون الجدد على أراضى الفلاحين ، حين عجزوا عن دفع الضرائب . وقدرت مساحة اراضى العهدة بمليون وثلاثمائة الف فدان منها ٣٠٠ الف فدان فى نطاق اسرة محمد على . وبذلك فقد اجراء محمد على فى الغائه لنظام الالتزام والوقف الخيري مضمونه الاساسى بهذه الاستثناءات التى تمت واحتفظ شكل الاستغلال الزراعى بجوهره السابق ، مما ادى الى اعاقة تطور علاقات الانتاج فى الريف نظرا لسيطرة فئات محدودة على مساحات واسعة من الاراضى الزراعية .

وفى عام ١٨٥٤ — أوائل عهد سعيد — منحت القوانين المعروفة « باللائحة السعيدية » ورثة المنتفعين بالارض الحق فى الاستيلاء على الاراضى التى تركها مورثهم ، كما فرضت ضريبة العشور على اراضى الجفالك والابعديات [عشر المحصول] وبرغم ذلك ساعدت هذه اللائحة على زيادة الرقعة التى يمتلكها كبار الملاك وخاصة العمد ومشايخ البلد الذين كان لهم الحق فى تحديد الورثة — باعتبارهم ممثلين للحكومة . وكثيرا ما كانوا يسطون الورثة الحقيقيون ويستولون على الاراضى لانفسهم أو يعطونها لمن يزرعها لصالحهم . وكذلك اكدت اللائحة السعيدية سنة١٨٥٨ حق الملكية لجميع الاراضى العشورية أما الاراضى التى كان يزرعها الفلاحون فنصت اللائحة على حق الورثة فى الانتفاع بها ورهنها وتأجيرها وبيعها للغير بشرط استئذان المديرية ، وبرغم ذلك فقد نصت اللائحة على انها ليست ملكا للمزارعين وليس لهم فيها الا حق الانتفاع ، واذا تركها اصحابها اختيارا لمدة ثلاث سنوات يسقط حقهم فيها .

اما قانون المقابلة سنة ١٨٧١ الذى صدر تحت حاجة اسماعيل الشديدة الى جمع الاموال فقد اعفى كل من يدفع خراج أرضه ست سنوات مقدما من نصف الضريبة ويتمتع بحقوق الملكية الكاملة وتستخرج له حجة شرعية تثبت له حق الهبة والتوارث والوصاية والاسقاط . واحجم

الكثيرون عن دفع المقابلة الامر الذى جعل اسماعيل يفرضها بصورة اجبارية على الفلاحين وكبار الملاك ثم الغى هذا القانون عام ١٨٨٠ . وصدر عام ١٨٩١ القانون الذى اعطى لاصحاب الاراضى الخراجية التى لم تدفع المقابلة نفس حقوق الملاك الذين دفعوا المقابلة . وتشير أول احصائية صدرت عام ١٨٩٤ الى توزيع الملكية الزراعية فى مصر ومنها يتضح أن ١٪ من الملاك الكبار — أكثر من ٥٠ فدانا — يملكون ٤٢٫٥ ٪ من اجمالى المساحات ، ٥ ٪ من الملاك من ٥ الى ٥٠ فدانا يملكون ٣٧٫٤٪ من اجمالى المساحة ، أما الـ ٩٤٪ من ملاك اقل من خمسة أفدنة فيملكون ١٩٫٨ ٪ من المساحة المنزرعة . ويرى المؤلف أن الفترة التى وضعت فيها أسس الملكية الزراعية فى مصر تتميز بالنسبة لصغار الفلاحين بهروبهم من القرى بأعداد كبيرة نتيجة زيادة الضرائب والتعسف فى جمعها واحتكار المحاصيل .

اما طبقة كبار الملاك فقد نشأت منذ ايام محمد على وتكونت اساسا من الاجانب — الاتراك والجراكسة — ومن المصريين من العمد ومشايخ البلد — ثم توسيع اسماعيل وسعيد فى تدعيم قاعدة هذه الطبقة عن طريق استبدال المعاشات باراض خراجية — وضم اسماعيل خمس الاراضى الزراعية الى حيازته ابان ازمة القطن من ١٨٦١ الى ١٨٦٥ — فترة الحرب الاهلية الامريكية — ثم باع اسماعيل هذه الاراضى سدادا لديونه الى الدولة التى باعتها بدورها الى كبار الملاك القادرين على الشراء من الاجانب والمصريين . واثر فشل الثورة العرابية ، صادر توفيق أملاك القيادات المدنية والعسكرية للثورة ومنح المكافآت التى غالبا ما كانت اقطاعيات واسعة الى أنصار المحتل الاجنبى . كما زادت نسبة كبار الملاك الاوربيين — الافراد أو الشركات — بدرجة ملحوظة فى أواخر القرن التاسع عشر اذ بلغت حوالى ٥٥٠ الف فدان بنسبة ١١ فى المائة من الاراضى المنزرعة .

ويرى المؤلف ، أن ادخال محمد على لزراعة القطن كمحصول نقدى قد أدى الى ارتباط الزراعة المصرية بالسوق العالمى . وكان محمد على يهدف بذلك الى الحصول على عائد نقدى يحقق مشروعاته الداخلية فى التصنيع والخارجية لاقامة امبراطورية . ولما انهارت هذه السياسة بمقتضى معاهدة سنة ١٨٤٠ لم يؤثر ذلك على الاتساع فى زراعة القطن ، وأصبح المحصول الاول المنتج فى مصر — ٧٠ فى المائة من المساحة — وزاد انتاجه من ٢١٢ الف قنطار سنة ١٨٣٥ الى ٥٫٣٤٥٫٠٠٠ قنطار سنة ١٩٠٠ .

وزادت بالتالى بيوت تجارة القطن وارتفعت فائدة التسليف من جانب المضاربين الاجانب ووصلت الى ٤٫٥ فى المائة شهريا . كما زادت ديون الفلاحين فى الرهونات سنة ١٨٧٦ من نصف مليون جنيه استرلينى الى ٧ ملايين عام ١٨٨٣ ونزعت مساحات واسعة من الفلاحين لصالح المرابين وزاد ارتفاع نسبة الفائدة الى ٩ فى المائة شهريا . وعلى سبيل المثال زادت رهون شركة واحدة « الكرديه فونسييه » من ١٫٥ مليون جنيه سنة ١٨٨١ الى ٦ ملايين سنة ١٩٠٢ وكانت تمتلك ١٣٢ الف فدان سنة ١٩٠٠ .

وادى التوسع فى زراعة القطن من جانب آخر الى الاهتمام بمشاريع الرى والقناطر وتم حفر ١١٢ ترعة منها ترعة الاسماعيلية والابراهيمية ،

وقامت كافة هذه المشروعات اعتمادا على السخرة ، مما أدى الى زيادة سلطة الاجهزة الادارية فى القرى . ثم الغى قانون السخرة سنة ١٨٩٢ بعد أنهاء هذه المشاريع مع ابقائها بالنسبة للحالات الضرورية لحراسة جسور النيل فى أوقات الفيضان . وقد أدى استخدام سلاح جمع الفلاحين للقيام بأعمال السخرة فى اقامة المشروعات الى امكان نزع ملكيات قطاعات واسعة من صغار الفلاحين وسهل ذلك زيادة الضرائب والرهون التى لجأ اليها الفلاحون لتغطية حاجياتهم الضرورية كما ان اعفاء فلاحى الابعديات من أعمال السخرة جعل الفلاحين يبيعون أراضيهم بأبخس الاثمان الى كبار الملاك ، وترتب على ذلك زيادة المساحات التى يسيطر عليها كبار الملاك من ناحية وزيادة جيش الفلاحين الذين لا يملكون أرضا .

اما بالنسبة للملكية المتوسطة فيرى المؤلف أنها نشأت من متوسطى الموظفين والضباط الذين استن لهم سعيد تشريعا يعطيهم مساحات من الارض فى مقابل المعاش — كما نشأت من مبيعات أرض الدواوين والدائرة السنية ، كما ادى نشاط المرابين والتجار الصغار والمتوسطين من المصريين والاجانب الى نزع ملكية الفلاحين وتكونت الطبقة الوسطى من ملاك الاراضى لتشكل نسبة ثابتة تقريبا من المساحات التى يمتلكونها تتراوح بين ٣٠ — ٣٢ فى المائة من المساحة الاجمالية .

وبالرغم من تثبيت قوانين الملكية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر فيلاحظ ان الدولة ظلت محتفظة بمساحات لها وزنها من الاراضى

الزراعية والقابلة للزراعة بلغت نسبتها حوالى ١٥ فى المائة من المساحة فى بداية القرن العشرين .

ثم ينتقل المؤلف الى مناقشة نوعين من علاقات الانتاج فى هذه المرحلة ـ أوائل القرن العشرين ـ ويعتبر ان الرأى القائل بأنها علاقات راسمالية رأى خاطىء . اذ أن الاستغلال الاقطاعي يعتمد على مد الفلاحين بالارض والحصول على الفائض ، أما فى الاستغلال الرأسمالى فيتم الحصول على الفائض عن طريق خلع الفلاحين من الارض وتحويلهم الى عمال زراعيين مأجورين . والملكية الفردية للارض موجودة فى كلا النظامين الاقطاعي والرأسمالى ، ويمكن نظريا أن تلغى الرأسمالية ملكية الارض دون أن يلغى هذا من جوهرها .

ثم يعرض المؤلف لظاهرة التفاوت الحاد فى الملكية الزراعية منذ سنة ١٩٠٠ الى ١٩٥٠ ومنها يتضح أن ٣ر١ فى المائة يملكون ٤٤ فى المائة من المساحة الزراعية سنة ١٩٠٠ ، ونصف فى المائة يملكون ٢ر٣٤ فى المائة من المساحة سنة ١٩٥٢ ويسجل انخفاض مستوى الملكية بالنسبة لصغار الملاك من ٥ر١ فدان الى ٧ر من الفدان فى نفس الفترة . ويرجع ذلك الى عوامل التفتيت نتيجة التوريث ، والى ازدياد عدد السكان بالاضافة الى أن مهنة الزراعة تعتبر مصدر الانتاج الاساسى للغالبية العظمى من فقراء الفلاحين . وبالمقابل يلاحظ الثبات النسبى فى الملكيات المتوسطة والكبيرة نتيجة تلافى عوامل التفتيت بزيادة التركيز . ولم تساعد مبيعات الدولة من الاراضى على تلافى تفتيت الملكية التى ذهبت معظم مساحاتها الى كبار ومتوسطى الملاك باستثناء مساحات طفيفة وزعت على فقراء الفلاحين ـ بيع تفتيش كفر سعد سنة ١٩٤٦ .

ولم يكن لانشاء البنك الاهلى سنة ١٨٩٩ أثر فى حل مشكلة اقراض صغار الملاك .

كما لم يقلل من آثار التفتيت القانون الصادر سنة ١٩١٣ « قانون الخمسة أفدنة » والذى نص على عدم جواز مصادرة ، أو توقيع الحجز على مالك هذه المساحة فأقل ، كما نص على عدم تفتيت هذه المساحة عن طريق البيع أو الميراث أو الحجز . اذ لم يكن لهذا القانون أثر يذكر .

ويعدد المؤلف آثار التفتيت ، ويقدر الفاقد فى الحدود والجسور والقنوات بحوالى ٢٥ فى المائة من المساحة ـ بالاضافة الى عدم قيام سياسة محصولية ثابتة وتنوع المحاصيل المنزرعة بالتجاور ـ كما يتعذر تقريبا تطوير وسائل الانتاج فى مثل هذه المساحات المتقزمة .

أما الاثار السياسية المترتبة على التفتيت فتتركز أساسا فى ان الملكية القزمية لعبت دورا كبيرا فى تخدير قوى الانتاج ـ الفلاحين ـ اذ ربطت شرائح واسعة منهم بفكرة ملكية الارض بكافة مفهوماتها وأصبح للمالك الصغير صفة مزدوجة مالك وعامل زراعى فى آن واحد .

ويشير المؤلف الى الارتفاع المضطرد فى قيمة الارض الزراعية نتيجة تركيز الملكية فى أيدى كبار الملاك وزيادة السكان وضعف التطور الصناعى وتركيز البنوك والمؤسسات العقارية على الاتجار فى الارض ، بلغت هذه المساحة حوالى ٢٠٠ الف فدان ـ ثم اتجهت هذه الشركات فى أواخر العشرينات الى زراعة الارض أو تأجيرها .

وينتقل المؤلف الى تناول الشكل الرأسمالى فى الزراعة المصرية ، ويسجل أنها ظاهرة ثانوية وغير سارة بالنسبة للشكل المتخلف من علاقات الانتاج الزراعى . فهناك مزارع حديثة ذات انتاج غير تقليدى ، ومرتبط بدرجات متفاوتة بالصناعة . ويتواجد فى الاراضى المملوكة لبعض الشركات الزراعية ونسبة صغيرة من كبار الملاك التى تتولى الزراعة بنفسها ، بالاضافة الى بعض كبار المستأجرين . لقد بدأت الشركات الزراعية بالاتجار فى الارض وانتهت الى زراعتها على أساس رأسمالى . وكانت تمتلك فى عام ١٩٤٩ ١٨٠ الف فدان تزرع الجانب الاكبر منها . كما ازداد الرأسمال المصرى ونسبة المديرين فى هذه الشركات . ويلاحظ ان مستوى الوعى الاجتماعى لدى الفلاحين فى هذه المزارع كان أعلى من غيرها ، نظرا لان علاقات الانتاج هنا أكثر تقدما من علاقات التبعية شبه الاقطاعية وذلك على الرغم من انخفاض اجور العمال الزراعيين ـ متوسطها ٣٠ مليما سنة ١٩٢٠ . كما تلاحظ زيادة الالات المستخدمة فى الزراعة ـ كان عدد الجرارات اثناء الحرب العالمية الاولى ٢٠٠ وبلغ ١٠ آلاف سنة ١٩٥٢ ، كما أن ٧٨ فى المائة من هذا العدد تؤجره المزارع التى تزيد مساحتها عن ٥٠ فدانا .

واذا كانت زراعة القطن قد ربطت مصر بالسوق الرأسمالى العالمى الا انها لم تحول الزراعة المصرية بصورة أساسية الى زراعة قائمة على

علاقات الانتاج الرأسمالية ، وساعدت زراعة القطن على أقامة علاقات تبادل تجارى فى القرى وبذلك حطم اسلوب الاكتفاء الذاتى فى القرية كما قامت صناعة الغزل والنسيج .

ويرجع المؤلف السبب الرئيسى فى تخلف الصناعه الى عدم وجود سوق داخلى كاف لهـا ، نظرا للانخفاض الشديد فى داخل سواد الشعب الاعظم - الفلاحين - الناجم عن العلاقات الشبه اقطاعية السائدة فى الريف والتى أدت بالتالى الى تخلف حضارى وفكرى - بلغت نسبة الامية فى الريف ٩٠ فى المائة .

ثم ينتقل المؤلف الى استعراض وتحليل القوى الاجتماعية فى الريف حتى عام ١٩٥٢ وتنقسم الى الفئات الاتية -١- كبار الملاك الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين -٢- طبقة كبار الملاك والمستأجرين الرأسماليين . ٣ - طبقة الملاك المتوسطين الغائبين عن القرية ٤ - متوسطو الملاك الذين يزرعون بأنفسهم - الرأسماليين . ٥ - صغار الملاك ٦ - عمال الزراعة والتراحيل .

وبالنسبة لطبقة كبار الملاك ، فهى فئة حديثة ظهرت منذ ايام محمد على بصورة اساسية - كما يمكن تتبع أصولها التاريخية منذ القرن الرابع عشر فى صورة كبار الحائزين الاقطاعيين والملتزمين أشباه الملاك الاقطاعيين ، أذ كان فى استطاعتهم التصرف فى الارض ومن يزرعها بالرغم من عدم وجود أسس قانونية لذلك .

واذا كانت الملكية بشكل عام كانت الطريق الى السلطة كظاهرة تاريخية الا أن السلطة فى مصر كانت هى الطريق الى الملكية . وهنا يبرز دور محمد على فى اقطاعه المساحات الواسعة على عائلته وعلى الاعوان ذوى الاصول الاجنبية أيضا .

وبرزت بصورة اساسية ظاهرة الملكية الغائبة - غياب المالك عن الريف وأقامته فى المدن - اذ كانت المدن بالدرجة الاولى مراكز ادارية وغدت عبئا على القرية . ويمثل كبار الملاك الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين اشد صور علاقات الانتاج تخلفا سواء فى شكل الحصول على الفائض أو طريقة استغلاله بعد الحصول عليه . البذخ الإستهلاكى ، اعادة استثماره فى شراء الارض - كما ظلت هذه الطبقة مسيطرة سياسيا واستندت اليها الاحتلال البريطانى لتوافق مصالحها معه فى استغلال الفلاحين . كما تميزت بانعدام مشاعرها الوطنية - نظرا لان أغلبها من اصول اجنبية . كما دخل الجناح المصرى منها فى تحالف وثيق مع الاحتلال والسراى فى سنة ١٩٥٢ - ٤ر . فى المائه من الملاك تمتلك ٢ر٣٤ فى المائة من المساحة .

أما بالنسبة لكبار الملاك والمستأجرين الراسماليين فيشتركون فى المنشأ مع الفئة السابقة . ولكنهم يمثلون تكوينا مختلفا - اذا اهتموا بعملية زراعة المحاصيل النقدية والصناعية ، وطالبوا بالغاء الوقف الاهلى ورأوا فى السيطرة الاقطاعية عائقا أمام توسع مشروعاتهم . وتعتبر فئات منهم نواة تكوين الرأسمالية الصناعية المصرية . ولا يمكن القول بأنه قد حدثت بلورة أساسية لهذه الفئة اذ تواجدت هذه العناصر فى قيادة الاحزاب السياسية جنبا الى جنب مع كبار الملاك الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين التقليدية . وتمثل جبهة مصر بشكل عام هذا الاتجاه أذ طالبت فى برنامجها سنة ٤٦ بفرض ضرائب تصاعدية على الملكية الزراعية بهدف توجيهها الى الصناعة . كما مثلت هذا الاتجاه عناصر فى قيادة حزب الوفد المصرى . أما الملاك المتوسطين فكانت نسبتهم عام ١٩٥٢ ٣ر٥ فى المائة يمتلكون ٤ر٣٠ فى المائة من المساحة وكانت هذه الفئة ثابتة بشكل نسبى طوال خمسين عاما وكان تقلصها أما لصالح كبار الملاك بحكم زيادة ظاهرة التركيز - أو لصالح فئة صغار الملاك نتيجة عوامل التفتيت بالوراثة . وتميزت الغالبة الساحقة من الشرائح الدنيا من هذه الطبقة بقيامها بزراعة الارض بنفسها . أما الشرائح العليا منها فمعظمها كان من الملاك الغائبين الذين نشأوا فى أواخر القرن التاسع عشر من الموظفين وأصحاب السلطة المتوسطة التى كانت تعطى لهم الارض بدلا من المعاش ، بالاضافة الى تجار المدن وغالبيتهم من أصول مصرية ، وكانوا يمارسون نفس علاقات الانتاج التى مارسها كبار الاقطاعيين واشباه الاقطاعيين فى صورة تأجير الارض نقدا أو عينا . واتسمت مشاعرهم الوطنية بصورة عامة بالعداء للاحتلال البريطانى . ولعب المثقفون منهم دورا ملحوظا فى الحركة الوطنية خاصة خلال أوائل القرن العشرين ورفعوا الشعارات الوطنية المعتدلة ، وشعارات اجتماعية اصلاحية . مثل تحديد الملكية الزراعية بعدم السماح لاى شخص يمتلك اكثر من ٥٠ فدانا بشراء ، أو الاستحواذ على أرض جديدة . ويطالب البعض الاخر بتحديد الملكية الزراعية

تلافيا لاجراءات أكثر تطرفا وانطلاقا لمبادرات الطبقة الوسطى الريفية التى لعب دورا قياديا فى المجتمع الريفى . وعموما فقد تميزت القيادات السياسية لهذه الطبقة بخليط من الفكر الليبرالى الى الافكار الشوفينية المتعصبة .

وبالنسبة لمتوسطى الملاك العاملون فى الارض - أغنياء الريف - فكانوا مرتبطين بالانتاج الزراعى سواء عن طريق التملك أو التأجير معتمدين على العمالة الدائمة والموسمية . وهم بصورة عامة يمثلون الشريحة الدنيا من متوسطى الملاك والمستأجرين ويعيشون أساسا فى القرية وغالبا ما يشغلون المناصب الادارية الهامة بها . ويتميزون باتجاهاتهم المتناقضة مع كبار الملاك والملاك المتوسطين الغائبين . وهم فى نفس الوقت يقفون ضد الفلاحين الفقراء ويزيدون من ملكياتهم على حسابهم . وقد لعبوا دورا وطنيا هاما وقادوا الثورة فى الريف عام ١٩١٩ . كما ساندوا الثورة العرابية من قبل . ولعب المثقفون من ابنائهم دورا وطنيا هاما وتواجدوا فى الحركات والتنظيمات السياسية من العشرينات الى الخمسينات والتى تميزت برامجها السياسية بكونها ثورية وراديكالية . واثارت هذه الفئة مشكلة الرهون العقارية ودور البنوك فى نزع الملكية وقادوا الهيئات ضد الاحتلال - دنشواى - كما تحمسوا لاقامة الجمعيات التعاونية ، ومثلت هذه الفئة القاعدة الرئيسية لحزبى الوفد فى الريف .

أما بالنسبة لفقراء الفلاحين فهم المصدر الاول والاساسى للثروة القومية فى تاريخ مصر . كانت نسبتهم سنة ١٩٥٢ ٣ر٩٤ فى المائة ،يمتلكون ٤ر٣٥ فى المائة من الاراضى ، وتمتلك الغالبية الساحقة من هذه الفئة مساحات تقل عن الفدان ، وتمثل الشريحة الدنيا منهم أشباه ملاك وأشباه عمال زراعيين .

وقدظهر لهذه الطبقةمعبرين عنظروفها واحلامها أمافىصورة تنظيماتصغيرة أو مجموعاتمنالافراد منهم مصطفى حسنين المنصورى ناظر مدرسة طوخ الاعدادية الذى أصدر كتابا عن تاريخ المذاهب الاشتراكية سنة ١٩١٥ طالب فيه بتوزيع الارض علىالفلاحينالمعدمين ، ووضعحدا اقصى للايجار لا يتجاوز عشرة جنيهات للفدان ، ووضع حدا ادنى لاجر العامل الزراعى . كما رفع الحزب الشيوعى المصرى الذى ألغاه سعد زغلول سنة ١٩٢٤ شعار الاصلاح الزراعى ولكنه لم يقدم برنامجا محددا وتفصيليا عن كيفية هذا الاصلاح . أما التنظيمات اليسارية والشيوعية التى برزت خاصة عقب الحرب العالمية الثانية فقد دافعت عن مصالح فقراء الفلاحين ، ودعت الى تحديد ملكيةكبار الملاك ومصادرة الاراضى الزائدة بدون تعويض وتوزيعها على فقراء الفلاحين .

ثم تساول المؤلف ظروف طبقة عمال الزراعة والتراحيل ، وعرفهم بأنهم من لا يملكون شيئا على الاطلاق سوى الفأس التى يعملون بها ، ولو انه كان هناك تداخل كبير خاصة فى النصف الثانى من القرن العشرين بينهم وبين فقراء الفلاحين الذين يمتلكون مساحات متقزمة ويضطهدون للعمل فى مزارع كبار الملاك ، وتعويضهم أغلب الوقت . ولو أن هذا التداخل يقل الى حد كبير بالنسبة لعمال التراحيل الذين يتركون قراهم للعمل فى اماكن نائية لشهور متصلة . وحتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر لم يكن هناك عمال زراعة منفصلين عن بقية الفلاحين اذا كان جميع سكان القرية متضامنين فى الضرائب وتوريد المحاصيل . وجاءت البذور الاولى لهذه الطبقة من المتهربين من الملكية والذين قدموا طلبات الاعفاء نتيجة الضرائب الكبيرة . فى سنة ١٨٥٥ كان هناك ٤٧ الف فدان هجرها أصحابها فى الشرقية والدقهلية - كما تهرب الكثيرون نتيجة أعمال السخرة الاجبارية التى كانت تفرض عليهم ولما كان العاملون بأراضى كبار الملاك يعانون من السخرة فقد أغرى هذا الامر عديد من الفلاحين بترك أراضيهم والعمل لدى كبار الملاك ، كما أثرت الديون العقارية وعوامل التفتيت بعد ذلك فى زيادة منابع المعدمين - نزعت ملكيه ٧١ الف فدان من قبل المحاكم المختلطة فى السنوات ما بين سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٦ .

وقدر تعداد عمال الزراعة والتراحيل بأربعة ملايين عامل سنة ١٩٥٢ ، جزء منهم يزيد عن المليونين من المعدمين والباقى يمتلكون أقل من فدان . ويلاحظ انه على الرغم من تشكيل هذه القاعدة العريضة من عمال الزراعة والتراحيل خلال النصف الاول من القرن العشرين الا انها لم تبرز لتلعب دورها كطبقة لها ثقلها بسبب السيطرة المطلقة لكبار الملاك ونوع العلاقة بينهم وبين العمال الزراعيين التى اتخذت شكل التبعية لا التعاقد ، كما لعبت الاوضاع الفكرية والاجتماعية المتخلفة دورها بالاضافة الى صعوبة تنظيم عمال الزراعة ومحاربة السلطات لاية اتجاهات تنظيمية لهم . وفى بعض المناطق التى ظهرت فيها بعض الاسس الراسمالية فى الزراعة قامت تنظيمات للعمال الزراعيين - تفتيش كوم امبو التابع لشركة السكر ، وفى تفتيش المطاعنة تشكلت أول نقابات لعمال الزراعة سنة ١٩٢٤ ولكنها واجهت محاربة عنيفة من جانب كبار الملاك والشركات الاجنبية . كما سدت السلطة الطريق بوعي أمام تنظيم عمال الزراعة - ففى أول لائحة لاتحاد العمال الذى أنشسه حزب الوفد سنة ١٩٢٤ استبعد عمال

الزراعة وحرم أول قانون للنقابات صدر فى مصر سنة ١٩٤٢ ، حرم بنص قاطع تشكيل نقابات العمال الزراعيين . ومنذ عشرينات هذا القرن اهتمت قطاعات من المثقفين المصريين ـ بالذات أصحاب الاتجاهات الاشتراكية بأوضاع هذه الفئة ، فطالب الحزب الاشتراكى فى برنامجه سنة ١٩٢١ بتنظيم فقراء الفلاحين فى نقابات وربطها بأتحاد الفلاحين وعمال الزراعة على النطاق العالى ونشطت الدعوة الى تشكيل هذه النقابات عقب الحرب العالمية الثانية . ولعبت التنظيمات الشيوعية واليسارية دورا كبيرا فى التأكيد على ضرورة تنظيم عمال الزراعة .

وظلت طبقة عمال الزراعة فى مصر وحتى عام ١٩٥٢ فى الواقع فى وضع بين العمل الشبه مسخر والعمل التعاقدى . ولعل هذا دليل قوى على مدى تخلف علاقات ووسائل الانتاج فى القرية المصرية فى منتصف القرن العشرين .•.

□ المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر

□ تأليف :

فوزى عبد الحميد

□ عرض :

عبد المنعم شتله

الاسكندرية ـ ١٩٧٣

ظهر فى الفترة الاخيرة كتاب جديد يقع فى ١٩٤ صفحة من القطع الكبير ـ كانت تفتقده المكتبة العربية تحت عنوان : « المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر » .

وقد تناول المؤلف الاستاذ **فوزى عبد الحميد** قضية تعتبر من أهم قضايا العالم الثالث ، ومما يلفت نظر القارىء التزام الكاتب بالمنهج العلمى فى البحث فيقول فى مقدمة الكتاب :

« لا يمكن بحث المسألة الزراعية الا بطريقة علمية ... يربطها بواقع الهيكل الاقتصادى المراد تغييره والسياسة الاقتصادية المستهدفة وبيان الترابط التاريخى لتطورها ... » .

ولهذا ـ نجد تباينا واضحا بين منهج البحث الذى انتهجه الكاتب عن المناهج الاخرى التى ينتهجها بعض المشتغلين بالمسألة الزراعية فى بلادنا .. ، ويقسم الكاتب بحثه الى قسمين رئيسيين :

القسم الاول :

ويشتمل على اثنى عشر فصلا تحت عنوان رئيسى أسماه « **قضايا المسألة الزراعية فى الدول النامية** » ـ حيث تناول فيه الظروف

والأوضاع التاريخية التى تواجه البلدان النامية وواقع الزراعة فى بلدان العالم الثالث ، وابعاد المسألة الزراعية . وفى الفصل الخاص بالاصلاح الزراعى بين التكنولوجيا والايديولوجيا يركز الكاتب على أهمية الثورة الاجتماعية باعتبارها الاساس المادى الحقيقى للتقدم حيث يقول بوضوح :

« ان تطور التكنولوجيا لا يتم فى فراغ ولكن فى ظل أيديولوجيات محددة هى التى تعطيه نوعيته واتجاهه ، وكلما ازداد عمق الثورة العلمية التكنولوجية كلما زادت حاجة الانسان الى ايديولوجيا تقدمية تقود حركة التطور الاقتصادى » .

بل ينتقد المؤلف الاتجاه الداعى لطمس الثورة الاجتماعية باستبدالها بالثورة التكنولوجية فقط حيث يرد عليهم بقوله :

« ... وبالرغم من محاولة الباحثين الغربيين طمس الثورة الاجتماعية بالثورة التكنولوجية فانهم لم يستطيعوا الا أن يعترفوا بأهمية حدوث شيء ما فى العلاقات الانسانية داخل مجتمعات البلاد المتخلفة ، حتى يمكن أن تحدث الثورة التكنولوجية » .

« وانه بالنسبة للعالم المتخلف فلن تكون هناك احتمالات للنمو الاقتصادى حتى تكون هناك تغيرات عميقة فى الدوافع الانسانية والقيم والتركيب الاجتماعى والسياسى » .

كما يؤكد المؤلف على هذا المفهوم الاجتماعى فى الفصل الخاص بالاصلاح الزراعى بين الرأسمالية والاشتراكية حيث يقول :

« والواقع أن النهج الرأسمالى فى الزراعة يعنى — كما هو معلوم — تركز أجزاء كبيرة من الارض فى أيدى الملاك العقاريين وسيادة اقتصاد السوق وسيطرة الاحتكارات الرأسمالية على الانتاج الزراعى وزيادة التناقض والتفاوت بين المدينة والقرية » .

ثم يحدد بوضوح الحل الذى يراه :

« وتؤكد التجربة التاريخية انه لحل قضايا اقتصاد البلاد المتخلفة فى الزراعة وحل المشكلة التموينية سريعا — ينبغى اعادة تنظيم الانتاج الزراعى من الاساس عن طريق الانتقال الى الاشكال الجماعية والاجتماعية للملكية ، مما يتيح امكانيات غير محدودة للتطور اللاحق لكل فروع الاقتصاد » .

ثم يواصل المؤلف كتابته عن الانماط العامة للاصلاح الزراعى حيث يشير الى وجود ثلاثة انماط عامة أو نماذج كبرى للاصلاح الزراعى فى العالم .

أولا : اصلاحات زراعية تتم فى اطار ثورة اجتماعية وبقيادة اشتراكية عمالية .

ثانيا : اصلاحات زراعية ناتجة عن ارتباط بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية وتحت قيادة راديكالية تعادى الاستعمار والتخلف وأبرزها التجربتان المصرية والجزائرية .

ثالثا : اصلاحات زراعية تتم فى اطار نظم تقليدية وبتأثير ومساعدة من الولايات المتحدة الامريكية .

وتناول المؤلف النموذج الثانى من انماط الاصلاح الزراعى حيث يقول :

« ... ومع استمرار تطور الخط المعادى للاستعمار والرغبة فى تخطى التخلف القائم من ناحية نهوض ونمو الحركة الجماهيرية فى تلك البلدان يكتسب الاصلاح الزراعى باستمرار أبعادا جديدة » .

ان استعراض تشريعات الاصلاح الزراعى المصرى ، وملاحظات وآراء الاقتصاديين ، تظهر كيف تطور النظر الى المسألة الزراعية فى سياق التطور العام للاقتصاد القومى والحركة الاجتماعية والسياسية خلال الفترة من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٦٦ .

ثم يحدد المؤلف الاهداف العامة لحركة الاصلاح الزراعى على الوجه الاتى :

١ — تصفية الاشكال الاقطاعية والاحتكارية فى الزراعة والغاء السخرة والديون وتطبيق شعار الارض لمن يفلحها بهدف تحرير الفلاحين من الاستغلال واطلاق طاقاتهم المنتجة .

٢ — تعبئة الفلاحين جماهيريا وتنظيم قواهم اقتصاديا وسياسيا بشكل فعال ضمن الحركة التعاونية والتنظيمات الديمقراطية والنقابات لتدعيم حركة الاصلاح الزراعى وارساء وتطوير العلاقات الاجتماعية الجديدة .

وفى الوقت نفسه ، يحذر المؤلف من الاعتماد على الاسلوب الفوقى ، وعلى الاجهزة الادارية الديمقراطية ، ذلك الاسلوب وهذه الاجهزة التى تسلب المضمون الحقيقى لحركة الاصلاح الزراعى الاجتماعى . كما يشير الى اهمية انشاء قطاع دولة فى الزراعة يعتمد على استخدام الميكنة ، والادارة الرشيدة ، والعمل على توسيعه وتدعيمه باستمرار بحيث يكون نموذجا ورائدا لمجموع القطاع التعاونى .

كما يتكلم المؤلف عن الحركة التعاونية حيث

يحدد المعيار الحقيقى للصفة الاجتماعية لهـا فيقول :

« فالتعاون يتوقف على الاطـار الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى يجرى فى ظـله وعلى الهدف الذى يتخذه ... » .

ولهذا — فان المؤلف لا يعتبر التعاونيات التى تعمل فى البلاد الرأسمالية شكلا من الاشكال الملكية الاشتراكية وانما يعتبرها من اشـكال ملكية الجماعة التى تعتمد على راسمال كبير والتى تحمل فى داخلها خطر التحول الى الملكية الرأسمالية .

ويتناول الكاتب فى القسم الثانى من كتابه تحت عنوان : « **تجربة الاصلاح الزراعى فى مصر** » حيث يشير الى تطور العلاقات الانسانية والاجتماعية فى الريف المصرى وينتهى الىحقيقة موضوعية الى أن الملكية الفردية للارض كانت فى أغلب مراحـل تاريخ مصر منعـدمة ، وان الدولة كانت لها السيطرة الفعلية عليها .

كما يستنتج كذلك ان دلالة نظام ملكية الدولة للارض الزراعيـة هو أن الحـاكم والموظفين التابعين له هم الذين كانوا يستخلصون الفائض الزراعى ولبسوا الفلاحين ، وانصراع الفلاحين كان يهدف الى تخفيف التزاماتهم من ضرائب وسخرة وتحقيق الحـرية ومعيشـة أفضل ولم يستهدف ملكية الارض .

ولم يتقرر حق الملكية — حـق التصرف — لصاحب الأرض الخراجية الا فى ١٥ من ابريل ١٨٩١ حيث أصبحت ضريبة الاطيان ضامنـة لتسديد الدين الأجنبى وفوائده .

كما يشير المؤلف فى الفصل الخـاص عن الهيـكل الاقتصادى والاجتماعى فى الزراعـة المصرية الى القوى الاجتماعية فى الريف ، حيث يقسم هذه القوى الى :

الملاك الزراعيون :

وهى الطبقة التى تقوم بتأجير أرضها للغير ولا تزرعها بنفسها وتعتمد فى دخلها بصـفة رئيسية على الريع الناتج من تأجير الارض .

الرأسمالية الزراعية :

وهى التى تقوم بعملية الاستغلال الزراعى بنفسها سواء كانت مالكة أو مستأجرة عنطريق استخدام عمل آخرين ، ويقسم الكاتب هـذه الرأسمالية الى شرائح كبيرة ومتوسطة حسب حجم الحيازة .

العمال الزراعيون :

وهى الطبقة التى تعتمد على قوة عملهـا لدى الغير ، ويقسمهم الكاتب الى اجراء دائمين ومؤقتين .

ويشير المؤلف فى الفصل الخاص بعـلاقات الانتاج فى الزراعة المصرية الى نظام الايجار حيث يعتبره الشكل السائد لعلاقات الانتـاج فى الزراعة المصرية .

ويتكلمالمؤلف ايضا عننظام المزارعة كأسلوب شبه اقطاعى لا يختلف فى جوهره عن نظـام الايجـار ، وفى الفصل الخـاص عن تطبيق الاصلاح الزراعى فى مصر يشير المؤلف الى أنه قد تم بمبادرات فوقية من السلطة عن طريق سن تشريعات تحدد حجم الملكية الزراعية وتنظم العلاقة بين القوى الاجتماعية المختلفة وذلـك على سبيل التدرج ، خلال فترة طويلة نسـبيا بلغت ١٧ سنة ، واعتمد تنفيذه على الاجهزة والاسلوب النظامى الادارى .

ومما يلفت النظر هذه النتيجة التى توصل اليها الكاتب عن نمو الرأسمالية الزراعية [من ١٠ الى ٥٠ فدانا] ، والتى أصبحت تمثل ٣٥ ٪ من مساحة الاراضى حيث زادت ملكيتها بنسبة ٢٤ ٪ عما كانت عليه قبل عام ١٩٥٢ ، كمـا تستأجر ١ر٢ مليون فدان الى جانب ملكيتهـا واصـبحت تتلقى ما يقرب من نصف الدخـل القومى الناتج من الزراعة .

وينتهى المؤلف الى نتيجة هامة حيث يذكر أن كبار الملاك لم يقدموا اى استثمارات او تحسينات لانشاء الترع والمصارف والقنـاطر والخزانات والطرق الزراعية .. الخ .

كما لم يقدم القطاع الخـاص فى الزراعـة اسـتثمارات تذكر كميكنة الزراعـة وتطورها التكنيكى أو استصلاح الاراضى ، ولهـذا فان التقدم الذى حدث فى تلك الفترة انما تم اساسا بجهود الدولة بالتعاون مع صـغار الفـلاحين والعمال الزراعيين .

وفى الفصل الخاص بتفتتالملكية الزراعية ، ينبه المؤلف الى ظاهرة التفتت فى الملكيةالزراعية وأثرها الخطـير على الاسـتغلال الزراعى ، ويقترح حلا لهذه المشكلة وذلك عن طريق تجميع هذه الملكيات الصغيرة فى مزارع تعاونية يمكنها من استخدام أحدث الوسائل التكنيكية لتطوير الزراعة .

كما يتحدث المؤلف عن التعاون الزراعى ، حيث يعرفه بأنه فى جوهر حركة شعبية منظمة جمهورها ملايين الفلاحـين يتكتلون معـا فى جمعيات تعاونية لتحقيق أهداف اقتصادية هى

الارتفاع بمستوى دخولهم اعتمادا على الميزات التى يحققها الانتاج الكبير فى الزراعة وما يحققه من وفورات فى التكلفة وجودة فى الانتاج وأسعار مناسبة عند التسويق .

كما يشير الى العقبات التى تعترض التعاون فى مصر حيث يرى أنه لا سبيل الى حل هذا التناقض الجوهرى الا باعادة صياغة الحركة التعاونية ومؤسساتها صياغة جماهيرية ديمقراطية يصبح فيها الفلاحون وهم المنتجون المباشرون مركز الثقل فى اتخاذ القرارات الاقتصادية فى اطار الخطة الاقتصادية والاجتماعية العامة .

وقد تكلم المؤلف عن مستقبل الاراضى المستصلحة ، فيذكر أن هذا النوع من الاستثمارات الزراعية يحتاج الى رءوس أموال كبيرة لا تقوى عليها الوحدات الانتاجية التقليدية حتى فى صور التعاونيات ، بل لابد من مزارع حكومية أو شركات قطاع عام متخصصة تضمها مشاريع متكاملة اقتصاديا ، وتشرف عليها الدولة فى صورة مؤسسات كبيرة تقوم بالانتاج والتسويق .

ويعترض المؤلف على فكرة توزيع هذه الأرض الجديدة منبها الى أنه لن يستفيد من هذا التوزيع الا نسبة محدودة جدا من السكان، كما أنه من غير المعقول أن نعود وننقل الى هذه الارض نفس الاساليب القديمة التى تتبع فى مزارعة الارض القديمة وتفتت الملكية الى وحدات صغيرة متأخرة من الناحية التكنولوجية وتحكمها علاقات متخلفة تمتلىء بالمتناقضات والصراعات .

ويحدد المؤلف هدفه بأن تحقيق رفاهية الفلاحين لا يكون عن طريق تملكهم للملكيات صغيرة ترضيهم بالقليل وانما عن طريق ربط مستوى معيشتهم بكمية الانتاج والدخل الحقيقى الذى يمثل عنصر العمل أساسه والذى يتزايد على مر السنين .

كما أن معظم الاراضى المستصلحة يحتاج الى عناية خاصة وزراعة علمية لمدة تصل الى عشر سنوات لبناء التربة واكسابها خواصها المطلوبة لتوصيلها الى الانتاج العالى والمحافظة على صفتها حتى لا ترتد الى حالتها الاصلية .

ولهذا فان تقسيم هذه الارض أو توزيعها أو تأجيرها سوف يؤدى الى تفتيتها مما يعوق استخدام طرق الانتاج العلمية الحديثة والاستخدام الامثل للالات الزراعية ، وعدم القدرة على تغطية احتياجات الزراعة الكثيرة .

كما أن مزارع القطاع العام يمكنها أن تحقق المرونة اللازمة لتنفيذ السياسة الزراعية وتطبيق الدورات المعنية واستخدام مزايا ووسائل الانتاج الكبيرة لتوافر القدرة المادية والالية والعلمية .

كما يتناول المؤلف فى الفصل الخاص عن التنمية الزراعية فى مصر بدور الزراعة فى عملية التنمية حيث يرى أن زيادة حجم وسعة المزرعة المصرية فى شكل تعاونيات انتاجية ذات المضمون المتطور ، وتجميع المزارع الصغيرة المتناثرة هو الحل المطروح لزيادة الانتاج والانتاجية ، وذلك الى جانب العمل على تحديث العملية الانتاجية فيها وفق مستحدثات العلم والتكنيك الزراعيين ، أى تنمية قوى الانتاج للزراعة المصرية .

ويرى أن اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية فى الريف يتطلب اعادة النظر فى نظام الائتمان المجانى الذى تستخدمه الشرائح الاجتماعية العليا ، وكذلك تطوير السياسة الضريبية بالنسبة للزراعة ، والغاء نظام المزارعة الذى لجأ اليه كثير من الملاك للافلات من الحد الاقصى للايجار النقدى ، وقيام الجمعيات التعاونية بالاشراف الكامل على جميع علاقات التأجير الزراعية ، ووضع قانون يحدد خصائص وطبيعة الملكية التعاونية ، وتطوير دور الجمعيات التعاونية ، وتطوير ممارسة الديمقراطية عند مباشرة شئونها .

وأخيرا — يختتم المؤلف كتابه باستعراض بأهم وقائع تاريخ المسألة الزراعية المصرية منذ عام ١٧٩٨ حتى الان ، وبهذا يساهم الكتاب فى اثراء المكتبة المصرية ببحث قيم تفتقده هذه المكتبة .

ان هذا الكتاب يظهر فى وقت نشعر فيه بأهمية الاسهام فى حل مشاكل بلادنا الاقتصادية والاجتماعية .

فمصر وهى احدى بلاد العالم الثالث ، تعتبر الزراعة من أهم الانشطة الاقتصادية بها ، وبالتالى فان هذا البحث الخاص « بالمسألة الزراعية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر » يثير الكثير من القضايا الحيوية التى تجابه بلادنا هذه الايام ، خاصة تلك القضية الهامة المتعلقة بالقطاع العام فى الزراعة ، حيث تبرز آراء متناقضة حول هذا الموضوع . ولا شك أن الكتاب قد اظهر الحجج والوقائع الدالة على اهمية وجود قطاع عام زراعى فى بلادنا وخطر الارتداد الى عملية تفتيت هذه الاراضى .

ان ظهور هذا الكتاب سوف يحفز الكثيرين الى المساهمة وابداء الرأى حول القضايا الحيوية التى اثارها الكتاب .



مناقشات مفتوحة

بيان الجبهة الوطنية التقدمية فى سوريا حول اتفاق فصل القوات على الجولان

أصدرت الجبهة الوطنية التقدمية فى سوريا بيانا بتاريخ ١٩٧٤/٦/٢ ، حول اتفاق فصل القوات على جبهة الجولان . وكانت الجبهة قد قررت فى جلسة عقدتها يوم ٢٩ مايو ، الموافقة بالاجماع على مشروع الاتفاق .

وجاء فى البيان ، ان الجبهة تنظر الى الاتفاق من خلال المبادىء الاتية :

١ — ان هذه الاتفاقية تمثل اول تراجع اسرائيلى هام امام العرب تحت الضغط العسكرى منذ بدء الصراع العربى الاسرائيلى عام ١٩٤٨ حتى الان .

٢ — ان اسرائيل تخلت بعد توقيعها هذه الاتفاقية عن المبدأ الذى وضعته وثقفت شعبها عليه واعلنته على العالم منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ وحتى ايام معدودة ، وهو ان الجولان أرض اسرائيلية ولا سبيل الى التنازل عن شبر منها .

٣ — ان اتفاقية الفصل جاءت نتيجة مباحثات دولية استمرت اكثر من شهر ملىء بالعمل المتواصل واشترك فيها وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ، واستقطبت باحتمالاتها الخطيرة أنظار الرأى العام العالمى والدولى وكان موقف سوريا خلالها موضع احترام وتقدير فى العالم اجمع سواء بالنسبة لموقفها فى ساحة القتال او فى مجال العمل الدبلوماسى .

٤ — ان هذه الاتفاقية وقعت فى جنيف تحت علم الامم المتحدة وبحضور ممثليها وممثلى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية وهى بذلك تعتبر جزئية واجرائية على طريق الموضوع الاكبر والاهم وهو موضوع تنفيذ قرارات مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة المتعلقة باعادة الاراضى العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وهذا المعنى لا توحى به الوقائع المشار اليها فقط وانما جاء النص عليه صريحا وواضحا فى صلب الاتفاقية وفى آخر بند من بنودها اذ ورد « هذه الاتفاقية ليست اتفاق سلام بل هى خطوة نحو سلام عادل ودائم استنادا الى قرار مجلس الامن ذى الرقم ٣٣٨ المؤرخ فى ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ » .

وسوريا حين قبلت القرار رقم ٣٣٨ انما قبلته ضمن حدود ما فهمته منه وهو الانسحاب التام من جميع الاراضى العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين والتفسير السورى هذا سجل فى سجلات هيئة الامم المتحدة .

٥ — ان جميع ما ورد فى البروتوكول المتعلق بقوة مراقبى فصل القوات التابعة للامم المتحدة قد وضع على اساس نزع صفة القوة الدولية عن هذه المجموعة من المراقبين وعلى اساس ان لا تشكل هذه القوة فى المستقبل اى قيد على ارادتنا الوطنية فى استخدام جميع الوسائل الممكنة لتحرير ارضنا فيما لو فشلت الجهود السليمة فى تحقيق ذلك . ومما يؤيد هذه الضمانة :

أ — ان قوة المراقبين الدوليين كانت فى بلادنا منذ عام ١٩٤٩ وحتى الان ، دون ان تقيد ارادتنا الوطنية فى الدفاع عن حقوقنا كلما وجدنا ضرورة لذلك .

ب — ان وجود هذه القوة على ارضنا موقوت بستة اشهر فقط يحتاج تجديدها لقرار من مجلس الامن الدولى ، والفرق واضح بين ان يكون تحديد فترة وجود القوات يحتاج لقرار من مجلس الامن وبين ان يكون اخراجهم هو الذى يحتاج لقرار .

جـ — ان هذه القوة كما هو وارد فى البروتوكول الملحق بالاتفاقية تخضع لقوانيننا الوطنية وليس

لها حق تعطيل او الاساءة الى اعمال السلطة المدنية ، ويقتصر سلاحها على السلاح الفردى ولا تستعمل هذا السلاح الا فى حالة الدفاع المشروع عن النفس .

د ـ لقد كان موقفنا خلال المباحثات واضحا وحاسما تجاه منظمات المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائى ورفضنا اى قيد من شأنه ان يحد من تحرك هذه المنظمات ونشاطها أو يقيد من نضالها المشروع لاستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربى الفلسطينى .

كلمة أخيرة

يبدو أن الحوار بين الاستاذ سعيد خيال وبينى حول ندوة « حركة التحرر الوطنى العربية » ، قد استنفد كل أغراضه ، ومن هنا تحوله ـ من جانب واحد ـ عن منطق « مقارعة الحجة بالحجة » الى منطق توجيه التهم ـ بغير وجه حق وعلى غير أساس ـ بعدم « الامانة فى النقل وانعدام الصدق فى القول » ، الى حد اتهام مجلة « الطليعة » الموقرة نفسها بأنها لم « تتثبت من أمانة النقل وصحة الاسناد » ، وانها ـ فى معرض نيله منها هى ايضا ـ اساءت استخدام شعار فولتير حول حرية الراى التى ليس من بينها ـ كما قال وبدونما حرج ـ « حرية الكذب » ، وانها ـ بالتالى ـ ما كان لها ان تسمح بنشر تعقيبى عليه : « بدلا من الخلط والمغالطة » .

وكان يمكننى ان اكتفى برد « الطليعة » نفسها على الاستاذ خيال ، الذى تنبهت فيه الى مدى خروجه على منطق الحوار الموضوعى والجدل العقلى المطلوبين من كل مثقف جاد لا يشغله الدفاع عن ذاته اكثر من موضوعه ، وانما يهمه ـ أولا وأخيرا ـ الوصول الى الحقيقة الموضوعية عينها . عبر احتكاك وتبادل الاراء ، ويهمه ـ أولا وقبل كل شىء ـ عدم خداع الجماهير التى يندب نفسه للدفاع عنها ، ولتقديم المعرفة العلمية الصحيحة لها ـ أيا كان مصدرها وقائلها ـ اقول كان يغنينى قول « الطليعة » : « اننا لا نتفق معه على الطريقة التى صاغ بها الرد على د. الشهارى » ، ولكن يبدو أن الاستاذ خيال لم يترك لى حيلة ، أو عذرا فى ضرورة ان تكون لى « كلمة أخيرة » حتى لا يكون التزام الصمت المطبق ازاء تهمه الظالمة وغير المتوقعة ، بمثابة تسليم منى بها أو قبول لها ، ولا سيما بعد ان أصر على اخراج المسألة من حدودها « الفكرية » ، واعتبرها « مسألة اخلاق » ، وتجاوز بذلك ما كنت ظننت انه قد قبل به ـ اثناء لقاء بيننا ـ من ضرورة الاحتكام الى أصدقاء لنا معا من رجالات الفكر ، لمراجعة ما كتبه كل منا ، للتثبت من مدى أمانتى فى النقل عنه ، فى ردى عليه .

ولكم يؤسفنى حقا سهولة تأثر الاستاذ خيال من النقد الموضوعى والرفاقى لارائه ، وعدم مواجهته بصدر رحب ، وروح رياضية ، ولجوءه ـ بدلا عن ذلك ـ وقد أعيته الحيل فى الدفاع عن رأيه هذا ، وقد أمعن فى مداراته دون فائدة ـ الى أسلوب غير مستحب من أمثاله ـ أسلوب الادعاء بأننى لم أنقل عنه بأمانة !

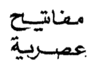
ولان الامر فيه من الادعاء ما يبلغ حد تجريح « الكرامة العلمية » ـ فوق التجريح لامانتى فى تناول حديثه ـ مما لا يمكن قبوله ، أو المرور عليه ، دون وضع المسألة فى نصابها ، احتراما للحقيقة ذاتها ، واحتراما لحقوق وعقول من أقيمت الندوة من أجلهم ، ولان صفحات الطليعة لا تتسع لمزيد من الحوار بيننا ، ولان وقتها أيضا لا يسمح لها بمراجعة وتدقيق ما كتبه كل منا ، حتى تتأكد أكثر من اننى لم أتجن عليه عند نقلى عنه ، حتى فى « كلمة » واحدة ، أو « حرف » واحد ، ولان خير حكم بيننا هو القارىء الكريم ـ هدف كل كلمة امينة وشريفة ومنصفة ـ لذلك كله فاننى لارجو هذا القارىء المتابع ان يراجع ما كتبناه معا ، ليتبين بنفسه ولنفسه ، وحتى لا يهتز يقينه بعلمية وموضوعية ما يكتبه الكتاب من أمثالنا ، وحتى يحافظ على ما استخلصه من حصيلة هذا الحوار كله حول الندوة المعنية ، ليتبين اينا حاول التجنى والخروج عن جادة الرشد والصواب ، واينا بقى شديد التمسك والتقيد بالحوار الموضوعى الصارم وليرى ما اذا كان أحدنا قد استباح لنفسه فعلا الابتعاد عن الامانة العلمية فى النقل ، أم ان الامر لا يعدو ان يكون محاولة غير مجدية وغير سليمة ، لتغطية عملية انسحاب رأى خسر الجولة فى مضمار الحوار العلمى الجاد والملتزم !

د. محمد علي الشهارى

فلسطين

اصدرت الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الارض المحتلة جريدتها ـ فلسطين ـ وبظهور هذه الجريدة تكون الجبهة قد خطت خطوة الى الامام فى توصيل رسالتها الى الجماهير الفلسطينية فى الارض المحتلة . وقد اكدت الجبهة فى العدد الاول على مواصلة العمل بحزم من أجل انتزاع حقوق الشعب الفلسطينى وتقرير مصيره على ارضه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

والطليعة تحيى الشقيقة ـ **فلسطين** ـ وتتمنى لها أن تحقق رسالتها الاعلامية النضالية من أجل تحرير الوطن وحق تقرير المصير .





تواصل الطليعة نشر « موسوعة المصطلحات اليهودية والصهيونية والاسرائيلية» . وهي المصطلحات التي اعدتها مجموعة من الباحثين العاملين في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . تحت اشراف د . عبد الوهاب المسيرى .

وفي هذا العدد تقدم الطليعة مادتي « الارض » و « الشعب المختار » .

وكانت في العدد الماضي قد قدمت مادتي « الحركة التعاونية الصهيونية » وفكرة « اقتحام الارض والعمل والحراسة والانتاج » .

□ الأرض □

يتميز العقل البدائي بادراكه العميق للمكان واعماله شبه التام للزمان وهذه سمة يتصف بها أيضا ادراك الطفل الذي يبدأ بالاحاطة بمفهوم المكان ويتدرج ببطء شديد الى ان يضج ويحيط بفكرة الزمان والتاريخ . ونجد أن كثيرا من الديانات الحلولية الاسيوية ترتبط بأرض أو مكان وبشعب يقيم على هذه الارض ، وتقوم وحدة دينية بين الارض والشعب لان الله يحل فيهما ويوحد بينهما . والديانة اليهودية تشبه من بعض الوجوه الديانات الحلولية الاسيوية فهي تصدر عن مفهوم وحدة الشعب بالارض ثم تسبغ على أرض فسطين كثيرا من الصفات الدينية فهي أولا الارض المقدسة (زكريا ٢ ـ ١٢) والارض التي يقطن فيها الله ولذا فهي « أرض الرب » (هوشع ٩ ـ ٣) ، وهي كذلك « أرض الميعاد » لان الله « وعد » **ابراهيم** وعاهده على أن تكون هذه الارض لنسله. وهي أيضا «ارض المعاد» التي «يعود» اليها اليهود تحت قيادة **الماشيح** ، وهي الارض التي يرعاها الله (تثنية ١١ ـ ١٢) ثم هي الارض المختارة التي تفوق في قدسيتها أي أرض أخرى (لارتباطها بالشعب المختار) ، وهي كذلك الارض البهية [دانيل ١١ ـ ١٦] بل انها مركز الدنيا لانها توجد وسط العالم (تماما كما يقف اليهود في وسط **الاغيار** وكما يشكل تاريخهم المقدس حجر الزاوية في تاريخ العالم . فاذا كان الشعب هو أمة الكهنة للعالم فالارض هي بمثابة المعادل الجغرافي لهذا التصور) . وتعاليم **التوراة** لا يمكن أن تنفذ كاملة الا في الارض ولا يمكن لليهودي ان « يتنبأ » الا وهو فيها ، حتى جوها يجعل الانسان حكيما . وقد أصبحت السكنى في الارض بمثابة الايمان « لان من يعيش داخل أرض اسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا ، اما المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » (كما جاء في أحد أسفار التلمود) . بل ان فكرة الارض تتخطى فكرة الثواب والعقاب الاخلاقية ، فقد جاء في نفس السفر أن من يعيش خارج أرض الميعاد فهو يكون كمن يعبد الاصنام ، وجاء أيضا أن من يسير أربع اذرع في فلسطين يعيش بلا ريب الى أبد الابدين ، ومن يعيش في فلسطين يطهر من الذنوب ، بل أن حديث من يسكنون في فلسطين في حد ذاته توراه . وجاء في سفر اشعياء أنه (٣٣ ـ ٣٤) « لا يقول ساكن في الارض أنا مرضت . الشعب الساكن فيها مغفور الاثم » . وقد ارتبطت الديانة بالارض ارتباطا كاملا ، فبعض الصلوات من أجل المطر والندى تتلى بما يتفق مع الفصول في أرض الميعاد ، كما أن شعائر سنة **شميطا** والشعائر الخاصة بالزراعة وبعض التحريمات الخاصة بعدم الخلط بين الانواع المختلفة من النباتات والحيوانات لا تقام الا في الارض المقدسة . وتدور صلوات **عيد الفصح** حول **الخروج** من مصر والدخول في الارض ، ويردد المحتفون بالعيد الرغبة في التلاقي العام القادم في **اورشليم** ، وأهم قسم في الصلوات اليومية (الشمونة عسر) تحوي دعاء بمجيء الماشيح الذي سيأتي في نهاية التاريخ ويقود شعبه الى

الارض .. وهذا الاهتمام المفرط بالارض ولا شك بقايا وثنية فى الدين اليهودى . وحتى الان يرسل بعض يهود الدياسبورا فى طلب شىء من تراب الارض لينثر فوق قبورهم بعد موتهم . وقد أشار بيان الى الارض مرة قائلا أنها هى ربه الوحيد . وقد رأى كاتب هذه السطور كتابا طبع فى الاسكندرية عام ١٩٤٤ عن الارض المقدسة واحتوى الكتاب على بضعة ذرات من تراب وشىء من نباتات فلسطين (ويقف هذا الوضع على طرف النقيض من الاسلام الذى بدأ فى مكة والحجاز ثم انفصل عنهما ، لانه دين مرسل لكل الناس فى كل زمان ومكان ، ولا تقاس التقوى بمدى القرب أو البعد عن المكان ، وانما بمدى القرب أو البعد عن القيم الاخلاقية الاسلامية ـ أى أن انفصال الاسلام عن المكان وارتباطه بمجموعة من القيم هو بمثابة تأكيد لحرية الفرد المسلم ومسئوليته ومقدرته على التسامى على الواقع ان أراد) . وارتباط الدين هذا الارتباط الكامل بالارض هو تعبير آخر عن هذا النمط البنيوى الذى نلاحظه فى اليهودية وهو ارتباط المطلق (الدين) بالنسبى (المكان) الامر الذى يجعل التسامى والجدل مستحيلين . والتاريخ اليهودى حسب التصورات التقليدية والصهيونية ان هو الا تعبير عن الارتباط بالارض ، وهو ارتباط فى تصورنا يربط بين التاريخ الحى والجغرافيا الثابتة ، مما يؤدى الى الغاء وجود اليهود التاريخى فى الديسابورا [باعتبار أنه وجود « خارج » الارض ، وبالتالى خارج التاريخ كما أنه يلغى تاريخ الارض نفسها باعتبار أنها « مكان » مطلق معقم من الزمان خاو على عروشه ينتظر ساكنيه الاولين المقدسين) .

ويستخدم اليهود مصطلح « ارتز يسرائيل » ، ويبتعدون عن استخدام أى مصطلح مثل « فلسطين » قد يشتم منه اى وجود « تاريخى » غير يهودى . فمثل هذا الاعتراف ينسف ادعاءاتهم من أساسها ، ويضعف من مقاومتهم الوجدانية للواقع القائم فى أرض الميعاد .

وقد تضخم الحديث عن الارض وارتباط اليهود بها حتى نشأ ما يسمى « بلاهوت الارض المقدسة » ، فالارض فى العقل اليهودى تحولت الى فكرة لاهوتية وفقدت أبعادها التاريخية المتعينة . وكان من أهم المشاكل التى ناقشها لاهوت الارض هو مشكلة حدودها ، فقد جاء فى سفر التكوين (١٥ ـ ١٨) أن الرب قد قطع مع ابراهيم عهدا ، قائلا : « لنسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات . ولكن فى الاصحاح الرابع والثلاثين من « سفر العدد » توجد « خريطة » مغايرة حددت على أنها « أرض كنعان بتخومها » وحددت التخوم بشكل يختلف عن خريطة سفر التكوين . وقد حل الحاخامات هذه المشكلة بأن شبهوا الارض بجلد الابل الذى ينكمش فى حالة العطش والجوع ، ويتمدد اذا شبع وارتوى ، وهكذا الارض المقدسة تنكمش ان هجرها ساكنوها من اليهود وتتمدد وتنفرج ان جاءها اليهود من بقاع الارض . أما العالم التلمودى بن جوريون فقد كان يتمدد وينكمش حسب قوة الردع التكنولوجى ، فأثناء حرب الاستنزاف وتساقط الفانتوم فسر كلمة « نهر مصر » على أنها نهر صغير فى العريش ، أما حينما يتحرك جيش الدفاع الاسرائيلى بقوة فتفسير التوراة يختلف (والجيش الاسرائيلى حسب قول بن جوريون هو « خير مفسر للتوراه » وبالتالى خير مفسر للاهوت الارض) . ومن المشاكل الاخرى التى ناقشها لاهوت الارض هى مشكلة العودة لها ، وهل هى واجب دينى أم لا ؟ وهل يمكن للانسان أن يعود لها حينما يقرر ذلك أم أن عليه انتظار مقدم الماشيح ؟ ومن المشاكل الطريفة التى واجها لاهوت الارض هو ملكيتها « فالارض المقدسة » عبر تاريخها كان يقطنها دائما شعب « غير مقدس » فحتى عام ١٠٠٠ ميلادية كان يقطنها الكنعانيون والفلسطينيون ثم قطنها اليهود بضعة مئات من السنين . ثم توافد الغزاة بعدها الى أن اختفى أى وجود يهودى حقيقى عام ٧٠ ميلادية . وكان لابد لمفكرى اليهود الاجابة على هذه المشكلة ، وقد كتب الحاخام راشى معلقا على العبارة الافتتاحية فى التوراه « فى البدء خلق الله السموات والارض » يقول : « ان الله يخبر اسرائيل والعالم انه هو الخالق ، ولذلك فهو صاحب ما يخلق ، يوزعه كيفما يشاء . ولذا اذا قال الناس لليهود أنتم لصوص لانكم غزوتم أرض اسرائيل وأخذتموها من أهلها يمكن لليهود أن يجيبوا بقولهم ان الارض مثل الدنيا ملك الله وهو قد أعطاها لنا » [الارض المقدسة اذن توجد خارج التاريخ ـ جزء من السماء والارض اللذين خلقهما الله قبل بداية التاريخ ، والاله الذى يحل فى الطبيعة والتاريخ هو صاحب التصرف فى كليهما) .

وهذه الحيلة التى أسميها « بالنسبية المقدسة » (لانها تنظر الى تفاصيل التاريخ من وجهة نظر الخالق فتجعلها كلها نسبية ومتساوية الاهمية) هى التى استخدمها مارتن بوبر فى العصر الحديث فى مجال تبرير الاستيلاء الصهيونى على الارض .

وقد حاولت اليهودية الاصلاحية ان تلغى أية اشارات الى الارض والعودة لها فى الصلوات اليهودية ، على عكس اليهودية الارثوذكسية والمحافظة التى تؤكد اهمية العلاقة الازلية

والرابطة الصوفية بين اليهودى والارض . والصهيونية ، بجميع مدارسها (باستثناء الصهيونية الاقليمية) تقوم على أساس تقديس الارض وتصدر عن الايمان بمركزية اسرائيل فى حياة اليهود ، وقد احيى الفكر الصهيونى ثالوث اليهودية القديمة الحلولى : وحدة الله (أو التوراه) بالشعب بالارض .

□ الشعب المختار □

الايمان أن الشعب اليهودى قد « **اختير** » دون الشعوب الاخرى مقولة أساسية فى الدين اليهودى ، فقد جاء فى سفر التثنية (١٤ ـ ٢) « لانك شعب مقدس للرب الهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الارض » . ونفس الفكرة تتواتر فى سفر اللاويين [٢٠ ـ ٢٤ ، ٢٧] انا الرب الهكم الذى ميزكم عن الشعوب » « تكونون لى قديسين لانى قدوس أنا الرب . وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » . ويشكر اليهود فى كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودى ، وحينما يختار أحد المصلين لقراءة **التوراة** عليه لتوه أن **يحمد** الهه لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الاخرى ولمنحه اياه التوراة علامة على التميز .
واختيار الله اليهود هو جوهر **العهد** المبرم بينه وبين **ابراهيم** أبو الشعب اليهودى ، وقد جدد هذا العهد فى **سيناء** بينه وبين **موسى** ممثل الشعب وقائده .

والاختيار حسب بعض التفسيرات ليس بالضرورة دليلا على التفوق وانما هو دليل على التفرد ، ويرى فريق آخر أنه دليل على الاختلاف وحسب ، وينادى فريق ثالث أن الاختيار يعنى زيادة المسئوليات والاعباء « اخترتكم دون كل الشعوب لذا سأحيق بكم عذابى » (عاموس ٣ ـ ٢) . ولكن مهما كان التفسير فان فكرة الاختيار تؤكد فكرة الانفصال عن الاخرين . وقد جاء فى **التلمود** أن بنى اسرائيل يشبهون بحبة الزيتون « لان الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الاخرى ، وكذلك بذو اسرائيل لا يمكن اختلاطهم مع الشعوب الاخرى » . وكثيرا ما يلاحظ أن الانبياء كانوا يعنفون أفراد الشعب لفسادهم الاخلاقى ولاتباعهم طرق الشعوب الاخرى . ولكن الانبياء حتى فى لحظات نقدهم للشعب اليهودى كانوا دائما يصدرون من افتراض اصطفاء الشعب . والله لم يختر اليهود « كشعب » وحسب ؟ بل « وكجماعة دينية » أيضا توحدها افكارها وعقائدها ، وطنها هو التوراة ـ مملكة من الكهنة وأمة مقدسة تتداخل العناصر القومية والدينية بالنسبة لها . وفكرة الاختيار هى أساس التيار اللامعقول الذى يسرى فى اليهودية ، ولذلك حاول كثير من المفكرين اليهود عقلنه هذا المفهوم عن طريق ايراد بعض الاسباب التى يمكن للعقل البشرى استيعابها . وقد كانت عملية العقلنة هذه ضرورية لان أفراد « الشعب المختار » كانوا ينظرون الى أنفسهم فيجدون أنهم من اصغر الشعوب واضعفها ، وانهم لم يكونوا أكثر رقيا منها أو تفوقا عنها . وقد اختلفت محاولات العقلنه من مفكر دينى لاخر ، وفيما يلى بعضها :

١ ـ اختار الله الشعب اليهودى لانه أول شعب يعبد الخالق وحده ، أى أن الله اختار الشعب لان الشعب اختار الله . وقد جاء فى التلمود هذه الكلمات : « لماذا أختار الواحد القدوس تبارك اسمه بنى اسرائيل ، لان بنى اسرائيل اختاروا الواحد القدوس ، تبارك اسمه ، وتوراته » .

٢ ـ عرضت التوراة على شعوب الارض قاطبة فرفضت حملها وحملها الشعب اليهودى وحده (ولنقارن هذه الفكرة بالتصور الاسلامى ، فقد عرضت الرسالة على السموات والارض فأبين أن يحملنها وحملها **الانسان**) .

٣ ـ اختير ابراهيم لنقائه ، وبالتالى اختير اليهود لانهم من نسله (ويبدو أن الثواب مثل العقاب يورث فى اليهودية) .

٤ ـ اختار الله الشعب اليهودى حتى يكون خادما له بين الشعوب وأداته التى يصلح بها العالم ويوحد بها بين الشعوب .

ولكن أكثر التفسيرات تواترا (على الاقل على المستوى الوجدانى) هو ان الاختيار غير مشروط ولا سبب له فهو من ارادة الله التى لا ينبغى أن يتساءل عنها أى بشر ، فهو قد اختار الشعب ووعده بالارض وليس لاى انسان أن يتدخل فى هذا . ويبدو أن الاختيار لا علاقة له بالخير أو الشر ، ولا بالطاعة أو المعصية ، فالشعب اليهودى لا يسقط عنه الاختيار ولو أتى بالمعصية اذ أن حب الله للشعب المختار يغلب على عدالته ولذلك لايمكن ان يرفض الله شعبه كلية فى اى وقت من الاوقات مهما بلغت شرور هذا الشعب ، بل ان احد المفسرين يدعى أن الله هو الذى اختار الشعب اليهودى فالاختيار ملزم له هو وحده وليس ملزما للشعب

(هذا على عكس المفهوم الاسلامى للاختيار حيث يجعل الاختيار مشروطا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما انه ليس اختيارا عنصريا أو عرقيا بل هو اختيار اخلاقى غير قاصر على أمة بالذات بالمعنى العنصرى للكلمة) .

وكثير من الافكار السابقة يصعب فهمها دون الرجوع للفكرة اليهودية عن الحلول الالهى فى كل شىء له علاقة بالشعب اليهودى . فالشعب اليهودى هو **الشخيناه** أو التعبير الانثوى عن الحضرة الالهية ، فقد اختار الله الشعب « وحل » فيه فانتقلت للشعب القداسة . وفكرة الاختيار هى أيضا أساس العلاقة الحوارية التى تسم علاقة اليهود بالخالق وهى العلاقة التى حولت التجربة الدينية من تجربة فردية عمادها الضمير الفردى الى تجربة جماعية عمادها الوعى القومى . ولقد عززت أسطورة الشعب المختار من التيار النبوى فى الفكر اليهودى ، فكل عضو فى أمة الكهنة والقديسين هو تجسيد حى للاله وصوته من صوت الخالق ، أى أنه نبى أو شبه نبى بالضرورة . وقد عززت فكرة الاختيار أيضا من احساس اليهود الزائف بوجودهم خارج التاريخ ، وبان القوانين التاريخية التى تسرى على الجميع لا تسرى عليهم .

ورغم ان اتباع كل دين يرون أنهم على علاقة خاصة بالرب وأنهم مختارين بشكل ما ، الا أن هذا التيار قد تعمق فى اليهودية بشكل شاذ ، ولعل هذا يرجع الى فكرة الاله القومى الواحد القاصر على اليهود دون سواهم . كما ان ارتباط اليهود بحرفتى **التجارة والربا** ، وبتواجدهم خارج عملية الانتاج قد زود التهيؤات اليهودية الطوباوية باساس اقتصادى . وقد عمق **الجيتو** بتخلفه الانسانى والحضارى المتطرف من حدة هذا التيار . ومن الملحوظ أنه كلما ازدادت حال اليهود سوءا كانوا يزدادون اصرارا على فكرة الاختيار [**وعلى توقع مقدم الماشيح**] . وفى العصر الحديث تمرد **دعاة حركة الاستنارة اليهودية واليهودية الاصلاحية** على مفهوم الاختيار بمعناه العنصرى والاخلاقى ، فحاولوا فى بداية الامر الابقاء على الجانب الاخلاقى بحيث أصبح **المنفى** ليس عقابا لليهود وانما تعبيرا عن اختيار الخالق لهم حتى تصبح اسرائيل وسيلة لهداية العالم . ولكن عدل عن هذه الصيغة ومحت اليهودية الاصلاحية أى اشارة للاختيار فى كتب **الصلوات** .

اما اليهودية **المحافظة والارثوذكسية فقد ابقيت** على هذا المفهوم الدينى وعمقته . وتسيطر فكرة الشعب المختار على الفكر الصهيونى بجميع اتجاهاته .. **فسيركين** تحدث عن اليهودى على أنه « البروليتارى الازلى » أما **برانديز** فقد تحدث عنه على أنه « الديمقراطى الازلى » أى أن اليهودى قد اختير منذ القدم ليؤدى رسالة ازلية ـ اشتراكية عن الصهيونى الاشتراكى ، ازلية ـ ديموقراطية ـ ليبرالية عند الصهيونى الديمقراطى الليبرالى .

وقد تسببت فكرة الاختيار هذه فى نشركثيرمن الاوهام والشائعات عن اليهود مثل **بروتوكولات حكماء صهيون والمؤامرة اليهودية الكبرى** .



الثورة الوطنية الديمقراطية

تعتبر الثورة الوطنية الديموقراطية أحد الانماط التى تتخذها الثورة البورجوازية الديموقراطية • غير أن ما يطلق عليه اسم « الثورة الوطنية الديموقراطية » انما هو النمط الذى يحدث - عادة - فى البلدان المستعمرة والتابعة ، وفى فترة محددة هى الفترة الثالثة من الازمة العامة للنظام الرأسمالى •

وهذا التحديد ، فى المكان (البلدان التابعة والمستعمرة) وفى الزمان (الفترة الثالثة من الازمة العامة للنظام الرأسمالى) هو الذى يميز الثورة الوطنية الديموقراطية عن الانماط الاخرى للثورة البورجوازية الديموقراطية .

فابتداء من القرن السادس عشر ، عرفت بعض المجتمعات الاوربية ثورات بورجوازية استاثرت بقيادتها - كليا - البورجوازية ، واتجهت لتصفية أسس النظام الاقطاعى ، انتهت الثورات الناجمة منها الى السيطرة الكاملة السياسية والاقتصادية للبورجوازية على مقدرات البلاد • مثال : (ثورة كرومويل والثورة الفرنسية) •

وفى المراحل الاولى من نشأة وظهور الامبريالية - كنظام عالمى - ظهرت امكانيات موضوعية فى بعض البلدان الرأسمالية (روسيا القيصرية) لكى تأخذ الطبقة العاملة - متحالفة مع الفلاحين - قيادة الثورة من أيدى البورجوازية ، وتواصل السير بها ، لتصفى مخلفات السيطرة الاقطاعية ، وتنمى قوى الانتاج ، وتخلق الظروف - فيما بعد - لتحويل هذه الثورة الى ثورة اشتراكية •

وبعد الحرب العالمية الثانية ، ومع بدء الفترة الثانية من الازمة العامة للراسمالية ، ولد نمط جديد من الثورات البورجوازية الديموقراطية تمثل فى الثورات التى حدثت فى أوربا وآسيا ، والتى عرفت باسم الثورات الديموقراطية الشعبية •

أما الثورة البورجوازية الديموقراطية ، المعروفة « بالثورة الوطنية الديموقراطية » ، فقد تعددت نماذجها وطرقها وقواها المحركة وأهدافها تحت تأثير عوامل داخلية وعالمية • ففى ظل سيادة وهيمنة النظام الرأسمالى العالمى (وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية) نجحت بعض الثورات الوطنية الديموقراطية وفشلت ثورات أخرى .

على أن الثورات التى نجحت ، لم تذهب الى أكثر من تحقيق السيادة القومية ، فى صورة استقلال شكلى ، وعجزت قياداتها البورجوازية عن احداث تغييرات عميقة فى الهيكل الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للمجتمع مثال : (الثورة الكمالية فى تركيا - ثورة ١٩١٩ فى مصر ... الخ).

لكن ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى اطار دولى تميز بتحول الاشتراكية الى نظام عالمى ، وبانحسار الاستعمار ، وتراجع الامبريالية ، ونمو الحركة الديموقراطية العامة فى البلدان الرأسمالية ذاتها ، أتيح لحركة التحرر الوطنى أن تنطلق انطلاقة جديدة • ففى كثير من البلدان التى كانت - فيما سبق مستعمرة أو تابعة - تقدمت قوى اجتماعية جديدة متحالفة لتقود الثورة المعادية للامبريالية والاقطاع . وهذه القوى الجديدة يمثلها بالاساس الفلاحون والعمال والمثقفون الثوريون • وبذلك اكتسبت الثورة الوطنية الديموقراطية مضمونا جديدا ، ونبتت شعارات ومطالب جديدة لم تقف عند تحقيق الاستقلال السياسى ، بل تعدته الى أهداف اقتصادية واجتماعية تقدمية وشعبية •وبالتالى لم يعد هدفها تسليم مقاليد السيطرة الاقتصادية والسياسية للبرجوازية المحلية ، وانما مواصلة التحولات الاقتصادية والاجتماعية لخلق الشروط اللازمة للانتقال الى الاشتراكية •

غير أن الانتقال الى الاشتراكية ، انما يمر من خلال أطوار وسيطة ، تخوض فيها الثورة الوطنية الديموقراطية نضالا لا يتوقف ضد قوى الاستعمار القديم ، وضد قوى الاستعمار الجديد على كافة الجبهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

ويمكن أن نميز - بشكل عام - طورين رئيسيين من أطوار الثورة الوطنية الديموقراطية :

- الاول وفيه تضطلع الثورة بمهام ذات طبيعة ديموقراطية عامة (كسب الاستقلال السياسى - اقامة جهاز دولة وطنى - تنفيذ الاصلاح الزراعى - تصفية العلاقات الاقطاعية فى الريف - تصفية نفوذ الاحتكارات الاجنبية) •

- الثانى وفيه تقوم قوى الثورة بنضال متكامل ومنسق ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد معتمدة على تسليح الجماهير الشعبية باوسع الحريات الديموقراطية ، وتمكينها من المشاركة المتزايدة فى ادارة شئون البلاد ، وتعميق المكاسب الاقتصادية والاجتماعية لمصلحة الشعب العامل •

وكلما عمقت الثورة اجراءاتها خلال هذا الطور الثانى ، أمكن القول بانها تسير فى طريق التطور الرأسمالى وتعبره بنجاح ، لتضع مقدمات الانتقال الى الاشتراكية • الا أن هذا النجاح مشروط بتغيير علاقات القوى بحسم ، داخل المجتمع ، لمصلحة القوى التقدمية فى مواجهة مصالح القوى المتخلفة والرجعية .



التــــــــأميم

Nationalisation

نقل الملكية من الافراد الى « الامــة Nation » اى تحويل الملكية الخاصة الى ملكية عامة . ولقد نبعت فكرة التأميم كاجراء اقتصادى مع بزوغ الفكر الاشتراكى وهو يشكل احد الدعامات الاســاسـية لتحول الاقتصــــاديات الرأسمالية الى اقتصاديات اشتراكية نظرا لان الملكية العامة لوسائل الانتاج تعتبر أحد المقومات الاساسية للاقتصاد الاشتراكى .

ومن الممكن أن يكون التأميم كاملا بمعنى نقل ملكية المشروع كلها الى الامة وبذلك يتحول المشروع كله مــن مشروع خاص Private enterprise الى مشروع عام Public enterprise ، أو قديكون التأميم جزئيابمعنى نقلجزءمنملكية المشروع الى الامة ، وبذلك يتحول المشروع من مشروع خاص الى مشروع مختلط أو مشــترك Loint enterprise وفى الغالب يتم فى هذه الحالة تأميم « حصة سيطرة » أى حصة تتيح السيطرة على قرارات الجمعية العمومية ومجلس ادارة المشروع [٥١٪] .

والتأميم على ذلك يتضــمن عنصرين رئيسيين : تغيير فى شكل الملكية . Form of ownership وتغــــيير فــى وظيفـــة الملـــكية Function of ownership

ويعنى التغيير فى الشكل نقل الملكية من شكلها الفردى الخاص الى شكلها العام بكل ما يترتب على ذلك من تغييرات دستورية وقانونية ، ويعتبر تغيير شكل الملكية تغييرا للاطار الخارجى لها فقط ، ويترتب عليه مباشرة تغيير فى التنظيم الادارى ، ونشوء أشكال تنظيمية ، ومستويات ادارية فى هيكل الاقتصــاد القومى تستوعب الشكل الجديد للملكية وتنظمه مثال ذلك المشروعات العامة ، والمؤسسات العامة والهيئات العامة .

أما التغيير فى وظيفة الملكية فيعنى الانتقال بالملكية من أداء وظيفة خاصـــة تهدف الى تحقيق اقصى ربح ممكن لاصحابها من الافراد أو الشركات الخاصة الى أداء وظيفة عامة تهــدف الى تحقيق أقصى اشباع ممكن للحاجات المادية والمعنوية المتزايدة للامة فى مجموعها طبقا لأولويات تحددها خطة قومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . والتغيير فى وظيفة الملكية لا يقتصر فقط على تغيير هدفها ، بل يمتد بالضرورة الى تغيير العلاقات الانتاجية السائدة فى المشروع المؤمم لصـــــالح العاملين فيه .

وقد يتصور البعض ــ نظــرا لنشوء فكرة التأميم مع الفكر الاقتصادى الاشتراكى ــ أن التأميم كاجراء لا يتواجد الا فى الاقتصاديات الاشتراكية ، غير أن ذلك التصور غير صحيح، اذ تشهد الاقتصاديات الرأسمالية اجراءات تأميم لعديد مــن المرافق العامة والمشروعات الانتاجية ، وهو ما يمكن أن نسميه بـــ « التأميم الرأسمالى » تمييزا له عن « التأميم الاشتراكى » الذى يتوم فى الاقتصاديات الاشتراكية . ويشترك التأميم الرأسمالى مع التأميم الاشتراكى فى تغيير شــكل الملكية بنقلها من ملكية خاصة الى ملكية عامة لكنه يقتصر على ذلك ولا يمتد الى تغيير وظيفة الملكية فى هيكل الاقتصاد القومى ، ويحافظ دون تغيير يذكر على هدف الملكية الرأسمالية وعلاقات الانتاج الســـائدة فى المشروع الرأسمالى . والتأميم الرأسمالى على ذلك يصبح اجراء يساعد على التحــول الى « رأسمالية الدولة » لا الى « الاشتراكية » [أنظر: قاموس العصر ــ الطليعة ، يونيه ١٩٧٤] وغالبا ما تقوم بالتــــــأميم فى الدول الرأسمالية حكومات الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، فمع أول حكومة اغلبيــة عمالية فى انجلترا [١٩٤٥ ــ ١٩٥٠] أممت صناعات الفحم ، والنقل ، والغاز، والكهرباء ، والحديدوالصلب ، والطيران، وبنك انجلترا . وعلى ذلك يمكن القول أنه لا اشتراكية بدون تأميم ، لـــكن التأميم يمكن أن يتواجد بدون اشتراكية .

د. حلمى سلام

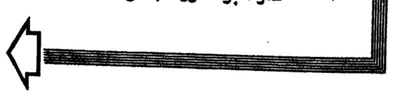


مناقشـــة مجلس الشــعب حــول :

المـــــيزانية والقطـــاع العـــام

فى هذا العدد من « الطليعة » نواصل نشر
المناقشـــات التى دارت فى مجلس الشعب
حول الموازنة والقطاع العام •

ويبـــدأ هذا القسم من الوثائق باستكمال
كلمـة الدكتـــور جمـــال العطيــفى التى
نشر الجزء الاول منها فى العـــدد الماضى •



● **السيد العضــو د. جمــال العطيفى**

ان ٥٠ فى المائة من بدلات التمثيل (يجب) يدفع فى صورة سندات جهاد ، بل اننا نريدأن نبدأ بأنفسنا هنا فى مجلس الشعب فى الاكتتاب فى سندات الجهاد .

ولقد تحدثت فعلا مع بعض زملائى رؤساء اللجان ، وقد ابدوا جميعا استعدادهم لهذا ، حتى قبل أن يصدر تشريع به ليكونوا قدوة لجميع العاملين الذين يتقاضون بدلات التمثيل .

سأنتقل بعد هذا الى نقطة اخرى تناولها تقرير اللجنة الموقرة ولم تتناولها المناقشات حتى الان رغم اهميتها وخطورتها الا وهى موضوع توزيع الارباح على العاملين ، واللجنة مشكورة قدمت مجموعة من الافكار لا يتضح من مضمونها تماما فلسفة اشتراك العمال فى الارباح .

ان طريقة توزيع الارباح الحالية ينتج عنها أن الارباح يحصل عليها العامل وكأنها جزء من المرتب لان كل العاملين يحصلون عليها دون تفرقة بين العامل المجد والعامل المقصر ولا بين العامل الذى بذل جهدا والذى لم يبذل أى جهد ، فجميعهم يحصلون عليها بحد أقصى قدره ٥٠ جنيها وينتظرون الحصول عليها آخر العام كأنها جزء من المرتب وترتب على ذلك انها فقدت الحكمة من وجودها ، وهناك جانب آخر أشار اليه تقرير اللجنة بالنسبة لهذا الموضوع وهو أن هناك شركات تحقق خسارة وقد لا تكون هذه الخسارة بسبب تقصير من مديريها أو من العاملين فيها ، وانما لان هذه الشركات تخضع لنظام التسعير الذى تفرضه الدولة مما قد لا يحقق فائضا لها وهذا صحيح .

ولكن الجانب غير الصحيح فى التقرير هو معالجة هذا الموضوع ، وقد ركز فيها التقرير على قطاع الصناعة بالذات مع ان المفروض أن الارباح توزع فى جميع القطاعات ، وليس فى قطاع الصناعة فقط فهو يرى أن تجمع كل الارباح وتوزع بالتساوى وهذا يشكل وضعا أكثر خطورة من الوضع القائم حاليا ، فنحن نسعى الى ايجاد نظام لتوزيع الارباح أفضل من النظام الموجود حاليا ولكن ما يقترح فى التقرير يجعل النظام أسوأ ، فضلا عن أنه من الناحية الاقتصادية فان ما اقترحه من أن تكون هذه المشاركة شبه الثابتة خمسين فى المائة يتناقض مع ما ذكره التقرير فى موضوع آخر من أن زيادة الاجور تؤدى الى تضخم ، وان ذلك لا يمكننا من تحقيق ما نستهدفه من الحد من الاستهلاك وستكون الاموال السائلة كثيرة وليس لدينا سلع متوفرة تكفى الطلب عليها .

اننى استسمح حضراتكم والسيد رئيس لجنة الخطة والموازنة فى تلاوة ما جاء فى تقرير اللجنة عن مشروع موازنة عام ١٩٧٣ أى العام الماضى ، أن التقرير يقول :

« وتلاحظ اللجنة انه فى ظل اقتصاديات الحرب تجمد الدولة الاجور والدخول تقريبا ، وكل زيادة تأتى للدخول المرتفعة تذهب لتمويل المعركة » .

ثم يشير هذا التقرير الذى تدم فى العام الماضى ، الى أنه فى انجلترا كانت الزيادة فى الاجور أثناء الحرب تعطى فى صورة سندات . هذا كلام اللجنة فى العام الماضى وهو عكس ما جاء فى تقريرها هذا العام ، وعكس ما هو مقترح هنا تماما ، وعلى أى حال فأننى لا أريد الاطالة فى هذه النقطة أكثر من هذا ، وانما أود فقط أن أنبه الى أن نظام توزيع الارباح على العاملين ، نظام دستورى لا يجوز المساس به ، والمادة ٢٦ من الدستور تنص على أن : « للعاملين نصيب فى ادارة المشروعات وفى أرباحها .... » .

وهذه الفكرة لا تقبل المناقشة والاجتهاد ولكن طريقة التوزيع لابد من اعادة النظر فيها حتى لا يتساوى العامل المجد والعامل المقصر ، وحتى يتحقق فعلا الحافز المطلوب من توزيع الارباح ، لان الطريقة التى اقترحتها اللجنة فى هذا الخصوص لا تحقق هذا الهدف اطلاقا ، بل تؤدى الى تحقيق العكس أى انها ضد هذا الهدف .

حضرات السادة الاعضاء :

أود أن أشير كذلك الى بعض ما تناوله كثير من السادة الزملاء خاصا بالاستثمارات الاجنبية والقطاع العام ، وهو ما أشرت اليه فى بداية حديثى وقلت أنه يتصل بالسياسة العامة للدولة ، وانه أمر أيا كان الاجتهاد فيه ، يجب أن يدرس بروية وتؤدة ، مع مراعاة جميع الظروف الاجتماعية والسياسية . لا أن يدلى برأى لا أعتقد انه يمثل رأى اللجنة لانه لم يعرض عليها .

واننى أعود فأقول أن موضوع الاستثمارات الاجنبية ليس محلا للجدل ، وقد أصدرنا قانونا جديدا فى سبتمبر سنة ١٩٧١ خاصا باستثمار المال العربى والمناطق الحرة ، وفى كل مرة تتقدم الحكومة للمجلس ببيانها وتذكر أنه تقدم لها عدد كذا طلب لاستثمار المال الاجنبى والعربى ، وأنها قبلت منها عدد كذا طلب ، والمجلس يوافق على ذلك ويشجع استثمار المال العربى والاجنبى ، وكما يقول بعض الزملاء طالما أن هذا الاستثمار يتم فى اطار خطة التنمية فلا تثريب عليه ولا مجال اطلاقا لأى جدل فكرى حول هذه النقطة ، ولكن السؤال الذى طرح فى جلسة الامس وأثار نقاشا ، وهو الذى أشارت اليه اللجنة فى تقريرها ، هو هل يجوز أن يكون استثمار المال الاجنبى مع القطاع العام ؟ وبمعنى أوسع هل يجوز أن يشارك القطاع الخاص القطاع العام ؟ سواء كان هذا القطاع الخاص عربيا أو أجنبيا بصفة عامة أو محليا ؟

وأنى أعتقد أن ذلك من الجائز لسبب بسيط وهو أن قانون المؤسسات العامة الذى وافقتم عليه حضراتكم فى سنة ١٩٧١ ، ينص صراحة على هذه الصورة فى صور الشركات العامة التى يساهم فيها راس المال الخاص ، وينص فى هذه الحالة على أن الشركة تعتبر من شركات القطاع العام ، أيا كانت نسبة مساهمة رأس المال الخاص فيها .

وأنى شخصيا أعتقد أن ذلك يعد ضمانا لحسن استثمار رأس المال الاجنبى وتوجيهه ، ولذلك أفضل أن يعمل مع القطاع العام حتى يكون تحت سيطرته ، اعمالا لاحكام الدستور والميثاق ، ولكن المشكلة التى أثارت النقاش حول هذا الموضوع ، هى النتائج التى وصل اليها تقرير اللجنة ، والتى لا يمكن قبولها . فقد وصل التقرير الى نتيجتين فى غاية الغرابة :

النتيجة الاولى : هى اشتراك راس المال العربى والاجنبى فى تمويل الصناعات الثقيلة ، وهذه نتيجة اقتصادية غير متصورة وردت فى تقرير اللجنة تحت عنوان مشكلة الاختناق فى النقد الاجنبى بالصفحة رقم ٢٦

ولهذا فان الضرورة تحتم على الحكومة أن تختار مشروعاتها الاستثمارية التى تضيق من الثغرة السابقة ، ويكون ذلك على اساس زيادة صادراتنا عن وارداتنا بمعدلات اكبر ، واشتراك رأس المال العربى والاجنبى فى تمويل الصناعات الثقيلة .

واننى لا أعتقد البتة أن مصلحة رأس المال الاجنبى الذى ينشد الكسب السريع أن يستثمر فى الصناعات الثقيلة لانه ليس من طبيعته أن ينتظر النتائج لمدة طويلة تتصل الى عشرين سنة فهو يبحث دائما عن العائد السريع المربح ، هذا فضلا عن أن رأى اللجنة يتناقض وكون الصناعات الثقيلة هى القاعدة الاساسية للاقتصاد القومى ونحن حريصون كل الحرص الا نسلمها لراس المال الاجنبى اصلا ، علما بان هذه الاستثمارات يمكن توزيعها على الصناعات الاخرى كيفما نريد بحيث نستطيع الافادة منها أكثر ، وبالنسبة للصناعات الثقيلة فاننا يمكن أن نستعين فيها بالخبرة الاجنبية بطبيعة الحال ولكن لا يكون رأس المال الاجنبى شريكا منافسا ويشترك فى تصدير الحديد والصلب والالومنيوم للخارج مثلا عندما يتم انشاء مجمع الالمنيوم ، والا فمتى اذن نستقل اقتصاديا ؟

المقرر :

ان روسيا نفسها سمحت بذلك .

السيد العضــو الدكتور جمال العطيفى :

لا أود الدخول تفصيلا فى مناقشة

النموذج المتبع فى الاتحاد السوفيتى لان الموقف فى الاتحاد السوفيتى مختلف تماما فليس هناك شركات تنشأ بمشاركة أجنبية ولكنها اتفاقيات تمويل وتوريد معدات كالطريقة التى بنينا بها السد العالى بمعنى أن يتم الاتفاق مع احدى الشركات التى تقوم بتوريد الالات وتقديم التسهيلات الائتمانية والخبرة المطلوبة وأحيانا يعطى الاتحاد السوفيتى هذه الشركات جزءا من الناتج بمعنى أن التسديد يتم عن طريق الناتج ، وهذا النظام يختلف عن نظام المشاركة فى الاستثمار ذاته ، وان كنت لا أذهب الى حد أنه يتناقض حقا مع التحول الاشتراكى ، اقول ذلك لاكون دقيقا فعلى سبيل المثال فان رومانيا صدر بها قانون سنة ١٩٧١ خاصا باستثمار المال الاجنبى وهذا القانون ينص على اقامة شركات مشتركة برأس مال رومانى قدره ٥١ فى المائة ورأس مال اجنبى قدره ٤٩ فى المائة • ورومانيا بلد ماركسى ما فى هذا شك ، وأيضا هذاالنظام معمول به فى يوغوسلافيا وان كنت لم أرد أن أضرب المثل لان هناك من قد يرى انها وضعت لنفسها طريقها الخاص للتحول الاشتراكى •

وعلى أى حال فهذه الامثلة للتوضيح لا للاقتباس ، لان لكل بلد ظروفه ، ويكفى أن أقول انه من الناحية العملية والاقتصادية والوطنية ليس من المعقول ان يستثمر رأس المال الاجنبى فى الصناعات الثقيلة •

والنتيجة الثانية الاكثر خطورة والتى أشار اليها تقرير اللجنة هى التصرف فى أسهم شركات القطاع العام سواء ببيعها الى قطاع خاص وطنى أو أجنبى ، وكما قال السيد الزميل عبد الحميد صالح وكان موفقا فيما قاله انه من الممكن دراسة هذه الفكرة بالنسبة للمشروعات المستقبلة فيمكن القول انه بالنسبة للمستقبل يمكن أن يشترك القطاع الخاص مع القطاع العام فى اقامة شركات بنظام اقتصاد مختلط ، ونحن لدينا أمثلة على هذا فالقطاع الخاص يشترك فى شركة الحديد والصلب حتى اليوم ولعل الكثيرين لا يعلمون هذا وهناك أكثر من شركة يشترك فيها قطاع خاص وهى تعتبر طبقا لقانون المؤسسات العامة من شركات القطاع العام ومن الممكن مستقبلا انشاء هذا النوع من الشركات مادام ذلك يتم فى اطار خطة التنمية ومع سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والسيطرة غير الملكية بالكامل وطالما أن هناك مدخرات متوفرة فى أيدى الناس فلابد أن نعبئها ونوظفها وليس هناك أى حظر على هذا اطلاقا ولا يمكن لاى ادعاء ان يقول بأن هذا فيه مخالفة للاشتراكية •

ولكن ان يعرض رأى بطرح اسهم شركات القطاع العام الحالية للبيع فهو ما لا نقبله •

وانى لا أريد أن أناقش هذا الرأى من الناحية الفكرية ولكن حتى من الناحية العملية والاقتصادية فهو أمر غير مستساغ فشركات القطاع العام اما أن تكون شركات رابحة وبهذا الرأى كاننا نريد ان نخربها ، فمن يبيع شركةرابحةمن شركات القطاع العام الى رأسمال خاص ، قد يعرض للمحاكمة فورا لانه يخرب بذلك الاقتصاد الاشتراكى • ولكم أن تتصوروا ما يحدث لو ان شركة قطاع عام تربح ويصرف منها على الخدمات المختلفة ، تعليمية ، وزراعية ، وطرق ، وانارة •• الخ ثم نبيعها لكى يحصل عليها الرأسماليون •

وأما الفرض الثانى أن تكون شركة خاسرة ، والنتيجة العملية أنه لن يقبل أحد على شراء أسهمها فكيف نتصرف فيها ؟

ولهذا فاننى أحمل ما جاء بالتقرير على المعنى الذى يمكن قبوله عقلا وهو أن المقصود به الشركات المستقبلة •

وانى أؤكد لحضراتكم انه لولا وجود القطاع العام لما استطعنا فعلا أن نخوض معركتنا فى ٦ اكتوبر بهذه الكفاءة العالية ويكفى ان نعلم أنالصناعات الحربية التى كانت موجهة كصناعات مدنية أمكن تحويلها بسرعة الى غرضها الاصلى فى الانتاج الحربى ، ويكفى أن نعلم أن قطاع التشييد بالكامل كان فى خدمة المعركة ، وان الدشم كانت تبنى فى ساعات قليلة بسواعد العمال ، وبادارة القطاع العام ، ويكفى أن نعلم ان وسائل النقل جميعها وضعت تحت تصرف القوات المسلحة •

فلقد كان للقطاع العام والتحكم فى توجيهه فضل كبير فى أن نخوض معركة ناجحة •

(تصفيق)

ولو أننا أخذنا كل اقتراح من هذه الاقتراحات التى وردت فى هذا التقرير على حدة لامكن الا نثير أى قلق ،ولكن الذى يدعو الى القلق هو أن مجموع هذه الاقتراحات معا يمثل اتجاها وفكرا لا نوافق عليه • وشكرا •

(تصفيق حاد) •

المقرر :

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

عندما تقدمنا للمجلس بالتقرير المعروض على حضراتكم كانت مناقشتنا فيه مناقشة موضوعية هادئة حسب الارقام المتاحة ، ولم آت بأى شىء منها من عندى اطلاقا ، وقد ظلت اللجنة تعمل طوال العام على القطاع العام ، ولقد انصفناه – رغم ظروف المعركة – بما لم ينصفه أحد خلال هذا العام ، ولم نضع أية أرقام ضده • ويتضح لحضراتكم هذا من تقرير اللجنة •

ولنبدأ من اتهام الدكتور عبد العزيز حجازى لى باننى لم أذكر – بالامس ميزانية عام ٧١ – ١٩٧٢ وتحدث عن كفاءة الجهاز الادارى عنده ، وكيف ان الفرق بين الربط التقريرى والفعلى هو ١ فى المائة فقط ، وهذا اتهام خطير للجنة ، انها تخفى الارقام •

وأنا اليوم أقدم وثيقة رسمية فقد قدم السيد نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية فى ديسمبر سنة ١٩٧٢ البيان المالى عن مشروع الموازنة العامة للسنة المالية للدولة عام ١٩٧٣ جاء فى الصفحة الثانية منه عن الاجور ما يأتى :

« بلغ المنصرف الفعلى للاجور عن السنة المالية ٧١ – ١٩٧٢ مبلغ ٤٣٤ر٥ مليون جنيه من ربط سنوى قدره ٤٥٩ر٧ مليون جنيه » •

اى أن الفرق فى الربط فى عام ٧١ – ١٩٧٢ هو ٢٥ مليون جنيه •

وحينما ذكرت بالامس أنه لم يكن أمامى الا بعض ارقام عن قطاع التمويل حيث يوجد فرق ٨ مليون جنيه والقطاع الاخر ٢ مليون جنيه ، لم أكن اقرر الا الحقيقة للمجلس ، وأنا اليوم أطلع المجلس على تقرير رسمى قدمه الدكتور حجازى بنفسه للمجلس • وأرجو بهذه المناسبة السيد الدكتورعبد العزيز حجازى أن يطلب اجراء تحقيق مع موظفيه ••

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

وأنا أيضا لا أقرر الا الحقيقة للمجلس ••

المقرر :

اننى أقول ان الدكتور حجازى لا لوم عليه فى شىء ، فلقد قدمت اليه بيانات غير صحيحة فقام بالقائها أمامنا فى المجلس – فهو معذور ، انما كان يجب أن يطلب التحقيق فى هذه البيانات التى قدمت اليه من موظفيه المختصين ، لانه رجل كفء ويقوم بعمله بنجاح •

وكنت أود أن نجتمع سويا لنتفاهم على مدى صحة هذه البيانات ، فلا محل للغضب اذن •

فلقد وردت للجنة أرقاما قمنا بتحليلها وقد ذكرناها للمجلس كما وردت الينا •

واذا لم أذكرها للمجلس فماذا سأقول ؟

لقد اجتمعت اللجنة ودعينا السيد نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية لحضور اجتماعها ، كما اجتمعت اللجنة مرتين خلال اسبوع لوضع التقرير ، وكان يجب ان تتاح أمامها الفرصة التى كفلها لها الدستور وهى شهرين وان تأتى اليها البيانات اعتبارا من أول نوفمبر •

لقد قلنا أننا فى حالة حرب فالتزمنا بان ننتهى من وضع التقرير فى مثل هذه

الظروف الضيقة ، الامر الذى تطلب أن تعمل اللجنة ليلا ونهارا ، وكانت عملية وضع التقرير عملية انتحارية ، وبعد ذلك نلام على ما قلنا •

رئيس المجلس :

ليس فى المناقشة لوم ••

المقرر :

انتقل الان الى النقطة التى أثارها الدكتور جمال العطيفى حيث ذكر سيادته انتى لم اشر الى أن هذه الخطة تخص السنة الثانية من الخطة العشرية وما الى ذلك

فاقول ان المفروض بحسب القانون الذى أصدرناه فى عام ١٩٧٣ الخاص بالخطة ، انه يجب أن يعرض اطار الخطة العشرية أو الخمسية على المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، ثم يحال الى مجلس الشعب لاقراره ويصدر بقانون .

فهل تم هذا ؟ كلا ، لم يتم ، ومع ذلك يحاسبنى الدكتور جمال العطيفى على شىء لم ياخذ بعد الشكل القانونى بل من الممكن التعديل فى هذه الخطة العشرية أو الخمسية الى أن يتم اقرارها حسب ما ورد فى القانون •

فكيف نناقش شيئا لم يعتمد بعد من الجهات المسئولة ؟

كذلك عاب علينا الدكتور جمال العطيفى ما اقترحته اللجنة من توزيع الارباح على العمال بنسبة ٥٠ فى المائة مما يرفع من قيمة المبالغ التى سيحصل عليها العمال .

ويبدو أن الدكتور جمال العطيفى لم يتبين تماما ما تقصده اللجنة ، اننا حينما كنا نتكلم بالامس عن العائد من القطاع العام ، ورد ذكر قطاع الصناعة فلا يلومنى الدكتور جمال العطيفى حينما أذكر البيانات التى تتعلق بقطاع الصناعة لان هذه البيانات كانت جاهزة ومقدمة للجنة من وزارة الصناعة فى تقرير نهائى حتى ٣١-١٢-١٩٧٢ .

فنحن نشكر القائمين بالعمل فى هذا القطاع على هذا الجهد . وقد تبين من هذا التقرير ان الفائض يبلغ ١٠٤ مليون جنيه .

وقد قلنا انه لم تحسب بعض فوائد وكان يجب أن تحسب بطريقة مضبوطة ثم تستقطع من الفائض .

ثم قلنا بعد ذلك انه يجب أن تحسب أقساط القروض وتستبعد أيضا من الفائض ، كما يجب أن يكون هناك حساب احتياطى لارتفاع أثمان الاصول ، فأسعار اليوم ترتفع بشكل كبير ، ومعدل التضخم العالمى يسير بنسبة ١٠ فى المائة ، ومع ذلك لم يعمل حساب الا مبلغ ٥ر٥ مليون جنيه لمواجهة ارتفاع أسعار الاصول ، وكان يجب أن يرتفع هذا المبلغ الى ١٢٠ مليونا على الأقل بالنسبة للاصول الثابتة الموجودة بقطاع الصناعة - طبقا لما حسبناه - حتى يمكن تجديد هذه الاصول حسب الارتفاع الجارى فى هذه الاسعار ، والا فان القطاع العام الذى نتباكى عليه اليوم سوف يعجز بعد ٣ أو ٤ سنوات من تجديد آلاته ، بسبب عدم توفر الاحتياطى الكافى •

اننى اقول أنه يجب على وزارة المالية الا تأخذ فائض القطاع العام أولا بأول ، لان ذلك يؤدى بشركات هذا القطاع الى أن تقترض كى تسدد أقساط ما عليها من قروض ، ومعنى ذلك ان الشركة سوف تقترض من البنك التجارى بسعر ٦ فى المائة أو ٧ فى المائة مما يؤدى الى ان تتضخم مشكلة السيولة لديها ، وهذا كان واضحا فى كل الشركات الموجودة فى القطاع العام ، فهى غير قادرة ، وأربحها تظهر ضعيفة ، أو خاسرة • ويرجع السبب فى ذلك الى عدم تطبيق القانون •

ان الحكومة لا تطبق القانون ولا تترك لهذه الشركات أقساط القروض ••• فعندما قالت ان فائض وزارة الصناعة بلغ ٥ر١٠٤ مليون جنيه ، لم يكن هذا المبلغ يمثل حقيقة الفائض ، بل ان هذا المبلغ هو فائض اجمالى لم يستبعد منه بعض الفوائد واقساط القروض واحتياطى ارتفاع الاسعار وقد قامت شركات وزارة الصناعة باحتساب حصة العمال أى بنسبة ٢٥ فى المائة من هذا الفائض الاجمالى أى أن العمال - فى هذه الحال - يحصلون على ٢٦ مليون جنيه تقريبا من رأس المال وليس من الارباح ، لانه لا توجد أرباح حقيقة .

ان الاستقطاعات التى كان يجب أن تستنزل من الفائض ، فوائد وأقساط قروض واحتياطى ارتفاع أسعار بلغت ١٩٠ مليونا ، فى حين أن الفائض الاجمالى ١٠٤ ملايين جنيه أى أنه ليس هناك فائض حقيقى .

اننى أطالب بضرورة تدعيم القطاع العام حتى ينهض ويرتفع مستواه الى نفس مستوى الشركات المساهمة العالمية .

وذلك بأن تحتجز أقساط القروض ، والفوائد الحقيقية على القروض التى أخذت . وبعد تدبير احتياطى ارتفاع الاسعار فيكون الباقى هو صافى الربح ، أو الفائض الحقيقى للقطاع العام • أما الحالة القائمة فلا يوجد لدينا صافى ربح ، ويوم أن يقوم القطاع العام بتسديد الفوائد وأقساط القروض ستزيد الانتاجية لدينا زيادة كبيرة جدا وهنا نقول خذوا الـ ٥٠ فى المائة ونحن راضون •

لن يوجد اطلاقا أى تضخم بل سيبقى هناك وضع يؤدى الى زيادة وتدعيم الانتاج زيادة كبيرة ، فالعمال اذ يحصلون على نسبة الـ ٥٠ فى المائة فهذا يوضح الجهد الكبير الذى يبذل فى هذا . ويجب علينا ان نقوم باصلاح القطاع العام ومنحه هذه الفرصة وهذا كله لن يؤدى الى التضخم على الاطلاق ، وليس هناك أى تناقض مع ماسبق قوله ..

يقول الدكتور جمال العطيفى أنه ما كان يجب اطلاقا اثارة هذا الموضوع بلجنة الخطة والموازنة وهى اللجنة التى قامت باعداد التقارير التى تبين المراكز المالية الخاصة بشركات القطاع العام خلال السنة الماضية ، وامتدحها الدكتور جمال وحضراتكم جميعا لماذا لم يقل انه ليس من حق اللجنة أن تنظر هذه المسائل ؟

السيد العضو جمال العطيفى :

ان من حقى ان اصحح أية واقعة لم اقلها طبقا للائحة الداخلية للمجلس .

المقرر :

من حق كل عضو ان يبدى أى اقتراح وكذلك اللجنة لها ان تبدى أى اقتراح تريده ، ومن هنا أقول كيف لا يطرح على اللجنة بحث شئون القطاع العام واستثماراته ؟ هل نترك القطاع العام يعانى من نقص فى السيولة والخزانة مرتبكة وتلجأ الى اقتراض مصرفى لا داعى له ، ان اللجنة تقترح وسيلة بديلة عن هذا الاقتراض المصرفى الذى ورد فى الموازنة نفسها - ونحن فى حالة حرب ويتعين علينا مساعدة البلاد بآرائنا وتوجيهاتنا - وهى أنه يمكن أخذ أسهم الشركات الرابحة ، وعرضها للبيع فنحصل بذلك على عملة أجنبية لتشغيل الطاقات العاطلة فى القطاع العام وذلك بدلا من اللجوء الى الاقتراض المصرفى •

فلو وردت الينا عملة أجنبية بسيطة جدا ، يمكن من طريقها تشغيل شركة معطلة هنا او هناك ، مما يجعلها تربح وتزيد ارباحها زيادة كبيرة جدا علما بأن نصيب الاجانب الذين سيساهمون فيها معنا بسيط ، وبذلك نرفع من ارباح القطاع العام وبالتالى ارباح العمال ، الامر الذى يؤدى فى النهاية الى رفع امكانات البلاد .

اننا اذن ندعم القطاع العام ، ولسنا ضده ، بل بالعكس فاننا ننصفه •

انتقل الان الى نقطة أخرى اثارها الدكتور جمال العطيفى وهى الخاصة بكيفية توزيع الارباح على جميع العمال سواء فى الشركات الخاسرة أم فى الشركات الرابحة .

ان هناك شركات فى القطاع العام تنتج سلعا شعبية مطلوبة للجماهير ، وتقوم الحكومة حماية للمستهلكين لهذه السلع الشعبية بتسعير هذه السلع بثمن يقل عن تكلفة انتاجها .

ومعنى ذلك أن مثل هذه الشركات لابد أن تخسر ، ولكن هذه الخسارة محسوبة ومقدرة مقدما .

اننا ننادى بضرورة بيع بعض المنتجات كما يحدث فى الدول الاشتراكية الاخرى بأقل من التكلفة ، فدولة مثل تشيكوسلوفاكيا تبيع معاطف وملابس الاولاد بأقل من سعر التكلفة . لماذا ؟ لان الدولة تريد أن يعيش مواطنوها فى صحة جيدة ببيع هذه الاصناف بأسعار اقل

من التكلفة فالشركة التى تقوم بهذا لابد أن تخسر ، ولكن خسارتها محسوبة ، لو زادت عن ذلك سيقال أن هناك خسارة زائدة وان الشركة لم تحقق الهدف من هذه العملية . واذا كان من المقدر أصلا أن تخسر مثل هذه الشركة مبلغا معينا فما ذنب عمال هذه الشركة أذن ؟ لا ذنب لهم .

وهناك شركة أخرى تغطى بالكاد تكاليفها ، وهناك شركة ثالثة خاصة بانتاج الحرير والملابس الكمالية وهذه الشركة تربح أرباحا كبيرة نتيجة ارتفاع أسعار منتجاتها اذ يصل سعر متر الحرير مثلا اربعة جنيهات ، أو أكثر حسب ظروف العرض والطلب وبالتالى فعمال هذه الشركة هم وحدهم سيحصلون على هذه الارباح الكبيرة ، وهذا وضع غريب جدا ؟ فكيف نجعل أرباح كل شركة محصورة فى عمالها ؟

ان الدولة هى التى تحدد أسعار المنتجات التى تعرض فى الاسواق ، ويدخل فى تحديد هذه الاسعار احيانا نوع من الضريبة ، فهل نعطى هذا الفرق وهذه الضريبة لعمال شركة معينة ؟

ان العدل يحتم أن نجمع أرباح القطاع العام كله ، ونوزعها على جميع العمال المشتغلين فيه .

هذا هو الذى أشرنا اليه فى تقرير اللجنة ، فالارباح يجب أن توزع على جميع العاملين بالقطاع العام أما الاجر فيجب ان يتناسب مع الانتاجية .

ان اللجنة لم تقصر فى هذا .

أما بالنسبة لاشتراك رأس المال الاجنبى فى الصناعات الثقيلة فأود أن أشير بهذه المناسبة الى أنه يقام حاليا مجمع لصناعة الحديد والصلب فى مدينة بردو - أوديجون - بفرنسا بتكاليف تقدر بمبلغ ٦٠٠ مليون جنيه ، ويشترك الاتحاد السوفيتى فى توريد بعض الالات والمهمات له .

فما معنى هذا الاشتراك ؟ وبأى مقابل ؟ لابد أن الاتحاد السوفيتى سيحصل على عائد نتيجة لذلك .

هذا العائد - كما قال الدكتور جمال العطيفى - يشكل جزءا من المنتجات ، ولدينا نوع من هذا الاشتراك ، فالمانيا الشرقية مشتركة معنا فى اقامة مصنع بشبين الكوم وتحصل على جزء من ناتج هذا المصنع وفاء لثمنه .

فالامر ليس صعبا على الاطلاق ، ومن الممكن أن تسير أمورنا فى هذا المضمار على هذا الوضع . ما هو الشىء الذى ننظر اليه ؟ ليس لدى ابتداع فكرى ، انما اريد تأصيل الوضع تماما .

توجد لدينا شركات قطاع عام ، ويوجد جزء للقطاع الخاص فيها - ولقد نادى الميثاق باستثمار رأس المال الخاص فى ظل القطاع العام - هناك على سبيل المثال شركات قطاع عام مثل : راكتا ، وكيما والورق الاهلية ، أى أنه يوجد هناك عدد من الشركات لها اسم فى السوق ومن يرغب فى شراء أسهم منها يمكنه ذلك .

اننى لم آت بجديد وكل ما اقوله انه يمكننا بيع جزء من الاسهم للاجانب . أو للعرب مما يعود علينا بالعملة الاجنبية التى يمكننا بها تمويل هذه الشركات بأرخص السبل . فالمبدأ ليس جديدا ولم آت بأى ابتداع فكرى انما هو وضع قائم ، وشكرا .

(تصفيق)

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

الحقيقة أننى لا أريد أن أضيع وقت المجلس فى مسائل فنية فى القياس ، ولا أعتقد أننى من الوزراء الذين يأخذون الارقام ويعرضونها دون مناقشة ، وبالتالى فلو أن البيان المالى يقرأ بامعان فسوف لا يتردد الكلام عن الاجور ، فهناك فى صفحة ٢٠ منه تقرير متابعة عن عشرة شهور ، وذلك من واقع البيانات التى تصل من الجهات المختصة ، ولعلمى اليقين بأن هذه البيانات ليس بالضرورة أن تعبر عن كل الارقام الحقيقية والواقعية ، لانه لكى نتصور اجراء متابعة مالية على مستوى الدولة - ونحن نعرض تقريرا يعطى فكرة حتى آخر اكتوبر ، بينما الميزانية تعرض فى أول نوفمبر ، لابد من وجود عمليات استكمال لحسابات وتسويات ، انما لكى نعايش المجلس باقرب ارقام الى الحقيقة ساترا سطرا واحدا فى منتهى الدقة من ناحية الصياغة وليس ذلك دفاعا عن البيان ولكن ردا على ما يردده الدكتور أحمد أبو اسماعيل ، خاصة وأننى كنت أتوقع أنه ربما يصطاد احد الارقام ويبنى عليها ، لذلك ورد فى صفحة ٢٠ سطرا يقول « الا أن ما سوف يتحقق عن طريق الاستخدامات فى الشهرين الاخيرين من العام سوف يعوض نسبة التنفيذ التى تبدو منخفضة نسبيا» ومعنى ذلك أننى أقول أن الارقام الموضوعة فى تقرير المتابعة تبين أن نسبة الانفاق منخفضة ، وهذا غير حقيقى ، لان هناك فى الحكومة وحدها - ويعلم الدكتور أحمد أبو اسماعيل ذلك - ٨٠٠ وحدة حسابية ، عدا الارقام الواردة من ٤٠٠ شركة على الاقل ، عدا ٨٠ هيئة ومؤسسة ، فكون الحكومة تعرض تقرير متابعة حتى آخر اكتوبر ، أمر كان يمكن اسقاطه نهائيا وعدم التقدم به ، لانه ليس من السهل - ومازلنا حتى اليوم نعمل باليد - أن نقدم ارقام متابعة حتى هذا التاريخ .

ولذلك تحفظت وقلت أن الارقام معلقة على تسويات يجرى اتمامها ، وان الحكومة مستمرة فى اجراء تسويات حسابية طبقا لقواعد الميزانية ، وقوانين الحسابات ، لمدة ثلاثة أشهر بعد قفل السنة المالية ، وأظن أن الاخوة الذين يعملون فى الحكومة والقطاع العام يعلمون أن التسويات الحسابية طبقا للقانون تستمر مفتوحة لتسويات مختلفة فى خلال هذه الفترة وبالتالى فان الحكومة عندما تكتب كلمة فى تقرير فهى صادقة وامينة ، وهذا التحفظ الواضح الذى ورد فى التقرير الخاص بالمتابعة يدل على أن نسبة التنفيذ منخفضة ، وأننا لا نصدقها ، لان هناك تسويات سوف تتم ، فهل ننسى هذا السطر الهام ونأخذ برقم آخر ونبنى عليه ؟ .

لنرى الرقم الذى بيناه فى الاجور ، والذى دائما ما نعيد النظر والكلام فيه ، هناك معادلة ، سنأخذ بالارقام الفعلية لعام ٧١ - ٧٢ مضافا اليها حتميات سنة ٧٣ ، مضافا اليها توقعات سنة ٧٤ ، معنى ذلك أن كل شىء بالحساب . وبالتالى ارجو أن يتنازل الدكتور أحمد أبو اسماعيل ويقتنع بالاسلوب العلمى الذى نطبقه فى تقديرات الموازنة العامة .

هذا هو الجانب الاول الخاص بالاجور ولا أريد أن أتناوله بأكثر من هذا .

ثانيا : تعرض تقرير اللجنة للقطاع العام ويؤسفنى أيضا للمرة الثانية أن أقول أنه اعتمد ، لا على البيان المالى وحده - وهذا شىء نرحب به - ولكن على بيان صدر من وزارة الصناعة عن واقع هو تحليل الحسابات الختامية لنتائج الاعمال للعام ٧١ - ٧٢ ، ومعروف فى علم المحاسبة أنه لكل نوع من الحسابات طريقة للتحليل وغرض ، فالاغراض كثيرة ، فقد أحلل لغرض تحديد الربح بطريقة ، وأحلل نفس الارقام لغرض دراسة اقتصادية لمعرفة الدخل القومى والناتج القومى وقد أحلل نفس الارقام لغرض تقييم الاداء ، فالتقارير لابد أن تقرأ بالاتصال بهدف معين ، لا أن نأتى من وسط الارقام ونستنتج ، فلا علاقة لتقرير وزارة الصناعة بالبيان المالى .

اننى حينما تابعت مساء الامس تقرير لجنة الخطة والموازنة ودخلت فى التفاصيل وجدت استنتاجات رهيبة ، محاسبيا خاطئة ، لماذا ؟ لقد ذكر الاخ محمد رشوان بالامس انه سمعنى فى سنة ١٩٦٨ أقول فى برنامج للقادة الاداريين عن تقييم القطاع العام ، أنه ببساطة عندما أممنا الشركات وجمعنا كل ثلاث أو أربعة منها فى شركة ، وجمعنا الاصول التى هى ممتلكاتها والديون والالتزامات وركبنا ميزانية لها فان هذه الميزانية لا تمثل مواقف اقتصادية حقيقية . نحن نرى فى شركة كالحلة مثلا أن الاصول الثابتة التى تعمل وتخرج انتاجا اليوم ، قيمتها جنيها واحدا ، لانها استهلكت على الورق ، دفتريا . بينما الحقيقة أن

الدولة تملك فى هذه الشركة مئات الملايين الجنيهات •

لقد كان المفروض ليكون ما ورد فى تقرير اللجنة كلاما صحيحا عن الاقتصاد الحقيقى ، وليس حشوا ، أن نقيم أصول وممتلكات القطاع العام ما دمنا نتكلم عن ارتفاع أسعار الاصول الثابتة ولابد أن نحجزها من الارباح التى تتحقق فى هذه الايام ، لقد كان الاولى قبل أن نبحث عن ارتفاع أسعار الاصول ، وتحديدها ، أن نعرف قيمة الاصول التى نملكها ، وهنا ورد فى البيان المالى ، وقبلها فى أكثر من بيان أننا نقوم بعملية اعادة تقييم للاصول المملوكة ، حتى تعرف الدولة ما تملكه فى القطاع العام • ولو رجع أحد الى النظام المحاسبى الموحد الذى وضعته الدولة لوجدناه يقول نفس هذا الكلام • يقول أنه عندما تصل الاصول الى الصفر تبدأ ثانية فى التقييم ، أما أن نقول « لا تقربوا الصلاة ••• » ونصمت ، فهذا أمر لا يجوز ، لانه لو قيمنا أصول الشركات وبيناها على حقيقتها ، فنجد ما نسميه فى المحاسبة ـ واسمحوا لى أن أقول هذا ـ الاحتياطى السرى ، فعندما تستهلك الاصول وتبدو قيمتها فى الميزانية جنيها واحدا بينما تملك الاصل الذى يصل ثمنه اليوم خمسة الاف أو عشرة الاف أو مائة ألف جنيه ، فان هذا يعتبر احتياطيا سريا ، ولابد من كشف هذه الاحتياطيات السرية حتى يكون التحليل الذى عرضه الدكتور احمد ابو اسماعيل سليما اما أن

نأخذ أرقام ميزانية ، نسميها دفترية تاريخية ، ونحسب أرباح هذه السنة ثم نطالب باظهار احتياطى ارتفاع الاسعار ، فهذا عرض ، اسمحوا لى كأستاذ محاسبة متخصص أن أقول ، أنه لا يقبل • لا يمكن أن نأخذ أرباح القطاع العام والفوائد واحتياطيات فروق الاسعار الخاصة بالاصول المملوكة ، ثم نقول بعد ذلك أمام العالم ، أن القطاع العام خسران ، ونعطى الفرصة للتشكيك فيه •

اننى أؤكد أنه لولا القطاع العام فى مصر خلال السنوات الماضية ما كان يمكن للاقتصاد المصرى أن يستوعب كل الصدمات التى واجهته وأن يحقق فوائض تصرف ـ كما قال بحق الدكتور جمال العطيفى ـ للانفاق على الخدمات وعلى التنمية •

(تصفيق) •

وبالتالى فاننى أرجو فى المسائل الفنية الا نأخذ الجزء ونبنى عليه ، لقد قرأت تقرير لجنة الخطة والموازنة تفصيلا بالامس ـ لانه لم تكن قد أتيحت الفرصة لى لقراءته قبل ذلك ـ فوجدت أنه اعتمد على أرقام ليست موجودة فى البيان المالى ولم يشر اليها فيه ، والواردة وسط تقارير تصيرها الحكومة ، حللت بطريقة خاطئة أيضا ، وهى أن القطاع العام ـ كما هو ثابت فى التقرير ـ لايحق الا ٢ فى المائة وأنه خسران ، ولابد لذلك من أن يشارك القطاع الخاص فيه ، اننى أكرر أن الاحتياطيات والمخصصات والفوائض فى القطاع العام تصل فى العام الى ٥٠٠ مليون جنيه وليس ١٠٤ ملايين فقط ولو دققنا فى تقرير وزارة الصناعة الذى اعتمدت عليه لجنة الخطة والموازنة فى وضع تقريرها لوجدنا أن الامكانيات التى يحققها القطاع العام هى التى مكنت من قدرة وقوة الاقتصاد المصرى ، لذلك أرجو عند عرض ومناقشة المعلومات والبيانات أن يكون عرضها ومناقشتها بكل مقوماتها ، لا أن نطبق نظرية على الارباح أو على نقطة فرعية ونترك الاصل الذى يجب أن يكون الكلام كله مبنى عليه ، لان هذا أمرا لا يستقيم •

وبالتالى فنحن نرحب كل الترحيب بأن نناقش المسائل التفصيلية وأن نوضح لجماهير الشعب حقيقة القطاع العام • انه لا مصلحة لاحد فى اخفاء الحقائق لذلك فاننا نحاول دائما أن نكشف كل أمر ونبين خسائر كل شركة أو هيئة أو مؤسسة ، وأضرب مثالا لذلك بما سمى « بالاعانات المستترة » •

كيف ننمى الاقتصاد وهناك وحدات خاسرة ؟ من أجل ذلك فاننا نرحب بالاراء التى تفضل بها السادة الاعضاء من ضرورة معالجة الوحدات الخاسرة حتى تسير على أسس اقتصادية سليمة •

نحن لا نريد أن نشكك فى مساهمة رأس المال العربى ، وأى كلام اليوم عن التشكيك فى هذه المساهمة سوف يكون رد فعله من أخطر ما يمكن • ولقد كان معى صباح هذا اليوم أحد الاخوة المستثمرين العرب ، الذين جاءوا بأموالهم للمساهمة فى دعم الاقتصاد المصرى ، بدأ يتساءل مباشرة عما اذا كانت هناك عودة الى مناقشة مبدأ الانفتاح الاقتصادى ومساهمة رأس المال العربى ، وهكذا ترون سيادتكم رد الفعل السريع لمجرد خبر نشر بشأن مناقشة هذا الموضوع فى المجلس •

(ضجة) •

رئيس المجلس :

لم يعارض أحد مبدأ الانفتاح الاقتصادى •

السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية :

اننى أقول ان مسائل الاقتصاد القومى حساسة وعندما تناقش فان رد فعلها يكون حساسا ، ان لكل منا رأى ، وقد تختلف آراؤنا ولا عيب فى ذلك مطلقا • ولا حجر على الاراء فى أية مناقشة تثار ، ولكن ما أردته هو أن أطمئن المجلس أن هناك ثقة فى اقتصاد مصر فى جميع أنحاء العالم وخاصة لدى اخواننا العرب ، وليس أدل على ذلك من توقيع عقد خط أنابيب البترول أمس ، ونحن فى سبيل اتخاذ اجراءات فى شركة الاستثمارات العربية أيضا •

لذلك فان كل ما أرجوه من المجلس أن يعاون الحكومة فى تدعيم هذه الثقة •

(تصفيق) •

وبالتالى أرجو فى مسائل الارقام والتحليل أن تكونوا حريصين وشكرا •

السيد العضو عبده مراد :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ،

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس أحب الى النفس من أن تلتهب القاعة بالحماس والمناقشة ، ولاخير فى مجلس ساكت والساكت من الحق شيطان أخرس لذلك تسرنى جدا كلمة الدكتور جمال العطيفى وكلمة الدكتور حجازى ولكن كل منهما قال كلمة لو أخذنا بها لتغنى علينا ، يقول الدكتور العطيفى أنه لامجال للجدال ، فكيف لايكون هناك مجال للمناقشة والجدال عند مناقشة مشروع الخطة والسياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة ؟ هل نغلق أوراقنا ونذهب الى بيوتنا ولا نناقش ؟

[تصفيق] •

يقول الدكتور حجازى أنه بالامس جاءه أحد الاخوة المستثمرين العرب من أصحاب الملايين وتساءل عما اذا كنا سنتراجع عن سياستنا فى مجال الانفتاح الاقتصادى • وأقول كلا يا سيادة الدكتور ، اننا هنا نريد أن نثبت لك أننا ندعم هذه السياسة ليس الان فقط ، واننا نناقش كيف نزيد من الاستثمار العربى والاجنبى •

وحيث أنك أستاذ للمحاسبة ، فلن أستطيع أن أدخل معك فى تفاصيل فنية ، وانما سأكتفى بالحديث فى المبادىء العامة ، فقد ورد فى بيان السيد الدكتور وزير التخطيط تحت عنوان « الاهداف القومية فى مشروع خطة ١٩٧٤ » ما يلى :

« لما كان الاستثمار هو العامل المحرك للنمو الاقتصادى والاجتماعى فقد بذلت الخطة جهدا كبيرا فى تعبئة أكبر قدر من الموارد المحلية والعربية والاجنبية لتخصيصها للاستثمار ، وفى هذا الصدد يلزم ابراز الحقائق الاتية :

١ ـ أن الموارد المحلية التى أمكن تدبيرها للاستثمار قد تأثر حجمها بالضرورة بالزيادة الكبيرة فى الانفاق على الدفاع والطوارىء » •

رجل هادىء طيب يعطينا فى بيانه حقائق صغيرة ذات مغزى كبير جدا ، يقول أن الموارد المحلية تلهلة لظروف الطوارىء ، وأن سياسة الانفتاح الاقتصادى ـ وهى النقطة المهمة التى نريد أن نتكلم عنها ـ بدأت تؤتى ثمارها ، خصوصا نهما يتصل

بالتعاون الاقتصادى العربى فقد تم اسهام راس المال العربى فى خط الانابيب .

ثم ورد فى نفس البند بعد ذلك مايلى :

٤ ــ « ان الزيادة الكبيرة فى المساهمات العربية والتسهيلات الائتمانية قد مكنت من زيادة اجمالى حجم الاستثمار المقدم لعام ١٩٧٤ كما زادت أيضا نسبة حجم استثمارات القطاع العام الى استثمارات القطاع الخاص .

٥ ــ أن الموارد المحلية بحجمها الحالى، كما تأثرت بالاتفاق على الدفاع والطوارىء تقصر عن الوفاء بالقدر اللازم للاستخدام من الموارد الخارجية التى تتيحها التسهيلات الائتمانية القائمة ، ويعنى ذلك من وجهة نظر السياسة الاقتصادية ضرورة زيادة المدخرات المحلية والعمل على زيادة المتاح من السلع الاستهلاكية اللازمة للعاملين فى مجالات الاستثمار الاضافية التى يمكن أن تتيحها هذه التسهيلات ، كما يعنى ذلك أيضا قوة الانطلاق الاقتصادى بعد اتمام التحرير وتوفير جانب من الموارد المحلية المستخدمة حاليا فى أغراض الدفاع والطوارىء » .

نحن لا نريد أن نشكك كما قال الدكتور جمال العطيفى بحق أنه لا مجال ابدا للمناقشة فى مبدأ الاستعانة بالاستثمارات العربية والاجنبية ، فهذا مبدأ ليس محل مناقشة ، انما ما نريد أن نتكلم فيه ، هو أن الاستثمارات العربية التى قال السيد الدكتور وزير التخطيط انها بدأت تعطى ثمارها ، لم تؤت هذه الثمار بفضل التخطيط المالى ، وانما للظروف التى وضعت فيها ، لعواطف الشهامة العربية ، والنخوة العربية ، ووجود مصر فى المعركة ، فلابد من معاونتها اذن .

اقول أن هذا لا يمكن أن يستمر ولايمكن أن يدوم ، ولايمكن ان نخطط على أساسه ، فكما تعلمنا يجب أن يقوم التخطيط على الارقام والحسابات التى تبنى دائما على المصالح المادية ، فمن الممكن ان نساعد وأن نجامل اليوم ولكن يكون فى الاعتبار دائما ، المسائل المستقرة الثابتة وهى أن رأس المال يبحث أولا وأخيرا عن الربح ، ويأتى قبل ذلك ضمان رأس المال نفسه ،

فلازالت رواسب الماضى التى مرت بها مصر ــ وكانت لها ظروفها ــ تجعل راس المال العربى يتشكك ويكون حذرا فى أن يغامر مرة أخرى ويرد الى بلادنا ، وان ما قاله الدكتور نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية من أن الناس خائفة لان مجلس الشعب يتكلم فى موضوع الاستثمارات الاجنبية نردعليه بأننا جميعا منذ ١٥ مايو ــ وليس فقط منذ ٦ أكتوبر ــ نختلف تماما عن الماضى ، وأن اسرائيل منذ ١٥ مايو تدرك تماما انها منهزمة ، ولكن المفاجأة هى التى حدثت فى ٦ أكتوبر، لان السيادة أصبحت للقانون منذ ١٥ مايو واصبحت هناك مؤسسات دستورية ، وأن العمل يسير فى حرية وديمقراطية ، وأن أى مناقشة تدور تعرف طريقها الى الهدف تماما ، وعلى ذلك فان مناقشتنا هنا لا تثريب عليها وهى ظاهرة صحية تماما ، وأننا نحرص على أن نؤكد لراس المال العربى ولراس المال الاجنبى أيضا انه سيربح وأن أرباحه ستصله وأننا لن نغتاله أو نفتئت عليه ، ولن نتخذ من الاعذار او من النظريات الحديثة ما يبرر أن نضيع عليه حقه .

لقد قال لى محام صديق أن بعض العرب المقيمين فى ألمانيا يريدون استثمار أموالهم فى مشروعات فى مصر وعند ما أخبرهم أن هناك قانونا صادرا فى سبتمبر سنة ١٩٧١ ينظم هذا الامر ، قالوا أنه مجرد قرار بقانون ، مماثل للمرسوم بقانون ، ويمكن الغاؤه فى أى وقت كما كان يحدث فى الماضى ، ولقد نسى هؤلاء أن القرار بقانون عندما يقره مجلس الشعب يصبح قانونا تلتزم به الدولة ، بل انه بصرف النظر عن وجود هذا القانون فان السياسة العامة التى أعلنتها الدولة ووافق عليها الشعب وممثلوه بمجلس الشعب تسير فى اتجاه واحد هو أنه لابد أن نستعين براس المال العربى والاجنبى، لانه لا يمكن أن نقول بمشروعات التنمية الا بالاستعانة براس المال الاجنبى ، الذى كان يحجم بسبب الاستعمار الذى كان يسعى دائما لفرض حصار علينا .

ان فائدة راس المال العربى والاجنبى ومعاونته لنا أكيدة تماما ، واذا كان يبحث عن مصلحته فلابد ان نوفرها له. ولا يمكن أن نقبل بالتشكيك فيه أو الخوف منه ومن طغيانه فاننا فى بلد حر غير محتل ولا نخشى اى سيطرة .

لقد استمعت بالامس الى ندوة معادة فى الاذاعة ، ربما تهم الدكتور حجازى، اذ ان السيد المهندس عثمان أحمد عثمان وزير التعمير قال فيها أن صحفيا أجنبيا قال انه كمندوب عن ممولين فى الخارج معه مليار دولار ، يريد استثماره فى مصر ، ويطلب بعض التفاصيل والايضاحات من الاجهزة الحكومية المعنية، ليطمئن ، ويستطيع الدكتور حجازى والحكومة أن تطمئنه ويقول له ان الحكومة ومجلس الشعب والشعب كله مجمع على أنه لا اغتيال لحق أحد ، مصريا كان أو أجنبيا ، وأن السياسة التى اتبعتها الحكومة مؤخرا فى سداد التزاماتها سياسة رشيدة وحكيمة وأن هذه ليست اقوال بل أفعال ، وأن مصر جادة فى الوفاء بالتزاماتها وأنها لا تنوى اطلاقا الاساءة الى رأس المال الاجنبى. ولذلك فاننا يا سيادة النائب نؤيدك ونساعدك فى موضوع استثمار راس المال العربى والاجنبى .

أما عن القطاع العام ، فكون الدكتور العطيفى يقول أن هذا ليس من شأن لجنة الخطة والموازنة ، فاننى أقول أن هذا لا يجوز ، فعندما تتكلم لجنة الخطة عن اقتراحات تراها بشأن القطاع العام الذى قال الدكتور حجازى والدكتور العطيفى أنه لولاه لما استطاع الاقتصاد المصرى الصمود خلال الفترة الماضية ، فان هذا يكون بلا شك من صميم اختصاصها .

ان للقطاع العام مشكلة هى أنه خليط من الشركات ، فهناك شركات صناعية تنتج للمصلحة القومية ، وشركات صناعية تنتج بغرض الربح ، وشركات تجارية تنتج لغرض التجارة وحدها ، وأخرى لاداء خدمة ، فلابد اذن من اخراج الشركات التى تقوم بالانتاج لغرض قومى ووطنى ، مثل شركة الحديد والصلب ، من مجال سياسة الربح والخسارة ، لان هذه الصناعة يجب أن تقوم سواء ربحت أم خسرت ، ولانها أساس لباقى الصناعات .

كذلك بالنسبة لشركات الخدمات كالمجمعات الاستهلاكية ، فلا يهم فيها الربح أو الخسارة انما المهم الا تكون خسارتها لاسباب أخرى غير ما تتكبده فى سبيل اداء رسالتها وتوصيل بعض السلع الاساسية للمستهلك رأسا بدلا من تركها فى أيدى الوسطاء من التجار الجشعين .

اما بالنسبة لشركات القطاع العام سواء أكانت صناعية أم تجارية ، والتى تقوم بغرض الربح وحده ، فأعتقد انه من حقنا أن نناقشها فى ضوء الارباح والخسائر على ما حققته ، ويكون لنا الحق فى أن نتشكك فى هذه الشركات حتى ولو كانت رابحة ، فمن الجائز انها لو اتبعت الاساليب الصحيحة واحكمت الرقابة عليها لربحت اضعاف اضعاف هذه المبالغ، خاصة وأن الاسعار لاعلاقة لها بالعرض والطلب ولا بالتكلفة ولا بأى شىء آخر .

لقد كان لى الشرف أن كلفت من ادارة التعبئة بالاشراف على بعض الشركات فى عام ١٩٥٦ فوجدت مصنعا للحرير الصناعى غطى ثمنه وتكاليف انشائه فى سنتين لانه كانت هناك ــ وقتئذ ــ حماية جمركية على أصناف الحرير الصناعى . فلا يمكن القول أن هذه الشركة تربح لمجرد انها فعلت ذلك . بل لابد من معرفة الظروف التى عملت فيها هذه الشركة ، فاذا لم تكن هناك منافسة أجنبية ، ويتم الانتاج فى ظروف طيبة ، من حيث توافر الخامات ووسائل الانتاج فلابد من البحث عما اذا كانت هذه الارباح متمشية مع الظروف التى تعمل فيها أم لا . فليس مجرد الربح والخسارة

هو الذى يعطى الفكرة الحقيقية عن أداء الشركة لاعمالها ومن هنا كانت الصعوبة فى التقدير حيث أن شركات القطاع العام ليست موحدة فى ظروفها ولا فى أهدافها ولا أدائها .

فمثلا شركة الكوكاكولا ، اذا خسرت فلابد من ايقاف نشاطها ، فهى لا تؤدى خدمة ولا مصلحة قومية ، بل تقوم لغرض تجارى صرف . فاذا لم تحقق ربحا يكون من حقنا — كما قال الدكتور احمد أبو اسماعيل ، وهو رجل لبق — ان نبيع هذه الشركة ، لانه ليس من المعقول أن نبيع شركات رابحة .

هناك نوعان من الشركات الخاسرة ، شركات خاسرة لا يمكن أن تحقق ربحا ، وهذه لو طرحت فى السوق فلن يقبل أحد على شرائها ، ولكن هناك شركات خاسرة لو أديرت ادارة مختلفة ، لامكن لها أن تحقق ربحا ، ولو طرحت فى السوق لامكن أن يساهم فيها القطاع الخاص ، لانه يعرف تماما ، ما بها من خلل ، وأعتقد ان الدكتور أحمد ابو اسماعيل يهدف الى هذا وان كان لا يريد أن يقوله بصراحة ، فهو يريد أن يقول ان هذه الشركات الخاسرة يجب تصفيتها ولكن بدلا من أن يقول كلمة « التصفية » مباشرة ، أوردها فى صورة توسيع مجال القطاع الخاص ، وهو فى الحقيقة نوع من التصفية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو مصطفى كامل مراد :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

الحقيقة أن تقرير لجنة الرد على البيان المالى والاقتصادى يعتبر من أعظم الاعمال الاقتصادية والعلمية التى تمت فى هذا المجلس ، فقد أطلعت على تقارير اللجنة المالية فى المجلس منذ سنة ١٩٢٤ حتى الان خلال عملى بالمجلس على مدى سبعة عشر عاما والحق أن هذا التقرير الذى بين أيدينا هو أقوى تقرير اقتصادى وضع عن مشروع موازنة من موازنات دولة مصر على مدى خمسين عاما بالرغم من ضيق الوقت الذى كان متاحا للجنة لكتابة تقريرها خلال سبعة أيام مع ان الوقت المناسب لمناقشة مشروع الموازنة ودراسته ووضع التقرير المالى عنه يستوجب شهرين على الاقل لكى تجرى لجان المجلس خلال تلك الفترة بحث ما يخصها فى المشروع مع الوزراء المختصين ثم يلتقى رؤساء هذه اللجان مع لجنة الخطة والموازنة ويناقشون فى أكثر من لقاء وزير المالية ، والغريب حقا أن هذا لم يحدث . ولم يحدث اطلاقا فى تقاليد هذا البرلمان أن وزيرى المالية والتخطيط لم يحضرا الى هذا المجلس لمناقشة اللجنة المختصة فى الخطوط العريضة للموازنة ونحن نرفض هذا الاسلوب لانه لابد من حضور الوزير ومناقشة البيان المالى والخطوط العريضة للموازنة مع لجنة الخطة والموازنة مجتمعة مع رؤساء لجان المجلس ، ولا يمكن أن نصدق على الخطوط العريضة للموازنة الا اذا تمت هذه المناقشة .

نحن هنا نمثل سلطة الشعب ويجب أن نعلم بكل التفاصيل ولا يخفى عنا شىء وقد سألت السيد رئيس اللجنة من أسباب عدم حضور السيد الوزير فأجاب أنه قد وجه الدعوة الى سيادته للحضور فان صح ذلك فقد كان على سيادة الوزير أن يحضر اجتماعات اللجنة لمناقشة الخطوط العريضة للموازنة معها وهذا حق يكفله لنا الدستور ونصر عليه سواء كنا فى حرب أو سلام فليست الحرب قيدا على الحريات لان الحريات أثمن من الحرب وأثمن من السلام فهى الروح التى يتحدث بها الانسان .

نأتى بعد ذلك الى بيان الحكومة المالى والاقتصادى وهو بيان من الدرجة الاولى تعرض لكل أبواب مشروع الموازنة واستعرضها بأسلوب علمى والحقيقة أنه يعتبر قمة فى الاعمال العلمية والمالية ، ولكنه يصعب فهمه الا على المالى والاقتصادى المتمكن وليس من المفروض أن يكون جميع السادة أعضاء المجلس على هذا المستوى ليس فى مصر فحسب ولكن فى جميع برلمانات العالم .

ان الموازنة هى ترجمة مالية لمشروعات تتقدم بها الوزارات المختلفة وما يتبعها من هيئات ومؤسسات وعلى ذلك كان لابد أن تكون أمامنا المشروعات المدرجة بمشروع الموازنة والتى بنيت عليها هذه الارقام .

فمثلا ماهو المبلغ المدرج للمستشفيات؟ وكيف سيتم توزيعه؟ وكم سريرا سيخص كل محافظة؟ وهكذا الحال بالنسبة للسكة الحديد وبناء المدارس وانشاء الفصول ومصانع الغزل والنسيج والمخازن وغير ذلك ، حتى نستطيع متابعة كل هذه العمليات وهذا هو صميم عملنا . ان الارقام التى أمامنا جميلة ، وعلمية وسليمة ولكن ما الذى يهمنى كنائب فى مجلس الشعب من كل هذه الجداول والارقام التى لا يفهمها الا متخصص ، الذى يهمنى هو المشروع نفسه أن الحكومة تمثل السلطة التنفيذية ونحن الشعب ، بعد أن نوافق لها على الاعتمادات المالية نراقبها ونتابع الكيفية التى تتم بها عمليات الصرف وبالنظر الى بيان الحكومة الاقتصادى والمالى عن مشروع الموازنة نجد أنه تعرض الى هذه المشروعات ولكن بشكل لا يسهل متابعته فمثلا يقول البيان أنه تم ادراج الاعتمادات الخاصة بمشروع الالمنيوم وينتظر أن يبلغ انتاجه ٣٠ مليون جنيه وهذه البيانات غير كافية ونريد بيانات وتفاصيل أكثر عن هذا المشروع وغيره من المشروعات .

واننى كنائب أريد أن أتمكن من متابعة هذه المشروعات ومراقبة عمليات الصرف عليها ولكن عدم ادراج هذه المشروعات بصورة واضحة وبسيطة وسهلة هو الذى يجعل مشروع الموازنة على هذه الصورة معقدا ويجعل الكثير من الزملاء يملون قراءته والدخول فى تفاصيله العلمية .

ان بيان الحكومة وتقرير لجنة الخطة والموازنة كلاهما على مستوى علمى رفيع جدا ولكن جل من لا يخطىء ، والنقد طبيعة الحياة وسنتها وبدون النقد لا يمكن أن نتقدم ومشروع الموازنة برغم أنه على مستوى علمى رفيع جدا الا أنه اغفل أرقاما والمجالس النيابية منذ قيامها لا يمكن أن يأتيها مشروع موازنة خاليا من الارقام فكيف يأتى مشروع الموازنة المعروض خلوا من الميزان التجارى وميزان الصادرات غير المنظورة وميزان المدفوعات .

ان الميزان التجارى مرتبط بموازنة الدولة ولا ينفصل عنها ولابد أن نعرف مقدار عجز ميزان المدفوعات وكذلك قيمة التحويلات الرأسمالية ولا يمكن أن نصدق على مشروع موازنة الدولة الا اذا جلسنا مع الوزير المختص وناقشناه فى كل هذا مناقشة كاملة مهما استغرقنا من وقت حتى نعرف مالنا وما علينا ، فالامر يتعلق بأموال الشعب الذى نمثله والحكومة والمجلس فى خدمة الشعب ونحن لن نقر مشروع هذه الموازنة الا اذا استكملت بياناته ، نريد البيانات الخاصة بميزان المدفوعات والبيانات الخاصة بوسائل الدفع وحجم الاموال الخاصة بالبنوك وهى ليست سرا على البنك المركزى ويعلمها الاجانب التابعون للمؤسسات الدولية المالية ووسائل الدفع وتطورها والميزانية النقدية ودخل الدولة فيها والمنصرف منها .

النقطة الاخرى التى أود أن أتحدث فيها تتعلق بما جاء بتقرير لجنة الخطة

والموازنة من ملاحظات ، فمثلا أشار التقرير الى أن هناك مغالاة فى تقدير الاجور وأنه يمكن تحقيق وفر فى هذا الباب يصل الى ٤٠ مليون جنيه ، واقترحت اللجنة توجيه جزء من هذا المبلغ لاستثماره فى بعض المجالات مثل مجال التربية والتعليم حتى يمكن استيعاب كل اولادنا فى مراحل التعليم المختلفة ، فكل جنيه من هذا المبلغ يمثل سلعة أو خدمة معينة ، وملاحظات اللجنة تمثل تعبيرا عن وجهة نظرها ويمكن للحكومة أن تناقش هذا الرأى ولها أن تقول فى المناقشة أنها محتفظة بهذا المبلغ لتوجيهه لشىء معين أو أنها توافق على استثمار جزء منه فى هذه المجالات التى اقترحتها اللجنة .

وحين تقول اللجنة فى تقريرها أيضا بأن تقوم الشركات بسداد أقساط القروض أو فوائدها قبل توزيع الارباح فهذا الراى يمكن مناقشته ، كذلك حين تقول اللجنة أن أسعار الالات قد ارتفعت ومن ثم فان الامر يتطلب زيادة المخصصات فهذا أيضا رأى يمكن أن يناقش فكل ما جاء بتقرير اللجنة من ملاحظات يعتبر تعبيرا عن وجهة نظر معينة ، يجب أن تكون محل نظر الحكومة وأن تناقشها مع اللجنة للوصول الى أفضل الحلول الممكنة ، وهذا هو الاسلوب الديمقراطى الذى التزمنا به والذى يقضى بأن يبدى كل شخص وجهة نظره وأن تناقش وجهة النظر هذه ، فنحن جميعا نخضع للمسئولية وهناك الدستور والقانون الذى ينظم أسلوب عملنا ويجب أن تتم كل مناقشاتنا بأسلوب ديمقراطى حتى وان كنا نخوض معركة ، فشعبنا ينتج ويقاتل وهناك حكومة مسئولة عن هذا الشعب ، ومجلس نيابى يمثل هذا الشعب ثم هناك السيد الرئيس محمد أنور السادات الذى سمح لنا بأن نعلى حرية الكلمة ، وسنطلب المزيد والمزيد من الديمقراطية فليس هناك تراجع من الديمقراطية او من الخط السليم الذى رسمناه لانفسنا ، وليس من المعقول أن نعطى للحكومة مال الشعب هكذا مسطرا فى جداول وأرقام دون أن نعرف المشروعات التى يصرف فيها هذا المال ويجب أن يطلع المجلس على تفاصيل هذه المشروعات التى سينفق فيها مال الشعب .

اننى أرى أن التقرير الذى تقدمت به اللجنة شمل آراء سليمة تماما ، ومن حق اللجنة أن تبدى رأيها وعلى الحكومة أن تناقش هذه الاراء بحيث تصل فى النهاية الى الراى الذى يحقق مصلحة البلاد .

ويهمنى هنا أن أشير الى أن اللجنة لم تقترح بيع جزء من أسهم القطاع العام ، ولكنها اقترحت أن تطرح بعض أسهم القطاع العام فى البورصات لايجاد نشاط فى أسواق الاوراق المالية ، وبالتالى جذب الاستثمارات الى بلادنا ، ذلك لان الاستثمارات لن ترد الى بلادنا مهما فعلنا لها سواء أصدرنا قوانين لاعطاء الضمانات لهذه الاموال أو غيرها من الاجراءات ، أن المال العربى لن يأتى الينا مالم تعط له الحرية فلابد اذن من أن يكون لدينا سوق للاوراق المالية بحيث يمكن لاى مستثمر ان يبيع أسهمه فى أى وقت يريد دون أن يتطلب ذلك منه تقديم طلب للحكومة حتى تسمح له ببيع أسهمه ثم ينتظر سنة أو سنتين حتى يسمح له بذلك .

اننى أرى أن رأس المال لن يتقدم الى بلادنا مالم تكن لدينا بورصة تمكن الشخص من بيع أسهمه واسترداد رأس ماله فى أى وقت يريد ، كذلك لابد أن تكون هناك بورصة لتبادل العملات الاجنبية حتى تتيح لصاحب رأس المال حرية تحويل أرباح رأس ماله ، ثم يكون من الميسر له الحصول على العملات الاجنبية فى أى وقت يريد ، بحيث لا يضطر أن يقدم طلبا بذلك الى الجهة المختصة ، فمثل هذه الاجراءات الروتينية لا تتمشى مع تطور الاقتصاد العالمى ، فالاقتصاد أصبح سريع الحركة وديناميكيا فيجب علينا أن نساير هذه الاوضاع العالمية حتى نجذب رأس المال العربى الى بلادنا ، والا فسنجد صعوبة كبيرة فى تحقيق معدلات التنمية التى نصبو اليها .

النقطة الاخرى التى أود أن أتحدث فيها تتعلق بما جاء فى تقرير اللجنة من أن الاسعار ستظل ثابتة ، وانى أختلف مع اللجنة اختلافا جذريا فى هذا الرأى ، ولقد سبق لى أن نبهت فى الاستجواب الذى تقدمت به للسيد وزير التموين السابق الى أن الاسعار سوف ترتفع ، واننى أكرر هذا الكلام الان ، ويجب أن تأخذ الحكومة هذا فى الحسبان ذلك لان أسعار الخامات قد ارتفعت ارتفاعا كبيرا فى الفترة الماضية ، فالملبوسات والمعادن والبترول والاغذية ارتفعت بما يزيد على ١٠٠٪ .

ولاشك أن هذا سوف يؤثر على اقتصادنا لاننا جزء من اقتصاد العالم ، ومن ثم فان هذا سوف يؤثر على تكاليف الانتاج ، يضاف الى هذا أن عمليات التنمية عموما يصاحبها ارتفاع فى الاسعار ، ومن هنا فاننى أطالب الحكومة بضرورة العمل على دفع الاقتصاد المصرى بأسلوب ديناميكى حديث ، وليس بهذا الاسلوب البطىء الذى يسير عليه اقتصادنا الان ، فمثلا نحن نقول اننا فى سبيل انشاء مناطق حرة ثم نجد أنه قد ورد لنا اكثر من ٤٠٠ أو ٥٠٠ مشروع مطلوب تمويلها برأس مال عربى وهذه المشروعات جميعا موجودة بهيئة استثمار المال العربى منذ ما يزيد على العام الا أنها لم تخرج للنور حتى الان ، فهل هناك مستثمر عربى أو أجنبى يمكن أن ينتظر كل هذه المدة ، ومن هنا فاننى أقترح ضرورة تحديد مدة معينة للبت فى المشروعات فبدون تحديد هذه المدة فان رأس المال العربى سوف يتجه وجهة أخرى ، ولقد سبق لى أن طالبت بضرورة وجود لائحة تنفيذية لهذه الهيئة الا أن هذه اللائحة لم تصدر حتى الان ، واننى أطالب بسرعة استصدار هذه اللائحة ، حتى لا أضطر للتقدم باستجواب للوزير المختص ، ثم أين هى المشروعات التى يطلب من رأس المال العربى تمويلها ، ان جداول هذه المشروعات لم تخرج للنور بعد ، واننى أطالب بضرورة وضع الانظمة العملية التى تؤدى الى تطبيق كل ما ننادى به ، حتى لا نكون كما يطلقون علينا فى الغرب اناسا كثيرى الكلام قليلى العمل ، فيجب علينا أن نقلل من الكلام ونكثر من العمل خاصة فى هذه المرحلة - فصراعنا الحالى مع اسرائيل صراع ممتد ، واسرائيل دولة حضارية وصراعنا معها سيطول لفترة طويلة وسوف تتخلله المعارك من فترة لاخرى - بعد أن تمكن القائد الرئيس محمد أنور السادات من تجميع قوى العرب السياسية والاقتصادية وضرب العدو الاسرائيلى ضربته العسكرية الموفقة ، واننى أرى أننا يجب أن نستغل التجمع العربى الذى قام مع المعركة ونحن جميعا نعلم أن بعض الدول العربية لديها أرصدة ضخمة يمكن أن تستغل فى مشروعات التنمية فى الوطن العربى ، ولقد أشار صندوق النقد الدولى أخيرا الى أن الارصدة العربية وصلت الى ١٢ ألف مليون دولار فى حين نجد أن الارصدة الموجودة فى البنوك الغربية كلها تصل الى ١٤٠ ألف مليون دولار ، ويقول صندوق النقد الدولى أيضا ان الارصدة العربية سوف تتزايد فى سنة ١٩٨٠ الى ١٥ ألف مليون دولار .

وهذا الموضوع يجب أن يكون محل بحث ودراسة الحكومة للاستفادة من

هذه الارصدة الضخمة ، وانني أقترح على الجامعة العربية انشاء منظمة اقتصادية تتبع الجامعة يكون من اختصاصها القيام بالابحاث والدراسات الخاصة بهذه الارصدة والمجالات التى يمكن أن تستثمر فيها هذه الاموال ، ذلك لان الدول الغربية تحاول أن تحد من حركة هذه الارصدة بحرمانها من الفوائد واجبارها على الاستثمار داخل الدول الغربية .

ومن هنا فلابد أن يكون لدينا مشروعات ضخمة جدا توضع وتخطط على مستوى العالم العربى كله والعالم الافريقى لمحاولة استيعاب ولو جزء من هذه الارصدة ذلك لان خطط التنمية فى العالم النامى كله تحتاج فى تمويلها الى ١٥ الف مليون دولار ، وينقصها ٨ آلاف مليون دولار ، ومعنى هذا أن جملة خطط الدول النامية لا تتعدى ٢٣ الف مليون دولار ، هذا فى الوقت الذى يوجد فيه لدى هذه الدول أموال تكفى لتمويل أكثر من خطة .

ومن هنا فاننى أرى أن هذا الموضوع خطير جدا ومهم جدا ويتعين على الحكومة أن تتخذ فيه اجراءات فعالة مع جامعة الدول العربية فى ظل اطار التنسيق السياسى والاقتصادى بين الدول العربية .

ولقد وصل معدل التنمية فى بلادنا ما بين ٥ر٩٪ ، ٦٪ وهناك ارتفاع فى الاسعار وزيادة فى معدل السكان ومعنى هذا أن صافى النمو لا يتجاوز ٥ر٢٪ وهذا المعدل غير كاف ، اذ أنه لن يحقق

تنشر الطليعة الجزء الاخير من مناقشة مجلس الشعب حول الميزانية والقطاع العام فى العدد القادم .

لنا القدرة على تشغيل ما لدينا من أيد عاملة ، فمعدل التشغيل لدينا حاليا ٢٠٠ الف عامل سنويا ، هذا بينما المطلوب هو تشغيل ٥٠٠ الف عامل ومن هنا يتضح أننا فى حاجة الى موارد جديدة للارتفاع بمعدل التنمية وهذا يمكن تحقيقه عن طريق اجتذاب رؤوس الاموال العربية ، وخطة التنمية عندنا يمكن أن تستوعب ١٠٠ مليون دولار سنويا فى شكل ودائع أو استثمارات واذا ما نجحنا فى تحقيق هذا فيمكننا أن نقول اننا فى طريقنا الى تحقيق المستوى الحضارى المناسب على مدى العشرين عاما المقبلة ، أما اذا لم تنجح فسوف نظل بهذا المعدل البطىء ولن نحقق المستوى الحضارى المطلوب ، وفقنا الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

[وهنا غادر السيد رئيس المجلس قاعة الجلسة ، وتولى رئاستها الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس] .







ثورة يوليو والثقافة المصرية

فى هــذا العــدد :

ثورة يوليو .. والثقافة المصرية :



ثــــورة يوليــــو والثقــــافة المصــــرية

« كان فى تقدير « الطليعة » ــ وهى تخطط لهذا العدد من ملحق الادب والفن ــ صعوبة الموضوع المطروح وشموله : فالحديث عن الثقافة المصرية ــ خلال أكثر من عشرين سنة ــ يعنى تماما الحديث عن ثورة يوليو : تيارها الرئيسى ، وما تعاقب عليه من مد وجزر ، انطلاق وتوقف ، تقدم وتعثر .

هذا من ناحية . ومن الناحية الاخرى فلكل من جوانب هذه الثقافة طبيعته الخاصة : فقد تكون الفنون الادبية أسرع الى الاستجابة لتغيرات الواقع الاجتماعى على نحو أوضح من الفنون التشكيلية ، وقد تكون طبيعة الانتاج السينمائى والمسرحى ــ من حيث هو انتاج مركب يقوم على التنسيق بين جماعة من العاملين ــ معوقا له عن ملاحقة تغيرات هذا الواقع .

وهكذا : اختار كل كاتب منهجــه فى النظر الى الموضوع المطروح : اختار فؤاد دوارة وعز الدين نجيب ان ينظرا الى موضوعهما نظرة « بانورامية » تقف عند أهم العــلامات ، وتتجاوز التفاصــيل ، وتستشرف المستقبل . واختار سمير فريد أن يقدم عرضا « كرونولوجيا » للسينما منذ ١٩٥٢ ، تاركا للقارىء أن يستنتج الاتجاه العام ، أما سامى خشبه فقد آثر الا يناقش « مضمون » المسرح المصرى ، بل وقف عندما أسماه « الاساس المادى » لهذا المسرح ، ممثلا فى دور المسارح والتعليم والثقافة المسرحية .

ولا زال هذا الموضوع ــ بشموله واتساعه ــ يفرض مزيدا من الاهتمام والمناقشة .



« من يضع نفسه فى موضع المسئولية عليه أن يعرف انه يضع نفسه بذلك أيضا فى موضع النقد .. !
(ورقة اكتوبر)

١ مــاذا فعلــت الثــورة بأدبنــا ؟

ليس من السهل ، ان لم يكن من المستحيل ، أن يرصد مقال واحد ـ مهما طال ـ حركه الادب المصرى خلال اثنين وعشرين عاما هى عمر ثورة ٢٣ يوليو .. لذلك ترددت طويلا قبل كتابته ، ثم اقنعت نفسى أخيرا ـ وارجو ألا أكون مخطئا ـ بأن تأمل اللوحة الكبيرة من بعيد قد يساعد على تبين معالمها الرئيسية وخطوطها العامة أكثر من التحديق فيها عن قرب والانشغال بمتابعة تفصيلاتها الدقيقة ..

فؤاد دوارة

وحين راجعت جهود بعض من تعرضوا للنهوض بهذه المهمة فى سنوات سابقة لاحظت حرص كثرتهم على تجاهل كل انجاز أدبى سابق على قيام الثورة .. بنفس الاسلوب الذى تجاهل به غيرهم كل انجاز فى السياسة والاقتصاد .. وبقية المجالات .. نفاقا للسلطة الحاكمة وتقربا منها .. حتى تصور البعض من صغار السن أن مصر قبل الثورة كانت أرضا خرابا .. بلا فكر ولا تاريخ ولا نضال .. مادام ذلك كله لم يبدأ ـ فى رأى تلك الفئة المضللة ـ الا بعد الثورة ..

وهذا التصور الخاطىء المغرض لا يسىء الى تاريخ مصر فقط . بل هو يتعارض قبل ذلك مع أبسط حقائق الحياة وقواعد المنطق .. اذ لو كانت مصر قبل الثورة فراغا وخرابا كما يزعمون . فكيف أمكن أن تقوم الثورة ؟ .. ومن الذى قام بها ؟ ..

ولم يكف هذا البعض عن هذره الا بعد أن أعادت مواثيق الثورة نفسها ـ فى أوائل الستينيات ـ لتاريخ الشعب المصرى وحدته ، واقرت للماضى بنضاله وايجابياته دون أن تغفل سلبياته بطبيعة الحال .. بل لقد اعترفت هذه المواثيق نفسها ـ فى مرحلة تالية ـ بجوانب من سلبيات الثورة وعثراتها ..

الفكر القائد

هذه الظاهرة تمثل ـ فى رأيى ـ نموذجا صغيرا لاخطر سلبيات حياتنا الادبية والفكرية خلال سنوات الثورة ،

○□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□○



توفيق الحكيم



ابراهيم المصرى

وأخشى ألا تكون قد تحررت منها تماما الى اليوم .. وأعنى حرص كثرة من الادباء والمفكرين على تحسس رغبات الحكام واتجاهاتهم ، والتفنن فى ارضائها وتاييدها وتفسيرها ، بل وفلسفتها .. أيا كان اتجاهها ..

وليس هذا شأن الفكر الحر الناضج الذى تقوم عليه النهضات والحضارات فمثل هذا الفكر من ألزم خصائصه أن يقود ولا يقاد ، يصارح ولا ينافق .. هدفه الاوحد هو الحقيقة والمصلحة العامة مهما كان الثمن .. وليس ـ بحال من الاحوال ـ ارضاء الحاكم بغية قبض الثمن ! ..

ولقد آن لنا أن ندرك ، ولو بعد اثنين وعشرين سنة ، ان الثورات لا تصنع أدبا ، وانما الادب هو الذى يصنع الثورات ويقوم خطاها ..

ولذلك فان اروع الاثار الادبية لثورة ٢٣ يوليو لم تكن المؤلفات التى تلتها وأشادت بها وأيدتها .. بل تلك التى سبقتها ومهدت لها ، وجعلتها ضرورة حتمية فى وجدان الشعب ، وفى ضمائر الثوار .. الم يشر عبد الناصر الى تاثره القوى برواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم ؟ .. ألم يتحدث السادات عن أثر قراءاته للحكيم وابراهيم المصرى فى تكوين وعيه وثقافته ؟ !

وكذلك تلك المؤلفات التى كتبت فى ظل الثورة ولم تنافق رجالها ، بل حاولت ترشيد خطواتهم ونزع الاشواك والسلبيات من طريقهم .. مثل « السلطان الحائر » و « بنك القلق » لتوفيق الحكيم ، ومجموعة روايات نجيب محفوظ ابتداء من أولاد حارتنا حتى « ميرامار » ..

وعلى ذلك يمكن القول بأن أدب ثورة ٢٣ يوليو بدأ قبلها بسنوات عديدة ، وبخاصة فى تلك السنوات العاصفة التى تلت نهاية الحرب العالمية الثانية . فما أكثر الاقلام الحرة التى صبت لهيب غضبها على الاستعمار والرجعية والملكية ، وبشرت بالثورة ودعت اليها وهى امازالت جنينا يتشكل فى عالم الغيب .. دعوة طه حسين الى ديمقراطية التعليم ومجانيته فى « مستقبل الثقافة فى مصر » وصوره القصصية العنيفة فى « المعذبون فى الارض » .. « يوميات نائب فى الارياف » لتوفيق الحكيم و « شجرة الحكم » و « مسرح المجتمع » .. مقالات سلامة موسى وكتبه الداعية للاشتراكية والتصنيع والعلم .. قصائد وقصص كمال وابراهيم عبد الحليم والشرقاوى والخميسى .. « من هنا نبدأ » لخالد محمد خالد .. والعديد العديد من مقالات أحمد حسين ، وفتحى رضوان ، ويوسف حلمى ، ومحمد مندور ، وعزيز فهمى ، ومحمود عبد المنعم مراد ، وأحمد رشدى صالح ، واحمد ابو الفتح واحسان عبد القدوس وكثيرون غيرهم ممن لا تعيهم الذاكرة ..

ومن عجب أن كثيرين ممن لم يشاركوا فى نقد النظام القديم بكلمة ، بل على العكس كان بعضهم مشغولا بملء صفحات كاملة من صحيفته بالحديث عن تقوى الملك الراحل ونسبه « النبوى » الشريف ، ويضفى عليه ألقابا من نوع « العامل الاول » و « الملك الصالح » ، ويؤلف القصص والاخبار عن رعايته « السامية » لشعبه الجائع العريان .. وكان بعضهم الاخر يتوسل لنشر قصصه الجنسية الساذجة بلوحات مثيرة لعاريات يقتطعها من بعض المجلات الاجنبية .. اذا بهم بعد استقرار الثورة يسارعون الى الهجوم على العهد السابق ، وينشر بعضهم مسلسلات مصورة عن غراميات « فاروق » ولياليه الماجنة ، ويتخذ بعضهم الاخر سمت المؤرخ الفورى لاحداث الثورة .. وان ظلت فى كتابات كل منهم آثار لاتخطئها العين المدققة من كتاباتهم العابثة قبل الثورة ..

يحدث هذا فى الوقت الذى نجد فيه روائيا أصيلا كنجيب محفوظ الذى كرس كل رواياته الواقعية ـ ابتداء من « القاهرة الجديدة » حتى الثلاثية ـ لفضح فساد الاسس التى كان يقوم عليها المجتمع القديم .. يتوقف تماما عن الكتابة بعد قيام الثورة بالرغم من انه كان قد أعد سبعة موضوعات فى نفس الاتجاه الذى لم يعالجه البعض الا بعد الثورة .. يقول نجيب :

« .. حينما ذهب المجتمع القديم ذهبت معه كل رغبة فى نفسى لنقده .. وظننت اننى انتهيت ادبيا ، ولم يعد لدى ما اقوله أو أكتبه .. وظللت على هذه الحال من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٧ .. لم اكتب كلمة واحدة ، ولم تنبعث فى نفسى رغبة فى الكتابة ، وكنت أعتبر المسالة منتهية تماما حتى وجدتنى أكتب (أولاد حارتنا) سنة ١٩٥٧ ، وانشرها سنة ١٩٥٩ .. »

« صح النوم ! »

لا تفسير لهذا الموقف من جانب نجيب محفوظ الا فى فهمه السليم لعلاقة الادب بالحياة ، ودوره الايجابى فى تطويرها ودفعها الى الامام .. فى حين فهمه الاخرون على أنه تسجيل وترفيه ودغدغة لاعصاب المراهقين بهتف الرواج .. ولا بأس مع ذلك من ركوب الموجة الرائجة وتأييد أحدث الشعارات الرسمية المطروحة أيا كان اتجاهها ..

لذلك فسرعان ما تتبدد كتابات هذا الفريق الاخير دون أن تحدث أى أثر فى النفوس ، بالرغم من نشرها فى اوسع

الصحف انتشارا واستخدام كلوسائل الاعلام المتروءة والمسموعة والمرئية فى تقديمها ، وبالرغم من تجنيد فرقة النقاد الخصوصيين المعينين - على درجات أو بمكافات - للاشادة بها وتفتيق جوانب العظمة فيها ·· فى حين تنفذ كتابات نجيب محفوظ وأمثاله الى النفوس وتؤثر فيها بعمق ، وتظل موضوعا للدراسات الجادة المتاملة ، وشهادات فنية صادقة على العصر ··

ماذا فعلت الثورة

والى جوار روايات نجيب محفوظ المعروفة شهدت سنوات الثورة كثيرا من الاعمال الروائية الناضجة ، « الارض لعبد الرحمن الشرقاوى بوعيها السياسى المتقدم وشخصياتها الصادقة وصورة بيئة القرية المصرية المتخلفة ·· « صح النوم » ليحيى حقى بأسلوبها المحكم الفريد ، وتحذيرها المبكر (١٩٥٥) ، وان برفق وحذر ، من مزالق الاستبداد والتجسس وطغيان ارادة الفرد على ارادة الجماعة ·· « الرجل الذى فقد ظله » لفتحى غانم بتجديدها فى الشكل الروائى ونفاذها الى أعماق نفسية الصحفى الانتهازى فى رحلة الصعود السريع ·· « الحرام » ليوسف ادريس بتفردها بتصوير حياة الفلاح المصرى المعدم ، عامل التراحيل والظروف غير الادمية التى يعمل فيها « السائرون نياما » لسعد مكاوى بلوحتها العريضة لحياة الشعب المصرى المهضوم فى ظل حكم المماليك الغاشم العابث مع اسقاطات معاصرة لا يخطئها الاحساس ·

بالاضافة الى عدد آخر من الروايات لهؤلاء الكتاب أنفسهم ، ولغيرهم من أمثال : السحار ، عبد الحليم عبد الله ، مصطفى محمود ، لطيفة الزيات ، أمين



محمد مندور



طه حسين

ريان ، صالح مرسى ، صبرى موسى ، عبد الحكيم قاسم ، واسماعيل ولى الدين ·

واذا كانت القصة القصيرة هى احدث الاشكال الادبية ظهورا فى رأى الكثيرين ، فقد كانت من أغزرها انتاجا فى أدبنا سواء قبل الثورة أو بعدها ·· فمنذ محاولات محمد تيمور أثناء الحرب العالمية الاولى تتابعت على كتابها أجيال عديدة تداخلت وتشابكت · وبرز من جيل الرواد : محمود تيمور ومحمود طاهر لاشين ويحيى حقى ·· ومن الجيل الاوسط : محمود كامل وسعيد عبده ويوسف حلمى ويوسف جوهر والبدوى ونجيب محفوظ ·· وظل طابع القصة التيمورية الواقعية هو الغالب مع تفاوت فى الدرجات والظلال ·· حتى كان جيل الاربعينيات والخمسينيات ، فازداد الوعى السياسى فى قصص الشرقاوى ، والخميسى ، ورشدى وصالح وشكرى عياد ، ومصطفى محمود ، وصلاح حافظ ، ومحمد صدقى ، مع قدر معقول من الاحكام الفنى ··

واتجه يوسف الشارونى وادوار الخراط وابو المعاطى ابوالنجا الى القصة الفكرية محكمة البناء ·· فى حين استطاع يوسف ادريس ان يتحول الى ظاهرة خاصة متميزة فى القصة القصيرة تركت بصماتها واضحة فى الاجيال التالية عليه ·· حتى كان جيل الستينيات : هاشم الشريف ، بهاء طاهر ، مجيد طوبيا ، ابراهيم أصلان ، محمد حافظرجب ، مبروك ، الغيطانى ، يحيى الطاهر عبد الله ، ورومبش ·· فبدأ يتمرد على كل اشكال القصة المتوارثة ، ومنها القصة الادريسية ، فوفق حينا ، وتعثر حينا آخر ·· ومازالت معظم تجاربه فى حاجة الى الدراسة والتقويم للتعرف على مدى أصالتها الفنية من ناحية ، ومدى تاثرها بأحداث الثورة من ناحية أخرى ·

موسيقى جديدة

والشعر بطبيعته أسرع الاشكال الادبية استجابة للاحداث ، وأقدرها على التعبير المركز عن المشاعر ، سواء أكانت حماسة وتأييدا أم حزنا ورفضا واحتجاجا ، لذلك فقد واكب الشعر احداث الثورة من البداية ، ومرة أخرى نجد أن أكثر الشعراء مدحا للملك ونظامه البائد كانوا هم أنفسهم أسرعهم مدحا للثورة ورجالها ·

وفى جميع المعارك التى خاضتها البلاد فى سنوات الثورة كان للشعر صوته العالى المدوى ، وبصفة خاصة فى معارك ١٩٥٦ وأكتوبر ١٩٧٣ ، ومازالت قصائد « دع سمائى » لكمال عبد الحليم ، و « الله أكبر » لعبد الله شمس الدين « وأنا النيل مقبرة للغزاة » لمحمود حسن اسماعيل وغيرها ·· تتردد فى الاسماع الى اليوم بالرغم من مرور السنوات ·· مؤكدة أن صدق الانفعال مع جمال الاداء من الممكن أن يرتفع بالقصيدة عن مستوى شعر المناسبات العابر الى مستوى الشعر المؤثر الباقى ·

وخلال سنوات الثورة بدأت محاولات تجديد القصيدة العربية على أيدى صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى وكمال عمار ونجيب سرور ، وغيرهم ممن تحررت غالبية قصائدهم من قوالب الشعر التقليدية المتمثلة فى القافية الموحدة وبحور الخليل بن أحمد ، وحاولت العثور على موسيقى جديدة للشعر العربى تستمد على وحدة التفعيلة بدلا من التزام تفعيلات البحور التقليدية باكملها ·· وكان محمد فريد أبو حديد قد شرع فى ارتياد هذا الطريق فى ترجماته الشعرية لبعض مسرحيات شكسبير ، وتابعه فيه باكثير

فى مصر ، وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة فى العراق •

غير أن تجديد مدرسة الشعر الحر لم يقتصر على شكل القصيدة ، بل امتد الى ألفاظها ومضمونها وصورها الشعرية •• فعالج شعراؤها قضايا وافكارا قل ان تطرق اليها الشعر التقليدى ، واستلهم بعضهم الكثير من صورهم الشعرية من التراث الشعبى ، فى حين استلهم بعضهم الاخر الاساطير العالمية ، وتاثر بعضهم الثالث باسلوب « اليوت » وازرا باوند » و « لوركا » وغيرهم من شعراء الغرب•

وتابع هذه المدرسة جيل كامل من شعراء الشباب مع تميز كل منهم باسلوبه واجتهاداته ومن أبرزهم : أمل دنقل وحسن فتح الباب وابو سنة وعفيفى مطر•

وكان من الطبيعى ان تتعرض هذه الحركة لحملة ضارية من أصحاب القديم ، ولكن غير الطبيعى أن تتخذ هذه الحملة فى أحيان كثيرة شكل استعداء السلطات ، والاتهام بالعمالة لجهات أجنبية من بينها اسرائيل !! ومحاولة وصم أصحابها بالكفر والالحاد •• فباب الاجتهاد لم يغلق حتى فى الدين •• فلماذا يحاول بعضنا اغلاقه فى مجال الشعر والادب ؟! •• ولماذا لا تتخذ معاركنا وخلافاتنا الفنية أشكالا أكثر تحضرا وصفاء ؟!

وفى الوقت الذى واصل فيه المرحوم عزيز أباظة كتابة مسرحياته الشعرية التقليدية فى اطار قريب من الاطار الذى سبقه اليه أحمد شوقى ، اقتحم عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور وشوقى خميس ميدان المسرح الشعرى بعدد من المسرحيات السياسية المكتوبة بالشعر الحر فحققوا نجاحات لا بأس بها ••

ومن ناحية اخرى استطاع فؤاد حداد وصلاح جاهين وأحمد فؤاد قاعود أن يستوعبوا روح بيرم التونسى الخصبة ويستلهموا فنه الشعبى الاصيل فى تأصيل مدرسة جديدة لشعر العامية أضفوا عليها الكثير من ثقافتهم ووعيهم السياسى الناضج وحسهم المرهف بموسيقى اللفظة العامية •• وتابعهم فيها عبد الرحمن الابنودى وأحمد فؤاد نجم وسيد حجاب وغيرهم ممن استطاعوا أن يغوصوا فى أعماق الروح الشعبية ويعبروا عن أشواقها وتطلعاتها ويرتقوا فى الوقت نفسه بلغة الحديث اليومى إلى آفاق الشعر الرفيعة ••• مع تميز كل منهم بنكهته الخاصة ومذهبه فى القول •• فساعدوا على الارتقاء بلغة الاغنية الى حد ما ••

الكم والكيف

وفى المسرح استطاع توفيق الحكيم بعد صمت قصير أن يعالج فى ملاهيه بعض القضايا الاجتماعية الملحة دون أن يتخلى تماما عن خصائص مسرحه الفكرى •• ووضح ذلك بصفة خاصة فى مسرحيات مثل « السلطان الحائر » ، « وشمس النهار » •• وتاثر به معظم كتاب المسرح الجدد ، وان كان فتحى رضوان وألفريد فرج أكثر تأثرا باتجاهاته الفكرية من بقية زملائهم ••

واستطاع نعمان عاشور ان يقوم بدور ملحوظ فى تطوير الملهاة الاجتماعية بما أضفاه عليها من مفاهيم سياسية وفكاهة ساخرة لاذعة الطعم وبصفة خاصة فى « الناس اللى تحت » و « عيلة الدوغرى » ، وتابعه على نفس الدرب يوسف ادريس وسعد الدين وهبه ولطفى الخولى ثم ميخائيل رومان ومحمود دياب وعلى سالم وسيد الشوربجى •• وغيرهم ممن ازدهر على ايديهم مسرح الدولة وأوشك ان يحقق نهضة مسرحية حقيقية لولا هجمة مسرح التليفزيون الشهيرة التى قدمت الكم على الكيف ، ثم ما لبثت أن انحسرت شأن كل موجة مصطنعة ، دون ان تترك لا كما ولا كيفا ، بل ارضا ممهدة لتستشرى فيها فرق القطاع الخاص التى هبطت بمستوى الكوميديا الى مستوى الفصول الضاحكة التى عرفتها الملاهى الليلية وكازينوهات روض الفرج فى العشرينيات من هذا القرن •

غيبة النقد

وشهدت حركة النقد الادبى خلال سنوات الثورة فترات انتعاش وازدهار وحوار خلاق اسهم فيه كل من : طه حسين ، والعقاد ، ومندور ، ولويس عوض ، وعبد الحميد يونس ، ورشدى صالح ، ومحمود أمين العالم ، وعبد العظيم انيس ، وعلى الراعى ، وسهير القلماوى ، وزكى نجيب محمود ، وعبد القادر القط ، وغنيمى هلال ، وأنور المعداوى وبنت الشاطىء ، ولطيفه الزيات ورجاء النقاش •• وغيرهم ••

كما شهدت فترات ركود وخمود ، ومعارك هابطة مسفة •• ومقالات اقرب للبلاغات المقنعة للمباحث منها للنقد او الدراسة الادبية •• وأخرى يغلب عليها التعصب وضيق الافق •• من جانب اليسار حينا واليمين أحيانا ••

ونتلفت اليوم حولنا بحثا من هذا النشاط النقدى الكبير فلا نكاد نجد له أثرا بعد رحيل مندور وغنيمى هلال والمعداوى من عالمنا •• وصمت الراعى ، والقط ، والعالم ، واحمد عباس صالح ، ولطيفه الزيات ، وابراهيم حمادة ، واميسر اسكندر ، وصافيناز كاظم ، وصبرى حافظ •• فباستثناء ناقدين أو ثلاثة من الشبان المجتهدين الصامدين لم يبق فى الميدان سوى مجموعة النقاد الخصوصيين المعينين لارضاء النزعات النرجسية المرضية لدى كاتبين او ثلاثة من كبار المسئولين •• وليتهم يفلحون ؟!

ان اخطر ما يمكن ان تتعرض له حركة ادبية هو غيبة النقد الجاد الامين ، فتختل الموازين ، ويفقد القارىء ثقته بكتابه ، ولا يستطيع التمييز بمفرده بين الغث والسمين ، وتقوم الصدفة وحدها بترشيح ما يقرأ •• وتتعرض اعمال جيدة للضياع وسط سيل المطبوعات المتدفق •• ويظل انتاجنا الادبى كالاحجار الملقاة على قارعة الطريق اختلط فيها الحابل بالنابل ، دون أن يتكون منها بناء متماسك الحلقات متميز الخصائص والسمات •• فيستحيل بالتالى ان يعترف به بين التراث الادبى للانسانية وهو على تلك الحالة من التشتت والاختلاط ••

المقالة والخطابة

وهناك فن ادبى آخر لم يتح له أن يزدهر فى ظل الثورة مثل ازدهاره قبلها •• وهو فن المقالة الادبية لا الصحفية •• كان من اعلامه فى الماضى• طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، واحمد أمين ، وعبد العزيز البشرى ، ومصطفى صادق الرافعى ، والزيات ، ومحمد عوض محمد •• وغيرهم •• وقد ظل ينكمش بعد قيام الثورة لاسباب مختلفة ، من اهمها سيطرة مفاهيم الصحافة الامريكية التى تحرص على الخبر والصورة اكثر من حرصها على المقال والرأى •• والمقالات القليلة التى تنشرها صحفنا يغلب عليها الاسلوب التلغرافى السريع الذى يبعدها من طبيعة المقالة الادبية •

ولذلك لم تعرف سنوات الثورة سوى عدد قليل من كتاب المقالة الادبية ، لعل ابرزهم : كامل الشناوى ، ويحيى حقى ، وحسين فوزى ، ورشدى صالح ••• صمت الاول مضطرا عليه رحمة الله ، وصمت الثانى مختارا أطال الله فى عمره ، والثالث مقل بطبيعته ومساحات



يوسف ادريس



نجيب محفوظ

الاعلانات » الاهرامية » الفأمية تزيد من اقلاله حتى تكاد تحصى عدد المقالات التى ينشرها كل عام على أصابع اليدين .. ومازال الرابع يجاهد فى الميدان وحده ليحتفظ بيومياته الاسبوعية بنكهتها الادبية الفريدة ..

والمجلات الشهرية والاسبوعية قل أن نعثر فيها على مقال ادبى بالمعنى الدقيق للكلمة ، فما أحرانا بالعمل على احياء هذا الفن الادبى المنـدثر وتشـجيعه بتخصيص المساحات الكـافية لـه فى الصحف والمجلات ، واقامة المسابقات بين الشباب لكتابته ومنح جوائز للمتفوقين منهم .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن فن الخطابة التى كانت مزدهرة فى مدارسنا ومعاهدنا ومنتدياتنا ، وكانت من افضل الوسائل لتربية الشباب وتثقيفه وتقويم لسانه ، فلعلنا نعمل على تشجيعها هى الاخرى باعتبارها من الزم مقتضيـات ممارسة الديمقراطية على النطاق الواسع الذى ننشده .

ولا يفوتنا فى النهاية أن ننوه بظهور مجموعة كبيرة من الدراسات الادبية وفى العلوم الانسانية خلال المرحلة التى نحاول استعراض نتاجها الادبى .. من أهمها دراسة عبد المحسن طه بدر عن الرواية المصرية ودراسة سيد حامد النساج عن القصة القصيرة .. ودراسات د . محمد أنيس واحمد عبد الرحيم مصطفى وعبد العظيم رمضان وطارق البشرى فى التاريخ المصرى الحديث وكتاب « تاريخ الحضارة المصرية » الذى حرره مجموعة من أكبر أساتذة التاريخ ، وأصـدرته وزارة الثقافة ، ولكنه توقف عند نهاية الحضارة المصرية القديمة ، ولم يوجد من يكمله لتغير الوزير الذى كان مهتما بـه !.. بالاضافة الى عدد كبير من الدراسات الادبية والتاريخية والاجتماعية والنفسية والسياسية والفنية اصدرت هيئة الكتاب عددا كبيرا منها .. ولا يتسع المجال لذكرها .. وانما اشرنا اليها لاهميتها بالنسبة لثقافة الاديب وللحركة الادبية بشكل عام ..

الواقعية والاشتراكية

خلال هذه المسيرة الطويلة استطاعت الحركة الادبية ، والثقافية بشكل عام، أن تحسم العديد من القضايا الحيوية ، فى حين مازالت مترددة أمام بعضها الاخر عاجزة تماما امام بعضها الثالث .

فمن الناحية الاولى أعتقد أنها حسمت علاقة الادب بالحياة ، بحيث لم يعد احد ممن يـبه برأيهم يمارى الان فى اهمية الدور الذى ينبغى أن يقوم به الاديب فى تقدم حياتنا وتنقيتها من شوائبها ، دون أن يتخلى - بطبيعة الحال - عن خصائصه الفنية ..

وكذلك اصبحت الواقعية - بدرجاتها المختلفة من تسجيلية ونقدية وشـاعرية واشتراكية - هى انسب المذاهب لادبنا دون مصادرة - بطبيعة الحال - لبقية المذاهب والاتجاهات والتجارب الفنية .. فلم يحدث أن انحرف ادبنا عن الواقعية الى الرمزية والتعبيرية والعبثية بشكل يمثل ظاهرة الا فى فترات التأزمات ومصادرة الحريات ، وبصفة خاصة فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ .

ومنـذ اجمعنـا فى « الميثـاق » و « برنامج ٣٠ مارس » حتى « برنامج العمل الوطنى » و « ورقة اكتوبر » على اعتبار الاشتراكية هى السبيل الوحيد والحتمى لتطورنا الاقتصادى لم يعد ثمة مجال للتشكيك فى صـلاحية الفكر الاشتراكى لمجتمعنا وفننا وأدبنا .. ومع ذلك فهنـاك اتجـاه مسـتخف لابعـاد الاشتراكيين عن مواقع المسئولية فى بعض اجهزة الثقافة والاعلام . وهناك سعار محموم ضد الاشتراكية تنشره مجلات وزارة الثقافة ومجلات أخرى يملكهـا الاتحاد الاشتراكى .. باسم الديـن حينا ، وباسم تقاليد شعبنا حينا آخر ، وباسم رفض « الحقد الطبقى » حينـا ثالثـا ..

وعلم الله أن ديننا لايتعارض فى جوهره مع الاشتراكية ، وأن تقاليد شعبنا لا ترفضها ، بل على العكس نرحب بها وتسهدها .. اما « الحقد الطبقى » فليس من سبيل لتأجيجه أفضل من تلك النظرة الاحادية المتعصبة التى يصدر عنها بغض ما نقرأ او ما نسمع هذه الايام ..

انفصال شبكى

ومن القضايا التى حسمت أيضا : موقفنا من التراث من ناحية ومن الثقافة الغربية من ناحية أخرى . فغـالبيتنا مجمعة على أن التراث هو سبيلنا الى الاصالة والتميز القومى، فى حين أن ثقافة الغرب هى طريقنا نحـو المعـاصرة والتجدد ، واذا كان هناك خلاف فهو خلاف كمى لا مبدئى .. دع جانبا غلاة المتطرفين فى كلا الجانبين ..

وما ينقصنا فى هذا المجال هو خطة شاملة متكاملة لنشر ما يستحق النشر من روائع تراثنا المصرى القديم والاسلامى والعربى والمصرى الحديث وتيسيـرها لعامة المثقفين ، وخطة أخرى مـوازية لترجمة أمهات كتب الحضارة الغربية ، قديمها والحديث ..

ومن أهم ما حسمناه خلال سنوات الثورة توسيع النظرة الى التراث بحيث يشمل التراث الشعبى المتمثل فى العادات والتقاليد والملابس والرقصات والاغـانى والحكايات والملاحم الشعبية ، فهى مصدر لا ينفد للاستلهام الادبى والفنى . وفى الوقت نفسه عنصر من عناصر تأصيل

الشخصية المصرية .. ولدينا الان مركز للفنون الشعبية وفرق للرقص والغناء الشعبي ، وما أحرانا ان نمضي في هذا الاتجاه بقوة أكبر وعلمية أكثر ..

ومن القضايا التي عجزنا عن حسمها حتى اليوم ذلك الانفصال الشبكي القائم بين الادباء وبقية الفنانين من تشكيليين وموسيقيين وغيرهم .. وما لم نعالج هذا الانفصال وتقوم علاقة التحام بين الادباء والفنانين فستظل الحركة الادبية تسير على قدم واحدة .. وستظل الحركة الفنية تفتقد الى الفكر والنقاش الذي يثيره الادباء .. فهذه العزلة بين الادباء والفنانين لا وجود لها في أي مجتمع متقدم ..

ولعل هذه القضية أن تسلمنا بشكل طبيعي الى وضع جمعية الادباء ونادى القصة وانغلاقهما على مجموعة محدودة من الادباء تدين كلها بالولاء لسكرتيرها العام بحكم ولايته الابدية على الجمعية والنادى ، وانفراده بتصريف شئونهما ، واختيار من يمثلهما في المؤتمرات وفي الوفود المسافرة للخارج في مختلف المناسبات .. ويخيل الى ان هذا الوضع في حاجة الى تصحيح .. وأن الجمعية والنادى في حاجة الى هزة تحولهما الى جهازين ايجابيين في خدمة الادباء والفنانين جميعا دون اشتراط لولاء الا للوطن وللقلم وللقيم التي يلتزم بها مجتمعنا .

الطفيليات المنافقة

ومن بين القضايا الهامة التي حسمتها مسيرتنا الثورية ضرورة تدخل الدولة في الاشراف على الانتاج الادبي والفني باعتباره من أهم الوسائل في بناء الانسان والارتقاء بوعيه ووجدانه .. وان كانت طبيعة هذا التدخل ما زالت في حاجة الى مناقشة وتحديد .. فما زلنا حتى اليوم على سبيل المثال مترددين في اعتبار الثقافة جهاز خدمات كالصحة والتعليم ، وما زالت وزارة الخزانة تطالب هيئات الثقافة بأن يكون لها عائد مادى ، فيترتب على ذلك تأرجح سياسة الوزارة بين تحقيق الاهداف الثقافية النافعة للجماهير وبين الترخص في بعض انتاجها حرصا على تحقيق عائد مادى ..

ولعلنا ما زلنا نذكر تلك السنوات الطويلة التي شاهدتها عمر وزارة الثقافة في الصراع بين سياسة الكم وسياسة الكيف .. والكتب التي طبعت والمؤتمرات التي عقدت وصفحات الصحف مدفوعة الاجر التي نشرت في الدفاع عن كل من السياستين وإثبات فشل السياسة الاخرى .. ودائما بالارقام والاحصائيات .. وقسم الادباء والمثقفون الى فريقين بحسب انتمائهم الى شلة «الكيف» ، وشلة «الكم» .. وحددت أجهزة الثقافة والاعلام مواقفها منهم على أساس هذا الانتماء ..

وانفض المولد .. فاذا بنا لا كما كنا ولا كيفا أبقينا .. وها هو القطاع الخاص يعود الى السيطرة – بقيمه التجارية الخالصة – على ميدانين من أخطر ميادين الثقافة ، وهما السينما والمسرح .. واذا بالكتب والمجلات اللبنانية ، وكثير منها ضار مخرب لقيمنا ، تملأ أسواقنا ، لانشغال هيئة الكتاب بمحاولة الموازنة بين أرباحها ومصروفاتها ..

ان الدولة بكل أجهزتها الثقافية وغير الثقافية لا تستطيع أن تخلق ربع أديب .. كل ما تستطيعه هو أن تيسر للاديب الموهوب سبل الابداع والنشر بمختلف انواعه .. وتستطيع في الوقت نفسه ان تصادره وتحول بينه وبين الوصول بآرائه وافكاره الى الناس .. وخلال الاثنين والعشرين عاما الماضية فعلت الدولة هذا كثيرا ، وفعلت ما هو أقسى منه وأمر بكثير ..

ولن أتوقف عند هذه الصفحة ما دمنا قد وصلنا الى واحة دولة المؤسسات وسيادة القانون .. ولكني لا أستطيع مع ذلك ان اطويها دون ان اشير الى ان أثر هذه الاجراءات الاستثنائية لا يقتصر على من تقع عليهم مباشرة فحسب ، وانما يمتد الى الحركة الثقافية كلها ويشيع فيها نوعا من الذعر والشلل العقلي والقرف العام يستحيل معه أي ابداع خلاق .. ويساعد في الوقت نفسه على استشراء كل أنواع الطفيليات المنافقة المتسلقة لتلتف حول الحركة الثقافية حتى تكاد تخنقها بعد أن تحرمها من الشمس والهواء ..

الامية الثقافية

لقد قدمت الثورة الكثير للحركة الادبية والثقافية .. فانشأت وزارة للثقافة ، ومجلسا أعلى لرعاية الاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، ورصدت جوائز كبيرة للتقدير والتشجيع ، ورعت المجمع اللغوى ودار الكتب ، وأنشأت دارا كبرى للنشر ، وأكاديمية للفنون ، ومركزا للفنون الشعبية ، ومسارح ، وهيئة للسينما .. وأدارة لتفرغ الادباء والفنانين وقصورا وبيوتا للثقافة .. وغير ذلك من المشروعات الحيوية النافعة للادب والادباء .. وللجماهير بشكل عام ..

ولكنني اخشى ان اقول انها عهدت بالكثير من هذه الاجهزة في فترات غير قليلة الى اشخاص لا صلة لهم بالادب أو الثقافة ، بل لعل بعضهم يعاديها في أعماقه بحكم انتمائه الطبقي وقصوره الفكرى .. ومنهم من يقسم الادباء والمثقفين – وفقا لعلاقته الشخصية بهم ومقدار ولائهم له – ان كان من أصحاب الفنون – الى مجموعتين : مجموعة الانصار والمؤيدين .. تنال كل الفرص وتتصدر كل الواجهات الثقافية .. والاخرى معادية تحرم من كل الفرص والمنابر ..

والنتيجة أن تفرغ معظم الاجهزة الثقافية من محتواها التقدمي النافع وتصبح وسائل للكسب والارتزاق لا أكثر .. ويكفي مثلا أن نلقي نظرة سريعة على مشروع كالتفرغ ، أو معهد الفنون المسرحية ، أو المجلتين اللتين تصدرهما وزارة الثقافة لندرك صدق ما نقول ..

يحدث هذا في الوقت الذي نقف فيه شبه عاجزين تجاه مشكلتين على أكبر قدر من الاهمية والخطر .. وهما مشكلة الامية .. ومشكلة الانتشار الثقافي بين الطبقات الشعبية .. وعجزنا عن مواجهتهما يترتب عليه عجزنا عن الوصول بانتاجنا الادبي والثقافي الى جموع الفلاحين والعمال الذين يكونون السواد الاعظم من شعبنا ، ومن حقهم – بحكم الميثاق والدستور – أن يشكلوا نصف مجالسنا الشعبية والتنفيذية .. فكيف نتصور أن يستطيعوا النهوض بالمسئولية الملقاة على عاتقهم في زيادة الانتاج وممارسة حقوقهم الديمقراطية في دولة المؤسسات على الوجه الاكمل ، ونحن نعلم أن نسبة الامية الهجائية والثقافية بينهم أكبر منها بين أي فئة أخرى .. هذا فضلا عن عجزنا عن تصوير حياتهم بصدق في أعمالنا الادبية والفنية .. ولن يتحقق ذلك الا بعد ان تتاح لهم فرص التعليم والتثقيف على أوسع نطاق ، فينبت من بينهم الادباء والفنانون الذين يعبرون عنهم وعن حياتهم وتطلعاتهم وآمالهم ...

● ● ●

تلك بعض القضايا الحيوية التي تحتاج الحركة الادبية الى حسمها خلال الفترة القصيرة القادمة لتستقيم مسارها وتتخلص من أهم شوائبها ومعوقاتها .. فتستطيع ان تتفرغ للقيام بدورها الاساسي في بناء الانسان المصري الجديد .. في مرحلة التعمير الحضاري التي تستشرفها البلاد .. وتتوق الى خوضها صفا واحدا كالبنيان المرصوص .. بلا « شلل » .. ولا أحقاد .. ولا مراكز قوى ..

الأســـاس المـــادى للحـــركة المسرحيـــة

٢

بعد اثنين وعشرين عاما على قيام الثورة المصرية : من اى زاوية يمكن أن نطل على تطور المسرح المصرى خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن ، التى تمثل مرحلة تاريخية كاملة ، لم تقترب من نهايتها بعد وان بانت ملامحها وتزداد وضوحا مع كل عام يمر؟

سامى خشبة

لقد كتب النقاد ومؤرخو المسرح المصريون فى مثل هذه المناسبة كثيرا عن المسرح المصرى . ولكنهم كانوا يقصدون دائما ، واساسا : الدراما المصرية ، وكانوا يتحدثون غالبا عن تطور مضمون النصوص الدرامية المؤلفة ودلالة رؤاها الاجتماعية والفكرية والسياسية فى المحل الاول ، ثم قد يتحدثون ثانيا عن تطور أشكال التأليف . وفى بعض الحالات النادرة اهتم النقاد بدرس تطور الجمهور نفسه ، كميا وكيفيا اعداده وانتماءاته الاجتماعية ، ونوعية التعليم السائد بين طبقاته وفئاته .. الخ] .

ولكن نادرا [ان كان قد حدث ابدا] ، ما أهتم النقاد بدرس تطور الحركة المسرحية المصرية ككل ، ودراسة نمو أو انكماش الاساس المادى المنطقى والطبيعى لهذه الحركة ، وعلاقة تطورات هذا الاساس المادى من ناحية وعلاقة المناخ الثقافى العام من ناحية إخرى بـ « حالة » المسرح المصرى على طول تلك المرحلة .

واقصد بالاساس المادى الطبيعى لاى حركة مسرحية :

● **المسارح [بيوت التمثيل] وكفاءتها البشرية والالية وسعتها وظروف عملها .**

● **التعليم المسرحى والدرامى فى المعاهد المتخصصة أو فى مراحل التعليم العام المختلفة ، تأثيره فى تكوين عقلية الجمهور وذوقه الدراميين والمسرحيين .**

● **النشر الجماهرى للثقافة المسرحية ، من مقالات ودراسات واعمال ابداعية مؤلفة أو مترجمة [فى شكل مجلات أو كتب أو صفحات متخصصة] .**

ونحن نزمع فى السطور التالية ان نقدم صورة مركزة [قد تعوزها الارقام الدقيقة ولكن لن تعوزها محاولة الاقتراب المعقول من الحقيقة] لتطور حركتنا المسرحية من هذه الجوانب الثلاثة ، واضعين فى اعتبارنا مجموعة من القواعد التى نراها أساسا فكريا لازما لوضع مثل هذه الصورة :

● ان الزاوية التى اخترناها لمعالجة هذا التطور للحركة المسرحية المصرية ، تفرضها المبادىء العامة للثورة المصرية ذاتها ، المبادىء التى يمكن تلخيصها فى الهدف العام المعلن من الثورة : ضرورة الاسراع ببناء مجتمع حديث عصرى وعادل ، يعمل على ان يضمن لمواطنيه العلم والثقافة والمتعة الرفيعة الى جانب الحرية والرخاء والعدل ، اعتمادا على ابداع هؤلاء المواطنين وجهدهم الذى يبذلونه على قدم المساواة ، ويقتسمون ثماره على قدم المساواة ايضا .

● ان تطور الحركة المسرحية المصرية بوجه خاص ، بجوانبها الثلاثة ، لم يكن

مشروطا فقط بحركة الواقع الاجتماعى والثقافى المحلى العام • فالمسرح فى مصر فن جديد نسبيا ، والواقع بالنسبة للفن عموما يتضمن ايضا — الى جانب الواقع الاجتماعى والفكرى والثقافى المحلى — واقع النوع الفنى ذاته وتطور هذا النوع وتراثه عبر العصور : ولذلك فليس غريبا ان يحاول المسرح فى مصر ان يمد جذوره دائما — أو غالبا — فى جوانب متعددة منه الى حيث نشأ وتطور المسرح الاوروبى الغربى •

● ان تطور الحركة المسرحية ، بجوانبها الثلاثة تلك ، لم يكن منفصلا — تأثرا وتأثيرا — عن تطور الثقافة المصرية بشكل عام وتطور انواعها الفنية الاخرى، وتطور المؤسسات التى قامت أو تقوم بمسئولية ادارة وانتاج ونشر تلك الانواع الاخرى [مؤسسات نشر الكتب أو انتاج الافلام السينمائية ، أو انشاء وادارة المعاهد والمدارس العليا الفنية المتخصصة .. الخ] •

● ان العروض المسرحية لم تكن على الدوام تعبيرا كاملا عن حركة التأليف الدرامى من ناحية ، كما ان حركة التأليف والعروض المسرحية معا كانا خاضعين على الدوام — بداهة — للتغيرات التى وقعت فى الاتجاه الفكرى السائد للاجهزة المسئولة عن المسرح فى الدولة ، على المستوى الضيق ، ثم انهما خضعا أيضا على مستوى أكثر اتساعا، للتغيرات التاريخية الضرورية التى طرأت على التركيب الاجتماعى والتكوين الثقافى للجمهور أو للعاملين فى الحقل المسرحى نفسه من مخرجين وممثلين •

●●●

أولا : المسارح والفرق : مقارنة الكم والانتشار •

فى صيف عام ١٩٥٢ ، لم تكن فى مصر كلها غير ثمانية مسارح ، اربعة منها فى القاهرة ، وواحد فى كل من الاسكندرية والمنصورة وطنطا واسيوط • ولم يكن هناك عمل مسرحى حقيقى [نسبيا] الا فى القاهرة • وكان مسرح الاسكندرية يشهد عرضا لمدة اسبوع أو اثنين كل عامين أو ثلاثة • أما مسارح المدن الاقليمية الثلاثة ، فكانت قد اقيمت لاغراض الزينة الاجتماعية الحضرية ولم يشغلها بعد سنوات من


فتوح نشاطى


زكى طليمات

بنائها الا سيارات اطفاء الحريق فى اسيوط وارشيف المديرية فى طنطا • أما مسرح المنصورة فكان يعمل احيانا على فترات متطاولة للغاية • وكان سكان القاهرة يقاربون المليونين ، وسكان الاسكندرية يقاربون المليون ، وسكان كل من المنصورة وطنطا واسيوط يقاربون ثلث المليون •

كان فى القاهرة مسارح دار الاوبرا ، ومسرح الازبكية « الشتوى » القديم [المسرح القومى الان] ومسرح الازبكية الصيفى [كان يستخدم مسرحا فى شهرى أغسطس وسبتمبر من كل عام ، ودار للعرض السينمائى فى يونيه ويوليو ، وفى الشتاء يتحول الى ساحة للتزحلق — الباتيناج !.] •

وكانت هذه المسارح الثلاثة مملوكة للدولة ، تعمل بها فرقتا الدولة انذاك، أو الفرق الاجنبية الزائرة فى شهرى يناير وفبراير • وكانت القاهرة تملك مسرحا خاصا واحدا هو مسرح الريحانى الذى لايزال على حاله للان • أما الاسكندرية فكانت تملك مسرح محمد على ، وكان تابعا للبلدية ، مثله مثل مسارح المنصورة وطنطا واسيوط •

وكانت مصر كلها تملك أثنين من المخرجين الدارسين لفن الاخراج [فتوح نشاطى وزكى طليمات] ، ولم يكن هناك من الممثلين أو الفنيين من درس فنه دراسة علمية منتظمة • وكانت سعة مسارح القاهرة تقارب الالفىمتعد، ومسرح الاسكندرية يتسع لخمسمائة متفرج [حتى الان ، بالطبع] •

● وفى عام ١٩٧٤ ، كانت القاهرة قد فقدت مسرح الأوبرا [احترق فى عام ١٩٧١] ، ولكنها اصبحت تملك ثمانية مسارح : الازبكية [القومى] ، والجمهورية ، والطليعة ، والحكيم ، والبالون ، والعائم ، ومصطفى كامل ، والسامر ★ • وفى مقابل هذه الزيادة فى مسارح الدولة ، فقدت القاهرة ثلاثة دور للعرض السينمائى [حلت محلها مسارح الجمهورية والحكيم ومصطفى كامل] • ومازالت تجاهد لكى تشيد لنفسها دارا للاوبرا بدلا من تلك التى فقدتها وفقدت معهامعداتهاوديكوراتهاوآلات موسيقية وملابس ومسودات نوتات موسيقية ونصوصا مسرحية .. الخ لاتقدر بثمن •

وفى عام ١٩٧٤ ايضا ، كانت القاهرة قد أضافت الى مسرح الريحانى مسارح الهوسابير وعمر الخيام والفنانين المتحدين ومسرح ميامى [فرقة تحية كاريوكا] ، وهذه هى مسارح الفرق الخاصة التى تقدم مواسم ثابتة •

أما سكان القاهرة فقد زادوا من ٢ الى ٦ ملايين نسبة ٣٠٠٪ وبدلا من مسرح واحد لكل نصف مليون مواطن [عام٥٢] صار هناك مسرح واحد لكل أربعمائة وخمسين ألف مواطن .. تقريبا •

وأضافت الاسكندرية الى مسرح محمد على القديم [سيد درويش حاليا]: المسرح الرومانى المفتوح ، ومسرح الشاطبى ومسرح سيدى بشر المفتوحين ايضا • وتتحول فى كل صيف عدة قاعات أو صالات ملاه ليلية الى مسارح ، تبعا لعدد الفرق الخاصة التى تتكون لموسم الصيف وحده ثم تنفض •

ولكن مصر خارج العاصمتين كسبت من طريق الثقافة الجماهيرية والحكم المحلى ستة وعشرين مسرحا جديدا فى مواسم المحافظات [باستثناء سيناء بالطبع ، ومع اعتبار ان الثقافة

★ استثنينا من هذا الرصد مسرح العرائس لطبيعته الخاصة ، وبلاحظ عموما اننا نتحدث عن المسرح الدرامى ، فاستبعدنا فرق الرقص الشعبى والباليه [!] رغم انها تتبع هيئة المسرح وتعمل على مسارحها •

الجماهيرية تملك مسرحين فى القاهرة ومسرحين فى الاسكندرية] . وكسبت مصر ايضا ما يقرب من اربعين مسرحا جديدا فى بعض المدن الرئيسية والقرى الكبرى .

وبذلك ترتفع نسبة عدد المسارح الى نسبة عدد المواطنين فى مصر كلها ؛ ونرى تقدما ملحوظا . كانت النسبة عام ٥٢ تقارب مسرحا واحدا لكل ٢٫٧٥ مليون مواطن [اذا قدرنا سكان مصر ٢٢ مليونا] ، وفى عام ٧٤ اصبح هناك مسرح واحد لكل نصف مليون مواطن تقريبا [اذا قدرنا عددنا الآن ٣٨ مليونا] .

ولكننا نعرف ان مسارح القاهرة لاتعمل أكثر من خمسة أشهر فى المتوسط كل عام ، وان مسارح الاسكندرية تعمل لمدة شهرين الى ثلاثة شهور فى المتوسط سنويا ، وان مسارح المحافظات والمدن الاقليمية تعمل لمدة شهر واحد[كمسارح] فى كل سنة .

وفى خلال ربع القرن الاخير ، ظهرت ثلاثة اجيال من المخرجين الدارسين ، برز من الجيل الاول ستة ، هم : **عبد الرحيم الزرقانى ونبيل الالفى وحمدى غيث وكمال ياسين** [وكان معهم **نور الدمرداش** قبل ان يجذبه التليفزيون] وكان معهم ايضا المرحوم **سعيد ابوبكر**، وبرز من الجيل الثانى ثلاثة ، **كرم مطاوع وسعد اردش وجلال الشرقاوى** .

ولانستطيع حتى الان ان نشير الى اسماء بعينها لنقول انها قدبرزت من ابناء الجيل الثالث رغم تردد اسماء **احمد زكى وسمير العصفورى او احمدعبدالحليم** [وربما كانوا اقرب بحكم السن الى الجيل السابق ، وان كانت تجربتهم أقصر عمرا بكثير واقل استمرارا] .

ورغم ان الغالبية العظمى من ممثلى المسرح [وخاصة فى مسرح الدولة] قد اصبحت من دارسى فن التمثيل ،فان مشاكل علاقتهم بالفن المسرحى لها طابع خاص [سنناقشه بتفصيل فيما بعد]، كذلك فان الفنيين المسرحيين مازالوا يكتسبون خبرتهم بالتجربة وليس على أساس دراسى وعلمى منتظم ، وعلى أيدى فنيين أكتسبوا خبرتهم بالتجربة أيضا ، ربما باستثناء مصممى الديكور، الذين يندر بينهم ايضا من درس الديكور المسرحى بالذات .

والملاحظ على المسارح نفسها بشكل عام انها تقف فى تجهيزاتها عند مستوى متخلف للغاية ، وفالبية الحركة فيها تدار يدويا وبالحبال ، واجهزة الاضاءة فيها يعود أكثرها الى اعمار تبلغ اربعين عاما أو اكثر ، وبعضها زود بأجهزة حديثة نسبيا ، ولكن نسبة الاجهزة الحديثة الى القديمة تجعل الاولى غير ذات قيمة عمليا ، بالاضافة الى ما تعانيه من نقص فى قطع الغيار والصيانةوالخبرة الفنية المشرفة .. الخ . وميزانيات هذه المسارح فقيرة للغاية [وميزانية الهيئة عموما غير معلنة ولا يتضمنها الاحصاء السنوى الذى تصدره الهيئة العامة للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، رغم ان هذا الاحصاء يتضمن صافى الايراد واجمالى الايراد] .


عبد الرحيم الزرقانى


نبيل الالفى

○●●

ثانيا : التعليم والمسرح : الذوق الدرامى والحرفة المسرحية :

غنى عن البيان أن نقول ان مواد الادب والفنون فى مدارسنا ، حتى العالية منها (باستثناء أقسام اللغات فى كليات الاداب) لا تقدم اى شىء من المعرفة بالمسرح ولا بالدراما ، وبالتالى فانها لا تساعد طلبتها على تذوق الفن المسرحى . على العكس ان هذه المواد بتكوينها وأسلوب تدريسها تقف حجر عثرة فى وجه تطور أى ذوق مسرحى حقيقى . أحيانا يلتقى التلميذ بـ « قصيدة » مأخوذة من مسرحية لاحمد شوقى أو عزيز أباظة [على الاكثر] ، ولكنه سيتعرف عليها كقصيدة لا علاقة لها بالعمل الدرامى الذى أخذت منه ، وغالبا ما يطلب منه أن يشرح بيتا أو بيتين ، او ان ينثر بيتا او بيتين آخرين، او أن يقدم الشرح اللغوى لبعض المفردات [فهو لن يتعرف على القصيدة حتى باعتبارها شعرا] . وقد يلتقى أحيانا فى كتاب النصوص أو المطالعة بمقطوعة مأخوذة من احدى مسرحيات محمودتيمور أو أحمد باكثير [لا يتعداهما] ، ولكن لن يطلب من التلميذ أن يلتفت الا الى الشكل الحوارى ، لكى يدرك أن « الحوار » أيضا شكل من أشكال الكتابة النثرية ، وأنه نوع من « البيان » ، وقد يطلب منه أن يعرب ما تحته خط من هذا الكلام تأكيدا لعقيدة ان الحوار ليس بدعا بين اشكال الكتابة النثرية ،وانه « هو الاخر » يجب أن يخضع للاعراب . اما الدراما والبناء الدرامى والتكوين النفسى للشخصيات وابعادها الاجتماعية، وصراع الارادات الفردية والافكار والعواطف، وصراع الجموع ضدأوضاعها صراعا مضمونه الاساسى هو الحرية فأشياء لا يستطيع علم « دار العلوم » ولا ذوقها أن يتخيله فى مواد الادب واللغة ، لانها اشياء لم يرد لها ذكر عند الكسائى ولا سيبويه ولا الفراء .

كان هذا قائما قبل عام ١٩٥٢ ،ومازال قائما حتى عام ١٩٧٤ بالنسبة للتعليم العام ، واذا كان الحكم البديهى هو أن هذا التعليم يكرس المفاهيم الادبية واللغوية والفنية التى سادت فى الثقافة العربية منذ بدأت فى انتاج علومها المنظمة لمجالات تلك المفاهيم [قبل اثنى عشر قرنا] وأن هذه العلوم خلت من أى تصور عن الفن الدرامى (لعدم معرفة ثقافتنا بهذا الفن أصلا رغم كل ما قد يقال من معرفة أسلافنا لفن التمثيل .. الخ]. فان هذا لايعنى الا ان تعليمنا العام لاعلاقة حقيقية بينه وبين التطور الذى تحقق فى مجال الابداع الادبى والفنى ، وان هذا التعليم مازال يبشر — فقط — بابداعات عصور سابقة وبمفاهيم تلك العصور نفسها ، وأن هذا التعليم لا يساهم فى اعداد جمهور للمسرح قادر على تذوقه تذوقا واعيا وقائما على المعرفة . والمشكلة هنا ليست مشكلة « البحث عن جمهور للمسرح عن طريق التعليم » ولا هى تحديد هدف التعليم بأنه اعداد جمهور للمسرح (!) وانما هى مشكلة طريقة تكوين الذوق الجمالى والفنى لهذا الجمهور ، ونوع المساهمة التى يقدمها التعليم فى تكوين [أو الصحيح أن نقول :

في تجميد] سيكولوجية الامة وعقليتها السائدة . ★

من هنا يبدو الوضع الذي تعيشه المعاهد العليا الفنية المتخصصة ، وضعا غريبا وشاذا بالنسبة للمناخ الثقافي العام الذي يساهم التعليم العام في بلادنا في صنعه .

واقدم هذه المعاهد بالطبع هو **المعهد العالي للفنون المسرحية** الذي أنشيء عام ١٩٤٣ ، والذي كان اسمه « المعهد العالي لفن التمثيل » حتى عام ١٩٥٦ ، وفي سنوات مختلفة بين أواخر الخمسينات ومنتصف الستينات ، أنشئت معاهد الباليه والكونسيرفاتوار والسينما ، وهذه كلها دون شك ترتبط بالفن الدرامي وبمحاولات نشر المعرفة به ونشر الذوق الدرامي بدرجات متفاوتة .

والسؤال البديهي هنا هو : ما الوظيفة الاجتماعية التي تمارسها هذه المعاهد بالتحديد ، وما علاقة « الثقافة » التي تمثلها بالثقافة السائدة التي يمثلها ويكرسها التعليم العام ، في عداء شديد [أو في تجاهل كامل على الاقل ، يؤدي الى الجهل ، فالعداء الشديد !] للفن الدرامي وما يرتبط به من ذوق وطريقة في الادراك والتصور ؟

تنتج هذه المعاهد امكانيات بشرية ، فنانين ، ارتبطوا بقدر او آخر بمفاهيم معينة عن الفن الدرامي ، لكي يواجهوا جمهورا [كرست مفاهيمه الثقافية وقيمه الذوقية التقليدية عن طريق التعليم العام ووسائل الاعلام الهابطة] ولكي يواجهوا مؤسسات لا علاقة بينها وبين تلك المفاهيم غالبا الا علاقة العداء الشديد) فهذه المؤسسات تنتمي بشريا الى نفس الجمهور ، وتنتمي في المستوى الاجتماعي الى الاتجاه السائد : اتجاه المحافظة على البناء القومي التقليدي للمجتمع دون تغيير] . وتبدأ المساومة ، التي لا يستطيع الفنان أن يصمد فيها طويلا .

والمشكلة في المساومة ليست مشكلة كمية : ليست مشكلة الى أي مدى ينبغي أن « يهبط » الفنان الى مستوى الجمهور والمؤسسات ، أو الى أي مدى يمكن للاخيرين أن يرتفعا الى مستواه . انها مشكلة كيفية : مشكلة انتماء الفنان بحكم تعليمه المتخصص لنوع مختلف من



الفريد فرج

المفاهيم والتصورات الفنية والقيم الذوقية اذ عرفها الجمهور وصفها بالتعقيد وثقل الظل والتعالي على « حقيقة الشعب » وبأنها « غير واقعية » . واذا حاولت المؤسسات تقييمها بالتالي حكمت عليها بأنها مفاهيم خاسرة اقتصاديا ، لا تدر ربحا ، غير تجارية . ويكون على الفنان أن يساوم على يقينه ذاته وعلى روحه النبيلة التي اكتسبها بالعلم : أن يلتزم بالفن الدرامي الذي عرفه ، أو أن يهجره الى هذا « الفن » الذي يمكن أن يكون رابحا ، والذي لا تعترض عليه مؤسسات « حراسة » ثقافتنا السائدة ، رغم أنه لا يأبه كثيرا بالنحو والبلاغة والبيان ، ولا يبالي بالقيم الاخلاقية التقليدية أو غيرها [بل لعله يرتكب ضدها جرائم يعاقب عليها القانون] ولكنه أيضا لا يتحدث عن الحرية الانسانية ولا عن شوق الانسان الى الكرامة في الكون والعدل في المجتمع ، لا يتحدث عن الانسان المتمرد [الا لكي يسخر منه او يدينه] وانما عن الانسان المتكيف ، الضاحك في حبور ، أو الباكي في تعاسة لا عن المعرفة الساخر من المعرفة الحقة ، دون تفكير في امكانية استجماع ارادته للدخول في صراع من أجل أعطاء ضحكه وبكائه معنى وحياته هدفا وانسانيته مسئولية وقواما منتصبا في مواجهة قوى القهر الكونية أو الاجتماعية أو النفسية

وبالتدريج تبدأ المساومة في الوصول الى هذه المعاهد نفسها ، فالمجتمع الذي يدفع التكاليف لا يحب أن تستمر هذه المعاهد في انتاج فنانين يتعبونه الى هذه الدرجة قبل أن يستسلموا . ويعنينا هنا بالدرجة الاولى المعهد العالي للفنون

المسرحية . لقد تأسس هذا المعهد عام ١٩٤٣ ، حينما كان طه حسين مستشارا لوزارة المعارف ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي حاول فيها أن يطبق ماقاله في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » كانت هذه هي ذروة حركة « الاتجاه غربا» التي مثلها مثقفون الاستقراطية المصرية المستنيرون بنور الغرب ، وكان المضمون الذي قام عليه معهد فن التمثيل ، هو نفس مضمون الحركة نفسها . وبالنسبة للمسرح كان المضمون هو اقامة فن التمثيل على أساس استجلاب روح التمثيل الدرامي الغربية كاملة ، وغرسها في أرض الروح المصرية التي لا تعرف الدراما ، والتي كان ينبغي لكي تعرفها أن « تتعلمها » ، وأن تتغير طبيعة الارض الاجتماعية والفكرية بشكل عام ، وأن تتعلم معها كل ما يصاحبها ، ويساعد في انباتها تلقائيا دون فرس صناعي ، وأن تتعلمه على نطاق واسع : كان عليها أن تتعلم قيم الروح الفردية الانسانية الطموح ، والايمان بالارادة الانسانية وحدها ، وبنبل العقل الانساني وجلاله حتى في لحظات ضعفه أو انهزامه أو تشوهه ، وبأنه لا شيء في هذا العالم أحادي الجانب أو يسير في اتجاه واحد ولا في خط مستقيم ، وبأنه لا شيء في الحقيقة علوي متنزل من مصادر مجهولة ، وأن كل شيء متعلق بالانسان انما ينبت في عالم الانسان الاجتماعي وفي عالم عقله الكثيف الثري بالامكانيات المعجزة .

ولكن الروح المصرية لم تتعلم شيئا من هذا [ربما باستثناء المثقفين] الذين يمثلون واحدا بالمائة من العشرة في المائة المتعلمين في مصر في ذلك الوقت : هل تغيرت النسبة كثيرا ؟] أما عن معهد التمثيل ، برجاله الاوائل الذين أقاموه — على رأسهم كان **زكي طليمات** ابان صبوة الشباب ، والباقين جلهم من تلامذة **طه حسين** أو مريديه — فانه لم يكن يمتلك واحدا في المائة من مجموع قوة المؤسسات صانعة حياتنا الثقافية القومية وحارستها ، ولم يكن التاريخ يسير في اتجاهه الغريب ، بمثل ما لم يسر التاريخ في الاتجاه الذي أراده كتاب « **مستقبل الثقافة في مصر** » .

★ والحديث عن المواد الدراسية في العلوم الانسانية والاجتماعية الاخرى ، سيؤدي الى تأكيد نفس النتيجة . **يمكننا** القول بأن الفكرة التي يحصل عليها التلميذ المصري من تعليمه عن عالم الانسان الاجتماعي والنفسي فكرة ناقصة مشتتة لا تؤدي الى تكوين تصور شامل عن الوضع الانساني .

اختفى من المعهد العالى للفنون المسرحية جيل « الاتجاه غربا » الذى قاده زكى طليمات : محمد مندور ومحمد القصاص ودرينى خشبة وعلى فهمى وفتوح نشاطى ومحمد عزت عبد الكريم وغيرهم ، ماتوا يشبوا و صمتوا لما اكتشفوا الحقيقة . وحل محلهم جيل آخر ينقسم الى قسمين رئيسيين : أولهما « متفرنج » بشكل كامل ، يردد شعارات الجيل القديم دون قوته الثقافية ودون اصالته ، ودون قلقه المغامر من نفس الاتجاه ★ والقسم الاخر من هذا الجيل الجديد لا يكاد يملك سوى كمية من المعلومات والمهارات الحرفية ذات الصياغات المصبوبة فى قوالب نهائية .

واذا كان كل هذا لا ينطبق فى الحقيقة الا على مدرسي المواد التاريخية والادبية المتعلقة بالفن الدرامى [أدب الدراما وتاريخه وتطوره] ، فالمعهد يمتلك الان، ومنذ عشر سنوات على الاقل نفس مجموعة الجيلين الاول والثانى من المخرجين الذين برزوا فى ربع القرن الاخير باستثناء من هاجر منهم الى الخارج مثل سعد أردش ، أو هجر الفن الدرامى نفسه — الى الداخل — مثل جلال الشرقاوى ، قبل أن يهاجر هجرة مماثلة هؤلاء فى الحقيقة هم من يزالون قادرين على امداد طلبتهم بجوهر موقف الالتزام بروح الفن الدرامى النبيلة ... الى أن تبدأ المساومة .

وليس امامنا متسع من الوقت — ولا من المكان — للحديث عن المستوى التكنيكى والثقافى للتعليم فى هذا المعهد ، ولا عن تأثر هذا المستوى بفقر التعليم العام — فى المراحل السابقة على التعليم العام وتخلفه وتقليديته وعجزه عن تكوين رؤية شاملة الى وضع الانسان فى الكون وفى المجتمع . وليس أمامنا أيضا متسع للحديث عن تأثير مناخ العمل المسرحى نفسه [سواء فى مسارح الدولة أو فى القطاع الخاص]] على الخريجين أنفسهم ولكن حسبنا أن نشير الى ظاهرة أساسية : ان الضمور المستمر الذى يبدو وكأنه يأكل أطراف الحركة المسرحية كميا وكيفيا ، وليس سوى الانعكاس الطبيعى فى عالم المسرح لضمور حياتنا الثقافية بوجه عام ، نتيجة لمحاولة فرض



نعمان عاشور

حركة مضادة الى الوراء على هذه الحياة [الى الثلاثينات ربما أو الى الاربعينات]. وهى محاولة تعبر بصدق عن المستوى الثقافى، والفكر الحقيقى للفئات الاجتماعية التى ينتمى اليها جمهور مستهلكى الانتاج الثقافى [. والمسرح بوجه خاص ,] كما ينتمى اليها الجانب الاكبر من مخططى حياتنا الثقافية الان وواضعى برامجها وأهدافها .

●●●

الثقافة المسرحية .

يسعى النقيض دائما الى ايجاد نقيضه ولم يكن من الممكن الا أن تسعى الثقافة المسرحية لكى تشق لنفسها طريقا خاصا الى عقل الجمهور ووجدانه بعيدا عن مجال التعليم المسدود أمامها ، والذى اتخذ منها موقف التجاهل ، والتجهيل والعداء . ولكن النقيض لا يوجد مكتملا منذ البدء . بل انه قد يبدأ فى الوجود متخذا نفس طرق نقيضه فى الوجود وأساليبه فى افتتاح مكان لنفسه. ولهذا فان نشر الثقافة المسرحية خضع فى البداية اما لامزجة القائمين على بعض الاجهزة الثقافية ، واما لمصالح الناشر من الباحثين عن الكسب .

حتى عام ١٩٥٢ ، نشر احمد شوقى ومحمد تيمور ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وعزيز اباظة وباكثير أعمالهم « المسرحية» التى كانت تتلقى اساسا كنوع من الابداع الادبى ، نادرا ما يفكر أحد فى أنها اعمال تنتمى الى نوع خاص من الابداع لا يكتمل حقا الا على منصة العرض المسرحى . وكانت عمليات النشر تأتى نتيجة لجهود فردية ، يسعى الناشر اليها استثمارا لشهرة الكاتب نفسه .

وكانت قلة الاعمال المؤلفة المنشورة نتيجة طبيعية لضيق الحيز الذى احتله الادب الدرامى عموما فى ابداعنا القومى كله ، ولخضوع عملية العرض المسرحى للاعتبارات التجارية الخاضعة بدورها لذوق الجمهور وحالقه النفسية والعقلية المرتبطة بالاوضاع السياسية والاقتصادية لجماهير الطبقة الوسطى ، عصب الحركة الوطنية والمستهلكة الرئيسية للفن المسرحى .

وقبل عام ١٩٥٢ أيضا اتجهت حركة الترجمة المسرحية الى ترجمة أعمال درامية بعينها ، تركزت بطبيعة الحال حول بعض الاعمال المشهورة واعتمادا على ذوق المترجم ونوع ثقافته واللغة التى يجيدها . ترجمت أعمال لموليير وبرنارد شووراسين وشيكسبير ، مثلت رغم رداءة الترجمة استجابة من نوع رفيع لمطالب جمهور المسرح [وجمهور القراء أكثر من جمهور المتفرجين] من النقد الاجتماعى والمعالجات العاطفية الضاحكة أو الدامعة . وكانت أكثر « المؤسسات » نشاطا فى مجال الترجمة المسرحية لجنة التأليف والترجمة فى وزارة المعارف ، تليها مكتبة جامعة الاسكندرية والاثنتان كانتا تحت اشراف طه حسين حينما كان مستشارا للوزارة ومديرا للجامعة ، وقد ترجم بنفسه عددا من أعمال المسرح اليونانى .

ولانستطيع أن نقول ان أجهزة ووسائل الاعلام الجماهيرية [الصحافة بدورياتها المختلفة أساسا] قد لعبت دورا كبيرا فى نشر «المعرفة» المسرحية بين «الجماهير» ربما قدمت مجلات الرسالة والرواية والكاتب المصرى مساهمات فى هذا المجال، ولكنها كانت مساهمات تقوم على تلخيص المسرحيات وسرد شىء من حياة مؤلفيها، فتتحول الدراما بهذا الشكل الى نوع من الحدوتة ، لا يتذوق قارؤها شيئا من بنائها المتميز ، ولا يفهم شيئا عن علاقتها بعالم فنى وجمالى واجتماعى خالى .

ولكن عملية نشر الثقافة المسرحية بشكل منتظم واسع المدى ، تلك التى بدأت فى محاضرات معهد التمثيل ، لم تتخذ اتساعها الكامل ، لكى تصبح جزءا من عملية « تثقيف الجماهير » الا فى اواخر النصف الثانى من الخمسينات :

★ هذا القلق الذى تمثل فى حرص مندور على تطوير النقد العربى القديم ، واكتشاف القيم الدرامية فى الاداب العربية التقليدية ، وتمثل فى نزعة محمد القصاص الروحية ، وفى نزعة حسن النحى « الريفية الشعبية » وفى نزعة درينى خشبة الاخلاقية ، ونزعة على فهمى الصوفية ، ونزعة فتوح نشاطى البلاغية والزخرفية معاً .

مع بداية نشاط التأليف المسرحي أساسا، ومع اتجاه الدراما المصرية الى الحياة المصرية ومساهمتها في نقد تلك الحياة والبحث عن مسارات مستقبلها .

كانت العملية « النقدية » العميقة قد بدأت داخل المجتمع المصرى كله منذ ١٩٥٤ . انها عملية درامية فى جوهرها. فالجديد الاجتماعي والسياسي — جديد بشكل ما — يأخذ زمام الامور ، والمجتمع ككل يبدو كأنه أكتسب ارادة جديدة ، وأنه قرر لا أن يراجع الماضى فحسب ، بل أن يمسك مصيره بيده ، سياسيا واقتصاديا على الاقل . ورغم كل التحليلات السياسية التى قد تقال عن طبيعة السلطة وأسلوب ممارستها للحكم فى هذه المرحلة ، فان المناخ كان مناخا يهيىء الظروف لازدهار المسرح بالفعل [بصرف النظر عن ضعف الدراما المؤلفة ضعفا سنحاول تفسيره فيما بعد] . فالمسرح فن سياسي فى جوهره ، يزدهر مع ازدهار الارادة ومع اكتساب روح الانسان وعقله قدرة مواجهة القوى التى تقهره . انه فن يزدهر فى ظل الحرية، أو حتى فى ظل وجود أمل قوى فى الحرية مع نشوء حركة — حتى ولو شكلية — تتخذ مظهر اكتساح الماضى والسعى الى آفاق المستقبل .

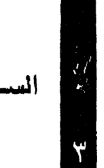
فى عام ١٩٥٧ عرض المسرح الحر مسرحية « **الناس اللى تحت** » **لنعمان عاشور** ، ونجحت المسرحية نجاحا ساحقا بين جمهور تكون اغلبه من ابناء الفئات الدنيا والمتوسطة من البورجوازية القاهرية . كانت المسرحية تتحدث عن البحث عن « مصر الجديدة » ، وكانت تشير بوضوح الى أن مصير البحث يتوقف على شابين من أبسط فئات البورجوازية الصغيرة ، وأن الحلم والفكرة يمسكهما عقل فنان بورجوازى صغير ثورى بشكل ما ، ولكنه يعرف أن عالم الكبار يجب أن يسقط .

وفى العام التالى عرضت مسرحية « **سقوط فرعون** » **لالفريد فرج** ، عن استحالة تحقيق حلم العدل والحرية اذا لم يكن تحقيق الحلم فى أيدى جماهير الناس الذين مثلهم أشخاص من أبناء الكهنة والموظفين . بدأ كل شىء اذن بنغمة ثورية يرددها البورجوازيون الصغار، ويسمعها جمهور من البورجوازيين الصغار أيضا ، وللجمهور أن يفهم ما يسمعه كما يحلوله ، وطبقا لمفاهيمه الخاصة عن المستقبل والثورة ومقدار ما يستطيعه فعلا من افتراق عن الماضى. ولكن ما يهمنا الان هو أن نجاح الدراما المصرية المؤلفة ، وقدرة المسرح المصرى على اجتذاب جمهور كبير ، واستمرار ارتفاع مستوى العرض المسرحى نفسه واقترابه من القدرة على تجسيد صورة للواقع أكثر نقاء وجاذبية وتركيزا من الواقع نفسه .. كل هذه العوامل هى التى جعلت بحث الجمهور عن الثقافة المسرحية أمرا معقولا ، ومحتما ، خاصة وأن المعهد العالى للفنون المسرحية كان مستمرا فى التوسع وفى تخريج المزيد من أبنائه ، ومع تزايد نجاح « العروض المسرحية » عجزت حركة التاليف عن تلبية المطالب المتزايدة من النصوص ، وتقدمت الترجمة لكى تسد النقص ، ثم مسرحية الروايات المصرية ، ثم الاقتباس مع التأليف .

وفى خلال السنوات العشر من ٥٩ الى ٦٩ كانت هناك ما تشبه الموجة العارمة من « الثقافة المسرحية » : مجلة شهرية للمسرح بصرف النظر عن موقفها من الدراما المصرية نفسها ، فانها احتوت بالضرورة على الكثير من المواد «المعرفية» عن الدراما والمسرح العالميين ، مع المجلة دورية شهرية لنشر المؤلفات المسرحية المصرية ، سلسلة شهرية ثم سلسلة ثانية نصف شهرية لنشر الترجمات ، ترجمات عديدة — تزيد على المائتين — من الدراسات من تاريخ المسرح والدراما ومن أوضاعهما المعاصرة ، سلسلة أخرى لنشر المؤلفات المصرية ، دور النشر المصرية والاجنبية تنشر المسرحيات ، وبعضها ينشىء سلاسل خاصة لنشر الترجمات المسرحية .. وكان المسرح فعلا هو الثقافة المصرية كلها ، وهو الذى يرسم صورة روح مصر وعقلها ومستقبلها . بعض العروض المسرحية اكتسبت شكل « البرلمان المتمرد على الملك ، وبعضها اكتسب شكل مجلس نبلاء يطالب بقطع رؤوس المتمردين وكل شىء يعتمد على الظروف . وأصبحت « المقالة الصحفية من المسرح » شيئا أساسا فى كل صحيفة أو مجلة ، وأصبح « النقد » المسرحى واجبا لكل من له مكان فى صحيفة أو مجلة .

ولكن المسرح لايستطيع أن يغير الواقع. الواقع أقوى . انه هو الذى يلون المسرح — حتما بلونه . فاذا كان المسرح الجديد ، بعد ٥٢، وفى أواخر الخمسينات بالتحديد ، قد بدأ بأبطال من البورجوازين الصغار الثوريين ، يتحدثون عن المستقبل الى جمهور من البوجوازيين الصغار الحالمين بالتغيير ، فانه لابد أن ينتقل بالتدريج . ومع تغير الواقع وتغير الجمهور — الى ابطال يكتفون بان يحلموا بالثورة ، ساخطين لان الثورة لا تريد أن تتحقق بالصورة التى يحلمون بها ، بينما الجمهور يعيش بالفعل فى التغيير ذاته الذى يحدث . والتغيير ليس اقتصاديا أو سياسيا فحسب ، انه عقلى وفكرى ايضا . والجمهور ليس كتلة واحدة ، انه فئات متعددة ، والمسرح لا يتمتع بالحرية كاملة فى التوجه الى جمهور من الفئة التى يريدها . اقتصاديات الانتاج المسرحى تقيده، تبعيته للدولة تقيده ، أرتباطه بجمهوره القادر على تمويله تقيده ثقافة وفكرية صناعه وملاكه ومديريه تقيده .. واخيرا لا بد ان يكون هناك مسرح واحد » ، يكتبه ويخرجه ويمثله كثيرون. ولكنه واحد . له جوانب مختلفة ذات الوان متباينة ، ولكنها جوانب كيان واحد ، فاذا صدق ما قلناه من أن المسرح فن يزدهر مع الحرية ومع القدرة على التنويع ، فان المسرح فى حالة توحيده واخضاعه الكامل لظروفنا الاقتصادية والسياسية والثقافية هذه ، كان لابد أن يصل الى ما صل اليه . لان الفئة الاجتماعية القادرة على تمويل هذا المسرح « الموحد » ، تجد متعة أكبر فى الملاهى الليلية . بينما الفئات الاخرى الجديدة ، التى ما زالت تريد وتتوقع من المسرح حديثا من الثورة ، أو حتى عن التغيير، على السنة ابطال ثوريين او حالمين بالثورة ، حتى لو كانوا من البورجوازيين الصغار ، هذه الفئات لم تعد تجد المسرح الذى يقدم اليها ما تريده . الذنب ليس ذنب المسرح ولا « الفنانين » المسرحيين . انما الذنب ذنب الاثقال التى تقيده وتخنقه : التمويل ، والمناخ الثقافى العام ، والتبعية للملاك والمديرين المتطابقين مع نفس الفئة التى تستمتع أكثر فى الملاهى الليلية . لماذا يصنعون مسرحا سيقف بالضرورة « ضدهم » حينما يتحدث عن الثورة أو يحلم بها ؟

هكذا انحسرت ايضا موجة « الثقافة المسرحية » لا مجلة للمسرح (فشبح مجلة ليس هو المجلة] وسلاسل المسرحيات انكمشت الى اثنتين للترجمات والمؤلفات تصدران كلما تيسر ذلك ، والدراسات والتواريخ والنقد تعتمد فقط على الظروف وعلى بسالة من يفتحون لها السبيل أو من يصنعونها . فالواقع كما قلنا هو الذى يصنع الثقافة ولا تستطيع الثقافة الا ان تبشر بواقع جديد وأن تجمع له الانصار . □



السينما المصرية وتطورها

كانت ثورة ٢٣ يوليو بداية مرحلة جديدة فى تاريخ السينما المصرية ، كما كانت بداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر ، والعالم العربى . وينقسم تاريخ السينما عبر سنوات الثورة الى ثلاثة مراحل : المرحلة الاولى منذ عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٦٢ ، والمرحلة الثانية منذ عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٧١ ، وهى السنوات التى شهدت انتاج القطاع العام ، والمرحلة الثالثة منذ عام ١٩٧١ حتى اليوم .

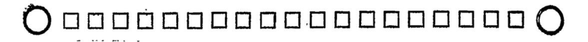
سمير فريد

والحقيقة الاولى التى تواجهنا عند الحديث عن السينما وثورة يوليو أن الثورة لم توقف اندفاع سينما اغنياء الحرب ، وانما على العكس ، ارتفع متوسط عدد الأفلام كل سنة من ٥٠ الى ٦٠ فيلما فى المرحلة الاولى من ١٩٥٢ الى ١٩٦٢ حيث بلغ مجموع الافلام ٥٨٨ فيلما — وحديثنا يقتصر على الافلام الروائية الطويلة — أى نحو ضعف عدد الافلام التى أنتجت منذ عام ١٩٢٣ . وسوف نتحدث عن المراحل الثلاث فى اطار حديثنا عن أهم الافلام فى سنوات الثورة .

١٩٥٢

قبل قيام الثورة بشهر واحد ، وفى ٢٣ يونيو عام ١٩٥٢ بدأ عرض فيلم « **الاسطى حسن** » **اخراج صلاح ابو سيف** ، وهو أهم أفلام العام [٥٩ فيلما] الى جانب « **المنزل رقم ١٣** » اخراج **كمال الشيخ** ، و «**مصطفى كامل**» اخراج **أحمد بدرخان** ، و « **يسقط الاستعمار** » اخراج **حسين صدقى** ، و«**انتصار الاسلام**» اخراج **أحمد الطوخى**.

أما « الاسطى حسن » فرغم أنه كان سابع أفلام أبو سيف ، الا أنه كان أول أفلامه الواقعية ، وبداية سلسلة أفلامه التى سيكون لها أكبر الاثر فى بلورة الاتجاه الواقعى فى السينما المصرية . ويعبر الفيلم عن التناقضات الطبقية فى القاهرة من خلال أحداثه التى تدور بين حى بولاق أحد أفقر الاحياء الشعبية ، وهو الحى الذى نشأ فيه أبو سيف ، وبين حى الزمالك أحد أحياء البورجوازية الكبيرة . وعلى حين يعتبر «المنزل رقم ١٣» البداية القوية لكمال الشيخ حيث أثبت مهارته الحرفية ، وكان « **مصطفى كامل** » عملا شجاعا صادرته السلطات قبل





صلاح أبو سيف

الثورة رغم رومانتيكيته المفرطة ، وكان «يسقط الاستعمار» تعبيرا عفويا ساذجا عن وجدان حسين صدقى الوطنى الملتهب، وتأييده الصادق للثورة ، وكان « انتصار الاسلام » بداية ثلاثية أحمد الطوخى التى لم يخرج غيرها وهى أكثر الافلام الدينية المصرية صدقا ، وان لم تكن أكثرها اتقانا بالمقارنة معأفلام الستينيات والسبعينيات.

١٩٥٣

كان « ريا وسكينة » اخراج ابوسيف أيضا أهم أفلام عام ١٩٥٣ [٦٢ فيلما]. فمن ناحية كان هذا الفيلم هو أول فيلم مصرى يعتمد على حادثة حقيقية كان لها تأثيرها الكبير فى الرأى العام ، ومن ناحية أخرى كان خطوة نحو تعميق وتأصيل وتطوير اسلوب أبو سيف الواقعى .

والى جانب هذا الفيلم هناك ايضا « قطار الليل » اخراج عز الدين ذوالفقار الذى أثبت فيه تمكنه الحرفى ، و « عائشة » اخراج جمال مدكور الذى عالج مسئولية البيئة الفاسدة عن انحراف الصغار ، و « مؤامرة » اخراج كمال الشيخ الذى حاول فيه أن يقوم ببعض التجارب الهامة فى الاضاءة والصوت والمونتاج . كذلك شهد عام ١٩٥٣ كوميديا « حكم قراقوش » اخراج فطين عبد الوهاب التى سخر فيها من الحكم الديكتاتورى ، وأول افلام عاطف سالم « الحرمان » الذى عالج المشاكل الاجتماعية الناتجة عن الطلاق .

١٩٥٤

على الرغم من أن عام ١٩٥٤ شهد عرض أكبر عدد من الافلام المصريةالجديدة فى تاريخ السينما المصرية [٦٦ فيلما] ، وكان هذا الرقم تعبيرا عن وصول سينما أغنياء الحرب الىذروة ازدهارها الكاذب، الا أنه شهد أيضا أول ثمرة ناضجة لابو سيف فى « الوحش » المأخوذ ايضا عن حادثة حقيقية ، وبداية نضج يوسف شاهين فى « صراع فى الوادى » الذى كان أول فيلم يكشف مخازى الاقطاع قبل الثورة ، وأهم افلام كمال الشيخ فى الخمسينيات ، وهو فيلم «حياة او موت» الذى كان أول فيلم يتم تصويره فى شوارع القاهرة بأكمله .

ومن أفلام عام ١٩٥٤ ايضا كوميديا « أمريكانى من طنطا » أهم كوميديات أحمد كامل مرسى التى سخر فيها من الصورة الخيالية السائدة عن أمريكا ، والتى ترسخها أفلام هوليود فى عقول الناس ، و « جعلونى مجرما » اخراج عاطف سالم الذى واصل فيه التعبير عن بعض المشاكل الاجتماعية مثلفيلمه الاول، و « فتوات الحسينية » اخراج نيازى مصطفى الذى لا يخلو من المشاهد التى عبرت بصدق عن الحياة اليومية فى الاحياء الشعبية .

١٩٥٥

انعكست الواقعية الجديدة الايطالية فى « ريا وسكينة » و « الوحش » ، وعلى نحو شكلى فى « حياة أو موت »، ولكنها لم تنعكس بوضوح ايديولوجى الا فى « درب المهابيل » أول أفلام توفيق صالح الذى تعتبر أهم أفلام عام ١٩٥٥ [٥١ فيلما] ويمثل هذا الفيلم الذى يصور الحياة اليومية فى « حارة » مصرية بالقاهرة ، والذى يدين التواكل والفكر الغيبى نقطة تحول من واقعية كمال سليم السطحية كما بدت فى « العزيمة » عام ١٩٣٩ ، الى الواقعية بمعناها المذهبى الصحيح .

ومن أحداث ثورة يوليو اخراج بدرخان « الله معنا » الذى حاول فيه أن يحلل الظروف التى أدت الى قيام الثورة ، وقد منع الفيلم فترة ، ثم أجيز عرضه عام ١٩٥٥ بعد أن شاهدته قيادة الثورة .

وكان عام ١٩٥٥ أيضا بداية سلسلة الافلام الكوميدية التى أخرجها فطين عبد الوهاب للمثل اسماعيل يس ، والتى لم يكن لها الابعاد الاجتماعية التى ترفع من مستواها . وربما يرجع ذلك الى مفهوم اسماعيل يس للكوميديا ، اذ استطاع فطين عبد الوهاب بعد ذلك أن يقدم مجموعة من الكوميديات ذات الابعاد الاجتماعية التى جعلت منه أهم مخرجى الكوميديا فى تاريخ السينما المصرية .

١٩٥٦

بدأت المسافة تتسع بين ما يحدث فى مصر ، وبين السينما المصرية فى عام ١٩٥٦ . كانت ثورة يوليو تمر بنقطة تحول هامة تمثلت فى تأميم قناة السويس، والكفاح المسلح ضد الاستعمار فى بور سعيد وفى الجزائر ، ولكن السينما المصرية لم تكن قادرة على مواكبة هذا التحول .

ومرة ثالثة كان فيلم أبو سيف الجديد هو أهم افلام العام [٣٩ فيلما] وهو « شباب امرأة » من رواية أمين يوسف غراب ، وفيه وصل الى ذروة «الطبيعية» التى اختلطت مع « الواقعية » فى أغلب أفلامه السابقة . وهناك أيضا « أرضنا الخضراء » اخراج أحمد ضياء الدين من سيناريو يوسف جوهر الذى يتناول الصراع بين الفلاحين والاقطاعيين قبل الثورة دون أن يتخلص من الطابع الميلودرامى . وعن مسرحية جوجول « المفتش العام » اخراج حلمى رفله فيلما بنفس الاسم ، وعن رواية شارلوت برونتى «مرتفعات وذرنج» اخراج كمال الشيخ ، وفطين عبد الوهاب « الغريب » .

١٩٥٧

ومرة رابعة كان فيلم أبو سيف الجديد « الفتوة » أهم أفلام العام [٤٠ فيلما]، غير أن الفتوة ليس أهم أفلام ذلك العام، وانما واحد من أهم الافلام فى تاريخ



كمال الشيخ

السينما المصرية . هنا وصلت الواقعية الى مرحله النضج الكامل ، وتخلصت تماما من كل آثار المفهوم السطحى الذى استمر منذ كمال سليم ، ومن الخلط بين الواقعية والطبيعية . وقد كان أبو سيف أسبق من الايطالى روزى أحد رواد السينما السياسية المعاصرة فى تحليل بنيان المجتمع الراسمالى، وفضحه من خلال « سوق الخضار » ، والصراع الدموى بين التجار على حساب المستهلكين وهو نفس الموضوع الذى تناوله روزى فى أول أفلامه « التحدى » .

وفى عام ١٩٥٧ أيضا تناول كمال الشيخ قضية فلسطين فى «أرض السلام»، وتناول عز الدين ذو الفقار ونيازى مصطفى حرب السويس فى « بور سعيد » ، و « سجين أبو زعبل » ، وتناول عزالدين ذو الفقار ثورة يوليو فى « رد قلبى » عن رواية يوسف السباعى . ولكن الافلام الاربعة كانت تخلو من التحليل السياسى، وتقتصر على الاثارة العاطفية من خلال الاشكال التقليدية .

وفى نفس العام ، وعلى حين عاد كمال الشيخ الى موضوعاته البوليسية الاثيرة فى « تجار الموت » ، بدأ أبوسيف من « الوسادة الخالية » المرحلة التى يطلق عليها « المرحلة الاحسانية » حيث أخرج خمسة أفلام عن روايات احسان عبد القدوس العاطفية ، والتى لا تخلو من الابعاد الاجتماعية، كما أخرج ابراهيم عمارة عن رواية ديستويفسكى « الجريمة والعقاب » فيلما بنفس الاسم .

١٩٥٨

لا شك أن عام ١٩٥٨ كان عام يوسف شاهين حيث أعاد اكتشاف نفسه ، واكتشاف العالم الذى يعيش فيه من خلال فيلميه الهامين فى تاريخ السينما المصرية : « باب الحديد » ، ثم « جميلة الجزائرية » . فاذا كان « باب الحديد » هو أهم فيلم مصرى حتى ذلك الحين على صعيد التحليل النفسى ، فان « جميلة الجزائرية » كان أهمها أيضا ، ولكن على صعيد التحليل السياسى ، وذلك منذ أن أخرج كامل التلمسانى فيلمه الاول « السوق السوداء » عام ١٩٤٣ . كان شاهين مثل التلمسانى يتناول حدثا أثناء وقوعه ، ولكنه لم يكن على درجة كافية من الوعى السياسى تجعل فيلمه يدخل ضمن تاريخ « السينما النضالية » . لقد ظل أسير السينما التجارية التى ولد ونشأ فيها كل المخرجين المصريين ماعدا توفيق صالح ، وعندما ذهب ليحضر عرض فيلمه فى مهرجان موسكو الاول ، واستمع الى التصفيق المدوى بعد العرض تحية لفيلمه ، ولثورة الجزائر ، أدرك أن السينما قادرة على أن « تفعل » شيئا فى الواقع .

وهناك أيضا من أفلام عام ١٩٥٨ [٥٥ فيلما] الميلو دراما الطبيعية « امرأة فى الطريق » اخراج عز الدين ذوالفقار ، و « خالد بن الوليد » اخراج حسين صدقى الذى حاول أن يقدم سيرة القائد العربى ، ولكن بسذاجة لا تبررها نيته الصادقة ، و « المعلمة » اخراج حسن رضا عن مسرحية شكسبير « عطيل » ، والذى تأثر فيه بالفيلم السوفيتى «عطيل» اخراج سيرجى بوندارتشوك من نفس المسرحية عام ١٩٥٥ .

١٩٥٩

واذا كان عام ١٩٥٨ هو عام يوسف شاهين ، فان عام ١٩٥٩ هو عام هنرى بركات بفيلميه الهامين فى تاريخ السينما أيضا : « حسن ونعيمة » ، ثم « دعاء الكروان » عن رواية الدكتور طه حسين لقد ظل هذا المزج الموهوب مستسلما تماما للسينما السائدة حتى ذهب الى الريف ليصور « حسن ونعيمة » ، ثم الى الصعيد ليصور « دعاء الكروان » .

ومن بين أفلام عام ١٩٥٩ أيضا [٥٨ فيلما] أهم أفلام أبو سيف الاحسانية « أنا حرة » عن كفاح المرأة المصرية قبل الثورة ، وفيلمه الفريد « بين السماء والارض » الذى تدور أحداثه فى مصعد معطل ، و « احنا التلامذة » اخراج عاطف سالم عن قصة توفيق صالح المستمدة من حادثة حقيقية عبرت عن مشكلة انحراف المراهقين، وفيلمه الطبيعى « صراع فى النيل » الذى تدور أحداثه على شاطىء النيل ، وكوميديا « أم رتيبة » اخراج السيد بدير ذات الطابع المصرى الصميم عن مسرحية يوسف السباعى ، و « بين الاطلال » اخراج عز الدين ذو الفقار عن رواية يوسف السباعى أيضا التى وصل فيها الى ذروة الرومانتيكية ، و «حب الى الابد» اخراج يوسف شاهين الذى حاول فيه أن يعيد تشكيل الزمن بين الماضى والحاضر .

١٩٦٠

عاد أبو سيف يقدم أهم أفلام العام، واحد أهم الافلام فى تاريخ السينما المصرية ، وهو فيلم « بداية ونهاية » الذى كتبه مع صلاح عز الدين عن رواية نجيب محفوظ . ان صلاح أبو سيف هو مخرج الطبقة الوسطى ، كما أن نجيب محفوظ هو كاتبها ، وقد بلغ كلاهما الذروة فى التعبير عن هذه الطبقة فى « بداية ونهاية » .

ومن أفلام عام ١٩٦٠ أيضا [٥٩ فيلما] آخر فيلم اخرجه كامل التلمسانى قبل أن يهاجر الى لبنان ، ويموت فى المهجر « الناس اللى تحت » عن مسرحية نعمان عاشور ، و « قيس وليلى » اخراج احمد ضياء الدين .

١٩٦١

لم يشهد عام ١٩٦١ [٥٢ فيلما] أفلاما هامة ، ولعل الافلام التى تستحق الذكر فى عام القرارات الاشتراكية ، والمسافة بين الواقع والسينما تبدو هنا واضحة تماما ، هى « فى بيتنا رجل »



أحمد بدرخان

اخــراج **بركات** عــن رواية **احســان عبد القدوس** التي تقدم صــورة من صـور الكفاح الوطنى قبل الثورة، و «**واسلاماه**» اخراج الامريكى **أندرو مارتون** عن رواية **على أحمد باكثير** الذى حاول فيه المنتج رمسيس نجيب أن يحطم أسوار العزلة، ويخرج بالفيلم المصرى الى شبكات التوزيع العالمية ، ولكنه لم يوفق بالطبع ، لانه لم يسلك الطريق الصحيح . كما أن هناك فيلما واقعيا لا يخــلو من الصــدق هو « **السفيرة عزيزة** » اخراج **طلبة رضوان.**

١٩٦٢

بعد أكثر من ٥ سنوات من الكفاح من أجل فيلم جديد تمكن **توفيق صالح** من اخراج فيلمه الطويل الثــانى « **صراع الابطال** » أهم افلام عام ١٩٦٢ ، وأحد أهم الافلام فى تاريخ السينما المصرية . **هنا تبلغ الواقعية فى السينما المصرية ذروة جديدة** ، بل وقد تمكن توفيق صالح من خلال معالجته الايديولوجية الواضحة للمشاكل الاجتماعية الكبرى فى مصر أن يجعل من فيلمه أحد الافلام الاولى التى تنتمى الى ما يمكن أن نطلق عليه «**سينما العالم الثالث**» .

وفى عام ١٩٦٢ أيضا [٤٧ فيلما] اخراج **كمال الشيخ** « **اللص والكلاب** » من رواية **نجيب محفوظ** الهامة ، ولكنه لم يقدم فيلما هاما ، اذ أفرغها مــن محتواها الاجتماعى والسياسى ، وحاول **على رضا** فى أول أفلامه « **اجازة نص السنة** » أن يجدد الفيلم الغنائى المصرى ، ولكنه ظل تجديدا شكليا ، وبدا الفرق واضحا بين كوميديات فطين عبد الوهاب « الياسمينة » ، وكوميدياته الاخرى « الزوجة رقم ١٣ » عن تعدد الزوجات ، و « آه من حواء » عن مسرحية شكسبير « ترويض النمرة » . وعلى حين لم يوفق أبو سيف فى «رسالة من امرأة **مجهولة**» من رواية ستيفان زفايج ، نجح السيد **بدير فى أن يقدم كاتبتين مصريين جديدين** بالنسبة للسينما ، وهما محمود تيمور فى « سلوى فى مهب الريح » ، وعبد الحليم عبد الله فى « غصن الزيتون » .

١٩٦٣

بدأ القطاع العام فى الانتاج عــام ١٩٦٣ ، ولكن اهتمام الثورة بالسينما بدأ عام ١٩٥٧ مع انشاء مؤسسة دعم السينما .

ويمكننا من خلال متابعة التغييرات التى تمت فى الهيكل الادارى للقطاع العام فقط ، آدراك مدى الغموض الفكرى الذى أحاط بالتجربة كلها . ففى عام ١٩٥٨ تحولت مؤسسة دعم السينما الى المؤســســة المصرية العامة للسينما ، وفى عام ١٩٦٣ اندمجت المؤسسة فى مؤسسة الراديو والتليفزيون ، وتم انشاء ٤ شركات للانتاج والانتاج المشترك وللاستديوهات وللتوزيع ودور العــرض ، وفى عام ١٩٦٤ تم انشاء شركة ثانية للانتاج ، وفصــل التوزيع عن دور العرض فى شركتين ، وفى عام ١٩٦٧ تم ادماج شركات الانتاج الثلاث فى شركة واحدة ، واعادة دمج التوزيع مع دور العرض ، وفى عام ١٩٧٠ تم ادماج شركتى الانتاج والتوزيع فى المؤسسة ، ثم كانت النهاية عام ١٩٧١ .

وفى أولى سنوات القطاع العام كان اهم أفلام العام « **الناصر صلاح الدين** » اخراج **يوسف شاهين** ، وانتاج آسيا بالتعاون مع مؤسسة دعم السينما وفيه اثبت يوسف شاهين مقدرته الفنية العالية، واستطاع أن يقدم أهم الافلام التاريخية المصرية .

وفى نفس العام [٤٨ فيلما] بدأت موجة « **السينما الادبية** » ، أى السينما المعدة عن الاعمال الادبية ، والتى سادت طــوال فــترة القطــاع العــــام . ففى ذلك العام عرضت أفــلام « **زقاق المدق** » اخراج **حسن الامام** عن رواية **نجيب محفوظ** ، و « **الباب المفتوح** » اخراج **بركات** عن رواية **الدكتورة لطيفة الزيات** ، و « **لا وقت للحب** » اخراج **أبو سيف** عن قصة **يوسف ادريس** . وكلها مثل أغلب الافلام السابقة واللاحقة المعدة عن اعمــال ادبية لم ترتفع الى مستوى الاعمال الاصلية المعدة عنها. ومن اهم افلام عام ١٩٦٣ ايضا كوميديا « **ام العروسة** » اخراج **عاطف ســالم** من سيناريو **عبد الحميد جوده السحار.**

١٩٦٤

ومثل عام ١٩٦١ لم يشهد عام ١٩٦٤ [٤٤ فيلما] افلاما هامة . ولعل الافلام التى تستحق الذكر هى « **ثمن الحرية** » اخراج **نور الدمرداش** الذى كان أول مخرج يقدمه القطــاع العام ، والفيلم اعداد متوسط القيمة لمسرحية **عمانويل روبليس** . و « **بين القصرين** » اخــراج **حسن الامام** ، و « **الطريق** » اخراج **حسام الدين مصطفى** عن روايتى **نجيب محفوظ** : وكلاهما لم يعبر عن رؤية الكاتب، ولم يقدم فى نفس الوقت رؤية جديدة .

١٩٦٥

وبعد نور الدمرداش قدم القطاع العام **خليل شوقى** فى « **الجبل** » من رواية **فتحى غانم** ، وكان خير بداية لمخرج جديد منذ «السوق السوداء» عام ١٩٤٣، **وحسين كمال** فى « **المستحيل** » عــن رواية **مصطفى محمود** الذى وان دل على موهبته ، الا أنه لم يكن على نفس القدر من الوعى الاجتماعى بالمقارنة مع خليل شوقى فى فيلمه ، **وجلال الشرقاوى** فى « **أرملة وثلاث بنات** » عن مسرحية **هنرى بيك** « **الغربان** » ، والذى لا يختلف كثيرا عن « ثمن الحرية » .

واذا كان تقديم هؤلاء المخرجين الثلاثة هو أهم أحداث عام ١٩٦٥ ، فان أهم احداث عام ١٩٦٥ ، فان أهم أفلام العام [٤١ فيلما] هو بلا شك « **الحرام** »

اخراج بركات عن رواية يوسف ادريس التى تعبر عن مأساة عمال التراحيل فى مصر . وهناك أيضا « فجر يوم جديد » اخراج يوسف شاهين حيث قدم عبد العزيز فهمى أول فيلم مصرى « بالالوان » وليس « ملونا » على حد تعبير ايزنشتين المشهور عن الاستخدام الدرامى للالوان ».

١٩٦٦

مرة أخرى يعود أبو سيف الى الأخراج بعد أن تفرغ لادارة القطاع العام منذ بدايته ، ومرة أخرى يقدم أهم أفلام العام « القاهرة ٣٠ » من رواية نجيب محفوظ « القاهرة الجديدة » التى تعبر عن بحث الطبقة الوسطى فى الثلاثينات عن الفكر الذى تتبناه .

وفى افلام عام ١٩٦٦ [٣٤ فيلما] بدا الفرق واضحا بين انتاج القطاع العام وانتاج القطاع الخاص ، ففى حين قدم القطاع العام « ثورة اليمن » و « خان الخليلى » من رواية نجيب محفوظ اخراج عاطف سالم، رغم ضحالة الاول السياسية والابعاد المحدودة للثانى ، وقدم « سيد درويش » اخراج بدرخان ، وكوميديا « مراتى مدير عام » اخراج فطين عبد الوهاب ، اتضحت مزلة القطاع الخاص فى « من أحب » اخراج ماجدة عن الفيلم الامريكى « ذهب مع الريح ».

١٩٦٧

ظلت السينما المصرية تهرب من الحاضر الى الماضى حتى فى أفضل أفلامها ، وعندما وقعت الهزيمة يوم ٥ يونيو بدت أكبر وأهم وسائل الاتصال بالجماهير « خائنة » ، وليست فقط « متخلفة » .

كان أبو سيف مشغولا بحواديت الاقطاع قبل الثورة فى « الزوجة الثانية » ، وكان يوسف شاهين مشغولا بحواديت « العالمية » يصور « رمال من ذهب » فى أسبانيا ، والحق والتاريخ كان توفيق صالح مشغولا بقضايا الثورة والديمقراطية، ودور التنظيم الجماهيرى ، وهو يكتب سيناريو « المتمردون » من رواية صلاح حافظ الذى عرض عام ١٩٦٨ . ولكن ومن ناحية أخرى كان أهم أفلام عام ١٩٦٧، لاول مرة أحد أفلام المخرجين الشباب ، وهو « جفت الامطار » اخراج سيد عيسى . ورغم أنه كان الفيلم الروائى الطويل الثالث لمخرجه ، الا أنه كان أول فيلم يثبت فيه موهبته الفنية ، وأصالته الفكرية . ان سيد عيسى هو أول مخرج مصرى يجىء الى السينما من القرية ، وقد كان فيلمه الثالث ايضا أول فيلم مصرى يتحدث من مشاكل الفلاحين بعد الثورة ، وليس قبل الثورة ، كما كان أول فيلم مصرى يتأثر بالسينما السوفيتية وليس بالسينما الامريكية ، أو سينما اوربا الغربية .

ومن أفلام عام ١٩٦٧ ايضا [٣٣ فيلما] اهم أفلام جلال الشرقاوى « العيب » من رواية يوسف ادريس التى تتناول مشاكل المرأة المصرية المعاصرة ، و « جريمة فى الحى الهادىء » اخراج حسام الدين مصطفى الذى تناول فيه موضوعا سياسيا ، وهو حادث اغتيال اللورد موين فى القاهرة عام ١٩٤٤ ، ولكن دون أدنى قدر من التحليل السياسى الصحيح ، و « السمان والخريف » لنفس المخرج ، و « قصر الشوق »اخراج حسن الامام من روايتى نجيب محفوظ ، وكلاهما تكرار لمأساة الادب فى السينما المصرية .

١٩٦٨

أفاقت السينما المصرية قليلا ، وكان « القضية ٦٨ » اخراج أبو سيف من مسرحية لطفى الخولى أهم افلام عام ١٩٦٨ [٣٨ فيلما] ، بل انه أهم فيلم مصرى منذ «السوق السوداء» عام ١٩٤٣،



عز الدين ذو الفقار

من حيث مواجهته الايديولوجية الواضحة للواقع الحاضر ، وفى مواجهة كل التحديات .

والى جانب هذا الفيلم هناك ايضا « المتمردون » الذى سبق الحديث عنه ، و « البوسطجى » أهم افلام حسين كمال من رواية يحيى حقى التى تعبر عن مأساة التخلف فى الصعيد ، و « الرجل الذى فقد ظله » أهم افلام كمال الشيخ فى الستينات عن رواية فتحى غانم التى تعبر عن انتهازية الطبقة الوسطى ، و «أرض النفاق » اخراج فطين عبد الوهاب الذى كتبه سعد الدين وهبه من رواية يوسف السباعى الانتقادية اللاذعة ، و « قنديل أم هاشم » اخراج كمال عطية من رواية يحيى حقى ، وان لم يستطع المخرج ان يدرك ابعاد الرواية ، و « السيرك » اخراج عاطف سالم عن قصة صلاح أبو سيف الذى يصور حياة فرقة سيرك ريفى متجول . وهناك ايضا فى ذلك العام الوفير الحصاد كوميديا فطين عبد الوهاب « عفريت مراتى » التى يسخر فيها من السينما التجارية ، والناس الذين يتأثرون بها . ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الافلام ماعدا الفيلم الاخير من انتاج القطاع العام .

١٩٦٩

مرة ثانية قدم توفيق صالح اهم افلام العام ، وهو « يوميات نائب فى الارياف » عن رواية توفيق الحكيم الذى يعبر ببراعة من التناقض بين القانون والعدل فى ظل المجتمع الطبقى .

ومن بين افلام ١٩٦٩ ايضا [٤٤ فيلما] الفيلم الذى صوره توفيق صالح قبل « يوميات نائب فى الارياف » وهو « السيد البلطى » من رواية صالح مرسى والذى يعبر فيه عن الصراع بين قوى

التقدم وقوى التخلف فى المجتمع النامى ، و « **حكاية من بلدنا** » اخراج حلمى حليم عن سيناريو **مجيد طوبيا** الذى يكشف صورة من صور استغلال الفلاحين ، و « **الناس اللى جوه** » اخراج **جلال الشرقاوى** عن قصة **البير قصيدى** الذى اراد ان يفضح المجتمع الذى ادى الى الهزيمة ، ولكنه فشل فى التعبير عن رؤيتة تماما . ومن موقع متخلف اخراج **كمال الشيخ** « **ميرامار** » من رواية **نجيب محفوظ** التى تختلف عن الفيلم من حيث المضمون السياسى ، واخراج **حسين كمال** « **شىء من الخوف** » من رواية **ثروت أباظة** التى تهاجم الثورة على نحو رمزى ساذج . **وقد كان هذا الفيلم بداية استسلام المخرج الشاب للسينما التجارية ، فلم يكن قد انتهى عرضه حين بدأ عرض فيلمه التالى «أبى فوق الشجرة » الذى حقق اكبر الايرادات حتى ذلك الوقت .**

١٩٧٠

كان يوسف شاهين هو المخرج الوحيد الذى ولد من جديد بعد هزيمة ٥ يونيو ، وقد اتضح ذلك فى « **الارض** » الذى اخرجه من رواية **عبد الرحمن الشرقاوى** عام ١٩٧٠ ، والذى كان اهم افلام العام ويعبر الفيلم من كفاح الفلاحين فى الثلاثينات ، ويعتبر من ناحية اخرى صرخة حادة للدفاع من « الارض » ، والتمسك بها حتى الموت ، وهو المعنى الذى يعبر عنه مشهد النهاية احد اعظم المشاهد فى تاريخ السينما على الاطلاق .

وليس من بين افلام عام ١٩٧٠ الاخرى [٤٧ فيلما] ما يستحق الذكر غير «**الحب الضائع** » اخراج **بركات** من رواية **الدكتور طه حسين** ، وقد تم نسخ التقليدية ، و « **السراب** » اخراج **انور** الرواية فى اطار السينما التجارية **الشناوى** من رواية **نجيب محفوظ** ، وهو من الافلام التقليدية التى ترتفع الى مستوى العمل الادبى الاصلى المعد عنها ، ولكن العمل الاصلى هنا لا يرتفع الى مستوى اعمال نجيب محفوظ الاخرى .

١٩٧٢

مرة اخرى قدم يوسف شاهين اهم افلام العام ، وهو « **الاختيار** » الذى يعبر فيه عن ازمة المثقفين قبل ٥ يونيو .

وهناك ايضا من افلام عام ١٩٧١ [٤٦ فيلما] **أول افلام سعيد مرزوق** « **زوجتى والكلب** » الذى أثبت رغم فكره التقليدى براعة فنية كبيرة ، و « **لعبة كل يوم** » اخراج **خليل شوقى** الذى استعاد فيه قدرته على مواجهة الواقع ، وقدم صورة صادقة للحياة فى سوق شعبى يقع بين القرية والمدينة ، و « **شباب فى عاصفة** » اخراج **عادل صادق** عن سيناريو **سعد الدين وهبه** الذى يدين اخلاقيات الطبقة الوسطى بعنف ، و « **حادثة شرف** » اخراج **شفيق شامية** عن قصة **يوسف ادريس** الذى اراد ان يدين هذه الاخلاقيات ايضا ، ولكنه فشل تماما فى التعبير من رؤيتة . وبينما كان الشباب يحاول ، ويخفق تارة ، وينجح اخرى ، كان الكبار فى عالم آخر كان **صلاح ابو سيف** يخرج فيلما تجاريا باسم « **فجر الاسلام** » وكان **كمال الشيخ** يجتر الماضى ، ويقدم أزمة ضمير رأسمالى فى « **شىء فى صدرى** » من رواية **احسان عبد القدوس** التى كتبها بنجاح **رأفت الميهى** وكان « الصفير الكبير » **حسين كمال** يستثمر الازمة باخراج فيلم تجارى عن رواية نجيب محفوظ العظيمة « **ثرثرة فوق النيل** » .

١٩٧٣

وصلت التناقضات الى ذروتها عام ١٩٧٢ ، ولم يعد الصراع بين القطاع الخاص وبين القطاع العام الذى انتهى بالفعل ، ولا حتى بين الشباب والشيوخ كما خيل للبعض لحظة ، وانما صار الصراع بين سينما استهلاكية زائدة عن الحاجة ، وبين سينما تريد ان تلبى احتياجات المجتمع ، وتريد ان تقف الى جانب قوى التقدم داخله . وقد تمثلت السينما الاولى فى « **خلى بالك من زوزو** » اخراج **حسن الامام** الذى حقق رقم الايرادات فى تاريخ السينما المصرية بالرقص والغناء والميلو دراما ، وفى « **الشيماء** » اخراج **حسام الدين مصطفى** الذى يتاجر بالعواطف الدينية ، وفى « **امبراطورية م** » اخراج **حسين كمال** الذى يروج أكثر مفاهيم الديمقراطية زيفا وتمثلت السينما الثانية فى « **اغنية على الممر** » أول افلام **على عبد الخالق** ، واهم افلام العام [٤١ فيلما] الذى يحاول ان يكشف من أسباب هزيمة ٥ يونيو ، و « **الناس والنيل** » اخراج **يوسف شاهين** الذى يصور قصة النضال العظيم من اجل بناء السد العالى ، و « **الخوف** » اخراج **سعيد مرزوق** الذى حاول فيه ان يعبر من مصر ما بعد الهزيمة ، ولكنه لم يوفق فى العثور على الاسلوب الملائم فى التعبير. وهناك ايضا من افلام عام ١٩٧٢ « **صور ممنوعة** » الذى يتكون من ثلاثة اجزاء اخرجها ثلاثة مخرجين من خريجى المعهد العالى للسينما ، وهم **اشرف فهمى** ، **ومحمد عبد العزيز** ، **ومدكور ثابت** ، والذى يتميز بشرف البحث عن أشكال جديدة، وخاصة فى الجزء الثالث .

١٩٧١

وبقدر ما كان عام ١٩٧٢ هو عام تبلور الصراع ، بقدر ما كان عام ١٩٧٣ هو عام حسم الصراع : عام الانتصار الاول على العدو الصهيونى الامبريالى فى السادس من اكتوبر بفضل تصميم الشعب وصبره واحتماله ، واستجابة القيادة الوطنية لصوته ، وايمانها بما آمن به من ضرورة تحرير الارض . **وقد منعت الافلام التى تعبر عن موقف الحسم ، واهمها « العصفور » اخراج يوسف شاهين عن سيناريو لطفى الخولى ، ثم افرج عنها بعد اكتوبر .**

واهم افلام عام ١٩٧٣ [٤٣ فيلما] هو « **ليل وقضبان** » الذى أخرجه أشرف فهمى من رواية **نجيب الكيلانى** ، والذى يصور الحياة داخل احد السجون ، ويعبر عن حتمية انهيار النظام الفاسد من داخله .

والى جانب هذا الفيلم هناك ايضا « **السكرية** » اخراج **حسن الامام** ، و «**الشحات**» اخراج **حسام الدين مصطفى** وكلاهما من روايتى **نجيب محفوظ** ، ويعتبرا من أهم ما اخرج كلا منهما ، و « **غرباء** » اخراج **سعيد عرفة** عن سيناريو **رأفت الميهى** الذى يعبر من الصراع بين الدين والعلم ، وان كان يفتقد الى الوضوح الايديولوجى الضرورى عند معالجة مثل هذه القضية ، و « **حمام الملاطيلى** » اخراج **ابو سيف** من رواية **اسماعيل ولى الدين** ، والذى حاول فيه ان يعبر من مصر بعد هزيمة ٥ يونيو ، ولكن خانه التوفيق سواء من الناحية السياسية حيث رد الهزيمة الى اسباب اخلاقية ، ام من الناحية الفنية حيث استسلم لبعض ما تفرضه السينما التجارية ، وكوميديا « **البحث عن فضيحة** » اخراج **نيازى مصطفى** ، ثم هناك « **الحب الذى كان** » أول افلام **على بدرخان** الذى يعلن ميلاد مخرج متمكن من ادواته ، وقادر على اثراء السينما المصرية . □

٤ عشرون عـامـا من الحـركة التشـكيلية فى مصر

فى كتاب بعنوان «نحو انطلاق ثقافى» أصدرته وزارة الثقافة متضمنا خطة العمل لعام ٦٧/٦٨ - ويتألف من ٣٠٠ صفحة - نجد أن نصيب الفنون التشكيلية لا يتجاوز ست صفحات، أكثرها مشروعات لم تتحقق حتى الآن، مثل اقامة متحف للفن الحديث بالقاهرة، بدلا عن المتحف الذى هـدم وأصبح مـكانه موقف للسيارات، واقامة متاحف للفن الحديث بالاقاليـم، واعـداد مراسم للفنانين فى أماكن مختلفة ووضع نظام لتسـويق الاعمال الفنية، واقامة اتحاد عام للفنانين

عز الدين نجيب

ان هذا يعطينا مؤشرا للحجم الحقيقى للفن التشكيلى بين اهتمامات الدولة، والذى ازداد انكماشا عامـا بعد عـام منذ تلك الفترة حتى يومنا هذا .

وحتى لا أبدو جائرا فى الحكم، أشير الى أن هذه الفترة كانت تلى النكسـة مباشرة، حيث تقلصت اعتمادات الدولة للثقافة الى حد كبير، كما أن الفترة التى سبقتها - خاصة منذ أوائل الستينات - شهدت ميلاد العديد من المشروعات الهامة لخدمة الفن والفنان، مثـل : مشروع التفرغ، ومشروع المقتنيات، وانشاء قاعة للمعارض، وبعض مراسم للفنانين، وتنفيذ عدد من الاعمال الفنية فى بعض الاماكن العامة، وانشاء جوائز الدولة التشـجيعية والتقـديرية، . وسوف أتناول بعض هذه المشروعات بالتفصيل فيما بعد .

ولا يمكن بالطبع النفى من قيمتهـا الايجابية، لكن المعيار الحقيقى لتقييمها هو آثارها على الحركة الفنيـة وعلى الجماهير وعلى شكل الحياة العام سواء بسواء، خلال العشرين سنة الماضية .

(•)

الجسد المريض :

على مستوى الحركة الفنية .. نجد أن السمات البارزة هى :

● ضمور عدد الفنانين المبدعين الكبار اصحاب الشخصيات الفنية المتبلورة ممن يملكون شمول الرؤية واستمرارية التجربة، مثل من شـهدتهم مصر فى بدايات وأواسط الحركة الفنية الحديثة .

● الافتقار الى الاصالة والى شخصية متميزة للفن المصرى، بسبب ارتماء الحركة على أذيال اتجاهات الفن الاوروبى، تحت تأثير مركب النقص، رغم الانجازات الحية حتى الآن للجيل السابق من فنانى الاربعينـات وأوائل الخمسـينات نحو بلورة شخصية مصرية صميمة ومعاصرة فى نفس الوقت .

● الانعزال الكامل عن الجماهير، بتضاؤل حماس الفنانين للتأثير فيها أو رفع مستواها .

● تشعث الفنانين وتشرذمهم فى شلل ينهش بعضها بعضا، حول مسـائل أغلبها شخصية أو طائفية .

● هجرة عدد من الفنانين ذوى القيمة الحقيقية، وتوقف عدد آخر منهم عن الانتاج أو الاتجاه الى اهتمامات أخرى .

وعلى مستوى الجماهير .. نجـد : فقرا فى الذوق التشكيلى، وانصرافا عن التعرف عليه فى المعـارض والمتاحف، وخلو بيوت السـواد الاعظم من الناس

من لسة الجمال ، ولجوء الطبقة الوسطى القادرة — الى الاعمال الفنية الرديئة من تقليد الكروت السياحية ، هذا اذا فكرت فى تزيين جدرانها .

[ولا يمكن أن نحمل الجماهير مسئولية هذا الحال ، فانه جزء من التخلف العام فى المجتمع ، كما أنه نتيجة للاسباب السالفة فى أمراض الحركة الفنية ، والاسباب التالية فى شكل الحياة العام] .

وعلى مستوى شكل الحياة العام .. نجد :

● **دمامة فى شكل العاصمة ومدن الاقاليم** ، بميادينها وشوارعها ومرافقها العامة ، تكدس عشوائى غير انسانى للمبانى والمحلات التجارية والاعلانات ووسائل المواصلات — [بكل انواعها مجتمعة منذ عهد الفراعنة حتى اليوم] — والادميين والحيوانات والباعة .. حتى يشعر المرء أنه تحت وطأة كابوس ، ومن الطبيعى ألا يكون وسط كل هذا مكان لاعمال فنية تلتقى بها الجماهير ، كتماثيل الميادين واللوحات الجدارية الضخمة .

● **انحطاط مستوى الاعلانات** فى الاماكن العامة الى حد البذاءة .

● **هبوط مستوى اخراج الصحف والمجلات والذوق الفنى للمطبوعات اجمالا**

● **تخلف الحس الفنى فى أشكال** الادوات المستعملة فى الحياة اليومية ، مثل الاثاث والاوانى ... الخ .

●●●

ازاء هذه الصورة : ما قيمة كل المشروعات الكبيرة لوزارة الثقافة فى سنيها الاول المشار اليه آنفا ؟ .. وما قيمة مئات الخريجين ، كل عام ، من كليات الفنون الجميلة والتطبيقية والهندسة ومعهد التربية الفنية ؟ .. وما قيمة كل لجان الفنون التشكيلية بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وخارجه ، وكل اجهزة التخطيط والاعلام ؟ !

لكن .. ما هو السبب وراء هذا التدهور ؟

هل هى مسالة حضارية ؟

يقول البعض أن المرحلة التاريخية التى نعيشها لم تصل بكل أبعادها الى درجة من الرقى تسمح بوجود حقيقى للفن فى المجتمع كما كان له فى حضاراتنا القديمة، وان علينا قبل أن نطالب بايجاد مكان للفن فى المجتمع ، أن نعمل على ان نجد لهذا المجتمع مكانا فى حضارة العصر الحديث .. عندئذ سوف يصبح الفن أحد الاحتياجات الاساسية له .



رمسيس يونان

لكننى أعتقد أن حركة تطور الفنون وعلاقتها بالمجتمع لا يمكن أن تنفصل عن حركة تطور هذا المجتمع وبنائه لحضارة عصرية ، اذ أن الفن نفسه عامل حضارى نشط ، بل قد يكون أحيانا أسبق من غيره من العوامل الحضارية فى التأثير فى المجتمع ودفعه الى التغيير .. الا أن هذا مرتهن بشىء أساسى جدا .. هو الحرية .. حرية التعبير ..

(●)

الفن — الحرية :

ان هذا هو ما يفسر تلك الحيوية والنضج اللذين كانت تملكهما الحركة الفنية فى مصر منذ أواخر الثلاثينات حتى أوائل الخمسينات ، **فالحق أنها لم تكن حركة فنية فقط ، بل حركة ثقافية متعددة الجوانب** خصبة بالحوار فى الفن والادب والفكر ، فلسفيا كان أو سياسيا . وبالرغم من الواقع الاجتماعى والسياسى المتخلف ، ومن سيادة الطبقتين الاقطاعية والرأسمالية بفكرهما وولائهما للقصر والاستعمار ، فان ذلك الواقع كان يسمح ببعض الحريات الليبرالية فى طرح الافكار والاتجاهات الجديدة ونشرها بشتى الوسائل ، وفى تكوين الجماعات التى تتبنى تلك الافكار والاتجاهات .

ففى سنة ١٩٣٩ تكونت **جماعة الفن والحرية** من عدد من الفنانين منهم **رمسيس يونان وكامل التلمسانى ومحمود سعيد وفؤاد كامل** ، بالاضافة الى عدد من الفنانين الارمن والايطاليين واليونانيين المقيمين فى مصر ، مع بعض الشعراء والمثقفين ، **محققة بذلك اول وحدة عضوية بين الفنون والادباء فى مصر** ، واصدرت عديدا من المطبوعات : نشرات وكتيبات ومجلات ، مثل : **الخبز والحرية، المجلة الجديدة ..** [وكان يصدرها سلامة موسى من قبل باسم **مجلة التطور**] . ومن كتيباتها : **الدفاع عن الثقافة** ، طفولة الشىء ، ما زلنا فى المعمعة ، غاية الرسام العصرى .. ومن بياناتها بيان بعنوان : « **يحيا الفن المنحط** » وقعه سبعة وثلاثون فنانا ومثقفا ، احتجاجا على النازية حين أحرقت عددا هائلا من أعمال الفنانين الالمان المعاصرين باعتبار أنها فن منحط ! .. وأقامت الجماعة العديد من المعارض حتى سنة ٤٧ . وقد كان كتاب رمسيس يونان « **غاية الرسام العصرى** » الذى صدر سنة ٣٨ أول دعوة فى مصر للارتباط بالفن الاوربى الحديث بعد التأثيرية . كانت ثورة الجماعة على الفن الاكاديمى والدعوة الى الفن الحديث هى مظهر لتمردها على الحياة البرجوازية الراكدة . لهذا فمهما قيل عن ثقافتها وروحها الاوروبية وأنها مجموعة من المثقفين البرجوازيين والفوضويين ، فانها فى صميمها كانت حركة ثورية رائدة على الجمود والتخلف ، امتد أثرها على الواقع الثقافى والفنى لسنوات طويلة .

وفى سنة ٤٦ تكونت **جماعة الفن المعاصر** ، بريادة **حسين يوسف أمين** ، وتضم عددا من تلامذته من الفنانين من بينهم **عبد الهادى الجزار وحامد ندا وسمير رافع وماهر رائف** . وكانت غايتها هى البحث عن وجه أصيل للشخصية المصرية فى الفن ، مستفيدة من الاتجاهات المعاصرة ، التى سبقتهم اليها فنانو جماعة الفن والحرية . وقد وجدت فى البيئات الشعبية بتراثها من الاساطير والرموز والعادات منبعا لا ينضب للابداع . لقد أرسى فنانوها بالفعل أسس مدرسة حقيقية للفن الحديث ، ويمكن القول أنهم لم يعبروا عن ذلك العالم الغيبى بسلبية، وان بدا فى شخصياتهم الساكنة قدر كبير من الاستسلام والانسحاق ، فقد كان أسلوبهم يحمل فى صميمه تهكما على هذه السلبية والاستسلام المترسبين فى اعماق الشعب . واذا كان مجال بحثهم هو الميتافيزيقا فى حياة الطبقات الكادحة، فانهم لم يكرسوا لها ، بل لعل فى تصويرهم اياها قدرا من السخرية .

وفى سنة ٤٧ تكونت **جماعة الفن الحديث** ، ومن بين أعضائها **جمال السجينى وحامد عويس وانجى أفلاطون وجاذبية سرى** . وكانت أوضح فى خطها السياسى من الجماعتين السابقتين ، اذ كانت ترى بضرورة تعبير الفن عن واقع الجماهير وتطلعاتها ، وترى أن للفن دورا هاما فى التغيير الاجتماعى ،وكانت بذلك أكثر ارتباطا بالحركة السياسية الثورية فى ذلك الوقت . الا أنها فى تعبيرها عن ذلك كانت تصل الى حد المباشرة الدارجة ، مفتقدة القدرة على

تحليل الظواهر والبحث عن الاصيل والباقى ، ولعلهم قد ادركوا ذلك مؤخرا وتجاوزوه فى أعمالهم اللاحقة . وقد ظلت الجماعة تعرض انتاج أعضائها حتى سنة ١٩٥٥ .

وهناك العديد من الجماعات والتيارات المتميزة ، قبل ذلك وبعد ذلك ، كلها تؤكد الحيوية والجدية والتواصل الفكرى والحضارى مثل :

— **جماعة حامد سعيد سنة ٤٢** ، التى كانت تبحث عن الشخصية القومية فى الفن من خلال العودة الى الطبيعة ودراسة الفنون الفرعونية والاسلامية والقبطية واستلهامها ، مديرة ظهرها للفن الاوربى الحديث ، ومن بين روادها الفنانون : **عبد الحميد حمدى ، انور عبد المولى ، حافظ فهمى ، خميس شحاته ، محمود عفيفى** .. ولحامد سعيد ثلاث كراسات مطبوعة حول نظريته .

— **جماعة أتيليه الفنانين والكتاب** بالقاهرة والاسكندرية ، التى لم تتوقف عن تقديم ندواتها ومحاضراتها فى الفن والادب ..

... وكان يساند هذه الحركة العريضة الممتدة ، حركة نقدية ناضجة تبناها صحف جادة وان كان أغلبها من الصحف الاجنبية التى كانت تصدر فى القاهرة والاسكندرية ،حتى النقاد كان اغلبهم من الاجانب المقيمين بمصر مثل : **اتين ماريل — ايميه عازار — موسكاتيللى — جبرائيل بقطر** ... وقد ألفوا عن تلك الحركة عددا من الكتب الهامة التى أرخت لها وحللتها بشكل موضوعى ، كما كانت تصدر خلال الفترة من ٥٠ الى ٥٢ مجلة خاصة بالفنون التشكيلية هى « **صوت الفنان** » كان لها دور هام فى نشر الوعى بالفنون قديمها وحديثها .

وغنى عن القول أن تلك الحركة الخصبة **التى استمرت لاكثر من ١٥ عاما — لم تكن تحظى بأى تشجيع من الدولة فى ذلك العهد** ، ولم تكن هناك أى ضمانات أو حوافز مادية أو اجتماعية للفنان ، فيما عدا تشجيع الاجانب المقيمين بمصر ، كما لم يكن لها الانتشار الجماهيرى الذى يعوض الفنان معنويا عن تضحياته ...
كل المستويات لا يتح لها امكانية تذوق
كد المستويات لا يتيح لها امكانية تذوق الفن .

لكن ما كان يحفز الفنان على الاستمرار هو شعوره بالمسئولية ، وايمانه بأنه حامل رسالة حضارية ، وأنه الطليعة لهذه الجماهير لتحقيق الحرية والتقدم والجمال ، ولو لم يكن المناخ السياسى — الذى فرضته حركة الجماهير نفسها بالدرجة الاولى — يسمح له بتلك الحركة ولو لم تحتضن الطلائع الثورية المثقفة الجماهير تلك الحركة ، لما قدر لها النمو والاستمرار .



محمود سعيد

انها الحرية اذن — أولا وأخيرا — الهواء الذى يتنفس خلاله — ومن أجله — الفن .. والفنان ..

(●)

موطن الداء :

لا أود أن يفهم من كلامى اننى أجرى مقارنة بين العهدين ، لاصل الى أن وضع الفنان قبل الثورة كان افضل من وضعه بعدها ، فانه قبلها كان يحظى حقا — أو بمعنى أدق كان يستطيع انتزاع — بعض الاستقلال الفكرى والسياسى ، وبعض الحرية فى التعبير والتجمع ، وعدم الخضوع للضغوط والاغراءات ، لكنه فى مقابل كل ذلك كان يفتقد الشعور بالامان المادى والاجتماعى ، ويفتقد المعابر التى توصله الى جماهيره الحقيقية ، ومن هنا كانت حريته واستقلاله ناقصين رغم كل انجازاته الباقية .

أما بعدها فانه قد وضعت مشروعات هامة ، لا يملك الاجنبى الزائر لمصر حين يسمع بها الا أن يرفع حاجبيه دهشة واعجابا ، فمثل تلك المشروعات لا يقدم عليها الا بلد تقدمى متحضر عرف الدور الحقيقى للفن والفنان فيه ، وذلك مثل **مشروع التفرغ ، ومشروع تخصيص نسبة ٢٪ من تكاليف المبانى العامة لتجميلها بالاعمال التشكيلية** . يكفينا هذان المشروعان من بين العدد الضخم من المشروعات البراقة الاخرى ، لو تحققا بشكل جيد لاحدثا ثورة فى الفن والذوق فى مصر ، فالاول هو تأمين مادى واجتماعى ومعنوى للفنان ، والثانى هو حجر الاساس فى عملية الارتفاع بالذوق الفنى العام لدى الجماهير وادخال الفن فى حياتها اليومية ، وكان يمكن أن يؤدى الى نهضة فنية حقيقية على غرار ما تحقق فى بلد مثل المكسيك ، .. **لكن ماذا تحقق منهما ؟ ..**

● **مشروع الـ ٢٪ قبر منذ أكثر من عشر سنوات ، بعد أن عجز عن الحصول على شرعية قانونية ..** ومن الغريب أن ماتم من انجازات فنية محدودة فى بعض المبانى العامة مثل محطات السكك الحديدية وسنترال العتبة ومبنى مجمع المحاكم ، كان اجتهادا من وزير الاسكان سنة ٥٨ حين أصدر قرارا بتخصيص نسبة ١٪ فقط من تكاليف المبانى الحكومية للفنون الجميلة .. وقد طار حتى هذا الواحد فى المائة اليتيم !

● **أما مشروع التفرغ ، فقد تحول الى ادارة خيرية ، أولى بها أن تلحق بوزارة الشئون الاجتماعية ..** لقد وصل الحال فيها الى أن تتصدق على بعض الفنانين بالتفرغ لمدة ثلاثة شهور ، بعد أن يكون قد مرغ كرامته على أعتابها عشرات المرات فى مدة تقرب من العام ، وبعد أن يكون قد تقدم للجنة من التزكيات [التى هى فى حقيقتها وساطات مكتوبة من شخصيات معروفة] ما يثبت أن له قيمة . وفى كل مرة يذهب للحصول على مرتبه يسمع من المن والاذى ما يجعله يلعن يوم حصوله على التفرغ .

ولن يغفر تاريخ الفن فى مصر ، حين يكتب ، للجنة التفرغ انها تركت فنانا يتضور من الجوع الحقيقى ويبيت على عربة بطاطا فى احدى حوارى الغورية ، ومايزال ، حين ضنت عليه بتجديد منحة التفرغ التى كان قد حصل عليها لمدة عام واحد ، بحجة أنه لا يتطور (!) .. انه النحات محمود اللبان ، ابن الحارة الامى الذى يعد ظاهرة فريدة شهد الجميع بقيمتها ، ولم يشفع له العديد من المعارض الخاصة التى أقيمت له ، وكان آخرها ما أقامته وزارة الثقافة نفسها فى العام الماضى .

● **وليس مصير مشروع المقتنيات بأفضل من مصير مشروع التفرغ ، اذ أصبحت المقتنيات مثل الصدقات الموسمية على بعض الفنانين ، وقد ظلت ميزانيتها** تنكمش من ١٤ الف جنيه سنة ٦٤ الى ٤ آلاف جنيه سنة ٧٤ (!) .. ناهيك عن المصير الذى تؤول اليه الاعمال المقتناة فى المخازن المعتمة حيث تأكلها الرطوبة والاهمال . [وهذا أمر طبيعى يتفق مع سياسة الصدقة التى يتم عليها الاقتناء !)

● **أما قاعات المعارض فلم تنشىء الوزارة خلال العشرين سنة غير قاعة**

واحدة هى قاعة باب اللـوق ، التى استأجرتها من الغرفة التجارية ، وكان يمكنها أن تبنى بنفس قيمة الايجار المدفوع طوال تلك السنوات قاعة جديدة . وقد حصلت سنة ٦٥ على قاعة أخرى على شكل عدية من أصحاب سينما قصر النيل ، هى قاعة اخناتون ، حتى صارت هى المتنفس الوحيد للفنانين لعرض معارضهم الفردية ، ومع ذلك فقد سارعت الوزارة بتسليمها حين طالب بها أصحابها — بشكل غير قانونى — لتحويلها الى ملهى ليلى ، مما أثار الفنانين والرأى العام حتى وصل الامر الى مجلس الشعب ، وتدخل بعض أعضائه لايقاف القرار ، وأخيرا قبلت الوزارة الدخول فى مفاوضات مع أصحاب القاعة للاحتفاظ بها .

..كل هذه مجرد أمثلة على أن أعظم المشروعات الثورية يمكن الاجهاز عليها بأيدى الاجهزة البيروقراطية غير المسئولة أو غير المؤمنة حقيقة بتلك المشروعات ، والتى كانت تعمل فى معظم الاحيـان لحسابها الخاص ، وقد ساعد كل هـذا على جمود الحركة الفنيـة وتدهورها كيفيا ، وان تضخمت كميا بزيادة عدد الخريجين من الكليات والمعاهد الفنيـة كل عام .

●●●

ومعذلك .. فلست أظن أن هذه هى كل الاسباب فى هذا التدهور ، قد تكون مجرد عوارض لداء خطير كامن فى الجسد بدليل أن الحركة الفنية فى الاربعينات وصلت الى ما وصلت اليه من نجاح كما أوضحنا دون أن تحظى — ولو بالوعود والآمال — بأى من هذه المشروعات التى جاءت فيما بعد ، لكن كان يعوض الفنان عنها — كما ذكرنا — وجوده فى مناخ سياسى يتيح له العمل ، مرتبطا بالطلائع الثورية فى المجتمع ، نحو بلوغ رسالته الحضارية التى كان يؤمن بها : الحرية والتقدم والجمال .

لكن فنان الستينات بوجـه خاص — بالاضـافة الى اكتشـافه لفـراغ المشروعات المعلنة من مضمونها الحقيقى ، فانه قد حرم — شأنه فى ذلك شأن كل طلائع الجماهير والمثقفين — من الاستقلال بالرأى والفكر : ومن الحق فى التجمع وتنظيم قواعده فى نقابات أو اتحادات ، تؤمن له حقوقه ومكاسبه ، وتنطلق منها كلمته الحرة وتؤسس له قاعدة ثابتة فى بنية المجتمع . وفرضت عليه — ولو بشكل بيروقراطى — طرق يسير فيها ،



عبد الهادى الجـزار

اذا كان راغبا فى أن يحظى بالمكاسب والامتيازات . وهكذا اختفت حتى الموت كل الجماعات الفنية القديمـة ، التى استمر بعضها حتى أواخر الخمسينات ، بقوة التصور الذاتى ، واختفى عدد لا يستهان به من فنانيها عن الحركة الفنية ، اما بالصمت ، أو بالهجرة ، أو بالمناصب ، واستوعب العهد الجديد بعضهم الآخر فراحوا ينتجون أعمالا حسب المواصفات المطلـوبة ، ولم ينج من هـذا حتى السـجينى والجزار وندا وعويس .. والاعمال الرديئة للثلاثة الاخيرين فى المتحف البحرى بالاسكندرية شواهد على ذلك . **وسرعان ما انتشرت فى الحيـاة الفنية الاعشاب والطحالب والنبـاتات المتسلقة .. ودخل محـدودو المواهب بطبولهم يغطون على افتقارهم الى الاصالة بالخلط من الاساليب التكنيكية الحديثة فى الغرب وهم لا يدرون أنها أصبحت فى بلادها نفايات الفن الرأسمالى ، وبعد أن كانت فى بداياتها نشأتها ردود فعل عصبية أو فكرية لازمات حضارية تمر بها المجتمعات الرأسمالية ، ولهذا فقد كان لها فى حيلها جانبها الثورى، الذى تلاشى فيما بعد ، وقد كانت الجماعات الفنية المصرية فى الاربعينات على وعى كبير بذلك ، فكانت تأخذ من هذه الاتجاهات ما يتلاءم مـع الروح المصرية والظرف الحضارى الذى تمر به مصر ، وتترك الباقى .**

وظهرت بعض الاتجـاهات الاخرى **تتمحك بالتراث** ، بزعم استلهامه من أجل الوصول الى شخصية قومية فى الفن ، وهى فى الواقع لاتعمل غير السطو على بعض الموتيفـات الزخرفيـة أو بعض المظاهر الخارجية فى ذلك التراث ، دون استيعاب روحها الاصيلة ودراستها على ضوء الواقع المعاصر ، فهناك من لجأ الى محاكاة وحدات من الفن الفرعونى ، أو القبطى ، أو الاسلامى ، أو الشعبى ، مخفيا معالمها ببعض التأثيرات التكنيكية الحديثة ، وهناك من لجأ الى استخدام **حروف الخط العربى فى تكوينات زخرفية مجردة** . والواقع أن كل ذلك لم يكن يؤثر الا على السياح والاجانب الذين لا يتعدى فهمهم لتيهنا الفنية الى أبعد من أشكالها الظاهرية ، والتى كانت تلك الاعمال تبدو لهم كتذكارات للجو الشرقى الذى سحروا به ، ومن هنا كان اتبالهم على اقتنائها ، حتى أصبح هناك من ينتجون من أجل ذلك طوال العام ، فى انتظار هبوط السياح أو اقامة سـوق الفنون التشكيلية كل عام لتصريف منتجاتهم .. وهنـاك من كنسوا من العروض الجماهيرية اكتفاء بما يحققونه من مبيعات فى مراسمهم .

●●●

لكن كان هناك بالتأكيد الوجه الاخر لكل ذلك ، فنانون لم تعم ابصارهم اضواء الغرب ، ولم يشعروا بمركب النقص ازاء جنون العصر ، وفهموا دورهم الصعب فى بناء حركة فنية ذات جذور حضارية ، ومعايشة لروح العصر معـا .. وكان لديهم من الشجاعة ما يجعلهم يتصدون لكل عمليات الغزو ومحاولات التجاهل ، ويتحملون حتى شظف العيش ، وأمامهم الاغراء بالنجاح الرخيص ، وأحيانا كانوا يواصلون الانتاج سنوات طويلة دون أن يشعر بهم أحد ، ودون أن يحاولوا مجرد اخراج أعمالهم الى النور .. واذكر كمثال أن النحات السكندرى **محمود موسى** — الذى يعد من رواد النحت فى الحجر فى الفـن المصرى الحـديث ، وصـاحب الشخصية المصرية الاصيلة — أقـام معرضه الخاص الاول فى العام الماضى.. بمناسبة بلوغه سن الستين (١) ، وهناك العشرات من الامثلة للتدليل على ذلك ، بعضهم مايزال يواصل الرحلة فى رسالة وبعضهم طواهم الموت فى جذوة شبابهم وهم مستمسكون بالازميل أو الفرشاة ، مثل **كمال خليفة وسعيد العدوى** ، فضلا عن العشرات من الجيل الشـاب المتحلى بالوعى والجسارة ، والذى مايزال يبشر بوعود مضيئة لمستقبل الحركة الفنية .

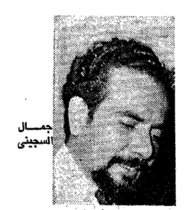
لكن من لهؤلاء بفتح لهم باب المستقبل ، والحركة الفنيـة يحكمهـا المسـئولون الرسميون غير المختصـين ، اما فى المناصب الحكومية أو فى اللجان الرسمية . لقد أصبحت الحركة على أيديهم مثل جثة ترتدى ثوبا زاهى الالوان معروضة فى فاترينة ، وأصبحت المشاريع التى وضعت من أجل رعاية الفن فى بداية الستينات

— مع موجة الحماس للاشتراكية — مجرد لافتات مطفأة ، وقد راحوا يستقطبون اليهم كل فترة اسما أو اسمين جديدين من كبار الانتهازيين والمدعين — ممن يمنحون انفسهم القاب الدكتوراة — حتى يدعموا مراكزهم ازاء من يتهمون تلك اللجان بالجهل وعدم التخصص ، وحتى تستمر الامور كما هى ، وليس فى الامكان أبدع مما كان .

ومع الافتقار الى المناخ الذى يسمح بالحوار الحر المفتوح ، الى التجمعات الفنية الراشدة ، والى أقطاب مضيئة بالوعى والموهبة بين الفنانين ، والى حركة نقدية وصحافة فنية ، والى وسائل فعالة للخروج بالاعمال الفنية من صمت المراسم والمعارض الضيقة الى الجماهير فى تجمعاتها فى كل مكان ، ومع الزيادة السرطانية لعدد الخريجين سنويا من الكليات والمعاهد الفنية ، دون أن يوضعوا فى مكانهم الصحيح ، وكل واحد منهم يعتقد انه يحمل شهادة رسمية بانه فنان له الحق فى المزاحمة وحجز دور .. وأخيرا مع الافتقار الى منبر حر مستقل تصل من خلاله كلمة الفنانين ، كاتحاد عام أو نقابة .. مع — أو بفضل — كل ذلك ، بدت الحركة الفنية فى نهاية العقدين الاخيرين : جسدا ديناصوريا مترهلا أعمى ، يمضى بلا اتجاه ، أو فى اتجاه واحد : هو الانقراض ! ..



وقد كان يمكن للجمعيات الفنية القائمة وعددها خمسة على الاقل ، أن تلعب دورا ايجابيا داخل الحركة الفنية ، لكن أغلبها قد تجمد نشاطه تماما منذ سنوات طويلة ، ولا يمارس النشاط بالفعل الا جمعيتان اثنتان ، هما : **جمعية خريجى الفنون الجميلة ، وجمعية محبى الفنون الجميلة** . وقد اشتهرت الاولى بنشاطها فى احياء حفلات ساهرة للطرب والرقص الشرقى (لزيادة الدخل !) .. أما الثانية فقد ساهمت حقيقة — خلال العديد من المعارض والمسابقات السنوية — فى ابراز عدد من الفنانين الشبان ، **الا ان المحصلة النهائية لهذا النشاط فى مجملها لم تؤثر فى مجرى الحركة الفنية** ، لان كل تلك الجمعيات لم تكن تتمتع برؤية شاملة للواقع الثقافى والفنى وما يطرحه من احتياجات ، بل كان ما يعنى كل جمعية أن تثبت تفوقها من أجل الحصول على مساعدات مالية أكبر من الدولة ، ومن أجل تأكيد الامتياز العنصرى على الاخرى ، بحكم الاصول والمؤهلات ،



جمال السجيني

ووصل الصراع فيما بينها الى حدوث فضيحة مخزية فى مؤتمر الفنانين العرب ببغداد فى العام الماضى ، حين أصر مندوب كل منها على القاء كلمة الوفد المصرى فى المؤتمر ، على اعتبار أن جمعيته هى الممثلة للحركة الفنية فى مصر ، وأدى الامر الى مشاجرة ، ثم الى الغاء كلمة مصر فى النهاية .

(●)

رؤية .. المستقبل :

واذن ؟ ..

هل علينا أن نياس ؟ .. أم أنه مايزال هناك أمل فى النجاة ؟ .

هناك الكثير جدا من الاقتراحات يمكن أن تقال ، وقد قيلت بالتأكيد عشرات المرات من قبل ، الا أننى أرى **أن هناك مسألتين أساسيتين تفوقان كل المسائل الاخرى أهمية ، يمكن بتحقيقهما انقاذ الحركة الفنية من الانقراض ودفعها للامام هما الوحدة والتخطيط العلمى** .. الاولى تتوقف بالدرجة الاولى على نضال الفنانين انفسهم ، أما الثانية فمن اختصاص الدولة ، لو كان يعنيها خلق نهضة فنية .

المسألة الاولى : هى ضرورة ايجاد كيان ديمقراطى للفنانين يوحد كلمتهم ويضمن انطلاقها حرة مستقلة .. ليس مهما اللافتة التى يوجد تحتها : اتحاد عام أو نقابة .. المهم هو الوحدة فى حد ذاتها ، الوحدة التى تمثل كل قطاعات وفئات وتجمعات الفنون التشكيلية ، وكل الفنانين المنتجين الجادين ، ليس بحكم شهاداتهم بل بحكم اسهاماتهم فى الحركة الفنية ، دون أن تكون هناك حساسية من تميز واستقلال كل فئة داخل اطارها العام ، كالتطبيقيين والتربويين وخريجى الفنون الجميلة والفنانين الاحرار ، طالما وجد التنسيق بين مصالح كل هذه الفئات بحيث لا تطغى احداها على الاخرى ، وبحيث يشترك الجميع فى النهاية فى أهداف عامة : ذاتية وقومية .. لكن الشرط الضرورى هو أن يتم بناء هذا الكيان بعيدا عن الاجهزة الرسمية المختصة بالفن ، حتى يكون تعبيرا ديمقراطيا حقيقيا ، بالانتخاب الحر ، عن القاعدة العريضة لجمهور التشكيليين .

بهذا الكيان — لو استطاع الفنانون انتزاع أرضه واقامة بنائه على هذه الاسس — يمكن أن يوضع الفن فى مكانه الصحيح فى المجتمع ، وأن يصبح الفنان تعبيرا حضاريا عن عصره ، وأن ينال حقوقه وكرامته معا .

المسألة الثانية : هى التخطيط العلمى :

ولا أعنى بالتخطيط أن يتم وضع خطة للانشطة الفنية داخل أجهزة وزارة الثقافة ، كان المسألة أبعد من ذلك بكثير ، انها مسألة قومية وحضارية ، ومن هنا يجب أن يشترك فيها عدد من الوزارات والمجالس القومية المتخصصة .

هناك شقان رئيسيان لهذا التخطيط : الشق الاول هو الفنان .. صانع النهضة المرجوة ، **والثانى هو الجماهير** ، المراد رفع وعيها الجمالى وزيادة قابليتها لاستقبال الفن وخلقه أيضا .

● **بالنسبة للشق الاول :** فان الخطط يجب أن توضع على أساس أن الفنان ثروة قومية لابد من الحفاظ عليها واستثمارها بتوفير كافة الضمانات المادية والاجتماعية والمعنوية لها . ولا يجوز فى هذا أن يخضع الفنان لخطط التنمية الطويلة الاجل ، فيعطى بين الحين والاخر على ماتيسر ، تبعا لخطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة ، فان الدور الحضارى للفنان لايقبل التقسيط على هذا النحو .

● **وبالنسبة للشق الثانى :** فانها عملية تربوية وتعليمية طويلة المدى ، ويجب أن تبدأ من المدرسة الابتدائية ومن القواعد الجماهيرية فى الريف والمدن مثل مراكز الشباب وبيوت الثقافة . انها عملية تساوى عملية محو الامية .. بتعويد الطفل والانسان البسيط على التعامل مع الفن وتذوقه وابداعه ، عن طريق الكتب المبسطة المصورة عن الفن ،

وعن طريق توفير الخامات الضرورية للانتاج الفنى ، خاصة البيئية ، وعن طريق زيارات المتاحف والمعارض ،وربط الانسان منذ تفتح وعيه ، وجدانيا بحضاراته الفنية العريقة ، وعلينا أن نذكر أن الانسان المصرى فى صميمه من أكثر متذوقى الجمال ومبدعيه ، ولا أدل على ذلك أن الطفل المصرى ، قبل أن تتشوه شخصيته فى الواقع المرير الذى يعيشه ، يفوز دائما بأهم الجوائزالعالمية لرسوم الاطفال .

● وتندرج فى هذه المهمة التعليمية والتربوية خلال بقية مراحل التعليمحتى الجامعة ، باسلوب علمى متطور ، وليس بالاسلوب البيروقراطى المتبع فى كتاب التذوق الفنى فى بعض سنوات التعليم .

● **ويجب أن يحدث تغيير فى مناهج الكليات والمعاهد الفنية** : فليس المهم أن تخرج لنا افواجا من الطلبة الذينيعرفون فقط كيف يرسمون أو يشكلون ، انما المهم أن يعرفوا أيضا كيف يوصلونمن خلال مواقع عملهم التى سيشغلونها — الوعى الفنى الى الجماهير العادية ، وهذا يستتبع أن يعين كل منهم فىالمكان الملائم الذى يستطيع أن يعطى منخلاله [وليس فى قسم السوابق مثلا بمديرية الامن كاحدى خريجات الفنون الجميلة ، أو فى كلية البوليس مثل الفنان عبدالله احمد عبد الله الذى اضطر الى الهجرة الى اوروبا منذ عشر سنوات اصبحخلالها اسما لامعا فى الحركة الفنية هناك] .

● **وينبغى أن يكون هناك مكان لائق ودائم للفنون الجميلة فى كل أجهزة الاعلام** : التليفزيون، الاذاعة ،الصحافة الافلام التسجيلية .. ولنذكر أن كل ما عرض من أعمال الفنانين الرواد محمود سعيد ويوسف كامل وسيف وانلى ،وكل ماكتب عنهم ، لايساوى الاثر الجماهيرى الذى أحدثته الافلام التسجيلية التىأعدت لكل منهم ، وعلينا أن نستفيد من تجارب البلاد المتقدمة فى تقريب الفنون الى الناس عن طريق التليفزيون والاذاعة ، أما عن الصحافة : فضلا عن ضرورة **اصدار مجلة خاصة بالفنون التشكيلية**، فيجب أن تتضمن كل الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية أبوابا ثابتة من تلك الفنون ، وهذا ، بالاضافة الى انه سيخلق نوعا من الاهتمام العام لدى الجماهير فانه سيساعد على ايجاد جيل من النقاد الفنيين يملأون الفراغ المخيف القائم فى هذا الميدان .



جاذبية سرى

● **أن وزارات وأجهزة الاسكان والتعمير والثقافة والحكم المحلى،والمجالس القومية المتخصصة ، يجب أن تتعاون فى رسم سياسة للتطور المعمارى والحضارى للمدن** ، واضعة فىاعتبارها أن تحتل الاعمال الفنية فيها مكانا لائقا، ولتكن عملية اعادة تعمير مدن القناة الثلاث فرصة مواتية لتحقيق هذه التجربة.

● ان الاقتراح القديم **باقامة مجمع للفنون** ، يشمل أهم المتاحف القومية وقاعات للمعارض حسنة الاعداد ،يقام على أرض المعارض بالجزيرة ، بعد انتقال سوق القاهرة الدولية الى مدينة نصر ، اقتراح جدير بأن يتحول الى واقع ، فسوف يظل جبين هذا القرن يندى بعرق الخجل حتى يقام متحف للفن الحديث بدل المتحف الذى هدم فى تلك الغارة التترية التى لم يحدث لها مثيل فى التاريخ الحديث ، حين أبيدت تلك التحفة الاثرية المعمارية [قصر هدى شعراوى] ليقام مكانها فندق سياحى ، لكن مكانها ظل مستنقعا لاكثر من عشر سنوات حتى تجول أخيرا الى موقف للسيارات ! .. وسوف تظل آثارنا الفنية — فرعونية أو اسلامية أو قبطية — مجرد جثث أو كتل صماء طالما هى باقية كما هى الان فى مخازنها الزنخة المعتمة المسماة ظلما بالمتاحف ، حتى توضعفى اماكن لائقة بها فى أبنية عصرية ، تنعم بالضوء والهواء والرحابة .

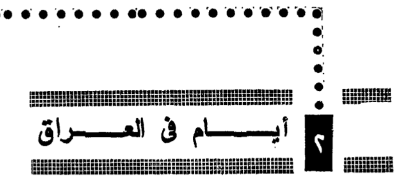
● وأخيرا .. فقد آن الاوان لان نفهم **ان المعرض التشكيلى لم يعد هو الطريق الوحيد او الامثل لتوصيل الفن الى الجماهير** .. هناك أولا وسيلة عرض الاعمال الفنية الكبيرة فى الميادين والحدائق والمبانى العامة [وهذا يستلزم ضرورة بعث الحياة فى مشروع الـ ٢٪] . وهناك ثانيا وسيلة المستنسخات الفنية .. لقد تطورت هذه الوسيلة فى العالم اجمع الى درجة باهرة ، ويمكن عن طريقها أن يحصل محدودو الدخلعلى نسخ من اعمال فنية مطبوعة بالوانها الطبيعية طباعة لاتفترق عن الاصل ، وبهذه الطريقة نحقق غرضين فى وقت واحد : انتشار العمل الفنى بحيث يصبح منمقتنيات آلاف المواطنين ، وبقاء الاصل ثروة قومية فى المتاحف .

ونفس الامر بالنسبة لاعمال الفنون التطبيقية ، خاصة الخزف ، هذهالصناعة الشعبية العريقة ، فلو توسعنا فى اقامة مراكز انتاج الخزف ، فسوف يزداد الاقبال على اقتناء انتاجها حتى يمكنلكل بيت ان يحتوى قطعة أو أكثر لرخص أسعارها . ونجاح تجربة بيع منتجات مركز الفسطاط فى معرض سوق الفنون التشكيلية — الذى تمثل فى الاقبال الهائل على شراء هذا الانتاج — خير دليل على ذلك ..

(●)

وبعد ..

فلست أزعم أننى أملك وصفة سحرية تتجرعها الحركة الفنية فتعافى ، أن هى الا اجتهادات مخلصة وسريعة ، أو قل انها احلام .. ولكن لم لانحلم ! هكذا هى البداية دائما .. وأن الحوار المفتوح الذى يمكن أن يقوم حول كل القضايا المثارة فى هذا المقال ، كفيل بأن يوصل الى طرق ومسالك مفتوحة على مستقبل افضل لحركتنا الفنية المتعثرة .



[الشعر والفن التشكيلى هما أبرز الملامح فى الثقافة العراقية ، بعدهما تأتى القصةوالرواية والمسرحوليست الكلمات التاليةسوى محاولة للتعـرف على أبــرز الظواهر فى هذه المجالات]

حســـــاسيات جـــــديدة فى الروايـــة والقصـــة والمســـرح

فاروق عبد القادر

ولست ازعم أننى أقدم مسحاشاملاللقصة والرواية فيالعراق، أو تاريخـا كامـلا لتطور هذينالفنين منذ بداياتهـا فى أوائل العشرينات : لكننى اقف عنـدبعض النماذج التى يمكناعتبارها « حساسيات » جديدة فى هذينالفنين ، وفى تصورى المدى الذى الذى بلغــه تطورهما فى مصروالمشرق العربى بوجه خاص . كل حكم مغامرة ، وكل مغامرةقفز الى مجهول ، لكننى قانــع بنصيب من اجتهد فأخطأ .

واذا جعلنا دليلنا « فهرست القصة العراقية » (عبد الاله أحمد ، بغداد ، ١٩٧٣) ، والذى يمثل أحدث - وربما أشمل - محاولة لتقـــديم ثبت كامل بالاعمال المنشورة من القصة والرواية ، فىمجموعات أو فى صحف ومجلات ، منذ بدايات هذين الفنين حتى ١٩٧٠ ، فسنجد عدة ظواهر جديرة بالتسجيل:

● الظاهرةالاولى هى تبعثر القصص والروايات - والقصص بوجه خاص - فى بطون الصحف والمجلات ، بمعنى ان نسبة المجموعات لا تكاد تذكر قياسا الى عدد القصص المنشورة فــى الصحف والمجلات ، بل اننا لا نجد لقصاص عراقى لعبدورا فى تطوير القصة القصيرة - فؤاد التكرلى - سوى مجموعة واحدة مطبوعةفى١٩٦٠ ، ولا نجد لعبد الملك نورى سوى مجموعتين همـا « رسل الانســـانية » ، بغــداد ، ١٩٤٦» و « نشيد الارض » ، بغداد ١٩٥٤ ، رغم وفرة القصص المنشورة له فــى الصحف والمجلات منذ بداية الاربعينات واظن هكذا الامر بالنسبة لقصاصين آخرين ■

لازالت القصة والرواية في العراق تنتظران الجهد النقدي الذي يتناولهما بالدرس والتحليل ، من حيث علاقتهما بالواقع العراقي من جانب، وعلاقتهما بتطور هذين الفنين في المغرب وفي المشرق العربي (ومصر بوجه خاص) من الجانب الاخر ، وقد بدا هذا الجهد البداية المنطقية والصحيحةبفهرس للقصة والرواية قدمها كوركيس عواد وعبد الاله احمد وغيرهما ، الى جانب « قلة من الرسائل الجامعية التي بدأت دراسة بعض جوانب هذا التراث .

● **الظاهرة الثانية هي انتشار كتابة القصص بأسماء مستعارة** ، ويقدم فهرس القصة العراقية عددا كبيرا من هذه الاسماء : ابن الفرات ، أبو علي ، أبو خلدون ، فتى الناصرية ، فتاة بغداد ، وغير ذلك ، الى جانب عدد كبير من القصص المنشورة تحت الحروف الاولى لاسماء كتابها ، أو دون أسماء أو حروف على الاطلاق .

وفي الواقع السياسي الذي عاشه العراق – من الاحتلال الى الاستقلال – مبرر انتشار هذه الظاهرة ، خاصة انها تبدو – أكثر ما تبدو – في القصص المنشورة في الثلاثينات والاربعينات .

● **الظاهرة الثالثة هي أن الكاتبة العراقية شاركت الكاتب القصصي منذ البداية** ، فنحن نجد في الفهرس أسماء كاتبات كثيرات ، بعضهن بأسماء مستعارة والبعض الاخر باسمائهن الصريحة . فالفترة التي شهدت بداية القصة ونموها – مابين ١٩٢٠ و ١٩٦٠ – كانت الفترة التي تركز فيها نضال الحركة الوطنية العراقية نحو الداخل ، وتجسد في قضايا الطبقات الشعبية ، والفلاح ، والمرأة ، والتعليم وغير ذلك ، وطبيعيأن تبدى المرأة الرأي في قضيتها وغيرها من القضايا ، وطبيعي كذلك أن تدفع التقاليدالاجتماعية معظمهن للكتابة بأسماء مستعارة .

●

نشر **سليمان فيضي** الرواية العراقية الاولى « **الرواية الايقاظية** ، البصرة ، ١٩١٩ » ، ونشر **محمود احمد السيد** عددا من الروايات بعده : « **في سبيل الزواج** ، القاهرة ، ١٩٢١ » ، « **مصير الضعفاء** ، القاهرة ١٩٢٢ ، **جلال خالد** ، بغداد ، ١٩٢٨ ، وغير ذلك ، الى جانب مجموعة من القصص القصيرة بعنوان « **النكبات** ، القاهرة ، ١٩٢٢ » ، وتتابعت بعدهما الاعمال القصصية والروائية . ويبدو أن أهم الذين لعبوا دورا فيتطوير هذين الفنين ومحاولة الوصول بهما الى مستوى النضج هم : **جعفر الخليلي** (١٣ مجموعة قصصية ورواية من ١٩٣٥ الى ١٩٥٦) ، **عبد المجيد لطفي** (٦ اعمال قصصية وروائية من ٣٨ الى ٦٩ ، الى جانب انه صاحب اكبر حصيلة من القصص القصيرة المنشورة في الصحف والمجلات على الاطلاق) **ادمون صبري** (١٥ مجموعة قصصية من ٥٢ الى ٧٠) **ذو النون أيوب** (١٤ مجموعة قصصية وأربع روايات من ٣٧ الى ٧٢) ، **عبد الله نيازي** (٧ أعمال قصصية وروائية من٤٩ الى ٧١) ، **عبد الملك نوري** (مجموعتان سبقت الاشارة اليهما) ، **حازم مراد** (٨ اعمال قصصية وروائية من ٥٨الى ٧٠) ، **فؤاد التكرلي** (مجموعة واحدة منشورة سنة ١٩٦٠) **وشاكر خصباك** (٥ اعمال من ٤٨ الى ٦٧) . **واخرين**

ويبدو كذلك أن القصة القصيرة قطعت في سبيل تطورها خطوات أوسع مما قطعته الرواية ، فبالنسبة لهذه الاخيرة يبدو أن رواية غائب طعمة فرمان : « **النخلة والجيران** » ١٩٦٦ » كانت بداية مرحلة جديدة في الرواية العراقية . يقول الناقد العراقي **عبد الجبار عباس** : « ان في تاريخ الرواية العراقية الحديثة مرحلتين ، « النخلة والجيران » هي الحد الفاصل بينهما ، المرحلة الاولى ابتدأت برواية محمود السيد الضئيلة والمتواضعة « جلال خالد » ، وكانت عبارة عن مجموعة رسائل كتبت بلغة الرسائل ، تلتها محاولات ذو النون أيوب القائمة على السرد الذي يجنح في كثير من الاحيان الى الموعظة والتقرير الصحفي والى اقحام المقولات والخطب الفكرية والاجتماعية ... المرحلة التي تبدأ بالنخلة والجيران أهم ما يميزها انها استعاضت عن السرد بالبناء الفني ، اذا قرأت النخلة والجيران ، وبعدها « **خمسة أصوات** ، ١٩٦٧» تجد بناء فنيا كاملا يعتمد على الحركة والتصوير والفعل، أية فكرة أو أي معنى اراد ان يقدمه لنا لم يقحمه اقحاما في مقولة يتولى تقديمها لناالكاتبنفسه ، وانما تقدمت من خلال الحدث المصور .. » (الاقلام ، العددان ٧ – ٨ – ١٩٧٤) .

لكن هذا لا يعني انثمة خطا واضحا لهذا التطور يمكن متابعته بدءا من رواية غائب فرمان ، الامر على نحو آخر : فقد يحقق كاتب خطوة للامام في احدى رواياته ثم ينكص عنها خطوات في روايته التالية ، ويبدو أن الرواية العراقية – على وجه العموم – لازالت تنتظر « **نجيب محفوظ** » آخر ، يستطيع أن يجمع في أعماله الرؤية الشاملة للواقع العراقي (في المدينة أو الريف) الى جانب المرونة الجيدة بالتكنيك الروائي ، والقدرة على اللحاق بمنجزاته الغربية والعربية في القرن العشرين .

وتمثل بعض الرواياتحساسيات جديدة في تطور الفن الروائي العراقي ، أشير منها الى روايات : « **الظامئون** ، لعبد الرزاق المطلبي ، ١٩٧٠ ، و « **في يوم غزير المطر ، في يوم شديد القيظ**» لعادل عبد الجبار ، ١٩٧٢ ، و « **شقة في شارع ابي نواس** » لبرهان الخطيب ، ١٩٧٢ » ، و «**ليس ثمة امل لكلكامش** » لخضير عبد الامير ، ١٩٧٢ ، « **والوشم** » لعبد الرحمن الربيعي ، ١٩٧٢ ، وروايات اسماعيل فهد ، « **كانت السماء زرقاء** ، ١٩٧٠ ، « **المستنقعات الضوئية** » ، ١٩٧١ ، و « **الحبل** » ، ١٩٧٢، و « **الضفاف الاخرى** » ، ١٩٧٣ ، ورواية عبد الستار ناصر « **تلك الشمس كنت أحبها** » ١٩٧١ ، و « **عراة في المتاهة** »لمحمد عبد المجيد ، ١٩٦٩ ، الى جانب روايتي فاضل العزاوي : « **مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة** » ، ١٩٦٩ » و « **القلعة الخامسة** ، ١٩٧٢ » .

واقف عند هاتين الاخيرتين كنموذج لتلك الحساسية الجديدة :

اثارت « **المخلوقات** » عند صدورها اهتماما ، فهي نموذج لما يمكن اعتباره محاولة التجديد فيالرواية العراقية ، وهي نموذج لاتجاه غلب على هذه المحاولة وهو الذي يصور أزمات الفرد المحبط في المدينة ، وهي نموذج لمحاولة البعد من الواقع والتهويم في عوالم فانتازية ، عجزا عن فهم تناقضات هذا الواقع ، أو رغبة في عدم تحديد موقف منها . هذا كله الى جانب وجود « فاضل العزاوي » نفسه في الحياة الثقافية العراقية : شاعرا وروائيا وقاصا وصحفيا .

●

والرواية فانتازيا ، يتوزع بناؤها (ثمانية عشر نشيدا، وملحق واحد) على فكرة ان مخترعا شريرا استطاع ان يخترع جهازا يشع اوبئة غير معروفة ، احالت أهل المدينة الى اصنام جامدة لا تقوى على الحركة ، وفي المدينة الخالية راح المخترع الشرير يكتشف لنفسه عوالم الحلم والدهشة والحب والموت والجنس والالم ، وهو ينتظر موته الذي يحمله أهل المدن الاخرى القادمون في ضوء النهار ، وحين جاءواوجدوه جثة مشنوقة مدلاة من شجرة تفاح .

بطل « المخلوقات » كاره للبشر ، راغب في تدميرهم ، باحث عن حريته

التى لايمكن ان توجد الا بنفى الاخرين وغيابهم ، يبدأ نشيده الخامس على النحو التالى :« اجتاح المدينة فجأة فى الصباح الباكر وباء مجهول مصحوب بضجيج عال جدا . عمت الفوضى الشوارع واختفى الكثيرون بداخل بيوتهم وهرب الالوف الى الريف المجاور تاركين اطفالهم ونساءهم للموت الجاد الذى حاصر البناياتو الشوارع والضواحى الارستقراطيةالانيقة .

ـ : انهم يموتون . يموتون نهائيا ».

قال س الذى كان يقف أمام جهازه السرى فى سرداب بيته .

ـ : سيكون العالم غدا أكثر بهجة . مدينة بدون ناس . بدون ضجة ومشاريع ومضاجعات » (ص ٣٤) ».

لكن هذا لم يات فجأة : من اشارات متناثرة فى الاناشيد الاربعة الاولى ، ووسط تهويمات البطل ـ التى تتخذ حينا شكل الصياغة الشعرية ، وحينا شكل النثر المكثف الموحى ، وحينا شكل لقطات « المونتاج » المتتالية أو المتوازية ـ **يمكننا أن نجد نواة صلبة : فلقد حدث للبطل ـ رغم براءته ورغم انه** بلا قضية ـ **أن تعرض لضياع حريته** بالاعتقال ، ولتعذيب جسدى وحتى على أيدى زبانية المعتقل ،». « فى اليوم التالى فكوا قيوده وسمحوا له بالعودة الى بيته ، زحف الشبح فى الشارع .. اثناء التعذيب الجسدى المبللبالدم يصل المرء درجة اليأس حتى من جلده ، .. انزلق بصمت الى داخل السرداب واغلق الباب وراءه وانهمك فى اختراعه الذى ظل يعمل فيه منذ سنوات » ». (النشيد الرابع ، من ص ٣٠ الى ٣٣) .

هذه الرغبة فى تدمير العالم ونفى الاخرين هى استجابة بطل مأزوم محبط ، بطل يعرف اندريه بريتون والادب الوجودى ومسرح العبث وفوكنر ودى ساد ، تبرق خطوط من هذا كله وتختفى، لكن الخطوط التى تبقى دائما هى التى تقودك الى وجودية سارتر فى « الوجود والعدم » على وجه الخصوص ، فنحن نقرأ : « ارتاد الرجل المدينة المهجورة ». هل كان س يعرفه عذاب الاصنام ؟ اننى حر ، وهذا يكفى .». انهم مداثون بالتطلع الى وجهى . لقد حددونى » . (ص ٤٠) ، ونقرأ :« أغلقت العاصفة الابواب السرية ، لم تكن ثمة حاجة للاشياء ، **الاشياء مكتفية بذاتها** ورصينة . لا يوجد أحد . لم يكن ذلك مشكلة » (ص ٧٨) ، ونقرأ : « امام مثل هذه الحقيقة يطرح سؤال أصيل نفسه : اذن لمن نكتب : ولماذا ؟ فى المدى الاخير : نحن نكتب لكون مهجور أى بمعنى ما اننا نكتب للاشياء التى لا تمتلك أى وعى ، واذا كان الوعى هو الذى يعطى للوجود معناه فاننا نكتب لوجود لامعنى له : العبث » (ص ١٠١) ونقرأ اخيرا : « ها انذا فى العالم . ها انذا اتحدث داخل البحر. ها انذا اجازف . هذه هى مسألتى التى قد لا تجعل منى كاهنااو شاعرا أو سائق عربة ولكنها قضيتى التى لا أملك الا ان اعيها » (ص ١٠٤) ».

الانسان محكوم عليه بوعى الحرية فى كون مصمت . من العدم جاء والى العدم يمضى ، فى وجود الاخرين يكمن غيابى، وفى عيونهم موتى وتحولى عن انسانيتى الى شىء مطروح النظر . لكننى لا أملك ازاءهم شيئا الا الرعب ، والرغبة فى نفيهمكى تتحقق حريتى ووجودى .

لقد أخذ بطل « المخلوقات » شيئا عن سارتر وفاتته اشياء : أخذ منه أن الاخر يلتهم وجودى ،وفاته أن هذا الاخر نفسه معطى من معطيات وجودى ، وهو شرط التزامى ، أخذ من سارتر أن الحرية واقعة ، وفاته انها « فعل أمر » أيضا ، أخذ عنه أن الانسان حر ، وفاته أن هذا يعنى تماما انه مسئول وان عليه أن يحيا بابداع . ان المجتمع ـ وهذه افكار سارتر أيضا ـ الذى يفعل كل ما بوسعه عن طريق الاضطهاد الطبقى والاستغلال الاقتصادى والقهر والارهاب يقضى على العمل الخلاق للانسان ، ولا يترك له سوى حرية فارغة بلا معنى ».

كانت « المخلوقات » فى نهاية الامر تهويمة روائية راغبة فى الهروب من الواقع ، والوقوف أمامه ، وادانته ، وتمنى دماره ، استعان الكاتب على نسجها باندرية بريتون وسارتر وكامى وبيكيت وادامونه وآخرين ، بالصياغة الشعرية، وسطور النثر المكثف الموحى ، والمونتاج ، وصور الاحلام والكوابيس ، وهلاوس الليل والنهار .

● لكن نواتها الصلبة تكشف عنها روايته الثانية « **القلعة الخامسة** ، دمشق ، ١٩٧٢ » . هذهالرواية الثانية خطوة فسيحة للقاء ارض الواقع ، البطل الذى كان مجردا ، مهوما لاتقف قدماه على ارض ولا يحدده زمان ، اكتسبالان ابعاده الانسانية المحددة : شاب جاءمن كركوك الى بغداد ، يلتمس فضاء الليل مع عاهرة تمسح عن قلبه عذاب سنة من العمل المرهق ». قيلله عن مقهىمعين انه يمتلىء بالقوادين ، ما عليه الا أن يجلس ويطلب شايا ، وسيتقدم منه أحدهم ، ويحقق له رغبته المعذبة . جلس ساعة وساعتين ، « وكنت مستعدا أن أجلس ساعات أخرى للحصول على امرأة تضيىء فى قلبى المعذب ظلام سنة كاملة من العمل المرهق فى المكتب .. وفجأة رأيت نفسى محاصرا بالشرطة مع بعض الرواد الاخرين . سحبنى شرطى من ياقة قميصى وقال لى : تعال هنا أيها البطل الفار . حاولت أن أقول .شيئا لكن الكلمات ذابت فى حلقى الجاف ، صفعنى شرطى آخر بقوة وقال : لقد عرفته ، انه واحد منهم . » (ص ١٨ ـ ١٩) .

وهكذا وجد نفسه منقادا الى المعتقل . تمسك حينا باستار براءته ، لكنه اكتشف شيئا ، قال له قائد المعتقل : لا يهمنا ان كان هذا اسمكام لا ،كما لا يهمنا ان كنت بريئا أو مجرما ، كل ما فى الامر انهم أرسلوك الينا وعلينا الاحتفاظ بك حتى يتقرر مصيرك . وقال له الرفيق الذى يستمع اليه الباقون برهبة واحترام : ينبغى أن تتعود على الحياة هنا ، وما دمت معنا ستكون واحدا منا، فى كل شىء ، حتى تغادر هذا المكان ، لا يهم أن تكونمنتميا ، كل ما فىالامر أننا نواجه ظرفا شاذا ، ينبغىألا نسقط أمامه وأن نحافظ **على اخائنا الانسانى** : وننتظر . وقال له أيضا : ان البحث عن العدالة ، حيث القتال الشرسمع الاعداء يعد تنازلا أمام التاريخ ». العدالة الوحيدة الممكنة هى ان نكسب هذه الحرب .. وحتى يتحقق هذا الحلم يظل اعتقالك ضروريا مثل أية ضحية اخرى تسقط صدفة . مثل كأس زجاجية ترتطم بأرض صلدة وتتفتت ، قد نأسى عليها لانها كانت جميلة أو مفيدة لكننا لا نفكر فى العدالة .

ووعى الدرس : ان العدالة قد لا تكون دائما الى جانب البراءة ، بل انها تتعمد أحيانا أن تكون فى الجانب الاخر : حيث يكثر الشهداء والضحايا ، ترك يديه تسقطان عن أستار براءته ، **وفتح عينيه ليرى هذاالعالم المنفى ، المحاصر : عرف الثورى الذى يحلم بثورة جميلة** : ثارة تنهض من رماد البحار الميتة ، كانت أفكاره فى عالم لا يقتل فيه الانسان أو يهان ، وصورة الثورة عنده ان تكون مبرأة من كل جريمة ». فهو ضد الجريمة مهما كانت مبرراتها ، فلا خطأ عند الذين يعادون أخطاء العالم ». (لاحظ : ما أسرع ما هزم وسقط هذا الداعى للسلم بمجرد أن خطت قدماه خارج أسوار المعتقل) ، **وعرف الثورى المزيف** ، يملأ

شدقيه بالكلمات الكبيرة ويطلقها مثل بالونات ملونة ، يتخذ اكثر المواقف تطرفا وتشددا ». وفى ظلمة الليل يتستر بالرمد والمطركى يسلم التقارير عن رفاقه لرجال الحرس ، **وعرف الفلاح البسيط المؤمن بحتمية الثورة** وجدوى ما يفعل ، يتقدم الى المشنقة وفى عينيه ايمان نبى ، **وعرف الفوضوى المتمرد** يصرخ ملء حنجرته فى وجوه الجميع : أعرف أن كثيرا من الناس يموتون شهداء من أجل الحقيقة ، الحقيقة التى يعتقدون أنها حقيقة ، ولكن هل هناك حقيقة واحدة فى هذا العالم ؟ اننى أقول لكم من أجل أن تدركوا الحقيقة ينبغى أن تقفوا أمام العالم وتبصقوا على كل شىء : على الحب والاخلاق والتاريخ والشهداء ». ان اى جبان ». اى ساذج ، اى غبى يمكن ان يتحول الى بطل اذا أصابته رصاصة طائشة ومات . وليس الاخيار فى هذا العالم سوى أذلاء أغبياء خانعين ، تعودوا أن يقولوا نعم حتى للاكاذيب . أما أنا فأبحث عن الرجل الذى يعرف أن خلاصه فى هذا العالم مستحيل ، ومع ذلك يقف شجاعا أمام الكون كله ويقول لا . **وعرف سارقى الثورة** : تاجر كبير ومحاميان وطبيب وأستاذ جامعى ، كانوا يقيمون فى غرفة مؤثثة جميلة ، طعامهم يأتيهم من المطعم ، وفى ركن من الغرفة تتكدس المعلبات والفواكه ، يتحدثون عن الثورة وضرورة التضحية لكنهم لا يقدمون لجائع زجاجة حليب . كان رفيقه الحالم بثورة جميلة يقول عنهم : انهم أذكياء جدا ، وعندما تنجح الثورة سيكون المجد كله لهم ، انهم وزراء الثورة القادمة ! ». **وعرف كيف يمكن ان يتحول الضحايا الى جلادين لضحايا آخرين** ، ففى داخل المعتقل كان ثمة معتقل آخر ، حجرة يدعونها المستنقع ، ينفون اليها كل من لا تتفق أفكاره مع الخط العام . حين تململت براءته جاءه الرد منتصبا كالجدار : كلنا نعامل بقسوة ، ويجب أن نواجه القسوة بالقسوة .

انه معهم فى الورطة شاء ام ابى : حاولت ادارة المعتقل أن تجعل منه عينا على رفاقه لكنه رفض ، كبرياؤه الانسانى فقط دون التزام آخر هو الذى رفض ، فأشاعت عنه الادارة انه جاسوسها بالفعل ، ولقى العذاب من رفاقه أشكالا وألوانا ، وحين اعادت ادارة المعتقل الكرة معه ، تجمع حقده وقرفه وعذابه فى بصقة واحدة قذف بها وجه المحقق . **واقتيد الى غرف التعذيب** : « واذ كنت أعبر باب زنزانتى الى غرفة التعذيب تخليت عن كل مخاوفى التى تشكل بؤسى ، وقررت ان امنحهم جسدى ، هذا الذى يحسدوننى عليه ، هذا الذى يشكل سجنى ، وكنت اضيىء مثل مدينة فى النهار » (ص ١٠١) ، ومن **غرفة التعذيب خرج صلبا ، نقيا ، مطهرا . وشيئا فشيئا بدأت تتكون قناعته الجديدة** : « وهاأنذا .. الرجل الذى اقتيد من مقهى للعاهرات الى المعتقل بسبب صدفة مضحكة أصبح كائنا يفكر فى مصائر الاخرين . حاولت أن أكون مثلهم ، وكانت همومهم تدخلنى وتضيئنى ، لقد استقبلت عشرات من القادمين الجدد ، ومنحتهم الثقة والحب ، محدثا اياهم عن جمال الثورة والعالم الجديد . » (ص ١٣٣) . وتدور الايام وتتعاقب الفصول ، ويفتح باب المعتقل يوما ليدخل منه الشاب الذى كانه ذات ليلة : بريئا اقتيد من المقهى بلا حقيبة أو ثياب ، يقسم انه لم يرتكب أى خطأ ، فيتقدم منه « قائد المعتقل » ويقول له : لكنك معنا . أليس كذلك ؟ » .

« القلعة الخامسة » خطوة متقدمة فى طريق فاضل عزاوى ، خرج فيها بطله من أسر حصره الوجودى فى مواجهة كون عابث ، دب بقدمين - مترددتين فى البداية ثم ثابتتين فى النهاية - على أرض الواقع ، واكتوت يداه بناره ، لكنه بقى مصرا على مفهومه الخاص لحريته ومسئوليته ، انه يرفض الفكر المسبق ، ويرفض أن يكون دليلا الى العمل ، ويريد أن تكون قناعاته نابعة عن تجربته هو ، لان الخيانة الشخصية والاجتماعية والسياسية ، تحيط بالجميع ، وبقى على بطله أن يخطو الخطوة الباقية : ان تجارب الاخرين يمكن أن تكون تجاربى ، فانا لا أبدأ من فراغ ، وفى تراث الثورة والثوار ما يمكن أن يكون دليلا للعمل ، لا انفصال بين أن تكون حرا ومسئولا ، ولا انفصال كذلك بين أن تكون مفكرا وعاملا .

هل يخطوها هذه الخطوة ؟ فى ديسمبر ٧٣ ألقى فاضل عزاوى محاضرة فى اتحاد الكتاب العراقيين عرض فيها لتطور الادب العراقى قبل ٥٨ وبعدها ، وفى نهاية محاضرته أشار فاضل الى أن على الاديب الثورى أن يتخلى عن هموم النخبة وعن تصنيف النخبة ، وأن يكتب لجماهير العمال والفلاحين والجنود والموظفين الصغار ، « .. لكن هذا لا يعنى السقوط فى السطحية والابتذال وتكرار الكليشيهات الجاهزة ، وقتل المستوى الفنى المتطور والمتقدم للكتابة . العكس هو الصحيح ، ذلك ان الاديب الثورى هو من يمتلك أعلى وعى علمى للعالم الذى يعيش فيه ، أى أنه يقف فى طليعة الفكر الانسانى مع امتلاكه رؤية شاملة للمستقبل وحرية فكرية لا حدود لها ، ان الفكر الثورى العلمى وحده يستطيع تحرير الانسان من كل العبوديات والاوهام والاضاليل الفكرية السابقة » . (الثقافة الجديدة ، شباط ، ١٩٧٤) .

●

وعلى مستوى آخر يمثل **محمد خضير** حساسية جديدة فى القصة القصيرة ، كما يتبدى فى مجموعته الوحيدة « **المملكة السوداء**، بغداد ، ١٩٧٢ » ، هذا قاص ذو عالم متميز ، ورؤية خاصة : انه ملتفت الى الاشياء ، يقظ فى متابعة حركة الحياة والاحياء ، سواء تمثلت هذه الحركة فى مواكب المعزين المتجهة نحو ضريح « الشفيع » فى كربلاء ، أو النأمات الدقيقة تقوم بها الاسماك الملونة فى الحوض الزجاجى ، أو صخب شوارع البصرة بالسيارات والسائرين ، أو اقتراب مناطق الفيء من مناطق الهجير ، أو رصد الحركة النفسية بتتابعها المتأنى فى جلسة الفتاة على مقعد مطل على النهر ، أو تدافع الموجات الى تكسرها المحتوم على ضفة النهر .

عالم محمد خضير محدد لكنه غنى ، بين الظل والهجير يقع عالمه ، لا تخلو قصته من تحديد بقع الظل والهجير على أرضها ، وبينهما درجات ، تشف حينا وتعتم حينا ، لكنها تقف بعيدة عن الانسان ازاءها . **لعبت بيئة جنوب العراق (منطقة البصرة حيث يمهل ويقيم) دورها فى تحديد عالمه وغنى عناصره وامتلائه بكل ما هو وحشى ينطوى على الرقة والعذوبة ، بأوراق الاشجار الاستوائية وغابات النخيل واصطفاق الموج وكائنات البحر (آه .. انها عناصر من عالم السياب كذلك) ، الصخور الخضر الداكنة ذات التجاويف التى حفرتها السراطين والاسماك ، الاعشاب المائية الرطبة وشظايا الاحجار والحصى ، النوارس ، صوارى سفن تملأ الافق وقد ارتخت بكرات حبالها فكأنها تدلت من قطع الغيوم العالية .**

ابطال محمد خضير من بسطاء الناس : امرأة هجرت حرفتها القديمة لانها أحبت وتزوجت ، تروح لزيارة ابنتها التى تركتها عند القوادة العجوز ، ايمان بسيط يدفعها لان تتمسك بما وجدت من حب ودفء : « كنت أحسب أن أمكنتى القديمة ستبدو جميلة فى عينى ثانية وأنها ستعيد لى بعض طمأنينتى . وكم انا

واهمة الان ! كم يبدو لى كل شىء موحشا الان ! حتى المئذنة ليست كما كانت فقد هجرها القلق الذى سكنها طويلا » (المئذنة) ، فتاتان فقيرتان تعملان عملا منهكا ، وتقيمان معا فى حجرة فقيرة من بيت متهدم ، نسجت كل منهما لنفسها عشا صغيرا فى قلب الاخرى ، لكن رغباتهما الانسانية البسيطة تعذبهما ، فليس لكل سوى الاخرى تلقى عليها عبئها ، فى غياب اى وجود آخر سوى العمل المنهك دون توقف ، تهرب واحدة من فزعها الى اقتناء الاشياء الرخيصة . وتلتقط الثانية نظرة فى عينى قرد تحت النافذة تشلنا بعمق هذا الفزع (امنية القرد) . والابطال فى القسم الثانى من مجموعته ينتظرون . انهم فى حالة انتظار لغائب قد يرجع أو يبقى مجرد ذكرى تشحب شيئا فشيئا حتى تتداح فى صمت السنين ، وفى الليل ، حول الموقد والشاى ، يتجدد طقس الانتظار ، يلعب كل فيه دوره بغير زيادة أو نقصان ، والحقيقة تتراجع مثل صدى قطار الليل حين يبتلعه الصمت (**حكاية الموقد**) ، وقد يرجع هذاالغائب (وهو فى بقية قصص هذا الجزء جندى أو فدائى محارب ، يعود بعد الهزيمة يلوك أحزانها ويجتر مشاهد الرعبوالموت) فاذا به شخص غير الذى غاب ، تؤرقه رؤى فزعه الذى عاناه فى النوم واليقظة : « كنت أحيانا أحس بنفسى كطير أحلق من مكان الى آخر فوق المبانى المحترقة ، وأرى الناس يخرجون من بين الخرائب ، غير أنى كنت طيرا ثقيلا وسرعان ما تنفرط أجنحتى فأسقط على الارض ولكنى لا أموت فأهرول حافيا وعاريا بين أطواق من النار » ، وتقف بينه وبينى امرأته — رغم الوله والاشتهاء — هذه الذكرى :

— كانت هناك نساء فى المستشفى ».

— لا تحدثنى عنهن .

— كن عاريات والفخاذهن مزقوعة يتدلى لحمهن الاسود ».

وحين يمسك وتر الربابة يحز عليه حتى تدمى أصابعه » (**تقاسيم على وتر الربابة**) ».

وقد لا يعود على الاطلاق ». ويأتى زميل له يقدم لأبويه وطفلته لحظات من الوهم الجميل : انه عائد وهو الذى أرسله اليهم .. (**الارجوحة**) ، وقد يعود فى صندوق لامع يظل حائرا بين محطات السكك ، حتى يتوارى فى مقبرة ما (**التابوت**) ، وقد تبقى امرأته تقدم الرسائل للجنود المسافرين عل احدامنهم يعرفه أو يلتقى به (**القطارات الليلية**) ، أو لا تبقى منه غير الذكرى فى قلب صاحبته وسطور باهتة خطها على الورق (**العلامات المؤنسة**) .

هذا الجزء من مجموعة خضير بكائيته لواقع مهزوم ، هامسا يتساقطدمعهدون أن يرتفع صوته بالنشيج . وانسانيته المعذبة تحيط الشهداء والغائبين والمهزومين والمنتظرين .

لم اقرأ فى القصص العراقى الحديث مثل تلك اللوحات الرائعة ذات النمنمات الدقيقة لحركة الجموع ، وحركة الفرد داخلها ، (حتى حركة الجنين فى رحم الام المثقل لا تفوته) **فى قصته الرائعة « الشفيع »** . انظر هذا الوصف لموكب من المواكب المتدفقة الى كربلاء : « ومر موكب تتقدمه لافتة سوداء ، ثم صورة ضخمة يحملها صبيان ، تمثل الامام الحسين يرفع احدى يديه للاعلى وتحيط رأسه هالة مضيئة ، ويستند الى فخذه أخاه الامام العباس الذى ثنى احدى ساقيه وقد قطعت ذراعاه وانغرس سهم فى عينه ، تنتشر حوله عدة حربه : سيفه وخوذته ودرعه وقربة الماء المراق ، ويقطع خلفية الصورة خط أزرق رفيع يمثل نهر الفرات يعسكر عنده الفرسانالامويون ، وفى ركن آخر من الصورة خيام (الهاشميات) تقف احداهن محجبة الوجه امام خيمة ترفع كلتا يديها الى السماء التى بدت غامقة الزرقة .. » ، وبعينى المرأة الحامل التى يثقل الحمل رحمها وهى متجهة نحو الشفيع : « كاصبع الرب — الاصبع المتخيلة فى لحظات السجود والمناجاة — برزت أمامها المنارة ، يستقطبها مصباح كأنه فى وجه السماء رأس مفتاح باب الجنة ، ثم بانت القبة المذهبة التى تكسرت عليها الاضواء فاشتدت ذهبيته سطحها — الذى ربما غسل بمياه الفرات العكرة الجريان ، المدماه بجثث الانصار والعلويين — ومن القوس الذى ينفتح فى الجدار كان يستمر الدخول . حول القوس زخرفت المساحات الزرقاء بالايات والنقوش الصفر المتفرعة . الملتوية كأغصان شجرة خريفية ، وبعضها بدت كالمزهريات والقناديل الاموية والعباسية » .

تفصيلا بعد تفصيل ، وصورة بعد صورة ، يتكامل امامنا ذلك العالم ، المصفوع العارى ، المرفوع القبضات ، العنيف الصاخب ، المنغم المرائى ، المقدس ، المتحرك ببطء تحت الغبار الملون . وتهب الحبلى وليدها المضطرب فى رحمها اسم الشفيع ، وتستمر الحياة متدفقة تدفق مواكب الانصار التى لا تنقطع .

●

وليس محمد خضير وحده بطبيعة الحال ، ثمة ما يمكن اعتباره « حساسيات » جديدة أخرى فى القصة القصيرة ، واشير — على سبيل المثال — الى مجموعة **عائد خصباك « الموقعة ، ١٩٧٠ »** ، ومجموعتى **موسى كريدى « أصوات فى المدينة ، ١٩٦٨ »** و **« خطوات المسافر نحو الموت ، ١٩٧٠ »** ، واعمال **خضير عبد الامير « الرحيل ، ١٩٦٨ »** و **« عودة الرجل المهزوز ، ١٩٧٠ »** ومجموعة **جليل القيسى « صهيل المارة حول العالم ، ١٩٦٨ »** ، **وعبد الجبار البياتى « مخلوقات فى متاهة الحياة ، ١٩٦٩ »** ، و **« وجوه من رحلة التعب ، ١٩٦٩ »** و **« المواسم الاخرى ، ١٩٧٠ »** **لعبد الرحمن الربيعى**، **ونزهة فى شوارع مهجورة لاحمد خلف** ، ١٩٧٤ ، ومن اعمل الكاتبات اشير الى مجموعة لطفية **الدليمى « ممر الى احزان الرجال ، ١٩٦٩ »** ومجموعة مى مظفر **« خطوات فى ليل الفجر ، ١٩٧٠ »** ، ومجموعة **ديزى الامير « ثم تعود الموجة ، ١٩٦٩ »** .

ان تجارب هؤلاء جميعا ، ومحاولتهم الدائبة تطوير فنهم ، هى ما يمكن أن يخلق فى القصة العراقية القصيرة رافدا فنيا ، يتأثر بالمجرى العام للقصة العربية ، ويضيف اليه فى الوقت نفسه .

●

ومن الفنون التى تكشف — اكثر من غيرها — اثر الاضطراب السياسى الذى عاشته العراق فى تاريخها القريب فن المسرح ، فلا استمرار يمكن ان تلحظه فى تطور المسرح العراقى ، الفرقة الوحيدة الموجودة — دون دعم من الدولة — هى فرقة المسرح الفنى الحديث (يديرها **يوسف العانى** ، أبرز وجوه المسرح العراقى ، وواحد من اكثرها اخلاصا للمسرح مؤلفا وممثلا ومديرا) ، وتضم عددا من أبرز ممثلى العراق : **خليل شوقى ، سامى عبد الحميد ، مى شوقى ، فاروق فياض ، عدنان نعمة**

وغيرهم) ، والفرقة الاخرى - وتدعمها الدولة - وهى فرقة المسرح القومى . لكن كلتا الفرقتين لا تستمران بتقديم عروضهما على نحو دائم ، بل تتوقف احداهما او الاخرى حتى يتهيأ عرض جديد .

ويرى يوسف العانى أن أبرز مشاكل المسرح العراقى هى قلة الخشبات المعدة اعدادا فنيا جيدا ، أو عدم وجودها على الاطلاق ، ونقص الدعم من جانب الدولة ، وعدم تفرغ فنانى المسرح ، فمعظمهم يؤدون أعمالا آخرى ، خارج نطاق العمل الفنى كله .

لكن هناك ارهاصا ببداية وعى مسرحى ، يتمثل فى محاولات التجريب المستمرة التى تقوم بها فرق غير محترفة من الشباب (من طلبة الكليات والمعاهد الفنية بوجه خاص) ، استطاعوا أن يقدموا فى موسم واحد ثلاثة اعمال من شكسبير : **روميو وجوليت ، وهاملت « عربيا » والعاصفة .** واقول من شكسبير لان فى المحاولات الثلاث تناولا جديدا للنص ، يختلف حظه من النجاح أو الاخفاق ، لكنه جديد وجرىء دائما .

هذه الظاهرة تلفت نظرك الى المجرى الجديد الذى يريد المسرح العراقى ان يشقه : محاولة « تعريق » الاعمال المسرحية الكلاسيكية والمعاصرة ([illegible] شكسبير وبريخت وبيترفايس) [illegible] من جانب الرجوع الى المصادر [illegible] ، الى (تراثية أو معاصرة) واعتماد [illegible] طريقة « المونتاج » أو التولد [illegible] الدرامى ، بحيث تتتابع المعلومات او الاحداث على نحو يخلق منها بنية درامية ما . ولعل ابرز الامثلة لهذا الاتجاه هى اعمال الفنان المسرحى الشاب **قاسم محمد** ، ولعل سبب نجاح معظم هذه الاعمال - نقديا وجماهيريا - هو انه يعد العمل ويخرجه ، ومن ثم فهو يستطيع أن ينقل رؤيته المسرحية دون وسيط آخر .

رأيت له عملين من الاعمال الثلاثة التى رأيتها فى بغداد : « **انها أمريكا** » على مسرح معهد الفنون الجميلة ومن تمثيل طلبته ، « **وبغداد الازل بين الجد والهزل** » على خشبة المسرح الفنى الحديث .

انها امريكا عرض « **وثائقى** » كما يقول المخرج ، يعتمد على قصاصات الصحف ، ومقاطع من مسرحية لبيتر بروك واخرى لبيتر فايس ، ومقاطع من بريخت ، ومن كتاب عن المسرح السياسى .. الخ . ويستخدم قاسم التقابل والتناقض والتقاطع بين التفاصيل الدرامية المتتالية ، هادفا فى النهاية لان يقدم صورة أمريكا : دولة بلا قلب ، تلقى بأبنائها الى دمارهم ودمار الاخرين ، لا سيادة فيها الا لمنطق المال والقوة ، يزداد فيها تجار الدم غنى وثراء ، ويظل **الفقراء والملونون فى مستنقع بؤسهم** وشقائهم ، وهو يعود الى الشكل الفنى الذى عرفته أمريكا فى الثلاثينات وسمى بمسرح الجريدة كى يقدم هذه الصورة ، ويقول عنها : « وكما ان الجريدة تحوى الفاجعة ، والنكتة ، والقصيدة ، والموقف الدرامى والطرفة والخبر السياسى والمقالة والاحداث اليومية الواقعة التى تتجاوز حتى الخيال برعبها وغرابتها ، كذلك يفعل هذا النوع من العرض المسرحى . »

لكن المشكلة فى هذا العرض أنه لم يستطع أن يقيم توازنا ، دراميا ، بين المعلومات التى تقدم للمشاهد ، والاحداث التى تؤدى امامه ، طغى التسجيل على الاداء ، ونجح العرض فى أن يستفز المشاهد بما يقدم من معلومات ، لا أن يعمق وعيه ومعرفته بما يعرض من أحداث .

المسرحية [illegible] من اهم [illegible] المسرحية الثانية كانت واحدة [illegible] الاعمال فى المسرح العراقى : لقد رجع قاسم الى كتب التراث العربى (١٦ مصدرا على وجه التحديد) . واختار منه حكايات متناثرة ، حاول أن يجمع بينها بخيط واحد ، هو التعبير الدرامى عن الصراع الطبقى فى بغداد القديمة - المعاصرة . فظهر على المسرح احد بخلاء الجاحظ وابو الشمقمق الشاعر المتسول واشعب واحد العيارين ، وتاجر وشحاذ ، كل هذا فى سوق بغداد ، حيث جلس الحكواتى (أو القصخون كما يسميه العراقيون) يقدم الاحداث ويعلق عليها ويتدخل أحيانا فى مسارها .. فالسوق - عند قاسم محمد - فى تقديم عمله : « هو البطل الحقيقى ، لانه سوق العواطف والافكار والسلوك والطموح والحنين والصراع ، وهو ملتقى اقطاب هذا الصراع بكل طبقاتهم وسلوكهم وحقيقتهم » .

وقد لقيت المسرحية اقبالا جماهيريا وحرارة نقدية ، فقد رحب بها النقاد وان شابت هذا الترحيب تحفظات حول نجاح العرض فى تحقيق هدفه الرئيسى من ناحية ، ووظيفة كل من مشاهده فى تحقيق هذا الهدف من الناحية الاخرى . فرأى احدهم ان ماتؤاخذ عليه المسرحية هو « عدم توجهها نحو علة مباشرة ، فى حين يلمس المشاهد أن الغاية اصبحت خلق نماذج معينة فى ظروف تاريخية واطر تراثية » (**موفق الشديدى** ، الثقافة الجديدة ، آذار ١٩٧٤) ، وكتب ناقد آخر : « فى بخلاء الجاحظ - الذى شكل المادة الاساسية للعرض المسرحى نجد كشفا للمجتمع العربى القديم وقد أدين من خلال مبدأ « الوفرة » ، الوفرة فى الثروة ، الوفرة فى الافعال ، الوفرة فى الناس ، الوفرة فى تكرار الحالات ، فالاغنياء الموفورو الاموال كانوا وجها آخر من أوجه تركيز الثروة عند الخاصة دون العامة ، والفقراء الموفور والحيل والابتكارات كانوا وجها من أوجه انتشار الظلم .. الا ان مبدأ الوفرة هذا قد غاب عن قاسم محمد ، واعتمد بدلا منه اظهار الصورة المحكية .. وغياب هذا المبدأ جعله يكرر الصور والمشاهد ، كما جعله « يقص » على لسان شخوصه أوضاعهم الظاهرية دون أن يكون لدواخلهم النفسية والاجتماعية أى احساس » (**ياسين النصير** ، الموقف الادبى ، نيسان ١٩٧٤) .

ومهما يكن من أمر النقاد وتحفظاتهم (وهل غادر الشعراء من متردم؟) فقد وجدت فى « **بغداد الازل** » اكثر من شيء : فيها هذه الرغبة الواعية - المزودة بالمعرفة [illegible] الدرامية - فى العودة للتراث ، واستلهام صفحاته وشخوصه ، على نحو يضيفه للمحاولات المماثلة فى المسرح العربى : محاولات الفريد فرج وصلاح عبد الصبور وسعد الله ونوس والطيب الصديقى ، وفيها هذه الفكاهة الرائقة بغير ابتذال أو تدن ، وفيها متعة بصرية فى الديكور وتناسق الاضاءة والثياب (صمم الديكتور فنان كبير هو **كاظم حيدر**) ، وفيها تلك المجموعة الممتازة من ممثلى العراق : **يوسف العانى (اشعب) خليل شوقى (البخيل) ، سامى عبد الحميد (الحكواتى) ، مها شوقى (الزوجة)** .

ان قاسم محمد حساسية جديدة فى المسرح العراقى ، يعد بان يقدم له الكثير .

●

فى كل ما سبق كان هدفى التقديم لا التقويم . واكرر : لقد رأيت شيئا وفاتتنى اشياء . لكننى ارجو ان تكون هذه الكلمات محاولة لتلمس اهم الملامح فى ضوء قليل .



الاتجاه الواقعي في المسرح المصري

يمكن القول ان الاتجاه الواقعي الناضج في المسرح المصري قد اقام بدايته منطلقا من اساسين : نضج الحركة الوطنية التي سعت الى استقلال الوطن وديموقراطية الحكم وعقلانية الفكر ، ثم مكتسبات « الحس الواقعي » الاخلاقي الفكرية والفنية .

ولذلك لم يكن غريبا أن تكون أولى مسرحيات « الواقعية النقدية المصرية » هي : « الناس اللي تحت » لنعمان عاشور ، وأن تمثل في بورسعيد للمرة الاولى (اغسطس ١٩٥٦) وأن تقدمها فرقة « المسرح الحر » التي تكونت بعيدا عن الاجهزة الرسمية المثقلة بعقلية الماضي المكبلة بتصوراتها المثالية ، قبل العدوان الثلاثي بثلاثة شهور ، وقبل تقديمها في القاهرة ، في ديسمبر من نفس العام . وتبرز من أعمال نعمان عاشور بعد هذا مسرحيتان تمثلان العلامتين الاساسيتين في مواكبة مسرحه لحركة الواقع الاجتماعي ، العصرية ونقده لها وكشفه عن نمو متناقضاتها ومواقع كل منها على خريطة اللحظة التاريخية للمجتمع . المسرحية الاولى هي « عيلة الدوغري » (١٩٦٣) ولكن مسرح [illegible] عاشور يظل مخلصا لأسلوبه الموضوعي المباشر في معالجته [illegible] مادته الدرامية ، فيظل بالتالي [illegible] بعيدا عن مغامرات التجديد [illegible] الاسلوبي - المثمرة أو العقيم - ولا يمنح لنفسه الحق في استخدام قدرة الفن الواقعي على الاستفادة من كل أساليب وتقاليد المدارس الفنية الاصيلة الاخرى .

ويقف معه على نفس الخط الفكري والتكنيكي لطفي الخولي بمسرحياته الثلاث : قهوة الملوك (١٩٥٩) ثم القضية (١٩٦٢) ثم الارانب (١٩٦٤) وعلى نفس الخط أيضا - بالتقريب - تقف أعمال يوسف ادريس الاولى « جمهورية فرحات » « ملك القطن » ١٩٥٧ ثم « اللحظة الحرجة » ١٩٥٨ .

وتقدم اعمال سعد الدين وهبة تنويعا محدودا على نفس الخط ، بمحاولتها الاستفادة من حسية المدرسة الطبيعية ومن تعميم المعنى عن طريق الرموز الهندسية المحددة في المدرسة التعبيرية .

وتقدم مسرحيتا نجيب سرور : ياسين وبهية ١٩٦٤ ثم آه يا ليل يا قمر ١٩٦٨ تنويعا أساسيا في الخريطة الفنية للواقعية المصرية بمحاولته الاستفادة من شكل السامر المصري والكورس الجماعي المعبر عن « بطولة الجموع » التي يجسدها ويلخصها في نفس البطل المنفرد ويجسد أيضا مأساتها ذات التفاؤل التاريخي .

وفي عام ١٩٦٤ أيضا قدم محمود دياب تنويعا جديدا على الخريطة الفكرية للمسرح الواقعي المصري بمسرحية « الزوبعة » بطرح قضية المواجهة بين المجتمع الظالم والفرد الباحث عن البراءة من حكم جماعي بالادانة لا يستحقه .

وقدم المسرح الشعري ، باستخدام الشعر الحديث ، تنويعا فنيا جديدا وخلاقا أيضا بمسرحية عبد الرحمن الشرقاوي « مأساة جميلة » عام ١٩٦٢ وكانت محاولة ارتبط بها المسرح الواقعي المصري بقضايا العصر الضميرية والسياسية الكبرى ، وعلى رأسها قضية خيانة حضارة الغرب الرأسمالية لمبادئ ثورتها البورجوازية [illegible] وتبنى شعوب العالم الثالث المناضلة [illegible] الدفاع عن هذه المبادئ ذاتها واعطائها بعدا تاريخيا واجتماعيا جديدا . وفي عام ١٩٦٦ يكرر عبد الرحمن الشرقاوي المحاولة المسرحية الشعرية بمسرحية « الفتى مهران » وأخصب بها المسرح الواقعي المصري بخلق نموذج بطولي يستمد شكله الخارجي من الابطال الشعبيين . ويستمد رؤاه الفكرية من أبطال الحرية الانسانية في التراث الاسلامي ، ويستمد علاقته بواقعة من قادة المقاومة المصرية في عصور التاريخ المصري المظلمة .

وقدم صلاح عبد الصبور « مأساة الحلاج » عام ١٩٦٨ لكي يؤكد قدرة المسرح الواقعي على الابداع الشعري وعلى الاستفادة من نماذج البطولة الروحية والاجتماعية في التراث الاسلامي .

أما المؤلف المصري الذي تشكل أعماله بنيانا متكاملا ومتصاعدا من العمل الدؤوب والانجاز الناجح لتوسيع آفاق المسرح الواقعي المصري فنيا ، واكسابه ارضا جديدة من مصادر التجربة الفنية الواقعية في عوالم التاريخ الحقيقي والتراث الشعبي الحي والواقع المعاصر في وقت واحد ، فهو ألفريد فرج . قدم ألفريد سبع مسرحيات كبيرة هي : سقوط فرعون ١٩٥٧ ، حلاق بغداد (كتبت ١٩٦٢ وعرضت ١٩٦٤) ، سليمان الحلبي ١٩٦٥ ، عسكر وحرامية ١٩٦٦ ، على جناح التبريزي وتابعه قفة ١٩٦٩ ، النار والزيتون ١٩٦٩ ، جواز على ورقة طلاق ١٩٧٣ . في المسرحيتين الاولى والثالثة فتح ألفريد فرج ارض التاريخ المصري الحقيقي للمسرح الواقعي ، وأخذ تجارب الصراع الروحي والعقل البطولي من أجل اكتشاف الصياغات الثورية للعمل التحرري وحقق ارتباط الدراما التاريخية بالقضايا الاساسية لعصرنا وجوهرها قضية الحرية وكسب للمسرح الواقعي المصري أساليب المعالجة المأساوية في اطار تعبيري . وفي المسرحيتين الثانية والخامسة ، فتح ألفريد عالم ألف ليلة وليلة (التراث الشعبي العربي) كسب الفريد للواقعية في المسرح المصري عالم هذا التراث الثري وربطه بقوة بقضايا الحرية الاجتماعية والعدل والديموقراطية ، وفي « عسكر وحرامية » دخل ألفريد عالم الواقع المباشر والنقد الجزئي الواقعي لقضية محدودة ، وفي « النار والزيتون » حقق [illegible] بالمعالجة الموضوعية والاطار التسجيلي والمراوحة بين المواقف الدرامية والصياغة الرومانتيكية ربط الواقعية المصرية في المسرح بقضية فلسطين ، وكشف عن قدرة الدراما الواقعية المصرية على تسليط الضوء على علاقة هذه القضية بقضايا عصرنا الضميرية والفكرية والسياسية الكبرى ، وفي « جواز على ورقة طلاق » قدم الفريد محاكمة موضوعية في اطار مباشر ومعالجة ميلودرامية لموقف ثوري « الطبقة المتوسطة » العاجز عن الانسلاخ عن طبقته والمستسلم - رغم وعيه - لانانيتها الاجتماعية والسياسية الشرهة .

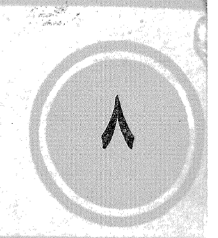
وبذلك يتضح لنا آنه منذ منتصف الخمسينات ، وتأكيد انفتاح التطور الاجتماعي والسياسي والفكري للمجتمع المصري ، استطاعت الواقعية في المسرح المصري أن تكون هي العصب الرئيسي لهذا المسرح وتياره الاساسي .

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة العاشرة
أغسطس ١٩٧٤





طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

ملحق الفلسفة والعلم

ملامح الجيل الجديد في القصة القصيرة

« العابرون » بعد « العبور »

العراق : [دراسة ميدانية]

قبرص واليونان : الحكم العسكرى اليونانى يعزل مكاريوس ثم يعزل نفسه

اليمن : ماذا بعد استيلاء العسكريين على السلطة ؟

هذه الأرض الجديدة : لمن ؟

مشاكل الصحافة فى مصر
[مناقشات فى الاتحاد الاشتراكى]

ملحق الأدب والفن

الفهرس

العدد الثامن — السنة العاشرة — اغسطس ١٩٧٤



مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

■

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم نفسح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠ .

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ — قرشا

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس الطليعة
- واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

كلمة من « الطليعة »

يجمع كل كتاب «الطليعة» على ان باب التقارير من اهم ابواب المجلة ، واكثرها تطلبا للجهد .

لكننا مع ذلك نختلف فيما بيننا حول اسلوب اعدادها : مثلا :

ابو سيف يوسف يطلب عناوين قاطعة .. سياسية ، وأسلوبا فى الكتابة لايعرف غير الكلمات المستقيمة والتعبيرات الجادة .

وخيرى عزيز : يرى ان التقرير يتالف من عمود ونصف ، لذا فهو ليس مجالا لاستعراض الاساليب الذاتية للكتاب ، وللاستطرادات ، والتشبيهات ، والاستعارات ، وانما هو يتطلب التعبير بطريقة موجزة ومباشرة لايصال المعنى المطلوب من خلال المادة الموضوعية المقدمة ، لا من خلال الاسلوب الشعرى او الروائى الخ . فالذاتية الصارخة مجالها التعليق السياسى ، والمقال ، وتلك هى الحكمة فى تباين اشكال الكتابة السياسية .

أما رفعت السعيد فيعترض ، ويرى ان التقارير ليست مجرد قص ولصق اخبار متناثرة حول حدث واحد ، وانما هى تحليل منهجى ، ومنفعل بالحدث وقابل لان يتأثر فى الاسلوب وفى المنهج بذاتية الكاتب..

والمناقشة تستمر . ونحن من جانبنا نطرح المشكلة ونعيدها الى قراء الطليعة ليقولوا كلمتهم فى التقارير .

« أسرة تحرير الطليعة »



« العــــــابرون » بعـد « العبـــــور »

بعد وقف اطلاق النار فى حرب اكتوبر ، راحت الامواج تجمل الى الشواطىء المصرية ، أعدادا كبيرة من المصريين الذين كانوا قد هجروا وطنهم فى ظروف ولاسباب مختلفة ، على مدى العشرين عاما الماضية .

وتمخضت هذه العودة المكثفة فى وقت قصير ومحدد ، بما صاحبها من انعكاسات اجتماعية وسياسية ، عن ميلاد ظاهرة جديدة فى المجتمع المصرى المعاصر . تميزت بضجيج اعلامى واسع النطاق . ونفض للغبار عن جيوب طبقية قديمة تخطاها المجتمع فى مسيرته . واتخذ غالبية العـــائدين من هذه الجيوب ، مراكـــز انطلاق فى حركتهم الجديدة بالمجتمع بعد العودة .

ولعل نقطة البدء فى التصدى لهذه الظاهرة هى فى الاقرار ، أولا وقبل كل شىء ، بحق المواطن المصرى ، أيا كانت عقيدته أو منبته الاجتماعى أو موقفه السياسى ، فى العودة الامنة من المهجر الى ربوع الوطن .

بيد أن القضايا التى تثيرها ، اليوم ، ظاهرة العـــودة ، أعقـــد ـــ اجتماعيا وسياسيا ـــ من ذلك الحق البسيط الواضح والذى لا خـــلاف عليـــه ، فى عودة المهاجرين .

وبالتالى فاننا مطالبون بالحرص على عدم الخلط بين حق العودة ، وبين مواقف العائدين الفكرية والاجتماعية والسياسية على أرض الواقع الوطنى .

والملاحظ ان العائدين ليسوا نمطا واحدا من المواطنين .

هناك نمط ، محدود الكمالى درجة انه يمكن أن يعد أفراده على أصابع اليدين ، أجبر على الهجرة او فرضت عليه بطريقة تعسفية . لم يكن أمامه ـــ وقتها ـــ من بديل آخر ، حتى ولو كان قيود السجن والاعتقال داخل الوطن . بمعنى ان هجرة هذا

النمط كانت اجبارية . هذا النمط ، استثنائى . ليس فقط بالمقياس العام . بل وأيضا بالمقياس الخاص لكل حالة على حدة . وبالتالى فاننا نسقطه ، اليوم ، من حديثنا حول ظاهرة العائدين .

وتبقى واضحة للعيان ، أمامنا أربعة انماط على الاقل :

نمط ينتمى ، اجتماعيا وسياسيا ، الى طبقة السلطة التى سيطرت على الحكم والاقتصاد المصرى قبل الثورة . اصطلح على تسميتها بطبقة النصف فى المائة ، بحكم انها كانت تحتكر الحكم وتستولى على القسم الاعظم من الدخل القومى . وكانت هجرة هذا النمط سريعة . وفى نفس الوقت رد فعل اختيارى وطبيعى ، بعد أن تأكد له فشل المحاولات التى بذلت لاستيعاب قيادة الثورة . وقد كان اصدار قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ بمثابة ضوء الخطر الاحمر الذى دفعها الى الهجرة .

ونمط ثان ينتمى ، اجتماعيا وسياسيا ، الى البرجوازية المالية والصناعية الكبيرة والوسط الليبرالى ؛ وقد بدأت هجرته منذ الصدمات التى وقعت بين قيادة الثورة بمختلف أجنحتها وبين القوى والتجمعات السياسية وخاصة الليبرالية الديمقراطية . واخذت هجرة هذا النمط تتصاعد مع بروز اتجاه قيادة الثورة نحو ربط التحرر السياسى بالتحرر الاقتصادى وبناء القطاع العام والتغيير الاجتماعى الذى صاحبته حركة تأميمات بلغت ذروتها فى عامى ١٩٦١ و ١٩٦٤ .

ونمط ثالث ، كان ينتمى الى قوى اليسار . اسرع بالهرب بجلده من مخاطر الصراع الذى ثار بين قيادة الثورة وبين قوى اليسار على اختلاف مدارسها فى اواخر الخمسينيات حول طبيعة السلطة والديمقراطية الشعبية ، والخطوط الاجتماعية للتغيير ، وآثر هذا النمط نضال المقاهى والصالونات فى باريس ولندن وبيروت على النضال فى حضن الجماهير الشعبية وفوق أرض الوطن . والذى أعطى ثمراته لصالح حركة التحرر المصرية والعربية معا . وكانت هجرة هذا النمط دافعها الخوف من دفع ثمن هذا النضال **الحى** ، سجنا أو تعذيبا أو تشريدا .

وهناك نمط رابع ، زلزلت هزيمة ١٩٦٧ ثقته فى وطنه ومستقبله ، وغررت به دعايات العدو وبهرته أضواء الحياة ومباهجها فى الخارج . وداخله شعور بأن سفينة مصر لا محالة غارقة ، وان عليه ان يغادرها قبل أن تغوص الى القاع السحيق .

ورغم اختلاف المنابع الفكرية والاجتماعية والسياسية لهذه الانماط الاربعة ، الا أنها تتفق فيما بينها على أنها واجهت — بدوافع متعددة — الاختيار بين الهجرة والبقاء . وفضلت فى النهاية المنفى الاختيارى .

●●●

ويبدو أن هذا المنفى الاختيارى ، تحول الى نوع من الوطن المصنوع بالغربة ؟ تستكين اليه هذه الانماط الاربعة جميعا . وتحاول ، بطرق شتى ، تحت ضغط سيكولوجية الهروب من الواقع المصرى وتأثرا بالنظم الاوربية الغربية أساسا ، انتناطح الوطن الاصيل بنماذج مختلفة من الوطن المصنوع . ولعل هذا مايفسر ، أنه على الرغم من التفاوت الفكرى والاجتماعى فيما بين هذه الانماط ، الا أنها جميعا اكتسبت سمات موحدة .

لعل أول هذه السمات ، تلك العقدة المرضية من « جمال عبد الناصر » اذ لم تستطع هذه الانماط أن تتحرر من اسار ما يكون قد لحق بها — خلال مراحل التغيير — من آلام ذاتية ، لا مفر منها بكل مجتمع يمر بمرحلة من مراحل تحوله . وحملت عبد الناصر ، كقائد لهذه المرحلة أو تلك ، مسئولية كل ما يكون قد وقع من ظلم أو جور أو أخطاء او اساءة استخدام السلطة ضد افراد . صحيح ان عبد الناصر ، يظل مسئولا كقيادة . لكن الصحيح أيضا ، ان هذه المسئولية يجب أن تقيم فى ضوء ما انجزته قيادته من أعمال عظيمة رفعت عن كاهل الملايين ظلم وجور واخطاء ؛ بل وجرائم مئات السنين من الاستغلال والاستبداد .

وقد بلغ من تحكم هذه العقدة بهذه الانماط أن افتقدت الرؤية الموضوعية الى عبد الناصر : أنسانا وقيادة وواقعا وعصرا . وظلت بالتبعية سجينة لرؤية ذاتية ضيقة مفعمة بالالام والانفعالات الشخصية . وذلك بدرجات متفاوتة .

وانسحب هذا بدوره — وهذه هى السمة المشتركة الثانية — على موقف هذه الانماط الاربعة من ثورة ٢٣ يوليو وانجازاتها . وتحت شعار مضلل ، يرتدى ثوبا أخلاقيا مثاليا .يتحدث عن أن نظاما يظلم مواطنا واحدا ،أويسجن مواطنا واحدا فكأنه قد ظلم وكبل بالقيود جميع المواطنين . لم تعد هذه الانماط ترى من ثورة يوليو الا السلبيات فحسب . وراحت تضخم من هذه السلبيات حتى طمست معها كل الايجابيات.
بل وعمدت الى تحويل الايجابيات — من خلال تصوير كاريكاتيرى تشهيرى — الى سلبيات . وذلك كما حدث مع القطاع العام الذى قاد عبور مصر من المجتمع الزراعى الى المجتمع الصناعى فى أقل من عشر سنوات ، ووفى عشرات الالاف من فرص العمل الجديدة . فضلا عن أنه كان الدرع الاساسى للصمود الاقتصادى ضد الهزيمة . ومع ذلك فان هذه الانماط صورته على انه القاتل الاثيم للمبادرات الفردية والمباءة الكبرى لتفريخ البيروقراطية وفساد الادارة .

والسمة المشتركة الثالثة لهذه الانماط تتمثل فى عزفها الحماسى على نغمة الحرية . والعزف مطلق ، يشمل الميدان السياسى والميدان الاقتصادى معا . وبقليل من التأمل يلحظ المراقب أن الحرية المقصودة ، سياسيا واقتصاديا ، تخص فئات محدودة ومتميزة اجتماعيا . سواء فى مجتمع ما قبل ٢٣ يوليو أو مجتمع ما بعد ٢٣ يوليو .

اما السمة الموحدة الرابعة للانماط العائدة من منفاها الاختيارى ، فهى ظهورها بمظهر التقى والورع ، ومحاربة ما تسميه الالحاد الاشتراكى فى مجتمع يرونه قد خاصم الدين . لماذا ؟ لانه على حد التعبير المستخدم يستورد افكارا هدامة للربح الحلال من عمليات الاستيراد والتصدير ، وللملكية الخاصة الموروثة عن الاجداد ، او المتراكمة بعرق الجبين . للاراضى والعقارات والمصانع !

والملفت للانظار ان هذه السمة الواضحة لاستغلال الدين ، يشارك فيها — ايضا — النمط الذى كان اشتراكيا قبل هجرته . ولكنه يغلفها بمنظور ثقافى يتحدث عن « حضارة الاسلام » حتى ليبدو من خلالها احد المثقفين اليساريين الاقباط . وكأنه تحول على مدى سبعة عشر عاما من مقامه فى باريس ، الى مبشر بالاسلام . والدين هنــا مجرد « جواز مرور » لتسهيل عبور العائدين الى مواقعهم القديمة بالمجتمع . يستخدم غطاء لحركتهم . بعد افراغه من مضمونه الاجتماعى ، حتى ليصيبهم الفزع ، ويكفرون كل من يصيح صيحة « على بن أبى طالب » : لو كان الفقر رجلا لقتلته .

والسمة الخامسة المشتركة ، تتجسد فى القاء كل ما ثقل به المجتمع من متاعب وسلبيات ونكسات خلال المسيرة على عاتق سياسة مصر القومية التحررية فى الوطن العربى . وسياستها الدولية فى الانفتاح والصداقة مع العالم الاشتراكى وبالذات الاتحاد السوفيتى .

والوصفة السحرية التى يقدمها العائدون من اجل علاج كل المشاكل ، هى أن تتحول مصر العربية الى مصر المصرية وان تقطع علاقاتها ، او على الاقل تحد منها الى أقصى حد ، مع البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفيتى ، فتصبح بذلك كعبة مفتوحة أمــام قوافل الحجيج من الرأسمال الاجنبى ، أكسير الحياة الاقتصادية والتكنولوجية فى العالم المعاصر .

●●●

والواضـــــح ، ان هذه الانماط الاربعة لم تبدأ رحلة العودة الى الوطن ، الا بعد وقف اطلاق النار فى حرب اكتوبر . مواكبة بذلك الحركة الامريكية الجديدة فى المنطقة تحت ضغط أحداث اكتوبر وما كشفت عنه من طاقات ايجابية يختزنها الشعب المصرى وتجربته الثورية ، قادرة على مواصلة المسيرة وتطهيرها موضوعيا مما علق بها من شوائب وسلبيات .

وهبطت أفواج العائدين من المهجر لتلتقى مع الجيوب الطبقية القديمة والرأسمالية الريفية والطبقة الجديدة من البيروقراطيين ، وعناصر الرأسمالية الطفيلية غير المنتجة التى تعيش على المضاربة والسمسرة . وتــكون فى مجموعها أرضيــة اجتماعيــة سياسية جديدة داخل المجتمع . وهو ما نعنيه بظاهرة العائدين بعد العبور . وكأن عبور القوات المسلحة المصرية — فى مفهومهم — لم يكن عبــورا لهزيمة مؤقتة فى

تاريخ الوطن ، وانما عبـورا لعبد الناصر ولثورة ٢٣ يوليو وانجازاتها الايجابيـة فى التحرر السياسى والاقتصادى ، والتحول الاجتماعى والانتماء العربى التحررى .

وفى ضوء هذه الظاهرة ، انقسم العائدون الى ثلاث تيارات اساسية :

تيار يبدو فى هيئة فاتح غاز ، يحاول جاهدا ان يوقف حركة التاريخ ، ويعود بالبلاد الى عصر ما قبل ٢٣ يوليو . ويعيد تركيب وتجسيم المـاضى . لا كتراث فيـه الابيض والاسود . وانما كنموذج حياة يجب ان يحاكى ويقلد وتنفخ فيه الروح من جديد . وتروج مرة أخرى صورا قديمة فى « كادرات حديثة » : الاغنياء ذوى القلوب الرحيمة الذين يعطفون على الفقراء فى السر والكتمان دون اعلان . ليالى القدر التى تتفتح بالخير والعطاء للمحتاجين عن طريق احسان القادرين . المتعلم الذى يقـوم بجهود فردى لمحو أمية مواطن ، العصامى الذى تحول بدأبه وجهـده الى مليونير فى سنوات .

ويستخرج هذا التيار ، من مخزون الاسلاف ، العديد من الحـكايات الخرافيـة والشعارات الاوكربانية التعابير ، لدغدغة غرائز الجماهير وتخديرها وسحبها من طريق نضالها التحررى بآفاقه الاشتراكية وأساليبه المخططة ، الى متاهات الفوضى الرأسمالية وقيود الاحتكارات الاجنبية . ولا يتم هذا كله . بأسلوب صريح ، وانما من خلال الظهور بمظهر المصححين لمسيرة الثورة ،والغيورين على مصالح الشعب وحرياته والمنادين بما يسمونه « اشتراكية الغنى الباسم » ، لا اشتراكية الفقر العبوس .

التيار الثانى ، اكثر رصانة . لا يداور ولا يناور . وانما يدعو صراحة الى انهاء مسيرة ٢٣ يوليو . والتحول بالبـلاد الى نظام الاقتصـاد الحر ، والاقتداء بالنـظم الرأسمالية باوربا الغربية وأمريكا فى تطوير البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . بما يستلزم ذلك من تصفيه القطاع العام ووقف تدخل الدولة فى توجيه الاقتصاد القومى ، واطلاق حرية المبادرة والحركة للرأسمال الخاص والراسمال الاجنبى ، دون قيود الا الحد الادنى الضرورى من مجموعه قوانين الضرائب والتأمينات الاجتماعية .

اما التيار الثالث الذى يتميز بأصوله اليسارية ، بل الهجرة ، فانه يتحرك بعقدة الهرب من الواقع النضالى ، التى تحكم كل تصرفاته وافكاره الجديدة . الامر الذى يدفعه الى تغطية ذلك بنوع من التعالى على القوى الوطنية اليسارية التى آثرت خوض الصراع مهما كانت التضحيات ودفعت ثمنا لذلك من حياتها وعمرها تحت سياط التعذيب وفى ظلمة السجون والمعتقلات ، فى حين كان هو يتمتع بالنضال على مقاهى الارصفة بباريس وروما ولندن واحيانا فى جامعاتها ونواديها السياسية والثقافية . فيحاول أن يبرر هروبه ، لكنه يعجز عن اقناع أحد . ويحاول أن يلبس أفكار هجرته الغوغائية وغير المسئولة أردية جديدة علها تقبل غير أنه لا ينجح . فيتحول الى مشاركة تحالف القوى البيروقراطية والرأسمالية الطفيلية واقرانه من العائدين بعد العبور ، فى الهجوم على كل المناضلين الوطنيين اليساريين ، عله يعثر على مكان بين صفوف البيروقراطيين ، أو ربما لفت اليه انظار بعض من يظن أن لهم منفذا الى السلطة فيرمون اليه فتات منصب أو يعهدون اليه بدور المنظر لحركة تبدو تقدمية فى صياغاتها على الرغم من رجعيتها وتخلفها فى المضمون . والدور الذى يعرضـه ، هذا التيار ، فى سوق البيع والشراء ، يقوم على أساس أن عصر الصراع الايديولوجى بين الرأسمالية والاشتراكية قد ولى . وأن صراع العصر الراهن هو صراع الحضارات بين الغرب والشرق . وأن حضـارة مصر الاسلامية هى جزء من الحضارة الشرقية الكلية التى تتزعمها اليوم الرأسمالية اليابانية . وبالتالى فالتقدم ــ فى مفهومه ــ هو أن نكون رأسماليين . ولكن من طريق اليابان لا عن طريق أوربا الغربية . ولايقول طريق أمريكا لان طريق اليابان يتـداخل مع الطريق الامريكى .

●●●

والان .. ما الذى انجزته تيارات العائدين بعد العبـور فى المجتمع ؟ ومـــــا هو مصيرها ؟ .

كل ما فعلته هذه التيارات لا يعدو ان يكون مجرد خدوش على سطح المجتمع . حاولوا الاقتراب بالتشويه من قيـادة جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو ، فاذا

بالجماهير تنفجر غضباً وسخطا وتشل ايديهم والسنتهم . وتتصدى للتقييم الذاتى التشهيرى ، بتقييم موضوعى يميز بين الايجابيات والسلبيات ، ويؤكد على أن الطابع الغالب على مسيرة الثورة وقيادتها هو التحرر والتقدم .

ذرفوا الدموع على المظالم التى نزلت بمن وضعوا تحت الحراسة ، واستغلوا ما وقع بالفعل من أخطاء وانتهاكات واساءة استعمال السلطة فى بعض الحـــالات وضخموها مطالبين بردالاموال الى أصحابها المظلومين من الراسماليين . بيد أن الحراسة، عندما رفعت ، التزمت بالحدود التى كانت قد قررتها الثورة من قبل وهى التعويض بما لا يزيد عن ٣٠ ألف جنيه .

هللوا لسياسة الانفتاح الاقتصادى ، على أساس أن يستباح الاقتصاد القومى وقطاعه العام لمخالب الرأسمال الخاص والاجنبى . وراحوا يبشرون بأن السماء سوف تمطر دولارات بلا توقف . غير أن السلطة ، من مواقع المسئولية ، تكشف أمامها مدى الاخطار التى تحيق ليس فقط بنمو الاقتصاد وتطويره بل وبالاستقلال الوطنى ذاته لو مورست سياسة الانفتاح ، دون ضوابط موضوعية تحمى القطاع العام ركيزة الاقتصاد الوطنى وندعمه ، وتحافظ على المكتسبات الاجتماعية للقوى العـــاملة وتنميها ، وتجعل من خطة التنمية الشاملة اطارا لحركة الانفتاح . وهكذا تحول احراق البخور من حول الدكتور عبد العزيز حجازى النائب الاول لرئيس الوزراء الذى نصبوه ــ يوما ــ بطلا للانفتاح ، الى نقد وتجريح وطعن فى الظهر .

استخدموا كل الوسائل وتحينوا كل الفرص لتحطيم الصداقة المصرية السوفيتية مستغلين ما ظهر من خلافات وتباين فى وجهات النظر وحسابات الموقف الدولى بين القيادتين المصرية والسوفيتية . لكن القيادة المصرية فاجأتهم أخيرا ــ فى العيد الثانى والعشرين لثورة يوليو ــ باعلان حرصها على معالجة الخلافات بروح المحافظة على الصداقة وتدعيمها .

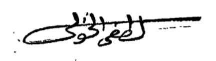
ولكن ، لماذا فشلوا حتى اليوم ؟

هناك أسباب عديدة لا يسمح المجال لعرضها جميعا وبالتفصيل . ولكن أهم سببين فى تقديرى هما : **أولا** : افتقارهم لارضية اجتماعية وسياسية ذات وزن داخل المجتمع المصرى المعاصر . **ثانيا** : أنهم ينطحون رؤوسهم فى صخرة المستحيل عندما يظنون فى أنفسهم القدرة على اعادة حركة التاريخ والتقدم الى الوراء . ففلاح بهوت لن يقبل ، الا على جثته ، عبور « البدراوى عاشور » من جديد الى أرضه . وعامل مصنع السكر لن يسمح بعودة « عبود باشا » آخر تحت أى شعار . والجندى الذى عبر الهزيمة فى أكتوبر ، لن يرضى بأن تكون تضحياته جسرا تعبر عليه فئة صغيرة الى امتيازات اجتماعية واقتصادية تتحصن فيها مواقع استغلال جديدة .

ومن هنا ، ليس صعبا أن يتنبأ المرء بمصير العائدين بعد العبور . أو ان شئنا الدقة فى التعبير ، العابرون بعد العبور .

اغلب الظن ان قسما ضئيلا منهم ، سوف يعى أن مصر المعاصرة غير مصر التى فارقها منذ سنوات . فتصفو رؤيته للواقع الجديد . ويتغلب ضميره الوطنى على آلامه الشخصية ، فينجو من النظرة الذاتية الضيقة الى النظرة الموضوعية الرحبة . ويساير حركة التاريخ والتقدم فى وطنه ، على قدر طاقته وولائه الاجتماعى .

أما القسم الاكبر ، فانه اما أن يتبين بوضوح مبكر ، استحالة المعركة التى يخوضها ضد التاريخ والواقع وحركة الجماهير . فيلقى سلاحه ويعود من حيث أتى ، ويبدأ رحلة الغربة الثانية والنهائية ، وأما أن يبقى ممتشقا سلاحه، راكبا عناده وصلفه بل وغباءه . ويظل يقاتل دفاعا عن ماض اندثر ، فى وجه واقع حى ، من أجل مستقبل ليس له .. حتى يسقط فى النهاية ضحية حماقته وعدائه اللامجدى لحركة الانسان ، الديمقراطية والاشتراكية فى مصر (*)



هذه الأرض الجديدة : لمن

القضية ...
وجوهر القضية ؟

على صفحات هذا العدد من « الطليعة » ، يطالع القراء نص المناقشات التى دارت فى لجنة الاستطلاع التى عقدت تحت اشراف لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب.

فى هذه اللجنة طرح الموضوع التالى :

« ماهو مستقبل الأراضى الجديدة ، التى تم استصلاحها » ؟

واذا عدنا الى خلفية الموضوع ، فسوف نجد أن :

ــ ثورة يوليو استهدفت استصلاح من ١ر٢٠٠ر٠٠٠ فدان ، الى ١ر٤٠٠ر٠٠٠ فدان على المياه التى يوفرها السد العالى .

ــ انه تم استصلاح حوالى ٩٠٠ر٠٠٠ فدان فى ١٢ سنة تقريبا .

ــ زرع من هذه المساحة المستصلحة ٦٠٠ر٠٠٠ فدان .

ــ من الـ ٦٠٠ الف فدان :

٧٨ الف فدان سلمت للاصلاح الزراعى .

و ٣٥ الف فدان تم تمليكها .

و ١٦٠ الف فدان تم تأجيرها .

ــ فاذا طرحنا من الـ ٦٠٠ الف فدان ــ أيضا ــ الارض التى وزعت للتوسع فى التمليك والتأجير ، فسوف نجد انه يبقى تحت يد مؤسسة الاستزراع حوالى ٣٠٠ الف فدان .

وحول هذه الارض يدور الجدل ويحتدم .

ما هو مستقبلها ؟

١ ــ هل تملك لصغار الفلاحين فى قطع صغيرة أم تؤجر لهم ؟

٢ ــ هل تملك للمهنيين فى نطاق لا يتعدى الحد الاقصى للملكية [٥٠ فدانا] ؟

٣ ــ هل تباع فى المزاد لمن يستطيع ان يدفع الثمن ؟

٤ ــ هل تسلم ادارتها وتؤجر لشركات خاصة ، أم مختلطة [من القطاع العام والقطاع الخاص] ، مصرية وعربية وأجنبية ؟

ان المتحدثين فى اللجنة قد أدلو ببيانات هامة ودعموها بأرقام ، وبعضهم قيم الجهد الذى بذل فى استصلاح الاراضى والصعوبات التى اعترضته ، والنجاحات التى تحققت ، والاخطاء الكبيرة والصغيرة التى وقعت .

البعض الاخر من المتحدثين لم يكن متحمسا للتجربة ــ ابتداء ــ وادانها ، انطلاقا من الاخطاء ، وسوء التخطيط ، وسوء الادارة ... الخ .

لكن الملاحظ ــ باستثناء عدد قليل من المتحدثين ــ ان الحوار فى اللجنة لم يواجه بشكل مباشر **الجوهر الاجتماعى والسياسى لقضية الارض الجديدة** .

وكان لابد ــ فى اعتقادنا ــ من ان تحسم الاجابات على الاسئلة التالية :

ــ هل كان التوسع فى استصلاح الارض ضرورة حيوية اجتماعية واقتصادية فى بلد كمصر ، تضيق رقعته الزراعية بمن يعمل ويعيش عليها ؟

ــ وهل لا يزال التوسع الافقى باستصلاح المزيد من الارض أمرا تحتمه ضرورات القيام بتنمية متناسقة ، زراعية وصناعية ؟

ــ ثم ــ وهذا هو الاهم ــ فى أى منظور توضع عملية استصلاح الارض ؟ .. هل فى منظور دعم التنمية الراسمالية ؟ .. أم فى اطار اقامة مجتمع جديد تقدمى واشتراكى ؟

ولقد يقال ـ بالطبع ـ إن كل متحدث كان ينطلق من نظرة اجتماعية معينة ، وان هـذه النظرة يمكن استخلاصها بسهولة من ثنايا الاقتراحات التى تقدم بها .. هذا صحيح .. ولكن الطرح لم يكن فى أغلب الاحيان يتضمن الاجابة على هذا السؤال .
فى أى اطار اجتماعى واقتصادى وسياسى تطرح قضية الاستمرار فى استصلاح الارض ، والتصرف فى الارض الجديدة ؟

واذا كانت « الطليعة » لا تقلل لحظة من أهمية الحوار الذى دار فى اللجنة ، ولكثير من الاراء القيمة التى أبديت فى داخلها ، واذا كانت تنوه أيضا بأهمية هذا المنهج المتبع من قبل لجان مجلس الشعب ، والمتمثل فى عقد جلسات استطلاع حرة ، فقد حاولت « الطليعة » ان تسهم فى النقاش بالتعليقات التى تقدمها كل من :

- مهندس زراعى عبد المنعم شتلة
- د . محمد أبو منـدور الديب
- د . عادل محمد مصطفى
- مهندس زراعى حسين طلعت

محضر اجتماع لجنة الاستماع والمواجهة يوم الاثنين الموافق ١٧ من يونيو سنة ١٩٧٤ لبحث موضوع مستقبل الارض الجديدة

عقدت لجنة الزراعة والرى اجتماعا للاستطلاع والمواجهة عند الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الموافق ١٧ يونية سنة ١٩٧٤ برئاسة السيد/ أحمد يونس رئيس اللجنة وذلك لمناقشة موضوع مستقبل الارض الجديدة وذلك بحضور أعضاء اللجنة .

وقد حضر الاجتماع السادة :

- الدكتور محمد محب زكى
وزير الزراعة واستصلاح الاراضى
- ألبرت برسوم سلامة
وزير الدولة لشئون مجلس الشعب
- الدكتور مصطفى الجبلى
وزير الزراعة واستصلاح الاراضى السابق
- الدكتور محمد بكر أحمد
وزير استصلاح الاراضى السابق
- المهندس شكرى أيوب
نقيب الزراعيين
- الدكتور صلاح العبد
وكيل أول وزارة الزراعة واستصلاح الاراضى
- الدكتور صلاح الدين توفيق
وكيل وزارة الزراعة واستصلاح الاراضى
- الدكتور أحمد ابراهيم الشباسى
وكيل وزارة الزراعة واستصلاح الاراضى
- المهندس يوسف أحمد
وكيل وزارة التخطيط لشئون الزراعة
- المهندس محمد اسماعيل بدرى
وكيل وزارة التخطيط
- المهندس عبد الرحمن درويش
وكيل وزارة استصلاح الاراضى
- الدكتور عبد الفتاح فهمى
وكيل أول وزارة الرى
- الدكتور جلال حمودة
وكيل وزارة الرى
- كمال الحسينى
وكيل وزارة الشئون الاجتماعية للتخطيط
- دكتور أحمد توفيق
وكيل وزارة الصناعة
- عباس أمين خالد
وكيل وزارة التجارة الخارجية
- المهندس عبد العظيم أبو العطا
رئيس هيئة التعمير والمشروعات الزراعية
- المهندس محمد سامى ابراهيم
رئيس مؤسسة استصلاح الاراضى
- المهندس هلال عبد الله هلال
رئيس مؤسسة استزراع الاراضى
- المهندس أحمد محمد أبو زيد
المدير التنفيذى لصندوق تنمية الثروة الحيوانية بمؤسسة الاستزراع
- الدكتور عبد العزيز محمد غيث
المستشار الفنى لمؤسسة استزراع وتنمية الاراضى ومدير شئون الاراضى والمياه
- محمد أنور سالم
مدير عام التخطيط والانتاج بمؤسسة استزراع الاراضى
- عبد الحميد محمد قلقلة
مدير عام منطقة وسط الدلتا بمؤسسة استزراع الاراضى
- المهندس مصطفى الكحكى
مدير عام الجمعية التعاونية العامة لاستصلاح الاراضى

ـ مهندس عبد الرازق العبد
مدير شئون تكوين وتنمية المجتمع بمؤسسة الاستزراع
ـ دكتور على محمود الحصرى
مدير الشئون الهندسية بمؤسسة الاستزراع
ـ المهدس رمضان مرزوق
مدير عام منطقة جنوب التحرير بمؤسسة الاستزراع
ـ كمال الدين حسنى رضا
مدير عام الشئون المالية والادارية بمؤسسة الاستزراع
ـ على لبيب وصفى
مدير عام منطقة وجه قبلى بمؤسسة الاستزراع
ـ عمر عبد العزيز مصطفى
مديرعامشمال التحريرمؤسسة الاستزراع
ـ د. جمال قمر
كلية الزراعة جامعة القاهرة
ـ د. سيد جلال سيد جلال
كلية الزراعة جامعة القاهرة
ـ د. هلال الحطاب
كلية الزراعة جامعة القاهرة
ـ د. صلاح محمود
كلية الزراعة عين شمس
ـ د. محمد نجيب
كلية زراعة الاسكندرية

ـ سلمى محمود وهبه
معيدة بكلية الزراعة جامعةالاسكندرية
ـ د. عبد الرحمن سرى
عميد كلية الزراعة بالزقازيق
ـ محمد رشاد عبد الله
رئيس تحرير جريدة التعاون
ـ عصمت الموافى
وكالة انباء الشرق الاوسط
ـ اسماعيل رأفت مصطفى
كبير الباحثين بمعهد الاراضى والمياه
ـ مهندس حسين رشدى
مدير عام مساعد بالاتحاد الزراعى
ـ عبد السلام قرنى
مدير الاصلاح الزراعى بالمنيا
ـ محمد ابراهيم خليفة
مزارع بكوم حماده ـ بحيرة
ـ محمد أبو الفضل الحزاوى
محام .
ـ مهندس زكى محمود ارناؤوطى
مدير هيئةالتعمير والمشروعاتالزراعية
ـ محمد عمران محمد
رئيس اللجنة النقابية للعاملين بمديرية التحرير
ـ عبد الجواد عبد الله
عضو اللجنة المركزية للاتحادالاشتراكى
ـ المهندس كمال الدين محمد احمد
مدير عام بوزارة الزراعة واستصلاح الاراضى

ـ مهندس أحمد مدحت ابراهيم
مراقب عام بوزارةالزراعة واستصلاح الاراضى
ـ المهندس عاطف محمد صقر
وكيل عام هيئة الاوقاف للشئون الزراعية
ـ سعد مصرى مبروك
وكيل اللجنة النقابية وعضو اتحاد اشتراكى وادى النطرون
ـ صالح موسى ابراهيم
أمين لجنة مركز وادى النطرون
ـ عبد الحفيظ بدران صالح
رئيس اللجنة النقابية بتعمير الصحارى وعضو لجنة المركز
ـ ابراهيم محمد مصطفى عامر
عضو اللجنة النقابية بتعمير الصحارى بوادى النطرون

كما حضر الاجتماع السادة مستشارو اللجنة :

ـ د. محمد شفيق الخشن
ـ د. سعد السمان
ـ المهندس مصطفى الفار
ـ المهندس فؤاد على
ـ أحمد زكى الامام

وتولى أمانة السر السيد/ **عبد التواب ابو سريع** أمين سر اللجنة يعاونه السادة سكرتيرو اللجنة .

O

● **السيد رئيس اللجنة :**

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب نرحب بالسيد الدكتور وزير الزراعة والسيد الدكتور مصطفى الجبلى والسيد الدكتور محمد بكر احمد وزراء استصلاح الاراضى السابقين كما أرحب بالسيد نقيب الزراعيين وأساتذتنا الاجلاء أساتذة كلية الزراعة ، كما ارحب بالسيد وكيل وزارة الشئون الاجتماعية ممثلا للسيدة وزيرة الشئون الاجتماعية ، والسادة وكلاء وزارة الرى ، وممثلى وزارتى التخطيط والتجارة الخارجية ، كما ارحب بالاخوة رؤساء المؤسسات والشركات والعاملين فى قطاع استصلاح الاراضى ، وجريا على السنة التى استنتها لجنة الزراعة والرى فى نشاطها هذا العام ان تخصص جلسة لكل مشكلة ولكل موضوع ندعو فيه العلماء والمتخصصين ليسهموا بآرائهم البناءة من اجل مصر ، واليوم ونحن نجتمع لدراسة موضوع هام وحساس وخطير هو قضية الارض الجديدة فى مصر ، وهذه القضية من القضايا الهامة ، فاستصلاح الاراضى فى مصر كلف الشعب أكثر من ٥٠٠ مليون جنيه ، والسؤال الذى يطرح نفسه الان : هل النظام الحالى لادارة هذه الارض هو النظام الامثل ، أو ما هو النظام الامثل ؟

ان ورقة ٦ اكتوبر ، وهى تحدد معالم المجتمع المصرى الجديد ، مصر بعد النصر وبعد أن عبرت الهزيمة ، نريد ان نرى كل شىء يجرى فى بلادنا على مستوى الحدث العظيم الذى احدثه شعبنا فى ٦ أكتوبر ، وفىمناخ من الحرية الكاملة ، وفى مناخ من الديمقراطية الاصيلة نفتح هذا الحوار ، وليس هناك هدفا للهدم ، اننا نريد ان نساهم جميعا فى بناء مصرنا ، فأرجو اذا صدرت كلمة نقد أن تتسع لها صدورنا ، وحينما دعوتلهذاالاجتماعتحدثت مع السيد الدكتور وزير الزراعة واستصلاح الاراضى وقلت له انت لم تضع للان سياسة محددة لهذا القطاع ، وارجو الا تتعجل فى ذلك لاننا نريد أن نجرى حوارا نستمع فيه لكل الاراء البناءة حتى تتضح امامك معالم الصورة ، ولذا ادعو الاخوة

العاملين فى هذا القطاع الذين يريدون أن يتحدثوا ان يقولوا آراءهم فى شجاعة فلا خوف فى مصر بعد الان ، ولا يستطيع مسئول فىمصربعدالان ان يحاسب مواطنا على رأيه حتى ولو كان هذا الرأى مخالفا للحكومة مجتمعة ، وليس لوزير واحد فحسب ، ان المناخ الذى عمقته ثورة التصحيح ، والذى يرسيه الرئيس السادات ، وبهذه المناسبة ايضا ، ان لجان الاستطلاع والمواجهة بين الشعب والحكومة لها أسلوب جديد استحدثه الرئيس السادات فى اللائحة التى تقدم بها الى مجلس الامة ، والرئيس السادات يقول دائما افتحوا أبواب مجلس الشعب للشعب ليدلى كل من المواطنين برأيه ، ونحن نفضل ان يدور الحوار هنا فى قاعات مجلس الشعب بالشجاعة وبالحرية بدلا من ان نتحدث فى الحجرات المظلمة ، فلا ظلام فى مصر بعد اليوم أننا نعيش جميعا فى ظل الحرية وفى ظل الديمقراطية وفىظل النور ، ونبدأ عملنا الان بتقرير موجز من اللجنة الفرعية لجنة استصلاح الاراضى ، اللجنة المنبثقة من لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب ، وهذه اللجنة قامت بدراسات ميدانية لكل مؤسسات وقطاعات استصلاح الاراضىفىمصر ، وبعد ذلك نستمع الى راى وزرائنا الحاليين والسابقين ونستمع الى رأى علمائنا الاجلاء وبعض الاخوة أعضاء مجلس الشعب وبعض المواطنين وبعض العاملين فى القطاع .

● د . المهندسمحمد لبيبعنبه [مقرر اللجنة] :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الاستاذ رئيس لجنة الزراعة والرى ، الاخوة الزملاء اعضاء مجلس الشعب ، اسمحوا لى ان أرحب بالسيد الدكتور وزير الزراعة واستصلاح الاراضى والسادة الوزراء السابقين الدكتور مصطفى الجبلى ، والدكتور محمد بكر احمد ، والسيد المهندس نقيب الزراعيين والاخوة الافاضل رؤساء مجالس ادارات شركات استصلاح الاراضى والاستزراع والاخوة العاملين والاخوة من أفراد شعبنا الكريم الحاضرين لهذه الجلسة ، والسادة اساتذة الجامعة وكليات الزراعة .

لقد اتخذ قائدنا الرئيس **أنور السادات** اخطر قرار فى تأريخ مصر ، قرار العبور الى النصر فى ٦ أكتوبر المجيد الذى وضع مصر فى مكانتها الحضارى والطبيعى بين دول العالم فى ظل مجتمع يسوده القانون والحرية والعدل ، ثم جاءت ورقة أكتوبر التى رسمت طريق المستقبل لامتنا ووضعت الدعائم القوية لبناء هذا المجتمع ولخيره ولرفاهيته .

فكان لزاما علينا ان نقف وقفة نبحث فيها جميعا وبعمق سلبيات الماضى وصولا الى أفضل الطرق لتحقيق التقدم والرخاء والرفاهية .

وانطلاقا من هذا المفهوم ودعما لسياسة لجنة الزراعة والرى فى عقد جلسات استطلاع ومواجهة لمشاكل القطاع الزراعى يبدى المواطنون وذوو الخبرة من المهتمين بهذا القطاع وجهات نظرهم لتحقيق الفائدة المرجوة باعتبار ان الحكومة والشعب والمجلس يعملون كفريق متكامل لصالح شعبنا .

والموضوع الذى نتدارسه اليوم موضوع هام ومؤثر فى الاقتصاد الزراعى ، فهو يبحث فى انجح الوسائل لتحقيق اكبر فائدة من استغلال الاراضى الجديدة ، وكان يمكن ان نقدم تقريرا وافيا وتفصيليا عن جميع الاراضى واستصلاحها واستزراعها منذ ان قامت الدولة بعمليات استصلاح الاراضى بتوسع كبير وكان يمكن ايضا ان نقدم وجهة نظر اللجنة فى مستقبل هذه الاراضى ولكن رأينا انه من الافضل ان نقدم تقريرا بما يدور حوله النقاش تاركين الفرصة لكل عضو من حضراتكم ان يعبر عن وجهة نظره بما يراه محققا للفائدة المرجوة ولا اجدنى فى حاجة الى أن أؤكد اننا متفقون جميعا من انه لابد من العمل على زيادة الرقعة الزراعية ، وتحويل اكبر مساحة من الاراضى البور والصحراوية على طول جنبات وادى النيل والصحراء الى أرض منتجة مستفيدين بكل قطرة من مياه النيل أو المياه الجوفية ومياه الامطار لمقابلة الزيادة الكبيرة فى السكان ، والعمل على زيادة الدخل القومى وتحقيق الرخاء للافراد .

وقد قامت اللجنة بزيارات ميدانية لكافة الاراضى المستصلحة على مدى سنوات عديدة وكانت تقدم المشورة الى المسئولين لحل المشاكل التى كانت تقف عليها خلال زيارتها أو خلال مناقشات وملاحظات السادة أعضاء المجلس الا انه كانت هناك بعض العقبات الكبيرة التى كانت تعترض التنفيذ الامر الذى كان يحول دون استغلال الاراضى الجديدة الاستغلال الامثل .

من ذلك :

١ ـ عدم توفر الاعتمادات المالية التى تتطلبها عمليات الاستصلاح والاستزراع كشق المصارف وتشغيل طلمبات الرى والصرف .

٢ ـ عدم التخطيط السليم لهذه المشروعات مما

ادى الى تاخر وصول بعض الاراضى المستصلحة الى الحدية المرجوة فى الموعد المحدد لها .

٣ ـ التوسع فى عمليات استصلاح الاراضى ودون اعداد الاجهزه الفنية والادارية القادرة على القيام بهذه العمليات .

٤ ـ انفصال شركات استصلاح الاراضى عن شركات الاستزراع الامر الذى أدى الى حدوث الكثير من المتاعب وعدم تحديد المسئولية .

٥ ـ الدعاية الضخمة التى كانت تصاحب عمليات استصلاح الاراضى الجديدة والتى طبعت فى اذهان الرأى العام صورة لا تمثل الواقع والحقيقة .

ويمكن ان نقول الكثير عن الاخطاء الفادحة التى كان يمكن تفاديها لو اتبع التخطيط السليم ولو سرنا فى عمليات الاستصلاح بخطى مناسبه للاعتمادات المالية والخبرة الموجوده .

ومع ذلك فلابد ان نذكر فى الجانب الاخر صورا مشرقه فهناك جيل من شباب مصر ورجالها وعمالها كان يعمل فى ظروف قاسيه من اجل الوطن ويعتبر هؤلاء ثروة قومية نفخر بها وكذلك لابد ان نقول ان هناك الافا من الافدنة من الاراضى الجديدة الخضراء اضيفت الى الرقعة الزراعية وكذلك فان هناك الالاف من الاسر التى نزحت الى هذه المناطق الجديدة واستوطنت بها واصبحت تسهم ايجابيا فى حياتنا الاقتصادية بالانتاج الوفير وكذلك فان هناك الالاف من الايدى العاملة على هذه الارض ، والاراضى الجديده التى تم استصلاحها وتستغل الان بعدة طرق نوردها فيما يلى :

١ ــ أراض تم تمليكها لاسر نزحت اليها من محافظات مختلفة . واللجنة تؤكد من زيارتها الميدانية للاسر المنتفعة أنها حققت نجاحا كبيرا عاد عليها بالرخاء .

٢ ــ اراض تم بيعها ولها نفس ظروف الاراضى السابقة من حيث النجاح .

٣ ــ اراض مؤجرة ويوجد ببعضها مشاكل كثيرة تحتاج الى بحثها وايجاد حلول مناسبة لها فى ضوء الواقع الذى يعيشه المستأجرون .

٤ ــ أراض تزرع على الذمة . وتمثل اغلب مساحات الاراضى المستصلحة والتى من اجلها يعقد هذا الاجتماع الموسع للنظر فى مستقبلها ، والاسلوب الامثل لاستغلالها ونحن نرى بشأنها ما يلى :

أ ــ أراض لا بد من بيعها فورا وهى تمثل المساحات المتناثرة والصغيرة التى ان قامت بزراعتها الدولة تعتبر غير اقتصادية .

ب ــ أراض يمكن بيعها لخريجى المعاهد الزراعية بالاجل .

ج ــ أراض ذات مساحات واسعة يمكن ان تقوم عليها شركات كبيرة تكون قادرة على اداراتها واستغلالها وهذه الشركات اما مصرية خالصة أو مصرية عربية غربية اجنبية .

د ــ اراض يمكن أن تدار عن طريق التعاونيات الزراعية .

اما بالنسبة للعمالة الزائدة فانه يمكن الاستفادة بها فى مناطق اخرى فى انحاء الجمهورية وبهذه المناسبة فان اللجنة تؤيد الخطوة الجريئة التى اتخذتها الحكومة ببيعها اراضى بمشروع وادى النطرون تنفيذا لاحد توصياتها السابقة .

وبالنسبة للساحل الشمالى الغربى فاننا نرى الاسراع فى تطبيق القانون ١٠٠ استقرارا لاهالى المنطقة فى تملك الارض كذلك نحن نعتبر أن امتداد مريوط يفضل عند بيعه أهالى الساحل الشمالى الغربى بإعتبار انه المنطقة الزراعية المستديمة والتى تعتبر منفذا لهم لزيادة الثروة من الاغنام .

هذا عرض سريع لهذا الموضوع .

واللجنة اذ تتشرف بعرض ما توصلت اليه فى زيارتها الميدانية يسعدها أن تستمع الى ارائكم تدعيما لمهمتها :

● المهندس هلال عبد الله هلال

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر المؤسسة السيد رئيس اللجنة على هذه الدعوة التى جمعت أكبر عدد ممكن من المشتغلين فى هذا المجال من السادة الوزراء الحاليين والسابقين والسادة أساتذة الجامعات واخواننا أعضاء مجلس الشعب الذين يمثلون القاعدة العريضة من أبناء هذا الشعب ، أن هذه الفرصة نعتبرها من الفرص الذهبية التى أتيحت لقضية الارض الجديدة ونحن سعداء بهذا اللقاء الذى كنا نأمل فى عقده منذ زمن طويل ، والارض الجديدة

اصبحت اليوم غير غريبة على غالبية السادة أعضاء مجلس الشعب وعلى الاخص السادة أعضاء لجنة الزراعة والرى ؛ فقد سعدنا لقاءاتهم الميدانية عديد من المرات ، وتعرفوا على مشاكل هذه الارض مشكلة مشكلة ، والتقرير الذى تقدم به السيد الزميل المهندس محمد لبيب عنبه ، تقرير يحمل بين طياته كل ما يمكن ان يقال عن الارض الجديدة بوضوح وبايجاز ، تقرير مما لا شك فيه منبثق من الواقع من الزيارات الميدانية التى قام بها السادة اعضاء اللجنة ، ان التصور الذى أشار اليه السيد رئيس اللجنة الفرعية ، ليس هناك شك فى انه تصور بناء وواضح وقد اخذت المؤسسة بتنفيذ معظم عناصر هذا التصور فلدينا أرض مباعة وسبق تسليمها للاصلاح الزراعى حوالى ٧٨ الف فدان وهناك أرض مباعة ومملكة وتشرف عليها المؤسسة وزعت وفق القوانين أو شروط الاصلاح الزراعى وهذه تقدر بحوالى ٣٥ الف فدان ، وهناك أراضى مؤجرة حوالى ١٥٦ الف فدان ، اما باقى زمام المؤسسة والذى يقدر بحوالى ٣٥٠ الف فدان فهى الاراضى التى تزرع على الذمة هذا هو الشكل العام اليوم لاراضى المؤسسة وأرجو السيد رئيس اللجنة ان يسمح لى بأن أعطى للسادة الأعضاء فكرة عن طبيعة هذه الاراضى ، ان هذه الاراضى تمثل ٣ أنواع رملية وجيرية وطينية ملحية ، طينية ملحية بنسبة ٤٢ فى المائة ...

● **رئيس اللجنة**

يهمنى أن تبرز سيادتك بعض المشاكل المعوقة فى قطاع الاستزراع التى أثرت على الانتاج وتعطى صورة أن هذه الاراضى لا تدر دخلا بمعنى أننا نود أن نستمع الى مشاكل الصرف وخطورتها .

● **هلال عبد الله هلال**

الحقيقة لو رجعنا الى الوراء قليلا ، لاستطعنا أن نتعرف على طبيعة الوضع فى المؤسسة ، أراضى هذه المؤسسة أراضى فقيرة جدا ولان مواردنا الارضية على المستوى القومى موارد فقيرة ، ان كل ما حدث أن اختيرت المساحة التى تشرف عليها المؤسسة اليوم وباقى المساحات التى دخلت برامج الاستصلاح بعد اجراء حصر تصنيفى فى مساحة ١٤ مليون فدان ، ما ثبت صلاحيته من هذه المساحة صلاحيات جزئية حوالى ١ر٢ مليون فدان هذه الـ ١ر٢ مليون فدان تختلف صلاحيتهم من الدرجة الاولى حتى الخامسة ، هذا من وجهة نظر التقسيم لدينا ، اما من وجهة نظر التقسيم العالمى فانى أعتقد أنه لا يقر هذا التقسيم فالـ ١ر٢ مليون فدان منهم فقط ٨٨ الف فدان من الدرجة الاولى نسبيا ، أما الدرجة الثانية فتبلغ ٢١٧ ألف فدان ، والدرجة الثالثة ٤ر٦ الف فدان ، والدرجة الرابعة والخامسة ٢٩٠ الف فدان اخترناهم من ضمن الاراضى التى اسفر عنها الحصر التصنيفى ، الموارد الارضية بتاعتنا هكذا لا دخل لاحد فيها ، وهذه الاراضى اختيرت بقدر الامكان من الاراضى التى اثبت الحصر التصنيفى أنه من الممكن استزراعها وعلى هذا الاساس بدأنا فى استصلاح هذه الاراضى وليس هناك شك كما ذكرت لسيادتكم انها أراضى فقيرة جدا ، الاراضى الرملية الموجودة نسبة « السلت » والطين فيها تقل عن ١٠ فى المائة ، الارض الجيرية بها نسبة كالسيوم تصل الى ٥٠ فى المائة أراضى طينية ملحية بعضها فيه قلوية عانينا منها الكثير لزيادة نسبة الاملاح الزائدة ، هذه هى طبيعة الارض الموجودة لدينا وليس هناك شك أنه نتيجة لاضطلاع البلاد بأكبر برامج اضطلعت دولة من الدول فى مجال استصلاح الاراضى فى فترة زمنية وجيزة ، وكان محتم علينا خلالها استصلاح أكبر مساحة ممكنة لاستقبال مياه السد العالى أن يحدث هناك كما ذكر السيد رئيس اللجنة بعض نواحى تحتاج الى استكمالات معينة ، ولم يكن من الممكن أن تستصلح هذه المساحات بالصورة المتكاملة التى نريدها لان الفترة الزمنية من عام ٦٠ الى ٦٥ تم استصلاح حوالى ٣٦٥ الف فدان على المستوى العام ، ومن ثم كان لابد أن ينقص بعض مشاريع الاسكان وبعضها الاخر ينقصها الطرق وبعضها الاخر ينقصها مسائل الرى والصرف مثلا ، ولم يكن هناك تعمدا لاحداث مثل هذا النقص وأنما الفترة الزمنية المحددة لاستصلاح هذه الاراضى وايضا الاعتمادات المالية لا شك كان لها تأثير كبير ، وتسلمنا الاراضى التى استزرعناها وهى على هذا النحو ، أو فى هذه الصورة الارض الجديدة بهذه الصورة تحتاج الى جهد كبير جدا وكلكم سواء اخواننا أعضاء مجلس الشعب والعاملين فى مجال استصلاح الاراضى تحتاج الى جهد كبير منهم سواء فى الارض الرملية التى تحتاج الى بناء التربة أو سواء فى الارض الطينية الملحية التى تحتاج الى عملية غمر وغسيل مستمر حتى تزيل نسبة الملوحة التى بها الى الحد الذى يسمح بزراعتها وسواء الارض الجيرية أيضا التى نجد بها خصوبة انما بها نسبة كربونات كالسيوم لها صفات طبيعية تستلزمنا فى بداية الاستزراع جهدا كبيرا لتحسينها باضافة أسمدة عضوية كى تكون أكثر تمهيدا للانتاج الزراعى .

ولا شك أنه فى بعض المشروعات تأخر تنفيذ بعض المشروعات الحيوية التى كان من المفروض

أن تنفذ فيها مما كان له انعكاس على خفض انتاجيتها او تعطيل انتاجيتها بالشكل الذى كانت ترجوه الدولة فى مواقع كثيرة من الاراضى التابعة للمؤسسة ، ولكن وفق الاعتمادات ، او فى حدود الاعتمادات المتاحة تقوم الجهات المختصه سواء وزارة الرى او الهيئات الاخرى والشركات العاملة فى مجال استصلاح الاراضى او المؤسسة بمداركة هذا العمل ، ونحن نحاول جاهدين أن نتغلب على بعض هذه المشاكل سواء من ميزانيتنا أو من ميزانية الجهات التى ذكرتها . أن هناك مددا نمطية موضوعة لمثل هذه الاراضى للوصول للحدية الانتاجية جزء من هذه الاراضى لم يصل للحدية الانتاجية نتيجة لمثل هذه الظروف فمثلا عندى ارض طينية ملحية تحتاج الى كميات وفيرة من المياه لاجل عمليات الغسيل وازالة الاملاح فلا تتوافرهذه الكميات بالقدر الذى يسمح بغسيل هذه الاراضى فى الفترة الاولى ، ومن ثم فالاراضى تمكث بدلا من ٧ سنوات حتى تصل للحدية الانتاجية لمدة قد تطول الى ٩ سنوات وأرض رملية — كما قلت لسيادتكم — نسبة السلت والطين بها ونسبة المكونات الغذائية بها أقل من ١٠ فى المائة فى بعض الاحيان وصلت الى ٥ فى المائة والى ٢ فى المائة من السلت والطين ولكى ابنى هذه الاراضى باضافات طمى أو أسمدة عضوية أو تسميد اخضر لا شك أن هذا يحتاج الى جهد كبير والى اعتمادات ماليه كبيره واذا كنت مقدرا للارض الرملية أن تصل الى الحدية الانتاجية بعد ١٠ سنوات فقد تطول هذه الفترة ، بلا شك ان المؤسسة عندما تقوم بزراعة آلاف الافدنة من الاراضى الرملية لابد أن تضع فى اعتبارها أن توفير المخصبات الطبيعية لمثل هذه المساحة غير ميسور فى معظم الاحيان ولا تتحمله الاعتمادات المالية فى احيان كثيرة ، واذا كان من الممكن اليوم أن أضيف للفدان من الاراضى الرملية كميات من الطمى ٥٠ أو ٧٠ متر طمى حسب قدرتى أستطيع أن أصل بانتاجيته بدلا من ٩ او ١٠ سنوات المقررة أستطيع أن اصل اليها خلال سنة أو سنتان ، أو ان أضيف اسمدة عضوية لمثل هذه الاراضى وأصل بها للحدية الانتاجية فى سنة أو سنتين أو ثلاثة بقدر ما يضاف اليها من مخصبات . لكن المؤسسة لا تعمل فى ١٠ او ٢٠ أو ١٠٠ فدان ، وانما تعمل فى آلاف الافدنة من الاراضى الرملية الفقيرة ، واذا استطعت أن أحسن بعض الالاف فيها هذا العام فتحسين الالاف الاخرى يحتاج الى جهد ووقت طويل واعتمادات مالية ضخمة ، وهذه حقيقة لا يستطيع أن ينكرها أحد . الاراضى الجيرية ايضا لكى أستطيع أن أحسن من خواصها لابد من اضافة مزيد من الاسمدة العضوية حتى تكون غير متماسكه بالصورة التى نسلمها بها نتيجة وجود نسبه كبيرة من كربونات الكالسيوم ، وايضا لابد من اضافه أسمدة عضوية بكميات كبيره ، او بزراعة محاصيل تسميد خضراء ثم اقلبها فيها ، المسالة تحتاج الى وقت حتى نضع هذه الاراضى على اولى مراحل الانتاج . ايضا الظروف الجويه تلعب دورها فى الفترات الاولى لاستزراع هذه الاراضى . اراضى شاسعة لا يوجد بها اى معدات للرياح فى السنوات الاولى ، فكل الزراعات الاستصلاحية التى تزرع فى هذه الاراضى ، الهدف منها أن تحسن من مكوناتها الغذائية ، ولا شك أن الارض الجديدة بذلك تتعرض وتظل تتعرض لسنوات طويلة لتأثير هذه الظروف الجوية .

وسيادتكم جميعا تعلمون الظروف الجوية للأراضى الصحراوية ، كل هذه مسائل لابد أن نأخذها فى الاعتبار ، ونحن ننظر فى تنمية هذه الاراضى تحت الظروف التى أوجزت تقديمها لسيادتكم .

نقطة أود أن أوضحا لانها موضع تأمل من معظمنا بالنسبة للارض الجديدة — على الاقل بالنسبة للمؤسسة — فكما ذكر السيد رئيس لجنة الزراعة والرى بحق — أن الاراضى الجديدة صرف عليها كثير جدا ، فقد صرف عليها مبلغ ٣٨٢ مليون جنيه على ٧٠٠ الف فدان هى التى آلت للمؤسسة .

● **رئيس اللجنة**

هذه نفقات انشائية ؟

● **هلال عبد الله هلال**

اننى سأوضح ذلك ، ان هذا المبلغ خاص بالمساحة التى تحت يد المؤسسة فقط وهذا خلاف مساحات تعمير الصحارى ، الاراضى البور .. ان الرقم الذى ذكرته سيادتكم قطعا صحيح ، انما أنا أخص القدر الذى صرف على أراضى المؤسسة ، فهو فعلا رقم كبير ، ولا أحد ينكر ذلك ، ولكن ما مكونات الـ ٣٨٢ مليون جنيه هذه ؟

■ ٥٠ فى المائة منهم عمليات استصلاح واستزراع — تسوية الارض ، الاعمال الصناعية الداخلية اللازمة لها ، ما انفق على استزراع الارض خلال الفترة من يوم أن بدأنا حتى عام ١٩٧٣ .

■ أما باقى الاعتمادات ، فصرفت على مشاريع الرى والصرف صرفت على اسكان ، صرفت على

مبانى خدمات ، صرفت على مصروفات غير مباشرة مثل : القروض التى استوردت بها آلالات .. الخ

صرفت على الطرق ، كل هذه المكونات الرئيسية للـ ٣٨٢ مليون جنيه ، وحينما نأتى اليوم لنحاسب الارض الجديدة على مبلغ الـ ٣٨٢ مليون جنيه ، فأعتقد أن هذا فيه صعوبة بعض الشىء ، فكل المبلغ الذى انفق على الـ ٧٠٠ ألف فدان من يوم أن استصلحوا حتى اليوم هو ٣٨٢مليون جنيه من واقع التقييم الذى تقوم به وزارة المالية والذى مازال يجرى العمل فى اقفاله حاليا بالتقسيم الذى ذكرته لحضراتكم ..

● **رئيس اللجنة**

أود أن أحيط السادة الحاضرين علما أن كافة البيانات تحت نظر اللجنة ، فكل مليم صرف لدينا البيانات الخاصة به .

● **هلال عبد الله هلال**

لكى اضبط انتاجية هذه الاراضى بجملة الملايين التى صرفت عليها مسألة لا تستطيع أن تتحملها الارض الجديدة ، فحينما تقوم المؤسسة بانشاء قرى جديدة اليوم فهذه تعتبر خدمات على مستوى الدولة ، وأيضا حينما انشىء طريق اسفلت يربط بين القرى وبعضها فالذى تتحمله ايضا هى ميزانية الخدمات ، وأيضا حينما انشىء مدارس أو مستشفيات صحيح أنها انشئت لخدمة العاملين ولخدمة المواطنين الموجودين على هذه الاراضى ، لكن من وجهة النظر القومية يجب أن يفرق بين استثمارات استخدمت فى عملية استصلاح واستزراع الارض وبين استثمارات استخدمت فى توفير المبانى والخدمات التى توفرها الدولة لسائر المواطنين ولا سيما كما أشار السيد رئيس اللجنة الفرعية فى تقريرها ان المقيمين اليوم على هذه الاراضى يزيد عن ٦٠٠ ألف نسمة .

ولذا فاننا حينما ندرس اقتصاديات هذه الاراضى ارجو أن يعاد النظر فى هذا الموقف ، وحينما نقول أن الـ ٣٨٢ مليون جنيه تحملت منهم عملية الاستصلاح والاستزراع حوالى ١٩٨ مليون جنيه ـ او على ما أذكر ١٩٢ مليون جنيه تقريبا والباقى تحملته مبانى الخدمات ، فاننا بذلك نستطيع ان نقيم موقف الارض الجديدة ، وما قدمته للاقتصاد القومى من الانتاج ، ونستطيع أن نلمس فعلا التقدم الذى طرأ على هذه الاراضى سواء من الناحية الفنية ، او من الناحية الاقتصادية . اما ان ننظر على أن الـ ٣٨٢ مليون جنيه صرفت على استصلاح واستزراع الـ ٧٠٠ ألف فدان ففى هذا ظلم للارض الجديدة .

ان الارض الجديدة ينظر اليها أيضا بنظرة بها شىء من القسوة ، فالارض الجديدة تغل سنويا ١٠ او ١٢ مليون جنيه : وهذا فقط من الاراضى التى تزرع على الذمة ، دون النظر الى الاراضى المؤجرة التى تضيف ملايين الجنيهات للاقتصاد القومى ، أليس لتلك الملايين دخل عند تقييم الارض الجديدة ؟ فاذا كنت مؤجرا لـ ١٥٦ الف فدان متوسط القيمة الايجارية بتاعتهم ٦ جنيهات . صحيح أن المؤسسة تأخذ من هذه الاراضى حوالى ٢ر١ مليون جنيه ، تعود مرة اخرى لتدفعها للمستأجرين . وفوقها ٢ مليون جنيه نظير خدمات ومصروفات ادارية ودعم معين للتعاونيات فى هذه الاراضى فلا أقل من أن ينظر لما تضيفه هذه المساحة للدخل القومى ، والذى يقدر بـ ٢٠ أو ٢٥ مليون جنيه بالنسبة للاراضى المؤجرة أو المباعة ، وبهذا يمكن أن تتضح صورة الارض الجديدة وما تضيفه من دخل الى الدخل القومى .

المؤسسة اليوم تضطلع بجميع الخدمات التى يمكن أن تقوم بها الوزارات المتخصصة بالاراضى الجديدة ، فهى مسئولة عن الـ ٦٠٠ الف نسمة من الناحية الاجتماعية والثقافية والصحية والتموينية والنقل والمواصلات ، وتوفير المساكن والكهرباء والمياه ، وحل مشاكلهم ، كل هذا تقوم به الارض الجديدة من خلال الميزانيات التى تعتمد لها . وحينما نستعرض الميزانية السنوية للمؤسسة ، نجد أن المؤسسة ـ حقيقة ـ تعانى صعوبة كبيرة فى توفير الاعتمادات المالية اللازمة لزراعة اراضى المؤسسة بالاسلوب الزراعى الاقتصادى السليم ، ولا يتبقى لدى شىء حتى استطيع أن استغله فى استزراع هذه الاراضى ، فما يتبقى لدى بعد الاجور والمهايا ، بعد اقساط القروض والفوائد ، بعد .. الخ كل مايتبقى لدى حتى استغله فى عمليات الانتاج لا يتعدى ٥ر٤ مليون جنيه ، كيف اوزعهم ؟ كيف اشترى بها مخصبات ؟ اننا بقدر الامكان نوزع هذا المبلغ على الاحتياجات بالاضافة الى الاستفادة من الايرادات المتحصلة ونستطيع أن ننمى بهذه القدرات تلك الاراضى ، وبالرغم من قصور الاعتمادات فان هناك جزءا كبيرا من هذه الاراضى يقرب من حوالى ٤٤ فى المائة من الزمام الجغرافى الاستزراعى الذى اضطلعت به المؤسسة وصل الى درجات الحدية الانتاجية ، والباقى ما بين تحت حدى وعمليات علاج وتحسين ، وفيه جزء منه فعلا يقدر بحوالى ٦٠ ألف فدان تحتاج الى

عمليات استكمالية خاصة بمشاريع رى او صرف او اعاده تسوية ، وحينما اقول مشاريع رى أو صرف او اعادة تسوية ، فكما تعلمون حضراتكم – وكلكم فلاحون – ان هذه العمليات فى حاجة الى تطوير مستمر وخصوصا المشاريع الداخلية ، فهناك عقبات تجد لنا بعد التنفيذ ، تحتاج الى تطوير فى شبكات الرى والصرف . وليس عيبا ان نقول أن هذه العمليه متطورة ، لان الارض تسفر من خلال عمليات استزراعها عن تعديلات معينة فى شبكات الرى والصرف الداخلية نقوم بها ، لابد من ذلك . ان الـ ٦٨ أو ٧٠ الف فدان المعطل استزراعهم الان نحن بصدد توفير الاعتمادات اللازمة لها حتى نستكمل شبكات الرى او الصرف او اعادة التسوية المطلوبة فى بعض الاحيان .

هذه هى الصورة العامة للارض الجديده ، ولكن احب ان أؤكد اننا نرحب جدا بالتطور الذى اشارت اليه لجنه الزراعة والرى بالتصرف فى المساحات المتناثرة . لان اسلوب ادارتها فعلا اسلوب يحقق خسارة للمؤسسة كما هو الحال بالنسبة للاراضى المتناثرة فى الوجه القبلى ، فبينما نجد ان مقر القطاع فى سمالوط نجد أن المساحات المتناثره التى تتبعه فى سوهاج ، حوالى ٣ او ٤ مزارع على طول هذا الطريق ، ولذا لابد من التخلص منها بالبيع ، وهذا اجراء سليم .

اراضى التأجير وهى ١٥٦ فدانا – كما سبق وان ذكرت سيادتكم – لازال يتخلل هذه المساحات مساحات تستزرع على الذمة ومحدودة فى قطاعات معينة فى وسط الدلتا ، قد يعاد فيها النظر ونرى ان اضافة هذه المساحات للمساحات المؤجرة قد يكون اوفق ، أو بقائهـا وزرعهـا على الذمة أوفق ، وان كنت اعتقد ان تقفيل المساحات المؤجرة اليوم أمر واجب .

وهناك قطاعات أخرى – كما قال السيد رئيس اللجنة الفرعية – يجب ان تقوم عليها شركات فعلا ، شركات اقتصادية سواء برأسمال مصرى خالص أو برأسمال مصرى عربى او برأسمال مصرى أجنبى ، وهذا يحقق لنا شيئان :

الشىء الاول :

ان هذه الشركات ستتوفر لها الاعتمادات المالية التى يمكن ان تستكمل بها ما ينقصها من مشروعات . حتى تسير هذه المشروعات فى الطريق الانتاجى السليم .

الشىء الثانى :

ان هذه الشركات ستبدا تدير نفسها ادارة اقتصاديه ، فاذا كان لديها عماله زائدة فستبدا فى استغلالها ، واذا لم يكن فى امكانها استغلالها فستطلب من الدولة الاستفادة منها فى ناحية اخرى . اما الشىء الاهم هو ان هذه الشركات تحقق انتاجا اقتصاديا عاليا ، نتيجة تكثيف عمليات تصنيعيه فى هذه الاراضى ، وهذه النقطه اود أن اركز عليها ، لانه مهما كان القصور بالمنوال الذى نطبقه فى زراعة الاراضى الجديدة واستغلالها فلن يكون فى يوم من الايام تحت الظروف التى تقدمت بها لسيادتكم اسلوبا اقتصاديا فالتكاليف عالية لدينا ، ففى المؤسسة الباب الاول – وهذه امور لابد ان اصارح حضراتكم بها مادامت قد اتيحت لنا الفرصة ولابد ان نجد لها الحل فنحن مجتمعين لنحسن اقتصاديات هذه الاراضى وبالذات الاراضى كما ذكر السيد رئيس اللجنة الفرعية الاراضى التى تزرع على الذمة ، ولابد أن اذكر لحضراتكم المعوقات حتى تساعدونى وتساعدوا الدولة فى ادارة هذه الاراضى – فالباب الاول فى المؤسسة نتيجة تراكمات وظيفية معينة من خلال اضافات الاجهزة التى شكلت بها المؤسسة أصبح عندى الباب الاول ٦٫٥ مليون جنيه تكاليف ادارية فى المتوسط العام تقدر بـ ١٣ جنيها للفدان فى بعض قطاعات تصل الى ٢٥ جنيها ، وهذه الزيادة لا تسأل عنها هذه القطاعات ، لان تغيير السياسة كان السبب فى بروز هذا الرقم الادارى الضخم ، لان هذه القطاعات كانت تدار كلها على الذمة ثم تغيرت السياسة العامة ، سياسة الدولة تغيرت وقال لا داعى لنظام الذمة ، واتبعوا نظام المقاولة تراكمت لدينا نتيجة لهذا بعض العمالة الزائدة ، ولابد ان نصارح بعض ، أين استنفذ هذه العمالة الزائدة ؟ لابد من أن تتجه اتجاه اخر بحيث نستنفذ هذه العمالة الزائدة وبحيث نخفف الاعباء الموجودة على هذه الاراضى ، وسيلة التخفيف من وجهة نظرى انه لابد ان يكون هناك تكثيف زراعى صناعى فى مثل هذه القطاعات حتى يمكن ان نرفع من انتاجية هذه الاراضى ، اعتمادنا على المحاصيل التقليدية او غير التقليدية مهما كانت الظروف لن يستطيع أن يعوض البلاد بالعائد السريع او بالعائد المجزى الذى تنتظره اذا استمر استزراع الاراضى بهذا الاسلوب ، اذن لابد من قيام شركات فى القطاعات التى تثبت الدراسات الاقتصادية انها اصلح من غيرها لقيام هذه الشركات ونزيل من طريقها اى معوقات قد تعوق عملها حتى تؤدى دورها بنجاح .

وايضا الاراضى المؤجرة كما قلت لسيادتكم والصدمات التى تضطلع بها المؤسسة يجب ان تنظر لها ايضا ، هناك عمالة زائدة تبلغ تحاسبها ٥ر١ مليون جنيه ، كما أن المؤسسة تؤدى خدمات للفلاحين والجمعيات الموجودة بحوالى ٥ر٢ مليون جنيه ومن هذه اعباء ملقاة على عاتق المؤسسة ، وتحمل على تكاليف ارض الذمه ، ولا بد ان يعاد النظر فيها مرة أخرى ، وهناك أراض أخرى ترحب شركات برأس مال عربى اجنبى ضخم فيها لان مشاكلها او مشاكل استزراعها أو مشاكل خصوبتها ازيد من طاقتنا كمؤسسة وهى الاراضى الرملية التى تروى بالرش ، ويمكن لشركات ذات رؤوس أموال كبيرة أن تدير هذه الاراضى فلديها القدره والاعتمادات التى تمكنها من رفع انتاجية هذه الاراضى فى أقصر فترة ممكنة بعد اضافة ما يلزمها من مخصبات أو بعد ادارتها بأسلوب حديث يتسم بالمقدرة المادية ، هذا التصور موجود فى أذهاننا وهو لا يخرج عن التصور الذى اشارت اليه اللجنة فى تقريرها الموجز ونرحب بان نسمع كل الملاحظات وبأى نقد للارض الجديدة التى تشرف عليها المؤسسة ، ونكرر شكرنا للسيد رئيس اللجنة على اتاحة هذه الفرصة الطيبة للكلام عن الارض الجديدة وشكرا .

● الدكتور سيد جلال

بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر السيد رئيس اللجنة لانه أتاح لى فرصة حضور هذا الاجتماع والكلام فيه . ولاشك ان اخواننا الكرام الذين سبقونى فى الكلمه تحدثوا بصراحة وتناولوا جميع جوانب المشكله التى طرحها السيد رئيس لجنة الزراعة ، هى تتلخص فى بحث طريقة ادارة هذه الارض الجديدة وهو السؤال المطروح علينا ولاشك ان اللجنة الفرعية التى تفضل السيد العضو بعرض تقريرها ذكرت أن الطرق التى تتبع حاليا فى ادارة هذه الارض فهى إما أرض مؤجرة أو أرض تزرع على الذمه وقد أكد الزميل المهندس هلال عبد الله هلال ذلك ، وكنا ننتظر أن نستمع الى حقائق معينة حتى نستطيع أن نقارن بين أشياء تمت ممارستها فعلا وبين ما هو مقترح بالنسبة لاساليب الادارة وكان الواجب أن يتضمن التقرير بيانا تفصيليا عن الارقام المتعلقة بالموضوع ولقد عجبت حينما ذكر سيادته أن الارض التى يزرعها الفلاحون تغل اكثر من الارض التابعة للمؤسسة وكان المفروض أن يوضح مقدار . ..... يجه لعمليات استصلاح واستزراع الاراضى وادارتها بمعرفة الدولة وكذلك الاضافة الى الدخل القومى نتيجة لايجار الارض للفلاحين .وكذلك فى حالة التمليك حتى يمكن الحكم بأى الطرق أصلح فى الاتباع وهل تتوسع فى التمليك او فى تأجير الارض الزراعيه أو زراعتها على الذمة . وللاسف الشديد لم تعرض هذه الارقام وارجو عرضها واننى اعمل فى الزراعة على مستويين : المستوى الخاص والمستوى العلمى ، وأؤكد أن حكم العين لا يؤخذ به فى مجال الزراعة ، بل لابد أن يكون الحكم هو الكيل والميزان والورقة والقلم وطالما نناقش دور الادارة للاراضى المستصلحة فلابد أن تكون الارقام جاهزة أمام من يتحدث بدلا من التقدم بالاقتراحات والدخول فى دور تجارب ، بل يجب أن تكون دراستنا واقعة ونضع النتائج امام المسئولين فى امانة ودون تحيز لفكرة معينة .. وفى ضوء الدراسات الرقمية والبيانات التفصيلية يمكن ان نجد الرد العلمى ، أما أن ألقى الكلام جزافا كى أحوز شعبية أو أحوز جماهيرية فانا لا أقبله كرجل أنتمى الى مجموعة العلماء وشكرا .

● رئيس اللجنة

هل لا توجد مثل هذه البيانات لديكم فى المؤسسة .

● المهندس هلال عبد الله هلال

أحب أن اطمئن السيد الدكتور سيد جلال ان جميع الارقام التى تؤيد هذا الموضوع موجودة ومن واقع حسابات ختامية تقدمت بها المؤسسة لوزارة الخزانة وهى موجودة كذلك فى الجمعية العامة للاراضى المستصلحة وسوف نتقدم بها الى اللجنة . النقطة الثانية التى أود ان أرد عليها بالنسبة لما ذكره الدكتور سيد أن زيادة غلة الارض المؤجرة ترجع للاتى :

لقد بنيت سياستنا على اعطاء الفلاحين أجود أرض موجودة ، ان مساحة الـ ١٥٦ ألف فدان المؤجرة منها ١٢٤ الفا وصلت الى الحدية الانتاجية والباقى لازال فى دور العلاج والتحسين ومازالت لم تصل الى الحدية الانتاجيه فى حين أن الاراضى التى تستزرع على الذمة والموجودة حاليا منها ٨٨ الف فدان وصلت الى الحدية الانتاجية ومنها بعض المساحات المنزرعة بساتين حديثة لم تصل الى دور الاثمار وهذا هو ما يؤدى الى وجود الفرق ما بين غلة الاراضى المؤجرة وغلة الاراضى التى تدار على الذمة .. وشكرا .

● المهندس عبد العظيم أبو العطا

السيد الرئيس ـ حضرات السادة الاخوة :

فى الواقع أنه فى رحاب مجلس الشعب وفى أى حديث يقال تحت هذه القبة يلتزم بثلاث قواعد لا فكاك منها :

الاولى : ان الحقيقة العارية المجردة يجب أن تقال .

الثانية : أن الصراحة والصدق يجب ايضا أن يكونا ديدن الجميع .

الثالثة : اننا لسنا هنا لنلقى بالتبعة على بعضنا البعض مواطنين وموظفين ، ولكننا هنا لنستخلص الحقيقة وصولا الى الغاية .

وفى الواقع اننى اعتب اشد العتاب على السيد رئيس اللجنة الفرعية لانه كان المفروض فى تقريره ان يمهد لنا الطريق للمناقشة فى ضوء ما ورد من تفاصيل وبيانات مستخلصة من الزيارات الميدانية ولكن الملاحظ أن التقرير جاء تقريرا مكتبيا ولا استطيع ان اقول انه ميدانى بحال من الاحوال والدليل على ذلك انه عندما تعرض للمعوقات فى الاراضى المستصلحة وعدم وصولها الى انتاجية ذكر ستة أسباب أستطيع ان أكتبها فى المكتب دون الحاجة الى الزيارات الميدانية . وركز على ثلاث منها وهى :

أولا : انه لم تجر دراسة عميقة للمشروعات ، وفى هذه الحقيقة الاولى اقول لكم اننى وانا المسئول عن تصميم وتخطيط المشروعات فى الهيئة العامة للتعمير والمشروعات الزراعية ، والمسئول عن تصميم وتخطيط المشروعات فى الجهاز الصحراوى لم التق بالسيد لبيب عنبه الا قبل دخول هذه القاعة كما لم يلتق بأحد من رجالى لمناقشتهم فى هذا ولا يستطيع أن يحكم فى التقرير قبل ان يلتقى بالموظفين والمسئولين وأن يصل الى هذه النتيجة .

ثانيا : انه ذكر أن التخطيط لم يكن سليما — أى تخطيط ، أى أن تخطيط المشروعات الهندسية لم يكن سليما .

هذا ايضا بنى على حقيقة سماعية وليس على حقيقة علمية .. كذلك ما ورد عن التوسع فى الزراعة دون الاعداد : ٣ أسباب جاءت فى التقرير ، واننى اعتب عليه لانه كان من المفروض لكى يفتح لنا هذا الموضوع ان يلتقى بكل المختصين ولكنه لم يفعل وهذه نقطة شكلية .

اما النقطة الاساسية التى أحب أن أقولها وأرجو أن يفتح المجلس صدره لى وان يفتح السادة الوزراء ورئيس اللجنة صدرهم لى نحن هنا للوصول الى حقيقة أو لنتدارس الاسلوب الامثل الذى يجب اتباعه لنصل الى حل لهذا الموضوع .. ان البيانات التى طلبها الاخ الدكتور سيد جلال سوف يسمعها منى الان وهى البيانات التى كان من المفروض أن يذكرها السيد مقرر اللجنة الفرعية فى بيانه عندما يتعرض لاسلوب ومستقبل الارض المستزرعة سوف اذكرها الان : ففى وادى النطرون كان يزرع ٣٤٠٠ فدان وكانت الدولة تخسر ثلاثة ارباع مليون جنيه وبيعت هذه الارض بمليون وربع وبذلك وفرنا ثلاثة ارباع مليون جنيه ونتيجة هذا التصرف ان كل النتائج ايجابية فلقد كنا نروى الارض بـ ١٢٠٠ كيلووات ، ولقد قمت بزيارة وادى النطرون فى الاسبوع الماضى فوجدت ان كمية الكهرباء التى تستغل لرى جميع المساحة ٩٠٠ كيلو وات فقط ، كما وجدت ان دورة الـ ١٠ ساعات تكفى المزارعين ، كما ان الارض التى سلمت منذ شهرين تحسنت .

فى الوادى الجديد كنا نخسر فيه وهناك ٤٠٠٠ فدان فى غرب الموهوب كنا نخسر فيها ٢٠٠,٠٠٠ جنيه فى السنة تملكت للناس ، نتيجة لهذا التصرف حدث أن جميع الاموال التى كانت تصرف على استزراع الأراضى استزراعا فاشلا تحولت الى مشروعات انتاجية .

كما يوجد فى الوادى الجديد ٧٤٧ فدانا مزارع نخيل مثمرة تماما منذ ١٠ سنوات ، تخسر فيها الدولة ٢٥,٤٠٠ جنيه سنويا وقد وافق السيد الدكتور وزير الزراعة على بيعها فى المزاد العلنى وعندما أتكلم عن اسلوب ادارة الارض لا استطيع أن اجرح أحدا لاننى مسئول ولكننى اريد أن أقول شيئا واحدا ، نحن نرى الان ان المصاريف الادارية للفدان الواحد وصلت فى الواحة البحرية ١٢٠ جنيها ، فهل يستمر العمل بهذا الاسلوب ؟

ان العملية تحتاج الى شجاعة فى مواجهة هذا الواقع ، ويجب أن نتخلص من الجمود فالادارة غير اقتصادية ٪ وقد آن الاوان لتوسيع فرص الملكية لافراد الشعب وقد أوضح المهندس هلال ان الاجور فى تعمير الصحارى وصلت نسبتها فى بعض المناطق الى ٢١٧ فى المائة من الاستثمارات المتاحة ونتج عن هذا ان نشاط قطاع الزراعة فى الجهاز الصحراوى بلغ ٧٥ فى المائة من أنشطة الجهاز ونتيجة لهذا توقفت مشروعات التوسع الافقى وتوقفت مشروعات استصلاح الاراضى ومشروعات التنمية وكذلك أثار السيد رئيس اللجنة الفرعية انه من ضمن المعوقات

الاساسية [الاستكمالات] . وفى الخطة الخمسية القادمة قدرنا احتياجاتنا بمبلغ ٧ر٧٣ مليون جنيه والاستكمالات بمبلغ ٤٢ مليون جنيه ، ففى الخطة الخمسية القادمة نريد ٧ر٧٣ مليون جنيه ، الاستزراع وحده يحتاج الى ٦٥ مليون جنيه واذا بقى الحال كما هو عليه فالمطلوب من الدولة تدبير مبلغ ٧٣ مليون جنيه للهيئة ، ٦٥ مليون جنيه للاستزراع . واننى أشك فى أن الدولة يمكن أن تعطينا هذه المبالغ كما قال المهندس لبيب عنبة ان المشروعات لم تكن مدروسة وانا اريد أن أقول لكم نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا .. فى الواقع أن من الارض المستصلحة ١٣٠ ألف فدان قام بتصميمها الايطاليون و ٤٠ الفا قام بتصميمها اليوغسلاف ومنها ١٠٠٠٠ فدان ، ٣٠٠٠٠٠ فدان قام بتصميمها الروس بل ودخلت الامم المتحدة فى العملية واننى أقول والساده الوزراء موجودين ان العامل البشرى واسلوب الادارة هو الاحساس فى كل هذا . ولقد سلمنا لشركة الكروم ١١٢٠٠ فدان فى سنة واحدة تحولوا الى زراعة مسبديمه ، أنا آسف أن أقول هذا الكلام ، وبالنسبة لما انفقته الهيئة أحب ان اقول اننا أنفقنا مبلغ ٢٩٢ مليون جنيه بما فيها الاستكمالات الباقية وانا لم أضف لهذا الاستزراع لمدة ١٠ سنوات - متوسط الفدان للاستثمارات التى أنفقت على جميع مشروعات استصلاح الاراضى تتراوح بين استصلاح وتعمير ٣٩٦ جنيها أعمال خدمات كما قال السيد رئيس مؤسسة الاستزراع لا تخص الاستزراع والاستصلاح ١٣١ جنيها ، أى ٥٠ فى المائة من استثمار الاستصلاح والتعمير ، جملة المبلغ على متوسط ٦٨٢ الف فدان استصلحت بمعرفة الهيئة العامة للتعمير والمشروعات الزراعية ٤٢٦ جنيها ، ولو أردت أن أقول المتوسطات فى جميع المناطق من كوم امبو الى الاسكندرية عندى هذه المتوسطات وما يتطلبه الفدان من تسوية ورى وكهرباء واسكان وطرق فى جميع المشروعات التى نفذتها وزارة الزراعة واستصلاح الاراضى ، الاستزراع فى ٥ سنوات يتكلف ٢٩٢ جنيها ، وهذا يبين فى الغالب حجم المبالغ الضخمة التى تصرف على الاستزراع - واريد أن اقول وموجود معنا اخواننا العاملين بوزارة الرى أن الدولة تنفق ٣٠ مليون جنيه على توفير كل مليار متر مكعب من الماء طبقا لاخر التكاليف - واليوم استنفذ جميع مياه السد العالى دون أن نزيد فدانا واحدا من الرقعة المستصلحة ... لاننا عملنا فى جميع الاراضى بما فيها الصحارى والاراضى على المياه الجوفية والمياه السطحية ٩١٢ الف فدان بينما استقطع ٦٠٠٠ الف فدان لمشروعات المنفعة العامة ، والتصنيع والخدمات والمرافق والطرق من أجود الاراضى المصرية وكان مدبرا أعلى حصة مياه قبل انشاء السد العالى سنة ١٩٥٩ مياه لـ ٣٧٥ الف فدان ، اذن ٦٠٠ الف فدان لم تأخذ مياه وأنا مدير ٣٧٥ الف فدان قبل عام ٥٩ واليوم قمت باصلاح ٩١٢ الف فدان رغم انهم غير مزروعين كلهم بل مزروع منهم ٥١٩٠٠٠ فدان فقط ومع ذلك أخذنا جميع مياه السد العالى دون ان نضيف فدانا واحدا الى الارض المستصلحة وهذا الكلام انا مسئول عنه أمام المجلس ويجب ان نعيد تقييم ودراسة الموقف من جديد بالكامل والا ستكون النهاية غير موفقة وأنا آسف لاطالتى فى الحديث معكم ولكن فى الواقع أردت أن أقول ان القضية امام مجلس الشعب يجب أن تكون قضية مختلفة عن مناقشتها فى أى مكان آخر لاننا هنا مسئولون عن كل رقم نقوله وكل حقيقة نذكرها والسلام عليكم ورحمة الله .

● رئيس اللجنة

سأقول تعليقا بسيطا على ما قاله السيد الفاضل المهندس عبد العظيم ابو العطا نحن هنا نرحب بالنقد لاننا من عشاق الحرية ، ومن المؤمنين بالديمقراطية انما التقرير الذى تلاه السيد رئيس اللجنة الفرعية لاستصلاح الاراضى لم يكن تقريرا بمعنى التقرير لان لجنة الزراعة حينما تتقدم بتقرير فانه يكون تقريرا مدعما بالارقام ويشهد بذلك مجلس الوزراء ويمثله هنا السيد الدكتور وزير الزراعة . ان كل التقارير التى خرجت من لجنة الزراعة كان مجلس الوزراء مجتمعا يوجه الشكر للجنة الزراعة للدراسات العميقة التى تقوم بها .

ان التقرير لم يكن مكتبيا بل أمامى كل هذه الدوسيهات وبها تقارير الدراسات الميدانية التى قام بها نواب الشعب ، وسهروا الليالى فى اعدادها وبها زيارات لكافة قطاعات المؤسسة ، وهذه الجلسة لم نعقدها أساسا لنوجه النقد الى احد لاننا اذا فتحنا باب النقد نسيكون نقدا مقذعا بل ستنتهى الجلسة بتقديم بعض كبار المسئولين للمحاكمة عن التخريب وعدم التخطيط فى سياسة استصلاح الاراضى فى مصر .. وكل العلماء وكل الفنيين بل وكل الشعب يوجهون أشد النقد وأمره لهذا القطاع .. فهناك ملايين الجنيهات من دماء هذا الشعب انفقت ولا عائد منها للان من هذه الاراضى . ان ما قدمه الاخ لبيب عنبه هو ورقة عمل ، انما التقرير فقد رفضنا كتابته رغم أن لدينا من المعلومات الغزيرة المؤيدة بالارقام تحت يدنا ، انما أردنا قبل أن تتقدم لجنة الزراعة والرى الى مجلس الشعب بتقريرها طبقا للسنة المالية التى استثنتها لجنة الزراعة أن نجتمع بأهل الرأى وأهل الخبرة

والعلماء لينيروا لنا الطريق حتى يخرج التقرير وافيا مدعما . كما اننى أرى أن كلام الاخ أبو العطا يناقض بعضه فهو يقول كان هناك تخطيطا كيف وانت تقول ان هناك ظروفا سياسيه لعبت بهذا القطاع وقضيه الارض الجديدة ومستقبلها ، وليست هذه هى المرة الاولى التى تناقش فيها بل نوقشت على اعلى المستويات فى خطاب **الرئيس جمال عبد الناصر** سنة ٧٠ أمام المؤتمر القومى العام حينما وضع تصوراته عن مستقبل الارض الجديدة فى مصر وقال نعمل كذا وكذا ، وهذا الخطاب تحت يد اللجنه ولكن العوامل السياسية ، وانا لا اريد ان أحرج استاذى **الدكتور بكر** ليقول لكم كيف ان مراكز القوى ضربت عرض الحائط بكلام **عبد الناصر** فى المؤتمر القومى العام واحالت الموضوع الى اللجنة المركزية لتضعه فى يد فلاح بسيط ملم بالقراءة والكتابة ، ليضع تقريرا عن مستقبل الارض الجديدة وطلب منه وبالامر أن يدفن هذا التقرير وان يدفن خطاب **عبد الناصر** لان **عبد الناصر** كان رأيه أن يوزع جزءا ويبقى جزءا آخر يمتلك وجزء وجزء ..

● عطا سليم

بسم الله الرحمن الرحيم ، السيد رئيس اللجنة ، السيد وزير الزراعة واستصلاح الاراضى ، السادة الضيوف اخوانى ..

انها لمناسبة طيبة أن نتحدث اليوم ونناقش بعضنا البعض من أجل مستقبل الارض الجديدة وكما قال السيد رئيس اللجنة اننا ناقشنا موضوع مستقبل الارض الجديدة عدة مرات وكم سمعنا ومن القائمين والعاملين فى هذا الحقل من دفاعات واهية اذا كان هناك تخطيط ودراسة علمية لهذا الموضوع ، فكيف نجد أن الارض المستصلحة التى تحت يد المؤسسة نتيجتها الفشل ؟ .

وان الشعب يسأل اليوم عن امواله التى تبلغ حوالى ٧٤٠ مليون جنيه وصرفت داخل هذا القطاع ومن المسئول عن تدهور الارض فى هذه المنطقة ، واننى اذكر الاخ الدكتور محمد بكر أنه وهو وزير لاستصلاح الاراضى قلت له فى الجلسة والمضبطة موجودة تثبت هذا الكلام قلت له يا سيادة الوزير انت راجل انسان وطيب وتعتقد ان كل من حولك اخلاقهم مثلك وأنت فى الواقع انما تسير فى طريق البغلة .. وسألنى اعضاء المجلس ما هو طريق البغلة ؟

قلت ان المسئولين عن التنفيذ يزرعون الواجهة ويغمرون الاراضى بالماء حتى لا يمكن للوزير الوصول الى عمق الارض وتبين الحقيقة .

لقد تبين ان الارض التى وزعت على الفلاحين فى اسكندرية نجحوا فى استزراعها وهناك حوالى ٣٥٠ اسره هجروا ولم يكن لديهم امكانيات ورغم المرارة التى قاسوها من القطاع وانهم لا يحصلون على ما يلزمهم من الماء الا بعد أن يروى القطاع ولا يستخدمون الالات الا بعد القطاع كمالاتصرف لهم الاسمدة والبذور الا بعد أن يستوفى القطاع احتياجاته ، ورغم ذلك حققوا نجاحا كبيرا جدا . والارض اليوم مربوطة عليهم بـ ٢٨ جنيها للفدان مثل أحسن ارض جديدة . ان الارقام التى ذكرها المسئولون فى بعض المناطق تبين أن المصاريف الادارية تصل الى ١٢٠ جنيها للفدان ، اى اننا لو زرعنا ذهبا فانه لن يسدد هذه التكاليف — فما هو الحل ؟ اننى شخصيا اقترح ان نوقف الاتساع الافقى الى أن يتم النهوض بالارض القديمة الى اقصى حدية ممكنة عن طريق تحسين وسائل الرى والصرف ووسائل تحسين التربة وهذا لن يتكلف سوى مبالغ ضئيلة للفدان وستغطى هذه المصاريف من عائد زيادة انتاج الفدان فى ظرف سنة أو سنتين على الاكثر . ان الثغرة المفتوحة لمال الشعب لابد ان توضع لها حدا لنعرف اين تذهب أموالنا لان الدولة هى الشعب والشعب هو الدولة والحكومة هى الشعب والشعب هو الحكومة لذلك يجب أن نحاسب بعضنا البعض ونقيم الاوضاع واننى اقترح انه طالما أن التجربة اثبتت ان الارض التى مع الفلاحين هى الاكسب فقد آن الاوان أن نتصرف بالبيع فى كل الاراضى التى بلغت الحدية بمساحات تتراوح بين ٥ ، ٢٠ فدانا والمناخ مناسب الان وفى الماضى كان لا أحد يجرؤ على الشراء خوفا من ضياع اموالهم وخوفا أيضا من الظروف السائدة التى نحن نعرفها واليوم أمان بعد ان أمن الزعيم كل مصرى على يومه وغده أصبح كل فرد يمكنه أن يشترى اليوم وأى ارض تعرض تباع رغم وجود المغالاة فى أثمان البيع لانهم يريدون استثمار اموالهم ، ولو بعنا الارض التى بلغت الحدية من ٥ : ٣٠ فدانا ، ونستقطع جزءا واحدا بسيطا تجرى فيه الدولة التجارب والابحاث مثل الشتلات واستنباط بذور وما الى ذلك من عمليات تجارب . اما موضوع الشركات انا شخصيا اعارضه بشدة واقول آن الاوان أن نبيع الارض وبأثمان مناسبة لا نغالى فيها وفى رأيى لو أن الفلاحين أخذوا هذه الارض بدون مقابل سينتجون منها والدولة ملزمة بتوفير الغذاء والكساء لهؤلاء الناس وهذا افضل من أن القطاع يأخذ منى ٧٠٠ مليون جنيه ولا نعرف آخر اليوم اين ذهبوا

ـ والاستاذ الذى قال ان قطاع خدمات الاسكان والرى والمشاريع الصناعية .. الخ لا تدخل فى موضوع الاستصلاح ان هذا الشىء لزوم الشىء واطالب بما يلى :

اولا : بيع جميع الاراضى التى بلغت الحدية سواء متناثرة او متكاملة فى حدود من ٥ : ٢٠ فدانا بأثمان مناسبة غير مغال فيها وبالتقسيط الطويل المريح للفلاحين .

ثانيا : نقطة المياه التى اثارها الاستاذ بأن مياه السد العالى غير كافية للاراضى الجديدة واقول لا ان مياه السد العالى اسىء استغلالها لاننا لو وفرنا ١٠ فى المائة نستطيع ان نستصلح حوالى ٢ مليون فدان جديد وهناك ٤٠ فى المائة من المياه مستهلكة فان الاوان اننا امام كهربة الريف يجب أن نجعل الرى كله بالرفع ، ونحاول منع رى الراحة ونحول الرى كله بالرفع مع احكام عمليات الرى والصرف ستتوفر لدى كميات مياه تحسن بها التربة من ناحيه وتتوفر مياه لرى الارض الجديدة من ناحية أخرى ، وبالنسبة للتخطيط ، الارض الجديدة فى الصعيد أثرت تأثيرا سيئا على الارض القديمة اذ ان ذلك لم يراع فى تخطيط الارض الجديدة اذ يجب ان يسير الرى مع الصرف جنبا الى جنب .

اما بالنسبة للتعاونيات التى أشار اليها السيد لبيب عنبة انه عندما نبيع الارض من ٥ الى ٢٠ فدانا ، يمكن أن تباع على نظام دورة ، ويمكن للمنتفعين انشاء جمعيات تعاونية لخدمتهم .

ان الفلاح اذا لم يشعر بانه المالك الفعلى للارض فلا يجد فى العمل للحصول على دخل اوفر . أما عن موضوع الساحل الشمالى فانا أؤيد توصية اللجنة الفرعية بتطبيق القانون ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ فى هذه المنطقة لاستقرار أهالى الساحل الشمالى وشكرا .

● الدكتور هلال خطاب

السيد رئيس اللجنة ، السادة الوزراء استميحكم اذا اطلت لان بعض ما سمعته اليوم صدمنى صدمة عنيفة وآلمنى أشد الالم ، لاننا فى خلال شهرى ديسمبر ويناير كنا مع الاستاذ الدكتور مصطفى الجبلى وبعض الزملاء فى بعض الدول العربية وكنا فى خلال اقامتنا لا نخر لنا الا ما تحقق فى أراضى الاستصلاح فى مصر ، وكان مصدر فخرنا هو تغلب الذين يشتغلون فى هذه المناطق على الظروف السيئة المحيطة بهم ، وأعطانا هذا ايمانا بوجود خبرة فنيه ويمكن أن تحول العالم العربى الى أرض خضراء . ولكن فى هذه الجلسة وجدت أننا لازلنا نعيش على ان الزراعه للهواه من الذين لا يحترفون الزراعة ، ولكنهم يهوون الكلام فى الزراعه كانت هذه هى محنتنا قبل ٦ اكتوبر واليوم هذه حريه هناك ... تقوم على العلم والايمان ، وعلى ذلك يجب على من [illegible] تفاصيلها .

ان الاراضى المستصلحة فى مصر ليست بدعة بل هى جزء من مشكلة مصر الزراعية ، أننا سنواجه فى المستقبل ، وقبل نهاية هذا القرن فان تعدادنا سيبلغ ٧٠ مليون نسمه فلابد ان تكون الزراعة موجوده ومن ثم فلا يمكن التصرف فى الاراضى الزراعيه بالبيع ويجب ان تكون الاراضى الزراعيه للمصريين ويستثمرونها بالطرق الفنيه والعلمية الصحيحة وعلى ذلك كان من الغريب ان يقول احد المسئولين عن تخطيط المشروعات الزراعيه انه لا سبيل لحل هذه المشكلة الا ببيع تلك الاراضى ، ومع احترامى الشديد لكل من يوافق على هذا الراى فاننى أعارض هذا الاتجاه ، فموضوع ملكية الاراضى فى مصر لابد من اعادة النظر فيها ولابد الا تقوم المشروعات على آراء فردية بل يجب أن تكون مسبقه بدراسات علمية تفصيلية وانى أعلم بعد ان اتيح لى المرور على معظم أراضى الاستزراع بحكم المشاكل فى هذا القطاع وفى رأيى ان المشكلة الرئيسيه ان السياسة العالمية فى الزراعة تقوم على مبدا المزارع المتخصصة المركزه برؤوس أموال واستثمارات كبيرة ، بحيث يمكن أن تتميز المزارع بنوع معين من الانتاج وهذا ما لم يتحقق سواء فى اراضى الوادى أو فى اراضى الاستصلاح وسبب ذلك بالنسبة للاراضى الجديدة نقص الاستثمارات التى هى العامل المحدد فى هذا الموضوع فمثلا فى وقت من الاوقات استوردنا آلات جديدة لم يكن لدينا القادرين على تشغيلها وضاعت بذلك ملايين الجنيهات التى صرفت على استيرادها وحدث ذلك وقت أن كانت هناك مراكز قوى كما قال السيد رئيس اللجنه وكلنا يعلم هذه المأساة ولكن ونحن فى هذا الوقت لا يجوز ان ينفرد انسان برأى فى تحديد مستقبل الاراضى الزراعية المصرية بل يجب فى رأيى وقد اكون مخطئا ان تكون الاراضى الجديده مراكز لانتاج اللحوم والدواجن بصورة مركزه وأن تكون محاصيل الاعلاف هى المحاصيل الرئيسية فيها وهو ما لم يتم ، فقد كان موجودا العلف فى بعض مناطق الاستزراع دون أن تكون هناك حيوانات هذا فى الوقت الذى تعانى فيه مؤسسة اللحوم من عدم وجود أراض لزراعتها أعلاف ، ولقد حدث هذا لعدم وجود تصور متكامل

للمشروعات ، وهذا ما أطالبه السادة المسئولين . نحن نريد ان نرتقي بالقرية الى المستوى الحضارى المناسب ، نريد تكاملا صناعيا زراعيا ، نريد خطة صناعية لنقل بعض المصانع الموجودة فى الاماكن القريبة من المدن التى تدار من شارع سليمان [باشا] الى هذه المناطق ، حتى تجتذب القوى العاملة من المناطق المزدحمة بالسكان الى المناطق الجديدة . نقطة اخرى اننا نريد جمعيات تعاونيه للانتاج فالموجود جمعيات تعاونية مجمدات .

كما انه لا يوجد لدينا اتجاه لتنظيم الصادرات لقد فوجئت فى الاسبوع الماضى بما هو منشور فى جريده اخبار اليوم أن شركات أجنبية عربية ستقوم بتنفيذ المشروعات فى اراضى الاستزراع فى مريوط وبورسعيد واننى ارجو السيد رئيس اللجنة ان تكون تفاصيل المشروعات تحت رقابة هذا المجلس ، فقد فوجئنا بأن شركة [اف . ام . سى .] وهى التى قامت بتنفيذ نظام الرى بالرش وبعد فترة تبين أن هذا النظام غير صالح لان [البشابير] تسرق وهذه الشركة قامت أيضا بتوريد آلات تعبئة وتجهيز الموالح للتصدير ، وانى اتساءل ما الذى ستفعله هذه الشركة بينما سيكون لدينا خلال الاربع سنوات القادمة حوالى ٦٨ الفا من خريجى الزراعة والمعاهد التعاونية سوف يبحثون عن عمل وكل مهمتنا أن نوظفهم عن طريق القوى العاملة ، فاذا كانت الشركات ستأتى لكى تساهم فى عمليات التنمية فى مصر فلتكن مساهمتها فى ميناء الاسكندرية وبورسعيد فقط ، **اما داخل مصر فيجب ان يقوم بالتنمية مصريون ، اننى أرى أن قيام الاجانب بالزراعة فيه عدم ثقة فى الفنيين المصريين القائمين على الزراعة وأرى انه يمكننا أن ندبر التدريب اللازم للخريجين الجدد ، وبذلك نظل محتفظين باراضينا لمستقبلنا .**

وبالنسبة لما أشار اليه أحد السادة المتحدثين بأن تكون اقتصاديات الزراعة على اساس المياه المتوفرة فهذا كلام قديم فلقد أصبحت النظرة الجديدة لخبراء الزراعة على أساس الطاقة الشمسية اى زراعة المحصول الذى يستجيب للطاقة الشمسية بطريقة عالية . انا نهمل زراعة الذرة الشامية التى تستجيب للطاقة الشمسية بطريقة عالية وتعطى النشا ، وكذلك الموز والافوكادو وغيرها من المحاصيل التى تستجيب للطاقة الشمسية الكبيرة المتوفرة فى بلدنا .

ان الزراعة ليست عاملا واحدا محددا للانتاج ، بل هى خليط من عوامل متعددة جوية وأرضية ومائية واصناف زراعية ثم تراكيب محصولية اقتصادية ان مشكلتنا اننا فكرنا فى التصدير عن طريق الاراضى المستصلحة واننى أتساءل لماذا لا نفكر فى التصدير عن طريق الاراضى القديمه ونجعل الاراضى الجديدة مزارع متخصصة للانتاج الحيوانى ؟

ان العالم يعانى من التزايد المستمر فى السكان وهناك تنافس بين القمح والبرسيم فى الدورة الزراعية المصرية ، وسبق لى أن قلت فى هذه القاعة اننا اما أن نزرع الارض برسيما أو نزرعها قمحا وسنضطر عام ٢٠٠٠ حينما يصبح عدد السكان ٧٠ مليونا ألا نزرع البرسيم فى أراضى الوادى وانى أحذر من الان والدليل على هذا الارتفاع الشديد فى الاسعار العالمية للقمح والارز الذى نتج عنه أن زراعة المحاصيل التقليدية التى كانت غير مربحة تدر ربحا عاليا ، وعلى ذلك فاننى أدعو مخلصا أن تكون الخطة الزراعية واضحة مرتبطة بالتخطيط الصناعى ، وان تكون خطة خالصة . اما اعتمادنا على الشركات الاجنبية فى تحقيق التنمية فاننى أرفض هذا الوضع واذا كان ينقصنا التعليم الزراعى المناسب والتدريب فانه بقليل جدا من المال يمكن علاج هذه المشاكل وأشكركم .

● محمد أبو الفضل الجيزاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس اللجنة ، السادة الحاضرون ؛ سأوجز كلامى فى نقطتين رئيسيتين :

النقطة الاولى : التخطيط واذا تكلمنا عن التخطيط فيجب أن نتطرق الى الكلام عن الخطة العامة للدولة .

اننا عندما نبدأ فى استصلاح أرض فانه يثور سؤال أين نستصلحها ؟ أفى شمال الدلتا أم فى مديرية التحرير أم فى الوادى الجديد أم فى وادى النطرون أو أى مكان آخر ؟ وهنا يجب علينا أن نلاحظ أن الخطة الاقتصادية لا تنفصل عن الاستراتيجية العامة للدولة ، بمعنى ان الخطة الاقتصادية مرتبطة بالخطط العسكرية والسياسية والاجتماعية من ناحية فنية وهى استصلاح الاراضى ، ولكن فى الواقع قد تتطلب الخطة العسكرية أن نستصلح أرض سيناء قبل أرض مديرية التحرير أو غيرها ، أيها الاخوة لنذكر سيناء ولنذكر مرة أخرى سيناء ولنذكر مرة ثالثة سيناء وهنا يبرز سؤال هام : هل نبدأ الاستصلاح فى سيناء ؟ ربما يتكلف هذا كثير من المال ولكن هل ممكن ترك هذه الاراضى دون استصلاح مهددة باحتلال الاعداء فى أى وقت من الاوقات ؟ هنا الرد على السؤال الذى ابتدأت به حديثى وهو أنه عند .

التخطيط الاقتصادى لاستصلاح الاراضى يجب مراعاة الخطة العامة ، ففى مثل هذه الحاله نجد ان العسكريين مطالبون بأسبقية استصلاح الاراضى فى سيناء وارجو أن يكون هذا محل الاعتبار من المسئولين عن استصلاح الاراضى وأن تدخل خططهم الاقتصادية ضمن الخطة العامة للدولة وهذه مسئولية مجلس الوزراء مجتمعا وأجهزة التخطيط العليا التى تشكل الان .

النقطة الثانية : الشركات الاجنبية اننا نعلم جميعا ان مساحة الاراضى الزراعية فى مصر حوالى ٦ ملايين فدان ، فاذا كان متوسط ثمن الفدان الواحد حوالى ٥٠٠ جنيه فيكون ثمن كل الاراضى الزراعية المصرية حوالى ٣٠٠٠ مليون جنيه ، كما نعلم جميعا ان دخل الدول العربية المنتجة للبترول يفوق الخيال فمثلا يبلغ دخل المملكة العربية السعودية حوالى ٢٥٠٠٠ مليون دولار سنويا والجمهورية العربية الليبية ١٢٠٠٠ مليون دولار سنويا فاذا تكونت شركة سعودية وليبية فيمكنها شراء كل اراضى مصر الزراعية . **اننا نرفض رفضا باتا ان تتملك شركات غير مصريه الاراضى الزراعيه المصرية ويجب أن تبقى ارض مصر للمصريين واذا اريد اشراك الشركات الاجنبية فى عمليات التنمية فى بلدنا فليكن للاستشارة فقط فنحن لدينا الكثير الكافى من المهندسين والخبراء واذا أردنا الاستعانة بالخبرة الاجنبية فلا مانع من هذا أما تملك الاجانب للاراضى المصرية فهذا هو ما نرفضه وشكرا .**

● **المهندس فؤاد على**

السيد رئيس اللجنة السادة الزملاء .. ان موضوع مستقبل الاراضى الجديدة موضوع مزمن فمنذ انشاء مديرية التحرير سنة ١٩٥٤ ، ونحن نتحدث فى هذا الموضوع ويجب علينا أن نضع حدا له هذا العام ، ولقد لاحظت ان الجميع يهاجمون استصلاح الاراضى على اساس أنه صرف عليه الكثير جدا من المال . ولكن الحقيقة ان مجموع ما صرف على استصلاح الاراضى حوالى ٣٫٢ مليون جنيه لاستصلاح ٧٠٠٠٠ فدان وهذا يعنى ان الفدان تكلف لاستصلاحه ٥٦٢ جنيها فقط وهذا مبلغ زهيد بالقياس لاستصلاح الاراضى فى أى دولة أخرى ، ويجب علينا الا ننكر الجهود التى بذلتها الدولة والقائمين على استصلاح الاراضى منذ عام ١٩٥٢ حتى الان . يجب علينا الا نطرح كل هذا جانبا ونقول ان هناك نقصا فى الانتاج ، فنقص الانتاج هذا يرجع فى حقيقة الامر الى عدم توفير الاستثمارات الكافية لهذا القطاع ، فعند انشاء مديرية التحرير كانت هناك الامكانيات المادية الكافيه ، فكان استصلاح الارض يتم على أحسن وجه وكانت مزارعها صناعيه وهى التى نطالب بها حاليا ، وعندما زادت مشاكل البلد انعكس هذا على الارض الجديده فلم توفر لها الاستثمارات الكافية ، هذا بالاضافة الى سوء التخطيط الذى كان من اهم عوامل الفشل فى العمليات الزراعيه فى الارض الجديدة . فمثلا لم يضع المهندسون القائمون على الاستصلاح فى اعتبارهم انشاء المصارف اللازمه واحتياجات الارض من المياه فترتب على هذا ظهور مشكلتى الرى والصرف فى هذه الاراضى ، وكان من المفروض على الدولة عمل لجان على مستوى عال جدا لوضع خطة محددة الاهداف لمدة ١٠ سنوات تناقش على المستويات النقابية والشعبية وبذلك كان ممكنا تفادى ظهور مثل هذه المشاكل التى يمكن اجمالها فى الاتى :

١ ـ كان الاتجاه فى الدولة هو التوسع فى مساحة الارض المستصلحة بأى طريقة . ولقد طلب منا فى احد الاعوام استصلاح ١٥٠ الف فدان بينما لم يراع ان الامكانيات المتاحة تقصر عن الوفاء بهذا الطلب ، وفى العام التالى اعطت الحكومه بعض الاراضى للشركات الأجنبية مثل شركه [ايتالى كونسلت] وغير [التى كانت وبالا على استصلاح الاراضى ، وعندما اثبتت هذه الشركات فشلا فى عملها تم انشاء ست شركات لاستصلاح الاراضى ، وكان يجب الاكتفاء بشركة او شركتين فقط لانه لم يكن عندها الامكانيات المادية والادارية والفنية الكافية ، وادى هذا الى خسارة بعض الشركات مما جعلها تستعجل اتمام بعض العمليات ، وبالتالى لم تقم بعملها كما يجب ، وهذا أمر كان من شانه تبادل الاتهامات بين مؤسسة الاستزراع وهذه الشركات فالشركات تتهم المؤسسة بأنها لا تبدأ فى استزراع الارض المستصلحة والمؤسسة تتهم الشركات بان الارض التى تريد تسليمها اليها غير تامة التسوية ، ولهذا رؤى أن تقوم الشركات باستزراع الاراضى التى تستصلحها لمدة عامين ، وكان من باب اولى ان تضم هذه الشركات الى مؤسسة استزراع الاراضى حتى تقوم بكل العمل .

٢ ـ ان الالات كانت تستورد من بلاد كثيرة شرقية وغربية الامر الذى ادى الى نقص فى الفنيين اللازمين لتشغيل كل هذه الانواع من الالات .

٣ ـ عدم توفر المساكن والخدمات الاجتماعية للقائمين على عمليات الاستصلاح الامر الذى حدا

بهم الى ترك هذا المجال الى جهات فقدوا فيها ما اكتسبوا من خبرات خلال عملهم .

٤ ـ عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب اذ تدخلت الاغراض والميول فى هذا المجال فاهملت بعض الكفاءات ذات الخبرات وأصبح لا عمل لها .

٥ ـ كان من ضمن سوء التخطيط حالة الصرف التى نعانى منها الان ، فعند استصلاح الاراضى فى المصنع الشمالى من مديرية التحرير طالبنا مرارا بانشاء المصارف قبل البدء فى الاستزراع ، ولكن هذا لم يتم وكان نتيجته ان كثيرا من اراضى هذا القطاع ارتفع مستوى الماء فيها وتدهور انتاجها .

٦ ـ عدم وجود سياسة زراعية ثابتة ، وذلك لتغيير المسئولين عنها فكان كل منهم يلغى أو يغير ما بداه سلفه ، أو يبدأ فى مشاريع جديدة، وقد ادى عدم الاستقرار هذا الى تعطيل تنفيذ المشاريع .

٧ ـ زيادة المصاريف الادارية نتيجة لالحاق غير المتخصصين بالعمل وقد ادى هذا الى ارتفاع ما يتحمله الفدان من المصاريف الادارية الى ٥٠ ـ ٦٠ جنيها .

وبعد استعراض كل هذه الامور كيف يمكن ان نلوم القائمين على استصلاح الاراضى ؟ وهذا يتطرق بنا الى الحديث عن الاسلوب الامثل لاستغلال الأرض الجديدة .

ان ما ذكره بعض السادة المتحدثين حلا لهذه المشكلة كتأجير الارض أو تمليكها لصغار الفلاحين لا يحدث فى أية دولة من الدول خصوصا فى الاراضى التى صرف على الفدان فيها ٥٠٠ ـ ٦٠٠ جنيه . اننى أرى الحل الامثل فى انشاء شركات كبيرة حيازتها لا تقل عن ٥٠ ـ ١٠٠ الف فدان وتستأجر هذه الاراضى لمدة محددة وتكون القرارات فيها لرئاستها لضمان سرعة تنفيذها ولعدم تكرار الوظائف وتبسيط الاجراءات وحرية الحركة بالنسبة للعمالة والمعدات الموجودة واستخدامها بطريقة اقتصادية سليمة كما يمكن استخدام كافة الطاقات المتاحة من فنيين ومنفذين على ان يختاروا على مستوى عال من الكفاءة والعلم والخبرة . ويتفق هذا مع التكامل الزراعى والصناعى الذى يجب ان تنشأ على اساسه هذه الشركات التى أفضل أن تكون برؤوس أموال عربية مصرية أو أن تدخل الحكومة مساهمة فيها بمقدار ٥١ فى المائة والباقى اما اموال عربية أو أجنبية على ان يعطى لهذه الشركات وحق استغلال الارض لمدة ٢٠ أو ٣٠ سنة بعدها يمكن للحكومة أن تتصرف فى الارض حسبما تراه وشكرا .

● شكرى ايوب

اتقدم بوافر الشكر للسيد رئيس اللجنة الذى اتاح لى فرصة حضور هذا الاجتماع لنستعرض سويا أكبر المشاكل الزراعية الحالية وكما تفضل سيادته ، وكما تفضل كثير ممن تحدثوا أقول انه لاداعى اطلاقا للحساسيات فاننا لا نهاجم بعضنا بعضا ولكن نريد ان نصل من تجربة الماضى المريرة فى قطاع استزراع الاراضى الى نتيجة تبشر بالامل المشرق .

ان التقرير الذى عرضه السيد المهندس لبيب عنبة تقرير فى ايجازه كثير من البلاغة ، فقد عالج النقط الرئيسية ، ولم يدخل فى التفاصيل ، واريد ان أضيف نقطتين على ما جاء به وان كانت إحداهما قد الم بها الماما السيد عطا سليم فى كلمته وهى ان بعض الارض تم استصلاحها على حساب الاراضى القديمة المجاورة لها ، ولدى كثير من الامثلة على ذلك فعندما تم استصلاح ٣٥٥٠٠ فدان فى وادى شعيط والعطمور وشرق كوم امبو لينتقل اليها المهجرون من أرض النوبة اثرت تأثيرا ضارا على الأراضى الواقعة بينها وبين نهر النيل فى كوم أمبو ، وتبلغ مساحتها ٤١٣٠٠ فدان مزروعة قصبا والارقام موجودة ويمكن الرجوع اليها بسهولة ، فقد تدهور المحصول فى هذه المساحة من ٤٥ طنا للفدان قبل استزراع الارض الجديدة للنوبيين المهجرين الى ٢٥ طنا للفدان بعد الاستزراع ، واذا سرنا شمالا الى الارض التى استصلحت فى وادى عبادى ووادى الرديسية التى تبلغ مساحتها ١٢٦٠٠ فدان ، نجد انها أثرت نفس التأثير الضار على الاراضى القديمة المجاورة لها فهبط انتاجها من كل المحاصيل الزراعية التى تزرع بها ، وتبلغ جملة المساحة التى أضيرت ١٢٦٠٠ فدان ، واذا انتقلنا لغرب النيل فقد استصلحت اراض فى مركز اسنا وحدث للاراضى القديمة المجاورة لها نفس الشىء . وكذلك الامر بالنسبة للاراضى التى استصلحت فى سمالوط والمنيا وغيرها . اما بالنسبة لاراضى الوجه البحرى فقد ورد فى الخطة استصلاح اراضى الصالحية وسهل بور سعيد والارض التى أكد عليها السيد محمد ابو الفضل الجيزاوى ، وهى أرض سيناء ، وكان قد بدىء فى توسيع ترعة الإسماعيلية لزيادة تصريفها لهذا الغرض ، وكان ذلك قبل النكسة ، وبدا المقاولون العرب هذا العمل ولم يستكمل

للان ، وبالرغم من ذلك فقد ادى الى تدهور شديد للاراضي الواقعة على جانبى ترعة الاسماعيلية من المآخذ عند شبرا وحتى الاسماعيلية ولدى وزارة الزراعة بيان بهذه الاراضى التى أصبحت كلها غرقى ، فتلفت الحدائق وتدهور محصول كل هذه الاراضى واصبحت غير صالحة للزراعة فى كثير من المناطق بل أكثر من هذا فان قرى بأكملها أخرى هدمت بسبب الرشح . وانتقل الفلاحون الى اماكن اخرى ، وقد شاهد كثير من الاخوة الزملاء الذين يشاركوننا الحضور اليوم .. حدث كل هذا على جانبى ترعة الاسماعيلية ، ونحن لم نبدأ بعد فى زراعة ٥٠ الف فدان من أراضى الصالحية وسهل بورسعيد وما ينتظر ان يمر من تحت قناة السويس من مياه لاستصلاح بعض الاراضى فى سيناء ويعنى ذلك كله ان الخطة كانت غير سليمة كما جاء فى تقرير اللجنة الفرعية ولا نريد ان ندخل فى متاهات لتحديد المسئولية فان هذا لن يوصلنا الى شىء ولكن العبرة كل العبرة الا يتكرر هذا فانها مأساة مريرة كما ذكرت فى أول كلامى . اننا نريد أن تكون الخطة متكاملة ، وياليت المصارف تنشأ قبل البدء فى الرى ، فانها مأساة تكاد تقضى على كل الزراعات فى الوجه البحرى .

النقطة التالية هى المقننات المائية وربطها بالتوسع الزراعى الجديد . ان الاراضى التى نريد استصلاحها لابد ان يحدد لها المحاصيل والهدف فهل سنستمر على زراعة المحاصيل التقليدية القصب فى الجنوب والقطن والارز فى الشمال أم ان هناك تطورا فى سياستنا التصديرية والانتاجية ، وما يرتبط بها من التصنيع والتصدير ؟

ان فدان القصب يحتاج لريه الى ١٨ الف متر مكعب ، والحقيقة ان الفلاح يستخدم أكثر من هذا الرقم بكثير اذ يصل ما يستخدمه لرى فدان القصب الى حوالى ٢٠ الف متر مكعب واذا ما اخذنا بالرقم الرسمى وهو ١٨ الف متر مكعب نجد انه يكفى لرى أربعة اضعاف مساحة القصب من المحاصيل الاخرى ولذلك يجب ان تدخل فى خطتنا للاراضى الجديدة موضوع المقننات المائية ولا نهمله اطلاقا .

بالنسبة للرأى فى كيفية توزيع الارض الجديدة فاننى أؤيد ما جاء بتقرير اللجنة الفرعية جملة وتفصيلا ، ولكن لى أضافة وهى الا يقتصر توزيع الاراضى على المهنيين من الزراعيين فقط وان يشمل التوزيع المهنيين غير الزراعيين فانه يمكنهم ان يقوموا باستغلال هذه الاراضى . وفى ختام كلمتى أود أن أشير الى أن المجندين المسرحين الذين لا يحملون مؤهلات دراسية يلحقون جميعا بوظائف عمال نظافة ، وعندما كنت محافظا للشرقية منذ فترة قريبة وصلنى خمسة الاف شاب عينوا جميعا عمال نظافة ، واننى أرى انه من الاجدى بالنسبة لهؤلاء الشباب المسرحين من الخدمة العسكرية استخدامهم كعمال زراعيين فى الاراضى الجديدة لاسيما ان أكثرهم مهنته الفلاحة .

كلمة اخيرة أريد توجيهها الى السيد رئيس اللجنه لقد تحدثت عن مراكز القوى السابقة وتدخلها فى عمليات وسياسة استصلاح الاراضى واقول له باعلى صوتى اننا نحن المسئولون وليست مراكز القوى السابقه اذا لم يستطع احد ان يقول لهم لا .. فحينما كان احد مراكز القوى يقول برأى كنا نؤمن على ما يقول .. فما الذى كنا نخشاه فى ذلك الوقت هل هى لقمة العيش ؟ ولو كانت لدينا ذرة من الشجاعة لتغيرت السياسة ، وما كنا وصلنا الى ما نحن عليه اننى اكرر أننا نحن المسئولون وليست مراكز القوى فقط والسلام عليكم ورحمة الله .

● رئيس اللجنة

ليس الغرض من اجتماعنا هذا مع العاملين فى استصلاح الاراضى هو توجيه الاتهامات ولكننا نجتمع كاسرة واحدة وبروح ٦ اكتوبر لنصل الى حل فى موضوع مستقبل الاراضى الجديدة واريد أن يكون الكلام مركزا فى هذا الموضوع .

● الدكتور صلاح العبد

السيد رئيس اللجنة ، السادة الحاضرون : أريد أن اشرح حقيقتين أساسيتين ، وساخلص منهما الى خمسة اقتراحات :

الحقيقة الاولى ، هى الدافع الشخصى للانسان : اننى أعتقد أن الانسان يمكنه أن يصل الى الكثير عندما تتاح له فرصة العمل وخصوصا فى الزراعه والدليل على ذلك أن الاراضى التى وزعت ومساحتها حوالى ٢٠٠ الف فدان سواء بالتأجير أو بالتمليك ، قلت فيها تكاليف الانتاج بالاضافة الى زياده الانتاج للفدان عن الاراضى المماثلة ولم توزع ، وبالاضافة الى ذلك فان الفلاح المهجر الى اراضى جديدة يستقر حاله ويعيش هو وافراد اسرته فى بيئة اجتماعية متكاملة ويساهمون جميعا فى تنمية الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن هذا يتضح أن توزيع الاراضى له فوائد اقتصادية واجتماعية على المنتفعين وعلى الاقتصاد القومى للدولة وجميع الاحصائيات تدل على ذلك .

الحقيقة الثانية : أن عملية استصلاح الاراضى من أشق العمليات ، ويؤيد رأيى هـذا العاملون فى هذا المجال ، الحاضرون لاجتماعنا ، فمن تعنى تحويل الصحراء الى أرض زراعية عليها الانسان يعيش مع اخيه الانسان فهى بذلك نختلف عن عملية بناء مصنع وأى عمل آخر ، لذلك ارجو من السادة اعضاء مجلس الشعب أن يكونوا صبورين معنا فى هذه العملية فهى لا تؤتى ثمارها بسرعة ، والارض كلها قدمت كلما زاد انتاجها فلو كان الانتاج فى الوقت الحاضر منخفضا بعض الشىء فانه من المتوقع أن يزيد باستمرار كلما قدمت الارض ، وكما قال السيد فؤاد على انه لو قيست تكاليف استصلاح واستزراع الفدان فى مصر بمثيله فى أى دولة أخرى لوجدنا انها أقل من دول سبقتنا فى مجال التقدم والتكنولوجيا .

أما عن الاقتراحات التى اود ان اعرضها على حضراتكم فهى :

أولا ــ بالنسبة للاراضى التى استصلحت : هناك ٦٥٠ ألف فدان زمام الاستزراع منها ٢٠٠ الف فدان موزعة بالتأجير أو التمليك فيبقى اذن فى حيازة المؤسسة حوالى ٢٥٠ ألف فدان تجد منها ٦٧ الف فدان اراض متخللة لاراضى التأجير ، واراض متناثرة ، واقترح بالنسبة لهذه المساحة من الارض توزيعها بالتـأجير ، أو بالتمليك ، اذ أن زراعتها على الذمة لا يمكن أن تكون زراعة اقتصادية . فاذا تم هذا فانه **يبقى فى حيازة المؤسسة حوالى ٢٧٠ ألف فدان منها حوالى ٧٠ الف فدان لا تزرع ، والسبب الاساسى فى ذلك احتياجها الى الاستثمارات لاستكمال بعض المشروعات اللازمة لزراعتها وهذه الارض لابد أن تزرع لان بقائها على هذا الحال فيه اهـدار للاقتصاد القومى ، فاذا ما اخذنا بالاقتراح الذى ذكرته ببيع الـ ٦٧ الف فدان المتخللة للاراضى الموزعة والمتناثرة ، فانه يمكننا بذلك توفير المبالغ اللازمة لاستكمال المشروعات اللازمة لزراعة الـ ٧٠ الف فدان التى أشرت اليها ، ويمكن بذلك ايضا زيادة العائد من الـ ٦٧ الف فدان عما هو عليه حاليا وهى فى ذمة مؤسسة الاستزراع .**

يتبقى بعد ذلك حوالى ٢٥٠ ألف فدان ويمكن أن نناقش ما جاء فى تقرير اللجنة الفرعية وما ذكره السادة المتحدثون عن الاقتراح الخاص بتوزيع جزء من الارض على المهنيين ، ولدينا مشروع توزيع ٢٠ ألف فدان على المهنيين ، ولا أعنى بهذا الزراعيين فقط ، بل بيطريين وتجاريين وغيرهم ، حتى توجد فى الارض الجـديدة مجتمعـات متطـورة متكاملة الاختصاصات ، وسيخصص كذلك مساحة قدرها ١٠ آلاف فدان لتوزيعها على أسر الشهداء والمقاتلين وهذه المساحات محدد أماكنها . ويتبقى عندنا بعد ذلك حوالى ٢٠٠ ألف فدان ودورنا أن نضع تصورا لمستقبلهم ، ويمكن أن نوزع جزءا منها بالتاجير أو التمليك عند وصول الارض الى الحدية الانتاجية **أما الباقى فى الارض فأنا من أنصار انشاء شركات متخصصة تعمل بها فنحن فى مصر نعانى من نقص اللحوم والزيوت ونستوردها من الخارج فاذا أمكننا اقامة شركات متخصصة فى هذه الاراضى فستساعدنا فى انتاج السلع الزراعيه الصـناعيه التى نبذل لاسـتيرادها الكثير من العملات الصعبة التى نحن فى أمس الحاجة اليها ، وأفضل فى هذا المجال رأس المال المصرى والعربى عن رأس المال الاجنبى على أن يقدم رأس المال فى صورة قروض ميسرة أو شركات مشتركة وخاصة انه من المعلوم أن الدول العربية لديها من حصيلة بيع البترول حوالى ٩٠ مليون دولار .**

النقطة التى تلى ذلك هى عملية التصـنيع الزراعى فى الاراضى الموزعة ، فالافدنة الخمسة التى توزع على كل أسرة لا تكفى للوفاء بها باحتياجاتها ، فلابد أن تطور الزراعة التقليدية الى زراعة تلائم الارض ويمكن تصنيعها محليا عن طريق الجمعيات التعاونية المحلية والمشـتركة ، ويوجد لدينا حوالى ١٢٠ جمعية تعاونية فى أراضى الاستصلاح من المفروض أن تصل الى ٢٠٠ جمعية حتى يمكن انشاء الجمعيات المشتركة والجمعيات العامة ، وعن طريق التعاونيات ، ويمكن تصنيع بعض الانتاج الزراعى بعد تطويره ، وبذلك يمكن مساعدة الفلاح على زيادة دخله كما يمكن ايجاد فرص عمل فى هذه المناطق لابناء الفلاحين .

وبالنسبة لما أثاره البعض من أن الاراضى الجديدة تتكلف حوالى ٥٠٠ جنيه فى جميع مراحل الاستصلاح والاستزراع والتنمية فأود أن أوضح أنه يخصص منها مقدار ٤٠ فى المائة لاقامة الخدمات على الارض الجديدة وأرجو أن نخلص من هذا الاجتماع بالتوصية بأن يكون للخدمات ميزانية منفصلة عن الاستثمارات ، فان بنـاء المدرسـة أو الوحدة الصـحية أو الطريق من مسئوليات الدولة فى المجتمع الاشتراكى ولا يمكن أن تدمج ضمن الاستثمارات ، على أن تساهم وزارات الخدمات فى القيام بمسئولياتها نحـو توصيل الخدمات الى هذه المناطق اذ يوجد حوالى ٥٠٠ قرية جديدة فى مناطق الاستصلاح وهى تشكل ثمن عدد قرى الجمهورية فهل ستستمر مؤسسة الاستزراع فى توصيل الخدمات اليها .

انى أرى ضرورة فصل ميزانية الخدمات عن ميزانية الاستثمارات للاراضى الجديدة ، ويجب على وزارات الخدمات أن تقوم بدورها فى توصيل الخدمات الى المناطق الجديدة من ميزانياتها ، واذا تم ذلك فاننا سنجد أن مصاريف استصلاح الفدان من الارض ستبلغ ٣٠٠ جنيه بدلا من ٥٠٠ جنيه وهو وضع عادل لتقدير تكاليف الفدان المستصلح ٠

نقطة اخرى أود التحدث فيها ، هى موضوع الساحل الشمالى الغربى : اننى أرى أن هذه المنطقة بها امكانيات ممتازة وأوافق على ما جاء بتقرير اللجنة الفرعية بضرورة تطبيق القانون ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ فى هذه المنطقة ، وتطوير هذه المنطقة زراعيا وصناعيا واجتماعيا ، ولدينا الكثير من الدراسات عن هذه المنطقة يمكن أن تسهم فى تحقيق هذه الاهداف ، كما يمكن أيضا استغلال بعض المناطق فى الساحل الشمالى الغربى فى الاغراض السياحية ٠

النقطة الاخيرة التى سأتحدث فيها هى التخطيط ، يجب أن يكون التخطيط متكاملا هندسيا وزراعيا وصناعيا ، بمعنى أنه اذا كان لدينا قطعة من الارض فيجب أن نعمل لها تخطيطا لاستصلاحها وتسويتها واستزراعها ومستقبلها ٠٠ هل ستوزع أم ستزرع على الذمة كما نخطط لتصنيع منتجاتها الزراعية وبذلك يمكن تفادى الوقوع فى الاخطاء التى نعانى منها الان ٠ وشكرا ٠

● رئيس اللجنة

نرجو من الدكتور صلاح العبد الذى كلفه السيد الوزير ببحث مشكلة وادى النطرون ،الانتهاء منها لان الناس يعانون القلق ، نريد أن نجتمع سويا فى الاسبوع المقبل مع وزارة الصناعة ووزارة الادارة المحلية لنرى ماذا يمكن أن نفعل لهم ؟

● كمال مرعى

بسم الله الرحمن الرحيم

لن أطيل الحديث على حضراتكم لان موضوع مستقبل الارض الجديدة تقل بحثا ، بدىء فيه بالتمليك عن طريق الاصلاح الزراعى بعد وصول الارض للحدية الانتاجية ثم التهجير ، ثم ابحاث للشركات ثم أبحاث للقطاعات الخ مما ذكر ٠ وكما سمعت انه كلما جاء وزير جديد أو رئيس مؤسسة جديد ليبدأ بشجاعة ليشق الطريق الى خط معين ، فان السياسة توقفه ، وتكون النتيجة أن نرجع للوراء ، ان ادماج وزارتى استصلاح الاراضى والزراعة له مدلول فلقد أنشأت وزارة استصلاح الاراضى وقت انشاء السد العالى التوسع فى الارض الجديدة وذلك لهدف معين ، واليوم ادمجت وزارة استصلاح الاراضى فى وزارة الزراعة وهذا يعنى ان النظام الذى سرنا عليه لا بد أن يعاد النظر فيه أريد أن أقول باختصار أن هناك هيئات كثيرة فى مجال استصلاح الاراضى ، هيئة تخطيط ، هيئة تسوية ، مؤسسة استزراع الاراضى ، اننى أرى أن يعاد النظر فى هذا التنظيم ٠٠٠ وأقترح أن تكون هناك هيئتان فقط ، هيئة للتخطيط والتسوية،وهيئة للاستزراع ، على أن يراعى أن اساس عمل هذه الهيئات هو الخدمة وليس الاستثمار . **واذا اردنا الاستثمار فى هذا المجال فاننى أرى أن يكون ذلك عن طريق شركات يشترك فيها القطاع الخاص وليكن بنسبة ٤٩ فى المائة ، فنقيم الارض وتطرح بأسهم ويشارك فيها القطاع الخاص مع القطاع العام وأعتقد أن وجود القطاع الخاص بخبراته وأمواله يمكن أن يدعم هذه الشركة وتشغيلها بطريق اقتصادى سليم ٠**

اننا كمسئولين فى مجلس الشعب عملنا سياسى، وعلى ذلك فان تقاريرنا سياسية ولسنا متعمقين أما انتم السادة الضيوف فمتعمقون فى هذه المواضيع، فمن قبل انشاء السد العالى وفى أثناء الانشاء وبعد انشائه هناك ابحاث ولم ننته الى شيء ٠٠٠ هناك آراء كثيرة رأى ينادى بالتمليك وآخر بالتأجير وثالث بالشركات ٠٠٠ الخ ٠

وعليكم أن تقرروا ما ترونه فى هذا بكل شجاعة اننى اتساءل من سيصدر هذا القرار هل هو الوزير أم مجلس الوزراء أم هو رئيس الجمهورية أم رئيس المؤسسة ٠٠ لابد أن نكون واقعيين ونعرف من يملك اصدار القرار ٠

● رئيس اللجنة

ان مجلس الشعب يملك اصدار القرار ٠

● كمال مرعى

ان الابحاث موجودة والانفتاح موجود ، ونحن ندور فى حلقة مفرغة وكل ما قيل سبق أن سمعناه من قبل من فطاحل رجال استصلاح واستزراع الاراضى، وكلهم موجودون معنا ، فالدكتور الجبلى كان رئيسا لمؤسسة استزراع الاراضى ثم وزيرا وكانت له آراء

شجاعة وجريئة ولكنه اصطدم بعقبات كثيرة ولم يستطع رغم أنه كان يملك اصدار القرار ... وغيره من السادة الوزراء ورؤساء المؤسسات كانوا كذلك نهذا نريد حسم هذه العملية ٠ اذا كان هناك انفتاح فان أدماج وزارة الاستصلاح فى وزارة الزراعــة عمــل يجب ان نسير على هديه وتصبح هناك مؤسستان او هيئتان : هيئة للتخطيط والاستصلاح وهيئة للاستزراع ، ولا تتم محاسبتهما الا بعــد وصول الارض الى حــد معين ، فتنتقــل المسئولية الى الشركات المتخصصة التى يدعمها القطاع الخاص ، هذا ما اود أن اقوله ٠ ولعل فى كلمتى الجديد .. **فأنني اذكر بالقطاع الخاص ووجوب فتح الباب امامه ، خاصه وان الدولة فى قوانين الاستثمار أتاحــت لــه هــذه الفرصــة ، وباحت للشركات الاجنبية ايضا تأجير الأرض المستصلحة لمدة ٥٠ عاما قابلة للتجديد ، ولابــد يستغل هذا البند ، ولا مانع ان نعطى الشركات قطعة او مساحة معينة لمدة ٥٠ سنة تستغلها استغلالا طيبا ، تعود بعدها الى الدولة للتصرف فيها ، كما تصرفت فى المساحات السابقة ٠**

أما بالنسبة لعملية الابحاث وهل تتوسع افقيا او رأسيا وهل تملك أو تؤجر ٠ اننا فى حاجة الى قرار شجاع واننى اتساءل من يملك القرار الشجاع ٠ اننى أضع علامات استفهام وارجو ان نصل الى الجواب على هدى من المناقشات التى دارت فى هذا الاجتماع وشكرا

● المهندس عبد الرحمن درويش

أرى انه يجب ان يكون موضوع الاراضى القديمة التى اصبحت فى حالة سيئة موضع دراسة وبحث اسوة بالارض الجديدة ٠

ان الاراضى القديمة نقصت مســاحتها كما قال السيد العضو عطا سليم كما أن هناك اعتداءعلى الاراضى القديمة بأخذ الطمي منها لصناعة الطوب كما قال السيد الدكتور الجبلى ٠

ان الخسائر التى لحقت بالدولة على مدى العشرين سنة الماضية تزيد كثيرا عما انفق على الاراضى الجديدة وهى تعانى من ناحية الصرف ومن حيث الاراضى التى تستقطع منها ٠

● رئيس اللجنة

بالنسبة لما يقوله السيد عبد الرحمن درويش ، من أن الاراضى القديمة اصبحت ضعيفة ، لقد ناقشنا هذا الموضوع فى جلسة خاصة من جلسات اللجنة واشترك فيها اساتذة الجامعات ، اما ما قيل عن تجريف الارض لصناعة الطوب فقد صدر قانون بمنع التجريف ، وللاسف الشديد فان هذا القانون لم ينفذ واننى ارجو السيد وزير الزراعة ان يتصل بالسادة المحافظين للعمل على تنفيذ هذا القانون الذى يقضى بمنع التجريف الا باذن خاص من وزير الزراعة ، ومع ذلك فاننى اشاهد اثناء سفرى الى البحيرة الكثير من الاراضى التى يباع التراب منها لعمق متر بسعر ١٠٠٠ جنيه للفدان ، والاخ محمد أبو الفضل الجيزاوى قام فعلا ببيع المترين بالفين من الجنيهات للفدان ، وقد يزيد السعر عن ذلك فى المستقبل ٠ اما بالنسبة لموضوع الصرف فى الاراضى القديمة فقد اتفقنا هنا مع السيد وزير الرى السابق واوضحنا ان اراضى الدرجة الاولى اصــبحت نسبها ضئيلة ، والاراضى فى مصر تدهورت تدهورا شديدا وقد نادينا هنا بأن تقوم ثورة فى وزارة الرى فان الخطة الموضوعة للمصارف على أساس ٢٠ سنة خطة لا يمكن قبولها ، فانه بعد نهاية العشرين سنة ستكون المصارف التى انشئت قد أصبحت عديمة الفائدة ولذلك فان الدكتور الجبلى كانت له فكرة ان يقوم الفلاحون عن طــريق التعاونيات بانشاء مصارف مكشوفة أو زواريق ٠ اما اليوم وقد تواجدت الاستثمارات فاننى أحمل السيد وزير الزراعة مسئولية الدفاع عن هذه القضية فى مجلس الوزراء حتى يخصص جزء كبير من القروض والاستثمارات لقطاع الصرف فأن انشاء المصارف يسبق فى نظــرى استصلاح الاراضى وانشاء المصانع والمدن السياحية واننى اعتقد انه اذا صرف ١٠٠ مليون او ٢٠٠ مليون جنيه على انشاء المصارف فان الدولة تسترد هذا المبلغ خلال سنتين أو ثلاثة لان العائد من انشاء المصارف عائد سريع ولقد شاهدنا الزيادة الكبيرة فى انتاج الاراضى التى انشئت بها المصــارف فهى تغــل زيادة فى الانتــاج مــن الســنة الاولى حوالى ٣٠ أو ٣٥ فى المائة ٠ ان اللجنة أولت هاتين النقطتين اهتماما خاصا وتتابعهما ٠ كما عقدت اجتماعات ضيقة حضرها السيد وزير الرى والسيد نائب رئيس مجلس الوزراء والدكتور عبد العزيز حجازى والسيد ممدوح سالم والدكتور عبد القادر حاتم لمناقشة هذا الموضوع وكل الاجهزة مقتنعة بأنه يجب عمل شىء فى هذا المجال للمحافظة على تربة الارض ٠ ونريد معرفة رأى السيد عبد الرحمن درويش فى مستقبل الارض الجــديدة وارجو أن يتقدم بمذكرة فى هذا الشأن كما أرجو الاخوة الموجودين ممن لم تتح لهم الفرصة للكلام او يريدون ايضاح وجهة نظرهم ان يتقدموا بمذكرات ستكون محل بحث اللجنة عند وضعها

للتقرير التفصيلي المدعم بالبيانات والارقام والذي سيعرض على المجلس ٠

انني أود أن اقول ان اللجنة لا تسير في هذا الموضوع بتعجل كما أنها لا تسير فيه ببطء وهي طريقة تجمع على ابراز الموضوع في صورته الواجبة وعلى الاستفادة من جميع الاراء البناءة التي ابديت او يراد ابداؤها ٠

أما بالنسبة للقرار فانني أود أن اوضح ان المجلس سيشارك الحكومة في اصدار القرار فاذا ما تباطأت الحكومة في اصداره فان المجلس يملك أن يصدر القرار ٠

● المهندس الدكتور محمد بكر

السيد رئيس اللجنة ايها الزملاء ٠٠ اود اولا أن أشكر السيد رئيس اللجنة على هذه الدعوة الكريمة لحضور هذا الاجتماع ٠ والواقع أنني سعدت لهذه الدعوة ٠ كما سعدت ايضا بحضور هذا الاجتماع ٠ وقبل أن ادخل في موضوع الاراضي المستصلحة ٠ هناك كلمة حق اريد ان أقولها ، هذه الكلمة ان العمل في استصلاح الاراضي عمل مضن وشاق ، وان الرجال الذين تحملوا هذا العبء من سنة ١٩٥٢ بالتحديد حتى الان قاموا بمجهود جبار ، والواقع - دائما - كنت وما زلت انظر اليهم انهم أصحاب رسالة وكل صاحب رسالة لا يمكن أن يؤدى رسالته الا اذا كان مؤمنا بها ، والواقع ان ما شاهدته بنفسي من عمل مضن تحت جميع الظروف ، يجعلني أومن بأنهم يقومون بأعمال جبارة ٠٠ هذه كلمة حق لوجه الله ٠٠ الحقيقة الاخرى هو أن استصلاح الاراضي بمفهومه العلمي وما يتضمن من محتوى علمي ، لأن استصلاح الاراضي شأنه شأن أى من النواحي الزراعية والهندسية يقوم على أسس علمية ٠٠ الخبرة العلمية في هذا الميدان ضئيلة جدا لانه موضوع حديث ، ولذلك ، لم تتكون او تتراكم معلومات في هذا الميدان بدليل انه لم يصدر حتى الان مرجع علمي يتضمن معلومات في هذا الموضوع ٠٠ وجميع المراجع العلمية تكتب عندما تتكون خبرات عند مؤلف او اكثر ، ثم يجمع هذه الخبرات في كتاب أو مرجع علمي في ميدان استصلاح الاراضي بل توجد بعض معلومات متناثرة تنشر من حين لاخر في شكل نشرات او كتيبات ٠ ولهذا فانه اذا كانت هناك بعض السلبيات أو بعض الاخطاء - انني اتكلم من الناحية الفنية فقط - فهناك عذر ، ولكن الحصيلة العلمية والخبرة العلمية التي تكونت في ميدان استصلاح الاراضي في مصر هي خبرة ثمينة تزداد سنة بعد أخرى ٠

هذه كلمة حق أخرى ٠٠ النقطة الثالثة وقد استمعت الى تقرير لجنة استصلاح الاراضي ٠٠ والواقع انني سعيد كل السعادة بما تضمنه هذا التقرير ٠٠ دراسة جيدة والتوصيات التي انتهت بها هي توصيات عملية ٠٠ ورأيي الشخصي نحن في أشد الحاجة الى ان تنفذ ٠٠ وكما قال السيد رئيس اللجنة نحن ندرس وسندرس حتى ننتهي الى قرار ٠٠ ان تقرير هذه اللجنة اعتقد انه أساس سليم للدراسة ، ويعتبر كورقة عمل كأساس للدراسة ٠٠

انني شخصيا اتطلع بحق الى اليوم الذي يبت فيه نهائيا في مستقبل الاراضي المستصلحة ، فقد طال الامد ولكن الامر يتطلب مزيدا من الدراسة ٠

أما لماذا نريد أن يبت في هذا الموضوع ؟ فذلك يرجع لاسباب عديدة ، ويكفي انه عندما نقوم بأى مشروع جديد لاستصلاح الاراضي لا نعلم ما هو مصير هذا المشروع ٠٠ هل تؤجر الاراضي ٠٠ هل تملك او ستظل في يد الدولة ٠٠

ان تخطيط المشروع في تنفيذه يختلف من غرض الى آخر ٠٠ فمثلا اذا كان المشروع ، ان الارض ستبقى في حيازة الدولة فانه بالتالي لابد أنه ستستخدم الالات الميكانيكية في الزراعة ، الامر الذي يقتضي ان تكون الحوشة ذات اتساع خاص ، وان تكون هناك مخازن مركزية وفرعية لها اتساع خاص ويكون للاسكان ايضا وضع خاص يختلف تماما عما اذا كنا سنقوم بتوزيع هذه الاراضي او اذا كنا سنقوم بتأجيرها فاذا ما عرفنا مقدما وقبل بدء المشروع ما هو مصير هذه الارض ففي يقيني اننا سنوفر اموالا عديدة ٠ كما اننا سننهيء المشروع بتجهيزات واعدادات تتلاءم مع الغرض الذي سيخصص من أجله ، الامر الذي يجعلنا نجني ثمرة من هذا المشروع أكثر ألف مرة مما اذاكنا ننفذ مشروعا ولا نعرف مصير هذه الارض ، والنقطة الثانية ، وهي في الحقيقة من توصيات اللجنة ، وهي انه لابد أن تبقى الارض في حيازة الدولة ٠٠ هذا امر هام ٠

انني اوافق اللجنة تمام الموافقة على ان تكون في يد شركات ، لان عليها مسئوليات محددة وحساب، كما انه يمكن لهذه الشركات ان تستعين بأموال يستثمرها اخواننا العرب أو بعض الشركات ، لان استصلاح الاراضي والنهوض بالتربة ، واستخدام جميع مستلزمات بناء التربة امر يحتاج الى أموال

للوصول بسرعة الى الانتاج الاقتصادى للارض .

النقطة الاخرى التى أود الاشارة اليها والتى وردت فى كلام بعض الزملاء ، وهى موضوع استكمال ماهو موجود فعلا ، ونجعله ينتج ويعطى فى عمليات استصلاح اراضى جديدة وان نركز على استكمال ما هو موجود فعلا ، ونجعله ينتج ويعطى عائدا للدولة . خير من اننا نستمر فى عمليات استصلاح ارض جديدة والعودة الى ما كان يقال من أجل الدعاية فقط ، ولكن عمليا لم يكن هناك اى شىء .. فانا دائما افضل سياسة الاستكمال اولا ثم التوسع الجديد .

هناك نقطة اخرى احب الاشارة اليها : ان حقيقة الامر . وهذا أيضا فى رأيى انه يصعب على الدولة أن توفر الاستثمارات الضخمة المطلوبة لاستصلاح الاراضى حتى نسير كما يجب . فمسألة أن نتخلص من بعض الاراضى بالبيع كما أشار الدكتور صلاح العبد فى كلمته بالتفصيل ... فانى اوافقه على التحليل الذى قدمه من ناحية الاراضى التى تباع والتى تستأجر والاراضى التى ستبقى لدى الحكومة على هيئة شركات . واننى أوافقه على وجوب البدء فى التخلص من هذه الاراضى بالبيع فورا".

وانى أعتقد أن التجربة الناجحة التى عملت فى وادى النطرون ... هى تجربة تبشر بالمستقبل وبكل خير ... تمكن الدولة من أن تقلل من مساحات الاراضى التى تصرف عليها كما انها تتيح لها استرداد بعض العائد التى صرفته وتركز على الاراضى الموجودة فعلا لرفع انتاجيتها حتى تعطى عائدا اقتصاديا .. وشكرا .

● **رئيس اللجنة**

الكلمة الان لأستاذنا السيد الدكتور الجبلى :

● **المهندس الدكتور مصطفى الجبلى**

السيد رئيس اللجنة .. اخوانى السادة أعضاء اللجنة الزراعية بمجلس الشعب .. أود أن أعبر عن خالص شكرى للاخ **أحمد يونس** على دعوته لنا لحضور هذا الاجتماع .. لاننى فى الواقع يسعدنى أن أساهم فى كل مشكلة قومية يعود عائدها على الفلاح كما ان علاقتى بهذا القطاع علاقة عاطفية قديمة فقد بدأت معه منذ سنة ١٩٥٣ كمستشار فى فترات مختلفة ، وكنت ابدى آرائى فى ذلك الوقت بكل شجاعة ولكن للاسف لم يؤخذ بالعديد منها ــ ثم عملت رئيسا لمؤسسة الاستزراع .. ولن أسرد ما حدث خلال هذه الفترة من ضغط من مراكز القوى .. وانا أكره هذه الكلمة جدا .. اضطرنى أن أترك هذه البلد والعمل فى الخارج وصممت على ألا أعود الى هذا البلد الا بعد انتهاء هذه المراكز وكأن الله سبحانه وتعالى قد سمع لدعواى ، فهم الان فى السجون وعدت الى مصر معززا مكرما كوزير للزراعة واستصلاح الاراضى .

وخلال عملى بالمؤسسة طلب السيد **الرئيس جمال عبد الناصر** منى مذكرة عن مستقبل هذه الاراضى .. وهى التى أشار اليها الاخ أحمد يونس فى أجتماع سنة ١٩٧٠ .

وقد عملت فيها مع الاخ هلال عبد الله أكثر من ستة أشهر حتى نعد هذه الدراسة على أساس علمى فنى .. لا نهدف منه الا ايضاح الحقيقة . وفى خلال عملى بالوزارة اتخذت قرارات اعتبرها هى القرارات التى يمكن أن تحفظ لهذه الامة مستقبلها بالنسبة لهذه الاراضى .

وقد قوبلت فى أول الامر ببعض **الاعتراضات** .. ولكنى فى أى عمل أقوم به ليس لدى الا ضميرى .

فأوقفنا التوسع فى الأراضى الرملية لان هذه الاراضى مكلفة وتحتاج لوقت طويل ونصحنا فى البطء فى استعمال الرى بالرش ليس لانه الطريق غير السليم فى هذه الاراضى ولكن لابد من اكتساب الخبرة قبل التوسع فيه .. ولذلك فان هذا الاجتماع اعتبره قمة الاجتماعات السابقة والاراء السابقة وأرجو أن تتبلور عنه قرارات ايجابية تحقق ما نصبو اليه جميعا نحو هذا القطاع الهام .

وخلال استماعى لما جرى تتلخص المشكلة فى ناحيتين :

المشكلة الاولى وهى المشاكل التى تعوق حاليا وفى الماضى وصول الاراضى الجديدة الى الانتاجية التى نرجوها لها جميعا . وأود دائما ان اتكلم من الارقام . فهذه الاراضى مساحتها ١٧ فى **المائة** من الرقعة الزراعية المصرية . أى انها أضافت للرقعة الزراعية المصرية ١٧ فى المائة ، ولن اتكلم عن الزحف على الاراضى الزراعية التى أشار اليها الاخ عبد العظيم أبو العطا فهذه مشكلة المشاكل ، وكما طمأننا الاخ أحمد يونس فهناك قرارات .

عملت طوال مدة وجودى بالوزارة على أن آرى تنفيذها ، ولكن للاسف ، اننى أثناء مرورى ومشاهدتى للاراضى التى تزال فيها الطبقة السطحية .. كنت أقول ان السرطان قد امتد الى الاراضى الزراعية .. ولا أدرى ما هو مستقبل هذا العمل الهدام .

أما بالنسبة للمشاكل والمعوقات ، لن أخوض فيها ، لاننى أعلم جيدا أن المسئولين عن القطاع لديهم الكثير فى هذا السبيل ، انهم يعرفون جيدا ما هى هذه المعوقات ، وما هى الصعوبات وقد كتبوا مرارا ولكن التنفيذ بطىء ، ولا يصح مطلقا أن نقلل من قدرهم فى معرفتهم بهذه الامور التى يعيشونها كل يوم ، ويعيشونها على أعصابهم ، ويكونون أسعد الناس لو أمكن حل هذه المشاكل ولا يصح أن نرمى الجرم الان على من ، ولكنها مجموعة عوامل اتحدت مع بعضها وفى رأيى أن السبب الرئيسى فى هذه المشاكل ان من تناول استصلاح الاراضى فى مصر مجموعة من الهواة ، وليسوا من المحترفين ، واستصلاح الاراضى علم صعب هو مجموعة من العلـوم الهنـدسية والزراعية ، يجب أن يتعلمه المرء ويجب أن يمارسه حتى يكون عمله سليما .

النقطة الرئيسية هى مستقبل الاراضى الجديدة هذه هى المشكلة الرئيسية التى فى رأيى اجتمعنا من أجلها ليس لاخذ قرار ولكن لانارة اللجنة بأبعادها المختلفة حتى اذا أخذوا قرارا كان هذا القرار فى ضوء ما نوقش من آراء مبنية على الفهم السليم لهذه المشكلة ، ليس أسهل من أن يبدى الانسان رايه ، ويقول ملكية أو ايجارا أو شركات ، هذه هى أسهل الامور ، لكن ليست العملية بهذه السهولة انها عملية معقدة تكتنفها أبعاد مختلفة تبدأ بنوعية الارض ثم بموقع الارض ثم بموقع السكان وكما قال الاخ هلال هناك ثلاثة أنواع أرض رملية ، أرض ملحية ، وأرض جيرية ، ولا يصح أن نطبق عليها نفس الاساس ، هل تملك أو تؤجر أو يتولاها القطاع العام أو الدولة ؟ ولكن هناك كلمة يجب أن نعيها جميعا وهى ما هى المساحة التى استصلحت ؟ هناك أرقام مختلفة المجموع الكلى الجغرافى ، ٩١٢ ألف فدان ، ولكن المجمـوع الحقيقى يقل عن ذلك كثيرا بما لا يقل عن ٢٥ فى المائة الى ٣٠ فى المائة فاذا تكلمنا عن هذه المساحة نقول انها فى حدود ٥٨٠ الفا ، أو ٦٠٠ الف فدان تمثل المساحة الفعلية ، السد العالى المفروض أن يستصلح ١ر٢ مليون فدان أو ١ر٣ مليون فدان اذا استحسن استغلال المياه ، هذه الاراضى ليست مثل أراضى الاقطاعيين ، الفلاحون عملوا فى أراضى الاقطاعيين ، ولذلك لهم حق واضح فى التمتع بهذه الاراضى وتوزيعها عليهم توزيعا كاملا . أما عن الاراضى الجديدة ، فهى مرتبطة بمستقبل الاجيال القادمه ومرتبطة بمقدار التوسع المنتظر ، وانا أقول انه ليس أمامنا أكثر من ١ر٢ مليون او ١ر٣ مليون فدان ، استصلح منها حوالى مليون ، فيبقى ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف فدان ، وبذلك نكون قد استعملنا كل مياه السد العالى تقريبا ، وفى المدى البعيـد ليس هناك مصادر مائية جديدة الا بقدر يسير جدا لتحسين أحوال الرى فى الاراضى المتاحة لذلك فالاراضى الجديدة هى المصـدر الوحيـد حاليا ومستقبلا للاجيال القادمة ، يجب أن نبدأمن هذه النقطة ، ليس أمام الاجيال القادمة أمل فى أرض جديدة اما لندرة المياه ، او لعدم توفر الارض الجيدة كما سمعنا وكما نعلم ، ويجب أن يكون تفكيرنا منطلقا من هذه النقطة ، هذه الارض جميعنا ساهمنا فيها ساهمنا بأموالنا بانفسنا ، بالحروب الفعلية ضدنا ، بالحروب الاقتصادية ضدنا ، كل مواطن فى مصر مساهم فى هـذه الارض ، **ولزاما فان لكل مواطن فى مصر حق فى هذه الارض ، هذه نقطة هامة يجب الا تغيب عنا عندما نفكر فى مستقبل هذه الاراضى ، هى المصدر الوحيد والاجيال القادمة ستنظر اليها دائما لان ابائها واجدادها ساهموا فى انشاء هذه الارض ، اذن ما هى طريقة التصرف التى يجب أن ننظر اليها كمواطنين ، هناك وجهتين للنظر الى هذه المشكلة ، الوجهة الفردية ، ووجهة الدولة ، وجهة الفرد تود أن يتملك أقصى ما يمكن فى أقصر مدة ممكنة وبأية طريقة يمكنه الحصول على هـذه الارض ولست ضد الملكية من هذه الاراضى ، ولكن فى حالة وادى النطرون بالذات الذى ضرب مثلا أجد أن ــ وقد علمت هذا ــ من يقدر فعلا على دفع التكاليف العالية لهذه الاراضى ليس هو الفلاح ، ولكنهم طبقة أخرى غير الفلاح ، وأنا أعلم أن هناك العديد من المضاربين على هذه الاراضى ، وقد تصل اثمانها الى أرقام خيالية ١٠٠٠ ، ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ جنيه لا يصح أن تغرينا هذه الارقام مطلقا ، اذا كنا نود أن نضع أمامنا وجهة المستقبل**

النقطة الثانية ، وهى نوعيـة هـذه الاراضى وارتباطها بطريقة التصرف ، ليس الهدف هو أن تخسر الدولة ، سنة بعد أخرى ، وأنا أقول أن هذا القطاع يخسر حاليا أكثر من ١٠ ملايين جنيه كل سنة ، ولا تقل هذه الخسارة اذا قيست بالارقام الفعلية ، وليس هذا هو عيب المسئولين عـن الاراضى ، ولكن هى عيوب سنتناولها فيما بعد ، اذا اخذنا الارض الرملية وهى تكون حوالى ٣٠٠ أو ٣٥٠ الف فدان ، كلنا نعلم كزراعيين أن هذه

الاراضى مكلفة سواء فى عمليات الاستصلاح أو فى عمليات البناء ، ولا يمكن للدولة أن تقوم بهذه العملية ، نقل الطمى ، نقل الاسمدة العضوية ، لا يمكن للدولة ان تقوم بها فى السنوات التى ننتظرها لاصلاح هذه الاراضى ، وهذا سبب رئيسى فى تخلف هذه الاراضى خلال هذه السنوات الطويلة . اذن هل من صالح الدولة أن تبقى هذه الاراضى معها ؟ أو من صالح المجتمع أن تبقى هذه الاراضى معها ؟ فى رأيى ليس هذا هو الوضع الاقتصادى السليم ، ولكن هل هناك طريقة أخرى يمكن أن تكون حافزا للمزارعين على استغلال هذه الاراضى ، وفى نفس الوقت لا تحرم الاجيال القادمة من حقهم فى هذه الاراضى ، **انا اعتقد انه ليس عن طريق الايجار أو عن طريق الملكية حل هذه المشكله ولكن هناك أمثلة عديدة فى العالم ، وهى عن طريق حق الاستغلال يمنح حق الاستغلال لمدة طويلة ١٥ سنة مثلا هذا الحق يعطيهم الضمان بأن يعملوا فى هذه الاراضى هم واولادهم . واذا أحسنوا استغلالها ينتقل حق الاستغلال منهم بنفس الشروط . اما اذا اهملوا استغلالها فانها يمكن ان توجه الى غيرهم من الذين يمكنهم أن يحافظوا على هذه الارض ويحافظوا على انتاجيتهم ، ليس حق الاستغلال بدعة ، وانما هو المتبع فى معظم بلاد العالم ، فى السودان ليس هناك ملكية ، بالرغم ان مساحة الاراضى ليست محددة ، لكن فى السودان يتبع حق الاستغلال لمدة لا تقل عن ١٠ سنوات ، تجدد اذا ثبت أن الانسان المشرف على هذه الارض قد احسن استغلالها ، لان الارض مصدر طبيعى ملك لكل واحد منا ، ويجب ان يعلم ان هذه الارض فى حوزته يجب ان ينتج منها اعلى انتاج** ، ولذلك اقترح ان نفكر فى طريقة استغلال هذه الاراضى ، المده كام ، اذا كانت اراضى حدائق ، أو اراضى محاصيل ، اذ لكل منهما اسلوب خاص يجب ان يدرس دراسة عميقة ، وهذه الدراسة ارجو الاخ هلال ان كان لديه نسخة أن يرسلها للسيد رئيس اللجنة لانها مجهود ضخم مبذول قد يساعد فى الوصول الى الاسلوب الامثل ، هذا بالنسبة للاراضى الرملية .

ولو اننا اخذنا قطاع الاراضى المستصلحة لوجدنا أن هناك ١٤٠ ألف فدان مساحات متفرقة على طول الوادى فى وحدات لايمكن ادارتها اقتصاديا فى رأيى . ان هذه الاراضى يطبق عليها نفس النظام أو نظام الايجار وليس التمليك ، الايجار لمدة طويلة ، لانى أقول وأكرر أن هذه هى المصدر الوحيد لقد زدنا منذ الثورة حوالى ١٦ مليون فرد ، الطالبون للاراضى الجديدة لايقل عن ٨ ملايين ، المساحات المتوفرة لدى المؤسسة لا تزيد عن ٣٥٠ الف فدان لو وزعتهم على ٥ أفدنة فاننى سأحل ١٠٠ ألف أسرة فقط . يعنى ٥٠٠ ألف شخص ، فيتبقى ٧,٥ مليون فرد ينظرون الى الارض ولا يستطيعون أن يحصلوا منها على سهم واحد فى هذه العملية . وهذه أيضا أحد أبعاد المشكلة التى يجب ان نفكر فيها ، ليست المشكلة سهلة ، وأقول بيع هذه الاراضى ٥ أو ١٠ أفدنة ، ماذا تحل هذه العملية ؟ مشاكل ١٠٠ ألف أسرة فقط ، أما الباقى فسيكون حاقدا ، وسيظل محروما حتى من العمل فى هذه الارض ، لان وحدة الـ ٥ افدنة تكفى لمعيشة الاسرة ، وعمل الاسرة ، هذه نقطة أخرى يجب أن نفكر فيها جديا عند النظر فى هذه المشكلة . **وفى رأيى أن جميع المساحات المتفرقة يجب ان يسرى عليها هذا النظام ، ولاستكمال هذا النظام فى ضوء النظام الاجتماعى لمصر والنظام الاشتراكى يجب أن ينظموا فى تعاونيات خدمية انتاجية ، وليست خدمية فقط وانما لابد ان تكون خدمية انتاجية . ويجب أن يضمن عدم المساس بهذه الارض فى التفتيت أو البيع.ثم اتباع دورة زراعية ملزمة وليست البعثرة المحصولية التى نعانى منها حاليا فى الاراضى القديمة تحت أى الظروف ، وقد أخطأنا فى الاول عندما وزعنا هذه الاراضى. اذا اعطيناهم الارض كلها فى قطعة واحدة ، ولذا لم نتمكن من تنفيذ دورة زراعية حتى نقرب من نظام الاصلاح الزراعى الذى** نفذ سنة ١٩٥٣ . ولذلك فاننى أحذر أنه عند توزيع هذه الاراضى يجب أن يضموا فى جمعيات تعاونية انتاجية ، واننى أعتقد أن التعاون — وأكرر أن التعاون هو الاسلوب الوحيد لادارة هذه الاراضى بطريقة تحفظ للفرد حريته فى التصرف ، وللوطن حقوقه على هذه الاراضى وتعاون انتاجى ثمين يدخل تحت نظام تحديد الدورة . ان المستلزمات ومعاملة المحاصيل وتسويق المحاصيل والاسعار الموجودة ، كل هذه أمور يجب أن يلعب التعاون الدور الرئيسى فيها .

تبقى بعد ذلك الوحدات الكبيرة وهى للاسف وحدات محدودة لا تزيد عن ٢٠٠ ألف فدان تشمل شمال التحرير ، ومريوط وغرب النوبارية وجزء للاسف من النهضة ، هذه الاراضى هى ثروة للزراعة فى مصر يجب أن تظل مع الدولة تديرها بالطريقة التى تراها ، شركات كانت أو مؤسسات ، ليس هذا مهم لانه قد تعانى الشركات من الخسارة ، فتتحول كنظام المؤسسة اذا بقى النظام كما هو عليه حاليا .

ولكن — تحت أى ظروف لا يصح أن يفكر فى التوزيع أو فى الشركات الا بعد أن تصل الارض الى الحدية التكنولوجية ... ولا أقول الحدية

الانتاجية لانها مرتبطة بنظام الادارة وهذا أمر لا نستطيع التحكم فيه ، لكن الحدية التكنولوجية ، بمعنى أن لا تكون فى الارض عيوب ، فى هذا الوقت نستطيع التصرف فيها ، لكن طالما أن بالارض عيوبا فلا يصح مطلقا أن تعطى هذه الاراضى للافراد أو لشركات منتجة ، لاننا فى هذا الوقت سنحاسبهم على الربح والخسارة .

فمن المصلحة أن يبقى جزء من الاراضى فى هذه الوحدات الكبيرة وذلك لاسباب كثيرة جدا .. يجب أن نفكر أيضا بالنسبة لمستقبل مصر . ان القطاع الخاص بالزراعة ، قطاع ضخم جدا يمثل على الاقل حتى لو احتفظنا بالمائتى ألف فدان أو الثلثمائة ألف فدان فان هذا يعنى أن يكون هناك ٩٥ فى المائة قطاع خاص . الـ ٥ فى المائة اننى أفكر فيها بأنها تكون الوسيلة لتحقيق الاهداف التالية :

أولا : ستكون المزرعة الرائدة لتطوير الزراعة المصرية . اننا جميعا ننادى بتطوير الزراعة المصرية ـ تطوير الزراعة يحتاج الى تجارب والى أخطاء والى خسارة ، ولا يمكن للفلاح العادى أن يتحمل هذه التجارب وهذه الاخطاء وهذه الخسارة . اذا ، القطاع العام هو الذى يجب أن يتناول هذه المشكلة بكل شجاعة ، حتى يمكن بعد ثبوت النجاح فى أى تجربة أن ننتقل بها الى الاراضى القديمة .

ثانيا : تعطى لوزير الزراعة حرية المرونة فى سياسته الزراعية ، لان القطاع الخاص ، وأنا دائما أقول أن وزارة الزراعة ، ما هى الا وزارة خدمات ، تفرض قوانين ، لكن عندما يأتى قطاع زراعى مسئول عن مقابلة أهداف معينة للدولة ، خصوصا فى التصدير ، أو فى محاصيل خاصة لا يمكن للفلاح أن يقوم بها ، هنا يجب أن يبرز دور هذه الاراضى ، أريد مثلا أن أزرع موالح من نوع معين بأصناف معينة للتصدير ، لا أستطيع أن أفعل هذا لدى الفلاحين . أستطيع القيام بها فى هذا القطاع ، أريد أن اطور .. أن أدخل ميكنة ... لا أستطيع الذهاب فجأة واعمل ميكنة ووحدات كبيرة لدى الفلاحين ، لابد من الوقوف أولا على الاسلوب الامثل للتحويل التدريجى لهذه العملية وعلى ذلك فان كل هذه الاشياء لابد من عملها فى هذا القطاع .

ان الجزء المهم هو اكثار التقاوى ، وادخال محاصيل جديدة ، الفلاح لدينا يكره القوانين وحتى لو أصدرنا قانونا معينا ، فالى أن ينفذ سيأخذ سنوات فيكون الهدف من تنفيذه قد مضى وعلى ذلك يجب أن يكون لدينا مخرجا معينا نستطيع أن ننفذ فيه السياسة التى نريدها لصالح الفلاحين فى المستقبل فى هذه الاراضى الجديدة .

ان اكثار التقاوى .. وادخال القمح المكسيكى ، الواقع انه لولا هذه العملية ، والاصلاح الزراعى موجود لما استطعنا نشر هذا الصنف فى أول سنة .

اننى أقول ان وجود قطاع معين يدار فى وحدات كبيرة بأساليب علمية حديثة من ميكنة وتصنيع زراعى وتخصص زراعى وتركيز زراعى وهى السياسة التى ناديت بها ، وأومن بها ، وأتمنى دائما أن تكون شعارا لنا ولن نتحرك نحو مستقبل زراعى بدون اتباع هذه السياسة .

البعثرة المحصولية .. زراعة الكفاف لن تؤدى بهذا الوطن الى النتيجة التى نرجوها .. لابد أن تتطور الزراعة المصرية .. ولذلك يجب أن يكون هذا القطاع هو الاساس الرئيسى لعمليات التطوير التى ستدخل مستقبلا فى الارض القديمة . هناك أساليب مختلفة لتحقيق ذلك ، ومن المشاكل الحالية :

١ ـ أن النظام الادارى قد لا يكون النظام الامثل لادارة هذه القطاعات لانه ليس هناك ضبط وربط فى القطاعات ، فلا زال هناك تسيب من الموظفين فى النظر الى هذه الاراضى للاسف . هذه هى المشكلة الاولى الموجودة حاليا .

٢ ـ أن هذا القطاع يعانى من اكتظاظ سنوى بالعاملين ، بحيث كما سمعت وأنا أعرف أن المصاريف الادارية فى العديد من القطاعات وصلت الى ستين جنيها للفدان . هل سنكسب من الفدان الذى يتحمل مصروفات ادارية ستين جنيها ؟ اذا هناك سياسة كانت متبعة وهى ايجاد عمل للزراعيين الذين يتخرجون فى كل سنة يلحق بالمؤسسة ألف عامل .. اليوم لديها ستة وعشرون ألفا من العاملين . لدى الاصلاح الزراعى أربعون ألفا من العاملين ، عندما نحسب المساحات كلها نجد موظفا لكل عشرة أفدنة . هذه مشكلة اجتماعية مضطرين أن نوجد عملا لهؤلاء الناس ، فهل عندما ستكون هناك شركات سوف نخرج هؤلاء الناس .

هذه عملية صعبة جدا .. للاسف هذه الناحية ليست بالسهولة التى يتصورها الناس ، هى مصدر عمل لهؤلاء الخريجين . الى أين أرسلهم .. الى الشارع ؟ على الاقل انه يؤدى نصف عمل .. ربع عمل ثلث عمل ، لكن حيث أنه نظام اشتراكى نقول انه لكل موظف الحق فى العمل . هذه مخرج للمتخرجين فى القطاع الزراعى الا اذا أوجدت الدولة لهم عملا آخر ،

وأقول انه لا يوجد فى القطاع الزراعى مكان الا خارج مصر . يجب أن نعرف هذه الحقيقة . هذه المؤسسة يمكن أن تدار بألفين من العاملين ، والاصلاح الزراعى يمكن أن يدار بألف عامل ، لكن هذا الفائض .. الى آين يذهب .. لابد من حل هذه المشكلة ، اذا اردنا أن تعطى هذه الاراضى عائدا يرتاح اليه الفلاح .

الواقع اننى أقول ان هذه مشكلة رئيسية يجب أن تحل . نأتى بعد ذلك للشركات ، انه لامر سهل جدا ان نكون شركات . لقد طلب الى وانا رئيس مؤسسة ان أعمل شركات وذلك منذ سنة ١٩٦٧ . لقد وقفت فى نظام الشركات . اننى كنت أسعد انسان لو هناك شركات وتربح ، لكن من يعيش فى مشكلة الاراضى الجديدة ، يريد شيئا من الوقت لكى يفكر فى موضوع الشركات .

ان الشركات تقوم اساسا على الربح . وليس على الخسارة ، واذا قامت على الخسارة سنة وسنتين وثلاثة فانها ستصفى .

الاراضى الجديدة فى المرحلة الاولى لا يصح ان تركن الى شركات ، لاسباب رئيسيه تكنيكية ، أهمها : ان نظام القطاعات الحالى يعطى للعاملين فيها أو لرئيس المؤسسة المرونة فى تحريك الطاقات المتاحة له من قطاع الى قطاع آخر دون روتين، وفى اليوم الذى ستكون فيه شركات سوف تكون هناك بينها حدود طبيعية ، وسوف تكون هناك طاقات كبيرة معطلة وسوف يكون العمل غير منتظم ، ولذلك فليست المسألة شركات أو المسألة قطاعات .. واننى أقول ان القطاعات فى المرحلة الاولى عملية هامة اذا ما استفادوا بها فى تحريك الطاقات المتاحة لخدمة هذه الاراضى .

هذا شرط رئيسى .. الشركات تعطى نوعا من الضبط والربط ، ولكن قبل ان نقدم عليها يجب ان نضمن ان المصاريف الادارية التى تتحملها هذه الاراضى فى حدود الارقام التى تمكن الشركة من الربح . هذه عملية ضرورية وحتمية قبل ان نصدر قرار الشركات والا ، كما حذرت اخواننا ، فقد قلت لهم انكم ستفلسون وبعد سنتين أو ثلاث سنوات سوف يضعونكم فى السجن ثم بعد ذلك ستكونون أنتم المسئولين . فى هذه العملية يجب أولا العمل على حل مشاكل المصاريف الادارية ومشاكل الميكنة الموجودة فى هذه القطاعات التى تعتبر رأس مال عاطل .

وليس هناك أى مانع من البدء فى الشركات اذا تحقق هذين الشرطين . بالنسبة لشركات مصرية أو شركات عربية مصرية أو شركات أجنبية فاننى لا أؤيد مطلقا دخول الاجانب فى الارض الزراعية مطلقا ، لان هناك مصريون قادرون . اننا نعانى من البطالة فكيف نعطى الارض للاجانب ؟

ليس هذا هو الاسلوب الذى نوده ، لان الاجنبى القادم لتكوين شركة همه الربح ، همه أن يصدر فائضا من هذه الارض الى بلده ، والا لما حضر ، وحتى فى عرض المزرعة الالية نجد آن الدورة التى يعرضونها مضحكة . ان اى فرد عاش فى مصر لا يمكن أن يفكر مثل هذا التفكير ، انه تفكير أجنبى قادم على أرض لا يعرف ظروفها فيضع أى شىء وهو يريد أن يبيع لمصر مصانع ويصدر من يتفق عليه بشروط معينة .

ففى رايى أن المرحلة الحالية ليست مرحلة دخول الشركات الاجنبية الى الزراعة المصرية . لقد تركنا هذه المرحلة ..

اننى أفضل الشركات المصرية ، اذا أمكن ذلك وليس هناك عائق اليوم من قيام شركات برأسمال مصرى بأية طريقة نراها فى هذه العملية تحت ظروف قاسية ، يصح السماح للعرب ، ولو أن هذا يتعارض حقا مع القطاع الزراعى نفسه ـ العملية ليست بسيطة .. المشكلة التى تعانيها مصر ، هى ضيق الرقعة الزراعية والمواطنون لا يجدون وسيلة يعيشون بها . فهل أحضر لهم شريكا آخر لكى يساهم معهم فى الارباح .. ان ذلك يعنى أن ما يعود على الفرد وعلى المجتمع سوف يقل مائة فى المائة ، هذه وجهة نظر تحذيرية ولكن المسئولين طبعا لهم أن يقرروا ما يشاءون .

باختصار .. ان التصرف فى هذه الاراضى يجب أن تحدده الدولة فى اطار أهداف ثلاثة :

١ ـ هل الهدف هو توسيع قاعدة الملكية وقد مست أبعادها وهى محدودة جدا .

٢ ـ هل الهدف هو تطوير الزراعة ـ وقد مست دور هذه الاراضى التى يمكن أن تلعبه فى تطوير الزراعة فى المستقبل وهذا أمر ضرورى وللهدف الاخير ما يمكن أن تساهم به هذه الاراضى من انتاجية للفرد والمجتمع .. يجب أن نحدد أهدافنا . هل نريد تطوير الزراعة ، أم هل نريد القول بأن دخل الدولة هو الاساس .

ـم الاستقرار على هدف من هذه الاهداف لاصبحت المشكلة سهلة . وشكرا لكم .

● الدكتور وزير الزراعة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الاخ الفاضل الاستاذ أحمد يونس رئيس اللجنة ،اساتذتى ،اخوانى السادة أعضاء اللجنة.

أرجو أن تأذنوا لى أن أتكلم من حيث بدأ زميلى السيد عبد العظيم أبو العطا من ناحية الشكل ثم من ناحية الموضوع .

اما من ناحية الشكل ، وليس الشكل التقليدى ، ولكن شكل الممارسة الحقيقية ، أقول أنه عن طريق لجنة الزراعة والرى سعدت بالمشاركة معكم وبكم فى ثلاثة تقارير موضوعية ، اعتقد أنها كانت مدروسة الدراسة الوافية ، الدراسة الواعيــة ، وكنت دائما أتصور الى جوار مسئوليتى أتشرف بالعمل معكم وبكم فى هذه المرحلة ، كنت أتصور دائما اننى عضو فى لجنة الزراعة والرى حتى نتبادل الرأى ونتبادل الدراسة ونضع دائما أمام أعيننا صورة واضحة ماذا نستطيع أن نقدم لمصر بعد أن قدمت لنا مصر كل شىء ، من هذه المعانى كانت الكلمة التى تفضل بها السيد رئيس اللجنة حينما قال : ان مجلس الوزراء فى اجتماعين لــه تحدث عن تقرير القصب . هذه الدراســة الموضوعية ، الدراسة المتفتحة والتى قدمت عن طريق زميلى الاخ حسن تمام مع اللجنة الموقرة فى دراسة موضوعية ، حقيقة كان تقرير سرنا معكم وبكم فى استكمال دراساته والعمل على تحقيقه وإذا كانت هناك صعوبات يشترك معى السادة الزملاء فى استجلاء بعض نقاطها ، كذلك الدراسة الاخرى التى استمعنا اليها فى جلسة سابقةعن التصــدير والتسويق التعاونى ، وكانت دراســة موضوعية استطيع أن أقول انها دراسة يجب على وزارة الزراعة الاستهداء فى كثير من نقاطها وتسير فى الدراسات لاستكمال الموضوع . أما تقرير اليوم فأستطيع أن اقول على قدر استيعابى لمادار من حديث ونقاش كثير انه لو أعطيت الفرصة لزميلى الاخ لبيب عنبة لان يوسع فى تقريره ما خرج عن كل ما قيل حقيقة ، فالتقرير طيب وموضوعى ، التقرير ما بين النظــرية والتطبيق ، يبين بعض الملامح الواقعة . الواقع الملموس الذى يحتاج الى أن نشارك جميعا فى دراسته وهذاماشعرت به دائما فى لجنة الزراعة والرى فى السنة الحميدة التى سارت عليها فى كل جلسة سعدت وشرفت بأن أكون معكم فى هذه الدراسات . فأشكر السيد مقرر اللجنة والسادة الزملاء الذين شاركوا فى هذا العمل الكبير . ماذا ورد فى هذا التقرير ؟ أن ما ورد فى هذا التقرير هو النقاط التفصيلية التى تفضلتم بها جميعا . لقد وجدت فى وزارة الزراعة الدراسات العــديدة المتراكمة عن موضوع مستقبل الاراضى الجديدة . كل شارك برأى أودراسة موضوعية محــاولا الاجابة على نفس السؤال المطروح : ما هو مستقبل الاراضى الجديدة ؟ ولعل الملفات التى أمامنا الان وهى جزء من دراسات بدأت من سنة ١٩٦٩ . هناك دراسات كثيرة ، ولعلنا مخلصين أن ننتقل من مرحلة الدراسات الى مرحلة أخذ القرار . لاننا لو بدأنا فى مزيد من الدراسات ، وهناك الكثير منها يجب ان نبدأ فى أخذ قرار يوضح لنا الاجابة على هذا السؤال المطروح : استصلاح الاراضى هدف ، استصلاح الاراضى جهد ، وجهد مركز ، عمل فيه على مر السنوات الماضية وما زال جهد كبير . تحدثنا فى الجزء الاول منه عن التخطيط وما يجب أن يكون هدف المنطقة التى تدخل فى حيز الاستصلاح ثم الاستزراع . ما هو الهدف الواضح لذلك ؟ ما هو الاسلوب الامثل للادارة الزراعية والادارة المزرعية الاقتصادية المحققة للانتاج ؟ كل هذا ورد فى النقاش الذى استمعنا اليه اليوم ــ ثم وردت عبارة انا اؤمن بها « التخطيط الواضح المعــالم » سياسة زراعية واضحة ومســتقرة ومعروفة لا لسنة فقط ولكن لسنوات حتى نستطيع جميعا عن طريق هذه السياسة الزراعية أن نقول ما هو المطلوب منا جميعا لسنوات ، ومستقبل الزراعة . فمن ناحية العمل الذى تم فــى الاستصلاح فى مرحلة سابقة عمل كبير ونقدره . هناك بعض المشاهدات ما بين النظرية والتطبيق تتحدث عن نفسها ، ولا نستطيع أن نتجاهلهــا استصلاح بعض المناطق اضــار ببعض أراضى الوادى .. هذا حقيقى . هل نستطيع أن ننكر هذه الحقيقة ؟ لا يمكن . منطقة غرب اليوسفى ، منطقة كوم أمبو ، بعض المناطق التى تحدث عنها السيد نقيب الزراعيين ، كل هذه المناطق لسبب أو لاخر ، نتيجة الاستصلاح هناك ضرر ألحق ببعض أراضى الوادى ، كان يجب أن يكون التخطيط متكاملا ، وانا أقول دائما ، ومستقبلا فانه اذا لــم يكن التخطيط متكاملا فسنقع فى ثغرات ، فلا يجب أن نسمح لانفسنا أن نسير بتخطيط غير واضح حتى نستطيع أن نؤمن لانفسنا العمل الذى نعمله فهو ليس عمل مرحلى ولكنه عمل مسئولية متتالية . ثم أن العمل فى الزراعة يتحدث دائما عن نفسه ، ويختلف فى ذلك عن كل أمر من الامور أو فى القطاعات الاخرى . عندنا مشكلة الملوحة الموجودة فى مديرية التحرير . هناك جهد كبير يبذل فى دراسة هذه الظاهرة عالميا ومحليا عن طريق الخبراء الاجانب وعن طريق زملائنا وأساتذتنا فى كل قطاع من القطاعات وهى مشكلة حادة وكبيرة وأصبحت لها خطورتها وكما استمعت من بعض السادة الزملاء فانها أصبحت تؤثر على بعض

المناطق فى الوادى القديم مثل محافظة البحيرة فى بعض أجزائها ، اذن هناك مشكلة تحتاج الى مزيد من الدراسة ، ما بين النظرية والتطبيق هناك علاقة واضحة لا نتجاهلها اطلاقا . وبالنسبة للاراضى وكيفية ادارتها ، كما تعرض التقرير وبأمانة تامة ، لا أستطيع أن أقول ان هناك اختلافا فى كل الاراء التي قيلت الا جزئية صغيرة تفضل بها استاذى الدكتور الجبلى من ناحية ما بين التمليك والاستغلال المرحلى ، ثم لها نظام اجتماعى يدور فى اطار النظام الذى نسير فيه ، ولكن كل هذه الدراسات أقول حقيقة ان هناك جهدا كبيرا بذل فى الدراسات ولعلنا كما قال زميلى الاخ كمال مرعى ان نبدأ فى أخذ القرار . ومن يأخذ القرار ؟ وهو التساؤل الذى تفضل به سيادته وأعتقد أنه اقدر منى كما اجاب السيد رئيس اللجنة فيما هى طبيعة أخذ القرار . على وزير الزراعة أن يتقدم بسياسته بالنسبة لمستقبل الارض الجديدة الى مجلس الوزراء وبعد أن نسير فى لجانه الوزارية يؤخذ فيها قرار من مجلس الوزراء يعرض على مجلس الشعب وقد يناقش فى لجنتكم الموقرة . وبعد ذلك يصدر القرار ويصبح هذا القرار ملزما لنا فى هذا الشأن .

أما الاراضى المتناثرة التى لا تحقق ادارتهاعن طريق المؤسسة اى عائد اقتصادى فيجب التخلص منها ، ورد ذلك فى التقرير ولا اختلاف فى ذلك . ان الاراضى تحتاج الى مزيد من الدراسات لمعرفة الاسلوب الامثل ، وورد فى التقرير أربع أو خمس نقاط فى ذلك سنضعها موضع الدراسة لانها فى تصورى دراسة واعية ولا تخرج اطلاقا عن تفكيرنا . لقد بدأنا فى الشهرين اللذين شرفت فيهما بالعمل فى هذا القطاع وكل ما نقوم بعمله هو قراءة الدراسات الموجودة وهى دراسات واعية وتقوم باستخلاص بعض النقاط منها لا تخرج كثيرا عن هذه الامور الواردة فى التقرير فأستطيع ان أقول من حكم الموقع والعمل اننا سنأخذ هذه التوصيات ونضعها موضع الدراسة الواعية معكم وبكم لتخرج فى صورة القرارات المناسبة ، أما فيما يتعلق بما أثير عن الشركات الاجنبية فأود ان أوضح اننا لا نبيع الارض للاجانب ، فالقانون لا يسمح بذلك ، اننا لا نبيع الاراضى [للفارم ماشينرى] فليس هناك اجانب سيأتون للتملك ولا شىء فى هذا الموضوع لان القانون لا يسمح بهذا [شركة المزارع الالية] تقوم بعمل دراسة فى منطقة من مناطقنا لعمل نوع من أنواع التكامل الصناعى الزراعى بآفاقه المختلفة والدراسة موجودة لا تهملها بل نقوم بدراستها وتسير فى اطار الخطة العامة للدولة فى ضوء قانون صدر من مجلسكم الموقر [قانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى] ولن نحيد عن ذلك ، مع الحفاظ التام على كل مواثيقنا وكل مقوماتنا ، ونحن فى موقع يمكننا أن نقول فيه لا . فان هذا الامر لا يفرض علينا قبوله بحيث تكون هناك التخوفات الكثيرة من أنهم سيأتون لاستغلالنا وكذاوكذا .. مطلقا . ان كل الدراسات تستهدف مصلحة الوطن ولو شعرنا فى أى لحظة بأن هناك من يريد استغلالنا فيجب أن نقول لا فورا وكما قال السيد الزميل الدكتور هلال خطاب اذا أريد طرح هذه الدراسات هنا فاننا نرحب بذلك لاننا تعودنا أن نطرح أمامكم كل امورنا لاننا نعمل معكم وبكم ونصل عن طريق ذلك الى مزيد من الدراسات ومزيد من وضوح الرؤية لهذا الموضوع ، ولكن ليس هناك بيع أراضى لشركات اجنبية او افراد أجانب ، وليس هذا واردا على الاطلاق ، بل يمنعه القانون ، وتمنعه مواثيقنا الثورية كلها ، اما بالنسبة للشركات فهناك دراسة موجودة منذ زمن عن الشركات وكيفية ادارتها ، والشركة التخصصية لتحقيق مزيد من الانتاج عن طريق تحديد المسئوليات ، كل هذا وارد وموجود ، وانتى اتصور ان النقاش الذى دار يعزز هذا الرأى وليس ضد فكرة ان تكون هناك شركات . قد نختلف فيما يتعلق بالاراضى التى تديرها هذه الشركات وهل تكون اراضى كلها منتجة وتحاسب عليها حساب ارباح وخسائر وهذا واجب ؟ او يكون الى جانب ذلك جزء من الاراضى التى تدخل ضمن أعمال هذه الشركة والتى يكون معروف مسبقا انها تحتاج الى مزيد من الجهد الفنى ومزيد من الاعمال حتى تصل الى الحدية الانتاجية ، هذه عملية لا تحتاج الى تعويق من ناحيتنا كثيرا ولا تحتاج الى مزيد من الدراسات ، لان الدراسات موجودة ، وقد رأيت فى الوزارة دراسة لهذه الشركات سنة ١٩٦٩ وسنة ١٩٧١ وسنة ١٩٧٢ ، ووجدت أننى أقوم بدراسة على نفس الاسس ووجدت ان كل الاراء التى تسير تعزز هذا الجانب على أساس هل المؤسسة تدير كل الاراضى التى تحت الاستصلاح من أسوان حتى اسكندرية . ان المؤسسة غير قادرة على ذلك ، ثم لو كنا نهدف الى الادارة الاقتصادية ، الادارة المزرعية الحقيقية يجب أن نعيد النظر فى مؤسساتنا بما يحقق هذا التطور الموجود بحكم التركيز فى العمل فى القطاع ككل وترشيد الاداء .

هناك بعض المشكلات التى ترددت فى هذا الاجتماع الموقر : العمالة الزائدة والى جوار العمالة الزائدة هناك العمالة الناقصة التخصصية ، تحتاج الى تنسيق فى ذلك ، قطعا نحتاج الى تنسيق فى العمالة الزائدة واستكمال العمالة الناقصة . هناك بعض العقبات التى تتعلق باراضى مستصلحة ولكن الى أن تدخل فى حيز

الانتاجية تحتاج الى بعض المشروعات فى وزارات اخرى كالرى والشئون الاجتماعية وخلافه كل هذا وارد وكل هذاتسير فى العمل فيه . بالنسبة لمزيد من الاستصلاح . والقضية المطروحة هل نستكمل الموجود حاليا ، أو نقوم بمزيد من الاستصلاح لاراض جديدة . اننى أقول يجب أن يكون لكل وحدة تدخل الاستصلاح هدف اقتصادى كما قال استاذى الدكتور بكر . وما هو المطلوب من أراضى الاستصلاح هل سيكون للتصرف فيها عن طريق التمليك فيكون لها نظام او عن طريق التمليك فيكون لها نظام او عن طريق الشركات فلها نظام او مزارع دولة فلها نظام . كل هذا يجب أن يكون متضحا لنا ونحاول ان نطبقه فيما تم استصلاحه الان . اما مستقبلافيجب أن يكون هناك هدف واضح لكل مساحة تدخل الاستصلاح .لماذا نقوم بهذه العملية وما هى مضاعفات السير بدون التخطيط السليم المتكامل وفى ضوء الخطة الزراعية المتكاملة وفى ضوء الاطار العام للاقتصاد القومى لدينا . اننى اعتقد أن هذا السؤال ، وهو مطروح ، ومجاب عليه . اننى أرى الا نستمر فى استصلاح مزيد من الاراضى الا اذا كان لهدف واضح اقتصادى ، وتكون على علم تام بما هى البرامج الزمنية التى تحقق هذا التصور بالنسبة للموجود . الاراضى التى يجبان تكون فى ولاية الدولة للاسباب التى قالها استاذى الدكتور الجيلى واننى متفق معه فى ذلك ،اذ يجب أن تكون هناك المزارع التى تستطيع الدولة ان تنتج فيها الدولة التقاوى والشتلات المحسنة ونتسع فى توعيات مختلفة .

اننى أقول ان هذه الدراســـة ــ وقد اعطيتها للمهندس هلال فى آخر جلسة من الجلسات التى عقدناها فى القطاع ، وقد سألته لماذا لا تجيبون على هذه الجوابات ، ولماذا لا تقومون بذلك . ان هذه الدراسة وجدتها معمولة من سنة ٦٩ وليتنــا نفذناها فى ذلك الوقت فانه قطعا كان سيكون لدينا مزيد من المزارع التى دخلت بصورة أو بأخرى الى الحدية الانتاجية والتى أعطتنا نوع من الاداء الحسن فى تركيز العمل بالنسبة لانتاج تقاوينا وبالنسبة لانتاج الشتلات والقصور المـوجودة وسنسير كما قال زميلى الدكتور صلاح العبد فى التصنيع الزراعى لانه هدف وواجب فهو يعمل على رفع مستوى الفرد وزيادة دخله وبالتالى يزيددخل الاقتصاد القومى ، وســـنسير فى هذه العمليــة المسيرة الجادة ، لانه هدف واجب فى حـــد ذاته وهناك الامكانيات المتاحة التى تستطيع ان تحقق التصنيع الزراعى فى كل المجالات التى نتكلم عليها . التعاونيات التى توجد فـى الاراضى المستصلحة تختلف بطبيعتها عن التعاونيات التى توجد فى أراضى الائتمان ولكننى اقول اننى والسيد احمد يونس وانتم نود أن يأخذ التعاون وضعه كما قرره القانون الخاص بذلك وان تسير التعاونيات بالصـــورة المحققــة للهيــكل الانتاجى المطلوب للاقتصاد القومى . ونحن فى هذا السبيل نسير خطوات وسرنا هذا العام بعض خطوات فى نواح كانت متعثرة لاى سبب من الاسباب ، ولكن نسير قدما ، وانا مع السيد الزميل فى أن التعاونيات سواء تعاونيات الاستصلاح او الائتمان يجب أن تكون على الصورة التى تستطيع ان تحقق فعلا الهـدف ــ واقول ما يكرره الزميل احمـد يونس دائما ــ بعيدا عن وصاية الاجهزة التنفيذية ، لان التعاون حركة شعبية ، ويجب أن تبقى كذلك ، وانا مؤمن بذلك ، لانه عن طريق التعاونيات الواعية المتفهمة والتى تسير بالصورة التى نريدها قطعا هذههى وسيلة للدولة فى تحقيق الهيكل الانتاجى المطلوب .

هناك بعض المشكلات ، هناك لجنــة لتقصى الحقائق ، ولجنة زارت منطقة مطروح وتقدم السيد المحافظ بمجموعة اقتراحات طيبة نتيجة للدراسة التى تمت من مجلس الشعب لهذه المنطقــة . لا نستطيع ان نتجاهل هذه الدراسة ، ولكن هــذه الدراسة عن طريق الاخوة الزملاء وعن طريق حسن الاداء . هناك الاراضى التى كانت ستبـاع بالمزاد وكان للجنة الزراعة رأى فى ذلك ، لا أستطيع أن أتجنب هذا الرأى الموضوعى لانطلق بصورة تنفيذية بعيدة عن تكامل الاداء الذى اشعر به دائما يجب أن نأخذ كل هذه النقط ونضعها فى موقع المسئولية من ناحية الاداء ، وهذا ورد كذلكفى هذا التقرير وأضيفت الى سـطور هـــذا التقرير الاخوة العاملين فى وادى النطرون ومشكلاتهم ، وأنا أتصور انها مشكلة وقد درسناها هنا فى اللجنة وهناك تكليف للاخ صلاح العبد أن ينتهى من هذه الدراسات وقد انتهى منها فعلا وقدمها الى ولم تخرج مقترحاته عما قلتم فعلا فهناك بعض مصانع تابعة لوزارة الصناعة وتحتاج الى أن تنشط ، وكل ماقيل واننى اتصور ان اللجنة المشكلة مع وزارة الصناعة ستحسم هذا الامر فى أقرب فرصة واننى أختم كلمتى بمزيد من الشكر للجنة وأوجه الشكر الخاص الى الزميل المهندس لبيب عنبة وله مزيد من التقدير هو واللجنة الفرعية على هذا الجهد الكبير وشكرا لكم والســلام عليكم ورحمة الله .

● **رئيس اللجنة**

هناك طلب مقدم من الاخوة أعضاء اللجنة لبحث مشاكل استيراد البطاطس ، والمعوقات التى صادفت التسويق هذا العام وتشكل لجنة لهذا الغرض من

السادة كمال مرعى ، ناصف طاحون ، عصام الدين فهمى ، عبد التواب أبو سريع على أن تجتمع يوم الاثنين المقبل الساعة الحادية عشرة صباحا لبحث موضوع انبات البطاطس ومشاكل الاستيراد والتسويق ، ولماذا لم يتحقق هدف التصدير هذا العام ؟

ايها الاخوة فى نهاية هذا الاجتماع أود أن أتوجه بالشكر العميق لاساتذتنا الذين شرفوا هذا الاجتماع وعلى رأسهم الدكتور الجبلى والدكتور بكر والدكتور وزير الزراعة وأساتذة الجامعات والاخوة العاملين فى استصلاح الاراضى وانني أرجو اذا كان قد بدر من البعض كلمات أن ننسى هذا ونذكر اننا نجتمع كاخوة وان الهدف من الاجتماع ليس أن نهاجم أحدا بل الهدف هو أن نحقق شيئا لمصلحة بلدنا . وانني انتهز هذه الفرصة لاوجه من هنا ، من مجلس الشعب ، التحية والتقدير لكل العاملين فى مجال استصلاح الاراضى فنحن نعلم أنهم جميعا يعيشون ظروفا صعبة ويبذلون الكثير من الجهد الشاق فى خدمة هذا القطاع ، وان الكثير من الاخطاء التى ذكرت ليسوا مسئولين عنها وانما هى نتيجة للسياسات المختلفة والتى كانت مسئولة عما حدث فى هذا القطاع وأود أن أذكر أنه قبل أن تجتمع اللجنة العامة لاعداد تقريرها ورفعه الى المجلس فانه قد يتطلب الامر مزيدا من الدراسة والبحث حتى تتقدم اللجنة الى المجلس بدراسة موضوعية هدفها الصالح العام للبلاد وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله .

تعليقـــــــــات

الاتجـــاهات العـــامة للمنـــاقشة

عبد المنعم شتلة

فى الثالث من يوليـو عـام ١٩٧٤ اجتمعت **لجنة الاستطلاع لمناقشة** ورقـة العمـل التى تقدمت بها اللجنة الفرعية « لجنة استصلاح الاراضى » والمنبثقة من لجنة الزراعة والرى **بمجلس الشعب** والتى طرحت قضية من اهم قضايا التنمية فى بلادنا ــ الا وهى مستقبل الأرض الجديدة وكيفية استغلالها .

ولقد اشترك فى المناقشة عدد كبير من ذوى الخبرة وأساتذة الجامعات المتخصصين وعدد من المسئولين بهذا القطاع الزراعى .

ومن المناقشات والحوار الهام تبدو عدة حقائق اهمها :

١ ــ أهمية القضية المطروحة وحيويتها بالنسبة لمستقبل البلاد وتطورها .

٢ ــ وجود اتجاهين بارزين حول كيفية استغلال الارض الجديدة .

٣ ــ الحاجة الى مزيد من الدراسة وتقديم البيانات السليمة وضرورة مشاركة القوى الوطنية المختلفة فى هذا الحوار .

بدأت الجلسة بتقديم تقرير موجز او « **ورقة عمل** » تقدمت بها اللجنة الفرعية لاستصلاح الاراضى على لسان مقررها المهندس / **محمد لبيب عنيبه** ــ حيث أبرزت ورقة العمل هذه أهمية الموضوع المثار وأثره فى الاقتصاد الزراعى وكيفية البحث عن أنجح الوسائل لتحقيق اكبر فائدة من استغلال الاراضى الجديدة .

كما أشار التقرير الى **افتقاد التخطيط العلمى السليم** فى عملية استصلاح الاراضى واستزراعها حيث يذكر :

« ويمكن أن نقول الكثير عن الاخطاء الفادحة التى كان يمكن تفاديها لو اتبع التخطيط السليم ولو سرنا فى عمليات الاستصلاح بخطى مناسبة للاعتمادات المالية والخبرة الموجودة » .

كما نوه التقرير كذلك على الجهد الشاق الذى قام به العاملون فى هذا الميدان البكر حيثيقول:

« ومع ذلك فلا بد ان نذكر فى الجانب الاخر صورا مشرقة فهناك جيل من شباب مصر ورجالها وعلمائها كان يعمل فى ظروف قاسية من أجل الوطن ويعتبر هؤلاء ثروة قومية نفخر بها وكذلك لابد أن نقول أن هناك آلاف من الافدنة من الاراضى الجديدة الخضراء اضيفت الى الرقعة الزراعية».

وينتهى تقرير اللجنة بعدد من الاقتراحات تتعلق بالاسلوب الامثل لاستغلال الاراضى المستصلحة والتى تزرع حاليا على الذمة أى تقوم الدولة بالاشراف عليها واستغلالها — وتشمل هذه الاقتراحات :

أ — اراض لابد من بيعها فورا ، وهى تمثل المساحات المتناثرة والصغيرة .

ب — اراض يمكن بيعها لخريجى المعاهد الزراعية بالاجل .

ج — اراض ذات مساحات واسعة يمكن أن تقوم عليها شركات كبيرة تكون قادرة على ادارتها واستغلالها وهذه الشركات اما مصرية خالصة — أو مصرية عربية — غربية أجنبية .

د — اراض يمكن ان تدار عن طريق التعاونيات الزراعية .

وقبل عرض وجهات نظر المشتركين فى الحوار والمناقشات من لجنة الاستطلاع يهمنا أن **نضع بعض البيانات عن الارض الجديدة والتى وردت فى مناقشات الاعضاء :**

— ان عمليات استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة بدأت ببداية الثورة تقريبا أى منذ عام ١٩٥٤ منذ عشرين عاما ، وهى فترة زمنية ليست كبيرة بالنسبة لعمليات الاستصلاح والإستزراع .

— بلغت جملة مساحة الاراضى الجديدة المستصلحة خلال هذه الفترة ما يقرب من ٩١٢٠٠ الف فدان كمساحة جغرافية ، والتى قد تزيد عن مساحة الاستزراع الفعلية بمقدار ٢٥ ، ٣٠ ٪ حيث تشرف مؤسسة الاستزراع على ٧٠٠ الف فدان من هذه المساحة الكلية أما الباقى نتحت اشراف هيئات اخرى كتعمير الصحارى . وتبلغ نسبة المساحة المستصلحة من الاراضى الجديدة الى الرقعة الزراعية المصرية حوالى ١٧ ٪ .

— بلغت جملة النفقات التى صرفت على استصلاح وإستزراع هذه المساحة من الاراضى الجديدة ٧٤٠ مليون جنيه — انفق ما يوازى نصف هذه التكاليف على الخدمات وانشاء القرى الجديدة والمستشفيات واقامة الطرق وغير ذلك من عمليات الخدمات المختلفة ، اما النصف الاخر فقد تم انفاقه على عمليات التسوية وانشاء الترع والمصارف ومحطات رفع المياه أى على عمليات تتعلق مباشرة باستصلاح واستزراع هذه الاراضى . وتقدر متوسط الاستثمارات التى انفقت على مشروعات استصلاح الاراضى بالنسبة للفدان الواحد ٢٩٦ جنيها كأعمال خدمات ، أما عمليات الاستصلاح فتبلغ ١٣١ جنيها ، وبذلك تصل تكلفة الفدان الواحد فى المتوسط الى حوالى ٤٢٧ جنيها .

— تبلغ مساحة الارض المؤجرة والملكة حوالى ٢٠٠ الف فدان من الاراضى المستصلحة والتى بلغت مرحلة الحدية الانتاجية أو فوقها .

وقد دارت مناقشات الاعضاء المشتركين فى لجنة الاستصلاح هذه حول فكرة رئيسية الا وهى : الى من تؤول هذه الارض الجديدة ؟

وقد برزت وجهتا نظر متناقضتان حول هذه الفكرة المحورية أو الرئيسية :

وجهة النظر الاولى :

وتنادى بضرورة توزيع هذه الارض الجديدة سواء بالتمليك أو التأجير على الفلاحين ، وقد عبر عن ذلك بوضوح **السيد / عطا سليم عضو مجلس الشعب** فى كلمته أمام اللجنة حيث يعبر عن ذلك بقوله :

« واننى اقترح أنه طالما أن التجربة اثبتت أن الارض التى مع الفلاحين هى الاكسب فقد آن الاوان أن **نتصرف بالبيع فى كل الاراضى التى بلغت الحدية** بمساحات تتراوح بين ٥ ، ٢٠ فدانا — والمناخ مناسب الان وفى الماضى كان لا احد يجرؤ على الشراء خوفا من ضياع أموالهم وخوفا أيضا من الظروف السائدة التى نحن نعرفها — واليوم أمان بعد ان أمن الزعيم كل مصرى على يومه وغده أصبح على كل فرد أن يشترى اليوم

وأى أرض تعرض تباع رغم وجود المغالاة فى أثمان البيع لانهم يريدون استثمار اموالهم .ولو بعنا الارض التى بلغت الحدية من ٥ : ٢٠ فدانا . ونستقطع جزءا واحدا بسيطا تجرى فيه الدولة التجارب والابحاث مثل الشتلات واستنباط بذور وما الى ذلك من عمليات تجارب — أما موضوع الشركات انا شخصيا اعارضه بشدة واقول آن الاوان ان نبيع الارض وبأثمان مناسبة لا نغالى فيها . وفى رايى لو ان الفلاحين أخذوا هذه الارض **بدون مقابل** سينتجون منها والدولة ملزمة بتوفير الغذاء والكساء لهؤلاء الناس وهذا أفضل من أن القطاع يأخذ منى ٧٠٠مليون جنيه ولانعرف آخر اليوم أين ذهبوا ... واطالب بما يلى :

أولا : بيع الاراضى التى بلغت الحدية سواء متناثرة او متكاملة فى حدود من ٥ : ٢٠ فدانا بأثمان مناسبة غير مغال فيها وبالتقسيط الطويل المريح للفلاحين » .

وهكذا يعبر السيد/عطا سليم عن هذا الراى بوضوح كامل متمسكا بعدة شروط :

١ — التصرف بالبيع فى كل الاراضى اى لا تستبقى الدولة اى اجزاء منها لاستغلالها .

٢ — ضرورة وصول هذه الارض المباعة الحدية الانتاجية ... بمعنى ان تقوم الدولة بالصرف والانفاق على مشاريع الرى والصرف والاستزراع وغيرها من العمليات والخدمات المختلفة حتى تصل هذه الارض الى المرحلة الحديةالانتاجية —وهى المرحلةالتى تبدأ منهاالارض الانتاج الاقتصادى للمحاصيل المختلفة ولا تحتاج للتكاليف الباهظة كما كان الحال فى بدء عمليات الاستزراع . ثم تسلم بعد ذلك للفلاحين حتى لا يتحملوا أعباء كبيرة تثقل كاهلهم .

٣ — تباع هذه الارض بمساحات تتراوح مابين ٥ : ٢٠ فدانا — وبالطبع لن يتقدم لشراء مثل هذه المساحة والتى تعتبر كبيرة بالنسبة للزراعة المصرية والتى يغلب عليها نظام المزارع القزمية او الصغيرة للغاية ، سوى الفلاحين الاغنياء القادرين على دفع اقساط التمليك واستغلالها .

٤ — تباع هذه الارض بدون مقابل او بأثمان مناسبة غير مغال فيها وبالتقسيط الطويل المريح.

وفى الحقيقة ، فان هذا الراى الواضح والذى عبر عنه صاحبه ، لم يشاركه فيه احد من المشتركين فى المناقشات سوى الدكتور **صلاح العبد** ولكن ببعض التحفظات وعبر عن ذلك فى كلمته :

« ومن هذا يتضح أن توزيع الاراضى له فوائد اقتصادية واجتماعية على المنتفعين وعلى الاقتصاد القومى للدولة ... »

ثم يقدم اقتراحاته بالصورة الاتية :

« بالنسبة للاراضى التى استصلحت : هناك ٦٥٠ الف فدان زمام الاستزراع منها ٢٠٠ الف فدان موزعة بالتأجير أو التمليك . فيتبقى اذن فى حيازة المؤسسة حوالى ٣٥٠ الف فدان — نجد منها ٦٧ الف فدان اراض متخللة لاراضى التأجير ، واراض متناثرة ، واقترح بالنسبة لهذه المساحة من **الارض توزيعها** بالتأجير او بالتمليك ... فاذا تم هذا فانه يبقى فى حيازة المؤسسة حوالى ٧٠ الف فدان لا تزرع . والسبب الاساسى فى ذلك احتياجها الى الاستثمارات لاستكمال بعض المشروعات اللازمة لزراعتها وهذه الارض لا بد أن تزرع . لان بقائها على هذا الحال فيه اهدار للاقتصاد القومى — فاذا ما اخذنا بالاقتراح الذى ذكرته ببيع الـ **٦٧** الف فدان عما هو عليه حاليا **وهى** فى ذمة مؤسسة الاستزراع — يتبقى بعد ذلك حوالى ٢٥٠ الف فدان ،ويمكن ان نناقش ما جاء فى تقرير اللجنة الفرعية وما ذكره السادة المتحدثون عن الاقتراح الخاص بتوزيع جزء من الارض على المهنيين . ولدينا مشروع توزيع ٢٠ الف فدان على المهنيين ... وسيخصص كذلك مساحة قدرها **١٠** آلاف فدان لتوزيعها على أسر الشهداء والمقاتلين ... ويبقى عندنا بعد ذلك حوالى ٢٠٠ الف فدان ودورنا أن نضع تصورا لمستقبلهم — **ويمكن ان نوزع جزءا منها بالتأجير او التمليك عند وصول الارض الى الحدية الانتاجية** — اما الباقى فانا من انصار انشاء شركات متخصصة تعمل بها ... وافضل فى هذا المجال رأس المال المصرى والعربى عن رأس المال الاجنبى ... »

كما عبر عضو مجلس الشعب / **كمال مرعى** عن رأيه فى معنى سياسة الانفتاح بالنسبة للسياسة الزراعية ويرى ضرورة فتح الباب **للقطاع الخاص** فى هذا المجال متمشيا مع مفهومه عن معنى الانفتاح اذ يقول :

« ... اذا كان هناك انفتاح فان ادماج وزارة الاستصلاح فى وزارة الزراعة معا يجب أن نسير على هديه ... فتنتقل المسئولية الى الشركات

المتخصصة التي يدعمها **القطاع الخاص** .. .. وانني اذكر بالقطاع الخاص ووجوب فتح الباب أمامه خاصة وأن الدولة في قوانين الاستثمار أتاحت له هذه الفرصة ولقد أباحت للشركات الاجنبية تأجير الارض المستصلحة لمدة ٥٠ عاما قابلة للتجديد » .

وعدا هذه الاراء الثلاثة ، فقد تنوعت الاراء الاخرى ، ما بين مؤيد للاقتراحات التي وردت في ورقة العمل والتي قدمتها اللجنة الفرعية لاستصلاح الاراضي وبين معارض للاتجاهات التي أبديت من الثلاثة أعضاء المؤيدين والمحبذين لفكرة توزيع الارض الجديدة بالتملك والتأجير واشراك القطاع الخاص مع وضع تحفظاتهم المختلفة في الاعتبار .

وجهة النظر الثانية :

ويعتبر الرأى الذى أبداه **الدكتور مصطفى الجبلى** فى هذا الحوار من أهم وأشمل الاراء التي تبلت **حول الفكرة الاخرى** والمناهضة لفكرة التمليك والتأجير حيث يقول :

« هذه الاراضي ليست مثل اراضي الاقطاعيين . والفلاحون عملوا في اراضي الاقطاعيين ، ولذلك لهم حق واضح في التمتع بهذه الاراضي وتوزيعها عليهم توزيعا كاملا — أما عن الاراضي الجديدة ، فهي مرتبطة بمستقبل الاجيال القادمة ومرتبطة بمقدار التوسع المنتظر ... ليس أمامنا أكثر من ١,٢ ، أو ١,٣ مليون فدان ، استصلح منهم حوالى مليونا فيبقى ٢٠٠ او ٣٠٠ الف فدان ، وبذلك نكون قد استعملنا كل مياه السد العالى تقريبا — وفى المدى البعيد ليس هناك مصادر مائية جديدة الا بقدر يسير جدا لتحسين أحوال الرى فى الاراضي المتاحة لذلك — فالاراضي الجديدة هى المصدر الوحيد حاليا ومستقبلا للاجيال القادمة . هذه الارض جميعنا ساهمنا فيها . ساهمنا باموالنا بأنفسنا — بالحروب الفعلية ضدنا — بالحروب الاقتصادية ضدنا — **كل مواطن فى مصر ساهم فى هذه الارض — ولزاما فان لكل مواطن فى مصر حق فى هذه الارض** . هذه نقطة هامة يجب الا تغيب عنا عندما نفكر فى مستقبل هذه الارض هى المصدر الوحيد . والاجيال القادمة ستنظر اليها دائما لان آبائها واجدادها ساهموا فى انشاء هذه الارض . اذن ما هى طريقة التصرف التى يجب ان ننظر اليها كمواطنين — هناك وجهتان للنظر الى هذه المشكلة — الوجهة الفردية ووجهة الدولة — وجهة الفرد أن يمتلك أقصى ما يمكن **فى أقصر مدة** ممكنة وبأية طريقة يمكنه الحصول على هذه الارض — ولست ضد الملكية من هذه الاراضي — ولكن فى حالة وادى النطرون بالذات الذى ضرب مثلا أجد أن — وقد علمت هذا — من يقدر فعلا على دفع التكاليف العالية لهذه الاراضي — ليس هو الفلاح — ولكنهم طبقة أخرى غير الفلاح . وأنا اعلم أن هناك العديد من المضاربين على هذه الاراضي — وقد تصل أثمانها الى أرقام خيالية ١٠٠٠ ، ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ جنيه — لا يصح أن تغرينا هذه الارقام مطلقا — اذا كنا نود أن نضع امامنا وجهة المستقبل » .

وتكلم الدكتور **مصطفى الجبلى** عن المساحات المتفرقة على طول الوادى فى وحدات اقتصادية صغيرة حيث يقدم حلا خاصا لها فيقول :

« ولو اننا أخذنا قطاع الاراضي المستصلحة لوجدنا أن هناك ١٤٠ ألف فدان مساحات متفرقة على طول الوادى فى وحدات لا يمكن ادارتها اقتصاديا فى رايى . **انهذه الاراضي يطبق عليها نفس النظام أو نظام الايجار وليس التمليك** . الايجار لمدة طويلة — لانى اقول واكرر أن هذا هو المصدر الوحيد — لقد زدنا منذ الثورة حوالى ١٦ مليون فرد — المطالبون للاراضي الجديدة لايقل عن ٨ ملايين — المساحات المتوفرة لدى المؤسسة لاتزيد عن ٣٥٠ الف فدان لو وزعتهم على ٥ أفدنة سأحل مشكلة ١٠٠ الف أسرة فقط — يعنى ٥٠٠ الف شخص — فيبقى ٧,٥ مليون فرد ينظرون الى الارض ولا يستطيعون أن يحصلوا منها على سهم واحد فى هذه العملية — وهذه أيضا من أبعاد المشكلة التى يجب أن نفكر فيها — سهلة واقول بيع هذه الاراضي ٥ أو ١٠ أفدنة — ماذا تحل هذه العملية ؟ مشاكل ١٠٠ الف اسرة فقط — أما الباقى فسيكون حاقدا — وسيظل محروما حتى من العمل فى هذه الارض ... وفى رأيى أن جميع المساحات المتفرقة يجب أن يسرى عليها هذا النظام . ولاستكمال هذا النظام الاجتماعى لمصر والنظام الاشتراكى **يجب ان ينظموا فى تعاونيات خدمية انتاجية وليست خدمية فقط وانما لا بد ان تكون خدمية انتاجية** . ويجب ان يضمن **عدم المساس بهذه الارض فى التفتيت أو البيع** . ثم اتباع دورة زراعية ملزمة وليست البعثرة المحصولية التى نعانى منها حاليا فى الاراضي القديمة تحت أى الظروف — وقد اخطأنا فى الاول عندما وزعنا هذه الاراضي اذ أعطاهم الارض كلها فى قطعة واحدة — ولذا لم نتمكن من تنفيذ دورة زراعية ... ولذلك فاننى أحذر عند توزيع هذه الاراضي أن يضموا **فى جمعيات تعاونية انتاجية** — واننى أعتقد أن التعاون وأكرر أن التعاون هو الاسلوب الوحيد

لادارة هذه الاراضى بطريقة تحفظ للفرد حريته فى التصرف وللوطن حقوقه على هذه الاراضى — **وتعاون انتاجى يدخل تحت نظام تحديد الدورة.**

« ... تبقى بعد ذلك الوحدات الكبيرة وهى للاسف وحدات محدودة لا تزيد عن ٢٠٠ الف فدان تشمل شمال التحرير ومريوط وغرب النوبارية وجزء للاسف من النهضة — هذه الاراضى هى ثروة للزراعة فى مصر يجب أن تظل مع الدولة تديرها بالطريقة التى تراها — شركات كانت أو مؤسسات ليس هذا مهم — لانه قد تعانى الشركات من الخسارة فتتحول كنظام المؤسسة اذا بقى النظام كما هو عليه حاليا » .

« ... يجب أن نفكر أيضا بالنسبة لمستقبل مصر — أن القطاع الخاص بالزراعة قطاع ضخم يمثل على الاقل حتى لو احتفظنا بالمائتى الف فدان ٩٥ ٪ قطاع خاص — الـ ٥ ٪ فانها تكون الوسيلة لتحقيق الاهداف التالية :

أولا : ستكون المزرعة الرائدة لتطوير الزراعة المصرية — اننا جميعا ننادى بتطوير الزراعة المصرية — تطوير الزراعة يحتاج الى تجارب والى اخطاء والى خسارة — ولا يمكن للفلاح العادى ان يتحمل هذه التجارب وهذه الاخطار وهذه الخسارة — اذا القطاع العام هو الذى يجب أن يتناول هذه المشكلة بكل شجاعة حتى يمكن بعد ثبوت النجاح فى أى تجربة أن ننتقل بها الى الاراضى القديمة .

ثانيا : تعطى لوزير الزراعة حرية المرونة فى سياسته الزراعية ... لكن عندما يأتى قطاع زراعى مسئول عن مقابلة اهداف معينة للدولة — خصوصا فى التصدير أو فى محاصيل خاصة لا يمكن للفلاح ان يقوم بها — هنا يجب أن يبرز دور هذه الاراضى — أريد مثلا أن أزرع موالح من نوع معين بأصناف معينة للتصدير — لا أستطيع ان أفعل هذا لدى الفلاحين — أستطيع القيام بها فى هذا القطاع — أريد أن أطور — أن ادخل ميكنة — لا أستطيع الذهاب فجأة واعمل ميكنة ووحدات كبيرة لدى الفلاحين ...»

« ... اننى أقول أن وجود قطاع معين يدار فى وحدات كبيرة بأساليب علمية حديثة من ميكنة وتصنيع زراعى وتخصص زراعى وتركيز زراعى وهى السياسة التى ناديت بها وأومن بها وأتمنى دائما أن تكون شعارا لنا ولن نتحرك نحو مستقبل زراعى بدون اتباع هذه السياسة .. »

كما تكلم كذلك عن اشراك راس المال الاجنبى فى الزراعة فقال :

« ... بالنسبة لشركات مصرية أو شركات عربية مصرية ، أو شركات اجنبية باننى **لا أؤيد مطلقا دخول الاجانب فى الارض الزراعية مطلقا — لان هناك مصريون قادرون** — اننا نعانى من البطالة فكيف نعطى الارض للاجانب ؟

« ... اننى افضل الشركات المصرية ... يصح السماح للعرب — ولو ان هذا يتعارض حقا مع القطاع الزراعى نفسه — العملية ليست بسيطة — المشكلة التى تعانيها مصر هى ضيق الرقعة الزراعية والمواطنون لا يجدون وسيلة يعيشون بها — فهل احضر لهم شريكا آخر لكى يساهم معهم فى الارباط — ان ذلك يعنى ان ما يعود على الفرد وعلى المجتمع سوف يقل مائة فى المائة — هذه وجهة نظر تحذيرية ولكن المسئولين طبعا لهم أن يقرروا ما يشاءون » .

ثم يعود فيحدد الاهداف التى يجب على الدولة تحديدها عند التصرف فى هذه الاراضى فيتساءل :

« هل الهدف هو توسيع قاعدة الملكية وقد تست ابعادها وهى محدودة جدا أم هل الهدف هو تطوير الزراعة — وقد تست دور هذه الاراضى التى يمكن أن تلعبه فى تطوير الزراعة فى المستقبل وهذا أمر ضرورى — وللهدف الاخير ما يمكن أن تساهم به هذه الاراضى من انتاجية الفرد والمجتمع — يجب ان نحدد اهدافنا !! ... لو تم الاستقرار على هدف من هذه الاهداف لاصبحت المشكلة سهلة ... »

وقد شارك هذا الراى عدد من المشتركين فى المناقشة بعديد من الحجج والتساؤلات فنجد **المهندس فؤاد على** يتساءل متعجبا بالنسبة للراى الذى ينادى بالتمليك والتأجير فيقول :

« ان ما ذكره بعض السادة المتحدثين حلا لهذه المشكلة كتأجير الارض او تمليكها لصغار الفلاحين لا يحدث فى اية دولة من الدول خصوصا فى الاراضى التى صرف على الفدان فيها ٥٠٠٠ جنيه — اننى ارى الحل الامثل فى انشاء شركات كبيرة حيازتها لا تقل عن ٥٠ — ١٠٠ الف فدان وتستأجر هذه الاراضى لمدة محددة ... وافضل ان تكون هذه الشركات برؤوس اموال عربية مصرية ، أو أن تدخل الحكومة مساهمة فيها بمقدار ٥١ ٪ والباقى اما اموال عربية او اجنبية على ان يعطى لهذه الشركات من استغلال الارض

لمدة ٢٠ او ٣٠ سنة بعدها يمكن للحكومة ان تتصرف فى الارض حسبما تراه ... »

كما اشار **محمد ابو الفضل الجيزاوى** لموضوع تملك الاجانب للاراضى الزراعية فى مصر فيقول معارضا بوضوح :

« **اننا نرفض رفضا باتا ان تتملك شركات غير مصرية الاراضى الزراعية** ويجب ان تبقى ارض مصر للمصريين ، واذا اريد اشراك الشركات الاجنبية فى عمليات التنمية فى بلدنا فليكن للاستشارة فقط فنحن لدينا الكثير الكافى من المهندسين والخبراء — واذا اردنا الاستعانة بالخبرة الاجنبية فلا مانع من هذا — اما تملك الاجانب للاراضى المصرية فهذا هو ما نرفضه..»

اما الدكتور هلال خطاب فيتحدث معارضا لفكرة بيع الاراضى الزراعية او اشراك الاجانب فى ادارتها فيقول :

« ان الاراضى المستصلحة فى مصر ليست بدعة بل هى جزء من مشكلة مصر الزراعية . اننا سنواجه فى المستقبل وقبل نهاية هذا القرن بأن تعدادنا سيبلغ ٧٠ مليون نسمة فلابد ان تكون الزراعة موجودة ومن ثم فلا يمكن التصرف فى الاراضى الزراعية بالبيع ويجب ان تكون الاراضى الزراعية للمصريين ويستغلونها بالطرق الفنية والعلمية الصحيحة ، وعلى ذلك كان من الغريب ان يقول احد المسئولين عن تخطيط المشروعات الزراعية انه لا سبيل لحل هذه المشكلة الا ببيع تلك الاراضى — ومع احترامى الشديد لكل من يوافقه على هذا الرأى فأننى اعارض هذا الاتجاه — فموضوع ملكية الاراضى فى مصر لابد من اعادة النظر فيها ... »

اما المهندس الدكتور محمد بكر فقد اشاد بدور العاملين فى ميدان استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة منذ عام ١٩٥٣ ، وينظر اليهم كأصحاب رسالة مؤمنين بها وانهم قاموا باعمال جبارة — ثم يحدد بعد ذلك بوضوح :

« ... انه لابد أن تبقى الارض فى حيازة الدولة — ولقد اوافق اللجنة تمام الموافقة على ان تكون فى يد شركات ... كما انه يمكن لهذه الشركات ان تستعين باموال يستثمرها اخواننا العرب او بعض الشركات ...

أما الدكتور وزير الزراعة فيعلق عند انتهاء المناقشات مؤيدا ضرورة وجود التخطيط الواضح المعالم — ثم يطالب بضرورة التخلص من الاراضى المتناثرة التى لا تحقق ادارتها عن طريق المؤسسة اى عائد اقتصادى — اما بالنسبة لبيع الارض للاجانب فيعلق بوضوح :

« ... **اننا لا نبيع الارض للاجانب** — فالقانون لا يسمح بذلك — فاننا لا نبيع الاراضى [للفارم ماشينرى Farm Machinery] مليس هناك اجانب سيأتون للتملك ولا لشىء فى هذا الموضوع لان القانون لا يسمح بهذا »

[شركة المزارع الالية] تقوم بعمل دراسة فى منطقة من مناطقنا لعمل نوع من انواع التكامل الصناعى الزراعى بآفاقه المختلفة ، والدراسة موجودة لا نهملها بل نقوم بدراستها وتسير فى اطار الخطة العامة للدولة فى ضوء قانون صدر من مجلسكم الموقر [قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى] ولن نحيد عن ذلك — مع الحفاظ التام على كل مواثيقنا وكل مقوماتنا . ونحن فى موقع يمكننا أن نقول فيه لا .. ان كل الدراسات تستهدف مصلحة الوطن ولو شعرنا فى اى لحظة بأن هناك من يريد استغلالنا فيجب ان نقول لا فورا .... ولكن ليس هناك بيع أراض لشركات أجنبية ، أو أفراد أجانب ... أما بالنسبة للشركات فهناك دراسة عن طريق تحديد المسئوليات ... ثم يستمر قائلا :

« اننى ارى الا نستمر فى استصلاح مزيد من الاراضى الا اذا كان لها هدف واضح اقتصادى ونكون على علم تام بما هى البرامج الزمنية التى تحقق هذا التصور بالنسبة للموجود . الاراضى التى يجب ان تكون فى ولاية الدولة للاسباب التى قالها استاذى الدكتور الجبلى واننى متفق معه فى ذلك اذ يجب ان تكون هناك المزارع التى تستطيع الدول ان تنتج فيها التقاوى والشتلات المحسنة ونتسع فى نوعيات مختلفة »

وهكذا نجد فى هذا الحوار وتلك المناقشات صورة حية لما يدور فى اذهان الكثيرين من المهتمين بقضية الارض الجديدة ومستقبلها . ولا شك ان هذا الحوار يدور فى وقت تكثر فيه الاراء المتضاربة بل والمتناقضة حول مستقبل مصر وفى اى طريق نسير — ولهذا يعتبر هذا النقاش هاما وحيويا فى هذه الظروف بالذات لانه يفصل بين فكرين متناقضين تماما : احداهما يريد توسيع حق ملكية الارض ويقف فى مواجهة قيام قطاع عام زراعى حتى ولو بنسبة ٥٪ فحسب ضاربا عرض الحائط بالاهداف القومية ومتطلبات خطة التنمية والاهداف المتعلقة برفع مستوى المعيشة للشعب .

وثانيهما : يقف بوضـوح مع أهداف خطـة التنمية وضرورة الحفاظ على هذه النسبة الضئيلة والتى لا تتجاوز ٥ ٪ من جملة الرقعة الزراعية المصرية لكى تصبح المزرعـة الرائدة لتطـوير الزراعة المصرية وتنفيذ المشاريع الخاصة التى تحتاج اليها الخطة العامة للدولة والتى لا يمكن للفلاح الصغير القيام بها .

ان هذه الارض الجديدة كما عبر الكثير من المشتركين فى هذا الحوار — هى ثمرة جهـد ونضال شعب بأسره — ولهذا يجب بل يستلزم أن يتمتع بخيراتها كل الشعب وليست فئة قليلة ومحدودة منه .

كما ان الاخطاء والعيوب التى صاحبت عمليات الاستصلاح والاستزراع — وهى عيوب طبيعية بالنسبة لعمل كبير وجديد فى بلادنا — يجب الا تنسينا هذا الجهد الخارق والذى قام به الالاف من العاملين والمهندسين والخبراء فى هذا الميدان بصـبر وجلد متحملين قسـوة الطبيعة وظروف معيشة غير طبيعية كلفت الكثيرين منهم الحياة نفسها — ومع هذا فلم يضنوا أو يبخلوا فى دفع حياتهم ثمنا لاحياء هذه الصحارى الضارية حتى امكنهم بحق قهرها وترويضها واحالتها الى اراضى خضراء يانعة مزهرة كأمل امـام شـعبنا لحياة افضـل .

ولا شك ان اجتماع **لجنة الاستطلاع** يعتبر مبادرة طيبة للبحث عن حل مناسب لهذه المشكلة الحيوية والتى لها آثار بالغة فى تحديد مستقبل بنـاء مصر .

ولهذا يجب توسيع نطـاق هـذا الحـوار والمناقشات بين اوسع فئات شعبنا وممثليه — فى النقـابات العمالية والمهنيـة وبين المثقفين وغيرهم من المشتغلين فى هذا المجال ومن لهم اهتمامات خاصة بهذا الموضوع الحيوى للغاية .

ولا شك أن توسيع نطاق هذا الحوار سوف يضفى الكثير من الجدية والمقترحات البناءة كما يساعد المسئولين على تبين معالم الطريق الواجب السير فيه لبناء مستقبل بلدنا على طريق الرخاء والتقدم .

● الحـل : مزارع حكوميـة وتعـاونية انتـاجية

د . محمـد أبو مندور الديب *

أثار النقاش الذى دار حول الارض الجديدة فى لجنة الاسـتطلاع والمناقشـة كثيرا من الجوانب المتعلقة بالمشكلات التى واجهت التجربة . وفى نفس الوقت ، فسح النقاش المجال للبحث عن مستقبل هذه الارض . وكان السؤال الاساسى الذى فرض نفسه على المناقشة ، ونال نصيبا وافرا من الحديث هو — ما هو الشكل المناسب لاستغلال هذه الارض مستقبلا فى ضوء الظروف الموضوعية والذاتية التى تحيط بالواقع المصرى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . ولقد تبلور من المناقشات

(*) مدرس الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة — جامعة القاهرة .

أن هناك أربعة اتجاهات رئيسية حول تحديد شكل الاستغلال وهى :

أولا : اتجاه ينادى بتوزيع المساحات التى مازالت على ذمة المؤسسة على الفلاحين المعدمين وتمليك أجزاء منها للمهنيين .

ثانيا : اتجاه ينادى بتأجير هذه الاراضى على آجال طويلة .

ثالثا : اتجاه ينادى بانشاء شركات زراعية يساهم فيها رأس المال المحلى والعربى والاجنبى .

رابعا : اتجاه ينادى بانشاء مزارع حكومية وتعاونية انتاجية على هذه الاراضى .

ولكى نصل الى القرار المناسب حول الشكل الاكثر موافقة فانه لابد من مناقشة كل اتجاه ، محددين آثاره ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

مناقشــــة الاتجـــــاه الاول

فبالنسبة للاتجاه الاول ، وهو الذى ينادى بتوزيع هذه الاراضى على المعدمين من الفلاحين فيرى أنصار هذا الرأى [وكما اتصور] فوائده من النواحى التالية :

١ ـ أننا بهذا الاسلوب نزيد من قاعدة من لا يملكون ، ونقلل من جيش المعدمين . وهم ـ كما يعتقدون ـ يقدمون حلا لهم . لكن الرد على ذلك يتضح من خلال مناقشات الجلسة . فلقد تبين أنه لو وزعت كل المساحة المستصلحة والمستزرعة ـ حتى الان ـ فان عدد المستفيدين من هذه الاراضى لن يتجاوز ٥٠٠ الف فرد من العدد الكلى للمعدمين والبالغ قرابة ٨ ملايين فرد ، أى أن نسبة المستفيدين لن تتجاوز ٥ر١٦ فى المائة فقط . وعلى ذلك فان حجم الحل الاجتماعى الاصلاحى يعتبر محدودا جدا .

٢ ـ أن أصحاب هذا الرأى يعتقدون بان تملك هذه الاراضى سيساهم فى رفع انتاجيتها عما لو استغلت بالوسائل الاخرى ، محاولين ـ بهذا ـ استغلال قضايا حب التملك والحوافز الفردية فى المكان الاول . ولكنهم ينسون أن حوالى ٩٥ فى المائة من الاراضى القديمة يمتلكها القطاع الخاص ، وأن الزيادة فى الانتاجية الفدانية ولعدد كبير من المحاصيل والمنتجات الزراعية أصبحت محدودة جدا . بل أن هناك بعض المحاصيل بدأت انتاجيتها تتناقص فى السنوات الاخيرة . والسؤال المطروح هل ستكون الارض الجديدة أفضل حالا من الارض القديمة فى هذا المجال ، فى حين أن الاخيرة [اى الارض القديمة] تتمتع بفرص أحسن بكثير لرفع الانتاجية عن الارض الجديدة من ناحية الخصوبة وسهولة الحصول على عناصر الانتاج وتوفر وسائل النقل والتسويق وغيرها من مقومات زيادة الانتاجية .

٣ ـ أن اتجاه التمليك فى مساحات صغيرة يعتمد على استنتاج سريع ، الا وهو زيادة انتاجية الارض الجديدة بعد توزيعها عنه قبل توزيعها وأرجعوا ذلك الى فشل الدولة فى ادارة الانتاج وما نتج عنه من ارتفاع فى التكاليف ، ناسين أيضا أن معظم الاراضى التى وزعت عن طريق الملكية والايجار من الاراضى التى وصلت الى مرحلة الحدية الاقتصادية وأن المقارنة لابد وأن تأخذ فى اعتبارها التكاليف الادارية المرتفعة والتى كان من الممكن تداركها ووضع حل لها . كما أن انخفاض الانتاجية فى هذه الاراضى فى ظل ادارة الدولة ارتبط ـ كما أعتقد ـ بعدم وجود اسلوب فعال للادارة والحوافز الانتاجية المدعم بالخبرة الميدانية يمكن تطويره وتحسينه .

٤ ـ يعتقد المنادون بتوزيع هذه الاراضى على المنتفعين المعدمين بأن هذا الاسلوب يمكن أن يوفر حياة اقتصادية مستقرة ، وهى تعتمد ـ فى الغالب ـ على تنويع مصادر الدخل أو التخصص الانتاجى المقرون بسهولة التبادل للحصول على ما يحتاجونه من عناصر الانتاج والاستهلاك المختلفة . وأصحاب هذا الرأى ينسون ايضا أن ظروف الارض الجديدة تختلف وبشكل جوهرى عن ظروف الارض القديمة من ناحية امكانية تنويع الانتاج وعدم توفر الاسواق القريبة . وعلى ذلك فستظل امكانيات التسويق الفردية فى المدى القصير بل والمتوسط أيضا من الامور المحددة لتوفير الاستقرار الاقتصادى . وفى ظل هذا الوضع تبرز ضرورة تركيز الحاجات الانتاجية والاستهلاكية وضرورة تجميعها حتى يسهل نقلها بأقل التكاليف للاستفادة بمزايا النقل كبير الحجم .

٥ ـ يم ـكر المنادون بالتوزيع . فى المشاكل التى حدثت من جراء تفتت الملكية وسيادة الانتاج

الفردى فى الارض القديمة . وهم ـ بذلك ـ يسعون من خلال هذا الحل الى زيادة تعقيد المشكله . لان التفتيت يعنى ضياع مزايا تكثيف وتركيز الانتاج ، وصعوبه استخدام الخدمات التعاونية كما يعنى عدم امكانية توجيه الانتاج وفق خطة زراعية ضمن اطار الخطة القومية الشاملة . ويكفى أن نؤكد هذه الحقيقة بزيادة عدد مخالفات الدورة الزراعية من ٤٢ الف مخالفة فى العام الماضى الى ١٨٠ الف مخالفة فى العام الحالى ، مما يشكل ظاهرة خطيرة على الاقتصاد القومى،[١] اى أن عدد المخالفاتزاد بمقدار ٤٥٠ فى المائة تقريبا فى خلال سنة واحدة .

٦ ـ ان هؤلاء المطالبين بتوزيع الارض الزراعية على المهنيين وبيعها لهم لم يوضحوا بأى سعر ستباع به هذه الاراضى . هل سيباع الفدان بمقدار التكلفة الحقيقية أم اقل ؟ أم ستخضع هذه الاراضى للمزاد العلنى . فأيا كان سعر البيع ، فان هذا الاسلوب سيضيف سلبية جديدة فى مجال توزيع الارض الزراعية . فالمهندس الزراعى او الطبيب وغيرهم من المهنيين لن يقبلوا على مساحات صغيرة لا تعطى عائدا يقل عن فرصتهم خارج مجال الارض الزراعية بل أنهم بالطبع سيسعون الى شراء مساحات توفر لهم دخلا أكبر من ذلك الذى يحصلون عليه من وظائفهم وذلك لاعتبارات كثيرة من اهمها درجة المخاطرة التى يمكن أن يواجهوها فى ظل ظروف الانتاج الزراعى الذى تحكمه عوامل اللايقين نتيجة للظروف الانتاجية والسعرية المتغيرة . هذا بالاضافة الى أنهم يسعون للحصول على عائد كبير كمقابلللظروف المعيشية الصعبة داخل هذه المجتمعات الجديدة وبعدها عن العمران ، وعن مراكز الجذب الحضرية والتى تعتبر من المغريات الرئيسية لمعظم المهنيين المصريين .

وفى حالة بيع هذه الاراضى لهؤلاء المهنيين بأسعار تقل عن التكاليف الحقيقية فكيف يمكن قبول هذا الوضع حيث أن تكاليف هذه الاراضى قد تحملتها جميع الطبقات ، وبشكل اساسى الطبقة العاملة وطبقة صغار الفلاحين وصغار الموظفين ، وهؤلاء جميعا يشكلون الوعاء الرئيسى لتمويل ميزانية الدولة وهم بهذه الطريقة يقدمون نتاج مجهود وعرق هذه الطبقات الى طبقة محدودة الامر الذى لا يتحقق فى اطاره شرط العدالة الاجتماعية والحد من استغلال الطبقات وهو الهدف الذى ننادى به ونسعى الى تحقيقه .

وفى كلتا الحالتين [اذا ما بيعت هذه الاراضى بما يوازى تكاليفها أو اقل من التكاليف] فسوف نواجه هنا عامل المخاطرة فى الانتاج واحتمال نقصه نظرا لعدم معرفتهم بمهنة الزراعه وتمرسهم لها . ومع ذلك فان انصار هذا الراى يعتقدون . بعكس ذلك ، على اساس النجاح النسبى الذى حققه المهندسون الزراعيون فى مجال الانتاج عندما وزعت عليهم الاراضى فى بداية الاربعينات وهم ، بذلك ، يقعون فى خطأ كبير نظرا لان الظروف التى احاطت بهؤلاء المنتجين المهنيين فى هذه الفترة تختلف عن الظروف الحالية للأسباب الرئيسية التالية :

● ان هذه الاراضى التى تم توزيعها فى بداية الاربعينات كانت أخصب وبكثير من الاراضى التى يهدفون الى توزيعها .

● أن هذه الاراضى أيضا كانت قريبة نسبيا من الاراضى القديمة وبالتالى فان هؤلاء المنتجين لم يشعروا بقسوة الحياة نتيجة لبعدهم عن العمران حضاريا وجغرافيا وبيئيا .

● ان هؤلاء المهنيين حصلوا على تسهيلات ائتمانية كبيرة فيما يتعلق بآجال القروض الخاصة بقيمة هذه الاراضى ، اذ أن عناصر الانتاج الاخرى ساعدتهم على زيادة الانتاج . أما الان فان الدولة تعانى من عجز فى مصادر تمويل الارض القديمة فيما يتعلق بالخدمات التمويلية الاساسية وفى مقدمتها الاسمدة والتقاوى والمبيدات والعلف والسلف النقدية .

● أن هؤلاء المهنيين اعتمدوا ـ فى ذلك الوقت ـ على الايدى العاملة الرخيصة والمتوفرة والقريبة من مزارعهم بصورة نسبية . أما الان فان توفير العمال الزراعيين أضحى مشكلة أساسية ، وخاصة فى مواسم العمل الزراعى . ولا أدل على ذلك من النداء الذى وجهه رئيس الوزراء لشباب مصر لكى يساهم فى سد النقص فى الايدى العاملة لمقاومة انتشار دودة ورق القطن فى هذا الموسم .

● ثم ألا يعرف المنادون بهذا الراى بأن هؤلاء المهنيين قد واجهوا ظروفا سعرية غير عادية

---

[١] انظر جريدة الاهرام ١٩٧٤/٦/٢٧ ، ص ٤ .

لصالحهم وذلك عندما ارتفعت أسعار محاصيلهم والمحاصيل الزراعية عموما ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها مما مكنهم من سداد القروض المتبقية عليهم من ثمن الارض دفعة واحدة ووفر لهم فائضا ساهم فى زيادة الانتاج وتحسينه .

● واخيرا فان هؤلاء المنتجين كانوا أقرب ما يكون الى مراكز التسويق والتوزيع وبالتالى امكنهم تسويق وتوزيع منتجاتهم بأقل التكاليف الممكنة وبأسعار مناسبة .

تلك هى الظروف التى أحاطت باراضى هؤلاء المهنيين فى تلك الفترة فهل نتوقع أن تكون ظروف الارض الجديدة بهذا التماثل ؟ بالقطع لا . فامكانيات الدولة الاقراضية محدودة ، وأن خصوبة الارض الجديدة اقل وهذه الارض بعيدة عن مراكز العمران ، والايدى العاملة غير متوفرة بالقدر اللازم . وأن الحاجة للميكنة أصبحت ضرورة لهذه الأراضى الامر الذى يرتبط بالحاجة الى استثمارات كبيرة وكلها معوقات تقف حجر عثرة أمام التنبؤ بامكانيات النجاح لهم بالمقارنة بالنجاح النسبى الذى حققه المهنيون فى الماضى .

ماذا يحدث لو بيعت فى المزاد ؟

فاذا بيعت هذه الاراضى بالمزاد العلنى للحصول على أعلى سعر ممكن لها فان عنصر المضاربة سيلعب دورا رئيسيا فى رفع أسعارها . كما أن هذا الاسلوب سيئوى الى دخول من يقدرون على دفع هذه الاسعار بغض النظر عن امكانياتهم فى الانتاج . وسيزيح قليلى المقدرة وهم بهذا الاسلوب سيعملون على زيادة الهوة بين من يملكون ومن لا يملكون من ناحية ، ويحولون — من ناحية أخرى — دون استخدام هذه الاراضى بأحسن كفاءة ممكنة . وربما أدى بيع هذه الاراضى بالمزاد العلنى الى امتصاص مدخرات كثيرين من المشترين ، الامر الذى قد لا يتوفر معه فائض كاف يمكن استغلاله فى تنمية الانتاج وتحسينه ، خاصة وان هذه الاراضى فى حاجة الى استثمارات كبيرة نسبيا .

هل نؤجر الارض الجديدة ؟

أما بالنسبة للاتجاه الثانى ، الخاص بتاجير هذه الاراضى على آجال طويلة فان مجموعة الاسئلة التى تطرح نفسها حول هذا النمط هى :

لمن ستؤجر هذه الاراضى ؟ ما هى القيمة الايجاريه وكيفيه تحديدها ؟ هل هى ثابته ام متغيرة ؟ ما هو حجم المساحة التى يمكن تاجيرها ؟ هل لها حد أقصى أو ادنى ؟ ما هو أجل عقد الايجار ؟ ثم هل سيرتبط عقد الايجار بتسهيلات معينة تقدمها الدولة لهؤلاء المستاجرين ؟ واخيرا هل سيقترن عقد الايجار بتوجيهات انتاجية معينة ؟ مثل ضرورة مراعاة دورة زراعية معينة ، او زراعة حد ادنى من المساحة بمحصول معين أو توريد حصص معينة من الانتاج .

أسئلة كثيرة تطرح نفسها حول نمط الاستغلال المذكور بشكل يكاد يعقد نظام الايجار . والسؤال الذى لم نستطع الحصول على اجابة شافية عليه من خلال **المناقشات** هو : ما هى النجاحات التى حققتها هذه الاراضى من نظام الاستغلال عن طريق الايجار ؟ وان كان من الواضح أن الدولة تقدم لهم حوالى ٢ مليون جنيه نظير خدمات ومصروفات ادارية ،ودعم التعاونيات ،ولا تحصل من المستاجرين من المساحات الحالية الا على ١ر٢ مليون جنيه كما ورد فى المناقشة .

واذا كانت الاجابة ايجابية حول الانتاجية او الاربحية فيجب الا ننسى أن متوسط القيمة الايجارية للفدان لا تزيد عن ٦ جنيهات وهى قيمة لا تصل الى عشر القيمة الايجارية السائدة فى سوق ايجار الارض الزراعية فى الوقت الحالى .

وللاجابة على سؤال لمن ستؤجر هذه الاراضى ، فقد ينظر البعض الى طبيعة المستأجرين من الناحية الاجتماعية ويفضلون تأجيرها للمعدمين الزراعيين . غير أن لهذا الاتجاه خطورته . فهم وان كانوا يعتمدون على ايجار الارض الزراعية القديمة لاستغلال فائض العمل المتاح لهم وبعض عناصر الانتاج البدائية ، الا أنهم [فى ظروف الارض الجديدة] لا يستطيعون استغلال هذه الاراضى بالشكل المرغوب نظرا لحاجتها — فى الاجل القصير — الى استثمارات وتضحيات مالية غير متاحة لهم .

وفيما لو تم تاجير هذه الاراضى لمتوسطى الملاك الزراعيين والقادرين من الفئات الاخرى بهذه القيمة الايجارية المحددة فاننا نعتقد بأننا قد أضفنا عاملا جديدا لمزيد من تركيز الثروة وزيادة الهوة بين من يملكون ، ومن لا يملكون . .

وبالنسبة للسؤال الخاص بتباين القيمة الايجارية وفقا لتباين درجة الخصوبة فاننا نعتقد

بأنه من المتوقع ان تزداد الخصوبة بتوالى استغلال هذه الاراضى بالطريقة المناسبة الا أن تحسن الخصوبة سيعود وبالدرجة الاولى ، الى الاجتهاد الفردى فى الانتاج . وان تحديد العوامل المؤثرة على الانتاجية وتغيرها للحكم على درجة النجاح او الفشل لكل مستأجر تصبح عملية غاية فى الصعوبة وستحتاج الى مجهودات ونفقات حكومية كثيرة حتى نصل الى تحديد الايجار العادل ، او للحكم على كفاءة مستأجر دون آخر .

أما عن توجيه الانتاج وفق شروط معينة يتضمنها عقد الايجار لتوفير تركيب محصولى معين او لضمان حصة انتاج من محصول معين ، فلقد اثبتت تجربة الارض القديمة ـ كما سبق أن أوضحنا ـ ان هذه المشاكل لم تحسم بل ان الاتجاه يتزايد لارتكاب مزيد من المخالفات ضد سياسة الدولة الزراعية الامر الذى يجعلنا نعتقد بأن هذا الاسلوب لن يكون بالاسلوب الملائم لتوفير الظروف المناسبة لتخطيط الانتاج الزراعى وفق خطة قومية .

وفيما يتعلق بحجم المساحات التى يبغون تأجيرها ، وهل هى تلك الاحجام القزمية التى تقف محددة امام استخدام مستلزمات الانتاج الحديث [وهو الامر الذى تبين من مشكلات الارض القديمة] ام هو الحجم الكبير الذى يسمح باستغلال ممكنات الانتاج الكبير ، وفى هذه الحالة هل سيخاطر المستأجر الكبير ويقوم بشراء الالات وبناء المخازن وغير ذلك من الوسائل والمنشئات باهظة التكاليف ثم قد يفكر بعد عدة سنوات فى تركها او قد ينهى عقد ايجاره . فاذا كان الجواب بالنفى ، وان المستأجر لن يترك الارض ، فانه يتحتم على الدولة ـ فى هذه الحالة ـ ان توفر مستلزمات الانتاج لكل من المستأجر الصغير والكبير .

وخلاصة ذلك هو اننا نعتقد بأن هذا الاسلوب لن يقدم حلا سليما لاستغلال الارض الجديدة والحصول منها على أقصى عائد اقتصادى واجتماعى .

وماذا عن تأجيرها لشركات مختلطة ؟

اما الاتجاه الثالث الذى ظهر من خلال المناقشة وهو تأجير الارض الزراعية لشركات مصرية عربية او أجنبية تقوم بتوفير رؤوس الاموال والخبرة الكافية اللازمة لهذه الاراضى ، فان أصحاب هذا الراى يؤمنون به ـ كما أعتقد ـ وفقا للاعتبارات التالية :

١ ـ ان الارض الجديدة كما ظهر من خلال المناقشة مازالت تحتاج الى استثمارات ضخمة وذلك اما لاكمال اصلاحها او استزراعها واستغلالها ويصعب على الدولة فى الظروف الراهنة توفيرها ،وان هذه الشركات بما تستطيع الدخول بما لها من امكانيات مالية ضخمة .

٢ ـ ان هذه الشركات تتوفر لها الخبرات والكفاءات الفنية والادارية الكافية وهى ـ كما يعتقد المنادون بهذا الراى ـ الخبرات التى نفتقد اليها [٢] .

٣ ـ ان سعى هذه الشركات الى الربح يوفر لها حافز زيادة الانتاج والانتاجية وبأقل تكلفة ممكنة وفى أسرع وقت ممكن .

٤ ـ ان هذه الشركات تستطيع توفير ميزة الانتاج الكبير تكثيفا وتركيزا وبالتالى فانهم بذلك يقدمون حلا لمشكلة التفتت بالارض الجديدة .

تلك هى المبررات الرئيسية ،ولكن يمكن تلخيصه فى الاتى :

١ ـ فيما يتعلق بأحجام الاستثمارات التى يمكن أن توفرها هذه الشركات فهى اولا لا يمكن ان تقاس بمقدارها بقدر ما يجب ان تقاس بالعائد المنتظر لها وسرعة الحصول على هذا العائد ، وهما الهدفان الرئيسيان لاى استثمار محلى او عربى أو أجنبى خاص . ومن المتوقع ان تبتعد الاستثمارات الخاصة عن الدخول فى هذا المجال لضآلة العائد النسبى من الارض الزراعية بالمقارنة بما تحصل عليه هذه الشركات فى القطاعات الاخرى . وان التجربة التاريخية تؤكد دخول هذه الاستثمارات فى مشروعات صناعية او خدمية تعطى عائدا سريعا وكبيرا لا يمكن أن نتحصل عليه فى ظروف الارض الجديدة ، وبالتالى فان هذه الشركات ستبتعد عن تلك الاراضى المنخفضة الخصوبة والتى تمثل اغلبية المساحة المتاحة من الارض الجديدة (*)

٢ ـ انه ، وبفرض قبول بعض الشركات الاجنبية الدخول باستثماراتها فى الارض الجديدة ، على الرغم من معرفتها المسبقة ببطء عائد الاستثمار وقلته ، فان دخولها فى هذه الحالة سيرتبط بتحقيق

[٢] انظر تصريح المهندس سعد جرس حول الزرعة العلمية بالنوبارية والمنشور بالاهرام بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٧ (*) ص ٤ .

أهداف « غير اقتصادية » وربما اقترن بتحقيق أهداف سياسية واجتماعية قد تؤثر على استقلالنا وهذا ما يعتبر احدى سمات بعض المؤسسات الاحتكارية ، ذات الطابع السياسى غير المعلن . فهى اذ تدخل فى مشاريع غير مربحة ، فان التجربة التاريخية قد اثبتت انها لا تعمل من اجل الاهداف الاستقلالية والتحررية والاشتراكية لشعوب العالم الثالث . وعلى ذلك فان المغريات التى قد تقدمها هذه المؤسسات أو الشركات لابد وأن تدرس بعناية شديدة . مقرونة بالحذر الشديد .

٣ – واذا ما وافقنا على دخول هذه الشركات فى مجال الاستثمار ، والاستقلال بالارض الجديدة ، فهل ستتمشى مع أهداف السياسة والخطة الزراعية [التى قد تتغير من وقت الى آخر وفقا للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتغيرة] ؟

فاذا أضفنا انه يحدث فى بعض الاحيان أن تقترن الخطة بزراعة محاصيل ليس الهدف منها الربح الاقصى بقدر ما ترتبط بتوفير كم وكيف انتاجى معين ، فأغلب الظن أن هذه الشركات لن تساير الخطة لانها ستسعى الى انتاج أكثر المحاصيل أو المنتجات أربحية . كما أنه سوف يصعب توجيه انتاجها وتغييره بمرونة كافية نظرا لاستقلالها النسبى . وبالتالى فان انشاء هذه الشركات قد يصبح معوقا رئيسيا لمكنات توجيه الموارد الزراعية وفقا لخطة قومية شاملة .

٤ – ما يقال عن أن الكفاءات الفنية والادارة التى تتوفر لهذه الشركات أكثر من المتاح لدينا فهو أدعاء غير مؤيد علميا . وعلى العكس فان تجربة الاستصلاح والاستغلال من جانب الدولة قد مكنت أعدادا كبيرة من العمال والفنيين والمهندسين من اكتساب الخبرة الضخمة التى نعتز بها فى تجربة الارض الجديدة كما تبين من مناقشات اللجنة . كما أن المصريين هم أقدر على تفهم ظروفهم من الاجانب فى الادارة والانتاج . ولقد وضح هذا الجانب وبشكل واضح الاستاذ **الدكتور مصطفى الجبلى** .

أضف الى أن الجانب المرتبط باستخدام هذه الطاقات (وتقدر بعشرات الالاف) هى التى أصبحت عبئا على ميزانية المؤسسة فى حالة عدم تشغيلها بطاقتها الكاملة ، فما بالنا لو استغلت هذه الاراضى عن طريق الشركات هل سنفرض عليها تعيينهم ؟ بالقطع لا ، وهو ما أعتقده .

٥ – ان وجود هذه الشركات العربية أو الاجنبية سيزيد من امكانية تسرب أموال الدولة الى الخارج فى صورة أرباح أو مقاصات وغيرها من صور التهريب المختلفة خاصة اذا لم تكن للعملة المصرية نفس قدرة العملة الاجنبية المتداولة فى الاسواق الحرة ، الامر الذى نتوقع معه مساهمتها فى خلخلة واضعاف مكانة الاقتصاد المصرى بصورة عامة .

٦ – ان هذه الشركات أيضا قد تخلق نوعا من التمييز الواضح فى المرتبات بين العاملين بها والعاملين بالحكومة والقطاع العام . فأغلب الظن أنها ستعطى مرتبات مجزية للعاملين بها لكى تجذبهم للعمل . وهى بذلك ستسعى الى امتصاص أكفأ العاملين بالدولة والقطاع العام ، من ناحية ، كما ستخلق – من ناحية أخرى – نوعا من التمايز الداخلى الواضح بين أصحاب المهنة الواحدة . كما أن فرص التعيين بهذه الشركات لن يخضع لمبدأ تكافؤ الفرص المعمول به نسبيا فى الوقت الحالى عند تعيين العاملين بالدولة والقطاع العام بل ستدخل اعتبارات أخرى من أهمها المعرفة واستغلال النفوذ مما سيعكس ظلاله الداكنة على العاملين بالدولة خاصة على أولئك الراغبين فى العمل بها ، ولم تتح لهم الفرصة .

وخلاصة ما سبق حول اتجاه الاستغلال عن طريق الشركات ، يتبين لنا أنه أسلوب محفوف بالمخاطر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وأن توفير رؤوس الاموال الضخمة عن طريقها لن يكون الا بأقل القليل .

وهذا هو الحل التقدمى للمشكلة ؟

أما بالنسبة للاتجاه الرابع والخاص باستغلال الارض الجديدة ، عن طريق مزارع الدولة والمزارع التعاونية الانتاجية ، وهو الاتجاه الذى نؤيده ونسعى الى تطبيقه فله أيضا مؤيدوه ومعارضوه ويتبنى وجهة نظر معارضيه والذين شجعوا الاتجاهات الثلاثة السابقة على ما أمكنهم الوصول اليه من استنتاجات غير موضوعية وغير مدروسة فيما يتعلق بأسباب انخفاض الانتاجية وارتفاع التكاليف ، وهو ما سبق أن حللنا جوانبها . أما المؤيدون لهذا النمط الانتاجى فيبنون وجهة نظرهم على الاسباب والاعتبارات الرئيسية التالية :

١ – ان انشاء هذه المزارع يمثل الاستجابة الاولى لتطبيق ما نادت به المواثيق السياسية لحل

المشكلة الزراعية فيما يتعلق بمشكلة زيادة الانتاج والانتاجية . فهى ستوفر المناخ لتطوير علاقات وقوى الانتاج فى هذه الاراضى وبشكل متوازن من خلال انشاء المزارع الحديثة ذات السعة الانتاجية المرنة والتى تستطيع مواكبة التطور المتواصل فى الانتاج الزراعى .

٢ ـ ان هذه المزارع يمكن أن تكون نواة حقيقية لتحديث الزراعة المصرية ، بشكل عام ، من خلال دراسة آثار ونتائج الاستخدام العلمى والمنطقى لعناصر وأساليب الانتاج . وبالتالى استخدام هذه النتائج للعمل بها فى الارض القديمة التى لم نستطع وبشكل جاد حتى الان حل مشاكلها .

٣ ـ ان هذه المزارع يمكن أن تكون أداة فى يد الدولة لتحقيق أهداف خطتها الزراعية ، فهى ـ بالطبع ـ ستكون ملزمة وبشكل كامل بأهداف هذه الخطة .

٤ ـ أن هذه المزارع ستكون نواة قطاع عام زراعى ، أو قطاع تعاونى انتاجى مازالت تفتقد اليه الزراعة المصرية . وبشكل واضح . وهى بذلك ستساهم فى تشغيل أعداد كبيرة من الكفاءات الفنية والادارية ، وستعمل على خلق جيل متفهم للمبادىء التعاونية .

٥ ـ أن هذه المزارع الحكومية والتعاونية الانتاجية ستوفر امكانيات تكوين المجمعات الزراعية الصناعية . وستعمل على خفض تكاليف الانتاج والتسويق وتساهم ـ ولو بشكل جزئى ـ فى حل مشكلات تصنيع فائض المنتجات الزراعية أو عدم توفر هذه الخامات بالكميات الكافية للتشغيل الاقتصادى للمصانع .

٦ ـ أن هذه المزارع يمكن أن تنشأ عليها محطات ومراكز الابحاث الكافية واللازمة لتحديث الانتاج الزراعى . حيث أن الحاجة لمثل هذه المزارع تتزايد من سنة الى أخرى . وأن حجم المساحات الحالى لا يتيح الفرصة لتوسيع هذه المراكز والمحطات وبالتالى دعم نشاطها والحد من آثارها .

وفى نفس الوقت ، فاننى أقترح أن تنقل بعض المزارع والمحطات البحثية من الارض القديمة الى الارض الجديدة وأن تنشأ على مساحاتها بالارض القديمة مزارع حكومية وتعاونية انتاجية يمكن أن تكون مراكز اشعاع داخل الوادى ، فيما يتعلق بتوضيح آثار الحجم الكبير ونشر الميكنة وغيرها من وسائل الانتاج الحديث .

٧ ـ واخيرا فان هذا النمط الانتاجى لن يقدم حلا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا لمشكلة الارض الجديدة فحسب ، بل انه سيساهم فى الاسراع بحل مشكلات الارض القديمة ، فيما لو أحسن اختيار التركيب المحصولى المناسب . ووفرت لها الامكانيات المناسبة ، واختيرت لها الاجهزة الادارية والفنية المعروفة بكفاءتها واخلاصها . هذا بالاضافة الى ارتباط كل هذه العوامل بنظام فعال ومتطور للحوافز الانتاجية . وهى ـ بذلك ـ ستساعد على الاسراع بالتحول الاشتراكى فى الريف المصرى ، وهو ما تبغى الى تحقيقه المواثيق السياسية المصرية .

واذا كان الحوار الذى أثير حول الارض الجديدة ، قد دار بشكل ديمقراطى فى لجنة الاستطلاع ، يعكس ، وبشكل واضح ، الرغبة فى الوصول الى قرار علمى وموضوعى حول مستقبل هذه الارض ، الا أننا نريد ـ فى نهاية هذا المقال ـ أن نحدد بعض النقاط الاساسية التى ارتبط بهذا الحوار والتى قد تتصل باتخاذ القرار النهائى حول مستقبل هذه الارض وهى :

١ ـ ان مجرد ذكر المشاكل والصعوبات والمعوقات يجب ألا يقف حائلا أمام دراستها بالشكل العلمى المتأنى حتى يمكن تلافيها .

٢ ـ ان الهدف من النقاش حول الارض الجديدة هو البحث عن أحسن نمط للانتاج الاقتصادى . الا أن السرعة فى اتخاذ القرار دون تحليل علمى وموضوعى ، آخذين فى الاعتبار كل الجوانب التى اشرنا اليها حول طبيعة كل اتجاه سوف تكون له آثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير الايجابية .

٣ ـ أنه وان كان هناك اتجاه ـ كما تبين من المناقشات ـ حول توزيع الارض الجديدة والتى مازالت تحت ذمة الحكومة بنفس الطريقة التى وزعت بها الارض القديمة ، والذى يتضح فى تمليك وتوزيع مساحة تصل الى ٢٦٩ الف فدان ما بين الملكية والايجار ، فان الاستمرار فى هذا الاتجاه سيعتبر مخاطرة كبرى حول مستقبل الارض الزراعية خاصة والانتاج الزراعى عامة ، وأن هذا الاتجاه لابد من وقفه أيا كانت المبررات . ويجب الا نتهرب من الحلول الصعبة نسبيا والأجدى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بتقديم حلول سهلة

ذات بعد اقتصادى واجتماعى نسعى للحد منه بل والقضاء عليه .

٤ ـ ان الارض الجديدة هى أرض الشعب كله فيجب اذن الا يتخذ قرار بشأنها دون ما استفادة كاملة وحقيقية أيضا ولصالح الشعب كله .

٥ ـ ان قضية الارض الجديدة هى نموذج حى لتحدى الانسان المصرى للصحراء وللظروف الصعبة اثبت من خلالها طاقاته وقدراته وارادته .

وهى بذلك لابد وأن تكون امتدادا واستمرارا لاماله وتطلعاته فى بناء مجتمع اشتراكى متقدم .

وعليه ـ اذن ـ أن يستمر فى تفاعله معها عطاء وأخذا لتحقيق هذا الهدف ..

حول الأرض الجديدة ومستقبل الأجيال القادمة

د . عادل محمد مصطفى *

أكدت ورقة اكتوبر ان شعبنا بعد هذه الالاف من السنين وازاء التزايد السريع فى تعداده ، مع نوع الحياة الجديدة التى نطلبها له ، لايمكن أن تظل محصورة حياته فى الدلتا ووادى النيل الضيق ولا يمكن ان يظل لا يشغل بسكانه وعمرانه اكثر من ٣٪ تقريبا من مساحة بلاده ، كما جاء بها أيضا أن الوادى قد ضاق فعلا بسكانه البالغ عددهم خمسة وثلاثون مليونا فى الوقت الذى اصبحت الصحراوات تمثل فراغات استراتيجية لا يجوز تركها . كما ان ذلك يتعارض مع السياسة الامثل لاستغلال الثروات الطبيعية المتاحة وفتح آفاق جديدة أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية وايجاد أنماط جديدة لحياة أحسن وأرحب للمواطنين فى بيئات جديدة واكثر تنوعا .

ومما لا شك فيه أن قضية الصحراء وتعميرها وتوسيع رقعة الارض الخضراء ، وزيادة الانتاجية الزراعية أمر يمثل قضية الحياة بالنسبة للانسان المصرى المعاصر والاجيال القادمة ، وذلك لاعتبار محدودية رقعة الارض القابلة للاستصلاح والاستزراع فى مصر .

ومن هذا المنطلق فان قضية الارض الجديدة فى مصر تمثل حجرا اساسيا فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك لما يتميز به هيكل الحيازة فى الأراضى القديمة من حيث التفتت والتشتت مما يؤثر تأثيرا سيئا فى جانب كفاية الانتاج . كما يتميز بضآلة حجم الملكيات الزراعية اذ أن نحو ٩٥٪ من الملاك تقل ملكياتهم عن خمسة أفدنة ويمثل ما يملكونه حوالى ٥٧٪ من المساحة المزروعة،كما أن تركيز السكان الزراعيين على الارض الزراعية بلغ حدا كبيرا ويبلغ متوسط نصيب الفردالزراعى من الارض نحو ٣٦ر. فدان. وذلك بالاضافة الى ما ستئول اليه حالة الحيازة وذلك فى ظل اعتبارات التوريث ومحدودية الارض الزراعية مما يقف عقبة فى سبيل الاستفادة بمزايا الانتاج الكبير واستخدام الميكنة لمعظم الناتج الزراعى والدخل القومى الزراعى ويؤثر بالتالى على دخل الفرد الريفى .

* د. عادل محمد مصطفى ـ مدرس بكلية الزراعة ـ جامعة الازهر .

ولا شك أن التوسع الزراعى الافقى يعتبر أمرا حيويا تفرضه الزيادة فى عدد السكان . كما انه من الوجهة الاستراتيجية لابد ايضا من التفكير فى مستقبل منطقة سيناء والتى يجب عدم تركها دون انشاء شكل من أشكال المزارع الجماعية خاصة وان أمامنا تجربة العدو الصهيونى فيما ينشئه من مستعمرات ومزارع جماعية استيطانية تمثل منظمات عسكرية وزراعية فى الوقت ذاته ، وبناء مزارع الكيبوتز فى أماكن استراتيجية تستهدف تعليم الزراعة والقتال ايضا . وهذا التعليم هو الذى أنتج الهاجانا وليس من قبيل الصدفة أن كل التنظيمات العسكرية المعروفة ابتداء من الهاشومير [الحارس] حتى جيش الدفاع الاسرائيلى [تسهال] كلها تعود فى جذورها للكيبوتز والتنظيمات التعاونية الاخرى .

وتمثل الاستثمارات العامة والحكومية الاساس فى استصلاح الاراضى ، فمنذ عام ١٨٩٢ وحتى عام ١٩٥٢ تم استصلاح حوالى ٤٠٠ الف فدان ٧٥٪ منها عن طريق القطاع الحكومى . وفى الفترة من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٦٠ بلغت جملة ما تم استصلاحه حوالى ٧٨٫٩ الف فدان كما بلغت جملة ما تم استصلاحه فى الفترة من ١٩٦٠/١٩٦١ حتى ١٩٧٠/١٩٧١ حوالى ٩٠٨٫٥ الف فدان وذلك عن طريق مشروعات استثمارية عامة وحكومية . وذلك يؤكد أن الدور الاعظم فى مجال استصلاح الاراضى كان للمجهودات الحكومية ، كما يؤكد أيضا عزوف رأس المال الخاص عن الاستثمار فى هذا المجال لضخامة الاستثمارات المطلوبة وطول دورة رأس المال بالاضافة لعنصر المخاطرة الاقتصادية وعدم توفر المعلومات والدراسات والخبرة لدى المستثمر الخاص .

ولقد تعرضت لجنة الزراعة والرى بمجلس الشعب لمناقشة موضوع الارض الجديدة واستغلالها ، ولقد عرضت مجموعة من الاراء الجيدة والتى تتسم بالطابع العلمى والموضوعى ولقد كان من أبرز هذه الاراء ما عرضه الاستاذ الدكتور هلال الحطاب من اننا سنواجه فى المستقبل وقبل نهاية هذا القرن بأن تعدادنا سيبلغ ٧٠ مليون نسمة ، وقد عارض سيادته فكرة بيع الاراضى الجديدة أو استغلالها عن طريق الشركات الاجنبية والتى ثبت فشل بعضها وأكد سيادته على ضرورة استغلال هذه الارض بواسطة المصريين مؤكدا على دور خريجى الكليات والمعاهد الزراعية مع اعادة النظر فى شكل الملكية الزراعية فى مصر ، وأن المشكلة الرئيسية أن السياسة العالمية فى الزراعة تقوم على مبدأ المزارع المتخصصة والتى تعتمد على حجم كبير من الاستثمار بحيث تتميز بنوع معين من الانتاج وهو الامر الذى لم يتحقق سواء فى اراضى الوادى ، أو فى اراضى الاستصلاح بسبب ندرة رأس المال . وقد رأى سيادته ضرورة توجيه الاراضى الجديدة لتكون مراكز لانتاج اللحوم والدواجن وأن تكون محاصيل الاعلاف هى المحاصيل الرئيسية ، وضرورة وجود تكامل صناعى زراعى وانشاء خدمات تعاونية للانتاج وليس للخدمات فقط . وقد أثار سيادته قضية علمية فى غاية الخطورة وهى ضرورة الاهتمام بأبحاث الطاقة فى مجال الزراعة لاستغلال طاقة الشمس المتاحة لدينا بكميات وافرة .

ولقد عارض السيد محمد أبو الفضل الجيزاوى تملك شركات غير مصرية للارض الزراعية فى مصر وطالب بأن تبقى أرض مصر للمصريين ، كما ذكر الاستاذ الدكتور صلاح العبد أن هناك مبالغة فى تقدير تكاليف الاستصلاح حيث أن نحو ٤٠٪ من هذا التقدير يصرف فى مجال الخدمات وأوصى سيادته بأن تتولى وزارات الخدمات هذه المهمة حتى تكون هناك صورة واضحة لتكاليف الاستصلاح والتى ستبلغ حوالى ٣٠٠ جنيه وليس ٥٠٠ جنيه للفدان وهو رقم مقبول لتقدير تكاليف الفدان .

وقد نبه المهندس عبد الرحمن درويش للمخاطر التى تتعرض لها الاراضى القديمة حيث تنقص مساحتها كما أن هناك اعتداء عليها عن طريق أخذ الطمى منها لصناعة الطوب وأكد أن الخسائر التى لحقت بالدولة على مدى العشرين سنة الماضية تزيد كثيرا عما انفق على الاراضى الجديدة من جراء الاعتداء على الارض الخضراء .

وقد أشاد الاستاذ الدكتور محمد بكر أحمد بالرجال الذين يعملون فى مجال استصلاح الاراضى والجهد الشاق والمضنى الذى بذله هؤلاء الرجال وأكد سيادته أنهم أصحاب رسالة وأنهم قاموا بأعمال جبارة وتحت جميع الظروف منذ عام ١٩٥٣ وحتى الان . وأكد سيادته على ضرورة البت بصفة نهائية فى مستقبل الاراضى الجديدة وان كان الامر يتطلب مزيدا من الدراسة خاصة وان تخطيط المشروع وتنفيذه يختلف

حسبما اذا كانت الارض ستؤجر أو تملك او تدار بواسطة الدولة . اذ فى حالة الادارة بواسطة الدولة ستستخدم الالات الميكانيكية فى الزراعة الامر الذى يقتضى أن تكون الحوشة ذات اتساع خاص وأن تكون هناك مخازن مركزية وفرعيــة ذات اتساع خاص بالاضافة للامور المتعلقــة بالاسكان وغيره ، وهذا يختلف عن حالة توزيع الارض أو تأجيرها ومعرفة ذلك مقدما سوف يوفر أموالا طائلة .

وفى كلمة الاستاذ الدكتور مصطفى الجبلى ذكر سيادته أنه ليس أسهل من أن يبدى الانسان رأيه ويتول ملكية أو ايجارا أو شركات فى مجال استغلال الارض الجديدة والتى تمثل مســاحة قدرها ١٧٪ من الرقعة الزراعية المصرية ، هذه هى أسهل الامور ، ولكن العملية ليست بهــذه السهولة وهى عملية معقدة تكتنفها أبعاد مختلفة .. وقد أكد سيادته أن هذه الاراضى ليست مثل أراضى الاقطاعيين ، فالفلاحون عملوا فى أراضى الاقطاعيين ولذلك لهم حق واضح فى التمتع بهذه الاراضى وتوزيعها عليهم توزيعا كاملا ، أما من الاراضى الجديدة فهى مرتبطة بمستقبل الاجيال القادمة ومرتبطة بمقدار التوسع المنتظر . وذكر سيادته أنه ليس أمامنا اكثر من ١٫٢ الى ١٫٣ مليون فدان استصلح منهم حوالى مليون والباقى ٢٠٠ الى ٣٠٠ الف فــدان وبذلك نــكون قد استعملنا كل مياه السد العالى تقريبا وفى المدى البعيد ليس هناك مصادر مائية الا بقــدر يسير جدا لتحسين أحوال الرى فى الاراضى المتســاحة لذلك ، فالاراضى الجديدة هى المصدر الوحيد حاليا ومستقبلا للاجيال القادمة . هذه الاراضى جميعنا ساهمنا فيها بأموالنا وأنفسنا وواجهنا الحروب الاقتصادية والفعلية ضدنا ولزاما فان لكل مواطن فى مصر حق فى هذه الارض والاجيال القادمة ستنظر اليها دائما لان آبائها وأجدادها ساهموا فى انشاء هذه الارض وأكد سيادته فى مجــال استغلال هذه الارض أن هناك وجهتين همــا وجهة الفرد ، ووجهة الدولة . الفرد يود أن يمتلك أقصى ما يمكن فى أقصر فترة ممكنة وبأية طريقة يمكنه الحصول على هذه الارض وضرب سيادته مثلا بأراضى وادى النطـــــرون اذ أن الذين يستطيعون دفع ثمنها ليسوا الفلاحين ولكنهــم طبقة أخرى ، ومجموعة من المضاربين . وقد وصلت أثمانها لارقام خيالية تصــل الى ٣٠٠٠ جنيه للفدان . واقترح سيادته لاستغلال هــذه الاراضى اعطاء حق الاســتغلال للمزارعين لمدة تصــل الى ١٥ ســنة وهو نوع من الضــمان للاستغلال الامثل لهذه الارض لهم ولاولادهم . وفى حالة اهمالهم تعطى لغيرهم ممن يستطيعون المحافظة على الارض ومستوى الانتاجية وهذا الاسلوب متبع فى عديد من دول العالم . وقد ركز سيادته على ضرورة التفكير فيمن سيظلون محرومين من ملكية الارض لا يستطيعون الحصول على سهم واحد منها . وأكد سيادته على دور التعاون فيما يختص بالاراضى التى توزع على الفلاحين لضمان حرية الفرد مع حقوق الوطن على هــذه الاراضى . وركز ســيادته على أن المســاحات الكبيرة يجب أن تبقى تحت ادارة الدولة وهى نحو ٣٠٠ الف فدان حيث ستكون المزرعة الرائدة لتطوير الزراعة فى مصر . كما أنها تعطى المرونة لوزير الزراعة فى سـياسته الزراعية من حيث زراعة بعض المحاصيل لهدف التصدير او التوسع فى استخدام الميكنة أو لاكثار التقاوى وادخال محاصيل جــديدة ، وأنه لولا مزارع الاصلاح الزراعى لمــا تم اكثار التقاوى وادخال القمح المكسيكى .

وقد حذر سيادته من دخول الاجانب فى مجال استغلال الارض الزراعية فى مصر فى ظل توافر القوة العاملة المصرية . كما أن الاجنبى القادم لمصر هدفه الربح وتصدير الفائض من هذه الارض الى بلده وذكر سيادته أن عرض المزرعة الالية اشــتمل على عرض دورة مضــحكة وأى فرد يعيش فى مصر لايمكن أن يفكر مثل هذا التفكير فهو تفكير أجنبى فى أرض لايعرف ظروفها وهو يريد أن يبيع لمصر مصانع ، ويصدر ما يتفق عليه بشروط معينة .

وقد أيد الاستاذ الدكتور وزير الزراعة تقرير اللجنة الفرعية فى مجال اســــتغلال الاراضى الجديدة ، ولقد تباينت الاراء فى هذا الموضوع بين مؤيد لتوزيع الارض أو تأجيرها أو بيعهــا للافراد أو أن تقوم عليها شركات وغير ذلك من الاراء ، كما تعــرض البعض للارض القــديمة ومشاكل الصرف فيها وهى احدى المشاكل التى يحلوا للبعض احيانا أن يهاجم عن طريقها أحد الانجازات الثورية الهامة وهى مشروع السد العالى الذى يعتبر بحق ملحمة النضال المصرى ، وان كانت الصحف قد طالعتنا فى الفترة الاخيرة بأن بعض القروض التى كانت مخصصة لمشروع الصرف المغطى لم تستغل . وهو ذنب المسئولين عن التقصير فى استخدام القروض ومتابعتها وليس ذنب السد العالى .

أما تقرير اللجنة الفرعية فقد أشار الى أن الاراضى التى تم تمليكها للاسر المنتفعة حققت نجاحا كبيرا ، وهى الدعوى التى رد عليها المهندس هلال عبد الله هلال وأكد فيها أن الفروق فى زيادة الغلة الفدانية بين الاراضى التى أعطيت للفلاحين والتى تدار على الذمة مرجعها الى سياسة اعطاء الفلاحين أجود الاراضى ، وأن جزءا من الاراضى التى تزرع على الذمة تحت الحدية ، أو أنها زرعت بساتين لم تصل لمرحلة الاثمار بعد . كما ذكر التقرير أن هناك بعض المشاكل فى الاراضى المؤجرة وفيما يختص بالاراضى التى تزرع على الذمة وهى تمثل أغلب مساحات الاراضى المستغلة فقد أشار تقرير اللجنة الى التصرف فيها على النحو التالى :

[أ] أراض لابد من بيعها فورا ، وهى المساحات المتناثرة والصغيرة التى ان قامت الدولة بزراعتها تعتبر غير اقتصادية .

[ب] أراض تباع لخريجى المعاهد الزراعية بالاجل . ...

[ج] أراض ذات مساحات واسعة يمكن أن تقوم عليها شركات كبيرة اما مصرية او مصرية عربية أو عربية أجنبية .

[د] أراض يمكن أن تدار عن طريق التعاونيات الزراعية . ..

كما أوصى التقرير الى ضرورة الاسراع فى تطبيق القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٤ بالنسبة لاراضى الساحل الشمالى .

ومما لاشك فيه أن مناقشة هذا الموضوع فى الاطار العلمى السليم تستلزم تحديد الهدف من استغلال هذه الاراضى . وهناك ثلاثة فروض أساسية لهذه الاهداف .

[١] تحقيق الاهداف الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية وتحديث الزراعة المصرية والانتقال بها من زراعة متخلفة وبدائية الى زراعة متطورة ودفع عجلة التنمية الاقتصادية فى هذا المجال .

[٢] التخلص من هذه الاراضى لتقليل العبء الملقى على الاجهزة القائمة على هذه الاراضى .

[٣] توسيع قاعدة الملكية الزراعية وتعويض العمال الزراعيين عن الفترة الطويلة التى حرموا فيها من ملكية الارض الزراعية .

وعند تحليل هذه الاهداف الافتراضية ، نجد أن مسألة توسيع قاعدة الملكية الزراعية أمر مردود عليه بأن توزيع هذه المساحة لن يحل المشكلة لاكثر من ١٠٠ الف أسرة فى حين يبقى الاخرون ويبلغون نحو ٧٫٥ مليون انسان مصرى حسب تقدير الاستاذ الدكتور مصطفى الجبلى يعانون احساسا متراكما من الحرمان والحقد مما يلغى هذا المبرر من أساسه خاصة وأن احتمالات حل هذه المشكلة عن طريق التوسع الافقى — فى ظل محدودية المتاح من الارض القابلة للاستصلاح واستمرار الزيادة السكانية — غير موجودة .

أما أن يكون الهدف هو التخلص من هذه الاراض فى حد ذاته فلا أعتقد أنه أمر مقبول الا أنه فى مجال تحديد الاهداف الافتراضية فلابد من ذكره من الناحية النظرية ، الا اذا كان مرتبطا بالاهداف القومية السابق ذكرها فى الهدف الاول ولتحقيق استغلال أمثل لهذه الارض .

ومن هنا نأتى لمناقشة الهدف الاول المفترض وهو الخاص بالاهداف الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية ، فانه مما لاشك فيه أن احتمال استمرار الحرب العربية الاسرائيلية أمر قائم كما أن هناك احتمال أن تستمر مصر فى مواجهة عديد من التحديات والتى تفرض علينا ولو بدرجة معينة التحكم جزئيا فى المصدر الاساسى للغذاء والكساء والعملة الصعبة الناتجة عن تصدير بعض الحاصلات الزراعية كالفاكهة مثلا وهو البنيان الزراعى .

وذلك أمر لا يستقيم واقامة شركات عربية أو أجنبية ، فقد كان الاولى أن تأتى هذه الشركات منذ البداية لتسهم فى الجهد الذى بذل فى استصلاح هذه الاراضى ، أما أن تأتى لتجنى الارباح من وراء هذه الاراضى فهو أمر غاية فى الغرابة .

أما من الناحية الاقتصادية ، فان التوزيع والتأجير يفقد هذه الاراضى مزايا الانتاج الكبير High Mass Praduction والاستفادة بالميكنة الزراعية وتحقيق تكامل المشروعات الزراعية الصناعية وهى مسألة يجب أن نوليها جل اهتمامنا لان هذه المجمعات الزراعية الصناعية قد حققت نجاحا كبيرا فى عدد من دول العالم كما أنها وسيلة هامة لنقل العامل الزراعى من مجرد كونه عاملا زراعيا الى كونه عاملا زراعيا صناعيا ترفع من دخله ومن مستواه التكنيكى والحضارى

هذا على مستوى الفرد وعلى مستوى الدولة بتحقيق دفع عجلة الانتاج والتنمية .

ومن المؤكد أن تخصيص هذه الاراضى لتكون مزارع كبيرة تأخذ الشكل التعاونى وتوجهها الاهداف الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية للدولة ويوجه الانتاج منها لخدمة هذه الاهداف سيكون له اكبر الاثر فى مستقبل الزراعة وستكون هذه المزارع فى خدمة اهداف التصدير وتصنيع المنتجات الزراعية واكثار التقاوى واجراء التجارب الزراعية والتوسع فى الثروة الحيوانية وغيرها من الاهداف التى تخدم خطط التنمية .

وعلينا ان نفكر جيدا قبل ان نحول الارض الجديدة بالبيع الى عزب لمن يريدقضاء وقت ممتع فى جو ريفى يدفع فيها من ١٠٠٠ — ٣٠٠٠ جنيه للفدان ويبعد بها عن أن تكون مصدر دخل ونفع للدولة وعائد فى صورة خدمات صحة وتعليم ومواصلات واسكان ومرافق وغيرها للكادحين من أبناء مصر .

● الاستصلاح ضرورة :

والأرض الجديدة من حق الشعب ، كل الشعب

حسين طلعت *

لا يختلف اثنان على أن الرقعة الزراعية فى مصر ، أعجز من ان تفى بالاحتياجات الغذائية لسكانها ، ويزداد هذا العجز باضطراد **لاسباب أهمها :**

أولا : ارتفاع معدل الزيادة السكانية السنوية [مليون نسمة تقريبا] .

ثانيا : انخفاض انتاجية معظم الاراضى الزراعية القديمة .

ثالثا : زحف المدن والقرى على الرقعة الزراعية .

رابعا : استفحال ظاهرة التفتت فى الميكنة وانتشار الزراعات القزمية .

والسبب الاولى ، ليس من اليسير التغلب عليه فى فترة زمنية قصيرة نظرا لتعلقه بالمستوى الحضارى — الاقتصادى والاجتماعى والثقافى — للفلاح المصرى الذى لا يزال يعانى — بالاضافة — من الامية والجهل والخرافات .

والسبب الثانى ، يرجع الى عوامل متعددة توجز أهمها فيما يلى :

١ — قصور وسائل الرى والصرف الحالية على الوفاء باحتياجات الزراعة .

٢ — قصور صناعة الاسمدة على مد التربة المصرية بما يلزمها ، وبالمعدلات الكافية .

٣ — سيادة وسائل الزراعة البدائيه فى غالبية المساحات المنزرعة والتخلف فى استخدام الميكنة .

وبالنسبة للسبب الثالث ، فاننا لو افترضنا جدلا امكان وقف زحف المدن على المساحات الزراعية المجاورة فما الذى يمكن عمله بالنسبة لتوسع أكثر من ثمانية آلاف قرية ونجع — وانتشارها كما نعلم جميعا أفقيا وليس رأسيا — وهى التى تعانى أساسا من ارتفاع نسبة الزيادة السكانية .

أما السبب الرابع — التفتت — فالجميع يعترف بخطورته وأثره على زيادة نسبة الفاقد من الاراضى الزراعية القديمة ولم يتخذ بشأنه اية سياسة ايجابية حتى الان .

مما سبق لابد وأن يتضح أن زيادة معدل الانتاج الزراعى يستلزم بالضرورة الزيادة فى التوسع الراسى والارضى القديمة ، والافقى فى الاراضى الجديدة .

[*] المهندس الزراعى حسين طلعت كان نائبا لرئيس القطاع الجنوبى لمديرية التحرير من ١٩٦٧ — ١٩٧٠ .

وفى المناقشة موضوع التعليق حول مستقبل الاراضى الجديدة من حيث أشكال الاستغلال يمكن القول بأن غالبية الاراء اتفقت على أن أهم المشاكل تتركز فيما يلى :

١ ـ التخطيط لم يكن على المستوى المطلوب سواء فى اختيار أنواع التربة الاكثر والاسرع غلة ، أو بالنسبة لشكل الاستغلال النهائى ـ تمليك او تاجير او زراعة الدولة ـ أو بالنسبة لنتائج استصلاح الاراضى الجديدة على المساحات القديمة المجاورة أو توفير الاستثمارات والاجهزة الفنية اللازمة .

٢ ـ عدم استكمال مشروعات الاستصلاح مما أدى الى عدم امكان زراعة ٣٩٣ الف فدان أى بنسبة ٤٢ فى المائة من اجمالى الزمام المستصلح .

٣ ـ ارتفاع المصروفات الادارية بصورة كبيرة ، وتراوحت التقديرات ما بين ١٢ ، ١٢٠ جنيها للفدان الواحد وفقا لاختلاف المناطق . كما قدرت تكاليف العمالة الزائدة بمليون ونصف مليون من الجنيهات فى أراضى مؤسسة الاستزراع والتنمية وحدها .

٤ ـ انخفاض انتاجية الاراضى المنزرعة بمعرفة الدوله ، الامر الذى ترتبت عليه خسارة سنوية تزيد عن عشرة ملايين من الجنيهات لمساحه تزرع على الدمة تناهز ٣٥٠ ألف فدان ـ بمتوسط ثلاثين جنيها للفدان الواحد .

٥ ـ ارتفاع نسبة الانفاق على الخدمات ، هذا الانفاق الذى يتراوح تقديره بين ٤٠ ـ ٥٠ فى المائة من الميزانية السنوية لمؤسسة الاستزراع ـ ولا يزيد المبلغ المستغل فى عمليات الانتاج عن ٤٫٥ مليون جنيه ـ بعد خصم مصروفات الخدمات والاجور والاقساط والفوائد ـ أى بمتوسط ١٣ جنيها للفدان وهو ما لا يتيح تحقيق زراعة منتجة .

٦ ـ قصور اساليب الادارة بالنسبة لمتطلبات العمل فى هذه المناطق .

ولا يستطيع أى انسان أن ينكر أن الجهود التى بذلت فى استصلاح واستزراع هذه المساحات تعتبر ضخمة ومضنية بالنسبة لدولة نامية ـ وتبلغ نسبة ما استصلح من الاراضى الجديدة ما يناهز ١٧ فى المائة من مساحة الأراضى القديمة وهى نسبة عالية دون شك . وكان من المتوقع أن يشوب التخطيط أخطاء سواء لحداثة مبدأ التخطيط أو لحداثة هذا المستوى الضخم فى مجال الاستصلاح والاستزراع فى بلادنا .

وقد أدى سوء التخطيط ، فى بعض الحالات ، الى تدهور مساحات واسعة بالاراضى الجديدة كانت قد وصلت فعلا الى الحدية الانتاجية كأراضى الحدائق فى قطاعى جنوب وشمال التحرير ، نتيجة التأخير فى انشاء مشروعات الصرف المناسبة . كما ادى سوء التخطيط فى حالات أخرى الى تعميم نظم للرى [مثل الرى بالرش فى جنوب وجنوب غرب التحرير] لا تتمشى تصرفاتها مع احتياجات الارض الفعلية ، وبالتالى استحالة تحقيق انتاج اقتصادى تحت هذه الظروف . والجدير بالملاحظة أن هذه المشروعات قد خططت وصممت بواسطة شركات أجنبية .

ومن الناحية الاخرى ، لم يكن التخطيط الزراعى يضع فى الاعتبار ضرورة اتباع وسائل الميكنة الحديثة والاستغناء قدر الطاقة عن استعمال الايدى العاملة بالنسبة للعمل فى هذه المساحات الشاسعة والنائية . بل اعتمد التخطيط والتنفيذ على نفس أساليب الزراعة فى الاراضى القديمة التى تعتمد بالدرجة الاولى على العمل اليدوى . واذا علمنا أن أجر العامل الزراعى ـ عامل التراحيل ـ يصل فى هذه المناطق الى أكثر من ٦٥ قرشا فى اليوم الواحد ـ ويشمل ذلك الاجر ومصروفات النقل والاقامة وعمولة مقاولى الانفار والتأمين والغذاء فى بعض الحالات ـ فلابد وأن نتوقع استحالة تغطية متطلبات الاستزراع اعتمادا على العمل اليدوى وارتفاع تكاليف العمالة بصورة لا تحقق انتاجا اقتصاديا .

وعلى الرغم من وجود الكثير من المعدات والالات الزراعية فى الاراضى الجديدة الا أن استعمالها تعترضه الكثير من المعوقات تتمثل فى :

١ ـ تعدد انواع الالات ومصادر انتاجها مما يتعذر معه توفير قطع الغيار اللازمة .

٢ ـ انخفاض مستوى التدريب والصيانة لهذه الالات ويترتب على ذلك اما عدم استعمالها كلية أو استهلاكها فى مدة زمنية قصيرة جدا مما يزيد من الاعباء الاقتصادية على المشروع .

٣ ـ عدم ملاءمة بعض انواع الالات لظروف الانتاج مما يتعذر معه استعمالها .

٤ ـ انخفاض الاجور والحوافز للعاملين على هذه الالات . فمثلا جرار تبلغ قيمته خمسة آلاف من الجنيهات يقوم بقيادته سائق غير مدرب لا يتجاوز أجره الشهرى الـ ١٢ جنيها .

٥ ـ عدم توفير الحد الادنى اللازم من الفنيين والعمال المهرة اللازمين لادارة محطات صيانة الالات .

وعليه يمكن القول بأن التخطيط والتنفيذ بالنسبة للميكنة الزراعية فى الاراضى الجديدة متعثر ، ويحل محلة الاعتماد على الايدى العاملة . والنتيجة الطبيعية هى ارتفاع تكلفة الانتاج وانخفاض العائد .

وظاهرة ارتفاع المصروفات الادارية لا تعانى منها الاراضى الجديدة وحدها بل تعانى منها الكثير من مؤسسات وشركات القطاع العام . والتغلب عليها لا يمكن أن يتحقق فى قطاع دون الاخر بل لابد وان ترسم سياسة شاملة تستوعب هذا الفائض فى نواح اكثر انتاجية .

ويمكن امتصاص نسبة من فائض العمالة فى الاراضى الجديدة باتباع سياسة تتمثل فى :

١ ـ اقامة صناعات تتلاءم مع انتاجية القطاعات المختلفة ـ التكامل الزراعى الصناعى .

٢ ـ مزيد من الاستصلاح يعتمد على سياسة أكثر دقة وعلمية واحكام فى التنفيذ .

٣ ـ التدريب ـ بالنسبة للفائض ـ على المهن الفنية التى تعانى من نقص فى العمالة وخاصة النواحى الميكانيكية والزراعية الفنية والمالية .

٤ ـ اعادة تنظيم الهياكل الوظيفية بعيدا عن التضخم والبيروقراطية والازدواج والوظائف الشكلية .

وليس من العدالة فى شىء أن تحمل الاراضى الجديدة عبء قصور التخطيط ، أو ضعف مستوى الادارة ، أو ارتفاع المصروفات الادارية ـ فهذه العوامل بعيدة تماما من أن تتحكم فى مصير هذه المساحات التى استصلحت بأموال الشعب ـ كما انه لا يمكننا أن نخطط لمستقبل هذه الاراضى على أساس أخطاء ارتكبت فى الماضى . ومن المعروف أن استصلاح الاراضى يتطلب انفاقا كبيرا والعائد منها لا يتحقق قبل مضى سنوات تتراوح بين ٥ الى ١٠ طبقا لنوعية التربة وظروف المنطقة المناخية وموقعها الجغرافى ، وهى تماثل الصناعات الثقيلة فى نوعية الاستثمار .

ولا مناص ـ كما سبق القول ـ من أن نسير فى هذا الطريق الى نهائية دون توقف .

ولا يمكن أن ننادى بتصفية هذا القطاع بالتوزيع أو التأجير أو البيع . لان من غير المفهوم أن يساهم ٣٥ مليون انسان فى استصلاح ٩٠٠ ألف فدان يستفيد منها فى النهاية ١٨٠٫٠٠٠ اسرة دون غيرها ـ هذا بغرض توزيع أو تأجير المساحة كلها .

وهنا نتساءل : اذا كان متوسط تكاليف استصلاح الفدان يصل الى ٥٠٠ جنيه ، فبكم يتم تمليك هذا الفدان « المعلومات تقول انه يملك بنصف الثمن فقط أما النصف الباقى فتتحمله الدولة ، اى الشعب ـ فى النهاية ـ بلا مقابل .

وفى حالة التأجير ، تقول الارقام أن متوسط الايجار السنوى للفدان ستة جنيهات ، وتتحمل مؤسسة الاستزراع ٢٫٥ جنيه لكل فدان مقابل الخدمات أى أن الايجار الحقيقى لا يتجاوز ٣٫٥ جنيه للفدان الذى بلغ الحدية الانتاجية ، والذى تكلف ما بين ٥٠٠ ـ ٨٩٠ جنيها ـ كما تقول بعض الارقام الواردة فى المناقشة . وبحساب بسيط يتضح أن معدل الفائدة السنوية لرأس المال المستثمر فى الاستصلاح تتراوح ما بين ٠٫٧ فى المائة ، ٠٫٤ فى المائة . فأى فائدة تجنيها الدولة من ايجار يحقق نسبة الربح هذه ؟ . ان الاراضى المؤجرة على هذه الصورة يكاد يستغلها المنتفع بالمجان ـ ايجار رمزى مع اعفاء من ضريبة المال السنوى ـ وعليه ، ليس من المستغرب أن يحقق المنتفع فائضا أكثر مما تحققه أراضى الذمة فى مؤسسة الاستزراع . هذا بالاضافة الى ان التوسع فى التأجير والتمليك يزيد من حدة مشكلة العمالة الفائضة ، التى عنيت أصلا لادارة هذه المزارع بمعرفة الدولة . أن السياسة التى سوف تتبع بالنسبة لمستقبل الاراضى الجديدة يجب ان تراعى الاعتبارات الرئيسية التالية :

١ ـ أن هذه الاراضى ليست أراضى اقطاعيين او كبار ملاك ، بل هى أراضى الشعب كله ومن حقه ان يعود عليه كله الفائض الناجم عن هذا الاستثمار .

٢ ـ لا يمكن نقل صور واشكال الاستغلال فى الاراضى القديمة الى الاراضى الجديدة لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى كلا الحالتين .

٣ ـ يجب أن نجنب الاراضى الجديدة المشاكل التى تعانى منها الاراضى القديمة وأساسا مشاكل التفتيت ـ الملكية القزمية ـ والبعثرة المحصولية وأساليب الانتاج البدائية وضعف التحكم فى الدوره المحصولية والتخلف الشديد الذى يسود القرية .

وعليه فاذا كان التأجير ـ وليس التمليك ـ للمساحات المتناثرة التى يتعذر ادارتها اقتصاديا أمرا منطقيا ، فلابد وأن يقترن التأجير بالزراعة التعاونية ـ التعاون الانتاجى ـ فتدار هذه المزارع بصورة تعاونية وبدورة زراعية تتناسب مع ظروفها ، مع ضرورة توفير الجانب الديمقراطى فى الادارة وتجنب التعقيدات البيروقراطية التى نلمسها فى التعاون التسويقى حاليا ـ الجمعيات التعاونية الزراعية ـ واعطاء المنتفعين حرية انتخاب وحرية سحب الثقة بالنسبة لاعضاء مجلس ادارة المزرعة دون تدخل من الجهات التنفيذية . مع اقتصار دور الجهات الاشرافية على النواحى الفنية فقط .

ويمكن مناقشة الشكل الامثل لهذه المزرعة

سواء من ناحية الحجم أو أساليب الادارة ، وتقدير قيمة الايجار ونوعيته [وهل هو نقدى أو عينى] أو الشكلين معا ـ وشكل الخدمات .. الخ على مستوى الاجهزة السياسية والتعاونية والنقابية ، بحيث يمكن البدء فى تطبيق أكثر من نموذج لهذا الشكل .

وعلى ضوء النتائج يمكن اختيار النموذج الافضل . يجب أن تكون الدراسة والتطبيق موضع الاهتمام من الجهات المسئولة كى يتسنى التنفيذ فى أقرب وقت ممكن .

ولا نبالغ اذا قلنا أن نجاح هذه التجربة فى الاراضى الجديدة يمكن الاستفادة منه فى الاراضى القديمه وفى المناطق التى تسود فيها الملكيات القزمية ـ مع مراعاة التفاوت فى الظروف . وبذلك يمكننا أن نحقق أسلوب الانتاج التعاونى فى مساحات لا تقل عن ثلاثة ملايين فدان [٤٠ فى المائة] من مساحة الاراضى القديمة والجديدة فى شكل تعاونيات انتاجية متخصصة عالية التجهيز والانتاج .

لعله من المفيد هنا أن نلاحظ برنامج العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس السادات قد نص على أهمية اقامة تعاونيات انتاجية . لكننا لم نتقدم خطوة واحدة فى هذا السبيل .

اما بالنسبة للمساحات الكبيرة ، فقد حبذت معظم الاراء التى ابديت ضرورة ادارتها عن طريق الشركات . ولكن تعددت وجهات النظر بالنسبة لطبيعة هذه الشركات فهى اما شركات قطاع عام أو شركات مشتركة بين القطاع العام والخاص بنسبة ٥١ فى المائة الى ٤٩ فى المائة أوشركات يشترك فيها رأس المال العربى أو الاجنبى .

ونود ان نناقش مبدأ دخول راس المال العربى أو الاجنبى فى مجال الاستثمار الزراعى فى مصر . ليستفيد المنادون بهذه الفكرة الى مبررات تتلخص فى :

١ ـ تواجد رأس مال كاف للقيام بعمليات الاستزراع .

٢ ـ توفير الخبرة الفنية والادارية .

٣ ـ استخدام الاساليب التكنولوجية الحديثة فى الانتاج .

ولكن يلاحظ انه ليس ضروريا ان يكون الحصول على رأس المال مشروط بالمشاركة . ويمكن ان تحل القروض القصيرة الاجل أو الطويلة الاجل ـ بضمان الدولة وبشرط أن تستغل هذه القروض بالصورة المناسبة ولا تبدد بطريقة غير اقتصادية ـ محل مبدا المشاركة .

واما الخبرة فيمكن ان نحصل عليها بأكثر من طريق فى المجالات التى نفتقد فيها الخبرة فعلا ـ وجدير بالذكر ان « منظمة الاغذية والزراعة » ـ التابعة لهيئة الامم المتحدة ـ كثيرا ما أوفدت الخبراء والمتخصصين فى مجال الزراعة وكانت النتائج ـ فى غالبيتها ـ أحد أمرين :

اما ان هؤلاء الخبراء دون المستوى المطلوب أو ان التوصيات التى يقدمونها لا تتفق مع امكانيات التطبيق المحلى لاكثر من اعتبار . وبالتالى يتعذر تنفيذها او انها مفيدة ، ولكن الادارة البيروقراطية كفيلة بالحيلولة دون تنفيذها .

وفيما يتعلق بالاعتبار الثالث ـ فهناك مثل واقعى ـ المزرعة الالية ـ التى صممت على اساس استخدام الميكنة الزراعية الكاملة . وبعد الانتهاء من اقامة المشروع وتسليمه اختلفت الممارسة عن التخطيط الاصلى وتراجعت الاساليب الالية لصالح الاساليب التقليدية .

والسؤال هنا : هل تفتقر مصر الى الكوادر الفنيه الزراعية الى هذا الحد ـ مع وجود الجامعات ، ومراكز البحث العلمى ، والاعداد الوفيرة من الحاصلين على المؤهلات العليا ، بل والكوادر التى يعترف بمكانتها على المستوى العالمى والقادرة على المساهمة فى التطوير العلمى والفنى . وماهى الحكمة فى اعادة السماح لراس المال الاجنبى بالدخول فى مجال الاستثمار الزراعى بعد ان تخلص منه الاقتصاد المصرى بعد ثورة يوليو سنة ٥٢ ، وبعد ان ثبت لنا ان الشركات الاجنبية حققت فى الماضى ـ ارباحا ضخمة على حساب الفلاح المصرى ، وعلى حساب الاقتصاد القومى . وهل تتحمل الزراعة المصرية مشاركة راس المال الاجنبى فى فائضها وهى التى تعجز حاليا على توفير مستوى لائق للمعيشة للفلاح المصرى . واذا كنا سنسمح لراس المال الاجنبى فى المشاركة فى الاراضى الجديدة فما هو المنطق الذى يمنعه من المشاركة فى الاراضى القديمة أيضا وهى تعانى من انخفاض الانتاجية والتخلف فى الاساليب الانتاجية الحديثة ؟

وحتى اذا افترضنا وضع الضوابط اللازمة بالنسبة لراس المال الاجنبى فمن فى النهاية له سلطة اتخاذ القرار انه بالطبع راس المال الاقوى . ولا يخفى علينا ان رؤوس الاموال الاحتكارية قادرة على السيطرة وفرض الارادة بأساليب متنوعة .

ان التعاون الاقتصادى على اسس تبادل المصالح والتكافؤ هو الاساس الوحيد المقبول وأى أساس آخر غير مقبول . تلك هى المبادىء التى ارستها ثورة يوليو سنة ٥٢ ونصت عليها مواثيقنا .



□ الصـــــهيونية الدينيـــــة

كان يرى بعض اليهود المتدينين أن الحركة الصهيونية لو تركت وشأنها قد تنشر التعاليم القومية اليهودية العلمانية [بعد تصفية الجـانب الديني تماما) وتؤدى الى نهاية اليهودية ! ولذلك تصدى لها كثير من المتدينين فرفضتها قلة قليلة رفضا باتا ، أما الاغلبية فقد انقسمت الى قسمين : قسم رفضها في بادئ الامر ، ثم انضم لصفوفها بعد حين ، أما القسم الثانى فقد رأى أن **الصهيونية السياسية** رغم علمانيتها الظاهرة ستساهم « رغما عنها » فى احكام قبضة القيم الدينية على الوجدان **اليهودى** . وكان من بين الرواد الاوائل لهذه الحركة الاخيرة الحاخـــام كاليشر وصـــموبل موهيليفر . ولم يأخذ هذا التيار الفكرى شكلا تنظيميا واعيا بنفسه الا عام ١٩٠٢ حينما قام **يعقوب رلينس** بتأسيس حركة مزراحى [اختصار لكلمة « مركز روحانى » وهما كلمتان عبـريتان تشبهان فى النطق والمعنى الكلمتين العربيتين) تحت شـــعار « أرض اسرائيل لشـــعب اسرائيل حسب شريعة [وتوراة] اسرائيل » كما لخص الشعار فى عبارة « تورافأفودا » أو التوراة والعمل ، أى أنه على الصهيونى المتدين الحق فى أن يتعلم الشريعة اليهودية وأن يعمل بنشاط من أجل اعادة بناء اسرائيل .

والصهيونية الدينية تشبه فى كثير من الوجوه **صهيونية أحاد هعام الروحية أو الثقـافية** ، فالدينيون ، مثل الروحيين ، كانوا من ارستقراطية **الجيتو** الدينية فى شرق أوروبا ، ولذلك لم تكن المشكلة بالنسبة لهم مشكلة جماهير يهودية تعانى من آلام الانتقال من نمط انتاجى الى آخر ، وانما كانت أساسا مشكلة اليهودية (الجيتوية) بعـد سقوط حوائط الجيتو ، ويخلصون من هذا الى أن الواجب الاساسى للحركة الصهيونية يتركز فى الاتيان بالعلاج الناجح لمشاكل اليهود الروحية وليس لمشاكلهم الاقتصادية ، وهذا لن يتأتى الا عن طريق تحويل فلسطين الى مـركز روحـى لليهودية [أو جيتو تحفظ اليهودية نفسها فيه من خطر **الاندماج**) ، ونقطة الاختلاف بين الصهاينة الدينيين والروحيين تتركز فى كيفية الايمان بالدين اليهودى فكلاهما يؤمن بالقيم الدينية اليهودية الا أن الفريق الاول يخلع عليها القداسة المطلقـة باعتبار أنها مرسلة من الله (كما يفعل اليهود **الارثوذكس**] . بينما يرى الفريق الثانى هذه القيم كجزء من تراث الشعب اليهودى الثقافى وبذا يصبح مصدر القداسة هو الشعب ذاته (كما يفعل اليهود **المحافظون**) .

ويتسم التفكير الصهيونى الدينى بـالحلولية المتطرفة ، فالصهاينة الدينيون يرون ان اليهود أمة ولكنهم أمة تختلف عن بقية الامم لان الله هو الذى أسسها بنفسـه ، فهم يبعثون المفهوم **التلمـودى** الخاص بوحدة التوراة والامة ، وأن اليهود كشـعب لا يمكنه الاستمرار دون التوراة ولكن مع هذا لا يمكن لهذه الوحدة أن تأخذ شكلها الكامل الا بأن تلتحم العناصر الثلاثة للثالوث الصهيونى : الامة والكتاب والارض ، وبالتحامها تنبجس عبقرية الامة كالينبوع الذى تعود له الحياة فجأة ، والذى لا يمكن للبشرية الخلاص دون فيضه السخى . ومن أعلام الصهيونية الدينية اسحق **كوك** وصموبل **لانداو** وبار **ايلان** . ولحركة المزراحى فروع فى كل العالم وتنظيم نسائى وآخر شبابى ، كما انها يتبعها حزبان فى اسرائيل : حزب المزراحى وحزب عمال مزراحى (ويؤلفان سويا **الحزب القـومى الدينى**) كما يتبعها عديد من مزارع **الكيبوتز والموشاف** . ولكن نشاط المزراحى يتجه أساسا للامور التربوية والثقافية فأسس عددا كبيرا من المدارس على جميع المستويات ، وفى كل التخصصات ، وكثيرا من **الاكاديميـــات التلمودية** . وقد أسس المزراحى كذلك جامعة بارايلان ودارا للنشر وساهم فى اصدار **الموسوعة التلمودية** وكل الطبعـات الجديدة للتلمود ، وتمتلك المزراحى مشروعـات اقتصادية عديدة بما فى ذلك بعض البنوك وشركة للبناء .

اما التيـــــار الدينى الاخر الذى بدأ برفض الصهيونية وانتهى بالانضمام لها فيتمثل فى جماعة

أجودات اسرائيل التى بدأت كحركة من اليهود الارثوذكس (اتباع مرش على وجه الخصوص) الذين يرون أن اليهود أمة دينية وليست أمة « قومية » وأنها لا يمكنها أن تتحول الى أمة بالمعنى الكامل الا بمقدم الماشيح الذى يعود بالمنفيين • ولذلك عارضت أجودات اسرائيل الحركة الصهيونية وحاربتها فى كل مكان ، وتحالفت مع أعضاء اليشوف القديم ضد المستوطنين الصهاينة ، ولم تعترف بالحاخامية القائمة فى فلسطين • ولكن رغم هذا الاختلاف فان بنية فكر أجودات اسرائيل لا يختلف فى أساسياته عن المزراحى ، ولذلك بعد أن أسست الحركة بعدة سنوات تجد أنها بدأت تتحول بالتدريج عن موقفها « المعادى للصهيونية » فأسست جماعات أستيطانية ، كما صرح قادة الحركة أن وعد بلفور والانتداب يتسقان الى حد كبير مع الوعد الالهى بالخلاص ، ثم بدأت الحركة تتعاون مع المستوطنين الصهاينة حتى اذا وصل عام ١٩٤٨ اشتركت فى أول حكومة اسرائيلية وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الحياة السياسية فى اسرائيل • ويوجد فى اسرائيل حزبان يمثلان هذه الحركة هما : حزب أجودات اسرائيل وحزب عمال أجودات اسرائيل • وينصب اهتمام حركة أجودات اسرائيل على الامور التربوية والثقافية شأنها فى هذا شأن المزراحى •

الصهيونية الثقافية (الروحية) ، أو « الاسلوب الصهيونى الثقافى الروحى »

فلسفة صهيونية تبوأت مكانة هامة فى الفكر اليهودى المعاصر . دعا لها آحاد هعام ، وكانت محورا ارتكزت عليه جميع كتاباته • والصهيونية الثقافية لا تأخذ بالمسلمة الهرتزلية القائلة بأن السبب الاساسى لمشكلة اليهود هى معاداة السامية وعجز اليهود السياسى والاقتصادى الناجم عن هذه الظاهرة ، وانما نرى ان العنصر الذى يشكل الخطر الحقيقى للاستمرارية اليهودية هو فقدان اليهود الاحساس بالوحدة والترابط وضعف تمسكهم بقيمهم وتقاليدهم • ويخلص احادهعاممن هذا الى ان المطلوب ليس هو ملجأ تهاجر اليه جميع اليهود يحتمون به من الاضطهاد لليهود ، وانما المطلوب هو دولة يهودية تكون بمثابة المركز الروحى لليهودية وحسب (اى ان المشكلة هى مشكلة بناء فوقى روحى ، وليست مشكلة الوضع الاقتصادى والاجتماعى لليهود) وهذه الدولة لا يمكن اقامتها بين يوم وليلة وباستعمال الوسائل الدبلوماسية وانفاق الاموال كما تتصور صهيونية هيرتزل السياسية ، وانما يكون ذلك عن طريق توفير المناخ النفسى اولا بين اليهود وتقوية وعيهم القومى بحيث يتحررون روحيا ويستطيعون مسايرة تطور العصر فى الحدود التى تمليها روح اليهودية وشخصيتها • ثم تأتى بعد ذلك الدولة كغاية نهائية عندما تكون الظروف الخارجية مناسبة • وستلعب الدولة الحديثة بما لها من تأثير فى الوجدان اليهودى دور المركز الروحى والثقافى لليهودية الذى سيساعد على تقوية الوعى القومى والارتباط العاطفى بين اليهود ، وعلى ازالة الشوائب التى علقت بالشخصية اليهودية نتيجة لسنوات طويلة من الشتات والنفى ، وعلى خلق شخصية جديدة فخورة بيهوديتها تؤكد استمرار الابداع الثقافى لليهودية •

ويقيم احاد هعام قياسا بين الذات الفردية والذات القومية ، فالذات القومية دفينة فى الذات الفردية ورغبة الامة فى الحياة مستمدة من رغبة افرادها فى الحياة ، وهذا الاحساس القومى قد ضعف كثيرا عند اليهود ولهذا الضعف سببان : أولا الشلل الحضارى الذى أصاب القوى اليهودية الخلاقة نتيجة للشتات • ثانيا قوة الجذب الهائلة لحضارة أوروبا التى بهرت اليهود وساعدت على الاندماج ، ولذلك لابد من برنامج تثقيفى مكثف يعيد الى اليهودى بالتدريج ثقته بنفسه وبتراث أجداده ، فالانسان مزيج من الماضى والمستقبل فاذا ما الغينا واحدا من البعدين ينتهى الانسان ، ولهذا يجب أن يحافظ اليهود على ماضيهم وايمانهم به ، وأن يطوعوا فى نفس الوقت قيم هذا الماضى لمتطلبات المستقبل •

وتفكير احاد هعام لايختلف كثيرا عن تفكير الصهيونية الدينية فكلاهما نتاج تفكير ارستقراطية الجيتو الدينية التى لم يكن عندها أية مشكلات مادية ولم تكن تعنيها مشاكل الجماهير اليهودية التى كانت تعانى من آلام الانتقال • وقد ورث الصيغة الاحاد هعامية فريقان واحد فى اسرائيل والثانى خارجها • أما الفريق الاحاد هعامى فى اسرائيل فهو يؤكد مركزية (أو ارستقراطية) الدولة اليهودية فى حياة الدياسبورا ، ويمثله بن جوريون الذى يتخطى أحيانا حدود الصيغة الاحاد هعامية ، وينادى بالغاء او « نفى » الدياسبورا او اعتبارها مجرد كوبرى •

أما الفريق الثانى فهو صهيونيو الدياسبورا وهم أكثر اقترابا من الصيغة الاصلية وهؤلاء يرون ضرورة وجود مركز روحى ثقافى فى اسرائيل حتى يستمد التراث اليهودى أسباب الحياة والاستمرار ، ولكنهم لا يرون أى ضرورة لهجرة (ارستقراطية) الدياسبورا لاسرائيل ، فالمشكلة بالنسبة لهم هى مشكلة يهودية وليست مشكلة يهود (تماما كما كان الحال مع آحاد هعام) •

والصهيونية الثقافية او الروحية ليست تيارا صهيونيا بقدر ماهى « نقطة تأكيد » خاصة بعد

انشاء الدولة ، ولذلك لا توجد احزاب تمثل الصهيونية الثقافية ، وانما توجد تيارات صهيونية ثقافية داخل الاحزاب والحركات الصهيونية المختلفة . فناحوم جولدمان من اكبر الموافقين على الصيغة الاحاد هعامية رغم أنه من كبار **الصهاينة** **السياسيين العاملين** . ووايزمان الصهيوني الذى كان ينهج النهج **العملي** كان يعد من أكبر تلاميذ أحاد هعام . وكما أشرنا من قبل يرى بعض المؤرخين ان بن جوريون « **الصهيوني العمالي** » هو الوريث الحقيقى للصيغة الاحاد هعامية .

□□□

□ الصهيونية السياسية

اصطلاح يستخدم للتفرقة بين الارهاصات « الصهيونية » الاولى مثل جمعية **احباء صهيون وبيلو** من جهة والحركة الصهيونية التى نظمها **هرتزل** من جهة أخرى باعتبار أن التنظيمات الاولى كانت جماعات ذات طابع محلى **تهدف الى الاستيطان** فى فلسطين معتمدة أساسا على **الصدقات** التى يقدمها أثرياء اليهود ، أما **صهيونية هرتزل** فهى تدعى انها حولت « **المسألة اليهودية** » **الى مشكلة سياسية** ، وانها توجهت الى **الجماهير اليهودية**متخطية **الحاخامات**والمليونيرات .

ويؤمن **الصهاينة** السياسيون بأن المسألة اليهودية هى مشكلة يهود بالدرجة الاولى ، أما اليهودية ، التى كانوا لا يعرفون عنها الكثير ، فهى لم تكن مشكلة مطروحة بالنسبة لهم ، هذا على عكس **الصهيونية الروحية** ، **والصهيونية الثقافية** .

ويرى **الصهاينة** السياسيون **أن معاداة السامية** مرض خبيث لاشفاء للمجتمعات الغربية منه وهو يؤدى الى عدم **اندماج** اليهود فيها ، ويفرض عليهم ان يظلوا جماعة « قومية » تعيش كالضيف الثقيل وكالجسم الغريب وتنتقل كجماعة من الاشباح من **وطن** الى وطن لانها لاوطن لها ولا ارضا ، ولا يمكن حل هذه المشكلة الا بأن يصبح اليهود شعبا **مثل** كل الشعوب ، وقومية مثل كل القوميات ، ولن يتأتى هذا الا عن طريق تهجير جماهير اليهود الى **فلسطين** [أو أى بقعة فى العالم] ليعيشوا فى وطن **يهودى** تحكمه دولة يهودية تندمج فى المجتمع الدولى وتنجح فى تحقيقه لليهود كشعب ما فشلوا فى تحقيقه لانفسهم كأفراد . ولكن هذا البرنامج لا **يمكن تنفيذه** الا تحت اشراف المجتمع الدولى ، وبضمان منه . فالمسألة اليهودية مشكلة سياسية ذات طابع دولى . وستقوم الدولة اليهودية باستيعاب « فائض » يهود العالم ، أما الباقون الذين لا يرتضون الهجرة فانهم سيندمجون فى مجتمعاتهم ، ويجب الاشارة الى ان الصيغة السياسية الهرتزلية فى « علمانيتها » الظاهرة ، وفى غيبيتها الباطنة وفى جمعها بين الاندماجية و « القومية » كانت من اكثر الصيغ نجاحا لانها حققت ليهود الغرب ما يريدون وما يتفق مع تجربتهم الاندماجية ، وأعطت يهود شرق أوروبا ما يبغون وما يتفق مع تجربتهم الجيتوية . بل أن هرتزل نفسه قد لاقى هذا النجاح الباهر كزعيم صهيونى سياسى لانه جمع النقيضين فى ذاته ، فهو يهودى من « الغرب » المتقدم اعتنق « العقيدة » القومية . ولكن أهم العوامل **التى قيضت** للصهيونية السياسية النجاح فى تحويل المشكلة اليهودية الى قضية دولية هو ظهور النشاط الامبريالى بشكل جاد ، وقد بدأ نشاط هرتزل الصهيونى السياسى فى الوقت الذى زاد فيه الحديث عن تقسيم الامبراطورية العثمانية والذى بدأ فيه السباق الامبريالى للاستيلاء على افريقيا وتحويلها الى اسواق . فى هذا الوقت نشأت الحاجة لمستوطنين بيض يخدمون كممثلين « للحضارة الغربية » ، وللمصالح الامبريالية وقد نجحت الصهيونية السياسية فى الاعلان عن اليهود « كعملاء » لاى قوة امبريالية تريد أن تحتضنهم وتستفيد من خدماتهم وتوطنهم فى فلسطين . وفى اطار هذا الفهم الامبريالى الاستيطانى كان يتحرك هرتزل والصهاينة السياسيون فى بلاط امبريالى آخر ، ابتداء من السلطان التركى مرورا بقيصر ألمانيا وملك ايطاليا وانتهاء برئيس وزراء بريطانيا الذى قبل ان يمنح الصهاينة **شرق افريقيا** فى بادىء الامر ، ولكن بتعاظم التنافس الامبريالىوبظهور الثورة **العربية** ، سارعت الامبريالية الانجليزية بمنح **وايزمان** وعد **بلفور** حتى تضمن وجود حامية يهودية فى المنطقة العربية . ومن أهم دعاة الصهيونية السياسية **ليوبنسكر** وجاكوب **كلاتزكين** واكس **نوردو** . وتعتبر **الصهيونية المراجعة والصهيونية العامة والصهيونية الراديكالية** تنويعات على البناء العام الفكرى للصهيونية السياسية ، كما أن جماهير هذه **التيارات** تنتمى الى نفس القطاعات الاجتماعية فهى أساسا جماهير بورجوازية ليبرالية تؤمن بالاستثمار الخاص . وهى تنقسم الى فريقين اساسيين : فريق فى اسرائيل تضمه الاحزاب غير العمالية وغير الدينية الممثلة الان فى **تحالف ليكود** ، وفريق **فى الدياسبورا** يدافع عن اسرائيل كدولة ، ولكنه لايرى اى ضرورة للهجرة اليها ، ويكتفى بالنظر اليها عن بعد كمركزا روحى [أى أن الفريق الثانى قد مزج بين التيارين السياسى والروحى] وهذا ما سميناه **بصهيونية الدياسبورا** .

ملف
الطليعة

دراسة ميدانية

العـــراق مــن الداخـــل

تقدم « الطليعة » فى هذا العدد الجانب السياسى والاقتصادى من حصاد الزيارة التى قامت بها بعثتها فى العـــراق ، وكانت قد قـــدمت فى العــــددين السابقين ، الحصاد الثقافى لهذه البعثة بملحق الادب والفن .

وزيارة بعثة « الطليعة » للعراق الشقيق ، هى أول زيارة فى سلسلة الزيارات الميدانية التى قررت الطليعة القيام بها فى العديد من البـــلاد العـــربية والاشتراكية وذلك من أجل دراسة وتقديم هذه التجارب انطلاقا من واقعها الحى نفسه ، وليس عن طريق المعرفة المكتبية وحدها ، أو الكتابة من خارج هذه التجارب .

وقد اشترك فى بعثة «الطليعة» الى العراق الزملاء : عبد المنعم الغزالى ، وخيرى عزيز ، وحلمى ياسين ، وفاروق عبد القادر ، ووديع أمين .

والتقت البعثة اثناء زيارتها بالعديد من الوزراء العراقيين ، وقادة حزب البعث العربى الاشتراكى ، والحزب الشيوعى العراقى ، والحزب الثورى الكردستانى ، وبعدد من الشخصيات الوطنية المستقلة، والمشرفين على الاعلام العراقى ، وأجرت مع الجميع مناقشات مثمرة أسهمت فى تشكيل الحصاد الموضوعى الذى خرجت به البعثة فى زيارتها للقطر العربى الشقيق .

كذلك قامت البعثة بزيارة عدد من المصانع والمزارع والمنشآت التعليميــة ، والثقافية ، والفنية ، وأجرت مناقشات مع القائمين بادارتها والعاملين فيها .

واستكملت البعثة ادراكها للبعد الحضارى والتاريخى للعراق ، بزيارتها للمعالم الاثرية الهامة التى تنتمى الى العصور القديمة والوسطى ، كما زارت المعالم الهامة التى يزخر بها العراق ، والتى تنتمى الى التراث الاسلامى والعربى ، وكل ذلك شكل الجوانب المتباينة للرؤية العامة التى وصلت اليها البعثة من زيارة هذا البلد الشقيق الذى نقدم هنا حصيلة دراسة اهم الجـــوانب الســـياسية والاقتصادية فى تطوره الراهن .

□ عن التحـــولات الاقتصـــادية والاجتمـــاعية

عبد المنعم الغزالى

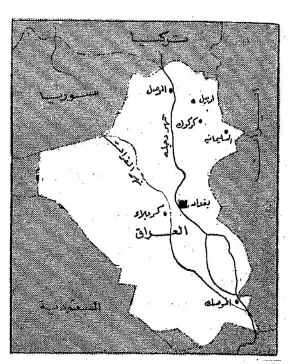
يمكن القول بأن البورجوازية الوطنية العراقية بعد استيلائها على سلطة الدولة بعد ثـورة يوليو [تموز] ١٩٥٨ قد انجزت فيما انجزت عددا من المنجزات المتقدمة والوطنية : الانسحاب من حلف بغداد ، ومن المنطقة الاسترلينية ، اصدار قانون الاصلاح الزراعى الاول [القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، والقانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ والذى حرر ٩٩٫٥ فى المائة من أرض العراق من امتيازات شركات النفط الاجنبية ، وبداية التعاون مع المعسكر الاشتراكى . ولكن سلطة البورجوازية الوطنية تلك ظلت طيلة عشر سنوات عاجزة عن الانجاز الحقيقى لمهمات الثـورة الوطنيـة الديمقراطية ، وقد تمثل ذلك فى :

١ – العجز عن تحرير الاقتصاد العـراقى تحريرا جذريا من التبعية الاقتصادية للنظـام الرأسمالى العالمى – حيث ظل البترول فى تبعية شبه كاملة للاحتكارات الدولية ٢ – عدم احداث تغييرات حقيقية فى البيئة الاجتماعية ، وعلاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الاقطاعية فى الريف ٣ – انعدام وجود خطة تنمية شاملة ٤ – عدم قيام تحالف وطنى بين كل قوى الثورة العراقية ، وغرق الثورة العراقية فى خلافات وصراعات دموية ، وهى خلافات غذتها قوى الاستعمار الحـديث والرجعية فى المنطقة ، فانفرط عقد الجبهة الوطنية التى قامت بثورة يوليو ١٩٥٨ .

وهكذا – نجد أنه حتى الكثير من اجراءات ثورة يوليو [تموز] ١٩٥٨ تعرضت للانتكاس والردة . فمن مهادنة للاحتكارات البترولية الاجنبية – تمثل خلال فترة الحكم العارفى فى تجميد شركة النفط الوطنية ، وفى وقف تنفيذ الاصلاح الزراعى الاول وتعويض الملاك .. الخ . وتوضح النقاط التالية مظاهر انتكاس ثورة ١٩٥٨ فى مجال التحولات الاقتصادية والاجتماعية :

١ – ظل قانون الاصلاح الزراعى رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، ورغم كل التعديلات التى ادخلت عليه بالقانون ٦٩ لسنة ١٩٦١ ظل قاصرا عن احداث اصلاح زراعى جذرى فى الريف العراقى ، ورغم انه صدر ارضاء لطموح الفلاحين الفقـراء والمعدمين ، وانه وضع حدا ادنى لاجور العمال الزراعيين ، ودعى لتأسيس التعاونيات الزراعية بعد توزيع الارض ، فانه قام بتوزيع الارض على الفلاحين مقابل بدل ، وجعل الحد الاعلى للملكية ١٠٠٠ دونم [خمسمائة فدان مصرى] فى الاراضى المروية ، و ٢٠٠٠ دونم فى الاراضى المطرية ، كما أعطى الملاك الحق فى اختيار الارض التى ستبقى فى حيازتهم فاختاروا الارض المنتجة ، وكما أبقى على نظام المحاصة فى أراضى الملاك ، فاستولوا بذلك على خيرة الاراضى التى تدر الريع التفاضلى الاعلى . كما أن هذا القانون أوجب على الفلاحين دفع تعويضات قدرت بـ ١٣١ مليون دينار خلال عشرين عاما مضافا اليها ٢٥ فى المائة مصاريف ادارية – أى امتصاص كل فائض لدى الفلاحين خلال عشرين عاما ، ودفع أقساط أكثر من الايجار الذى كان يدفع للمالك ، وهو أمر ادى الى ترك الفلاحين للارض التى وزعت عليهم [١] .

٢ – تعثر مشاريع التنمية ، وكما كان يجرى ببطء شديد تنفيذ المشاريع الصناعية – التى بدىء بها بموجب اتفاقية التعاون الاقتصادى المعقودة مع الاتحاد السوفيتى فى ١٦ مارس ١٩٥٩ .



ويؤكد ذلك تقرير وزارة التخطيط العراقية عن « نتائج متابعة تنفيذ الاهداف الاستثمارية للمناهج والخطط الاقتصادية بالعراق من ١٩٥٩ الى ١٩٧١ . حيث أورد الارقام التالية عما تحقق من المستهدف على أساس حساب المصروفات الفعلية :

أ ـ فى مجال الزراعة والرى والصرف واستصلاح الاراضى :

١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
٢٣ر٩٪	٢٣٪	٢٩ر٦٪	٣٥ر٥٪	٣٧٪

ب ـ فى مجال الصناعة والتعدين وتوليد الطاقة :

١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
٤٠ر٥	٧٢ر٣	٥٨ر٣	٤٥٪	٥٢ر٢

جـ ـ فى مجال المبانى والاسكان :

١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
٦٦ر٥	٧٨ر٧	٥٤ر٦	٦٢ر٥	٦٥ر٧٪

د ـ فى مجال النقل والمواصلات والتخزين :

١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
٤٦ر٢	٥٣ر٧	٥٤ر٦	٦٥ر٥٢	٦٢ر١

وهكذا نجد أن التنفيذ الخاص بالمشروعات لم يصل أبدا الى حده المستهدف ، كما يلاحظ التخلف الشديد فى المجالين الزراعى والصناعى ، وقد انخفضت نسبة مساهمة قطاع الصناعة فى الناتج المحلى فلم تتجاوز اكثر من ١٠ فى المائة سنويا حتى عام ١٩٧٠ . وما زال التخلف فى هذا المجال قائما .. واستمرت عوائد البترول هى المصدر الرئيسى لتمويل التنمية والانفاق الجارى للحكومة ، ولايجاد التوازن فى الميزان التجارى .

٣ ـ خلال ثلاثة عشر عاما منذ قيام ثورة ١٩٥٨ ظل الدخل الفردى متميزا بالانخفاض : ٣٥٠ دولارا سنويا فى المدن ، و ١١٦ دولارا سنويا فى الريف . كما ظلت نسبة العاملين فى الزراعة أكثر من ٤٨ فى المائة ، وزادت هجرة فقراء الريف الى المدن ، فازداد عدد العاطلين وهى أمور ترتب عليها انخفاض قدرة الاستيعاب للمشروعات الجديدة وبطء تطوير الاقتصاد . وفى نفس الوقت عانى الاقتصاد العراقى وما زال يعانى من نقص الايدى العاملة الماهرة ، ففى ١٩٧٠ كانت نسبة الفنيين بما فيهم المهندسين ١٢ فى المائة ، بينما زادت البطالة المقنعة [وفق الاحصائيات الرسمية عن ٨ فى المائة خاصة فى الزراعة والخدمات والادارة العامة .

ماذا عن التحولات بعد تموز [يوليو] ١٩٦٨

هكذا ، عندما قامت حركة يوليو ١٩٦٨ ، كانت الثورة العراقية محملة بكل أعباء انتكاس البعدين الوطنى والتقدمى لثورة يوليو ١٩٥٨ ـ واستمرار هذا الانتكاس لسنوات طويلة عانى خلالها العراق الكثير من الانقلابات الدموية ، والتصفية البدنية العنيفة لقوى الثورة ، وتوقف الانجاز فى مجال التحولات الاقتصادية والاجتماعية ، وعجزت الثورة عن تحقيق الافاق المستهدفة لانتصار ثورة وطنية ديموقراطية .

ولما كان المحور الرئيسى لانتكاس ثورة يوليو ١٩٥٨ هو عمق الانقسام داخل صفوف القوى الوطنية، والديمقراطية والتقدمية ، وغلبة الصراع الداخلى الدموى والعنيف ، والذى غذته عناصر أمبريالية ، وقوى رجعية مضادة للثورة ـ لما كان هذا الانقسام الذى غلب التناقضات الثانوية داخل قوى الثورة على التناقضات الرئيسية التى ما زالت تحكم حركة ثورة التحرر الوطنى ، هو

(١) انه بموجب هذا القانون تم الاستيلاء على ٦ر٩٤٤ر٢٥١ مليون دونم من مجموع ١٢ مليون دونم كان المفروض ان تؤول الى الاصلاح الزراعى . وحتى يوليو ١٩٦٨ لم يوزع منها سوى ٢ر٥٨٠ر٩٤٧ دونم اى ٤٤ فى المائة من مجموع ما تم الاستيلاء عليه .

السبب الرئيسى فى كل ما عانته الثورة العراقية من نكسات ، كان على القوى التى تسلمت السلطة فى ١٧ يوليو ١٩٦٨ أن تتخطى هذه العقبة ، اذا كانت تريد حقا تطوير العراق تطويرا ثوريا ، كان عليها أن تسعى الى تحقيق وحدة قوى الثورة ، باعتبار ذلك شرط ضرورى ومحورى لاحداث تحولات اقتصادية واجتماعية فى العراق ذات محتوى وطنى ديموقراطى تقدمى .

لذلك فانه خلال السنوات الست الاخيرة ، استطاع العراق فى ظل قيام الجبهة الوطنية ، من الاتجاه موحدا لقوى الثورة لانجاز تحولات اقتصادية واجتماعية متقدمة ــ ليس من الممكن انجازها وغول الانقسام هو الذى يحكم مسيرة الثورة العراقية . فبمساندة كل القوى التقدمية المحلية ، وبفضل التعاون بين حزب البعث والحزب الشيوعى تحققت اجراءات ايجابية فعالة فى مجمل الاقتصاد الوطنى :

أولا : فى مجال الاصلاح الزراعى

كان من الضرورى اجراء تعديلات جذرية على قانون الاصلاح الزراعى القديم ــ وكانت التعديلات الاولى فى مايو ١٩٦٩ والتى الغت تعويض الملاك الاقطاعيين ، وما اطلق عليه فى القانون القديم حق الملاك فى اختيار الارض ، وقررت كذلك اعطاء الارض للفلاحين دون مقابل ــ وهى اجراءات ذات طابع ديمقراطى تقدمى . وفى مارس ١٩٧٠ صدر القانون ١١٧ والذى تضمن المبادىء السابقة ، الى جانب معالجته لكثير من الاسس المعيبة فى القانون القديم والتى استفاد منها كبار الملاك واغنياء الريف فى الاساس .

وفى ظل هذه الاجراءات التقدمية تطورت منجزات الاصلاح الزراعى فى الريف العراقى ــ فحتى نهاية ١٩٧٣ تم اقامة ١٢٣٦ مزرعة تعاونية تضم ١٩٣ الف منتفع فى مناطق الاصلاح الزراعى ، تقدر مساحتها ب ٤ر١١ مليون دونم ، و٥٧ مزرعة دولة تضم ٨٦٤٣ منتفع فى اراضى الاصلاح الزراعى ، وتقدر مساحتها ب ٣٨٩ الف دونم وتمتد المزارع الجماعية على ٦٤ الف دونم كما أقيمت خارج أراضى الاصلاح الزراعى ٨٤ مزرعةتعاونية ، وازداد عدد المشاريع الزراعيةالتى تشرف عليها الدولة ، هذا عدا المزارع الحكومية .

ورغم ذلك فانه يمكننا تسجيل الملاحظات التالية :

١ ــ ان المشكلة الزراعية لم تحل نهائيا فى العراق ــ فمازالت هناك ٥٠٠ الف أسرة لا تملك شيئا ، أو تملك قدرا ضئيلا يكاد أن يقيم أودها ، وهى لم تستفد بعد من قانون الاصلاح الزراعى ، وغالبيتهم تمارس العمل لدى الغير أو موسميا ، وقطاع منهم فى شبه تعطل عن العمل .

٢ ــ ان اغنياء الفلاحين هم أكثر الطبقات الريفية غنى وثروة وقدرة على استغلال الارض الزراعية . ان العلاقات الانتاجية الرأسمالية قد نمت فى الريف العراقى بشكل كبير وبصفة خاصة منذ قانون ١٩٥٨ . ومازالت السيطرة على الجمعيات والمزارع التعاونية لهذه الطبقة ، وحتى فى بعض المشروعات الحكومية الكبيرة نمت هذه العلاقات الرأسمالية فى المساحات الموزعة على الافراد . وتشير الاحصائيات الى أن ٤٠ فى المائة من الاراضى الجيدة مازالت فى أيدى ملاك كبار ، ويعمل لديهم حوالى ١٥٠ الف عائلة فلاحية ، وكما ان ٥٠ فى المائة من الانتاج الزراعى فى أيدى القطاع الخاص وهو أمر يؤدى الى تحكم رأسمالية الريف فى السوق . والرأسمالية فى الريف العراقى تنمو بسرعة ، وتتوسع فى مجالات المكننة والتسليف والمتاجرة بالمحاصيل والانتاج المباشر بالاسلوب الرأسمالى .

٣ ــ مازالت الزراعة العراقية تعانى من التوسع الافقى ــ الامر الذى يؤدى الى هبوط فى معدل غلة الدونم الواحد ، وذلك بسبب التخلف الشديد فى أساليب الزراعة ، وعدم وجود نظام للصرف فتزداد ملوحة الارض وخاصة فى أراضى وسط العراق وجنوبه .

ثانيا : فى مجـــال التجـــارة

لقد ظل مجال التجارة الداخلية والخارجية ــ ومازال ــ هو أخطر الجبهات فى الصراع بين الثورة وقواها وبين القوى المضادة للثورة ، واكثرها تعقيدا وتشابكا . وقد واجهت سلطة يوليو ١٩٦٨ مهمتين أساسيتين فى هذا المجال : **الاولى** ، استكمال سيطرة الدولة على التجارة الخارجية وتوسيع رقعة سيطرتها على التجارة الداخلية . **والثانية** تخطيط اوضاع التجارتين الخارجية والداخلية بالشكل الذى يتناسب مع مهمات تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، وتعزيزه ومع متطلبات التنمية

ولقد جرت اصلاحات عديدة فى هذا المجال خلال السنوات التى تلت حركة يوليو ١٩٦٨ ، وذلك لمواجهة العناصر الطفيلية والمحتالة والتى اخذت تجنى الارباح غير المشروعة ، وتحقيق ارتباطات عديدة بالسوق الرأسمالية والمصالح الاستعمارية ، والتى وثقت تحالفها مع البيروقراطية اليمينية ذات النفوذ الكبير فى مختلف مؤسسات الدولة . وهو حلف يقف فى وجه كل اجراء وطنى او تقدمى .

وخلال السنوات التى تلت حركة يوليو ١٩٦٨ اتخذت اجراءات عديدة ضد العناصر الفاسدة والمحتالة فى الدولة وفى تجارة الجملة ، وفى

تجارة الاستيراد والتصدير . وهكذا فانه فى مجال التجارة الخارجية بلغت نسبة مساهمة القطاع العام فى التجارة الخارجية ٨٢ فى المائة فى ١٩٧٢ بدلا من ٤٣ فى المائة قبل يوليو ١٩٦٨ ، ودخلت مؤسسات القطاع العام ميادين جديدة فى التجارة الداخلية وأصبح لها دور بارز فى هذا المجال لتوفير حاجة الجماهير اليومية من البضائع الاستهلاكية ، وكذلك ما يحتاجون اليه من مواد صناعية .

ورغم كل الجهود المبذولة لاصلاح الاخطاء فى مجال التجارة الخارجية والداخلية ، فأن ثمة ملاحظات على جانب كبير من الاهمية يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـ تخلف التطور فى مجال التجارة الخارجية عن تلبية حاجات التنمية الاقتصادية ، وانعدام التخطيط وهو أمر يترتب عليه : ا ـ حدوث ازمات فى تموين السوق المحلى بالسلع الاستهلاكية ب ـ النقص فى تموين المؤسسات الصناعية بالمواد الاولية والسلع نصف المصنعة .

٢ ـ رغم التوسع فى نشاط القطاعين العام والتعاونى ، ومساهمة هذين القطاعين بنسب فى تجارة الجملة والقطاعى الداخليه ، فان البورجوازية المتوسطة والصغيرة التجارية قد استفادت كثيرا ، وأثرت اعداد متزايدة منها ، وتمكنت من أن تشكل مع العناصر البيروقراطية فى الاجهزة والمؤسسات الاقتصادية تحالفات غير معلنة لمواجهة الاجراءات ذات الطابع الوطنى والتقدمى .

٣ ـ وفى مجال التعاون والتنسيق والتكامل الاقتصادى العربى ، فانه رغم كل الشعارات المرفوعة فى هذا المجال ، فمازالت العلاقات التجارية العربيةمتخلفة وضعيفة ، فوارداتالعراق من السلع العربية ٧ فى المائة فى ١٩٦٨ و ٦ فى المائة فى ١٩٧١ .

٤ ـ فى السنوات الاخيرة نمت وتطورت العلاقات العراقية مع مجموعة البلدان الاشتراكية ، ولكن رغم ذلك فان هذه العلاقات المزدهرة مازالت تعانى من معوقات عديدة تحول دون تطورها بشكل افضل ، وتعوق الاستفادة المثلى من كل امكانيات البلدان الاشتراكية . وقد أرجع الكثيرون من المعلقين العراقيين الذين التقينا بهم ان ذلك يرجع الى تخلف أجهزة الادارة والتخطيط وتحيز الكثير داخل هذه الاجهزة لطريق التطور الراسمالى ، واستمرار الدعاية المعادية للاشتراكية ، والتى تسىء بصفة خاصة الى التكنيك والتقدم العلمى فى البلدان الاشتراكية . ان هذه الدوائر مازالت تنظر الى العلاقات الاقتصادية مع المعسكر الاشتراكى من زاوية كونها مجرد علاقات تجارية ، لا ترابط بينها وبين القضايات الاجتماعية والسياسية .

٥ ـ كما يلاحظ نموا مضطردا فى التعاون الاقتصادى والتجارى مع البلدان الرأسمالية . فخلال عام ١٩٧٣ جرى تعامل ضخم مع عدد من الاحتكارات الراسمالية الايطالية واليابانية والفرنسية والامريكية والالمانية الغربية وغيرها ، وكذلك مع البنك الدولى . وكما حصلت هذه الاحتكارات على عقود مقاولات لتنفيذ مشروعات ذات طبيعة استراتيجية مثل الميناء العميق ، وخط نقل بترول البصرة الى البحر الابيض ، وبترول كركوك الى الخليج ومصنع الفولاذ ، وفى هذا المجال يلاحظ ضخامة القرض اليابانى الاخير ٥ مليار دولار ، ونفاذ الى اكثر فروع الاقتصاد العراقى .

ثالثا : فى مجـــال الصــــناعة

بعد يوليو ١٩٦٨ ، لم تواجه السلطة الجديدة مشكلة تأمين المشاريع الصناعية الكبيرة ـ فقد أممت فى ١٩٦٤ . ولكنها واجهت مجموعة من المشاكل :

١ ـ استكمال المشاريع الصناعية التى تأخر انجازها سنوات عديدة .

٢ ـ اقامة المشاريع الصناعية المتعاقد عليها ولم تتخذ خطوات جادةلبنائها .

٣ ـ توسيع المصانع القائمة وتشغيلها بطاقة اعلى .

٤ ـ فتح ميادين صناعية جديدة .

٥ ـ تأمين كوادر فنية لهذه المشاريع ، وهياكل ادارية وتنظيمية .

٦ ـ العلاقة مع راس المال الوطنى وتشجيعه على المشاركة فى عملية تصنيع البلاد .

ويمكننا أن نسجل هنا مسألتين هامتين فى مجال الصناعة :

الاولى : بعد يوليو ١٩٦٨ تطور اتجاه اكثر سلامة ووضوحا فى عملية التصنيع ، هو الاتجاه الذى يدعو الى التوجه نحو اقامة صناعات انتاجية تحقق الربط المفقود حاليا بين الصناعات الاستخراجية والصناعات الاستهلاكية [الاتجاه نحو البتروكيماويات ، ونحو التعدين] ، ولكن هذا الاتجاه ما زال فى حاجة الى تعزيز .

الثانى : لا يمكن اعادة التوازن بين القطاعات دون الربط العضوى بين مهمات التنمية الصناعية وبين المواد الاولية البترولية والزراعية .

وانه خلال السنوات الست الماضية بدأ تحسن طفيف فى نسبة النمو الصناعى . وقد أنشأت مصانع كثيرة ولكنها ذات طبيعة استهلاكية .

ومعظمها بقايا المشاريع القديمة المهملة . والى جوار هذه الصناعات اقيم مشروع مصافي البترول في البصرة - تطوير مصنع الاسكندرية - تطوير استخراج الكبريت - حقول الرميلة لاستخراج البترول . وهي مشروعات تتميز بضخامتها وانجازها بمعونة وخبرة تشيكية وسوفيتية .

فمصفى البصرة يعمل بطاقة ٣٫٥ مليون طن ، وستصل خلال عام واحد الى ٧ ملايين طن في العام . كما أن اتمام المرحلة الثانية من حقل الرميلة الشمالي جعله يشتغل بطاقة ١٨ مليون طن سنويا أي بزيادة ١٣ مليونا عن المرحلة الاولى . ووضع حجر الاساس للمرحلة الثالثة لاستثمار حقل الرميلة الشمالي بطاقة ٥٠ مليون طن سنويا ، وكذلك للخط الاستراتيجي لنقل البترول ، والذي يربط جنوب العراق بشماله بطاقة ضخ ٤٤ مليون طن من الجنوب الى الشمال وبطاقة ٤٨ مليون طن من الشمال الى الجنوب ، ومقرر انجازه في ١٩٧٥ .

ورغم ما شهدته السنوات التي تلت يوليو ١٩٦٨ من تطوير للنشاط الصناعي ، وانجاز لكثير من المشاريع الصناعية - فان الصناعة العراقية مازالت تعاني من :

أ - مشكلة توفر الخامات بالكمية والنوعية الكافية . وهو امر تسببت فيه في أغلب الحالات فوضى التخطيط وطبيعة الاجهزة البيروقراطية العاجزة والفاسدة ، وهي حالة أدت الى : تعويق الانتاج ، وزيادة الاسعار في السوق المحلي وضعف القدرة على المنافسة الخارجية ، وتدهور اقتصادية هذه الصناعات واعتمادها على ميزانية الدولة بدلا من أن تكون سندا لها .

ب - النقص الخطير في الكوادر المؤهلة - من مهندسين فنيين وعمال مهرة واداريين ومحاسبين مختصين .

جـ - نقص مشاركة الطبقة العاملة وجماهير العاملين في القطاع الصناعي ، وافتقار هذه المشاركة ان وجدت الى الكفاءة السياسية والاقتصادية والفنية . ولذلك يلاحظ أن الانتاج الصناعي يسيطر عليه سيطرة شبه مطلقة الموظفون - ولذلك فان التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في العراق - قد اشار الى انه بسبب ذلك فان ما يتم في هذا الميدان اليوم في العراق : « ما يزال أقرب الى رأسمالية الدولة منه الى الاشتراكية » .

وقد جاء في هذا التقرير : « ان تدابير سيطرة الدولة على الصناعة وتوسيع القاعدة الصناعية في البلاد هي تدابير تقدمية مهمة ، ولكنها لا تكون بالضرورة ، اشتراكية المحتوى والنتائج الا اذا احتلت الطبقة العاملة والعاملون في هذا القطاع بجدارة وكفاءة حقيقيين مواقع فعالة في الانتاج ، وعلى أساس مبادىء المركزية الديمقراطية .. وجرى تثقيف اشتراكي عميق وواسع النطاق بين صفوف العاملين في هذا الميدان من الاداريين والفنيين والعمال وغيرهم . وأعيد تأهيل من لم يكن مؤهلا منهم وفق خطة ثابتة ودقيقة . كما لا يمكن الانتقال الى طور التحويل الاشتراكي قبل أن تحتل القاعدة الصناعية موقعا قياديا وحاسما ، لا من حيث ما تحتله من رقعة فحسب ، وانما بما تقدمه من انتاج متقدم كما ونوعا وما تمثله من قاعدة مادية وتقنية متطورة . وفي الوقت نفسه علينا أن نتذكر أن ميدان الصناعة يفترض ان يكون ، وهو كذلك في جميع التجارب العالمية ، أول الميادين التي تسير باتجاه التحويل الاشتراكي وأكثرها استعدادا له .. وأسهل ساحاته في ميدان التطبيق » [٢] .

د - غلبة وسيادة الانتاج السلعي الصغير والمتوسط - وهو أمر يولد كل رأسمالية جديدة ، تتمكن من محاصرة القطاع العام ، معتمد بصفة خاصة على وجود عنصر الموظفين البيروقراطيين والتكنوقراط كعنصر قائد للقطاع العام ، ومن أسلوبهم الرأسمالي في قيادة هذا القطاع .

٤ - تأميم البترول ، دعم الاستقلال الاقتصادي

لقد كان اجراء تأميم شركة نفط العراق اجراء ثوريا على طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي للعراق ، وكذلك قرار تأميم الحصص الامريكية والهولندية في شركة نفط البصرة خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وتأميم حصة كولبنكيان - وهذا الاجراء رغم أنه لم يستكمل بعد فانه يعتبر خطوة هامة لتحقيق استقلال البلاد الاقتصادي .

ومن المنتظر أن تشهد السنوات الخمس القادمة ، وخاصة بعد السيطرة الوطنية على البترول - باعتباره الثروة الوطنية الاساسية - تطورا هائلا في بناء الصناعات البتروكيمياوية ، الامر الذي لا يمثل فقط أهمية اقتصادية وتكنولوجية ، ولكنه يؤدي دورا اساسيا في

(٢) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي .

السياسة البترولية العراقية ويدعم الاستقلال الاقتصادى ، فالاقتصاد العراقى دون قيام هذه الصناعات ، واعتماده فقط على تصدير البترول الخام ، سيظل متخلفا عن العصر وقاصرا عن التعبير عن الطموح الوطنى .

٥ ـ تطور الاقتصاد العراقى والتنمية الاجتماعية

فى خلال السنوات القليلة الماضية حقق الاقتصاد العراقى تطورا ملحوظا . فى ١٩٦٩ كان الدخل القومى العراقى ٨٩٦ مليون دينار ازداد الى ١٢١٨ مليون دينار فى ١٩٧٢ ، ومقدر له أن يصل فى ١٩٧٤ الى ٢٥٠٠ مليون دينار ، ويعنى ذلك زيادة تبلغ نسبتها ١٨ فى المائة ومعدل سنوى للنمو حوالى ٢٤ فى المائة ، ولقد عنى ذلك ارتفاع دخل الفرد فى عام ١٩٧٤ الى ٢٣٦ دينارا بعد أن كان ١٢٠ دينارا فى ١٩٧٢ . ولا شك أن هذا التطور الهائل انما يرجع الى ازدياد حصيلة ايرادات العراق من البترول .

ولقد اتخذت اجراءات عديدة فى بداية هذا العام ـ لرفع مستوى المعيشة ـ فتقرر زيادة أجور الموظفين والمستخدمين والعمال والمتقاعدين ، وثبتت الاسعار ، وبذلك زادت القدرة الشرائية لدى المواطنين .

وازاء التطور السريع للاقتصاد العراقى وخاصة بعد الزيادات الهائلة القادمة من البترول ، يحذر بعض الاقتصاديين العراقيين من :

١ ـ خطر نمو الاتجاه الاستهلاكى على حساب خطة التنمية .

٢ ـ عند تقديم الخدمات يجب ملاحظة الفوارق الشاسعة بين المدينة والريف ، وان المدينة مازالت تستحوذ على الكم الاكبر والكيفية الافضل من الخدمات العامة . واستمرار هذه السياسة سيؤدى الى نتائج خطيرة على مجمل خطة التنمية العراقية .

٣ـ ضرورة الربط بين خطط الخدمات بقضايا التحول الاقتصادى والاجتماعى . وبتوجيه هذه الخدمات أساسا الى الطبقات الكادحة والمطحونة فى الريف والمدينة .

٦ ـ عن التخطيط الاقتصادى فى العراق

ان مستوى التخطيط فى أى بلد من البلاد لا ينفصل عن مستوى تطور القوى المنتجة وطبيعة علاقات الانتاج ، ويشمل ذلك البناء الفوقى بما فيه الاجهزة الادارية . وكما قال الدكتور كاظم حبيب لوفد الطليعة ـ بما أن الاقتصاد العراقى يعتمد على الانتاج السلعى الصغير وتسوده علاقات انتاجية من بقايا الاقطاعية ورأسمالية نامية حديثة فالقدرة على التخطيط تكون محدودة ـ ونجد أن التخطيط يعتمد على القطاع العام .

وقد بدأ العراق بالبرمجة الاقتصادية منذ ثورة يوليو ١٩٥٨ ، وكانت الخطط تعبر عن طبيعة البورجوازية الوطنية ، وهى مجرد مناهج استثمارية فقط وللقطاع العام وحده . وقد انعكس

ـ تمتل العراق الجناح الشرقى للعالم العربى ، وتتاخم حدودها كل من تركيا وايران ، وتمتد منجبال طوروس وكردستان فى الشمال الشرقى ، الىمرتفعات خوزستان ، وتتاخم حدودها ٤ دول عربية هى سوريا والاردن والسعودية والكويت ، ويطل ساحلها على رأس الخليج العربى ، ويشمل مصب شط العرب .

ـ تبلغ مساحة العراق ٤٣٨ر٠٠٠ كم مربع وتنقسم جغرافيا الى ثلاث مناطق تختلف مناخا ، كما تختلف فى مظاهر الحياة المعيشية وتشمل : السهل الرسوبى المحصور بين نهرى دجلة والفرات ، وهو شديد الخصوبة ، ثم المنطقة الشمالية والشرقية وتتميز بمرتفعاتها ، وغزارة امطارها وتتساقط عليها الثلوج شتاء ، ثم المنطقة الصحراوية فى الغربوتمثل نحو ٦٠٪ من مساحة العراق . وتتراوح درجة الحرارة بين ٨ فى الشمال و ٤٥ فى الجنوب .

ـ ويقسم العراق اداريا الى الوية [محافظات] ثم اقضية ، ونواحى وهذه الالوية [المحافظات] هى بغداد ، الديوانية ، العمارة ، اربيل ، البصرة ، ديالى ، الحلة ، كربلاء ، كركوك ، كوت ، الموصل ، الناصرية ، الرمادى ، السليمانية .

وتبلغ نسبة السكان العرب ٧٥٪ والاكراد ١٥٪ وتلى ذلك اقليات تركمانية واشورية ، وايرانيةخليطة .

ـ وتعتمد الزراعة اساسا على الرى ، وعلى الامطار فى المناطق الجبلية وتشمل المحاصيلالزراعية القمح ، والشعير ، والارز ، والبلح ويمثل ٨٠٪ من المحصول العالمى ، بالاضافة الى الذرة الرفيعة والامريكية والتبغ والفاكهة ثم القطن وهو حديث نسبيا والغابات ، و ٦١٥ الف دونم فى الموصل واربيل والسليمانية .

ـ وتشمل الثروة الحيوانية ملايين الرؤوس من الاغنام والماعز والماشية والجاموس والخيل والحمير والبغال والجمال .

ـ وتنحصر الثروة المعدنية اساسا فى البترول الذى بدأ استخراجه فى عام ١٩٢٧ بتأسيس شركة بترول العراق .

ـ وتبلغ عائدات البترول العراقى طبقا لتقديرات الجريدة الرسمية العراقية لهذا العام [١٩٧٤] ٦ مليار دولار . ويبلغ انتاج العراق من البترول يوميا ٢ مليون و ١٠٠ الف برميل ، وتستهدف العراق الوصول بالانتاج فى ١٩٧٥ الى ٣ ملايين و ٥٠٠ الف برميل يوميا .

هذا فى الخطتين الخمسية الاولى ، والثانية ١٩٦٠-١٩٦٤ ، ١٩٦٥-١٩٦٩ .

ولكنه منذ الخطة الخمسية الثالثة ١٩٦٩ - ١٩٧٤ ، وبسبب التوسع فى القطاع العام ودوره المتزايد فى البناء الاقتصادى - افقيا ورأسيا - فقد تحسنت امكانيات وضع خطط اقتصادية فى العراق ، الا أن هذه الخطط ما تزال مناهج أو برامج استثمارية لا تشمل كل مراحل عملية اعادة الانتاج اجتماعيا ، الا انها اتسعت لتشمل القطاع الخاص فى الاستثمار .

والملاحظ - ان اتجاهات التخطيط فى العراق ما زالت حبيسة الذهنية البورجوازية . ولم يجر أى تحول فيها ينسجم مع اى من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة . أى أن التخطيط متخلف عن الاجراءات التى اتخذت من جانب الدولة خلال السنوات التى تلت حركة يوليو ١٩٦٨ .

وهذه القضية ترتبط بعدة عوامل حددها بوضوح الدكتور كاظم حبيب لوفد الطليعة :

١ - طبيعة أجهزة الادارة » .

٢ - التركيب غير المتجانس ، والذى لا يعتمد على التقسيم النوعى فى العمل .

٣ - طبيعة العلاقة بين الاجهزة التنفيذية والتخطيطية والازدواجية فى العمل .

٤ - انعدام التخطيط المادى ، وعدم وجود موازنة مادية مالية - يرتبط بذلك تخلف اجهزة الاحصاء .

كل هذا يرتبط بمسألة مهمة ، وهى ذهنية المخططين ، وهى ذهنية غير اشتراكية .

فاتجاهات التخطيط عندنا ما تزال بعيدة عن احتياجاتنا وضرورات التنمية .

خاتمة

ان الاقتصاد العراقى قد شهد فى السنوات الاخيرة مجموعة من الاجراءات التقدمية فى أهم فروع الاقتصاد الوطنى حققت تحولات كبيرة وأساسية فى القاعدة الاقتصادية لصالح القطاع العام - ولكن فى نفس الوقت يجب وان نلاحظ - وكما جاء فى التقرير السياسى لمؤتمر حزب البعث العربى الاشتراكى القطرى الثامن فى بابه السابع - ان هناك ظواهر سلبية أوجدت تناقضا أثر ويؤثر على مجمل التحولات الاقتصادية والاجتماعية . فمعظم الاجراءات التقدمية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تفقد محتواها التقدمى فى التطبيق بفعل الاجهزة الاقتصادية والاجتماعية والادارية . كما وانه بسبب ذلك ما زالت التحولات الاجتماعية التقدمية أقل مستوى وعمقا من التحولات الاقتصادية .

ولقد حدد ميثاق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ضرورة السير بحزم لانجاز المهمات الوطنية والديمقراطية للثورة العراقية :

« أن مرحلة الثورة ، وقيام التحالف الوطنى ، تتطلب العمل النشيط والحازم لانجاز المهمات التى تقتضيها المرحلة وذلك على أساس بناء اقتصاد وطنى من خلال نظرة وحدوية تضع الاسس والبدايات لقاعدة اقتصادية عربية اقتصادية متكاملة توضع ، كليا ، فى خدمة قضية النضال الشعبى ضد الامبريالية والصهيونية ، وعلى أساس اعتبار طريق التطور الرأسمالى طريقا مرفوضا من الناحية المبدئية . علاوة على انه عاجز عن تحقيق مهمات تحرير الاقتصاد الوطنى ، وبنائه على أسس مثبتة وتامين الرفاهية للمواطنين . فالخط الاقتصادى الذى تلتزم به الثورة فى هذه المرحلة ، هو ذلك الذى تشترطه ضرورات انجاز كافة المهمات التحررية والديمقراطية الشعبية ، ومقتضيات التمهيد للانتقال الى الاشتراكية » .

وهكذا نجد أن الثورة العراقية وهى تشق طريق التطور اللارأسمالى والذى تتضمنه الثورة الوطنية الديمقراطية - والذى يمكن اعتباره جسرا موصلا بين مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ومهمات فترة الانتقال الى الاشتراكية ، مواجهة بمهام عديدة فى ميدان التحولات الاقتصادية والاجتماعية :

١ - توسيع قاعدة القطاع العام وتعزيز دوره القيادى .

٢ - تصفية كل بقايا وآثار علاقات الانتاج شبه الاقطاعية ، فى الريف العراقى وسيطرة كبار الملاك واغنياء الريف على النشاط الانتاجى الزراعى وتشجيع التعاونيات والمزارع الجماعية .

٣ - الاستمرار فى تحرير كل الثروة الوطنية من كل بقايا نفوذ الاحتكارات الاجنبية .

٤ - الاهتمام بعملية التخطيط الاقتصادى لتحقيق ترابط عضوى بين مختلف فروع الاقتصاد العراقى . ولتعبئة كل الامكانيات المادية والبشرية المتوفرة تعبئة ديمقراطية فى انجاز مهام المرحلة .

٥ - تحقيق توافق بين القاعدة الاقتصادية

والبناء الفوقي ـ والا تعرضت القاعدة الاقتصادية الجديدة الى التصدع والانهيار .

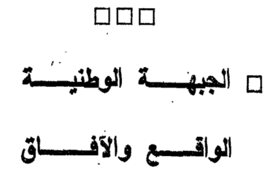
٦ ـ اعادة سياسة توزيع الدخل القومي لاحداث تغييرات جذرية فى حياة الطبقات العاملة المنتجة فى المدينة والريف .

٧ ـ تنمية التعاون والعمل الاقتصادي المشترك مع البلدان العربية المتحررة ، ولتكوين جبهة اقتصادية عربية متحررة فى مواجهة الاستعمار الحديث .

٨ ـ تنمية العلاقات الاقتصادية مع مجموعة البلدان الاشتراكية والاستفادة الى أقصى حد من كل امكانياتها .

٩ ـ ملاحظة الدور التخريبي والخفي الذي يمكن أن تلعبه البلدان الرأسمالية من خلال التعاون التكنولوجي والاقتصادي معها .

١٠ ـ واخيرا من المهم بناء المؤسسات الديمقراطية والشعبية ، واشراكها اشراكا فعليا فى عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي ، وذلك حتى تكتسب التحولات الاقتصادية والاجتماعية المحتوى الديمقراطي .



الجبهة الوطنية الواقع والآفاق

محمد حلمي ياسين
وديع أمين

قضية التنظيم السياسي الجماهيري القادر فعلا على حشد وقيادة الجماهير فى معاركها الكبرى من اجل التحرير والتقدم الاجتماعي ـ هي مشكلة المشاكل لكل بلد عربي على حدة ـ ولمجمل حركة التحرر العربي .

وحتى خلال فترات ازدهار حركة النضال الوطني والاجتماعي فى هذا البلد العربي او ذاك ـ كانت حركة الجماهير اكثر انطلاقا وشمولا من غالبية التنظيمات القائمة ـ وبقيت القضية بكل وطأتها وسلبياتها دون حل .

وبالرغم من ان عوامل اللقاء والوحدة بين القوى الوطنية والديمقراطية اكثر من عوامل الفرقة والانقسام .

وبالرغم من الوصول الى العديد من الصيغ والاشكال التى قبلتها الاطراف المختلفة كاساس صالح للانطلاق نحو توحيد حقيقي للقوى الوطنية والديمقراطية فى مواجهة الامبريالية والرجعية .

وبالرغم من ان كل هذه الجبهات او التحالفات تبدا من منطلق اساسي لا خلاف عليه ، هو ضرورة وحتمية توحيد كل القوى صاحبة المصلحة فى الثورة .

فان شكل هذا التوحيد واسلوبه وحقوق الاطراف المختلفة تختلف وتتباعد ـ تزداد وتتناقص من بلد عربي لاخر ـ حسب ظروف كل بلد وحركة الصراع الاجتماعي والسياسي داخل مجتمعه وتوازن القوى المتصارعة ـ ومدى اتساع المناخ الديمقراطي السائد فى هذا البلد المعين .. ومدى ايمان الطرف الاقوى بقضية التحالف ، وبحقوق الاطراف الاخرى .

وبشكل خاص اذا كان هذا الطرف قابضا على السلطة .

وخلال السنوات القليلة الماضية - تغيرت فى خضم حركة الصراع الوطنى والديمقراطى والاجتماعى - الكثير من المفاهيم - وسقطت فى الاختبار العديد من الشعارات والاشكال والممارسات وتحولت اطراف عديدة فى السلطة او خارجها عن موقفها من عبادة الذات وتضخيم قدراتها وامكانياتها - الى مواقف اكثر موضوعية وفهما بدرجات متفاوتة لاهمية قضية التحالف بين القوى الوطنية والتقدمية - وفى نظرتها الى الاطراف الاخرى وفهم حقيقة مواقفها والاعتراف بها كقوة مستقلة .

ولا شك ان كل انجاز ثورى يحققه نضال الجماهير فى هذا البلد العربى او ذاك ، انما هو انجاز لحركة التحرر العربى ككل ، ومكسب لاشك فيه لجماهيرها وتجربة تغنى العمل الثورى والنضالى لباقى اقسام وفصائل حركة التحرر العربى .

وعلى ضوء هذا - فان دراسة ما حققته ثورة العراق فى هذا المجال بتأسيس الجبهة الوطنية والقومية التقدمية تصبح واجبا ملحا على كل القوى الوطنية والديمقراطية العربية، ويتعين على هذه القوى ان تستخلص منه الدروس اللازمة لتثرى تجربتها الخاصة .

الجبهة الوطنية والقومية التقدمية

بالرغم من ان العراق قد شهد على امتداد تاريخه الحديث العديد من التحالفات والجبهات السياسية بين الاحزاب والقوى السياسية العراقية المختلفة ، الا ان تأسيس الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التى تشكلت فى العراق فى يوليو ١٩٧٣ بين حزب البعث العربى الاشتراكى والحزب الشيوعى العراقى ، بوصفها اداة النضال المعتمدة فى تحقيق امانى الشعب العراقى ، كان حادثا بالغ الاهمية فى حياة العراق السياسية - وحظى تكوين الجبهة باهتمام وترحيب القوى الوطنية والديمقراطية - لكون الجبهة من حيث الشكل والمضمون اكثر تقدما من كل التحالفات أو الجبهات التى شهدها العراق .

ويحظى شعار الجبهة القومية بتأييد واسع فى صفوف الجماهير العراقية - تلك الجماهير التى علمتها التجارب المريرة التى خاضها الشعب العراقى - ان انشغال القوى التقدمية عن العمل الموحد ، واتجاهها للصراع فيما بينها - يخفى عن الانظار - العدو الرئيسى الذى يجب ان يتجه اليه الصراع .

وكانت القوى الوطنية والتقدمية تكتشف دائما



أحمد حسن البكر

ان القوى الثورية قد خسرت من الصراع فيما بينها ، وان العدو الرئيسى قد عاد يحتل مركزه من جديد .

وفى تاريخ العراق الحديث ، قامت وتحققت العديد من التحالفات او الجبهات فى مواجهة قمع وارهاب القوى الرجعية او العميلة التى كانت تسيطر على السلطة آنذاك ، وتحددت اهداف بعض هذه التحالفات بخوض معركة انتخابية - او قيادة هيئة جماهيرية ، كما قامت احداها ، دون ان يعلن صراحة عن اسم الحزب الشيوعى كطرف من اطرافها - وتواجد مندوبى الحزب تحت اسم مندوبى العمال والفلاحين والشباب .

وكان ارقى شكل من اشكال التحالف السياسى الجبهوى شهده العراق قبل ثورة ١٤ يوليو ١٩٦٨ - هو تشكيل جبهة الائتلاف الوطنى عام ١٩٥٧ من اربعة احزاب سياسية هى [الحزب الشيوعى - حزب البعث - حزب الاستقلال - الحزب الوطنى الديمقراطى] وكان تشكيل هذه الجبهة احد العوامل الاساسية فى نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

وعلى ضوء تجربة الشعب العراقى واحزابه السياسية عام ١٩٥٧ ، وما أكدته الظروف الموضوعية - أيقن الشعب وقواه السياسية أن مسألة تجميع الطاقات الوطنية بتحقيق الجبهة ، هى مسألة ضرورية لخوض نضال ظافر ضد اعداء الشعب والامة العربية .

الا ان شكل الجبهة المطلوبة ومضمونها يجب أن يكون متقدما عن اشكال ومضامين الجبهات الوطنية السابقة ، ومن هنا كان الحرص على بناء جبهة وطنية تقدمية تضم جميع الاطراف الوطنية والتقدمية فى العراق وتجسد طموحاتها جميعا .

وهكذا فان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية

التي تشكلت في العراق عام ١٩٧٣ — قامت في ظروف مغايرة تماما .

لقد تشكلت بعد خمس سنوات من استيلاء حزب البعث العربي الاشتراكي — وهو احد الاحزاب الوطنية التقدمية على السلطة بثورة ١٧ — ٣٠ يوليو ١٩٦٨ .

وحقق هذا الحزب خلال هذه السنوات التي انقضت منذ استيلائه على السلطة حتى قيام الجبهة ، حقق عددا من الانجازات الثورية بعيدة الاثر في حياة الشعب العراقي [تأميم ٨٠٪ من الثروة النفطية انتاجا وتسويقا — الاصلاح الزراعي — اعلان مشروع الحكم الذاتي لمنطقة كردستان — عقد المعاهدة العراقية السوفيتية].

واذا كانت الجهود التي بذلت على مدى اكثر من عامين قد اسفرت فقط عن تشكيل الجبهة من حزبي البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي — اكبر قوتين سياسيتين في العراق باعتراف الجميع ، ووقوف الحزب الديمقراطي الكردستاني موقفا سلبيا من قضية الجبهة ، وكذلك فلول بعض الاحزاب الصغيرة .

فان **قضية استكمال بناء الجبهة مازالتمسالة ملحة — والعمل مازال متصلا لتوسيع قاعدتها** لتشمل الاكراد وممثلي الاتجاهات الوطنية من التقدميين والمستقلين ،ومازالتالمقاعد المخصصة لهؤلاء جميعا فياللجنةالعليا للجبهة ،وسكرتيرتها شاغرة .

وخلال النضال الشاق والذي يجرى فيظروف بالغة الصعوبة والتعقيد — لعزل ومحاصرة قوى الثورة المضادة في صفوف قيادة الاكراد وفلول الاحزاب الصغيرة التي ركزت نشاطها خارج العراق — تتم عملية استقطاب للعناصر الوطنية والقومية في كل هذه الاتجاهات — وسوف تتأكد نتائج هذا في عملية بناء المؤسسات الدستورية [المجلس الوطني] وفي استكمال تشكيل اللجنة العليا للجبهة وسكرتيرتها .

لقد اثار التحالف بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي الكثير من التساؤلات وابدى الكثيرون شكوكهم وتحفظاتهم عن حقيقة اسباب هذا التحالف واهدافه ومستقبله على اساس انه قام بين حزبين وصلت الخلافات بينهما الى حد الاقتتال واسالة الدماء والتصفيات الدموية .

ومن الطبيعي ان عملية بناء التحالف بين الحزبين لم تكن سهلة وميسرة — وانها تمت بعد جهود مضنية بذلها الطرفان لتخطي الحساسيات والاثار السلبية للسياسات السابقة .

ولكن قيام هذا التحالف يبدو من ناحية اخرى متسقا مع نمو وتطور موقف كل منهما — كما ان الموقف السلبي الذي اتخذه الحزب الديمقراطي الكردستاني كان لهمقدماتهواسبابه .

ونعرض فيما يلي موقف كل حزب من الاحزاب الثلاثة التي تقود الشعب العراقي :

حزب البعثالعربيالاشتراكي — عشية ثورة السابع عشر من يوليو [تموز] ١٩٦٨ — كانت علاقات حزب البعث العربي الاشتراكيبالاطراف السياسية الاخرى في العراق تتسم بالسلبية وبتراكمات كثيفة وثقيلة الوطأة من صراعات الماضي — رغم الجهود التي بذلها الحزب قبل الثورة لتحسين علاقاته بتلك الاطراف .

وسعى حزب البعث لعمل جبهة مع الشيوعيين والكردستانيين والقوى الناصرية ، ولم يفلح في الوصول الى صيغة محددة لاسقاط السلطة « العارفية » — بسبب عدم القدرة على تجاوز الحساسيات وعدم امكان الوصول الى برنامج مشترك — ولان نظرة حزب البعث الى الاحزاب السياسية الاخرى لم تكن قد تبلورت بعد بشكل كامل — وبشكل خاص الاعتراف بهذه الاحزاب كاحزاب مستقلة .

وعندما تمكن حزب البعث من الاستيلاء على السلطة في ١٧ — ٣٠ يوليو [تموز ١٩٦٨] ، تميزت سياسته في المجال الداخلي بالدعوة على لسان قادته ، وفي صحافته الحزبية الى الجبهة الوطنية ، وبدأ حزب البعث في اقامة صلات مع الاحزاب والقوى الوطنية الاخرى ومنها الحزب الشيوعي العراقي — لفرض النقاش حول الجبهة الوطنية واتخاذ الخطوات العملية لتحقيقها .

الا انه من الملاحظ وحزب البعث يخطو فيهذا الاتجاه — فانه لم يكن لديه في ذلك الوقت مقترحات واضحة حول هذه القضية ، ويسود موقفه نوع من الغموض اتخذ شكل الشعارات العامة دون التقدم بايةمقترحات ملموسة ومحددة حول القوى والاحزاب السياسية التي يستهدف العملمعها فيجبهة وطنية ،ودونتحديد الاسس التي يرى ضرورة توافرها لتحقيق ذلك — وما هو البرنامج المقترح من جانبه على القوىالاخرى .

يؤكد هذا الاستنتاج عن موقف الحزب في هذه المرحلة ، عدم وجود اية وثيقة معروفة من وثائقه — تعكس وجهة نظره — بالاضافةالى سكوته عن مبادرة قام بها الحزب الشيوعي العراقي في شهر سبتمبر عام ١٩٦٨ — عندما تقدم الحزب الشيوعي بمشروع ميثاق للجبهة الوطنية — بعد مرور اقل من الشهرين علىمجيء حزب البعث الى الحكم ، وفي نفس الوقت سعى حزب البعث لاقامة علاقات مع الاحزابالاخرى، بما فيها الحزب الشيوعي .

وتأكد اتجاه حزب البعث نحو اقامة جبهة وطنية مع القوى الاخرى بقرار **المؤتمر القومي العاشر** لحزب البعث المنعقد في بغداد في مارس ١٩٧٠ — هذا القرار الذي اكد على ضرورة

تحقيق الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيدين القطرى والقومى .

وبدأ حزب البعث فى اعقـــاب مؤتمر مارس ١٩٧٠ يوسع من اتصالاته بالاحزاب السياسية الاخرى بغية ادارة حوار حول قضية الجبهة — ولكن أيضا بدون تحديد دقيق من جانب الحـــزب لمفهومه عن قضية الجبهة ، واطرافها ، واسس قيامها .

وفى ١٥ تشرين [اكتوبر] ١٩٧١ — قدم حزب البعث لاول مرة مشروع ميثاق العمل الوطنى وطرحه على الحزب الشيوعى العراقى ،والحزب الديمقراطى الكردستانى ، والقـــوى الوطنيـــة والقومية الاخرى .

وجاء فى مقدمة مشروع الميثاق « انه من ابرز اسباب قدرة الحركات الثورية العربيـــة على تحقيق النصر — وعيها لدور العمـــل المشترك والتحالف بين فصائلها — كما ان من اســـباب هزائمها وانتكاســـها نزوع فصائلها الى تغليب التناقضات الثانوية فيما بينهـــا على التنـــاقض الرئيسى القائم بينها من جهة ، وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى » .

واذا كان الانطلاق من هذه الفكرة الاساسية والجوهرية قد ساعد كثيرا على مواصلة الحوار الصعب ، وتخطى الصعوبات الطارئة ،وتضييق شقة انعدام الثقة ومرارات الماضى فان الظروف الموضوعية الناجمة عن الانجازات التى حققهـــا حزب البعث بعد توليه السلطة ، قد خلقت جوا مواتيا — وبشكل خاص ان هـــذه الانجـــازات كانت تمثل نقاط التقاء بين حزب البعث والحزب الشيوعى .

وبصدور بيان ١١ مارس [آذار ٧٠] الخاص بمنح الاكراد الحـــكم الذاتى — ازيلت عقبة من اكبر العقبات التى كانت تعترض قيام الجبهـــة التقدمية فى العراق — ويقول الرفيق **نعيم حداد** — سكرتير عام الجبهة « اذا اردنا ان نحقق جبهة وطنية حقيقية راسخة — فالمسألة القومية الكردية — كانت مشكلة صعبة تتعـــدد حـــول حلها اجتهادات الاحزاب السياسية — لذلك حرصنا على ارساء حل سلمى ديمقراطى من خـــلال بيان آذار الذى حظى بتأييد اوسع جماهير الشعب العراقى ومختلف الاحزاب السياسية والتقدمية فى قطرنا » .

ويرفض قادة حزب البعث بشدة الاراء التى تقول أن حزب البعث — قد اقام الجبهة بحثا من



صدام حسين

التأييد ومن اجل الخروج عن عزلته مؤكدين على الحقائق التالية :

١ — ان الحزب كان على اتصال بكل القوى الوطنية قبل استيلائه على السلطة فى محاولة لتوحيدها ، وانه رفع شعار الجبهة بعد استيلائه على السلطة .

٢ — ان الحزب اسس الجبهة بعد اربعـــة سنوات من استيلائه بمفرده على السلطة ،وبعد ان حقق انجازات ضمنت له تأييـــدا واسعا فى صفوف الشعب العراقى .

٣ — ان الحزب رفض مناورات بعض القوى ومحاولات عزل الحزب الشيوعى باقامة تحالف بين البعث والاكراد فقط لاجل هذه الاســـباب فان الحزب قد قدم مشروع الميثاق ، وشارك فى الحوار من مركز قوة وانه تقدم للجبهة ومعـــه رصيد كبير من تأييد الجماهير .

وحرص المؤتمر القطرى التاسع لحزب البعث العربى الاشتراكى المنعقد فى مارس ١٩٧٤ بعد تسعة شهور من قيام الجبهة على أن يؤكد على

الاسباب الملحة التى دفعت بالحزب نحو الجبهة « انطلاقا من ان تجارب النضال على الصعيدين القطرى والقومى منذ نهاية الخمسينات وعبر مرحلة الستينات اكدت بشكل لا يقبل الشك والجدل — ان ما لحق بنضالنا الوطنى والقومى من انتكاسات فادحة . كانحراف ثورة تموز وفشل تجربة الوحدة المصرية السورية وقيام الانفصال وردتى الثامن من تشرين الثانى فى العراق ثم هزيمة العرب الكبرى فى ٥ حزيران ١٩٦٧ — كانت حصيلة اسباب جوهرية خطيرة — يقف فى مقدمتها انحراف القوى التقدمية العربية نحو تغليب التناقضات الثانوية القائمة فيما بينها على التناقض الرئيسى القائم بينهما مجتمعة من جهة : وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية منجهةاخرى ،وتصعيد تلكالتناقضات الثانوية الى مستوى الصراع الحاد بل الاضراب؟

الحزب الشيوعى العراقى

طرح الحزب الشيوعى العراقى منذ تاسيسه عام ١٩٣٤ — قضية الجبهة الوطنية فى ادبياته — وكان الحزب الشيوعى أول من رفع شعار الجبهة الوطنية الموحدة فى العراق عام ١٩٤٣ خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

ونجح الحزب الشيوعى العراقى منذ ذلك الوقت فى اقامة عدد غير قليل من التحالفات المحدودة او الجبهات الاوسع خلال انتفاضة جبر — بيفن عام ١٩٤٨ — فى انتفاضة الحريات الديمقراطية عام ٥٢ — وتحالف انتخابات عام ٥٤ — انتفاض العراق خلال عدوان ١٩٥٦ على مصر .

وكانت اكثر هذه التحالفات اهمية هى جبهة الاتحاد الوطنى عام ١٩٥٧ — والتى تشكلت من اربعة احزاب — الحزب الشيوعى — حزب البعث — حزب الاستقلال — الحزب الوطنى الديمقراطى .

ومن ناحية اخرى اقام الحزب الشيوعى حلفا مع الحزب الديمقراطى الكردستانى ا البارتى ا عندما رفضت الاحزاب الثلاثة الاخرى قبوله فى جبهة الاتحاد الوطنى عام ١٩٥٧ وبالرغم من ان الحزب الكردستانى رفض وجود تنظيم للحزب الشيوعى فى منطقة كردستان ودعا لتصفيته .

وناضل الحزب الشيوعى نضالا فكريا وسياسيا ضد الدعوة للحزب الواحد وتصدى لمحاولات البورجوازية الوطنية فى العراق لعزل الحزب الشيوعى عن سائر القوى الوطنية — وسعى البورجوازية الدائم لوضع اطار للجبهة بما يضمن سيادتها وسيطرتها وعدم تجاوز اهداف البورجوازية .

وفى كل الظروف كان للحزب الشيوعى العراقى شعارا دائما يتوجه به للاحزاب الاخرى وهو يرفع شعار الجبهة « قووا تنظيم حزبكم — قووا تنظيم الحركة الوطنية ، وتدم الحزب خبرته للقوى والاحزاب الاخرى التى لم تكن مؤهلة لمواجهة التغييرات الحادة فى الاوضاعالسياسية بالبلاد .

وبعد شهرين من تولى حزب البعث للسلطة بثورة تموز ١٩٦٨ — تقدم الحزب الشيوعى فى سبتمبر من نفس العام بمشروع ميثاق لتوحيد الاحزاب الوطنية .

وبالرغم من الموقف السلبى الذى اتخذه حزب البعث من مبادرة الحزب الشيوعى — فقد لقيت الدعوة التى وجهها الحزب الشيوعى فى شهر ٦٨/٩ اهتماما كبيرا من قبل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ومن قبل الجماهير الشعبية الواسعة .

كما قابلتها ردود فعل متباينة منمعظمالاحزاب الوطنية فى البلاد ، كان ابرزها بشكل خاص ان النقاش الذى دار فى هذه الجولة لم يكن يتناول صحة او خطأ شعار الجبهة الموحدة ، بل تناول الحوار الاسس والمنطلقات اللازمة لقيام الجبهة والبرنامج المقترح لها .

وتابع الحزب الشيوعى باهتمام واضح التغييرات التى ظهرت فى موقف حزب البعثمن قضية الجبهة — وظل يلح على ان تأخذ الشعارات العامة والغير محددة اطارا اكثر تحديدا ووضوحا .

وما ان طرح حزب البعث مسودة ميثاق العمل الوطنى فى نوفمبر عام ٧١ حتى بادر الحزب الشيوعى باعلان اعتبار المشروع اساسا صالحا لما فيه من معاداة للامبريالية ورفض الطريق الراسمالى ودفاعه عن حقوق العمال والفلاحين وحرية الاحزاب وحل القضية الكردية — وبهذا دخلت قضية الجبهة مرحلة التنفيذ الفعلى .

الحزب الديمقراطى الكردستانى

كان الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى — متعاونا مع حزب البعث حتى عام ١٩٧٠ — ودارت بين الطرفين وحدهما ودون مشاركة القوى الوطنية والتقدمية الاخرى —

مفاوضات طويلة وشاقة — تعثرت كثيرا — ثم انتهت بصدور بيان آذار ١٩٧٠ الخاص بمشروع منح منطقة كردستان الحكم الذاتى فى اطار الجمهورية العراقية .

وكلما ازدادت اتجاهات حزب البعث التقدمية رسوخا ، كلما ازدادت من ناحية اخرى معارضة الحزب الديمقراطى الكردستانى بقيادة البرزانى وازداد ابتعاده . وقد عرض موقف الحزب الكردستانى من قضية الجبهة والحكم الوطنى فى العراق فى الجزء الخاص بالمسالة الكردية .

هذه هى الخطوط العامة لتطور موقف الاحزاب الثلاثة من قضية الجبهة وبالرغم من ان حزب البعث والحزب الشيوعى كانا يرفعان شعار الجبهة . فلم يكن الطريق الى الاتفاق حول الميثاق وتأسيس الجبهة سهلا — بل كان شاقا ومريرا ومتعرجا ، ليس فقط من واقع وجهات النظر المختلفة حول نقاط اساسية مثل [الميثاق وماذا يجب ان يكون ؟ — اساليب العمل الجبهوى — موقع الاحزاب من الجبهة — مشكلة الديمقراطية والتمثيل الشعبى — المشكلة الكردية] .

وانما كانت هناك انتقادات من الاحزاب لموقف حزب البعث من الاوضاع ، التى تترك اثارها السلبية على تطور العلاقات بين القوى الوطنية وعلى المساعى المبذولة لايجاد صيغة التعاون ، وانصبت هذه الانتقادات على استمرار بعض الاوضاع الاستثنائية ، والاحتفاظ بالمؤسسات والاساليب اللاديمقراطية والقوانين الرجعية الموروثة من العهود الدكتاتورية السابقة وكذلك من الاوضاع المقترنة ببعض عواقب الاضطهاد السابقةونشوء مظاهر جديدةللاضطهاد من ملاحقات للمناضلين وعدم عودة المسجونين المفرج عنهم لاعمالهم .

وكانت هناك ومازالت مشكلة اشاعة روح الوحدة بين قواعد الحزبين وازالة المخاوف والشكوك التقليدية وتخطى الحساسيات لدى المناضلين فى مختلف المواقع الجماهيرية .

وكانت القيادتان تطرحان نقاط الاتفاق والحوار فى الصحف الحزبية ، وتدير حولها النقاش الداخلى ، وقد اتفق كل من الحزب الشيوعى العراقى وحزب البعث العربى الاشتراكى على اعتبار الجبهة ككل هى قيادة للشعب العراقى وللحركة الوطنية فيه ولحزب البعث مكان متميز داخل هذه الجبهة مع احتفاظ كل حزب باستقلاليته ومبادراته الايديولوجية والسياسية والتنظيمية .

كما تم الاتفاق على التمثيل الغير متكافىء داخل قيادة الجبهة [١] .

ان التحدى الاكبر الذى يواجه قيادة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى العراق يكمن فى قضيتين اساسيتين :

الاولى : الوصول بالجبهة الى القواعد العريضة :
ضرورة الوصول ببناء الجبهة الى القواعد العريضة وسط الجماهير ومنظماتها .

فحتى الان تم فقط تشكيل لجان للجبهة على مستوى المحافظات وامكن ايجاد ائتلاف فى نقابات المعلمين والاقتصاديين والحقوقيين والمهندسين والزراعيين ومجلس السلم والتضامن الاسيوى الافريقى .

ولكن مازال لكل حزب تنظيماته المستقلة فى صفوف العمال والفلاحين والطلاب — ولكل من الجانبين تحفظات فيما يتعلق باسلوب توحيد النشاط والعمل الجبهوى فى هذه المجالات الحيوية .

وبالرغم من ان مناضلى الطرفين يلتزمان التزاما كاملا بتوجيهات اللجنة العليا للجبهة وقرارات لجان المحافظات للجبهة — الا ان الوصول الى صيغة مقبولة من الاطراف المختلفة لتوحيد المناضلين فى المنظمات الجماهيرية الاساسية سوف يزيد من قوة الجبهة ويعمق فاعليتها فى صفوف الجماهير .

الثانية : استقطاب كل القوى والعناصر الوطنية والديمقراطية ، لابد من مواصلة النضال بلا هوادة لاستقطاب القوى والعناصر الوطنية والديمقراطية ، وتوسيع قاعدة الجبهة وركائزها . لقد حقق النضال السياسى فى كشف قيادة البرزانى وجماعته ، وبدأت عملية استقطاب فى صفوف الاكراد يمثلها الان جناح يقوده عزيز عقراوى عضو المكتب السياسى للحزب الديمقراطى الكردستانى وعبد الستار

---

[١] يمثل حزب البعث العربى فى اللجنة العليا للجبهة ثمانية مندوبين وللحزب الشيوعى ٣ ممثلين وتركت ثلاثة مقاعد لممثلى الحزب الكردستانى ، ومقعدان واحد للاتجاه الناصرى وآخر لممثل القوى الديمقراطية المستقلة [ماركسيين قدامى وديمقراطيين] . وتتشكل السكرتارية من ٣ من حزب البعث ورفيقين من الحزب الشيوعى .

ظاهر سكرتير الحزب الثوري الكردستاني .كما ان الجبهة استعانت بعناصر قومية من المستقلين فى المناقشات التى دارت مع قيادة البرازانى بشأن الحكم الذاتى .

كما ان هناك عناصر قومية وديمقراطية رفضت الالتحاق بقوى الثورة المضادة المتجمعة خارج العراق باسم التجمع الوطني والمشكلة من فلول بعض التنظيمات المبعثرة .

وهذه العناصر تقف على ابواب الجبهة وكسبها نهائيا ودعوتها لاخذ مكانها فى قيادة الجبهة سوف يشكل دعما لا شك فيه للجبهة وتوسيعا لقاعدتها .

ويمكن القول انه خلال مرحلة النضال الجبهوى ـ وبالرغم من كل الصعوبات ـ ثبت لجميع الاطراف المتحالفة ولجماهير الشعب العراقي قدرة هذا التحالف على قيادة نضال الشعب العراقي وتوعيته بما ورد فى ميثاق العمل الوطني واثبتت الجبهة قدرتها على تعبئة الطاقات الخيرة للشعب العراقي لتلتف حول قيادة الجبهة الوطنية والقومية والتقدمية من اجل بناء مستقبل مشرق للعراق .

وقد برهنت تجربة الشهور القليلة التى انقضت منذ تأسيس الجبهة على ان اتفاق مجموعة من الاحزاب الوطنية والتقدمية حول تنفيذ برنامج سياسى ـ يعتبر قاسما مشتركا لمختلف وجهات النظر السياسية ويضمن لكل الاطراف السياسية المختلفة حريتها فى التثقيف الايديولوجي والسياسى والتنظيمى ، ويخلق الظروف الموضوعية لجعل كل الاطراف تتجاوز المصالح الضيقة لكل طرف من الاطراف ، الى هدف اكبر هو تصفية مواقع ومرتكزات الامبريالية والاستعمار ـ والسير فى طريق التطور المستقل بالاضافة الى خلق قاعدة قوية وراسخة يكون بمقدورها الاسهام فى معركة تحرير الاراضى العربية .

وسوف تصبح تجربة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى العراق مؤثرة فى العالم العربى بقدر تقديمها المثل الجيد كمثل لتوحيد القوى الوطنية والتقدمية .

□□□

□ المسألة الكردية

بين الحكم الذاتي والقيادة العشائرية

خيرى عزيز

تنبىء التطورات الاخيرة للمسألة الكردية فى العراق ، وخاصة بعد اعلان بيان ١١ آذار [مارس] ١٩٧٠ الذى قرر اقامة الحكم الذاتى فى كردستان العراق ، بأن هذه المسألة على أبواب طور جديد هام ، ومختلف كيفيا ، من الاطوار المتباينة الصعبة ، التى مرت بها من قبل .

فعلى الرغم من ان بيان ١١ آذار [مارس] ١٩٧٠ الذى وقع بين الحكومة العراقية ، والحزب الديموقراطي الكردستاني بقيادة الملا **مصطفى** البرزانى ، قد انهى القتال المسلح الضارى الذى اندلع فى شمال العراق ، وقرر اعطاء مهلة ٤ سنوات لتطبيق الحكم الذاتى فى المنطقة الكردية ، بعد أن ظلت المشكلة الكردية ملتهبة حوالى نصف القرن ، فى صورة اشتباكات مسلحة ، ولكن عندما حل موعد تطبيق الحكم الذاتى فى آذار [مارس] من هذا العام ، رفض الملا **مصطفى البرزانى** العمل على تنفيذ الاجراءات التى يتضمنها قانون الحكم الذاتى على الرغم من أنها تعتبر أول اعتراف شرعى ومتكامل بالحقوق القومية الاساسية للشعب الكردى ، وقام البرزانى بسحب انصاره ، والعديد من القطاعات الجماهيرية الكردية بالضغط والارهاب ، الى المنطقة الجبلية الداخلية فى الشمال .

وقام البرزانى بهذا العمل ، على الرغم من

اعتراف النظام العراقى فى بيان ١١ آذار ، ولاول مرة ، لاكراد العراق [١٥٪ من اكراد العالم — اكثر من مليونين] بالحق فى الحكم الذاتى وبالحقوق الثقافية ، ونص على ادخال ٣ وزراء أكراد فى الحكومة المركزية ، وأن يكون نائب رئيس الجمهورية كرديا ، فضلا عن انشاء جامعة السليمانية ، والمجمع العلمى الكردى ، وانشاء محافظة **دهوك** التى تضم اغلبية كردية واعتماد الحكومة لـ ١٩٠ مليون دينار للانفاق على مشروعات تنمية المنطقة الشمالية «الكردية» وغيرها من الاجراءات العديدة التى تستهدف دفع وتطوير المنطقة الكردية .

ولذا فمن الملفت للانتباه ، أن تتفاقم المشكلة الكردية ، وأن تتفجر فى سخونة والتهاب ، وأن يحدث تمرد البرزانى بالتحديد ، فى المنطقة الكردية بالعراق التى حظيت — طبقا لقانون الحكم الذاتى — بأفضل وضع من ناحية الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردى ، ومن ناحية احترام التراث القومى الكردى بالمقارنة مع المناطق الاخرى التى تعيش فيها الاقليات الكردية فى تركيا وايران .

فمن المعروف أنه يعيش فى **تركيا** عشرة ملايين كردى [أى حوالى ٤٥٪ من مجموع اكراد العالم] الا انه محرم عليهم القيام بأى نشاط سياسى ، أو تشكيل اية أحزاب أو منظمات سياسية .. ومحرم عليهم أيضا التحدث بلغتهم القومية ، وحتى اسم الشعب الكردى فى تركيا قد غير الى « **أتراك الجبل** » ، فى الوقت الذى تستمر فيه قدما ، سياسة « التتريك » التى تشمل حتى تغيير اسماء القرى الكردية .

أما فى **ايران** ، حيث يعيش ٦ ملايين كردى [٣٠٪ من أكراد العالم] ، ومحظور عليهم القيام بأى نشاط سياسى حتى ولو كان مواليا للحكومة الايرانية نفسها ، وتعمد الحكومة الى انكار وجود الشعب الكردى نفسه ، عن طريق الادعاء بأن الاكراد هم « **من أصل فارسى** » وبالاضافة الى ذلك ، وهذا الامر ملفت للنظر ، فان حركة البرزانى تقاوم وتمنع اى نشاط أو تحرك قومى فى كردستان ايران وفى كردستان تركيا ، وآخر الادلة على ذلك تسليم المناضل **سليمان معينى** ، عضو المكتب السياسى للحزب الديموقراطى الكردستانى الايرانى الى حكومة ايران التى نفذت فيه حكم الاعدام فى مدينة **مهابات** [عاصمة جمهورية كردستان سابقا] ، وكذلك اغتيال الدكتور **شوان** عضو اللجنة المركزية للحزب الثورى الكردستانى بتركيا .

أما سوريا فيوجد بها حوالى ٤٠٠,٠٠٠ كردى يعيش أغلبهم فى مناطق الحدود ، ولايمثلون هناك مشكلة حادة .

واذا كان هذا هو الفارق بين وضع الشعب



مصطفى البرزانى

الكردى فى العراق من ناحية ، وفى ايران وتركيا من ناحية اخرى ، فمن المريب حقا أن تبدأ المشاكل والقلاقل العسكرية وغيرها فى المنطقة الكردية التى حصلت هى وحدها على مكاسب ، لان العراق هو الدولة الوحيدة من الدول التى يعيش فى ظلها الشعب الكردى التى أصدرت لاول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، وثيقة تعترف بالحكم الذاتى للشعب الكردى فى المنطقة التى تنتمى الى أراضيها . ولذا أوضح لنا الرفيق **ماجد عبد الرضا** ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى ، أن الهدف الاساسى للتحركات المشبوهة فى المنطقة الكردية ، ليس هو فقط تحقيق مطامع « قومية » ، وانما « **تهيئة الاجواء لاحداث تبدل فى داخل العراق لصالح القوى الرجعية واليمينية** » وبمجرد حدوث هذا التبدل ، سيتفق الوضع الجديد خلال ساعات مع البرزانى ، وهو ما لن تنجح المؤامرة الرجعية الاستعمارية فى تحقيقه .

ولذا يمكن القول أن ما يحدث من نشاط رجعى استعمارى اليوم فى المنطقة الكردية بالعراق، انما ينبغى **فهمه أيضا فى اطار المخططات الاستعمارية العامة التى تستهدف عرقلة انطلاق العالم العربى ومساره نحو الوحدة الديموقراطية، ففى حين تعمد الدوائر الامبريالية العالمية الى استخدام اسرائيل لعرقلة الجناح الغربى للمشرق العربى [مصر وسوريا] فان هذه الدوائر فضلا عن الدوائر الرجعية المحلية والاقليمية ، تحاول**

استغلال المشكلة الكردية لمحاولة عرقلة الجناح الشرقى للمشرق العربى ممثلا فى العـراق ، وصرفه عن القيام بدور فعال فى الجبهـات الاستراتيجية لمعارك الشعوب العربية .

كذلك لفت الرفيق **طارق عزيز** رئيس تحرير جريدة « **الثورة** » العراقية ، وعضو القيـادة القطرية لحزب البعث العراقى النظر الى حقيقة الموقف الذى اتخذته قيادة البرزانى من قضية اقامة الجبهة الوطنية فى العراق باعتباره موقفا عاما من الحكم الوطنى فى العراق . ومغزى ذلك الموقف فقال : قبل أن تقوم الجبهة رسميا فى عام ١٩٧٣ ، كانت قيادة البرزانى **تلح بشكل يومى على ضرورة قيام الجبهة** ، وخلقت الوهم بأنهم أناس ربما يكونون فعلا جبهويين عندما يقولون : ان احدى المشاكل الاساسية هى انه لا توجد هناك جبهة . **ولكن لما تحققت الجبهة مع الحزب الشيوعى ، صار رد فعلهم عنيفا ، ومتشـنجا وسلبيا** ، وأصبح من يذكر كلمة الجبهة يتعرض لتمعهم وضرباتهم » . ويقول الرفيق « طارق عزيز » : « أن القوى الاستعمارية ستطرح المشكلة الكردية ، طرحا عراقيا ، كمسألة عراقية ، تحت ستار تخليص الشعب العراقى من تسلط البعثيين وتفردهم بالسلطة . **فجانب أساسى من المخطط الاستعمارى الذى تشترك فيه قيادة البرزانى ، هو أن لا تقوم جبهة فى العراق وتعاون بين البعث والشيوعيين والقوى الوطنية الاخرى** . ولذلك حاول البرزانيون عرقلة الجبهة ، وسعوا خلال الفترة الماضية الى أن يكون الحوار ثنائيا بيننا وبينهم بدون اطار الجبهة . وكانوا يقولون لنا — على نفس مائدة المناقشة التى كنا نجلس حولها معهم ومع الشيوعيين والعناصر المستقلة — انتم [البعثيون] بالسلطة ، ونحن بأيدينا مقدرات الامور ، وذلك بهدف اقصاء الشيوعيين ، ولكننا نرى أن هذا شرك ، ليس القصد منه هو الوصول الى حل ، وانما اضعاف فكرة الجبهة . واضعاف الحكم الوطنى التقدمى فى العراق عامة . انهم يطرحون المسألة على هذا النحو ، فاذا قبلنا رأيهم ، فانهم سيتحولون ليقولوا : ها هو حزب البعث لا يؤمن بالجبهة ويتخلى عن الشيوعيين ، ولكننا ندرك كل هذا ونكشفه ، لان فكرة الجبهة تشكل سدا منيعا أمام الدعاية الاستعمارية .

ولقد كانت بداية التفجر الاخير للمشكلة فى العام الماضى عندما فشل الحوار مع الحـزب الديموقراطى الكردستانى ، ولم يدخل هذا الحزب الجبهة مع حزب البعث والحزب الشيوعى . واعلن أنه فوجىء بميثاق العمل الوطنى ، علما بأن الحزب الشيوعى كان على صـلة وثيقة بالحـزب الديموقراطى الكردستانى . وكان ممثلوه يناقشون ممثلى الحزب الكردستانى فى تفاصيل ميثـاق العمل الوطنى وكل ما كان يتفق عليه بين حزب البعث والحزب الشيوعى كان يتم ابلاغ الحزب الكردستانى به .

كذلك كانت مسودة ميثاق العمل الوطنى قد سلمت فى ١٥ نوفمبر ١٩٧١ للحزب الكردستانى ، الذى لم يرد عليها سوى فى ١٢ يناير ١٩٧٢ ، حيث ركز فى رده على كافة النقاط موضع الخلاف . **وقد اعترض** الحزب الكردستانى ضمن ما اعترض عليه على تلك الفقرة فى الميثاق التى تقول **ان العراق جزء من الوطن العربى** ، لان العراق فى رايهم قسمان منطقة كردية ومنطقة عربيـة . عربستان للبعث ، وكردستان لهم . ومع ذلك حذفت الفقرة المذكورة باتفاق بين حزب البعث والحزب الشيوعى ، تقريبا لشقة الخلاف واملا فى توحيد الصفوف .

كذلك طالب الحزب الكردستانى بأن تـكون فترة الانتقال سنتين ، تجرى بعدها انتخابات ، ولم يتوقف الحزبان الاخران عند هذه النقطة ، واعتبراها تفصيلية وليست مبدئية .

كذلك اشار الكردستانى الى ان المسـودة الاولى التى قدمت من حزب البعث ، نصـت على ان حزبى البعث والـكردستانى يـكونان بتحالفهما طبقا لبيـان مارس ١٩٧٠ ، حجـر الاساس للجبهة الوطنية ، ولكن الحزبان الاخران يتساءلان **كيف يمكن اعتبار الكردسـتانى الذى لم يشترك فى الميثاق والحوار ، حجر أساس لجبهة أحجم عن المشاركة فى تأسيسها** ، فضلا عن ان هذا الحزب لا يمثل كل فئات الشعب الكردى ؟ .

كذلك اشار الكردستانى الى **أن الميثاق له محتوى طبقى ، لانه نص على تصفية الاقطاع فى كردستان** . وهو يتساءل لـماذا نص الميثاق على كردستان فحسب ، وليس على العراق كله ، متناسيا أن المنطقة العربية لا يوجد بها مثل تلك الاوضاع الاقطاعية المشهودة التى توجـد فى المناطق الزراعية بكردستان ، حيث تصل ملكية **بعض الافراد الاكراد الى ما يتراوح بين ١٥ و ٢٠ الف فدان** .

وبالاضافة فقد لوحظ أن الحزب الكردستانى فى مؤتمره الثامن فى نهاية ١٩٧٠ قد **كرس الاتجاهات الليبرالية** ، برغم انه كان يشير تقليديا الى انتفاعه بالماركسية اللينينية .

ومع ذلك فقد تم فى مارس [آذار] من هـذا العام ، اقرار بدء تطبيق مشروع قانون الحكم الـذاتى لـكردستان ، رغم رفض الحـزب الكردستانى له .

وهو ينقسم الى ثلاثة أبواب ، تضم ٢٠ مادة ويحدد الاسس العامة ، والمالية والادارية للحكم الذاتى ، وينشىء مجلسين احدهما تشريعى والاخر

تنفيذى ؟ وتحدد العلاقة بين السلطة المركزية ، وادارات الحكم الذاتى فى الشمال .

ويقوم الحكم الذاتى على اساس : جعل المنطقة الكردية فى العراق اقليما واحدا تدير دفته سلطة محلية تنفيذية منبثقة من مجلس تشريعى لكردستان ، منتخب فى جو من الحريات الديموقراطية الحقة ، وعلى اساس حق الانتخاب العام والمتساوى والمباشر ، والاقتراع السرى. وتخضع هذه السلطة المحلية للحكومة المركزية فى شئون **الدفاع والسياسة الخارجية والبرمجة الاقتصادية** ، وتتولى سائر الشئون الاقليمية الادارية والثقافية وغيرها ، وتدعم من قبل الحكومة المركزية للعمل على بعث التراث القومى التقدمى للشعب الكردى ، وتطوير ثقافته القومية وانشاء ما يضمن تحقيق ذلك فى الجامعات والمؤسسات الثقافية الكردية . وفى الوقت نفسه ، فان الاعتراف الحقيقى بالحقوق القومية للشعب الكردى ، يستلزم ضمان تمثيله، وفق نسبته الى مجموع السكان فى هيئة السلطات المركزية التشريعية والتنفيذية ، وتصفية سياسة التمييز ازاء كردستان تصفية جذرية سواء فى ميادين التشريع ، أو فى الدراسة والتعليم أو تولى الوظائف المختلفة ، أو فى تخطيط التطور الاقتصادى والتنمية الخ ..

وتخصيص المبالغ المناسبة ــ عند وضع برنامج تطور الاقتصاد الوطنى ، لاستثمار مصادر الخامات ، والثروة الطبيعية الهائلة فى كردستان بشكل جدى وسريع لما فيه خير الشعب العراقى لتوسيع شبكة المواصلات » .

ويؤكد الحزب الشيوعى العراقى على ضرورة «أن يطبق الحكم الذاتى لصالح الجماهير الكردية الكادحة فى الاساس ، لان الفلاحين متعطشون لتحقيق الاصلاح الزراعى الذى يضمن لهم الارض ويحقق لهم اهدافهم فى الحياة الحرة الكريمة الامنة ،ويتطلعون الى أن تمتد شبكة المواصلات والكهرباء ، ومشاريع الماء الصافى ، والمدارس والخدمات الصحية الى ربوع ريف كردستان». ويرى الحزب أنه « **بدون تحرير الفلاحين فى كردستان من بقايا الاقطاع ، فانه لا معنى للحكم الذاتى ، كما أن الطبقة العاملة فى المؤسسات والمشاريع المختلفة ، تطمح الى تطبيق قانون العمل ، وقانون التقاعد ، وتحقيق أهدافهم الاقتصادية والاجتماعية فى حياة كريمة مضمونة** » [1]

ومع ذلك وعلى الرغم مما يتميز به قانون الحكم الذاتى ان يطبق هذا الحكم فى ثلاث فى العراق الا أن قيادة البرزانى اثارت خلافات حادة حول النقاط الاساسية التالية :

● فى حين ترى الجبهة الوطنية طبقا لقانون الحكم الذاتى ان يطبق هذا الحكم فى ثلاث محافظات تعيش فيها الاغلبية الكردية وهى **دهوك والسليمانية وأربيل**، وأن تكون عاصمة كردستان هى **أربيل** .

ترى قيادة البرزانى ، ضرورة ادخال مناطق اخرى مثل **خانقين** على الحدود الايرانية ، **وكركوك** المركز البترولى الهام، **وجبال سنجار** على الحدود السورية ، وجبال **حمرين** قرب بغداد ، وغيرها من المناطق التى تعتبرها الحكومة مجرد جزر كردية وسط اغلبية عربية أو تركمانية .

● كذلك بينما يقرر القانون الصادر ، تنفيذ الحكم الذاتى على أساس **انشاء وحدات ادارية فى الشمال** ، واعتبار كردستان وحدة ادارية لها شخصية معنوية تتمتع بالحكم الذاتى فى اطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للعراق ..

يطالب البرزانى بنظام أقرب الى الوزارات وليس مجرد ادارات ، وباستقلال لها يؤدى فى النهاية الى اقامة كيان سياسى كردى مستقل ، وليس مجرد حكم ذاتى ، وهو ما تعتبره الجبهة الوطنية ، « مطلبا تعسفيا مرفوضا » .

● تريد الجبهة الوطنية تصفية الصراع المتلح مع الاكراد نهائيا ، على أساس منح الحكم الذاتى لهم ، مما يمهد الطريق لتنمية الشمال اقتصاديا وثقافيا ، وايقاف النزيف البشرى والاقتصادى فى العراق .

الا أن قادة الاكراد التقليديون يرون أن الحكم الذاتى وما يتبعه من اصلاحات اقتصادية واجتماعية وادارية **سيفقدها مكانتها وسلطتها القبلية والعشائرية** ، وبالتالى يساعد على امتصاص المشكلة نهائيا قوميا وحضاريا .

● وقد طالب البرزانيون أيضا بأن تصدر كل قوانين الحكومة المركزية **من المجلس الوطنى** ، وبضرورة أن تكون الشرطة خاضعة لسلطات

---

(١) ماجد عبد الرضا : الحكم الذاتى لكردستان العراق ومستلزمات تطبيقه ـ مجلة الثقافة الجديدة ـ عدد ٥٨ ـ مارس ١٩٧٤ .

الحكم الذاتي ؟ وبأن تكون هناك هيئة رقابة متبادلة على دستورية القوانين ، والمطلب الاخير يتعاطف معه الحزب الشيوعي .

— وقد عرض حزب البعث أملا في تقريب شقة الخلاف وتوحيد الصفوف ، أن تكون منطقة كركوك منطقة **مختلطة** : ولكن البرزانيين أصروا على أن تكون منطقة **حكم ذاتي** .

— كذلك **طالب البرزانيون بالغاء مجلس قيادة الثورة في العراق** ؛ وهو مالا يمكن أن يقبله حزب البعث على الاطلاق .

وترى القوى التقدمية في العراق أن **الموقف من القضية الكردية شيء ، ومن الحزب الديموقراطي الكردستاني شيء آخر** . فاذا اخذنا على سبيل المثال العلاقات بين الحزب الشيوعي ، والحزب الكردستاني لوجدنا أن هذه العلاقات دخلت في مراحل مد وجزر متباينة . ففي بعض الاحيان تحالف الشيوعيون مع الحزب الكردستاني ؟ وفي أحيان اخرى اختلفوا معه . فالحزب الديموقراطي الكردستاني ، يندفع بين فترة وأخرى في ممارسة سياسة العداء للشيوعية والحزب الشيوعي ، خاصة وان الحزب الشيوعي العراقي هو الحزب الوحيد الذي له منظمات يعتد بها في سائر أرجاء العراق ، وليس في المنطقة العربية وحدها ، حيث له قواعد بين **الأكراد ، والارمن ، والاشوريين** ، وهو الحزب الوحيد ذا الثقل الموجود في كردستان الى جانب الحزب الكردستاني .

ويرى الشيوعيون العراقيون أن الحزب الكردستاني بسبب تصدره للحركة المسلحة في منطلقات قومية ، استطاع أن يستقطب جماهير عديدة من الشعب الكردي ، وهي مسألة مؤقتة لانه عندما تتحول القضية بعد ذلك الى **قضية صراع اجتماعي** ، فانه لن يكون له مكان في كردستان .

ومن ناحية أخرى نجد أن العلاقات بين الحزب الديموقراطي الكردستاني وحزب البعث العراقي قد دخلت هي ايضا في مراحل متباينة .. ففي بداية حكم البعث ، اشترك الكردستاني معه في ١٩٦٨ بوزير هو **بابا علي** ابن الشيخ **محمود الحفيد** احد قادة الحركة الكردية في العشرينات [حتى ١٩٢٦] والذي كون شبه دولة مستقلة في كردستان ، وكان يطمح في أن يكون ملكا في كردستان .

اشترك الحزب الكردستاني في الحكم بهذا الوزير بعد ثورة ١٧ تموز [يوليو] ١٩٦٨ ، عندما كان البعث متحالفا مع النايف . ولكن في ٣٠ تموز عندما تم اسقاط النايف ، رفض الحزب الكردستاني الاشتراك في الوزارة مع البعث . والنايف يعيش مع البرزانيين الان .

وعلى الرغم من أن حزب البعث قام في ٣٠ تموز « يوليو » بتحقيق خطوة ملموسة الى الامام بطرد العناصر المشبوهة ، الا ان الحزب الكردستاني انسحب من الوزارة في الوقت الذي تثور فيه الشكوك حول صلات النايف بالمخابرات الامريكية . وفي مرحلة اخرى سنة ١٩٧٠ تحالف الحزب الكردستاني مع حزب البعث ، وفي تلك الفترة كتب **دارا توفيق** رئيس تحرير صحيفتهم يقول : « **اننا نعتبر انفسنا امتدادا لحزب البعث في المنطقة الكردية ، وحزب البعث امتدادا لنا في المنطقة العربية** » .

ولقد اتضح التغيير في موقف الحزب الديموقراطي الكردستاني منذ مشروع ميثاق العمل الوطني الذي اتخذ منه موقفا سلبيا ، ومنذ عقد معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي التي انهالوا عليها بالنقد ، وهم يقولون انهم مع اقامة علاقات بالاتحاد السوفيتي ، ولكن نظرا لأن هذه المعاهدة تقوى حزب البعث ، لذا فهي تعتبر — بالنسبة اليهم — ضارة لهم ، فعندما يكون حزب البعث قويا ، يكون في ذلك — حسبما يرون — ضرر للحركة الكردستانية ، وللحزب الكردستاني . وفي رأيهم أن أي نظام حكم قوى بالعراق ، يكون على حساب الحركة الكردية .

وقد هاجم البرزانيون الاتحاد السوفيتي في مؤتمرات بالخارج وقالوا : ان الاتحاد السوفيتي يزود العراق بغازات سامة للعمل ضدنا ؟ وعندما طالبنا بكمامات ضدها ، رفض أن يعطينا .. هذا لا يتفق قط مع الحقيقة فضلا عن كونه افتراء ضد الاتحاد السوفيتي .

وبالاضافة الى ذلك أوضح لنا الرفيق **كريم أحمد** عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي : « انه عندما تتحقق الجبهة الوطنية التي ناضلنا طويلا من أجلها ، يقف الحزب الديموقراطي الكردستاني ضدها . كذلك فاذا كان الجميع يدركون نضالنا الطويل من اجل الاصلاح الزراعي ، فان الحزب الديموقراطي الكردستاني يقف ضد الاصلاح الزراعي .

لقد كنا نقيس وطنية أي حكم فيما مضى من خلال موقفه من شركات البترول ؟ وهذا الحكم

يضرب شركات البترول ؟ ولكن الديموقراطى الكردستانى يقف ضد هذه السياسة .

ويصرح البرزانى « **للهيرالد تريبيون** »قائلا : « **اننا لم نستشر فى تاميم شركة نفط العراق فى ١٩٧٢ . ولو استشرنا لعارضنا التاميم ، ونحن مستعدون للاتفاق مع الامريكان** » سنين طويلة والشعب الكردى يناضل من أجل حكم ذاتى ، وعندما يتحقق ذلك اليوم ، يقف الكردستانى ضد ذلك ، لذا اصبحنا فى خطين مفترقين ، لان حركة البرزانى تستند على القوى الرجعية والامبريالية والصهيونية ، فكيف نتعاون مع هذه الحركة التى تقودها الامبريالية والرجعية ؟ » .

ويحدد الرفيق **كريم أحمد** الخط الامثل لمواجهة تحركات البرزانى ونشاطه فيقول : انه كلما اتبعت أساليب صحيحة لتطبيق الحكم الذاتى من قبل السلطة ، كلما نجحنا فى عزل هذا الاتجاه،**لان المعركة ليست معركة عسكرية ، وانما المعركة هى من يعزل جماهيرنا ؟**

وعلى الرغم من المواقف السلبية واحيانا المعادية التى اتخذها الحزب الديموقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى من المناقشات الخاصة بالميثاق الوطنى ، ومن التطورات التقدمية عامة ، مما أدى الى تدهور العلاقات مع حزبى البعث والشيوعى ، الا أنه تم الاتفاق على اجراء **مفاوضات ثلاثية** بين ممثلى الاحزاب الثلاثة . اشتركت فيها شخصيات مستقلة عربية وكردية فى نهاية ١٩٧٢ لحل المشاكل المتعلقة بالحركة الكردية والحكم ، والعلاقات بين البعث، والكردستانى ، ووضع جدول أعمال يتضمن ٣٦ بندا ، وبدأ العمل بحل المشاكل العديدة الخاصة بالتوتر والاعتقال ، وما أثير حول محاولة اغتيال البرزانى ، فضلا عن صيغة الحكم الذاتى والجبهة الوطنية .

ومثل حزب البعث فى هذه المفاوضات **عبد الخالق السامرائى ، ومحمد فاضل ، وطارق عزيز ، وغانم عبد الجليل ، وسعدون نميران** ؟ ومثل الحزب الشيوعى **كريم أحمد ، ومهدى عبد الكريم ، ومكرم الطالبانى ، ورحيم عجينة** ، ومثل الجانب الكردى **محمد محمود ، وصالح يوسف ، واحسان الشيخ زاد ، ودارا توفيق** ، ومثل الشخصيات العربية والكردية المستقلة **عزيز شريف ؟ وفؤاد عارف ؟ وعبد اللطيف الشواف** .

وقدم ممثلو الجانب الكردى آراءهم التى أشرنا اليها سالفا ، وتعديلاتهم المقترحة على مشروع الحكم الذاتى ، والتى أشرنا اليها أيضا ، الا أن محمد محمود رئيس الوفد الكردى أعلن فى ختام المناقشات **أن هناك كل المبررات لاقامة علاقات بين ايران والحركة الكردية** .

ورغبة فى تجميع الصفوف ، ومحاولةالوصول الى حلول واقعية للمشكلة الكردية ، تم ابلاغ ممثلى الكردستانى **بأن مشروع الحكم الذاتى ليس مجرد وجهة نظر لحزب البعث أو للحزب الشيوعى ، وانما هو صيغة للوصول الى اتفاق مشترك ممكن بين مختلف الاطراف ، وأوضح الرفاق فىالحزبين البعثوالشيوعى ، أن المرجو من الحزب الكردستانى أن يساهم للوصول الى صيغة ثلاثية يتم الاتفاق عليها** . وأوضح لهم الرفيق **صدام حسين أن البعث منفتح ومستعد لتغيير موقفه اذا وصل الى قناعات جديدة . وأشار الى أن الموقف الحالى لم يكن موقفنا من قبل ، وأنه من خلال العلاقات مع الشيوعيين ، أمكن الوصول الى قناعات جديدة** .

ولكن ممثلى الكردستانى أصروا على مطالبهم الخاصة بكركوك وغيرها ، بل وطالبوا كذلك **بجمهورية فيدرالية** فى العراق .

ولقد أدت الخلافات فى وجهات النظر بين حزبى الجبهة الوطنيةمن ناحية، وقيادة البرزانى من ناحية أخرى الى تصاعد الموقف منذ بداية ١٩٧٤ . وتمثل ذلك فى وقوع عدة حوادث عنف ضد تنظيمات الحزب الشيوعى فى المنطقة الكردية . وأدت هذه التطورات الى حدوث « استقطاب » فى الحزب الكردستانى ، انقسم من خلاله اليسار الكردى ، وانفصل عن الحزب الكردستانى .

كما حدث انقسام آخر فى ديسمبر الماضى داخل الحزب الكردستانى بقيادة **اسماعيل ملا عزيز وهاشم عقراوى** عضوى اللجنة المركزية للحزب ، **وعزيز عقراوى** عضو المكتب السياسى، اتهموا على أثرهالبرزانى بالديكتاتورية والفردية، وتشجيع التكتلات ، وبد سيطرة « **الباراستين** » وجهاز المخابرات الخاص بالبرزانى على أفرع الحزب ، وافراغ الحركة الكردية من محتواها ، وتصفية القيادات الثورية مثل **كاك فائق ، وفاخر ميركة** [وهو عضو لجنة مركزية بالحزب] وابعاد « البيشمركة » [العسكر الكردى] عن الانخراط فى الحزب ، وافتعال المصادمات مع الحكومة .

وبالاضافة الى ذلك فقد اتخذت قيادة البرزانى وبخاصة منذ مطلع هذا العام **موقفا صريحا فى عدائها للحزب الشيوعى العراقى ، بلغ حد التصفية الدموية** فى المناطق التى يسيطر عليها

الحزب الكردستاني ، مما أدى الى انسحاب الحزب الشيوعي وقواته المسلحة من المناطق التي يسيطر عليها الحزب الكردستاني ، والهدف الرئيسي من حملة الحزب الكردستاني بقيادة البرزاني : **القضاء ، او على اقل تقدير ، اضعاف الحزب الشيوعي في كردستان** ، بحيث لا يصبح قوة يؤبه لها ، وبحيث **تطلق يد الحزب الكردستاني في كردستان لينفذ مخططاته مع المخابرات المركزية الامريكية وغيرها** . وكذلك القضاء على الوجود العسكري للحزب الشيوعي ، والذي كان ضمن اطار الحركة الكردية نفسها .
وقد كانت حملة البرزانيين ضد الحزب الشيوعي تتسم بالعنف والقسوة . ولكنها في رأى الشيوعيين العراقيين — حسبما اوضحه الرفيق **ماجد عبد الرضا — قد فشلت فشلا يكاد يكون كبيرا** . فبدلا من ضرب الحزب الشيوعي وعزله في كردستان ، ظهر أن الذي عزل ويعزل عالميا — وحتى محليا — هو الحزب الكردستاني .
فكل التقارير تؤكد **أن الجماهير الكردية لم تكن متعاطفة مع الكردستاني في تلك الحملة الدموية، مما دعا الى اتخاذ مواقف منافقة ، يدعوا فيها علنا الى انهاء الحملة ، ولكنه يشارك فيها سرا** .
ولدينا معلومات تفيد بأن **الاغلبية الساحقة من قواعد الحزب الكردستاني هي ضد الحملة** . وهم استطاعوا ان يلحقوا بنا اضرارا غير قليلة في الريف . ولكن **نفوذنا في كردستان ، وهو تقليديا قوى ، مازال قويا** . وحتى على المستوى العسكرى ، ومن خلال الدفاع عن النفس ، لم تتحقق اهدافهم العسكرية . ووضع منظماتنا في كردستان جيد فكريا ، وهي متحمسة لسياسة الحزب بقوة ، وعلاقاتهـا بالجماهير تعمقت ولم تضعف . واذا كان حدث في بعض المناطق انقطاع بسبب ارهاب المسلحين الاكراد ، او اجبار الناس على الهجرة من مناطقهم ، الا أن كل هذه ليست سوى عوامل طارئة لا تنال من قوة الحزب ، وبرغم الصعوبات التي واجهتنا في كردستان نحن متفائلون ، ونعتز بموقف منظماتنا . وهذه المكانة ستزداد حتما مع الشروع في تنفيذ الحكم الذاتي ، اذ سوف ترى الجماهير بوضوح اكبر ، أن موقف الحزب الذي أيدته كان على حق » .

وقد أدان **الحزب الثوري الكردستاني** الذي يتولى السيد **عبد الستار طاهر شريف** وزير الاستشكان العراقي ، منصب سكرتير لجنته المركزية ومكتبه السياسي ، أدان عمليات القمع والإرهاب الموجهة ضد الشيوعيين في المنطقة الكردية . وأوضح لنا **خورشيد راوندوزى** عضو اللجنة المركزية بالحـزب الثورى الكردستاني ومسئول منظمة الحزب في أوربا بهذا الصدد « اننا كثوريين كردستانيين ، استنكرنا عمليات القمع الوحشي ضد الحزب الشيوعي العراقي ، على أيدي جماعة البرزاني ، وان منظماتنا الحزبية في كافة انحاء كردستان ، بعثت ببرقيات الى الحزب الشيوعي العـراقي ، معبرة عن استنكارها لمواقف البرزاني تجـاه الحـزب الشيوعي العراقي » .

وبالاضافة الى السيد **عبد الستار طاهر شريف** ، يتألف المكتب السياسي للحزب الثورى الكردستاني من اربعة اعضاء آخرين هم **جبار طاهر** ، **وعبد الله حامي روزبياني** ، **وزهراب دارا خا** ، **ومجيد جباري**. وقد أوضح لنا سكرتير الحزب أن قواعده في الموصل أكثر اتساعا من الديموقراطي الكردستاني .

وقد نشأ الحزب الثورى الكردستاني ، عندما اعترضت اللجنة المركزية للحـزب الديموقراطي الكردستاني على اتفاقية **مشير — بارزاني** التي عقدها الملا مع **عبد السـلام عارف** في فبراير ١٩٦٤ ، على أساس انها لا تحقق الحد الادنى من الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردى وأنها عقدت من خلف ظهر الشعب الـكردى ، والهدف منها ضرب الحياة الحزبية في كردستان والحزب الديموقراطي الكردستاني بصفة خاصة .. وقد اشترك في الاعتراض على **الاتفاقية** أيضا سكرتير الحزب الديموقراطي الكردستاني آنذاك ، **ابراهيم أحمد** ، ومندوبو اللجان المحلية والفروع ، ومندوبو **فصائل الانصار الوطنيـة** [**البيشمركة**] الذين اجتمعـوا في كونفرنس شامل بمدينة « **ماوا** » في ١٩٦٤/٤/١ ، ولكن الملا رفض أى محاولة للتفاهم معهم ، مما حدا بالكونفرنس الى اتخاذ قرار بتجريد الملا البرزاني من مسئولية رئاسة الحزب . فعقد الملا **مؤتمرا** عشائريا في مدينة « رانية » وفي هذا المؤتمر شكل حزبه العشائرى منتحلا نفس الاسم « الحزب الديموقراطي الكردستاني » . وبذا أصبح هناك حزبان بنفس الاسم أولهما الحـزب الشرعي الاصيل برئاسة المكتب السياسي ، وثانيهما الحزب العشائرى برئاسة البرزاني ، واستمر الصراع بينهما الى عام ١٩٧٠ ، حين صدر بيـان ١١ آذار الذى اعترف فيه حـزب البعث بشرعية الحـزب الديموقراطي الكردستاني برياسـة البرزاني ، واصبح الحزب الذي يقوده المكتب السياسي وهو حزبنا امام الامر الواقع .
وكان عليه : اما الوقوف في وجه بيان آذار وعرقلة تطبيقه ، واما تغيير اسمه والتلاؤم مع الواقع ، وهو ما حدث بالفعل عندما عقد الحزب مؤتمره السابع في أواخر سنة ١٩٧٠ الذى ترر فيـه تغيير أسـمه الى « **الحـزب الثورى الكردستاني** » .

وقد قدم الرفيق **ماجد عبد الرضـا** عضـو

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي تقييما واقعيا للظروف التي تسود اقليم كردستان فأوضح لنا « **ان قانون الحكم الذاتي ، لا يمكن — من الناحية العملية — أن يطبق بشكل كامل حاليا ، فهناك صعوبة عملية في هذا الصدد ، ناجمة عن سيطرة الحزب الديموقراطي الكردستاني على مناطق عديدة** » . وهو يرى « **ان المعركة ليست معركة عسكرية ، وانما هي معركة سياسية ، اذ ينبغي أن تكون لدى الشعب الكردي قناعة سياسية كافية بخطأ العناصر العشائرية والرجعية الحالية ، فهذه القناعة السياسية هي التي ستؤدي الى عزل هذه العناصر ، والى مقاومة شديدة لها من جانب الجماهير الكردية ، بالاضافة الى مقاومة الحكومة لها. من الصعب التحكم بتطور الوضع في منطقة ملغومة بالسلاح والخلافات السياسية والفكرية اذ يمكن أن ينشب القتال على الرغم من ارادة اي طرف . واحتمال القتال أصبح قائما لان هناك طرفا لا يقبل باى حلول . ولذا سوف نناضل بكل السبل من أجل عزل العناصر التي تدفع بالجماهير الكردية الى هذا المجال ، حيث تزهق أرواح الابرياء من اطفال وعجائز ونساء الخ** » وأوضح ماجد عبد الرضا أن **كافة المحافظات والمدن الرئيسية اربيل والسليمانية ودهوك في أيدى الحكومة ، وأنه من حيث المساحات فان الجزء الاكبر في أيدى السلطة المركزية** .

وعلى نحو عام فقد انطلق حزب البعث العربي الاشتراكي في نظريته الى المسألة الكردية ، وفي سعيه الى ايجاد الحلول لها من الاعتبارات الاساسية التالية :

١ — « **ان الحركة القومية الكردية** في العراق برغم بعض الملابسات التاريخية التي رافقتها ، وما تحتويه من شوائب واتجاهات انعزالية رجعية بعضها على صلات مفضوحة بالدوائر الاستعمارية والرجعية ، **هي من حيث الجوهر والاساس حركة قومية تمتلك في حدود مطالبتها بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي في أطار الجمهورية العراقية ، وعلى رأسها الحكم الذاتي مبررات مبدئية وواقعية ، وأنها في هذا الاطار ، جزء أساسي من الحركة الوطنية في القطر العراقي** » [٢] .

٢ — من الطبيعي أن يتفهم حزب البعث الحقوق المشروعة للجماهير الكردية وأن يناضل في سبيل تأمينها وضمانها .

٣ — أن المنهج الاساسي والثابت الذي يعتمده حزب البعث في الوصول الى تأمين هذه الحقوق هو المنهج السلمي والديموقراطي عن طريق التعاون المخلص والايجابي مع القوى الخيرة الوطنية والتقدمية في صفوف الجماهير الكردية.

وقدم حزب البعث في نفس التقرير السياسي نقدا ذاتيا عن بعض ممارسات الفترة الماضية اوضح فيه : « ان مسيرة بيان الحادي عشر من آذار لم تجر بالشكل الذي كان يأمله حزب البعث العربي الاشتراكي .. فلقد ارتكبت في ميدان التعامل مع الحزب الديموقراطي الكردستاني بعض الاخطاء من جانب اجهزة الحزب والسلطة ولعل في مقدمة تلك الاخطاء ، **تعدد الاجهزة والمراكز التي كانت تتعامل ، وبدون تنسيق في غالب الاحيان مع مختلف شئون المسألة الكردية.** وقد أدى ذلك وخلال فترة طويلة ، الى فقدان السيطرة المركزية على الاحداث والتطورات ، والى الضياع في المسائل والمشاكل الثانوية والتفصيلية على حساب القضايا الاساسية والتصورات المركزية . كما أدى في أحيان كثيرة الى العجز عن معرفة حقيقة ما يجرى من أحداث وملابسات ، والى العجز عن تأثير الحدود الفاصلة بين الاخطاء التي ترتكبها أجهزة السلطة ، والاعمال التخريبية التي تقوم بها عناصر في الحزب الديموقراطي الكردستاني . كما أن **عناصر في أجهزة السلطة وبخاصة في المنطقة الشمالية لم تتفهم تماما وتستوعب بيان آذار وروحه ومضامينه ، وبقيت تتصرف من منطلقات خاطئة ومن ردود أفعال سلبية تنتسب الى ظروف ومقاييس المرحلة السابقة لبيان آذار وتجاربها** » .

وفي نفس الوقت ، قدم حزب البعث نقدا لمواقف الحزب الديموقراطي الكردستاني فقال : « ان قيادة الحزب الديموقراطي الكردستاني لم تتصرف ، في أغلب الاحيان من منطلق الوحدة الوطنية والتحالف الصادق مع حزب البعث العربي الاشتراكي والذي كان يفترض انه نشأ بعد اعلان بيان آذار . وكان الكثير من العناصر القيادية في الحزب الديموقراطي الكردستاني ينظر الى بيان آذار والتحالف مع حزب البعث **نظرة تكتيكية ومرحلية بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من المواقع والمكاسب بانتظار الفرص المناسبة للمطالبة بالمزيد** ، ومن المؤسف حقا اننا ومنذ الايام الاولى التي تلت بيان آذار ، لم نلمس لدى قيادة الحزب الديموقراطي

---

(٢) من التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن ١٩٧٤ ص ٨١ — ٨٦ .

الكردستانى ؟ أو على الأقل التيار المؤثر فيها ؟ ما كنا نتوقعه من صدق التعامل ، بل اننا لمسنا أن تلك القيادة صارت تشدد صيغ الطوارىء فى تعاملها مع السلطة **وفى اقامة العلاقات المشبوهة مع القوى الخارجية** » .

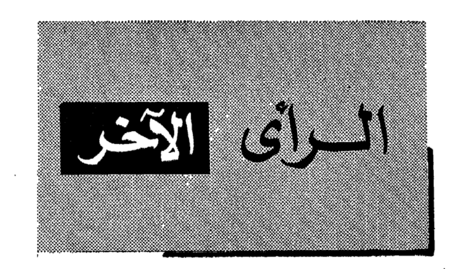
واستطرد تقرير المؤتمر القطرى الثامن يقول ناقدا الحزب الكردستانى : « وخلال الفترة الماضية لم تضعف العناصر والتيارات الرجعية والعميلة والمشبوهة والانفصالية النافذة فى قيادة الحزب الديموقراطى الكردستانى ، وبالدرجة التى كانت متوقعة قبل اعلان بيـان آذار وبعده ، **وقـد ارتكبت هذه العناصر أعمالا تخريبية واسـعة النطاق ، وقامت بنشاطات اعـلامية معـادية للحزب والثورة فى الداخل والخارج ، وكانت خلال المرحلة الماضية ، وما تزال مركز استقطاب لكل القوى المعادية للحزب والثورة من عرب وأكراد ، وتعاونت مـع المتآمرين على الحزب والثـورة ومنحتهم الحماية فى المنـاطق التى تسيطر عليها ، وهى ما تزال حتى اليوم تتعاون مع الـدول الرجعيـة فى المنطقـة والقـوى الاستعمارية وبشكل مكشوف تماما** لاضـعاف الحزب والثورة ، بل للتـآمر عليهما ، وان هذه التيارات والعناصر تشكل اليوم الاحتياطى الاول لقوى الاستعمار والردة داخل القطر العراقى » .

وفى ختام تحليله للمسألة الكردية يوضـح التقرير السياسى « أنه بعد ٤ سنوات من النضال المثير على طريق الحل السلمى والديموقراطى للمسألة الكردية ، فان قطاعات واسـعة من جماهيرنا الكردية تجد الان من عنـاصر الامن والاطمئنان فى حياتها أكثر مما كانت تجده فى أى وقت مضى . كمـا تلمس بصورة مبـاشرة نتائج سياسة الثورة فى تلبية حقوقها المشروعة وفى تحسين مستوى حياتها فى سائر الميادين . وفى الوقت نفسه ، **فان استمرار حالة السلام خلال السنوات الاربع الماضية قد خلق ظروفا اقتصادية جديدة فى المنطقة الشمالية ، واصبح عدد المواطنين الاكراد الذين يرتبطون بالانتـاج الزراعى والصـناعى ، وبالفعاليات التجـارية المتصلة هى الاخرى وبدرجات متفاوتة بالحيـاة الاقتصادية الوطنية للبلاد أكثر من ذى قبل .**
كما أن استقرار النظام وتوطده ونجاحه فى انجاز الكثير من المشاريع الصناعية والزراعية والاروائية والسياحية ومشاريع الخـدمات فى المنطقة الشمالية ، قـد خلق ظروفا موضوعية لصالح السلام فى النهاية . **واصـبحت مهمة العناصر المحرضة على التمرد والتخريب أصعب من ذى قبل بكثير . بل ان محاولات هذه العناصر غالبا ما تصطدم بالمواقف الســلبية من جانب جماهيرنا الكردية برغم ما تستخدمه من وسائل الاثارة والتحريض والارهاب والتضليل** » .

وقد جاء فى آخر الانباء التى وردت من العراق — حتى كتابة هذا الملف — ان ١٢ الفـا و ٥٤ عائلة فلاحية عراقية ستتسلم خلال يوليو الماضى أراضى مجموع مساحتها ٣٤١ الف دونم ، وأن توزيع هذه الاراضى على الفلاحين سيتم فى كافة أنحاء العراق ، **وان حوالى ٢٠٠ الف دونم « منها ستوزع فى منطقة الحكم الذاتى بكردستان فى شمال العراق** » وكان قد صدر قبل ذلك ، فى ابريل ١٩٧٤ — وتنفيذا لبيان الحكم الذاتى — مرسوم جمهورى بتعيين **السيد طه محيى الدين معروف** وهـو كردى من مؤسسى الحـزب الديموقراطى الـكردستانى سنة ١٩٤٥ نائبـا لرئيس الجمهورية العراقية .

وفى الختام أوجز الرئيس **أحمد حسن البكر** رئيس الجمهورية العراقية فى خطابه بمناسبة ذكرى ثورة ١٧ تموز ، آخر تطورات الوضع بالنسبة للمسألة الكردية ، واضطرار السلطة الى مواجهة أعمال التخريب والتهريب والتآمر فى المنطقة الشمالية فقال : « **لقد أردنا أن يكون بيان ١١ آذار سنة ١٩٧٠ بداية عهد جديد فى العلاقات بين مختلف العناصر فى البلاد وحـلا شاملا عمليا للمشكلة الكردية . ولكن العصابة الرجعية المتمردة فى الحركة الكردية ، بدلا من أن تستجيب لهذه المبادرات ، فتحت حدود البلاد للعملاء الاجانب وللمخربين والمهربين ، وتعاونت بشـكل صارخ مع الامبريالية والصـهيونية ، والرجعية** » وأضاف قائلا : « وان قواتنا المسلحة وحرس الحـدود تطارد المجموعـات المتفرقة للعصابات المتمردة والتى انسحبت الى الجبل ، والتى تجد نفسـها معزولة تماما عن الجماهير الشعبية » .

وقد قدم السيد **طه محيى الدين معروف** نائب رئيس الجمهورية العراقية فى حـديث خاص أدلى به فى يوليو [تموز] الماضى بصحيفة اللواء اللبنانية ، تحليله الموجز فى كلمات ، لما يحدث فى المنطقة الكردية فقال فى النهاية : « **ان الاوساط الاستعمارية والرجعية استغلت المـلا مصطفى لضرب الجوهر الديموقراطى للحركة الكردية ، وأن المـلا تمكن منذ عام ١٩٦٤ من ابعـاد كافة العنـاصر التقدمية الوطنية من قيـادة الحركة الكردية ، وبهذا نجح الى حـد ما فى اجهاض المحتوى الاجتماعى والتقدمى للحركة ، وتحويلها الى حركة عشائرية فردية يسهل ربطها بالاوساط الرجعية** » وأكد « **أنه على هذا الاساس فقـد اصبحت حركة المـلا تدور فى فلك المخططـات الاسـتعمارية والرجعية ، وكلما كانت هنـاك مؤامرة او محاولة استعمارية تستهدف العراق حاولت القيادة العشائرية أن تكون اداتها التنفيذية** » .



مشاكل الصحافة فى مصر

مناقشات فى الاتحاد الاشتراكى

محضر الاجتماع المشترك لامانتى الشئون السياسية والفكر والدعوة والشئون الدينية باللجنة المركزية مع المسئولين عن وسائل الاعلام صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩٧٤/٧/٢ .

عقد فى مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى اجتماع هام لمناقشة قضايا الاعلام .

واثير فى هذا الاجتماع عدد من القضايا الحساسة والهامة والتى تتواجد بشكل او بآخر فى كل علاقة بين الاعلام وبين السلطة، وما تفجره هذه العلاقة من مسائل متعلقة بالحريات .. بحقوق الصحفيين .. بالعلاقة بين الصحف وبين الاتحاد الاشتراكى .. الخ .

و « الطليعة » ايمانا منها بضرورة الحوار الحر والبناء حول هذه القضايا الهامة .. وتقديرا منها لمبادرة التنظيم السياسي والسيد وزير الاعلام الذى دعى لعقد هذا اللقاء كسبيل لحوار مثمر .. تنشر النص الكامل لمحضر الاجتماع ، كبداية لمزيد من الحوار حول ما اثاره من قضايا .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢ - ٧ - ١٩٧٤ عقد الاجتماع المشترك لامانتى الشئون السياسية والفكر والدعوة والشئون الدينية باللجنة المركزية برئاسة الدكتور محمد حافظ غانم الامين الاول للجنة المركزية .. وحضور كل من السادة :

- ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

- الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام .

- الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية .

- الدكتور رفعت المحجوب أمين الدعوة والفكر باللجنة المركزية .

هذا وقد بدأ الاجتماع على النحو التالى :

■ الامين الاول للجنة المركزية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوة والاخوات .

يقوم هذا الاجتماع المشترك للجنتى الشئون السياسية والفكر والدعوة باللجنة المركزية بدراسة حرة وموضوعية حول دور وسائل الاعلام فى المرحلة المقبلة وحول التنسيق بين العمل الاعلامى وبين العمل السياسى فى ضوء ورقة اكتوبر .

لقد تقدمت تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيرى فى السنوات الاخيرة وأصبحت هذه الوسائل من اذاعة وتليفزيون وصحافة وسينما ومسرح وفنون شعبية تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا فى حياة الشعوب .

ويظهر دور وسائل الاعلام بصورة متميزة فى الدول النامية حين يستطيع الاعلام أن يدفع بتطور الشعوب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا أشواطا الى الامام .. ذلك لان الوسائل التقليدية للتربية والثقافة وللتعبير عن الجماهير تتسم عادة فى هذه الدول بالنقص والقصور .

أيها الاخوة والاخوات ...

١ - يثق التنظيم السياسى فى قدرة الاعلام المصرى على القيام بدوره فى تطوير المجتمع ككل كما يحرص التنظيم السياسى على أن يكون لرجال الاعلام وهم من صفوة المثقفين دورهم داخل التنظيم يشاركون بالفكر والمسئولية ويدافعون عن ارائهم ومصالحهم .

٢ - ومن ناحية ثانية فان التنظيم السياسى سيعمل على تدعيم أجهزة الاعلام وعلى استيعابها للتكنولوجيا الحديثة المتطورة .. كما تستطيع أجهزة الاعلام أن تعتمد على التنظيم السياسى فى تفهم حقيقة الاوضاع فى المجتمع المصرى بكل قطاعاته وفئاته وفى التعرف الكامل على أهداف وخطط العمل الوطنى وذلك حتى يتكامل العمل الاعلامى مع العمل السياسى .

٣ - ومن ناحية ثالثة يؤمن التنظيم السياسى بالحرية السياسية وبحرية الصحافة .. وهو يؤمن بنفس القدر بمسئولية الكلمة والقلم .. وهذه المسئولية يمكن تعريفها على النحو الاتى :

أ - شعور بالمصلحة العامة وتصميم على الدفاع عنها وعى المشاركة فى تنفيذ استراتيجية العمل الوطنى فى المرحلة المقبلة .

ب - تعبير حقيقى وأمين عن آراء كل قوى الشعب وفئاته وتشجيع للحوار البناء بين الاراء والافكار على مختلف منابعها الفكرية .

جـ - تفهم كامل للمرحلة وللواقع المصرى والعربى ولاستراتيجية التقدم والبناء .



د. حافظ غانم

أيها الاخوة ...

ان انتصارات مصر العسكرية والسياسية فى حرب اكتوبر العظيم جعلت من الممكن ان تضع مصر لنفسها استراتيجية حضارة شاملة قدمها الرئيس السادات الى الشعب فى وثيقة اكتوبر .

ويتطلع التنظيم السياسى الى الاعلام المصرى لكى يقوم بدوره كاملا فى نشر وتعميق هذه الاستراتيجية بكل ما احتوته من فكر وأهداف ومبادىء وحقوق وواجبات - ذلك لان ذلك كله يمثل أمل الامة وحلمها فى التقدم والبناء وسعيها لاستطلاع المستقبل .

وسيتم تنفيذ هذه الاستراتيجية وفقا للمنهج العصرى المتكامل الذى يتضمن وضع خطط للتنمية تتكامل أجزاؤها وحشد للامكانات البشرية والمادية واستخدام للمال العربى والاجنبى وللمعارف والتكنولوجيا الحديثة .. كما سيتم تنفيذ استراتيجية التقدم فى اطار من الحرية والديمقراطية .

والمطلوب أن يتحرك المجتمع كله فى طريق التقدم الحضارى .. والانسان المصرى هو الهدف من التقدم وهو وسيلته فى نفس الوقت ،ومن واجبه انيشارك بلاحدود فى صنع التقدم .

ومن المهم أن يتعاون التنظيم السياسى مع أجهزة الاعلام فى تحقيق ما يلى :

١ - التوعية بالمفاهيم الايجابية لاستراتيجية التقدم الحضارى بحيث يكون الاعلام قوة للتقدم وطاقة ضد كل السلبيات والتحديات التى تعبر عن التخلف والانحراف أو عن مخططات معادية للوطن .

٢ - تدعيم أجهزة الاعلام بحيث يدخلها هى الاخرى كل تقدم تكنولوجى مفيد وبحيث تكون أكثر قدرة على مواجهة متطلبات المرحلة وعلى المساهمة فى التعبئة الشعبية حول أهداف العمل الوطنى .

٣ - تعميق الفكر السياسى الذى حددت ورقة اكتوبر مفاهيمه العامة فى مجالات الحرية السياسية والديمقراطية والاشتراكية - تلك المفاهيم التى تعبر ضرورة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ظل جو من الحرية يسمح للانسان بالابداع وبممارسة حريته الخلاقة .

أيها الاخوة ... نخلص من ذلك كله الى التأكيد على أهمية وضع استراتيجية عامة لجميع وسائل الاعلام وأن يجرى التنسيق بين العمل الاعلامى والعمل السياسى .

كما يلزم وضع استراتيجية خاصة بكل وسيلة من وسائل الاعلام فى اطار الاستراتيجية العامة وأن يتم كذلك الاتفاق على طرق وأساليب العمل بالنسبة لكل وسيلة من هذه الوسائل .

وفقكم الله لخدمة الوطن والشعب فى ظل رئيسنا البطل أنور السادات . (تصفيق)

اذا سمحتم أعتقد أنه من المناسب الان أن نستمع الى

كلمة من السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ممدوح سالم حول المرحلة ومتطلباتها وانعكاس هذه المتطلبات فى هذه المرحلة على الاعلام والسياسة • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

■ ممدوح سالم

الاخوة والزملاء ••

اتقدم بالشكر للدعوة الكريمة التى وجهت لى لاشارك فى هذا الاجتماع الذى يضم الصفوة من المسئولين بالصحافة والجهاز الشعبى التنفيذى وأولئك الذين يشاركون فى النشاط الاعلامى اى فى قيادة الفكر المصرى وفى بنائه - كأساس لازم وضرورى لبناء البلاد وبناء الانسان المصرى • ان هدفنا هو الوصول الى تصور صحيح لما يجب أن يكون عليه دور الاعلام وسياسته فى المرحلة القادمة - مرحلة مابعد ٦اكتوبر - مرحلة البناء والتعمير وما يتطلبه منا جميعا مسئولين ومواطنين وصحفيين • ان سياسة الاعلام فى هذه المرحلة الحاسمة القادمة - تتصل مباشرة وتتشابك مع معظم قضايا البلاد الرئيسية - ولا شك أن الصحافة المصرية كأولى مؤسسات الاعلام واقدمها وأرسخها فى بلادنا تحتل من اهتماماتنا فى هذا المجال المكان الاول - ليس فقط لدورها الكبير فى تحقيق الاهداف القوميـــة - ولكن ايضا وكهدف لا يقل أهمية لكى تسترد صحافتنا مكانتها التى احتلتها دائما وعن جدارة فى القيادة الفكرية بالعالم العربى - تلك المكانة التى بذل فى سبيلها أجيال من الصحفيين والمفكرين جهدهم وعرقهم وتضحياتهم - وسلكوا نحوها السبيل الوعر فى رفع كلمة الحرية ازاء شبوات الاستغلال والتسلط - حتى كانوا بحق الممهدين فكريا لثورة ٢٣ يوليو بتهيئة المناخ الاجتماعى لقيام هذه الثورة الجيدة.

واذا كان رمضان - اكتوبر العظيم يعتبر منطلقا لمرحلة جديدة من العمل الوطنى نندفع منها نحو التقدم بمعدلات قتاله الرائعة - وان القضية هى تطوير العمل الوطنى لنتخلص من السلبيات ونستفيد من الايجابيات - فان الاعلام والصحافة المصرية باعتبارها جزءا هاما من العمل الوطنى تقع فى هذا الاطار موقع الهدف وموقع الوسيلة .

اننا لكى نصل الى تصور مشترك لدور الاعلام والصحافة فى مرحلة البناء القادمة لابد أن نعمل بجهودنا المشتركة لكى يصل الاعلام الى أحسن الاوضاع التى تهيؤه للقيام بهذا الدور العظيم - والطريق واضح وقد رسمته ورقة أكتوبر وهو التخلص من كل السلبيات وتنمية ما تم من ايجابيات والاستفادة من المتغيرات •

الاخوة والزملاء ••

الواقع أن الاتجاه الصحيح نحو التخلص من السلبيات وتنمية الايجابيات بدأه زعيمنا الرئيس محمد أنور السادات فور توليه مسئولياته - ليصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو وليخلصها مما علق بها بعيدا عن أهدافها وأسلوبها • والواقع انه لم ترتبط مؤسسة قومية من مؤسسات البلاد بالقضايا الرئيسية التى تصدى لها الزعيم السادات فى حركة التصحيح بمثل ما ارتبط به الاعلام والصحافة •

فى قضية اطلاق الحريات - ومنها حرية الراى كانت الصحافة وحريتها نصب عينه وقد كان فى سبيلها أيضا عودة الصحفيين الى أماكنهم • وفى قضية ارساء دولة المؤسسات - تاكد للصحافة دورها كمؤسسة جماهيرية قومية شرعية تمارس من خلالها - جماهير الشعب - حريتها فى ابداء الرأى - وفى الحوار المثمر البناء بين مصالح فئات الشعب المتحالفة • وفى قضية سيادة القانون - تاكد للصحافة دورها كوسيلة للرقابة الشعبية فى هذا المجال فضلا عن حريتها المطلقة التى لا يحدها الا القانون كوقاء للحرية ذاتها • وفى قضية الديمقراطية السليمة حرية الرأى والكلمة هي وسيلتنا للديمقراطية السليمة



ممدوح سالم

والديمقراطية السليمة هى وسيلتنا لحرية الكلمة والصحافة تقف بينها شريانا للحياة •

الاخوة والزملاء ••

اذا كنا قد عرضنا باختصار شديد للايجابيات الرئيسية التى تحققت للصحافة من خلال أسس حركة التصحيح - واذا كان تحقيق هذه الايجابيات قد اقتضى بالضرورة اسقاط السلبيات التى كانت تعوق تحقيق هذه الايجابيات • فالمهمة الان - وقبل أن ننتقل الى تصور دور ومهمة الاعلام والصحافة فى المرحلة القادمة - بل وكخطوة ضرورية للانتقال الى هذا الدور - هو ان نستعرض معا كيف يمكننا تنمية هذه الايجابيات • ان تنمية هذه الايجابيات أيها الاخوة - يهدف الى تدعيم دور الاعلام والصحافة فى ممارسة الحريات - وفى ارساء دولة المؤسسات - وفى ممارسة الديمقراطية السليمة وفى تثبيت سيادة القانون • والموضوع الذى يجب أن نواجه به أنفسنا جميعا - ليس كصحفيين فقط بل كمواطنين - هـــل استثمرنا هـــذه الايجابيات - بما يدعمها ، وبما يحقق الاهداف القومية المعقودة على الاعلام والصحافة ؟

ليس المجال هنا ابدا - مجال انتقاد - ولكنه مجال وضوح الرؤيا وتقييم للواقع كضرورة حتمية للانتقال الى مرحلة التعمير والبناء . ولعل القاء بعض الاضواء على جوانب هذه الايجابيات - يوضح لنا هذه الرؤيا كعنصر من عناصر التخطيط للنجاح كما تقرره ورقة أكتوبر - ولعله يفتح آفاقا لمجالات لم تستثمر فيها هذه الايجابيات ،أو لم يكن استثمارها بالقدر او الشكل الذى يحقق أهدافنا القومية .

ولنبدأ أيها الاخوة - بايجابية حرية الراى والكلمة - كيف مارسناها وكيف نمارسها ، وماهى الضمانات التى تحميها ؟.

وفى هذا المجال هناك جانبان اجد من الضرورى خدمة لهذا الهدف أن نعرض لهما **الجانب الاول : هو العلاقة بين الحرية والالتزام ، والجانب الثانى : هو حرية النقد وما هى أبعاده** •

بالنسبة لجانب العلاقة بين حرية الرأى والالتزام احب أن أبين أن توضيح اين تقف حدود حرية الرأى من الالتزام • واين تقف حدود الالتزام من حرية الرأى - انما هو لصالح حرية الراى بنفس القدر - بل وربما أكثر - من صالحه لدواعى الالتزام • ذلك أنه اذا لم تصبح الرؤيا واضحة جلية فى هذا الشأن فتح المجال لطريق خطر للحد من حرية الرأى باسم الالتزام وهو أمر أوضحت ورقة اكتوبر أن مراكز القوى كثيرا ما استغلته لصالحها باسم حماية الثورة • والواقع أن ورقة أكتوبر قد حددت هذا الالتزام وعناصره بكل جلاء - خصوصا وقد انهت به موجة من التشكيك افتعلها أعداء النظام •

وحدود هذا الالتزام هى :

أ - اننا قد اخترنا نهائيا النظام الاشتراكى اسلوبا

لحياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكوسيلة رئيسية لتطوير مجتمعنا • وأن أى تطوير قد يظهر انما يمس التطبيق وليس المبادىء الثابتة •

وبالتالى فان أى تفسير يخالف ذلك أو ايحاء بالارتداد عن خطنا الاشتراكى انما يتعدى حدود الالتزام الذى ارتضاه الشعب المصرى فى استفتاء وباغلبيته الساحقة التى تصل حد الاجماع •

ب – اننا فى حدود النظام الاشتراكى قد أخذنا صيغة تحالف قوى الشعب العامل كصيغة وحيدة تتفق مع تراثنا وتفكيرنا ومصالحنا القومية وتجنبنا مآسى الصراع الدموى لتغليب طبقة على باقى طبقات الشعب أيا كان موضع هذه الطبقه . وأيضا كضرورة لازمة لوحدة الجبهة الداخلية لبلادنا وهى لاتزال تخوض معركتها فى كافة المجالات ضد العدو فى حرب لم تنته بعد • **وبالتالى فان أى دعاوى باسم الحرية لاذكاء روح الصراع الطبقى أو تغليب طبقة على باقى الطبقات تخرج على حدود الالتزام** •

جـ – ان وسائل الانتاج الرئيسية – والتى تتسلط على أقوات الشعب ومصالحه يجب أن تكون ملكيتها للشعب وانه فى ظل سياسة الانفتاح ومجتمع القطاع الخاص والاستثمار العربى والاجنبى – يظل القطاع العام هو الاداة الاساسية لتنفيذ أى خطة للتنمية •

واذا فان حدود الالتزام هو استمرار بقاء القطاع العام **كأداة رئيسية فى اقتصادنا •• أما عن طرق وشكل ملكيته** للشعب – وطرق ادارته – وكيفية نجاحه لتنفيذ خطة التنمية – ووسائل الرقابة الشعبية عليه – فان حرية الرأى مكفولة بل مطلوبة من الجميع •

د – أما فى المجالات الخارجية – فان **سياسة عدم الانحياز – هى الامتدادالطبيعى لنظامنا الداخلى ولمصالحنا القومية – والتضامن العربى والانفتاح على كل الكتل** الدولية والحصول على مزيد من تاييد الدول انما يشكل خطوطا رئيسية لا يجب الاضرار بها •

الاخوة والزملاء ••

ان توضيح هذه الحدود يشكل القيود على دعاوى الالتزام بحيث لا يجب فيما دونها أن نتوسع بما يحد من الحرية – ولحرية الرأى أن تمارس دورها فى كل المجالات بحيث أن أى دعوى تتعدى هذه الحدود تصبح دعوى مرفوضة •

وننتقل الان الى الوجه الثانى للحرية وهو علاقتها بالنقد ••

ان الايجابية الكبيرة التى وضحتها ورقة أكتوبر فى هذا المجال – هى أن من يضع نفسه موضع المسئولية ، يضع نفسه بالضرورة موضع تقبل النقد – واذا فلا حماية شخصية لاحد – ذلك الاسلوب الذى استخدمته مراكز القوى فيما قبل حركة التصحيح والذى أدى الى تفاقم خطورة هذه المراكز ••

والسؤال : هل هناك قيود على النقد ؟ :

الواقع أن هناك تحفظات – أوردتها ورقة أكتوبر ومن الواضح انها للصالح العام •• ولنصردها لكى نتبين حدودنا :

١ – اننا نبنى ولا نهدم – نصحح ولا نحطم – وندعم كل ماهو ايجابى بقدر ما نصفى ماهو سلبى – نكشف الاخطاء فى غير مغالاة – وترفض كل محاولة لتركيز **الاضواء كلها على الجوانب السلبية حتى تختفى من الصورة كل الجوانب المشرقة** •

لقد تصور البعض : جزء منهم بطريق الخطأ وجزء آخر بطريق الخطيئة أن حركة التصحيح والانفتاح الاقتصادى هى انقضاض على الثورة – فركزوا وفى مغالاة وباخفاء لكل صور الجوانب المشرقة – التى غيرت نسيج المجتمع المصرى – واظهرت قوى شعبية عظيمة كان تأثيرها أو مصالحها هامشيا •

وكان الهدف الواضح هو ادانة النظام ... ولقد اوضحت ورقة أكتوبر بجلاء وحدة الثورة وأن حركة الاصلاح والانفتاح هى تصحيح لمسارها وليس شجبا لمبادئها •

وهنا حد للنقد ••

ولقد تصور البعض : ان الانفتاح الاقتصادى – وتشجيع القطاع الخاص والاستثمارات العربية والاجنبية – هونهاية للقطاع العام فركزوا تركيزا شديدا على سلبياته وبعض نواحى قصوره وانحرافه وحجبوا كل صورة مشرقة له •

وهنا تقول ورقة أكتوبر انما يحدث احيانا من انحرافات أو قصور فى الاداء لا يجوز أن يطمس فى اذهاننا الصورة الحقيقية لمنجزات القطاع العام ولكفاءة رجاله الذين شكلتهم تجربته بمئات الالاف من مديرين وخبراء وفنيين وعمال يعدون الان ثروة قومية تفيد بها البلاد ورصيدا ضخما فى بناء مستقبلها – بل اننا لنزيد على ذلك أنه الرصيد الضخم لمعاونة امتنا العربية وقارتنا الافريقية .

ان القطاع العام هو الذى دفع ثمن أخذنا بسياسة العمالة الكاملة وتثبيت الكثير من أثمان السلع لتكون فى متناول يد الجماهير ••

اننا هنا لا نشجب النقد فهو الضرورة الحيوية لاصلاح مسارات العمل الوطنى ولكن ما نرمى اليه هو عدم التركيز على الاخطاء وابرازها على حساب الايجابيات • اننا فى تصورنا للنقد البناء – هنا مثلا – نحب أن نعرض هذه الاراء لكيفية تحقيق العمالة الكاملة دون ارهاق القطاع العام – وان تعرض هذه الاراء بعملية وموضوعية أيضا لكيفية تثبيت اثمان السلع دون الوصول ببعض وحدات القطاع العام الى تحقيق خسائر • ان عرض هذه الاراء والبدائل لا تخدم فقط القطاع العام ولكن تخدم اهدافنا القومية – ونحن نرحب بكل ترحيب بكل الاراء التى تساهم فى حل هذه المعادلات الصعبة والاسهام بالفكر فيها •

٢ – ان ورقة أكتوبر تركز أيضا على حقيقة لها اتصالها بمجالات النقد فهى تقول ان كل الدول التى خاضت حروبا مثلنا لكى تحمى مستقبلها كله من العدوان تعرف ان فترة ما بعد الحرب تفرض تضحيات وجهدا ولا تقل عن تلك التى فرضتها الحرب ذاتها وعلينا اذا ونحن نواجه بمشكلات الحياة اليومية أن نتذكر دائما هذه الحقيقة وان ندرك ان الرخاء يحتاج منا الى عمل كثير وطويل وشاق ومع تقديرنا الكبير لكل من يدافع ويعمل على كشف الصعوبات التى تلاقيها الجماهير فى الخدمات – فيبدو أن البعض لا يذكرون دائما هذه الحقيقة ويركزون بشدة على بعض الصعوبات التى فرضتها فترة أعقاب حرب مكلفة •

الاخـــوة والزملاء ..

الايجابية الثانية – التى أمكن تحقيقها بالنسبة للصحافة ووسائل الاعلام •• هى تأكيد دورها كوسيلة جماهيرية قومية شرعية تمارس من خلالها جماهير الشعب حريتها فى ابداء الرأى – وفى الحوار المثمر بين مصالح فئات الشعب •• والسؤال هنا كيف يمكن تطوير هذه الايجابية لكى تؤكد الصحافة دورها ووظيفتها هذه •• ؟

ان القوة السياسية والاجتماعية للصحف هى فى مدى تعبيرها عن مصالح القوى التى تمثلها – وهى هنا تحالف فئات الشعب •• اننا لا ننكر أن كثيرا من الاراء تظهر فى الصحف دفاعا عن هذه المصالح ولكن فى الوقت نفسه لا يمكن القول ان هذا التعبير يتم بالنسبة لمجموع مصالح كل فئة وبطريقة منتظمة •• اننى أتصور مثلا بالنسبة لهدف زيادة الانتاج – أن تنزل الصحافة الى مستوى الفلاحين أنفسهم لتستطلع وتعرف وتعرض اراءهم بالنسبة لزيادة الانتاج الزراعى وأن تنزل بنفس الاسلوب الى العمال لتعرف مشاكلهم ازاء زيادة الانتاج الصناعى – وتنزل الى صغار الموظفين لتعرف آراءهم بالنسبة لثورة الاصلاح الادارى – لان كل ذلك فى النهاية سوف ينتهى اليهم – وسوف يتوقف

النجاح على مدى اقتناعهم وعلى مدى مطبقاته لارض الواقع التنفيذى .

واننا لنتطلع لمزيد من آراء المحبقين عن الطرق الكفيلة بأن تكون صحفاتنا المؤسسة الجماهيرية التى تعبر عن الحوار الصحى الحر بين مصالح فئات تحالف قوى الشعب العامل ..

وفى قضية الديمقراطية السليمة : أننى أتصور أن تفتح الصحافة أبوابها لمختلف الاراء من كافة المثقفين ـ ليس من المصريين فقط بل من كل العرب بحيث تصبح الصحافة ميدانا لعرض كل الاراء من مختلف الجهات .

اننا فى هذا المجال نرى ميدانا كبيرا للتعاون بين الاتحاد الاشتراكى العربى واعضائه وأماناته وبين الصحافة . وفى هذا المجال أيضا أرى ميدانا كبيرا للتعاون بين الصحافة وبين قادة الجهاز التنفيذى ـ ليعالجوا مشاكل توفير أدوات الطباعة ولاثارة المواضيع والقضايا القومية ولد الصحفيين دائما وبصفة منتظمة بالخطوط السياسية للدولة فى كافة المجالات .

وبالنسبة لقضية سيادة القانون : فالقانون هو حامى الحرية وصمامها من حق الجميع ـ أن نصان أعراضهم وسمعتهم ومصالحهم ولا يشهر بهم عن طريق الاتهام الذى لم يرق الى مرتبة الاحكام القضائية النهائية .

وان لكل من واجه هذا الوضع ـ حق الرد فى نفس مكان الصحيفة لكى يتاح له حق الدفاع عن نفسه .

الاخوة والزملاء ..

اذا كانت هذه هى الايجابيات التى يجب تنميتها ـ والسلبيات التى أسقطت والتى يجب أن يوالى اسقاطها .. فان فترة الحرب المجيدة فى ٦ أكتوبر قد أضافت ايجابية عظيمة امتد تقديرها حتى الى خارج البلاد ـ ان الاعلام الصادق الامين البعيد عن المبالغة والملتزم بالحقائق قد اكد احترام الجميع لنا ـ ولا يجب أن نتنازل عن هذا المكسب الكبير . والآن لننتقل الى تصور دورنا المشترك فى الفترة القادمة فترة البناء والتعمير وفى تصورى أن خط اعلامنا فى هذه الفترة وسياستنا الاعلامية ـ من المصلحة العامة ان تتركز فيما يلى :

١ ـ ترسيخ وتأكيد عوامل النصر كما اوردتها ورقة أكتوبر وهى :

أ ـ الوطنية المصرية ـ التى لا تعرف التعصب أو التعالى والتى تعلو فوق الانقسامات الايديولوجية أو الفتن الطائفية .

ب ـ القومية العربية ـ باعتبارها حجر الاساس لوحدة الصف العربى ـ والعامل الرئيسى فى تحقيق النصر ـ وأساس التعاون ازاء متطلبات المرحلة القادمة فى مواجهة العدو ـ وفى التعمير والبناء .

ج ـ منجزات ثورة يوليو ـ حتى يعرف الشباب المعاصر مكانه من ملحمة النضال المستمرة فى سبيل التحرر والرخاء .

د ـ أسس حركة التصحيح ـ وعلاقاتها العضوية بثورة ٢٣ يوليو .

٢ ـ التركيز على اهداف ومهام مرحلة ما بعد ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية الحضارية الشاملة :

أ ـ التنمية الاقتصادية :

■ التركيز على أن زيادة انتاجنا الذاتى ـ هو حجر الاساس بالرغم من الاستثمارات العربية والاجنبية ـ وقيادة حملات زيادة الانتاج .

■ ايضاح صعوبات مرحلة أعقاب الحرب ـ وأن الرخاء يحتاج الى عمل كبير وطويل وشاق وعدم ايجاد آمال متسرعة تعطى ردود فعل غير مواتية .

■ نقد القطاع العام ـ نقداً بناء ـ واظهار أيجابياته كلما برزت ، وتدعيمه بالاراء لانجاحه باعتباره حجر الاساس .

■ تدعيم المناخ المناسب للاستثمار العربى والاجنبى وتنمية الوعى السياحى كمصدر دخل كبير .

■ ترشيد الاستهلاك ـ وتشجيع التصدير .

ب ـ التنمية الاجتماعية :

■ قيادة الحملات الشعبية ـ بالاشتراك مع الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للقضايا القومية فى التنمية وبالجهود الذاتية ـ وبجهود قومى شعبى (فى التعمير واعادة بناء الريف ومحو الامية .) .

■ فتح الباب لجميع الاراء الخاصة بسياسات التعليم وكيفية تطويرها .

■ قيادة الحملات للثروة الادارية ـ والنزول الى المشكلات على الطبيعه واستطلاع الحلول فى أعلى وأدنى السلم الوظيفى .

■ قيادة حملات اعلامية لتعاون شعبى بالنسبة للنظافة والرعاية الصحية .

■ استثمار الجهود النسائية ـ وعرضها وتشجيعها .

ج ـ بناء الانسان المصرى :

■ التعرض لقضيه الايمان وشرحها شرحا عصريا من مفاهيمه ـ ويساهم فى تعزيز الشخصية المصرية .

■ التعرض لقضية الايمان وشرحها شرحا عصريا من كتاب عصريين ومن قادة الدين لتثبيت مفاهيمها بالاسلوب السليم الذى يقطع على المتجرين بالدين استغلال الميل الدينى للشعب والانحراف ببعض الشباب .

■ التعرض لرواسب الفكر الاقطاعى المتخلف والذى تظهر صوره فى كثير من أشكال الحياة المصرية ومفاهيمها والاستجابة لرياح التغيير لثورة العدل الاجتماعى والتحول من المجتمع الزراعى الى المجتمع الصناعى والاشعاع الحضارية لتطبيق العلم والتكنولوجيا واستخدام وسائل الاتصال والمعرفة الحديثة .

■ اعطاء أهمية خاصة لنشاطات الشباب واتجاهاتهم وأفكارهم متنفس فكرى للاجيال الصاعدة .

■ التركيز على أبواب تؤكد القيم الروحية والاخلاقية فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تسود المجتمعات الاخرى .

■ التركيز على الاحساس بالمال العام وتقديره والحفاظ عليه كقيمة لابد من ترسيخها فى نفوس الجماهير .

■ التركيز على الاسلوب التعاونى ـ كقيمة تراثية يمكن تطويرها حضاريا واقتصاديا والذى يبعث من التكامل الاجتماعى وتماسك الاسرة وسيادة مشاعر المحبة ونبذ الاحقاد .

الاخوة والزملاء ..

أريد أن أتعرض هنا الى موضوع بالغ الاهمية بالنسبة للاعلام والصحافة .. ان أعداء مصر وكمخطط ثابت وكما جاء فى صدر ورقة أكتوبر يريدون عزلها عن الامة العربية حتى لاتجد الامة العربية قيادتها الطبيعيه يعمدون دائما الى مخطط ثابت وهو نقل مركز الفكر العربى خارج القاهرة وهم يستهدفون كل وسائل الاعلام والصحافة والكتاب والنشر ، وليس هناك من وسيلة لاحباط هذا المخطط الاستعمارى ـ الا بتدعيم صحافتنا بحيث تعود وتأخذ طابعها العربى القومى وبحيث تصبح من حيث مادتها وشكلها موضع جذب القارىء العربى .. ان الابحاث الجادة والمادة الصحفية العميقة والتحليلات السياسية والابحاث الاجتماعية والمواد الادبية لقادة الفكر المصرى وهم كثيرون لا شك تشكل نقاط جذب كبيرة للقارىء العربى . كذلك فان أسلوب المبادرة الصحفية التى اشتهرت بها الصحافة المصرية من الضرورى أن تتغلب على أى أسلوب روتينى فالتفوق والسبق الصحفى لا زال يشكل فى كل وقت عناصر انجاح الصحيفة . أما

الناحية المادية من ورق وطرق طباعة حديثة واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى العمل الصحفى فان واجبنا هو توفيره لصحافتنا . ان نصر أكتوبر المجيد الذى أعاد للقاهرة مكانتها فى المنطقة وبين الامة العربية قد أتاح لاعلامنا وصحافتنا فرصة لا يجب تفويتها او عدم استثمارها لتثبيت مركز مصر الفكرى والاعلامى . ان الامة العربية تتطلع الان اليكم باعتباركم قيادتها الاعلامية الواعية الهادفة العارفة بمصالح أمتها ـ المعبرة عن الشعب المصرى وقدرات الامة العربية .

فلنعمل جميعا متكاتفين تحت قيادتنا الواعية الرشيدة بزعامة الرئيس البطل محمد أنور السادات .
والله يوفقنا جميعا لما فيه خير أمتنا والسلام .

■ الامين الاول للجنة المركزية

أيها الاخوة ...
نتقدم للسيد الاخ ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء بالشكر والتقدير على حديثه القيم والكلمة الان للسيد الدكتور احمد كمال أبو المجد وزير الاعلام ....

■ د . أحمد كمال أبو المجد

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد هذه الكلمة الشاملة من السيد نائب رئيس الوزراء ممدوح سالم .. أجد نفسى فى غنى عن طرح كثير من المسائل المتعلقة بتفصيلات مهمة وسائل الاعلام فى المرحلة المقبلة ..... لذلك اقصر حديثى على بعض المسائل التى اجدها اساسية بالنسبة لمهام وسائل الاعلام والتنسيق بينها فى المرحلة المقبلة .

هذا الاجتماع تشارك فيه مؤسسات ثلاثة :

المؤسسة الاولى : التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى)

المؤسسة الثانية : وزارة الاعلام ممثلة لجهد الهيئة التنفيذية فى العمل الاعلامى .

المؤسسة الثالثة : الصحافة بدورها السياسى والاجتماعى والفكرى .

الذى ينبغى أن نستقر عليه قبل الحديث أن هذه المؤسسات يتحتم على كل منها عمل المؤسستين الاخريين وانه لا يمكن أن يكون بينها انفصال الا اذا ساد مفهوم خاطىء نعلم انه لا يسود وهو امكان انفصال مؤسسة من المؤسسات عن المجتمع وليس بمانع من توكيد هذا التلاحم والترابط .. أى حديث عن الحرية فحرية الصحافة مثلا هى ضمان للصحفى كانسان وانما للمواطن كمواطن يراد له أن يشارك كضمان له فى أن يتلقى كلمة حرة فى أمن وأمانة وموضوعية وهذه الضمانات كلها ومنها حرية الصحافة هى وسائل لاهداف ، والهدف الذى لا هدف وراءه هو خدمة الجماهير فى المجتمع ، ومن ثم فان الحرية وأن الديمقراطية وأن سيادة القانون كل أولئك وسائل لاهداف هى خدمة المجتمع وخدمة الجماهير ومن هنا كان مدخلا سليما وطبيعيا ما قدم به السيد النائب ممدوح سالم فى حديث حول أهداف المجتمع فى هذه المرحلة فلا تستطيع الصحافة ولا يستطيع الاعلام ولا يستطيع بطبيعة الحال تنظيم سياسى ان يحدث خطاه على الطريق الا اذا تبين فى وضوح تام طبيعة المرحلة التى يناضل ويجاهد ويعمل فيها .

المرحلة التى نعيشها تتميز فى خصوص العمل الاعلامى بأمور ثلاثة :

الامر الاول : أن مصر تتهيأ لمواجهة طموح الامة فى المستقبل وهو طموح له جانبان ، جانب الامل ومشروعات البناء وجانب العمل قضاء وتحقيقا للكثير من المشاكل التى لم يفرغ بعد من حلها لانها كما نقول ان ٦ اكتوبر لم يقض بضربة واحدة على كل مشاكل المجتمع المصرى وانما كسر الحاجز النفسى والسياسى والى حد كبير الاقتصادى الذى كان يعوق مسيرة الانسان المصرى لحل مشاكله .. جعل رأسه أكثر ارتفاعا .. جعل نفسه أكثر أملا .. جعل طاقاته أكثر تحررا وهى تندفع لمواجهة مشاكل البناء .

الامر الثانى : الذى تتميز به هذه المرحلة أن هذا العمل كله يتم فى اطار من الحرية ، والحرية مناخ قبل أن تكون نصوصا واجراءات .

الذى لا شبهة فيه من منصف واحد ، أنه منذ مايو سنة ١٩٧١ ، منذ حركة التصحيح ، وعلى خطى متعاقبة متطورة صار مناخ الحياة فى مصر أكثر حرية بشكل ما يحمله هذا التحول فى المناخ من ضمانات ومن ظروف للعمل أكثر صلاحا .

الامر الثالث : ان مصر قد صارت لها مكانة دولية جديدة وصار لها وللعرب جميعا تأثير فى العالم تجاوز حدود كل الظنون بل تجاوز حدود كل الامال فمن هنا فان العمل الاعلامى ينبغى ان يلتفت الى هذا الامر التفاتا خاصا على أساس أن تدعيم مكانة مصر الخارجية ثقافيا وفكريا واقتصاديا كل ذلك ينعكس على قدرة العمل الوطنى فى الداخل وعلى سرعة حركته بما يوفره له من الطاقات سواء كانت طاقات تأييد سياسى أو تأييد اقتصادى أو غير ذلك مما تسهم به السمعة الدولية والمكانة الدولية فى تكوين وتدعيم الحركة الداخلية .

فى مهام البناء الداخلى لابد أن نقف عند قضيتين أراهما أهم القضايا ...

القضية الاولى : بناء الانسان وهى قضية الاهتمام بها قديم ولكنه ازداد وضوحا وتحديدا وعقد لها فصل خاص من فصول ورقة أكتوبر .. ولا شبهة فى أن أجهزة الاعلام على اختلافها وتنوعها والصحافة فيها تساهم بدور أساسى فى بناء الانسان على القيم والعادات والافكار والخبرات التى تجعله أكثر قدرة على تحقيق الامال الوطنية فى أقصر مدة ممكنة وبأقل جهد .. هذه اذن مهمة أساسية .

القضية الثانية : هى التنمية الاقتصادية والانتاج الاقتصادى على العالم العربى والعالم الخارجى فلا شك أن النتيجة عندنا فى ظروف المعركة والاعداد لها لم تكن تسير بالمعدل الذى ينبغى أن تسير عليه لتوافق ما نأمل فيه من طموح هائل مما اقتضانا أن ننفتح وأن نتكامل مع الاخوة العرب ، ولكنه يقتضينا فى المقام الداخلى أن نوجه طاقات الشعب المصرى الى التنمية والى كل ما من شأنه أن يزيد الانتاج وأن يحسنه نوعيا .

هذه عينة من القضايا الرئيسية الموضوعية التى ينبغى أن تكون شاغل الاعلام فى هذه المرحلة واسمحوا لى أن أقول كلمة استهل بها حديثى عن أجهزة الاعلام والصحافة :

اولا : نحن هنا فى اجتماع عائلى لا انفصال فيه تحت أى شعار من الشعارات او دعوى من الدعاوى .. الصحافة شريكة وأهلها يعرفون ذلك والاعلام شريك والعاملون فيه يعرفون ذلك ، والتنظيم السياسى قائد لحركة المجتمع سياسيا والكل يعرفون ذلك أو يجب أن يعرفوا ذلك . اذن لا نستطيع أن يكون حديثنا هذا بأى حال من الاحوال منطلقا من رؤية فئوية أو موقف فئوى .. ضخامة المسئولية تقتضينا جميعا أن نتجاوزه .. احب قبل أن اقول كلمة عن الاعلام

الحكومى أن أقول كلمة عنه .. نحن أحيانا ننتقل من النقيض الى النقيض ، من النقيض فى تنظيم الذات والعجز عن رؤية العيوب الى النقيض فى تعذيب الذات والعجز عن رؤية الجوانب الايجابية .. أقول ذلك وأنا مشتغل الى آذنى بمسائل الجهاز الاعلامى ، تطويرا له وتحديثا لكل ما تشتغل به كل الاجهزة حتى يصل الاداء الوطنى الى نفس المستوى الذى وصل اليه المستوى العسكرى فى أكتوبر ولكنه خطأ فاصلا لا ينبغى أن يعبره أحد لا من العاملين فى الاعلام ولا من العاملين فى التنظيم السياسى ، ولا من العاملين فى الصحافة لان عبوره تخلى بقصد أو بغير قصد عن المسئولية .. هذا الخط هو كما قلت ورقة أكتوبر أن نلتزم برؤية المسالب موضوعيا وأن نتصدى لها فى شجاعة وصراحة ولكن أن تصور الصورة كما لو كانت كلها سوادا فذلك تجنى وذلك ظلم وله أثر نفسى سىء على العاملين فى أى حقل من الحقول لانه يصور لهم أن الطريق مسدود وأن الامل ضعيف وأن الفشل مقضى به فيتردد من كان عازما على العمل ويعرض من كان مقبلا وتضيق نفس ويذهب حماس من كان مستبشرا متحمسا للعمل . وأحدد .. جهاز الاذاعة والتليفزيون يتعرض الان لنقد ونحن ننقده من الداخل لتطويره لكى يصل الى هذا المستوى المرتجى المطلوب ولكن أن يتجاوز الامر علاج المشاكل الى التسلى على حسابها أظن ذلك غير مقبول من أى منطق بحال من الاحوال .. نحن نعرف أن النقد مطلوب وأن المسئول فى موقع قد يعجز عن رؤية العيب واذا رآه قد يغطيه واذا رآه ولم يغطيه قد يتقاعس فى اصلاحه ومن هنا فان الكلمة الحرة من أى منبر من المنابر هى هادية ومرشدة ومصححة ولكنها ينبغى أن تساق بحيث لا تنقلب من كلمة حفز وتشجيع الى كلمة تيئيس وتبسيط ، وهذا التيئيس والتبسيط يأتى من أحد بابين .. حجم النقد أو نوع النقد .. اذا كنت لا أفتح صحيفة من الصحفات فى أى جريدة من الجرائد الا وأجد نقدا بالغ الشدة أخشى أن يؤدى هذا التناقض الكمى الى تأثير نوعى بحيث نترك الاصلاح يأسا منه أو تصورا اننا نعجز عنه ، أحيانا بعض النقد أيضا يتجاوز النقد الى ما يصل الى الاساءة والتجريح .. بعض ذلك مقبول حين يتعلق بواقعة ، وحين يكون معنى التصحيح فيه واضحا ولكن فى بعض الاحيان يعبر هذا الخط وتكون له آثار سلبية بحيث يوشك الذين يمسكون بالاقلام طلبا للاصلاح أو الذين يعملون بسواعدهم طلبا للتغيير أن يتولوا لا أمل ولا رجاء وأن توضع الاقلام وأن تخف الصحف وبذلك تتعسر مسيرة الاصلاح . هذه كلمة أراها واجبة النقد بطبيعته يتعقب السلبيات لان الايجابيات يعرفها كل واحد ولكن موقع المسئولية ولايقبل من أحد الا موقع المسئولية وأنا هنا من مقام الاخوة والمشاركة فى المسئولية أذكر نفسى وأذكر الأخوة الموجودين ان علينا ونحن نمارس النقد أن نراعى هذا المعنى والاننسى أنه الى جوار السلبيات هناك ايجابيات عديدة .. هذه الكلمة وجدت من الضرورى أن أقدم بها لتقييمى لحال أجهزة الاعلام ، ثم لتصورى لاصلاح هذا الحال :

أولا : أجهزة الاعلام فى أكتوبر أدت دورا وطنيا مشكورا .. كان الاعلام العربى والمصرى بصفة خاصة على مستوى من الموضوعية وكان بين يدى بالامس تقرير أرجو أن تتاح فرصة توزيعه على حضراتكم فى مناسبة عن الاعلام الاسرائيلى .. مناقشة دارت فى الكنيست عن الاعلام الاسرائيلى قارن فيها بين الاعلام العربى والمصرى والاعلام الاسرائيلى وقرروا فيها بكل فخر أن الاعلام العربى والمصرى كانا متفوقين تفوقا كبيرا عن الاعلام الاسرائيلى وانهم يعانون أزمة اعلامية حقيقية . اذن ونحن نمارس النقد بهدف الاصلاح ينبغى ألا يتجاوز مرتبة نقد الذات الى منطقة تعريب الذات .. بعد ذلك تصورنا فى جهاز الاعلام ومهمة



د. أحمد كمال أبو المجد

الاعلام بسيط جدا .. ان أجهزة الاعلام مطالبة بثلاث مهام رئيسية :

المهمة الاولى : المساهمة فى تربية الانسان الجديد وذلك أن يكون لاجهزة الاعلام مع الصحافة والتنظيم السياسى رؤية موحدة لطبيعة الانسان الجديد الذى يراد له أن يقود العمل الوطنى فى المرحلة المقبلة وهذا ما سوف يصل بنا الى ضرورة التنسيق لانه بغير هذا التنسيق يمكن أن ينطلق التنظيم السياسى فى خط وأن تنطلق الاذاعة والتليفزيون ومصلحة الاستعلامات مثلا فى خط وأن تسير الصحافة فى خطوط متعددة فيكون الانسان المصرى الذى هو المستقبل لهذا ووعاؤه فى حيرة بين من يدعوه الى هنا ومن يشده الى هناك .

المهمة الثانية ، التى من أجلها نحتاج بحق الى استراتيجية عملية التثقيف لان التربية شىء والتثقيف شىء آخر .. فى عصرنا الحاضر لم تعد مهمة الكتيبات هى أداة التثقيف الوحيدة فان الصحافة والتليفزيون والاذاعة صارت وسائل للتثقيف من الطراز الاول لانها صارت أكثر ملاءمة لروح العصر وسرعته وحركته وتعدد مشاغل الناس ومشاكلهم .. ومن هنا فان استراتيجية التثقيف فى أجهزة الاعلام محتاجة الى مدارسة والى تحديد .

الامر الثالث : قضية لا نستطيع أن نغفلها وهى التى أشرت اليها من قبل .. الدور الخارجى ونحن فى أجهزة الاعلام حاليا مشغولون بهذه القضية .. قلنا بحق لمكاتبنا وأجهزتنا فى الخارج فتبين لنا وأنا أقول كلاما محسوبا مدروسا فى موضوعية انها قاصرة ، أقول قاصرة ولا أقول مقصرة .. قاصرة بتكوينها وبعدد الذين يعملون فيها .. وبالاجهزة التى تعمل بها وبالمواد الاعلامية التى تصل اليها، وبالتمويل الذى يصلها وبدرجة التنسيق مع الشعارات ومع التنظيم السياسى .. هى قاصرة يقينا عن أن تؤدى الدور الكبير الذى نتطلع الى أدائه فى الخارج .. خصوصا وان المعركة كما يقول الرئيس السادات باستمرار وكما تقول ورقة أكتوبر انها صراع أجيال لم ينته بعد .. على سبيل المثال اسرائيل التى خرجت من افريقيا تدبر الان للعودة .. اسرائيل التى انكسرت أمام التضامن العربى تدبر لتفتيت التضامن العربى .. اسرائيل التى خسرت جولات متعددة فى الرأى العام العالمى تعمل جاهدة لكسب الرأى العام العالمى .. اذن يلزمنا أن نتحرك بسرعة ولايجوز أن نعتمد على منجزات اكتوبر ونتصور أننا نستطيع أن نعيش عليها بلا عمل جديد لمدة طويلة فى الميدان الخارجى الامر ملح وعاجل ، ولابد من تدعيم جهاز الاعلام الخارجى .

تبقى قضية وهى قضية الترويح .. هذا المجتمع النامى فيه يعملون ، ونطالبهم بمزيد من العمل ، ومن حقهم أن يستريحوا وأن يمرحوا وأن يروح عنهم بعد أيام عمل هى شاقة ونريدها أكثر مشقة بمهام المرحلة المقبلة . أذواق الناس فيما يتصل بالترويح متباينة، ولو تلوت على حضراتكم عينات من الخطابات التى تصلنى من الاسكندرية الى أسوان

فيما يتصورونه اصلاحا لاجهزة الاعلام لوجدتم خليطا متناقضا فاعذرونا اذا تباطأنا قليلا حتى نستجيب لهذه المطالب وحتى يتحقق ترويج بروح حقيقية ولا يضيع قيمة من القيم الاساسية لهذا المجتمع . اذن هناك جهد يبذل حاليا فى أجهزة الاعلام ٠٠ لكى تكون لها الاستراتيجية والذى تحتاج اليه والذى من أجله عقد هذا اللقاء هنا ، هى ايجاد الصيغة التى يتم بها التنسيق بين حركة التنظيم السياسى ٠٠٠ وحركة الاعلام الحكومى وحركة الصحافة فى هذا الميدان .

والامثلة على ما يمكن أن تؤدى اليه اختلافات الرؤيا عديدة وسوف أضرب مثالين واضحين فى قضايا مصيرية سياسية فى المقام الاول اذا أردنا مثلا أن نتناول العلاقات المصرية الليبية وهذه قضية بالغة قطعا هناك حرية صحافة وهناك أجهزة اعلام وهناك تنظيم سياسى ما لم يحدد التنظيم السياسى مع الاعلام الحكومى مع الصحافة التى أكرر بأنها حرة لكنها ليست منفصلة عن المجتمع ٠٠ وما لم يقم به صحفى واحد وأنا أعلن هذا انه ما لم نحدد ماذا نريد ٠٠ هل نريد وحدة مع ليبيا أم لا نريد ٠٠ وما هى درجات النقد ودرجات الالتزام الواجب بالموضوعية وما هى درجة التصدى للرد على شىء والسكوت على شىء آخر ٠٠ ما لم تحدث رؤيا مشتركة لحجم الخطر الذى يأتى من انفصام الوحدة فان التخبط يمكن أن يصيب تلك القضية .

كذلك الحال بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية ما لم تكن هناك رؤيا للموقف السياسى الرسمى لمصر الذى يجب أن يخدم بوسائل شتى ٠٠بالتنظيم السياسى والاعلام الحكومى والصحافة ، فانه من الممكن أن اختلاف الاصوات والتناقض فى الحركة والتناقض الغير محسوم للحركة يمكن أن يؤدى الى الاضرار بالمصالح الوطنية للجماهير والتى هى أساسا القيد الوحيد على حركة الحكومة وعلى حركة التنظيم السياسى وعلى حركة الصحافة ٠٠ فى جو الحرية رفعت الرقابة وبعض الناس يكررون ذلك ولا يصدقون ٠٠ ولكن الصحفيون يعلمون هذا بما فيه من صدق وانا اعلم كذلك ٠٠ وكم من الاخبار لا نقرأها الا فى الصباح ولا نعلم بها الا من الصحف ، وكم من الاراء نرضى عنها وكم من الاراء نسخط عليها دون أن يكون ذلك الرضا وذلك السخط مرتب النتائج ٠٠ ان الصحافة من ناحية الرقابة أصبحت حرة لكن الرقابة تقتضى شيئا من التشاور وهذا يتم الان بطريقة غير مقننة بين وزارة الاعلام وبين الصحافة فى صورة أحاديث تليفونية ولقاءات ثنائية جماعية ولكننى أقرر انه لم يحدث بعد التنسيق الواجب المقنن الذى يشارك فيه التنظيم السياسى مشاركة ضرورية وكافية ٠٠ ومن أجل ذلك على ما أتصور دعى السيد الامين الاول مشكورا لهذه الجلسة . اذن القضية المطروحة هى ضرورة التنسيق أو صيغة التنسيق بين الصحافة المسئولة الحرة المرتبطة بالمجتمع وبين الاعلام الملتزم بأهداف المجتمع الذى يشغل نفسه الان لاستيعاب هذه الاهداف وترجمتها فيما يقدمه من مواهب وتحديد نفسه فان الاعلام اذا ما صحت نوعيته لابد وأن يصل صوته ويصل تأثيره وأن يستخدم لهذا الوصول أكفأ الوسائل الفنية الحديثة وهذه هى القضية المطروحة عليكم ولا أريد أن أطيل أكثر من هذا حتى تكون الجلسة جلسة حوار لا جلسة القاء من جانب واستماع من جانب آخر ٠٠ ومرة اخرى أشكر هذا اللقاء وشكرا للسيد الامين الاول للجنة المركزية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠

■ الامين الاول للجنة المركزية

أقدم باسمكم الشكر للاخ الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام ٠٠ وسيتولى الان الدكتور رفعت المحجوب أمين الفكر والدعوة والشئون الدينية باللجنة المركزية قيادة الحوار حول موضوع الاجتماع .

■ د . رفعت المحجوب

سيداتى سادتى ٠٠

الحق ان الكلمات الممتازة التى استمعنا اليها من السادة الافاضل المتحدثين قد كفتنى الحديث عن كثير من الموضوعات كما كفتنى الخوض فى موضوعات أخرى ٠٠ والحق أيضا اننا مازلنا نأمل فى الاتحاد الاشتراكى فى علاقة أوثق بين وسائل الاعلام والتنظيم السياسى ذلك ان مثل هذه العلاقة لاشك تخدم الاهداف المشتركة لجميع الاجهزة فى دولتنا التى قدر لها انتعيش فى المرحلة الحالية جزءا من أهم أجزاء تاريخنا الطويل ٠٠ولاشك ان مثل هذه العلاقة الوثيقة التى مازلنا نأمل فى تدعيمها تتطلب منا دائما أن تصدر عن فكر موحد كما تتطلب أيضا أن نلتقى بصفة دورية لنتبادل الراى فيما يجرى من أحداث وفيما يصدر من أفكار ومشكلات وفى حدود هذا الامل فى علاقة أوثق ٠٠ فى علاقة تصدر عن فكر موحد الأذن لنفسى ان أتحدث عن بعض النقاط بصورة مختصرة .

أولا : ان أجهزة الاعلام وهذا منطقى وطبيعى ملتزمة بأهداف المجتمع ، فلاشك فى أن مختلف اجهزة الاعلام يجب أن تنزل دائما عند اهداف المجتمع . وعندما جاءت ورقة اكتوبر فأوضحت بما لا يدع مجالا لشك أو لتشكيك أهداف المجتمع الذى نعيش فيه ٠٠وأوضحت ان هذا المجتمع ملتزم تماما بفلسفة التحالف فليس من قصدنا اطلاقا أن ننقل مجتمعنا من سيطرة طبقة الى سيطرة طبقة أخرى أيا كان بل ان القصد هو أن تنتقل السلطة الاقتصادية والسياسية الى تحالف قوى الشعب العاملة مجتمعة أى الى الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية دون أن تحاول أبدا اسقاط واحدة من هذه القوى وبدون أن نسمح لاى منها أن تتحول الى طبقة مسيطرة . فى كلمة فلسفة التحالف تعنى أن تنتقل السلطة كلها الى قوى التحالف مجتمعة على أن يكون ذلك على أساس العدالة وعلى أساس مبدأ التعايش السلمى بين هذه القوى وعلى أساس تذويب الفوارق التى تقوم بينها بالطرق السلمية والديمقراطية .

والخط الثانى الذى أوضحته ورقة اكتوبر هو خط الحرية والديمقراطية ٠٠ وأنا لست فى حاجة الى القول بأن حركة التصحيح انما قامت من أجل هذا المعنى وبصفة أساسية من اجل هذا المعنى وبصفة خاصة من أجل اسقاط التناقض المصطنع بين الحرية والاشتراكية ومن أجل اسقاط جميع القيود والاجراءات الاستثنائية التى تقيد حركة القوى الحقيقية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهذا المعنى هام جدا فى فهم مختلف السياسات الاقتصادية والاجتماعية بعد حركة التصحيح ٠٠ فالقصد من حركة التصحيح هو اسقاط كل القيود التى تعوق نشاط القوى الحقيقية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ٠٠ ولكن الحرية التى نتحدث عنها لا يمكن أن تكون مطلقة دون قيود والا لكانت نوعا من الفوضى .

والحق ان حرية الفرد انما تنتهى حيث تبدأ حرية الاخرين وحيث تبدأ مصلحة المجتمع وعلى ذلك فان تنظيم الحرية يفترض دائما عددا من القوانين واللوائح وهو التعبير المألوف « الحرية فى حدود القانون » .

لذلك نجد الدستور دائما يميل الى القوانين ويحدثنا عن الحرية فى حدود القوانين .

وهذا قيد قانونى كما تعلمون ولكن هناك قيدا آخر وهو قيد سياسى وهو ما يعرف بالحرية المسئولة ٠٠ ونقصد

بالحرية المسئولة أن نقيم الذى يمارس الحرية من نفسه حكما على نفسه فى ضوء المصلحة العامة بمعنى انه قد يجد ممارس الحرية انه ليس من الصالح العام أن يستخدم كل الحرية التى أعطيت له فى حدود القانون • ونستطيع القول أن نؤكد انه كلما نمت فكرة الحرية المسئولة وهى فكرة سياسية كلما ضمر القيد القانونى المفروض على الحرية أى كلما ضمرت فكرة الحرية فى حدود القانون وكلما تقدم المجتمع كلما تقدمت فكرة القيود السياسية على الحرية وتأخرت فكرة القيود القانونية على الحرية ولذلك فان وسائل الاعلام تخدم قضية الحرية فى مصر اذا هى استوعبت كما ينبغى •• وأنا أعلم انها تستوعب ذلك تماما •

فكرة الحرية المسئولة أى فكرة القيود السياسية فى ممارسة الحرية اذا أقمنا من أنفسنا حكما على أنفسنا فاننا لن نعطى الفرصة للقيد القانونى تثقل كاهل الممارسة ، ولذلك فان وسائل الاعلام مدعوة حقا خدمة لقضية الحرية أن تمارس بنفسها فكرة الحرية المسئولة وهذا معنى حرصت أن ألقى عليه ضوءا • نظرا لاهميته فيما يتعلق بمستقبل الحرية والفرصة التى أعطتها حركة التصحيح والتى أعطاها أنور السادات لقضية الحرية فى مصر فرصة لا يصح أن تفلت منا أبدا وانما يجب ان نعيها ونحفظ حدودها وأن ندعم معنى الحرية المسئولة حتى نستطيع حقا أن ندعم الحرية فى مصر وان نحصنها من أى محاولات قد تطرأ لا قدر الله وقد تعرض مستقبل الحرية للخطر فنحن مطالبون اذن ان نقيم من أنفسنا حكما على أنفسنا حتى نحسن ممارسة الحرية وحتى تستقر قواعد الحرية فى هذا البلد •

والنقطة الاخرى التى ركزت عليها ورقة اكتوبر ووجدت فيها الضمان والامل هو أن نصنع الانسان الجديد ولقد تحدثت عن هذا الموضوع الاساتذة الافاضل الذين سبقونى فى الحديث وانما أود أن أشير الى بعض النقاط البسيطة بقضية بناء الانسان الجديد حتى تتضح لنا أهمية وسائل الاعلام فى هذا المجال على وجه الخصوص ، اننى لا اريد أن أطوف فى نقاش تقليدى كثيرا ما طال حول كيفية بناء الانسان الجديد ، وهل بناء الانسان الجديد يبدأ من تغيير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ثم تنعكس هذه الاوضاع الجديدة فى الوعى والادراك أم هل يبدأ بناء الانسان الجديد بتغيير العقل والضمير ثم ينعكس ذلك فى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية : ان هذا نقاشا طويلا اسهم فيه الفلاسفة وعلماء الاجتماع والتاريخ ولا أريد أن أضيع الوقت فى مثل هذا النقاش الطويل وانما أريد فى الحقيقة أن أنبه الى اننا ناخذ بالامرين معا •• ففى الوقت الذى بدأنا فيه تغيير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية على النحو الذى تعرفونه بدأنا أيضا فى تغيير العقول والسلوك والتربية عن طريق التوعية والارشاد •• ولاشك ان وسائل الاعلام يمكنها أن تلعب فى الميدانين دورا حاسما فهى يمكن أن تغير الانسان عن طريق التوعية بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة •• ويمكن ايضا ان تغير الانسان عن طريق التركيز على العقل والادراك والسلوك ، ولاشك ان وسائل الاعلام مطالبة وخاصة مع ازدياد العبء على وزارة التربية والتعليم والجامعات مطالبة بان تؤدى دورا حاسما فى قضية بناء الانسان الجديد وهنا يجب أن تلتزم وسائل الاعلام باهداف المجتمع بالصورة التى يريدها المجتمع لهذا الانسان الجديد • فالانسان الجديد انسان عربى ومصرى متحضر مطلوب منه أن يقيم حضارة جديدة وأن ينقل عن التقدم الذى حدث وأن يطوعه وأن يساهم فى التقدم وأن يضيف اليه • هذه صورة عرضتها ورقة اكتوبر وهذه حقيقة واذا أردنا ترجمة هذا الحديث الى أوصاف للانسان الجديد فاسمحوا لى أن أقول انه انسان الابعاد المتعددة



د• رفعت المحجوب

فليس هو انسان البعد الواحد أيا كان هذا البعد فى هذا الانسان يجب أن يرسخ البعد الدينى والبعد العلمى والبعد الاجتماعى والسياسى حتى يأتى لنا انسان متوازن متكامل يستطيع القيام بأعباء الحضارة التى يفكر فى قيامها • ثم تاتى قضية كثيرا ما شغلت المفكرين هنا فى هذا البلد وأثارت خلافات كثيرة بينهم وهى قضية الانفتاح الاقتصادى معناه •• ماذا نقصد منه وماذا نريد من وسائل الاعلام •

أما قضيه الانفتاح فكما قلت لحضراتكم منذ لحظة تتفق مع فلسفة التصحيح التى لم تكن الا رفعا للقيود وللاجراءات الاستثنائية التى ثقلت كاهل القوى الاقتصادى والاجتماعية الحقيقية فجاءت تخفف عنها الاعباء التى حدث فيها وتسمح لها بالانطلاق سواء فى المجال السياسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى •• لذلك فان قضية الانفتاح تتسق مع فكرة التصحيح ، واضيف الى ذلك انها تتسق مع فكرة التحالف •• والتحالف كما قلت قائم بين عناصر حقيقية لا نستطيع اسقاط واحد منها قائم بين الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية •• فاذا كانت فلسفتنا تتلخص فى اعطاء الفرصة لجميع القوى الحقيقية لان تعمل فالانفتاح الاقتصادى ينسجم تماما مع هذه الفلسفة •• ليس القصد بالانفتاح الاقتصادى هو تغيير نظام بنظام او تغيير فلسفة بفلسفة وانما هو تدعيم للقوى الحقيقية الاقتصادية والاجتماعية حتى تعطى نتائجها المطلوبة منها والتى تلزم فعلا لاقامة المجتمع الجديد والدولة العصرية •• وهنا أشير الى تعبير على جانب كبير من العمق لاستاذنا الدكتور خلاف حينما قال ليس الانفتاح الاقتصادى فلسفة جديدة وانما هو مجرد سياسة جديدة القصد منها اطلاق القوى الحقيقية كما قلت لحضراتكم نحو التقدم •

اذن على وسائل الاعلام ان تقدم للرأى العام الانفتاح الاقتصادى على انه سياسة جديدة تتفق مع فلسفة التحالف •• تلك الفلسفة التى تقوم على تجميع كل القوى الحقيقية • ليس التاريخ مجرد صراع متناقضات ، بل صراع الى الابد ولن يكون كذلك وانما هو صراع وتصالح وتعايش سلمى وفلسفة التحالف فى مقابل فلسفة الطبقة هى فلسفة التعايش السلمى بين القوى الحقيقية الاقتصادية والاجتماعية والانفتاح ليس الا احدى السياسات التى تخدم فلسفة التحالف على النحو الذى عرضته على حضراتكم على وسائل الاعلام أن تنقل هذا المعنى الى القراء والى سامعيها عليها ألا تبالغ فى النتائج المنتظرة وفى سرعتها •• فان تغيير السياسات يأخذ وقتا وترتيب النتائج ياخذ وقتا أكبر ولذلك يجب علينا ونحن نقدم الانفتاح الا نصور ان المسائل سائرة غدا الى كل ما نشتهى •• أردت من هذه الكلمات أن أطلعكم على بعض ما نفكر فيه ذلك ان من حقنا جميعا أن نفكر معا ونتبادل الرأى معا ونصدر عن وحدة فكرية •

وهذا هو الذى دفعنى ان اعطى بعض الضوء على بعض الافكار وشكرا لحضراتكم .

والان الحديث مفتوح لمن يرغب ..

■ ابراهيم يونس [صحفى باخبار اليوم]

لقد استمعنا الى المنصة ساعة ونصف تقريبا فهل ستسمعنا المنصة ساعة ونصف .

ارجو ذلك ليس لى فقط وانما للجميع .. اريد ان يكون هنا حوارا حرا بناء ديمقراطيا من أجل مصر ومن أجل تحالف قوى الشعب العاملة .. يذكر الصحفيون لهذه القاعة انهاكانت منبرا شريفامن منابر الحرية والديمقراطية فى السنوات الثلاث الاخيرة وفى هذه القاعة ارتفعت اعلى الاصوات فى مصر بالنقد ضد كل الاوضاع ولم تغضب الدولة او الاتحاد الاشتراكى بها وهذه ايجابيةنذكرها لهذه القاعة ولقادة الاتحاد الاشتراكى قبل حرية الصحافة او قبل ما يسمى بحرية الصحافة ونحن الصحفيين نذكر للاتحاد الاشتراكى مواقفه النبيلة من أجل عودة الصحفيين مرتين الذين نقلوا من مواقعهم حيث كانوا يحملون الاقلام الى مواقع أخرى بعيدة عن هذه الاقلام .

نذكر لهذه القاعة هذه المواقف النبيلة .. ولقد عاد الصحفيون فى عهد السادات مرتين وكانت المرة الثانية قبل حرب التحرير مباشرة وكانت هذه العلاقة دليل الصحة على ان حرب التحرير اتية وهى الدليل على جمع الصفوف وتوحيد الصف الوطنى . وانى اتوجه الى السيد الدكتور وزير الاعلام كصحفى شاب من جيل الشباب المطحونين فى ظل الثورة وفى ظل الاشتراكية اتوجه اليه بقضية مهنية اولا لماذا لم يصدر تشكيل المجلس الاعلى للصحافة .. ولماذا لم تصدر لائحة للصحفيين يتعاملون بها داخل المؤسسات الصحفية .. وما هى الضوابط لرؤساء مجالس الادارة لتصرفاتهم وكيف يتصرفون مع كل تقديرى لهم .. وما هى حقيقة العلاقة بيننا وبينهم ؟

انكم تتصورون يا سادة بأن الصحفى الشاب حينما يلتقى بكم هو فى اى موقع حر تماما فى كل ما يكتب وفى كل تصرفاته وأنا أقول لكم كواحد منهم اننا لسنا أحرارا تماما فيما نكتب ولا من السلطة ولا من الدولة . نحن لا نحس بهم ولكن من القيود المفروضة علينا داخل مؤسساتنا الصحفية فمثلاحرية الصحافة التى تحدثنا عنها اليوم والتى سنتحدث عنها طويلا من الذىيمارسها فى مصر .. وكم صحفىيكتبون فى السياسة فى مصر ؟ مصر الـ ٣٧ مليون فرد ـ مصر بعد العبور العظيم ـ مصر المنتصرة .. كم صحفى يكتبون فى السياسة ؟ خمسة او ستة صحفيين ، وفى مصر ١٨٠٠ صحفى مسجلون فى النقابة ولا يكتبون ـ لماذا ؟

هذه قضية نطرحها على التنظيم السياسى والتنفيذى والسيد وزير الاعلام وكنا نفضل أن يكون لنا لقاء مستقلا نحن شباب الصحفيين بالسيد الدكتور وزير الاعلام لنقول له ما فى قلوبنا ، ما هى الضوابط التى تحكم العلاقات داخل المؤسسات الصحفية ؟ ان الذى يدعونى ان اقول هذا اليوم واسف ان اقول هذا .. هو أن ادارة احدى المؤسسات الصحفية اعطت بالامس ٢٠٠ (مائتان جنيه) علاوة لمحرر .. هل فى عصر العبور .. فى عصر الاشتراكية يعطى مواطن ٢٠٠ جنيه علاوة . هل العبور هو العبور بمرتب واحد من الصحفيين من ١٥٠ الى ٣٥٠ ؟ رئيس الدولة يجوب الدنيا كلها والقروض تاتينا من الخارج ونحن نسرف ونبذر فى أموال الشعب المصرى .. اريد أن أعرف هل يعلم السيد الوزير الدكتور هذه الحقيقة اولا يعلمها .. وما رأيه فيها ؟ هذا بعض ما يجرى . ولن أقول أكثر من هذا فى المؤسسات الصحفية الان .

إن هناك مئات الصحفيين ممزقى النفس والروح فكيف يكتبون لكم . كيف يعبرون عن مشاكل الشعب وهم ممزقون عندما يعلمون أن واحدا منهم ولايعرفون لماذا حتى الان أن يتقاضى ٢٠٠ جنيه علاوة فى المجتمع الاشتراكى ومصر مازالت تعانى ونحن نطالب بربط الاحزمة على البطون .

انى اتصور أن هذا الحدث البسيط جدا لمحاولة لشق الصف الوطنى لان هذا الحدث يؤثر على جماهير الصحفيين فى مصر كلها .. هذا الواقعة حدثت عندنا فى أخبار اليوم وانى اقولها لامارس النقد الذاتى وفى جلسة عائلية كما قال السيد الامين الاول فى بداية حديثه نحن فى جلسة عائلية .. لا اقصد التشهير بأحد ولذلك لن أقول من هذا الصحفى .. انما هى واقعة ..

حرية الصحافة من الذى يمارسها فى مصر ؟ الحرية لمن فى مصر ؟ هل يمارس الفلاحون والعمال والمثقفون والمهنيون من كل قوى الشعب العاملة .. هل نستطيع ان نكتب فى الصحف رأيها .. ؟ لا سمح لاناس من خارج الوسط الصحفى ان يكتبوا فى الشهرين الاخيرين من هم ؟ مع كل الاحترام لهم .. مع كل التقدير لهم فهم « ناس قدام جدا طالعين من تحت التراب » يقولون كلاما بعيدا جدا عن آمال المجتمع .. وعن شريحة المجتمع وكلام بعيد جدا لا يشعرون انمصر مرت بعشرين سنة وان تعدادها الان سبعة وثلاثين مليونا .. وانها حققت انتصارات والذى حقق الانتصارات هو قوىالشعب العامل بالحرية التى أخذها بعد ١٥ مايو ..

سيادة الوزير الدكتور .. سيادة الامين ..

كنا نود ان نلتقى بكم قبل أن نلتقى الان ونتحدث معكم بصراحة ..

ان حرية الصحافة التى تقولون عنها ليست موجودة على الاطلاق .. واذا كان هناك بعض مقالات النقد التى اغضبت السيد الوزير عن احداث حدثت فى التليفزيون والاذاعة فان ما يجرى فى التليفزيون والاذاعة وما يجرى فى الصحف يحتاج الىكتب ومجلدات وعندنا الكثير ولكنى شخصيا وانا أقرأ كل الصحف لا اذكر اننى قرأت نقدا هداما او شديدا ضد التليفزيون والاذاعة .. حقيقة حدث نقد لبعض أجهزة الدولة فى الفترة الاخيرة مثل مسالة دودة القطن وهذه مسالة كانت تقتضى نقدا اشد من ذلك . نحن الصحفيون ابناء الاشتراكية والمدافعون عنها والذين تبذل حياتنا وسجنا قبلالثورة وبعدها دفاعا عن هذه الاشتراكية .. نقول اننا نريد مزيدا من الحرية للصحافة ، ليست الحرية للسادة الاساتذة .. اساتذتنا رؤساء مجالس الادارة فقط ورؤساء التحرير .. لا ، لكل العاملين فى الصحافة .. لابناء الشعب العامل .. للذين يحسون بالام الفلاحين والعمال وصغار الموظفين والذين تحدثتم عنهم اليوم .. نحن الذين نحس بهم لاننا نعايشهم فى كل لحظة .. لاننا ناكل ما ياكلون ونشرب ما يشربون ونركب المواصلات السيئة معهم ونحس بما يقولون . ولكن الحرية للاسف معطاه لاربعة او خمسة من الاساتذة الفضلاء الاجلاء الذين نحترمهم ونبجلهم ولكننا نقول اليوم انهم اصبحوا فى مرتبة طبقية لا يمكن أن يحسون منها تماما بالام الشعب والام الجماهير . اننا نريد الحرية لنا جميعا نحن أبناء الشعب نحن الصحفيين الشباب وبعد ذلك حاسبونا ويحاسبنا التنظيم السياسى فقط وليست اية جهة أخرى وهذه هى الحرية المسئولة التى اتصورها .. حرية ابناء الشعب عندما يكتبون عن الشعب وآمال الشعب وعندى الكثير ولكن المقام لا يتسع فاترك لغيرى والى لقاء آخر مع اى مسئول يريد أن يعرف الحقيقة .

والسلام ..

■ د . رفعت المحجوب

اننى اقدر البواعث التىدفعت الاستاذ ابراهيم يونس الى هذا الحديث ولكن هناك ملاحظة بسيطة تتعلق بتحديد

المقصود بحرية الصحافة .. فليس من الصالح أن نحمل كل القضايا الصحفية على حرية الصحافة .. ولذلك اذا حدثت اخطاء ادارية داخل جريدة من الجرائد فان ذلك يمكن أن يناقش مع رئيس هذه الجريدة لانها قضية اخطاء ادارية او قضية ادارية تخص كيفية ادارة هذه الجريدة ولذلك ارجو أن نحصر موضوعاتنا في حدودها الواضحة .

عندما نتكلم عن حريه الصحافة .. القصد هو أن السلطة لا تحول دون الكتاب وابداء ما لديهم من آراء .. بمعنى الا يوجد رقيب من السلطة يحد من قدرة الكاتب على الكتابة والتحرير .. اما اذا كان هناك رئيس تحرير متعسف يمنع كاتب من الكتابة فاننا لا نستطيع أن نقول ان هذه قضية حرية الصحافة ويسال عنها المجتمع ..

ان هذه قضية ادارة الصحيفة وبهذا المعنى يمكن أن تطرح ..

اردت أن اقول هذه الملاحظة لاوضح الموضوع .

■ د . فؤاد محيي الدين

لم أكن اريد انأقحم نفسي في هذا الموضوع خصوصا في حضور الدكتور ابو المجد الوزير المختص انما الحقيقة انني اخالف الدكتور رفعت المحجوب رايه بالكامل فيما اثاره حول حديث الاخ ابراهيم يونس لان حديث الاخ ابراهيم يونس تناول قضية .. أساسية وجوهرية هي قضية اليوم المطروحة في هذه القاعة ويمكن ان تطرح على الوجه الاتي - لمن تتبع الصحافة في مصر ؟ من المسئول عن الصحيفة المصرية والمجلة المصرية؟ ولمن يلجا ابراهيم يونس اذا ما استشعر هووزملاؤه خروجنا عن الخط او اجحافا او ظلما يقع عليهم داخل الجريدة وبتعبير اوسع تعلم ان صحافة العالم تعبر من أجهزة معينة عنحزب سياسي على سبيل المثال في اوربا الغربية حزب العمال له ثقله صحفه تمثل الخط السياسي لهذا الحزب ولا تستطيع هذه الصحف ان تخرج عن هذا الخط .. في الدول الشرقية ، الصحافة تعبر عن الحزب الشيوعي والحزب الوحيد او الاشتراكي او غيره ولا تستطيع الصحافة ان تخرج عن هذا الخط .. في بعض الدول الراسمالية الصحيفة تعبر عن رأى صاحب الجريدة ولا تستطيع ان تخرج الجريدة عن خط صاحب الجريدة أو صاحب الاعلام وكلاهما متعاون في تمويل الجريدة .

السؤال الذى طرحه الاخ الزميل بشكل غير مباشر :
عن من تعبر الصحيفة في مصر في النهاية ، في القمة في قمة التنظيم داخل المؤسسة ؟

لقد بلور وعن حق ان ست رؤساء هم رؤساء مجالس الادارات اصبحوا مسئولين بالكامل عن توجيه الراى العام في مصر ولا يحاسبوا عن ذلك أمام جهة معينة حتى الان .

المفروض انهم مسئولون عن ذلك امام الاتحاد الاشتراكي

لان التنظيم السياسي هو المنطلق هل هناك علاقة تنظيمية منظمة تربط التنظيم السياسي بالصحافة المصرية ؟ سؤال طرحه السيد وزير الاعلام وكاد أن يرد عليه بالنفي ليست هناك هذه العلاقة حتى الان وانا في رايي ان التقصير قد يكون في هذا المجال من التنظيم السياسي اكثر منه من وسائل الاعلام المختلفة .

ليس شرطا أن نقترح تشكيل مجالس مشتركة من الاتحاد الاشتراكي ومن العاملين في الصحيفة حتى نضمن ولاء الصحيفة في الخط للتنظيم هذه احدى الصور . مندوب من الاتحاد الاشتراكي في الجريدة له حق الفيتو على ما ينشر كلها صور قد تكون مقبولة أو مرفوضة وانما ستعاني منها وكأننا سنضع رئيس تحرير آخر ، خاصة وان هناك رئيس تحرير موجود حاليا ويمكن انيمثل هو الاتحادالاشتراكي .



د . فؤاد محيى الدين

العيب الاساسى في تقديرى هو عيب فكرى وليس عيبا تنظيميا ، ليست هناك وحدة فكرية اطلاقا بين القائمين على تحرير الصحف والمؤسسات الصحفية في مصر وهذا عيب التنظيم السياسى ، بل أكاد أقول ليس هناك تقارب فكرى مع احترامى الكامل لـ ١٨٠٠ صحفى كلهم زملاء اعزاء اجلاء وقادة رأى في مصر . اذا كانت هناك وحدة فكرية وأنا لا اطالب بالوحدة الفكرية لانها مستحيلة وانما اطالب بالتقارب الفكرى ، اذا كانت المنطلقات الفكرية والمنابع الفكرية متقاربة فانني استطيع في التنظيم السياسى ان ابقى جالسا مستريحا مطمئنا وليكتب الـ ١٨٠٠ ما يكتبون لانهم في النهاية لن يخرجوا عن الخط الذى أريده ، سيحللون نفس التحليل وينطلقون نفس الانطلاق ويعلقون نفس التعليق ولكن الواقع هو ان الانسان

يقرأ الان وانا اتكلم ليس كوزير وانما كمواطن عادى يقرأ ويجتهد في القراءة بقدر ما يستطيع ، يلمس في صحافتنا تنوعا في الكتابة لدرجة انه يتصور في النهاية انها لا تعبر في تنظيم سياسى واحد من أقصى اليسار المتطرف الى أقصى اليمين المتطرف ، وهذا لا يصلح في اطار التحالف

فالتحالف له أسلوبه وله فكره وجاءت ورقة اكتوبر واكدت المعالم الفكرية الاساسية التى لا يجوز الخروج عنها ورغم ورقة اكتوبر ورغم الميثاق ورغم التصحيح الذى أعلنه الرئيس وحدده لازال بعض الصحفيين كل يكتب كما يريد بعيدا عن الاخرين .

الايقاع لا يمكن ان يضبط في الصحافة المصرية الا اذا كانت هناك وحدة فكرية بين الصحف او اذا كان هناك تقارب فكرى . هذه المسئولية : التقارب الفكرى اصبحت واضحة لان عندنا كما قلت وثيقة اساسية سياسية جديدة للربط الفكرى .

هل كل الصحفيين الان يكتبون من وحى ورقة اكتوبر وباخلاص لورقة اكتوبر وبايمان كامل بكل ما ورد في هذه الورقة ؟

انى اقول لا .. لان الورقة بسيطة واضحة جريئة وحاسمة - كل القضايا حددت الاشتراكية عقل وقلب ليس هناك اجتهاد . لا اشتراكية علمية ولا اشتراكية مثالية ، التحالف هو قوى الشعب العامل ، حزبلا..ليس حزبا، تعدد احزاب لا .. ليس تعددا ، احزاب ، جميع القضايا الاساسية الاستراتيجية رد عليها .

انني اريد للصحافة ان نكتب لوسائل الاعلام المختلفة ان تتحرك خلال اطار استراتيجى واحد ، فلا يمكن ان يستقر المجتمع ونحن نقرأ في كل مجلة اسبوعية وفي كل صحيفة يومية آراء تخالف الاستراتيجيات الاساسية لهذا المجتمع ولتركيباته الاجتماعية . هذا غير متصور . لابد ان يكون هناك استقرار على الاستراتيجيات التى وردت في الورقة ، استقرار تام بحيث يتم الحوار والنقاش بكل الحرية وبكل الشجاعة حول التفاصيل .

لذلك فانني اعتقد ان الحل الوحيد بجوار الحلول التنظيمية من ناحية مجالس مشتركة من التنظيم مع مجالس

الصحف ، من ناحية المجلس الاعلى للصحافة ، من ناحية الملاءمة الصحافية كل هذه اشياء مطلوبة ومطروحة منذ فترة طويلة وانا لا أعلم لماذا تاخرت ، أرجو أن يكون هناك بيان عمن سبب تاخر صدورها ويجب أن تكون هناك محاولات جادة لعمل سياسى من قبل القائمين على الاعلام بكل وسائله ، بحيث تصبح الصحافة والاذاعة والتليفزيون معبرة عن خط متقارب يرضى ويشبع رغبات الجمهور وشكرا •

■ د • رفعت المحجوب

فى الحقيقة اننى لا ارى ان سيادتك تخالفنى فى شىء والمسالة كلها ببساطة •

■ د • فؤاد محيى الدين

الان رئيس مجلس ادارة الاهرام او الاخبار او غيره من رئيسه اليوم ؟

■ د • رفعت المحجوب

الاتحاد الاشتراكى

■ د • فؤاد محيى الدين

غير صحيح عمليا •

■ د • رفعت المحجوب

فى قضية الخلاف بينى وبينك ، كل ما اقوله انه ليس كل قضية صحفية اسميها حرية صحافة وانما هذا يعتبر سوء

ادارة فى صحيفة معينة ، ونلجأ فيها الى الجهات المسئولة لحلها ولا اعتقد ان سيادتك تخالفنى فى ذلك •

■ د • أحمد كمال أبو المجد

ارجو ان نسمع رأى الاخوة الصحفيين ••

■ فكرى أباظة

كان طبيعيا جدا بعد كلمة الاستاذ ابراهيم يونس الشاب والذى بينى وبينه حوالى اربعين سنة ان تسمعوا صوت النقيض المتقدمين فى السن مثلى انا • هذا الاجتماع خاص باجهزة الاعلام وليست أجهزة الاعلام هى الصحافة فقط • هناك تليفزيون وهناك اذاعة وهناك سينما وهناك المسرح وهناك الكتب التى تصدر بين حين وآخر ولكن حضراتكم حضرات الخطباء الذين على المنصة وعباراتهم كانت بليغة جدا وتتنافس وتتطاول فى سمو البلاغة والتعبير الصحيح والانسان بصراحة يتغذى بشىء جديد لم يسمعه من قبل وشكرا لهم لكن هل هذه الندوة توشك أن تنتهى على أن الصحافة فقط هى الموضوع •• اعتقد ان هذا به نصيب كبير من الظلم • فكل ما سمعناه اليوم هو عن الصحافة •• متى ظهرت حرية الصحافة ومنذ متى توقفت الرقابة، متى جلا الرقيب عن معسكره فى الصحف ؟ منذ شهر أو شهرين ؟ اعطونا الفرصة لكى نتدرب على هذه الحرية الجديدة •• ثم الكلام الذى سمعناه من الاستاذ الكبير فؤاد محيى الدين - ماذا تقول الصحافة ، هل تتكلم عن عودة الملكية ضد الجمهوريه •• ؟ لا لان هذه اشياء دستورية وأساسية •• هل نتحدث عن عدم التقارب بين العناصر والمساواة بين الطبقات ؟ لا • اننا نريد مثل واحد يكون قد



فكرى أباظة

ظهر فى صحيفة من الصحف بان هناك شخص دعا الى الملكية او دعا الى عدم التقارب او الى وضع نظام حكم جديد ؟ لا •• الالتزام المنصوص عليه فى اول دستور ظهر بعد الثورة الستة بنود ، كله يسير سيرا سليما •• لا بعد عزل الرقيب ولا بعد اطلاق حرية الصحافة وانما قبل هذا بكثير لا افهم ماذا جرى ولكنه عندما ناتى لنتحدث هنا ، عظيم جدا اننا نتكلم فى المبادىء ولكن فى بند السياسة تقول سيادتك تعالوا لنتفق على ان يكون لنا رأى واحد هل هذا معقول ؟ لان الصحافة وحرية الراى مصرية العقيدة وكل ذلك معناه اختلاف الاراء المفروض اننا نضع أصابعنا على مسائل معينة مثلا بالنسبة للسياسة العامة هل نحن الصحفيون

الذين نخطط للسياسة العامة أم الحكومة او الدولة •• فى يوم يقال لنا لا تسكتوا على العقيد القذافى والصبح لا •• توقفوا عن الكلام عن القذافى ، حدث هذا أم لا ؟ حدث ونحن نطبع وننفذ ، بعد ذلك بالنسبة للسياسة القومية العربية هل معنى القومية العربية اننا نترك ليبيا تفعل ما تشاء وتقول ما تشاء وتسرف فى اعطاء المال لاشخاص يناقضون القومية العربية ؟ هل نسكت على العراق الذى يرفض دخول صحيفة مصرية عنده ، وهناك اشياء كثيرة جدا يمكن أن نتناقش فيها ، هل نحن المسئولين أم الدولة التى تعطينا الاراء والخطة السياسية وهى عاجزة عن هذا لانه فى كل تتطور الاراء وتختلف الطرق حسب الظروف السياسية •

مثال آخر لمسالة القضية الفلسطينية ، هناك كلام عظيم جدا عنها وناجح جدا الاعتراف بالمنظمة على أنها الممثلة الشرعية الوحيدة للفلسطينيين واعتراف بأنها يجب أن تكون لها صوت فى المجالس الدولية ولكن أليس من حقنا كصحفيين ان نكون شجعانا ونقول لهم : نظموا انفسكم هل السيد ياسر عرفات مسيطر على العشرة او الاثنى عشر منظمة ؟ هل هذه المنظمات الناشذة عندما تقوم بعمل أو تقدم على عمل يخطر به ياسر عرفات شخصيا او منظمته الرئيسية ؟ الجواب لا •

اذن ليس عيبا ان نوضح هذا الموضوع ، هل من المعقول ان هذه المنظمات الاربعة أو الخمسة تقدم على أحداث خطيرة وتبرر هذه الاحداث بأنها تريد أن تفسد مؤتمر السلام فى جنيف والبند الثانى بعد افساد هذا المؤتمر انها تريد أن تقضى على آراء السياسيين فى رسم خطة للتسوية • اذن نواجه ذلك ليس كصحفيين فقط وانما كدولة مسئولة ايضا لكى نصحح الاوضاع • كل ذلك لا نتكلم فيه ، ثم نتكلم عن الـ ٢٠٠ جنيه عليك يا اخى ان تفرد غزوانك وتثب وثباتك وربنا يعطيك ٥٠٠ جنيه علاوة وليس ٢٠٠ جنيه فقط • لماذا الفتنة بين شباب الصحافة وشيوخ الصحافة ؟ وهل هذه الندوة هى المختصة بمسالة النظام الموجود داخل المؤسسات الصحفية ؟ هناك نقابة وهناك

قوانين للنقابة ، وهناك لائحة للنقابة هى الملجا الوحيد لك لتقديم أية شكوى ولكن ليست هذه الندوة العلنية الكبيرة التى تعالج مسائل كبيرة وخطيرة اكبر من الـ ٢٠٠ جنيه • ناتى للقومية العربية ، حقيقة كان السلاح الذى جرب

بعد نصر أكتوبر سنة ٧٣ سلاح البترول وبعد ذلك كانت النتيجة أنهم بعد أن كانوا يحصلون على ٢٧ مليون دولار، الدول العربية المنتجة للبترول تحصل الان على ٧٢ ألف مليون دولار توضع كلها في بنوك انجلترا وأمريكا . اذا كانت مصر التى قدمت ما يزيد على عشرة آلاف مليون جنيه فى قضيتها والتى ضحت بآلاف شهدائها هنا وفى اليمن فى سبيل القومية العربية ، اذا كانت النتيجة هى هذا اليسر العظيم والثروة العظيمة .. فما هو المقابل طالما قلتم الانفتاح الاقتصادى ولم يعارض أحد فى ذلك وليست هناك صحيفة تعارضه التى اكتتب بها لمصر التى يقع عليها مسئولية الدفاع والهجوم والدفاع عن القضية العربية كلها وعن الدول العربية كلها لانه لو انتصرت اسرائيل فسوف لا يكون انتصارها علينا وحدنا . وانما يكون على الدول العربية كلها . اننا نقول ان هناك امل فى التسوية السياسية ولكن اذا فشلت هذه التسوية السياسية اذا فشل مؤتمر السلام وعدنا للحرب .. فعلى من يقع عبء الحرب ؟ علينا وحدنا اموالا واشلاء وشهداء ولن يساهم احد آخر المساهمة الواجبة اللهم الا من يساهم بخمسين مليون دولار أو ٦٠ مليون دولار أو يدخل فى شركة بـ ١٠٠ مليون دولار . لماذا تكون الضحية ؟ وما الذى سنخرج به نحن اذا انتصرنا ؟ سنخرج بسيناء لان شرم الشيخ أصبح شيء تدعيم وباب المندب ايضا اصبح شيء قديم اليوم بعد تقدم العصر ولكن اذا لم ننتصر لا سمح الله فالعبء كله واقع علينا ، اكتساح مالى واكتساح روحى ورغم ذلك فالصحافة اذا غمزت ومن حقها ان تغمز فى بعض النواحى تلام ، اننا لم تخرج ابدا عن الخط ، نحب أن نسمع امثلة عملية من أن الصحافة خرجت عن حدها واساءت حرية النقد موضوع او مسألة القطن التى يقال اننا بالغنا فيها .

الحكومة متهمة او وزارة الزراعة متهمة بأنها تبالغ كل المبالغة فى موضوع القطن .. هناك ٣٠ الف محضر مخالفة للفلاحين لزراعتهم البرسيم فى موعد غير الموعد المحدد حسب آراء الخبراء ليس هناك مخالفة نفذت على الفلاحين ، هل نسكت على هذه ؟ عندما يقال ان هناك بعض المواد مفسودة نسكت على هذا ؟ عندما يقال ان بعض الطائرات التى تقوم بالرش معطلة لا تعمل هل نسكت على هذا ؟ هذه هى حرية الرأى الهادفة البناءة . غير هذا ما الذى فعلناه ؟ لا ارى شيئا ما الذى نؤاخذ به الصحف المصرية ؟ بالعكس نحن لا نقول اى رأى الا بعد ان نستأنس برأى المسئولين .

بعد ذلك أن ما ارتاه الاستاذ الدكتور محيى الدين فيما يتعلق بتبعية الصحافة المعروف اننا تابعون للاتحاد الاشتراكى وهو المالك للصحافة وهو يسأل وزير الاعلام المختص ذى الصلة بيننا وبين الدولة فيما يتعلق بما يجد وبما يستجد بما يجب وبما لا يجب فالتبعية تبعية ملكية وتبعية ملكية رأى ايضا ، بكل احترام وخشوع نسمع به ولا نستطيع الخروج عليه لا افهم اليوم ان تتخصص الندوة كلها عن الصحافة فقط وماذا بالنسبة للحكومة التى لها فى كل رأى هل نعمل ندوة صحفية نهاجم فيها الحكومة بالعكس اننا نريد ان نكون متفهمين . الاخ الزميل اخذ نصف ساعة من الساعة والنصف على الـ ٢٠٠ جنيه وكيف نحكم على هذه المنحة هل هى فى محلها أم فى غير محلها .. ليست هناك أدلة لهذه القضية .. وحرام ان نخدش زملاءك ورؤساءك بهذا الشكل . واشكركم والسلام .

■ محمد صبيح

انا احد رؤساء المؤسسات الصحفية الذين هوجموا الان أسمى محمد صبيح رئيس مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر . الواقع ان حماسة اخونا ابراهيم يونس التى اثارت هذه المناقشة اؤيدها بحماس لكنى إعتقد ان العيب ليس فى مجالس ادارات المؤسسات ولا فى رؤسائها ولكن العيب فى القيد الحديدى الذى يقيد الصحافة الان ويحد من حريتها وهو قيد الورق فاذا كان صحيفة مثل الاهرام تصدر فى ثمانى صفحات معظمها اعلانات بالتالى اين يوجد المكان للرأى واين يوجد المكان للخبر ؟ هل اعتقد ان الورق أقل اهمية من رغيف الخبز اننى اعتقد ان وسيلة التعبير تنطلق وينفسح لها المجال اذا زدنا فى عدد صفحات الجرائد ان مضعة دولارات أو اموال تزيد فى كمية الورق المتاح مع شيء من عدالة التوزيع بين الصحف بعضها البعض حتى لاتقدم لنا الصورة المشوهة التى تحدث الان حينما تذهب جريدة الاخبار الى الميناء وتستولى على ورق غيرها بغير حق لانها مضطرة لان تعيش فاخذت الورق الخاص بنا ولا استطيع استرداده منها وسوف نتحول الى حرب عصابات المهم انه فى أول هذه الجلسة وانا أول الحاضرين لها تحدثت مع اخونا أمين العاصمة الاستاذ سيد زكى وقلت له اننى ادعوه بان يقود معنا مسيرة مع العاملين فى دار التعاون ففزع من هذه الكلمة فقلت له نريد مسيرة تذهب الى بعض الاجهزة التنفيذية التى ما تزال تعيش قبل السادس من أكتوبر وقبل ورقة أكتوبر لاتلبية مطلقا منها ولحسن الحظ ان وزير اعلامنا خارج من الجهاز السياسى وهو يشعر بحساسية المواطنين العاديين والصحفيين انفسهم ذهبت اليه لاقدم بعض الطلبات والملاحظات فقال بعد ٤٨ ساعة سيصلك الرد وفعلا وصل واعطى رسالة للجان بت لكن لم أجد أى وسيلة من وسائل التجاوب فى لجان البت كيف نخترق هذا الحاجز الذى يسمى بالبيروقراطية أو الروتينية هذه هى المهمة الاساسية التى تواجهنا الان . ان أجهزة التنفيذ لا تزال تعيش بعقلية قديمة جدا وربما بعقليات قبل الثورة . شيء غريب جدا فنحن صحافة متخصصة من ضمن الصحف التى تدافع والتى تمول عن طريق الفلاحين خضنا معركة القطن وقبلها معركة القمح المكسيكى الذى خرجنا فيه بـ ١٥ مليون جنيه خسارة ثم نجد ان الاجهزة التنفيذية زعلانة جدا لماذا نعمل هذا مع انهم عملائنا وزبائننا الحقيقة نحن فى حاجة الى كلمة حاسمة من الدكتور فؤاد محيى الدين فى هذه النقطة بالذات لانها أساس كل عمل وهى الانفتاح على التقدم ومن غير ذلك فاننا لن نتقدم اطلاقا اننى أظل تسعة أشهر أطالب بطلب معين خاص بورق ارتفعت الاسعار بعده من نصف مليون الى مليون ونصف وبالتالى اصبحنا نخسر مليون جنيه نتيجة عدم وجود من لديه الجرأة الكافية لكى يمضى ويقول آه أو لا لان الاجهزة التالية للوزراء تنتظر أوامر الوزراء وان الوزراء مشغولين وبالتالى نجدهم يحيلوا الاشياء على اللجان وقد سبق ان تحدثت عن مسألة اللجان فى مصر لن اضيف اليها . ان كل ما اطلبه الان هو فك حصار الورق عن الصحف وبعدها لن تجدى شكوى. الاخ ابراهيم يونس قالها لانهم سوف يرجونه وغيره وقتها لكى يكتب اننى اقرر ان الورق بالنسبة لهذه الامة فى عصر الانفتاح توازى الرغيف بالضبط وان أى حصار لها هو حصار بهذا الاسلوب السائد لحرية الرأى مع مراجعة جادة وقد اصبحت هذه أمانة فى يد الدكتور كمال أبو المجد فيما يتعلق بانصبة الورق الخاصة بالصحف ، هذه كلمة قصيرة وسريعة واشكركم على حسن الاستماع .

■ د . فؤاد محيى الدين

أعقب تعقيبا قصيرا جدا وأحب أن أؤكد أننى لست من كلمات الاستاذ الكبير فكرى اباظة والاخ صبيح احساس لعلى اكون مخطئا فيه بان الحكومة لا ترحب بالنقد لكنه على النقيض فاننى اؤكد باعتبارى وزير اتصال مسئول مع الاتحاد الاشتراكى ان الحكومة ترحب بالنقد ترحيبا حارا وان مجلس الوزراء يعطى لكل ما ينشر فى الصحف اهمية خاصة وتحللها ويكلف الوزراء المعنيين كل فيما يخصه لمتابعة الموضوع والعمل على ازالة الاسباب المخالفة أو الشكوى بكل حماس وبكل ترحاب وبالنسبة للورق فاننى أعد بأننى سوف إتبناه وارجو ان انجح فيه باذن الله .

■ د . ثروت بدوى

الواقع ان هناك قضيتين :

القضية الاولى قضية التنظيم الهيكلى أو العضوى لمؤسسات أو أجهزة الاعلام المختلفة

والقضية الثانية هى قضية التنظيم الفكرى لهذه الاجهزة ولا اعتقد على الرغم من وجود الصلة الوطيدة التى لا تنفصل بين القضيتين لا اعتقد ان ندوة اليوم ترتبط بالموضوع الاول . فالموضوع الاول على الرغم من اهميته الكبيرة خارج من موضوع هذه الندوة لاسباب كثيرة . أولها ان موضوع التنظيم الهيكلى لمؤسسات وأجهزة الاعلام المختلفة يحتاج الى مستويات أعلى من مستوى هذه الندوة لانه يتصل بتنظيم الدولة ككل واعتقد ان الكلمات التى قدم بها لهذه الندوة من ناحية كلمات السيد الامين الاول والسيد نائب رئيس الوزراء والسيد وزير الاعلام والسيد أمين الدعوة والفكر هذه الكلمات جميعا تدور حول القضية الثانية وهى قضية التنظيم الفكرى لمؤسسات الاعلام المختلفة ذلك اننا نريد ان تمارس إجهزة الاعلام مهمتها فى سبيل خدمة قضايا المجتمع وفى حرية ملتزمة وفى حرية مسئولة وهذا الالتزام وهذه المسئولية لا يمكن ان تتحقق الا بعقد مثل هذه الندوات التى نتبادل فيها الاراء حول القضايا السياسية الاساسية وحول الخطوط العريضة التى يجب ان نلتزم بها فيما نعلنه من أراء سواء فى الصحف أو فى غيرها من أجهزة الاعلام . ولذلك فاننى قد اختلف مع الدكتور فؤاد محيى الدين فى اقحام مشكلة أو خلافات أو تنظيمات داخلية فى داخل صحيفة من الصحف فى هذا الموضوع .

نريد ان نحدد موضوع هذه الندوة فى مناقشة القضايا الاساسية التى طرح علينا بعضها بعض السادة المتحدثين قبل قضية العلاقة مع الاتحاد السوفيتى او العلاقة مع ليبيا او قضية القومية العربية او مشكلة الانفتاح الاقتصادى أو غيرها من الامور أى يجب ان نتحاور فيها ونتناقش لنصل الى المفهوم المشترك ، ولا يمكن اننا نصل الى راى واحد او كلمة موحدة ولكننا نعمل فى اطار تحالف قوى الشعب وهذا امر قد تكلمنا فيه من قبل فى مناسبات كثيرة فى شان معنى تحالف والتحالف لا يعنى وحدة الرأى وانما تدارس جميع الامور للخروج باتجاهات عامة موحدة أو مشتركة من خلال المناقشات، ومن خلال الاراء المختلفة والتى قد تتعارض وقد تتصارع وفى النهاية نصل الى المفهوم المشترك أو أراء موحدة تعبر عن اتجاهات الاغلبية الساحقة فى داخل قوى التحالف ، والتحالف لايعنى تنظيما حزبيا واحدا ، ولايعنى وحدة فكرية وانما يعنى الوصول الى اتفاق بين الاراء والاتجاهات المختلفة التى تعبر عنها القوى المختلفة داخل هذا التحالف بالتعبير عن ارادة المجتمع أو عن ارادة الغالبية الساحقة من افراد هذا المجتمع ومن هنا كان لا بد من ان نقبل بوجود اراء مختلفة سواء فى مجال الصحافة او فى مجال وسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وتليفزيون أو كتب أو غيرها .

هذه الاراء التى قد تختلف اختلافا كبيرا لابد وان تكون دائما فى حدود الاطار العام الذى فرضناه على انفسنا من خلال هذا التحالف والذى يقوم على قضايا اساسية مثل قضية الاشتراكية أو غيرها من القضايا التى ارتضيناها جميعا ، وقد نختلف فى بعض التفصيلات المتعلقة بالتطبيق ولكن الاطار العام لا يصح ان نختلف فيه ، الذى كنت ارجوه فى هذه الندوة هو ان نتبادل الرأى حول بعض القضايا الاساسية التى طرحها السادة الزملاء أو السادة الافاضل ممن تحدثوا فى هذه الندوة بشان قضية الانفتاح أو قضية العلاقات أو مشاكل مختلفة .

(بعض الاصوات من القاعة تقول بان هذا ليس موضوع الندوة على الاطلاق)

■ نفس المتحدث :

على كل حال ما قصدد فى هذه الندوة هو اننا نحاول تبادل الرأى حول قضايا الاعلام سواء فى السياسة الخارجية أو فى السياسة الداخلية وحدود الالتزام الذى يجب ان نلتزم به فى هذا المضمار ، وعلى كل حال هذا رأى وكما قلت ان الندوة من اجل تبادل الرأى ، وقد يختلف الرأى لكن فى النهاية سنصل الى رأى موحد او راى تتفق عليه الاغلبية الساحقة وشكرا .

■ د . أحمد كمال أبو المجد

لقد بدأت المناقشة بكلمة الاخ ابراهيم يونس التى طرح فيها عدة قضايا ثم صارت الندوة تعقيبا على كلام الاخ ابراهيم يونس ، هناك مسالة مقطوع بها ، ان هذه الندوة لها موضوع وان هذا الموضوع هو اجهزة الاعلام والسياسة الاعلامية وهذا الموضوع له جانبان جانب تنظيمى وجانب موضوعى : الجانب التنظيمى هو كيف ينسق بين أجهزة الاعلام والصحافة من بينها للوصول الى هدف ، هذا الهدف هو الذى حدد لان كل أجهزة الاعلام تتحرك لخدمة مصالح المجتمع فى هذه المرحلة التى حددت معالمها ورقة أكتوبر وبالتالى يدخل فى نطاق هذا الاجتماع امران ويخرج عنه كل ما عدا هذين الامرين ، الامران هما : صيغ التنسيق والموضوع هو السياسة الاعلامية ، اما موضوعات ما تتناوله الصحافة فاننى اتصور انه خارج عن نطاق هذا الاجتماع .. استخدم حتى فى ان اعقب على كلام الاخ ابراهيم يونس .. تعقيب صغير جدا بالنسبة للجزء الخاص بوزارة الاعلام ، انه طرح مشكلة حقيقية واننى اتصور انه لو كانت المشكلة ظاهرة فردية فى مؤسسة صحفية واحدة لكانت موضوعا فرديا تستطيع معه ان نواجه الاخ ابراهيم يونس وان نقول له هذا الموضوع خاص اما والظاهرة حسبما يقول متكررة فى المؤسسات الصحفية وهى ان كبار الكتاب هم الذين يكتبون فى المسائل السياسية اذن فالظاهرة تستحق المناقشة كظاهرة موضوعية تستمد موضوعيتها من تعددها ، الامر الثانى : ان قضية تبعية الصحافة قضية مثارة لانه معلوم لكل أحد ان الاتحاد الاشتراكى يملك الصحافة ولكن هذه الملكية قطعا ليست هى الملكية التى نعرفها فى علم القانون لانه لا تترتب عليها النتائج المترتبة على الملكية فى علم القانون والدليل على هذا أنهم يلجأون الى وزير الاعلام واخشى ان يكون التجائهم الى وزير الاعلام لانه كان فى التنظيم السياسى قبل ذلك لاننى اتكلم بمنتهى الصراحة ، ايهما خير للصحافة وحرية الصحافة ان تلجأ الى الاتحاد الاشتراكى أو تلجأ الى وزير الاعلام ؟ لو سألتنى الرأى سياسيا لقلت لك اولى بها ان تلجأ الى الاتحاد الاشتراكى ولا تلجأ الى وزير الاعلام .

حقيقة الورق التى تعرض لها الاستاذ محمد صبيح ولم يتعرض لها طول الاجتماع الاخ الاستاذ مصطفى بدوى وان كان تعرض لها باستمرار هى قضية ملحة للانصاف اقول حتى لا تطغى قضية على أخرى الهاقضية واردة ولكن القضية الاخرى واردة حتى بعد حل ازمة الورق ، وبالتالى اتصور ان القضايا التى طرحها الاخ ابراهيم يونس قائمة ومن هنا فاننى ارى ضرورة تنظيمه الى مناقشة موضوع تبعية الصحافة وعلاقة التنظيم السياسى بها ودور وزارة الاعلام بها فى اجتماع تنظيمى .

ردكتور رفعت المحجوب اقترح على ان اجتمع بالصحفيين الشبان وانا سعيد بهذه الدعوة وسالبيها فى الوقت الذى تختارونه .. وشكرا .

■ عبد التواب يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم . .

هذا الاجتماع واضح انه لكل اجهزة الاعلام وليس

قاصرا على الصحافة وحدها ومنذ وقت بعيد ونحن نناقش علاقة التنظيم السياسى بالصحافة ، نوقش قبل ١٥ مايو وكانت هناك شكوى من الصحفيين من تسلط بعض الاشخاص وبعض الامانات بالاتحاد الاشتراكى على الصحافة ثم انقطعت الصلة بين الاتحاد الاشتراكى والصحافة حقيقة لدرجة انى أقول للاستاذ ابراهيم يونس والزملاء انه لا صلة تربطنا بالصحافة حقيقة فاللوائح التى تحكم العمل الصحفى ليست موجودة لدينا وعندما نطلبها لا يردوا علينا ونحن نعلم انهم فعلا بعيدين وان الخيوط بيننا وبين الصحافة قد اصبحت متطوعة واصبح محتما ان نلتقى كما قال الدكتور كمال ابو المجد لتحديد طبقة العلاقة ما بين الاتحاد الاشتراكى والمؤسسات الصحفية ، هذه نقطة والنقطة الثانية هى ما أشار اليه السيد ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء من ضرورة ان تستعيد الصحافة المصرية مكانتها ونحن نعرف أنها ليست فى مكانتها اللائقة لها على الساحة العربية ، هذه قضية يدخل فيها الورق ويدخل فيها الطباعة ويدخل فيها التنظيم الهيكلى للصحف ، هذه قضية مثارة ويجب ان تاخذ حقها من الاهتمام سواء بانشاء المجلس الاعلى للصحافة أو بانشاء لائحة الشرف .. وحيث اننا اجتمعنا لنناقش القضية بشكل عام حول كل اجهزة الاعلام فانني اشهد بيننا مجموعة من الزملاء العاملين فى الاذاعة والتليفزيون اريد ان اثير نقاطا او عناوين صغيرة خاصة بالاذاعة والتليفزيون .

فى الحقيقة عندما كنت فى بغداد قريبا قال لى استاذ فى جامعة الموصل لقد أصبح عندنا تليفزيون فى بغداد بعد ان قدم اخواننا المصريين للعمل هنا .. واخواننا المصريين لا يتجاوز عددهم فى تليفزيون بغداد خمس أشخاص ، ونحن قد أصبح لدينا كوادر فنية نفخر بها فى الخليج العربى وفى ليبيا وفى كل مكان .. بعض هذه الكوادر ليست موجودة هنا ، ايضا كثيرا من الاقلام هاجرت من الكتابة للصحافة المصرية والاذاعة المصرية والتليفزيون الى كثير من ارجاء الوطن العربى .. ونحن نريد لهذه الطيور المهاجرة ان تعود .. نريد لهذه الاقلام ان تحتوى من جديد .. كذلك هناك خطة كانت موجودة فى الاذاعة والتليفزيون يعلمها السيد الوزير وهى خطة منع البعض من دخول الاذاعة ومنع اسماء من الكتابة وقضايا كثيرة مثارة داخل الاذاعة والتليفزيون نرجو ان تكون محل العناية والاهتمام لان كثيرين من هذه الكوادر يعملون فى تخصصات ليست تخصصاتهم وفى يقيننا انهم يستطيعون ان يعطوا الكثير فى مجال الاذاعة والتليفزيون .. ايضا اننا نذيع فى اذاعة التليفزيون برامج ليس هنا متلقى لها فى واقع الامر فليست هناك نوادى مشاهدة واستماع ترصد لنا مدى نجاح هذه البرامج ، وما هو المقياس لنجاح برامجنا فى الاذاعة والتليفزيون اليوم ، يمكن ان يكون فقط مايقال فى الصحف وما يقال فى الصحف .. النقطة الثالثة الخاصة بالاذاعة والتليفزيون هل الموجات المعطاة لبرامجنا موجات سليمة ، اذاعة الشعب الخاصة بالفلاحين لا تصل الا لشبرا ولا نسمعها فى بنى سويف ، اننا ولابد ان نراجع أنفسنا ، هل اذاعات الارسال كافية أم لا ؟ اننا كنا نقول اننا لدينا ثانى اذاعة فى العالم وكنا نذيع ٢٠٠ ساعة فى اليوم ونتساءل هل هناك مجتمع أم لا لهذه الميزانيات الموزعة للاذاعات حسب عدد المستمعين وحسب قدرة مدير كل قناة فى اقناع كل مسئول عن اذاعتها بعد ذلك .. الى أى مدى تصل اذاعتنا هناك شكاوى كثيرة من عدم وصول الاذاعة لارجاء كثيرة ، الوادى الجديد يشكو ليس عندنا تليفزيون ، الاذاعة لاتسمع الا ليلا .. مثل هذه القضايا يجب ان تناقش واتصور ان اثارتها فى مثل هذا اللقاء مطلوبة .. أعود فاقول انه لابد من فلسفة محددة لاجهزة اعلامنا لابد من ان نبنى كوادرنا وان تعود الكوادر المهاجرة .. لابد من تخطيط علمى لموجاتنا وساعات ارسالنا .. لابد ايضا من وجود نوادى استماع ومشاهدة لرصد البرامج وشكرا .



عبد الحميد يونس

■ عبد الحميد يونس

اعتقد اننا نستجيب لفكرة الاستاذ فكرى اباظة فنبتعد قليلا عن الصحافة ونتحدث معا عن الدائرة التى أعمل فيها وهى التليفزيون فأبدأ بالرد على ما قاله الزميل عبد التواب يوسف مما اثاره من نقاط :

اولا بالنسبة للطيور المهاجرة يسمح لى ان أختلف معه فان هذه الطيور المهاجرة انما هى تبنى للوطن مجدا كبيرا واذا ما استعرضنا الاجهزة أو المؤسسات التليفزيونية فى الوطن العربى كله فانه من دواعى الفخر لمصر ولبلدنا ان القائمين عليها والمشرفين على اداراتها سواء من ناحية البرامج أو من ناحية الهندسة من المصريين ولم يفت فى غضيض التليفزيون المصرى ان يهجره لفترات قصيرة نسبيا هذه المجموعة من الشباب وسيعودون يوما ونتمكن دائما من ان نجد من يحل محلهم وهذا فضل كبير لمصر تقدمه للدول العربية الشقيقة ، اما بالنسبة لمنع بعض الاسماء من الظهور أو من الحديث فانا أود أن أؤكد لك انه ليس هناك منع اطلاقا قد يكون من بين الراغبين فى الظهور على الشاشة الكثيرين ممن لا يصلحون سواء من ناحية الحديث ، من ناحية الجاذبية أو من أى ناحية من النواحى وانما كل الصالحين وكل ذوى الافكار ابوابنا مفتوحة أمامهم بصفة دائمة .

النقطة الاخيرة التى اثارها الاستاذ عبد التواب وهى نوادى المشاهدة ونوادى المشاهدة اصلا هى أن تيسر لمجموعات من الناس فى مختلف المجتمعات الريفية والصناعية الفرصة لمشاهدة برامج معينة تتصل بزيادة ثقافتهم وتدريباتهم المهنية بالنسبة للفلاحين مثلا .. بالنسبة للصناع .. بالنسبة للعمال ممن لا يملكون المقدرة على شراء أجهزة الاستقبال وهناك مئات وكنت أود أن يكون هنا الدكتور فؤاد محيى الدين لكى يقول لنا الرقم الصحيح لنوادى المشاهدة المنتشرة فى كافة القرى وفى كافة المصانع يساهم فى هذه النوادى الادارة المحلية وهيئة الاستعلامات والاصلاح الريفى وهى نوادى تجمعات لمجموعات مختلفة من المواطنين تقدم لهم الثقافة والمهارات الفنية لمن لا يملكون القدرة المادية الكافية لشراء الاجهزة .

استاذن السيد الامين فى ان انتقل الى الصحافة والتنسيق بين التليفزيون والصحافة تعرضنا للاسف الشديد فى الايام الاخيرة الى حملات شديدة بالنسبة للتليفزيون بالذات نحن لانضيق اطلاقا بالنقد ونحن نحبه وكما قال السيد الدكتور كمال ابو المجد وزير الاعلام انما هى مؤشرات واضواء تقودنا فى طريقنا : نحن لم نفترض فى أنفسنا الكمال

اطلاقا واننا نود ونطلب من المشاهدين ومن النقاد ان يوجهوننا وان يضعوا اصابعنا على مواطن الضعف وقد تحدث الدكتور كمال أبو المجد باشارات حقيقية الى هذه الحملة وسأضرب مثلين اثنين منذ يومين فقط نشرت احدى الصحف انعبد الحليم حافظ كان مفروضا انيظهر فى مجلة التليفزيون ولكنهمنع فيآخر لحظة الفقرة رفعتمن برنامج التليفزيون لانبرنامج النادى الدولى سبقوسجل لعبدالحليم حافظ المشاهد لم يحس اطلاقا ان هناك فقرة من مجلة التليفزيون رفعت لم تؤثر فيأى شىء وكانذلك حقيقة اجراء تنظيمى لمنع التشابه ولمنع ظهور فقرة واحدة فى يومين متتاليين .. هل هذا هو النقد » اعتقدانفى ذلكقسوة .. كذلك هناك صورة كاريكاتورية اؤكد للسيد الامين انه صورت صورة كاريكاتورية تظهر التليفزيون بانه مكان غير محترم لماذا ؟ العاملين به جميعا اولاد أسر ويعملون بجهد ويبذلون جهدا واذا كان السيد نائب رئيس الوزراء تكلم عن التكنولوجيا وتكلم عن الامدادات ففى الواقع ان التليفزيون يقوم بجهد ضــخم لانه يستعمل الاجهزة التى اشتراها منذ ١٤ سنة والتقدمات الموجودة فى المجال الالكترونى غيرعاديةولظروفنا والظروفالاقتصادية وظروف الحرب التليفزيون يجاهد مجاهدة شديدة .

المثل الثالث والاخير فى هذه النقطة أن هناك صورة كاريكاتورية تقول أن أم تقول لطفلها (تسكت ولا أفتح لك التليفزيون) اننا اليوم برامجنافى البلاد العربية تاتى للبلد وتاتى للتليفزيون حصيلة ضخمة من العملة الصعبة ولم تستطع أى دولة عربية أو أى دولة أجنبية تحاول أن تنتج برامج باللغة العربية أن تنافس البرامج المصرية فى دول الخليج كلها ، فى الكويت وفى دول المغرب العربى .. ولكن مجرد سطر واحدتحت أىصورة كاريكاتورية سيؤثر فى سمعتى فى البلاد العربية وبالتالى فى ناحية اقتصادية وفى ناحية مادية ..

لا أريد أنأطيل ولكنى أخلص الى مابدأنا به وأرجو أن أتقدم باقتراح متواضع بالنسبة للتنسيق بينأجهزة الاعلام سواء كانت الحكومية كما أشار السيد الوزير أو بين المؤسسات الصحفية وبين الاتحاد الاشتراكى .. أعرض بمنتهى التواضع فكرة انشاء المجلس الاعلى للاعلام يضم كافة النواحى المتعلقة بالاعلام .. ينظم حسب اى تنظيم ولكن سيجمعنا جميعا فى دائرة واحدة ونستطيع أن نتفاهم وأن نتناقش أياما وأياما .. وشكرا .

■ د . عبد الاحد جمال الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الواقع هىليست حكمة وانما هىملاحظات على هذا الاجتماع الذى كاد أن ينتهى بالضرورة لان هذا الاجتماع أوضح أنهناك مشاكل عديدة موجودة فىهذا الحقل الكبير وهذه المشاكل تحتاجكلمنها الى ندوة للانتهاء منبحث كافة الاوضاع المتعلقة بها لذلك نطلب من الاتحاد الاشتراكى وبصفة خاصة منالدكتور رفعتأمين الدعوة والفكر أنيدعو مشتركا مع الاخ الاستاذ الدكتور كمال أبو المجد الى عقد ندوات لبحث كافة المشــكلات التى أثيرت فى هـــذا الاجتماع .

ثانيا ان هناك حاجة ماسة الى ضبط العلاقة بين التنظيم السياسى والاجهزة الاعلامية لو أنه قد وضح تماما وهذا أمر كان واضحا ، كذلك انه بالرغم من تبعية التنظيمات الصحفية للاتحاد الاشتراكى فان الامر ما يزال فى حاجة الى كثير منالضبط والتدعيم ضبط يسمح بتنظيم العلاقة ولا يفرض على هذه العلاقة وصاية معينة أو ضغطا معينا أو اضافة نوع من أنواع الرقابة على هذه الاجهزة ..

والنقطة الثالثة هى التى انتهى اليها الاستاذ الكبير عبد الحميد يونس فلقد قرأنا الان فى الصحف أن هناك المجلس القومى للاعلام فهذا المجلس القومى للاعلام يجب أن يساعد فىضبط هذهالعلاقة وهذه التنظيمات بحيث يشمل أويتضمن كافة القطاعات المؤثرة فى الرأى العام من أجهزة الاذاعة والتليفزيون ومن مؤسسات صحفية والتنــظيم الســـياسى كخبراء فى ميدان الاعلام وهذا التنظيم هو الذى سيسمح فى نظرى بضبط هذه العلاقة وجعلها تسير فى الطريق الذى ننشده جميعا .. ثم ان هناك نقطة أخيرة الواقع أرجو أن نهتم بها والواقع أن الاهتمام بها ليس مشكلة وهو تنظيم العلاقة وتنسيق العلاقة بين الاجهزة الاعلامية الحكومية والتنظيم السياسى وبالذات فى مجال التنظيم السياسى ، واقصد أمانة الشئون السياسية وأمانة الدعوة والفكر ، وفى الاجهزة الاعلامية الحكومية اقصد بذلك الاذاعة والتليفزيون .. الاتحاد الاشتراكى تاتىلهتقارير منالرأى العام تسلط الضوء على مشكلات معينة يجب أن نناقش هذه المشكلات ويجب أن يهتم بها فى الاجهزة الاعلاميــــة الحكومية وندعو فيها ممثلين للتنظيم الســياسى وممثلين للجهاز الحكومى أو التنفيذى بحيث يشعر الشعب دائما باهتمام الاجهزة القائمة بمشاكله ووضع الحلول المناسبة لها ..

مرة أخرى أشكر على هذاالاجتماع وأرجو لهالتوفيق .

■ د . عبد الحميد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الواقع شجعنى على الحديث أو على هذه الملاحظة البسيطة ـ السياق التى تمت به هذه المناقشة فى ندوة اليوم بدأها الاخ ابراهيم يونس ثم عتب عليها الاستاذ الكبير فكرى أباظة ثمالاستاذ عبدالتوابيوسفوعتب عليه الاستاذ عبد الحميد يونس ، وفى تقديرى أن هذا لا يمثل فقط خلافا بين وجهتى نظر وانما يمثل خلافا بين أسلوبى عمل أو بين فكرين لست أقول مختلفين .. ولكن لكل منهما قرائنه فى التفكير والتنفيذ . ان ما حدث اليوم انما يمثل الخلاف الجوهرى بين ما كنا نفكر فيه فى الاربعينات وبين ما نفكر فيه فى السبعينات .. وحينما أتكلم عن هذا الخلاف بين الجيلين وأرجو أن أكون واضحـــا أننى وغيرى لا نريد بهذا الكلام احداث فجوة مصطنعة أى اقلال من خبرة أو دراسة أو كفاءة .. الخ وانما ما أريد توضيحه طالما القضية تتعلق بخلاف بين جيلين فى التفكير وفى الاسلوب جيل للشباب وجيل لاخــوة أعــزاء فضلاء وأرجو أن يكون واضحا أننا نناقش هذه القضية بوضوح وبصراحة ، ولعــل الــدكتور كمـــال قال فى تصريح له بالامس باننا نريد أن نحول ما يسمى بصراع الاجيال الى تكامل بين الاجيال وهذا مانقوله دائما فىكل مجالات العمل المتصلة بالشباب .. الشباب كله صحفيين اذاعيين أى شباب فىأى موقعمن مواقعالعمل يكون مكابرا اذا ماتصور انه يبدأ منفراغ ويكون مكابرا لو تصور انهينكر الخبرة وينكر العظمة التى كان يقوم بها اخواننا الكبار فى مجالات العمل المختلفة فى فترات زمنية متسابقة ويكون مكابرا اذا أنكر أنه لن يستفيد من كلهذه المعرفةوكل هذهالخبرة انما فى نفس الوقت على الجيل الذى عاش فى هذه الفترة وعلى الجيل الذى عاش فى الاربعينات والخمسينات والستينات أن يدرك باننا نتطور وأن التطور سريع وأننا اذا لم نغير ما بأنفسنا ونطوع أنفسنا وفقا لهذا التطور لن نحقق أى شىء .. ان التطور قبل ٦ أكتوبر وبعده فقط فى سنة واحدة طالبنا بالمزيد ويطالبنا بأمور كثيرة جداجدا وعلينا أن نكون لها اذا كنا جادين فعلا فى الحفاظ على ٦ أكتوبر .

أثيرت قضية الصحافة وفرق الجيلين فى الصحافة وهذا حق والــكلام الذى قاله الاخ ابراهيم يونس وأنا أشــكر المنصة انها لم تترك الاخ ابراهيم يونس وكسرت حدة النقاش لكى لا يتم انفرادا بفكر شاب من جيل الصحفيين

وهذه حقيقة فى كل اجهزة الاعلام الصحفى ، وأنا أعلم الكثير من الصحفيين الشباب اشتكوا كثيرا وشكواهم مرة انما يظلون فى النهاية مكتوفى الايدى لا يدروا ماذا يفعلون ولا يعرفون فهل هى وصساية من جيل كبير فى الاجهزة الصحفية وهل هو من وهل هو نوع من أنهم يعطوهم الخبرة لكن لطريقتهم ببطء أو بهدوء ،وبالتالى هو نوع من اكساب الجيل الصغير التجربة لكى يقعوا فى وهم يكتسبوا التجربة بالثقل والخبرة كما اكتسبها اخواننا الافاضل ؟ لست أدرى انما نحن نطالب فعلا وهذا حق وعدل وهذا اتجاه الدولة اى دولة ناجحة او أى دولة تسعى للتقدم أن تمكن هذا الجيل من الشباب لكن ليس بالاسلوب القديم بأننا نعيشه عشر سنوات أو خمسة عشرة سنة لكى أعطيه فرصته .. اطلاقا هذا لا يسمح فى جيل ..

وعندما ننتقل من هذا الى الاعلام والحركة الصحفية وهذا ليس مجاملة الى الاعلام ، ففى الاذاعة اذكر بصدق أننى ما قابلت اى مذيع شاب فى الاذاعة أو تجاوز سن الشباب بفترة الا وقال لى شكاياته وقال ان الاذاعة صفتها كذا وكذا قد يكون فى هذا تجاوز أو ظلم على أجهزة معينة او على أسلوب عمل معين ولكن صعب جدا أن مجموعة كبيرة من فكر واحد انها تقول شيء يكون من أساسه خاطيء .. اننى متأكد بأن هناك خلافا فى أسلوب العمل وفى ممارسة العمل وارد فى الاذاعة وفى أجهزة الاذاعة والدكتور كمال ليس غريبا عن مجال الشباب ، فلقد سمع هذا الكلام كثيرا وهو يتولى مسئولية الشباب وهذا ما يجعلنا مطمئنين لانه مدرك هذا ونفس الشيء والموقف يتدرج على الاعلام بالنسبة للتليفزيون فكل اخواننا الشبان الصغار اناثا أو ذكورا لهم شكايات متعددة ويتكلمون كلهم لغة واحدة قد يكونوا مغالطين أو مخطئين أو مكابرين لكن هذا الكم الكبير عندما يجمع على شيء مؤكد انه يكون به شيء من الصواب ..

يبقى أننا نعمل نوعا من المواءمة ونحن لا نستطيع ولا ينبغى من أجل مصر ومن اجل العمل الوطنى فى مصر وللوفاء لكل من قدموا جهدا لمصر لايمكننا ولانستطيع ان نتكابر ونقول ان الجيل الجديد يعنى أن نستعوض الله فى الجيل الماضى ونبدأ العمل بالجيل الجديد اننا فى هذه الحالة سنبدأ من حيث بدأ الاخرون ، وبالتالى سنتعثر ولن نتقدم ، لكننا نقول ان المواءمة واردة عن طريق أن الخبرة والوصاية يلى من أحد أو يلى عقد أو يلى حساسيات تعطى وتتقدم ونواكب ونطور ما فى انفسنا من أساليب للعمل لكى نعطى هذا الجيل ونمكنه ليس فقط بالكلمة الحلوة أو بالنيات الحسنة ربما يكون هذا هو التمكين الذى كان يتم قبل السادس من اكتوبر لكن التمكين المطلوب بعد اكتوبر انه بجانب النيات الحسنة والبعد عن الوصاية والمن اننا نعطى هذا الجيل الشاب باليمين ونمكنه أيضا باليسار وليس اننا نعطيه باليمين ثم نسحب ما نعطيه باليسار .

فى كل الاجهزة الاعلامية من صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما أيضا ولكن فى نفس الوقت ونحن نطالب هذا الجيل الذى لديه الخبرة والمعرفة والدراية بذلك علينا ان نطالب جيل الشباب بأنه لا تكون مطالباته بالحماس والانفعال أو تكون مطالباته باستمرار بأنه الاحسن وما سواه كذب أو باطل ان هذا يكون حرام وظلم لانه لو كانت دامت لغيرك ما وصلت اليك وسيكبر هذا الجيل بعد فترة وسيتهم بهذا الاتهام فى نفس الوقت نحن لانتنكر على أجيال سابقة وخبرات موجودة والحمد لله أنها تطورت بالعمل الصحفى وتطورت بالعمل الاعلامى فى كل مجالاته من أجل مصر ..

اذن بنطالب الجيل الصغير الشاب انه لن يأخذ حقوته بالكلام عنها أو بأنه فى كل موقع من مواقع اللقاءات والندوات يقول أنا عاوز كذا ويقول مش واخد كذا .. الخ لا ، يبقى أن الجانب الذى يتكلم هذا الكلام أن يكون متعقلا فى هذا العرض وأنه يؤدى عملا يلوفى نفس الوقت الذي اعرف فيه بعض الاخوة الشبان الذين يطالبون بهذا أعرف البعض الاخر من الشبان لايملكون غير الشكوى ولايقدمون عملا لكن يكون الفرد منهم سعيدا عندما يذهب ليشتكى فى أى مكان تحت شعار أن الشباب لا يأخذ فرصته فى هذا المجال أو ذاك ..

اذن المفروض والذى يجب اننا نتدارسه اليوم هو أن هناك خلافا فى الفكر وخلافا فى الاسلوب فى اجهزة الاعلام ومطالبون بأن يكون هناك تكامل بين هذا الاسلوب وبين هذا الفكر من أجل الجيل القديم صاحب الخبرة وبين الجيل الجديد الذى يأخذ الخبرة وهنا تتم المواءمة لانه صعب جدا أن يبدأ جيل من فراغ وصعب جدا أن يعيش جيل يفكر بعقليات الثلاثينات والاربعينات ..ولقد كان لى تعليقا بسيطا كنت أريد أن انتهز فرصة وجود الاستاذ الكبير فكرى أباظة لاقوله ويتعلق بالعمل الصحفى ولكن لعله من المصلحة أننى لا أقول الان لانه ربما لايستمعه وهو أن هناك كتابات تكتب فى الصحف بصدق ليست أمينة وليست مايريده شعبنا سياسيا واقتصاديا بل واجتماعيا أيضا كلاما كان يكتب سنة ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ كان مجتمعنا يتقبله فى محالاته المختلفة بنرى جزءا كبيرا من هذا الكلام يكتب اليوم بعد مرور ٣٠ سنة وهذا حرام ، بل هو مصادرة لعقول هذا الجيل الشاب ، بل هو أيضا حكم بالقضاء على معنى التطور وأن هناك تطورا وان هناك مدنية موجودة ونحن متواكلين هذا غير ممكن هذا الاسلوب قائم فعلا فى العمل الصحفى وأرجو رجاء مزدوجا للجيلين بأن نفكر فى سنة ١٩٧٤ نفس الكلام أقل سواء أو أقل حدة يجرى فى الاذاعة أو فى التليفزيون ولكننا نريد ونرجو كل الاخوان وأساتذتنا الكبار فى أجهزة الاعلام سواء التليفزيون او الاذاعة بأنهم يكونوا عايشين وهم عايشين فعلا ولا أدعى أنهم بعيدين عن اننا بنجرى فى سنة ١٩٧٤ وأن ما قبل ٦ أكتوبر لابد بل من المحتم أن يختلف تماما عما يجرى وعما سيكون بعد ٦ أكتوبر وشكرا لرئاسة الجلسة ..

■ د . رفعت المحجوب

اذا أذنتم لا نريد استغلال وقت حضراتكم اكثر من هذا لان الذين طلبوا الكلمة عدد كبير واذا أذنتم نعطى الكلمة





عبد الحميد حسن



ثروت أباظة

للدكتورة زينب السبكى وأعتقد أننا بعد ذلك نأخذ بعض التعليقات البسيطة .

■ د . زينب السبكى

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ بشكر السيد وزير الاعلام الدكتور كمال أبو المجد على صراحته التى تحدث بها عن القصور فى وسائل الاعلام والتى نشرت فى الصحافة وقالها اليوم بمنتهى الحرية

والصراحة لنا جميعا وأعتقد أن هذا التصور له أسباب لكننى سأركز على كلمة واحدة جاءت فى كلام الاستاذ الكبير عبد الحميد يونس قالها فى فترة سريعة .. نريد الوقوف عندها وأرجو السيد الدكتور وزير الاعلام يكون قد عمل شيئا فى هذا المجال قال بأن أجهزة التليفزيون بقالها ١٤ سنة لم تتغير ولم تتقدم ولم تتطور وليس هناك أى اصلاح لها وهذا فعلا فان أجهزة التليفزيون منذ عام ١٩٦٠ وحتى اليوم وخاصة أجهزة التسجيل لم تتغير حتى الان ولقد لمست هذا كثيرا بنفسى نظرا لاننى أسجل كثيرا فى التليفزيون فى تنظيم الاسرة وشئون المرأة ، حيث ألاحظ أن موعد البرنامج يكون الساعة السابعة لكن التسجيل يتم الساعة الثانية عشرة لكى نسجل برنامجا قصيرا وهذه شكوى ليست منى فقط وانما ايضا من الذين يطلب منهم التسجيل من الاجانب فى حين اننا فى الخارج سواء فى البلاد الغربية أو العربية نسجل مثل هذه الفقرات فى وقت صغير جدا نظرا لان أجهزة التليفزيون متقدمة ومتطورة هناك ..



د. عائشة راتب



د. زينب السبكى

لذلك فاننى أرجو السيد وزير الاعلام العمل بسرعة على تغيير تلك الاجهزة واستبدالها بأجهزة متطورة وحديثة .. وشكرا .

■ د . رفعت المحجوب

يسعدنى فى النهاية أن نستمع الى كلمة الاستاذة الجليلة الدكتورة عائشة راتب .

■ د . عائشة راتب

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا وبامانة احب أن أعبر عن سعادتى البالغة بحضورى اليوم معكم هذا الحوار المثير وبامانة أيضا أقول باننى قد سعدت بالاستماع الى كل الاراء التى قيلت اليوم هنا . ولا أقول هذا لكى يقال اننى اريد مجاملة الجميع فى النهاية ، لا . فلقد أعجبت بكلمة الاخ ابراهيم يونس والاستاذ فكرى أباظة والدكتور فؤاد محيى الدين والدكتور كمال أبو المجد وكل السادة الذين تحدثوا فى هذا الاجتماع وهذا يدل على حاجة فى تقديرى جميلة جدا وهى اننا نجلس معا لنتحدث معا ونرى عيوبنا مع بعض سواء أكانت صحيحة أو غير صحيحة لانبحث عما اذا كان ماقيل صحيح أو غير صحيح سواء فى كلام الاخ ابراهيم يونس أو غيره لى ولكن يكفى أن صحفى شاب جاء وجلس مع الاساتذة الكبار وعرض مشكلة عليهم ، لكن قد يكون تدعرضها بحماس لكنهم أيضا عندما كانوا شبابا كانوا يفعلون هذا الحماس ، وفى رأيى أن القديم لايلغى الجديد انما نحب الاثنين ان نضع أيدينا فى يد الشباب ونسير معا لنحقق المجتمع الذى نريده ونحلم به جميعا واننى انتهز هذه الفرصة الصغيرة لاننى أحد هنا جميع أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون ربما لاننى أمثل الشئون الاجتماعية انما أطالبهم ـ فى كل ما يكتبون سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو ثقافيا ... الخ بشىء واحد هو اننا نحاول بكل الطرق أن نلتزم هنا بالكلام الذى جاء فى ورقة أكتوبر والذى قاله السيد الرئيس وهو اننا نساعد على ايجاد الانسان الجديد الانسان الوزير الجديد ، الانسان أمين الاتحاد الاشتراكى الجديد الانسان الصحفى الجديد ، والانسان المصرى الجديد الذى سيتقدمنا جميعا ويتقدم بنا للامام .

أعتقد وقد قلت هذا الكلام فى هذا المكان فى "الاتحاد الاشتراكى بأن أحلى شىء أعجبتنى فى ورقة أكتوبر لاننى أعتقد أن كل ما جاء بورقة أكتوبر وكل ما دار هنا من كلام مرتبط بهذا المعنى الانسان الجديد القيم ، التقاليد ، الاخلاق والاخلاص والوفاء والشرف على جميع المستويات ابتداء من أصغر فرد فى الدولة الى أكبر فرد موجود فى أى مؤسسة سواء كانت صحفية أو وزارية أو الاتحاد الاشتراكى أيا كان الامر .

هذا رجائى الذى أرجوه لكل صحفى موجود وكل اذاعى وكل عامل فى التليفزيون بأن يمد يده سواء وهو يكتب أو يمثل أو يؤلف أو وهو يخرج بأن يحاول اعطاءنا هذه الصورة ويحاول أنه يغرسها فى نفوس أولادنا لاننا نقول لايجب أن يسبقنا الوقت بأى حال من الاحوال وأن سنة ٢٠٠٠ على الابواب ونحن جميعا مطالبون بهذا وأنا بارجو عندما ياتى أى صحفى عندى فى الوزارة وأقول لهم أن يكتبوا ما يريدون من نقد لاى عمل يتم على مستوى وزارة الشئون الاجتماعية لكننى أقول لهم لاداعى للنقد الهدام واذا كان هناك نقد ـ أرجو اعطائى الوسيلة الصحيحة التى توصلنا الى ما يريده أى ناقد فى نفس الوقت الذى ينقد فيه لن أطيل عليكم وشكرا .

■ د . رفعت المحجوب

فى ختام هذا النقاش يسعدنى أن أسجل انه قد دار وعلى الرغم من الخلافات التى ظهرت بجدية وموضوعية وبحرية والحقيقة أن الخلافات التى ظهرت هنا انما تعكس خلافات قائمة داخل وسائل الاعلام ... فالخلاف الذى أشير اليه فى الصحف والاذاعة والتليفزيون له أسس ويجب الا نسقطها من حسابنا ويجب فعلا أن نأخذ هذه الجلسة التى قد فتحت لنا موضوعات كثيرة مأخذا جديدا بمعنى أن تكون نقطة بدء لها اتصال وعلى ذلك فاننى أوافق تماما على ما اقترحه الكثير من الاخوة على عقد لقاءات مشتركة بين وزارة الاعلام والممثلة أساسا فى وزيرها وقياداتها وبين الاتحاد الاشتراكى وبين المسئولين عن الاعلام فى كل قطاع بمعنى أنه بعد هذه الجلسة التى جمعت الجميع متصور عقد جلسة خاصة بالصحف وأخرى خاصة بالاذاعة وأخرى خاصة بالكتب التى تصدرها وزارة الثقافة وممكن تقسيم اجتماعاتنا تبعا لتقسيم القطاعات فى المستقبل على أن يخصص كل اجتماع لمناقشة تتعلق بهذا القطاع وعلى أن نتصور معا ما يمكن أن تكون عليه الصورة بصرف النظر واننى اختلف مع زميلى الدكتور ثروت بدوى فيما قاله بانه هل الاجتماع مهيأ لمناقشة مسائل تنظيمية أملا ، ممكن جدا أننا نقترح فى أى اجتماع ما نريده ويرفع لمن لهم حق القرار ولذلك فى الاجتماعات القادمة لا مانع أبدا من أننا نناقش المشاكل الموضوعية وايضا نناقش المشاكل التنظيمية وأقترح أننا نلتقى بكل قطاع على حدة حتى يحدث تركيز على المشكلات التى يعانى منها كل قطاع .

لا شك أن هذا الاجتماع له فضل البدء وعلينا نحن واجب المتابعة ، وفى الختام أتقدم لحضراتكم بوافر الشكر والتقدير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعند الساعة الثانية انتهى الاجتماع ..

■ جمهورية مصر العربية

السادات : لانحب أن يستمر الخلاف مع الاتحادالسوفيتى

■ فلسطين

الفلسطينيون « يسرقون » الكاميرا

■ الجمهورية العربية اليمنية

ماذا بعد استيلاء العسكريين على السلطة ؟

■ بولندا

من بلد زراعى متخلف الى المركز العالمى الثانى فى الفحم والثالث فى الكبريت

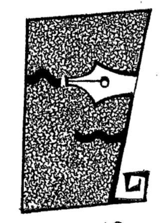
ثقارير خاصة

■ الحكم العسكرى اليونانى يعزل مكاريوس ثم يعزل نفسه

■ تقرير من موسكو

خمس اتفاقيات فى اللقاء الثالث

تقارير الشهر



أغسطس

١٩٧٤

■ جمهورية مصر العربية

نتائج ايجابية لزيارة رومانيا وبلغاريا

قام الرئيس **أنور السادات** خلال الفترة من ٢٧ يونيو الى ٣ يوليو الماضى بزيارة لكل من جمهورية **رومانيا** وبلغاريا الاشتراكيتين ، وقد استقبل **الرئيس السادات** استقبالا رسميا وشعبيافى كلا البلدين ، ووصف الرئيس الرومانى **نيقولاى شاوشيسكو** زيارة الرئيس السادات : بأنها نقطة جديدة هامة فى تاريخ العلاقات بين البلدين ، كما عبر عن ذلك ايضا الرئيس البلغارى تيودور جيفكوف : بأن الصداقة المصرية البلغارية الحالية لها مضمون جديد وانها تعكس نضال البلدين المشترك ضد الامبريالية والعدوان .

وتجىء هذه الزيارات فى نطاق الجهود التى يقوم بها الرئيس السادات على المسرح الدولى ، خلال الفترة التى تسبق انعقاد مؤتمر جنيف ، كما استهدفت الزيارة تعزيز الصداقة بين مصر وكل من رومانيا وبلغاريا ، وتدعيم الروابط والمصالح الاقتصادية المشتركة .

وقد أسفرت المباحثات بين **الرئيس السادات** وكل من الرئيس **الرومانى** شاوشيسكو والرئيس البلغارى **جيفكوف** عن الاتفاق على شروط اقرار السلام فى الشرق الاوسط ، واعتبار الانسحاب الاسرائيلى الكامل من الاراضى العربية المحتلة بعد حرب عام ١٩٦٧ واسترداد الحقوق الوطنية العادلة للشعب الفلسطينى شرطين أساسيين لتحقيق الامن والسلام وحل مشكلة الشرق الاوسط .

وكان من بين النتائج الهامة للمحادثات التى أجراها الرئيس السادات فى رومانيا وبلغاريا ، **اعتراف كل من رومانيا وبلغاريا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى وحيد للشعب الفلسطينى** : الذى يعد اول اعتراف دولى بمنظمة التحرير الفلسطينية ، الامر الذى يعتبر فى نظر المراقبين امرا له أهميته ومغزاه السياسى فى هذه المرحلة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أكدت كل من رومانيا وبلغاريا على ضرورة **المشاركة الكاملة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى مؤتمر جنيف** ، باعتبارها طرفا مستقلافى المؤتمر . والمعروف انإسرائيل ترفض تمثيل الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف المنتظر عقده فى الخريف القادم .

كذلك أسفرت المباحثات الاقتصادية الهامة التى أجراها **الرئيس السادات** فى رومانيا وبلغاريا ، عن تكوين لجان مشتركة للتعاون الشامل بين كل من البلدين برئاسة وزراء الخارجية . كما وافقت رومانيا على تقديم قرض لمصر قيمته ١٠٠ مليون دولار فى شكل معدات مختلفة ، وانشاء شركة مشتركة للتنقيب عن البترول بين البلدين ، وبنك مصرى ــ رومانى ، هذا الى جانب مساهمة رومانيا فى مشروعات التصنيع الزراعى وتعمير مدن القناة .

وتم الاتفاق مع بلغاريا على تقديم قرض طويل الاجل لمصر . عن طريق المساهمة فى مشروعات التعمير ، وفى ميادين الزراعة والصناعة ، وزيادة التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى فى مجالات الانتاج واقامة المشروعات المشتركة بين البلدين .

والجدير بالذكر ، انه قد تبين فى مناسبة زيارة الرئيس السادات لكل من رومانيا وبلغاريا ان لمصر قرضا من رومانيا قيمته ١٠٠ مليون دولار ، كما أن لمصر قرضا آخر من بلغاريا قيمته نحو ١٢٨ مليون دولار ، لم تستخدم منه مصر سوى ٢٨ مليون دولار فقط ، وهذه القروض يرجع تاريخها الى سنوات عديدة ، كما أن لدى مصر مصنع اقامته بلغاريا منذ عدة سنوات ولم يتم تشغيله حتى الان ، وذلك لاسباب محلية ترجع الى عدم توصيل الكهرباء والمجارى للمصنع

■ شريط الاخبار ■

■ وصلت اللجنةالعربية لتقصى الحقائق فى عمان ومسقط التابعة لجامعة الدول العربية الى طريق مسدود فى مهمتها . وذلك بسبب رفض بعض أعضاء اللجنة زيارةالمناطق المحررة والجلوس مع ممثلى الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى . وتضم اللجنة ممثلين عن الجزائر وتونس وليبيا ومصر وسوريا والكويت .

■ شريط الاخبار ■

المذكور حتى الآن ٪ وان هناك اجزاء مصنع آخر ما تزال داخل الصناديق فى ميناء الاسكندرية .

وقد أكدت البيانات المشتركة لزيارة الرئيس السادات لكل من رومانيا وبلغاريا تطابق وجهات النظر بين الجميع سواء بالنسبة للمشاكل العالمية او بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط . وان حرب اكتوبر قد دعمت حركات التحرير فى كل مكان ، كما أوجدت الظروف الضرورية لاقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الاوسط . وان اتفاقيات الفصل بين القوات على الجبهتين المصرية والسورية هى خطوة اولى على طريق الحل السياسي . واكدت البيانات المشتركة على ضرورة بذل المزيد من الجهد لتحقيق الحل الكامل للمشكلة فى اطار مؤتمر جنيف وعلى ضرورة انسحاب اسرائيل من كل الاراضى العربية ، مع اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ، وعلى حق كل دولة فى السيادة على اراضيها واحترام حدودها .

□

السادات : لانحب أن يستمر الخلاف مع الاتحاد السوفيتى

احتفلت جمهورية مصر العربية بالذكرى الثانية والعشرين لثورة ٢٣ الذى اقيم بهذه المناسبة وحضره اعضاء اللجنة المركزية واعضاء مجلس يوليو . وقد القى الرئيس أنور السادات خطابا سياسيا فى الاحتفال الذى اقيم بهذه المناسبة ، وحضره اعضاء اللجنة المركزية ، واعضاء مجلس الشعب والوزراء وعدد من قادة القوات المسلحة . كما حضره عدد من الضباط الاحرار الذين اشتركوا فى الثورة ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وقد عرض الرئيس فى خطابه للظروف التى ادت الى قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وكيف اكتسبت الحركة التى قامت فى ذلك اليوم صفتها الشرعية كثورة وليس كمجرد انقلاب بعد التفاف الجماهير حولها وتأييدها . كما عرض الرئيس لمراحل التجربة التى قطعتها ثورة ٢٣ يوليو ، وهى تشق طريقها عبر التحديات المحلية والدولية ، فى سبيل تحرير الارادة الوطنية، وأن تحقق انجازات غيرت وجه الحياة فى مصر . وكيف ساهم هذا التغيير فى تحرير الارادة العربية .

وقال الرئيس : ان اختيار ثورة ٢٣ يوليو لتجربة اشتراكية مصرية ، والتحول نحو مزيد من العدالة الاجتماعية ، انما هو قانون العالم كله وأن تعددت الاشكال والسبل ، بعد أن تضاعف عدد السكان فى مصر خلال سنوات الثورة الى الضعف .

وأن الاستثمار القومى فى هذا الاتجاه قد حال دون تدهور حياة الشعب وانفجار الصراعات الدموية فى الداخل ، كما أن المزيد من الديمقراطية والحرية السياسية هو وحده الذى يستطيع أن يصون مسيرة الثورة ويصون مكاسبها .

وعرض الرئيس فى خطابه للموقف من الاتحاد السوفيتى وقال : ان الاصدقاء السوفييت يسيئون تفسير مواقفنا . وأن سوء التفاهم بيننا وبين الاتحاد السوفيتى أمر لا نحب له أن يستمر ونحن من جانبنا نحرص على ازالته .

وأكد الرئيس فى خطابه على عدد من الحقائق الهامة وهى أن سياسة الانفتاح ليست اندفاعا غير محسوب وراء مصادر التمويل ،

■ قرر المجلس الوطنى للسلم والتضامن بالعراق ، تشكيل لجنة خاصة للتضامن مع شعب شيلى لتعبئة جهود القوى التقدمية العراقية الى جانب الوطنيين الشيليين . وتضم اللجنة عزيز شريف وزير الدولة والسكرتير العام للمجلس الوطنى للسلم والتضامن ونعيم حداد السكرتير العام للجبهة الوطنية بالعراق وعديد من الوزراء والشخصيات الاجتماعية .

ونحن نراها سياسة تحتاج الى حسابات دقيقة لا تخل بالتوازن الداخلى لتقدمنا ولا تخل بالتوازن الخارجى لاستقلالنا وسيطرتنا على مقدراتنا .

وأن من اهم الاسلحة لنا لمواجهة المرحلة السياسية المقبلة ، هى حل مشكلة العلاقة المعقدة بين الاردن والفلسطينيين وممثلتهم الشرعية منظمة التحرير ، وذلك قبل انعقاد مؤتمر جنيف . وأن من خطوط سياستنا التى تمليها المصلحة العربية العليا العمل على التنسيق بين دول وقوى المواجهة بما فيها الاردن ، لاننا بغير هذا التنسيق فاننا نخسر معركة المرحلة المقبلة قبل أن تبدأ ، ولانه لا بديل لهذا التنسيق سوى حرب اهلية عربية يهدأ بها بال اسرائيل وتستريح من عناء المواجهة .

وقال الرئيس : « انه لا يجوز مطلقا أن نغفل أو يغفل غيرنا عن الحقيقة الاساسية وهى أن المعركة مازالت قائمة وأن الاحتلال الاسرائيلى مازال يدنس اراضى عربية كثيرة ، وان القتال مرة اخرى هو الحل الذى لا مفر منه اذا لم يفتح الطريق حقا أمام السلام .

وكان الرئيس أنور السادات قد قام خلال الفترة من ٢٧ يونيو الى ٣ يوليو الماضى بزيارة لكل من جمهورية رومانيا وبلغاريا الاشتراكيتين . وتجىء هذه الزيارات فى نطاق الجهود التى يقوم بها الرئيس السادات على المسرح الدولى قبل انعقاد مؤتمر جنيف .

□

■ شريط الاخبار ■

■ اصدر المجلس المصرى للسلام بيانا حول الاوضاع فى قبرص أدان فيه الانقلاب العسكرى الذى نظمه مجموعة من العسكريين اليونانيين المغامرين بدعم وتحريض من دوائر حلف الاطلنطى . وحذر البيان من خطر تدهور الوضع فى شرق البحر الابيض المتوسط ومن أثر ذلك على الوضع فى منطقة الشرق الاوسط .

■ مجلس الشعب

٣ اتجاهات فى مناقشة قانون الحراسات

فى آخر جلسة عقدها مجلس الشعب ، لهذه الدورة ، وافق المجلس على قانون تسوية أوضاع الحراسة .

واذا كان القانون الذى اقره المجلس قد التزم « بصفة عامة الحد الاقصى المقرر فى القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ ، فى تحديد ما يرد عينا ونقدا وهو **ثلاثون الف جنيه** » ، الا ان القانون الجديد تضمن مزيدا من الامتيازات لمن كانوا قد خضعوا للحراسة ، من ذلك :

١ ــ تحديد الحد الاقصى لما يرد للاسرة بما لا يجاوز **مائة الف جنيه** .

٢ ــ ينتفع بالقانون كل من رفعت عنه الحراسة قبل صدور القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ ، وكل من استثنى من أحكامه .

٣ ــ يسرى القانون ايضا على من خضعوا لتدابير الحراسة التى فرضت طبقا لقانون تدابير امن الدولة رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ ، وذلك بشأن حالة الذين اعتبرت أراضيهم مبيعة ، دون أن يتم توزيعها على صغار الفلاحين .

٤ ــ اجاز القانون الجديد لمن كان قد خضع للحراسة ، اختيار العناصر التى ترد اليه عينا أو نقدا . الا ان القانون ، وضع ضوابط للرد العينى ففرق بين الاراضى الزراعية وبين العقارات المبنية ، وما فى حكمها . وكان الدافع الى هذه التفرقة :

« الالتزام بقوانين الاصلاح الزراعى والتأميم واحترام المراكز القانونية التى استقرت » .

■ شريط الاخبار ■

وقد ظهر من البيانات التى قدمها الخاضعون للقانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ ، أن هناك ٥٦٤٢٣ فدانا خضعت للحراسة . وقد رد بعض هذه الاراضى عينا ـــ فى حالات مستثناة ـــ وبلغت مساحة ما رد من هذه الارض ١٤٠٥١ فدانا ، وذلك فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧١ ، ووزع بالتمليك على صغار الفلاحين ١٧٥٨١ فدانا .

وعندما عرض القانون على المجلس ، ظهرت فى مناقشاته ثلاثة اتجاهات متميزة :

١ ـــ اتجاه عبر عنه بالاساس أعضاء المجلس : **احمد يونس** ، **ويوسف مكادى** ، **واحمد الجبالى** ، وهو اتجاه ادان الحراسات ادانة كاملة . فقد ذكر العضو **أحمد يونس** ان الحراسات التى فرضت على المواطنين خلال السنوات العشر الماضية ، لم يكن الدافع لها وطنيا ، ولم يكن الدافع لها عدلا . وقال انه : فى سنة ١٩٦١ ، حينما تمت جريمة الانفصال بين مصر وسوريا ، أراد الفاشلون ان يغطوا فشلهم ، **فافتعلوا أن الاقطاع والرجعية** بدآ يتحركان لينقضا على مكاسب الثورة ومكاسب العمال والفلاحين ففرضوا الحراسات . وقال العضو : ثم فى سنة ١٩٦٥ ، ارتكبت مهزلة أخرى ، حينما حدثت حادثة كمشيش .. لقد افتعل التنظيم السياسى أكبر جريمة **لتضليل نواب الشعب** وقيادات الشعب ، حينما قالوا انها بفعل الاقطاع ، وانسقنا وراءه ، بكل أسف وبكل حزن ... وقد ثبت إن ما حدث فى كمشيش كان وهما .. ثبت هذا بحكم القضاء وفى عهدهم .

وانضم الى العضو احمد يونس فى اتجاهه ، العضو **يوسف مكادى** ، فطالب بأن يعد مجلس الشعب **كتابا « أزرق »** من خلال جلسات الاستماع التى عقدت فى المجلس وتحدث فيها من خضعوا للحراسة ، وعلل مطالبته « بالكتاب الازرق » بأن الفترة التى فرضت فيها الحراسات أساءت الى سمعة وكرامة الوطن .

٢ ـــ اتجاه مقابل ، عبر عنه العضو **أحمد طه** ، الذى قال : انه اذا كانت قد حدثت تجاوزات فى تطبيق قانون الحراسات ـــ وهذا صحيح ـــ ولكنى أيضا كنت أتخوف من الاتجاه الى المغالاة فى هذه التجاوزات .

عامل آخر هام ، وهو انه لا يمكن لانسان ان يدافع عن الظلم . ولكن كان فى ذهنى أيضا ظلم أبعد وأعمق ، ليس ظلم أربعة عشر عاما ، ولكنه ظلم أربعة عشر قرنا من الاستغلال على هذه الارض مارسته طبقات ، ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو لتقضى على هذا الظلم وتصفيه ، ورغم ذلك ، فما زال على أرضنا بقايا لهذا الظلم ، وآثار لهذا الظلم ، نسعى للخلاص منه ، وتجاهد ثورتنا لانهائه .

اذن لا نغالى كثيرا فى الحديث عن الظلم ، ان هؤلاء لم يظلموا بالمعنى الذى يتضمنه الظلم من قسوة ، واتفق أيضا بأننا نرفع هذا الظلم الان بانصافهم ، واعادة الحقوق اليهم ، وأعود لاقول ، انه لا ينبغى أن نغالى فى الحديث عن هذا الظلم ، لان المغالاة ستؤدى الى عكس ما نهدف اليه .

٣ ـــ اتجاه ثالث ، عبر عنه **د . جمال العطيفى** ، الذى أشار الى انه كانت هناك مخاوف لدى البعض من هذه الخطوة التصحيحية ، بمقولة أن أصحاب الاملاك السابقين لن يشبعوا ، وان هذه الخطوة قد تعقبها خطوات أخرى . لان من خضعوا لقوانين التأميم ، وحدد ما يتقاضونه من تعويض عنها بمبلغ

■ **تم فى القاهرة توقيع بروتوكول التعاون لعام ٧٤ ـــ ١٩٧٥ بين منظمة الشباب الاشتراكى العربى ومنظمة الكومسومول السوفيتى . ويقضى البروتوكول بتبادل زيارات الوفود والخبرات فى مجال النشاط الشبابى والتنظيمى . وقد أوضح وفد منظمات الشباب السوفيتى الذى زار القاهرة مؤخرا ، ان فرقا من شباب الكومسومول السوفيتى ، ينتظر موافقة الجهات المسئولة فى مصر ، للحضور ليشارك فى عمليات تعمير منطقة القناة . وتجرى حاليا الاتصالات الضرورية لهذا الغرض .**

١٥ الف جنيه ، قد يعودون ويقولون لماذا لا يكون شأننا شأن من خضع لاجراءات الحراسة ؟ .. وان يعود من خضعوا لقوانين الاصلاح الزراعى ، وآلت أطيانهم التى تزيد على مائة فدان للدولة بدون مقابل ، فى نفس التاريخ الذى صدر فيه القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ ، الذى آلت بمقتضاه اموال الخاضعين للحراسة للدولة ، مقابل تعويض ٣٠ الف جنيه ، ربما عاد هؤلاء وقالوا أيضا ، اليس شأننا مثل الاخرين ؟

كانت هذه مخاوف رددها البعض ، ورفضتها اللجنة المشتركة التى نظرت هذا المشروع بقانون ، رفضتها من منطق يجب ان يكون واضحا أمامنا جميعا والا فان الخطر سيظل قائما ، وستصبح المخاوف فى محلها ، هـذا المنطق ليس منطق ان اجراءات الحراسة كانت مصادرة ، وليس منطق ان حق الملكية حق مقدس ، لان للملكية وظيفتها الاجتماعية ، ومبدأ ان للملكية وظيفة اجتماعية ، نص عليها القانون المدنى قبل الثورة ، وهو مستمد من احكام الشريعة الاسلامية ، وليس فى تحديد حد أقصى للتعويض من الاموال التى آلت الى الدولة مصادرة ، وليس من الضرورى فى التأميم أن يكون التعويض كاملا ، ولا يصح ان نقبل منطق ان حق الملكية حق مقدس ، والا لما اصدرنا قوانين الاصلاح الزراعى وقوانين التأميم ولكن اجراءات الحراسة ليست هى الطريق السليم لاحداث التغييرات الاجتماعية ، ولانها بطبيعتها تفتح الباب أمام التحكم ، ولا معيار ولا ضوابط لها ، ولانها تتعلق بطبيعة النشاط او الملكية موضوع الاجراء ، بل انها توجه ضد اشخاص معينين ، ومن هنا كانت خطورة استخدامها كأداة لاحداث تغييرات اجتماعية .. ومن هنا كان منطلقنا فى التصحيح .

وكان د . **يحيى الجمل** وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، قد اهتم فى كلمته بالا يؤدى نظر قانون الحراسات الى ادانة لثورة ٢٣ يوليو . فأشار الى ان **الرئيس السادات** كان شجاعا ، كل الشجاعة ، بل بلغ القمة فى الشجاعة حينما قال انه مسئول عن كل اجراء ، وكل تصرف اتخذ منذ فجر الثورة حتى يومنا هذا ، لذلك فاننى أود ان أوضح للمجلس ، ان الانحراف فى التطبيق شيء والاتزان يحدث دائما ، وفى كل مكان وزمان ، والاصول الكلية العامة شيء آخر .

ان محاولة تغيير البنيان فى هـذا البلد واتخاذ بعض الاجـراءات أمر سليم فى جوهره ولا غبار عليه . ويتفق مع مواثيق الثورة المتعاقبة ، ودستور سبتمبر ١٩٧١ الذى نعيش فى ظله . وارجو ان اضـع تحت نظركم وأنتم السلطة التشريعية العليا فى هذا البلد ان كل اجراء اذا وصم بالظلم المطلق سننتظر بعد ذلك فى المحاكم صدى هذا الكلام الذى يتردد هنا ، كلام ولكنه سيكون له صدى فى أروقة المحاكم ، لذلك أرجو عندما نصف اجراء أو بعض الاجراءات بالظلم الا ينسحب هذا الوصف على كل ما اتخذ من اجـراءات ، فهناك ثمة ايجابيات كثيرة وبعض السلبيات .

ويرى المراقبون انه اذا كانت الاغلبية الساحقة من ابناء هذا البلد يتفقون مع الاتجاهين الاخيرين اللذين ظهرا فى المناقشة . فان قلة قليلة هى التى تتفق مع الاتجاه الاول لانه . اسلوب غير علمى « يحلل الاحداث خارج الظروف التى جرت فيها » . والامر المقطوع به ان اجراءات العدالة الاجتماعية التى بدأتها ثورة يوليو خصوصا منذ ١٩٦١ ، لم تجد قبولا بل وحدت مقاومة متعـددة الاساليب والاوجه من هؤلاء الذين وصفهم **الرئيس السادات** فى خطاب ٢٣ يوليه « بانهم قلة معزولة عن واقعنا الاجتماعى سمحت لها ظروفها الاجتماعية بان تعيش بعقليتها فى اوروبا وامـريكا ، فهؤلاء فى واد والشعب فى واد آخـر » .

شريط الاخبار

■ قام الحزب الشيوعى البرتغـالى بعقد ١٠ اجتماعات جماهيرية فى الشهر الماضى فى مدن الاقاليم الرئيسية وفى العاصمة ، كانت معيارا لمدى قوته الجماهيرية ، ففى أحد هذه الاجتماعات التى تمت فى جو مطير عاصف استمر ١٧,٠٠٠ من جماهير الحزب فى متابعة موضوعات المناقشة وهى اساسا وحدة الطبقة العاملة وتحالف الجماهير الشعبية مع القـوات المسلحة واليقظـة فى مواجهـة مؤامـرات الرجعية ، والمطالبة بانهاء الحرب الاستعمارية ، وحق شعوب المستعمرات فى الاستقلال .

الفلســـطينيون « يسـرقون » الكامـيرا

فى اسرائيل يردد المتدينون كلمات من التوراه يرون انها تنطبق على واقع الحال « ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا ، فينسى كل الشبع ، ويتلف الجوع الارض ، ولا يعرف الشبع فى الارض » [تكوين ٤١ : ٣٠] .

هكذا لاحظ مراسل « **دير شبيجل** » الالمانية الغربية ، لكن **يونيل ماركوس** [ها آرتس] يلاحظ أن اليمنيين يعتبرون كل ما حدث فى حرب أكتـــوبر كان « مجرد حادثة مرور وان على اسرائيل أن تفيق من الصدمة وتتابع السير على نفس الطريق » .

وبين روحانية المنطلق الدينى الذى يستسلم لسبع سنوات عجاف قادمة ، وتشدد اليمين الذى لم يتلقن الدرس بعد ، يقف تيار معتدل متفاوت الدرجات .. يخضع البعض لمقتضيات التسوية ولما تمليه توازنات القوى بعد ٦ أكتوبر .. وحتى هؤلاء فانهم يشعرون كما تقول معاريف الاسرائيلية [١٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٤] « ان كيسنجر قد عبر عن الحقيقة عندما اشار الى القرارات المؤلمة التى ستضطر اسرائيل الى اتخاذها فى المستقبل القريب » .

ويفسر البعض هذا التضارب الشديد فى المواقف الى ما يسمونه « بالشعور بالاحباط لدى اسرائيل ، فالشعور السائد فى القدس انه فى حين أن اسرائيل كانت قبل أكتوبر ١٩٧٣ تسيطر سيطرة تامة وفعلية على الموقف ، فان الامن الاسرائيلى قد أصبح مهددا تهديدا فعليا » [سكتسمان البريطانية ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٤] .

والامر الذى لا شك فيه هو أن اسرائيل تشعر بالفعل بنوع من الاحباط يجبرها الان أن تعيد حساباتها من جديد ، ويزيد من عقدة الاحباط هذه أن عملية اعادة الحساب تتم فى ظروف غير مواتية تماما .

وفى ذلك كله .. يتقدم احد الاطراف ، كان فى نظــر الكثيرين مجرد « كومبارس » فى الدراما الدائرة فى الشرق الاوسط ، وكان البعض يتصور أن دوره سيظل ثانويا على المدى المنظور حتى الان ، هذا الطرف هو الشعب الفلسطينى ، يتقدم ليسرق الكاميرا كما يقول الممثلون ، ويجتذب كل الضوء اليه ..

ويمكن القول أن المقاومة الفلسطينية التى تبلورت بعد الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ، قد أصبحت عنصرا حاسما بعد النصر فى ٦ أكتوبر ، ذلك أن الحديث عن التسوية السياسية ، يطرح أول ما يطرح سؤالا حاسما .. وماذا عن الشعب الفلسطينى ؟

وبينما كانت مباحثات فك الاشتباك على الجبهة السورية تجرى ، انطلقت عمليات المقاومة واحدة بعد الاخرى داخل الارض المحتلة معلنة أن طرفا أصيلا يتحرك على خشبة المسرح .. ورويدا رويدا تلتفت « الكاميرا » نحو مصدر الحركة الوحيد الباقى على المسرح .. الفلسطينيون .

ولقد راهن الاسرائيليون على أحد أمرين .. فاما ان اغراء الحل السياسى وفرصة اقامة سلطة فلسطينية قد يؤدى الى تفكك صفوف المقاومة واقتتالها وانهاك بعضها البعض ، واما أن تلجأ المقاومة الى حصون التشدد اللفظى فتعزل نفسها عن مجرى الاحداث عالميا وعربيا ومحليا ..

■ أعلنت الجبهة الوطنية الفلســطينية فى الاراضى المحتلة فى بيان لها ، ان هنــاك أربعــة آلاف من الفلسطينيين بينهم العـديد من الكتــاب والصـحفيين والمعلمين والطلبة لا يزالون فى السجون الاسرائيلية .
ودعت الجبهة الوطنيــة كافة القوى التقدمية والراى العام العالمى . للاحتجاج بشدة على ارهاب المحتلين الاسرائيليين ومضـــاعفة الجهود من أجـل اطـلاق سراح المواطنين الفلسطينيين المعتقلين فـى الســـجون الاسرائيلية .

ومرة أخرى خسر الاسرائيليون رهانهم فقد نجح المجلس الوطنى الفلسطينى فى الخروج ــ الى حد كبير ــ بموقف موحد متمثلا فى البيان السياسى المرحلى .. وان كان الصدام المسلح بين بعض فرق المقاومة قد أثار مخاوف الكثيرين الا أن تدارك الامر من جانب كل الاطراف وتدخل جبهة المشاركة فى الامر بحيث رأس ممثلها **نديم عبد الصمد** لجنة التحقيق التى شكلت لبحثه ، قدنجح فى وضع حد لهذه المخاوف .

وقد راهن البعض أيضا على أن قبول التسوية السياسية من جانب بعض أطراف المقاومة سوف يعنى « فك اشتباك » على الجبهة الفلسطينية ، وايقاف أعمال « العنف » انتظارا للتسوية أو تسهيلا لها .. وأيضا خسر هذا البعض الرهان **فنايف حواتمه** بعد تصريحه الشهير للامريكى **بول جاكوب** يوجه رجاله الى عملية « معالوت ــ ترشيحا » .. وقيل يومها أن الطلاء المعتدل لم ينجح فى اخفاء الوجه المتشدد لجماعة الجبهة الديمقراطية ، واستمر الرهان ، فجاءت عملية « نهاريا » التى قام بها رجال فتح . ليخسر هذا البعض رهانه أيضا .

وتقول « **الفانيانشيال تايمز** » البريطانية « ان عملية نهاريا لا تمثل فى الحقيقة تغيرا جوهريا فى سياسة **ياسر عرفات** ، ولكنها تعنى مواصلة القتال والمحادثات معا » [٢٨ ــ ٦ ــ ١٩٧٤] ويصعق الاسرائيليون ويصرح **أهارون ياريف** وزير الاعلام « بأنه لم يعد هناك فرق بين المنظمات الفلسطينية المعتدلة والمتطرفة » [الفانيانشيال تايمز ٢٨ ــ ٦ ــ ١٩٧٤ .

وهكذا تتميز اتجاهات الحركة الفلسطينية بمحاور ثلاث .. التوحد قدر الامكان ــ القبول بالحل السياسى مع الاستمرار بالضغط العسكرى ــ الكف عن العمليات غير المجدية كخطف الطائرات والتركيز على عمليات موجهة توجه ضرباتها الى القلب من اسرائيل .

وهكذا ومع تصاعد الانين الاسرائيلى ، وردود الفعل المتمثلة فى اعتداءات شرسة على لبنان ، وصل بعضها الى حد أن اسرائيل بررت رسميا قيامها به « لانه كانت هناك دلائل [مجرد دلائل] على اعداد هجمات فدائية من بعض موانى لبنان » [الانوار ١١ ــ ٧ ــ ١٩٧٤] .

ويصل الامر **بشارون** الى التصريح قائلا « يجب ضرب المخربين فى كل مكان .. فى البلد ، وفى البلاد العربية ، وفى الخارج .. ينبغى أن نعمل ضدهم يوميا وفى كل مكان » وطالب **شارون** « باقامة هيئة رسمية تملك صلاحيات ولها قيادة خاصة » [الانوار ١ ــ ٧ ــ ١٧٩٤] .

وتتصاعد الهجمات الاسرائيلية على لبنان الى حد يدفع أخلص أصدقاء اسرائيل الى استنكارها .. وتحاول اسرائيل عبثا أن تحل مشكلات الامن وتقرر الاخذ بفكرة شارون ، وتشكل هيئة ارهابية شبه رسمية ..

لكن ذلك كله لا يفيد .. فالفلسطينيون يعملون .. ويخطفون بحركتهم الابصار ، ومع كل حركة يزداد اقتناع العالم بأن جوهر الحل ومفتاحه يبدأ وينتهى بقضية الشعب الفلسطينى .. ولعل هذا هو الذى ادى الى موافقة **نيكسون** الى أن يقرر وهو فى موسكو بضرورة «الاعتراف» بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين » فاذا ماأتى هذا الاعتراف من **نيكسون** ..واذا اتى منه فى بيان مشترك صادر فى موسكو ووقعه معه **بريجنيف** فانه يحمل فى واقع الامر دلالات خطيرة .

تدفع جريدة « دافار »الاسرائيلية الى أن تقول « ان المرء لايستطيع أن ينظر الى هذا التأييد للقضية الفلسطينية دون خوف أو قلق وعلى الاخص فى هذا الوقت الذى يشكل فيه «الارهاب »العقبة الرئيسية التى تحول دون التقدم نحو تسوية سلمية » [الانوار ٥ ــ ٧ ــ ١٩٧٤] .

■ شريط الاخبار ■

■ أعلن الفاروكونيال سكرتير الحزب الشيوعى البرتغالى ووزير الدولة فى الحكومة البرتغالية ، وسط اجتماع جماهيرى للحزب ، ان جهود الحزب الشيوعى البرتغالى يجب أن تتركز على توحيد كافة القوى الديمقراطية والتلاحم بين الحركة الشعبية والقوات المسلحة ، لتامين مستقبل البرتغال الديمقراطى . كما يجب العمل على انهاء الحرب والتفاوض مع حركات التحرير الوطنية فى المستعمرات البرتغالية . وانه يمكن ايجاد حل لجميع المشاكل والصعوبات وانهاء الحرب فى المستعمرات ، عندما يحترم حق الشعوب الافريقية فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير .

.. وفى نفس الوقت يعقد فى بيروت اجتماع الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، ولعل اختيار الوقت والمكان كان ملائما تماما ، وقد حضر الاجتماع ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية ــ والجبهة القومية باليمن الديمقراطية ــ وجبهة تحرير عمان والخليج ــ وحزب البعث [العراق] ، وحزب البعث [سوريا] ، والاتحاد الاشتراكى العربى [مصر] ، والاتحاد الاشتراكى العربى [ليبيا] ــ واتحاد العمال العرب ــ وجبهة التحرير الجزائرية ــ وممثلى الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية ــ ولطفى الخولى بصفته الشخصية باعتباره احد مؤسسى جبهة المشاركة ..

وتكمن اهمية هذا الاجتماع فى أنه يأتى بعد اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى وبعد التطورات الاخيرة التى طرأت على أزمة الشرق الاوسط .. وفى الاجتماع تحدث **ياسر عرفات** وطالب « باعطاء الثورة درعا وسندا ومساعدات مستمرة تمكنها من القيام بدورها والتفرغ لمزيد من النضال وحماية الثورة من المؤامرات المتوقعة التى ترسم لها .] الانوار ٤ ــ ٧ ــ ١٩٧٤] .

وقد عبر الاجتماع عن اجماع على تبنى خطوط البيان السياسى المرحلى الصادر عن المجلس الوطنى الفلسطينى وضرورة استمرار الدعم للبنان والمقاومة الفلسطينية . مع تحفظ أبداه **نعيم حداد** [العراق] على بعض خطوط هذا البيان .

وهكذا نكون على حق تماما اذا قلنا ان « الكاميرا » الان تسلط عدساتها الاساسية على الشعب الفلسطينى وقيادته ..

أما فى الجانب الاخر فان الاسرائيليين يشعرون بالغصة كلما كسب الشعب الفلسطينى شعاعا جديدا من الضوء نحو موقعه .

وحرب اكتوبر والعمليات الفدائية تخلق جوا من الرعب أدى الى تدهور أساسى فى معدلات الهجرة من أوربا الغربية . وتنشر « معاريف » الاسرائيلية قائلة فى أسى واضح « فى الحقيقة انه بالنسبة للهجرة من الغرب فان لدولة اسرائيل عن طريق مبعوثيها مطلق الحرية للعمل من أجل تشجيعها وزيادتها ورغم ذلك فاننا قد منينا بخيبة أمل مستمرة فى هذا المجال . ويقول المدير العام لادارة الهجرة « لقد أجرينا اتصالا مع حوالى ١٥٠,٠٠٠ يهودى .. ولكنه يعود فيتساءل كم منهم لا يخشون المجىء الى اسرائيل حاليا فى ظل حالة الامن والوضع السياسى الغامض للغاية ؟ » [معاريف ــ ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٧٤]

وبانغلاق باب الهجرة تصاب النظرية الصهيونية بضربة قاتلة .. تفقدها ركيزتها الاساسية .

ليس هذا فقط ، فان الغلاء يجعل من الحياة فى اسرائيل شيئا لا يطاق وترتفع أسعار الخبز والزبد والبيض والسكر والارز وزيت الطعام بنسبة تصل الى ٦٠ فى المائة .

ومرة أخرى يتأكد الاحساس بأن الاضواء تتجه الان نحو الفلسطينيين عندما تشير بعض المصادر الى أن المسئولين الامريكيين يفكرون بشكل جدى فى تدبير نوع من اللقاء مع الفلسطينيين بحثا عن صيغة مشتركة لتسوية يقبلونها .

ويبدو تسرب هذا النبأ وكأنه مقدمة لتفجر جديد فى الاحداث ذلك أن عملية جس النبض المبدئية هذه والتى تمثلت فى تسريب هذا النبأ قد أثارت ردود فعل خطيرة داخل اسرائيل ويبدى « رابين » بتصريحات عنيفة محاولا أن يكسب « أرضا » قبل بدء المساومات ثم تتصاعد الحملة الاسرائيلية الى حد تسريب أنباء عن لقاء سرى بين **كيسنجر** والسفير الاسرائيلى فى واشنطون .. تفيد بأن أمريكا ليست مع اقامة دولة فلسطينية ، لكن هذا النبأ ذاته يضع مستقبل كل جهود **كيسنجر** تجاه الازمة ، فى مهب الريح .

.. ولا يجد بعض الاسرائيليين سوى استعادة كلمات التوراة « ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا ، فينسى كل الشبع ، ويتلف الجوع الارض » .

ويبقى السؤال .. هل ستكون السنوات العجاف سبع فقط ؟ .

■ شريط الاخبار ■

■ تحدثت مجلة نيوزاند وورلد ريبورت الامريكية عن بعض ملامح الازمة الاقتصادية فقالت ان ديون المؤسسات الامريكية ، وصلت فى نهاية عام ١٩٧٣ الى ١١١,٠٠ را مليون دولار ، بزيادة ٢٦٧ فى المائة بالمقارنة مع عام ١٩٦٠ ووصلت ديون الافراد الى ٨٢١,٣٠٠ مليون دولار بزيادة ٢١٢ فى المائة بالمقارنة مع عام ١٩٦٠ .

وتحتاج الحكومة الى دولار واحد من كل اربعة دولارات [يحصل عليها الشعب الامريكى كدخل بعد خصم الضرائب] وذلك لتغطية الديون . ونتيجة لذلك يتصاعد افلاس الافراد الى جانب وقوع الشعب الامريكى تحت ضغط أعباء الديون .

وقالت المجلة ، ان ما يزعج الكثير من المسئولين الماليين الامريكيين ، هو كيف يدفع الناس ديونهم بعد ان فقد عدد كبير من العمال عملهم او خفضت اجورهم ، وأن رجال الاقتصاد فى الحكومة وخارجها يشعرون بالقلق من تزايد ديون الامريكيين عن الحد، مما يهدد الاقتصاد الامريكى بالخطر .

■ لبـــنان

هل مشـكلاته .. هى ذاتهـا مميزاته ؟

الامن الداخلى .. الاعتداءات الاسرائيلية .. الغلاء .

تلك هى مشكلات لبنان الحقيقية ،لكن البعض يضع فى مجابهتها ثلاث قضايا اخرى ، الحريات ، الموقف اللبنانى المتباعد عن المعركة ضد اسرائيل ، الحرية الاقتصادية . وهم يقولون أن الثانية هى مسببات الاولى ، ومن ثم فانهم يحاولون مناقشة جوهر النظام اللبنانى ذاته ، وهل هو النموذج الامثل أم لا ؟

وعندما اختطف **ميشيل أبو جوده** رئيس تحرير النهار من أحد شوارع بيروت ، لم يكن هذا الحادث هو الاول أو الاخير فى حوادث الاختطاف ، لكنه كان نذيرا للجميع ، وخاصة الصحفيين كى يتحسسوا رقابهم . وهكذا تحركت كل القوى المؤيده للنهار ، والمعارضة لها ، لتدين الحادث ولتحاصر آثاره .. ومن البداية ادركت كل القوى أن **أبو جودة** لم يكن سوى ذريعة، وان الهدف من عملية الاختطاف هو لبنان ـ المقاومة ، سوريا ـ المقاومة ، لبنان ـ سوريا .

ومن هنا كان تحرك الجميع ، السلطة ، واليمين واليسار ، والفلسطينيين لمحاصرة الازمة واخماد آثارها .

ويعود **أبو جوده** لكن قضية الامن فى لبنان تبقى مشتعلة ، وتبقى محاولات البعض لربطها بقضية الحريات ..

وليس بعيدا عن هذا الموضوع يأتى الوجه الثانى من المشكلة وهو الاعتداءات الاسرائيلية ، وربما بدا الامر غريبا بعض الشىء ، فلبنان هو البلد العربى الوحيد الملاصق للازمة والذى لم يشترك رسميا فيها ، قامت أربعة حروب أساسية وعشرات من الحروب أو المعارك الصغيرة ولم يشترك لبنان رسميا فى أى منها لكنه ظل على الدوام متعرضا لهجمات اسرائيلية وربما أكثر من غيره كما وكيفا ، فقد تعرض لبنان لاعتداءات وصل عددها الى ١٦٠٨ اعتداء بريا ، و ٨٩١ اعتداء جويا ، و ٨٠ عدوانا بحريـــا . [الصياد ١١ــ٧ــ١٩٧٤] . وتتصاعد الاعتداءات الاسرائيلية ، أحيانا بحجة أن العمل الفدائى ينطلق من لبنان وأيضا بدون حجج على الاطلاق ، ذلك أن المخطط الاسرائيلى هو افراغ الجنوب من سكانه وجعله وباستمرار رهينة تحت الطلب ، كلما أحسن بأنها فى مأزق خطير ، أو أنها بحاجة الى ورقة تلقى بها على مائدة « اللعب » السياسى .

ومع تصاعد الاعتداءات الوحشية على الجنوب دعى الى اجتماع مجلس الدفاع العربى . وتصور البعض أن أسهل الحلول هو أن تقدم الدول العربية أو بعضا منها عونا عسكريا مباشرا للبنان ، لكن لبنان نفســه قــدم عددا من الاعتبارات منها « أن قبول الدعم العسكرى العربى أيا كان نوعه وحجمه خصوصا بصورة علنية ، سيجعل من الجبهة اللبنانية جبهة عربية مشتركة على حدود اسرائيل ، ومعنى هذا تجدد الحرب أو انفجارها كليا على أرضه . ويرى لبنان أن اسرائيل ترغب فى نشوء هذه الحالة لعلها تتمكن من احتلال جنوب لبنان ، بحيث يؤدى ذلك الى الدخول فى مفاوضات لفك ارتباط جديد لا يتم الا بعد أن تقف قوات دولية على خط الفصل بين القوات المتحاربة » [الانوار ٦ــ٧ــ١٩٧٤] .

ومن ثم فقد اكتفى اجتماع مجلس الدفاع بقرارات عامة تضمنت فيما أعلن بعض قرارات سرية .

وبعدها استمرت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان ، وينتهز الرئيس **فرنجية** فرصة اجتماع القمة فى موسكو ليوجه رسالة الى كل من **برجينيف ونيكسون** .

■ شريط الاخبار ■

■ شدد ميبيرو مقاومه الاحزاب الرجعيه للاجراءات الوطنية التقدمية التى تتخذها الحكومة الثورية للقـوات المسلحة . ويتزعم قيـادة الثورة المضـادة الاحـزاب البورجوازية التقليدية وعلى رأسها حزب « التحـالف الثورى الشعبى الامريكى » وحزب « العمل الشعبى ». وتركز قوى الثورة المضادة معظم جهودها فى المجـال الاقتصـادى ، حيث تنظم عمليات مضـاربة ، يترتب عليها ارتفـاع فاحش فـى اسـعار المواد الغـذائيه اللازمة للاستهلاك الشعبى : الارز والسـكر والدقيق . وفى الوقت نفسه ، تقوم الاحـزاب الرجعية بعمـل تخريبى فى مجال النقل لعرقلة وصول المواد الغذائية من الريف الى العاصمة ليما .

■ عقدت رئاسة المجلس العالمى للسلام اجتماعا طارئا فى هلسنكى لبحث الوضع فى قبرص . وقـد أصـدرت الرئاسة سلسلة من القرارات حث فيها قوى السلام فى العالم على التضامن مـع شعب قبرص وعلى العمل على التوصل لتسوية تكفل صـيانة اسـتقلال قبرص وحماية سيادتها الوطنيـة وسحب جميـع القـوات الاجنبية من الجزيرة .

■ شريط الاخبار ■

■ تشتد في ايطاليا وتزداد وتتفاقم أعمال العنف والاغتيالات والارهاب التي ينظمها الحزب الفاشستي المعروف باسم « الحركة الاجتماعية الايطالية . وهو الحزب الذي كان قد دعا زعيمه الميرانتي في خطبة القاها عام ١٩٧٠ ، الى القيام بأعمال تنتهي بنتائج مشابهة لما هو قائم حاليا في اليونان واسبانيا » .

وقد طالبت لجنة فينيسيا المنشقة للفاشية والامبريالية محكمة استئناف روما بأن تصدر حكمها يتضمن حل حزب الميرانتي المسئول عن تنظيم اعمال الارهاب الأسود في البلاد وتشير الصحافة الديموقراطية في ايطاليا الى أن هذا الحزب له علاقات قوية بالعناصر اليمينية المتطرفة في كافة اجهزة الدولة كما انه يلقى دعم العناصر الرأسمالية الرجعية

وقد جاء في الرسالة التي وجهت الى بريجنيف « في الوقت الذي تجتمعون فيه وفخامة الرئيس ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية لمعالجة قضايا عالمية بالغة الاهمية ، ارى من واجبي ان الفت نظركم الى مأساة نعيشها ومن شأنها ان تهدد السلام على أرضنا . وان تنعكس على المساعي التي تمتم بها في سبيل سلم مبني على العدل » .

وتشير الرسالة الى نجاح الفصل بين القوات على الجبهتين المصرية والسورية وجهود الدولتين الكبيرتين في ذلك ثم تشير الى تصاعد العمليات العدوانية الاسرائيلية « ضد لبنان وكأن تلك الجهود انما أتاحت لها الفرصة للانفراد بلبنان والشعب الفلسطيني المقيم على أرضه » .

ثم تقول الرسالة أن « لبنان من موقع الأمانة لمبادئه ولرسالته الحضارية يتطلع ، مع العالم ، باهتمام كبير ، الى نتائج المباحثات التي تجرونها الان في موسكو ، والتي أعتقد أن من ضمنها سياسة اسرائيل المتصاعدة في عدوانها وما تحمله من موت ودمار ، ومن أخطار تصيب أمن لبنان وسيادته ، وتهدد السلام في سائر المنطقة » .

ويرد بريجنيف على هذه الرسالة قائلا : « لقد تلقينا باهتمام بالغ رسالتكم وفيها تعربون عن قلقكم العميق بالنسبة الى أعمال القرصنة التي ترتكبها الزمرة العسكرية الاسرائيلية ضد الاهالي اللبنانيين والفلسطينيين وأود أن أقول لكم بكل صراحة أن الأستفزازات المسلحة الاخيرة التي ارتكبتها اسرائيل تثير سخط الاتحاد السوفيتي ، ان مسئولية هذه العدوان والتعمد في زيادة التوتر في الشرق الاوسط تقع تبعاتها كليا على الحكومة الاسرائيلية » .

ويختتم بريجنيف رسالته قائلا : « ان الاتحاد السوفيتي سيدعم كما في السابق نضال الشعوب العربية من أجل احلال سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، وهو قائم على جلاء الجيوش الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية التي احتلتها سنة ١٩٦٧ وعلى صيانة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني » [الأنوار ١٣ـ٧ـ١٩٧٤] .

لكن لعبة التوازنات لا تنتهي في لبنان ، وتفسر بعض الصحف نشر النصوص الكاملة للرسالتين الى محاولة ايضاح « ان لبنان لم يطلب دعمنا سوفيتيا » [الأنوار ١٣ـ٧ـ١٩٧٤] .

ونعود الى البداية ليس الى حادثة خطف ميشيل أبو جوده ذاتها وانما للعلاقات المعقدة داخل لبنان ، والعلاقات المعقدة بين لبنان والفلسطينيين ..

وتكتب الانوار « اذا كان مجلس الدفاع المشترك لم ينته الى مقررات عملية محددة وواضحة ، فان استمرار التفاهم اللبناني ـــ الفلسطيني رغم كل ما حصل في اجتماعات المجلس يكفي للقول أن النتائج كانت مهمة جدا » .

وتؤكد الانوار ايضا « ان هذه المرحلة التي يجتازها الوضع اللبناني ـ الفلسطيني في مواجهة اسرائيل قد تكون من اصعب وأخطر المراحل لأنها مرحلة الانتقال الى المجهول .. السلم او الحرب ، والاستعداد للاحتمالين يبدأ من التسليم القائم بحتمية الواقع المشترك والمصير المشترك بين اللبنانيين والفلسطينيين وسائر العرب » [الانوار ١١ـ٧ـ١٩٧٤] .

وتستمر الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان الى درجة تدفع واشنطن الى الاعلان على لسان جون كينج الناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية « اننا نأسف لاستمرار عمليات العنف الاسرائيلية على جنوب لبنان ، ونعتقد أن العنف يعرض كل المساعي للخطر ولا سيما مسيرة المفاوضات الجارية من أجل الوصول الى تسوية حقيقية » .

وفي موسكو تعلن وكالة نوفوستي للانباء قائلة « ان اسرائيل تراهن بعدوانها على جنوب لبنان ، على الابقاء على التوتر في الشرق الاوسط ، وعلى فشل الجهود الهادفة الى التسوية السياسية » .

وتتكرر الاعتداءات من جديد .. وتقرر حكومة لبنان تقديم شكوى الى مجلس الامن .

■ الجمهورية العربية اليمنية

ماذا بعد استيلاء العسكريين على السلطة ؟

دخل الانقلاب العسكرى فى الجمهورية العربية اليمنية أسبوعه الثامن ، ومايزال هذا الانقلاب العسكرى الهادىء الذى لم ترق فيه قطرة من الدماء يثير التساؤلات فى أوساط الرأى العام العربى ، سواء بالنسبة للدوافع والاسباب التى أدت الى عزل القاضى الايريانى رئيس المجلس الجمهورى ، أو بالنسبة لطبيعة واتجاه السلطة العسكرية الجديدة .

وقد اعلن المجلس العسكرى الذى استولى على السلطة فى ١٣ يونيو الماضى برئاسة المقدم **ابراهيم الحامدى** ، أن استقالة الايريانى رئيس المجلس الجمهورى **وعبد الله الاحمر** رئيس مجلس الشورى من منصبيهما قد شكل ظرفا مفاجئا ، وقد اضطر الجيش الى الاستيلاء على السلطة ، « من أجل الحفاظ على الثورة والجمهورية . وانقاذ البلادمن كل أسباب الفوضى والفساد » .

وفى رواية أخرى ، انه قد تم فى الفترة الاخيرة القبض على عدد من الخلايا السرية لاحدى التنظيمات اليسارية فى البلاد . وفى اجتماع خاص للمجلس الجمهورى برئاسة القاضى عبد الرحمن الايريانى للنظر فى موضوع التنظيم اليسارى ــ وحضره **عبد الله الاحمر** رئيس مجلس الشورى ، والدكتور **حسن مكى** رئيس الوزراء ، **وعبد الله الحجرى** عضو المجلس الجمهورى ، والفريق **محمد الايريانى** نائب القائد العام ، والعقيد **المسورى** رئيس هيئة الاركان ــ اعترض الايريانى على مطالب عبد الله الاحمر والقاضى الحجرى باعلان حالة الطوارىء فى البلاد ، ووقف الدستور ، واعدام المقبوض عليهم فورا وبدون محاكمة ، وعددهم حوالى ٣٠ شخصا ، بينهم عدد من أفراد الجيش وقوات الامن والطلبة والعمال ، وأصر الايريانى على أن تتبع الاجراءات القانونية فى محاكمة المقبوض عليهم وفقا لقوانين البلاد وقد غادر الايريانى الاجتماع وهو فى حالة غضب شديد ، وكان ذلك فى العاشر من شهر يونيو الماضى ، ثم فوجىء الايريانى بعد ذلك باذاعة بيان استيلاء المجلس العسكرى على السلطة فى البلاد .

وأيا كان الامر ، فان ما حدث فى اليمن الشمالية ، لم يكن مفاجأة تماما فى حساب المراقبين ، الذين كانوا يتابعون عن كثب ما يجرى داخل اليمن والصراع بين القوى السياسية الرئيسية هناك وهى :

اتجاه الوسط الذى يمثله القاضى عبد الرحمن الايريانى رئيس المجلس الجمهورى والذى يحظى بتأييد من الطبقة البورجوازية المتوسطة التجارية فى المدن ، والسياسيين والمثقفين الليبراليين ، وأقسام من القضاة ورجال الدين .

والاتجاه اليمينى ، ويمثله عبد الله الاحمر رئيس مجلس الشورى ، ومن ورائه زعماء القبائل الاقطاعيين فى مجلس الشورى ، وطبقة كبار التجار المستوردين [الكومبرادور] . ويتمتع بنفوذ كبير بين قادة الجيش والامن كامتداد للمصالح الطبقية داخل الجيش .

والاتجاه اليسارى ، ويضم القوى والتنظيمات الوطنية التقدمية : مثل الحزب الديمقراطى الثورى ، وحزب البعث الاشتراكى ، وحزب اتحاد الشعب الديمقراطى ، وحزب الطليعة الشعبية ، وحزب العمل اليمنى ، وهذه التنظيمات ممنوعة من مزاولة نشاطها العلنى . وقد أخذ نفوذ هذه التنظيمات يزداد فى السنوات الاخيرة ، وخاصة فى أوساط المثقفين الوطنيين والعمال والطلبة ،

■ شريط الاخبار ■

■ أعلن عبدالله الخامرى وزير الدولة فى جمهورية اليمن الديمقراطية ، ان على اليمن شمالا وجنوبا التعاون من أجل المحافظة على المواقع الاستراتيجية فى مضايق باب المندب فى البحر الاحمر ، وان تؤكد سيادتهما على هذه المواقع لمساعدة الدول العربية الشقيقة .

■ شريط الاخبار ■

وذلك بالرغم من تعرض هذه التنظيمات لضربات عنيفة على يد جميع الحكومات السابقة .

وقد أخذ الصراع بين الاتجاه الاول والثانى يتفاقم فى الشهور الاخيرة ، عقب اقالة القاضى الايريانى لحكومة القاضى عبد الله الحجرى ، وهو من العناصر الملكية السابقة ، التى عادت الى اليمن بعد « المصالحة الوطنية » مع الجمهوريين ، والمشاركة فى الحكم والمناصب الكبيرة فى الدولة . وكانت اقالة الحجرى فى فبراير الماضى نتيجة للسخط الشعبى على الحالة الاقتصادية السيئة ، وموجات الاغتيالات والاعدامات للمناضلين الوطنيين والقادة العماليين ، واحتجاج الهيئات والمنظمات الدولية على عمليات التصفية للمعارضة الوطنية داخل اليمن الشمالية .

ففى شهر ابريل الماضى تم العثور على جثث ٣٠ شخصا من أنصار عبد الله الايريانى فى مختلف أنحاء العاصمة . وقبل ذلك بأيام ، وقع حادث هجوم بالقنابل ومدافع البازوكا على السفارتين السوفيتية والفرنسية ، كما تزايدت حوادث الحدود مع جمهورية اليمن الديمقراطية . وفى أوائل شهر مايو الماضى وجد **عبد القادر سعيد** وهو من اصدقاء الايريانى ويشغل منصبا كبيرا فى البنك المركزى بمدينة تعز ، وأحد الزعماء الوطنيين المعادين للقوى الرجعية .. وجد ميتا فى حادث غامض نتيجة جرعة كبيرة من السم .. وقد عزت المصادر الوطنية اليمنية هذه الحوادث فى حينها الى منظمتى [العقاب - وسبأ] الارهابيتين اللتين تحركهما عناصر متطرفة داخل الجيش بهدف التخلص من القوى المعارضة .

وقد اتسمت سياسة الايريانى طوال فترة حكمه عقب الانقلاب الذى أطاح بحكم الرئيس عبد الله السلال فى ٥ - ١١ - ١٩٦٧ ، وهو الانقلاب الذى مهدت له القوى اليمينية فى الحركة الوطنية اليمنية ، بالحلول الوسط فى ظل موازين القوى السياسية الجديدة ، والى مهادنة القوى الملكية والرجعية الاخرى .

والمعروف ان هذه القوى تعارض النظام الديمقراطى الثورى فى جمهورية اليمن الديمقراطية ، كما تعارض اتفاقيتى القاهرة وطرابلس فى اكتوبر عام ١٩٧٢ بشأن وقف الحرب ضد اليمن الجنوبية وتوحيد شطرى اليمن .

ولم تكن سياسة القاضى الايريانى الخارجية تختلف فى شىء عن سياسته الداخلية ، فهى تقوم على الاستفادة من المعسكرين الاشتراكي والرأسمالى ، والانفتاح الاقتصادى الكامل على الدول الرأسمالية الاوروبية ، والولايات المتحدة . والاحتفاظ بعلاقات طيبة مع النظام التقدمي في الجنوب ، وذلك بالشكل الذى لا يؤدى الى اثارة أو ازعاج جارته القوية السعودية التى تعادى النظام التقدمى فى اليمن الجنوبية .

وتعانى اليمن الشمالية من أزمة اقتصادية ومالية خانقة . وقد ازدادت الشكوي في السنوات الاخيرة داخل البلاد من النظام الاقطاعي القبلي ، الذى يعوق النمو الاقتصادى ، ويحول دون النهوض بمستوى المعيشة لاوسع الجماهير الشعبية . وارتفعت الضرائب على المواطنين الى ٣٠٠ فى المائة ، وارتفعت اسعار السلع الاستهلاكية بنسبة ٤٠٠ فى المائة بالمقارنة مع عام ١٩٦٧ ، وازدادت البطالة والفقر والمرض بصورة فظيعة بين المواطنين . كذلك تعانى البلاد من التخلف الشديد فى مجال الخدمات والنقص فى المدارس والمستشفيات والطرق ، ومياه الشرب فى كثير من المناطق ، وحيث تتعرض ميزانية الخدمات للنهب والتبذير ، وتذهب معظمها الى جيوب المسئولين وكبار الموظفين . وأصبح الفساد والرشوة ظاهرة عامة فى جميع أجهزة الدولة .

■ اتخذت حكومة ماريانو رومر فى ايطاليا عددا من الاجراءات تتعلق بفرض ضرائب جديدة على استيراد الالات والسلع الكمالية ، وذلك فى محاولة اخرى لانقاذ البلاد من الافلاس . وتامل الحكومة ان تحصل من وراء هذه الزيادة على ٢٢٠٠ مليون جنيه استرلينى فى عام ١٩٧٥ ، من اجل انقاذ الاقتصاد الايطالى من الانهيار .

■ وافقت جمهورية المانيا الديمقراطية على استضافة مجموعة من الثوار الفلسطينيين الجرحى لمعالجتهم فى المستشفيات الالمانية على نفقتها الخاصة وذلك ضمن برامج المساعدات والدعم المستمر الذى تقدمه المانيا الديمقراطية لدعم كفاح الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطينى .

ولقد أدى الصراع على السلطة بين اتجاه الوسط وبين قوى اليمين التي تجد المساندة والدعم من القوى الرجعية والامبريالية في المنطقة الى تفكك السلطة المركزية للدولة وانحسار نفوذها السياسى خارج العاصمة صنعاء ، بينما تزايد نفوذ زعماء القبائل الاقطاعيين فى المناطق الاخرى

وتواجه البلاد فى الوقت الحالى عجزا كبيرا فى ميزانيتها بلغ نحو ١٠٠ مليون ريال في العام الحالي . وتنفق معظم الميزانية على الجيش والامن الداخلى ، كما يذهب جزء آخر فى صورة مخصصات ومعونات مالية للقبائل ، التى تهدد بالزحف على العاصمة والمدن الاخرى ونهبها ، وذلك من أجل استرضائها واتقاء لشرها .

وتعتمد الدولة فى أغلب الاحوال على القروض المالية والمعونات التى تقدمها المانيا الغربية والولايات المتحدة والمملكة السعودية . وكانت نتيجة تبديد الميزانية فى مجالات غير انتاجية ان أصبحت معها الدولة عاجزة عن دفع مرتبات الموظفين وافراد القوات المسلحة فى مواعيدها . ومن المعروف انه لولا المساعدات المالية التى تدفعها المملكة السعودية لعجزت الدولة عن دفع مرتبات الجيش والموظفين .

وتلجأ السلطة فى مواجهة التذمر والسخط الشعبى المتزايد على سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، الذى يتمثل فى انتفاضات الفلاحين ومظاهرات العمال والطلبة ، الى استخدام القمع الوحشى والاعدامات بالجملة للمناضلين الوطنيين التقدميين بدون محاكمة ، ومنع المؤسسات الجماهيرية كالنقابات والهيئات من مزاولة نشاطها المشروع والزج بقادتها فى السجون والمعتقلات . حيث تمتلىء السجون والمعتقلات حاليا بمئات المواطنين والمناضلين التقدميين .

وقد شهدت السنوات الماضية منذ عام ١٩٦٨ عمليات تصفية مستمرة للضباط والعسكريين الوطنيين داخل الجيش والشرطة ، واعدام العشرات منهم سرا بدون محاكمة وفى أحيان أخرى تقديمهم الى محاكمات صورية .

تلك هى صورة الوضع العام فى اليمن الشمالية ، وحتى استيلاء المجلس العسكرى الجديد على السلطة فى ١٣ يونيو الماضى .

وكان أول رد فعل رسمى من دولة عربية بعد ساعات قليلة من اعلان بيان استيلاء الجيش على السلطة في اليمن الشمالية ، هو ما أعلنته المملكة السعودية : أنها تعتبر ماحدث فى اليمن الشمالية هو من الشئون الداخلية ، كما حذرت فى نفس الوقت من أنها لن تسمح بأى تدخل خارجي في شئون جارتها أيا كان مصدره . وقد فهم المراقبون هذا التحذير على أنه موجه الى جمهورية اليمن الديمقراطية التى تختلف معها السعودية .

وقد اتخذ مجلس القيادة عدة قرارات ، تتضمن حل القيادة العامة للقوات المسلحة ، وتعطيل مجلس الشورى ، وتوسيع مجلس القيادة بحيث يزيد عدد اعضائه من سبعة الى عشرة ، ووقف الدستور الدائم ، وزيادة مرتبات العسكريين ، وبحث مشاكل عائلات الشهداء والجرحي من العسكريين وتنشيط المشروعات الخاصة باصلاح القوات المسلحة . كما أصدر مجلس القيادة بيانا دستوريا أكد فيه أن اليمن دولة عربية اسلامية مستقلة ذات نظام جمهورى وان الشعب هو مصدر جميع السلطات وان الاسلام هو دين الدولة ، وان الشريعة الاسلامية هى مصدر جميع القوانين . وأعلن مجلس القيادة ان المجلس سيتخذ خطوات عملية لتسليم السلطة فى البلاد الى الشخصيات الوطنية . وعزمه على تحقيق الوحدة بين شطرى اليمن ، والوقوف الى جانب الثورة الفلسطينية .

والان وبعد مرور حوالي شهرين على تسلم المجلس العسكري للسلطة في اليمن الشمالية ، يجد المراقبون صعوبة فى تحديد طبيعة واتجاه السلطة

■ شريط الاخبار ■

■ اعترف اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل امام الكنيست ، ان الحرب ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية التي وصفها « بالارهابية » سوف تكون حربا طويلة ، وعلى الرغم من ان الحكومة الاسرائيلية سوف تبذل جهدها فى اغلاق الحدود ومنع نشاط الفدائيين اينما وجدوا ، الا انه يجب ان نتعود على ان نتعايش مع الارهاب .

وقد جاء هذا التصريح اثناء مناقشة النتائج التى توصلت اليها لجنة جوريف الخاصة بالتحقيق فى عملية معلوت ، ولمواجهة النشاط الفدائى فى المستقبل .

■ اكد الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف فى رسالة بعث بها مؤخرا الى ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ان اية تسوية تتجاهل حقوق الشعب الفلسطينى لن ترى النور . وان الاتحاد السوفيتى يقف بقوة ضد اية تسوية فى الشرق الاوسط تهدف الى منع الشعب الفلسطينى من تقرير مصيره بنفسه وفوق ارضه . وان شعوب الاتحاد السوفيتي سوف تواصل دعمها وتاييدها للثورة الفلسطينية ، وهى تخوض نضالا عادلا ومشروعا لرفع الظلم عن الشعب الفلسطينى .

وتؤكد الرسالة ان الاتحاد السوفيتى يقف الى جانب الشعب الفلسطيني من اجل ضمان حقوقه الوطنية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة ■

■ شريط الاخبار ■

العسكرية الجديدة فى الوقت الحالى . حيث أن كل البيانات والوثائق الرسمية التى صدرت عن المجلس العسكرى ليست فى الواقع سوى تأكيد لنفس الخط والسياسة القديمة ، كما أنه لم تتخذ بعد اية اجراءات بشأن الافراج عن المعتلقين والمسجونين من العمال والفلاحين والطلبة والعسكريين الوطنيين ولعل فى ذلك ما يفسر الاستقبال المتحفظ من جانب المراقبين والرأى العام العربى السلطة العسكرية الجديدة فى اليمن الشمالية ، ولذا يفضل المراقبون الانتظار حتى تتضح الامور فى المستقبل .

□□□

■ الجزائر

الخطــــة الرباعيــــة الثانيــــة

تتأهب الجزائر لوضع الخطة الرباعيةالثانية للتنمية [٧٤ ـ١٩٧٧] موضع التنفيذ . وتبلغ حجم الاستثمارات المخصصة لهذه الخطة ١١٠مليار دينار جزائرى . والمعروف أنهذا المبلغ يفوق حجم الاستثمارات التى كرست للخطة الرباعية الاولى [٧٠ ــ ١٩٧٣] بثلاث مرات .

وقد أوضح **عبد اللهخوجه** ـ كاتب الدولة للتخطيط ـ « ان السياسة التى انتهجتها الجزائر فى مجال استرجاع واستغلال الثروات الطبيعية ، واعادة تقييم سعر المحروقات [البترول والغاز] ، قد مكنتها من وضع الخطة » . ويضيف المراقبون ان هذه السياسة قد خففت أيضا من حدة الاعتماد على القروض الخارجية حيث توفرت للبلاد احتياطيات اكثر من العملة الصعبة .

وتهدف الخطة الرباعية الثانية ، التى يجبتحقيقها عند آفاق ١٩٨٠ ، الى توفير وظيفة لكل مواطن وتغيير الظروف المعيشية لسكان الريف « تغييرا جذريا » . وتخصص الخطة ٢٠٠ برنامج خاص للبلديات الفقيرة بقصد تحقيق التوازن فى الفروق بين المناطق والاقاليم ، فى اطارالعمل من أجل محوها فيما بعد .

وتهدف الخطة الرباعية الثانية الى أن يبلغ الحد الادنى للزيادةفى الانتاج ١٠ فى المائة سنويا وفى انتاج الصناعات التحويلية ١٩ فى المائة سنويا ، على أن نحقق زيادة فى انتاجالبترول ١٥ مليون طناضافية وفى انتاج الغاز حوالى ٢٠ مليار متر مكعب اضافي . وتحدد الخطة هدف زيادة الدخل القومى بنسبة ١٢ فى المائة سنويا وزيادة الدخل الفردى بنسبة ٨ فى المائة سنويا . وتقدر الزيادة المستهدفة فىالاستهلاك القومى سنويا ب ١١ فى المائة وعلى المستوى الفردى ب ٦ر٧ فىالمائة سنويا .

وتخصص الخطة ٥ر٤٣ فىالمائة من اجمالى استثماراتها ، للصناعة و١٥ فى المائة للزراعة والرى و١٣ فى المائة للهياكل الاجتماعية و٩ فى المائة للتربية والتعليم . وسوف تبلغ نسبة الزيادة فى التعليم الابتدائى ٢٢ فى المائة ، وفى التعليم المتوسط ٧٥ فى المائة ، وفى التعليم الثانوى ١١٥ فى المائة ، وفى الجامعى ١٠٠ فى المائة ، والدراسات العليا ٢٣ فى المائة ، وفى التأهيل المهنى ٢٢ فىالمائة .

ومن الجدير بالذكر أنه منذ مطلع عام ١٩٧٤ قررت حكومة الجزائر مجانية العلاج الصحى للمواطنين ، وتهدف الخطة فى هذا المجال الى بنــاء ٤٠ مستشفى و٢٠٠ مصحة و٤٠٠ مركز صحى .

■ تفيد الانباء الواردة من لاهاى عاصمة هولندا ان الحزب السياسى للراديكاليين [وهو احــد احــزاب الائتلاف الحكومى] يطالب بانسحاب هولندا من منظمة حــلف شمال الاطلنطى [الناتو] .

وقد اتخــذ الحــزب فى مؤتمره الذى عقده أخيرا فى « أوترخت » قــرارا بادانة نشاط كتلة شمال الاطلنطى التىتضع العراقيل امام اقامة سلم وأمــن دائمين فى أوربا وفى العالم كله . كما طالب اعضاء فى المؤتمر ــ أيضا ــ بحــل التكتلات العسكرية ، ونزع السلاح وباقامة نظام للامن الجماعى فى أوربا .

■ ذكر راديو اسرائيل أن بنحاس سابير أعرب عن قلقه ازاء الانخفاض الذى حدث فى عدد المهاجرين الى اسرائيل .

وأضاف أنعدد المهاجرين القادمين قــد انخفض الى الثلث خلال الفترة الاخيرة ، ولكنه يأمل ان يهــاجر الى اسرائيل حوالى نصفمليون يهودى خــلال السنوات الخمسة القادمة . منهــم خمسون الفــا مــن الدول الغنية ومثل هذا العدد من الدول الفقيرة فى العالم .

هذا وقد سافر سابير فى ٢١ يوليو الماضى الى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية فى جولة تتعلق بشئون الجباية والهجرة والتعليم اليهودى .

ومن المشكلات الهامة التى تواجه عملية تنفيذ الخطة الرباعية ، مشكلة عدم توفر الكادرات الوطنية الكافية رغم التقدم الذى احرزته الجزائر فى هذا الصدد .

وترى الدوائر السياسية الجزائرية ان تحقيق أهداف الخطة « يتوقف على درجة التزام كل المعنيين بالتنفيذ والتسيير ، وعلى التفاف وتجنيد جميع العمال من أجل بلوغ كل أبعاد الثورة التى ترمى الى ترقية الانسان ورفاهيته فى ظل العدالة الاجتماعية ، مع مواصلة سياسة التقشف والانضباط فى التنفيذ » .

ومن الجدير بالذكر أن الخطة الرباعية قد تأجلت لبعض الاشهر ، بعد الموقف الايجابى البارز كما وصفه المراقبون ـ الذى اتخذته الجزائر من حرب اكتوبر ١٩٧٣ حين كرست امكانياتها لدعم المعركة ضد اسرائيل مما أدى الى تأجيل وضع خطة التنمية موضع التنفيذ .

□□□

■ بولنـــدا

من بـــلد زراعى متخـــلف الى المركـــز العالمى الثانى فى الفحم والثالث فى الكبريت

تحتفل جمهورية بولندا الشعبية هذا العام ، بالذكرى الثلاثين لتأسيسها . ويرى عديد من المراقبين ان هذه الاحتفالات تمثل حدا زمنيا له دلالته فيما يتعلق بحجم وطبيعة الانجازات التى حققتها جمهورية بولندا الشعبية ، خلال تلك الفترة الزمنية ، فقد استطاع الشعب البولندى خلالها أن يحقق تطورا كيفيا ملموسا فى الطابع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى اتسمت به بلاده من قبل .

اذ كانت بولندا تعتبر فى العشرينات والثلاثينات من البلدان الزراعية المتخلفة فى اوربا ، وجاءت الحرب العالمية الثانية فدمرت الصناعات البولندية ، وكبدت البلاد خسائر فادحة فى العنصر البشرى [خمس السكان] ولكن تأميم وسائل الانتاج بعد الحرب ، وتطوير ودعم الصناعات الثقيلة ، ثم الصناعات الاستهلاكية بعد ذلك ، دفع الاقتصاد البولندى خطوات كبيرة الى الامام ، عبر الخطة الثلاثية التى انتهت فى ١٩٤٩ ، والسداسية التى انتهت فى ١٩٥٥ ، والخمسية التى انتهت فى ١٩٦٠ وما تلاها ، والتى جعلت الصناعة تحقق فى عام ١٩٧٣ أكثر من ٥٠ فى المائة من الدخل القومى .

وتمثل صناعة الالات والماكينات ٢٨ فى المائة من الانتاج الصناعى الكلى فى بولندا والكيمياء حوالى ١٠ فى المائة ، والاستخراج والوقود والطاقة ١٠ فى المائة ، وصهر الحديد ١٨ فى المائة ، والاغذية ١٨ فى المائة ، والصناعات الخفيفة ١٣ فى المائة وتنتج الطاقة الكهربائية البولندية فى الوقت الحاضر ١٠٠ مليار كيلو وات ساعة سنويا .

■ شريط الاخبار ■

■ تم فى تركيا مؤخرا تشكيل ، تنظيم سياسى جديد هو حزب العمـال الاشتراكى التركى ، وهو اول تنظيم سياسى يسارى يرى النور منذ اختفاء حزب العمال التركى الذى صدر قرار بحله فى سنة ١٩٧١ من المحكمـة الدستورية ، والذى ينفذ قادته الان الاحكام الطويلة بالسجن التى صدرت ضدهم .

وينص برنامج حزب العمال الاشتراكى التركى على تاميم قطاعات الاقتصاد الحيوية ، وانسحاب تركيا من حلف الاطلنطى ، وحلف السنتو ، ومن السوق الأوروبية المشتركة .

وجدير بالذكر انه من بين مؤسسى الحزب الجديد ، عدد كبير من اعضاء حزب العمال التركى .

■ وصلت الى ميناء الغردقة ست كاسحات الغام سوفيتية والسفينة فانكاريم ، وسوف تساهم هذه المجموعة من السفن فى ازالة الالغام من خليج السويس . وصرح قائد المجموعة بان هذا العمل يتسم بالتعقيد والخطر ، وسوف يكون على البحارة السوفيت ان يزيحوا الغاما من كافة الانواع والتصميمات من الخليج الذى يمثل اهمية اقتصادية بالنسبة لمصر .

ومن المفروض ان تنجز السفن مهمتها حتى منتصف اغسطس القادم .

وتستخرج صناعة الفحم البولندية حوالى ١٦٠ مليون طن سنويا تصدر منه ٤٠ مليون طن . وتحتل بولندا المركز الثانى فى العالم من ناحية تصدير الفحم . كذلك تنتج صناعة الصهر البولندية الان حوالى ١٤ مليون طن صلب ، و ١٠ ملايين طن من المنتجات المدلفنة ؛ كما تنتج ما يزيد على ١٦٠ ألف طن من النحاس الصافى سنويا ، و ٣ ملايين طن من حامض الكبريتيك ، و ٢ر٥ مليون طن اسمدة كيميائية ، و ٥٠ ألف جرار زراعى ، و ٨٠٠ ألف جهاز تليفزيون ، و ٦٠٠ ألف ثلاجة ، ٥١٠ آلف مسجل صوت ، كما تنتج سفنا حمولتها ٧٥٠ الف طن سنويا ، وسيارات بالتعاون مع « فيات » و « برايت » .

وقد زادت الصناعات البولندية انتاجها فى السنوات الثلاث الاولى من الخطة الخمسية الراهنة ١٩٧١ ــ ١٩٧٥ بحوالى ٣٦ فى المائة . وسوف تبدأ فى الانتاج هذا العام صناعات جديدة تضاهى فى حجمها صناعة استخراج الفحم ، وذلك من أجل سد حاجات السكان ومتطلباتهم ، ولرفع مستوى معيشتهم .

وفى نطاق مجموعة الدول الاوربية عامة ، تنتج بولندا اليوم حوالى ٣٩ فى المائة من الكبريت ، وحوالى ١٥ فى المائة من الفحم الحجرى و ٤ر٦ فى المائة من السفن البحرية . وتمثل مساهمة بولندا فى الانتاج الصناعى العالمى حوالى ٢ر٣ فى المائة . وفيما يتعلق بالكثير من المنتجات والمواد الاولية ، توجد بولندا فى الطليعة العالمية : فهى تشغل المكان الثالث فى انتاج الكبريت ، والرابع فى استخراج الفحم ، والعاشر فى انتاج الفولاذ ، والعاشر فى انتاج خامات الطاقة ، والعاشر فى انتاج سيارات الشحن والاسمنت : والثانى عشر فى انتاج السفن البحرية ، والعاشر فى انتاج حامض الكبريتيك [وذلك طبقا لاحصائيات ١٩٧٢ فقط] .

ومما يلقى الضوء على حجم التطور الصناعى البولندى فى المستقبل ان المهمة الاساسية التى وضعت أمام الصناعات البولندية حتى عام ١٩٩٠ هى زيادة الانتاج عامة بأربعة أضعاف ، ويجرى التخطيط فى اطار هذه الخطة ايضا ، لتقصير سنة العمل بحوالى ٣٠٠ ساعة لكل شخص [اى اكثر من شهر] .

كذلك بلغ معدل الزيادة فى الانتاج الزراعى فى الفترة ما بين ١٩٧١ ١٩٧٣ : ٥ر٨ فى المائة ، وازدادت نسبة رؤوس الخنازير بحوالى ١٤ فى المائة فأصبحت ١٩٫٨ مليون رأس . وتشمل المزارع الخاصة ٨٠ فى المائة من مجموع الاراضى الزراعية فى بولندا . والباقى ملك للمزارع الحكومية ، وتعاونيات الانتاج الزراعية ، والحلقات الزراعية التعاونية . ولكن مساحة اراضى القطاع العام فى اتساع وزيادة مستمرة . وينتج كل شخص يعمل فى الزراعة البولندية ، مواد غذائية تكفى لاطعام خمسة اشخاص ونصف وهى نسبة لا ترضى البولنديين الذين يستهدفون ان ينتج الشخص الذى يعمل فى الزراعة فى عام ١٩٩٠ ، مواد غذائية تكفى لعشرين شخصا . كذلك فقد ازداد انتاج المواشى فى المزارع الفردية عامة خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، بنسبة ٢٢ فى المائة ، وبلغت الزيادة فى المزارع الحكومية فى نفس الفترة ٣٩ فى المائة . كما بلغ متوسط انتاج الحبوب الاربعة الرئيسية فى المزارع الحكومية ٣٣ قنطارا فى الهكتار الواحد ، بينما كان المتوسط فى البلاد ٥ر٢٦ قنطارا . كذلك أصبحت الخدمات الصحية المجانية تشمل المزارعين وسكان الريف تماما مثل سكان المدن وذلك منذ ١٩٧٢ ، وأصبحت الضمانات الاجتماعية تشمل بالرعاية ٥ر٦ مليون مزارع وفلاح هم واسرهم . كما ازدادت الاماكن المخصصة للمزارعين فى دور الحضانة ورياض الاطفال وفى المصحات ودور الاستجمام والراحة فضلا عن توسيع شبكة المحلات التجارية ، ومراكز الخدمات فى الريف . وكل هذه النسب والارقام تمثل معدلات التقدم التى وصلت اليها بولندا فى الفترة الحالية ، والتى تنطلق منها نحو أهداف أكثر طموحا وتقدما فى سبيل المزيد من دعم علاقات الانتاج الاشتراكية وتحسين مستوى معيشة الشعب العامل وتحقيق المزيد من الرفاهية للمواطن .

■ تجرى الآن عمليات التحضير لانعقاد المؤتمر الوطنى الثانى لجبهة تحرير اريتريا ، خلال شهرين . وتعلق الدوائر الوطنية الافريقية اهمية خاصة على انعقاد المؤتمر الذى سيتم فى ظروف بالغة الدقة لحركة التحرر الوطنى الاريتريه .

ومن الجدير بالذكر ان مؤتمرا نسائيا ينعقد هذه الايام ، حضرت له اللجنة التحضيرية الممثلة للجان النسائية التى شكلت داخل وخارج اريتريا . ومن المنتظر ان يسفر المؤتمر عن اعلان تشكيل الاتحاد النسائى الارترى .

ومن المعروف ان مؤتمرا مماثلا للعمال كان قد انعقد فى اغسطس ١٩٧٣ واعلن تشكيل الاتحاد العام لعمال اريتريا .

■ عثر احد علماء التاريخ الالمان اثناء البحث حول التاريخ الاجتماعى لمدينة فوبرتال بالمانيا الاتحادية قبل عام ١٩٤٨ ، على نسخة خطية لمسرحية كتبها فريدريك انجلز بعنوان « ريينتسى » والمسرحية تدور حول البطل الشعبى ريينتسى الذى عاش فى روما فى القرن الرابع عشر . ويرجح العلماء ان انجلز قد كتب هذه المسرحية عندما كان فى الثامنة عشرة أو العشرين من عمره .

وقد عثر على هذه المخطوطة فى قبو احدى المكتبات القديمة بمدينة فوبرتال . وتقرر اضافة المسرحية الى الطبعة الجديدة لمؤلفات ماركس ــ انجلز ، التى ستصدر بالتعاون بين الحزب الشيوعى السوفيتى والحزب الاشتراكى الالمانى الموحد .



الحكم العسكرى اليونانى يعزل مكاريوس ثم يعزل نفسه ..!

مصطفى سامى

فشل الانقلاب العسكرى الذى قام به الضباط اليونانيون بقبرص فى اغتيال الرئيس مكاريوس ، واغتيال نظامه الديمقراطى غير المنحاز . وفشل الانقلاب أيضا فى تحقيق أهدافه للسيطرة على الجزيرة وضمها الى اليونان ثم تحويلها بعد ذلك الى قاعدة لحماية الجناح الجنوبى الشرقى لحلف الاطلنطى ، فقد ارتدت طلقات المدافع التى اطلقها الضباط اليونانيون فى منتصف الشهر الماضى على قصر مكاريوس فى نيقوسيا ، الى قلب النظام العسكرى فى أثينا ، فقد كانت حصيلة الانقلاب بعد أسبوعين من القتال الدامى فى نيقوسيا هى :

❶ أدى الانقلاب العسكرى الفاشل فى قبرص الى انهيار الحكم العسكرى فى اليونان ، حكم الجنرالات الذين استولوا على السلطة فى أبريل سنة ١٩٦٧ ، فبعد سبع سنوات من القمع والقهر عاشها الشعب اليونانى فى ظلام المعتقلات والسجون ، تحت وطأة قوانين الطوارىء ، أعلن العسكريون فى اليونان ، فجأة ، تخليهم عن السلطة لقيادة مدنية ، وعودتهم الى ثكناتهم .. وفوجىء العالم بهذا التغيير ، فقد أثار حكم العسكريين فى اليونان كراهية واحتقار الرأى العام العالمى والاوربى ، خاصة من كثرة الفظائع والجرائم التى ارتكبها فى حق شعبه ، مما دفع بالكثير من أبناء البلاد إلى الهجرة خارج بلادهم ، ولم يكن يتعاطف معه ويؤيده غير الولايات المتحدة فقط !

وقد ظهرت بوادر الخلاف والانقسام داخل الحكم العسكرى ، عندما كشفت الحكومة اليونانية عن خطتها لاغتيال مكاريوس وقلب نظامه ، فاعترض بعض الوزراء والمسئولين فى الحكومة ، على توريط بلادهم فى مغامرة غير مأمونة ، واستقال وزير الخارجية **سبيريدون** تيتينيس ،والامين العام لوزارة الخارجية **انجلوس فلاخوس** ، ومدير ادارة العلاقات التركية ــ القبرصية **يوانيس تسونيس** ، وغداة الانقلاب بعث سفير اليونان فى أنقرة باستقالته الى **أثينا** ، احتجاجا على عزل الرئيس مكاريوس . وعندما كشفت المؤامرة ، وفشل الضباط **اليونانيون فى** اغتيال الاسقف مكاريوس ، **وواجه الانقلاب** الرفض المطلق داخليا وخارجيا ، أعلن العسكريون اليونانيون فى أثينا فى **اليوم الثامن من إنقلاب** قبرص ، تخليهم عن السلطة دون اعلان الاسباب !!

❷ تصاعد بالخلافات التركية ــ اليونانية التى بدأت منذ شهرين ، بسبب بترول بحر ايجه ، بين الدولتين الحليفتين داخل حلف الاطلنطى ، الى حرب بينهما ، استخدمت فيها جميع الاسلحة طوال سبعة ايام ، مما تسبب فى احداث أكبر تصدع داخل الحلف ، فمنذ بدء قيامه حتى الآن ، منذ ٢٥ عاما ، لم يسبق لاى دولة من أعضائه ان اشتبكت فى حرب مع دولة أخرى من أعضاء الحلف .

❸ أثار الانقلاب مزيدا من السخط العالمى على الحكم العسكرى فى اليونان ، حتى من اقرب حلفائه أو سادته فى الولايات المتحدة ، لانه لم يحقق هدفه المنشود ، كما ان الاتحاد السوفييتى أنذر اليونان بأنه لن يقف مكتوف الايدى اذا حاولت الجيوش اليونانية غزو الجزيرة ، ووقفت دول عدم الانحياز ضد الانقلاب .

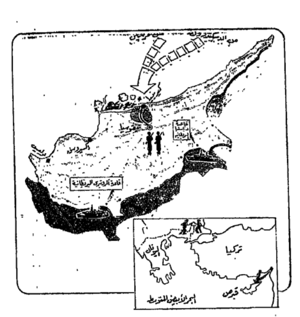
❹ اغرق الانقلاب الجزيرة الصغيرة فى حرب أهلية بين أبنائها اليونانيين والاتراك ، وبين قوى اليسار الديمقراطى من القبارصة الموالين للرئيس مكاريوس وأنصار الفاشية من اليمين التابع للحكم العسكرى فى اليونان . فقد أثار الخلافات القديمة بين الطائفتين ، وهى التى كان مكاريوس قد نجح فى تهدئتها طوال فترة حكمه ، وقد راح ضحية للحرب الأهلية ما بين ٧٠٠ وألف قتيل .. وامتلأت مستشفيات الجزيرة بالجرحى الذين قدر عددهم بالآلاف ..

الانقلاب لم يفاجىء مكاريوس

الواقع ان الانقلاب لم يكن مفاجئا لاحد داخل الجزيرة ، ولا حتى للاسقف مكاريوس نفسه ، وأى متتبع للاحداث داخل قبرص ، وللعلاقات القبرصية ــ اليونانية ، طوال العامين الماضيين ، يجد أكثر من تفسير لهذا الانقلاب ، خاصة بعد تصاعد الخلاف بين الاسقف مكاريوس وحكومة اليونان العسكرية ، نتيجة محاولات الحكومة اليونانية المستمرة لقلب نظام حكمه الغير منحاز ، ورفضه الانضمام لحلف الاطلنطى ، واستخدام الاراضى القبرصية قواعد للحلف .

والمحاولة الخامسة لاغتيال مكاريوس ، التى فشلت فى منتصف الشهر الماضى ، تأتى بعد أسبوعين من كشف الزعيم القبرصى لما يقوم به الضباط اليونانيون من قادة الحرس الوطنى فى قبرص ، من أجل الاطاحة به وبنظامه ، بتأييد من دولتهم وقادتهم العسكريين فى أثينا . لقد أعلن الزعيم القبرصى فى خطاب له ، ان قادة الضباط اليونانيين يتآمرون ضده شخصيا ، وانه ينبغى طرد الضباط اليونانيين العاملين فى الحرس الوطنى القبرصى ، وان يكون هذا الحرس تحت سلطات حكومته مباشرة ، وفعلا صدرت الاوامر لهؤلاء الضباط ، وعددهم ٦٥٠ ضابطا ، بالرحيل من البلاد فى موعد اقصاه يوم ٣٠ يوليو .

وتساءل بعض القبارصة اليونانيين عن حكمة اتخاذ مكاريوس لقرار طرد الضباط اليونانيين ، وهجومه على أثينا فى هذا الوقت بالذات ، وما هو موقف القبارصة الاتراك اذا تصاعد النزاع القبرصي ــ اليوناني ، وخاصة بعد الخلافات التركيه ــ اليونانية فى الشهرين الماضيين ، حول التنقيب عن البترول فى بحر ايجه ، والتى وصلت الى حد اعلان حالة الطوارىء بين القوات المسلحة فى البلدين ، وكادت تصل الى حرب بينهما لولا تدخل حلف الاطلنطى لتهدئة الموقف بين البلدين .



حكاية الحرس الوطنى

لقد عمل الضباط اليونانيون فى الحرس الوطنى القبرصى ، على تكوين هذا الحرس من ١٠ آلاف رجل ، وعلى تدريبه ليصبح جيشا قويا ، كما انهم يقومون بتدريب متطوعين لهذا الجيش ، وكانت بضعة آلاف فى القوات اليونانية قد وصلت فى عام ١٩٦٤ الى قبرص ، بعد أن اشتد الصراع بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الاتراك فى الجزيرة ، وفى عام ١٩٦٧ ، رحلت معظم هذه القوات الى بلادها ، بناء على طلب تركيا ، وبقى ٦٥٠ ضابطا يونانيا لقيادة الحرس الوطنى ، والاشراف على تدريبه ، بناء على عقود مع حكومة قبرص .

ولكن فى السنوات الثلاث الاخيرة ، كان مكاريوس يتلقى ، بانتظام ، تقارير تفيد بأن الضباط اليونانيين العاملين فى قبرص يقومون

ببث دعايات معادية له ومؤيدة لمنظمة « أيوكا » ؟ وبالاضافة الى ذلك ؛ كان نشاط منظمة « أيوكا » داخل صفوف الحرس الوطنى يزداد بشكل يثير قلق القبارصة الاتراك .

ويلاحظ ان الضباط اليونانيين يحتلون المناصب الرئيسية كلها فى الحرس الوطنى القبرصى ، بينما لا يعمل الضباط القبارصة الا فى الاعمال الكتابية .. والقائد العـام لقوات الحرس ونائبه كلاهما يونانى الجنسية . وهذا يعنى ان الحرس الوطنى القبرصى خاضعا تماما لسـلطة القيادة العـامة للجيش اليونانى فى أثينا ، رغم انه من النـاحية القانونية يعتبر خاضـعا لسـلطة وزير داخلية قبرص ، وقد لاحظ الاسـقف مكاريوس ان مائة ضـابط قبرصى من العاملين فى الحرس الوطنى والمعروفين بولائهـم للرئيس القبرصى ، كانـوا مبعدين تماما عن القيام بأى أعمال ، وكانوا موضع اضطهاد دائم من قادتهم اليونانيين ، وفى البداية لم يحاول مكاريوس اتخـاذ أى اجراء ، نتيجـة سلوك هؤلاء الضباط اليونانيين المعادى له ولنظام حكمه ، الى أن قرر فى بداية الشـهر الماضى ان يتخلص منهم ، ووجه لهم انذارا بالخروج من البلاد فى موعد أقصاه نهاية الشهر الماضى .

قبل أسبوعين فقط من الانقلاب العسـكرى ؟ اتهم الاسقف مكاريوس ، علانيـة ، فى رسـالة بعث بهـا الى الرئيس اليونـانى جيزيـكيس ، الحكومة اليونانية بالتـ‍سس بهدف السيطرة على قبرص ، والقضاء على نظامها المحايد واغتياله ، لقد كشـفت بالوثائق دور الضـباط اليونانيين التخريبى ، واشتراكهم بصورة مباشرة فى نشاط جماعة « أيوكا » الارهابية ، لقد كتب فى رسـالته الى حكومة اليونان ، والتى تقع فى ٦ صفحات : « لقـد تحول الحرس الوطنى ليصـبح مرتعـا للخارجين على القانون ، وملجأ للتآمر ضد الدولة وأصـبح الممول الرئيسى لمنظمـة « أيوكا » . ان استمرار وجود هؤلاء الضباط فى قبرص سيؤدى الى الاضرار بالعلاقات القبرصية ــ اليونانية » .

واضح أيضا ان الرئيس مكاريوس أعلن انذاره مستغلا الاضطراب السياسى القائم فى أثينا ؛ من أجل القضاء على كل ما يهدد حكمه فى الداخل . لقد اعلن مكاريوس انه بذل أقصى جهده فى جميع الاوقات ، للتعاون مع أى حكومة تتمتع بالسلطة فى اليونان « على الرغـم من أنى لا أتفق مع أى نظام حكم عسكرى ، وخاصة فى اليونان التى تعد مولدا ومهدا للديمقراطية » .



مكاريوس

وقال : « انه على علم بأن القادة اليونانيين فى أثينا يعملون على القضاء على حياتى » ، وكانت هذه هى المرة الاولى التى يتهم فيها نظـام الحكم العسكرى فى أثينا صراحة بمحاولة اغتياله ، ثم قال : « ان الشـعب القبرصى أصبح يعـانى من ارهاب جمـاعة أيوكا » .. وكل ما توقعه الزعيم القبرصى ــ الذى اختاره شعبه بأغلبية ٩٦ ٪ من الاصوات فى انتخابات الرياسـة الاخيرة ــ قد تحقق .. ان قائد الانقـلاب هـو الكولونيـل جورجيتس نائب رئيس الحرس الوطنى فى قبرص وهـو منتـدب من الجيش اليونـانى ، ورئيس الجمهورية نيكولاى سامبسون الذى استمر حكمه ١٠ أيام فقط ، واستقال بعد ذلك تحت الضـغط الشعبى القبرصى ، عضو بارز من أعضاء منظمة « أيوكا » ، وصديق شخصى للجنرال جريفاس ؟ لقد فشـل الانقلاب فى تقـديم واجهـة مقبولة للجماهير باختياره لسامبسـون خلفا لمكاريوس رئيسا للبلاد ، واكتشفت الجماهير القبرصية كذب الانقـلاب فى يومه الاول ، عندما أعلن قادته ان مكاريوس قد قتـل ، ورغم تهـديد أى مواطن بالاعدام اذا قاوم النظام الجديد ، ورغم القبض

على الف مواطن من مؤيدى مكاريوس في الثماني والاربعين ساعة الاولى من الانقلاب ، الا ان المعارك استمرت في الشوارع بين أنصار مكاريوس وأنصار الانقلاب ، وتحولت المعارك الى حرب أهلية بين أبناء الطائفتين التركية واليونانية ،

ووقف مكاريوس ليعلن صراحة بعد يومين من الانقلاب في مجلس الامن : « ان الشعب القبرصي لن ينحنى أمام الديكتاتورية حتى اذا سادت وحشية المدرعات والدبابات » .. وقال : « ان الحكومة العسكرية في اليونان قد انتهكت استقلال قبرص » . ووصف رئيس الجمهورية الذى خلفه بأنه « قاتل مأجور » .

غزو تركيا لقبرص

وتأزم الموقف أكثر ، عندما قامت تركيا بالتدخل المباشر ، ونفذت تهديداتها بعد خمسة أيام من الانقلاب ، فقد قامت القوات التركية بغزو الجزيرة من الشمال والجنوب ، بعد أن قامت بعمليات انزال جوية وبحرية في ثلاث جهات هي : نيقوسيا وكيرينيا في الشمال ، وليماسول في الجنوب ، واجتاحت الجزيرة معارك دموية عنيفة بين القوات التركية وقوات حكومة الانقلاب ، وقد بلغ عدد القوات التركية التى نزلت الى الجزيرة ٦ آلاف جندى ، مزودين بأربعين دبابة ، وأثار الغزو ردود فعل عنيفة في كافة أنحاء العالم ، فأعلنت حكومة اليونان التعبئة العامة ، واستدعت جميع الاحتياطى ، وحركت حشودا ضخمة من قواتها على حدودها الشرقية مع تركيا ، ووجه وزير الخارجية اليوناني انذارا الى سفير تركيا في أثينا بوقف عمليات الغزو فورا ، كما أعلنت حالة التأهب بين سبع فرق سوفيتية [٥٠ الف جندى] محمولة جوا في مناطق جنوب وغرب الاتحاد السوفييتى .

وحدث أول صدام مباشر بين القوات التركية واليونانية ، في معركة بحرية اشتركت فيها الطائرات الحربية عند بافوس ، على الساحل الجنوبى الغربي لقبرص ، وجاء الصدام التركي — اليوناني بعد ٣٦ ساعة من اعلان تركيا انزال قواتها بالبحر والجو في قبرص ، في الوقت الذى تحاول فيه عدة أطراف تفادي الصدام بين الدولتين بالطرق الدبلوماسية ، واصدر مجلس الامن قراره بوقف القتال ، بعد ان كانت القوات التركية قد نجحت في شق طريقها الي جاليتها في نيقوسيا ، وتوقف القتال فعلا بعد الجهود التى بذلها هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية في

قبرص ...

موقع استراتيجى هام

— تبلغ مساحة الجزيرة ٢٥٧٢ ميلا مربعا ، وتعتبر ثالث جزيرة من حيث الحجم بعد صقلية وسردينيا في البحر الابيض المتوسط .
— ترجع اهميتها الاستراتيجية الى موقعها الجغرافى شرق البحر المتوسط ، اذ تبعد عن سواحل تركيا ٤٠ ميلا ، واليونان ٤٠٠ ميل ، اما اهميتها بالنسبة للعرب فترجع الى قربها من الشواطىء المصرية والسورية ، فتبعد عن سوريا ٦٠ ميلا ، وعن مصر ٢٤٠ ميلا .
— يبلغ تعدادسكانها ٦٤٠,٠٠٠ نسمة .
٨٠ ٪ يونانيون .
١٨ ٪ اتراك .
٢ ٪ أرمن وموارنة .
— توجد لغتان اساسيتان هما اليونانية والتركية ، وتأتى اللغة الانجليزية في المرتبة الثالثة ، تليها مباشرة اللغة العربية .
— اعلن استقلال الجزيرة عن بريطانيا في ١٦ اغسطس ١٩٦٠ .
— تنقسم الجزيرة الى ٦ محافظات هى : نيقوسيا — ليماسول — فاماجوستا — بافوس — لارنكا — كيرنيا .
— افتتحت مصر أول قنصلية لها في قبرص في مارس ١٩٤٩ ، ولكنها اغلقتها بعد العدوان الثلاثى على مصر عندما استخدمها البريطانيون كقاعدة جوية للعدوان على اراضينا ، وبعد استقلال الجزيرة افتتحت مصر سفارة لها في نيقوسيا في ١٦ اكتوبر ١٩٦٠ .

اقناع كل من تركيا واليونان بقبول قرار وقف اطلاق النار ، بعد سبعة أيام من القتال الدامى في قبرص ، وكان الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون أول من أذاع نبأ قبول تركيا واليونان وقف اطلاق النار ، وأشار نيكسون الى « **الدور الخاص الذى قامت به الولايات المتحدة لوضع حد للصراع الدامي الذي كان يهدد الجزيرة** » . وأضاف نيكسون قائلا : « ما كان يمكن تجنب هذا القتال الدامي الا بفضل الزعامة الامريكية » !

دور الولايات المتحدة

هل يعنى ذلك ان الولايات المتحدة كانت آخر من يعلم بنية جنرالات اليونان ، وأن حكام اليونان

العسكريين قاموا بالانقلاب فى قبرص دون علم سادتهم فى واشنطن ؟

من خلال بعض تعليقات الصحف الامريكية وتحليلها لموقف حكومتها فى واشنطن ، يمكن كشف موقف الحكومة الامريكية مما حدث فى قبرص .. فقد ذكرت صحيفة « **لوس انجيلوس تايمز** » ــ بعد أسبوع من الانقلاب ــ « **ان الولايات المتحدة أفلتت منها فرصة الاقصاء على الجنرال اليوناني ديمتري لاونيديس الذي اعتلى السلطة بفضل خبرته بفنون التعذيب ، والذى يملك اليوم أسبابا تدعوه الى الاعتقاد بأنه قد أصبح ضروريا للولايات المتحدة ، لدرجة تمكنه من اثارة حرب فى الشرق الاوسط والاحتفاظ ، على الرغم من ذلك ، بتأييدها الكامل** » .

« **وكان لابد ان تنزل القوات التركية الى ارض قبرص ، حتى تتخذ وزارة الخارجية الامريكية قرارها وتنسب الى اليونان مسئولية الازمة الناشبة فى قبرص** » !!

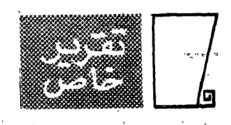
وبعد نشر هذا الكلام بثلاثة أيام ، فاجأ الحكم العسكري فى اليونان ، الذى يتزعمه الجنرال ديمتري لاونيدس ، العالم باعلانه ترك السلطة للمدنيين والعودة الى الثكنات !

فى نفس اليوم ، انتقدت صحيفة « **النيويورك تايمز** » ــ الوثيقة الصلة بالبيت الابيض فى واشنطن ــ الموقف الذى اتخذته الولايات المتحدة فى بادىء الامر تجاه الازمة القبرصية ، وذكرت ان كل ما يمكن أن يقال ان واشنطن ضيعت الفرص القليلة التى سنحت لها لاثناء تركيا عن عزمها ، بأن تباطأت فى اعلان تأييدها الاساسى لطلب بريطانيا سحب اليونان لضباطها قادة الحرس الوطنى على الفور .

وأضافت الصحيفة « ان عدم الاكتراث بمصير الرئيس مكاريوس ، والاتجاه فى بادىء الامر الى التحيز الى جانب نيكولاى سامبسون ، والتغاضى المتعمد عن مسئولية طغاة أثينا العسكريين فى تدبير الانقلاب ، كل ذلك يعيد الى الاذهان الموقف المنحاز التعيس الذى اتخذه كيسنجر حيال باكستان اثناء أزمة بنجالاديش منذ ثلاث سنوات . وكما أن غزو الهند لاراضي بنجالاديش ــ وهو الامر الذى لم يكن منه بد ــ كان علامة على فشل السياسة الامريكية فى شبه القارة الهندية ، فان هبوط رجال المظلات الاتراك فى نيقوسيا يعد بمثابة فشل للسياسة التى تتبعها الحكومة الامريكية تجاه قبرص ولسياستها القائمة على تقديم عون لا حدود له للديكتاتورية العسكرية القائمة فى اليونان » .

وفى ضوء موقف حكومة واشنطن العدائى من مكاريوس ، الذى بلغ حد اطلاق اسم « كاسترو البحر المتوسط » عليه لمجرد انه يحاول الاستقلال بجزيرته ، ويرفض الارتباط بحلف الاطلنطى ، ولمجرد حصوله على بعض الاسلحة الخفيفة من تشيكوسلوفاكيا ، وزيارته للاتحاد السوفييتي ، **يمكن أن تجيب هذه التعليقات الامريكية على بعض علامات الاستفهام الحائرة حول موقف حكومة واشنطن من انقلاب قبرص ، وانسحاب القادة العسكريين بعد فشل الانقلاب** .

فاذا لم يكن جنرالات اليونان قد حصلوا على موافقة الحكومة الامريكية على قيامهم بالانقلاب فى قبرص ــ وهو احتمال بعيد ــ فالواضح ان الحكومة الامريكية لم تبد اعتراضا على الانقلاب ، ولم يرتفع صوت الولايات المتحدة فى مجلس الامن الا بعد التدخل العسكري التركي فى الجزيرة ، وبعد الاشتباكات العسكرية بين القوات التركية والقوات اليونانية ، والتى كادت تؤثر على المصالح الامريكية ، نتيجة تصدع حلف الاطلنطى ، الذى تتولى قيادته ، وتهدف أو تأمل فى تقوية جناحه الجنوبى الشرقى ، عن طريق اتخاذ قبرص كقاعدة له ، هنا بدأ التدخل الامريكي في مجلس الامن ، وعن طريق الضغط على الدولتين المتنازعتين ، وهو الذى سبق أن شرحه الرئيس نيكسون بأنه « الدور الخاص الذى قامت به الولايات المتحدة لوضع حد للصراع الدامي الذي يهدد الجزيرة » .. وبعد اعلان وقف اطلاق النار جاء تدخل الحكومة الامريكية ، ولكن هذه المرة بلا اعلان عن نفسها .. لقد أصدرت أوامرها الى الجنرالات اليونانيين بالانسحاب من السلطة ، بعد ان اكتشفت لعبتهم ودورهم فى المؤامرة القبرصية ، حتى الاسقف مكاريوس المكروه من الولايات المتحدة فشلوا فى قتله ، ونفذ جنرالات أثينا الامر بهدوء ، وأعلنوا فجأة تخليهم عن الحكم فى الثالث والعشرين من الشهر الماضى ، فى اليوم التاسع للانقلاب ، دون ابداء أسباب ، واستدعوا قسطنطين كارامانليس ، السياسي القديم ، والهارب من اضطهادهم في باريس ، ليتولى الحكم مع المئات من أبناء بلده .. وهى النتيجة الايجابية الوحيدة للانقلاب فى قبرص ، فقد خرجت الجماهير اليونانية بعد هذا الاعلان الى الشوارع ، فرحة بهذا التحول .



خمس اتفاقيات في اللقاء الثالث

حسين شعلان

بينما كانت سيارة نيكسون ومعه القساعدة السوفيت ، تسير في مقدمة الموكب المتجه الى المطار ليستقل الرئيس الامريكي طائرته الى بلاده ، كانت هناك بعض سيارات النقل السوفيتية في نهاية الموكب تقوم بجمع الاعلام الامريكية والسوفيتية من الطريق ، لتعلن بذلك - رسميا - انتهاء لقاء القمة السوفيتي - الامريكي الثالث . على ان ذلك لم يكن يعني شيئا سياسيا محددا ، فهو تقليد سوفيتي معمول به في كل الزيارات الرسمية الاخرى .

وقد أجمعت مئات البرقيات التي بعث بها ٤٥٠ صحفيا واعلاميا ، تابعوا سير المحادثات عن قرب وتصفحوا البيان المشترك بالمركز الصحفي في مقره بالدور الثالث من فندق انتوريست الدولي بشارع جوركي في موسكو على بعد أمتار قليلة من الكريملين ، أجمعت هذه البرقيات على نجاح اللقاء الثالث باعتباره خطوة ثالثة وايجابية على طريق اعادة العلاقات السوفيتية الامريكية الى مجرى طبيعي ينهي سياسة الحرب الباردة ، ويدعم طريق التعايش السلمي والانفراج الدولي الذي جسده اللقاء الاول في موسكو عام ١٩٧٢ وتقدم به اللقاء الثاني في واشنطن عام ١٩٧٣ خطوات أخرى جديدة .

وعلى عكس ما تشتهر به العاصمة السوفيتية من تكتم للاخبار ، كانت تطورات المحادثات وأنباؤها واضحة ، تنافس وضوح نهار موسكو الذي يمتد في مثل هذا الوقت من السنة الى ما يزيد عن ٢١ ساعة في اليوم . وكاد الجو نفسه أن يكون ترمومترا دقيقا يعكس مسار المحادثات . فبينما كانت الشمس تلسع بحرارة محتملة كانت تختفي في احيان أخرى لتتجمع السحب وتسقط الامطار ، وتنخفض درجة الحرارة الى حد من البرودة الملحوظة .

لقد قدم نيكسون الى موسكو في ظل ظروف حاول جهده أن تميل الى التوازن الذي يمكنه من اجراء محادثات لا تعوزه فيها قوة « مركزه الامريكي » على نحو ما . فبينما كان وضعه الداخلي مهزوزا تحت وطأة تطورات فضيحة ووترجيت الملتهبة وحيث لم يسعفه الكونجرس الامريكي بالتصديق على طلب نيكسون بمعاملة الاتحاد السوفيتي في مجال التجارة الخارجية معاملة « الدولة الاولى بالرعاية » ، وأثر ذلك على اضعاف مركزه في المباحثات ، كان نيكسون لتوه قد أحرز بعض النجاحات في سياسته الخارجية بعد تطورات الاحداث في فرنسا وألمانيا الغربية من جهة وجولته في الشرق الاوسط من جهة أخرى .

ومنذ الساعات الاولى لوصول نيكسون الى موسكو ، بات واضحا أمام المراقبين أن هناك خلافات ملحوظة بين الجانبين . فبعد ٣ ساعات من وصوله ، عقد اجتماعا مغلقا فيما بينه وبين بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ، استغرق ٧٠ دقيقة لاستعراض برنامج المحادثات . وقد قال بريجنيف بعدها في المأدبة التي اقيمت للرئيس الامريكي انه « على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الجانبين حول أمور عديدة . » الا أنه يشعر بأنهما « سيتوصلان

الى اتفاق حول سبل تدعيم السلام والتعاون المبير » . وكان تعليق المراقبين على ذلك بانه لا ينتظر ان يتوصل الطرفان الى اتفاق محدد حول قضيه الاسلحة الاستراتيجية ، بسبب الخلاف على تحديد عدد الصواريخ التي تحمل رءوسا نووية متعددة . ومن المعروف أن المحادثات حول هذه القضية كانت من أكثر المحادثات صعوبة وتعقيدا . على ان ذلك لم يحل دون أن يعرب زامياتين [مدير وكالة تاس والمتحدث الرسمي باسم الجانب السوفيتي] عن بعض تفاؤله للصحفيين بقوله : « ان الجانبين يدركان أن هناك خلافات في وجهات النظر ، ولكنهما يشعران بالارتياح ازاء الجهود التى تبذل من أجل التغلب على الصعوبات عن طريق المفاوضات » .

ويعتقد المراقبون ان الاتفاقية الجديدة التي وقعها بريجنيف ونيكسون للحد من الاسلحة الاستراتيجية كما وكيفا ، والتى اخذت جهدا شاقا في المباحثات تعد من أهم نتائج اللقاء الثالث ، وقد أدى الجزء الذى تم التوصل اليه فى هذا الصدد ، الى فتح الطريق أمام مندوبي الطرفين في محادثات جنيف للحد من الاسلحة الاستراتيجية ، حيث صدرت اليهم التعليمات بأن تبدأ فى القريب العاجل مفاوضات جديدة لوضع صياغة أخيرة .

وفي هذا المجال تم توقيع بروتوكول يسمح لكل من الدولتين بأن تكون لها شبكة واحدة للصواريخ المضادة للصواريخ تتكون من ١٠٠ منصة اطلاق ، مع اعطاء الحرية لكل منهما لتحريك الشبكة من مكانها الحالي الى مكان آخر خلال السنوات الخمس التالية لبدء سريان الاتفاق . كما وقع اتفاق للحد من تجارب الاسلحة النووية التي تجرى في باطن الارض بحيث لا تزيد قوة كل تجربة منها على ١٥٠ ألف طن من المواد المتفجرة ، وذلك ابتداء من ٣١ مارس ١٩٧٦ ، وخفض عدد هذه التجارب . وتم التوقيع أيضا - فى نفس المجال - على بروتوكولين لتنفيذ اتفاق الحد من الأسلحة الاستراتيجية الموقع عام ١٩٧٢ ، ويقضى بازالة واستبدال الصواريخ الدفاعية والهجومية ، ولكنه لم يحدد عدد الصواريخ المسموح بها . كما وقع أيضا على اتفاق بحظر استخدام وسائل التأثير فى البيئة الطبيعية للاغراض العسكرية .

وترى بعض الدوائر الدبلوماسية أن هناك تراجعا قد حدث فى المفاوضات الخاصة بالحد من سباق التسلح النووى ، على أساس ان بريجنيف ونيكسون اتفقا على التوصل الى اتفاق مؤقت بشأن الاسلحه الهجوميه قبل عام ١٩٧٧ . فى حين انهما اتفقا فى مؤتمر القمة فى واشنطن ١٩٧٣ على الوصول الى اتفاق كامل ودائم للرقابة على الاسلحه الهجومية قبل عام ١٩٧٤ . وكان كيسنجر قد شرح الاسباب التى دعت الى هذه المهلة بقوله ان على كل جانب ان يقنع المؤسسة العسكرية في بلده بمزايا هذا الخطر لأن العسكريين لا يتقبلون ذلك بسهولة . ويرى الاكاديمى يفجينى فيودوروف نائب رئيس اللجنة السوفيتية للسلام ، ان الاتفاق الجديد حول الحد من تجارب السلاح النووي تحت الارض « مساهمة لا تقدر قيمتها فى تعزيز سلم وأمن الشعوب » .

وفى مجال التعاون العملي بين البلدين ، تم ابرام اربع اتفاقيات : تنظم الاتفاقية الاولى طويلة الامد [١٠ سنوات] التعاون بينهما فى مجالات الاقتصاد والصناعة والعلاقات العلمية والتكنيكية وتتضمن هذه الاتفاقية مواد ستة تنظم اجراءات التعاون وشراء وبيع الماكينات والاجهزة لبناء مؤسسات جديدة وتوسيع وتجديد المؤسسات القديمة فى مجال انتاج المواد الخام والمنتجات الزراعية وبراءات وحقوق الملكية للتكنولوجيا الصناعية والانتاجية . ومن المعروف ان حجم العلاقات التجارية والاقتصادية السوفيتية الامريكية قد بلغت فى عام ١٩٧٣ ما قيمته ١٫٥ مليار دولار سترتفع في ١٩٧٥ الى ما بين ٢ و٣ مليار دولار . ويتضمن الاتفاق أيضا تنظيم الاتصالات بين المنظمات العلمية والتكنيكية وبين العلماء ورجال الثقافة فى كلا البلدين . وقد قام بريجنيف ونيكسون بتوقيع هذه الاتفاقية .

أما اتفاقية التعاون في مجال الطاقة [٩ مواد] التي وقعها بودجورني مع نيكسون ، فتقضى بتبادل استخدام التكنولوجيا الخاصة بالتنقيب عن الوقود العضوى واستخراجه ومعالجته واستخدامه . وفى سبيل ذلك نصت الاتفاقية على الاجراءات التى تنظم تشكيل فرق من الخبراء والباحثين ولجنة مشتركة للتعاون فى مجال الطاقة وتعيين لجنة تنفيذية مسئولة عن تحقيق الاتفاقية . ويقول ديمترى جيميرين النائب الاول لرئيس اللجنة الحكومية الخاصة بقضايا العلم والتكنولوجيا والعضو المراسل لاكاديمية العلوم السوفيتية ، والذى تابع عن قرب مسار المباحثات هذه ، ان اتفاقية الطاقة التى وقعت « تعتبر ذات أهمية بالغة كما أن تطوير التعاون فى هذا المجال من شأنه تحقيق الفائدة لشعبى البلدين وللبشرية جمعاء » .

أما الاتفاقية الاقتصادية الثالثة فقد قام بتوقيعها كوسيجين مع نيكسون ، حول التعاون في مجال بناء المساكن وغيره من مجالات البناء . وتقضى مواد الاتفاقية [٧ مواد] بتبادل المختصين والمعلومات وعقد المؤتمرات والدورات المشتركة وتشكيل لجنة مشتركة لتحقيق الاعمال الضرورية لتنفيذ بنود الاتفاقية . ويقول **جنيادى فومين** رئيس لجنة البناء المدنى والمعمارى فى الاتحاد السوفيتى « أن نطاق بناء المساكن المخطط فى بلادنا معروف للجميع ، ولهذا يصل الى بلادنا كثير من المعماريين الامريكيين الذين يعتبرون أن بلادنا اكتسبت تجربة يمكن الاستفادة منها . والواقع أن فى بلدينا كثيرا من الظروف المتشابهة من حيث تنوع الاحوال المناخية والجيولوجية والزلزالية » .

وقام بتوقيع الاتفاقية الرابعة كل من جروميكو وكيسنجر ، حول التعاون فى مجال الابحاث العلمية وصناعة القلب الصناعى ، وتقضى الاتفاقية [٧ مواد] بتبادل المعلومات والقيام بأبحاث مشتركة فى مجال الادارة البيولوجية والبيوكيميائية والفيزيولوجية لعمل القلب كله ، وفى مجال تأمين الوقاية من أمراض القلب .

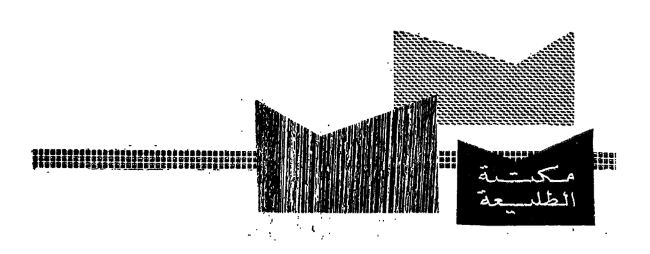
وفى مجال السياسة الخارجية وضمان السلام والامن وتخفيف التوتر فى مختلف أجزاء العالم ، أوضح **سبارتاك بجلوف** المعلق السوفيتى المعروف بأن الجانبين يعيان تماما ضخامة ما عليهما من مسئولية كنتيجة للامكانيات الهائلة لبلديهما . لقد تحدث زعماء الجانبين عن المسئولية ، ولكنهم لم يتحدثوا عن اى امتيازات أو عن قدرتهم على فرض ارادتهم على الغير » .

ويرى المراقبون أن القضية العربية قد أحرزت تقدما ملحوظا فى محادثات الجانبين حيث استطاع الجانب السوفيتى أن ينص صراحة فى البيان المشترك الذى يحمل توقيع الرئيس الامريكى ، على « أن ازالة خطر الحرب والتوتر فى الشرق الاوسط مهمة أولية من حيث أهميتها والحاحها ». وان البديل الوحيد للوضع الحالى انما هو التوصل على أساس قرار رقم ٣٣٨ لمجلس الامن الى تسوية سلمية عادلة ووطيدة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المصالح المشروعة لجميع شعوب الشرق الاوسط **بما فى ذلك الشعب الفلسطينى** وحق كافة دول المنطقة فى الوجود » . ويفسر المراقبون السوفيت عدم ورود اشارة للقرار ٢٤٢ مقصود به فتح الطريق أمام مشاركة الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف ، حيث أنهم يرفضون هذا القرار كأساس لتسوية مشكلتهم الوطنية . وقد أكد الجانبان أهمية استئناف مؤتمر جنيف لاعماله فى أقرب وقت وأن الهدف الرئيسى للمؤتمر هو « اقامة سلام عادل وطيد فى الشرق الاوسط » .

أما فى مجال الامن الاوروبى ، فقد اكد الجانبان ضرورة الوصول بمؤتمر الامن والتعاون فى أوروبا الى نهاية ناجحة . وأيدا ضرورة عقد المرحلة الختامية للمؤتمر فى تاريخ مبكر ، وعبرا عن أملهما فى أن تساعد النتائج التى تتمخض عنها المفاوضات على اكتمال المؤتمر على أعلى مستوى لما تتضمنه من وثائق يتوقع أن تكون لها أهميتها التاريخية .

وأثناء مناقشة الموقف فى الهند الصينية ، أقر الطرفان ضرورة الالتزام الدقيق من جانب كافة الاطراف فى فيتنام باحكام اتفاقية باريس الموقعة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٧٣ .

لقد اعربت الدوائر الدبلوماسية الاجنبية فى موسكو عن ارتياحها لتطور ظاهرة الانفراج الدولى التى جسدتها بشكل خاص لقاءات القمة السوفيتية الامريكية والتى انعكست آثارها فى كثير من التطورات الدولية ، وتتوقع هذه الدوائر أن يسفر اجتماع القمة السوفيتى الامريكى الرابع الذى سينعقد فى واشنطن فى عام ١٩٧٥ ، عن تقدم جديد فى هذا الاطار .



□ الأمن الأوروبي والشرق الأوسط

تأليف :

حسين فهمي

عرض :

د . رفعت السعيد

الناشر :

دار الثقافة الجديدة

القاهرة ١٩٧٤

الموضوع جاد . والكاتب جاد . ومن هنا تبدأ أول صعوبات العرض .

فالموضوع دقيق ومتشعب الاطراف ، معقد التركيب .

والكاتب واحد من الصحفيين المخضرمين ، والكتاب الذين تتصف كتاباتهم بالعمق والجدية والاصالة .

ومن هنا يصبح على كل محاولة لتناول الكتاب بالعرض أن تتأنى فى الاختيار ، وأن تتمعن وأن تدقق .

فكل كلمة موضوعة فى مكانها بميزان دقيق ، يستمد دقته ليس فقط من حساسية الموضوع وصعوبته وتشابكه وانما أيضا من علمية التناول وبراعة التحليل وذكائه .

والكتاب [١٢٠ صفحة] من تسعة فصول تتناول بالتحليل قصة الحرب والسلام ، والبواعث الاجتماعية للحروب ، والتغيرات التى طرأت على محتوى قضية الحرب والسلام بعد قيام أول دولة اشتراكية فى العالم على اثر ثورة ١٩١٧ فى روسيا . والأمن الاوروبى باعتباره

عقدة من المشاكل المستعصية ، ثم تأملات متأنية في مبادىء الامن والسلام والقواعد التي تضبط ايقاعها وتمنحها القدرة على التطور النامي ، ثم علاقة ذلك كله بالشرق الاوسط وأزمته والمطامع الامبريالية فيه ، وتصارعات القوى داخله ومن حوله ودور البترول وعلاقاته بالاوضاع والتطورات فى هذه المنطقة الملتهبة .. وأخيرا فصل بعنوان « أوروبا فى خطر » يرسم فيه جدود وامكانيات التغيرات التى طرأت وسوف تطرأ على الموقف الاوروبي نتيجة لمعطيات الوضع فى الشرق الاوسط وتطوراته ..

ذلك كله فى لمسات سريعة ، أنيقة ، موجزة ، وكأنها أحيانا لمسات دقيقة من فرشاة فنان ، وأحيانا أخرى طلقات حسنة التصويب ، بحيث لا تحتاج لتكرار .

ويحتل ٦ أكتوبر مكانة فى كل جانب من جوانب البحث ، ابتداء من الاهداء « الى أرواح شهداء أكتوبر الباسل » وحتى الخاتمة .. مرورا بكل صفحات الكتاب .

والرؤية عند **حسين فهمى** واضحة ، فهو يعرف ما يريد ، ويعرف كيف يقوله ..

وهو يؤكد من البداية « أن الانفراج الدولي لا يعنى فقط أن القضاء على خطر حرب نووية أصبح ممكن التحقيق ، ولكنه يعنى كذلك توافر الشروط الضرورية لجعل الموقف الدولى اكثر صحة وملاءمة ، لتحويل هذا التطور الجذرى الكبير فى السياسات العالمية الى كيان دائم ومستقر ، وغير قابل للانهيار » [ص ٦] .

لكنه يؤكد أيضا « أن الانفراج الدولي والتعايش السلمى والعلاقات الجديدة بين أمريكا وبين الاتحاد السوفيتي ، والعلاقات المتعاظمة بين دول شرق أوروبا وغربها ، كل هذا ليس كافيا لتجنيب العالم وأوروبا بصفة خاصة ، خطر الحرب وذلك اذا لم يتم القضاء على بؤر الخطر والتوتر . وفى مقدمتها استمرار الحرب فى الشرق الاوسط . وأنه على الرغم من أن النزاع الايديولوجى بين الشرق والغرب قد تلاشى أو توارى الى الخلفية ، فان درء الخطر على السلام مازال رهنا بحل المشكلات الدولية الملحة ، وفى مقدمتها مشكلات الشرق الاوسط والامن الاوروبى » [ص ٧] .

وهو يحذرنا « ان غيبة الحرب ، أو حتى تسوية المنازعات الدولية الملتهبة لايعنى بالضرورة تحقيق السلام ، فهذا التحقيق يحتاج الى عملية ديناميكية وجهود مستمرة ومتنوعة » [ص ٧] .

ويدرك **حسين فهمى** أن الانفراج الدولى الراهن يحتاج دوما الى تعزيز وحماية : « فالوصول الى السلام ليس عملا سهلا .. لان القوى الامبريالية والمصالح البرجوازية لن تقبل به بسهولة . ولهذا فان مسألة السلام ستظل مسألة النضال المتواصل فى سبيله ، والمسألة ليست فى الوصول الى شروط جيسبة مع الامبريالية والتواكل بعد ذلك . على العكس فان المسألة هى أن الامبريالية التى تتجرع للعدوان وقهر الحريات الوطنية ، لن ترتضى نظاما عالميا يغل أيديها وأيدي الرجعية العالمية » [ص ٨] .

ولقد يتصور البعض أن نمو الخطر الذري ، وتصاعده ، قد يكون بذاته كفيلا بانهاء أى احتمال لنشوب حرب عالمية جديدة . لكن **حسين فهمى** وهو يحث على استمرار النضال صونا للسلام ، ودحرا لجهود أعدائه ، يعود بنا الى ذكريات قديمة ، لكنها جد مفيدة : « لكن تطور الاسلحة لم يمنع الانسان من خوض الحروب ، ولم يعلمه استيعاب العبر والدروس .. وفى يوليه سنة ١٩١٤ كتبت جريدة **نيويورك تايمز** تقول : ان الحرب أصبحت من البشاعة بحيث يصعب تخيلها ، كما أنه يستحيل وقوعها بسبب بشاعتها» ومن هنا فان « القول بأن الرعب من الاسلحة .. بدلا من نضال الجماهير .. وحل المشكلات الدولية من جذورها الموضوعية ، يستطيع أن يجنب الانسان ويلات حرب جديدة هو قول مخطىء بالضرورة ومناقض للحقيقة التى أكدها التاريخ » [ص ١٢] .

ويروى الكاتب القصة الدامية للحرب العالمية الثانية مبرزا عددا من الوثائق الهامة التى أوضحت خطأ تقديرات الساسة الانجليز ورغبتهم فى ترك **هتلر** ليسحق الاتحاد السوفيتى ، ورفضهم فى بادىء الامر أى تحالف مع السوفييت ضد الهتلرية . ثم يقودنا الى فترة ما بعد الحرب وكيف أشعل الامبرياليون عن عمد الحرب الباردة ليقودوا العالم من خلالها نحو تصاعد رهيب فى التوتر الدولى وفى سياسة التسلح النووى والتقليدى معا .. لكن الستينيات « شهدت تحولين خطيرين فى حياة الامبريالية ، وحياة البشرية .. التحول الاول هو فشل فكرة الحروب الاستعمارية والذى بلغ ذروته فى هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام .. والتحول الثانى هو انكشاف وفضح حجج الحرب الباردة وسياساتها » [ص ١٨] .

ثم هو يقترب بنا نحو شرق البحر المتوسط ، مؤكدا أن سياسة الاعداد للحرب والاحتفاظ بالقواعد العسكرية والاساطيل هما أحد مبررات

مســاندة الولايات المتحدة لانظمــة الحــكم الديكتاتورية فى اســبانيا واليونان .. « وفى شرق البحر المتوسط احتضنت الولايات المتحدة الزمرة العســكرية فى اليــونان التى صادرت الحريات الديمقراطية فى البلاد وقدمت الولايات المتحدة لليونان معونات عسكرية ضــخمة بلغت فى عام ١٩٧١ وحده ١١٨ مليون دولار » .

وتصح نبوءة الرجل عندما يمضى قائلا «وتبذل حــكومة اليونان جهودا مضنية من اجل مــد ديكتاتوريتها الى قبرص التى تعرضــت لضغط مكثف من جانب العسكريين اليونانيين » [ص٢٥]

وهكذا يوضح لنا الــكاتب كيف أن سياســة التسلح والاستعداد للحرب والاحتفاظ بالاساطيل والقواعــد العسكرية ، سرعان ما تنعكس من المستوى العالمى ، الى حماية للانظمة الديكتاتورية والتآمر على الانظمة الوطنية فى أكثر من مكان .

ثم يقترب أكثر ليصل الى الشرق الاوسط ، مقدما لنا فى عرض وجيز متقن قصة الصراع الدامى التى تجرى منذ أمــد طويل على ارض هــذه المنطقة بين المصــالح الامبريالية وارادة الشعوب .. وعنوان هذا الفصل .. « السلام والحروب الامبريالية فى الشرق الاوسط » .. ويستعرض الــكاتب صراعات المنطقة ضــد الاستعمار منذ الحرب العالمية الاولى حتى عدوان ١٩٦٧ الــذى يعتبره أيضا حلقة من حلقــات العدوان الامبريالى على مصر » .

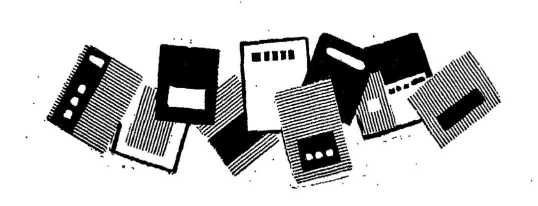
وبحثا عن أسباب هذه العدوانات المتــكررة يجد **حسين فهمى** « بصمات البترول » فلا «جدال أن الحفــاظ على المصالح البترولية الاحتكارية الهائلة لامريكا فى الشرق الاوسط كان أهم دوافع الحرب الامبريالية فى عام ١٩٦٧ » [ص ١٠٣]

« ان آبار البترول فى الشرق الاوسط اكثر آبار العالم انتاجا ، وانتاج البترول فى الشرق الاوسط تضاعف خلال ثلاثين عاما ٧٥ مرة .. والشرق الاوسط لا ينتج الا البترول الخــام ، وتحتكر الاحتكارات الكبيرة عملية التكرير وتحقق بذلك أرباحا خياليــة .. والاسواق الاوروبية مفتوحة على مصراعيها للبترول المكرر» [ص١٠٨]

وهكذا يقودنا **حسين فهمى** الى واحــد من المفاتيح الجوهرية للمشكلة والى سر الاهتمام البالغ بالتطورات السياسية فى المنطقة ، والى علاقة ما يجرى فيها ، كل ما يجرى فيها بالأمن الاوروبى والسياسات الاوروبية » .

وفوق ذلك فان الكاتب يقدم لنا دراسة ممتعة ومتقنة عن فكرة التعايش الســلمى ونشوئها وتطوراتها فى عالم اليوم . وهو يرد عنها المزاعم التى حاولت ان تفسرها كسبيل نحو المهادنة . « فالتعايش السلمى لا يوقف اذن الصراع بين الراسمالية والاشتراكية ، أو بين الاســتعمار وحركات التحــرر الوطنى والاجتماعى ، كــل ما يفعله انه يحــول الصراع بين الرأســمالية والاشتراكية الى طرق أخرى ســلمية » ... « ان قبول الامبريالية للتعايش السلمى لا يعنى أن طبيعتها قد تغيرت .. أن العالم الذى يحيط بها هو الذى تغير . والعصر الذى تواجه فيه نهايتهــا المحتومة فرض الحدود والقيــود على حركتها وقدرتها ، وأرغمها على التكيف والتلاؤم مع الظروف الجديدة » [ص ٣٤] ..

.. ان العالم الذى يحيط بنا هو الذى تغير هذا هو جوهر الامر ، وطبيعة هذه التغيرات ومحتواها ومستقبلها ، هو ما نجح **حسين فهمى** أن يمسك به فى براعة ، وان يصوغه كتابا ممتعا وفريدا من نوعه .





منظمة الوحدة الأفريقية

منظمة اقليمية معادية للاستعمار والامبريالية ، تضم جميع الدول الافريقية المستقلة ، فيما عدا العنصرية فيها ، وكذلك حركات التحرير الافريقية وبعض المنظمات الافريقية بوصفها أعضاء مراقبين .

تأسست بمقتضى ميثاق منظمة الوحدة الافريقية الذى تم التوقيع عليه فى اثناء مؤتمر القمة الافريقى فى ٢٥ مايو ١٩٦٣ بأديس أبابا . وبلغ عدد الاعضاء المؤسسين ٣٢ دولة ، ثم انضمت الى المنظمة ، تسع دول بعد حصولها على الاستقلال . وبذا تعد أكبر منظمة اقليمية في العالم . كما تضم بصفة عضو مراقب حركات التحرير فى أفريقيا الجنوبية والمستعمرات البرتغالية : المؤتمر الوطنى الافريقي — جنوب أفريقيا ، الاتحاد الافريقى لشعب زيمبابوى — روديسيا ، منظمة شعب أفريقيا الجنوبية الغربية — ناميبيا ، جبهة تحرير موزمبيق — موزمبيق ، الحركة الشعبية لتحرير أنجولا — أنجولا ، الحزب الافريقي لاستقلال غينيا وكيب فرد — غينيا — بيساو . وتضم أيضا عددا من المنظمات العامة الافريقية . ولا تضم عضويتها أية دولة امبريالية ، كما تحظر عضويتها على الانظمة العنصرية .

وتتحدد أهدافها طبقا للميثاق بدعم التعاون السياسى والاقتصادى الشامل للبلاد الافريقية ، وتعزيز تضامنها فى الشئون الدولية ، وضمان ظروف معيشية أفضل للافريقيين ، والقضاء على الاستعمار بكل أشكاله فى أفريقيا ، والدفاع عن استقلال الدول الاعضاء فيها . وتقوم العلاقات بين أعضائها على مبادىء المساواة ، واحترام كل بلد لسيادة البلاد الاخري ووحدة أراضيها وعدم التدخل فى شئونها ، وتسوية المنازعات بالطرق السلمية . أما المبادىء الاساسية لسياستها فهي عدم الانحياز ، والتعاون الدولى ، وفقا لميثاق الامم المتحدة .

والجهاز الاعلى للمنظمة ، المسئول عن رسم السياسة العامة ، هو « جمعية رؤساء الدول والحكومات » [مؤتمر القمة] ، التى تجتمع عادة فى سبتمبر من كل عام ، فى عشية افتتاح الجمعية العامة للامم المتحدة . أما الهيئة التنفيذية العليا فهى « مجلس الوزراء » الذى تمثل فيه جميع الدول الاعضاء ، ويكون مسئولا أمام جمعية الرؤساء ، ويجتمع مرتين كل عام ، الاولى فى فبراير لاقرار ميزانية المنظمة ، والثانية قبيل انعقاد جمعية الرؤساء للاعداد لها . والهيئة الادارية الدائمة للمنظمة هى « الامانة العامة » ، ومقرها أديس أبابا .

وتقوم جمعية الرؤساء بانتخاب السكرتير العام لمدة أربع سنوات . وفي وثمة جهاز رابع نص عليه الميثاق هو « لجنة الوساطة والتوفيق والتحكيم » ، وتتكون من ٢١ عضوا تنتخبهم جمعية الرؤساء من المتخصصين الافريقيين كل خمس سنوات .

وتقوم « لجنة التحرير » بدور هام فى تنفيذ أهداف المنظمة فيما يتعلق بتصفية الاستعمار ، وبخاصة فى مجال تنسيق المساعدة التى تقدمها الدول الافريقية المستقلة للبلاد التي مازالت خاضعة للاستعمار .

وتوجد بالمنظمة خمس لجان متخصصة هى :

١ — اللجنة الاقتصادية والاجتماعية
٢ — اللجنة التعليمية والثقافية
٣ — اللجنة الصحية .
٤ — لجنة الدفاع .
٥ — اللجنة العلمية .

ويجتمع كل منها مرتين كل عام ،

وتعترف الامم المتحدة بالمنظمة بوصفها منظمة اقليمية . وتتمتع المنظمة بوضع المراقب الدائم فى الامم المتحدة ، وتحتفظ بأمانة تنفيذية فى نيويورك . وقد جرت العادة على أن يحضر السكرتير العام للامم المتحدة اجتماعات جمعية الرؤساء ، وأن يلقى خطابا فى دوراتها الموسعة . وتعترف الامم المتحدة بحق المنظمة في ايجاد « حل أفريقى للمشكلات الافريقية » ، وبأن تكون جهازا لحفظ السلام والامن فى القارة . وهى المنظمة الوحيدة فى العالم التى تخولها الامم المتحدة مثل هذه السلطات الواسعة .

ويجرى تمويل أنشطة المنظمة من المساهمات السنوية للدول الاعضاء فى ميزانيتها وفى « صندوق لجنة التحرير » . كما يخول السكرتير العام سلطة قبول المنح والتبرعات بشرط موافقة مجلس الوزراء . وتصل ميزانية المنظمة الى ٥ر٢ مليون دولار ، وميزانية لجنة التحرير الى حوالى مليونين . وتقل ميزانيتها كثيرا عن ميزانية منظمة الدول الامريكية ، ومع ذلك قامت بجهد ملموس فى دعم تعاون الدول الافريقية فى نضالها المعادى للامبريالية .

وتمارس المنظمة سلطتها لاقامة علاقات اجتماعية واقتصادية وعلمية وتكنولوجية وثقافية بين الدول الافريقية . وبمساعدة من الامم المتحدة ، ودعم من جانب المنظمة ، افتتح « بنك التنمية الافريقى » فى أبدجان بساحل العاج و « معهد التنمية الاقتصادية والتخطيط » فى دكار بالسنغال . وتساعد المنظمة على اقامة تجمعات اقتصادية بين البلاد المتجاورة فى القارة . وقد استضافت الجزائر فى عام ١٩٦٩ أول « مهرجان ثقافي لكل أفريقيا » ، كما أقيمت فى نيروبى بكينيا فى سبتمبر ١٩٧١ أول « سوق تجارية لكل أفريقيا » . وأقيمت فى ابريل ١٩٧٣ « منظمة وحدة العمل الافريقى » .

بيد أنه مازالت توجد صعاب كثيرة تعترض طريق حركة الوحدة الافريقية ، — وبالتالى طريق — المنظمة نفسها ، مرجعها الى اسباب موضوعية : تاريخية وسياسية واقتصادية ، واختلاف المسارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدول الافريقية ، مما يثير الخلاف فيما بينها عند معالجة المشكلات كما يتعايش فى داخلها خطان رئيسيان ، الخط المعادى للامبريالية ، وخط المصالحة والمهادنة . ولكن القوى التقدمية يصبح لها بالتدريج الدور السائد فى المنظمة .

وقد كانت الدعوة الى « الحوار » مع جنوب أفريقيا اختبارا خطيرا لفعالية المنظمة . وتضمنت قرارات جمعية الرؤساء فى لوساكا فى عام ١٩٦٩ قبولا ضمنيا لهذه الدعوة ، كما حثت الشعوب الافريقية على تحقيق الاستقلال دون استخدام السلاح ، أو بالحد الادنى من استخدام القوة . ولكن اجتماعى الجمعية التاليين فى عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ أدخلا تصحيحات جوهرية على البرنامج الذى تضمنه « بيان لوساكا » . وفى اجتماع الجمعية فى عام ١٩٧١ رفضت فكرة « الحوار » ، واعتبرت مناورة من جنوب أفريقيا لتفتيت وحدة الدول الافريقية .

أحمد فؤاد بلبع

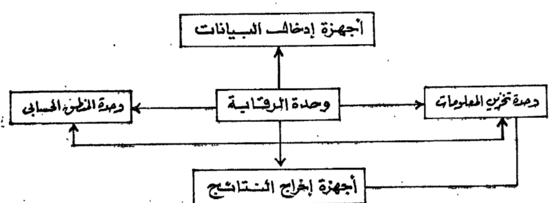


الحاسب الألكترونى
Computer

آلة حاسبة لحل المسائل الرياضية والمنطقية وتتميز بخصائص أساسية أهمها : **السرعة** التى تصل الى مئات الالوف من العمليات الحسابية والمنطقية فى الثانية ، **تخزين المعلومات** « التذكر » بأحجام هائلة ، **الاتمته الكاملة** فى ادارة العمليات على أساس برنامج معد مقدما. ويوجدبشكل أساسىنوعين منالحاسبات: حاسبات وصفية أو تشبيهية **Analog Computer** تتخصص فى قياس التغير المستمر فىأحد الظواهر الطبيعية مثل الضغط الجوى ، والحرارة ، والتيار المائى وغير ذلك من الظواهر ، وحاسبات رقمية **Digital Computer** تقوم باجراءمختلف العمليات الحسابية والمنطقية المعتمدة على الارقام مباشرة ، وهذا النوع هو المستخدم فى المجالات الاقتصادية ، والإدارية ، والحسابات العلمية ، وحل المعادلات الرياضية . ويتميز النوع الاخير عن الاول بقدر أكبر من الدقة ، وبامكانيات للعمل فى مجالات أكثر تعددا وتنوعا ، بينما يمتاز النوع الاول بأنه أكثر سرعة وهذا طبيعى لمتابعة السرعة الهائلة فى تغيير الظواهر الطبيعية محل القياس .

ولقد مر تطور الحاسبات الالكترونية بأربعة مراحل [تعرف عادة فى كتابات الحاسب الالكترونى بالاجيال] : حاسبات الجيل الاول وقد صممت باستخدام الانابيب المفرغة **Vacum tubes** ، أما حاسبات الجيل الثانى فقد تميزت بأنها أصغر حجما ، وأسرع ، وذات طاقة حسابية وتخزينية أكبر من حاسبات الجيل الاول . ويرجع تفوق هذه الحاسبات فى السرعة الى استخدام شرائح الترانزستور فى بنائها بدلا من الانابيب المفرغة ، ويرجع تفوق طاقتها التخزينية الى استخدام الحلقات المغنطة **Magnetic Cores** أما حاسبات الجيل الثالث فقد ظهرت منذ عام ١٩٦٤ واستخدمت الدوائر الالكترونية المطبوعة **Printed Circuits** ثم الدوائر المتكاملة **Integrated Circuits** مما ادى الى زيادة سرعتها بشكل كبير ، كذلك ظهرت بها امكانية تشغيل عدة برامج مستقلة فى وقت واحد . أما حاسبات الجيل الرابع التى بدأت فى الظهور فى السنوات القليلة الماضية مثل **UNIVAC 9400, IBM System 370, NCR 615** فقد ادت الى تقدم مذهل من ناحية السرعة والطاقة التخزينية . ويكفى لكى ندرك مدى التقدم الفنى الذى أحرز فى هذا المجال أن نعرف أن سرعة التشغيل كانت تقاس فى حاسبات الجيل الاول بواحد الى الف من الثانية **Millisecond** ، ولكنها تقاس فى حاسبات الجيل الثانى بواحد الى مليون من الثانية **Microsecond** وفى حاسبات الجيل الثالث بواحد الى مليار من الثانية **Nanosecond** ومن المنتظر أن تزيد سرعة الدوائر الالكترونية خمس مرات بين عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ أى أن السرعة ستقاس بواحد الى بليون من الثانية **Picosecond**

ويتكون أى حاسب الكترونى من خمسة أجهزة متصلة فيما بينها : أجهزة ادخال البيانات **Internal Storage** وحدة التخزين **Input Devices** [الذاكرة] ، ووحدة المنطق الحسابى **Arithmetic-logic Unit** ووحدة الرقابة والتحكم **Control Unit** أجهزة اخراج النتائج **output Devices** ، والشكل التالى يوضح العلاقات المتبادلة بين هذه الاجهزة .



وعادة ما يطلق اسم « وحدة التشغيل المركزية **Central Processing Unit (CPU)** على وحدة التخزين الداخلى ، ووحدة الرقابة .

ويشغل الحاسب الالكترونى البيانات فى شكل رقمى خالص بمعنى أن تحول كافة البيانات المطلوب تشغيلها الى رموز رقمية باستخدام « كود » معين ، غير أنه يجدر بنا أن نذكر فى هذه العجالة أن الحاسب لا يعمل طبقا لنظام الترقيم العشرى المعروف فى حياتنا العادية ، بل يعمل طبقا لنظام آخر يعرف بنظام الترقيم الثنائى **Binary System** وهو نظام للترقيم يعبر عن أى رقم باستخدام رقمين فقط هما : صفر ، ١ فمثلا الرقم ٥ يصبح ١٠١ ، والرقم ٦ يصبح ١١٠ ، ٧ يصبح ١١١ وهكذا .

ويرجع الاصرار على استخدام نظام الترقيم الثنائى فى تشغيل الحاسب الالكترونى الى أن الوحدات الالكترونية تكون فى حالتين لا ثالث لهما فهى اما ممغنطة بعد مرور التيار الكهربائى أو غير ممغنطة لعدم مرور التيار .

ويستخدم الحاسب الالكترونى الرقمى فى الالاف من التطبيقات المتنوعة ، وينتظر ان يلعب دورا متزايدا فى مجالات المحاسبة والادارة والتخطيط فى السنوات القليلة الماضية .

د . حلمى سلام



مناقشة مجلس الشعب حول :

الميزانية والقطاع العام

تنشر «الطليعة» فى هذا العدد القسم الاخير من المناقشات التى دارت فى مجلس الشعب حول الميزانية والقطاع العام .
وكانت الطليعة قد بدأت فى نشر النصوص الكاملة لمضبطة المجلس منذ شهر ابريل الماضى .

ويرجع اهتمام الطليعة بنشر هذه النصوص الى ان المناقشات التى تدور فى مجلس الشعب حول القضايا العامة انما تقدم صورة حية للاراء والاتجاهات والمواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك مما يجعل من هذه النصوص مرجعا يفيد الكتاب والباحثين المهتمين بالتعرف على ملامح الحياة السياسية وتطورها .



السيد العضو السيد كامل علي الشرقاوي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الدكتور رئيس الجلسة ،
الاخوة الزملاء :

لاول مرة في تاريخ مصر البرلماني بل في تاريخها المالي جاء البيان المالي والاقتصادي متمشيا ومتطابقا مع التطور الحديث للميزانيات وفي اطار قوانين اصدرها المجلس الحالي .

اري من واجبي ونحن بصدد مناقشة البيان المالي والاقتصادي لموازنة عام ١٩٧٤ ان أعلن بحق انه كان واضحا ، ودقيقا وملتزما بأحكام القانون ٥٣ لسنة ١٩٧٣ الذي يقنن لاول مرة أوضاع الموازنة العامة واصدارها ، وأحكام القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٣ الذي ينظم وضع الخطة القومية الاقتصادية والاجتماعيه والبيان بوضوحه ودقه أرقامه يؤكد سلامة الاقتصاد المصري وهو يواجه تحديات المعركة وما تضيفه كل يوم من أعباء ينوء بها اعرق إقتصاد .

وتقريرا للحق والواقع أري لزاما علي ان أصحح ما ذهبت اليه لجنة الخطة والموازنة في تقريرها الذي شجبت به البيان ظلما سواء من ناحية الوضوح أو دقة التقديرات والذي كان بصدق وليد البحث السطحي السريع .

ولقد جاء بتقرير اللجنة [ص ١٤ ، ١٥] أن الموارد لم تفبأ بالكامل في مشروع موازنة ١٩٧٤ سواء من ناحية :

١ — الاجور :

٢ — الايرادات بالكامل .

٣ — احتياطيات الشركات .

ففي الحالتين الاولى والثانيــة ترك جانبا من الموارد معطلا وفي الحالة الثالثة تم التصرف فيه بدون ارتباط بالخطة وترك للشركات حــرية التصرف في الاحتياطيات الموضوعة تحت يدها خارج اطار الخطة لان هذه الاحتياطيات لم تدخل في موازنة الدولة .

وسأتناول فيما يلي هذه النواحي الثلاث للتدليل علي ان نقدها لا يقوم علي أساس سليم أو صحيح .

الناحية الاولي : الباب الاول [الاجور] :

لقد ذكر بتقرير لجنة الخطة ان تقديراته مبالغ فيها بمقدار ٤٠ مليون جنيه تقريبا والواقع يخالف ذلك تماما فلقد جاء ذكر تقديراته عن عام ١٩٧٢/١٩٧١ علي النحو الاتي :

اذا لم نذهب بعيدا وقارنا بين تقديرات الباب الاول المستخدم والمنصرف فعلا نجد أن المقدر حسب البيان المالي ٦٦٩٫١ مليون جنيه والمنصرف ٦٦٩ مليون جنيه والفرق لا يجاوز ١٪ ولما كان الرقم التقديري ٦٦٩٫١ بالمليون وهو عن ١٨ شهرا فان ما يخص الـ ١٢ شهرا منه ٤٤٦ مليون جنيه .

فاذا أضفنا الى هذا الرقم الحتميات التى طرأت على هذا الباب سنة ١٩٧٣ وقدرها ٩٤٫١ مليون جنيه وقد وافق عليها مجلس الشعب وأضفنا اليه صافي الزيادة بالباب الاول في تقديرات سنة ١٩٧٤ وقدرها ٦٫٣ مليون جنيه [ص ٢٩ من البيان] لوصلنا في وضوح ودقة الي أن تقديرات الباب الاول على هذا النحو ٥٩٧٫٥ مليون جنيه حسبما هو وارد في البيان المالى [ص ٢٦] وهو تقدير مبنى على نفقات فعلية وليست جزافية — ومع ذلك فهناك احتمالات لوجود وفر في هذا الباب كنتيجة لخلو بعض الوظائف خلال العام لاسباب مختلفة .

الناحية الثانية :

جاء بتقرير لجنة الخطة [ص ١١] أن الحكومة قدرت الإيرادات السيادية والخدمية في مشروع ١٩٧٤ بمبلغ ٩٣٦ مليون جنيه بينما تقدره اللجنة بـ ٨٧١ مليون جنيه بفرق قدره حوالي ٧٧ مليون جنيه .

ومن ثم نعت اللجنة علي الحكومة انها بالغت في خفض التقديرات بما يوازي هذا القدر وترتب على ذلك نتائج وملاحظات كثيرة .

وبنت اللجنة زعمها هذا علي أساس ما جاء بالبيان المالى من أن تقديرات الإستيراد السلعى من دول العملات الحرة ودول الاتفاقيات يصل الى ١٢٦٦٫٢ مليون جنيه .

وقد رتبت اللجنــة عليــه زيادة حصيلة الضرائب والرسوم السلعية التي بلغت في تصورها ٧٧ مليون جنيه علي أساس نسبة ٣٢٪ من رقم الواردات السلعية بدلا من ٤٤٪ قيمة رقم الواردات السلعية عام ١٩٧٢/٧١ . والواقع أن اللجنة لم توفق في هذا التصور ولو التزمت دراسة واعية لما ارسلت القول جزافا علي هــذا النحو — اذ رتبت الحصيلة علي أساس نسبة عشوائية — ولو حدث أن حصيلة الضرائب والرسوم السلعية للواردات يجب أن تقدر علي أساس فعلي يستند الي مراجعة قوانينها وفئات التعريفة المقررة عليها وهي تتفاوت في نسبها تفاوتا كبيرا فضلا عن ان بعضها يعفى من الضرائب والرسوم اعفاء كاملا أو جزئيا وهو أمر لا تستطيع اللجنة أن تمارسه خصوصا في مواجهة ظروفنا الحاضرة ومتغيراتها المستمرة يوما بعد يوم من حيث الأسعار والقدرة على الاستيراد والشحن .

ولقد جاء مشروع الموازنة الجديد محققا لتلك الاهداف المالية مستهدفا في النهاية متطلبات المعركة من ناحية ومتطلبات التنمية من ناحية اخري .

على أن هذا يحفــزني لابداء بعض التعليقات والملاحظات بايجاز شديد :

١ — مازالت الحكومة تنفق المبالغ الطائلة علي قطاع استصلاح الاراضي حتى أصبح معدل تكلفة الفدان باهظا ، ولابد من ضغط هذا الانفاق لتوفير وزيادة حجم مشروعات الصرف المغطى .

٢ — أثيرت ، في مناسبات عدة ، مناقشات حول القطاع العام كان آخرها ما ذكر من تعليقات حول تقارير لجنة الخطة والموازنة ، ولقد جاء بحق علي لسان الزميلين الاستاذين مختار هاني ، وابراهيم القاضي في مضبطة الجلسة السادسة أن هذه التقارير لم تتناول الاسباب الموضوعية بل هي في مجموعها تلمس المعاذير للشركات التي تعثرت وانتهى المجلس الى إعادة تلك التقارير الى اللجان المختصة لدراستها وتقديم تقاريرها عنها .

وفي رأيي أنه يجب عند الانتهاء من دراسة تلك التقارير في اللجان ، أن تعرض علي المجلس وترسل بعد ذلك الى لجنة الانتاج الوزارية لتشكيل لجنة فرعية كبيرة علي مستوى فني عال هندسي ومالى واداري ورقابي لتقييم هــذه الشركات تقييما علميا مبنيا على دراسات شاملة .

٣ — فيما يتعلق بالادخار الإجباري الذي اشار اليه البيان اري أن هذا أمر واجب، لا على أنه إجباري ولكنه واجب وطني تحتمه ظروفنا فضلا عن أن الفائدة التي سيحصل عليها المدخرون ستصل الى ٥٫٤٪ سنويا وهو معدل عال لو قورن بمعايير الاستثمار الخاص لوصل الى ٧½٪ .

٤ — المتحصلات والمتأخرات ، علي الرغم مما بذلته الحكومة في هذا السبيل من جهود وما اتخذته من تدابير اري انها مازالت محتاجة الي تشديد القبضة ومتابعة جادة وحاسمة حتى تحصل الحكومة على مواردها كاملة .

٥ — وفيما يتعلق بالمخزون السلعى وموجودات المخازن ورواكدها أعتقد أن المجال مازال يحتاج لاضافات واسعة من الدراسات والتطوير قضاء على الاموال الضائعة فى هذا المجال . والامر على كل حال يحتاج الى نظرة شاملة لانشاء وتجديد المخازن وتنميط الموجودات والمستلزمات وتوحيدها والالتزام أولا وآخرا فى طلبات الشراء بالحجم الاقتصادى الامثل للدفعة .

٦ — قدم البيان المالى تقريرا عن موازنة سنة ١٩٧٣ المنتهية وهى سنة حميدة تؤكد للمجلس أن المسائل المالية تحظى بمتابعة شهرية مستمرة تتوخى منها وزارة المالية استدراك كل شطط أو خطأ فى حينه لملاحقته وتصويبه وهى سنة تساعد المجلس على مهمته الرقابية .

٧ — أما فيما يتعلق بالانفتاح الاقتصادى فانى أرى أن التدابير التى نفذت حتى الان لا تحقق هذا الانفتاح لانها نقلت سلطات الاستيراد والتصدير الى الهيئة العامة للسوق الموازية بعد عرضها على لجان البت ، اما القواعد والتعقيدات والمعوقات والقيود التى تخلق الرشوة وتخلق الغلاء والسوق السوداء فمازالت كما هى ، وأرى أن اعطاء المرونة للاقتصاد المصرى يرتكز أساسا على ازالة القيود الادارية والبيروقراطية كما جاء فى بيان الحكومة واننى أرى عدم مصادرة أى سلعة ترد للحرفيين .

٨ — أقترح اطلاق تداول الجنيه المصرى وفكه من عقاله وطرحه فى الاسواق المالية وأنا واثق تمام الثقة أنه سترتفع قيمته مهما وضع فى طريقه من عقبات لان مواردنا — ولله الحمد — الزراعية والصناعية والبترولية تتزايد يوما بعد يوم .

٩ — لقد أصدرت الحكومة قوانين لضمان استثمار المال الاجنبى والعربى ، وانى أطالب أيضا بضمان مال المصريين الذين هاجروا وكونوا ثروات فى الخارج — وهم كثيرون — يجب أن نضع لهم نفس الضمانات التى وضعت للمال الاجنبى والعربى وتقتصر هذه الضمانات على صرف الارباح لهم من أعمالهم التى يمولونها بنقدهم الاجنبى — بالنقد المصرى — على أن لا يردوا هذه الاموال الى الخارج بعد ذلك بتاتا .

١٠ — لقد صدر قرار وزارى بتحصيل ضرائب من الفلاح لحساب الاتحاد التعاونى [٥ر١٪ على المحاصيل المسوقة تعاونيا — ½ مليم على كل كيلو كسب — ٥ مليمات على كل جنيه من سلف نقدية للزراع — ٢٥ قرشا على كل فدان حيازة] وهذه الضرائب لا سند لها من القانون ويدفعها الفلاح صاغرا والمقدر لحصيلتها منه ٨ ملايين جنيه على الاقل ، وانى أنادى من فوق هذا المنبر برد نصف هذه الحصيلة نقدا الى الفلاح وفورا تقديرا لموقفه من المعركة لان المحاصيل لم تأت بما كان منتظرا .

١١ — أرى أن يعوض الفلاح عن ثمن محصوله على أساس زيادة ثمن القنطار من القطن اعتبارا من موسمنا الحالى خمسة جنيهات يقل تبعا للرتبة وان يعطى كل فلاح ثلاثة جنيهات عن كل طن أرز ورده أو سيورده فى هذا الموسم حتى يشعر بأن الدولة قد تعدته الثمن المناسب ولان محصول كل من القطن والارز هذا العام لم يعط انتاجا كما توقعناه .

واذا لم تسعف الظروف الحاضرة بصرف هذه الفروق السعرية عاجلا ، فانى اطالب بأن يعطى لكل فلاح سندات جهاد توازى قيمتها هذه الفروق .

١٢ — اقترح الغاء بدلات التمثيل أو تخفيضها على الاقل بمقدار النصف على أن تخفض باقى البدلات فيما عدا القوات المسلحة بنسبة ٢٥٪ حتى تنتهى السنة المالية الحاضرة أو تنتهى المعركة أيهما أقرب .

[تصفيق] .

١٣ — اقترح مد الرسوب الوظيفى حتى آخر مارس القادم بدلا من نهاية ديسمبر الحالى على غرار ما تم فى السنة الماضية .

السيد الدكتور رئيس الجلسة ، الاخوة الزملاء :

يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » صدق الله العظيم .

ان العدو غادر فلنمض فى طريقنا صفا واحدا مؤمنين بالله ، وراء قيادتنا الشجاعة المؤمنة ولنتوكل على الله فهو نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو عبدالمنعم عماره :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الدكتور رئيس الجلسة ، السادة الزملاء :

لا شك أن القضايا الاقتصادية سواء كانت قضايا عالمية مثل أزمة الدولار ، أو أزمة النقد الدولى ، أو كانت قضايا داخلية مثل قضايا تجارتنا الخارجية أو الانفتاح الاقتصادى ، فمثل هذه القضايا الاقتصادية تشغل الرأى العام العالمى ، والمصرى لفترات طويلة ، ولقد تعرض الميثاق وبرنامج العمل الوطنى لهذه القضايا الاقتصادية باعتبارها قضايا هامة تشغل الرأى العام ، ولا شك أيضا أن علم الاقتصاد قد استطاع أن يفرض نفسه على العلوم الانسانية الاخرى مثل علم النفس أو علم الاجتماع ، ولقد استطاع ذلك لان سمة هذا العصر تتطلب أن يكون العامل الاقتصادى عاملا واضحا فى كل الامور ، ولقد استطاع العامل الاقتصادى بالفعل أن يبرز وأن يؤدى دوره الى حد ما .

ولا شك أن الاقتصادى فى الحرب مطالب بأن يؤدى دوره بجانب السياسى وأن يكون عمله مرحلة تالية لمرحلة القرار السياسى لانه عندما يصدر القرار السياسى يعطى الضوء الى الاقتصادى كى يعمل حتى يجنب الدولة كل ما يعرض اقتصادها للخطر .

وسأتكلم فى هذا المجال محاولا أن أضع بعض الارقام وأقوم بتحليلها ، ولا يسعنى فى البداية الا أن احيى الوثيقتين اللتين قدمتا الينا فى هذا الشأن وأولاهما بيان السيد رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية ، وثانيتهما تقرير لجنة الخطة والموازنة واننى أستطيع أن أقول بحق أن هاتين الوثيقتين جيدتان الى حد بعيد .

والموضوع الاول الذى سأتحدث فيه يتعلق بالسياحة ، فاذا نظرنا الى الفترة الهامة فى الموسم السياحى نجدها بالتحديد تتمثل من أكتوبر الى ديسمبر من كل عام ، فلو استعرضنا هذه الفترة خلال عام ١٩٧٢ ومقارنتها بنفس الفترة عام ١٩٧١ نجد أن هناك زيادة فى عدد السياح ، ففى عام ١٩٧٢ كان عدد السياح ١٢٤ر٤٣٧ سائحا وفى عام ١٩٧١ كان العدد ٩٦ر٩٠٩ سائحا ومن هذا نجد أن نسبة الزيادة تصل الى حوالى ٤ر٢٨٪ هذا فى الوقت الذى نجد فيه أن عدد الليالى السياحية قد انخفض على عكس اتجاه السائحين .

ففى عام ١٩٧١ كان عدد الليالى السياحية ١ر٢٣٤ر٤٣٩ ليلة بينما كانت فى عام ١٩٧٢ — ١ر٠٨٧ر١٨٨ ليلة أى أن نسبة الانخفاض تصل الى ١٧٪ ، واذا ما قمنا بتحليل هذه الارقام نجد أن النسبة قد انخفضت من ٢ر١٥ ليلة الى ١ر٩ ليلة بينما نجد أن الرحلات السريعة ، وهى التى تمثل عدد السياح المسافرين على المراكب والتى يقضى ركابها بعض الليالى فى بلادنا ، والتى كانت نسبتها مرتفعة ووصلت الى ٤٩ر١٤٪ قد حدث نقص فى هذه الليالى السياحية رغم زيادة عدد السياح ، وهذا الامر يؤدى الى قلة الانفاق السياحى بالنسبة للسياح الموجودين عندنا بمصر اذ يدفعون أقل وذلك لقصر المدة التى يبقون فيها بمصر وبالتالى نحرم من مبلغ كبير من العملة الصعبة والتى نحن فى أشد الحاجة اليها وهذا الامر يجب أن يكون محل دراسة المسئولين اذ أن هذه الارقام

مأخوذة عن أهم فترة من فترات الموسم السياحي عندنا .

أما الموضوع الثاني فهو يتعلق بالتجارة الخارجية وسوف أركـــز كلامي على الصادرات حيث أنها تمثل المورد الرئيسي من النقد الأجنبي لاقتصادنا فلو استعرضنا مشاكل الصادرات نجد أننا تصدر السلع التقليدية المحدودة مثل الارز ، والقطن ، والغزل والملاحظ أن هيكل الصادرات لم يتطور بالدرجة المطلوبة ، ولهذا فان زيادة الحصيلة النقدية ضئيلة .

كذلك فان صادراتنا من الانتاج الصناعي لم تتطور بالصورة التي تجعلها تنافس الانتاج الخارجي ، ويرجع هذا الى اننا لم نستفد من تطوير الانتاج الذي حدث في العالم كما اننا لم نتمكن من تحسين المواصفات أو التوسع في حجم الانتاج الذي نقوم بتصديره للخارج .

ولقد اتجهنا الى التوسع الافقي في انشاء المصانع وكان هذا على حساب جودة الانتاج في المنتجـــات كذلك فان علاقاتنا الاقتصادية تركزت مـــع دول الاتفاقيات ، ولم نتعامل معاملة تـــوية مع دول العملات الحرة .

وهذا مرجعه الى ان دول الاتفاقيات تمدنا بما نحتاج اليه ونحن بالتالي نصدر اليها ما تطلبه منا من سلع وخلافه ، ولقد كانت نتيجة هذا على غير الصورة التي كنا نأملها ، وكانت الصورة ســتكون أفضل اذا ما صدرنا منتجاتنا المحليــة الى دول العملات الحرة اذ أنها كانت ستقاس بالمنتجات العالمية ، وبالتالي كنا سنحاول الارتفاع بجودتهـــا حتى تستطيع منافسة تلك المنتجات ، ممـــا يعتبر محكا قويا لصناعتنا .

ان نظرتنا للتصدير نظرة تقليدية ، بمعنى أننا نكتفي بتصدير فائض الانتاج ، وهذا أمر صعب لانه من المعروف أن المجتمع المصري مجتمـــع استهلاكي ، وبالتالي فهو يستهلك معظم ما تنتجـــه المصانع ثم يصدر الفائض وهو قليـــل الى الاسواق الخارجية دون دراســـة سابقة لمعرفة مدى احتياجات هـــذه الاسواق للمنتجات المحلية .

يضاف الى هذا أنه ليس لدينا خطة مدروسة لزيادة الصادرات وقد يكون هذا راجعا الى ادماج وزارة المالية مع وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية منذ فترة قريبة وفي الحقيقة فانني لا أعرف ماهي الحكمة من وراء هذا الادماج .

ولكني أرجو أن يكون ادماج هاتين الوزارتين في وزارة واحدة منطلقا لايجاد خطة مدروســـة ومستقرة لموضـــوع الصادرات .

لذلك فانني أقترح أن تكون هناك أسس متبلورة وموحدة للسياسة الاقتصـــادية خاصة في مجال الصادرات مع العمـــل على تحسين مواصفات الانتاج الصناعي وخاصة فيما يتعلق بوســـائل التعبئـــة والتغليف ودراسة مســـتوى الاسواق الخارجية مع العمل على تشجيع القطاع الخاص لانه استطاع أن يؤدي دوره كاملا في مجال الصادرات وذلك في تصـــدير الاثاث والمصنوعات الجلدية .

والموضوع الثالث والاخير الذي أود أن أتحدث فيه هو موضوع اســـتيراد السيارات وسوف أتقدم باقتراح في هذا الموضوع ومما لا شك فيه أن موضوع السيارات تدنعرض في السنوات الاخيرة لهزات عنيفة وغير مستقرة ويرجع سبب ذلك الى ارتفاع الرسوم الجمركية عليها تارة وانخفاضها تارة أخرى . وكذلك التغييرات المستمرة في شروط استيراد السيارات فتارة بالتسهيل وتارة أخرى بالتعقيد يضاف الى كل هذا ان معـــدل الطلب على السيارات يتزايد بنسب كبيرة وغير عادية على الرغم من وجود قيود على استيراد السيارات من جانب الدولة ، ويرجع هذا للاسباب الاتية :

١ — زيادة الدخول فوق المتوسطة .

٢ — الصناعات المحلية للسيارات لم تعد تفي بكل احتياجات السوق المحلية ، وتشير الاحصائيات الى ذلك ففي عام ٦٦/٦٧ كان الاستيراد من الســـيارات ١٣٧٧ سيارة تصل قيمتها الى ٨٩١ الف جنيه وفي عام ١٩٧١ بلغت جملة السيارات المستوردة ١٥١٩١ سيارة تصل قيمتها الى ٩ر٥ مليون جنيه أي أن معدل الزيادة وصل الى ٢٠٠٪ وهـــذا التزايد في استيراد السيارات سوف يستمر في الامد القصير والبعيد ، ومن هنا فانني أطالب بضرورة وضع اصلاحات ضرورية في هذا المجال بما يعود على الاقتصاد القومي بالفائدة وبالتالي نمنع الذين يتحايلون على القوانين الجمركية ومن هنا فانني اقترح الاتي :

١ — اصدار قرار بمنع الاســتيراد عن طريق الافراد .

٢ — العمل على انشاء ســوق حرة للسيارات بحيث يتم الاتفاق مع ٤ أو ٥ شركات عالمية لتوريد الموديلات الحديثة والمتطورة من السيارات على أن يتم بيع هذه السيارات للمشترين بالعملة الحرة .

فلو دققنا النظر في هذا نجد أنه يعود بالفائدة الكبيرة على البلاد لانه بعمليـــة حسابية بسيطة يتبين الاتي :

١ — انه في عام ١٩٧١ تم استيراد ١٥١٩١ سيارة قيمة كل سيارة تصل الى ٣٠٠٠ دولار ، فلو خصمنا النسبة التي يدفعها المنتج لتاجر السيارات والتي تصل الى ٢٥٪ نجد أن الربح يتراوح ما بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ دولار فلو ضربنا هـــذا الرقم في عدد السيارات المستوردة في عام ١٩٧١ نجد أن الربح يصل الى ١٥٠ مليون دولار .

٢ — اننـــا بذلك سوف نقضي على اجراءات الجمارك التي تبدأ من عمليات التخزين والتفتيش والتثمين وخلافه .

٣ — سوف نتيح للدول العربيـــة والافريقية أن تتعامل مع هـــذه السوق الحرة كما هو حادث الان بالنسبة لشركة النصر لصناعة السيارات .

٤ — يوكل لشركة النصر لصـــناعة السيارات ادارة هذه السوق لما لها من خبرة عالمية في هذا المجال .

وتكون نتيجة هذا في النهاية تلافي المعوقات وتكدس السيارات في الجمارك ، وفي نفس الوقت توفير قدر من النقـــد الاجنبي .

انني أرى أن اخذنا بهذا الاقتراح سوف يوفر لنـــا حصيلة لا بأس بهـــا من النقد الاجنبي ولا شك أنه مجـــرد اقتراح يمكن أن يكون محلا للمنـــاقشة والتعديل .

وختاما أشكركم على حسن استماعكم وفقكم الله الى ما فيه خير أمتنا . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو الدمرداش محمد المصري البزة :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ، الذي حذرنا من العجز والكسل ، وبث فينـــا روح الجهاد والعمل .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

لذلك أتقدم بعظيم الشكر الى القائد المناضل المجاهد ، الرئيس محمد أنور السادات ، الذي اعاد للانسان العربي — في السادس من أكتوبر — عـــزته وشرفه وكرامته .

كذلك اتقدم بوافر الشـــكر ، الى السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء على بيانه عـــن السياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة ، والى لجنـــة الخطة والموازنة — رئيسا وأعضاء — على الجهد الكبير الذي بذلته في اعداد تقريرها .

ونحن اذا كنا نطرح بعض الموضوعات للمناقشة فهذه علامة صحة ، حتى نصل الى الهدف المرجو ، ذلك لاننا حكومة وشعبا متساوون في الحقوق والواجبات .

لا شك أن الزراعة هي عماد اقتصادنا القومي ، وأعتقد أن الدخل القومي من الزراعة يمكن أن يبلغ نحو ٢٠٠٠ مليون من الجنيهات ، وقد خرجت علينا احدى الصحف اليوم لتبين أن الانتاج الزراعي — عندنا — يقدر دخله بنحو ٧٦٠ مليونا

من الجنيهات ، وهذا يعنى أن هناك عجزا مقداره نحو ١٢٤٠ مليونا من الجنيهات .

وأعتقد أن السبب فى هذا يرجع الى أن القائمين على التخطيط الزراعى لم يعملوا ما تفعله الدول المتقدمة ، اذ لم يقوموا بتحليل التربة كما يجب ، بمعنى أن هناك أراضى لا تصلح لزراعة القطن مثلا ، ومع هذا تزرع قطنا ، ذلك لان سوء التخطيط ، وعدم اجراء تحليل للتربة يؤديان الى عدم الوصول الى المحصول الجديد الوفير ، وبالتالى نفقد مثل هذا المبلغ الضخم . وأعتقد أن هذا المبلغ كفيل بانعاش اقتصادنا القومى ، ولكى أوضح ما أقوله فان متوسط انتاج الفدان من القطن يتراوح بين أربعة وخمسة قناطير ، بينما يبلغ هذا الانتاج فى الولايات المتحدة الامريكية من ١٨ الى ٢٫٥ قنطارا ، وكذلك الحال بالنسبة لمحصول الأرز وغيره من المحاصيل الزراعية ، فما سبب هذا التفاوت فى انتاجية الفدان ؟ ان ذلك يرجع كما قلت ، الى عدم دراسة نوعية التربة الزراعية واختيار المحاصيل المناسبة لكل نوع منها ، لذلك أرى وجوب دراسة نوعية كل تربة حتى نصل بانتاجنا الزراعى الى الاهداف المرجوة لمصرنا الحبيبة ، التى نعيش على أرضها ، ونستظل بسمائها ، ونشرب ماءها .

أما فيما يتعلق بالأسعار ، فالحكومة تصدر القرارات لتسعير بعض السلع الضرورية ، ولكننا نرى أسعار هذه السلع فى ارتفاع مستمر ، وعلى سبيل المثال فان الحكومة قامت بتسعير « شيكارة » الزنك بمبلغ ٥٢٥ قرشا ، ولكنها تباع فى السوق بمبلغ ٣٠ جنيها ، كما حددت سعر المتر من الخشب بمبلغ ٨٨ جنيها ولكنه يباع بمبلغ ٢٠٠ جنيه . ولا شك أن هناك فئات طفيلية تستفيد من هذا الوضع فتثرى وتشترى العمارات وتمتلك السيارات ، وتضيع على الدولة أموالا طائلة ، ولذلك اقترح رفع أسعار هذه السلع قليلا ، مع اطلاق حرية تداولها حتى لا تتلاعب هذه الفئات الطفيلية وتثرى على حساب شعبنا الكادح .

وبالنسبة لموضوع السكر ، فاننى أنادى بزيادة انتاج « الحلاوة الطحينية » لانها غذاء شعبى وأساسى لغالبية الشعب وذلك بدلا من تصنيعه فى أشياء لا نفع منها ولا حاجة اليها مثل « الكريمة » .

وفيما يتعلق بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فاننى أود أن أذكر على سبيل المثال واقعة غريبة ، وهى أن أحد أبنائنا الذين يتلقون العلم بالخارج — والذين يكلفون الدولة عشرات الالوف من الجنيهات لتحصيل العلم — قد أمضى بالخارج مدة تزيد على ١٧ عاما ، وقدم أبحاثا اعترفت بها الهيئات العلمية فى الشرق والغرب ، وعدما عاد الى وطنه ليخدمه ، وينتفع بعلمه ، يحدوه الامل فى أن يحصل على المكان المناسب ، وجد ان الابواب مغلقة فى وجهه وفوجىء برد المسئولين بأنه لا توجد درجة خالية له .

تصوروا حضراتكم ان هذا يحدث فى الوقت الذى نشكو فيه النقص الشديد فى أساتذة الجامعات !!

وأخيرا ، فهناك موضوع حيوى يتعلق بشباب جامعاتنا الذين يقضون فترة الاجازة الصيفية بالخارج من أجل العمل ، وفى هذا الشأن اقترح أن يقوم هذا الشباب بتعمير سيناء ومدن القناة مقابل مكافآت مجزية وبذلك نفيدهم ونستفيد منهم .

وأرجو لكم التوفيق والسداد لخدمة البلاد ، ورفع مستوى الانتاج ، وأدعو الله أن ينصر جيشنا الباسل بقيادة رئيسنا وحبيبنا الزعيم محمد أنور السادات ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو عبد الله محمد عاصى :

السيد رئيس الجلسة ، الاخوة الزملاء :

ان كثرة المناقشات التى دارت حتى الان اذ أدخلتنا فى متاهات كثيرة ، لقد بعدت بنا عن الحلول البسيطة الميسرة .

لقد تكلمنا عن القطاع العام ، وتباينت فيه الآراء ، ونسينا المشكلة الوحيدة وهى أسلوب التطبيق ، وفى رأيى ، لقد أدى القطاع العام دوره كاملا فى حدود الامكانات المتاحة له ، واذا كان هناك قصور أو عيوب ، فانما يرجع ذلك الى الأشخاص القائمين عليه ، فالمفروض — أيها الزملاء — أن يكونوا من ذوى الأيدى الأمينة فى التطبيق ، المؤمنة بما تطبق . فبهم ينجح كل عمل اذا ساروا فى الطريق المنشود ، ولقد سبق لنا أن ناقشنا عدة تقارير عن بعض الوحدات الانتاجية ، كان من بينها — على ما أذكر — تقرير عن شركة سيد للادوية ، وانتهت المناقشة فيه باحالة التقرير وما يتضمنه من توصيات الى وزارة الصحة ، وانني أتساءل الان عن مصير هذه التوصيات ؟!

اننا اذا كنا نبغى الاصلاح فعلا ، فيجب علينا أن نتابع ما سبق لنا أن قررناه ، دون الدخول فى متاهات تشكل مكمن خطورة على أى عمل .

اننا نطالب بقوانين رادعة اذا ماكانت القوانين القائمة غير كافية ، فالسوق السوداء ان هى الا نتيجة لسوء التوزيع ، ومن ثم ، فان محاربة السوق السوداء ، انما تعنى اعادة توزيع مواد التموين على المحافظات توزيعا عادلا ،

فكلنا يعلم أن مواد التموين تنقل من محافظة الى أخرى — رغم أن ذلك محظور — فما هو سبب ذلك ؟ السبب فى رأيى هو أن محافظة ما بها فائض فى سلعة ، بينما محافظة أخرى فى حاجة الى تلك السلعة ، وهذا يعنى اننا نفتقر الى عدالة فى التوزيع .

ان مبلغ الـ ٣٦٠ مليون جنيه الذى ستتحمله الحكومة من أجل أن يحصل المستهلك على السلعة بسعر مناسب ، لا يشعر به المستهلك ، اذ انه يدفع مبالغ اخرى نتيجة لعدم توافر السلعة فى مكان ما ، لا لعدم وجودها ، وانما لسوء توزيعها .

ان عدالة التوزيع ، تحتاج الى تنظيم ، فلماذا لا نتوسع فى نظام البطاقات ، ولو كان ذلك عن طريق بطاقة مساعدة نطلق عليها أسم البطاقة الاستهلاكية . ولقد طالبنا بذلك أكثر من مرة .

وفيما يتعلق بموضوع الانفتاح الاقتصادى واستثمار رأس المال العربى والاجنبى ، فقد أثير حوله كلام كثير ، والواقع أيها الزملاء أن هذا الموضوع سبق للمجلس أن بت فيه ، وأمسى فى غير حاجة الى اية مناقشة ، اذ أصبح من حق رأس المال العربى والاجنبى أن يرد الى الدولة ، وان يستثمر ، واقر له من الضمانات ما يجعلنا فى غنى عن اعادة بحث هذا الموضوع مرة أخرى ، مما قد يؤدى الى احداث بلبلة لدى أصحاب رؤوس الأموال العربية والاجنبية ، فيحجمون من استثمار رؤوس أموالهم فى بلدنا ، ذلك ان راس المال حساس لا يتحمل المناقشات الكلاسيكية التى لا داعى لها اطلاقا .

[وهنا عاد السيد رئيس المجلس وتولى رئاسة الجلسة] .

هناك مسائل يجب أن نحددها بوضوح ويجب أن نواجه واقعنا ، فنحن مازلنا فى حالة حرب ، ومشروع الموازنة العامة للدولة المعروض الأن لا اجتهاد فيه الا فى حدود تيسير حاجيات الحرب التى تحتاج دائما الى العطاء . اننا نريد أن نقف عند موال ١٠ رمضان [السادس من أكتوبر] . فنحن أمام ملحمة مازلنا فى بدايتها ، اما ان ندخل فى مناقشات شكلية أو كلاسيكية أو جدلية ، فلم يعد أوان كل هذه الامور .

فيجب ان نحافظ على وقفتنا المشرفة التى تجلت فى السادس من أكتوبر ، فالحرب مازالت قائمة ، ولن يتغير مستقبل هذا البلد الا بقدر ما يقاسى من شدائد ، ومن ثم يجب أن يكون سلوك كل منا سلوك مسئول ، كما يجب ان تكون الكلمة جادة ، لا كلمة استعراضية ، ويجب أن نسائل أنفسنا ، هل أدينا الرسالة كما يجب ان تؤدى ؟ يجب أن يسأل كل منا نفسه هذا السؤال ، ويقدم حسابه لنفسه ويحاسب الاخرين به

اننا نريد عملا وجهدا ، فالدم المبذول فى سيناء ، فى حاجة مستمرة الى العطاء لا يتحمل أى مناقشات استعراضية ، انه ينادى دائما هنا فى سيناء بذلت روحى ، وسفكت دمى من أجل مصر ، فيجب أن يكون كل عمل أولا وأخيرا ، من أجل مصر ولمصر .

هذه هى الصورة التى يجب أن نكون عليها ، صورة الانسان الذى يقدر احتياجات بلده والظروف التى يعيشها . ان كل قرش يدخر اليوم لحساب التنمية، أو يدخر فى صورة احتياطيات لمواجهة طوارىء محتملة ، انما يمثل مرونة نحن فى حاجة اليها دائما .

اننا نريد أن نغير من سلوكيات هذا الشعب ، لحرب السادس من أكتوبر ، هى الحرب الاخيرة ، ولن تكون هناك حروب أخرى ، ومن ثم يجب أن نغير ونطور ونهذب من سلوكنا ، فمازال بعضنا يتكلم وكأننا لسنا فى حالة حرب، نريد أن نرشد الاستهلاك ، ونريد تنمية المدخرات .

ان كل ما أرجوه ، هو أن نحتفظ بالدفعة التى بدأت فى العاشر من رمضان فالشعب خلال هذه الفترة أعطى الكثير، ومازال على استعداد لان يعطى الكثير، ومن ثم يجب علينا أن نترجم هذا العطاء الى أعمال .

ان سيناء تناديكم أيها الاخوة ، وليس معنى ذلك أن نذهب كلنا الى سيناء ففى قلب مصر مكان لكل عمل .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو قبارى عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس مجلس الشعب، السادة الاعضاء :

ان عرض مشروع الخطة مع مشروع الموازنة يمثل تطورا هاما فى طريقة تقديم الحكومة لسياستها المالية والاقتصادية أمام مجلس الشعب .

واننى أسجل للحكومة الجهود العملية المبذولة فى اعداد مشروع الموازنة العامة للدولة تطبيقا للقانون الجديد ، ومع ذلك فان هذه الجهود لم تصل بالموازنة الى الوضوح المطلوب . فهناك الكثير من الارقام التى يشملها الغموض ، ويصعب تحديد القيمة الحقيقية للكثير من بنود المصروفات والايرادات المقدرة .

وعلى سبيل المثال فان بيان السيد نائب رئيس الوزراء لم يحدد حجم قروض الخزانة من الجهاز المصرفى حتى يطمئن المجلس الى أن السياسة المالية للدولة لن تؤدى الى ارتفاع جديد فى الاسعار .

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

ان تقديرات مشروعى الموازنة العامة والخطة توضح زيادة فى اعتمادات المصروفات والايرادات لعام ١٩٧٤ . وهذا يعنى قدرة الاقتصاد المصرى فى ظل ظروف الحرب على مواجهة مشاكله .

ولكن كل من المشروعين يفتقر الى الهدف الرئيسى الذى يركز عليه، والاساس الموثوق به والذى بنيت عليه تقديراته . ان التخطيط هو عملية تقدير للمستقبل مبنى على حقائق الوضع القائم وتغيراته المنتظرة .

ان شعوب العالم كله ترغب فى التطور والبناء السلمى ولكن القوى الاستعمارية مازالت تحاول فرض التبعية والتخلف عليها . وفى المنطقة العربية لا زال العدو الاسرائيلى والامريكى متمسكا بأهدافه فى السيطرة واحتلال الارض . وقد أكدت حرب أكتوبر أنه لابد من التركيز على البناء السلمى .

ان مشروعى الخطة والموازنة يضعان الاعداد للحرب والبناء السلمى فى مستوى واحد وينطلقان من شعارات عامة تصلح لكل الظروف ، بل رصدت بعض الاعتمادات لما بعد الحرب ، وأفترض فى تقديراتها زوال الظروف التى نشأت مع قيام حرب أكتوبر .

ان السياسة المالية والاقتصادية لابد وأن تنطلق من حقيقة المشاكل السياسية والعسكرية التى يتوقف على حلها تطورنا كله ، وأن يكون هدفها بلا تردد هو توفير الاسس الاقتصادية للنصر فى حرب طويلة .

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

أريد أن أقول أنه من الاطلاع على تقديرات مشروع الموازنة العامة للدولة، وعلى بيان السيد وزير التخطيط نجد أنهما يكشفان عن مشاكل لم تعد جديدة علينا، ونلمسها فى كل مناسبة تناقش فيها السياسة المالية والاقتصادية للدولة ، أذكر منها على سبيل المثال :

١ — عجز الموازنة وتمويلها .
٢ — ضعف المدخرات المحلية .
٣ — التزايد المستمر فى التمويل الاجنبى .
٤ — تزايد تسديد الدين الخارجى .
٥ — نقص الحقائق المعلنة عن الوضع الاقتصادى فى مصر .

اننى أعتقد أننا اليوم فى أمس الحاجة الى نظرة جديدة وجذرية وسليمة للسياسة الاقتصادية للدولة .

ولقد قدم تقرير لجنة الخطة والموازنة نظرة جذرية وجسورة للوضع المالى والاقتصادى المصرى . فقد وضع يده على الكثير من المشاكل الحقيقية التى تعوق تقدمه والتى لا تسمح بالاستفادة الكاملة من الموارد المتاحة للاقتصاد الوطنى

ولكن التقرير قد جانبه الصواب فى عدد من الحلول التى اقترحها ، فاقتراح اللجنة بالسماح للافراد من المصريين والعرب ، بملكية ٤٩٪ من رؤوس أموال شركات القطاع العام ليس له ما يبرره. ان هذه الشركات شركات كبيرة وحديثة وناجحة ، والمخاطرة فيها معدومة . كما تزود الدولة بالموارد الرئيسية لتمويل النفقات العامة . وقد قدم الشعب التضحيات الغالية فى بنائها وتطويرها .

وفى اعتقادى أن هذا الاقتراح يسلمها لمجموعة من الموسرين ، يوجهونها بما يتفق ومصلحتهم ، ويسطون على ايراداتها ، ويحرمون الدولة من موارد هائلة ، تستخدم فى التنمية ، وتستخدم عند الحاجة فى تخفيف أعباء الطبقات الشعبية . وحجة اللجنة فى اقتراحها هذا هى الاستفادة بالاموال المصرية والعربية الضخمة المتاحة للاستثمار . أود أن أقول اننى لست ضد هذه الاستفادة بل اننى قد بادرت فى يوم ٧ مايو الماضى أثناء مناقشة بيان الحكومة فى هذا المجلس ، وطلبت السماح لاصحاب الاموال من المصريين والعرب بالمشاركة فى تأسيس مصانع حديثة ، مع ازالة ما قد يعترض ذلك من العقبات التى تمنعهم من ذلك .

اننى كنائب من عمال مصر ، أعلنها أمامكم وأمام الشعب كله ، اننا لسنا ضد أن يستثمر القطاع الخاص أمواله باقامة مصانع جديدة ، فنحن لا نعيش مرحلة بناء الاشتراكية ، وانما نحن نناضل جميعا من أجل التحرر الوطنى والتقدم المستقل لبلادنا . والطبقة الراسمالية الوطنية المصرية والعربية حليف استراتيجى نحرص على مشاركتها والتعاون معها لتحقيق الاهداف العامة للوطن .

ولكن على الراسمالية الوطنية أن تضع أموالها فى مشروعات تتحمل مخاطرتها ، وأن تبنيها وتطورها بجهودها لا أن تتسلم شركات جاهزة وناجحة ،

وقد بنيت من المدخرات الاجبارية للعمال والفلاحين وفئات الشعب الاخرى . ان اقتراح اللجنة يعطى فئات طفيلية من الرأسمالية المصرية ـ والتى كسبت عشرات بل مئات الالات والملايين من الاتجار فى السوق السوداء ، والعمليات الاخرى غير المشروعة ـ حق تملك اسهم هذه الشركات .

اننا ندرك أنه مع قوانين التمصير ، واتساع نطاق القطاع العام ، وقوانين التأميم وفى ظل الاستثمارات والانشاءات السنوية للقطاع العام ، والاتجاه المتصاعد للاسعار منذ عام ١٩٦٣ ، قد ارتفعت ارباح رأس المال المصرى الخاص وتجمعت لدى أصحابه موارد طائلة تبحث اليوم عن منافذ للاستثمار المنتج وغير المنتج . وحتى تكون هذه الموارد اضافة جديدة ومؤثرة ودافعة للاقتصاد المصرى ، يجب أن تكون المنافذ التى نوفرها لها فى مجال الاستثمار المنتج وفى وحدات جديدة خاصة فى قطاع الصناعة .

ان عدم وصول كفاءة الاداء فى القطاع العام الى الدرجة الممكنة يرجع أساسا وباعتراف لجنة الخطة والموازنة الى عيوب النظام المالى للدولة والى مشاكل التطور المزمنة فى الاقتصاد المصرى ، والتى كان القطاع العام ضحية لها أكثر مما هو سبب فيها .

ولن يؤدى تمليك نسبة معينة فى شركات القطاع العام للقطاع الخاص ، الى ايجاد رقابة فعالة على حسن سير الانتاج عن طريق الجمعية العمومية لهذه الشركات ، كما جاء فى تقرير اللجنة ، بل على العكس فان الجمعية العمومية للمساهمين الجدد ، سوف توجه الانتاج فى هذه الشركات لتحقيق مصالحها الخاصة بصرف النظر عن الصالح العام .

ان الطريق الصحيح والفعال لمراقبة القطاع العام ، وتوجيه انتاجه لمصلحة الشعب كله ، انما يكون بتوفير أوسع الحريات السياسية ، وممارسة الرقابة الشعبية بواسطة مجلس الشعب ، ووضع كل الحقائق أمامه ونشر ميزانيات الشركات فى الصحف ، وتمكين النقابات العمالية ـ التى يجب أن يعاد انتخابها على أسس جديدة بعيدا عن التدخل الادارى وعدم اشتراط العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكى ـ من القيام بدورها فى رقابة مؤسسات وشركات القطاع العام .

اننى أطالب بنظرة جذرية للسياسة الاقتصادية ، تأخذ فى اعتبارها الاحتفاظ بما هو ايجابى وفعال فى مواجهة مشاكل الحرب والتقدم التى يصمم الشعب على مواجهتها بكل حزم .

كما أطالب بحذف اقتراح تمليك ٤٩٪ من أسهم القطاع العام للافراد وأن تشكل لجنة خاصة لدراسة الاقتراحات الكفيلة بتطويره ودعمه والاحتفاظ له بالدور القيادى .

السيد رئيس المجلس ، السادة نواب الشعب :

ان اقتراح اللجنة يعتبر انعطافا خطيرا فى السياسة الاقتصادية لبلادنا ، وان الموافقة عليه تلحق أفدح الاضرار بالوطن ، وتعرض وحدة الشعب ضد العدو الاسرائيلى والامريكى للخطر . وأناشدكم مرة أخرى رفض هذا الاقتراح ، وشكرا .

[تصفيق] .

السيد العضو عبد الوهاب جسرها :

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

يقول الله فى كتابه العزيز : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى لنا ، بالا نسرف ولا نبذر . واننى وان كنت لست من رجال المال ، الا اننى اقول أن هناك أموالا ضائعة يجب أن نلتفت اليها جيدا .

وأذكر على سبيل المثال من تلك الاموال الضائعة :

١ ـ بقايا الرغيف التى تتركها الاسر ، وتلقى بها كبقايا ، تكلف الدولة حوالى ٢٢ مليون جنيه ، وغالبا ما تلقى هذه البقايا فى صناديق القمامة ولا ينتفع بها أحد .

٢ ـ الانارة ، فكثيرا ما نرى مصابيح الانارة في الشوارع مضاءة نهارا . ومن الطبيعى أن ذلك يكلف الدولة الكثير ، ونحن فى حاجة الى كل مليم فى هذه الظروف . هذا فى الوقت الذي نسمع فيه أن نيكسون يصرخ مطالبا بالتوفير فى الاضاءة والتدفئة بسبب ازمة الطاقة فى العالم أجمع .

٣ ـ الوقت : يجب الا نستهتر بالوقت الضائع سواء وقت الموظفين أو العمال ، بل يجب أن نكرس كل وقتنا للمعركة ، ولابد أن نكون دائما مشدودين اليها ، كما قال الاخ عبد الله عامى ، وسنظل مشدودين اليها حتى نحرر آخر شبر من أرضي وطننا العزيز .

واننى شخصيا دائما أذكر كل طالب حاجة بأننا فى وقت معركة .

ان للمعركة ظروفها ، ويجب ان نواجهها . ثم بعد ذلك يكون أمامنا الوقت كافيا لقضاء المطالب . وأمامنا مثال حى يتمثل فى دولة اليابان التى كرست كل وقتها للحرب ، ثم نهضت نهضة عظيمة ، لانها أجلت كل شىء الى ما بعد معركتها .

واننا لنحمد الله أن وفقنا الي النصر فى خطواتنا الاولى ، ونسأله تعالى أن يوفقنا لاتمام النصر ، وليس هذا بكثير على دولة رئيسها رجل آمن بربه ، رجل آمن بشعبه ، رجل وعد فأوفى بوعده ، ولقد قال أنه سيحارب ، وقد حارب فعلا . لقد جند كل شىء فى الدولة للمعركة ، فحققنا النصر ، وسنستكمله باذن الله .

ولا أدل على ذلك من كيسنجر وزير خارجية أمريكا الذى طالب بتغيير سياسة أمريكا الخارجية ، واعتقد أنه يقصد من وراء ذلك تغيير العلاقة بين أمريكا واسرائيل ، بسبب انتصار مصر فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، الذى أصبح حديث العالم كله .

أيها الاخوة الاعضاء :

ان مجلسنا هذا ، وقد شكل كأول مجلس شعب للحرب سيكون ـ باذن الله ـ أول مجلس يشهد النصر الكامل بفضل رئاسة وقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، والله الموفق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو رمضان عرفة اسماعيل :

السيد الاستاذ رئيس المجلس ، السادة الزملاء اعضاء مجلس الشعب :

جاء ختام تقرير لجنة الخطة والموازنة متوجا بقول الله تعالى : « أن أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله ..

ومن هذا المنطلق يكون حديثى بشأن الموازنة العامة ، فقد ورد بالباب الثالث « الاستخدامات الاستثمارية » من البيان المالى والاقتصادى من مشروع الموازنة العامة للدولة عام ١٩٧٤ أنه : نظرا لاهمية مرفق نقل الركاب بمدينة القاهرة فقد أدرج له مبلغ ٦ مليون جنيه لشراء عدد ٣٠٠ سيارة ، تصل منها عدد ١٧٠ سيارة خلال العام الحالى ، عدد ١٣٠ سيارة خلال عام ١٩٧٤ ـ باذن الله ـ وكذلك توريد عدد ١٥٠ سيارة ثقيلة ، وبالاضافة الي ذلك تجديد خطوط الترام والترولى باص واستكمال الانشاءات .

وهذا ما يثلج صدري ويطمئن قلبى ، لانني أعتقد أن زيادة العربات هو الحل الوحيد للقضاء على أزمة المواصلات التى تعانى منها مدينة القاهرة . وفى هذا المجال فانني أود ان أذكر قول الله تعالي مبينا الحوار المتبادل بين عزيزمصر، وبين سيدنا « يوسف » وهو أول وزير للخزانة بمصر عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام «قال انك اليوم لدينا مكين امين، قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم » وبهذا فقد اتصف عليه السلام بعنصرين أساسيين ، هما عنصر الحفظ والامانة ، وعنصر العلم والمعرفة.

واننى أرى أن عنصر العلم والمعرفة قد توافر وأحاط بكل جوانب مشروع الموازنة العامة كلها ،وأما عنصر الحفظ والامانة — وهو الاهم — فانني أرجو ان يتحقق فى كافة المجالات وعلي كل المستويات ، اذ أن أخشى ما أخشاه هو أن تضيع هذه الإعتمادات عندما نستورد السيارات وتهلك بسوءالاستعمال قبل أن تستهلك استهلاكا عاديا كما حدث ذلك من قبل .

ان الجمهور لم يلمس تحسنا للان فى مرفق النقل العام على الرغم من كثرة أقسام وادارات هيئة النقل العام ، وكثرة العاملين بها من السادة المديرين والمهندسين والمشرفين وأبسط دليل على ذلك ما يلاحظ في دليل التليفونات من وجود مدير عام للتخطيط وآخر للمشتريات وثالث للهندسة والصيانة ورابع للحركة .. الى آخره .. واذا تقدم احد من الجمهور بشكوى يقف حائرا لا يعرف لمن يشكو .

انني أرجو أن تبذل الجهود لمتابعة تنظيم سير العربات وصيانتها ، والكشف عليها بصفة دورية ، ومتابعة نظافتها قبل قيامها بالعمل يوميا كما كان يحدث قبل تأميمها .

ولى كلمة أخيرة تتعلق بما ورد بتقرير لجنة الخطة والموازنة من ان لدى المواطن المصرى والعربى أموالا مدخرة ، ولكن فرص الاستثمار أمامها مازالت محدودة.

وهنا اود أن أشير الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسى قواعد الاشتراكية العربية الاسلامية « رحم الله الاشعريين ، اذا قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد فجعلوه فى اناء ، ثم اقتسموه فيما بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم »،

من هذا يتضح ضرورة السماح للقطاع الخاص بمشاركة القطاع العام حقه المفروض في مجال الصناعة والتجارة ، وأن ما نشاهده على أبواب المجمعات الاستهلاكية من زحام ، انما هو زحام مفتعل ولا يستفيد منه سوى تجار السوق السوداء . فاذا ما سلكت وزارة التموين سياسة العدالة فى توزيع السلع الاستهلاكية ، وأعطت لتجار التجزئة حصصا من هذه السلع ، فانها سوف نقضى بذلك على الصور غير العادية التى نراها على ابواب المجمعات الاستهلاكية ، بل سوف تختفى تماما ، لان تجار التجزئة يعرفون أهل الحي الذى تقع فيه محال تجارتهم ، وهم يعملون على ارضاء عملائهم من الجمهور.

أما العاملون فى المجمعات الاستهلاكية — حتى لو توافرت فيهم النزاهة والامانة — فهم لا يفرقون بين عملاء وتجار السوق السوداء وبين المواطنين الشرفاء الذين يشترون احتياجاتهم من هذه المجمعات، وسوف تكون البلوى أدهى وأمر ، لو تصادف أن اتفق أحد العاملين بهذه المجمعات مع هؤلاء العملاء المأجورين الذين يعملون علي خلق السوق السوداء فى السلع المتوفرة بهذه المجمعات ، وهذا بالفعل ما يحدث ، وهو مشاهد فى كثير من المواقع ، ثم ما ذنب تجار التجزئة بالريف فى القرى والعزب الصغيرة البعيدة عن المراكز والمدن الذين يملكون المال ، ولا يجدون السلع التى يتاجرون فيها ، والذين توشك أن تلحق ببعضهم عدوى السوق السوداء ، لولا أنهم من معدن أصيل ، وأنهم ينتسبون الى مصر، دولة العلم والايمان ، فتحلوا بالصبر والامانة منتظرين الوقت الذى يحصلون فيه على نصيبهم من ثورة التصحيح التى أشرقت يوم الرابع عشر من مايو عام ١٩٧١ بقيادة زعيمنا المؤمن ، قائد معركة النصر والتحرير فى العاشر من رمضان، تاريخ فتح مكة ، وذكرى الانتصار فى معركة بدر الكبرى .

اللهم أنت منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الاحزاب ، انصر امة العرب المؤمنين ، وجيشنا الباسل بقيادة زعيمنا المؤمن الرئيس محمد انور السادات

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .

السيد العضو ممدوح فودة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الاعضاء :

الواقع أن لدى ملاحظة بسيطة ، ففى العام الماضى وفى نفس هذا الموعد ، قدمت لنا لجنة الخطة والموازنة تقريرها عن الموازنة العامة ، ونظرا لضيق الوقت فلا يكون لدينا الوقت الكافى لدراسته ومناقشة الموازنة العامة للدولة لذلك ارجو السيد رئيس لجنة الخطة والموازنة ان يكون تقديم مثل هذا التقرير فى وقت مبكر حتى تتاح لنا الفرصة لدراسته ، ونأمل مراعاة ذلك فى العام القادم ان شاء الله .

نحن نمر بمرحلة صعبة وعسيرة ، ولاشك اننا شعرنا جميعا بالدور الذى قام به الشعب خلال هذه المرحلة العصيبة هذا الشعب الذى ضحى وعلى استعداد للتضحية دون حساب ، فالاجدر بنا ان نوفر لهذا الشعب العظيم — الذى وقف وراء جنودنا فى ٦ أكتوبر — القوت والعمل اليومى .

انتقل بعد هذا الى الحديث عن الاستيراد ، واننى أطالب السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية بتعديل قانون الاستيراد . لقد صرح سيادته باستيراد السيارات من الخارج ، علي أن يحول المستورد ١٠٠ جنيه استرليني، بصرف النظر عن المدة التى يقضيها بالخارج واننى أرجو سيادته أن يطلق الاستيراد بدون تحويل عملة ، لان هناك نقصا كبيرا فى المستلزمات الضرورية لبعض الحرفيين ومصانع القطاع الخاص .

واننى أتساءل لماذا لا يسمح السيد الدكتور نائب رئيس مجلس الوزراء باستخراج تصاريح لاستيراد مواد البناء بدون تحويل عملة ؟ اذ قد يكون لاحد الاشخاص قريب بالخارج ، يستطيع أن يورد له احتياجاته من مواد البناء بدون تحويل عملة ، وهذا لا يكلف الدولة اية أعباء ..

واننى أقترح دفع نسبة معينة ، أو مبلغا معينا ، من العملة الحرة مقابل السماح باستيراد هذه المواد ، وبذلك نوجد موردا جديدا لخزانة الدولة من العملات الاجنبية . وهناك مثال آخر للتدليل علي أهمية هذا الاقتراح ، ذلك أننا نلاحظ انه لا يوجد ورق فى السوق، بينما يوجد من هم على استعداد لاستيراد الورق من الخارج ، ولكن قوانين الاستيراد تحول دون ذلك ، بينما نتيح للقادم من الخارج أن يحضر معه تلفزيونا.

فاذا كنا نسمح للافراد أن يجلبوا مثل هذه الكماليات فأجدر بنا أن نتيح الفرصة للقطاع الخاص والحرفيين لاستيراد مايلزمهم من احتياجات من الخارج بدون تحويل عملة ، بشرط أن يدفعوا نسبة من العملات الحرة لخزينة الدولة ، وبذلك نمكنهم من مزاولة نشاطهم الذين يتكسبون منه لقمة العيش . ان السيد نائب رئيس مجلس الوزراء قد استصدر قانونا خاصا بالاستيراد والتصدير وهو قانون جيد ، ولكنه يقضى بأنه على من يريد استيراد سيارة من الخارج أن يكون قد سافر الى الخارج ، ولو ليومين أو ثلاثة ، واننى أرى أنه بدلا من أن نجشم الشخص عناء السفر وتحمل نفقات لا لزوم لها كنفقات السفر ونفقات الاقامة بالفنادق وما الى ذلك من نفقات تضيع فى الخارج

بدلا من الاستقرار بها هنا ، أقول يمكن أن نفرض دفع مائة جنيه استرليني مثلا مقابل استيراد السيارة وبذلك يمكن أن نوفر مثل هذه النفقات ، وأن نفيد الخزانة بهذه العملات الاجنبية .

ان ظروف البلاد وظروف الشعب تحتاج الى رعاية أكثر من جانب الحكومة . فلقد ضحى هذا الشعب — وهو على استعداد أن يضحى دون حساب — فمن الواجب أن تكون هناك نظرة جدية لحل مشاكله .

والنقطة الثانية التى أود الحديث عنها خاصة بالجامعات الاقليمية . ان الجامعات تقوم بتخريج الاجيال الجديدة من الشباب من أبنائنا واخواننا ، الشباب الذى يقف اليوم على خط النار للدفاع عن بلده . ان الجامعات الاقليمية ، ومنها جامعة المنصورة ، ينقصها الكثير من المعدات ، فمثلا كلية الطب والمستشفى الخاص بها ، تعانى من نقص فى المعدات ، وكذلك كلية العلوم ينقصها معدات المعامل ، وهكذا الحال بالنسبة لباقى الكليات العملية ، ان هذه المعدات تحتاج الى العملات الصعبة ، فأرجو السيد نائب رئيس مجلس الوزراء العمل على تدبير المبالغ اللازمة لهذه الجامعات ، فالشباب هم أمل هذا البلد وعدة المستقبل .

وقبل أن أترك هذا المنبر ، أود أن أنوه بأن صورتنا فى الخارج أصبحت صورة رائعة . واننى أستأذن السيد رئيس المجلس فى أن أذكر حديثا قيل لى ، ولم أتمكن قبل ذلك من قوله . أن السيد رئيس الشعبة البرلمانية البلغارية حينما بدأت المعركة ، وقابلته فى بلغاريا ، قلت له أن الشعب المصرى يمر بمرحلة صعبة وعصيبة ، فنرجو مزيدا من الدعم ومزيدا من التأييد ، فقال لى بالحرف الواحد « لا أوافقك على هذا الكلام ، لأن الشعب المصرى والجيش المصرى العظيم ، بدأ من يوم ٦ أكتوبر يكتب تاريخه فى العصر الحديث ، هذا التاريخ الذى أصبح ينظر اليه العالم كله » .

ان العالم أصبح ينظر الى الشعب المصرى نظرة احترام وتقدير ، وهذا بفضل الديمقراطية والحرية التى أرسى قواعدها ودعائمها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، وشكرا .

(تصفيق) .

رئيس المجلس

هناك كلمة أجد لزاما على أن أذكرها . لقد حدث بالامس أثناء جلسة المباحثات مع الوفد الاندونيسى ، أن طرح هذا الوفد سؤالا هو « نريد أن نسأل سؤالا واحدا ، وأن نعرف الاجابة عليه . أنتم فى حرب ، وحرب طاحنة ، ونعلم أن عدوكم فيها لديه امكانيات كذا وكذا . وبالرغم من هذا فان الحالة لديكم على ما هى عليه ، والاسعار لا نظير لها فى أى بلد من بلاد العالم . والشعب مستريح تمام الراحة .

نريد أن نعرف سر هذا الاستقرار ، خصوصا فى أسعار الحاجيات وقد لاحظنا هذا عندما مررنا فى بعض الشوارع بالقاهرة » وهذه شهادة نحمد الله عليها كثيرا ، لان العالم كله — حقا — فى دهشة وذهول من أن مصر — بالرغم من خوضها هذه الحرب — مازالت الامور فيها تسير سيرها الطبيعى .

ولقد كان ردى على هذا التساؤل من الوفد الاندونيسى أنه يوجد معكم وكيل المجلس الدكتور السيد على السيد وبعض السادة الاعضاء يمكنهم أن يذكروا لكم التفاصيل ، اذ أن هذا الموضوع يطول شرحه ، ولكن أود أن أذكر لكم كلمة واحدة هى أن ما يحدث بمصر الان ، هو من فضل الله ودوليته ، ومن أصالة وقوة الشعب المصرى ومتانة الاقتصاد المصرى .

لقد أردت أن أذكر لكم هذه الواقعة بمناسبة العبارة التى ذكرها الان الزميل ممدوح فوده على لسان رئيس الشعبة البرلمانية البلغارية .

والان هل توافقون على الاكتفاء بهذا القدر من المناقشات ، وعلى رفع الجلسة على أن تعود للانعقاد الساعة السادسة مساء اليوم ؟

(موافقة) .

رئيس المجلس

اذن نرفع الجلسة .

(رفعت الجلسة الساعة الثالثة مساء) .

(أولا) استمرار مناقشة تقرير لجنة الخطة والموازنة عن مشروع خطة ١٩٧٤ والسياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للسنة المالية ١٩٧٤ .

رئيس المجلس

نستأنف الان مناقشة تقرير لجنة الخطة والموازنة عن مشروع خطة ١٩٧٤ والسياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للسنة المالية ١٩٧٤ والكلمة للسيد العضو نصر عبد الغفور جمعه .

السيد العضو نصر عبد الغفور

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء :

منذ السادس من أكتوبر ، العاشر من رمضان المعظم ، تقدمت الحكومة الى هذا المجلس ببيانات ثلاثة ، كان أولها البيان الذى تقدم به السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ووزير الاعلام ، عن برنامج الحكومة والثانى ما تقدم به السيد الدكتور عبد العزيز حجازى نائب رئيس الوزراء ووزير المالية والاقتصاد والتجارة الخارجية عن السياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٤ ، والثالث ما تقدم به السيد الدكتور سيد جاب الله وزير التخطيط عن مشروع خطة ١٩٧٤ ولقد انشغل المجلس فى الاسابيع الاخيرة بدراسة هذه البيانات ومناقشاتها ، ونحن فى هذه الليلة ننهى مناقشات بيان مشروع الموازنة العامة ، ومشروع الخطة ، وان المتتبع لمصادر هذه البيانات الثلاثة يتأكد أنها ترتبط معا ارتباطا وثيقا ، فهى تعبر عن سياسة الحكومة قبل ٦ أكتوبر وبعده ، وتشرح لنا وللشعب كله ما حدث وما تريد الحكومة تحقيقه بعد النصر العظيم باذن الله .

يجيىء بيان مشروع الموازنة ليقدم لنا ما يمكن أو نوفره الاستثمارات من توازن بين ما يجب أن ينفق فى التسليح ، وما يجب أن ينفق فى الداخل لتحقيق أهداف الخطة والتنمية .

حقيقة أن هناك صعوبة ضخمة أمام أية حكومة تجتاز حربا كالحرب التى خضناها فى السادس من أكتوبر ، صعوبة ما يمكن أن تقوم به الحكومة للوفاء بمستلزمات المعركة ، والوفاء أيضا بمتطلبات الجماهير .

لهذا كان مجلس الشعب حريصا كل الحرص على أن يناقش الحكومة فى رفق وفى حذر ، لانه يقدر تمام التقدير الموقف الصعب الذى تجتازه الدولة ، أية دولة وليست مصر ، فهى معركة مصير تحتاج الى دعم فى كل المواقف وفى شتى المجالات ، لانها معركة شرسة ، معركة ضارية ، معركة مصير ، معركة أن نكون أو لا نكون .

وأقول أن مجلس الشعب كان على مستوى المسئولية ، بل لعلى لا أكون مغاليا اذا قلت أنه كان فوق مستوى المسئولية ، عندما رحب بالبيانات الثلاثة لانه يدرك تماما الظرف الذى يجتازه وطننا .

واذا كان الامر كذلك فاننى أريد أن أكون أيضا على مثل هذا الرفق بتلك البيانات ، وان كنت أقول أنه لو كانت الامور طبيعية لتغير الموقف ولكننا — كما قلت — نجد أنفسنا فى موقف نقدر صعوبته ، ونرى ضرورة تشابك الايدى لمواجهة الموقف الصعب وهو ، أن نكون أو لا نكون فى معركة حاسمة لابد أن تكلل بالنصر الحتمى باذن الله .

مما لا شك فيه أن يوم السادس من أكتوبر كانت له مقدماته ، وكانت له دلالاته ، وكانت له ارهاصاته ، ولعلنا جميعا نتذكر ذلك المؤتمر المشترك من مجلس الشعب واللجنة المركزية ، الذى

قاده الرئيس أنور السادات العظيم ، يوم ٢٣ يوليو من هذا العام ، والذى وعد فيه بصيف ساخن ، ولم يقل أكثر من ذلك ، ولكنه عاد مرة أخرى فقال : اذهبوا وفكروا كيف يمكن أن نواجه الموقف العالمى ، المضطرب المتغير باستمرار ، الذى يتفق ويختلف ، موقف الاختلافات على العقائد ، ثم الاتفاق بين العقائد المختلفة ، موقف الوفاق العالمى بين الروس والامريكان ، لابد أن يكون هذا الموقف لصالح القضية العربية ، وليس على حسابها » .

ومنذ تلك اللحظة احسسنا أن فى الامر شيئا ، وأن قضية العرب وقضية فلسطين وقضية مصر وتحرير الارض ، يجب أن تكون هى الاساس والشغل الشاغل لهذا البلد ، ولكل المفكرين فيه ، وعندئذ قامت لجنة مشتركة ، قادها من مجلس الشعب الدكتور جمال العطيفى والسيد الدكتور السيد على السيد وأنا ، وقادها من اللجنة المركزية السيد الدكتور جابر جاد — رحمه الله — والسيد الدكتور رفعت المحجوب والسيد الدكتور كمال أبو المجد ، وبدأ الحوار فى كل مكان بحثا عن كيفية حل مشاكلنا فى ظل الوفاق العالمى ، وفى ظل الاضطراب الذى يسود العالم ، وفى ظل الارتفاع المستمر للاسعار دون ما ضابط ولا رابط ، وفى ظل التهديد المخيف من القوى الكبرى للدول الصغرى ، وضرورة التكتل لمواجهة عالم اليوم المتغير .

هذا الحوار العميق الذى ساد مصر فى تلك الفترة ، كان فى رأيى بداية مرحلة يقوم فيها المفكرون والعلماء فى مصر والوطن العربى وكل من يهمه أمر هذه المنطقة ، بالتفكير فى أسلم السبل ، حتى يكون الوفاق العالمى لحسابنا وليس ضد مصالحنا ، قد يقول البعض أن هذا كله خارج من مناقشة مشروع الموازنة، ولكننى أقول لا ، أنه فى صلب الموازنة ، فان هذه الموازنة تتم لصالح هذا الشعب فى فترة تقوم فيها المعارك ، فى فترة أثبت فيها الانسان المصرى — بل الانسان العربى أيضا لانه شارك فى المعركة ، ولا يجب أن ننسى ذلك — أنه قادر على أن يتحدى كل العلم الحديث ، وكل المخترعات الحديثة وكل الحرب الالكترونية ، وحرب الجراثيم كما أنه أثبت مقدرته على الصمود لكل هذه التحديات ، بل أن الانسان المصرى قد أكد خلال هذه الحرب أنه قادر على قيادة هذه المنطقة ، فهو صاحبها ، ولن يتنازل عن دوره القيادى فيها بحال من الاحوال ، وبعد أن عبر الهزيمة ، فانه قادر على أن يتحدى الزمن ، وأن يثبت وجوده على هذه الأرض الطيبة ، وقدرته على تحريرها .

اقول هذا بمناسبة الحديث عن مشروع الموازنة لاسباب كثيرة ، هذا الفرد المصرى هو نتيجة هذه الارض ، وهو نتيجة العلم القائم فى مصر ، أين مكان العلم فى مشروع الموازنة ؟ أين مكان الابحاث العلمية فى مشروع الموازنة ؟ أين مكان الجامعة ؟

اين ما رصد فى مشروع الموازنة لمراكز البحث العلمى فى الجامعة هى أساس اول ، وأساس هام حينما توضع الأولويات ؟.

يؤسفنى أن أقول ان مشروع هذه الموازنة يكاد يكون خلوا من الدعم الحقيقى الذى تطلبه الجامعة ، رغم انها فى اشد الحاجة لهذا الدعم من قبل فما بالكم والظروف هذه ، والجامعة تخرج الضباط والمهندسين والاطباء والفنيين ، ممن كانوا هناك فى المعركة ، يعبرون ويقاتلون ويدفعون عن هذه الارض العدو الوحشى ، بما يملكه من أسباب العلم الحديث الذى يحصل عليه من الخارج .

اننى أرجو من الحكومة والمجلس معا ، أن يتضامنا لاعطاء الجامعة والبحث العلمى ما يحتاجانه واقصد بالبحث العلمى هنا أبحاث الطاقة الذرية ، اذ لا ينبغى علينا أن ننسى ولو للحظة واحدة ومهما كانت الظروف فان عدونا يريد أن يسبق الزمن للحصول على القنبلة الذرية ، وكثيرا ما تناولت صحافتنا هذا الموضوع بالبحث والعرض ، وهل يملك عدونا هذه القنبلة أم لا ؟ وأيا كان الامر ، وسواء استطاع العدو أن يحصل عليها او لم يستطع ، فان واجبنا فى هذه المرحلة يتطلب منا ان نكون على درجة قريبة جدا من امكانية انتاج القنبلة الذرية ، ومن الدخول بالابحاث الذرية المصرية أو العربية — على الوجه الاصح — الى أقصى طاقة لها ، بحيث اذا صدر القرار السياسى بذلك ، فلا تمر أيام الا ونكون قد أنتجنا القنبلة الذرية ، وهذا يحتاج الى مبالغ وامكانيات يجب ان توفر لاكاديمية البحث العلمى ولمؤسسة الطاقة الذرية حتى تكون القوى متوازنة .

نحن جميعا نعلم ان اية دولة تستطيع ان تحصل على القنبلة الذرية ، فان الموقف يتغير بالنسبة لها ، ولهذا ينبغى علينا ان نسعى الى تحقيق هذا الهدف بالاصرار والمحاولة الدائبة للوصول الى نقطة الوثوب .

ان كثيرا من الاخوة الزملاء يقدر مدى تكلفة هذه العملية ، نظرا لما يحتاجه انتاجها من مبالغ ضخمة ، وليس فى ذلك شك ، والنى أقول لحضراتكم أنه يجب ان يصدر من هنا ، من مجلس الشعب ، نداء الى علمائنا فى الخارج ، وبخاصة علماء أبحاث الذرة والطبيعة النووية ، من مصريين وعرب ، أن يعودوا الى مصر ، ولابد من أن نبحث حينما يعودوا الى مصر ، ماذا ندفع لهم ؟ وأين يقيمون؟ وأين يكون اجراء أبحاثهم ؟

اذن ، العملية تحتاج الى دعم كبير اذ ربما تقصر موازنة مصر وحدها عن الوفاء لهؤلاء العلماء بحقهم ، أو الوفاء لعملية البحث هذه بحقها ، ولكى يتسنى تحقيق هذا الهدف ، أقترح انشاء صندوق عربى مشترك لذلك ، وأعلم أن بعض رؤساء الدول العربية يولون هذه الدعوة اهتمامهم ، ويجب أن نكون صرحاء ، فليس هناك مكان يمكن أن ينطلق منه البحث العلمى غير مصر ، ولذا فاننى أؤكد على ضرورة انشاء هذا الصندوق لدعم هذه الابحاث العلمية فى مجال الطاقة الذرية ، على ان يمول من الدول العربية ، بحيث تكون أبحاث الطاقة الذرية فى خدمة القضية العربية وقضية المستقبل . لان الاخلال بالتوازن قد يؤثر على القوة ، التى استطعنا أن نطل منها فى السادس من اكتوبر ، ومن ثم نريد أن تظل هذه القوة نامية باستمرار عبر الايام القادمة ، وهى البراعة التى يجب أن تسيطر بها مصر ، وتسيطر بها قائد مصر العظيم على ادارة الصراع بين العرب واسرائيل .

هذا من الجامعة ومراكز البحث العلمى وأنتقل بعد ذلك الى التعليم العام ، وهو القاعدة التى تغذى الجامعة وتغذى مراكز البحث العلمى — فاقول أن الخطر يتهدد التعليم العام ، واننى أنبه الى ذلك من الان ، فان ما تقرر له حتى هذه اللحظة فى مشروع هذه الموازنة ، هو مجرد فتح الفصول العادية ، أى النمو الحتمى فقط ، فاذا كان الشعب يتزايد بنسبة تتراوح بين ٢٫٨٪ و ٣٪ ، فانه حتى هذه الزيادة الطبيعية ليس محسوبا حسابها فى الموازنة ، ومعنى هذا اننا سنواجه فى العام القادم بمشكلة فى القبول كما واجهنا ذلك فى هذا العام بل وأكثر ، وتعلمون حضراتكم ان وزارة التربية والتعليم تحاول — باستمرار — جاهدة أن ترفع مستوى التعليم ، وأن تقلل من كثافة الفصول ، فكيف يمكن تحقيق ذلك وليست هناك فصول أصلا ؟ أننا لكى نستطيع تقليل كثافة الفصول الى ٣٠ أو ٤٠ تلميذا — كما تريد الوزارة — فلابد من فتح فصول اضافية تصل الى ١٠٠٪ من عدد الفصول الموجودة حاليا ، واذا كانت الموازنة لا تستطيع الوفاء بهذا المطلب ، فمن المستحيل تقليل الكثافة بغير فتح فصول جديدة ، أما وان مشروع الموازنة الذى قدمه السيد الدكتور عبد العزيز حجازى ، معروض الان على المجلس لاعتماده ، وليس به اعتمادات لفتح فصول جديدة ، فاننى أتساءل ، عما يمكن أن نفعله فى العام القادم ؟ لقد استطعنا هذا العام أن نحقق مطلبا جماهيريا ، هو النزول بسن الالزام ثلاثة أشهر عن سن الست السنوات ، وأن نزيد الكثافة فى الفصول ، ولابد أن نزيد هذه الكثافة طالما نريد تعليم أبناء هذا الشعب .

ان أعداد خريجى المدارس الثانوية

والأعدادية فى خطر ؛ أن هذه الاعداد فى تقلص اذا ما قـــورنت بالسنوات العشرين الماضية ، ولن نستطيع درءهذا الخطر مالم تدرج الاعتمادات اللازمة فى الموازنة ، لنستطيع استيعاب الاعداد الجديدة .

ولذلك فاننى أنبه الحكومة الى ضرورة البحث عن تدبير الاعتمادات اللازمة — سواء من احتياطى الموازنة ، أو عـن طريق ترتيب الاولويات ، أو من أى فائض فى أى بند — لانشاء فصول جديدة ، لاستيعاب الاعداد المتزايدة ممن هم فى حاجة الى التعليم .

إن المشكلة التى نواجهها فى التعليم العام لا تتعلق فقط بتزايد هذه الاعداد ، وانما هى ايضا تتعلق بنوعيـات مـن يتعلمون ومن يعلمون ، فالملاحــظ أن أصحاب المجاميع الكبيرة من خــريجى الثانوية العامة يهرعون الى كليات الطب والهندسة ، ويتوجه من عداهم الى كليات التجارة والزراعة ... الخ ، ويبقى بعد ذلك أصحاب المجاميع الهابطة فيتوجهون الى كليات التربية — على استحياء ورغم أنفهم — اذ ليس أمامهم سواها ، وأقول اذا كان مدرس المستقبل هو صاحب أقل المجاميع فى الثانوية العامة ، فكيف يمكن له أن ينهض بالعمليــة التعليمية على المستوى المرجو ! ان هذا الامر خطير ينبغى أن نتنبه اليه جيدا ومن الان .

ان الحاصلين على ٥٠٪ أو أكثر قليلا ، والذين يلتحقون بكليات التربية والمعلمين ، هم الذين سوف يصبحون مدرســين ، يقومون بتعليم أبنائنا ، فماذا يعلمونهم ؟ وبعد ذلك نأتى لنشكو من هبوط مستوى التعليم !! عندئذ يكون علينا أن نتحمل مسئولية ما سوف نواجهه ، طالما أن كليات التربية لا يتقدم للالتحاق بهـا سوى أصحاب المجاميع الهابطة ، لماذا لا يتقدم غيرهم اليها ؟ لان أولياء الامور والطلبة أنفسهم يعزفون عن التقدم الى هذه الكليات ، لاسباب يعرفها جيـدا السيد الدكتور عبد العزيز حجازى — وكنت أتمنى أن يكون السيد وزير التربية والتعليم حاضرا معنا الان — ذلك انه بمقارنة بسيطة للغاية بين المدرس الذى تخرج منذ عشرين سنة والمحاسب — مثلا — الذى تخرج معه نجد أن الفرق بينهما قد يتراوح بين درجـة مالية أو درجتين .

اننى لا أريد الحديث عن حقوق المعلمين اليوم ، لان ميزانية ١٩٧٤ يجب أن ننأى بها عن أية مطالب ، وان كنت أرجو ملحا أن يكون لكل من التربية والتعليم والتعليم العالى ، والبحث العـلمى ، نصيبه فى مشروع هذه الموازنة ، قبـل أن يعتمد ، وشكرا جزيلا ، والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[تصفيق] .



ملحق الأدب والفن

ملامح الجيل الجديد
فى القصة المصرية القصيرة

في هـذا العـدد :



فى القصة المصرية القصيرة

ملامح من جيل جديد

يقول واحد من نقاد القصة القصيرة ومنظريها [ه. أ. بيتس] ان هذه القصة يمكن أن تكون أى شىء قرر كاتبها أن تكونه : من موت حصان الى خفقة الحب الاولى فى قلب فتاة ، من التخطيط الساكن دون حبكة ما الى الحركة التى تتدفق بسلاسة نحو نصل له ذروة ما من قصيدة النثر - المرسومة أكثر من المكتوبة - الى التسجيل الذى يبدو محايدا تماما ، لا يلعب فيه الاسلوب أو الصياغة أى دور ، من تلك القطعة التى تقتنص - كنسيج العنكبوت الواهى - الضوء الخفى ، متعدد الالوان والدرجات ، لمشاعر لا يمكن قياسها أو الامساك بها ، الى تلك الحكاية الصلبة التى تصبح فيها كل المشاعر والانفعال وردود الافعال محسوبة ومثبتة ومتماسكة ومنظورا اليها ومنتهية ، مثل بيت حسن التصميم والبناء (١)

ان هذه المرونة اللامتناهية للقصة القصيرة هى فى الحقيقة سبب فشل وجود تعريف محدد لها ، وهى كذلك سبب تنوعها وثرائها . هى - كما يقول بيتس أيضا - أشبه شىء بقطع السحب التى تتشكل دائما وأبدا .. فأى أنواع السحب تفضل ؟ : تلك الرقائق البيض فى شمس الظهيرة أم الوحشية العنيفة التى تصحب العواصف أم الموشاة بالاحمر التى تلون افق الغروب ؟ ..

والقصة القصيرة فن فتى ، فن هو ابن هذا القرن ، لذا فهو مرتبط بفنونه ، تشتبك جذوره بجذورها ، لهذا تبدو القصة القصيرة أقرب ما تكون للسينما ، كلاهما ابن جيل واحد ، وكلاهما تعبير عن الفن نفسه : فن القص عن طريق سلاسل من الايماءات المتضمنة ، واللقطات الدقيقة ، واللحظات الموحية ، وكلاهما فن يبدو فيه الشرح والتفسير أمرا مضجرا ، زائدا عن الحاجة . ويبقى أن كلا الفنين يأخذ من الاخر ويعطيه : فقطعة الورق التى يحملها الريح فى شارع مقفر ، والفتاة المنكبة على شغل الابرة فى محطة قطار ، والام التى تنتظر عودة ابنها النزق من سهرته الممتدة .. فى كل هذه اللحظات شىء دقيق لا يرى ينزلق الى وعى القارىء حاملا معه مذاق الضياع أو الفراغ أو اليأس .. فى كل هذه اللحظات شىء لا يمكن امساكه بأصابع اليدين ، كل منها ترسل اشارة رقيقة على طول موجة عاطفية ، معتمدة على دقة جهاز الاستقبال عند المتلقى وحساسيته .

من هنا تتحدد أهمية المتلقى ، وتصبح القصة القصيرة نتاجا يسهم فيه وعى القراء من خلال ما يمكن تسميته بتراكم الخبرات المشتركة [هذا يعنى أنه لم يعد

ضروريا بالنسبة للكاتب ان يصف .. بل أن يوحى] ، ان الكتاب يكتبون ويخلفون تراثا ، ثم يأتى آخرون فيمدون أيديهم الى هذا التراث ويعملون على تطويره ، ومن الناحية الأخرى هناك القارىء الذى يمكن أن يرفع من مستوى هذه « الخبرة المشتركة » بحيث يجعل من الضرورى بالنسبة للقصة أن تبلغ قمة الخبرة .

● وقد خلفت القصة المصرية تراثا يمكننا القول — دون مبالغة كبيرة — انه قد رفع مستوى هذه الخبرة الى أفق يزداد سموا جيلا بعد جيل ، وحين نلقى نظرة — وان كانت عابرة — على هذا التراث ستبدو أمامنا — على الفور — جهود هؤلاء الذين لعبوا أكبر الادوار فى تطوير هذا الفن الفنى فى الاجيال المتتالية ، **يحيى حقى** ، **محمود البدوى** ، **سعد مكاوى** ، **يوسف الشارونى** ، **ادوار الخراط** ، ثم .. **يوسف ادريس** • وعند هذا الاخير نتوقف لحظة ، فلعلنا لا نجد كاتبا يعكس فى أعماله المتتابعة تطور القصة القصيرة خلال عشرين عاما كما نجد عند يوسف ، ولعل التطور فى القصة المصرية يتجسد — أكثر ما يتجسد — فى تلك المسيرة من اولى مجموعاته [**أرخص ليال** ، ١٩٥٤] حتى آخرها [**بيت من لحم** ، ١٩٧١] . لقد تكون وعيه خلال تلك السنوات الموارة بالغضب والثورة فى نهاية الاربعينيات ، وكان طبيعيا أن تكون أعماله الاولى قصصا واقعية بالمعنى المحدد للتعبير ، تعتمد السرد واختيار النموذج الانسانى الدال . كانت الاشياء واضحة والموقف من التناقضات القائمة فى الواقع محسوما : اما أن تكون هنا أو هناك ، ولا بديل .

حول منتصف الستينيات [ربما بصدور مجموعة **لغة الآى** ، آى ، ١٩٦٥] بدأ عالم يوسف ادريس يصبح أكثر تعقيدا وتركيبا ، أفسحت الرؤية البسيطة ذات المفهوم الاجتماعى المحدد مكانها لرؤية أخرى ، يمتزج فيها القهر الاجتماعى بالقهر الكونى ، ويمتزج فيها الانسحاق بالقسوة وللتعبير عنها كان طبيعيا أن تمتزج الواقعية بأساليب أخرى ، فعرفت قصصه الفانتازيا والرمز ، ومحاولة تقديم المعادل الفنى لهذا الواقع الاجتماعى بتناقضاته الاكثر تعقيدا وخفاء .

فى هذا الوقت نفسه كان ثمة جيل يتقدم ويشق طريقه بعناء كبير نحو سطح الحياة الادبية ، ومن خلال منابر النشر القليلة المتاحة تبلورت « موجة » كاملة فى القصة المصرية القصيرة ، جاء كل من طريق ، واختار كل زاوية للرؤية وطريقة للتعبير ، لكنهم جميعا طرحوا الهموم نفسها ، لقد كان جيل قهر الخمسينيات والستينيات : طرح **محمد حافظ رجب** هموم العلاقة بالاب — السلطة ، وعجز الرجل بين فخذى المرأة ، وهوان الكلمات فى واقع لا يحترم الكلمات ، وطرح **يحيى الطاهر** هموم الواقع المتخلف ، الغارق فى أساطيره وخرافاته ، المحاصر بالقيود التى تمنع تحقق الفرد [هذا التحقق ذو طابع حسى فى الغالب] ، وطرح **ابراهيم أصلان** هموم العجز من التواصل ، والوحدة حتى الارتجاف ، وهذا الجدار الصلد الذى ينتصب دائما فى وجه محاولات اللقاء ، وهذا الواقع المترهل العاجز ، وطرح **جمال الغيطانى** بحث المصريين الدائم عن بطل يجسد أشواقهم فى العدل والحرية ، واستمرار مصر رغم الويلات والهزائم واللعب بالسيف فى رقاب الامنين ، وطرح **مجيد طوبيا** هموم اختناق الجب فى واقع فاسد ، والعذاب الذى يكون نصيب كل من لا يخضع للقهر السائد ، والاجهاض المستمر لكل بذور الثورة على واقع يبذر البغضاء والفرقة بين الناس ..

كانوا — وغيرهم — جماعة ، وكانوا فرادى ، غير أننا نستطيع القول — دون تجن — انهم لم يقدموا شيئا هاما خلال هذه السنوات التى انقضت من عقد السبعينيات ، توقف من توقف ، وتعثر من تعثر ، ومن ظل فى الميدان تباعدت أعماله كقطرات المطر فى يوم قائظ !

● وفى أعقاب هؤلاء بدأت فى الظهور موجة جديدة ، ان الاعمال التالية تعبير عن هذه الموجة ، فكل أصحابها بدأوا ينشرون أعمالهم فى السبعينيات على وجه

التقريب ، وهم يحاولون — على تعدد الاصوات وتنوع طرائق التعبير — ان يتمثلوا تجربة جيل الستينات وان يتجاوزوها، بعضهم قطع خطوات فى طريقه ، وبعضهم الاخر يضع قدميه على أول الطريق .

وقد يكون الحكم على هذه الحساسية الجديدة مغامرة سابقة لاوانها ، لكننى أغامر فأقول ان أعمالهم تختلف عن اعمال الجيل السابق عليهم من حيث هى **أكثر جراة وقصدا الى الهدف** ، انظر الى قصة **المنسى قنديل** « سنعيد ترتيب كل شيء » ، وستجد فى حركاتها الثلاثة : من سينا الى القاهرة الى معسكرات المهجرين ، من الواقع الى التخيل الذى له طعم الواقع وصدقه ، وستجد مباشرة مايهدف القصاص لان يقوله ، دون وقوع فى أسر هذه الرغبة التى أضرت بأدبنا المصرى — القصة والمسرح بوجه خاص — فى أن يقول الكاتب ولا يقول، فى أن يتخفى ولا يكاشف ، ويغمز بعينيه لقارئه فى تواطؤ خفى . انظر كذلك لقصة **محمود عبد الوهاب** « عن جابر عبد الجواد » واسأل نفسك : من هذا الاستاذ حسان ومن قاتله ؟ . . ولن يعييك ان تجد الجواب ، فيبدو ان كثيرين من هؤلاء قد قرروا — مثل جابر — ان يصرخوا بملء أفواههم ، وان يقولوا « البغل فى الابريق » !

واذا كان ما حدث فى ٦٧ نقطة محورية فى ابداع جيل الستينيات بوجه عام ، فان واقع ما بعد ٦٧ ، و ٧٣ على وجه التحديد نقطة محورية عند هذه الموجة الجديدة : اختار **قاسم مسعد عليوة** — فى قصته هذه وفى أعمال أخرى لم تنشر — ان يقدم نوعا من « التسجيل الفنى » لحياة مدينة بور سعيد خلال أحداث ٧٣ ، وتسرى فى أعمال انسانية عذبة ، فتلتقى الايدى — وسط القصف وتردد أنفاس الاحتضار ، ويقدم كل القليل الذى يملكه للاخر . أما **محمود الوردانى** — فى قصته الممتازة هذه — فقد اختار زاوية جديدة وطازجة : لكل حرب شهداء ، وسيصحبنا الوردانى كى نرى معه كيف يتم دفن هؤلاء الشهداء ، وفى قصته سمة هامة من سمات هذه الموجة : البعد عن المباشرة والفجاجة ، والهمس — من وراء قناع يبدو محايدا لكن العين تلتقط من ورائه أدق التفاصيل . .

حتى القصتان اللتان تبدوان — للوهلة الاولى — بعيدتين عن التوجه مباشرة نحو هدف قائم ، « **صورة جانبية** » لعبده جبير، و « **شمس الظهيرة** » لابراهيم عبد المجيد، فهما فى الحقيقة تغوصان فى قلب الواقع الاجتماعى : الواقع الذى يدفع بالموديل لان تعمل عند « أغنياء العرب » ، وأن تستلب انسانيتها فلا تبقى لها سوى جسد جميل ، تسلمه حينا للرجال دون رغبة ، وتعريه حينا امام عينى النحات كى تضمن اللقمة ، وفى أعماقها حنين طاغ للتحقق فى علاقة انسانية تأخذ منها وتعطيها . . ولا يكون أمامها سوى الخيال يمنحها هذا التحقق . واقع تجسده مستنقعات الملح الظامىء المحترق تحت أشعة شمس غادرة ، واقع الهجرة من أقصى الصعيد لاقصى الشمال ، واقع العمل القاسى والخشونة البادية ، واقع يتيح لعمران — الاخ — أن يمارس رغباته فى قلب الليل ، وحين تهم زينة بأن تمارس رغباتها يكون مصيرها هذا الموت الفاجع على يدى من أحباها أكثر من الحياة نفسها !

وفى القصص كلها درجة من النضج الفنى تشى بتمثل أصحابها لكل انجازات الاجيال التى سبقتهم ، تتمثل فى احكام البناء ، وفى الاقتصاد الذى لا بد منه للقصة القصيرة بوجه خاص ، وفى المزاوجة بين أكثر من وسيلة من وسائل القص ، سواء اختار القصاص السرد الذى يبدو محايدا من ناحية ، أو المونولوج ذا الطابع الشعرى من الناحية الاخرى .

وليس هؤلاء كل شيء . ثمة أسماء اخرى تكتب وتجرب وتحاول أن تشق طريقها ، مقدمة للقصة المصرية القصيرة رافدا جديدا يؤكد قدرتها على احتضان هموم الواقع ، والارتفاع بمستوى « الخبرة المشتركة » الى أفق جديد .

فلنقرأ هذه النماذج اذن . . ولنتمن لاصحابها الاستمرار فى العطاء والابداع .

فاروق عبد القادر

سوف نعيد ترتيب كل شيء

محمد المنسى قنديل

— ١ —

الساعة الخامسة ولم تحن لحظة العبور ..

مكرجيدى مؤهلات

– احمد الحوتى – حتى هـــذا المعبر البعيد يبدو كالحلم. مرقت طائرة وسط السماء كنصل سكين وظلت الارض ترتجف اذ تسرى فيهـــا نبضات الدوى البعيد . وكلمات البيان السادس تدوى .. يحاربون هناك .. ولا احد يحلم !!

ضغط فوزى — الجندى السائق فوق نفير السيارة . قال أحمد متوترا :

— لم يحن دورنا بعد ...

قال فوزى لاهثا ...

— لا اصدق أننى سوف اعبر ..

ومن الذى يصدق ؟. الموت القريب لا يترك برهة للخوف . الدبابات تدمدم فوق أخشـاب المعبر . تستدير ثم تختفى خلف تلال الضفة الاخرى . فكر أحمد . سوف أكتب خطابا لاخى الصغير . أكتب لك من مواقعنا الجديدة داخل سيناء . تأمل خريطة مصر فى المدرسة . وسوف أكون نقطة صغيرة على الضفة الاخرى . طمئن أمى وقبل يدها . قال ..

— بعد الدبابات سوف تعبر المدفعية الثقيلة . وسنكون نحن فى المقدمة قال فـــوزى .. وسوف نعـــود احياء أليس كذلك ..؟..

بوغت أحمد بالسؤال . رأى وجـــه فوزى يختلج . مدهوشا وخائفا ، تذكر وجه بائع الجرائد ذا الساق الخشبية . دائمـــا يقابله فى كوبرى الليمون كل اجازة ويسأله فى الحاح ..

.. ما اخبار الحرب يا دفعة ..؟..

سارت العربة فجأة . سيارة القائد فى المقدمة . اقترب الجسر . مثل ذراعين بالغى الطول يضمان ضفتى القناة. سمع أحمد دقات قلبه واضحة . لست خائفا ولا سعيدا . كانت مياه القناة .. مـــن فعل البارود — شريطا أسود طويلا . يجمع كل الوجوه التى عرفها . تعالت أصوات الجنود عبر زمجرات المواتير . كانوا يغنون معا فى حرارة ..

— يا عـــزيز عينى .. وياما نفسى اروح بلدى ..

منيـــة عيـــاش . كتـــلة الطمى والخضرة التى تنتظر بلا كلل . رشيدة .. يا أختى الصغيرة . كيف يمكن أن تضاء مصابيح الزفاف والطائرات ترصـــدنا . وتبدو القناة ساجية كوجه النهر اذ يعبر القرية .. ثم تضطرم المياه ويظهر جوفها المعبأ بحطام القنابل . يا عزيز عينى . أيام الحرب حارة . والاحلام مخنوقة .

توقفت العربة . رفع جندى الشرطة العسكرية ذراعه بوقف بقية « القول ». بدأت أصوات المدفعية المضادة للطائرات تتابع . اقترب الجندي. على فمه سيجارة غير مشتعلة . قال ،

— خامس غارة على الجسر . القـــوا عليه من القنابل ما يكفى لتدمير عـــدة بلاد .. أعطاه أحمـــــد علبة الكبريت وتساءل .. هل اصابوه ؟..

— مرة واحدة واصلحناه خلال نصف ساعة ..

امتلأت السماء ببقع الدخان . ظهرت أربع طائرات تشق طريقها عبر كتل النار. تساءل أحمد فى قلق ..

— الا يجب أن نختبىء .. ؟ ..

— لم يعد هناك معنى للخوف . سوف يبقى هذا الجسر للابد ..

جذب نفسا عميقا وومضت عينيه . تلمست مياه القناة وساد الوهج . فكر أحمد . سوف أحدث بائع الجرائد عـــن هذه اللحظة . ذات مرة زعق فيه أحمـــد غاضبا . لم تكن الهزيمة جريمتى . ظل بركض خلفه بقدمه الواحدة وهو يهتف ..

— لا تغضب يا دفعـــة . انظـــر الى ساقى .. ٦٧ والله يا دفعه ..

دوى انفجار وتصاعد عمود عال مـــن المياه . هبطت احدى الطائرات وعاودت الارتفاع رأى أحمد بوضوح الدخان وهو ينساب من الذيل مكونا خطا طويلا بعرض السماء . هتف فوزى فى نشوة ..

— لقد اصابوها ..

انهـــم يفرون . ازداد وميض عـــين الجندى . انزاح الهواء الاسود قليـــلا ورأى الكوبرى سليما . رفع الجندى ذراعه وبدأ يشير للجميع . قال أحمد .

— مع السلامة يا دفعة . الم اقل لك .. سوف يبقى الجسر للابد ..

عادت العربة تشـــق ذرات الهـــواء الساخن . المياه تضطرم والمدفعية متقطعة تطلق آخر طلقات التـــــأمين . زامت الموتورات وتمنى لو يعود الجنود للغناء . لو يجلس بينهم ليرددوا معا كل الاغانى المصرية العذبة . لكنه وحده فى هـــذا الجيب الموحش . خلفه أجهزة قيـــاس الضرب ومؤشرات الضبط مكومة. والجسر يكبر حتى يملأ الافق . استدار فـــوزى بالعربة وشعر احمد بها وهى ترتج فوق أخشاب الجسر تصدر صوتا اشبه بالشهيق. كأنه يستيقظ . وقديما ظن ان هذا الساتر الرملى لا يخفى أحدا . وأن الانتظار خدعة اخرى . كان الجسر عريضا ذا اتجاه مزدوج وعنـــدما وصلت بقيـــة السيارات الى أوله . سمع أحمد ضجيجا ينزع احساسه المؤقت بالوحدة . تذكر جدته . كانت تحكى له عن سيف بن ذى يزن . كيف سافر الى منابع النيل ودفن كتاب الحكمة تحت أعمدته . من يومهـــا والنيل يتدفق على أرض مصر .

هكذا انزرع الجسر . وهكذا سوف يتدفق الجنود •



أخرج أحمد عدة قروش وقذفهــا فى الماء بأقصى ما يستطيع . قال فوزى فى دهشة .

ــ ما هذا ...

ــ قربانا للحظ الحسن..حتى نعود..

قال فوزى بلهفة اعطنى انا ايضــا قرشا . وقذف به في نشوة . ومرة أخرى أوقف جندى الشرطة العسكرية الســيارة وهو يأمرهم ان يأخذا جانبا من الجسر لان هناك سيارة أخرى قادمة من الاتجاه المضاد .. تطلع أحمد ليرى ما يعوقهم .. شاهد سيارة جيب قادمة تتيربيطء غريب هدأت الضجة وبدا كأنها تسبح وسط الضباب .. علا الوجوم وجه الشرطى . تساءل فوزى ببلاهه .

ــ لمــاذا يعود ...؟..

بدا أن السيارة لا تحمل سوى السائق نجاة ادرك احمد كل شيء . نظر للمياه كانه خدع . تذكروجه ابيه قبل الرحيل .. واستعداد رشيدة للزفاف . والحاح أمه عليه أن يتزوج قبل أن..قبل أن..حتى فوزى أدرك الامر..وجه السائق معفر بالسواد.. التى عليهم نظرة جامدة وواصل سيره البطىء القاسى . نظر أحمد للجثة . المرة الاولى التى يرى فيها ميتا ــ عنـــدما مات ابوه لم يشاهد سوى الكفن الابيض وهو ينزلق بين أيدى الرجال ــ لعلها المرة الاولى لان يدرك أن الحرب لا تترك خلفها سوى الدانات الفارغة والمزيد من جثث القتلى . كانت سترته مخلوعة . مربوطة حول الصدر حتى تمنع النزيف . لكنها بدت ملوثة بالدم . وداكنة . كان ممددا بطول العربة .. متصلبا شاحبا لحد مذهل ..

فلك الفم المفتوح . من الدهشة أم من المباغتة ..؟ .. حتى الشعر الممنوج المحمل بالرمل يبدو كالشيب المبكر . قدماه عاريتان بلا حذاء . اصابعه طويلة ناصعة البياض تكاد تمتد باستقامة الجسد كأنما تتشبث بالارض . رفع فوزى أصبعه واخذ يردد كلمات النشيد مرات متتابعة كأنما يدرأ خوفا . وعندما عاودا السير لم ينظر أحمد خلفه وبدت سيناء كالحقيقة القاسية .

وجد أحمد نفسه فوق الضفة الاخرى . جندى آخر من الشرطة العسكرية يحمل علما احمر ويشير الى نقطة مجهولة بالداخل . دابت الاحلام . أصبحت الشمس فى ظهورهم وظل العربة يمتد ببطء تعرى الارض المحرمة نفسها التضاريس والصخور والرمل . واللون الاصفر يبدو مختلفا عما كان يراه من قبل . أهو الدم والبارود ؟.. وفوزى يدمدم .. يافندم .. يا فندم .. ثم صرخ ..

— السيارة لا تسير ..

الاطارات تدور فى الرمل والحبيبات الخادعة تتسرب وتزيد من اتساع الحفرة . عاود فوزى الصراخ .

— هذه السيارات لا تصلح للسير فوق الرمل ..

شعر أحمد أن كل شىء يتردى . كان « القول » يغاني من نفس العجز . والعجلات تدور بلا أمل . قفز أكثر من جندى وحاول دفع العربات . توقفت عربة الضابط وهبط مسرعا . أخذ يجرى حتى عبر المسافة اليهم ولوح بيده ..

— ماذا تنتظرون .. افرغوا الاطارات من الهواء ..

تنبه الجميع . لم تكن المرة الاولى التى يسمعون فيها هذا الامر . لكنهم نسوه فى غمرة من الخوف الجماعى .

أخذ فوزى وأحمد يفرغان الاطارات فى سرعة . انخفض مستوى العربات وعندما بدأوا السير بدت العربات كأنها تأكل فى الرمل ..

فكر أحمد . لقد بدأت معركتى اذن ، لن أكف عن الاستيقاظ ولا الاحلام . هذا الافق الممتد لم يعد ملكا لنا بعد .. السير دون صوت يخلق حنينا غامضا .. الهواء يحمل فى طياته البعث والموت ..

خطوة واحدة صحيحة وسط طوفان من الاخطاء والتردى . جاء الجنود فى الظهيرة . ولن يكتمل الامر حتى يأتى الفلاحون ليزرعوا القمح وحتى يلعب الاطفال دون خشية من الغارات . دون صوت تسير العربة وتعلن الحرب عن وجودها . المدافع المحطمة . الدشم المنيعة واحشاؤها المتفجرة ولون البارود يغطى الرمل . طائرة هليكوبتر ممزقة والطيار مائل خارج الكابينة المحطمة . اصابت القنابل كل شىء بالرعب حتى الجبال والصخور . فمتى تنمو الزنابق وتغطى الحطام ؟. ويجمع الطائر جناحيه ويسافر الى بر النيل حيث تتلاصق بيوت الفقراء تنتظر آخر الاخبار .. صلى لنا يا أمى . صلى لنا ..

قال فوزى مستوحشا : **كم تبدو الارض غريبة ..**

وقريبة ايضا . منفى وملتقى . شوارع منية عياش الضيقة . والدروب التى تؤدى مباشرة للشمس والنهر يمتد نفس الدرب عبر الاف القرى والترع والنجوع الصغيرة . وحقول القطن . ومقابر الصدقة ومستنقعات الدلتا . عبر قواقع البلهارسيا وأسماك أبو بكر . وغابات الطريق الصحراوى . وجناين البرتقال على حدود السويس والالغام المزروعة فى قاع القناة . عبر التباب والخنادق العميقة وملاجىء الافراد يمتد وينشق وسط الصخور ولا ينتهى حتى يبدو الافق القديم وتطل الشمس القديمة . سوف يهدم البيت الطينى وينهض بيت آخر من الطوب الاحمر . تتزوج رشيدة ويتخرج حسام وتقف القطارات السريعة فى محطة البلدة وتأتى الكهرباء . مازالت الطائرات تشق بطن السماء كأنصال السكاكين لكن كل شىء قد توحد . عندما تبدأ معركتى يكسبها الجميع هنا وهناك . وسوف يعلن بائع الجرائد الاعرج عن كل شىء فى وضوح . يغمس ساقه الخشبية فى الالوان ويرسم طائرا خرافيا كبير الحجم . وجوادا أزرق لا يكف عن الصهيل . وعندما نصل الى مواقعنا الجديدة سوف نقيم دشمنا ونضبط زوايا الضرب وتظل المعركة دائرة حتى نعيد ترتيب كل شىء . دون صوت يسير الجميع . ولكن هذا الحفيف يصبح اشبه بانفاس الاستيقاظ .

— ٢ —

رجال الشرطة الاوغاد لم يسمحوا لها بوضع المساحيق . لذا بدا وجهها عجوزا دقيق التجاعيد . ضحكوا عندما سبنهم ولم يستغربوا حتى صدور مثل هذه الكلمات القبيحة منها . وجاء الحارس المشدود القامة ليقول بجفاء .

— زيارة .

سألت فى لهفة .. **المحامى ..**

قال لا . وفتح باب الزنزانة فتحة ضيقة فنفذ جسدها السمين بصعوبة . سارت امامه فى الطرقة الضيقة والعيون تراقبها لماذا يبدون بهذا السرور ؟. قال ضابط صغير وهو يعبر الطرقة .

— صباح الخير يا فندم !!

هل هذا الاحترام حقيقى ؟.. هل تذكرها الذين تخلوا عنها ؟.. الطرقة مبللة والنوافذ عالية . والقضبان صدئة سوداء يخيل للمرء انها تترك وسخا فى اليد . لكنها لا تترك . الحارس يقودها الى غرفة المأمور !! لم يصدر الحكم بعد ولم تدفع الكفالة كما اخبرها المحامى . ماذا اذن .. هل .. هل يريدها المأمور ؟.. الان ؟؟؟

طرق العسكرى الباب — عندما دخلت كان فى الغرفة ثلاثة رجال . ثم مالبث المأمور أن انصرف . قال اول الرجلين فى ترحيب حار ..

— لا بأس عليك يا ست الكل .

زال توترها وتنهدت . نظرت اليهما فى شك . قوست شفتيها وهى تتحدث ببطء ..

— **خطوة عزيزة .. لم اكن اراكما ونحن فى الخارج فكيف بهذه المصيبة ..؟..**

قال الاخر . كان سمينا أسمر ..

— نجمك الصاعد هو الذى أتى بنا . هناك فيلم جديد وستكونين البطلة (وزعق بصوت عال) **«خللى بالك من ميمى» ..**

رفعت حاجبيها فى دهشة . ذلك أن السمين الاول هو المنتج الشهير (ر ..) اما السمين الاسمر فهو المخرج الشهير [ج ..] . وذلك لانها أيضا سمينة . لكن الايام أخذت الحظ ومضت ولم تترك لها سوى ذكريات كالرماد !!

— الجمهور أمره عجيب أنفه حساس للفضائح . ما أن انكشفت الشبكة حتى ارتفعت شعبيتك فجاة واصبحت نجمة مرة أخرى .

لم يعجبها نوع السجائر . الحقيقة أن رطوبة الزنزانة جعلت كل شىء كريها . وكل قول محاطا بالريبة . قالت :

— هل تتحدث عنى .. ؟ ..

قال [ر ..] يا ست ميمى .. أنت ستنا **كلنا .**

أجل كانت ست الجميع . فتيات المواعيد أرقام التليفونات السرية . الذين يبيعون والذين يحاولون الوصول . مرشدى وزارة الداخلية ومهربى العملات الصعبة . مصر الشوارع الفسيحة والابواب المغلقة . ممثلات الصف الثانى والامراء العرب . آه .. ذهبت أيام الامراء .

— سوف يكون فيلما ملونا يضرب كل الايرادات .

قالت بتردد .. **والقصة ..؟..**

فرك [ر ..] يده مسرورا . قال [ج ..] منفعلا .

.. نفس دورك فى الواقع . انا مخرج واقعى يهمنى الصدق [اشار بيده كأنما يرسم الكلمات بالبنط] **افلام (ر ..) تقدم قصة ميمى الحقيقة .**

قالت وهي تتحفز .. نعم

.. سوف تكونين الست الكبيرة . يدور الفيلم كله داخل بيت سري . رقص وغناء جنس واجساد عارية طوال الفيلم. تصوري تاثير هذا الجو .

لكنها انفجرت ..

— هي حصلت — طول عمري ست شريفة — كل ادواري كنت ست ارستقراطية الجمهور يعرف . نجيب بيه الله يرحمه . كان دائما يقـــول لي . انني غاية في الارستقراطية كيف تتصورون ان احطم تاريخي الفني ..

كانت على وشك البكاء . شعرها بني قصير شعلتها سميكة مدلاه الي اسفل. غرفة المكتب عتيقة الاثاث . جدرانها مزدانة بصور الكبراء . وفي الوسط لوحة مكتوب عليها ان العدل اساس الحكم

قال : [ح ...]

— مهلا يا ست . الفيلم له هـــدف اجتماعي واضح ..

أضاف [ر ..] وهدف وطني ايضا..

قالت مدهوشة .. وطني ..

.. اجل ٦ أكتوبر موضة كل شيء . الاغاني والرقصات والمسرحيات ، كذلك الافلام..

ورقة رابحة . اذا لعبناها نحن ايضا ضمنا كل نجاح ..

.. لكن كيف . ؟ .

.. نبدا من البيت — سوف يكون معك ايضا نفس الممثلات اللاتي ورد اسمهن في القضية هذا يجعل مهمتي ســهله وسوف يكون الامر بالغ الاثارة . في البيت نجد كل النماذج الاجتماعية تتكلم كلاما لاذعا خليطا من الجنس والسياسة . كاتب السيناريو شاب متحمس . هناك مثلا شخصية رئيس مجلس الادارة . مصاب بعجز جنسي . عماد حمدى سيقوم بالدور . ستكون فرجه نصوره في اوضاع مختلفة مع عدد مختلف مـــن الفتيـــات الصغيرات ..

قال [ر..]

— لا تنس الفتاة ذات الوجه البرىء . تلك التي احترفت الطريق رغما عنها وطول الفيلم تهتف بالموجودين حولها وبالجمهور ايضا .. منكم لله يا ظلمة . يا سلام وجهها غاية في البراءة ..

قال [ح..] في الشبكة .. كله في الشبكة ..

— وطالب الجامعة الذي ياخذ نقود ابيه العمدة . يسهر طول الليل ثم ينام في المحاضرة . يا سلام ولد دمه خفيف ..

— والزوجة العجيبة . سوف تختار ممثلتها غاية في العناية . هذه الزوجة تاتي البيت فقط بدافع من المزاج . بل وتغضب اذا قدم لها احدهم نقودا . ستقولين شخصيه غير واقعية . لكن الجمهور سيكسر مقاعد الصالة خاصـــة عندما تتقابل هي وزوجها صدفه داخل البيت السري ..

اتسعت غرفة المامور وتحددت الكلمات تكسرت القضبان وبدت السماء مثل الحلم الازرق الرائق . كانت ميمى ترتدى ثوبا مرصعا بالجواهر وفي يدها سيجارة ذات مبسم طويل . تصعد فوق مكتب المامور ويرتمي الجميع تحت اقدامها . تشـــير بيدها عبر البرفان الخشبي فتهتف الجماهير حتي تتشنج . يتزاحم الضباط والعساكر بين قطع الاثاث العتيق يقدمون اعتذارهم الرسمي . يرفعـــون الصـــور القـــديمة وشعارات العدل . ويضعون بدلا منهـــا صور فتياتها العاريات في اوضاعهـــن المثيرة . يعـــدن ترتيب بيتها القـــديم . مملكتها السرية . وشام مصر كاشفة عن عورتها وتتصاعد الانفاس متلة بالحشيش يتوسل مامور السجن رويدك يا ست ميمى سوف افقد رتبتى . ولكن من يجرؤ على مواجهة تالقها . تنقل قدميها في ثقة . لتزيح الدوسيهات والنشافة والمحـــبرة وتهتف بالجميع أنا عائدة اقوى من الاول. أخذت سر مصر القديم . قالت ..

.. و ٦ اكتوبر ..

ضحك [ح..] وقـــد بلغ سروره اقصاه ..

— هذه نهاية الفيلم .. بعد ان ترتدى حوالي خمسين فستانا مختلفا . ونشاهد اكثر من عشر رقصات عارية . في عز الانفعال تقوم الحرب .

قال [ر..] .. هكذا تطور طبيعي ..

— وتغير الحرب كل شيء . هنا يظهر معدنك الاصيل . ويظهر ايضا قلب الجميع الطيب .. ويكون عليكن جميعا ..

هتفت ميمى في حماس .. ان نتطوع..

— اجل البيت باكمله . يتطوعن مـــن اجل الحـــرب . يودعن الرقص والجنس ويتحولن الي ممرضات ..

قالت كانها تحلم .. ممرضات .

— تخيلي . كلكن يلبسن ثيابا بيضاء. ويسرن صفا واحدا في طرقات المستشفى وبين الاسرة ..

قال [ر..]

— ورئيس مجلس الادارة القـــديم . سيتحول الي قائد فرقة للدفاع الشعبي .

— وسينتهي الفيلم وانت في المقدمة وصف البنات خلفك واقفات فـــوق خط بارليف تهتفن باحدث الاناشيد الوطنية . وتاتي كلمة النهاية كالحلم السعيد .

جلس لاهثا وعلى شفتيه ابتســـامة راضية ، فرك (ر ..) يديه كانسا بدأ فعلا في الانتاج . نظر اليها يسألها الراى .. ولم تكن هناك حاجة للاجابة تسال بحماس ..

— « خللى بالك من ميمى » . كلها أسبوع ويصدر القاضي حكمه وتخرجين بعد دفع الكفالة . وسوف تظل القضية تتارجح حتى تموت .

قال [ح ..] واذا بعثت كله مكسب

قال [ر..] على رايك كله مكسب .

وانصرفا .. كل منهما يضع ذراعه على كتف الاخر .. وقابلا المامور وكان سمعنا بعض الشيء فسلما عليه بحراره وعندما سارت في الطرقة عائدة للزنزانة كان وجه العسكرى جامدا لا يفقه شيئا .

— ٣ —

يومان متتاليان . اولهما عندما يذهبون لاستلام « البطانية » الجديدة . يتركون معسكر التهجير ويقفون صفا طـــويلا أمام الافندى الموظف وهو يتفحصهم بقرف والثاني في المعسكر عندما ياتي تجـــار « البطاطين » . بعد ذلك تتوالي ايام الشتاء بنفس الوتيرة . وعندما فتحت ياقوت عينيها كان الصباح الرمادى قـــد جاء . والغرفة معتمة ومكتومة بانفاس الليل . فكرت . انا وحدى تدمي داخله م والبراغيث قد هدأت .

استمرت الامطار طـــوال الليل م معسكر التهجير خارج مدينة المحلة كان ساحة للشباب قبل الحرب ثم بنوا فيـــه عدة غرف واطئة متلاصقة واعدوه بسرعة لافواج المهجرين .

كانت القنابل اليومية تاكل كل شيء . والقطارات تمتلىء بوجـــوه الهاربين م واكتشفت ياقوت ذات يوم انها بلا أم .ثم لم يكن الباقى مهما . أى بلد واى مكان الحزن يهدأ والشوق يموت . والمعسكر يضم اشتات العائلات من البلاد الثلاث . لكن امها بعيدة .. بعيدة ولا سبيل اليها.

نهضت بتكاسل . نظرت مـــن خلف الزجاج المعتم الى الفناء الواسع وســـط صف الحجرات . كان خاليا .. ممتلئا بالطين وبرك الامطار . حبل غسيل يحمل بعض الملابس القديمة . كانت مبتلة من اثر المطر تتساقط منها قطرات بطيئة من الماء . تناقصت حرارة جسدها . لن ياتي الوقت. ولن تتزوج . هذه الحجرة الضيقة والاخوة الثلاثة والاف البراغيث المختبئة تنتظـــر مقدمهم كل مساء . والمعسكر خال مـــن الشبان . كلهم منهكون . مشغولون بتعب اليوم المتكرر . وفي المدينة لا يرونها الا صيدا سهلا . يارب كم تمنت وكم ذهبت . ولم تعد الا بالخيبة .

سعد ابن الجيران يتسلل من حجرتهم في التاسعة واشتى ولد في المعسكر

لم يكن يرتدى سوى بنطلون قصير وقميص ممزق . اندفع غير عابىء بالبرد وآثار بقدميه موجة من الرذاذ . وزعق بصوت رفيع . أحست يا قوت فجاة بالحسرة تأكل قلبها . استدار وسط البركة كأنه يرقص . أحست بالسكون يخنقها ..

امسك مسعد الطين وبدأ يشكل كتلا غير متماسكة . شعرت بالبرودة . تراجعت ، شاهدت وجهها المشعث فى المرآة ، كانت جوعانة ولا يوجد ما يؤكل .. وهكذا بدأ اليوم .

فى أعقاب المطر تأتى دائما شمس رائعة حنون . لكنها تقف خارج الحجرات وتترك العتمة فى الداخل ارتدت ياقوت عصبة رأس حمراء . كانت تنوى الخروج والتجول فى المدينة . لم يتركوا لها نقودا للطبخ . لكنها جلست على العتبة ورفعت وجهها للشمس . لذا بدت اجمل من المعتاد . وعندذلك رآها حمودة تاجر « البطاطين » عندما دخل المعسكر .

علا لغط البيع والفصال . ادارت وجهها ورائه . كان واقفا أمام سميحة وبينهما « البطانية » تذكرت . أخذ أبى بطانيتنا فى المساء . وضعها تحت ابطيه وانصرف وفى آخر الليل عاد يغنى ويتعثر فى الاقدام النائمة حتى همد .. قالت سميحة .

— والنبى لايمكن . هذه بطانية صينى .

قال التاجر بسخرية ..

.. صينى ولا أمريكانى . الحكومة لا تعطى سوى الفتات .

لو ترك الاب البطانية لتغطى بها الجميع . أول أمس تبول عبد الله على نفسه وكان خجلا فى الصباح . نظر التاجر من طرف عينيه وبدا زاهدا فى الشراء .. توسلت سميحة .

— طيب .. خليها وربع .

تلاشت أشكال الطين . وقف مسعد يرقب البطانية . مد يده ولمسها بسرعة كان الاب فى الداخل يجلس ضاما ساقيه يتنفس آخر بقايا السيجارة . وحمودة أعطى للمشرف علبة سجائر كثيرة ..

.. مخالفة يا معلم حمودة . هذه البطانيات لينغطوا بها لا للبيع . لو أن أحدا من الاتحاد الاشتراكى عرف ..

لكن هذا ما يحدث كل مرة . اشترى عشر بطانيات ملونة ولا أحد يرضى بسعر الاخر . لكنهم يوافقون عندما يشاهدون ألوان النقود الداكنة . أخرج المحفظة ودق عليها باصبعه ثم اخرج اطراف النقود وانتهى الفصال سريعا . القى مسعد نظرة محسورة على البطانية وتمنى لو يخطفها ويجرى .

اقترب منها بمهل . أحست بظله يحجب الشمس تطلعت اليه وقالت .

— لا توجد بطاطين .

ضحك بلا سبب ونقل البطاطين من ذراع لاخر

— خذى واعطى فى الكلام . يقولون اننى متهاود . اعطى سعرا مريحا لكل زبون .

ضحكت هى أيضا .. ياريت كنت لا أبيعها . هذا الشتاء يحتاج لغطاء جيد .

— النقود أيضا غطاء جيد .

— سبقك تاجر آخر . آخذها أبى اليه .

— خسارة . لم اقابل زبونة حلوة منذ أيام ..

ولم نعرف لماذا أخرج محفظته ، ادارت وجهها للشمس ، سار مبتعدا ثم مالبث أن عاد .

— الا يوجد أى شىء . انا شارى والله العظيم .

كانت بحاجة ماسة للنقود . لأى مبلغ طبق عليه يدها . مرت بذهنها محتويات الحجرة . أوانى سوداء وثياب نصف بالية . لا شىء يستحق . هزت رأسها فانصرف للحجرة الاخرى .

مد مسعد يده اليها وهو يحمل كرة من البلاستيك . ارتفع صوت سميحة فجأة وهى تتشاجر مع زوجها . صوتها باك وحاد .. وصوت الزوج خشنا . ارتفع صراخها مختلطا بصوت ارتطام الاثاث .

تصلب مسعد فى وقفته ثم مالبث أن صرخ باكيا، وظل التاجر يواصل المساومة دون صوت ودون أن يلتفت . مرة أخرى شاهدت ياقوت الجنيهات .. وبكاء سميحة يتعالى متأوها . نهضت وأغلقت الباب فى عنف . كانت الغرفة معتمة . وبنطلون ابيها معلقا فوق مسمار على الحائط . فكرت فجأة . ماذا لو أعطيته للتاجر ؟. ارتج قلبها . لقد باع هو البطانية بالامس . التفتت نحو النافذة تلتمس قليلا من الضوء شاهدت سميحة وهى تهرع خارجة من الغرفة تلاحقها أطباق وملاعق مقذوفة . حاول مسعد الجرى خلفها ، تعثر فى خطواته القصيرة وظل البنطلون يطلع نحوها . تستطيع أن تجد أى حجة لن يعرف . لن يعرف . قبل أن تفكر امسكته وفتحت البـــاب . كان التاجر واقفا فى مواجهتها . لم تعرف كيف فهم . قال باسما .

— لا يساوى شيئا ياست الحسن ..

أرخت يدها فى خيبة أمل وقالت شاكية للمرة الاولى .

— أنا فى حاجة لنقود .

كان يضحك لكنه بدا جادا لابعد حد

— لا حاجة للبنطلون . ويمكننى اعطاؤك ما تريدين .

— كيف ؟..

— أنت تعرفين كيف !!

ذهب الى زبون آخر . استقبله وهو يتثاءب . غطت سحابة ثقيلة وجه الشمس فارتعدت ياقوت . خرج زوج سميحة وتمطى قليلا ثم انصرف . وظل باب الحجرة يصطك . فكرت . كم سيعطينى؟ فكرت لو أن أحدا علم . فكرت . فكرت رأت النقود من جديد وصف البطاطين يزداد . عادت سميحه وهى ترفع ذراعيها للسماء وتردد أدعية غاية فى القسوة . ضحك رجل عابر والقى كلمة بذيئة . كان التاجر طويلا بعض الشىء يرتدى جلبابا أسود تحته فانلة سوداء برقبة . عاد اليها . قال عدة كلمات سمعتها دون أن تفهم . كانت أسنانه كبيرة مفلوجة . كيف تهرب ؟ كيف تقبل ؟ اشترى كل شىء ولم تنفذ نقوده . ماذا سيقول أبوها .. لو انه يشترى البنطلون وينصرف ...

حمل التاجر بضاعته وانصرف . وعندما التقت عيونهما ابتسم نفس الابتسامة . شاهدته يخرج من باب المعسكر ويختفى اغلقت الباب وأصابعها ترتعد . لم تذكر اين وضعت المفتاح . قال مسعد .

— العبى معى الكرة يا أبلة ياقوت ..

انزوت سميحة جنب الباب ، وأجهشت فى البكاء . يجب ان تتوقف .. ان تواسيها بأى كلمات . لكنها سارت حتى اجتازت باب المعسكر . وكانت المدينة غاية فى البعد وحقول البرسيم مفرودة حتى الافق . والتاجر واقف يتطلع . قالت . انا خائفة . سار دون أن يرد . ظلت واقفة ثم سارت خلفه ببضع خطوات . لو رآنى أحد . خفضت رأسها وظلت تتطلع للطريق الترابى . التى عليها البعض تحية الصباح ردت أم لم ترد . عرفوا أم لم يعرفوا . وظل بصرها مشدودا لذيل جلبابه الاسود انحرف على يمين سور المعسكر فى طريق ضيق مابين السور وبين ترعة راكدة .. كانا وحدهما .. سوف يرون ظهرها ، ويعرفون . ولم تجرؤ على الالتفات . انتهى السور فجأة وصفعتها ريح الحقول الباردة . تأملت ظهره . ترى بأى شىء يفكر ؟ أمازال يبتسم . تساءلت مترددة . الى أين ..؟..

نختفى عن العيون ..

التفت وسار بجانبها . لف يده حول وسطها ويده الاخرى تحمل البطاطين والمحفظة تبدو منتفخة فوق الجزء الايسر من صدره .

— لا يجب أن تشعرى بالخوف . يقولون انى لطيف .

ضحكت وهى تلهث . انتهت النزعة الراكدة وأصبحايسيران بين حقول البرسيم . لم يكن هناك أحد . فقط ثلاث نخلات عالية ترتفع كالاذرع المتوسلة . قال . سوف نجلس فى هذا المكان .. قالت .. والفلاح ؟ ضحك . ماذا يفعل الفلاح بعد ليلة ممطرة . فكرت . كأنه يعرف كل شيء . أخذ يفرش البطاطين بسرعة ومهارة .. قال . لا تخافى ، لكنها كانت غاية فى الخوف . تود لو تصرخ أو تجرى عائدة . جذبها برفق وتحكم ، وأحست

ملمس البطاطين ناعما ومريحا . كانت السماء بعيدة مزدحمة بالسحاب الاسود سوف تمطر ثانية . وسعف النخلات يتلاطم فى تحفز .. رأت شاربه سميكا . وأحست جسده ثقيلا . وأصابعه غليظة تقبض دون رقة . تأوهت مفزوعة فضحك بنشوة . سوف أبكى وليفسد كل شيء أطبق على فمها حتى أنها لم تستطع التنفس .

انزاحت السحب قليلا وزام الهواء .. سوف يمزق ملابسي الداخلية . هتفت حاسب . أدخل يده أكثر ، قال وهو يزفر . لاتخافى لا تخافى يا حلوة . سوف يأتى الفلاح وناس المعسكر ، يبحث أبوها عبد الفتاح فلا يجدها ويعرف أنها هنا . قال لاتشدى نفسك هكذا . ارخى ساقيك . قالت والنبى حاسب وكانت ترتعد . اندهشت .. [illegible] نضمه او تبعده . ازعجه تجهم السحب الثقيلة . ادارت وجهها وشاهدت سيقان البرسيم الرفيعة وكان ثمة حشرة ضئيلة تتعثر بين شقوق الطين . قال اخلعى فستانك . قالت . كلا . كلا . وبدت على وشك البكاء . وقال لا يهم . انا خائف عليك . كأن الامر لن ينتهى . هل انا مريضة ؟ . ماذا أفعل لو عدنا لجاة للسويس لو عرف كل قطار المهاجرين . لو رفض أن يعطيها نقودا وتركها وسط البرسيم

كالقطة الضالة . قال ارخى نفسك .. تأوهت وازدادت شراسة ضحكته . قالت والراحة والنبى . قال أنت بنت كبيرة وأوشك أن يمزق شعرها .

نهض جالسا . لم تعرف متى خلع جلبابه لكن ساقيه بانتا فزيرتى الشعر . نهضت وهى تلملم شعرها . اخذت تشهق شهقات متتابعة . شاهدت المعسكر صغيرا نائيا . كأنها لن تقدر أبدا على الوصول اليه ، وكانت المدينة الغريبة محاطة بشيء كالضباب . حاول أن يقول شيئا . أخرج محفظته ووضع ورقة مالية فوق البطانية . أوشكت أن تطير مع الريح لكنها قبضت عليها وهى تشهق وكانت البيوت البعيدة تهتز كأنها على وشك السقوط . ثم أتاهما صوت صفارة متصلة نافذة . تسللت عبر الحقول والهواء العاصف واخترقت أذنها . توقفت برهة من الشهيق ثم اجهشت فى البكاء معه



لا تبحثوا عن عنوان ..

انها الحرب ..

انها الحرب ..

قاسم مسعد عليوة

هـذه المرة ارتجت الجدران بعنف لدرجة لم تدز معها كيف تتصرف .. اتجهت يمينا ثم يسارا .. احتمت وراء تلك الصناديق المتراصة قرب المدخل ثم اتجهت للخلف .. عادت الى وضعها السابق .. لم يمهلها الدوى المقترب فهوت خلف كومة من المتاع الخلق لا تدرى من صاحبه ولا كيف أتى الى هذا المكان

كانت تعلم أن الشمس لا بد ستغيب بعد ساعة ، لكنها كانت تتعجل الظلام أن يسرع فيغلق دور المدينة عسى أن يعمى هؤلاء الطيارين عنها فيعودون ادراجهم فتنام ليومها الرابع فى هذا القبو الرطب .

لكن القصف مستمر .

بدا لها للحظة أنهم انما يبحثون عنها هى بالذات ، والا فما تفسير ذلك الاقتراب المستمر من البيت ؟ .. استعاذت بالله .. فماذا فعلت لهم ؟

شق الهواء صفير ثاقب .. شهقت .. اكتشفت أن كفها اليمنى ترتجف على صدرها — عند موضع قلبها بالتمام — بينما الكف اليسرى قابضة على الهواء .. انحنت بطريقة غريزية ريثما يمر ذلك الصفير السريع الثاقب .. دوى الانفجار .. أخفت رأسها بين ذراعيها وتكورت خلف المتاع بينما تلاطم مصراعا النافذة وتهشم الزجاج المطلى باللون الازرق .. كان صوت تهشمه حادا رفيعا ؛ امتزج فى أذنيها بأصوات تلك المدافع الخفيفة التى تطارد الطائرات .

علمتها الايام السابقة انه اذا ما اندفعت طلقات هذه المدافع بتلك الكثافة فالامرين : أما أن تسقط الطائرات

المتفشية ، واما لترفعها لتصطادها الصواريخ .. للحقيقة فقد سمعتها من رجل كان يكلم زميلا له تحت شرفتهما في اليوم الثاني للحرب .. لكنهم لم يكونوا يضربون ساعتها بهذه الضراوة .. من وراء الطلقات السريعة في تتابع خيل اليها أنها سمعت تكة او شيئا يشبه الانفجار المكتوم ، وسرعان ما احتوى المكان كله هدير صاخب ما لبث أن بعد .. ارتجفت لوهلة فأخفت رأسها بين فخذيها ، لكنها سرعان ما تنبهت وعرفت أنه واحد من تلك الصواريخ التي لا مهرب للطائرات منها .

رفعت رأسها لتتابع مساره فاصطدمت عيناها بشظايا الزجاج الازرق المعلقة بشرائط الورق اللاصق يؤرجحها في فزع تخلخل الهواء .

■

وفجأة ، فتح الباب بقوة وانصفق مصراعاه في الحائط فاحدثا دويا هائلا وجدت نفسها معه وقد انبطحت ارضا خلف الصناديق المتراصة .. كانت اسنانها تصطك رعبا ، وكان شعرها منسدلا على عينيها ولم تكن لتستطيع أن تمد كفها المرتجفة لتزيحه . وما كانت لتقدر على التفكير في امر كهذا .. ظنت من فورها أن الادوار العليا من المنزل قد قصفت ، وأن الباب قد انفتح من هول الانفجار .. لكنها لم تشم رائحة الدخان ، كما لم تدهمها سحابات الغبار الناعم التي داهمتها كثيرا في الاماكن التي تعرضت للقصف أول أمس وهي تهرول عائدة من السوق ..

ظلت على انبطاحها وازاحت رأسها قليلا الى يمين المتاع ، ومن خلال الخطوط الطولية الرفيعة من الفراغات المتخللة شعرها الاسود نظرت تجاه الباب فوجدته ..

■

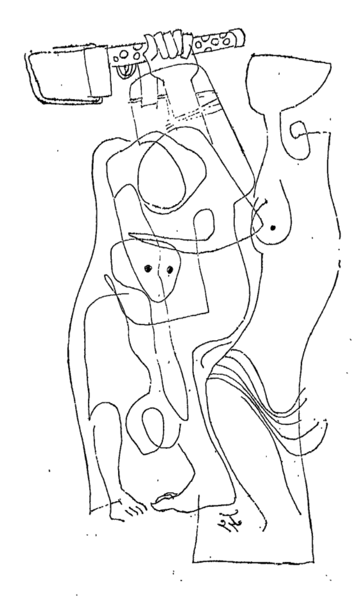
كان شابا صغيرا تبدو عليه ملامح أبناء المدينة .. ولم تكن هناك انفجارات .. اطمأنت بعض الشيء وان لم تتبدد مخاوفها . كل ما فعلته هو أن ازاحت شعرها وظلت ترقبه .. اكتشفت أنه أقرب الى أن يكون غلاما منه الى شاب يافع ..

كان يرتدي سروالا رماديا عاديا وسترة زيتية من ذلك النوع الذي يرتديه رجال الدفاع الشعبي . عندما رفعت رأسها قليلا لمحت « تابلوه » بندقية يتقاطع على صدره في خط منحن ، وامكنها أن تلمح فوهتها المعدنية السوداء من وراء كتفه الايمن ومؤخرتها الخشبية تحت كوعه الايسر .. كانت ساقه اليمنى قد تخطت عتبة الباب بينما ظلت اليسرى خارجها .. فظل ثابتا برهة ثم قال :

— اما من أحد هنا ؟

كان صوته خشنا تلك الخشونة التي تعتري حناجر الصبيان عند البلوغ .. لكنه أيضا كان لاهثا متقطعا .

همت بالرد عليه غير أن صوتها لم يخرج من حلقها .. لم تدر .. هل أحجمت هي عن ذلك أم أن صوتها قد خانها ؟ .. كل ما فعلته هو انها ظلت على حالها لا تريم .. عندئذ رفع يده اليمنى وعبث بأنفه قليلا فتبينت أن ابهام كفه اليمنى مربوط بشاش ابيض وأن بقعة حمراء تتوسطه .. أخذ شهيقا عميقا ثم زفر بشدة وانحنى بجذعه للخارج وان ظلت ساقه اليمنى داخل عتبة الباب .. بدا لها انه يحاول أن يرفع ثقلا كبيرا أو أنه سيحاول جره .. لاحظت توتر قدمه اليمنى اذ ارتفعت مقدمة الحذاء عن الارض وعادت اليها أكثر من مرة .. بعد قليل



تحركت للداخل وما لبثت أن تبعتها الاخرى .. وما أن اتمتا الخطوة الثانية حتى ظهرت أصابع كفين مرخيين تتدليان من تحت قبضتيه الممسكتين بساعدين ملوثتين بالدماء ، ولم تلبث رأس غير واضحة المعالم من كثرة الدماء المتجلطة فوقها أن ظهرت .. أيقنت أنه يجر جريحا ، في حين اندفع الفتى للداخل بهمة كادت أن ترطمه بالصناديق التى تحتمى بها .

كتمت أنفاسها وجزت على أسنانها حتى لا يسمع صوت ارتجافها .. ترك الجريح .. انكمشت .. لكنه توجه الى الباب فأوصده ، ثم انحنى على جريحه وراح يجره الى ركن جانبى فأتاحت لها تلك الانحناءة أن ترى الجريح بكامل جسمه .

كان ضخما عملاقا يرتدى قميصا وسروالا أبيضين وان اخفت الدماء حقيقة سنه .

عندما جمع الفتى شتات قوته وشده تلك الشدة القوية لمحت العديد منكسر الطوب والخشب والزجاج عالقة بجوربه المتسخ وحذائه المكحوت .

■

بالقرب من الجدار القريب من النافذة كور قطعة من قماش مهلهل وأراح عليها رأس الجريح ثم ارتمى الى جواره منهكا وأسند ظهره الى الحائط .

أتعبتها رطوبة الارض فرغبت فى الجلوس . عندما ارتكزت ورفعت جذعها معتمدة على ساعديها أحست احساسا خفيا بأن فقاراتها ستحدث طقطقة خشيت أن يسمعها فظلت على حالها تلك نصف جالسة نصفة منحنية على الارض .. لم تكن تدرك لتلك الخشية سببا .. ولم تكن لتستطيع تبرير موقفها ان هو رآها على هذه الحال .. جمعت قواها وهمت بالنهوض لكنه حرك راسه قليلا ليريحها الى الحائط فظلت على تسمرها وان تراجع رأسها للخلف واتسعت حدقتاها .

■

لم تدر كم من الوقت مر عليها وهى فى وضعها هذا .. لكنها ازاء شحوب خط الضوء الملقى تحت عتب باب القبو احست بأن الظلام قد بدأ يزحف بالخارج . نظرت الى المصباح الزيتى المطفأ وتمنت لو أضاءته .. وفجأة أحست بالفتى يتحرك فى جلسته .. عبرت بعينيها إليه فوجدته وقد ارتكز على ركبتيه أمام جسد الجريح .. رأت ابهامه المربوط بالشاش يندس داخل القميص الملوث بالدماء ثم يخرج وقد فك زر .. بعد ان فكت الازرار جميعها نهض الى ساقيه وارتكز على قدم وركبة .

لم تدر فى البداية ما ينوى أن يفعله .. كان صدر الجريح يرتفع وينخفض بضعف ورتابة .. لكن الشعر المتكاثف فوقه جذب ناظريها فظلت برغم شحوب الضوء تتابع تأثير الاهتزازات الواهنة على حبيبات الدم الدقيقة المدلاة منفوق دوائر الشعر المتداخل .

سمعت صوت تمزيق قماش ثم رأت شريطا متوسط الطول وان كان عريضا بعض الشىء يتدلى من يد الفتى .. عندما تحرك صوب رأس الجريح وجدت ساق سرواله اليمنى أقصر بكثير من الساق اليسرى .. انحنى الفتى على رأس الجريح وراح ظهره يرتفع وينخفض فى تتابع بطىء ..

حتى هذه اللحظة لم تكن تدرى شيئا مما يفعله الفتى .. كانت البندقية قد ازدادت ميلا على ظهره وأصبحت فوهتها تلامس اذنه كلما رفع رأسه .. وبرغم خوفها الفطرى من الاسلحة وكل ما ينتمى اليها الا انها وجدت نفسها مدفوعة لان تملى عينيها بالنظر الى هذه البندقية بالذات .. الفوهة ، تلك المساحة البيضاء المنحنية والتى تشبه السكين .. تلك الفراغات الموجودة بتلك القطعة الخشبية المثبتة على مقربة من الفوهة وتكاد تشبه الانفاق ، خزانة الطلقات ، الزناد ، ثم تلك اليد البيضاء التى سمعت أحد الرجال يقول انها « يد الترباس » .. عندما همت بتحويل بصرها عنها لاحظت أن بمؤخرتها الخشبية العريضة خدشا منحنيا ظاهر الوضوح .

أحست بعينيها وقد بدأتا تؤلمانها ، فالضوء أصبح أكثر شحوبا .. صرفت نفسها عن البندقية وهمت برفع قامتها .. لكن حدث ما جعل تلك الرعدة القوية تسرى فى جسمها كله لدرجة أحست معها بالتهاب وجنتيها وتوهجهما .. هذه المرة عرفت أن كل أحاسيسها المرتجفة قد توارت أمام شعورها بالخجل .. شىء كالمجاج الضوئى اعترى عينيها وهى ترى كفيه وهما تعصران الخرقة لتقليل نسبة ما علق بها من دماء الجريح .. « اذن فهو يحاول اسعافه » .. كان جيشانها قد بلغ منتهاه فنهضت من جلستها التعبة باصرار غريب وتقدمت خطوتين ثم قالت :

— اية مساعدة ؟

« وللحقيقة ، فانها لم تنطق غير الحروف الثلاثة الاخيرة ، أما الحروف الاولى فقد تعثرت فى احبالها الصوتية ولم تخرج الا هواء فارغ المعالم » .

انتفض الفتى من فوره ، وبسرعة البرق كانت البندقية مشرعة فى يده وقد أخذ وضع الاستعداد وصرخ فى زاوية بعيدة حيث تتكاثف الظلمة :

— من هناك ؟

على الرغم من انه كان قد اعطاها ظهره الا أن صرخته أفزعتها .. ازدردت لعابها وقالت بعد تردد :

— أنا .

وما كانت لتعلم أنه سيلتفت تلك اللفتة المروعة ليثبت فوهة البندقية على بعد بوصتين من صدرها بل لقد شعرت أثناء ارتجافتها الشديدة بفوهة البندقية تلمس حلمة ثديها الايسر .. أحست بجفاف فى حلقها فحاولت ازدراد لعابها لكنها لم تستطع ..

كانت الظلمة قد بدأت تشتد فى المكان الذى يقفان فيه لكن عينيه كانتا أكثر وضوحا بما فيهما من بريق ، وكان وجهه البرىء المتعب قد اكتسب صلابة مخيفة .. قال :

— من أنت ؟

— أ .. أ ..

لم تستطع الكلام ..

— من أنت والا أفرغت فيك خزانة البندقية !

— أ .. آ ..

ما أن سمعت تلك التكة التى تنبىء عن الاستعداد لاطلاق النار حتى طفقت :

— الساكنة .. الساكنة باعلى ..

— ولماذا لم تردى على عند دخولى ؟

— كنت .. كنت خائفة ..

ارجع البندقية قليلا ، ثم قال بسذاجة الصبيان وقد سره أن يخاف منه امرؤ ما :

— منى ؟!

ولم ترد .. كانت تشعر بتلك الذبذبات التى تهز قدميها وقد بدأت تتلاشى .. حاولت أن تبتسم لما رأته يسند البندقية على الحائط ، لكنها فشلت .. قالت :

— كنت اقول اية مساعدة

— هه ! .. آه .. عندى جريح .. ساعدينى ..

وتذكرت المصباح الغازى فأسرعت الى حيث كانت تختبىء وأمسكت به .. لكنها راحت تبحث بشىء من القلق عن شىء آخر .. سألها :

— عم تبحثين ؟

— الكبريت .. اننى لا أراه بسبب العتمة .. هل معك كبريت ؟

— انا لا ادخن ..

كانت الظلمة قد اشتدت لدرجة كادت ان تحجب عن الفتى رؤيته لصدر الجريح الراقد أسفل منه ، وفجأة تناهى

اليهما أزيز طائرات تمـــرق من فوق المدينة ·· تأوه الجريح بوهن واحس الفتى بحركة تدل على انه يتلوى من شـدة الالم فرأى أنه من الاوفق أن يساعدها فى البحث عن الكبريت ·· لكنه عندما ذهب الى المكان الذى ظن انها موجودة فيه لم يجدها ·· سأل :

ـ اين انت ؟

جاءه صوتها من أسفل المتاع :

ـ هنا ··

لم يرها ·· لكنه خمن أنها لا بد مختبئة خلف واحد من تلك الصناديق الخشبية ·· قال :

ـ ماذا تفعلين عندك ؟

ـ لقد عادوا ··

ـ انهم لم يلقوا شيئا بعد ·· ربما كانت طائراتنا ··

ما أن أتمها حتى دوى انفجار قريب

ـ أولاد الكلب ··

الدوى التالى كان أشد قربا لدرجة جعلته ينحنى فى وقفته ويتشبث بصندوق خشبى عال ·· كان طلاء السقف قـد بدأ يتساقط فى قطع متفاوتة الاحجام ·· للحقيقة فانه لم يرها ، ولكنه أحس بها تصطدم برأسه وتدخل من قفـاه لتحصرها ملابســـه الداخلية وتلصقها بلحمه ·· عندما هم بتنفيض رأسه انصفق مصراعا النافذة الخشبيان وغمر القبو وهج خاطف رأى على ضـــوئه ما جعله يتسمر فى وضعه ··

كانت الفتاة تجلس القرفصاء داخل صندوق مفتوح وقد انحسر ثوبها من فخذيها بطريقة جذبت نظر الفتى حتى بعد انحسار الضوء ·· أحس باضطراب شديد فى المكان الايسر من صدره ولم يلحظ انغراسة أظافره فى خشـب الصندوق المتشبث به ··

عندما دهم القبو وهج انفجار آخر استطاع أن يحتوى بعينيه استدارة أعلى فخذيها ، بل وتلك القطعـة الحساسة من ملابســها الداخلية ·· رفعت عينيها اليه فخشى أن تفضحه نظراته فاستدار وقـد انتابته رجفة شديدة ·· قالت :

ـ انهم يريدون قتلنا ··

كانت خائفة ·

ـ لا ·· لا ·· لا تخافى ··

فى تلك اللحظة وقبيـل انحسار الضوء لمح علبة الكبريت راقدة وسـط الركام · سارع باخفاء توتره :

ـ الكبريت ··

وتلاشى الوهج فور التقاطه للعلبة·· كان الازيز لا يزال يملأ اسماعهمـا وان كانت الانفجارات قد توقفت ··

حدثته نفسه بمعاودة النظر لكن الظلمة كانت شديدة ·

وفجأة ، حدث قصف عنيف ·· خيل اليه أن زلزالا كبيرا قد حدث ·· قبل ان يفعل أى شىء كان الصندوق الكبير الذى يتشبث به قد سقط فوقه ·· هز رأسه فوجدها سليمة ·· لكن الظلمة تحول بينه وبين الرؤية ·· احس بالفتاة تثب من مكمنها وتزيح الصندوق من فوقه ·· قالت :

ـ احمد الله فالصندوق فارغ ··

برغم العتمة المطبقة الا أنه حـول وجهه بعيدا عنها ·· حاول أن يتكلم لكنه لم يستطع·· كان فخذاها العاريان يملآن عينيه ·· حمد الله على أنهـا لا تستطيع رؤية وجهـه الان ·· فى الوقت الذى تلاشى فيه أزيز الطائرات اختبر أعضاءه فوجدها سليمة ·· عجب قالت الفتاة :

ـ هات الكبريت ·· لقد انصرفوا··

مد لها يده بعلبة الكبريت ومدت هى يدها ، لكن الظلام حال دون التقائهما ، وفجأة احس بكفه تصطدم بصـدرها فسحبها بسرعة اسقطت علبة الكبريت الا أنه نجح فى تلقفها قبل سـقوطها على الارض ·· واستسلم للقشعريرة التى انتابته من الرأس حتى القدمين ·· خشى أن تستريب فى صـمته فقال بارتجاف كأنما ليحثها هى على أخـذ العلبة بدلا من مخاطر تقديمه لها :

ـ خذى ·· الكبريت ··

قالت :

ـ ولماذا لا تشعل عودا ؟

خيل اليه انها تبتسم ·· « حقا ، لماذا لا يشعل عودا ؟ » ··

ما أن فعـل حتى سارعت الظلمة بمحاصرة الشعلة البرتقالية المتوهجة·· نظر الى وجهها فلم يجد أى أثر لابتسام ··وجه نحيل شاحب وكف موضوعـة على العينين لحمايتهما من ضوء الثقاب المباغت ·· لاحظ أيضـا أن الاذن القريبة منه مليئة بالاتربة وأن شعرها المهوش ملىء بكسر الجبس المتساقط من السـقف ·· افاق عليهـا تمد يدها بالمصباح :

ـ اشعل المصـباح ·· فيم انت ساهم ؟

ـ هه ؟ ·· آه ·· آه ··

واشعل فتيل المصباح فبدا الضوء أكثر قوة مما مكنه ولاول مرة أن يميز لون فستانها الازرق الفاتح برغم اتساخه ·· كان ثوبا عـاديا وان ميزته تلك النقوش المستديرة ·· ربما كانت زهورا ·· ربما كانت أى شىء آخر ·· توقفت عيناه برهة عند تكويرتى نهديها النافرين كان مشدوها ·· قالت :

ـ الجريح ··

ـ هه ؟ ·· آه ·· آه ··

واتجها الى حيث يرقد الجريح ·· عندئذ زأر صوت من الشـارع :

ـ اطفئوا النور ·

وجدا نفسيهما ينظران فى آن واحد الى النافذة ·· كان الفتى يهم بالجلوس الى جوار الجريح وكانت الفتاة لا تزال ممسكة بالمصباح ·· زأر الصوت :

ـ اطفئوا النور والا اطلقت النار··

همت الفتاة بالنفخ فى المصباح لتطفئه الا أن وثبة الفتى الى مصراعى النافذة الخشبيين جعلتها ترجىء ذلك ·· جذب الفتى أحـــد المصراعين ، وحينما هم بجذب الاخر لم يجده فى مكانه ·· كان الانفجار قد طيره ·· التفت اليهـا ليفهمها ما حدث ·· فى تلك اللحظة ارتطمت بقاعدة النافذة عـدة طلقات نارية أحدثت صوتا مفزعا جعل الفتى ينكمش فى وقفته بينما ارتجت الفتاة فى وقفتها وقد راعتها رؤيتها لتلك القطع الخشبية الصغيرة التى تناثرت كالابر من قاعدة النافذة ·· أرادت أن تقول : « اختبىء » لكن شفتيها تحركتا دون أن تخرجا صوتا ·

عاد الصوت من الخارج :

ـ أيها المجانين ··

وعلى الفور نفخت الفتاة فى المصباح فأطفأته وكان آخر شىء رآه منها هو تلك الرعدة التى أصابت شفتيها ·· قال :

ـ يجب أن نجد حلا ·· سيموت فى ايدينا ··

فهمت أنه يقصد الجريح ·· كانت كلمة الموت كفيلة بافزاعها ، لكنهـا ولدهشتها لم تجد أى أثر للفزع فى نفسها ·· كل ما فعلته هو أنها نظرت تجاه المكان الذى يرقد فيه الجريح ·· لم تره وان سمعت صوت تنفســه المضطرب ··

هتف الفتى على حين فجأة :!

ـ الصناديق ··

لم تفهم ·· أردف :!

ـ ساعدينى ··

ووجدت نفسها تتحرك معه وتتلمس ما يعترضها لعله يكون صندوقا· قال :!

ـ اى صندوق تجدينه اذهبى به الى النافذة ··

عندما ذهبت بأول صـندوق عثرت عليه الى النافذة أحست به يلهث من خلفها تحت وطأة صندوق ثقيل ، كان يرفعه ليضعه فوق صندوقها ·· فهمت ·· عادت بصندوق ثالث ·· فعـاد

بصندوق رابع •• ما أن همت بالبحث من الصندوق الخامس حتى أشعل عود ثقاب وقال :

ـ لا داعى هذا يكفى ••

التفتت اليه وهو يشـــعل المصباح فرأت الصناديق تسد النافذة بالتمام الا من فراغات يسيرة ••

كان الفتى ما يزال ممسكا بالمصباح وكان الضوء يغمرهما تماما •• عندما اختلس اليهـــا النظر فوجىء بالعروة الثالثة من فستانها وقد فكت فكشفت من منبت نهديها •• أحس بدقات قلبه تتلاحق فسارع بدفن عينيه فى صـــدر الجريح ••

داهمها احساس قوى بأن فى التفاتته هذه أمرا غير طبيعى •• لكنها لم تدر ما هو •• ما أن همت بالتوجه الى حيث يرقد الجريح الذى أصبح صـــوت تنفسه كالشخير حتى دوى صوت الرجل المتربص بالخارج :

ـ النور أيها الخونة ••

هذه المرة سارعت الفتاة الى كومة الملابس الخلقة وحملتها الى حيث يوجد تل الصناديق وأخذت تحشو الفراغـــات بها •• كانت تلهث وكان الفتى بسبب توتره الشديد لا يملك غير مراقبتها من مكانه بجوار الجريح ويتـــابع انحسار ثوبها فوق ركبتيها عنـــدما كانت تقف على أطراف قدميها لتســـد الفراغات العلوية ••

كان قلبه يخفق بشدة •• وفجأة ، سألها :

ـ كم عمرك ؟ ••

توقفت والتفتت اليه •• ارتبك •• كانت لا تزال تقف على أطراف قدميها وكان ذراعاها ممتدين لســـــد نفس الفراغات العلوية •• « برغم الاعياء والنحول فقد كانت فاتنة » •• هكذا قرر لنفسه •• قالت :

ـ لماذا ؟

نكس وجهه فوق المصباح فاكتسب حمرة برتقالية غريبة ••

ـ أبدا •• أبدا •• كنت اسأل ••

ـ حسن •• خمسة وعشرون •• هل رضيت ؟

برغمه وجد نفسه يهتف بصوت خافت منبهر :

ـ يـــــاه ••

لم يكن يقصد أن تسمعه ، لـكنها سمعته •• قالت :

ـ ماذا تقول ؟

قال :

ـ لا شىء •• لا شىء ••

كانت قد انتهت من عملها فقالت :

ـ اعتقد أننا الان قد سددنا بهذه الخرق فم هذا الرجل •

حاول أن يبتسم فخرجت ابتسامته مضطربة مهزوزة ••

نظرت الى تل الصناديق والفراغات المحشوة بالخرق البالية بشىء من الاعزاز ثم تنهدت :

ـ لعله يبلع لسانه ويوفر طلقاته •

لم يتكلم وما كان له أن يتكلم فقـــد كانت الابتسامة المضـــــطربة ما تزال معلقة بشفتيه •• أقبلت عليه فى جلسته الى جوار الجريح وسألته :

ـ وأنت كم عمرك ؟

بهت :

ـ أ •• أ •• فى •• فى الشهر القادم ابلغ•• أبلغ الثانية والعشرين••

وعرفت أنه يكذب •• قالت :

ـ عندما رأيتك عند الباب اعتقدت انك فى السادسة عشرة ••

انحما :

ـ لا •• لا •• فى الشهر القـــادم أبلغ الثانية والعشرين •

ولأول مرة تنسى ظروف الحــــرب وقسوتها وتضحك ••

■

عندما انحنت على وجـــــه الجريح لتفحصه هالتها كل تلك الدماء المتجلطة فوق البشرة••كانت الدماء تغطى تجويفى عينيه المغمضتين وقد انسل من مقلتيه خطان عريضان من الدم لينحدرا عند زاويتى فمه الى بنيقة قميصه الملوثة•• كان الدم متجلطا تمامـــا وكان شاربه مطموسا بأكمله تحت كتل الدم الـــذى نزف على ما يبدو من طاقتى أنفه •• تمتمت بارتجافة هلعة :

ـ يا الهى ••

عندما مدت يدهـــا لتمسك بالخرقة الحمراء التى كان يعصرها الفتى لمحت قطرة دم كبيرة مدلاة من أذن الجريح•• كانت داكنة الحمرة متيبسة ، وكانت تهتز فى ذبذبات تتناســـب واهتزازات صدره ••

وفجأة تذكرت ••

ـ الماء ••

تابعها الفتى وهى تهرول الى أحد الاركان ثم تعود بدلو به ماء •• لكنها ما أن وضعت الدلو على الارض حتى قالت :

ـ الافضل ان نريحه على الفراش••

قالت ذلك ثم أشارت الى الحشية المفرودة على الارض فى الجانب المقابل •• لم تترك له الفرصة للرد ، انحنت بسرعة وامسكت بابطى الجـــــريح •• قالت :

ـ ارفع من عندك ••

ورفع •• لكنه عندما نظر اليها وجد العروة الثانية وقد فسكت لتكشف عن مساحة اكبر من تلك القناة العميقة التى تفصل بين نهديها •• ارتعد ، وبارتباك سارع بالتحرك صوب الحشية ••

تركته يسوى رقـــدة الجريح بينما هرولت هى الى الدلو والمصباح وعادت بهما •• كان شخير الجريح قد خفت حدته وكان الفتى يرتجف بشـــدة •• سألته :

ـ قريبك ؟

حمد الله لان شيئا مما يدور فـــى نفسه غير ظاهر لها :

ـ لا •• لا ••

ـ على كل حال حالته خطيرة ••

قالت ذلك ثم مدت يدها الى خيط بطرف الحشية وقطعته •• دست يدها داخلها ثم أخرجتها بحفنـــة من القطن الاصفر ••

ـ معقم •• أو غير معقم •• لا يهم •• يجب انقاذه بأية وسيلة ••

قالت ذلك ثم دست قطعة قطن فى الدلو وراحت تمسح بها الدماء العالقة بوجهه بينما انصرف الفتى الى حـــذاء الجريح ليخلعه ••

سألها وهو يفك رباط الفردة اليمنى :

ـ لماذا لم تغادرى المدينة ؟

توقفت يدها بالدلو :

ـ اننى موظفة ••

وعادت لوجه الجريح ••

لاحظ أنها تعمل بنشاط وهمة لم يكن يتوقعهما منها •• قال :

ـ تسكنين وحدك ؟

اجابت وهى تدمـــك اذنى الجريح بقطعة قطن مبلولة :

ـ كانت معى زميلة •• [ودست قطعة القطن فى الدلو] **لا اعرف اين هى الان ••** [وعادت الى جبهـــة الجريح] **ربما سافرت ••**

ثم نظرت اليه لتفاجأ بعينيه وقـــد صوبهما الى صـــدرها بتأجج لم يخف عليها فهمه •• ارتبك •• دسهما فى الفردة اليسرى •• حـــاول أن يخفى ارتباكه :

ـ لا بد أنها •• أنها خافت •• خافت فهربت •• ها •• ها ••

وخانته الضحكة المضطربة •• رفع بصره اليها فوجدها تعيـــد زر العروة التى انفتحت •• عاد بسرعة الى فردة الحذاء ليخلعها لكنه ولدهشته وجدها مخلوعة •• أحس بالدم يصعد غزيرا الى وجهه المنكس وتمنى لـــو تعود الطائرات وتقصف المكان بكل ما تملك من حمولات الالف رطـــل والسبعمائة

والخمسين .. « علها تخفى عنها وجيب القلب المضطرب » .. لكن هدوءا عنيدا ساد المكان. لدرجة سمع معها وقع اقدام رجال الانقاذ التى تدق على الطوار بالخارج تمتزج بطرقات قلبه المرتفعة .

أما هى فقد نظرت الى شعر رأسه المنكس وقد لبدت فيه قطع الجبس الدقيقة المتساقطة من السقف وتعجبت .. « كيف يفكر برغم سنه فى هذه الامور ؟ » ..

عادت لمسح جبهة الجريح ثم تعمدت توضيح فارق السن بينهما فقالت وهى تشير الى البندقية المركونة على الحائط المقابل :

— ما أعرفه هو أنهم لا يعطون البنادق للصغار ..

قال من فوره :

— لم يعطونى اياها .. أخذتها من رجل ميت ..

ثم تدارك :

— .. ثم أنا لست صغيرا .. فى الشهر القادم سأبلغ الرابعة والعشرين

اكتشف خطأه :

— .. أقصد الثانية والعشرين ..

صوبت عينيها فى عينيه فسارعتا بالفرار .. تأملت شعيرات شاربه الخفيف وأحست بميل شديد اليه تساءلت : « أمن هذا الصبى خفت ؟ » .. ناولته قطعة نظيفة وقالت بحنو :

— امسح صدره ..

سارع بأخذ قطعة القطن منها ووثب الى جانب الجريح الايمن وقد اسرته جرتها الى لا تنم عن غضب .

كان شخير الجريح الخافت قد أصبح كالحشرجة ، فأزاح القميص المفتوح عن صدره وراح يمسح الدم العالق بدوائر الشعر المتكاثف بعناية بالغة .. رفع رأسه اليها وكانت قد احتضنت رأس الجريح لتمسح الدم العالق بشعره ثم سألها بنبرة طفلية :

— الم تغضبى منى ؟ ..

نظرت اليه :

— ولم ؟

لم يجد جوابا فنكس رأسه ودس عينيه فى صدر الجريح ، لكنه عاد ورفعهما هاتفا بذعر :

— انه ينزف ..

قالها وأشار الى الحشية التى اصطبغت بلون الدم الطازج .. هلعا .. قالت :

— من أين يأتى الدم ؟

قال :

— لا أعرف ..

قالت :

— اقلبه برفق على جانبه الايمن ..

فعل .. مدت يدها الى القميص المبتل لآخره بالدم الطازج .. كانت ترتجف من هول اللون الاحمر الغالب .. أزاحت القميص عن كتفه وساعدها فى اخراج ذراعيه منه .. ما أن خلعا القميص عنه حتى توقفت أعينهما على الجرح المريض فى ظهره الذى شق عددا من أضلاعه ..

قال الفتى :

— كنت أظن أن الامر أخف من هذا

قالت بجزع :

— الاسعاف .. يجب أن نحضر الاسعاف ..

فى تلك اللحظة سمعا صفارة رجال الانقاذ وتبعتها خطوات رجال يهرولون .. سمعا صوتا يصرخ :

— الكل فى المنازل .. الكل فى المخابىء .. انهم يلقون المشاعل ..

قال الفتى :

— سأحضر الاسعاف ..

قالت الفتاة :

— انهم يلقون المشاعل ..

ولكنه نهض :

— لا تخافى .. ربما للتصوير ..

ما أن وصل الى الباب حتى ارتجت الجدران .. هتفت الفتاة :

— لا تخرج ..

— لا تخافى ..

ومد يده الى الباب .. دوى انفجار ثان .. تركت الفتاة الجريح ونهضت اليه :

— لا تخرج .. انهم لا يميزون فى الضرب ..

— لكن الاسعاف سوف ....

قاطعته :

— بعد الغارة .. [وجرته الى حيث يرقد الجريح] **.. لنوقف النزيف أولا ..**

خلع سترته ومزقها الى شرائط عريضة .. قال :

— .. انها سترة أخى ..

تناولت الشرائط ثم ارتكزت على الارض يفصلها منه الجريح .. كانت الانفجارات تترى بالخارج .. سحب كمية من قطن الحشية وناولها لها .. وضعتها مكان الجرح وثبتت طرف الشريط عليها .. أعطته الطرف الاخر فقام بتمريره من تحت الجريح اليها .. كانت الانفجارات ما تزال تترى .. أخذت طرف الشريط وشدته بعناية ثم أعادته اليه .. سألت :

— ترى أى مكان يضربون ؟

قال وهو يمرر اليها طرف الشريط :

— لا أعرف ..

ناولته الشريط :

— تظن أننا سنعيش ؟

شد الشريط :

— لا أعرف .. ربما ..

شقت الشريط بعناية الى نصفين .. ناولته جزءا واحتفظت بجزء .. قال وهو يمرر طرف هذا الجزء من تحت جنب الجريح :

— أتعرفين أنهم قد ضربوا البوستة ؟

شدت الشريط بعناية ثم أحكمت ربطه :

— نعم .. كنت أظن أنهم سيركزون على « بور فؤاد » فقط ..

— هيه .. كأنك لا تعرفين .. عندما دخلت هنا كانوا يضربون « المنطقة الثالثة » و « الجميل » و « الجمرك » و « الجبانة » .. انهم يضربون فى كل مكان ..

— أراحت الجريح على بطنه :

— لكنهم عمى .. [ونظرت الى جسم الجريح المحصور داخل الرباط الزيتى] **.. أصبح نظيفا .. أليس كذلك ؟**

ابتسم :

— نعم .. نعم ..

— من عجيب ألا يتكلم أو حتى يتأوه

— لا بد أن اصابته شديدة ..

وفجأة ارتج المكان بشدة .. خيل اليهما أن الارض قد صعدت بهما وهبطت .. زاد من هول الصدمة سقوط الصناديق من امام النافذة المكسورة .. ظنا أن الانفجار قد حدث داخل القبو ..

زأر صوت بالخارج :

— النور أيها الملاعين ..

كان الفتى أول من ارتد اليه وعيه .. عرف أنهما راقدان على الارض ويحتميان بالجريح الذى يفصل بينهما ، واكتشف ما أشعل مراجل تلك الاحاسيس التى أحس بها تشتعل وتفور بنفسه .. كانت كفها راقدة فى كفه عبر الجسد العملاق الراقد على بطنه .. سأل :

— أنت بخير ؟

جاءه صوتها دون أن يراها :

— بخير ..

ورفعا رأسيهما ..

تردد الصوت الخارجى :

— .. النور أيها الكفرة ..

لم يملك الفتى الا أن يسمر عينيه فى عينيها غير مبال بذلك الوجد المشبوب الذى تشعه نظراته .. أحست بوجنتيها تلتهبان وبصدرها يعلو ويهبط .. كانت كفها لا تزال راقدة فى كفه .. دوى انفجار أكثر قربا لكنهما ظلا

على حالهما .. انتهت موجات الانفجار بزئير الرجل المتربص :

ـ .. أيها الجواسيس .. أيهـا الجواسيس ..

واختفت طلقات بندقيته السريعـــة النافذة المهشمة بطريقة دفعت الفتاة لان تنفخ في المصباح لتطفئه .. مع اطباقة الظلمة أحست بالتوتر يسرى فى كفها الراقدة فى كفه وباضطراب شــــديد يعتريها .. كان شخير الجريح قد خفت للغاية بينما شعرت بأنفاس الفتى تلفح وجهها فأغمضت عينيهــــا واستسلمت لشفتيه فى حين عبر وميض الانفجارات المتتابعة النافذة المهشمة ينعكس على جدران القبو أشكالا حمراء غريبة ...

○ الســـــير فى الحــديقة

ليـــــلا

محمـــود الوردانى

الوصول

توقفت العربة، وهبطت انا ثم انني درت حولها، فيما كنت اســـمع الضــــابط الابيض النحيل ، والذى كان مــا يزال بتصرف بشكل عصبي للغاية، منذ البداية ـ ومعه « الصول » وهمـــا ينزلان من البـــاب الامامى . ثم انهما اختفيا حينما دارا من يمين العربة ، لكننى التفتت من وراء : وجعلت انظر اليهما وهمـــــا يتضاءلان رويدا ، و « الطبنجـــة » تترنح فى خصر الضابط الابيض النحيل، اذ يدخلان من الباب الحديدى الكبير ، فيما كان العسكرى الواقف خدمة على الباب ـ حاملا بندقيته الثقيلة ـ ومحدقا الينا ـ ينتحى جانبـــا ليتمكن الضابط والصول ـ كلاهما ـ من المرور .

كان السور الاصفر الطويل يمتد امامى والاشجار تترنح فى الريح المشتدة، وتصدر حفيفا قويا . ولقد كان الشارع مظلما، وكان يبدو خاليا ايضا ، وليس ثمة بيوت بوسع المرء ان يراها . كان شارعا فقط : واسعا ومظلما . وكانت السماء التى رفعت عينى اليها ، وانا احس بالبرد الشديد ، حيث لم اكن قد توقعت ذلك ، وارتديت ملابس ثقيلة : فلقد بدا الامر وكأنه سينتهى خلال ساعة على الاكثر ـ اقول : أن السماء كانت مظلمة ولا يمكنك تبين النجوم المبللة البعيدة . قال السائق ـ وكان جالسا ما يزال داخل العربة ـ واسمه « سيد » ـ : « معك كبريت ؟ » . درت أنا وناولته الكبريت وعدت للنظر ، وانا احس بالرشـــاش الخفيف وقد اصبح باردا للغاية تحت كتفى اعطانى الكبريت وشممت رائحة الدخان، غير اننى اشعلت سيجارة وعدت ثانية اسرح البصر . على المدخل كان ثمـــة ابواب ثلاثة ، حديدية وصفراء ، وكان الحديد مضفورا فى اشكال هنـــدسية دقيقة متداخلة . وفوق البابين الجانبيين حيث ينبعث من الداخل ضــــوء اصفر خفيف ، كان ثمة فتحتان عاليتان على شكل قبة اعلاها يرقد شـــكل هندسى مستدير وبارز الى الامام . وفوق الباب الكبير الاوسط كانت فتحة عالية كبيرة اخرى ، تكاد تصل الى نهاية البنـــاء . وكانت هناك ايضا ـ فى المدخل ـ اعمدة نحيلة ، تنتهى بقبـــاب صغيرة ممتلئة بالاشكال الدقيقة المنمنمة على الطراز الاسلامى « الارابيسك » .

الجلوس فى حجرة الملازم الشرفى

عاد الضابط ومعه اربعة عســـاكر ، والصول وراءه يهرول وانتظرت أنا حتى اقتربوا ورحت ابتعد تدريجيـــا . قـــال الضابط : « اضىء نور العربة ياسيد » . واحسست بالضوء ورائى ، وما لبثت ان استدرت ، وجعلت انظر من شريط العربة الزجاجى الضيق للنافذة ـ من الخارج ـ وقد راحوا يرفعونه ، فاستدرت مرة ثانية .

كانوا قد حملوه على نقالة ومضـــوا يسيرون به . كان الضابط متأخرا ومعه الصول . وكان ما يزال يتصرف بذلك الشكل العصبى ، والطبنجة التى تترنح فى خصره ودخلنا ، ثم اننى رايتهما وهما يمضيان الى اليمين . وفيما كنت امضى اليهما لمحت الشـــواهد البيضـــاء المنتصبة التى تغيب فى الظلام رويدا ، ولا يمكنك ـ قط ـ بلوغ النهـــاية مهما حدقت : انك لن تتمكن من تمييز سوى الممر الطويل الداكن الارضـــية . وقام الضابط الذى بالداخل من على مكتبه ـ وكان ملازما شرفيا اكتشفت للوهلة الاولى انه يصبغ شعره ، وانه يلبس خفــا جلديا من ذلك النوع المنزلى ـ اما الضابط الذى معى لقد كان ملازما اول احتياط ـ مضى كل منهما الى الاخر وراحا يتكلمان . ثم صاح الضابط ، اعنى الملازم الشرفى : « اتعدوا يارجالة ... الكراسى امامكم » .

جلست على الكرسى الخيرزان ورحت احدق اليهما ، بينما كان الصول قد جلس عن يمينى ـ قريبا من المكتب ـ وقد توقف الاخرون حولنا :

القوة المكلفة بالدفن

كانوا كثيرين يملأون الحجرة ، وكنت كلما نقلت عينيك وجدتهم امامك يحدقون وكان الشىء الغريب حقا ـ وقد اكتشفت

ذلك بعد ان بقيت برهة احدق اليهم — انهم اما شديدو النحول ، واما شديدو السمنة . وكان ثمة مناديل مربوطة برقابهم ومدلية على الصدور . وجعلت الان أحس بالسخونة وهي تتصاعد على جفنى ، وأنا أحاول أن أضيق ما بين عينى وأتابعهما : الضابطين — وهما يتكلمان : وكنت ارتعش واحس بجسمى حارا . ثم اخرج الضابط — الملازم الشرقى — أوراقا من درج مكتبه وانحنى على الضابط — الملازم اول احتياط — وراح يحدثه ، فيما كان يشير لى على الورق . ولم يكن ممكنا لى سماع حديثهما ، حيث رقد مذياع عن يمين الضابط بجوار التليفون . وراح المذياع يذيع اغانى وطنية تؤديها المجموعة . ورحت — انا — احدق الى الجدران ، حيث كانت صور الرؤساء معلقة اعلى الملازم اعلى الملازم الشرقى ، وبينهم ترقد نتيجة حائط كبيرة تشير الى تاريخ قديم . ثم عاودنى الدوار ، وحاولت فتح عينى ، وانا احس بالخدر الخفيف وهو يتسلل عبر كل أعضائى ، والصداع المقيت ، وقد اخذ يمر وئيدا عبر مقدمة رأسى وصاح الضابط — الملازم الشرقى — : « تذهب انت يافارس وتعد «التربة» . قال فارس ، وكان يقف عن يسارى : « كل شىء جاهز يا افندم » . وكان نحيلا قصيرا لا يكف عن التدخين ، ورأسه المتلىء بالشعر الفضى الطويل يهتز بكامله وهو يتحدث . ثم قال — العم فارس — : « لا مؤاخذة يا افندم .. مسلم هو ام مسيحى ؟ » . قال الضابط — الذى معنا — وكان شعره الاسود الطويل يلمع تحت المصباح الاصفر المعلق فوقنا : « مسيحى » قال العم فارس : « لابد اذن من صندوق .. سيادتك يا افندم توقع باستلام الصندوق » صاح الضابط : « لا طبعا وهل أنا سأعود به » قال الضابط الاخر : « الصندوق عهدة علينا يا افندم .. او تحضر سيادتك صندوقا من المستودع » . قال الضابط الذى معنا : « طالما ان عندكم صناديق فما الداعى ؟ » . قال العم فارس : « لا مؤاخذة .. بدلا من الذهاب الى المستودع فى الصباح والتصديق من الادارة وكل ذلك .. توقع سيادتك ، وسنكتب فى « الطلبية » انه استهلك .. لا مؤاخذة يا افندم هذا من اجل العهدة فقط » . وقرب الصول « محمد » وجهه منى — وكان وجهه نحيلا وبيضاويا ، وليس له شارب — وهمس : « على فكرة .. واضح انهم سيأخذوننا معهم للدفن .. » ولقد كنت اثناء ذلك احس بالسخونة تكاد تغلق جفنى ، وجعلت ارتعش وانا اعبث بالرشاش على ركبتى محاولا تفادى الدوار ، وقال الملازم الشرقى : « سيادتك ترفق شهادة الاستشهاد التى احضرتها معك من المستشفى بالنماذج وتوقع على الاستمارات التى ملأتها » . وتوقفت المجموعة التى كانت تغنى ومضت امرأة بعدهم تغنى بصوت عال . وبعد برهة قال الضابط الشرقى : « تذهب سيادتك معهم ؟ » قال الضابط : « لا .. الصول محمد سيذهب معهم » . وقمنا ، وعلقت أنا الرشاش على كتفى ، وفيما كنت استدير مخلفا الصول محمد ورائى ، رأيته يرقد فى البهو — ذى الضوء الاصفر القوى ، المنبعث من الثريات الثلاث المعلقة فى السقف : كانت على الطراز الاسلامى وتتألف كل منها من طابقين ، وفى كل طابق مصباح فى الاعلى كان ثمة شكل خشبى مزخرف على شكل برج . وكان السقف — المزخرف بالوان زاهية ، والمتلىء بتلك الاشكال الهندسية الاسلامية كان — مليئا بالايات القرآنية . اقول انه كان يرقد فى البهو على النقالة فى كفنه الابيض الذى يعلوه العلم وعاودتنى على الفور رائحة «الفورمالين» المختلطة بتلك الرائحة التى لن تستطيع تمييزها .

انا ..

اننى أعرف تماما ما أخافه . وأن أشد ما يزعجنى ، أن هذه الرائحة الحريفة التى تلتصق بانفك ، اخشى ما اخشاه ان تختلط برائحة « احلام » — الفتاة التى كنت احبها — ولقد كانت رائحتها — احلام — من ذلك النوع ايضا — الذى يلتصق بالانف — لقد كان ذلك يحدث حينما كنت ارفع الشعر من وراء واقبل الرقبة البيضاء الطويلة طولا مفرطا ، وانا احس بالسخونة والشعر الناعم وهو ينفلت بين أصابعى . ثم اننى كنت موقنا انه باستمرار تفكيرى فى ذلك — فانه حتما سيحدث ، ونظرت الى الصول محمد وهو يتقدم ببطء شديد ، وبات يتصرف — هو كذلك — بشكل عصبى ويدخن بشراهة ، محركا رأسه وكتفيه فى الجهات الاربع . لقد كان مريضا بالدرن منذ عامين ، وكان متزوجا من ثلاث نساء وكان يحكى لى انه كثيرا ما ينام معهن — الثلاث — فى نفس اليوم : فى الصباح مع المرأة التى فى « غمرة » والظهر مع المرأة التى فى « المعادى » وفى المساء مع المرأة التى فى « المطرية » وكان شقيق زوجته تلك يعمل تاجرا للمخدرات ، وهو ما كان يجعله يحب النوم معها فى المساء . ولقد عرفت انا ذلك خلال الفترة القصيرة التى قضيتها هنا ، بعد ان تم نقلى . ذلك اننى قد جندت بعد تخرجى مباشرة ، وقضيت فترة التدريب الاولى — وكانت شديدة الصعوبة بالطبع ، ثم تم توزيعى على احد التشكيلات فى الصحراء .. وخلال ستة شهور — حصلت خلالهم على اربعة اجازات قصيرة [٤ ايام لكل اجازة] — تعبت اشد التعب ، ولم اكن قادرا على الاستمرار حقا ، كما اننى لم اعد قادرا — على الاطلاق — على القيام بالاعمال التى يطلبونها منى ، ثم اننى اصبت بمرض جلدى غريب ، جعل يطفح على جسمى ، حتى ان الاخرين كانوا يخشون على انفسهم من العدوى ، ولقد اصبحت شخصا اخر تماما خلال هذه الفترة وضقت بكل شىء — بالطبع كانت هناك اسباب اخرى — خاصة باحلام — الا انها لم تكن لتؤثر فى الى هذا الحد ، فيما لو لم اكن فى هذه الظروف . وكان احد اقاربى يشغل منصبا كبيرا ، واستطاع ان يتوسط لى وينقلنى الى هذا المكان بالقاهرة . بالطبع لقد استرحت كثيرا ، رغم المضايقات العادية التى تسببها المدينة ، الا ان ذلك كان افضل الى ابعد الحدود من المكان الذى كنت فيه . غير اننى — وهذا حقيقى — رغبت بعد بداية العمليات لو كنت فى نفس المكان وتمكنت من الاشتراك فى الحرب ، رغم اننى ادرك كم سيكون ذلك شديد الصعوبة بالنسبة لى ، وكنت اعلم كذلك اننى بمجرد الرعب الاول سينتهى كل شىء . لكننى لم اسع جديا فى سبيل تحقيق ذلك ، وبالتالى — فاننى حتى لم اختبر امكانية تحققه .

الصندوق

خرجنا الى البهو ونحلقنا حوله ، فيما كان الهواء يتدفق عبر جسمه الممدد ، ويجعل أطراف الكفن تتطاير فى مواجهة الريح . وتقدم رجل منه وشال العلم ومضى به الى الحجرة . ثم انهم حملوا الجسد الصغير الملفوف بالكفن الابيض ووضعوه داخل التابوت الذى كان قديما متهالكا حائل اللون . وبينما كان يغيب داخل التابوت ، تذكرت كم كان ذلك شديد الصعوبة حقا ، وكم كان ذلك مرهقا لى خلال الفترة الطويلة التى قضيناها سويا — هو وانا — داخل العربة ، بعد ان احضرناه من المستشفى . لقد كان جسمه يروح ويجىء مع التفاف العربة المسرعة وارتطامها بالمطبات . ثم كان الهواء — المتدفق عبر النافذة التى كنت اجلس بجوارها ، وهو راقد تحت قدمى ، ملفوف بالعلم ، ومن تحته الكفن الابيض — ذلك الهواء الذى كان يجعل الكفن

يتطاير وتبدو من تحته ساقه اليمنى عارية تماما وخالية من الشعر . وجعلت احدق اليه خلال هذه المدة التى نربو على الساعه هو وانا وحدنا ، وانا اخشى ان تدفعه التفافات العربة السريعة وارتطامها القوى بالمطبات ـ تدفعه الى الاصطدام بقدمى .

الدفن

مضينا وراءهم بعد ان حملوه . وراح الصول محمد يتحدث معى ، ونحن نعبر فى الممر ، المنتصبة على جانبيه المقابر البيضاء الضخمة . كان ثمة على الجانبين اشجار الكافور العالية . والجازورين النحيل المرتفع وكذلك اللبخ والصفصاف ولم يكن بوسعى أن أتبين النقوش المكتوبة على الرخام ، غير اننى استطعت ان اتبين انها اسماء شهداء من حروب ماضية . وكان صوت الاحجار الصغيرة الداكنة التى تفترش الممر ، قبل أن نصل الى الدائرة الصغيرة التى يتوسطها النصب ، كان صوتها قويا ويسبب ضجيجا لا مبرر له . وكان ثمة ورود كثيرة ـ على الجانبين ـ لا يمكنك تبين لونها او الاحساس برائحتها ، ولقد كانت الاشجار ـ المنتصبة العالية على جانبى المقابر ـ تصدر حفيفها القوى ذاك . وقال العم فارس ـ وكان يبصق بشكل مستمر ، وهو ما ينفك يشعل سيجارة من اخرى : « لا مؤاخذة ياحضرة الصول .. مقابر المسيحيين فى الخلف .. انها ليست بعيدة ، لكننا سنلتف من خلف مقابر الضباط » . وعبرنا النصب ورحنا نسير بين الممرات الضيقة التى تصدر ضجيجا لا يمكن احتماله بالفعل ، وانا اراهم يغيبون رويدا وسط الظلمة الخفيفة ، وهم يحملون التابوت . وهمس الصول محمد : « ما رأيك .. نرجع ونتركهم يدفنوه هم؟ » قلت أنا : « سيسبب لك حرجا شديدا .. على الاقل مع الضابط » . قال : .. بتقلق .. بجلس هو فى الحجرة ويتركنا هكذا » لكننا مضينا وما لبثنا أن رأينا ضوءا كهربيا يقترب تدريجيا . وعندما وصلنا ، كان ثمة شجرة صفصاف خضراء ، تلمع اوراقها الندية تحت ضوء المصباح ، الذى كان يحمله رجل يرتدى سروالا داكنا وقميصا فوقه « بلوفر » وربطة عنق ، وكانت له لحية كثة ضخمة : ولقد كان يحمل عمودا من الحديد ، فى نهايته ربط المصباح الكهربى . ومال العم فارس على الصول محمد ، همس : « انه عم مصطفى » .. الامام .. رجل صالح ويعرف الله .. هو الذى يقوم بدفن الشهداء منذ نشأة المقابر .. والله من سنة ١٩٥٤ وهو الذى يقوم بدفنهم .. قلبه تقى ويعرف الله .. » كان ثمة فتحة ضيقة تهبط الى اسفل ، وكان بجوارها ـ على الارض المليئة بالحشائش الخضراء اللامعة ـ كميات ضخمة من التراب الداكن المبلل . وقال الصول محمد وهو يبتسم ، وعيناه تضيقان ويوشك وجهه ـ الابيض المنحنى المستدير ـ أن يصبح وجه طفل وهو يضحك ويهز رأسه الى الوراء . اما بقية الافراد المكلفين بالدفن ، فقد بدأوا يبصقون وهم يرفعون المناديل ليكمموا افواههم وانوفهم . واحسست انا بالرائحة النتنة القوية والتى تلتصق بالانف ـ وتذكرت احلام ، والرقبة البيضاء الطويلة ولم يعد ممكنا لى ان اتراجع . همس الصول محمد : « لن تصدقنى .. الشيخ مصطفى كان يسكن فى نفس بيت اسرة « ام جمال » قبل ان اتزوجها .. صدفة غريبة .. هه » . وكانوا هم قد راحوا يثيرون التراب ، وهم يحاولون ادخال التابوت ـ الذى كان كبيرا بالنظر الى الفتحة الضيقة ، وراحوا يتصايحون بصوت عال ، ويبصقون ويسعلون ، وهم يختفون رويدا داخل الفوهة . وفكرت كيف يكون بوسع المرء احتمال ذلك ، والوقوف بالداخل كل هذه الفترة ، فيما كنت احدق ، محاولا تبين الظلال الخفيفة المنبعثة خلف الضوء الكهربى الذى كان يشع من اسفل .

العودة من ناحية مقابر المسلمين

لقد كانوا يسعلون ويبصقون اذن ، والكمامات على افواههم وانوفهم ، فيما كانوا يسرعون من اسفل وينفضون التراب عن ملابسهم . ثم اننا مضينا فى الممرات الضيقة ، التى كانت ماتزال تصدر ضجيجها السخيف ذاك . وكانت الرائحة ما تزال عالقة بانفى ، وقد اختلطت برائحة الفورمالين وتلك الرائحة الاخرى التى لم اتمكن من تمييزها . وجعلت انا احاول الفصل بينها وبين رائحة احلام ، غير اننى كنت احس بالسخونة وقد ازدادت على جفنى ، والدوار بطوح بى ، وانا احاول غرس اقدامى وسط الاحجار الصغيرة الداكنة وكان الصول محمد الى الامام مع الشيخ مصطفى ، وكانا يتحدثان بصوت عال ، وقد امسك الصول محمد بذراعه ومال عليه . وحينما رفعت رأسى الى نهاية الممر ، وجدت سيارة نقل ضخمة متوقفة وسط المقابر والتفت الى عم فارس ، وكان يسير بجانبى ، وهو مايزال يبصق ويدخن . قال : « ياعم الشيخ مصطفى ... يبدو ان شهداء آخرين قد جاءوا » ومرق من جانبى ، وراح يسير فى خطوات كبيرة ، مقتربا من الشيخ مصطفى .

وعندما وصلنا كان ثمة جنود وافراد آخرون من القوة المكلفة بالدفن ، وكان احدهم يحمل نفس العمود الذى ربط به المصباح الكهربى . كانت المقبرة مفتوحه ، وكميات اخرى من التراب الداكن المبلل على الحشيش الاخضر . واينما نظرت ؛ فهناك نجد المقابر البيضاء الضخمة ممتدة على جانبى الممرات الكثيرة المتقاطعة ؛ ومنقوشة عليها اسماء الشهداء تحت تواريخ الحروب . وكان يقف بجوار السيارة ضابط برتبة نقيب . كان خالعا غطاء رأسه ، وكانت ذقنه نامية وهو يحدق الينا . قال البعض : « سلام عليكم » ورد هو : « عليكم السلام » صاح الشيخ مصطفى : « الجنة للشهداء والنصر لنا ان شاء الله ياسيادة « النقيب » ورد النقيب دون ان ينظر الينا : « ان شاء الله » وعندما اقتربت رأيت السيارة اللورى العسكرية مليئة بجثث مكفنة بافرولات ، واخذوا يحملونهم واحدا واحدا ويغيبون بهم داخل الحفرة كانوا هم ايضا مكممين بالمناديل ؛ وكانوا يسعلون ويبصقون وهم ينفضون التراب ثم اننى اقتربت من الفوهة . وتحت المصباح الكهربى : داخل مخروط الضوء المليء بذرات الغبار الدقيقة ، رأيت الجثث متراصة بالداخل ، وكان بعضها مكفنا بكفن أبيض . والبعض الاخر بافرولات . ولقد أسرعت انا ، حينما رأيت السيقان الطويلة الداكنة المنتهية باصابع القدم ذات الاظافر التى تبدو واضحة تحت ذلك الضوء الاصفر القوى .

ركوب السيارة بعد ان انتهينا

عبرنا بجانب العسكرى الواقف على الباب ، وهم من خلف يتكلمون ورائنا ، والضابط يرد عليهم وهو يلتفت برقبته ، وعندما وصلنا الى الرصيف قال : « احتفظ انت بهذه المتروكات معك ، ستوقع عليها بعد عودتنا وتحتفظ بها داخل الدولاب » وحملت انا هذه المتروكات ، التى تتكون من حافظة جلدية بها مائة واربع وتسعين قرشا وبطاقة وبعض الاوراق والصور ، ثم علبة سجائر كليوباترا صغيرة مفتوحة وكيس نايلون به بقايا سمين تموين وساعة ، وفيما كنت استدير لاركب من وراء وحدى مرة اخرى فى نهاية العربة ، لاجلس بجوار النافذة واطل الى الشارع وادخل ، اقول ـ فيما كنت افعل ذلك ـ وانا احمل المتروكات والرشاش ـ كل منهما فى يد ـ رأيت اللوحة الى اليمين . كانت ملتصقة

بالحائط ومظللة بفروع الشجر المطل من خلف السور . وكانت من الرخام الابيض على شكل مربع صغير ، ومكتوب عليها بخط اسود : « بسم الله الرحمن الرحيم تم نقل رفات شهداء حرب فلسطين الى هذه البقعة الطاهرة من ارض الوطن باحتفال قومى مهيب اشتركت فيه جميع طوائف الامة وممثلو دول الجامعة العربية وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء وقائد ثورة الجيش المباركة وذلك فى يوم ٢٦ شعبان ١٣٧٢ الموافق ١٠ مايو ١٩٥٣ .. » ثم اننى مضيت الى الخلف ، وفتحت باب العربة واندفعت الى الداخل بجوار النافذة ، فيها كنت اسمع هدير المحرك ■



عن جابر عبد الجواد حسنين

جابر عبد الجواد مطلوب للشهادة فى حادث مصرع الطالب حسان محمد أحمد

محمــــود عبد الوهـاب

ألــف

رحمة ونور على الاسم الطاهر .. الف رحمة ونور على القلب الابيض .. اليد السخية .. الضحكة الصريحة واللسان الحلو ويا الف حسرة على شبابك . ويا الف حسرة علينا من بعدك

.. اليوم احط كلام فى المحضر تتكفن بيه . اقرأ كلام ما قلته .. ارفع عين مكسورة يزغر لى الضابط .. اكتب اسمى عليه .. ارتسم شكل حروف اسمى وانا حاسس انه ما هو اسمى .. واشعر بالذنب لانك يوم علمتنى كيف اكتب .. كيف أقرأ .. علمتنى كيف اصرخ .. يا ناس كان مخى صخر والحرف الملعون ما يثبت فيه والكلمة كان يكتبها الاستاذ حسان فى دقيقة ويتركنى ساعتين يرجع يلقانى ما فكيت منها غير حرفين الكلمة كانت بغل وحرنان اليوم أصبحت أركبها كأنى فارس راكب رهوان واليوم تقولوا لى ابصم .. ابصم على ان الاستاذ حسان قتله مجهول ابصم .. لكنى ارجع تانى واشاور نفسى .. لو انى طلعت هناك فوق اعلى مكان فى أوسع ميدان وصرخت وقلت يا ناس حسان قتلوه الخواجات ومعاهم ناس من مصر .. اهاليهم من مصر ولحم كتافهم من مصر ولكن العن من الخواجات . لو انى بكيت او حتى رميت عنى هدومى وبقيت عريان والله ما القى واحد يسمعنى او حتى يرفع عينه فى عينى قبل ما يتركنى ويمشى لحاله .

يعنى يا استاذ حسان الناس كلها بدران وانا وحدى الادهم . انا طبعا كان بدى اقول لا . مجهول ؟ انا شفته انا كنت هناك والاستاذ حسان كان يخطب وانا اسمع واهتف وازعق وارفع قبضة يدى مع الالافات . كان نفسى اقول لجيرانى الواقفين جنبى : الاستاذ حسان .. عارفين الاستاذ حسان .. انا صاحبه اى وكتاب الله .. امبارح كنت معاه .. الليلة بحالها بنتكلم وبنشرب شاى . لكن عيون الالافات كانت مشدودة لكتك تكشيره وشك ردراعك بيشوح والصوت غضبان والقبضة حديد تتهز لضرباته العمدان . انا قلت فى نفسى يا جابر فين الاستاذ حسان الهادى الطيب .. وانا يوم ما طلعت لاوضته ودمى بيغلى وصوتى يسمع آخر الدنيا .

— انت يا افندى .. مسخرة فى البيت لا .. انا شفت الفاجرة بتتسحب وبتتلفت قبل ما تطلع وانا راجل دوغرى.

فضل هادى وساكت وسمعنى لاخر كلمة .. كان الاول يتعجب منى لكن لما فهمنى ابتسم والاخر قال : تعالى يا ساميه .. خرجت ساميه من الاوضه وشها احمر م الضحك وخجلان .. فسلت ايديها من الحبر الاسود مسحتها وقعدت ويانا .. واتكلم يومها الاستاذ حسان قال انا زيك راجل دوغرى وصعيدى وغلبان واتكلم عن بلده وعن ناسه فى عزبة تمام زى بلدنا واتكلم عن أبوه الشقيان وازاى بيسود وشه مع العمدة ومع شيخ الجامع لجل ما يتسلف منيه والاخر قال دى زميلتى مع ان ابوها موظف قد الدنيا وعلى الدرجة التامنة لكن بتفكر فى الناس فى بلدنا وازاى بيعيشوا وبيموتوا من غير الحلم بدرجة ولو حتى فى آخر السلم ما يطوف بمنامهم مع ان السلم كله .. ضحكت ساميه وقالت انا شايفه ان كلامك لا مؤاخذة ناقص حاجه . استغرب وسأل والجد الصح كاسى ملامحه : ناقص ايه .. قالت : كباية شاى . وضحكت وانا شايف وشه بيتحول م الجد الخالص للضحك الخالص وازاى النغمه السمره الحزنانه فى صوته اتبدلت بالضحكة اللى بتلمع فى عينه وجبينه .

— انا قلت كلام ناقصه الشاى .. احسن من شاى ناقصه السكر .

نزلت ساميه تجيب السكر وقعدت مع الاستاذ حسان .. كلمنى كتير ولما كان يشعر انى مش فاهم كان يرجع ويقول لى حاجات فى بلدنا ما اعرفش عرفها ازاى كنت اتعجب لكن ارجع واحتار تانى لما يتكلم عن نفسه وعن ساميه وعن الناس فى الحارة وعن التلاميذ اللى ضربوا الترماى بالطوب فى الشارع ...



من تمن الريحه وتمن الكستور .. من الجيرانين وكلام الراديو ورغيف العيش والبصلة فى مناديل الترحيله .. عن معركة عمال الغزل مع العسكر وعن البنا المسطول اللى اتشقلب من فوق السقالة ووقع ميت .. كان بيتكلم وايديه تعصر فى قزاز الكبايه الفاضيه واما كان يطفى سيجارته كان يهرسها ببوز الجزمة . وأما كان يسكت كان يشرد بعيد وشويه شويه يروق والاخر يتكلم والصوت غير الصوت .. التانى هادى ومرتاح وعينه تبقى شايفانى وكانى بعيد عنه او حتى مش موجود لكنه لما قال كل كلامه .. اتنهد وخبط على كتفى .

— عرفت انا باعمل ايه

وكانى صحيت من حلم .. وكانى خرجت من الضل البارد جنب ضريح الشيخ ووقفت على العتبة فى عز الضهر وكانى كنت هناك على ضهر الفرن مع امى واخواتى مش نايم .. لكن دفيان والخبطة خلتنى لوحدى فى الاوضه الرطبة على سريرى المخنوق تحت الارض وصراحة اتلجلجت والاخر قلت : آه . سياسة يعنى .

بحلق لى الاستاذ حسان بعدين ابتسم **والاخر بقى يضحك .. يضحك ..** .. ولما ضحكت معاه وانا مش عارف هو بيضحك على ايه كان يضحك اكتر ولما دخلت سامية كان يحكى لهـا ويضحك .. يضحك .. يضحك .. اما دى كانت ليلة يا جدعان مريومها ماتركت الاستاذ حسان ويوماتى كنت اتعجب وانا شايفه افندى ولابس كرافته لكن يقعد جنبى على الارض وساعات نتشارك فى سيجاره واما كان يلمح صابر ولدى كان يرفعه على صدره ويزغزغ بطنه بمناخيره وليلاتى كان قبل ما يطلع اوضته كان ينزل ويسلم وساعات كان يرجع تعبان والهم ماليه لكنه لما يقوت نلقاه بيقول لنجية مراتى : دول كام حباية تاخدى منهم واحده مع كباية ميه قبل النوم والصبح باذن الله الدوخه مش حتعاودك تانى . وفى ليلة لقانى حاتجنن ونجيه بتولد والدايه متشقلب حالها كلم لى الدكتور ممدوح صاحبه فى القصر العينى ونده تاكسى وخدنا معاه للقصر وبات ويانا هناك ولما المولى كرمنا كان أول من يبارك لى ..

— مبروك .. على فكره ابنك مولود فى اواخر الشهر .. يعنى حيطلع زيى مفلس على طول ايه رايك — سميه حسان .

يا الف ندامه على الاسم الغالى .. يعنى ياربى كتيره علينا ان يعيش وسطينا الاستاذ حسان . القصد .. الحاصل حاصل وما منوش فايده الندب . بس اللى غايظنى ان المجهول اللى حيقولوا عليه معروف للكل انما مين بس يقول البغل فى الابريق الناس كانوا هناك ياما وبالالافات .. راحوا فين من بعد ما مات الاستاذ حسان .. يعنى الناس كلها كانوا عميوا ساعتها والا عليهم سهم الله .. اشمعنى انا يعنى اللى حاقول شفت .. وانا حتى . القصد ما منوش فايده .. اعذرنى يا استاذ حسان انا بواب غلبان وعيالى صغار ونجيه يتيمه وجناحها مكسور والجوع كافر . لكن صدقنى وحق يمين الله ما حيفوت يوم الا وحادعيلك واترحم على اسمك .

يادى اليوم الشين .. يادى اليوم الاسود .. يادى اليوم اللى ما طلعت له شمس .. يوم باترحم فيه على اسمك وانا صوتى خزيان .

الاستجواب

— اسمك .

— جابر عبد الجواد حسنين .

— المهنة .

— بواب .

— السن .

— تسعة وتلاتين .

— عندك اولاد .

— اتنين .

— وطبعا نفسك يتربوا فى عزك .

— . . . .

— بتحب نجيه مراتك ؟

— . . . . .

ـ ترضى انها تغسل في بيوت المزاب؟
ـ يا سعادة البيه .
ـ ترضى ؟
ـ دا انا دمى بيغلى لو طلت مــن شباكنا وشعرها مكشوف .
ـ . . . . . .
ـ كنت بتعمل ايه فى الجامعة يوم الحادث ؟
ـ الاستاذ حسان قال لى يا جابر هات الشنطه لانى مسافر ولو استنيت..
ـ طيب .. طيب .. احكى لى حصل ايه .
ـ الاستاذ حسان كان يخطب .. بعد ما خلص .. حصلت عركه وهاصــــوا الخلق والاخر لقيناه مقتول .
ـ مين قتله ؟
ـ الله اعلم .
ـ يعنى ما شفتش .
ـ لا .
ـ . . . . .
ـ ناس سمعوك بتقــول انك مش عاوز مسخره فى البيـــت وانك شفت الفاجره .. مين الفاجره .
ـ لا .. دى زميلته .
ـ اسمها ايه .
ـ ساميه .
ـ كانت تيجى كتير ؟
ـ وتبات عنده ؟

ـ وتجيب له بنات م الجامعة .
ـ ياسعادة البيه الاستاذ حســـان مات وانا قلت انى ماشفتش حاجه ايه الداعى .
ـ الداعى ان القاتل قال دا شيطان .. غوى بنتى وكانت سامية .
ـ كداب .
ـ امال ليــه قلت له مش عاوزين مسخره فى البيت .
ـ كانت غلطه .
ـ افهم من كده انك راجل حر وانك ياما نصحته علشان يرجع عن ســـيره البطال .
ـ الاستاذ حسان سيره عمره ما كان بطـــال .
ـ . . . . . .
ـ . . . . . .
ـ تعرف ان نجيه كانت تطلع عنده .
ـ ايوه . كانت تكنس او تغسل له هدومه لما يكون فى الجامعة .
ـ عندى شهود بيقولوا انهـــا كانت تطلع وتبات عنده وانت مسافر .
ـ كدب وكتاب الله كدب .
ـ يوم ما نجيه كانت تولد . ليـــه كان خايف ؟
ـ . . . . . .
ـ ليه وصى عليها الدكتور ممدوح ؟

ـ ليه اجر تاكسى وراح وياكم ؟
ـ . . . . .
ـ ليه بات فى القصر الليلة بحالها؟
ـ . . . . .
ـ ومين سمى المولود . مش هو ؟
ـ . . . . .
ـ عندى شهود بيقولوا ان المولود ابنـــه .
ـ كدب وكتاب الله كدب واكبر كدب.
ـ هو يخونك وانت تدافع عنه ... اما مغفل .. فكرك ليه حســـان كان صاحبك . لا انت زميله ولا متعلم زيه ولا سنك من سنه .

ـ بس كفايه .. الاستاذ حســــان ضافر رجله اشرف من اشرف راجـــل ولا يمكن حانطق بلســـانى كلمة توسخ اسمه وحـــاقول اللى انا عارفه .. حاقول .ولو الناس كلها قالت ماحصلش حاقول .. ولو طربقتوا الدنيا على دماغى حاقول ولو فيها شنق حاقول .. انا جابر عبد الجواد حاشهد باللى انا شفته .. انا عارف مين قتله وليه قتله عارف شكله وعارف نمرة عربيته وسلاحه ولبسه عارف كان واقف فين وازاى قتله .. عارف وحاقول اللى انا عارفه ..وكتاب الله لاجعر باعلاها صوت واقول البغـل فى الابريق .

صـــورة جـــانبية لمــــــوديل

عبـــده جبـــير

ألقت نظرة اخـيرة على ملامح وجهها الدقيقة مستشعرة خوفا من أن تكون قد افرطت فى الاعياء ، ولكنها تنـــاولت حقيبتهـــا وخرجت .

كانت الشـــوارع غاصـــة بالزحام والحركة ، وكـــان الطقس حارا ، وبدأ البعض فى ملابس الصيف الذى يبشر بالقدوم ، تذكرت انها تكره الصيف ، ربما بسبب العرق ، أو لاى سبب آخر ، واختلط ضيقها بحزنها ، فبدت متعبة لا تقــوى على السير ، تحولت الى الطوار الاخر ، واخـــذت تمشى حتى اقتربـــت من محطة الاتوبيس التى تعودت أن تركب منها ، ولكنها لم تتوقف وواصلت المشى . .
كانت لديها رغبة فى المشى ، وبين زحام المارة احتلت جانب الطوار الاخر وواصلت المشى . كانت كمن لا يعرف أين يذهب ، على الرغم من أن موعدها لدى النحات كان قد أزف . فكرت أن تقف فى الظل ، أمام فاترينة لشركة الطيران الفرنسية ، ولكنها اعتدلت وواصلت المشى ، كان ضيقها آخذا فى الازدياد ، حتى أنها غالبت البكاء . ونظرت الى رسغ يدها فى المكان الذى كانت تمر عليه بأظافرها عندما تنتابها الرغبة فى الانتحار .

أخيرا توقفت بعد أربع محطات قطعتها ســـيرا ، وركبت « الاتوبيس » وبحـــكم العـــادة ، وضـــعت يدها فى حقيبتهـــا وأخرجت قرشين ، فى انتظار الكمسارى أخذت تحـــاول أن تقف بين الاجســـام المتزاحمة حتى تهيأ لها مكان فيما بين

مقعدين . واخذت تتطلع الى الوجوه المتعبة ، والاباط العرقى . ثم انهاجلست فى النهاية . بعد أن خلا أحد المقاعد . نظرت من النافذة الى الشارع وتنفست قليلا من الهواء الرطب . بين لحظة واخرى كانت تنتابها الرغبة فى أن تنظر داخل العربة ، ولكنها ظلت ناظرة الى الشارع.

فكرت فى بعض الاشياء التى تلح عليها دوما : أمها العجوز المقعدة فى البيت بقايا ذكريات لحب افلواندثر .محاولاتها مع جارها المتزوج بلا فائدة . ثم النقود . عندما سمعت صوت الكمسارى وهو يدق على سقف الاتوبيس انتابتها رغبة فى أن تضم أصابعها على القرشين ، وتخفيهما ، ولكنها بمجرد أن اقترب منها سلمته اياهما ، وضمت التذكرة فى كفها ومضت تنظر الى الشارع ، وبمجرد أن رأت ذلك المبنى الضخم تنبهت الى أنها قد وصلت فى النهاية .

لم تجد صعوبة فى النزول حيث كانت العربة .قد خلت تقريبا . وضعت قدميها على الارض وتحركت بجسدها قليلا للوراء ، وبمجرد أن تحققت من نظرة وقحة لرجل كان يمشى على الطوار ، أسرعت من خطواتها وانحرفت الى اول طريق صادفها . كانت شبه متأكدة من أن الرجل يتبعها . وقفت أمام فاترينة لعرض الازياء ، واخذت تقرأ الاسعار حتى لمحته يقترب . وعندما هم بالتوقف وكاد يفتح فمه ، تركته ومضت مسرعة . انتابتها رغبة فى أن تسلم نفسها له . أن تستجيب لمغازلاته وتقف لتحدثه ولكنها فكرت فى المتاعب . لو أنها فقط كانت متأكدة ؟

كان الرجل يتبعها حتى اقتربت من بيت النحات ، وضعت اصبعها على زرار الجرس والتفتت بحذر للوراء . كان الرجل هناك خلف عامود الضوء المقابل . كان واقفا ولم يكن يبتسم ، انفرج الباب فدخلت . قالت لها الخادم العجوز انه فى حجرة النوم . قالت : لم يصح بعد ؟ فأجابت : كلا .. انتظريه .

القت بجسدها على مقعد واطىء مريح بينما الخادمة العجوز تحرك قدميها فى اتجاه المطبخ . سألتها بصوت خافت : اتحبين شيئا ، فردت على الفور : قهوة .

— مضبوط .

— آه .

أخذت تجيل النظر فى اللوحات والتماثيل وأرفف الكتب المعلقة على الجدران . لاحظت أن اللون البنى المائل الى الرمادى هو الغالب . حتى لون الجدران كان غامقا ، ولكن البيت على كل حال كان انيقا على الرغم من أن الاشياء متراكمة بعضها فوق بعض ، قالت لو أن يدا عبثت وغيرت من وضع أحد الاشياء لتهدم كل هذا . كانت تستشعر روحا خفية وراء كل ذلك . فكرت: لماذا لم يتزوج ؟ ولكنها استدركت؛ ربما كان سعيدا بوحدته . وتمنت لو أن تعيش وحيدة ولكن بشكل مختلف .

دائما كانت تفكر بانها تحتاج الى شىء ما

فى أن ينقصها ذلك الشىء . كم مرة فشلت فى الحب ، رجحت أنها السبب فى كل مرة . كانت بعد أن يمضى أسبوع أوأكثر على علاقة ما ، تشعر بأنها يجب أن تنهى الحكاية .

وضعت الخادمة فنجان القهوة على المائدة أمامها ، فتناولته على الفور والتقطت رشفة سريعة وأعادت الفنجال واسترخت . كان ثوبها ينحسر عن فخذيها فتركته غير مبالية . أرخت رأسها الى الوراء وأخذت تتطلع الى السقف . مضى وقت حتى تناولت رشفة تالية من الفنجان. أخذت سيجارة من علبة على المائدة وأشعلتها . لم تكن تحب السجائر .

ولكنها كانت أحيانا تشعر باحتياج اليها . أخذت تنفث الدخان دون أن تبتلع الانفاس .. تايل الوقت وهى تخرج الدخان من فمها وتنفثه الى أعلى . طرأت على رأسها فكرة نفذتها على الفور .

دخلت الحجرة المخصصة كأتيليه ودارت حول التمثال .. هذا هو جسدها يحمل ملامحها الى لم تكتمل . لم يكن يشبهها بالمرة . لم تر فى هذه القطعة الحجرية أى وجه شبه بينهما . قالت : ربما لا أعرف .. ربما ليست لدى قدرة على أن أرى . اننى فى النهاية جاهلة .

ولكن أطراف التمثال كانت مسترخية توحى بالاعياء ، فكرت أنه قال لها ، أنه اختارها هى بالذات ليستوحى تماثيله منها « لانك تبدين حزينة قليلا . حزينة كذلك الحصان العجوز الذى رسمته ذات رسمته ذات مرة يمشى على شاطىء النيل فى اعياء .

لا أعرف ان كنت حزينة حقا . هل أنا فعلا حزينة . ان حياتى حتى هذه اللحظة كانت دائما بلا معنى . ربما كان ما يقصده هو ذلك . انها كانت خالية تماما . فارغة .. كم من فقيرات مثلى بلا أب يعلن أمهات مقعدات .. كانت قد عرفت كثيرات يشبهنها فلم تعر ذلك الامر أهمية على الاطلاق .. ربما كنت سعيدة الحظ لاننى على قدر من الجمال . هل أنا على قدر من الجمال ؟ كم مرة سمعت ذلك . لكننى أحيانا لا أصدق . اننى أنظر الى المرآة أحيانا ولا أجدنى جميلة . ربما هو التعب . ربما عندما أكون متعبة يبدو ذلك . كم سأظل متعبة وبلا أمسان . جلست فى المكان المخصص لها وأخذت تحدق فى ظهر التمثال . شعرت — ربما لاول مرة — بارتياح فى مكانها المعتم جالسة خلف تمثالها الذى لم يكتمل دون أن يكون الرجل هناك ، يحدق فيها وهى ساكنة فى مكانها فى الوضع الذى حدده لها ، يراودها النعاس ، وصوت وقع أقدام الحصان العجوز .. الاقدام الواضحة البطيئة تغرقها فى حالة بين النوم واليقظة بحيث بدا أنها لا تكاد توقن ما اذا كان موجودا أمامها أم لا . لكنه لم يكن كعادته مكتئبا . بل انه بدا مرحا يتحرك بنشاط . أخذ يحدق فى جسدها وظلت هى تنظر فى البعيد . الى الركن القصى حيث كانت تنظر دائما . وضع يده على التمثال ثم رفعها واستدار . جلس على مقعد قبالتها بينما رفعت ذراعها الى رقبتها لتأخذ الوضع الدائم . أشار لها : لا . ليس لدى رغبة اليوم .. نظرت اليه باستغراب . تحركت من مكانها دون أن تجرؤ على ارتداء ملابسها .

بدرت منه التفاتة الى فخذيها رأت أنها أكثر جرأة من أية نظرة سابقة . لم تكد تنطق حتى بادرها : ارتدى ملابسك ان أحببت ، وقفت وهى تشعر بما يشبه الضياع .. انه سوف يصرفها ربما نهائيا بعد لحظات . وأنها ستعود للاحتياج عما قريب . كانت تعمل لديه منذ بضعة شهور ، وقد أكسبها ذلك بعض الامان علاوة على لقمة العيش .

قال لها :

— اجلسى .

لم تعرف مـــاذا تقول . انحبست الكلمات فى حلقها . بعد وقت قال :

— **دعينا اليوم من العمل . أشعر بارهاق .**

أخذ يململ على مقعده وينفث الدخان بقلق .

— **« ما رأيك فى أن نقضى اليوم بلا عمل . لا نعمل . بل نتحدث ونشرب الشاى ونخرج . ما رأيك فى أن نخرج الى الشارع . نذهب الى حديقة الحرية أو على شاطىء البحر . هنـاك عند الجزيرة منطقة هادئة وكازينو صغير . يمكننا أن نجلس هناك فى هدوء . نجلس ونتحدث . حدثينى .**

قالت : **عن أى شىء ؟**

— **« عن أى شىء . عن نفسك أو عنى عن أى شىء تجيدين الكلام فيه . عن أمك أو أبيك .. أعرف أنه مات منذ زمن .. حدثينى عنه » .**

— **ماذا أقول ؟**

— **« قولى أى شىء . ماذا كان . هل تذكرينه جيدا ؟**

— **بالطبع .**

— **« هل كان يحبك ؟ »**

— **طبعا .**

— **ماذا كان يعمل ؟**

— **تاجرا .**

— **« واين ذهبت تجارته ؟ »**

— **تجارته ؟ لقد بارت . كان يبيع العاديات القديمة التى لم يعد أحد يستعملها الان .**

قال : **نعم هذه ليست أيام العاديات القديمة .**

قالت : **ولا الجديدة أيضا .**

قال : **نعم ولا الجديدة . الناس الان فقراء . تكلمى .**

— **عن ابى ؟**

— **عن أي شىء .**

— **كان طيب القلب ، كان يحبنى ، أنا لا أصدق ، أحيانا والى الان لا أصدق كان بالنسبة لى . أعنى : كل شىء . كان يعود كل مساء فى أيامه الاخيرة حيث بدأت تجارته تخسر وتنهار ويحكي لنا . أنا وأمى ويتألم . كل ليلة كان يتألم احتملت أمى بصبر ، كانت راضية . لم تبد أى نفور أو ضيق على الرغم من أن الحالة قد اشتدت بنا واضطررت أنا للعمل عند أحد الاغنياء العرب . أف .. لا أستطيع أن أحكى ما تحملته . المهم . مات أبى . ماذا أقول . أمى ! انها مقعدة كما تعرف ، ربما بسبب ذلك أصيبت بنوع من العجز . ذهبت بها الى الطبيب عدة مرات . تتناول دواءها بانتظام ، وهذا يكلفنا . المهم مسكينة هى لانها صغيرة . ألا تصدقنى . انها لم تبلغ الخمسين ، يبدو أن بعض الناس يصيبهم العجز قبل الاوان . المهم . أمى . ماذا . لا شىء آخر . اننى أحملها من مكان الى مكان ، لا تتحرك كثيرا وأحيانا لا تستطيع أن تتحرك ، تجلس دائما على سريرها أو عند النافذة ، هى تجلس عند النافذة غالبا وتتفرج على الناس ، أحيانا تتحدث الى الجيران ، دائما ، أووه ، أحيانا ، أقصد أنا أحيانا أتألم من أجلها . اننى ، أبكى . دائما .**

شعرت بأنه يقترب منها ، ويربت بيديه على كتفها :

— **« دعك من ذلك ؟ »**

لكنها أجهشت بالبكاء ، وسالت الدموع حتى شعرت بطعمها على جانب شفتيها .

— **دعك من هذه الاشياء المحزنة . تحدثى عن شىء آخر »**

قالت : **ليس فى حياتى غير الاشياء المحزنة .**

قال : **لا . هذا جانب واحد من أية حكاية ، لكل تجربة جانب مضىء يعرفه صاحبه . ماذا استفدت من كل ذلك ؟ »**

— **« لا شىء »**

— **« كيف ؟ »**

— **لا شىء »**

— **لا . حـاولى أن تبحثى ، هــل استمتعت مرة بعض الوقت مع واحد من الثلاثة أليس هم ثلاثة . ألا تذكرين أنك قضيت وقتا ممتعا مع أحدهم ! »**

— **« لم أستمتع قط » .**

— **« أبدا ؟ » .**

— **أبدا . كنت دائما أشعر بفزع . على الرغم . أعنى . كنت دائما أتمنى أن أعطى نفسى لواحد منهم . نفسى كلها دون ربما أن آخذ شيئا . لكننى كنت دائما أشعر بالخوف .**

— **« الخوف ؟ »**

— **آه . دائما كنت فزعة ، حينما أتحرك أو أوقف ، أحيانا أيضا فى النوم . عندما أكون نائمة أشعر بشىء ما مرعب يكاد ينهش داخلى .**

عندئذ نتحت عينيها جيداً محدقة فى التمثال الذى بدا غارقا فى ضوء الحجرة الخفيف ، كانت ملابسها ملقاة على جانب المقعد بجوارها فتناولتها وارتدتها بانزعاج ، امسكت حقيبتها وخرجت من الحجرة فوجدت العجوز قابعة فى ركن قالت :

ــ ساذهب انئى متعبة . ساذهب ،

وعندما يصحو قولى أننى انتظرته طويلا .

قالت : ساقول .

ركضت على السلم واخذت تهرول على الطوار .

كانت الاضواء فى الشوارع متناثرة كتطع من الزجاج ، العربات تصرخ والمارة تتداخل أيديهم وهم يعبرون الشوارع . اخذت تمشى فى الطرقات ولم تفكر فى انها يجب أن تركب . تجولت من شارع الى آخر والعرق يسيل على جبهتها وتحت ابطيها ، كم من شوارع مرت بها ؟. لقد شعرت باعياء .. وبأن قدميها نتيلتان ترفعهما بصعوبة .. تزحلقت فمد أحدهم يده اليها ، وقفت ونظرت اليه . تركته دون أن تقول شيئا . أخذت تخطو ببطء شديد . تنقل قدميها فى تثاقل ، تدفع جسدها بقوة ، لكن رعشة قوية انتابتها وشعرت بالعرق يسيل حول جسدها كله . استندت الى حائط رافعة يداً الى رأسها متحنحنة ــ بالاخرى سطح الجدار الخشن ، تخطو ببطء وقد بدت واضحة اقدام الحصان المتعب الاتية من بعيد .

ــ « هل لى فى مساعدة يا آنسة ؟ »

التفتت اليه .. كان كظل مائع يتراقص ببطء .. ينساب ويدور . امسكت ذراعه استندت وأشارت الى بيتها القريب « هناك »

ــ تعالى . استندى . هذا البيت ؟»

هزت رأسها .

قال : ضمى يدك . استندى .. لا تخشى شيئا . ها نحن نقترب ؟

○ شمس الظهيرة

إبراهيم عبد المجيد

زينة

الشباب .. تطاوعنى قدماى يدفعهما اتون ماء الوجه المراق ! لكن يدى ينزل منهما العرق .. من أطراف اصابعهما الجهمة .. من شقوق أظافرهما السوداء .. العرق يروى وجه الملح الظامىء المحترق تحت اشعة الشمس الغادرة .. خشونة الملح اليوم حادة .. كم قطعت هذه الارض فى وهد الجفاف مستشرفا الجسر قاطعه الى مشاريع العمل هادئا كالعادة ؟. لكنها اليوم حادة بثور الملح يا أبى ! كأنها هى حليف زينة البنات !

« يا زينة البنات ما اتعس أيامك »

« الى اين يا عمران ؟ »

« الى المقهى يا زينة البنات »

حجة ليلية تصدقها سذاجة تلبك المتبدية خلف اشراقة وجهك .. لكن التعبين شوداي الى الباب الذى خرجنا منه ، ترقيان السلم الضيق بصعود مجرم وتحفز لسر ، وقفزة فوق السطح المقابل ... !

[تعلمت القفز الليلى لان القفز مشاع .. حكايات الشباب والكهول وسط غبار العمل تنزات ضائنة . وكنت اعجب كيف يعملون بقوة التماثيل القديمة فى جبالنا رغم فقرهم الدائم .. حقائق أو أكاذيب تروى الظمأ نهارا وتنقع غلة الجهد فى نيل شبق .. واصبحت أخاف من كل العيون .. وأشك فى كل العيون] .

وينفتح باب الغرفة العلوية الوحيدة عن الوجه الاصفر النحيل النهم .

ــ عمران !!

يأتينى الصوت مخنوقا بالرغبة المكتومة . وتذوب عصارة الانتظار المتوثب ، ورحلة العودة خطيرة رغم انهزام نصف الليل الاول .. واسمع صوتك المسكين من خلف الباب الهزيل .

ــ الباب يدق يا ابى .. انه عمران .

ــ افتح له .

ويقابلنى وجهك يا زينة البنات صبح مبكر .. وكأنما تصرين على سذاجتك .

ــ قلبت فى اللعب ؟

ــ الكوتشينة ملعونة .

وتصدقين ..

وغابت عنى لعبتك الخبيثة ... نسيت انك واحدة من النساء ..

« يحكون حكايات ترطب نار النهار »

وتلت صوتك منذ يوم رحيلنا الاجرب .. عشرة أعوام استدار فيها الجسد والتف .. وكأنما اكتسب بياض البحر رغم عروته السوداء واسمع صوت البراءة ..

« انت لست ابنة صعيدى ! »

« اختك حلوتيا عمران ونحن أغراب »

ونساؤنا مجنساوات كالمقارب ، شبقات تلدغن .. انتقلت حرارة البيوت المغلقة الضيقة كصدورنا الى اجسادهن

.. هكذا يحكون فوق الجسر فى مشوار الدوار الدائم .. وهكذا اشعر أنا فوق السطح المقابل .. وها هو الجسر الترابى يقترب الان خلفه ذؤابات نبات الحلفا الخضراء تخفى مستنقعا آسنا هجرته الاسماك .. ونحن أشباح ثلاثة تموت الظلال تحت أقدامنا ..

قدماى تغوصان الان فى الميسياه الصفراء ، كأنما ضمنت قشرة الملح فاشتد شوق الماء .. مياه المستنقع المستكنة تحت جفاف الملح والغبار ، التى كانت عبثا تحاول النفاذ ، تتفجر الان بطيئة متألمة .. اتسعت الشقوق الضيقة وازدادت المياه الحمراء الطينية ، وتحدت الاشعة المطاردة .. قد تكونين كما انت يوم رحيلنا قد لا يكون كلامك كذبة طويلة ... ولا سذاجتك لعبة

خبيثة .. تكلم ياوجه ابى الجامد .. أمتأمل أنت أم آسف ؟ أم لعلك مت منذ زمن ؟ خيوط النار تكشف سواد وجهك وعنقك الذى تكسرت الايام فوق عروته النافرة .. تكلم بحكمة السنين التى استنطقت بها جدود الجرانيت .. تكلم بصوت منفرد فى الوادى المشتعل يحفر أركان الهواء وتسجد له آذان الحائرين .. قل اننى مخدوع ليسمعها الرجال السود اشجارا صلبة معلقة تحفر وجه الجبل وتذل جبروت الزمان .. قل انك كاذب واحمل كفنك على مذبح الشجاعة تمنحنا الحياة ..

«الالسنة تنام عند حجرتنا ! »

« نعم ! ؟ »

« حجرتنا تطير بالليل لتسكن كل المنازل »

« . . . . »

« حجرتنا بالنهار يدخلها اغراب »

« . . . . »

« نحن غير موجودين »

« . . . . »

« لقد متنا »

« . . . . »

« هل نعود الى بطن الجبل ؟ »

لا .. لنرق الان بطن الجسر .. لنبطش ببطن الماء الراكد .. لنذل جبروت نبات الحلفا المتحدى .. لنستجلب صقور التار تحلق فوق الماء المهزوم .. انا عمران يا ابى !

آه .. لماذا غاصت ساقاى وحدى حتى الركب ! ؟

● ● ● ●

زينة الرجال :

- [كان يناديها دائما « يا زينة البنات» ونادرا ما كان يخطىء ويناديها كما كان ينادى امها « يا زينة النساء » لان ذلك كان يثير لديه ذكرى شجية] .

الشمس تابع مقيت ووقت معلق .. لكن كم كنت تحب شمس الصعيد وزينة النساء فوق السطح ترتب « الخبز الشمسى » .

[ايتها الشمس لماذا لا تترفقين به الان ؟ .. تضعينه فى كل خطوة يخطوها وسط بحار من الدم . ينكشف له واد من الجيف .. يستقر ما تركه خلفه امام عينيه فيه رائحة اثم جاثم] .

كيف انك لم تدرك الشمس الا هذه المرة .. كنت تعمل فى الميناء تحت الرافعة الجبارة والشمس تسكب عليك مصهوراتها ، لكنك قط لم تعرفها انتباها هى اليوم عين غاضبة كاد تتكلم تبهتز لسخبها الكين .. آه او سعى الخطوات الباقية !!

« قلبى يهتز مرتاعا .. قلبى لا يطاوعنى ياعمران .. لكن ماذا افعل ؟ »

كأنما أفرغت الرؤوس وقطعت الالسن تسيرون كشواهد قبور تتحرك ..

« لست انا الذى ... »

عيناها كانتا متعلقتين بك ، والضرب يهال فوقها لعنات وانت قطعة لحم بلا دم ... كان يجرها على الارض ممسكا بشعرها متكوما فى قبضته الفولاذية .. تجرفها تونه بغباء النيل يجرف القرى عند الفيض ..

« يا زينة النساء .. لماذا جرفك التيار ؟ »

ترتفع يداها اثر وخز الركل واللكم .. تتعلق اليدان بالهواء .. يدك لم تمتد .. عيناها فقط تخيفانك ..

« يداك ترتفعان لهفة .. عيناك ذعر الدنيا .. وبعلك ممسوك بايدى الجيران .. لا فائدة .. الفيض طام » .

ـ « لنرحل يا ولدى عن بطن الجبل .. عيشنا هنا لا يسر »

ـ « الرحلة طويلة يا ابى ؟»

ـ « طويلة يا عمران »

يقترب الجسر الترابى وتكاد تنتهى الرحلة ! أليس كذلك ؟ .. بعد قليل تلقى أثقالك ، او تحمل اثقالك .. قد تتركك الشمس بعدها .. قد تتشبث بذيل جلبابك .. او تصبح فى أم رأسك .. المهم الان انك ستنزع من شىء لابد ان تنتهى منه .. تعود بعدها الى مسكنك .. ربما قرير العين .

ـ « حجرة واحدة يا أبى ؟ »

كنت خارجها تسمع ارتطام جسدها بالجدران اثر قذفاته بها .. كرة يلعب بها وقلبك يلعب لعبة كريهة بين ضلوعك .

« تكفينا .. غدا نتزوج وتتركنى .. وتكبر اختك وتتزوج أيضا » .

كم هى ضيقة الحجرة وخانقة .. غرف البيت فى صفين متوازيين بينهما دورة مياه صغيرة سوداء عشعشت الهوام فى اركانها وسقفها وكان هذا لكم غاية المرام .. بسرعة تقاربتم مع سكان الحجرات المعتمة .. بسرعة أحبت النساء زينة البنات .

« كنت ارى عيون الرجال تتبعك ، فأصبحت أشك حتى فى النساء عندما يناديتك يا زينة البنات .. وكانت أوامر الرجال لزوجاتهم أصوات رصاص من سفح الجبل . . »

النساء كأنما ضاع بهن الحياء .. كأنما البيت كله حجرة واحدة .. كأنما الحى كله بيت واحد .. مازالت فى قوة يا عمران .. مازالت فى قوة يا زينة النساء . . لماذا تركتنى ؟ »

تعود مكدودا من العمل .. تنطرح فوق السرير القديم .. تغرق فى ذكرياتك الهاربة .

« تدورين حولى كالنحلة .. ها هو الماء يا أبى .. ها هو الاكل .. الشاى .. علبة الدخان .. القبقاب .. تضحكين عندما تنقطع جلدة القبقاب وتنزلق قدمى على الارض وأجد نفسى فجأة والقبقاب خلفى ضحكتك تفرش فدادين من زهور الفول .. ضحكتك بهجة العمال عند رسو سفينة محملة بالسل .. هل يمكن ان نعود يا عمران ؟ »

تلها بصوت مرتفع .. احبس دموعك ولا تجعلها تظفر منك وعد .. تخاف أن يجعلك البطن الذى علا تنخفض ..

« لماذا لا تتزوج يا رجل ؟

ـ ولماذا ؟ تكفينى زينة البنات تسهر على »

وعمران زينة الشباب تلتهمه عيون النساء « عيون القرى والنجوع كانت تلتهم اباك .. لكن قلب ابيك كان معلقا بزينة النساء .. معلقا بها والنهر يجرفها » .

ويقترب الجسر الترابى الان اكثر .. نبات الحلفا كأنما يتقوس ليواجهك .. لتغرس اطرافه الحادة فى عينيك .. الشمس والحلفا حليفا الشيطان .. شريران يعذبانك .. هل نطلق سراح ساقيك .. لو فعلت طرت الى الوراء .. الارض جامدة .. حشف الملح صلب يؤذيك ويدفعك لان تقطعه لتنتهى منه .. الجسر غايتك والحلفا تقهرك والشمس تذلك وحركتك سريعة ومغلولة معا .. كيف يحدث ذلك .. لماذا تهرب شجاعتك فى الوقت الذى تسرع فيه الى الجسر ؟ هربت شجاعتك من قبل فى الليل .. فى كل الليالى السابقة .. عمران يخرج الى المقهى كما يقول ، وانت تحملق فى السقف الواطىء .. ترى عليه رسوما لا تراها بالنهار .. نهر يتدفق .. شباب يلهو مع زينة النساء .. شباب فى بيتك .. زينة البنات على فرشها فوق الارض يبتعد الغطاء عنها .. بلفظه ساقاها حرارة .. ينحسر ثوبها الخشن عن بياض لحمها الناعم ..

ـ « هذه ليست ابنة معيدى ابدا» .

ـ « اسكت يا ابن المركوب » ..

تعطيها ظهرك .. تتحرك صورة زينة النساء من اسفل السقف .. تستقر أمامك فوق الجدار .. تستدير فى لعبة المطاردة المغبطة .. سبقا زينة البنات مصير تصب وأتماع سكر .. تهبط .. ترخى ثوبها .. ترفع فوقها الغطاء .. تحاول ان تنام .. الحرارة فى الحجرة القاتمة الضيقة نيران مستورة .. لعبة

زينة البنات مع الحرارة ذائبه .. لعبة زينة النساء مع النهر فجيعة .. لعبتك مع الزمن طويلة .. حرارة الاسكندرية كيف ناقت حرارة الصعيد ؟ .. فرن فى داخلك يغلى كبركان ارض .. البيت كله حجرة واحدة .. الحى كله بيت واحد ! كم انكشفت لك افخاذ النساء فى خروجك ودخولك .. لماذا يحلو جس الغسيل فى وسط الدار جماعة .. تنكفىء الواحدة فوق « الطست » الصدىء .. نترفص حوله منحسرة ثيابها التى فتقها اللحم أو الفقر عن افخاذ لا مبالية .. فى بعضها تشيع عروق خضراء وبعضها بها بقية تقاوم الزمن .. لكنها كلها تدعوا ..

ـــ « لماذا لا تتزوج وأنت رجل تكسب وفيك قوة ؟ » .

« تكفينى زينة البنات !! »

. . . .

« اقتلنى يا عمران »

هل تستطيع ان ترمع صوتك مثلها ؟ .. كان صوتها يأتيك وانت خارج الحجرة .. وانت فى العمل .. وانت فى الطريق .. دعوة للقتل ولكنها لاتفشى السر .. فليقتلها عمران ليريحك .. لا، ليريحها .. ليريح نفسه .. ربما لترتاح جميعا .. لا ، ليرتاح المنزل .. لترتاح الرسوم اسفل السقف .. لترتاح الحرارة .. ليرتاح النهر .. ليرتاح الغطاء الذى تلفظه الساقان .. ليرتاح الحى .. لترتاح الاسكندرية .. لترتاح البلد والدنيا كلها .. ليرتاح الله .. ليرتاح كل ما تراه وتسمعه وتلمسه وتذوقه وتشمه .. آه ..

هل حقا ستحدث هذه الراحة ؟ .. ومن هو اس البلاء ؟

« اقتلنى يا عمران »

الصوت يرتد فى حلقك الى اطراف اصابع قدميك .. الى الملح تحتك .. الى الماء الاحمر تحت الملح ..

« لماذا لا تتكلمين يا زينة ... »

الجسر تحتك الان .. انك لترقاه هامدا .. لقد برز المستنقع ونبات الحلفا الاشم يوحى بتخاذلك .. لماذا تميل الشمس الى الماء الراكد ؟ .. انها تبدو كما لو كانت غادرت السماء واقعت وسط الماء .. ان اشعتها تأتيك من جوف الماء .. ولكن حممها مازالت تنصب فوق راسك .. اين هى اذن ؟ انظر الى أعلى .. انها فوقك ..

انظر الى الماء .. انها تؤذيك من وسطه ..

انها تحاصرك ..

لتدفن الشمس ..

لتغرقها فى الطين العفن ..

لتقض على اشواكها الملتهبة ..

زينة البنات

هل هى النهاية ؟ واذا كان ذلك فكيف انى اسير غير خائفة ؟ كيف انى لا أشعر بما حولى ؟ الشمس فقط فوق راسى حانية على .. دقائق وينتهى كل شىء ولتشهدى أيتها الشمس الدامعة انه فى هذا اليوم المعذب بالصمت انتهت حكاية كانت نهايتها قد بدأت منذ زمن .. لقد كان يحدثنى عن امى كثيرا ويقول لى ..

« انك مثلها .. بل احسن .. الناس فى البيوت يحسدوننى عليك .. »

وكان يحبنى .. اما زال يحبنى ؟ لو كان كذا ما فعل .. وربما هو الحب ..

انى لا اكرهه .. بل يتسلل الى شعور بأنه مسكين .. وكثيرا ماتأخذنى الشفقة به .. كرهته فقط لحظات خاطفة .. عندما انطبق السقف فوق جسدى ساعة تقادمت الجدران تعتصرنى بينها خرقة مبللة .. وعرفت لغة العيون اليائسة .. حزينة حروفها غائرة .. وتردد السؤال المكتوم بفعل الذنب المصلوب ..

لكنك انسان يا زينة الرجال .. وزينة الشباب طفل صغير .. وانت رغم الانهيار قائم كأرجل الرجال .

« كانت امك تقول لى انت رجل القرية .. ثم كان النيل وشعرت انى لست رجلا .. بل اقل من عيل » .

حقا خانتك شجاعتك ان تعترف ولكن لو اعترفت لكرهتك .. ولصرخت فى وجهك أنكر قولك المشين ولا عليك الان .. لابد انك تفكر فى التراجع .. لا تتراجع ودع زينة الشباب ينهى الخدعة ..

آه ها نحن نرقى الجسر الترابى الان .. الشمس فوقى كئيبة كسيرة الاشعة تدفعنى للبكاء .. ترنو الى فى ذعر كأنما حزن سماوى .. وكأنى أرى عين الله .. بشارة الرحلة السعيدة .. وفى غفلة من الشمس والملائكة امتدت يد ضخمة . طويلة الاصابع غليظة الاظافر سوداء كسفت نور النهار .. قوية ثقيلة .. لا يمكن ان تكون لبشر .. احاطت بعنقى . . ثم استدار ساردها وطوق قفاى .. اليد حارة والاصابع ساخنة موتورة بحقد أو خوف قديم ..

« وكانت الليلة ملتهبة يا حظى المنكود وانا ميتة فى عمق النوم الساذج » .

وضغطت اليد على العنق .. وزينة الرجال بعيد خلفى .. اريد ان أراه فقط .. اخطف نظرة مودعة .

« وجثة ثقيلة تضغط على جسدى فى رقدتى البلهاء مما جعلنى أفزع .. ولكن الكف فوق الفم الصغير كانت قوية .. والصوت يأتينى من وراء السنين .. يا زينة النساء لا تخافى .. يا زينة النساء لا تخافى .. وتحشرج سريع مشحون بتوتر وعرق يتمرد ويثور تحت الكف وفوق فمى وبشرتى المرتعبة » .

وأحسست بان حلقى يجف .. وان شيئا مكورا يضغط على ظهرى ويدفعنى الى الماء .. طاوعته بهدوء حتى بدأ قاع الماء الطينى المائع يشدنى .. أردت ان انظر خلفى لكن الجدارين الغليظين حول العنق منعانى .. عيناك يا زينة الشباب اريد ان اراهما الان .. هل فيهما رغبة الانتقام ام انكسار الذل ام بلادة ؟ . عينا زينة الرجال لا شك مغمضتان .. وغاصت ساقاى فوق الركب ..

« وكانت ساقاى قد استسلمتا فى ذهول تنشدان جدارى الحجرة .. يازينة النساء انا مازلته رجلا .. انا زينة البنات ! .. يا زينة النساء .. ويختلط الصوت بالبكاء .. واليدان تمرحان فوق خيال المانة جسدى » .

وسمعت صوت زينة الشباب .

ـــ انك لا تبكين يا قبيحة البنات .. جزاؤك ..

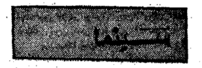
عنيف فى دفعك لى كما كنت عنيفا فى ضربك .. لكنك طفل فى نظرى .. آه .. الى الماء يهبط قلبى .. الماء نتن وقلبى ينتفض خوفا من ظلامه .. لكن الشمس تهبط الى » .

« وكان السقف ثقيلا فوق جسدى وصدرى .. وارتفعت ذراعاى استغاثة ميتة .. كتفتهما الكفان الغليظتان .. انحبس صوتى بلا ضغط عليه .. يازينة النساء .. وقرت الموجة فهو هامد بعد معركة خاسرة » .

ويشدنى طين المستنقع .. الكفان توينان ، واشعة الشمس حبال واهنة .. اتعلق بها بعينى لكنها لا تقوى على الصعود بى .. لا شك استدار أبى كى لا يرى زينة النساء يغطيها الماء مرة اخرى .. يجرفها تيار وأقف ..

« قلت له بعد ان هدء .. ماذا فعلت ؟ »

لكن الماء وصل الى شفتى فأجج الرائحة العفنة .. شربت بعض طينه المذاب فتمرد جسدى وطفر الى اعلى ليسقط من جديد ويترنح الماء الكثيف حولى .. وانطلق لسانى للمرة الاولى والاخيرة « ماذا تفعل يا زينة الشباب » .. ولم يكن هناك وقت لافجر رغبتى الاخيرة فى البكاء رغم انى لم أكن أشعر أنى أموت .. ورأسى الان تحت الماء والاشعة المسكينة كأنما هبطت معى !!



فى مهرجان كان ٧٤

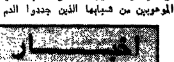
ماذا يحدث

يمكن من خلال افلام مهرجان كان ٧٤ [١٤٥ فيلما من ٢٨ دولة فى ٦ برامج الى جانب افلام السوق الدولى] التعرف على اهم مايحدث فى عالم السينما اليوم.

اما فى المسابقة الرسمية [٢٥ فيلما طويلا من ١٥ دولة] فقد كان من الواضح ان السينما الامريكية التقليدية ممثلة فى انتاج هوليود قد استردت انفاسها التى تقطعت فى آواخر الستينيات ، وذلك بفضل الموهوبين من شبابها الذين جددوا الدم فى اوصالها دون أن يجددوا افكارها الشائخ [كوبولا فى المحادثات وسيلبرج فى شوجر لابد بمنتهى السرعة وتايلور فى الارواح التسعة للقط فريتز وعلى نحو اقل قدرة آشبى فى آخر التفاصيل] .

وبنفس القدر الذى عبر به روبرت موليجان فى « الركوب الرخيص » عن سينما هوليود التقليدية عبر روبرت الثمان فى « لصوص مثلنا » الذى يعبر عن الازمة الاقتصادية فى الثلاثينيات عن حقيقة ان هذه السينما لاتزال قادرة على العطاء بين الحين والاخر بفضل الفنانين الذين يتمتعون بالقدرة على تجاوزها من داخلها

وبالنسبة لاوربا الغربية كانت المسابقة اعلانا عن افلاس الكبار رينيه فى « ستافيسكى » وبازولينى فى « الف ليلة وليلة » ، واعلانا عن تقدم الصغار فى نفس الوقت دراش فى « كمان الجبل » عن التفرقة الدينية فى ترنسيا ، وفاسبندر فى « كل الاخرين اسمهم على » عن



● يقوم الفنانون التشكيليون بجمع توقيعات على بيان يدعون فيه لمؤتمر عام لمناقشة مشاكل الفنانين . وفيما يلى نص البيان :

أن السنوات الماضية فى تاريخ الحركة التشكيلية فى مصر اثبتت ان القبضة البيروقراطية التى تحكمت فيها غير قادرة على ان تمسك بزمام تلك الحركة وتقودها لتحقيق مستوى لائق يلائم كيان مصر كرائدة للمنطقة العربية .

واوضح دليل على ذلك هو اصرار البيروقراطية على تشكيل لجان فوقية لاتمت فى غالبيتها للقاعدة العريضة للفنانين . ورغم التعديلات المتواصلة لهذه اللجان ، فان شيئا فى جوهرها لم يتغير ، ذلك لان الجانب البيروقراطى كان يصر على اختيار نوعية معينة ترفضها قاعدة الفنانين المنتجين

وابرز نشاط تقوم به تلك اللجان، هو المعرض السنوى العام ، واختيار بعض الاعمال منه كمقتنيات للدولة ، وتوزيع الاسعار عليها بشكل قد يهين الاعمال واصحابها معا ، ورغم كل التصريحات التى تسبق عادة تلك العملية فان اعضاء اللجنة سوف يظلون بعيدين عن اية مكاسب شخصية ، فقابها دائما باصرارهم على تمييز انفسهم بشكل فج .

وها نحن الآن على ابواب موسم عمل جديد للجنة الفنون التشكيلية ، وسوف تجتمع عشرات المرات بحجة المعرض العام، وستكون النتيجة مثل كل مرة ، مزيدا من انخفاض المستوى ، ومزيدا من تدهور الحركة الفنية، ومزيدا من سخط الفنانين .

ونحن الفنانين نابى استمرار هذا الوضع ، حماية لكرامة الفنان ، ومستقبل

اضـطهاد العمال العرب فى المانيـا الاتحادية ؛ **وهاندوركر** فى « قفص الدببه» عن الحركة الطلابية فى بلجيكا . ويعتبر « قفص الدببه » بداية سينما جديدة فى بلجيكا تتجاوز سينما **ديلفو** الذاتيـــه ، والتى ظلت تمثل أفضل ما تقدمه هذه السينما فترة طويلة .

وكانت بقية افلام اوربا الغربية من افلام المثقفين المتحذلقه [**سانتاجو** فى « الاخرون » ، **وكافانى** فى « ميلاريا »، **ولارز** فى « اعراض » ، **وسورا** فى « انجيلكا الاولى » ، **وراسل** فى « مالر وأن تميز الاخيران بمحاولة ايجاد الحلول الدراميـة للتعبير عن موضــوع الحرب الاسبانية فى ظل اسبانيا الفاشية فى الاول ، وللتعبير عن حياة الموسيقار وفنه فى الثانى] . وقد حاول الايطالى **كومينشينى** ان يسير على الخط الصاعد للسينما الواقعية المتمثل فى افلام درائس وفاسبندر وهاندوركر . وقدم « جريمة حب » عن مشاكل الطبقه العاملة الايطالية وصراعها مع ارباب العمل ، ولكنه لم يتمكن من الافلات من الميلودراما ، وخاصة فى الجزء الاخير من الفيلم حيث حاول ان يقدم « قصة حب » اخرى ، ولكن ذات طابع سياسى ، ومن ناحية اخرى اتخذ موقفا فوضويا عندما جعل الفيلم يبدأ وينتهى ببطله العامل وهو يطلق النار على رب العمل ؛ وهو الامر الذى لا يغـير فى الواقع شـيئا .

و « جريمة حب » هو الفيلم رقم ٣٠ فى حياة كومينشينى الذى ولد عام ١٩١٦ واخرج أول افلامه الطويلة عام ١٩٤٨

وبينما لم يكن الفيلم الكندى « كان بامكان فى الشرق » اخراج **براسار** معبرا عن السينما الكندية المعاصرة ، اذ لا يعدو ميلودراما لم تنقذها الحذلقة الشكلية أو الكلامية . كان الفيلمان المجرى « العاب القطط » اخراج **ماك والبلغارى** « الكلمة الاخيرة » اخراج **بينكا جيلاسكوف** تعبيرا عن الاتجاه الشكلى فى سينما شرق أوربا اليوم ، وهو اتجاه يسقط فى الشكلية من خلال تناوله نفس الموضوعات التقليدية ومحاولة تجاوزها بالشكل الجديد ، وليس بالرؤية الجديدة ، ومن خلال محاولة التغزل فى سوق أوربا الغربية بالجرى وراء تقاليده القديمة المتهالكة .

ومثل الفيلم الكندى لم يكن الفيلم السوفيتى « الصبى الضائع » اخراج **دانيليا** معبرا عــن الســينما السوفيتيه المعاصرة سواء السينما الفكرية ممثلة فى **تاركوفسكى وكونتشا لوفسكى** أو السينما الشـعرية ممثلة فى **باراد جـانوف ويورســفسكى** . لقد كـنا ننتظـر فيلم ناركوفسكى الجديد « النهار ابيض أبيض » أو فيلم يوزيسفسكى « الشاعر ايسينين » أو غيرهما ، ولكننا لم نكن نتوقع مشاهدة رواية مارك توين « هيكلبرى فان » كما يتصورها مخرج سوفيتى . ورغم ان دانيليا مـن أهم المخرجـين السوفيت الشباب الا ان هذا الفيلم ليس من أفضل افلامه .

واذا انتقلنا من أوربا وامريكا الى آسيا وجدنا فى المسابقة الدولتين الاعرق والاضخم فى الانتاج السينمائى ، وهما اليابان والهند . وعلى النقيض من الفيلم اليابانى « عيميكو » اخراج **شيندو** الذى كان يمثل السينما التقليدية ، كان الفيلم الهندى « الرياح الســاخنة » اخراج سابيو يمثل السينما الهندية الجديدة : سينما ما بعد **ساتيا جيت راى** .

يتناول سانيو فى فيلمه مشـكلة من اخطر المشاكل الاجتماعية والسياسية فى الهند ، وهى مشكلة المسلمين والهنود

قفص الحب البلجيكـــى

الفن فى مصر ، وحرصـا على دور وزاره الثقافة ومسئوليتها القومية .

ونرى ان المهمة الاســاسية أمــام كل الفنانين التشكيليين المصريين وكافة الجهات المعنية بحركة الفن التشكيلى ، هى عقد مؤتمر عام للفنانين التشكيليين بعيدا عن وصاية البيروقراطية والقيادات الحاليـة للجمعيات الفنيـة ، مؤتمر يتبنى المهمتين الاساسيتين التاليتين :

١ ــ مناقشة وبلورة المشـاكل والمطالب الحقيقية والملحة للفنانين وطرح الحلول المناسبة لتحقيقها ، وخاصة قضية المعرض السنوى العام .

٢ ــ انتخاب لجنة مؤقتة تضـع أسس ودعائم الاتحاد العام للفنانين التشكيليين وتحل محل لجنة الفنون التشكيلية القائمة الان ، وتقوم بتمثيل الفنـانين حتى تتم اقامة الاتحاد العام .

ان الفنان المصرى الذى كان خلال مراحل النضــال الوطنى طليعة فى الحركـــة الديمقراطية ، لجدير به ان يعالج قضاياه المصيرية باسلوب ديمقراطى ، وان المؤتمر العام هو الوعاء الديمقراطى الصحيح لطرح كل قضاياه . وليس الهدف من عقده مجرد المطالبة . بحقوق نقابية أو فئوية ، وانما هو خطوة ضرورية نحو اســتعادة الدور الحضارى للفنان والفن المصرى القومى ، الذى كان رائدا للحضارة منذ فجر التاريخ .

● « العين ذات الجفن المعدنى » الرواية الاولى للطبيب الكاتب **الدكتور شريف حتانة** ، صدرت عن **دار الطليعة** ببيروت . العين التى يقصدها الكاتب هى تلك المثبتة على أبواب الزنزانات والتى تتيح لمن بالخارج مراقبة كـل ما يدور بالداخل . والرواية تدور داخل أسوار السجن ، وتراوح بين ما يحدث للبطل ــالطبيب المتهم بممارسة عمل سادىــ وبين ذكرياته . ولعل هذه الرواية أول رواية تكتب عـن أحـداث ١٩٤٦ فى القاهرة .

فى شمال الهند . وهو الى جانب موقفه ضد التفرقة الدينية يحلل المشكلة تحليلا علميا منذ انشاء باكستان عام ١٩٤٧ ، وهجرة آلاف المسلمين اليها . وقد أجمع النقاد الهنود على ان الفيلم من أهم الافلام فى تاريخ السينما الهندية وهو أيضا مثل فيلم هاندوركر الفيلم الطويل الاول لمخرجه. ومن الجدير بالذكر ان فيلم « الرياح الساخنة » عرض على اعضاء البرلمان بأمر من انديرا غاندى للموافقة عليه ، وان الحكومة قامت بتمويل ربع تكاليفه وتدرها مائة الف جنيه استرلينى . وسانيو براهمى، ولكنه متزوج من مسلمة.

وعلى حين تناول الفيلم المكسيكى « المكتب المقدس » اخراج ريبيستين — وكان الفيلم الوحيد من امريكا اللاتينية فى المسابقة — اضطهاد اليهود فى المكسيك فى العصور الوسطى ، كان الفيلم الاسرائيلى « أبو البنات » اخراج مزراحى لايعدو كوميديا من الدرجة الثالثة حول صاحب مصنع يريد ان ينجب ولدا ، ولكنه لا ينجب الا بنات ، وعندما يحاول للمرة الثامنة تكون النتيجة فى نهاية الفيلم بنتا ثامنة !! وهكذا لم يعبر الفيلم عن فاشية السينما الاسرائيلية بعزلته عن الواقع فقط ، وانما ايضا بموقفه الرجعى من قضية المراة . وهو الامر الذى لاحظه بعض النقاد فى المؤتمر الصحفى مع المخرج .

وفى مسابقة الافلام القصيرة [١٠ افلام من ١٠ دول) لم يلفت النظر غير الفيلم السوفيتى « الجزيرة » اخراج زيوكوف ونازاروف ، والفيلم الكندى « الجوع » اخراج فلورز وكلاهما من افلام الرسوم المتحركة التى تعبر عن تطور هذا الجنس من أجناس الفن السينمائى. ففى الفيلم الاول رؤية لكفاح الانسان تتميز بالتمرد على الافكار الثابتة ، وفى الفيلم الثانى رؤية حادة للتناقض بين المجتمعات الاستهلاكية فى الغرب الراسمالي وبين المجتمعات النامية فى العالم الثالث

خارج المسابقة

أما الافلام التى عرضت خارج المسابقة [٧ افلام من ٤ دول] فقد أكدت على افلاس الكبار فى فيلم تاتى « السيرك » الذى لا يعدو عرضا لمشاهد من السيرك، وفيلم بريسون « لانسلوت دى لاك » الذى يعبر فيه عن حياة وموت الفارس المشهور فى تاريخ الغرب ، وفيلم فللينى « أنى اتذكر » الذى يجتر فيه ما سبق ان عبر عنه على نحو أروع واعظم فى « ٨ ونص » و « روما » وغيرهما من افلامه .

وخارج المسابقة ايضا عرض فيلم ليلوش « كل الحياة » الذى كشف فيه عن وجهه الصهيونى القبيح ، وقدم اتحاد المؤلفين السينمائيين الفيلم الامريكى « ذات يوم » اخراج هيليج ، وهو فيلم يثبت أنه لا يكفى للمخرج أن يكون مؤلفا ، ولكن الاهم ان يكون صاحب رؤية لها ابعادها التى ترتبط بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وبالعالم الذى يتنفس هواءه .

اسبوع النقاد :

كانت السينما السياسية سواء التسجيلية [قلوب وعقول للامريكى دافيز عن فيتنام و أ.ف. ستون للكندى بروك عن الصحفى الامريكى الدوف وساعة التحرير دقت للبنانية هينى سرور عن ثورة الخليج] . ام الروائية [الارض الموعودة للشيلى ليتين عن أول جمهورية اشتراكية فى شيلى فى الثلاثينيات والفائز بجائزة سادول ٧٤] هى اهم مايميز اسبوع النقاد الثالث عشر الذى تقيمه جمعية نقاد السينما الفرنسيين [٩ افلام من ٧ دول] . فقد كانت افلام اوربا الغربية اما تعبيرا عن رؤية ذاتية شديدة الانغلاق مثل « الصوت الاعلى » اخراج آران ، و « روح خلية النحل » اخراج اريك . واما تعبيرا عن حيرة السينما السويسرية الشابة بين معالجة الموضوعات المستهلكة فى اشكال جديدة [بالوما اخراج شمن] وبين السينما السياسية التى يصنعها المثقفون من اجل المثقفين [وفاة مدير سيرك البق اخراج كوريتز] . وكان الفيلم الوحيد الذى عرض فى اسبوع النقاد من اوربا الشرقية ، وهو الفيلم البولندى « من كل جانب » اخراج كوو كيفيتش ، يؤكد الاتجاه الشكلى فى شرق اوربا ، والذى تمثل فى المسابقة فى الفيلمين البلغارى والمجرى.

نصف شهر المخرجين :

تضمن نصف شهر المخرجين الخامس الذى تقيمه جمعية المخرجين بباريس ٦٢ فيلما طويلا من ١٦ دولة و ٨ افلام قصيرة من ٥ دول . اما الفيلمين الامريكيين « الشوارع الخلفية » اخراج سكورسيسى الذى يتناول حياة المهاجرين الابطال فى احياء نيويورك الفقيرة ، و « المهاجرون » اخراج جرايس الذى يتناول حياة العمال الرحل فى الريف الامريكى فقد عبرا عن افضل مايمكن ان تقدمه السينما الامريكية الاخرى : سينما الشركات الصغيرة . واما افلام اوربا الغربية فقد عبرت بوضوح عن الصراع بين السينما السياسية فى قضية بدون تحقيق للايطالى دى كارو الذى يكشف عن التناقض بين القانون والعدل فى المجتمع الطبقى ، و « التسليم » للسويسرى جنتين الذى يفضح حياد سويسرا الزائف ، و « المنشور » للنمسوى ليبونيفس عن

اخبار

● « صيادون فى شارع ضيق »

رواية الكاتب العراقى — فلسطينى الأصل — جبرا ابراهيم جبرا — التى كتبها بالانجليزية ، ونشرت سنة ١٩٦٠ ، ترجمت الى العربية ونشرت عن دار الاداب ببيروت . من المدهش أن الكاتب لم يترجم روايته — وقد عرف بتقديم ترجمات جيدة لشكسبير وفوكنر وغيرهما — بل ترجمها الدكتور محمد عصفور .

تدور الرواية فى بغداد فى نهاية الاربعينيات . بطلها مدرس فلسطينى مهاجر درس فى كيمبريدج ، ثم خرج من القدس بعد ٤٨ ، وهو يتعرف الى نماذج من الضائعين فى ذلك الواقع المرهق ، كما يتعرف الى جانب آخر من الحياة العراقية التقليدية فى المدينة . كل أبطال الرواية ضائعون ومتخبطون .. كلهم الصيادون فى الشارع الضيق ! .

● « زمن الصمت والضباب » المجموعة القصصية الخامسة لسليمان فياض ، صدرت عن دار الاداب فى بيروت . تضم المجموعة ست قصص قصيرة كتبت فى ١٩٧٢ و ١٩٧٣ . سبق أن صدر للكاتب قبل هذه المجموعة : « عطشان يا صبايا ، ١٩٦١ » ، « بعدنا الطوفان ، ١٩٦٨ » ، « احزان حزيران ، ١٩٦٩ » ، « العيون ، ١٩٧٢ » ورواية قصيرة بعنوان : « أصوات ، ١٩٧٢ » . تدور كلها داخل أسوار السجن .

منظمة ثورية تستغل هروب احدالمعتقلين السياسيين ، وبين السينما الواقعية مى « اعمال مؤقته مجارية » للالمانى **كلوج** عن مشاكل المرأة العاملة فى المانيا الاتحادية ، وبين السينما المتحذلقة ، وسينما الرؤى الذاتية المغلقة،والسينما التجارية المغلقة بالاشكال الجديدة .

ولاشك ان اهم افلام اوربا الغربية هذا العام هو الفيلم الفرنسى الكندى « السينما الحلوة » أحدث افلام فنان السينما اليوغسلافى **ماكافيف** .

لقد بدأ ماكافيف ثورة حقيقية فى السينما اليوغسلافية ، بل فى سينما شرق اوربا كلها حين صنع أفلامه الاولى « الانسان ليس طائرا » و « دوسيه الحب » ، ووصل الى الذروة فى فيلمه الرابع « أسرار النظام » ، ولكنه على حين كان يقوم بالثورة مى هذه الافلام « داخل الثورة » ، فهو مى فيلمه الاول خارج بلاده « السينما الحلوه » يقوم بالثـورة من خارج الثورة ، وضدها ويسقط فى الفوضوية تماما .

وقد كان الفيلم الكندى « الخطوبة الاخيرة » اخراج **لوفافر** من افلامسينما الحقيقة يمثل السينما الكندية المعاصرة ، على العكس من الفيلم الكندى فى المسابقة ، وكذلك الفيلم السوفيتى « كان بامكان طائر مغرد » اخراج **أوسيليانى** ،والفيلم اليوغسلافى «تحليق الطائر الميت » اخراج **بايلوفيتش** ، والفيلم الرومانى « فيما وراء الرمال » اخراج جابريا . والافلام الثلاثة من الافلام الواقعية التى تعبر عن تطور الواقعية الاشتراكية فى بلادها .

وفى مقابل فيلم واحد من امريكا اللاتينية فى المسابقة ، وفيلم واحد فى اسبوع النقاد تضمن نصف شهر المخرجين ٥ أفلام ، ولكن الفيلمين البرازيليين « اعمل يا متشرد » اخراج **كارفانا** و « ليلة خيال المآته » اخراج **ريكاردو** كانا تعبيرا عن موت السينما الجديدة فى البرازيل ، بينما كان فيلما شيللى « يجب قتل الجنرال » اخراج **اورتيجا** و « المصادرة » اخراج **ريز** تعبيرا عن السينما الثورية فى شيللى التى انتهت بوقوع الانقلاب الفاشى . وعن هذا الانقلاب يدور الفيلم المكسيكى « ضد العقل ومع القوة » اخراج **تيجيدا** الذى يفضح الفاشيين عملاء الامبريالية .

ومن آسيا عرض الفيلم الهندى « الجندى » اخراج » سين الذى يؤكد مولد سينما جديدة فى الهند الى جانب فيلم ساتيو ، ويدور حول الصراع بين اليمين واليسار . وعلى حين كان ختام عروض القاعة الكبيرة فى قصر المهرجان الفيلم البريطانى التجارى « جواسيس » اخراج **كيرشنر** ، كان ختام عروض صالة ستار التى أقيم فيها نصف شهر المخرجين فيلما ثوريا يمثل حركة تحرير جنوب أفريقيا ، وهو فيلم « آخر مقبرة فى دامبازا » انتاج أفلام مورينا بلندن ، والذى يكشف فظائع الحكم العنصرى .

اما الافلام القصيرة فقد كان اهمها الفيلم الفرنسى « العدوان » اخراج **كاسينتى** الممنوع من العرض فى فرنسا لتناوله الجرىء لمشكلة اضطهاد العمال العرب ، وهو نفس الموضوع الذى تناوله الالمانى فاسبندر . ومن الملاحظ ان السوق الدولى شهد ايضا عرض الفيلم البلجيكى « الطريق الى الخارج » اخراج **مونهيم** عن اضطهاد بوالندى فى بلجيكا ، والفيلم الدانمركى « مجرد عمال » اخراج **جرونى** عن اضطهاد يوغسلافى فى الدانمرك . كذلك تضمنت الافلام القصيرة فى نصف شهر المخرجين الفيلم الافريقى الوحيد فى المهرجان وهو فيلم ساحل العاج « باسم المسيح » اخراج **جيرار لوبيو** .

دراسات ووثائق :

للمرة الثانية اقام المهرجان برنامج دراسات ووثائق . وقد تضمن ٣١ فيلما قصيرا من السينما السرية الامريكية عبرت فى غالبيتها عن الاتجاه الشكلى اكثر من الاتجاه الواقعى ، أو الاتجاه السياسى فى هذه السينما . كما تضمن فيلمين من الافلام المسرحية التى تصور المسرحية بغرض تخليد العرض المسرحى، وفيلما تسجيليا عن الحيوانات والطيور ، وفيلما من افلام الفن عن بيكاسو ، وفيلما من افلام الادب عن هنرى ميللر ، وفيلما من افلام رينيه كلير رئيس لجنة التحكيم ، والذى عرض له فى افتتاح المهرجان فيلمه القصير « استراحة » ، وفيلما باسم جمعية نقاد السينما الفرنسيين هو « الثلاثى الجهنمى » للفرنسى جيرو الذى يتناول فيه الثالوث غير المقدس فى السينما التجارية ، ولكن بأسلوب خاص ينقذه من الركاكة .

آفاق السينما الفرنسية :

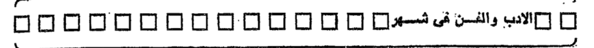
وللمرة الثانية ايضا اقامت جمعية المخرجين بباريس برنامج آفاق السينما الفرنسية [١٣ فيلما طويلا و ٨ أفلام قصيرة] . وقد كانت اهم الافلام التى عرضت فى هذا البرنامج « الجمهورية ماتت فى ديان بيان بو » اخراج **كانابا** المجمع من الوثائق السينمائية،والجنرال عيدى أمين » اخراج **باربيت شرودر** من السينما السياسية ، و « رجل نائم » اخراج **كيوسان** الفائز بجائزة فيجو ٧٤، وهو فيلم ذو الجديدة أدبية غلابة ، و « سيلين وخولى يتنزهان ، أحدث أفلام ريفيت الذى اكد ما سبق ان اتضح فى السينما الفرنسية المعاصرة : نهاية الموجة الجديدة التى بدأت فى أواخر الخمسينيات وماتت فى مايو ١٩٦٨ .

سمير فريد

● فى حديث لمجلة « **الثقافةالعربية** » قال الاستاذ **يحيىحقى** : « نصيحتى للادباء الشبان ، أناشدهم ، حينما يخرج كل منهم منمنزله صباحا ، ان يخلع عنه صفةالقصاص ، او حتى مجرد الشعور بأنه قصاص ، أو أنه خارج للصيد ، أو أنهمفروض عليه أن يسمع حكاية ما .. أقسم لك اننى كتبت « **خليها على الله** »بعد ثلاثين سنة من التجربة ، ولم يكن معى وقت الكتابة ولا ورقة عن هذه الفترة ، ولا حتى تذكرة اتوبيس . اتاح لى البعد الزمنى أن أتحدث عن هذه الفترة بنوع من الواقعية مشوبة بالحنين .. ولعل اشد انواع الكتابةنفاذا الى قلب القارىء هى التى تجمع بين الواقعية والحنان .. » .

● « **دراسات ماركسية فى الشعروالرواية** » كتاب ظهر حديثا عن **دار القلم ببيروت** » ويضم دراستين : الاولى عن الشعر **لجورج طومسون** ، والثانية عن الرواية **لفلاديمير ونيبروف** . ترجم الدراستين الدكتور **ميشال سليمان** .

● المجموعة الثانية للقصاص **يحيى الطاهر عبد الله** صدرت عن **وزارة الاعلام العراقية** بعنوان « **الدف والصندوق** » ، وتضم عددا من أعماله بعد مجموعته الاولى « **ثلاث أشجار كبيرة تثمر برتقالا** » . كتب مقدمة المجموعة الجديدة **ادوار الخراط** .





حـــكايات مصـــر
« ومـــن » الزائـــــدة

ربما كنت مخطئا عندما أدمنت عادة أن أمسك بالكتاب من ذيله ، أبدا بالفهرس ثم المراجع بعدها أعود للصفحات الاولى ، وكان **صلاح عيسى** هو الذى علمنى أن أقرأ الكتاب من أوله ، فما أن وقع بصرى وبمحض المصادفة على مقدمته لكتابه الاخير « **حكايات من مصر** » حتى استطالت نظرتى وتاهت بين الاسطر ، وتهت معها فى أمواج من الوجد والشوق والمعاناة، وعشت لحظات من القراءة المتأنية واللاهثة معا،لحظات ممتلئة حبا ومتعة وأنينا ، كانت مصر تتجسد أمامى أسطرا من نار تلسع ، مصر .. تتلوى أمامى من الالم الممض والرغبة الجامحة، والشاب الذى اخضر شاربه فى السجن يملا الجراح بالملح كى تندمل بالالم ، ويملا الافواه بكلمات فى طعم العسل .

وقرأت مقدمة **صلاح عيسى** لكتابه « حكايات من مصر » وبقيت مسهدا ليلتين كاملتين ، ليس من العذاب وحده ، ولا من المتعة فقط ، وانما من مزيج خاص منهما لا يعرف سحره والا كل من حاول يوما أن يستجلى وجه مصر .

وربما كنت مخطئا أيضا عندما تصورت أن « المؤرخ » ، رجل يشق الطريق الصعب نحو قمة الجبل ليقف هناك فيرى **« العام » متجاوزا كل ما هو «خاص» و « تفصيلى »** ، وانما « ترتق » نظرته الشمولية تلك التفصيلات الصغيرة جنبا الى جنب ، وتنسج من قطع الحقيقة الصغيرة رؤية موضوعية متكاملة لاتتوقف عند « الفرد » . **ولكن ها هو صلاح عيسى يجوس خلال شوارع المدينة ، طارقا أبوابا مغلقة فى زقاق ضيقة ليتحدث الى سكانها العاديين البسطاء مستلهما منهم ومن حكاياتهم رؤية ذكية وفذة لمجمل تاريخ مصر** .. وتعلمت انه يمكن لاناس مثل الشيخ المشالى والشيخ ابن الطويل ويوسف اليسرجى وحتى جوارى مثل حليمة وسعيدة وفاطمة ، يمكن لاناس كهؤلاء عندما تمتزج مأساة كل منهم بعضها ببعض أن تصنع قطعة حية من جسد مصر .. وتاريخها ..

وربما كنت مخطئا كذلك عندما باعدت بين « الحكاية » و « التاريخ » ، وعندما أكدت أكثر من مرة فى حماس أن علمية تناول « التاريخ » تفترض أن تنفى عنه صفة « الحكاية » التى تفرض على كاتبها أن يلتوى مع النفظ ويتوه بين نسيج الكلمات الحلوة ، وتتغاضى — بالضرورة — عن صرامة « العلم » المتجهمة الوجه ، لكن **صلاح** أكد فى حكاياته عن مصر أن امتزاج التاريخ بالادب يمكنه إذا ما كان الصانع ماهرا أن ينتج شيئا بالغ الروعة ، دافق الحيوية ، تموج فيه الحان الادب برنين العلم فتنتجان نغما عذبا بغير حدود .

وهكذا نستطيع عبر صفحات «حكايات من مصر » ، أن نلتهم فى نهم كتابة أدبية غاية فى الامتاع ، وان نتعلم أيضا الكثير عن مصر المملوكية والعثمانية ، عن مصر عرابى ومصر الاحتلال ، عن مصر فؤاد ومصر سعد والنحاس ، وبين صفحات الكتاب تعيش مع مصر ، تعرفها ، تشعر بعواطفك وهى تنجذب وتتقلص وترتخى فى وقت واحد ، تسمع دقات قلبك وهى تعلو وتعلو منشدة اسم مصر ، تحبس انفاسك ، مصر امامك بجوارك ، فى داخلك .. مصر تشنق مع الشيخ مشالى ، تباع مع الجارية حليمة وتحرق مع الاسكندرية وبرغم ذلك تعيش وتنبت الاشجار فى رباها ويجد الانسان المصرى قدرة على الغناء ..

شيء واحد فى الكتاب أثار غيظى ، عنوانه [**حكايات « من » مصر**] ، فى البداية أعجبت به ، وبعد ان اتممت رحلتى عبر صفحاته تساءلت فى انبهار لماذا « من » هذه ، ولماذا لم يكتف صلاح بـ « حكايات مصر » .. وعدت من جديد أقرأ المقدمة ! .

د . رفعت السعيد

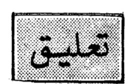


● « شهادة البكاء فى زمن الضحك » ، ديوان جديد صدر للشاعر **محمد عفيفى مطر** ، عن **دار العودة** ببيروت ، ويضم قصائد كتبها الشاعر ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧١ . فى فاتحة الديوان يبتهل الشاعر :

.. ابتهل الى أقمار الطمث المخصب والاشعار.
أن تضرم فى كلماتى النار
أن تحرقنى وتبعثرنى
أن تجعلنى أمثولة هذا الصمت الاسود
أن تربطنى شارة عار فى عنق السجان
ان تجعلنى لفظا مرا فى افواه المكذابين الدجالين ..
غير المغضوب عليهم
آمين ..

● « **نحو مسرح عربى** » ، مجموعة أعمال **يوسف ادريس** المسرحية ، صدرت عن **دار الوطنى العربى** ببيروت ، تضم المجموعة مسرحيات : **ملك القطن** ، **جمهورية فرحات** [١٩٥٦] ، **اللحظة الحرجة** [١٩٥٧] ، **الفرافير** [١٩٦٤] ، **المهزلة الارضية** [١٩٦٦] ، **المخططين** [١٩٦٩] ، **الجنس الثالث** [١٩٧١] ، بالاضافة لمجموعة المقالات التى نشرها يوسف بعنوان « **نحو مسرح مصرى** » ، ومقدمة **للدكتور على الراعى** عن مسرح يوسف ادريس .

عن نفس الدار أيضا صدرت طبعة جديدة لثلاثة من اعمال يوسف ادريس : « **العسكرى الاسود** » ، « **السيدة فيينا** » ، « **رجال وثيران** » .



سينما بلا ثورة

فى عرض كرونولوجى يحيطه الغموض الفكرى كتب الاستاذ « سمير فريد » مقاله عن السينما وثورة يوليو .. ولعل هناك ملاحظات :

جانب الصواب الكاتب منذ البداية حين اتبع منهجا كرونولوجيا فى تحليل الظاهرة السينمائية ، بل انه منهج يكاد ان يكون مضللا لانه يشى بتطور كمى متصاعد ويخلط بين اتجاهات موءودة واخرى متسيدة بحكم القوة كخلطه بين الافلام ذات الابعاد الاجتماعية المحددة وبين « اجازة نص السنة » مثلا ، او نجاح « السيد بدير » فى تقديم « سلوى فى مهب الريح » أو « غصن الزيتون » ... لقد عاق هذا المنهج سبيله فى التجاوز صوب تحليل الظاهرة من الداخل .. وصار الحديث حديثا عن « أهم الافلام » فى سنوات الثورة ، وليس الافلام « الثورية » فى الشكل أو فى المضمون .

جانب الصواب الكاتب حين لم يستطع أن يفرق - سينمائيا - بين دور « الدولة » باجهزتها المتشابكة فى التجربة المصرية ، وبين دور « الثورة » كفكرة ... أن أحدا من « فنانى السينما فى بلادنا لم يكن « ثوريا » - بالمعنى العلمى للكلمة - ومع ذلك فلقد كانت « الدولة » هى التى تعطيه وتمنحه وتتنفس رئاتها السينمائية من خلاله .. وهكذا فانه لا يبرر فى مقاله الهادى العظيم لاجهزة الدولة أمام الامراض الهيولية الجيلاتينية للسينما المصرية (وهو ما يعنى العمل على انتصار « الثورة » واستمرارها) .

جانب الصواب الكاتب حين لم يقم بتحليل افلام الواقعية المصرية بعد ثورة يوليو وعلاقتها النقدية مع الواقع (مع العلم بانها استمرار عضوى لواقعية ما قبل يوليو) وارتباط ذلك بالعلاقة المطلقة بين أى ثورة وبين الواقعية كمنهج فكرى للجموع .. لقد أورد أسماء لافلام واقعية فى زحام من « اهم الافلام فى سنوات الثورة » ووسط زحام أيضا من العبارات المطلقة كاهم فيلم فى تاريخ السينما المصرية ، او « اهم فيلم منذ « السوق السوداء » ١٩٤٣) عابرا بافلام مست السياسة لم يحلل « نوعيتها » الخاصة فى سجل الافلام المصرية (« كاغنية على الممر » او « القضية ٦٨ » .. وفى هذه النقطة بالذات كان يمكن تحديد دور « ثورة » يوليو على الطبيعة .

لعله من الافضل للقارىء ان يراجع مقال العدد الماضى وهو يستخرج الاسئلة من هذه السلة : (ربما كان هذا كاشفا وديالكتيكيا بصور افضل) .

سله الاسئلة ...

ما هى العلاقة بين « الثورة » و « الدولة » بالابعاد الايديولوجية الملتزمة للاولى والقوة التنفيذية الملزمة للثانية وبين السينما المصرية بتراثها المروع ؟ هل كان التناقض الرئيسى » بين طرفى المعادلة تناقضا بين القول والفعل وكان ذلك انعكاسا حارقا على السينما بعد الثورة ؟ هل حولت الثورة الشعبية السينما الى فن الشعب .. وكيف كان الراى فى التجربة الكوبية . ولدت السينما بعد ثلاثة اشهر من دخول جيش الثورة فى شوارع هافانا ، باعمال «ت . آليا» ، « مانويل جوميز » ، و « اسينوزا »» او فى التجربة الجزائرية (التى ولدت فى اعقاب الاستقلال المرير عام ٦٢ بالاخضر هامينا مثلا ؟) انشىء معهد للسينما المصرى فى عام ٥٩ فاين اسماكه الصغيرة فى محيط الحيتان ورثة الاتجار بكل ما يمكن الاتجار فيه من العاريات والى اللمز السياسى ؟ هل هناك علاقة بين تطور تكنيكى ما او ظهور جدد غرقى فى التيار وبين السينما الثورية فى مصر ؟ لماذا غيبت افلام النقد الذاتى « البناء » لاخطاء الثورة ؟ هل اوجدت الثورة أو الدولة « الكادرات » السينمائية الصالحة ، وهل تغير الرجال ؟ الام صار « اتجاه » الواقعية فى السينما المصرية ؟ ماذا فعل العام ١٩٦٧ بافلامنا وبالصمت وبالاستثمار التجارى الرخيص لعواطف مجتمع فى مخاض ؟ بل ماذا تفعل او ستفعل السينما - اخطر وسائل الاتصال الجماهيرى على الاطلاق - ب ٦ اكتوبر ؟ هل مست الثورة السينما المصرية على الاطلاق - وضع علامة استفهام .

الاعتذار المكتوب ...

فى المقال طيبات تكشف عن الرؤية الداخلية الامينة للكاتب ولكنى لم افهم لم تناقض منهجه فى التحليل الفكرى والفنى مع رؤيته ! انه يقول : « والحقيقة الاولى التى تواجهنا عند الحديث عن السينما وثورة يوليو : ان الثورة لم توقف اندفاع سينما اغنياء الحرب.. » (لماذا !) .. « فى عام ٥٦ كانت ثورة يوليو تمر بنقطة تحول هامة تمثلت فى تاميم قناة السويس والكفاح المسلح ضد الاستعمار فى بورسعيد وفى الجزائر ، ولكن السينما المصرية لم تكن قادرة (لماذا ؟؟) على مواكبة هذا التحول ... » .

القدرة ظل الثورة .

وهو اخيرا يقول فى حكم صادق « وعندما وقعت الهزيمة يوم ٥ يونيو بدت اكبر واهم وسائل الاتصال بالجماهير « خائنة » وليست فقط « متخلفة » » .

وبالطبع فان القضية لا يمكن مناقشتها فى حدود السينما المصرية وحدها ..

النتيجة

كان المقال مبهم الايديولوجية والمنهج الدراسى .. ولا شىء ثم لا شىء اكبر من الامل « العظيم » فى ان يكون ثمة تطور .. وبعد ٢٢ عاما ..

هذا تعليق موجز للغاية على المقال وعلى السينما كما انى اردت أن تكون المناقشة جدلية طويلة .

الفاروق عبد العزيز



احمد كامل مرسى (١٩٠٩)

درس فى معهد التمثيل والقسم الحر بكلية الاداب بالقاهرة ١٩٣٠ . بدأ حياته الفنية ناقدا للمسرح والسينما والراديو ١٩٣٣ . قام بدبلجة أول فيلم أجنبى الى العامية المصرية ١٩٣٨ وهو فيلم « **مستر ديدز يذهب الى المدينة** » اخراج **فرانك كابرا** . عمل مساعدا للاخراج ، واصدر أول معجم لمصطلحات السينما مع د . **مجدى وهبة** ١٩٧٣ .

افلامه القصيرة : المواطن الصالح ٤٨ ـ الدوامة ٥٣ ـ طريق الحياة النهضة الصناعية ٥٤ ـ آباء وابناء ٥٥ ـ رمضان (٣٢ حلقة للتليفزيون) ٦٠ ـ المستقبل الاخضر ، السيرك ٦٢ ـ القاهرة ٦٣ ـ السينما آلة وفن ٦٤ ـ الفنان محمود سعيد ٦٥ ـ الفنان يوسف كامل ٦٦ ـ المقاولون العرب ٧٣ .

افلامه الطويلة : المودة الى الريف ٣٩ ـ العامل ، بنت الشيخ ٤٣ ـ الجنس اللطيف ٤٥ ـ النائب العام ٤٦ ـ غروب ٤٧ ـ عدل السماء ٤٨ ـ البيت الكبير ، ست البيت ، كل بيت له راجل ، ليلى فى العراق (فى العراق) ٤٩ ـ طيش الشباب ٥١ ـ الام القاتلة ، ادينى عقلك ٥٢ ـ كدت اهدم بيتى ، امريكانى من طنطا ٥٤ ـ الميعاد ٥٥ ـ تاريخ السينما المصرية ٦٧ .

تقييم نقدى : أحمد كامل مرسى أو أم .ك . . كما يعرف دائما هو المخرج المصرى الوحيد الذى بدأ حياته الفنية ناقدا للسينما ، ولم يتوقف عن ممارسة النقد حتى بعد أن بدأ الاخراج ، وانما على العكس توقف عن الاخراج ، وتفرغ للنقد والعمل فى الثقافة السينمائية ، واخراج أول فيلم عن السينما فى مصر وهو « **السينما آلة وفن** » ، ثم اول فيلم عن تاريخ السينما المصرية . ومن أفلامه التسجيلية الهامة ايضا فيلميه عن الفنانين التشكيليين **محمود سعيد ويوسف كامل** وهما فيلميه الوحيدين المصورين بالالوان .

تميزت افلام ا . ك . م بتناولها المشاكل الاسرية للطبقة الوسطى مثل « **البيت الكبير** » و « **ست البيت** » ، وان لم تخلو هذه الافلام من النزعة التجارية السائدة . وفى أكثر أفلامه رفضا للنزعة التجارية ، وهو « **النائب العام** » ٤٦ عن مسرحية شيلر تناول التناقض الذى يمكن أن ينشأ بين القوانين المدنية والقوانين الدينية ، وكان هذا الفيلم الذى يتميز بالاتقان والاتزان الكلاسيكى والطابع المصرى الاصيل هو أول فيلم مصرى يتناول قضية فكرية ، ويعبر عنها من خلال الدراما الاجتماعية . وقد تم تمصير الاحداث الى درجة أن النص الاصلى لم يذكر فى العناوين . ومن أفلام أ . ك . م الهامة ايضا « **العامل** » ٤٣ الذى تناول فيه الصراع بين العمال واصحاب المال من أجل التأمينات العمالية ، وخاصة التأمين ضد الاصابة اثناء العمل وكان اول فيلم مصرى يتناول قضايا العمال . وكذلك هناك كوميديا « **امريكانى من طنطا** » ٥٤

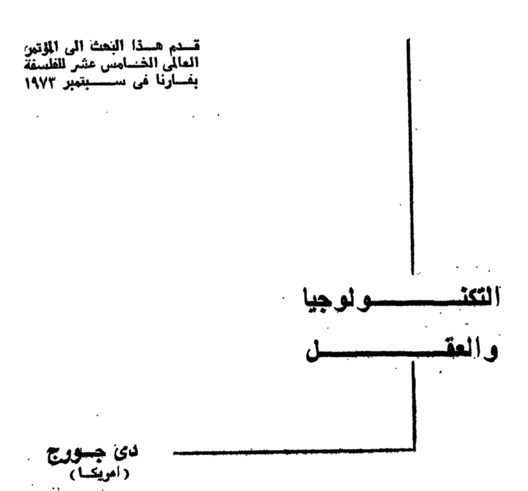
وتوقف ا . ك . م عن اخراج الافلام الروائية الطويلة منذ ٥٥ . ويعبر بوضوح من أزمة المثقفين فى السينما المصرية ، ولكن اذا كان البعض قد هاجر الى الافلام التجارية ، أو خارج البلاد ، فقد هاجر ا . ك . م الى العمل الثقافى ، واصبح الاب الروحى لجميع الجمعيات السينمائية الثقافية المصرية .



ومـــاذا عــن الفلســـفة والعـــلم ..

بعد صدور العدد الأول من « **ملحــق الفلسفة والعلم** » سألنى احد القراء :
لماذا قضية « **التكنولوجيا والانسان** ؟ » .
وكان جوابى :
ولماذا غيرها ؟ وما هى ؟
هى قضية « **الفلسفة والعلم** » بحـكم عنـوان الملحق نفسه . فقـد كان ينبغى ، فى البـداية **تعريف** القراء بطبيعة كل من الفكر الفلسفى والفكر العلمى مع بيان العلاقة بينهما .
وهذا الجواب معقول ولكنه غير مقبول :
معقول من حيث ان **التعريف** أمر لازم ومطلوب فى بداية مناقشة أى قضية .
وغير مقبول من حيث ان التعريف ليس بالامر الميسور ، وبالذات بالنسبة الى تعريف الفلسفة . فما زلنا حتى اليوم نقرا مؤلفات لكبار الفلاســفة تطرح مسألة تعريف الفلسفة .
هيدجر ، مثلا ، وهو فيلسوف المانى معـاصر وأستاذ سارتر أصدر كتيبا فى عام ١٩٥٦ بعنـوان « **ما الفلسفة** ؟ » يقرر فيه ان لفظة «**فلسفة**» يونانية، ومن ثم فهى تحدد وجود العالم اليونانى ، بل وتحدد التاريخ الغربى الاوروبى . بل هو يقرر أيضا ان كيفية السؤال مردودة الى اصل يونانى . ذلك ان كيفية وضع السؤال فى صيغة : « ماهو ؟ » فيها نغمـــة يونانية . و « **الماهو** » يعنى « **الماهيــة** » . الا ان « الماهية » فى مختلف العصور قد تحددت على وجوه مختلفة . فقد اعطى **أرسطو** تفسيرا للماهية مختلفا عن تفسير **أفلاطون** ، واعطى **كانط** تفسيرا آخر ، واعطى **هيجل** تفسيرا مختلفا كذلك .
وتأسيسا على ذلك يقرر هيـدجر ان السؤال : « ما هى الفلسفة ؟ » ليس بسؤال يهدف الى معرفة كيف بدات الفلسفة وتطورت ، وانمـا هـو **سؤال مصيرى ، أى أن الاجابة عنه تحـدد طريقتنـا الى المستقبل** .
وســارتر فى كتابه « **نقد العقل الديالكتيكى** » [١٩٦٠] يقرر ان **ليس ثمة فلسفة واحدة بل ثمة فلسفات**، وان الفلسفة ليست الا الاسلوب الذى به تعنى الطبقة الاجتماعية « **الصــاعدة** » وجودها . ومعنى ذلك ان الفلسفة الحقـة هى مرآة العصر . ومن ثم فان فترات الابداع الفلسفى نادرة . فمثـلا يرى سارتر ان ثمة « **لحظات** » ثلاث فلسفية واقعة بين القرن الثامن عشر والقرن العشرين :
« **لحظة** » ديكارت ولوك .
« **لحظة** » كانط وهيجل .
« **لحظة** » ماركس .
ولا يبطل مفعول أى لحظة من هذه اللحظات الا بتجاوزها . واللحظة الراهنة هى لحظة ماركس ، وليس فى الامكان تجاوزها الان لانها تعبر عن الطبقة العمالية الصاعدة . **والادعاء بتجاوزها لا يعنى الا العودة الى ما قبل ماركس** .
ونســأل :
ما الفلسفة فى راى ماركس ؟
يقول ماركس ان الفلاسفة اكتفوا **بتفسير العــالم** بأساليب متباينة ولكن المهم هو **تغيير العالم** . وبذلك يكشف ماركس عن **الوظيفة الثورية للفلسفة** .
والسؤال الان :
أين نحن من هذه التعريفات ؟
ثمة **ارهاصات** للاجابة عن هذا السؤال نلمحهـا عند زكى نجيب محمود وعثمان أمين وعبد الرحمن بدوى ورينيه حبشى ومحمد عزيز الحبابى . هى مجرد ارهاصات متباينة ومع ذلك فهى متفقة على ضرورة تغيير الواقع او على الاقل رفض الواقع الراهن .
تحليل الواقع إذن أمر لازم ومطلوب .
ولهذا كان لابد من اثارة قضايا تتعلق بواقعنـا فى تلاحمه مع الواقع العالمى . فاستقر الراى على طرح قضية « **التكنولوجيا والانسان** » .

د . مراد وهبة



قــدم هــذا البحث الى المؤتمر العالمى الخــامس عشر للفلسفة بفــارنا فى ســـبتمبر ١٩٧٣

التكنـــــولوجيا والعقـــــل

دى جـورج
(امريكـا)

لفهم الانسان المعاصر والثقافة ، ينبغى بحث علاقته بالتكنولوجيا . ولقد تحـرك جانب مـن الجنس البشرى ، على الاقل تجاه السـاحة التكنولوجية ، ولم يكن فى مقدور هذا الجانب التحرك من غير أن يغمس الانسان ذاته فى العصر التكنولوجى ، وذلك على الرغم من تخلف البعض عن اللحاق بهذه الحركة ، وخاصة التكنولوجيا المميزة لهذه الحقبة التاريخية للعالم هى من القوة بحيث أنها تحدث تاثيرا حتى على أولئك الذين لايفيدون من ثمارها ، وانما يعانون من ويلاتها .

وأحد معانى التكنولوجيا انها امتداد للانسان ذاته . وكما كانت أدوات الانسان البدائى هى امتداد لذراعه وقدمه أو عضلاته ، كذلك الالـة المعقدة ، فقد كان من شأنها أن ضاعفت من قدرات الانسان الانتاجية . أما التكنولوجيا الحديثة فلم تكتف فقط بالحفاظ على هذه المضاعفة ، بل انها أحدثت تغييرا فى علاقة الانسان بالانتاج والطبيعة والانسان ذاته . فهذه التكنولوجيا تفرز أنواعا جديدة من القوة فى الطاقة النووية وتتيح امكانية الاتصال الانى ، وتصل الانسان بالقمر والفضاء ، وتضع فى متناول الانسان القدرة على تغييـر الجنس البشرى بموروثات مصنوعة . وضاعفت الحواسب الالكترونية من قدرة الانسان علـى العمليات الحسابية والمهارات اللازمة لها وذلك على نحو مماثل لما أحدثه الالات فى القرن التاسع عشر من مضاعفة لقدرة الانسان الانتاجية .

وأثرت التكنولوجيا فى الثقافة . ونحن كشعب تكنولوجى نظهر أنفسنا ليس فقط بـاستخدام التكنولوجيا فى اعمالنا ، ولكن ايضا فى المجالات المتنوعة لمناشطنا ـ فى الموسيقى الالكترونية التى نستمع اليها من آلات مخصصة لذلك ، وفـى الوسائل الجديدة للنحت ، وفى الفن ذى الابعاد الثلاثة ، وفى التليفزيون الملون الذى يجلب المتعة ويسهم فى مسائل التربية . وبفضل التكنولوجيا تغيرت عادات الرجل الامريكى الخاصة بالتعامل المالى من خلال الحسابات الاوتوميـة ، وتغير

(*) بحث منشور فى الجزء الاول من اعمال المؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة - ص ٣٠٥ - ٣٠٩ - صوفيا ١٩٧٣ -

اسلوبه في اعداد الطعام وطهيه ، كما تغيرت أساليب صناعة ملابسه . بيد أن تعقيدات التكنولوجيا أدت بها إلى أن تكون في متناول فئة قليلة من البشر . ومع ذلك فان منتجات هذه التكنولوجيا — من مذياع وتليفزيون وأدوات الكترونية وحواسب — يمكن تبسيطها بحيث يمكن للانسان العادي أن يقتنيها .

وكما أن تطور الالة وما لازمها من ثورة صناعية كان سلاحا ذي حدين ، كذلك تطور التكنولوجيا والثورة التكنولوجية . فاحتمال فناء الجنس البشري بالاسلحة النووية من أوضح الشرور . وتزايد مشاكل تلوث البيئة ، والاثار السيئة للمواد الكيميائية مثل د . د . ت ، والمشاكل المترتبة على استخدام المورثات المصنوعة ، كل ذلك قد دفع بعضا منا الى اتخاذ موقف معاد من التكنولوجيا ، كما لو كان هذا الموقف كفيل باحداث آثار طيبة ..

وكان رد الفعل ، من بعضنا ، ضد شرور التصنيع يتخذ شكل رفض الصناعة ومقاومتها واستبدالها بكوميونات زراعية ، او العودة الى الحياة البسيطة .

بيد أن حركة التصنيع اندفعت في تطورها على الرغم من محاولات العرقلة . وبالمماثلة فان التقدم التكنولوجي ينطوي على قوة دافعة ذاتية ، ولكن ليس معنى ذلك عدم القدرة على تغيير اتجاهه او التحكم فيه او تعديل آثاره ، وانما معناه انه لا يمكن ايقافه بكلمة آمرة أو بتشريع قانوني أو برغبة رافضة أو باتخاذ أساليب بسيطة في الحياة .

ان ادراك شرور التقدم التكنولوجي وردود الفعل ضد هذه الشرور يعلمنا ويربينا . فالوجودية هي أول رد فعل عقب الحرب العالمية الثانية ، وايجابيتها متمثلة في رفض العقلانية والتعالمية [Scientism] والصناعة ، وفي أنها صرخة للاعتراف بالفرد بعد أن كان مفقودا بفعل الاليات ، وبعد ان كان مجرد رقم او عدد ، بغض النظر عن انفعالاته او الازمات التي تصيب انسانيته . ومع ذلك فقد انتقد البعض الوجودية باعتبارها لاعقلانية او معادية للاعقلانية ، وقد كانت بالفعل كذلك في بعض جوانبها .

وقد أفرز التطور الراهن للتكنولوجيا رد فعل آخر يدور على القول بأن ثمة فكرا باردا يكمن في تطوير أدوات الحرب النووية هو في الحقيقة ليس الا حالة من حالات العقل تعمل في اطار لا إنساني ، ومن ثم في اطار خال من العقل والمنطق ، ومن بين ردود الفعل ضد العقل على النحو المتمثل في التكنولوجيا بزوغ الاهتمام بالسحر والتصوف .. ورد الفعل هذا يمكن فهمه على مستويين . ففي فجر الفكر الانساني ثمة ظواهر طبيعية — مثل البرق والرياح والجفاف والاوبئة والمرض والفيضان — لم يكن في مقدور الانسان أن يفهمها أو يتحكم فيها ، ولهذا لم يكن أمامه من سبيل في مواجهتها سوى الاسطورة والسحر . والتكنولوجيا الحديثة في قبضة الحكومات والتكنوقراط ، وهؤلاء ليس لاحد التأثير عليهم ، ومن ثم أحست الاغلبية بأنها لا تتحكم في القوى التي يمكن أن تفنيها أو على الاقل تؤذيها بلا سابق انذار . وعندئذ تكون العودة الى السحر مفهومة كرد فعل ، وان كان عديم الجدوى .

والمستوى الثاني وهو رد الفعل ضد العقل على النحو المتمثل في التكنولوجيا يمكن فهمه اذا نظرنا اليه على أنه يقوم على سوء فهم للتكنولوجيا وللعقل . فبعض فلاسفة المذهب البنائي يتصور موت الفرد ، بل موت الانسان كفرد . بيد أن المفارقة هنا تكمن في اعتبار التكنولوجيا تتويجا للعقل وفي نفس الوقت يدفعنا العقل والتكنولوجيا الى عالم مستغلق على فهمنا بسبب النزعة الجنونية في اشعال حرب فتاكة .. وبسبب أن التقدم في المعرفة وفي التخصص لم يسمح لاحد بالتحكم في الكل ، هذا بالاضافة الى الاثار السيئة التي لحقت بالبيئة .

مثال على ذلك متداول عن الجدل الدائر عن مصادر الثروة في العالم وعلى خطورة استنفادها اذا استمر استخدامها بالسرعة المتزايدة الراهنة . ويقرر المتشائمون بأنه اذا لم نوقف استخدامنا للطاقة في معدلها المتزايد فان نفادها أمر محقق ، ومن ثم فهم يدعون الى الموازنة بين المتعة الراهنة والانتاج الراهن ، وبين احتمالات المستقبل حيث يكون الاضطرار الى التضحية بكثير مما تقدمه لنا الصناعة والتكنولوجيا والعلم . ومن جهة أخرى يقرر المتفائلون أن تقديرات المتشائمين والشواهد التي يستندون اليها ليس لها من أساس . وان العثور على مصادر بديلة لاشباع حاجاتنا أمر محقق في حالة نفاد المصادر الراهنة . فكما أننا عثرنا على البترول حين كان الفحم على وشك النفاد ، كذلك عثرنا على القوة النووية ، ونحن مقبلون على مرحلة حرجة ، ومن المتوقع التحكم فيها ..

وهذه الحجج مطروحة داخل اطار مقبول من كلا الفريقين ، اذ هو جدل يمارسه اخصائيون ويدور على مشكلة تكنولوجية . ومع ذلك فهذه المشكلة ليست تكنولوجية ، لان ما هو معرض للخطر هو قيمة الحياة ، حياة بني البشر اجمعين وليس حياة الخبراء فحسب ، وحياة الاجيال القادمة من الجنس البشري . ومع ذلك يقف من ليس على شاكلة التكنوقراط خارج الملعب ، وليس في وسعه الا الانصات الى الخبراء وهم يختلفون في الرأي حول المسائل التي تهم بني البشر اجمعين . واذا تولد لدينا احساس بأن الآخرين —

وهم التكنوقراط والعلماء والسياسيون - يلهون بمستقبلنا فهو احساس له أساس ، ما هو معرض للخطر ؟ ومن الذى يقرر ؟ ليس من شأن الفيلسوف أن يعالج مشكلة تكنولوجية . ولكن من الواضح أن ثمة مسائل ليست تكنولوجية وليس من شأن التكنوقراط معالجتها . وأنا أنشد توجيه الانتباه الى هذا الصنف من المسائل .

وطبيعة العقل من بين هذه المسائل . وحيث أن التكنولوجيا هى وسيلة الانسان المعاصر فى التعبير عن ذاته فليس من المستغرب عندئذ أن تكون ثمة هوية بين التكنولوجيا والعقل فى رأى قطاعات عديدة من البشر . وتأسيسا على ذلك فثمة هوية بين نقد التكنولوجيا والدعوة الى معاداة العقل . واعتبار التكنولوجيا تتويجا للعقل يعنى أن العقل التحليلى هو النموذج الاعلى للعقل ، وأن التكنولوجيا هى التتويج العملى له ينشده العقل التحليلى من نموذج أعلى ، وان الحاسب الالكترونى هو أول نموذج للعقل التحليلى وقد تجسد فى الواقع . وكلما نجح هذا الحاسب فى معالجة المشكلات أدى ذلك الى الاكتفاء فى معالجتها بالاسلوب التحليلى . وعندئذ ينبغى صياغتها فى مفاهيم تلائمها ، أى تلائم الحاسب الالكترونى . وهكذا يصبح هذا النموذج من العقل هو المجال المحدد المنوط بالتفكير فى المشكلات وحلها . وحين يصبح العقل التحليلى والتكنولوجيا قمة العقل والعقل العملى يكون من شأن ذلك اعتبار كل ما هو غير قابل للخضوع لهما ضد العقل أو لا عقلانيا . ومع ذلك فان تبنى هذا الموقف يعد استقطابا للعقل .

ان جميع المشكلات الناجمة من التكنولوجيا فى رأى التكنولوجى هى مشكلات تكنولوجية وحلولها تكنولوجية سواء كانت هذه المشكلات خاصة بتزايد السكان أو استنفاد مصادر الطاقة او التخلص من تلوث البيئة أو تغيير الموروثات . فكل مشكلة من هذه المشكلات تعالج بطريقة تحليلية . ولكن حين تعالج هذه المشكلات على نطاق واسع باعتبار ان آثار التكنولوجيا عالمية فان الحلول عندئذ اما أن تكون جزئية أو تتطلب حلا شاملا . والحلول التكنولوجية الشاملة ، من وجهة نظر تكنولوجية ، تعنى التحكم الشامل . وثمة صعوبة كامنة فى مثل هذه المعالجة ، وسرعان ما تطفو على السطح فى اللحظة التى نثير فيها هذين السؤالين :

من الذى يقوم بهذا التحكم ؟
وعلى اى أسس ؟

والسؤال عن الاسس وارد طالما أن هذه الاسس لا يمكن أن يكون مصدرها التكنولوجيا ، وهى بالفعل ليست كذلك . ومن الواضح والبين الان أن المشكلات الناجمة عن التكنولوجيا ليست كلها مشكلات تكنولوجية بل مشكلات انسانية ، ولهذا فانه من الواضح والبين كذلك ان العقل التحليلى ليس هو النموذج الوحيد للعقل .

فالعقل التحليلى عاجز عن اعطاء حلول للمشكلات الشاملية التى يثيرها لانه من اللازم رؤية هذا العقل من خلال منظور أوسع ، وكذلك التكنولوجيا عاجزة هى الاخرى عن تحديد مشكلتها من باطنها . والتساؤل عن آثار التكنولوجيا فى حاجة الى اجابات لن تكون تكنولوجية وحسب لان المشكلات ذاتها ليست تكنولوجية وحسب . ومن ثم فان نموذج العقل ينبغى أن يكون أعم من العقل التحليلى .

واسطورة العقل التحليلى تعنى أن العقل التحليلى هو النموذج على الاطلاق ، وان الفضل فى التقدم مردود اليه وحده . وتعنى كذلك أن نشاطه هو النشاط العقلى المعترف به فى هذا العصر . ونحن على الضد من هذه الاسطورة فنضيف الى العقل التحليلى العقل التركيبى والعقل الديالكتيكى ، وهذه العقول الثلاثة متداخلة ، وهيمنة أحدها ليس دائما ، وكل عقل نموذج فى ذاته ، ولكن حذار أن تصنع من أى منها النموذج الوحيد .

ان « العقل التحليلى » هو القوة الدافعة للعقل فى تفكيك ما هو معطى الى أجزاء بسيطة ثم فحصها وتحليلها . انه قوة دافعة نحو الوضوح والتمايز . ولكن التجريبيين هم الذين يميلون الى اقرار هيمنة العقل التحليلى . ويفضى هذا الميل الى النزعة الذرية حيث الاجزاء منفصلة ومستقلة ، ومن ثم تتسم الحقيقة بهذا الطابع الذرى .

والعقل التركيبى هو القوة الدافعة للعقل أو بالاحرى القوة الدافعة لانسان قادر على الاستدلال من أجل تكوين الكل او النسق ، اذ هو يربط الاجزاء بعضها ببعض ، ويبحث عن الروابط الضرورية ويكون وحدات . وهذا النوع من الاستدلال خاصية يتميز بها العقليون الذين ينشدون تكوين الكل والنسق حيث الاجزاء مترابطة . وهكذا يمثل العقل التركيبى النموذج المثالى القادر على تكون الوحدة الكلية . واتساق الحقيقة ثمرة المحاولة لارضاء هذا الدافع وتحقيق هذا المثل الاعلى .

وكل ميل من هذين الميلين ليس قائما بذاته اذ انهما متلازمان مع هيمنة أحدهما على الاخر . العقليون يركزون على النسق والترتيب والسبب ولكنهم فى نفس الوقت يفسرون الجزئيات ويحرصون على اتساقها مع الكل . والتجريبيون يهتمون بالجزئيات ولكنهم فى نفس الوقت ينشدون النظرة الكلية ، أو على الاقل ينشدون ربط الجزئيات بعضها ببعض .

والعقل الديالكتيكى هو الرابط بين العقلين التحليلى والتركيبى . انه جانب من العقل مانع

من الاكتفاء بثمرة المنجزات التركيبية والتحليلية . انه يتحرك من منظور الى آخر ، ومن وجهة نظر الى أخرى دون أن يقف عند حد معين . انه يقرر ان النزعة الكلية لا تقف عند حد ، وان الكلمة الاخيرة أمر محال ، وان التركيب ليس كاملا على الاطلاق وكذلك شأن التحليل .

واذا كان العقل التركيبي يميل الى ايجادوحدة بينوجهات النظر المتباينة عن الحقيقة والى فرض الاتساق بين جميع الانسقة ، واذا كان العقل التحليلى يميل الى تفكيك المشكلات أو تركيز الانتباه على واحدة منها ، فان العقل التركيبى يتميز برفض الاعتقاد بأن أية وجهة نظر كافية لوحدها وبقبول الاعتقاد بأن التوفيق بين وجهات النظر المتباينة عن الحقيقة أمر مفيد وممكن . انه يتنقل ذهابا وايابا بين الدافع الى التحليل والدافع الى التركيب استنادا الى اعتقاد أساسى بأن ليس ثمه اطار نهائى أو حل حاسم .

ان الوظيفة النقدية للعقل تستلزم الجوانب الثلاثة . فالعقل يهيب بالتحليل حينينشغل بنقد الجزئيات ، ويقيم من زاوية الكل ، ويربط بين وجهات النظر المتباينة ويندفع ذهابا وايابا بين العقل التحليلى والعقل التركيبى .

والعقل التركيبى والنقدى هو من الاهمية فى تقييم التكنولوجيا ، بحيث يكون من الخطأ اعتبار العقل التحليلى الممثل الوحيد فى التكنولوجيا ، والنموذج المثالى للعقل ذاته .

ان حدود التكنولوجيا ليس مسالة تكنولوجية . والافتراض القائل بأن مشكلات التكنولوجيا يمكن معالجتها بالتكنولوجيا هو افتراض مشكوك فيه ، وبالذات حين نحد من التكاليف والوقت . فى الامكان التغلب على الازمة المتوقعة فى مصادر الطاقة ، وذلك بالكشف عن بدائل . ولكن هل يمكن لهذه البدائل أن تواكب الاحتياجات التى تلازم الانفجار السكانى ؟ جواب التكنولوجيين لن يكون الا مجرد تخمين ، أو تعبير عن ثقتهم فى التطورات المستقبلة . وليس ثمة دليل على فائدة الحلول التى تقدمها التكنولوجيا لمشكلاتها . وأهم من ذلك أن التكاليف الكامنة فى المعالجة التكنولوجية يقع عبئها على كاهل بنى البشر أجمعين ، هذا بالاضافة الى أن القرارات المتعلقة بأبواب الصرف وطريقة استخدام طاقة الانسان وحياة الانسان ليست مسالة تكنولوجية .

واذا كانت المشكلات التى تثيرها التكنولوجيا ليست تكنولوجية فان المعالجة لا يمكن أن ينفرد بها التكنولوجيون . وهذا قول حق على الرغم من ان الرجل العادى فى حاجة الى الخبير لمعالجة بعض جوانب هذه المشكلات . والاحساس بأن المسالة تتجاوز قدرات الرجل العادى تفضى الى الاحساس بالاغتراب ، الى الاحساس بأنه خارج حدود الملعب الذى تجرى فيه الامور لتحديد ما يمكن ان يصيبه ، ومع ذلك فالتكنولوجيون يعملون فى اطار معايير من صنع القانون والحكومة، او الادارة الصناعية . ولا يحتمل البحث والكشف اى تأخير فى الصرف عليه . ولكن حرية البشر فى البحث العلمى متمايزة عن مسألة الانتاج بالجملة أو استثمار ما ينتهى اليه العلم من تطور أو اكتشاف . فهذه المسألة تستلزم توفير مصادر رأس المال ــ سواء كانت الدولة أو القطاع الخاص ــ وسلطان المجتمع ــ سواء كان معلنا او خفيا .

ان تحليل حدود التكنولوجيا من زاوية أشمل ، وتوضيح بعض القيم والمبادىء المتصلة بالتطبيقات العريضه للتكنولوجيا ، مسألة يمكن للفلاسفة أن يسهموا فى تأسيس جدل اجتماعى اصيل حول المشكلات التى تفجرها التكنولوجيا . وعلى سبيل المثال يمكن طرح مسألتين ، حول استخدام المصادر الطبيعية ، وهما مسألتان غير تكنولوجيتين على الاطلاق ويستحقان توضيحا أدق من الفلاسفة . المسألة الاولى خاصة بتحديد مدى افضلية الاجيال القادمة على الجيل الحالى . والمسألة الثانية تدور على التساؤل حول امكان اقرار اى حقوق لاجيال لم تولد بعد ، وعما اذا كان للاجيال الراهنة أية واجبات نحو المستقبل . واذا كان ذلك كذلك فما هى دواعى ذلك ؟

واذا قبلنا المبدأ المزدوج القائل بأن الموجودين وحدهم هم الذين لهم حقوق ،وأن غير الموجودين ليس لهم أى حق ، اذا قبلنا ذلك فان الموجودين على قيد الحياة هم أولى من غيرهم عند توزيع مصادر الثروة الطبيعية المحدودة ، ويترتب على ذلك ان ثمة واجبا أعظم نحو رفع مستوى المعيشة للموجودين الذين يكاد يعثرون على القوت الضرورى للحياة بدلا من تجاهلهم وتوجيه كل اهتمامنا نحو الاجيال القادمة . والقوة الدافعة لهذه الحجة تكمن فى أنه اذا كان من الممكن اقرار الوسائل الخاصة باستثمار التكنولوجيا ، واقرار القطاعات التى لها الافضلية فى هذا الاستثمار فان توجيه الاهتمام الى الاجيال الراهنة يعد أكثر الحاحامن توجيهه الى الاجيال المستقبلة. ولكن ليس معنى ذلك تجاهل الاجيال المستقبلة ، وانما معناه أن هذه الاجيال ليس لها أية حقوق راهنة ، وأن ثمة خطا أخلاقيا فى التضحية بالاجيال الراهنة من أجل الاجيال المستقبلة .

واقتراح هذا المبدأ من شأنه أن يثير مشاكل عدة أكثر من أن يقدم حلولا لها . ولكن جوهر المسالة أن التكنولوجيا ينبغى أن تخدم الانسان بدلا من أن تحكمه . وحيث أن البشرية فى خطر فان القرارات الخاصة باستخدام التكنولوجيا الحديثة ينبغى أن تصدر عن أوسع قطاع من بنى البشر ، ومن منظور اشمل ، وليس فقط عن التكنولوجيين والسياسيين .

● أستاذة الفلسفة بجامعة القاهرة
● من مؤلفاتها :
الطبيعة فى الفلسفة اليونانية
تاريخ علم الجمال

التكنولوجيا والقيم الجمالية

د. أميرة حلمى مطر

مما لا ريب فيه أن لكل المجتمعات فنونها كما أن لها لغتها وتصوراتها عن القيم الجمالية والاخلاقية التى تكون ثقافتها وأساليبها فى السلوك والتفكير، لا تختلف فى هذا المجتمعات البدائية عن المجتمعات التى بلغت فى العلم والحضارة والتكنولوجيا شأوا بعيدا ومستويات رفيعة .

وتفسر **سوزان لانجر** [١] وهى من أشهر كتاب هذا العصر فى علم الجمال هذه الفكرة بقولها : انه قد توجد مجتمعات لا تعرف الاساطير ولا الدين ولا العلم ، ولكن لا توجد أبدا مجتمعات تخلو من الفن ذلك أن للانسان فى كل المجتمعات نوعا من الرقص والغناء والتصميم Design يضمنه الاشياء أو على الاجسام البشرية وهذا أمر يؤكد أن الفن انما يدخل فى نسيج الحياة الانسانية ، ولا يمكن أن نعتبره ترفا ، أو غلافا خارجيا يزين مظهرها ، بل أولى بنا أن نقول انه التعبير عن ذلك الجانب اللا منطقى ، أو الجانب الشعورى والانفعالى ، أو النمط العام لاحساس الانسان وقيمه السائدة فى صورا واشكالا ورموزا منطقية يمكن تعقلها وفهمها . فمن خلال الصور والاشكال والرموز يتبلور النمط العام لاحساس الانسان وقيمة السائدة فى مجتمع من المجتمعات .

ولقد شاهد القرن التاسع عشر الثورة الصناعية ، وشاهد القرن العشرون الثورة التكنولوجية ، وكلتا الثورتين وليدة العلم ، وثمرة المناهج التجريبية ، وبهما تطورت حياة الانسان الاجتماعية ، كما تطورت ثقافته وفنه ، ذلك انه لا **يمكن للصناعة والتكنولوجيا أن تغير فى مفاهيم الانسان العلمية للواقع ، وسلوكه ، ولا تكون فى نفس الوقت أداة لتطور حياته الاجتماعية ، وتغيير تصوراته وقيمه الاخلاقية والفنية** . بمعنى آخر لا يمكن لمجتمع صناعى يعتمد على الكهرباء ، ويفجر الطاقة الذرية أن يعيش النظم الاجتماعية والاقتصادية ، أو يتبنى القيم الاخلاقية والجمالية المتوارثة عن اليونان أو العصور الوسطى بغير أن يظهر تناقض بين الحضارة العلمية التى يعيشها والثقافة الموروثة التى يتبناها .

ان هذا التعارض هو أمر مازال قائما فى كثير من المجتمعات التى تتمسك بالتراث ، وبالقيم المحلية فى نفس الوقت الذى تتبنى فيه منتجات وآثار التكنولوجيا الحديثة .

وعلى ضوء هذا التعارض أمكن التفرقة بين ما يعرف عند الاوربيين **بالحضارة** Civilisation ، وما يعرف **بالثقافة** : Culture . فاذا صح أن لكل مجتمع ثقافته حتى المجتمعات البدائية الا أن الحضارة انما تعنى الارتفاع الى مستويات عالية فى الانتاج والتنظيم والمعرفة بحيث يصبح من تناقض القول أن نتحدث عن **حضارة بدائية** Savage Civilisation . فى حين يمكن الحديث عن **ثقافة بدائية** Savage Culture [٢] .

لذلك نقول انه **فى نفس الوقت الذى يمكن أن نقيم فيه الحضارة التكنولوجية فانها بالتالى تبشر**

---

[١] S. Langer, The Cultural Importance of Art Philosophical Stetches, 1962, P. 83.
[٢] S. Langer, Ibid p. 98.

بثقافة عالمية تصطدم بالثقافات المحلية وذلك أمر واقع حتى فى المجتمعات التى أثمرت الحضارة التكنولوجية الحديثة، وفى هذه المجتمعات أمكن للافراد أن يرتفعوا عن هذه التناقضات اذا ما تبينوا ضرورة التجاوز عن الفوارق المحلية ، والارتفاع الى تفهم اللغة العالمية للثقافة العالمية التى تبشر بها الحضارة التكنولوجية الحديثة — غير أن التسليم بهذا الرأى يلقى الكثير من المعارضة ، **بل كثيرا ما يحس المفكرون فى عصرنا هذا بالشك ، بل بالرهبة والخوف تجاه ما تبشر به التكنولوجيا من قيم جديدة وثقافة عالمية تمس حياة الانسان وقيمه الروحية** ٠

ولعل أهم ما جعلهم يشعرون بهذه الرهبة هو خوف الانسان على حريته واحساسه بتضاؤل قوته ازاء قوة الالة . فالتكنولوجيا بما حققته فى ميدان الطبيعة من انجازات هائلة قد ظهرت له كقوة شامخة تهدد حريته كما تهدد انسانيته ، ذلك أنه السيد الذى أبدع الالة ٠

فهل يمكن أن يكون عبدا لها ، وهل يمكن لهذه التكنولوجيا ومتطلباتها الثقافية أن تهدد قيمه الروحية ؟

هل يمكن أن يحل الانسان الالى Robot محل الانسان فى الفن ؟

هل يمكن للحاسب الالكترونى [Computer] أن يحل محل العقل الانسانى ؟

من الواضح أنه لا محل لاى تخوف أو خشية من قيم الحضارة التكنولوجيا واخلاقياتها ، ذلك لانه من الواضح أن الالة اذا كانت قد حلت محل الانسان فى الصناعة ، الا أنها لا يمكن أن تحل محله فى الفن ولا فى الابداع ، بل على العكس من ذلك انما تعمق احساساته ، وتقوى من قدراته العقلية وتطلق خياله فى الابداع ٠

وخبرة الحياة الانسانية هى المنطلق الاول لابداعه الفنى ، اذ لابد للانسان ان يحيا ، وأن يحس ، وأن يرى ، وأن يشمر ، وان ينشد ، وأن يرقص ، قبل أن يستخرج من الالة امكانياتها التى تساعده على الرؤية وعلى الرقص والغناء ، ذلك لاننا لو كنا خالين الوفاض من هذه الاحساسات فلا يمكن للالة وحدها أن تملأ مشاعرنا ، بل لاتقتصر دورها على أن تجعلنا أشد خواء وفراغا ٠

والتكنولوجيا الحديثة قد ضاعفت من امكانيات الانسان ، وقدراته على الابداع فى الفن ، وهى فضلا عما ابتدعته من فنون جديدة كالسينما والتليفزيون قد وسعت من تصورات الانسان وعمقت احساسه بالجمال وتذوقه له بل استحدثت قيما جمالية جديدة لم تكن تدور بخلد انسان الحضارات القديمة ، أو تداعب خياله واحساساته.

ودور الفنان على ضوء التكنولوجيا المعاصرة لم يعد ذلك الدور الذى يقتصر على تحقيق العمل الذى يمكن للالة أن تقوم به ، بل تعدى ذلك الى ابداع الاله نفسها . **والسيبرنطيقا Cybernétique أو التحكم الالى فى الانتاج حين أوكلت للالة التحكم فى الانتاج الالى فانها جعلت دور الفنان لا يقتصر على ابداع العمل الفنى بل على توجيه هذا الابداع** ٠

واذا كانت أهم ملامح الفن الحديث هى تحرره من كافة القيود المتوارثة عن التراث الكلاسيكى اليونانى الرومانى فانه من جهة أخرى قد تحرر من الالتزام بالرؤية المادية للواقع ، وكذلك تجسد الفن الحديث حقيقة التغير والنسبية خاصة بعد أن ظهر أن قوانين الرياضة والهندسة نفسها التى كان ينظر اليها على مدى التاريخ على أنها حقائق أزلية أبدية ، قد تغيرت وبدت نسبية ، وأثبتت نظرية النسبية فى الفيزياء الحديثة أنه فى عالم يتحرك كل ما فيه لا يمكن القيام بأى حسابات أو تنبؤات بغير اعتبار موقف الملاحظ ، فقياس المكان يختلف باختلاف حركة المشاهد ، وقياس الزمان يتأثر بالفترة التى تستغرقها الحركة فى مسافة معينة ، وهكذا بدا العالم على أنه كيان مكانى — زمانى متصل ، وتحولت المادة الى طاقة ٠

وعندما وعى الفن هذه النظريات العلمية الحديثة التى أدخلت الزمان بعدا رابعا الى أبعاد المكان ، وتحول المكان الجامد الذى كان ينظر اليه على أنه حاوى الصور الثابتة ، ويعده نيوتن مكانا ثابتا مطلقا ، قدم الفن مكانا يفيض بالحركة وينطلق بالقوى والامكانيات فيما يسمى بديناميكية المكان Le spatio-dynamisme ، وعلى هذا الاساس العلمى نشأ النحت الفضائى الذى يؤكد اهمية الفراغ ، وفى عام ١٩٥٦ أدخل الفنان المجرى الفرنسى شوفر Schöffer مادة جديدة فى الفنون التشكيلية هى الضوء الذى أكد اتصال المكان بالحركة الزمانية [٣] ٠

واضافة الحركة الى المكان ، والى المادة حرك الصور التى كان ينظر اليها على أنها ثابتة ، وأن كل ما هو ثابت كامل وجميل ، وبدأت الصورة تخضع لحسن ادائها للوظيفة فى منتجات الفنون التشكيلية ، بل ساد مبدأ تبعية الصورة للوظيفة فى جماليات هذه الفنون ٠

وتبنى كثير من المفكرين هذا المبدأ ، خاصة رجال **مدرسة البناء أو « الباوهاوس » Bauhaus** التى

---

[٣] Schöffer, Le nouvel Esprit Artistique. 1970 — 11.

أنسست فى ألمانيا عام ١٩٢٠ ولكنها انتقلت بعد اغلاقها على يد حكومة النازى عام ١٩٢٧ الى شيكاغو . ومن ابرز رجالها جروبيوس Grobius وكلى Klee وكاندنسكى Kandensky

لقد أبرزت هذه المدرسة حاجة الصناعة الى التصميم الجمالى ، وذهبت الى امكانية القول بأن اى منتج صناعى يمكن أن يكون عملا فنيا لا يقل عن سائر منتجات الفنون الجميلة ، فالمبنى المعمارى والكرسى ، والاناء الذى نأكل فيه كلها آثار تحمل قيما جمالية ، شأنها شأن اللوحة ، والتمثال ، وحسن اداء المنتج الصناعى للوظيفة يدخل كقيمة جمالية ، ومن هنا فقد تدارك الانتاج الصناعى الحديث تلبية الذوق الانسانى للجمال ورفعت بعض الجمعيات الفنية شعار تكامل الالة والعمل اليدوى ، وعلى رأس هؤلاء هنرى فان دى Van de Velde الذى أعلن انه ليس هناك حدود بين الاداة Tool المستخدمة فى الصنعة اليدوية ، وبين الالة Machine ، وقد ترتب على ذلك أن أصبح من الممكن للمنتج ذى القيمة الفنية العالية ان يكون من خلق الالة ، وبهذا حسم الصراع الذى تجذر فى أخريات القرن التاسع عشر من قبل المفكرين الذين أعلنوا احتجاجهم على الالة ، وقاد هذا الاحتجاج : الفنان الانجليزى وليم موريس William Morris (١٨٣٤ — ١٨٩٦) الذى كون جمعية السابقين على رفائيل ، ودعا الى العودة الى تراث العصور الوسطى ، واحياء الصنعة اليدوية Fine Handicraft .

لقد انتهى هذا الجدل بانتصار جماليات الالة على الصنعة اليدوية بعد أن نظر الى الالة على أنها امتداد اليد الانسانية ، وبدأ العالم الاوروبى يقدر القيم الجمالية بمنتجات الصناعة بعد أن تحسن الانتاج الصناعى ، وراعى هذه القيم ، ومن هنا امكن أن يظهر ما يعرف بجماليات الالة .

لقد أدخلت الالة مصطلحات جديدة فى عالم القيم الجمالية لم تكن لتتوفر فى اطار الانتاج اليدوى القديم ، ومن أبرز هذه القيم ما يعرف بـالدقة Precision والانسيابية Flawlessness والبساطة Simplicity والاقتصاد Economy [٤]

وبهذه القيم تخلص الفن من كثير من القيم التى ارتبطت بالانتاج اليدوى القديم ، وسادت مبادىء وتصورات لم تكن لتتحقق وتوجه الذوق الا بفضل عصر الصناعة ، والتكنولوجيا المتقدمة ، والانتاج الجماهيرى الغزير المنخفض التكاليف .

لقد أصبح من الممكن على ضوء هذه الثورة التكنولوجية ان تنتقل الاثار الفنية مقروءة ومسموعة الى الجماهير ، وأمكن نشرها على كل المستويات ، مما حقق اشتراكية الفن والثقافة ، وقضى على الفوارق الطبقية التى كانت تحرم قطاعات كبيرة من قطاعات المجتمع متعة تذوق الاثار الفنية ، التى ظلت لقرون طويلة وقفا على القلة القادرة على اقتنائها وتذوقها .

لقد نجحت التكنولوجيا المعاصرة فى أن تستبدل القيم التقليدية فى الجمال بقيم جديدة أتت بها الالة ، وأتت بها اشتراكية الفن ، فالندرة والغلو مثلا لم تعد فى ظل التكنولوجيا المعاصرة من القيم الجمالية التى كانت تدخل فى الاعمال الفنية التقليدية .

وعلى هذا النحو تخلصت فنون كثيرة من الاعتماد على المواد النادرة ، ولجأت الى استعمال المواد المعتادة ، فظهرت مثلا صباغة الاخشاب والزجاج ، وحلت محل صباغة المعادن الثمينة ، واستعمل فى النحت مواد البيئة ، بل لجأ فن التصوير الى استخدام « الكولاج » أو « الملصوقات » والبوب آرت Popart أو الفن الشعبى الى استخدام الخيش والاوراق ، الامر الذى حصل أحد كبار المفكرين وهو لويس مامفور Mamford يقول لقد رجعنا الان الى موقف البدائى الذى يبادل الفراء والعاج بالزجاج الملون الذى يصدره له الرجل الابيض ، وبدا لنا الان أن هذا البدائى كان فى عمله هذا هو الرابح فنيا ومن وجهة نظر جمالية .

كذلك قربت التكنولوجيا الحديثة باقتصادها الجماعى بين الطبقات فى الذوق حين عملت على اقامة القيم الجمالية على مستوى كمى ، وارتفعت فى نفس الوقت بالذوق الى مستوى كيفى حققته امكانيات التكنولوجيا ، الامر الذى يحتم علينا فى هذا العصر ان نقبل ثقافة تكنولوجية ، لاننا لا نستطيع ان نقبل النتائج العملية للالة بغير أن نسلم فى نفس الوقت باخلاقياتها وجمالياتها التى توفر جهد الانسان وتحرره من كثير من الكد والعناء الذى تعرض له على مدى قرون طويلة فانها توفر له ايضا امكانيات لم يكن يحلم بها فى تلقى الفن وابداعه وهى تطور من ذوقه الفنى على نحو يحقق تكامله النفسى وتوازنه ، لكى يتم التكيف بين دوافعه الداخلية مع بيئته الخارجية وتعامله معها .

والالة ان لم تكن هى نفسها منتجا فنيا ، فهى أيضا وراء كل منتج فنى . واذا كان من الواضح أنها قد أصبحت حقيقة واقعة فى حياتنا العملية فلا مناص من البحث فى تقبل قيمها الجمالية الجديدة على ثقافتنا .

---

[٤] Mumford. L. Technics and Civilization, 1934.

قال ارسطو ، مؤسس المنطق الصوري ، ان الانسان « حيـــوان سياسي » أي ـ بالمنطق الصوري ـ ان الذي يميز الانسان عن سائر الحيوانات ، عن سائر الكائنات الحية فوق سطح كوكبنا ، هو قدرته على أن يمارس « عملا سياسيا » . وبما أن الذي يميز الانسان عن الحيوان هو ايضا « العقل » ، أي « السلوك العاقل » . اذن ، فبمقتضى المنطق الصوري مرة أخرى ، « العمل السياسي » هو « العمل العاقل » هو « فن الممكن » .

وقال كارل ماركس ، متبنى المنطق الجدلي ، ومؤسس المادية الجدلية ، أن الانسان قد تميز عن سائر الكائنات الحية الاخرى المنتمية الى المملكة الحيوانية ، بفضل تطويره لقدرته على استخدام « الالة » عبر حقبة من الزمن امتدت لمئات الالاف من السنوات . « الالة » هي التعبير المجسم « للتكنولوجيا » بفضل استخدامه للالة ، طور الانسان مواهبه « العقلية » ، اكتسب « سلوكا عاقلا » ، وتفتحت امامه آفاق العمل « السياسي » ، بممكنات تتسع أبعادها أبدا .

محمد سيد أحمد

- مشرف على صفحة الرأي بجريدة الاهرام
- بكالوريوس الهندسة الكهربائية [١٩٥٦]
- ليسانس الحقوق [١٩٥٧]
- أمضى عامين في كلية الفنون الجميلة ، قسم الرسم [١٩٥٢ ـ ١٩٥٥]
- أمضى اكثر من سبع سنوات بالمعتقل استثمر فترة منها في تطوير دراساته في الرياضيات والفلسفة [١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ ، ثم ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤]

من مؤلفاته المنشورة :

ـ « مشروع ايزنهاور عدوان جديد » [١٩٥٧]

ـ « بحث عن اقتصاديات العالم العربي » [١٩٥٨] حالت بعض الظروف دون توزيعه !

ـ « بحث عن مفهوم الاشتراكية في عصرنا » [١٩٦٤]

التكنولوجيا والسياسة

محمد سيد أحمد

التكنولوجيا والسياسة .. كلمتان ، للوهلة الاولى ، لا تبدو لهما علاقة . بل يبدو أن لكل منهما مجال ينصرف اليه ، والمجالان **لا يتداخلان** ، بل « يلفظ » كل منهما الاخر .

التكنولوجيا ، أو علم التكنيك ، مجاله « القدرة الفنية » على انجاز عمل ما ، بغض النظر عن « السياسة » التي يخدمها . « التكنولوجي » أو « التكنوقراطي » هو بحكم تعريفه ، انسان يمارس التكنولوجيا ، أو تكنيك ما ، في جوانبه « الفنية » ، دون التعرض لجوانبه « السياسية » . وظيفته تطبيق سياسة معينة ، لا تصميمها . بل يفقد صفته « التكنوقراطية » بمجرد أن تكون ممارسته لتكنيك ما ، مصحوبة باختيارات سياسية .

ومع ذلك ، هذا « الفصل » **الشكلي** بين الكلمتين لا يمكس **جدلية** العلاقة الحقيقية بينهما . وقبل التعرض لاحتمال وجود علاقة **عضوية** تربطهما ، يجدر بنا أن نستكشف ما تنشئه أوجه التمايز من علاقات **تقابل** بينهما .

■ **فان التكنولوجيا ينصب حقل نشاطها على علاقة الانسان بالطبيعة** ، أي في تسخير الطبيعة لصالح الانسان ، واعادة تنظيمها بطرق فنية مختلفة ، تنوعت وزادت كفاءة عبر العصور ، لخدمة الانسان . **أما « السياسة » ، فينصب حقل نشاطها على علاقة الانسان بالانسان** .

في مجال التكنولوجيا ، أحد طرفي العلاقة [الانسان] ايجابي ، نشيط ، مؤثر ينجز عملا وفق مخطط سابق ، وخلال تدبير عاقل معين . أما الطرف الآخر في العلاقة (الطبيعة) ، فهو سلبي ، متأثر فيه ، أصم ، يتلقى التدبير العاقل الذي يمارسه الانسان قبله . وقد تكون الطبيعة « نشيطة » ، بمعنى أنها متحركة متغيرة ، ولكن حركتها غير عاقلة ، وهي تخضع لقوانين : ولحركتها أنماط معروفة ، ولكن لا يجري تغييرها ، أو اعادة تنظيمها بمقتضى مخطط مسبق عاقل ، ما لم يتدخل الانسان .

في مجال السياسة ، الامر مختلف . فان طرفي العلاقة : **هما انسان** يقابله **انسان ، أو قوى اجتماعية** تقابلها **قوى اجتماعية** اخرى ، وكلا الطرفين **عاقلان** ، وليس أحدهما سلبيا قبل طرف آخر ايجابي ، بل كلاهما يتسمان معا بالايجابية .. وبالتالي لكل فعل « عاقل » رد فعل « عاقل » ، لا يخضع لصرامة قوانين الطبيعة في ردود افعالها التي لا يمكن خروجها من أنماط محددة ، تقبل التنبؤ بها مقدما .

قد يقال أن « الحاكم» ايجابي ، و «المحكومين » سلبيون ، بمعنى أنهم « يتلقون » ما يقرر الحاكم، دون أن يملكوا سلطة تكافيء سلطته في رد ما لا يلبي مصالحهم . وهذه علاقة « سياسية » لا ينسحب عليها التعريف السابق . ولكن هذا التصور عن العلاقة الذي ارادت به الطبقات الحاكمة في العصور الغابرة تعزيز سلطتهم . وتكريس نظم الاستغلال ، يفنده تعاظم حركة الجماهير عبر حركة التاريخ ، وتدحضه قواعد الديموقراطية التي اصبحت اليوم القاعدة لا الاستثناء في تعامل الانسان مع الانسان . وحتى في المجتمعات الغابرة أو الحاضرة ، التي لم تستقر فيها هذه القواعد ، أي حتى في ظل نظام الرق أو نظام العبودية ، فرضت « الجماهير » المحكومة على « الحكام » ارادتها الايجابية بصورة أو أخرى ، وتفجرت ارادة الجماهير المكبوتة في شكل ثورات ، أو فورات ، أو انتفاضات ، أو تمردات تتخلل تاريخ كل مجتمع حاول اغفال الارادة الجماهيرية ، أو ابتدع صيغا لقمعها .

■ **بتعبير آخر : مجال « التكنولوجيا » هو مجال « قوى الانتاج » ، أي مجال « الوسائل » التي يسخر بها الانسان الطبيعة ، ويحولها ـ بطرق فنية مختلفة ، وباستخدام « الالة » الى بيئة تحيط به لخدمة رفاهيته ، وازدهار مواهبه ، وبلوغ غاياته . أما مجال « السياسة » ، فهو مجال « علاقات الانتاج الاجتماعية » ، مجال تعامل البشر مع البشر في العملية الانتاجية .**

لكل من « التكنولوجيا » و « السياسة » اذن صلة « بالانتاج » ، **بالعملية الانتاجية** » بالروائع « الفنية » التي يهيء الانسان لنفسه بها حياة أفضل حيال البيئة المحيطة به ، وفي علاقته بغيره من البشر . ولكن التكنولوجيا والسياسة لا تقتصران على مجال « الانتاج » فقط ، بل تمتدان كذلك الى مجال « **الاستهلاك** » ، الى مجال «استمتاع الانسان بثمار انتاجه » ، الى مختلف أوجه النشاط الانساني ، الى الحياة بشتى نواحيها . **ولكن لكل من المصطلحين « وظيفة » أو « دور » أو « وجود » أو « معنى » مختلف نوعيا في هذه الانشطة الحياتية المختلفة .**

« السياسة » بوجه عام عبارة عن « اختيار » ، عن « قرار » مضمونه « الفني » هو « اختيار **ممكن تكنولوجي**» ضمن عدد من الاختيارات القابلة للتنفيذ ، ضمن عدد من الممكنات المتاحة التحقيق . والتكنولوجيا هي تجسيم هذا الاختيار ، ووضعه موضع التنفيذ .

« السياسة » تقرر هذا الاختيار وفق ما يلبي على الوجه الافضل مصالح « مجموعة بشرية محددة » ، مصالح « فئة » أو «طبقة» اجتماعية محددة . قد لا يكون هذا القرار **أفضل** الاختيارات « **الموضوعية** » الممكنة ، ولكنه على وجه التأكيد افضل هذه الاختيارات **من وجهة النظر « الذاتية »** لاصحاب القرار ، للذين يملكون « سياسيا » سلطة البت .

« **التكنولوجيا** » تتحمل هذا الاختيار ـ او تتلقاه من وجهة نظر **قابليته للتنفيذ** ، وقيود «التكنولوجيا» على التنفيذ هي القيود الناجمة عن قصور المعرفة ، قصور العلم بسبب حدود المدى الذي وصل اليه ، في ترجمة « التصور » المشمول في « القرار السياسي » الى واقع في الحياة .

■ « التكنولوجيا » و « السياسة » من حيث الكيف ، تنتميان إلى نوعين مختلفين من « الادراك » .

تجرى ممارسة « السياسة » اعتمادا على « الوعى » : وتجرى ممارسة « التكنولوجيا » اعتمادا على « العلم » ، و « الوعى » و « العلم » ليسا مترادفين .

« الوعى » هو ادراك « مصلحة » . « الوعى الطبقى » هو ادراك « مصلحة طبقية » .

ليس شرطا أن يكون « الوعى » بمقتضى مقاييس « علمية » . ذلك أن « الوعى » ينمو تحت الحاح الضرورة ، ويسبق « الوعى » الادراك « العلمى » للقواعد التى تحكمه .

وليس شرطا أن ينطوى « الوعى السياسى » على « فكر علمى » ، ذلك أن الفكر العلمى يقتضى الاتساق ، وتماسك البناء ، وترتيب النتائج على المقدمات . وليست كل « المصالح » ، فردية كانت أم اجتماعية طبقية ، تنطوى على أوضاع متسقة ، بل الاغلب فى المجتمعات الطبقية أنها تنطوى على تناقضات . ولذلك لا يخلو « الوعى الطبقى » من أوجه تناقض . هى فى أحوال كثيرة عنصر تنمية هذا الوعى ، وعنصر تطوير له . وانطواء « الوعى الطبقى » على أوجه تناقض ليس بالصفة السلبية — خلافا لما ينبغى أن يكون عليه « الفكر العلمى » . بل هو صفة ايجابية تحمل فى طياتها عوامل تحريك هذا الوعى ، وبذور توسيع آفاقه ، وإثراء مضمونه .

ان « الوعى الطبقى » الوحيد القادر على تخطى تناقضاته ، دون أن يتعثر فيها ، هو وعى الطبقة المتقدمة تاريخيا ، هو وعى الطبقات الثوريه القادرة بالثورة على أن تتخطى التناقض . ولذلك كان وعى الطبقات الثورية ، التقدمية ، هو « الوعى » الاقرب الى « العلم » ، « الوعى » الذى يحظى ببنيان علمى متسق ، « الوعى » الذى لا يظل حبيس تناقضات لا مخرج منها .

ليس معنى ذلك أن الطبقات الرجعية لا تستطيع أن تتسلح بأبنية فكرية تستمدها من « العلم » لتبرر بها مواقفها ، ولكن هذه الابنية مهما أتقن اخراجها ، لن تخلو من أوجه تناقض ، لان مصدر التناقض هو الحياة ، هو الصراع الاجتماعى ، وما لم يكن هناك استعداد لتخطى التناقض بالصراع ، — وعدم الاستعداد هذا هو شأن الطبقات المحافظة فى سائر العصور ، وفى ظل شتى النظم الاجتماعية — فلن تخلو أبنيتها الفكرية من عناصر تعكس أوجه التناقض هذه .

ان « علمية » الوعى لا تكمن — بوجه عام — فى أنه خال من التناقض ، بل تكمن « علميته » فى صدق تعبيره عن التناقضات القائمة فعلا فى الحياة .

ان الطبيعة أيضا لا تخلو من تناقضات . ولكن سيطرة الانسان بالعلم وبالتكنولوجيا على الطبيعة تجرى عن طريق معرفة قوانين الطبيعة وترويضها لصالحه ، والتحكم فيها بدلا من أن تتحكم فيه . أى عن طريق تجنب ما تنطوى عليه من تناقضات (دون الغاء هذه التناقضات) ، و « عزل » ما هو ليس متناقضا فيها ، ما يخضع بالتالى للقياس « الكمى » ، للحساب : لا لمجرد التقييم « الكيفى » (بما ينطوى عليه من تناقضات) . والقانون الطبيعى — العلمى — قانون يمكن التحقق من صحته واختباره بطريق الحساب ، بطريق الاثبات الرياضى الدقيق .

ليس هذا متاحا على نحو مماثل فى « العلوم الانسانية » ، فى مجال علاقات الانسان بالانسان ، فى مجال « السياسة » ، ذلك أن كل ما يصدر عن ارادة الانسان الحرة لا يخضع للحساب الدقيق ، رغم انه كان يخضع « لقوانين » أيضا ، قوانين تطور المجتمعات ، قوانين تستمد علميتها من طابعها الاحصائى . لهذه القوانين « وجود موضوعى » تحدده « ممكنات الاختيارات السياسية » — بفضل انجازات « التكنولوجيا » — فى كل زمان ومكان ، وفى كل مرحلة تاريخية محددة ، ولكن لا تجد هذه القوانين تجسيمها الدقيق فى « التصور الذاتى » لكل فرد على حدة من أفراد المجتمع .

وبوجه عام يمكن القول بأن المنطق الصورى والمنطق الرياضى المستنبط منه ، هو الجانب البارز ، والاساسى الذى يحتكم اليه فى « الابنية العلمية » التى تقف خلف « انجازات التكنولوجيا » ، دون ان يعنى ذلك ان هذه الابنية لا تنطوى — فى بحث أعمق لمكوناتها — على كل عناصر المنطق الجدلى ، خلافا لما يجرى فى مجال « حركة الوعى » حيث المنطق الجدلى هو الجانب الاكثر بروزا ، دون اهدار للمنطق الصورى كأداة يمكن الاحتكام اليها فى تفسير بعض ظواهرها .

■ لذلك فان قوانين حركة « التطور السياسى » ، وقوانين حركة « التقدم التكنولوجى » لا تتطابق ، وأن وجدت علاقة ما تربط كل مجموعة منها بالاخرى .

لا تتطابق هاتان المجموعتان من القوانين من حيث « تطورهـــا الـكمي » . بمعنـى ان حـركة « التقدم » التكنولوجي ، تنمو نموا كميا شبيها بالمتوالية الهندسية ، فى حركة تراكمية متعاظمة الشأن بفضل انجازات العلم ، وتعاظم حركة الاكتشاف العلمى ، مقرونا بتعاظم القدرة على تطبيق هذه الاكتشافات . والقرن العشرون نموذج ناطق عن هذا النمو لحركة التقدم التكنولوجي فى صورة متوالية هندسية .

أما « حركة التطور السياسى » ، فانها لا تخضع « لنمو فى صورة متوالية هندسية » ، بل لها قوانين تطور تختلف كثيرا عن هذا النمط .

من الصعب اخضاع « حركة التطور السياسى » لقياس « كمى » . وان كان من الممكن أن يقال ـ عموما ـ أن « حركة الوعى السياسى » تعاظم شأنها عبر العصور ، مع تطور النظم السياسية نحو نظم أكثر « ديموقراطية » ، أى نحو نظم تتعاظم فيها مشاركة الجماهير فى القـرار السياسى . ولكن الامر الابرز فى « حركة التطور السياسى » هو خضوعها لتطور « كمى » تصاحبه طفرات كيفية » ، من خلال عمليات ثورية يتـم بفضلها الانتقال الطفروى من نظام سياسى الى نظام سياسى آخر ، من علاقات بين البشر تتسم بخواص معينة ، الى علاقات أخرى بين البشر تتسم بخواص مختلفة .

ليس معنى ذلك أن « حركة التقدم التكنولوجى » لا تشهد هى الاخرى « طفرات كيفية » ، متمثلة على سبيل المثال فى « طفرة » الافاق التكنولوجية التى تتفتح بعد كل اكتشاف علمى جديد ذى شأن . شهدت التكنولوجيا ـ على سبيل المثال ـ « طفرة » بعد اكتشاف البخار كمصدر للطاقة . ثم بعد استخدام الكهرباء ، والبترول ، والذرة ، كمصـادر أعظم شأنا للطاقة ، الخ ...

وهناك ـ بلا جدال ـ صلة ما بين هذه الطفرات فى مجال « التكنولوجيا » ، والطفرات فى مجال « السياسة » ، بمعنى أن الطفرات فى مجـال التكنولوجيا هى التى تفسح الطريق لتطويرات ثورية فى القوى الانتاجية ، وبالتالى تكشف النظم السياسية السائدة باعتبارها ليست أنسب النظم الكفيلة باستثمار هذه القدرات الانتاجية الجديدة ، لصالح المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته القادرة على المطالبة بوضع اجتماعى وسياسى أفضل . ومن هنا تتفتح الفرص لثورة اجتماعية ، تعيد تنظيم علاقات الانتاج الاجتماعية على نحو يتناسب أكثر مع الامكانيـات التى تتيحها قـوى الانتـــاج المزودة بالتكنولوجيا ، الجديدة . هذه الثورة الجديدة هى بشكل ما تعبير « سياسى » عـن انجـازات « التكنولوجيا » الجديدة .

ولكن رغم هذا التقابل بين « حركة السياسة » و « حركة التكنولوجيا » ، فان فن العمل السياسى ، أو علم السياسة ، لا يشهد ما يشهده التقدم التكنولوجى من اقتحام لمجالات جديدة ، من اتساعه للسيطرة على نواح جديدة من الطبيعه والكون . بعبارة اخرى تنطوى التكنولوجيا على فـرص لغـزو الطبيعـة ، ولترويضـهـا لصـالح الانسان ، تختلف نوعيا وتفوق بمراحل فـرص تطوير تعامل الانسان مع الانسان بمقتضى قواعد سياسية اكثر دقة وشمولا واتقانا .

ومع ذلك ، فان « حركة التقدم التكنولوجى » لا تجرى منعزلة عن « حركة التطور السياسى » ، وهناك مجالات تفاعل متبادل بين الحركتين ، أو تاثير من احداهما على الاخرى . ان هناك مجالات يجرى فيها تسخير انجازات التكنولوجيا لخدمة العمل السياسى مباشرة ، بغرض اتقان القرار السياسى ، وجعله أدق فى التعبير عن المصالح التى يستهدف خدمتها . وربما كانت هذه المجالات هى نموذج للتداخل التام بين السياسة والتكنولوجيا ، وتصلح أدلة على أن المبدأ الذى أوردناه فى مستهل هذا المقال ، والقائل بأن السياسة والتكنولوجيا تنتميان الى مجالين « يلفظ » كل منهما الاخر ، ليس الا حقيقة نسبية ، صحيحة فقط فى حدود معينة ، وعند مستوى محدد فقط من التعمق فى بحث العلاقة بين المصطلحين .

■ ظل العائق العملى الحائل طويلا دون تداخل « السيـاسـة » و « التكنــولوجيا » ، هـــو أن « السياسة » بحكم انسحابها على مجال تعامل البشر مع البشر ، يصعب اخضاعها لقياسات كمية تقبل العلاج الرياضى الدقيق ، والاستنتاج الصارم الذى لا يحتمل الخطأ ، أسوة بما يجرى فى مجال التكنولوجيا . وأغلب أحكام « السياسة » التى يبنى عليها القرار السياسى تنطلق من تقديرات لـحـــالة « كيفية » (يصعب ردها الى عناصر كمية) . ذلك أن تعامل البشر مع البشر ، أو صراع البشر مع البشر ، أو صراع المجموعات البشرية على شتى صورها (صراع طبقات ، أو صراع دول ، أو صراع نظم اجتماعية) كلها ظواهر تعذر حتى اليوم اكتشاف صيغ تسمح بتفسيرها ، أو باستقراء تطوراتها اللاحقة ، أو التنبؤ بما سوف تتطور اليه ، بالتحليل الكمى الصارم . وبدقة مماثلة لتلك التى يمكن بها ـ مثلا ـ قياس مسار صاروخ فى الفضاء .

الا أن خطورة انجازات التكنولوجيا فى مجال التدمير – أى فى مجال الحرب – طرحت ضرورة ترويض الصراعات الاجتماعية والسياسية ، صونا لوجود البشرية ذاتها ، فى ظروف تعرضت فيها لاول مرة لاحتمال الافناء كلية ، بفعل البشر أنفسهم . ومن هنا ، **لم يعد مفر** من الاستعانة بشتى الادوات التكنولوجية المتاحة للحد من تعاظم شأن الصراعات الاجتماعية والسياسية ، **ومنعها من تخطى الحد الذى يهدد صميم وجود البشرية أصلا** . انطلاقا من هذه الضرورة ، نمت « تكنيكات » متنوعة لطرح القضايا السياسية ، وبوجه خاص ، النزاعات السياسية ، فى صورة « نماذج » أو « أبنية » شبيهة لتلك الشائعة فى مجال تصميم مشروع تكنولوجى ، تقبل التحليل الكمى .

ان هذه المحاولات تطرح قضية عويصة ، هى **الترجمة الكمية لحقائق كيفية** . هل مثل هذه « الترجمة » ، أو هذا « التعبير » ، **مقبول** من وجهة نظر المنهج ؟ هل هو ممكن ؟ ، أم نحن بصدد **جهود عقيمة** ، ما هى الا شكل من اشكال تقمص الثوب العلمى فى محاولات تنقض العلم أصلا ؟ لقد حاولت الولايات المتحدة بناء نماذج مختلفة لبحث أفضل طرق انهاء **حرب فيتنام** – على سبيل المثال – **ولكن هذه النماذج** كلها اصطدمت بالطاقة القتالية لشعب فيتنام .

كذلك فشلت كل الحسابات السياسية التى أجرتها معاهد الابحاث الاستراتيجية فى أرجاء مختلفة من العالم ، فى توقع حدوث حرب أكتوبر ، وتوقع النتائج التى نجمت عنها .

ولكن – فى المقابل – تجرى الان المباحثات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الخاصة **بالحد من سباق التسلح** ، ووضع قواعد التعايش السلمى ، وتعزيز **الانفراج الدولى** ، وهذه المباحثات **لا يمكن أن تستند الى قاعدة ايديولوجية مشتركة** ، لتعارض الايديولوجية فى الدولتين الكبيرتين تعارضا تاما . ومن هنا ، كان لابد من البحث عن « قياسات » تصلح أساسا لابراز « **أرضية التكافؤ فى القوة** » ، أو « **المصلحة المشتركة** » فى تجنب أن تتطور العلاقة بينهما على **نحو يحمل الضرر الاكيد للطرفين معا** (تصاعد النزاع – مثلا – الى مواجهة نووية ..)

كذلك ان وجد اساس لسلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ، فان هذا الاساس لا يمكن افتراض ارتكازه الى « مصالح مشتركة » بين الاطراف المتنازعة ، بل أن مصالح هذه الاطراف على طرفى النقيض تماما . وتبرز فرص السلام فى أنها تبدو **أقل الاحتمالات سوءا** بعد ربع قرن من العداء المستعر أساء بمصالح جميع الاطراف . وليست هناك امكانية فى الحال لقضاء طرف من أطراف النزاع على الطرف الاخر . كما لم تعد هناك امكانية – بين حرب اكتوبر – لتستند اسرائيل الى حالة « اللاحرب واللاسلم » كوسيلة لفرض الامر الواقع .

فرص السلام اذن رهن وجود صورة من صور « تكافؤ القوة » ، أو على الاقل رهن توافر قدر من القوة لدى كل طرف يتعذر على الطرف الاخر – فى ظل الموازين الدولية والمحلية الراهنة – الحاق الضرر به ، أو القضاء عليه ، دون أن يكون ثمن ذلك باهظا فى استنزاف قوته الذاتية .

مثل هذه الاوضاع تقتضى « **حسابات** » ، لقياس المكسب والخسارة فى انتهاج هذه السياسة أو تلك . ومثل هذه « **الحسابات السياسية** » التى تجرى مستعينة بأرقى انجازات **التكنولوجيا** فى مجال الحاسبات الالكترونية ، وتكنيكات حديثة متنوعة طورتها معاهد الابحاث الغربية تحت اسم « لعبة الدول » ، مثل هذه « الحسابات » **لا تتعرض لجذور النزاع ، ولا لدوافع النزاع ، ولا للاسباب الايديولوجية المحركة له** ، وتتجنب التعرض لجوانب « **كيفية** » عديدة يتعذر اخضاعها للحساب ، لتنصرف فقط الى التقدير « **الكمى** » لعناصر « القوة » لدى أطراف النزاع ، ومقدار تكافؤها ، أو عدم تكافؤها ، مع افتراضات معينة تحدد **المقصود** من كلمة « القوة » . و « القوة » هنا ليست « القوة العسكرية » وحدها ، ولا هى القوة الاقتصادية أو « الاجتماعية » أو « الايديولوجية » وحدها .. بل هى **مجموعة عوامل متداخلة** يجرى تحديدها وتقديرها فى صورتها الاجمالية خلال اختبارات متنوعة .

هذه الاستعانة بالتكنولوجيا لخدمة السياسة ظاهرة ستتأكد كضرورة فى عصر تتعاظم فيه الاخطار الناجمة عن انطلاق الصراعات غير المتحكم فيها بين البشر على نحو يهدد استمرار وجود الجنس البشرى فوق سطح الارض . وما هذه « التكنيكات » المستحدثة وسائل لالغاء الصراعات ، بل لاعادة صياغة سبل التعبير عنها ، بهدف تجنب مظاهر الصراع الاكثر خطورة على الجنس البشرى ، وهذا فى جوهره هو معنى « الانفراج الدولى » ، اى الاستعانة بكل السبل التكنولوجية المتاحة حتى لا تصل صدام المصالح والصراعات السياسية ، الى حد افناء البشرية ، أو تعريضها لخطر القضاء على كل انجازات الحضارة عبر كل عصور مسيرة الانسان .



د. مراد وهبة

زرت صوفيا مرتين :

المرة الاولى اثر انتهاء المؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة فى فارنا (١٧ ــ ٢٢ سبتمبر ١٩٧٣).

والمرة الثانية حين كنت على رأس وفد يمثل جمعية الصداقة المصرية البلغارية [٢٠ مايو ــ ٢ يونيو ١٩٧٤] بدعوة من مجلس الصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية بمناسبة احتفال بلغاريا **بيوم الثقافة** فى ٢٤ مايو من كل عام . وهذا اليوم يرمز الى التحرر الثقافى والقومى بفضل ابتكار ابجدية اللغة السلافية على يد الاخوين **كيرلس وميثوديوس** فى القرن التاسع الميلادى ، ومن ثم اصبحت لغة الكتابة هى لغة النطق : فقد كانت لغة النطق سلافية بينما لغة الكتابة لاتينية او يونانية او يهودية .

وفى معهد الفلسفة بصوفيا التقيت بنائب العميد ، **بنايوت جندف** . تحدث معى عن **أهمية المعهد** ، **واهمية عميد المعهد** :

أهميــة المعهــد تاتى من أنه المسئول عن تطوير **الفلسفة الماركسية** ، وذلك بحكم نشأته ، فقد انشىء عام ١٩٤٥ ، اى بعد عام من انفجار الثورة الاشتراكية فى بلغاريا بقيادة زعيمها جورجى ديمتروف . ثم من أنه يصدر مجلة فلسفية منذ عام ١٩٤٥ اى قبل عامين من صدور مجلة « مسائل فلسفية » السوفيتية .

اما اهمية عميد المعهد فتأتى من أن فيلسوف بلغاريا **تودر بافلوف** تلميذ **ديمترى بلاجويف** منشىء الفكر الفلسفى فى بلغاريا ، والممثل لاعلى مراحل الفلسفة الماركسية بعد أنجلز ولينين ، والمؤسس لاول تنظيم اشتراكى ديمقراطى عام ١٨٨٣ فى روسيا .

ثم استطرد بنايوت جندف قائلا :

طرد بلاجويف من روسيا فرحل الى بلغاريا وأسس الحزب الشيوعى البلغارى ، وفى زمن سابق على تأسيس الحزب الشيوعى فى روسيا بقيادة **بليخانوف ولينين** . نشأت علاقة حميمة بينهما وبين بلاجويف ، اى بين الحزب الشيوعى البلغارى والحزب الشيوعى الروسى . ثم توطدت هذه العلاقة بفضل تودر بافلوف ورفيقه فى النضال الايديولوجى **سافا جانوفسكى** الذى انتخب رئيسا للمؤتمر العالمى السادس عشر للفلسفة .

وعندما سألت بنسايوت جندف :

هل تعني هذه العلاقة انه ليس ثمة تباين في الافكار بين فلاسفة بلغاريا وفلاسفة الاتحاد السوفيتي ؟

ومضى جندف قائلا :

أمضى جانوفسكى عاما في موسكو [١٩٣١-١٩٣٢] وقضى بافلوف ثلاثة اعوام [١٩٣٣-١٩٣٦] ، وفى هذه الفترة كان عميدا لمعهد الفلسفة في موسكو ، ومن تلاميذه فلاسفة سوفييت كبار من بينهم ميتين وفيدوسيف . مؤلفاته تتجاوز الالفين يأتي في مقدمتها كتابه الرئيسي بعنوان « **نظرية الانعكاس : مقالات في نظرية المعرفة للمادية الجدلية** » صدر عام ١٩٣٦ باللغة الروسية في الاتحاد السوفيتي . الفكرة المحورية فيه مبدأ لينين القائل بأن المادة تتميز بخاصية الانعكاس، وأن الوعى الانسانى شكل جديد من أشكال الانعكاس، ولكنها جده كيفية ، ذلك ان موضوع المعرفة يتضمن الذات العارفة . ومن ثم فان الفكرة ليست هى الموضوع ، وليست متطابقة مع ماهو مادى ، ولكنها في نفس الوقت ليست خبرة ذاتية . **ان الفكرة هى الصورة الذاتية للموضوع كما هو في وعي الذات العارفة** ، اى ان الفكرة لها جانبان احدهما موضوعي والاخر ذاتي . وعيب المثالية انها تمطلق الجانب الذاتي .

وفى ابتسامة رقيقة استطرد جندف قائلا :

هل ثمة مبرر لسؤالك عن مدى التباين وانت ترى الان ان ليس ثمة فارق فى الكيف بين فيلسوف بلغاري وآخر سوفيتى ، اذ ان التلاحم العضوى بينهما يمتنع معه التساؤل عن التباين ، وان كنت بعد ذلك متمسكا بسؤالك فالتباين قائم فى الكم وليس في الكيف ، اذ ان الفلاسفة السوفييت أكثر عددا .

واستغرقت فى تأمل تعقيب جندف ، ولكنه كان استغراقا عابرا اذ استطرد جندف مستفسرا فى شغف وشوق عن التيارات الفلسفية فى مصر ، ومدى انتشار التفكير العلمي ، وموقف الشباب من المذاهب الاجتماعية المعاصرة .

وكان ثمة حوار على نحو آخر :

البروفيسير جندف هو السائل وانا المجيب :

ومع ذلك فليس هذا النحو الاخر من الحوار موضوع هذا المقال ، ذلك ان الغاية من كتابة هذا المقال تعريف القارىء العربي بما يدور فى ذهن فلاسفة بلغاريا من قضايا وافكار لها انعكاسات بالضرورة على اى مجتمع فى القرن العشرين ينشد

الكفاية والعدل . وخداع البصر هو الذى يحول بيننا وبين رؤية هذه الانعكاسات ، او يحول بيننا وبين رؤية التلاحم العضوى بين القضايا الفلسفية وقضية الكفاية والعدل

ولا أدل على صحة ما نذهب اليه من ان الفلاسفة فى مجتمعات الكفاية والعدل يقفون في صف واحد مع رجال الحكم والسياسة .

وقد التقيت فى صوفيا بفيلسوف المستقبل « **نيقولاى اريباجاكوف** » رئيس تحرير مجلة العصر الحديث ، وكانت نقطة البداية في الحوار مع هذا الفيلسوف بحثه الذى تقدم به الى المؤتمر العالمي الخامس عشر للفلسفة بعنوان « **الفلسفة كعلم** » .

فى ختام هذا البحث يقرر أريباجاكوف ان « الفلسفة المادية والديالكتيكية هى نهاية المطاف ولكن ليس بالمعنى الهيجلى ، اى ليس بمعنى انها مذهب كامل ينطوى على الحقيقة المطلقة عن العالم وعن الانسان ، ولكن بمعنى انها **مذهب مفتوح** يتجسد فيه التراث الايجابي بأكمله لتطور الفكر الفلسفى السابق ويثرى على الدوام ويتطور استنادا الى المعرفة العلمية والتاريخ الاجتماعي ، وبمعنى انها هي الفلسفة الوحيدة ذات النظرة العلمية ، وبمعنى انها اداة لازمة لمعرفة العالم وتغييره »

قرأت هذا النص مصحوبا بسؤالين احدهما خاص والاخر عام :

السؤال الخاص يدور على العلاقة بين الفلسفة والعلم .

والسؤال العام يدور على مغزى هذا النص .

عن السؤال الاول كان جواب اريباجاكوف ان للفلسفة مشكلاتها الخاصة ، فهي تبحث في طبيعة العالم ، وطبيعة المعرفة الانسانية ، وفى العلاقة بين المكان والزمان ، وبين الكم والكيف ، وبين الشكل والمضمون ، وبين الانتظام والصدفة . وهذه كلها ليست مشكلات واقعة في مجال العلوم الطبيعية الالفاظ اللغوية كما يذهب الي ذلك فتجنشتين واشياعه من اصحاب المنطق الوضعي . ثم انها ليست مشكلات واقعة في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية . ولكن ليس بمعني ذلك ان الفلسفة ليست علما . فقديما كان الفلاسفة الاوائل علماء ، لهم اكتشافاتهم العلمية فى الفلك والرياضة والفزياء . وحديثا كذلك فلوك وديكارت وليبنتز كانوا علماء . وقال ماركس عن مادية ديكارت انها أثرت في العلم الطبيعي بل ان لينين قد أشار الي اسهام الفلاسفة المثاليين [التصوريين] مثل

بوانكريه فى تطوير الفزياء وغيرها من العلوم الاخرى . ولكن ينبغى ملاحظة ان العلاقة بين الفلسفة المثالية [التصورية]وتقدم المعرفة العلمية هى اما علاقة برانية أو جزئية ، اما العلاقة بين الفلسفة المادية والعلوم فهى علاقة جوانية وعضوية .

وهنا أشار اريباجاكوف الى المشادة الفلسفية التى حدثت بينه وبين **الفرد آير** وهو من رواد الفلسفة التحليلية المتفرعة من الوضعية المنطقية . وكان محور المشادة مسألة العلاقة بين الفلسفة والعلم . فآير يذهب الى أن الفلسفة ليست علما لان قضاياها لا تقبل الخضوع للمنهج العلمى ، ومن ثم فهى قضايا وهمية ، او خرافية ، ومع ذلك فالفلسفة ، فى رأى آير ، ينبغى أن تقف عند حد التحليل اللغوى للمفاهيم العلمية .

ثم استطرد اريباجاكوف قائلا :

ان الوضعية المنطقية ليست مجرد موقف فلسفى ، وانما هى أيضا موقف سياسى لانها ، فى نهاية المطاف ، تنكر القوانين الموضوعية للحياة الاجتماعية استنادا الى عدم علمية علم الاجتماع . ومن ثمفانها تنكر القدرة على التنبؤ بمسار التطور الاجتماعى ، وبالتالى فانها ترفض مبدأ التخطيط الاجتماعى . **ثم انها تنكر علمية الايديولوجيا** بدعوى أن الايديولوجيا ــ من حيث هى نسق من الافكار والقيم ــ لا تقف عند حد الوصف ، أى عند حد ما هو كائن ، وانما تتجاوزه الى حد التقييم ، أى الى حد ما حقه أن يكون ... وما حقه أن يكون ليس موضوع علم . ومن هذه الزاوية فان **الوضعية المنطقية تعتبر الاساس الفلسفى لنزعة الحتمية التكنولوجية** التى تقرر ان تطور المجتمع يستند الى التكنولوجيا دون الايديولوجيا . ولهذا شاعت الوضعية المنطقية فى أمريكا وانجلترا وكندا واستراليا ، وشاعت الفلسفة التحليلية فى فرنسا وألمانيا الغربية .

وهنا سألت نيقولاى أريباجاكوف :

وماذا عن التيارات الفلسفية الأخرى مثل البرجماتية والشخصانية ؟

فكان جوابه انها تيارات موجودة ، ولكنها تصطبغ بصبغة الفلسفة التحليلية .

ثم استطرد قائلا :

لقد أمضيت فى أمريكا ثلاثة اشهر [من مارس الى يونيو ١٩٧٣] وزرت أربع عشرة جامعة فلمحت سيادة الفلسفة التحليلية تحت أسماء مستعارة . ومع ذلك فالماركسية حاضرة وان لم تكن نقية ، اذ هى تتحرك فى اطار الوضعية المنطقية، وثمة تيارات فلسفية تطلى ذاتها بالماركسية ، مثل البرجماتية والفلسفة الدينية .

اما عن السؤال الثانى فكان جواب نيقولاى اريباجاكوف أن الفلسفة الماركسية نظرة كونية تستند الى منجزات العلم . وهذا على خلاف ما يذهب اليه **الفيلسوف اليوغوسلافى ماركوفتش** من أن الماركسية هى ديالكتيك المجتمع وليست ديالكتيك الطبيعة ، وما يذهب اليه **الفيلسوف المجرى لوكاتش** من انها انطولوجيا اجتماعية ، أى أنها ليست فلسفة للطبيعة ، وما يذهب اليه كذلك **الفيلسوف الانجليزى كورنفورد** من أنها الفعل الانسانى الاجتماعى .

واستطرد قائلا :

آراء هؤلاء غريبة على الماركسية ، بالرغم من أنهم ماركسيون ، ذلك ان الماركسية فلسفة للطبيعة وللمجتمع وللتاريخ وللمعرفة الانسانية والممارسة الانسانية . وفى عبارة أخرى يمكن القول بأن الماركسية وحدة تنطوى على المادية والديالكتيكية فى آن واحد ، ومن ثم **فالمادية التاريخية ليست الا مجرد تطبيق للمادية الديالكتيكية فى مجال المشكلات الاجتماعية** . ومعنى ذلك أن مبادىء المادية التاريخية هى مبادىء المادية الديالكتيكية .

وسألت :

اذا كان ذلك كذلك ، أى إذا كانت المبادىء متماثلة ، فهل فى الامكان الاكتفاء بواحدة منهما ؟

ــ اذا شئت ذلك فيقع الاكتفاء على المادية الديالكتيكية .

ــ وماذا عن كون الماركسية مذهبا مفتوحا ؟

ــ يعنى امكان تغيير مبادئها اذا اقتضت التجربة ذلك .

ــ وماذا عن انفتاحها على المثالية [التصورية] أو البرجماتية أو الوجودية ؟

ــ هذا انفتاح بالمعنى الذى يتصوره **سارتر** ، وليس بالمعنى الذى اقصده حين اقصر انفتاحها على المشكلات العلمية ، والممارسة العملية الانسانية .

- وماذا عن انفتاح التيارات الفلسفية على الماركسية .

- انه انفتاح مفيد ومقبول ، وهو شاهد على صحة الماركسية . وأنا ألمح هذا الأنفتاح لدى فلاسفة وعلماء معاصرين أكتفى بذكر ثلاثة :

فون برتالانفى

ماكس هارتمان

جوليان هكسلى

فلسفة **فون برتالانفى** ★ نموذج على هذا الضرب من الانفتاح . ان لدى هذا الفيلسوف أفكارا ماركسية منقولة عن ماركس وانجلز ، ومع ذلك فهو ليس ماركسيا ، اذ هو متأثر بنظرية « **التطور الخالق** » كما هي مطروحة عند **برجسون** ، وهى نظرية مرفوضة ماركسيا .

أما **هارتمان** فتأثره بالماركسية مردود الى مبدأين من مبادئه الفلسفية : المبدأ الاول أن العلم فى حاجة الى الفلسفة ، والمبدأ الثانى ان التراكمات الكمية تؤدى الى تغيرات كيفية . ولكنه حين ينعت هذا التغير الكيفى بأنه صوفى أو لا معقول فهو ليس ماركسيا .

وجوليان هكسلى على الرغم من انكاره المادية الديالكتيكية الا انه لا يرفض الاساس المادى للعلم ، ثم هو يأخذ بمبدأ التمايز الكيفى بين المادة الحية والمادة غير الحية ، ويقرر أن العقل الانسانى ينفرد بخصائص ليست متوفرة فى الكائنات الحية الاخرى وذلك بفعل التطور . أما **انكاره المادية الديالكتيكية فمردود الى أنه لا يفهمها لانه يزعم انها تنكر النشاط الفعال للعقل الانسانى، وهو زعم باطل**

- وماذا عن انفتاح سارتر على الماركسية ؟

- **لى تحفظات على انفتاحه لانه من انصار المذهب الارادى** ، اذ هو يرى أن تغيير الواقع الاجتماعى يتحقق بفعل الذات حين تريد التغيير بغض النظر عن الظروف الموضوعية للمجتمع . ولهذا فهو يقصر **الديالكتيك على الذات دون الطبيعة ، وهو من هذه الوجهة مثالى .**

- ولكن ألا ترى أن ثمة عنصرا مثاليا فى أى مذهب يدعو الى تغيير الواقع ، بمعنى أن التغيير مشروط بقدرة الانسان على **مجاوزة** الواقع ؟

- المجاوزة مقررة بشرط أن تهدف الى تغيير الواقع . ومعنى ذلك ربط المجاوزة بالواقع المادى .

- ولكن الا تعنى قدرة العقل على المجاوزة انه ليس صفحة بيضاء ، وأنه حاصل ، بالتالى ، فى تكوينه على مقولات ، أى معان رابطة لما هو وارد من الواقع .

- **المقولات** تصورات وليست قضايا ، وهذه التصورات مكتسبة من الواقع لانها كائنة فى الواقع ومنعكسة فى العقل . **وانجلز** يقرر ذلك فى كتابه « **ضد دوهرنج** » حيث يقول ان المقولات تعميمات وانعكاسات للظروف الاجتماعية فى العقل ، ولكنها ليست انعكاسات سلبية ، ذلك اننا حين نفهم العلاقات القائمة بين الظواهر فاننا نؤثر فى الواقع . ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن الافكار من حيث هى أفكار الانسان فانها تؤثر كما يقول ماركس بشرط النظر الى الانسان على انه جملة علاقات اجتماعية . **ولهذا فان المثالية ليست على حق حين تمطلق العقل الانسانى ، أى حين تتصوره على أنه كيان مطلق يتصرف بمعزل عن الواقع . ولكنها على حق حين تقرر فعالية العقل الانسانى** . ومن ثم ينبغى التمييز بين المثالية على المستوى الابستمولوجى والمثالية على المستوى الانطولوجى . المستوى الاول مقبول أما الثانى فمرفوض . ومن زاوية المستوى الاول كان للمثالية مزية ليست واردة فى مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر .

★ يصف هذا الفيلسوف فلسفته فى عام ١٩٦٧ بأنها «فلسفة طبيعية جديدة». وهو بهذا يعنى ان اى نظرية متسعة الافق يلزم منها نظرة كونية، وأن التغيرات العظمى فى العلم من شأنها تغيير هذه النظرة . والفلسفة - من هذه الزاوية ، هى فلسفة طبيعية او ما بعد العلم ان صح استخدام هذا المصطلح الحديث . ثم هو يقول كذلك « أننا اليوم نبحث عن نظرة كونية جديدة . ولهذا فنحن فى حاجة الى توسيع نسق الفيزياء التقليدية ، وفى حاجة كذلك الى مفاهيم ونماذج تطابق المجالات البيولوجيه والسلوكية والاجتماعية »

د . عبد الوهاب المسيرى

- مدرس ادب انجليزى بجامعة عين شمس
- رئيس وحدة الفكر الصهيوني بمؤسسة الاهرام
- من مؤلفاته :

الرومانتيكية في الادب الانجليزى [١٩٦٤]
عاشق من فلسطين وقصائد أخرى - [بالانجليزية ١٩٧١]
نهاية التاريخ مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيونى [١٩٧٢]

البنيوية

كلود ليفى - شتراوس

د . عبد الوهاب المسيرى

مالبنيوية ؟ ..

بادىء ذى بدء لابد من ان ننبه الي إن اي شيء - فيما عدا الشيء الشاذ غير المتبلور - له بنية ، وبنيته هو الطريقة التي «بنى بها» أو الحالة أو الهيئة التى يبني عليها البنيان . ماذا أردنا الافاضة قلنا ان البنية « هو ترتيب قطع بناء ما من وجهة نظر هندسية جمالية : وهو ترتيب يعتبر السمة المميزة لهذا البناء » . اننا اذا نظرنا الى بنية الشيء فاننا نحاول أن ننظر اليه على انه مجموعة ظواهر مترابطة بحيث ان كل ظاهرة تعتمد على الاولى ، ولا يمكن أن تكون ما هى عليه الا فى صلتها بالظواهر الاخري . **ومفهوم البنية يشير الي نظام من علاقات داخلية ثابتة تحدد السمات الجوهرية لاي كيان ، ويتشكل منه كل متكامل لا يمكن اختزاله الي مجرد حاصل مجموع عناصره .**

والبنيوية كحركة فكرية بدأت كمنهج لدراسة مشاكل اللغة ، وقد سبق علم اللغة العلوم الإنسانية الاخرى فى نقده للمنهج التاريخى فى الدراسة ، واصبح الهدف من التحليل اللغوى تحديد العناصر الاساسية المكونة التى يمكن اكتشافها عن طريق تقابل الصيغ وايضاح العلاقات المتبادلة بينها ، أى بايضاح كل الامكانيات التي تجعل من اللغة **نظاما** للتعامل بين البشر . إن اللغويات البنيوية بتخطيها للمنهج التاريخي ابتعدت عن العلوم الانسانية واقتربت الى حد كبير من العلوم الطبيعية ، وقد بلغ علم اللغة من التجرد والدقة انه أصبح من الممكن الان لعلماء اللغة استخدام الكومبيوتر لتقرير عما اذا كان نموذجا لغويا ما يستحق الدراسة ام لا . اى ان العلوم اللغوية امكنها ان تحول المعلومات المحسوسة [الكلام] الى نماذج لغوية متكررة مجردة ، وبهذه الطريقة أمكن لعلماء اللغة انقاذ انفسهم من التعقد والفوضى الناجمين عن الالتصاق بالمحسوس .

وقد طبق جاك لاكان المنهج البنيوي على علم النفس فدرس بنية اللاوعى خاصة حينما يفصح عن نفسه عن طريق اللغة ، وطبق جاكبسون وبارث نفس المنهج على الادب ، فدرسوا البنيات اللغوية للعمل الادبى التى هي فى رأيهم البنية الحقيقية الوحيدة .

ولكن اصطلاح البنيوية ارتبط باسم العالم الانثروبولوجى **كلود ليفي شتراوس** الذى ولد فى بلجيكا عام ١٩٠٨ وقضى معظم حياته في فرنسا . وقد درس **ليفي شتراوس** الفلسفة في جامعة باريس عام ١٩٢٧ - ١٩٣٢ ثم قام بتدريس علم الاجتماع فى جامعة ساوباولو حيث واتته الفرصة لدراسة عادات وتقاليد قبائل البورور الهندية في البرازيل . وفى عام ١٩٣٨ قام **ليفى شتراوس** بدراسة عادات قبائل النامى كوارا وقبائل تيوبى كواهيب . وشاهد عام ١٩٤٥ نشر مقاله الشهير « **التحليل البنيوى فى اللغة والانثروبولوجيا** » وبعد ان شغل منصبه الملحق الثقافى لفرنسا فى الولايات المتحدة لمدة عام تقريبا نشر **ليفي شتراوس** كتابه « **البنية الميرثية للابوة** » وشاهد عام ١٩٥٥ نشر اهم مقالاته على الاطلاق « التحليل البنيوى للاسطورية » وبعد ذلك تتابعت المؤلفات ، فنشر كتابا « **الطوطمية** اليوم » و « التفكير البدائى » عام ١٩٦٢ .. اما

دراسته الكلاسيكية« المنطق الاسطوري » فقد نشر منها حتى الان ثلاث مجلدات : « **النيء والمطهو** » (١٩٦٤) « **ومن العسل الى الرماد** » (١٩٦٧) و « **اصل آداب المائدة** » [١٩٦٨] .

يبدأ كلود ليفي شتراوس كتابه الشهير « **الاحزان الاستوائية** » باقتباس من الفيلسوف الروماني لوكريشيوس الذى كان يعتقد ان المعرفة العلمية المجردة للكون هى نوع من العلاج للتهييج العاطفى . والمعرفة العلمية ان ظلت تدور حول نفسها دون ان تشير الى شيء خارجها ، اى انها ان ظلت معرفة بالشيء كنهاية فى حد ذاته وليس كوسيلة لتحقيق الذات الانسانية ، تصبح فى الواقع ضربا من الهروب من الذات الواعية ومن الالام النفسية الناجمة عن هذا الوعى الى عالم متسق مع نفسه بشكل رياضى هندسى . ودراسة الانثروبولوجيا عند شتراوس هى وسيلة للهروب من تلقه التاريخى عن طريق دراسة المجتمعات البدائية ، وهى مجتمعات حققت قسطا كبيرا من السعادة لان الانسان البدائى ليس له ذات وليس عنده وعى بها وبالتالى ليس له تاريخ .

والعالم الانثروبولوجى حسب تصور **ليفى شتراوس** قد يقف موقف الناقد من مجتمعه هو شخصيا لانه ينظر اليه كمواطن ومشارك وبالتالى فعملية الوصف تؤدى بالضرورة الى التقييم والنقد ، اما بالنسبة للمجتمع البدائى فالامر جد مختلف اذ انه يقف خارجه يصفه فى حياد شديد ، لا يبحث عن السلطة أو القوة ، ولا يبحث حتى عن الاشياء المعينة . كل ما يحاوله هو إكتشاف القوانين التى تتحكم فى هذا المجتمع دون تساؤل ، أى أن المجتمع بالنسبة له هو كالساعة التى تدور فى دقة حسب قانون محدد ، او كالدائرة المغلقة على نفسها ، ودراسة مثل هذا المجتمع - الساعة لاتولد اى قلق شخصى، اوای معرفة انسانية جديدة لان كل ما سنصل اليه من نتائج ليس له علاقة كبيرة بحياتنا التى نعيشها فى العصر الحديث . ولهذا يصفه ليفى شتراوس العالم الانثروبولوجى بانه انسان معقم سياسيا ويصبح العقم بالتالى وسيلة للخلاص من السياسة .

وقد سمى **ليفى شتراوس** نفسه فكره بانه « **فكر هندسى** » ، وهو كان دقيقا للغاية فى وصفه هذا ، فالفكرتان الاساسيتان اللتان تستند اليهما معظم اعماله وابحاثه يدلان على نزوع دائم نحو التجريد الهندسى . اما الفكرة الاولى فهو **افتراضه** ان البنيات الاساسية والعميقة لكل النشاطات المختلفة فى اى مجتمع متشابهة . فحيث ان طريقة الطبخ وطريقة الاكل وطريقة التأليف كلها تعبر عن نفس المجتمع فانها يجب أن يكون بينها كلها شيء مشترك لا يوجد على السطح وانما يوجد على مستوى أعمق . ان ليفى شتراوس مثل ماركس يؤمن ان كثيرا من النشاطات والعادات التى نعتقد ان اشكالها المختلفة قد قررت اما بشكل تعسفى او بشكل عفوى هى فى الواقع امور ذات دلالة عميقة وتعبير سطحى عن حقائق معقدة ونظام كامن ، بل ويفترض ليفى شتراوس اننا لو درسنا كل نشاط على حدة على أنه بنية مستقلة ثم قارنا بين صفات البنيات المختلفة لاكتشفنا البنية العميقة التى تجمع بين كل هذه البنيات .

والفكرة الثانية التى تستند اليها اعمال **شتراوس** هى افتراضه اننا اذا ما عقدنا مقارنة بين البنيات العميقة الكامنة خلف نشاطات وعادات مجتمعات مختلفة لاكتشفنا ان هذه البنيات ايضا متشابهة ، هذا بعد ان نكتشف قانون التحول من مجتمع لاخر كما هو الحال مع اللغات واللهجات ، فنحن اذا اكتشفنا مثلا أن حرف ال ف فى لغة ما يصبح ب فى لغة اخرى فاننا سنتوصل الى ان النموذج اللغوى الذى يحكم اللغة الثانية يشبه فى جوانب عدة نموذج اللغة الاولى رغم اختلاف الاصوات المكونة لكل من اللغتين .

والبحث عن البنيات الكامنة هو ما يميز عمل **ليفى شتراوس** كعالم انثروبولوجى ، فهو اولا يجمع الاساطير المختلفة لقبيلة من القبائل ثم يصنفها وهو فى تصنيفه هذا يعتقد ان الاساطير ككل الاصوات اللغوية ليس لها اى دلالة فى حد ذاتها ، ولكنها تصبح ذات معنى فى علاقتها بالاصوات الاخرى . فالصوت [م] والصوت (ل) والصوت (ح) اصوات فى حد ذاتها لا معنى لها ، ولكنها تصبح ذات دلالة محددة اذا وضعت بالشكل التالى : لحم . واذا تغير نظام هذه الاصوات يصبح لها دلالة أخرى : حلم نفس الشيء ينطبق على الاسطورة ، فعناصر اسطورة أوديب الا وهى الطفل المفقود والرجل العجوز عند تقاطع الطرق والزواج من الام وفقأ العينين . كل هذه العناصر لا معنى لها فى حد ذاتها ؛ وانما ينتج معناها المحدد عند دخولها فى علاقة معينة ، فاذا تغيرت العلاقة تغير المعنى ، والاساطير بهذا المعنى تصبح عنصرا شكليا محضا دون اى محتوى اخلاقى أو سيكولوجى ، إنها مجرد بنيات هندسية منطقية متسقة مع نفسها ، تحاول أن تقدم معادلا موضوعيا للعلاقات الاجتماعية السائدة بعد تصفيتها من التناقضات التى تعتمل فيها أو بعد حسمها على المستوى القصصى او بعد عرضها دون حسم وكأنها قضايا مسلم بها لا يمكن أن تحسم .

وفى مقالة « **الانثروبولوجيا البنائية** » يتحدث ليفى شتراوس عن محاولته تبسيط الاساطير عن طريق دراسة البنيات المتماثلة الى ان يصل الى البنية النهائية الكامنة وراء كل البنيات الفرعية

وبعد ذلك يقارن هذه البنية النهائية بنظيرتها فى مجتمع آخر وعن طريق اكتشاف قانون التحول وعن طريق ادخال تبديلات معينة حسب هـذا القانون يظهر على التو تماثل البنيتين النهائيتين *. وحينما طبق ليفى شتراوس هـذا المنهج على اساطير قبائل البورو التى تعبر عـن موقفهم من الانتقال من الطبيعة الى الحضارة اكتشف أنها تشبه بنية أساطير السيونيتى بخصوص نفس الموقف وقد اكتشف ليفى شتراوس أن ثمة علاقة تعارض ثنائى يوجد فى كل الاساطير يمكن ان يرمز له بالطريقة التالية + / وهـذا هو القانون الذى يحكم كل الاســاطير [بـل والايديولوجيات] فى العالم .

وتبسيط الاساطير الى هذا الحد يجعل من الممكن تحويل الاساطير الى ما يشبه المعادلة الجبرية الى درجة يمكن معها ان تدرس عن طريق الكومبيوتر [تماما مثل النماذج اللغوية] . بل أن ليفى شتراوس فى دراسته لمجتمع ما لا يهتم بالوظائف المختلفة للافراد ، فكل ما يهتم به هو الملامح الشكلية التى تميز مجتمعا عن اخر ، فهو مثلا فى دراسته لعلاقة القرابة يرى انه يمكن أن تعالج بشكل رياضى .. ان المجتمع ككل يصبح كأنه لعبة ، وهو لعبة يمكن أن تتم بطـرق مختلفة ، وكل طريقة فى صلاحية الاخرى طالما انها تضمن استمرار اللعبة ، وبهذا تصبح الطقوس والكابو ببساطة مجموعة من القواعد والقوانين . **وليس من المهم أن نعرف من يقوم بهذا الدور أو ذاك ولم وانما المهم ان نفهم كيف تلعب اللعبة * ولذاكان المجتمع البدائى قد استخدم السحر للسيطرة على الطبيعة والطوطمية لتنظيم المجتمع والاسطورة لتنظيم خياله فالانسان الحديث يلعب نفس اللعبة مستخدما العلم بدلا من السحر ، والاخلاق بدلا من الطوطمية ، والادب والايديولوجيـا بـدلا من الاسطورة** * ويخلص ليفى شتراوس من كل هذا انه ليس هناك مايدعو لاحتقار المجتمع البدائى ، اذ انه هو الاخر مجتمع منظم ومتسق مع نفسه ، وان كانت درجة تنظيمه تتسم بأنها اكثر بساطة واقل اتلافا لموارد الانسان الطبيعية .

وقد عالج ليفى شتراوس الموسيقى والطهو والازياء وآداب المائدة ، والنشاطات الاجتماعية الاخرى كما لو كانت هى الاخرى لغة ولها اتساق اللغة وبناياها ، وهى مثل اللغة ايضا وسيلة للتعبير الاجتماعى وطريقة للافصاح عن التراث ، وشكل من اشكال التعبير، ونظام السلوك يتحكم فيها كلها وفى طريقة بنائها قوانين غير واعية .

وبنية اى نشاط انسانى ، والقوانين التى تحكمها تشبه نحو اللغة وقواعدها ، كما أن عـلاقة الانسان بهذه البنيات يشبه عـلاقة الانســان باللغة ، فالفرنسى يتحدث الفرنسية بطلاقة ودقة دون أن يلم بقواعدها ، ودون ان يكــون واعيـا بضبايا ها . وقد وصف البنيويون هذه العلاقة بأن اللغة تتكلم من خلال الفرد على عكس تصورنا أن الفرد هو الذى يتكلم اللغة (ولنلاحظ اختفـاء الذات الواعية فى هذه الصيـاغـة] . نفس الوضع ينطبق على الفرد الذى يقوم بفعل انسانى ما . فهو غير واع بالقوانين التى تحكم سلوكه الا أن عدم وعيها ببنية عادات الطهو ، أو آداب المائدة أو الازياء التى يرتديها لا يعنى البتة أنها عادات وآداب وأزياء لا بنية لها . فهذه البنية كامنة فى كل هذه النشاطات وهى التى تحدد سلوك الانسان فى نهاية الامر . فالجندى فى ميدان القتال يقتل انسانا آخر دون أن يهتز له جفن ، بينما نجده هو نفسه غير قادر على أن يعطى ابنه علقة لرقة قلبه ، فوجوده كجزء من بنية ما هو الذى يحدد سلوكه بل وطبيعته . وكذلك لفهم السلوك الانسانى والحضـارة الانسانية لابد وان تجعل البنية النهائية سافرة واضحة مثلما فعل علماء اللغة مع قواعد اللغات المختلفة . وهذا هو هدف الانثـروبولوجيا البنيوية ، فالظواهر الحضارية لن تـوصف وتصنف وحسب ، بل ستشرح فى ضوء القوانين العامة والبنايا غير الواعية والقوانين المستترة .

والبنيوية بافتراضهـا وجود بنيات متشـابهة تضم كل النشاطات الانسانية ، تفترض أن كل العلوم الانسانية يجب ان تتبع نفس المنهـج ، فالقوانين التى تصلح لدراسة نموذج أو مستوى معين من النشاط الانسانى [الادب] تصـلح لدراسة نموذج او مسـتوى آخـر [المستوى السوسيولوجى] والبنيوية لا تمحى الفروق بين كل العلوم الانسانية وحسب ، بـل يمحى كـل الفروق بين البشر بغض النظر عن الاختلاف فى الزمان والمكان . **فالعقل البشرى يتسم حسب الافتراض البنيوى بالرغبة فى فرض نظام أو بنية ما على الواقع بغض النظر عن محتواه** . وبهذا يكون النظام الذى يفرضه العلم الحديث مثلا لا يختلف كثيرا عن النظام الذى تفرضه الاساطير ، فالعقل البشرى هو هو لا يتغير سواء كان فى المجتمعات البدائية أم فى المجتمعات المتقدمة .. فالفروق لا توجد بين العقول المختلفة وانما فى المواد التى تتعامل معها هذه العقول ،وبالتالى ليس هناك عقول متقدمة وأخرى بدائية ، وانما يوجد عقل انسانى واحد ينتج بنيات متشابهة تماثل فى النهاية بنية العقل البشرى ذاته ، وبالتالى تتساوى الاساطير وفلسفات أرسطو وماركس ، فكلها بنيات فكرية متسقة هندسيا مع نفسهـا الغرض منها فرض نظام على الكون .

ولكن الشىء الهام الذى ينساه شتراوس هو أن المعرفة ليست مجرد اكتشاف لنظام قائم بالفعل (وهذه هى البرجماتية والامبريقية) كما أنها ليست محاولة لفرض نظام فكرى مجرد من أعلى على المادة [وهذه هى المثالية] بل هى محاولة لاكتشاف نظام الواقع بهدف تغييره ..

نــدوة علميــة عن العــالم الفيلســوف يوسف مــراد



عقد البرنامج الثانى فى السادس من شهر مايو عام ١٩٧٤ ندوة سيكلوجية فى البيت الذى كان يقيم فيه العالم الفيلسوف **يوسف مراد**، وتقيم فيه الان زوجته فى عزلة عن الاضواء .
وانعقدت هذه الندوة لاحياء ذكرى هذا العالم العظيم بمناسبة صدور كتاب يضم مقالاته وأبحاثه . وقد قام بهذا العمل الشاق تلميذه **الاستاذ الدكتور مراد وهبه** وعنوان هذا الكتاب **« يوسف مراد والمذهب التكاملى »** .
وقد تكفلت وزارة الثقافة بنشر هذا الكتاب الذى يبلغ عدد صفحاته ستمائة وخمسة عشر صفحة تقديرا لما قدمه هذا العالم العظيم من فكر خصب وأصيل .
فمن المعروف ان **يوسف مراد** كان يعالج القضايا السيكولوجية المعاصرة فى ضوء منهج من ابداعه هو **« المنهج التكاملى »** .
وقد أسس يوسف مراد مدرسة علمية عرفت باسم **« جماعة علم النفس التكاملى »** عام ١٩٤٥ وقد أصدر مجلة **« علم النفس »** فى يونيو عام ١٩٤٥ . واشترك معه فى رياسة التحرير زميله ورفيق كفاحه العلمى **الاستاذ الدكتور مصطفى زيور** . وهذه المجلة هى أول وآخر مجلة من نوعها تصدر فى المجتمع العربى ، وقد توقفت عن الصدور بعد ثمانى سنوات اثر عقبات مفتعلة من خصومه .
لم يكن يوسف مراد مجرد عــالم نفس بل كان فيلسوفا فى المقام الاول ، ولذلك لم يترك مجالا من مجالات المعرفة الا وتجول فيها ، وأبدى وجهة نظره فى ضوء منهجه التكاملى .
ويذكر له البرنامج الثانى أحاديثه فى علم النفس ، ومدارس الفنون التشكيلية الحديثة التى كان يعدها خصيصا لهذا البرنامج .
وقد شارك فى هذه الندوة :
- أ . د . مصطفى زيور .
- أ . د . أحمد وجدى .
- أ . د . يحيى الرخاوى
- أ . د . محمد شعلان .
- د . فرج احمد فرج .
- د . حمدى عباس .
- أ . يوسف الشارونى .

وقد أدار هذه الندوة **الاستاذ الدكتور مراد وهبة** .

★ قام بتسجيل الندوة منى مراد

● د . مراد وهبة

نبدأ الندوة بكلمة من الاستاذ الدكتور مصطفى زيور رفيق يوسف مراد فى البحث العلمى والمشارك معه فى تأسيس وتحرير مجلة « علم النفس » التى توقفت عن الصدور فى عام ١٩٥٣ لظروف خارجة عن ارادة يوسف مراد .

● د . مصطفى زيور

كان يوسف مراد صديق العمر أصدق صديق وأنبل رفيق . كان يجاهد فى سبيل العلم والاستغراق فيه . وكم لهثت فى محاولتى مرافقته ، ولكننى ما ضقت وما اشتكيت . لقد كان أكثر رفقا برفيق جهاده من رفقه بنفسه . ترتسم على شفتيه ابتسامة عذبة حينما يبلغ الارهاق بنا ذروته وكأنه يوحى : الا فهى بضع خطوات ثم نصل .

ولا أغالى اذا قلت ان صديق العمر يوسف مراد كان أشبه شىء براهب وهب نفسه لمحراب العلم المتعالى ، أعنى العلم مهذبا بالفلسفة ، والفلسفة مستضيئة بالعلم . وكم سألت نفسى أهو عالم نفس ينتظم ذهنه أسلوب الفلاسفة ، أم هو فيلسوف تقع علم النفس طريقا لاهداف الفلسفة ، والراعندى ، أن أمره فى ذلك قريب الشبه من عالم النفس السويسرى المعاصر **جان بياجيه** . فقد ألف بياجيه فى علم نفس الطفل ، وأضاف اليه ما لم يبلغ مبلغه أحد من علماء نفس الطفل من الذين أعرف . ومع ذلك فلا يمكن أن تخطىء العين الفاحصة أن هدف بياجيه الاعلى وغايته النهائية هى « **الابستمولوجيا النشوئية** » أعنى « **نظرية المعرفة النشوئية** » . اتخذ لنفسه طريقا من علم نفس الطفل حتى يقيم فلسفة فى المعرفة على أساس متين . والامر بالمثل لدى يوسف مراد . لقد كان فيلسوفا أولا وأخيرا هداه فكره أن يرتاد جوانب هامة من علم النفس بغية ارساء قواعد فلسفة فى الانسان بما هو انسان ، بما هو ينفرد عن غيره من كائنات بما لديه من ضمير خلقى . وقد أضاف الى علم النفس فى مصر ما لم يبلغ مبلغه الا القلة من علماء النفس المصريين .

ولابد لكى أوضح ما يعنيه يوسف مراد بالانسان يميزه الضمير الخلقى أن أقرأ بعض فقرات مما كتب فى ذلك . يقول (وهذه فيما أرى أهم عبارة قرأتها له) :

« ان الخبرة الاخلاقية هى فى صميمها معرفة سيكولوجية بل هى العامل الاساسى التى تقوم عليه فى نهاية الامر معرفة الانسان لنفسه » . وهذه هى ذروة المنهج التكاملى بل هى ذروة المذهب التكاملى لدى يوسف مراد .

ولابد أن أشير الى أن الضمير الخلقى لدى مراد غير الانا الاعلى لدى فرويد . فالانا الاعلى فيما يرى مراد لا يعدو أن يكون ضميرا خلقيا فجا . أما الضمير الخلقى لدى مراد فهو تطوير له ينبع من الطبيعة العقلية للانسان . وليس الضمير الخلقى بالامر المطلق كما هو لدى كانط ، وانما هو مشروط بارادة الانسان . ويذكرنا يوسف مراد بهذا الصدد بأن أفلاطون كان يرى أنه عند المستوى السيكولوجى البحت لايعدو الانسان ان يكون مجموعة من القوى المتنافرة . فبدون الجهد الذى يجب بذله للوصول الى قمة الخير يظل الانسان جاهلا لنقائصه ، أى لما يحتاج اليه لكى يحقق بصورة أكمل طبيعته البشرية . فلابد من وحدة الارادة نحو قمة الخير . ولابد من بذل الجهد لتركيز الانتباه فى هذا المثل الاعلى ، لكى تكتمل معرفة الانسان لنفسه . ثم يقول لنا يوسف مراد ان **أمام الشعور طريقان للتقدم والرقى :**

طريق يوصل الى تكوين الضمير الخلقى .

وطريق يوصل الى ارتقاء النشاط الفكرى ، الى ارتقاء المعرفة .

وهذان الطريقان سيلتقيان عند قمة معرفة الانسان لطبيعته النوعية ، وتصبح معرفته لنفسه أشمل وأعمق ، بذلك يتحقق التكامل الاخلاقى النفسى الروحى الذى ينشده علم الاخلاق والذى تمهد له المعلومات التى يمدنا بها علم النفس .

فعلم الاخلاق يضع الغاية وعلم النفس يقدم الوسائل المؤدية الى هذه الغاية . وليس من الغريب أن يعتمد علم الاخلاق فى تحقيق غايته على الوسائل السيكولوجية ، كما أنه ليس من الغريب أن يتفق علم النفس والاخلاق فى نهاية الامر على غاية واحدة هى تحقيق الخير والسعادة . واذا كانت هذه الفقرات تبرز مراد كفيلسوف روحى الا أنها توضح بالاضافة الى ذلك أنه يضع اصبعه كعالم نفس على قضية غاية فى الدقة يترجمها التحليل النفسى فى العبارة التالية : **اذا كان الانسان يضم فى نفسه عوامل شر أكثر مما يظن فهو يضم فى نفسه أيضا عوامل خير أكثر مما يظن** . هكذا نقول فى التحليل النفسى وهو يتفق مع ما يقوله مراد . فلم يكن مراد يرى تنافرا بين مهمته فى علم النفس ، ومهمته كفيلسوف ، بل قد كان يرى

أن الانسان لا يبلغ ما يريده من شفاء النفس بالمعنى الفلسفي والنفسي معا الا اذا أتيح له أن يرتوي من ينابيع ثلاثة :الفلسفة والعلم والفن .

فاذا كان الفن يزجى الينا بعدا جماليا فهو يشبع بذلك مطلبا أساسيا سجلته الحكمة القديمة فى ثلاثيتها الخالدة : الحق والخير والجمال . بل انه يزجى الينا ماهو غير متوقع اعني المعرفة . فالفنان بما وهب يزجى من حس مرهف يغوص فى أعماق النفس ، وفى ومضة من الحدس يخرج بما لا يستطيع أن يخرج به العالم الا بعد العمل الطويل الشاق . وهذا يفسر لنا لم نعتبر شكسبير أعظم عالم نفس فى التاريخ الى الان .

● د . مراد وهبه

الواقع أن الاستاذ الدكتور مصطفى زيور قدأثار في حديثه عدة قضايا يمكن أن نطرحها للمناقشة مع الاخوة الزملاء . ويأتى فى مقدمةهذه القضايا: الفلسفة والعلم ، ومسألة الابداع الفنى ، ومسألة علاقة يوسف مراد بالتحليل النفسى مع بيان مدى اتفاقه واختلافه مع فرويد .. وبهذه المناسبة أود أن أوضح علاقتى مع يوسف مراد وكنت أحد تلاميذه ، وقد دعانى الى منزله وأنا طالب فى السنة النهائية بقسم الفلسفة بآداب القاهرة .. دعانى الى حضور ندوة علمية كان يعقدها كل يوم جمعة حيث يلتف حوله نخبة من تلاميذه . وبفضل هذه الندوة توطدت علاقتى معه . وبعد أن انتهيت من دراستي الجامعية رغبت في اجراء بحث للحصول على درجة الماجستير فى علم النفس ،ولكن ميولى الفلسفية لم تسمح بأن أتخصص فى علم النفس . وقد تصورت حينئذ أن هذا التحول قد يضعف من علاقتي مع يوسف مراد . ولكن ما لاحظته بعد ذلك أن العلاقة لم تتوطد فحسب بل تجاوزت حدود التلمذة . فقد كان يلذ له أن يناقشنى في مسائل فلسفية . أقول ذلك بمناسبة حديث الاستاذ الدكتور مصطفى زيور عن قوله أن يوسف مراد فيلسوف . وجدير بالذكر أنه حين عين مدرسا فى كلية الاداب جاء فى مذكرة التعيين أن « يوسف مراد فيلسوف » . وأذكر أيضا أن أحد الاساتذة نشر مقالا يقرر فيه رفض أي علاقة بين علم النفس والفلسفة ، استنادا الى نص مبتور لاستاذ يوسف مراد وهو بسول جيوم . وكان المعنى الذي ينطوى عليه هذا النص المبتور يفيد عدم مشروعية أي علاقة بين علم النفس والفلسفة . وذهل يوسف مراد من جرأة هذا الاستاذ على نشر نص مبتور فقرر كتابة مقال للرد على هذا الاستاذ ذكر فيه النص بأكمله مفاده أن علم النفس لا يمكن أن يتطور الا من خلال الفلسفة .

وقد لاحظت أن الطابع الغالب على تفكير يوسف مراد هو الطابع الفلسفي ، وبالاخص فى السنوات الاخيرة من حياته ، اذ قد اتجه الى تأليف كتاب بعنوان « أفهم نفسك » نشر منه أربع مقالات فى مجلة « المجلة » . ولكنه لم يستطع استكمال هذا الكتاب . بيد أن القارىء لهذه المقالات يمكنه ملاحظة غلبة الطابع الفلسفي دون أن ينعزل هذا الطابع الفلسفي عن معطيات العلم .

هذا بالاضافة الى أن منهجه التكاملي ينطوي على فكرة محورية ، هي فكرة « الحركة الدائرية اللولبية » . وتعنى هذه الحركة أن التطور ، سواء فى المجال البيولوجى أو النفسي أو الاجتماعي ، لا يتم على هيئة دائرة لان معنى ذلك أن نقطة النهاية هي نقطة البداية ، ولا يتم على هيئة خط مستقيم ، لان الخط المستقيم حركة آلية . لهذا فان التطور يتم على هيئة حركة دائرية لولبية . ومن هذه الزاوية لا يمكن أن تنغلق هذه الحركة على نفسها . كما أن هذه الحركة تنطوى على التناقض . مثال ذلك : الحياة بالرغم من الموت وبفضله ، والحب بالرغم من الكراهية وبفضلها .

وكانت المشكلة بعد ذلك أمام يوسف مراد هى كيف يمكن لهذا المنهج التكاملي أن يسمح بتكوين مذهب مفتوح . ذلك أن من طبيعة المذهب أن يكون مغلقا .

وقد تأثرت بهذه المشكلة الى الحد الذي فيه تناولتها بالفحص والتحليل في رسالتى التى تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه وكان موضوعها « المذهب في فلسفة برجسون » وقد حاولت فى هذه الرسالة طرح امكان تأسيس مذهب مفتوح مستندا في ذلك الى طبيعة الحركة الدائرية اللولبية . وهكذا يمكن القول بأن علاقتى مع يوسف مراد لم تكن على المستوى الشخصي وانما ارتقت الى مستوى الافادة العلمية من أفكاره ، وهذا الامر هو الذى دفعنى الى أن أعنون الكتاب الذي أصدرته (وهو يجمع مقالاته وأبحاثه) « يوسف مراد والمذهب التكاملي » . خاصة وأن يوسف مراد قد نشر مقالا فى مجلة « المجلة » بعنوان « مذهبي التكاملي » وذكر فيه مسألة المذهب المفتوح قائلا انه من الممكن للمنهج التكاملى أن يتخذ شكل المذهب المفتوح . وقد حاولت فى تصنيف المقالات والابحاث أن أساعد القارىء

.على اكتشاف بذور هذا المذهب التكاملى •
وقد نتساءل بعد ذلك :
ولماذا لم يستكمل يوسف مراد تكوين هذا المذهب المفتوح ؟

فى تقديرى أن ثمة عوامل اجتماعية لم تسمح له بالتفرغ لهذه المسألة ، اذ قد فرضت عليه صراعات فى داخل الجامعة وخارجها الى الحد الذى بدأفيه يواجه نوعا من التفكك النفسى،وقد حاول معالجة هذا التفكك النفسى وذلك بالانغماس فى قراءة كل ما يتصل بالفنون التشكيلية مع ممارسة عملية فى رسم لوحات فنية . ولم أكن أعرف دوافع التجائه الى هذا المجال الا عندما قرأت مقالاته فى الفن .

وفى هذا المجال كان يوسف مراد يثير مسألة الابداع الفنى ويتساءل عما اذا كان فى الامكان تفسير هذا الابداع تفسيرا علميا وكان جوابه أن ذلك غير ممكن .

واترك الكلمة الان للاستاذ يوسف الشارونى وهو احد تلامذة يوسف مراد •

● يوسف الشارونى

سأتناول جانبا من جوانب يوسف مراد الكثيرة وهو لماذا كان بعيد الاثر بين طلبته وزملائه . والدليل على ذلك هو هذا الاجتماع الذى نعقده الان بعد سنوات من وفاته . وهذا التقدير مردود الى ثلاثة أسباب :

١ ــ لم يكن يوسف مراد مجرد أستاذ ناقل ينقل ما تلقاه من علوم الغرب وما قرأه فى الكتب الى تلاميذه ، بل استطاع أن يتمثل ما تلقاه من علم وأن يضيف اليه مكونا له رأيه الشخصى فيما عرف باسم المنهج أو المذهب التكاملى . واذا أدركنا أن يوسف مراد كان يعلن دائما ــ كما سمعنا ــ أن مذهبه مفتوح يعتمد فى نشأته وتطوره على نتائج التعاون بين الواقع والنظر العقلى أدركنا لماذا لم يكن يصرعلى ألا يرى الامور الا من خلال مذهبه ، ولماذا لم يكن يصر على فرض وجهة نظره على تلاميذه .

٢ ــ لم يقصر عمله أو صلته بتلاميذه علىقاعات المحاضرات بل كانت صلته بهم تمتد الى خارج الجامعة ، وأحيانا يتم ذلك ــ كما سمعنامن الاستاذ الدكتور مراد وهبه ــ عن طريق ندوة أسبوعية كان يقيمها صباح كل يوم جمعةفى بيته حيث كان يستقبل طلبته لتسود المناقشات فى جو علمى . ولم يكن يبخل عليهمبكتبه يعيرها لهم كما لم يبخل عليهم بما لديه من علم ورأى . كذلك كانت هذه الصلة الخارجيةتتم عن طريق مجلة « علم النفس » التى ظل يصدرها ثمانى سنوات (١٩٤٥ ــ ١٩٥٣) .فقد جعل منها مدرسة ومنبرا لطلبته يعبرون فيها عن أفكارهم . وقد أطلق على هذه المجموعة « **جماعة علم النفس التكاملى** » . ولقد استمرت صلة الاستاذ بطلبته ــ بعد توقف صدور مجلة علم النفس ــ عن طريق « **الكتاب السنوى فى علم النفس** » الذى أصدره عام ١٩٥٤ ، وعن طريق السلسلة التىكانت تصدرها دار المعارف تحت عنوان « **منشورات علم النفس التكاملى** » كما أشرف على ترجمة العديد من الكتب الحديثة فى علم النفس .

٣ ــ نفسيته التى لم تكن تعرف الاستقرار .وفى مقال له نشر فى مجلة «**المجلة**» عام ١٩٦٠، يقول « ان العوامل المزاجية والاستعدادات العقلية وخبرات الحياة تقوم بدور هام فى تشكيل التفكير وتوجيهه . فقد طرقت ابوابا عدة من العلوم قبل أن ينتهى بى المطاف الى دراسة الفلسفة ومنها الى دراسة علم النفس .فقد حاولت دراسة القانون ، ثم الهندسة الميكانيكية ، ثم الطب ، غير أن العقبات كانتتحول دون اتمام أية رغبة من هذه الرغبات . لكن كنت أشعر بضرورة تحويلى العقبة الىوسيلة للتقدم فى اتجاه جديد . ولا أدرى ما اذا كانت هذه الخبرات المؤلمة هى التى جعلتنىأعتقد أن لب الحياة ليس الاستقرار والانسجام الهادىء ، بل هذا الكفاح المتواصل الذى يقوم بين المتناقضات » .

والواقع ان الكثيرين من المحيطين بيوسف مراد انقسموا حوله الى فريقين : **فريق يجله ويقدر دوره العلمى** . **وفريق يهاجمه** • وقد أشار هو نفسه الى ذلك فى المقال الافتتاحى الذى كتبه فى آخر عدد من مجلة علم النفس (فبراير ١٩٥٣) يقول :

« يعد هذا العدد ، وهو العدد الثالث والاخير من السنة الثامنة تتوقف مجلة علم النفس عن الصدور ، وسيأسف على احتجابها اصدقاؤها وخصومها .

اما الاصدقاء ، فلهدم احد المنابر القليلة التىكانت قائمة فى مصر .. أما الخصوم فسيأسفون على ضياع هذه الفرصة التى كانت تتاح لهم للنيل من حين الى آخر من كرامة

صاحب هذه المجلة . فقد حلا لفئة منهم أن تتهم صاحبها أمام لجنة التطهير الجامعية انه يرغم طلبته على الاشتراك فى مجلة علم النفس »

● **د . مراد وهبه**

الكلمة الان للدكتور **حمدى حسن عباس** وهو أحد المهتمين بالاطلاع على فكر يوسف مراد من خلال قراءته لجملة المقالات والابحاث المنشورة .

● **د . حمدى عباس**

حين عدت الى أرض الوطن فى اغسطس ١٩٧٣ لم أكن أسمع عن يوسف مراد ولم أره ولكنى بالصدفة بدأت اقرأ عن عالم نفس حاول أن يستقطب العوامل والدوافع المؤدية الى السلوك ، هذا العالم هو يوسف مراد . وكان ذلك بمناسبة صدور كتاب للاستاذ الدكتور مراد وهبه بعنوان « يوسف مراد والمذهب التكاملى » وبعد أن فرغت من قراءة هذا الكتاب وجدت تطابقا ، أو على الاقل تشابها بين منهج يوسف مراد ، والمناهج الكلية التى سار عليها **شكسبير** — عالم النفس الاول على حد تعبير استاذنا الكبير مصطفى زيور — والشاعر الفيلسوف المحلل للحضارة الانسانية **ت . س . اليوت** .

وهذا هو ما دفعنى بشدة الى دراسة « **المدرسة التكاملية** » عند يوسف مراد »

● **د . فرج أحمد فرج**

كان من حسن حظى ان كان لى شرف الدراسة على يد استاذى يوسف مراد خلال أوائل الخمسينات ومنتصفها . ولعل أهم مايلفت النظر تلك المزايا التى كان يتحلى بها يوسف مراد فى محاضراته فلديه قدرة هائلة على النفاذ الى عقول تلاميذه . فقد انسنا ان نتلقى دروسا على أساتذة حفظوا ما تلقنوه وأجادوا تلقينه لتلاميذهم . اما يوسف مراد فقد كانت لديه القدرة على تحريك عقول التلاميذ واستثارتهم . وكان يبدو لنا — فى اندفاع الشباب وحماسه — ان يوسف مراد محدود المعرفة لانه كان يطالبنا بأن نفكر ونذكر كل ما لدينا ، ثم يشرع فى مناقشتنا واذا بنا أمام فيض من المعرفة فأدركنا بعد ذلك ان هذه الطريقة تعلمنا أن من حق الانسان أن يناقش وانه لا سلطان يعلو على سلطان العقل . وكان لهذا الاسلوب فضل عظيم فى تكوين عقول ذلك الجيل من المفكرين الذى تتلمذ له .

كان ايمان يوسف مراد بقدرة عقل الانسان على الفهم والوصول الى الحقيقة ايمانا بلا حدود . وكان ينهى تلاميذه عن التعصب لرأى دون آخر ، وعن الارتماء فى أحضان مدرسة دون اخرى . وكان يقول لنا أن الكلمة الاخيرة لا يمكن أن تصدر عن فرد واحد ولا عن مدرسة واحدة ، وانما الحقيقة سعى لا يتوقف يواصله الانسان جيلا اثر جيل وعصرا اثر عصر .

وكان للنظرة التكاملية وقع الثورة اذا ماتذكرنا ان مصر قد بدأت فى الخروج من غياهب الفكر الذى يعتمد على التلقين ويرفض التجديد ، ويرفض بصفة خاصة ان تكون قضايا الانسان موضع بحث ومعرفة . ولذلك كانت الدعوة ، فى عهده ، الى النظرة التكاملية ثورة لها طابع الثورة الكوبرنيكية .

وكان يردد دائما شعارا سمعناه منه وحده أن **العقل السليم فى الجسم السليم فى المجتمع السليم** .

علينا ان نذكر ذلك دائما ، ونواصل السير فى الطريق الذى تعهد به يوسف مراد أولى خطواته علنا نستطيع أن نترك لطلابنا من بعدنا بعضا مما تركه لنا »

● **د . مراد وهبه**

والان نطرح قضية علاقة الطب بالنفس والمجتمع ، ويحدثنا فى هذه القضية الاستاذ الدكتور **أحمد وجدى** عميد أطباء النفس فى مصر ، والاستاذ الدكتور **يحيى الرخاوى** ، والاستاذ الدكتور **محمد شعلان** ، وهما من اساتذة الطب النفسى بالقصر العينى .

● د . أحمد وجدى

بدأت معرفتى بيوسف مراد مع صدور مجلة « علم النفس » عن طريق زميلنا الاستاذ الدكتور مصطفى زيور ، والمرحوم الدكتور صبرى جرجس .
وجدت فيه الحرص الشديد على البحث الدقيق فى النفس بجميع ابعادها . ونحن نعلم أن الطب النفسى مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم النفس وعلم الاجتماع . وكانت قيمة يوسف مراد تكمن فى الكشف عن الوحدة القائمة بين هذه العلوم الثلاثة .

● د . يحيى الرخاوى

لم أسعد بالتلمذة على يد يوسف مراد ولكنى سعدت بموسوعيته العلمية من خلال كتبه وقد لاحظت اهتمام يوسف مراد بقضية العلاقة بين الطب والفلسفة فقد كان يحاول ارجاع الطب الى حظيرة الفلسفة ، وهى محاولة تكاملية مثل فكره التكاملى .

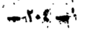
ولاحظت كذلك اهتمامه بعلم النفس الفسيولوجى ، وقد كان يبهرنى اهتمامه بهذا الفرع الحديث من علم النفس ، كان يهتم به كعالم نفس وليس كطبيب ، وكان اهتمامه به مماثلا لاهتمام العالم البيولوجى . وهذه نظرة تكاملية فى النظر الى الانسان ككائن تطورى . واذا اطلعنا على آراء المدرسة الدينامية العضوية وهى مدرسة حديثة تحاول ان ترى الطب النفسى والامراض النفسية فى شكل هرمى متصاعد يتناسب مع تطور الحياة فى الجهاز العصبى) لوجدنا تشابها بينها وبين فكر يوسف مراد التطورى .

● د . محمد شعلان

تتلمذت ليوسف مراد ليس بطريق مباشر ولكن بطريق غير مباشر ، بطريق ابنه دكتور سمير ومن خلال هذه التلمذة أحببت يوسف مراد لانه كان يحب الطب كفيلسوف .

● د . مراد وهبه

تحضرنى بمناسبة ذكر قضية العلاقة بين الطب والمجتمع عنوان محاضرة القاها يوسف مراد بدعوة من الجمعية الطبية بكلية الطب بجامعة القاهرة . ولم أستطع نشر هذه المحاضرة لانها مكتوبة على هيئة مسودة . ولكن ثمة فكرة أصيلة فى هذه المحاضرة هى قول يوسف مراد أن ثمة علاقة وثيقة بين الطب والفلسفة . فعلى مسار تاريخ الانسانية يوجد أطباء فلاسفة وفلاسفة اطباء . وهمزة الوصل بين الطب والفلسفة علم الاجتماع . ولهذا فهو يطرح تأسيس علم جديد هو علم الطب الاجتماعى . ولو كان قد تفرغ للكتابة فى هذا العلم لكان شيئا فريدا فى نوعه .
وثمة قضية اخرى هى قضية الابداع الفنى . وكان يوسف مراد يرى أن النشاط الانسانى كان فى البداية سحريا ودينيا . ومن هذه الزاوية كان الانسان صانعا ، أى يصنع العالم . ثم ارتقى نشاطه الى المستوى الفنى ، وفى هذا المستوى كان الانسان يعبر عن العالم بالرموز . ويرى يوسف مراد ان الانسان الصانع على نقيض الانسان الفنان . الانسان الصانع انسان متكيف ، أما الانسان الفنان فهو انسان مبدع .
والابداع الفنى يتخذ من حاستى البصر والسمع نقطة ارتكاز . وحجة يوسف مراد فى ذلك ان حواس الذوق والشم واللمس حواس نفعية كل هدفها ان يستولى الانسان على الاشياء الملائمة للجسم ، ولهذا فان الاستيلاء مصحوب بلذة . أما حاستا البصر والسمع فهما حاستان استطيقيتان .
ويخلص يوسف مراد الى نتيجة مؤداها ان الفنون السمعية والبصرية [فن الموسيقى والتصوير] هى الفنون التى يكون مجال الابداع فيها واضحا .
ثم هو يطرح بعد ذلك قضية العلاقة بين الابداع الفنى والنقد الفنى ويرى أن ثمة فجوة واسعة بين الفنان التشكيلى فى القرن العشرين والجمهور ، بمعنى انهيار معايير الجمال الاكاديمية واحلال معايير اخرى تتلخص فى الانتقال من الموضوعية الى الذاتية ، ومتن



الواقعية الى الرمزية ، ومن الشعور الى اللاشعور ، ومن العيانى الى المجرد . ويطرح امثلة على ذلك بلوحات مائية ويقول **ان هذه اللوحات تتسم بالاخلال بالاداب العامة وعدم ابراز الحجم واهمال البعد الثالث .**

وهنا سؤال لابد ان يثار ؟

هل ثمة مبرر لوجود الناقد الفنى ؟

جواب يوسف مراد بالسلب ، بل هو يذهب الى ابعد من ذلك فيقول ان **النقد الفنى اسطورة يجب القضاء عليها** لانه لا يوجد اى مقياس فنى . ان المسألة كلها ان الفنان يريد أن يحدث التناغم والانسجام لانه يعانى التمزق النفسى وهو حين يحدث هذا التناغم أو « **المحبة** » كما يسميها يوسف مراد ، فليس امام المشاهد للوحة الا ان يتمثل معاناة الفنان والتناغم فيفهمه .

ومن هذه الزاوية يرى يوسف مراد أن الفن لغة . وحيث أن اللغة هى عامل التكامل الاجتماعى ، فالفن إذن يلعب دورا هاما فى إحداث هذا التكامل . وتأسيسا على ذلك فان **يوسف مراد ينكر شعار « الفن للفن »** ويقول ان هذا الشعار يرفع اثناء التفكك الاجتماعى .

ويخلص يوسف مراد بعد ذلك الى نتيجة هامة وهى **ضرورة تربية اولادنا تربية استطيقية فى دور التعليم** ، لان من شأن هذه التربية أن تعمل كعامل مساعد على احداث التكامل النفسى والاجتماعى .

وأعتقد ان وجود القصاص الاستاذ يوسف الشارونى فرصة طيبة لكى يعلق على آراء يوسف مراد فى النقد الفنى .

● يوسف الشارونى

تعقيبى على ما سمعته من الدكتور مراد وهبه فيما يتعلق بأفضلية حاستى السمع والبصر على الحواس الاخرى فى مجال الفن مردودة الى سببين :

السبب الاول أن مجال حاستى السمع والبصر أوسع بكثير من مجال الحواس الاخرى .

والسبب الثانى أن حاستى السمع والبصر لايخضعان خضوعا واضحا للعوامل البيولوجية كما هو الحال بالنسبة للحواس الاخرى .

أما عن دور الناقد الفنى فثمة اتجاهان :

اتجاه يمثله **تولستوى** ويذهب الى القول بعدم ضرورة الناقد الفنى بدعوى أن الفن اذا لم يكن مفهوما من الجماهير فهو ليس فنا .

واتجاه آخر يدافع عن ضرورة وجود الناقد الفنى بدعوى أن الفن اليوم ليس مقلدا للطبيعة وذلك لان الكاميرا تستطيع أن تنقل فى ثوان الموجودات الخارجية . ولهذا فقد بدأ الفن التشكيلى يبحث عن مجالات جديدة مثل التعبير عن الشعور الداخلى ، والتعبير عن انفعالات الفنان تجاه الاشياء وهذه كلها ليست فى مقدور الكاميرا . ولهذا فالفن التشكيلى المعاصر يبدو غامضا ، ومن ثم تكون مهمة الناقد الفنى توضيح ما هو غامض فيمكن تذوقه .

● د . مراد وهبه

ان قضية الفنان التشكيلى فى القرن العشرين من حيث هو فنان مبدع تثير قضية أخرى ، وهى مدى امكان مجاوزة الفرد للمجتمع ، مع المحافظة على عامل التكامل النفسى والاجتماعى . ففى تقدير يوسف مراد انه لابد من انقاذ ذاتية الانسان من الموضوعية البحتة . واعتقد ان هذه قضية فى حاجة الى مناقشة .

● د . مصطفى زيور

كان صديق العمر يوسف مراد روحيا [Spiritualiste] وعقليا [Rationliste] وكان يمثل لى رجل العصر الكلاسيكى فى القرن الثامن عشر . ولذلك كنت اجد صعوبة فى ان أدير معه جوارا حول **اللامعقول** . وكانت معه قصة طويلة فى ذلك الامر حينما كنا نعمل سويا فى كلية الاداب . كان يرثى لحالى فيما كنت أذهب اليه اذ كان يرى أن اللامعقول لا يرقى الى مستوى التحليل النفسى او مستوى قضايا علم النفس الاكاديمى .

وقد اشرت عليه بأن **يقرأ بجدية أعمال فرويد** وخاصة تلك التى ترقى الى مستوى التفكير

الفلسفي مثل « ما فوق مبدأ اللذة » كما طلبت منه الا يقرأ عن فرويد . وبدأ يوسف مراد ينفتح شيئا فشيئا على قضايا التحليل النفسي ، ومن ثم على اللامعقول .

وثمة عبارة كنت أكررها أثناء حواري مع يوسف مراد وهي أن في الجنون عقلا . وقد قال بسكال عبارة من هذا القبيل « ان للوجدان عقلا لا يفهمه العقل » ، أي ان هناك عقلا يختلف عن العقل المعتاد . ولكن لم يكن يوسف مراد يستريح الى هذه العبارات . ولذلك كان يجد صعوبة في أن يقف أمام لوحة من لوحات بيكاسو أو قصة من قصص اللامعقول . واذا كان يوسف مراد قد تأثر في السنوات الاخيرة من حياته ببعض ما انجزه الفن في القرن العشرين من لامعقول تشكيليا ، أو موسيقيا ، الا أنه كان يريد أن يفرض على اللامعقول عقلا من جديد ، لانه ، في رأيه ، ليس وراء العقل شيء آخر ».

● د . مراد وهبه

يبدو من حديث الاستاذ الدكتور مصطفى زيور أن الصراع الذى كان يقوم بينه وبين يوسف مراد كان يدور على قضية اللامعقول . واذا كان يوسف مراد قد قبل اللامعقول فذلك مردود الى عوامل اجتماعية فقد كان يعاني أزمات نفسية وكان يشكو من عدم قدرته على فهم ما يدور حوله من أمور الى الحد الذى فيه تبنى فكرة اللامعقول في السنوات الاخيرة من حياته ».

وثمة قضية اخرى قريبة الصلة من اللامعقول وهي علاقة العبقرية بالجنون ، وقد عثرت على مسودة لفصلين من كتاب كان يزمع تأليفه من خمسة فصول بعنوان « العبقرية والجنون » وفي هذين الفصلين يقرر يوسف مراد أن مشكلة العبقرية مرتبطة بمشكلة التجدد الاجتماعي والصراع بين القديم والجديد ، ومرتبطة كذلك بالصراع بين اللاشخصي والشخصي . ومن هنا ترتفع الاصوات فتصف العبقري بأنه مجنون .

بيد أن يوسف مراد يميز بين العبقري والمجنون . صحيح أن ثمة شبها بينهما من حيث القدرة على التجديد الخارق والتصرف الشاذ . ولكن وراء هذا الشبه الظاهري خلاف جذري ».

● د . أحمد وجدي

يعرف الطب النفسي الجنون بأنه الخروج عن الحد المألوف في الوسط الذى يعيش فيه المجنون . ومعنى ذلك الربط بين الجنون والوسط . ولهذا فقد يعتبر الانسان مجنونا في فترة زمانية معينة ولكن في فترة زمانية تالية قد يعتبر هذا الانسان عبقريا . وتاريخ الطب النفسي شاهد على ما نقول ».

● د . يحيى الرخاوي

الفارق بين المجنون والعبقري ، أن المجنون يعيد تنظيم نفسه بعد انهيار تكيفه لحساب نفسه وبعيدا عن المجتمع .

والعبقري يعيد تنظيم نفسه على مستوى أعلى من التكيف ولا يكتفي بالتكيف بل ينطلق الى تغيير المجتمع ».

● د . محمد شعلان

الفارق بين المجنون والعبقري أن كلا منهما يتخلى عن ذاته ولكن مع فارق : المجنون يتخلى عن ذاته ليغرق في الكون ويقول أنا الله . أما العبقري فيتخلى عن ذاته ليسبح في الكون ويتحد معه فيبدع ويخلق ».

● د . مراد وهبه

ثمة قضيتان يمكن استخلاصهما من هذه الندوة :

القضية الاولى هي خصوصية هذه الندوة العلمية وهذه الخصوصية تشير الى ضرورة عقد ندوات علمية من هذا القبيل لتناقش القضايا التي يطرحها مبدعو هذا البلد ومفكروها .

والقضية الثانية هي قضية علاقة الدولة بعباقرتها : الى اى مدى يمكن للعبقري ـ تحت رعاية الدولة ـ الابداع بمعنى تغيير الواقع والعلو عليه ؟

التتارية وثقافة العصر

هذا هو العدد الثانى من ملحق الفلسفة والعلم .. وقضيته الرئيسية ، مرة أخرى ، هى « **التكنولوجيا والانسان** » ، لانها قضية هذا الملحق فى هذا العام .

ومن ثم فهذا العدد ، فى جوهره ، استمرار للعدد الاول **ولكن مع تعدد وجهات النظر ، وتباين المنابع الفكرية .**

والتباين رمز على الخصوبة ، لانه رمز على الحوار . والحوار قوة دافعة الى تقدم البشر والمجتمعات بشرط أن يكون مرهونا بتقدير العقل الانسانى ، ومنتجات هذا العقل من علم وفلسفة ، ذلك أن غياب هذا التقدير من شأنه أن يضمنا الى « **التتار** » الذين دمروا حضارات انسانية بأكملها فى القرن الثالث عشر لكى يخلو لهم وجه الارض بأكمله ..

وهنا ثمة سؤال لابد أن يثار :

ماذا حدث فى حياتنا الثقافية حتى نعود الى التتار ؟

جوابنا :

نقد لملحق الفلسفة والعلم بقلم **سامى خشبة** منشور فى مجلة « **الاداب** » البيروتية فى شهر يونيو [ص ٧٥ ـ ٧٧] .

وما علامات التتارية فى هذا النقد ؟!

مبدأن نظريان :

تسفيه قدرة الانسان على التجريد والتعميم
ودعوة الى الكف عن التفلسف
وتطبيق عملى لهذين المبدأين
رفض جميع المقالات المنشورة فى العدد الاول من هذا الملحق .

يقول **سامى خشبه** عن الافتتاحية التى تدمت بها « **قضية التكنولوجيا والانسان** » فى العدد الاول [ص ١٨٠] « لابد من البحث عن أسباب أخرى غير ما يستمده **الدكتور وهبه** من أسباب « نظرية » **عتيقة لشدة عموميتها وتجريدها** (الاداب س ٢ ، ٤ ص ٧٦) .

أيها الاخ العزيز .. سامى خشبة :

ليس ثمة مانع من أن تكون أفكارى **عتيقة** ، ولكنها لن تكون عتيقة لشدة عموميتها **وتجريدها** **لانك ينبغى أن تعلم ان كنت لا تعلم** أن العقل الانسانى ينفرد بمزية هى القدرة على التجريد والتعميم . وتدمير هذه القدرة يفضى الى **نتيجة محتومة** :

تراجع التطور فنجد الانسان بأنه كائن حى دون أن يكون عاقلا فيتساوى مع باقى الحيوانات .

ثم ينبغى أن تعلم ان لم تكن تعلم أن صياغة القوانين العلمية ليست ممكنة بغير هذه القدرة على التجريد والتعميم .

وانا أستميحك عذرا حين أركز على **أنك لا تعلم لان سخريتك من مزية العقل على التجريد تكاد** تكون هى النغمة السائدة فى نقدك . وقد بلغت **سخريتك التتارية** قمتها فى نقدك لجميع الفلاسفة الذين حضروا المؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة بفارنا حيث تعلق [**على قولى بأن ملحق** الفلسفة والعلم يصدر اثر حدثين : الحدث الاول ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، **والحدث الثانى مؤتمر فارنا**] **قائلا :**

لا ندرى أسيكون هذا الملحق عن الانسان المصرى الذى صنع ٦ أكتوبر ، أم عن **التكنولوجيا** والانسان بوجه علم ، **فلسفى ، مجرد ، بالطريقة التى تحدث بها فلاسفة مؤتمر فارنا وهم يرددون**

الابصار بين زرقة البحر الاسود وخضرة جبال بلغاريا **بحثا عن صورة مجسدة لانسانهم المجرد العام** ذاك ، وبحثا عن علاقة هذا الانسان **بتكنولوجيا مجردة** هى الاخرى وعامة ؟ [س ٢٤ ـ ٣٠ ص ٧٥]

تعالم تتارى ليس الا

فكيف حكمت على هؤلاء الفلاسفة وقد جاءوا من الغرب والشرق ، **وليس من الشرق وحده** ، ومن العالم الثالث ؟

هل قرأت ابحاثهم ؟

وأبحاثهم لم ينشر منها حتى الان الا بعضها وقد صدر هذا البعض فى جزءين ، .

أما ما تبقى من ابحاث ، فالامل معقود على اصدارها فى هذا العام فى اربعة اجزاء . والاجزاء ، فى جملتها ، ليست مطروحة للبيع .

ولانك لا تعلم ما ينبغى ان تعلم اصبح من الميسور عليك **تزييف** العبارات المنقولة . فانت تنقل احدى عباراتى على النحو التالى « كيف يمكن أن يكون النظام الصناعى المتولد عن النظام الرأسمالى عاجزا عن استيعاب علاقات الانتاج المتولدة عن أدوات الانتاج [**وليس** قوى الانتاج كما قال الدكتور مراد وهبه] » [س ٩ ، ١٠ ، ١٦ ـ ص ٧٦] .

ولكنى اعتقد انك ، فى هذه المرة ، تعلم أعمق العلم ان عبارتى هذه منشورة فى الملحق على النحو التالى :

« أن النظام الصناعى الناتج عن النظام الراسمالى عاجز عن مواكبة الآثار المترتبة على الثورة العلمية والتكنولوجية المتمثلة فى السيبير نطيقا .

أيها الاخ العزيز .. سامى خشبة :

ان تزييف الواقع ليس كاف للقضاء على الخصم الا لدى الانسان البدائى حين كان يرسم على حائط الكهف حيوانا مفترسا بلا رأس ، ويعلن بعدها ان الحيوان قد قتل

ولانك ، فى هذه المرة ، تعلم أعمق العلم ، فقد **سمحت لنفسك أن تتجاوز تزييف العبارات الى تزييف الانسان نفسه** . فانت تقول عن مقالات العدد الأول من الملحق « اننا لن نعثر فى اى من هذه المقالات على أية « معلومات » تقريبا ، رغم أن « الكتابات » التى استند اليها الاساتذة والدكاترة الكتاب كتابات من نوع « **الجدل فى الطبيعة** » **لانجلز** او « **المادية والنزعة النقدية التجريبية** » **للينين** ، أو الجزء الاول من « رأس **المال** » **لماركس** او « **مقالات فى تاريخ المادية** » **لبليخانوف** [س ١٨ ـ ٢٠ ، ص ٧٧] .

واعتقد ، وانا على يقين من اعتقادى ، أنك تعلم أن **الكتب التى ذكرتها لم ترد الا فى بحث واحد من جملة الابحاث المنشورة** فى العدد الاول من هذا الملحق ، وهو البحث المعنون « **التكنولوجيا فى المجتمع** » بقلم **فلتشكو دوبريانف** وهو فيلسوف بلغارى . وقد كان هذا البحث من الابحاث الهامة فى مؤتمر فارنا .

والسؤال الان :

ما القصد من محاولتك تزييف الانسان ؟

وأنا لن أجيب ، فى هذه المرة ، لانك تعلم الجواب

هذا عن المبدأين فماذا عن التطبيق ؟

يقول سامى خشبة :

« ينبغى أن نكف عن كتابة مقالات ذات عناوين من نوع هذه المقالات التى نقرأها فى العدد الاول من ملحق الطليعة الفلسفى من نوع قضية التكنولوجيا والانسان ، أو التكنولوجيا فى المجتمع ، أو دور الدراسات الانسانية فى عصر العلم والتكنولوجيا أو التكنولوجيا والبحث العلمى » [س ٦ ـ ١١ ، ص ٧٧] .

ويقول ايضا :

« ينبغى أن **نكف** فى هذا العصر المعقد السيبيرنطيقى الذى تعقد دون جد واكتشف الفكر الانسانى فى كل مكان ذلك التعقد القديم المتزايد ، **ينبغى ان نكف عن التفلسف المجرد** » [نهاية ص ٧٦] .

وليس من تعقيب سوى أن هذا النقد **تتارية نقية** .

ولعل القارىء يتساءل :

اذا كان ذلك كذلك فما الدافع الذى الى هذا الجهد فى الرد على نقد يتسم بالتتارية ؟ .

جوابى :

دافع واحد ليس الا ... **بداية شيوع التتارية فى حياتنا الثقافية** . وهى ظاهرة مؤرقة للغاية .

د . مراد وهبه



المؤتمر الدولي الثامن لعلم الاجتماع

[تورنتو ١٩ ـ ٢٤ أغسطس ١٩٧٤]

علم الاجتماع والثورة

■ ينعقد فى تورنتو فى ١٩ ـ ٢٤ أغسطس المؤتمر الدولى الثامن لعلم الاجتماع ، الذى تنظمه « الجمعية الدولية لعلم الاجتماع » . وموضوع المؤتمر : « علم الاجتماع والثورة » .

ومفهوم الثورة فى نظر الجمعية الدولية لعلم الاجتماع يتسع ليتجاوز كثيرا المعاني المألوفة للمصطلح . فهى فى نظرهم تمتد من أول الحديث عن الثورة فى علم الاجتماع ذاته ، ويقصد بذلك الحركة النقدية الواسعة المدى التى دارت فى جنبات العلم منذ بداية الستينات تقريبا ، والتى تناولت مسلماته الايديولوجية ، ومبادئه النظرية وقواعده المنهجية ، وتطبيقاته ، ودور علماء الاجتماع فى قيادة التغيير الاجتماعى ، الى الثورة بمفهومها السياسى والاجتماعى والتغييرات التى نجمت عنها فى بقية المجتمعات المختلفة ، وأخيرا الى الثورة العلمية والتكنولوجية .

ونستطيع ان نقول أن هذا المؤتمر يكاد ان يكون مؤتمر القرن فى علم الاجتماع ، نظرا لانه ينعقد فى وقت تمت فيه تطورات جذرية فى كلا المعسكرين اللذين يتنازعان علم الاجتماع فى العالم : المعسكر الاشتراكى والمعسكر الرأسمالى . ففى المعسكر الاشتراكى ظهر الى الوجود علم الاجتماع الماركسى الامبيريقى الذى لا يقنع بالصياغات النظرية الجامدة لتفسير الواقع الاجتماعى المتغير ، وانما يهبط الى الميدان يراقب ويلاحظ ويجمع البيانات ، ومن ناحية أخرى اشتدت حملة النقد الراديكالى داخل المعسكر الرأسمالى نفسه لعلم الاجتماع البورجوازى ، من خلال تيار نقدى نشط وخصوصا فى الولايات المتحدة الامريكية .

وهكذا يمكن القول أن المؤتمر ينعقد ، وقد سقطت عديد من الاساطير التى أحاطت بعلم الاجتماع منذ نشأته [الموضوعية بالمعنى المثالى ، وعدم ادخال الالتزام السياسى للباحث فى مجال البحث العلمى ، الخ] .

الصراع الايديولوجى والانفراج الدولى

فى ابريل الماضى زار صوفيا سكرتير عام الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية «اندريه مرسييه» لمقابلة رئيس المؤتمر العالمى للفلسفة السادس عشر « سافا جانوفسكى » بهدف الاتفاق على المكان الذى سيعقد فيه هذا المؤتمر .

ومن المعروف أن المؤتمر الخامس عشر كان قد عقد فى فارنا فى سبتمبر ١٩٧٣ وتقع فى جمهورية بلغاريا الشعبية احدى دول المعسكر الاشتراكى ولهذا رؤى أن ينعقد المؤتمر القادم فى احدى دول المعسكر الغربى الراسمالى .

وقال مرسييه انه لم يستطع العثور ـ حتى الان ـ على دولة فى هذا المعسكر تقبل الاعداد لهذا المؤتمر .

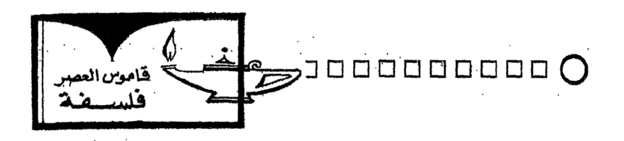
وكان التعليق ـ على هيئة دعابة ذات دلالة ـ عقد المؤتمر فى المحيط الهادى بشرط أن يكون فى حراسة وفد كل دولة بارجة حربية حتى ينتهى المؤتمر .

عالم اجتماع يوجوسلافى ضيف مجلة « الطليعة »

زار مصر فى الشهر الماضى عالم الاجتماع اليوغسلافى « ميروسلاف بيتشيلتش الاستاذ بجامعة بلجراد وعضو المكتب التنفيذى لرياسة رابطة الشيوعيين اليوغسلاف بصربيا ، وقد أجرى حوارا مع محررى مجلة « الطليعة » عبر فيه عن اهمية القضايا التى يثيرها « ملحق الفلسفة والعلم » وخاصة قضية « التكنولوجيا والانسان » . « ان اهميتها ـ كما يقول ـ ترجع الى خطأ يروج له المعسكر الراسمالى الذى يزعم أن التكنولوجيا وحدها كفيلة بحل مشاكل الانسان ، وأن الوقوع فى هذا الخطأ ينشأ عنه انغماس البشرية فى صراع تكنولوجى لا مكان فيه للانسان بما هو انسان » .

وفى نهاية الحوار ، أهدى مجلة « الطليعة » بحثين أحدهما بعنوان « الثورة المضادة للبيروقراطية والآخر « السيبرنطيقا ـ القوة الاجتماعية ـ الانسان » .

ومن المنتظر ان يعود الاستاذ بيتشيلتش الى القاهرة فى الشتاء القادم من أجل اجراء مزيد من الحوار .



الوضعية المنطقية

حركة فلسفية نشأت فى فيينا عام ١٩٢٤ برياسة **موريس شليك** الذى انتهى الى الفلسفة عن طريق دراسته للعلوم الطبيعية ، وعضوية نفر من العلماء الذين لديهم اهتمامات فلسفية من امثال « **فايجل** » و « **جودل** » و « **كرافت** » و « **كوفمان** » .

وانتهت هذه الحركة فى فيينا عام ١٩٣٦ اثر اغتيال رئيسها « شليك » اذ نفى معظم اعضائها الى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية .

وفى رأى أصحاب هذه الحركة ان **وظيفة الفلسفة ينبغى ان تكون مقصورة على تحليل قضايا العلم . استنادا الى المنطق الرمزى** . وحجتهم فى ذلك ان قضايا العلم على ضربين اثنين لا ثالث لهما :

قضايا تحليلية وهى قضايا المنطق والرياضة وسميت كذلك لانها لا تأتى بمعرفة جديدة وانما هى مجرد تكرار لطرفين ، اى تحصيل حاصل ، فاذا قلت مثلا ٤×٢ = ٨ ، فليس ثمة فارق بين طرفى المعادلة ، اذ هى مماثلة لقولنا أ هى أ ، وهو قول فى المنطق يتسمى **مبدأ الهوية** .

قضايا تجريبية وهى قضايا العلوم الطبيعية وسميت كذلك لانها تشير الى موضوعات حسية قائمة فى العالم الخارجى ويمكن التحقيق من صدقها بمعرفة مدى تطابقها مع هذه الموضوعات . ومن ثم فهى خاضعة فى صدقها الى ماتسميه الوضعية المنطقية « **مبدأ التحقيق** » .

وتأسيسا على ذلك يرفض اصحاب هذه الحركة الفلسفية الميتافزيقا كعلم بدعوى ان قضاياها ليست من طبيعة القضايا المنطقية أو الرياضية ولا من طبيعة القضايا الطبيعية ، اذ هى قضايا تشير الى موضوعات مثل الله والروح والحرية **تتجاوز** حدود التجربة والواقع الحسى ومن ثم لايمكن التحقق من صدقها فى هذه الحدود . ولهذا فان الميتافزيقا واجبة الحذف من دائرة المعارف الانسانية ، بل ان علم الاخلاق كذلك واجب الحذف من حيث ان موضوعه هو « ماحقه ان يكون » وليس « ما هو كائن » . وما حقه ان يكون لا يقبل الخضوع لمبدأ التحقيق .

ويطلق احيانا على الوضعية المنطقية « **التجريبية المنطقية** » **ويمثلها** « **كارناب** » و « **رايشنباخ** » . **تحتفظ بالافكار** الرئيسية للوضعية المنطقية ، فترد الفلسفة الى التحليل المنطقى للغة ، ولكنها تركز على **وحدة العلم** ، بمعنى ان ثمة وحدة منطقية للغة العلم . ووحدة العلم تعنى رد العلوم جميعا الى علم واحد هو علم الفيزياء . وما نشاهده اليوم من غياب هذه الوحدة مسألة مؤقتة ، فتطور العلوم فى مستقبل الايام كفيل بالكشف عن القوانين الاساسية التى منها تتفرع القوانين الخاصة بكل علم على حدة .

وتعتبر الوضعية المنطقية ، فى مختلف صورها ، السلاح الايديولوجى للمعسكر الراسمالى [وفى مقدمته الولايات المتحدة الامريكية] فى صراعه ضد ايديولوجيا « الاشتراكية العلمية » بدعوى ان الايديولوجيا لايمكن ان تكون علمية .

م . و

داخل هذا العدد

ملحق
الفلسفة والعلم

هل التكنولوجيا هى الحل الوحيد لقضايا الانسان فى القرن العشرين ؟
ما نوعية العقل المطلوب لمواجهة قضايا التكنولوجيا ؟

• • •

هل التكنولوجيا المعاصرة قادرة على خلق قيم جمالية ؟
وهل فنان العصر فى حاجة الى ثقافة تكنولوجية ؟

• • •

ثم ما العلاقة بين التكنولوجيا والسياسة؟
وما العلاقة بين المنطق الصورى والمنطق الجدلى ؟
وهل فى الامكان ترجمة كمية لحقائق كيفية ؟

• • •

ماذا يدور فى ذهن فلاسفة بلغاريا من أفكار فى مواجهة الصراع الايديولوجى للنصف الثانى من القرن العشرين ؟.

هذه الأسئلة يطرحها فى العدد الثانى من « **ملحق الفلسفة والعلم** » :
دى جورج [فى المؤتمر العالمى الخامس عشر للفلسفة بفارنا] .
ومن مصر :
د. أميرة مطر
محمد سيد أحمد

• • •

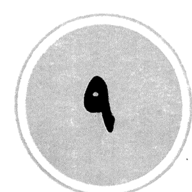
هذا وقد تضمن العدد بالاضافة الى قضية « التكنولوجيا والانسان » حوارا فلسفيا أجراه د . مراد وهبه مع فلاسفة البلغار .

وندوة علمية عن العالم الفيلسوف « **يوسف مراد** » منشىء المدرسة التكاملية فى مصر فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وقد اشترك فى هذه الندوة :
د. مصطفى زيور — د. مراد وهبة —
د. أحمد وجدى — د. يحيى الرخاوى —
د. محمد شعلان — د. حمدى عباس —
د. فرج أحمد فرج — يوسف الشارونى .

السنة العاشرة
سبتمبر ١٩٧٤

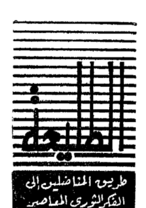




- □ **الحوار العربى الأوربى**
  [رؤية سياسية – اقتصادية – فكرية]
- □ **.. وماذا عن الحوار مع العالم الاشتراكى**
- □ **مصر** : □ عن الاتحاد الاشتراكى والتحالف
  □ ٢٢ عاما من الاصلاح الزراعى
- □ **أمريكا : الوجوه الثلاثة «لووترجيت»**
- □ **الرأى الآخر** : اليسار .. وقضية الوحدة العربية

مسرح .. أو لا مسرح ؟

ملحق الأدب والفن



مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحرير :

لطـــفى الخـــولى

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفـــاعل الآراء الحرة على اختلافهـــا هـــو وحـــده الذى يستطيع أن يبـلور ويستخلص وحدة فـكرية أصيلة .

من هـــذا المفهـــوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنـة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معـك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام — شارع الجـلاء القـاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.م.ع — دول اتحاد البريد العربى ودول الـدار البيضاء ١٢٠ قرشـا

الفهـــرس

العدد التاسع — السنة العاشرة — سبتمبر ١٩٧٤

د. محمـــد الخفـــيف

شــارك فى تأسيس الطليعـــة
واســـرة تحريرهـــا

يناير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢

كلمـة من « الطليعـة »

أحيانا ، يخيل الينا ، نحن العاملين ، في المجـلات الشـهرية اننـا اسـعد حظا من زملائنا العاملين في الصحف اليومية هؤلاء الذين تفرض عليهم احداث كل يوم ان يلاحقوها بالتعليق ، والتحليل ، والمقال السريع .

لكن تجربتنا مع هذا العدد الذي يطالعه القراء قد ضيقت علينا « هامش الاختيار » الذي كنا نركن اليه . ويبدو انه لا مفر ــ في عالم يموج بأحداث هامة وهائلة ــ من أن نواجه ماهو مطروح من قضايا لا فكاك منها بمواجهة الحـدث ، والارتبـاط به ، والتركيز على دراسته .

وهنا تـكمن الصعوبة . فالدراسـة بطبيعتهـا ، تفترض المزيد من الوقت . ولكن الوقت ضيق حتى ولو تعلق الامر بمجلة شهرية .

مع ذلك ، دخلت « الطليعة » ، التجربة لا بدراســة واحدة كالمعتـاد ، بل بثلاث دراسات : واحـدة عن الحـوار العربي الاوروبي . والثانية عن الاصلاح الزراعي في مصر خلال ٢٢ عاما . والثالثة عن الوجوه الثلاثة لقضية ووترجيت .

فاذا سألنا أنفسنا بعـد ذلك ــ نحن اعضاء أسرة التحرير ــ كيف نحكم على هذه الدراسات . أمكن ان نجيب :

ان عملنا ليس معصوما بالطبع ، لكننا نعتقد اننا وضعنا في أيدى القراء المفاتيح الرئيسية في هذه القضايا الهامة .

« أسرة تحـرير الطليعـة »



■ ســؤال الى الجامعــة العربيــة :

.. ومــــاذا

عن الحوار مع العالم الاشتراكى ؟

انعقدت بباريس فى شــهر اغسطس الماضى، المحادثات التمهيدية للحوار العربى الاوربى ، بين الجامعة العربية وبين السوق الاوربية المشتركة [تسع دول] . وذلك فى ضوء البيان الذى صدر عن مؤتمر القمة العربى الذى انعقد بالجــزائر فى نوفمبر ١٩٧٣ ، وجاء فيه « ان أوربا الغربية تتصل بالشعوب العربيــة عبر البحــر الابيض المتوسط ، بصلات حضارية متينة ومصالح حيوية متداخلة ، لا يمــكن أن تنمو الا فى اطار تعاون تسوده الثقة والمصالح المتبادلة » .

وكانت الجماعة الاوربية قد أصدرت فى مايو ١٩٧٤ مذكرة جوابية ، تعلن فيها عن رغبتها فى مواصلة حوار مع الجامعة العربية وتنميته بشكل تعاون متبادل مثمر . وقررت أنه « بعد تحليل أولى ترى الدول التسع ،أن هذا التعاون الذى يجب أن يترجم الى أعمــال ملموسة ، يمــكنه أن يمارس فى مجالات عــديدة مثل الصناعة والزراعــة والطــاقة والمواد الاولية والنقــل والعلوم والتكنولوجيا والتعــاون المــالى وتكوين الاطارات .. »

* * *

وقد واجه الحوار العربى الاوربى ، فى البداية ، معارضة امريكية قوية . لم تتوقف الا بعد أن حصلت الولايات المتحــدة على ضمانات أوربية ــ عربية ، بأن لا يخل هذا الحــوار ونتائجه بالمصــالح الامريكية فى المنطقــة العربيــة . أو يؤدى الى تكتل

عربى — أوربى داخل السوق الرأسمالى العالمى ، يزيد من قوة الاتجاه الاستقلالى الاوربى عن أمريكا .

وبزوال او تخفيف حدة المعارضة الامريكية ، انفتحت أيضا أبواب الحوار العربى اليابانى ، على أساس نفس الضمانات . واليابان هى أقوى كيان رأسمالى فى آسيا . وواحدة من أهم عمد النظام الرأسمالى العالمى كله .

وفى نفس الوقت ، فان دائرة الحوار مع أمريكا ، التى ما تزال تتبوأ — رغم المصاعب المتزايدة — مركز الزعامة فى النظام الرأسمالى المعاصر ، تتسع وتتعمق ، حتى لقد شملت معظم البلدان العربية ، ان لم يكن جميعها ، بصور مختلفة ، وبدرجات متفاوتة فى حجمها ومداها .

والملاحظ أن هذا الحوار العربى مع كل من أمريكا وأوربا الغربية واليابان ، قد نشط ودبت فيه الحياة ، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ المزدوجة : العسكرية والبترولية وهى الحرب التى كشفت ، لاول مرة — بشكل مرئى ومكثف منذ ما يزيد على ربع قرن — عن الثراء المادى والمعنوى والبشرى للطاقات التى يختزنها العالم العربى . حيث تدفع به حركة الاحداث المحلية والعالمية ، نحو التعملق الاقتصادى ، لو احسن استغلال الظروف والامكانيات المتاحة والمحتملة .

★ ★ ★

وعلى الرغم مما قد يبدو على السطح من أن الدول العربية هى التى بادرت بطرق أبواب الحوار — فى اطار ما أصبح يعرف باسم سياسة الانفتاح — فان الواقع الفعلى يكشف عن أن العالم الرأسمالى بجميع قواه وتكتلاته المختلفة هو الذى سارع بوسائل مختلفة الى خطب ود العالم العربى وذلك تحت ضغط ما راح يعانيه [العالم الرأسمالى] من أزمات اقتصادية واجتماعية حادة . تجسدت معها ويلات التضخم ومشاكل الطاقة والضمور النسبى المستمر لرقعة السوق الرأسمالى والمنافسات القاتلة لمشروعات كبيرة داخلها . هذا فضلا عن المخاطر التى تتراكم بسبب النمو المتصاعد لحركة التحرر العربية : سياسيا واجتماعيا . وذلك من حول الصراع العربى الاسرائيلى بجميع أبعاده وقواه المتفجرة .

بتعبير آخر ، فان العالم الرأسمالى — فى الحقيقة — هو الذى يمارس اليوم سياسة الانفتاح على العالم العربى ، بوسائل وتكتيكات غير تقليدية . مدفوعا فى ذلك بالازمة المعاصرة للرأسمالية العالمية من ناحية . وبزيادة فاعلية السوق الاشتراكية فى المجتمع الدولى ، من ناحية ثانية . وخاصة بالنسبة لبناء العالم الثالث وتنمية قدراته الاقتصادية والاجتماعية والفنية .

لقد ظل العالم الرأسمالى — حتى حرب اكتوبر — يعامل الدول العربية ، كمستعمرات سابقة . لاحق لها فى التنمية الاقتصادية المستقلة . وبالذات فى مجال التصنيع الثقيل والمتوسط . ويحجم — بالتالى — عن مساعدتها فنيا وتكنولوجيا وماليا ، حتى يفقدها القدرة على تخطى هوة الفقر والتخلف .

★ ★ ★

غير أنه ، بعد حرب اكتوبر ، راح يبدى استعداده للمساهمة فى بناء عدد من المشروعات الصناعية ، وفى تلقيننا بعض اسرار التكنولوجيا الحديثة التى يحتكرها .

لماذا حدث هذا التغيير ؟

الاسباب، بطبيعة الحال، كثيرة ومتعددة ،ولكن يقفز منها الى مقام الصدارة ، التغيير الذى أحدثته تجربة العشرين عاما الماضية فى العالم العربى منذ عام ١٩٥٢ وخاصة فى مصر والعراق وسوريا والجزائر واليمن الديمقراطى .

لقد اصطدمت هذه البلاد وقياداتها الوطنية ذات النفس الثورى ، بعد حصولها على الاستقلال ، اصطداما عنيفا بالعالم الرأسمالى واحتكاراته . وذلك حينما عمدت الى محاولة دعم الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى ، من خلال التنمية المخططة المستقلة . وخاصة فى مجال الصناعة والطاقة والسيطرة الوطنية على الموارد الطبيعية .

وبادر العالم الرأسمالى الى شن حرب رهيبة ضد حركة التحرر العربية عامة ، وضد هذه البلدان الخمسة خاصة . استخدم فيها جميع الاسلحة بطريق مباشر وغير مباشر : العدوان المسلح [حرب السويس ١٩٥٦] . الحصار الاقتصادى. سحب الخبراء [قناة السويس، المؤسسات الجزائرية بعد الاستقلال] الامتناع عن التمويل والاقراض [السد العالى] . العدوان الاسرائيلى المتكرر دوريا بهدف استنزاف الطاقة العربية وتعجيز قدراتها على مواصلة البناء . اثارة حروب الحدود بين الدول العربية [الجزائر — المغرب ، مصر — السودان ، اليمن الجنوبى — اليمن الشمالى ، اليمن الشمالى — السعودية ، العراق — الكويت ، سوريا — الاردن] . قيام الاحتكارات بعمليات تخريب داخلية للاقتصاد الوطنى [قناة السويس فى مصر — شركات البترول فى العراق وسوريا وليبيا] .

أمام هذه الحرب الضروس ، المتعددة الجبهات ، أقدمت البلدان العربية الخمس ذات المواقع الاساسية فى حركة التحرر العربى الوطنى والاجتماعى ، على تحطيم الستار الحديدى الذى أحكم العالم الرأسمالى اغلاقه عليها . وذلك عن طريق القيام بحركة انفتاح شجاعة على العالم الاشتراكى: قواه السياسية ، أسواقه ، سلاحه ، تكنولوجيته ، معوناته الاقتصادية والفنية غير المشروطة .

وأمكن لهذه الدول الخمس ، من خلال الانفتاح والحوار مع العالم الاشتراكى ، أن تسجل انتصارات استراتيجية فى معركتها ضد التخلف وسيطرة العالم الرأسمالى معا . تحررت من التبعية النقدية للدولار والفرنك والجنيه الاسترلينى . طورت زراعتها أفقيا ورأسيا . استعادت سيطرتها الوطنية على مواردها الطبيعية . فجرت ثورتها الصناعية ، فشيدت مئات المصانع ونفذت العديد من المشروعات الكبرى [السد العالى . سد الفرات . مجمعات الجديد والصلب الخ] . وتصاعد الانتاج الصناعى فى هذه البلدان بحيث أصبح يمثل ما بين ٢٥٪ الى ٤٠٪ من الانتاج القومى ، مقابل ٤٪ الى ١١٪ قبل الانفتاح والتعاون مع العالم الاشتراكى . وهذا علاوة على اعادة بناء الجيوش الوطنية ومدها بالاسلحة الحديثة . وتكوين الالاف من الاطارات الوطنية المدربة تكنولوجيا فى مختلف المجالات . ابتداء من عامل شق الانفاق الى المهندس الالكترونى .

ومن خلال هذا الانفتاح على العالم الاشتراكى ، استطاعت هذه الدول الخمس — بدرجات متباينة — أن ترسى دعائم الهياكل الاساسية اللازمة لمواصلة تطوير اقتصادها الوطنى المستقل على المدى الطويل ، وأن تحتل مركز الثقل فى منطقة الشرق الاوسط عامة وفى العالم العربى خاصة . وأمكن بالتالى ، افشال الحرب

المتعـددة الجبهات التى شنها العـالم الرأسمالى ضد العـالم العربى وقـواه الرائدة . وتحطيم الستار الحـديدى الذى كان يسجن الشـعوب العربية ، ككم مهمل لا وزن له ، فى قيسود التخلف والتبعيـة والمجتمع الزراعى الراكد .

★ ★ ★

فى عام ١٩٧٣ ، جاءت حـرب أكتوبر العربية الاسرائيلية ، وما صاحبها من بروز فاعلية السلاح السوفيتى ومن اسـتخدام البترول العربى سلاحا فى المعركة ، لتؤكد امكانية فوز العرب بانتصار ، فى حـرب عسكرية اقليميـة ، على الرغم من دعـم الترسانة الامريكية للعدو .

وكانت هذه هى « نقطة الطفـرة » فى رؤية العالم الرأسمالى للعالم العربى الجديد .

وهكذا ، نشط العالم الرأسمالى ، تحت ضغط الواقع ومصالحه ، ومصالح القوى المتحالفة معه فى المنطقة ، للعمل من أجل « فك الارتبـاط » بين العـرب والعـالم الاشتراكى . وخاصة بعد توقيع معاهدتى الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتى وكل من مصر والعراق .

وبحركة انفتاحية ، لم يسبق لها مثيل ، قام العالم الرأسمالى بمغازلة مكشـوفة ومغرية للعالم العربى عامة ، وللقـوى الخمس الرائدة خاصة . وذلك بتقـديم نفسه فى رداء « الصديق القديم » الذى تاب واناب واستغفر عن كل ما تقدم وما تأخر من ذنوبه : اقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا . وذلك كبديل ممكن واكثر عصرية واغراء ، من العالم الاشتراكى .

ويسـتهدف العالم الرأسـمالى ضمن ما يستهدفه ، بحركته الجديدة فى هـذا المجـال ، تقـوية وزنه الاستراتيجى ازاء الوزن الاستراتيجى للعـالم الاشتراكى ، فى العملية الجارية لصياغة حدود وعلاقات عالم الانفراج الدولى والتعايش السلمى ، التى لم يعد لها من بديل الا الحرب النووية المدمرة للانسانية كلها .

ولا جدال ، فى أن العالم الراسمالى ، يصبح فى مركز أفضل ، ازاء منافسـته الضارية للعالم الاشتراكى ، اذا ضمن ان يكون العالم العربى بثروته النفطية الكبرى وموقعـه الجغرافى الفريد ، معـه والى جانبـه . وليس متحالفا أو متعاونا مـع العالم الاشتراكى .

وفوق هذا وذاك ، نستطيع أن نلمح ــ دون عناء ــ بصمات كل من أزمة الطاقة وأزمة الاقتصاد الرأسـمالى على حـركة الانفتاح الرأسمالى المعاصرة على العـالم العربى . ففى أرض العرب يكمن أكثر من ٦٠٪ من الاحتياطى العـالمى المحقق من البترول ، أرخص مصدر للطاقة حتى اليوم . وذلك على الرغم من ارتفاع أسعاره الى اكثر من خمس مرات خلال وبعد حـرب أكتوبر . [ارتفع متوسط سـعر البرميل من بترول الخليج العربى من ١٨ر٢ دولارا الى ٦٠ر١١ دولارا . وبلغ فى بعض حالات البيع بالمزاد ١٧ دولارا] .

وداخل الجسـم الرأسـمالى ، يتوغل اليوم « فيروس الأزمة الاقتصادية » عميقا الى درجة أن نسبة التضخم المـالى قـد ارتفعت الى ١٥٪ سنويا فى المتوسط . وبلغت البطالة عن العمل ارقاما قياسية . وبدأت بعض البنوك والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة فى أمريكا والمانيا الغربية تغلق أبوابها وتعلن افـلاسها . فى حـين راح

عـدد من المؤسسات الكبيرة والعريقـة يترنح تحت ضربات الخسائر المتلاحقة . هذا في الوقت الذى تتراكم فيه داخل العالم العربي ، دون انقطاع ، فوائض ضخمة من ايرادات البترول تتراوح تقديراتها ما بين ٢١٠ الى ٦٢٠ مليار دولار ، حتى عام ١٩٨٥ . وهذه الفوائض في مجموعها تشكل عبئا موجعا للسـوق الرأسمالى ، المسـتهلك الاساسى للبترول العربي .

ولعل هذا ما يفسر صـيحة « انجلى » رئيس شركة فيات الايطالية للسيارات ، المذعورة في قومـه : « أوربا تنحـدر الى الحضيض ! » . ويفسر أيضا تلك العبارة الدرامية التى صاغها الاقتصادى الامريكى المعـروف « الن جرينزبان » في نعيـه للاستقرار الاقتصادى الامريكى : « انهـا المأساة أن وضعنا أنفسنا في موقف لم تعد توجد فيه غير بدائل قليلة رهيبة . كانت لدينا أساليب نعود بها الى الاحوال العادية غير التضخمية . ولكنها تبددت الآن » .

وقع الفأس بالراس ، ولم يعـد هنـاك مفر أمام العالم الرأسمالى من أن يمـد الكف الى مستعمراته العربية السابقة . ويبدو كما لو كان يبدأ مرحلة جـديدة من علاقات التعاون والند للنـد ، في الوقت الذى يعمل على تصدير أزمته الاقتصادية وبالذات التضخم اليها لتلتهم كل ثرواتها . وذلك بأساليب مختلفة تبدأ من زيادة أسعار صادراته زيادة كبيرة الى محاولة اعـادة ادماج الاقتصـاد العربي في مجمـوعه بالنظام الرأسمالى .

ولعلنا لم ننس بعد ، أن فوائض البترول العربي المودعة في السوق الرأسمالى ، قد فقدت خلال السنوات الخمس الماضية ، بسبب عدم استقرار نظام النقد الـدولى والمضاربات وتخفيض الدولار والجنيـه الاسترلينى وتعويم غيرهما من العمـلات الاخرى ، ما لا يقل عن ثلث قيمتها . ومابرح خطر تخفيض القيمة مستمرا . بل أن استخدام بعض هذه الفوائض في تنمية عـدد من المجتمعات العربيـة ، لا يتم في خط مستقيم من عرب الى عرب . وانما عن طريق مؤسسات العالم الرأسـمالى المالية مثل البنك الدولى ، تتقاضى نسبا عالية من الفوائد والارباح على حسـاب العرب أنفسـهم .

★ ★ ★

والملاحظ ، أن العالم الرأسمالى ، في اقدامه اليوم ، على المشاركة في حـركة التصنيع بالبلاد العربية ، يركز على مجالين أساسيين :

المجـال الاول : هـو الصـناعات الاستخراجية للمخزون العربي من البترول والمعادن . وذلك بهدف استنزاف ثرواتها الطبيعيـة في أقصر وقت ممـكن وبأقل أسعار ممكنة ، لصالح صناعاته .

والمجـال الثانى : هو الصـناعات التى تسبب تلويثا كبيرا للبيئة ومناخ الحياة الانسانية . وبالتالى فالخطة الاسـلم هو تصدير هذه الصناعات بعيـدا عن أرض وأجواء وأنهار وبحار العـالم الرأسمالى الى أراضى وأجواء وأنهار وبحار المستعمرات القديمة في العالم العربي . وذلك مثل الصناعات البتروكيمائية وصناعات الالياف الصناعية . أن تصنيع طن واحـد من النايلون يلوث ويبيد الحياة نهائيا في احدى عشر طنا من المياه .

على الرغم من كل هذه المخاطرة التي تواكب حركة الانفتاح بين العالم الرأسمالي والعالم العربي، فان احدا لا يعادي أو يعارض — من ناحية المبدأ — هذا الانفتاح. ذلك أنه يظل لدى هذا العالم الرأسمالي المتقدم والمتطور صناعيا وتكنولوجيا ما يمكن ان يقدمه ويفيد به حركة التنمية في العالم العربي.

غير أنه لضمان ذلك يجب ان نراعي أمرين جوهريين:

● **الاول**، هو ان تمارس سياسة الانفتاح في اطار خطة تنمية قومية شاملة تحدد أولويات المشروعات المطلوبة اقتصاديا وتكنولوجيا لدفع عجلة التطور والتكامل الاقتصادي بين اجزاء العالم العربي بأسرع معدلات ممكنة.

● **الثاني**، هو أن لا يكون الانفتاح مع العالم الرأسمالي بديلا عن الانفتاح مع العالم الاشتراكي. والا تحول الامر الى انغلاق واختناق داخل السوق الراسمالي من جديد، وربط الاقتصاد القومي العربي برباط التبعية من جديد بالاحتكارات الاجنبية ولكن بوسائل غير تقليدية. ونعود بالتالي الى نقطة الصفر، من حيث بدأنا في حركة التحرر العربي السياسي والاجتماعي، ونبدد هباء تضحيات وجهود حوالي ربع قرن من النضال.

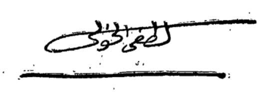
والحق ان قصر الانفتاح والحوار مع العالم الرأسمالي من شأنه ان يفرخ في المجتمعات العربية قوى رأسمالية طفيلية كومبرادورية غير منتجة، تتسلق كاللبلاب على الجسم العربي تمتص عرقه وعافيته وتهدر امكانيات التطور والتقدم. وتعصف باستقلاله الوطني ومصالحه القومية المشتركة.

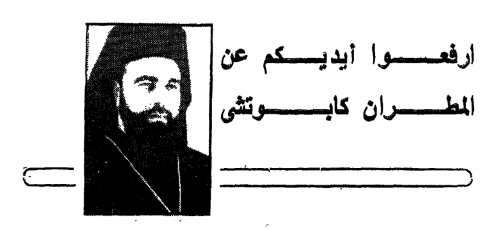
من هنا يصبح مواصلة الانفتاح والحوار مع العالم الاشتراكي، ليس فقط ضمانا موضوعيا للتنمية، بل وللاستقلال الوطني والمصالح القومية المشتركة للعالم العربي.

ولقد دلت التجربة التاريخية، ان التعاون مع العالم الرأسمالي يستلزم الولاء للنظام الرأسمالي وقوانين حركته ومؤسساته الاحتكارية. في حين ان التعاون مع العالم الاشتراكي، لا يشترط أو يستلزم الولاء للنظام الاشتراكي، بدليل أن ما من دولة عربية انفتحت على العالم الاشتراكي قد تحولت الى بلد اشتراكي أو صارت عضوا في اسرة الدولة الاشتراكية.

امام هذا كله، فان المصلحة القومية توجب على جامعة الدول العربية ان تسارع بطرق أبواب الحوار الجماعي مع العالم الاشتراكي، مثلما فعلت مع العالم الرأسمالي الاوربي. ولديها توجيه خاص بذلك صادر عن نفس مؤتمر القمة الذى انعقد بالجزائر في نوفمبر ١٩٧٣، أكد على تقديره لدور البلدان الاشتراكية الايجابي من القضية العربية، وضرورة العمل على دعم علاقات الصداقة والتعاون مع العالم الاشتراكي.

فهل تقدم الجامعة العربية، على هذه الخطوة، حتى ولو من باب توفير ضمان موضوعي لانجاح حوارها مع العالم الرأسمالي؟





ارفعوا أيديكم عن المطران كابوتشي

استقبل الرأى العام المصرى والعربى بالغضب الشديد نبأ قيام السلطات الاسرائيلية باعتقال المطران **ايلاريون كابوتشي** ، مطران الروم الكاثوليك فى القدس ، بحجة اتهامه بحيازة أسلحة ، والانتماء الى المقاومة الفلسطينية .

وترى « **الطليعة** » أن هذا العمل ليس سوى جزء من حملة الاضطهاد والقمع التى تمارسها السلطات الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى ، وهيئاته الدينية والوطنية فى الارض المحتلة ، محاولة منها ، تفريغ الارض الفلسطينية المحتلة من جماهيرها ، وهيئاتها ومختلف شخصياتها .

كما ترى أنه لا يمكن فصل مسألة القبض على المطران **كابوتشى** ، عن موجة الردع والاعتقالات التى يقوم بها العدو الصهيونى ، ضد المناضلين الوطنيين ، ورجال الكنيسة والدين الشرفاء فى الاراضى المحتلة ، وتعتبره حلقة جديدة فى سلسلة اضطهاد رجال الدين الوطنيين فى الاراضى المحتلة والتى بدأت بأبعاد القس **ايليا خورى** ، والشيخ **عبد الحميد السايح** ، ثم اعتقال الشيخ **هاشم الخازندار** امام غزة ، الموجود حاليا فى أحد السجون الصهيونية .

ان الاهداف الصهيونية من وراء ذلك العمل المشين لا تخفى على أحد ، فبالاضافة الى محاولة الصهيونيين لتفريغ المدن المقدسة من قادتها الروحيين فانهم يستهدفون بذلك العمل ، الضغط على رجال الدين المسيحيين والمسلمين لحملهم على قبول مخططات تهويد المدينة المقدسة .

لكن الشعب الفلسطينى المناضل والشعوب العربية وسائر المناضلين الشرفاء ، بما فيهم رجال الدين الوطنيين سوف يحبطون مثل هذه المخططات .

واننا لندرك تماما السر فى عداء وتآمر السلطات الصهيونية على المطران كابوتشى ، الا وهو رفضه المبدئى للاحتلال ، ونشاطه الحيوى فى الدوائر الدينية المسيحية والعالمية ضده وحماسه الشديد للحيلولة دون تهويد القدس .

ان اعتقال رمز دينى يتمتع باحترام واجلال جميع المواطنين فى فلسطين المحتلة ، كما يتمتع بثقة البابوية التى أعربت عن حزنها العميق وألمها البالغ لاعتقاله ، انما يعتبر سابقة خطيرة ، ينبغى التصدى لها عربيا وعالميا ، حتى لا تتكرر ، وتصبح اجراء صهيونيا يوميا يمكن أن تقوم به اسرائيل ضد رجال الدين الشرفاء الوطنيين فى أى وقت وفى أى مكان تشاء .

لقد ضرب **المطران كابوتشى** مثلا طيبا لرجال الدين الذين يجب ألا يكتفوا بمهمتهم الروحية فقط ، وانما ان يشاركوا باخلاص وتفان فى نضال بلادهم وشعوبهم من أجل الدفاع عن حقوقها السليبة المغتصبة ، وقضاياها الانسانية العادلة . وهكذا يظهر فى بلادنا أيضا ، النموذج الجديد لرجل الدين المناضل بفعالية من أجل الخير والحق والعدالة ، الى جانب تلك النماذج البارزة التى عرفها العالم من القارة اللاتينية ، والتى قدم بعضها روحه فى سبيل الانسانية والخير والعدالة مثل القس الشهيد **كاميلو توريس** .

وان « **الطليعة** » لتهيب بكل القوى الوطنية والتقدمية العربية والعالمية ، وبسائر القوى المحبة للسلام ، أن تتضامن ، وتبذل جهودها معا من أجل التمكن من اطلاق سراح المطران المناضل ، ومنع جميع المحاولات التى تستهدف ابعاده من وطنه .

« أيها الصهيونيون المعتدون ارفعوا أيديكم عن **المطران كابوتشى** » ..

« الطليعة »

الحوار العربي – الأوربي

قضية الحوار العربي – الاوروبي اثارت ولا تزال تثير ، أكثر من قضية : مثلا :

– ماهي الاهمية الحقيقية لهذا الحوار ؟

– ماذا يريد العرب من وراء هذا الحوار ؟

– هل يقف العرب في وضع الاستعداد لاجراء حوار يخدم – في آن واحد – قضايا التحرير والبناء ؟

– ما هو جانب الوهم وجانب الحقيقة في هذا الحوار ؟

مثل هذه القضايا طرحتها صحافتنا المحلية والصحافة العربية . ولا ينكر انسان أنها قضايا جدية تستحق البحث والدراسة .

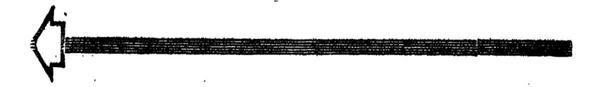
والطليعة من جانبها تحاول – بتواضع – أن تصل الى طرح فيه شيء من التأصيل .

لانه اذا تحتم علينا أن نتذكر – في كل لحظة – أن أمام شعبنا مهمة مقدسة هي تحرير الارض ، ومهمة مستمرة هي بنـاء القاعدة الاقتصادية ، فان حركتنا – على المستوى الدولي – وفي مواجهة هذا الحوار ، يجب أن يتحرك العرب – في آن واحد – على ثلاث مستويات أساسية :

• المستوى السياسي • المستوى الاقتصادي • المستوى الفكري أو [الايديولوجي]

في المستوى الاول والثاني ، يتعين أن ننطلق – ولا خيار – من « الواقع » ، مهما هو « ممكن » ، لنكسب سياسيا [ما يخدم قضية التحرير] واقتصاديا [ما يخدم قضية البناء المستقل] كل ذلك في وضع يسمح ، بعد ٦ أكتوبر أن نخطو خطوات أكثر الى الامام .

أما في المستوى الثالث ، الفكري بل والحضاري ، نرصد ، ونضع في الحساب من منظور علمي القوى الجديدة ، الصاعدة في أوروبا ، وذلك حتى لا يستقر في وجدان الشعوب الاوروبية أن العرب انما يضعون كل أوراقهم ، على كل ما هو محافظ ، وجامد ، وعابر . وانما يديرون الحوار بالكيفية التي تكسبهم في أوروبا عطف واحترام ومساندة كل قوى التقدم والديمقراطية والاشتراكية .



● رؤيـــة ســـــياسية

لكى لايبقى مجـــرد «حـــوار»

سلامة أحمد سلامة

برزت قضية الحوار العربى ــ الأوروبى خلال الشهور الاخيرة على مسرح الاهتمامات السياسية الجارية ، نتيجة لبعض التغيرات الهامة التى طرأت على العلاقات بين العالم العربى وبين اطراف وقوى دولية متعددة .. تلك التغيرات التى نجمت بالدرجة الاولى عن تحقيق حد ادنى من « التماسك والوحدة » العربية اثناء المواجهة التى وقعت مع اسرائيل خلال حرب اكتوبر .

واذا كانت ثمة خطوات محددة قد بدأت تتخذ خلال الاسابيع الاخيرة لنقل الحوار العربى ــ الأوروبى من مرحلة « النوايا » الى مرحلة « الافعال » ، فليس لنا والحوار مازال فى مدارجه الاولى ، يبحث عن اطار يتم من خلاله ، وعن مضمون تتبلور فيه مجالات التعاون وتترجم الى اجراءات وخطوات عملية محددة ، الا ان نلقى نظرة على الظروف والملابسات الدولية والسياسية التى حركته او تحركه ، ومواقف كل من الطرفين العربى والأوروبى واهدافهما السياسية من قيام مثل هذا الحوار ، ثم الى اين يمكن ان ينتهى هذا الحوار فى ظل الظروف الدولية القائمة وعلاقات القوى فيها ؟

• • •

ان كثيرين ممن تناولوا قضية الحوار العربى ــ الاوروبى ، قد نظروا اليها باعتبارها استئنافا طبيعيا لتاريخ طويل وقديم من الروابط والعلاقات الثقافيــة والحضــارية التى ربطت بين اوروبا والعالم العربى عبر البحر الابيض المتوسط ، انسدته حقبة زمنية طويلة نوعا ، من العلاقات

غير المتكافئة ومن الاطماع والاهداف الاستعمارية التى حكمت علاقة اوروبا بالعالم العربى ،دفعت بالقوى الاوروبية الى محاولات متتالية لاقتسام العالم العربى واخضاعه واستغلاله . اما وقد فاتت هذه الحقبة وانتهت ، واستعادت الدول العربية استقلالها ، وحققت خلال سنوات من النضال والتضحيات قدرا كبيرا من المكاسب ومن القدرة على الحركة وحرية التصرف بمقدراتها وثرواتها ، فلا بأس — وقد عفا الله عما سلف — من استئناف هذه العلاقة الحضارية القديمة ، ولتكن على اساس معادلة بسيطة مسرفة فى البساطة : « **ثروة البترول العربية ، مقابل تكنولوجيا الغرب الاوروبى واسرار تقدمه العلمى والصناعى** » .

وتلك — فى الحق — معادلة ساذجة مسرفة فى السذاجة . نستبعد ان تكون هى المنطلق الذى منه يتحرك الذين يديرون ويخططون للحوار العربى — الاوروبى . وما من شك فى ان قوانين الحركة الدولية التى دفعت بدول اوروبا التسع الى الترحيب ، ثم السعى ، ثم البدء فى ادارة حوار عربى — اوروبى ، بعد ان ظلت نفس هذه الدول لسنوات طويلة عازفة وفاترة ازاء أى مبادرة من جانب العالم العربى فى هذا الصدد ، ليست بالامور التى تغيب عن تقدير الطرف العربى . كما ان التغيرات التى طرأت على العالم العربى ، وما تولدت عنه مرحلة المخاض الماضية من احساس قوى فى العالم العربى بالقدرة على التأثير والتغيير فى العالم المحيط به ، ليست بدورها من الامور التى تخفى عن ذهن الطرف الاوروبى . ومن ثم فان التقييم الواقعى والموضوعى من جانب كل طرف لاهداف الطرف الاخر ودوافعه ، مع الالمام بالابعاد المكنة والمتوقعة التى ينتظر ان يتحرك هذا الحوار فى اطارها ، كفيل بان يصل بالحوار العربى الاوروبى الى اهدافه المرجوة .

• • •

ومن الممكن ان يقال ان سعى العالم العربى للدخول فى حوار مع اوروبا منذ بدأت الشعوب العربية نضالها ضد الاستعمار الصهيونى لم يتوقف . ولكن الجهود العربية لم تجد صدى على امتداد هذه السنوات الطويلة ، فقد حالت هيمنة السياسة الامريكية على اوروبا الغربية — ومازالت حتى الان بدرجة متفاوتة — دون ممارسة أوروبا لدورها مستقلا عن السيطرة الامريكية . ولا يمكن لاى مراقب موضوعى فصل التحرك الاوروبى نحو قبول الدخول فى حوار مع العالم العربى ، عن التغيرات التى طرأت على الموقف الاوروبى نفسه فى علاقاته الجديدة والمتجددة مع كل من العملاقين الكبيرين المتصارعين : الاتحاد السوفيتى من ناحية والولايات المتحدة من ناحية اخرى . ودون دخول فى تفاصيل كثيرة عن الظروف التى أدت الى ما يعرف بسياسة الانفراج الدولى ، فمن الواضح ان اتجاه الدولتين الاعظم الى انتهاج هذه السياسة هو الذى أدى الى ان تعيد كثير من القوى الدولية ، ومن بينها دول اوروبا الغربية ممثلة فى التجمع الاوروبى او مايعرف بدول اوروبا التسع ، الى اعادة النظر فى سياساتها والبحث لها عن دور متمايز يحفظ لها مصالحها التى لا تتفق بالضرورة مع المصالح الامريكية . ولا يمكن فى هذه المناسبة ان نغفل الاشارة الى الدور الهام الذى لعبته السياسة الفرنسية ، فى تلمس وابراز وتأكيد الفروق الدقيقة والحتمية بين المصالح الامريكية والمصالح الاوروبية ، وبالتالى فى صنع الركائز الاولى لحوار عربى — اوروبى .

وقد اتفق حدوث هذا التطور الاوروبى ، معبرا عن نفسه فى صور شتى من الوحدة الاقتصادية الاوروبية الى الرغبة فى اقامة وحدة سياسية أوروبية ، فى نفس الوقت الذى كان العالم العربى — بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ — يعيد تنظيم صفوفه ، ويحاول تعبئة قواه واستثمار الاوضاع الدولية الجديدة للخروج بقضية النزاع فى الشرق الاوسط من حالة اللاحرب واللاسلم . وظهرت بوادر التطور السياسى فى موقف اوروبا ازاء العالم العربى خلال هذه الفترة حين أصدرت دول المجموعة الاوروبية وثيقتها المعروفة باسم « **ورقة شومان** » عام ١٩٧١ [نسبة الى وزير الخارجية الفرنسية فى ذلك الوقت] والتى أكدت فيها لاول مرة — وفى وقت كان اتجاه السياسة الامريكية هو التنصل من قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ومحاولة تجميده واجهاض بنوده — ضرورة السعى لحل نزاع الشرق الاوسط طبقا لهذا القرار .

ومضت دول المجموعة الاوروبية بعد ذلك خطوة اخرى فى سبيل تدعيم موقفها المتمايز عن السياسة الامريكية ، فطرحت فكرة اقامة منطقة تجارة حرة لدول البحر الابيض المتوسط تربط بين التكتل الاقتصادى للمجموعة الاوروبية ممثلا فى السوق الاوروبية المشتركة وبين الدول المطلة على البحر المتوسط . وذلك فى محاولة للدفاع عن المصالح الاقتصادية والسياسية لاوروبا فى شمال افريقيا وشرقى البحر المتوسط [ومعظمها دول عربية] . واكد البيان الذى اصدره مؤتمر

القمة الاوروبى فى باريس يوم ٢١ اكتوبر ١٩٧٢، هذا الاتجاه ، الذى قوبل بمعارضة شديدة من جانب الولايات المتحدة التى اتهمت دول السوق الاوروبية بانها تشن حربا اقتصادية ضد المصالح الامريكية . لم تكن ازمة الطاقة قد برزت على السطح حتى ذلك الحين ، ولكن عيون السياسة الامريكية كانت قد تركزت وتسمرت عند منابع البترول فى منطقة الخليج العربى وعلى الساحل الشمالى لافريقيا . وعجزت الدول الاوروبية حينذاك عن ادراك الضرورة الملحة التى كان يجب ان تعجل بتنفيذ سياسة التقارب والتفاهم مع الدول العربية حفاظا على مصالحها . وحتى عندما سعت الدول العربية الى اقناع بعض الدول الاوروبية بضرورة بحث مشكلة النزاع فى الشرق الاوسط وادراجها ضمن جدول أعمال مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى الذى عقد فى هلسنكى ثم فى جنيف ، على اعتبار ان أمن اوروبا مرتبط ارتباطا وثيقا بالامن فى الشرق الاوسط وفى حوض البحر المتوسط ، لم تنجح هذه المساعى ، بينما نجحت السياسات الكبرى فى اقصاء الازمة برمتها من جدول الاعمال .

على ان الموقف الاوروبى المتحفظ والمتردد تجاه العالم العربى ظل متأثرا بعلاقات الشد والجذب التى سادت جو العلاقات الاوروبية الامريكية ، حتى وقعت احداث حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، واعلنت الدول العربية المنتجة للبترول حظرها على امدادات البترول . وتفجرت ازمة الطاقة على نحو لم يشهد له العالم مثيلا من قبل ، لتفجر معها ازمة فى العلاقات بين اوروبا والولايات المتحدة . وقد انعكست هذه الازمة فى سلسلة من المواقف ، حين عارضت معظم الدول الاوروبية استخدام اراضيها لتدعيم الجسر الجوى الامريكى من العتاد الحربى لمساعدة اسرائيل ، وحين اعربت هذه الدول عن سخطها لاقدام الولايات المتحدة على اعلان حالة التأهب بين قواتها فى اوروبا دون اخطار هذه الدول المتحالفة معها او التشاور معها .

ومن المهم فى هذا الصدد ، ان نسترجع تطور الخلاف الاوروبى — الامريكى ازاء احداث الشرق الاوسط فى هذه الفترة ، وما اقترن بها من اشتداد ازمة الطاقة على نحو خانق فى اوروبا ، لان المراحل التى مر بها هذا الخلاف صعودا وهبوطا بعد ذلك ، تكشف لنا عن المدى الذى تستطيع اوروبا ان تتحرك فيه فى جوارها مع العالم العربى وتضع اصابعنا على نبض الحركة الاوروبية بصفة عامة .

بعد ان اصدر مجلس الامن قراره فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ بوقف اطلاق النار ، وبدء مفاوضات فورية تحت اشراف الامم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ . كانت الجهود الدبلوماسية الدولية تجرى على قدم وساق بين امريكا والاتحاد السوفيتى ومع الاطراف المعنية فى الشرق الاوسط لوضع قرار مجلس الامن موضع التنفيذ . ووجدت اوروبا نفسها تخرج من نطاق هذه اللعبة تدريجيا معزولة عن كل الاتصالات ، وبلا دور تستطيع ان تمارسه .. واصدر وزراء خارجية الدول الاوروبية التسع بيانا فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ عرف باسم « **بيان بروكسل** » عن ازمة الشرق الاوسط ، حاولت فيه دول المجموعة الاوروبية ان تؤكد وجودها وحضورها على المسرح الدولى . وتضمن هذا البيان لاول مرة رفضا صريحا لموقف اسرائيل وتأكيدا لضرورة عودتها الى حدود ما قبل ١٩٦٧ ، واعترافا اكيدا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، كشرط لقيام سلام دائم وعادل فى المنطقة . ولكى تضمن اوروبا لنفسها مكانا فى الاتصالات الدولية الجارية ، طالبت باجراء مفاوضات السلام الخاصة بالشرق الاوسط تحت اشراف الامم المتحدة على اساس ان مجلس الامن هو الذى يتحمل المسئولية الاولى فى سلام العالم .

ومع ذلك فقد عجزت اوروبا ، سواء كمجموعة أو كدول منفردة ، وبالذات فرنسا وبريطانيا ، عن الوصول الى قصر الامم فى جنيف ، واغلقت ابواب المفاوضات الاولى التى دارت حول الفصل بين القوات فى وجه المجموعة الاوروبية ، بينما كانت هذه الدول تئن تحت وطأة النقص الشديد فى امدادات الوقود بسبب الحظر العربى للبترول وتعانى من تعقيدات الازمة بصورة شديدة لم تتعرض لها اى من الدولتين الكبيرتين فى العالم .

وعندما انعقد مؤتمر القمة الاوروبى فى كوبنهاجن خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، لم يكن امام الدول الاوروبية مفر من الاعتراف بخطورة المأزق الذى تجد نفسها فيه . وقادت «فرنسا بومبيدو» ، و « بريطانيا هيث » حركة المقاومة داخل المجموعة الاوروبية ضد سياسة « لوى الذراع » الامريكية التى استفادت من ازمة الطاقة فى الضغط على أوروبا ومحاولة اخضاعها تماما . وحين وصل اربعة من وزراء البترول العرب الى كوبنهاجن اثناء انعقاد مؤتمر القمة ، كانت الفكرة الاولى لقيام تعاون عربى — اوروبى قد بدأت تتبلور كمطلب اساسى وملح فى اذهان الساسة الاوروبيين . وهو ما اتفق عليه المجتمعون

واعتبروه نصرا للوحدة الاوروبية واملا لهـا في مستقبل افضل .

غير ان المخاوف الاوروبية من عواقب توسيع شقة الخلاف مع الولايات المتحدة والامعان فى تحديها ،سرعان ماطغت على الموقف الاوروبى. وظهرت خلافات شديدة بين الاوروبيين انفسهم: بين الداعين للمضى فى سياسة اوروبية مستقلة تنعكس فى انتهاج طريق اوروبى صرف لمعالجة أزمة الطاقة وعلى رأسهم فرنسا وبريطانيا ، والداعين الى العودة الى احضان السياسة الامريكية وتبديد الشكوك التى علقت بها وعلى رأسهم المانيا الغربية وهولندا . وعندما اعلنت امريكا دعوتها لعقد مؤتمر للطاقة فى واشنطن تشهده الدول الصناعية المستهلكة للبترول خلال شهر فبراير ١٩٧٤ ، انفرط عقد المجموعة الاوروبية تماما وتوقفت الاتصالات التى كانت تجرى لبدء حوار عربى اوروبى فى نفس هذا الشهر [فبراير ١٩٧٤] طبقا لتوصيات مؤتمر كوبنهاجن . وابدت الولايات المتحدة لدى دول المجموعة الاوروبية تحفظات قوية لما اعتبرته « ترتيبا خاصا » بين المجموعة الاوروبية والدول العربية ، يمكن ان يحدث انقساما فى « جبهة الدول المستهلكة للبترول » .

غير ان مؤتمر واشنطن لم يسفر عن الحلول العاجلة التى كانت دول اوروبا تتوقعها ، وعادت المجموعة الاوروبية لتقرر فى مارس ضرورة بدء الحوار العربى — الاوروبى ، وكلفت وزير الخارجية الالمانية حينذاك ببدء الاتصالات مع الدول العربية . غير ان حكومة هيث كانت قد سقطت وجاءت حكومة العمال بسياسة اكثر استعدادا للتعاون مع السياسة الامريكية . واعترضت بريطانيا كما اعترض كيسنجر وزير الخارجية الامريكية على ان بدء الحوار العربى — الاوروبى قد يعرقل الجهود الدبلوماسية الامريكية للسلام فى الشرق الاوسط ، ويضع الدول الاوروبية تحت ضغط عربى من جانب الدول العربية الاكثر تطرفا فى المنطقة . وتأجل الحوار مرة اخرى تحت الضغط الامريكى .

غير ان التطور الذى حدث بعد ذلك وأدى الى اغضاء امريكا عن معارضتها المستمرة فى بدء حوار عربى — اوروبى ، وقع متوافقا مع التغيرات التى حدثت فى بعض القيادات الاوروبية . فقد سقط **فيلى براندت** ومات **جورج بومبيدو** ، وجاءت الى الحكم فى كل من المانيا الغربية وفرنسا — وقبلها بريطانيا — حكومات اسلس قيادا فى التعامل مع امريكا .

وفى اطار المحاولات التى بذلتها الولايات المتحدة واوروبا للتغلب على الخلافات القائمة بينهما قبل ان يشرع نيكسون فى رحلته الاخيرة الى موسكو ، أمكن التوصل الى صيغة لاسلوب التشاور بين الطرفين . فقد تم الاتفاق على انه عندما تريد اية دولة من دول المجموعة الاوروبية أن تثير مشكلة مع امريكا ، فان عليها ان تطرح اقتراحها فى مؤتمر للسوق ، فاذا تمت الموافقة عليه بالاجماع يصبح من مسئولية السوق ، اما اذا لم يحز الاقتراح موافقة اجماعية فان من حق الدولة صاحبته اجراء مفاوضات ثنائية بشأنه مع امريكا خارج نطاق مجموعة دول السوق .

وهكذا لم تستطع دول المجموعة الاوروبية ان تبدأ خطواتها العملية فى الحوار العربى الاوروبى ، الا بعد ان اتفقت فى الاجتماع الذى عقده وزراء خارجية الدول التسع فى بون فى ١٠ يونيو الماضى على ان يكون موضوع الحوار العربى — الاوروبى من بين الموضوعات التى تلتزم فيها الدول الاوروبية بتطبيق مبدأ المشاورة مع امريكا .. المشاورة « قبل وخلال وبعد » اى قرارات تتخذ . وقد ابدت فرنسا فى هذا الاجتماع على لسان وزير خارجيتها **جان سوفانيارج** تحفظا مؤداه ان القبول بالتشاور مع امريكا ، لا يعنى انها اصبحت العضو العاشر فى المجموعة الاوروبية ذات الدول التسع . ومعنى هذا التحفظ — الذى قبلته الدول الثمانية الاخرى — هو ان بوسع فرنسا متى شاءت ، او اى عضو آخر ، ان تعترض على اجراء المشاورات مع امريكا فى اى مرحلة لاحقة من مراحل الحوار العربى — الاوروبى .

● ● ●

وقد عقد أول اجتماع بالفعل ، فى اطار الحوار العربى — الاوروبى ، فى باريس فى اواخر شهر يوليو الماضى،واتخذت اولى الخطوات المحددة فى الحوار بين الدول الاوروبية التسع والدول العربية العشرين . وشهد الاتصالات التمهيدية الاولى عن الجانب العربى **الامين العام لجامعة الدول العربية ووزير خارجية الكويت** ، باعتبار ان الكويت تتولى رياسة الدورة الراهنة لمجلس جامعة الدول العربية . وعن الجانب الاوروبى : **جان سوفانيارج وزير الخارجية الفرنسية** باعتبار ان فرنسا تتولى الرياسة للمجلس الوزارى لمنظمة السوق ، **وفرانسوا اكسافييه اورتولى رئيس لجنة السوق** . واتفق الطرفان على تشكيل « **لجنة دائمة مشتركة** »

ومجموعة لجان عمل لمناقشة مجالات التعاون بين الطرفين .

وفى خلال هـذه الفترة من الشهور الثلاثة القادمة ، يكون المسئولون من الجانب العربي والاوروبى قد عقدوا فى باريس او القاهرة اجتماعات تمهيدية لتحديد اكثر ميادين العمل احتمالا لقيام تعاون مثمر ، على ان تعقد اللجنة العربية الاوروبية المشتركة اول اجتماع لها فى نوفمبر ، لاصدار بيان مشترك للمبادىء التى تحدد اسس التعاون بين الطرفين .

وعلى الرغم من ان ما انجز حتى الان ليس الا تحديدا لاطار العمل وشكله ، يجعل من السابق لاوانه تقييم ما تعنيه هذه الخطوات على وجه الدقة ، الا ان ثمة ملاحظات هامة لا يمكن اغفالها :

● **اولها ، ان التحرك الاوروبى نحو التعاون مع العالم العربى ، محكوم منذ بدايته بضغوط امريكية واضحة لا تريد له ان يخرج عن حدود معينة او ان يكتسب ابعادا سياسية اخرى ، تفقد السياسة الامريكية اى شىء من مبادراتها.**

● **ثانيها ، ان ازمة الطاقة وارتفاع اسعار البترول ، وما أدى اليه ذلك من خلل فى موازين المدفوعات الاوروبية ، غذى اسباب التضخم المالى الذى يهدد اقتصاديات الغرب بصفة عامة ، هو الذى يحرك دول المجموعة الاوروبية الان بصورة ملحة نحو تعاون عربى — اوروبى ، تمتص فيه الاستثمارات الاوروبية فوائض الاموال الضخمة التى تتراكم لحساب الدول العربية من فوارق اسعار البترول .وطبقا للتقديرات الاوروبية فان الدول الاوروبية ستكون قد اشترت حتى عام ١٩٨٠ بما قيمته ٥٠ الف مليون دولار من بترول الدول العربية على اساس الاسعار الراهنة .**

● **وينتج من الملاحظتين معا ملاحظة ثالثة : ان هناك اتجاها قويا بين دول المجموعة الاوروبية الى قصر مجالات التعاون العربى الاوروبى على الجوانب الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية بحيث ينتهى الامر — على احسن احواله — الى ابرام اتفاقية جماعية للانتساب ، كتلك التى بين سوق شرق افريقيا ، والسوق الاوروبية المشتركة .**

وهنا يكمن موطن الخطر ..

ذلك ان الهدف البعيد لقيام حوار عربى — اوروبى لم يكن ، ولا ينبغى ان يكون — من وجهة النظر العربية — مجرد بحث عن صيغة من الصيغ لربط الاقتصاد العربى بالاقتصاد الاوروبى ، أو لفتح باب العالم العربى أمام التكنولوجيا الاوروبية ، أو لقصر التعاون على اوجهه الاقتصادية وحدها مهما تكن مرغوبة ومطلوبة وضرورية .. ولكن لابد ان يوضع فى الاعتبار ، وباكبر قدر من الوضوح ان الحاجة الى اجراء حوار عربى — اوروبى نشأت وتجسدت ، حين اشتعلت منطقة الشرق الاوسط بالصراع ، وانعكست آثار ذلك اول ما انعكست على استقرار اوروبا وأمنها . اى ان تاكيد الاوضاع السياسية فى العالم العربى بما يخدم الاهداف والمصالح العربية وبما يضمن أمن العالم العربى وتقدمه ينبغى ان يكون هو المطلب الاساسى فى اى حوار عربى — اوروبى .

ان الموقف العربى سوف يفقد كثيرا من اسباب قوته اذا لم يوضع الحوار العربى الاوروبى فى اطاره السياسى الصحيح . ومن ثم فاننا نتصور ان يتجه الحوار العربى الاوروبى الى وضع اسس التعاون فى مجالات ثلاث :

فى المجال السياسى : وهنا يتحتم على الجانب العربى ان يحصل من المجموعة الاوروبية على اعتراف واضح ملزم باستقلال الدول العربية وسيادتها على اراضيها طبقا للمواثيق والمعاهدات الدولية ، وبحق الشعوب العربية فى الدفاع عن نفسها وفى تقرير مصيرها بما فى ذلك حقوق الشعب العربى فى فلسطين . والالتزام بعدم التأييد او المشاركة فى اى تدخل اجنبى فى شئون الدول العربية .. وتأييد الجهود العربية فى استرجاع اراضيها المحتلة وتنفيذ قرارات الامم المتحدة فى نزاع الشرق الاوسط .. الى آخر هذه المبادىء العامة التى لا تتعارض مع ميثاق الامم المتحدة والتى تؤكد وتدعم الحقوق السياسية للشعوب العربية . على ان تلتزم الدول العربية من جانبها بنفس الالتزامات تجاه دول اوروبا .

فى المجال الاقتصادى : وضع اسس تعاون عربى اوروبى يضمن للدول العربية الحصول على اسباب التقدم الصناعى والتكنولوجى ، ويمكنها من بناء هيكل تقدمها الصناعى ، وتوسيع قاعدتها الاقتصادية دون استغلال او استنزاف لمواردها وثرواتها ، ودون تدخل فى انظمتها الاجتماعية التى تختارها لنفسها ، وذلك على اساس من المنفعة المتبادلة والتعاون المثمر لصالح الطرفين .

فى المجال العلمى والثقافى : ارساء أسس

تعاون علمى وثقافى يفتح للعالم العربى ابواب الخبرة والمعرفة فى شتى مجالات العلوم والفنون، مع وضع برامج مشتركة للبحث وتبادل المعلومات. وتدعيم أواصر التفاهم والفهم بين الشعوب العربية والاوروبية فى محاولة جادة لاسقاط حواجز التميز والاستعلاء والنفور التى خلفتها سنوات المعاناة من وطأة الاستعمار الاوروبى، وفى محاولة لجعل البحر الابيض المتوسط بحيرة سلام وجسرا حقيقيا لتعاون وثيق بين اوروبا وافريقيا .

فاذا استطاع الحوار العربى الاوروبى ان يحيط بهذه المجالات الثلاث ، وان يجد نقاط التقاء حولها ، يمكن ان تكون بذورا قابلة للنماء والازدهار ، فانه يكون بذلك قد حقق الهدف المرجو منه . ونعود فنؤكد أن اصرار الجانب العربى على بحث المجال السياسى للحوار ، امر لامناص منه ، لانه يمثل القاعدة التى ينبنى عليها كل تعاون عربى أوروبى طويل الامد ، **وليس مجرد فورة عابرة تنتهى مع امتصاص فوائض الاموال العربية ، وتحسين موازين المدفوعات الاوروبية، والعثور على بدائل أخرى للطاقة .**

ولا شك ان نظرة عربية استراتيجية اكثر شمولا واوسع مدى ، لابد وان تفكر وهى تدير الحوار مع دول المجموعة الاوروبية فى ضرورة اقامة حوار عربى اوروبى مع الدول الاشتراكية فى شرق اوروبا ، وتلك خطوة اخرى سوف تجد الدول العربية نفسها ان عاجلا او آجلا ، ومع الايقاع السريع للتطورات الدولية ، مضطرة الى اتخاذها .

وتبقى نقطة اخيرة ولكنها جوهرية ، وهى ان المجموعة الاوروبية [٩ دول] تدخل الحوار متحدثة مع العالم العربى [٢٠ دولة] بصوت واحد ولسان واحد مهما كانت الخلافات القائمة بينها ، وهو ما يحتم على الدول العربية ان يظل حديثها ايضا مع الطرف الاوروبى بصوت واحد ولسان واحد مهما تباينت الاراء واختلفت المصالح. فتلك هى القيمة الوحيدة — فى الظروف الراهنة — لاى حوار مع العالم العربى .

□

● رؤيـــة اقتصـــــــادية

ورقتنا الرابحة : اقتصاد عربى متكامل ومنتج

محمد ناجى

اذا كانت النوايا صادقة وأوربا بالفعل راغبة فى التعاون مع العرب لما فيه النفع المشترك ، والنفع العام للبشرية جمعاء ايضا ، وذلك على اساس « اللى فات مات» كما قال كيسنجر فى افتتاح مؤتمر جنيف للسلام فى ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، فان ثمة عدة حقائق قد يكون من المفيد ذكرها والتصارح بها :

أولا : حقيقة أن النمط الانتاجى الحديث يختلف عن الانماط الانتاجية السابقة :

وقد بدأ حدوث التحول منذ أن ظهرت التسهيلات التكنولوجية الحديثة عندما اكتشف الانسان امكانية نقل الحركة وزيادة سرعتها وقوتها باستخدام مجموعة من التروس متفاوتة المساحة ، وكذلك عندما وجد أنه يمكن الاستغناء عن جزء مما يبذله من مجهود عضلى اذا ما روض الطاقة الناشئة عن اندفاع البخار المتولد من غليان الماء بحيث يمكن استخدام هذه الطاقة فى توليد الحركة .

وبمرور الزمن وتتابع ظهور الحقائق العلمية ، واستمرار تراكم الاكتشافات والتطبيقات التكنولوجية ، وزيادة قدرة الانسان على استخراج

وترويض الطاقة من مصادر جديدة كالفحم والبترول ومساقط المياه والذرة والشمس وزيت الطفلة ...... وباستمرار تراكم هذه الانجازات ، حدثت تغيرات وتغييرات في فن وتكنولوجيا الانتاج تضمنت التقليل بقدر الامكان من المجهود العضلي الذي يجب على الانسان أن يبذله ، مع تكثيف النسبة المستخدمة من الطاقة الطبيعية في العملية الانتاجية ، بحيث يمكننا تمثيل النمط الانتاجي الحالي بالمعادلة الاتية :

الانسان (بجهده الفكري)
المواد الخام • (غير الوقودية)
تراكمات رأسمالية • (غير النقود)
تكنولوجيا حديثة •
الطاقة •

الانتاج الحديث

وهذا بالطبع ينطبق على كافة القطاعات الاقتصادية ، وقد اختبرت هذه المعادلة بالفعل في خريف وشتاء سنة ١٩٧٣ ، في أعقاب حرب أكتوبر عندما انخفضت كمية الطاقة التي تحصل عليها الدول الصناعية بعد أن أغلق العرب جزئيا صنابير النفط بنسبة لم تتجاوز ٢٥ في المائة • فانخفضت سرعة دوران عجلة الانتاج في مختلف القطاعات ، ولولا أن حكومات هذه الدول اتبعت أنظمة صارمة في قطاع النقل والمواصلات ، وفرضت على المواطنين شتاء باردا نسبيا ، لما أمكن تفادي هزة اقتصادية كانت مؤكدة على مستوى العالم كله ، فيما اذا لم يرفع العرب الحظر الجزئي على النفط • وفي نفس الوقت لم تتدخل المجموعة الصناعية لرفعه عسكريا •

وهكذا اظهرت هذه المحنة عمليا ، انه اذا كانت الانجازات التكنولوجية هي الاقنية الضرورية لتتم خلالها العملية الانتاجية الحديثة ، فان الطاقة هي الاكسوجين اللازم لاستمرارها ، كما أن البترول — في الفترة الحالية — هو الشريان الذي يمدها بهذا الاكسوجين ، وأنه اذا كانت الدول الصناعية تمتلك تلك الاقنية فان العرب يملكون هذا الشريان •

وأوضحت هذه المحنة أيضا اختفاء أثر النقود في احداث الازمات الاقتصادية الحقيقية ، فالامر أصبح يتوقف على عوامل تتعلق أساسا بالمصادر الطبيعية للثروات ، ولم يعد الوضع كما حدث وسبب الازمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينيات كما سنشير اليه خلال هذا العرض •

ولعله من الفرص المواتية للعرب والتي يتوجب عليهم استثمارها انه ، حتى الان ورغم أنه قد ث ت علميا وعمليا امكان الاستفادة بمصادر الطاقة المتنوعة كالشمس والذرة ، فانه لم يتم تشييد القدر المناسب من الانجازات التكنولوجية لاستخلاص الطاقة من هذه المصادر للاعتماد عليها في الانتاج ، ويرجع ذلك لعدة أسباب ، منها ما يتعلق بتخصيص الموارد حيث أن التراكمات الرأسمالية في الدول الصناعية لا تستطيع أن تقدم هذه الانجازات في زمن قياسي مع الاحتفاظ بالمستوى الحالي لرفاهة الشعوب في هذه الدول • ومستويات وأنظمة الدفاع فيها ، ومن هذه الاسباب ما يتعلق بالنواحي العلمية حيث أن أنظمة استخلاص الطاقة النووية بالذات تتميز بالعمر الطويل مما يستدعي التأني في الانتاج ، حتى يتمكن العلماء من تقديم كافة الحلول لمشاكل الامن والتكلفة والتكنولوجيا والصيانة • ويقدر الخبراء الفترة التي تلزم حتى يمكن توفير الانجازات اللازمة للتغلب على هذه المشاكل على النطاق الكبير بخمسة وعشرين عاما ، بل ان الولايات المتحدة قد أعلنت على لسان نيكسون ان دولة عظمى مثلها لا يمكنها الاستمرار في الاعتماد على مصادر خارجية لامدادها بالطاقة ، وانها ستطور مصادرها النووية وغيرها لامدادها بالطاقة في فترة قصيرة للتغلب على أزمة الطاقة الامريكية • وتقدر هذه الفترة الحرجة أمام الولايات المتحدة بالخمسة عشرة سنة القادمة حتى سنة ١٩٩٠ •

ويعني هذا ان الفترة التي امام العرب ليعبروا الهوة بين التخلف والتقدم وليضعوا أقدامهم على عصر التكنولوجيا النووية فترة محدودة جدا اذا كانوا سيعتمدون على ما يملكونه من مفاتيح تتحكم في انسياب البترول شريان الجهاز الانتاجي في الدول الصناعية •

ثانيا : حقيقة أن الدخل أو الريع الحقيقي الناتج عن الاستخدامات البترولية [اي الفوائض الانتاجية التي تستخدم في تكوين تراكمات رأسمالية في شكل معدات ومصانع وتسهيلات نقل حديثة واضافات زراعية وخبرات علمية وتكنولوجية) ، هذا الدخل ، لم تحصل الدول العربية حتى الان على شيء يذكر منه ، وذلك بتأثير سياسات متعددة اتبعتها الدول المستهلكة في تعاملها مع الدول المنتجة :

أ — سياسة الدخول النقدية المنخفضة :

حيث كانت الدول العربية المنتجة للبترول تحصل على نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٧ في المائة من

اجمالى المبالغ النهائية المتحصلة من بيع النفط العربى . وحتى بعد الرفع الجزئى لأسعار البترول العربى سنة ١٩٧٢ لم يزد نصيب المجموعة العربية عن ١٤ فى المائة من المبالغ النهائية لمبيعات النفط بواقع ١٧ بليون دولار ، فى حين حصلت حكومات الدول المستهلكة من اجمالى هذه المبالغ على ٢٨ بليون دولار فى شكل ضرائب ، كما حصلت الشركات المنتجة والناقلة والموزعة والموردة للسلع والخدمات على ٦٨ بليون دولار ، أى ان الدول المستهلكة حصلت على ٨٦ فى المائة من اجمالى العائد ، فى حين ان الدول المنتجة لم تحصل الا على ١٤ فى المائة ، وهذا يعنى ان المستهلك قد فاز بنصيب الاسد ، وترك للمنتج فتات المائدة .

وتتضح هذه النتيجة اذا ما قارنا مجالات الانفاق للدول المنتجة بمجالات انفاق الدول المستهلكة ، فنظرا لضآلة دخول الدول المنتجة فى هذه الفترة ، فان معظم دخلها كان يكفى بالكاد لتغطية احتياجات الرفاهة للشعوب واستكمال شبكات المرافق والخدمات ومواجهة أعباء الادارة العامة وتكاليف جهاز الحكم ، وكذلك لشراء أنظمة تسليح (غير حديثة وغير متكاملة) وكان الفائض المالى الضئيل يتجه الى صناديق الايداع فى أوربا والولايات المتحدة . هذا بينما كانت معظم دخول الدول المستهلكة ـ سواء كانت دخول الحكومات أو الشركات ، وبطريق مباشر أو غير مباشر ، كانت تتجه الى تكوين مزيد من الاستثمارات الرأسمالية فى شكل ابحاث علمية ، وانجازات تكنولوجية وصناعات ثقيلة وتسهيلات أكثر كفاءة فى النقل وأنظمة دفاعية متطورة ....

وكانت الحكومات العربية تقبل الاسعار المنخفضة للنفط وبالتالى الدخول المنخفضة تحت تأثير قناعة سادت فى الاوساط السياسية والنفطية مفادها « ان العرب اذا لم يبيعوا نفطهم بالأسعار المعروضة وفى ظل ظروف الانتاج السائدة ، فليس أمامهم الا أن يشربوه » . وقد ساعد على انتشار هذا المفهوم فى ذلك الوقت المبكر (نسبيا) ان أهمية الطاقة فى العملية الانتاجية لم تكن قد وضحت بالصورة التى تبدو بها الآن أمام الدول المنتجة ، كما أنه لم تكن قد تكونت احتياطيات مالية لدى الدول العربية تشجعها على تقليل ضخ النفط مع الاحتفاظ بمستويات المعيشة المرتفعة التى قد اعتادت عليها . وساعد ذلك على جعل سوق النفط سوقا للمستهلكين .

ب ـ سياسة مابعد امتلاك الدول العربية لارصدة نقدية وزيادة دخولها النقدية :

حيث ارتفعت نسبة ما تحصل عليه حكومات الدول العربية الى حوالى ٥٠ فى المائة من اجمالى المبالغ المتحصلة عن بيع النفط العربى ، وترجع هذه الزيادة أساسا الى تعديل اسعار البترول الخام أبان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبعدها حيث ارتفع السعر المعلن للبرميل من ٣ دولارات الى ٢٠ دولارا للبرميل الواحد بالنسبة لبعض الكميات المباعة بالمزاد ، كما ترجع الزيادة السنوية فى هذه الدخول ايضا الى التأميم الجزئى لأنتاج البترول فى بعض الدول كالعراق وليبيا ، والى زيادة نسبة المشاركة بين الشركات وحكومات الدول المنتجة فى السعودية والكويت .

ويبلغ اجمالى الدخول المحتملة فى الدول العربية الناتجة عن بيع النفط فى سنة ١٩٧٤ ، ٦٠ بليون دولار تحصل منها السعودية على ٣٠ بليون دولار بزيادة قدرها ١٨ بليون دولار عن دخلها فى السنة السابقة التى لم تتفق خلالها أكثر من ثلثى دخلها البالغ ٢ بليون دولار وقتئذ .

وبمقارنة مستويات الدخول فى الدول النفطية ومستويات أسعار السلع الاستهلاكية والرأسمالية وأوجه ومستويات انفاق هذه الدول ابان الفترة التى سبقت حصولها على زيادات ضخمة فى دخولها النقدية السنوية ، بمقارنة هذه المتغيرات قبل الزيادة فى الدخول وبعدها يبدو واضحا ان الدول العربية النفطية ستستمر فى تحقيق فائض سنوى مالى تقدره بعض الدوائر الاقتصادية بحوالى ٢٦٠ بليون دولار خلال الفترة من سنة ١٩٧٦ الى سنة ١٩٨٥ .

وكان واضحا أنه بعد أن تحققت لشعوب الدول العربية المنتجة للنفط مستويات من الرفاهة والخدمات وصلت الى حد التشبع ، لابد أن تبرز آراء تنادى بالبحث عن وسائل وقنوات لاستثمار الارصدة النقدية العربية الزائدة .

وكان من الواضح أيضا ، لدى اقتصاديى الدول الصناعية المتقدمة انه اذا اتجهت هذه الارصدة الى الاستثمار فى الاقتصاديات والصناعات الثقيلة بالمنطقة العربية ، وأنه اذا اضطرت الدول الصناعية الى الاستجابة لهذه الرغبة ، فان ذلك بالحتم سيعنى فى المدى القريب أحد أمرين سينشأن من الضغط على اقتصاديات الدول المتقدمة لتحقيق ذلك ، فاما خفض معدل التراكم الرأسمالى الحالى فى الدول الصناعية ، وأما

خفض معدل الارتفاع فى مستويات الرفاهة التى تتوفر لشعوب هذه الدول ، ذلك أن الامر فى جوهره يتعلق بعملية تخصيص الموارد على المستوى العالمى ، وبعبارة أدق ، فان الامر يتوقف على الرغبة فى توجيه الموارد الطبيعية والراسمالية وغيرها للمواءمة بين احتياجات تنمية الاقتصاديات الوطنية فى الدول المنتجة للمواد الخام وبين احتياجات تكثيف التراكمات الرأسمالية ومستويات الرفاهة فى اقتصاديات الدول الصناعية ، أو على الاقل المحافظة على معدلات ثابتة لهاتين العمليتين .

ولتحويل المال العربى عن هذا الاتجاه ، بدأ رجال الاقتصاد والمال - بمساعدة عوامل عديدة ليس هنا مجال ذكرها - فى محاولة امتصاص الارصده النقدية العربيه عن طريق توجيهها لامتلاك (وبمعنى أصح لتحقيق الملكية الاسمية) أنظمة خدمات مساعدة للقاعدة الرئيسية للانتاج فى الدول الصناعية المتقدمة ، وذلك من خلال عدة محاولات :

(١) رفع الحظر عن بعض الاسلحة وتشجيع الدول العربية النفطية (قليلة السكان) على التوسع فى شراء أنظمة تسليح تتكلف بلايين الدولارات فى حين أنها لا يمكن الانتفاع بها كانظمة دفاعية نظرا لعدم وجود الجهاز الانتاجى القادر على امداد هذه الاسلحة بقطع الغيار والذخيرة وتعويض الفاقد ، وكذلك نظرا للتطورات اليومية فى تكنولوجيا الاسلحة وعدم قدرة الدول العربية على تأمين تدفق مستمر من السلاح فى الاوقات الحرجة حيث أنها لا تملك اسطول نقل قادر على ذلك ، وكذلك لخضوع هذا التدفق للاعتبارات والمصالح السياسية للدول العظمى والكبرى المنتجة للسلاح .

ومما يشجع الدول الصناعية على اتباع هذا الاسلوب أن الريع التكنولوجى والاحتكارى للانتاج العسكرى فى غاية الارتفاع مقارنا بمثيله فى الانتاج المدنى ، كما أن تهافت الدول المستقلة حديثا على امتلاك السلاح يرفع هذا الريع بمعدلات جنونية .

ومن الطبيعى أن هذا الريع يعود فى شكل تراكمات انتاجية (صناعية وزراعية) فى الدول المتقدمة .

(٢) اغراء الدول النفطية لشراء الاصول والاستثمارات الاوربية والامريكية فى المنطقة العربية ، او المشاركة فى ملكيتها ، واغلب هذه الاصول عبارة عن استثمارات فى قطاع البترول كشركات الانتاج والنقل عبر الانابيب وتكرير البترول .

وهذا الاسلوب فى الحقيقة ليس الا تطورا عن عمليات التاميم ، غير أن التأميم كان يتم برغبة الدولة التى تمارسه ، وضد رغبة الدول والشركات التى كانت تستفيد ، واستجابة لنزعة الاستقلال وتحقيق السيادة الوطنية للدول المستقله حديثا ، فى حين أن الشراء والمشاركة يتمان برضاء وتشجيع بل وباغراء من الدول المستهلكة وذلك فى محاولة لامتصاص واسترجاع حقوق السحب العربية على اقتصاديات الدول الصناعية وذلك للتخلص من الضغط الممكن حدوثه لو اتجه العرب للاستثمار فى منطقتهم .

وبهذا الاسلوب تكون الدول العربية قد حصلت مقابل الثروة المستنزفه من أرضها على ملكية اسمية لاصول مساعدة ومنتجة لخدمات خاصة بأجهزة انتاجية أجنبية موجودة فى الدول الصناعية .

وهذا الطريق بالنسبة للمصالح العربية يتنافى مع المفاهيم الاقتصادية الحديثة ، حيث أن هذه الاصول هى بالفعل موجودة فى الارض العربية ، كما أن العبرة الاقتصادية الان لم تعد تتوقف على من يملك .. بقدر ما تتوقف على من يستفيد فى النهاية .

ولعل هذا يسهم فى تفسير كيف تغلبت المفاهيم الاقتصادية على النزعات السياسية ، فلم تقدم الدول الصناعية على استعمال أساليب عنيفة ردا على تأميمات النفط فى العراق وليبيا كتلك التى استخدمت عندما أممت مصر قناة السويس سنة ١٩٥٦ ، واكتفت الشركات بقبول التعويضات المالية .

(٣) اتجاه ثالث يقضى باستثمار المال العربى فى مشاريع ذات صلة بالبترول كشراء اسطول لناقلات البترول واقامة معامل تكرير ومد خطوط أنابيب وانشاء بعض الصناعات البتروكيماوية .

وهذا الاتجاه لا يختلف عن سابقه الا فى مدى الجهد الذى يتعين على الدول العربية بذله من حيث اختيار أفضل التصميمات والعروض ثم التفاوض والتعاقد ومتابعة التنفيذ ثم الادارة والتشغيل مما يؤثر على الفكر الاقتصادى والجهود العربية ويبعدها عن الاتجاهات الصحيحة لتنمية الاقتصاد

العربى ، وذلك رغم أن مثل هذه المشاريع سوف تسهم فى الارتفاع بالمستوى الفنى للعمالة العربية وتقدم فرص عمل وفيرة نسبيا سواء فى مرحلتى التنفيذ أو التشغيل .

فامتلاك ناقلات ومصافى البترول لن يقدم للاقتصاد العربى سوى مزيد من الفوائض المالية كجانب أكبر من عوائد هذه المشروعات .

أما خطوط الانابيب فلن تقدم للدول العربية غير النفطية (التى تمر الخطوط عبر أراضيها) ذات الامكانيات البشرية والعلمية سوى عوائد مالية ضئيلة لا تتيح لها تنمية اقتصادياتها بالمعدل والاتجاه المناسبين ، وقد لا تفى هذه العوائد باحتياجات استهلاكية عادية فى وجود اتجاهات تضخيم الاسعار فى الدول الصناعية المتقدمة ، هذا فى حين أن خطوط الانابيب كوسيلة لنقل البترول ، فانها فضلا عن توفير عامل السرعة فى نقل الكميات المطلوبة ، فانها تقدم للدول الصناعية وفورات كبيرة فى الاصول الرأسمالية الواجب انفاقها (أو تخصيصها) ثم استهلاكها فيما اذا لو نقلت نفس الكميات بالناقلات ، وتتمثل هذه الوفورات فى الكميات الضخمة من الصلب والمعدات التكنولوجية والجهود الفنية لبناء هذه الناقلات وتشغيلها وتحسين الخدمة فى الموانىء وانشاء الاحواض الجافة .. وغير ذلك من جهود متنوعة .

كما ان انشاء الصناعات البتروكيماوية - رغم روعة الفن التكنولوجى فيها - لا تعدو أن تكون انشاء لصناعة تفى بالاغراض الاستهلاكية للدول العربية والدول النامية المحيطة ، فهذه الصناعات لا تؤدى مباشرة الى تكوين صناعات رأسمالية وهى بذلك لا تتفوق فائدتها بالنسبة للدول العربية عن فائدة صناعة لتجميع السيارات او صناعة غزل ونسيج الالياف الطبيعية ، وذلك رغم التكلفة الضخمة لها ، والناشئة عن روعة الفن التكنولوجى المستخدم واحتكاره لدى دول معدودة، ولكن انشاء هذه الصناعات فى الدول العربية يخفف عبئا كبيرا كان سيقع على اقتصاديات الدول المتقدمة خصوصا فى مجال الايدى العاملة ناتج عن التزام هذه الدول بتوفير نسبة معينة من الاحتياجات الاستهلاكية الصناعية للدول النفطية ، ودول العالم الثالث المصدرة للمواد الخام .

ومن شأن التوسع فى انشاء هذه الصناعات فى الدول العربية أن يمتص جزء كبير جدا من المال العربى مما يحد من قدرة الدول العربية التبادلية فى القطاعات الصناعية الاهم كصناعات الحديد والصلب والتعدين ..

وان كان ذلك لا يعنى تحبيذ الامتناع عن انشاء مثل هذه الصناعات ، ولكن ذلك يجب ان يتم فى اطار محسوب بحيث لا يؤثر على القطاعات الصناعية الاخرى .

ومن الواضح ان هذين الاتجاهين يؤديان فى النهاية الى تنمية نظام خدمات تابع لاقتصاد مجموعة الدول المتقدمة ، ويتسم بعدم القدرة على الاستمرار اذا ما فقد عنصر تمويله الناتج عن القيمة المرتفعة حاليا للنفط باعتباره المصدر الرئيسى للطاقة .

وتقتضى العدالة انه فى مقابل هذه الخدمات التى يقدمها العرب أن يحصلوا على استثمارات حقيقية تشمل انشاءات صناعية ثقيلة ومعلومات وانجازات تكنولوجية ، ومشاريع زراعية تساعدهم على التحول من اقتصاد مصدر لكل ما لديه من مواد خام الى اقتصاد مصنع للجانب الاعظم من هذه المواد . ويشمل الجانب الاعظم من صادراته سلعا استهلاكية ونصف مصنعة ومنتجات زراعية والفائض مما يمتلكه من مواد خام ، أى التحول الى اقتصاد متكامل الى جانب الاقتصاديات المتقدمة ليسهم فى صنع رخاء العالم فى المستقبل بحيث يتجنب العرب آن يتحول اقتصادهم الى نظام خدمات يتوقف مستقبله بعد نضوب البترول على ظهور دور آخر له باطراد نمو العالم الصناعى .

[٤] اتجاه رابع يؤدى الى امتصاص المقابل النقدى للنفط فى منابعه بالدول الصناعية واغلاق الباب أمام مصر وغيرها من الدول العربية المستوردة لرؤوس الاموال والتى تحاول أن تنتهج سياسة الانفتاح الاقتصادى وذلك بأحد اسلوبين :

● اغراء الاموال العربية لشراء اصول راسمالية مقامة بالفعل فى الدول الصناعية المتقدمة ، أو المساهمة فى الاستثمارات الجديدة فى نفس الدول ، ويشجع العرب على اتباع هذا الاسلوب أن طبيعة الاقتصاد الحر فى هذه الدول تحترم الملكية الخاصة وتشجعها كما توجد قاعدة اقتصادية قوية تعطى فرصا أكبر للعائد ، وتوفر قدرا مناسبا من الامان للمال العربى ، كما أن تواجد قدرا كبيرا من المال العربى فى السوق الاقتصادى للدول الصناعية الكبرى قد يتيح للعرب قدرا من السيطرة الاقتصادية ، وبالتالى تزيد قدرتهم على التأثير فى اتجاهات الرأى المختلفة لتحقيق المصالح القومية العربية ، ولكن هذا غير حقيقى

فان الدول المتقدمة ستظل محتفظة بالسيطرة على هذه المشاريع بواسطة فئات التكنوقراطيين ، ورجال المال فى هذه الدول .

● رفع سعر الفائدة على الاموال المودعة لاجال تعد قصيرة نسبيا تبدأ من سنة واحدة فى بنوك أوربا والولايات المتحدة حيث وصلت الى ١٥ فى المائة ، بينما كانت أعلى أسعار فائدة لا تتجاوز ٧ فى المائة قبل اعلان مصر عن اتباعها سياسة الانفتاح الاقتصادى . ويلاحظ ان من شروط التمتع بهذه النسب المرتفعة لاسعار الفائدة أن تسرد الاموال من خارج مناطق البنك [المركز الرئيسى] ، اى لا تكون أموال وطنية من الفوائض المحلية فى الدول الصناعية ، اى ان تكون اتية من منطقة الفائض المالى الرئيسى اى من البلاد العربية .

ومن الطبيعى أنه اذا لم تستطع الاستثمارات الطبيعية فى العالم الصناعى تغطية هذه النسبة المرتفعة لسعر الفائدة ، فان من أصدر المليارات يستطيع ان يصدر بضع ملايين .

جـ : سياسة التضخم النقدى :

وتتبعها الدول الصناعية المستهلكة للنفط بعد ان تبين أن أسعار السلع الاستهلاكية المصدرة الى الدول النفطية لن تتكافأ مع الدخول النقدية الجديدة للدول النفطية وخصوصا بعد أن ارتفعت هذه الدخول فجائيا وخلال سنة واحدة من ١٤ فى المائة الى حوالى ٥٠ فى المائة من الحصيلة النهائية لمبيعات النفط العربى .

وحيث أن صادرات الدول الصناعية الى المجموعة العربية الصناعية تمثل بالنسبة للاخيرة واردات اجبارية [اى ان الطلب عليها من قبل الدول العربية النفطية يعد طلبا غير مرن) لذلك جربت الدول الصناعية رفع الاسعار فى الداخل لتمتص صادراتها جانبا كبيرا من اثمان النفط ، وذلك مع تدعيم القوة الشرائية المحلية بزيادة دخول المواطنين اثر الاضرابات العمالية المتكررة ومن خلال العلاقات المتشابكة التى تربط بين بنوك الدولة [البنوك المركزية] والبيوت المالية والمؤسسات الانتاجية فى الدول الصناعية ، ومن الظواهر الدالة على هذه السياسة أن معدل الزيادة السنوى فى حجم النقود بلغ فى بعض الدول ٣٠ فى المائة .

وعندما تنبه الاقتصاديون العرب الى هذا الخط الاقتصادى انساقوا مع تيار رفع أسعار البترول ، وعلى هذا شهد النصف الاخير من العام الماضى محاولات متكررة من جانب الدول المصدرة للنفط لزيادة أسعاره ، وكان الاجدر بالمفاوضين من الدول النفطية السعى لمقايضة البترول بصناعات حديثة ومعدات تكنولوجية ، وكذلك رفع الكفاءة الفنية فى الدول النفطية .

ويبدو أن السعودية قد تنبهت الى هذه السياسة فهى تحاول الان فى منظمة الاوبك وقف التهافت على سياسة رفع أسعار النفط التى تقبل عليها الدول المنتجة حتى لا يختل الميزان الذى كان متعارفا عليه لاسعار السلع الاستهلاكية ، وكاملة الصنع .

ثالثا : حقيقة ثالثة يجب أن نتذكرها ، وهى انه قد حدث تغيير شامل فى المفهوم العالمى للاكتناز وتقدير الثروات : وذلك بعد انهيار الاساس الذى تضمنته اتفاقية بريتون وودز بضمان غطاء [الذهب ـ الدولار] كمقياس لاستقرار أسعار التبادل فى المدفوعات بين الدول . وكانت هذه الاتفاقية قد قامت على أساس الرغبة الشديدة لامتلاك الذهب ، وكذلك الثقة المطلقة فى الاقتصاد الامريكى مما أتاح للولايات المتحدة فرصة تمويل أنشطتها الاقتصادية خارج حدودها ، وبذلك اصبح الدولار يمثل الجانب الاكبر من الاحتياطيات النقدية لدى الدول الصناعية والنفطية ، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد باعت للعالم او صدرت له الثقة فى الاقتصاد الامريكى ، وقوة عملته ، وحصلت فى مقابل ذلك على مزيد من الاستثمارات فى مختلف أنحاء الارض وحصلت أيضا على كميات ضخمة من المواد الخام نقلتها الى داخل الولايات المتحدة . وهذا صحيح لان الاحتياطيات الدولارية خارج الولايات المتحدة والتى تقدر بحوالى ٩٠ بليون دولار ليست فى الواقع الا حقوق سحب على الاقتصاد الامريكى وديون والتزامات على حكومة الولايات المتحدة ، غير أن هذه الالتزامات فى المدى القصير غير قابلة للسداد سواء كان ذلك باستبدالها ذهبا ، أو بشراء السلع الامريكية ، ذلك ان الرئيس الامريكى نيكسون فى اغسطس سنة ١٩٧١ أغلق الباب نهائيا أمام استبدال الدولارات بالذهب من الخزانة الامريكية ، مما أدى الى ارتفاع سعر اوقية الذهب من ٣٥ دولارا الى ١٧٠ دولارا فى السوق الحرة ، كما انه من الناحية العملية فان مجموع ما تمتلكه مجموعة الدول الصناعية من الذهب لا تتجاوز قيمته ٣٣ بليون دولار فى سنة ١٩٧٣ ، فى حين أن الاحتياطيات المالية للدول العربية النفطية فقط سيبلغ ٦٠ بليون دولار فى نهاية سنة ١٩٧٤ ، كما ان استبدال الالتزامات الدولارية عن طريق الشراء

من السوق الامريكي غير قابل للتنفيذ عمليا ، ففى ظل الاسعار التى كانت سائدة يعنى ذلك انتقال نسبة كبيرة من الاصول الرأسمالية الامريكية الى خارج الولايات المتحدة ، وهذا ما يسبب اشد الاضرار للاقتصاد الامريكى ، ويجعل حكومة الولايات المتحدة بشتى الطرق تعمل على تشجيع المال العربى ، على الاستثمار داخل السوق الأمريكى .

وهذه الحقيقة (عدم قابلية الالتزامات النقدية الحالية للسداد فى المدى القصير أو المتوسط) تؤدى الى توضيح التغير الذى حدث فى مفهوم الاكتناز على المستوى العالمى من « اكتناز للذهب وما اصطلح على تسميته بالعملات النادرة » الى « اكتناز للثروات الطبيعية وتكوين تراكمات رأسمالية فى مختلف القطاعات الانتاجية » .

وهاتان الحقيقتان توجبان غاية الحذر فى التعامل بين الدول ، وخصوصا بين الدول المصدرة للمواد الخام والنفط (الثروات الطبيعية) وبين الدول الصناعية التى تجلب هذه المواد ، وخير وسيلة للتبادل هى مقايضة الثروات المنقولة من الدول غير الصناعية بأنظمة حديثة للانتاج تصنعها لها الدول المتقدمة صناعيا ، فلم يعد نجاح الحكومات فى ادارة سياسة الدولة يتوقف على ما تمتلكه من أرصدة ذهبية واحتياطيات مالية ونقدية وانما أصبح ذلك يتوقف أساسا على حجم ما تستحوذ عليه من ثروات طبيعية محولة الى أنظمة انتاج حديثة .

وبالنسبة للعملات العربية ، فان جملة التغيرات فى مفاهيم الاكتناز ، وتقدير الثروات ، وأساليب التبادل على المستوى العالمى ، تعنى أن العملات العربية وكذلك الدينار العربى لو تم اعتماده كوسيلة للتبادل وتغطيته بالنسبة المقررة من الذهب لن تكون موضع ثقة الا لفترة محدودة هى التى يفقد بعدها البترول قيمته كمصدر أساسى للطاقة .

ويعنى ذلك ان العامل الاساسى ـ بل الوحيد ـ الذى يمكن أن يوفر الثقة المستمرة للعملات العربية أو الدينار العربى هو مدى نجاح المجموعة العربية فى تحويل اقتصادياتها الى اقتصاد متكامل ومنتج ويتمتع بقدر كبير من الاستقلال عن الاقتصاديات الكبرى فى الدول الصناعية .

ومجمل القول بالنسبة للمسائل النقدية ـ بتحفظ ـ اننا يجب أن نتنبه الى أن الدول الصناعية تحاول نقل وجلب الثروات الطبيعية من أى مكان تحت ستار ما يمكن تسميته « **سياسة الاصدار النقدى** » وهو نفس النهج الذى اتبعته الحكومات الليبرالية فى أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية لتضع تحت سيطرتها وفى زمن قياسى العديد من وسائل الانتاج والتمويل والنقل لامداد قواتها العسكرية باحتياجاتها . وهكذا انتهت الحرب وعملات الدول الاوربية منهارة تماما وفقد ثروته من كان محتفظا بها فى شكل عملات ورقية حيث كان الجزء من الوحدة النقدية قبل الحرب له قيمة كبيرة وانتهت الحرب والقيمة الفعلية للوحدة من العملة قبلها تساوى الالاف من نفس الوحدة بعد الحرب كما هو واضح فى حالة الفرنك الفرنسى . ولكن هذا الاسلوب كان يطبق داخل حدود الوطن وبنسبة محدودة فى المستعمرات المقهورة سياسيا ، ويصبح من العجيب أن يطبق الان على دول ذات سيادة لديها منظماتها المتخصصة ، والعديد من علماء الاقتصاد والخبراء فى التجارة والمال والبنوك .

ومن الطبيعى ان رجال السياسة والاقتصاد فى الدول الصناعية المتقدمة لديهم الاسباب التى تدفعهم الى تبنى هذه الاساليب فى التعامل مع الدول المنتجة للنفط والمواد الخام ... وقد يكون من هذه الاسباب أن اقامة التراكم الرأسمالى العالمى الرئيسى فى هذه الدول المتقدمة صناعيا يعجل بالرفاهية التى ستعود على العالم كله فى المستقبل سواء القريب أو البعيد .. وقد يكون من بين هذه الاسباب أيضا اقتناعهم بنظرية التخصص فى الانتاج وبالتالى تصبح عملية تكوين التراكم الصناعى الرئيسى فى العالم فى بقع محدودة ما هى الا أحد تطبيقات هذه النظرية .. ومن الطبيعى فان هناك العديد من الاسباب التى يمكن ذكرها . ولكن الشىء المؤكد الان والذى نريد من اوربا ان تدركه هو ان السعودية عندما تبيع ملايين البراميل من بترولها مقابل مستويات الرفاهة الحالية وأرقام بملايين الدولارات فى بنوك سويسرا ، فهذه العملية تعادل بالضبط ان تقتطع مصر آلاف الافدنة من تربة وادى النيل الزراعية لتبيعها لهذه الدولة أو تلك مقابل مستويات معيشة مرتفعة للشعب المصرى حاليا وايصالات بملايين الدولارات أيضا ... وعندما ينضب نفط السعودية ويصبح لديها أرصدة بمليارات الدولارات ، سيكون الوضع مشابها لوضع مصر اذا افترضنا أنها حولت مجرى نهر النيل عند مدينة حلفا ليصب فى الصحراء الغربية وصحراء تشاد وليبيا لتكوين بحيرة تحولها الظروف الطبيعية (غير المستقرة) الى أمطار تروى بقايا تربة وادى النيل الزراعية ... هذا اذا لم تنجح

المجموعة العربية فى تحويل ثرواتها الطبيعية الى أنظمة انتاج حديثة فوق الأرض العربية .

ولا يعنى هذا التحليل عدم وجود درجة ما من تعارض المصالح داخل مجموعة الدول الصناعية ولكن هذا التعارض يتخذ وضعه الحركى فى صورة تنافس فى لعبة للكراسى الموسيقية بهدف الحصول على كرسى اكثر اتساعا على مسائدة الحضارة الحديثة ، ومن الطبيعى ان قدرة كل من اللاعبين على الحصول على كرسى متسع تتوقف على كمية الطاقة التى يقتطعها من الكعكة البترولية .

ولكن هذا التنافس لا يصل الى حد التصارع ، فالقواعد التى تحكم التعارض فى المصالح بين هذه الدول تشبه نفس القواعد التى تحكم لعبة الكراسى الموسيقية من حيث وجودها فى حفل له الطابع العائلى أو الخاص ، فهذا التنافس غير مسموح له اطلاقا أن يتطور الى وضع يؤثر على مصالح العائلة الصناعية ، وقد تقررت هذه العلاقة نهائيا وكمبدأ عندما احترم أصحاب المصالح فى المجموعة الصناعية قرار الرئيس نيكسون فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٧١ بوقف استبدال الالتزامات الدولارية على الولايات المتحدة بالذهب بعد ان بلغت معدلات الاستبدال حدا كبيرا هدد باستمرار بنفاد الذهب من الخزانة الامريكية .

وفى المجال الاقتصادى فان ما يطلبه العرب من أوربا والدول الصناعية الاخرى فى أمريكا الشمالية واليابان هو المساعدات التكنولوجية والصناعية لاقامة نظام انتاجى حديث ويتمتع بقدر مناسب من الاستقلال وتتوافر له العديد من الثروات الطبيعية من مواد خام ومصادر طاقة وامكانيات ممتازة مرتبطة بالموقع والمساحة .

ومن القطاعات المطلوب المساعدة الاوربية الفعالة لانجازها:

١ ـ مجموعة من الصناعات القاعدية تضم :

● صناعة حديد وصلب يتوفر لها خام الحديد فى بقاع عديدة من العالم العربى واحتياطى ضخم من الغاز الطبيعى ، ذلك حيث أن الصلب هو الأساس اللازم لتشييد اى صناعة ، ومن المفارقات ذات المغزى هنا أن اليابان انتجت سنة ١٩٧٠ ، ٤٥ مليون طن من الصلب لم تقدم مناجمها لها سوى ٢ فى المائة من خام الحديد اللازم لانتاجها ، كما أن الاتحاد السوفيتى ينشىء لايران مصنعا للحديد والصلب ينتج ٤ ملايين طن سنويا ، هذا بينما المصنع الذى أقامته مصر بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى لن يتجاوز انتاجه بعد التوسع النهائى فى سنة ١٩٧٥ ، ١،٥ مليون طن .

● الخبرة الفنية والمعلومات العلمية لانشاء صناعة تعدين وسباكة حديثة .

● خطوط الانتاج الحديثة لانتاج قطع الغيار المختلفة وخاصة المعدنية .

● صناعة أسمنت مكثفة بحيث يتوفر لكل مدينة عربية مصنع يغطى الاحتياجات العمرانية خصوصا وان المادة الخام متوافرة فى معظم المدن العربية .

[٢] صناعة نقل ثقيلة فى قطاعات : النقل البحرى (غير البترولى) والسكك الحديدية والطرق الحديثة السريعة .

ومن المفارقات ذات الدلالة ايضا فى هذا المجال أن احدى دول المنطقة وهى اسرائيل التى لا يزيد عدد سكانها عن ٣ ملايين ، تمتلك اسطول نقل تجارى يزيد عن ٢٠٠ سفينة متعددة الاغراض بينما لا تصل الاساطيل العربية مجتمعة الى هذا العدد . وكذلك الحال فى السكك الحديدية فاليابان التى يبلغ أقصى امتداد لها ٢٤٠٠ كم تمتد داخلها خطوط سكك حديدية بطول ٢٨ الف كم ، بينما الدول العربية التى تزيد المسافة بين غربها وشرقها عن سبعة آلاف كم ، وتزيد المسافة بين شمالها وجنوبها عن اربعة آلاف كم لا تربطها شبكة سكك حديدية كما أن مجموع ما يمتد داخل دولها من خطوط لا يتجاوز عشرة آلاف كم .

[٣] الخبرة اللازمة لاقامة خطوط الانتاج للصناعات الهندسية كصناعة الالات والسيارات .

[٤] المشاركة والمساعدة فى انجاز مشاريع زراعية ، وصناعات للاسمدة لاستزراع اكثر من مائتى مليون فدان من الاراضى القابلة للاستزراع فى السودان والعراق واليمن وسوريا والصومال والمغرب ومصر ، حيث أن هذه المساحات تستطيع أن تسهم فى المستقبل فى حل مشكلات نقص الغذاء على المستوى العالمى .

[٥] تزويد المنطقة العربية بالقدر المناسب من المولدات النووية للطاقة الكهربائية وذلك لمواجهة حقائق المستقبل من اختفاء البترول كمصدر للطاقة وتزايد الطلب على الطاقة كعنصر اساسى فى العملية الانتاجية الحديثة .

ومن غير المعقول أن يسمح لاسرائيل ان تقيم الدنيا وتقعدها لمجرد أن مصر حصلت على وعد أمريكى بانشاء محطة توليد نووى للكهرباء يبدأ انتاجها فى سنة ١٩٨٠ أى بعد ست سنوات لتولد ٦٠٠ ميجاوات من الكهرباء ، هذا مع ان خبراء

الوكالة الدولية للطاقة الذرية يؤكدون انه فى سنة ١٩٨٠ ستنتج الدول الصناعية المتقدمة ٥٠٠ الف ميجاوات من الكهرباء المولدة نوويا، أى أن مصر التى يبلغ عدد سكانها ١/١٠٠ من مجموع سكان العالم ستحصل فى سنة ١٩٨٠ على ١/٨٣٣ من الكهرباء المولدة نوويا فى هذه السنة .

وبعد هذا التصور لما يتوجب على اوربا والدول الصناعية الاسهام فى اقامته بالمنطقة العربية فان ثمة **ملاحظات** يجب أن تضعها أمام العرب :

● **ان الوقت المتاح محدود جدا وقد لا يمتد حتى سنة ٢٠٠٠ حيث ستنتهى قيمة البترول باعتباره المصدر الرئيسى للطاقة** (وان كان سيحتفظ بقيمته المتزايدة كمصدر للعديد من البدائل الصناعية المقدر ان يصل عددها الى ٨ آلاف بديل ، غير أن احتياطياته لن تكفى هذا الاستعمال لاكثر من ٧٥ سنة من الان) .

ومع ضيق الوقت وارتباط الفرصة المتاحة للغرب بعنصر الوقت لا يكون من قبيل الابتزاز آن تربط المجموعة العربية بين الاستمرار فى رفع معدلات ضخ النفط وبين المساعدات الانمائية للاقتصاد العربى التى يتوجب الحصول عليها من الدول الاوروبية والدول الصناعية . كما أن ضيق الوقت من ناحية أخرى مع سرعة حدوث الاكتشافات والاضافات التكنولوجية تجعل من المستحسن أن تضع الدول العربية خططا قصيرة المدى للتصنيع والانماء (ثلاث سنوات مثلا) لتستوعب احدث التطبيقات العلمية، وذلك بالطبع فى اطار استراتيجية شاملة للخمسة والعشرين عاما القادمة مثلا .

● **ملاحظة ثانية يجب أن نعيها : وهى أن الظروف الطبيعية تقتضى أن يكون الاقتصاد العربى نظاما متكاملا** حيث آن بعض عناصر الانتاج تفتقدها احدى الدول العربية بينما هى متوافرة أو تفيض لدى دولة أخرى، فمصر مثلا تمتلك امكانيات بشرية وعلمية ومواد خام وارض قابلة للزراعة ومصادر ثابتة للمياه وامكانيات ممتازة للموقع . هذا بالاضافة الى وفورات رأسمالية مناسبة ، ولكن لا تتوافر لديها حتى الآن مصادر كافية من الطاقة أو رؤوس الاموال الكافية لاحداث عملية تنمية بالسرعة والكثافة المطلوبتين، وكذلك الحال بالنسبة للسودان الذى يمتلك مساحات شاسعة من المراعى ، والاراضى القابلة للاستزراع تقدر بمائة مليون فدان ، بالاضافة الى العديد من الثروات الطبيعية ، هذا بينما وحدات سياسية أخرى تتوفر لديها الجانب الاعظم من الاحتياطى العالمى للبترول والغاز الطبيعى ، وكذلك أرصدة نقدية ضخمة ، فمثلا امارة ابو ظبى يقدر دخلها بالبلايين،بينما تعداد سكانها من المواطنين لايتجاوز ٣٠ الف نسمة ، وهو عدد لايكفى الاحتياجات البشرية لتشغيل مصنع لانتاج السيارات . هذا فضلا عن الاحتياجات البشرية فى قطاع الخدمات لعمال المصنع .

وعلى ذلك يتحتم ان يقوم الشكل التعاونى بين البلاد العربية على صيغة الوحدة الاقتصادية الكاملة وليس مجرد صيغة السوق المشتركة، فمنطلق الحركة هنا لا يجب أن يكون الاقتداء وانما نحص الواقع، فالاقتداء يتجاهل عامل الزمن وطبيعة الاقتصاديات، فمحاولة التعاون العربى تاتى بعد المحاولة الاوروبية بفترة كافية تتيح لها استخلاص التجارب واختصار الوقت لصالح المحاولة الجديدة حيث أن معدل انقضاء الزمن اصبح يتناسب عكسيا مع معدل الاضافات التكنولوجية .

كما ان الاقتداء يتجاهل أن اختلاف نوعية اقتصاديات اعضاء المجموعة العربية عن هذه الجماعة أو تلك قد يستوجب ان نسلك مسلكا مغايرا ، فالسوق الاوروبية المشتركة قامت على فكرة تعاون اقتصاديات كل منها يتسم بالضخامة والتكامل والتقدم وتوفر قاعدة صناعية متقدمة والقدرة على جلب الثروات الطبيعية من الخارج . كما ان الاقتداء يتجاهل الهدف الاقتصادى المصيرى للتعاون المطلوب ، فالسوق المشتركة هدفت عند قيامها الى زيادة كفاءة الاداء والارتفاع بمستويات الرفاهة للشعوب الاوربية ، وان كانت الاهداف المصيرية للسوق الاوربية المشتركة قد ظهرت بعد اتضاح أزمة الطاقة .

ويمكن تحديد **اسلوبين** تستطيع المجموعة العربية اتباع احدهما أو كليهما للاقتراب من تحقيق صيغة الوحدة الاقتصادية الكاملة :

١ ـ **انشاء مؤسسة عربية** لها اختصاصات واسعة تتيح لها أن تدير الانتاج والتشغيل والتوزيع للانشطة الاقتصادية الاساسية فى البلاد العربية كالسكك الحديدية والنقل البحرى والطرق الاستراتيجية ، وصناعات الصلب ، واستزراع الاراضى والصناعات الهندسية الضخمة كالسيارات والالات . وهذا بالطبع مع اتاحة الحرية وتشجيع انتقال الافراد والخبرات ورؤوس الاموال الخاصة حتى تستطيع الاسهام فى الانشطة الاقتصادية المتفرقة والتى لا يمكن ادارتها مركزيا اذا ما أريد لها الاداء الكفء كصناعة النسيج وصناعة النقل المتوسط والخفيف ووسائل الخدمات ذات الطبيعة السياحية .

وحتى تنجح هذه المؤسسة يجب أن يتكون رأسمالها من الجانب الاعظم من الارصدة، والدخول النقدية والموارد الطبيعية للدول الاعضاء، وذلك حسبما تظهر الدراسات مقدار الحاجة اليه.

٢ - فى حالة عدم امكان قيام مثل هذه المؤسسة فان أضعف الايمان ان **تتدفق الاموال من دول الفوائض النقدية الى الدول ذات الامكانيات الزراعية والصناعية والبشرية ، وهى مصر والسودان وسوريا والمغرب وموريتانيا وتونس والصومال،** وذلك بالطبع فى اطار استراتيجية عربية شاملة تراعى الامكانيات والاحتياجات الحقيقية لهذه الدول. وبالطبع فان التدفقات النقدية من الممكن أن تتخذ شكل قروض حكومات لحكومات ، واما استثمارات مباشرة تديرها حكومات الدول النفطية فى الدول غير النفطية أو تكون على شكل استثمارات مشتركة، وذلك مع توفير الضمانات الدستورية والفعلية لهذه الاموال ليتم انسياب المال على نطاق واسع وحتى لا تقف الدول المستوردة للمال موقف الفقير الذى يستجدى من الاغنياء.

والاسلوب الثانى هو الاسلوب الذى تحاول مصر ان تسلكه . ولكن المال الذى قدمته المجموعة النفطية حتى الان لا يتناسب مع ضخامة امكانياتها المالية.

واخيرا يجب أن نضع أمام اعيننا مصر وهى تتعرض لشتى الضغوط السياسية والاقتصادية خصوصا فى السنوات السبع العجاف الماضية، ومع ذلك لم تنهار ، ويرجع فى الناحية الاقتصادية (وبنسبة كبيرة) الى الانجازات الاقتصادية التى حققتها التجربة المصرية فى استثمار فوائض القطن (بترول النصف الاخير من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين) ، فى السكك الحديدية والطرق وصناعات السكر والتعدين والنسيج مما مكن الدولة خلال فترة طويلة (٧ سنوات) من تأمين حد أدنى مناسب من خدمات النقل والغذاء والكساء للاستخدامات المدنية والعسكرية ، كما ان الفوائض التى تمكنت حكومات الثورة من استثمارها فى مجال الصناعات القاعدية كالحديد والصلب والاسمنت وتأمين المصادر الكافية لتوليد الطاقة هى التى أمنت للقوات المسلحة احتياجاتها من الدشم والتحصينات والطاقة ، مما ساعدها على انجاز يوم ٦ أكتوبر العظيم .

□

● رؤيــة فــكــريـة

الثقــة بمســتقبل الاشــتراكية

د . مراد وهبة

الحوار نغمة العصر
فثمة حواران
احدهما دائر بين الماركسيين والمسيحيين فى اوروبا وفى أمريكا اللاتينية .
والاخر دائر بين أديان العالم .
يضاف اليهما حوار عربى أوروبى .

ولكل حوار مناسبة .
وما يهمنا فى هذا المقال ،هو الحوار العربى الاوروبى .
ولهذا نسأل :
ما مناسبة هذا الحوار ؟
حرب اكتوبر ١٩٧٣ بلا زيادة ولا نقصان .

ففي هذه الحرب برزت قيمتان لم ترد أي منهما في حروب سابقة بين العرب واسرائيل .

قيمة الانسان .

وقيمة البترول .

وكل منهما عربي .

ولم يكن للعربي كلمة مسموعة او مقبولة قبل هذه الحرب وجاءت المبادرة ، في هذه المرة، من الدول المعادية للعرب والمنحازة لاسرائيل ، وفي مقدمتها دول غرب اوروبا . اما دول شرق أوروبا فهي مع العرب ضد اسرائيل من قبل حرب أكتوبر ومن بعدها ، ومع ذلك فالحوار أطلق عليه تجاوزا الحوار العربي الاوروبي .

وبدأت الاتصالات والزيارات والمباحثات .

وكان لابد من حوار نقطة البداية فيه هذه البدايات . اما نقطة النهاية فتحديدها ليس بالأمر الميسور .

وحوار ، من هذا القبيل ، أمره غريب .

والغرابة فيه تأتي من انه معلوم البداية مجهول النهاية .

ونسأل :

هل في الامكان رفع هذه « الغرابة » ؟

نجيب بسؤال :

ما وجه الاتفاق ، وما وجه الافتراق بين طرفي الحوار ؟

وجه الاتفاق ان كلا من الحضارة العربية والحضارة الأوروبية متأثر بالحضارة اليونانية القديمة . فقد كان لافلاطون وارسطو السيادة في الجدل الدائر على قضية التوفيق بين النقل والعقل ، أي بين الدين والفلسفة . وكان كل من **ابن رشد وتوما الاكويني** ينعت بانه « **شارح ارسطو** » . بل ان الحضارة العربية تجاوزت حد التأثر بالحضارة اليونانية الى حد التأثير في الحضارة الاوروبية حين ترجمت مؤلفات الفلاسفة من أمثال **الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي** ، وحين ترجمت مؤلفات العلماء في الرياضة والفلك والطب .

من أشهر الرياضيين العرب الذين عرفتهم أوروبا « **الخوارزمي** » وكتابه « حساب الجبر والمقابلة » حيث درس تحويلات المعادلات وحلها ، و « **بنو موسى بن شاكر** » وكانوا ثلاثة اخوة : محمد وأحمد والحسن . برزوا في الحساب والفلك والميكانيكا أو علم الحيل ، ولهم كتاب في مساحة السطوح المستوية والكروية .

ومن اشهر العلماء العرب في الفلك **الخوارزمي** المذكور انفا ، و «**ابو العباس الفرغاني**» و « **أبو معشر البلخي** » ، وتأثير هؤلاء جميعا متصل بالارصاد الفلكية .

ومن أبرز العلماء العرب في الطب « **محمد ابن زكريا الرازي** » وكتابه « الحاوي » وهو عبارة عن دائرة معارف طبية كبرى ، وكتابه « المنصوري » . ثم **ابن سينا** وكتابه « القانون في الطب » .

وقد ترجمت هذه المؤلفات وغيرها الى اللغة اللاتينية ، لغة أوروبا في العصر الوسيط .

ووجه الاتفاق كذلك تخلف كل من الحضارتين بعد التقدم والارتقاء . تخلفت الحضارة العربية بسبب الغزوات الاستعمارية ، وتخلفت الحضارة الاوروبية بسبب الجمود الذي أصاب العقل في العصر الوسيط من جراء سيطرة الاقطاع ورجال الدين .

بيد أن الحضارة الاوروبية لم تقف عند حد التخلف بل تجاوزته الى ما يسمى « بعصر التنوير » عصر النور والعرفان ، في القرن الخامس عشر حيث تحقق احياء الاداب اليونانية القديمة وسميت بالانسانيات . وجاءت كشوف كولومبوس وفاسكو دي جاما وماجلان ودريك بمعلومات كثيرة عن شعوب كانت بمعزل عما تعارف عليه الاوروبيون من أديان وأخلاق فظهرت فكرة الدين الطبيعي والاخلاق الطبيعية ، وتكونت نظرية جديدة في الانسان تقنعهما يسمى بالطبيعة وتستغني عما فوق الطبيعة . فدعا الفيلسوف الانجليزي « **فرنسيس بيكون** » لتأسيس علم جديد ، هو **العلم التجريبي** ، ليزيد من سلطان الانسان على الطبيعة . واعلن الفيلسوف الفرنسي « **رينيه ديكارت** » قاعدة ثورية هي القاعدة الاولى من قواعد منهجه الاربع حيث يقول « **أن لا أسلم شيئا الا أعلم انه حق** » . ذلك أن هذه القاعدة عبارة عن اعلان استقلال العقل واسقاط كل سلطان يفوق سلطان العقل .

ولم يقف الامر عند حد تحرير العقل بل تجاوزه الى تحرير المجتمع فنادى « **روسو** » بمبدأ « **العقد الاجتماعي** » الذي يقرر أن المجتمع من صنع البشر ، وليس من صنع كائن آخر ، صنعه البشر بالاتفاق حين اضطرتهم أسباب طبيعية ، كالفيضانات والزلازل ، الى الاجتماع بصفة دائمية .

وواكب كل ذلك حدث دينى أو ما يسمى « بحركة الاصلاح الدينى » قام بها **لوثر وزفنجل وكلفان** مفادها زعزعة العقيدة السلفية وانشاء الكنائس المستقلة ، والدعوة الى « الفحص الحر » أى الفهم الخاص للكتاب المقدس .

ونشأت عن ذلك كله حركة « علمانية » تجسدت فى كل مدن اوروبا ، ولهذا يقال عن اى مدينة أوروبية انها مدينة علمانية . وقد صدر كتاب ، فى هذا المعنى ، عام ١٩٦٥ عنوانه « المدينة العلمانية » لهارفى كوكس .

بيد ان ثمة خداع بصر اذا عزلنا الحركة العلمانية فى أوروبا عن مضمونها الاجتماعى ، اذ هى نشأت فى احضان الراسمالية وهى تنقض على الاقطاع .

وحين ارتبطت الرأسمالية بالاستعمار فى وحدة عضوية،وحين تطور الاستعمار من قديم يعتمد على القهر العسكرى الى جديد يستند الى القهر الاقتصادى ، بدأت اوروبا فى افراز احزاب شيوعية واشتراكية تدعو الى احداث تغيير جذرى للمجتمع الاوروبى . ولم تقف الصهيونية مكتوفة الايدى ، فبصماتها واضحة على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافيةفى غرباوروبا .

هذا عن غرب اوروبا .. فماذا عن العرب ؟ تخلف منذ القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر ، ثم « محاولة » لمجاوزة هذا التخلف .

فما هى هذه المحاولة ؟ وماذا حدث لهذه المحاولة .

هى محاولة لتحرير العقل والمجتمع من أسباب التخلف .

فثمة نزعة علمية تزعمتها « مدرسة المقتطف » بقيادة **يعقوب صروف وشبلى شميل** ، يقول عنها **سلامه موسى** فى كتابه « تربية سلامه موسى » [ص ٥٤] انها لم تستطع تكوين مدرسة فكرية ، لان الركود الذهنى كان عاما كما كان الشرق بقواته التاريخية الساحقة يخيم علينا بل يحط علينا بكلكله » .

وثمة نزعة عقلانية وعلمانية كان يروج لها **الشيخ محمد عبده وطه حسين وعلى عبد الرازق والعقاد وخالد محمد خالد** . ومع ذلك فقد ظلت هذه النزعة ملازمة لهؤلاء الرواد دون ان تتجاوزهم لتصير تيارا سائدا أو مناخا صحيا وتربة خصبة لبذر البذور وجنى الثمار فى نهاية المطاف .

وفوق هذه وتلك نزعة عارمة فى الوطن العربى لتحرير الارض من المحتل افرزت فى قمة فورانها [٦ أكتوبر ١٩٧٣] القوة الاقتصادية للعرب كقوة سياسية ممثلة فى البترول حين منعه العرب عن غرب أوروبا وعن أمريكا ، ثم رفعوا سعره فتأزم الاقتصاد الاوروبى وزاد دخل دول البترول زيادة فلكية .

واحساس اوروبا بتأزم اقتصادها لزم منه احساس باعادة النظر فى موقفها من العرب ، الامر الذى قد يفضى الى اتخاذ موقف جديد . ولكن هذه الجدة يشترط ان تكون كيفية والا فان الموقف الجديد لن يختلف عن سابقه الا باضافة عبارات التقدير والاحترام فى المناسبات السياسية .

السؤال اذن :

كيف يمكن لهذه الجدة ان تكون كيفية ؟

يمكن لها ان تكون كذلك اذا كان المحاورون العرب على قناعة بان العائدات النفطية العربية يجب ان تكون أساسا لبناء قاعدة انتاجية صناعية متطورة ، وعلى قناعة بأن الدول الاوروبية مطلوب منها تزويد الدول المنتجة للبترول بما تحتاجه من تكنولوجيا وسلع انتاجية .

ولكن هذه القناعة ايضا ينبغى ان يكون التعبير عنها بلغة العصر ، ولغة العصر «**لغة ايديولوجية**» حتى مع ما يسمى « بالانفراج الدولى » .

واللغة الايديولوجية لا تقف فقط عند حد تفسير ما يجرى ، وانما تتجاوزه الى حد التنبؤ بما سيجرى .

فهى تعلمنا ان اوروبا ليست أوروبا رأس المال ، وانما هى أوروبا الصراع بين الراسمالية والاشتراكية ، وهى أوروبا الصراع بين الاحتكارات الفرنسية والالمانية والاحتكارات الامريكية ، وهى أوروبا الملوثة بالصهيونية .

ثم هى تعلمنا ان هذا الصراع محكوم برؤية مستقبلية للاطراف المتصارعة .

ولهذا فما ينبغى ان يكون مطروحا فى ذهن المحاور العربى هو هذا السؤال :

أوروبا ... الى أين ؟

وليس من المقبول القول بأن هذا السؤال سابق لأوانه . ذلك ان التاريخيتحرك ابتداء من المستقبل ، وليس من الماضي أو الحاضر . وقد يقال ان ثمة سؤالا بالمثل ينبغي ان يكون مطروحا في ذهن المحاور العربي :

العرب ... الى أين ؟

وهذا قول حق .

ومعنى ذلك ان الرؤية المستقبلية ينبغي أن تكون واردة لدى المحاور العربي والاوروبي . بيد ان هذه الرؤية احتمالية بحكم طبيعتها المستقبلية .

ولكن الاحتمال لا ينفي الحتمية ، اذ هو ينطوي عليها والا فانه يعني الصدفة . ومع ذلك فحتى لو سلمنا بانه يعني الصدفة فالصدفة الان موضع تحليل علمي بحيث يمكن القول بأنها نقطة التقاء سلاسل من العلل والمعلولات .

والسؤال الان :

ما احتمالات المستقبل بالنسبة لغرب أوروبا والعرب ؟

وفي عبارة أدق نتساءل :
ما هي احتمالات وجه الاتفاق ووجه الافتراق بين غرب أوروبا والعرب ؟

في تقديري أن وجه الاتفاق لابد أن يكونكامنا في تصميم كل من غرب أوروبا والعرب على التحرر من الاحتكارات الامريكية بحكم شيوع النزعة القومية الاستقلالية .

فقد حدث اثر الحرب العالمية الثانية ضعف أوروبا الغربية بسبب تدمير اقتصادها ، الامر الذي دفعها الى جذب رأس المال الامريكي بهدف اعادة قوة اقتصادها . واستجاب الرأسمال الامريكي ولكن بدافع التحكم والاستغلال بحيث تصبح أوروبا الغربية سوقا ضخمةللاستثمارات والمنتجات الامريكية . وهذا ما تحقق بالفعل .

ففي عام ١٩٧٠ حققت الاستثمارات الامريكية في غرب أوروبا أرباحا تقدر بحوالي ١١٠٠٠ مليون دولار ، وبلغت الارباح المحولة منها الى أمريكا ١٧٠٠ مليون دولار .

ولهذا فان احد الدوافع لتأسيس السوق الاوروبية المشتركة هو رغبة احتكارات اوروبا الغربية في توحيد جهودها لمواجهة السيطرة الامريكية . وساندت هذه المواجهة الاحزاب الشيوعية والاشتراكية التي نشأت في غرب أوروبا وان اختلفت أسباب المواجهة .

وبالنسبة للعرب فقد كشفت حرب أكتوبر عن الوحدة العضوية بين تحرير البترول من الاحتكارات الاجنبية وتجسيد فكرة القومية العربية . اذ استخدم العرب البترول كسلاح سياسي وذلك بخفض انتاجه وحظر تصديره للدول المنحازة لاسرائيل . ومن هنا حدث صدام بين العرب وغرب اوروبا . وهنا وجه الافتراق، وهو الوجه السالب لوجه الاتفاق .
والمطلوب من الحوار ان يرقى بهذا التناقض.. فهل هذا المطلب ممكن التحقيق ؟

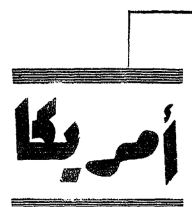
نعم ، ممكن بشرط رفع اسباب الاستغلال في غرب أوروبا . بيد أن هذا الرفع ليس ميسورا الا بالاشتراكية .

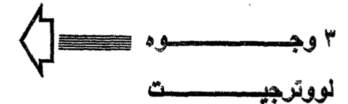
ولكن اذا سلمنا بهذه الفرضية فما هي وجهة نظر المحاور العربي ؟

ان وجهة نظره تتراوح بين القبول والرفض .

وقد تدفع هذه الثنائية المحاور العربي اما الى استبعادها واما الى طرحها على استحياء . وهو في الحالتين يقدم ذاته ، عن اختيار ، فريسة لقوى الاستغلال في مجتمعه العربي ، وبالتالي لقوى الاستغلال في المجتمع الاوروبي فتنتفي الحكمةمن الحوار.

ومعنى ذلك كله ان الحوار العربي الاوروبي هو حوار ايديولوجي في المقام الاول ، وليس من بديل لذلك سوى ثرثرة فوق احدى بحيرات جنيف .





لووترجيـــــت

عندما تفجرت قضية ووترجيت ...

وعندما انتهت جولتها الاولى والاساسيةباستقالة نيكسون ، كان من الواضح أن الاراء حول حقيقة ما حدث تتعدد وتتعارضبل وتتناقض الى أقصى حـــد ، لا على مستوى الرأى العام الامريكى فحسب . بلوعلى مستوى الرأى العام العالمى ايضا .

والواقع أن قضية ووترجيت تقدم مادةحية ودسمة لاكثر من عمل :

١ ـ لفيلم بوليسى اذا ركز الانســانعلىجانب ضبط التسجيلات فى مقر الحزب الديموقراطى .

٢ ـ أو لندوة عميقة حول علاقة علمالاخلاق بعلم السياسة .

٣ ـ أو لتحقيق مثير ومرعب عن حركةالقوى والتــكتلات الخفية والمجموعــات المــالية والعســكرية فى داخل المجتمــعالامريكى بما فى ذلك حركة « المافيا » .

٤ ـ أو لدراسات تضــع بين ايدينــاالعوامل البــارزة والمؤثرة فى الحيـــاة السياسية والاقتصادية للمجتمع الامريكى.

ولقد اختارت الطليعة أن تعرض القضيةمن هـــذا المنظور الرابع لاقتناعهــا بأن الدراسة الموضوعية ، هى وحدها التىيمكن أن تهدينــا الى الحقائق الاساسية والمجردة فى هذه القضية المعقدة .

الوجه السياسى للقضـــية كتب فيه : محمد سيد أحمد

والوجه الاقتصادى للقضية كتب فيه : عادل أحمد

أما فيليب جلاب فقد اختار أن يكتب منزاوية محلية مصرية ناقدا ومعارضا بعض الاتجاهات التى حاولت ـ وبجرأة تحسدعليها ـ أن تبيع لقراء الصحف المصريين « الديموقراطية الامريكية » مستفيدة منالقنابل المسيلة للدموع التى اطلقت فىهذه القضية .

● الوجه السياسى للأزمة

ظاهرة « ووترجيت » ماذا تعنى .. ؟

محمد سيد أحمد

اخيرا لم يعد يجد ريتشارد نيكسون مفرا من أن يقدم استقالته من رياسة الولايات المتحدة ، بعد أن اسفرت نتائج التحقيق فى فضيحة ووترجيت عن حقائق افقدته — على حد اعترافه شخصيا — كل سند داخل الهيئة التشريعية [الكونجرس] ، واصبح طلب اقالته وتوجيه الاتهام الجنائى اليه امرا لم يعد تجنبه واردا .

وأول ما يثير الانتباه فى القضية برمتها ، هو التباين الملحوظ بين « السبب » و « النتيجة » ..

السبب : عملية تصنت وتجسس على مقر الحزب الديموقراطى المنافس ، ضبطت فى حالة تلبس بالصدفة المحضة .. قام بها عدد من العملاء لحساب الهيئة التى أشرفت على حملة نيكسون لانتخابات الرياسة فى عام ١٩٧٢ .

النتيجة : اول رئيس فى تاريخ الولايات المتحدة يستقيل من منصبه .. ذلك على الرغم من ان نيكسون قد تم انتخابه عام ١٩٧٢ باغلبية ساحقة ، وعملية التصنت والتجسس التى ضبطت بمبنى الووترجيت لم تكن ذات اثر يذكر فى تشكيل هذه النتيجة . **بل كان لاحداث بارزة ، ذات دلالة تاريخية** ، وقعت فى نهاية مدة رياسة نيكسون الاولى ، وبالذات انهاء حرب فيتنام ، وانفتاح امريكا على الصين الشعبية ، وتوقيع اول اتفاق خاص بالحد من الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى ، وهى مجموعة احداث فتحت ماأصبح يعرف « بالانفراج الدولى » ، كان لهذه الاحداث اثر لا شك فيه فى اعادة نيكسون الى الرياسة بهذه الاغلبية الساحقة .

ما هو معنى هذا التباين البالغ بين «السبب» و « النتيجة » .. حادث تصنت محدودة الاثر [ربما حتى بلا فائدة اصلا ، ذلك ان نيكسون لم يكن فى حاجة الى هذا التجسس ، وربما دبره مريدوه افراطا فى « خدمة » كانت عواقبها لا تساوى مجرد التفكير فى المجازفة بها] .. **وأول استقالة لرئيس اقوى دولة فى العالم ؟**

لقد قال السناتور **فولبرايت** عن فضيحة ووترجيت ، وهو فى ذلك بالتأكيد محق : « لايهمنى من الامر كله سوى ان الحادث برمته كان مدرسة رائعة لتربية الشعب الامريكى تربية سياسية ممتازة » . **وبوجه عام ، كل من تجتذبه قواعد « الديموقراطية الغربية » يستوقفه فى حادث ووترجيت ما تنطوى عليه هذه «الديموقراطية »**

من « **قدرة تصحيحية** » **هائلة** • وهناك من سجل ان هذه « القدرة علي التصحيح » ربما انفرد بها المجتمع الامريكي وحده دون غيره من « الديموقراطيات الغربية » ، لعراقة تقاليده الدستورية ، رغم ضخامة ما يشهده من جرائم تقترف ضد القانون والدستور . فالمجتمع الامريكي وحده هو القادر على الذهاب «بعملية تصحيح » الى حد اجبار صاحب اعلي سلطة فيه على التنحى ،لضبطه متلبسا بمخالفةالقانون، أرضت وعوده ، او الادلاء بشهادة زور . ذلك بغض النظر عن حجم الجريمة المنسوبة اليه .

ولاشك ان الاهتمام الذى اثارته فضيحة ووترجيت ، وقد اجتذبت المجتمع الامريكى طوال عامين كما لم تجتذبه قضية اخرى ، لايمكن رده الي مجرد متعة تستثيرها مناقشات اجرائية او فقهية ، او مجرد ان المتهم هو « حاشية » رئيس الجمهورية ، فالرئيس شخصيا ، او مجرد ان الصحافة ووسائل الاعلام الاذاعي والتليفزيوني ذات الاثر الغلاب فى تشكيل اهتمامات المواطن الامريكى ، قد نهضت بدور بارز في ملاحقة أحداث الفضيحة ، وتسابقت في ابراز وقائعها بمجرد تكشفها امام الجمهور ، او اتهمت بدور رئيسى فى كشف وملاحقة هذه الوقائع .

كان لما اسفرت عنه واقعة التجسس على مقر الحزب الديموقراطي فىووترجيت منفضائح تسلسلت بعد ذلك ، وتخص نيكسون ورجاله في البيت الابيض ، ما هو مثير فعلا للذهول . **ولكن ليس ذلك بجديد في السياسة الامريكية عموما ، ولا هو بجديد فيما يتعلق بشخص نيكسون على وجه الخصوص .**

جذور ووترجيت في سلوك نيكسون منذ

خطا أولي خطواته فى السياسة الامريكية

لقد صعد ريتشارد نيكسون سلم الشهرة بسرعة لافتة للنظر فى السنوات الاولي التي اعقبت الحرب العالمية مباشرة ، بفضل **استعداده الذى لم ينكره لان يتجرد عن اي مبدأ أو قيمة اخلاقية تعترض طموحه** • كانت خطوته الاولى ان وضع نفسه فى خدمة « لجنة من مائة عضو » يمثلون بعض المصالح الكبرى . كان من بينهم « ملك الفيتامين » المير بوبست ، ورئيس شركة البيبسى كولا دوانلد كندال ، وآخرون منهم البليونير الغامض صاحب ملاهي لاس فيجاس هاورد هيوز ، وقد اصبحت هذه « اللجنة » هي القوة التي ساندت نيكسون في كل حملة انتخابية خاضها بعد ذلك . وكانت هذه « اللجنة » تبحث وقتذاك عن « وجه » يمكن « استئجاره » **لمنازلة** المرشح لمجلس النواب عن دائرة في كاليفورنيا بفرض « الاجهاز عليه » تماما . كان المرشح يدعي جيرى فورهيس ، ويحظى بتأييد اكسبه تمثيل الدائرة خمس مرات متعاقبة لا لمجرد ما عرف عنه من اعمال بر ، ولكن ايضا لانتسابه الى مدرسة « النيوديل » التى ازدهرت قبل الحرب في اعقاب سنوات الكساد الاعظم، بفضل جهود الرئيس الامريكى الراحل روزفلت .

نزل نيكسون الحلبة كالوحش المفترس ، لا لمنافسة خصمه ، بل للتشهير به علنا وتصفيته كشخص اتهمه كذبا بالشيوعية ، وبالتآمر على قيم الامة الامريكية ، وتشجيع الاعمال الهدامة، والافكار المستوردة . ولم يتورع عن تسخير كل حيلة فى جعبته للفوز بالدائرة قبل ان يتيح لمنافسه مجرد فرصة ادراك حقيقة المؤامرة التى وقع فريستها .

وكان نجاح نيكسون في هذه المعركة « جواز المرور » الذى أهله فى نظر ممولى حملته ، كي يصعد الى دور أبرز على المستوى القومى .وكان نيكسون قد توصل بغريزته خلال هذه المعركة بالذات الى تحديد « **الارضية السياسية** » الكفيلة باكسابه « وجها قوميا » ،فىظرف كانت السياسة الامريكية فيها تندفع بقوة نحو **تنشيط الحرب الباردة** ، وتبحث عن « ساسة » مؤهلين لتبرير مقومات هذه السياسة بحملاتهم الشعواء ضد خطر الشيوعية فى الداخل والخارج ، واكتشاف « الخطر الاحمر » وراء كل اتجاه يخالف غلاة التطرف اليمينى ، سواء كان ذلك من منطلق ليبرالي ، او ديموقراطي ، او حتي بمقتضي تقاليد سياسة « النيوديل » التى تبنته امريكا ما قبل الحرب ، واحتفظت بكثير من ملامحها طوال انتمائها الي معسكر الحلفاء خلال الحرب ومساهمتها في الجهد العالمي لقهر خطر النازية .

كانت هذه المعركة هي الطلقة الاولي .وتتابعت بعد ذلك الطلقات . وكانت كل طلقة منها خطوة جديدة يخطوها نيكسون نحو المناصب الكبرى .

فى ١٩٤٨ ، لمع نيكسون بعد أن أصبح عضوا في مجلس النواب بمرافعاته التى اكسبته شهرة « تعرية » الجير هيس ! لقد ابلغه صحفي من اسرة تحرير مجلة « تايم » وقتذاك ، انه تعرف على بعض اعضاء شبكة تعمل لحساب الاتحاد السوفيتي فى السنوات مابين ١٩٢٣ و١٩٣٧ [!]، في وقت كان يعتنق فيه آراء شيوعية [!] تخلي عنها فيما بعد [!] . ومن بين اعضاء الشبكة ، شخصيات من المنتمين الي « النيوديل » كان اشهرها رئيس مؤسسة كارنيجى للسلام الجير هيس ! وقد كلف نيكسون

من قبل مجلس النواب برياسة لجنة للتحقيق فى الاتهام بعد تحريكه . وقد نفى هيس الاتهـــام نفيا قطعيا .. ولكن واصل نيكسون استجوابه حتى انتزع منه بعد جهد جهيد اعترافا بانه لا ينكر انه تعرف على شخص لم يعد يذكر من هـو ! تسلم منه منذ عدة سنوات وثائق كانت وزارة الخارجية قد اعتبرتها مفقودة . وقد أدين هيس بتهمة الادلاء بشهادة زور اثناء التحقيق . **وكسب نيكسون الجولة** ، رغم ان القضية برمتها الى اليوم ما زالت تكتنفها اوجه غمـوض كثيرة . **كسب نيكسون ، لانه ابرز مواهب كانت تتطلع اليها المؤسسات الامريكيةوقتذاك ،وقدرة وعنادا على مواصلة تحقيق لكشف « عدو مقنع » دون ان تنال من تصميمه الادلة المتعددة التى قدمها المتهم، وكانت كفيلة باقناع اى محقق ببراءته !**

كان صعود نيكسون سريعا بمقـدار عـدم تورعه عن التصدى للمعارك « القذرة » التى لبت منطق تصعيد امريكا الحرب الباردة ، معـارك كانت تلقى فيها التهم جزافا لاخر معاقل الليبرالية والديموقراطية الامريكيـة . باشـهار « الخطـر الاحمر » الذى يلاحق القيم الامريكية ، ويحاصر المجتمع الامريكي بالعدوان من الخارج والعمـل الهدام من الداخل ! بلغ هذا السلوك قمته فى المعركة الانتخابية التى خاضها نيكســون عام ١٩٥٠ ، لينتقل من مجلس النواب الى مجــلس الشيوخ فى الكونجرس ، وانهـال فيهـا على منافسته ، هيلين جالاهان دوجلاس ، باتهامات « الشيوعية » والتصويت فى المجلس بجـانب نائب هارلم الزنجى ، لمجرد أن هذه السيدة كانت خلال سنوات سابقة ، قريبة الى اليونو روزفلت، زوجة الرئيس الامريكى الراحل .

مجموعة هذه الحقائق تلقى اضواء — لاشك — على شخص نيكسون ، وعلى نوعية السياسـة التى تمرس عليها ودفعته الى القمة . وهى ذات مغزى فى التدليل على اسباب اهماله واحتقاره لضوابط الشرعية والقـانون ، وعـدم اكتراثه بالنزاهة — ولكنها تحمل معنى آخر ايضا فى كشف طبيعة الجهات التى لابد ان يدين لهـا بالولاء ، ونوعية العناصر الملتفة حوله والتى لا يجد مفرا من الاستعانة بها . ان الرجال الذين اختـارهم نيكسون ليكونوا اعوانه المقربين فى البيت الابيض، أمثال ايرليكمان وهالدمان وجون دين ، وجيب مكروجر وكولسون وكالمباش وغيرهم ، وكلهم الان على قائمة طـويلة من المتهمين او ممن ادانتهم المحاكم فى فضيحة ووترجيت ، وفيما اسفرت عنه من فضائح اخرى متعددة ، رجال ارتكبوا هذه **الجرائم دون مجرد** الاحساس بأنهم كانوا يقترفون أعمالا لا يجوز لهم اقترافها رغم وجودهم ، بل وبسبب وجودهم فى البيت الابيض ، على مقربة من رئيس الجمهورية ، يستمدون صلاحياتهم من صلاحياته كرئيس للهيئة التنفيذية .

لم يكن فكر نيكسون السياسى مما يشعرهم بمحظور . ولم تكن الممارسات التى دفعت نيكسون الى القمة مما توحى بمحظور له ولرجاله بعـد وصوله الى القمة . ولم تكن الخطـوط الفاصلة واضحة بين التعامل مع ملوك المال ، والتعامل مع ملوك المافيا . واغلب هؤلاء الرجال جندهم نيكسون بين شبان نبغوا فى مجـال العلاقات العامة للشركات الكبرى ، حيث مقياس النجاح الوحيد هو « بيع البضاعة » ، بغض النظر عما تتطلبه الصفقة من ممارسات مخالفة للقانون ،او مخالفة للاخلاق ، او مخالفة للعرف . المهم هـو « بيع البضاعة » . و « البضــاعة » فى البيت الابيض هى « سياسة الولايات المتحدة » . فهل من الممكن تطبيق نفس المقاييس ؟

« بيع البضاعة » فى المعركة الانتخابية كان **انجاح نيكسون باى شكل وباى أسلوب .** ولم يكن التصنت على مقر الحزب المنافس بجريمة فى نظر نيكسون واعوانه هؤلاء ، ذلك ان مثـل هـذا التصرف كان متسقا تماما مع كل ممارسات نيكسون السياسية منذ بدء صعوده على سلم الشهرة السياسية . ولم تكن محاولات اخفاء الواقعـة بعد ان تكشفت — صدفة — بالتصرف الشاذ ، ذلك ان هذه المحاولات ، التى استمرت حتى آخر لحظة ، كانت ايضا متسقة مـع كل ممارسات نيكسون السابقة . **اللافت للنظر ، هو الاصرار الذى طرد به نيكسون بعد تكشف الواقعـة حتى اجبر على الاستقالة . هذه الظاهرة لايمكن ارجاعها الى تقاليد امريكا فى رجحان كفة القانون واحترام المؤسســات فقط ، والا ، فـلا تفسير للشهرة التى اكتسبها نيكسون اصلا ، ولا تفسير لحقبة من تاريخ امريكا المعاصر لمعت فيهـا أسماء مكارثى وجولدووتر ، وكلاهما من المقربين الى نيكسون . ولا تفسـير كذلك لفشـل كل مؤسسات امريكا فى كشف الاسرار والطلاسم التى احاطت بمقتل رئيس سابق للولايات المتحدة هو جون كيندى .** لابد اذن مـن ارجاع هـذه الملاحقة لاسباب اخرى غير قابلية «الديموقراطية الامريكية » على « تصحيح » ما يرتكب فى حقها من جرائم . وفقط بالقـاء الضـوء على هـذه الاسباب **الاخرى** ، سوف يكون من الممكن التنبؤ بما سوف تسفر عنه فضيحة ووترجيت مـن تطورات لاحقة فى سياسة أمريكا .

من المســـتفيد ؟

ليس الاهم من وجهة نظرنا كمصريين وكعرب — اصحاب قضية للولايات المتحدة علاقة بها — ان نقيم « ظاهــرة ووترجيت » من وجهـة نظر

مقاييس « الديموقراطية الامريكية » ، وان كان كل انتصار للديموقراطية فى امريكا هو انتصار لقوى التقدم والسلام على نطاق العالم بأسره.

ان الاهم هو المعنى **الموضوعى** « لظاهرة ووترجيت » ، لا الظاهرة فى صورتها **الذاتية** كما يراها الامريكيون ، او كما تصفها وسائل الاعلام الامريكية ، ووسائل الاعلام الامريكية ليست منزهة عن الغرض ، وليست بالحتم تعبيرا صادقا عن قوى التقدم والديموقراطية داخل المجتمع الامريكى ذاته .

وربما كان مدخل من مداخل البحث عن المعنى الموضوعى « لظاهرة ووترجيت » هو ان نحاول تحديد « **من المستفيد** » من ابعاد نيكسون على النحو الذى جرى ابعاده . ذلك مع ملاحظة ان الاستفادة من خطأ فاضح ارتكبه نيكسون لايخليه من مسئوليته فى ارتكاب هذا الخطأ الفاضح ، ولا يسقط عن الخطأ طابعه الفاضح ، ولا يزيل حقيقة ان ارتكاب نيكسون هذا الخطأ الفاضح يحمله عواقبه ويبرر تحمله هذه العواقب ، بغض النظر عن مصالح الاطراف « المستفيدة » ، أيا كانت .

لقد أظهرنا أن خطأ نيكسون فى فضيحة ووترجيت لا يمكن قصره على ظاهرة عارضة ، بل يمت الى صميم مكونات نيكسون السياسية ، ويمتد بجذوره الى نوعية السياسة التى اتبعها منذ ان صعد على مسرح السياسة الامريكية .

كان من الممكن طبعا الا يرتكب هذا الخطأ بالذات . وكان من الممكن أن يرتكب حادث ووترجيت دون ان يعلم به أحد . **ولكن لم يكن من الممكن الا يرتكب جرائم مماثلة لجريمة ووترجيت اصلا** . وقد ثبت ذلك من التحقيق الذى كشف عن **سلسلة جرائم** ارتكبها نيكسون وهو يتربع على كرسى الرياسة فى البيت الابيض . واية جريمة من هذه الجرائم كانت كفيلة وحدها بالتسبب فى تنحيته ، لو أجريت ملاحقة بخصوصها مماثلة لتلك التى مورست ضده بشأن ووترجيت .

لقد انفجرت فضيحة ووترجيت بمناسبة جدل أثارته الفضيحة فيما يتعلق **باتساق بناء امريكا « الفوقى »** ، أى باتساق بناء المؤسسات الامريكية ، وما هى **الحقوق الدستورية التى يتمتع بها الرئيس الامريكى . وهل من حقه فى ظل الحصانة التى يتمتع بها كرئيس للهيئة التنفيذية ان يغض النظر عن ارتكابه فعلا يقع تحت طائلة القانون** ؟ الا ان تمحيص حقوق وواجبات الرئيس الامريكى بمقتضى ما يقتضيه بناء المجتمع الامريكى « الفوقى » [أى بناؤه الدستورى — القانونى — الشرعى] لا يمكن ادراكه فى حقيقة ابعاده دون الرجوع الى **بناء أمريكا « التحتى »** [الاسس الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الامريكى] . **وهذا وحده هو السبيل الكفيل بطرح هذا الجدل فى اطاره الموضوعى ، فى اطار حقيقة المصالح التى تحركت لكبت او استثمار الفضيحة ، وتكشف حقيقة دلالتها .**

عدو الانفراج الدولى

فى خدمة الانفراج الدولى

ان ممارسات نيكسون ونوعية معاونيه ، كلها نتائج مكونات سياسته التى وجدت صدى فى مرحلة الحرب الباردة ، وعبرت عن احتياجاتها تعبيرا مكثفا . ثم جاء نيكسون فى نهاية رياسته الاولى ليطبق سياسة هى نقيض هذه السياسة ، ذلك ان اعادة انتخابه كانت رهن التطورات الجديدة التى بدأت تتبلور فى التوازنات الدولية . واصبحت مصلحة الولايات المتحدة تقتضى اعادة صياغة سياستها الخارجية لتدخل بها عصر الانفراج الدولى .

ليس مجال بحثنا هنا هو الاسباب التى دعت نيكسون الى تبنى منطق وزير خارجيته هنرى كيسنجر فى انتهاج سياسة اسفرت عن قدر محسوس من الانفراج الدولى . **ولكن الجدير بأن يستوقفنا فى هذا الصدد ان نيكسون اصبح يمارس هذه السياسة الجديدة بادوات كانت مؤهلة لممارسة سياسة هى نقيض هذه السياسة الجديدة ، أدوات لم تكن مهيأة لما سوف تسفر عنها هذه السياسة الجديدة .**

كانت ادواته مجسمة فى اشخاص معاونيه المباشرين فى البيت الابيض ادوات قمع — ادوات « لى ذراع » المؤسسات الامريكية التقليدية ، ادوات اهدار القانون والدستور ، أدوات غير مؤهلة بالمرة للتفاعل مع حركة الجماهير او للتعامل مع المؤسسات الدستورية .

السلوك الطبيعى لهذه الادوات هو سلوك هالدمان وايرليكمان فى مطاردة دانيال الزبرج بتهمة نشر اوراق البنتاجون الخاصة بحرب فيتنام ، الى حد اقتحام مكتب الطبيب النفسى الذى كان يعالجه — دون ترخيص قانونى بذلك — للتشهير به باذاعة ما يوحى بانه مختل القوى العقلية .

كان اسلوب نيكسون ومعاونيه هو اللجوء الى شتى الوان التشهير والقمع والكبت ، كممارسة طبيعية لسياسة تمرسوا عليها دائما .

الا ان هذا الاسلوب الذي كان يناسب الضغط على الشعب الامريكي ، ومطاردة الاتجاهات الديموقراطية والليبرالية في ظل مناخ الحرب الباردة ، لم تعد صالحة في ظل مناخ سياسي مخالف .

كانت سياسة نيكسون قائمة في الماضي على اكتشاف « مؤامرة » وتدبير يحركه « الخطر الاحمر » وراء كل موقف يخالف السياسة التي كان يسعى الى فرضها . ولم يعد الان مجالا لتحميل خصومه السياسيين مسئولية تدبير « مؤامرات » يحركها هذا « الخطر الاحمر » . **فاستمرت مقومات سياسته السابقة في القمع والتشهير والانتقام من الخصوم ، دون أن تستند الى قاعدة « أيديولوجية » تبررها .**

في نفس الوقت ، كان من طبيعة سياسة نيكسون السابقة في اشعال الحرب الباردة ان تستثير قوى كفيلة بمقاومة سياسته الراهنة ، ومن هنا كان امرا طبيعيا ايضا ان يتحصن نيكسون وراء سياسة طبيعتها « الفرض » و « الكبت » لتطبيق سياسة تتنافى طبيعتها مع هذا الاسلوب .

بل ان مناخ الانفراج الدولي يؤمن المجتمع ضد الاتهامات التعسفية التي يمكن بمقتضاها كبت الخصوم . **وافسح بالتالي لاطراف متباينة المنطلقات ، من اليمين المتطرف المعادي للانفراج الدولي الى الاتجاهات الليبرالية والمتمردة ذات المصلحة في الانفراج الدولي أن تتجمع في عداء مشترك لاستبداد السلطة التنفيذية بأساليب فقدت مبررها ، فتكشفت عدم شرعيتها .**

ظاهرة معقدة

الواقع ان الابعاد التي تنطوي عليها ظاهرة « ووترجيت » بالغة التعقيد وتحتاج لدراسة من اكثر من زاوية .

كان للاسلوب الذي زاول بها نيكسون سلطاته وصلاحياته كرئيس للهيئة التنفيذية دور ، باعتماده على اجهزة الرياسة ، معززة بوكالة المخابرات المركزية CIA وبمكتب التحقيقات الفدرالية FBI ، على حساب الكونجرس وعلى حساب حرية الصحافة وبشكل لم يكن ينطوي فقط على انتهاك لسلطات الهيئة التشريعية والهيئة القضائية ، بل على انتهاك لاجهزة المخابرات والمباحث كذلك . وكان يأمل نيكسون ان انجازاته في سياسة الانفراج الدولي تؤهله لهذه الانتهاكات اعتمادا على نجاحه الساحق في الانتخابات الاخيرة ، والتي أوحت له « بحرية » في ممارسة السياسة التي يراها صالحة دون أن يأبه لما قد تثيره من ردود أفعال .

ان نيكسون قد تطلع حتى **الى وضع حد لنظام الحزبين في امريكا .** بمعنى اكساب الحزب الجمهوري بقاء في السلطة مماثلا لاستقرار الحزب الديموقراطي في السلطة طوال عدة فترات رياسية متعاقبة ايام روزفلت ، اعتمادا على النجاح الذي احرزه في الانتخابات الاخيرة .

الان السبب الاعمق وراء « ظاهرة ووترجيت » هو التحولات التي تصادف الان المجتمع الامريكي من جراء ما جرى من تحول — ولنيكسون دور فيه — في المناخ الدولي وسياسة امريكا الخارجية .

لم تعد قضية المجتمع الامريكي مجرد لفظ أساليب الحرب الباردة في مرحلة بدأت تتبلور فيه ملامح الانفراج الدولي ، بل اصبحت قضية المجتمع الامريكي مواجهة آثار الانفراج الدولي في بلورة أزمات جديدة تستبد بالنظام الرأسمالي العالمي . وفي مقدمتها الرأسمالية الامريكية .

هناك **التضخم** كمؤشر واضح عن أزمة اقتصادية متفاقمة تنبئ بأخطار الكساد الذي شهده الاقتصاد الامريكي في بداية الثلاثينيات . وهناك الصراع المحتدم بين الشركات الاحتكارية الامريكية الكبرى ، وتداخلها مع الشركات المتعددة الجنسيات ، والصراع المحتدم بين الشركات الاحتكارية القديمة المستقرة وشركات جديدة نشأت بفضل التحولات العصرية في تكنولوجيا الانتاج ، كالصناعات الكيماوية او الصناعات الخاصة بارتياد الفضاء . وهذه الصراعات الاقتصادية تنمو في وقت افضى الانفراج الدولي الى تحسن علاقات امريكا مع خصومها التقليديين : الاتحاد السوفيتي والصين ، دون ان يقابل هذا التحسن تقدم ملحوظ في ازالة اسباب الاحتكاك مع حلفائها التقليديين ، بالذات أوروبا واليابان ، بل زادت اسباب الاحتكاك عمقا وتنوعا .

كل هذه التحولات التي تنال من صميم « البناء التحتي الامريكي » لم تكن تحتمل استمرار الاضطراب في « البناء الفوقي » ، وسلطة تنفيذية عاجزة عن مواجهة هذه المشاكل المتفاقمة بسبب استغراقها كلية في ازمة استبدت باهتماماتها ومصائرها .

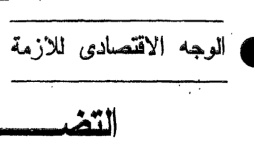
ليست ظاهرة ووترجيت بالضرورة ردة على الانفراج الدولي ، ولكنها بالتأكيد تعبير عن الازمات الجديدة التي اصبح من المتاح تفجرها داخل المجتمع الامريكي بسبب تفتح مناخ الانفراج الدولي .

ليس معنى ذلك ان قوى امريكية معادية للانفراج لم تستغلها ، تماما كما — استغلتها القوى الصهيونية التي حاولت تصوير سياسة نيكسون من ازمة الشرق الاوسط بعد حرب اكتوبر على انها كانت تستهدف انقاذه من فضيحة ووترجيت ،

لا انها تعبر عن مصالح امريكية اصيلة في استغلال سلاح النفط لدعم المركز الامريكي في المنطقة . وفي وجه اطراف دولية مختلفة ، بما في ذلك حلفاء امريكا في اوروبا واليابان .

ان الظاهرة على اية الاحوال تقتضي الدراسة المتعمقة ، ذلك انها مؤشر هام عن المعادلة المعقدة التي يواجهها المجتمع الامريكي في حاضره وفي مستقبله القريب .

□



الوجه الاقتصادي للأزمة

التضخم

الوجه الآخر « لووترجيت »

أحمد عادل

التضخم الامريكي جزء من ظاهرة عالمية تشكو منها الدول الصناعية الغربية ، ويحسب لها رجال الاقتصاد الف حساب ، متنبئين بانه سيبقى بمعدلات سنوية تتجاوز ١٠ في المائة حتى النصف الثاني من العام القادم على الاقل .

وتجرى في عواصم هذه الدول دراسات ، وجهود محمومة ، لمحاولة السيطرة على عجلة التضخم والحد من آثارها وانعكاساتها على الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلى نفسية الافراد على السواء .

ولا يكتم كثير من رجال الاقتصاد خوفهم من ان التضخم الذي تفجر في الفترة الاخيرة بمعدلات نشطة — ترتفع باستمرار — قد يؤدي في النهاية ، الى حالة انكماش بدت بوادرها بالفعل ، او ما هو ادنى من ذلك بعد درجات من الانتعاش والانكماش ، طبقا للدورة الاقتصادية الرأسمالية .

وقد رسمت التقارير التي اصدرتها المنظمات الدولية صورة قاتمة للموقف الاقتصادي العالمي ، واكدت ان الدول الصناعية الغربية تمر ، في الوقت الحاضر ، بفترة من اكثر فترات البطء في نموها . وان التضخم يستفحل نتيجة ارتفاع اسعار البترول [الى ٤ امثال في اواخر العام الماضي] واسعار سائر السلع ارتفاعا مستمرا في اقتصاديات هذه الدول .

وقدرت **منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** — التي تضم ٢٤ دولة من الدول الصناعية غير الشيوعية — ان العجز في ميزان المدفوعات لمجموعة دول المنظمة سيبلغ هذا العام ٤٨ مليار دولار ، وهو رقم قياسي نتيجة الارتفاع الحاد في اسعار البترول .

ويبدي بعض كبار الاقتصاديين الامريكيين قلقهم من الاخطار المالية التي لا تواجه الولايات المتحدة وحدها فحسب ، بل الاقتصاد الغربي كله . ومن الاخطار التي يوردونها حدوث ازمة مالية اثر افلاس واحد او اكثر من بنوك العملات الاوروبية الكبرى نتيجة عدم سداد المقترضين في الدول المستوردة للبترول لقروضهم .

ومن بين تلك الاخطار ، كذلك ، ان تحاول الدول المستوردة للبترول تجنب عواقب انتقال الدخول الحقيقية منها الى الدول المصدرة — وهو ما ينطوي عليه التغير الحاد في اسعاره — وفي خلال هذه المحاولة تعقد مشاكلها التضخمية .

ويرى كثير من الخبراء ، ان الاقتصاد الامريكي في حالة ضعف ، لا بسبب ارتفاع اسعار البترول وحده ، ولكن بسبب الافتقار الى اسلوب ملتزم في المعالجة ، يتخذ الاجراء المناسب في الوقت المناسب ، فضلا عن الافتقار الى قيادة اقتصادية رشيدة وشجاعة في التنفيذ ، او الافراط في تغليب المصالح السياسية والاحتكارية ، والتهاون في الرقابة والمعاقبة .

ولابد لتوضيح ذلك من نظرة تاريخية نقصر الحديث فيها على اسعار الاستهلاك كمؤشر للتضخم المستفحل :

منذ انتهاء الحرب الكورية وحتى عام ١٩٦٦ (فيما خلا عامين خلال تلك الفترة) أمكن وقف المعدل السنوى لارتفاع اسعار الاستهلاك عند أقل من ٢ فى المائة . ولكن بدأت فى ذلك العام الاثار التضخمية لحرب فيتنام . فارتفعت الاسعار بمعدل ٣ر٤ فى المائة .

وزاد الارتفاع بعد ذلك ، مع حدة هذه الاثار، فبلغ معدله السنوى ٣ فى المائة عام ٦٧ ، و٧ر٤ فى المائة عام ٦٨ ، ثم ٦ر١ فى المائة عام ٦٩ . وهنا قامت حكومة **نيكسون** — فى مستهل مدته الاولى — باتخاذ تدابير مالية ونقدية مقيدة . فهبط المعدل الى ٥ر٥ فى المائة عام ٧٠ ، ثم الى ٨ر٣ فى المائة فى الاشهر السبعة الاولى من عام ٧١ . وعندئذ اتخذ **نيكسون** طريقا مختصرا ساعيا الى تقدم اسرع ضد التضخم وانعاش اقوى لحالة الانكماش المعتدل . ففرض القيود على الاجور والاسعار ، واتخذ اجراءات اخرى مشددة فى اغسطس من ذلك العام . ولكنه بدلا من ان يستخدم فترة « التقاط الانفاس » التى سمحت بها القيود لوضع الاقتصاد على طريق سليم ، **زاد الانفاق الحكومى لتشجيع العمالة ونشاط الشركات عند اقتراب موعد انتخابات الرياسة** [**مدة التجديد**] **عام ١٩٧٢** . وعلى الرغم من ذلك ظلت القيود تعمل ، وهبط معدل التضخم [مقاسا باسعار الاستهلاك] الى ٣ر٤ فى المائة خلال عام ٧١ [كله] وعام ٧٢ . وعندما وجد فى ذلك ما يشجعه ، ودون وعى للضغوط التضخمية التى تغلى تحت السطح ، **خفف القيود** فى يناير ١٩٧٣ [مستهل عهده الثانى] فانفجر التضخم بمعدل سنوى لارتفاع اسعار الاستهلاك قدره ٣ر٨ فى المائة فى النصف الاول من ذلك العام . فلجأ الى **تجميد الاسعار** فى يونيو ، وأدى ذلك الى حدوث نقص فى المواد ، ولم يسمح الا لفترة هدوء نسبى لحدة التضخم عادت الاسعار بعدها الى ارتفاع رهيب بمعدل سنوى قدره ٨ر٢٢٪ لشهر اغسطس عندما اضطر الى **رفع التجميد** . فظلت الاسعار ترتفع بسرعة ، منذ ذلك الحين ، ووصل المعدل السنوى لارتفاعها عام ٧٣ كله الى ٨ر٨ فى المائة ، وهو اكبر ارتفاع منذ عام ١٩٤٧ . ومن المتوقع ان يكون سجل العام الحالى اشد سوءا . حيث تشير التقارير الى ان الاسعار سترتفع بمعدل سنوى قدره ٢٥ر٩ فى المائة فى النصف الثانى من هذا العام ، و ٥ر٧ فى المائة فى النصف الاول من العام القادم .

ولابد هنا من وقفة . فليس ارتفاع الاسعار مجرد عملية تلقائية تفرضها ظروف موضوعية من العرض والطلب ، ولكنه كثيرا مايكون متعمدا فى المجتمع الامريكى بسبب سطوة الاحتكارات . ولنأخذ مثلا ، صناعة الصلب التى تحتل المرتبة الثالثة بين كبريات الصناعات الامريكية والتى يدخل انتاجها فى عديد من المصنوعات والسلع التى تؤثر تأثيرا مباشرا على الاقتصاد .

فقد كشف تقرير اعده **مايو طومسون** ، عضو اللجنة التجارية الاتحادية ، ان شركات الصلب الكبرى تتلاعب لفرض اسعار محددة تسرق بها من جيوب الامريكيين ٢٥ر١ مليار دولار فى العام .

ولم يقصر **طومسون** بحثه على شركات الصلب وحدها ، بل تعداها الى انشطة اخرى . فأكد فى دراسته أن عمليات التلاعب لتحديد الاسعار يشارك فيها ثلث حجم الشركات الامريكية ، بما يسلب الشعب الامريكى ١٠ مليارات دولار كل عام !

وأكد **طومسون** على الناحية القانونية — الكشف والردع — فطالب بتدخل اللجنة فى مكافحة احتكار الاسعار ، بعد ان كانت هذه المشكلة متروكة لقسم مكافحة الاحتكارات فى وزارة العدل الامريكية ، على اساس ان لها الخبرة والسلطة لبدء الاجراءات الجنائية ، لا المدنية ، فضلا عن ادوات التحقيق المتاحة لها لكشف هذه المؤامرات مثل مكتب التحقيقات الاتحادى ، وغرف الاتهام .

من هذا التقرير ، ندرك ان اسعار الاستهلاك فى المجتمع الامريكى تتصاعد حلزونية بقوى متعددة ، وان معدل ارتفاعها يخضع لضغوط الاحتكار التى تدفع عجلة التضخم بسرعة رهيبة ، حتى لقد بلغ معدله السنوى حاليا ١٢ فى المائة قابلة لمزيد من الارتفاع . فاذا قارنا هذا المعدل بما أعلنه **الرئيس الامريكى** فى تقريره الاقتصادى عام ١٩٧٣ من ان الهدف هو خفض المعدل الى ٥ر٢ فى المائة ، او الى اقل فى نهاية ذلك العام، ادركنا مدى اتساع الهوة لا بين الاقوال والافعال فحسب ، بل بين جدوى الاجراءات المتخذة وطبيعة الغول التضخمى الذى يلتهم هذه الاجراءات اولا بأول ، وينفى اثرها ماضيا فى سعاره .

لكن التضخم الامريكى على اية حال — هكذا يؤكد بعض الاقتصاديين الامريكيين على سبيل طمأنة الشعب — لن يصل الى حد فقدان قيمة العملة او الى الحد الذى « تدفع فيه امامك برميلا من النقود لتشترى سلعة من السوق » كما حدث للالمان فى العشرينات !

ويطلق الدكتور **ميلتون فريدمان** ، الاستاذ بجامعة شيكاغو ، على هذا النوع من التضخم المخيف صفة « الحدة البالغة » Hudu

ويقول ان معناه زيادة الاسعار ٥٠ فى المائةعلى الاقل شهريا او ٦٠٠ فى المائة سنويا ، وهو الامر الذى لا يتوقع حدوثه . ولكنه يسلم بان التضخم الحالى « ضخم الحجم » Supu أى انه فى تصنيفه اكبر من ان يكون مجرد مرتفع او عال .

واذا كنا قد دللنا على فداحة التضخم الامريكى فى المرحلة الحالية والمقبلة ، فقد بقى علينا ان نبحث آثاره — وهى طائلة سنحاول ايجازها — لأن ظل التضخم يمتد على كل قطاعات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية .

الآثار الاقتصادية

فمن الناحية الاقتصادية ، يؤدى التضخم الى خفض مستويات المعيشة واستنزاف المدخرات، وكلاهما عامل يؤثر فى الاخر هبوطا . وعندما تشتد قرائن التضخم ، يميل المستهلكون الى التفكير فى الادخار اكثر لاستعادة اوضاعهم التىبدأتتنحل ،او الاحتفاظ بنقد يساعد علىتلبية حاجات المستقبل ، ولكن معدل الادخار الذى كان ٧ر٣ فى المائة فى الربع الاخير من العام الماضى هبط الى ٦ر٦ فى المائة فى الربع الاول من العام الحالى ، ولا يزال فى هبوط مستمر مما يدل على ان التضخم الامريكى تأكل اسنانه المدخرات حتى « على الورق » .

ومن آثاره الاقتصادية ، كذلك ، تثبيطوتشويه الاستثمار ، ورفع معدلات الفائدة ، وزيادة صعوبة الاقتراض ، حيث تتكالب الشركات على البنوك ، فتزاحم المؤسسات الكبرى — بما لها من نفوذ — صفوف المقترضين من الشركات الصغيرة والافراد امام شبابيك الاقتراض،وتدفعهم الى الخلف ، فلا يجدون بغيتهم بسهولة ، بينما تتكالب البنوك التى اثقلها السحب على طلب المال فى اسواقه حفاظا على سيولتها المالية ومتطلبات احتياطيها . وهذا يؤدى الى خلق فوضى فى النظام المصرفى والاسواق المالية ، يزيدها اقدام الحكومة — نفسها — على الاقتراض المباشر وغير المباشر لتغطية العجز فى ميزانيتها الذى سيصل فى ميزانية يناير القادم [عن خمس سنوات مالية] الى ٧٧ر٣ مليار دولار . زد على ذلك ، ارهاق شبكات المصارف الخاصة بحجم القروض الضخمة التى تضمنها الحكومة وتؤمنها ، وتقدر حاليا بـ ٢٠٢ مليار دولار .

اما الاثر الاقتصادى الاخير للتضخم فهو ابطاء النمو الاقتصادى ، والانزلاق الى تيار الانكماش . وهنا معضلة اكيدة ، لان فرض القيود الانكماشية ، تهبيطا لمعدلات التضخم ، يؤدى الى ارتفاع نسبة البطالة وبطء حركة الاقتصاد . فتنبرى — عندئذ — الضغوط السياسية والجماعية والفردية لتحمل الحكومة على العودة الى سياسة الانعاش والحفز ممثلة فى زيادة الانفاق وتيسير القروض ، مما يجعل التضخم يعود الى الارتفاع بمعدلات أعلى. وهكذا يستمر التذبذب وتزداد حدته وتشتد طفرة الصعود فتصبح صدمة « الهبوط » اشد وقعا وايلاما حتى « ببرك » الاقتصاد.

ولذلك فان كلمة الانكماش اصبحت تثير الذعر فى مجتمع قائم على الاقتصاد الحر ،وذلك بسبب نذرها البعيدة حتى وان كانت دلالاتها القريبة خفيفة لدرجة ان المسئولين الامريكيين يحاولون تجنبها بشتى الطرق . مثلا ، وصف **المكتب القومى الامريكى للابحاث الاقتصادية** ، وهو الذى يسجل الدورات ، من حيث الازدهار والكساد ، النشاط الاقتصادى الراهن بانه فى حالة تقلص طفيف تمثلت فى ربعين متتاليين من ارباع العام . وان هذه اول حالة من نوعها منذ كساد الثلاثينات لا يشكل فيها هذا التقلص انكماشا بالمعايير الرسمية . ولكن المسئولين الاقتصاديين يسلمون ايضا بان هذا قد يتغير اذا حدث مزيد من التدهور والهبوط على نطاق واسع .

نيكسون يتراجع عن سياسته

وقد اعلنت وزارة التجارة الامريكية ، يوم ١٨ يوليو ، ان اجمالى الانتاج هبط بشكل غير متوقع فى الربع الثانى من العام الحالى ، فى ثانىزيادة ربعية متوالية ، الامر الذى يؤخذ على انه قرينة لحدوث انكماش . ولكن كبار المسئولين ومنهم **فردريك دنت** ، وزير التجارة نفسه ، **وكينيثرش** — مستشار **نيكسون** للسياسة الاقتصادية ، يرون ان ذلك لا يشكل انكماشا بالضرورة .ولابد من انتظار نتائج الربع الثالث قبل الاستقرار على رأى . فاذا حدث هبوط آخر فسيكون ذلكبالتأكيد دلالة على ان عام ١٩٧٤ هو عام انكماش .

ماذا فعل نيكسون امام هذه الصورة التى تنحو الى التجهم بوجهيها التضخمى والانكماشى؟

اولا : رفض العودة الى الاجراءات المشددة لمكافحة التضخم ، مثل فرض قيود على الاجور والاسعار التى جربها بنجاح فى اغسطس عام ١٩٧١ ، وخرج عليها لاسباب تتعلق بتحسين

صورته فى مدته الثانية ، واعلن العمل بالوسائل التقليدية المعتدلة ، وهى الحد من الانفـــــــاق الحكومى والقروض .

ثانيا : طالب كل اسرة امريكية بان تقيم فيهـــا مجموعة ضغط لمكافحة التضخم عن طريق خفض الانفاق او تأجيل بعضه ، وادخار ١٥ سنتا من كل ١٠ دولارات معرضة للانفاق .

وبالنسبة للبند الاول : يرى كثير من الاقتصاديين ان التدابير المعتدلة ربما كان يمكن ان تقيم الاقتصاد على الطريق السليم ، لو انها اتخذت فى حينها . ولكن الوقت قد فات ـ قياسا بسرعة حـــــدة التضخم ـ بالنسبة للحلول السهلة .

ويرى بعضهم ، ان الاجور ، حاليا ، هى مصدر ضغوط التضخم وان المعالجات المذكورة لا تخفف الا التضخم الناتج عن فرط الانفاق . هـــذا الى ان المطلوب من اجل ان يكون لضغط الانفـــــاق الحكومى اثره المرغوب ان يكون فى حدود تتراوح بين ١٠ و ١٥ مليار دولار ، بينما لا يتجاوز مطلب نيكسون فى هذا الشأن ٥ مليارات دولار مـــن الميزانية الحالية وقدرها ٣٠٥ مليارات دولار . ولعله اراد ، بهذا القدر المتواضــــع ، الا يثير استياء الكونجرس فى وقت كانت الحملة فيــه تشتد عليه .

أما بالنسبة لتقييد القروض ، فيرون انه يهدد بابطاء الحركة الاقتصادية حتى تعـــــانى كفاءة الانتاج ، مما يؤدى الى رفع التـــكاليف وزيادة التضخم .. وتواجه بعض البنوك ورجال الاعمال مصاعب كبيرة فى الحصول على النقد المطلوب ، مما يخشى معه من انتشار حالات الافـــــلاس والذعر المالى .

والخلاصة ان الحلول المعتدلة التى دعا اليها **نيكسون** وسياسة امساك العصا من الوسط لم تعد تجدى فى معالجة التضخم بابعاده الحالية . وما لم يتم وقفه بسرعة فانه سيتصاعد بسرعة اكبر ، مما يؤدى الى انهيار النظام المالى وحدوث تدهور اقتصادى شديد .

وفوق ذلك ، يخشى الاقتصاديون من نتـــائج تذبذب نيكسون بين سياسة « السوق الحرة » وسياسة القيود ، حتى المعتدلة منها . فحتى فبراير المــاضى ، كان يتحدث عن خطط طارئة لزيادة الانفاق اذا ضعف الاقتصاد . ومعنى ذلك انه اذا فشلت حلوله السهلة ، المتمثلة فى تقييد الانفاق الحكومى والقروض ، وادت الى اضعاف الاقتصاد فقد يلجأ المسئولون من بعده الى رفع القيود من جديد ، الامر الذى يخشى معه ان يفلت زمام السيطرة على التضخم .

وبالنسبة للبند الثانى : فان مخاطبة المثــل العليا لدى الافراد ، من ضبط النفس ، والتضحية ، والادخار ، وضغـــط المصروفات ، وتأجيـــــل أوجه الانفـــــاق ، لا تؤدى ـ بالضرورة ـ الى استجابة . لانه لا يمكن عزل الفرد عن مجتمعه . فارتفاع الاسعار يأكل الدخول والمدخرات مهما حاولت الاجور ان تلحق بها . والبنية الاقتصادية للمجتمع الرأسمالى تعرض الافـــراد لضغـــوط انفاق شديدة وتفتح امامهم آفاقا جديدة مغرية لهذا الانفاق .. ونضرب على ذلك مثلا واحدا نشرته صحيفة **نيويورك تايمز** ، فقد ذكرت أن رجال الاعمـــــال شرعوا فى استغلال تورط الجماهير فى مشكلة قومية متصاعدة استغلالا رأسماليا ، وذلك باستخدام التضخم كســـلاح تخويف لتشجيع الشراء الان . مثلا ، عمـــدت شركة « بان اميريكـــــان » للطيران الى نشر اعلانات فى الصحف تستغرق صفحـــات كاملة تحث الفرد الامريكى فيهـــا على شراء سلعتها [السفر الجوى] بقولها : عش اليوم ، فغـــدا سيكلفك اكثر ! » كما عمدت شركات اخرى الى الترويج لفكرة الشراء الان والدفع فيما بعـــــد [أى عندما ترتفع الاسعار اكثر !]

نيكسون والاثار السياسية للتضخم

بغض النظر عن ان التضخم يعمق عدم الثقة بين الحكومات ، فان آثاره الداخلية يمكن ان تسقط الحكومات ، كما حدث فى كثير من الحـــالات [فى بريطانيا مثلا] .

والمشكلة بالنسبة لنيكسون ـ فى مدته الثانية ـ انه كان يحارب فى جبهتين : جبهة ووترجيت التى سقط فيها فى النهاية ، وجبهة التضخم التى أخضع تحركاته فيها لاستراتيجية سياسية منــذ البداية [راجع النظرة التاريخية] . وواضح من تفضيله الحلول المعتدلة ، رغم فوات اوانهـــا ، ونفوره من التدابير المشددة ، رغم ضرورتهـــا الملحة ، انه كان يفكر بعقلية سياسية ، لانه مع اشتداد معاداة الكونجرس له ، بسبب قضيـــة ووترجيت ، أصبح من العسير عليه ان يحصل على تعاونه فى الاجراءات الاقتصادية الشديدة ولانه خشى الخسارة امام الكونجرس ، فقــــد تجنب الاجراءات الجريئة وسلك سلوك الاعتدال . وآثر حتى فى ضغط الانفاق الحكومى مطلبـــا متواضعا مع كثرة الشواهد على عدم جـــدوى التواضع أمام التضخم المتعالى .

واذا كان **نيكسون** قد وضع عينه على التاخبين منذ بداية معالجته لازمة التضخم ، وتراوح بين التقييد والتيسير ، دون نظر لمقتضيـــات الحسم والشدة ، فان المتاعب السياسية التى توالت عليه

ـ بعـد ذلك ـ جعلت الكثيرين من مختلف الاوساط الانتخابية يتشككون في التزامه بسياسة محددة لمكافحة التضخم حتى لقد قال **وليم فلنر** ، عضو مجلس المستشارين الاقتصاديين التابع للبيت الابيض : ان الذى يعنى الجدية بشأن الحد من التضخم يجب الا يتصرف على نحو يفسره الاخرون بانه « عملية بلف » .

وكان من بين الذين نددوا ـ ايضا ـ بالتهاون فى معالجة التضخم **آلن جرينزبان** ، المستشار الاقتصادى الامريكى ، الذى قال : **انها لمأساة ان وضعنا انفسنا فى موقف لاتوجد فيه سوى بدائل وحيدة رهيبة ، ولقد كانت لدينا اساليب نرتد بها الى الاحوال العادية غير التضخمية ، ولكنها الان تبددت .**

وقد جاء **نيكسون** فى ايامه الاخيرة **بجرينزبان** ليرأس مجلس مستشاريه الاقتصاديين ، واصبح له بذلك ثالوثا من دعاة احكام القيود المالية ، ضلعاه الاخران هما **آرثر بيرنز** ، رئيس مجلس ادارة بنك الاحتياطى الاتحادى [البنك المركزى الامريكى] **ووليم سايمون** وزير الخزانة ,وهذا الثالوث مثلا من مؤيدى خفض الانفاق الحكومى بمقدار ١٠ مليار دولار ، على الاقل فى الميزانية الحالية ، وخفض الاقتراض الحكومى . ولكن **نيكسون** ، فى خشيته من الكونجرس ، خفض المبلغ الى ٥ مليارات ولم يحدد طرق تقييد القروض .

ويرى كثير من المراقبين السياسيين ان التضخم، وسوء معالجة نيكسون له اخسر بمركزه لدى الناخبين إكثر مما اخرت به قضية ووترجيت .
وانه لو كان مثلا يراس وزارة في بلد تكون فيه الوزارة مسئولة امام البرلمان [وليس امام الرئيس في النظام الامريكي] لكان البرلمان باعتباره ممثلا للناخبين قد اسقط وزارته بسبب تذبذبه وتهاونه في قضية التضخم قبل ان يسقطه بسبب تلاعبه في قضية ووترجيت .

نيكسون أمام الاثار الاجتماعية والثقافية والنفسية

لان التضخم دائرة مفرغة تلهث فيها الاجور وراء الاسعار ، فاله يلقى بالفــرد فى دوامة مستمرة من القلق والانشغال وافتقاد الامن على غده وشعوره بالخيبة والإحباط والتوتر ، مما يؤثر على عمله وانتاجيته .
ولكن التضخم ليس مجرد ارتفاع فى الاسعار تلاحقه زيادات في الأجور ، انه ايضا يسيء الى عدالة توزيع الدخل ، فيعيده الى هواه ، ويقلب الاولويات الاجتماعية ، ويستخدم الموارد فى غير أوجهها .

وقد وصفه **بيتر دراكر** ، فيلسوف الادارة الامريكى بانه « سم اجتماعى ناخر » . ويرى ان المتأثرين به اكثرهم من افراد الطبقة الوسطي الذين يصابون بجنون الاضطهاد معتقدين ان « الشخص الاخر » قد كسب أرضا على حسابهم، لاسيما عندما تفر من ايديهم المدخرات ، وهم يحاولون الحفاظ على اوضاعهم الاجتماعية ، وتنخفض مستويات معيشتهم ، ويعـز عليهم الاقتراض لندرته وارتفاع فوائده .

ويذهب الدكتور **هيو هندرى** ، مدير مستشفى لافاييت للطب النفسى ، وهى معروفة على مستوى قومى فى امريكا ، الى ان الشعور بالاضطهاد واليأس يمكن ان يؤدى متى عم الى تيار معاد للثقافة والعلم ، ويوضح ذلك بأيام التضخم فى المانيا فى اعقاب الحرب العالمية الاولي قائلا ان من الممكن ان يتطلع المجتمع الى وسائل تعويضية غير منطقية لحل المشاكل ـ مثل فكرة الجنس الاعلي والاندفاع الوطنى المتطرف ، ان ما حدث فى المانيا فى العشرينات يمكن ان يتكرر فى امريكا اذا بلغ التضخم مثل هذا المدى .

ويصنف العلماء السلوك الاجتماعى للمتاثرين بالتضخم المستفحل فى العالم الراسمالى على النحو التالى :

١ ـ شيوع « الهيدونية » [مذهب اللذة] او عيش اللحظة ، حيث يتبع بعض الافراد شعار « دعها للشيطان » بمعنى انتهاب متع الحياة اليوم ، اذ ان الغد قد تنعدم معه وسائل التمتع بمباهج الحياة وترفها . وهنا تسقط القيم ، وتنحدر الاخلاق ، وتشيع الانانية ، ويزداد تركز الافراد حول ذواتهم في التكالب على العيش .

٢ ـ ظهور التطرف في حركات الاستياء والرفض ممثلة فى اعمال العنف والشغب والاضرابات .

٣ ـ ازدياد المطالبة بمجتمع اكثر احكاما فى قوانينه . ويقول الدكتور **هندري** فى هذا الشان انه اما ان تتحول الامة ـ بطرق الاصلاح ـ الي التفاؤل والتغير الاجتماعي المنسق والتقدم المنظم، واما ان تتحول الي نظام حكم شديد الانضباط ـ لايكون ـ بالضرورة ـ غير ديمقراطي ، لكن يتعين ان يكون تأييد الجماهير فيه لشيء أقوي وأمتن بنـاء .

خاتمـة

ان النقطة الاساسية فى درس التضخم انه ليس مسئولية افراد عاديين ، ولكنه مسئولية

حكومات فى مجال التخطيط والتنسيق والتنفيذ والرقابة القانونية . حقيقة ان الترشيد عنصر بالغ الاهمية ، ولكنه يفقد قيمته اذا جاء فى وقت احتد فيه التضخم ، وتهاونت فيه الحكومة عن التدخل الجاد باجراءات قوية ، او مواجهة القوى الاحتكارية التى تساهم فى دفع عجلته تكالبا على الارباح الفاحشة . ان غياب الضوابط الرسمية يدفع الى غياب الضوابط الفردية تحت وطأة الظروف التضخمية القهرية . **واذا خاطب نيكسون فى الفرد الامريكى مثله العليا ، فان رده الطبيعى فى ورطته التضخمية هو التساؤل ، وأين المثل العليا فى تصرفات الحكم .**

لذلك ليس غريبا ان تقوم الدعاوى فى الصحف الامريكية وفى اوساط الخبراء والمسئولين الامريكيين ، تنادى بقيادات اقتصادية قوية تتحمل مسئولية اتخاذ اجراءات حاسمة ، ترفع الاعباء وتفرض القيود الصحية وتضع حدا للتلاعب الاحتكارات — وهو أمر غير مشروع حتى فى القانون الامريكى نفسه ..

وتبقى التركة مثقلة لجيرالد فورد .

□

وجه من وجوه الأزمة .. عندنا

« النـــــــدابون »

وديمقراطيـــــة أمــــــريكا

فيليب جلاب

فى واشنطن اليوم ، يعد « أمينا » من يعترف بجرائمه ، كما يقول الكاتب الامريكى **ميشيل مايرسون** .. و « فئة الامناء » هذه ، هى التى « **سرقت الولايات المتحدة الامريكية** » **من الشعب الامريكى** ، كما يقول أحد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى .

وفى عام ١٩٧٠ [قبل عامين من بداية ووترجيت] وصل الفساد بالنظام الامريكى وانعدام ثقة المواطن الامريكى فى النظام ، واتساع فجوة التصديق بين الناس من جانب والاجهزة السياسية والاعلامية من جانب آخر ، حدا مخيفا كما يقول دعاة النظام الامريكى نفسه . اذ تبين من استطلاع للرأى فى ستة مدن امريكية ان ١٧٠٠ شخص يرفضون حتى تصديق ما اذاعته الولايات المتحدة بالكلمة والصوت والصورة عن ان رجال الفضاء الامريكيين مشوا على سطح القمر !

وفى مدن امريكية اخرى وصلت نسبة غير المصدقين الى ١٩٪ من المشتركين فى الاستطلاع .

وقبل ووترجيت وفى عهد نيكسون ايضا أذاع الدكتور **دانيل ايلزبرج** « أوراق البنتاجون » السرية التى أثبتت بالوقائع ان الحكومات الامريكية الخمس ، فى ربع القرن الاخير ، مارست السلطة بالاكاذيب والخداع والخرق المتعمد لابسط واهم مبادىء الدستور الامريكى . وارتكبت من الجرائم وجرائم الحرب ، داخل وخارج الولايات المتحدة ، ما يجعل من فظائع النازية الهتلرية هامشا على دفتر « الديموقراطية » الامريكية .

وقد كشفت الوثائق الرسمية الامريكية المنشورة عن ان **نيكسون** أمر بشن ٣٦٠٠ غارة جوية « سرية » على كمبوديا فقط . وأمر البنتاجون بتزييف سجلاته حتى لا يحاسب من الكونجرس ، الذى كان قد اتخذ قرارا بالا تشترك الولايات المتحدة فى اعمال حربية دون موافقته . وقال « **روجرز** » وزير خارجية نيكسون فى ذلك الوقت فى شهادة امام الكونجرس : « ان كمبوديا من البلاد التى نستطيع ان نقول بتأكيد كامل ان ايدينا فيها نظيفة وقلوبنا نقية » .

وفي ظل غياب ابسط مبادىء الديموقراطية [الامريكية وغير الامريكية] أبادت الولايات المتحدة في عهد جونسون ونيكسون مليونا و ٧٥٠ الف فيتنامي . وشوهت تشويها كاملا عددا مماثلا وفقا للأرقام الامريكية .

وفي ظل خمس حكومات امريكية من بينهـا حكومة نيكسون وبمساندتهم الإساسية فقد شعب كامل هو الشعب الفلسطيني ارضـه للغـزاة الصهيونيين . واحتل الاسرائيليون بتحـريض وتواطؤ ودعم الولايات المتحدة اراض مصرية وسورية وشردوا سكانها ، واستشهد عشرات الالوف من العرب وهم يدافعون عن ارضهم او يحاولون تحريرها ، ولا يزالون يستشهدون .

• • •

دعك من سجل نيكسون الشخصي في السياسة والرئاسة ، الذي بناه فوق حطام عشرات الالوف من الامريكيين ، الذين فقدوا وظائفهم بسبب قوائم نيكسون السوداء عندما عمل في لجنة مكارثي . ودعك من مئات الامريكيين الذين دفع بهم نيكسون الى السـجن او الانتحـار منتهكا كل تراث الديموقراطية الامريكية ، دون أن يصرخ حمـاة الديموقراطية الرسميين في الولايات المتحـدة بكلمة احتجاج واحدة دفاعا عن «ديموقراطيتهم» .

لماذا اذن اثارت ووترجيت كل هذا الحماس للدفاع عن الديموقراطية ؟

أليست ووترجيت مجرد حلقة في سلسـلة لا نهاية لها من امتهان الديموقراطية الامريكية ؟ أليس ما اشرنا اليـه في البـداية يكفي ، دون ووترجيت ، لتصبح الديموقراطية الامريكيـة اثرا متخفيا كغيره من الاطلال ؟ ولماذا لم يتحرك حماة الديموقراطية الامريكيون عنـدما قتـل كيندي وقتل «قاتل كيندي » وقتل قاتل « قاتل » كيندي بمعرفة اقوى الاجهزة البوليسية الامريكية كما لا يحدث في أصغر وأفقر قرى جبل المحروسة بمحافظة قنا ؟ !

القضية هذه المرة لم تكن قضية الديموقراطية بالنسبة للكونجرس الامريكي . ولكنها قضيـة النظام الامريكي نفسه . او كما يقول «مالكولم موز» احد مساعدي الرئيس الاسبق ايزنهاور : « علينا ان نواجه الامر ، وهو ان خلاصة كل ما قيـل هو اننا كنا ضحايا انقلاب او محاولة انقلاب . انني ازن كلماتي بحرص » .

بالنسبة للشعب الامريكي كانت القضيـة قضية الديموقراطية او قضية الدفاع باستماتة عما تبقى من آثار الليبرالية الامريكية . وذلك بعد ان وصل الفساد والرشوة والظلم والانتهـاك الصارخ لكل القوانين الى الحدود التي اشرنا اليها من جراء السياسة الامريكيـة داخل وخارج الولايات المتحدة . لكن بالنسبة للاجهزة الحاكمة كانت المسألة مسألة النظام نفسه . وضرورة الابقاء على شيء لتستمر اللعبة «الديموقراطية» ، والا انكشف الغطـاء تماما عن « الليبرالية » التي تمارس أقسى انواع الديكتاتورية الطبقية والتضليل السياسي والاجتماعي . ثم ان خطأ « المانيا » الحاكمة الاساسي في جريمة ووترجيت ان الجريمة كانت موجهة لشركاء اساسيين في لعبة السلطة وهم قادة الحزب الديموقراطي . ومن قواعد اللعبة ان يتشارك الحزبان في كل شيء حيث يعبران عن نفس المصالح والاهداف . [وهي من « مميزات » الديموقراطية الامريكية التي تجعلها اقرب الى حكم الحزب الواحد !] . لكن عندما يحاول احدهما الانتصار على الاخر بالغش والتدليس تتوقف اللعبة ويبدأ الحساب . من المقبول تماما ان يشتركا معا في هـذا الغش والتدليس وامتهان الدستور ضد طرف ثالث .. وليكن الشعب الامريكي ، كما حدث ويحدث وسيحدث . لكن غير ذلك مرفوض ويجب الا يمر بدون عقاب .

• • •

ولهذا اثار بعـض معلقي صحفنـا المصرية الغثيان عندما حولوا سقوط نيكسون الى جنازة حامية يولولون فيها ويندبون حظ من لا تستظله الديموقراطية الامريكية ويهللون كما لم يحدث من قبل للديموقراطية الامريكية ، ويرتكبون ما لم يجرؤ على فعله «صوت امريكا» واشد الصحف الامريكية دفاعا عن النظام الامريكي .

ثم اثاروا اكثر من الغثيان ، وهم يعقـدون مقارنة بين ديموقراطية امريكا التي اسـقطت نيكسون رغم «تفاهة أخطائه » وبين ديكتاتورية ودموية حكام آخرين (لم تواتهم الشجاعة على تسميتهم) ظلوا متربعين على كراسي الحكم رغم جرائمهم في حق شعوبهم وفي حق الشعوب الاخرى التي يشنون عليها الحرب ويسفكون دمائها .

لعل السادة المعلقون « المصريون » [اسما] يقصـدون حكام اسرائيل .. ولكنهم من فرط «الموضوعية» و « الرزانة » يتجنبون استفزازها . والا فهل هناك حاكم مصري على مر التـاريخ يمكن ان يخسر في مقارنة مع نيكسون ؟ أو هـل يمكن ان يكون المعلق « مصريا » مـن اي نوع عندما يرى ريتشارد نيكسون بريئا كالحمل ، اذ لم يأمر بابادة أكثر من مليونين من الفيتنـاميين والعرب وشعوب امريكا اللاتينية ، ويرى في الحاكم المصري الذي تصدى للدفاع عن مصر مجرم حرب ضد الشعوب المسالمة !

من يدري .. لعل « قدرة » بعض النـاس على الانحطاط الفكري والسياسي و « الوطني» ــ لو صح التعبير ــ غير محدودة او مسبوقة .



الاتحاد الاشتراكى والتحـــــالف

الاهتمام الذى يتابع به المجتمع المصرى مناقشات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى طرحها الرئيس السادات ، اهتمام له مشروعيته البالغة الدلالة . فهو ينطلق من ادراك بدقة الظروف التى طرحت فيها الورقة من حيث أن حصيلة النقاش ، سوف تحدد معالم العمل السياسى الداخلى وآفاقه .

ولان الطليعة تؤمن بأهمية الحوار الدائر حول ورقة تطوير الاتحـــاد الاشتراكى ، فانها — فى هذا العدد — تطرح العناصر الأساسية من تفـكيرها حول الاتحـــاد الاشتراكى كصياغة تنظيمية لتحالف قوى الشعب العاملة ، طوال سنوات عملها من ١٩٦٥ وحتى ١٩٧٤ . كما تطرح — فى نفس العـدد — ملاحظاتها الاولية حـول ورقة التطوير ، فضلا عن نشرها لنص ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، باعتبارها وثيقة من جهة ، ولتوفيرها أمام القـــارئ للنقاش من جهة اخرى .

وتأمل الطليعة أن يتسع الوقت لمزيد من الحوار الجاد المســئول بين كل القـــوى الوطنية والتقدمية فى مصر ، من أجـل التوصل ألى الصياغة الملائمة للممارسة الديمقراطية ، دون ما قيـــود تفرغ ورقة التطوير من مضمونها واهدافها .



القضيــة فى تطورها

رؤية « الطليعــة » لمشـــاكل الاتحـــاد الاشـــتراكى

محمـــد حلمى ياسـين

من خلال معالجة الطليعة لقضايا التحالف ، ومشكلات بنـاء الاتحاد الاشتراكى ، والتنظيم الطليعى ، ومن واقع التجربة ذاتها ، يمكن أن نقسم الفترة من نشأة الاتحاد حتى يومنا هذا الى ثلاث مراحل :

١ ـ الاولى وتبدأ من تأسيس الاتحاد بانتخابات لجان العشرين وحتى هزيمة ١٩٦٧ .

٢ ـ الثانية وتبدأ من ٩ ، ١٠ يونيو حتى الحركة التصحيحية فى ١٥ مايو ١٩٧١ .

٣ ـ الثالثة وتبدأ من الحركة التصحيحية وحتى يومنا هذا [أى قبل صدور وثيقة سبتمبر الخاصة بالتصور الجديد للاتحاد الاشتراكى] .

المرحلة الاولى : من انتخابات لجان العشـــرين وحتى هزيمـــة ١٩٦٧

ركزت **الطليعة** ، منذ صدورها ، علـى شرح وتعميق فكرة التحالف بين قوى الشعب العامل واداتها ، الاتحـــاد الاشتراكى العربى . وتصـــدت لتفنيد كل الانتقادات التى وجهت للفكرة .

وتدمت الطليعة مساهمات واقتراحات محددة لتنشيط عمل الاتحاد الاشتراكى ، مع تركيز خاص للتمييز بين الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى بداخله ، والذى كان موضع الحاح خاص من كتاب **الطليعة** .

وتحدد لنا الدراسة التى قدمها العدد الثانى من أعداد **الطليعة** فى عامها الاول اطار الموقف الذى حددته المجلة على النحو التالى :

« لا شك اننا قد توصلنا الى شكل التنظيم السياسى الذى يتلاءم مع ظروفنا الخاصة وهو **الاتحاد الاشتراكى العربى** باعتباره تحالف لقوى الشعب العاملة ، والجهاز السياسى نواته القيادية الاشتراكية ، بفكرها الموحد ، وتنظيمها المحكم ، وتمرسها بالنشاط الجماهيرى ، بوحدة ارادتها ، وحدة العمل والهدف » [١] .

ويضيف الكاتب فى نفس المقال أن المرحلة التى بدأت بتشريعات يوليو ٦١ الثورية ذات الصبغة الاجتماعية والمضمون القائم على فكر اشتراكى تقتضى تعبئة الجماهير وتنظيمهم واشراكهم بصورة ايجابية فى تحمل مسئوليات التحول الثورى الجديد . بل ان حجر الزاوية فى نجاح هذه المرحلة واستمرارها وصمام الامن ضد المحاولات للقضاء عليها هو التنظيم : لا على اساس تجميع ثورى للقوى الشعبية ذات المصلحة فى هذا التحول فحسب ، بل على أساس جهاز سياسى قائد وواع بقوانين الاشتراكية العلمية . وبوحدته الفكرية وصلابته التنظيمية ، ويملك ضمانات ضد التلون والسلبية وضد تسرب الانتهازية » .

واكد **لطفى الخولى** على أن الحديث عن التنظيم السياسى فى اطار التجربة المصرية يعنى فى واقع الامر الحديث عن منظمتين سياسيتين فى وقت واحد :

الاتحاد الاشتراكى منظمة جماهيرية واسعة ، عضويته فى ذلك الوقت ٤٫٨٧١٫٥٦٢ والتنظيم الطليعى [الجهاز السياسى] نوع من التشكيل الحزبى المحدد الحجم بطبيعته يستهدف تنظيم طليعة من العناصر الاشتراكية وفى تحديد مهمة كل من التنظيمين يقول **لطفى الخولى** : « مهمة الاتحاد الاشتراكى الاساسية تتحدد فى أن يعالج حالة اللامبالاة السياسية بين اعضائه والتى تصيب المواطنين عادة نتيجة التقوقع الذاتى ، وهو تنظيم واسع ، مرن ، يتسم نشاطه بنوع من التقسيم الفئوى للفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية . فى حين أن الجهاز السياسى تنظيم ضيق ، محكم ، يتسم نشاطه أساسا بالشمول العام ـ تنعدم بين أعضائه نتيجة مستوى الوعى العام الفروق بين العمال والفلاحين والمثقفين ، وتقوم فيه العضوية على أساس التزامات محددة بدقة بحيث يصبح العمل السياسى الثورى مهنة أصيلة وجوهرية لكل عضو فى الجهاز » .

وعن الضمانات التى تتحقق من وجود منظمتين ذكر **لطفى الخولى** أن « هذه الثنائية تحول ـ موضوعيا ـ دون قيام البورجوازية بالتسلط على أجهزة التنظيم السياسى ، ككل ، وتسويد فكرها ومصالحها ، نتيجة لقراراتها الخاصة وامكانياتها الذاتية ـ التى لم تصف بعد نهائيا كما حدث ـ مثلا ـ بالنسبة للاتحاد القومى من قبل ، فهنا يقف الجهاز السياسى ـ كقوة حارسة ، واعية ، ضد التطلعات البورجوازية . وهى من ناحية أخرى تقدم ضمانا موضوعيا لعدم تحول الجهاز السياسى الى فئة سياسية بيروقراطية متحكمة تنعزل عن الشعب ، ذلك نتيجة ارتباط الجهاز السياسى باستمرار مع الاتحاد الاشتراكى والحركة الشاملة لتحالف قوى الشعب العاملة »

وردا على الانتقادات القائلة بأن الاتحاد الاشتراكى هو حزب واحد يحجر على حرية الرأى . أوضح المرحوم الدكتور **محمد الخفيف** أن « هذا التحالف ليس حزبا جديدا فهو لا يمثل مصالح أو سيادة طبقة معينة فى مواجهة باقى الطبقات . وهو أيضا ليس بالجبهة التى تتكون من أحزاب مختلفة من أجل تحقيق هدف مرحلى مشترك أو ضد خطر مشترك ـ وانما هو تنظيم يجمع جماهير الشعب العاملة حول هدفين هما صيانة الاستقلال ، وعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ظل علاقات اشتراكية .

ويقول ايضا : لن يحول قيام تنظيم سياسى واحد دون تعدد الاراء ، ولكن ، بشرط أساسى ، انها ستعدد حول كيف نبنى الاشتراكية لا حول هل نبنى الاشتراكية أم تعود الرأسمالية [٢] .

وأولت الطليعة اهتماما خاصا لتنمية الحياة الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى العربى وركزت فى هذا الاتجاه على المحاور الثلاثة التالية :

[١] ميشيل كامل ـ الطليعة عدد ٢ عام ١٩٦٥ م
[٢] د. محمد الخفيف ـ الطليعة عدد ٢ عام ١٩٦٥ م

١ ـ **جماعية القيادة**

٢ ـ حرية الكلمة أى حرية الفكر

٣ ـ **ممارسة النقد والنقد الذاتى**

وحظيت قضية بناء التنظيم الطليعى ، باهتمام **الطليعة** وتركيزها على أساس « ان بناء التنظيم الاشتراكى القائد هو اليوم الحلقة الرئيسية لتوفير الضمانات لنجاح العمل الوطنى وتدفقه واستمراره » [٣] .

ومن أجل تدريب وتثقيف القيادات التى تبرز فى صفوف الاتحاد الاشتراكى وتنضم الى صفوف التنظيم الطليعى دعت الطليعة الى ضرورة توفير معاهد ومدارس ينشؤها الاتحاد الاشتراكى لتدريس كل ما يتصل بمرحلة البناء الاشتراكى . وعالجت **الطليعة** على أسس موضوعية وسائل اختيار العناصر التى يتم ترشيحها لهذه المدارس واقترحت المعايير التالية :

١ ـ ان تكون مجالات العمل هى المصدر الذى يجب ان ينتقى منه المعهد طلبته .

٢ ـ ان يكون الاختيار اساسا من مجالات عمل الفلاحين والعمال

٣ ـ ان يوضع من الاسس ما يضمن ان يكون الطلبة من العاملين الجادين الصالحين للقيادة ، فليست المسألة اعداد ارستقراطية فكرية أوتثقيف شلل أو مجموعات وانما هى اعداد القوة الضاربة لعملية التغيير الذى يقوم بها التحالف الثورى لقوى الشعب العاملة [٤] .

مسيرة متعثرة

ولكن الشهور تمضى . ولا يبدو فى واقع الحياة ان الجهود الكبيرة التى بذلت لتحريك الاتحاد الاشتراكى وزيادة فاعليته قد أثمرت . وفى عدد من المقالات والبحوث تحدد **الطليعة** الامراض التى يعانى منها الاتحاد الاشتراكى على النحو التالى :

١ ـ فتح الباب واسعا لعضوية الاتحاد الاشتراكى أدى الى تسرب بعض العناصر التى لا تتمشى مصالحها مع بناء الاشتراكية الى بعض أجهزة الاتحاد الاشتراكى .

٢ ـ عدد من الاعضاء نجحوا فى الانتخابات ، وصاروا أعضاء فى لجان العشرين ، لا لانهم عناصر قيادية ، بل لاشتراط انتخاب عشرين مرشحا .

٣ ـ استيلاء عدد كبير من المسئولين فى القطاع الادارى التنفيذى على عضوية اللجان فى مواقعهم .

٤ ـ عدم انعقاد مؤتمرات الاقسام والاكتفاء فقط باجراء الانتخابات للمستوى الاعلى دون تجربة مشتركة أو معرفة أو تفاعل .

٥ ـ عدم وضوح الاسس التنظيمية والسياسية التى تنظم العلاقة بينها وبين اللجان النقابية وأعضاء مجلس الادارة المنتخبين .

٦ ـ تشكيل المستويات القاعدية والوسيطة على أساس جغرافى ، بينما تشكيل القيادة العليا على أساس نوعى .

٧ ـ تشكيل الاجهزة القومية المركزية على أساس الامانات الفرعية للعمل فى قطاعات ضيقة خلق نوعا من الحلقية والشللية ، واعتبار كل مجموعة منظمة قائمة بذاتها .

٨ ـ استسهال الاساليب الادارية فى عملية تكوين التنظيم نفسه وتفشى البيروقراطية التى نقلها الى الاتحاد الاشتراكى انتداب مئات من موظفى الدولة للقيام بجميع الاعمال الادارية والتنظيمية بمختلف مكاتب الاتحاد وأماناته .

٩ ـ نقص الاجهزة والخبراء المتخصصين داخل الاتحاد .

١٠ ـ عدم التوصل الى تكوين الجهاز السياسى الذى يضم الطليعة الاشتراكية داخل الاتحاد الاشتراكى .

١١ ـ مقاومة جهاز الدولة كل محاولة من جانب التنظيم السياسى لممارسة سلطاته السياسية عليها والتدخل المباشر وغير المباشر فى شئونه .

وفى سبيل تخليص الاتحاد الاشتراكى من السلبيات التى تعوق انطلاقه وفاعليته دعت الطليعة الى :

١ ـ ضرورة اعادة النظر فى عضوية الاتحاد الاشتراكى ، على أساس أن تكون عضويته شرف تكتسبه فقط العناصر الايجابية والنشطة من أبناء تحالف قوى الشعب العامل .

[٣] حسين شعلان ـ الطليعة عدد ٢ عام ١٩٦٥ .
[٤] د. محمد الخفيف ـ الطليعة عدد ٢ عام ١٩٦٥ .

٢ ـ **ضرورة تعديل التعريف الذى وضعته لجنة المائة للعامل والفلاح ، بحيث يصبح العامل هو كل من يعمل بيده ولا يملك وسيلة للعيش غير قوة عمله ، والفلاح هو من يزرع أرضا لا تزيد عن خمسة أفدنة ملكا أو حيازة .**

٣ ـ **اعـــادة النظر فى التحديد الاجتمـاعى للرأسمالية الوطنية التى تدخل فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة بحيث تتطهر من كل العناصر البيروقراطية والطفيلية وخاصة فى مجالات الريف والتجارة ، والمقاولات والتشييد التى أثبتت التجربة عداءها للتطور الاشتراكى والوحدة الوطنية .**

٤ ـ **التركيز على تكوين الجهاز السيـاسى للاتحاد الاشتراكى كحزب طليعى قيادى لتحالف قوى الشعب العامل فى جميع مواقع النضال .**

واقترحت الطليعة أن يكون العام الرابع عشر من أعوام الثورة عـــام [٦٥ ـ ٦٦] هو عـــام التنظيم : عام تركز فيه على استكمال بناء وفاعلية وتوحيد كل القوى الاشتراكية من خلاله . عام تطهير التنظيم من العناصر الطفيلية والمعـادية وبنائه على معيار موضوعى هو حصيلة مواقفها السياسية والفكرية والاجتماعية منذ التحـول الاشتراكى عام ١٩٦١ . عام تمكين التنظيم فكريا وعمليا من أن يسود ويوجه كل أجهزة المجتمع والسلطة .

ودعت **الطليعة** [٥] أن تقوم كل وحدة بعقد مؤتمرها الموسع ومناقشة عملها الاقليمى بما تراه من ايجابيات وسلبيات واقتراحات العلاج . وأن يصب كل ذلك فى الامانات الفرعية والامانة العامة خلال شهرين ، ثم يعقد مؤتمرا تنظيميا متفرغا لمدة أسبوع أو أسبوعين تعد له لجنة تحضيرية ويكون من حق كل عضو أن يقدم رأيا للمؤتمر .

وقبل أسابيع من هزيمة ٦٧ ، وكان النقـد للاتحاد الاشتراكى قد أصبح واسع المدى بين صفوف أعضائه والجماهير عامة ، دعت **الطليعة الى ممارسة النقد والنقد الذاتى على نطاق واسع للكشف عن مصادر الضعف والقصور .**

ماذا فى المـرحلة الثانيـة ؟

وجاءت التجربة المريرة التى عاشها الشعب المصرى ، خلال عدوان ١٩٦٧ والهزيمة ، ثم ما كان من أمر الحركة الجماهيرية التلقائية المذهلة يومى ٩ ، ١٠ يونيو ، لتضع نهاية مرحلة كاملة من حياة الاتحاد الاشتراكى .

وبعد أيام قليلة من هذه الاحداث تطرح **الطليعة** فى عدد يوليو ١٩٦٧ القضية على النحو التالى :

« اذا كانت الجماهير قد تجاوزت فى حركتها حدود كل التنظيمات السياسية والنقابية القائمة ـ فان على الاتحاد الاشتراكى أن يعيد بناء نفسه ليتجاوب بنجاح مع حركة الجماهير الواسعة ، وذلك بالكيفية التى تدعم وحدة الشعب العامل وتحولها الى حقيقة ملموسة .

واذا كانت الجماهير قد أبدت يقظة عالية وقدرة على الفهم والحركة فى ٩ يونيو ـ فان التنظيم السياسى الطليعى يجب أن يبنى على صـورة الجماهير الشعبية ومثالبها ـ اذا صح هذا التعبير ليحتضن الطلائع من أبناء الشعب وأقدرهم على خدمة قضايا تقدم الثورة واستمرارها [٦] .

واسهاما فى الحوار الواسع الذى عاشته البلاد فى الفترة ما بين هزيمة ٦٧ واعلان **بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨** والاستفتاء عليه ، فتحت **الطليعة** صفحاتها لحوار واسع بين الكتاب والمثقفين والعمـال والفلاحين ، حول الموقف فى ذلك الوقت ، وتحديد الابعاد المختلفة لزوايا الرؤية للقوى الاجتماعية المختلفة وآرائها وتطلعاتها واقتراحاتها .

وجمعت **الطليعة** شهادات واقعية من العمال والفلاحين والمثقفين ونشرتها وعلقت عليها ، كما قدمت دراسة جماعية على شكل كراسة اعدتها أسرة تحريرها .

وفى مناقشة شعار التغيير **الذى** كان مطروحا فى ذلك الوقت أكدت **الطليعة** فى كراستها [نوفمبر ٦٧] على « أنه بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعا وبلا استثناء ـ فقد ظلت قيادات الدولة والجيش والقطاع العام تنتسب فى غـالبيتها الى المثقفين والطبقـــات الـوسطى والصغيرة ، بحيث كاد الاتحاد الاشتراكى نفسه وهو مجرد تجمع ، أو تحالف ، على المستوى الوطنى ان يتحول الى حزب لتلك الطبقات ، وفى

---

[٥] عدد ٨ من الطليعة عام ١٩٦٥ .

[٦] أبو سيف يوسف ـ الطليعـــة يوليو ١٩٦٧ .

الوقت ذاته لم تصل الجهود التى بذلت لتكوين حزب اشتراكى طليعى يوحد فى صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة .

وأكدت الطليعة على أن « ركيزة كل تغيير وضمانته الاساسية تكمن فى الخط الجماهيرى الذى تلتزم به القيادة السياسية وهى تعيد بناء التنظيمات السياسية والشعبية . وعلى التنظيمات القائمة ان تثبت جدارتها وكفاءتها باستيعاب طاقات الفلاحين والعمال باعطائهم مكانهم الذى يستحقونه فعلا بحيث يعبر الاتحاد الاشتراكى عن الحلف المتين بين الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين والجنود . هذا الحلف الذى يمثل السياسة الثورية فى جوهرها [٧] .

ودعت الطليعة الى أن يعاد الاتحاد الاشتراكى مرة أخرى الى الشعب ليتحقق الميلاد الجديد - ليقول الشعب رأيه الحر فيمن يمثله من قياداته . ودعت لان يسود الانتخابات مناخ صحى يمكن الكادحين عموما وخصوصا العمال والفلاحين من ان يجدوا مكانهم داخله - وأن يمارسوا فيه حق الاختيار الحر لقياداتهم - هذا الحق الذى باتت تسنده قوة واضحة - هى قوة اليقظة القومية التى أرهفت بعد حرب يونيو بين صفوف الشعب . وعندئذ سوف يحل تمثيل العمال والفلاحين التناقضات التى حالت بين الاتحاد الاشتراكى ، ومن أن يصبح فى الواقع العملى ذلك الحلف والتنظيم الديمقراطى والشعبى الذى حدد الميثاق سماته [٨] .

وبعد اقرار **بيان ٣٠ مارس** فى الاستفتاء العام - واصلت **الطليعة** الحوار والمناقشة حول القضايا العملية للتنفيذ وضمان زرع مؤسساته خاصة الاتحاد الاشتراكى زرعا ديمقراطيا فى الحقل الاجتماعى والسياسى ، على أساس « أن اعلان بيان ٣٠ مارس والاستفتاء عليه بنعم لا يجعلان من الديمقراطية أمرا محققا على الفور ، وانما يجعلان منها أمرا ممكنا » [٩] .

وتقدمت **الطليعة** تصوراتها للمهام الجوهرية للجنة المؤقتة التى كلفت باعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، وركزت على النقاط التالية :

● **اعادة تاسيس الاتحاد الاشتراكى على** أساس العضوية الاختيارية ، وعدم التفرقة بين عضويه العاملة أو المنتسبه وعدم منح العضوية للعضو الذى لم يسدد الاشتراك ومنح العضوية للشباب الذين بلغوا سن العضوية ولاولئك الذين رفع عنهم العزل السياسى .

● التركيز على الوحدات الجماهيرية بشرط الا تقل عن ٢٠٠ عضو ، وان تشكل لجان الوحدات بنسبة عدد اعضائها - وتوحيد العمل السياسى لكل مجال عمل واحد .

● **اعادة النظر فى تعريف العامل والفلاح لضمان تمثيل حقيقى فى اطار الـ ٥٠ فى المائة .**

● **حرية الاجتماع - حرية تكوين اللجان الانتخابية - وتعنى حرية الدعاية للمرشحين ، وتعنى وهو الاهم - حرية مناقشة المرشحين وخاصة من كان منهم عضوا قياديا بالماضى ، ماذا فعل وماذا لم يفعل وكيف كان سلوكه .**

● **استبعاد مبدأ التعيين فى مؤتمرات المدينة أو انقسم وأن يتم انتخاب أعضاء المؤتمر القومى من مؤتمرات الاقسام والمراكز .**

ودعت **الطليعة** الى أن يتولى **المؤتمر القومى** اقرار خطة لتحرير الارض المحتلة باعتبار أن ذلك هو المهمة الجوهرية . وفى نهاية الدورة يكون على المؤتمر انتخاب اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لتواجه بدورها مهام القيادة العليا .

أما عن بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكى فقد أكدت **الطليعة** على أن هذا التنظيم لن يكون ولا يجب أن يكون حاصل جمع قيادات الاتحاد الاشتراكى المنتخبة ، ولكنه [جهاز جديد] داخل اطار الاتحاد الاشتراكى [يجند العناصر الصالحةللقيادة] ، وبالتالى فان آفاقه تتجاوز آفاق الاتحاد الاشتراكى .

وحددت **الطليعة** منابع ثلاثة لبناء التنظيم الطليعى :

● خلاصة التجربة السابقة لبناء التنظيم الطليعى .

---

[٧] أبو سيف يوسف - الطليعة اغسطس ١٩٦٧ .
[٨] أبو سيف يوسف - الطليعة مايو ١٩٦٨ .
[٩] د. محمد الخفيف - الطليعة نفس العدد .

● تجربة الانتخابات لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي وما كشفت عنه من عناصر قيادية تمنح كل ولائها لقضية الاشتراكية .

● العناصر التي لم تتح لها فرصة التجربة ، والتي برهنت على أن ولاءها للاشتراكية لم يهتز .

وأولت **الطليعة** اهتماما خاصا لمناقشة القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي ، وركزت على محاولة تخليصه من مظاهر الخلط بين التحالف والتنظيم الحزبي ، وطالبت بضرورة تحديد واجبات عضو الاتحاد الاشتراكي بثلاث واجبات .

١ ـ أن يعمل بالميثاق الوطني كبرنامج للعمل الوطني حتى ١٩٧٠ .

٢ ـ أن يساهم في تحقيق اهداف وسياسة الاتحاد الاشتراكي .

٣ ـ ان يلتزم بلائحة الاتحاد الاشتراكي ، ويسدد اشتراكاته المقررة .

ودعت **الطليعة** لضرورة تحديد العلاقات التنظيمية التي تربط الاتحاد الاشتراكي بمستوياته ومؤسساته المختلفة **بالتنظيم الطليعي** ومستوياته المختلفة ، وكذلك علاقة الاتحاد الاشتراكي بالمنظمات الجماهيرية [النقابات والتعاونيات والاتحادات والروابط] . ودعت الى الاخذ بفكرة العضوية الجماعية .

وطالبت الطليعة بدعم مبادرات الوحدات الاساسية بالحد من سلطة الهيئات القيادية العليا في الغاء قرارات الوحدات الاساسية .

وقبل اجراء الانتخابات لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ، كانت الطليعة قد دعت الى ندوة مفتوحة ضمت عناصر ممثلة لجميع القوى الوطنية التقدمية في التحالف ـ وكان الهدف من الندوة هو تقديم الاطار الفكري التي يمكن ـ من خلاله ـ بلورة مشروع نقاط برنامجية لمرشحي القوى الوطنية والتقدمية في التحالف ، بحيث يتم الاختيار الانتخابي على أساس موضوعي لا ذاتي ، وسياسي لا فئوي ضيق ، وليس على أساس العلاقات الشخصية أو المهنية أو الاقليمية ـ وانتهت الندوة الى النقاط التالية :

١ ـ توفير أوسع الاشكال الديموقراطية لقوى الشعب العامل دعما للجبهة الداخلية ، وتحقيقا للتعبئة الشعبية بأعلى درجاتها ، واقرارا للجماهير في حقها الاصيل في المشاركة في تقرير مستقبل الوطن .

٢ ـ أن يكون الاتحاد الاشتراكي العربي التجمع الجماهيري العريض الذي يضم الملايين من الفلاحين والعمال والمثقفين والراسماليين الوطنيين ، يبنى **بالديمقراطية** ، وينشط جو ديمقراطي يفسح المجال للنقد وللحوار الصحي بين الاراء والاتجاهات المختلفة في **اطار الالتزام ببناء الاشتراكية والحل السلمي لقضايا الصراع الطبقي كما جاء بالميثاق** .

٣ ـ أن يبنى الجهاز السياسي الطليعي من داخل الاتحاد الاشتراكي ، معتمدا على العناصر المناضلة المضحية والمؤمنة ايمانا راسخا بالقضاء على كل مظاهر استغلال الانسان للانسان .

٤ ـ اطلاق الحرية للتنظيمات الجماهيرية وفي مقدمتها الحركة النقابية والشباب والطلاب والحركة النسائية لتعمل بعيدا عن كل وصاية ادارية ، وتحشد في صفوفها بالاختيار أوسع الجماهير ، وتقيم تنظيم بنائها الداخلي على أسس ديمقراطية .

٥ ـ ضمان الا يضار أي مواطن في حريته ، أو رزقه بسبب عقيدته الدينية أو السياسية أو الاجتماعية وضمان الا يتخذ العمل السياسي وسيلة للكسب الشخصي أو لامتياز لا تقابله خدمات فعلية للمجتمع .

وبعد انتهاء عملية الانتخابات ، قدمت **الطليعة** في عدد يوليو ١٩٦٨ ـ الى المؤتمر القومي العام [الذي كان محددا لاجتماعه ٢٣ يوليو ٦٨] « دوسيه » ، كتب في اطار الشعار الذي وضعه **بيان ٣٠ مارس** وهو : الا يجب أن يعلو صوت على صوت المعركة ، ومن هنا فقد عالج الدوسيه ثلاثة موضوعات رئيسية متميزة ومترابطة معا :

١ ـ قضية تحرير الارض المحتلة وقضية العدوان الاسرائيلي الاستعماري .

٢ ـ قضية البناء الديمقراطي للتنظيمات السياسية والشعبية ومؤسسات الدولة .

٣ ـ بعض القضايا الاجتماعية التي فرضت نفسها خصوصا بعد الهزيمة العسكرية .

ففي مجال البناء الديمقراطي **حذرت الطليعة من معالجة السلبيات التي قد تظهر بالتعيين** ، أو

بالقرارات العلوية .. ومن أن يتحول الاتحاد الاشتراكي الى نوع من الحزب السياسي المغلق الذى يمثل طبقه بعينها ، وبشكل خاص فى الريف ، حيث لا يزال للراسمالية مواقع اقتصادية واجتماعية قوية ، وحذرت من أن يسعى الاتحاد الاشتراكى الى أن يحل فى الواقع العملى محل التنظيمات الجماهيرية الاخرى ، **ودعت لان تتعدد فى الاتحاد الاشتراكي المنابر والاراء ويسود الحوار المفتوح فى اطار الالتزام بالميثاق وبيان ٣٠ مارس .**

وطالبت بان يظل الاتحاد الاشتراكى باستمرار تنظيما سياسيا وثيق الارتباط بالجماهير والا يتحول الى سلطة دولة أو ان يحل محل الاجهزة التنفيذية .

واكدت على ان تكوين الجهاز السياسى لم يعد يحتمل التأجيل .

ولكن التجربة الثانية للاتحاد الاشتراكى بدات تتعثر ، وقبل ان ينقضى عام واحد على اعادة بنائه . فدعت **الطليعة** ، فى مستهل عام ٦٩ ، لجعل عام ١٩٦٩ عاما للوحدةالوطنية ، معلنة ان المشكلة الرئيسية أمام تحالف قوى الشعب العاملة ، عندنا ، هو كيف **تتمكنكل قوة منها من ان تعبر عن رأيها وتلعب دورها فى اطار التحالف** ، ومن أجل دعمه وصيانته . وهذا يعنى التسليم بضرورة الاختلاف فى الرأى ، أو ، بعبارة أخرى ، بضرورة الصراع الفكرى . **ان تحالف قوى الشعب العاملة قام على مبدأ الالتزام بحل التناقضات الاجتماعية بالطرق السلمية . وجوهر الحل السلمى هو الصراع الفكرى والاقناع والاقتناع .**

وكلما انقضتشهور جديدة ، ازدادت الاوضاع داخل الاتحاد الاشتراكى تدهورا . وتكتب **الطليعة** فى فبراير ٧١ :

« ان صيغة التحالف التى تدمها عبد الناصر وهى تحالف العمال والمثقفين والراسمالية الوطنية تفترض بالضرورة ان العمال والفلاحين هم أصحاب الثقل الاكبر اجتماعيا وسياسيا وعدديا — وهى القوى الاكثر ثورية والاكثر تعلقا بالثورة وتمسكا بضرورة استمرارها . لكن الذى حدث هو ان قوى اجتماعية معينة استطاعت ، متسترة خلف شعارات الثورة ، ومستفيدة من بعض الاخطاء ، ان تقتنص لنفسها **داخل التحالف الجزء الاكبر** من السلطة ومن الفاعلية **بصورة لاتتفق لا** مع الثقل الاجتماعى ولا السياسى ولا العددى لهذه الفئة [١٠] .

ودعت **الطليعة الى مجموعة** من الاجراءات لتنشيط الاتحاد الاشتراكى ومعالجة حالة القصور البادية حينذاك .

- تنشيط الوحدات الاساسية والالتزام بدعوة مؤتمراتها
- اقرار حق سحب الثقة واعادة الترشيح والانتخاب للمواقع القيادية .
- **لا يحق للاتحاد الاشتراكي ان يفرض وصاية أو سيطرة من اى نوع على التنظيمات الجماهيرية الديمقراطية** ، وأن يقتصر **تأثيرها عليها من خلال فعالية أعضاء الاتحاد فى هذه التنظيمات** .

وفى محاولة لطرح تصور لبلورة الاتجاهات المختلفة داخل الاتحاد اقترحت **الطليعة** ان يسمح لكل فئه اجتماعية من قوى الشعب العاملة باختيار الامانات الممثلة لها — وان يحق لهذه الامانات اصدار صحف ومطبوعات تكون بمثابة منابر علنية لها .

وان هذه الامانات ، بعد تعزيزها بعدد مناسب من طلائع قوى التحالف ، يمكن ان تلعب دورا مؤثرا وبناء فى الحوار الديمقراطى ، وان تتولى بلورة اهداف القوى الاجتماعية التى تعمل فى اطارها ، وان تعبر عن وجهة نظرها فى معالجة قضايا الثورة ، وان توائم بين الاهداف الخاصة لهذه القوى ، وبين الاهداف العامة لتحالف قوى الشعب العاملة ، وان تعرف كل قوة ما لها وما عليها والمسار الذى يتعين عليها ان تسلكه لكى تحتفظ بمواقعها فى التحالف .

فالوحدة لا يمكن ان تتعزز بطمس الفروق ، ولا بان تحتل قوة مكان قوة أخرى وان تتحدث بلغتها بينما هى تحقق مصالح قوة اخرى [١١]

[١٠] د. رفعت السعيد — الطليعة فبراير ١٩٧١ .
[١١] محمد حلمى ياسين — الطليعة فبراير ١٩٧١ .

الاتحـــاد الاشتراكى بعد حركة التصحيح

وانفجرت ازمة مايو ١٩٧١ وتقرر اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بطريق الانتخاب للمرة الثالثة — فى اطار حركة التصحيح .

وبقدر ما تعددت وتنوعت المقترحات الخاصة باعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بما يكفل تمثيله الحقيقى للقوى الاجتماعية المختلفة — بقدر ما توحدت نقطة البدء وهى ان الاتحاد الاشتراكى من الناحية النظرية هو الصيغة الملائمة للوحدة الوطنية ، ولا يعيب هذا ان الاتحاد الاشتراكى يعاد تشكيلة للمرة الثالثة فى غضون تسع سنوات .

وكتبت الطليعة فى يوليو ١٩٧١ « الحلقة الرئيسية ونقطة البدء ان نعرف ما اذا كانت علاقات القوى بين الطبقات المتحالفة فى الاتحاد الاشتراكى تؤمن للفلاحين والعمال الشروط الضرورية ليشاركوا مشاركة متزايدة فى السلطة — هذه المشاركة التى كانت هدف بيان ٣٠ مارس ، عندما تحدث عن اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ومؤسسات السلطة بوسيلة الديمقراطية » [١٢] .

واكدت على ان الضمان الوحيد لحرية التعبير والصراع السلمى بين قوى الشعب العاملة يتطلب **ان تتاح لكل فئة اجتماعية ان تعبر عن نفسها فكريا وتنظيميا ، وبشكل شرعى من خلال منابر داخل الاتحاد الاشتراكى فى نطاق الالتزام بالميثاق .**

وفى هذه المرحلة أيضا نقدت الطليعة نقدا صريحا السلبيات التى لازمت تكوين ونشاط « التنظيم الطليعى » وكان من ابرزها :

١ — ان التنظيم الطليعى ولد فى نطاق السرية . وهى سرية لم يكن هناك مبر لاستمرارها . وادى هذا الى أن يتكون التنظيم الطليعى بعيدا عن رقابة الجماهير .

٢ — ولد التنظيم الطليعى مرتبطا — من أعلى — بقيادات الاجهزة التنفيذية . وقد أدى هذا الى حرمان التنظيم من أن يجند اعضاءه وفقا لمبدأ الاختيار الحر . وعلى العكس امتلا التنظيم بكثير من العناصر الوصولية والنفعية .

٣ — ان غياب الديموقراطية فى داخله جعل السلطة فيه للشلل والتكتلات ، ومن المعروف أن منطق الشلة هو — فى الغالب — منطق الاجراءات الاستثنائية لا منطق الشرعية الحزبية .

٤ — عجز التنظيم الطليعى عن أن يوحد فى داخله كل مدارس الفكر الاشتراكى . وابدى قادته تحفظات بازاء تواجد الماركسيين فيه ثم ما لبثت هذه القيادات أن استبعدت الغالبية الساحقة من الماركسيين الذينكانوا قد قبلوا فى صفوفه [١٣] .

وكان الاتحاد الاشتراكى قد شهد فىمستهل عام ١٩٧٢ اكبر محاولة فكرية لتحديد ماهيته وأهدافه وأسلوب عمله ، ونشرت **الطليعة** على امتداد ثلاثة اعداد متوالية ، النصوص الكاملة لمشروع ورقة العمل التىقدمها المهندس **سيدمرعى** السكرتير الاول للجنة المركزية فى ذلك **الوقت** ، ونص محاضر جلسات لجنة العمل واللجنة السياسية ولجنة الدعوة والفكر واللجنة الفرعية للادباء والفنانين واللجنة الفرعية للشباب ولجنة الفلاحين والتقرير الختامى للسكرتير الاول للجنة المركزية ، على ضوء ما انتهت اليه لجنة العمل . ونشرت **الطليعة** من كل مجموعة من المحاضر تعليقات لكتابها حول المناقشات ، بالاضافة — طبعا — الى آراء أولئك الذين شاركوا فى المناقشة من كتابها .

لقد كشفت نصوص المناقشات ، التى نشرت ، عن أن تضية التنظيم السياسى هى مشكلة المشاكل بالنسبة للتجربة المصرية . وأنه بعد مرور عشر سنوات على أول انتخابات اجريت لبناء الاتحاد الاشتراكى — **ما زال هناك الكثير من الغموض والخلاف حول طبيعته وسلطاته وحدود علاقاته بالمؤسسات الدستورية والسياسية والمنظمات الجماهيرية الاخرى** . وان هناك اسئلة كثيرة فى هذا الشأن قد طرحت ولم تجد اجابة متفق عليها .

وكانت هناك أربعة اتجاهات اساسية فى هذه المناقشات الواسعة :

---

[١٢] ابو سيف يوسف — الطليعة يوليو ١٩٧١ .

[١٣] الطليعة : بناءالاتحادالاشتراكى بالديمقراطية — عدد يوليو ١٩٧٢ ص ١٨ .

١ ـ اتجاه يريد ان يجرد صيغة التحالف من أساس قيامها ويهدف بذلك الى العودة الى صيغة الاتحاد القومى .

٢ ـ اتجاه يحاول تحت سيل من الشعارات والجمل الرنانة الاستمرار فى الاوضاع القائمة .

٣ ـ اتجاه ثالث يحاول ، بالاستناد الى تجارب السنوات السابقة ، التمسك بصيغة التحالف على أساس أنها مازالت صحيحة ، وقدم افكارا ومقترحات تهدف اعادة تنظيم الاتحاد ومستوياته وعلاقاته الداخلية ، ومع المنظمات الجماهيرية والسلطة التنفيذية . وعلى محور أساسى هو المناخ الديمقراطى العام وحرية التعبير لكل قوى اجتماعية داخل التحالف .

٤ ـ اتجاه رابع يرفض صيغة الاتحاد الاشتراكى من أساسها ويتجاوزها الى ضرورة قيام تنظيمات حزبية تتحد فيما بينها فى جبهة .

وبين كتاب **الطليعة** الذين أسهموا فى هذه المناقشات أو علقوا عليها كان هناك اتجاهان واضحان :

● اتجاه يقول بفشل الصياغة الراهنة للتحالف ، ولم تجد الاصلاحات الجزئية التى سبق أن أجريت ، المرة تلو المرة ، فى عمليات اعادة البناء السابقة ـ بل زادت الامر تعقيدا ـ مما يقتضى التصدى لمشكلة الاساس بالجراة اللازمة ونبذ المنهج التجريبى الاصلاحى .

ودعا هذا الرأى الى الاقرار بشرعية المصالح ، والاتجاهات الفكرية والسياسية للطبقات والفئات المختلفة ، وحقها فى التعبير عن ذاتها وهذا الحق الذى يتضمن بالضرورة :

● حرية التعبير للطبقة أو الفئة الاجتماعية ككل وليس فقط الافراد .

● حق التنظيم المستقل داخل اطار التحالف لكل قوة من قوى التحالف ـ لان اى حديث عن حرية التعبير اذا لم يتجسد فى حق تشكيل التنظيمات الخاصة يصبح لغوا لا معنى له ـ وفى اطار التحالف يحق لكل انسان وطنى ان يناضل ويضحى او يستشهد تحت الراية التى يختارها .

اما **الاتجاه الثانى** فقد اكد على ان صيغة الاتحاد الاشتراكى كتعبير عن تحالف قوى الشعب العامل مازالت صحيحة من الناحية النظرية .

ففى مناقشات اللجنة السياسية [١٤] حول قضية السلطة ، اوضح **لطفى الخولى** ان التنظيم يتم تكوينه اما فى المعارضة من اجل اسقاط الحكم القائم والاستيلاء على السلطة ، او يتم تكوينه بعد الاستيلاء على السلطة لممارسة السلطة .

وانتقد استخدام تعبير السلطة كتعبير لغوى يعنى السيطرة والاستبداد ، وليس كتعبير سياسى ، يهدف الى ترجمة اهداف التنظيم ترجمة عملية ، بعد ان يقتنع بها الجماهير ـ والتنظيم الذى لايمارس السلطة تنظيم فاقد لمبرر وجوده .

ومن هنا تصبح القضية هى ما هى السلطة المطلوبة ؟ وكيف يمكن ان تمارس السلطة ـ وفى الاجابة على هذا التساؤل : حدد ان يصبح التنظيم السياسى مصدر القرار الاساسى لتوجيه المجتمع بجميع اجهزته : من حكومة وبرلمان ونقابات ومؤسسات الخ . وذلك من حول خط معين ـ يقرره التنظيم السياسى من خلال بلورته الديمقراطية لاراء الشعب . ثم يتابع التنظيم السياسى باجهزة معروفة تماما فى كل تنظيم سياسى لمتابعة امكانيات هذا التنفيذ » .

وفى اجتماع اللجنة الفرعية للدعوة والفكر [١٥] لمناقشة ورقة العمل ركز **ابو سيف يوسف** على قضية السلطة بقوله « السلطة فى اى مجتمع هى فى النهاية تعبير عن قوة او طبقة او طبقات اجتماعية . وهذا التعبير يتخذ شكله التنظيمى والسياسى فى شكل حزب او جبهة تضم عددا من الاحزاب ـ والاتحاد الاشتراكى ـ وفقا للميثاق ـ هو الصيغة التى تضم تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية . وبهذا يكون الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة التى تمثل السلطة السياسية العليا لتحالف هذه الطبقات . وهذه السلطة هى التى توجه مجموع العمل الوطنى كله ، وهى ـ بالتالى ـ

---

[١٤] محضر اجتماع اللجنة الفرعية للشئون السياسية ٢٦ مارس ١٩٧٢ ـ الطليعة عدد ٥ عام ١٩٧٢ .
[١٥] محضر اجتماع اللجنة الفرعية للدعوة والفكر ١٩٧٢/٢/٢٩ ـ الطليعة عدد ٦ عام ١٩٧٢ .

توجه السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . وهذه القضية يجب ان تواجه بصراحة . لان عدم الاعتراف بها ، يوقعنا فى اخطار شديدة فى مقدمتها : فقدان او غياب القيادة السياسية مع ما يرتبط بهذا بالضرورة من ظهور مراكز سياسية موازية فىالاجهزة الاداريةاو التشريعية ومع ما يترتب على ذلك من انهيار حتمى لفكرة التحالف .

واوضح **ابو سيف يوسف** فى تناوله لمسألة السلطة انه علينا الا نخشى من قيام الاتحاد الاشتراكى كسلطة حتى ولو اساءت التصرف . لان البديل هو فقدان القيادة السياسية لمجموع العمل الوطنى وهذا اخطر . اما ان الاتحاد الاشتراكى قد يسىء استخدام السلطة ، فان هذا امر وارد ولكن علاجه لايتأتى برفض سلطةالاتحاد الاشتراكى ،وانما يتم من خلال البناء الديمقراطى الصحيح للاتحاد الاشتراكى ، ومن خلال تصحيح اخطائه ومن تعبيره المشروع والدائم عن حركة القوى الاجتماعية الداخلية فيه . واما قيادته لمجموع العمل الوطنى ولكافة المؤسسات فهى قيادة سياسية فى المحل الاول — لا تتطلب منه ان يتدخل تدخلا يوميا فى اعمال السلطة التنفيذية والتشريعية ، ولكنه يستطيع ان يوجه السلطة التنفيذية والتشريعية من خلال قدرته على تحريك اوسع الجماهير وتكوين راى عام مستنير يستطيع ان يراقب ويحاسب . — ان اى فكرة تذهب الى ان الاتحاد الاشتراكى لايمثل السلطة السياسية العليا ، تنتهى بالاتحاد الاشتراكى الى تنظيم منافس للتنظيمات النقابية والمهنية وهذا امر لا يخدم الاتحاد الاشتراكى ولا يخدم التنظيمات الجماهيرية .

• • •

وفى التقرير الذى تدمه **لطفى الخولى** الى لجنة العمل [١٦] التى كانت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى قد شكلتها لدراسة تطوير الاتحاد الاشتراكى — لم يكتف بتحديد القواعدالسياسية والتنظيمية العامة التى يتعين ان يلتزم بها الاتحاد الاشتراكى فى عمله — وانما قدم اقتراحات مفصلة عن اشكال التنظيم التى يؤدى الاخذ بها الى نهوض حقيقى فى نشاط الاتحاد الاشتراكى .

قواعد سياسية لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى

وحدد التقرير خمسة قواعد سياسية لتحكم حركة الاتحاد الاشتراكى :

أولا : ان الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم السياسى الوحيد فى مصر — ومن هنا فانه مسئول عن ان يوفر المناخ والمنبر ، والاداة السياسية لكل القوى الاجتماعية ولجميع المواطنين الراغبين فى ممارسة العمل السياسى دون استثناء .

ثانيا : ان الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة التنظيمية لتحالف سياسى — اجتماعى بين ثلاث قوى اجتماعية محددة هى : الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية . فضلا ، عن فئتين متميزتين بحكم طبيعتهما الخاصة ووزنهما بدور اساسى فى حياة البلاد وتتمثل داخلهما القوى الاجتماعية الثلاث ، وهما المثقفون والجنود .

ثالثا : التحالف السياسى — الاجتماعى بين قوى الشعب العاملة على اساس :

١ — حماية الاستقلال الوطنى السياسى والاقتصادى .

٢ — تحويل المجتمع من مجتمع زراعى متخلف الى مجتمع صناعى زراعى متقدم وذلك من خلال خطة تنمية شاملة ، ذات اسس واهداف اشتراكية . وترعى — فى نفس الوقت — مصالح الرأسمالية الوطنية .

٣ — الاعتراف بالاختلافات والتناقضات الاجتماعية بين قوى التحالف المكونة للاتحاد الاشتراكى ، والاتفاق على ان الاسلوب لمعالجة هذه التناقضات هو الاسلوب السلمى لا اسلوب العنف وذلك من خلال مناخ ديمقراطى .

٤ — تأكيد الوزن الخاص للعمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ على الاقل على ان يكتسب وزنا نوعيا بالترشيد السياسى من اجل ان تكون ممارسة واعية ومدركة لمصالح الامة ككل لا للمصالح الاقتصادية الفئوية الضيقة .

رابعا : يحتضن الاتحاد الاشتراكى افكار

[١٦] انظر محضر اجتماع لجنة العمل ١٥ ابريل ١٩٧٢ — الطليعة عدد ٦ عام ١٩٧٢ .

واتجاهات جميع القوى المتحالفة ، وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديمقراطيا . مع تحديد اهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعيـــة وترتيب اولياتها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومى الشامل .

خامسا : يجب على الاتحاد الاشتراكى بوصفه الرأس المفكر فى العمل السياسى عدم مصادرة الحركة الذاتية للنقابات والمنظمات الوطنيـــة فى مجالاتها الخاصة ــ ولكنه فى نفس الوقت لابد ان يرتبط بها ويعمل على تنسيق حركتهـا مع حركته من خلال اعضائه المشتركين فى هـذه النقابات .

قواعد تنظيمية لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى

أولا : ضرورة ان تكون العضوية بالاختيار .

ثانيا : الغاء العضوية المنتسبة . فالانتساب يكون للحزب ولايكون للتحالف ،ونحن نقول ان الاتحاد ليس حزبا .

ثالثا : ضرورة الاخذ بمبدأ العضوية الجماعية للمنظمات والنقابات التعاونية والجماهيرية على ان تنتخب كل منظمة من هذه المنظمات ممثليها مع ضرورة الاخذ فى الاعتبار الا تقل نسبة العمال والفلاحين عن ٥٠٪ .

رابعا : تقبل جميع العناصر فى عضوية الاتحاد الاشتراكى بشرط قبولها لوثائق الثورة الاساسية والتزامها بالقانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى .

خامسا : ضمانات منح العضوية وسحبها يجب ان تكون سياسية . وتتمثل فى الالتزام بمواثيق الثورة واتجاهاتها وقراراتها وقواعد القـانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى . وان يؤكد القانون الاساسى ــ الذى يجب ان يعدل ــ على حصانة المناقشات فى الاجتماعات التنظيمية ــ وتنظيم اجراءات منح العضوية وسحبها .

ودعا هذا الاتجاه ايضا الى تأكيد دور الوحدة الاساسية بعقد مؤتمرها بصفة دورية ، وتأكيد حق عقد مؤتمرات المستويات المختلفة اذا رأت اغلبية معينة ذلك ، وحق الجماهير فى سحب الثقة من أى مسئول ، وان يـكون تصويتها الحر نهائيا ، وان يسمح لكل الاراء ان تعرض بنفس القدر وأن يكون للاقلية دائما حق الدفاع عن رأيها .

وكانت آخر اشارة فى الطليعة للتنظيم السياسى . ما تضمنته ورقة العمل المقدمة لندوة « ٦ اكتوبر انتصــار لــه مغـزاه السياسى والعسكرى » [١٧] ، برغم الحماس الوطنى الضخم للجماهير فى الوطن العربى ومساندتها لجهد قواتها المسلحة الا انها ظلت ــ فى آخر الامر فى موقف المتفرج ومجرد المؤيد لمعركة تخوضها القوات المسلحة ــ وكان [غياب] التنظيم السياسى محسوسا .

فاذا حاولنا ــ بعد ذلك ــ أن نحدد المحاور الرئيسية التى دارت حولها مواقف كتاب **الطليعة** فيما يتعلق بالاتحاد الاشتراكى ، والمهام الوطنية والاجتماعية المنوطة به ، والشروط الجوهرية التى تضمن له الفعالية السياسية من أجل توحيد الطبقات الاجتماعية والقوى صاحبة المصلحة فى استمرار الثورة ، قلنا ان تلك المحاور كانت كما يلى :

١ ــ أن يعبىء الاتحاد الاشتراكى الجماهير الشعبية بالديمقراطية من أجل الدفاع عن الاستقلال السياسى والاقتصادى ومن أجل مواصلة التحولات الاجتماعية التقدمية

٢ ــ أن يمكن الاتحاد الاشتراكى القوى الاجتماعية الداخلة فيه من أن تعبر عن نفسها من خلال منابرها الخاصة .

٣ ــ ان يقود تحالف قوى الشعب العامل فى داخل الاتحاد الاشتراكى تنظيم اشتراكى يهتدى بالاشتراكية العلمية ، ويتكون من قيادات اشتراكية وهبت حياتها لقضية التحول الاشتراكى .

٤ ــ ضرورة وضع تعريف علمى سليم للعامل والفلاح يمنع أى التباس ، ويضمن تواجد الممثلين الحقيقيين للعمال والفلاحين .

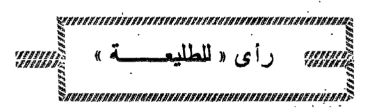
٥ ــ اعادة النظر فى التحديد الاجتماعى للرأسمالية الوطنية بما يستبعد منها الفئات الطفيلية والبيروقراطية والمعارضة لخط التحول الاشتراكى .

٦ ــ ضرورة ان تكون العضوية فى الاتحاد الاشتراكى اختيارية . وضرورة ان ترفع وصاية الاتحاد الاشتراكى عن المنظمات الجماهيرية .

[١٧] الطليعة ــ عدد يناير ١٩٧٤

والغاء كافة القيود التى تجعل من عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا لممارسة العضوية فى النقابات العمالية والمهنية وكافة المنظمات الاجتماعية والديموقراطية .

واخيرا فقد حددت الطليعة طوال عشر سنوات ــ تقريبا ــ انه بدون أن توضع هذه الشروط وضعا جادا ، فسوف تظل قضية التنظيم السياسى غير محلولة فى جوهرها .



ملاحظات أولية على ورقة التطوير

الاتفاق أو الاختلاف مع كل ، او بعض ، ما جاء فى ورقة مناقشة خطة تطوير الاتحاد الاشتراكى العربى لا يغير من اهم الحقائق التى تتصف بها « الورقة » : **وهى أنها أول تقييم من أعلى قيادة للاتحاد الاشتراكى تتبنى فيه الكثير من النقد « الشعبى » الذى وجه الى تجربة الاتحاد الاشتراكى : بنائها التنظيمى وأسلوب ممارستها** ، وهو الامر الذى يعطى لمحاولة التطوير هذه المرة أهمية خاصة ، والا فقدت الجماهير ثقتها نهائيافى تجربة الاتحاد الاشتراكى .

وليس من شك فى أن كل القوى الحريصة على الوحدة الوطنية الصلبة ــ من اجل تحرير الارض وبناء الاقتصاد القومى على أسس مستقلة وتقدمية ، هذه القوى انما ترحب بالاتجاهات الديموقراطية فى ورقة التطوير ، التى تمثلت فى :

ــ العضوية الاختيارية .

ــ بدء رفع وصاية الاتحاد الاشتراكى عن المنظمات الجماهيرية .

ــ فتح الطريق أمام قيادات هذه المنظمات لكى تتواجد فى القيادات العليا للاتحاد الاشتراكى .

ــ رفض مصادرة الاراء المعارضة تحت ستار « الالتزام » .

ــ الاعتراف بان للاراء المختلفة والمتعارضة الحق فى أن تعبر عن نفسها من خلال منابرها .

تبقى بعد ذلك بعض ملاحظات :

● فعلى الرغم من أن الحلقة الاساسية فى ورقة التطوير هى التأكيد على فكرة تحالف قوى الشعب العامل : من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية ، وهى فكرة لا خلاف حولها بين كل القوى الوطنية التقدمية ، الا أن الورقة تلاحظ منذ البداية **أن أهم أخطاء الاتحاد الاشتراكى لا ترجع الى قصور فى الجوهر [وهو فكرة التحالف] ولكن الى عيوب فى التطبيق .**

والحقيقة ، أن مأزق الاتحاد الاشتراكى الذى أوصله الى طريق مسدود هو قبوله لفكرة التحالف نظريا ــ وتجاهلها تماما من الناحية العملية . ولم يكن القصور متعلقا بمسألة شكلية ، ولكن باهدار أهم أسس التجربة ، وهى أن الاتحاد الاشتراكى « يمثل بتنظيماته القائمة ، على اساس مبدأ الديموقراطية ، تحالف قوى الشعب العامل : من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية » .

وفى ظل هذا التجاهل الذى مارسته غالبية قيادات الاتحاد الاشتراكى لم يعد للالفاظ اى معنى

محدد . فأنت لا تعرف من الذى يمثل الفلاحين ومن الذى يمثل الرأسمالية الوطنية ، أو من هو الفلاح ومن هو الرأسمالى الوطنى ؟ ومن هو العامل ومن الذى يقحم نفسه ليمثل العمال . أكثر من هذا ، فان حماية الوحدة الوطنية ربما باتت تفرض أن يوضع تعريف محدد للرأسمالية الوطنية يفرز من صفوفها القوى والعناصر الطفيلية من الرأسمالية . وهى مهمة لم تعد تحتمل اى تأخير .

وفيما عدا بعض الاستثناءات ، كاد التمثيل الطبقى لمختلف الفئات يحدد بالاوامر والتعليمات ، حتى لقد اختلطت الامور ولم يعد الاتحاد الاشتراكى - عمليا - حزبا أو جبهة أو تحالفا من اى نوع .

ولذلك فان الحديث عن أهمية تمثيل الاتجاهات السياسية المختلفة ، فى قيادة الاتحاد الاشتراكى [فى ورقة التطوير] هو التحديد الدقيق لجوهر قصور الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة السابقة ، وهو الذى يمكن ان يؤدى ، فى المستقبل ، الى بداية وضع الاتحاد الاشتراكى على الطريق الصحيح ، وذلك على شريطة أن نهتدى الى الصيغة الصحيحة لعلاج هذا القصور .

● بعد ذلك ، يظل شىء من الغموض يحيط بأسلوب تحقيق تمثيل الاتجاهات المختلفة فى قيادة الاتحاد الاشتراكى كما تعرضه ورقة التطوير .

والمعروف - حتى الان - أن الشكل الامثل دائما هو وجود ممثلين معترف بهم لاحزاب ، أو تنظيمات معترف بها فى قيادة التحالف الشعبى ، أو الجبهة ، أو ما شابه ذلك من مسميات . لكننا نتساءل - فى حالتنا المحددة - كيف يمكن الوصول الى ممثلين حقيقيين لهذه التيارات السياسية دون وجود أحزاب أو تنظيمات ؟

اليس من المحتمل بناء على تجاربنا السابقة أن تتولى الجهات ذات النفوذ التقليدى بوسائلها المعرفة تحديد هؤلاء الممثلين بناء على تصورها الخاص لهذا التمثيل ؟

وفى هذه الحالة ينتهى التطوير الاساسى والهام الى نفس النتائج السابقة ، مع اضافة وثيقة جديدة لاتحترم فى التطبيق .

فى اعتقادنا انه لابد من أن تتكاتف الجهود للوصول الى صياغات واضحة وعملية عن قضية المنابر المتعددة .

● وتبت أمور أخرى تثير التساؤل فى ورقة التطوير . وأهمها رفض فكرة أن الاتحاد الاشتراكى « جهاز للسلطة »أو « جهاز للشعب » . فاذا لم يكن الاتحاد الاشتراكى فى وضعه القديم أو الجديد جهازا للسلطة او جهازا للشعب فأى شىء سيكون ؟

نخشى أن يتحول الاتحاد الاشتراكى فى هذه الحالة الى « منتدى سياسى » لا يشكل اى جاذبية للانخراط فى صفوفه ، مادام يفقد اى فعالية سياسية ، إن الخشية من فكرة الجبهة الوطنية ، وفكرة الحزب ، تدفع ببعض أفكار ورقة التطوير الى مناقضة بعضها الاخر .

فالورقة ترفض فكرة التزام الاقلية براى الاغلبية التى يؤخذ بها فى التنظيمات الحزبية ، ولكنها لا تلبث أن تصل - تقريبا - الى نفس المفهوم عندما تقول : « فاذا ما طرحت قضية على التنظيم كله وبرز من خلال المناقشات اتجاه تتبناه أغلبية واضحة ، كان على الجميع احترام هذا الاتجاه وتنفيذه دون أن يتخلى العضو فى سبيل ذلك عن رايه الخاص . ان عضو الاتحاد الاشتراكى مطالب باسم الديموقراطية أن ينحنى لرأى الاغلبية ، ولكنه غير مطالب أبدا بأن يترك رأيه عن غير اقتناع » .

وهذا - بدقة - ما تأخذ به كل الاحزاب أو التنظيمات التى تتبنى ما يسمى بفكرة المركزية الديموقراطية .

ان هناك أكثر من قضية هامة تثيرها ورقة التطوير ، فيما يتعلق بالعضوية الاختيارية والجماعية ، وفيما يتعلق بطريقة حسم القضايا بالنسبة لقيادة تمثل تيارات سياسية مختلفة ، ومتحالفة ، فى نفس الوقت .

لكن يظل لورقة التطوير ، رغم كل شىء ، فضل طرح أهم قضايا قصور التنظيم السياسى وهو عدم تمثيله لكل الاتجاهات السياسية الوطنية والتقدمية تمثيلا معبرا عن خريطة المجتمع المصرى فى المرحلة الحالية .

ومن هذه البداية نأمل الا تبتسر المناقشات ، وأن يتسع الوقت لمزيد منها ، كما نأمل أن تؤدى أوسع المناقشات الديموقراطية بين كل القوى الوطنية والتقدمية فى المجتمع الى ايجاد الصياغة التى تحقق هذا الاتجاه دون تناقضات نظرية أو تطبيقية ، ودون قيود يمكن أن تفرغ ورقة التطوير من مضمونها .

« الطليعـــة »

٢٢ عامــــا من

الاصـلاح الـــزراعى

٩ سبتمبر ١٩٥٢ :

صدر أول قانون للاصلاح الزراعى فى مصر .

وكان أول قانون ذو مضمون اجتمـاعى لثورة يوليو ، ظهرت أهميته فى أنه بدأ بتصفية القاعدة المادية لتحالف الاستعمار وكبار ملاك الارض الاقطاعيين وشـــبه الاقطاعيين .

بصدور القـــانون بدأت تطرأ تغييرات على الخريطة الاجتماعيــة فى الريف ، وازدادت هذه التغييرات وضوحا ، عندما مضت ثورة يوليو بعد عام ٦١ اجراءات الثورية تعمق قضـــية الاصــلاح الزراعى وذلك بتخفيض الحد الاعلى للملكية الزراعية

■ سبتمبر ١٩٧٤ :

ماذا سأل المرء بعد مرور ٢٢ عاما عن الحصاد النهائى للاصلاح الزراعى وجب أن نقول :

ان ماتم يغيير — على النحو المطلوب — صورة الريف — وبالتالى وضع الغالبية العظمى من الفلاحين .

والى هذا أشار «**برنامج العمل الوطنى**» الذى قدمه الرئيس **أنـــور السادات** عام ١٩٧١ . فقد جاء فى البرنامج :

« ان أسلوب الحياة اليومية لفلاحينا الذين يكونون غالبية الشـــعب لم يلحقه تغيير حقيقى ، لا فى وسـائل وأسـلوب الانتاج ، ولا فى المسكن والغذاء والصحة ولا فى تحصيله العلم والثقافة » (*)

وقدم برنامج العمل الوطنى نقاطا فنية محددة من أجل انهاض الريف :

١ ـ الاستفادة الكاملة من مياه السد العالى لاستكمال استصلاح الاراضى واستزراعها .

٢ ـ تطوير الزراعة بادخال الميكنة ووسائل الزراعة الحديثة .

٣ ـ تحسين التربة واستخدام أحدث وسائل الرى والصرف والتسميد .

٤ ـ اعادة النظر فى التركيب المحصولى ... لزراعة محاصيل تعطى أعلى عائد ممكن .

لكن هذه النقاط لا يمكن أن توضع موضع التنفيذ الا بالامساك بأهم الحلقات الرئيسية . وهذه الحلقة هى أن يعاد بناء الحركة التعاونية فى الريف ، لتقوم فى الزراعة التعاونيات الانتاجية .

فاذا وصلنا الى هذه النقطة ، عادت قضية الاصلاح الزراعى : حماية مكتسباته وتوسيعها لتطرح نفسها ـ وتلح فى الطرح ـ على أعلى مستوى سياسى واجتماعى واقتصادى من أجل توسيع الديموقراطية فى الريف لمصلحة صغار الفلاحين وعمال الزراعة ، ومن اجل حماية الارض ، والارتفاع بالانتاج الزراعى .

من هذا المنظور السياسى ، تقدم الطليعة هذه المقالات الثلاث بمناسبة مرور ٢٢ عاما على صدور أول قانون للاصلاح الزراعى .

● الاصلاح الزراعى بين عهدين :

كل الجهد لانقاذ الأرض والانتاج

عبد الخالق الشهاوى

يخطىء من يظن ان ثورة ٢٣ يوليو قد اتخذت موقعها من الفلاحين من فراغ · وانها لم تكن مسبوقة بفكر أو بمواقف سياسية واجتماعية تسعى الى الريف وتقف من مشاكله موقفا محددا وواضحا · فلقد بدأ يتضح تماما قبل الثورة ،ان النظام الملكى الاستعمارى قد أفلس ، وان افلاسه هذا كان نتيجة حتمية ومنطقية لسياسته المعادية للشعب وللتقدم ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لنضال الجماهير المعادى للاستعمار والاقطاع ·

فقد عمت الحركة السياسية كل قوى الشعب فتوالت الاضرابات العمالية والطلابية ، ودخل الفلاحون الميدان فانتشرت الهبات الفلاحية من « كفور نجم » ضد الامير محمد على الى « بهوت » ضد البدراوى عاشور الى « ابو الغيط » و « ميت فضالة » ، و « البرامون » ·

وفى الحقيقة فانه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ازدهرت الحركة الوطنية ، واتخذت مظهرا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ضد الاستعمار وعملائه فى الداخل . وكان لهذا الوعى الشعبى العارم دوره فى تأزيم النظام · فقد ظهرت تيارات وتنظيمات سياسية مختلفة تقدم الحلول الثورية للمسألة الوطنية وللمشكلة الاجتماعية · وعلى الرغم من الضعف التنظيمى لهذه التيارات ، وعلى الرغم من ضعف علاقاتها العضوية بفئات الشعب المختلفة الا أن الحركة السياسية قد أدت الى اضعاف النظام ، وارهاق حماته الذين كانوا يعبرون عن افلاسهم بمزيد من اجراءات القمع والارهاب للشعب وللقوى الصاعدة التى تسعى للتعبير عنه ·

لقد كان الملك وبطانته يسيطرون سياسيا واقتصاديا ، وكانت مخصصات الملك (١٠ مليون جنيه) تلتهم ٥ فى المائة من ميزانية الدولة فضلا عن أنه كان يملك ويسيطر على ١٠٠ الف فدان ، فى حين ان ٤ فى المائة من الملاك المتعاونين معه يملكون ٣٤٫٢ فى المائة من الارض الزراعية بينما ٧٢ فى المائة من بقية الملاك يملكون ١٣٫١ فى المائة من الارض ·

وفى مقابل التزايد المستمر فى وعى الجماهير وفى حركتها السياسية كان النظام يحاول حل المشكلة بمزيد من التركيز لاقتصاد البلاد فى أيدى قلة قليلة · وبمزيد من العدوان على حريات الجماهير وضرب نشاطها ابتداء من سن القوانين المعادية (قانون الجمعيات — قانون المشبوهين — قانون أبناء القصر — قانون حظر نشر أنباء الجيش — مشروع قانون للحد من سلطة مجلس الدولة) الخ ·· الى فتح المعتقلات والسجون الى تشجيع الفساد والرشوة والمحسوبية الى تحدى المشاعر بالتهتك والتبذل الى قتل واغتيال من يقف فى وجه النزوات الطائشة الخ الخ ··

وازاء تزايد وعى الجماهير من جهة وتزايد البطش والاستهتار بالجماهير من جهة أخرى لم يكن هناك مفر من انفجار المجتمع بالغليان الاجتماعى · وتمثلت هذه الانفجارات — كما قدمنا — فى الاضرابات العمالية والطلابية ، وفى الهبات الفلاحية ، وفى توالى الفضائح والقضايا التى تهز النظام من أساسه مثل قضية القطن ، وقضية الاسلحة الفاسدة وقضايا الصحافة · وبسرعة متزايدة ادركت الجماهير ازمة النظام ، وأدرك النظام مصيره ، وتسابق الشعب والنظام الملكى فى حرب مكشوفة ، ولم يكن امام النظام الا ان يحرق القاهرة قبل ان تلتحم الحركة الوطنية بالمعركة الاجتماعية وبالذات بقضية الفلاحين ·

وليس من قبيل الصدفة ، أنه قبيل حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ اتخذت كتائب التحرير والمقاومة بالقتال موقفا « بالعمل على تحويل المعركة الى معركة فلاحين أساسا » وذلك بالاعتماد

على العناصر الفلاحية المسلحة ، وانشاء تنظيمات سياسية فى القرى المحيطة بثكنات الجيش الانجليزى، والسعى لخلق قيادة عسكرية وسياسية موحدة فى المنطقة .

حقا لم يكن أمام الاستعمار والرجعية سوى الجريمة والتآمر لاخفاء وجه النظام القائم على الجريمة والتآمر ، وبدلا من الازدواجية حتى فى مجال الكلام ، قرر النظام المتهالك توحيد كل قوته تحت ستار الدخان القاتم فى القاهرة المحترقة ، فأعلنت الاحكام العرفية ، وقبض على مئات الفدائيين ، وتعطلت الدراسة ، وصودرت الصحف بل واغلقت الخ .. ولكن ذلك كله كان مظهر ضعف أكثر منه دليل قوة . لقد كان اشهارا لافلاس النظام ، ولكنه فى ذات الوقت كان اعلانا عن ضعف الحركة الجماهيرية ، وافتقادها للتنظيم .

وكانت ثورة يوليو الوريث غير المتوقع للنظام ، فبعد أن تحددت الجبهات على خشبة الصراع السياسى ، وبعد أن بلغ الصراع أو كاد ذروة الوضوح ، وقبيل النقطة الحرجة بلحظات ، ومن حيث لا يتوقع أحد ، جاءت ثورة ٢٣ يوليو . صحيح ان حركة الضباط الاحرار نشأت فى بداية الاربعينات ، وصحيح ان قيادة الحركة قد اجتمع لديها السخط على الوضع السياسى ، الى جانب السخط على قيادة الجيش المتعاونة مع المحتل الاجنبى وصحيح ان قمة المعاناة لدى الحركة كانت فى حرب فلسطين التى أكملت لدى الضباط وعيهم « بأن العدو ليس اسرائيل وحدها ولكنه الاستعمار والرجعية » وصحيح ان حريق القاهرة كان يراد به اجهاض الحركة الوطنية ، ووضع الجيش خلف المتاريس ضد الشعب الى النهاية ، ولكن الازمة كانت قد وصلت الى نخاع النظام ، ولم يعد أمامه من سبيل الا الموت ، وكانت انتخابات نادى الضباط اعلانا للحرب بين الجيش والملك . وأصبح الحكم بلا اداة . فقد كان الضباط الاحرار ينادون زملاءهم إلا يكونوا آلة فى يد الملك لاجبار الشعب على قبول نظام لا يريده .

المفاجأة من الجيش

ان الوقت قبل الحصاد هو أصعب الاوقات واشدها وطأة حينئذ . فلقد كان على كل القوى أن تعرف موقعها وان تحدد خط سيرها . لقد حدثت « **المفاجأة** » ، وفى غضون ساعات انهار النظام الملكى الذى استمر سلطانه طويلا ، وقد كان على « **قادة** » النضال الشعبى ان يعرفوا ان زمن « المفاجآت » و « المعجزات » قد ولى .. وان كل انعطاف كبير فى التاريخ ـ بما فى ذلك الثورة ـ يسفر عن تشابكات واشكال من الصراع ، وبين علاقات القوى الفريدة ، او الشاذة ، أو غير المنتظرة هذه العلاقات التى كان يجب اكتشافها فى حينها .

فلو أن القيادة « الواعية » رأت هذه اللحظة .. قبيل الحصاد بقليل .. رؤية جادة وموضوعية لتغير وجه المسيرة الوطنية كثيرا . ان « لو » هذه ذات ضرورة عظيمة فى التحليل السياسى والاجتماعى لثورة ٢٣ يوليو . فمن أجل انهيار الملكية عمل جيل كامل من الشعب المصرى فحرث الارض ومهدها ، واستأصل الى غير رجعة هيبة الملك ونظامه . وكان الهتاف ضد العفن والدعارة الملكية على كل لسان .

وكان لابد لنا حين انهار النظام ان نزيد الى اقصى حد من النضال لكى تكون الضربة الموجهة الى النظام القديم قاتلة ، ولكى تخلعه من الجذور . ولكن الحركات السياسية انقسمت فى ثلاث اتجاهات :

الاتجاه الاول : ويمثله « الاخوان المسلمون » الذين ادعو بأن النظام الجديد من صنعهم ، وقد كان هدفهم احتواء الثورة والابقاء الى أقصى حد ممكن على علاقات القوى القديمة داخل المجتمع .

الاتجاه الثانى : التبرير الذيلى ، والهتاف لكل شىء ، واصطناع اوجه اكثر ثورية للنظام الجديد .

الاتجاه الثالث : النكوص ، وعدم التصديق الى حد الذهول والسير بسرعة الى الخلف بحثا عن التقاليد الثورية ، فاضطربت الرؤية ازاء الجديد ، وحتى نقنع انفسنا بالوضوح والوعى « المحفوظ عن ظهر قلب » انطلقنا نستعيد « التراث » الثورى ضد الانقلابات ، ونقيس الخطوات التى تمت بمقياس مدرسى .

ذلك هو الوضع الذى يجب أن نحدده بمنتهى الدقة الموضوعية ، وذلك لكى نستطيع فهم المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لثورة ١٩٥٢ . وليس موضوع هذا المقال تحليل علاقات القوى الطبقية والسياسية فى اعقاب الثورة . ولكننا نقدم هذا التحليل لنؤكد أن الشعار الذى كان يجب أن يرفع لم يرفع . وأن الكلمة التى كان يجب أن يسمعها شعب مصر لم يسمعها .. كان يجب علينا أن نناديه : أيها الشعب العظيم .. لقد ضربت كل أمثلة البطولة والتضحية ضد نظام الملك والاستعمار والعملاء .. واليوم .. فان على شعب مصر .. عماله .. وفلاحيه .. وطلبته .. ومثقفيه الثوريين .. وجنوده وضباطه الوطنيين .. وراسماليته الراغبة فى التحرر من الاستعمار وقيوده .. على كل أبناء مصر المخلصين أن يضربوا آيات جديدة فى ميدان جديد للبطولة هو ميدان التنظيم ، من أجل الاجهاز الكامل على

النظام الذى انهكناه بدمائنا ، ومن اجل الغد السعيد الذى طالما تطلعنا اليه خلال أيام نضالنا .

ان المهمات التكتيكية لسلوكنا المباشر ازاء ثورة ٢٣ يوليو لم تكن واضحة . ولهذا الموقف آثاره واسبابه :

أما الاسباب فلقد كانت الثورة جديدة فى أسلوبها ، وجديدة فى القوة المنفذة لها . وقد كان هذا الوضع يتطلب منا مزيدا من المعاناة لاكتشاف هذا الظرف الخاص على المستوى المحلى والدولى . أما شعار لا تأييد على الاطلاق ، أو كل التأييد بلا تمييز ولا تحديد . فقد كانا شعارين خاطئين أديا الى خسائر كبيرة فى مجال المسيرة الثورية .

ولقد كانت الثورة نابعة من الجيش . وقد كان لها فيه تنظيم الضباط الاحرار ، وهذا التنظيم لم يكن جماهيريا . فحين تريد الثورة التعامل مع الجماهير فانها تتعامل معها عن طريق الاجهزة الموروثة حيث هى لا تستطيع بناء جهازها الخاص بين يوم وليلة . وقد أدى هذا الوضع بدوره الى خسائر اخرى كبيرة فى مجال المسيرة الثورية .

معالم المشكلة قبل يوليو

هذه مسائل من المهم جدا أن ننظر اليها حينما نريد أن نتحدث عن الاصلاح الزراعى ، أول منجزات الثورة بعد طرد الملك . ففى الوقت الذى كانت فيه كل القوى تبحث عن مكانها من الثورة ومكان الحكم الجديد منها ، كان هناك الملايين الواسعة فى الريف فى غليان .. هؤلاء الذين غيبوا فى سبات عميق منذ عشرات السنين ، وتحملوا فى صبر ارهاب الملكية وقسوتها الرهيبة . لقد استيقظوا ذات صباح ليقال لهم : ها هو الاقطاع يسقط أمامكم .

ونحن نعلم أن الريف فى مصر يغص بالبورجوازية الصغيرة .. وقد غمرت وجه الريف فكرية هذه الطبقة ، واستقبلت الثورة بايمان مغمض العينين دون أن تجد من يقدم لها الوعى أو من يحررها من النشوة . ويضع يدها على الحقيقة . ويجعلها قوة تنهض بالثورة بدلا من أن تكون عبئا على أكتاف الثورة .

وقد ساعد على انتشار أوهام البورجوازية الصغيرة أن كل المحاولات التى تصدت لمشكلة الفلاحين قبل الثورة كانت ــ بوجه عام ــ تسير فى محاور اربع :

١ ــ المحور الأول هو العمل على نشر الملكيات الصغيرة .

٢ ــ المحور الثانى هو الحد من الملكيات الكبيرة .

٣ ــ المحور الثالث خاص بتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر .

٤ ــ المحور الرابع هو الخاص بالتعاون الزراعى وطرقه المقترحة . كحل للتفتت .

المحور الاول : منذ بداية هذا القرن ــ وقد كانت مصر خاضعة للاستعمار الانجليزى ــ وهناك محاولات لتقديم مشكلة الارض فى مصر باعتبارها « مسألة حماية صغار الملاك » أو « التوسع فى الملكيات الصغيرة » . وقد أصدرت الحكومه عام ١٩١٣ قانونا يمنع توقيع الحجز على الملكيات الزراعية أقل من خمسة أفدنة . وبالطبع فقد انتقل حق الحجز من الارض الى الانتاج ، وأصبح البنك يستولى بشكل دورى على انتاج الفلاح الذى يملك خمسة أفدنة فأقل . ولكن المهم ــ بغض النظر عن الانتقادات الموجهة الى القانون ــ أن مخاطبة الفلاحين بأسلوب حماية الملكية الصغيرة أسلوب قديم ، يأخذ شكل الاعفاء الصورى ، أو شكل الاعفاء من الضرائب ــ كما كان يطالب **الحزب** الوطنى ــ .

أما التوسع فى الملكيات الصغيرة فقد بدأ بقرار البرلمان المصرى عام ١٩٢٤ ببيع الاراضى الحكومية الى صغار الملاك . **وكلما ازدادت مشكلة الارض فى مصر تفاقما كلما نما الاهتمام ــ سواء من جانب الحكومات ، أو البرلمانات ، أو دعاة الاصلاح ، بالدعوة للتوسع فى الملكيات الصغيرة ، وذلك كصمام أمن لعدم انتشار شعار نزع ملكية الملكيات الكبيرة** ، أو كتوسيع للتعاون الزراعى ، أو لتنمية الطاقة الشرائية فى القرية .

المحور الثانى : وقد تطورت الدعوة الى الملكيات الصغيرة ، فأصبحت على يد **ابراهيم شكرى** [**الحزب الاشتراكى مصر الفتاة**] تعنى تحديد الملكيات الكبيرة بما لا يزيد عن خمسين فدانا . ولكن لهذه القضية جذورا ابعد ، « **فالحزب الاشتراكى القديم** » الذى تكون فى اعقاب ثورة ١٩١٩ قد جعل فى برنامجه مسألة تحديد الملكية الزراعية ومصادرة الملكيات الكبيرة [العزب] . وظل هذا الموقف وحيدا متفردا فى تاريخ مصر حتى عام ١٩٤٤ حتى كان مشروع **محمد خطاب** والذى كان يعنى وضع حد أقصى للملكية ، وترك الامور تجرى فى أعنتها دون تدخل خارجى حيث يتكفل قانون الميراث بتجزئة الملكيات الكبيرة القائمة ، ويمتنع على الملاك أو الورثة أن يزيدوا من ملكياتهم بما يخرج عن نطاق الحد الاقصى المقترح . وقد كرر **مريت غالى** نفس أفكار محمد خطاب بعد مشروعه بعام . ولذلك فان مشروع **ابراهيم شكرى** يعتبر قفزة فى هذا السبيل وذلك لانه دعا الدولة الى الاستيلاء على الارض الزائدة عن خمسين فدانا وتوزيعها على الفلاحين .

ولكن برنامج التنظيمات الثورية فى أعوام ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ كانت تدعو الى مصادرة أراضى الاسرة المالكة والاقطاعيين والاجانب وعملاء الاستعمار .

المحور الثالث : أما مسألة تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر فقد كانت قرينة مسألة حماية الملكية الصغيرة منذ أوائل هذا القرن . وكلما زادت الايجارات الزراعية كلما ارتفع صوت المطالبة بتنظيم العلاقات بين المالك والمستأجر ، ومن أبرز من اهتم بهذه المسألة **مريت غالى** ، **وعبد الرحمن الرافعى** ، **وخالد محمد خالد** الذى كان يعتبر صكوك الايجار هى « صكوك الموت » .

المحور الرابع : وهو العمل على انشاء المزارع التعاونية . وفى الحقيقة فان الفكر التعاونى قد نشأ موازيا للفكر الوطنى ومتمشيا معه صعودا وهبوطا ، حيث كانت الملكيات الصغيرة تعانى من سيطرة المرابين أصحاب الرهون على الارض حيث بلغت جملة الرهون على الملكيات (فى أقل من خمسة أفدنة) بمتوسط ٢٥ جنيها للفدان الواحد . فلم يستطع الفلاحون سداد الديون فتراكمت عليهم عاما بعد عام ، فاتجهت الحركة الوطنية الى الفلاحين ، وأعلن **محمد فريد** : انه لا خلاص للفلاحين الا بتشكيل النقابات الزراعية ، ودعا **عمر لطفى** عام ١٩٠٨ لانشاء الجمعيات التعاونية كشركات تعاون . وطالب بتدعيمها بانشاء بنوك وطنية . وبعد ثورة ١٩١٩ صدر القانون ٢٧ لسنة ١٩٢٣ بنقل الحركة التعاونية من يد الشعب الى يد الحكومة . وفى عام ١٩٢٧ عدل القانون فأعطى الجمعيات شيئا من الديموقراطية بانتخاب ممثلين فى المجلس الاعلى للتعاون وأعطى بنك مصر قرضا قدره ربع مليون جنيه ثم زيد ١٠٠ الف جنيه أخرى على ذمة الاقراض التعاونى حتى أنشىء بنك التسليف على يد صدقى عام ١٩٣١ . وفى سنة ١٩٤٩ زيد رأسمال بنك التسليف وأصبح اسمه بنك التسليف الزراعى والتعاونى .

وقد بدأت فكرة انشاء مزارع تعاونية ، كعملية تغطية للنقد الموجه الى توزيع الارض الى قطع صغيرة على صغار الملاك فاقترح **ابراهيم رشاد** عام ١٩٣٨ بيع أراضى الحكومة الى جمعيات تعاونية وليس الى الافراد . ثم اقترح فى عام ١٩٤٦ بأن تؤجر الدولة مساحات واسعة (١٢٠) فدانا الى كل جمعية ولاجل غير محدد بايجارات معتدلة . وفى عام ١٩٥٠ اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية توزيع أراضى الحكومة المستصلحة على صغار المزارعين أو متوسطيهم أو على الجمعيات التعاونية ، وفى عام ١٩٥١ جاء فى مذكرة من المكتب الفنى لوزير الاقتصاد ، الدعوة الى توزيع الارض على المعدمين فى شكل جمعيات تعاونية (مزارع) .

وعلى الرغم من افتقار هذه المحاور الاربع الى النظرة الاجتماعيه فى تاريخها قبل ثورة ١٩٥٢ ، الا انها تعتبر مقدمه هامة للثورة . بمعنى أن مبادىء ملكيه وحيازة الارض فى الفتره السابقة لم تكن اكتشافا للثورة بل كانت موضوعا مطروحا للبحث على مدى تاريخ الحركة الوطنية قبل ثورة ٢٣ يوليو وبعدها . وقد تأكدت الحقيقة النهائية لهذا البحث التاريخى فى أن جوهر المسألة الزراعيه هو تحرير الارض ، وتحرير الفلاح من القيود الاقطاعية والرأسمالية . وتحرير الارض لا يكمن فى نزع ملكيتها من الملاك الكبار ، ولا فى توزيع الارض المصادرة ، او المستولى عليها على صغار الفلاحين أو على المعدمين ، وانما هو فى تهيئه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تجعل من الارض عنصرا وطنيا منتجا بأقصى طاقه وذلك باحداث ثورة فى مجال الانتاج الزراعى .. هذه الثورة التى لا يمكن أن تنجح فى ظل الملكية الكبيرة الاقطاعيه ، ولا فى ظل الملكيه الصغيرة القزمية ، وانما هى الزراعة الاشتراكية المبنيه على الدعم الذى يستخدم احدث الوسائل فى التكنيك الزراعى .

وتحرير الانسان فى الريف يعنى حل مشكلة الديموقراطية بالنسبة له . وذلك يكون بالتحرير الاقتصادى للفلاح من سيطرة الاقطاعيين والرأسماليين .

بين أصلاحين

والذى يفرق الاصلاح الزراعى بعد ثورة ١٩٥٢ عن مشاريع الاصلاح قبل الثورة أمران :

أولهما : أن الاصلاح الزراعى لم يعد مشروعا يطرح ويناقش وانما أصبح أمرا واقعا يطبق ويؤثر . ويمارس الحياة بكل ما يجوز فيها من نمو وطموح وعثرات .

ثانيهما : أن الضرورة العملية فى التطبيق قد أدت الى تطوير وتعديل قانون الاصلاح الزراعى بقوانين أخرى فى ظل ظروف سياسية واجتماعية متغيرة .

ولكن يبقى ، أن المحاور الاربعة السابق الاشارة اليها ، وهى نفس محاور الاصلاح الزراعى بعد الثورة ، لم تتمكن الثورة من اصدار القوانين الخاصة بالاصلاح الزراعى والمتفقة معها الا من خلال التناقض مع الذين التفوا حول الثورة فى أيامها الاولى ، لقد كان الجميع يعلمون أن قانون الاصلاح الزراعى بعد طرد الملك سيلهب الريف .

ولكن .. هل كان هناك من يستطيع اكتشاف كيف يمكن أن تستمر الثورة الزراعية ؟ وهل التوزيع هو الحل الامثل لمشاكل الفلاحين والارض ؟

وما هو مصير الفئات الواسعة من الفلاحين التى لا تملك أصلا ولا يأمل عاقل فى أن تملك لا بالتوزيع ولا بغيره ، نظرا لكثرة عددهم ولقلة الافدنة المزروعة فى البلاد ؟

وهل أكد كاتب ، أو قائد أو منظر أن التحولات الثورية فى الزراعة لا يمكن لها أن تكون ناجحة أو دائمة الا اذا أطلقت الديموقراطية تماما فى الدولة بكل مستوياتها ؟

وماهو الموقف من الادارة القديمة فى القرية ، وفى الاجهزة الادارية ؟ .. هذه مسألة على درجة كبيرة من الاهمية ، وتتعلق فى المقام الاول بالفلاحين أغلبية الشعب الساحقة حيث لا يمكن التعرض للظلم القديم بهدف ازالته بنفس نظام وادارة الدولة السابقة .

ثم فى النهاية ما هو التفكير الذى يحرك الثورة ؟ هل تدرس المسألة من زاوية الاجراءات التى تتم ، ثم بعد دراستها تصنف وتوضع فى الموضع الملائم لها بين جداول الافكار والاراء ؟ أم يجب دراسة القضية من زاوية اخرى مع وضع الاجراءات والقرارات فى الاعتبار ؟ ..

يجب ادراك من هم محركو الثورة ، وماذا يريدون ؟ ، يجب حساب الخطوات الثورية بعقل صاف وذهن متفتح ويقين ثورى بمستقبل الشعب لا يتزعزع . فالرأسمالى لايمكن ان يتبع خطوات العامل مغمض العينين . والفلاح لا يثق أبدا بالاقطاعى ولا بجهاز الادارة . والوضع الجديد على الرغم من انه تم بسهولة ، الا انه يعانى من صعوبات لا مثيل لها وبخاصة ونحن نعلم الان أن قادة الثورة لم يكن لديهم برنامجا للحكم ، اولمابعد الحكم . فهل كان لدى غيرهم برامج تعالج الاوضاع المتغيرة والسريعة الحركة ؟ هل كان هناك غير الزعيق بالموافقة أو الزعيق بالمعارضة أو محاولة الاحتواء ؟

ان المسألة الرئيسية فى الثورة القائمة هو اكتشاف كيف يمكن الدفاع عن الجماهير وحماية مصالحها والسير بها ومعها الى الامام .

وعلى الرغم مما يمكن أن يقال عن الاصلاح الزراعى الاول من حيث نصوصه وافكاره العامة . فما هو الموقف من القانون فى تطبيقه ؟ هل نترك التطبيق للجهاز القديم الموروث بكل سوءاته ؟ أم أن الامر لا يتعلق فقط بقضية الفلاح من الارض المستولى عليها أو الموزعة بل ـ وبشكل أكبر ـ يتعلق بمستقبل الثورة وعلاقتها بالجماهير ؟

لقد ولدت الثورة وليس لها بالجماهير علاقة عضوية كما سبق أن قدمت . وفى أسلوب التطبيق لمثل قانون الاصلاح الزراعى يمكن اعطاء الجماهير دورا حيا نابضا مؤثرا منظما مستمرا .

وما هو الموقف من بقايا الاقطاع وأدواتهم ؟ هل اقتنع هؤلاء بأن عصر الكرباج والسجون القروية قد انتهى ؟ ام انهم يتحينون الفرصة ليعودوا من جديد ؟ أم أنهم يبحثون عن وسيلة جديدة للتحكم وذلك بوضع شارات الثورة على الصدور وفتح الراديو على أناشيدها لاخفاء عمليات مص الدماء المستمرة ؟

انه نظرا لوضع الفلاحين المتدهور قبل الثورة ، ونظرا للتفاقم المتزايد فى نسب الملكية وحيازة الارض أيضا ، ونظرا للدور الذى بقيت الزراعة تمارسه فى الاقتصاد القومى حيث أراد الاستعمار لمصر أن تظل مزرعة لمواده الخام ، وأخيرا : نظرا لان الفلاحين يمثلون الاغلبية الساحقة من الشعب المصرى .. لكل هذا فقد كان الاهتمام بالاصلاح الزراعى كبيرا وواسعا ، وضعته الثورة فى البند الثانى من مبادئها الستة بعد القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة ، وأشار الميثاق بوضوح الى هذه الاهمية حيث أنه «فى مواجهة تحكم الاقطاع الذى يستبد بالارض ومن عليها كان المبدأ الثانى هو القضاء على الاقطاع » وبذلك أضاف الى مهامه الاقتصادية مهمته الديموقراطية التحريرية .

مقاومة الاصلاح الزراعى

ولقد ووجهت الثورة بمعارضة متزايدة من جانب الاقطاعيين ورجال الحكم السابقين ، بل ومن الوزارة التى تولت الحكم عقب قيام الثورة مباشرة مما ترتب عليه اسقاط الوزارة وتولى مجلس الثورة مهام الحكم بشكل مباشر لكى يصدر القانون بعد يومين فقط من هذه الاحداث ، وهذا يؤكد للذين يشككون فى الشرعية الثورية للاصلاح الزراعى أن الامر فوق أوهامهم وأبعد مما تستطيع أحلامهم أن تقدر حين ينادون باطلاق حرية التملك فى مجال الارض الى ما شاء الله . فلم يكن الامر بالنسبة للثورة أنها تريد اخلاء الميدان لنفسها من معارضة ذوى النفوذ والسيطرة والتحكم . ولو أن الامر كذلك فحسب لكان كافيا لضرب الاقطاع وازاحته نهائيا ، فهو ظاهرة متخلفة من العصور الوسطى بعلاقاته الاجتماعية ودوره الانتاجى ، وأسلوبه غير الانسانى فى التعامل مع قوى الانتاج . ولم يكن الامر رؤية انسانية لحال الفلاح البائس المسكين ، ولو أنه كذلك فحسب لكان كافيا

لضرب الاقطاع وازاحته ، على الرغم مما يقول به المشككون الذين يحلمون بعودة الاقطاع بحجة أن الاصلاح الزراعى لم يقدم للفلاحين أية خدمة انسانية ، ولم يرفع من مستواهم المعيشى ، ولم يخلصهم من براثن الملاك القدامى ، الا ليوقعهم فى براثن الاصلاح الزراعى نفسه ، وهى عند هؤلاء المشككين اعتى واكثر عنفا . كذلك فان الامر لم يكن مسايرة للروح العامة العالمية التى تركت الاقطاع فى مؤخرة ركب التقدم ، وأنه حتى أمريكا كانت تريد هذا الاصلاح وتسعى اليه ، ولو أن الامر كذلك فحسب لكان لزاما على كل مخلص أن يسعى الى ضرب الاقطاع أيضا فى ذات الوقت الذى يضرب فيه اليد الاجنبية الساعية الى التدخل فى الشئون الوطنية أو السيطرة على مستقبل الشعب ومصيره .

ولكن الامر كان أعمق من هذا كله ، فقد كانت ضرورات التنمية تدعو الى ازاحة الاقطاع ، وتنحيته عن مركزه فى قيادة المجتمع . وبدلا من التكالب على الارض التى ارتفع ثمنها ، وارتفع ايجارها فأصبحت بؤرة لالتهام المدخرات ، ولتحقيق دخول طفيلية لا تنفق فى التنمية ، ولخفض القوة الشرائية للاغلبية الساحقة من المواطنين ، ولتدمير روح الشعب وسوقه خلف الملاك اقتصاديا وسياسيا ، واكثر من ذلك واهم : بؤرة لتفريخ الصراع الذى تسعى الثورة الى تلجيمه .

وكما يقول **سيد مرعى** : فقد توخى الإصلاح الزراعى : « مصلحة المزارعين والاجراء ، وكان القصد منه تحقيق اصلاح عام للبنيان الزراعى ينطوى على اعادة توزيع الملكية ، وتخفيض الايجارات ، ورفع مستوى أجور العمال الزراعيين » . وبصراحة شديدة يقول أيضا : « ان الهدف الاول من القانون هو اعادة توزيع الدخل لا الانماء الزراعى » .

ان التناقض الاساسى بيننا وبين دعاة حرية التملك فى مجال الارض الزراعية الى ما شاء الله هو فى فهم ما هو النظام ، وما هو القانون . انهم يرون أن النظام والقانون هو كل ما يحقق رغبة أو رغبات الملاك الكبار أو الراغبين فى أن يعودوا ملاكا كبارا ، اما نحن فنعتقد ان مايلائم مصالح الاكثرية الساحقة من الشعب . وأعتقد أن هذه منتهى الديموقراطية اذا كانوا يتغنون بالديموقراطية ، الديموقراطية التى هى منذ أفلاطون حتى اليوم هى حكم الاغلبية ، ولكنهم يبكون على مصير الفلاحين التعساء الذين يعانون من البيروقراطية ، ومن تحكم واحتكار الجمعيات التعاونية .. حسنا .. لسنا نختار بين نير ونير ، ولا نستلذ ضرب المشرف ، أو سرقة اللص ، أو بيروقراطية الموظف .. اننا نسأل : اين هى مصلحة الاغلبية الساحقة ؟ ان الفلاحين أنفسهم هم الذين يجب أن يتولوا تحديدها ، وأن يتولوا الدفاع عنها . فالملكية الاقطاعية مدانة تاريخيا ، والقضاء عليها ليس عملا تعسفيا منافيا للقانون والديمقراطية .. بل هو وضع للامور فى نصابها ، **ونحن لا ندافع عن أى خلل أو التواء أو عدم صدق فى التعامل بين الاصلاح الزراعى وبين الفلاحين . وطالما كتبنا فى ذلك سعيا الى وضع الامور فى نصابها أيضا ، نحن لا نوافق على أى أسلوب ادارة لا ينبع من الفلاحين أنفسهم ولا يدافع عن مصالحهم ، ولا يمكن أن نوافق على أى طريقة فى الزراعة تؤدى الى نقصان الانتاج** . ان الفلاحين يزرعون الارض بطريقة رديئة .. هكذا يقولون .. من المسئول عن ارهاقهم وتخلفهم وفقرهم على طول العصور .

ان قضية الانتاج الزراعى ليست قضية الفلاح أو الاقطاعى .. ولكنها قضية الوطن كله .. وعلينا أن نبحث عن السبيل لزيادة الانتاج الزراعى لمواجهة الانفجار السكانى ولمصلحة الاقتصاد الوطنى .. أما أن يفقد الاقطاعى عصاه وكرباجه فيتجه الى « الديموقراطية » سلاحا يجر الفلاحين الى المصيدة من جديد . فهذا شىء من الخداع مرفوض وممجوج .

فلنواجه مشاكل الساعة

والقضية الان يمكن أن تقلب على وجهها الصحيح . وبدلا من أن نسأل هل الوضع الان مريح بالنسبة للاقطاعيين أو بقاياهم ؟ **نسأل ما هى مشاكل الفلاحين والعمال الزراعيين ؟** فلقد ضرب الاقطاع منذ ١٩٥٢ اكثر من مرة : بقانون الاصلاح الاول (سبتمبر ١٩٥٢) ، وبقانون الاصلاح الزراعى الثانى (١٩٦١) ، وبقانون الاصلاح الزراعى الثالث (اغسطس ١٩٦٩) .

وعلى الرغم من أن ضرب الملكية فى الحكم وفى الاقتصاد (تصفية النظام الملكى ، واعلان الجمهورية واصدار قانون الاصلاح الزراعى) قد رفع عن كاهل الفلاحين نير الاف السنين من العبودية والذل الا أن العلاقة القائمة بين عناصر الانتاج الزراعى يجب دراستها وتقييمها . وكذلك الامر بالنسبة لشكل استغلال الارض ، وحجم الوحدات الانتاجية .

وفى كل هذه الامور ، فان الاشتراكية تريد الاصلاح الزراعى وتسعى الى تحقيقه ، وكذلك الرأسمالية . فالاصلاح الزراعى ليس انجازا اشتراكيا ، حتى ولو طبق بأكثر الاساليب دقة وعلمية .

ويترتب على ذلك أن قضية التنمية من خلال قطاع الانتاج الزراعى ما تزال فى حاجة الى مسح شامل لكل جوانبها ، فالمقصود بالاصلاح الزراعى هو التعديل الجوهرى فى نظام الانتاج الريفى بحيث يحقق العدالة الاجتماعية والديموقراطية للفلاحين ، ويحقق فى ذات الوقت تنمية الموارد الزراعية كأساس جذرى للتنمية العامة فى كل البلاد النامية . وهكذا فان الحل الريفى لمستوى دخل ومعيشة سكان القرية ولمواجهة الفقر والبطالة والتخلف الفكرى والاجتماعى .

ومما لا شك فيه ، أن الاصلاح الزراعى عندنا قد حقق بعض الاهداف . فهو بلا شك قد ضرب السيطرة والهيمنة الاقطاعية اقتصاديا وسياسيا . وهو ايضا قد حد من التفاوت البشع فى ملكية وحيازة الارض . وهو ايضا قد اعطى للمستأجرين استقرارا طالما افتقدوه ، وقدم فى حدود ضيقة حلولا أو بعض الحلول للاثار الناشئة عن التفتت والتجزؤ فى الارض .

الا أن مشاكل الزراعة الاساسية ما تزال قائمة : فالملكية والحيازة لم يعالج سوء توزيعهما بما ينفيهما كمشكلة ، والكفاءة الانتاجية للارض ما تزال مشكلة تتزايد تضخما يوما بعد يوم وبخاصة فى مقابل السوق العالمى للحبوب والانفجار السكانى . وعوامل تجزئة الارض فى الملكية والحيازة ما تزال تعمل بلا ضابط أو رابط . وحتى محاولة الحل عن طريق الدورة الزراعية لم تعط الا أثرا محدودا ، فضلا عن المشاكل المترتبة عليها ذاتها . وقد كتبنا طويلا فى هذه المشاكل وأكدنا أن الحل الجذرى لها يأتى فى اتجاهين :

الاتجاه الاول : المزارع التعاونية وذلك بتجميع الارض الزراعية وزراعتها بوسائل الانتاج الكبير ، وتجربة نواج ما تزال تجربة رائدة فى هذا السبيل .

الاتجاه الثانى : انشاء قطاع عام زراعى نموذجى للقيام بالدور الطليعى فى ميدان الانتاج الزراعى ، وذلك حلا لمشكلة استخدام الادوات الزراعية الحديثة ، ولمشاكل الارض الجديدة المستصلحة ، ولعملية التنويع والتخصص فى المنتجات المطلوبة .

وبهذا ، يمكن أن نتخطى السمة المميزة للاصلاح الزراعى عندنا وهى المرحلية والتجريب ، حيث ينظر اليه باعتباره أجزاء وليس حلقة فى سلسلة الثورة .

ان الاصلاح الزراعى اذا لم يتطور على المستويين الاقتصادى والفكرى فانه لن يستطيع مواكبة روح التقدم ، وسوف يظل فى مكانه الاصلى باعتباره اجراء بورجوازيا . ومن الضرورى ألا يقتصر الامر على مجرد تحرير العمل فى القرية وتركه فى السوق فريسة لبورجوازية الريف . ان العمل الحر وضرب الهيمنة الاقطاعية خطوة الى الامام ، ولكنه لا يحقق الهدف الاول للثورة فى الريف ، الا وهى صيانة مصالح العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين . ان أية محاولة فى هذا السبيل سوف تظل وهما طالما أن الرأسمالية الزراعية تسيطر على القرية . ان سلطة رأس المال والعمل المأجور سيحاولان معا الابقاء على التخلف والبطالة بين العمال الزراعيين وفقراء الريف الذين لايجدون المال الذى يزرعون به أرضهم بنفس مستوى الملكيات الكبيرة ، وبهذا تتسع الفوارق من جديد فى القرية ، وتصبح فوارق رأسمالية لتحل محل الفوارق الاقطاعية . هنا ، يجب أن نذكر – دائما – أن الاصلاح الزراعى – فى مفهومه النظرى العام – ليس أكثر من كونه اجراء بورجوازيا . ويجب أن نذكر أيضا أنه اذا كان قد تم فى بلاد أخرى ، بشكل أكثر جذرية وعنفا مما تم فى بلادنا ، فانه – مع ذلك – لم يوقف تطور البلاد المعنية نحو الرأسمالية . ففى امريكا مثلا وزعت الارض عام ١٨٦٥ وبعده على الفلاحين بالمجان ومع ذلك فان الرأسمالية هناك تسيطر أكثر من سيطرتها فى أى مكان آخر فى العالم .

اذن ليس هناك من سبيل سوى تجميع الارض وزراعتها تعاونيا باستخدام أحدث الماكينات . ولا خيار امامنا : اما المجاعة واما التقدم بالثورة .

ان الريف يحتاج الى جهود كل ابنائه لانقاذ الارض والانتاج والناس أنفسهم ولمواجهة الانفجار السكانى والانهيار فى حجم قطعة الارض المنزرعة ، تلك التى وصلت من الصفر الى حد لا يمكن معه ادارتها حتى بشكل فردى ، ولو كان هذا العمل تحت شعار حرية التملك وحرية العمل .

ان الجماهير وحدها هى القادرة على تنظيم العمل الجماعى فى المشاريع الكبيرة الخاصة بالريف بالذات . مشاريع بناء شبكة المصارف التى نحتاج اليها لخفض منسوب المياه الجوفية ، ومشاريع تغطية المصارف للاستفادة الى أقصى حد من أية رقعة يمكن زراعتها . ومشاريع كهربة الريف وتصنيع الانتاج الزراعى .

انها مهمة عسيرة وبالغة التعقيد .. ولكن لا خيار ، فانه بدون هذا البرنامج الضخم المعتمد على الجماهير ، الى اقصى درجات الاعتماد ، لا يمكن تجنب تدهور الريف . ان العودة الى الملكية الحرة الى ما شاء الله لا يمكن أن تقدم الحل .. انها فقط تقدم البلبلة والتفكك ومزيدا من التقهقر ، وحتى أكثر من هذا فهى خطة مستحيلة التنفيذ فضلا عن أن التاريخ يعطينا معلومات عن تصرفات « غير انتاجية » لكبار الملاك ، سواء فى ميدان الانتاج والعلاقات الاقتصادية فى القرية أو

فى ميدان العلاقات الاجتماعية ، فحين يتكلم المطالب بحرية التملك فى الارض الى ما لا نهاية عن أن ذلك هو الحل لمسألة التفتيت والتجزئة فاننا نقول له : ان عدد الملكيات الصغيرة والمفتتة كانت قبل الثورة فى حدود ثلاثة ملايين قطعة ، فى حين أن ٧٥ فى المائة من الارض المزروعة كان مؤجرا وموزعا على قطع صغيرة على الرغم من وجوده المادى كملكية كبيرة .

بل ان الملاك الكبار وبقايا الاقطاعيين استمروا ، بعد الثورة ، فى استخدام أساليبهم فى كافة ميادين الحياة ، تلك الاساليب التى كانت مستخدمة فيما قبل ، فقد ثبت ان كافة أنواع الايجار النقدى أو العينى أو المزارعة أو المشاركة، هذه الاشكال جميعا استمر كبار الملاك على التعامل بها مع الفلاحين ، فضلا عن استغلالهم للجمعيات التعاونية وللتسليف الزراعى ، حتى بلغت الديون المعدومة والتى يتهربون من سدادها ما يساوى ٦٠ مليونا من الجنيهات . فى حين أن صغار الفلاحين يسددون ديونهم أو تحصل منهم الديون أولا بأول . وقد وجدت لجنة تصفية الاقطاع عند احد الملاك ٣٤٥٥ عقد ايجار و ٨٠٠ كمبيالة و ٦٤٠ عقد تنازل عن ارض و ٤٨٠ عقد بيع عرفى و ٦٠ ورقة بيضاء موقعة . فهل هذه هى الأساليب التى يريد البعض أن يعيدنا اليها ؟ أم انهم سيقدمون تعهدا شخصيا بعدم استخدام أحد من الملاك الكبار الى ما لا نهاية لهذه الاساليب ؟

لقد قدمت ثورة ٢٣ يوليو للريف شيئا كبيرا .. تقليم أظافر الاقطاع ، وتحرير الفلاح من نير العبودية الاقطاعية على الرغم من استمرار بعض أشكال الاستغلال الإقطاعية . ولكن أعظم ما قدمته الثورة هو طرح قضايا المستقبل فى يد أبناء الريف وبقى ان تمتد ايديهم الحرة الى هذه المشاكل ، وهذا يستدعى حركة جماهيرية مستنيرة ترفع المستوى الثقافى والفكرى والسياسى وتضرب التقاليد البالية ، وتغير نفسية وروح الملكية الصغيرة المستشرية فى القرية . وتؤدى الى تماسك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بدلا من حرية التفكك التى تمهد الطريق الى الرأسمالية .

وفى النهاية فان هذه الرؤية الاشتراكية لمستقبل القريه تحول دون عزلة المدينة ، وتجعل التخطيط الاقتصادى للتصنيع مبنيا على أرض وطنية وطيدة . وكما يقول برنامج العمل الوطنى :

« لابد من اقامة الملكية التعاونية على مضمون اشتراكى ، ولابد من تطوير وظيفة التعاون ليصبح تعاونيا انتاجيا يقيم علاقات انتاجية متقدمة تدفع بالانتاج الى الامام ، وتنمى قيما اجتماعية جديدة » .

ان الارض ليست أهم ما كسبه الفلاح من ثورة ٢٣ يوليو ، ان أهم مكاسب الثورة فى الريف هو اعداده للتقدم ، وذلك بتحطيم الرقابة والخضوع .

وان التنمية المتكاملة للقرية هى المرحلة التالية والضرورية .

□□

الحل المصرى والواقع الزراعى

فتحى عبد الفتاح

فى رواية « **ميرامار** » **لنجيب محفوظ** ، قال سرحان البحيرى لحسن علام :

ـ أخبرنى لم تملك وحدك مائة فدان ، على حين أن كل ما تملكه أسرتى عشرة أفدنة فقط .. وأجاب حسن علام :

ـ ولم تملك عشرة على حين لا يملك ملايين من الفلاحين قيراطا واحدا ..

ولقد أخذت هذا الحوار المقتضب الذى دار فى الواقع بين طبقتين مختلفتين أحدهما ينتمى الى كبار الملاك ، والاخر ينتمى الى أغنياء الفلاحين، لانه فى تقديرى يتجاوز التعبير الفنى الى اعطاء صورة واقعية لكثير مما جرى فى مجال الارض الزراعية المصرية ..

ولما كان « ملايين الفلاحين الذين لا يملكون قيراطا واحدا » لم يشتركوا فى هذا الحوار

الروائي ، الا أنهم كانوا وما زالوا جوهر القضية .

وتتبادل المشكلة الزراعية أو قضية الارض والفلاح أو واقع ومستقبل القرية المصرية ، وهى أخطر مشكلة واجهت وما زالت تواجه فى تقديرى التطور الاجتماعى والسياسى المصرى ، لابد وان تكون بعيدة عن التناول السريع الذى يقصد به الادانة أو الثناء فى تقييم هذا الاجراء أو ذاك . وهنا لابد من تأكيد بعض الاعتبارات الاولية التى توفر علينا الكثير من الجهد :

أولا : ان قضية الارض والفلاح كانت وما زالت ، جنبا الى جنب مع القضية الوطنية ، جوهر وأساس كل قضايا التطور الاجتماعى والسياسى والثقافى فى مصر .

كان ذلك صحيحا قبل سنة ١٩٥٢ ، وتأكد طوال الاثنى وعشرين عاما الماضية ..

وما زالت كل الاحلام والطموحات الخاصة ببناء وتطوير الاقتصاد الوطنى المستقل ، وكذلك ، دفع علاقات الانتاج ، وتطوير الثقافة الوطنية ، تتأثر سلبا وايجابا بما أمكن — وبما لم يمكن — تحقيقه فى هذا المجال ، على اعتبار أن الزراعة تمثل الجانب الاكبر من الدخل القومى ، وعلى اعتبار ان المنتجين الزراعيين ما زالوا أيضا يمثلون الغالبية العظمى من القوى العاملة والمنتجة فى البلاد .

ثانيا : انَ وثائق ثورة يوليو ، وبالتحديد **برنامج العمل الوطنى** والذى صدر فى يوليو سنة ١٩٧١ ، أى بعد حوالى عشرين عاما من تجربة الاصلاح الزراعى قد أكد « أن أسلوب الحياة اليومية لفلاحينا الذين يكونون غالبية الشعب لم يلحقه تغيير حقيقى ، لا فى وسائل الانتاج ولا فى السكن والغذاء والصحة ، ولا فى تحصيل العلم والثقافة » .. ان ذلك سيوفر علينا الكثير من الجدل حول بعض الحقائق ، كما يوفر الجهد لقضايا أكثر أهمية لتفسير وعلاج هذا الواقع .

ثالثا : أنَ الجهود التى بذلت كلها طوال الاعوام الماضية ، وهى جهود كثيرة ومتنوعة ، انطلقت كلها من أرضية محددة ، هى التوسع فى الاستثمار الفردى الصغير ، بدعوى أن ذلك هو الحل الامثل لمشكلة الارض فى مصر . فاذا وضعنا فى الاعتبار بعض الملامح الخاصة التى تتميزبها القضية فى مصر ، وبالذات ، الكم المحدد والضئيل من الاراضى المنزرعة ، أو القابلة للاستصلاح ، والذى لا يتجاوز حتى الان ٧ ملايين من الافدنة ، بعد كل الجهود المضنية التى بذلت خلال الاعوام الماضية لكسب حوالى مليون فدان ، فاننا ندرك على الفور — وعلى أرضية انتاجية بحتة وبعيدا عن النظريات — أن توسيع الملكية القزمية ونشرها هى نظرية غير قابلة للنمو فى الارض المصرية ، وانه لابد فى البحث عن حل مصرى ناجح لتلك المشكلة ..

رابعا : أن الاجراء الخاص بوضع حد لسقف الملكية الزراعية هو اجراء عام أخذت به دول كثيرة نامية وغير نامية ، اشتراكية ورأسمالية [١] . فتحديد الملكية — فى حدذاته — لا يعنى سوى تصفية لكبار الملاك ، أو الاقطاعيين ، ولكنه ليسْ اجراء اشتراكيا . ومن ثم ، فانه ما لم يصاحب تحديد الملكية اجراءات أخرى ، منظمة للعمل ، ولرأس المال المستثمر فى الارض بحيث تحد وتحاصر الاستثمار الفردى المطلق . فان هذا التحديد لا يتعدى — فى هذه الحالة — أن يكون مجرد تنظيم رأسمالى للانتاج الزراعى ، لا يمنع الاستغلال ، ولا يغير كثيرا من حياة القطاعات الواسعة من الفلاحين وعمال الزراعة . بل انه فى الواقع يمضى مرة أخرى نحو التركز فى الملكيات الكبيرة — نسبيا — من ناحية ، والتفتت ونزع الملكية بالنسبة للملكيات الصغيرة من ناحية أخرى ، مع زيادة فى أعداد عمال الزراعة ومن لا يملكون [٢] .

السياسة الاصلاحية

واذا حاولنا ، بعد هذه الملاحظات الواقعية للغاية ، أن نجمل اتجاه الاجراءات التى اتخذت طوال الاعوام الماضية منذ ثورة سنة ١٩٥٢

[١] الحد الاقصى للملكية الزراعيةفى اليابان ٩ هكتار وفى المانياالديمقراطية ١٠٠ هكتار .

[٢] ان الكولاك [اغنياء الفلاحين]ومصاصو الدماء فى القرى لا يقلون قسوة عن الراسماليين والملاك الكبار واذا ظل « الكولاك » سليما ، واذالم بقهر مصاص دماء الشعب ظهرالقيصر والرأسماليون من جديد بصورة محتومة [لينين — التحالف بين العمال والفلاحين ص ٢٩٩] .

الوطنية فى مجال الارض والفلاح فسنجدها قد استهدفت تحقيق ثلاثة أغراض :

● اعادة توزيع نسبى للملكية ، وذلك عن طريق وضع حد أقصى للملكية [بلغ خمسين فدانا للفرد فى آخر قانون صدر سنة ١٩٦٩] وتمليك الاراضى الزائدة لصغار الملاك ، فى الاساس ، ولبعض من المعدمين

● محاولة دفع وتطوير العمل التعاونى ، وذلك باضافة مهام جديدة للجمعيات التعاونية ، والتوسع الكمى والكيفى فى تشكيلها ودورها ..

● محاولة القضاء على علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الاقطاعية واحلالها بعلاقات أكثر تقدما ، مثل اصدار قوانين الايجارات وانشاء مجالس القرى والوحدات المجمعة ..

ومن الانصاف أن نقول ، أن هناك جهودا ضخمة بذلت فى تلك المجالات الثلاثة وكانت لها آثارها :

● فبالنسبة لاعادة توزيع الملكية الزراعية ، نجد أن ثمة تغييرات قد حدثت ، فهى فى صورتها النهائية ، ولقانون سنة ١٩٦٩ ، قد صفت القطاعات العليا من الملكية الكبيرة ، من ناحية ، كما وسعت من قاعدة صغار الملاك [خمسة أفدنة فأقل] من ناحية أخرى .. فى حين سجلت الملكية المتوسطة زيادة مضطردة سواء فى مساحة الارض التى نزرعها او فى متوسط ملكية الفرد فيها .. وحدث بالتالى تغيير فى خريطة الملكية ، فأصبح من يملكون ٥ أفدنة فأقل حوالى ٣,٠٩٣ مليون يمثلون ٩٤,٥ فى المائة من الملاك ، يزرعون مساحة قدرها ٣,٦٩٣ مليون نسبتها ٥٨ فى المائة من الاراضى المنزرعة [٣] .

بينما هناك ٥,٥ فى المائة من الملاك [أكثر من خمسة افدنة] يملكون مساحة من الارض تبلغ نسبتها ٤٢ فى المائة من الاراضى المنزعة .

ولو رجعنا الى النسب التى كانت موجودة قبل سنة١٩٥٢ لوجدنا ان من يملكون خمسة أفدنة فأقل كانت نسبتهم٩٤,٣ فى المائة من الملاك ويملكون ٣٥,٤ فى المائة من الاراضى الزراعية . أى أنه مع ثبات نسبة صغار الملاك فان هناك حوالى ٢٠ فى المائة من الاراضى الزراعية قد انتقلت الى حوزتهم . وجاءت بالطبع من الممتلكات السابقة للفئات العليا من كبار الملاك ..

كذلك فلابد أن نضع فى اعتبارنا أن المعدمين الذين لا يملكون أرضا على الاطلاق وهم عمال الزراعة والتراحيل لم يستفيدوا من توزيع الاراضى ، اذ كان التوزيع ، غالبا ، يقتصر على صغار الملاك ..

وليس هناك ما يدعو لان نناقش آثار التوزيع بالنسبة لهذه الفئة التى تؤكد الاحصائيات أن أعدادها ظلت فى ازدياد .. وقد انحصرت الفائدة النسبية التى عادت على عمال الزراعة من قوانين الاصلاح الزراعى فى وضع حد أدنى لاجر العامل الزراعى ، وأيضا فى اعطائهم الحق ، لاول مرة بقانون ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ فى تشكيل تنظيمات نقابية لهم .

ولقد أدت كل القوانين - وبشكل مطلق - الى استفادة الفلاح المتوسط والغنى الذى مضى فى خط توسيع رقعته الزراعية وامكانياته من الثروة الحيوانية والالات ، وقد ساعدهم على ذلك أسباب كثيرة مثل استفادتهم من ثغرات بعض قوانين الاصلاح الزراعى ، وشرائهم لاراضى كبار الملاك التى سمح لهم بالتصرف فيها مع قانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ [بلغت ١٤٥ ألف فدان] ، وأيضا لسهولة ويسر تعاملهم مع بعض الاجهزة العاملة فى مجال الزراعة والاصلاح الزراعى .. يضاف الى هذا كله ، أن العمل السياسى والجماهيرى ، بين الفلاحين لم يكن له فعالية تذكر فى تطبيق قوانين الاصلاح الذى أوكلت مهامه الى لجان ادارية بحتة .

ولذلك فالحكم على الاصلاح الزراعى لا يمكن أن يقتصر - فقط - على مدى التغيرات التى أجراها الاصلاح فى هيكل الملكية الزراعية ، وانما يرتبط أساسا بمدى عمق التغييرات التى أجراها فى علاقات الانتاج وظروفه .

فمن الممكن - مثلا - أن يصل تحديد الملكية فى بلد ما الى عشرة أفدنة ، مثلما حدث فى اليابان، ومع

[٣] من بين من يملكون خمسة افدنة فاقل هناك ٨٩ ٪ منهم يملكون فدانا فاقل .

ذلك تظل علاقات الانتاج الزراعى علاقات رأسمالية فى الاساس تقوم على أساس استغلال قوة العمل المأجور ، كما أنه من الممكن فى نفس الوقت أن يكون الحد الاقصى للملكية فى بلد آخر أعلى - بكثير - من هذا الرقم كبولندا أو ألمانيا الديمقراطية ، ولكن الاساس الرأسمالى لعلاقات الإنتاج تنتفى ، وتحل محلها علاقات انتاج غير رأسمالية أو اشتراكية ..

التفتيت .. التفتيت

وفى مجال خلق علاقات انتاج جديدة فى الريف نجد المحاولات قد تركزت حول هدفين :

أولهما : تطوير مهام التعاونيات (٭)

ثانيهما : تنظيم الايجارات .

أما بالنسبة للهدف الاول فمع التوسع الكمى فى عدد التعاونيات الزراعية [٤] ، ومع ازدياد السلفيات المقدمة من بنك التسليف من ٤٠٠ر٢ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ الى ٨٦٥ر٧٩ مليون جنيه سنة١٩٦٥ ، فقد اضيفت مهام أخرى الى التعاونيات مثل تنظيم الدورة الزراعية ومثل التسويق .

لقد قصد بتنظيم الدورة الزراعية ، أو ما سمى بالتجميع الزراعى محاولة تلافى بعض الاثار الضارة لتفتت الاراضى الزراعية وتنوع المحاصيل مما يؤثر على الانتاج بشكل حاد .

والمؤكد ، أن ظاهرة التفتيت تتفاقم ، يوما بعد يوم ، وحتى بين أراضى المنتفعين بالاصلاح الزراعى ، وذلك على الرغم من وجود القوانين المانعة لذلك [٥] . فلقد كان لدينا ، حتى سنة ١٩٥٣ ، مساحة قدرها ٠٠٠ر٢١٢ر٢ مليون فدان لملكيات أقل من خمسة أفدنة تمثل قاعدة واسعة للاراضى المفتتة . ولدينا حاليا ٠٠٠ر٦٩٣ر٣ فدان تمثل قاعدة اوسع للاراضى المفتتة ، وكذلك فانه من بين ٠٠٠ر٢١١ر٣ مليون مالك للاراضى الزراعية فى مصر فان هناك ٠٠٠ر٢٥٠ر٢ مليون يملكون فدانا فاقل . « ومعنى هذا أن كثيرا من الحيازات المصرية لا تستغل استغلالا سليما » على حسب تعبير المهندس **سيد مرعى** نفسه [٦] .

أما عن التسويق ، فلا شك أنه يعتبر من أهم الاضافات التى جاءت بها قوانين التعاون بعد سنة ١٩٥٢ . ولكن ارتباط التسويق بمشاكل الجمعيات نفسها التى يسيطر عليها غالبا أغنياء الفلاحين بالتعاون مع الموظفين الرسميين [المشرفين والمديرين] قد أدى الى التقليل من فعالية ووجود أسعار للسوق السوداء ، الامر الذى يضر ، فى النهاية ، بمصالح الفلاح الصغير الذى لم يوضع قانون التسويق - أصلا - الا لحمايته من استغلال التجار وكبار الملاك .

وبشكل عام فان التعاون رغم التطورات الايجابية التى طرأت عليه خلال السنوات الماضية ، الا أنه ظل فى الاساس تعاونا ائتمانيا يقتصر جهوده حول تقديم السلفيات المالية والعينية دون تدخل حقيقى فى تنظيم الانتاج وتوزيع المحاصيل وبالتالى توزيع الدخول .

ان عدم وجود حركة جماهيرية فلاحية نشطة ، وكذلك سيطرة أغنياء الفلاحين والموظفين على الجمعيات التعاونية قد أفقدها الكثير من امكانيات أن تلعب دورا جماهيريا حقيقيا بين الفلاحين ، وتحولت غالبيتها من الناحية العملية الى « مكاتب تشهيلات » ملحقة ببنك التسليف والائتمان التعاونى .

على أننا ونحن بصدد عرض للتطورات التى جرت فى علاقات الانتاج فى الريف فانه لابد من ذكر قوانين تنظيم الايجارات وآثارها الحقيقية . فان قانون تنظيم الايجارات ، وتحديدها بسبع أمثال الضريبة ، وكذلك الحد من امكانيات الملاك من طرد المستأجرين هو واحد من تلك القوانين التى كان من الممكن أن تلعب دورا خطيرا فى تطوير علاقات الانتاج فى القرية من زاويتين :

أولهما : أن الملكية الغائبة هى أحد السمات التى ارتبطت من البداية بقوانين الملكية الزراعية فى مصر منذ نشأتها الاولى فى منتصف القرن التاسع عشر ، مما أثر على الانتاج وعلاقاته بشكل

---

[٤] فى سنة ١٩٥٢ كان هناك ٢٠٠٠ جمعية تعاونية ائتمانية تضم ٤٣٨ الف مزارع وفى سنة ١٩٧٠ كان هناك ٤٣٤٣ جمعية ائتمانية ، ٥٥٣ جمعية اصلاح .

[٥] سيد مرعى - الاصلاح الزراعى ص ١٧٧ - ١٧٨ .

[٦] تفتيت الاراضى الزراعية فى مصر - مطبوعات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية .

سلبى للغاية ، وأدى الى زيادةوانتشار علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، ومن هذه الزاوية نستطيع أن نقول أن قوانين تحديد الايجارات قد لعبت دورا كبيرا فى تصفية هذه العلاقات .

ثانيهما : أن نسبة الاراضى المؤجرة كانت قد ارتفعت فى أوائل الخمسينات الى نسبة ٦٥ فى المائة من الاراضى المنزرعة ، كما ارتبطت الايجارات بأسس وظروف كانت تجعل المستأجر فى النهاية اشبه بقن يعمل فى الارض طول العام ، ولا يكاد يخرج الا بقوت يومه مع تبعية مطلقة للمالك .

غير أن قوانين الايجارات استطاعت ، فى البداية أن تحسن هذه العلاقة ، بما أعطته من ضمانات للمستأجر . ولكن هذه الضمانات سرعان ماحد من فاعليتها الشكل اللاديمقراطى للعمل فى الريف ، وسيطرة أغنياء الفلاحين على جميع الاجهزة العاملة فى القرية .

وكانت النتيجة ، أن عادت القيمة الحقيقية للايجارات الى الارتفاع كثيرا عما حدده القانون ، كما عادت أشكال متخلفة من الايجارات ــ وبالذات الايجار العينى [٢٠ فى المائة من الاراضى المؤجرة] ، والايجار المحصولى [أى تأجير الارض لمحصول واحد .. [٧] .

كذلك فان وجود ٣ ملايين فلاح معدم ، ووجود حوالى ٤٣ فى المائة من الاراضى الزراعية فى يد ٥ فى المائة من الملاك ، ووجود ٢٫٢٥٠٫٠٠٠ مالك يمثلون ٧٥ فى المائة من مجموع الملاك ويملكون فدانا فاقل ، كل هذه عوامل أساسية قد ساعدت على الحد من فاعلية قوانين الايجارات . والنتيجة المنطقية هو أن يزيد التهافت على الايجار تحت أى شرط ، وهذا ما يدعم مراكز كبار ومتوسطى الملاك الذين يؤجرون أكثر من ٥٠ فى المائة من الاراضى التى تقع فى حوزتهم .

الحل المصرى

واذا حاولنا ان نجد آثار ذلك كله بقراءة للارقام فى الخط البيانى لدور الزراعة فى الانتاج والدخل والعمالة ، فستصدمنا قليلا تلك الحقائق الصلبة بما لها من دلالات :

أولا : بالنسبة للعمالة ، نجد انخفاضا قليلا فى نسبة العمالة فى الزراعة [من ٥٤ فى المائة سنة ١٩٥٢ الى ٥٠ فى المائة سنة ١٩٦٨ فى حين ارتفعت العمالة فى الصناعة من ١٠ فى المائة الى ١٢٫٥ فى المائة . وهذه ظاهرة غير صحية بالمرة ، اذ أنها توحى بعجز القطاعات الانتاجية ، وخاصة الزراعة عن تحقيق هدفها . وأن الانتقال الذى حدث ذهب الى أنشطة منخفضة الانتاجية [الخدمات وغيرها] .

ثانيا : أن الزيادة فى الانتاج الزراعى ارتفعت بمعدل يتراوح بين ٢٫٥ ، ٤ فى المائة فى الفترة من ١٩٥٤ـ١٩٦٧ ، وهو معدل أقل من المتوسط ، وهناك دول كثيرة تحقق معدلات أعلى تصل الى ٧ ، ٨ فى المائة . ولا شك ان السبب الرئيسى وراء هذا التخلف فى معدل زيادة الانتاج الزراعى انما يعود الى التنظيم الزراعى القائم الذى يقف عقبة أمام قفزة عالية ومطلوبة فى الانتاج .

ثالثا : أنه مع ملاحظة الزيادة فى الدخل الناتجة عن الزراعة ، من ٤٣٧ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ الى ٩٢٨ مليون جنيه سنة ١٩٦٧ ، الا أن تكاليف الانتاج نفسها قد زادت مما جعل الزيادة فى الدخل الصافى محدودة للغاية [٨] ، وبالتالى فاننا نجد متوسط الدخل الفردى الزراعى يرتفع من ١٩٫٣ جم سنة ١٩٥٢ الى ٢٨٫٧ جم سنة ١٩٦٤ [٩] .

وهنا نصل الى جوهر الواقع المتخلف للانتاج الزراعىوالمنتجينالزراعيين ، الامر الذى يجعل كل المهتمين بدفع وتطوير الاقتصاد المصرى ــ الى آفاق أبعد ــ يطالبون بضرورة البحث عن تنظيم انتاجى للزراعة المصرية يتجاوز العقبات والمشاكل التى تحد من انطلاق الانتاج والمنتجين .

واذا كانت الزراعة الواسعة هى الحل الوحيد للتغلب على مشاكل التفتيت ، وتيسير استخدام الآلات والوسائل العلمية فان التعاونيات الانتاجية القائمة على أساس الاستغلال الجماعى الواسع مع

---

[٧] تقرير لجنة تصفية الاقطاع ــ الطليعة سبتمبر سنة ١٩٦٦ .
[٨] الدخل الصافى هو المتبقى بعدخصم مصاريف الانتاج وقيمة الايجارات، وقد تضاعفت هذه المصاريف .
[٩] عثمان الخولى ــ الزراعـة العربية ص ٢٦٧ .

الحفاظ على حقوق الملكية تصبح هى الحل المصرى الوحيد .

ان اقامة مزارع الدولة فى الاراضى الجديدة المستصلحة ، وتعميم التعاونيات الانتاجية لضمان المساحات الواسعة فى الاراضى الاخرى ، هى مسألة أبعد تماما من أن تكون ذات مدلولات نظرية فى واقعنا المصرى ، بل ان أى دارس موضوعى لعنق الزجاجة الذى تدخل فيه الانتاجية الزراعية المصرية سيجد أن مصر قبل أى دولة أخرى ، فى أمس الحاجة الى هذه التنظيمات الانتاجية فى الزراعة كحل وحيد لدفعها وتطورها .

□□

« الطليعة » والمسألة الزراعية فى مصر

حسين طلعت

لم يكن من قبيل المصادفة أن ترتبط ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بالمسألة الزراعية . ولا نبالغ اذا قلنا ان موقفها من تحديد الملكية الزراعية — وهو اجراء اجتماعى اقتصادى فى جوهره — ربما كانت له الاولوية — على الغاء نظام الحكم الملكى فى مصر .

ولم تسلك ثورة يوليو الطريق الكلاسيكى للثورات الوطنية الديمقراطية ذات الطابع الرأسمالى — كثورة سنة ١٩١٩ على سبيل المثال — التى حافظت على شكل الملكية الاقطاعى وشبه الاقطاعى فى الريف — مما أدى بالضرورة الى تعثرها ومكن كبار ملاك الاراضى وكبار الرأسماليين من الانفراد بالسلطة ، ومن اقامة علاقات تابعة وشبه تابعة للاستعمار البريطانى لكن ثورة يوليو وبضربها للاقطاع ، وبتحديد الملكية الزراعية سلكت الطريق الذى مكنها من التحرر الكامل من السيطرة السياسية للاستعمار ، أثر عدوان سنة ١٩٥٦ وهذه هى السمة الجديدة التى تميزت بها الثورة الوطنية التحريرية فى مصر : — ربط الصراع السياسى مع المستعمر بالصراع الاجتماعى مع ركائزه الاساسية — كبار الملاك ، وكبار الرأسماليين — فى الداخل . ولهذا ، اتخذ الاستعمار موقفا عدائيا ثابتا من الثورة بعد أن فشل فى محاولاته للاستحواذ عليها .

ولم يكن أمام القيادة السياسية فى مصر سوى أحد أمرين ، فأما قبول مبدأ الخضوع والاستحواذ من جانب الاستعمار القديم والجديد ، واما مقاومة هذه السياسة بمختلف مظاهرها . واختار المناضل جمال عبد الناصر الطريق الثانى .

ولقد أولت « **الطليعة** » المسألة الزراعية فى مصر اهتمامها منذ صدورها ، وتابعت دراستها وطرحت المشاكل والحلول التى يمكن أن تسهم فى تطوير الريف المصرى اقتصاديا واجتماعيا ، بهدف انجاز مهام الثورة الوطنية الديموقراطية والانتقال الى مرحلة البناء الاشتراكى .

خريطة الطبقات الاجتماعية فى الريف المصرى

أنهت ثورة يوليو ٥٢ نظام الحكم الملكى التابع ، والمعتمد على تحالف قوى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة . وبدأت فور استيلائها على السلطة بتصفية أحد جناحى هذا التحالف — الاقطاعيين وكبار ملاك الأرض — بقانون الاصلاح الزراعى الاول سنة ٥٢ ، ثم وجهت ضربتها الثانية الى رأس المال الاجنبى بقوانين التمصير أثر عدوان سنة ٥٦ ، وتلتها الضربة الثالثة — قوانين يوليو الثورية سنة ٦١ — التى صفت مراكز كبار الرأسماليين المحليين وبقايا كبار ملاك الأرض الزراعية .

وقد ترتب على قوانين الاصلاح الزراعى اعادة تشكيل الخريطة الاجتماعية للريف المصرى .. وحددت « **الطليعة** » معالمها الرئيسية فيما يلى :

١ — اعادة توزيع الاراضى الزراعية الخاضعة للقانون على فقراء الفلاحين ، وبلغت المساحة المستولى عليها ٨٧٥ر٠٠٠ فدان تقريبا .

٢ — تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر

بتحديد القيمة الايجارية بسبعة أمثال الضريبة السنوية للفدان .

٣ ــ حق العمال الزراعيين فى تكوين النقابات الزراعية .

٤ ــ تطوير التعاون الريفى وانشاء تعاونيات الاصلاح الزراعى .

٥ ــ تدخل الدولة فى تسيير أمور الاقتصاد الزراعى سواء عن طريق اجهزتها التنفيذية والسياسية ، أو عن طريق زيادة الاستثمارات فى مجال الزراعة ــ القديمة والجديدة ــ بهدف تطويرحياة الفلاحين ورفع مستواهم الاقتصادى.

وترتب على تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى تغييرات ملحوظة فى تركيب الريف الطبقى ، واعادة توزيع القوى ومراكز الفئات الاجتماعية المختلفة ، وذلك على الوجه التالى :

١ ــ **الرأسمالية الريفية** :

[أ] **الكبيرة** : وهى الشريحة التى نمت نموا ملحوظا خلال ما يزيد عن عشرين عاما ــ وهى التى تزيد ملكيتها عن ٢٠ فدانا وتعتمد بصورة أساسية على العمل المأجور فى عملية الانتاج .

[ب] **المتوسطة** : وتتراوح ملكيتها بين ١٠ ــ ٢٠ فدانا وتستخدم العمل المأجور .

[ج] **الصغيرة** : وتتراوح ملكيتها بين ٥ ــ ١٠ فدادين وتستخدم أساسا العمل المأجور وتعتمد جزئيا على عمل الاسرة .

٢ ــ **الملاك الغائبون** : وهم شريحة ملاك الارض التى لا تقيم فى القرية وتمتهن مهنا اخرى غير مهنة الزراعة ــ أساسا فى المدن ــ وهم يتبعون نظام الايجار النقدى ، أو نظام المشاركة .

٣ ــ **صغار الملاك** : وهم من تتراوح حيازتهم بين ١ ــ ٥ فدادين ويقومون بزراعة هذه المساحة أساسا باعتمادهم على قوة عمل الاسرة [انتاج عائلى] ونادرا ما يستخدمون العمل المأجور باستثناء مواسم محددة .

٤ ــ **فقراء الفلاحين** : وهم أصحاب حيازة فدان فأقل . ونظرا لضيق حيازتهم يضطرون الى العمل بأجر فى مزارع الرأسمالية الريفية وتزيد مدة عملهم كاجراء عن عملهم كملاك أرض. وهم يجمعون بين صفة المالك الفقير والعامل الزراعى .

٥ ــ **العمال الزراعيون** : وهم الذين لا يملكون سوى قوة عملهم فقط ، ولا يملكون اية مساحة من الارض سواء بالايجار او بالتمليك وينقسمون الى نوعين :

[أ] عمال زراعيون يعملون فى زمام قراهم الاصلية وبصورة شبه ثابتة فى مزارع رأسمالية الريف .

[ب] عمال التراحيل وهم الذين يقومون بالعمل فى مناطق بعيدة عن موطنهم الاصلى سواء فى الاعمال الزراعية ، فى الاراضى الجديدة والقديمة ، أو فى الاعمال المتعلقة أساسا بمشاريع الرى والصرف .

وطبقا لاحصاءات سنة ١٩٦١ بلغت نسبة عدد المزارع الصغيرة التى تقل ملكياتها عن ٥ افدنة ٨٤ ٪ من اجمالى عدد المزارع بالجمهورية ونسبتها الى مساحة الاراضى الزراعية ٣٨ ٪ . فى حين أن المزارع التى تتراوح مساحتها بين ٥ ــ ٢٠ فدانا تمثل ١٤٪ من عدد المزارع ، ٣٠٪ من المساحة المنزرعة ، وتمثل المزارع التى تزيد عن ٢٠ فدانا ٢ ٪ من عدد المزارع ، ٣٢ ٪ من المساحة المنزرعة [١] .

وفى ضوء هذه الخريطة الاجتماعية ركزت « **الطليعة** » على دراسة دور الرأسمالية الريفية والعمال الزراعيين وعلاقاتهما بالطبقات الاخرى ، وفى علاقاتهما بمضمون التطور الاجتماعى والاقتصادى للبلاد بشكل عام وايضا فى اطار علاقاتهما بطبيعة السلطة القائمة ودورها فى اطار تحالف قوى الشعب العامل .

عن الرأسمالية الريفية

أوضحت « **الطليعة** » ان الرأسمالية الريفية نمت نموا ملحوظا ، اذ زادت المساحات التى تتراوح بين ٢٠ ــ ٥٠ فدانا بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى . « ان المكاسب الضخمة التى تحققت لافراد هذه الطبقة تدفعهم الى شراء الارض من صغار الملاك .. وهذا التحول الكبير لصالح هذه الطبقة من أعيان الريف قد جعل منها صاحبة نفوذ كبير فى النواحى الفكرية والتنظيمية والاجتماعية » [٢] .

● كما تناولت مقالة « تحرير قوى الانتاج فى الريف » هذه الظاهرة موضحة أن النتائج الموضوعية لسياسة الاصلاح الزراعى قد ترتب عليها ضرب الملكية الاقطاعية الكبيرة ، وتدعيم ودفع التطور الرأسمالى فى الزراعة ، واتساع ونمو فئة أغنياء الفلاحين الذين يزرعون الارض المملكة أو المستأجرة على أسس رأسمالية . وأنه « لا يتصور اقامة ديمقراطية واسعة وحقيقية ما لم يتم تحرير الفلاحين نهائيا من سيطرة الملاك الكبار ، والرأسماليين فى الريف » .

---

[١] الطليعة : افكار وملاحظات حول السياسة الزراعية ــ مارس سنة ١٩٦٨.

[٢] فؤاد الدهان ــ يناير ٦٥.

● وتناولت مقالة « الفلاحون يواجهون انحرافة البيروقراطية » خريطة الملكية الزراعية طبقا لاحصاءات سنة ٦٤ التي توضح : أن ٣٥٫٢ ٪ من المساحة يملكها ٢٫٣ ٪ من الملاك ومتوسط مساحة الحائز الفرد في المساحات التي تتراوح حجم حيازتها من ١٠ — ١٠٠ فدان يبلغ ٢١٫٥ فدانا . بينما نجد أن ٦٤٫٩ ٪ من المساحة يملكها ٩٦٫٨ ٪ من الملاك ومتوسط ما يملكه الحائز الفرد في الحيازات التي تقل مساحتها عن ٥ أفدنة ١٫٣ فدانا للفرد — كما أوضحت أن هناك فارقا كبيرا بين الوزن الاقتصادى للفئة الاولى وتعاظم تأثيرها على الفئة الثانية[٣].

● ومن خلال الدراسة التي قامت بها الطليعة بعنوان « شهادات واقعية وتقارير من الريف المصرى » تناولت مقالة « حول حركة واتجاهات الصراع الطبقي في الريف» مظاهر هذا الصراع، وسجلت أن جذور الاقطاع لا تزال قوية — استنادا الى ما كشفت عنه «لجنة تصفية الاقطاع» من اشكال مختلفة للاستغلال تتمثل في التهرب من قانون الايجار بسبعة أمثال الضريبة ، كما تتمثل في السيطرة الارهابية لبعض الاسر الاقطاعية . كما اشارت الى أن قوانين الاصلاح الزراعي قد شجعت على نمو الرأسمالية الريفية وطبقة أغنياء الفلاحين [٤] .

● وأشارت مقالة « ملاحظات حول تطور العلاقات الاقتصادية والطبقية في الريف » [٥] الى أن اتجاه التطور يتركز في ضرب الملكية الاقطاعية الكبيرة ، وفي انشاء قطاع عام زراعي، وفي نمو الرأسمالية الزراعية. اذ تحققت زيادة في الريع الزراعي قدرها ٥٤ مليون جنيه خلال الفترة من عام ٦٠ الى ٦٥ تقدر نسبتها بـ ١٧٫٦٪ آلت معظمها الى الرأسمالية الزراعية. كما أشارت الى استمرار بعض مظاهر العلاقات الاقتصادية الاقطاعية والتي تتمثل أساسا في نظام المزارعة ، والى حجم رصيد الديون المتأخرة على الملاك الذين تزيد مساحة ملكياتهم عن ٢٥ فدانا والذى بلغ ٦٠ مليون جنيه من اجمالى ديون متأخرة قدرها ٨٠ مليونا من الجنيهات . واقترحت المقالة اعادة النظر في نظام الائتمان المجانى الذى تستخدمه الرأسمالية الزراعية واقراض أغنياء الفلاحين بفوائد . وضرورة تعديل نظم التسويق التعاونى في التسويق على أساس تصاعدى بالنسبة لحجم الحيازات . وضرورة اشراك الجمعية التعاونية الزراعية في القرية كطرف في كل علاقة ايجار . وفرض ضريبة نوعية على النشاط الزراعى .

● وتناولت افتتاحية « **الطليعة** » أبعاد الصراع الاجتماعي والسياسي في الريف [٦] . وأشار الى أن هذه الابعاد تظهر بجلاء أن المعركة الحقيقية هي بين الرأسمالية الطفيلية في الريف وبين كل فئات الرأسمالية الوطنية المتجسدة في صغار ومتوسطى الفلاحين والعمال الزراعيين والمثقفين الريفيين الثوريين، وهذا بدوره يستلزم العمل على عزل هذه الرأسمالية الطفيلية عن تحالف قوى الشعب العامل ... وأن الرأسمالية الريفية تسيطر سيطرة فعلية على مظاهر وأدوات النفوذ الاجتماعي والادارة المحلية في القرية » [٧] .

العمال الزراعيون

تعتبر طبقة العمال الزراعيين اكثر طبقات الريف المصرى تعرضا للاستغلال وتدهورا في مستوى المعيشة وحرمانا من الخدمات العامة ، بالرغم من أن تعدادها يصل الى قرابة ٣ ملايين عامل وتعتبر العمود الفقرى للانتاج الزراعى وهي التي تحقق الفائض الناتج من مزارع الرأسمالية الريفية ، ويقع عليها العبء الاكبر في استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة ...

وقد تناولت مقالة « مسيرة العمال الزراعيين [٨] » تطور الحركة النقابية لعمال الزراعة ، اذ صدر أول اعتراف قانونى بحق العمال الزراعيين في التنظيم ، بعد قيام الثورة. ولم يزد هذا في البداية ، عن كونه اقرارا بهذا الحق . وبالرغم من ذلك فقد قوبل القانون بمقاومة شديدة من كبار الملاك ورأسمالية الريف ، واقتصر الامر على تكوين نقابات عمالية في الشركات والمزارع الحكومية ، كما تم تكوين اتحاد عمال ومستخدمى الزراعة بطريقة علوية . وبعد صدور القرارات الثورية سنة ٦١ والميثاق الوطنى ، أعيد تشكيل النقابة العامة لعمال الزراعة ، وأعلن عن تشكيل اللجان النقابية في القرى .

[٣] عادل غنيم سبتمبر ٦٥
[٤] الدكتور عباس كسبية يونية ٦٦
[٥] عدد سبتمبر ٦٦
[٦] عادل غنيم سبتمبر ٦٦
[٧] لطفى الخولى يونية ٦٦
[٨] عبد المنعم الغزالى سبتمبر ٦٦

وشاب هذا التنظيم جوانب سلبية أهمها : تسلل مقاولي الانفار الى التنظيم النقابي ، وسياسة التوجيهات الادارية التي شلت من فاعليته بجانب سيطرة القوى المحافظة على غالبية اللجان . واقترح من أجل تطوير بناء التنظيم العمالي في الريف ، ضرورة تكوين الكادر الزراعي النقابي ، تنشيط التنظيم السياسي والنقابي في علاقته باللجان في القرى ومساهمة النقابات الصناعية في تدريب العمال الزراعيين ، والغاء نظام مقاولي الانفار قانونيا وواقعيا ، مع ضرورة مشاركة الاتحاد العام للعمال في بناء التنظيم .

● واستعرضت دراسة « عمال التراحيل المشكلة والحل » [٩] أسباب بروز مشكلة طبقة العمال الزراعيين في مصر وأرجعتها الى تفتت الملكية الزراعية ، واستيلاء الاقطاعيين وكبار الملاك واغنياء الفلاحين والمرابين الاجانب — قبل الثورة — على الاراضي الزراعية أما عن طريق القهر أو رهون البنوك العقارية . هذا بالاضافة الى الغاء نظام السخرة الذي ولد الاحتياج الى العمل البشري في المشروعات المختلفة ، بطء التقدم الصناعي . واشارت الى أن القوانين التي أصدرتها الثورة بالنسبة لتكوين النقابات وتحديد الحد الادنى لأجر العامل الزراعي بـ ١٨ قرشا لم تشق طريقها الى حيز الواقع . كما أنه على الرغم من قيام النقابة العامة للعمال الزراعيين ، الا أن عدد المنتمين اليها بلغ ٣٧٦٥٠ عاملا وهي نسبة ضئيلة للغاية .. على أن عدد العمال الزراعيين قد ارتفع خلال السنوات ٤٥ — ٥٠ الى ٦٥/٦٦ من ٢ مليون عامل الى ٣ ملايين ، بسبب الزيادة السكانية ، وازدياد ظاهرة تفتت الملكية في الحيازات الصغيرة ونمو الرأسمالية في الزراعة والتي أدت الى تحويل العديد من المستأجرين الى عمال : حق التجنيب — وادخال الالات في الزراعة وانتشار ظاهرة الزراعة بالمشاركة . كما تناولت الدراسة النشاط الطفيلي لمقاولي الانفار — وغالبيتهم من بورجوازية الريف — الذين يستخدمون سلاح الاقراض المقدم ، **والعصبية** الريفية في السيطرة على العمال . ويتراوح الفرق بين الاجر الرسمي والفعلي للعامل من ٥ — ٨ قروش يوميا ، علاوة على عمولة تتراوح بين ٣ — ٦ ٪ يحصل عليها المقاول . ويتسم عمل مكاتب التراحيل بالطابع الروتيني ، وتعتمد في نشاطها بصورة كبيرة على مقاولي الانفار . واقترحت الدراسة حلولا لعلاج المشكلة تتركز في ضرورة السير في خط التنمية الصناعية لاستيعاب أعداد متزايدة من العمال الزراعيين مع فتح مدارس التأهيل المهني لتحويل العمال الزراعيين الى عمال فنيين ، مع أهمية وضع سياسة لتطوير شامل للريف القديم والجديد يمكن من الاستفادة من العمالة المؤهلة . أما الضمانات المطلوبة لهم حاليا فهي : شمول التشريعات العمالية لعمال الزراعة — حد ادنى للاجر وتحديد لساعات العمل اليومية ، التأمين الاجتماعي لهم مع ضرورة قيام التنظيم النقابي والهيئات الشعبية بدورها تجاههم .

الزراعة وقضية التنمية الاقتصادية

بعد أن حققت ثورة يوليو الاستقلال السياسي ، وحررت الاقتصاد المصري من التبعية للاستعمار وصفت النفوذ الاقتصادي والسياسي لكبار ملاك الارض وكبار الرأسماليين ، واجهت قضية التنمية الاقتصادية باعتبارها حجر الزاوية في الحفاظ على هذا الاستقلال ، وتجنب الوقوع في تبعية الاقتصاد للاستعمار الجديد .

وتناولت « **الطليعة** » علاقة الزراعة بالتنمية وأهمية تكوين فائض زراعي متنام يمكن من تحقيق معدلات التنمية المستهدفة في الصناعة — وخاصة الثقيلة — والتي يمكن أن تقوم بمد الزراعة الحديثة بمتطلباتها من الالات والاسمدة الكيماوية والمبيدات لتحويل الزراعة المصرية الى زراعة تعتمد على التكنيك المتقدم في الانتاج .

ولكي تلعب الزراعة دورها في التنمية ، لابد من اعادة النظر في أسلوب الانتاج العائلي الصغير الذي يقف عقبة أمام استخدام وسائل الميكنة الحديثة . وهنا لابد من دراسة الحلول التي تعالج مشاكل التفتيت الزراعي .

● واشارت مقالة « تحرير قوى الانتاج في الريف » [١٠] الى أن حل التناقض بين الصناعة والزراعة ، يتوقف على حل المسألة الزراعية . فالصناعة الاستهلاكية لا بد لها من قوة شرائية في الريف . والزراعة بوضعها الراهن — تعتمد على الانتاج الصغير وبالتالي فهي عاجزة عن الاستفادة من قوى الانتاج الحديثة . ومن هنا يقف المشروع الفردي عقبة في طريق توسع وتكامل الصناعات الثقيلة . ان حل المسألة الزراعية يعني حل المعادلة الصعبة التي طرحها « ميثاق العمل الوطني » وهي كيف نزيد الانتاج ، وفي نفس الوقت نزيد الاستهلاك في السلع والخدمات ، مع استمرار التزايد في المدخرات اللازمة للاستثمارات الجديدة . وأشارت المقالة

[٩] حسني حسين يناير ٧١

[١٠] عادل غنيم — سبتمبر ٦٥

الى أن الريع الزراعى الذى كان يستولى عليه كبار الملاك قبل الثورة بلغ ١٤٠ مليونا من الجنيهات انخفض الى ١٠٠ مليون جنيه مضافا اليها الفوائد والارباح الرأسمالية التى يحصل عليها الرأسماليون من الزراعة .

وتناول تقرير « أفكار وملاحظات جديدة حول السياسة الزراعية » [١١] الى أهمية الزراعة بالنسبة للاقتصاد القومى ، وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية ، باعتبارها المصدر الرئيسى للعملات الاجنبية [بنسبة ٨٠ ٪] كما أنها المصدر الرئيسى للمادة الخام فى صناعات هامة ــ الغزل والنسيج الصناعات الغذائية ــ وهى مصدر تموين الصناعة بالقوى العاملة ، وهى تمثل بالنسبة للصناعة السوق الرئيسى لتصريف منتجاتها . وهى فى النهاية ، الممول لعملية التنمية الاقتصادية عن طريق تكوين الفائض الاقتصادى الزراعى . وأشار التقرير الى أنه يمكن خلق هذا الفائض دون استغلاله استغلالا كاملا فى التنمية ــ وهذا يتوقف على طريقة استغلال هذا الفائض ، وهل يوجه بصورة أساسية للتنمية ، أم يستخدم شرائح طبقية معينة فى تحقيق مزيد من التراكم الرأسمالى يضمن ازدهار اقتصادياتها على حساب التنمية الاقتصادية . وأشار التقرير الى أن سياسة رفع أسعار المحاصيل الزراعية تؤثر على اسعار المنتجات الصناعية والاجور ، بما يترتب عليه من تضخم فى الاقتصاد المصرى . ولكى نتمكن من تحقيق الفائض المطلوب لا بد من خفض الاستهلاك وزيادة الانتاج ، وخفض الانفاق اللااقتصادى ــ المصروفات البيروقراطية ــ التى يتحملها المنتج الصغير ، مع ضرورة احتجاز أكبر فائض من الرأسمالية الزراعية . اذ لا تزيد نسبة الضرائب المحصلة من الدخل الزراعى عن ٣ ٪ ، وهى تقل بكثير عن نسبتها المفروضة على دخول الفئات الاخرى . وأشار التقرير أيضا الى عجز الزراعة عن تحقيق أهداف الخطة الخمسية الاولى ٦٠/٦٥ ، بالمعدل المستهدف لزيادة الانتاج وهو ٥ ٪ سنويا ، فقد كان المعدل المحقق ٣ ٪ فقط ــ مما أدى الى زيادة استيراد المواد الغذائية بالعملات الصعبة على حساب المتطلبات الاساسية للتنمية .

الجمعيات التعاونية الزراعية

لا شك أن ثورة ٢٣ يوليو لم تكتف باجراءات تحديد الملكية الزراعية ، واعادة توزيع الارض على الفلاحين المعدمين ، كحل نهائى للمشكلة الزراعية ، وانما خطت خطوات هامة فى تطوير التعاون الزراعى الذى تركز أساسا فى الجمعيات التعاونية الزراعية : جمعيات الائتمان وجمعيات الاصلاح ــ وذلك بهدف تخليص الفلاحين من دور المرابين والرأسماليين الطفيليين سواء فى مجال الاقراض أو المد بمستلزمات الانتاج الزراعى او تسويق المحاصيل ، وقد لعبت الجمعيات دورا لا يمكن انكاره فى هذا المجال ــ الا أن اتساع وتطور دور الجمعيات التعاونية قد شابه الكثير من نواحى القصور والضعف الامر الذى أثر بدرجة ملحوظة على ثقة وحماس الفلاحين وادى فى نهاية الامر الى نوع من عزلة الجمعيات عن جماهير الفلاحين .

● ولقد أشارت مقالة « تحرير قوى الانتاج فى الريف » [١٢] الى أن أبرز مظاهر الحركة التعاونية فى الريف هو الطابع الادارى فى تنظيم المؤسسة التعاونية ، وانفصالها عن جماهير الفلاحين التعاونيين ، وانعزالها عن مشاكل الحركة التعاونية ، واعتمادها فى حل المشاكل على القرارات المكتبية التى تصاغ من أعلى للجماهير . كما اشارت الى تعدد الاجهزة الادارية المكلفة ، والانفاق الطفيلى الذى يتم على حساب الفلاحين ومجموع الشعب العامل . وطالبت بضرورة مقرطة الحركة التعاونية ، والارتكاز على جماهير الفلاحين ، وأهمية العمل السياسى والتنظيمى بين الفلاحين من أجل الديمقراطية والاشتراكية .

● وتناولت مقالة « الفلاحون يواجهون البيروقراطية » الوزن الاقتصادى لرأسمالية الريف ومدى تأثيرها ونفوذها على الجمعيات التعاونية ، وكيف أنها استطاعت أن تحول مجالس ادارة معظم الجمعيات الى اتباع لها ويتم انتماؤهم اليها فى غيبة من التنظيم السياسى . كما أصبحت اجتماعات مجالس الادارات صورة بعيدة عن الاهداف المرسومة فى الميثاق مما أوجد فاصلا بين القاعدة الفلاحية والجمعيات وأدى الى سلبية واضحة من جانب الفلاحين تجاهها . أما فى جمعيات أراضى الاصلاح الزراعى فالسلطة فى يد الجهاز البيروقراطى المعنى ولا يملك أعضاء الجمعيات

[١١] الطليعة مارس ٦٨
[١٢] عادل غنيم سبتمبر سنة ٦٥
[١٣] الدكتور عباس كسيبة سبتمبر ٦٥

حق الاعتراض على تعيين الاعضاء أو عزلهم أو مجازاتهم . كما اشارت الى أن « الحركة التعاونية بوضعها الحالى فى مصر تمثل أساسا حركة البيروقراطية المصرية فى الريف تحت واجهة ادارية باسم منظمات تعاونية » .

وبالنسبة لدور التسويق التعاونى ، الذى هو فى الاساس حماية للفلاحين طالبت المقالة بضرورة تعديل نظامه بحيث يمنع كبار الملاك والتجار من تحقيق أرباح فاحشة ، نظرا لتحديد معدل ثابت للتوريد بغض النظر عن حجم الحيازة . فالحيازات الكبيرة تحقق فائضا يطرح فى السوق السوداء ، والحيازات الصغيرة تستهلك هذا الفائض . ويجب ألا تتساوى عمليات التمويل والاقراض بالنسبة للحيازات الكبيرة والصغيرة . كما أن كبار الزراع يتأخرون فى سداد القروض ولا يستخدمونها أساسا فى أغراض الانتاج . وطالبت بضرورة تعيين المشرفين الزراعيين والتعاونيين على أساس سياسى ، وأشارت الى اهمية دور التنظيم السياسى والاسلوب السياسى، بدلا من الاسلوب الادارى ، وان السلاح الرئيسى الذى نستطيع به القضاء على البيروقراطية والانحراف هو تطوير الديمقراطية الاشتراكية والتوسع فيها .

● وفى الدراسة بعنوان « رؤية الفلاحين للموقف الراهن » [١٤] اشارت آراء غالبية ممن اخذ رأيهم فى دور الجمعيات التعاونية ، الى تصور الجهاز الادارى القائم على العمل بها ، وازدياد نفوذ أغنياء الفلاحين على الجمعيات ، والى سلبية مجلس الادارة فى معظمها . وطالبت الدراسة بضرورة ايجاد مجالس ادارة ذات سلطات على الجمعيات وضرورة أن تقوم الاجهزة السياسية بدورها الرقابى .

● وأوضحت مقالة « انتخابات الجمعيات التعاونية الزراعية والاسس التى تتم عليها» [١٥] أن الغاء القانون الذى كان يعطى الفلاح الصغير نسبة ٥/٣ عدد أعضاء مجلس الادارة بالجمعية قد حرم صغار الفلاحين من فرصة دخول مجالس ادارة الجمعيات التعاونية . وانتصرت الآراء المنادية بفشل وانحراف الفلاحين الصغار المنتخبين فى مجالس الادارة ، فى حين أن الفلاح الصغير مشغول دائما بالبحث عن لقمة العيش ولا يستطيع أن يتفرغ ، دون مقابل ، للنشاط فى الجمعية . والغريب أن مبدأ المكافأة قد تقرر بعد تعديل القانون لغير صالح صغار الفلاحين .

ونص التعديل على أن أعضاء مجلس الادارة نصفهم يتكون ممن يملكون أقل من ١٠ أفدنة والنصف الاخر ممن يملكون اكثر من ١٠ أفدنة . وبذلك يتم تسليم الجمعيات التعاونية لنفوذ متوسطى وكبار الراسماليين الزراعيين . كما انتقدت المقالة منهج تسلط المشرفين الزراعيين وسلطاتهم المطلقة بما فيها حق « الفيتو » بالنسبة لقرارات الجمعية . وطالبت بضرورة تدريب صغار الفلاحين على اعمال التعاون التى تعتبر أمورا جديدة بالنسبة لهم .

● وأشارت مقالة « الاصلاح الزراعى بين الثورة وكبار الملاك » [١٦] الى أهمية قوانين الاصلاح الزراعى ودورها فى التغيير الجوهرى الذى تم فى الريف المصرى — أساسا ضرب الاقطاع وتحرير الفلاح من سلطته — وتناول الثغرات التى شابت تنفيذ القانون ، من حيث اعتماده على اللجنة العليا وحدها ، دون الاعتماد على الفلاحين ، والى غياب المؤسسات الجماهيرية التى تساهم فى تنفيذه ، كما أشارت الى تعقيد الاجراءات الادارية والبطء فى التنفيذ بحيث افتقد الفلاحون الطابع الثورى للعملية . كما أن جهاز الاصلاح الزراعى كان يضم عناصر ذات ميول رأسمالية واضحة . واقترحت الغاء نظام المزارعة وتحديد الحد الاقصى لايجار الاراضى الزراعية بمساحة تتراوح بين ٥ ، ١٠ أفدنة وضرورة اشراف الجمعيات التعاونية على الايجارات .

المسألة الزراعية وحرب التحرير

لا شك أن الحرب التى يخوضها شعبنا لتحرير الارض من العدوان الصهيونى الامبريالى تلقى على الزراعة المصرية عبئا مزدوجا : **الاول** : مواجهة أعباء المعركة من زاوية تأمين توفير الغذاء الاساسى للشعب وقواته المسلحة ومتطلبات الانفاق العسكرى . **والثانى** : مواجهة أعباء التنمية الاقتصادية بتحقيق فائض يخصص لمزيد من الاستثمارات ومن أجل التصدير للحصول على العملات الصعبة اللازمة لشراء معدات الصناعة الحديثة . وليس أمام الاقتصاد المصرى من خيار بين الحرب والتنمية . ويتطلب اقتصاد الحرب مزيدا من التضحيات وضرورة الحصول على زيادة من الفائض الزراعى بتخفيض الاستهلاك بصورة عامة ، وترشيد الانفاق الى أعلى درجة ممكنة — ولا شك أيضا ان الجماهير الشعبية هى صاحبة المصلحة الاولى فى طرد الغزاة

[١٤] الطليعة فبراير ٦٨
[١٥] فتحى عبد الفتاح يناير ٦٦
[١٦] طارق البشرى سبتمبر ٦٦

الصهاينة لانها هي التي يقع عليها العبء الاكبر في تمويل المعركة وهي التي تعاني في الاساس من المشاكل الرئيسية الناجمة عن استمرار الحرب — مشاكل التموين والمواصلات والغلاء ... الخ ».

● واوضحت الدراسة الواقعية بعنوان «رؤية الفلاحين للموقف الراهن » [١٧] ثقة الجماهير العميقة ، وفيها تناول الفلاحون ظاهرة قصور التنظيمات السياسية والشعبية وسلبيتها بالنسبة لمستوى الموقف . وان قيادات هذه التنظيمات في غالبيتها لا تمثل مصالح جماهير الفلاحين الحقيقية بل وتسيء الى الاشتراكية . وان قضية الديمقراطية مطروحة بالحاح كي تستطيع الجماهير الحصول على فرصتها في حرية التعبير عن رأيها . وأن تعريف لجنة المائة للعامل والفلاح لا بد وأن يعدل فالفلاح في نظرهم هو من يملك خمسة افدنة فاقل وعمله الوحيد الزراعة ».

● وتناولت الطليعة مقال « الزراعة واقتصاديات الحرب » [١٨] نصيب الزراعة من الاجراءات الاقتصادية المتعلقة بالحرب والى فرض ضريبة أمن قومي تبلغ ٢٥ ٪ من ضريبة الدفاع المفروضة أصلا . وتبلغ ضريبة الدفاع ٥ر١٠ ٪ من القيمة الايجارية للفدان أي ٤/٣ قيمة الاموال وبهذا تكون ضريبة الامن القومي ٦٢ر٢ ٪ فقط من القيمة الايجارية وأقل من ٥/١ قيمة الأموال . ولم تراع ضريبة الامن القومي تنوع المساحات والحيازات بل ساوت فيما بينها وأشارت المقالة الى ضرورة خضوع الاستغلال الزراعي الى الضرائب .

● وأشارت الطليعة في فبراير سنة ٧٣ تعليقا على سياسة وقرارات حكومة الدكتور عزيز صدقي الى دور الزراعة في تأمين متطلبات معركة التحرير والتعمير وتوفير الاقوات الضرورية للشعب والقوات المسلحة لمواجهة معركة طويلة وضرورة الارتفاع بالطاقة الانتاجية للحد من الاعتماد على استيراد المواد الغذائية . وانه في مجال التطوير الاجتماعي في الريف لابد وان يحقق توزيع أكثر عدالة للارض ، وأن يعاد النظر في تخفيض الحد الاقصى للملكية الزراعية . ولا بد من مواجهة ظاهرة التفتيت التي تهدد حاضر ومستقبل الزراعة المصرية بالبدء في نظام التعاون الانتاجي الاختياري بتشجيع من الدولة . كما يجب رسم سياسة حازمة للقضاء على الامية في فترة زمنية قصيرة . وفي مجال التطوير الاقتصادي لا بد من تخفيض نفقات الانتاج ، والغاء مديونيات فقراء الفلاحين ، وفرض ضرائب تصاعدية على الاراضي الغير مؤجرة ، ورفع المستوى المادي لعمال الزراعة ، وضرورة توفير السلع التموينية بصورة عادلة وبأسعارها في المدينة .

ومن الناحية السياسية : لا بد من العمل على مواجهة سلبية الفلاحين وضرورة جذبهم الى الاهتمام بالعمل السياسي . وتطوير التنظيم السياسي وتطهيره من العناصر الفاسدة والمنحرفة والسلبية والمعادية لاهداف الشعب والتحول الاشتراكي والعمل على اقامة ديمقراطية حقيقية في الريف تتمثل في حق الاشراف الشعبي الكامل على الاجهزة الادارية والتنفيذية .

ومن زاوية رفع الكفاية الانتاجية للاراضي الزراعية : لابد من ادخال التكنيك الحديث في الزراعة وهذا يتأتى باعطاء الاولوية لتطوير الصناعات الثقيلة — صناعة الالات والصناعات البتروكيماوية — لتوفير الميكنة الزراعية والاسمدة والمخصبات ، مع ربط كهربة الريف بخطة لتصنيعه ، والاهتمام بالتوسع الرأسي : الزراعة عن طريق تحسين التربة ورفع مستوى مشروعات الري والصرف المغطى ، واعادة تقييم مشروعات التوسع الافقي — القطاع العام الزراعي — وتغيير نظم الادارة المتخلفة به وجعله نواة لقطاع عام زراعي حديث مع تجنيبه مشاكل الزراعة المتناثرة السائدة في الاراضي القديمة .

تعريف العامل والفلاح

اثار تعريف لجنة المائة للعامل والفلاح [بأنه المقيم بالقرية والمشتغل بالزراعة وحيازته لاتزيد عن ٢٥ فدانا] جدلا واسعا حول نتائج وآثار هذا التعريف لعلاقته الوثيقة بوزن الطبقات الشعبية داخل تحالف قوى الشعب العامل . ويتوقف مستقبل التطور الاقتصادي والاجتماعي في مصر على هذه القضية المحورية .

وقد ترتب على هذا التعريف أن استحوذت البورجوازية الريفية على الوزن الاكبر في الاجهزة السياسية والتشريعية .

ولا ادل على ذلك من رفض المشروع المقدم من حكومة الدكتور عزيز صدقي والخاص بفرض ضريبة اضافية على الحدائق لمواجهة اعباء المعركة . علما بأن الراسمالية الوطنية في الريف ليست خاضعة لاية ضريبة استغلال زراعي ».

[١٧] الطليعة فبراير ٦٨
[١٨] فؤاد الدهان سبتمبر ١٩٦٧

● وتناولت الكلمة بعنوان « حول تعريف العامل والفلاح » [١٩] أن الفارق بين المالك والفلاح هو العمل اليدوى ، وأن الفلاح هو من يفلح أرضه بيده ولا يستخدم العمل المأجور فى الانتاج . وقد اتضح أن الحد الاقصى للمساحة التى تسمح للعائلة الفلاحية باستخدام العمل اليدوى هى ٥ أفدنة ، وأن من يملك أكثر من ذلك لا يندرج تحت عداد الفلاحين وانما يعتبر من الرأسمالية الوطنية . وقد أدى تعريف لجنة المائة للفلاح لأن تكون غالبية المقاعد فى الهيئات المنتخبة فى الريف فى يد الرأسمالية الوطنية وحدها .

هذا القصور فى تعريف من هو الفلاح قد أقر به جمال عبد الناصر . فتشير مقالة « من هو الشعب فى فكر جمال عبد الناصر » [٢٠] الى أن « التعريف القديم الذى قام سنة ٦٢ تعريف غير كاف . وهذا التعريف لم يكن نصا فى الميثاق وانما كان التعريف اجتهادا من لجنة المائة اللى اتعملت علشان اقرار الميثاق . والتعريف القديم فات ثغرات كبيرة فعلا استطاع بعض الناس أن يستخدموها ويدخلوا الانتخابات على أساس أن احنا نقبلهم كعمال وكفلاحين . وأنا باقول اذا أردنا لنسبة الخمسين فى المائة المكفولة بالميثاق ميثاق العمل الوطنى للعمال والفلاحين أن تؤدى دورها فى تحقيق التوازن بين قوى الشعب العاملة ودفع التطور فانه لا بد من مقياس جديد يكفل ذلك أكثر » وقدم عبد الناصر فى أثر ذلك ، تعريفه الذى قصر الفلاحين على من لا يحوزون لاكثر من ١٠ أفدنة والذين عملهم الوحيد هو الزراعية ويقيمون فى الريف .

وفى معرض تقييم دور **الطليعة** بالنسبة للمسألة الزراعية يتبين انها ركزت على عدد من المحاور الرئيسية فى مقدمتها :

أولا ــ حددت الطليعة بوضوح طبيعة المرحلة التى تمر بها الثورة ــ مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية والتى تتمثل بالدرجة الاولى فى ضرورة حل المسألة الزراعية حلا جذريا لصالح جماهير الفلاحين الفقراء وعمال الزراعة ، وتفرض هذه المرحلة ضرورة اشاعة الديمقراطية لجماهير الشعب فى المدينة والريف نظرا لكون الجماهير هى صاحبة المصلحة الاساسية فى تطوير الثورة .

ثانيا ــ ابرزت **الطليعة** ان الشرائح العليا من الرأسمالية الريفية تعمل من اجل تطويع مكاسب الثورة لمصالحها الضيقة والمحدودة . ويتمثل هذا فى مواقف متعددة منها : تعديل قانون تكوين مجالس ادارات الجمعيات التعاونية لصالحها ، ورفض فرض ضرائب على الدخل الزراعى ــ قانون الحدائق ــ ومحاولة القضاء على التسويق التعاونى . الموقف المنادى بتصفية القطاع العام الزراعى ــ الاراضى المستصلحة .

ثالثا ــ ابرزت **الطليعة** ضعف فاعلية التنظيم السياسى فى الريف والموقف السلبى الذى اتخذته جماهير الفلاحين من الاتحاد الاشتراكى ــ الذى فقد فى الريف أكثر من المدينة صفته كممثل فعلى لتحالف عريض من قوى الشعب العامل ، واقتصر عمليا على تمثيل الشرائح العليا من الرأسمالية الريفية . كذلك طالبت **الطليعة** بتحديد اكثر علمية وواقعية لمن هو العامل والفلاح تحديدا يتطابق مع الواقع الاجتماعى والاقتصادى القائم فى الريف المصرى ، ويضمن تمثيلا حقيقيا لجماهير الفلاحين .

رابعا ــ اوضحت **الطليعة** ان الاجراءات التقدمية والثورية فى مجال الاصلاح الزراعى قد استندت فى مجال التنفيذ الى الاجهزة البيروقراطية التقليدية بدلا من ان تستند الى القاعدة العريضة لجماهير الفلاحين التى لم تمكن من القيام بدورها فى المشاركة والتطوير لمهام الثورة فى الريف ، ولعبت الاجهزة دورا رئيسيا فى ابعاد كتلة الفلاحين عن النشاط السياسى والاقتصادى مما ادى الى تعذر بناء ركائز جماهيرية منظمة ومرتبطة ارتباطا فعالا بالقيادة السياسية يمكن عن طريقها مواجهة المشاكل الملحة لتطوير الريف .

خامسا ــ دافعت **الطليعة** عن تجربة القطاع العام الزراعى . وطالبت بالاستمرار والتوسع فى استصلاح الاراضى وابرزت ضرورته واهميته بالنسبة للتنمية الاقتصادية ، ولمستقبل الزراعة المصرية بشكل عام . وهى بجوار نقدها لاخطاء هذا القطاع وسلبياته الا انها تعتبره النواة التى يمكن ان تبنى عليها الزراعة الحديثة من الناحية التكنيكية والاقتصادية . كما يمكن ان تطبق النتائج الايجابية التى يمكن احرازها فى زراعة الاراضى الجديدة على الاراضى القديمة الامر الذى يدفع بعلاقات الانتاج فى الزراعة التقليدية الى الامام ويجنبها الكثير من مشاكل التخلف واساسا مشكلة التفتيت فى الملكية بخلق نماذج واشكال متطورة للتعاون الانتاجى فى الاراضى القديمة .

[١٩] د. اسماعيل صبرى عبد الله ــ مايو سنة ٦٨
[٢٠] د. ابراهيم سعد الدين ــ نوفمبر سنة ١٩٧٠



[] اليسار ... وقضية الوحدة العربية []

وعى بالنقص وامتداد له

د . نديم البيطار

> فى هذا المقال يعلق د. نديم البيطار على مقالات كتاب « الطليعة » عن « الوحدة العربية » التى نشرت فى عدد مايو ١٩٧٤ .
> و د. نديم البيطار واحد من المفكرين العرب المعروفين باتجاههم الوحدوى وله عديد من المؤلفات فى هذا الموضوع .

فى الطليعة ، عدد ايار [مايو ١٩٧٤] ، ظهرت مجموعة من المقالات . حول « **الوحدة العربية** ، **خبرات الماضى وتحديات المستقبل** » .

فى هذه المقالات . نرى توكيدا كبيرا على ضرورة اعتماد البحث العلمى فى ايضاح خطة استراتيجية **تؤدى الى الوحدة** ، وهو توكيد انطلق منه البعض فى نقد الفكر القومى لانه فكر يركز على الوحدة كهدف ، ولكن دون بيان الطريق او المراحل التى تؤدى اليها . **د . على الدين هلال** ، احد المساهمين فى العدد ، عبر عن ذلك عندما اشار الى « **غياب تقاليد البحث الاجتماعى** » .. والى « **أن أهم نقد يوجه للفكر القومى العربى هو**

انهماكه فى الشعارات العامة العريضة ، دون اهتمام بالاساليب والاشكال المحددة للوصول الى الوحدة ..» .

فهل استطاعت هذه المجموعة من المفكرين تصحيح هذا النقص الذى اشاروا اليه ؟ .. هل نجد فى هذه المقالات المنهج العلمى الذى يمكن له علميا وموضوعيا ، ان يؤدى الى تعيين الطريق الى الوحدة ؟ ..

الجواب على هذا هو مع الاسف ، **النفى** ، فهذه المقالات كانت رغم وعيها للنقص ، امتدادا له واضافة جديدة اليه ، عاجزة عن اى تصحيح له . فهى شاركت الفكر الوحدوى السائد فى طابعه التبشيرى ، المثالى ، واللاهوتى العام . كما شاركت فى سمة الخمول واللاجدية التى تميزا الاكثرية الساحقة لهذا الفكر .

وبما ان هذه المقالات تركز على الاساليب او الطريق التى يمكن ان تؤدى الى الوحدة ، فاننى سأحاول فيما يلى الوقوف عند هذه الناحية فى التدليل على فشل هذه المقالات فى تقصى القصد الذى توخته .

المنطلق الاساسى لنا كدعاة منهج علمى هو ان الواقع الاجتماعى يتميز بموضوعية مستقلة عن ارادة الافراد ، وان هذه الموضوعية تعبر عن ذاتها بوجود مستقل يعكس نفسه فى اتجاهات اساسية عامة تسوده . وبما ان الموضوع الذى نحن بصدده يدور حول الواقع الوحدوى ، اى الواقع الذى تنتقل فيه مجتمعات مجزأة من حالة التجزئة الى حالة الوحدة ،وجب علينا اذن دراسة هذا الواقع فى موضوعيته المستقلة كما عبر عنها عبر التاريخ ، وليس كما نتصور هذا الواقع . دراسة هذه الموضوعية المستقلة لا تعنى فقط استقصاء الاحداث والوقائع الفردية التى تتشكل منها التجربة الوحدوية او التحقق منها ، بل تعنى ايضا وبشكل خاص تجاوز ذلك او الانطلاق منه الى الكشف عن القوانين العامة التى تسود هذه الاحداث والوقائع ، اى العلاقات الضرورية التى تشدها الى بعضها البعض وتعيد ذاتها فيها . هذا هو العلم ، هذا هو المنهج العلمى الصحيح .

ان نحن اردنا مثلا دراسة ظاهرة الانتحار دراسة علمية لا نرجع الى خيالنا والى ما قد يتصوره هذا الخيال حول طبيعة الظاهرة والاسباب التى تؤدى اليها ، كما اننا لا نكتفى بدراسة حادثة واحدة .. على العكس اننا ندرس هذه الظاهرة اولا كما حدثت ، اى فى حوادث الانتحار ، ونرجع الى عدد كبير منها ذا خلفيات متباينة وفى اوضاع مختلفة ، فنقارن بينها ونحاول ان نكشف عن السمات الواحدة العامة التى تعيد ذاتها فيها كلها . واى العلاقات الضرورية التى تتحكم بها . ما ينطبق على ظاهرة الانتحار ينطبق على جميع الظواهر الاجتماعية الاخرى،من الثورة الى الطلاق .يتبع فى ملحق[1].

ما ينطبق على هذه الظواهر الاجتماعية ينطبق ايضا على الظاهرة الوحدوية ، فان كنا نؤمن حقا بالمنهج العلمى الاجتماعى ، وان اردنا حقا تحديد طريق وحدوية علمية الى الوحدة . يجب علينا الرجوع الى هذه الظاهرة كما حدثت ، فى واقعها التاريخى ، اى الى الاشكال التاريخية للعمليات الوحدوية التى كانت تنتقل فيها مجتمعات مجزأة او جماعات منفصلة فى حالة تجزئة الى حالة وحدة ، فندرس الكيفية التى كانت تتم بها هذه العمليات . ونحاول ان نرى ان كانت تنطوى على بعض الاتجاهات الواحدة التى تعيد ذاتها فيها جميعها ،او فى اكثريتها الساحقة ،فان وجدنا اتجاهات فى هذا النوع وجب العمل بها وبوحيها ، لان تكرر ظاهرة بهذا الشكل يعنى بوضوح ان طبيعة العملية الوحدوية نفسها – اى طبيعة عملية الانتقال من حالة تجزئة الى حالة وحدة – تفرض هذه الاتجاهات ، وان كل عمل وحدوى يجب ان يتميز بالوعى لها والرجوع اليها ان هو اراد ان يكون ناجحا وفعالا .

المنهج العلمى الاجتماعى يؤكد اذن استقلالية الاحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية ،وهو قبل كل شىء محاولة فى ادراك الواقع كما هو ، وفى حركته الموضوعية المستقلة ،اى فى العلاقات الاساسية والضرورية التى تحدد المجرى العام للاحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية ، او العلاقات الانتظامية (Patterns, Repetitive Regularities) التى تعيد ذاتها فيها . ولكن الارتباط بالواقع الموضوعى ، بعالم الوقائع والاحداث والظواهر الخارجية لا يعنى الاقتصار الصرف عليه واستثناء دور العقل . ان العلاقة بين الطرفين هى علاقة ديالكتيكية ، وتجاهل هذه العلاقة يدفعنا الى الانزلاق فى الوضعية ، ومن ثم فى مواقفها المحافظة ، فالعقل يقوم بدور ايجابى ضرورى عندما يدرس ما كان عرضيا وثانويا وآنيا .ولكن كى يتركز على ما هو اساسى وجوهرى واولى ، يقيم الثابت فيها ولكن كى يتجاوزه الى عمليات

ملحق 1 :

عدم رجوع هذه المقالات الى تجارب التاريخ الوحدوية تحدد فى ضوئها وضوء القوانين التى تكشف عنها طريقنا الى الوحدة ، يجعل المفاهيم التى تقدمها حول هذا الطريق كمفاهيم الذى يكتب حول ظاهرة الانتحار والطلاق ، الثورة ، ولكن دون دراسة حوادث الانتحار ، الطلاق ، او الثورات ، اى دون قيمة علمية صحيحة .

التحول الديناميكي وراءه ، ويهتم بآنية الاحداث والظواهر ولكن كي يكشف عن القوى الجديدة التي تتمخض عنها وتحدد مجراها ، وينشغل بهذه القوى ، ولكن كي يتبين القوانين العامة التي تقود وجهة سيرها .

هذه هي المعرفة العلمية التي يمكن للثوري اعتمادها والارتباط بها ، لان الثوري انسان يحاول التدخل في التاريخ كي يغيره ، هذه المعرفة الديالكتيكية هي التي تؤهله لذلك لانها توفر له ادوات العمل في الواقع ، ادوات سيادة الواقع في ادراك حركته والقوى المحركة لهذه الحركة . ولكن هذا النوع من المعرفة كان مفقودا في هذه المقالات .

عندما لا يرتبط الفكر بالواقع الموضوعي كما يصنع نفسه يضيع في تجريد عاقر ، لان الامكانات الممكنة في عالم الفكر المجرد غير مجدودة لايمكن استنفادها ، الافكار دون علاقة حية بالقوانين العامة التي تسود الواقع الذي تدور عليه تكون فارغة المحتوى . ووقائع الواقع الموضوعي دون افكار عامة تفسرها تكون وقائع عمياء . الانسان يستطيع ان يؤثر في التاريخ ويسوده الى درجة ما عندما يدرك الاتجاهات والقوانين التي تسوده . فعن طريق هذا الادراك فقط يستطيع ان يوجه حركته نحو المقاصد التي يبغيها ، وان يختصر الطريق نحوها . يتبع ملحق [٢] .

التاريخ عبر عن ذاته في تجاربه الوحدوية ، في قوانين عامة تسود هذه التجارب ، او بالاحرى العملية الوحدوية التي كانت تكشف عنها هذه التجارب . هذه المقالات لا تدل على اى وعي ، قريب او بعيد ، لهذه الناحية العلمية فيما اتخذته على نفسها في تحديد علمي [؟] لطريقتنا الى الوحدة . مراجعة هذه المقالات مراجعة عابرة كفيلة بايضاح ذلك .

في المقال الاول ، بقلم خالد محيى الدين ، نجد ان الفكرة الاساسية فيما يتعلق بالطريق الى الوحدة ، تعبر عن ذاتها في دعوة الكاتب الى اعتبار « الانظمة التقدمية .. المحور الاساسى للعمل العربى الموحد .. » وذلك « لان اساس اية خطوة وحدوية مقبلة ، لابد وان يبدأ ببحث قواعد التعاون والتقارب والتنسيق والتكامل بين الانظمة العربية التقدمية . وما لم ننجح في ذلك ستظل الوحدة العربية املا منشودا او اتفاقيات لا تنفذ ، او مشاريع لا تجد سبيلها للتطبيق الفعلى » .

الدعوة الى الوحدة « بين الانظمة العربية التقدمية » كخطوة وحدوية اولى ، وكأساس لاية خطوات اخرى هي دعوة علمية ، لانه كما ذكر الكاتب « لا يمكن تصور — حتى من الناحية النظرية — امكانية قيام وحدة بين نظامين اجتماعيين متضاربين ما لم يكن احدها مستعدا للاستسلام للاخر بدرجة او باخرى » . هذا على الرغم من قناعته بامكان التعاون الاقتصادى وضرورته بين الانظمة التقدمية والانظمة التقليدية .

هذا القول ينسجم مع القوانين الوحدوية التي تكشف عنها تجارب التاريخ الوحدوية . على الرغم من ان الكاتب لم يذكر مثلا تاريخيا واحدا يشير الى هذه التجارب ، او الى ان « استنتاجه » هذا كان بأى شكل حصيلة دراسة لهذه التجارب .

ولكن ما اغفله الكاتب هو :

١ — انه اغفل ان يقول لنا كيف يمكن لما دعا اليه من قواعد تعاون ، تنسيق ، تقارب ، وتكامل ، ان يقود الى الوحدة . هذه هي المسألة الاساسية .

٢ — انه اغفل ان يقول لنا لماذا لم تحقق الانظمة التقدمية حتى الان وحدتها . هذه هي ايضا المسألة الاساسية فيما يتعلق بالطريق الى الوحدة .

الكاتب اهمل تماما هذه الناحية ، هذه المسألة ، او هو اوحى للقارىء بان تلك القواعد او الانظمة تؤدى في ذاتها الى الوحدة ، اى ان الوحدة ستكون حصيلة طبيعية وحتمية لوجود هذه الانظمة او تلك الاجراءات في التعاون والتنسيق والتكامل ، فأعطى بذلك الانظمة والاجراءات طبيعة وحدوية ميتافيزيقية ، لان وجودها ذاته يحتم الوحدة .

في المقال الثاني يشير د . علي الدين هلال بحق الى ندرة الكتابات حول « الطريقة التي ستتم بها الوحدة العربية او الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هذا الهدف » ، وكيف « يتناول الكاتب قضايا الوحدة ببساطة شديدة تهدد معها كل النتائج التي توصلت اليها الابحاث العلمية في علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفس » ، ثم يخلص الى القول « ان اهم نقد يوجه للفكر القومي هو انهماكه في الشعارات العامة العريضة ، دون اهتمام بالاساليب والاشكال المحددة للوصول الى الوحدة » .

ملحق ٢ [٥]

راجع للكاتب : «مدخل الى الموضوع» ، الكتاب الاول من دراسة ستكون في سبعة او ثمانية كتب بعنوان « الطريق الى الوحدة العربية ، او نمو الارتباط بمصر الناصرية » ، دار الطليعة ، بيروت ، اكتوبر ١٩٧٣ ، ففيه يجد القارىء شرحا وافيا لهذا المنهج العلمي ، المنهج التاريخي المقارن ، الذى اشارت اليه هذه الملاحظات العابرة السابقة .

بعد هذه المقدمة العلمية الضخمة ؟ ماذا يعطينا الكاتب ؟ .. انه يقتصر فقط على فكرة اساسية تحدد « عملية الوحدة العربية على انها عملية اجتماعية تتضمن احتكاك عناصر وابنية اجتماعية مختلفة ببعضها البعض ، بهدف التنسيق بينها او دمجها فى التحليل الاخير » .

ولكن المسألة الاساسية هى كيف يتم التنسيق او الدمج فى التحليل الاخير ؟ ... ما الطريق الى ذلك ؟ .. كيف يمكن ذلك دون أداة سياسية ، دون وحدة القرار السياسى الذى يتطلبه الدمج ؟ .. هذه هى المسألة الاساسية فيما يتعلق بالطريق الى الوحدة . عدم الاجابة عليها واغفالها اغفالا تاما ، يوحى بأن الكاتب يؤمن ان عملية التفاعل او التكامل تلك تؤدى عفويا وآليا الى الوحدة السياسية . فهى تطفر اليها طفرة واحدة ، وهذا واضح فى مكان آخر يقول فيه « ان عملية التكامل هذه ، على المستويين الاقتصادى والاجتماعى ، هى احدى التحديات التى تواجه مجتمعنا العربى » .

هنا يحدد الكاتب بوضوح مستويات عملية التكامل أو التفاعل ، ولكنه يسقط منها المستوى السياسى ويقصرها على المستويين الاقتصادى والاجتماعى . هذا النوع من الفكر هو اقرب الى التفكير الليبرالى منه الى التفكير الماركسى كما اوضح عن ذاته فى اعلامه الكبار ، لانه يسقط دور الوعى السياسى . دور العمل السياسى ، وبدلا من علاقة ديالكتيكية بين الصعيدين ، الصعيد الاقتصادى والاجتماعى من ناحية ، والصعيد السياسى من ناحية اخرى ، يجعل العلاقة علاقة آلية يتحكم فيها الصعيد الاول تحكما تلقائيا فى الصعيد الثانى . يتبع ملحق [٣] .

فى تحديد هذا الطريق ، طريق التفاعل أو التكامل الاقتصادى الاجتماعى ، لا نجد الكاتب يدلل او يبرهن على صحة الطريق بمثل تاريخى واحد ناجح . او اية كلمة بضرورة الرجوع الى تجارب التاريخ الوحدوية . المثل الوحيد الذى تدمه يدل ، فى الواقع ، على فشل هذا الطريق وليس على نجاحه .

فهو يكتب : « ... ولعل من انجح الامثلة المعاصرة على ذلك هو ما يحدث فى دول السوق المشتركة حيث تتحرك الجماعة الاوروبية بخطوات بطيئة ، ولكن وطيدة وراسخة » .

ولكن الكاتب ينسى أن السوق الاوروبية المشتركة لم تؤد ابدا ، وبعد ربع قرن من ممارستها ، الى الوحدة السياسية التى كانت غاية لها ، وان هذه الوحدة لم تتقدم مع السوق المشتركة باية خطوات بطيئة او سريعة . فالوحدة الاقتصادية قطعت أشواط كبيرة وبعيدة المدى منذ ابتدأ العمل فى سبيلها ، ولكن من ناحية سياسية ، فان ما حدث ينطبق عليه المثل اللبنانى القائل « تيتى تيتى مثل ما رحتى مثل ما جيتى » .

هذا هو ، كما يقول الكاتب ، « أنجح الامثلة المعاصرة » . على هذا الطريق ، طريق التفاعل والتكامل الاقتصادى .

أما « الامثلة المعاصرة » الاخرى التى يشير اليها فى التدليل على هذا الطريق ، فانه لم يعين اى واحد منها . والسبب بسيط ، فهى غير موجودة . فان نحن راجعناها ، ان كان فى شرقى أوروبا ، افريقيا ، امريكا اللاتينية او آسيا ، لوجدنا بوضوح أن ليس هناك من مثل واحد بينها يدل على ان هذا الطريق ادى الى اى وحدة ، الى أى تشكيل فيدرالى ، او كونفيدرالى . ولكن من السخرية بمكان ان عنوان هذا المقال كان «الوحدة العربية ومنهج البحث الاجتماعى» .

فى المقال الثالث ، يصحح عادل حسين **الانحراف الذى ميز المقالين السابقين** ، فينبه فى الفقرات الاولى من المقال الى اهمية العامل السياسى ، والى امكانية البدء بعملية التوحيد السياسى بدلا من التكامل الاقتصادى . فهو يكتب :

« ما هو الطريق الى الوحدة العربية على ضوء التجارب السابقة ؟ وهل اخطأنا — فى الماضى — اذ حاولنا ان نبدأ بالتوحيد السياسى ؟ .

وهو يبدأ التسلسل الطبيعى بخلق اساس اقتصادى متكامل . ثم تأتى الدولة السياسية الموحدة كمرحلة اخيرة بعد هذا التكامل الاقتصادى ؟ » .

ملحق ٣ :
كيف يتم هذا التكامل الاقتصادى دون وحدة القرارات الاقتصادية ، دون وحدة سياسية مسئولة عن القرار الاقتصادى ! . دون تخطيط وتنظيم هذا التكامل من سلطة مركزية ؟ ..
هذا الموقف هو اقرب الى المفهوم الليبرالى منه الى المفهوم الاشتراكى الذى ينطلق منه كتاب هذه المقالات . أى الى المفهوم الذى يترك القصد لطبيعة الاشياء لان طبيعة الاشياء تحمل فى ذاتها التحول المقصود دون تدخل سياسى .

اعتقد اننا لم نخطيء حين ركزنا الجهد على محاولة خلق سلطة موحدة ، قبل خلق الاساس الاقتصادي الموحد ، وليس صحيحا ان هذا التتابع من الاقتصاد الى السياسة ، او من البناء التحتى الى الهيكل الفوقي ، هو التتابع الضرورى والصحيح فى كل الظروف . ففى التجربةالسوفيتية — على سبيلالمثال — تبعثرت الامبراطورية القيصرية بعد نجاح الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ ، وبعد اقرار حق تقرير المصير لمختلف الشعوب والقوميات ، قامت حكومات جديدة على حدود روسيا تصر على الانفصال . وحين قام الاتحاد من جديد بين الجمهوريات السوفيتية ،لميكن ذلك نتيجةالسوق الواحدة او تشابك وتكامل الهياكل الاقتصادية. اذ لم يكنهناك شيء منذلك .فالتطور الراسمالي والصناعى لم يكن قد خلق هذه الدعائم ، ولذا قامت السلطة السياسية الاتحادية اولا .. ثم قامت هى بارساء الاساس الاقتصادى المتكامل، الذى دعم بدوره وحدة البناء السياسي .. » .

هنا نجد ، فى مجموعة المقالات كلها ، الاشارة التاريخية الوحيدة الى تجربة وحدوية ناجحة ، وان لم تكن ، فى الواقع ، نموذجا كلاسيكيا لعملية الانتقال من التجزئة الى الوحدة .

ولكن الكاتب يستطرد ، وكأنه غير مقتنع بضرورة البدء بعملية التوحيد السياسي ، او اولوية العامل السياسي النسبية على العامل الاقتصادى فى هذه العملية ، فيكتب « لقد اردت فقط ان اثبت ان فكرة البدء بالدمج السياسي هى فكرة ممكنة » .

لو صح البحث العلمي والمنهج الذي يعتمده هذا البحث ، لوجد الكاتب ان جميع تجارب التاريخ الوحدوية تدل بوضوح انالاولوية النسبية على الاقل كانت دائما لعملية التوحيد السياسي وليس لعملية التفاعل او التكامل الاقتصادي . ملحق [٤] يتبع ص — ٨

من ناحية اخرى ، ان العمل على اقامة تكامل اقتصادى بين الاقطار العربية المختلفة يعنى فى الوقت نفسه تطورا اقتصاديا خاصا بكل قطر ، تفرضه امكانات واوضاع القطر ،مما يؤدى الى تطور اقتصادى مستقل فى هذه الاقطار ، لان التطوير الاقتصادى فى اطار القطر يعنى تطوير الخصائص الاقتصادية لكل واحد منها ، مما يؤدى فى النهاية الى تباين اقتصادى يرسخ فى دوره ، شئنا ام ابينا ، التجزئة والاجهزة الاقليمية .

ثم ان العمل على التكامل الاقتصادى اولا واقامته كتمهيد للوحدة السياسية يأخذ وقتا طويلا ، وهو وقت يؤدى الى ترسيخ وتجذر الكيانات السياسية الاقليمية مما يزيد من صعوبة ازالتها صعوبة تتزايد مع الوقت ، لان الوقت يعنى نمو وتعقد الاجهزة التى تعبر عنها ، والمصالح الانتهازية المرتبطة بها ، كما ان هذا الوقت سيضفى عليها المزيد من « الشرعية » ويورثها درجة من التقليدية تزيد صعوبة التحرر منها ثانيا .

واخيرا ، ان هذه المقالات التى اكدت طريق التكامل او التنسيق الاقتصادىطريقا الىالوحدة. اشارت الى حدة الهجمة الاستعمارية ضد الوحدة وشراسة قواها فى محاربتها . ولكنها نسيت ان تقول لنا كيف يمكن لهذه القوى ان تسمح بنمو وتطوير وانضاج هذا النوعمن التكامل الاقتصادى الذى يقود الىالوحدة ! ..

المقال الرابع ، بقلم فيليب جلاب ، بعنوان « لا وحدة عربية دون تكامل اقتصادى» يؤكد مرة اخرى بأن الطريق الى الوحدة ، هو طريق التكامل الاقتصادى ، وهو مثل غيره يؤكد ذلك بشكل تبشيرى ، اى دون رجوع — اى رجوع — الى اية تجربة وحدوية تاريخية ناجحة او نجحت عن هذا الطريق . لهذا فان الانتقادات التى وردت حول هذا المفهوم فى الصفحات السابقة تنطبق على هذا المقال ايضا .

ولكن هنا تجدر الملاحظة ان الكاتب يوحى فى المقال نفسه الذى يتشكل من صفحتين فقط ، بأن هذه الطريقة هى فى الواقع طريقة غير سليمة . فهو يكتب :

« لكن اذا كان من اهم اسباب تعثر الوحدة هو الافتقار الى اساس اقتصادى واحد ، او منسق ، اليس من الطبيعى أن ترفض نفس الاطراف او تعرقل عملية التكامل الاقتصادى لنفس الاسباب ؟ » .

هذا يعنى دورانا فى حلقة مفرغة . فالوحدة تتعثر لغياب الاساس الاقتصادى الواحد . ولكن من الطبيعى ان تعرقل الاطراف المعنية عملية التكامل الاقتصادى بسبب غيابالاساس الاقتصادى الواحد . كيف نخرج اذن من هذه الحلقة المفرغة ؟ .. الخروج هو العملالوحدوي السياسي الذى يعمل على اقامة الوحدة كأداة لخلق هذا الاساس ، لخلق هذا التكامل الاقتصادى .

ملحق ٤ :

راجع كتاب « دور القاعدة فى تجارب التاريخ الوحدوية» وهو الكتاب الثانيفىدراسة « الطريق الىالوحدة العربية..» الذى سيصدر عن دار الطليعة ،بيروت، في أواخر هذا الصيف .

ثم يكتب :

« ان اى خلاف سياسى بين قطر وآخر وفى اطار وحدة او اتحاد ، كفيل كما هــو ملاحظ بتمزيق هذه الوحدة او الاتحاد او تجميدها على الاقل ، وليس فى ذلك أى عجب . ما الذى يربط هذا القطر أو ذاك بهذه الوحـــدة ؟ . مجـــرد وثيقة مكتوبة أو اعلان رسمى مشترك .. الخ.
لكن لو أن هناك مصالح اقتصادية عميقـــة الجذور ، لو أن هناك رباط عضوى فى الاقتصاد: زراعة وصناعة وتجارة لـــما تأثرت هذه الوحدات أو اهتزت مهما بلغت درجة الخلاف أو القطيعة السياسية . ان الامر سيصبح فى هذه الحال شأن الخلاف السياسى داخل القطر الواحد . فهل يمـــكن ان يؤدى الخــلاف الســـياسى بين الاتجاهات المتباينة داخل قطر واحد ــ مهمـــا بلغت حدتـــه ــ الى انفصـــال بين محافظـــة وأخرى ؟ » .

هنا أيضا نجد نفس الدوران فى حلقة مفرغة . فالمسألة هى كيف يمـــكن اقامـــة هـــذا الرباط العضوى فى الاقتصـــاد بين أبنيـــة اجتماعيـــة واقتصادية وسياسية مختلفة ؟ ... كيف يمـــكن تحويل الخلاف بين ابنية مختلفـــة من هـــــذا النوع الى خلاف مماثل للخلاف الذى يحـــدث بين اتجاهات متباينة داخل قطر واحـــد ، دون دولة سياسية واحدة كالدولـــة التى تعبيـــر عن ارادة قطر كهذا ؟ .. ان الانفصال لا يحـــدث بين محافظة واخرى فى داخل القطر الواحـــد ، ليس فقط لان « هناك مصالح اقتصادية عميقـــة الجذور .. » بل لان هنـــاك دولـــة تدمج فى اجهزتها الادارية ، السياســـية ، التـــربوية ، الاقتصادية ، الثقافية ، والعســـكرية ، الخ . هذه المحافظات فى وحدة حياة مشتركة وتضـــبط سلوكها بما ينسجم مع مصلحة الكل الذى تمثله وتعبر عنه .

من ناحية أخرى نرى أن هذا المفهوم يقود الكاتب فى الواقع الى انحراف ثورى يجعـــل مفهومه فى الطريق الى الوحدة جزءا من الثورة المضادة . فهو يكتب :

« فما الذى يضير التاجر السورى أو المصرى أو السعودى من وحدة سياسية مادامت لن تضر بمصالحه الخاصة من حيث كونها وحدة ؟ ومـــا الذى يخشاه منتج النفط الـــكويتى من الاندماج فى كيان سياسى عربى واحد ، هو مجرد تعبير رسمى عن واقع اقتصادى فعلى يحقق مصالحه من واقع تجربته العملية ؟ .. وأى تردد يمـــكن أن يحس به رجل الصناعة العراقى [عـــام أو خـــاص] مادامت طاقات العـــراق الصـــناعية والاقتصادية تســـير على ما يرام وفقـــا لاسس التكامل الاقتصادى التى تحقق مصـــالح كـــل الاطراف ؟ » .

هكذا ! .. ان مسألة الوحدة العربية تتحول الى مسألة تكامل اقتصادى محض لا علاقة لـــه باختلاف الانظمة الســـياسية والاجتماعيـــة فى الوطن العربى ! ..

فى المقال الخامس . يؤكد د. رفعت السعيد انه « ليست هناك قضية محل اتفاق الجميع مثل قضية الوحدة العربية . كذلك فانه ليست هناك قضية تثير من الخلافات بين الجميع مثل قضـــية الوحدة العربية ... هكذا يجمعون ــ تقريبا ــ على رأى واحد . لـــكن ــ متى ؟ وكيف ؟ .. وأين ؟ .. هنا يختلفون اختلافات شتى .. » .

اذن الاختلاف ليس حول الهدف : وحـــوله يوجد اجماع عام ، بل حول الاساليب ، حـــول الطريقة المؤدية الى الوحدة . فماذا يقدم لنـــا فى معالجة هذا النقص ؟ ..

كل ما يقـــدمه تقريبـــا يخـــرج عن طبيعـــة الديالكتيك الوحدوى الذى تكشف عنه تجارب التاريخ الوحدوية .

فهو يقول لنا أن الطريق المتاح أمام الوحـــدة العربية يمتد عبر معابر أربعـــة كل منها ضرورى ولازم .

١ ــ « ضمان وحدة القوى الوطنية والثورية فى كل قطر ، واعتبارها النواة والركيزة لاى عمل توحيدى على النطاق القومى ... ذلك أن الامل الوحيد ــ فى اعتقادنا ــ لتحقيق أية وحدة عربية جزئية أو شاملة هو أن تكون نقطة البدء فيها توحيد القوى الثورية والوطنيـــة فى كـــل وطن على حدة فى اطار جبهوى ينجح فى حشـــد مختلف القوى السياسية والاجتماعية دفاعا عن برنامج محلى [على نطاق الوطن] وعـــربى [على نطاق الامة العربية] » .

هذا الاطار الجبهوى قد يخدم وقد لا يخـــدم قضية الوحدة . اذ يرتبط ذلك بالاوضاع الاخرى التى يعمل فيها هذا الاطار . فهو قد يخدم قضية الثورة فى نطاق القطر أو دولة واحدة ، ولكن حتى الان ليس هنـــاك أى دليل تاريخى على صحته كالاداة الاساسية فى تجاوز التجزئة الى الوحدة . فالحركات الوحدوية التاريخيـــة التى كانت تحقق هذا التجاوز بنجاح لم تعتمد على هذه الاداة ، بل اعتمدت على أدوات أخرى لم يتطرق

اليها الكاتب ؟ لا من قريب أو من بعيد . أن تجربتنا نفسها لاتقدمهي الاخرى اىدليلعلى صحة هذه الأداة . فهناك أقطار عربية حققت هذا الاطار الجبهوى ، ولكنها لم تتقدم خطوة واحدة الى الوحدة بسببه . هذا الاطار متوفر فى العراق وفى سوريا مثلا ، وفى البلدين يقوم حزب البعث كقاعدة له ، ولكن العراق وسوريا لم يصبحا اكثر « وحدة » او « اتحادا » بعد اعتماد هذا الاطار .

ثم اننا فى هذه المقالات التى نحن بصددها نجد دليلا آخر على فشل هذا الاطار كطريق الى الوحدة . فهنا نجد عددا من الكتاب الماركسيين يعالجون موضوع الوحدة . ولكن ما يلفت النظر انه رغم انطلاقهم ولقائهم فى نظرية واحدة هى النظرية الماركسية ، فانهم اختلفوا اختلافات واضحة حول استراتيجية الطريق الى الوحدة :

٢ — « ان تقوم الوحدة على اساس احترام الديمقراطية وفقا لضماناتها ، واهمها كفالة حق تقرير المصير لكل شعب بما فى ذلك حقه الثابت فى الانفصال — مؤكدين ان تجارب الوحدة التاريخية قد اكدت ان احترام حق الانفصال هو اكثر السبل فعالية فى ضمان نجاح الوحدة » .

ليس هناك من قول يتجنى على واقع تجارب التاريخ الوحدوية ،او كما يقول الكاتب ، "تجارب الوحدة الناجحة » . اكثر من هذا القول . فهذه التجارب تكشف بوضوح بارز لا غموض فيه او التباس بانها كانت تجارب تتناقض تماما مع الديمقراطية فى هذا المعنى . فالحركاتالوحدوية الناجحة كانت تعنى دائما تركيزا للسلطة السياسية ينفى هذا النوع من الديمقراطية .

ثم ان هذه التجارب لا تكشف بالدقة عن مثل واحد ناجح اعطى حق تقرير المصير لكل شعب بما فى ذلك حقه الثابت فى الانفصال . والكاتب نفسه لا يذكر مثلا واحدا على ذلك ، بل يكتفى باعلانه . هذا الحق كان ، عندما يوجد كما نرى فى التجربة السوفيتية ، كان حقا دستوريا محضا . فان نحن صرفنا النظر عن الاسباب الفريدة والاوضاع الخاصة التى دعت اليه فى حياة لينين ، نجد بوضوح ان هذه التجربة الغته تماما فيما بعد ، فى التطبيق والممارسة .

٣ — ان تتم الوحدة على مراحل ؟ بحيث تتم اولا ضمن محاور متقاربة تكفل قيام تجانس سياسى واقتصادى واجتماعى واضعة فى اعتبارها اتاحة مدى تاريخى ، لاذابة عوامل التمايز وليس البطش بهذه العوامل ، ومحاولة طمسها بالقوة . ذلك ان محاولات الطمس بالقوة تؤدى بالضرورة الى زيادة بروز هذه العوامل».

لا شك ان هذه الاشارة الى ضروره المرحلية فى تحقيق الوحدة يشكل ضرورة اساسية على الرغم من بداهتها وذلك بسبب الطبيعة اللاهوتية والتبشيرية التى تطبع اكثرية الفكر الوحدوى والثورى . ولكن القول بان هذه الوحدة يجب ان تتم اولا ضمن محاور متقاربة — وهو ما ردده أيضا عادل حسين — فأمر يعثر الوحدة ولا يسهلها .. وذلك يعود الى السبب التالى:

وجود اقليم — قاعدة ترتبط به الجهود الوحدوية ويتمحور عليه العمل الوحدوى يشكل قانونا من أهم القوانين الوحدوية — قد يكون اهمها — التى تكشف عنها تجارب التاريخ الوحدوية . هذا يعنى ان قيام محاور من هذا النوع سيؤدى الى نشوء وحدات . اتحادات او كتل جديدة تتميز بثقل سياسى واقتصادى كبير تستطيع به خلق عدة قواعد تتنافس بينها فى استقطاب الجهود الوحدوية . مما يعنى تعثير الوحدة وقتلها نهائيا . تجارب التاريخ الوحدوية تدل بوضوح ان امكانية الوحدة تكون كبيرة جدا عندما يتوفر لها اقليم — قاعدةواحدة — وانها تتقلص وتضعف مع ازدياد عدد الاقاليم — القاعدة * .

المسألة الاساسية فيما يتعلق بالطريق الى الوحدة هى : كيف تقود وحدة المحاور الى الوحدة العربية ؟ .. السؤال ليس انضاج الاوضاع الموضوعية . الوقت القصير أو الطويل فقط ، بل كيفيؤدىهذا الانضاج فىهذا الوقتالىالوحدة . فى المثال نرى فقط طفرة « لاهوتية » نحو الوحدة .

جميع المحاور التى كانت تقدم كخطوات ادنى فى سبيل الوحدة كانت حتى الآن مشاريع استعمارية لمحاربة الوحدة . فمن مشروع الهلال الخصيب الى مشروع المغرب الكبير . ومنوحدة العراق والاردن الى وحدة الجزيرة بقيادة السعودية . كانت كلها من هذا النوع . ان

---

* راجع كتاب « دور القاعدة فىتجارب التاريخ الوحدوية » ، وهو الكتابالثانى من الدراسة التى ذكرت اعلاه . انه سيصدر فى اواخر هذا الصيف عندار الطليعة . بيروت .

ما يستلفت النظر فيها هو غياب مصر عنها ، وهى الاقليم العربى الوحيد المرشح بان يقوم بدور القاعدة . هذا وحده كاف فى الكشف عن طبيعة هذه المحاور الخفية . القول بها هو فى الواقع اسلوب آخر فى تجميدها ، والانحراف عنهـا وتأجيلها .

٤ ــ « يجب ان تتم الوحدة على اساس حماية المنجزات الاجتماعية وضمان مزيد من المكاسب والتقدم للجماهير ، والا فقدنا السلاح الاساسى فى المعركة وهو حماس الجماهير واستعدادها لصيانة الوحدة » .

لا شك ان هـذا المعبر صحيح وضرورى . فالكاتب يجد نفسه هنا فى أرضية صلبة .ولكن هنا ايضا يقدم لنا الكاتب هـذا المعبر كمفهوم استنتاجى دون اية اشارة الى الواقع الوحدوى التاريخى او العربى .

فى المقال السادس . بعنـوان « الوحـدة الاقتصادية الاساس لاستكمال مهـام الثـورة الوطنيةالديمقراطية» . يشرح **عبد المنعم لغزالى** بحق وموضوعية بان التناقض الاسـاسى فى المنطقة « هو بين مجمل حركة التحـرر الوطنى العربية والامبريالية والاستعمار الحديث » ، بان الوحدة العربيـة هى فى المقـام الاول ضرورة اقتصادية وبأن الطريق اليها طـريق اشتراكى لا رأسمالى .

هنا اريد فقط الاشارة بانه على الرغم مـن العنوان الذى يوحى بان الوحدة الاقتصادية هى الطريق الى الوحدة . فان الكاتب يشير من ناحية اخرى . ضمنا ان لم يكن صراحة ، الى ضرورة البدء بالتوحيد السـياسى كأسـاس للوحدة الاقتصادية . فهو يكتب :

« ومن ثم ، فان النضال من أجل اقامة وبناء وحدة عربية تكون اداة لتطوير الثورة العربيـة فى سبيل التخلص نهائيا من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية ، وكل اشكال الاستعمار الحديث وقواعده ، هو فى الاساس نضال من أجـل : الوحدة الاقتصادية .

ان الوحدة العربية هى فى المقام الاول ــ فى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطيـة لمهامها ــ ضرورة اقتصادية » .

ولكن الكاتب يكتفى بهذه الاشارة فلا يعـود بشكل واضح مباشر الى ترتيب هـذه العلاقة بشكل دقيق . ثم انه يكتفى بالاشارة فقط ولايرجع الى اية تجربة تاريخية فى التدليل على ذلك .

فى المقال السابع ، بعنوان « اتجاهان لحركة الوحدة العربية ، يراجع **وديع أمين** بعض نواحى تاريخ حركة الوحدة العربية .

هنا ايضا لا نرى اية اشارة ، قريبة او بعيدة ، الى تجارب التاريخ الوحدوية .

أهم ما ورد فى المقال وهو حديثه عن اتجاهين للوحدة يتطلب ملاحظة عامة . فقد كتب :

«وكان هناك ... اتجاهان وحدويان بارزان داخل حركة التحرر الوطنى العربية . ويتمثـل أحدهما فى الاتجاه البورجوازى بمفهومه التقليدى للوحدة بين البلدان العربية المتحـررة ، مع الاستمرار بالارتباط بالسوق الرأسمالى العالمى .

والاتجاه الاخر هو الاتجاه الاشتراكى العلمى الذى كان يرى الوحدة من خلال مفهومه للعلاقة الجدلية بين الوحدة العربية والتحول الاشتراكى ... » ثم يضيف بان الوحدة « المصيرية السورية فى فبراير ١٩٥٨ ... تمت ... نتيجة اتفـاق بين البورجوازية المصرية والسورية ... » .

هذا يعنى ان البورجوازية العربية المرحليـة بالرأسمالية العالمية كانت تمثل قوة تقدميـة . وهذا افتئات على الواقع . اما قوله بان الاتجاه الثانى كان اتجاها اشتراكيا علميا ، فهو ، ان كان يعنى كما يوحى اتجاها ماركسيا ، افتئات آخر على الواقع ، لان هـذا الاتجاه لم يكن وحـدويا .

أما قوله عن وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ بأنها تمت نتيجة اتفاق بين البورجوازية المصرية والسورية ،فهو ايضا افتئات كبير على الواقع لانه يتناسى تماما أن هذه الوحدة كانت أساسـيا تعبيرا عن تحرك جماهيرى وحدوى كبير .

• • •

هذه الملاحظات حول الافكار الاساسية التى وردت فى هذه المقالات تدل بوضوح ان دعوتها الى ضرورة تخطيط لاستراتيجية وحدوية علميـة تحدد طريقنا الى الوحدة كانت فى الواقـع دعوة تبشيرية شعائرية لان الاساس العلمى الوحيد ، وهو الاعتماد على الوقائع والظواهر الوحدوية والقوانين التى تكشف عنها فى تحـديد هـذا الطريق ، كان مفقودا تماما . النظريات المثالية ، المواقف الطوباوية ، والمفاهيم الاخلاقية التبشيرية هى فى الواقع من هذا النوع ، اى نظـريات ومواقف ومفاهيم ينقصها هذا الاساس التاريخى الاجتماعى .

هذا المنهج العلمي يفترض اذن قبل كل شيء ادراكا حسيا موضوعيا للظواهر التي يتشكل منها عالم المشكلة التي يدرسها ، ولهذا لايمكن لنا اعلان معرفة علمية حول أي موضوع ندرسه دون رجوع موضوعي الى هذه الظواهر . المعرفة الوحدوية العلمية التي يجب على العمل الوحدوي اعتمادها تفرض بالتالي ، اول ما تفرض ، كي يمكن ان تتوفر لنا ، الرجوع الى تجارب التاريخ الوحدوية كأساس لها . المنهج التاريخي المقارن الذي يقارن ظواهر اجتماعية او سياسية معينة في امكنة وازمنة مختلفة يصبح اساسيا وضروريا في التمييز بين العام والخاص في هذه الظواهر ، وهو تمييز يمثل مكان الصدارة في المنهج العلمي ، ويشكل قصده النهائي . لهذا فان مقارنة التجارب الوحدوية التاريخية تكون الطريقة الوحيدة الفعالة التي يمكن ان تقود الى انتقاء العام من الخاص . اي الى القوانين العامة التي تسودها . هذه المقالات كانت بعيدة كل البعد عن هذا الطريق العلمي الى طريق الوحدة . عندما يقول الفكر الوحدوي العربي بمفاهيم وحدوية عامة ، يدعو اليها ويتخذ احكاما جامعة يفترض فيها ان تكون علمية ، ولكن دون الارتباط بعالمها الخارجي الموضوعي الذي يتمثل بالتجارب الوحدوية المختلفة في التاريخ ، فذلك يعني ، أراد هذا الفكر ام ابى ، انه لا يزال الى حد بعيد في الطور « اللاهوتي » او « الميتافيزيقي » . لان النظريات والمفاهيم الوحدوية العامة التي لاترتبط بهذه التجارب وتتفرع منها ، تكون من النوع « العقلاني » الذي قال فيه ماوتسي تونغ « بانه مثل الماء دون ينبوع ، الشجرة دون جذور ، ذاتي يشتق من الذات ولا يمكن الوثوق به » .

الاقتصار على تجربة واحدة كتجربتنا ، كما صنع مفكرو الطليعة ، طريقة طويلة لا تؤدي الى معرفة وحدوية صحيحة ، وهي ان تؤدي بنا الى هذه المعرفة . فذلك يكون بثمن باهظ جدا من الاخطاء والمزالق والنكسات . لهذا كان من الضروري توفير هذه المعرفة الوحدوية العلمية عن طريق البحث والتنقيب في تجارب التاريخ الوحدوية ، كي نتعلم من اخطائها ومزالقها فنتجنبها ، ومن انجازاتها ونجاحاتها فنستوعبها . ومن القوانين العامة التي تكشف عنها فنسدد خطانا واعمالنا بها ، لانها وحدها تستطيع ان توفر لنا المقاييس العامة التي نستطيع بها ضبط العمل الوحدوي العربي والارتفاع به فوق انية الاحداث والظواهر التي يتشكل منها .

ولكن حتى ان افترضنا قدرة الفكر على الوصول الى معرفة وحدوية علمية عن طريق الاقتصار على دراسة تجربة وحدوية واحدة . فان هذا لا يصح على هذه المقالات ؟ وذلك ، أولا ، لان تجربتنا لم تكن تجربة ناجحة يمكن ان تكشف لنا عن المعرفة الوحدوية التي تلازم عملية وحدوية ناجحة ، ثانيا ، لان هذه المقالات لم تعالج تجربتنا الوحدوية وتدرس ما عرفته من فشل ونجاح بغية الكشف عن قوانين وحدوية علمية عامة . فهذا القصد كان بعيدا جدا عن « مناخ » المقالات التي اقتصرت اما على مراجعات تاريخية لحركة الوحدة العربية ، واما على ملاحظات وتقييمات مجزاة حول الطريق الى الوحدة .

على سبيل المثال . اذكر توكيد معظم هذه المقالات على دور الصراع ضد الصهيونية والامبريالية في تنمية الشعور الوحدوي ، وفي الاسراع بالوحدة السياسية . ولكن لو راجع اصحاب هذه المقالات تجارب التاريخ الوحدوية ، لوجدوا ان هذا يشكل ظاهرة لقانون وحدوي عام من أهم القوانين التي تكشف عنها جميع تجارب التاريخ الوحدوية تقريبا . فهذه التجارب تدل بوضوح ان الصراع ضد المخاطر والهزائم والنكبات الخارجية كان من اهم العوامل والحوافز التي كانت تدفع الى الوحدة ، وتشكل بالتالي ، جزءا أساسيا في العملية الوحدوية .

كمثل آخر يمكن الاشارة الى التوكيد الذي عبر عنه البعض على دور مصر الاساسي والقيادي لاية استراتيجية او طريق فعال نحو الوحدة العربية . هذه ملاحظة موضوعية صحيحة ، ولكن لو نحن راجعنا تجارب التاريخ الوحدوية لوجدنا ان هذه الواقعة العربية هي في الواقع ظاهرة عامة تعبر عن قانون وحدوي عام يعيد ذاته في جميع تجارب التاريخ الوحدوية تقريبا . ففي هذه التجارب نجد ، كما اشرنا سابقا ، قانونا وحدويا بارزا ، هو في الواقع أهم القوانين الوحدوية التي تكشف عنها هذه التجارب ، وهو وجود اقليم — قاعدة ترتبط به العملية الوحدوية وتتمحور عليه الجهود الوحدوية .

كمثل ثالث ، يمكن الاشارة الى ما قاله فيليب جلاب مثلا من « ان التجربة المصرية السورية المعروفة تمت تحت لواء زعيم واحد هو عبدالناصر ، لم يختلف أحد حول جدارته لقيادة دولة الوحدة » . هذه الظاهرة لم تكن واقعة عرضية ، مستقلة أو صدفية . لو راجعنا تجارب التاريخ الوحدوية ، لرأينا بوضوح ان هذه الواقعة تشكل ظاهرة لقانون وحدوي عام رافق جميع تجارب التاريخ الوحدوية والثورية ، ويدل ان هذه التجارب كانت دائما تعبر عن هويتها الجديدة في قائد رمز ترتبط به الحركات الوحدوية والثورية * .

هذه الملاحظات كافية في التدليل على ان ما صح في هذه المقالات كان من النوع التجريبي

---

* ملحق (٥)

المحض [(empiricil)] لم يرق منه اصحابه الى العام ، ولم ينتقلوا معه من الخاص الى العلاقات الاساسية الضرورية العامة التى تسود الظواهر التى تحيط بنا ، وهو ما يشكل قصد المعرفة العلمية الصحيحة . من المحرج حقا أن يجد الباحث نفسه مضطرا انينبه الىمقومات هذه المعرفة وشروط منهجها العلمى فى مجال يفترض فيه ان تكون هذه المقومات والشروط بداية أولية لا تحتاج الى اية اشارة او ترديد . ولكن هذا جزء من المشكلة الحضارية العامة التى نعانيها ، وهى تعنى ، فيما تعنيه ، ان اقتباساتنا الحضارية الحديثة لا تزال اقتباسات خارجية تشكل قشرة سطحية تستمر وراءها اطارات فكرية وعقلية ونفسية تقليدية تتناقض تناقضا جذريا مع الاطارات الفكرية والعقلية والنفسية التى تقف وراء تركيب الحضارة الحديثة . هذا التناقض الاساسى هو الذى يفسر نهائيا انحرافا واضحا عن مقومات المعرفة العلمية وشروط منهجها العلمى كالانحراف الذى رأيناه فى هذه المقالات .

واخيرا يجب القول ان اللاجدية الفكرية قد تكون اهم سمة لهذه المقالات . اننا لا نجد ، فى الواقع ، اى اثر على الاطلاق لاىجهد فكرىرزين وضعه مفكرو الطليعة فى هذه المقالات ، لا نوعا ولا كما . أطول هذه المقالات لا يتجاوز الاربع صفحات وبعضها أقل من صفحتين . قد نختلف كثيرا فى الاراء ، وقد نخطىء كثيرا فيما نقدمه من افكار ، ولكن شيئا واحدا يجب ان نقتنع به وننطلق منه فلا نخطىء حوله وهو ضرورة الرزانة الفكرية الكبيرة فى معالجة قضايا الثورية الاساسية وفى طليعتها قضية الوحدة، وخصوصا عندما تصدر المعالجة عن مفكرين يعتبرون انفسهم من قادة الفكر ، وفى مجلةتقدم نفسها كمجلة طليعية .

بعد هذا ما بقى من هذه المقالات ؟ .. ما الذى قدمته هذه المقالات ؟ ...

انها ، فى الواقع ، لم تقدم اى شىء جديد أبدا وعلى الاطلاق ، ورددت مفاهيم كان الفكر الوحدوى الثورى يمضغها منذ الخمسينات وهو لايزال يرددها فى شكل رتيب . هذا واضح فى الافكار الاساسية التى دارت عليها هذه المقالات ، وهى :

١ ــ ضرورة الوحدة فى التغلب على التخلف، على المخاطر الخارجية والهجمات الاستعمارية والامبريالية ، وفى تحقيق التنمية الاقتصادية والاشتراكية .

٢ ــ الانظمة التقدمية تشكل محور العمل الوحدوى .

٣ ــ النضال ضد الصهيونية والامبريالية والقوى الاستعمارية والرجعية هو فى الوقت نفسه نضال لاجل اقامة مجتمعات حضارية وانظمة تقدمية فى الوطن العربى .

٤ ــ الصراع ضد العدوان والاحتلال والامبريالية يشكل محور الدفع الوحدوى نحو الوحدة .

٥ ــ التعاون والتنسيق ومن ثم التكامل أو الوحدة الاقتصاديةهو الخطوة الاولىاو الاساس لاية اعمال او خطوات وحدوية اخرى .

٦ ــ امكانية البدء بعملية التوحيد السياسى .

٧ ــ ضرورة اجراء دراسات علمية حول الواقع العربى المعاصر وتجربتنا الوحدويةفيه .

٨ ــ ضرورة التحرر من الشعارات العريضة والعموميات واستخدام منهج البحث الاجتماعى العلمى .

٩ ــ طريق الوحدة هو طريق اشتراكى لا رأسمالى ، وضد الرأسمالية ،او ضرورة الخط الاشتراكى كخط استراتيجى نحو الوحدة لان الوضع الاقتصادى الاجتماعى فى البلدان النامية يفرض هذا الخط .

١٠ ــ الافتقار الى اساس اقتصادي واحد هو من أهم اسباب تعثر الوحدة .

١١ ــ توحيد القوى الثورية والوطنية فى كل قطر فى اطار جبهوى يحشد مختلف القوى السياسية والاجتماعية فى خدمةالعمل الوحدوى .

١٢ ــ العمل نحو الوحدة يعنى اعتماد الجماهير العريضة وحماية المنجزات الاجتماعية وضمان المزيد من المكاسب والتقدم لهذه الجماهير .

١٣ ــ النضال الوحدوى هو المحور المحرك للثورة العربية كلها .

١٤ ــ قضية الوحدة قضية معقدة والنضال لاجلها نضال صعب طويل شاق يجب الاعداد له بتأن ونفس طويل .

١٥ ــ الوحدة ذات مضمون طبقى . وهو مضمون كان يكشف من اتجاه تقدمى ثورى مع تقدم حركة الثورة العربية .

ملحق ٥ (١)

راجع كتاب : « شخصية القيادة فىتجارب التاريخ الوحدوية والثورية »وهو الكتاب الثالث فى دراسة «الطريق الى الوحدة » وسيصدر عن دارالطليعة قبل نهاية هذا العام .

١٦ — التطور التاريخي تجاوز جميع المقاييس الرجعية والبورجوازية للوحدة العربية .

هذه العناصر لم تقدم في تركيب نظرى عام او تصور وحدوى جديد يدمجها بشكل يحول اضافتها الكمية للفكر الوحدوى الى اضافة كيفية . فهى افكار عامة تسجل خدمتها الاساسية فى توسيع التوكيد او الابراز الكمى على مبادىء ومفاهيم يحتاج العمل الوحدوى الى الاعتماد عليها والانطلاق منها .

ما قد يشذ عن هذا التصميم ، وما تجدر الاشارة اليه هو التوكيد الوحدوى على ضرورة الوحدة الذى نجده بارزا فى هذه المقالات . كون هذا التوكيد ياتى من مفكرين ماركسيين يشكل ظاهرة ايجابية وخدمة كبيرة لقضية الوحدة . كثيرون من الماركسيين اكتشفوا عبر نضالهم الاشتراكى ان الاعداء الذين يشنون حملة ضارية على الاشتراكية هم فى الوقت نفسه اعداء الداء للوحدة ، ان اسرائيل ليست فقط هجوما على وجودنا القومى بل اداة حرب ضد ثورتنا الاجتماعية . وان الاشتراكية بالتالى لايمكن ان تنفصل عن النضال الوحدوى الذى يشكل وجهها أو درعها السياسى ، كما يوفر لها الاوضاع المادية التى تسمح بولادة مجتمع اشتراكى صحيح لان التقدم الفعال يستحيل فى التجزئة .

اننا كنا نرى حتى الان مجموعات وفئات مختلفة من المثقفين — وخصوصا فى الاوساط القومية — تغير موقفها من الوحدة كلما واجه العمل الوحدوى نكسة او تقلصا ، بدلا من ان نرى فى النكسة او التقلص حصيلة لعجز عن رؤية طريق واحد نحو الوحدة ، او انحراف عن طريق من هذا النوع عندما تتوفر . هذه المجموعات كانت تسند عجزها ذاته بتغيير موقفها من الوحدة .

ولكن المجموعات الماركسية التى غيرت موقفها السلبى الى موقف ايجابى من الوحدة كانت من نوع آخر ، لانها اكتشفت عبر النضال والممارسة ضرورة ذلك فتبنته ، من هذه الناحية تشكل مجموعة هذه المقالات فى الطليعة ظاهرة لانرحب بها فقط بل نستبشر ونهلل بحماس لها .

الوعى لضرورة الوحدة الاساسية للثورة العربية والاشتراكية كان واضحا فى هذه المقالات الى درجة نقية وكبيرة . ولهذا رأيت ابرازه هنا كدرس وعبرة — كما عبر عن ذاته فى هذه المقالات .

فقد كتب خالد محيى الدين :

« والحقيقة ان هذا العمل العربى الموحد الذى تحقق خلال حرب اكتوبر ، قد أبرز العرب امام العالم كقوة ذات اثر ، وطرح أمام الجماهير العربية نفسها — واكثر من اى وقت مضى — اهمية الوحدة وفعاليتها » .

ويكتب د . على الدين هلال : « واذا كنا قد قلنا بان قضية الوحدة هى قضية حياتية . فاننا نقصد انها لازمة لمواجهة تحديات الحرب وتحديات السلم معا ، لتحمل مراحل المواجهة العسكرية مع العدو ، ولبناء الكيان الاجتماعى القادر على تحقيق الرفاهة الاجتماعية والعدالة للشعب العامل » .

ويكتب عادل حسين : « المطلوب هو ان تحدد مختلف السياسات والاجراءات فى كل قطر وعيننا متجهه الى هدف الوحدة [وهذا غير قائم حاليا] .. ولكن اى خطوات او تجارب فى هذا الاتجاه ، هى مجرد حافز للاسراع بالدمج السياسى الذى يتولى اكمال المسيرة ، والذى لا ينبغى ان نعتبره هدفاً مؤجلا الى حين الانتهاء من توحيد كل شيء آخر » .

ويكتب فيليب جلاب : « ان اغنى قطر عربى بثرواته المادية عاجز خلال الاعوام القادمة عن تحقيق رفاهية « شعبه » بمفرده ، واغنى قطر عربى بثرواته وخبراته البشرية عاجز بنفس الدرجة بمفرده .

ومن ثم فليس هناك طريق آخر . فمن بديهيات الصناعة والتنمية الاقتصادية الحقيقية توفر كل هذه العناصر مجتمعة فى سوق ذى حجم معقول ، لا يتوفر الا للوطن العربى ككيان واحد .

انها مهمة شاقة ان نذلل الصعاب المتوارثة والحديثة فى طريق مثل هذا الهدف . لكن يظل الهدف نفسه جديرا بان نبذل من أجل تحقيقه كل جهد ممكن ، وان نتخطى فى سبيله كل العوائق » .

ويكتب د . رفعت السعيد : « ليست هناك قضية محل اتفاق الجميع مثل قضية الوحدة العربية ... »

ويكتب عبد المنعم الغزالى : « اصبح شعار الوحدة العربية شعارا اساسيا من شعارات الثورة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية..

ان حركة النضال من أجل الوحدة العربية اصبحت المحور المحرك لحركة الثورة العربية كلها .. » . ثم يدعو الى « .. النضال من أجل اقامة وبناء وحدة عربية تكون اداة لتطوير الثورة العربية فى سبيل التخلص نهائيا من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية .وكل اشكال الاستعمار الحديث وقواعده .. » .

ويكتب وديع امين : « .. اولى واجبات هذه المرحلة هى مشكلة توحيد البلدان العربية ...» »

هل نعود للوثائق .. يادكتور ؟

د . رفعت السعيد

شرفنا الدكتور نديم البيطار بتعليق طويل ، ناعيا على « الطليعة » عدم جديتها وتناولها لموضوع الوحدة بشكل سطحى مستشهدا ضدنا بدليل لا يدحض ، وهو أننا تناولنا الموضوع فى مقالات موجزة ، فقد جاء فى قرار اتهامه المليء بالهجوم العنيف أن « أطول هذه المقالات لا يتجاوز الاربع صفحات ، وبعضها أقل من صفحتين » واستنتج من ذلك صفات أقلها « انعدام الجدية » و « عدم العلمية » .. الخ .

ولعلها المرة الاولى فى المساجلات النظرية أو العلميه التى يكون فيها الاختصار دليل خطأ .. والاطالة دليل صواب .

هذه ملاحظة أولية ، لعلها تكفى بذاتها أن تكون دليلا على مدى جدية اختيار منطلقات النقد والحوار فى مقال — أعتقد وباخلاص ، أنه كان سيبدو أكثر علمية وأكثر موضوعية لو أنه صيغ فيما هو أقل كثيرا من ثلث هذه الصفحات .

وملاحظة ثانية : حول النسيج الفلسفى المعقد ، الذى ساقه الدكتور نديم .. فلقد حاولت أن أفهم وبالتحديد ما يريد أن يقول ، لكننى عجزت ، ربما لان الفلسفة ليست مجال تخصصى ، وربما — وهذا هو الارجح — لان الفلسفة ليست مجال تخصص الدكتور نديم .

والحقيقه أن « الدياليكتيك » يتحول فى كتابات البعض الى شيء غير مفهوم ، وغير متسق . اذ ان اصحاب هذه الكتابات يتصورون انه كلما بدا الموضوع معقدا أو حتى غير منطقى ، أو متناقض فيما بينه وبين نفسه كلما أصبح متصفا بالدياليكتية ، ودونما ادعاء "معرفه فاننى أعتقد ان الدياليكتيك لا يعنى « الخلط » و « اللخبطة » ، ولا يعنى مطلقا عدم الاتساق الفكرى ، الدياليكتيك — فى اعتقادى — هو محاولة رؤية متكاملة لكافة عناصر الصورة ومكوناتها السالبة والموجبة فى اطار الواقع المتحرك . أما الكلمات المبهمة ، والمتناقضة فيما بينها ، فهى ليست من الدياليكتيك فى شيء .

وكمثال نجد الدكتور نديم يتحدث عن « الاحداث والوقائع الفردية التى تتشكل منها التجربة الوحدوية ، داعيا » وبشكل خاص « الى » تجاوزها أو الانطلاق منها الى الكشف عن القوانين العامة » .

لكنه يعود فيقول « عندما لا يرتبط الفكر بالواقع كما يصنع نفسه يضيع فى تجريد عاقر ، لان الامكانيات الممكنة فى عالم المجرد غير محدودة » .

وبعد التدقيق — واذا كان لقارىء غير مجتهد مثلى أن يفهم مثل هذه التركيبات المعقدة — فانني أستطيع أن ألمح أن الدكتور نديم يريد منا « وصفة بلدية » كما يقولون عندنا فى الريف المصرى : دواء شاف ناجع فى برشامة غير مدركة الكنه والمحتوى ، ان حدثناه عن « الخاص » و « التجارب العمليه » همهم رافضا ، لان فيها ما قد يمس قدسية الهدف ، وان حدثناه عن « العام » و « القوانين الموضوعية » رفض غاضبا لاننا نخرج بالقول المجرد عن حدود الواقع ..

وحقيقة الامر أن الدكتور نديم وأترابه وحدويون بالسليقة . أو بالدقة بالانسياق العام ، هم يشعرون بضرورة الوحدة وحتميتها ، ورويدا رويدا تتحول لديهم الى هدف « مقدس » والتقديس — وبالاسف — يخرج بالشيء من نطاق الفهم العلمى الى نطاق « الميتافيزيقا » .. التقديس يرفض الخاص والعام معا ، يهرب من هذا الى ذلك ، ويناطح هذا بذاك ، لسبب وحيد هو أن البحث فى الخاص أو فى العام سوف يضع المقدسات فى مأزق التجريح والفحص الانتقادى ..

وعلى اية حال ، ومع الكثير من التساهل والتجاوز يمكننا أن نفهم دعوة الدكتور نديم على أنها دعوة للخاص والعام مرتبطين ومتفاعلين معا ، فهم الخاص وتحليله وتنميطه واستخلاص قوانين عامة منه . ولقد يقول الدكتور نديم .. وهذا ما أردت ، وعندما أنظر الى عقارب ساعتى والى أوراق المجلة ، مسترحما على وقت وورق ضاعا فى اثبات ما هو مثبت فعلا ، وما كان يمكن قوله فى سطر واحد ، دونما حاجة الى استعراض كل هذه المحاورات والابداعات اللفظية . وبهذا أعود الى ملاحظتى الاولى هل فى كل اطالة .. اجادة ؟ أشك كثيرا .

ثم اتجاوز بعد ذلك عن الكثير مما أورده الدكتور **نديم** ، فبعضه استنتاج لما لا يمكن استنتاجه ، وأقله ملاحظات تمس بعض ما كتبه آخرون لست أملك الرد نيابة عنهم .. أتجاوز عن ذلك كله لآتي الى فقرة تقول « ولكن المجموعات الماركسية التي **غيرت** موقفها **السلبي** الى موقف **ايجابي** من الوحدة ، كانت من نوع آخر لانها اكتشفت عبر النضال والممارسة ضرورة ذلك فتبنته » .

غريب هذا الموقف من كاتب وحدوى ألف عديدا من الكتب في هذا الموضوع ، وهو يدعو دوما الى ما يسميه « **بالمعرفة الوحدوية** » ، ومن ثم فمن المفترض فيه أن يعرف أبعاد المواقف السياسية المختلفة حول قضية الوحدة .. وتاريخها ، أو على الاقل من المفترض فيه ألا يورط نفسه في احكام صارمة دون تأن ودون معرفة .

غريب هذا الموقف من كاتب يتهم الاخرين باللاجدية و « التجريبية المحضة » وبانعدام الجهد الفكرى » .. الخ .

ولكى لا أسبق بأحكام فانني سأكتفي هنا بايراد « **وثائق** » .. تعود بنا بعيدا الى العشرينات ..

ولعلك تعرف يا دكتور أن اليساريين العرب قد ناضلوا في العشرينات من اجل تأسيس « عصبة تحرير البلدان العربية » كفرع عربى للعصبة العالمية للنضال ضد الامبرياليه ، وانهم سعوا الى « عقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية في القاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى ضد الاستعمار » . هذا ما تقوله أحد الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية [١] .

وهؤلاء « **الماركسيون العرب** » الذين تمن عليهم يا دكتور بأنهم غيروا موقفهم السلبي الى موقف ايجابي كانوا منذ ذلك الحين وقبل الكثيرين غيرهم ممن يعتلون الان الموجة يدعون للوحدة العربية ، ويضعون لها أسسا جادة وحقيقية .. وان كان لابد لى أن أسوق اليك وثائق أخرى فاليك نصوصا من بيان أصدرته هذه العصبة ونشر في ١٥ نوفمبر ١٩٢٩ .. اليك ـ وأنا انقل بالنص ..

«ان أحداث فلسطين الاخيرة تبرهن على حقيقة أن مسألة القومية العربية تمثل اليوم واحدة من أكثر المسائل السياسية اهمية في العالم . انها تؤكد حق العرب في النضال ضد تجزئة بلدانهم وحقهم في تأسيس دولة عربية موحدة ، قوية ، مستقلة ، وحرة حقا . دولة عربية قومية عظمى» .

ويعرف هؤلاء الماركسيون القدامى ـ مواقع أقدامهم ـ على الطريق الصعب وهم يؤكدون ـ ولنتذكر أن ذلك كان في عام ١٩٢٩ ـ « **ان خبرات النضال العالمى ضد الامبريالية تعلمنا أن الشعوب تستطيع أن تخوض صراعا ناجحا من أجل التحرر الوطنى من ربقة القوى الامبريالية ، فقط اذا ما استطاعت قيادتها أن تحدد برنامجا يتضمن المطالب الاجتماعية للغالبية العظمى للامة ، الكادحين ، وفقط اذا ما استطاعت أن تقيم لنفسها تنظيما قائدا للنضال القومى** » .

وبعد أن يربط النداء معركة النضال العربى من اجل الوحدة بالنضال ضد الاستعمار ومن أجل مطالب اجتماعية ، يحدد أيضا الطريق ... والطريق هو التنظيم من القاعدة .. في كل قرية وحى ومدينة ومصنع « لجنة نضالية ثورية للعمل ضد الامبرياليه ، ومن أجل التحرر الوطنى والوحدة » وهذه اللجان التي تتكون من « أفقر الفلاحين والعمال والبدو .. سوف تنتخب ممثليها للجنة المركزية الوطنية الثورية التي تقوم في كل قطر . ومن هذه اللجان القطرية ينتخب المجلس الثورى العربى الواحد » .

ويعود البيان ليؤكد « **ان هذا التنظيم النابع من القاعدة الجماهيرية هو وحده القادر على قيادة الجماهير للنضال من أجل التحرر الوطنى** » .

ويختتم البيان بالشعارات التالية « **عاش النضال التحررى للشعب العربى ـ لتسقط الامبريالية ـ لتسقط تجزئة البلدان العربية ـ عاشت الدولة العربية الموحدة ، المتحررة حقا** » [٢] .

هل تريد المزيد يا دكتور .. اليك فقرة من برنامج الحزب الشيوعى المصرى الصادر في عام ١٩٣١ ونصها « النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة » [٣] .

وهكذا يتضح لنا من كان في مقدمة المدافعين عن الوحدة العربية ومن جاء اليها متأخرا .

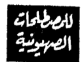
وبهذا أكتفى . ولئن كنت قد أطلت فانما لاثبت للدكتور احترامى وجديتى في الرد عليه ، طالما أن الاطالة معيار عنده للجدية .

---

[١] وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ مكتب السجلات العامة ـ «سرى للغاية» ملف رقم ١٠١ ـ بتاريخ ١٩٢٧/٧/٢٦ .

(٢) راجع النص الكامل في : International Press Correspondence Vol: 9. No. 64 — 15th. November 1929. pp. 1372.

[٣] Ivor Spector — The Soviet Union and the Muslim World 1917 — 1952. University of Washington Press Seattle — 1959. pp. 141 — 156.



تواصل «الطليعة» نشر «مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية» .
وفي هذا العدد نقدم مفهوم الصهيونية العمالية حول المسألة اليهودية ، نظريا وفي التطبيق ، بالاضافة الى أهم الشخصيات الصهيونية العمالية التي لعبت دورا أساسيا في هذا المجال . ومن هؤلاء ـ الذين نتحدث عنهم في هذا العدد ـ «دوف بير بوروخوف» المهندس النظري للحركة الصهيونية العمالية ومؤسس حركة عمال صهيون وزعيمها ، ثم « دافيد بن جوريون » الذي تمكن من تغيير اتجاه الحزب من التركيز على يهود الدياسبورا الى التركيز على يهود فلسطين ومعارضة « مشروع شرق أفريقيا » والذي يعد المسئول عن انشاء القوة العسكرية الصهيونية .
وسوف تواصل « الطليعة » في أعدادها القادمة نشر بقية المصطلحات الصهيونية التي تعدها مجموعة من الباحثين في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام تحت اشراف الدكتور عبد الوهاب المسيري .

الصهيونية العمالية أو الاشتراكية

ينطلق الصهاينة العماليون أو الاشتراكيون من الايمان بأن **المسألة اليهودية** « هي مشكلة يهود وليست مشكلة يهودية » أي أنها مشكلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لليهود وليس مشكلة انتمائهم الديني أو الحظري أي أنها مشكلة تنتمي الى البناء التحتي أكثر من انتمائها الى البناء الفوقي [وان كانوا لا ينكرون أهمية البناء الفوقي ـ أو التراث اليهودي المتميز] . وتتلخص المشكلة حسب التصور الصهيوني العمالي في ان التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عن التركيب الاجتماعي والحظري للشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها ، فاليهود المحرم عليهم ممارسة مهنة الزراعة ، كانوا يعيشون أساسا في المدن ـ أما العمال منهم فهم لايكونون بروليتاريا صناعية وانما ينتمون الى قطاع البروليتاريا الرثة محرم عليهم ممارسة كثير من الحرف والاعمال ، أما اثرياء اليهود فيشتغلون **بالتجارة** والربا أو بعض الصناعات الاستهلاكية وقد نتج عن هذا الوضع المتميز شيئان : أولا ، ان كل الطبقات اليهودية في المجتمع رأسماليين كانوا أم عمالا تكون وحدة متميزة مرفوضة من بقية المجتمع بسبب هامشيتها [وبسبب تراثها الفكري الديني القومي] . ثانيا : اصيبت الشخصية اليهودية بالذبول والطفيلية لانها فقدت علاقتها بالارض الزراعية وبأي عمل منتج . وقد ازداد هذا الوضع ، بسبب ظهور طبقة رأسمالية محلية [في روسيا وبولندا تنافس الرأسماليين اليهود ، وترفض استئجار العمال اليهود وبسبب التعصب الديني ولان العامل اليهودي في معظم الاحيان كان لايمتلك الخبرات . وتقوم الرأسمالية المحلية الجديدة بتأليب الجماهير المسيحية المستغلة على كل من الرأسماليين والعمال اليهود حتى لا تعرف

هذه الجماهير مستغليها الحقيقى . وهذا التحليل لاوضاع اليهود بعد سقوط الجيتو فيه كثير من الجدةوالصدق [وان كانت فيه افتراضات جيتوية كثيرة مثل وحدة الرأسماليين والعمال اليهود ، فهذه الوحدة لم تكن فعلية قط ، وانما كانت موجودة على مستوى الوعى الزائف وحده] وكمحاولة لحل مشكلة يهود شرق أوروبا طرحت ثلاث حلول : الحل الاندماجى الاشتراكى الرافض لاى حلول قومية وقد تبنى هذا الحل المثقفون والعمال اليهود الذين انضموا للاحزاب الثورية ، والحل القومى الدياسبورى الاشتراكى [ممثلا فى حزب البوند] ، وأخيرا الحل الصهيونى العمالى . وتشترك الحلول الصهيونية العماليه فى الايمان بأنه لا حل لمشكلة اليهود الا عنطريق استيطان فلسطين بطريقة جماعية واقامة دولة صهيونية عمالية . ولكن داخل هذه الوحده البنيوية الاساسية توجد بنايا فرعية مختلفة ولعل أهم هذه البنايا هو تيار بوروخوف الذى حاول توظيف المنهج الماركسى فى خدمة رؤيته الصهيونية فاكد الاساس الطبقى والاقتصادى للصهيونية ، وخلص من تحليله الى حتمية الحل الصهيونى كوسيلة لتزويد كل الطبقات اليهودية الهامشية بقاعدة للانتاج [أو الارض المقدسة فى المصطلح التقليدى] . اما سيركين فقد ركز على العنصر الاخلاقى ووحدة الرؤية بين اليهود ، ولذلك فهو يؤكد التعاون والاخوة ويقلل من أهمية الصراع الطبقى . وقد انصرف جل اهتمام جوردون الى الجانب النفسى ولذلك ركز على فكرة اقتحام والعمل والارض كوسيلة للتخلص من آفات المنفى وكوسيلة للولادة الجديدة وتحويل اليهود الى شعب منتج . وقد كتب لافكار جوردون وسيركين الشيوع فى الاوساط العمالية الصهيونية ، وظلت أفكار بوروخوف قاصرة على أقليات « متطرفة » [وان كان يوجد الان بعث لكتاباته فى اسرائيل لان اليسار الصهيونى يجابه أزمة حادة] .

وقد تأسست منظمات عمالية عديدة مثل عمال صهيون والعامل الفتى والحارس الفتى . وانعكس الاختلاف بين هذه التيارات الصهيونية العمالية على المستوطنين الصهاينة ، ولا تزال آثاره واضحة على البناء السياسى فى اسرائيل « فاليمين » العمالى [المباى] متأثر بأفكار جوردون وسيركين وكاتزنلسون أكثر من تاثره بأفكار بوروخوف [على عكس المابام مثلا] . ومؤخرا أخذ التيار العمالىشكلا موحدا فى تحالف المعراخ الحاكم مما يؤكد الوحدة المبدئية بين جميع الاتجاهات على الرغم من الاختلافات الفكرية .

والبناء الاقتصادى ـ السياسى فى اسرائيل هو نتاج نشاطات الصهيونية العمالية بالدرجة الاولى فالهستدروت والكيبوتز والهاجاناه والبالماخ هى الادوات التى استخدمها الصهاينة فى تحويل جزء منفلسطين الى دولة صهيونية ، وهى مؤسسات أوجدتها وسيطرت عليها الصهيونية العمالية التى لاتزال لها اليد الطولى فى فلسطين . وقد كانت الصهيونية العمالية مرشحة منذ البداية لهذا الدور لانها هى التى استقطبت يهود شرق أوروبا من البورجوازيين الصغار والعمال الذى فشلوا فى التأقلم مع الواقع الاقتصادى الجديد فى بلادهم والذين مع هذا كان عندهم تطلعات طبقية ومطامح اقتصادية [سعر من حدتها جو الاعتناق والمساواه والاندماج فى أوروبا ، وقامت المنظمات الصهيونية العمالية بتهجير بضعة الاف من هذه الجماهير وزرعها فىظروف معيشية صعبة للغاية فى فلسطين [الامر الذى عجز عنه تماما الصهاينة السياسيون والدينيون والروحيون] . وهذه الجماهير بسبب يأسها وتدنى مستواها الاقتصادى والحضارى كان من السهل خداعها ومن اليسير حملها على الجهرة على أمل أن تحسن من ظروفها ، خاصة وأن الاحساس العام بين المستوطنين الصهاينة أنهم كانوا « ملاكا »للارض وليسوا مجرد أجراء مزارعين أو عمال صناعيين ، أى أن الاستيطان بالنسبة لهم كان صعودا فى السلم الطبقى وليس هبوطا فيه ، لكل هذا يمكننا القول أن الصهيونية كانت ستظل رؤية حالمة بدون مشاركة الصهيونية العمالية التى ساهمت فى ايجاد البناء الداخلى والوجود الفعلى لاسرائيل . ولكن مع هذا لم يكن نشاط الصهيونية العمالية بمفرده كاف بأية حال لتأسيس الدولة الاستيطانية الصهيونية بل كان لابد وأن يغطى الصهاينة العماليون مظلة عالمية ـ امبريالية لتضمن لهم الاستمرار المادى ، وهنايأتى دور الصهيونية السياسية التى كانت تقوم بجمع الضرائب من اثرياء اليهود لارسالها للبروليتاريا الصهيونية المناضلة [ولا تزال الحركة الصهيونية السياسية تقوم بهذا الدور لتضمن للبيروقراطية العمالية الاستمرار] . كما تقوم الصهيونية السياسية بالبحث عن ضمانات مختلفة مثل وعد بلفور ومثل تأييد الدول الامبريالية ودعمها المالى والعسكرى . ويبدو أن أعضاء البورجوازية اليهودية المندمجة أو شبه المندمجة فى الغرب ووسط أوروبا [والتى جاء من صفوفها كثير من زعماء الصهيونية السياسية مثل هرتزل ونوردو] كانوا واعين بحقائق الموقف وصعوبات الاستيطان كما أنهم لم يكن يعنيهم من قريب أو بعيد ، شكل الدولة الصهيونية طالما أنها تؤدى الاغراض المطلوبة منها مثل ابعاد يهود شرق أوروبا عنهم ، أو القيام بدور المدافع عن المصالح الامبريالية . ولذلك لم تمانع هذه القيادات البورجوازية فى اتخاذ قرارات اشتراكية ثورية عديدة ، . فالنقطة الاولى فى برنامج بازل تدعو الى توطين اليهود فى

فلسطين « بالوسائل اللازمة » دون تأكيد لاى محتوى طبقى أو نمط انتاجى معين . وبمرور الزمن اكتشف بشكل برجماتى أن احدى وسائل الاستيطان اللازمة والحتمية هى الاستيطان الجماعى والعمالى لان عملية تمويل المشروع الصهيونى كان لابد وان تتم بشكل جماعى أو « قوى » كما أن المستوطنين اضطروا للتجمع على هيئة جزر متماسكة فى وجه الرفض العربى . لكل هذا نجد أن **المؤتمرات الصهيونية** الاولى التى سيطرت عليها الطبقات الوسطى **والحاخامات** وافقت على مبدأ تأميم الارض باعتباره أهم أساس للدولة الصهيونية فى المستقبل . كما اتخذت هذه المؤتمرات كثيرا من القرارات « الثورية » الاخرى . ومما هو جدير بالذكر أنه فى أيام الحماس الايديولوجى الاول [قبل ان يضغط الغرب على واحة الديمقراطية والاشتراكية وقبل ان يضطروها الى التحول الى قاعدة امبريالية

كما يدعى بعض المفكرين الصهاينة] عرض بن **جوريون** الصهيونى العمالى على جابوتنسكى [ممثل أكثر القطاعات يمينية وبورجوازية فى الحركة الصهيونية] أن يؤلفا سويا حزبا يسمى المابای [باء خفيفة] يضم الصهاينة العماليين واتباع **جابوتنسكى** . كما كان **وايزمان** الصهيونى السياسى **العملى البورجوازى** « يعطف » كثيرا على النشاط الصهيونى العمالى ولم يكن يأبه لاعتراضات المولين اليهود اعتقادا منه أن الصهيونية العمالية فى نهاية الامر ستخدم مآرب البورجوازية اليهودية والامبريالية العالمية [تماما كما كان يوقن **الارثوذكس** أن الصهاينة السياسيين العلمانيين سيخدمون القيم الدينية التقليدية شاءوا أم ابوا] وقد صدقت توقعات البورجوازيين بالنسبة للعماليين . وصدقت توقعات الدينيين الغيبيين بالنسبة للجميع .



● دوف بير بوروخوف

[١٨٨١ – ١٩١٧]

منظر **الصهيونية العمالية** ومؤسس حركة **عمال صهيون** وزعيمها ، ولد فى روسيا وتلقى تعليما علمانيا [ويظهر هذا فى مصطلحه أكثر من تفكير الذى يظل غيبيا الى حد كبير] . نشأ فى مدينة كان ينفى اليها الثوريون الروس ، أما أبوه فكان عضوا فى جمعية **أحباء صهيون** الامر الذى ترك له أثراعميقا عليه ، فقد ظل طيلة حياته يحاول الجمع بين الاشتراكية والصهيونية . كان عضوا فى الحزب الاشتراكى الديمقراطى ولكنه استقال ليكون حزب عمال صهيون [١٩٠٦] وقد وضع برنامج الحزب بالاشتراك مع اسحق **بن تسفى** [وهذا الحزب هو أول حزب صهيونى يصل الصيغة الصهيونية التى تجعل من الاشتراكية الادارة الوحيدة للاستيطان] . وفى نفس العام نشر بوروخوف مقاله الشهير « برنامجنا » . قبض عليه عام ١٩٠٧ وحينما أفرج عنه ذهب الى لاهاى حيث أسس الاتحاد الدولى لاحزاب عمال صهيون ، وشغل منصب الامين العام للاتحاد حتى وفاته ،

وقد تنقل فى انحاء أوروبا داعيا لصهيونيته الاشتراكية وقد شرح معظم أفكاره فى كتاب « **الحركة العمالية اليهودية فى أرقام** » [١٩١٨] كما قام بأبحاث فى **اللغة اليديشية** ودراسات سوسيولوجية عديدة ، وقد كان من بين المعارضين **لمشروع شرق افريقيا** . وانتقل الى الولايات المتحدة بعد اندلاع الحرب العالمية حيث قام بنشاط فعال **لا** فى صفوف حزبه وحسب بل وفى صفوف **المؤتمر الامريكى اليهودى** . وقد ساعد أيضا فى **تأسيس الفيلق اليهودى** [مع « الاشتراكى » الديمقراطى **بن جوريون** والصهيونى « اليمينى » **جابوتنسكى**] وقد ظل طيلة حياته يتعاون مع كل الصهاينة بغض النظر عن انتمائهم الطبقى أو الايديولوجى .

وعندما قامت ثورة كيرنسكى عاد بوروخوف ليشارك فى مؤتمر الاقليات متخذا موقفين متعارضين يعبران عن التناقض المبدئى فى تفكيره ، فهو من ناحية طالب فى أغسطس ١٩١٧ فى مؤتمر لحزب « عمال صهيون » فى روسيا بتوطين اليهود فى « أرتزوسرائيل » على أسس اشتراكية ولكن فى سبتمبر من نفس العام قرأ بحثا أمام مؤتمر الشعوب فى كيف عن « روسيا : كومنولث الامم »

يتلخص انجاز بوروخوف الفكرى فى انه طعم الصهيونية بالافكار اليسارية السائدة فى شرق أوروبا بين صفوف المثقفين والعمال مما جعل بعض قطاعاتهم تنصرف عن النشاط الثورى التاريخى الى النشاط الصهيونى المثالى المعادى للتاريخ . ويقسم بوروخوف البشرية الى أمم ثم طبقات ويرى أن وجود الامم أسبق من انقسامها الى طبقات ، فالامم باقية أما الطبقات فتتغير ، هذا من الناحية الاجتماعية ـ الاقتصادية . والامر لا يختلف كثيرا من الناحية الثقافية ، فقد تعرضت الامم الى تأثيرات وتغيرات شتى ولكنها ظلت دون تغير يذكر فى أساسياتها الحضارية ، ولعل هذا المنطلق هو الذى يفسر هجومه على فكرة **الاندماج** بين اليهود **والاغيار** ومناداته بأن وجود اليهود فى الدياسبورا هو انحرافا عن الذات اليهودية الحقيقية . وعلى الرغم من أن بوروخوف يصبغ هجومه هذا بصبغة طبقية ، فهو يصور الاندماج على أنه ظاهرة بورجوازية ، الا أن من الواضح أن قبوله مقولة الامة كمقولة مطلقة وغير متغيرة هو الذى يجعله يتخذ موقفه الرجعى هذا بشكل مبدئى وما التبريرات المادية الثورية الاخيرة الا تبريرات لاحقة .

ونظرية بوروخوف الاشتراكية الصهيونية لا تختلف فى بنيتها عن موقفه من الاندماج فهى أيضا تصدر من مقولة مطلقة ثم تبحث عن تبريرات مادية جدلية . وصف بوروخوف الصهيونية [فى مجال هجومه على **الصهيونية الاقليمية**] بأنها حركة واقعية ومثالية فى الوقت ذاته [مما يذكرنا بهس **وسيركين** فى تأكيدهما على العنصر الاخلاقى المثالى فى الاشتراكية اليهودية] . ويعلن بوروخوف أن ثمة عنصرين يشتركان فى تحريك الجماهير اليهودية أولهما مادى وهو معاناة الجماهير اليهودية الحادة وثانيهما أخلاقى وهو أن هذه الجماهير تتحرك نحو مثل أعلى ، وهى تكتسب قوة دفعها من الاخلاق اليهودية .

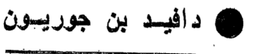
بعد هذا التحديد المبدئى ينصرف بوروخوف لتعريف **المسألة اليهودية** فيقرر أن الامة كيان اجتماعى ينبع من ظروف الانتاج المشتركة والوعى بتراث تاريخى مشترك ، وكل طبقة داخل الامة لها اهتمامها الخاص « بأحوال الانتاج » خاصة عنصر **الارض** [أى القاعدة الاستراتيجية للصراع الطبقى] ، وما يميز اليهود كشعب [أو نصف شعب أو شبه شعب]هو انهم شعب « لا أرض له » . هذا الوضع الشاذ نتج عنه ما سماه بوروخوف بنظرية « الهرم المقلوب » ، فكل شعب يتكون من فئات اجتماعية تأخذ شكل الهرم الذى يتكون من قاعدة عريضة تساهم فى العمليات الانتاجية الاساسية وكلما بعدت العمليات الاقتصادية عن هذه العمليات الاساسية كلما قل عدد العاملين فيها حتى نصل الى قمة الهرم . ويجد بوروخوف أن هذا الهرم الاجتماعى مشوه تماما عند اليهود لاننا نجد فى صفوفهم عددا كبيرا من المحامين والاطباء والمفكرين وغيرهم ممن ينتمون الى الطبقية الوسطى والعمليات الانتاجية الهامشية مع قلة قليلة ـ ان وجدت ـ من الفلاحين بالاضافة الى بروليتاريا صغيرة الحجم نسبيا . كل هذا يرجع الى عدم وجود « ظروف أو أحوال انتاج » خاصة باليهود ، ولذا فهم يظلون بمعزل عن بعض قطاعات الانتاج التى تظل حكرا على الامة التى تستضيفهم [وهذا هو التعريف الصهيونى المبدئى لليهودى على أنه الغريب والضيف وليس المواطن والمنتمى ، وان كان التعريف قد اكتسب بعدا طبقيا فى كتابات بوروخوف] . وبظهور الرأسمالية وازدياد التطور الصناعى والتنافس الرأسمالى بدأت الجماهير اليهودية تتحول من حرفيين الى بروليتاريا ، ولكنهم بسبب وجودهم المنفصل وبسبب **معاداة السامية** المنتشرة فى صفوف البورجوازية والبروليتاريا المسيحية نجد أن العامل اليهودى لا يجد عملا الا عند الرأسمالى اليهودى الذى يستثمر رأسماله عادة فى الصناعات الاستهلاكية [لاسباب وضحها بوروخوف] . لكل ما تقدم نجد أن تحول الحرفيين والعمال اليدويين اليهود الى بروليتاريا صناعية يتم ببطء شديد ، بل ويتوقف أحيانا كلية . ولان البروليتاريا اليهودية تعمل فى الصناعات الاستهلاكية وحسب فهى لا يمكنها أن تشل الاقتصاد ان قامت باضراب عن العمل وبالتالى لا يمكنها الدفاع عن نفسها أو المطالبة بحقوقها . ويكمن الحل فى أن يقف الهرم المقلوب على قاعدته وذلك بأن يحصل **الشعب اليهودى** على قاعدة استراتيجية ، وعلى ظروف انتاج قاصرة عليه وحده خاصة الارض ، وهذا المطلب تشترك فيه البورجوازية والبروليتاريا اليهودية . وقد كان بوروخوف يتصور أن الرأسمال اليهودى سيهاجر الى « الارض » بشكل عفوى ليبنى هناك صناعة راسخة وسيهاجر فى أعقابه آلاف مؤلفة من العمال اليهود . وهذه الارض هى بطبيعة الحال فلسطين وان كانت الاسباب التى يوردها بوروخوف تختلف عن الاسباب التقليدية التى يوردها الصهاينة : ففلسطين هى وحدها الاجابة المنطقية والحتمية لانها بلد شبه زراعى . كما أن الشعب الذى يقطنها لم يتبلور الى كيان اجتماعى ـ اقتصادى متماسك مما يجعل من السهل استيعابه فى البناء اليهودى الجديد . وفلسطين علاوة على كل هذا جزء من الامبراطورية العثمانية مما يعنى أن المستوطنين اليهود سيحاربون ضد السلطان التركى المتخلف [وكان بوروخوف يرفض الاستيطان تحت حكم دولة رأسمالية متقدمة] . ويؤكد بوروخوف أن العمال ينظرون الى استعمار فلسطين ونمو

البروليتاريا كمظاهرتين متلازمتين ومتعلقتين احدهما بالاخرى ، « فالوعى الطبقى لعمالنا لا ينطلق من المصالح الانانية الضيقة » التى تتعارض مع مصالح الامة فى مجموعها [ولنلاحظ « عمالنا المثاليين فى مقابل عمال الاغيار العاديين] ، وبما أن بناء الدولة لا يمكن أن يتم الا بأموال بورجوازية وتنازلات سياسية ومساندة دولية فان البورجوازية اليهودية وحدها قادرة على انشاء الدولة على أن يتركز دور العمال فى حمايتها [التحالفات الصهيونية !] وفى محاولة فرض سمات تقدمية عليها [اليسار الصهيونى المتخصص فى الواجهات !] .

وفى عام ١٩١٧ فى خطبة له فى كييف عمق بوروخوف من الجانب الصهيونى العاطفى لفكره ، فاهتم بشكل أكبر بالجوانب « الحضارية » اليهودية مثل « العودة الى أرض الاباء » و « أساس النشاط الخلاق » للبعث اليهودى . ورغم أن كتابات بوروخوف فى بعض الاحيان تتسم بشىء من الصدق والذكاء خاصة اذا ما كان فى مجال الوصف ، الا أن معظم تحليلاته كانت زائفة . وقد اثبت مسار التاريخ ذلك ، فعلى سبيل المثال لم يهاجر الرأسمال اليهودى بشكل تلقائى الى فلسطين وانما كان يهاجر فى فترات الركود الاقتصادى فى أوروبا ، كما كان ينزح عن فلسطين حينما تتاح له فرصة اقتصادية افضل خارجها .

كما أن هذه الهجرة لم تتم الا بعد سقوط فلسطين فى فلك الامبريالية الانجليزية ، ولذا كان الرأسمال اليهودى جزء من الرأسمال العالمى [المسيحى ان صح التعبير !] ، ولم يهاجر العمال اليهود الى فلسطين كما تصور بوروخوف ، فمعظم المهاجرين كانوا من البورجوازيين أو البورجوازيين الصغار مما اضطر كثير منهم الى التحول الى عمال . ومن الواضح أن التطور فى روسيا وبولندا لم يكن نحو مريد من الانفصال للطبقة العاملة اليهودية ، فاشتراك اليهود فى الثورة البلشفية كان بنسبة عالية للغاية تتخطى نسبتهم القومية . ولكن بوروخوف وقع ضحية فرضياته التبسيطية الساذجة لانه انطلق من مقولة الامة الفريدة التى لا تتغير والمنفصلة عن كل الشعوب والطبقات ولكن لعل أكبر خطأ وقع فيه بوروخوف هو استهانته بالوجود العربى فى فلسطين واكتفائه بالاشارات العابرة له وهو فى هذا كان ضحية التجريد الصهيونى الذى كان دائما يشير الى « الارض » [أو الارض المقدسة أو ارتزيسرائيل] التى تنتظر ساكنيها الغائبين آلاف السنين ، وكان التاريخ قد توقف كلية . وقد قدر لهذه المشكلة « الهينة » و « العرضية » أن تترك أثرها العميق لا على الدولة الصهيونية وحسب بل وعلى يهود العالم ككل ، بل اننا يمكننا القول بأن طريقة حسم هذه المشكلة « العرضية » هو الذى سيحدد مصير المستوطنين اليهود فى المنطقة .





دافيد بن جوريون

[١٨٨٦ – ١٩٧٣]

زعيم صهيونى عمالى ، وسياسى اسرائيلى ، وعالم تلمودى ، ولد دافيد جرين [الذى غير اسمه فيما بعد الى بن جوريون أى « ابن الشبل »] فى بولندا فى منطقة بلونسك ، احدى مناطق الاستيطان اليهودى فى روسيا . فقد نشأ بن جوريون نشأة يهودية تقليدية ، فقد كان يذهب الى المدرسة اليهودية مرتديا حلة سوداء طويلة وقضى سنين حياته الاولى يدرس التوراة والتلمود ، وكتب الصلوات المختلفة فى المدارس الحاخامية ،

وفى طفولته سمع بن جوريون عن ظهور « المشايح المخلص » فى شكل صحفى نمسوى يسمى تيودر هرتزل سيعود بشعبه الى أرض الميعاد وكان أول كتاب عبرى يقرأه هو كتاب « حب صهيون » لمابو .

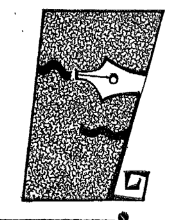
وقد بدأ بن‌جوريون نشاطه الصهيونى وهو بعد صبيا فى سن الرابعة عشرة ، فقد كان ابوه عضوا فى جماعة أحباءصهيون ، وقد تأثر بن جوريون بأفكار بوروخوف فانضم الى جماعة عمال صهيون عام ١٩٠٤ وكان من بين المعارضين لمشروع شرق أفريقيا فى مؤتمر الحزب . وقد حاول بن جوريون أن يغير اتجاه الحزب من التركيز على يهود الدياسبورا الى التركيزعلى يهود فلسطين ، وبعد عامين انضم الى احدى جماعات « الدفاع »

اليهودية التى نظمت فى روسيا بعد مذبحة **كيشينيف** . هاجر الى فلسطين ١٩٠٦ حيث بدأت أفكاره الصهيونية فى التبلور ، فطالب بالتأكيد على مركزية المستوطنين اليهود فى حياة الدياسبورا ، وكان من دعاة بعث اللغة العبرية واهمال **اليديشية** . وفى عام ١٩١٢ التحق بن جوريون بجامعة القسطنطينية لدراسة القانون على أمل أن يمكنه هذا من المساهمة فى تحويل فلسطين الى وطن يهودى داخل الامبراطورية العثمانية ، وبعد تخرجه عاد الى فلسطين حيث بدأ حياته عاملا زراعيا وحارسا ليلا . وحينما نفته السلطات التركية لان برنامج حزبه يتعارض مع مصالح الامبراطورية العثمانية ذهب الى الولايات المتحدة حيث أسس جماعة **الرائد** وساهم فى تكوين **الفيلق اليهودى** التابع للجيش البريطانى وعاد معه الى فلسطين عام ١٩١٨ [ومعه مجموعة كبيرة من الاشتراكيين الصهاينة] . اشترك مع **كاتزنلسون** فى تأسيس **الهستدروت** ، وقد اقترح بن جوريون ألا يكون الهستدروت نقابة عمال وحسب بل وسيلة استيطانية . ولذلك أسس على شكل « **شركة عمال** » **حفرات هاعوفديم** » تساهم فى الاعمال الزراعية وفى الاستثمارات الصناعية والبناء . وقد تولى بن جوريون رئاسة الهستدروت من عام ١٩٢١ حتى ١٩٣٢ ، وفى عام ١٩٣٠ ساهم فى انشاء حزب الماباى ، كما انتخب عضوا فى اللجنة التنفيذية **للوكالة اليهودية** عام ١٩٣٧ ، وفى عام ١٩٤٢ تبنت **المنظمة الصهيونية العالمية** بمبادرة من بن جوريون برنامج **بلتمور** الذى كان هدفه المعلن هو انشاء دولة اسرائيل . وفى عام ١٩٤٨ أشرف بن جوريون على تكوين رئاسة الحكومة المؤقتة قبل اعلان نهاية **الانتداب** ، وقام بنفسه باعلان بيان قيام اسرائيل وكان من ضمن من نصحوا بعدم الاشارة الى حدود الدولة لان **الجيش الاسرائيلى** وحده هو الذى سيعين الحدود ، كما أنه أيد عدم اعلان **الدستور** حتى يمكن ارضاء العناصر الدينية التى تحالف معها الماباى لتشكيل وزارة وطالب بجعل **القدس** عاصمة الدولة الجديدة . وقد تولى بن جوريون منصب رئيس الوزارة عدة مرات كان آخرها عام ١٩٦٣ ، وقد كانت حادثة **لافون** مسئولة عن استقالته عام ١٩٥٥ كما انها اضطرته للدخول فى معارك سياسية مختلفة . وقد استقال بن جوريون من الماباى وكون حزب رافى هو وأعوانه ، وحينما انضم رافى للحكومة دخل بن جوريون هو وجماعة من أتباعه الانتخابات تحت اسم « **القائمة الرسمية** » ، وقد فاز الحزب بأربعة مقاعد فى **الكنيست** كان بن جوريون يشغل احداها ، ولكنه استقال بعد سنة واحدة واعتزل السياسة .

وبن جوريون هو المسئول عن انشاء القـــــوة العسكرية الصهيونية ، فقد كان من المنادين بفكرة **اقتحام الحراسة** وأسس جماعة **الحارس** ثم **الهاجاناة** وكان من بين المنادين بتسليح المواطنين اليهود . ولكنه كان يحاول دائما الا يصطدم بالقوة الامبريالية الحاكمة انجلترا ، وحينما اضطر ان يفعل ذلك فقد حاول أن يبقى الاصطدام عند حده الادنى لمعرفته اليقينية أن العدو الاساسى هو **العرب** . وحينما أنشئت الدولة قام بحل كل المنظمات العسكرية الصهيونية مثل **الارجون والبالماخ** وضمها الى الهاجاناة وحولها جميعا الى « جيش الدفاع الاسرائيلى » . وقد شغل بن جوريون منصب وزير الدفاع فى جميع الوزارات التى رأسها . وقد ساهم فى صياغة سياسة اسرائيل الخارجية وتأكيد دورها « كحارس » للمصالح الامبريالية [نظير الحماية الامبريالية التى تحصل عليها] ، وفى اطار هذا عقد تحالفا مع فرنسا عام ١٩٥٥ وجهز لحرب عام ١٩٥٦ ليضرب الحكومة المصرية التى كانت آنئذ تمد الثوار فى الجزائر بالمساعدة ، وقد استمر هذا الخط الاساسى للسياسة الخارجية الاسرائيلية حتى وقتنا الحاضر .

ولقد قضى بن جوريون أيام حياته الاخيرة فى **كيبوتز** سدى بوكر يكتب تاريخا لليهود فى العصر الحديث ، وشرحا للتلمود ، ويسجل فى مذكراته عبارات مثل « لقد انتقمنا لاسلافنا من المصريين والسوريين » ، ويشير للعراقيين على أنهم أشوريين وبابليين ويشير الى اللبنانيين على أنهم فينقيون ! ، وقد ظل يتأرجح فى أفكاره السياسية اذ كان يصرح أحيانا بضرورة التنازل عن كل الاراضى المحتلة نظير السلام مع العرب ، ولكنه أحيانا أخرى [بعد رؤية الانتصارات العسكرية الاسرائيلية] كان يصرح بأنه يجب الاحتفاظ بكل الاراضى ، فهو كان يستمد رؤيته للواقع والتاريخ والتوراه والتلمود من انتصارات الجيش الاسرائيلى الذى وصفه مرة بأنه « خير مفسر للتوراة » ! . وينسى الكثيرون أن بن جوريون كان من أكبر الاشتراكيين الصهاينة ، وأن فكرة الاشتراكى الصهيونى ملا عدة مجلدات ، ولكن اشتراكيته تنبع من ايمان عميق يتفوق الشعب اليهودى ، ومن احلامه المشيحانية وهى أحلام عنصرية تستبعد غير اليهود وتجعل من الاشتراكية وسيلة طيعة للاستيطان ، وليس مصدرا للقيم الانسانية أو وسيلة للتعامل مع الواقع بكل مكوناته الطبيعية والتاريخية . ولبن جوريون عدة مؤلفات من أهمها « **اسرائيل : سنوات التحدى** » و « **بعث اسرائيل ومصيرها** » و « **اسرائيل : تاريخ شخصى** » و « **بن جوريون ينظر الى الوراء** » و « بن جوريون ينظر الى العهد القديم » .

تقارير الشهر



سبتمبر

١٩٧٤

● جمهورية مصر العربية ●

الملامح الاساسية للاقتصاد المصرى عام ١٩٧٣

● الصراع العربى الاسرائيلى ●

سناء حسن
مغامرة صهيونية فاشلة

● غينيا ـ موزامبيق ـ انجولا ●

الفصل الاخير من نهاية امبراطورية

● قبرص ●

فقدت الجزيرة استقلالها باسم « الحرية والديمقراطية »

● الارجنتين ●

هل تبقى البيرونية بعد بيرون

رسالة بيروت

مساندة جديدة من الدول الاشتراكية لمنظمة التحرير ولقيادة عرفات

■ شريط الاخبار ■ ■ جمهورية مصر العربية


ابراهيم سالم محمدين

مصر - العراق .. على طريق التعاون والتكامل الاقتصادى

تم فى بغداد فى اوائل اغسطس الماضى توقيع البروتوكول الخاص بتنظيم التعاون الاقتصادى والفنى بين مصر والعراق . وقد وقعه عن الجانب المصرى المهندس « **ابراهيم سالم محمدين** » وزير الصناعة والتعدين ، وعن الجانب العراقى السيد « **طه الجزراوى** » عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصناعة العراقيــة .

وكان المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة والتعدين قد أجرى محادثات هامة مع اعضاء مجلس قيادة الثـورة والوزراء فى الجمهـورية العراقية ، تناولت بحث أسس تطوير التعاون بين البلدين فى المجـالات الصناعية والاقتصادية المتعددة .

وينص البروتوكول على تنفيذ المشاريع التالية :

● تأسيس شركة مشتركة لصناعة الجرارات الزراعية ، وشركة مشتركة اخرى لصناعة سيارات الركوب على ان يشترك مع الطرفين طرف ثالث له صفة عالمية . كما اتفق الجانبان على دراسة امكانية اقامة مشروع مشترك لتصنيع عربات السكك الحديدية . وتم الاتفاق على ان يقوم الجانب المصرى بتوريد الفى سيارة نصر ١٢٨ خلال عام ١٩٧٥ ، هذا بخـلاف التعـاقدات السابقة وعددها ٢٠٣٠ سيارة .

● الاتفاق على مساهمة شركات المقاولات المصرية فى بناء بعض مشاريع الاسكان والمنشآت الصناعية فى العراق ، وتبلغ التكاليف الاجمالية للمشروع حوالى ١٥٠ مليون دينار عراقى ، اى ما يزيد عن ٣٠٠ مليون جنيه مصرى .

● الاتفاق على بناء ١٠٠ سفينة نقل نهرية فى البصرة لحساب العراق ، وتتولى هذه العملية احدى شركات هيئة قناة السويس .

● الاتفاق على تزويد مصر بالكميات التى تحتاجها من النفط الخام فى عام ١٩٧٥ ، وتم الاتفاق على ان يقوم العراق بالاستفادة من الطاقة الحالية لمعمل تكرير البترول فى الاسكندرية والتى تقدر بحوالى مليون ونصف مليون طن سنويا لحساب العراق ، وتصدير منتجات البترول العراقى للاسواق العالمية .

● الاتفاق على زيادة حجم التبادل التجـارى بين البلدين فى عدد مـن السلع الهامة كالنفط والكبريت والمنسوجات والمنتجات الهندسية المصرية .

وتضمن البروتوكول ايضا وضع اسس للتكامل والتنسيق الصناعى فى المشاريع الصناعية فى مصر والعراق ، وتدريب الكوادر فى البلدين ، وتبادل الخبرات فى مجالات الزراعة والتصنيع الزراعى والاسكان والتعمير ، وتدريب الفنيين العراقيين فى المشاريع العمرانية المصرية .

وكشفت المباحثات بين الجانبين العراقى والمصرى عن وجود رغبـة مشتركة لدى الجانبين للتعاون فيما بينهما ، بما يحقق المصـالح المشتركة للشعبين الشقيقين . وتبين ذلك من حجم الاتفاقات الصناعية والاقتصـادية المتعددة ، ومن التصريحات الهامة للمسئولين العراقيين والمصريين .

وقد أعلن طه الجزراوى عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصنـاعة فى العراق : ان ما تم التوصل اليه لا يقاس بحجم المشاريع المشتركة ومجالات التعاون ، وانما فى المعانى والدلالات التى يرمز لها الاتفاق فى هذا الوقت بالذات . وان الاتفاق يعتبر خطوة هامة على طريق تعزيز العلاقات وتطويرها بين البلدين الشقيقين ، كما انه يسهم فى تعميق الترابط بين شعبينا من خلال تنفيذ واقامة المشاريع المشتركة ، كذلك فان الاتفاقات الاقتصـادية تعتبر

الاسس التى تؤدى الى تحقيق هدف الامة العربية وهو الوحدة . واوضح ايضا أنه يجب على الاقطار العربية توسيع دائرة التعاون الصناعي واقامة مشاريع صناعية عربية مشتركة يساهم فيها اكثر من قطرين عربيين وبحجم اكبر ، من اجل منفعة الامة العربية وبعيدا عن النظرة القطرية التى ساهمت فى التباعد بين الاقطار العربية ، واوضح ان الهدف الاساسى الذى ينبغى تحقيقه هو المشاريع المشتركة التى تحقق للاقطار العربية الاستقلال الاقتصادى بعيدا عن الاحتكارات الاجنبية » .

كذلك اكد **ابراهيم سالم محمدين** وزير الصناعة والتعدين المصرى ، على أهمية التكامل الصناعى بين الاقطار العربية باعتباره ضرورة ملحة تفرضها ظروف الامة العربية من اجل وقف نزف موارد الاقطار العربية لاستيراد المنتجات الاستهلاكية والسلع الوسيطة من الدول المتقدمة . واضاف : ان هذا التكامل يحقق خلق فرص العمل واقامة الصناعات المتقدمة التى تستطيع الصمود امام المنافسة العالمية ، وان هذه المشروعات العربية المشتركة تعتبر خطوة ضرورية لمرحلة طويلة فى طريق التكامل الصناعى ، وارساء قواعد الوحدة الاقتصادية العربية ، وتسخير الموارد الاقتصادية العربية ، وجعلها فى خدمة التنمية وتحقيق التقدم والرفاهية للامة العربية .

وقد اعلنت الصحف العراقية عن ترحيبها بهذا الاتفاق الاقتصادى الضخم « مع القطر المصرى الشقيق » . وذكرت جريدة « **الثورة** » الناطقة بلسان حزب البعث العربى الاشتراكى : ان الاتفاق الذى جرى بين القطرين الشقيقين ومجمل العلاقات المتطورة بينهما فى المجالات الثقافية وغيرها من المجالات يعطى المثل الصحيح فيما يجب ان تكون عليه العلاقات بين الاقطار العربية فى الظروف الدقيقة الراهنة ، واننا نعبر كما كنا دائما عن الثقة الوطيدة بأن القوى الوطنية العربية تمتلك الامكانات الكبيرة التى تؤمن مستلزمات مواجهة التآمر والتضليل الذى تمارسه القوى الاستعمارية والقوى الرجعية المشبوهة ، وان وضع هذه الامكانات فى الطريق الصحيح يؤدى حتما الى نتائج تغير كثير من المعطيات الراهنة التى تراهن عليها قوى الاستعمار والردة لاخضاع الامة العربية لمخططاتها » .

كما ذكرت جريدة « طريق الشعب » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى العراقى : « ان التضامن بين الاقطار العربية المتحررة ذات الموارد المالية الواسعة وبين الاقطار التى فى حاجة الى هذه الموارد ، من شأنه اضعاف مواقع النهج الاستسلامى فى المنطقة وتعزيز مواقع القوى الوطنية السليمة . وان التعاون بين الاقطار العربية التقدمية يدعم القطاع العام الذى يحتل مواقع هامة فى العديد من هذه الاقطار العربية التقدمية » .

هذا ويلقى الاتفاق بين مصر والعراق ارتياحا شديدا فى الاوساط الوطنية والتقدمية فى العالم العربى ، التى تنظر بارتياح شديد الى كل تقارب يتم فى العلاقات بين البلدين الشقيقين ، كما تعتبر الاتفاق لطمة قوية موجهة الى كل القوى الامبريالية والرجعية المشبوهة التى تحاول التفريق بين البلدين العربيين الشقيقين .

الملامح الأساسية للاقتصاد المصرى عام ١٩٧٣

يؤكد تقرير مجلس ادارة البنك الاهلى عن عام ١٩٧٣ والصادر فى يونيو ١٩٧٤ ، ان عام ١٩٧٣ اتسم بما يلى :

■ **فى المجال الداخلى** : اتخاذ الاجراءات لتطوير نظام الرقابة على عمليات النقد الاجنبى بما يؤدى الى اجتذاب المزيد من العملات الاجنبية وتطوير نظام التجارة الخارجية بما يساعد على تحقيق الاتساق بين صادرات البلاد

ووارداتها من المناطق النقدية المختلفة ، واستعادة ثقة رؤوس الاموال العربية والاجنبية للاستثمار فى مشروعات التنمية ودعم التعاون الاقتصادى ، وتهيئة المجالات والظروف الملائمة لتشجيع استثمار رأس المال الخاص .

■ **فى المجال العربى والافريقى :** برزت روح التضامن ووحدة النضال وانتهجت الدول العربية موقفا موحدا لوضع البترول فى خدمة المعركة بخفض انتاجه ورفع أسعاره ، وبذلك مارست حقها فى السيطرة على هذا الجانب من مقدراتها الاقتصادية .

■ **فى المجال العالمى :** استمر الاضطراب فى أسواق النقد المالية ، مما ادى الى تخفيض الدولار للمرة الثانية ولم يكد ينقضى ١٤شهرا على التخفيض السابق الامر الذى ادى الى اعادة تقويم عدد من العملات كما انتاب الاسواق الدولية للسلع ارتفاع حاد فى الاسعار من اختلال هيكل موازين المدفوعات الدولية ، الى جانب ارتفاع الذهب فى السوق الحرة حتى جاوز ٤ أمثال السعر الرسمى .

ثم يفصل التقرير بعد استعراض سريع للاوضاع الاقتصادية الدولية ، الموقف الداخلى فى ١٩٧٣ من وجهة النظر الاقتصادية فيقول ان الحكومة اعلنت فى بيانها لمجلس الشعب [٢١ ابريل] ان الالتزام بالمبادىء الاشتراكية لا يحول دون الانطلاق الحر لتعزيز حركة النشاط الاقتصادى وتطوير اتجاهاتها فى اطار الدستور والمواثيق القومية . وفى ضوء هذا صدرت القرارات الاتية :

١ ـ القرار الوزارى رقم ٤٧٧ لسنة ١٩٧٣ بانشاء سوق موازية للنقد الاجنبى ، وحدد القرار طبيعة العمليات التى تغذى موارد هذه السوق واوجه استخدامها .

٢ ـ كما صدر قرار فى شأن تنظيم الاستيراد يتضمن كثيرا من التيسيرات للقطاعين العام والخاص

٣ ـ كذلك تم انشاء جهاز التعاون الاقتصادى العربى والاجنبى

٤ ـ ووافق مجلس الشعب على قانون استثمار المال العربى والاجنبى ويستطرد التقرير ليطرح مطلبين هما :

● تطوير هيكل الانتاج القومى نفسه ودعم كفاءته ، كأساس لتحرير التجارة الخارجية وتنسيق اتجاهاتها .

● تهيئة الحوافز وتقديم الضمانات وبث الثقة وتفتيح المجالات للاستثمار المحلى .

وفى تقييم النمو الاقتصادى والاجتماعى يذكر التقرير الحقائق التالية :

■ **الدخل المحلى الاجمالى :** بلغ بتكلفة عوامل الانتاج الثابتة لسنة ٦٩ ـ ٧٠ ، ٢٦٧٠٫٦ مليون جنيه فى ٧٠ر٧١ ، وزاد الى ٢٧٨٣ مليونا فى ٧١ ـ ٧٢ اى بمعدل نمو حقيقى قدره ٤ر٤ فى المائة و ٢ر٤ فى المائة على التوالى . أما تكلفة عوامل الانتاج الجارية فبلغت ٥ر٢٧٠٠ مليون فى ٧٠ ـ ٧١ ، ٢٨٨٤ مليونا فى العام التالى ، أى بمعدل نمو ٥ر٦ فى المائة و٨ر٦ فى المائة . ويتضح من ذلك ان اثر الزيادة فى الاسعار كان اوسع مدى فى ٧١ ـ ٧٢ منه فى العام السابق .

كما بلغ متوسط الدخل الحقيقي للفرد على الاسس المثبتة لعام ٦٩ ـ ٧٠ ،
٤ر٨٠ من الجنيهات فى٧١ـ٧٢ مقابل ١ر٧٩ فى العام السابق . أمابالاسعار
الجارية فبلغ ٣ر٨٣ مقابل ٨٠ جنيها فى العامين المشار اليهما .

■ **العمالة والاجور** : بلغت الاجوربالاسعار الجارية ٧ر١٤١٤ مليون فى ٧١ ـ ٧٢ مقابل ٦ر١٣٢٧ مليون فى العام السابق . **وبذلك ظلت تناهز نصف مجموع الدخل القومى** . وظلت الخدمات تتصدر مختلف القطاعات بمتوسط ٦ر٣٢٣ جنيها للمشتغل فى ٧١ ـ ٧٢ يليها قطاع الكهرباء فالنقل والمواصلات والصناعة والمرافق . وظل قطاع الزراعة يتذيل القائمة بمتوسط أجر ٣ر٥٥ من الجنيهات الفرد . وقدرت قوة العمل بنحـو ٩٥ر٩ مليـون فـرد فى ٧١ ـ ٧٢ ، أى ٧ر٢٢ فى المائة من عدد السكان وبزيادة ٧ر٢ فى المائة عن ٧٠ ـ ٧١ . فى حين بلغ عدد المشتغلين فعلا ٥٠٠ر٨٦٧١ مشتغل بنسبة توظيف ٤ر٩٠ فى المائة ، وبزيادة تقتصر على ٩ر١ فى المائة من العام السابق ، مما يشير الى قصور فرص العمل الجديدة عن ملاحقة الزيادة فى عدد الوافدين على سوق العمل .

■ **الناتج القومى والاستهلاك والاستثمار** : ارتفع الناتج القومى الاجمالى باسعار السوق الثابتة لسنة ٦٩ ـ ٧٠ بنسبة ٤ر٢ فى المائة فى ٧٠ ـ ٧١ و ٩ر٣ فى المائة فى العام التالى لتصل الى ٣ر٣١٧٣ مليون جنيه . وارتفعت تقديرات الاستهلاك النهائى بنفس الاسعار بنسبة ٤ر٥ فى المائة و ٨ر٥ فى المائة على الترتيب لتبلغ ٢٩٤٤ مليون جنيه [أو حوالى ٨ر٩٢ فى المائة من الناتج الاجمالى] فى ٧١ ـ ٧٢ . ويرجع ارتفاع معدل الاستهلاك النهائى عن معدل زيادة الناتج القومى ، الى الزيادة فىالاستهلاك العام الذى ارتفع بمعدل ٤ر٩ فى المائة فىعام ٧٠ ـ ٧١ ، و ٦ر١٠ فى المائة فى العام التالى ليصل الى ٤ر٨٦٥ مليون جنيه .

وقد اقتصر حجم المدخرات المحلية على ٨ر١٨٣ مليون جنيه تمثل ٦ر٥ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى فى هذا العام ، مقابل ٣ر٢٢٦ مليون و٣ر٧ فى المائة فى العام السابق .

وفى نفس الوقت ، بلغ الاستثمار المحلى الاجمالى المنفذ فى ٧١ ـ ٧٢ نحو ٤٢٠ مليون جنيه تمثل ٨ر١٢ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى ، مقابل ٤٣٧ مليون و٢ر١٤١٤ فى المائة فى ٧٠ ـ ٧١ . وبذلك يتضح أن الفجوة التمويلية أصبحت تمثل ٣ر٥٦ فى المائة من جملة استثمارات ذلك العام .

■ **القطاع الخاص** : بلغت استثماراتـه ٤١ مليـون جنيـه فـى كل من العامين ٥٠ فى المائة منها فى الابنيةالسكنية ، مما زاد نصـيبه فى جملة استثمارات المبانى الى أكثر من ٧٢ فى المائة . وتتجه استثماراته فى المرتبة التالية الى التجارة والمال . وقد بلغ نصيبه فى الانتاج الاجمالى ٤٥ فى المائة فى ٧١ ـ ٧٢ . وفى الدخل المحلى الاجمالى ٤ر٤٦ فى المائة . ويأتى ٥٤ فى المائة من الدخل المتولد فى القطاع الخاص من الزراعة « حيث ينخفض متوسط دخل المشتغل [مشتملا الاجور وعوائد التملك على السواء] الى أقل من نصف متوسط دخل المشتغل فى باقى قطاعات النشـاط الاقتصادى ، مما ينتظر معه الا يتحقق فيه القدر المناسب من المدخرات للاستثمار . فى حـين أن نسبة مشاركة القطاع الخاص فى الانشطة الاقتصادية الاخرى تسمح له بتحقيق فائض ادخارى مناسب .

■ **الانتاج الزراعى** ، بلغ ١١١٧ مليون جنيه وقد التهم الزحف العمرانى ٦٤ ألف فدان . وبذلك انتقص من نتائج السد العالى . وقد زاد اجمالى الانتاج الزراعى بنسبة ٣ر٤ فىالمائة . أما مجموعة الحبوب [٤٠ فى المائة من

المساحة المحصولية وثلث قيمة الانتاج النباتى] فبلغت ٥ر٧ مليون طن بنقص طفيف عن العام السابق . وهذا الحجم يقل كثيرا عن احتياجات الاستهلاك .

■ **الانتاج الصناعى :** بلغ فى ٧٢ ، ٧ر١٨٧٥ مليون جنيه مقابل ٧ر١٨٠٩ فى ٧١ و٦ر١٦٣٤ فى ١٩٧٠ . وبذا بلغ المعدل العام للنمو ٦ر٣ فى المائة فى ١٩٧٢ مقابل ٧ر٣٫٠ فى العام السابق . بلغ النمو اقصاه فى الصناعة الكيماوية [٩ر١] والغذائية [٦ر١]والبترولية [٥ر٤] فى المائة . والهندسية [٤ر١ فى المائة] . ومن حيث الاهمية ، تحتل الصناعة الغذائية المكانة الاولى فى الانتاج ، اذ بلغت قيمتها ٦ر٥٥٧ مليون جنيه أو ٧ر٢٩ فى المائة من الاجمالى العام فى ١٩٧٢ مقابل ٥ر٥٢٥ مليون و٢٩ فى المائة فى ٧١ . يليها الغزل والنسيج [٢ر٥١٤ مليون أو ٤ر٢٧ فى المائة مقابل ٩ر٥١٠ مليون و ٢ر٢٧ فى المائة] ثم الهندسية [٥ر٢٤٥ مليون مقابل ٧ر٢٣٥ مليون] فالكيماوية [٩ر٢١٤ مقابل ١٩٧] والبترولية [٤ر١٦٠ مقابل ٢ر١٥٢] .

■ **القطن :** بلغ محصول العالم فى ٧٢-٧٣ ، ٨ر٥٩ مليون بالة بزيادة ٨ر٢ مليون بالة أو بنسبة ٥ فى المائة . زاد المعروض من ٨ر٧٦ مليون بالة الى ٨٠ مليون . وترجع الزيادة الى المحصول الامريكى الذى ارتفع ٦ر٣ مليون بالة . ومع ذلك ازداد الطلب ، فارتفع انسياب القطن الخام من ٤ر١٨ مليون بالة فى ٧١-٧٢ الى ٧ر٢٠ فى ٧٢-٧٣ . كما تراخت حدة منافسة الالياف الصناعية للقطن . وقد نقص الانتاج العالمى من الاقطان طويلة التيلة بنسبة ٣ر٨ فى المائة ومن الاقطان الطويلة الممتازة بنسبة ٧ر١٦ فى المائة .

فى ذكرى سعد والنحاس

ما أصعب الصعود نحو الزعامة السياسية ..

وما أصعب ذلك — بشكل خاص — فى بلد كمصر ، ولشعب كالشعب المصرى أدمن — لفرط ما عانى — عادة التشكك فى الحكام .

وما أصعب أن يصبح الزعيم السياسى ، زعيما شعبيا حقا ، بحيث يمتد رباط خاص بينه وبين جماهير شعبه ، رباط يرتقى بالعلاقة الى نوع من الحب الصوفى المتبادل .

قليلون فى تاريخ مصر الذين وصلوا — بحب شعبهم — الى هذه المرتبة ، أو حتى الى مشارفها ، عددهم لا يصل فى اطار تاريخنا الحديث الى أصابع اليد الواحدة .. ومهما اختلف المؤرخون والسياسيون فى مواقفهم وفى تقييماتهم ، فانهم يتفقون على أن سعد زغلول ومصطفى النحاس يقفان فى طليعة هذه الزعامات الشعبية التى هيمنت ولفترة طويلة على قلوب ومشاعر الاغلبية من شعب مصر .

.. أن الفلاح المصرى ، الذى ظل ولفترة طويلة وحتى بعد وفاة الزعيم يكتب اسم «سعد زغلول» على تذكرته الانتخابية هذا الفلاح لم يكن يقبل بفعله هذا على نادرة فكاهية ، بل أنه كان يجسد تجسيدا حيا ايمانه باستمرارية زعامة حقيقية ، وثقة لا يمنحها الفلاح المصرى بسهولة ، ولا تنتزع من قلبه بسهولة ..

وسعد .. والنحاس زعيمان وطنيان ، بطلا مرحلة النهوض المصرى للتحرر الوطنى . وقد تبلورت زعامتهما من خلال لمسهما للجرح العميق القديم فى قلب شعب مصر .. الاحتلال البريطانى والسراى ، ومن خلال ادراك متصل بان محك الوطنية المصرية هو قول « لا » للاثنين معا .

ولقد نختلف حول كثير من مواقف الرجلين ، أو حول «حدة» هذه المواقف ، أو حجمها ، أو توقيتها ، لكننا نتفق فى ان « لا » هذه قد قيلت فى مواجهة الاستعمار والسراى مبلورة جوهر الثورة الوطنية المصرية المعادية للاستعمار والتى تنشد الخلاص من تحكم الاسرة المالكة .. ولقد نجحت « لا » هذه فى أن تترجم وبصدق مدى الرفض فى نفوس الجماهير العريضة من الشعب المصرى . وعبرت فى مواقف عديدة حاسمة عن طبيعة ومحتوى وحدود الثورة الوطنية المصرية فى مراحلها الاولى وعبر تطوراتها المختلفة .

ولقد يعود المؤرخ أو السياسى بذاكرته ليحلل المواقف ولينتقد هذه الخطوة أو تلك ، وليفاضل بين هذا الموقف أو ذاك لكنه لا يملك فى النهاية الا التأكيد بان زعامة كل من سعد والنحاس كانت زعامة وطنية فى اطار ظروف وحدود ومفاهيم وطبيعة هذه المرحلة من مراحل الثورة الوطنية المصرية ..

وكاى زعامة اكتسبت محبة الجماهير ووفائها فان الانتساب

وفى السوق المحلى بدأ موسم ٧٢-٧٣ بمخزون قدره ٢ر١ مليون قنطار. ومحصول يناهز ٣ر١٠ مليون قنطار . وبذا بلغ المعروض فى بداية الموسم ٥ر١١ مليون قنطار . وبلغ استهلاك المغازل المحلية خلال الموسم ٢ر٤ مليون قنطار [١ر٤ مليون فى الموسم السابق] تمثل ٨ر٤٠ من المحصول و٥ر٣٥ فى المائة من المعروض . أما الصادرات فزادت بنسبة ١٧٠ ألف قنطار لتصل الى ٦ر١٢١ مليون قنطار . ومع ذلك فقد تراجعت قيمتها بالجنيه المصرى من ٨ر١٦٣ مليون جنيه فى ٧١-٧٢ الى ٥ر١٦١ مليون . ومن حيث التوزيع الجغرافى ، اشترت مجموعة الكوميكون ٤ر٤٢ فى المائة من صادرات القطن فى ٧٢-٧٣ [وكانت ٨ر٤٩ فى المائة فى الموسم السابق] . وارتفعت صادرات الدول الاوربية بنسبة ١٠ فى المائة .

■ **ميزان المدفوعات :** حقق رصيد العمليات الجارية والتمويلات فائضا قدره ٤ر٣٠ مليون جنيه مقابل عجز قدره ٣ر٧٤ مليون فى ١٩٧٢ وعجز ٨ر٨٩ مليون فى ١٩٧١ . وبأخذ صافى رصيد العمليات الرأسمالية فى الحسبان ، يسفر فائض الميزان عند فائض قدره ١ر١١٦ مليون مقابل ٢ر١ مليون فى العام السابق وعجز قدره ٣ر٦١ مليون فى ١٩٧١ وقد ارتفعت الواردات الى ٣ر٦٢٢ مليون جنيه بزيادة ١ر٦٣ مليون عن العام السابق . أما الصادرات فزادت حصيلتها بنحو ٦ر٤٢ مليون جنيه لتصل الى ٣ر٣٩٦ مليون بعد أن كانت قد تراجعت فى العام السابق بنحو ٦١ مليون . وبذلك اقتصرت الزيادة فى عجز الميزان التجارى لعام ١٩٧٣ بالمقارنة بالعام السابق على نحو ٥ر٢٠ مليون جنيه .

اليها والتمسح بها يخضع للكثير من المزايدات .. وهكذا فان أعدى أعداء طريق سعد الحقيقى .. طريق العـداء للانجليز والسراى ، قد وجدوا الجرأة ليطلقوا على أنفسهم اســم « السعديين » ، ولفترة من الوقت كان الانتماء الى ســعد مظلة يحتمى بها الجيد والردىء ، المخلص وغير المخلص معا، لكن الجماهير عرفت بحسها المرهف ، بالالهام الوجدانى الخاص الذى يربط بينها وبين الزعيم ، عرفت كيف تفرز العملة الجيـدة من العملة الزائفة وتبعت مصطفى النحاس كخليفة لســعد ورفضت الاخرين ، فقد أدركت مبلغ ما فيهم من زيف .

وكما تاجر البعض بالاسم ، تاجر آخرون بالصــداقة أو بالقرابة وبغيرها من « قمصان عثمان » ، لكن الجماهير كانت أوعى من أن تنزلق الى هاويتهم .

وفى ٢٣ اغســطس .. تاتى ذكرى وغاة كل من ســعد والنحاس كما اعتادت ان تاتى كل عــام ، ولفترة من الزمن تجاهلها البعض نسيانا والبعض الاخر تعمدا ، لكنها تاتى فى هذا العام مكتسبة مذاقا خاصا يحاول البعض ان يضفيه عليها في محاولة لضرب محتوى الثورة المصرية .

وكما حاول البعض — وهم مخطئون — تجاهل المـاضى الوطنى كله تجسيدا لزعامة واحدة ، فالبعض الآن يحــاول متمسحا براية سعد أن يتجاهل الحاضر ومتطلباته الثورية .. ناسين أو متناسين أن راية سعد هى فى الاساس راية الوطنية المعادية للاستعمار وللسراى ولاحزاب الاقليات الرجعيــة والاقطاعية ..

واذا كان البعض قد حاول فى الماضى القريب تجاهل حقبة هامة من تاريخ مصر ، فان الكثيرين ظلوا على وفائهم لتاريخ بلدهم وتراثه الوطنى ، وواصلوا وبرغــم كل شىء وفى كل الظروف محاولة النظر لتاريخ مصر نظرة متكاملة ، ولزعامة سعد والنحاس بالذات نظرة موضوعية .. وكمثال لذلك ، كمجرد مثال ،نجد ان الذكرى الخمسين لثورة ١٩١٩ قد اتاحت فرصة اهتمام خاص ومركز ودراسات مستفيضة وموضوعية لدور سعد والنحاس وحزب الوفد ، وبهذه المناسبة نشرت سلسلة من الابحاث الجادة كان من بينها عدد خاص أصدرته « الطليعة » فى هذه المناسبة .

نسوق ذلك ـ كمثال ـ للتاكيد بان ثمة تيارا قد ظل وفيا لتاريخ وطنه ، متمسكا بالنظر له نظرة متكاملة وموضوعية .

ومرة اخرى .. نعود الى العلاقة بين الزعامة والجماهير ، مؤكدين أنها زعامة من نوع خاص ، يصعب للغرباء عن الحس الوطنى الصادق ولمن لا يتقنون فن الحب المخــلص والمتفانى لشعب بلادهم ، ومهما حاولوا ،ومهما ادعوا ، ومهما انتحلوا من صفات ، أن يتداخلوا فيها ..

د. رفعت السـعيد

« سناء حسن »
مغامرة صهيونية فاشلة

تتحدث الصحف وأجهزة الاعلام الصهيونية فى اسرائيل وأمريكا واوروبا الغربية ــ باستفاضة غير عادية منذ منتصف يوليو ١٩٧٤ ــ عن فتاة مصرية تحضر دكتوراه بالعلوم السياسية فى جامعة « هارفاد » بالولايات المتحدة ، قد تخطت حاجز الصراع العربى الاسرائيلى لاول مرة ــ على حد تعبير هذه الصحف ــ وقررت زيارة اسرائيل لمدة ثلاثة اشهر بهدف تأليف كتاب عن الدولة العبرية واوضاعها واحتمالات السلام كما تراها « كاتبة وصحفية مصرية شابة وذات ميول يسارية معروفة » .

وحينما وصلت « الزائرة المصرية » الى المطار الاسرائيلى ــ كما تقول وكالات الانباء ــ « كاد موظفو الجوازات لا يصدقون اعينهم وهم يرون بين أيديهم جواز سفر مصريا صحيحا يحمل تأشيرة دخول اسرائيلية . ولكنهم بعد الاتصال بالمسئولين ختموا الجواز وسمحوا « لسناء حسن » بالدخول » .

وأصبحت « سناء حسن » ، منذ هذا الوقت ، « طعما » فى مصيدة الحرب النفسية الاسرائيلية ضد حركة التحرر العربية عامة والمصرية ــ الفلسطينية خاصة ، على طول وعرض الساحة الدولية . وتفجرت عشرات الاسئلة تحاول تحديد « ماهية سناء حسن ومغامرتها الاسرائيلية » .

وانكشف ان « سناء حسن » شابة فى السابعة والعشرين من عمرها . ولدت فى أمريكا من أبوين مصريين . وذلك عندما كان والدها « محمود باشا حسن » يتولى ــ خلال عهد الملك فاروق ــ منصب أول سفير لمصر فى واشنطون . واكتسبت سناء الجنسية الامريكية وعاشت معظم سنوات عمرها بأمريكا ولم تعد مع والدها الى مصر عندما انتهت مدة خدمته الدبلوماسية بأمريكا وتفرغ لادارة مزارعه وأمواله المشتركة مع مزارع واموال زوجته والدة سناء التى تنتمى الى أسرة « المنشاوى باشا » التى كانت من أغنى الاسر الاقطاعية بمصر قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ .

ولم تأت سناء الى مصر الا فى زيارات خاطفة بين حين وآخر . كان آخرها فى اوائل عام ١٩٧٣ لتقوم بجمع وثائق لدراسة الدكتوراة عن « التجربة المصرية لثورة ١٩٥٢ » التى تعدها بجامعة هارفارد تحت اشراف استاذها الدكتور « ناداف صفران » رئيس قسم الشرق الاوسط بالجامعة وواحد من أكبر الصهاينة الامريكان . وقد عمل لمدة طويلة مستشارا رسميا « لجولدا مايير » خلال رياستها للحكومة الاسرائيلية .

وحاول صفران ، كما حاول عدد آخر من المثقفين الصهاينة ، جر عدد من المثقفين العرب وخاصة المصريين الى اجراء حوار مع عدد من المثقفين الاسرائيليين . وذلك وفقا لخطة اسرائيلية مخططة لايهام الرأى العام العالمى بأن المثقفين العرب يؤيدون التعايش مع اسرائيل والصهيونية ويعارضون حركة التحرر العربى عامة وحركة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة . غير أن جميع هذه المحاولات أصابها الفشل التام . ولم يجد المخطط الاسرائيلى « مثقفا عربيا » يرضى بان ينفصل عن حركة التحرير العربية ــ الفلسطينية .

■ اتهم الحزب الشيوعى البريطانى السلطات الاسرائيلية بممارسة عمليات القمع ضد الاهالى الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة . وبخاصة زعماء النقابات واعضاء الجبهة الوطنية الفلسطينية واعضاء الحزب الشيوعى الاردنى . جاء ذلك فى رسالة بعث بها الحزب الشيوعى البريطانى الى رئيس وزراء اسرائيل ، ونشرتها صحيفة « المورننج ستار » البريطانية .


سناء حسن

وازاء هذا الفشل الذى تضاعفت آثاره بعد حرب اكتوبر ، تقدم صفران بتلميذته « سناء حسن » لتقوم بالمهمة على اساس « اصولها » المصرية وخاصة بعد أن كان قد اعلن خطبتها الى السيد « تحسين بشير » الدبلوماسى المصرى الذى كان يشغل منصب المتحدث الرسمى باسم مصر بعد حرب اكتوبر .

وبدا تحضير « الطبخة الصهيونية » فى امريكا مع شركة كولومبيا للتلفزيون . حيث نظمت حوارا بين سناء حسن وبين كاتب اسرائيلى يدعى آموس آلون دار حول ضرورة التعايش والسلام بين العرب والصهيونية وتناقلت الصحف الامريكية والاوروبية الحوار على نطاق واسع واصبحت « سناء حسن » فى غمضة عين نجمة تلفزيونية وصحفية تناقش نجوم هوليود وتعاقبت بعد ذلك احداث السيناريو . تبدى سناء حسن ، آرائها المتعاطفة مع الصهيونية والناقدة للعرب وموقفهم من اسرائيل ، فتتلقفها الصحف وتسطر لها المانشتات الكبيرة . ثم تعلن عن رغبتها لزيارة اسرائيل للدراسة والاستطلاع فتتلقى على الفور دعوة من « سوزى ايبان » زوجة آبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق دعوة مفتوحة . ترد سناء على الفور بالقبول . فتتلقى عشيتها عرضا مغريا من دار نشر امريكية لتأليف كتاب بالانجليزية عن زيارتها بعنوان « اسرائيل كما تراها كاتبة وصحفية مصرية » . وتسرع سناء الى اسرائيل تصاحبها ضجة صهيونية كبيرة .

غير ان هذه الضجة سرعان ما انتهت الى لا شىء . وخاصة بعد ما نكشف ان كل ما يربط سناء حسن بمصر لا يعدو انها ابنة احد الاسر البرجوازية الكبيرة فى مصر . وجواز سفر مصرى حصلت عليه فى آخر زيارة لها للقاهرة . لم تعايش مصر وتعانى همومها ونضالها . ولم تعمل بها لا كصحفية أو كاتبة . بل أنها لا تجيد العربية ، وتكاد تكون مجهولة تماما فى الدوائر الثقافية والسياسية فى مصر والعالم العربى . وبالتالى فهى تحسب على امريكا واستاذها صفران اكثر مما تحسب على مصر او العرب .

واذا كانت سناء حسن بما عرف عنها من عدم اتزان وحب للمغامرة وطفولة يسارية — كما يقول عدد من اقاربها واصدقائها الذين زاملوها بجامعة هارفارد — قد سقطت فى فخ صهيونى ، فان قرار الحكومة المصرية بسحب جواز سفرها قد افسد على الفور الخطة الاسرائيلية .

وفى النهاية ، تأتى واقعة سناء حسن ، الثانية خلال الصراع العربى الاسرائيلى كله ، بعد واقعة عبد القادر الجزائرى حفيد المناضل الجزائرى العظيم الامير عبد القادر الكبير . والتى لم تعمر طويلا ايضا وتبددت هباء .

ولما كانت الطليعة لا تصدر فى معارضتها لنشاطات سناء حسن عن أى من دوافع عنصرية ومتعصبة بل وترفض مثل هذه الدوافع ، الا انها حريصة — فى الوقت نفسه — على التنبيه الى الشراك الخادعة التى تنصبها المؤسسات الصهيونية تحت شعار « **الحوار** » . فلاشك ان كلمة الحوار فى عصرنا ، تشير الى تغليب الوسائل الديموقراطية والى السلوك المتحضر . وهذا صحيح لكن يتحتم ، مع ذلك ، عندما نسمع كلمة « الحوار » ان نتحقق ما اذا كانت هناك ارضية صالحة لادارة هذا الحوار . وفى جميع الاحوال لن تكون هذه الارضية هى ارضية استمرار العدوان الاسرائيلى والتوسع الصهيونى فى الارض العربية .

■ شريط الاخبار ■ ■ سوريا



حافظ الاسد

مؤتمر اتحاد الصحفيين العرب يشكل لجنة دائمة للدفاع عن الحريات الصحفية

على مدرج جامعة دمشق ، افتتح **الرئيس حافظ الاسد** المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب ، حيث القى خطابا حدد فيه الموقف بعد ان « اضطر العدو مكرها الى التراجع والانسحاب الجزئى » . وقال الرئيس الاسد « كاد العدو ان يخر صريعا لولا ان تداركته الولايات المتحدة ... وعندما وقف القتال والتقط أنفاسه بدا له أن الفرصة مواتية ليلعب من جديد لعبة استفراد البلاد العربية ... وجاءه الجواب القاطع صمودا وبطولات فى قتال ضار ، خاضته قواتنا المسلحة فى حرب الجولان . مما حطم عناده وارغمه على ان يخطو الخطوة الاولى على طريق الانسحاب » .

واشار الرئيس الاسد الى انه ليس هناك اى تناقض بين تمسك العرب بالسلام ، وبين عمق القدرة على النضال لتحقيق السلام والتضحية فى سبيل تحقيقه ـ وقال : «اكرر ما قلته فى مناسبات سابقة ان السلام الذى ننشده هو السلام العادل الذى يرتكز على التحرير الكامل للاراضى العربية التى احتلت فى عدوان ١٩٦٧ والتأمين الاكيد لحقوق الشعب العربى الفلسطينى.

وعندما نتحدث عن حقوق الشعب العربى الفلسطينى ينبغى ان نؤكد ان صاحب الراى الاول فى تقرير هذه الحقوق ، هو شعب فلسطين ، ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية التى اعترفنا بها جميعا . وحرصنا على ان تأخذ دورها فى المجالات العربية والدولية ، واحب ان يعلم كل من يرغب فى اقرار السلام فى هذه المنطقة ، ان عليه اولا وقبل كل شىء ان يناقش مسألة الحق الفلسطينى مع منظمة التحرير الفلسطينية » .

وفى حديثه عن دور الصحافة ورسالتها قال الرئيس الاسد : « ان دور الاعلام العربى أعم واشمل . فهو وسيلة تثقيف تحتاجها الغالبية العظمى من جماهير الامة العربية .. وهكذا فنحن نريد الاعلام أداة تغيير وتطوير نحو الافضل فى كل مجالات الحياة وخاصة فى مجال التنمية الاجتماعية » .

واكد الاسد على أن حرية الصحافة هى من حرية الوطن . وان حرية الصحفيين هدف يجب ان يوجه اليه الطموح بقدر ما يوجه الى حرية الصحافة . ثم طالب بصون حرمة الكلمة ومحاربة الابتذال والاختلاق . والتمسك بالحقيقة والصدق فى التعبير عن امانى الشعب وآماله .

كما وجه **الرئيس أنور السادات** رسالة تحية الى المؤتمر قال فيها : « لقد كانت كلماتكم اسلحة من اسلحة النضال هيأت المقاتل الشجاع وملأته حماسة وبسالة » .

واشار الرئيس السادات الى الخلافات الطبيعية فى وجهات النظر بالنسبة للحل السياسى . وقال : « لعلى اكون صريحا معكم كل الصراحة حين أقرر لكم ان أهم ما يجب ان نحرص عليه هو وحدتنا وحشدنا . وقد يكون من المسلمات العقلية فى عالم السياسة انه ما من حل سياسى يكون لدى اى شعب من الشعوب موضع اجماع .وانما الحلول السياسية هى اكبر المسائل عرضة لخلاف الاراء . وخلاف الاراء ليس عيبا . بل ربما كان ظاهرة من ظواهر القوة والثقة ... على ان الخلاف شىء والانقسام شىء آخر . فلنجتهد ولنختلف ولنناقش خلافاتنا فى حرية وديموقراطية وسعة أفق ، مادمنا نرجو ان نصل الى الراى الافضل . ولكن علينا الا نسمح بأن تصبح خلافاتنا انقسامات ... » .

والحقيقة ان مؤتمر اتحاد الصحفيين انعقد فى جو سياسى تسوده الخلافات ووجهات النظر المتباينة بشأن القضية الاساسية ، التى ستظل محور اى سياسة عربية ، الى ان تنتزع الحقوق الضائعة ، وهى قضية الشعب الفلسطينى والاراضى العربية المحتلة .

ورغم ما بدا من تباين شديد لايسمح للوهلة الاولى بالاتفاق بين طرفى نقيض ، الا انه امكن بعد مناقشات مطولة وبعض المبارزات الكلامية احيانا ، الوصول الى صيغة معقولة تمثل القاسم المشترك بين كل الاطراف .

وانصب النزاع الاساسى فى لجنة فلسطين حول البيان المصرى الاردنى الاخير ، حيث توصلت اللجنة فى النهاية الى الصيغة التالية :

تقول الديباجة ... « جاءت حرب تشرين [اكتوبر] الوطنية العظيمة تخلفت واقعا جديدا قوامه ثقة امتنا بنفسها وبقدرة جنودها على مواجهة العدو وهزيمته . كما ان الحرب هزت اركان قوى الخصم ، فهى من جهة وجهت ضربة قاسية لقوات العدو العسكرية لاول مرة منذ سنة ١٩٤٧ . وهى من جهة اخرى هزت دعائم سياسة الاحتلال الصهيونى فى بلادنا وأربكت مخططات القيادة السياسية والعسكرية لعدونا ..

ولم تترك الحرب آثارها على العدو الصهيونى فقط ، فلقد انعكست على سياسة الولايات المتحدة الامريكية أزمة حادة .. ومن هنا بادرت الولايات المتحدة الى بذل جهود سياسية مضنية لتحسين مواقعها على الجبهات المختلفة .. ولهذا فان الامة العربية .. تحس منذ توقف الحرب بخطر حركة الالتفاف الامريكية على انجازات حرب تشرين وروحها الوطنية العظيمة . ويزيد من تأجج هذه الاحاسيس : « ما يتبدى يوميا من محاولات متكررة لمحاصرة الثورة الفلسطينية ... وما يبذل من محاولات لضرب وحدته ومنجزاته ... ولا سيما حقه فى تمثيل نفسه والتعبير عن ارادته . كما توحى بذلك بعض المواقف والبيانات التى تمس هذه القضايا » .

وفى نفس الاتجاه اتخذ المؤتمر عدة توصيات ، أهمها تأكيد واجبات الصحفيين العرب فى ان يعملوا كل ما فى وسعهم لتعبئة كل القوى الوطنية العربية ضد اى اثر من آثار الامبريالية فى بلادنا ، وحشد القوى لمحاربتها ولكشف مواقعها وضربها . وهذا يقتضى :

- التصدى لدعوات التقارب مع الامبريالية .
- تشديد النضال الجماهيرى العربى لتحرير كل ثروات الوطن العربى الطبيعية . ووضع الارصدة المجمدة فى البنوك الاجنبية فى خدمة قضية التحرير .
- حث الدول العربية على توطيد العلاقات مع الدول الافريقية وتقديم المساعدات الاقتصادية لها . وتعزيز العلاقات مع دول عدم الانحياز .
- الاشادة بمواقف الدعم التى يلقاها النضال الفلسطينى المسلح ، والنضال العربى من البلدان الاشتراكية الصديقة وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، والعمل على تطوير العلاقات النضالية معها .

وقد كان من أهم انجازات المؤتمر الرابع هو اعلان قيام **اللجنة الدائمة للدفاع عن الحريات الصحفية فى الوطن العربى** . وهى تضم صحفيين وسياسيين ومفكرين وفنانين ومهنيين ونقابيين من الدول العربية ، من المشهود لهم بالدفاع عن الحريات العامة .

واوصى المؤتمر الامانة العامة لاتحاد الصحفيين بانشاء صندوق تضامن لمساعدة الصحفيين الذين يحرمون من حق العمل بسبب آرائهم السياسية والصحفية .

وحدد المؤتمر مهمة اللجنة الدائمة للحريات فيما يلى :

- تقوم بدراسة وتقييم أوضاع الصحافة والصحفيين فى الاقطار العربية ونشر تقارير منتظمة عنها .

شريط الاخبار

اعربت الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية والنقابات والهيئات الشعبية فى العالم العربى ، عن احتجاجها على اعتقال العديد من العناصر الوطنية والعمالية فى البحرين . وكان قد تم اعتقال هذه العناصر خلال المظاهرات التى وقعت فى ١٦ يونيو الماضى ، احتجاجا على استغلال الشركات المتعددة الجنسيات فى البحرين ، والمطالبة بزيادة الاجور ، واعادة اربعين من العمال المفصولين الى عملهم ، والمطالبة بانشاء اتحاد للعمال

■ شريط الاخبار ■

● تقوم بتقصى أوضاع ممارسة الحريات الصحفية والفكرية ؟ وحالات انتهاكها فى الاقطار العربية ، باتباع اسلوب تقصى الحقائق واجـراء تحقيق قضائى ومهنى وسياسى ، سواء بمبادرة منها فى الحالات التى ترى فيهـا انتهاكا لها ، او تبليغها بشكوى من صحف او صحيفة او من نقابة او منظمة او مواطن فى قضية تتعلق بحرية الصحافة والراى .

● تصدر اللجنة تقريرا سنويا عن أوضاع الصحافة العربية وعن حالات انتهاك الحريات الصحفية وحريات التعبير الأخرى فى اى قطر عربى . كمـا تصدر تقارير خاصة فى الحالات التى ترى مع الامانة العامة ضرورة اطلاع الراى العام عليها .

وناشد المؤتمر الحكومات العربية تطبيق المادتين ١٩ و ٢٩ من الاعلان العالمى لحقوق الانسان . كما دعا الحكومات العربية التى لم تصـــدق بعد على العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولى الثانى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الى التصـــديق ليصبحا نافذى المفعــول دوليـــــا .

وطالب المؤتمر بعدم جواز محاكمة الصحفي الا امام محكمة عادية غير استثنائية ، وبحق اصدار الصحـــف لكل صحفى ، وتأمين حـــرية انتقـــال الصحفيين وعدم اجبارهم على القيام بأعمال تغير من طبيعة عملهم الصحفى .

وقبل ان ينفض المؤتمر حسمت آخر واهم معاركه [السياسيةوالنقابية] بانتخاب احمد بهاء الدين رئيسا للاتحاد [بالاجماع] وكامل زهيرى أمينـــا عاما [بالاجماع] وعبد العزيز عبـــدالله أمينا للصندوق ، كما انتخب ثلاثة نواب للرئيس هم الدكتور صابرفلحوط[سوريا] ، وناجى علوش[فلسطين]، وسامى المنيس [الكويت] ، وخمســـة أمنـــاء هم : ســـعد قاسم حمودى [العراق] ، وبلال الحسن [فلسطين]وشفيق الحوت [فلسطين] ، واحمد اسكندر [سوريا] ونقيب الصحفيين التونسى .•.•.

○

■ الجـــزائر

حــوار بين بومــدين والنقـــابيين الجـــزائريين

شهدت الجزائر فى شهر يوليو الماضى انعقاد الندوة الوطنية للتسيير الاشتراكى للمؤسسات . وقد شارك فى أعمال الندوة حوالى الف مندوب يمثلون اللجنة الوطنية للتسيير الاشتراكى ولجانها الفرعية ، والتنظيم النقابى وحزب جبهة التحرير الجـــزائرية ، ورؤسـاء المجـــالس العمالية ومـــديرى المؤسسات التى شملها تطبيق التنظيم الاشتراكى .

وفى ختام الندوة التقى الرئيس هوارى بومدين بالمشاركين فى الندوة ـ حيث دار بينه وبينهم حوارحول التنظيم الاشتراكى للمؤسسات وفى بداية حواره قال عن الثورة الزراعية والتنظيم الاشتراكى ، أنهما : « يرميان لهدف واحد ، هو تقوية صفوف الطبقات العاملة المنتجة ، وتوضيح حقوق وواجبات هـــذه الطبقات التى ينبنى عليها مستقبل البلاد بصفة عامة ، ومستقبل الاقتصاد الوطنى بصفة خاصة » .


بومدين

وقال الرئيس بومدين ـــ أنه قد حان الوقت لنركز الاهتمام على التنظيم الاشتراكى لايجاد صيغة دائمة للعلاقات ، واطار تلتقى فيه ارادة العمال ومسئولى المؤسسات ، حتى لا يبقى العامل يعيش أجيرا ، وحتى نقضى على الافكار التى تقول بأنه يجب أن يدفع أكثر للعامل ، شريطة أنه لا يهتم بعد ذلك بما يجرى داخل وخارج المؤسسة . ان التنظيم الاشتراكى سوف يضع حدا فاصلا للتناقض بين الادارة والعمال . »

وقال عن التجربة : « ان كل تجربة نظامية جديدة تواجه مشاكل فى بداية تطبيقها . ولكن بفضل الحوار ، وتبادل الاراء والافكار بين جميع الكوادر ، وتصحيح الاخطاء ، وبالعمل الدائب يتحقق لها النجاح . ان الهدف من تجربة التسيير الاشتراكى هو خلق قوة واحدة تعمل داخل المؤسسة للصالح العام . »

وحول وضع العمال فى لجان التسيير ودور النقابيين فى لجان التسيير ـ قال : ان ممثلى العمال موجودون ، فى اللجنة الوطنية ، واللجنة الوطنية لجنة مرحلية ، ونحن نطلب من الاخوة النقابيين وأعضاء هذه اللجنة أن يضعوا أحسن طريقة لتطبيق التسيير الاشتراكى . وانه لابد وان يطلع العمال على الحسابات المالية لوحدات الانتاج ، حتى يكونوا على علم بما يدور داخل الوحدات أو المؤسسات ، لانه من صلاحيات المجلس العمالى أن يعرف حسابات الوحدة الانتاجية بالدرجة الاولى . كما أن النقابة ممثلة فى مجلس المديريات حتى تعرف كل ما يجرى فى المؤسسات الوطنية . ولابد من تطبيق هذا التنظيم حتى يطلع كل واحد على أموال الشعب .

وحذر الرئيس بومدين فى حواره من البيروقراطية باعتبارها عدو الاشتراكية ـ فقال : « أن العدو الاكبر للاشتراكية هو البيروقراطية ، لانه فى بعض الاحيان تضيع المشكلة بين الاوراق . ومن المحتمل أن تؤدى الى خنق الاشتراكية ، ولذلك يجب محاربتها » .

وعن امكانية نجاح الاشتراكية فى الجزائر ـ قال الرئيس بومدين ـ « ان نجاح الاشتراكية فى بلادنا يتوقف على وعى الرجال وشعورهم بمسئولياتهم . وأكد أن تحمل المسئولية يكمن فى تطوير الانتاج كما وكيفا ، وأن الفرد العامل يجب أن يجازى على عمله .

وقال : ان أى فرد لا يستطيع أن يفرغ النصوص الاشتراكية من محتواها . وأنه يجب علينا أن نسير بسرعة ، لا نبقى جامدين ، ونبقى فى انتظار صدور القوانين ، وخاصة فى ميدان التنظيم الاشتراكى للمؤسسات ، الذى يتطلب خلق حوار ووسيلة تفاهم بين النقابة ومسئولى الشركات ، لنحقق الهدف الاسمى للتسيير الاشتراكى .

وفى ختام حواره قال : « أنه على النقابى أن يكون مناضلا طلائعيا اشتراكيا . » وقال « ان المقصود من الثورة الزراعية والتنظيم الاشتراكى للمؤسسات هو خلق علاقات جديدة فى ميدان الانتاج والعلاقات العامة ، فأساس العلاقات بين أفراد المجتمع هو العلاقات الاقتصادية .

وقال : «لقد حققنا الكثير من المنجزات الاشتراكية ،لكن لم نحقق الاشتراكية بعد ، ولا يزال أمامنا طريق طويل . وانه لو تكتل المناضلون الاشتراكيون لاستطعنا أن نخلق حزبا يؤمن مسيرة الثورة ، وأن معركتنا اليوم هى معركة الانتاج » .

■ **شريط الاخبار** ■

■ اصدر المكتب الوطنى لحزب المؤتمر لاستقلال مدغشقر بيانا فى ١٩ اغسطس الماضى ايد فيه الحزب عقد مؤتمر فى نوفمبر القادم يضم شعوب افريقيا وآسيا ويناقش بصفة خاصة موضوع « المحيط الهندى ... منطقة سلام » .

واشار البيان الى ان الحزب يرى أن النصر الذى حققه شعب موزامبيق ، يشكل نجاحا كبيرا لجميع الشعوب المحبة للحرية والسلام فى منطقة المحيط الهندى .

واضاف : « ومع ذلك فان الخطر الذى يهدد الشعوب المطلة على المحيط فى المنطقة لا يزال قائما نظرا لوجود نظم الحكم العنصرية فى جنوب أفريقيا وروديسيا ولذلك يؤيد حزب المؤتمر لاستقلال مدغشقر المبادرة التى اتخذها مجلس السلام العالمى ، ومنظمة تضامن شعوب افريقيا وآسيا بشأن عقد مثل هذا المؤتمر » .

○

■ **الحبشة :**

الورقة الأخيرة .. قبل الساعة الثانية عشرة


هيلاسلاسى

برغم ان الارسال الاذاعى أصبح يبدأ دون دعوة الشعب الى الصلاة من أجل الامبراطور ، كما جرت العادة من قبل ، وانما يكتفى المذيع بقول « يعيش الجيش وتعيش اثيوبيا » ، الا أن الامبراطور هيلاسلاسى [٨٢ سنة] لا يزال يحاول استيعاب الموقف الميئوس منه ، حتى وهو يقضى فى قصره معظم الوقت ، يطعم جياده وأسوده ، ويرعى أعمال الكنيسة .

ولم يكد الامبراطور يحرك « ذراعه الثانى » ـ الكنيسة ـ بعد أن فقد

شريط الاخبار

اصدر المجلس الثورى لجبهة التحرير الارتيرية ، بيانا حدد فيه موقف الجبهة من تصريح رئيس وزراء اثيوبيا بشأن « التفاوض » مع الجبهة . ويتلخص موقف الجبهة فى : اولا : ان المؤتمر الثانى العام للجبهة سينعقد فى القريب العاجل ثانيا : ان التطورات الاخيرة فى اثيوبيا ، ستكون ضمن الموضوعات الرئيسية المطروحه فى المؤتمر : ثالثا : ان حرب التحرير التى استمرت ١٣ عاماكانت من اجل هدف سياسى هو استقلال اريتريا .

ويضيف البيان « .. لكل ذلك يعلن المجلس باسم جبهة التحرير الارتيرية ، اعلانا حازما ، ان كل ما اثير عن التفاوض مع اثيوبيا وعن زمان ومكان هذا التفاوض وعن الوسطاء وما الى ذلك ، سابق لاوانه . وان الموقف المتكامل للجبهة ازاء كل هذه الامور ، سيتحدد فى المؤتمر الوطنى الثانى » .

التحكم فى حركة «ذراعه الاول» — الجيش — حتى ظهر فى اليوم التالى خطاب صغير بتوقيع قارىء فى احدى صحف اثيوبيا يطالب بالغاء النظام الامبراطورى . وهى اول اشارة من نوعها ترد فى صحف اثيوبيا طوال التاريخ .

فقد بدأت الكنيسة تتحرك ، بمنطق الخوف على الدين طبعا ، علانية لاول مرة ضد اتجاه الاحداث فى البلاد . حيث أرسلت مذكرة الى البرلمان ورئيس الحكومة ولجنة التنسيق العسكرية [التى تتحكم فى أوضاع البلاد ولها السيطرة الحقيقية] ، تتهم فيها واضعى مشروع الدستور الجديد — الذى تقف وراءه لجنة التنسيق بأنهم يسعون الى « فصل الكنيسة عن الشعب » . لان المشروع يدعو الى « علمانية الدولة » .

فى ظل هذه التطورات ، توصل الجيش — عن طريق لجنة التنسيق — مع رئيس الوزارة الجديدة **ميكائيل ايمرو** ، الى حل وسط بأن وافق الجيش على « الابقاء على الحكم المدنى فى الوقت الحالى على الاقل » ووافق ايمرو على أن يستقيل الوزراء الاربعة الذين طالب الجيش بالقبض عليهم .

ويرى المراقبون ان الجيش يزحف الى السلطة فى بطء محسوب وبمعدل يتناسب مع عملية « نزع ريش » الامبراطور بشكل تدريجى . فمنذ شهر يونيو الماضى ، حين استولى الجيش على الاذاعة واصبح المسيطر الفعلى على مسرح الاحداث ، والمراكز التى تشكل دعائم حكم الامبراطور تسقط واحدة بعد الاخرى وكان آخرها سقوط حكومة **ماكونين** فى أواخر يوليو ، وكانت لجنة التنسيق العسكرية قد أعلنت فى أوائل اغسطس حل « **مجلس التاج** » وهو أعلى جهاز فى الحبشة ، وحل محكمة العدل والمجلس الاستشارى العسكرى التابع للامبراطور . وسبق ذلك كله — واعقبه — اعتقال ما يزيد عن ١٤٠ شخصية كبيرة ، من بينهم وزراء سابقون ، ومستشارون للامبراطور . كما أن اعلان سلاح الطيران وسلاح الحرس الامبراطورى تأييدهما للجنة التنسيق ، كل ذلك لم يترك للامبراطور سوى « ورقة » الكنيسة بين يديه .

ومن المعروف ان حركة الجيش ، الذى يشكل القوة الثانية المنظمة فى اثيوبيا بعد الكنيسة ، كانت قد بدأت فى فبراير الماضى من أسمرة [عاصمة اريتريا] وهى المركز الرئيسى لتواجد القوات الامريكية فى البلاد ، حيث طالب صغار الضباط والجنود بتحسين مرتباتهم بسبب وطأة الظروف الصعبة التى يعيشونها فى مقاومة قوات الثورة الاريترية والظروف الاقتصادية الصعبة التى تعم البلاد . ومع هذا التمرد ، انفجر الشارع باضرابات الطلبة يطالبون « بحكومة للشعب » واحرقوا دمية تمثل الامبراطور . واعقبهم العمال حين أعلن اتحادهم [٨٥ ألف عضو] القيام بأول اضراب عام فى تاريخ اثيوبيا . وانطلقت بوادر حركة فلاحية فى الريف الذى يعانى حالة القحط الشديد .

واضطر النظام الى وضع قوانين جديدة للعمل ووعد برفع الحد الادنى للاجور وحاول الامبراطور الالتفاف من حول « الانفجار » فأعلن عن ضرورة تعديل الدستور خلال ٦ أشهر — لكسب الوقت — وامر باجراء بعض التغييرات فتقبل استقالة الحكومة التى ظلت فى الحكم لمدة ١٠ سنوات ، وعين ماكونين رئيسا للوزارة وطلب تغيير الدستور . وقرر زيادة مرتبات الضباط والجنود بنسبة ٤٠ فى المائة . وانتظر الجميع اجراء الاصلاحات التى وعد بها الامبراطور . لكن شيئا منها لم يتم . وكانت مجموعات السلطة حول الامبراطور ، تعد نفسها — كل مجموعة على حدة — لترث الحكم الذى بدأ يهتز ، خاصة وان ولى العهد مصاب بالشلل الجزئى فضلا عن ضعف شخصيته ، وعدم قدرته على السيطرة على الامور .

ولما اصبح واضحا أن الاحداث يمكن أن « تفلت » من الزمام ، تحرك الجيش تحت شعار « الولاء للامبراطور والعمل على التخلص من الفساد » ومن الملفت للنظر ان حركة الجيش منذ فبراير وحتى الان ، لم تدهش القوات

■ شريط الاخبار ■

والقيادات الامريكية العسكرية الموجودة فى البلاد . وهناك شبه اجماع بين تقارير الدبلوماسيين الاجانب ، على أن الامريكيين لم يكونوا على علم بالحركة فحسب ، ولكنهم ساهموا فى تنظيمها قبل أن يؤدى انفجار الشارع الى تطورات غير مطلوبة ولمنع احتمالات وحدة تمرد الجيش والعمال والطلبة والفلاحين . فقد كان غريبا أن يبدأ التمرد من اريتريا حيث توجد قاعدة كاجينو الامريكية . ويقال أن عددا من الامريكيين القادمين من واشنطن ، قد اجروا ـ فى ذلك الوقت ـ مفاوضات سرية مـــع ضـــــباط اثيوبيين فى أسمرة .

ومن المعروف ان التنظيمات النقابية القائمة فى اثيوبيا ، على علاقة وثيقة بالتنظيمات النقابية الامريكية التابعة للنقابى **الامريكى مينى** .. ويقال انه بنصيحة عـــدد من المستشـــارين الامريكيين ، رفضت نقابات العمـــال فى أثيوبيا ، التحالف مع الطلبة .

ولعل ذلك كله يفسر ما جاء بتقارير الدبلوماسيين الغربيين عن وجود خلافات داخل جبهة المعارضة فى اثيوبيا ، بل وداخل حركة الجيش نفسها . اذ تقول المصادر الغربية ان العناصر المعتدلة فى الجيش ـ وليست العناصر الراديكالية ـ هى التى لها الغلبة .

O

■ غينـــيا ـ موزامبيق ـ انجولا

الفصـل الأخـــير من نهـاية امبراطوريـة

انتهت اجراءات المرحلة الاولى من تسلم الحزب الافريقى لاستقلال غينيا وجزر الراس الاخضر ، السلطة فى غينيا بيساو ، بعد أن أخلت القوات البرتغالية معظم معسكراتها وبدأت العودة الى لشبونة. ولـم يكد يتبقىـحتى كتابة هذا التقريرـ سوى تسلم العاصمة بيساو .

وكان مجلس الامن قد اتخذ ـ فى أغسطس الماضى ـ قرارا بالاجماع يوصى فيه الجمعية العامة ، بقبول جمهورية غينيا بيساو ، عضوا كامل العضوية بالمنظمة الدولية .

ويبدو من هذه التطورات ، أن الخلاف بين الحكومة البرتغالية وبين الحزب الافريقى ، والذى ساد المفاوضات التى سبق أن جرت فى لندن ، ثم فى الجزائر خلال الشهور القليلة الماضية ، قد سوى فى اطار حل وسط . وقد دار هذا الخلاف بسبب اصرار الحزب الافريقى على أن تشمل الدولة المستقلة الجديدة جزر الرأس الاخضر ، بينما كانت البرتغال ترفض ذلك بمنطق أن الحزب ـ بقواته المسلحة ـ ليس له أى قواعد داخل الجزر أو نشاط سياسى أو تنظيمى . ويقضى الحل الوســـط باجـــراء اســـتفتاء فى الجزر ـ تحت اشراف الامم المتحدة ـ حول تقرير المصير . وهذا ما يفسر المحادثات التى أجراها **كورت فالدهايم** سواء مع الحكومة البرتغالية أو مع ممثلى الحزب الافريقى أخيرا .

على أن بعض المراقبين الافريقيين يعتقدون بأن موافقة الحزب الافريقى على ذلك ، يمكن أن يكون مصدر متاعب له . حيث تنشط من الان داخل الجزر حركة سياسية موالية للبرتغال تسمى « الحركة الديمقـــراطية » لمناهضة سياسة الحزب الأفريقى ومنازعته السلطة . ويتوقع عدد آخر من المراقبين ان يفضى الاستفتاء الى استقلال الجزر بشكل منفصل مع احتمال عقد شكل اتحادى بينهــا وبين غينيا بيساو . ومن المعـــروف أن البيض البرتغاليين والاوربيين ، والعناصر الملونة والتجار ، لهم النفـــوذ الغـــالب سياسيا واقتصاديا فى هذه الجزر .

■ يواصل .. مندوبى الحـــركة الشـــعبية لتحرير انجولا اجتماعهم منذ مايزيد على اسبوع . وحتى كتابة هذا النبا فى ٢٢ اغسطس الماضى ، فى مكان سرى بالقرب من لوساكا .

ويعتقـــد المراقبـــون ان الهدف من هذا الاجتماع ، هو تصفية الخلافات التى ظهرت فى الحـــركة التى تواجه قواتها ، القـــوات البرتغـــالية فى المنطقـــة الشرقيـــة من انجـــولا ، ومنطقة كابيندا .

وتفيد بعض الانبـــاء ان اوجستينوتيتو الزعيم الحالى للحركة الشعبية لتحـــرير انجولا ، يتعرض لانتقادات حادة من قواعد الحركة ، وهناك احتمالات لان يحل محله دانيال شيبندا فى زعامة الحركة .

ويرى المراقبون ان مثل هذا التغيير فى القيـــادة يمكن ان يدفع شيبندا الى الاقتراب من هولدن روبرتو رئيس الجبهة الوطنية لتحرير انجولا ، والتى تسيطر على شمال انجولا من اجل تكوين جبهة مشتركة بينهما تمهيدا لبدء المفاوضات الرسمية مع السلطات البرتغالية .

كما يعتقد المراقبون ان طول المدة التى يستغرقها الاجتماع هى دليل على ان الصراع على الزعامة داخل الحركة الشـــعبية لم يتم تسويته بعد ، فليس هناك مايدل على ان نيتو سيقبل التنازل عن زعامة الحركة التى اسسها منذ ١٣ عاما وخاصة فى الوقت الذى تقف فيه البلاد على عتبة الاستقلال .

■ شريط الاخبار


دى سبينولا

● اصدرت الحركة الشعبية لتحرير انجولا فى ١٦ اغسطس الماضى بيانا تضمن العمليات التى قامت بها الحركة الشعبية ، خلال الاشهر الاربعة الاولى من العام على الجبهتين الشرقية والشمالية .

وجاء فى البيان ان حركة التحرير الشعبية فى انجولا ، قد هاجمت ١٥ ثكنة من الثكنات العسكرية البرتغالية ، ونصبت ١٦ كمينا ، وذكر ان هذه العمليات اسفرت عن مقتل ٦٠٠ جندى برتغالى ، كما تم اسقاط مقاتلتين ، وطائرتين هليوكبتر .

واشار البيان الى ان القوات التابعة لحركة التحرير قد دمرت واستولت على كمية كبيرة من الذخائر والمعدات العسكرية .

كما ذكر انه تم خلال هذه الفترة تحرير ١١٢ انجوليا وأسر خمسة جنود برتغاليين ، فى حين امتنعت ٣ سرايا برتغالية عن القتال ، وانضمت ٣ سرايا افريقية تابعة للجيش البرتغالى الى قوات الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

وكان الرئيس البرتغالى الجنرال دى سبينولا قد القى بيانا ، قطع الارسال الاذاعى والتليفزيونى من أجله ، فى اوائل اغسطس الماضى ، أعلن فيه « اننا على استعداد منذ هذه اللحظة لان نبادر بنقل السلطة الى الشعوب فى اراضى ما وراء البحار فى غينيا وأنجولا وموزمبيق » .

ويرى المراقبون أن الامر يختلف بعض الشىء فى موزمبيق والى حد كبير فى انجولا . ففى موزمبيق ، يتضح من آخر أنباء المفاوضات التى يجريها وزير خارجية البرتغال مع « ساموررا ميشيل » زعيم جبهة تحرير موزمبيق [فريليمو] فى دار السلام [تنزانيا] ، أن استقلال البلاد على وشك ان يعلن . الا أنه لم يتضح — حتى كتابة هذا التقرير — ما اذا كانت الفريليمو وحدها ستتسلم السلطة ، أم سيكون لها فقط الدور الاساسى فى السلطة بمشاركة اطراف أخرى محدودة من الوطنيين المستقلين ، وبعض عناصر المستوطنين البيض . ويظن بعض المراقبين الافريقيين ، أن الاتجاه الثانى هو الاقرب الى التحقيق . فمن المتوقع — من جهة — أن ينصح الرئيس نيريرى زعماء الجبهة بقبول هذا العرض وفقا لمنهجه العام وخبراته السابقة فى التدرج . ومن جهة أخرى ، فان عدم وجود قواعد أو نشاط للفريليمو فى جنوب موزمبيق ، واحد من العوامل التى ستحدث تأثيرها فى الموقف . وتفيد التقارير الواردة عن المفاوضات أن الاستقلال — على هذا النحو — سوف يعلن فى أبريل من العام القادم .

وتفيد الانباء الواردة من دار السلام ، أن منشورات قد وزعت فى موزمبيق تعلن عن قيام منظمة رجعية جديدة لتعويق عملية استقلال موزمبيق . ويقوم قادة هذه المنظمة التى تسمى « تنين الموت » بتهديد الشخصيات الديمقراطية وكل مؤيدى فريليمو بالتصفية الجسدية . كما تفيد هذه الانباء بأن الكثيرين من عملاء البوليس السرى البرتغالى الذى صدر قرار اخير بحله ، قد لجأوا الى روديسيا .

أما فى أنجولا فان الموقف معقد غاية التعقيد . ويرجع ذلك الى سببين ، الاول فى الثروات المعدنية الضخمة التى توجد بها وخاصة بعد اكتشاف البترول الذى حقق فى العام الماضى دخلا اضافيا قدر بـ ٤٠٠ مليون دولار ، فضلا عن تشابك رءوس الاموال الاجنبية [أمريكية — فرنسية — المانية غربية] . بالاضافة الى وجود أعداد ضخمة من المستوطنين البيض يبلغ نفوذهم حدا مماثلا للنفوذ الذى كان يتمتع به أشباههم فى الجزائر قبل الاستقلال . أما السبب الثانى ، فمرجعه حالة الانقسام التى لا تزال تسود الحركة الوطنية [٣ احزاب رئيسية] فضلا عن الانقسام الاخير الذى وقع داخل صفوف أكبر هذه الاحزاب « الحركة الشعبية لتحرير أنجولا » .

ولهذا تتوقع بعض أوساط المراقبين الا تحصل انجولا على استقلالها خلال مدة تتراوح بين عامين وأربعة أعوام .

ويجمع المراقبون على أن استقلال موزمبيق سوف يحدث ردود فعل حادة داخل منطقة جنوب افريقيا ككل . فباستقلال موزمبيق ، ستصبح جمهورية جنوب افريقيا وروديسيا ، الجيبان الوحيدان المتبقيان تحت سيطرة الاقليات البيضاء . فضلا عن الاثار التى يمكن أن تترتب على احتمالات انتقال الحركة الوطنية الداعية للكفاح المسلح للعمل ضد السلطات العنصرية فى روديسيا وجنوب افريقيا من فوق أراضى موزمبيق .

غير أن الدولة الجديدة فى موزمبيق ، سوف تواجه مشكلة هامة منذ الايام الاولى لتسلمها السلطة . وتتعلق هذه المشكلة بالروابط الاقتصادية القوية التى تربط اقتصاديات البلاد باقتصاديات جنوب افريقيا . فاذا ما أقدمت السلطة الجديدة ، على تطبيق اجراءات مقاطعة جنوب افريقيا ، وهذا وارد بالطبع ، فان عليها اولا أن توفر عملا لالاف من عمال موزمبيق الذين يعملون فى مناجم جنوب افريقيا بأجور مرتفعة نسبيا — واذا لم تقدم على اتخاذ هذه الاجراءات ، فسوف تواجه مشاكل من نوع آخر مع الدول الافريقية .

■ شريط الاخبار ■



مكاريوس

■ اعلن حزب «اكيل» القبرصى أن الطريق الوحيد للمحافظة على استقلال قبرص ، هو تشكيل حكومة وطنية موحدة برئاسة الاسقف مكاريوس، والتعاون مع البلدان الاشتراكية ودول عدم الانحياز . وكان الحزب قد اقترح فى اجتماع عقده فى منتصف اغسطس الماضى ضرورة انتهاج سياسة غير منحازة فى الخارج ، وسياسة ديمقراطية فى الداخل ، تعمل على المساواة بين المواطنين القبارصة اليونانيين والاتراك .

■ قبرص

فقدت الجزيرة استقلالها باسم « الحرية والديمقراطية » !

بعد مرور شهر ونصف على انقلاب ضباط الحرس الوطنى اليونانيين على الاسقف **مكاريوس** ، لم يتحدد حتى الان شكل ومستقبل الجزيرة الصغيرة ، فالانقلاب فشل ، بل واطاح بالمخططين له من رجال الطبقة العسكرية التى كانت تفرض حكمها فى أثينا ، والاهم من ذلك أطاح الانقلاب بكل أمل قريب فى تحقيق الحلم الذى طالما راود اليونان وهو ضم الجزيرة الى اليونان وهو ما يعرف بمشروع « الانوسسيس » .

لكن الاحداث بدأت خلال الاسبوعين الماضيين تتخذ شكلا سريعا وعنيفا مما ساعد على تصعيد الازمة بين اليونانيين والاتراك ، بل بين اليونان وحليفتها الكبرى الولايات المتحدة .

فمع استمرار الغزو التركى — حتى أسبوع مضى — أعلنت اليونان انسحابها من المنظمة العسكرية لحلف الإطلنطى ، بعد فشل الولايات المتحدة فى الضغط على تركيا من أجل ايقاف غزوها المندفع للجزيرة ، وبعد ذلك مباشرة خرجت مظاهرات القبارصة اليونانيين المعادية للولايات المتحدة الى شوارع نيقوسيا تهتف بسقوط «كيسنجر القاتل» وتندد «بالمؤامرة الامريكية» واندفعت الجماهير التى أثارها ما وصلت اليه البلاد ، الى السفارة الامريكية فى نيقوسيا وهجمت عليها بالقنابل مما أدى الى مصرع السفير الامريكى وموظفة كانت تقف الى جانبه ، واحد جنود الحراسة من مشاة الاسطول الامريكى .. ورغم ذلك استمر الغزو التركى للجزيرة رغم كل النداءات المطالبة بوقف القتال ، ورغم مفاوضات جنيف التى فشلت تماما فى ايجاد أى صيغة للتفاهم بين مختلف الاطراف .

ويبدو ان تركيا مصممة على تحقيق مطالبها عسكريا بعد فشل الحلول الدبلوماسية ، وخاصة أن الولايات المتحدة لا تتحرك أمام المذابح التى ترتكبها القوات التركية فى الجزيرة كل يوم ، لقد بدأ الغزو التركى للجزيرة يوم ٢٠ يوليو الماضى ، وحتى الان بلغت نتائج الحرب بالنسبة لليونانيين كما يلى : ٤ آلاف قتيل و ١٢ الف جريح — ٢٠٠ الف لاجىء [ثلث سكان الجزيرة] هربوا من المناطق الشمالية التى اجتاحتها القوات التركية — سيطرة الاتراك على أكثر من نصف القطاع الصناعى فى الجزيرة ، وأكثر من ٦٠ ٪ من قطاع المناجم ، الى جانب جميع المحاجر والميناء الوحيد العميق المياه [فاماجوستا] الذى يمر به ٨٣ ٪ من حركة التجارة .

يحتل الاتراك الان ٤٠ ٪ من مساحة الجزيرة تمثل معظم اراضيها الزراعية الخصبة ، حيث يوجد الجزء الاكبر من زراعات الحبوب والزيتون والبرتقال خسرت الجزيرة مئات الملايين من الدولارات نتيجة ضياع الموسم السياحى ، بالاضافة الى حجم خسائرها نتيجة المعارك التى دمرت عشرات المبانى والمستشفيات والمصانع وغيرها ..

لكن المؤامرة الاستعمارية على قبرص تكشف عن نفسها من خلال التصريحات الامريكية ، ومن خلال الصمت الامريكى المريب على المذابح التركية ، فقد وقف المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية — منذ اسبوعين — يدعو الى تمتع القبارصة الاتراك **بالحكم الذاتى** ! وفى نفس اليوم ، وقف فى المساء المندوب الامريكى فى مجلس الامن نفس الموقف عند مناقشة الازمة القبرصية ، وهكذا تفتضح حقيقة المؤامرة : فعند بدء الانقلاب ، كانت

المناورات الامريكية تقوم على تأييد مغامرة الجنرالات اليونانيين وعملائهم فى قبرص ، والآن تعلن الحكومة الامريكية عطفها على مصير الاقلية التركية فى الجزيره ، وتطالب لها بالحكم الذاتى بعد تقسيم الجزيرة ..

ويبقى فى النهاية هدف أمريكا كمـــا هو : جعل قبرص قاعـــدة لحلف الاطلنطى مهما كان الثمن ، لا يهم الاستعمار الامريكى تدمير الجزيرة ، ولا يهمه ذبح ٤ آلاف من أبنائها وتشريد ثلث سكانها فى الجبال ، وطرد رئيسها الشرعى لانه رفض الرضوخ لمخططاتها الامبريالية وفرض رئيس للجزيرة ترضى عنه واشنطن .. وايضا لا يهم قتل السفير الامريكى وعشرات أمثاله ، فقد قتل آلاف الجنود الامريكيين من قبل فى فيتنام .. كل ذلك باسم الدفاع عن الديمقراطية ، وتحرير الجزيرة !! .



■ اليـــونان

«تحيا الجمهورية» .. لقد ماتت الفاشية هذا المساء

فى الرابع والعشرين من يوليو الماضى سقط حكم الجنرالات العسكريين الذى استمر يحكم التسعة ملايين يونانى لمدة سبع سنوات ونصف . وسهر الشعب اليونانى فى جميع انحاء اليونان يهتف : **تحيا الجمهورية ـــ لقـد ماتت الفاشية هذا المساء** .

وعاد **كونستنتين كرامانليس** ، والذى كان يطلق عليه اليونانيون « المنفى فى غابة بولونيا » الى اليونان بطائرة فرنسية خاصة . واقسم اليمين أمام رئيس الاساقفة . وشكل أول وزارة مدنية منذ ١٩٦٧ . وأعلن فى مطار اثينا انه سيعمل على « **بعث الحياة السياسية اليونانية وبناء ديمقراطية جديدة** »

وصدرت القرارات بالافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين، وشمل العفو كل السجناء منذ ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، واتجهت المعديات الى جزيرة باروس ـــ والتى يسميها اليونانيون « الجزيرة التى فى آخر الدنيا » وامام سجن كورى دالوس احتشد الالاف من الرجال والنساء وهم ينشدون اغنية تيودوراكيس : ايها الاخوة المعذبون ، حريتنا تنبع من سجنكم » وامام كلية الهندسة بأثينا اجتمع الطلبة ليشيعوا الاثنين واربعين شهيدا من رفاقهم الذين استشهدوا فى نوفمبر ١٩٧٣ ولم تسمح السلطة العسكرية بدفنهم .

واعفى العميد « **ديمتريو يوانيوس** » قائد البوليس الحربى من منصبه وكذلك مدير البوليس ، وهما من اخطر العناصر الفاشيستية التى كانت خلف كل الارهاب والقهر الذى عانى منه الشعب اليونانى طيلة السنوات الماضية واسقط دستور ١٩٦٩ ، واعيد العمل بدستور ١٩٥٢ . واعلنت السلطة الجديدة عن الاستعداد لاجراء انتخابات لاول جمعية وطنية بعد حل آخر برلمان منذ عشر سنوات ، والقيام باستفتاء حول عودة الملكية او استمرار النظام الجمهورى . واعلن وزير الداخلية الجديد انه سيجرى بوســـائل قانونية انتخـــاب حوالى عشرة آلاف مدير لـــلادارات المحلية ، كمـــا قبلت استقالات مديرى المناطق والمحـــافظين . وتتخذ اجراءات عديدة لاحـــداث اصلاحات فى الجهاز القضائى ، والجامعات والمدارس العليا ، ولمعالجة المشاكل الاقتصادية والمالية ، وانهيار العملة اليونانية .

وفى خـــلال ثمانية واربعين ســـاعة ، بدات اليونان تستعيد حريتها ـــ فعادت جميع الصحف التى كانت قد توقفت عن الصدور منذ ١٩٦٧ الى الظهور ، بما فيها صحف الحزب الشيوعى اليونانى ، وقال **جورج مافروس**

■ شريط الاخبار ■

■ تأسست فى اثينا فى ١٩ اغسطس الماضى حركة سياسية جديدة تحت اسم « اليســـار اليونانى الجديد » تضم الموسيقار اليونانى ميكيس تيودوراكيس وجاء فى اول بيان لهذه الحركة ان الحل الوحيد المقبول فى قبرص ، هو عودة الاسقف مكاريوس ، واستقلال ووحدة اراضى الجزيرة .

واضاف ان الافراج عن المسجونين السياسيين فى اليونان ، وعودة المنفيين ، وانسحاب اليونان من حلف الاطلنطى ، تعتبر ظواهر ايجابية فى نشاط حكومة كارامانليس . واكد البيان « اننا نؤمن بسلطة الشعب وبضرورة الاشـــتراكية فى اليونان » .



احد المعتقلين فى جزيرة ياروس لحظة عودته الى اسرته ..

وزير خارجية اليونان فى حديث أدلى به الى « دير شبيجل » الالمانية الغربية أنه يؤيد السماح للحزب الشيوعى بمزاولة نشاطه قبل الانتخابات ، وأنه يعارض عودة الملكية الى اليونان . كما اكد على انه سيكون للشيوعيين الحق مثل الاحزاب الاخرى فى تقديم مرشحيهم .

ويرى المراقبون ان السقوط السريع لحكم الجنرالات الفاشيستى — حدث لان النظام العسكرى كان قد أفلس ولم يعد يحظى الا بالسخط والكراهية وقد عزل داخليا وعالميا . وقد كانت مشاركته فى المؤامرة الامريكية الاخيرة ضد الرئيس مكاريوس ولتسليم قبرص مقسمة الى الامبريالية الامريكية لتكون قاعدة عائمة للاسطول السادس هى القشة التى قصمت ظهره . وان محاولته تحويل الازمة الداخلية الى ازمة خارجية تستثار فيها مشاعر التعصب القومى ، قد انقلبت ضده ، وضد القوى الاجنبية التى كانت تريد للحكم العسكرى الاستمرار ككلب حراسة لهذه المصالح فى شرق البحر الابيض .

واعلنت حكومة كارامانليس انها ستمنح البلاد ديمقراطية حقيقية وتقدمية وانها تعترف بالرئيس « **مكاريوس** » رئيسا شرعيا لقبرص ، وانها ستسحب الضباط اليونانيين من الحرس الوطنى القبرصى ، وأنها مع تسوية سلمية للمشكلة القبرصية على اساس : « وحدة اراضى واستقلال الدولة القبرصية مع رفض اى تقسيم للجزيرة او ضمها لليونان او أى وضع يؤدى الى هاتين النتيجتين مهما كان » .

واعلنت كل القوى السياسية تأييدها لحكومة كارامانليس ، واجمع اليسار اليونانى بمختلف فرقه عن دعمه لنظام الحكم الجديد . فقد قال **تونى امباتيلوس** عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى اليونانى : ان الشعب يواجه الان خطر ازمة قبرص ومن واجب كل القوى الديمقراطية ان توحد صفوفها » وقال « **هارالامبوس دراكوبولوس** » سكرتير **المجموعة الشيوعية** المنقسمة عن الحزب منذ عام ١٩٦٨ ، ان كارامانليس هو اول خطوة نحو الديمقراطية ، واعلن تأييد الحكومة خلال ازمة قبرص . وكما اعلنت جماعة **الحزب الشيوعى الداخلى** ، وهى جماعة اعلنت فى العام الماضى انها تتعهد باحترام الوسائل البرلمانية ولا تسعى للاستيلاء على السلطة بغير هذه الوسائل — انها ستشارك فى السياسة اليونانية الحالية .

واعلن **الياس اليو** باسم حزب اليسار الديمقراطى الموحد ، بان حزبه يشعر بالمرارة لعدم اشراك اليسار فى الحكومة ولكنه يؤيد كارامانليس ؟ كما

■ شريط الاخبار ■


تيودوراكيس


اندرياس بابا ندريو

أعلن ميكيس كيودوركيس باسم شباب اليونان تأييد الحكومة الحـالية . وأما **ميكيس تيودوراكيس** الموسيقى اليونانى العالمى عند عودته من المنفى فقد قال : لقد احسست عند عودتى الى اليونان اننى خارج من نفق ، لقد فان الوسط الراديكاليين أخذوا يعيدون تنظيم قواهم متجهين الى بناء حزب ديمقراطى اشتراكى . وكذلك عاد الى اليونان **اندرياس باباندريو** ، وهو تغير كل شيء . وقد قام ببناء تنظيمه ـــ اليسار الجديد ـــ داخل اليونان .

وفى نفس الوقت الذى بدأ اليســـار اليـــونانى يعيد بنـــاء منظماته ، فان الوسط والراديكاليين اليساريين أخذوا يعيدون تنظيم قواعدهم متجهين الى بناءحزب ديمقراطى اشتراكى ،وكذلك عادالىاليونان اندرياس باباندريو ،وهو من أبرز القادة الليبراليين ـــ وقد أعلن عقب عودته : يجب أن يكون الجيش جيشا للشعب ، ويجب أن تعلم القوات المسلحة أن مصدر القوة الوطنية ليس فى الاحلاف ولكن فى الشعب وحده .. وأكد أنه يعود الى اليونان للمساهمة فى نضال الشعب ، ولدعم السيادة الشعبية على طريق عـــدم الانتماء الى تكتلات دولية ، واعلن انه يجب السير فى المجال الداخلى فى طريق التغيير والتحرر الاجتماعى وكذلك التجـــديد الثقافى . كمـــا اتهم الولايات المتحدة بالتورط فى الازمة القبرصية الناشئة عن مخطط حيك بعناية ، ويهدف الى تقسيم الجزيرة من أجل تحقيق أكبر فائدة للمصالح الاستراتيجية الاجنبية ، وكما أكد أن تبعية اليونان للولايات المتحدة وحلف الاطلنطى هى التى تؤدى الى تقسيم قبرص . وادان فى حديثه الرأسمالية الاجنبية التى باعت الوطن للولايات المتحدة وأوروبا الغربية .

وبينما النظام اليونانى الجديد يسعى الى حل سلمى لمشكلة قبرص ، اذا بتركيا تعقد المشاكل ، وتضع الصعوبات والعراقيل فى وجه التسوية السلمية وتستمر فى عملياتها العسكرية لتقسيم الجزيرة بالقوة . وكان هذا الاستمرار فى العمليات العسكرية يعنى الاستمرار فى المخطط الأمريكى لتقسيم الجزيرة ، وهو المخطط الذى اعتبر باباندريو هنرى كيسنجر مسئولا عنه ـــ لذلك اعلنت اليونان سحب قواتها المسلحة من المنظمة العسكرية لحلف شمال الاطلنطى . وقد جاء فى البيان اليونانى الرسمى الذى صدر فى هذا الصدد : « **نظرا لعجز حلف شـــمال الاطلنطى عن منع تركيا من اثارة نزاع بين حليفين اصدر قسطنطين كارامانليس رئيس الوزراء اليونانى امرا الى القوات المسلحة اليونانية يقضى بان تنسحب هذه القـــوات من حلف شمال الاطلنطى** » .

وقد حيت القيادة العسكرية فى شمال اليونان قرار الانسحاب من الجهاز العسكرى لمنظمة الناتو ، واعتبرته عملا ذا ابعاد تاريخية . وحيت الصحافة اليونانية القرار ، فجريدة « **اكروبولس** » ـــ اعتبرته قرارا شجاعا وضروريا تمليه الظروف ويتفق ورغبة الجماهير ، فقد عجز الحلف عن أيقاف ما يقوم به أحد أعضائه من خرق للقانون الدولى وتهديد لوحدة دوله » .

وقد ازعج القرار اليونانى اوساط حلف الاطلنطى واصابها بذعر ـــ **فهيرمان شميدت** رئيس لجنة الدفاع فى البوندستاج فى بون ـــ اعلن ان حلف الاطلنطى سيصاب بضعف شديد على أثر تصـــدع جبهته الجنـــوبية » والدوائر الامريكية العليا قلقة على مصير قواعدها فى اليونان ، وخاصة بعد ازدياد موجة العداء للولايات المتحـــدة ، وانتشار اللافتـــات « ايهـــا الامريكيون اخرجوا من بلادنا » وبعد ان فرضت الحكومة اليونانية قيودا على الحركة فى القواعد العسكرية الامريكية ، ومنعت أى تحرك للطائرات منها الا بأذن من السلطات اليونانية وقبل موعد الاقلاع بـ ٦ ساعات .

ويبدو هذا الفزع بصورة واضحة لدى اسرائيل التى تعتبر ان الوضع الجديد فى اليونان ، ليس فى صالحها .. فصحيفة « **يديعوت احرونوت** » الاسرائيلية تقول : ان اسرائيل سوف تقترح تقديم ميناها الشمالى فى حيفا كمرفأ للاسطول السادس الامريكى وذلك بعد انسحاب اليونان من منظمة حلف شمال الاطلنطى . كما اضـــافت قائلة : ان قرار اليونان الخـــاص

■ شريط الاخبار ■

بالانسحاب من الناتو يثير مشاكل استراتيجية واخرى متعلقة بنقل الجنود وايوائهم وتموينهم ، وهذه المشاكل ينبغى ايجاد حل سريع لها ، ومن المتوقع ان تصبح اليونان مصدرا لاثارة المشاكل بالنسبة للغرب فى شرق البحر المتوسط ، واكدت الصحيفة الاسرائيلية ان مخاطر هذا الوضع الجديد لن تسبب المشاكل للولايات المتحدة وحدها ، ولكن كذلك لاسرائيل ، وخاصة فى حالة نشوب حرب جديدة فى الشرق الاوسط .

ان التطورات الاخيرة فى اليـــونان بكل سماتها الشـــورية ، والليبرالية والرومانسية — كما يرى المراقبون — تمهد الطريق الى تحرر شرق البحر الابيض من قبضة الامبريالية العالمية وحلف الاطلنطى والعسكرية الامريكية خاصة ، ويبدو أن الشعب اليونانى سيذوق طعم الحرية التى لم يعرف لها مذاقا منذ أكثر من ثلاثين عاما . ولكن الطريق مازال صعبا — فقد وجهت للفاشية العسكرية ضربة قوية ، ولكن هذه العسكرية ما زالت تقاوم وتستمد قوتها من الوجود الامريكى القوى ، ويرى كثير من المراقبين ان مخـــاطر ردة فاشية تهدد الخطوة الاولى التى خطتها اليونان نحو الديمقراطية . ان وحدة كل القوى الديمقراطية ستظل الشرط الرئيسى لتخطى القوى اليونانية الديمقراطية لاى وضع سياسى مائع يسمح للجنرالات بالعودة .



■ فيتـــــنام

مؤامرة مزدوجة ضد « اتفاقى باريس وفينتيان »

تزايد النشاط العسكرى فى فيتنام الجنوبية فى الاسابيع الاخيرة ، وبلغ فى بعض الاحيان أعلى مستوى له منذ عقد اتفاق باريس بشأن فيتنام ، وخاصة فى الاسبوع الثالث من الشهر الماضى ، حيث كان المسرح الرئيسى للعمليات ، على المرتفعات التى تقع جنوبى **دانانج** .

ويرى المراقبون السياسيون فى الواقع ان **الولايات المتحدة لم توقف قط مناورتها الاستعمارية الجديدة فى فيتنام والهنـــد الصينية** ، وانمـــا هى تستخدم فحسب **أشكال وتكتيكات جديدة** ، لمحاولة تجسيد **الفتنمة** فى واقع فترة ما بعد اتفاق باريس . وخطتها فى هـــذا الاساس **زيادة المساعدات العسكرية والاقتصادية لحكومة سايجون** بمعـــدل كبير حتى تقوم هـــذه الحكومة بمواصلة الحرب . وقـــد أصبحت **سياســـة المساعدات المتزايدة لسايجون هى الخط الرئيسى** اليوم لسياسة الولايات المتحدة هناك ، وذلك **لعمل توازن مع انسحاب القوات الامريكية من فيتنام** .



سوفانافوما

ومع ذلك فلا يزال يعمل فى فيتنام الجنوبية **عشرات الالاف من العسكريين الامريكيين** المتخفين فى هيئة مدنية . وقد اعتمدت الولايات المتحدة **١ مليار دولار** لمساعدة سايجون عسكريا فى السنة المالية ١٩٧٤ — ١٩٧٥ فقط كذلك قام **هنرى كيسنجر** وزير الخارجية الامريكية **وجراهام مارتن** ســـفير الولايات المتحدة فى سايجون بحملة من اجل زيادة المساعدات الاقتصادية طويلة المدى لحكومة سايجون والتى تبلغ **٧٥٠ مليون دولار فى السنة المالية ٧٤ — ١٩٧٥ وحدها** . والواقع ان الغرض الاساسى من مثل هذه المساعدة هو **الابقاء على جيش جنوبى يزيد تعداده عن مليون جندى من أجل مواصلة الحرب** .

شريط الاخبار

■ كشـفت صحيفة «نيوستاندارد» الاندونيسية الستار عن تسابق الاحتكارات الصناعية الامريكية واليابانية والبريطانية لنهب الثروات الطبيعية فى اندونيسيا .

وقالت الصحيفة : أن رؤوس الاموال الاجنبية فى اندونيسيا تتجه فى الاساس الى المجالات التى تدر ارباحا اكبر ، وفى فترة زمنية قصيرة ، وبأقل التكاليف . وانه بينما بلغت قيمة الاستثمارات الاجنبية فى استخراج البترول والمعادن وقطع الاخشاب ٢٤٠٠ مليون دولار ، من اصل ٢٨٠٠ مليون دولار تشكل مجموع الاستثمارات الاجنبية فى عام ١٩٧٣ ، لم تزد قيمة الاستثمارات فى الزراعة التى تعتبر المصدر الاساسى للغذاء فى البلاد عن ١٠٠ مليون دولار .

وفى الواقع ، تعمل الولايات المتحدة بصفة مستمرة على تخريب اتفاق باريس الذى اضطرت لتوقيعه تحت وطأة الفشل الذريع الذى منيت به فى الحرب الفيتنامية وذلك عن طريق دفع عملائها فى سايجون لانتهاك وقف اطلاق النار ، ومحاولة اختراق المناطق المحررة .

فعند توقيع اتفاق باريس ، كانت المناطق المحررة التى تسيطر عليها الحكومة الثورية المؤقتة معروفة ، وكانت المناطق الخاضعة لنظام سايجون معروفة هى الاخرى ، ولذا فان جيش سايجون يحاول اليوم اشاعة الاضطراب فى هذه التحديدات ، وتصفية بعض المناطق المحررة .

ولذا يتخذ الثوار الفيتناميون الاجراءات العقابية الرادعة ضد اى عمليات انتهاك للاتفاق ، اذ يقوم الشعب والقوات المسلحة الثورية فى الجنوب ، بالهجمات المضادة على قوات سايجون ، وقد أصدرت القيادة العسكرية للقوات المسلحة الثورية بأن يتم هجوم الثوار المضاد من حيث تبدأ قوات سايجون عدوانها ، وذلك تأديبا وردعا لها . وتلقى هجمات الثوار دعم ومساندة الشعب فى المناطق التابعة لحكومة سايجون .

كذلك فان نظام سايجون يرفض الافراج عن المعتقلين السياسيين لديه ، ويرفض اشاعة الحريات الديموقراطية فى المناطق التى يشرف عليها .

أما فى سائر **الهند الصينية** فتواصل الشعوب الثلاثة فى **لاوس وكمبوديا وفيتنام** القتال **جبهة واحدة** ضد أعدائها الجدد ، وقد كان تقليد كفاح هذه الشعوب ضد أعدائها فى جبهة واحدة ، تقليدا نضاليا مشهودا منذ ايام القتال ضد الفرنسيين . وقد أحرزت هذه الشعوب النصر تلو النصر بفضل تضافرها هذا ، مع العلم بأنه كان لكل بلد منها سياسته الخاصة فى الاستقلال والسيادة ، ولكل منها نظامه الاجتماعى المستقل وقد حققت جميعها الانتصار فى **اتفاقيات جنيف ١٩٥٤** .

وبعد اتفاق باريس تواصل هذه الشعوب كفاحها الموحد . وقد حقق شعب لاوس نصرا ، بتوقيع **اتفاق فينتيان سنة ١٩٧٣** واقامة **حكومة الائتلاف الوطنى** مما اجبر الولايات المتحدة على احترام ذلك الاتفاق وسحب قواتها من لاوس ، ولا يوجد لليمين المتطرف فى لاوس سوى حزب سياسى ليس له قوات مسلحة ، ويحاول تخريب هذه النتائج وخاصة فيما يتعلق بالائتلاف . ومن المعروف أن الامير **سوفانا فوما** يتولى رئاسة الوزارة فى فينتيان ، بينما يتولى الامير **سوفانو فونج** زعيم باثيت لاو رئاسة **المجلس السياسى الوطنى** للائتلاف ، كذلك فهناك نائبان لرئيس الوزراء احدهما من باثيت لاو وهو وزير الخارجية فى الوقت نفسه ، والثانى من فينتيان ويرى عديد من المراقبين السياسيين أن المجلس السياسى الوطنى ربما يعتبر اقوى من الحكومة الائتلافية فى لاوس . والملاحظ فى لاوس انه بينما يحاول شعب لاوس الالتزام باتفاق فينتيان ، فان عملاء الولايات المتحدة يحاولون **تخريب الاتفاق** . والكفاح مستمر مع الحكومة لمحاولة الالتزام بالاتفاق ، **ويتوقف المستقبل فى هذا البلد على علاقات القوى فيه** .

أما **كمبوديا** فيواصل شعبها الكفاح ويحرز نجاحات كبيرة ، وخط الثوار الكمبوديين هو **مواصلة الكفاح حتى توقف الولايات المتحدة تدخلها ويحصلوا على استقلالهم الوطنى** : ولكن الولايات المتحدة لا تكتفى باستخدام قوات عميلها **لون نول** ، وانما تبعث بقوات **سايجون وتايلاند** للقتال ضد القوى الثورية فى كمبوديا . لان الموقف فى كمبوديا معقد ويتعلق بالبلدان المجاورة ذلك انه اذا فقدت الولايات المتحدة كمبوديا ، سوف تلحق بها اضرار كبيرة فى الهند الصينية . وبسبب تعقيد الموقف النسبى فى كمبوديا ، كان ناشئا من أن القوى الكمبودية المناضلة لم تكن موحدة للغاية فى البداية ولهذا وجدت القوى الثورية نفسها احيانا فى وضع صعب ، ولكن الموقف تحسن شيئا فشيئا ، وبعد اسقاط سيهانوك عانت الحكومة الثورية صعوبات فى البداية ، ولكن أعيد تنظيمها الان ، والملاحظ بالنسبة لتطور الموقف فى كمبوديا كجزء من الموقف العام فى الهند الصينية ، انهم **لا يتحدثون هناك عن المفاوضات وانما عن مواصلة القتال** .

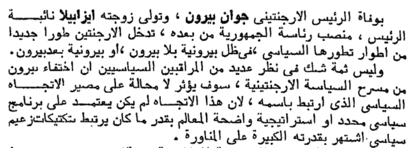
■ الارجنتين

■ شريط الاخبار ■

هل تبـقى البيرونيـة بعد بـيرون ؟



بيرون



بوفاة الرئيس الارجنتينى **جوان بيرون** ، وتولى زوجته **ايزابيلا** نائبـــة الرئيس ، منصب رئاسة الجمهورية من بعده ، تدخل الارجنتين طورا جديدا من اطوار تطورها السياسى ،فىظل بيرونية بلا بيرون ،او بيرونية بعدبيرون.

وليس ثمة شك فى نظر عديد من المراقبين السياسيين ان اختفاء بيرون من مسرح السياسة الارجنتينية ، سوف يؤثر لا محالة على مصير الاتجـــاه السياسى الذى ارتبط باسمه ، لان هذا الاتجـــاه لم يكن يعتمـــد على برنامج سياسى محدد او استراتيجية واضحة المعالم بقدر ما كان يرتبط بتكتيكاتزعيم سياسى اشتهر بقدرته الكبيرة على المناورة .

صحيح ان الجماعات السياسية المتخاصمة فى الارجنتين عقـــدت هدنة فيما بينها عند وفاته ، لكن المرجح لدى اغلب المراقبين الســـياسيين ان تلك الهدنة مؤقتة . كذلك فانه اذا كان بأمكان ايزابيلا انتبقى فى منصب الرئاسة حتى عام ١٩٧٧ وهو موعد انتهاء فترة بيرون ، خاصة وقـــد كانت فى الفترة الاخيرة منانشط قادة الحركة البيرونية ،ولعبت دورا هاما فى تنسيقالنشاط بين المنظمات البيرونية داخل الارجنتين وبين قيادة الحركة فى المنفى ،الا انها كما اعترفت هى بنفسها تفتقد المؤهلات التى تمكنها من معالجة مشـــاكل الارجنتين الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، كما تفتقد الجاذبية التى كانت تتمتع بها **ايفا بيرون** زوجة بيرون السابقة التى برزت ابان قمة نجاح زوجها كشخصية تتعلق بمثـــل انسانيـــة عامـــة ، وكانت تحظى بحب وتقدير كبير عند الشعب الارجنتينى .

واذا كان بامكان ايزابيلا بيرون ان تظل فى الرئاسة حتى انتهـــاء فترة تفويض زوجها الراحل ، فهل يمكنها بعد ذلك ان تخوض انتخابات الرئاســـة لكى تستمر فى الحكم « **ولكى تصبـــح بالنســـبة للارجنتين ، كالملكة فيكتوريا بالنسبة لبريطانيا** » على حد تعبير احد الارجنتينيين ؟

ان مشكلة البيرونية كمذهب ، ان بيرون وهـــو على قيد الحيـــاة لم يكن ليسمح مطلقا لاى من اتباعه بان يدعم مركزه بدرجة تكفى لاعتباره وريثا له .

ولكن بعد وفاته ظهر **لوبيز ريجا** وزير الشئون الاجتماعية والبيرونى اليمينى، كأنه الشخصية التى ستصبح الرجل القـــوى فى الارجنتين ، وهـــو جاويش بوليس سابق كان مقربا الى بيرون ، وهو الشخص الوحيـــد الذى سمح له الى جانب زوجة بيرون ، بتوجيه خطـــاب الى الشعب الارجنتينى عقب وفاة بيرون .

ولكن مشكلة لوبيز ريجا الذى يسميه خصومه « راسبوتين » هى افتقـــاره الى القاعدة السياسية الموالية له ، ووفرة اعدائه الاقوياء . ويبدو ان سجله فى اضطهاد وملاحقة اليسار وخاصة الماركسى ، سجل حافل ، وقد اقسمت منظمة **مونتينيروس** البيرونية اليسارية المسلحة [ولها ٦٠ الف من الانصـــار المسلحين] على اغتياله ، كما اوضحت منظمـــة **الجيش الثـــورى الشعبى** [تروتسكية] لها [٣٠٠٠ من الانصار المسلحين ورجال العصـــابات] انهـــا ستجد فى أثره ، كذلك حذر عدد من القادة العسكريين، رغم اعلانهم مناصرة ايزابيلا بيرون الرئيسة الجديدة ، من ان تأييدهم مرهون بشرط واحد ، هـــو ان يرحل لوبيز ريجا .

اما ايزابيلا بيرون فقد تواجه مصاعب سياسية متزايدة بسبب المصـــاعب الاقتصادية التى تعانى منها الارجنتين ذلك ان التضخم قد قضى على الجـــانب الاكبر من مكاسب العمال ، وقفزت الاسعار فى السوق السوداء الخاصـــة بالعملة والتى تعد مؤشرا رئيسيا بالنسبة للثقة فى الاقتصاد الى ١٥٠٪ من سعر الصرف القانونى . ولذا يخشى حدوث اضطرابات عمالية فى الارجنتين قد تدفع بالحركة البيرونية الى البحث عن رئيس وزراء قوى لمساعدة رئيسة

■ اعلن الجنـــرال **بينوشـــيت** زعيم الانقـــلاب الفاشى فى شـــيلى ، ان عمليـــات الارهاب ضـــد الاحزاب اليسارية مستمرة حتى يتم ازالتها منالمسرح السياسى فى شـــيلى والى الابد . واضـــاف : ان النشاط السياسى سينعدمفى شيلى لمدة ســـنتين على الاقل لان الشيليين « غير ناضجين للحريةالسياسية » وقد بلغ عدد المعتقلين فى شيلى منذ منتصف شـــهر يوليو حتى منتصف شـــهر اغسطس المـــاضى ١٦٣٩٤ شخصا .

■ **شريط الاخبار** ■

■ كشف الدكتور زفن سن رئيس اتحاد نقابات عمال عموم الهند ، فى اجتماع الاتحاد العام لنقابات العمال الذى عقد فى نهاية يوليو الماضى، النقاب عن الاستغلال البشع الذى تمارســه الشركات المتعددة الجنسيات لاقتصاديات البلدان النامية وتدخلها فى الحياة السياسية والاجتماعية لهذه البلدان، وتدبير المؤامرات على نحو ماحدث فى انقلاب شيلى الفاشى . واضاف : ان هذه الشركات قد بلغ عددها فى الهند حتى نهاية شهر مارس ١٩٧٢ مايزيـد عـن ٥٤١ شركة ، وقد زادت ارباح هذه الشركات بنسبة ٢١,٢٪ فى السنوات الاخيرة ويتم تحويل الجزء الاكبر من هذه الارباح الى الشركات الام فى الخارج ، بينما لايحتفظ فى الهند الا بجزء ضئيل جدا

الجمهورية التى قد تتحول ـ بعد تعديل الدستور ـ الى رئيسة شرفية، وربما تشجع اى اضطرابات عمالية محتملة فى بلد متقلب كالارجنتين ، العسكريين على الاستيلاء على السلطة مرة اخرى ، خاصة اذا تزايد نشاط المنظمـات المسلحة فى الارجنتين وابرزها ٥ منظمات ، اثنتان بيرونيتان هما **القـوات المسلحة البيرونية** ، ومنظمة **مونتينيروس** . واثنتان ماركسيتان لينينيتان هما **القوات المسلحة الثورية** . **وقوات التحرر المسلحة** . والخامسة تروتسكية وهى منظمة **الجيش الثورى الشعبى** . فاذا عرفنا ان هذه المنظمات وخاصة اليسارية منها كانت تقوم بعمليات مثيرة مثل احتلال الثكنات ، ومناطق معينة فى المدن ، ومصادرة الاموال الطائلة ، واختطاف سيارات اللورى التى تحمل الاغذية والالبان وتوزيع محتوياتها على سكان الاحياء الفقيرة الخ . فان تزايد نشاطها بعد وفاة بيرون قد يستغله العســكريون كمبرر للانقضــاض على السلطة مرة اخرى .

ولذا فالسؤال المطروح حاليا هو: هل تظل البيرونية أمدا طويلا بعد بيرون؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليست منقطعــة الصلة بمـاضى البيرونية ، وبالظروف التى نشأت فيها وحققت نجاحاتها ، **علما بانها استخدمت فى الاونة الاخيرة من قبل اليمين الارجنتينى لمحاولة وقف اليسار الصاعد فى الارجنتين.** وفيما يتعلق بماضى البيرونية والظـروف التى نشأت فيها ، نجـد انها كانت ظروف تاريخية خاصة واستثنائية ، وقد لا تتكرر على هذا النحو .

فلقد كان بيرون فى الحقيقة نتاج ظروف وصراعات معينــة فى اوضاع امريكا اللاتينية ، **كان هناك صراع بين رؤوس الاموال الامريكيـة والانجليزية والالمانية** . وكانت انجلترا فى حالة تراجع ، بينما نجح الالمان اثناء الحـرب فى اثارة حركة سياسية تعطف على المحـور فى الارجنتين ـ لم يكن بيرون يتودها ـ وكانت بعض عناصر هذه الحركة التى تعمل تحت شعار القومية، على صلة بالنازى . وكانت الارجنتين فى ذلك الوقت من البلدان التى **خرجت دائنة من الحرب العالمية الثانيــة ، بسـبب الزيادة الكبيرة فى الطلب على المنتجات الزراعية ،مما سمح لها بتحقيق ارباح .وقد وصل بيرون الى الحكم فى الارجنتين فى هذه الفترة التى تميزت بتدفق الاســتثمارات ، ممـا سمح بتطوير البلاد فى اتجاه التصنيع** .ووضع قوانين عمالية نتيجة نمو البروليتاريا. وعلى الرغم من ان اتفاقات يالتا قد فرضت الحصــار على الارجنتين بسبب علاقاتها بالمحور ، الا انها كانت قد تمكنت من تحقيق تصنيع نسبى ، حيث بلغ بيرون فى ذلك الوقت قمة شعبية وبرز وسط هذا النجاح وجه زوجته الاولى « ايفا » التى كانت تسترشد بمثل انسانية طيبة .

ولكن عندما نشط كفاح البروليتاريا الارجنتينية ضد الرأسماليين المحليين **حاول بيرون ان يمسك بالميزان بين الرأسماليين والعمال** : واصبحت القوى الرجعية تعارضه اكثر فأكثر وبعنف متزايد اثناء حكومته الثانيــة ـ [تولى الحكم من ١٩٤٦ الى ١٩٥٥] ـ **وتواطأت هذه القوى مع الجيش والبحرية، والامريكيين الذين كانت رؤوس أموالهم تتدفق على البلاد** : وترتب على ذلك احتكاكات وتصادمات . كذلك نجد ان الحركة البيرونية اوجدت تنظيما عماليا، فخلقت اسطورة فى البلاد ، **ومع ذلك فقد اتسمت حركة البروليتاريا فى هذا البلد ، بنوع من الشلل ، كانت تنقصها الكفاحية والمنظمات النضالية اللازمة،** وفى النهاية وكما يقول تشى جيفارا فى تحليله عن بيرون « **وجد بيرون نفسه وحيدا** ، ولم يرتق الى مستوى مواجهة الموت . بل هـرب . وهو ليس بطلا بالتأكيد .لكنه كان رجلا ذكيا . **قد ينقصه الايمان السياسى . لكنه يتمتع بكفاءة لاشك فيها فى المناورة** . وقد نجح فى التـأثير على الجمـاهير ، وفى خلق اسطورة ، وعرف كيف يخلق اجواء مشهودة تأخذ بالالباب » ويســتطرد شى قائلا : « ولا شك ان بيرون لم يكن الرجل القادر على اتخاذ القرارات الكبيرة، ومواجهة الازمات مثل ازمة القتال ، او البحر الكاريبى ، لكنه ترك اثارة على الجماهير ، ولم يثبت خلفاؤه انهم على مستواه ، باستثناء رجل راحد يدعى جون كوك الذى أمضى فى كوبا مدة من الزمن » .

■ حلف الاطلنطى

«امبراطور الحلف» .. الميثاق الجديد يؤكد سيطرته !

فى اجتماع رؤساء دول وحكومات حلف الاطلنطى الذى عقد فى ٢٦ يونيو الماضى ، حصلت الولايات المتحدة على أهم مكسبين فى مجال علاقاتها بدول الحلف الاخرى [١٤ دولة . فقد الزم الميثاق الجديد للحلف والذى تم توقيعه فى هذه المناسبة ، الدول الاوربية الاعضاء فى الحلف بأن :

■ تتشاور مقدما مع الولايات المتحدة حول كافة تحركاتها وأعمالها ، وأن تنسق مواقفها مع امريكا ، وليس هذا أجراء اختياريا وانما هو اجراء ملزم بالنسبة لهذه الدول .

● ان هذا التشاور الالزامى لا يقتصر على المصالح والقضايا المتعلقة بمواقف وسياسات هذه الدول كأعضاء فى حلف الاطلنطى ، وانما يمتد ليشمل كافة تصرفات ومواقف هذه الدول من أى قضايا فى أى مكان فى العالم . مما يجعل تحركاتها جزءا من الاستراتيجية الامريكية العالمية ، كما قالت « لوماتين » فى يوم عقد المؤتمر .

وبحكم هذه الالتزامات التى رضيت أوربا بها « توارت الى الخلف حركتان كان ساعدهما قد اشتدت أخيرا وهما :

■ حركة أوربا الموحدة المستقلة نسبيا عن الولايات المتحدة : والباحثة عن مصالحها فى المحل الاول . والتى نهض بعبئها سياسيون أوربيون من أنصار الاستقلال الاوربى .

■ حركة التفاهم العربى الاوربى . والتى دعمتها أزمة الطاقة الاخيرة ، وما صاحبها من اجراءات الدول العربية لرفع الاسعار وخفض الانتاج وحظر تصديره الى بعض البلاد . ومعلوم أن هذه الازمة وقع عبئها على أوربا بدرجة كبيرة ـ باعتبارها مستهلكا أساسيا للبترول العربى . خاصة وان الولايات المتحدة لا تستورد منه كثيرا علاوة على أن شركاتها المستغلة للنفط العربى استفادت بدورها من رفع الاسعار .

لقد حاولت أوربا أن تشق طريقها مباشرة الى الدول العربية ، بعيدا عن الوساطة الامريكية ، الامر الذى هدد بافلات الخزانات البترولية العربيـــة والخزائن النقدية العربية من سيطرة أمريكا . فتحركت سريعا لوقف هذا الاتجاه الخطر . وبالفعل كان كيسنجر حاسما فى تهديده لمن يحاولون الالتفاف من حول أمريكا للوصول للشرق الاوسط ومنابعه النفطية والمالية ، وذلك عندما طالب جوبير وزير خارجية فرنسا الأسبق بحوار أوربى عربى مباشر .

وكان كيسنجر هو صاحب اقتراح وضع ميثاق جديد للحلـف [ابريل ١٩٧٤] ، يؤكد من جديد سيطرة الولايات المتحدة على حلفائها الاوربيين . وتولت بريطانيا ـ أكثر التوابع طاعة ـ وضع مشروع الميثاق الجديد .

واجتمع وزراء الخارجية فى دول الحلف فى اوتاوا فى كندا فى ١٩ يونيو الماضى واقروا الاتفاق ، والواقع ان كيسنجر والسياسة الامريكية ، اختارا ظروفا ملائمة لإقتراح الميثاق الجديد ، بما يكفل استجابة الحلفاء الاوربيين للرغبات الامريكية . وتتمثل هذه الظروف فى :

■ نجاح السياسة الامريكية فى أن تبدو فى مظهر العامل الحاسم فى تقرير الاوضاع السياسية والاقتصادية فى الشرق الاوسط . فقد نجحت الولايات

■ شريط الاخبار ■

■ اشترك ممثلو ١٤٠ دولة فى « المؤتمر الدولى للسكان » فى بوخارست من اجل بحث كيفية تفادى زيادة سكان العالم . نظرا لتضاعف عددهم كل ٣٢ سنة مما يجعل سكان العالم يصلون فى غضون اقل من قرن الى حوالى ١٢ مليار نسمة . والمطلـوب هـو الوصول بالزيادة السكانية ان امكن الى نسبة ١٫٧٪ بدلا من الزيـــادة الحالية وتبلغ ٢٪ .

وهناك اسلوبان لمواجهة هذه المشكلة : الاول يرى ان مشكلة السكان يجب ان تعالج ان لم يكن بمعزل عن التنمية فعلى الاقل فى خط مواز لها ، ويحبذ هذا الاتجاه الهند وبنجلاديش واندونيسيا وبعض الدول الغربية والولايات المتحدة .

اما الدول الافريقية ، وبعض دول امريكا اللاتينية والدول الاشتراكية فترى ان مشكلة السكان يجب ان تسوى عن طريق التنمية واستخدام الموارد الطبيعية والتعاون الدولى .

المتحدة فى الظهوربمظهر من يمسك بيده مفاتيح الموقف ، وبأنها الوحيدة القادرة على التأثير فى موقف اسرائيل لفرض الاجراءات السياسية . كما تمكنت من تدعيم علاقاتها على أساس من هذامع الدول العربية . فضلا عن انها استفادت كثيرا من فتور العلاقات السوفيتية العربية .

كذلك كان لشركات النفط الامريكية ـ فى نهاية المطاف ـ دور مسيطر فى الازمة البترولية ، أكدت به جبروتها وسيطرتها فى مجال التسويق والتسعير . كما نجحت الولايات المتحدة فى استبعاد أوربا من أن تلعب أى دور فى تسوية أزمة الشرق الاوسط ، رغم رغبة الدول الاوربية والعربية فى هذا .

■ نجاح الولايات المتحدة فى تهديد أوربا بسحب قواتها منها [دون أن تسحبها] وتركها أمام ماتسميه « الخطـــر السوفيتى » ، دون حماية المظلة النووية والقوات الامريكية . وعلى الرغم من أن تدعيم الولايات المتحدة لعلاقاتها الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى ، قد آثار مخاوف بعض حلفائها الاوربيين فضلا عن الاعباء المالية التى تفرضها الولايات المتحدة على دول أوربا مقابل بقاء القوات الامريكية فى أوربا ، رغم هذا كله ، فان قادة أوربا مازالوا يؤمنون بجدوى الحماية الامريكية .

■ غياب أو ابتعاد القيادات الاوربية الكبيرة مثل ديجول ، بل والقيادات الطموحةمثل براندت وبومبيدو وهيث ، أنصار الاتجاهات المستقلة والعمل فى سبيل بلادهم اولا . وتولى قيادات أقل طموحا مثل ديستان وشميت . كما أن عمليات التوحيد الاوربى ، تعثرت أمام المصالح والاعتبارات القومية المحلية .

■ المتاعب الاقتصادية التى بدأت أكبر الدول الاوربية وأقواها تعانى منها ، خاصة المانيا الاتحادية ، التى تشكو من ارتفاع أرقام البطالة وأزمات تصريف الانتاج . ومن جانبآخر ، مازالت السيطرة الاقتصادية الامريكية قوية فى أوربا ، عن طريق المشروعات الانتاجية والتسويقية والمالية الامريكية فى أوربا . وتعبيرا عن الاعتراف بقوة القبضة الامريكية ، قررت دول السوق المشتركة تقديم هدية الى الولايات المتحدة ، تمثلت فى تخفيض الرسوم على الواردات الامريكية وذلك فى مناسبة العيد الخامس والعشرين لحلسف الاطلنطى [٤ـ٤ـ١٩٧٤] .

وبجانب تأكيد ورغم الدور القيادى لامريكا ، فان الميثاق الجـديد قد أقر سياستها فيما يتعلق بالحفاظ على القوة العسكرية للحلف ، والاعتماد على القوة النووية لامريكا ، والعمل على اجراء نوع من الحوار مع الشرق لازالة التوتر . وبالفعل فقد رفض متحدث باسم الحلف أخيرا ، الاقتراح الذى كان قد قدمه ممثلحلف وارسو فى١٩ أبريل الماضى ، بحلالحلفين ، وارسو والاطلنطى وتصفية المنظمات العسكرية فيهما .

والواقع انه ربما كان خير تعليق على وضع الحلف الحالى هو ، ذلك الذى أوردته وكالة نوفوستى فى مناسبة العيد الخامس والعشرين للحلف ، والذى أكدت فيه أن الحلف يمر بأزمة ، ولكنها ليست نهايته أو بداية تفتته ، وذلك على الرغم من شمول الازمة لاسسه وسياساته وايديولوجيته . فمازال الحلف أداة عسكرية قوية ، ومازال دور الولايات المتحدة فيه مسيطرا . فقـد أكدت « لوموند » بمناسبة اشتراك نيكسون فى مؤتمر الحلف لتوقيع الميثاق الجديد ، على أن « امبراطور حلف الاطلنطى » ، سيحظى فى بروكسل بتكريم أتباعه بتجديد ولائهم له . وعلقت « لومانتيه » على هذه العبارة بقسولها انها « توضح ، وتفسر العلاقات الموجودة ، فى الوقت الراهن ، داخل حلف الاطلنطى بين الحاكم الامريكى وباروناته الاوربيين » .



مسـاندة جـديدة من الدول الاشـتراكية لمنظمـة التحـرير ولقيـادة عـرفات

بيروت : من فيصـل حوراني

فى الفترة بين الثامن والعشرين من شهر تموز ـ يوليو والتاسع من آب ـ أغسطس ترأس ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية وفدا فلسطينيا ضم خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطنى ، وأربعة من أعضاء اللجنة التنفيذية يمثلون منظمات فتح والديمقراطية والصاعقة ، والمستقلين ، واسحق الخطيب عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاردنى بوصفه عضوا فى المجلس المركزى الفلسطينى وفى لجنة التضامن الاسيوى الافريقى .

وقام الوفد بجولة فى ثلاثة من البلدان الاشتراكية هى الاتحاد السوفييتى ، وبولندا ، وألمانيا الديمقراطية . وكان من المتوقع أن يزور بلدانا اشتراكية أخرى هى بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا ويوغسلافيا ، الا أن احداثا طارئة أرغمت ياسر عرفات على قطع جولته بعد أن أنهى زيارته للبلدان الثلاثة . بينما واصل الجولة وفد مصغر برئاسة فاروق القدومى رئيس الدائرة السياسية فى المنظمة .

ووصف ياسر عرفات حصيلة الجولة بأنها كانت « ايجابية للغاية وفاقت كل التوقعات » .

وقد أجمع المراقبون كافة على دقة هذا الوصف وصوابه بالنسبة لاهم زيارة يقوم بها وفد فلسطينى للبلدان الاشتراكية ، وبالنسبة للنتائج التى انتهت اليها الزيارة .

وقد ركزت مصادر الانباء على الاتفاق الذى تم خلال زيارة الوفد لكل من الاتحاد السوفييتى وبولندا حيث اعترف البلدان بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى عبر اشادتهما بمقررات مؤتمر القمة العربية فى الجزائر [تشرين الثانى ـ نوفمبر ١٩٧٣] والقمة الاسلامية فى لاهور التى أكدت للمنظمة هذه الصفة ، وحيث وافق الاتحاد السوفيتى على استضافة مكتب تمثيلى للمنظمة هو الثانى من نوعه الذى تستضيفه موسكو [الاول هو المكتب التمثيلى لجبهة التحرير الوطنية فى جنوب فيتنام] وحيث أعلنت بولندا أنها « ستدرس بكل تفهم وبأخوية مسالة انشاء ممثلية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى وارسو » كما ورد فى البيان المشترك « فضلا عن ان جمهورية ألمانيا الديمقراطية سبق أن اعترفت رسميا بالمنظمة قبل ثلاثة عشر شهرا ، واستضافت ممثلية لها فى برلين » .

وركزت مصادر الانباء على ما ورد فى الوثائق الثلاث التى أذيعت حول المحادثات من نصوص متشابهة أكدت تأكيد الدول الاشتراكية « لحصول الشعب العربى الفلسطينى على حقوقه القومية المشروعة وفقا لميثاق وقرارات هيئة الامم المتحدة ، وان ذلك « هو الشرط الحتمى لاحلال السلام العادل الوحيد فى هذه المنطقة وهو يتجاوب مع مصالح كافة الدول والشعوب » .

وقد أصبح فى حكم المنتهى أن الدول الاشتراكية الاخرى سوف تحذو حذو الدول الثلاث ، وتستضيف ممثليات للمنظمة فى عواصمها ، علما بأن المنظمة لها ، قبل الان ، ممثلون ، غير رسميين ، مقيمون فى هذه العواصم .

ومما لا شك فيه أن هذه الجولة قد أسهمت الى حد كبير فى تعزيز وتطوير العلاقات المتنامية باضطراد بين المنظمة وبين الدول الاشتراكية . واذا كان الاعتراف وتأكيد المساندة لتطبيق قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية يمثلان منجزين مهمين حققهما الكفاح الوطنى الفلسطينى فى هذه المرحلة وعكستهما البيانات المشتركة التى صدرت عن المحادثات ، فمن المفيد أن نستعرض الجوانب الاخرى من المحادثات كما روتها لنا مصادر الوفد الفلسطينى نفسه .

وقبل ذلك يحسن أن نلقى نظرة على الطريقة التى تم بها تشكيل هذا الوفد والملابسات التى رافقت هذا التشكيل .

ومن المعروف أن المجلس الوطنى الفلسطينى فى دورته الثانية عشرة [حزيران ـ يونيو ١٩٧٤] اقر برنامجا للعمل الوطنى اشتهر باسم البرنامج

ذى النقاط العشر ، وان هذا البرنامج قد عكس ، بقليل فقط من التحفظ ، التطور الهائل فى الفكر والممارسة السياسيتين اللذين شهدتهما الساحة الفلسطينية فى السنوات الاربع الاخيرة ، وفى الاشهر التى تلت حرب تشرين الاول ـ أكتوبر على وجه الخصوص . واذا كان البرنامج قد أسقط شعارات من نوع « احباط التسوية السياسية » من قاموس السياسه الفلسطينية ، فانه قد خطا أيضا نصف خطوة على طريق الموافقة الفلسطينية على المشاركة فى جهود التسوية اذا توفرت بعض الاسس التى يطلبها الفلسطينيون .

ومن المعروف أيضا ان هذا البرنامج برغم التصويت شبه الاجماعى عليه فـى المجلس الوطنى ، الامر الذى أملته ظروف معروفة أولها الحرص على عدم انقسام الصف الفلسطينـى وتناحر أطرافه ، فانه لم يمر بغير معارضة حتى من قبل بعض من صوتوا موافقين عليه .

وعندما تقرر القيـام بالجولة المرتقبـة للدول الاشتراكية كانت هذه المعارضة قد عادت الى العلنية . وتبلورت فى أقلية فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، شككت فى أهداف البـرنامج واصـفة اياه بأنه خطوة مقصـودة نحـو تيسـير المشاركة الفلسطينية فى مؤتمر جنيف ، ومعتبرة ذلك ، من وجهة نظرها الخاصة ، تهمة ما بعدها تهمة .

فى هذا الجو شرعت القيادة الفلسطينية فى تشكيل وفدها الى الدول الاشتراكية . وهى تدرك أهمية مثل هذا الوفد ، الذى يزور تلك الدول لاول مرة بدعوة من حكوماتها وأحزابها ، وليس من لجان التضامن الاسيوى الافريقى فيها ، كما كان يحدث من قبل .

وبصراحته المعهودة أعلن **ياسر عرفات** انـه يفضل تشكيل وفد فلسطينى منسجم الموقف بحيث يتسنى له أن يجرى المحادثات الهامة المرتقبة من غير أن تقع اختلافات فى الرأى بين أعضاء الوفد نفسه تؤثر على مجمل الموقف الفلسطينى وتنعكس على نتائج المحادثات . وبعد أخذ ورد أمكن آخر الامر تشكيل مثل هذا الوفد . فضم فضلا عن رئيس اللجنة والمستقلين ، ممثلى المنظمات الثـلاث الرئيسية التى تؤيد برنامج النقاط العشر بغير تحفظ ، واستثنى من عضويته ممثل الجبهـة الشـعبية لتحريرفلسطين ، وممثـلى تنظـيمين فدائيين صغيرين آخرين ، هما الجبهة العربية والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة .

واذا كان موقف هذين التنظيمين الاخيـرين مفهوما بسبب اتجاهاتهما السياسية وصلاتهما العربية بدول تسمى نفسها دول الرفض ، فان



ياسر عرفات

موقف الجبهة الشعبية التى يتزعمها الدكتـور جورج حبش ظل موضع تساؤل .

قال البعض ان احجام الجبهة عن المشاركة فى الوفد ، وقد أعلن ذلك فى آخر لحظة فى بيان وزعه ممثلها فيه تيسير قبعة على الصحافة ، يجىء انسجاما مع موقف الجبهة الرافض لجـوهر البرنامج الفلسطينى .

وقال آخرون ان الاحجام جاء بمثابة مناورة بارعة من قيادة الجبهة الشعبية ، التى باستنكافها عن المشاركة ، لم تشأ ان تتحمل مسئولية السياسة الفلسطينية الراهنة والنتائج التى ستترتب على المحادثات ، وخاصة تأييد الدول الاشتراكية لذهاب المنظمة الى جنيف ، ومسـاندتها لحـل القضية الفلسطينية على ضوء قرارات الامم المتحدة ، ولم تشأ فى الوقت نفسه ان تعرقل مهمة الوفد التى يوافق عليها الدكتور حبش ضمنا .

ولم يصدر عن الجبهة ، وعن الدكتور حبش بالذات ، حتى الان ما يدعم واحدا من التفسيرين .

ايا كان الامر فقد ذهب الى موسكو وفد فلسطينى منسجم الموقف ، واستقبل فيها من قبل بوناماريوف العضو المرشح للمكتب السيـاسى للحزب الشيوعى السوفيتى . واعضاء آخـرين بارزين فى اللجنة المركزية للحزب . وموظفين بارزين فى وزارة الخارجية بينهم نائب وزير . وأجرى معهم محادثات شاملة ومعمقة استغرقت بضعة أيام وانتهت بالنتائج المعلنة المعروفة .

فى هذه المحادثات أوضح الجانب الفلسطينى موقفه وتصوراته للمستقبل . وركز ، فى جملة ماركز عليه ، على النقاط التالية :

● تمسك المنظمة بوحدة الشعب الفلسطينى ، وتمسكها بوحدة تمثيله واعتبارها الممثل الشرعى الوحيد له .

● معارضتها لاية حلول تنتهى بعودة السلطة الملكية الاردنية الى الاراضى الفلسطينية التى سيجلو عنها المحتل الاسرائيلى .

● معارضتها لحضور مؤتمر جنيف اذا كان تناول القضية الفلسطينية فيه سيتم انطلاقا من النص الوارد فى قرار مجلس الامن الدولى رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الذى اجتزأ الحديث عنهـا بالمطالبة « بحل عادل لمشكلة اللاجئين » .

● ايمان المقاومة الفلسطينية بأنها طـرف اساسى من الاطراف المؤثرة فى الشرق الاوسط ، بحيث لا يمكن اعداد أية ترتيبات للمنطقة وانجاحها بغير موافقتها .

● مطالبة المنظمة بدعم اوفى ، سيـاسى وعسكرى ، من الدول الاشتراكية .

وركز المفاوض السوفيتى من جانبه على النقاط التالية :

● ثقةالسوفيت بأنأى حل أمريكى ـ اسرائيلىلن يمر ، وان واشنطن لن تنفرد بامرار سياستها مهما حشدت من امكانيات وضغوط .

وفى هذا الصدد أوضح الجانب السوفيتى ان التطور فى ميزان القوى العالمى لا يجرى لصالح الولايات المتحدة ، وان موقف قوى السلم والتقدم والتحرر موقف راسخ ووطيد ، وان الاتحـاد السوفيتى بصدد الاقدام على مبادرات جـديدة تتعلق بالشرق الاوسط .

● حصيلة المحادثات التى اجراها نيكسون وبريجنيف فى بداية هذا الصيف . وفيها أوضح السوفيت للامريكان قناعتهم بأن أى حل لمشـكلة الشرق الاوسط لا يمكن ان ينفذ ما لم تؤخذ الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى بعين الاعتبار .. وما لم يكن السوفيت والأمـريكان مشتركين على قدم المساواة فى الاعداد لهذا الحل وتنفيذه ، تطبيقا لقرارات الامم المتحدة .

● رفض السوفيت لاى تنـاول للقضيـة الفلسطينية يجتزئها الى مجرد مشكلة لاجئين ، واصرارهم على تناولها بوصفها قضية سياسية تمثلت بالاعتداء الاسرائيلى على أرض الشعب الفلسطينى وتشريده ، وبحق هذا الشعب بتقرير مصيره على أرض وطنه ، طبقا لميثاق الامم المتحدة وللقرارات التى أصدرتها بشأن القضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٤٧ حتى اليوم .

● اعتراف السوفيت بمنظمـة التحـرير ، وتأييدهم للنهج السياسى الذى تتبعه القيادة الحالية للمنظمة .

وفى هذا الصدد أوضح السوفيت انهم يؤيدون الموقف الذى يعرضه الوفد برئاسة ياسر عرفات ، وانهم ، وهم يعرفون ان ثمة من يعارضه فى القيادة الفلسطينية ، على استعداد للاستماع لوجهة نظر المعارضين من غير تأييدها ، واذا اجروا معهم أية اتصالات فى المستقبل ، فينبغى ان يكون مفهوما ان هدف هذه الاتصالات هو حفز المعارضين على التمسك بمقتضيات الوحدة الوطنية الفلسطينية ودعم النهج الذى عبر عنه الوفد .

● تفهم السوفيت لوجهة نظر المنظمة فيمـا يخص موقفها من القرار ٢٤٢ . وان ما ورد فيه من اشارة للقضية الفلسطينية لا يصلح اساسا كافيا لبحثها باعتبارها قضية سياسية .

وقد نصحوا ، فى مجال السعى لتجاوز هذه النقطة وتيسير المشاركة الفلسطينية فى مساعى السلام ، بأن يجرى التوجه الى الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها القادمة ، بهدف استصدار قرار جديد منها يؤكد قرارات الامم المتحدة السابقة بشأن القضية الفلسطينية .

وقال السوفيت ان مثل هذا القرار سيؤدى من جهه الى دعم المطالبة الفلسطينية ببحث القضية من جذورها ، وسيقدم مساندة دولية جديدة لهذه المطالبة ، وسيؤدى من جهة أخرى الى تجاوز أشكال الرفض الفلسطينى للصيغة الواردة فى القرار ٢٤٢ .

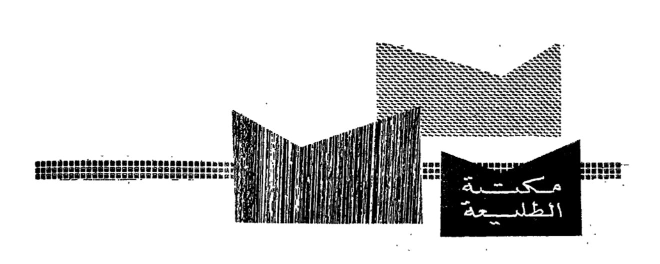
وأوضحوا ان ميزان القوى فى الجمعية العامة يسمح بالامل فى صدور مثل هذا القرار اذا أخذنا بعين الاعتبار أصوات الدول العربية ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية فضلا عن مساندة الدول الاشتراكية .

وهذه النصيحة التى قدمها السوفيت هى الان موضـع بحـث وعنـاية كبيرين فـى القيـادة الفلسطينية .

● تأييد السوفيت للمطلب الفلسطينى الخاص باقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على أية ارض فلسطينية يتم تحريرها . وقد تبادل الجانبان الرأى بشأن المعلومات المتوفرة عن مساعى فك الارتباط على الجبهة الاردنية ، وتناقشوا فى كافـة الاحتمالات التى يمكن أن تنجم عن تنفيذه .

وقد دارت المحادثات التى تناولت هذه النقاط جميعا ، وغيرها من النقاط التى يتجنب الطرفان الاعلان عنها ، فى مبنى اللجنة المركزية وفى مبنى وزارة الخارجية الامر الذى اضفى طابعا حكوميا على الموقف السوفيتى بالاضافة الى الطابع الحزبى .

وقد صدر اثرها بلاغ صحفى ، وكان الجـانب السوفيتى مستعدا لتوقيع بيان مشترك لو أراد الوفد الفلسطينى ذلك . ويمكن القول ان المحادثات التى دارت فى كل من وارسو وبرلين قد تناولت النقاط ذاتها وانتهت الى النتائج ذاتها ■



وجاء العيد بعد العاشر من رمضان

■ تأليف :

مصطفى بهجت بدوى

■ عرض :

مصطفى سامى

■ الناشر :

كتاب الجمهورية
أغسطس ١٩٧٤

يقدم المؤلف تجربته الخاصة التى عاشها فى الصحافة المصرية ، رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية ، بعد معركة العاشر من رمضان او « عيد » العاشر من رمضان كما يقول فى وصفه لمعركة العبور ، وهى المعركة التى ضمدت جراحنا ، بعد أن استعدنا ما أمكننا تحريره من الارض المغتصبة ، وبالتالى استعدنا كرامتنا وثقتنا بأنفسنا اللتان قضت عليهما هزيمة يونيو ٦٧ .

والكتاب مقسم الى أربعة ابواب ، الاول عن **الذين جاءوا بالعيد وقدموه لنا** بصبرهم وكفاحهم وشجاعتهم : وهم رجال قواتنا المسلحة البواسل وابطالها ، ابناء الفلاحين والعمال والمثقفين ، ومع هؤلاء الشعب الذى أنجبهم ووقف معهم وتحمل وقاتل ، لقد تعددت لقاءات المؤلف بهولاء الأبطال ، وقدم لنا صورة — من خلال هذه اللقاءات — لشخصية المقاتل المصرى الذى يرفض العدوان ويضحى بكل ما يملك من أجل وطنه ...

وفى الباب الثانى ،يتناول «**الحرية والاشتراكية والوحدة**» بعد العاشر من رمضان ، وماذا كان يراد بها ، من وقف معها ومن وقف ضدها ، ثم كيف اكدتها جمهورية مصر ورئيس جمهوريتها ، وقائد مسيرة ثورة ٢٣ يوليو التى لم تجعل من هذه المبادىء مجرد شعارات وانما ممارسة . اما الباب الثالث ، فبتأكيده المباشر على حقيقة ان «**المعركة لم تنته بعد**» انما ينبه ان اسرائيل ،رغم نزيفها الحاد بعد العاشر من رمضان ،ورغم كشف حقيقة ادعائها بانها قوة لاتقهر ، فانها — حتى مع صراع جنرالاتها واختفاء من يطلقون على انفسهم اسم « الصقور » — مازالت تصر على العدوان ،بل وتعد للحرب الخامسة .. فاسرائيل لن تستطيع ان تعيش الا بالعدوان الذى قامت عليه . ويطالب المؤلف فى نهاية هذا الفصل باليقظة ،وبالاستفادة من دروس معركة العاشر من رمضان .

ونصل بعد ذلك الى الباب الرابع والاخير من الكتاب الذى احتل مائة صفحة من عدد صفحاته الـ ٢٨٠ ، وهو بعنوان « **تجربة ساخنة فى الصحافة المصرية** » .. وهو اهم الابواب الاربعة لعدة اسباب :

١ — انه الباب الوحيد الذى لم يسبق نشره قبل ذلك ، فهو مكتوب بصفة خاصة ومعد لهذا الكتاب — كما يشير الى ذلك المؤلف .

٢ — تناول فى هذا الباب الفترة الممتدة من ١٥ مايو سنة ١٩٧١ حتى يوليو ١٩٧٤ — أى قبل تسليمه الى المطبعة مباشرة ، وهى فترة هامة من تاريخنا ، فقد كانت فترة الاعداد للعبور ،ثم تحقيق النصر واسترداد الكرامة .

٣ — انه يحاول فى هذا الباب ان يرفع الستار — من واقع التجربة التى عايشها وتحملها — عن جوانب خفية فى بلاط صاحبة الجلالة ، وان يجمع الطلقات « الفارغة » التى صوبت على كثير من الابرياء والمظلومين وهى تشير الى بصمات لطلقيها .

ان هذه « التجربة الساخنة » تكشف مجموعة الدخلاء والغرباء على مهنة الصحافة ، تفضح اسلوبهم فى التعامل وليس فى الكتابة لانه لا اسلوب لهم ، مهم ليسوا كتابا ، ولا حتى قراء .. الصفة التى تغلب عليهم جميعا هى الجهل ، يجهلون كل شىء ، حتى ما يجرى فى بلادهم من تحولات ، لعقوا جميع الاحذية وجلسوا على جميع الموائد من اجل الوصول ، الوصول بأى ثمن ومن خلال اى طريق دون اعتبار لقيم اخلاقية او تقاليد يجب أن تراعى ، ليس لهم فكر واضح فهم خليط من اليمين الرجعى المغرق فى تخلفه وادعياء اليسار ، لكن الواحد منهم يستطيع ان يتحول من اتجاه الى آخر بمنتهى البساطة دون خجل ، لقد تأجروا لكل شىء حتى بأنفسهم فلم يبق شىء يخجلون منه ؟ ! !

وقد كان المؤلف كريما معهم — رغم ما نعرض له على أيديهم — فلم يذكر اسم احد منهم فى كتابه ، اولا لان اسماءهم ليست خافية على احد فهم معروفون بالنسبة لزملائهم ، وثانيا لانه لم يقصد من حكاياته عنهم التشهير بهم بقدر ما هو تطهير الصحافة منهم ، ومن أذنابهم .

ويختتم المؤلف كتابه بمجموعة من «الاعترافات .. والاعتذارات » . وقد حاول فيها ان يسبق النقاد فيما يوجهونه له من ملاحظات ،مستخدما ذكاءه وحاسته الصحفية ،فهو يدافع عن أخطائه ويعترف بها معتذرا عن أى اتهام يمكن أن يوجه له ، وهو محق فى اعتذاره احيانا ، ولكنه يخطىء احيانا اخرى فى حق نفسه وفى حق القارىء ، والمثال على ذلك انه يعترف بانه كان «جريئا» و « منفعلا » فى العرض بطريقة غير مألوفة **ويعتذر** عن هذه « الجرأة » وهذا « الانفعال » مصادرا بذلك حق القارىء فى الحكم على الكتاب .

ثم يعتذر عن « شطحات قلمه » على حد **قوله** نتيجة « السخرية المرة » فى عرض بعض النماذج التى تناولت علاقته بهؤلاء ، ويدافع عن ذلك بأنه نتيجة القسوة الضارية التى تعرض لها خلال شهور طويلة وسنين .

ويعود الى اعتذاره واعترافه — **ومعه حق فى ذلك** — « بأننى بدوت شخصيا » — كما يقول — « فى كثير مما جاء بالكتاب » .. وهى ملاحظة ربما يلمحها القارىء ايضا ، ثم يعترف بانه نتيجة « الناحية الشخصية » التى اشار اليها يظن انه مهتم بذاته اكثر من المألوف ! ويقول مدافعا « اننى بالغ الاهمال لنفسى ، ولا احتمل ان يمضى اصدقاء او زملاء فى الثناء على اى موقف لى فأغير الموضوع على الفور ، قد اكون شديد الاعتزاز بكرامتى .. ولكن هذه قضية اخرى ، ولم يظن اننى اسرفت و «تنرجست» .. اعتذر !!

واخيرا يقدم آخر اعترافاته واعتذاراته — وهو صادق فيها — بانه اطال كثيرا ، وتطرق الى جزئيات وتفاصيل قد يرى البعض انها «**مملة**» و « **غير هامة** » ومعه كل الحق فى هذا الاعتراف . ولكن ، ورغم كل هذه الاعترافات ، فالمؤلف نجح فى أن يقدم لنا قصة « تجربة ساخنة » **فعلا** يمكن ان تسمى « **كواليس فى الصحافة المصرية**» أو « **كوابيس فى الصحافة المصرية** » تكشف أحد أمراض العمل الصحفى وهى رغم قسوتها الا إنها موجودة ، ومحاولة رفع الستار عنها **هى** مسئولية كل صحفى وكل وطنى فى هذه البلاد .

● صـــحيفة تحـــت الطبـــــع

■ تأليف :

ســمير صــبحى

■ عرض وتحليل :

مصــطفى ســامى

■ الناشر :

دار المعــارف
يونيــو ١٩٧٤

نظــــرة على
اخراج الصحف
المصـــــرية
فى مائة عــام

قدم لنا الزميل **سمير صبحى** سكرتير تحرير الاهرام تجربته فى العمل الصحفى اليومى على مدى خمس عشرة سنة ، ووضعها أمامنا بلا رتوش ، فقد استعرض بمنتهى الموضوعية تطور الصــحافة فنيــا وتحريريا ، وأســلوب اخراج الصحيفة ، وقارن بين أساليب الاخراج المختلفة فى الصحف المصرية ثم تابع تطور المطبعة والفن الصحفى ابتداء من « **الوقائع المصريــة** » أول صحيفة مصرية بالمعنى الحديث صدرت عام ١٨٢٩ حتى صدور الكتاب منذ شهرين .

والمؤلف أحد الصحفيين الشبان الذين اختاروا العمل الصحفى بعد الثورة ، وقد عاصر الصحافة المصرية فى أخــطر فترات تاريخهــا ، عاصرها مملوكة لبضعة أفراد عندما التحق بالعمل محررا بجريدة الاهرام عام ١٩٥٨ وكانت من أملاك بشارة تقلا فى ذلك الوقت ، ثم عاصر الصحافة بعد صدور قرار تنظيمها فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ ، وانتقال ملكية الصحف للاتحاد الاشتراكى وللعاملين فيها . وشارك فى اخراج أهم الاحداث التى شهدتها مصر طوال هذه الفترة ، وقدمها على صفحات هذا الكتاب — مؤلفه الاول — ابتداء من اول تجربة للوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٩ وصدور القرارات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ ، ثم مؤامرة الانفصال ، وبعد ذلك دخول القوات المصرية الى اليمن لمساندة الثورة على الحكم الملكى الرجعى بزعامة أسرة حميد الدين ، وشارك أيضا على صفحات « الاهرام » فى اخراج صفحات هزيمة ١٩٦٧ وما تبعها من أحداث أليمة عاشتها مصر ، ثم كان الحدث الكبير الذى اهتزت له مصر والعالم العربى يوم وفاة الزعيم

جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وانعكس الحدث الكبير على صفحات الصحف المصرية فى هذه الفترة ، فقد صدرت كلها مجللة بالسواد تشارك جماهير الشعب أحزانه فى وفاة قائد مسيرة ثورة يوليو ١٩٥٢ ..

وتقف الصحافة المصرية بعد ذلك مع أنور السادات ضد مراكز القوى وضد العابثين بمصير البلاد من أجل مكاسبهم - فى أدق مرحلة مرت بها مصر وأراضيها محتلة بالعدو .. وأخيرا يقدم لنا على صفحات الكتاب صفحات ٦ أكتوبر ١٩٧٣، صفحات العبور العظيم الذى شارك بل قام باخراج أحداثه على صفحات « الاهرام » .

وأهم ما يخرج به القارىء بعد متابعة صفحات الكتاب التى تصل الى ٢٥٠ صفحة ، أن الكلمة فقط لا قيمة لها اذا لم توضع فى شكل جذاب : وأن شكل الصحيفة واخراجها يستطيع أن يقول ما تقوله الكلمة ، فالى جانب الكلمة تاتى الصورة الملفتة والتى تجذب انتباه القارىء : والعنوان الذى يتناسب مع حجم الصفحة والبياض المستخدم لراحة القارىء ، ولتخفيف حدة كمية الرصاص الرمادية .

تبقى كلمة يجب أن تقال للزميل مؤلف الكتاب ، أرجو ألا يعتبرها القارىء تحيزا من جانبى « للاهرام » .. لقد ضاعت عشرات الصفحات من الكتاب فى التأريخ لفترة زادت عن المائة وخمسين عاما ، صدرت خلالها عشرات الصحف والمجلات ، كان يصعب على الباحث تناولها بشكل علمى ، مما اضطره الى اغفال - دون قصد منه - جانب من الاحداث والصحف الهامة التى تناولت هذه الفترة ابتداء من صدور الوقائع المصرية ، فعلى سبيل المثال لم يشر الزميل فى كتابه بين محررى أو رؤساء تحرير « الوقائع المصرية » الى أبو الصحافة المصرية ، **رفاعة رافع الطهطاوى** الذى تولى تحرير الصحيفة ابتداء من ١٨٤٢ ، وأحدث أخطر تطور فى شكل الجريدة فى ذلك الوقت ، فالوقائع كانت تصدر باللغتين التركية والعربية ، والتركية تحتل جهة اليمين والعربية جهة الشمال من صفحاتها ، وبهدوء شديد صحح رفاعة الوضع ، فاحتلت العربية يمين المجلة ، ومرت الحيلة البارعة من تحت أنف محمد على أكثر من عام الى أن قام الوشاه بتفسير الامر للوالى الذى أمر فى غضب باعادة الوضع الى ما كان عليه .. أليس هذا التغيير فى الشكل بما يحمله من مضمون سياسى يستحق الاشارة .. ؟ ثم لم يشر الى أول مجلة مصرية علمية متخصصة فى نشر الابحاث باللغة العربية وهى [روضة المدارس] التى صدر العدد الاول منها فى ١٥ محرم ١٢٨٧ (١٨٧٠ م) ، وعهد برياسة تحريرها الى رفاعة الطهطاوى يعاونه ابنه على فهمى رفاعة مدرس الانشاء بمدرسة الادارة والالسن ، ألا تستحق هذه المجلة أيضا اشارة من المؤلف لتعريف من لم تتح لهم فرصة الالمام بتاريخ الصحافة المصرية ، وخاصة أنه تناول صحفا ومجلات أقل منها شأنا . وهو معذور ، فى ذلك ، فالفترة التى يتناولها فى كتابه تحتاج الى أكثر من مجلد لكى يتناولها الباحث بشكل موضوعى ، وكان أجدى للزميل أن يختار فترة محددة وصحيفة أو بعض صحف يختارها موضوعا لكتابه حتى يتخذ الكتاب الطابع العلمى فى البحث ..

كان أجدى للزميل وللقارىء أيضا ، أن يكتب عن الفترة التى عمل فيها فى الصحافة المصرية مساهما فى اخراج اخطر الاحداث السياسية التى شهدتها مصر ، ويشرح دور الاخراج والمخرج الصحفى فى عرض هذه الاحداث .. لقد عاصر « الاهرام » ابتداء من عام ١٩٥٨ عندما كان توزيعه ٦٠ ألف نسخة ، وشهد وشارك فى جميع محاولات تطوير الجريدة حتى أوائل عام ١٩٧٤ وهو التطوير الذى وصل بتوزيعها الى مليون نسخة ، وبالتغييرات الكثيرة - والتى لم يشعر بها القارىء - فى الصفحة الاولى ، والصفحة الثالثة « بالاهرام » وهى أول صفحة للتحقيق الصحفى بمفهومه الحديث ، الا تستحق أن يكتب عنها بالتفصيل ، صفحات الاخبار الخارجية ، وصفحة التقارير [الصفحة السابعة] والتى أختفت نتيجة لازمة الورق حين عادت الجريدة الى صدورها فى ثمانى صفحات .. كل هذه التطورات التى ادخلها الاهرام .. واخراج صفحات المراة وملحق « المرأة والبيت » الذى قام المؤلف باخراجها بنفسه ، وأستخدم كل الادوات الطبوغرافية فى اخراجه ويعتبر نموذجا ممتازا لصحافة المرأة المصرية فى الستينات .. لماذا لم يكتب عنها ، بل هو خير من يكتب عنها ..

كان أجدى له أن يتناول هذه الفترة ، ويركز على « الاهرام » الذى قاد الصحافة المصرية طوال الستة عشر عاما الماضية حتى اعتبرته أكبر جامعات ومراكز البحث الاعلامية فى أوربا وأمريكا واحدا من أحسن عشر صحف تصدر فى العالم تحريرا واخراجا ..

لكن كل هذه الانتقادات لا تؤثر على الاطلاق على قيمة العمل نفسه والتجربة الجادة التى قدمها لنا الزميل سمير صبحى والتى لم يسبقه اليها أى باحث .



مناقشات مفتوحة

لاتبيعــوا الارض الجديـــدة

كتب محمد مدحت أحمد مصطفى المعيد بكلية الزراعة ـ شبين الكوم ـ حول قضية استغلال الارض الجديدة ـ يقول :

ان قضية استغلال الارض الجديدة ، والتى تبنت عرضها أسرة الطليعة فى العدد الماضى قضية عامة وتخص كل فرد من أبناء مجتمعنا المصرى فقد انفق على استصلاح واستزراع ٧٠٠ الف فدان ٣٨٢ مليونا من الجنيهات ، ومن هنا فمن حقنا جميعا ابداء الرأى حول مستقبل هــذه الارض .

وقد عرضت فى لجنة الاستطلاع والمناقشة كافة الاراء الممكن تداولها حول هذا الموضوع والتى يمكن تقسيمها الى قسمين وفقا للارضية الفكرية التى تنطلق منها مثل هذه الاراء . يضم القسم الاول مجموعة الاراء التى تنادى ببيع الارض ابتداء من بيعها لصغار المزارعين مرورا ببيعها لرأس المال العربى بل والاجنبى أيضا ، وتعتبر آراء السيد **عطا سليم** عضو مجلس الشعب أكثر تمثيلا لهذا القسم . أما القسم الثانى فيضم مجموعة الاراء التى ترى ضرورة الابقاء على ملكية الدولة لهــذه الارض مع تنويع طرق استغلالها سواء عن طريق الايجار أو طريق الشركات أو مزارع الــدولة ، وتعد آراء الاستاذ **الدكتور مصطفى الجبلى** وزير الزراعة السابق أكثر هذه الاراء وضوحا وشمولية لهــذا القسم .

وفى حقيقة الامر انه للوصول الى الحل الامثل يجب أولا تحديد ما هــو المــطلب الاستراتيجى لجماهير الشعب ؟ هل هو مزيد من الاشتراكية ومزيد من تأصيل حقه فى ملكية موارده الانتاجية ، أم أن المطلوب مزيدا من التراجع عن الخطوات التى خطتها ثورة يوليو كبداية للانــطلاق نحــو الاشـــتراكيـــة .

وبما أن كافة المواثيق الثورية والتى صدرت فى مجتمعنا المصرى بداية من الميثاق الى بيــان ٣٠ مارس الى ورقة أكتوبر الى تقرير الســيد الرئيس عن تطوير الاتحاد الاشتراكى تؤكد على أن « **طريق التقدم والتنمية امام شعبنا لايمــكن**

الا أن يكون طريقا اشتراكيا [1] من هنا فاننا نعتقد أن الطرح المقدم من آراء القسم الاول والخاص ببيع الاراضى المستصلحة يعتبر طرحا مرفوضا رفضا مطلقا وذلك للاسباب التالية :

١ — بالنسبة لمبدأ بيع الارض لصغار الزراع والمعدمين منهم ظهر من خلال الرأى الذى أبداه **الدكتور مصطفى الجبلى** أن العدد الكلى للمعدمين فى مصر يبلغ حوالى ثمانية ملايين فرد ، واذا تم توزيع كافة الاراضى المستصلحة فلن يستفيد بها سوى نصف مليون فرد فقط . معنى ذلك اننا لا نقدم حلا جذريا لمشكلة المعدمين بل نقدم حلولا اصلاحية ومسكنات للمشكلة . هذا بالاضافة الى أن هذه الارض الجديدة تحتاج الى استثمارات رأسمالية كبيرة خاصة فى سنوات الاستغلال الاولى فكيف يمكن توفير هذه الاستثمارات اذا كان هؤلاء الزراع معدمين ، ثم هناك مشكلة أخرى تناسيناها وهى أن تلك الارض ستوزع فى حدود الخمسة أفدنة ، وستتعرض بطبيعة الحال لتقسيمات وراثية عديدة مما يزيد من أعباء مشكلة تفتت الملكية وصغر الوحدات الانتاجية ، بدلا من أن نعمل على حل هذه المشكلة .

٢ — أما بالنسبة لبيع هذه الارض للمهنيين وبأسعار محددة فان مشكلة تفتت الملكية ستظل قائمة بالاضافة الى أنه كيف يمكن اسناد مهمة الانتاج الزراعى الى طبيب أو مهندس أو حتى مهندس زراعى بدون الخبرة الكافية فى عملية انتاجية تحتاج الى مهارة وخبرة ، وبالتالى فانه من المتوقع أن يقوم هؤلاء المهنيون ببيع هذه الارض مرة أخرى بل ربما ببيعها بعد تقسيمها . ويفرض قيامهم فعلا باستغلال هذه الارض فأنهم ولا شك سيعتمدون على العامل الزراعى الذى سيعطى جهده ليحصل المالك على فائض القيمة . فأين اذن العدالة الاجتماعية عندما تبذل الطبقات الواسعة عرقها من أجل طبقة جديدة محدودة .

٣ — أما بالنسبة لبيع الارض بالمزادات لرأس المال المصرى ، فان هذا ولا شك ماينتظره الكثير من المضاربين ومن الطبقات التى اثرت بطرق غير شرعية خلال فترة تفضيل اهل الثقة على أهل الخبرة فى ادارة شركات ومؤسسات القطاع العام ، هذا بالاضافة الى أصحاب الدخول الطفيلية ، وبقايا العائلات الاقطاعية التى تمكنت من النفاذ من ثغرات قوانين الاصلاح الزراعى وظلت تتربص انتظارا لهذا اليوم ، أى اننا بالتالى نساعد على خلق طبقات اقطاعية جديدة طالما قامت الثورة بتقليم أظافرها .

٤ — وبالنسبة لموضوع بيع الارض لرأس المال العربى أو الاجنبى فاننا ببساطة نقول « أن أرض مصر ليست للبيع » فهى للثمانية والثلاثين مليونا من أبنائها والذين يضمون آلافا بل عشرات الالاف من الخبراء والمهندسين القادرين على استغلال هذه الارض .

أما بالنسبة للطرح الاخر والذى يضم آراء القسم الثانى فاننى أتفق مع رأى **الدكتور محمد مندور الديب** بخصوص عدم تأجير الارض الجديدة سواء للافراد أو للشركات المختلطة . وذلك لانها لن تؤدى الا الى محاولة هؤلاء الافراد وهذه الشركات الى تحقيق أقصى قدر ممكن من الربح بغض النظر عن سياسة الدولة وتوجيهاتها ، والتى لا تزال حتى الان تصدر كى لاتنفذ ، والدليل على ذلك كبر حجم المخالفات التى توقع على المزارعين كل عام .

اذن ما هو الحل ؟ ... فيما اعتقد أن الحل انما يكمن فى استغلال الدولة لهذه الارض عن طريق انشاء المزارع المتسعة والمتكاملة بحيث يتم انتاج السلع وتصنيعها داخل هذه المزارع فى حالة السلع القابلة للتصنيع ، أو أن يتم انتاج السلع واعدادها للتصدير من حيث عمليات الفرز والتدريج والتعبئة فى حالة السلع التصديرية كالخضر والفاكهة ، أو أن تستغل هذه الارض بحيث توفى باحتياجات الماشية من العلائق اذا ما كان الهدف تربية الماشية . وهكذا يتنوع الاستغلال وفقا لطبيعة الارض ووفقا لاحتياجات السياسة الزراعية العامة للدولة . هذا مع ملاحظة توفير الكفاءات والخبرات المخلصة لادارة مثل هذه المزارع مع اعطائهم المرونة الكافية لحل المشاكل التى تعترض مختلف الانشطة التى يقومون بها ، مع استدراك كافة السلبيات التى ظهرت فى تجارب التطبيق السابقة .

وذلك بالاضافة الى أن هذا النوع من الاستغلال للارض سوف يساعد على الاستفادة من مزايا الانتاج الكبير واستخدام الميكنة الزراعية على نطاق واسع ، كما أنها من الممكن أن تكون حقلا للتجارب التى تحتاج الى ساحات واسعة كذلك فان ادارات هذه المزارع سوف تلتزم بانتاج المحاصيل التى تتفق ومصلحة الدولة .

هذا علما بأن هذا النوع من الاستغلال للاراضى المستصلحة سوف يعود بالفائدة على جميع طبقات الشعب وليس على طبقة دون أخرى ، وهذا ما يتمشى ومبادىء العدالة الاجتماعية .

وأخيرا فليكف المنادون ببيع أرض مصر عن صياحهم ، فالمشكلة مشكلة الشعب كله ، وليست مشكلة بضعة أفراد تحل بمجرد امتلاكهم لهذه الارض .

---

[1] تقرير الرئيس السادات عن تطوير الاتحاد الاشتراكى — ٩ اغسطس سنة ١٩٧٤ .



السيبرناطيقا الاقتصادية

Economica. Cybernetics

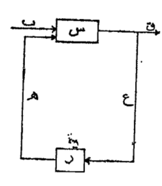
واحد من أحدث العلوم الاقتصادية نشأة ، فقد ظهر في الستينات من هذا القرن . ولعل من الجدير أن نذكر أنه علم ظهر على أيدى علماء الاقتصاد الاشتراكيين فقط ، ومازالت الدوائر العلمية في الدول الرأسمالية لا تعامله كعلم مستقل ، بل تدرج قضاياه ضمن فروع العلوم الاقتصادية الاخرى . من ابرز كتابه ، او بالاحرى مؤسسيه أوسكار لانج Oskar Lang [بولندا] بكتابه « مقدمة في السيبرناطيقا الاقتصادية » المنشور في وارسو عام ١٩٦٥ ، والاكاديميان كانتروفيتش Cantrovitch L. V. ، ونميتشينف Nimitchinof V. S. [الاتحاد السوفيتى] من أبحاث متفرقة لهما نشرت في الستينات .

من الممكن تعريف السيبرناطيقا الاقتصادية بأنها علم يدرس القضايا الاقتصادية ، ويساهم في حل المشكلات الاقتصادية باستخدام مجموعة من طرق وأساليب القياس الرياضي الدقيق [السيبرناطيقي] وبشكل خاص نظرية التحكم الاوتوماتيكى Automatic Control ، ونظرية المعلومات Information Theory ، ونظرية النظم Theory of Systems ، ونظرية الاتصالات Thiory of Communications.

على أنه من الضروري هنا أن نتعرف بشكل موجز على علم « السيبرناطيقا «Cybernetic» الذى تعتبر السيبرناطيقا الاقتصادية تطبيقا له . انه ايضا علم حديث نشأ عام ١٩٤٨ حينما نشر في فرنسا والولايات المتحدة في وقت واحد كتاب لعالم الرياضة الشهير نوربرت فينر Viner N. « السيبرناطيقا ، او الادارة والاتصالات في الكائنات الحية والالات » وتبحث السيبرناطيقا في ميكانزم الادارة وأوجه التشابه بين قوانينه الاساسية في الكائنات الحية والالات . وقد يبدو هذا التشابه جليا لو قارنا بين ميكانزم الحاسبات الالكترونية وميكانزم الجهاز العصبى المركزى لدى الكائنات الحية . وعلى سبيل المثال فان خاصية « الضبط الذاتى » الموجودة في الكائنات الحية كتنظيم وضبط حرارة الجسم عند درجة معينة مهما تغيرت درجة حرارة الجو المحيط أو انضباط مستوى ضغط الدم مهما تغيرت الظروف ، هذه الخاصية تشبه في قوانينها الاساسية قوانين « الضبط الذاتى أو الاوتوماتيكى » في الالات ، والمبادىء التى تحكمهما واحدة.

هنا تقف السيبرناطيقا عند حد اكتشاف هذه القوانين المشتركة ، وتبدأ السيبرناطيقا الاقتصادية فتمضى قدما لتكشف أن القوانين والمبادىء المشتركة هذه هى التى تحكم العمل ايضا في النظم الاقتصادية والاجتماعية . ولنتأمل على سبيل المثال ميكانزم السوق ، وميكانزم الثمن ، وتداول النقود ، وتبادل السلع عن طريق التجارة الخارجية وغيرها من الانظمة الاقتصادية ، لقد درس علم الاقتصاد هذه الانظمة منذ نشأته ، لكن أحدا لم ينتبه الى دراسة قوانين حركة هذه النظم حتى جاء علم السيبرناطيقا الاقتصادية ليدرس هذه القوانين مكتشفا تشابها كبيرا بينها وبين قوانين حركة الالات والكائنات الحية . وعلى ذلك فان السيبرناطيقا الاقتصادية باستخدامها لادوات وأساليب القياس الرياضي الدقيق في تحليل الظواهر والعلاقات الاقتصادية قد ساهمت بشكل أساسى في نقل العلوم الاقتصادية من مصاف العلوم « الانسانية » [بمعنى العلوم الوصفية التى لا تستخدم وسائل القياس المعروفة في العلوم الدقيقة] الى مصاف العلوم الدقيقة .

ولندرس النموذج المبسط التالى الذى يعرفه كل دارس لمبادىء علم « التحكم الاوتوماتيكى «Automatic Control» في ميكانيكا الالات » :



حيث س تمثل الجهاز المدار ، و ر تمثل الجهاز المدير و هـ خط التأثير من الجهاز المدير الى الجهاز المدار ، و ع خط الارتداد العكسى Feed Back أى علاقة تدفق المعلومات من الجهاز المدار الى الجهاز المدير ، أما ب فيمثل تأثير المؤثرات الخارجية [الخارجة عن النموذج] على الجهاز المدار ، وحيث النموذج مكتملا يسمى بنموذج التحكم الاوتوماتيكى ويتميز عن غيره من النماذج الرياضية بخاصية الارتداد العكسى [رد الفعل] .

ويقرر علم السيبرناطيقا الاقتصادية أن النموذج نفسه وبالتالى كافة القوانين الرياضية التى تحكم حركته تنطبق أيضا على أى نظام اقتصادى [السوق ، السعر ، التداول .. الخ] كذلك من الممكن تصور انطباقه على النظام الادارى مثلا بصرف النظر عن نطاق عملية الادارة فاذا أخذنا نظاما لادارة مشروع يمكن تصور ر كجهاز للادارة ، و س كجهاز مدار ، و هـ كتعليمات خارجة من الجهاز المدير الى الجهاز المدار ، و ع معلومات مرتدة عكسيا من الجهاز المدار الى الجهاز المدير . غير أن المهم ليس انطباق هذا النموذج المبسط من نماذج علم التحكم الاوتوماتيكى على تحليل ظواهر اقتصادية ، بل الاهم هو استخدام القوانين والنماذج الرياضية المترتبة على استخدامه في تحليل العلاقات الاقتصادية وحل المشكلات المعقدة للاقتصاد والتخطيط نقلا للعلوم الاقتصادية الى مصاف العلوم القياسية الدقيقة .

د . حلمى سلام



الفاشـــية الجـــديـــدة

يطلق هذا التعبير عادة على الحركات أو التنظيمات التي تسعى الى التكيف مع ظروف المرحلة الراهنة للازمة العامة للراسمالية ، ومع التوازن الجديد للقوى فى داخل المعسكر الرأسمالى وعلى النطاق العالمى وتعبر عن آمال أشد قطاعات الامبريالية رجعية فى ايقاف عملية تحلل النظام القائم الامبريالى والاستعمارى وذلك عن طريق اقامة دكتاتورية ارهابية صريحة . وهى — كسابقتها — ظاهرة عالمية يتخذ النضال ضدها طابعا عالميا ، ويتطلب عملا موحدا من جانب القوى التقدمية وذلك فى مختلف المجالات النظرية والسياسية والاجتماعية .

وقد تعرضت الفاشية [بالمفهوم القديم] فى الاعوام الثلاثين الماضية لهزائم عنيفة [هزيمة فاشية الدولة فى المانيا وايطاليا — والدول العميلة لهما ، واضعاف النظامين الفاشيين فى أسبانيا والبرتغال] ، بيد أنها لم تصف تماما ، بل حدث مؤخرا قدر من الاحياء للفاشية فى مختلف أجزاء العالم . وساعد على ذلك التطورات التى تعكس نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية .

فلقد أدى نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية الى مزيد من المحاصرة والقهر لنظم ومؤسسات الديمقراطية البورجوازية وتزايد عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى نتيجة تفاقم الازمة الاجتماعية السياسية للرأسمالية ، والاثار الاجتماعية للثورة العلمية والتكنولوجية ، الامر الذى يحمل الطبقات الحاكمة على الاحتفاظ باحتياطى من القوة ، قوة سياسية احتياطية يمكن استخدامها — عند الحاجة — للدفاع عن النظام الرأسمالى وعرقلة التيار نحو السلام والانفراج والحرية والتقدم الاجتماعى ، وهذا الاحتياطى يتمثل فيما يسمى « **الفاشية الجديدة** » أو « **الحركة الراديكالية اليمينية** » .

وتختلف الحركات الفاشية الجديدة ، فيما بينها ، حول الشعارات والاهداف المعلنة ، ولكن يمكن تمييز اتجاهين رئيسيين فى داخلها . أحدهما : صورة معدلة بعض الشىء للفاشية الايطالية والاشتراكية القومية الالمانية فيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وتوجد مجموعات هذا الاتجاه الاول فى الدول الرأسمالية المتطورة ، وتتركز حول مجلة **ناسيون يوربا** فى داخل الحركة الاجتماعية الاوروبية » ، أو ما يسمى « دولية مالموا » Malmae ، و « النظام الاوربى الجديد » . كما تتضمن « الحزب القومى الاوربى » و « عصبة شمال أوربا » ، و « الاتحاد العالمى للاشتراكيين القوميين » ، وكل هذه الحركات أنشئت فى الستينات .

وقد ظهرت فى بريطانيا منذ الحرب ١٧٥ منظمة ذات نغمات فاشية جديدة ، أهمها « حركة الاتحاد » التى خلفت « الاتحاد البريطانى للفاشيين » ، فيما قبل الحرب ، بزعامة نفس الزعيم السابق للاتحاد **أوزوالد موزلى** ، الذى كان منذ ٣٥ عاما أبرز زعيم فاشى خارج المانيا وايطاليا . كما برزت مؤخرا « الحركة القومية الاشتراكية » .

وفى فرنسا نشأت مجموعات يمينية متطرفة من حركات كانت موالية للفاشية فيما قبل الحرب ، مثل أكسيون فرانسيز ، ويلتف بعضها حول مجلة اسبيه دى لا فرانس

وعبر السنوات الماضية كان « الحزب القومى الديمقراطى » أكثر أحزاب الاتجاه التقليدى تأثيرا فى المانيا الغربية ، حيث استرعى تقدمه السريع غير المتوقع فى الحياة السياسية ، واستراتيجيته الخاصة ، انظار الراى العام العالمى ، وظهر الحزب ، وتدعم مع البوادر الاولى للازمة الاقتصادية بالبلاد . والحزب يحاول نفى صلاته بالماضى النازى ، ويركز على مشكلات المجتمع الملحة ، ويستغل مشاعر العداء للولايات المتحدة وخيبة الامل فيما يسمى « مجتمع الاستهلاك » . وتتميز استراتيجيته بالتأكيد على احترام دستور البلاد وقوانينها ، تجنبا لمصير سلفه « حزب الرايخ الاشتراكى » الذى حظرته حكومة بون . وتسانده الفئات الوسطى والقطاعات العليا من السكان والشخصيات الواسعة النفوذ فى الاحزاب الكبيرة . كما اكتسب شيئا من النفوذ فى بعض الاوساط المالية . وهو يحصل على معونات مالية طيبة ، وبخاصة من قيادة البوندستير [الجيش] التى كانت ذات يوم السند الرئيسى للحزب النازى .

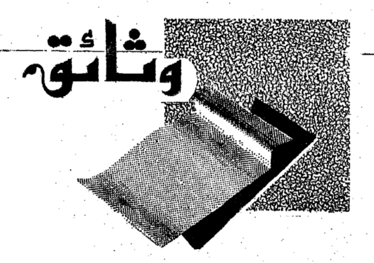
وتقف مع هذا الحزب — وعلى قدم المساواة — « الحركة الاجتماعية الايطالية » القوة الرئيسية للفاشية الجديدة فى ايطاليا ، وتؤكد وثائقها انحدارها من فاشية موسولينى . وأصبحت فى اواخر الاربعينات حزبا قانونيا ذا تمثيل برلمانى ، واستطاعت الاحتفاظ بسيطرة قوية على قطاع مستقر نسبيا من الناخبين . وهى تستخدم الجمعيات الرياضية والخيرية والنوادى الثقافية ونقابات العمال لاقامة روابط مع الجماهير .

وفى الولايات المتحدة يوجد « المتطرفون » وهم حركة راديكالية يمينية تنحدر من التنظيمات الارهابية المعادية للزنوج التى كانت ذات نشاط كبير فى القرن الماضى ، أو من العصابات المسلحة التى كان رجال الاعمال يستخدمونها فى مكافحة حركة الطبقة العاملة . وقد كانت الحرب الباردة حافزا قويا لهم ، حيث توقعوا الانتقام على نهاية المكارثية ، وهزيمة جولدووتر مع « الحمر » والليبراليين . ولم يترتب لفشلهم السابق ، وتسوية الحساب فى انتخابات عام ١٩٦٤ ، الانهيار التام للقوى اليمينية المتطرفة ، لان ظروف انتشارها مازالت قائمة ، مثل سباق التسلح ، ونشاط المجمع العسكرى — الصناعى ، واتساع الاعمال السياسية الجماهيرية الديمقراطية التى يحمل البعض على المطالبة بقيام حكومة قوية لحماية « القانون والنظام » .

ومن أهم سمات الفاشية أنها قد تمتد الى البلاد المختلفة ، حيث تؤدى دور المساعد التابع للدول الامبريالية ، وتصبح أداة للاستعمار الجديد . وحتى عندما يكون البلد المتخلف عند بداية طريق الرأسمالية [ومن ثم لم تنشأ فيه بعد بورجوازية قومية] يكون معيار الفاشية — هنا — ما اذا كان نظام الحكم فيه يعبر — أولا يعبر — عن مصالح أشد العناصر رجعية فى داخل الاوليجاركية المالية العالمية .

وقد انتشرت اعتداءات الفاشيين الجدد فى السنوات الاخيرة ، فهم يشنون غارات ليلية على مكاتب الصحف الديمقراطية والشيوعية ، ويحاولون اغتيال المناضلين اليساريين ، ويضعون المتفجرات فى المنشآت والمرافق المدنية ، بهدف خلق حالة من التوتر تبرر اتخاذ اجراءات عنيفة لاقرار « السلطة والنظام » . ويخلق التوازن الجديد للقوى على الصعيد الدولى فرصا جديدة لمنع تطور الفاشية ، عن طريق تشديد النضال من اجل السلام والانفراج الدولى . فالفاشية تترعرع فى ظل التهديد بالحرب والتوترات الدولية .

أحمد فؤاد بلبع



ورقـــة تطـــوير

الاتحـــاد الاشـــتراكى

اهتمت « الطليعة » منذ صدورها ، بموضوع التنظيم السياسى فى مصر باعتباره أحد الحلقات الهامة فى قضية الديمقراطية ، وضمان نجاح العمل الوطنى فى مواجهة القوى المضادة للثورة .

بهذا الفهم ، نشرت « الطليعة » كل الوثائق الخاصة بموضوع التنظيم السياسى للثورة المصرية ، ابتداء من جبهة التحرير ثم الاتحاد القومى وحتى تجربة الاتحاد الاشتراكى وكل ما أدخل عليها من تعديلات .

لهذا تنشر « الطليعة » ــ فى هذا العدد ــ ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى العربى » التى طرحها الرئيس انور السادات ، بهدف أن يدور ــ من حولها ــ حوار واسع يمكن أن يتبلور من خلاله ، حلول ومقترحات ، تمكن الجماهير الوطنيـــة من قوى الشـــعب العامل ، من أن تصل الى الصيغة العملية التى تساعدها على أن تعبر عن نفسها داخل التنظيم .



نص الدستور فى مادته الخامسة على ان :

« الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم السياسى الذى يمثل بتنظيماته القائمة على اساس مبدأ الديمقراطية تحالف قوى الشعب العامل من الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية، وهو اداة هذا التحالف فى تحقيق قيم الديمقراطية والاشتراكية ، وفى متابعة العمل الوطنى فى مختلف مجالاته ودفع هذا العمل الوطنى الى اهدافه المرسومة » .

فالاتحاد الاشتراكى بنص الدستور ذاته جوهر وشكل . أما الجوهر فهو تحالف قوى الشعب العامل ، وأما الشكل فهو التنظيم السياسى بعناصره المختلفة التى يحددها قانونه الاساسى. واذا كانت تجربة الاتحاد الاشتراكى العربى لم تؤت كل الثمار المرجوة منها رغم اعادة التشكيل عدة مرات ، فان التحليل الموضوعى يفضى الى ان مرجع ذلك الى عيوب فى الشكل ، اى فى التنظيم السياسى ، وليس الى قصور فى الجوهر وهو فكرة التحالف . ولهذا جاء فى ورقة اكتوبر :

نحن نعلم أن الديمقراطية ليست مجرد نصوص ولكنها ممارسة عملية ويومية . والديمقراطية لا تمارس فى فراغ ، بل لابد من اطارات تتحدد من خلالها الاتجاهات التى تخص أمور الوطن السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهكذا ارتضى الشعب نظام تحالف قوى الشعب العامل اطارا لحياته السياسية . واننا فى معركة البناء والتقدم لاحوج ما نكون لهذا التجمع . ومن ثم فاننى ارفض الدعوة الى تفتيت الوحدة الوطنية بشكل مصطنع عن طريق تكوين الاحزاب . ولكننى ايضا لا أقبل نظرية الحزب الواحد الذى يفرض وصايته على الجماهير ويصادر حرية الرأى ويحرم الشعب عمليا من ممارسة حريته السياسية . ولهذا فاننى حريص على ان يكون التحالف اطارا صحيحا للوحدة الوطنية نعبر من داخله كل قوى التحالف عن مصالحها المشروعة وعن آرائها » .

وهكذا تؤكد ورقة اكتوبر على اهمية التحالف وتطرح فى الوقت ذاته للبحث والمناقشة شكل هذا التحالف واسلوب عمله وقواعد تنظيمه التى تجعل منه حقا **« بوتقة للحوار تنصهر فيها الافكار المتعارضة وتتبلور الاتجاهات التى تعبر بحق عما تريده القاعدة الشعبية العريضة »** . والاصرار على مفهوم التحالف ليس جمودا عندما ارتضته الجماهير لدى وضع الميثاق عن طريق المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، ثم اكدته عند الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس ثم عادت فأجمعت عليه فى مايو الماضى عند الاستفتاء على ورقة اكتوبر . وهو ليس ايضا مصادرة على حق هذه الجماهير ذاتها فى تبنى مفهوم آخر فى مرحلة مقبلة من مراحل تقدم العمل الوطنى . وانما يستند هذا الاصرار على تحليل موضوعى لمقتضيات المرحلة الراهنة من حياة شعبنا . ولابد فى هذا الصدد من ابراز بعض الاعتبارات الهامة :

اعتبارات هامة

■■ **اولا** : ان البلاد التى عانت من سيطرة الاستعمار واعوانه من القوى الرجعية تجمع فيها الغالبية العظمى من المواطنين — بالرغم مما يفصل بين طبقاتهم وفئاتهم الاجتماعية من مصالح متعارضة احيانا — على هدف اساسى هو تحرير البلاد وتطويرها

ومن ثم تصبح الوحدة الوطنية اطارا حتميا لنجاح العمل الوطنى .

انه هدف وطنى عام يسبق أى أهداف طبقية او فئوية ، ينبغى ان تحشد خلفه كل الجهود بالاسبقية على غيره من الاهداف ، كما ان احراز التقدم على طريق تحقيق هذا الهدف الاكبر رهن بتحقيق هذا الحشد على افضل صورة ، وتاريخ شعبنا النضالى يؤكد هذه التجربة الانسانية الهامة بشكل واضح.

فالحركة العرابية ، ثم الحزب الوطنى فى مطلع القرن ، ثم الوفد المصرى لدى تكوينه ، ثم ثورة ٢٣ يوليو بعد أن اتضحت أهدافها ، كانت كلها تعبر عن الوحدة الوطنية فى الظروف التاريخية التى تكونت فيها وتحت القيادات التى فرضتها تلك الظروف ، وبالمحتوى الاجتماعى الذى يلائم طبيعة العصر .

وطريق الوحدة الوطنية يختلف من بلد لاخر . ففى البلاد التى تكونت فيها تاريخيا احزاب وطنية وتقدمية ذات طابع جماهيرى واضح ، وماض نضالى مشرف ، يمكن لهذه البلاد ان تسلك طريق تجمع هذه الاحزاب فى جبهة وطنية ، اما فى ظل الواقع المصرى الذى واجهته ثورة ٢٣ يوليو فقد كانت الاحزاب التقليدية بعيدة عن امانى الجماهير وآمالها ، وتورطت بدرجات متفاوتة فى التعاون مع الاستعمار والاقطاع والرأسمالية المستغلة مما افقدها قواعدها الشعبية .

ومن ناحية اخرى لم تنشأ فى مصر أحزاب وطنية قوية ، وكان من العبث عندئذ ان نفكر اولا فى خلق هذه الاحزاب ابتداء لنجمعها فيما بعد فى جبهة واحدة بل ان المنطق ان نتجه مباشرة نحو صورة متقدمة من التنظيم السياسى تحقق هذه الوحدة الوطنية دون أن نغفل حقيقة ان هذه الوحدة لا تصفى تلقائيا كل الاوضاع الاجتماعية القائمة ، وانما يرتهن نجاحها بأخذ هذه الاوضاع بعين الاعتبار .

ومن هنا كان تحديد القوى الاجتماعية التى يتكون منها التحالف تحديدا واضحا والحرص على ان يكون لكل منها دوره المعلوم داخل التحالف حتى لا تطغى عليه احدى القوى وتحوله فى الواقع الى حزب لها . ولقد كان نصب اعيننا ونحن نضع صيغة التحالف حقيقة هى ان التجارب السابقة للوحدة الوطنية كان من اسباب اخفاقها سيطرة طبقة معينة على كل منها ، وبالذات حرمان القاعدة الشعبية العريضة من ان يكون لها صوت مسموع فى قيادتها .

الاستقلال الاقتصادى

■■ **ثانيا** : ان هدفنا الوطنى الذى لانزاع فيه هو الاستقلال الحقيقى . وانه لمن معالم نضج الحركة الوطنية لشعبنا ادراك القيادة والجماهير ان هذا الاستقلال لا يتحقق بمجرد طرد المحتل الاجنبى ، بل ان الاستقلال السياسى يكتسب كل اهميته من حيث انه يفتح الطريق نحو الاستقلال الاقتصادى الذى ينبغى ان نناضل من اجله .

فكما ان حقيقة الاستعمار الاخيرة هى انه استغلال اقتصادى ، فان التحرر الحقيقى هو التحرر الاقتصادى ، ولكن الاستقلال الاقتصادى لا يتحقق باعلان سياسى او باتفاقية او معاهدة ، وانما هو نضال طويل وشاق لتصفية التخلف وتحقيق التنمية الشاملة .

ولكل هذا فان الثورة الوطنية لاتكون قد انجزت مهامها الا حين تصفى التخلف وتصل بالبلاد الى مستوى الدول المتقدمة وطوال هذه المرحلة لابد من الحفاظ على الوحدة الوطنية لا نستبعد منها الا من يفصل نفسه عنها برفضه لاهدافها التى ترتضيها الغالبية العظمى .

وبعبارة أخرى يكون استمرار الثورة فى مرحلة البناء والتقدم هو السند الحقيقى للتمسك بفكرة التحالف على اساس انه صورة مثلى لوحدة القوى الوطنية فى هذه الظروف المحددة لنضال الشعب المصرى .

■■ **ثالثا** : ان طريق التقدم والتنمية فى عالم اليوم ، وفى ظروف شعب مثلنا كثير العدد محدود الموارد الطبيعية لايمكن الا ان يكون طريقا اشتراكيا ، فالدول الرأسمالية الكبرى قد تطورت فى ظروف تاريخية يستحيل تكرارها ،

كانت تحتكر الثورة الصناعية الوليدة وتسبق بها العالم ، وكانت تفرض على شعوبها ظروف استغلال مرهقة ،وكانت تنهب شعوب القارات الاخرى لتستخدم ثرواتها فى تحقيق الرخاء والتقدم عندها . والدول التى حباها الله بموارد طبيعية ضخمة مع قلة فى عدد السكان، يمكن ان توفر لمواطنيها الكثير من الخدمات المتقدمة فى اطار اوضاع تقليدية . اما نحن فاننا نناضل من أجل التنمية ، وقد سبقتنا اليها شعوب كثيرة ، وفى عصر يستحيل فيه تشغيل العمال ١٤ او ١٥ ساعة كما كانت الحال فى أنجلترا فى فجر الثورة الصناعية .

وليس من طبيعتنا ولا بمقدورنا ان نستغل شعوبا اخرى . ولهذا فلا مفر من ان تتصدى الدولة لقضية التنمية ، وان يقودها القطاع العام ،وان نخطط لها تخطيطا علميا سليما يمكننا من كسب السباق مع الزمن ، وان نعمل بالكفاية والعدل على تذويب الفوارق بين الطبقات بحيث تحس الغالبية العظمى من المواطنين انهم لا يصنعون فقط التنمية ولكنهم يجنون ثمارها .

من هنا كان حديثنا عن حتمية الحل الاشتراكى ..

ومن هنا كان سعينا لرسم معالم طريقنا الاشتراكى من وحى واقعنا مستلهمين قيمنا الروحية والاخلاقية التى تمجد التكافل الاجتماعى وترفض الاستغلال وتنبذ الانانية والحقد .

ولهذا كانت صورة الوحدة الوطنية التى تلائم هذه المرحلة من عملنا الوطنى هى صورة تحالف قوى الشعب العامل ، كل القوى التى تعمل على زيادة الانتاج والتى تقبل تصفية الاستغلال فضلا عن رفضها للتبعية او الخضوع للاستعمار وهكذا يتضح ان مفهوم تحالف قوى الشعب العامل لم يكن وليد فكر مجرد ، بل نبع من الواقع وضروراته ولم يكن نقلا عن هذه التجربة او تلك ، وانما جاء استلهاما للمقتضيات الموضوعية لتقدم مجتمعنا . انه حقا مفهوم اصيل وضرورى فى الوقت ذاته .

■■ **رابعا** : ان الوحدة الوطنية لا تنفى اختلاف المصالح بين قوى التحالف .. كما انها لا يمكن ان تعنى صب كل المواطنين فى قالب فكرى واحد بحيث لا يختلف اثنان فى رأى . وانكار هذه الحقائق الموضوعية لا يدعم الوحدة الوطنية بحال ، بل انه سينسفها نسفا لانه لا يمكن الا ان يفضى الى تغليب مصالح فئة معينة وفرضها لارائها على بقية الفئات ، وعندئذ يكون رد الفعل الطبيعى لدى الفئات مهضومة الحق [illegible] الصوت هو موقفا سلبيا من التحالف قد يصل الى حد تكوين تنظيمات خارجة .

وهكذا من حيث يريد البعض بحسن نية صيانة الوحدة يهزون اسسها هزا عنيفا ، وانما تكون صيانة الوحدة الوطنية بالتسليم بأمور ثلاثة والعمل من خلالها :

① ان هناك مصالح وطنية مشتركة يجب تغليبها على غيرها والعمل على تحقيق الاجماع حولها .

② ان القوى المختلفة التى تكون التحالف تقر بما بينها من اختلاف فى المصالح قد يصل الى حد التعارض ، ولكنها تجمع على أمر جوهرى هو التزامها بمعالجة كل الاختلافات وحل كل المتناقضات بالطرق السلمية وفى اطار صيانة مبدأ التحالف .

③ ان حرية الرأى داخل التحالف هى البديل الوحيد لابداء الرأى خارجه ، وهى الاسلوب الرشيد للاجتهاد فى بحث الحلول الكفيلة بتحقيق المصالح المشتركة والمواجهة الصحية للمصالح المتعارضة.

ديمقراطية التحالف

ان التحالف يمكن ان يندعم ويتقدم اذا ادركنا هذه الحقائق الموضوعية وسلمنا بها فى صراحة وعالجناها العلاج الديموقراطى ، فالتحالف اما ان يكون ديموقراطيا ، واما ان لا يكون تحالفا اصلا .

ولقد قلت ان التحالف هو اطار لممارسة الديموقراطية السياسية ، فكيف يتأتى له ان يكون كذلك اذا افتقدت الديمقراطية داخله » .

■■ **خامسا** : ومن وحى المعانى السابقة كان تقرير الوضع الخاص للفلاحين والعمال داخل التحالف .

ان الفلاحين والعمال هم الاغلبية الكبرى من ابناء هذا الشعب ، وهم الذين طال حرمانهم قبل الثورة ، وهم اصحاب مصلحة اكيدة فى تقدمها ، ولكن العلاقات الاجتماعية بالرغم من كل ما ادخلته عليها الثورة من تعديل جوهرى لو تركت وشأنها لانخفض صوت العمال والفلاحين داخل التحالف ، فالمثقفون والرأسمالية الوطنية لهم دراية بالعمل السياسى وقدرة على ابداء الرأى ومعرفة بادارة الانتخابات ، ولو تركت الامور دون تحديد لانكمش تمثيل العمال والفلاحين وهم الاغلبية .

ومن هنا كان نص الميثاق الذى اكده نص الدستور ثم ورقة اكتوبر من ضرورة ان يكون لممثلى الفلاحين والعمال ٥٠٪ على الاقل فى كل مستويات الاتحاد الاشتراكى .

وهذا المبدأ تطبيق صادق للديموقراطية لان الفلاحين والعمال يمثلون عدديا النسبة الكبرى من السكان . وهو ضرورة اجتماعية يمليها الحرص على الوحدة الوطنية وحماية البلاد من صراع طبقى دموى عنيف .

صيغة التحالف ثمرة فهم للتاريخ

وهذه الاعتبارات كلها تؤكد بما لايدع مجالا للشك ان صيغة تحالف قوى الشعب العامل ليست صيغة مفتعلة ، ولا كان القصد منها التفرد بشكل للعمل السياسى نتميز به عن غيرنا من الشعوب وانما هى ثمرة فهم عميق لتاريخ الحركة الوطنية المصرية ، وتحليل صادق لطبيعة المرحلة التى نعيشها .

ولكن الحقيقة التى لاجدال فيها هى ان مفهوم التحالف بالشكل الذى حدده الميثاق مفهوم جديد تماما لم تسبق تجربته فى بلادنا او فى الخارج ، تماما كما جاءت ثورة ٢٣ يوليو من حيث اسلوبها فى تغيير السلطة ثم المجتمع ، ومن حيث الطلائع التى قامت بها تجربة جديدة الهمت تجارب اخرى . ومن شأن كل جديد ان يتعرض للصواب والخطأ . ولقد كان صمام الامان الذى حال دون اى انحراف ودون ان يجرف التيار بعيدا عن مجراها الاصيل هو الالتصاق بالجماهير الشعبية والحرص على مصالحها والاستناد اليها واستلهام تطلعاتها ، واذا كانت تلك الجماهير قد تقبلت مفهوم التحالف وحرصت عليه رغم كل مظاهر القصور ، **فان نجاح هذا المفهوم فى التطبيق رهن بالارتباط الوثيق بالجماهير والتمسك بحقها الاساسى فى الديموقراطية .**

ولقد اخذنا انفسنا بعد حرب اكتوبر المجيدة بمنهج اعادة النظر والتقييم فى كل مظاهر حياتنا وكل نواحى العمل الوطنى ، ورسمت ورقة اكتوبر معالم الطريق الذى نسير عليه بما يبدد كل لبس او غموض او بلبلة يمكن ان تطفو على السطح فى مراحل التقييم واعادة النظر ..

وبنفس هذه الروح البناءة يجب ان نعكف — بعد ان اكدنا الجوهر وهو مفهوم التحالف — على الشكل وهو التنظيم السياسى ..

علينا ان ندرس التجربة كاملة وفى موضوعية وصراحة وان نضع ايدينا على مواطن الخطأ ونواحى القصور فى ممارستنا للتحالف عن طريق التنظيمات المتتالية للاتحاد الاشتراكى العربى ، وعلينا كذلك ان نكتشف اشكال التنظيم واساليب العمل التى تجعل من الاتحاد

الاشتراكي تحالفا حقيقيا يرتكز اليه نظامنا السياسي ، واداة صادقة للتعبير عن ارادة الجماهير وعامل دفع لحركة العمل الوطني نحو التقدم وكما تقول ورقة اكتوبر :

« ان حرب اكتوبر وما ظهر فيها من بطولات وما تأكد خلالها من معان وما برز اثناءها من قيادات شابة ، يجب ان تنعكس روحها على بنيان التنظيم السياسي وحركته » ..

تقييم لتجـــربة

الاتحاد الاشتراكي العربي

لقد كان اهتمام شعبنا بالاتحاد الاشتراكي العربي اكبر دليل على تقبل الجماهير لفكرة التحالف تقبلا ايجابيا وحرصها على نجاحها ، وليس ادل على ذلك من المناقشات المستمرة ، والتي كانت تشتد بصفة دورية ؛ حول تنظيم الاتحاد الاشتراكي واسلوب عمله .. وقد درست قيادات الاتحاد الاشتراكي نفسه في عدة مناسبات عيوب العمل وطرق تطويره كما تصدى عدد كبير من الكتاب والمفكرين للموضوع بالبحث والدراسة ، ولا شك ان حصيلة هذا كله لابد ان تسهم في بيان اسباب القصور وكشف طرق التطوير .

واذا كان المقام مقام تقييم ، فان الانصاف يقتضي ان نقرر بادئ ذي بدء ان تجربة الاتحاد الاشتراكي لم تكن سلبية خالصة .

ان مما يعيب طريقتنا في معالجة كثير من قضايانا هو التبسيط في الامور او التسرع الى الحكم والنظر الى جانب واحد من الصورة ، فاذا كان الجانب المشرق اسرفنا في التمجيد ، واذا كان الجانب السلبي اسرفنا في النقد حتى لا نرى الا نقصا ..

ويجب ان نسلم بامانة بان مجرد وجود الاتحاد الاشتراكي العربي كان تعبيرا عن تمسكنا بوحدة قوى الشعب العامل ، وحرصنا على تطوير مجتمعنا سلميا ، وفي اطار الوحدة الوطنية ، ومهما يكن من مستوى عمل الاتحاد الاشتراكي ، فانه قد طرح على الجماهير قضية التحول الاشتراكي وقضية طريقنا الخاص اليه ، كما ان عددا لا يستهان به من المواطنين قد تدرب داخله على طرح القضايا العامة ومناقشتها ، واخيرا فقد اسهم الاتحاد الاشتراكي في شرح الخطوط الاساسية لسياستنا الوطنية ، وفي ايصال عدد من تطلعات الجماهير الى القيادة السياسية ، كما اسهم بنجاح في الحشد والاعداد للمعركة واثناء القتال .

وعلينا في النهاية ان ندرك حقيقة ان بناء تنظيم سياسي من موقع السلطة امر صعب ، فالتنظيمات السياسية تنشأ من أجل الاستيلاء على السلطة ، ويكون النضال من أجل هذا الهدف وما يحتمه من تضحيات هو مقياس جدية الاعضاء ونضاليتهم . اما في حالة بناء التنظيم بعد حل قضية السلطة ، فانه من الطبيعي ان يتوافد اليه عدد كبير من الراغبين في الاستفادة من تلك السلطة .

ولكن وبالرغم من كل ذلك ، فان نفس الامانة ، والشعور بالمسئولية ، والرغبة في دعم وتطوير العمل الوطني تقتضي ان نسلط الاضواء في غير مداراة على العيوب والمعوقات التي جعلت التنظيم السياسي يقصر عن ان يكون صورة حية ونابضة لتحالف قوى الشعب العامل ، واطارا صحيا لحركتهما السياسية الايجابية ، واداة فعالة بيدها لكشف طرق التقدم .

العيوب والمعوقات

وفي اعتقادي ان كل تلك العيوب والمعوقات ترجع في النهاية الى امور ثلاثة :

- **الاول : هو اسلوب** تحقيق التجمع الكبير الذي يجب ان يكون حقيقة تنظيم سياسي يمثل هذا التحالف الواسع .

- **الثاني :** هو الخلط بين أسلوب الحزب الواحد ، وأسلوب التحالف .

- **الثالث :** هو علاقة التنظيم السياسي بالسلطة .

واذا اردنا تفصيل هذا الاجمال ، فانه لابد من التعرض للقضايا الآتية :

١ — مفهوم العضوية

يقوم الاتحاد الاشتراكي من الناحية الرسمية على اساس العضوية الاختيارية وقد عبرت الجماهير عن حماستها لعضويته في أكثر من مناسبة : ولاسيما لدى تكوينه ثم لدى اعادة تكوينه سنة ١٩٦٨ . ومن الطبيعي والمنطقي أن يفتح الاتحاد الاشتراكي ابوابه لكل من يلتزم بمواثيق الثورة ويريد ان يشتغل بالعمل السياسي ، بحيث يبلغ رقم العضوية الملايين ، بل انه يجب ان يكون من اهدافنا الاساسية اتساع قاعدة العضوية

فالتنظيم السياسي هو اطار حركة الجماهير السياسية .

فالمواطن الذي ينضم للاتحاد الاشتراكي هو الذي يشتغل بالقضايا العامة ويريد الاسهام ايجابيا في نضال المجتمع من اجل التقدم ، ولذلك فانه كلما زاد اعضاء الاتحاد الاشتراكي ، كان ذلك ظاهرة صحية تتحقق على حساب السلبية والانانية واللامبالاة ، ويبقى بعد ذلك ان الامر الهام هو ان يتقدم المواطن على طلب عضوية الاتحاد الاشتراكي لرغبته في العمل السياسي واقتناعه بان الاتحاد الاشتراكي يتيح له هذه الفرصة ، والا كانت الملايين التي يضمها الاتحاد الاشتراكي حشدا على الورق لا يعكس حالة تعبئة حقيقية بين الجماهير .

ولقد اشرت الى ان التنظيم السياسي الذي يبنى من موقع السلطة من شأنه ان يجتذب عناصر نفعية او انتهازية وهؤلاء هم الاكثر ، عناصر ترى في الانضمام الى التنظيم مجرد تعبير عن تأييدها للنظام القائم دون رغبة حقيقية في التصدي للعمل العام والاسهام في حل قضايا المجتمع . ولقد اضفنا الى هذا المحذور الذي يكمن في طبيعة الاشياء ، محذورا آخر اشد خطرا ، فنصت كثير من القوانين على ان اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكي ، ليس فقط لممارسة العمل السياسي وانما لممارسة العمل النقابي في التنظيمات النقابية ، والعمل الاجتماعي في الهيئات والجمعيات والنوادي ، وفي الحركة التعاونية . الخ بحيث اصبحت بطاقة العضوية في الاتحاد الاشتراكي لا تطلب في احوال كثيرة لذاتها ، وانما لانها وسيلة لابد منها للاشتغال بانشطة اخرى . وقد ترتب على ذلك تضخم مفتعل في عضوية الاتحاد الاشتراكي ، تقابله في العمل اهمال لهذه العضوية العاملة بحيث اقتصر نشاط الاتحاد الاشتراكي واقعيا وفي افضل الظروف على اعضاء لجان الوحدات الاساسية . اما القاعدة العريضة التي تضمها مؤتمرات الوحدات فلم يكن دورها يظهر الا بمناسبة الانتخابات ، والاخطر من هذا هو ان العضوية الشاملة على هذا النحو حرمت الاتحاد الاشتراكي من ممارسة اول واجبات اى تنظيم سياسي الا وهي الدعوة الى الانضمام اليه واجتذاب القيادات الجماهيرية التلقائية الى عضويته .

واخيرا ، وقبل ان اترك نقطة العضوية ، لابد من الاشارة الى اسلوب ترضية مراكز القوى الا وهو سلب المواطن من عضوية الاتحاد الاشتراكي كوسيلة للاضرار به وحرمانه من نشاط نقابي أو تعاوني أو اجتماعي وما صاحب ذلك من اجراءات تخالف شرعية التنظيم

فكثيرا ماكان عضو الاتحاد الاشتراكي يكتشف فجأة انه ليس عضوا ، اما لان مراكز القوى لا ترضى عنه ، واما حتى

لاسباب شخصية ، ثم شملت الاجراءات الاستثنائية حتى الى داخل التنظيم السياسى ، واصبح عضو التنظيم يفقد عضويته بناء على « تقارير » من اجهزة او افراد دون ان تكون له فرصة الدفاع عن نفسه » .

عيوب الحشد والتضييق معا

وهكذا جمعت العضوية بين عيوب الحشد الشكلى وعيوب التضييق فى العضوية التى تسير عليها الاحزاب فى نظام الحزب الواحد .

٢ ـ غلبة مفهوم الحزب الواحد

والواقع ان اخطر ما اصاب تجربة الاتحاد الاشتراكى هو سيطرة مفهوم الحزب الواحد ابتداء من تجربة المكاتب التنفيذية . فقد نجحت مراكز القوى عن هذا الطريق فى ان تفرض على الاتحاد الاشتراكى ، وهو التحالف ، نقيضه تماما وهو نظام الحزب الواحد . وحين ضجت الجماهير من هذه التجربة وطالبت بالتغيير ، فجاء بيان ٣٠ مارس داعيا لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة بالانتخاب الحر ، تمكنت مراكز القوى باستخدام ما كان يسمى « **بالتنظيم الطليعى** » وباجهزة الدولة مستفيدة من الثغرات التى وضعتها فى قانون الاتحاد الاشتراكى لتسيطر تماما على اختيار القيادات ، ثم عملت على توجيه تلك القيادات بالامر بدعوى الالتزام التنظيمى حتى جعلت من التنظيم السياسى اداة لتحقيق اطماعها بدلا من ان يكون اداة للتعبير الحر عن ارادة الجماهير .

ان الحزب بطبيعته لابد ان يمثل مصالح اجتماعية ضيقة ، ولذلك فان فرض نظام الحزب الواحد على الاتحاد الاشتراكى ، ايا كانت الصورة التى يتم بها هذا الفرض ، لابد ان يفضى الى سيطرة فئة معينة من قوى التحالف على التنظيم كله ، وبالتالى نسف فكرة التحالف من اساسها . وقد جاءت حركة التصحيح لضربت هذه المحاولة وصفتها ولكن التجربة تركت بعض آثارها التى تتمثل بنوع خاص فى الامور التالية :

أولا : الشكل التنظيمى

فالقانون الحالى للاتحاد الاشتراكى بعد ان يقر بالعضوية الواسعة فى القاعدة يرتب هرما متصاعدا من المستويات القيادية تمثه اللجنة التنفيذية العليا ، وهذا البناء التنظيمى تم انتخاب اعضائه من قاعدة ضيقة للغاية هى مندوبو الوحدات الاساسية فى مؤتمرات الاقسام والمراكز والبنادر . ومن المعروف انه كلما اتسعت قاعدة الانتخاب وقلت درجاته ، كان اكثر ديمقراطية لانه يتعذر عندئذ التأثير فى الناخبين او توجيه اصواتهم . ونحت شعار اختيار القيادات من اكثر العناصر « التزاما بالخط السياسى » كثيرا ما نقع فى محظور تشجيع انتخاب اكثر العناصر ارتباطا باصحاب النفوذ ، وعلى اية حال اقلها ايجابية فى العمل السياسى . ويقوم بناء التنظيم على مبدا خضوع المستوى الادنى للمستوى الاعلى مما يفضى فى النهاية الى تركز الامور كلها فى يد اللجنة التنفيذية العليا ومن يدور فى فلكها ، كما انه يقرر مبدأ التزام الاقلية بالدفاع عن رأى الاغلبية ، وهذا امر قد يكون ضروريا فى حزب واحد يريد ان يواجه الجماهير دائما برأى موحد فى كل كبيرة وصغيرة فيتيح المناقشة فى داخله ويحظر خروجها الى الناس . ولكن هذا امر غريب تماما عن تحالف يفترض فيه بالضرورة اختلاف المصالح وتنوع الاراء وما يترتب عليه من ضرورة التعرف على كل تلك الاراء واخذها فى الاعتبار وفقا لما لكل منها من وزن بين اعضاء التنظيم السياسى .

ثانيا : مفهوم الالتزام

ومن الاثار التى خلفتها مراكز القوى مفهوم التزام عضو الاتحاد الاشتراكى فى كل الامور بما يصدر عن المستويات القيادية . وهذا المفهوم يعنى ـ اذا نشطت تلك المستويات ـ وضع عضو الاتحاد الاشتراكى فى صراع مستمر بين رأيه الخاص والرأى الذى يهبط عليه من أعلى . اما اذا لم تنشط المستويات القيادية « لتنزل التوجيهات » فان الحياة السياسية تختفى تماما من القاعدة التى اما ان تتجمد تماما واما ان تتحول الى مكاتب تسجيل للمطالب الفئوية والجزئية التى تطرح بعيدا عن الاطار السياسى العام فتتسم احيانا بالمغالاة وعدم تقدير ظروف الوطن او تعبر احيانا اخرى عن مصالح بعض الفئات ولو كان فيها اضرار بمصالح فئات اخرى من قوى التحالف .

ان الالتزام الاساسى لعضو الاتحاد الاشتراكى هو الالتزام بمواثيق الثورة وبفكرة التحالف وحل التناقضات الاجتماعية حلا سلميا والالتزام بالوحدة الوطنية فى اطار المسيرة نحو التقدم.

اما القضايا الخلافية التى تحتمل الاجتهاد فلا مصادرة للرأى فيها . فاذا ما طرحت قضية على التنظيم كله وبرز من خلال المناقشات اتجاه تتبناه اغلبية واضحة كان على الجميع احترام هذا الاتجاه وتنفيذه دون ان يتخلى العضو فى سبيل ذلك عن رايه الخاص .

ان عضو الاتحاد الاشتراكى مطالب باسم الديموقراطية ان ينحنى لراى الاغلبية ، ولكنه غير مطالب ابدا بان يترك رأيه على غير اقتناع .

ثالثا : العلاقة بالتنظيمات الجماهيرية

وقد سرت فكرة الحزب الواحد لتنال من علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات الجماهيرية . فقد استقر الحال على القول بانها تنظيمات مساعدة للاتحاد الاشتراكى ، وقد ترتب على ذلك اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى قياداتها ، كما أدى هذا الفهم الى التدخل فى حرية انتخاب تلك القيادات ، بل والتدخل فى مسيرة تلك التنظيمات بفرض اتجاهات معينة عليها ...

ان الاتحاد الاشتراكى لا يمكن ان يغفل التنظيمات الجماهيرية النقابية والتعاونية والشبابية والطلابية والنسائية ... الخ بل ان واجبه هو دعم نموها الطبيعى وازدهار نشاطها والتنسيق معها واجتذابها سياسيا للعمل معه بوصفه الوعاء الاكبر وليس عن طريق الفرض او الاكراه .

٣ ـ علاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة

هنا ايضا عرف الاتحاد الاشتراكى مفهومين كلاهما خاطىء ، المفهوم الاول هو ما اسماه البعض «الاتحاد الاشتراكى جهاز السلطة » اى ان مهمة الاتحاد الاشتراكى شرح وتفسير وتبرير كل ما تتخذه الحكومة من اجراءات .

والثانى وقد اسماه بعض من روجوا له « الاتحاد الاشتراكى جهاز الشعب» اى ان مهمته هو تجميع رغبات الجماهير والدفاع عنها فى مواجهة الحكومة .

والمفهوم الاول يفرغ التنظيم السياسى من كل محتوى ويحوله فى الواقع الى مجرد جهاز اعلام يروج لنشاط الحكومة ونحن نريد للاتحاد الاشتراكى ان يكون وعاء حيا لفكر الجماهير وحركتها السياسية تهدى الحكومة بما يتأكد داخله من اتجاهات وتستند اليه فى التوعية بما تنتهى اليه من قرارات ، وتستفيد بما يقدمه لها من انتقادات .

اما المفهوم الثانى فهو يحول التنظيم السياسى عمليا الى حزب معارضة لانه يعنى التصرف كما لو كان بالبلد حزبان احدهما فى الحكم والاخر يعارضه باسم مصالح الجماهير . وتجربتنا تقوم على ان الحكومة يختار اعضاؤها من بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى ، فهى ايضا

تعبر عن سلطة تحالف قوى الشعب العامل .

نتائج تركيز السلطة

وفى ظل نفوذ مراكز القوى نمت فكرة ان الاتحاد الاشتراكى ذاته سلطة بل هو السلطة العليا التى تلتزم بقراراتها السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية. ولما كان بنيان الاتحاد الاشتراكى فى ذلك العهد قد انتهى الى تركيز السلطة داخله فى يد اللجنة التنفيذية العليا ، فان هذا التصور للامور قد ادى الى تركيز كل السلطات فى يد المسيطرين على اللجنة التنفيذية العليا يمارسونها دون مسئولية امام احد ، وفى نطاق من السرية مستعينين بأجهزة الارهاب .

وحتى بعد تصفية مراكز القوى ظل مفهوم السلطة يؤثر فى بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى مما ادخلها فى احيان كثيرة — وخصوصا على المستوى المحلى — فى مواجهات مع القيادات التنفيذية، بل ومع اعضاء مجلس الشعب ..

حقا ان عراقة السلطة فى مصر وحداثة العهد بالتنظيم السياسى تجعل للاولى جاذبية خاصة ، ولكن القيادات الشعبية يجب ان تجد مكانتها فى ثقة الجماهير بها والتفافها حولها لانها تضع نفسها فى خدمة تلك الجماهير وتتفانى فى تنظيمها وتعبئة جهودها وتوجيه حركتها لما فيه مصلحتها ومصلحة الوطن وليس عن طريق فرض رأيها فى أمور ليست من اختصاصاتها وانما هى من اختصاص مؤسسات اخرى لها وجودها القانونى والدستورى الذى يوازن بينها ويخضعها جميعا للمحاسبة عن المسئوليات التى تتولاها . ويقابل هذا الاتجاه شعور لدى بعض القيادات التنفيذية بالضيق بوجود تمثيل شعبى الى جوارها يحاول ان يعبر عن مصالح الجماهير وترى فى وجوده ونشاطه تدخلا فى اعمالها غير مقبول ، علما بأن الديموقراطية التى ندعو لها تفترض ان يتم عمل كل الاجهزة فى وضح النهار وتحت رقابة الجماهير .

ولا شك ان هذه المفاهيم الخاطئة وما تولد عنها من صراعات قد اضرت بالاتحاد الاشتراكى اكثر مما افادته ، وصرفته فى احوال كثيرة عن مهامه الحقيقية .

مقترحات لتطوير الاتحاد وتنشيطه

ان تقييم تجربة الاتحاد الاشتراكى ليس ترفا عقليا ، وانما هو فى المقام الاول عملية سياسية تستهدف اكتشاف الوسائل لتطوير الاتحاد الاشتراكى العربى من حيث التنظيم واسلوب العمل ليتمكن من الاستجابة الكاملة للدور الاساسى الذى يجب ان يؤديه فى حياة البلاد فى مرحلة ما بعد اكتوبر ، مرحلة البناء والتقدم .

مرحلة البناء والتقدم

والنقد دائما سهل وميسور ، وهو حين يتوخى الموضوعية والنظرة الشاملة يلقى الضوء على العيوب والمعوقات ويحللها ويردها الى اسبابها العامة ؛ ولكن كل ذلك على اهميته لايكفى بل لابد من تجاوزه بالجهد الفكرى البناء الذى يطرح الحلول العملية التى تكفل تجاوز اخطاء الماضى . ولقد تعرض الاتحاد الاشتراكى العربى لكثير من النقد حتى لقد انتهى البعض الى التشكيك فى التجربة من اساسها والتخلى ضمنا عن فكرة التحالف بالدعوة الى تكوين الاحزاب ولكن ما اقل ما طرح فى المناقشة من حلول ايجابية .

ان الايمان بالوحدة الوطنية فى اطار تحالف قوى الشعب العامل يفرض علينا الاجتهاد فى تبنى التنظيم السياسى الذى يعبر بحق عن هذا التحالف . والوحدة الوطنية تبقى فكرة مجردة اذا لم تتجسد فى شكل تنظيمى يعمقها ويطورها ويدافع عنها ، كما ان الحرية السياسية التى ندعو لها لا تمارس فى فراغ ، بل لابد لها من اطار يضمن لها المسئولية والفعالية ، فالرأى السياسى لا يكتسب وزنا الا بقدر ما تتبناه الجماهير ، ومن يتعامل مع الجماهير فى اطار منظم يقدر عادة مسئولية ما يطرح عليها من اراء .

لكل ذلك كان تطوير الاتحاد الاشتراكى العربى ضرورة تمليها اعتبارات الوحدة الوطنية وضرورات الديمقراطية السياسية فى الوقت ذاته

اتجاهات التطوير

وفى ضوء ما انتهى اليه تقييم التجربة من تحليل لاسباب القصور والنقص يمكن ان نكتشف اتجاهات التطوير :

أولا : قضايا العضوية

ان الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم السياسى لحركة الجماهير الشعبية .. ولذلك فانه يجب ان يستهدف جذب اوسع الجماهير لعضويته .. ولاشك ان عدد الاعضاء الذين ينجح فى ضمهم مقياس اساسى لنجاح عمله كله ، ولكن ثمة امورا لابد من مراعاتها :

(١) لا يمكن أن يتحقق اتساع قاعدة العضوية عن طريق فرض العضوية على المواطنين بطريق غير مباشر .

ولذلك يجب ان نرد لعضوية الاتحاد الاشتراكى طبيعتها الاصلية كعضوية اختيارية . ولكى يتحقق ذلك لابد من الغاء كل النصوص التى تجعل من عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا لتولى منصب او للترشيح لمسئولية انتخابية اوللتصدى لقيادة العمل النقابى او الاجتماعى .

ان الدستور يقول فى المادة ٤٠ : **«المواطنون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة »**

والآن وقد استقر نظامنا السياسى والاجتماعى ، لم يعد هناك اى مبرر للتمييز بين المواطنين من حيث حرية ممارسة حقوقهم السياسية او النقابية او نشاطهم الاجتماعى . فالقانون ينظم تلك الحقوق والانشطة ، والجماهير كفيلة بحسن اختيار ممثليها .

واذا كنا مؤمنين حقا بالتفاف الجماهير حول مبادىء ٢٣ يوليه وتمسكها بالوحدة الوطنية ، فلابد أن نثق انها كقاعدة عامة لن تنتخب لقيادتها عناصر تعادى هذه المبادىء او تحاول النيل من الوحدة الوطنية . وحتى اذا نجح فى الانتخابات النقابية وما فى حكمها من وقت لآخر عناصر من هذا النوع ، فان الخطر الذى يمثله ذلك اقل بكثير من خطر تصنيف المواطنين الى مواطنين من الدرجة الاولى ومواطنين من الدرجة الثانية . وبالغاء النصوص المشار اليها يتحقق بالاضافة الى ذلك نتيجتين على اعلى قدر من الاهمية :

□ **الاولى** : انه لن يسعى لعضوية الاتحاد الاشتراكى الا الراغب فى الاشتغال بالقضايا العامة الذى يأنس فى نفسه القدرة على العطاء للجماهير ، وليس من يرغب فى السيطرة عليها .

□ **الثانية** ، ان الاتحاد الاشتراكى يصبح مطالبا بالعمل الحثيث على زيادة عدد أعضائه ، ويصبح ضم اعضاء جدد من المقاييس الاساسية لنشاط وحداته ومختلف مستويات تنظيمه .

وبعبارة اخرى نرتقى بنوعية العضوية وبمستوى العمل السياسى فى الوقت ذاته .

العمل السياسى الحقيقى

(٢) ونجاح الاتحاد الاشتراكى فى اجتذاب الاعضاء سيتوقف على مدى احساس العضو بجدوى عضويته وبأمن تلك العضوية ، فالعضوية التى لاتعنى الا حق انتخاب لجنة الوحدة السياسية لا تكفى لاجتذاب العناصر الايجابية ،

وانما يجذب تلك العناصر الى الاتحاد الاشتراكى ان يتيح لها التنظيم فرص عمل سياسى حقيقى يمارسه كل عضو فيه ، وليس المستويات القيادية وحدها يجب ان تعنى العضوية ان لصاحبها اطارا تنظيميا يجتمع فى فترات دورية يناقش فيه ما يشغله من قضايا ويبدى داخله ما يعن له من آراء ، كما ان عليه ان يؤدى اعمالا محددة فى خدمة الجماهير وتعبئتها ، ودعم التنظيم السياسى ..

وعلى ذلك ، فاذا كنا نريد تنظيما سياسيا حيا فلابد من ان نجعل العضوية « العاملة » عاملة بالفعل ، وليست مجرد بطاقة تسدد عنها الاشتراكات من وقت لاخر ، ويرتبط بهذا اوثق الارتباط ان تحيط العضوية بضمانات تنظيمية تحمى العضو من ان يفقدها بسبب رأى ابداه ، او ان يفصل دون تحقيق او مواجهة او حق فى ان يرفع امره الى مستوى اعلى يعيد النظر فيما اتخذ ضده من اجراءات .

ان شرعية التنظيم الداخلية تقابل سيادة القانون فى المجتمع . والتنظيم السياسى الذى يناضل من اجل سيادة القانون لابد ان يبدأ باحترامها فى داخله

العضوية الجماعية

③ وعلينا من ناحية اخرى ان ناخذ بفكرة العضوية الجماعية فى الاتحاد الاشتراكى ، فالتنظيمات الجماهيرية مثل النقابات العمالية والمهنية يمكن ان تنضم بكامل اعضائها .

ان فكرة الوحدة الوطنية كما سبق ان قلت تتحقق عمليا فى البلاد المختلفة بأشكال مختلفة ، ونحن حين فكرنا فى صيغة التحالف ، ولم ناخذ بفكرة الجبهة الوطنية ، كان مرجع ذلك عدم وجود الاحزاب الوطنية الجماهيرية التى يمكن ان تكون الجبهة . ولكن الجبهات الوطنية تضم فى العادة الى جانب الاحزاب التنظيمات الجماهيرية ، ونحن فى مصر لدينا تنظيمات جماهيرية قوية وعريقة واخرى فى مرحلة التكوين والتطور ، ومن الطبيعى ان يكون لهذه التنظيمات حق الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى .

وعضوية التنظيمات الجماهيرية تحل بشكل ديموقراطى مشكلة علاقة الاتحاد الاشتراكى بها ، فبدلا من التدخل فى شئونها او اعتبارها تنظيمات مساعدة او اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى قياداتها ، تشارك تلك التنظيمات فى بناء الاتحاد الاشتراكى وتمثل داخله بقياداتها المنتخبة انتخابا حرا . وهى بذلك تشترك فى اعداد ما يصدره الاتحاد الاشتراكى من قرارات وتوجيهات ولا تتلقاها كأوامر علوية لا تدرى من خلفياتها شيئا .

وبهذا يصبح لدينا فى الاتحاد الاشتراكى نوعان من العضوية :

☐☐ عضوية فردية مباشرة ترتب على من يحملها اعباء ومسئوليات وتوفر له حقوقا وضمانات .

☐☐ وعضوية غير مباشرة تعبر من نفسها داخل الاتحاد من خلال قيادات تنظيماتها المنتخبة ، والتى تمثل فى مستويات التنظيم السياسى المختلفة .

وهذا الحل يؤكد من ناحية اخرى الطابع الجماهيرى الواسع لعضوية الاتحاد ، ويحول دون تحوله الى حزب . ويمكن هنا ان نقرر مبدأ ان كل تنظيم جماهيرى يمارس نشاطا نقابيا او اجتماعيا على المستوى القومى بوسعه ان يطلب الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى . وفى مقدمة تلك التنظيمات النقابات العمالية والمهنية والاتحاد التعاونى المركزى ، ومنظمة الشباب ، والتنظيم النسائى .

ثانيا : تعدد الاتجاهات

ان نفى فكرة الحزب الواحد لا يتأكد الا بالتسليم بتعدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى . لقد حرصنا على تصفية مراكز القوى التى جعلت من التنظيم السياسى جهازا بيروقراطيا لخدمة طموحها للتسلط ، ونحن نرفض - كما اكدت فى اكثر من مناسبة - ان تسيطر على الاتحاد الاشتراكى فئة واحدة من قوى الشعب العامل ، لان مثل هذه السيطرة تحوله عمليا الى حزب فى خدمة تلك الفئة . وتعدد القوى الاجتماعية التى يتكون منها التحالف لابد ان ينعكس فى تنوع الاتجاهات التى تظهر فى الاتحاد الاشتراكى والا كف التنظيم السياسى عن ان يمثل حقيقة التحالف . والامر هنا لا يقتصر على مجرد حرية الاراء الفردية التى تضيع فى خضم المناقشات ، وانما يجب ان يتولد لدى كل من قوى التحالف الاحساس الصادق بأن صوتها مسموع داخله ، ولكننا فى المقابل لا نريد ان يكون الاتحاد الاشتراكى حلبة صراع حاد بين المصالح الضيقة لقوى اجتماعية متناقضة ، وانما نريده ان يكون بوتقة حوار تنصهر فيها الافكار المتعارضة ، وتتبلور الاتجاهات التى تعبر بحق عما تريده القاعدة الشعبية العريضة .

وبعبارة اخرى لا نريد ان يكون وجود قوى التحالف فى اطار تنظيم سياسى واحد مجرد تواجد مع انغلاق كل قوة على نفسها ولكننا نريده ان يكون تفاعلا حيا بين اعضاء التنظيم المنتمين الى تلك القوى يؤدى الى ظهور اتجاهات واضحة حول المسائل الخلافية .

ان بعثرة الاراء الفردية تسلب التنظيم دوره فى تحديد اتجاهات الاعضاء وتجعله يقنع فى هذا المجال بما يسمى بتقارير « الرأى العام » . وتحديد الاراء على اساس فئوى محض لابد ان يفضى الى تغليب نقاط الخلاف على نقاط الالتقاء ، وتغليب المصالح الفئوية على المصالح الوطنية المشتركة .

والعمل السياسى الجاد هو الذى ينظم المناقشات ويضمن للاراء حرية التداول داخل التنظيم ويبرز نقاط الاتفاق ، ثم يبلور الاتجاهات حول نقاط الخلاف ، ثم ينجح فى بيان اى الاتجاهات يحظى بتأييد اغلبية الاعضاء .

اننا بهذا وحده نخرج التنظيم السياسى جذريا من سلبيات الماضى وجموده وندفع بالحياة فيه دفعا . ونرد اليه مفهومه الاصيل كاطار للتحالف. وبهذا وحده يمكن ان ناتى بالجديد من حيث تطوير الاتحاد الاشتراكى وتنشيطه

شروط الحوار الديمقراطى

ولممارسة الحوار الديمقراطى الذى يبلور الاتجاهات داخل التنظيم السياسى لابد من مراعاة الامور التالية :

① ان عضو الاتحاد الاشتراكى مواطن ملتزم . فحرية الرأى وتكوين الاتجاهات لا يعنى تحويل التنظيم السياسى الى ندوة مفتوحة للنقاش الدائم فى كل شىء وفى كل وقت بشكل يصرفه من مهامه الاخرى ويشيع البلبلة اكثر مما يحدد الاتجاهات .

ولكن ما هى حدود التزام العضو ؟ انه بطلبه عضوية الاتحاد الاشتراكى يلتزم اولا بالمبادىء الاساسية لثورة ٢٣ يوليه كما عبرت عنها مواثيقها من ميثاق العمل الوطنى حتى ورقة اكتوبر ، بروح تلك المبادىء واهدافها السامية وليس بحرفية هذا النص او ذاك .

وهو ملتزم ثانيا بالحفاظ على صيغة التحالف ، وبالتالى على وحدة التنظيم السياسى بمعنى الامتناع عن تشكيل اى تنظيم سياسى خارجه .

وهو ملتزم ثالثا بان يسعى دائما لصيانة الوحدة الوطنية عن طريق البحث عن الحلول السلمية لكل مشكلات الصراع الاجتماعى .

وهو ملتزم رابعا باحترام ما ينتهى اليه رأى الاغلبية فى الهيئات القيادية للتنظيم بعد المناقشة الحرة والمنظمة لان رفض رأى الغالبية نفى لجوهر الديموقراطية .

توسيع قاعدة العضوية

② ان من حق كل مواطن يقبل هذا الالتزام ان يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى . ومن ثم لابد ان نسقط كل

الدعاوى التى تؤدى الى تضييق قاعدة العضوية . ان القيادة السياسية تحس بانها تتمتع بثقة شبه اجماعية من المواطنين ، وهى تبادلهم هذه الثقة ، ولذلك فلا معنى لرفض العضويةاومصادرة الراى بدعوى ان هذا المواطن ينتمى تاريخيا لطبقة معينة او لمدرسة فكرية معينة او لاتجاه سياسى معين اننا لايمكن ان نحاسب الناس علىاوضاعلم يكونوا مسئولين عنها ما داموا يلتزمون بخطنا السياسى العام وبما تعنيه عضويةالاتحاد الاشتراكى من واجبات . كما اننا لايمكن ان نزعم ان هذا المواطن من « رجال النظام » وذلك المواطن غريب او دخيل لمجرد ان الثانى حاول ان يحقق اهداف الثـورة بطـرق اخــرى ، قبـل ان يقتنـع بالطـريق الـذى اخترناه ، او يريد ان يدعم اقتناعه بخطنا بأسانيد من فكره الخاص او معتقداته ، ان العمل السياسى لا يمكن ان يزدهر الا اذا تفتح ، ولا يمكن ان يتقدم اذا ساده اى نوع من الارهاب الفكرى او تبادل الاتهامات .

واننى لاطرح هنا بصراحة قضيــة الكلمــات التى يصنف النــاس وفقا لها فهــذا يمينــى ، وذاك يســــارى ، والثالث وسط ونحـو ذلك . اننا يجب الا نخشى الكلمــات ، كمــا اننــا يجب الا نحولها الى قــوالب جامدة يصب فيها الناس على نحو ينــال من الوحــدة الوطنية . فنحن نعلم انه من طبيعة الاشياء ان يختلف النــاس حول القضـــايا الســياسية والاجتماعية . .

فريق يغلب عليه طابع المحافظة ، يخاف الجديد او يستنكره ، ويفضــل السعى الوئيد ..

وفريق آخر يقابله تحركه اساسا الرغبة فى التغيير والتجديد وبخطى واسـعة

وفيما بين الفريقين اغلبية تريد التقدم ولكنها تخشى القفز الى الامام ..

تلك سنة الحياة الاجتماعية ولا يمكن ان يخرج عنها مجتمعنا ، ولذلك فليس غريبا ان تبرز مثل هذه الاتجاهات بصدد كل قضيــة نطرحها للنقاش .

ونحن نحتكم فى هــذا كله للقاعدة الشعبية العريضة فما تقتنع به الاغلبيــة الشعبية هو وحده الممكن التنفيذ ومن يقول بعكس ذلك يدعى لنفسه الوصاية على الجماهير وانه ادرى بمصالحها منها . فاذا استقر هذا الفهمالعلمى للامور ، يجب ان نكف عن استخدام يمينى ويسارى كاتهام ، او لمصادرة رأى بدل مناقشته موضوعيا . ومن ناحية اخرى يجب ان نحدد بوضوح مانرفض وما نقبل فى هذا الاتجــاه .. اننا نرفض بشــدة دعــاوى الثورة المضادة التى تريد تصـفية منجزات الشعب المصرى العظيمة والعودة بــه الى ما قبل سنة ١٩٥٢ ..

ونرفض بنفس الشـدة الدعــاوى اليساريه المغامرة التى تنكر على تلك المنجزات حقيقتها الثورية ، لان تلك الدعاوى تلتقى موضوعيا مع الثورة المضادة فى الرغبة فى ضرب تجربتنا الثورية الناجحة .

اما مادون ذلك فهو من قبيل الاجتهاد الوارد فى داخل اطار الوحدة الوطنية وصيانة المكاسب الثورية . ومن ثم فاننا يجب ان نحـذر من اى اتجــاه يدعو الى استبعاد كل ما يبدو له يمينا او يســــارا ، لان مثــل هذا الاتجاه يحول التنظيم الســياسى الى حـــزب الوسط ، ويحدد محتواه سلبا بانه ما ليس يمينا او يسارا ، فى حين اننا نحدد محتوى التنظيم الســـياسى بانه الحركة المنظمة لكل قوى تحالف الشعب العامل من اجل البناء والتقدم

لا نريد أن نـكون عبــدة للنصوص

③ وقد يقول البعض فيم الخلاف وقد حددت مواثيق الثورة مسارها واكدت الممارسة السياسية معالم هذا المسار ؟ وهذا القول مرفوض لعدة اسباب :

●● اولها : اننا لا نريد ان نكون عبدة للنصوص نحولها الى قيد على الفكر الخلاق .

●● وثانيها : ان حقائق الحيــاة وظروف العمــل الوطنى تتغير باستمرار ولا بد من مواجهة هذا التغير بمجهود فكرى يواكبه ويكتشف الحلول الجديدة التى تلائم الظروف الجديدة .

●● وثالثها : ان المواثيق والممارسة العملية لم تستوعب كل شىء حتى نقفل باب الاجتهاد ونحكم على أنفسنا بالجمود.

وميدان الاجتهاد واســع للبحث عن الحلول الكفيلة بتحقيق المصالح المشتركة لكل قوى التحالف وللمواجهة الصحية للمصالح المتعارضة على نحو يصون التحالف ويدعمه . ان امامنا معركة طويلة وشاقة ، هى معركة تصفية التخلف معركة بناء مصرالعصرية ، معركةالانسان المصرىالعربىالاصيل الذىيعيشفعلا فى الربع الاخير من القرن العشرين .

ان ورقة اكتوبر قد رسمت استراتيجية حضارية شاملة لربع القرن المقبل ، وكل بند جــاء فى تلك الاستراتيجية يستلزم الكثير من الفكر والعمــل ، واننى من موقع القيادة السياسية اومن ايمانا عميقا بأن التقدم لايفرض دائما من اعلى ، بل اننى اثق فى جماهير هذا الشـعب العظيـــم ، واعتبره بحق المعلم والقائد ويهمنى ان اتعرفاولاباول على اتجاهات الرأى بين المواطنين وان يتبلور امامى ما يحظى منها بتأييد الاغلبية .

اننى أريد أن يكون التنظيم السياسى اطارا صحيا لتبادل الرأى فىحرية وبشكل منظم يسفر عن بلورة الاتجاهات وتحديد نصيب كل منها من تأييد الجماهير ولا اريد مجرد اداة لتوصيل توجيهات القيادة الى الجماهير .

ان نجاح القيادة يتأتى — بعد توفيق الله — بهــذا التجاوب العميق بين فكرها وفكر الجماهير .

اصــدار صحيفــة
تحمل آراء الاعضاء

④ وحتى تتبلور الاتجاهات بشكل صحى وبعيدا عن الافتعال لابد من تنظيم لتداول الاراء عبر الاتحاد الاشتراكى كله حتى يستطيع كل اعضاء الاتحاد من خلال مستوياتهم التنظيمية تحديد مواقفهم من مختلف الاراء المطروحة للمناقشة . واول وسيلة لتحقيق ذلك هو اصدار صحيفة لتكون منبرا حرا يجد فيه عضو الاتحاد الاشتراكى السبيل المشروعلطرح رأيه والدفاع عنه ويجد غيره الفرصــة للرد عليه ، وهكذا نضع الاراء تحت نظر كل اعضاء التنظيم ، ولا نحبسها لتجدسبيلهافىمسالكغيرصحيةوبهذا ايضا تزداد حيوية التنظيم ويتدعم احســاس اعضائه باهمية عضويته كسبيل للاسهام فى الحياة السياسية . كما انه يتعين على المستويات القيادية للتنظيم السياسى ان تستخلص من واقع محاضر جلسات المستويات القاعدية التى تثار فى عدة مواقع من التنظيم وان تلخص فى امانة وجهات النظر المختلفة التى تظهر بصددها فاذا رأت ان قضية ما تشغل جزءاكبيرا من التنظيم ، او تمثل فى نظرها اهمية خاصة ، دعت كل قواعد التنظيم لمناقشتها وتحديد موقف منها .

وكقاعدة عامة يجب ان تاخذ قيادة التنظيم المبادرة بطرح قضايا للعملالوطنى الهامة على القواعد لمناقشتها لتهتدى بما تبديه تلك القواعد من آراء .

والشكل الثانى لتداول الاراء داخل التنظيم يتمثل فى التزام كل مستوى تنظيمى لدى مناقشة اى موضوع ان يرفع فى نهاية المناقشــة الى المستوى التالى له تلخيصا للاراء التى انتهت اليها المناقشة ، ونصيب كل رأى منها من الاصوات . ويكتسب هذا الشكل اهميته الكاملة من الاجتماعات الدورية المنتظمة

على مستوى القاعدة . أن مجموع أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى وحدة اساسية او وحدة جماهيرية — او ما يسمى حاليا مؤتمر الوحدة — يجب ان يجتمعوا بصفة دورية منتظمة مرة كل شهر مثلا ، وان يجروا مناقشة جادة فيما يطرح من قضايا وما يثار من مشكلات ، وان تلخص لجنة الوحدة ما تسفر عنه المناقشة من نتائج فى محضر ترفعه الى المستوى الاعلى ، وان يبين هذا المحضر رأى الاغلبية ورأى الاقلية ، وحتى الاراء المنفردة لو تمسك بها اصحابها . ان الانتظام فى اجتماعات القاعدة هو الشكل الاول والبسيط لممارسة العضوية وابداء الرأى فيما هو مطروح للمناقشة والاسهام فى بلورة الاراء المطروحة من خلال المناقشة مدرسة لتدريب الكوادر السياسية .

كما ان اسهام القواعد بشكل فعال هو الضمان لان تكون الاتجاهات التى تتبلور داخل التنظيم السياسى تعبيرا حقيقيا عما يشغل الجماهير وعن آرائها والا يتحول الامر الى صراع شلل فى المستويات القيادية للتنظيم .

وهو كذلك البديل الصحى لما يسمى تقارير « الرأى العام » التى هى فى افضل الاحوال تسجيل لاحاديث عابرة لم تمحصها المناقشة ولم يبلورها تبادل الرأى ، وهى فى أسوأ الاحوال تعبير ذاتى عن رأى كاتبيها ومن يتصل بهم . وحين تتبلور داخل التنظيم السياسى اتجاهات واضحة يتلاقى اصحاب كل اتجاه منها فى عدد كبير من القضايا فانه لابد من مراعاة تمثيلها فى المستويات القيادية بنسبة مالها من تأييد فى قواعد التنظيم .

ان مبدأ سيطرة الاتجاه صاحب الاغلبية على كل مستويات التنظيم مبدأ حزبى تتمسك به بعض الاحزاب فى حين توجد احزاب كثيرة تقرر مبدأ تمثيل الاتجاهات المختلفة فى قياداتها .

والاتحاد الاشتراكى الذى يمثل تحالف قوى الشعب العامل اولى بأن يأخذ بالاسلوب الثانى . وهكذا لا يحس اتجاه له تأييد بين القواعد بأنه مبعد تماما عن المشاركة فى قيادة التنظيم فيفقد شعوره بالانتماء اليه .

مقترحات لبلورة الاتجاهات

تلك فى النهاية هى بعض مقترحات أراها اساسية لعملية بلورة الاتجاهات داخل التنظيم السياسى ، وليس ثمة ما يحول دون ان يهتدى التنظيم نفسه لاشكال اكثر تقدما تؤكد معنى تعدد المنابر داخله فى جو ديموقراطى وبحوار صحى وفى حرص فى نهاية الامر على وحدة التنظيم واحترام لرأى اغلبية القاعدة . وليس فى هذا كله نفى لدور القيادة داخل التنظيم ولكنه تأكيد لمعناها الحقيقى . فالقيادة داخل التنظيم ليست سلطة تمارس من خلال اصدار الاوامر وانما هى قدرة على اقناع الجماهير وكسب ثقتها .

ثالثا : شكل التنظيم

وحتى ينجح اسلوب العمل هذا ، لابد من اعادة النظر فى اشكال التنظيم التى اخذ بها الاتحاد الاشتراكى حتى الان والتى كان يغلب عليها الطابع الحزبى وتضييق الديموقراطية . ويجب فى هذا الصدد مراعاة المبادىء الاتية :

① الاهتمام الخاص بقاعدة التنظيم ، الوحدة الجماهيرية والاساسية . واؤكد مرة اخرى انه من الحيوى ان تكون العضوية العاملة عاملة بالفعل لا تقتصر على حمل البطاقة والمشاركة فى الانتخابات وحجر الزاوية هنا هو تمكين اعضاء الاتحاد الاشتراكى من الممارسة الفعلية والفعالة للعضوية عن طريق انتظام اجتماعات مؤتمر الوحدة بصفة دورية ليس فقط لاجراء المناقشات انما ايضا لتحديد مهام الوحدة فى فترة زمنية معينة وتوزيع التكليفات التنظيمية على الاعضاء ومتابعة تنفيذهم لها وممارسة النقد والنقد الذاتى . وبهذا الشكل نتمكن من ضبط العضوية من خلال الانتظام فى الاجتماعات وتسديد الاشتراكات واداء المهام التنظيمية ، بدلا من الصورة الحالية للحشد الواسع الذى يتم بمناسبة الانتخابات ثم ينفض فلا يترك فى حياة الجماهير اى اثر . اما لجنة الوحدة فهى قيادة يومية لها . وليس هناك قدسية لرقم معين لاعضاء اللجنة ، بل انه من الاوفق ان يتفاوت عددها بين خمسة وخمسة عشر او اكثر على حسب عدد اعضاء الوحدة ، وينعين ان يوزع اعضاء اللجنة فيما بينهم المسئولية على اعضاء الوحدة بحيث يكون كل واحد منهم مسئولا عن عدد من الاعضاء يداوم الاتصال بهم ويلجئون اليه فى كل مايهم التنظيم . واخيرا لابد من تمثيل التنظيمات الجماهيرية حيثما وجدت — ولا سيما الجمعيات التعاونية والنقابات العمالية ومنظمة الشباب والتنظيم النسائى — فى لجنة الوحدة. فهذه المنظمات اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ، وافرادها الذين ليسوا اعضاء بصفتهم الشخصية لايمارسون حق الانتخاب ، ولذلك فانهم يمثلون عن طريق قياداتهم المنتخبة فى تنظيماتهم الجماهيرية . وكل ذلك دون اخلال بمبدأ ٥٠ ٪ للفلاحين والعمال الذى يعتبر دستورا اساسيا للتنظيم السياسى .

② اذا انتقلنا الى مستوى القسم او المركز او البندر ، فلا بد ان نستلهم نفس المبادىء . وتكون نقطة البدء هى مؤتمر القسم او المركز او البندر . وهنا لابد ان يأخذ التنظيم بقاعدة التمثيل النسبى للوحدات الاساسية والجماهيرية فليس من المعقول ان يكون لوحدة بها خمسون عضوا فقط نفس العدد من المندوبين الذى يكون لوحدة عدد اعضائها خمسمائة. ان فكرة التمثيل المتساوى ادخلت فى قانون الاتحاد الاشتراكى بفعل مراكز القوى بهدف اضعاف مركز الوحدات الجماهيرية الكبيرة التى يصعب التأثير على قياداتها وتضخيم دور الوحدات الصغيرة مما ييسر توجيه عمليات الانتخاب للمستويات الاعلى التى تبدأ فى مؤتمر القسم او المركز او البندر . والمبدأ الديموقراطى يقتضى على العكس ان يكون المؤتمر صورة امينة للقاعدة تمثل فيه كل وحدة بنسبة عدد اعضائها .

وهذا المبدأ يحقق فضلا عن ذلك ميزتين :

الاولى : أعطاء وزن خاص للوحدات الجماهيرية الكبيرة التى تتميز عادة بدرجة متقدمة من الوعى ، والثانية : اعطاء حافز لقيادة الوحدات على التجنيد وتنشيط حركة الانضمام للاتحاد الاشتراكى .

ومن ناحية اخرى يجب الا يكون مؤتمر القسم مجرد تجمع انتخابى ينتهى دوره بانتهاء موسم الانتخابات ، بل يجب ان تكون له اجتماعات منتظمة ، مرة كل ثلاثة اشهر مثلا . وفى هذه الاجتماعات يجرى تبادل الخبرة بين مختلف الوحدات وتتم المناقشات فى القضايا العامة والمشتركة وتتبلور الاراء والاتجاهات . كما ان انعقاد المؤتمر يضع لجنة القسم او المركز او البندر موضع المحاسبة عن اعمالها . واعتقد انه من الضرورى ان يشترك فى المؤتمر القيادات المحلية للتنظيمات الجماهيرية وكذلك اعضاء مجلس الشعب حتى تلتقى كل القيادات الشعبية المنتخبة فى صعيد واحد وتتصدى بجهد مشترك ومنسق لقضايا العمل الوطنى فى دائرة القسم او المركز او البندر .

اما لجنة القسم او المركز او البندر فيجب ان تتحول الى قيادة حقيقية ومسئولة عن مجموع اعضاء الاتحاد الاشتراكى التى انتخبت عنهم . وهنا ايضا ليس ثمة ضرورة لتثبيت عدد اعضاء اللجنة فى مختلف الاحوال ، بل يمكن ان يتفاوت بين حد ادنى وحد اعلى على حسب عدد الوحدات الاساسية والجماهيرية وما تمثله من عضوية فى التنظيم . كذلك يجب ان يشترك فى أعمالها أعضاء مجلس الشعب وممثلو التنظيمات الجماهيرية ويتعين على اللجنة

ان توزع على اعضائها مهمة متابعة عمل الوحدات وحضور اجتماعات مؤتمراتها .

فالقيادة لا تمارس من المكاتب ، وانما من خلال التعايش مع الجماهير والمشاركة فى اجتماعاتها التنظيمية ومعاونتها على ادارة المناقشة وبلورة الاراء وحفزها على النهوض بالمهام الملقاة على عاتق التنظيم السياسى .

المؤتمر القومى

أساس التنظيم كله

③ ويبقى بعد ذلك ان المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى هو اساس التنظيم كله . فهو صاحب الراى الاعلى فى كل امور الاتحاد الاشتراكى واعضاؤه هم الذين ينتخبون لجان المحافظات واعضاء اللجنة المركزية . ولذلك فانه ليس من المغالاة فى شىء ان نقول ان صدق تمثيل اعضاء المؤتمر لاتجاهات القاعدة الشعبية ، وجدية اعمال المؤتمر ، وحسن اختياره للقيادات ، كلها امور حاسمة فيما يتعلق بنشاط التنظيم السياسى .

واستلهاما للاتجاهات التى عرضتها فيما سبق ارى ان يشكل المؤتمر الوطنى من نوعين من الاعضاء :

الاول : مندوبون منتخبون مباشرة من مؤتمرات الاقسام والمراكز والبنادر .

والثانى : مندوبون منتخبون بشكل آخر يضفى عليهم تمثيلا جماهيريا واضحا

أما النوع الاول فيجب ان تكون له الاغلبية المطلقة فى المؤتمر لانه يمثل أعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين انضموا اليه انضماما فرديا وأراديا ويناضلون فى صفوفه .

واما النوع الثانى فيشمل اعضاء مجلس الشعب بصفتهم قيادات منتخبة انتخابا مباشرا من الجماهير ، وكذلك قيادات التنظيمات الجماهيرية التى تنشط على المستوى القومى ، لان هذه التنظيمات اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى

واعود مرة اخرى الى المندوبين المنتخبين من مؤتمرات الاقسام والمراكز والبنادر لاؤكد اهمية التمثيل النسبى .

فيجب ان ينتخب كل قسم او مركز او بندر مندوبا عن كل عدد معين من الاعضاء فهذا هو الاسلوب الديمقراطى .وهو كما سبق ان اوضحت يعطى للتنظيمات القاعدية النشيطة وزنها الحقيقى ، ويؤكد لدى الجميع الحافز على زيادة العضوية .

ولست ادرى معنى لحرمان من ينتخب للجنة القسم أو المركز أو البندر من الترشيح لعضوية المؤتمر ، فالمؤتمر ليس هيئة دائمة بل ينعقد فى الاصل كل بضع سنوات ، وليس ثمة معنى لان ينحصر على عضو نشيط فى التنظيم فى حضور دورة للمؤتمر الوطنى . ان هذه القاعدة كان يراد بها اقتسام المراكز وابعاد بعض العناصر غير المرغوب فيها من مراكز القوى عن المؤتمر اذا حرصت على البقاء فى موقع القيادة بين جماهيرها المباشرة . ومن ناحية اخرى لايجوز ان نترك الانتخابات للمؤتمر تتم بطريقة عفوية ، بل لابد من التمهيد لها بأن نطرح القيادة المركزية قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة اشهر بيانا بالمهام التفصيلية التى ترى ان يتولاها الاتحاد الاشتراكى فى الفترة المقبلة ، وان نقدم تقريرا شاملا عن نشاطها منذ آخر مؤتمر وان يطرح ذلك كله للمناقشة فى القواعد بحيث يمكن ان تتبلور اتجاهات سياسية يمكن الانتخاب على اساسها . وعندئذ يأتى المندوب الى المؤتمر مكلفا من اعضاء التنظيم الذين انتخبوه بالدفاع عن وجهات نظر محددة .

ومن ناحية ثالثة يجب ان تتولى لجان المؤتمر جمع حصيلة تلك المناقشات وتمحيصها وبلورتها وتحديد الاتجاهات المختلفة التى برزت بشأنها . وحيث لا يتحقق الاجماع — ولا ضرورة مطلقا للاجماع فى جميع الاحوال — لابد ان يتضمن تقرير كل لجنة راى الاغلبية وراى الاقلية او الاقليات التى اسفرت عنها المناقشة ، ثم تطرح هذه التقارير للبحث والتصويت فى المؤتمر مجتمعا .

فهكذا تكون الجدية فى العمل السياسى وهكذا يمكن التعرف على اتجاهات محدده حول صيغ واضحة بدل الصيغ العامة التى يسهل انعقاد الاجماع الشكلى حولها . وحين يجرى انتخاب لجان المحافظات واللجنة المركزية لابد من مراعاة تمثيل كل الاتجاهات ذات الوزن فى المؤتمر بنسبة ما لها من اصوات فيه . وعلى هذا النحو يحس اعضاء الاتحاد الاشتراكى بأنهم حقا فى تنظيم سياسى جاد وان مصالحهم وآراءهم لاتهدر وانه لا توجد فئة معينة تنفرد بشئون الاتحاد الاشتراكى تصرفها كما تشاء .

رابعا — الجهاز السياسى

لقد جاء بالميثاق انه لابد ان يوجد داخل الاتحاد الاشتراكى جهاز سياسى يضم طلائع قوى الشعب العامل التى تناضل من اجل الاشتراكية .

والفكرة التى تكمن وراء مثل هذا التنظيم هى انه لا يفترض فى تنظيم جماهيرى واسع مثل الاتحاد الاشتراكى ان يتمتع كل اعضائه بنفس المستوى من الوعى والنضالية والتفانى فى العمل السياسى ، وانه من الطبيعى ان تبرز بين اعضائه طلائع تمتاز عن غيرها وتصبح بالضرورة العمود الفقرى للاتحاد الاشتراكى . ولكن التجربة شوهت هذا المفهوم تماما . ففى ظل مراكز القوى تكون ما تسمى « بالتنظيم الطليعى » وكان شأنه عجبا . فهذا تنظيم يريد ان يكون طليعة للجماهير وقيادة لعملها السياسى يتم تكوينه سرا وفى الظلام بعيدا عن رقابة الجماهير ، وبدلا من ان يكون اعضاؤه قيادات اكتسبت ثقة الجماهير واحترامها ، كانوا يختارون على اسس شخصية وفى ضوء تقارير اجهزة الامن وبمراعاة المصالح الشللية ثم يفرضون فرضا كقيادات للاتحاد الاشتراكى بل وفى مواقع العمل التنفيذى والتشريعى وانعدمت الديموقراطية تماما داخل ذلك التنظيم وخضع للتحكم المطلق للمجموعة المسيطرة عليه تمنح عضويته لمن تشاء وتفصل من تشاء وتفرض على الاعضاء احيانا امورا غير مقبولة مثل كتابة التقارير الشهيرة ...

تأجيل قضية الجهاز السياسى

ان التنظيم الطليعى ذا السمعة السيئة كان فى الواقع اداة فى يد مراكز القوى تؤكد بها سيطرتها فى كل المجالات وتعد لاستخدامها فى الانقضاض على السلطة اذا رات ان الوقت قد حان وانني لا اريد ان اطيل فى نبش هذه الجوانب الاليمة التى اساءت الى تجربتنا الثورية . ولكننى اريد ان اخرج منها بدرس اساسى وهو ان الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى لا يخلق من العدم ، ولا يتكون بقرار . ان احدا لا يستطيع ان ينصب شخصا ما قائدا جماهيريا ، ومن ثم فلا بد من تأجيل قضية الجهاز السياسى الى مرحلة مقبلة حين يكون الاتحاد الاشتراكى قد نشط نشاطا واضحا وتصدى لمهام محددة وسجل فيها انجازات ملموسة وبرز من خلال ذلك كله تلك العناصر التى تتحلى بنضالية عالية وتفانى فى خدمة الجماهير وتملك من الوعى ما يمكنها من الابتكار والابداع واستكشاف طرق المستقبل . فهذه العناصر هى التى يجب ان تشكل بطبيعة الحال الطليعة داخل الاتحاد الاشتراكى . وتكون عندئذ طليعة علنية جاءت بثقة الجماهير وتعمل فى وضح النهار وتحت رقابة الناس ، طليعة فى خدمة الجماهير وليست اداة للتسلط عليها . يستثنى من ذلك طلائع المقاومة فى مدن القناة وغيرها والقوات المسلحة .

خامسا — التنظيم السياسى

ومؤسسات الدولة

اعتقد انه قد آن الاوان لكى نطرح جانبا مفهوم ان الاتحاد الاشتراكى سلطة فتلك كانت دعوى مراكز القوى التى تمدت منها ان تسيطر على كل السلطات بطريق خفى وبعيدا عن كل رقابة .

ان كل سلطة لابد ان تكون مسئولة ونحن نعيش الان فى دولة المؤسسات

وتد حدد الدستور السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية والحكم المحلى وبين علاقة الرقابة المتبادلة بينهما وكيف تنتهى جميعا الى الشعب ..

الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا

ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا حتى يكون الحزب الحاكم الذى يملى ارادته على الحكومة والبرلمان ، وانما الاتحاد الاشتراكى هو الاطار المنظم للحركة السياسية للجماهير الشعبية .

وهذه الجماهير تمارس بالطرق الدستورية الحقوق التى تكفلها لها الديموقراطية . ان الصراع العقيم بين القيادات التنفيذية والقيادات الشعبية لا يمكن الا ان يسىء الى الاتحاد الاشتراكى ويجعل منه اداة مزايدة على المسئولين التنفيذيين ، او طريقا للمنافسة مع ممثلى الشعب المنتخبين فى البرلمان او المجالس الشعبية .

وليس معنى ذلك ان التنظيم السياسى لا يؤثر فى الحياة السياسية او فى اتخاذ القرارات وانما القضية هى ما هو اسلوب التاثير .

ان الغالبية العظمى من المسئولين اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى فاذا نشط التنظيم وتحولت العضوية الى ممارسة حقيقية ، كان الاتحاد الاشتراكى المكان الصحى الذى يلتقى فيه المسئولين بالجماهير على مختلف المستويات ، لا كمسئولين يطرحون سياساتهم ويدافعون عنها ، ولكن اولا وقبل كل شىء كأعضاء يناقشون زملاءهم . ومن خلال هذه الممارسة الفعلية للعضوية يرتبط المسئول ايا كان موقعه بالجماهير ويحس بنبضها ويلمس ما يشغلها ويشترك معها فى التفكير . ولا بد ان يؤثر ذلك كله فى قراره .

ومن ناحية اخرى اذا نشط الاتحاد الاشتراكى بحيث يمكنه أن يعبر بالفعل من اتجاهات الجماهير وآرائها بعد المناقشة والتحليل فان ما يتضح انه راى الأغلبية يصبح لازما لكل اعضاء التنظيم بما فيهم المسئولون ويتعين ان تأخذه كل السلطات بعين الاعتبار .

صدق التعبير عن اتجاه القواعد الشعبية

وبعبارة اخرى اكثر صراحة ، ان الوزن الحقيقى لما يصدر عن الاتحاد الاشتراكى من آراء يتوقف فى النهاية على مدى الاحساس العام بصدق تعبيره عن اتجاه القاعدة الشعبية العريضة وليس فقط عن رأى المجموعات المحدودة التى تضمها مستوياته القيادية .

وبالتالى فان وزن التنظيم السياسى فى الحياة السياسية لا يمنح بقانون او قرار وانما يأتى ثمرة للالتحام بالجماهير والتفاعل معها والتعبير عنها تعبيرا صادقا وموضوعيا . ان تضية علاقة الاتحاد الاشتراكى بالسلطة قد صرفت التنظيم فى احيان كثيرة عن مهامه الحقيقية التى كان يمكن لو انجزها ان يكتسب الوزن المطلوب .

ان الاتحاد الاشتراكى هو الامين على فكر ثورة ٢٣ يوليو كما حددته مواثيقها وعليه ان يشارك ايجابيا فى تنفيذ الاستراتيجية الحضارية التى تضمنتها ورقة اكتوبر .

وللتنظيم السياسى مجال طبيعى لا يمكن ان تخوضه بنجاح مؤسسات الدولة ، فتعبئة الجماهير وتنظيمها وتوجيه جهودها لحل مشاكلها ذاتيا وتوعيتها حتى تحسن اختيار ممثليها فى مجلس الشعب والمجالس الشعبية ومجالس ادارة الشركات والجمعيات التعاونية والنقابات العمالية والمهنية امور لا يمكن ان تنهض بها الدولة . ونجاح مؤسسات الدولة فى مهامها رهن بهذا الدور العظيم الذى يتعين على التنظيم السياسى ان يؤديه .

مهام قومية أمام الاتحاد الاشتراكى

ان امامنا بعض المهام القومية التى يستحيل عمليا ، ومهما وفرنا من وسائل ان تنهض بها مؤسسات الدولة . وقد طرحت منذ عام ١٩٧١ امام الاتحاد الاشتراكى مهمتين الى جانب مهامه السياسية والاجتماعية الاخرى على اعلى قدر من الاهمية هما : تصفية الامية وتنظيم الاسرة . فأمام نسبة الامية العالية لا يمكن أن نخوض معركة جادة — ونحن فى حاجة لخوضها — من أجل تصفية الامية الا بالاعتماد على الجهود التطوعية ان اول مقياس لفعالية عضو الاتحاد الاشتراكى او وحدة الاتحاد الاشتراكى يجب ان يكون عدد الاميين الذين خلصتهم من هذه الوصمة . اما جهد الدولة فيجب ان ينصرف الى سد الثغرة التى تتجدد منها الامية بتحقيق الاستيعاب الكامل فى مرحلة التعليم الابتدائى وضمان ان تكون تلك المرحلة قادرة على مقاومة التسرب واعطاء التلاميذ تعليما جادا .

اما مشكلة تنظيم الاسرة ، فان كل ما تستطيع الدولة ان تقوم به هو توفير الوسائل الفنية للتنظيم ، ويبقى بعد ذلك أن اقناع الناس بضرورة تنظيم الاسرة مهمة شعبية لا يمكن ان ينهض بها الا التنظيم السياسى .

تعبئة طاقات الجماهير

واضيف اليوم ان بلادنا تواجه اعمال التعمير على نطاق واسع ، ولدى جماهيرنا طاقات كبرى يمكن ان تسهم فى التعمير وتعبئة تلك الطاقات مهمة الاتحاد الاشتراكى ، ونحن بصدد اعداد خطة خمسية للتنمية ستعرض اتجاهاتها الاساسية على التنظيم السياسى ، ونجاح اى خطة للتنمية يتوقف فى النهاية على وعى الجماهير بمشكلات التنمية وما تفرضه من جهود وتضحيات وحماسها لتنفيذ الخطة ، وهنا أيضا يكون العمل من اجل انجاز اهداف الخطة مقياسا لفعالية عضو التنظيم او الوحدة الجماهيرية .

والى جانب تلك القضايا المطروحة بالفعل على المستوى القومى ، يمكن للتنظيم السياسى النشيط ان يكشف عن قضايا اخرى وان يتصدى لها . ومن مثل هذه المبادرات يتأكد دوره القيادى ثم هناك على المستوى الاقليمى والمحلى وفى مجال نشاط كل وحدة العدد الكبير من المشكلات الجماهيرية ولا يمكن ان يكون دور الاتحاد الاشتراكى الاكتفاء بتسجيلها ومطالبة الحكومة بحلها ، وانما عليه ان يسهم اسهاما ايجابيا فى الحل .

لقد صنعت الجهود الذاتية الكثير فى مجال الخدمات وعلى الاتحاد الاشتراكى ان ينمى حركات التطوع والجهود الذاتية وان تتنافس تنظيماته فى الانجاز فى هذا المجال .

واخيرا فان الاتحاد الاشتراكى ليس مطالبا « بتبرير » كل تصرف تجريه هذه المؤسسة او تلك من مؤسسات الدولة ولكنه مكلف بشرح الخط الاساسى لنضالنا الوطنى وتثقيف الجماهير بمبادىء ثورتنا ، وتحديد مشكلات التطبيق واقتراح الحلول ومحاولة استطلاع المستقبل بهدف اساسى هو تحقيق مجتمع عصرى يحكمه مبدأ الكفاية والعدل ، والنضال من اجل ذلك الهدف فى اطار الحرص على تحالف قوى الشعب العامل وحل ما ينشأ بينها من تناقضات حلا سلميا يصون مصالح الوطن العليا ويؤكد لكل فئة من قوى التحالف حقها المشروع الذى ضمنته مواثيق الثورة .

ان امام الاتحاد الاشتراكى مهام عظيمة ونبيلة ، وعلينا ان نطور اشكال تنظيمه وأساليب عمله ليتمكن من ادائها على النحو المنشود .



ملحق الأدب والفن

مسرح .. أو لا مسرح ؟

من اليونان .. هذه القصائد الممنوعة

في هــذا العــدد :

مسرح .. أو لا مسرح ؟

في دائرة الحوار :

— « ثــورة بــلا ســينما »
— عــن القصــص والاجيــال
— هل هي حقا ملامح من جيل جديد

قصــة قصــيرة :

عودة الى الحقــائق القــديمة :
فهي ماتزال صالحة لاثارة الدهشــة

من اليونان .. هذه القصائد الممنوعة

الأدب والفن في شهر

قاموس العصر :

— محمــد بيومي
— محمــد كريم

المسرح المصرى ..

بلا مســــرح ؟

اما أن المسرح المصرى يمر بأزمة حقيقية فمسالة لا شك فيها ..

واما أن هـذه الازمة ليست بنت اليوم أو الامس القـريب فمسالة لا شك فيها أيضـا .. يؤكد هاتين الحقيـقيتين كل المسرحيين الـذين حاورتهم ((الطليعة)) فى محاولة لطرح القضية على وجهها الصحيح ..

تحقيق :

فاروق عبد القـادر

قالوا : ان مسرح الدولة ، أو مسرح القطاع العام ـ أو ماشئت من اسمائه ـ قد أصبح منزويا تسود مقاعده البرودة والفراغ ..

وقالوا : ان فنانيه قـد هجروه .. « اغترب بعضهم فى الخارج ، واغترب بعضهم عن نفسه فى الداخل ، واقام بعضهم صرح المسرح التجارى ، وضمت بعضهم الاخر والاخير .. » .

وقالوا : ان المؤلفين الذين قامت على اكتافهم نهضة المسرح فى هذه السنوات العشرين قد صمتوا أو أرغموا على الصمت ، وان الرقابة قد مارست عليهم دورا ارهابيا وغبيا دفع بهم الى التوقف كارهين .. فكيف يمكنك ان تكتب والرقيب فى راسك ، وكيف نستطيع الاستمرار فى كتابة أعمال لاتصل الى الناس ؟

وقالوا : ان هيئة المسرح تفتقد اى تخطيط جاد ، بل ان القائمين عليهـا لا يعرفون لانفسهم مبرر وجود .. ان الهيئة « ظلت تتردى حتى أصبحت جهازا بيروقراطيا مترهلا يعانى من سوء التخطيط وسطوة الاداريين وتسلطهم على الفنانين حتى أصبح هؤلاء يعانون قسوة الظروف التى لا تهيىء لهم فرصا صحية للخلـق والابتكار »

وقالوا : ان بهيئة المسرح ١٣٥٠ موظفا يخدمون ٥٠٨ فنانا ، أى أن ثلاثة موظفين اداريين فى مقابل فنان واحد ، وطبيعى ان ينفق حوالى ٨٠٪ من ميزانيتهـا [مليون وربع مليون جنيه فى السنة] أجورا لهذا الجيش من الموظفين ..

وقالوا : ان الاطار المسرحى القائم يعنى ســـيطرة رأى واحـــد واتجـــاه واحـــد هـــو الاتجـــاه البورجوازى « لا نقول ان هذا الاتجاه

■ هنــاك خطة محددة لتصفية القطاع العام

« سعد أردش »

لايجب أن يكون موجودا ، لكننا نقول انه ليس الاتجاه الوحيد ، فهذه السيطرة ضد فكرة التحالف ، بل وضد فكرة المسرح من حيث هو فن صراع وحوار .. »

وقالوا : ان المؤسسات الفنية الخاصة بالمسرح كلها تعانى هذا الانحراف على نحو أو آخر .. « فمعهـد الفنـون المسرحية متخلف فى مناهجه ، وليس به استاذ متفرغ واحد ، والمسرح المدرسى الذىكان مفروضا انيخلق قاعدة عريضة من الجمهور بلا قواعد خارج القاهرة ولجان المسرح فى المجلس الاعلى وغيره بلا نفوذ .. كأنهم قضاة بلا بوليس .. »

[■]

ولكن .. كيف وصلت الامور هـذا الحد ؟ .. وقبل ذلك : لماذا شغل المسرح فى الثقافة المصرية هذا المكان المتميز منذ منتصـف الخمســينيات على وجـه التقريب ؟ ..

يرى **بهاء طـاهر** ــ ناقد المسرح فى مجلة « **الكاتب** » خمس سنوات متوالية حتى ١٩٧١ ــ ان هذا ليس سؤالا صعبا اذا ما نظرنا الى واقع حياتنا الثقافية .. « فالانتشار المحدود للكلمـة المطبوعة ــ سواء كانت رواية او قصـــة او شعرا ــ والذى يرجع لعوامل متشابكة .. أدى الى فرض نوع من العزلة على هذه الفنون الادبية ومنتجيها ، أصبح الروائى والقصاص والشاعر يعرف أنه يخاطب جمهورا مثقفا محدودا للغاية ، والا أمل له فى تجاوز هذا الوضع ، اتجه الفنانكلية الى هذا الجمهور المحدود. فحققت هذه الفنون درجة كبيرة مــن التطور التكنيكى عند أفضل كتـابها ولكنها أصبحت أكثر بعدا ومنالا مــن الجمهور العريض الذى لم يعد يفهم لغة أو تكنيك هؤلاء الفنانين ، وبالعكس من ذلك فان السينما قد نجحت فى ان تحقق الانتشار الجماهيرى الـواسع النطاق ، ولكنها حصنت نفسها منذ أمد بعيد ضد الفن ، وكرست جهدها كله للربح ،فلم يعد من الممكن اعتبارها نوعا من الثقافة قدر ماهى عائق ضد الثقافة .

« **فى مقابل هذا الوضع المؤسى برز المسرح منذ سنوات ليحل هذا التناقض المتعسف بين الثقافة والجمهور ، ويرجع** الفضل فى هذا الى حماس مجموعة من المثقفين الذين أحبوا المسرح وكتبوا له فكان لهم شرف الريادة فى اعادة خلق المسرح المصرى . لقد أدركوا متطلبات وضرورات هذا الفن الذى يحتم مشاركة الجمهور فى العمل ، فخاطبوا الجمهور بالاسلوب الذى يقبله ونجحوا من خلاله ان ينقلوا مفاهيمهم وفكرهم ،وعن طريق المسرح ــ وحده تقريبا ــ تم الالتقاء بين الفنان والجمهور ، واستطاع الفنان ان يلعب دوره باعتباره ضمير أمته..».

ويكمل **نعمان عاشور** ان « هــذه الحــركة المسرحيــة القــديمة سرعــان ما أجهضت حين تبينتالطوائف الاجتماعية المعادية للتقدم والاشتراكية أنها تشكل قوة مادية فى الصراع من أجل التطور، وتحت ستار خدمة المسرح بمضاعفـة نشاطه عن طريق الكم انشئت عشر فرق. كاملة كان الهدف الظاهرى منها هــو ايصال المسرح الى أوسع رقعة جماهيرية ممكنة بينما كانت هذه الفرق فى حقيقتها محاولة واضحة لاغراق سفينة المسرح وابعادها عن مسار التطور الجماهيرى، وهكذا تجمعت فلول مضحكى القوافى من فرق ساعة لقلبك وغيرها من مجموعات التسلية ، واقتحمت على الحركةالمسرحية فترة لتسلخ بعدها وتكون نواة المسرح التجارى القائم والذى يسمى بالقطاع الخاص .. وجاءت نكسة ٦٧ فاذا المسرح ينتهى الى المسار الحالى الذى هو عليه اليوم .. فيتحول من مؤسسة ثقافيــة الى دور لهو وتسلية وخـلاعة وعبث واستهتار بكافة القيم والمفاهيمالموضوعية والفكرية والفنية .. هذا الاتجاه المنجرف بالمسرح دعمه التلفزيون على مدى سنوات عديدة بالاقتصار على عرض وتشجيع المسارح التجاريةتحت ستار ان «الجمهور عاوز كده » ، ووصات الحركة المسرحية الحقيقية الى طريقها المسدود »

وعلى نحو محدد ، يضع النقاط على كل الحروف يصوغ **سعد اردش** قصة هذا الصراع : « انه ــ تاريخيا ــ الصراع بين موجة الثقـافة الوطنيـة الايجابية التى يمثلها جيل ٤٦ ــ مرورا بتجربة المسرح الحر وارتباطا بمحاولات الدكتور ثروت عكاشة فى وزارتهالاولى ــ وبين التيار الامتاعى الذى جاء مــع وزارة الدكتور حاتم الاولى ومســارح التليفزيون بقيادة السيد بدير . استمر هذا الصراع قائما حتى ٦٦ حين رجع ثروت عكاشة فى وزارته الثانية . وكانت نتيجة هذا الصراع على أرض المسرح :

اولا : تحميل جهاز المسرح بجيش من العاملين يشكل معظمهم عبئا على هذا الجهاز .

ثانيا : زرع فى أرض المسرح مسـخا خطيرا اسمه القطاع الخاص ، اكتسب ثقلاكبيرافى فرضرؤيته للمسرحو الثقافة المسرحية بما يملكه من رؤوس أموال .

ثالثا : ان التيار التخريبى الذى قاده هؤلاء قدنجح فىخلق مواقع مستميتةفى الدفاع عنه ، والنتيجة ان غرقت وزارة ثروت عكاشة الثانيـة فى معارك بين التيارين ، وكان الرجل ينتصر أحيانا لهذا التيار وأحيانا لذاك حتى وصل به الامر ان ناقض نفسه فى بيان رسمى من انتاج للقطاع الخاص كان بداية الانتهار الكبير لهذا القطاع [سيدتى الجميلـة للفنانين المتحدين ، ١٩٦٩] ، هــذا على الرغم من أن التيار الجاد استطاع فيما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ ان يواصـل جهوده وان ينجح فى اجتذاب قطاع من الجمهور الى الكلمة الجادة .

رابعا : اشتد الصراع بين الفـن والادارة الذى زرعه هذا التيار أيضا ، وكاد الفنانون من رجال المسرح ان يحققوا حلمهم الكبير ببنـاء بيـوت مسرحيـة

قضية المسرح هى قضية الديمقراطية

« كرم مطاوع »

مستقلة [★] لولا معركة شخصية بين ثروت عكاشة وعبد المنعم الصاوى ، المسئول عن هيئة المسرح آنذاك انتهت بقرار باحالة الصاوى الى المعاش واستقالة جماعية من أربعة من المخرجين [مدير قطاع ومديرى المسارح الثلاثة] ، وقد فسرت هذه الاستقالة آنذاك بأنها استقالة من أجل عبد المنعم الصاوى ، لكن حقيقة الامر انها كانت استقالة من اجل المسرح ، وضرورة ان يكون بأيدى المسرحيين .

ويضيف سعد أردش : « غير أننا لم نكن نتصور ان هذه الاستقالة ستكون كرة تتقاذفها اتجاهات متعارضة ومتناقضة فى السلطة آنذاك . بعد وزارة ثروت

[★] يشير سعد أردش هنا الى اللائحة التى وضعت آنذاك للمسرح القومى ، والتى تحدد طريقة العمل فيه ، وتجعل منه بيتا مسرحيا مستقلا . وقد جاء فى مادتها الاولى ان للمسرح « استقلاله الذاتى ، ويقوم بتنفيذ الخطة التى يستقر عليها المكتب الفنى ، وفى حدود اللوائح المنظمة ، وفى ضوء الخطوط العامة التى تستقر عليها الهيئة دون مساس بالاحكام العامة لتنظيم شئون البيت المسرحى . » وجاء فى مادته السادسة ان المكتب الفنى للمسرح هو السلطة العليا بصفته مفوضا من الجمعية العمومية [التى تتكون من جميع العاملين بالمسرح ، فنانين وفنيين واداريين وعمال] .

ويشكل المكتب الفنى على النحو التالى :

«أ» عميد البيت المسرحى — رئيسا .

«ب» أربعة من ممثلى البيت يختارهم الممثلون بالانتخاب .

« جـ » ثلاثة من أهل الرأى والفكر المهتمين بالحركة المسرحية يرشحهم وينتخبهم أعضاء المكتب الفنى المنتخبون وعميد البيت المسرحى .

«د» مدير الشئون المالية والادارية .

«هـ» رئيس الاقسام الفنية .

وتتحدد اختصاصاته فى :

١ — اقرار المنهج الفنى والفكرى الذى يسترشد به المسرح فى عمله لتنفيذ الاهداف الاساسية التى يقوم عليها بناء البيت المسرحى .

٢ — وضع الخطة السنوية للنشاط الفنى وما يتصل بها من البرامج الموسمية والموازنات التخطيطية ... الخ .

٣ — متابعة تنفيذ السياسات والبرامج المقررة واعداد تقارير ربع سنوية بنتائج تقييم التنفيذ ..

٤ — اقتراح التعديلات التى تهدف الى تطوير اللوائح والقواعد السارية بما يرفع كفاية التنفيذ .

٥ — دراسة وحسم المشاكل الفنية التى تطرأ خلال العمل .

٦ — الموافقة على نقل او ندب أو اعارة الفنانين من البيت أو اليه .

٧ — مراجعة توزيع الادوار لضمان التنسيق وتشغيل جميع الطاقات .

٨ — اعتماد الميزانية المقررة لكل مسرحية فى خطوط الموازنة التخطيطية للموسم كله .

٩ — اقتراح واقرار النصوص التى ستقدمها الفرقة على ضوء الخطة العامة [يشمل هذا الندوة لقراءة النصوص الجديدة واجازة ما يصلح منها بالاغلبية المطلقة ، وتحديد اعمال الريبرتوار واختيار أعمال من المسرح العربى والعالمى واختيار مخرجى المسرحيات التى يتم اقرارها .

١٠ — اعداد جدول الاعمال لعرضه على الجمعية العمومية .

١١ الموافقة على مشروع ميزانية الانتاج للسنة المالية التالية .

١٢ — مناقشة رحلات المسرح فى الداخل والخارج والمسرحيات التى تتقدم فيها .. وتشجيع التبادل الثقافى مع البلدان الصديقة .

١٣ — مناقشة مخرج كل مسرحية فى تقريره النهائى عن سير العمل .

١٤ — يرفع المكتب الفنى قراراته خلال اسبوع على الاكثر من صدورها الى رئيس مجلس ادارة الهيئة لاعتمادها فاذا لم يعتمدها ولم يعترض عليها خلال خمسة عشر يوما من تاريخ رفعها اعتبرت نافذة ، أما اذا اعترض على اقتراحات المكتب كلها أو بعضها فيبدى الاسباب المبررة لذلك كتابة ، ويعيد ما اعترض عليه للمكتب لنظره من جديد ، فاذا تمسك المكتب الفنى برأيه فيرفع الامر لرئيس مجلس ادارة الهيئة للموافقة عليه أو عرضه على مجلس الادارة ، ويعتبر قرار مجلس الادارة فى هذه الحالة نهائيا .

ويكون المكتب الفنى من بين اعضائه واعضاء المسرح لجانا تعاونه فى النهوض بالانشطة الاجتماعية والانسانية هى لجان العلاقات العامة واللجنة الثقافية ولجنة الخدمات الاجتماعية . كذلك تحدد اللائحة شروط عضوية فنان المسرح القومى وواجباتها وحقوقها ، وتتعرض بالتفصيل للمخرجين والمخرجين المساعدين والمضرجين والجدد ، والوحدات الفنية التابعة لعميد البيت المسرحى ، كما تضع جدولا تفصيليا بالجزاءات التى توقع على الاعضاء .

ولعل هذه اللائحة أن تكون أشمل لائحة وضعت ، ولعلها أن تكون أساسا صالحا لمناقشة فكرة البيت المسرحى ، حلم المسرحيين ، والحل الذى يقترحه الكثيرون منهم كما سنرى .

■ سيذكر تاريخ هذه الفترة كمـا يذكر تاريخ المماليك

« لطفي الخولي »

مكاشفة جاءت فترة انتقال تجمد فيها هذا الصراع ، وجمعه وزيران انزعجا اشد الانزعاج لما يدور فى أرض المسرح فلم يحركا ساكنا ، وانتهت هذه الفترة بتمزق كامل بين رجال المسرح ، ومبرر كل منهم ان عليه ان يبحث عـن رزقـه حيث يستطيع ».

« وحين عاد السيد بدير عادت السلطة كاملة للموظفين الماليين والاداريين، ودعم المسرح الخاص على حساب ميزانية وامكانيات القطاع العام ».

« **والناظر الى خطة القطاع العام المسرحى منذ عودة هذا التيار سيلاحظ بسهولة ان هناك خطة محددة ومسبقة لتصفية مسرح القطاع العام والثقافة الرسمية بشكل كامل لحساب القطاع الخاص** . هنا لاتمنينى لغة الارتسام قدر ما يعنينى تحليل الاسباب والوقائع فى هذه الفترة ، ومما يكشف هـذه الخطة انتقالها ايضا الى التليفزيون من خلال انتاج الاعمال الخاصة وجهـاز التسويق .. الخ » .

اما كرم مطاوع فيرى رأيا آخر :

« لست أميـل الى اعتبـار مسـارح التليفزيون أصل الشرور كما هو سائد فى اعتقاد بعض المسرحيين والنقاد ، كانت مسارح التليفزيون موجودة تقدم أعمالها ، وكان القومى والجيب ايضا موجـودين يقـدمان أعمالهما ، وكان الصراع بين الجانبين واضحا ، ولصالح الحركة المسرحية ككل ، لانه كان صراعا واضحا : هذا فكرنا وهذا فكركم ، أما بعد ٦٧ فقد تغيرت الصورة . لا مسرح بلا ديمقراطية ، وانا أعتقد أن هزيمة المسرح كانت الصورة الاكثر جلاء لهزيمة واقع متكامل ، بعبارة اخرى : ان ٦٧لم تكن مفاجأة ، ولا كانتحـدثا غيبيا او عارضا ، ولكنها كانت محصلة نهائية لقوى السلب التى ظلت تعمل سنوات طويلة على مهل ، بعدها أحس الناس باليأس والتمزق والتخبط ، وكان المسرح صورة لهذا ايضا ، لمدة عامين او ثلاثة أعوام بعدها كان المسرح يحاول أن يقوم من كبوته فلم يستطع ، ودخلت حلبة الصراع عناصر اخرى خفية :حين أخرجت مسرحية « الحسين » فى ٧١ واجهتنى قوى لم تكن فى حساباتى ، واكتشفت أن هناك قوة رهيبة يمكن تحريكها واسـتغلالها وقت اللزوم هى الرقابة الدينية ، كانت معركة فى الظلام، وتستخدم فيها أسلحة غير متوقعة ، وحين وصلت ثمة يأس فتحت أبواب المسرح فى البروفة الاخيرة وكأننى اقول: هذا مالدى .. فلماذا يصادر ؟ .

« **وأكرر** : ان القضية قضية مناخ ديمقراطى فى الاساس ، واذا لم تتنفس جميع الرئات فلا مجال لحديث عن المسرح القضية ليست ــ بالنسبة لى ــ قضية قطاع عام وخاص ــ القضية عندى : أما أن يحمل المسرح فكرا واما الايكون مسرحا على الاطلاق . وهنا اقول لك بعض الملاحظات :

اولا : ان هيئة المسرح ساهمتفى خلق القطاع الخاص حين طرد المسئولون فيها عددا من الممثلين الذين أصبحوا فيما بعد عمد القطاع الخاص . انهم معابر جيدة .. فلماذا نتخلى منهم بدل أن نقدم لهم الكلمة الجادة والمخـرج المسئول ونصل بالتالى الى جمهورهم ؟ .. انني أعنى المهندس والهنيدى وعوض ومدبولى ومن اليهم . كانوا جميعـا ممثلين فى هيئة المسرح .

ثانيا : انني اتوقع ان يقوم هؤلاء التجار القائمون اليوم على امر المسرح الخاص بتقديم أعمال جادة قريبا .. لقداستهلكوا الاشكال السهلة أو كادوا .. وبدأوا الان يتجهون نحو الاعمال الموسيقية .. الى متى سيستمرون فى تقديمها ؟ .. خلال عامين على الاكثر لا استبعد أن أجد فرقة خاصة تقدم أعمالا تراجيدية .

ان هيئـة المسرح ــ بتخليهـا عن رسالتها ــ تفسح المجال امام هذه الفرق كى ترث المسرح الجاد ايضا . وثمة محاولات أعرفها فى هذا السبيل ».

[●]

والان .. كيف تبدو ملامح الصورة ؟

فى راى **لطفي الخولي** أن المسرح المصرى يمكن تلخيص أهم ملامحه فيمايلى:

« **أولا** : غلبة روح العمل التجارى على المسرح ، بكل ما فى ذلك من أبعاد فكرية وفنية .

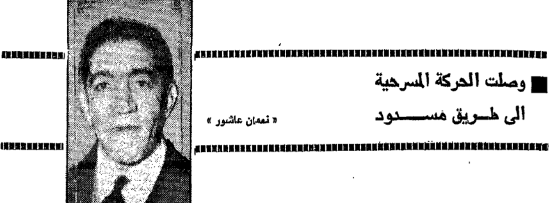
ثانيا : ان المسرح ــ بعد أن أصبحت مصر مفتـوحة أمام السـياح العرب الباحثين عن الترفيه والتسلية الخفيفة ــ راح يخاطب هذا الجمهور ويتوجه اليه ، متخطيا واقعه هو وجمهوره ، بنفس العقلية التجارية التى أشرت اليها ».

ولسنا ــ بطبيعة الحال ــ ضد أن توجد فى القاهرة هذه الاماكن التى تقدم التسلية الخفيفة ، لكننا ضد أن تصبح هذه الاماكن هى المسرح ، ففى العالم كله ، هناك « الفولى ــ برجير » و « الليدو » والى جانبها « الكوميدى ــ فرانسيز » ، هكذا الامر فى انجلترا وأمريكا .. حتى فى لبنان الصغيرة القريبة .

ثالثا : بعد أن خطا الحكيم خطوات لربـط المسرح بالادب ، يحـدث الان فصـل بينهمـا ، هكـذا تصـبح المتعـة متعـة حسـبة وغريزيـة فقط ، وتلك مرحلة تميز الانسان البدائى فقط ، لعل للمسئولين عن المسرح عندنا حكمة فى هذا الارتداد !

رابعا : ثمة سيطرة واضحة للاداريين على الفنيين ، وهؤلاء الاخـيرون تذبل مقاومتهم شيئا فشيئا .. بل ان بعضهم قد تم استيعابه بالفعل .

خامسا : داخل اطـار الحركة المسرحية هناك سيطرة لاتجاه واحد ، هو الاتجاه الذى يعبر عن البورجوازية، لانقول ان هذا الاتجاه لايجب أن يكون موجودا ، لكننا نقول انه لايجب أنيكون الاتجاه الوحيد ، فهذا ضد فكرة التحالف والحضارة بل وضد فكرة المسرح نفسه من حيث هو فن الصراع والحوار ».



وصلت الحركة المسرحية الى طـريق مسـدود

« نعمان عاشور »

سادسا : الى جانب هذا كله هناك انفصال قد حدث بيننا وبين التقدم التكنيكى والتعبيرى للمسرح فى العالم كله . باسم المتعة والشباك والجماهيرية الرخيصة اغلقت النوافذ فسادت الجهالة .

ان هذه المرحلة ستذكر فى تاريخ المسرح كما يذكر المماليك فى تاريخ مصر ... مهما علا صرخهم وسبابهم »

اما زكى طليمات — بعد أن ارغمته ظروف الانتاج فى هيئة المسرح أن يتوقف عن مشروع بداه دون أن يتمه — فيرى أن الخلط يسود الصورة العامة للمسرح المصرى : « فمن المفروض أن يقوم القطاع العام فى المسرح بمهمة التثقيف والتوجيه الاجتماعى الى جانب التسلية والترفيه ، لكن الملاحظ انه ينحدر عن مستواه ويقف فى مستوى فرق القطاع الخاص من حيث اسفافها ، الامر الثانى أن الممثل لايعمل لفرقته قدر مايعمل للكسب المادى ، والاهم من ذلك أن المسئولين يتركونهم . لقد تجاوز تشجيع الممثلين كل الحدود المالوفة . الامر الثالث هو ان المؤسسات الفنية المتعلقة بالمسرح تشكو الانحراف نفسه ، خذ مثالا : معهد الفنون المسرحية ، أن كل طلبته هم المرفوضون من الجامعات والمعاهد ، لم يحب أحدهم التمثيل أو فكر فى احترافه ، ثم ان مناهج المعهد متخلفة وبالية ، ولازالت — رغم التطور الكبير فى فن المسرح الحديث — كما وضعتها فى ١٩٤٤ لم تتزحزح سوى أنملة واحدة ، وليس به أستاذ واحد متفرغ ، واذا كان البيت الذى يخرج الممثلين يقوم على هذا الانحراف فماذا تطلب من الممثلين ؟ خذ مثالا آخر : المسرح المدرسى ، حين أنشىء فى ١٩٣٧ كان الهدف البعيد من انشائه هو خلق جمهور واسـع يتذوق الفـن المسرحى الجاد، انه الان بلا قواعد خارج القاهرة وفقد بالتالى الهدف من انشائه . ثم هناك لجان مختلفة خاصة بالمسرح فى المجلس الاعلى وغيره لكنها جميعـا لا تمسك أن تنفذ ماتراه ... فمـا جدواها ؟ ... » .

ويقدم **عبد الرحمن أبو زهرة** وجهة نظر متكاملة عن الهيئة من ناحية ، وعناصر العمل المسرحى من الناحية الاخرى . يرى أبو زهرة أن المشكلة فى الهيئة هى عدم وجود سياسة محددة ومعروفة لها ، ويؤدى تغير المسئولين عنها — بالتالى — الى ان يدمر كل منهم ما بداه الاخر ، « ومن يستعرض خطة الموسم القادم فى المسرح القومى مثلا سيدرك بغير عناء انها شىء خاضع للمزاج الشخصى والثقـافة الخاصـة للمشرف عليه دون وجود تخطيط مدروس او هدف محدد ، سيقدم فى الموسم التالى : قيصر لعزيز أباظة ورحلة الى الغد للحكيم واخناتون لاجاثاكريستى ! ان المشرفين عليه يعيشون فى عصر خليل مطران ولايدركون التغير الذى حدث فى مصر وفى نوع الجمهور ، كذلك فان التفكير فى تخصيص المسرح القومى كى يقدم اعمالا باللغة العربية فقط هدفه القضـاء على البقية البـاقية منه ، جمهوره من الكادحين بالفعل ، والذين لا يملكون ثمن تذكرة القطاع الخاص ، لكنه اجتهـاد — مشـكور من جانب المسئولين لابعاد المتفرج حتى يتاح لنا تقديم أعمال تنجح نجاحا منقطع الجماهير!

« سأقول لك شيئا حدث فى العرض الاخير الذى اشتركت فيه : فى المرحلة الاولى من التدريبـات على مسرحيـة « زمردة » اكدت أن فرص نجاحها فى موسم الصيف ضئيلة جدا ، ووافقنى جميع الممثلين ، لكن العمل استمر بزعم التجربة والخطأ والصواب .. الخ وحين تحقق ما أكدناه اصروا على أن يقدموا بعدها حفرية مسرحيـة هى « الست هدى » .. فهل هذا منطق ؟ اذا كانت العربية القريبة من العامية قد فشلت .. فلا نقدم بعدها سوى هذه الحفرية؟ لكن المشكلة هى انتفاء مبدأ المحاسبة على الفشـل ، اذا كان مـدير فرقة يحاسب على نجاحه وفشله فى آخر كل موسم لفكر طويلا قبل أن يقدم عملا ، لكنه يخرج ويقبض ويفشل ويمضى دون حساب . اننى اسمى هذا اختلاسا .. والا ماذا يسمى ؟

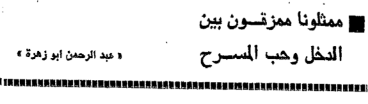
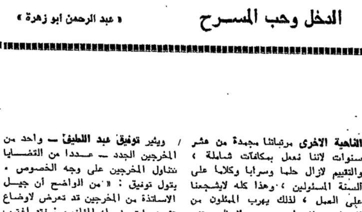
« **ان المسرح بحـاجة الى تخطيـط واضح ومدروس اكثر من حاجته لمدير ومشرفين .. الخ** ، لقد قـدم المسرح القومى أروع أعماله حين كان يديره مدير يعاونه سكرتير فنى واحد ، والان من الصعب أن تكون من المسرح القومى فرقة واحدة (فقد دمر المسرح القومى واستنزفت اهم طاقاته البشرية تحت اسم تدعيم الفرق الاخرى) ورغم هذا أصبح ثلاث شعب فكيف نستطيع أن نقدم عرضا واحدا جيدا ؟

« صدقنى .. ليس هناك من يخاف على مصلحة المسرح أو يحرص على نجاحه ، تحول المسرح لمجموعة من الموظفين يتقبضـون مرتبـاتهم ويؤدون اعمالهم باى شكل .

« **ومن الناحية الاخرى .. لا مسرح الا فى ظل الحرية والديموقراطيـة** ، وكلما واجهت مؤلفا بالسؤال عن اعماله اخالك الى الرقابة . هناك مطلب ملح الان : كما رفعت الرقابة على الصحف يجب ان ترفع على المسرح ، وان تطلق يده كى يقول مايريد بمنتهى الحرية ، لان استمرار الرقابة المستفزة أحيانا والتى تقوم بتفسيرات لا يمكن ان توجد الا فى اذهان مريضة احيانا اخرى خلق نوعا آخر من الرقابة الداخلية اشد وأنكى . ان حـرية التعبير فى المسرح ستخلق نشاطا متنوعا وخصـبا دون خوف أو تحرج .

« هذا عن التاليف ، **اما مخرجونا الذين قامت على اكتافهم نهضة المسرح فاين هم ؟** يئسوا أو هاجروا أو اندفعوا نحو القطاع الخاص ، وجاء اغراؤهم بالمناصب الادارية ليبعدهم عن الفن . ان معظمهم لم يعودوا يخرجون أعمالا الان الا بهدف زيادة دخلهم فقط !

« **وعن الممثلين — وانا واحد منهم — اقول اننا جميعا نعانى الصراع بين الدخل من ناحيـة وحبنـا للمسرح من**

ممثلونا ممزقون بين الدخل وحب المسرح

« عبد الرحمن ابو زهرة »

الناحية الاخرى مرتباتنا مجمدة من عشر سنوات لاننا نعمل بمكافآت شاملة ، والتقييم لازال حلما وسرابا وكلاما على السنة المسئولين ، وهذا كله لايشجعنا على العمل ، لذلك يهرب الممثلون من الادوار ، لان احدهم حين لايمثل يرتفع دخله . وهناك عدد من فنانى المسرح الجاد — وأنا منهم — ظلوا يقاومون العمل فى القطاع الخاص ، لكنهم رضخوا اخيرا .. أين سناء جميل وعبد المنعم ابراهيم وسهير البابلى وعزت العلايلى وغيرهم ؟ ..

« فى هذا الوضع كله تشير اصابع الاتهام الى هيئة المسرح : لكننا نحن — كفنانى مسرح — نتحمل جزءا هاما منها .. نحن لا ناخذ موقفا من شىء أو ضد شىء .. تصور ماذا يمكن أن يحدث لو رفض فنانو مسرح ما أن يشاركوا فيما يعتقدون انه خطأ . اذا لم يكن هناك أحد يتصدى لمناقشتهم الحساب فلم لا نتصدى نحن ؟

« وبقى شيىء أود أن أضيفه : ان الصدفة هى التى تلعب الان الدور الاساسى فى ظهور الممثلين ، هناك طاقات عظيمة لكن أحدا لا يستعين بها ، وليس هناك صف ثان من الممثلين ، فالاختيار يتم حسب المزاج الشخصى للمخرج دون جدية حقيقية فى تقديم وجوه جديدة » .

هذه النقطة الاخيرة أشار اليها اثنان من « الوجوه الجديدة » . قالت فردوس عبد الحميد [المسرح القومى] : ان الاعتماد على نظام النجوم مخرب حقيقى للمسرح ، والصدفة وحدها هى التى تخدم ممثلى الصف الثانى ، وقد تاتى مرة ، وقد لا تأتى أبدا ، واذا ظلت الامور على ما هى عليه فلا أمل أمامنا على الاطلاق» ،

ويضيف عبد العزيز مخيون [مسرح الجيب] : «اننا نضيع وسط هذا الحطام ونحن فى أروع سن للبذل والعطاء ، نعزل عن جهورنا ونقف شهودا على تخريب العقل والوجدان المصرى ، نصرخ ونصرخ .. وما من مجيب .. » .

ويثير توفيق عبد اللطيف — واحد من المخرجين الجدد — عددا من القضايا تتناول المخرجين على وجه الخصوص . يقول توفيق : « من الواضح أن جيل الاساتذة من المخرجين قد تعرض لاوضاع تشبه ما تعرض له المؤلفون : فقد اغترب احدهم خارجا [سعد أردش] ، واغترب الثانى عن نفسه [كرم مطاوع] وراح ثالث يقيم مرحا للقطاع الخاص [جلال الشرقاوى] وصمت رابع [حمدى غيث] وحاول خامس أن يغطى المساحة باكملها فوقع فى تناقض ونقد أسلوبه الخاص المحدد [نبيل الالفى] » .

« كذلك اختلط عدد من القضايا لدى البعض ، فقضية المخرج — المؤلف التى بدأها الاستاذان أردش ومطاوع لم تستمر بعد ذلك ، لكنها تحولت الى شكل احادى من اشكال العرض المسرحى ، وفى أيدى الاصغر قامة تحولت الى مظاهرة سياسية فاقدة للمتعة والفن، ثم كان الخلط فى فهم ظاهرة المسرح الشامل عند أنتونين ارتو وبيتر بروك ، فتصور البعض أن هذا المسرح هو احضار مصمم رقصات وملحن اغان ... الخ ، ولم يفهم احد أن هذا المسرح مرتبط بالمخرج الباحث عن مسرح غير لفظى يقتضى نوعية خاصة من النصوص وتدريبا تكنيكيا للمثل من نوع جديد .. الخ .

« وبقيت العلاقة الجدلية بين المنصة المسرحية والمتفرجين علاقة ذهنية ولفظية فى الاساس وليست علاقة احتفال جماعى يتدم الفن والمتعة .

« ثم هناك هذا الموقف المتزمت الذى وقفته الرقابة زمنا طويلا .. حتى اننى سمعت من الرقيب الاول تفسيرات مضحكة لبعض النصوص لا أظنها تدور فى ذهن أحد غيره ، ثم سمعته مرة أخرى يصرح بأن كاتبا معينا ممنوع بأسمه دون قراءة أعماله » .

« هذا كله الى جانب العزلة الشديدة التى يعانيها مسرحنا وانعدام الفرصة أمام التجريب الجاد .. » .

وكان طبيعيا أن يتدم جلال الشرقاوى دفاعا بليغا عن مسرح القطاع الخاص ، يقول جلال : « البديل الوحيد الممكن هو المسرح الخاص ، هو المزدهر الان وهو الذى سيزدهر فى المستقبل ، ولا شك فى أن نوعية أعماله قد تغيرت عما كانت تقدمه مسارح التليفزيون من قبل ، لكننى لابد أن اضع فى اعتبارى ضرورة وجود المشهيات لاننى أقدم عملا تجاريا فى نهاية الامر » .

وعن الجهاز التنظيمى يقول جلال : « اننى ضد أن يوضع للممثلين كادر خاص ، ومع أن يصبح الممثلون موظفين يضاف الى مرتباتهم بدل طبيعة عمل فقط ، فمعظم الممثلين لا يستحقون رفع أجورهم ، وأنا أعرف ممثلين منذ سبع سنوات لم يظهر واحد منهم على خشبة مسرح ، من يعمل من حقه أن يأخذ نسبة من مرتبه .. أما من لا يعمل فلماذا يأخذ ؟ ..

ان قضية الكادر والفنانين والتقييم .. الخ كلها أزمات مفتعلة لتغطية الازمة الحقيقية ، وهى أن المسئولين عن هيئة المسرح ليسوا أكفاء لان يديروا أويخططوا لمواسم فنية فى فرقها ، ولجنة القراءة تصادر أى أعمال لا يتفق مضمونها مع ما يتصورونه عن المسرح ، والهيئة غاصة بالموظفين الذين تبلغ أجورهم ٨٥٪ من ميزانيتها ولا يبقى للانتاج الفعلى سوى أقل القليل .. » ...

[●]

والحل ؟ .. ماذا يقترح المسرحيون ؟ ..

يقول نعمان عاشور : « رغم كل هذه المثالب الواضحة فلا شك فى أن المسرح المصرى قد كسب خلال السنوات العشرين الماضية عديدا من مقومات النهضة ، كسب العديد من الكوادر الفنية من ممثلين ومخرجين وكتاب ونقاد ، على أكتاف هؤلاء يمكن احياء الحركة المسرحية وتصحيح مسارها ، اذا ما تمت تنقية الحقل المسرحى من الدخلاء والمسيطرين الذين فرضتهم ظروف وأوضاع شخصية عتيقة ، وأحوج ما يحتاجه المسرح اليوم هو التخطيط الذى يرعى كافة الطاقات

■ دفـــاع بليـــغ عن القطـــاع الخـاص

« جلال الشرقاوى »

الدرامية الحقيقية ، ويكفل ترشيد القطاع التجارى ، ويوازن بين حاجة الجماهير الى التسلية والترفيه وحاجتها الى الثقافة والمعرفة ، وهذا لا يتأتى الا بتصحيح النظرة الى المسرح كخدمة ثقافية ، وقوة للتوعية والنضال . » .

ويرى **سعد أردش** أن «الازمة أصعب كثيرا من ان يضع لها فرد واحد — مهما كانت قيمته وتاريخه — وصفة جاهزة لكننى أقدم مؤشرات : **الاول** : أن يصبح المسرح فى أيدى رجال المسرح ، وأن يجتمع هؤلاء ليناقشوا مشاكلهم بشكل صراحة ووضوح ، [لكن هذه الدعوة يسبقها أن تحدد لنا قياداتنا ، بالضبط ، ماذا تريد من المسرح وكيف تنظر اليه] **والمؤشر الثانى هو** أنه فى اطار الدعوة الى الديموقراطية واللامركزية فى كافة المؤسسات يصبح شيئا شاذا الا ينتفع المسرح من هذا الشعار . اذن هى العودة الى البيوت المسرحية فى جو ديموقراطى ، وفى اطار لا مركزية محدودة بمسئولية هذا البيت أمام الشعب ممثلا فى قياداته [التشريعية والتنفيذية] ، هذه العودة هى الوسيلة الوحيدة لتربية منهج مسرحى مصرى يتناسب ومرحلتنا الحضارية ، وهى الدليل على أن مصر ليست عقيما »

ويتفق معه **كرم مطاوع** فى أن هذا المناخ الديموقراطى ، وتخفيف قبضة الهيمنة الوظيفية على الانتاج المسرحى ورفع الرقابة تماما من على المسرح هى ما يمكن ان تكون الخطوات الاولى نحو الاصلاح .

ويرى **لطفى الخولى** أن البيت المسرحى المتكامل هو الحل ، ويضيف : « نريد أن تطمئن سادة هيئة المسرح الى انهم سيظللون مدى حياتهم على رأس هذه الاجهزة الادارية متمتعين بكافة امتيازاتها لكن هذا شيء وما يفعلونه بالمسرح شيء آخر .. وللاسف سنضطر لان نستشهد بعدوهم ماركس ، كان ماركس يعتبر بلزاك رجعيا كبيرا الى أقصى حد ، وفنانيا تقدميا الى أقصى حد كذلك ، وعدو آخر هو لينين الذي قال من تولستوى : اننى لم أعرف روح الموجيك الروسى الا من أدب هذا الامير النبيل . ذلك معيار ضرورى للتفرقة بين الذات والموضوع .. وعدم الخلط بينهما . » .

ويدعو **عبد الرحمن ابو زهرة** الى مؤتمر للمسرحيين : « آن الاوان لان يعقد هذا المؤتمر ، من فنانى المسرح والمسئولين والصحافة المهتمة لطرح كل القضايا ومناقشتها ، فالعيب الحقيقى أن نظل سادرين فى أخطائنا ، ولابد أولا من لجنة تحضيرية تحدد بداية المناقشات من رجال المسرح والنقاد الجادين والمسئولين .»

ويتفق معه فى هذه الدعوة عبد العزيز مخيون ، ويضيف اليه : « ويمكن أن نطالب المؤتمر مبدئيا بالاتى :

أولا : تحديد وتأكيد الدور الذى يمكن أن يقوم به المسرح فى مجتمعنا النامى .

ثانيا : العمل على استنبات المسرحية المصرية وتأصيلها .

ثالثا : ضرورة خروج المسرح من عزلته فى القاهرة وتجاوزه جماهير الطبقة الوسطى ليمتد الى الملايين من سكان القرى والاقاليم .

رابعا : أن يكون لجهاز المسرح فى العاصمة مديريات أو مراكز مسرحية فى الاقاليم ، لننتقل من المركزية الى اللامركزية .

خامسا : بحث الدور الذى يمكن أن تلعبه المدارس والجامعات ومراكز الشباب وبيوت الثقافة فى هذا الاطار » .

اما **صلاح السعدنى** [المسرح الحديث] فيرى أن العبء الذى يثقل هيئة المسرح هو فى هذا الجيش الضخم من العاملين دون ضرورة « فى المسرح الحديث ٩٣ ممثلا فى حين ان الاولدفيك لا يضم اكثر من ٣٠ ممثلا ، اذا استطعنا أن نتخلص من هذا العبء الثقيل [وزارة التربية والتعليم اولى بمعظمهم) ، اذن لاستطعنا أن نوفر الدعم المادى لكبار الفنانين ، ومن الناحية الاخرى اعتقد ان هيئة المسرح يمكنها ان تقتصر على المسرح القومى الذى يقدم الكلاسيكيات وتقوم شعبة منه بتقديم الاعمال التجريبية ، ثم ينحصر دور الهيئة بعد ذلك فى التمويل والاشراف على البيوت المسرحية والمسارح الخاصة على السواء ، فأنا لا أفهم معنى أن تستمر مسارح الهيئة فى العمل رغم أن متوسط عدد روادها لا يتجاوز أحيانا ٦٠ متفرجا فى الليلة !»

وعلى حد تعبير **بهاء طاهر** فان المسرح قد بدأ انهياره حين تخلت هيئة المسرح عن رسالتها ، وبداية الطريق أن تعرف هذه الهيئة رسالتها التى تنحصر فى تقديم الاعمال المسرحية الجادة والممتعة ، فلا انفصال بين الجدية والمتعة ، وأن تكف عن منافسة المسرح التجارى بوسائل هذا المسرح ، لان النتيجة معروفة سلفا وهى الان واضحة كل الوضوح .

ويرى **اسماعيل العادلى** [قدم له المسرح القومى عملا واحدا ثم اجتذبه المسرح الخاص] أن هناك ثلاثة طرق لابد من السير فيها معا : النضال من جانب المسرحيين لمحاولة ترشيد هيئة المسرح ، ومسارح الهواة والجامعات ، ثم ضرورة أن يخرج المسرحيون الى أماكن تجمع الجماهير وتقديم عروضهم .

[●]

هكذا اذن تكلم عدد من المسرحيين من اجيال مختلفة ، يصدرون عن مواقف متباينة ، لكنهم يجمعون على أن هيئة المسرح — بما هى عليه من ترهل وافتقاد للتخطيط وسوء فهم لرسالتها الحقيقية — قد أصبحت عاجزة عن الخروج بالمسرح المصرى من أزمته ، وهم يجمعون كذلك على أن قضية المسرح هى فى جوهرها قضية المناخ الديموقراطى الذى يسمح بالحوار والصراع ، وأن الرقابة قد أضرت بهذا المسرح أكثر من أى شيء آخر ، وأن البداية الحقيقية هى رفع الرقابة عن المسرح ، وتوفير الحرية للبيوت المسرحية ..

فهل بقى هناك أمل فى انقاذ ما تبقى من المسرح المصرى ؟

من اليونان

هذه القصائد الممنوعة

عاشت اليونان ليلا طويلا فى ظل الحكم العسكرى ، وتفرق كتابها وشعراؤها فى المنافى والسجون ، لكن اليونان كانت دائما فى القلب ، كتبوا الشعر والنثر ، من منافيهم أو سجونهم كانوا يحلمون دائما بالخلاص • وفى ١٩٦٩ أصدر سارتر عددا خاصا من مجلته « العصور الحديثة » لهذا الادب المقاوم •

وفيما يلى نقدم « الطليعة » بعض النماذج • •

منذ ان استولت السلطات العسكرية على مقاليد الحكم فى الواحد والعشرين من أبريل عام ١٩٦٧ باليونان ، وضع مصير الادب فى أيد غير أيدى الادباء ، ولكن على الرغم من الصمت الذى فرض على الشفاه ، فقد ظل هناك صوت يدوى فى ارجاء ذلك الصمت •

ترجمة وتقديم :

د• نادية كامل

● عن القصة والرواية

لم تعد واجهات المكتبات تعرض سوى كتب عن الطهى وكيفية الاعتناء بالحدائق وأيضا بعض الكتب الادبية ذات المستوى المتوسط ، توقف طبع ما كان قد دفع به الى المطابع ، بل وتم اعدام كثير من المخطوطات ، وأقفرت نوادى وجمعيات الادباء الشبان •

توقفت المناقشات فجأة ، كما لو كانت كل القضايا قد حلت ولم يبق شىء يحتاج الى حوار او مناقشة •

وأرسل عدد من المفكرين الى معتقلات الجزر اليونانية النائية ، ونضب معين الادب فى اليونان ، فلم يظهر عمل جدير بالانتباه منذ ذلك الحين ، وما من اسم من الاسماء التى حظيت بالتبجيل من قبل نشر له عمل ، حياة ثقافية بلا أحداث ، بلا كتب مثيرة للجدل • مضى الكتاب يموتون دون أن يولد محلهم كتاب جدد • ولم تقتصر سلطة الرقيب على ما على مكتبه من كتب الادباء ومخطوطاتهم ، بل امتدت الى عقول الكتاب انفسهم •

وحتى الشاعر ، مهما كانت سعة خياله ، لا يستطيع ان يخلق صورة شعرية دون تدخل الرقيب ، لقد اشترط هذا الرقيب اسهامه فى عملية الخلق ، وكان على الشاعر ان يرضى بشركة من نوع ما فى الخلق الادبى ، وان يساوم ، وان يقبل التنازلات على نحو دائم •

وكان ثمن ذلك باهظا بالنسبة للادب اليونانى ، فهو يكسر من تدفق واحد بالاستمرار • ومنذ العصور الاولى

لنشأته ، فان الادب يكافح من أجل بقائه وشرعية وجوده ، متمثلا فى لغة الشعب المليئة بالحياة •

وتحبط بالحركة الادبية عوامل أخرى مثبطة : من نظام للتعليم معاد لها ، الى طبقة حاكمة مستعلية عليها ، واتهامات مزيفة توجه اليها ، سواء من دوائر الحكومة أو الكنيسة • ولذلك نجد الشاعر والكاتب اليونانى الحديث **ديونيسوس سولوموس** ، وقد أدرك المشكلة بكل مساوئها أثناء جهاد اليونان من أجل استقلالها ، فهو يربط مصير لغة الشعب بمصير حريته ، معلنا ان الازمة بحاجة ماسة قبل كل شىء الى « **حرية اللغة** » •

فمنذ عام ١٨٨٠ ، كان الكفاح من أجل شرعية اللغة الديموطيقية أو الشعبية يقود الادب الى نوع من تسجيل ونقل العادات والفولكلور ، وذلك كرد فعل للاتجاه التقليدى فى الادب ، وكانت المدرسة تعلم لغة كلاسيكية فارغة ، بينما الشعر والنثر يمضيان الى أحضان اللغة الديموطيقية او الشعبية ، مما اوجد ازدواجية ذات تأثير معوق لنماء الروح التقدمية •

وقد كان طبيعيا ان يستغل السياسيون هذا الصراع لتحقيق مآرب خاصة •

وكأنما لم تكف اليونان هذه الخطيئة اللغوية [اذ كان استخدام اى من اللغتين فى نظر المعسكر الاخر خطيئة لا تغتفر] ، فلعبت المغامرات الداخلية والخارجية دورها فى اجهاض التطور المطرد للبلاد لسنوات طويلة ، فمنذ عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٥٠ قامت ديكتاتورية ميتاكساس الخانقة للانفاس ولكل محاولة للتعبير •

وقد كان واضحا — منذ بداية الثلاثينات — ان النثر اليونانى بسبيله الى التقدم ، لكن مع هزات الحروب [الحروب البلقانية ، الحرب العالمية الاولى ، مغامرة آسيا الصغرى] ، تراجع الادب الى تلك الحقبة البدائية التى كانت الكتابات تحكى فيها حكايات من العادات والفولكلور •• ثم ظهرت الرواية البورجوازية ، التى كانت قد أفلست حتى فى الغرب ، حيث بدأ ظهورها • ولكن كانت هناك جماعة سميت بـ « جيل الثلاثينات » ، اهتمت فى أعمالها الروائية والقصصية بدراسة التراكيب الاجتماعية وتأثير تواتر الاجيال مع اعلان احتجاجها على الحروب • لكن أعضاء الجماعة كانوا يجدون صعوبات جمة قبل ان يستطيعوا نشر كتاب لواحد منهم ، أما أصحاب الكفايات الادنى من الكتاب فقد اوهموا أنفسهم بأنهم قد تجاوزوا الازمة بدس الراس فى الرمال ومحاولة الخروج من المأزق باللجوء الى أساليب بلاغية ، والى مونولوجات داخلية • وكما ان الحروب البلقانية والحرب العالمية الاولى قد أوقفت نمو الادب الاجتماعى ، فان الدكتاتورية والحرب العالمية الثانية قد لعبتا نفس الدور فى تعويقه عن بلوغ غايته •

وقد ولدت المقاومة قوى خلاقة عديدة ولكنها لم تتح لها مع ذلك الفرصة للتعبير عن ذاتها ، لان الحرب الاهلية قد شتتها وقضت عليها • وقد تفاقمت مشكلات ما بعد الحرب ؛ وبينما مضت الحركة الشعرية تتقدم ، قدر على الحركة النثرية ان تنتظر حتى عام ١٩٥٥ ، حتى ترى النور صفحات جادة من الادب الحقيقى الذى يمكن ان يسمى بـ « **أدب ما بعد الحرب** » ، وهى تلك الصفحات الذى كتبها **ستراتيس تسيركاس و دميتريس هاتزيس و اندرياس فرانجياس و نيقوس فازداغليس و يراسيموس جريجوريس و سبيروس بلاسكوفتش و سوتيريس باناتزيس و اندرياس نبنداكس و ديميتريس دمتردو** ، ثم يأتى بعدهم **سبيروس بلاسكوفتش وسوتيريس تاختيس و مينيس كومانداراياس و اليكسيس سخنساس و تاسوس ابفاديتيس** •

وباستثناء اسم أو اسمين ، فان هذه اسماء غير معروفة فى الغرب ، حيث تلقى اعمال ادبية أدنى قيمة الاهتمام الاكبر ، وذلك بناء على معايير خادعة ، مثل « الطرافة » التى تتخذ طابعا فولكلوريا خادعا •

ماذا تعنى هذه الاسماء ؟ •• لا شىء غير انها وجوه متنوعة للنثر اليونانى المعاصر العامر بحيوية لم يعرفها الادب اليونانى الحديث ، الى أن لقى حتفه فى ٢١ أبريل سنة ١٩٦٧ •

بعض هذه الاعمال استمدت من تجربة الحرب ، والبعض الاخر ، وهى أعمال الكتاب الاكثر شبابا ، تهاجم «الامتثالية» ان هؤلاء الكتاب يتحدثون عن الضمير ، عن الايديولوجية ، وعن الثورة ، بولاء لتقاليد البلاد ، وابتداع لكتابة جديدة ، والسمة المشتركة بين كل هؤلاء الكتاب جميعا تتمثل فى الجدل الذى تثيره أعمالهم ، سواء من ناحية الافكار أو من ناحية الشكل •

وقد أنجز **ستراتيس تسيركاس** ثلاثيته الروائية « **مدن فى مهب الريح** » عن الحرب ومقاومة النازية فى الشرق الاوسط • وقد ارتفع المؤلف بالرواية اليونانية الى مستويات لم تكن معروفة من قبل • واذا كانت الحرب هى الحدث الغالب على هذه الرواية ، الا انها هى القوة الدافعة الى احتدام كل الازمات ، والى وضع كل القيم والافكار موضع الاختبار •

ان مصير اليونان التراجيدى فى السنوات الثلاثين الاخيرة والازمة التى تواجهها حضارة الغرب وانسانيته يعالجها المؤلف على نحو متماسك وحصيف فى الاجزاء الثلاثة لهذه الرواية التى ليست رواية تاريخية فحسب ولا رواية أفكار ومواقف ، بل هى عمل يرتكز برمته على دراسة الانسان •

أما **دميتريس هاتزيس** ، وهو من الجيل الذى بلغ الرشد فى ظل المقاومة فقد كتب عددا من القصص التى تدعو للاعجاب ، بعنوان : « **نهاية مدينتنا الصغيرة** » ، تحكى عن شقاء وبطولات سكان مدينة صغيرة من مدن الاقاليم تختنق داخل اسوارها القديمة المتهدمة • واذا كان تسيركاس قد تحرر من التقاليد البالية ، واضعا روايته عند ملتقى التيارات المعاصرة ، سواء من حيث المضمون أو من حيث الشكل ، فان هاتزيس يحقق هدفا أقل طموحا ، ولكنه لا يقل اهمية : انه يربط التقاليد بالحاضر ويقيم جسرا على الهوة التى تفصل بين الامس واليوم •

ويحكى **اندرياس فرانجياس** عن بطولات صامتة فى زمن مختنق فى روايتيه « **عن الناس والبيوت** » و « **الشبكة** » •• وفى هذا الجو من الفوضى والخراب

نجد كاتبين آخرين من كتاب سنا بعد الحرب قد قدما تجارب ذات أبعاد مختلفة هما : **سبيروس بلاسكوفيتش و نيقوس كازداغليس** .. ويتكلم الاول عن مدينة تقع وراء خزان ويخيم عليها الخوف من أخطاره ، فهو ليس شديد الثبات . وعندما ينهار الخزان تكتسح مياهه كل شيء ، دون ان يكون أى من التكنولوجيا أو العلم أو المنطق بقادر على ان يوقف الخراب والذعر .

أما كازداغليس فهو ينقل صورا من حياة الجنود فى معسكراتهم وخنادقهم ثم من حياة المحتال العامة والمواخير ، كاشفا عن حس اخلاقى حاد .

وقد مضت تتوالى كثير من الاعمال ذات المضامين الانسانية والاجتماعية فى الروايات والقصص والمذكرات التى اتخذت الحرب الجادة والمقاومة موضوعا لها ، مثل رواية « **النهر الكبير** » **لياننيس بيراتيس** ، ورواية « **الوحش والعاصفة** » **لنيقوس فريتاكوس** ، **وقصص ستوليريتى باناتزيتى** و « **مرضى وحجاج** » **لجورج ثيوتوكاس** .

وفى الستينات ، عندما بلغ الانحطاط الذى عانت منه اليونان ذروته ، نشبت أزمة جديدة ، أثارت رد فعل حقق للادب اليونانى ما يمكن أن نسميه الصدمة المطهرة .. وقد تميز الاتجاه العام ازاء هذه الازمة باحساس شامل بالرفض والتقزز ، فبدأ الكتاب الشبان يرفضون كل نظام يجعل من الواقع اليونانى الحديث عالما ميتا ، ولا فلاح لتخلفه ، فهاجم **الأنتيليتى فاسيليكوس** هذا الوضع فى قصصه الثلاث «**الورقة**» و «**الحفرة**» و « **الشبيه بالملاك** » ، وهو يسخر من الافكار السائدة ومظهرها الوقور المصطنع ومن محاولة تعقيم الافكار والفضائل والعواطف ، وذلك بأسلوب غاية فى الثورية ، لدرجة تبدو معها هذه « اللابطولة » عند فاسيليكوس شيئا جديدا ومدهشا فى الادب اليونانى الحديث .

ويمكننا أن نجد نماذج أخرى مثيرة للاهتمام فى الاعمال النثرية الحديثة الصادرة فى اليونان ، ومنها على سبيل المثال كتاب « **بيتى** » **لميلنو اكسيوتى** ، التى تتكلم فيه عن جزيرتها ميكونوس بطريقة أخرى غير الطريقة السياحية الجذابة والبراقة التى يصاغ فيها الحديث عن جزر اليونان .

على أن الامر فى هذه العجالة لا يتعلق باجراء عملية جرد دقيقة لمنجزات الادب اليونانى الحديث بعد الحرب .. بل ان هذه السطور تقصد فحسب ان تعطى فكرة عامة عن نوعية ونسيج نثر قادر على تجديد اليونان المعاصرة والاخذ بيدها الى مصاف الادب العظيم ، على ان هذه الاعمال قد لقيت المصادرة والاجهاض فى اليونان ، ويبدو انه لن تحل محلها اعمال أخرى تضاهيها فى قوتها لامد طويل [١]

● عن الشعر :

أما عن أعمال الشعراء التى اختيرت لقيمتها كشهادة على مرحلة حاسمة فى تاريخ اليونان فهى أعمال شعراء ينتمون الى ثلاثة أجيال مختلفة ولكنها تعرض المأساة نفسها او مآسى متقاربة .. ان **جورج سيفيريس** وهو اكبرهم سنا وقد ولد مع مطلع هذا القرن فى أزمير وساهمت أعماله فى تجديد الشعر اليونانى وحصل على جائزة نوبل فى الاداب عام ١٩٦٣ . ومن بعده ولد **يانيس ريتسوس عام ١٩٠٩** . أما الاخرون الاكثر شبابا : **أنجوستاكيس وباتريكيوس وكولوناكيس ونجروبونتيس وخريستو دولو ودوريادينى** فهم ينتمون الى جيل ما بعد الحرب وتصور جزء من أعمال سيفيريس القديمة كارثة آسيا الصغرى عام ١٩٥٢ وجزء آخر منها ، الأكثر حداثة يعرض احداث قبرص ، وأعمال يانيس ريتسوس وعلى الأخص ديوانه «**سهرة**» الذى صدر عام ١٩٥٤ فهو يستلهم الحرب الالبانية وكفاح المقاومة وتمزقات الحرب الاهلية والجو الخانق الذى أعقبها وهذه الأخيرة هى التى صارت السمة الغالبة على أعمال شعراء أصغر سنا مثل **كولوفاكيس وباتريكيوس وخريستودولو** وقد تطبعوا جميعا بطابع يائس مرير ولاذع .

انهم اذن جميعا سواء الشيوخ منهم أو الشبان شهود على تلك التراجيديات التى وان كانت لم تستطع خنق اصواتهم الا أنها كسرت من آمالهم ودمرت جانبا هاما من حياتهم . ومن هنا بدا وصفهم كأدباء شعراء فصارت الكلمة عند **ريتسوس** فوهة بندقية . واداة عند **باتريكيوس** وصرخة تحذير عند **أناجنوستاكيس وخريستودولو وكولوناكيس**

ان القصيدة عند هؤلاء تحمل كل طاقة اللحظة المعاشة وضغوطها على الضمير والاحاسيس . فالقصيدة تتخلى عن الذاتية لتصف معارك وآمالا تقوى أو تخيب . وعولت كثيرا على قدرة الكلمة على اثارة الحواس أو تصفية الوجدان.

ولا يتجمع هؤلاء الشعراء حول مدرسة واحدة ، وسواء كانت لغة كل منهم محكمة البناء أو مستخدمة بتلقائية فان حرية الخلق التى يتمتع بها كل منهم قد تلاقت لدى الجميع عند التمثل بالمأساة التى يعيشها جيل ، فتتحقق والتعبير عنها تبعا لاحتياجاتهم الروحية . (٢)

[١] عن مقالة جورج رافتوبولوس بعنوان « الادب المكمم الافواه » ، المنشور فى « العصور الحديثة » ، العدد ٢٦٢ سنة ١٩٦٩.
[٢] عن مقالة جاك لاكاريير بعنوان « شعراء منفيون » بالمجلة نفسها .

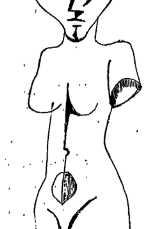
بـــلادنـــا



تمـر السنين
أصـبحنا ناضجين ، جـذورنا
راسخة
وهذه الطبيعة
ـ سحيقةالاغوار مستحوذة ـ
آتية صورها من بعيد
تسرى فى دمائنا
وتبعث فينا الاضطراب
نظن انه قد انفك منها أسرنا
ولكن سرعان ما تكون
قد شدتنا
وفى تياراتها السفلية
مضت بنـــا
الى بلد غير اليونان
ليس بممكن أن ينصرف فكرنا .

يانيس نيجروبونتيس

هـــذا الوطـــن



متعبون . ما عدنا بقادرين على
الاحتمال
فى هذا الوطن
الذى ينبثق التاريخ
عند كل خطوة من خطواتنا .
وهذه الجراح
التى ترفض أن تلتئم
على القلاع والمعابد والتماثيل
على القبور المنهوبة التى لا تمنح
الغفران
على ايقونات قديسى
ديانة بكر وفاجرة ـ
الالام فى كل مكان . والخـــوف
من الاسلاف
ماعدنا بقادرين على تحمله .
ماذا يستطيع الاخرون أن يفهموا ؟
يجيئون ، يصورون ، يكتبون
يرحـــلون . يصـــفون ما يزون
ويشعرون بالارتياح .
ما الذى يعرفه هؤلاء عن روابطنا
بهذا الوطن الذى لا يرحم
القدير ، الذى لا تنطفىء شعلته ؟

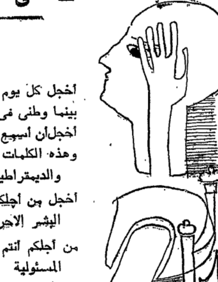
يانيس نيجروبونتيس

□ اعلان سياسى

صديقى
اليونان التى كنت تبحث عنها ،
ما عادت هنا
اليونان التى كنت تبحث عنها
يسومونها العذاب فى أقبية
الشرطة وفى المعتقلات بالمنفى
صديقى
فى هذا البلد ، سجنوا الشمس
سجنوا الاحلام
سجنوا الشواطىء
وصار الاكروبول وكر القوادين
والقتلة
صديقى
لا تنس أنهم يريدون نقودك
ليبنوا سجونا أخرى فى وطنى

اندونيس دوريادیس

□ انى أخجل



أخجل كل يوم أن أرى الشمس
بينما وطنى فى الظلمات ينطفىء
أخجل أن أسمع ضحكاتكم وأغانيكم
وهذه الكلمات المبتذلة : السلام
والديمقراطية .
أخجل من أجلكم جميعا ، أيها
البشر الاحرار
من أجلكم أنتم ، يامن تتحملون
المسئولية
بسبب الجرائم المرتكبة فى وطنى
أنتم يامن تنصلتم من المسئولية
أخجل
من أجل كل البشر
من أجل كل الاوطان
من أجل كل الالهة
أخجل .

اندونيس دوريادیس

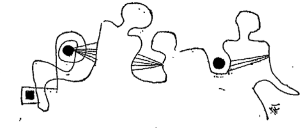
طـريق

ثم جاء الى الاجتماع خاريلاوس
واسمه الحقيقى جيراسيموس،
وقال :
« أيها الرفاق ، سننتصر »
قتلوه بعد يومين .
جاء الى مكانه اليكسيس ،
واسمه الحقيقى نيكوس ،
وقال :
« أيها الرفاق سننتصر »
فى موجة الرعب الثالثة
وجد لنفسه وظيفة محاسب .
ثم جاء الى مكانه جريجوريس ،
الملقب بالارمنى ، واسمه الحقيقى
مجهول ،
وقال :
« أيها الاخوة ، سنواجه صعابا
كثيرة
ولكننا سننتصر »
ثم أعطى منصبا اكثر مسئولية .
وجاءت الى مكانه روزا ،
واسمها الحقيقى فانى ،
وقالت :
« يجب الان أن نـألف ظـروفا
جديدة » .
وعندما اقتادوها ؟ جـاء الى
مكانها بتروس ،
واسمه الحقيقى ثانابتيس ؟
وقال :
« ظـاهرة الاضرابات تزايدت »
مات بعد قليل فى المصحة .
وجئنا بدورنا ، أنا ، وبيلوبيداس
وستراتيس
وجاء فتيان جدد ، وتوالت على
القادة أحكام الاعدام .
وجاءت الخطط الخمسية والخطط
السبعية
والثورات بعضـها اثر بعض
توالت
وجـاءت المؤتمرات ، واعـادة
الاعتبار للابطال الذين قتلوا
وانفضت الشيخوخة ايضـا الى
الموت .
وانطمست قائمـة الاسـماء ،
واختلطت البقية ...
**وقال العـامل الشـاب فى
الاجتماع الجديد :**
« أيها الرفاق ، سننتصر »

تيتوس باتريكيوس

يـوم الحسـاب

فى صيف طويل يصلون بالليل ،
أولئك الذين قتلوا .
يتلفتون حولهم ، يجربون المفاتيح
ويفتحون الباب ،
يدخلون البيت ، وفى الظلمـة
يتلمسون طريقهم ، ولا شىء
يجدون .
أنت ، تختبىء تحت السرير ؟
هذا السرير
الذى جعل كى تنام عليـه ،
وها أنت
تحمـله فوق ظهـرك . **خلف
الستائر .
لبث ظل الشباك مصلوبا**
ما عاد الموتى يعرفون لـماذا
قتلوا .



يانيس ريتسوس

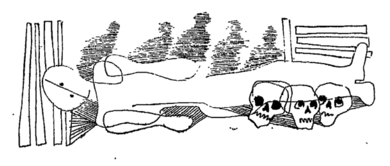
وكان ضروريا أن ينتشر الضـــياء

وكان ضروريا أن ينتشر الضياء
كي يطلع النهار .
ولكنني
لم أقبل الهزيمة . كنت أرى
كلّ تلك الاشياء الثمينة التى كان
على انقاذها ،
كل هذه الاعشاش التى كان على
أن انجو بها من النيران
أنتـم يا من تتـكلمون ، يامن
تصرخون كاشفين عن جراحكم
فى الشوارع مذعورين ،
وعلى الشرفات نشرتم ، مثـل
راية ، الهلع الـذى يخنق
قلوبكم
وعلى عجـل شديد شـحنتم
بضائعكم
كنتم متأكدين من توقعـاتكم :
ستسقط المدينة لا محالة .

هناك فى أحد الاركان
أرتب كل شيء بعناية .
وأغلق بأناة نقطة المراقبة الاخيرة
اعلق على الحوائط اذرعا مبتورة
وازين النوافذ بالجماجم . انسج
شباكى

بجدائل من الشعر مقطـوعة ،
وانتظر .
وقفت وحدى كما كنت افعـل
دائما ، وقفت أنتظر .

مانوليس اناجنوستاكيس



ملحـــــوظة



لكن عيونهم ناصعة البياض ،
بلا رموش ،
وأيديهم نحيلة مثل أعواد البوص
يا أيها الرب ، لا تكن مع هؤلاء
الناس . سمعت
فى الفجر صوت الاطفال يندفعون
على المنحدرات الخضراء
سعداء مثل النحل
أو الفراشـات متعددة الالوان .
يا أيها الرب ، لاتكن مع هؤلاء
الناس . ان أصواتهم
لا تخرج من أفواههم
وتظل لاصقة بأسنانهم الصفراء
البحر ملكك والرياح
والنجم المعلق فى السماء ،

يا أيها الرب ، انهم لا يعرفون
مبلغ ما نحن بقادرين عليه
ونحن نداوى جراحنا بالاعشاب
التى نجـدها على المنحـدرات
الخضراء
المنحدرات هذه القريبة ، وليس
على منحدرات غيرها بعيدة
وان أنفاسنا معلقة
بصلاة صغيرة نتلوها كل صباح
ننبس بها فتمضى الى الشاطىء
مجتازة مهاوى الذاكرة .
يا أيها الرب ، لا تكن مع هؤلاء
الناس . فلتكن مشيئتك على
نحو آخر

جورج سيفيريس



تعقيب على تعليق « ثورة بلا سينما »

فى اطار سياسة « الطليعة » بفتح الحوار على أوسع نطاق ممكن بين كتاب بعضهم وبعض وبينهم وبين القراء ، نشر الملحق فى العدد الماضي مقالا بعنوان « سينما بلا ثورة » ،يعلق فيه « الفاروق عبد العزيز على مقال سمير فريد » فى عدد يوليو ١٩٧٤ عن « السينما وثورة يوليو » . وننشر فى هذا العدد تعقيبا لسمير فريد . كذلك ننشر تعليقين على الملف الخاص بالقصة القصيرة الذى نشر فى العدد الماضى .

حين قرات تعليق القارىء الفاروق عبد العزيز على مقالى عن السينما وثورة يوليو فى العدد الماضي تذكرت اول مقال كتبته وانا فى المرحلة الثانوية ، وهو مقال نشرته مجلة الاداب اللبنانية هاجمت فيه الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد معا !

هذا ما يحدث دائما فى مرحلة المراهقة ! وان كان لا يحدث دائما فى مجلة « الطليعة » التى تفتح ابوابها من حق لاى قارىء ، ولكنها نادرا ما تفتح ابوابها لنشر اى كلام ! والتعليق الذى قراته عن مقالى هو بالفعل اى كلام وليس هذا نوع من التسفيه الناتج عن الخلاف فى الرأى ، فما دمت اكتب فى « الطليعة » فلابد ان اكون مؤمنا بقول فولتير المنشور فى صفحتها الاولى . ولكن فولتير يقول قد اختلف معك ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك ، وانا لا اجد خلافا ولا رايا معارضا حتى ادفع حياتى ثمنا للدفاع عنه ، او ادفع حتى ثمن الورق والمداد الذى اكتب به !

انى اكتب هذا التعقيب دفاعا عن القارىء الذى قرا مقالى وقرا التعليق ، وليس دفاعا عن مقالى الذى يقبل المناقشة بالطبع ، ولكن ما قرأته ليس مناقشة ، وانما مجموعة من الاخطاء والاستعراضات الساذجة التى اعجز عن وصفها بدقة !

يقول السيد القارىء فى اول تعليقه « فى عرض كرونولوجى يحيطه الغموض الفكرى كتب الاستاذ سمير فريد مقاله » . وما دام لا يقول لماذا يتهمنى بالغموض الفكرى — وانا اعتبرها تهمة — فلست اجد ما اقوله عن ان المقال غمض عليه ، وليس الفكر ما غمض على !

ويقول « جانب الصواب الكاتب منذ البداية حين اتبع منهجا كرونولوجيا فى تحليل الظاهرة السينمائية ، بل انه منهج يكاد يكون مضللا لانه ينبنى بتطور كمى متصاعد ويخلط بين اتجاهات موءودة واخرى متسيدة كخلطه بين الافلام ذات الابعاد الاجتماعية المحددة ، وبين اجازة نص السنة مثلا » ، وفضلا عن ان الكرونولوجى ليست منهجا ، وانما هى كلمة يقصد بها الحيز الزمنى ، وهو الجهل الذى يكفينا لعدم متابعة ماترتب عليه ، فليس فى المقال خلط بين الافلام ذات الابعاد الاجتماعية المحددة او بالاحرى الافلام الواقعية لان كل فيلم فى العالم له ابعاد اجتماعية محددة ، وبين اية افلام اخرى ، وانما هو مقال يوضح الخيط الابيض من الخيط الاسود فى هذا الصدد ، وبوضوح كامل يفرضه وانا بالمناسبة لم اذكر فى مقالى هذه الكلمة ، وانما ذكرت فى مقدمة الملحق كوصف للمقال .

ويقول السيد القارىء ان هذا المنهج المزعوم الذى استقر فى ذهنه من قراءة المقدمة عاق « التجاوز صوب تحليل الظاهرة من الداخل وصار الحديث عن اهم الافلام وليس الافلام الثورية » . واذا كنت اقول اننى اتحدث عن اهم الافلام فعليه أن يحاسبنى فى هذا الاطار ، ولا يفرض على الحديث عن الافلام الثورية فقط !

ويقول « جانب الصواب الكاتب حين لم يستطع ان يفرق سينمائيا بين دور الدولة باجهزتها وبين دور الثورة كفكرة » وانا لا ادرى ما هى التفرقة السينمائية بين دور الدولة ودور الثورة ، ولا ادرى كيف يمكن وصف الثورة بانها فكرة ! ويواصل القارىء العزيز ولكنه يعجز عن التعبير تماما ، ويتحدث عن الامراض الهيوليه الجيلاتينية للسينما المصرية ، واشياء اخرى عجيبة !

وفى المجانبة الثالثة للصواب التى لحقت بى فى رأس الفاروق يقول اننى لم احلل « الافلام الواقعية المصرية بعد ثورة يوليو وعلاقتها النقدية مع الواقع مع الفلم بانها استمرار عضوى للواقعية ما قبل يوليو وارتباط ذلك بالعلاقة المطلقة بين اى ثورة وبين الواقعية كمنهج فكرى للجموع » ، ولا شك ان

السيد القارىء يقصد انه يختلف معى فى التحليل ، وليس اننى لم احلل ، والا فلست ادرى ما هو موضوع المقال ؛ ولكنه لا يقول لنا تحليله ، ويكرر ماذكرناه من ارتباط بين الواقعية قبل وبعد الثورة فى افلام كمال سليم ثم افلام صلاح ابو سيف ، ثم يزيد متحدثا عن العلاقة « المطلقة بين الثورة والواقعية مؤكدا انه لا يدرك معنى الالفاظ ، وقاطعا الشك باليقين بعد ذلك عندما يقول ان الواقعية بالنسبة الى الثورة « منهج فكرى للجموع » !! !! !!

ويقول القارىء اننى وصفت احد الافلام بانه اهم فيلم فى تاريخ السينما المصرية ولا يذكر ما هو ، وهذا مع الاسف كذب لا اعلق عليه لاننى لا اؤمن بان هناك عملا فنيا يمكن أن يكون الاهم فى تاريخ اى فن ، فى اى عصر ، او فى اى مكان ! ويقول اننى وصفت احد الافلام بانه اهم فيلم منذ فيلم « السوق السوداء » ، وهذا تزييف لاننى قلت ان فيلم « القضية ٦٨ » هو اهم فيلم مصرى منذ « السوق السوداء » من حيث مواجهته الايديولوجية الواضحة للواقع الحاضر ، وفى مواجهة كل التحديات ، وهناك فرق كبير .

ثم ينصح صاحبنا القراء بالعودة الى المقال قائلا « ربما كان هذا كاشفا وديالكتيكيا بصورة افضل » ، ويعدد بالفاظه المتحذلقة مجموعة من الاسئلة التى يرى ان المقال لم يتضمن اجاباتها وهو فى هذه الفقرة المعنونة بسلة الاسئلة لا يثبت الا انه لم يقرأ المقال جيدا ، وعندما يستخدم مصطلح ديالكتيكى ينسى انه يرسل الخطاب « للطليعة » ، وليس « الكواكب » !

وتحت عنوان « الاعتذار المكتوب » الذى لا افهم ما يعنيه به يقول انرؤيتى الداخلية امينة ، وهذا وصف اخلاقى! ولكن هذه الرؤية تتناقض مع منهجى فى التحليل ، والدليل على هذا انه قرأ فى مقالى ان الثورة لم توقف اندفاع سينما اغنياء الحرب ولم يعرف لماذا ، وانها عجزت عن مواكبة الاحداث الثورية عام ١٩٥٦ ولم يعرف لماذا ايضا ؟!

ولو كان القارىء الكريم قد سأل ببساطة لاجبناه ببساطة ان يرجع للمقال ثانية بدلا من ان يطلب من القراء ذلك ، وهم لا ينتظرون الاشارة من احد ، وسوف يدرك ان الاجابة على هذين السؤالين ترجع الى ان الثورة — كما جاء فى المقال — لم تهتم بالسينما الا ابتداء من عام ١٩٥٧ . وبعد ان يذكر لى الفاروق بكرم مشكور ان هناك حكم صادق فى مقالى ، وان لم افهم ايضا عنوان « القدرة ظل الثورة » الذى جاءت تجته هذه اللفتة الغالية يختتم تعليقه تحت عنوان «النتيجة» اى الحكم النهائى المصدق عليه وهو ان المقال « مبهم الايديولوجية والمنهج الكامل !! » .

سمير فريد

○ عن القصص .. والأجيال

لقد اثار الملف الخاص بالقصة القصيرة المصرية ؛ فى عدد الطليعة السابق ، مناقشات حادة ، بدأ فيها تحفظ البعض ، وسخط البعض الاخر ، كما اثار تقديم الصديق الناقد « فاروق عبد القادر » بعض القضايا الخاصة : بمشكلة الاجيال والعطاء الذى تدمه « جيل الستينات » كما أثار من ناحية اخرى ، قضية « مباشرة مايهدف القصاص لان يقوله » أو بمعنى آخر ، قضية العلاقة بين الاحداث الجارية [الواقع الموضوعى] وبين الرؤيا الفنية لهذا الواقع ، فى خلفية العمل الادبى .

وقد لا تكون الملاحظات التالية ، موجهة مباشرة الى تقديم الاستاذ الناقد « فاروق عبد القادر » بقدر ماهى ملاحظات عامة ، حول شعار رفع فى أعقاب حرب اكتوبر وبعض الاراء الشائعة الاخرى ، والتى يبدو انها رسخت فى تلابيب الضمير الادبى العام [كتعبير الاجيال] وارى فى محاولتى الخاصة للفهم ، والمعرفة ، مايمكن ان يكون مجانبا لهذه الاراء .

وسوف أعبر عن هذا من خلال عدة ملاحظات ، ابديها اولا ، حول شعار سقوط الادب الذى كتب فى أعقاب ٦٧ ، على أيدى الكتاب الذين مناهم النقد الادبى « بجيل الستينات » والذين جاء تقديم الاستاذ « فاروق عبد القادر » لينبىء بنهايتهم ، ويبشر ببداية موجةجديدة بدأت فى الظهور فى « أعقاب » هؤلاء ، ولا أظننى الا منتظرا نهاية مسبقة لهؤلاء أنفسهم ، بعد فترة طالت او قصرت ، فى أعقاب هذا الحدث الجلل أو ذاك ، وهكذا تدور الدوائر .

وقبل أن أبدى هذه الملاحظات ، اود أن ألفت النظر الى أن الكتاب الذين

تشملهم هذه المذبحة الان ، كانوا هم أنفسهم قد وافقوا من قبل – على الاقل بصمتهم عن ابداء الرأى فى هذه المسائل – على أن « يشاركوا » فى المذبحة التى أقيمت للذين قبلهم ، دون ترو وادراك للمسائل الحقيقية التى تحققت بالفعل على أيديهم – هم أنفسهم – نقول : ابتغاء [عند بعضهم] لتحقيق مكاسب شخصية ، وتركوا الاصوات تنادى برفع أسمائهم ، [وكأن الحكاية « مولد » وليست نقدا موضوعيا ودراسة متأنية لها أصول وقواعد] حتى خيل للمرء أحيانا ، أنهم سيبقون لامد طويل « نهاية المطاف » وكأن مصر قد أصابها العقم ، وقد قاد هذا ، تمشيا مع هذا السباق ، وهذه المفاهيم ، الى أن ينال البعض ما لا يستحق ، وأن ينال البعض ما هو أكثر مما يستحق ، وهذا مايسجل للاستاذ فاروق عبد القادر ، من هذه الزاوية ، مساهمته الشجاعة فى مغامرته بتبنى هذه الاسماء الجديدة فى عدد الطليعة السابق ، لكن هذا فى حد ذاته يحتاج الى النقاش الموضوعى الجاد ، الذى يضع حدا ، وبموضوعية ، للعبة القلائد والمشانق التى تعلق فى الرقاب بين كل حين وآخر .

أما أولى الملاحظات على الشعار الذى رفع بسقوط الادب الذى كتب فى أعقاب ٦٧ هى افتقاده الى التحديد الذى يجعل منه ادانة لنوعية من الانتاج يبدو انه كان يقصدها ، مما أوقعه فى الخلط بين هذه النوعية ، وبين ما أسميه بالادب الجديد ، وهذا أدى الى التنبؤ بنهاية كتاب جادين بالفعل ، كما كان ولابد – تمشيا مع هذا المنطق – من التبشير بموجة جديدة قادمة ، تقوم بأعمال « الخدمة » ، حتى ولو لم تكن هى هذه الاسماء التى وردت قصصها فى الملف الخاص بعدد الطليعة السابق ، ويبدو هذا طبيعيا فى سياق الفهم العام ، فهم الكاتب الجديد ، أو الادب الجديد ، على انه لابد أن يكون مندرجا تحت قائمة من الاسماء ، واحيانا من المعميات ، تأثرا بظاهرة طوابير الجمعيات التعاونية .

اعود فأقول : أن ما يمكن أن يقال عنه أنه « ساقط » من الادب هو ذلك الانتاج الذى لا يحمل فى ذاته أية قيمة فنية أو فكرية [ولدينا شواهد كثيرة ، لاسماء طبل لها البعض وزمر ، ومازالت وبلا كلل تمارس فعل الكتابة وتملأ الصفحات ، ولكنها لم تستطع الثبات ، لا أمام النقد الجاد – الذى وللاسف كان مقصرا دائما – ولا حتى أمام المقاييس العادية لشرف الكاتب واحترامه لنفسه] وهذا سواء كان قد تعرض للهزيمة ، باعتبارها موضوعا ، أو لعدمها ، فانه ساقط لانه ليس فنا أو أدبا من الاساس وهنا على المرء أن يتدارك هذا الخطأ الشائع فى سياق « هذا التعبير عن الهزيمة » فليس كل الكتاب الذين ظهرت اسماؤهم فى أعقاب ٦٧ قد عكسوا هذه « الفكرة » فى انتاجهم (١) فبعضهم – وكما جاء فى التقديم –« طرح هموم العلاقة بالاب – السلطة ، وعجز الرجل بين فخذى المرأة ، وهوان الكلمات فى واقع لا يحترم الكلمات ، وبعضهم طرح هموم الواقع المتخلف ، الغارق فى أساطيره وخرافاته ، المحاصر بالقيود التى تمنع تحقق الفرد ، وبعضهم طرح هموم العجز عن التواصل ، والوحدة حتى الارتجاف ، وهذا الجدار الصلد الذى ينتصب دائما فى وجه محاولات اللقاء ، الى آخره .

ولا يمكن ببساطة شديدة أن نقول أن هؤلاء الكتاب ، وغيرهم قد عبروا عن الهزيمة ، أو عن الانتصار المقبل . بل ، وكما احاول أن أفهم ، عبر كل منهم عن رؤياه الفنية ، من خلال « وسيط » عرفه وعاناه وخبر امكانياته ، وهذه مسألة أخرى .

الملاحظة الثانية ، أن هذا الشعار يضع غمامة على العيون ، باشارته لقضية تبدأ من زاوية خاطئة فى نظرتها للعلاقة بين الواقع الموضوعى والاحداث الجارية ، وبين الرؤيا الفنية – نكرر – لهذا الواقع فى خلفية العمل الادبى . انه يرسخ وجهة النظر القائلة « بالخدمة » « والمباشرة » ، بينما أرى أن الحقيقة تبدأ من زاوية نظر مختلفة اساسا عن هذا المنطلق ، تبدأ من النظر الى العمل الادبى باعتباره ابداعا ، باعتباره خلقا [وهنا يمكن مناقشة هموم الكاتب وواقعه] لا مجرد تعبير مباشر عن هذا الحدث أو ذاك . وهنا يبدو [حتى ولو جاء هذا ملفوفا فى تعبير أدبى متقن الاخفاء ، متعدد الاحتمالات « مباشرة ما بهدف القصاص الى أن يقوله » مثلا ، هذا المفهوم رجعة الى المدرسة القديمة التى رفعت لواء الواقعية الاشتراكية فى الاربعينات والخمسينات ، والتى كنا نظن أن الايام والاعمال قد تجاوزت نماذجها الادبية ، وان كانت الاعمال الجديدة ، فى محتواها النظرى الذى عبرت عنه الكتابات النقدية التى صاحبتها ، حاولت تعميق مفهوم هذه الواقعية الاشتراكية ، واكسابه أبعادا جديدة .

وما يراه المرء مفارقة حقا – وهنا أخصص كلامى عن كتابات الاستاذ فاروق عبد القادر النقدية نفسها تشى بتخطى هذا المفهوم الذى يجىء منعكسا على أغلب هذه النماذج التى اختارها ، وقدم لها فى عدد الطليعة السابق [والتى أعفى نفسى من ابداء الرأى فيها ، لوجود قصة لى بينها] خاصة وبسبب ، مباشرة ما بهدف القصاص الى أن يقوله ، واشتراكها فى ترسيخ هذا المفهوم .

هذا لا يعنى أن ما نعنيه بالادب الجديد لا يتأثر بما يحدث ، بقدر وبتأكيد مايعنى أنه ينظر الى ما يحدث من زاوية أكثر عمقا . باستلهامه الجوهرى فى واقع هذه الهزيمة ، أو هذا الانتصار ، أن الادب الجديد الذى تحقق حتى الان هو الادب الذى أخذ يطرح التساؤلات عن القيمة الكامنة فى حياتنا ، وأمكنه – فى افضل نماذجه – أن يعثر على الشكل الجديد والمناسب « لرفع » هذه القيمة خلقا وابداعا ، وجاء هذا الشكل الجديد ، نتيجة لذلك تحقيقا فعليا ، خلال معاناة للقضايا النوعية التى كان لابد من طرحها على مائدة التساؤلات فى الاخرى.

(١) ولماذا لم نقل مثلا ، على سبيل العناد ، أنهم كانوا السبب فى « الانتصار » وهنا يمكن للبعض ، من الذين يهوون ممارسة اللعبة ، أن يستخرجوا الكثير ، ويبرهنوا بهذا المنطق على الكثير .

انه بالاحرى — استطاع أن يكتشف بالوعى العميق « العلاقة الجدلية » بين « الواقع أو الحياة » وبين « الرؤيا الفنية » استطاع أن يكتشف العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون ، الامر الذى كان يحدث بعفوية فى الانجازات السابقة ، وهذه المرة ، دخل مرحلة التحقيق عن « وعى » بمشكلات الواقع والفن ، ذلك لان العفوية كانت قد أدت فى النهاية الى ذبول عدد من الكتاب الذين ظلوا معتمدين على الموهبة فقط .

وكان هذا هو اهم انجاز حققه اغلب كتاب هذه الفترة .

الملاحظة الثالثة : أن مضمون هذا الشعار ، ينطوى ضمنا على معنى يخالف الحقيقة فى زاوية النظر الى هزيمة ٦٧ نفسها ، والتى لايمكن أن تكون الجماهير الشعبية أو الجنود والضباط ابناء هذا الوطن الذين لم تتح لهم فرصة القتال ، أن يكونوا هم الذين تسببوا فيها ، كما أن هذا المفهوم أيضا يخالف الحقيقة ، فى زاوية النظر الى الانتصار الذى تحقق فى أكتوبر ، وكأنه أمر مستكثر على الشعب المصرى ، كأنه لم يكن قادرا أن يحقق هذا الانتصار . فكيف اذا تحقق ؟

.. ومن هذا السياق الذى أوضحته لا يمكننى أن أفهم أن يكتب كاتب عن حرب لم يرها [مثلى على سبيل المثال] ولم يشترك فيها ، فى الوقت الذى يموت الرجال ، وتفعل الشظايا فعلها فى الاطراف والاعضاء ، فى الذين غامروا وقاتلوا وقتلوا ، بعيدا عن المدن الساكنة الامنة . انتى أفهم أن يعبر الكاتب عما تمكنته هذه الحرب من بهجة فى نفسه ، لكنتى لا أفهم أن يكتب عن حرب لم يرها ، الا أنها مزايدة وادعاء ، والامر هنا داخل فى صميم صدق الكاتب وعلاقته بالواقع المعاش [وقد وضح من تفاصيل بعض القصص عكس ذلك تماما] . لا أعنى أن كل من كتب عن شىء لابد أن يكون ، قد « عاشه » أى لامسه ، ولكن أعنى أن المعرفة العميقة بالوسيط وأبعاده معرفة مستمدة من الخبرة والتجربة ، هى التى تشكل الاساس الصحيح لكل عمل فنى جيد وعظيم ، والمطالبة بهذه المعرفة تعنى المطالبة بالممارسة العملية اليومية .

وهنا نأتى الى مسألة الاجيال .

فالى أى حد يمكن أن نعتبر مسألة السن هامة فى تحديد انخراط الكاتب تحت هذا الجيل أو ذاك . ان ادوارد الخراط ، ويوسف ادريس فى سن متقاربة ، ولكن بعض النقاد — بناء على العنصر التجريبى الذى تحتويه أعمال الخراط — يعده ضمن موجة الادباء الشباب ، ويعتبر الناجه من هذه الموجة ولذلك فان مسألة السن ، وبداهة مسألة مغلوطة .

تمضى خطوة أخرى فنتبين أنه حتى بافتراض التسليم بفكرة الاجيال المتعاقبة التى تجىءوالطلاق قائم بينها لارجعة فيه، فان المدقق فيما حدث فى أعوام ٦٨ وما بعده ، وهى الفترة التى كانت حركة الادباء الشباب فيها قائمة على أشدها ، يتبين مدى الخلط المتعمد ، والتزييف الذى تم وادخال عناصر لاعلاقة لها بالمسألة ، وعلى الرغم من أن التحرك الجماعى فى حد ذاته ، ظاهرة صحية ، الا أن ماحدث فى هذه الفترة ، يجبر المرء على أن يفكر ألف مرة قبل الموافقة على صيغة الطوابير

ولذلك فانا شخصيا أفضل معاملة الكاتب ، معاملة فردية ، وان يكن هذا لايتأتى الا باتاحة فرص دائمة وحقيقية أمام المواهب الجديدة ، فرص النشر الدائمة وبشكل ديمقراطى يضمن تمثيل الاتجاهات الجادة ، والمعبرة عن الملامح المختلفة . اتاحة فرصة النشر أولا أمام المواهب الجديدة ، ثم التقييم الموضوعى وهنا أرى أن الاحتكاك عندئذ سيكون احتكاكا حقيقيا وصعبا فى مواجهة النقد والقارىء وصلابة الاستمرار ومقاومة النفس . وعندئذ يسقط أسلوب الغنائم فما أن تسلط الاضواء على أحدهم حتى يطالب بأحقيته فى الغنيمة [سواء استمر أو توقف] وهنا قد تعنى الغنيمة كل شىء ، وقد تعنى فقط مجرد ترديد اسمه فى شتى المناسبات .

وهنا نصل الى هذه المسألة التى أشار اليها الاستاذ فاروق عبد القادر فى تقديمه مسألة الاستمرار والتوقف . فانا أعتقد أن مقياس التوقف هنا لا يعنى التوقف من النشر ، فبافتراض عدم معرفتنا الشخصية بما يكتبه هؤلاء الذين اتهمهم الاستاذ فاروق بالتوقف ، فان المسألة لها علاقة بفرص النشر ، والمنابر المتاحة خاصة بعد توقف مجلات وزارة الثقافة السابقة . وفى ظل ظروف المجلات الجديدة ، وان الفرصة المتاحة فى الطليعة لا تشكل أساسا لامكانية نشر اعمال مطولة ، وما أعرفه شخصيا أن هؤلاء الكتاب المتهمون بالتوقف يعكفون على أعمال روائية [أحدهم يكتب الجزء الثالث من رواية يربو عدد صفحات كل جزء منها عن ثلاثمائة صفحة]تحتاج الى مساحات وفرص فى مجلات ذات نوعية مختلفة عن الكاتب او الطليعة) .

آتى الى ختام هذه الملاحظات السريعة فما هى الا كذلك ، وأنبه الى الاهانة التى تلحق بأسلوب الحوار الجاد حول المسائل العامة ، حول المسائل التى تشغل الكاتب الجاد ، وهو الاسلوب الذى تمت به دائما فى حياتنا الثقافية محاولة الكتمان عن بعض الحقائق [ليس فقط ردود الافعال حول تقديم الاستاذ فاروق] هذا الاسلوب الذى اتخذ دائما شكل التصفيات الجانبية وهى المسألة التى تضع الجميع أمام مسئولياتهم وامام الاختبار الحقيقى لشجاعة الكاتب واخلاصه .

ونخلص الى القول ، بأن الملح والهام ليس اسقاط او بعث هذا العمل أو ذاك أو هذا الاسم أو ذاك ، بقدر ما هو ملح تقييم ودراسة وتبنى القضايا والاعمال الادبية والفنية التى تنحو نحو التجاوز للمخلفات البالية القديمة، تقييما ودراسة وتبنيا يشارك فى هدم الضمير الادبى المتخلف ، ويخلق الذوق العام الجديد الراقى على مستوى مايتطلبه الخلق من مسئولية ومعاناة رهيبتين ، لايقف عند حدود التعبير المباشر ، أو مجاراة السائد . بل يحقق الابداع .. يحقق الادب العظيم الذى هو أدب المستقبل .

عبده جبير

هـــــل هى حقـــــا

مـــلامح من جيـــل جـديد

فى مناخ ثقافى يزدهر فيـــه البوار وتصنع ربيعة التعس أشجار نترنح تحت وطأة الخريف .. فى ذلك المنـــاخ يقف الملحق الادبى لمجلة الطليعة واحةصغيرة ضيقة الرقعة لكنها رحيبة الصدر والرؤية معا .. واحة لا يدفعها التزامهـــا الى ضيق الافق ولا تهـــوى بها مرونتها الى مهاوى التميع وتشتت النظرة .

ومن موقع الاحترام للدور البناء الذى يلعبه الملحق فى حياتنا الادبية اكتب لكم.

طالعنا فى العدد الماضى عددا مـــن القصص المفروض أنه يمثل ملامح من جيل جديد يكتب القصة القصيرة فىمصر وارجو ان يتسع صدركم لملاحظاتى عليه.

① يبدو ان مافرض على المشرفين على الملحق فكرة تخصيص هذا العدد لرصد هذه الملامح لم يكن توفر عدد من القصص لها من معمارها الخاص ولغتها الخاصة وطموحها الخاص الى أستشراف حساسية جديدة لدى القارىء تخلقها هذه القصص وتتطلبها فى آن .. أقول لم يكن توفر هذا النوع من القصص الجديدة حتابل كان مجرد التراكم هو الذى طرح فكرة فى البحث من هذه الملامح مما ادى الى الكثير من التعسف والافتعال . اذ أين فى هذه القصص ماينبىء بحق من تمثلها لتجربة جيل الستينات وتجاوزها له ؟ .

② أليس من التعسف حقا واستخدام الكلمات فى غير اماكنهـــا وصف هـــذه الحكايات الثلاث فى قصة المنسى قنديل والتى لايربطها ببعضها البعض الاعلامات الترقيم .. أقول أليس من التعسف أن نصفها بالحركات الثلاث .. اذ أين هذه الحكايات المنفصلة والتى قد نستنتج من تتابعها علاقة ما ـــ أقول نستنتج ونستجد لابد علاقة ما ـــ أين هذه الحكايات من حركات السيمفونية التى تترابط علاقاتها العضوية بقوانين البناء فى معمار واحد شديد التماسك والاحـــكام وابن الثراء الوجدانى فى الموسيقى السيمفونية من هذه اللغة التقريرية التى تحلق احيانا الى مستوى الشعر لكنها سرعان ماتكبو الى حضيض اللغة الصحفية .

③ **لاتبحثو عن عنوان انها الحرب ـــ** قاسم مسعد عليوه ..

اتساءل هل الحرب هى المسئولة عن التحدث طوال الوقت عن رفيق النضال بهذه الكلمة التى قد يلفظها ممرض بليد الحس أو موظف فى مستشفى لايعنيه الا ملء الخانات « الجريح » هكذا تضيع الملامح الشـــخصية ويغيب الحضـــــور الانسانى وتنعدم المذكرات المشتركةيفلت كل ذلك من وعى الكاتب ويبقى هـــذا الوصف السخيفوالادهى والامر أن يزاحم أهتمام البطل برفيق نضـاله الجريحنظرات التلصص الى نهدى فتاة والى ساقيهـــا فأى مهزلة واى افتقاد للوعى بحقيقة العلاقة الحميمة التى تربط المناضلين فى مدينة تكافح غارات الموت التى تدهمها بكل ماتملك من ضراوة . ثم فلتمارس الجنس اخيرا وجريحنا لم يلفظ انفاسه بعد . اذ هاهنا ـــ ومعذرة ـــ نكون قد وصلنا للحكمة البليغة : أن الحيـــاة تنتصر رغم كل شيء .

④ **عن جابر عبد الجواد : محمـــود** عبد الوهاب ..

قصة هشة التكوين صنعت لها لغتها العامية وايقاعها الشعرى طرافة خاصة ولكن ليس بالطرافة وحدها يكون الفن .

⑤ **السير فى الحديقة ليلا ؟ محمـــود** الوردانى ..

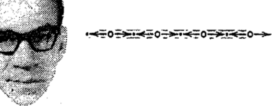
من عين محايدة ترصد التفاصيل الدقيقة لكل مايحدث حول الغريب [فى قصـــة البير كامى] ليلة موت أمه .. من عين محايدة وموضوعية ودؤوبة فى التوقف عن انعكاسات الضوء على سطح الاشياء والى تهدل الملامح على الوجوه والى .. من هذه العين كان كامى يجسد حضورا غائبا او غيابا حاضرا هو افتقاد بطلـــه للحس بالانتماء لهـــذا الجســـد الراقد فى التابوت والذى كان ينبغى ان يعكس موته على مشـاعره حزنا أو أسفا او اشفاقا اما أن يبقى الوعى فارغا مـــن هـــذه الاحاسيس حتى أنه يرصد بكل هـــذه الدقة كل هذه التفاصيل فذلك مايجسد باقتدار اللغة الفنية اغتراب البطل حتى عن هذه العلاقة العضوية علاقة الابن بالام . فهل هذا هو ما فعله محمـــود الوردانى .. أين هذه الدلالة التى قصد الى تجسيدها بهذا الاسلوب المحايد فى السرد أظنه أحب أن يذكرنا ان انجاز اكتوبر صنعه موت الشهداء وهذا ما لا نختلف عليه ولا نعترض على صلاحيته هدفا لقصة قصيرة ولكن هل الشـــهداء اكوام من موتى .. وأين حضـــورهم الانسانى فى وعى البطل .. اين ؟

⑥ **صورة جانبية لموديل :** عبده جبير

ما كنت أظن أننى سأقرأ فى عدد يرصد لملامح جيل جديد فى القصة القصيرة فى السبعينات هذا النوع من القصص الذى يبدو وكأنه تحليل لقصة كتبت فعلا او تخطيط اولى لمشروع قصة لم تكتب بعد وهو نموذج من القصص كان شائعا فى الخمسينات فيما اتذكر .

احمد حسين عبد التواب







حول الفيلم التسجيلى

حوار أجراه :
كمال رمزى

فى الشهر الماضى احتفلت أكثر من هيئة سينمائية بمرور ثلاثين عاما على اشتغال الاستاذ سعد نديم بالسينما التسجيلية . خلال هذه الفترة قدم الاستاذ سعد أكثر من ستين فيلما . والحوار مع سعد هو فى جوهره حوار حول السينما التسجيلية : وظيفتها ودورها وأهدافها .





● تنظم المؤسسة العراقية العامة للاذاعة والتليفزيون خلال شهر أكتوبر القادم مهرجانا فنيا تحت شعار « بطولات تشرين .. شهادات من أجل التحرير » ويشمل المهرجان معارض للفن التشكيلى والفوتوغرافى وأفلاما وثائقية وأغان سياسية لفنانين عراقيين وعرب وأمسيات شعرية للشعر السياسى .

كذلك ستقام حلقة دراسية بعنوان « حرب تشرين .. النتائج والتوقعات » تتناول الكيان الصهيونى بعد الحرب من النواحى النفسية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ومستقبل القضية الفلسطينية ودور النفط كسلاح استراتيجى ضد التحالف الامبريالى - الصهيونى .

● « مقتل القمر » عنوان المجموعة الثالثة للشاعر امل دنقل ، صدرت عن دار العودة ببيروت . سبق أن صدر لامل : « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ، ١٩٦٩ » ، « تعليق على ما حدث ، ١٩٧١ » . تضم المجموعة الجديدة القصائد العاطفية التى كتبها الشاعر فى السنوات الاخيرة .

● « الباحثة عن الحب » ، رواية جديدة للدكتورة نوال السعداوى صدرت عن هيئة الكتاب . صدرت للدكتورة نوال من قبل رواية بعنوان « الغائب »

● فلنبــدأ بالســؤال التقليدى : ما هو مفهــومك للسينما التسجيلية ؟

ـ منذ اربعين سنة وضع « بول روثا » تعريفا للفيلم التسجيلى ، لا يزال فى نظرى حتى الان يحمل المعانى الاساسية للسينما التسجيلية ويغطى متطلباتها . يقول التعريف أن السينما التسجيلية « هى التعبير عن حياة الناس ، كما هى فى الواقع ، باسلوب اجتماعى ، وبطريقة خلاقة » .. ولعل « روثا » يقصد بـ « كما هى فى الواقع » الا يتدخل القائمون على الفيلم بتعديل الواقع أو تغييره ، وهذا يتطلب الا يكون هناك قصص خيالية مختلقة . أما كلمة « باسلوب اجتماعى » فيقصد بها أن يكون للمخرج موقف محدد وواضح من المجتمع الذى يعيش فيه بحيث لا يخرج الفيلم مائعا فيتسبب بالتالى فى بلبلة ادراك المتفرج لما يقصده العمل . فى هذه الجدود نستطيع أن نطمئن الى اتجاه الفيلم التسجيلى باستمرار نحو المجتمع ، يستقى منه موضوعاته ولا يقوم بتزييفها وأن يجدد موقفا منها .

● الا ينطبق هذا المعنى على الفيلم « الروائى » ايضا ؟ ما هو الفارق بينهما ؟

ـ ان الاجابة تستلزم العودة الى الماضى ، الى ما قبل ظهور الفيلم التسجيلى فى انجلترا فى الثلاثينات ، عندما قامت ثورة أكتوبر فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩١٧ كان علـى السينمائيين أن يحاولوا التعبير عن افكار تهدف الى تعبئة الشعب حول متطلبات التغيير الاجتماعى . لم يكن الفـرق ملموسا بين فيلم تسجيلى وفيلم روائى ، فمثلا فيلم « أكتوبر » لايزنشتين : هل هو فيلم تسجيلى أم روائى ؟ ان هذا السؤال لم يثر وقتها ، ولكننا نثيره الان بعد أن تبلورت حـركة خاصـة بالفيلم التسجيلى على المستوى العالمى .. ان الفيلم به ممثلون وفيه ديكورات ، ولكن الممثلين كانوا يقومون بأدوار عاشها غيرهم فعلا فى الحياة العامة . أما المناظر فكان أغلبها اعادة لخلق الاماكن الحقيقية التى تمت فيها تلك الاحداث التاريخية .. اذن لم يكن هناك تزييف أو اختلاق ، وموقف المخرج واضح ومحدد الى جانب الشعب ، وهذه كلها سمات اتخذتها السينما التسجيلية ملامح لها تميزها عن غيرها فى المراحل اللاحقة .

أما فى انجلترا الثلاثينات فأخذ الفيلم التسجيلى شكله المحدد ، كان هذا على يد بعض المفكرين ـ لم يكونوا سينمائيين أصلا ـ كان هدفهم تغيير المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولتحقيق هذا الهدف فكروا فى عرض الوجه الحقيقى للمجتمع فى مقابل الوجه الزائف الذى تهتم به السينما الروائية .. ولاول مرة ظهرت علـى الشاشة وجوه العمال يكسوها تـراب الفحم وأيديهم ملوثة بالشحوم ، عمال حقيقيون يعملون فى المصانع والمناجم . كانت الافلام تظهر ظروف عملهم الحقيقية وحبات العرق تكسوهم ، لا نتيجة زيوت ولا مكياج ، ولكنه عرق حقيقى ، عرق الكفاح والجهد فى سبيل لقمة العيش .. من هنا أخذ الفيلم التسجيلى سماته الخاصة به .

● ما هى وجهة النظـر الاساسية التـى تنضمنها أعمالك ؟

ـ كان احتفال أكثر من هيئة بمرور ٣٠ عاما على اشتغالى بالسينما التسجيلية فرصة لكى أراجع نفسى فيما أديته من عمل ، وأعتقد بوجه عام أننى كنت أحاول باستمرار أن أضع أفلامى فى خدمة المجتمع بشكل أو بآخر . ولما كانت الظروف التى مرت بها مصر فى ربع القرن الاخير تتميز بتغييرات كبيرة فان الطابع الغالب على هذه الافلام هو الطـابع السياسى ، وحتى فى حالة غياب الحدث السياسى الهام الذى يدور حوله الفيلم فان اهتمامى فى هذه الحالة ينصب على ابراز معنى الكفاح فى حياة الناس وعملهم

وضاعت أخناتون

... بـلا رماح !

بعد مرور أيام قليلة على اجتماع السيد حسن عبد المنعم وكيل اول وزارة الثقافة بالفنانين التشكيليين فى جمعية الاتيليه لمناقشة موضوع قاعة اخناتون ، وتصريحه المدوى نيابة عن وزير الثقافة بأن الوزارة لن تسلم القاعة الى اخوان جعفر « الا على أسنة الرماح » .. مما جعل الفنانين يتوقفون عن مناقشة المسالة وعن بحث اى تطـورات مفاجئة منهم فى موقف وتصريحات المسئولين بالوزارة .. تم مساء الاثنين ١٢ اغسطس تسليم القاعة الى اخوان جعفر بأمر رئيس النيابة فى الوقت الذى كان مايزال بهـا معرض الفنانين الكويتيين ، وبالرغم من ان القضاء لم يقل كلمتـه ، وبالرغم من أن جميع القانونيين يؤكـدون أن القانون فى صـالح الفنانين .. وبالرغم من أن وكيل نيابة قسم قصر النيل رفض تسليم القاعة من قبل وكتب تعهدا على اخوان جعفر بعدم التعرض للقاعة . وما يدعو للدهشة والتساؤل انه لم يظهر حتى الان « رمح » واحد من الرماح التى تحدث السيد وكيل الوزارة عنها ..

هكذا ضاعت أشهر قاعة للعرض للفنانين المصريين والاجانب ، ولم تبق لدى وزارة الثقافة غير قاعة واحدة « باب اللوق » .. وهى لاتصلح للمعارض الفردية .

● بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين بعد المائة لمولد الشاعر الروسى الكبير بوشـكين أصدرت المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر ببيروت كتابا بعنوان « بوشكين : حياته وأدبه » ، تأليف عدد من المؤلفين السوفييت ، وترجمـة خيرى مزيز .

وقد تناول الكتاب حيـاة الشـاعر الروسى وتـأثيره فـى الادب الروسى ، وباعتباره عبقرية أدبية عالية ، وعلاقته بالادب الاوروبى ، ومدى تأثره بكل من فولتير وبايرون وشكسبير ووولترسكوت وغيرهم .

● من الهيئة العامة للكتاب صدرت مسرحيتان لمحمود دياب : باب الفتوح ، وهى مسرحية من ثلاثة فصول ، ورجل طيب فى ثلاث حكايات ، وهى ثـلاث مسرحيات من فصل واحد .

من المعروف أن الرقابة اعترضت على تقـديم هـاتين المسرحيتين فى ١٩٧٠ و ١٩٧١ ، كما اعترضت على مسرحية اخرى جديدة للكاتب ، هكذا لم ير جمهور المسرح شيئا لمحمود دياب منـذ عرض مسرحيتين قصيرتين بعنوان « الضيوف والبيانو » فى ١٩٦٩ .

ما تفسير هذا الموقف الغريب ؟ ●

اليومى ... انى اشعر ان افلامى سلسلة من الاعمال السياسية ذات طابع كفاحى ، تقف دائما الى جانب قوى الشعب التى تسعى الى التغيير .

● الا تتأثر وجهة نظرك تبعا للمؤسسة التى تنتج الفيلم ؟

— يحضرنى مثال قد يساعد على اجابة السؤال ، ففى مرحلة ما قبل الثورة قمت بعمل فيلم لشركة « أراضى وادى كوم أمبو » ، كان باسم « صناعة السكر فى مصر » ، والان أحس بالفرق بين هذا الفيلم وبين غيره من الافلام التى تتشابه فى الموضوع وقد تنتج فى المرحلة الحالية . أريد أن أقول بصراحة أن فيلم « صناعة السكر فى مصر » لا يرضينى الان ، فانا أذكر أنه من ناحية مستواه الفنى يمكن اعتباره ممتازا ولكن من ناحية المضمون لم يكن واضحا أو محددا بشكل صريح ، وذلك بسبب الظروف التى كانت سائدة فى تلك الفترة ، كان الفيلم يبرز بعد استعراض زراعة القصب وصناعة السكر جانبا من الخدمات التى تؤديها تلك الشركة التى كانت تقوم باستغلال عمالها وموظفيها .

● هل كان الفيلم يتبنى وجهة نظر الشركة ؟

— لا شك فى ذلك فى النهاية ... لقد حاولت أن اظهر الفارق الضخم بين حجم الخدمات التى تقدم للموظفين وتلك التى تقدم للعمال ... لكن هذا لم يكن كافيا لانقاذ الفيلم .

● الست ترى أن طابع السينما التسجيلية فى مصر اعلانى ودعائى ؟ وانه جاء غالبا تعبيرا عن وجهة نظر مؤسسات مثل « بنك مصر » و « شركة أراضى كوم أمبو » و « البوليس الحربى » و « مصلحة الاستعلامات » ؟

— هناك اختلافات جوهرية بين المؤسسات ، ولعل المثال الذى سقناه من قبل عن شركة « أراضى وادى كوم أمبو » والفيلم الذى انتج لحسابها — لو اننا قارناه « بالمؤسسة العامة لاستصلاح الاراضى » فى المرحلة الحالية لظهر الفارق واضحا ، فالمؤسسة الاخيرة تعمل على استصلاح الاراضى مستهدفة خير المجتمع ، فهى خاضعة لقوانين اشتراكية نظمتها الدولة ، ان المسألة فى النهاية هى : لمصلحة من تعمل المؤسسة ؟

أما الملاحظة القائلة بالطابع الدعائى للفيلم التسجيلى فعلينا أن نتأمل المرحلة التى مرت بها البلاد منذ يوليو ١٩٥٢ حتى الان . ان الثورة فى حد ذاتها هى محاولة تغيير النظم التى كانت سائدة فى المجتمع ، وهذا التغيير أو التحول يحتاج الى فترة قد تطول أو تقصر ، بعدها يسود النظام الجديد ويستقر .. ولكن فى مصر لم تحدث فترة استقرار حقيقى ، وذلك بسبب الهجمات العديدة للامبريالية والصهيونية على البلاد العربية بوجه عام ومصر بوجه خاص . لقد قامت الثورة من ٢٢ عاما وصاحبها خروج الانجليز من مصر ، لكنهم عادوا مع العدوان الثلاثى سنة ٥٦ ، ثم معارك ٦٧ ، وطوال عمر الثورة حدثت هزات مختلفة بسبب الثورات فى البلاد العربية كالجزائر والعراق والسودان واليمن وليبيا ، فضلا عن التغييرات الاجتماعية فى داخل البلاد نفسها فى شكل قوانين اشتراكية وتطبيقاتها . كل هذا استتبع الاخذ بالنغمة الاعلانية أى « المباشرة » ، فى أغلب الاحيان ، فنحن فى الواقع نحاول أن نقول كلمة جديدة فى يوم ، وقبل أن ننتقل الى التعبير الفنى « غير المباشر » نجد أننا مطالبون — لمواجهة المتغيرات والاحداث الجديدة — بالادلاء بكلمة جديدة « مباشرة » أخرى ... ان التلاحق السريع للأمور لا يتيح الفرصة حتى لالتقاط الانفاس .

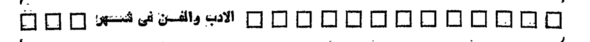
● معنى هذا انه ليس هناك مجال لان يكون الفيلم التسجيلى نقديا ؟

— المفروض ان يكون الفيلم التسجيلى شاملا للعنصر النقدى ، فهو كما ذكرنا « تعبير عن حياة الناس » كما هى فى الواقع ، باسلوب اجتماعى ، وبطريقة خلاقة » ، وما دامت حياة هؤلاء الناس لم تبلغ الكمال ، فمجال النقد موجود وواسع . ولكن الذى يحدث فى أغلب الاحوال — ونتيجة كما ذكرت للظروف المتغيرة باستمرار — أن تتعطل تلك النظرة الناقدة ، أضف الى هذا ان كل نظام جديد لابد وأن يشعر بحساسية تجاه النقد .. ومن هنا ينقد الفيلم جزءا كبيرا من فعاليته وفى نفس الوقت جانبا هاما من جاذبيته للجمهور . ولعل مطالبتنا المخرج باستمرار بتحديد موقفه فى الفيلم يرجع أساسا الى اقتناعنا بانه عندئذ يكون قد بدأ الطريق نحو النقد الاجتماعى السليم .

نقطة أخرى أريد أن أوضحها ، وهى خاصة بمقارنة بدايات الفيلم التسجيلى فى مصر وبداية الفيلم التسجيلى فى انجلترا مثلا .. فى انجلترا ظهر الفيلم التسجيلى قويا وجريئا . وذلك يرجع أساسا الى التأييد الكبير والحماية القوية التى حظى بها من قطاعات العمال العريضة المتكتلة فى نقابات ذات نفوذ لا يستهان به . أما فى مصر فلم يتمتع الفيلم التسجيلى بهذه المساندة وتلك الحماية بل على العكس كان معرضا فى نشأته وبشدة لضغوط الاقطاع ورأس المال المسيطر فى هذه الفترة .

● هذا بالنسبة للبدايات ، ولكن ماذا بعد البدايات . لقد قدمت السينما الروائية افلاما مثل « الفتوة » الذى يكشف علاقات الاستغلال داخل السوق ، و « الارض » الذى يتعرض للصراع الدامى بين الفلاح من جهة واصحاب الاراضى والسلطة من جهة أخرى . أين فيلمك التسجيلى فى هذه الصراعات ؟

— ان الفيلمين المذكورين يقتربان كثيرا من أهداف الفيلم التسجيلى ، ولكنهما فيلمان من حوالى ألف فيلم انتجت منذ الثورة ، فهما قطرتان وحيدتان فى بحر من الظلمات . أما اذا انتقلنا الى الفيلم التسجيلى فسنجد علامات كثيرة خاصة اذا تذكرنا ان التناقضات الاجتماعية فى الواقع مرتبطة أشد الارتباط اذ لم تكن انعكاسا صريحا لعلاقاتنا الدولية والقوى العالمية المؤثرة فيها . اننى عندما اتخذ موقفا حادا وصريحا من الامبريالية العالمية أو من الصهيونية كما فى « فليشهد العالم » و « سلام لا استسلام » و « العار لامريكا » و « شاهد عيان » و « عدوان على الوطن العربى » فاننى بهذا آخذ موقفا صريحا وواضحا من التناقضات الداخلية



الموجودة فى مصر ، وأساعد بذلك على تنوير الرأى العـام تجاه ما يجتازه من مشاكل ، وأوضح الموقف السليم الذى يجدر بنا أن نقفه من الانظمة المختلفة التى تتجاذب بلادنا . وأحب أن أضيف الى أفلامى السابقة مساهمات غيرى مـن الزملاء وأشير الى جهود « صـلاح التهامى » و « حسن التلمسانى » ثم أحمد راشد فى فيلميه الاخيرين « كهربة الريف » و « رحلةسلام » ومن الجيل الجديد — على سبيل المثال لا الحصر — هاشم النحاس خاصة فى فيلمه الاخير « النيل أرزاق » والذىيوحى بأن فى امكانه أن يتجه فى طريق الفيلم التسجيلى ذى الطابع النقدى اذا واصل اهتمامه ببناة المستقبل الحقيقيين ممن تنساهم عادة السينما الروائية ، وهذه مسئولية تقع على عاتق الجيل الجديد ، سواء التسجيليين أو الروائيين .

● حدثنا عن أسلوبك الفنى الخاص .

— أنا لا أدعى أن لى أسلوبا متفردا خاصا بى ، وأغلب ظنى أننى كنت أحاول باستمرار أن أنقل كل ما أعتقد أنه مفيد من الافلام التى اشاهدها فى الخارج وأحاول تطبيقه فـى مصر مـراعيا الظروف .

● كيف ؟

— استخدامى لفكرة التضاد فى فيلم « فليشهد العالم » لقد استعنت بمواد فيلمية سبق تصويرها اثناء فترة السلام فى بورسعيد وأعقبتها مباشرة بمـواد فيلمية أخـرى صـورت اثنـاء احتـلال بورسعيد واشتعالها بـالنار ، وفكرة التضاد هذه موجودة منذ التجارب التى أنجزها « دزيجا فيرتوف » عام ١٩١٨ كذلك لم تكن استفادتى من اللوحات الفنية والصور الفوتوغرافية انجازا خاصا بى ، ولكنه أسلوب معروف فى العالم .

● هل هناك صعوبة خاصة فى استخدام الفنون التشكيلية والصور الفوتوغرافية كمـادة الفيلم التسجيلى ؟

— على الرغم من أن هذه الافلام أقل تكلفة من غيرها ، الا أنها تثير مشاكل عديدة فى تجميع مادتها ثم فى اختيار احجام لقطاتها وحركات الكاميرا التى تساعد على ابراز كل جانب منها ، وهذا يتوقف على الموضوع الذى نقدمه فى الفيلم ، فقد يكون استخدام اللوحات الفنية مقصودا به ابراز حياة فنـان واسلوبه كما فى فيلم « راغب عياد » أو المثال « انور عبد المولى » وقـد يكون المقصود من الفيلم هو عرض موضوع بعيد كل البعد عن الفنان او الفنانين الذين استخدمت لوحاتهم كما فى فيلم « حكاية من النوبة » الذى يعرض حياة وتقاليد شعب النوبة ، هنا يختفى الفنـان التشكيلى تماما لتبرز ملامح وقسمات هذا الشعب . وقد يكون موضوع الفيلم لوحة واحدة فقط ، كما فى فيلم « مـوكب السلام » وهو قراءة بالكاميرا للوحة راتب صديق المسماة بنفس الاسم . وانى لا أتحرج اطلاقا من أن استغل اجزاء معينة من اللوحة مع ترك بقيتها اذا كان فى ذلك مصلحة للفيلم الذى أقدمه ، وأركز على هذه النقطة بالذات لان البعض يعتقد أن من الامانة ان ننقل اللوحة كما هى بينما فى رأيى ان اللوحة هى جزء من الواقع الذى نعيشه والمخرج مطالب بأن يكون أمينا مع الواقع لا مجرد ناقل له ، أى أن له مطلق الحرية فى الاختيار والتركيز لابراز موضـوعه ، وهذا ما اتبعته فى فيلم « حكاية من النوبة » وغيره من الافلام المتصلة بـالفنون التشكيلية .

● هناك فارق فنى واضح بين مستوى أعمالك ، مثل ذلك الذى نحسه بين « حكاية من النـوبة » و « أنـور عبـد المولى » .

— أعتقد أن الفرق هنا فارق فى الاسلوب وليس فى المستوى ، ففى « حكاية من النوبة » أستخدمت صوت الراوى « عبد الوارث عسر » ليحكى عن النوبة ، أما فى « أنور عبد المولى » فقد استخدمت صوت المذيع ، وذلك لتقديم المعلومات .

● الست ترى أن صوت المذيع كمعلـق فـى الفيلـم التسجيلى يعطى الفيلم طابعا اخباريا جامدا ؟

— لا شك فى ذلك ، خاصة وأننا فى مصر نلجأ الى اجراء التسجيلات بعد انتهاء التصوير ، وأثناء عمل المونتاج بالاستديو ، بينما الصحيح هو أن نصحب معنا أجهزة تسجيل الصوت الخفيفة وأن نستخدمها كما نستخدم الكاميرا ، أى نسجل بها حديث الاشخاص العاديين الذين يظهرون فى افلامنا ، عندئذ نحصل على واقع متكامل من الصوت والصورة ، يساعد على اقناع المتفرج ويعينه على الاندماج فى موضوع الفيلم .

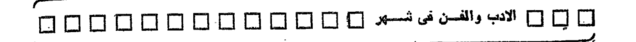
● اذا دعت الضرورة ان يكون الفيلم مصحوبا بتعليق ، الا يعطى صوت الممثل دفئا أكثر من صوت المذيع المحايد . واذا قام احد الممثلين بالتعليق على فيلم « انور عبد المولى » ، الم يكن ذلك سيعطى تأثيرا وجدانيا أعمق ؟

— ان صوت الممثل — لانه تدرب على الالقاء الدرامى — لا شك أنسب فى كثير من الاحوال ، ولكن يخشى أن يصرف صوت الممثل المعروف جمهور المشاهدين عن الاندماج فى موضوع الفيلم

أما عن فيلم « انور عبـد المولى » فأعتقد أننا كنا فىحاجة الى فيلم أطول بكثير من الذى أتيح لى اخراجه .. لكى أتعمق أكثر فى حياة هذا المثال الكبير الذى اختطفه الموت فى شرخ الشباب وعندئذ كان من الضرورىان نلجأ الى طريقة أخرى فى التعليق على الفيلم ، وأغلب الظن أننى كنت فى هذه الحالة سأقوم بعمل أحاديث مع من عاشروه فى حياته وعرفوه عنقرب .

● فلننتـقـل بـالسؤال التقليدى : ما هى مشاريعك الان ؟

— مشاريعى الان كلها تدور حول فكرة أساسية تشغلنى منذ فترة طـويلة وهى محاولة ايجاد اكثر من منتج للفيلم التسجيلى بجانبى ، ذلك أننى أدركت أنه لكى ننتج عددا كبيرا من الافلام التسجيلية لابد أن يقوم بعبء العمل معى بعض الزملاء الذين أثبتوا كفاءة خاصة فى الاخراج والتصوير السينمائى لمدد طويلة وامتازوا بالرغبة الصادقة فى خدمـة الاخرين ، عندئذ سيستطيع المركز أن ينتج ٥٠ فيلما كل عام . وعلى مستوى جيد ، فاذا أضـفنا الى ذلك ضـمان الميزانية المستقلة اللازمة لانتاج الافلام وطبع النسخ الضرورية لعرضها بجميع أنحاء البلاد فانى بذلك أعتقد أننى سأكون قد حققت أهم المشاريع التى تلح على الان .



مسرح

« عفاريت من ورق »

مفاهيم مغلوطة ونتائج معكوسة

حولَ حطام الفانتوم فى احدى القرى المصرية ، تدور أحداث المسرحية . حيث يقتل ثلاثة طيارين اسرائيليين فتظهر « عفاريتهم » بينما يمارس الاهالى الفرح والثرثرة والصخب ، يتوعدون الاعداء ، ويترحمون على الشهداء ويتحدثون عن الانتصار . تلك هى الخطوط التى اراد المؤلف « صلاح راتب » أن تحمل فكرته : أنه حين جاء يهود العالم الى أرض فلسطين فانهم مثل « شايلوك » يهودى « شكسبير » يراهنون على المستحيل . وهذه فكرة لامعة ، ولكنها تظل فكرة ليس أكثر .

فالمؤلف مازال أسيرا لمفاهيم بالية ومبتذلة عن عدونا ، فالاسرائيليون فى تصورهم هم : يهود (ساعة لقلبك) الذين يموتون على المليم ، ويمارسون الانحلال والخيانة كأسلوب معتاد فى حياتهم اليومية ، كأن يريد (جدعون) من (ناحوم) أن يدفع له تكاليف اصلاح السيارة التى اهداها الاخير لعشيقة (كارينا) زوجة الاول ، او حين يتحدث (كوهين) عن المجهود الذى يبذله مع (كارينا) ولسنا بحاجة للقول بأننا لا نحارب اسرائيل لان سكانها يمارسون الانحلال أو لان بعضهم يبتز البعض الاخر ، فالزوجة المنحلة ، والصديق الخائن ، والبخيل الذى يعمل للمال كل حساب موجودون فى كل مكان ، ولا يختص بهم المجتمع الاسرائيلى وحده ، كما أننا لسنا مهتمين بتحسين أخلاق المواطن الاسرائيلى ، بقدر ما نحن مهتمون بالتفوق على اسرائيل على أسس علمية وحضارية وعمرانية واشتراكية ، نحن مهتمون بهزيمة الفكرة الصهيونية عن طريق تحليلها ، ودحض المطامح الاستعمارية التى تؤيد وتساند وتمول وتسلح اسرائيل ، مهتمون بالحقوق العادلة لشعب فلسطين .. وقد كتب الكتاب العرب والاجانب آلاف الصفحات فى شرح جوانب هذا الصراع وطبيعته ، غير أن المؤلف آثر أن يكتفى بما تعلمه من الفكاهات الشعبية والافكار الدارجة .

كذلك يتحدث المؤلف عن (أوربا اللى راحت من اسرائيل) وهذا يخالف الشواهد المتواترة ، فالحكم فى المانيا ينتقل من برانت الى شميدت ، وفى فرنسا من بومبيدو الى ديستان ، وفى انجلترا من المحافظين أصحاب السياسة المتوازنة الى العمال المنحازين لاسرائيل . ان اوربا التى جنحت الى الاستقلال ، عادت الى حظيرة الاطلنطى والولاء التام للسياسة الامريكية ومن ثم الى تأييد اسرائيل .

ويتحدث المؤلف عن (السابرا) المتطرف العنيف الاقرب الى النازى منه الى اليهودى ، وهذه ايضا صورة غير حقيقية ، فأغلب السابرا ينادون بفكر صهيونى جديد وخبيث ، ينادون باسرائيل متعايشة مع جيرانها . متوائمة فى ظل سيطرة امريكية شاملة على المنطقة ، مطمئنة داخل حدود آمنة . فالسابرا يريدون نهاية لهذه الحروب .. يريدون سلاما صهيونيا .

ولم تكن العينات اليهودية التى أوردها صلاح راتب ، نماذج على الاطلاق ، فالتصريحات الجريئة التى ادلى بها « عساف ياجورى » ، تكشف عن عمق الازمة التى يعانيها اليهود . الازمة التى وضعتهم فيها الامبريالية ، فالانسان اليهودى حين يهاجر الى اسرائيل مجرم وضحية فى آن واحد .. مجرم لانه شارك بارادته فى تحقيق هذا المخطط الاستعمارى ، وضحية لانه يذوق السم لحساب الولايات المتحدة ، لقد فاتت صلاح راتب فرصة التحليل الدرامى للتناقضات الانسانية العميقة داخل المجتمع الاسرائيلى .. التناقضات التى سوف تمكن العرب من الهزيمة النهائية للصهيونية .

وثمة نقطة هامة أخرى أنبه لها : انه لا الدولة المصرية ولا الشعب المصرى يعاديان الدين اليهودى ، أو يسخران من (يهوه) والمعتقدات الدينية اليهودية ،

او يكرهان اليهودى كيهودى ، انما الدولة والشعب المصرى ضد الصهيونية والاستعمار الاستيطانى الذى يتخذ من الدين اليهودى وسيلة لتبرير جرائمه ، وعلى هذا يكون ما ورد بالمسرحية فى هذا الشأن وصمة مخجلة .

وتناول العدو على هذا النحو الفج أمر خطير من شأنه أن يخلق حالة من الرضا الخادع عن النفس وتصبح الفرحة البادية فى ثنايا المسرحية فرحة بلهاء غير مدركة لمخاطر الصراع ، فى وقت لم تنته فيه معركتنا بعد ، فاسرائيل لم تنسحب من سيناء ولا الجولان ولا الضفة الغربية ، ولم تقترب بعد من حل جذرى للمشكلة الفلسطينية .

ومن الناحية الاخرى ، لم يزل الكاتب أسيرا لمفاهيم اقطاعية ورجعية عن الشعب المصرى ، لم يزل يتصور الفلاحين المصريين قوما بلهاء ، فهذا فلاح ساذج يحب فتاة لعوبا ، وهاتان فتاتان تتنافران بادعاء كل منهما أن شقيقها او حبيبها هو الذى يسقط الطائرات ، أما الشيخ الوحيد الذى يعرف القراءة فهو عصبى كاذب مدع أن صورة الفلاح العبيط التى شاعت فى مسرح الثلاثينيات لم تفارق خيال المؤلف أثناء كتابته لهذا النص . وكما قدم المؤلف تبسيطا سطحيا لصورة المجتمع الاسرائيلى ، قدم صورة مبتسرة فارغة للقرية المصرية ، فهى ليست خاوية وخربة كما شاهدناها ، فناسها متنورون وأذكياء ، لهم ادراك متميز للعالم ، ولهم وجهات نظرهم الخاصة فى الاحداث ، هناك المتعلمون وأنصاف المتعلمين .. وهناك مدارس ومجمعات ، **ولعل القرية المصرية لا تستاهل من المؤلف كل هذا الاستخفاف ، لان النسبة الاعلى من جيش المليون مقاتل كانوا من الفلاحين ، وحتى أسلحتنا كنا نشتريها لقاء نتاج عرق الفلاحين .**

ويزج المؤلف بمجموعة من الصحفيين الاجانب على المسرح ، وتتول صحفية أمريكية كلاما معاديا لنا ، فتتولى الدفاع عن مصر صحفية فرنسية ، أما الصحفى المصرى المرافق ، فكان كائنا ابله غبيا وسلبيا ، يتخذ موقف المتفرج أو يؤمن على اراء الفرنسية . وأما الطالب محمود والطالبة سامية ، فيتحدثان بندم غريب عن صراخهم من أجل الوطن قبل أكتوبر (كنت باصرخ من جوايا .. وما كنتش عارف أنا بصرخ ليه) .. اذا كان المؤلف يقصد بالصحفى وهذين الطالبين أن ينتقد المثقفين ، فانه يخطىء بكل تأكيد ، فالمثقفون - رغم كل الضغوط - نادوا بالحرب ، وادانوا الانهزاميين ، وكشفوا الهجمة الصيليبية التى اعدها التحالف الاستعمارى الصهيونى ضدنا ، وأكدوا أن هزيمة اسرائيل ممكنة رغم كل الصعاب . ان وعى المثقفين لم يتفجر بسبب حرب أكتوبر ، فهم ليسوا مجرد رد فعل ، بل هم مشاركون أصلاء فى كل معارك الوطن .

واذا كانت تلك هى صياغة المؤلف لطرفى الصراع : الاسرائيليون فى صورة شيطانية خفيفة ومرحة ، والمصريون فى صورة غبية ومضحكة وسلبية ، فعلينا أن نتوقع النتيجة التى يخرج بها المشاهد من هذه المسرحية .

وفى الحقيقة يكون استخدام لفظة « **مسرحية** » هنا من باب المجاز ، فالرقعة الجغرافية التى دار عليها ما سبق تناوله من أمور لا تحتمل ذلك الافتراض الساذج عن ظهور عفريت (**شيلوك**) الذى مات من ٤٠٠ سنة فى مدينة البندقية ، مع عفاريت الطيارين الاسرائيليين ، ثم ما الذى أتى بوفد الصحفيين الاجانب الى هناك . خاصة وان الذى يحدث واقعيا هو أن الصحفيين الاجانب يزورون الجبهة ، وما الذى اتى بالطالب محمود والطالبة ساميه وهم ليسوا من أهل القرية ؟ انه تجمع مفتعل ولا شك يسوقه المؤلف فى لوحات مهتزة ، تتلاحق باعتباطية بالغة ، فى صف غير منتظم ورتيب ، فلا قديم ولا جديد ، ولا بداية ولا نهاية ، ولا صعود .. ولا حتى هبوط . واما الحوار فهو اذاعى فارغ ورخيص ، مليء بالايحاءات الفاحشة ، النكات اللفظية المجوجة ، وكاننا نسينا **ان المسرح هو مجمع الثقافة ، وعالم الشعر والجمال والفرح الانسانى ، وهو رواق الجدل والافكار الثمينة ، يمتلك ناصيته من يملك القدرة على التشييد والبناء ، وبراعة النفاذ فى ثنايا النفس البشرية على أساس من الحقيقة ، وموهبة الفكر والبشارة والنبوة .**

أما كيف عالج **الاستاذ نبيل الالفى** هذا المكتوب ، فهو ولا شك قد واجه معضلة ، فعمد الى تغطيته بمجاميع المغنيين والراقصين ، ولكن هذه الفواصل كشفت عيوبه أكثر .. وأكثر ، فهذه ليست سوى نقلات اذاعية من لوحة لاخرى ، بلا أى ضرورة درامية ، او حتى اتصال بين نهاية اللوحة وبداية الاغنية ، قد تتضمن الاغانى بعض المعانى المتصلة بمصر والحرب واسرائيل ، ولكنها لا تشكل نسيجا عضويا واحدا مع باقى العرض ، ليس لها وظيفة ، ولا تتطور بالاحداث ، ولا تحرك المشاعر ، كما أنه ليس من المناسب ان تتول احدى الاغانى (واللى افتكرناهم وحوش .. طلعوا عفاريت من ورق) لان الشعب لم يظن ابدا ان الاسرائيليين وحوش ، واذا ما بررت هذه الاغانى الركيكة بانها تمثل فرحة الشعب (البسيط !!) فليكن فرحنا جليلا مشوبا بالالم العميق لفداحة ما قدمناه من تضحيات ، واذا كان هناك احتفال فليكن احتفالا تراجيديا .

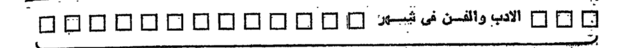
ولعل المخرج لم يكن موفقا فى اختيار الديكور ، وهو الذى عرفت عنه المهارة فى توزيع الضوء والوانه فى توافق جميل مع الوان الديكور والملابس ، فالستارة السماوية قد امتصت كل الاضواء والالوان ، وتركت ظلالا باهتة على المنظر ، وكذا كان التصميم (**الطبيعى**) الديكور ، وهو الذى عرفت عنه المهارة الذى افترضته فكرة استحضار العفاريت ، بل كان الافضل ان يصاغ الديكور بصيغة من نفس نسيج العفاريت الاسرائيليين . فما معنى أن نختار وحدات مرسومة ذات بعدين تمثل حقل قصب او برج حمام ، أشبه باللافتة الساذجة التى تقول : هذا قصب .. وذاك برج حمام . فلم يكن الديكور سوى وصف مباشر وناقص للمكان ، مع أن فن الديكور المسرحى عندنا ، قد تخطى هذا منذ زمن ، **فالديكور هو التجسيد الفلسفى ماديا لرؤية المخرج للنص ، فضلا عن تاديته لوظائفه العملية والجمالية الاخرى .**

هذا وقد اضطر الممثلون ازاء فقر النص - وهم ممثلون جيدون ومجتهدون - الى اضافة بعض الالفاظ ذات الايحاء القبيح ، علاوة على ما فى النص ، وبعض الاشارات والايماءات الخارجة - وذلك محاولة منهم لاحياء النص بلا جدوى .

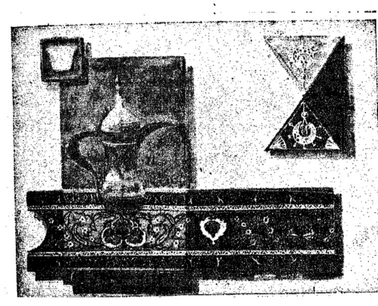
لذلك كله بدا لنا العرض تافها قبيحا ، ليس به أى تجريب جديد ، ولا تعرض لمدرسة مبتكرة فى الاخراج ، ولا دراسات مستحدثة فى استخدامات الديكور ، اذن فليس مكانه مسرح الطليعة فحسب .. بل مكانه خارج خشبة المسرح المصرى كله .

ولا نملك ازاء هذا الوضع المتردى ، ألا نتذكر توفيق الحكيم ، ونعمان عاشور ، وألفريد فرج ، ويوسف ادريس ، وميخائيل رومان ، ومحمود دياب .. ومؤلفين آخرين فى علم الغيب ... لم يكتشفهم مسرحنا بعد ... ، فقد أصبح بعض من فيه لا يطيقون الصدق .

مهدى الحسينى



فنانو الكويت فى القاهرة



تكوين — زيت

اغلب الظن أنها هى المرة الاولى التى يلتقى فيها الجمهور المصرى بالفن الكويتى ، كان ذلك خلال معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية الذى أقيم فى قاعة اخناتون فى المدة من ٢٩ يوليو حتى ١٥ أغسطس الماضى .

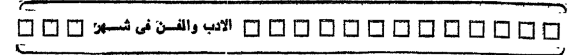
والمدهش ان هذا المعرض — الذى يستند الى حركة تشكيلية كويتية ذات عمر لايتعدى عشر سنوات ، والى واقع اجتماعى شبه اقطاعى — قد تخلص الى حد كبير من ازمات الحركات الفنية فى طور نشاتها الاول : من محاكاة للطبيعة ، الى الوصفية الساذجة ، الى سيادة « صورة الصالون » وخاصة البورتريه والمنظر الطبيعى ، ارضاء للطبقة الحاكمة . [وان كنا نجد بعض اصدائها مازال يتردد واهنا بين المعروضات] .

وفى المقابل ، نجد ان عددا كبيرا من الاعمال فى التصوير والنحت تعكس شحنات تعبيرية تتفاوت فى حدتها وصدقها ، بين الهمس الموحى والصراخ الفج ، بين الذاتية والقومية ، ومن ناحية اخرى نجد أعمالا ناضجة قد اكتسبت قيمتها من الفهم السليم للغة الشكل ومن تمثل خبرة المدارس المتعاقبة فى الفن الغربى على وجه الخصوص ، وان تضاءلت فيها الشحنة التعبيرية .

ولعل هذا الاتجاه الى النضوج فى الحركة الفنية بالكويت يرجع الى عاملين:

الاول : هو ان معظم الفنانين فى تلك الحركة [**مثل خزعل عوض ، سامى محمد ، عبدالله سالم ، عيسى صقر ، محمود الرضوان**] قد درسوا الفن فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة منذ اواخر الستينات حتى اوائل السبعينات ، ومن السهل ملاحظة آثار ذلك فى اعمالهم ، أعنى آثار الحركة الفنية المصرية الحديثة وأساليب معالجتها للتيارات الجديدة فى الفن .

والثانى : هو تنظيم تلك الحركة منذ بداياتها فى كيان راسخ هو **الجمعية الكويتية للفنانين التشكيليين** [تأسست سنة ١٩٦٧ وتضم ٤٠ عضوا] . ان تلك الجمعية استطاعت ان تنجيت للفن



التشكيلي في المجتمع الكويتي مكانا لائقا ، فمنحتها الدولة كل التدعيم المادي والمعنوي ، ووفرت للفنان ظروفا مادية كريمة ليتفرغ للانتاج . [نلاحظ ان نظام التفرغ للفن في الكويت أكثر جدية ورقيا من مثيله في مصر] . وظهرت آثار هذا التدعيم في عدد المعارض التي تقيمها الجمعية بالكويت والجوائز العديدة المخصصة لها ، فضلا عن المعارض التي اقامتها في معظم العواصم العربية والدولية . وكانت الجمعية أول من طرح فكرة اقامة بينالي [معرض السنتين] لفنون الدولة العربية ، وانتقلت بالفكرة الى حيز التنفيذ ، حيث اقامت بالفعل أول بينالي عربي سنة ٦٩ بالكويت ضم ثمانية دول ، وارتفع العدد في دورته الثالثة — سنة ٧٣ — الى ١٦ دولة عربية من بينها مصر ، واستضافت الجمعية فنانا من كل دولة مشتركة بالمعرض .

ان هذه الانجازات لم تكن لتتحقق لولا كفاح الفنان الكويتي من خلال منظمته الديمقراطية [الجمعية] لتحقيقها ..

لقد نجح الفنان الكويتي ان يكسب خلال سبع سنوات — بفضل تنظيمه — ماعجز الفنان المصري عن كسبه خلال أكثر من ستين عاما ، بفضل عدم تنظيمه .

•••

للوهلة الاولى تجذبنا أعمال النحت في المعرض بمستواها المتفوق ، خاصة تلك الاعمال المنفذة في الخشب لعبد الحميد اسماعيل وخزعل عوض وسامي محمد ، اذ نجد فيها توظيفا ممتازا لعنصر العفوية والصدفة في قطع الخشب الطبيعية ، ونجد ان الموضوع الاكثر اغراء للنحات هو المرأة : في تحجبها وفي عريها ، في خوفها وفي تفجرها بالرغبات المكبوتة ، في استكانتها وفي محاولتها للتمرد ، بمعالجة ناضجة للكتلة وسط الفراغ ، والفراغ داخل الكتلة ، والحركة الداخلية والخارجية للتمثال ، ونقط الارتكاز فيه ممثلة في المناطق الغائرة أو الفتحات . وتجدر الاشارة الى التمثال الرخامي الوحيد [**استرخاء**] لخزعل عوض ، لقد نجح الرخام بالفعل في تحقيق الليونة والانسيابية في وضع الاسترخاء، واضفت شفافية الرخام جو الحلم الناعم على التمثال . كما يستلفت النظر تمثال سامي محمد « الشقيقتان » الذي يتخذ شكلا معماريا يعتمد على الخط المستقيم والقوس ، حتى لتبدو الفتاتان مثل تبنين عاليتين في مسجد أو قلعة . اما النحات الوحيد الذي نلاحظ في اعماله طابع البيئة فهو عيسى صقر ، ومعظم أعماله من الخزف ، وفي تمثاله « الامومة » نرى تشابها مع شكل القلة . ورغم طرافة فكرة استخدامه للمصفاة النحاسية في عمل وجه الفتاة، الا انه لم ينجح في اعطاء دلالة للخروم التي تملأ المصفاة ، وبدا فيها قدر من البدائية .

•••

وفي اعمال التصوير والرسم نستطيع ان نرى ثلاث اتجاهات سائدة:

الاول : هو محاولة اضفاء طابع البيئة المحلية على الاعمال الفنيةبأساليب متعددة ، سواء من حيث اختيار الموضوع : [**مثل ابراهيم اسماعيل وأيوب حسين**] أو استخدام وحدات زخرفية شعبية وتحليلها واعادة تركيبها بشكل تجريدي أو زخرفي : [**عبد الله سالم ،ومحمود الرضوان**] .

الثاني : هو محاولة تحميل اللوحة مضمونا سياسيا أو فلسفيا يتفاوت بين المباشرة والزعيق [**عبد الرسول سلمان**] وبين الرمزية القريبة من السريالية : [**جاسم ابو حمد**] .

والثالث : هو محاولة تقليد أحدث الاساليب في حركة الفن الغربي مثل الاوب آرت : [**امين محمد**] والكولاج [**أحمد عبد الرضا**] .

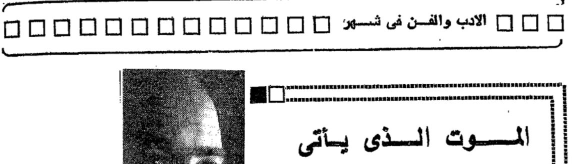
● في اعمال **عبد الله سالم** نجد تصميما متماسكا يستخدم فيه الوحدات الزخرفية في البيئة الشعبية بسخاء ، لكن بتوظيفها لتحقق ايقاعا يتمتع بالديناميكية ، دون الوقوع في السطحية الزخرفية ، وان كانت اعماله تنحو نحو التجريد ؛ انه تجريد يقف على أرض واقعية، فالاعمال تثير في خيالنا أشكال السجاد الشعبي [الكليم] والخشب المفرغ [الارابيسك] والنسيج الريفي [الشال] ، وهي جميعا ابداعات تراثية ذات أصالة في وجدان كل عربي . ويمد الفنان الى تكرار وحدة الزجزاج ووحدة المثلث في تبادل وتضاد مرح أو تتابع رتيب والوان معتمة تشعر بالحزن ، ان الاثر الذي تحدثه لوحات سالم يشبه الاثر الذي تحدثه الموسيقى الفولكلورية ، أو المتتاليات الشعبية .

● وقد حاول **محمود الرضوان** ان يعطي نفس الاثر ، لكنه سقط فيما استطاع ان يتجنبه سالم : اعني الزخرفية السطحية : لقد رص وحداته الزخرفية النباتية دون تحليلها كما فعل الفنان العربي القديم ، وحاول ان يخلق ايهاما بالبروز والتجسيم عن طريق الظل الجانبي للعناصر المستخدمة [مثل النحت البارز] في محاولة للهروب من التسطيح الزخرفي ،لكنه أدى الى العكس، اذ بدت كديكورات حائطية ، كما ان اللون وضع في مساحات مصمتة خلت من لمسات الفرشاة ذات الرعشة المرهفة التي تتميز بها اللوحات الزيتية ، مما جعلها تبدو كالوان الجواش .

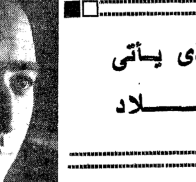
● وبينما نجح **جاسم أبو حمد** في ايصال أفكاره عن طريق الرمز والخيال الخصب والجو الاسطوري [خاصة في لوحة التفاحة] ، لم يستطع **عبد الرسول سلمان** ان يتخطى المباشرة الدعائية ، وان كانت لوحته « شهداء الحرب » تعد عملا ناجحا من حيث استخدام خوذة الجندي كوحدة اساسية استطاع بتكرارها وانتشارها اللامتناهي في عمق اللوحة — وهي معلقة على شواهد — استطاع ان يعطي انطباعا بعالم أرواح الشهداء .

● وهناك الكثير من الاعمال المعروضة تستحق المناقشة للفنانين **ابراهيم اسماعيل وأيوب حسين وأحمد عبد الرضا وامين محمد وعباس فاضل** مما يضيق عنه حيز المقال . .. لكن الشيء الجدير بالتسجيل هو الارادة الصلبة من وراء هذا المعرض للفنان الكويتي على أن يتخطى العزلة ويتواصل مع شقيقه الفنان والمشاهد العربي ، وان يجد أسلوبه الخاص والمتميز ، واضعا الاساس لحركة فنية نابضة تسعى الى الاصالة .

« عز الدين نجيب »



الموت الذى يأتى قبل الميلاد





ما الذى يمكن قوله فى موت انسان.. أو حتى فى موت فنان .. وما الذى يمكن أن ترده تعقيبا على خبر يعلن رحيل « فؤاد فيظ الله » — أحدمخرجينا الشبان — .. الى « مملكة الموت الغسقية » .

أو حتى ما الذى يمكن فعله ازاء سلسلة الموت البالغة الرقة والتى تنسحب على اعناقهم — اولئك الشبان — [مثل «ممدوح هلال» و«ممدوح شكرى» و«مدحت سالم» و ..] فى الموت .. وفى الحياة .. أيضا ..

ضربة قدرية مكتومة الايقاع ، بنية قاتمة تردع اندفاعا استمراريا مصاعدا لظهور المخرج الشاب «فؤاد فيظ الله» المولود فى ١٨ ديسمبر ١٩٤٤ والمتوفى فى ٢٧ يوليو ١٩٧٤ — ضربة مفتتنة بالطبع مع ضربة الواقع السينمائى المصرى الموحدة ..]

اذا أردت أن تتيقن من هذا فلعلك تذكر انك شاهدت أفلامه الخمسة فى تليفزيون مصر أو لعلك حضرت مهرجانا للافلام التسجيلية والقصيرة...

.. ولعلك تذكر «ظل البحيرة» ، [١٩٧٠] أول افلامه القصيرة منذ تخرجه فى ١٩٦٦ من معهد السينما — قسم الاخراج .. لعلك تذكر ظل البحيرة المتنى وانبثاق الواقع من الحلم فى قرية لصيادين يكدحون..من اجل العيش...

ويصون لك واقعا صدئا باردا طوال الوقت غير ان اساطير عالمه العملى البسيط واقاصيص حبه وجمال تكوينه أيضا تتسرب من فوق شواطئه، اغنية بسيطة [المكن بيغزل والشبك بينزل..]

والشمس جاية ياوله وحاتبقى شمس مضللة] .. وفنان اعطى افضل ما لديه ..... لعلك تذكر « رسالة الى عبد الناصر » [١٩٧١] الذى بدا يتلمس فيه طريقة الى الجموع فى اضخم مناسبات تجمعها .... بتمكن تكتيكى متميز ...

..... وفى نفس العام لن تذكر انك شاهدت [انه حدث فى الساعات الاولى من صباح يوم ١٩٧١/١/١ !] [١٩٧١] — الذى منع رقابيا لاسباب مجهولة — حيث يستخدم «فؤاد» المونتاج المتوازى لما حدث فى عالم الكادحين البسيط [شعبا وجنودا] وما يحدث فى عالم ضيق جدا فى أحد كازينوهات القاهرة — المدينة الامنة الكبرى — ويستخدم بنجاح فنى اسلوب الشهادات الواقعية لناقد سينمائى ولجندى [اكتشفت ان الجندى الاسرائيلى جبان] ولفلاح [جالوا حايبنوا مصنع هينا فيبلدنا ولكن مرت عشر سنين ولسه ما ابتناش] ... يستخدم هذا الاسلوب معاصرا أحدث اتجاهات السينما التسجيلية ذات الرؤية . لك ان تتوقع تأثير هذا الفيلم وتعلم: القضية لن .... وفى عام [١٩٧٢] لابد انك رأيت الكاميرا تنتقل الى حيث يقوم مجهولون كادحون — لا انت ولا انا ولا هم يعرفونهم — ببعث الفوسفات من منجم بالحمراوين على شاطىء البحر الاحمر .. ولانه يبدو ان افلامنا قد تناست واقع بلاده وبلادنا ، فقد جعل « فؤاد » من مدينة « الحمراوين : مدينة المستقبل .... »

شاهدت فيلم « حرب السلام » [١٩٧٣] وهو فيلم اعلامى جيد عن أهداف حربنا التحريرية التى خاضها الكادحون ايضا الذين عايشهم « فؤاد » واحس ببطولتهم البسيطة .... اما فيلمه الاخير الذى يضيف الى رؤيته الاجتماعية الواضحة بعدا شاعريا وحضاريا دافقا فهو عمل لم يتم بعنوان « رحلة الى نهاية الارض » [١٩٧٤]

عن انقاذ معابد فيلة يحكى فيه عن عودة رجل نوبى الى المكان الذى عاش فيه طويلا حيث يفاجأ بأن عالمه قد تغير ، اذ ان هناك من يعمل فى انقاذ المعبد الغريق .. ويصر على أن يبقى مع التاريخ القديم والشخصى له — حتى يراه كاملا من جديد ....

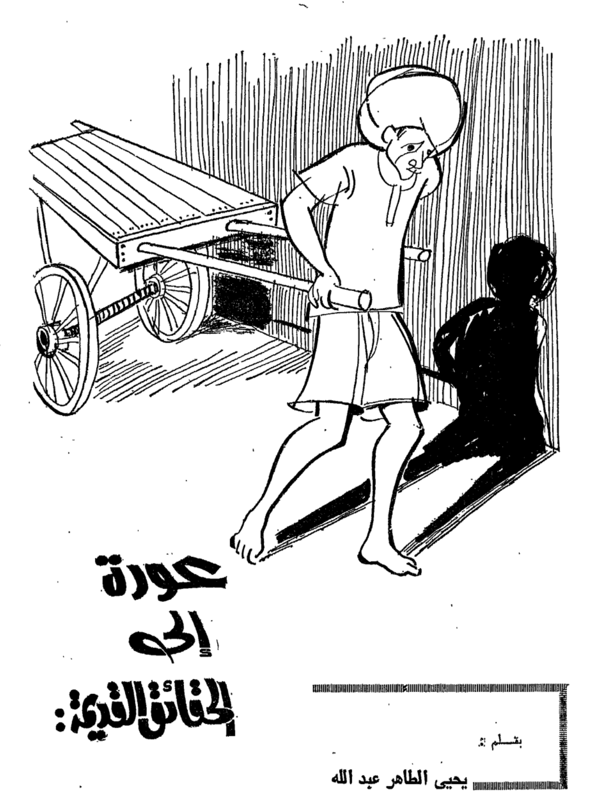
ثم مشروع لفيلم روائى طويل بعنوان « مصرع طائر السمان المهاجر » عن قصة صلاح عيسى ... لم يتم ولن يتمه .... « فؤاد » ..

لقد تعمل « فؤاد » برؤية واقعية أمكن من خلالها ان يخاطب المطحونين جميعا وبتمكن فنى — عاونه فى اتقانه مصوره الممتاز «نسيم يونس» ومونتيرته الحساسة « وفاء صقر » فعل الكثير على مستوى البداية ، وفى ظل الظروف الحالية للسينما المصرية .

●●●

بعدا لكلمات الرثاء ... أو الالم .. أو حتى الهتاف .. لقد كان الشباب فى أرض الميلاد .. حسنا ما الذى يمكن قوله وأعنى ايضا كان يمكن أن يكون واحدا من مخرجينا الشبان الذين طال انتظارنا لهم .. أحياء .

الفاروق عبد العزيز



عودة إلى الحقائق القديمة :

بقـلم :

يحيى الطاهر عبد الله

فهى ما تزال صالحة لإثارة الدهشة

« خمارة مخالى اليوم مكتظة !!
كل الطاولات مشغولة ، اعرف الكل والكل يعرفني : الكل هنا يعرف الكل — لهذا افضل أنا خمارة مخالى »

هكذا خاطب الاسكافى نفسه التى تجيش — الان — بحب غامر لكل من بالمكان ، لقد قضى بالمخفر اسبوعا ، مسح المكان بعينيه ونادى الجمع بصوت طروب :

« من منكم يرغب فى أن اشاركه اليوم طاولته ؟ » « آه .. لا .. ها هو العريجى النار من خمارة مخالى يعود — أخيرا — الى خمارة مخالى . ها أنت .. ها أنا أراك أيها العريجى الجاحد »

وبمشقة شق له طريقا بين الطاولات والارجل الممتدة — حتى بلغ صاحبه العريجى ، سلم عليه العريجى وهو قاعد : وهذا يحزنه قليلا — الا انه جلس ورد على نكتة حلاق النسماء الحارقة ببسمة ماسخة ، ومضى يكلم صاحبه العريجى الذى يلوح انه أفرط فى الشرب :

« طيب أن نلتقى .. لكن اين كنت طوال هذه الفترة ؟ .. لا عليك .. ستخبرنى فيما بعد ، نعم ستخبرنى فنحن صديقان .. لقد افترقنا صديقين .. نعم ها أنا اتذكر : لقد افترقنا صديقين »

وطلب من مخالى كوبا فارغة ؟ وقال لمخالى — لما جاء بالكوب الفارغة :

« طبق خيار مخلل يا مخالى .. لقد قضيت بالمخفر أسبوعا يا مخالى .. آه لو لم يكن سجل أيامى أبيض يا مخالى لمضوا بى الى السجن .. آه يا مخالى لو لم يكن الرجل رحيما لكنت الان بالسجن — انا الاسكافى الطيب صاحب السجل النظيف يا مخالى »

وصب لنفسه كوبا من زجاجة صاحبه العريجى وشربه دفعة واحدة ، ومضى يصب كوبا آخر — بينما العريجى ينظر له بعينين دهشتين أحمرتا من الخمر ، ومخالى ما يزال واقفا ، قال لصاحبه العريجى :

« لقد افترقنا صديقين .. لما افترقنا كنا صديقين .. لعلك تذكر فأنا مازلت متذكرا » وجرع كأسه دفعة واحدة ، ومسح بكم جلبابه الخمرة التى جرت من شدقيه على ذقنه ، وخاطب مخالى وخاطب صاحبه العريجى :

« فيما بعد يا مخالى .. فيما بعد .. هات طبق خيار مخلل يا مخالى .. لقد كان اسبوعا عجيبا يا صاحبى : كل يوم بليلة ونهار .. لكن الحمد لله : ها أنا هنا وها أنت يا صاحبى تعود بعد غيبة طويلة لخمارة مخالى » ها أنت تعود لنا .. وها انت تحاول



التذكر .. اللعنة على الخمرة : هى التى تعوقك عن التذكر .. ولكنك ستهزمها وتتذكر .. حاول يا صاحبى .. وها أنا من جانبى أعاونك .. لكن دعنى اصب لنفسى كأسا .. ها أنت تبتسم .. لاشك انك تذكرت صاحبك الاسكافى الملقب باسكافى المودة »

صرخ الاخر — بعد أن حاول التيام ولم يفلح فمد يدا للاسكافى — وقد تهلل وجهه :

« نعم أنت الاسكافى .. اسكافى المودة : أليس كذلك ؟ .. اللعنة على الخمرة .. ولكنك عاونتنى .. آخ : يا له من صداع .. لقد تقيأت قبل مجيئك ياصاحبى .. نعم لقد تقيأت .. أخشى ان تكون الخمرة مغشوشة .. كن صادقا معى ياصاحبى : هل يغش مخالى الخمرة ؟ »

جاء مخالى بطبق الخيار المخلل وسمع كلام العريجى فقال أنه لايغش الخمرة ، وقال أن كل الخمارات تغش الخمرة ما عدا خمارة مخالى . صدق الاسكافى على قول مخالى وردد « الكل يغش الخمرة هذه الايام — ما عدا مخالى ، وطلب من مخالى طبق ترمس وطبق فول سودانى ، وصب لنفسه كأسا من زجاجة صاحبه العريجى ، وطلب من صاحبه العريجى أن يتكلم . قال العريجى بعد أن ذهب مخالى :

« كلهم يغشون الخمرة ياصاحبى .. معدتى تحترق .. آه .. دعنى أتذكر .. أنت اسكافى المودة .. الصداع يأكل رأسى .. وأنت ياصاحبى قضيت بالمخفر أسبوعا .. لاشك أنهم ضربوك .. لاتجعلنى أرى جسمك ياصاحبى حتى لا أبكى .. آه .. لاتجعلنى أرى جسمك ياصاحبى .. لاتجعلنى أبكى ياصاحبى »

قال الاسكافى :

« لم أكن بالسجن ياصاحبى .. كنت بالمخفر .. قضيت أسبوعا كاملا .. لكن أين كنت أنت ؟ .. لماذا غبت كل هذه الفترة عن خمارة مخالى ؟ لماذا غبت عنا ؟ »

قال العريجى !

« فيما بعد .. سأقول لك فيما بعد فنحن صديقان .. لكن خبرنى انت !!
ما الذى صنعوه بك فى السجن ؟

رد الاسكافى :

« آه .. لم أكن بالسجن .. كنت بالمخفر .. وكان الرجل رحيما .. وكان سجلى نظيفا أبيض، ثم ان الامر كله لم يكن كبيرا .. لقد صنعت ضجة قليلة بشارع هادىء .. كنت سكرانا .. وى .. ؟ العن معى الخمرة : انها سبب كل بلاء .. لم يكن الامر كبيرا .. فقط اقلقت بعض النيام فمضى بى الدركى للمخفر .. لكن اين كنت أنت ياصاحبى ؟ »

قال العريجى لنفسه « كلهم ينكرون .. لاأحد يقول الحق .. لقد ضربوه »، وقال للاسكافى :

« الخمرة مغشوشة .. رأسى تحترق والخمرة تأكل معدتى .. صدقنى لم أشرب الخمرة قط طوال الفترة التى غبتها عنكم .. أنجبت زوجتى ولدا ذكرا .. كل الذكور الذين تنجبهم زوجتى يموتون .. لى منها سبع بنات لا يمتن — لكن ذكورها يموتون .. جارتنا جارة الخير قالت لزوجتى أنها لو ربت كلبا صغيرا مع الولد فلن يموت .. وها أنا ياصاحبى اعول سبع بنات لا يمتن وولد وكلب لكى لا يموت الولد .. لاشك أن همى زاد وان مسئولية تربية سبع بنات وولد وكلب مهمة شاقة .. ولاشك انك توافقنى أن مسئولياتى كانت كبيرة هذا ما لم يجعلنى أحضر الى خمارة مخالى .. ولما مات الكلب ظهر اليوم أتيت الى خمارة مخالى .. هل أخاف على الولد ياصاحبى ؟ كن صادقا معى ياصاحبى .. هل يموت الولد بعد أن مات الكلب ؟ »

رد الاسكافى :

« لا ياصاحبى .. لن يموت الولد .. لن يموت : صدقنى .. لقد فدى الكلب الولد .. لقد كبر ابنك ولم يعد بحاجة للكلب فمات الكلب .. لقد كبر أبنك : أليس كذلك ؟ » .

قال العريجى :

« نعم : لقد كبر .. عمره اليوم ثلاثة شهور ونصف » .

قال الاسكافى :

« ثلاثة شهور ونصف !! .. نعم لقد صار كبيرا .. لا تخف ياصاحبى .. لقد صار ابنك كبيرا »

زعق العريجى على مخالى طالبا لصاحبه الاسكافى نصف زجاجة خمرة، وقال لصاحبه الاسكافى أنه صديق حقيقى له بعد الذى قال ، وقال له أنه سيوصله الى بيته بعد أن يفرغ من شرب نصف زجاجة الخمرة ، وأنه سيشرب معه كوبا واحدة فى صحة ابنه الذى لن يموت لانه كبر ، وبعد أن يوصل الاسكافى الى بيته سيمضى هو فورا الى بيته ليرى ابنه ، وقال أنه حزين قليلا لان باعة البسبوسة

كلهم ناموا الان — والا لاخذ معه لقمة بسبوسة لام ابنه .

صرخ العربجي :

« حمارى .. أين حمارى ؟ ... لقد سرقوا حمارى .. السفلة .. الكلاب »

قعد العربجي على الارض يبكى ويلطم خديه ، بينما كان الاسكافى يعصر ذهنه عصرا شديدا — ثم صرخ:

« قم ياصاحبى .. قم .. غدا سآتيك بحمارك .. غدا وهذا وعد حر .. غدا سيأتيك اسكافى المودة بحمارك .. انا أعرف كل سراق الحمير .. عيسى حرامى الحمير هو الذى سرق حمارك .. لقد كان عيسى النذل معنا بخمارة مخالى لكنه ذهب بالحمار .. سأعلمك يا عيسى أنا اسكافى المودة ما لم تعلمه لك الايام .. غدا سأريك نجوم الظهر ايها الواطى واخذ منك الحمار وارده لصاحبى .. يا لك من نذل ياعيسي : وهل يسرق صاحب اسكافى المودة !!» وخاطب صاحبه !

« قم ياصاحبى .. قم .. واحمدالله أن العربة نفسها لم تسرق »

قام العربجي وخاطب صاحبه الاسكافى :

« الحمد لله انه لم يسرق العربة .. ولكنك قلت أنك ستأتينى بحمارى .. لقد قلت لنفسى بمجرد أن شفتك انك صديقى »

قال اسكافى المودة :

« قلت لك ان عيسى يسرق الحمير فقط ولا يسرق العربات .. سأتيك بحمارك غدا من عيسى وسأعلم عيسى أن لحم اسكافى المودة لايؤكل وكذا لحم أصدقاء اسكافى المودة.. لكن ما الذى سنصنعه الان بالعربة .. قل لى : ما الذى سنصنعه بهذه العربة وقد سرق عيسى النذل الحمار .. قل لى أنت أو دعنى أفكر »

قال العربجي :

« لو تركت العربة لسرقها عيسى »

رد عليه الاسكافى ضجرا :

« قلت لك أن عيسى يسرق الحمير ولا يسرق العربات »

قال العربجي :

« لكني لو تركت العربة فسيسرقون العربة » .

قال الاسكافى :

«نعم.. لو تركت العربة فسيسرقون العربة »

قال العربجي :

« غدا ياصاحبى ستأتينى بالحمار من عيسى .. اما أمر العربة فيجب أن نفكر فيه معا »

رد الاسكافى :

« الحمار سأتيك به غدا من عيسى الجبان .. أما العربة ... أى ... دعنى أفكر »

رد العربجي ؟

«سأتركك تفكر ياصاحبى .. يجب أن تفكر من اجلى ياصاحبى .. منذ رأيتك قلت لنفسى : هذا صديق يعتمد عليه .. هل فكرت ياصديقى من اجل صديقك المسكين سائق عربة الكارو »

قال الاسكافى متهللا :

« نعم فكرت .. لقد فكرت من أجلك .. ستجر أنت العربة بدلا من الحمار واركب أنا العربة .. ولما يصيبك التعب ستقول لى تعبت فأهبط أنا وأجر العربة وتركب أنت العربة .. وحين أتعب أنا من جر العربة سأقول لك تعبت فتهبط أنت من العربة لتجر العربة واركب أنا العربة.. ستوصلنى الى بيتى فنحن صديقان .. ثم نعود الى بيتك لترى ابنك الذى لن يموت».

رد العربجي مهللا :

« يالها من فكرة .. يا لك من مفكر .. يا لى من محظوظ، لقد كسبت اليوم صديقا مفكرا سيأتينى غدا بحمارى الذى سرقه عيسى — بينما لن يموت ابنى، ولن يسرق اللصوص عربتى .

٣

قال الاسكافى الراكب فوق العربة لصديقه العربجي الذى يجر العربة :

« ستقطع الشارع المستقيم هذا حتى نهايته ونعرج يمينا ونمضى حتى نهاية الشارع الاخر ثم نعرج يسارا وندخل دربا .. بعد منتصف هذا الدرب واسمه الصفا بيتى يا صاحبى .. انه درب ضيق وموحل .. وهذا ما يجعلنى فى قرف من الدرب وسكان الدرب ياصاحبى.. لهذا اتردد يوميا على خمارة مخالى .. كل سكان درب الصفا قذرون وسرقة وشتامون وجهلة ايضا : يرمون بكل ما هو قذر وما هم فى غنى عنه من حاجاتهم القذرة للدرب حتى حولوه الى مزبلة — وقد تكون المزبلة افضل من دربهم الذى يسمونه بالصفا.. سأترك هذا الدرب الى درب المودة فى القريب العاجل — لهذا سميت نفسى باسكافى المودة .. سأنتقل بمشيئة الله الى درب المودة حين تأتى الفرصة ولن أندم وستزورنى أنت هناك فنحن صديقان .. النهار هنا بدرب الصفا جحيم لا تطيقه الشياطين فما بالك بى .. بالنهار ترى الاطفال يسدون الدرب .. لا عمل للرجال هنا الا العمل والاكل والنوم مع النسوة وانجاب الاطفال .. لاشك أنهم يوما سيسدون الدرب .. لكنى لن اكون هنا .. آف .. لا تدعنى اتكلم منهم يا صاحبى فأنا منهم ومن دربهم فى قرف شديد : كلاب ذئاب وأكوام سباخ ووحول وأطفال عفاريت ونساء شتامات ورجال يسرقون كل شىء وأى شىء حتى الكحل من عيون الحريم » .

سأله العربجي الذى يجر العربة ويلهث :

« ما من شك أن عيسى الذى سرق حمارى منهم » ؟

أجابه الاسكافى ؟

« لا .. عيسى لا يسكن هنا .. عيسى يسكن بدرب المودة لكنى قادر على شكمه فاسكافى المودة لا يؤكل لحم كتفه .. لا عليك .. سأكلمك يا صاحبى عن رجال البلدية .. فها أنت ترى الحفر والنقر بهذا الشارع المحترم .. رجال البلدية هؤلاء لا ضمير لهم ولا خلق عندهم مع أنهم يحصلون من الحكومة على رواتب .. انا فى عجب من امر الحكومة تلك التى تمنح رجال البلدية رواتب محترمة .. بينما لو كلمت الفرد منهم لشخر ونخر كما تفعل النسوة.. آه .. دعنا يا صديقى من سيرتهم فالقلب ملىء .. انعطف يمينا يا صاحبى .. انعطف يمينا وادعو معى أن يحرق الله عمال البلدية » .

توقف العربجي ليستريح وطلب من الله أن يحرق عمال البلدية وما لبث أن سحب العربة بصاحبه الاسكافى الذى كان يغنى أغنية قديمة تثير الشجن :

عن ريح يقال أنها هبت فى زمان قديم ..

والتى يقال أنها ستهب فى زمان مقبل ،

وفجأة توقف الاسكافى عن الغناء ، ولما استفسر منه صاحبه العربجي عن الاسباب — قال له « لا عليك .. دعنى أفكر » ، وفكر الاسكافى فى الخمرة التى زينت له الدنيا فجعلته يغنى ناسيا أن للصوت بالليل رنينا يجلب رجال الدرك: وهذا ما تفعله الخمرة الملعونة بصاحبها .. ومن قال أن الخمرة أس البلاء فقد صدق .. والحيطة واجبة والحذر مطلوب والناس نيام والاسكافى لا يعيش فى الدنيا بمفرده — فهناك خمارة مخالى والشوارع والبيوت والحارات والدروب والعمارات والعربات وأعمدة النور ورجال الدرك والسجون والمخافر والليل والنهار والانهار وعيسى ورجال البلدية .. أما الفلاحون فهم هناك بعيدا فى القرى: وهذا من حمد الله — والا لصار العالم جحيما لا يحتمل ، وامعانا فى الحيطة والحذر الواجبين قال لصاحبه العربجي « قف » ، وهبط هو وقال لصاحبه « اخرج لسانك لا تخف .. ساعقده لك يا صاحبى ثلاث عقد حتى لا تتعرض لمكروه تعرضت أنا له وكلفنى أسبوعا بالمخفر » .

صرخ العربجي فزعا :

« أعقد لسانك انت أولا ثلاث عقد حتى لا تتعرض لما تعرضت له قديما .. وعلى اية حال هاك لسانى فعقده .. »

رد عليه الاسكافى :

« لا تدعنا نشتجر فنحن صديقان .. وعلى اية حال هاك لسانى فاعقده .. يا لك من أحمق .. ظننت بصاحبك الظن السوء بينما العالم يدبر » .

ومد الاسكافى لسانه بعد أن نبهه صاحبه العربجي :

« ثلاث عقد .. آه .. ثلاث عقد .. واجعلها متينة .. اجعلها متينة يا صاحبى » ه



محمد بيومى (١٨٩٤ - ١٩٦٣)

تخرج من الكلية الحربية ١٩١٥ ، واحيل الى الاستيداع بسبب اشتراكه فى ثورة ١٩١٩ كان يهوى الرسم والتصوير السينمائى وكتابة الازجال . سافر الى المانيا للدراسة وشراء المعدات اللازمة للتصوير والطبع والتحميض . اشترك فى لجنة انصار السلام بعد الحرب العالمية الثانية . تزوج من المانية وانجب منها ابنة واحدة .

افلامه القصيرة : الباشكاتب ٢٣ — المعلم برسوم يبحث عن وظيفة [لم يتم ٢٤ — بنك مصر ٢٥ .

افلامه الطويلة : الخطيب رقم ١٣ [لم يتم] ٢٥ .

أهم المراجع : الفيلم العربى تأليف حسن امام عمر ٥٩ — تاريخ السينما العربية تأليف جلال الشرقاوى ٦٢ — قصة السينما فى مصر تأليف سعد الدين توفيق ٦٩ — تاريخ السينما العربية تأليف حسين عثمان ٧٠ — أحاديث خاصة مع أحمد كامل مرسى من واقع مقابلاته لعائلة محمد بيومى ٧٤ .

تقييم نقدى : محمد بيومى هو رائد السينما المصرية بغير منازع ، فهو أول مصرى اخرج فيلما روائيا ، وهو الفيلم القصير « الباشكاتب » ٢٣ ، وأول مصرى اخرج فيلما تسجيليا وهو الفيلم القصير « بنك مصر » ٢٥ ، وأول مصرى أخرج جريدة سينمائية ، وهى الجريدة الشهرية .. آمون فيلم » ٢٣ ، وأول مصرى انشأ معملا للسينما ٢٣ . وأول مصرى انشأ ستوديو سينمائى ٢٤، وأول مصرى أنشأ معهدا للسينما ٢٨ .

وقد باع محمد بيومى معدات المعمل والاستديو الى شركة مصر للتمثيل والسينما عند انشائها ويقال انه أحد الذين اقنعوا طلعت حرب مؤسس بنك مصر بانشاء هذه الشركة التى كانت الاولى من نوعها فى مصر ، والتى كانت احدى شركات البنك ، وقد كان صديقا له ، وهو الذى قام بتصوير العديد من رحلاته الى البلاد العربية .

أما فيلم « الباشكاتب » [٣٠ ق] فهو اعداد سينمائى لمسرحية كانت تقدمها فرقة أمين عطا الله بنفس الاسم ، وهى عن راقصة استطاعت أن تخدع أحد الموظفين وتسلبه أمواله ، وقد مثل أمين عطا الله الدور الاول مع أعضاء فرقته مثل على طبنجات واديل ليفى وتكلف الفيلم مائة جنيه . وقد أصدر محمد بيومى « جريدة أمون » ثم شرع فى اخراج مسلسلة أفلام كوميدية على غرار أفلام شارى شابلن باسم « المعلم برسومة » وبدأها بفيلم « المعلم برسوم يبحث عن وظيفة » الذى اشترك فى تمثيله بشارة واكيم وفردوس حسن وعبد الحميد زكى وفيكتوريا كوهين ومحمد توفيق والسيد مصطفى وأحمد عسكر ، ولكن الفيلم لم يتم بسبب موت ولده الذى كان يمثل أحد الادوار الصغيرة .

والى جانب الاخراج كان محمد بيومى يقوم بالانتاج والتصوير والمونتاج والطبع والتحميض والتوزيع والعرض .

محمد كريم (١٨٩٦ - ١٩٧٢)

بدأ حياته الفنية ممثلا فى بعض الافلام الروائية القصيرة التى انتجها ايطاليون فى الاسكندرية ١٩١٧ . سافر الى ايطاليا فى أوائل العشرينات حيث عمل ممثلا ومساعدا للاخراج . ثم الى المانيا حيث حضر تصوير عدة أفلام أهمها فيلم « ميتروبوليس » . تزوج المانية وأنجب منها فتاة واحدة . أول عميد للمعهد العالى للسينما . أول سينمائى يفوز بجائزة الدولة التقديرية ، وقد فاز بها اسمه بعد وفاته بأيام .

افلامه القصيرة : حديقة الحيوان [صامت] ، عودة الملك فؤاد من أوروبا [صامت] ٢٧ — التعاون ٣١ — ميت بلبل ٤٩ — نشيد الوادى ٥٣ — كلية البوليس ٥٤ — يوم الهنا ٥٥ — أمصاب من فولاذ ٥٦ — كله تمام يا أفندم ٦٧ .

افلامه الطويلة : زينب [صامت] ٣٠ — أولاد الذوات ٣٢ — الوردة البيضاء ٣٣ ، دموع الحب ٣٥ — يحيا الحب ٣٨ — يوم سعيد ٤٠ — ممنوع الحب ٤٢ — رصاصة فى القلب ٤٤ — دنيا أصحاب السعادة ، لست ملاكا ٤٦ — الحب لا يموت ٤٨ ، ناهد ، زينب ٥٢ — جنون الحب ٥٤ — دليلة ٥٦ — قلب من ذهب ٥٩ .

اهم المراجع : مذكرات محمد كريم اعداد محمود على ٧٢ .

من اقواله : ثم ذهبنا الى عزب مجاورة وشاهدت واندهشت لما شاهدته داخل المنازل : الدخان يتصاعد من داخلها ، والجاموسة بجانب الحصيرة التى يجلسون عليها . لقد صدمتنى هذه المشاهد ، ومعيشة الفلاح فى ذلك الوقت ، كما صدمت زوجتى أكبر صدمة . لا يمكن ابدا ان أظهر بلادى بهذا الشكل . ما معنى الواقعية اذا كانت دعاية سيئة لبلادى . لا يجب اظهار الفلاح وحياته فى مستوى نظيف كما يجب أن يكون لا كما هو حاله الان [ذكريات من فيلم زينب الصامت ص ٥١ من مجلة الهلال العدد الاول ٦٩] .

تقييم نقدى : عرف محمد كريم فى تاريخ السينما المصرية باسم شيخ المخرجين ، ليس لانه مخرج أول فيلم مصرى وانما لانه مخرج أول فيلم مصرى أعد عن رواية أدبية ، وهو فيلم « زينب » ٣٠ عن رواية الدكتور محمد حسين هيكل ، والذى أعاد اخراجه ناطقا عام ١٩٥٢ . وكان محمد كريم ايضا مخرج أول فيلم مصرى ناطق « أولاد الذوات » ٣٢ ، وان كان الفيلم قد صور فى نفس الوقت على فيلم ناطق آخر ، وهو « أنشودة الفؤاد » ، الذى عرض بعد عشرة أيام مع عرض فيلم « أولاد الذوات » .

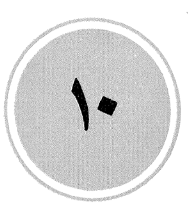
وتعتبر الافلام السبعة التى أخرجها محمد كريم للمطرب محمد عبد الوهاب بين عام ٣٣ وعام ٤٦ وهى فى نفس الوقت الافلام الوحيدة لذلك المطرب ، أشهر وأهم أفلامه . غير أن أكثر أفلامه تعبيرا عن أسلوبه وتفكيره هو فيلم « زينب » وتعتبر هذه الرواية فى تاريخ الرواية المصرية أول رواية بالمفهوم الاوربى الحديث . وقد كتبها مؤلفها فى باريس وكما كانت تعبيرا عن فكره الاجتماعى ، وهو من الباشوات الى جانب كونه من رجال الادب والصحافة والسياسة البارزين ، كذلك كان الفيلم تعبيرا عن موقف محمد كريم من الواقع ، وهو الموقف الذى تبناه فى كل أفلامه ، وانعكس على أسلوبه فكان كما قال فى احدى محاضراته يغسل الحيوانات بالماء والصابون قبل التصوير حتى يكون منظرها جميلا .

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة العاشرة
أكتوبر ١٩٧٤

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

٦ أكتوبر : القصة .. والفيلم التسجيلى

□ عن حركة التحرر العربية .. الثورة الفلسطينية .. « وفتح »

العدو بعد ٦ أكتوبر :
احتمالات جولة خامسة

□ السويس المقاتلة : شهادة مصرية .. واسرائيلية
□ جمال عبد الناصر : الثورة .. والثورة المضادة
□ تطوير الاتحاد الاشتراكى : رأى الطليعة
□ اليمين القديم .. واليمين الجديد

ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ٠

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ٠٠

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام - شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ - ٥٩٠١٠ - ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠م٠ع - دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

الفهرس

العدد العاشر - السنة العاشرة - أكتوبر ١٩٧٤

د. محمــــد الخفــيف

شـــارك في تأسيس الطليعـــــة
واســـرة تحريرهــــا
فبراير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

كلمـــة من « الطليعــة »

مع الإيام الاخيرة من كل شهر ، عندمايمثل العـــدد الجديد للطبـــع ، يشتد قلق اعضاء اسرة التحرير وتزداد متـــاعبهم . فهم يريدون دائما ان يكون العدد الجديد ، افضل واقوى مما سبقه .

ونعتقد ان عدد اكتوبر سيـــكون عندحسن ظن القراء :

● لانهيتصدى بدراسةالعدو الاسرائيلىبعد ٦ اكتوبر وتزايد احتمـــالات جـــولة خامســـة .

● لانه يعود الى انجاز اكتوبر المجيدويقـــدم فى ذلك الصـــورة الحية لمـــدينة السويس التى قاتلت وصدت الغزاة .

● لانه يشارك بكلمة « جمال عبد الناصر :الثورة .. والثورة المضـــادة » باعتبـــارها موقفا محددا الى جـــانب ثورة ٢٣ يوليو واستمرارها وضد محـــاولات انقضـــاض الثورة المضادة بمختلف إشكالها .

● لانه يتناول بعض الاحداث منمسرح واقعها الحى . كرسالتى قبرص والجزائر

ان الطليعة تحاول ان تكون منبرا للفكر الثورى المعاصر . ونزعم ان هذا صحيح. لكننا نعلم ايضا ان ينابيع هذا الفكر تظل حية وفعالة عندما يطالب هذا الفكر بـــأن يرتبط دائما بالعودة الى ارض الـــواقع ومسارح الاحداث .

« الطليعـــة »



عن حركة التحرر العـربية الثورة الفلسطينية .. وفتــــح

في المرحلة الراهنة الشديدة التعقيد ،ينفتح أمام القوى الوطنية والتقدمية العربية ، أكثر من باب يقود الى أكثر من طريق .

ومن المهم ، بداءة ، أن نلاحظ أن هذه الابواب تنفرج ، مباشرة أو بطريق غير مباشر ، نتيجة فعل عربي هو حرب أكتوبر .

أيا كان الخلاف حول تقييم مضمون هذا الفعل وحجمه وقوته وهدفه ، فانه ـ موضوعيا ـ على مستوى المنطقة ومستوى العالم ، قد غير نسبيا ، وللمرة الاولى ، من موازين الصراع العربي ـ الاسرائيلي الامبريالي لمصلحة حركة التحرر العربية .

وأمام الابواب المفتوحة للمرحلة ، ليس هناك سوى ثلاثة مواقف محددة مطروحة للاختيار السياسي :

● الوقوف ، في تردد ، عند عتبات الابواب ، دون ما حركة . هذا الوقوف سقوط في الجمود . والسقوط في الجمود تخل عن مواجهة المسئولية ، وبالتالي الانعزال عن الواقع ، وافتقاد القدرة على التعامل معه والتأثير فيه .

● تشتت قوى حركة التحرر العربية ازاء أبواب المرحلة المفتوحة . كل قوة تلج بابا منفصلا ، يفضي الى طريق يختلف ويتناقض مع الطرق التي تخطو عليها القوى الاخرى ، الامر الذي يمكن التحالف الصهيوني ـ الامبريالي من أن يصطاد بشباك متعددة القوى العربية المبعثرة على أكثر من طريق ، منفردة ، واحدة بعد أخرى . وعلى الاقل فان التحالف الصهيوني ـ الامبريالي يتمكن ، في مناخ التشتت وتعدد الطرق ، من أن يمتص بلا عناء ، الحركة المنفردة لكل قوة عربية على

حدة ، ويحول بينها وبين الوصول الى اهدافها ، سواء أكانت هذه الاهداف ثورية أو وطنية ، تسعى الى عقد مساومة تحقق من خلالها بعض النجاحات الكمية .

● **توحد جميع القوى العربية والتقدمية ، على اختلاف اتجاهاتها** ، فى سبيل اقتحام باب موحد يقود الى طريق واحد ، وذلك من خلال الاتفاق على « **برنامج حد أدنى** » يتضمن أهدافا عملية ممكنة التحقيق فى ظروف المرحلة الراهنة وتستجيب فحسب للمصالح المشتركة لجميع القوى الوطنية فى حركة التحرر .

ولعله لا خلاف فى ان الموقف الثالث هو أسلم المواقف جميعا . ذلك أنه يعنى – على الاقل – احترام التجربة والاستمرار فى استخدام « **سلاح وحدة الحد الادنى للعمل العربى** » الذى ثبتت فاعليته خلال القتال فى حرب أكتوبر . وهو فى النهاية سلاح سياسى فى طبيعته ، اذا كان قد أفاد فى ميدان الحرب ، فان فائدته تتضاعف – فى الضرورة – فى الميدان السياسى .

● ● ●

بيد أن أسلم المواقف – كما تدل التجارب – هو أصعبها دائما ، بالنسبة الى حركات التحرر الوطنى العربية .

لماذا ؟

حركة التحرر الوطنى ، فى طبيعة تكوينها ، ليست قوة موحدة ، تنبع عن أصول اجتماعية وفكرية واحدة . وانما هى حصيلة قوى مختلفة ذات منابع اجتماعية وفكرية متعددة .. بل أحيانا متناقضة . لكنها ، فى مرحلة معينة ، تتوحد فى النضال ، كلما برز أمامها فى وضوح ، عدو واحد مشترك يستهدفها جميعا ، دون ما تمييز للاصول الاجتماعية والفكرية .

وغالبا ما يكون هذا العدو هو الامبريالية أو الاستعمار ، وما يترتب عليهما من احتلال وهيمنة اقتصادية وسياسية على الوطن .

ولا يتم توحيد النضال لقوى التحرر الوطنى ، الا عبر عشرات من التجارب الجزئية .. وهى تجارب تكلف أثمانا متفاوتة فى حجمها وآثارها ، لكنها – على العموم – ترتفع بالنضج السياسى لكل قوة الى مستوى مسئولية المرحلة . بحيث يجب كل ما هو « **عام ومشترك** » بين مختلف القوى ، ما هو « **خاص ومميز** » لكل منها .

ومن الملاحظ أنه ، بعد أن يتم انجاز مهمات مرحلة من مراحل النضال الوطنى ، سواء فى صورة جزئية أو كلية ، تتصدع وحدة القوى الوطنية وينفك تحالفها أمام رؤية وتقييم معطيات المرحلة الجديدة ومهماتها . وبمقدار ما تستطيع هذه القوى أن تسرع فى توحيد قواها من جديد حول « العام والمشترك » فى المرحلة الجديدة ، تلتحم طاقاتها من حول عمود فقرى ، يمكنها من استمرار حركتها الثورية ويجنبها السقوط فى التردد والانعزال عن المواقع والتبعثر فى الاتجاهات ، ويسلحها بالقدرة على امتلاك زمام المبادرة فى مواجهة العدو الذى يكون قد نجح فى تغيير جلده ووجهه وتكتيكاته . وبدا فى صورة جديدة ، وهو ينسحب – مضطرا – الى مواقع دفاعية يتحصن فيها مؤقتا ، ليعاود هجومه من جديد .

● ● ●

فى العالم العربى ، الوضع أشد تعقيدا . فالوطن ليس بلدا موحدا ، بل مجموعة دول ذات أنظمة متباينة سياسيا واجتماعيا تتفاوت فى درجات النمو الاقتصادى . وداخل كل دولة ، مجتمع يتميز بواقع خاص وخريطة طبقية تختلف – فى القليل أو الكثير –

عن خرائط المجتمعات الاخرى . ومن هنافان الحديث الجاد عن حركة التحرر العربى ، لابد وأن يأخذ فى الاعتبار ،موضوعيا ، حركة التحرر الوطنى داخل ظروف كل بلد عربى من ناحية ، وطبيعةالمعركة الوطنية الشاملة على مدى العالم العربى من ناحية أخرى .

بمعنى أن الوصول الى « العام المشترك » فى حركة التحرر الوطنى ، والذى يتشكل منه العمود الفقرى للنضال ،ليس بالعمل السهل أو الميسور كما فى حركات التحرر الوطنى الأخرى فى افريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية . ذلك أنه لا يتم بمقياس بلد واحد أو مجتمع واحد .وبالتالى فان التوصل الى « عمود فقرى » لحركة التحرر العربية هو عملية شاقةومضنية ، لا تسفر عن نتائج ملموسة ومقبولة من الجميع دائما . ولهذا فانه فىكل مرحلة أو مجموعة مراحل تتمكن حركة التحرر الوطنى من اكتشاف عمودها الفقرى والامساك به ، تصبح المحافظة عليه وتدعيمه ، القضية الاستراتيجية الاولى لجميع قوى التحرر الوطنى بلا استثناء ، ولا سيما التقدمية منها . ذلك أن أى وهن يصيب هذا العمود الفقرى أو يهدد بفقدانه ، من شأنه أن يبعثر القوى ويشتتها فى مواجهة العدو العام والمشترك والاعداء المحليين فى الوقت نفسه . وعندئذ تتمكن حركة الردة والثورة المضادة من أن تنفرد بكل قوة على حدة ، تنهك طاقاتها حتى تسلمها فى النهاية مقيدة ، مثقلة الجراح الى العدو المشترك ليجهز عليها .

وعلى الرغم أنه منذ بداية الخمسينيات من هذا القرن حتى منتصف الستينيات ، تفجرت ثورات التحرر الوطنى فى مصر والجزائر والعراق وسوريا واليمن ، فانها ـ مع ذلك ـ لم تستطع أن تنتظم فى حركة تحرر وطنى عربية موحدة الطريق والنضال والهدف تجاه العدو العام المشترك ، الذى تجسد دوما فى التحالف الصهيونى ـ الامبريالى . وظلت حركة التحرر الوطنى العربية ، أشبه بأعصار قوى انفلت زمامه ، قادر أحيانا على المنسع والهدم ، لكنه عاجز عن الفرض والبناء . ذلك أن رياح الاعصار لم تركز اتجاهاتها فى مسارات موحدة نحو أهداف موحدة فى مراحل متتابعة .

ومن هنا تشتتت قواها وتبعثرت . بل أحيانا تناقضت فى ما بينها تناقضا بلغ حد العداء . ولعلنا لا ننسى تلك المعارك المهلكة التى دارت بين الناصريين والبعثيين والقوميين والشيوعيين على رغم ما كانوا يقفون عليه من أرض مشتركة .

وليس من شك فى أن هذه الظاهرة المرضية لحركة التحرر العربى ، كانت ترجع فى الأساس الى افتقاد «عمود فقرى » تلتحم من حوله كل القوى لتصير جسما نضاليا واحدا .

ولهذا كان سهلا وميسورا الى درجة تتسم باللامعقولية ، أن ينزل التحالف الصهيونى ـ الامبريالى ، العدو العام المشترك ، هزيمة مروعة بقوى حركة التحرر الوطنى العربية فى يونيو ١٩٦٧ .

وأقصى ما تمكنت حركة التحرر الوطنى وقتذاك من انجازه ، هو نوع من الصمود السلبى الجريح ، من دون ما قدرة على تحدى الهزيمة عمليا .

وبقى الوضع على هذه الحال ، الى أن تفجرت الثورة الفلسطينية المعاصرة ، واستطاعت بعد معركة الكرامة فى مارس ١٩٦٨ ، أن تفرض وجودها كحقيقة موضوعية تتسم بخاصية جاذبية التجميع ،ومع تطور الاحداث ، تعمقت الثورة

الفلسطينية فى قلب حركة التحرر الوطنى العربية ، واكتسبت بديناميتها من ناحية وبنضج قوى التحرر الوطنى فى البلاد العربية من ناحية أخرى ، دور العمود الفقرى للحركة العربية .

من حول هذا العمود الفقرى تجمعت كل القوى الوطنية العربية على اختلاف اتجاهاتها السياسية والاجتماعية . وراحت من خلال التفاعل فى ما بينها تنمى طاقاتها ، وتسير عمليا على طريق تحدى الهزيمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا ونفسيا . وكان اكتوبر ١٩٧٣ أول فعل عربى ، لحركة تحرر ذات عمود فقرى ، ضد العدو العام المشترك . وعلى رغم أن هذا الفعل لم ينزل بالتحالف الصهيونى ـ الامبريالى هزيمة استراتيجية ، الا أنه أحدث ما يشبه الزلزال فى المنطقة . واضطر العدو العام المشترك الى الانسحاب نحو مواقع جديدة مغيرا من جلده ووجهه ، ليظهر فى مرحلة ما بعد أكتوبر فى صورة مختلفة فى تكتيكاتها ، تستهدف أول ما تستهدف تفجير التناقضات داخل حركة التحرر العربى لبعثرة قواها وتفتيتها . وذلك بسلخ عمودها الفقرى ومحاولة تحطيمه . أو على الاقل اضعافه ماديا ومعنويا بكل السبل المباشرة وغير المباشرة .

من هنا يغدو الإلتحام بالعمود الفقرى لحركة التحرر الوطنى ودعمه وتقويته ، المهمة الاولى والعاجلة فى جدول أولويات كل قوة من القوى الوطنية والتقدمية فى العالم العربى . ذلك أن أى اضعاف للثورة الفلسطينية تحت أى شعار ، حتى لو بدا ثوريا فى صياغته ، هو اضعاف عام لحركة التحرر الوطنى ولكل قوة من قواها بلا استثناء ، الامر الذى يؤدى الى انتكاسة خطيرة تحيق بالجميع من دون تمييز بين بلد وآخر أو اتجاه وآخر . يستوى فى ذلك الناصريون والبعثيون والقوميون والاشتراكيون والشيوعيون الخ ....

● ● ●

ولكن ما هى ، فى التحديد ، الثورة الفلسطينية المطلوب دعمها وحمايتها كعمود فقرى لحركة التحرر الوطنى فى المرحلة الراهنة والتى تليها على أقل تقدير ؟

انها تحديدا ، تتركز فى مجموع فصائل : الكفاح المسلح الفلسطينى وحركاتها وقواعدها الشعبية خارج الارض المحتلة وداخلها ، المنتظمة فى كيان وطنى متوحد هو منظمة التحرير الفلسطينية . وتستهدف ـ استراتيجيا ـ بناء الدولة الديموقراطية على فلسطين ، يتعايش خلالها من دون تمييز عنصرى العرب والاسرائيليين معا .

واذا كانت وحدة جميع هذه الفصائل داخل المنظمة من حول الهدف الاستراتيجى حتى تمام انجازه ، قضية أساسية ، فانه يرتبط بتحقيقها عمليا وحدة منظمة « فتح » . وذلك لانها ، بدورها ، هى العمود الفقرى الداخلى لحركة التحرر الفلسطينى ، الذى يضمن وحدة القيادة ووحدة القرار من خلال المركزية الديموقراطية للمنظمة .

ومن دون هذا التحديد الموضوعى لحركة التحرر الفلسطينى ، يصبح شعار مساندة الثورة الفلسطينية ودعمها ، مجرد كلام فى الهواء ، لا يغنى فى الواقع العملى شيئا .

صحيح أن المنطلقات الفكرية لكل من فتح والصاعقة والجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية والجبهة العربية ، تختلف فى ما بينها حول أكثر من نقطة أو موضوع . كما أن تقييماتها لحرب اكتوبر ونتائجها ليست أيضا ـ وفى الضرورة ـ موضع اتفاق ، الا أن العمل السياسى الثورى لكل قوة من قوى التحرر الفلسطينى يظل مطالبا

ـ فلسطينيا وقوميا ـ بوحدة الحركة والتنظيم والقيادة والقرار ؛ في اطار الهدف الاستراتيجي . كذلك يظل مطالبا ـ فلسطينيا وقوميا ـ بالتعامل مع الممكن واقعيا في هذه المرحلة التكتيكية ، لا بهدف الخضوع له . ولكن بهدف السيطرة عليه بما يضمن دعم الثورة واستمرارها .

● ● ●

دعم الثورة واستمرارها ، ليسا مسأله نظرية بحتة منعزلة عن معطيات الواقع وتناقضاته . كما انهما ليسا مباراة في النصوص والشعارات الثورية . وانما هما تجسيد واقعي لاكبر مقدار ممكن من المكاسب في المرحلة بمفهوم القانون الثوري الذي يحول التراكمات الكمية الى تغيير كيفي . بمعنى أن هذا القانون لا يقف برؤيته النظرية وطاقته النضالية عند حدود اليوم أو الغد القريب ، كأنهما نهاية المطاف . بل يمد الرؤية ويطلق الطاقه لمواكبة مستقبل يتحرك دوما بلا انقطاع .

وفي هذا الاطار ، يجب الا نتغافل عن حقيقة مهمة ، هي أن الثورة الفلسطينية . أول ثورة تحرر وطني في التاريخ تتفجر وتقوم قياداتها وغالبية كوادر حربها التحريرية ، خارج الارض المحتلة ، وبالذات في بلد (لبنان) هو اقل بلد المواجهة العربية مسئولية ، واضعفها أمنا وجيشا على السواء .

من هنا كانت نقطة قوتها في شحن أرض حركة التحرر الوطني العربي عموما بطاقة النضال الشعبي المسلح . وكانت أيضا نقطة ضعفها الاساسية . وذلك بوقوعها موقع المحاصر من الانظمة العربية بتناقضاتها والحد من حركتها ضد العدو في الارض المحتلة ، بل تدبير مؤامرات التصفية لكوادرها ، كما حدث في مجازر الاردن عام ١٩٧٠ .

ولهذا فان الثورة الفلسطينية ، تقوى وتدعم بتجسدها التكتيكي من خلال سلطة وطنية فوق كل قطعة أرض تتحرر من قبضة الاحتلال الصهيوني الامبريالي ، أو الرجعية العربية .

ليس هناك من تناقض بين استمرار الثورة واقامة السلطة الوطنية على أجزاء محددة من الوطن .

هل انتهت الثورة في فيتنام الجنوبية ، باقامة الحكومة الثورية المؤقتة على الارض المحررة ؟

وهل أجهضت الثورة في كوبا ، على رغم أن الامبريالية الامريكية ما زالت تحتل قاعدة جوانتنامو هناك ، ولم تحاول الثورة ـ بعد ـ أن تحررها عسكريا حتى لا تقع في مغامرة غير محسوبة النتائج ؟

وهل ينتقص من ثورة الصين الشعبية استمرار حكم تشان كاي شيك في جزيرة فورموزا ، من دون أن تتحرك الصين بكل جبروتها لتحريرها ؟

ان الحساب الثوري ، **يناقض جذريا الحساب المنثور** ، اذا صح التعبير . الحساب الثوري يهدف الى الاستفادة الموضوعية من كل مرحلة لكسب أقصى الممكن وتأمينه والانطلاق نحو كسب آخر ، حتى يحقق في النهاية هدفه الاستراتيجي الكامل .

والحساب المنثور ، حساب يرى في الكسب الجزئي خيانة ، لانه ينطلق من رؤية نظرية تتعالى على الواقع ومعطياته وتتصور أن في الامكان الوصول الى الهدف الاستراتيجي بضربة واحدة وبنفس واحد . كأن الظروف وعلاقات القوى تظل دائما على حالها من دون تغييرات سلبية أو ايجابية .

لم تقم ، بعد ، فى تاريخ الانسانية حركةثورية حققت هدفها الاستراتيجي دفعة واحدة . ان كل شيء أو لا شيء فى مرحلةواحدة ، منطق مثالى لا ثورى .

ان تجسد الثورة على أرض محررة يعنىانتقالا أرقى للعمل الثورى . لانه يولد قوة جديدة أكثر فاعلية وقدرة ، هى الثورة منخلال سلطة وطنية وتعبئة شعبية أوسع وأعمق .

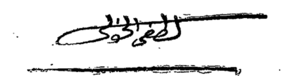
واذا كان ثمة تخوف من أن تموت الثورةداخل قوالب السلطة ومغانم الحكم ، فان معنى هذا أن الثورة ، بداءة ، تفتقر الىالقدرة على الاستمرار وانجاز مهماتها التاريخية . ويصير التجسد على أرض ،نوعا من التجربة المصيرية ، التى من خلالها تنكشف وتتعرى القوى المترددة والانتهازيةفى الثورة ، لتفسح الطريق للقوى الاكثر ثورية وفاعلية وقدرة على الاستمرار فىالمستقبل .

ان ستة وعشرين عاما مـن الصراعالعربى ـ الاسرائيلى ، وعشر سنين من ثورة فلسطينية مستمرة ومتنامية فى ظـروفـصعبة ، وأربع حروب هزمنا فى ثلاث منها ولم نهزم فى الرابعة .. تفتح أمامنا بابمرحلة جديدة للنضال الوطنى العـربى ـ الفلسطينى ، أكثر قدرة على الاقتحـاموتحقيق مكاسب جزئية مهمة ضد العدو العام المشترك . وتسلحنا بطاقات متصاعدةلمواجهة الهجوم الذى يعد له هذا العدو فى معركة المرحلة المقبلة التى سوف تمتد منفلسطين المحتلة الى الخليج النفطى ، مركزا على العراق قاعدة الثورة والتأميمات فىالمنطقة .

● ● ●

باختصــــار ، القضـية المطـروحة ليست رفض حل للقضية الفلسطينية ـ العربية ، أو قبول حل لها على ضوء نتائج حرب أكتوبر ،ذلك أن الحل الجذرى للقضية الفلسطينية مرتبط ـ تاريخيا ـ بحل قضية التحـررالعربى بأكملها ، سياسيا واجتماعيا .

القضية المطروحة اليوم ، فى جوهرها ،هى الاحتفاظ بحيوية حركة التحرر الوطنى العربية وقدرتها على الفعل من حول عمودهاالفقرى . وذلك من أجل مواجهة المعركة المصيرية الوشيكة الوقوع ، من فلسطيـنالارض على البحر الابيض ، الى فلسطين النفط على الخليج العربى .



السويس المقاتلة

شهادة مصرية وشهادة اسرائيلية

التحية التي تقدمها الطليعة للانجاز الباهر الذى قامت به القوات المسلحة في أكتوبر ، هو أن تنشر الصفحات التالية من وقائع المقاومة البطولية لمدينة السويس ضد الغزاة الاسرائيليين .

ففى اشد اللحظات حرجا ، وعندما ادعى العدو الاسرائيلى أن السويس فى قبضته ، اتحد المقاتلون مع المدنيين من أبناء الشعب فى السويس فى ملحمة كاملة صدت الغزو ، وردت الغزاة عن المدينة الحرة . وعن هذه المعركة النبيلة ، قدم المقاتلون شهادتهم . ثم تقدم الطليعة ــ تعزيزا لهذه الشهادات ، رؤية من الجانب الاخر .. صفحات من شهادات دونها بعض الاسرائيليين الذين حاولوا ــ دون جدوى ــ أن يحتلوا مدينتنا البطلة .

شهادة مصرية

جمال الغيطانى

●● بدأ خرق وقف اطلاق النار من جانب العدو الاسرائيلى يوم ٢٢ أكتوبر ، بالتحديد ليلة ٢٢ ـ ٢٣ ،حرك قواته فى اتجاه مدينة السويس بقصد الاستيلاء عليها . وبالفعل استطاع الوصول الى مشارف المدينة عند بدايات ليلة ٢٣ أكتوبر ، حيث أحاط بها من طريق « القاهرة ـ السويس » الصحراوى ، وطريق المعاهدة الذى يصل السويس بالاسماعيلية ، وطريق الزيتيات المؤدى الى ميناء الادبية ، والطريق المؤدى الى الجناين .

وضح أن السويس أصبحت هدفا رئيسيا للعدو حيث تجسدت فيها عدة عوامل معنوية ومادية . فالمدينة ذات اسم تاريخى عريق ، مرتبط بكثير من الاحداث الهامة القريبة والبعيدة وهذا يمنحها وزنا عالميا . بالاضافة الى موقع المدينة الذى سيمكن العدو من اكمال حصاره لقوات الجيش الثالث الميدانى الذى كانت تحارب وحداته فى الشرق .

وعندما بدأ العدو الاسرائيلى هجومه على المدينة بغرض الاستيلاء عليها ، تصدى له رجال قواتنا المسلحة . أبناء مدينة السويس الذين تطوعوا للعمل الفدائى منذ حرب الاستنزاف ، اشترك أيضا فى الدفاع عن المدينة أفراد من الشرطة ، وأهالى المدينة . والوقائع التى نسردها فيما يلى تستند الى شهادات واقعية أدلى بها عدد من المقاتلين أبناء السويس ، وهم من بين الذين لعبوا دورا أساسيا فى التصدى للعدو الاسرائيلى ، والحيلولة بينه وبين احتلال السويس (*).

●●●

يوم ٢٤ أكتوبر ماذا جرى ؟

●● فى اليوم السابق كان عدد كبير من الاهالى سكان منطقة الجناين . والقرى الصغيرة الواقعة غرب القناة ، قد دخلوا السويس ، كان العدو اثناء تقدمه الذى بدأ منذ ليلة ٢٢ أكتوبر ، وقف اطلاق النيران ، قد بدأ يرتكب عمليات انتقام بربرية ضد الفلاحين والمدنيين ، وجنود المؤخرات العاملين فى الشئون الاداريه والذين يتواجدون عادة خلف الخطوط . وكانت السويس هى المدينة الكبيرة القريبة التى ذهب اليها الفلاحون بنسائهم وأطفالهم ومواشيهم ، ومن طاردتهم القوات الاسرائيلية . وطوال هذا الوقت تعرضت السويس لعمليات قصف شديدة بواسطة الطيران والمدفعية .

وابتداء من الساعة السادسة والنصف صباح ٢٤ أكتوبر بدأ العدو يقصف المدينة بالطيران والمدفعية . اذ صبت قذائف الطائرات على جميع أنحاء المدينة خاصة منطقة حى الاربعين ، وركزت المدفعية على اتجاهات مختلفة . لكن لوحظ أن دانات المدافع وقصف الطيران يتم على جانبى الطريق المؤدى الى المدينة من مدخلها الذى يقع المثلث عند بدايته . وقدر الرجال أن اقتحام المدينة سيتم بالمرض . وتحت القصف الجوى قام الرجال بتوزيع أنفسهم فى كمائن .

كان أول كمين عند المنطقة المواجهة لسينما رويال . وضم هذا الكمين ابراهيم سليمان والمقاتل العطيفى والمقاتل سرحان ، والمقاتل ابراهيم يوسف ، وكان هناك كمين آخر عند كوبرى البراجيل يقوده أحمد أبو هاشم .

استمر قصف الطيران حتى الساعة العاشرة والنصف صباحا ، وكانت الحرائق قد اشتعلت فى منطقة وسط المدينة ، وكثير من البيوت تهدمت ، وكان الصمت الثقيل يخيم على المدينة ، صمت الترقب والغموض الذى يحيط الحرب . وكان منظر المدينة يوحى للناظر اليها من الخارج أن المقاومة بها قد انتهت . وكانت بعض طائرات العدو الهليوكوبتر قد حلقت فوق المدينة ، أما الطائرات

المقاتلة القاذفة الأسرائيلية فقد اختفت بعد أن استمر القصف الوحشى لمدة أربع ساعات ونصف . وكانت هذه الطائرات تهاجم المدينة على ارتفاع منخفض جدا ، وكما يقول أحد الرجال [كان متهيآ لى ان الطيران بيمشى فى الشوارع] وذلك بقصد احداث الرعب فى النفوس بالاضافة الى التدمير .

الساعة ٥٥ر١٠ بدأ الاقتحام

الدبابات الاسرائيلية تقصف جانبى الطريق الرئيسى المؤدى الى داخل المدينة ، وهنا لنصغى الى **المقاتل محمود** يصف الوقائع من وجهة نظره وكما رآها ..

● بدأت المجموعة الاولى من دبابات العدو فى اقتحام المدينة . كان الكمين الاول الذى يضم ابراهيم سليمان فى دشمة خرسانية بين مجموعة مساكن قريبة من قسم الاربعين . كان واضحا أن العدو يهاجم المدينة بواسطة موجات ، وكانت الموجة الاولى مكونة من دبابة وعربتان نصف جنزير . اقتحمت بأقصى سرعة ، أطلقت من القاذف الصاروخى طلقة على الدبابة . لكن سرعتها العاليه حالت دون وصول الطلقة الى المكان الذى من المفروض اننى أصوب عليه وهو الجزء الذى يصل بين برج الدبابه وجسمها ، لم تصبها الطلقه فى مقتل . ضربت الدبابة دانة أثناء اندفاعها اصابت الساتر الحجرى الموجود أمام شركة النقل . وفى هذه اللحظات كنت غيرت بسرعة محلى الذى اطلقت منه المقذوف على الدبابة كما تقضى بهذا القواعد .

فى هذه اللحظة ، أطلق **المقاتل أحمد** مقذوفا أصابها فى البرج ، غير أن الاصابه لم تكن شامله . فى نفس الوقت ، كان اللهب المنبعث من المدفع قد اصاب يد المقاتل احمد ، وهنا تناول **ابراهيم سليمان** منه المدفع . استدارت الدبابة وعربات النصف الجنزير هاربة ، ولاحظنا أن عربات النصف جنزير التى كانت مصاحبة للموجة الاولى بها « دمى » على هيئة جنود . كما كانت ترفع أعلاما مغربية وجزائرية .

بدأ تقدم موجة الهجوم الثانية . كان هذا طابورا مدرعا مكونا من ٣ دبابات و١٢ عربة مدرعة وعدة عربات نقل تحمل الذخيرة والمؤن ، كانت الدبابة التى فى المقدمة ضخمة جدا من طراز سنتوريان ، كان ابراهيم سليمان قد اختفى وراء شجيرة ضخمة ، وكان قد إقسم أثناء أحد



الشهيد
ابراهيم محمد
السيد سليمان

أول دبابة اسرائيلية دمرت فى السويس بواسطة طلقة من مدفعه .

أعزب . أتم فى الدنيا ثلاثين عاما ، كان يعول أسرته المكونة من أمه وشقيقتاه وثلاث اشقاء ، **تطوع للعمل الفدائى منذ عام ١٩٦٩ . شارك فى عمليات عبور الى الضفة الشرقية للقناة . خلال حرب الاستنزاف .**

استشهد على سور قسم الاربعين ، الساعة ٤٥ر٤ دقيقة يوم ٢٤ اكتوبر .

تدريباتنا أنه لو تصدى لدبابات العدو فانه سيضربها على بعد عشرة أمتار . كان **ابراهيم** يلبس نظارة طبية ، وفعلا من هذه المسافة القصيرة أطلق **ابراهيم** قاذفه الصاروخى ، أصيبت الدبابة . ومشيت حوالى ١٢ مترا باضطراب ثم توقفت . رأيت البرج يستدير على مهل فى اتجاه الخندق الذى يكمن به **المقاتل أحمد** ورفاقه ، كانت المسافة قريبة جدا . وكان اتجاه المدفع محددا . ورأيت هذا المنظر فأخفيت عينى بباطن كفى حتى لا أرى دانة المدفع وهى تفتك بزملائى ، ولكن حدث أن مال مدفع الدبابة الى أسفل ميلا بسيطا وخرجت الدانة لتستقر فى الردم الموجود بعيدا عن الخندق . لم تنفجر ... .

وهنا ينطلق المقاتل محمود من مكمنه . يعبر خط السكة الحديد . يقفز فوق الدبابة المصابة . يلقى داخلها بقنبلة . كان السائق فى الداخل قد بترت رأسه عن جسده بعد الطلقة التى أطلقها **ابراهيم سليمان** ، كان أفراد الطاقم فى حالة رعب شديدة . يحاولون شد بعضهم الى أعلى للخروج من الدبابة المصابة . **اذ أن السنتوريان لا يوجد** بها فتحات تحتية تمكن الطاقم من الهروب . اشتعلت النيران فى الدبابة . وبدأ الرعب يظهر على الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يركبون

العربات المصفحة ، وراح سائقو هذه العربات يبتعدون ، بسرعة ، فى محاولة مضطربة خوفا من انفجار الدبابة . كانت هذه أول دبابة يتم تدميرها من الطابور الاسرائيلى المدرع الذى هاجم المدينة . ولاتزال هذه الدبابة ترقد محطمة أمام قسم الاربعين فوق خط السكة الحديد المؤدى الى الزيتية . بينما توجد مقدمتها على بعد حوالى ١٢ مترا من مبنى القسم ، وهو المكان الاصلى الذى أصيبت فيه . ورقم هذه الدبابة كما هو موضح على اللوحة المثبتة بها 814266

••

عند مشارف المدينة ، كان رجال القوات المسلحة ، فى هذه اللحظات ، يشتبكون مع جنود العدو . وكان بعض الجنود وأهالى المدينة قد هاجموا عربات النقل التى تحمل المؤونة والذخيرة . وتم ابادة هذه العربات بأكملها . ولازال حطامها ، أو بقاياها توجد عند مدخل المدينة .

وفى داخل المدينة ، كان تدمير الدبابة الاسرائيلية قد حول الموقف . عرف الجميع ان الدبابة قد دمرت . وان الجنود الاسرائيليين تخلوا عن عرباتهم المصفحة فى حالة فوضى ورعب لا مثيل لهما .

ونعود الى المنطقة الواقعة حول قسم الاربعين .

لقد تمكن **ابراهيم سليمان** من تغيير موقعه واصابة عربة مصفحة اسرائيلية ، وكان الرجال قد بدأوا يهاجمون أفراد الطابور المعادى الذين ارتفعت صرخاتهم المرعوبة . وراح رجال القوات المسلحة يشتبكون مع العدو ويهاجمونه . ويذكر **المقاتل محمود** ،شابا منرجال قواتنا المسلحة كان ضابطا برتبة نقيب .

« كان قصيرا ، أبيض ، ياسلام ، لم أر فى حياتى من هو اشجع منه ، كان يهاجم باصرار ويقلب ميت لا يعرف الخوف .. اسمه .. اسمه .. والله لا أذكر اسمه . لم يقل اسمه ، لم تكن هناك فرصة للتعارف . كان كل من فى المدينة يسرع الى مكان القتال ، يعاون جنود القوات المسلحة ، يقدم ما يمكنه من المساعدة ، اشترك فى القتال اناس لم يحملوا السلاح طوال حياتهم ولم يشتركوا فى خناقة . أذكر ــ على سبيل المثال ــ **عبد العزيز**



الشــــهيد
السيد أحمد
أبو هاشــم

كان موظفا بشركة السويس لتصنيع البترول . عمل رئيسا لقسم المبيعات ، التحق بالعمل الفدائى عام ١٩٧٠ ، أى بعد استشهاد أخيه الاكبر

كان متزوجا وأبا لبنتين وولد ، كان يعول والدته أيضا . عمره ٤٢ سنة .

استشهد فى معركة السويس يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ ، عند منطقه كوبرى البراجيل . بعد أن هاجم مؤخرة الطابور المدرع الاسرائيلى ودمر دبابة سنتوريان معادية ..

محمود موزع الصحف الذى كان ينقل الجرائد والمجلات من القاهرة الى السويس . قطع عليه الطريق ، سأل ، هما اليهود جايين منين » أشار له الرجال الى الاتجاه ، حمل سلاحا ، وذهب وقاتل واستشهد ، كان الاطفال الصغار ينقلون الذخيرة خلال القتال ، والعجائز يشتركون فى اطفاء الحرائق .. »

كان الاسرائيليون قد هربوا من مصفحاتهم ، وقام أفراد الكمين بتغيير مواقعهم .

عبر المقاتل احمد الطريق الى داخل **سينما رويال** . كان باب السينما الحديدى مغلقا . أطلق دفعة رشاش على القفل ، فتحه . وأسرع الى الداخل ليحتل موقعا يمكنه من اصابة الجنود الاسرائيليين فوجىء بعد لحظات أن جنديا اسرائيليا قد اقتحم السينما ، أصبح فى مواجهته . أطلق الكوماندوز الاسرائيلى دفعة رشاش مزقت

بجوار أحمد ؟ وبسرعة لحظية أطلق أحمد دفعة رشاش أصابت الاسرائيلي في يده القابضة على رشاش المدفع « العوزي » . اخترقت احدى الطلقات خزانة المدفع ، ونفذت الرصاصات الباقية الى جسد الاسرائيلي . [رايت مدفع العوزي الرشاش الذي كان يحمله فرد الكوماندوز الاسرائيلي ضمن الغنائم وآثار الطلقات التى أصابت خزانته تصنع فجوة عميقة تخترق جسم المدفع كما رايت سترة هذا الفرد الذى كان واضحا انه ينتمى الى جنود المظلات الاسرائيليين] .

فى نفس الوقت ، بدأ أفراد العدو فى الجرى للدخول الى أقرب مبنى لهم . وتصادف انه مبنى قسم الاربعين . لم يتمكن جميع أفراد العدو من الدخول الى القسم . اذ ان جنود القوات المسلحة ورجال المقاومة والاهالى هاجموا العربات المصفحة وفتكوا بها ،

أصبح كل فرد فى المدينة مندفعا نحو مركز المعركه الدائره حول قسم الاربعين . الاهالى : البائعون منهم وأصحاب الدكاكين . اللبان والجزار وبائع الصحف والقهوجى ، والذين احتجزوا فى المدينة بسبب قطع الطريق ، الى جانب رجال القوات المسلحة حوالى الساعه الواحده والنصف ساد هدوء مفاجىء استمر دقائق . بدأت الرصاصات المتفرقة ، دانات المدفعيه . وردت المدينة بجحيم من النيران ، كانت الطلقات تخرج من كل مكان فى اتجاه واحد ، اتجاه العدو ، كان الطابور المدرع الاسرائيلي قد اصبح مادة للنيران التى التهمته ، أما أفراده فتم الفتك بهم فتكا تاما ، وتناثرت أشلاؤهم على قضبان السكة الحديديه ، وفى عرض الطريق ، وأمام أبواب البيوت التى حاولوا اللجوء اليها ، وتناثرت الخوذات ورشاشات العوزى وصناديق الطلقات ، وبين السنة اللهب ترتفع صيحات الجرحى من اليهود ، صيحات كالعويل ، وفوق الضجة ترتفع صيحة «الله أكبر» من المقاتلين ،من الرجال ،فتبدو وكانها صرخة المدينة المدافعة عن نفسها فى مواجهة العدوان . وداخل قسم الاربعين استطاع عدد من جنود العدو التحصن فيه .

● ● ●

مبنى قسم الاربعين مربع الشكل . مدخله الخارجى يؤدى الى فناء داخلى يطل عليه طابقان . ان من يتحصن بالطابق الاعلى يمكنه التحكم فى مدخل المبنى ، وفى المنطقه المحيطة بالقسم حيث يوجد سور مرتفع يبعد عن جسم



الشهيد فايز حافظ أمين

كان موظفا بشركة سيناء للمنجنيز . كان متزوجا وأبا لطفلة عمرها عامان . كان يعول والدته وشقيقاته ـ عمره حوالى ٣٦ سنة . استشهد فى معركة اقتحام قسم الاربعين . وقد تمكن بالفعل من اقتحام مبنى القسم . لكنه استشهد فوق السلم الداخلى للقسم .

المبنى حوالى ثلاثة أمتار . لقد صمم المبنى وروعى عند انشائه ان يشبه الحصن . بحيث يمكن الدفاع عنه بسهولة . كما أن المبنى يقع عند مفترق الطرق ، وعلى ناصية خطى السكة الحديدية ،الخط المودى الى قلب مدينة السويس . والخط المؤدى الى الزيتيات .

لقد تم الفتك بالقوة الاسرائيلية المهاجمة . وقام رجال القوات المسلحة بالتصدى للموجات الاخرى من الهجوم الاسرائيلي عند مدخل المدينة . وتم تدميرها موجة وراء الاخرى . كما تصدوا لعدد من الدبابات والمدرعات التى حاولت التقدم مستسسة ما جرى لموجة الهجوم الاولى التى ابيدت . ولكن كان الذعر يسيطر على حركة هذه المدرعات . لدرجة ان احدى الدبابات الاسرائيلية تراجعت عند مدخل المدينه بمجرد اطلاق دفعة رشاش عليها وقامت مدرعة أخرى بالدوران حول نفسها مرتين . ويعلق أحد المقاتلين على هذا المنظر :

« كان جسم العربة يعكس رعب من بداخلها » وعندما دارت السيارة حول نفسها مرتين وبسرعة شديدة وفى نطاق ضيق من الارض لم اتصور أبدا أن فى امكانية هذه العربة الدوران بكل هذه المرونه ... »

وحول القسم تجمع رجال القوات المسلحة . وبعض الاهـالى ، واستعدوا لاقتحام القسم . وطوال هذه الفترة لم تهدأ المناوشات واطلاق الرصاص من الجانبين . بدا حصار مبنى القسم ، اتفق الرجال على الانتظار حتى آخر ضوء حيث قرروا اقتحام ،سسم من ناحيتين .قبيل الغروب بفترة وجيزة بدأ اطلاق النار من جانبنا بكثافة ، وتقدم الرجال لاقتحام القسم . كان على رأسهم ابراهيم سليمان ...

— كان هناك ايضا هذا النقيب الشجاع ، كان طوال فترة القتال كالنحلة لا يهدأ . يتحرك هنا وهناك باسلام .. لم أعرف اسمه . أصيب عند سور القسم ، كان يمسك قنبلة يدوية بيده ، صار يزعق وجرحه ينزف .. ياوحش .. ياوحش .. تحرك اليه ابراهيم سليمان ، اقترب منه ، أخذ منه القنبلة . كان النقيب يريد أن يسلمه القنبلة بعد ان أصيب اصابة جسيمة .. من على بعد معين رأينا المشهد فى غبشة الغروب . كان المقاتل العطيفى وسرحان والبهنسى (مهندس زراعى) وجنود القوات المسلحة يقومون بتغطية اقتحام القسم . اندفع ابراهيم سليمان ، قفز من فوق السور ، ارتفعت يداه فى الهواء ، ونفذت رصاصات رشاش اطلقت عليه من النافذة العلوية ، كان الوقت غروبا ، بقى الشهيد ابراهيم سليمان مكانه ، منحنيا فوق السور حتى صباح اليوم التالى ، غير ان استشهاد ابراهيم لم يكن نهاية الهجوم ، ومحاولة اقتحام القسم ، اندفع الرجال ومن بينهم أشرف ، استمر اشرف يجرى فى اتجاه القسم . تمكن فعلا من اجتياز المدخل . لكنه عندما مر الى الفناء تلقى دفعة رشاش . وسقط شهيدا داخل القسم وفى الحال اندفع الشهيد فايز ، وفوق درجات السلم الداخلى بالقسم استشهد ... »



الشهيد
أشرف عبد الدايم عبد الرازق

أتم فى الحياة ثمانية وعشرون سنة . كان أعزب ، يعول والدته . عمل موظفا بشركة البحر الاحمر ، قام بحركة كبيرة مساء ٢٣ اكتوبر وبمجهود مضنى ، اذ تولى نقل عدد كبير من المعربات المدمرة الى مداخل الطرق المؤدية الى المدينة . وكما يصفه أحد زملائه ..

— بدا وكان له جناحان يطير بهما ، كان لا يهدأ ، وبعد أن يتم كل مهمة يعود فى زمن قياسى ليقول تمام يا أفندم نفذت ، وكنت تستطيع ان تطمئن الى ما يقوله ، الى ما ينفذه ، وعندما علم بلجوء الاسرائيليين الى داخل مبنى القسم بدا ثائرا ومليئا بحماس رهيب ، لدرجةانه لو أمسكبواحد منهم فى هذه اللحظات لمزقه بأسنانه .

اشترك فى الهجوم على مبنى القسم . واستشهد ليلة ٢٤ اكتوبر ..

كانت جحيما لا يمكن اقتحامه . وكان كل من فيها على استعداد للموت والفتك بمن يفكر فى الدخول اليها ، كان مستحيلا على أى قوة أن تدخل السويس ..

وامام قسم الاربعين رقد عدد من الشهداء .. بينهم هذا الضابط الشجاع برتبة نقيب . الذى لم يهدأ طوال المعركة . والذى كان يقاتل قتالا وحشيا . لم يكن مهما التعرف . المهم انهم مصريون وهو مصرى ، ويرقد أيضا ابراهيم سليمان وأشرف — وفايز شهداء منظمة سيناء العربية .. وأهالى السويس . فى الصباح عندما اقتحم الرجال القسم . وبعد السيطرة على القسم . وجدوا آثار دماء وأربطةجراحية ومقص ومشرط ..

نزل الليل

وكان الظلام كثيفا والعتمة شديدة ، وأصوات القتال الليلى الغامض تتردد فى المدينة . طلقات الرشاشات ودانات المدفعية . واحيانا يسود الصمت لدقائق فيسمع صوت الجنازير وهى تتحرك على مسافات متباعدة . اضطر المقاتل محمود الى اشعال النيران فى احدى الدبابات المعادية ليضىء المنطقة المحيطة بالقسم . وظلت هذه الدبابة مشتعلة حتى الصباح . وكانت المدينة الملتهبة يسودها شعور قوى بالانتصار والثقة .

كان صباح ٢٥ أكتوبر قد بدأ . وبدأ معه انه من المستحيل الآن اقتحام المدينة .

● ● ●

٢٥ أكتـــوبر

بينما قصف المدفعيـة مستمر ، يتصل القائد الاسرائيلي بالمسئولين عن المدينة عن طريق تليفون موجود بالزيتية . يهدد بتدمير المدينة بالطيران . يهدد بقطع المياه «بدأوا يوجهون اذاعات الى المدينة بمكبرات الصوت . فى نفس الوقت قام عدد من أهالى المدينة — رجال دين ومثقفين — بالمرور فى الشوارع مستخدمين مكبرات الصوت .. يلهبون مشاعر الاهالى ، وكان الناس يقولون فـي الطـرقات . انهـم يهـددون بضـرب المـدينة بالطيران .. ان السـويس تقصف بالطيران منذ ست سنوات ، ماذا يجرى لو أصبحت المدة ست سنوات وأيام ... »

كان واضحا أيضا مـن شكل تهـديدات الاسرائيليين انهم لن يحـاولوا اقتحـام المدينـة عنوة . وردا على هذه التهديدات كان قرار المدينة كلها ، رفض الاستسلام تحت أي ظروف ، والقتال حتى الموت .. »

ويستمر قصف المدفعية والطيران .

● ● ●

مساء ٢٥ أكتوبر

خلال النهـار تقدمت امكـانيات الدفـاع عن المدينة . كل سـاعة تمر تعنى تحسين موقفها الدفاعى . لقد تم تدعيمها بأطقم اقتناص الدبابات من جنود الفرقة ١٩ الموجودة شرق القناة . فى نفس الوقت كان يتم تنظيم موارد المدينة المتاحة وتوظيفها بأفضل الطرق . فى المساء دفع العدو بعض دباباته ومدرعاته فى محاولة لاستقصاء موقف القوة التى اقتحمت المدينة . ابيدت هذه المحاولة عند مدخل المثلث . وحتى يوم ٢٧ أكتوبر استمر العدو يقصف المدينة بالطيران والمدفعية .. وفى يوم ٢٦ اكتوبر ركز عليها تركيزا شديدا .. لماذا .. لان هذا اليوم كان يوافق عيد الفطر ..

● ● ●

بعـد انتهـاء الحصـار ، وانسـحاب القوات الاسرائيلية ، دخل الى المدينة شاب كثيف اللحية . يرتدى أفرولا أصفر ، انه واحد من أهالى السويس .. يبلغ من العمر عشرين عاما ، يعمل مصورا . لكنه بعد العدوان تطوع للعمل الفدائى . **قناوى** لم يشترك فى معركة السويس لانه كان فى مهمة لاستطلاع قوات العدو . قضى ٩٠ يوما فوق جبل عتاقة . وبمجرد انسحاب العدو تقدم الى مدينته السويس . لم يسأل عن أمه واخوته .. كان أول سؤال وجهه الى من التقى بهم ..

فين زمايلى ؟!

وراه المقاتل احمد سميه يسأل فاستفسر من احد الواقفين بجواره .

— مين ده ..

وترقرقت الدموع فى عينى قناوى لان زميله لم يتعرف عليه بسبب ما لحق به من تغير . وعندما تعانقا ولح قناوى زملاءه ، لم يجد بينهم ابراهيم سليمان واحد . وفايز ه وأشرف امتلأت عيناه بدموع ..

قال المقاتل العطيفى !!

— نقصنا أربعة ياقناوى ..

وكانت السويس من حولهما تحتفل بالنصر ، وانطلقات تلعلع فى الهواء . وكان اللقاء حارا مؤثرا يدفع بالدمع الى العيون .. انها الحرب ..

شـهادة اسرائيلية

هذه مقتطفات من كتاب ترجمتـه مؤسسة الدراسـات الفلسـطينية ـ بيروت وضعـه عـدد من المـؤلفين الاسرائيليين .

في الساعة ١٩,٠٠ ، سرى مفعول وقف القتال ، الا أن المصريين تمكنوا قبل ذلك من انزال قصف مدفعي ثقيل جدا على رأس الجسر الاسرائيلي الذي أحـدث التحـول وقلـب حظهـم ، كأنمـا أرادوا « وداعه » .

● ● ●

روى عاموس ، قائد قوة حماية الجسر : « كان القصف المدفعي المصري الاخير مخيفا . وماكدت أدخل الى مجنزرتي ، حتـى سـمعنا الصـفير وسقطت قذيفة بالقرب منها ، واحتكت بالفولاذ ، وانفجرت على مسافة متر واحد منـا . كان الانفجار هائلا ، ودخلت الشظايا الى المحرك ، واشتعلت سيارة الوقود وانفجـرت سيـارة الذخيرة . استمر سقوط البرد ربع ساعة . كنت واثقا أنها نهايتنا . وسمعت تأوهات الجرحى حـولنا ، وأصـواتا تسـتغيث مـن كل صوب : [مضمد ، مضمد !] وفجأة ساد الهدوء ، وشعرت اننا نجونا . ومن نجا كتبت له الحياة . وقد كلفنا قصف الوداع غاليا .

ترتب على هذه الضربة النارية المخيفة ١١ قتيلا و٢٧ جريحا . شعرت أن هذه هـي « نهاية الحرب » . لقد تبدد الشعور الشخصي لقـائد الجسر . ففي اليوم الثاني تجددت المعارك . فقد توقف الهجوم في المحور الشمالي عند مشارف الاسماعيلية ، داخل بساتين المانجو المجـاورة للكثبان المحيطة بمنازل المدينة ، وانزوت قـوة المظليين هناك تلعق جراحها بسبب نتائج القصف الذي تلقته قبل سريان مفعول وقف القتال .

● ● ●

وفي القطاع الجنوبي واصلت فرقتا بيـرن وكـالمان مـاجنين المدرعتـان مقـاتلة القوات المصرية على مشارف مدينـة السـويس ، حيث كانت المعركة أحد أكثر المعارك الدامية ضراوة في القتال الذي دار غربي القناة .

قال قائد فصيلة مظليين لجنوده الذيـن احتشـدوا معه داخل مصفحة : « واخيرا نستطيع أن نرى تحصيننا على رصيف الميناء من الجانب المصري . كنت مرة قائد ذلك التحصين ، وكنت أطل كل صباح على مدينة السـويس . والان أشاهد الرصيف من داخل المدينة » .

تحفز المظليون الذين أرسلوا الى داخل المدينة ، على المركبات : الباصات والسيارات المصـفحة المصرية التي غنمت ، وسيارات الجيب والدبابات وقد ساروا على الطريق الجنوبي المؤدي الى مدينة السويس . كان ذلك في صباح يوم الاربعاء ٢٤ تشرين الاول [اكتوبر] . وبدت مدينة السويس ، من خلال الضباب ، مدينة هادئة ترفل بالخضرة . وكان يقطن المدينة ٢٧٤,٠٠٠ نسمة حتى نشوب معارك حرب الاستنزاف ، وكانت رابع أكبر المدن في مصر . وظهرت في أطراف المدينة ، على ضفة خليج السويس الازرق ، معامل التكرير ومصانع الاسمدة الكبيرة . وخلال حرب الاستنزاف هجر معظم السكان منازلهم . ولم يبق منهم سوى بضعة آلاف من العاملين في معامل التكرير ومصانع الاسمدة .

كان المظليون يعتقدون ان سكان المدينة هربوا منها قبل فوات الاوان ، وهرب معهم أيضا آلاف الجنود المصريين متجهين الى قمم جبال جنيفة وعتاقة المطلة على المدينة .

● ● ●

تقدمت القوة متجهة الى المدينة . وقـال أحد المظليين : « ساد هدوء ممتع فعلا . وفجأة مر صاروخ « ساجر » فوق رؤوسنا وانزلق فوق رتل المجنزرات على ارتفاع منخفض ، وقـد قطعت زعانف الصاروخ اصبعين من أصـابع أحـد الضباط . وراحت المجنزرات تبحث عن مخبأ من الصواريخ ، وعندما أطلق صاروخ آخر رأيناه يمر فوق مجنزرة قائد الكتيبة ويقترب منا ، كان هذا

مشهداً مخيفاً . فقد انفجر على بعد بضعة أمتار أمامنا ، تراجعنا الى الوراء واستغلينا فترة الانتظار القصيرة لاعداد الفطور » . وفى الوقت ذاته ، توجهت الدبابات فى خط مستقيم ، نحو قواعد الصواريخ المنتشرة غربى المدينة .

صدر أمر للمظليين بالتحرك مرة أخــــرى ، وبحسب ما بدا للعيان كـان الطريق الى المدينة خـاليا ، والمدينة نفسـها مهجـورة . وكـانت المصفحات والباصات ملاى بالمظليين المتمرسين فى القتال ، ومن بينهم من حرر **القدس** القديمة ، خلال حرب الايام الستة ، ومن نال النياشين وحظى بشهرة فائقة بسبب دورهم فى معارك حزيـران (يونيو) ١٩٦٧ . وكان من بين هذه القوة جنودا خدموا فترة طويلة فى الدوريات داخل قطاع غزة ، والقى بالكثير منهم هناك واشتركوا فى آخر معركة من الحرب ، كـ « مسافرين متطفلين » ولم يتوقع احد ان تنشب معركة هناك ، داخل المدينة .

● ● ●

التحق نيفى بلايخ بالقوة الفرعية ، التـى انضمت الى وحدة المظليين . وعندما انـدلعت الحرب ، كان معاونا فى مدرسة الضباط فى دورة ضباط آليات . ونظرا الى أنه كان سائقا فى وحدة نقل قبل التحاقه بالدورة ، ارسل الى أحد مراكز النقل فى **سيناء** . وخلال الاختراق الى غربى القناة ، كان سائقا فى وحدة نقلت التمـوين والذخيرة عبر الجسور على القناة .

وتحدث **نيف** عن اليوم الذى سبق معـركة السويس فقال :

« بلغنا فى ذلك الصباح أن قوة مظليين وصلت بطوافات ، ونظرا الى عدم وجود ما يكفى من السيارات لديهم ، كانوا بحـاجة الى بعض الشاحنات المدنية التى كانت تحت تصرفنـا . فالتحقنا بها وقد حملت احدى الشـاحنات بالمعدات ، وصعد الجنود على الباقى . ثم اتجهنا جنوبا تحركت القوة فى طوابير ثلاثة ، وسرنا نحن بالشاحنات فى الوسط . كان هناك جيب لقوات العدو ، فانسحبت دباباتنا الى الوراء ، وتركت علامات لقائد قوتنا للجلاء عن المنطقة . ولكنه أمرنى بمواصلة السير ، فحاولت مناقشته ، ولكن لا حياة لمن تنادى ، وأخيرا سدت دبابة واحدة الطريق ، فتراجعت نحو ٥٠٠ متـر ، وانتشرت الشـاحنات وراء التل كتشكيل الدبابات . كان هناك موقع محصن ، فتلقينا تعليمات بالاستيلاء عليه . وبهذه المناسبة ، كان قائد الكتيبـة خبيـرا استراتيجيا فذا وتنبأ حقا بما سيحدث فـى المعركة .

« طهرنا الهدف وجلسنا نراقب عمليات طائرات سلاح الجو . وفى تلك الاثناء وصلت الينـا المصفحات وانتقل القائد الى واحدة منها . وبقيت أنا مع الجنود على الشاحنات . وفى الوقت ذاته بلغنى ان مدفعيتنا صوبت على مرتين خطأ . لقد جعلت العنـــاوين الحمــراء لشركة المشروبات « كرستال » على ظهر شاحنتى تبــدو وكأنها سيارة عربية . فقد أصبحت شـاحنة المشروبات الخفيفة ، التى كنت أقودها ، المحملة بالجنود المقاتلين ، علامة بارزة فى الميدان . فسارعت الى تمويهها بالوحل . ولكن ينقصنى سوى قذيفة اسرائيلية لتدمرنى .

● ● ●

« تلقينا أمرا خلال الليل ، بالالتحاق بقــوة الدبابات التى اقتربت من مدينة السويس . وكان علينا مع قوة مشاة محمولة بالمصفحات ، الدفاع عن الدبابات فى حال قيام سلاح المشاة المصرى بمحاولة الانقضاض عليها . وشرحوا لنا انه علينا الاستيلاء على مشارف المدينة لمحاصرة **الجيش الثالث** . سرنا طوال الليل . وكانت الشاحنات تغطس فى الحفر كل لحظة فتدفعنا الدبابات الى الامام . ثم وصلنا الى بعد أربعة كيلومترات من مدينه **السويس** . وفى الصباح الباكر تحركنا نحو المدينة ، فمررنا بقاعدة صواريخ وطهرناها ، ثم صعدنا الى الشاحنات وتابعنا التحرك نحـو المدينة . وكانت تقف على مشارف المدينه قوة من الدبابات ومصفحات سلاح المشاة . والتفت قوة أخرى حول المدينة ووصلت حتى الادبية . ولكن المدينه نفسها لم تكن مطهرة » .

« دخلت قوة المظليين الى المدينة . وتقدمت الدبابات ، بعد تمهيد بالقصف المدفعى . وروى أحد المقاتلين :

« بدت المدينة كمدينة أشـباح . فمن الجهـة اليمنى مبان شاهقة متعددة الطبقات ، ومن الجهة اليسرى أرض مكشوفة . ولم يفصل بين الشارع والمنطقة الصحراوية سوى خط السكة الحديد على الحاجز الترابى . كان **الشـارع الرئيسى** الذى دخلنا فيه واسعا ، وتوازيه حارة على امتداده » .

وروى **شلومو عراد** المصور الصحفى الذى رافق قوة المظليين . « ترجلت من سيارة الجيب لاجمع بعض الرسائل وتذاكر القطار المبعثرة هناك . ولم يظهر اى كائن حى » .

● ● ●

« روى **المعاون نيف** :

« اتضح فى السـاعة العاشرة صـباحا أن الدبابات دخلت المدينة ، واستدعيت قوتنا للدخول

وراءها . وسارت فى المقدمة مصفحة ، ثم شحنات مكشوفة وعليها جنود ، وفى المؤخرة مصفحة اخرى . وسار وراءنا باصان محملان بالجنود . مررنا فى الاحياء السكنيه فى مدخل المدينه . ودخلنا الجزء القديم منها ، وكله مهدم ومصاب . سرنا فى الحارة الرئيسيه ، على الجانب الايمن ، بحسب جميع قوانين السير . وبعد أن توغلنا كيلومترا ونصف بدأ الاحتفال : « أطلقوا علينا النار من جميع المنازل ، ومن جميع الشبابيك والمنافذ ، بالاسلحه الخفيفة ، وقنابل البازوكا ، والقنابل اليدوية » .

« وعندما دخلنا المدينة خرجت منها بسرعة مجنزرتان ودبابة كلها مصابة . ولدى بدء اطلاق النار قذفنا من الشاحنات والتصقنا بالمنازل على الجانب الايمن . فرحت لخروجي من حجرة القيادة فى الشاحنة ، فالسائق هو هدف القناصين الاول دائما . لم تكن معى حتى خوذة . كان معى رشاش « عوزى » . أخذنا نطهر بيتا تلو الاخر ، وجرح منها البعض على الفور . وأمكن انتشال أول جريحين بسيارة جيب ، وانتشل آخرون بالمجنزرات والدبابات التى كانت تقذف أتونا من النيران نحو المنازل التى تطلق منها النار . وقد توقف هذا أيضا . واضطرت الاليات المدرعة الى الانصراف . بقينا محجوزين داخل المدينة ، جنود كثيرون . وصلنا حتى المفرق الاوسط فى الشارع الرئيسى وقطعناه ، ولكن تصدت لنا منازل من الجهة اليسرى حيث صلونا من هناك بصورة جيدة .

« قسم القائد القوة الى جزءين : واحد الى يمين الطريق ، والاخر الى يساره . أما هو فقد جرح عندما خرج جنود مصريون من المنازل رافعى الايدى متظاهرين بالاستسلام ، ولكنهم القوا قنابل يدوية عندما اقتربنا منهم . ورفض القائد اخلاءه . **ولم نعرف فى هذه المرحلة أن خلاصنا من هناك مستحيل . ولم نعرف من أين يطلقون النار .** ففى الحقيقة كانوا يطلقون النار فى كل مكان ، **ولم نسطع التحرك الى أى اتجاه ، ولا حتى الى الوراء .**

دخلنا أحد المنازل فاتضح أنها أسوأ مصيدة .

القيت علينا القنابل اليدوية من الطابق الثانى والثالث ، ومن المنازل المجاورة على الجانب الاخر من الشارع أطلق القناصون نيرانهم صوب الابواب ـ فكان خروجنا منها مستحيلا . وبقينا محجوزين فى بعض المنازل حول المفرق ، ولم يكن بيننا اى اتصال سوى بأجهزة اللاسلكى . كان مجمل ما تقدمناه من المكان الذى توقفت فيه الشاحنات نحو ٤٠٠ متر . وسمعت القوة التى بقيت خارج المدينة بوضعنا ، فأخذت تقدم لنا مساندة مدفعية .

● ● ●

اتضح أن الانطباعات بأن مدينة السويس خالية من الناس كانت خاطئة . فبالاضافة الى السكان الذين بقوا فيها ، فرت الى المدينة فلول الجيش الثالث غربى القناة [١] ، والتحقت بها ثلاث كتائب كوماندوز مصرية ، كانت ترابط فى المدينة واختبأت بين المنازل ، ولم تتوقف عن قنص الجنود الاسرائيليين المحاصرين ، حتى ساعات الليل . وتمدد الجرحى على الارصفة ، ولم يكن بالامكان التقاطها . وقد جرح بعضهم مرات عديده ، حيث كان يصيبهم فى كل مرة المزيد من العيارات النارية . وبعد مضى بضع ساعات ، دخلت المدينة بعض المجنزرات والدبابات ، التى حضرت لالتقاط الجرحى ، ولديها أوامر باخلاء المصابين بالجروح الطفيفه والقتلى ، وترك المصابين بجروح بالغة ، فى الاماكن المخفية مع الجنود الاصحاء ، خوفا من ألا يحتملوا الاهتزازات فى الطريق » .

● ● ●

روى نيف : « لم يكن معنا مضمد فى المنزل الذى اختبأنا فيه .. وكان القائد فى منزل مجاور ، فأمر ... بخروج لاختبار امكان النجاة . وفى تلك الاثناء وصلت مجنزراتنا الى المفرق ، فساعدنا على التقاط الجرحى وتحميلهم عليها ، ولكننا لم نستطع العودة الى المنزل الذى خرجنا منه ، فحاولنا العودة الى حيث بقيت شاحناتنا لنتخلص من المصيدة فى المدينة . وكان من الواضح لنا فى هذه المرحلة انه لابد من الانسحاب » .

« كنا سبعة رفاق ، اقتربنا من الشاحنات ، التى حرقت منها اثنتان فقط ، فأطلقوا علينا النار ،

---

[١] هكذا يـزعم الاسرائيليون ، والحقيقة ان مقاتلى الجيش الثالث الذين عبروا الى السويس كلفوا بذلك من قيادتهم .

فاختبأنا فى صالون الحلاقة ٪ فى الطابق الاسفل من منزل مجاور ، وبقينا محجوزين هناك ساعتين تقريبا . وخرج من المنطقة ، التى اعتقدنا انه تم تطهيرها ،جنود مصريون برشاشات «كلاشينكوف »، ولكنهم استطاعوا الفرار عندما أطلقت عليهم النار خطأ . وفجأة اقترب منى ثلاثة جنود مصريين ، وكانوا على مرمى الرصاص منى ، فوجدت نفسى فجأة غير قادر على اطلاق النار عليهم .واخيرا ،وبعدجهد جهيد ، أطلقت النار فقتلت واحدا منهم ، واصيب آخر ، وهرب الثالث . حاولت الخروج فأطلقوا على النار مرة أخرى . وانفجرت شاحنة محملة بالذخيرة ، كانت واقفة بالقرب منا ، ففرقتنا شدة الانفجار الى صالون الحلاقة . سمعنا شخصا على سقف المنزل ، اكتشفناه بعد أن اطلق احد الجنود الرصاص ، عن عصبية كما يبدو . خرجت زحفا . ثم شاهدت جنديا مصريا يحاول القاء قنبلة يدوية علينا ، فأطلقت عليه النار واتنسف والقنبلة التى فى يده . وفجأة نسف صالون الحلاقة بأسره . ولم أعرف سبب الانفجار — ربما كان ذلك بسبب شاحنة الذخيرة ، أو بسبب صاروخ أو قذيفة مدفع . أطلقنا النار صوب الباب ، لاعتقادنا أنه القيت قنبلة ، فغمرنا الغبار جميعا ، ولكننا لم نصب ، وصرخت على الجميع بالخروج » .

● ● ●

أصبح **نيف** ، بصورة طبيعية ، قائد مجموعة الجنود الصغيرة التى حاولت الخلاص من الاتون ، دون أن يعينه أحد . كان جميع جنود هذه المجموعة أكثر أقدمية وخبرة منه ، واصبحوا فى وقت لاحق مدينين بالجميل للمعاون الشاب الذى « أخرجنا من هناك » .

وتذكر **نيف** :

« بدانا الانسحاب فى الساعة السابعة أو الثامنة مساء ، وركضنا فى المقدمة وفقدت كل اتصال مع جنود سائر القوات ، الذين بقوا كما يبدو ، فى المدينة حتى منتصف الليل . وأطلقنا النار داخل الازقة الصغيرة ، والقينا قنابل يدوية على كل ما وقعت عليه عيوننا . وصلنا حتى آخر مصفحة لنا ، وكانوا يطلقون علينا النار ، طوال الوقت ، بصورة مخيفة . ولكننا تفزنا الى داخل المصفحة الواحد تلو الاخر ، ووقفنا فيها وأطلقنا النار فى جميع الاتجاهات . واستطعنا تشغيل محرك المصفحة ، وخرجنا من المدينة بسرعة . كانت دباباتنا على مدخل المدينة وتطلق النار الى داخلها . فأخذنا نشعل الاضواء ونطفئها لكى لا يطلقوا النار علينا . وصلنا الى محطة تجميع الجرحى ، فاتضح هناك اننا الوحيدون الذين استطاعوا الخروج ، وظل الباقون محجوزين . بقينا نحن السبعة سويا ، ولم نرد مفارقة بعضنا بعضا » .

بعد انتهاء الحرب حصل **نيف** على أجازة وسافر الى بلدته ، وقبل سفره ، حمله قائده رسالة أشاد فيها بعمله ، « لكى يكون لديه ما يريه لوالديه » ، على حد قول **نيف** . وأضاف : « كان الجميع هناك مسرورين منى . وقالوا ان هذا جميل من شاب تل أبيبى لم يساعد الحظ مقاتلين آخرين ، ظلوا محجوزين فى مدينة السويس ، بالمقدار نفسه . ونجح أحد سائقى الباصات فى القفز الى الرصيف . وتشغيل الباص والعودة به فى اتجاه خلفى ، دون وقوع أية اصابة ، بينما بقى سائر الجنود محجوزين . وسارع بعضهم الى الاختباء وراء حاجز السكة الحديد القريب .

● ● ●

تذكر **شلومو عراد** ، المصور الصحافى :

« أطلقوا علينا النار من كل نافذة ، ولم يكن هناك منزل لم يطلقوا منه النار . وكان الجرحى ممددين على الطريق يستغيثون ، فانطلق المظليون نحوهم فى محاولة لانقاذهم من النيران ، فأصيب بعضهم أيضا . وسمعت أيضا صرخات استغاثة من داخل الباصات المصابة . والقى الجنود المصريون ، الذين تحصنوا داخل المنازل ، قنابل يدوية علينا دون اى جهد . وببساطة القوها من النوافذ . وتمدد الجرحى فى وسط الطريق . وأخذوا يتلقون الرصاصة تلو الاخرى . وكانت اجهزة اللاسلكى تولول دون انقطاع : « نطلب مساعدة ، لم نعد نحتمل أكثر من ذلك ... » . وتلقت مصفحة يوسى ، قائد القوة ، اصابة بازوكا مباشرة . وجرح القائد ، وجرح الرجال الذين كانوا معه أيضا أو قتلوا .

روى أحد جنود القوة : « فى تلك اللحظة ، بينما كان اطلاق النار فى ذروته ، توقفنا بالقرب من مبنى بدا وكأنه محصن . وقررنا القفز الى داخل ساحة هذا المبنى ، لكى نحاول تحديد مصدر النار . وازداد اطلاق النار ، وشاهدنا عددا من الجنود المصريين خارجين من المبنى ، فاطلقنا النار عليهم وأصبناهم ، وتمكن بعضهم من الفرار » . ودخل ثلاثة جنود ، وهم رونى حاخام وأبالبيل الذى قدم من كندا ليشترك فى الحرب ، ودافيد زوهر ، الى المنزل لتطهيره من الجنود المصريين الذين تحصنوا فيه .

قال دافيد زوهر : « بدأنا الانقضاض ، واذ بالذخيرة تنفد . وبقى المصريون فى الطابق الثانى من المنزل ، واستولينا نحن على الطابق الاول . ثم دخلت مفرزة اخرى لمواصلة المهمة » .

اكتشف المظليون دشمة فى الساحة ، وألقوا الى داخلها قنبلة فوسفورية ، فخنقهم دخانها . وتم تطهير الدشمة . وعلى الفور واصل المظليون الاندفاع الى داخل غرف المنزل . واضاف : « خرج من أحد الغرف ثمانية من رجال الشرطة المصريين رافعين أيديهم ، وأخرجناهم من المبنى » . أنهت المفرزة مهمتها فى تطهير الطابق الثانى خلال عشر دقائق ، بعد ان اصطدمت بجنديين مصريين وأصابتهما .

● ● ●

والآن بعد أن أصبح المظليون داخل المبنى ، لاحظ المصريون ما يجرى . وبدأوا يطلقون النار من البازوكا على الغالب ، صوب المبنى الذى اتضح للمظليين بأنه مركز شرطة . وروى دافيد : « تطايرت علينا أجزاء من الجدران » . ولكن المصريين لم ييأسوا ، فحاولوا تنظيم هجوم مضاد لاحتلال مبنى الشرطة من جديد . وخلال الهجوم استطاع جندى مصرى التسلل الى داخل المبنى والقاء قنبلة ، فرآه دانى عوزى واطلق النار عليه من مدى قريب فأصابه .

وتمركز المظليون فى المبنى ، وكان الهاتف يدق دون أن يرد أحد . فدخل شرطى مصرى ، لم يكن يعرف بأن المبنى قد احتل ، لكى يحذر رفاقه من اقتراب الاسرائيليين ، فلاحظه رفيق له ، شرطى مصرى جريح ممدد على المدخل ، وهو يدخل فلم يحذره من الخطر ، بل شجعه ، فدخل ووقع فى الاسر .

كان الجرحى ممددين فى الشارع ويستغيثون . وحاول الجنود الاسرائيليون ضرب المصريين المختبئين وراء أكياس الرمل المثبتة فى النوافذ . واخذ اطلاق النار يعربد بكل شدة . انتشل شلومو عراد جريحا ، وأراد ادخاله الى أحد المنازل لمعالجته ، فوقف بالقرب من الباب ، وانقض مظلى آخر لتطهير المنزل . وما أن اقترب من الباب حتى أصيبت خوذته وسقطت عن رأسه ، ثم رأى تحتها قبعة محاكة . والقوا قنبلة يدوية الى داخل المبنى ثم دخلوا ، وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين ، حيث كان الجرحى عند المصعد ، دحرج جندى مصرى قنبلة يدوية على السلالم الداخلية . وتم داخل المبنى نفسه تصفية سبعة جنود مصريين خلال وقت قصير . طلب الجنود [الاسرائيليون] المحجوزين المساعدة ، وطالبوا باخلائهم ، وتصاعدت من الطريق صرخات الجرحى : « أماه أريد أن أعيش » . وقد ضاعت تلك الصرخات وسط أزيز الرصاص وصوت الانفجارات . وبحث المظليون عن منفذ فى مبنى الشرطة للتخلص من الحصار . وحاولت دبابتان الحضور لمساعدتهم ، ولكن نظرا الى عدم وجود أجهزة لاسلكى معهم ، مر رجال المدرعات بهم بسرعة ، ووصلوا الى أحد المفارق ثم عادوا كما جاءوا تحت النيران الشديدة . وحاول المصريون احتلال المبنى مرة اخرى ولكنهم صدوا ، ثم بدأت معركة قنص ، حيث أخذ المظليون يصلون ، بين أشياء أخرى ، مقهى اختبأ فيه ثمانية جنود مصريين .

كان الوضع حرجا . فقد تكبدت القوة الاسرائيلية عشرات الجرحى ، ولم يستطع احد انقاذهم . ولم يكن بالامكان تأمين مساعدة لهم من قيادة المنطقة الجنوبية . . خيم الليل . وفى الظلام شوهد اللهب يتصاعد من المصفحات الاسرائيلية وفجأة سمع انفجار شديد لخزانات الوقود وانطلقت صرخة قوية من جندى داخل المصفحة التى تلتهمها النيران . واستطاع هذا الجندى القفز ، فى اللحظة الأخيرة ، من المصفحة المشتعلة . وانطلق نحوه مضمدان وأدخلاه الى المبنى ، وأخذت الذخيرة تنفد ، وكان المصريون يطلقون النار من فوق سطوح المنازل المجاورة ، ولم يكن للمظليين مايردون به عليهم . فجمعوا ذخيرة من الرفاق الجرحى ، وردوا باطلاق النار صوب اهداف محددة . ولما كان المصريون قريبين منهم القوا عليهم قنابل يدوية . وفى مرحلة معينة خفت النيران المصرية ، وشاهد المظليون فى منزل مقابل مركز الشرطة ، جنودا مصريين يتجولون بحرية ، ونادوا عليهم بالعربية للاقتراب ، اقترب احدهم حقا حتى دخل مبنى الشرطة . وكان رافى غنيش ينتظره هناك فأمره برفع يديه فهرب المصرى بينما يطلق رافى النار وراءه دون أن يصيبه .

اما المظليون الذين تمركزوا داخل المنازل ، فانصرفوا طوال الوقت تقريبا الى انقاذ الجرحى ومعالجتهم واطلاق النار صوب الجنود المصريين وأطلقوا النار أيضا صوب قوات كبيرة كانت تسير بعيدا داخل المدينة .

وفى أسفل اشتعلت المصفحات وانفجرت الذخيرة التى كانت داخلها وبذلت محاولات لحصر مصادر اطلاق النار ، وركض ايلى شفارتس قائد الفصيلة على الطريق وهو جريح ، محاولا اكتشاف مكان وجود المصريين بدقة وكان يتمركز داخل احد

المنازل عشرة جنود اسرائيليين من بينهم أربعة جرحى ولم يعرفوا مكان القوات الاخـرى . وصدرت اليهم تعليمات مفصلة باللاسلكى تحدد المكان الذى عليهم الوصول اليه ، فحملوا الجرحى على ظهورهم والتحقوا بقوة أخرى ، كانت على مقربة منهم . وفى النهاية التحقت القوة بأسرها بالجنود المحاصرين فى مبنى الشرطة .

● ● ●

بدا الخلاص يلوح فى الافق ، واستعدت القوة للنوم والحراسة ،وفى الليل ،وتحت جنح الظلام، تسلل بعض الجنود الاسرائيليين الى المجنزرات لكى يحضروا منها ماتبقى من ذخيرة ومؤن ، ووجدوا داخل احد المجنزرات يغئال ، وهو مضمد ميدانى حظى بوسام خلال حرب الايام الستة ، مصابا فى رأسه . فانتشلوه من داخل المجنزرة ونقلوه الى مبنى الشرطة . التقطوا فىغرفة عمليات القيادة الجنوبية فى سيناء الرسائل اللاسلكية التى بعثت بها القوة الاسرائيلية المحاصرة .وكان من الواضح انه اذا لم يتم انقاذ القوه من داخل المدينة خلال ساعات الليل ، فسيتقرر مصيرها فى الصباح . **وحاول دوديك** ، قائد السرية ، وهو أحد الذين احتلوا تلة الذخيرة خلال حرب الايام الستة ، أن يحدد للقيادة مكان وجوده وأمره الجنرال **غونين** بالصعود الى السطح ، وأن يصف له باللاسلكى ماتشاهده عيناه . وفى غـرفة العمليات ، تناول الجنرال صورة جوية لمدينة السويس وتابع أوصاف **دوديك** وفى نهاية جهد استمر وقتا طويلا ، استطاع الجنرال تحديد موقع المنزل ، حيث كانت الوحدة الاسرائيلية محجوزة فيه داخل المدينة . ومنذ تلك اللحظة الذى اخذ يوجه **دوديك** وجنوده العشرة بكيفية الخروج من المصيدة وهو يرشدهم باللاسلكى بموجب الصورة الجوية .

وفى الساعة الثانية ليلا ، **انطلقوا فى الطريق** . وروى **دوديك** : « صدر الامر بالسير على الطريق الرئيسى ، حتى الخروج من المدينة ، مسافة أربعة كيلومترات . ولكن كان من المستحيل السير على الطريق الرئيسى ، فقد كان مليئا بالقوات المصرية . بدأنا السير ومررنا بالقرب منها . سرنا بهدوء وبينما كنا نسير على الطريق ، وطأنا على صفائح وقطع من الحديد وحدثت ضجة هائلة ، وأخذنا نرتجف من الخوف » .

عبرت القوة الازقة ، وسمعت أصوات الجنود المصريين أمامها ووراءها ، وفى حالة واحدة على الاقل مرت على بعد مترين فقط من الجنـود المصريين . **وروى رفائيل غنيش** : « أعتقد المصريون اننا منهم ولم يسألوا أسئلة » .



اصطدمت أيضا بعض المغارز بجنود مصريين واشتبكوا معهم ، واصابوا بعضهم ، ثم واصلوا السير . وسار بعض الجرحى مشيا على الاقدام . وفجأة أضيء مصباح ، فتوقفت القوة الاسرائيلية لحظة . واعتقدوا أن هؤلاء هم مصريون فاقتربوا بحذر واكتشفوا حاملة جنود اسرائيلية وكان رجال المدرعات الذين كانوا فى الموقف الذى وصل اليه المظليون ، متوترين فقد كانوا يتابعون طوال الليل جهود الانقاذ اليقظة . وأما قائد السرية المدرعة فلم يسيطر على انفعاله : « يارفاق خذوا سجاير ، خذوا سجاير » .وقال آخر : « قلقنا عليكم » .

توهج من بعيـد مصباح آخر ، وقال أحد رجال المدرعات : « عندما تصلون الى هذا المصـباح تستطيعون أن تغنوا وترقصوا » . وواصلت القوة السير حتى وصلت الى مكان أمين .

كانت عقارب الساعة تشير آنذاك الى الساعة ٤٫٣٠ فجرا .

كبدت المعركة التى دارت فى مدينة السويس قوة المظليين الاسرائيلية خسائر جسيمة . ولكن رغم الخسائر وقفت القوة على مشارف المدينة . وبينما كانت المعركة فى مدينة السويس مستمرة مرت القوة المدرعة التابعة لفرقة ماجين على المحور ، الذى يلتف حول مدينة السويس ، وانطلقت فيه حتى ميناء الادبية ولكن لم يتم احراز هدف الهجوم الاسرائيلى غربى القناة بأكمله ـ لم يستطع الجيش الاسرائيلى محاصرة الجيش الثانى فى القطاع الشمالى شرقى القناة .

حرب
اكتوبر
والتناقض
العدائى
مع اسرائيل
والاستعمار

ازمة المجتمع الاسرائيلى
بعد اكتوبر

الاطار العام
للعلاقات
الامريكية
الاسرائيلية

المعادلة الاستراتيجية
فى النزاع العربى الاسرائيلى
بعد حرب اكتوبر

ماذا تغير
فى علاقات
امريكا
واسرائيل ؟

مؤشرات الاقتصاد
الاسرائيلى بعد حرب اكتوبر

العـــدو بعـــد ٦ أكتـــوبـــر

احتمـــالات جولة خامســـة

عداء أصيل
بين
الصهيونية
والبلدان
الاشتراكية

التخطيط السياسى لمستقبل
النزاع العربى الاسرائيلى

الى أين تتجه اسرائيل بعد زلزال ٦ اكتوبر ؟
هذا هو السؤال الذى طرحته الحياة بعد معارك سيناء والجولان المجيدة .
وهذا السؤال يعاد طرحه مجددا، وبقوة ، بعد أن تعالى — مؤخرا — صياح قادة اسرائيل ، وعادوا الى نغمتهم القديمة ، نغمة التهديد بعمل عسكرى ، نغمة الحديث من مواقع القوة العسكرية .

ولقد تمادت اسرائيل فى عملية استعراض عضلاتها ، وتمادى حكامها فى الاعلان عن رفضهم للجلاء عن كل الارض المحتلة ، وفى رفضهم الاعتراف بحقوق شعب فلسطين .
نقول : لقد تمادت اسرائيل حتى لقد بات الراى العام فى البلاد العربية وفى العالم كله يتحدث عن احتمالات متزايدة لوقوع الجولة الخامسة .
لكن هذه الاحتمالات تحكمها — كما نعلم — علاقات القوى الدولية ، وعلاقات القوى داخل المنطقة ، كما تحكمها وضع اسرائيل الخاص بعد حرب أكتوبر .
ولقد اختارت الطليعة أن تقدم دراستها عن اسرائيل ، بعد عام من ٦ أكتوبر : موقفها من ثورة التحرر العربية وتناقضاتها الداخلية ، وعلاقاتها الدولية ثم علاقة هذا كله باحتمالات وقوع حرب خامسة .

حرب أكتوبر والتناقض العدائى

مع اسرائيل والاستعمار

كمال السيد

مواقع مصر وسوريا ومواقفهما ـ بصفة خاصة ـ وحركة التحرر العربى بصفة عامة، لا يمكن أن تتفق أو تلتقى أو تتقارب مع مواقع ومواقف اسرائيل فى ظل نظامها واهدافها الحاليين . والتناقض بين النوعين من المواقع والمواقف، تناقض « عدائى » ورئيسى بحكم قوانين موضوعية لا يمكن الفكاك منها . فمصر وسوريا والحركة الوطنية العربية جزء من حركة الثورة العالمية. ومن ثم لها أهدافها ومواقفها ، فى حين ان اسرائيل ونظامها جزء من حركة الثورة المضادة العالمية بكل اهدافها ومواقعها .

واختيار مصر وسوريا لمواقعهما ومواقفهما التى جعلتهما من الروافد الاساسية فى حركة النضال العالمى ضد الامبريالية والتخلف ، ليس اختيارا اخلاقيا نبع عن نوازع خيرية ، بقدر ما هو استجابة لضرورات تاريخية وحتميات موضوعية يستحيل الانقضاض عليها ، دون مواجهة خطر « تحول ثورى جذرى » يعيد ـ من جديد ـ توافق المواقف والاختيارات مع الاحتياجات والضرورات ويعيد التناسق بينهما مرة أخرى . بصورة ربما تكون أشد وأقوى . وبالمثل فان اختيار اسرائيل لمواقعها ومواقفها ، لا يمكن تفسيره باعتبارات لا اخلاقية لدى حكامها وانما جاء محصلة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التاريخية لاسرائيل . ومصر وسوريا ، لا تستطيعان أن تغيرا جلدهما ، ولا يمكن لاى قوة داخلية كانت او خارجية أن تنتكس بالمسيرة التى قطعتها كل منهما دون أن تواجه « هزة عنيفة » لان القوى الاجتماعية الراغبة فى استمرار المسيرة ، والمستعدة للدفاع عما تحقق فيها « بالروح والدم » قادرة ـ فعلا ـ على دحر أى محاولة لتصفية ما تحقق . وليس العمال والفلاحون هم وحدهم أصحاب المصلحة فى تلك المسيرة وفى الشكل الذى تحققت به ، بل ان قطاعات واسعة من الرأسمالية الوطنية ، خاصة المنتجة ، وفئات من المثقفين والموظفين والتكنوقراطيين وجدوا فيها فرصا لم يكونوا يحلمون بها ، ومن ثم ، سيقاتلون هم أيضا فى سبيلها .

ان اختيار مصر وسوريا لطريق انهاء السيطرة الاستعمارية والاستعمارية الجديدة ، فى المجالين السياسى والاقتصادى ، وفرض سيطرتهما على مواردهما القومية ، والاخذ بسياسة التخطيط والتنمية وما استلزمه ذلك من تأميمات ، واقامة قطاع عام له دور قيادى ، ومحاولة تخفيف الفوارق الاجتماعية ، والمساس بفكرة قدسية الملكية الخاصة ازاء موقف اصحابها من النظام ومن التنمية ، كل ذلك لم يكن اختيارا فرديا **لعبد الناصر** بقدر ما كان استجابة منه لضرورات لا سبيل الى الافلات منها . وتكمن الحرية الكبيرة التى اتيحت **لعبد الناصر** فى اتخاذ قرارات واجراءات فعالة ويمكن تطبيقها ، فى ادراكه الواعى لهذه الضرورات .

وهذا القول اشد انطباقا على القيادات السورية التى تعاقبت على السلطة اعداد كبيرة منها ، ولم يستطع أى منها تبديل ما تم . حتى الذين كانت لهم تحفظات عليه ـ قبل أن يصلوا الى الحكم ـ وجدوا ان احتياجات الاستقرار ـ بعد أن أصبحوا مسئولين ـ تقتضى الحفاظ على ما تم بل وتطويره احيانا . بل ان القطاع الرجعى الاستعمارى الذى شارك الى جانب قوى أخرى فى القضاء على تجربة وحدة مصر وسوريا ، استغلالا لاخطاء وقعت فى ممارستها ، لم يستطع رغم شراسته ،

الانتكاس على المسيرة الاقتصادية والاجتماعية والوطنية التى تحققت فى ظل الوحدة ، رغم أن انجازات هذه المسيرة هى - على وجه التحديد - التى كانت قد دفعت هذا القطاع الرجعى الاستعمارى للتخطيط لضرب الوحدة ٠

لقد أثبت تطور الاحداث فى سوريا وتعاقب القيادات فيها ، وأكدت محاولات « جس النبض » و « بالونات الاختبار » التى قامت بها بعض الاتجاهات الرجعية فى مصر ، أن المساس بما تحقق لا يهدد بقاء نظام الحكم - فحسب - بل يهدد وجود الامة ذاتها ٠ لأن الاخذ به لم يكن ترفا أو تزيدا ، بل فرضه الواقع والضرورة ، العمياء احيانا والواعية احيانا أخرى وان بعضامنه يمثل الحد الادنى فحسب ، والحاجة تقتضى توسيعه وتطويره ٠

هذا هو قضاء مصر وسوريا وحركة الثورة العربية ، الممثل فى تلك الاختيارات ، السابق ذكرها ، الوطنية والاقتصادية والاجتماعية ٠ **وهذا هو على وجه التحديد مصدر التناقض الاساسى مع معسكر الاستعمار القديم والجديد وإسرائيل جزء منه** ، وهو أيضا سبب « عدائية » هذا التناقض ٠ وهو الذى يجعل تشديد النضال ، الوطنى والاجتماعى ، اسلوبا وحيدا لمواجهته ، ويجعل تنمية القوة الاقتصادية والعسكرية ، على أساس من الملكية العامة والتنمية والعدالة الاجتماعية ، شرطا أساسيا لاجبار الاستعمار واسرائيل عن « التخلى عن « العنف » فى صراعهما ، وممارسة تناقضهما العدائى ضد مصر وسوريا وحركة التحرر الوطنى ، ويضطرهما الى اللجوء لوسائل اخرى لتحقيق اهدافهما التى لا يمكن أن يتخليا عنها ، والا لما كان الاستعمار استعمارا ولما كانت اسرائيل هى نفسها ٠ كما أن الشروط السابقة تكفل للبلاد العربية ، دحر « العنف » الاستعمارى الاسرائيلى اذا لم يرد أصحابه التخلى عنه ٠

ماحدث فى أكتوبر

أن ما حدث فى اكتوبر كان بالغ الدلالة وذلك على النحو التالى :

■ **أن الرئيس السادات** قد أكد قبل الحرب بأيام ، الاختيارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد ، مركزا على التنمية والتخطيط والعدالة الاجتماعية ودور الطبقة العاملة والفلاحين ، ايمانا منه وادراكا لان هذه هى عناصر القوة المصرية ، وان المواجهة لن تنجح بدون الاعتماد عليها وتأكيدها ٠

■ **أن ثبوت القدرة المصرية** ، حتى بالقدر الذى يوافق عليه أشد المحافظين بل أشد المعادين ، قد أجبر الولايات المتحدة واسرائيل على البحث عن طرق أخرى لممارسة الصراع وادارة التناقض مع حركة الثورة العربية عامة ، ومع مصر وسوريا بصفة خاصة ، وان ذلك لم يتحقق عبر المساومة والتساهل ومع كل هذا فلا يمكن لاحد ان يزعم ان الولايات المتحدة ، قد تخلت عن أهدافها فى يوم وليلة ٠ فمازالت اهدافها فى اعادة ترتيب الاوضاع فى المنطقة أى فى السيطرة الاستراتيجية عليها ، واحتكار ثرواتها النفطية وغير النفطية ، وسوقها الواسع مجالا لسلعها ، بل ووضع أموالها - خاصة عائدات النفط - تحت تصرف شركاتها ومؤسساتها نقول ٠٠ مازالت هذه الاهداف ثابتة ٠ وهى لم ولن تتبدل ، الا اذا تغير النظام فى أمريكا ، وذلك ما لم نفعله ، وهو على أية حال ليس مهمتنا ٠ واما اسرائيل فالتوسع والعدوان اساس وجودها ، وكل البنيان الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بل الفكرى قائم فيها على أساس من هذا ٠ ولم يحدث بعد التحول الجذرى الذى يقيم بنيات جديدة تضع لاسرائيل اهدافا اخرى ، لا تجعل تناقضها مع الحركة العربية أساسيا ٠ على ان هذا التحول - لو حدث فلن تكون هناك اسرائيل التى نعرفها ، بل شىء آخر مختلف تماما ، صورته العامة الدولة الديموقراطية الثنائية القومية ، أى العرب واليهود ٠ وهذا ما لن ترضى به اسرائيل الحالية ، وايضا لا تقبله الولايات المتحدة ٠

التناقض حتمى

ان معطيات الموقف القائم فى المنطقة ، تجعل التناقض حتمية تاريخية لا فكاك منها ، وذلك على النحو التالى :

فعلى الجانب الإسرائيلى ايضا ، لا يملك الكيان القائم هناك بصورته الحالية الا أن يتناقض عدائيا مع العرب ٠

■ فهو من ناحية ، كيان طبقى محتدمة تناقضاته بين الذين يملكون ويزدادون ثراء ، وبين من لا يملكون ويزدادون بؤسا ٠ وهو ، من ناحية أخرى ، كيان عنصرى التفرقة فيه على أشدها بين الاوربيين والغربيين ، وبين الشرقيين وبين يهود العالم الثالث ٠ وهؤلاء جميعا مفضلون - بالطبع - على الاقلية العربية ٠ وقد وجدت المصالح الحاكمة ، فى الحرب والتوسع والعدوان خير وسيلة « لتهدئة » التناقضات الطبقية والعنصرية ، وتحويلها نحو عدو خارجى ، واجبار السكان جميعا على الرضاء بالاوضاع القائمة

ـ التى تحقق مصالح قلة فحسب ـ بل وجعلهم يقنعون بدفع التضحيات التى يتطلبها تنفيذ الدور الذى نذرت اسرائيل له نفسها « كوكيل » محلى للمصالح الاستعمارية ٠

■ اضف الى ذلك ان اسرائيل ـ ككيان مصطنع غرس عنوة فى غير موقعه ـ لم تتوافر له تاريخيا وخلال التطور السابق ، امكانيات ومقومات الوجود والاستمرار ، اجبر اسرائيل على أن تقوم ، ابتداء ، على القروض والمعونات من الخارج ، وبكيفية أخذت تتفاقم عاما بعد آخر ٠ فليس للاقتصاد الاسرائيلى ـ حتى الان ـ مقومات الوجود والنمو الذاتى ٠ وارتباطه العضوى بالمصالح الامبريالية قدر محتم فى ظل الهيكل الحالى ، والذى يعد فى حقيقته امتدادا للنظام الاستعمارى العالمى ٠ وقد تكفل النظام الامبريالى بتوفير مقومات الوجود الاسرائيلى الذى اصطنع وفرض غصبا . لا يدخل بحال من الاحوال تحت بند « فعل الخير » أو « الاحسان » ، وانما له مقابل مباشر وسريع ، يتمثل أساسيا فى قيام اسرائيل بدور « رجل الدرك » ، أو على وجه أصح « البلطجى » الذى يبطش بأى محاولة للمساس المباشر بالمصالح النفطية للامبريالية ، ويجهض أيضا التجارب الاجتماعية والوطنية التى تؤدى فى نهاية المطاف الى تصفية النفوذ الاستعمارى ٠

■ والعقيدة الصهيونية وايديولوجية الدولة الاسرائيلية ذاتها ، تقوم فى الاساس على خلق « خطر خارجى » ، يقولون أنه خطر الابادة والتدمير ، لضمان « مواطنين » مؤمنين بفرض وجودهم ووجود دولتهم عنوة ، ورغم الحقوق والحقائق والمعطيات الحالية والتاريخية .

التناقض لم يزل قائما

كل هذا ، وكثير غيره ، يبين أن اسرائيل فى معسكر آخر تماما ، تناقضه رئيسى وأساسى وعدائى ازاء حركة الثورة العربية ٠ والسؤال هو : هل ألغت حرب أكتوبر هذا التناقض العدائى ، أم انها فاقمته ؟ وهل أدت الى تخلى المعسكرين ، العربى والاستعمارى الصهيونى ، عن أهدافهما ، أم انها أدت الى تغيير أسلوب ادارة الصراع وطريقة ممارسة التناقض ؟

على الجانب الاسرائيلى

كل الحقائق تؤكد أن الجانب الاسرائيلى لم يتخل **أولا** عن أهدافه فى التوسع والعدوان ، **وثانيا** انه لم ينبذ العمل العسكرى والعنف أسلوبا لتحقيق هذه الاهداف ، **وثالثا** انه لم يهجر الدور الذى كرس له نفسه ٠

■ **فما زال قطاع قوى وقائد فى الدولة والاعلام ، وحتى على مستوى رجل الشارع ، مؤمنا بقوة جيش الدفاع الاسرائيلى وبقدرته ،** دليلهم فى ذلك الثغرة ونجاحهم فى العبور الى موطىء قدم غرب القناة ، كذلك احتلالهم لبعض المواقع المتقدمة على الجبهة السورية ٠ ففى ذهنهم ان ذلك انتصار ، لا تقلل منه هزائم الايام الاولى فى الحرب . ومن بين أنصار هذا الرأى جولدا مائير ٠

■ **كذلك فانه حتى المعتدلين فى اسرائيل ـ ولنترك جانبا المتشددين ـ يرفضون تماما أى اعتراف بحقوق الفلسطينيين ، رغم انها هى السبب الاصلى للعداء والتناقض** ٠ حتى لو كانت هذه الحقوق ستمارس فى اراضى عربية بعيدا عما استولت عليه اسرائيل وأعلنته جزءا من دولتها ٠ فالقيادة الاسرائيلية ترفض فكرة الدولة الفلسطينية ، حتى لو كانت ستقوم فى غزة والضفة الغربية ٠ كما أن النوايا المعلنة لحكام اسرائيل ، هى عدم التخلى عن **كل** الاراضى العربية التى احتلت فى ١٩٧٦ ، واصرارها على الاحتفاظ بأجزاء منها ، **الامر الذى لن تجد معه البلاد العربية بدأ من القتال لتخليص ترابها الوطنى .** فهى لا تريد ولا تستطيع أن تتخلى ولو عن حفنة منه ٠

■ **ومن جانب آخر ، أدت حرب أكتوبر الى زيادة التبعية الاسرائيلية للولايات المتحدة ، بفعل حقيقتين :**

● **ان واشنطن هى التى سارعت بنجدة اسرائيل** ، بالسلاح والخبراء والاموال بل والطيارين ، لمنع انزال هزائم أكبر بها ونقلها الى الهجوم المضاد . وقد رسخ هذا الاعتقاد السائد فى اسرائيل ، بأن الولايات المتحدة ، هى السند والعون والحامى والحارس والمنقذ .

ولا ينصرف هذا على الماضى فحسب ، وانما يمتد الى المستقبل ٠ فالقيادة الاسرائيلية ترى أنها فى حاجة الى أسلحة بنحو ٢٢ مليار ليرة اسرائيلية لدعم قواتها المسلحة ٠ وفى هذا ينعقد الامل كله على الولايات المتحدة سواء فى توفير الاموال اللازمة لشراء هذه الاسلحة ، لان اسرائيل بمواردها الخاصة عاجزة عن ذلك ، أو بتقديم السلاح باعتبارها المورد الاساسى ٠

● **أن الحرب اصابت الاقتصاد الاسرائيلى باضرار بالغة** ، يقدرها بعض المسئولين هناك بنحو ٣٠ مليار ليرة اسرائيلية • سواء من حيث تكاليف التدمير المباشر ، أو بسبب نقص الانتاج واستهلاك الصادرات محليا بدلا من ارسالها للخارج ، الخ • وهنا أيضا لا أمل سوى فى الولايات المتحدة ، لابراء جراح الاقتصاد الاسرائيلى هذه •

ويقودنا الحديث السابق عن تزايد تبعية اسرائيل للولايات المتحدة ، ومن ثم استعدادها الكامل لخدمة أهدافها فى المنطقة ، الى سؤال منطقى هو : **هل تغيرت أهداف الولايات المتحدة فى المنطقة عموما ، وفى مصر وسوريا خصوصا ؟**

جواب ذلك بالنفى على وجه اليقين •

● **فالمصالح النفطية على ما هى عليه •** والولايات المتحدة مستعدة للذهاب الى حد التدخل المسلح والمباشر ، اذا ما تعرضت لاى خطر • وقد أعلن بعض المسئولين والكتاب فيها هذا صراحة ، ابان حرب اكتوبر . وبالنسبة لمصر ، لا يريد الاستعمار الجديد لتجربتها الوطنية والاجتماعية ، السياسية والاقتصادية ، أن تكون مثلا ونموذجا ملهما للاخرين ، وألا يكون نجاحها وتقدمها بمثابة « تحريض » على الاقتداء بها . ومن ثم ، تريد تصفية هذه التجربة « سلما » ، اذا فشل العنف ، مع عدم التخلى عن هذا الاخير نهائيا • المهم أن يتحقق الهدف . ومصر ، بدورها ، لا يمكنها التخلى عن تجربتها ، دون أن تخاطر بوجودها ذاته . **ومن ثم سيتصاعد التناقض من جديد ، وستتم ممارسته بكل الطرق •**

● **أن الولايات المتحدة ترى أن النظام القائم فى اسرائيل أكثر « ضمانا »** من كل العرب من وجهة نظر مصالحها • فهو أولا نظام رأسمالى صرف يرتبط عضويا بالرأسمالية العالمية . وهو ثانيا مجرب ومختبر فى عدة مناسبات ، نجح فيها تماما • وحتى فى المرة التى فشل فيها وأخفق هزيمة ٦ أكتوبر لجيش اسرائيل ـ كفل لها التدخل السياسى واستعادت دورا كان قد استؤصل الى حد ما من المنطقة •

وأما النظم العربية المتحررة ـ خاصة مصر وسوريا ومن سار على دربهما ـ فغير « مضمونة » من وجهة نظر المصالح الامريكية . لان الاتجاه القومى ، الوطنى والاستقلالى ، والاتجاه الاجتماعى لهذه النظم ـ بشقيه الكفاية والعدل ـ يتعمق ولا يتقلص • بل ان المصالح الامريكية بعيدة النظر تماما ، بحيث تدرك أن هذا الاتجاه سينمو ويشتد ـ أيا كانت المعوقات ـ بحكم ضرورات الواقع والتاريخ • ومن ثم فهى لم تسارع ـ مثلا ـ فى أعقاب الجو المواتى للدور الامريكى ، لاستثمار أموالها فى المنطقة • وبقيت على حذرها بل عدم ثقتها ، لمعرفتها بحقيقة القوانين الموضوعية السائدة فى المنطقة ، **هذه القوانين التى تجعل العداء لكافة أنواع السيطرة والاستغلال والسعى لوضع مقدرات البلاد فى خدمة أبنائها ، اتجاها لا يمكن وقفه •**

نقطة أخرى ، فى الموقف الامريكى ، يجدر التنبيه لها لاهميتها البالغة ، وهى أن الانجاز الذى حققته القوات العربية فى أكتوبر ، نقطة على مصر وسوريا ، وليس نقطة لهما فى الحساب الامريكى . **ذلك أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تسمح لمنتصر ـ عسكريا ـ من بلدان العالم الثالث ، أن يحقق أهدافه الوطنية والاجتماعية ، والا كانت كمن يشجع الاخرين على الاقتداء به والسير على دربه •** ومن ثم ، فان نصر ٦ أكتوبر ، ليس مدعاة لاعجاب الاستعمار الجديد بمن حققوه ، وانما هو سبب لتزايد حنقه عليهم ، لانهم بذلك يسننون سننا جديدا . لذا فهو لن يتوانى فى محاولات اهدار نتائج هذا الانتصار ، حتى لا يكون ذلك مثلا ونموذجا • ولا مانع لديه فى أن يتم ذلك سلما اذا أمكن ، فهو أرخص وأوفر ، من ناحية ، وأقل اثارة للفضائح والمعارضة ، من ناحية أخرى ، ويمنع تتابع الاحداث وانفلاتها ، الامر الذى يصعب معه السيطرة عليها من ناحية ثالثة • واذا لم يكن تحقيق ذلك سلما ، فلا مناص من العودة للعنف • وهنا دور اسرائيل ، كأداة مجربة ومختبرة ، خاصة بعد حقنها بجرعات من المقويات العسكرية وتكثيف التعاون معها فى هذا الصدد •

ان الاستعمار الجديد لا يتخلى ـ بوجه عام ـ عن صنائعه المهزومين ، كما أنه لا يسارع لاحتضان أعدائه المنتصرين والتسليم بأهدافهم • فالولايات المتحدة ، مثلا ، لم تتوقف عن مناوأة حكومة فيتنام الشمالية وحكومة الثوار فى الجنوب بل استمرارها عملها العسكرى ضدهما بأيدى عملاء الجنوب ، أو بأيدى جنودها المباشرين ـ المسمين خبراء ومستشارين ، كما لم تكف عن دعم ومساندة النظام التابع فى الجنوب ومحاولة الاستمرار عن طريقه ، فى ضرب الثورة • كذلك فعلت فى كوريا •

على الجانب العربى

ما زالت مصر مصرة فى وثائقها الرسمية التى

طرحها **الرئيس السادات** وفى المواقف العملية ، على القضايا الثلاث التى تجعل التناقض عدائيا مع اسرائيل والامبريالية وهـى : ١ ـ تخليص التراب القومى وحماية السيادة الوطنية وضمان الاستقلال ، ٢ ـ الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربى ، ٣ ـ التنمية وتحقيق العدالة الاجتماعية ·

وتفعل **سوريا** الشىء نفسه · بل أن نصر القوات العربية أمام جيش اسرائيل الذى لا يغلب ، لا شك أنه سيغرى العرب بالتعامل مع الغير من موقع القوة · حتى الذين ترتبط مصالحهم بـأسواق ومؤسسات الدول الرأسمالية الكبيـرة ـ دول البترول ـ بدأوا يغيرون من أسلوبهم وأمكنهم تحقيق مكاسب ذاتية أكبر ، تؤثر بلا شك على نصيب الشركاء الاخرين · **وذلك بدوره سبب آخر للحنق على مصر وسوريا · فلولا دماء جنودهما التى سالت لانجاح عملهما العسكرى ، لما تجرأ كثيرون على المطالبة بحقوق وأنصبة أكبر** . بل لقد أفلت الزمام فى بعض المناطق ، وأدى تـوارد الاحداث ، الى تصفية ـ متفاوتة الحجـم ـ للمصالح النفطية ، كما حدث فى العراق وليبيا والجزائر مثلا ·

والاصرار على المواقف السـابقة ، هو ابتـداء سبب العدوان الاسرائيلى · بل ان هذا الاصرار ، هو سبب زرع اسرائيل أصلا فى العالم العربى ·

والاستعمار على استعداد لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى ، بل والتخلى عن دوره ، اذا تحققت الحاجة التى أوجدته أصلا ، وهى تصفية حركة الثورة العربية ، خاصة فى جانبها الاجتماعى· وهذا ما ترفضه البلاد العربية ·

ومن هنا ، فالتناقض باق ، والجولات الاخرى قادمة · وهذا ما يدركه ويؤكده قولا وعملا ، قادة الفريقين · ففى اسرائيل يتحدثون عن الاعداد لضربة اجهاض للعرب ، وضربة ثأر تحسم . وفى مصر أكد **الرئيس السادات** والقادة العسكريون فى أكثر من مناسبة ، ايمانهم بأنه لا طريق سوى طريق ٦ أكتوبر ، وأنه لابد من مواصلته بل تكثيفه ازاء اصرار العدوان على أهدافه ، والتى بان لاصحاب النوايا الحسنة ، وأكثر الناس تساهلا ، أنها باقية على ما هى عليه .

أزمــة المجتمــع الاســرائيلى

.. بعد أكتوبر

حمدى عبد الجواد

هزت حرب أكتوبر اسرائيل كالزلزال ، وعمقت من أزمة المجتمع الاسرائيلى بصورة لم يسبق لها مثيل منذ تأسيس دولة اسرائيل . وكانت الحرب تحديا لمفاهيم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية القائمة على فكرة أن اسرائيل قوة لا تقهر ، وعلى افتراض قدرتها على توجيه الضربات الى البلدان العربية فى أى وقت وأى مكان، دونماخوف من أن تلحقها خسائر ذات وزن . لقد تكبدت اسرائيل خلال تلك الحرب خسائر فادحة امتدت آثارها الى جميع نواحى حياة المجتمع الاسرائيلى ، وكان لها آثارها البعيدة المدى على الاستراتيجية الاسرائيلية والامريكية فى منطقة الشرق الاوسط .

وكان على شعب اسرائيل ، أن يدفـع ثمـن المغامرات العسكرية لحكامه دماء وارواحا وخسائر مادية باهظة . فقد فقدت اسرائيل خلال الحرب وفقا للارقام الرسمية ٣٠ الف قتيل وجريح ، ٩٠٠ دبابة ، و ٢٥٠ طائرة ، أى حوالى نصف سلاحها الجوى .. وانهار خط بارليف الذى تفاخر به جنرالات اسرائيل ، والذى كلف اسرائيل أكثر من ١٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية تحت ضربات الجيش المصرى فى الايام الاولى من الحرب .

وكشفت تصريحات المسئولين الاسرائيليين أن آلاف القتلى والجرحى والمشوهين لم يكونوا الثمن الوحيد الذى دفعه شعب اسرائيل ، ثمنا لسياسة العدوان والمغامرة لحكامه . فعلى خلفية مشاعر الاسى التى عمت البلاد ، نتيجة لكثرة عدد الضحايا الذين سقطوا ثمنا للسياسة التوسعية التى تنتهجها الحكومة ، بدأت تتضح المصاعب الاقتصادية التى سيتحملها سكان اسرائيل نتيجة للحرب .

لقد أعلن بنحاس سابير وزير المالية فى حكومة اسرائيل أيام حرب أكتوبر وما بعدها ، ان الايام السبعة الاولى من القتال كلفت اسرائيل ٨٠٠٠ مليون ليرة أى حوالى ٢٠٠٠ مليـون دولار . وأوضحت التقديرات الرسمية ان معارك سينا والجولان كلفت اسرائيل حوالى ٣٠٠٠٠ مليون ليرة أى حوالى ٧٠٠٠ مليون دولار ، وهو مايزيد عن الدخل القومى الاسرائيلى عام ١٩٧٣ بحوالى ٩٠٠ مليون ليرة ، ويرى **أفرايم دوفرات** المستشار الاقتصادى لوزارة مالية اسرائيل ان الخسائر الناجمة عن توقف الانتاج بسبب التعبئة العسكرية التى فرضتها ظروف الحرب بلغت ٤٨٠ مليون دولار تقريبا . وبذلك يصل مجموع الخسائر الى ٧٥٠٠ مليون دولار . وتتضح ضخامة حجم تلك الخسائر اذا ماعلمنا أن الميزانية السنوية لاسرائيل تقل عن ٥٠٠٠ مليون دولار . **ووفقا لما تقوله جريدة معاريف ، فان العمليات** العسكرية ، فى سيناء وحدها ، قد كلفت اسرائيل خسائر فى المعدات العسكرية يقدر ثمنها بألف مليون دولار . وتواصل معاريف قائلة . يجب أن نضيف نفس المبلغ على الاقل اذا ما وضعنا فى الاعتبار تكاليف انشاء التحصينات والمتاعب الخطيرة فى الاقتصاد . ووفقا لتقديرات هذه الجريدة سوف تحتاج اسرائيل الى مالا يقل عن ٣٠٠٠ مليون دولار كى يستعيد جيشها قدرته الهجومية ..

وقـد برهنت حرب أكتـوبر على أن أمـن اسرائيل ،وضمان السلام فى الشرق الاوسط لا

يرتبط بحجم النفقات العسكرية . فلقد أنفقت اسرائيل ، قبل حرب أكتوبر على تسليح جيشها . وخاصة بعد يونيو ١٩٦٧ – مبالغ طائلة وحولته الى قوة عسكرية ضخمة ، بل تحولت البلاد بأسرها الى ثكنة عسكرية مما دفع الجنرال **شارون** لان يقول، قبل حرب أكتوبر ، بقليل «**ان فى استطاعتنا فى مدى أسبوع واحد أن نغزو المنطقة بأكملها من الخرطوم الى بغداد والجزائر** » ورغم كل ما أنفقته اسرائيل على تسليح جيشها ومن أجل ضمان التفوق على العرب والتعامل معهم من مركز القوة تأمينا لسياسة التوسع والعدوان ، جاءت حرب أكتوبر لتكشف أن هذه السياسة عاجزه عن ضمان الاستقرار والسلام والامن ، وانها حتى عاجزة عن ضمان التفوق الاسرائيلى . ورغم الضربة القاصمة التى وجهتها حرب أكتوبر الى تلك المفهومات فان الدوائر الحاكمة فى اسرائيل لم تتعلم شيئا من حرب أكتوبر ، ولا تزال تواصل سياسة التسلح على قدم وساق بكل ما تحمله تلك السياسةمن اصرار علىالمفهومات السابقة لحرب اكتوبر ، ومن اخطار على السلام فى المنطقة .

ان نظرة أولية لميزانية اسرائيل لعام ٧٤ – ٧٥ لتوضح لنا الوجه الحقيقى لسياسة الدوائر الحاكمة والدوافع التى تكمن خلفها فى المحافظة على مواصلة التوسع والعدوان وتجاهل كل فرص السلام ، بل واطلاق العنان لسياسة التسلح بما يترتب عليها من اخطار .

خصصت ميزانية ٧٤–٧٥ رسميا لوزارة الدفاع ١٤٫٦ مليار ليرة اسرائيلية . وبالاضافة الى النفقات العسكرية ، المعلنة هناك مبالغ أخرى ستصرف على الاستعدادات العسكريه فى اطار الميزانيات الخاصة مما سيرتفع بالاعتمادات المرتبطة بالنفقات العسكرية الى ٢١٫٧٥ مليار ليرة أى الى أكثر من ٦٠ فى المائة من مجموع ميزانية اسرائيل التى وصلت عام ٧٤–٧٥ الى ٣٥ ونصف مليار ليرة . **واتجاه الدوائر الحاكمه فى اسرائيل الى زيادة الاعتمادات العسكرية انما يكشف عن مواصلتها لسياسة المغامرة العدوانية التوسعية .**

ويمكننا أن نلاحظ الزيادة المستمرة للنفقات العسكرية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ من الجدول التالى :

العـام	نسبة النفقات العسكرية الى مجموع الدخل القومى ★
١٩٦٧	١٢½
١٩٦٨	١٤٫٩
١٩٦٩	١٦٫٦
١٩٧٠	٢٠ر–
١٩٧١	٢٠٫٣
١٩٧٢	١٥٫١
١٩٧٣	٤٩ر–
١٩٧٤	٤٧ر–

ويدفع سكان اسرائيل ثمنا باهظا لهذا الاندفاع المحموم نحو التسلح وخاصة فى الفترة الاخيرة ، والذى خصص له ٨٠٠٠ مليون دولار خلال الاشهر الثلاثة القادمة ، وهو مبلغ يساوى الميزانية السنوية لاسرائيل تقريبا .

ان اسرائيل ترصد أموالا هائلة للاستعدادات العسكرية التى لن تنتهى الا الى مغامرة عسكرية جديدة . ويعتقد المراقبون ، ان الموجة الحالية من هستيريا الحرب ، والاستعدادات العسكرية تستهدف ممارسة الضغط على الدول العربية وتعطيل التسوية السياسية العادلة **لنزاع الشرق الاوسط .** وفى هذا الجو المحموم بدأ المسئولون الاسرائيليون يؤكدون فى تصريحاتهم من جديد أن الانسحاب من جميع الاراضى العربيه مسألة مستحيلة وغير مطروحة للبحث .

وليس هناك من شك فى أن تضخم النفقات العسكرية له انعكاسه المباشر والسلبى على اقتصاد اسرائيل اذ يعتبر المصدر الرئيسى للضغوط التضخمية ولزيادة عبء الضرائب على جماهير السكان . وتأمل الدوائر الحاكمة فى اسرائيلفى القاء عبء تحويل نفقات الحرب على كاهل العمال والشعب . وبالاضافة الى الاموال التى تجمعها الصهيونية من العالم الراسمالى ، والى الاعتمادات الجديدة التى خصصتها الحكومة الامريكية لتسليح وتجهيز اسرائيل والتى بلغت ٢٢٠٠ مليون دولار ، بالاضافة الى كل ذلك أصدرت الحكومة الاسرائيلية قرضا اجباريا للحرب ، وقرضا آخر « اختياريا» وحذر وزير **المالية بنحاس سابير** عند اصدار القرض مواطنى اسرائيل بأن سينشر فى الصحف أسماء من يرفض منهم المشاركة فى حملة شراء سندات قرض الحرب . ورفعت الحكومة اسعار الوقود

★ [جريدة الاتحاد بتاريخ ١٩٧٤/٣/١٩.

والكهرباء وخفضت الاعتمادات للسلع الحيوية ، وزادت من الضرائب غير المباشرة ورسوم الجمارك . وبموجب ميزانية ٧٤ ـ ٧٥ سيبلغ دخل الدولة من الضرائب ٤ر٢ مليار ليرة اى بزيادة ٦ر٤ مليار ليرة عن ٧٣ ـ ٧٤ . وزيدة الاعباء الضريبية نتيجة لنفقات الحرب وللتوسع فى سياسة التسلح لن يقع عبؤه فى الاساس على الاغنياء . وسيقع عبء الضرائب أساسا على العائلات الوسطى والفقيرة . وكما جاء فى البيان الذى أصدرته الحركة الديمقراطية للنساء فى اسرائيل : « **أن الاغنياء لن يجوعوا ، لكن من الذى سيرعى اطفالنا الجياع ؟ »**

ورغم كل ذلك فحكام البلاد لا يهتمون بمثل تلك المنسى بأن ربع مليون طفل اسرائيلى يعانون من نقص التغذية وفقا للاحصاءات الرسمية ، وانما يواصلون عقد اتفاقيات لشحنات جديدة من الاسلحة مع الولايات المتحدة . ويزداد عبء الضرائب على السكان بصورة فاحشة . **وستكون الاستقطاعات الضرائبية الجديدة ضاغطة للغاية على مستوى معيشة الاسرائيليين أنفسهم . فبينما بلغت** الضرائب فى اسرائيل عشية الحرب ٤٠ فى المائة من الاجور . يمكننا أن نتصور ماالذى يتبقى للمواطن الاسرائيلى بعد الاستقطاعات التى فرضتها الحرب . وعلى سبيل المثال لقد زادت الضرائب فى الفترة من يناير حتى مايو ١٩٧٤ حوالى ٣١ فى المائة وهو معدل قياسى لم تشهده اسرائيل طوال ٢٦ عاما من تاريخها . وارتفعت تكاليف المعيشة بمقدار ٣١ فى المائة خلال الاشهر الستة الماضية ، مما يسجل كذلك أعلى معدل لارتفاع الاسعار فى تاريخ البلاد .

ولذلك فلا غرابة أن تشير التقارير الرسمية الى أن حوالى ٨٠٠٠٠٠ اسرائيلى يعيشون على حافة الفقر وفى ظروف صعبة للغاية . وحتى جريدة جيروزاليم بوست ، اضطرت الى الاعتراف بأن « الفقر والفاقة أمراض متوارثة فى اسرائيل » .

ومن الطبيعى أن تؤدى هذه الظروف الى خيبة أمل الكثيرين فى الجنة الموعودة فى أرض الميعاد . وقد نشرت جريدة هاآرتس أن نتائج استفتاء الرأى العالم قد اوضحت ان عشر الاسرائيليين يطمحون فى مغادرة البلاد عند أول فرصة تتاح لهم ، وان غالبيتهم شباب تتراوح أعمارهم بين ١٨و ٢٩ عاما . ولن يستطيع القيام بذلك الا من تتوفر لديه الاموال ، أما مئات الالوف ممن لا يملكون أموالا فيضطرون الى البقاء يائسين . ويرد جماهير العمال على الظروف البالغة الصعوبة التى يواجهونها بالاضراب . وقد حذر **بيروشام ميشال** السكرتير العام للهستدروت وزير المالية يهوشوارابنوتز . بأنه لن يكون مسئولا عن رد فعل العمال على اى زيادات جديدة فى الضرائب ، وأشار الى أن الشعب الاسرائيلى يدفع اعلى الضرائب فى العالم . وتتسع حركه الاحتجاج والاضرابات ضد الاوضاع الاجتماعيه المتدهورة تحت شعار « الخبز والسلام » . ويندمج النضال المتعاظم للجماهير الشعبية فى سبيل تحسين ظروف معيشتها بصورة مباشرة بالنضال ضد الحرب وفى سبيل سلام عادل .

لقد انعكست الازمة الاقتصادية فى تزايد التضخم المالى والارتفاع الجنونى فى الاسعار مما أدى الى تدهور حاد فى مستوى معيشه الجماهير العريضة وازدياد الفوارق الاجتماعيه بصورة مضطردة . ووفقا للاحصاءات الرسميه فان خمس الاسر فى اسرائيل تعيش فى فقر أو على حافة الفقر . ويوجد فى القدس وحدها ما لا يقل عن ٩ آلاف اسره لا تملك سريرا أو مرتبة أو حتى لحافا واحدا لكل فرد . وفى تل أبيب يعيش ٨٠ ألف شخص فى أكواخ نصف مهدمة فى أحياء القرانين . ومثل هذه الصوره يمكن أن نراها فى أحياء حيفا وبير سبع . واذا كانت تلك هى حال جماهير المواطنين من اليهود فما بالك باحوال السكان العرب داخل اسرائيل . غير ان الدوائر الحاكمة واصحاب المصانع والبنوك يحققون أرباحا خيالية نتيجة لسياسة العدوان والتوسع التى تتبعها الحكومة . انهم يعيشون فى فيلات جميلة ويملكون عربات فاخرة ولا يعيرون بالا للجوع والفقر الذى يتردى فيه غالبية سكان اسرائيل .

الازمة السياسية

أدى الفشل الذى منيت به المؤسسة العسكرية والدوائر الحاكمة فى اسرائيل فى حرب أكتوبر ، وما ترتب عليها من نتائج ، الى تفاقم حاد للازمة السياسية التى كانت تنضج من وقت طويل نتيجة للسياسة الخارجية التوسعية العدوانية المغامرة ولاول مرة فى تاريخ اسرائيل ، يمتد السخط الواسع على الحكومة ليشمل جميع أوساط السكان تقريبا ، بما فى ذلك اقسام واسعة من « حزب العمل » نفسه .

وفى أعقاب الحرب كتبت جريدة دافار المقربة من الحكومة تقول : « لقد القت الحرب بالبلاد فى أتون ازمة سياسية . وقد يبدو انها ازمة داخلية فى حزب العمل ولكنها تمتد فى الواقع الى جميع

نواحى الحياة السياسية فى اسرائيل » . أما جريدة هامشمار التى لا يمكن بأية حال اتهامها بعدم العطف على الدوائر الحاكمة فقد اضطرت الى القول : « بأن نتائج الحرب مؤسفة ، اذ انفقت أموال طائلة وأصبحت قوة الجيش مجالا للشك ، وكل هذا ناتج من عدم تقدير قدرة العرب » . أما جريدة هآرتس فقد قالت بمرارة : « ان انهيار خط بارليف خلال ٣ ساعات منذ بدء الحرب انما يرمز الى فشل الخط السياسى للحكومة » .

وقد أثارت المصاعب السياسية التى ترتبت على حرب اكتوبر الاتهامات المتبادلة داخل الدوائر الحاكمة : **فشارون** يتهم **مايير وديان** ، **ومايير** تتهم **اليعازر وديان** ، والاخيران يتهمان بعضهما ويلقيان المسئولية على قواد الجبهة » .

وهناك موجة عارمة من السخط على قيادات الاحزاب السياسية التقليدية ويتزايد هذا السخط ويتسع بين جميع اقسام السكان . لقد ثار جدل حاد فى حزب العمل بين الذين يسمون بالصقور وهؤلاء الذين يدعون «بالحمائم» . ويحاول الصقور الذين يعملون فى انسجام مع الجماعات اليمينية المتطرفة فى البلاد ان يخفوا عن الرأى العام انهيار سياسة الاستمرار فى الاستيلاء على الاراضى من مركز القوة ويفعلون كل ما فى وسعهم لتركيز انتباه الرأى العام على ما يسمى « بتصدع الامن » الذى نشأ كما يزعمون عشية احداث اكتوبر . وتلك هى الطريقة التى يفسرون بها الخسائر الضخمة وانهيار مخططاتهم العسكرية . وأشد ما ضايقهم هو قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الامن ، وهم يريدون أن تستمر الحكومة الاسرائيلية ، التى قبلت القرار كما يقولون ، « استجابة لطلب الحكومة الامريكية » فى وضع الصعوبات والعراقيل امام السلام فى الشرق الاوسط . والعناصر المعتدلة نسبيا فى حزب العمل والذين يعرفون بالحمائم لم يسبق لهم أن وجهوا نقدا بهذه الحدة لسياسة الحكومة ومن الممكن تبين ذلك من التصريحات المختلفة التى نشرت فى دافار جريدة الحزب شبه الرسمية . وعلى سبيل المثال فقد كتب **دانيل بلوخ** عضو هيئةتحرير الجريدة فى ٢٣ اكتوبر ١٩٧٣ يقول : « علينا ان نتذكر دائما ان هدفنا الرئيسى هو تحقيق السلام ، ولا بديلهناك للسلام ، اذ أنه الامل الوحيد لمنع مزيد من الحروب » .. وكتب **بنجاك توب** فى ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ وقد خاب أمله يقول : « ان حدود ١٩٦٧ الامنة التى كتب فى تقريظها من الكلام الاجوف ما يملا مجلدا سميكا ، لم تستطع ان تصمد لاكثر من ست سنوات ، وخلال تلك السنوات كانت هناك حرب استنزاف دموية وصعبة » .

وفى ٢٦ اكتوبر ١٩٧٣ كتب **يهودا جوتهلف** رئيس تحرير دافار السابق يقول : لقد قال لنا الصقور ان السلام ليس ضمانا ضد الحرب غير ان غياب السلام بالتأكيد ليس ضمانا بالتالى . ومازلنا نحتاج لحدود آمنة ، ولكننا نحتاج للسلام بنفس الدرجة . ان تحقيق السلام يشمل ما هو اكثر من الحدود الامنة ، والسلام هو الذى يشكل الحدود الامنة » . ومع ذلك يكمن ضعف الحمائم فى أنهم كذلك يقيمون حلمهم المقترح لازمة الشرق الاوسط على ضم اسرائيل لجزء من الاراضى العربية المحتلة .

ومع ذلك فهناك ما يؤكد الافتراض بأنه نتيجة للتغيرات التى تحدث على المسرح الدولى وفى المنطقة ، ونتيجة للاثر الذى أحدثه حرب اكتوبر ضد سياسة التوسع والضم ، فان الصراع داخل حزب العمل يمتد ويتسع بشكل متزايد مما أدى الى حدوث تغييرات ايجابية فى مواقف اقسام عريضة من جماهير أعضاء الحزب . وقد عبرت « عل همشمار » عن شعور القلق الذى يسود المعراخ بقولها : « ان حركة العمل التى يقبض حاليا على زمام السلطة تخطىء خطأ مميتا اذا لم تعتبر من حركة الاحتجاج وتستخلص النتائج الضرورية قبل فوات الاوان » . وتساءلت الصحيفة « هل تبقى حركة العمل الصهيونية الاشتراكية تحمل مسئولية الدولة ومستقبلها أو سوف تقوم أوساط معادية لحزب العمل باستغلال حركة الاحتجاج لتسليم السلطة لليمين » .

وأدى انهيار الاسس الاستراتيجية الصهيونية واحلام التوسع بعد الحرب مباشرة الى تفجير أزمة أخطاء الحرب التى حاولت قيادة المعراخ ان تتخطاها من خلال انتخابات ديسمبر ٧٣ وتشكيل لجنة للتحقيق فى اخطاء الحرب . وانتهت لجنة **اجرانات** للتحقيق فى اخطاء الحرب الى القاء عبء الفشل الذى أصاب السياسة الاسرائيليه على بعض الاشخاص ، وترتب على ذلك اعفاء **ديان** وعدد آخر من قادة الجيش من مناصبهم وتحميلهم مسئولية ما أسموه بنواقص فى الاستعدادات العسكرية الامر الذى فجر الصراع على الحكم ، بشكل مكثف ، واعطى منطلقا للسخط الجماهيرى الذى احتبس فى الصدور لسنين طويلة . وقد انتهى هذا الصراع داخل حزب العمل بابعاد مجموعة **ديان - مائير** ، ومحاولة اظهار مجىء حكومة رابين الى الحكم بأنه يحمل تغييرا فى سياسة اسرائيل . **ولم تكن تلك المناورة الا خطة من جانب الدوائر الحاكمة فى اسرائيل لتخطى الظروف الصعبة التى تواجهها فى الداخل والخارج وحتى تتاح لها الفرصة لالتقاط الانفاس واعادة تنظيم صفوفها بما يسمح لها بمتابعة سياستها فى**

التوسع والعدوان . وكشف تطور الاحداث منذ مجيء حكومة رابين الى الحكم ان هذه الحكومة تسير على نفس سياسة ديان ـ مائير التى ادت الى حرب اكتوبر .

وتوصلت اقسام من الجماهير الاسرائيلية الى خطأ المفاهيم العسكرية ، والسياسيه التى ترتكز عليها سياسة احزاب الائتلاف الحكومى « المعراخ » والتكتل اليمينى المتطرف « **ليكود** » على السواء . ولذلك بدأ يتسع الاتجاه بين الجماهير نحو معارضة السياسة العدوانية للدوائر الحاكمة وضرورة تغييرها ، لا تغيير القادة فحسب ، باعتبار تلك السياسة هى المسئولة عن الاوضاع التى تردت اليها اسرائيل .

وفى أوائل ١٩٧٤ أجرى المعهد اليهودى فى القدس استفتاء للرأى العام حول الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة . ويلاحظ ان نتيجة الاستفتاء أظهرت تغييرات عميقة فى صفوف انصار ومعارضى سياسة الصقور الاسرائيلية لقد صوت ١٠ فى المائة فقط ضد اعادة الاراضى المحتلة حتى ولو مقابل السلام . بينما عبر ٩٠ فى المائة عن استعدادهم سواء جزئيا أو كليا لاعادة تلك الاراضى اذا ما كان ذلك ثمنا للسلام . ويكشف ذلك أن اقساما متزايدة من الرأى العام تنتقل الى معارضة سياسة الدوائر الحاكمة التى أدت الى حرب اكتوبر ويطالبون بتغييرها .

غير أن اوساطا ذات نفوذ ، تحاول توجيه الشعور بالمرارة والتذمر والسخط نحو افاق غير صحيحة كالمطالبة بتغيير النظام الانتخابى أو التركيز على تغيير بعض القيادات لمحاولة طمس النضال الجد من أجل احداث تغيير جذرى فى سياسة اسرائيل .

ان كارثة حرب اكتوبر لم تكن نتيجة لنظام الانتخابات ولا نتيجة للاهمال العسكرى وانما هى نتيجة مباشرة لسياسة الضم والتوسع الاقليمى والتنكر لحقوق الشعب العربى الفلسطينى . وليست القضية فى جوهرها البحث عن زعماء موهوبين لحل الازمة التى تواجهها اسرائيل . ان كل تلك الشعارات الزائفة انما تهدف الى الحيلولة دون **تغيير** السياسة . واذا كان بين الاسرائيليين من طالب بتغيير المسئولين عن النتائج المؤسفة التى توصلت اليها **البلاد** فذلك لان سياستهم ، تتعارض ومصالح البلاد الاساسية ، ولانهم حائلوا دون السلام وقادوا البلاد الى الحرب وكانوا السبب فى الخسائر البشرية الضخمة وبدون تغيير السياسة التى سارت عليها اسرائيل سياسة التوسع والضم **العدوانية** لن يكون هناك سلام فى المنطقة ولن يكون هناك أى تقدم نحو الخروج من الازمة السياسية الاقتصادية والاجتماعية التى تعيش فيها اسرائيل .

واذا استثنينا النضالات الجماهيرية التى يقودها الحزب الشيوعى الاسرائيلى « راكاح » فانه يلاحظ أن عددا من حركات الاحتجاج العديدة التى ولدتها حرب اكتوبر ليست ذات لون واضح سواء فى خلفيتها الاجتماعية أو فى اهدافها السياسية . غير أن ما يميزها بشكل عام هو المطالبة بالتغيير ، والصراع ضد أساليب الحكم القائمة ، وضد انعدام الديمقراطية داخل الاحزاب التقليدية . لكن أهم ما يميز تلك الحركات هو عدم وضوح موقفها من القضايا السياسية المصيرية المطروحة كالحرب والسلام ، ومن المسائل الاجتماعية الملحة .

ان بعض ممثلى تلك الحركات يحاولون تجنب ابداء رأى واضح فى تلك القضايا المهمة . وهذا ما يجعل معظم هذه الحركات تفتقر الى اى برنامج سياسى أو اجتماعى واضح . ومن الممكن أن نجد بينهم من يدعون الى السلام العادل فى الشرق الاوسط ومن يؤيدون الاستعداد الافضل لحرب جديدة . لكن ، لا خلاف بعد هذا كله ، على أن هذه الحركات انما هى تعبير عن التمرد على انعدام الديمقراطية فى حزب العمل والاحزاب التقليدية الاخرى ، وعلى طريقة التآمر واتخاذ القرارات المصيرية على أيدى حفنة من الاشخاص .

الصراع بين العسكريين

لقد كان انهيار خط بارليف ضربة قاصمة للصلف العسكرى الاسرائيلى ، وبداية لتفجر الصراع داخل المؤسسة العسكرية فى اسرائيل . فعندما ادرك الجنرال **شارون** خطورة الهجوم المصرى ، وعندما رأى بعض وحدات المشاة المصرية تتقدم « كما لو أنها فى عرض خلف راياتها ، استشاط غضبا وصب جام غضبه على قائد جبهة سيناء الجنرال جونين » .

وتحت تأثير ما حدث فى سيناء ، رفض الجنرالات الثلاثة شارون ومندلر وآدم برن ان يمتثلوا لاوامر **جونين** . وهنا اتخذ ديان اخطر قراراته وهو أن يقيم اتصالا مباشرا بينه وبين رؤساء الفرق الثلاث متخطيا بذلك جونين .

وهكذا كانت احداث حرب اكتوبر بداية لتفجير الصراع بين **المعراخ** الحاكم الذى كان **ديان** يقف فى قمته العسكرية وبين **الليكود** الذى يتزعمه من

الناحية السياسية مناحم بيجن ، ومن الناحية العسكرية **شارون وعزرا وايزمان** . وهكذا حاول أقصى اليمين أن يلقى اللوم كله على السلطات الحاكمة .

وبدأ الصراع بين العسكريين بهجوم واسع النطاق من الجنرال **شارون** على المؤسسة العسكرية وعلى القيادة السياسية للمعراخ . وعلى أثر عودة الجنود المسرحين من الاحتياطى بدأ الصراع يتفجر على المسرح السياسى . وظهرت حركات وتجمعات سياسية جديدة خارج اطار الاحزاب التقليدية . وهذه الظاهرة ، انما تعكس عمق الازمة السياسية العسكرية والايديولوجية فى اسرائيل ، كما تعكس الاخطار التى تنطوى عليها تحركات رجال عسكريين فى الاحتياطى يسعون الى اخذ زمام الامور بأيديهم واحتواء حركة الاحتجاج الواسعة بين الجنود العائدين من جبهة القتال .

لقد تحولت حركة الاحتجاج التى بدأها الضابط موطى أشكنازى قائد الموقع الذى لم يسقط فى خط بارليف الى حركة تضم الاف الجنود المسرحين واعلن **أشكنازى** فى احدى مظاهرات الجنود المسرحين انه أنهى مهمته الشخصية ، وأنه الان « يقف على رأس حركة تضم جماعات تناضل لتغيير وجه الامور فى الدولة .

ووصفت دافار الحركة التى يتزعمها أشكنازى بأنها ظاهرة جديدة على خريطة اسرائيل السياسية ، وأنها نتيجة مباشرة للهزة العنيفة التى حدثت بعد أكتوبر .

ومع أن حركة أشكنازى تشكل حركة ضغط شعبية آخذة فى الاتساع، وتلف حولها الجنود المسرحين ، الا أنها تفتقر الى البرنامج السياسى وبدأت تظهر فى قيادتها عناصر يمينية متطرفة ، وكل ما تهدف اليه هو اجراء بعض تغييرات فى القيادات الحاكمة . وهكذا فانها لن تتعدى أن تكون وسيلة ضغط ينعكس تأثيرها المباشر على نشاط الاحزاب السياسية فى الحكم وخارجه .

والى جانب حركة أشكنازى تتسع القاعدة الجماهيرية لحركة التغيير بقيادة **روبنشتين** لترفع بعض الشعارات الديمقراطية التى تؤلف نوعا من البرنامج السياسى ، فى أساسه الدعوة الى تنازلات أقليمية مقابل السلام .

كما قامت مجموعة الضباط المسرحين من سلاح المدفعية، والتى يتزعمها الكولونيل ميلر، وأعلنت عن هدفها فى تغيير الاوضاع فى الدولة ، من أساسها ولهذه المجموعة صلات وثيقة مع حركة **أشكنازى** وقد صرح **ميلر** قائلا « **ان الذى يقلقنى بنوع خاص هو ماسيحدث اذا ماتجدد القتال** ، **وانا لا أشك فى أنه سيتجدد** . **عندى شعور سىء ، وكثير من الجنود يسألون أنفسهم هل عليهم أن يقاتلوا ويموتوا من أجل دولة كهذه . لا تزال الامور فيها مثلما كانت فى أيام حرب يوم الغفران** » .

ولا شك أن الجماعات التى تعبر عن سخط الجماهير على النظام القائم مازالت ضعيفة وقليلة النفوذ ، وليس لديها بعد أى فكرة واضحة عن الاساليب التى ينبغى انتهاجها من اجل تغيير الموقف ، ولاشك أيضا ان مجرد تشكيل هذه الجماعات بواسطة رجال الجيش يحمل دلالات عميقة ، فجريدة « دافار » الواسعة النفوذ والانتشار تقول مثلا أن ظهور هذه الجماعات ليس الا النتيجة المباشرة لما اصاب المجتمع من هزات نتيجة لحرب اكتوبر ، **فقد اثبتت الحرب لعديد من الاسرائيليين** ، ان السياسة التوسعية التى تتبعها الدوائر الحاكمة لا مستقبل لها ولا تبشر بخير ، كما انتهى العديد من الاسرائيليين ، وبعد ان دفعوا الثمن فادحا فى الحرب ، الى ان أى مغامرات جديدة لا يمكن أن تقود اسرائيل الا الى أزمة وطنية عاتية .

اسرائيل .. الى أين ؟

لا تكاد حكومة رابين تختلف اختلافا جوهريا عن حكومة جولدا مائير . وهى تعرف بوضوح رغبة قيادة « حزب العمل » فى متابعة المسرحية القديمة بعد تغيير الديكور فحسب . ولما كان **رابين سفيرا** فى واشنطن فى الفترة السابقة ، فقد أقام صلات واسعة مع الاوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة ، ومع الدوائر الصهيونية ذات النفوذ التى تعمل داخل الكونجرس الامريكى .

وعندما تقدم رابين ببرنامج حكومته الى الكنيست فى يونيو الماضى ، لم يفعل اكثر من ترديد نفس النغمات القديمة : لامجال حتى لمجرد الحديث عن **العودة الى حدود ماقبل يونيو ١٩٦٧** — اسرائيل ترفض اجراء **مفاوضات مع ممثلى العرب الفلسطينيين** . وقد **أشارت جريدة لوموند الى أن برنامج حكومة رابين انما هو تكرار للمبادىء الاساسية للسياسة التى كانت تسير عليها حكومة جولدا مائير** .

وقبل حرب اكتوبر بشهر واحد ، أقر حزب العمل الحاكم « وثيقة جاليلي » التى تشمل مخططا للتوسع وللاستمرار فى احتلال الاراضى العربية من خلال سياسة الامر الواقع » ووثيقة**جاليلي** هي تجسيد لامال **الدوائر** الحاكمة فى حل مشكلة الاراضى المحتلة بطريقة تسمح لاسرائيل باستمرار احتلالها أو بضمها اليها . وتصريحات **رابين** الاخيرة حول استحالة العودة الى حدود ١٩٦٧ انما توضح مدى تمسك الدوائر الحاكمة الاسرائيلية ببرنامج جاليلي .

وقد حاولت بعض الدوائر الامبريالية ، وخاصة الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، أن توهم الرأى العام العالمي بأن هناك « تغييرات هامة » متوقعة فى سياسة اسرائيل الخارجيه . غير أن ماحدث حتى الان منذ حرب اكتوبر لا يشير على الاطلاق الى تلك تلك التغييرات الهامة » وعمليات فصل القوات لم تكن سوى خطوات محدودة عسكرية الطابع فرضتها نتائج الحرب ، وشعور اسرائيل الدولة بالعزلة ، واضطرت اليها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لكسب الوقت ولالام الصدع ، ولاعادة تنظيم وتسليح الجيش الاسرائيلى للانطلاق فى نفس الخطر القديم ، مع محاولة الاستفادة من دروس حرب اكتوبر ونتائجها .

لقد أدت حرب اكتوبر الى سقوط ديان وعدد من كبار رجال المؤسسة العسكرية ولكنها لم تؤد الى سقوط « الدايانية » . ومع ان حرب اكتوبروجهت ضربة شديدة الى المؤسسة العسكرية الا انها لم تؤد الى هزيمة حاسمة لها . وتمكنت المؤسسة العسكرية من التضحية ببعض رجالها ثمنا لهزيمة أكتوبر ولكنها سرعان ما استعادت مواقعها داخل الحكومة الاسرائيلية وفرضت سياستها من جديد . وهكذا لم تغير حكومة رابين ــ فى الواقع ــ شيئا من السياسة التى ادت الىسقوط دايان ــ ومايير . ونتيجة لذلك تزعزعت الثقة بحكومة **رابين** بدرجة كبيرة أصبح من الصعب معها أن تستعيد ثقة جماهير السكان .

ان اتساع حركات الاحتجاج ليس الا أحد عوارض المرض المزمن داخل المجتمع الاسرائيلى والاحزاب السياسية التقليدية . وليس الا دليلا على بروز اتجاه جديد لما ينطوى عليه المستقبل من قيام تكتلات جديدة . وليس من المستبعد أن يتفسخ **المعراخ** وتحدث انقسامات جديدة فى داخل **حزب العمل** نفسه وان يواجه **الليكود** نفس المصير خصوصا وأن كثيرا من الاصوات بقيادة الجنرال **شارون** تنادى بحله وباقامة تنظيم جديد . **وهناك** **خطر بأن تحاول قوى اليمين استغلال السخط والبلبلة من أجل تحقيق أغراضها ، وضد السلام والديمقراطية .**

ان الوضع السياسى ، داخل اسرائيل ، يؤكد أن الازمة التى تعانيها الامال المعلقة على ضم أراضى الغير واستمرار احتلال الاراضى العربية ، والتى تمثل التعبير العملى والنتيجة الطبيعية لفشل سياسة التعامل مع العرب من « مراكز القوة » ، والتطرف القومى ، والعداء الصريح فى العلاقات مع العرب ، هذه الازمة لم تنته باستقالة حكومة جولدا مائير . **فتغيير الجالسين على الكراسى الوزارية بدون أى تغيير حقيقى فى السياسة الخارجية والداخلية لا يمكن أن يضع حدا للازمة وانما هو يؤدى فى واقع الامر الى تعميقها ، مع كل ما يحيط بذلك من أخطار ــ بالنسبة للشعب الاسرائيلى ــ تتمثل بشكل خاص فى احتمالات تورطه تحت** تأثير القوى اليمينية ، فى حرب جديدة .

وليس سرا أن انشط العناصر ، سواء داخل الكنيست أو خارجه هم أولئك الاشخاص الذين تحاول السلطات الحاكمة الان فى اسرائيل أن تلقى عليهم باللائمة نتيجة للفشل فى الحرب الاخيرة ، على الرغم من ان الاوساط الحاكمة ، نفسها ، مسئولة عن تلك العناصر ، بل وبنفس الدرجة ، عن نهج السياسة الخارجية الذى انتهى بالشعب الاسرائيلى الى صدمة اكتوبر .

فالسياسة الخارجية التى تسير عليها حكومة رابين لا تختلف فى واقع الامر عن السياسة الخارجية لحكومة **جولدا مائير** ، فهى تقوم بنفس الاستفزازات العسكرية ضد جيرانها العرب ، وهى تحاول عرقلة التقدم نحو التسوية السلمية للنزاع فى الشرق الاوسط ، وتواصل اتخاذ الاجراءات لضم الاراضى العربية التى تحتلها مؤقتا . وليس من قبيل الصدفة أن يدلى زعماء الجناح اليمينى المتطرف بتصريحات يقولون فيها أن الوقت قد حان ، ليس فقط لرد اعتبار جميع الذين وجهت لجنة الكنيست اللوم لهم بسبب حرب أكتوبر ، وانما أيضا لوضع الثقة فيهم لتوجيه دفة سفينة الدولة ، لان « اتجاه السياسة الخارجية الذى تسير عليه السفينة تحت قيادة **رابين** لم تتغير ، وأولئك الذين حاربوا فى حرب أكتوبر لديهم الخبرة الكافية لمتابعة مثل هذه السياسة » . وقد قيل ذلك بكل صراحة فى حديث مع أحد المراسلين الغربيين على لسان الجنرال **شارون** ، **الذى تعتبر كتلة ليكود اليمينية المتطرفة تنظيما ليبراليا بالنسبة له .**

والجنرال شارون وانصاره لا يوجهون نقدهم الى الحكومة وحدها ، بل والى المعارضة البرلمانية اليمينية ، وهم ينطلقون فى نقدهم من مواقع أكثر يمينية ، ويتخذون فى نفس الوقت خطوات حقيقية لمحاولة الاستيلاء على السلطة . ومنذ وقت غير بعيد وردت تقارير من داخل اسرائيل تقول ان الملازم ايتان ، وهو أحد الضباط الذين سبق لهم العمل تحت قيادة **شارون** ، قد عهد اليه بأن يشكل ما يسمى « **بفرق الموت** » من متطوعى الوحدات المسلحة الاسرائيلية . ومن أجل خداع الرأى العام الاسرائيلى يتم تشكيل هذه الفرق تحت الزعم بأن المقصود هو تشكيل فرق حراسة خاصة **لايريل وشارون وانصاره . ومن الملاحظ أن هذه الفرق تتبع فى تسليحها وأساليبها القتالية نفس الاساليب المعروفة للحرس الهتلرى الذى استخدمه النازيون للاستيلاء على السلطة** . ومما يدعو الى الدهشة ، ان ما يسمى بوحدات المتطوعين يتم تسليحها وامدادها بالعتاد من ترسانات الجيش الاسرائيلى . وبالموافقة الكاملة من جانب الحكومة . فى حين لا يستبعد أن تستخدم هذه الفرق فى أغراض معادية للحكومة . ويفسر البعض « قصر النظر » هذا من جانب الحكومة — وهو تفسير له ما يبرره — بأنه تعبير عن عزم السلطات ، عند الضرورة ، على استخدام هذه « القوات العاصفة » ، التابعة للجنرال **شارون** ضد النشاط الديمقراطى للجماهير الشعبية .

وقد أدى تغيير اعضاء الحكومة دون تغيير سياسة اسرائيل ، الى زيادة الموقف الداخلى فى البلاد حدة ، والى اتاحة أوسع الفرص لتشجيع نشاط القوى اليمينية التى تصر على مواصلة الحرب وعلى ضم الاراضى العربية المحتلة . ولا شك أن هذه الحريات المطلقة التى تتمتع بها القوى اليمينية المتطرفة فى البلاد ، والتى تعمل علنا على تشكيل وحداتها العسكرية ، لا شك ان هذا الوضع يحمل فى طياته افدح الاخطار بالنسبة للسلام فى المنطقة . **ولا يمكن لاستمرار السياسة الخارجية والداخلية التى تسير عليها حكومة رابين الا أن تؤدى الى حرب جديدة فى المجال الدولى** والى تولى القوى اليمينية المتطرفة السلطة بالاشتراك مع كتله الليكود ، والى المزيد من الكبت للحريات الديمقراطية والاعتداء على مصالح الجماهير العريضة من السكان . ولهذه الاسباب تنادى القوى الديموقراطية داخل اسرائيل ، أكثر من أى وقت مضى ، مطالبة بتغيير السياسة ، وسد الطريق أمام القوى اليمينية المتطرفة وأمام كتلة ليكود . كما تنادى بالوحدة حول مطلب انتهاج سياسة للسلام ، والديمقراطية ، والتقدم الاجتماعى .

ولقد كان من الممكن تفادى الاوضاع الصعبة التى تتردى اليها اسرائيل لو استفادت الدوائر الحاكمة من دروس أكتوبر وانتهجت سياسة تسعى نحو تطبيق قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ، وتعمل على التوصل الى سلام عادل يعترف بالحقوق والمصالح المشروعة لجميع شعوب ودول المنطقة . لكن يبدو أن هذا لم يتم ، لان اسرائيل لا تزال تحكمها مؤسسة عسكرية صهيونية وعنصرية وذات ميول توسعية .

لقد كتبت جريدة زوجادرنج تقول : « ان القضية المهمة والملحة التى ستصطدم بها ايه حكومة اسرائيلية هى احلال سلام عادل ووطيد يضمن الحقوق المشروعة لكل دول وشعوب المنطقة بما فى ذلك اسرائيل والشعب العربى الفلسطينى . ومن الممكن تحقيق هذا السلام بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة . وطالما ان حكومة رابين لم تغير سياستها ولم تسع باخلاص الى تحقيق مثل هذه التسوية ، فلن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط ولن تكون هناك حكومة مستقرة فى اسرائيل . **أن السلام لا يمكن تحقيقه بواسطة التوقيع ، بل لابد من تغيير جذرى فى اتجاه السياسة** » .

مؤشـــــــرات الاقتصـــــاد الاسرائيلى بعــد حــرب أكتــوبر

احمد صادق سعد

لعل بعضنا مازال يتذكر ان وزير الخارجية الامريكية **دلاس** قام عام ١٩٥٣ بجولة فى الشرق الاوسط زار خلالها مصر ، ثم ذهب الى اسرائيل وعند عودته الى بلاده أدلى بتصريح ابرز فيه أن الولايات المتحدة قررت اتباع سياسة جديدة [كذا] تتضمن معاملة الدول العربية واسرائيل دون انحياز . وكان التعبير العملى لهذا الارتباط الرسمى أن رفضت واشنطن مد مصر بالاسلحة ورفضت تمويل عملية السد العالى ، فى حين أنها اغدقت بالاموال والمساعدات على تل ابيب ، الامر الذى جعل بعض مفكرينا يدهشون . فكتب الدكتور **فتح الله الخطيب** يقول :

« الواقع ان اسرائيل لم تقدم أية خدمة مباشرة للولايات المتحدة ، ومع ذلك فالمعونة الامريكية لهذا البلد كانت أكبر مما قدمت لاى بلد آخر فى العالم اذا قيست على أساس ما تلقاه الفرد الواحد فى السنة . ان اسرائيل تلتمس المساعدة السياسية والعسكرية من الولايات المتحدة ولكنها لم تقدم أبدا أى شىء بالمقابل . غير ان السياسة الخارجية الاسرائيلية لم تكن بأى شكل خاضعة للاهداف والمصالح الامريكية » [١] .

واذا كانت امريكا اتخذت موقفا حذرا قبل العدوان الثلاثى وبعده مباشرة خوفا من ارتماء تل ابيب فى احضان بريطانيا وفرنسا وقتذاك ، فقد تمكنت من الانفراد بالسيطرة على اسرائيل فيما بعد . واظهرت تضامنها معها - لا اثناء حرب الايام الست فقط ، بل خلال حرب اكتوبر [نزول طائرات الامداد الامريكى بالعريش مباشرة - تهديد كيسنجر بالتدخل المباشر لحماية الجيب الاسرائيلى فى الدفرسوار]

ومع ذلك فمازال بعض القيادات الفكرية ترى عدم تطابق المصالح الاستعمارية الامريكية مع أهداف السياسة الاسرائيلية التوسعيه . واليكم مثلا ما كتبه الدكتور **رفعت المحجوب** اخيرا [٢]:

« ان حرب اكتوبر قد حطمت غرور اسرائيل .. وسقطت نظرية الحارس الاسرائيلى للمصالح الامريكية فى العالم العربى . وهو ما يؤكد ان مصالح الولايات المتحدة ليست مع اسرائيل بل مع العرب » .

وهدف هذه النظرة المقتضبة ان نتثبت من صحة هذه الفكرة القوية الجذور والتى يتشبث بها بعض الاقتصاديين المصريين .

التأييد الاقتصـــادى الامريكى لاسرائيل

ولا حاجة بنا الى العودة الى تاريخ اسرائيل منذ تأسيسها بل يكفى أن نلقى نظرة سريعة الى الفترة الاخيرة التى تتلقى فيها الدولة الصهيونية

[١] M. Fathalla El-Khatib : «American Economic Aid to the Middle East». — L'Egypte Contemporaine — No. 319 — January 1965 — p. 120.

[٢] فى مقال « حـــــرب ١٩٧٣ والاقتصاد الاسرائيلى : عودة الى الحجم الطبيعى » - الاهرام ١٥/١١/١٩٧٣ .

كل شيء من أمريكا ، من رغيف الخبـز الى الفانتوم .

● ففى الفترة السابقة على حرب اكتوبر توثق الارتباط الامريكى الاسرائيلـى فـى الميـدان الاقتصادى أكثر من ذى قبل . ونرى استثمارات الشركات الامريكية وحدها فى مشاريع اسرائيلية تبلغ ١٠٦ ملايين دولار عام ١٩٦٩ مثلا . وترتفع الواردات الاسرائيلية من الولايات المتحدة مما قيمته ٢٠٨ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ١٨٠٨ ملايين عام ١٩٧١ [اى الى ٢٣٫٨ فى المائة من مجموع الواردات الاسرائيلية] وكذلك تـزداد الصادرات الاسرائيلية من ٥٤٫٧ مليون دولار الى ١٨٥٫٦ مليون فى نفس الفترة ، فتزداد اهمية السوق الامريكى للصادرات الاسرائيلية من ١٤٫٧ فى المائة الى ١٩٫٤ فى المائة . وكانت النسبة الاعظم من هذه الصادرات من المنتجات الصناعية فى حين أن النسبة الاكبر من الواردات الاسرائيلية من أمريكا كانت سلعا رأسمالية ومواد خـام . وهذا يعنى أن العلاقة التجارية القوية بين أمريكا واسرائيل ، تشجع الصناعة فى اسرائيل وتنميها الامر الذى يجعلها تختلف عن علاقات الولايات المتحدة مع بلاد العالم الثالث والتى تستهدف اعاقة تقدمها .

وفى مؤتمر أصحاب البلايين الذى عقد فى اسرائيل فى أواخر مايو ١٩٧٣ قرر الحاضرون العمل على مضاعفة الصادرات الاسرائيلية فى خمس سنوات . وكان من بينهم هنرى فـورد الصغير ، صانع السيارات الامريكى الشهير الذى يعمل على أن يقيم فى اسرائيل مصنعا ينتج اجزاء من السيارات لتصديرها الى اوروبا [٣] .

● **وأخـذ الـدعم المالى الامريـكى للميـزانية الاسرائيلية يزداد بعد حرب اكتوبر** ليتمكن الحكام الاسرائيليون من الاستمرار فى تهديد العـرب ومواصلة الهجمات على لبنان ، والاستعداد لحرب خامسة يبادرون هم فيها بالضربة الاولى على امل أن تكون قاضية . فأصبحت المصادر الخارجية تمثل ٦٥ فى المائة من مجموع الميزانية الحالية [٧٤ – ٧٥] وفى الاسبوعين اللذين تليا التاسع من اكتوبر حصد النداء اليهودى الموحد فى أمريكا ٢٥٠ مليون دولار ، واستمر فى جمع التبرعات مستهدفا ٧٥٠ مليونا اخرى فى ١٩٧٤ .

وفى ابريل ١٩٧٤ طلب **نيكسون** من الكونجرس الموافقة على برنامج المساعدات الخارجية لسنة ١٩٧٤ البالغ ٥٠٠ مليون دولار تحصل اسرائيل بمقتضاه على ٣٥٠ مليونا اى ٧٠ فى المائة من المجموع . اما المبالغ التى وعد بهـا القاهرة ، فمازالت على هيئة تصورات اعتبرها وزيـر خارجيتنا « رمزية » أثناء زيـارته الاخيـرة لواشنطن .

وبلغت المساعـدات الامريكية لاسرائيـل ٣٫٥ مليار دولار فى الفترة ١٩٤٨ – ١٩٦٨ ، منها ١٫١ مليار من الحكومة الامريكيةنفسهااى بمتوسط ٥٥ مليونا فى السنة . وفى ١٩٧٠ – ٧١ وحـدها خصصت واشنطن مليارا واحدا قروضا حربية تقدم لاسرائيل ، أما بعدالحربمباشرة فقد حصلت اسرائيل على ٢٫٢ مليار من الولايات المتحدة ، وتعمل جاهدة على الحصول على ١٫٥ مليار فى السنةعلىالاقل للسنوات الخمسة القادمة[٤] ، ولا شك أن هذا الموقف يتفق تماما مع ما ذكره نيكسون فى خطابه امام زعماء الجالية اليهودية الامريكية [يولية ١٩٧٤] كاول شرط للسـلام فى الشرق الاوسط ، وهو الابقاء على اسرائيل كدولة قوية .

● وفى نطاق العلاقات الرأسمالية الخاصة بين أمريكا واسرائيل بعد الحرب ، علينا أن نسجل تأسيس بنك مشترك أمريكى اسرائيلى برأسمال ٧٦ مليون دولار للاستثمار الصناعى ، والمسـاهم الرئيسى فيه هو بنك فيرست ناشيونال بنسلفانيا . وعلينا أن نسجل أيضا أن بنك لازار اخوان [الفرع الامريكى] يشرف على شركة لوكهيد اير كرافت ، وهى من المتعاملين الهامين مع البنتاجون .وتنتج لوكهيد عددا من الطائرات الحربية منها القاذفات المطاردة ف – ١٠٤ وطائرة النقـل س – ١٣٠ وس – ١٤١ ، وطائرة التجسس الشهيرة يو ٢ . وهذه الانواع موجودة فى الترسانة الاسرائيلية الجوية . ويلاحظ أن بنك لازار ، هذا ، اشترك مع المجموعات الصهيونية المالية الاحتكارية الاخرى [مثل ليهمان وساكس ومورجان وروكفلر] فى تأسيس شركات مختلفة فى اسرائيل منها شركة فلسطين الاقتصادية . كما اشـتركت هـذه المجموعات فى عمليات اقتناء الاراضى والمبانى

[٣] Le Monde — 30/5/1973.

[٤] يونايتد بريس – ١٩٧٤/٧/٢

الاسرائيلية . ونجد أن المساهم الرئيسى فى بنك لازار ـ اندريه مائير ـ يمول التجارة الخارجية الاسرائيلية .

أما بنك « تشيز منهاتن » التابع لمجموعة روكفلر ، فقد أنشأ شركة ماكدونالد اير كرافت التى تنتج القاذفات المطاردة من طراز فانتوم المزودة بها اسرائيل . ولهذه المجموعة شركة صناعية لانتاج الاطارات فى اسرائيل ، كما تشرف على العديد من شركات البترول ذات النشاط فى الشرق الاوسط ، وعلى شركة النيكل الدولية ذات المصالح الكبيرة فى اسرائيل . وأحد افراد هذه المجموعة [نيلسون الدريش روكفلر] يقود جمعية النداء اليهودى منذ ١٩٤٦ [٥].

● واخيرا ، فهناك نشاط نعتبره دعما غير مباشر لاسرائيل ، لانه موجه ضد البترول العربى . ونقصد بدء العمل فى مد خط انابيب النفط فى ولاية « آلاسكا » ، وهو الخط الذى اعتمد له الكونجرس ٤ مليارات من الدولارات فى عهد نيكسون . وقد ساهم فى الشركة المشرفة على المشروع كبار المهتمين بالبترول ، ومنهم شركة ستاندارد اويل المرتبطة بمجموعة روكفلر السابقة الذكر . والمقدر أن يورد هذا الخط مليونين من براميل الخام للولايات المتحدة أى أكثر مما تستورده اليوم من الخارج .

ويبين هذا كله الارتباط الوثيق بين المصالح الامريكية والاسرائيلية فى الفترة الاخيرة ، اى قبل حرب ١٩٧٣ وبعدها .

متاعب اقتصادية .. ولكن لمن ؟

كلفت حرب اكتوبر اسرائيل ٣٠ مليار دولار . وبلغت نفقات الدفاع فى الربع الاخير من ١٩٧٣ نسبة ٧٤ فى المائة من اجمالى الناتج القومى مقابل ١٨ فى المائة منه فى نفس الفترة من العام السابق .

وقد دبرت الطبقة الحاكمة فى القدس المبالغ الهائلة اللازمة لمواجهة مصر وسوريا والاعداد للحرب الخامسة ، بوسائل شتى ، يتلخص أغلبها فى تحميل المواطن الاسرائيلى احمالا جديدة . ففى حين أن ٣٧ فى المائة من مرتبه كان يذهب الى الحكومة فى شكل الضرائب المختلفة عام ١٩٧٢ [٦] زادت هذه النسبة فى عام ١٩٧٤ ، اذ أعلن « موشى نويدورفير » ، مدير الايرادات فى وزارة المالية انها ستبلغ ٨٧٫٢٥ فى المائة [٧] .

ومن جهة اخرى ، زاد العجز فى الميزان التجارى عام ١٩٧٣ الى ٢٥٠٠ مليون دولار . وأجرت الحكومة الاسرائيلية تخفيضا لعملتها الى ٤٫٢ ليرة لكل دولار فى يوليه ١٩٧٤ .

واجتاحت اسرائيل موجة من التضخم وارتفاع الاسعار : فالكهرباء زادت ٥٠ فى المائة ، واللبن ٦٦ فى المائة والخبز ٦٠ فى المائة والبيض ٨٠ فى المائة والسكر ٦٦ فى المائة بعد أن ألغت الحكومة الاعانات التى كانت تنفقها لتثبيت أسعار المواد الغذائية ، وحولت تلك المبالغ لانفاقها على التسلح . وارتفعت تكاليف المعيشة فى الشهور الستة الاولى لعام ١٩٧٤ بنسبة ٢٦٫٤ فى المائة . وقامت الاضرابات غير الرسمية ـ دون الرجوع الى الهستدروت ـ والمظاهرات احتجاجا على ارتفاع الاسعار [٨] . واشتدت الحركة الى الدرجة أن اضطرت اللجنة التنفيذية للهستدروت أن تقرر بالاجماع المطالبة برفع الاجور بنسبة ٢٠ فى المائة لتغطية الغلاء الجديد [٩] .

هذا ، فى حين أن الحكومة تعد التشريعات اللازمة لايجاد « عدم ثبات » العمال فى أعمالهم ، مما يترتب عليه فقدان حقوقهم وتدهور ظروف العمل . وكذلك تفكر الوزارة فى اطالة يوم العمل الى ٩ ساعات يوميا مع جعل الساعة التاسعة ضريبة لتغطية أجور العمال المجندين فى الجيش [١٠] .

---

[٥] انظر للكاتب : «شبكة صهيونية دولية لاصحاب الملايين الامريكيين » ـ الطليعة ـ السنة الثامنة ـ العدد التاسع ـ سبتمبر ١٩٧٢ ـ ص ٤٣ ـ ٤٧ .

[٦] الاهرام ـ ١٩٧٢/٩/٢٧ .

[٧] وكالة الانباء الفرنسية ـ ١٥/ ١٩٧٤/٧ .

[٨] الاهرام ـ ١٩٧٤/٢/١ و ١٩٧٤/٢/٢٨ .

[٩] وكالة انباء نيويورك تايمز ـ ١٩٧٤/٧/٧ .

[١٠] D. Khenin : «Israel after the October war». — World Marxist Review, Vol. 17, No. 2 — February 1974, p. 32.

وكان سكرتير الهستدروت ــ اسحق بن اهارون ــ قد اتهم حكومة جولدا مائير عام ١٩٧٢ « بأنها تصنع أصحاب الملايين . وتمكن الاغنياء من الازدياد غنى . فى حين انها تبقى الفقراء على فقرهم » .

أما بعد حرب أكتوبر ، فيبدو أن حركة الرفض وعدم الثقة فى الحكام قد اتسعت بصورة كبيرة . وعلينا أن ننظر من هذه الزاوية الى اتجاه الحكام الاسرائيليين نحو تقديم حيفا كقاعدة حربية للجيش الامريكى تعويضا عن فقدان اليونان . فليس هذا دليلا على وثوق الارتباط بين السلطة الاسرائيلية والاستعمار الامريكى فحسب ، بل على أن تلك السلطة اصبحت ــ أيضا ــ تحتاج الى تواجد جيش أجنبى على أرضها لحمايتها من المقاومة العربية ومن تزعزع مركزها بين افراد الطبقات الكادحة الاسرائيلية .

قدرة أسرائيل على تخطى الازمة

ولكن الصعاب الاقتصادية ، وحدها ، لن تنسف الدولة الصهيونية ، رغم ما يعتقده البعض . وذلك بسبب السيطرة الفكرية للطبقة الحاكمة من جهة ، وبسبب المساندة الاقتصادية والسياسية والعسكرية الامريكية من جهة أخرى .

فأثناء قتال أكتوبر ١٩٧٣ ، تمكنت المنشآت الصناعية الاسرائيلية الرئيسية من استمرار العمل بفضل نقل ١٧ ألف عامل من أعمالهم العادية اليها ، وبتلبية طلاب المدارس الثانوية لنداء الحكومة بالعمل فى تلك المنشآت مع توقف الدراسة . ورغم ذلك فقد هبط مستوى العمالة الصناعية اثناء حرب أكتوبر الى ٤٨ فى المائة من المتوسط ، ولكنه استعاد ٧٠ فى المائة منه فى أواخر نوفمبر [١١] .

وكذلك اقتربت الهجرة اليهودية الى اسرائيل من المتوسط العام المعتاد [بين ٤٠ و ٥٠ الف] ويتوقع أن تصل الى ٥٠٫٠٠٠ فى ١٩٧٤ .

ورسمت الحكومة الاسرائيلية خطة للتنمية الصناعية خلال الفترة المنتهية فى ١٩٨١ تتضمن التركيز على أهداف التصدير والانتاج الحربى والتكنولوجيا المتقدمة ، وبحيث تصل الصادرات الصناعية الى ٢٫٥ مليار دولار فى ١٩٨١ [١٢]

واتفقت هذه النظرة المتفائلة للدوائر الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل مع عودة النغمات الهجومية فى التصريحات السياسية المختلفة . فنسمع بيرز وزير الدفاع يتكلم عن اقامة مستعمرات مشاعية جديدة على باقى المرتفعات السورية المحتلة [٦ يونيو ١٩٧٤] . ويصرح حاييم باراليف ــ وزير التجارة ــ فى ٨ ــ ٧ ــ ١٩٧٤ بأنه مهما كان المستقبل السياسى للضفة الغربية لنهر الاردن ، فانها أصبحت تشكل مع اسرائيل وحدة اقتصادية واحدة .

لن يأتى تراجع اسرائيل أمام الحق العربى ــ ومنه الفلسطينى ــ بالاعتماد الواهم على صداقة الاستعمار الجديد للعرب ، ولا على الانهيار التلقائى للنظام العدوانى الصهيونى . بل ستحرز الحركة الوطنية العربية مزيدا من الانتصارات وستحقق اهدافها بالمجابهة الواضحة لاعدائها ، وبالاعتماد على جماهيرها الكادحة وعلى حليفها المخلص المعسكر الاشتراكى .

[١١] رويتر ــ ١٩٧٣/١٢/٣ .
[١٢] نشرة م.د.ف. ــ ١٩٧٣/٩/١ .

المعادلة الاستراتيجية

في النزاع العربي الاسرائيلي

بعد حرب أكتوبر

محمد سيد أحمد

ليس هناك ما يدعو الى خبرة عسكرية خاصة ، ولا الى معرفة متعمقة بالاستراتيجية العسكرية ، لادراك حقائق هامة ترتبت على حرب أكتوبر في الشرق الاوسط ، تمس الاستراتيجية العسكرية ، كعنصر بارز من عناصر النزاع في المنطقة ، بل على نطاق عالمنا المعاصر بأسره .

سوف نخصص هذا المقال لحقائق ذات علاقة بالمعادلة الاستراتيجية بين الاطراف المتنازعة ، تكمن أهميتها لا في مجرد أنها حدثت ، ولكن في أمر نراه أكثر أهمية : هو أنه لمجرد انها حدثت مرة واحدة ، فانها قد أكسبت النزاع خواص جديدة تحول دون العودة به ، مرة أخرى ، الى ما كان عليه قبل حرب أكتوبر . أى تكمن أهميتها في أنها قد أطلقت ظواهر جديدة مرتبطة بالنزاع لا تقبل الردة ، ولم يعد من الممكن الا أن توضع موضع التقدير في كل حسابات تتعلق بالنزاع مستقبلا .

أولى هذه الحقائق : تتصل بالعنصر البشرى .. بالانسان العربى وانجازاته في حرب أكتوبر .. هذه الحقيقة قيل عنها الكثير ، في ارتباطه عما قيل عن تحطيم أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، وعن اثبات فساد النظرية الاسرائيلية القائمة على حماية أمن اسرائيل عن طريق التفوق العسكرى المطلق الذى يتحدى قدرة العرب على تحديه . الخ .. ولكن جدير بنا أن نذهب بالاستنتاجات في هذا الصدد الى نهايتها المنطقية .

ان ركنا أساسيا من أركان نظام الدفاع الاسرائيلى هو أن اسرائيل لا تملك في كل حرب تنشب بينها وبين العرب ، الا أن تنتصر فيها نصرا ساحقا . نصرا يلزم العرب ـ قبل الاسرائيليين أنفسهم ـ بالتسليم بأن مسار الحرب قد انتهى الى نتيجة حاسمة لصالح اسرائيل ، ولا تحتمل حقائق الحرب أى شك في ذلك .

هكذا ينبغى أن تكون اسرائيل دائما متفوقة على القوة العسكرية المجتمعة للدول العربية . هذا التفوق لا يعتمد فقط أو أساسا على « كم » السلاح ، أو حتى على « كيف » السلاح بقدر ما يعتمد على تفوق قدرات « المقاتل » الاسرائيلى ، من حيث الروح القتالية ،ومن حيث «علم القتال» على حد سواء . ليست المسالة مقصورة اذن على فن القتال وحده ، بل على مكونات المجتمع الاسرائيلى ، وقدرته على توفير دعائم تكسب فن القتال الاسرائيلى ، واستراتيجية القتال الاسرائيلية ، هذا التفوق المطلق .

وتنبع هذه الضرورة في نظر اسرائيل من خاصية محددة للنزاع العربى الاسرائيلى ، يعلمها الاسرائيليون جيدا ، وتتلخص في أنهم لا يملكون السيطرة على « الكم » العربى بشقى صوره : « الكم » المتمثل أولا في « عدد » سكان العالم العربى الذىيفوق المواردالبشريةالمتاح لاسرائيل تعبئتها خمسين مرة على الاقل . و « الكم » العربى المتمثل ـ كذلك ـ في اتساع رقعة الارض العربية ، مقابل رقعة لاسرائيل ضيقة ومحدودة للغاية لو قورنت بها . و « الكم » العربى الكامن أخيرا في ثروات العالم العربى ، القائمة أو الكامنة ، بفضل الخيرات التى تستنبتها الارض العربية ،أو تلكالتى يبطنها جوفها .

لذلك ليس لإسرائيل من خيار أو بديل سوى أن تعتمد على « كيف » متفوق . و «الكيف» الذى لا يمكن « اصطناعه » أو « استيراده » هو قبل أى شىء آخر تفوق نوعية البشر ، كمقاتلين ـ أو كمؤمنين للاسباب التى من أجلها يقاتلون .

و « الاسباب » التى يقاتل من أجلها الاسرائيلى ، ينبغى أن يتوافر فيها التفوق « الكيفى » ، تغذيها ، أو تنفخها ، الدعايات الصهيونية بحفز شعور الاسرائيليين حول أمرين على طرفى النقيض معا . الشعور بعقدة نقص ، أو الخوف من الابادة ـ ابادة العالم العربى المحيط ـ اعتمادا على عقدة نمت ورسخت في الوجدان

اليهودى نتيجة اضطهاد الاقليات اليهودية فى مجتمعات شتى عبر قرون طويلة ، وبلغت الظاهرة الذروة فى عهد النازى . وفى نفس الوقت ، الشعور بعقدة مقابلة ، الشعور بالتفوق المستمد من دعاوى الصهيونية عن حق « شعب الله المختار » فى البقاء « بأرض » الميعاد ، بعد عودته اليها .

بتحريك عنصر الخوف والشعور بالتفوق معا ، استطاع الاسرائيلى فى كل مواجهة عسكرية مع العرب - سبقت حرب أكتوبر - أن يصور نفسه فى وجه عدوه وكأنما هو « داوود » فى وجه « جوليات » ، حسب ما جاء فى أساطير التوراة .

ورغم اعتماد الاسرائيلى على « الاساطير » كأساس « للايمان » ، كان اعتماده بوجه مطلق على « العلم المعاصر » ، وعلى فكر متجرد تماما من كل خزعبلات « الاسطورية » ، كأساس لتجسيم هذه الاساطير ، وفرضها على معطيات الحياة .

استطاع فى الحروب السابقة لحرب أكتوبر أن يحول المواجهة العسكرية بينه وبين المقاتل المصرى (والقصد من هذه الصورة هو أن نرمز لمعنى هام) الى مواجهة بدت وكأنما تباشرها أجهزة الكترونية تحظى بقدرة فائقة على الفتك ، تطارد من علو شاهق (فى صورة طائرات تفوق سرعة الصوت) رجالا جردوا من كل قدرة على المقاومة والصمود ، معرضين للفتك والظمأ فى عرض الصحراء تحت أشعة الشمس الحارقة . **بعبارة أخرى ، بدت المواجهة وكأنما هى تجرى بين قوة غير مرئية ومجهولة مصادر قوتها** (حرب الكترونية ، حرب جاسوسية ، حرب تكنولوجية الخ ... تعتمد الى أقصى حد ممكن على **أسرار أحدث العلوم المعاصرة** ، وتبدو وكأنما تستمد قوتها من عناصر **أسطورية** لا تقبل اللمس أو الادراك الحسى) **وبين بشر ، جردوا من القدرة على الدفاع** . كانت هذه الحروب **اختبارا** للمقولة الصهيونية القائلة بأن عودة « شعب الله المختار » الى « أرض الميعاد » ما هى الا **عودة « شعب بلا أرض » الى « أرض بلا شعب »** ، أى الى أرض **جرداء** لا يملكها أحد . والدليل أن أحدا لا يملكها ليس أنه لا يوجد من هو قاطن فيها ، ولكن يكمن فى أنه ان وجد من هو قاطن فيها ، فكأنما هو غير موجود ، بدليل عجزه عن حمايتها والدفاع عنها ، وممارسة مقاومته للاستيطان الصهيونى . **وهذا فى نهاية الامر هو أساس كل فلسفة الاغتصاب الصهيونى والتوسع الاسرائيلى .**

حرب أكتوبر وضعت نهاية للمواجهة بين اسرائيل والعرب وكأنما هى « داوود » فى وجه « جوليات » ، « كيف » متفوق فى وجه «كم» يقبل « التطويع » ، « قوة خارقة » تكتسح قوى عاجزة عن اثبات صمودها ووجودها . وضعت حرب أكتوبر نهاية لمواجهة بين أطراف **لا قياس مشترك** بينها .. لم يعد **الدم العربى** يقبل الاهدار .. بل أثبتت حرب أكتوبر أنها حرب **رجال ضد رجال** ، رجال مسلحين ، ومزودين بأحدث انجازات الكترونية ، ولكنهم فى المواجهة **انداد** . وهذا **معنى بالغ الخطورة يفوق فى دلالاته كل ما يمكن قوله عن أن الحرب لم تحسم نهائيا لصالح طرف على حساب الاخر .**

ويكفى للتدليل على أهمية ذلك أن نشير الى التالى :

■ **فى المواجهة بين « الكيف الاسرائيلى »** ، و « **الكم العربى** » ، **فان « الكم العربى » قد أثبت قدرته على أن يكتسب أبعادا « كيفية »** . وأثبت أن « الكيف الاسرائيلى » **له حدود** لا يملك تجاوزها ، وأثبت أن اسرائيل لا تملك **تعويض** هذه « الطفرة الكيفية العربية » باستيراد عناصر قوة ذات صفة « كمية » تحفظ التوازن على الصورة السابقة .

■ « **الكم العربى » الذى اكتسب قيمة كيفية** لم يكن فقط « **الدم العربى** » باثبات قدرته على القتال ، بل كان أيضا « النفط العربى » ، وكانت « **الارادة العربية** » وقدرتها على أن تبرز كقوة لها ملامحها فى المعترك الدولى ، وكانت « **الثروة العربية** » وقدرتها على استيراد الاسلحة المتطورة » .. وهذه كلها عناصر جديدة ، وضعت حدا نهائيا للمشروع الصهيونى القائم على فكرة عودة « شعب بلا بلد » الى « بلد بلا شعب » . **ولذلك كانت حرب أكتوبر فى دلالتها الفلسفية نهاية أسطورة** . وهنا ربما يكمن أهم معنى ينبغى استخلاصه منها ، وهو معنى لا يقبل الردة ، حتى فى حالة تعرض العرب لهزيمة أخرى مماثلة لهزائم سابقة تعرضوا لها . ذلك أن اسرائيل لا تملك تحمل تجربة حرب **واحدة** لم تكن فيها المنتصرة بشكل حاسم . أنها لا تملك أن تنتصر **نسبيا** . **ذلك أن النصر النسبى ، هو أيضا هزيمة نسبية . والنسبية هى نقيض التفوق المطلق ، هى نقيض الوجود الاسطورى دون قياس مشترك مع العالم المحيط .**

هذه الحقيقة الاولى هى حقيقة فلسفية عامة تتسلسل عنها مجموعة حقائق ذات صفة عملية وواقعية ، وتنطوى على معان أبرزتها هذه الحقيقة الفلسفية العامة : معنى أنها تعبر عن حقائق جديدة بمجرد أن وجدت **لا تقبل الردة** بالحالة الى الوضع السابق .. معنى أن المواجهة اكتسبت ابعادا « تاريخية » يخضع المتنازعون فيها « لقياس مشترك » لمواقع فى علاقة كل طرف بالاخر ذات صفة « نسبية » ، واكتسبوا بالتالى « قوة

تفاوضية » بعد أن كانت هذه القدرة مقطوعة نهائيا (بتفوق أحد الاطراف بوجه مطلق) .. معنى أن إسرائيل التى لم توجد الا بفضل وجود « مقياس مشترك » بينها وبين قوى خارج المنطقة ، حاولت بغرسها فى المنطقة أن تسيطر عليها ، فقدت هذه الميزة المطلقة ، بقدر بروز قياس مشترك بينها وبين قوى داخل المنطقة ، لا تملك الا أن تتكيف لها ، كشرط للبقاء مستقبلا .

ولنترجم هـذه المقولات العامة ، المجردة ، الى مقولات محددة :

■ كانت اسرائيل هى التى اختارت لنفسها بعد حرب ١٩٦٧ ، قناة السويس كخط فاصل بينها وبين مصر واعتبرتها أفضل « حدود طبيعية » لها أمام مصر . هى التى اختارت الا تتوغل الى ما هو أبعد ، رغم انه كان فى مقدورها - وقتذاك - ان تواصل زحفها عبر القناة . وذلك لانها كانت تعلم أن الضفة الافريقية للقناة ، خلافا لضفتها الاسيوية ، نمت الى صميم أرض الفلاح المصرى، وهى أرض آهلة بالسكان ، وفكرة السيادة عليها فكرة ملموسة حسية . وهذه المنطقة من أرض مصر بالذات ، كانت مركز « تحديث مصر » منذ شق قناة السويس فى القرن الماضى . وكانت فى الوجدان المصرى منذ أيام عرابى - ومازالت - محورا من محاور الحركة الوطنية ، [اخراج الانجليز عام ٥٦ - تأميم القناة ومواجهة العدوان الثلاثى - الخ .

لذلك قررت اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ أن تستقر على الضفة الشرقية للقناة . واعتقدت - واعتقد معها خبراء الاستراتيجية فى العالم - ان العبر المائى لم يكن من الممكن عبوره ، اذ كان عبوره مخاطرة ، احتمالات الفشل فيها أكثر أضعاف المرات من احتمالات النجاح .

واستقرت المواجهة عسكريا على ضفتى القناة خلال سنوات النكسة وفق المعادلة التالية : تركيز قوى للقوات المسلحة المصرية على الضفة الافريقية للقناة . تركيز ضعيف لقوات اسرائيلية على الضفة الاسيوية ، تحتمى باستحكامات خط بارليف .

والملاحظ هنا أن عناصر المواجهة تنطوى على فكرة « الكم العربى » فى مواجهة مع « الكيف الاسرائيلى » : قوة اسرائيلية محددة تعوض قلة عددها قوة استحكامات بارليف . بل لـوضع المعادلة فى صيغة أكثر دقة ، نقول : قابل التركيز المصرى على الضفة الافريقية للقناة ، قوة ردع اسرائيلية على الضفة الاسيوية لحماية الاحتلال تستمد عناصرها - اولا - من اسطورة تفوق اسرائيل الذى لا يقهر - ثانيا - من تفوق اسرائيل - ماديا - فى الجو ، وفى القدرة على استخدام طائراتها - وثالثا - تحصينات خط بـارليف المنيعة . (عناصر « اسطورية » و « علمية تكنولوجية » ، تعتمد كلها على تفوق « الكيف» مع قصور واضح فى « الكم ») .

حرب أكتوبر انهت استقرار هذه المعادلة . ذلك أن نظام الدفاع الجوى المصرى القائم على صواريخ « سام » بمختلف نوعياتها قد شلت عنصر التفوق المتمثل فى الطيران الاسرائيلى . وبشل هذا العنصر « العلمى » و « الاستراتيجى » فى التفوق . أسقط - فى نفس الوقت - عنصر التفوق المستمد من الاسطورة (اسطورة قوة اسرائيل التى لا تقهر) . فأصبح العبور ممكنا ، وتحطيم خط بارليف ممكنا تحت اكتساح « الكم » و « الكيف » المصريين معا .

أقول « الكم » متمثلا فى التفوق العددى لقوات العبور ، أكده عنصر المفاجاة ، وعجز المخابرات الاسرائيلية رغم شهرتها بأنها من أقوى المخابرات فى العالم ، عن أن تستقرىء الوقائع ، وتحسين تفسير تحركات عدوها وحشد قواتها فى الوقت المناسب لمواجهة الاختلال فى التوازن لحظة بدء الاشتباك. ذلك أن انتصار اسرائيل الساحق فى حرب ٦٧ ، بقدر ما أكسبت العرب « معاناة » دفعت بهم الى أن يمتحنوا عناصر قوتهم امتحانا نقديا ، أفاد فى تنمية قدراتهم « الكيفية » أصابت الإسرائيليين بغرور ، افقدهم اليقظة اللازمة . وقبل حرب أكتوبر لم تكن تنقصهم المعلومات بما يجرى ، وانما كان الخطأ فى تفسير هذه المعلومات ، الامر الذى افقدهم القدرة على التنبؤ بما كان ينبغى الاستعداد

هـذا من حيث الـكم - أما من حيث الكيف : فكانت المعاناة العربية قد أكسبت بالفعل « الكم » العربى صفة « كيفية » . كان هناك رفض القوات المسلحة المصرية ان تسلم بأن التفوق الاسرائيلى أمر حتمى لا مناص الا من الاعتراف والاستسلام له . وكان هناك رفض لفكرة ان القوات المسلحة العربية لا تستطيع استيعاب التكنولوجيا العصرية ، أسوة بالقوات المسلحة فى غيرها من الشعوب ، بما فى ذلك شعوب دول لا تنتمى الى قطاع العالم المتطور ، واثبتت قدرة خارقة على مواجهة أكثر أسلحة العصر تطورا وقدرة على الفتك (فيتنام) .

لقد تمثل « الـكيف » التكنولوجى المصرى - مثلا - فى فكرة استخدام خراطيم مياه ضخمة لاحداث ثغرات فى الحائط الرملى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية للقناة ، وكانت هذه الثغرات ضرورة لاقتحام الوحدات الميكانيكية الثقيلة المصرية خط بارليف بعد عبورها القناة وفكرة خراطيم المياه لـم تكن تكنـولوجيا « مستوردة » بل جاءت تطويرا للتكنولوجيا المصرية فى بناء السد العالى .

وبذلك أدخلت حرب أكتوبر معادلة جديدة على ضفتى القناة : تركيز مصرى على الضفة الافريقية يقابله وضع على الضفة الاسيوية ، يطرح أمام اسرائيل ضرورة الخيار بين أمرين : اما مقابلة التركيز المصرى **بتركيز** مماثل ، بعد فقد اسرائيل اسباب تفوقها الاخرى [تفوق **الاسطورة ــ وتفوق الطيران ــ وخط بارليف]•**

ولكن هذا « التركيز » الاسرائيلى يتعارض مع معطيات المجتمع الاسرائيلى الخاصة بنقص « الكم » ، أما قدرة اسرائيل على أن تستبقى قوة ضخمة عددا فى حالة تعبئة دائمة ، دون أن يترتب على ذلك ضرور جسيم للاقتصاد القومى •

ومن هذا الاختيار الثانى ، وهو أن تنسحب اسرائيل ، مع البحث عن ضمانات ، تختلف نوعيا عن الضمانات التى تضمنها نظام أمنها السابق قبل حرب أكتوبر : ضمانات الامن القائمة على احتلال الارض وأسطورة التفوق •

وقد توحى « الثغرة » التى أقامتها اسرائيل على الضفة الغربية للقناة بأنه كان لاسرائيل بدائل أخرى غير « ضرورة الانسحاب » ولكن بقاء « الثغرة » كان يعنى تعريض اسرائيل **لاحتلال أرض اختارت بنفسها بعد حرب ٦٧ عدم المجازفة باحتلالها** • وبقاء « الثغرة » كان يعنى **تحميل اسرائيل عبء البقاء الى أجل غير مسمى فى حالة « حشد » و « تعبئة » لاتحتملها** ، ومن هنا كانت « الثغرة » **مظاهرة** تخدم « قدرتها التفاوضية » ولم يكن من الممكن الا أن تكتسب طابعا عابرا ومؤقتا ، أكثر مما كانت تعنى ــ على أى نحو ــ **امتدادا لخطط توسعها** كما تجمعت فى عمليات التوسع المتصلة التى مارستها فى المواجهات السابقة على حرب أكتوبر •

وبالفعل رضيت اسرائيل بعد الحرب بانسحاب من الارض ، لم يشمل فقط رقعة الارض التى احتلتها فى حرب أكتوبر ، بل أيضا جزءا من رقعة الارض التى احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ رقعة أفقدت القناة صفة « الحدود الطبيعية » العربية لامن اسرائيل حسب التعبير الذى تشدقت باستخدامه اسرائيل بعد عدوان ٦٧ •

■ قد يقال أن « فك الاشتباك » ووجود قوات دولية تفصل بين القوات المتحاربة على الجبهتين المصرية والسورية ، **صيغة تصلح بديلا دائما ، وليست مجرد بديل مؤقت ، للمعادلة السابقة ، صيغة تكتسب مع مرور الوقت صفة الاستقرار ،** تهدد جدوى **المباحثات السياسية حول الازمة المزمع اجراؤها فى مؤتمر جنيف • فان المؤتمر لم** ينعقد حتى الان ، رغم مرور عام كامل على الحرب •

هذا بطبيعة الحال احتمال وارد ، وان لم يكن واردا ، فمن واجبنا ان نحتاط له ، ولو بهدف استبعاده كاحتمال وارد • ومع ذلك ، ومن الوجهة العسكرية والاستراتيجية المحضة ودون التعرض اطلاقا للاعتبارات غير العسكرية ، السياسية وغير السياسية هناك **معطيات جديدة** كشفت عنها حرب أكتوبر تبرز كعوامل ذات أهمية **تنال من امكانية أن تكتسب هذه الصيغة الجديدة صفة الاستقرار •**

هناك فى المقام الاول تعاظم دور « **الصاروخ** » كسلاح فاصل فى الحروب الحديثة • أن تعاظم دور « الصاروخ » القادر على التوجه أوتوماتيكيا لملاحقة هدفه ، **لا يعنى انهاء** دور الطيارة أو دور الدبابة ، وانما يعنى احداث تغيير اساسى ينال من صميم **كل استراتيجية سابقة كان يمكن فيها أن يكون التفوق بالطائرات هو العنصر الفاصل •** « الصاروخ » يقبل ان يحمله جندى المشاة •• ومعنى ذلك **اكساب وحدات المشاة المزودة بأسلحة ميكانيكية قدرة الوقوف فى وجه الوحدات الميكانيكية ، سواء كانت فى صورة تشكيلات من الدبابات ، أو تشكيلات من الطائرات • هكذا يسترد « الكم » العربى ، معززا بعنصر « كيفى » هو الصاروخ المحمول ظهرا ، عنصر تفوق لم يكن موجودا من قبل •**

يضاف الى ذلك أن الصاروخ يكسب أية حرب مقبلة **قدرة تخطى كل حاجز يفصل بين القوات ،** سواء كان هذا الفاصل ، **عسكريا ــ سياسيا ــ دبلوماسيا** ، كقوات طوارىء دولية ، أو كان هذا الحاجز **جغرافيا** ، كأراضى تحتلها اسرائيل • ومن هنا لم تعد الحرب المقبلة تنطوى فقط على **خطر تهديد العمق العربى** ، بل تنطوى بنفس القدر على **تهديد العمق الاسرائيلى •**

ولا يجوز القول بأن مناخ الانفراج الدولى يلغى احتمال اقتناء الاطراف المتحاربة الاسلحة الضرورية لممارسة هذه الحرب « الصاروخية » الجديدة ، لاسباب متعددة ، تتصل أولا **بصعوبة أحكام التحكم فى تجارة السلاح ، خاصة بعد أن أصبح بيع السلاح للعرب وسيلة من وسائل استرداد دول الغرب المتطورة رؤوس الاموال الطائلة التى أصبحت مطالبة بدفعها لارتفاع أسعار النفط •**

بل ان الامر الاخطر هو أن اكتساب الحرب الصاروخية **ابعادا تهدد العمق الاسرائيلى** ، أمر من شأنه **زيادة خطر تحول المواجهة العربية الاسرائيلية الى مواجهة نووية • وهذا أيضا** احتمال وارد • واحتمال يبرر تنشيط الجهود الدولية للبحث عن **بديل سياسى** لاخطار أية حرب قادمة ، **ومع تنشيط هذه الجهود ، يضعف الاحتمال أن تكتسب الخطوط الفاصلة الراهنة** للقوات بعد فك الاشتباك صفة الاستقرار والدوام •

ماذا تغير في علاقات أمريكا واسرائيل ؟

فيليب جلاب

كان خط الدفاع الاخير لانصار الولايات المتحدة الامريكية هو ان الولايات المتحدة « لعبة » بين أيدى الصهيونية العالمية ، أو أن « اليهود » خدعوها وحولوا أنظارها عن مصالحها الحقيقية ، أو أن أخطبوط الصهيونية الذى يسيطر على المراكز الرئيسية فى المجتمع الامريكى يسلب الولايات المتحدة الامريكية قدرتها على اتخاذ القرارات التى تخدم المصالح الحقيقية للطبقة الحاكمة الامريكية ويجعل كل شيء « من اليهود وباليهود ولليهود » !

لكن هذا الوهم أو الايهام تبدد مع أوهام كثيرة تبددت بالضرورة فى السادس من اكتوبر ، وان كان أصحابه على استعداد للعودة اليه فى أول فرصة مواتية . . كما حدث وكما سيحدث .

أما الخلاف الجاد ، بشأن طبيعة العلاقة الامريكية الاسرائيلية ، فقد انصب دائما حول درجة تبعية اسرائيل للولايات المتحدة الامريكية . ومن ثم ، تبلور فى سؤال واحد : هل اسرائيل هى الشريك الاصغر للامبريالية الامريكية فى منطقتنا أو هى مجرد عميل مثل كل عملاء الولايات المتحدة على نطاق العالم ؟

لكن الرد القاطع على هذا السؤال لم يكن بالبساطة التى تحسم بها قضايا مماثلة . وذلك بسبب تردد مواقف اسرائيل العملية منذ انشائها بين موقفى « العميل » و « الشريك الاصغر » بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية .

وما أكثر المواقف التى تصرفت فيها اسرائيل كعميل نموذجى ، كما أنه من غير الممكن تجاهل مواقف أخرى تصرفت فيها اسرائيل كشريك أصغر للامبريالية الامريكية .

وليس هذا لغزا بقدر ماهو تعبير دقيق عن طبيعة وماضى ومستقبل الدولة الصهيونيةفى قلب الوطن العربى . وهو أن سلوك اسرائيل كان وسيظل وسطا بين سلوك العميل وسلوك الشريك الاصغر ، أو مزيجا من الشركة والعمالة فى نفس الوقت .

ان الاساطير والخرافات الصهيونية التىصاحبت انشاء الدولة الصهيونية لم تغير كثيرا من واقع الامر ، وهو أن اسرائيل تعتمد بشكل كامل فى اساسيات وتفاصيل وجودها على ما تقدمه لها الولايات المتحدة الامريكية من مساعدات اقتصادية وعسكرية . وليس من الطبيعى فى بلد بلا موارد كاسرائيل ان يكون مستوى المعيشة فيها من أعلى المستويات فى العالم ، الا اذا كان ما تدفعه الولايات المتحدة لكل فرد اسرائيلى يصل الى خمسمائة دولار سنويا ، أو يزيد وفقا لاحصائية معروفة !

ولذلك تعترف مثلا صحيفة « دافار » الاسرائيلية بأن « **أوساطا معينة فى البنتاجون أبدت خيبة أملها لعدم تناسب أداء الجيش الاسرائيلى فى حرب أكتوبر بالنسبة لما يجب أن يكون عليه العائد من توظيف كل هذه المساعدات الامريكية »** فى اسرائيل .

هذا هو أحد الجوانب الذى يؤكد ويحتم طابع العمالة الاسرائيلية للولايات المتحدة الامريكية .

لكن الولايات المتحدة ليست « فاعل خير » ، كما **أنه لا توجد علاقة ما بين** الرأسمالية العالمية وفعل الخير . وكل دولار تدفعه الولايات المتحدة يجب أن يكون له عائد ، ويجب أن يكون العائد كافيا ومشجعا لمواصلة عملية الاستثمار السياسى والاقتصادى والعسكرى .

ومن هنا تدرك اسرائيل تماما حاجة المستثمر السياسى الامريكى لها ، وترى أن من حقها ــ فى مقابل ذلك ــ أن تلعب دور الشريك الاصغر الذى يتمتع ببعض الاستقلالية أحيانا ، و « بهامش » من حريه التصرف كلما أمكن ذلك ، دون الخروج عن الاطار العام للمصالح الاستراتيجية للشريكين . الامريكية فى هذه المنطقة . **ومن هنا ولكى تؤدى اسرائيل هذا الدور يجب أن تكون « ذات قوة رادعة » كما يقول الاسرائيليون والامريكيون فى صوت واحد .**

أما المصالح الامريكية التى تتفق تماما مع الوجود الاسرائيلى كقوة عسكرية متفوقة فهى : ضمان السيطرةعلى موارد الطاقة العربية بطريقة أقرب الى النهب المنظم أو الاستنزاف . ووقف عملية التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الوطن العربى ، وعرقلة أى تحالف طبيعى بين حركة التحرر والتقدم العربى وبين الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتى . ذلك أن أى تقدم عربى اقتصادى واجتماعى وعسكرى يعنى انحسار الوجود الاسرائيلى الامريكى فى المنطقه وانفراد الشعوب العربية بوطنها دون منازع . ولذلك تلعب اسرائيل دور القاعدة الثابتة ونقطة الارتكاز الدائمة للولايات المتحدة فى المنطقة ، تم يلوح بها عند اللزوم كعصا راع لهش الاغنام الشاردة عن الحظيرة الامريكية ودفعهم للاحتماء بهسا ، أو كعصا غليظة لضرب أعداء الولايات المتحدة الامريكية .

وفى ذلك تقول صحيفةدافار الاسرائيلية دون مواربة : « **أن وجود اسرائيل قوية ومرنة هو جزء لا يتجزأ من النظام العام حسب التخطيط الامريكى »** . ثم ترد على بعض التخوف المثار بسبب ما قيل عن تقارب أمريكى عربى بأن : **اسرائيل لعبت دورا حاسما فى تحويل الكفة لصالح التوجه الامريكى نحو البلاد العربية ، ودفعت البعض الاخر للاتجاه نحو الامريكيين .. !**

وفى دراسة أكثر شمولا لمجلة اوت [المجلة النظرية لحزب العمل الاسرائيلى] يشرح الكاتب العلاقة « المنطقية» المعتدة بين اسرائيل والولايات المتحدة من جانب وبين الدول العربيه والولايات المتحدة من جانب آخر . فسيؤكد « للمتشككين » و « الخائفين » من بين الاسرائيليين بأن اتساع أو نمو العلاقات الامريكية العربية لا يهدد بأى شكل العلاقة العضوية المتينة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، « وذلك ليس بسبب العواطف والاستقامة ، وحتى ليس بسبب تأثير يهود الولايات المتحدة ، بل بسبب ان الولايات المتحدة سوف تكسر فى هذه الحالة الغصن الذى تجلس عليه » .

« فقوة الولايات المتحدة فى العالم العربى ــ كما يقول الكاتب الاسرائيلى ــ ستتوفر لها طالما كان العرب فى حاجة اليها ... ولو أن دولة اسرائيل زالت من الخارطة لما احتاج العرب الى الولايات المتحدة » . وهذا هو معنى استخدام الولايات المتحدة لاسرائيل كعصا ضد الرافضين للتبعية الامريكية ، والراغبين فى الاستقلال الحقيقى .

ومن هنا ، نصل الى تشخيص دقيق لوضع اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية أى الموقف الوسط بين العمالة والشريك الاصغر . وهو ما تعترف به الدراسة الاسرائيلية الرسمية دون أقل تردد ، اذ تقول ان « **تبعية اسرائيل للولايات المتحدة أصبحت حقيقة لا يستطيع تجاهلها الا العميان ، أو الذين يدعون العمى . والتبعية عسكرية واقتصادية أيضا . فنحن فى وضع لا نستطيع معه دفع ثمن المعدات العسكرية اللازمة بسعر السوق من دخلنا القومى . وبسبب تكاليف الحرب الضخمة أصبحنا فى وضع لا نستطيع معه مجرد المحافظة على مستوى المعيشة وعلى مستوى معقول من الاستثمارات دون مساعدة واسعة من الخارج أى من الولايات المتحدة ... لكن هذه التبعية تصبح متوازنة فى الواقع بسبب مصلحة الولايات المتحدة فى وجود اسرائيل كدولة قوية ... والولايات المتحدة مستعدة لان تنفق الكثير على ذلك .. »** .

ماالذى تغير فى علاقة

أمريكا بإسرائيل ؟

ماذا تغير اذن فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية بعد السادس من أكتوبر وبسببه ، وما أثر مثل هذا التغيير على العلاقات الامريكية العربية بالضرورة ؟

قبل الرد على مثل هذا السؤال الاساسى يجدر الاشارة الى ما أعلنه الرئيس **أنور السادات** أكثر من مرة ، فى تصريحاته بعد حرب أكتوبر ، فى هذا الشأن . **فالرئيس يدرك ، من ناحية ، بشكل دقيق طبيعة العلاقة الامريكية الاسرائيلية كشىء وسط بين العميل والشريك الاصغر ، اذ يؤكد أن فك الاشتباك مع الولايات المتحدة الامريكية هو الاساس الذى يؤدى الى فك الاشتباك مع القوات الاسرائيلية .**

ومن ناحية أخرى ، يؤكد الرئيس السادات أن ما حدث من تغير فى النظرة الامريكية لم يأت الا بسبب ما أنجزته حرب أكتوبر وما دفعه فيها العرب من دماء ثمينة لتحرير أراضيهم . والاهم من هذا كله ادراك القيادة السياسية بأن الولايات المتحدة رغم كل شىء لن تقف معنا ولن تتخلى عن اسرائيل ، ونحن لا نتوقع ذلك .

اذن : ما حجم وحقيقة التغيير فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية أو فى النظرة الامريكية لاهم مشاكل المنطقة ؟

من المؤكد أن العلاقة الاساسية بين الولايات المتحدة واسرائيل باقية كما هى . ذلك أن حرب أكتوبر بكل ما فجرته من نتائج خطيرة لصالح الشعوب العربية ، وضد أعدائها لم تلحق بالاسرائيليين هزيمة كاملة لاسباب معروفة . وبالتالى ، لم تحقق للعرب انتصارا كاملا . أو هى كما يقول **د . جمال حمدان** وكثير من المحللين المدققين الحقت باسرائيل نصف هزيمة وحققت للعرب نصف انتصار .

ومن هنا لا يتوقع أحد تغييرا أساسيا لدى الولايات المتحدة الأمريكية أو اسرائيل يتجاوز نتائج الحرب .. حتى لو كان المغزى العميق لحرب أكتوبر يعنى أن الشعوب العربية قادرة فى المستقبل أن تحقق انجازا أكبر . ذلك أن الولايات المتحدة واسرائيل ، وامثالهما من الغزاة والعنصريين ، لا يستخدمون المنطق ولا يتخلون عن مطامعهم بسهولة . وقد أثبتت التحركات الاسرائيلية الامريكية فى الشهور الماضية بشكل قاطع أن اسرائيل والولايات المتحدة تحاولان الدوران من حول نتائج حرب أكتوبر - أو بشكل أوضح - تطمحان الى اجهاض نتائج حرب أكتوبر .

فمن ناحية ، حصل اسحق رابين وشيمون بيريز على وعود بالسلاح من واشنطن تصل قيمته الى ٧٥٠٠ مليون دولار .

وكتب أحد كبار العسكريين ، فى صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية يقول :

« **ان المسئولين الاسرائيليين** لا يتكلمون بعد حرب اكتوبر بعجرفة بل يخططون للحرب كأنها ستقع صباح غد أو مساء اليوم » .

أما اعادة تنظيم الجيش الاسرائيلى وتكرار عمليات الحشد والتعبئة واطلاق سيل من حملات الدعاية عن « استفزازات » سورية أو مصرية أو فلسطينية ، فتؤكد فى النهاية نفس تكتيك واستراتيجية اسرائيل ، وتلقى بالتأكيد تشجيعا خفيا أو علنيا من حكومة واشنطن .

ومن ناحية أخرى ، يعيد ساسة وقادة الولايات المتحدة من وقت لاخر تأكيد ما يرضى اسرائيل عن أن دور الولايات المتحدة هو المساعدة فى الوصول الى تسوية ، أو ان « التسويات لا تفرض من الخارج » وفقا لاخر تصريح **للرئيس فورد** ، فى خطابه فى الجمعية العامة للامم المتحدة . **ذلك أن أحدا فى العالم لا يخطر على باله أن الولايات المتحدة عاجزة عن أن تلزم اسرائيل حدودها لو أرادت** ، سواء كانت اسرائيل عميلا أو شريكا أصغر ، أو حتى حليفا .

وكل ما يقال عن النفوذ الصهيونى داخل المجتمع الامريكى صحيح ، فى النهاية ، لكنه يعجز تماما عن توجيه المصالح الراسمالية الكبرى الامريكية الحاكمة عن اتخاذ ما تراه من قرارات قد تتعارض مع المصالح الصهيونية .

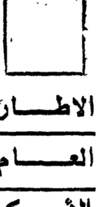
اما ما ينسج من أساطير حول الموقف الخاص للدكتور **هنرى كيسنجر** وحول قدراته غير المحدودة فهو اقرب الى « الحكايات المثيرة » منه الى تناول أمور السياسة بشكل جاد .

فليس هناك ولن يكون وزير الخارجية الذى ينفرد بموقف من صنعه . ولقد كان **كيسنجر** أحد المسئولين الاساسيين عن صنع القرارات الخاصة بمواصلة الحرب فى فيتنام وبتكثيف الغارات عليها ، وبمواصلة الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى والصين ، وبتشجيع اسرائيل على استمرار احتلالها للاراضى العربية . ثم كان **كيسنجر** أحد المسئولين الاساسيين عن صنع قرارات مخالفة عندما أرغمت الولايات المتحدة بسبب حقائق موضوعية على تغيير أسلوبها فى تناول هذه المشكلات .

وكيسنجر يتمتع فى هذا كله ، ببراعة شخصية لا ينكرها أحد لكنه فى النهاية مجرد أداة طيعة فى أيدى النظام الذى يمثله ويؤمن به . ان براعته لا تتجاوز فى أمور الدبلوماسية ما أنجزه لورد كينز البريطانى من اصلاح للرأسمالية فى اطار عدم التخلى عن مبدأ أساسى واحد للاستغلال الرأسمالى . ومن هنا يجب أن يكون فهمنا لحدود التغيير الامريكى بالنسبة لاسرائيل وبالنسبة لنا .

ولكن فهم الحدود الضئيلة للتغيير الامريكى لا يعنى تجاهلها أو رفض الحوار الدبلوماسى مع الولايات المتحدة « تابت وانابت » او المحاولات السانجة من أنصار الولايات المتحدة لاقناعنا بأن الولايات المتحدة « تابت وأنابت » أو المحاولات الانهزامية المسموقة من عناصر لا تخفى اتجاهاتها تزعم **بان الولايات المتحدة اتخذت ما اتخذت من مواقف معادية ضد شعوبنا فى الماضى بسبب اتجاهات السياسة المصرية « الاستفزازية » ضد الولايات المتحدة « مغامراتنا » الطائشة « خارج حدودنا »** ، **ذلك أن هؤلاء « الاجانب »** المحللين لم يقرأوا سطرا من تاريخ مصر ، وما قرأوه لم يفهموه لانهم لا يعرفون لغتنا .. فمنذ ستة آلاف عام ، وحتى يرث الله الارض وما عليها ، كان الدفاع عن مصر من خارج « حدودها » الشرقية ، لو صح ان بين مصر وفلسطين حدودا ، ولو صح أن شعوب الامة العربية مجرد « جيران » علينا ان نحفظ معهم حق الجوار دون أن « نورط أنفسنا » فى شئونهم ، ولو صح أن أحلام اسرائيل تقف عند حدود !! .

ان الحشد الذى سبق حرب السادس من أكتوبر ، والمعركة التى تفجرت فى السادس من اكتوبر هى أساس أى تغيير حدث . وكل تغيير نهائى وحاسم لصالح شعبنا وقضيتنا المصيرية فى المستقبل رهن بحشد أكبر وقدرة قتالية أرفع ، وتعبئة شعبية اقتصادية وسياسية أشمل ، ومعرفة أوثق بمعسكر الاصدقاء والاعداء وما بينهما . وليس هناك طريق آخر . وان اطلالة على ممارسة اسرائيل من تحركات فى الداخل وفى الخارج ، يكفى لاقناعنا بأن الحشد الذى نشير اليه قد بات ضرورة حياة ومصير .



الاطـــار العـــام للعلاقات الأمريكية الاسرائيلية

شـــحاته هـــارون

العلاقة بين امريكا وبين اسرائيل ؟ **تحكمهـا مصالح اجتماعية وطبقية فى البلدين . وهـذه المصالح تتحرك فى اطار اوسع من الصراعات الدولية : التناقضات بين معسكر الاشتراكية وبين معسكر الرأسمالية ، والتناقضات بين بلدان البلاد الرأسمالية نفسها ، والتناقضات بين بلدان الشرق الاوسط .. رئيسية كانت أو ثانوية .**

والمدخل الصحيح لفهم العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية ، هو تحديد **استراتيجية السيـاسة الخارجيـة الامريكيـة** . ويمكن تحـديدها فـى نقطتين :

تتعلق الاولى بهدف هذه السياسة الذى يمكن ايجازه فى : حماية احتكاراتها . فـالسياسة الخارجية ، امتداد لسياسة كل دولة فى الداخل ، وانعكاس لصراعاتها الطبقية وموازينها داخـل المجتمع . ولما كان المجتمع الامريكى يخضـع لسيطرة الاحتكارات الكبرى ـ مع اختـلاف مصالحها الاقتصادية المباشرة ـ فان هـدف **السياسة** الخارجية الامريكية يرمى بالتالى الى حماية هذه المصالح . وذلك يفسر لنا حقيقة أنه منذ الحرب العالمية الثانية ، **يختار وزير الخارجية الامريكى من بين السياسيين المرتبطين ـ بشكل أو بآخر ـ بالمصالح الاحتكارية الاكثر نفوذا على المستوى الاقتصادى** . وفى المقام الاول بمجموعة **روكفلر** الذى عين عميدها أخيرا نائبا لرئيس الولايات المتحدة . وهنا تتضح ايضا دلالة أن من بين من يرشحهم كيسنجر لتولى منصب قيادى فى وزارة الخارجية ، **دافيد روكفلر** رئيس مجلس ادارة بنك شيزمنهاتان .

فى هذا الصدد ، كتب جيمس ريستون المعلق السياسى لجريدة « نيويورك تايمز » (سـبتمبر ١٩٧٤) يقول ان **خمسة عشر** من بين **عشرين** من سفراء الولايات المتحدة فى اوروبا الغربية ، من رجال الاعمال عينهم نيكسون نظير ما قدموه له من خدمات .

وتتعلق الثانية بمصالح **الاحتكارات السائدة** . فمصالح مجموع الاحتكارات الامريكية ، ليست متوافقة فيما بينها . فبحكم انها مصالح مادية ، فهى متناقضة . وبالتالى فان سيطـرة بعض المصالح على الاخرى فى وقت ما ، قد يغير ـ فى هذا الوقت المحدد ـ من اتجاه السياسة الخارجية الامريكية .

ويمكن أن نميز فى الولايات المتحدة ، بين ثلاث مجموعات هامة ورئيسية من الاحتكارات فى الوقت الحاضر :

● مجموعة **احتكارات الصناعات الحربية** التى يعتمد انتاجها اساسا على تنفيذ ما تتعاقد عليه الحكومة من أسلحة سواء لنفسها أو لحساب توابعها من الدول (اسرائيل ـ فيتنام الجنوبية الخ) التى ترى مصلحة فى تزويدها بالسلاح .

● **مجموعة الاحتكارات صاحبة الإستثمارات الكبرى فى الخارج** ، او التى يتجه نشاطها نحو تصريف جزء كبير من انتاجها للخارج . وهى بالتالى فى حاجة الى ضمانات سياسية مناسبة لحماية مصـــالحها [عـوائد اسـتثمارات ، أو صادرات) لدى الدول الاجنبية .

● مجموعة **الاحتكارات التى تهتم أساسا بالبيع والاستثمار فى الداخل** (الولايات المتحدة

نفسها) وهى تميل أكثر ما تميل الى الاستقرار الاقتصادى الداخلى أكثر مما تهتم بمشكلات السياسة الخارجية .

ولقد سادت مصالح المجموعة الاولى خلال سنوات الحرب البارده وحرب فيتنام ، وحققت ارباحا خيالية بالمقارنة الى غيرها من الاحتكارات الامريكية . ومما ساعدها على ذلك ، المستوى العالى جدا لتركيزها وعلاقاتها الوثيقة جدا بوزارة الحربية الامريكية (البنتاجون) .

ومن ثم كان تاثيرها على السياسة الخارجية الامريكية اعظم بكثير من وزنها فى الاقتصاد .

وجدير بالملاحظة ان مصالح المجموعات الثلاثة متشابكة **ومع هذا ومنذ اوائل السبعينات بدأ نفوذ المجموعة الثانية يتعاظم .** وتوضح الاحصاءات الرسمية انه من بين الالف الاولى من الشركات الامريكية ، فان ٢٠٠ منها قد حققت حجما كليا من الاعمال يمثل ٥٠ فى المائة من نشاطها ، فى الاستثمارات الخارجية . والحجم الكلى لارباح الشركات الامريكية من انتاجها الحربى وتصدير رؤوس اموالها انما يمثل ٥٠ فى المائة من أرباحها فى السنوات الاولى من السبعينات **.وتشكل هذه الارباح الاساس المادى الرئيسى لتطبيق وممارسة السياسة الخارجية الامريكية . وقد بدى اخيرا أن بنيان هذه المصالح يتبدل فى غير مصلحة مجموعة احتكارات** الصناعات الحربية وهذا عامل عام فى تشكيل استراتيجية السياسة الخارجية الامريكية خلال السبعينات .

الصراع الاجتماعى العالمى . .
والسياسة الخارجية الامريكية

تتسم خريطة السياسة العالمية اليوم بالاتى :

■ تعاظم مضطرد لقوة المجموعة الاشتراكية (بقيادة الاتحاد السوفيتى) سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

■ انتصارات لحركات التحرر الوطنى (فيتنام ثم ٦ اكتوبر الخ)

■ انتصارات للحركة العمالية فى الدول الرأسمالية (كالتطويح بالانظمة العسكرية الفاشستية فى البرتغال واليونان والتصويت المتزايد لجانب الجبهات الشعبية) .

ولقد أدى تضافر كل هذه القوى الى ارغام العناصر الواعية (بمصالحها) لدى بعض الاحتكارات الامريكية (أساسا المجموعه الثانية من المجموعات الثلاثة التى اشرنا اليها) الى أن **تأخذ هذه العوامل فى الحسبان** ونعيد تصورها للعالم وموازين القوى فيه ، تصورا أكثر واقعية وتعقلا . وقد تمت ترجمة هذا عمليا على النحو الاتى :

اولا – اعادة تقييم علاقات القوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على الصعيدين العسكرى والسياسى والاقرار بالمساواة النووية بينهما ، الامر الذى سجلته اتفاقية موسكو بين البلدين عام ١٩٧٢ .

ثانيا – ادراك ان « المؤامرة الشيوعية » ليست سوى اسطورة خلقتها أجهزة المخابرات ثم صدقتها . وان هناك تغييرات عميقة اجتماعية وسياسية لا رجعة فيها فى العالم وبوجه خاص فى أسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ثالثا – ادراك الواقع الموضوعى للصراع الحاد بين المصالح الاقتصادية الامريكية ككل من ناحية وبين اليابان والكتلة الاوربية الغربية من ناحية أخرى .

رابعا – ان سياسة المواجهة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى قد أضعفت من مركز امريكا وعلاقاتها بالدول الرأسمالية الاخرى ومن قدراتها فى سباق المنافسة مع الاشتراكية .

ولا يعنى هذا أن السياسة الخارجية الامريكية قد تخلت عن عدائها الطبقى للاتحاد السوفيتى ولكن التطورات الجذرية فى موازين القوى دفع بعض الدوائر الاحتكارية الى العمل من أجل حماية مصالحها داخل المعسكر الراسمالى .

كما أن هذا لا يعنى أن السياسة الخارجية الامريكية قد قبلت التنازل طواعية عن مصالحها فى العالم الثالث (وبوجه خاص فى الشرق الاوسط) أو أنها سلمت ببقاء الانظمة التقدمية .

ان مصالح احتكارية معينة (المجموعة التى تغلب عليها صفة الاستثمارات خارج الولايات المتحدة أو التى تنتج للتصدير) أمام تغير موازين القوى فى العالم اخذت تمارس – حين تضطر – سياسة « الدبلوماسية الهادئة » بدلا من « سياسة البوارج الحربية » .

وهذا الاضطرار الذى **أجبرت عليه** لا يعنى انها قد تخلت عن استخدام العنف بنفسها أو عن طريق الغير . ومثال هذا واضح للعيان من شاهدين :

فيتنام : حين أجبرت على جلاء قواتها عن فيتنام الجنوبية (٥٠٠,٠٠٠ جندى) نتيجة لبطولة الشعب الفيتنامى الاسطورية ولضغط الرأى العالمى . **ومع هذا** فلا زالت تغدق على حكومة سايجون (فيتنام الجنوبية) بالسلاح والعتاد والخبراء العسكريين وخبراء المخابرات **ومنحتها**

فى ميزانية هذا العام مايربو على الف مليون دولار .

قبرص : التى كان يحكمها نظام يتمسك بسياسة عدم الانحياز ، ذات أهمية عسكرية كبرى نظرا لوضعها الجغرافى قرب شواطىء دول الشرق الاوسط . فعمدت الى قلب نظام الحكم فيهـا واحتلالها ـ بالواسطة ـ بالجيش التركى . **وتركيا كما نعلم عضو فى حلفين عسكريين امريكيين : الحلف الاطلنطى وحلف السنتو .**

السياسة الخارجية الامريكية
والشـــــرق الاوســــط

كتبت مجلة ASIA الامريكية فى أبريل ١٩٤٢ تقول :

« لم ينحـدر نفـوذ انجلتـرا لدى شـعوب الشرق الاوسط خلال القرن الماضى بأسره مثلما انحدر اليوم . **ولم يعد فى وسع الولايات المتحدة ان تسلم بان تظل السيطرة على شئون الشرق الاوسط فى ايدى انجلترا .. فالشرق الاوسط القنطرة المؤدية الى أوربا ، ويجب علينـا بالتالى أن نستولى عليه ولو مقابل ثمن مئات الالاف من الارواح الامريكية** . ولحسن الحظ اننا لم نفقد بعد الشرق الاوسط علينا ان نسرع . **وعلى الولايات المتحدة أن تحوله الى قلعة بان تركز فيه قوات عسكرية هائلة وان تحافظ عليه بكافة الوسائل السياسية والاقتصادية التى تتوفر لديها ـ لابد ان نقتنص الفرصة السانحة الان** » .

لسنا فى حاجة الى المزيد بعد هـذا ، الاستشهاد الواضح بنـوايا الولايـات المتحـدة الامريكية تجاه الشرق الاوسط .

ولسنا فى حاجة الى اعادة تقييم ما قدمته الدوائر الحاكمة فى اسرائيل من خدمات جليلة للدوائر الاحتكارية الامريكية ، فقد وفرت عليها تضحية « مئات الالاف من الارواح الامريكية » .

بعد ١٩٤٢ ، وأمام الاكتشـافات البتـرولية فى الجــزيرة العربيـــة ، وما حـولها من بلاد ، وامــام مقتضيـات الحـرب البـاردة واستراتيجية تطويق الاتحاد السوفيتى من الجنوب الشرقى ، امام هذا شغل الشرق الاوسط مكانا مرموقا فى السياسة الخارجية الامريكية .

ولكن شعوب المنطقة نهضت تطالب بالاستقلال وحصلت عليه وقامت لتصنع لنفسها وبنفسها حياة جديدة رافضة ان تظل هدفا لسياسة الاستعمار .

ولعل ثورة يوليو ١٩٥٢ قد بلورت هذه الحركة التحررية بشعاراتها ومواقفها ، ولم تمض سنوات قليلة حتى برزت ثورة يوليو ـ طليعة وقائدة لحركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط .

وسرعان ما انقلبت سياسة محاولة احتواء ثورة يوليو من جانب الولايات المتحدة الى سياسة العداء السافر الهادف الى اسقاط النظام التقدمى فى مصر .

وتضافرت كل الجهود من جانب الساسـة الامريكيين بمعاونة الرجعية العربية واسرائيل معا ليس هنا مجال التطرق لهذه **المؤامرات التى هدفت اول ما هدفت اليه الحفاظ على المصالح الامريكية ثم خدمة مصالح توابعها** . وقد بلغت ذروتها فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ففى الفترة من ٥٦ ـ١٩٦٧ ، كانت مصر تبدى اهتماما فائقا ببناء الاساس المادى (الاقتصادى) لقوتها كقلعة لحركة التحرير العربية وساندت مصر القوى الوطنية فى المنطقة ، وأكدت الجـوانب الايجابية لمفهوم الحياد الايجابى . واقدمت على توثيق علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

وبدت خريطة العالم العربى ، نتيجة لما تقدم ، **فى أواخر عام ١٩٦٥ على النحو التالى : المصالح الامريكية البترولية فى الجزيرة العربية بأسرها محاصرة من كل جانب** . وفى نفس الوقت تقف مصر متضامنة مع حركة التحرير اليمنية ، وتساند انتفاضة جنوب الجزيرة العربية عند منـابع البترول . نضيف الى ذلك أن العـراق وسوريا قد استقرا بهما نظامان تقدميان . أما داخل اسرائيل فقد **برزت التناقضـات الطبقية** وشهدت اسرائيل موجة من الاضرابات بل **وزادت الهجرة منها عن الهجرة اليها** .

أمام هذا الخطر الداهم تضافرت مرة أخرى قوى الاستعمار الامريكى والقوى الموالية لهـا واسرائيل التى انقضت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ لضرب الحركة التحررية العربية .

الدوائر الامريكية الاقــوى
ارتبـــاطا باســـرائيل

من الخطأ ان نتصور أن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة هى المؤيدة الوحيدة لاسرائيل . بل هناك ايضا ـوفى المقام الاول ـ دوائر احتكارية امريكية تلعب دورا هاما فى هذا التأييد وعندما نقول احتكارا نعنى الاحتكارات المالية والصناعية الكبرى التى ليس لدولاراتها من دين **سوى الربح ، اقصى حد للربح على حساب الطبقات الكادحة فى بلدها وخارج حدود هذه البلاد** . ونذكر على سبيل

المثال بين هذه الاحتكارات : « **لوكهيد ايركرافت** » صانعة المطاردات القاذفات ف ــ ١٠٤ والطائرات الكارجو (حاملات الجنود والعتاد الحربى) ك ــ ١٣٠ وك ــ ١٤١ . وكذا شركة « **جنرال داينامكس كوربوريشن** » صانعة الغواصات الذرية والصواريخ والقاذفات ف ــ ١١١ وقد صرح مديرها وهو من اعنى الافراد فى الولايات المتحدة واسمه دافيد باكارد : « يتحتم علينا أن **نبيعهم** [أى لاسرائيل] **كافة الاسلحة اللازمة لهم حتى تمكنهم من ان يتحملوا ذلك الحمل الجبار الذى حملناهم اياه** » . ويعد هذا الحديث تتمة لما اوردته جريدة ASIA وذكرناه من قبل .

بل ان بنك « **شيزمانهتان** » الذى تملكه **عائلة روكفلر** (وابرز اعضائها اليوم : **نلسون روكفلر نائب رئيس الولايات المتحدة**) **قد أنشأ** شركة « **ماكدونل ايركرافت كوربوريشن** » **صانعة الفانتوم** (قاذفة القنابل على مدن القناة وعمال أبو زعبل واطفال المدارس) .

وتتلقى إسرائيل مساعدات ضخمة من احتكارات البترول وعلى رأسها « ستاندارد أويل أوف نيوجيرزى » (التى تملكها أيضا مجموعة روكفلر » وكذا « ستاندارد اويل أوف انديانا » (التى يرأسها صهيونى هو جاكوب بلاوشتاين . وكان عضوا بالمؤتمر الصهيونى الذى عقد فى لندن عام ١٩٤٥) .

وهذه بعض من الاحتكارات الاخرى المنتجة للاسلحة والمرتبطة بشكل او بآخر بالصهيونية : « جنرال تاراند رابركومبنى » و « راديو كوربوريشن اوف أمريكا » و « سبيرى راند كوربوريشن » الخ .

والواقع أن الاحتكارات الامريكية التى تعمل فى الانتاج الحربى يهمها ان تظل حالة التوتر فى العالم وفى المنطقة [الشرق الاوسط] حتى لا تغلق أمامها الاسواق التى تصدر اليها الاسلحة .

وكان يهم الاحتكارات البترولية حتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ان تجد حارسا كفؤا على اتم الاستعداد للانقضاض على من يجرؤ من الشعوب العربية على المساس بمصالحها الاحتكارية الحيوية .

التعاون الامريكى الاسرائيلى فى المجال العسكرى ومجال المخابرات

هناك تطابق يكاد يكون كاملا بين الاستراتيجية العسكرية الامريكية ، وبين الاستراتيجية الاسرائيلية .

ففى مجال المساعدات العسكرية ، **قدمت أمريكا** أخيرا اكثر من الفى مليون دولار لاسرائيل ــ أثناء حرب أكتوبر وبعدها ــ **تضمنت** ضمن أشياء اخرى **وحدتين بحريتين : حاملتان للطائرات . والمعروف أن الاستراتيجية الامريكية** تقوم الان **أساسا على السلاح البحرى** (حاملات طائرات غواصات ذرية ...) باعتبارها **قواعد متنقلة** يمكن أن تذهب الى أى مكان ، **حركتها خفيفة وخفية** (الغواصات) تضرب على بعد من السواحل لتصيب بصواريخها أى بقعة من بقاع العالم .

فاذا قررت وزارة الحربية الامريكية **منح اسرائيل حاملات طائرات** فليس هذا ارضاء لاسرائيل فحسب ، بل ايضا **لكافة الاحتمالات التى تخطط لها العسكرية الامريكية استراتيجيا** .

وفى مجال المخابرات .. تلعب الصهيونية دور العميل الامريكى على النطاق العالمى . ومصدر قوة المنظمة الصهيونية الامريكية تكمن فى تشعب وتباين اتصالاتها وعلمها الوثيق بأولئك الذين يتحكمون فى الموارد البشرية ، ويمكن الاعتماد عليهم . فاذا كانت المخابرات الامريكية (أو البريطانية والفرنسية ...) فى حاجة الى عميل موثوق فيه فى أوديسا (الاتحاد السوفيتى) أو فى الهن أو فى المستعمرات الفرنسية السابقة فى أفريقيا ، فلتتصل بالمنظمة الصهيونية لتجد ما تريده .

وتلعب المخابرات الاسرائيلية اليوم الدور الذى كانت تلعبه المنظمة الصهيونية [وان لن ينته تماما] قبل انشاء دولة اسرائيل .

ويقول دافيد نيس [**الملحق الامريكى فى القاهرة ابان حرب ١٩٦٧**]:

« ان التعاون الامريكى ــ الاسرائيلى فى مجال تبادل أعمال المخابرات لم يسبق له مثيل . **لقد كانت معلومات المخابرات العسكرية التى طلبتها واشنطون من سفاراتها ووكالة المخابرات المركزية وهيئات المخابرات العسكرية فى الشرق الاوسط خلال الشهور الستة التى سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ كانت كلها مبنية على أساس ما تحتاجه اسرائيل ومما ضمن ــ جزئيا ــ فعالية الضربات الجوية الاسرائيلية فى ٥ ــ ٦ ــ ١٩٦٧ انما هى المعلومات التى جاءتها من مصادر أمريكية عن المطارات والاستعدادات الجوية المصرية** . وبالنسبة للمعلومات السياسية والاقتصادية فقد اعتادت وزارة الخارجية الامريكية منذ زمن طويل أن تزود

سفارة اسرائيل في واشنطن بنسخ من كل السفارات الامريكية في الشرق الاوسط ترى له أهمية » .

[جريدة التايمز اللندنية عدد ١٩٧١/٢/٥]

هكذا تكون العلاقة مع اسرائيل التي حملت ذلك العبء الجبار : **حماية المصالح الامريكية في الشرق الاوسط** دون ان تضحي الولايات المتحدة بمئات الالاف من الارواح الامريكية ، والثمن ! يا له من ثمن زهيد : الفي مليون دولار [هي قطرة لا تذكر من الارباح التي ابتزتها — وما زالت تبتزها الاحتكارات الامريكية من أرباحها البترولية في الشرق الاوسط .

وهكذا يتضح لنا :

انه وان كانت الدوائر الصهيونية الامريكية هي ركيزة اسرائيل الاولى — فكريا ودينيا — فانه يستحيل على هذه الركيزة وحدها وبمفردها — ورغم ثقلها ، حمل الولايات المتحدة الامريكية على تقديم ذلك القدر من التأييد والعون لولا المصالح الاقتصادية الامريكية الهائلة التي هي قطعا وبلا منازع المؤيدة الرئيسية لاسرائيل .

فاذا صفيت هذه المصالح ... انتهى تأييد الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل ، ولن تزيد مساعدات الدوائر الصهيونية واليهودية لاسرائيل في اوقات الشدة .

« ٦ أكتوبر » . . . .

والعلاقات الامريكية الاسرائيلية

دل العبور — ٦ أكتوبر — على أن حركة التحرر الوطني العربية حية ، بفضل يقظة وحركة الجماهير ، كما دل على انها ما زالت تواصل سيرها الى الامام .

لقد قضى العبور نهائيا ، وبما لا رجعة فيه ، على اسطورة أن اسرائيل لا تهزم .. فقد تلقت اول هزيمة ولو جزئيا ، ولو مرحليا .

وأوضح قرار حظر البترول أثناء حرب اكتوبر ، ان هناك تناقضا بين الدول المنتجة — **أيا كانت انظمتها** — وبين الاحتكارات البترولية الامريكية أساسا .. **ولاول مرة ، أثر العبور ، يفاجأ الاسياد الاستعماريون ، بمالكي البترول الشرعيين** ، يمنعونه عن أعداء شعوبهم ، وان باعوه .. كان ذلك بسعر تحدده قوانين السوق ولا تحدده اتفاقات تفرض فرضا من واشنطن أو نيوجرسي .

وأمام الارتفاع المفاجيء لاسعار البترول ، بدأ **سباق تصاعد كافة الاسعار في العالم الرأسمالي** ، واخذ التضخم يستفحل وينذر بأزمة طاحنة لم تشهدها الرأسمالية حتى في الثلاثينات

وبالتالي بدت موجة عارمة من الاضرابات بين العمال واصحاب الحرف والموظفين والمهنيين والطبقات المتوسطة — حتى الرأسمالية منها — صغار ومتوسطي التجار وأصحاب المصانع .

ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد **فالتنافس على الاسواق بأخذ شيئا فشيئا شكل الحرب الاقتصادية** بين احتكارات الولايات المتحدة الامريكية وبين احتكارات أوربا واليابان .. كل من الثلاثة يحاول قطع الطريق على الاخر والفوز لنفسه بما تيسر وبقي من سوق عالمية تنحسر رقعتها يوما بعد يوم بفضل حركة التحرر الاقتصادي لدى شعوب العالم الثالث ، التي كانت مرتعا خصبا ومباحا لاستغلال الاحتكارات ، وبفضل تعاظم الاندماج الاقتصادي بين دول المجموعة الاشتراكية واتساع رقعة معاملاتها الداخلية والخارجية .

كيف أثر ذلك كله في العلاقات الامريكية الاسرائيلية ؟ .. الواقع يقول انه لم يحدث تغيير جذري في طبيعة نظام الحكم الامريكي . اذا كانت حكومة أي دولة هي الجهاز الذي يديرها لحساب الطبقة السائدة ، فهل يمكن ان يدعى احد ان ٦ أكتوبر — أو عبور القنال — قد أدى الى تغيير جذري أو جوهري في الطبيعة الطبقية لنظام الحكم في الولايات المتحدة وبالتالي في حكومته وواضعي استراتيجيتها في السياسة الخارجية حتى انقلبت هذه السياسة بين عشية ٦ أكتوبر وضحاها من معادية للاشتراكية ومعادية لتحرير الشعوب الى سياسة مؤيدة لهما ؟

حل فورد محل نيكسون في رئاسة الولايات المتحدة ، وفورد **لم ينتخب** بل عينه مجلس الشيوخ كنائب للرئيس ثم **أقره** رئيسا .. ومجلس الشيوخ الامريكي قلعة من قلاع الحرب الباردة وقلعة لمناهضة الانفراج الدولي .. **ثم قام فورد بتعيين نلسون روكفلر** عميد عائلة **روكفلر** المسيطرة على احتكارات **البترول** ، وعلى **البنوك** ، **ومنها بنك شيزمنهتان** ... نائبا له ، أي نائب رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

وأبقى فورد على كيسنجر وزيرا لخارجيته . وكيسنجر **يرشح بدوره عضوا آخر من عائلة روكفلر** — ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس ادارة بنك

شيز منهتان لتولى مركزا قياديا فى وزارة **الخارجية الامريكية**وهذا يؤيد ما بيناه من أن هذه الوزارة حكر للاحتكارات الروكفلرية لانها من أهم أجهزة الحكم ليضمنوا بأنفسهم حماية مصالحهم خارج حدود الولايات المتحدة ، ومنها الشرق الاوسط .

والواقع يقول أيضا أنه لم يحدث تغيير جذرى فى نظام الحكم الاسرائيلى . صحيح أن حكومة مائير قد سقطت ، وتحطمت هالة موشى ديان العسكرية والسياسية . ولكن الحكومة الجديدة ــ بوجه عام ــ ما زالت تسيطر عليها العناصر الصهيونية ذات **الفكر العدوانى** .

كذلك فان اسرائيل **لم** تهزم بالمعنى المطلق للهزيمة ، **وان قضى** بلا **رجعة** على أسطورة انها لا **تهزم** .

كما أن اسرائيل تواصل تسلحها العسكرى **بفضل المساعدات الامريكية** .لان المصالح الطبقية للاحتكارات المريكية ما زالت فى حاجة للاحتياطى العسكرى الاسرائيلى .. أمام أية احتمالات طارئة .

على أن الواقع يقول أيضا أنه لم يحدث تغيير جذرى فى انظمة الحكم العربية التقدمية .

لقد كانت حرب يونيو ١٩٦٧ تهدف الى القضاء على انظمة الحكم العربية التقدمية [مصر ، سوريا] ، بل كانت تهدف أول ما تهدف ثورة يوليو فى مصر التى قادت حركة التحرير العربية وهددت ــ فى مدها ــ بالقضاء على المصالح الاحتكارية الامريكية [وفى مقدمتها البترول] .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه ٩و١٠ يونيو .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه ظهور حافز جديد لحركة التحرر العربية **والمقاومة الفلسطينية** .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه **اصرار الجماهير على الصمود وتحرير الارض وأدى هذا الى ٦ أكتوبر الى العبور** .

فالخطر من وجهة نظر الاحتكارات الامريكية [وهى المهيمنة على سياسة بلدها] ما زال قائما .

والخطر لابد له من علاج ومن وسائل العلاج فى القضاء على الخطر : من داخل الانظمة أو من خارج [اسرائيل] .

التناقض بين الدول العربية المنتجة للبترول

وبين مصالح الاحتكارات الامريكية

ما من شك فى أن الاحتكارات البترولية الامريكية قد افادت من قرار حظر البترول وحتى بالنسبة لمنعه عن الولايات المتحدة نفسها .فارتفاع سعر البترول أدى الى **مضاعفة الارباح** التى حصلت عليها الاحتكارات .وقد دلت الاحصائيات على أن ارباح الاحتكارات الامريكية الكبيرة هذا العام قد بلغت ثلاثة أو اربعة أضعاف أرباحها بالنسبة الى العام الماضى .

على أن قرار حظر البترول ،وقرار رفع سعره هو فى نفس الوقت قرار **تحررى ــ موضوعيا ــ** رغم ما يكون قد اعتراه من خلفيات وبواعث . ذلك أن حركة التحرر الوطنى ذات شقين سياسى واقتصادى .

وقد أصبح الان التحرر الاقتصادى هو الجانب الرئيسى ــ بوجه عام ــ فى حركة التحرر الوطنى ومؤداه أن الشعوب التى ينهب الاستعمار ثرواتها نهبا ترفض هذا النهب . وتصارع فى سبيل أن تعود عليها منافع هذه الثروات . وذلك أيا كانت أنظمة الحكم التى تسود فيها [فالخزائن الخاصة اليوم ستصبح عامة فى يوم ما .

هذا المطلب الشرعى ، من جانب الشعوب أو حكوماتها ــ أيا كان مضمونها الاجتماعى ــ يتناقض ويتعارض ومصلحة الاحتكارات الامريكية وغيرها .

من هنا تطالعنا الصحف يوميا عن « أمل » أو « أسف » الاحتكارات الامريكية « لرفض بعض الحكومات الصديقة تخفيض سعر البترول » .كما تطالعنا يوميا أنباء التسابق بين الدول المنتجة للبترول، [والدول العربية هى التى تعنينا هنا] نحو المزيد من الحصص فى استغلال بترولها . ويعنى هذا فى المقام الاول تضاؤل حصص الاحتكارات البترولية الامريكية .

فهل تقف هذه الموجة العارمة ؟ وما هو سبيل الاحتكارات الامريكية لوقفها ؟ ان حكام اسرائيل جاهزين للمهمة مجهزين لها ، بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية التى تغدقها عليها تلك الاحتكارات .

لذلك كله نقول أن العلاقات الامريكية الاسرائيلية لم ــ ولن ــ يطرأ عليها فى المدى الاستراتيجى

المنظور تغيير جذرى أو جوهرى الا اذا تحقق أحد الاحتمالات الثلاثة :

● تغيير جذرى فى الطبيعة الطبقية الراهنة لنظام الحكم الأمريكى .

● تغيير جذرى فى الطبيعة العنصرية العدوانية لنظام الحكم الاسرائيلى .

● تغيير جذرى وجوهرى فى أنظمة الحكم التقدمية لدى بعض الدول العربية .

ولكن ذلك كله لا ينفى أن تغييرا ما قد حدث فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية . فما هو ؟

سبق أن أوضحنا عند تناولنا للاستراتيجية الامريكية فى السبعينات انها تحت ضغط لعوامل **عالمية** : تغير موازين القوى لصالح التيار الثورى العالمى بروافده الثلاثة : الاشتراكية ، التحرر الوطنى والحركة العمالية والديموقراطية فى الدول الراسمالية . **وداخلية** : بوادر تغيير فى موازين القوى الاحتكارية الامريكية المختلفة لصالح الاحتكارات المستثمرة اموالها فى الخارج . أمام هذه العوامل اضطرت السياسة الخارجية الامريكية أن **تغير فى أساليبها** وحيث لا جدوى من العنف السافر ركنت الى ما أسمته « بالدبلوماسية الهادئة » .

بل حتى هذا **التغيير فى الاسلوب** يعبر – فى تطبيقه – عن الطبيعة المتناقضة للسياسة الخارجية الامريكية وخاصة فى الشرق الاوسط كانعكاس لتناقض المصالح الاحتكارية الامريكية فيما بينها :

– فالاحتكارات المنتجة للاسلحة والتى ترتبط خارج الولايات المتحدة بأعتى النظم رجعية [مثل اسرائيل] وتؤيد هذه الدول كل التأييد [الاغداق بالاسلحة على اسرائيل] تمسكا منها بسياسة العنف .

– أما الاحتكارات المستثمرة أموالها فى الخارج [كالبترول] فتبدو أكثر واقعية وتميل – الان – الى أنصاف الحلول : ابتداء من محاولة لاحتواء بعض الانظمة التقدمية العربية الى الضغط سياسيا على اسرائيل – وبرفق – ومن هنا : اتفاقات الفصل بين القوات على ضفتى قناة السويس وفى الجولان والوعود بالدولارات تصدر منها الى جميع الاطراف المباشرة فى النزاع .. حتى تحل أزمة البترول .. بخير .

ومع هذا ، وحتى هذه السياسة المتسمة بالواقعية ، تتعارض ومصالح الاحتكارات الاخرى [صناعة الاسلحة] ، وتقع تحت ضغط الأوساط الصهيونية الامريكية ذات النفوذ المتغلغل ، بعمق ، داخل كافة الاحتكارات .

يمكن أن نقول اذن ، أن التغيير الذى حدث فى العلاقات الامريكية – الاسرائيلية هو **الضغط** – برفق – على اسرائيل . هذا هو الجديد . وقابله على الجانب الاخر تغيير فى الاسلوب ، تجاه الانظمة التقدمية العربية : بتقديم الوعود بدلا من العصا [لانها لم تعد تجدى فى الظروف الراهنة على الاقل] .

... وبعـــد

هذا هو فهمنا لطبيعة العلاقات الامريكية – الاسرائيلية وما تطورت اليه **بعد وبسبب** « ٦ أكتوبر » . ويمكن أن نرصد هنا الخطوط التالية :

١ – أن التغيير الطفيف ولو فى « الاسلوب » قد **جاء نتيجة للصراعات الطبقية على** كل من الصعيد العالمى ، وفى الولايات المتحدة الامريكية وفى الشرق الاوسط ذاته . وقد أسفرت هذه الصراعات عن انتصار جديد للشعوب : **الانفراج الدولى اولا ثم** اضطرار الطبقات المعنية فى الولايات المتحدة الى أن **تضغط** برفق على اسرائيل ، وان تغير فى « أسلوب » تناولها للانظمة التقدمية العربية .

٢ – **ان كفاح الجماهير** على الصعيد العالمى والاقليمى والمحلى **هو الذى أجبر الاستعمار الامريكى على التغيير** » .

٣ – ان يقظة الجماهير وتعبئتها الدائمة واطلاق قدراتها الكفاحية [**مادية ، وثقافية ، وعسكرية**] **هو** الضمان الوحيد للمزيد من الضغط على العدو « **الاستعمار والصهيونية** » ، فالمزيد بالتالى من الانتصارات .

٤ – ان الاستعمار مهما قيل أو يقال لن يغير من طبيعته الطبقية المناهضة للشعوب ، كما أن تغير حركة التحرر الوطنى العربية [وغيرها] من طبيعتها الطبقية الجماهيرية . فالصراع قائم ، لا محالة ، أراد البعض أو لم يرد لانه واقع موضوعى . كما أن النصر للجماهير أمر لا ريب فيه .

٥ – ليس هناك على الاطلاق مايسمى بالولايات المتحدة الامريكية **مجردة** أو أسرائيل **مجردة أو** مصر **مجردة** ، **بل هناك مصالح طبقات إجتماعية قضى التاريخ على بعضها أن تزول وهى ترفض أن تزول .. وهناك طبقات اجتماعية أخرى قضى لها التاريخ بالحياة ولا يراد لها الحياة .**

وهل يمكن معاندة التاريخ ؟ .

عـــداء أصـــيل

بين الصــهيونية .. والبلــدان الاشــتراكية

محمــد الجنــدى

لم يحدث ، حتى الآن ، أن ووجهت دولة بهذا الهجوم الشرس المتواصل من القوى الخارجية للقضاء عليها ، كما حدث لروسيا السوفيتية بعد نشأتها . فبعد ثورة اكتوبر الروسية وجهت كل دول العالم الكبرى جيوشها ضد روسيا ، واستمر تدخلها العسكري حوالي ثلاث سنوات للقضاء على الدولة الجديدة فى مهدها وهى فى أصعب ظروفها . واستمرت هذه القوى الخارجية تتربص بها بعد ذلك وحتى اليوم .

واليوم لم تعد قوى الامبريالية العالمية تستخدم السلاح العسكرى ضد الاتحاد السوفيتى ، بل أن السلاح الاقتصادى - أيضا - أصبح يواجه بمقاومة شديدة داخل بلاد الغرب بما فيها امريكا ، نظرا لفشل هذا السلاح فى القضاء على الاتحاد السوفيتى من ناحية ، ولمصالح رجال الاعمال الاوروبيين بما فيهم الامريكيين فى التعامل مع أسواق الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية ، الامر الذى يفرضه بالحاح متزايد الازمة الاقتصادية التى يعانى منها النظام الراسمالى .

ولهذا أصبح السلاح الايديولوجى هو السلاح الرئيسى الذى تستخدمه القوى المعادية للاتحاد السوفيتى ، وتعتبر الصهيونية احد الادوات الرئيسية التى تستخدم لهذا الهدف .

يقول بولشاكوف المعلق السياسى فى صحيفة « برافدا » السوفيتية فى مؤلف حديث له اسمه « العداء للشيوعية هو الخط الرئيسى للصهيونية » :

« .. ان الصهيونية لم ترتبط بالامبريالية لاعتبارات **تاكتيكية وانما لان طابعهما الطبقى واحد** . وان الصهيونية اليوم هى أيديولوجية ممتزجة بنظام واسع من تنظيمات وسياسات البورجوازية اليهودية الكبيرة ، المرتبطة بالاحتكارات فى الولايات المتحدة والبلدان الامبريالية الاخرى ، وتتميز بالتعصب العدوانى ، ومعاداة الشيوعية ، ومعاداة الاتحاد السوفيتى .

ويقول بولشاكوف ، انه فى قائمة الناس الذين يمولون بانتظام عمليات المنظمات الصهيونية على نطاق العالم ، والذين يساندون سباق التسلح فى اسرائيل ، ومغامرات اسرائيل الحربية ، نجد أصحاب ملايين غير يهود ، لان رأس المال لا وطن له .

يؤكد ذلك قولكارل ماركس فى مؤلفه « المسالة اليهودية » : « أن **اليهودى قد حرر نفسه بطريقة يهودية ، لا بالاستحواذ على سلطة النقود وحدها ،** وانما أيضا لان النقود **قد أصبحت عن طريقه - وبدونه - قوة عالمية ، بينما أصبحت الروح اليهودية العملية هى الروح العملية للامم المسيحية . لقد حرر اليهود أنفسهم ، بقدر ما أصبح المسيحيون يهودا ! . ويتحدث ماركس عن « السيطرة الفعلية لليهودية فى العالم المسيحى ، فى أمريكا الشمالية » .**

ويشير الكتاب السوفييت فى مؤلفاتهم ومقالاتهم انه على مر السنين ، التى تطورت فيها الصهيونية ، فانها قد خلقت ارتباطات وأموالا ، وأصبحت مؤسسة دولية ضخمة . **فالجهاز** الصهيونى الدولى [الممثل فى **المنظمة الصهيونية العالمية والمؤتمر اليهودى العالمى وفروعه العديدة**] هو فى نفس الوقت من اكبر **تجمعات رأس المال** المالى ، وشبكة واسعة للتجسس ، **ودعاية منظمة** تنظيما جيدا لصالح الصهيونية العالمية .

ويتتبع الكتاب السوفيت الصلاتبين كبار رجال الاعمال والمولين اليهود وغيرهم ، **ويرون الرباط** الوثيق بين المجموعات الاحتكارية **المختلفة** فيكشفون مثلا أن الاخوان **لازار يساهمون فى** بترول الشرق الاوسط مع شركات **روكفلر وكوهن ولويب** وغيرهم ، ويعملون جنبا الى جنب مع أصحاب رءوس الاموال الغربية ، من خلال

المساهمة المشتركة فى المشاريع الرأسمالية المختلفة فى إسرائيل . ويقولون : **ان كراهيتهم لحركات التحرر العربية لا تنبع من مشاعرهم الموالية لاسرائيل بقدر نشوئها من الارباح الهائلة التى يحصلون عليها معا من البلاد العربية** ، هـذه الارباح التى تهددها هذه الحركات . ويقولون : أن هذه الكراهية نفسها هى التى وحدت بين **روتشيلد وروكفلر فى أثناء ثورة اكتوبر فى روسيا عندما** فقدوا استثماراتهم هناك . وان هذا هو السبب الذى جعلهم يمولون التدخل ضد الجمهورية السوفيتية الناشئة فى ذلك الوقت . وان هذا هو الذى يجعلهم اليوم يكتتبون ــ بشكل يتسم بالهوس ــ لعمليات التخريب الصهيونى الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى وضد البلاد الاشتراكية الاخرى .

والعداء بين الصهيونية والاشتراكية ليس ظاهرة حديثة العهد ، لقد بدأ قبل أن تقوم ثورة اكتوبر بوقت ليس بالقصير . ففى عام ١٩٠٧ كان جوهر الخلاف بين لينين والصهاينة داخل الحركة الاشتراكية الروسية أن لينين كان يعارض عزل اليهود عن باقى الحركة الثورية على أسس فئوية او قومية ، وهو الامر الذى كان يدعو اليـه الصهاينة اليساريون الذين وصل بهم الامر الى حد أن تجمعوا فى حزب مستقل هو « **البوند** » الذى رفض الانـدماج مـع الحـزب الاشـتراكى الديمقراطى .

وقد كتب لينين عام ١٩٠٣ يقول : « هل يمكن أن ترجع للصدفة حقيقة ان القوى الرجعية على نطاق اوروبا ، وفى روسيا خاصـة ، هى التى تعـارض اندماج [استيعـاب] اليهود ، وتريد استمرار انعزالهم » .

أن موقف المساندة الذى كانت تتمتع بـه الصهيونية من القوى الرجعية وأجهزة القمع المعادية للثورة ، انما يؤكده قول **زوباتوف** مدير البوليس المتخصص فى الكفاح ضد الثورة ــ قبل ثورة أكتوبر بفترة قصيرة ــ « لابد لنا من مساندة الصهيونية » .

وقبل أن تنقسم « **الاممية الاشتراكية** » عـام ١٩١٤ الى شيوعية واشتراكية ديمقراطية ، أدانت الصهيونية باعتبـارها لا تتفق مع الاشـتراكية واستمر **الكومنترن** بعد تأسيسه يتخذ هذا الموقف . فأصدرت لجنته التنفيذية بيانا جاء فيه : « ان محاولة صرف الجماهير العاملة اليهودية عـن الصراع الطبقى بالدعاية لصالح الاستيطان على نطاق واسع فى فلسطين ، هو اتجاه متعصب وبورجوازى صغير بل ومعاد للثورة فى حقيقته » .

ويؤكد هذا العداء بين الاشتراكية والصهيونية أن زاير صبهيون أحد زعماء الصهاينة قدم فى مؤتمر سرى للمنظمات الصهيونية عقد فى موسكو فى ٢ مايو ١٩١٨ برنامجا جاء فيه : « **ان الاشتراكية** تقف فى طريق الصهيونية ، **وهذا لا يعنى فقط انهما قطبان متعارضان . وانما هما عنصران يطرد أحدهما الآخر** » . ولهذا حاربت الدولة السوفيتية منذ قيامها الحركة الصهيونية السرية التى كانت تعمل فى اطار الثورة المضادة .

تقول الصهيونية أن اسرائيل هى وطن جميع اليهود فى أى بلد كانوا . فاليهودى السوفيتى واليهودى الامريكى واليهودى الفرنسى واليهودى الانجليزى واليهودى من اى بلد يتمتع بالجنسية الاسرائيلية ، وفقا لقوانين الاسرائيليه ، وذلك لمجرد كونه يهوديا . ولكن القوانين السوفيتية لا تفرق بين المواطنين السوفييت على أساس الانتماء القومى او الدينى ، بل هناك نصوص فى القوانين السوفيتية تعاقب كل من يثير مشاعر التعصب القومى أو الدعايات المعادية للسامية . ويتمتع اليهود السوفييت بكافة الحقوق التى يتمتع بها باقى المواطنين السوفييت . ومنهم مثقفون كبارا من علماء وفنانين وأدباء وأساتذة فى الجامعة .

ويبلغ عدد اليهود فى الاتحاد السوفيتى ــ وفقا لآخر الاحصاءات السوفيتية الرسمية ــ حوالى ٣ ملايين . وتقوم المنظمات الصهيونية العـالمية واجهزة الاعلام والدعاية الاسرائيلية بتعاون وثيق مع المخابرات المركزية الامريكية بحملة دعبائية مركزة بين هؤلاء اليهود لتحريضهم ضد دولتهم ، ودعوتهم للهجرة الى اسرائيل . وقد تصاعدت هذه الحملة بشكل لم يسبق له مثيل بعد العدوان الاسرائيلى فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وبعد وقوف الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكيه الى جانب العرب ، وبعد أن قامت هذه البلدان [باستثناء رومانيا] بقطع علاقاتها الدبلـوماسية مـع اسرائيل .

وتركز هذه الدعاية ، على ان اليهود السوفييت اسرائيليون ، وأنه يجب السماح لهم بالهجرة الى وطنهم اسرائيل . وتستغل هذه الحملة أن بعض اليهود السوفييت لم يتعاطفوا مع موقف دولتهم فى تاييدها للعرب . وأن هؤلاء كانوا يلقون صدا من باقى المواطنين السوفييت .

واذا كانت الدعاية الصهيونية لم تنجح فى التاثير على سياسة الدولة السوفيتية ، فهى قد نجحت فى التأثير على بعض اليهود السوفييت وتضليلهم كى يهاجروا الى اسرائيل . والقوانين السوفيتية لا تمنع أى مواطن من الهجرة مادام ذلك لا يتعارض مع مصالح الامن فى البلاد . ومن ناحية أخرى ، نجحت الدعـاية الصـهيونية والامبريالية فى استخدام هجرة اليهود السوفييت للنيل من الصداقة العربية السوفيتية . فالدعاية من أجل هجرة اليهود ، سلاح ذو حدين يستخدم فى الغرب كدليل على انعدام الديمقراطية وعلى

معاداة السامية فى الاتحاد السوفيتى . ويستخدم فى البلاد العربية لتصوير الاتحاد السوفيتى وكانه تخلى عن أصدقائه العرب بسماحه بتصدير البشر الى اسرائيل .

واذا كانت الدعاية الصهيونية لم تنجح فى تغيير السياسة السوفيتية . فهى قد نجحت فى التاثير بل والسيطرة على السياسة وعلى أجهزة الاعلام الامريكية . تقول مجلة « جويش كرونكل » أن الصهيونيين يسيطرون على نصف الصحف التى تصدر فى أمريكا ، ونصف محطات الاذاعة وثلاثة أرباع المكاتب الاجنبية للصحف ووكالات الانباء الامريكية . وقد استطاعت القوى الصهيونية المسيطرة على الكونجرس الامريكى أن تقف ضد سياسة الانفراج الدولى وتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وتنمية العلاقات التجارية معه ، واعطائه شرط الدولة الاولى بالرعاية. فتبنى السناتور **جاكسون** تعديلا وافق عليه غالبية أعضاء الكونجرس بعدم منح هذا الشرط الا اذا وافق الاتحاد السوفيتى على حرية هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل .

ورغم أن الدعاية الصهيونية واعمال الصهاينة التخريبية لم تنجح فى تغيير سياسة الدولة السوفييتية فانها تسبب لها متاعب كبيرة. فاذا تصفحنا كبرى الصحف الامريكية والغربية نجد أن أحد الموضوعات الرئيسية التى تثار بشكل حملات مستمرة هو موضوع هجرة اليهود والقيود التى تضعها الحكومة السوفييتية على هذه الهجرة . والاحتجاجات من أنحاء العالم لمطالبة الحكومة السوفييتية بالسماح بهجرة اليهود . وتنشر أخبار الاعتصامات والاحتجاجات والمقاومة التى يقوم بها اليهود الذين يريدون الهجرة . ويدافعون عن اليهود الذين يحاكمون فى الاتحاد السوفييتى لقيامهم بأعمال اجرامية [خطف طائرات مثلا] .

وقد وصل الامر الى حد اشتراك اليهود الاجانب الذين يزورون الاتحاد السوفييتى اما كسائحين أو صحفيين أو طلبة فى هذه الحملات . وقد رأيت بنفسى فى عام ١٩٧٣ مجموعة من الطلبة الامريكيين يقتحمون ادارة الجوازات السوفيتية وهم يهتفون هتافات عدائية ويطالبون بحرية اليهود فى الهجرة ، مما اضطر رجال الامن السوفييت الى استخدام القوة وطردهم من المبنى . وطيرت وكالات الانباء ، على الفور ، هذا الخبر كدليل على اضطهاد اليهود فى الاتحاد السوفييتى .

فى فبراير عام ١٩٧٠ وجهت جولدا مائير نداء للقيام « بحملة شاملة » ضد الاتحاد السوفييتى . وعلى اثر هذا النداء شددت المنظمات الصهيونية نشاطها المعادى للسوفييت . وقامت « حملة عالمية للتضامن مع اليهود السوفييت » . وجمعت التوقيعات وعقد مؤتمر دولى لهذا الغرض فى بروكسل فى ٢٣ ــ ٢٥ فبراير عام ١٩٧١ . حضر هذا المؤتمر ٧٥٠ صهيونيا بارزا من حوالى ٤٠ بلدا ، بما فى ذلك ممثلون للمنظمات الصهيونية العالمية .

نجحت هذه الحملة المتواصلة ، التى كانت تستغل احط المشاعر لدى جماهير اليهود السوفييت ، فى تضليل الكثيرين منهم ، واقناعهم بالهجرة الى اسرائيل . ولكن كثيرين منهم بعد أن وصلوا الى « أرض الميعاد » اصيبوا بخيبة أمل وعملوا على العودة الى بلادهم . فقد وجدوا أن اسرائيل ليست وطنا حقيقيا لهم ، ووجدوا هناك تقاليد وعادات ومشاعر وأنظمة لا تتفق معهم ولا يستطيعون التكيف معها .

وهناك منظمة رسمية فى اسرائيل هدفها اجتذاب اليهود السوفييت ، بكل الوسائل ، بما فى ذلك الاغراء ، وارسال خطابات زائفة من الاقارب وارسال الطرود .

وبعض السوفييت من اليهود تجذبهم فكرة أن يعيشوا فى وطن لليهود ، والبعض الاخر تجذبهم فكرة السفر والهجرة .

ولكن لماذا تسمح الدولة السوفييتية بهجرة اليهود ؟

سألت هذا السؤال مرة لاحد كبار الصحفيين السوفييت فقال : ان القوانين السوفيتية لا تمنع أى مواطن من حق التخلى عن جنسيته والهجرة اذا أراد . وردا على سؤالى عن السبب فى تزايد الهجرة وعدم السماع بها من قبل رغم وجود هذه القوانين ، قال انه قديما ، فى عهد ستالين وبعده ، بفترة كانت القوانين موجودة ولكنها لم تكن نطبق ، اما الان فتراعى الشرعية . ثم ان الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ ووقوف الاتحاد السوفييتى الى جانب العرب ، والدعاية الصهيونية والامبريالية التى اشتدت بعد هذه الحرب نجحت فى تضليل الكثيرين .

واستطيع ان اضيف اعتبارا آخر لاحظته : هو أمن الدولة السوفييتية . فان اليهود الذين يرغبون فى الهجرة يتحولون شيئا فشيئا الى عناصر تهدد أمن الدولة لقيامهم بأعمال التجسس وتوزيع النشرات السرية والاعتصامات ، وهى أمور تكاد تكون قد اختفت بين باقى السوفييت . وهذه العناصر تتحول ــ بالفعل ــ الى عملاء للقوى الصهيونية والامبريالية . وتجد الحكومة السوفييتية فى بعض الحالات انه من الافضل التخلص منهم . بل وان من يحاولون العودة بعد ذلك لا تقبلهم الحكومة السوفييتية الا بعد اتخاذ الاحتياطات اللازمة ، كما انها لا تقبلهم كلهم .

فى العام الماضى أدلى شوميلين نائب وزير الداخلية السوفيتية بتصريح لمندوب وكالة

نوفوستي جاء فيه : أنه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية لم يبلغ عدد اليهود السوفييت الذين هاجروا الى اسرائيل العدد الذى بلغه اليهود الذين هاجروا من البلاد العربية والذى قال انه وصل الى حوالى ٨٠٠ الف شخص . وقال شوميلين أنه اثناء دراسة طلبات الهجرة من الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل - يوضع فى الاعتبار الوضع الذى نشا فى الشرق الاوسط ، نتيجة لعدوان اسرائيل على البلدان العربية ، ورفضها سحب قواتها من الاراضى العربية المحتلة ، وتسوية نزاع الشرق الاوسط بوسائل سياسية سلمية . ولهذا السبب تفرض السلطات السوفييتية قيودا على بعض المواطنين ، وتنطبق هذه القيود أولا على هؤلاء الذين تلقوا تدريبا عسكريا أو الذين يرتبطون بأعمال تتعلق بمصالح الدولة .

وتواجه القيادة فى الاتحاد السوفييتي الدعاية الصهيونية والتخريب الصهيوني بحمله توعية واسعة النطاق عن طريق الصحف والاذاعة وكل أجهزة الاعلام . وتعقد باستمرار ندوات تهدف الى كشف الصهيونية باعتبارها أداة للامبريالية . وفى العام الماضى ، عقدت **فى موسكو** ندوة دولية حول موضوع « الصهيونية شكل من أشكال العنصرية » . ولا يمر شهر دون أن يظهر كتاب او أكثر يكشف الصهيونية . ومن أسماء هذه الكتب : **دولة اسرائيل - احذروا الصهيونية ! - الصهيونية أيديولوجية الامبريالية - الجوهر الرجعى للصهيونية - معاداة الشيوعية هى الخط الرئيسى للصهيونية - الصهيونية والعداء للسامية - خدعتهم الصهيونية - الصهيونية ، السلاح المسموم للامبريالية - تحت النجمة الزرقاء - الصهيونية أداة الرجعية الامبريالية - اليهود السوفييت يرفضون « الحماية » الصهيونية - ضد الصهيونية والعدوان الاسرائيلى - موطن الصهيونية والعدوان .**

ولا يقتصر دور الصهيونية التخريبى على الاتحاد السوفييتي ، فمن الثابت دورها الرئيسى فى حوادث تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، وأن العناصر الصهيونية كانت قد تسللت الى اجهزة الاعلام والثقافة وبدأت تبث دعاياتها لتهيئة الرأى العام التشيكي لاحداث انقلاب هناك . يتحدث عن هذه الوقائع الكاتب التشيكي **فرانتشيك كولار** فى كتاب صدر له عام ١٩٧١ .

مما سبق يتضح أن الصهيونية عدو رئيسى للاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية ، وأن هذا العداء ليس ابن اليوم ، وهو لم ينشأ أو يتكون لاعتبارات وقتية ، وانما هو عداء أصيل مبدئى يرجع الى التناقض الجوهرى بين المبادىء والاهداف الصهيونية وبين المبادىء الماركسية اللينينية وهى النظرية التى يهتدى بها الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية . وأن هذا التناقض يزداد حدة فى السنوات الاخيرة ، وتصبح الصهيونية هى الاداة الرئيسية فى الحملة الايديولوجية ضد مجموعة البلدان الاشتراكية وفى الاعمال التخريبية داخلها .

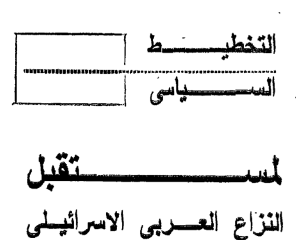
ونستطيع - استنادا - الى ماتقدم ، أن نخلص الى النتائج التالية :

أولا : يظل التناقض الاساسى قائما ومتزايدا بين البلدان الاشتراكية ، وبين الدولة الصهيونية ، الامر الذى يجعل من البلدان الاشتراكية من الناحية الموضوعية حليفا ثابتا لحركة التحرر الوطنى العربية ولا يغير من هذه الحقيقة أية خلافات أو فروق بين نظم الحكم والايديولوجيات .

ثانيا : وعلى الرغم من وجود خلافات فى النظم السياسية والاجتماعية بين البلدان العربية والبلدان الاشتراكية فان هناك مصلحة مشتركة تجمع بينهما فى النضال ضد الصهيونية ومن هنا يتعين علينا الا نقع فى شراك الدعاية الصهيونية [المسيطرة على اغلب وسائل الاعلام فى الغرب] . وأن نتنبه الى حقيقة ان كثيرا من أعمال التخريب والهجوم الاعلامى على البلدان الاشتراكية يرجع بالاساس الى مساندة ودعم البلدان الاشتراكية لنضالنا الوطنى التحررى . بل ان كثيرا من العقبات التى يلاقيها الاتحاد السوفيتي فى طريق اقامة علاقات سلمية بينه وبين الولايات المتحدة هى من صنع القوى الصهيونية ذاتها

ثالثا : ان احتدام المعركة ضد الصهيونية فى الاتحاد السوفيتي وداخل بعض البلدان الاشتراكية مثل تشيكوسلوفاكيا يفتح مجالات أوسع للتعاون والنضال المشترك بين الشعوب العربية وبين شعوب البلدان الاشتراكية ، ويحتم على البلدان العربية أن تساهم من خلال مؤسساتها الشعبية والرسمية فى نضج حقيقة النشاط الصهيونى المعادى للبلدان الاشتراكية . وفى هذا يتعين على هذه المؤسسات ان تقدم الى البلدان الاشتراكية - من واقع خبرتها - مساعدات حقيقية لفضح ومحاصرة النشاط المعادى للمؤسسة الصهيونية العالمية .

رابعا : وكلما تعزز الحلف الموضوعى بين البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتي وبين نضال العرب الوطنى التحريرى أمكن لهذا الحلف المشترك أن يعمل عمله - فى المدى القريب والتاريخى - لردع نزعات اسرائيل العدوانية ، واحكام عزلتها دوليا ، وهو الامر الذى يؤدى الى تفاقم تناقضاتها الداخلية ، والى تحويلها الى مركز طرد لليهود الذين تضللهم دعايات الصهيونية .



جميل مطر

يدفعنا التزامنا وحرصنا على تدعيم قرار اكتوبر الى أن تستمر رؤيتنا له ولابعاده باعتباره فعلا دوليا مرتبطا أشد الارتباط ببقية مقومات النزاع العربى الاسرائيلى ، أما اذا اعتبرناه فعلا منفصلا ، فقد نجد أنفسنا محبوسين داخل جدرانه ، أو دائرين فى فلكه بلا أمل فى الانطلاق من موقع القرار ، ودوامات آثاره المباشرة الى آفاق جديدة فى هذا النزاع .

تزداد أهمية تمسكنا بالنظرة الشاملة ، والرؤية الابعد ، لقرار اكتوبر مع تزايد احساسنا بتعاظم تأثير حالة السيولة الدولية الراهنة واستمرار تصلب المواقف الاسرائيلية . هذه المواقف تنطلق من اطار ثابت ، يعتبر الحروب العربية الاسرائيلية حلقات متصلة متصاعدة فى النزاع . **ولا يخفى على الاستراتيجية العربية أن اسرائيل لم تعتبر حرب اكتوبر حدا فاصلا بين الحرب والسلام . بل على العكس اعتبرتها شذوذا وانحرافا عن القاعدة وتهديدا للهدف . القاعدة أن تستمر اسرائيل منتصرة ومتحكمة فى منافذ القوة العربية . الهدف أن يتحقق « سلام » اسرائيلى فى ظل ظروف تفوق عسكرى و « عنصرى » مطلق أو نسبى .**

لذلك لا يتصور أن يهدأ بال الاسرائيليين حتى يبرهنوا لانفسهم أولا ، وللعرب ثانيا ، وللعالم ثالثا ، أن اكتوبر لم تكن الا خروجا مؤقتا ومحدودا عن القاعدة . **ويخطىء من يظن أن اسرائيل لا تستعد جديا من أجل حرب أو حروب أخرى تعيد الامور الى نصابها الاسرائيلى .** ولن يكتمل اكتوبر — فعلا دوليا يحقق التغيير الجذرى ويمثل الحد الفاصل فى النزاع العربى الاسرائيلى — الا اذا دعمته أفعال عربية متواصلة ومتصلة ومتصاعدة ، أو على الاقل بنفس مستوى تأثيراته المباشرة وغير المباشرة .

بمعنى آخر ، فان اكتوبر يكتمل فى شكل قاعدة جديدة من قواعد النزاع العربى الاسرائيلى اذا ارتبط بخطة متوسطة الاجل تستند الى تصورات علمية لمسارات الاتجاهات الحالية فى اسرائيل والعالم العربى بل والعلاقات الدولية عامة ، وتتضمن بدائل عمل لمواجهة احتمالات المستقبل القريب والمتوسط .

ولا يستطيع احد أن ينكر أن التخطيط السياسى للمستقبل لم يعد رفاهة أو ترفا علميا . ففى عصر تتعقد فيه أساليب وظروف صنع القرار

السياسى ، وتتسارع تأثيرات ونتائج العمل السياسى ، لتتفوق على الاهداف المحدودة للقرار الذى صنع هذا العمل السياسي — وتأثيرات انقلاب قبرص مثل آخر عن خطورة حالة السيولة — فى عصر كهذا لا يدعم القرار السياسى ويضمن استمرار نجاح الفعل الدولى الناتج عنه الا وقوعه ضمن اطار مستقبلى ، تحدد أبعاده قواعد ونظريات التنبؤ السياسى .

تقدم عمليات التنبؤ السياسى

لقد حققت الدراسات الموضوعية عن عمليات التنبؤ السياسي تقدما كبيرا فى السنوات الاخيرة بفضل استخدام الاساليب العلمية ، والاطر النظرية التى أدخلها فلاسفة العلوم واستمروا فى تطويرها وتنقيحها حتى صارت على ما هى عليه الان من الدقة والتناسق والتكامل خاصة بعد تزويدها بأدوات رياضية واحصائية بغية تحقيق أقصى درجة من الدقة .

وبالرغم من الجهود الضخمة المبذولة — حاليا — من جانب قطاع كبير من علماء الاجتماع وسياسة لوضع أطر ونماذج نظرية تتفق وظروف التحليل والتنبؤ السياسى . الا أن مشكلة جوهرية ستظل بدون حل وهى المتعلقة بطبيعة المعلومات ذات الطابع السياسى . فهى معلومات — اذا توفرت — وهو الامر غير الممكن فىأحوال كثيرة ، تظل بصفة غالبة غير مؤكدة الصحة فضلا عن صعوبة تحويلها الى أرقام حسابية تسهل للباحث مهمته فى التنبؤ . وبالاضافة الى هذه المشكلة ، توجد أيضا مشاكل متعلقة بظروف عملية صنع القرار وهى مشاكل تبرز بصفة خاصة فى دول العالم الثالث ، من ذلك مثلا صدور القرارات السياسية التى لها طابع فردى مطلق ، تحت ظروف كثيرة ، وبتأثير عوامل متعددة أكثرها تعقيدا — من وجهة نظر الباحث — الانفعالات النفسية ، أو التصورات الشخصية لموقف سياسي معين . ولا زالت دراسات صنع القرار عاجزة من اعداد الادوات اللازمة لتحليل التصور السيكولوجى imagos لصانع القرار

وعلى الرغم من التقدم الكبير فى استخدام تحليل مضمون Content Analysis الخطب السياسية ، والبيوجرافيات ، وغيرها الا أن جانبا هاما من داخلية صانع القرار لا زال عاصيا على الباحثين السياسيين . وقد يكون من الضرورى — والحالة هذه — الاعتماد على مصادر ثانوية بعد تقييم دقتها حتى لا يحرمنا قصورنا العلمى من دراسة الابعاد السيكولوجية لصانع القرار السياسى ، فهى من أهم العوامل التى تفسر سلوك الدولة .

ومع وجود هذه العقبات ، وغيرها ، التى يواجهها صانع القرار ، أو عالم السياسة المهتم بوضع تنبؤ للمستقبل ، أو لرسم خطة متوسطة ، أو طويلة الاجل ، فان الوضع يحتم عليه أن يخلق الظروف ، ويعد الاجهزة التى تمكنه من تخفيف أثر هذه العقبات . فمهما بلغت الاخطاء التى سيرتبها وجود هذه العقبات ، فمما لا شك فيه أن الجهود المبذولة لوضع اطار نظرى للتنبؤ ، واعداد الجو ، والتدريب العلمى المناسب ، هى جهود كفيلة بأن تجعل هذه الاخطاء أقل خطورة من الاخطاء التى تترتب عادة على وضع قرارات عشوائية ، غير مدروسة ، أو معالجة كل موقف باستخدام الظروف والامكانيات المتوفرة فى لحظة المعالجة .

عيوب عدم توافر خطة متوسطة الاجل

١ — يترتب على عدم وجود خطة متكاملة متناسقة للعمل السياسى فى الاجل المتوسط أن صانع القرار — أو رجل السياسة المتخصص — يعتمد فى صنع القرار السياسى على معلومات ، كثرت أو ندرت ، محققة أو غير محققة ناقصة التحليل والتصنيف ، تقدم اليه هذه المعلومات الناقصة فى وقت تكون الحاجة فيه عاجلة لاتخاذ قرار فورى . والنتيجة المنطقية أن صانع القرار لايجد الوقت الكافى لدراسة احتمالات رد الفعل الخارجى أو الداخلى المختلفة ، وهو الامر الذى يفرض على رجل السياسة المتخصص فىاستقراء سلوك الدول الاخرى الالمام الكاملبسيكولوجية صانع القرار فى الطرف الاخر فى المعاملة الدولية ، ودراسة سلوك اسرائيل الدولى ، وخاصة مع الدول العربية خلال حكم بن جوريون يقدم لنا سجلا حافلا بالدور الذى يلعبه التصور السيكولوجى لصانع القرار فى عديد من قراراته السياسية .

ومعكلهذه العقبات ، وغيرها ، التى يواجهها صانع القرار أو عالم السياسة المهتم بالاستقراء السياسى ، فان التخطيط لسياسة متوسطة الاجل يحتم عليه أن يخلق الظروف التى تمكنه من التغلب على هذه العقبات . وحتى اذا لم يتغلب على بعضها ، ومهما كانت الاخطاء التى سيقع فيها بسببها ، الا أن مجرد المحاولة لوضع خطة متوسطة الاجل يسهل تفادى أكثر الاخطاء اذا

افترضت هذه الخطة مسبقا حدوث هذ الموقف ، وحدوث احتمالات معينة ، وأخذت فى الاعتبار عملية Give & Take الذى لا بد وأن يأخذها فى الاعتبار كل قرار سياسى .

٢ ـ فى أغلب الاحيان ، تعتمد القرارات السياسية المتخذة في غياب خطة متكاملة على واحدة من قاعدتين : اما الواقعية السياسية المفرطة أو المبادىء والمذاهب التى يدين بها النظام السياسى وصانع القرار بالذات . وبسبب الاعتماد على قاعدة دون الاخرى أخطارا كبيرة . ففى الحالة الاولى يصعب على صانع القرار رؤية المستقبل ، لانه يفكر فى اطار قرارات منفردة ولا يضع فى الحسبان عواقب الفعل ، واحتمالات رد الفعل ، ومسار عملية القرار السياسى ، الامر كذلك اذا اعتمد صانع القرار السياسى على التبريرات المذهبية أو المبادىء وحدها ، اذ فى هذه الحالة يقع فى مشكلة كبيرة اذا ووجه بموقف معين يفرض عليه اتخاذ قرار لا يتفق مع ايديولوجيته ، أو يرتب أسئلة لا يجيب عليها الفكر المذهبى الذى يؤمن به . هذه الاخطار يمكن تفاديها بالتنبؤ السياسى المنسق فتوضع خطط مناسبة تراعى عاملى الواقعية والمذهبية وتحاول التوفيق بينهما . واذا استحال ذلك ، فى قضايا معينة ، فواجب جهاز التخطيط أو التنبؤ السياسى ان ينبه مقدما الى احتمالات حدوث هذه المواقف ، ويوصى بالوسائل التى تكفل الاقلال قدر الامكان من الاخطار المترتبة عليها .

٣ ـ تتعدد أخطاء القرار السياسى المتخذ لمواجهة موقف مستقبل اذا أعد اعدادا غير سليم . وهو الامر الكثير الحدوث فى الدول التى تضع خططا خمسية أو عشرية ، وخاصة حين تعد القيادة السياسية فى برنامجها السياسى ـ بناء على تنبؤ اقتصادى بحت ومنفرد بقرارات سياسية أو اجتماعية تنوى اتخاذها بعد انقضاء هذه الخطة . اذ فى ذلك الحين تكون القيم السياسية قد تغيرت مع تغير الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية ، وفى أحيان كثيرة تتغير القيم الوطنية تحت تأثير عامل لا يهتم به أكثر صانعى القرارات ، وهو عامل التأثير الدولى ، وهو العامل الذى ازدادت أهميته فى السنين الاخيرة بسبب انتشار أجهزة الترانزستور والتليفزيون وسهولة الانتقال ، فالثقافات الوطنية صارت تخضع اليوم لثقافة عالمية لا ينجو من تأثيرها نظام سياسى مهما بلغت قدرة قياداته على اغلاقه ومهما تعارضت ايديولوجيته مع مقومات الثقافة العالمية .

ولعل الازمات المتتالية التى تعانى منها دول العالم الثالث مرجعها الاساسى الى ما يعرف بثورة التوقعات المتزايدة Revolution of rising Expectation وهى ثورة مرجعها مستويات الاستهلاك العالى التى هى احدى مقومات الثقافة العالمية السائدة .

بالاضافة الى ذلك ، فالثقافات الوطنية ذاتها ثقافات متطورة غير جامدة وهى تتشكل باستمرار تحت تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتغيرات الهرمية للسكان ، وأهمية التنبؤ بمقومات الثقافات الوطنية الناشئة تتضح فى مثل يهمنا بصفة خاصة وهو ثقافة **الصابرا** الناشئة . **فالواضح لنا بالنظرة العابرة الى نوعية القيادة التى ستحكم اسرائيل فى السنوات العشرين المقبلة انها ستكون فى مجملها من عناصر الصابرا ، وهى عناصر لها ثقافة مميزة أبرزتها أكثر الدراسات التى تمت فى هذا المجال ، ولا يمكن التخطيط لفهم سلوك اسرائيل فى المستقبل ، دون ان نأخذ فى اعتبارنا مقومات هذه الثقافة سواء على مستوى القيادات السياسية أو مستوى الرأى العام الاسرائيلى .**

٤ ـ من الاسباب الهامة ايضا فى وقوع علماء السياسة أو صانعى القرار فى أخطاء هو افتراضهم مسلمات خاطئة يأخذون على أساسها قرارهم السياسى ، أو اعتمادهم على اطار نظرى غير متكامل وغير شامل الابعاد . ويحفل التاريخ بأمثلة لقرارات سياسية اتخذت على أساس من المسلمات الخاطئة ومنها مثلا موقف بريطانيا فى مؤتمر ميونخ عام ١٩٣٨ ، والقرارات السياسية الامريكية الاولى المتعلقة بفيتنام ، وأن التخطيط المسبق ، المبنى على مسلمات واقعية صحيحة ، شرط أساسى لنجاح القرار السياسى . وتكامل الاطار النظرى يسمح لصانع القرار باستقراء الابعاد المختلفة لقراره بشكل مترابط بحيث يعى جيدا التاثيرات المتبادلة بين مختلف دوائر أو مستويات التحليل والتنبؤ السياسى .

٥ ـ يؤثر فى نجاح التخطيط السياسى أو القرار السياسى سرعة تغيير الاجهزة السياسية العاملة فى هذا المجال . ولكن هذا لا يعنى تجميد هذه الاجهزة بشكل يحرمها من التطور والتجدد ، وانما يعنى ضرورة أن تتمتع بحد من الاستقرار يسمح لها بأن تكتسب خبرة واسعة فى التحليل والتنبؤ السياسى . ولعل أهم فائدة تعود من هذا الاستقرار هى المتعلقة باحدى أسس عملية التنبؤ وهى استكشاف العاملين بهذه الاجهزة لانماط معينة فى السلوك الدولى أو فى سلوك جماعات التاثير الداخلية . هذه الانماط هى

أقوى أرصدة المحلل والمخطط السياسى يستخلص منها مسلماته الصحيحة وترسم له مسارات دقيقة للتحركات والتفاعلات الدولية فى الماضى والحاضر، فلا يمكن التنبؤ بمستقبل دون توافر المعلومات المحققة، والتاريخ هو المعمل الذى يعمل فيه عالم وصانع السياسة .

يضاف الى ما سبق نوعية الاجهزة العاملة فى التخطيط أو صنع القرار السياسى، وقدرات أجهزة المعلومات . فعملية التنبؤ السياسى — رغم وجوب توافر الاساليب العلمية، الا انها عملية تعتمد بالدرجة الاولى على اتساع أفق — وخيال — العاملين فيها، فالتصور السياسى كغيره من أنواع التصور والتنبؤ يحتاج الى اذهان مدربة وقادرة على التخلص من واقع الحياة والقرارات اليومية وانتقالها الى أجزاء أخرى، وعلم السياسة — فى هذا — لا يختلف عن العلوم الطبيعية التى حققت تقدما بفضل سعة خيال وأفق المخترعين . والفارق الرئيسى هو أن العلوم الاجتماعية قصرت حتى الان عن وضع هذه التصورات فى اطار علمى منسق يحسن استخدام ابعاد الخيال والتصور البعيد المدى، ويحدد أبعاده داخل اطار من الواقعية والبحث العلمى . لذلك فقد يتميز صانع سياسة بخياله الواسع الامر الذى يجعله يضع لنفسه ولبلاده أهدافا ضخمة . الا أن التاريخ يشهد بأن هذه الاهداف كثيرا ما تتحطم على صخرة الاحداث بأخطر النتائج : لا لسبب الا لانها لم توضع فى اطار متناسق يضمن تنفيذها، أو يكشف مقدما عن استحالة تنفيذها، أو عن المشاكل الجانبية التى قد تنشأ خلال مراحل التنفيذ .

بالاضافة الى هذه المتطلبات الواجب توافرها، فى الاجهزة العاملة فى التنبؤ بالمستقبل السياسى توجد اعتبارات أخرى يقلل توافرها احتمالات الوقوع فى خطط سيئة أو أخطاء جسيمة . فمن هذه الاعتبارات مثلا الظاهرة المعروفة فى اغلب الاجهزة البيروقراطية فى العالم الا وهى اعتبار المناقشات وخاصة المتعلق منها بأساسيات من الامور المحرمة ؟ فالبيروقراطية، بحكم التعريف، يرتبط تفكيرها بمسلمات جامدة لا تخرج عن مضمون تجاربها الماضية أو القوانين التى تحدد من حركتها . وهى أمور لا تتفق اطلاقا وطبيعة عملية التنبؤ السياسى ولذلك فهذا النوع من التفكير يرفض أسلوب التأمل والابداع الذى هو أساس أى خطة سياسية أو اجتماعية، فضلا عن أنها تعتبر المناقشة واختلاف الرأى دليل انقسام وليس دليل صحة .

٦ — من العوامل المؤثرة فى صنع القرار، بطريقة غير سليمة، انفراد الاجهزة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالعمل فى تخصصاتها كل على حدة دون الاخذ فى الاعتبار وجهات نظر الاجهزة الاخرى . والنتيجة الحتمية — لهذا التنظيم — وهو الحادث فى كثير من القرارات المتخذة، أن يعتبر الجهاز وظيفته منتهية بتقديم تنبؤه لموقف معين ويظنه هدفا لصانع القرار . بينما قد يكون — فى حقيقة أمره — وسيلة نحو هدف . ان خلط الوسائل بالاهداف، كثيرا ما يتسبب فى أشد الاخطار . فالهدف هو محصلة وسائل متكاملة، وأى خطأ فى تقدير أهمية الوسيلة بالنسبة للهدف السياسى الاكبر ووضعها بالنسبة لغيرها من الوسائل داخل الاطار العام والاشمل لا يحقق الهدف مهما بلغت دقة تخطيط ودراسة كل وسيلة على حدة . لذلك فطرح الهدفعلى جميع الاجهزة، ودرايةالقائمين عليها بفروع التخصصات الاخرى هو واجبها لتحقيق هذا الهدف .

وقد يكون من طبيعة الهدف ذاته [محل القرار السياسى] درجة تخصصه العالية، أو ضيق أبعاده الواقعية والمتوقعة . الا أنه، حتى فى هذه الحالة، فان التكامل واجب بين الاجهزة . وينصح علماء التنبؤ السياسى لتفادى انفراد جهاز واحد ولتفادى النزعات الشخصية لصانع القرار أن تتشكل « مجموعات موضوع » Issue groups، تتفرغ لمناقشة مسألة معينة وتقدم محصلة دراساتها وتحليلها لصانع القرار السياسى . وتكون مهمة هذه المجموعات تجنيد المتخصصين فى هذه المسألة بالذات، وتوفر لهم الوقت اللازم . والعائد المنتظر من هذه الوسيلة يفوق بكثير انفراد مؤسسة واحدة بالعمل . لان المتخصص الخارجى حر من « العادات » التى تسرع المؤسسات البيروقراطية بفرضها على العاملين فيها، فضلا عن أنه يكسب البحث والتحليل عمقا وأبعادا جديدة، مستقاة من واقع فكر القطاعات الخارجة عن الاجهزة الرسمية . أن أهمية هذا الاسلوب تزداد فى مجال الامن القومى بالذات حيث تتجدد وتتطور بسرعة كبيرة نظريات الحرب والسلم والتفاوض ودراسات الرأى العام .

مفهوم « التنبؤ السياسى »

خلافا للمفاهيم السائدة عن التنبؤ فى كثير من العلوم الطبيعية، يتحدد معنى التنبؤ فى العلوم الاجتماعية بأختلاف الهدف منه وبالتالى تختلف الاساليب العملية المتبعة لتحقيقه . فاذا كان

الهدف ، من عملية التنبؤ ، هو مجرد معرفة احتمال وقوع حدث معين ، فان ذلك يتم بتصور ظروف معينة فى وضع مستقبل ، واستنباط آثارها باتباع أساليب استنتاج نظرية مثل : الفروض والنظريات والقوانين العلمية المتعارف عليها . أما اذا كان هدف التنبؤ هو وضع قرار سياسى معين أو رسم سياسة عامة فتكون مهمة القائم بعملية التنبؤ هى أن يبدأ بتحديد هدف معين تسعى الدولة لتحقيقه ويستنبط من أسس نظرية التغيرات البيئية وغيرها من الاجراءات التى يجب أن تتم لتحقيق هذا الهدف . ومن الامور الاساسية أن يكون هذا الفارق بين نوعى التنبؤ واضحا أمام الباحث ، أو صانع القرار السياسى ، حتى لو كانت المسألة موضع البحث واحدة ، فمثلا : قد يطلب صانع القرار معرفة الوضع الذى ستكون عليه جماعة سياسية معينة فى النظام السياسى ، بعد عشر سنوات ، وتقدير نفوذها وامكانياتها ، واحتمالات تزايد أو تناقص شعبيتها أو أعضائها .. الخ . فى هذه الحالة يكون على الباحث السياسى أن يدرس ، بعناية ، ودقة كافية ، انماط نمو هذه الجماعة فى الماضى واستخلاص فروض نظرية معينة . ثم عليه أن يقيم وضعها الحالى فى ظل الظروف المعينة القائمة ، وهى الظروف التى سينقلها الى المستقبل . وباستخدام اطار نظرى — يضمن له تناسق وترابط هذه الظروف وفروضه المستخلصة من التجارب التاريخية — يستطيع التنبؤ بالاحتمالات الممكنة لاوضاع ونفوذ هذه الجماعة .

ان الفوائد التى تتحقق من هذه الدراسات تغطى كل ما يمكن أن تتكلفه من جهد ومال ، فالتنبؤ السياسى يجعل من الممكن تحقيق الاهداف المرغوبة ، ويستطيع أيضا أن يجعل غير المرغوب فيه صعب الحدوث . وبه يمكن تخفيف عواقب سياسات أو قرارات أو تغيرات سيئة ، والاستفادة من آثار تغيرات وقرارات جيدة . أى أن الهدف الاساسى من التنبؤ هو صنع المستقبل السياسى بما يحقق للدولة افضل النتائج بالاضافة الى هذا فللبحث فى مجالات المستقبل منافع أخرى متعددة منها :

١ — وضع أطر نظرية متزايدة الدقة ، بتكرار التنقيح ، وبالاستخدام المستمر ، وتجميع عدد من الفروض النظرية التى تصبح — باستمرار التحقق منها فى قضايا بحث متعددة — أسسا نظرية للعاملين فى مجالات أخرى من البحث السياسى وقمع القرارات .

٢ — توضيح ، ومناقشة المسائل الحيوية التى تهم أمن الدولة الخارجي والداخلى ، والتنبيه الى مسائل قد لا تظهر أهميتها لصانع القرار أو للباحث العادى ، والكشف عن تشابك قضايا متعددة قد تبدو للعين المجردة منفصلة كل عن الاخرى بلا آثار وعواقب متبادلة .

٣ — تنشيط خيال وافق الباحثين السياسيين والعاملين بأجهزة صنع القرار السياسى ، وتعميق أبعاد اهتماماتهم وخلق روح النقاش والتحدى والتعاون العلمى بين تفرعات العلوم الاجتماعية بما يحقق أقصى فائدة لاجهزة صنع السياسة والمؤسسات الاكاديمية ، ويكسب الاخيرة ثقة فى قدراتها وبمساهماتها ومشاركتها فى صنع القرار السياسي . الامر الذى يخلق نخبة مثقفة واعية ومسئولة .

٤ — زيادة قدرة صانعى القرارات والمتخصصين فى عمل التقديرات والتنبؤات على التعرف على انماط جديدة للسلوك السياسى وظروف الازمات الدولية والداخلية والتعود على تصنيف المسائل حسب أهميتها . فالمعروف أن قدرة المخطط السياسى على التمييز بين المواقف حسب درجة أهميتها تلعب دورا رئيسيا فى نجاح السياسات الموضوعة وفى حسن تنظيم وقت صانع القرار .

٥ — تحديد وتوضيح بدائل القرار السياسى . فالاختيار السياسى لا معنى له مالم تفهم جيدا بدائله . أى أن القرار السياسى — قبل اتخاذه — لا يوجد دليل على جودته أو ضعفه الا فى ضوء مختلف البدائل المدروسة دراسة مستفيضة بحيث يصير الاختيار النهائى هو ذلك الذى يحقق أكبر منفعة بأقل اخطار أو تكاليف ممكنة . فضلا عن ذلك ، فان الاختيار ذاته الذى يتخذ قرارا سياسيا يصير اختيارا سيئا اذا لم تكن نواحيه السلبية قد درست دراسة جيدة ووضعت التوصيات اللازمة لمواجهتها اذا استلزم الامر .

مناهج التنبؤ

للتنبؤ السياسى مناهج متعددة ، الا انها تنطلق جميعها من منطلق واحد ، كخطوة أولى قبل البدء فى الدراسة الفعلية للموضوع قيد البحث . هذا المنطلق هو حصيلة اتفاق علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع والتخصص فى فروع الدراسات المتعلقة بالتقدم التكنولوجى حول الاتجاهات Trends العامة فى فروع تخصصاتهم ، فقد لا يختلف علماء الاجتماع

والاقتصاد فى أن هناك اتجاها عاما يمثل تزايدا مخيفا للسكان فى مناطق العالم الثالث ، ويتفق رجال الاقتصاد والتكنولوجيا فى أن آفاقا جديدة للعلم تتفتح باستمرار وتضمن حدا أدنى لزيادة الانتاج ، واتفق بالفعل علماء السياسة الدولية على أن النظام الدولى سيواجه فى الاجل المتوسط مشكلة المواجهة بين العالم الثالث والعالم الصناعى او بين الجنوب والشمال * ، كمااتفقوا على أن الهوة التى تفصل بين القطبين الدوليين والاقطاب الناشئة كالصين وأوروبا واليابان تضيق تدريجيا . من هذه المسلمات الاساسية وغيرها ينطلق الباحث السياسى ، أو صانع القرار المهتم بالتنبؤ بالمستقبل أو التخطيط له .

واهم المناهج المعروفة فى التنبؤ هى تلك التى حذق فيها علماء الاقتصاد والسكان ، يتم تطويرها ، حتى تتفق وطبيعة الاستقراء السياسى والاجتماعى . من هذه المناهج منهج السيناريو ومنهج المستقبلات البديلة . والمنهج الاول يفترض قيام الباحث السياسى بترتيب أحداث افتراضية بهدف تركيز الاهتمام على عمليات سببية Causal processes وهى تخدم غرضين هامين فى عملية التنبؤ :

١ — التعرف بدقة على الخطوات المتعاقبة التى تنتهى بتجسد موقف معين .

٢ — ماهى البدائل الممكنة لكل طرف من أطراف الموقف محل البحث ، ولكل خطوة من الخطوات المؤدية الى هذا الموقف ، ولكل مايمكنه أن يمنع أو يسهل حدوث الموقف أو يحول مساره .

ويستخدم المنهج الثانى « منهج المستقبلات البديلة » لاغراض مختلفة :

١ — خلق سيناريوهات متعددة .

٢ — ادخال أو حذف عوامل معينة بطريقة تحكمية .

٣ — عمل مقارنات علمية لمواقف افتراضية، هذه المقارنات تفترض توحد الاطار النظرى وتوحد التقسيمات والتفرعات .

٤ — تحليل وفحص مسائل وقضايا معينة داخل أطر نظرية موحدة . ويفيد هذا المنهج فائدة خاصة فى استبيان أفضل المسارات والاساليب لتحقيق سياسة معينة ، فتعدد المسارات واختلاف الظروف فى ظل مسلمات صحيحة يمكن الباحث من رؤية تلك المتغيرات التى يجب تقاربها ، أو العمل على توفيرها ، بالاضافة الى ذلك فان التتبع الدقيق لمسارات المواقف تسمح للباحث أن يتلمس نقاطا معينة على المسار قد تتشعب عندها مسائل فرعية بعواقب وآثار محددة من الصعب أن ينتبه لها صانع السياسة أو المخطط اذا اتبع أسلوبا أو منهجا للتنبؤ والتخطيط السياسى لا يضمن له هذه الدقة .

---

* تختلف الطليعة مع وجهة النظر القائلة بتقسيم العالم الى دول نامية ودول متقدمة أو صناعية . وقد تناولت الطليعة هذه القضية اكثر من مرة فى اعداد سابقة ، وبالتالى فان مايشير اليه الاستاذ جميل مطر باعتباره مسلمات ، هى موضع خلاف فى الرأى .

تعليــق للطليعــة

الجولة الخامسة : احتمالات متزايدة

الدراسة التى تقدمها « الطليعة » على صفحات هذا العدد ، هى محاولة لرؤية اسرائيل بعد عام تقريبا من حرب أكتوبر ، هذه الحرب التى قيل عنها — بحق — انها أسقطت نظرية الامن الاسرائيلى ، واثبتت قدرة الشعوب العربية على الصمود ، وقدرة المقاتل العربى على الاقتحام وكسر كبرياء العدو .. وهى الحرب التى قال عنها الاسرائيليون — وبحق أيضا — انها الزلزال الذى هز كيان اسرائيل .

وهذه المحاولة ، لدراسة الوضع العام لاسرائيل ، ترتبط — فى الوقت نفسه — بمحاولة أخرى ، هى دراسة العلاقة بين الوضع الذى وصل اليه العدو — بعد أكتوبر — وبين احتمالات وقوع حرب خامسة .

وفى محاولة لرصد حركة العدو الاسرائيلى ، اتبعت الطليعة هذا المنهج الذى يتمثل فى رصد ما هو « ثابت » ، وما هو « متغير » .

ففيما يتعلق بما هو ثابت ، درست الطليعة موقف اسرائيل على ضوء **التناقض الرئيسى** ، والثابت بحكم العلاقة بين حركة التحرر الوطنى العربية وبين الامبريالية والصهيونية . ثم عرضت للتناقض الثابت — أيضا — الذى يحكم العلاقة بين الدول الاشتراكية وبين حركة الصهيونية العالمية التى لم تتوقف ، خصوصا منذ عدوان سنة ١٩٦٧ ، عن توجيه نشاطاتها المخربة ضد هذه الدول .. وفى هذا أيضا تعرضت الطليعة للعلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية وبين اسرائيل ، على اعتبار ان أساس هذه العلاقة ثابت فى جوهره ، وان كانت قد طرأت عليه بعض التغييرات .

وفيما يتعلق بما هو متغير ، تعرضت الطليعة للجهد المحموم والمكثف الذى تبذله اسرائيل لدعم ترسانتها العسكرية ، واثر هذا على نشاطها السياسى والدبلوماسى ، وعلى سياستها الاعلامية وعلى مواقف قادتها الذين يعلو صوتهم مهددا ومنذرا بجولة خامسة .. وفى هذا المجال — أيضا — درست الطليعة التناقضات الداخلية فى المجتمع الاسرائيلى ، وبعض المؤشرات العامة للاقتصاد الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر .

ومن الصحيح ، ان تناقضات المجتمع الاسرائيلى ليست كلها وليدة حرب اكتوبر ، لكن كثيرا منها كان كامنا ومطموسا تحت ستار من الشوفينية وغرور القوة العسكرية . ومن الصحيح أيضا ان أزمة الاقتصاد الاسرائيلى ولدت بمولد اسرائيل نفسها ، لكن حرب أكتوبر جاءت — فى مجال التناقضات السياسية والاجتماعية ، وفى مجال الازمة الاقتصادية — بمتغيرات خطيرة لابد — على الاقل — من رصد اتجاهاتها الرئيسية .

وفى كل ماتقدم ، يكاد ان يتفق الكتاب والمعلقون الذين ساهموا فى الدراسة ، اتفاقا تاما .

غير ان الاتفاق لم يكن تاما حول هذه القضية وهى : **تزايد احتمالات وقوع جولة خامسة بين العرب وبين اسرائيل .**

ونحن نعترف — بادىء ذي بدء — بأنه من الصعوبة بمكان ان يقطع الانسان — وبكيفية نهائية — بحتمية الجولة الخامسة . لكن تطورات الاحداث تؤكد ان احتمالات وقوع حرب خامسة تتزايد ولا تتراجع . وان هذه الاحتمالات ، باتت تشد انتباه — ليس فقط القيادات السياسية والعسكرية في مصر وسوريا فحسب — بل لقد بدأت تستحوذ على اهتمام كثير من الاوساط الدولية ، بما في ذلك المعلقين أيا كانت مواقعهم أو مواقفهم بين العرب وبين اسرائيل .

وبوجه عام ، فان الذين يستبعدون — في المستقبل القريب — احتمالات الجولة الخامسة ، يؤسسون رأيهم على ما يلي :

١ — ان علاقات القوى الدولية ، خاصة بين البلدان الاشتراكية ، بقيادة الاتحاد السوفيتي ، وبين البلدان الرأسمالية ، بقيادة أمريكا ، لا تسمح بوقوع نزاع مسلح ينطوي — الان أكثر من ذي قبل — على خطر اتساعه وتحوله الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة الامريكية .

٢ — ان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قد التزما بمنهج حل النزاع بالاساليب السياسية والدبلوماسية ، وفي مقدمتها صيغة جنيف .

٣ — ان الولايات المتحدة لا تحبذ ان تقوم اسرائيل بمغامرة قد يترتب عليها ضرر محقق بالمصالح الامريكية في المنطقة ، قد ينتهي بتصفية كاملة أو شبه كاملة لهذه المصالح .

٤ — ان اسرائيل التي خسرت عشرة آلاف من القتلى ، ليس في مقدورها — بشريا ونفسيا — أن تغامر بمعركة أخرى قد تكون — وهي بالفعل — ستكون أشد ضراوة من سابقتها .

٥ — ان الاقتصاد الاسرائيلي لا يستطيع أن يتحمل تبعات حرب جديدة بما تتطلبه من تعبئة على جميع الجبهات .

٦ — ان العدوان الاسرائيلي ، وحرب أكتوبر ، قد نجم عنهما عزلة مخيفة لاسرائيل في أفريقيا وبلدان العالم الثالث والبلدان الاشتراكية ، والى حد ما في بعض الاوساط المؤثرة في أوربا الغربية .

٧ — ان حرب اكتوبر أطلقت في داخل اسرائيل تيار الهجرة المعكسية من اسرائيل الى أوربا وأمريكا وبلاد أخرى ، وان تجدد القتال قد ينتهي بتوجيه ضربة قاصمة لتيار الهجرة الى اسرائيل .

٨ — ان ظروف الحرب التي بدأت منذ ست سنوات ، قد سببت للاطراف المتنازعة كلها متاعب وصعوبات جمة ، ليس أقلها — بالنسبة للبلدان العربية المحاربة — عرقلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ونحن نقول ان جميع هذه الحجج تستند الى تقييم موضوعي ، ولا خلاف عليها .

لكن .. نستطيع ان نرصد — بالمقابل — حججا من نوع آخر :

١ — ان قادة اسرائيل ، والمؤسسة العسكرية خصوصا ، لم يتخلوا عن عدائهم لحركة التحرر الوطني العربية ، وعن سعيهم لتصفية قضية فلسطين التي هي جوهر مشكلة الشرق الاوسط . ومن ثم فان التناقض الرئيسي بين العرب واسرائيل لم يزل قائما لم يحل .

٢ — ان الازمات التي تواجهه اسرائيل في الداخل هي أزمات طاحنة ، ومن نوعية تستعصي على الحل الا في نطاق تغييرات جذرية ديموقراطية بالمعنى الشامل ، في طبيعة النظام الاسرائيلي وأسلوبه . فالصراعات السياسية المستفحلة بين الاحزاب ، قد دعمت مواقع أقصى اليمين . وضعف الحكومة الاسرائيلية التي تستند الى أغلبية ضئيلة في الكنيست ، يحاول النظام الحاكم ان يتخطاه بالاغراق في التلويح باستخدام القوة العسكرية ضد العرب ومحاولة استرضاء أقصى اليمين . والازمة الاقتصادية المزمنة لا يبدو ان لها حلول جذرية في المستقبل القريب . وعسكرة الاقتصاد المتزايدة تفاقم الازمة ولا تحد من شرورها . وفي ظل ايديولوجية تمجد العنصرية والعنف والتوسع يزداد خطر الحل العسكري يوما بعد يوم .

٣ — ان سياسة الولايات المتحدة بازاء النزاع العربي — الاسرائيلي ، اذا كان قد طرأ عليها تغييرات — وهذا صحيح — فان التغيير لم يصل الى حد حمل الولايات المتحدة على تحديد موقف واضح وحاسم من قضيتين :

الاولى : هي الجلاء عن **كل الارض** العربية التي احتلت بعد ٥ يونيو .

الثانية : هي التسليم بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره ، وفي اقامة دولته على الارض الفلسطينية .

وفي هذا ، يتجاذب السياسة الامريكية تياران : أحدهما تمثله وزارة الخارجية الامريكية التي تبدي ميلا الى تفضيل حل النزاع بالطرق السياسية

والدبلوماسية [لكن مع عدم التسليم بكل مطالب مصر وسوريا وشعب فلسطين] .. والتيار الاخر تمثله أوساط **البنتاجون** [وزارة الدفاع] التى تميل الى الحل العسكرى ، والتى تسعى الى اعادة ترتيب الاوضاع فى المنطقة بما يخدم الاستراتيجية الامريكية [انقلاب قبرص كمثل] .

انه على الرغم من وجود هذين التيارين فى السياسة الامريكية [ومن المهم بمكان الافادة من تعارضهما] ، الا ان الصراع بينهما ليس جوهريا بدليل انه تحت ادارة كل من الرئيسين **نيكسون وفورد** ، ظلت الولايات المتحدة واستمرت تسلح اسرائيل تسليحا كثيفا للغاية ، وتقدم لها معونات اقتصادية لم يسبق لها مثيل .

٥ — ان ذهاب نيكسون لا يمكن الا ان يصحبه تغييرات فى السياسة الامريكية ، وذلك على الرغم من اعلان **الرئيس فورد** تمسكه بسياسة نيكسون نحو مشكلة الشرق الاوسط ، ولكن علينا ان نتنبه الى ما يلى :

— ان الرئيس **فورد** يعطى اهتماما أكبر لمعالجة المشاكل الداخلية ، وفى مقدمتها الازمة الاقتصادية الزاحفة .

— ان الولايات المتحدة ، فى عهد **نيكسون وفورد** ، على السواء ، لم تزل تبدى قلقها من ظاهرة أن البلاد العربية — خصوصا المنتجة للبترول — تواصل ، وسوف تواصل تشديد قبضتها على ثرواتها البترولية ، كما ستتشدد من استخدام البترول كسلاح فى المعركة .. من هنا ، سعى الولايات المتحدة المستمر الى تكتيل الدول المستهلكة للبترول فى جبهة واحدة ضد الدول المنتجة .. ومن هنا ، التحذير الذى جاء فى خطاب **الرئيس فورد** فى الامم المتحدة الى الدول المنتجة للمواد الخام الاستراتيجية .

والاستنتاج الذى نخلص اليه من كل هذه الوقائع ، هو ان أوساطا معينة فى الولايات المتحدة لا ترغب — يقينا — فى ان يسترد العرب أراضيهم كاملة ، لان هذا يساوى — عمليا — نصرا بعيد المدى ، يمكن ان يعطى الثورة العربية دفعة جديدة الى الامام .. [وعلينا ان نذكر — مع الفارق — آثار معركة السويس على البلاد العربية وعلى بلدان العالم الثالث] .

ومن هذا كله ، قد ينمو — داخل أوساط معينة فى الغرب — الوهم بأن جولة خامسة يمكن أن تعيد ترتيب الاوضاع فى المنطقة بما يؤمن لها المصالح البترولية والاستراتيجية .

٦ — تدرك اسرائيل ، فى ظل أزمتها العامة ، ان تبعيتها السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة قد أصبحت حقيقة واقعة ، وان هذه التبعية تزداد ولا تنقص ، وان ازديادها يحد من حريتها فى الحركة المستقلة ، ويلزمها بالخضوع لاوامر واشنطون [وبهذا تعترف المجلة النظرية لحزب العمل الاسرائيلى الحاكم] .. ومن هنا ، تحاول اسرائيل ان تسترد دور الشريك لامريكا فى المنطقة ومن ثم ، تتركز — الان — مناورات السياسة الاسرائيلية — بازاء الولايات المتحدة — فى البحث عن صيغة تمكنها — فى توقيت معين وباستغلال ظرف دولى معين — من التحرك ضد العرب ، بسرعة وبكيفية ، تضع الولايات المتحدة أمام أمر واقع ، بل تطلب مساندة الولايات المتحدة ، اذا لزم الامر .

٧ — وعلى ضوء هذا ، يمكن ان نفسر كل تحركات اسرائيل واعمالها : فالعدوان المستمر جوا وبحرا وبرا على لبنان ، واستدعاء الاحتياطى وتحريك القوات فى اتجاه سوريا [مع اتهام سوريا بأنها تستعد لمهاجمة اسرائيل] ، كل هذا يجب الا يفسر — فقط — بأن اسرائيل تريد ان تستعيد ثقتها بنفسها ، او انها تريد ان تذهب الى جنيف من مركز القوة .. نعم .. كل هذا صحيح لكن تهديدات اسرائيل العسكرية تحمل أكثر من هذا ، لان هذه التحركات تصعد عملها العسكرى بكيفية منظمة وتدريجية ، لتصل بهذا العمل العسكرى المتسلسل ، الى مفاجأة كاملة للعرب ، والى فرض العدوان كأمر واقع على الراى العام العالمى .

٨ — يؤكد هذا أن اسرائيل تماطل فى الذهاب الى جنيف ، وانها تطلب من الدول العربية ما لا يمكن قبوله من الدول العربية : التسويات الجزئية — بشروط السلام الاسرائيلى — وهى الشروط التى رفضتها — مقدما — مصر وسوريا .

ولكل ما تقدم ، نرى ان احتمالات جولة خامسة ليست مستبعدة ، **وعلى العكس فانها تتزايد** بكيفية واضحة ، وان تزايدها يفرض على الشعوب العربية اليقظة ، كل اليقظة ، والتضامن ، كل التضامن ، ودعم جبهاتها الوطنية التقدمية بدون ابطاء .

الطليعة

رأى للطليعـة

حول تطـوير الاتحاد الاشـتراكى

شهد الشهر الماضي حوارا واسعا حول أشكال وأساليب العمل السياسي فى المرحلة المقبلة . واذا كانت ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى هى اشارة البدء فى الحوار ،فان تصاعد المناقشاتقد تجاوز — فى كثير من الاحيـان — ما جـاء فى ورقة التطوير . وليس فى هـذا ما يخيف ، فمن حق الشعب أن يعرف كل شيء ويطلع على كلرأى . هذا ، على الرغم من اننا نرى أن بعض الاراء كانت خطأ بينا .

ان الاستماع الى كافة الاتجاهات كان مطلوبا — بلا شك — وكان ضرورة وهو تقليد فى مصلحة الديموقراطية نرجو أن يستقر ويتأصل .

وقد رأت « الطليعة » فى المناقشات التى أجرتها أسرة التحرير أن من واجبها أن تسهم فى الحوار الدائر بوجهة نظر متكاملة ، فتقدم الخطوط العامة والاساسية ، دون أن تصادر على رأى مخالف — فى داخلها — قد يختلف مع التفاصيل .

واذا كان عرضـنا سيتركز حول الشـكل والاسلوب المطلوبين لممارسة العمل السياسى والاسلوب المطلوبين لممارسة العمل السياسي فى المرحلة المقبلة ، فان هذا يدعونا فى البداية الى **تأكيد اننا لا نناقش الديمقراطية السياسية ابدا فى معزل عن الاسس الاقتصادية والاجتماعية . لقد تحققت فى مصر تغييرات اقتصـادية واجتماعية**



هامة منذ عام ١٩٥٢ ، وقد أدت هذه التغييرات الى الاستقلال الاقتصادى والى قيام القطاع العام بدور بارز فى نظامنا الاقتصادى ، والى بدايات التخطيط الشامل ولتنمية الصناعة ، والصناعة الثقيلة .

لقد أدت هذه التغييرات الى اعتراف المواثيق والدستور بحق العمال وصغار الفلاحين فى احتلال موقع مشروع ومتقدم داخل العلاقات الاجتماعية والسياسية ، وارتبطت هذه التغييرات بموقف التعاون الوثيق مع قوى التحرر والتقدم داخل الوطن العربى ، وأيضا بموقف التساند والتعاون مع البلدان الاشتراكية ومع قوى التقدم والسلم والديموقراطية فى كل أنحاء العالم ، ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والتخلف .

ونحن نناضل دفاعا من أجل تثبيت كل هذه الجوانب الايجابية ، بل نحن نناضل من أجل تطويرها ، ومناقشاتنا واقتراحاتنا حول اشكال وأساليب العمل السياسى فى المرحلة المقبلة هى بالتالى جزء لا ينفصل عن هذا النضال ، فهى تناقش هذه الاساليب كى تصل الى صيغة تساعد على تحقيق أهداف جماهيرنا فى التحرر والتقدم الاجتماعى بشكل أكفأ ومعدل أسرع .

• • •

على هذا الضوء نقول أن اقتراحاتنا حول أشكال العمل السياسى ستشمل :

١ ـ تصورنا للاطار العام الذى يحكم العمل السياسى فى المرحلة المقبلة .

٢ ـ الايجابى والسلبى فى ورقة التطوير .

٣ ـ ايضاحات مطلوبة حول « المنابر » .

تصورنا للاطار العام

١ ـ يبدأ تصورنا ، بأن نقرر أن المرحلة المقبلة ستختلف فى كثير من الجوانب عن مرحلة الستينات ، ويهمنا هنا أن نركز على جانبين :

الجانب الاول هو أن مرحلة الستينات شهدت هجوما عاما من جانب السلطة الثورية ، أى هجوما من أعلى، أدى الى تصفية الطبقات صاحبة السيطرة الاقتصادية والسياسية تقليديا . وفى المرحلة المقبلة لن يتوقف مجتمعنا عن التغير والتشكل ، ولكن هذا التطور قد يتحقق ـ فيما يبدو ـ من خلال المؤسسات، وبالتالى فان مضمون وأسلوب العمل فى هذه المؤسسات يحدد فى هذه الحالة الشىء الكثير حول معدل واتجاه الحركة .

أما الجانب الثانى ، فهو أن كل القوى ـ صاحبة المصلحة فى التقدم ، قد وصلت الى الاقتناع الكامل ، وعلى ضوء الخبرة العملية أن صيغة الاتحاد الاشتراكى السابقة قد فشلت فى أداء المهام المنوطة بها ، واذا كان الدور النشط المقترح للمؤسسات فى المرحلة المقبلة يفترض تعبئة لطاقات الشعب ، وتنظيما لقواه السياسية، فان من واجبنا أن نبحث عن صيغة جديدة تحقق هذا الهدف .

لقد كان مفهوما ، منذ البداية ، أنه توجد تناقضات موضوعية بين الطبقات التى تشكل التحالف الوطنى ، رغم اتفاقها حول النضال ضد الاستعمار والصهيونية ، ومن أجل التنمية والعدل الاجتماعى . وقد قيل أن صيغة الاتحاد الاشتراكى ، والتنظيم الطليعى ، ستمكننا من تأكيد نقاط اللقاء بين أطراف التحالف ، ومن اذابة الفوارق بين الطبقات ، ومن حل التناقضات بأسلوب ديمقراطى سلمى . والاتحاد الاشتراكى ـ كصيغة للعمل السياسى ـ يمكن أن يحقق هذا اذا تصدى بحزم لقيادة التطور الاقتصادى والاجتماعى داخل المجتمع ، وأيضا اذا سمح لكل قوى التحالف بالتعبير والعمل ، بحيث تصدر القرارات السياسية معبرة عن تفاعل حقيقى ، وعن توازن القوى داخل التحالف .

الا أن النتائج العملية ـ بعد سنوات طويلة من التجارب ـ لم تحقق شيئا من هذا الذى قيل، فبدلا من اذابة الفوارق بين الطبقات ، اتسعت المسافة وزادت التناقضات بين القوى الاجتماعية للتحالف . وعلى الرغم من ظروف الحرب وضغوطها الاقتصادية ، تضاعف عدد المليونيرات ، وتفشت أوجه الانفاق الترفى . لقد زاد حجم ونشاط الرأسمالية داخل الاقتصاد المصرى ، وجزء كبير من هذا النشاط مجرد دور طفيلى بشع فى درجة استغلاله . واذا كانت صيغة الاتحاد الاشتراكى لم تمنع هذه الظاهرة على نطاق الاقتصاد القومى والتطور الاجتماعى ، فقد كان طبيعيا أن ينعكس هذا على تشكيل الاتحاد الاشتراكى نفسه ، وعلى اتجاهه السياسى . ان صيغة الاتحاد الاشتراكى لم تتمكن من وقف كثير من أوجه الانحراف عن الخط المتقدم الذى يحمى مصالح الجماهير الواسعة ، لان الرأسمالية الوطنية كانت ـ منذ البداية ـ صاحبة صوت أعلى من حجمها ودورها الحقيقى فى المجتمع ، ونسبة الـ ٥٠ فى المائة المخصصة للعمال وصغار الفلاحين لم تتمكن من احداث التوازن المتوقع ، لان جزءا كبيرا من هذه النسبة لم يكن يمثل العمال وصغار الفلاحين حقيقة ، ثم لان تمثيل العمال وصغار الفلاحين كأفراد لا يمكن أن يصدر التيار الرأسمالى ، فكل فرد على حدة يمكن أن يضعف وفى غياب المناسبة الديموقراطية من القواعد ، يمكن أن يشترى أيضا . لقد كانت الرأسمالية الوطنية صاحبة صوت أعلى منذ البداية ، ومع كل زيادة فى ثرائها وحجمها ، كان صوتها يزداد علوا فى

الحياة السياسية ، وهذا طبيعي ، فهي طبقة « **ذات دراية بالعمل السياسي وقدرة على ابداء الرأي ومعرفة بادارة الانتخابات** » ، كما تقول ورقة التطوير . لقد تمكنت هذه الطبقة ، بعد أن سمنت وتضخم حجمها ، من الاستفادة من احتكار الاتحاد الاشتراكي للعمل السياسي ، وحاولت بـأموالها وعلاقاتها وخبرتها أن تحول هذا الاحتكار للاتحاد الاشتراكي الى احتكار خاص بها ، وكادت أن تنجح في هذا فعلا ، مع أن « **سيطرة فئة معينة من قوى التحالف على التنظيم كله ينسف فكرة التحالف من أساسها** » .

ومع ذلك ، فان الرأسمالية الوطنية لا تقنع بما حققت ، وبالتالي فهي تستعد لمزيد من السيطرة السياسية ، سواء بالتصفية الكاملة لنسبة العمال والفلاحين كما يطالب البعض ، أو باقامة حزب « واحد » معارض للاتحاد الاشتراكي ـ كما يطالب البعض الاخر ـ حزب يمثل الرأسمالية تمثيلا خالصا ويتولى الدفاع عن مصالحها الانانية في كل الظروف . وباختصار فان القوى صاحبة المصلحة في التقدم فقدت الثقة في قدرة الاتحاد الاشتراكي بصيغته السابقة ، التي أدت الى خنق دورها السياسي شيئا فشيئا . والرأسمالية الوطنية ، من ناحيتها ، لم تعد تقنع ايضا بهذه الصيغة . فهي تهدف ايضا الى ادخال التعديلات التي تستكمل بها سيطرتها على الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية على أجهزة الدولة .

ولا شك أن القوى التقدمية لا تغفل ، لحظة واحدة خصوصا في مرحلة تحرير الارض عن ضرورة الوحدة الوطنية ، وعن ضرورة التحالف بين كل الطبقات المعادية للاستعمار والمسهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن الوحدة الوطنية لا تعني ـ بطبيعة الحال ـ تحقيق مصالح بعض الاطراف على حساب اطراف اخرى .

ان تحقيق التوازن بين أطراف التحالف سيتحقق في المرحلة المقبلة ـ في حالة قيام المؤسسات بدورها ، وعندما يترسخ هذا الدور ـ عبر تنافس أو صراع منظم ، اى عبر تفاعل ديمقراطي تشارك فيه ـ عندئذ ـ كل قوى الشعب ، ولاول مرة ، منذ سنوات طويلة . وكل هذا يحتم صيغة للعمل السياسي تختلف عن الصيغة السابقة الفاشلة . لابد ـ اذن ـ من صيغة تسمح لكل طبقة من الطبقات المتحالفة بالتعبير عن مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وعن مواقفها السياسية . واذا كان التعبير الامثل عن المصالح والمواقف السياسية يعني ـ في التحليل النهائي ـ تنظيم كل تيار يرتبط معا بالمصلحة والموقف ، فان هذا يجعلنا نتصور ان الاتجاه الى قيام احزاب سياسية هو اتجاه تمليه نتائج التجارب السابقة في العمل السياسي ، ويمليه ايضا اتجاهنا الى احداث التغيرات المقبلة عبر مؤسسات دستورية ديمقراطية تعكس بصدق في داخلها الوزن الحقيقي لكل الطبقات الشعبية ، ولكل القوى الوطنية التي لا تتعارض مصالحها مع التقدم والاشتراكية .

٢ ـ ولكن اذا كنا ندعوا الى قيام نظام متعدد الاحزاب ، فان هذه الدعوة تتطلب منا فورا ان نحدد مبادىء وضوابط للنظام الحزبي المقترح ، حتى لا تنحرف الدعوة عن الهدف المتقدم الذي تنشده ، أي بالتحديد حتى لا نفتح الطريق ـ بدون وعي ـ أمام قوى الردة الاجتماعية .

فلقد بدا شعار الاحزاب ـ في بعض المناقشات الاخيرة ـ كما لو كان نفيا أو بديلا للسلطة الوطنية القائمة ، بدا كما لو كان انهاء او الغاء لعشرات السنين التي سبقت ثورة يوليو وحفلت بالكفاح الوطني والاجتماعي والسنوات الاثنتين والعشرين الماضية ، وبداية لنوع جديد من السلطة . وهذا أمر نرفضه بوعي ومن منطلق يغلب مصلحة الوحدة الوطنية ، فنحن اذ ننادي بنظام سياسي يقوم على تعدد الاحزاب نقصد شيئا مختلفا تماما ، نحن نهدف الى نظام سياسي يثبت ويطور تيار المنجزات الايجابية لثورة ٢٣ يوليو ، ويحسم الاختيار في اتجاه الاشتراكية . ان النظام السياسي الذي نقترحه هو استمرار للسلطة الوطنية التي بدأت عام ١٩٥٢ ، والتي تتمثل قيادتها الآن في الرئيس انور السادات . ان النظام السياسي الذي نقترحه هو بالتحديد ممارسة لمسئوليات وصلاحيات هذه السلطة بأسلوب جديد تفرضه احتياجات موضوعية للمرحلة المقبلة ، وتفرضه خبرة الممارسة السياسية السابقة .

ويترتب على هذا ، أننا نفرق تماما بين المطالبة بتعدد الاحزاب وبين المطالبة **بعودة الاحزاب** ، والتي ظهر منها ان بعضا من الناس يقصد عودة الاحزاب الرجعية القديمة ، ولو تحت أسماء جديدة . نحن نوافق على عودة من كانوا مبعدين عن ممارسة العمل السياسي الى القيام بدورهم في ساحة النشاط العام ، ولكن على أن يكون مفهوما اننا امام مهام تطوير الايجابي الذي تحقق خلال سنوات الثورة ، ولسنا أمام محاولة للنكوص عنه تضرب الاستقلال الاقتصادي ، وتعيدنا الى حظيرة الاستعمار الجديد .

وعلى القوى المحافظة ، **التي تسعى الى العودة الى الحياة السياسية ، أن تعي المعطيات الجديدة وذلك اذا ارادت أن تسهم بدور مقبول من الطبقات الوطنية والقوى التقدمية . وان كنا نرى ان الامل ـ في هذا ـ ضعيف للغاية .**

ويترتب على هذا ، ايضا ، اننا لا نوافق – بطبيعة الحال – على اطلاق حرية تكوين الاحزاب بلا قيود ، فتأييدنا لحق تنظيم القوى السياسية فى أحزاب مستقلة ، قادرة على الدفاع عن اتجاهات فكرية وسياسية مختلفة ، لا ينفى ابدا أننا حريصون تماما على استمرار الوحدة الوطنية ، استمرار التحالف بين الاتجاهات السياسية الوطنية والتقدمية المختلفة ، وعيننا لا تغفل ابدا عن أن اسرائيل لا زالت فى قلب سيناء والجولان وفى الاراضى الفلسطينية ، وقد يتجدد القتال فى أى لحظة .

والضمان الاول لقيام التحالف بين الاحزاب المختلفة وبأسلوب ديمقراطى ، هو أن تكون هذه الاحزاب متفقة منذ البداية وملتزمة بمبادىء أساسية ، ونحن نرى أن مواثيق الثورة ، بدءا بالميثاق وانتهاء بورقة اكتوبر تصلح اطارا عاما للاتفاق والالتزام . ان الاطار العام من المبادىء الاساسية يحدد دائرة الخلاف بين الاحزاب المقترحة ، وهو يضمن – الى حد بعيد – الا يؤدى حق الخلاف المطلوب احترامه ، الى تهديد الجبهة الوطنية المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية بالانقسام الحاد .

ومن الغريب أن البعض يعارض – الان – هذا المنطق ، لانه يختلف مع تجارب الديموقراطيات الغربيةفى الدول الرأسمالية المتقدمة ، ونفس هذا البعض كان لا يكف عن الصياح حول أن تكون تجربتنا الوطنية والاجتماعية نابعة من واقعنا .

وللحقيقة فان القوى التقدمية كانت ولازالت على رأس المطالبين بالانفتاح على التجارب الثورية والخبرات الخارجية التقدمية ، ولكنها أيضا كانت ولازالت أكثر القوى أصالة وارتباطا بواقعها . وعلى ضوء هذين الاعتبارين معا اقترحنا نظام الاحزاب الملتزمة باطار سياسى عام يضمن استمرار التحالف الوطنى ، وعلى معارضينا ألا ينسوا صيحاتهم الشهيرة حول النظم النابعة من واقعنا ، وألا تكون معارضتهم لاقتراحناعلى ضوء نظريات سياسية مجردة ، لانه لا توجد نظريات سياسية مجردة تصلح لكل مكان وزمان ، وأيضا **نرفض أن تكون معارضتهم على أساس أن هذا** يخالف التجارب فى الدول الرأسمالية المتقدمة ، لان واقعنايختلف عن واقع وظروف هذه الدول .

ونضيف اخيرا ، أن تصورنا حول قيام الاحزاب يختلف تماما عن دعوة البعض لقيام نظام حزبين .

والمسألة مفهومة ، لانه اذا ابحنا حق الاختلاف المنظم ، فاننا يجب أن نقر بأن الاختلاف يمكن ، وينبغى أن يكون ، من أكثر من وجهة نظر ، فنحن لن نختلف مع الاجهزة التنفيذية حول بعض السرقات أو التصرفات المشبوهة كما يقول أحدهم ، فمثل هذا النوع من الخلافات يمكن بالفعل أن يلتقى حوله كل شريف ، وقد تتولى الرقابة الادارية أو الجهاز المركزى للمحاسبات هذه المهمة بطريقة اكفأ من الحزب السياسى ، اذا أحيطت هذه الاجهزة بالضمانات الكافية ، وزودت بالصلاحيات الواجبة . ولا مانع طبعا من أن تتولى الاحزاب السياسية أيضا بعض هذه الامور ، ولكن ليس هذا هو الهدف الاول من قيام أحزاب سياسية . ان البعض يصور القضية كما لو كنا أمام حزب « قذر » يتشكل من اللصوص ، وتمثله الحكومة والاجهزة التنفيذية ، ولذا فهو يطالب بحزب آخر « نظيف » يتألف من الشرفاء ، يتولى معارضة وكشف الحزب الاول . ولكن مسائل النظم السياسية لا يمكن أن تطرح أبدا على هذا النحو ، ان صراع « العسكر والحرامية » موجود فى كثير من المجتمعات . وهو يدخل جزئيا فى دائرة العمل السياسى والمعارضة ، ولكنه لا يشكل جوهر ولب العمل السياسى .

فجوهر العمل السياسى هو الذى يتناول طبيعة علاقاتنا الدولية والعربية ، والموقف من التنمية والديموقراطية وغيرهما من قضايا البناء الداخلى ، والموقف من مصالح الطبقات المختلفة داخل التحالف الوطنى . هنا تتعدد الاتجاهات ولا يمكن أن نحصرها فقط فى اتجاهين أو حزبين .

ولا يبدو لنا أن أصحاب دعوة الحزبين يجهلون هذه الحقيقة ، ولذا فان دعوة الحزبين لا تعنى – فى الحقيقة – أن ينشأ حزب حسن السمعة فى مواجهة الحزب القائم سىء السمعة ، ولكنهم يقصدون أن يسمح بتشكيل حزب جديد لهم ، يسعى للوصول الى الحكم باسم « التطهير والنظافة » ، ويخفى تماما حقيقة أهدافه الاجتماعية والسياسية ، وأعتقد أنهم لن يختلفوا معنا فى أن الحزب الوحيد الذى يطالبون بحقه فى الوجود لن يكون حزبا يساريا ، بأى تعريف يرضونه لليسار .

ان المطالبين بنظام الحزبين ينتهون اذن الى أنهم مجرد مطالبين بحزب مستقل لقوى اليمين ، ومثل هذه الدعوة لا يمكن أن تحقق وحدة الجبهة الوطنية التى ينبغى أن تتسع ديمقراطيتها لكل قوى التحالف ، وليس لقوة الرأسماليين وحدها .

وليس أدل على ما نقول من أن التاريخ المصرى قبل ١٩٥٢ يشهد بأن كل الانقلابات اليمينية كانت تنتص باسم التطهير ، وكان يثبت دائما أن أصحاب هذه الانقلابات كانوا أبعد ما يكونون عن السمعة الطيبة ، وعن الشرف الذى رفعوا شعاراته .

٣ – **بعد هذا الشرح لمفهومنا عن الاحزاب ،** نضيف ، أننا نعتقد ، أن هذا المفهوم هو استشراف لما سيؤول اليه التطور عند تطبيق ما جاء في ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي . لقد أوضحت الورقة « أن الوحدة الوطنية لا تنفي اختلاف المصالح بين قوى التحالف ، كما أنها لا يمكن أن تعني صب كل المواطنين في قالب فكري واحد بحيث لا يختلف اثنان في رأي . وانكار هذه الحقائق الموضوعية لا يدعم الوحدة الوطنية بحال ، بل انه سينسفها نسفا لانه لا يمكن الا ان يفضي الى تغليب مصالح فئة معينة وفرضها لارائها على بقية الفئات ، وعندئذ يكون رد الفعل الطبيعي لدى الفئات مهضومة الحق مكبوتة الصوت هو موقف سلبي من التحالف قد يصل الى حد تكوين تنظيمات خارجية » .

لقد أكدت الورقة ، اذن ، أن « تعدد القوى الاجتماعية التي يتكون منها التحالف لابد أن ينعكس في تنوع الاتجاهات التي تظهر في الاتحاد الاشتراكي ، والا كف التنظيم السياسي عن أن يمثل حقيقة التحالف . **والامر هنا لا يقتصر على مجرد حرية الاراء الفردية التي تضيع في خضم المناقشات . وانما يجب أن يتولد لدى كل من قوى التحالف الاحساس الصادق بأن صوتها مسموع داخله** » . وأضافت الورقة أن ممارسة العمل السياسي وفق هذا المفهوم سيؤدي الى تبلور الاتجاهات داخل التنظيم السياسي ، وحين تتبلور اتجاهات واضحة يتلاقى أصحاب كل اتجاه منها في عدد كبير من القضايا ، فانه لابد من مراعاة تمثيلها في المستويات القيادية بنسبة ما لها من تأييد في قواعد التنظيم » . وقالت ورقة التطوير أيضا أنه « ليس ثمة ما يحول دون أن يهتدي التنظيم نفسه الى اشكال ، أكثر تقدما ، تؤكد تعدد المنابر داخله في جو ديمقراطي وبحوار صحي وفي حرص في نهاية الامر على وحدة التنظيم واحترام لرأي أغلبية القاعدة » .

ونحن نعتقد أن تمكين القوى الشعبية من ممارسة الاشكال المقترحة للعمل السياسي والتنظيم ، وأن بلورة الاتجاهات ، ستؤدي – من الناحية العملية – الى نضوج أحزاب سياسية . وقد يكون مفيدا أن نتنبه منذ الان الى هذه الحقيقة ، حتى يتم الانتقال ، الى المرحلة النهائية ، وفق قواعد واضحة ، وبأقل قدر ممكن من الخلل أو الارتباك . ان بخار الصراع الاجتماعي المضغوط يمكن أن يتحول الى انفجار مدمر اذا لم ينصرف عبر قنوات منظمة وصحيحة ، ان التطور الديمقراطي الصحي مطلوب لدعم الجبهة الوطنية ، ومطلوب لتأكيد مبدأ « وحدة – صراع – وحدة » أي أنه يبدأ بالوحدة ويشجع الصراع بين أطراف الوحدة لكي يصل الى وحدة أكثر تدعيما . هذا المبدأ يمكن أن يتحطم اذا لم تكن هناك ضوابط تمنع الارتفاع غير المسئول في حرارة الصراع الاجتماعي ، فتدمر الوحدة الوطنية ، وتهدد – مع كل هذا – امكانيات التطور الديمقراطي .

ان الاعتراف بالاتجاهات ، وبلورة هذه الاتجاهات في منابر ، يمكن ، بل وينبغي ، أن يتطور الى أحزاب وطنية وتقدمية ، ومن واجبنا أن نستعد للانتقال الى هذا الشكل الجديد من العمل السياسي . وهي عملية ليست سهلة ، مليئة بالتناقضات والهزات . وليس صعبا أن نعدد الاتجاهات السياسية في مصر . فالاتجاهات الاساسية معروفة ومحصورة ، ولكن هذه الاتجاهات المحدودة يمكن أن يمثلها ٤ منابر أو خمسة ويمكن أن يدعي تمثيلها ٥٠ منبرا . ان بروز قيادات يعترف ديمقراطيا بتزعمها لكل اتجاه يحتاج وقتا ، ونضالا ، تمتحن فيه المواقف والقدرات . ولكن كل الجهد وكل الصعاب المتوقعة لا تدفعنا الى التردد أمام اقتحام الاسلوب الجديد للعمل السياسي ، فقط ينبغي أن نعي من البداية الشكل النهائي للعمل الديموقراطي الذي نهدف اليه ، وأيضا ينبغي ألا نغفل – أبدا – عن حقيقة أننا نسعى الى تطوير الجبهة الداخلية ، وحراب العدو موجهة الى صدورنا . نحن لا نواجه فقط مهام النضال الاستراتيجي ضد النفوذ والمؤامرات الامبريالية ، نحن لا نمارس فقط اشكال النضال الاقتصادي والسياسي ، ولكننا نواجه ايضا عدوانا مسلحا واحتلالا لارضنا ، وقد يتخذ نضالنا ضد الصهيونية والقوى الامبريالية التي تساندها شكل الاشتباك العسكري ، **واذا كنا لم نتفق ابدا مع القوى التي حاولت في الماضي أن تخنق الديمقراطية السياسية بحجة المعركة** ، فان هذا لايعني – في نفس الوقت – اننا نتجاهل الظروف الموضوعية الصعبة التي تحيط ببلادنا أثناء تطوير ممارساتها الديمقراطية ، فنحن نسعى الى حل التناقضات الثانوية في جبهتنا الداخلية ، كي تكون سندا وامتدادا اقوى لقواتنا المسلحة في مواجهتها للعدو ، نحن نطالب بحق الخلاف بين قوى التحالف الوطني ، ولكن دون ان نغفل التناقض الرئيسي بين كل القوى الوطنية في جانب ، وبين اسرائيل والامبريالية من جانب آخر .

ان فارقا كبيرا بين هذا الموقف المسئول ، وبين مواقف من يتسترون خلف شعار المعركة المقدسة ، لاخفاء حقيقة عدائهم لمشاركة الشعب في الحياة السياسية .. نحن ندرك الموقف الحقيقي لهؤلاء الناس ، وينبغي ألا نقدم لهم « ذرائع » تساعدهم في ضرب الاتجاه نحو توسيع الديمقراطية .

الايجابى والسلبى فى ورقة التطوير

على ضوء التصور العام الذى طرحناه لمسار التطور الديمقراطى ، نؤكد على القواعد الايجابية التى استحدثتها الورقة لعملنا السياسى .

● فنحن نؤكد مبدا العضوية الاختيارية ، وعدم ربط العضوية بتولى المناصب القيادية فى الاجهزة التنفيذية أو التنظيمات الجماهيرية . ولا شك ان فتح باب العضوية الاختيارية ، هذا ، أمام كافة المواطنين الموافقين على الخطوط العامة المشتركة ، هو مبدأ هام وذو أثر بعيد المدى على النشاط السياسى فى مصر . فلم يعد هناك معنى — كما تقول ورقة التطوير . « لرفض العضوية أو مصادرة الرأى بدعوى أن هذا المواطن ينتمى تاريخيا لطبقة معينة أو لمدرسة فكرية معينة أو لاتجاه سياسى معين . اننا لا يمكن أن نحاسب الناس على أوضاع لم يكونوا مسئولين عنها ما داموا يلتزمون بخطناالسياسى العام وبما تعنيه عضوية الاتحاد الاشتراكى من واجبات . كما اننا لا يمكن أن نزعم أن هذا المواطن من « رجال النظام » وذلك المواطن غريب أو دخيل لمجرد أن الثانى حاول أن يحقق أهداف الثورة بطرق أخرى ، قبل أن يقتنع بالطريق الذى اخترناه ، أو يريد أن يدعم اقتناعه بخطنا بأسانيد من فكره الخاص أو معتقداته » .

● **ولكن ينبغى ان تقابل هـذا المبـدأ الهام ضمانات كافية ضد العقوبات التنظيمية العشوائية أو المتحيزة ، والتى قد تنتهى الى أن تسحب باليد اليسرى العضوية التى قدمت ، بسخاء ، وبلا قيود باليد اليمنى** ، وقد تنبهت ورقة التطوير الى هذه النقطة فأشارت الى ما كان يحدث فى المرحلة الماضية من سحب للعضوية « لاسباب شخصية ، ثم تسللت الاجراءات الاستثنائية حتى داخل التنظيم السياسى ، وأصبح عضو التنظيم يفقد عضويته بناء على تقارير من أجهزة ، أو افراد ، دون أن تكون له فرصة الدفاع عن نفسه » . وأضافت الورقة — فى موضع آخر — أنه ينبغى « أن نحيط العضوية بضمانات تنظيمية تحمى العضو من أن يفقدها بسبب رأى ابداه ، أو أن يفصل دون تحقيق أو مواجهة او حق فى أن يرفع أمره الى مستوى أعلى يعيد النظر فيما اتخذ ضده من اجراءات » .

ولم يكن من قبيل الصدفة أن تؤكد ورقة التطوير على أن « شرعية التنظيم الداخلية تقابل سيادة القانون فى المجتمع ، والتنظيم السياسى الذى يناضل من أجل سيادة القانون لابد أن يبدأ باحترامها فى داخله » .

هذه النقطة : شرعية التنظيم الداخلية ، فى غاية الاهمية . ولابد من تقديم اقتراحات محددة بشأنها . لقد اقترح البعض — مثلا — أن يدخل العنصر القضائى فى تشكيل اللجان التى تتولى المحاسبة . وقد يبدو هذا الاقتراح معقولا ، وقد نضيف اليه انه مع تبلور المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، يتولى كل منبر محاسبة الاعضاء المرتبطين به .

● **هذا وقد اعادت ورقة التطوير تأكيد مبدأ الـ ٥٠ فى المائة** على الاقل لممثلى العمال وصغار الفلاحين . وهذا المبدأ ، رغم كل المحاولات السابقة لاحتواء آثاره ، يلعب دورا بارزا فى توجيه المرحلة السياسية المقبلة . وفى تشكيل المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، وكذلك فان بلورة اتجاهات سياسية ، وتشكيل منابر سيعطى هذه النسبة مضمونا أكثر تقدما ، ولكن من واجب القوى التقدمية أن تشدد نضالها من أجل ذهاب هذه النسبة الى أصحابها الحقيقيين ، ونتائج هذا النضال — ايجابا أو سلبا — ستؤثر تأثيرا بعيد المدى فى مسار المرحلة المقبلة .

وحتى تكون نسبة الخمسين فى المائة [على الاقل] حقيقية فعلا ، وغير شكلية ، فانه يتحتم وضع تعريف علمى للعامل والفلاح :

■ **فالفلاح هو من يفلح الارض بيديه ولا يستخدم العمل المأجور فى الانتاج . والفلاح فى بلادنا — على هذا — هو كل من يمتلك أو يستأجر — ارضا لا تزيد عن خمسة افدنة .**

اما من يمتلك — أو يحوز — أكثر من خمسة أفدنة فيندرج بالضرورة فى اطـار الرأسمالية الوطنية .

■ **والعامل هو كل من يعمل بيديه ولا يملك وسيلة للعيش غير قوة عمله .**

وإذا كانت ظاهرة الرأسمالية الطفيلية قد استفحلت بكيفية بات يخشى معها التأثير السلبى على الحياة السياسية ومن باب اولى على التنظيم السياسى وهى الظاهرة التى طالما نبه اليـها وحذر منها مجلس الشعب — اكثر من مرة — فى ردوده على برنامج الحكومة ، وفى هذا نقترح التعريف التالى للرأسمالية الوطنية الداخلة فى التحالف .

أن الرأسمالى الوطنى هو :

■ **صاحب رأس المال الذى يمارس نشاطا انتاجيا فى احد افرع الاقتصاد الوطنى الرئيسية .**

■ انه الذى يقبل أن يكون نشاطه الاقتصادى داخلا فى اهداف الخطة القومية ومتكاملا معها .

■ انه الذى يلتزم بتطبيق التشريعات والمكاسب العمالية .

بهذا ، نبـدأ فى فرز الشرائح الطفيلية عن مجموع الرأسمالية الوطنية ، ونعزل تـأثيرها السلبى على الحياة السياسية فى البلاد .

● بقيت نقطة أساسية نختلف حولها مع ما جاء فى ورقة التطوير . فقد جاء فى الورقة « أن الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا حتى يكون الحزب الحاكم الذى يملى ارادته على الحكومة والبرلمان ، وانما الاتحاد الاشتراكى هو الاطار المنظم للحركة السياسية للجماهير الشعبية » .

أن الاتحاد الاشتراكى — على النحو المستهدف — لن يكون حزبا فعلا ، ولكن بصفته الاطار المنظم للحركة السياسيةللجماهير ، كيف لايكونمسئولا عن رسم الخطوط الاساسية لعمل الجهاز التنفيذى وعمل الجهاز التشريعى ؟ واذا لم يكن التنظيم السياسى هو الموجه للجهاز التنفيذى فمن اذن يوجه هذا الجهاز ؟ وفق أىسياسة سيسير فى التنفيذ ؟ أن الورقة تقول انه « ليس معنى ذلك أن التنظيم السياسى لا يؤثر فى الحياة السياسية أو فى اتخاذ القرارات وانما القضية هى ما هو أسلوب التأثير » وتقول ورقة التطوير ، ايضا أن « ما يتضح انه رأى الاغلبية يصبح لازما لكل أعضاء التنظيم بما فيهم المسئولين ، ويتعين ان تأخذه كل السلطات بعين الاعتبار » .

ولكن القضية ليست فى أن التنظيم سيؤثر فى الحياة السياسية أولا . والمسألة لا تنحصر أيضا فى أسلوب التأثير . فالقضية المحورية هى مدى تأثير التنظيم السياسى على القرارات الرئيسية التى تحكم العمل السياسى ، وهل قرارات الاتحاد الاشتراكى فى الامور الجوهرية ستكون ملزمة ، أم انها ، فقط ، ستأخذها السلطات بعين الاعتبار ؟

ان ما يحفز أى انسان للنضال السياسى ، فى أى زمان ومكان ، هو أنه يهدف الى الوصول الى الحكم ، أو للتأثير على الحكومة ، وذلك لتحقيق الاهداف التى يدعو اليها ، واذا وصل حزب أو مجموعة أحزاب أو تحالف ، أو أى تنظيم سياسى من أى نوع ، الى مقاعد الحكم ، فانه من المشروع تماما ان يستخدم امكانيات الاجهزة التنفيذية والتشريعية لتحقيق برامجه ، وسيكون الوزراء أو أعضاء البرلمان مرتبطين بالبرامج والسياسات التى يقررها الجهاز السياسى الذى يرتبطون به ، هذا هو ما يحدث فى كل مكان ، فكيف يستثنى الاتحاد الاشتراكى ويحرم من واجبه فى القيادة السياسية للبلاد ، ومن توجيه الاجهزة المختلفة لتنفيذ هذه السياسة ؟

يبدو أن تجاربنا الماضية مـع الاتحـاد الاشتراكى ، ومع الشلل والمنتفعين ، يبدو أن أسلوب التدخل فى القرارات اليومية للادارات المختلفة ، وأسلوب التقارير ، يبدو أن الاخطاء الكثيرة فى هذه الميادين كانت خلف التحفظ فى تحديد الدور السياسى للاتحاد الاشتراكى . ونحن نعترف — فعـلا — بكل الاخطاء والتجاوزات . وقد يحتاج تحديد دور لجان الاتحاد الاشتراكى بالنسبة لقرارات الوحدات الادارية والانتاجية الى مزيد من الدراسة . ولكن أن يتم تحـديد الاستراتيجية العامة للتحرر وللتنمية ، وأن يتم اتخاذ القـرارات الاسـاسية المنفـذة لهـذه الاستراتيجية ، بعيدا عن التنظيم الذى تفترض فيه قيادة العمل السياسى ، فان هذا لن يؤدى الا الى انفضاض الجماهير عن هذا التنظيم الذى لا يملك الا قاعات يدير فيها النقاش .

ايضاحات مطلوبة حول المنابر

ان الاضافات والاقتراحات تتعلق بمسـألة الاتجاهات والمنابر . فهذه المسـألة تعتبر اهـم التجديدات التى قدمتها ورقة التطوير ، ولكن هذه المسألة لا زالت تحتاج مزيدا من التوضيح .

● فمثلا هل ستتحدد هذه الاتجاهات على أساس تقسيمات اقتصادية أو فئوية ؟ هل سيقال مثلا أن هناك اتجاها للعمال واتجاها للفلاحين واتجاها للرأسمالية الوطنية الخ . أو أن هذه الاتجاهات ستكون اتجاهات سياسية وفكرية ؟ يبدو أن الورقة تقصد الاتجاهات بالمعنى الاخير ، وهذا هو الوضع السليم والطبيعى للامور ، ولكن لابد من تحديد حاسم لهذه القضية .

● كـذلك متى ستتشكل هذه المنـابر ؟ ان التغييرات التى قدمتها ورقة التطوير تفترض أن الاتحاد الاشتراكى سيعاد تكوينه من جديد ، حتى تشارك القوى السياسية التى كانت مستبعدة فى المرحلة السابقة ، وقد تظل الانتخابات الاسلوب الممكن فى المرحلة الانتقالية القادمة ، فهل سيسمح بتكوين المنابر قبل الانتخابات أو بعد الانتخابات ؟ يبدو أنه سيكون صعبا تشكيل المنابر [التى هى تعبير مبلور بلورة أولية عن الاتجاهات السياسية] قبل الانتخابات ، ولكن مجرد أن تدور انتخابات وتشترك فيها كل القوى السياسية الوطنيـة النشطة ، ومجرد أن تجرى انتخابات وفى ذهن المشاركين فيها أنهم سينتمون الى اتجاهات ومنابر

سياسية ، سيجعلنا نشهد معركة انتخابية من نوع لم نشهده في السابق .. معركة ذات مستوى سياسي مرتفع ، ويجرى التنافس فيها حول برامج ومبادىء محددة .

ويحسن الا ينعقد المؤتمر القومي العام الا بعد فترة طويلة نسبيا من اجراء الانتخابات الاعدية ، وهي فترة مطلوبة للتعارف بين القيادات في المناطق المختلفة ، وللتعارف - بطريقة أولية - بين أصحاب الاتجاهات المتقاربة . فاذا انعقد المؤتمر القومي - بعد هذه الفترة - يصبح ممكنا أن تتقدم المجموعات المختلفة بطلب تشكيل المنابر ، وفق برامج محددة ، وفي اطار مواثيق الثورة . وعلى اثر هذا تبدأ المنابر في مباشرة نشاطها ، قد يبدو عددها كبيرا في الفترة الاولى ، ولكنها سرعان ما ستتجمع في عدد أقل ، والارجح أن الفريق الثالث الذي تحدثت عنه ورقة التغيير وهو « أغلبية تريد التقدم ، ولكنها تخشى القفز للامام » الارجح ان هذا الفريق سيكون ذا وزن خاص منذ البداية ، وسيحكم هذا تطور العملية - الى حد بعيد - وسيكون حافزا لتجمع المنابر الاخرى في عدد قليل على يمين هذا الفريق أو على يساره .

● **وهناك سؤال آخر : هل الاتجاهات والمنابر مجرد ابديه ثقافية او سياسية في القمه ، او هي تمتد أيضا الى القاعدة؟** يبدو من سياق الورقة انها تقصد امتداد هذه الاتجاهات من القمة الى القاعدة ، وفي هذه الحالة يكون السؤال حول اسلوب الاتصال بين المرتبطين بنفس الاتجاه ، ونحن نتصور أنه لا ينبغي أن تكون هناك حواجز أو معوقات في وجه هذا الاتصال ، وستنمو الاتصالات ، ومعها الروابط تدريجيا من خلال العمل وتبادل الخبرات وتنسيق المواقف ، وايضا ستلعب وسائل النشر والصحف دورا هاما في هذا المجال .

● **سؤال آخر : ما هي العلاقة بين المنابر المختلفة ؟** ان العلاقة بين المنابر المختلفة يحكمها منذ البداية اتفاق حول اطار سياسي عام ، وبالتالي فان كثيرا من هذه الخلافات بين هذه المنابر محدودة النطاق نسبيا . والمفروض ، أن كافة الأطراف ستحرص على ألا تصل بالخلاف الى حد تصديع التحالف بين القوى الوطنية . والمفروض أيضا أن ممثلي الاتجاهات المختلفة سيمثلون في قيادة الاتحاد الاشتراكي حسب أوزانهم النسبية ، ومن خلال اجتماعات القيادة سيتحقق قدر معقول من الحوار والتنسيق .

ولكن ماذا عن نقاط الخلاف بين المنابر المختلفة ، التي لم تتمكن الاجتماعات واللقاءات من الوصول الى رأى موحد فيها ؟ ان الخلافات ستكون في نطاق محدود ، ولكنها ستكون متكررة وكثيرة ، والا لما كانت هناك ضرورة لتعدد المنابر ، ماهو الموقف من هذه الخلافات ؟ ان ورقة التطوير تقول هنا « اما القضايا الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا مصادرة للرأى فيها . فاذا ماطرحت قضية على التنظيم كله وبرز من خلال المناقشات اتجاه تتبناه أغلبية واضحة كان على الجميع احترام هذا الاتجاه وتنفيذه دون أن يتخلى العضو في سبيل ذلك عن رأيه الخاص » . ونحن نختلف في هذه النقطة ، اذ لا ضرورة هنا لخضوع الاقلية للاغلبية ، ولن يخل هذا بتماسك الجبهة الداخلية ، فالخلافات ليست ذات طابع استراتيجي ، ومن ناحية أخرى ، نحن ندرك أن المنابر ستكون ذات احجام مختلفة ، وقد نقطع بأن أحد المنابر سيمثل الاتجاه الرئيسى الغالب ، وبالتالي سيتمكن - بوزنه هذا - من اصدار التشريعات والقرارات التي يراها ضرورية لتنفيذ برنامجه السياسي ، فما الذي يمنع المنابر الاخرى من معارضة هذه التشريعات داخل اجتماعات التحالف [الاتحاد الاشتراكي] أو داخل الجهاز التشريعي . اوفي الصحف التي تنطق باسم هذه المنابر ؟ اليست هذه هي الفائدة الحقيقية من وجود المنابر ؟ اى **أن يكون هناك الرأى الاخر الذي يجعل** « المنبر الاساسى » يحسب خطواته كثيرا قبل أن يقدم حتى لا يخسر الرأى العام أمام معارضيه ، ويؤدى هذا الى رفع كفاءة العمل السياسي والتنفيذي بشكل عام ؟

ان الضوابط التي فرضت على انشاء المنابر وعلى أسلوب عملها ، لا يجعلنا نخشى كثيرا من مناقشة الخلافات التكتيكية بين المنتمين الى اتجاهات سياسية متباينة ، سواء على صفحات الصحف ، أو في الاجتماعات العامة . وكذلك فان الاجتماعات الدورية المنتظمة لممثلي الاتجاهات المختلفة ستخلق تقاليد وآداب للحوار السياسي ، بحيث لا يتحول الى اداة تهدم أسس التحالف الوطني .

● **سؤال خامس : هل تتعارض المنابر** والاتجاهات السياسية مع مبدأ الـ ٥٠ في المائة ؟ اذا انتهت المنابر السياسية الى تشكيل احزاب ستتغير أشياء كثيرة ، فقد يعدل عن الانتخابات للاتحاد الاشتراكى ، وستتشكل الاحزاب المختلفة ممن يتقدمون اليها مباشرة بطلب العضوية ، ولكن في الفترة التي تواجهها الان - على ضوء ورقة التطوير - والتي نعتبرها فترة انتقالية ، تظل نسبة الـ ٥٠ في المائة ضرورة لتطور المنابر في اتجاه أكثر ارتباطا بقضايا الجماهير الواسعة . واذا كانت المنابر مقامة على أسس سياسية ، فان

العمال أو صغار الفلاحين لن يتجمعوا فى منبر معين ، بل سيتوزعون على المنابر المختلفة بنسب متفاوتة ، حسب انتماءاتهم السياسية ، ولكنهم **سيكونون فى كل منبر** عنصر ضغط من أجل ارتباط **كل المنابر** بقضايا التقدم الاجتماعى بدرجة أو أخرى .

● **سؤال سادس :** ما هو دور الصحف التى تتبع حاليا الاتحاد الاشتراكى ؟ لقد كان وضع الصحف فى الصيغة السابقة للاتحاد الاشتراكى مناسبا لطبيعة وأسلوب التنظيم السياسى ، فكانت كل صحيفة تمثل تجمعا من أفراد يعبرون عن مواقف سياسية مختلفة ، ولكن هل يستقيم استمرار هذا الحل مع الاعتراف باتجاهات سياسية محددة يتوزع عليها أعضاء الاتحاد الاشتراكى ؟ أن وضع الصحف لابد ان يختلف بعد التطور المستهدف فى العمل السياسى ، والطبيعى هو أن تصبح كل مؤسسة صحفية ناطقة ومعبرة عن منبر سياسى محدد .

ومع تطور المنابر ، تصبح العلاقة العضوية كاملة بين قيادة المنبر وقيادة المؤسسة الصحفية ، أى تؤول ملكية المؤسسة الى المنبر الذى تعبر عنه ، وتصبح قيادة المؤسسة الصحفية خاضعة للقيادة المنتخبة للمنبر السياسى .

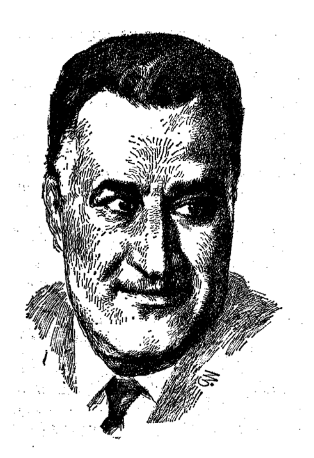
ويجرنا هذا الحديث عن تمويل المؤسسات الصحفية فى وضعها الجديد ، فهذه قضية لابد ان تعالج بدقة ، وفى ظل عدد من الحقائق : **الحقيقة الاولى أن الصحافة اصبحت مؤسسات** اقتصادية ضخمة ، أصبحت صناعة متطورة ، ومعروف أن موارد التوزيع لأى صحيفة لا تكفى وحدها لموازنة نفقاتها . **الحقيقة الثانية** هى أن سد العجز فى موارد أى مؤسسة صحفية يتحقق من الاعانات المباشرة ؟ أو غير المباشرة ، فى الدول الغربية تأتى هذه المعونات من الاحتكارات الكبرى [والاعلانات مجرد شكل واحد من الاشكال العديدة للدعم] وفى بلد كبلدنا يمكن أن يأتى الدعم من مصادر غير محلية ، **ولكن الدعم الاساسى للصحف المصرية يأتى** من الدولة والقطاع العام . [والاعلانات ايضا **مجرد شكل من الاشكال العديدة**] **الحقيقة الثالثة هى اننا نريد أن نحرر الصحف التابعة لمختلف المنابر من ضغوط ، أو اغراءات التمويل الخارجى [أى غير المصرى]** . وأيضا مفروض ان تمويل الدولة والقطاع العام ينبغى ألا يستخدم فى محاباة مؤسسة صحفية على حساب أخرى ، بل مفروض ان يوزع الدعم الحكومى وفق قواعد موضوعية ملزمة يتفق عليها . لان موارد الدولة والقطاع العام هى ملك لكل الشعب ، والمنابر — على اختلاف اتجاهاتها — هى أيضا منابر الشعب التى يعبر من خلالها عن مصالحه وآماله .

على ضوء هذه الحقائق الثلاثة نعتقد اننا نستطيع ابتكار شكل جديد لتمويل الصحافة ، يضمن صدقها وجديتها فى التعبير عن مختلف الاراء .

● ● ●

وبعد . نحن لا نزعم اننا قدمنا اجابة نهائية على كل التساؤلات ، ولكننا نزعم اننا حاولنا — بكل الاخلاص — أن نبحث عن بداية طريق أكثر ديمقراطية يتفق — وبكيفية خاصة — مع الظروف الحالية التى تمر بها البلاد ، هذه الظروف التى يحكمها أولا وأخيرا — شعار استكمال تحرير الارض وردع العدو الصهيونى الامبريالى .

الطليعة



جمال عبد الناصر :

الثورة .. والثورة المضادة

① عبد الناصر : الثورة

تأتى الذكرى الرابعة لوفاة جمال عبد الناصر - قائد متثيرة ٢٣ يوليو - وثورة التحرر الوطنى العربية قد بدأت منذ السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ أولى خطواتها من أجل تحرير الارض التى يحتلها العدو الصهيونى المدعوم دعما كاملا من الامبريالية العالمية والولايات المتحدة .

وتأتى هذه الذكرى الرابعة ، ومصر تشهد صراعا سياسيا وفكريا واجتماعيا بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة ، تلك القوى التى لم تهدأ مقاومتها أبدا ، ولا محاولاتها العديدة للامتداد بالخط الثورى لـ ٢٣ يوليو .

ويستهدف هذا الهجوم الخطوط الوطنية والتقدمية الثابتة التى حكمت مسيرة عبد الناصر الطويلة والمعقدة ، وهى المسيرة التى تولى قيادتها بعده الرئيس أنور السادات

لقد حكم هذه المسيرة منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

أولا :

خط النضال العنيد ضد الامبريالية وضد الاستعمار القديم والجديد .. خط التحرر الوطنى من الاستعمار .. هذا الخط الذى تمت فى اطاره تصفية الاحتلال البريطانى لمصر ، فكان الاستقلال السياسى ، وأسقط النظام الملكى ونظام كبار ملاك الارض الحليف الطبيعى للاحتلال والاستعمار ، وهو الخط الذى أملى على الثورة المصرية اعلان تحديها للامبريالية العالمية عندما أممت قناة السويس ، وعندما خاضت حرب سنة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثى ـ الامبريالى الصهيونى ـ وهو نفس الخط الذى أملى على الثورة المصرية بقيادة عبد الناصر اتخاذ القرار بتمصير مصادر الثروة فى مصر .. الأرض ، والمال ، والصناعة ، والتجارة ، والخدمات .

واستمرار هذه المسيرة الوطنية للثورة المصرية ، فرض حتمية ارتباطها بحركة التحرر الوطنى العربية ، فكانت المعارك التى قادها عبد الناصر ورفاقه ، ضد حلف بغداد وكل مشروعات أحلاف الاستعمار لاحتواء المنطقة ، وكان من بينها مشروع أيزنهاور ، ومن أجل « بترول العرب للعرب » ... الخ .

وكانت النتيجة الحتمية ، لارتباط الثورة الوطنية بالثورة الوطنية العربية ، الارتباط والتلاحم مع حركة التحرر الوطنى العالمية ، وعن هذا الترابط والتلاحم قال عبد الناصر فى ١٩٦٦/٥/١٠ : « ان النضال الشعبى المصرى ، والنضال الشعبى للامة العربية ، يجرى فى اطار الثورة العالمية كلها لحركة التحرير الوطنى .. هذه الثورة الرائعة التى تتعرض اليوم لغارات استعمارية رجعية ضارية فى آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية » .

هذا التطور على النطاق العالمى ، انتهى بالثورة المصرية الى حتمية تحالفها الوثيق بمعسكر الثورة العالمية المعادى للامبريالية والرأسمالية ، فكانت علاقات الصداقة والتعاون والعمل المشترك ببلدان الاشتراكية ، تحالفا ضروريا لمواصلة شن النضال لتصفية نظام الاستعمار القديم والجديد ونظام استغلال الانسان لاخيه الانسان .

كان هذا التطور الثورى داخل حركة التحرر الوطنى المصرية هو الدافع لكل ردود الفعل الاستعمارية التى أرادت دائما وما زالت تريد ان تشوه من هذه التجربة التقدمية فى حركة التحرر الوطنى ، وان تباعد بين الشعوب وبين قائدها جمال عبد الناصر .

وثانيا :

ان هذه المسيرة الوطنية ، بعمق أبعادها المناضلة ضد الاستعمار القديم والجديد ـ وبارتباطاتها بالثورة العالمية ـ هى التى تطورت عند عبد الناصر لتصبح كما قال فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٦٤ : « ان شعوبنا لا تقنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا من عداد الاصوات فى الامم المتحدة فحسب ولكنها تريد بجانب ذلك ان يكون الاستقلال مضمونا اجتماعيا ، يصون كرامة البشر ، كما يصون الاستقلال أرضهم » .

ومن هنا كان انتقال عبد الناصر بالثورة الوطنية الى الثورة الاجتماعية .. فكان التاميم ، وكان الاصلاح الزراعى الثانى ، وكانت مجانية التعليم ، وكانت المكتسبات العمالية من المشاركة فى الارباح والادارة الى نسبة الـ ٥٠ ٪ على الاقل فى كافة المؤسسات الشعبية والدستورية ، وهذا المسار ، عبر طريق الثورة الاجتماعية ، هو الذى قاد الى حتمية الحل الاشتراكى .

وادى هذا التطور ـ بعبد الناصر ـ الى ان يضع شرطين ضروريين لانجاز الثورة الاجتماعية :

الاول : رفضه للاستعمار الجديد ومشروعاته الزائفة والتى ليست الا طعما يريد به الاستغلال الاستعمارى القديم ان يعود بأشكال جديدة .

الثاني : ضرورة ارتباط النضال من اجل رفع مستوى معيشة جماهير الشعب الكادحة بقيام خطة تنمية ، للانتقال بالبلاد من أوضاع التخلف الذى فرض عليها لسنين طويلة ، وللخروج من اسار التبعية للنظام الرأسمالي العالمي ، وان يكون أساس هذه الخطة ومحور تطورها هو الملكية العامة لوسائل الانتاج ـ القطاع العام .

وهكذا .. فانه اذا كان عبد الناصر قد أكد على أهمية الثورة الاجتماعية فى سنة ١٩٦١ ، فانه قد وجه ضربة مصيرية لمراكز الاستعمار القديم ولأحلام الاستعمار الجديد ولجميع المراكز الاحتكارية .. وفى هذا كان التأميم والمصادرة نوعا من التراكم لصالح الشعب ، وأخذا من الاستعمار والاحتكار والاقطاع لصالح التنمية ، ولصالح كل تطوير تقدمى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا

وهكذا .. فانه عندما تجيء الذكرى الرابعة لعبد الناصر ، وترتفع أصوات لم تقف يوما مع الديموقراطية والحرية لتهاجم باسم « الديموقراطية » و « الحرية » و « الدفاع عن الشعب » ، منجزات الاثنين والعشرين عاما الماضية ، يجب ان نتبين الارضية التى من فوقها يتحركون ضد مسيرة ٢٣ يوليو ، وضد قائدها عبد الناصر .. ذلك ان هذه الاصوات قديمة قدم الصراع الوطنى المصرى ضد الاستعمار وعملائه ، وقدم الصراع الاجتماعى المصرى ضد الاستغلال والسيطرة والتحكم .. انها كما قال عبد الناصر فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٦ للصحفيين العراقيين : « ... ان الحملة ضد الاشتراكية فى البلاد العربية موجهة من تحالف الاقطاع ورأس المال وايضا من الاستعمار » .. وكما قال فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٦٦ : « وفى أى ثورة لازم يكون فيه أمر واضح ، فيه أعداء للثورة .. وفيه مؤيدين وحلفاء للثورة ، وكل ثورة حتى تريد ان تنجح لابد ان تصنف مين هم اعدائها ومين هم حلفائها . اعداؤها لن يكونوا بأى حال من الاحوال عونا لها فى سبيل تحقيق أهدافها ، خصوصا اذا كانت هذه الثورة ثورة اشتراكية ، ثورة تقضى على الاستغلال بكل أنواعه » .

والاصوات التى تعلو اليوم ضد منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، ليست الا تعبيرا عن نمو طفيلى لعناصر رأسمالية حذر منها عبد الناصر كثيرا .. ففى خطاب له فى السويس فى سنة ١٩٦٤ ، قال :

« قطاع الرأسمالية الوطنية بيزيد وبينزل فى ايده فلوس كثيرة .. بعض الناس فى هذا القطاع عنده تطلعات انه عايز يكون فى وضع طبقى متميز ، زى ما كانت طبقة الرأسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى ، هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجه ، والنهارده شايف ان الظروف ساعدته ، والظروف مكنته من انه يعمل ثروة بسيطة أو ثروة متوسطة .. عايز يعمل رأسمالى .. أو عايز يعمل اقطاعى » .

وتنمو الجيوب الرأسمالية الطفيلية ـ ممثلة اتجاها خطرا كما يقول عبد الناصر لكارنجيا الصحفى الهندى ـ « لانها تؤدى الى الفساد والى شرور أخرى كثيرة » .. وبازدياد ثرائها الطفيلى ، وحيث تخفى شرها وسمها تحت مظلة شعارات لا تؤمن بها ولم تمارسها ، تحاول ان تهيل التراب على اثنين وعشرين عاما من تاريخ مصر ، غيرت الكثير من وجه الحياة فى مصر .. مجانية التعليم ، والاصلاح الزراعى ، وتحرير الاقتصاد المصرى من قبضة الاجانب وبنوكهم واحتكاراتهم ، واقامة القطاع العام والسد العالى ، ومجمع الحديد والصلب ، وعشرات من الصناعات العديدة التى لم تكن تعرفها مصر فى ظل سيطرة الاستعمار والباشوات والبكوات .. وتلك المنجزات هى التى تصوب قوى الرجعية التى تتحرك من تحت الرماد ، وقوى الرأسمالية الجديدة والطفيلية ، اليها سهامها .

وفى الذكرى الرابعة لعبد الناصر ، تؤكد قوى الثورة ـ بكل اتجاهاتها ومنابرها ـ ان عبد الناصر قدم تجربة ثورية لمصر .. وأى تجربة لها ايجابياتها وسلبياتها ، والا فلن تكون تجربة ، وكل مناضل له أخطاؤه ما دام بشرا ، فالملائكة وحدهم هم الذين لا يخطئون . واصلاح الخطأ ، وعلاج العيب يعنى الاستمرار بالتجربة وفق خطوطها الاساسية ، ولا يعنى الارتداد عنها والنكوث الى خلف ، والعودة الى الماضى

الذى رفضه الشعب المصرى ، سواء قبل ثورة ٢٣ يوليو أو بعد ثورة ٢٣ يوليو .. وهذه هى المعانى التى أكد عليها أكثر من مرة الرئيس أنور السادات .

ان ما نحتاجه فى الذكرى الرابعة لهذا القائد الوطنى العظيم — جمال عبدالناصر — ليس مجرد وقفة موضوعية ، ولكن وقفة ثورية ، حيال تجربة ثورية .. ما هو حجم هذه التجربة ؟ .. حجم منجزاتها ؟ .. وحجم سلبياتها ؟ .. وما هو الطريق للاستمرار بها ومواجهة النقائض والعيوب والتغلب عليها ... ؟

ان عبد الناصر قد ترك للشعب المصرى — عماله وفلاحيه — تراثا وطنيا تقدميا ، اهم ما فيه استقلال وطنى ، وارادة وطنية حرة ، وارتباط عضوى بحركة التحرر العالمية المعادية للاستعمار والرأسمالية ، وبداية سير على طريق الثورة الاجتماعية والديموقراطية ، واستشراف للاشتراكية .. والشعب المصرى الكادح جدير بالدفاع عن هذا التراث فى وجه كل هجمات الرجعية القديمة والحديثة .

(٢) عبد الناصر .. والثورة المضادة

لقد كان جمال عبد الناصر — بعد اعلانه للثورة الاجتماعية فى ١٩٦١ يرى دائما خطر القوى المضادة للثورة . يراها فى الاستعمار الجديد ومشروعاته ، يراها فى بقايا القوى والافكار الرجعية القديمة ، يراها فى الطبقة الجديدة التى أخذت تتكون وتثرى على حساب منجزات ٢٣ يوليو بالرشوة واستغلال النفوذ وبالسوق السوداء وبالتسلق الطفيلى على كل منجز تقدمى . وهذه الرؤية للقوى المضادة للثورة نقدمها من خلال البعض من اقواله فى مناسبات مختلفة . وهى رؤية أكدها الرئيس أنور السادات فى خطابه فى ٢٤ يوليو ١٩٧٢ : « ان الدرس الاعظم الذى نستفيده من خبرة العشرين عاما الماضية ، هو أن الاستعمار واعوانه من الرجعيين يتربصون دائما بنضال الشعب ومنجزاته . يريدون الانقضاض عليها والارتداد بالجماهير الى أشكال من التبعية والاستغلال . وان سلاحنا هو قوى الشعب العامل واليقظة الدائمة والحرص على استمرار الثورة » .

فماذا قال عبد الناصر عن هذه القوى المضادة :

● « كما دعونا للاشتراكية ، كما دعونا لتطبيق الاشتراكية بالكفاية والعدل ، دعونا الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، بالتنمية الاقتصادية ، والتحول الاشتراكى ، ووجهنا بهجوم علينا . من مين ؟ من المستفيدين من الاوضاع الاستغلالية القديمة فى العالم العربى ، لانهم شعروا أن هذه الدعوة الاشتراكية ، الدعوة للعدالة الاجتماعية ، هذه الدعوة تمثل خطرا على امتيازاتهم اللى حصلوا عليها على مر السنين .. فخرجوا للتصدى لهذه الدعوة .. » .

من خطابه فى عيد الوحدة
١٩٦٤/٢/٢٢

● « .. انه ينبغى أننا مهما كان الثمن الانسمح بظهور طبقة جديدة ، تظن أن الامتيازات ارث لها بعد الطبقة القديمة . وعلينا أن نقاوم مثل هذا الانحراف ونقذفه ونثور عليه اذا اقتضى الامر ونجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه ، فان هذا السلاح سوف تواتيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة .. قيادة العمل الوطنى الشرعية وطليعته فى الحق والواجب » .

من خطابه فى مجلس الامة
١٩٦٤/٣/٢٥

● « احنا فى نفس الوقت بنظم انفسنا بواسطة الاتحاد الاشتراكى العربى » .
« الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم السياسى اللى بيجمع كل المواطنين من أجل العمل على تحقيق أهداف الثورة وتحقيق أهداف الميثاق ولكن أنا بدى أقول حاجة .. ان التنظيم السياسى اللى هو الاتحاد الاشتراكى العربى مش كله عبارة عن مؤيدين للثورة ، هناك بعض أفراد أو

بعض ناس يمكن يعتبروا من القوى المعـادية للثورة ودخلوا برضه فى الاتحاد الاشتراكى . مش واجب أنا أكشف هؤلاء النـاس ، واجب الشعب ، كل الشعب بعماله وفلاحيه ومثقفيه انه يكشف هؤلاء الناس ، احنا قلنا فى المـاضى حينما أعلنا الميثاق ، قلنا ان احنا نريد أن نعطى الحرية لكل الشـعب . ان ادينا حرية لاعـداء الشعب ، للمنحرفين .. انهم ينفذوا من خلال الاعمال الجليلة والاعمال الكبيرة اللى احنـا بنعملها ، ولهذا يجب أن تكون الحرية للشعب ويجب الا يتهاون هذا الشعب فى حقوقه ، ولايعطى اى فرصة للمنحرفين بأنهم يخرجوه عن طريقه اللى رسمه الميثاق .

« بهذا نبنى الديمقراطية السليمة ، بهذا نبنى الاشتراكية ، بالاشتراكية والديمقراطية السليمة ، نستطيع أن نضمن أننا نسير فى الطريق السليم وفى الطريق الصحيح .

« الديمقراطية السليمة والمزيد من الديمقراطية السليمة هو سبيلنا حتى نجعل هذه الديمقراطية راسخة ، النهاردة ميهمناشى وزى ما بقول اذا كان فيه انحرافات لابد الشعب حيكشف هؤلاء المنحرفين لابد الشعب حيكشف هؤلاء المنحرفين ، وزى ما قلنا لا يمكن ان احنا نعطى الحرية لاعداء الشعب . الشعب نفسه لن يمكن أعداءه بأى حال من الاحوال من أن تكون لهم الحرية ليقضوا على مكاسبه اللى حصل عليها الشـعب نفسه بيباشر هذه الحرية ، ويباشر هذه الديمقراطية لتسير فى طريقها السليم وتسير فى طريقهـا الصحيح » .

من خطابه فى الاسماعيلية
١٩٦٤/١٢/٢٤

« ... ان الرجعيـة لا يمكن بأى حـال من الاحوال أن تسير مع القوى التقدمية . ولو كانت المسيرة نحو فلسطين ، لان الرجعية تنظر الى القوى التقدمية العربية على انها خطر عليها اكبر من خطر اسرائيل ، ولان الرجعية المتعاونة مع الاستعمار .. الرجعية المتحالفة مع الاستعمار .. الرجعية الداخلية فى مناطق نفوذ الاستعمار لا تحسب خطر اسرائيل لان الاستعمار باستمرار يحميها وينسق بينها وبين اسرائيـل والرجعية العربية تحسب خطر التقدم العربى لانها رجعية مستغلة تسلب أموال الشعب العربى ، وانهـا رجعية مستبدة تعتمد فى حكمها على النضال الطبقى ، ولانهـا رجعية متعصـبة ، رجعيـة مسيطرة » .

من خطابه فى دمنهور
١٩٦٦/٦/١٥

• « انا بدى أقول حاجة اذا كنا فى أى بلد من البـلاد فى ثورة لابد أن تـكون هناك ثورة مضادة .. احنا هنا فى مصر فيه ثورة بقى لها ١٥ سنة وقلنا ان فيـه ثورة سلمية ، وبتحـل التناقضـات الموجـودة فى المجتمع بالطريقـة السلمية .. » .

« وأنا قلت لكم مرات كثيرة أن علينا أن نكون على بينة من الثورة المضادة ، زى ما فيه ناس لها مصلحة حقيقية فى الثورة ، وزى ما فيه ناس لها مصلحة حقيقية فى النصر ، وفيه ناس لهـا مصـلحة حقيقية فى الثورة المضادة لان الثورة المضـادة تمثل ايه ؟ انما تمثل تحـالف الاقطاع ورأس المال يمثل تحالف الاستعمار والرجعية » .

من خطابه فى المؤتمر العمالى بحلوان
١٩٦٨/٣/٤

• « وينبغى أن نحلل هنـا ما تفعله الثورة المضادة .. ان قوى الثورة المضادة شأنها فى ذلك شـأن قوى الثورة تحاول أن تتوجـه الى الجماهير ، فى حين أن قوى الثورة تتوجه الى الجماهير مباشرة باحساسها بالانتماء الاصيل لها فان قوى الثورة المضادة تحاول أن تلف من حول الجماهير لكى تخدعها ولو حتى تضعف ذات هذه الجماهير الاصيلة . وسبيل الثورة المضادة الى ذلك سبيل واحـد هو الوقوف أمام المشـاكل وتجسيم هذه المشاكل واستعمال ضيق الجماهير بها لكى يكون رقيبا احتياطيا لقواتها .. واذا لم تستطع قوى الثورة الاصيلة أن تسبق هى الى تحديد المشاكل والى حلها فانها لا تتخلى بذلك عن واجبها فحسب ، وانما هى أيضا تتخلى عن جماهيرها وتتركها لتأثيرات قوى الثورة المضادة » .

من خطابه فى مجلس الامة
١٩٦٩/١/٢٠

③ ما أشـــــبه الليلــــة بالبــــــارحة

واليوم تتحرك بعض القوى حركة مضادة لهذه التجـربة متصورة أنها من الممكن أن تســتمر فى حيــاتها المميزة ، دون أن تكشف قوى الثورة المصرية القناع عن زيفها .

وهكذا ــ فان « الطليعة » تقدم مثالين من عشرات الامثلة ، لكاتبين كل منهمــا يرفــع رايــة بأســــم « الديمقراطية » ضد التراث الوطنى الذى تركه لنا عبد الناصر .

تمثال لعبد الناصر

توفيق الحكيم

أعذرنى ياجمال . القلم يرتعش فى يدى . ليس من عادتى الكتابة والالم يلجــم العقل ويذهل الفــكر . لن استطيع الاطالة . لقد دخل الحزن كل بيت تفجعا عليك لان كل بيت فيه قطعة منك . لان كل فرد قد وضع من قلبه لبنة فى صرح بنائك . فانت لم تكن بالزعيم المصنوع سلفا فى مصــنع السياسة تربصا للفرص . بل كنت بضعة من جوهر شعبك النفيس صاغها بيده فى دأب وحدب بعد طول معاناة وانتظار على مدى احقاب . فان يفقدك اليوم يفقد فيك نفسه وثمرة أمله .. لذلك كان هذا الرشد الذى طاش من الرؤوس ســاعة ســماع نعيك . انه ليس مجرد حب لشخصك . انما هو الحرص على معنى يعيش به بلدك . لقد جسد الشعب فيــك صورة حريته . لقد جعل منك حيا تمثال الحرية لنا . فاسمح لنا وقد فارقتنا أن نقيم لك تمثالا عاليا فى ميدان التحرير ، ليشرف على الاجيال ويكون دائما رمز الامال . وما ينبغى ان تقيم هذا التمثال سلطة أو دولــة . لكنه الشعب نفسه . من ماله القليل يقيمــه . وانا من بين هذا الشعب اتقدم اليوم بما أستطيع تقديمه . هــــذه الخمسون من الجنيهات أسهم بها افتتاحا لقائمة الاكتتاب وما أرخص المال الى جانب فضلك يا جمال ، وخاصة ــ فى أعياد العــلم ــ على الادباء والعلماء والمفكرين والفنانين ستبقى دائما فى ذاكرتنا وانت فى عليين .

« الأهرام » ١ / ١٠ / ١٩٧٠

من عــودة « الوعى »

توفيق الحكيم

... « واذا المؤتمر القومى ينعقد واذا المناقشات فيه قد اختفت . واذا الاعضاء الذين كانوا يناقشــون فى الديمقراطية المطلوبة لزموا الصمت المطبق ، لا فى المؤتمــر وغيــره من الاجتماعات ، مجــرد كتل بشرية لا عقل لها ولا تفكير يميزها ، ولا رأى مستقل يصدر منها ، وانما هى أذرع تلوح وأياد تصــفق وأفواه تهتف ، الزعيم بقامته الفارعــــة قائم على منصة عالية يتكلم وحده الساعات الطوال ، لا يقاطعــه غير صــياح هستيرى ، ناصر ، ناصر ، ناصر .

... وشــعارات تنطلق من كل ركن ، مما يستحيل معــه الظن بأن احدا من الحاضرين قد فهم فى هــذه الغوغاء شيئا مما يقول . فقد أصبحت الحناجر هى العقول . وما كان يبدو على الزعيم ضيق من ذلك ، وانما كانت ابتسامة الرضا ترتسم دائما على شــفتيه ، لقد اصبح معبــود الشعب .... وليس هذا بالشىء المكروه . فكل انسان له الحق بأن يحلم بان يكون معبــود الجماهير ، ولكن المكروه بل الخطر هو ان يكون للمعبود البشرى من القداسة ما يجعله معصوما من الخطأ فى نظر الناس ، وما يجعل سلطانه يشل العقول فلا ترى ما يرى ولا يســمح لها برأى يخالف رأيه .. وهذا ما حدث بالفعل .

نحن أولى بالرثاء

صالح جودت

أمع الاسراء نادته السماء ؟

كدت أن احسبه فى الانبياء

علت الطائرة الثكلى به

فتخيلت براقا فى الفضاء

كدت أن أسمع فى موكبه

نغم الاملاك يعلو بالدعاء

كدت أن ألمح فى معراجه

طيف جبريل يحيى الشهداء

كدت أن أشهد فى رحلته

مشهد الجنة وعد السعداء

وتمثلت مسيحا صاعدا

انما كان مسيح الزعماء

يحمل الالام عن امته

ويشيع الحب فيها والصفاء

• • •

ياقضاء نرتضيه • بينما

نجهل الحكمة فى هذا القضاء

ااعزى فى جمال امة

لا ترى فيه سبيلا للعزاء ؟

أو أرثيه بدمعى ودمى ؟

نحن فى المأساة اولى بالرثاء

لا تلوموا عيننا فى موقف

باتأعيا الناس فيه الشعراء

« المصور » ٩ / ١٠ / ١٩٧٠.

على من اطلق الرصاص ؟

صالح جودت

« كنت فى الاسبوع الماضى اتحدث عن «الماضى» لا لاطلق الرصاص على هذا الماضى ،فقد مات وأصبح فى ذمة التاريخ • واطلاق الرصاص على الميت حرام • ولكن لاطلق الرصاص على الذين يريدون أن يبعثوا هذا الماضى ليحيا من جديد ولنحيا فيه مرة أخرى بكل ما احتواه من يأس وقهر وظلام •

واحقاقا للحق اقول أن «الماضى» كان له جانبان : الواجهة والتطبيق• الواجهة رائعة •• قضاء على الرأسمالية والاقطاع والاستغلال والحزبية ومكافحة للاستعمار وتقوية للجيش وانصاف للفلاحين والعمال وتحقيق العدالة الاجتماعية وتصنيع للبلاد وتوحيد للامة العربية من الخليج الى المحيط • واجهة رائعة بهرتنا فى البداية كما بهرت الامة العربية كلها الى حد أن البدوى الساذج فى عمق أية صحراء عربية ، كان لا يشترى الراديو الا اذا تأكد أولا أن هذا الراديو يحمل له صوت مصر الذى يبشر بهذه الواجهة الرائعة •

وهكذا آمن العرب بهذا الماضى ايمانا يقترب من حد العقيدة •وأصبح صاحب هذا الماضى نصف اله تقام له التماثيل وتقدم له القرابين وتنشأ باسمه الهيئات والمنظمات التى تهتف باسمه وتعتنق أيديولوجيته •

هذه هى الواجهة •

اما التطبيق فقد كان شيئا مختلفا بالمرة وكان لا يصدر الى الخارج ولا يصل الى أسماع العرب خارج حدود مصر • وهكذا لم يتح لهم أن يعرفوا عن هذا الماضى الا الواجهة دون التطبيق • كان التطبيق هنا « عانيناه » نحن المصريين وحدنا • ولم يكن فيه من سمات الواجهة شىء النظام الاجتماعى الذى طبق علينا كان ظاهره العدالة الاجتماعية • ولكنه انتهى الى افقار الاغنياء وتجويع الفقراء •• !!

« المصور » ١٥ مارس ١٩٧٤.



د. رفعت السعيد

القراءة الفاحصة والموضوعية لتاريخ مصر الحديث، تضع أيدينا على حقيقة أن اليمين المصرى تميز دوما بتخلفه وانغلاقه وعجزه عن مواكبة أى اصلاح مهما بدا متواضعا، بل ورفضه لكلمة « الاصلاح » ولاى منطلق اصلاحى.

ولذلك ظواهر وأسباب، سوف نتناولها بالتحليل ولكن بعد أن نقدم أولا – وبايجاز شديد – لمحة عن وضع اليمين، حجمه الاقتصادى والاجتماعى، ومدى ما مارسه من نفوذ سياسى وفكرى على العقلية والمجتمع ونظام الحكم فى مصر.

واذا كان كبار الملاك الزراعيين هم عصب اليمين المصرى ومصدره بمختلف اجنحته فاننا نلاحظ انهم قد تمكنوا ومنذ أن خانوا وبشكل سافر وعلى اسس طبقية قاطعة ثورة أحمد عرابى، وانحنوا خداما للاحتلال الانجليزى، تمكنوا من ان يهيمنوا على مصادر الثروة والسلطة، أو بالدقة فئات الثروة والسلطة التى سمح لهم بها الاحتلال والتحكم الاجنبى..

ولكى لا نطيل فى المقدمات نكتفى ببعض الحقائق المجردة:

■ أسفرت انتخابات الجمعية التشريعية فى عام ١٩١٣ عن فوز ٤٩ من كبار الملاك من مجموع الاعضاء والبالغ عددهم ٦٥ اى بنسبة ٧٦ فى المائة [١].

■ واذا كان الامر كذلك فى الهيئة التشريعية عام ١٩١٣ فان النسبة التى حصل عليها كبار الملاك فى آخر برلمان [وفدى] قبل ثورة يوليو * كانت ١١٩ عضوا من ٣١٧ اى ٣٧ فى المائة [٢].

■ أما دستور ١٩٢٣ وهو الاساس التشريعى لمصر ما قبل ثورة يوليو، فان عدد كبار الملاك فى لجنة وضع المبادىء العامة له كان ١١ عضوا من ١٨ هم كل أعضاء اللجنة اى بنسبة ٦١ر١ فى المائة، ويعلق **د. محمد حسين هيكل** على هذا التشكيل قائلا « ان اختيار جماعة من كبار الاعيان فى اللجنة العامة للدستور قد ارضى أصحاب المصالح الواسعة فى البلاد » [٣].

■ والوزارات التى تشكلت فى مصر منذ وزارة **حسين رشدى** [٥ – ٤ – ١٩١٤] – وحتى وزارة **على ماهر** [٢٤ – ٧ – ١٩٥٢] عددها خمسون وزارة، كان متوسط نسبة كبار الملاك الزراعيين فيها ٣٥ر٥٨ فى المائة أى أن الاغلبية العددية كانت معهم دائما [٤] والغريب فى الامر ان نجد أن وزارة **مصطفى النحاس** [الوفد] التى تشكلت فى ٤ – ٢ – ١٩٤٢ كانت تضم ٧ر٦٣ فى المائة من كبار الملاك وان وزارته التالية التى تشكلت فى

[١] محفوظات وزارة الخارجية البريطانية
Public Record Office — F.O. 371 — 1964 — 1g252

[*] الدورة البرلمانية العاشرة من ١٩٥٠/١/١٦ وحتى ١٩٥٢/٧/٢٣.

[٢] د. عاصم أحمد الدسوقى – كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى من عام ١٩١٤ وحتى ١٩٥٢ [رسالة دكتوراه – غير منشورة].

[٣] د. محمد حسين هيكل – مذكرات فى السياسة المصرية جـ١ ص ١٣١–١٣٢.

[٤] د. عاصم أحمد الدسوقى – المرجع السابق ص ١٧٨.

٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٤٢ كانت تضم ٢ر٦٤ فى المائة من كبار الملاك [٥] .

ونلاحظ أنه على مدى الخمسين تشكيلا وزاريا ركز كبار الملاك على الهيمنة على وزارات معينة منها المالية [٦٦ فى المائة من مجموع من شغلوا منصب الوزير] والخارجية [٤ر٧٢ فى المائة] وكذلك وزارتى الزراعة [٦٨ فى المائة] والاشغال [٦٢ فى المائة] [٦].

■ وفى الاحزاب السياسية ـ وحتى فى حزب الوفد ـ كانت الهيمنة فى المناصب القيادية لكبار الملاك الزراعيين ، فأول لجنة مركزية للوفد تشكلت لقيادة الثورة وكانت مكونة من ٤٣ عضوا [٧] كانت نسبة كبار الملاك المشتركين فيها ٣١ر٨٣ فى المائة ، ولم يؤد انشقاق حفنة من كبار الملاك فى ١٩٢٢ عن الوفد الى تغيير كبير فى تركيب قيادته فالهيئة الوفدية فى مجلس شيوخ عام ١٩٢٤ كانت مكونة من ١٢ عضوا كلهم من كبار الملاك . وفى ٢ ديسمبر ١٩٣٢ ضم الوفد اثنى عشر عضـوا جديدا [٨] كان من بينهم ٨ أعضاء من كبار الملاك ومع بروز دور البورجوازية الصناعية ونمو دور الطبقة الوسطى ظل الوفد يسعى لتعزيز مواقع كبار الملاك الزراعيين فى قيادته مثل **فؤاد سراج الدين ـ محمد سليمان الوكيل ـ بشرى حنـا ـ محمـد المغـازى عبـد ربه ـ محمـد الحفنى الطرزى ـ كمال علما ـ أحمـد مصـطفى عمرو ـ محمد محمود خليل الخ ..** [٩]

وهكذا نرى أن غالبية السلطة [أو بالدقة ما بقى من فتات على مائدتها بعد أن نال الاحتلال والسراى نصيب الاسد منها] كانت من نصيب كبار الملاك الـزراعيين . أما فتات هـذا الفتـات فقـد ترك للبورجوازيين الكبار [من كبار تجار ـ ومضاربين فى البورصة ـ وكبار صـناعيين ـ وكبـار موظفين ـ وكبار ضباط] .

لكننا نريد أن نتوقف هنا لنلاحظ مـلاحظة أساسية هى : ان ثمة تلاحما كان موجودا بين فئتى كبار الملاك الزراعيين وكبار البورجوازيين بحيث كان من الصعب الفصل بينهما . فالزراعة كانت المصدر الاساسى لاى تراكم رأسمالى فى مصر ، ومن هنا فان العناصر المستنيرة من كبار الملاك الزراعيين كانت ـ فى اكثر الاحيـان ـ تتجه بتراكمـاتها الى المتاجرة فى المحاصيل [وأساسا القطن] والى الاعمال المصرفية [بنك مصر] **والى** المضاربات فى البورصة [القطن والاوراق المالية] والى الصناعة ، لكن الارض كانت تظل بما تحققه من ريع مرتفع ، ومن سلطان وجاه ومن نفوذ اجتماعى ضرورة لكل ثرى فى مصر . ويلاحظ أنه وحتى بعد قانون الاصلاح الزراعى الاول « قدرت مصلحة الاقتصاد والتشريع بوزارة الزراعة أن قرابة خمسين مليونا من الدخل الزراعى فى عـام ١٩٥٤ كانت من نصيب الملاك غير المشـتغلين بالزراعة .. وهذا المبلغ الضخم يزيد على ١٦ فى المائة من الدخل المستمد من الزراعة ، ويزيد على نصف الدخل المستمد من كافة الصـناعات التحويلية » [١٠] .

وهكذا نرى أن قوائم قانون الاصلاح الزراعى [١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، ١٢٧ لسنة ١٩٦١] كانت تضم اسماء عرفت فى الاساس بانها من طبقة كبار البورجوازيين مثل **أحمد عبود باشا وعلى الشمسى باشا وحافظ عفيفى باشا وأحمد عبد المقصود بك .. الخ** ، كذلك نرى أن قوائم الذين أممت شركاتهم ومصانعهم وأسهمهم وسنداتهم [أى الاستثمارات الرأسمالية الكبيرة] كانت تضم اسماء عرفت فى الاساس بانها من طبقة كبار الملاك الزراعيين مثل **البدراوى عاشور باشا . فؤاد سراج الدين باشا ، الطرزى باشا** وهكذا . فقد كانت الطبقتان متلاحمتان تلاحما فعليا بحيث اصبح من الصعب القول بضرب احداهما وتجييد الاخرى ..

كذلك نود أن نلاحظ ملاحظة ثانية أساسية وهى ان النشاط الراسمالى نشأ أساسا بواسطة وفى احضان الاجانب والمتمصرين مـن أوربييـن [ـ يونانيين ايطاليين ـ أرمن ـ ويهود من كافة الجنسيات] ومن عرب [سوريين ـ لبنانيين فلسطينيين] « وهذا الفرع من الراسمالية [وهو المتمصرون] والذى دخل مصر مع انفتاحها على السوق العالمية ، ظل يسيطر فيها أو يكاد حتى ثورة ١٩١٩ على جميع مراكز النشاط الاقتصادى غير الزراعى ، التى لم يكن « **الاجانب** » يمسكون بها مباشرة [الشبكات المالية المكملة للأطار المالى الاوربى ، عمليات البورصة ، العمليات التى لم

[٥] المرجع السابق ص ١٧٧ .
[٦] المرجع السابق ص ١٧٨ .
[٧] الاهالى ١٩١٩/٤/١٦ .
[٨] المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ .
[٩] محمد زكى عبد القادر ـ اقدام على الطريق ـ ص ٣٢٧ .
[*] فى كل ما سبق اعتمدنا فى تحديد كبار الملاك الزراعيين على ملفات الخاضعين لقوانين الاصلاح الزراعى ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، ١٢٧ لسنة ١٩٦١ .
[١٠] شهدى عطية الشافعى ، تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ ، الطبعة الاولى ١٩٥٧ ، ص ٢٢٤ .

تكن تجذب رأس المال الاجنبى فى حقلى التصدير وتجارة الجملة] » [١١] .

والحقيقة أن رؤوس الأموال الاجنبية قد انتهزت فرصة الاحتلال البريطانى لتضاعف من حجم استثماراتها فى مصر ولتحكم قبضتها على معظم النشاط الرأسمالى والمصرفى والصناعى فى البلاد وهكذا « ارتفعت رؤوس الاموال الاجنبية الموظفة فى مصر فبلغت ٧٫٣٢٦٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٨٩٢ و ٨٧٫١٧٦٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٠٧ و ١٠٠٫١٥٢٫٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩١٢ ، فيما عدا الدين العام ورأسمال شركة القنال » [١٢] كذلك نجد انه فى الفترة من ١٩٠٠ الى ١٩٠٧ تأسست فى مصر أكثر من ١٦٠ شركة برأسمال قدره ٤٣ مليون جنيه ، وثمة احصاء يقول « ان ٩٢ فى المائة من هذه الاموال كان اجنبيا و ٨ فى المائة أموال [**محلية**] [١٣] وكلمة « محلية » تلفت النظر لانها تعنى انها اموال لمتمصرين من امثال **صيدناوى وموصيرى ومنشه وسوارس** الخ . وكان هذا الفرع من الرأسماليين المتمصرين « هو النخبة المحلية من رجال الاعمال التى كانت السلطة الاستعمارية ترتكز عليها والتى لم تكن تستطيع أن تتبع الا لهذه السلطة ، لانها لم تكن تمتلك قاعدة داخلية صلبة وكانت مقطوعة تماما عن الامة المصرية » [١٤] .

وحتى عندما نمت البورجوازية المصرية الاصل فاننا نجد انها نشأت من حيث « **الاصل** » كامتداد طبقى لكبار الملاك الزراعيين [فى أغلب الاحيان] ومن حيث « **النشاط** » كامتداد للرأسماليين من الاجانب والمتمصرين .. وهكذا يعلق أحد الباحثين قائلا « وعندما أخذت هذه البورجوازية بالنمو فيما بعد ، نمت على أرض المتمصرين الكسموبوليتية ، وكانت فى معظم الاحيان على احتكاك بهم ، فلم تستعر تجربتهم فحسب ، بل أيضا ثقافتهم وأسلوب حياتهم » [١٥] .

كذلك يتعين علينا ، أن نلحظ ذلك التلاحم الاقتصادى الوثيق الذى قام بين البورجوازية المصرية الناشئة وبين الاقتصاديين والممولين اليهود [من مختلف الجنسيات] ، والحقيقة أن الجالية اليهودية قد بدأت تمارس بعد الاحتلال البريطانى نشاطا متزايدا وتزايد عددها كثيرا ، خاصة وبعد أن اتخذ جمال باشا الوالى العثمانى فى الشام سلسلة من الاجراءات العنيفة والتى انتهت بهجرة العديد من اليهود الى مصر [١٦] ، فارتفع عددهم من ٥٠٠٠ شخص فى عام ١٨٣٥ الى ٢٥٫٢٠٠ فى عام ١٨٩٧ ثم الى ٦٤٫٤٨٤ فى عام ١٩٤٦ [١٧] .

لكن الثقل الاساسى للطائفة أتى من هيمنتها على كثير من مفاتيح الحياة الاقتصادية ومن سيطرتها على الاعصاب الحساسة للنشاط الراسمالى فى البلاد . فقد قيل « ان ٩٨ فى المائة من العاملين فى البورصة المصرية كانوا من اليهود » [١٨].

وقيل أيضا « انه فى عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يشاركون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركة من مجموع ٣٠٨ شركه هى كل الشركات الموجودة فى مصر آنذاك ، وفى ميدان النشاط المالى ساهم اليهود فى انشاء وتوجيه البنوك وشركات التامين واهمها البنك العقارى المصرى ، البنك الاهلى المصرى ، البنك البلجيكى ، البنك التجارى المصرى ، شركة الاسكندرية للتأمين ، شركة التأمين الاهلية المصرية » [١٩] ، وكان رئيس اتحاد الصناعات المصرى ـ ولفترة طويلة من الزمن ـ صهيونيا متعصبا .

وهكذا فقد نشأت البرجوازية المصرية ـ ليس فقط ـ تحت مظلة الاجانب والمتمصرين وأنما أيضا كان جانب من هذه المظلة منسوج من خيوط يهودية .

ولابد لذلك كله من أن ينعكس على منهج وتفكير وأسلوب البرجوازية المصرية . ولابد له من أن يؤدى بها الى انتهاج منحى أقل « وطنية » [فيما يتعلق بتحرير مصر] ، وأقل « قومية » [فيما يتعلق بقضية عروبة فلسطين [٢٠] .

---

[١١] محمود حسين ـ الصراع الطبقى فى مصر ـ من ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠ ترجمة عباس بزى واحمد واصل ـ دار الطليعة بيروت ـ الطبعة الاولى ص ٣٩ .
[١٢] صبحى وحيده ـ فى أصول المسألة المصرية ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة مدبولى ص ٢٣٤ .
[١٣] فوزى جرجس ـ دراسات فى تاريخ مصر السياسى ـ طبعة عام ١٩٥٨ ص ٩٦ .
[١٤] محمود حسين ـ المرجع السابق ص ٣٩ .
[١٥] المرجع السابق ص ٣٩ .
[١٦] أحمد محمد غنيم وأحمد أبوكف ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ كتاب الهلال ـ يونيو ١٩٦٩ ـ ص ٢١
[١٧] د. على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ـ يهود البلاد العربية ـ دراسات فلسطينية ٨ يونيو [حزيران] ١٩٧١ ـ ص ١٥٩ .
[١٨] د. على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ـ المرجع السابق ص ٦٢ .
[١٩] المرجع السابق ـ ص ١٦٥ .
[٢٠] لمزيد من التفاصيل حول موقف اليمين من النشاط الصهيونى فى مصر وتستره على هذا النشاط راجع د. رفعت السعيد ـ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ـ دار الفارابى ـ بيروت .

ومن ثم فان ذلك التركيب المختلط والمعقد لليمين المصرى قد انعكس وبصورة مكثفة على مواقفه السياسية والاجتماعية متميزا برجعية وضيق أفق ليس كرجعية وضيق أفق أى يمين آخر وانما اكثر شدة وعنفا وشراسة ..

والامثلة — على مدى تاريخ مصر — اكثر من ان تحصى .. ولنكتف ببعض النماذج :

■ فعند اعداد دستور ١٩٢٣ ، وحتى قبل أن يتسلم « اليمين » السلطه فى مصر بشكل رسمى ، كان هذا « اليمين » يسعى جاهدا كى يصوغ من الدستور ضمانا له وحده ، وحماية له وحده ، وهكذا خرج الدستور مليئا بالمحاذير التى وجهت أساسا ضد أى تحرك يسارى وضد أية محاولة من الجماهير كى تتملص من حكم اليمين .. وفى مذكرة **احمد ذو الفقار باشا** وزير الحقانية حول الظروف الجديدة التى يخلقها اعلان دستور ١٩٢٣ ، تحدث طويلا عن الضمانات التى كفلها الدستور لحرية الصحافة لكنه ما لبث ان استدرك قائلا « ولكن يبقى هناك استثناء واحد لانذار الصحف أو تعطيلها أو الغائها بالطرق الادارية ، فان بعضا من الحرية الدستورية لا يمكن تطبيقه على حملات تحمل على أساس الهيئة الاجتماعية .. فلكى يمكن انشاء تشريع لمكافحة أمثال هذه الدعوة الضارة نص فى المادة ١٥ على ان انذار الصحف وتعطيلها والغائها بالطرق الادارية قد يجوز فى حالة ما تقتضى الضرورة بالالتجاء اليه لحماية النظام الاجتماعى . وأضيف تحفظ مماثل لهذا الى نص المادة ٢٠ التى تكفل للمصريين حق الاجتماع بسكينة ومن دون سلاح . والمادة ١٥١ التى تحظر النفى لجرائم سياسية » [٢١] .

وخلال المناقشات اقترح على ماهر أن يتضمن الدستور نصا عن حالة العمال يراعى فيه أن يكون العمل تحت حماية الدولة مباشرة وان تحدد ساعات العمل فى الصناعات المختلفة وكذلك طريقة تشغيل النساء والصبية .. فنهض **عبد العزيز فهمى** طالبا بألا يذكر هذا النص فى الدستور على الاطلاق وكانت حجته فى ذلك أن مسألة العمال « لا تخصنا اذ لا يوجد عمال هنا » . ولماذا ما ضمن الدستور هذا النص « يخشى أن تقوم غدا ستمائة نقابة تبث الفتن فى الفلاحين وتخلق مشاكل لا قبل لنا بها » [٢٢] .

ورفضت اللجنة اقتراح على ماهر بأغلبية ساحقة .

■ واليمين المصرى مغلق الى حد رفضه لاى اصلاح أو حركة اصلاحية وهو يرفض حتى مناورات بعض أذكيائه التى يذلوها لابعاد « مخاطر » اليسار عن جماهير العمال والفلاحين .

فى عام ١٩٢٤ وعندما شن حزب الوفد حملته الشهيرة ضد اليسار محاولا تصفية نفوذه من صفوف الطبقة العاملة المصرية ولقد كان نفوذ اليسار فيها كبيرا وواسعا ومستمدا من تاريخ كفاحى طويل . وقد وصل هذا النفوذ الى درجه ان **انجرام بك** قائد البوليس [وكان انجليزيا] ، أكد أمام محكمة الجنايات ان الحكومه [حكومة الوفد] كانت عاجزة تماما أمام تمرد العمال المضربين ، وانه « كان من الصعب على البوليس اخلاء المصانع من العمال المضربين . بينما كانت اشارة واحدة من اصبع **انطون مارون** [المستشار القانونى لاتحاد نقابات العمال وأحد سكرتيرى الحزب الشيوعى المصرى فى عام ١٩٢٤] كانت كافيه لانهاء الاضراب » [٢٣] عندما حاول حزب الوفد ذلك ومن خلال تركيز شديد اشرك فيه خيرة كوادره مثل **عبد الرحمن فهمى** سكرتير اللجنة المركزية لحزب الوفد والذى اسمى نفسه زعيم العمال ومن خلال مشاركة نشيطة من **سعد زغلول** نفسه ومن لجان حزب الوفد المختلفة [٢٤] انزعجت قوى اليمين الاخرى معربة عن قلقها من وجود أى نشاط سياسى فى صفوف العمال اصلا .

ولقد ظلت الرجعية على الدوام حريصة على رفض اية محاولات اصلاحية فى صفوف العمال وقاومتها بشدة .. وحتى عندما تقدم عدد من النواب الى البرلمان مطالبين بسن تشريع عمالى وأصدر البرلمان تحت ضغطهم ونتيجة لالحاحهم قرارا فى عام ١٩٢٧ بتشكيل لجنة لاعداد تشريع عمالى برئاسة **عبد الرحمن رضا باشا** ، « رفض اتحاد الصناعات من حيث المبدأ فكرة استصدار أية قوانين عمالية . وأعلن انه فى حالة الاصرار على سن قوانين عمالية يجب ان تصدر هذه القوانين تدريجيا ، كما يجب حمايتها من خطر الاراء الفقهية الهدامة » [٢٥] .. واستمر عمل

---

[٢١] الدستور — تعليقات على مواده بالاعمال التحضيرية والمناقشات البرلمانية — الجزء الاول — مطبعة مصر — ١٩٤٠ — ص ١٤ .

[٢٢] مناقشات اللجنة العامة للدستور — الجلسة الرابعة والعشرين المنعقدة فى ١٩٢٢/٨/٢١ .

[٢٣] الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٥ — من شهادة انجرام بك أمام محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية الشيوعية عام ١٩٢٤

[٢٤] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع : د. رفعت السعيد — اليسار المصرى ١٩٢٥ — ١٩٤٠ — دار الطليعة بيروت — الطبعة الاولى ص ٢٥ وما بعدها .

[٢٥] عبد المنعم الغزالى — تاريخ الحركة النقابية المصرية — دار الثقافة الجديدة ص ١٨١ .

اللجنة ثلاث سنوات وأعدت تشريعا من ١٠٢ مادة سرعان واده اليمين .

■ وبالنسبة للفلاحين أيضا .. نبتت محاولات اصلاحية عديدة رفضها اليمين بقسوة وعنف .. فقد حاول **اسماعيل مظهر** أن يؤسس حزبا للفلاح ، ووضع برنامجا وجهه فى الاساس الى **مصطفى النحاس باشا** رئيس الوفد قائلا « بالصفة العليا التى لكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى وخليفة للزعيم الاكبر المغفور له **سعد زغلول باشا**، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية .. أتقدم اليكم بهذا المشروع » والتوقيع « خادمكم المطيع » . وبرغم ان **اسماعيل مظهر** قد اكد فى برنامجه ان كل هدفه هو البحث فى « مثل الطرق التى تحمينا من الانقلابات الفجائية والتى تصد عنا سيل الافكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات أوربا الشيوعية » [٢٦] برغم ذلك فقد حارب اليمين **اسماعيل مظهر** .. ذلك ان مجرد قيام حزب للفلاح كان فى ذاته خروجا على حدود اللياقة بالنسبة لليمين .

■ ولقد رفض اليمين دعاوى الاصلاح الاجتماعى، حتى تلك التى تكتفى باعادة بناء القرى التى تدمرها الحرائق على أسس انسانية [٢٧] .. ورد أحد دعاته على ذلك بوقاحة نادرة المثال قائلا « اما الفلاحون الصغار أو الاجرية فأهم شئ يلزم عمله لاصلاح حالهم وتحسين معيشتهم هو ردم البرك والمستنقعات المحيطة بمساكنهم انقاذا لصحتهم من الامراض التى تتولد بها .. هذه هى أهم المطالب . اما النغمة القائلة بتشييد القرى النموذجية وتجهيز بيوتها بالغرف الرحيبة والحمامات البديعة فضلا عن انارتها بالكهرباء .. فهذه مظاهر لا تفيد الفلاح بل تفسده لانها تؤخره عن عمله وتدعوه الى النفور من طبيعته الخشنة التى الفها وتعود عليها آباؤه وأجداده » [٢٨] .

■ وحتى التعليم الالزامى عرقله اليمين ،وكان يستكثره على الفلاحين وابنائهم . وعند مناقشة ميزانية التعليم الاولى أو الالزامى لعام ٣٧ - ١٩٣٨ اقترح احد النواب ان تستأجر وزارة المعارف بجوار كل مدرسة حقلا « ليذهب اليه التلاميذ بعد الدراسة مباشرة حتى لا ينسوا اعمال الفلاحة ، لان اعتياد التلميذ على ارتداء الطربوش ولبس « حمالة الشراب »يجعل من الصعب عليه أن يمسك بالفأس بعد ذلك » . كان هذا هو رأى **محمد البدراوى عاشور باشا** . أما **محمد عزيز أباظه باشا** فقد ابدى تخوفه « من ان خريجى المدارس الالزامية أصبحوا يرتدون جلاليب مكوية وطواقى «بالاجور»واذا استمر هذا الحال فقد يؤدى الى أن يتحول أصحاب الجلاليب الزرقاء الى أصحاب جلاليب مكوية » [٢٩]

بل اننا نجد من ينكر - أصلا - على أبناء الفلاحين حقهم فى التعليم الالزامى ، فعند مناقشة قانون التعليم الاولى فى مايو ١٩٣٣ قال **وهيب دوس باشا** « أن تعليم اولاد الفقراء والاغنياء يعد طفرة كبرى لانه خطر اجتماعى هائل لايمكن أن يتصور مداه . لان ذلك لن يؤدى فقط الى زيادة أعباء عدد المتعلمين العاطلين ، بل يؤدى الى ثورات نفسية حين يتعلم ابن الصراف وابن الساعى » ثم طالب بأن « يقتصر التعليم على أبناء القادرين الموسرين فى القرية » [٣٠] .

■ وعلى الدوام كانت الاشتراكية « بعبعا » وخطرا داهما يقض مضاجع اليمين ويراه خلف كل اصلاح ولو طفيف . ففى عام ١٩٢٧ ، وبعد هبوط شديد فى أسعار القطن هدد الفلاحين بكارثة محققة تقدم النائب الوفدى **محمد حافظ حتحوت أفندى** باقتراح « بتخفيض ايجارات الاطيان عن عام ١٩٢٦ بمقدار الربع » وهاج النواب وساد الجلسة جو من الهرج انعكس - بصورة لم يسبق لها مثيل - فى مضبطة الجلسة .. واتهم **حتحوت أفندى** » بالبلشفية » [٣١] .

■ وعند مناقشة نظام التسليف العقارى لصغار الملاك فى مجلس النواب عام ١٩٣٢ ، اقترح **اسماعيل صدقى** بوصفه وزيرا للمالية عدم التوسع فى هذا النظام ، لان مثل هذا التوسع « سيؤدى الى أن يوجد فى البلاد نوع من الاشتراكية الزراعية الحكومية وهو أمر غير مرغوب فيه على الاطلاق » [٣٢] .

■ وخلال مناقشة مشروع قانون اصابة العمال فى الصناعة والتجارة فى مجلس النواب فى اغسطس ١٩٣٦ حرص وزير التجارة والصناعة **عبد السلام فهمى** باشا على أن يؤكد لاعضاء المجلس « ان الحكومة ليست اشتراكية بحمد الله ولستم كذلك » [٣٣] .

---

[٢٦] **العصور - الشهرية - أكتوبر١٩٢٩ .**
[٢٧] **مريت بطرس غالى - سياسة الغد - برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى - مطبعة الرسالة - ص١٠٦.**
[٢٨] **قلينى فهمى باشا - آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع - صفحة [ع] .**
[٢٩] **مضبطة مجلس النواب -جلسة ٩-٦-١٩٣٧ .**
[٣٠] **مضبطة مجلس النواب -جلسة ٢٣-٥-١٩٣٣ .**
[٣١] **مضبطة مجلس النواب -جلسة ١٠-١-١٩٢٧ - ص ٢٣٦ .**
[٣٢] **تقرير مقدم من اسماعيل صدقى باشا-وزير المالية الى المجلس الاقتصادى فى ١٦-٣-١٩٣٢ . بشأن ايجاد نظام التسليف العقارى لفائدة صغار الملاك الزراعيين [مضبطة مجلس النواب ٢٢-٦-١٩٣٢] .**
[٣٣] **مضبطة مجلس النواب -جلسة ٢٥-١-١٩٣٦ [من بيان وزير التجارة والصناعة امام المجلس] .**

■ وفى سنة ١٩٤٠ عندما قدمت الحكومة الى مجلس النواب قانونا ينص « على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولمعيشته » .. ثار النواب وهاجوا ، ووقف **احمد عبد الغفار باشا** صائحا « انا أعارض هـذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادىء البلشفية » [٣٤] .

■ وفيما يتعلق بالقضية الوطنية ، فاننا لا يمكن ان نفهم ذلك التهاون المستمر مع الاستعمار والاستنامة له ، حتى من قبل البورجوازيين الا على أساس فهم الطبيعة الكومبرادورية للبورجوازية المصرية وعلى أساس خضوعها للهيمنة الاقتصادية والاجتماعية للرأسماليين الاجانب وأشباه الاجانب من المتمصرين الذين كانوا يجدون الحماية والامن فى كنف الاستعمار . كذلك فقد كان الرعب من شبح البلشفية والاشتراكية الذى تخيلوه فى كل موقع دافعا لهم دوما الى الاحتماء بالاستعمار .

وايضا فان الهيمنة التى حظى بها الرأسماليون اليهود على المفاتيح الاساسية للاقتصاد المصرى هى وحدها التى تفسر تواطؤ اليمين ـ المصرى السافر ـ ولفتره طويلة ـ مع الصهيونية المحلية ونشاطها المعادى لمصر وللعرب .. ويكفى ان نتذكر ان أسماء قادة الحركة الصهيونية فى مصر امثال **شيكوريل وأوفاديا سالم وليفى** كانت ولامد طويل وحتى بعد حرب ١٩٤٨ نجوما لامعة فى سماء البورجوازية المصرية .

هذا هو اليمين .. وهذا هو تاريخه ، وتلك هى مواقفه ، وبها يقف أمام محكمة التاريخ عاريا ، مدانا ، مذنبا فى حق الشعب .. والوطـن .. والقومية .

■ ■ ■

.. **والغريب فى ذلك الكائن الحى المتماسك البنيان** ، المرهف الحس ، القادر دوما على اعطاء الدرس ، وعلى اثراء الحاضر ، ذلك الكائـن الحى .. الخصب المسمى « تاريخ مصر » الغريب فيه انه تيار ممتد لا ينقطع وآلة التصوير فيه تعجز عن تصوير اللحظة الانية وحدها ، بل تمتد عميقا لتصل الى البعد الحقيقى للحدث وهناك ـ وهناك فقط ـ يمكنها أن تمتلك الحقيقة الكلية ..

وهذه هى حقيقة اليمين كما تكشفها ، بل كما تفضحها وقائع التاريخ .

ولقد كان كل ما سبق محاولة لاستجماع ابعاد الصورة فيما قبل يوليو ١٩٥٢ فماذا عما يتلو ذلك من صفحات ؟

يمكننى ان أؤكد ان الصفحات السابقة كانت ضرورية لاية محاولة جادة لفهم موقف ثورة يوليو من اليمين وموقف اليمين منها ..

■ ذلك ان مجرد عداء الثـورة للـرأى والاستعمار كان وحده كفيلا بأن يقف اليميـن بجناحيه : كبار ملاك وبورجوازيين ضـــدها . والصفحات السابقة دليل على ذلك .

■ ولقد تصور البعض أن صـدور قـانون الاصلاح الزراعى لا يزعج البورجوازية الكبيرة ولا يقلقها ، بل لقد قال هذا البعض ان هذا القانون قد صدر لصـالح البـورجوازية الكبيـرة ، والصفحات السابقة دليل يدحض ذلك .

فالبورجوازية الكبيرة ضربت هى أيضا مع كبار الملاك العقاريين وصودرت أرضها الزراعيـة ، افضل مصدر لتراكماتها الرأسمالية .

والبورجوازية الكبيرة وجدتفى مجرد مصادرة الارض تحد لحق الملكية الذىأكد الدستور أكثرمن مرة أنه مقدس ، ومن ينتهك مثل هذه المقدسات مرة يعتاد انتهاكها بعد ذلك .

■ والبورجوازيـة الكبيرة ظلت دومـا على حذرها من سلطة يوليو ، رفضت برامجها للتصنيع وحجبت أموالها عن أية استثمارات جديدة وحتى بعد « التمصير » لم تشعر هذه البـورجوازية بالبهجة بقدر ما شعرت بالرهبة ، فـالشركات المصرة تحولت الى ملكية عامة .. وهكذا وضعت بذرة القطاع العام والتأميمات .

خلاصة القول أن« اليمين » بجناحيه المتلاحمين قد رفض النهج الفكرى والقومى والسيـاسى والاجتماعى لثورة يوليو ، وان ثورة يوليو قد رفضت هذا اليمين ، واعلن **عبد الناصر** سقوط التحالف الرجعى اليمينى تحـالف الاقطـاع والرأسمالية .

واستؤصلت جذور هذا اليمين ابتداء من تصفية مواقعه الاقتصادية [ملكية المزارع الكبيرة ـ ملكية الاسهم والسندات ـ ملكية وسـائل الانتـاج الكبيرة ـ بورصتى القطن والاوراق المـالية ـ المصارف ـ الخ] الى تصفية مواقعه السياسية [حل تنظيماته السياسية ـ عزله عن ممارسة النشاط السياسى ـ تأميم الصحف .. الخ] الى تصفية مواقعه الاجتماعية [اسقاط هيبته المادية والمعنوية ـ الغاء الالقاب والرتب .. الخ] .

وباختصار شديد لقد دحر اليمين الرجعى ، واسقطت سلطته ، وجرد من كافة أسلحته ، ووقف « عاريا » أمام شعب يمقته ويرفضه ويدينه .

لكن ذلك كله لم يكن نهاية المطاف باليمين فى مصر .

فاليمين القديم قبع ساكنا متحوصلا كميكروب شرس ملجوم منتظرا فرصته للعودة من جديد .. ولعله يحاول أن يجدها الان ..

وثورة يوليو ، رغم منجـزاتها الوطنيـة والاجتماعية الكبيرة شابتها مع ذلك سـلبيات

عديدة ، اتاحت الفرصة لنمو يمين جديدتمثلهفئات وشرائح متعددة المراتب ، سميت احيانا « بالفئات الطفيلية » أو الطبقة الجديدة وأحيانا « بالاغنياء الجدد » .

ومن المؤكد أن الرأسمالية الوطنية كطبقة هي جزء من الحلف الوطني العام ، وأنها احدى القوى الفاعلة في مرحلة الانتقال .

لكن يمكن أن يقال أن عدم تحديد مجالات نمو الرأسمالية الوطنية في اطار خطة قومية ، وعدم وضع ضوابط لهذا النمو ، قد ادى الى تضخمهذه الطبقة . وعلى سبيل المثال : فالمنتجون الصناعيون يوظفون لديهم ٢٨٥٠٠٠ مشتغل في المؤسسات الصناعية التي يقل عدد عمالها عن عشرة ، وتبلغ قيمة انتاج هذه المؤسسات ١٤٢ر٤ مليون جنيه [٣٥] . وفي عام ١٩٧٢ ، وصل اجمالي انتاج القطاع الخاص في مجال الصناعة وحدها ٤٣٦ مليون جنيه .

والتجارة بلغت اجمالي مبيعات تجار الجملة منهم [في عام ٦٦ - ١٩٦٧] ٢١٨ مليون جنيه ، ولكي نوضح مدى ما يحققونه من أرباح يكفي أن نشير الى أنه ، في الوقت الذي كان فيه تجار الجملة من القطاع الخاص يبيعون ٢٢ في المائة فقط من اجمالي المبيعات [في عام ٦٨ - ١٩٦٩] ، فقد حصلوا على أرباح صافية قيمتها ٦ر٥٠ مليون جنيه هي ٧٩ في المائة من اجمالي أرباح تجارة الجملة كلها .

في هذا الجو ، انسلخت من الرأسمالية الوطنية أحيانا ، ونمت الى جانبها أحيانا أخرى جماعات ساد الطابع الطفيلي نشاطها بحيث أصبح الطابع المميز له ، وحققت أرباحا هائلة من السمسرة والغش والرشوة والتهريب والامثلة عديدة بغير حصر ولنأخذ مثالا واحدا هو فقرة من تقرير لجنة تقصي الحقائق التي شكلها مجلس الشعب لبحث موضوع ارتفاع أسعار الحديد .. وهي تقول « ان القنوات التي يقطع فيها الحديد رحلته من المصنع الى المستهلك تحددها أياد تتمتع بالكثير من المهارة والبراعة في خلق الظروف المناسبة والملائمة لسوق سوداء تحقق أرباحا طائلة لطائفة من المحتكرين والسماسرة » وتقول « ان الحديد الذي يحصل عليهتجار القطاع الخاص من الشركات العامة بالاسعار الرسمية يعاد بيعه للقطاع العام بسعر قدره حوالي ٢٥٠ في المائة من ثمن الشراء محققين ربحا يصل الى ١٥ مليون جنيه سنويا »[٣٦] .

والنتيجة هي انتشار الرشوة وافساد الكثير من مواقع التعامل في القطاع العام وأجهزة الادارة .. وتسجل احصاءات الامن العام ارتفاع نسبة جرائم العبث بالاموال العامة بصورة لم يسبق لها مثيل فتصل في القاهرة الى ٥ر٢١ في المائة من جملة الجرائم وفي الاسكندريه الى ٧ر١٧ في المائه ، وفي القليوبيه الى ٨ر٢٠ في المائة [٣٧]

فماذا عن « الطبقة الجديدة في المدن .. ؟ هناك شرائح كبيرة من البيروقراطيين الذين هيمنوا على كل مواقع السلطة في القطاع العام والجهاز الاداري وأجهزة الحكم المحلي والذين حازوا من النفوذ ما مكنهم من أن يحوزوا - بوسائل مشروعة أو غير مشروعة - ثروات كبيرة ومستوى معيشة يتباعد بهم عن كونهم مسئولين في مجتمع يعاني من التخلف والمشكلات كالمجتمع المصري . وهذه الشرائح مسئولة الى حد كبير عما أصاب تجربة القطاع العام من شوائب ، وهم مسئولون عما بها من انحراف .

وفي مجال السياسة ، نجد أن يمين ما بعد يوليو قد ابتعد عن مسار الحلف الوطني محاولا ان ينفرد وحده بكل نفوذ وبكل سلطة ، رافضا اية مشاركة من الاخرين وحتى نسبة الخمسين بالمائة للعمال والفلاحين في الهيئات التشريعية والسياسية والشعبية استولى عليها اليمين عنوة ومنع العمال والفلاحين من الحصول على حقهم الطبيعي في المشاركة في أجهزة الحكم .

ولم تكن نتيجة ذلك مجرد أن اليمين قد سلب حقوق الفئات الاجتماعية الاخرى ، وانما - وهذا هو الاخطر - أنه يعمل على دفع المؤسسات السياسية والتنظيمية والتشريعية بالعزلة وبالبعد عن الاحساس الحقيقي والواقعي بنبض الجماهير .. وتدور الحلقة المفرغة فكلما تباعدت الجماهير الشعبية عن التواجد والتأثير كلما انتهز اليمين الفرصة ليحكم قبضته المنفردة ، وكلما انفرد اليمين وحده كلما ازدادت هذه المواقع عزلة وجفافا .

وفي قطاع الاسكان نجد ان هذه الشريحة من القطاع الخاص تحصل - بوجه عام - على أرباح خيالية . فقد بلغ اجمالي الايجارات السكنية [قطاع خاص] في عام ١٩٦١ ٥ر٧٧ مليون[٣٨] ليرتفع في عام ٦٧ - ١٩٦٨ الى ١ر١١٣ مليون جنيه ثم يعود للارتفاع في عام ٦٨ -١٩٦٩ ليصل الى٦ر١١٥ مليون جنيه [٣٩] ، وذلك بالنسبة لما هو منظور من ارباح ، اما الارباح غير المنظورة والمتمثلة في « خلو الرجل » وتأجير الشقق المفروشة والتمليك فهي أكثر من ذلك بكثير .

[٣٥] المجلة الاقتصادية - البنك المركزي - العدد ٤٢٣ لعام ١٩٦٩ ص ١٧٤ .
[٣٦] الطليعة - يوليو ١٩٧٣ .
[٣٧] المرجع السابق .
[٣٨] النشرة الاقتصادية - البنك الاهلي - المرجع السابق ص ١٠٦ .
[٣٩] النشرة الاقتصادية - البنك الاهلي - العدد ٢ لعام ١٩٧١ .

وهناك ايضا شريحة من اعيان الريف الذين حلوا محل الاقطاع القديم فى الهيمنة على معظم المقدرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى القرية ، واستطاعوا بما يمتلكونه من مدخرات ان يقوموا بدور المرابى والرأسمالى الزراعى ومؤجر الالات الزراعية والمتحكم فى الاجهزة التعاونية والسياسية فى آن واحد .وحققوا ايضا بذلك دخولا عالية .

لكن ذلك كله كان مجرد بقعة من الضوء على الامتدادات الحالية لمن كانوا رأسماليين متوسطين بالامس والذين وجدوا انفسهم بعد تصفية مواقع الاغنياء الكبار متربعين على قمة الثراء فازدادوا بذلك ثراء ونفوذا وازداد انعطافهم يمينا .

فليس من قبيل المصادفة – بعد ذلك – أن ينشط اليمين فيعرقل ويجمد عملية الانتقال الى الاشتراكية بما يملك من نفوذ مادى ومعنوى فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية .

وتمضى سلسلة الاتهامات .. لكن أخطرها – فى اعتقادنا – هو انه فتح – بأفعاله هذه – الطريق أمام اليمين القديم .. يمين ما قبل ثورة يوليو كى يعود ويطل برأسه طارحا نفسه – ومن جديد – كبديل لكل ما هو قائم .

● ● ●

وينشأ تحالف جديد بين أشد أطراف اليمين الجديد رجعية وتخلفا ، مثل الفئات الطفيلية [فى المدينة] والتى تريد فتح ابواب مصر على مصراعيها امام السلع والاستثمارات الاجنبية بغير ضابط . وتقف بذلك فى تناقض ليس فقط مع مصالح الجماهير وانما أيضا مع مصالح حتى قطاعات من اليمين نفسه كالمنتجين الصناعيين ، ومثل فئات من اعيان الريف [فى القرية] الذين يضيقون ذرعا بسياسة التصنيع والتخطيط ، واستكانوا الى أرباح غير منظورة من خلال تعاملات ضيقة الافق فى القرية والمدينة ومن خلال هيمنتهم على كل مقدرات القرية ، ومن خلال امتدادات قرابات وولاءات للاقطاع القديم .

أقول ينشأ تحالف جديد بين هاتين الفئتين وبين بقايا اليمين القديم .. فما هو برنامج هذا التحالف :

من فمهم ندينهم .. فلنتابع بعض الكلمات التى قيلت فى جلسات الاستماع التى عقدها مجلس الشعب لمناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى .

ومن هذه الكلمات التى ترددت فى جراة بالغة تتحدد نقاط برنامج اليمين :

● **رفض نظرية تحالف قوى الشعب العامل** ، وقد وصفها أحدهم بأنها « ضحك على العقول » **ابراهيم البعثى** – الاخبار ٩، ـ ٩ ـ ١٩٧٤] ووصفها آخربأنها«صيغةشيوعية وليستمصرية» [د . عز الدين فودة ، الاهرام – ١٦ـ٩ـ١٩٧٤]

وكان طبيعيا أن يرد رئيس اتحاد العمال على هذه الدعاوى بمقل بعنوان « **التحالف أو الصراع الطبقى** » .

● **رفض فكرة الخمسين بالمائة للعمال والفلاحين** . فيرى البعض « انها لا مبرر لها » [**د . محمد يوسف دياب . د . ابراهيم بدوى** ، الجمهورية ، ١١ ـ ٩ ـ١٩٧٤] ويرفضها البعض على اساس « ان العمال والفلاحين قد أخذوا مكاسبهم كاملة » [**د . محمد سيد درويش** – الجمهورية ١١ ـ ٩ ـ١٩٧٤] . بل ان البعض هاجم هذا الحق على اساس« ان العمال والفلاحين الذين دخلوا البرلمان لم يحققوا للعمال والفلاحين أى مكسب . وكان بعضهم لا يعرف القراءة والكتابة » [**محمد عبد الشافى** –الاهرام ، ٩ ـ ٩ ـ ١٩٧٤] .

● **اشتراط معرفة القراءة والكتابة للاشتراك فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى** [**راوية عطية** – **الجمهورية** ٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٧٤] .

● المطالبة بتغيير اسم الاتحاد **الاشتراكى** العربى الى الاتحاد الوطنى العربى [**احمد** القصبى – الجمهورية ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٧٤]

● « **تغيير** » **قانون الاصلاح الزراعى** [فكرى **اباظة** ، الاخبار ، ٩ ـ ٩ ١٩٧٤] .

● **اعادة النظر فى جميع القوانين الاشتراكية** التى صدرت خلال العشرين عاما الماضية « وتنقيتها من الشوائب والانحرافات [**مهندس عبد الفتاح عبد المقصود** الجمهورية ١٥ ـ ٩ ـ١٩٧٤]

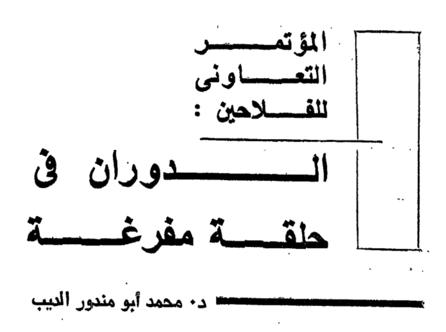
● الهجوم على مجانية التعليم وعلى السماح بتدفق الالاف من الطلبة الى الجامعات [**فكرى اباظة** . الاخبار ، ٩ ـ ٩ ـ ١٩٧٤] .

وهكذا يقلس « جوق » اليمين ، فلا يجد سوى النغمات القديمة التى ادانها الشعب وداسها التاريخ ..

لكن الكائن الحى ، المتسق المنطق ، الكلى المعرفة ، القادر دوما على التقاط صورة متكاملة الابعاد بما فيها ذلك البعد الذى يحاول الكثيرون ان يهيلوا عليه التراب وهو « الماضى » ... وبما فيها أيضا ذلك البعد الذى يحاول الكثيرون أن يغمضوا أعينهم عنه وهو« المستقبل » .. ذلك الكائن الحى المسمى تاريخ مصر يقدم لنا صورة كلية الابعاد تمتد من الماضى الى الحاضر وترى المستقبل ايضا ..

ونعود نقلب الصفحات السابقة ونقرأ بنود اتهام اليمين لنعرف الى أى منحدر يريد أن يسوق مصر ..

لكن مصر ليست ضعيفة الذاكرة الى هذا الحد .



انعقد المؤتمر التعاوني للفلاحين في الفترة من ٧ - ٩ سبتمبر بمناسبة مرور ٢٢ عاما على صدور قانون الاصلاح الزراعي لمناقشة قضية « التعاونيات الزراعية وورقة أكتوبر » طرحت من خلاله ٣١ بحثا ودراسة ميدانية لتطوير التعاونيات الزراعية . ومن خلال أطلاعنا على البحوث والدراسات المقدمة ، وكذلك من خلال متابعة المناقشات والاراء التي دارت أثناء المؤتمر، بالاضافة الى ما وصل اليه من قرارات وتوصيات يمكن عرض مجموعة الملاحظات الرئيسية التالية :

أولا : فيما يتعلق بتقييم مرحلة البناء التعاوني منذ سنة ١٩٥٢ وحتى الان ، فلقد أجمع المؤتمرون على أن الحركة التعاونية الزراعية المصرية بالرغم مما حققته من تقدم كمي راضح ، فيما يتعلق بأعداد الجمعيات ، أو عدد الاعضاء ، وأحجام القروض ، الا أنها مازالت تعاني من عثرات ضخمة في جوانب كثيرة من أهمها : غياب الوعي التعاوني ، وبالتالي ضعف الممارسة الديمقراطية ، أو سوء استخدامها والتي تعتبر مسئولة - الى حد كبير - عن كثير من الاخطاء والسلبيات فيما يتعلق باختيار القيادات التعاونية ، وسوء استخدام الجهاز الوظيفي لمكانته ، والقروض ومعدات الجمعية ، وضعف التدريب التعاوني . وأكد أعضاء المؤتمر ، وبعض مقدمي الدراسات ، على ضرورة التأكيد على شعبية الحركة التعاونية ، ورقابيتها باعتبارها المدخل الاساسي لتطوير كثير من سلبيات الحركة التعاونية في المستقبل .

ثانيا : ان المؤتمر قد تعرض لجانبين رئيسيين وهما : عضوية مجلس الادارة ، وشروط العضوية في كل من القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ ، والقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ . ولقد طالبنا في دراستنا الى هذا المؤتمر بضرورة تغيير نسبة التمثيل لتعود الى ما كانت عليه في القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ والذي كان يشترط أن يمثل من يملكون ٥ أفدنة فأقل بما لا يقل عن أربعة أخماس أعضاء مجلس ادارة الجمعية المحلية ، في حين أن القانون الجديد لم يحدد هذه النسبة في مواده ، الا أن المذكرة التفسيرية له قد أوضحت ان نسبة الاربعة اخماس تنطبق على من يملكون عشرة أفدنة فاقل ، وقد قيل أن السبب في ذلك هو : « تعريف الفلاح وفقا لما أورده الميثاق وهو من يملك ١٠ أفدنة فأقل » . غير اننا نرى بأن الميثاق قد عرف الفلاح، ولم يعرف صغار الفلاحين . وعند مناقشة هذا الجانب راى السيد - **محمد مهدي شومان** أمين الفلاحين ضرورة حسم هذا الجانب في هذا المؤتمر . غير انه لم يحسم - كما اتضح - من قرارات وتوصيات المؤتمر . بل أن الامر قد تعدى ذلك الى أبعد منه ، فلقد قدمت أمانة الفلاحين بالمنيا دراسة تطالب فيها برفع نسبة من يملكون ١٠ افدنة فأكثر من ٢٠ في المائة الى ٥٠ في المائة من أعضاء مجلس الادارة . واعترض أحد الاعضاء على هذا بقوله : ان الاقطاع بدا يعود مرة أخرى ليسيطر على الحركة التعاونية رد أمين الفلاحين بالمنيا باننا لا نتقيد بهذا الشرط في

المستويات الاعلى فلماذا نتمسك به فى المستويات الادنى .

فاذا كان لهذا من معنى، فان معناه أن وجود مثل هذا الاتجاه فى المؤتمر ، وعدم استطاعته حسم هذا الجانب الهام يؤكد — مرة أخرى — رغبة كبار الملاك فى السيطرة على الجمعيات التعاونية المحلية ، بالاضافة الى سيطرتهم على المواقع الاعلى وهم الذين لا يمثلون أكثر من ٥ فى المائة من عدد الملاك ، الامر الذى يجعلنا نعتقد بان تمثيل هؤلاء للقاعدة ليس بالشكل الذى يمكن من خلاله أن نتوقع ان يدافعوا عن الغالبيه العظمى — وهى طبقة صغار الملاك [ممن يملكون خمسة افدنة فاقل] والتى تمثل ٩٥ فى المائة من عدد الملاك تقريبا — بقدر ما نتوقع رغبتهم فى السيطرة على الحركة التعاونية الزراعية المصرية وتوجيهها لصالحهم .

وفيما يتعلق بشرط ضرورة الالمام بالقراءة والكتابة بالقانون الجديد عند التقدم لعضوية مجلس الادارة بينما كان القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ لا يضع القراءة والكتابة احد شروط العضوية ، فلقد أوردنا فى دراستنا أهمية الغاء هذا الشرط بالقانون الجديد ، حيث أننا — من خلاله — نستبعد السواد الاعظم ممن لا يقراون ولا يكتبون من حق تمثيلهم فى مجالس الادارة . وقلنا اننا لا نطالب بالغاء هذا الشرط لادخال مجموعة من الاميين الى عضوية مجالس الادارة ، أو قيادة الحركة التعاونية ، بل أننا نربطه بضرورة محو أميه العضو من خلال برامج متكاملة فى الوعى ، ومحو الامية التعليمية والوظيفية والسياسية فى فترة محددة لا تتجاوز ٦ اشهر . غير أن بعض الاعضاء هاجموا هذا الاقتراح بحجة سوء ادارة الاميين لمجالس الادارة والجمعيات التعاونية . وكان الرد عليهم هو أن جمعيات الاصلاح الزراعى ، والتى لا تضع هذا القيد ، اكفأ فى تأدية خدماتها من جمعيات الائتمان ، وبالتالى ، **فان المعارضة** لم تكن فى موقف دفاعى من أجل المصلحة العامة بهدف تمثيل أصحاب المصلحة الحقيقية بقدر ماكانت تستهدف التأكيد على ازاحة الغالبية العظمى من صغار الملاك والذين ترتفع نسبة الامية بينهم بالمقارنة بمتوسطى وكبار الملاك .

ثالثا : تعرضت كثرة من الدراسات الى أن احدى الواجبات الرئيسية أمام تطوير التعاونيات الزراعية وفقا لمعطيات وثائق الثورة ، وخاصة برنامج العمل الوطنى وورقة أكتوبر لابد وان ترتبط بتحويل التعاونيات الخدمية الى **تعاونيات انتاجية** . ولقد أثار مفهوم التعاونيات الانتاجية جدلا كبيرا فى احد الجلسات استمر حوالى الساعتين استطاع فيه اغلبية اعضاء المؤتمر ، وبمساعدة بعض السادة الباحثين ، أن تفرغه من محتواه العلمى والتقدمى فى حل المشكله الزراعية ووصلوا من خلال النقاش الى أن التعاون الانتاجى فكرة مستوردة لا تتناسب مع ظروفنا . الا أنهم — فى نفس الوقت — بينوا انه يمكن تطوير الخدمات التعاونية الحالية فى شكل علاقات الانتاج الموجوده الى تعاون انتاجى !! ولقد كانت مقاومتهم ، لهذا النوع المتقدم من التعاونيات والذى يمثل حجر الاساس فى تطوير الزراعة المصرية بالارض القديمة ، منطقية ومتوقعة . فهم يتصورون أن التعاون الانتاجى مدخل لالغاء الملكية الزراعية وهم المدافعون وبشدة عن ملكياتهم مهما كان الثمن ، الامر الذى يجعلنا نؤكد أن امكانية نشر هذا النوع من التعاونيات يحتاج الى مجهودات كبيرة . ولابد أن يرتبط بخطة علمية مدروسة آخذة فى اعتبارها ضرورة البدء فى تغيير علاقات الانتاج الموجودة بالريف ، وهى المسألة عن تخلفه بشكل واضح . كما أننا نتصور أن منطق من يزعمون أن التعاونيات الانتاجية « فكرة مستوردة » لا يستقيم مع منطق الانفتاح الفكرى والاقتصادى ، اللهم الا اذا كانت هذه الفكرة تخدمتهم ، وبالتالى ، لمصلحتهم دون بقية الطبقات ، وخاصة الطبقات المستغلة ، وعندئذ فهم يقبلونها ، ويدللون باستخدامها فى الدول أو المجتمعات الاخرى .

واذا كانت قرارات وتوصيات المؤتمر قد أكدت ، وفى أكثر من موضع ، على ضرورة التحول الاشتراكى فى الريف ، وعلى ارساء الاشتراكية ، وكذلك على تحويل التعاونيات الخدمية الى تعاونيات انتاجية ، فكيف تستقيم — اذن — نصوص هذه القرارات والتوصيات مع اتجاهات القيادات الفلاحية المسيطرة على أعمال المؤتمر . أن هذا يجعلنا نعتقد ان كثيرا من القرارات والتوصيات ، لا تخرج عن كونها نصوصا للاستهلاك المحلى تضطر من خلالها مثل هذه القيادات الى قبول الفاظ ثورية ، ولكنها — فى نفس الوقت — تسلبها من كل المحتويات الثورية والتقدمية ، لصالحها ، من ناحية ، ولارضاء العناصر التقدمية والمؤمنة بحل علمى وموضوعى للمشكلة الزراعية — كما تتصور — من ناحية أخرى .

رابعا : لقد اكدت قرارات وتوصيات المؤتمر ، اكثر من موضع ، على أهمية التخطيط العلمى ، والادارة الرشيدة المتخصصة ، وضرورة أرتباط التخطيط بالقاعدة ، وأن ينبع هذا التخطيط من خلالها ، واكدت كذلك على ضرورة وضع الخطة الزراعية ضمن اطار الخطة الخمسية القادمة من خلال المشاركة الحقيقية للتعاونيات الزراعية المصرية . غير أننا نرى ان الواقع الانى للزراعة

المصرية يحول كثيرا جدا دون تحقيق هذا المطلب . فالجمعية التعاونية الزراعية ، بشكلها الحالى ، لا يمكن أن تساهم - وبشكل فعال - فى وضع خطة قومية زراعية ، ذلك أن جوانب نشاطها لا تتعدى تسليم السلف أو الخدمات ، وليس لها أى اشراف انتاجي يذكر يمكن من خلاله وضع أهداف انتاجية ملزمة تضمن تحقيقها .. وحتى اذا سلمنا بالبدأ فى هذا العمل ، فى شكل علاقات الانتاج الحالية وهى العلاقات التى ترتبط بعدة ملايين من المنتجين الفرادى ! فكيف يمكن ربطهم ربطا علميا واعيا متسقا فى خطة قومية ؟ كما أن الوعى التعاونى والتخطيطى لا يزال من التدنى الى الدرجة التى لا نستطيع من خلالها ضمان مشاركة اوسع الجماهير الفلاحية فى وضع هذه الخطط بصورة علمية، ومن ثم . فان ضمان تحقيق التخطيط الشامل والمتوازن والمتكامل ، والادارة الرشيدة كل هذا مرهون أيضا بتطوير علاقات وقوى الانتاج فى الريف المصرى .

خامسا : أكدت دراسات المؤتمر وتوصياته وقراراته على ضرورة الدعم الميكنى للزراعة المصرية ، وهو الاتجاه السائد فى الزراعة المتقدمة غير أننا نتساءل عن المناخ الذى يمكن أن يسمح باستغلال طاقات الميكنة والاستفادة بها أقصى مايمكن . ومعروف أن هذا الامر لا يمكن تحقيقه ، وبشكل علمى ، دون ضمان توفير المساحات الواسعة كما هو الحال فى الدول المتقدمة رأسمالية كانت أو اشتراكية ، وهو الامر الذى يتعارض - كذلك - مع الاتجاه الذى تسير فيه الزراعة المصرية نحو مزيد من التفتت والتشتت . وبالتالى ، فاننا **نعود مرة أخرى** لنؤكد بأن ميكنة الزراعة المصرية مرتبطة بانشاء جمعيات تعاونية انتاجية ، فى اطار علاقات انتاجية أكثر تطورا مع الاحتفاظ بحق الملكية . غير أنه لا بد من ازالة الحواجز والجسور التى تفصل هذه الملكيات القزمية وتحول واستخدام هذه الالات بطريقة اقتصادية .

سادسا : لقد خرج الكثيرون من أعضاء المؤتمر وباحثيه بنتيجة وتساؤل فى نفس الوقت .... والنتيجة هى : أننا وقد اجتمعنا فى هذا المكان لمناقشة قضايا المشكلة الزراعية المصرية ، منذ عدة سنوات ، وفى عدة مؤتمرات ، وأخرجنا الكثير من التوصيات والنتائج والقرارات ، التى لم تر النور حتى الان ، ولم تخرج عن مجرد كتابات ، وانفاق غير مثمر ، بل أن هذه القرارات والتوصيات تكاد تتشابه أو تتوافق من ناحية المحتوى ، غير انها تختلف من ناحية اللفظ أو الترتيب الامر الذى يؤكد عدم البدء بعمل جدى يذكر بشأن تطوير الزراعة المصرية وحل مشكلاتها - بعد هذا نقول أن التساؤل المطروح هو : [**ألم يحن** الوقت للبدء فورا فى مواجهة المشكلة الزراعية المصرية بوعى تحكمه المصلحة القومية ومصلحة القاعدة العريضة من المنتجين الزراعيين ؟! الم يحن الوقت من اجل وضع وتنفيذ هذه القرارات والتوصيات فى مكانها الصحيح ؟ !

واذا كان الرد على ذلك من جانب البعض بأن هذه القضية ليست مهمة المؤتمر فهو يوصى ويقرر ، وأما السلطة التنفيذية فعليها أن تترجم هذه القرارات والتوصيات بالشكل الذى يتوافق وممكنات تنفيذها فى سياسات وقوانين وبرامج ومشروعات وحركة تنفيذية وجماهيرية منظمة ، الا أننا نقول - مع ذلك - بان المسئولية ليست مسئولية الجهاز التنفيذى فحسب بل هى مسئولية الاجهزة الشعبية الفلاحية - بالدرجة الاولى - وهى التى يجب أن تحاسب الاجهزة التنفيذية اذا ما تخلفت عن أداء وظائفها فى خدمة الجماهير .

ثم يمتد التساؤل ليقول ، أيضا : الم يحن الوقت لانشاء لجنة شعبية مهمتها مراقبة تنفيذ نتائج أعمال هذا المؤتمر ، تنسق مع الجهات المسئولة ، وتترجم قراراته وتوصياته الى خطة علمية منسقة تساهم فى تنفيذها وتقيم نتائجها بحيث لا ينعقد هذا المؤتمر - مرة أخرى - ليناقش نفس الموضوعات أو ليتطرق الى نفس المشاكل أو المعوقات ، وليطرح - مرة أخرى - أيضا نفس القرارات والتوصيات ؟!.

وهنا تأتى أهمية المشاركة الجماهيرية الواسعة والحركة الدؤوبة الجادة لتنفيذ ماتضمنه المؤتمر من نتائج وتوصيات . ومن هنا لابد - أيضا - من أن تحدد الجهات ، أو الاشخاص ، المسئولة عن عرقلة مسيرة الحركة التعاونية فى الزراعة المصرية ، والا فان مزيدا من التدهور ينتظر الزراعة المصرية وبالتالى ، مزيدا من نقص المواد الغذائية ، مزيدا من تدهور القطاع الصناعى والذى يعتمد على القطاع الزراعى فى كثير من النواحى ، مزيدا من تدهور الدخول وانخفاض مستوى المعيشة للغالبية العظمى من المنتجين الزراعيين ، مزيدا من التضخم الاقتصادى وارتفاع الاسعار ، مزيدا من الاعتماد على السوق العالمى لسد حاجتنا من المنتجات الغذائية ، هذا السوق الذى تحكمه عوامل ليست فى مصلحتنا خاصة فيما يتعلق بارتفاع أسعار هذه المنتجات ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى تحكم الدول الامبريالية فى معظم مخزونها ، وبالتالى ، اعطائها فرصة التحكم فى مصائرنا والتأثير على استقلالنا السياسى والاقتصادى وكذلك ضرورة توفير مزيد من العملات الصعبة لسد احتياجاتنا الاستهلاكية ، هذه العملات التى يكون من الافضل توجيهها الى استيراد السلع الانتاجية لتطوير الزراعة والصناعة .

ثم يتشعب التساؤل فى النهاية ليقول ونحن نطالب ببناء مصر المتقدمة فى سنة ٢٠٠٠، أى بعد حوالى ٢٦ عاما ! فاننا نخشى أن نأتى بعد نهاية هذه السنوات أى بعد ستة وعشرين عاما - لنقول : كان يجب علينا أن نبدأ فى سنة ١٩٧٤ ، ولكننا تكلمنا فقط ولم نتحرك .

دعـــوة الى

حـــوار حـــول التعـــــــــــليم

د٠ رشدى لبيب

على الرغم من أنه لا يكاد يمر يوم الا ويتحدث فيـــه كل فرد من أفراد مجتمعنـــا عن ضرورة تطـــوير تعليمنا ، وعن أهمية ذلك فى بناء مجتمعنا الجديد ، الا ان مشكلات التعليم لا تزال تزداد حدة وتعقيدا . ويبدو أن قضية التعليم قد وصلت الى الحد الذى لم يعد يصلح لعلاجها تلك الاجراءات الجزئية التى تسعى الاجهزة التعليمية الى اتخاذها ، أو تلك الحلول السريعة لما يظهر من مشكلات والتى لا ينجم عنهـــا الا مزيدا من المشكلات .

وفيما يبدو فان هناك خطئا اساسيا فى نظرتنا الى هذه القضية . فعلى الرغم من أن قضية التعليم قضية قومية فى المقام الاول ، الا اننـــا ما زلنا نعالجها باعتبارها قضية فنية يترك أمرها للاجهزة التعليمية وللاخصائيين فى مجال التربية والتعليم . الا أنه ينبغى أن ندرك فى وضـــوح أن التربيـــة وسيلة يســـتخدمها الناس لهـــدف مقصود — وعن وعى — وأنها دائما تعبير عن أغراض ورغبات جماعة اجتماعية معينة . ومن هنـــا فليس من حق أفراد معينين مهمـــا بلغت درجة اخلاصهم وكفايتهم أن ينفردوا بتحديد نوع التعليم الذى تتلقاه الاجيال الصاعدة ، كما أنه ليس فى قدرتهم ، أو فى قـــدرة الاجهـــزة التى يعملون من خلالها ، حسم مشكلات التعليم التى تحتاج الى تكتيل أكبر قدر من الجهود الحكومية والشعبية .

ونحن نعتقد أن نقطة البـــدء لمواجهة قضـــية التعليم ، فى مجتمعنا ، باعتبارها قضية قومية تحتاج الى مواجهة شاملة ، هو اتاحة الفرصة للحوار الديمقراطى الذى يحس فيه كل مواطن أنه مسئول عن هـــذا التعليم ، وبالتالى فهـــو ملتزم بتطويره ، ان لم يكن بطريق مباشر ، فعن طريق خلق رأى عام يساند هذا التطوير ويدفعه الى الامام .

ولكن كيف يتم هذا الحوار ؟ وحول ماذا يدور ؟

هناك بعض النقاط التى ينبغى الاتفاق حولها

تشمل المسلمات الاولى للحوار ومنهج التفكير والقضايا الرئيسية الذى يدور حولها النقاش .

مسلمات أولية للحوار حول التعليم

ان الحوار حول التعليم ينبغى أن يبدأ ببعض المسلمات الاولية ، والا انتفى الحوار ، وخرج عن الحدود التى ينبغى الالتزام بها :

١ — فتربية الانسان المؤمن بالقيم الديمقراطية والاشتراكية ، والقادر على تغيير واقع المجتمع بما يتفق مع المبادىء التى نصت عليها مواثيقنا الثورية هو الخط الاستراتيجي للتعليم فى مجتمعنا ، والذى ينبغى الالتزام به فى تطويره .

٢ — ان المكاسب التى اكتسبها شعبنا فى مجال التعليم ، والتى نصت عليها مواثيق الثورة ، ليست محل جدل أو تراجع . فمجانية التعليم فى جميع مراحله ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، وتوظيف العلم والتعليم فى خدمة المجتمع وقواه العاملة ، وغيرها من المبادىء التى ناضل الشعب من أجل تحقيقها يجب الا تمس ، بل ينبغى السعى نحو ازالة جميع العقبات التى تعترضها .

٣ — ان الالتزام بالمنهج العلمى فى التفكير أمر ضرورى عند بحث مشكلات التعليم وهو الطريق نحو حسم الخلاف فى الرأى والوصول بالمناقشة الى أفضل الاراء وهو الضمان الاساسى للابتعاد عن الاهواء الشخصية والمصالح الفردية .

أسلوب معالجة قضية التعليم

لا نظن أن هناك خلافا كبيرا حول ضرورة تطوير التعليم ، بل اننا قد نجد اتفاقا بين مختلف الاراء حول العيوب والمشكلات التى يعانى منها . ولكن ، فيما يبدو هناك خلاف أساسى حول أسلوب معالجة قضايا التعليم . وينعكس هذا الخلاف فى تباين وجهات نظرنا عن المشكلات وأولوياتها ، وهو تباين ينم عن تعدد الفلسفات الاجتماعية ونظرتها الى التغيير وكيفية احداثه .

وفى هذا المجال يمكن أن نحدد اتجاهين رئيسيين : الاتجاه الاصلاحى والاتجاه الثورى . ويقوم الاتجاه الاصلاحى على أساس ان التطور ينبغى أن يأتى تدريجيا دون احداث هزات عنيفة فى الاجهزة القائمة ، مع معالجة المشكلات الظاهرة واحدة بعد أخرى . فاصلاح الجزئيات يؤدى بالتالى الى اصلاح الكل . أما الاتجاه الثورى ، فانه ينظر الى الظواهر كوحدة عضوية واحدة ، يلزم تغييرها تغيير الاطار العام لها . وهنا ينبغى أن نشير الى خطأ قد يقع فيه البعض وهو اعتبار الاتجاه الثورى متعارضا مع المنهج العلمى الذى أشرنا الى أهمية الالتزام به فى تطوير التعليم . غير أن الاتجاه الثورى يأخذ بالمنهج العلمى ولكن فى صورته المتطورة المعاصرة . فاذا كان الاتجاه الاصلاحى يعالج المشكلات والظواهر منعزلة عن بعضها ، فهو لا يرى هذه المشكلات والظواهر الا فى صورة استاتيكية [جامدة] تتنافى مع التصور الدينامى [الحركى] لها ، باعتبارها مترابطة معا ، وتؤثر كل منها فى الاخرى وتتأثر بها ، وبالتالى فهى متحركة . ومن هنا أصبح المنهج العلمى يعنى بدراسة الظواهر فى علاقاتها معا ، ويحاول البحث عن الاسباب الكامنة ورائها .

وفى الحقيقة أن ميثاقنا القومى أدان النظرة الاصلاحية ، ونادى بضرورة الاخذ بالنظرة الثورية بقوله فى الباب الرابع « لقد تمرد الوعى الثورى الاصيل على منطق دعاة الاصلاح واختار طريق الثورة الشاملة » . ومع ذلك فالاتجاه السائد فى مجال تطوير التعليم هو فى أحسن حالاته الاتجاه الاصلاحى الذى يحاول تحديد العيوب ، والمشكلات التى تحس بها الجماهير ، ويجعل من حلها كأجزاء منفصلة هدفا أساسيا لعملية التطوير ، ونخشى أن يكون **المجلس القومى للتعليم والتكنولوجيا** [رغم الجهد الذى يبذله — اذا صحت ما تنشره الصحف عن مناقشاته وأعماله — قد بدأ يأخذ بهذا الاتجاه . فهو يناقش قضايا التعليم منعزلة عن بعضها ، ودون وجود استراتيجية واضحة أو اطار عام يرسم الطريق نحو معالجة تلك القضايا بصورة جذرية ، ويرسى دعائم التطوير على أساس فلسفى وعلمى سليم . على أية حال ، قد يجد المجلس — مبررا لذلك — فى أن هناك بعض المشكلات الملحة التى تحتاج الى علاج سريع . ولكن لا ينبغى أن يعفينا ذلك من اعادة النظر فى أسلوب معالجة قضايا التعليم . فالاسلوب الحالى — وقد مارسناه سنوات طوال — لم يؤد الا لمزيد من المشكلات . وعلى سبيل المثال : ان عدم الاهتمام بربط النمو التعليمى واتجاهاته باتجاهات النمو الاقتصادى والاجتماعى أدى الى حدوث فجوة واسعة بينهما ، تظهر فى مشكلة الفائض من الخريجين الذين يعينون تحقيقا لمبدأ حق العمل للجميع ، دون أن يوجد عمل حقيقى لهم . والمناهج الدراسية التى تتغير من عام الى آخر دون وجود أساس عام يحكم هذا التغيير ، أدت الى انخفاض المستويات التعليمية بدلا من أن ترتفع بما يناسب روح العصر . ومن ثم ، فنحن

فى حاجة الى نظرة شاملة جديدة لمشكلاتنا التعليمية فى صورتها المتكاملة ، تتخذ نقطة بدء لها فلسفة التعليم وسياسته العامة فى ضوء الفلسفة الاجتماعية التى نؤمن بها ، ثم يأتى بعد ذلك رسم خريطة الواقع ومشكلاته وعيوبه ، وتحديد الطريق لتغيير هذا الواقع . وهنا ينبغى أن نشير الى أننا ندرك تماما أن مشكلات التعليم لن تحل مرة واحدة ، ولكن يمكن ، من خلال هذه النظرة ، تحديد أولويات التخطيط التعليمى، وربط الخطط العاجلة لاصلاح التعليم بالخطط طويلة الامد .

القضايا التى تحتاج الى حوار

اذا سلمنا بأهمية النظرة الشاملة للتعليم ، فى محاولة علاج مشكلاته ، علاجا جذريا ، فقد يلزم لنا تحديد قضاياه الرئيسية التى تحتاج الى نقاش جدى ، حتى لا نبدد جهدا ، لا طائل منه ، حول مشكلات فرعية أو جزئية هى فى الحقيقة مجرد أعراض وظواهر لمسببات أعمق .

ان قضية التعليم فى مجتمعنا يمكن أن تصاغ على الصورة التالية : « كيف يمكن أن نعلم أكبر عدد من الافراد تعليما يتفق مع روح العصر ومع متطلبات مجتمعنا وآماله فى تحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، بأقل نفقات ممكنة وفى أسرع وقت ممكن ؟ » .

وتنطوى هذه الصياغة على كثير من القضايا الفرعية ، ولكن ينبغى أن نفرق — هنا — بين نوعين من القضايا : قضايا عامة تتصل بفلسفة التعليم وأهدافه وسياسته العامة ، وقضايا فنية تتصل بأسلوب تحقيق هذه الفلسفة وتلك الاهداف وتكنيكات التعليم . ولقد أدى الخلط بين هذين النوعين الى كثير من الصراعات والمشكلات التى ينبغى أن تنتهى . فالنوع الاول من القضايا هو الذى يحتاج الى حوار يشترك فيه جميع أفراد مجتمعنا ، بينما ينبغى أن يترك النوع الثانى للفنيين والاخصائيين ليعالجوها على أساس من البحث العلمى السليم .

وفى ضوء هذا نقترح أن يتناول الحوار القضايا التالية :

أولا — فلسفة التعليم وأهدافه : ما زال تعليمنا فى حاجة الى فلسفة واضحة تحدد القيم والمبادىء التى يقوم عليها والاهداف التى يسعى الى تحقيقها والعلاقة بينه وبين المجتمع . ومن غير وجود مثل هذه الفلسفة ، سيبقى كل اصلاح فى التعليم مجرد اجتهاد شخصى يعبر عن رأى مؤقت دون أن يرتبط باستراتيجية يلتزم بها الجميع . وهنا ينبغى أن ندرك بأن تعليمنا يعانى من تيارات متصارعة تظهر فى صور متعددة كالفصل بين العلم والعمل ، والفصل بين الثقافة والانتاج ، واختلاق التناقض بين الكيف والكم ، والثنائية بين التعليم الدينى والتعليم المدنى ، وعزلة الجوانب المعرفية عن الجوانب السلوكية فى تربية المواطن . كما تؤدى تلك التيارات المتصارعة الى عدم استقرار نظام التعليم ، وعدم وجود مبادىء محددة للخطط والبرامج الدراسية .

واذا كنا ندعو الى حوار ينير الطريق نحو بلورة فلسفة جديدة للتعليم ، فاننا نرى أن هناك ثلاثة أبعاد ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار .

١ — البعد الايديولوجى ، ويتضمن الاعتبارات التى تفرضها فلسفتنا الاجتماعية . وفى هذا المجال نشير الى ركائز ثلاث لهذه الفلسفة :

— الايمان بالديمقراطية باعتبارها أسلوب الحياة الذى يقوم على التخلص من جميع أنواع القيود المفروضة على الانسان أيا كان هو ، واتاحة الفرصة لقوى الشعب العاملة لكى تشترك فى تشكيل الحياة وفق آمالها وأهدافها .

— الايمان بالاشتراكية كطريق حتمى لتحقيق الكفاية والعدل وتوفير الحرية الاجتماعية التى ترتبط وتتلازم مع الحرية السياسية .

— الايمان بالعلم باعتباره القوة التى يملكها الانسان والتى عن طريقها يحقق ارتفاعا فى مستوى معيشته ، وحل مشكلاته ، وبناء مستقبل أفضل له وللاجيال المتعاقبة .

ولا شك أن تحليل هذه الركائز سوف يؤدى الى ابراز المفاهيم الاساسية التى ينبغى أن يقوم عليها تطوير التعليم .

٢ — البعد العالمى [العصرى] : ويتضمن الاعتبارات التى يفرضها التطور العالمى وخاصة فى النواحى العلمية والتكنولوجية : ان أى مجتمع فى عالمنا الحديث لا يستطيع الانعزال عن العالم المحيط به ، وبصرف النظر عن الموقف الايديولوجى لاى دولة ، فان التطورات العالمية تفرض عليها بعض المطالب . ولقد جاءت **ورقة أكتوبر** لتؤكد ضرورة انفتاحنا على العالم المعاصر ، وأهمية العمل على بناء المجتمع العصرى . وهنا ينبغى أن ندرك أن الدعوة للعصرية لا تعنى مجرد ادخال الادوات والوسائل العلمية الحديثة فى

حياتنا فحسب ؟ بل هي قبل ذلك دعـوة لخلق مناخ علمي يطور حياة الناس ومفاهيمهم وأساليب تفـكيرهم . وفي نفس الوقت هي دعـوة الى الافادة من الثقافة الانسانية ، في أعلى مراحل تطورها ، لتحقيق أهدافنا وآمالنا القوميـة . ولذلك ينبغي — عند تحديد فلسفة التعليم وأهدافه — أن نأخذ في الاعتبار الابعـاد الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعية لعـالمنا المعـاصر ، والمتغـيرات التي فرضـتها الثورة العـلمية والتكنولوجية . وعلى سبيل المثال : علينـا ان نضع في الاعتبار ، ذلك التطور الكمي والكيفي الهائل في المعرفة العلمية ، والحاجة الى مسايرة هذا التطور في سرعته وتشعبه . كما ينبغي أن نناقش التغيرات التي حدثت — نتيجـة ظهور التكنولوجيا الحديثة — في الـدور الانتـاجي والاجتماعي للعمل الانساني ، الامر الذي يحتاج الى تغيير نظرتنا لنوعية اعداد الاجيال الصاعدة للعمل . وبالمثل ، ينبغي أن نناقش تلك الثنائية بين الاكاديمية والوظيفية ، وبين العلم والعمل ، وبين العلم البحث والعلم التطبيقي في ضـوء النظرة العلمية الحديثة التي قضـت على تلك الثنائيات التي ما زال يعاني منها تعليمنا .

وهنا ، ينبغي أن نلفت النظر الى تلك الهوة التي تزداد اتساعا بين الدول المتقدمة والـدول النامية ، الامر الذي يقتضي من الدول النامية جهودا فائقة لزيادة معدل التطور فيها ، معتمدة في ذلك — وبصـفة أساسية — على الطـاقة البشرية في أعلى وأرقى صورة لها . وهنا يكمن التحدي الرئيسي الذي يواجـه التعليم في تلك الدول .

٣ — البعد الواقعي : ويتضمن الاعتبـارات التي يفرضها واقعنا الحـالي وخطط التنميـة الاقتصادية والاجتماعية له . فأي فلسفة للتعليم لا تأخـذ في اعتبارها واقع المجتمع ومشكلاته وامكانياته وموارده المتاحة واتجاهات النمو فيه هي فلسفة زائفة لا قيمة لها . ومن ثم فنحن في حاجة الى دراسة المشكلات المتعلقة بالتنميـة الاقتصادية ومشكلات التنمية الاجتماعية والثقافية وما تفرضـه على الخط الاسـتراتيجي والخط التكتيكي للتعليم من متطلبات .

ثانيا — البناء الثقافي القومي : ان أي نظام للتعليم هو بالضرورة نظام قومي تمتد جذوره من ثقافة البـلد وحضارتها . وهو نتـاج عوامل كثيرة ، اقتصـادية وتاريخية وسياسية واجتماعية . وأي محاولة تبذل من أجل نقل نظام تعليمي من بلد الى بلد آخر مصيرها الفشل . ومن هنـا ينبغي التعليم القومي من الثقافة القومية بمعناها الواسع ، والا أصبح جسما غريبا محكوما عليه بالفناء . ولكن هذا لا ينفي امكانية الاستفادة من خبرات المجتمعات الاخرى بشرط مراعاة المبادىء الاساسية للمجتمع وظروفه الواقعية .

والقضية التي تواجهنا في هذا المجال ، والتي تحتاج الى بحث مستفيض ، هي قضية الازدواج الثقافي ، الذي يصل في كثير من الاحيان الى حد التناقض . فهناك الثقافة القديمة الموروثة التي تترك بصماتها على أسلوب تفكيرنا وعادتنا وقيمنا بل حتى على ملبس ومأكل معظم أفراد الشـعب ، وهناك الثقافة العصرية التي تظهر في وضـوح في بعض المظاهر المادية للحيـاة [وخاصة داخل المدن] ، وأحيانا تؤثر في تفكير البعض منا وعاداته وقيمه . وتحليل الاتجاهات الفكرية في مجتمعنا يشير بوضوح الى وجـود صراع قوي بين هاتين الثقافتين . فهناك من يدعو الى التمسك بالتراث القومي الى الحـد الذي يرى فيه أن كل دعوة للبحث في هـذا التراث وتنقيته من الرواسب هو هدم لـكياننا وتاريخنا . وفي مواجهة هؤلاء ، يقف فريق آخر ينادي فقط بالاخذ بالثقافة العصرية التي سبقتنا اليها الدول الاخرى .

ونظرة الى تعليمنا ومناهجه تدلنا على أن هذا الصراع يتمثل تماما فيـه . بل ان التطـور التاريخي لنظام تعليمنا كان مسئولا الى حد كبير عن تعميق هذا الصراع . فمنذ أن انشأ محمد علي نظام التعليم المدني الحديث منعزلا عن نظام التعليم الشعبي ، وضعت بذور الانفصام الثقافي في مجتمعنا ، التي استمرت تنمو بتأثير عوامل متعددة .

ان بناء نظام للتعليم يسهم في بناء ثقافتنا القومية ويكون معبرا عنها ، يقتضي البحث في الاتجاهات الثقافية الاساسـية التي ينبغي أن نتبناها . والضرورة هنا تحتم مناقشة تراثنـا الثقافي والتعرف على ايجابياته وسلبياته واتخاذ هذا نقطة بدء للتطور العصري . فنحن لا نرى أن هناك تعارضا حقيقيـا بين تراثنا الثقـافي والثقافة العصرية الجديدة ، فكل جديد هو انبثاق من القديم .

ثالثا — السلم التعليمي : ان المعالجة الجزئية لقضايا التعليم ، تجعلنا ننسى الحديث عن التعليم وسلمه التعليمي في صورته المتكاملة . وتؤدي بنا الى اتخاذ قرارات بشأن ظواهر سـطحية لا قيمة لها . فعلى سبيل المثال ، ان مشكلة امتحان الثانوية العامة التي لا يكاد يمر عـام واحد دون أن يثور حولها الجـدل ، ليست في الواقع الا مظهرا من مظـاهر أزمة التعـليم الثانوي وأهـدافه وعلاقاته بالمراحـل السابقة

والتالية له . ولهذا فنحن نرى أنه ينبغى عدم التسليم بصحة السلم التعليمى فى صورته الحالية . وفى هذا المجال نشير الى النواحى التالية :

١ — ان فترة التعليم الالزامى [ومدتها ٦ سنوات] لم تعد كافية كحد أدنى لتعليم المواطن فى ضوء مطالب التربية لمجتمع عصرى متطور. واذا أضفنا الى ذلك أن القانون يمنع تشغيل الاحداث الذين يقل سنهم عن ١٥ سنة فى المهن الصناعية ، لتساءلنا أين يذهب هؤلاء الاطفال ونحن نمنع استكمال تعليمهم ، ونمنع تشغيلهم أيضا ؟

٢ — ان مراجعة أهداف المراحل التعليمية تدلنا على أنه لا يوجد تحديد واضح لوظيفة كل مرحلة ، بل تكاد هذه الاهداف تكون واحدة لجميع مراحل التعليم العام ، وتدور معظمها حول الاعداد الثقافى والقومى للطالب . وحتى فى هذا الاعداد ليست هناك مستويات محددة لكل مرحلة . وقد يعنى هذا أمورا عدة . لعل من أهمها : تخريج أفراد غير صالحين الا لمتابعة التعليم فى المرحلة التالية . وهذا هو أحد الاسباب الرئيسية فى كثير من المشكلات التى نعانى منها سواء فى نوع التعليم الذى يتلقاه الطلاب [اتجاه نحو الاعداد الاكاديمى فقط] أو فى المستقبل الذى ينتظرهم [مشكلة القبول فى الجامعات] .

٣ — ما زالت بعض مراحل التعليم فى النظام التعليمى مراحل مغلقة لا تتيح الفرصة أمام خريجيها لمزيد من النمو . فالتعليم الفنى بأنواعه المختلفة ، هو فى رأينا تعليم مغلق ، اذ أن الشروط الموضوعة أمام خريجيه للالتحاق بمعاهد التعليم العالى لا تسمح الا لقلة ضئيلة من الخريجين لاستكمال تعليمهم . وهكذا الامر بالنسبة لدور المعلمين والمعلمات العامة . وهنا ينبغى أن نؤكد أن نظام التعليم فى المجتمع الاشتراكى يجب أن ييسر أمام الجميع سبل التعليم وفق ما تتيح لهم ظروفهم وامكانياتهم .

٤ — ما زال التعليم يسير فى اطار جامد تقليدى يقتصر على الاهتمام بالاطفال والشباب فى فترات محددة من أعمارهم ، بل انه لا يتيح لهؤلاء الذين ترغمهم الظروف عن الانقطاع عن التعليم لمدة معينة من العودة مرة أخرى لاستكمال التعليم . ان الخضوع لمتطلبات العصر يقتضى البحث فى كيفية اتاحة فرص النمو الثقافى والمهنى لجماهير الشعب سواء أكان ذلك عن طريق الاساليب المعتادة فى التعليم المنظم ، أو أساليب أخرى كالمراسلة والانتساب ...

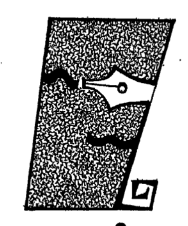
٥ — ان هناك انفصال يكاد يكون تاما بين التعليم النظرى والتعليم الفنى ، ويتضح ذلك بصورة ملحوظة فى التعليم الثانوى . هل هذا الانفصال يتمشى مع متطلبات التخصص المهنى فى ضوء التطور العلمى المعاصر ؟ اننا فى حاجة الى البحث عن صورة للتعليم تزيل هذا الانفصال ، أو على الاقل تفتح القنوات بين التعليم النظرى والتعليم الفنى بحيث يمكن أن يغذى كل منهما الاخر .

هذه بعض القضايا التى ندعو للحوار حولها ؟ مدركين تماما أن هناك قضايا أخرى تحتاج أيضا لحوار ، نتركها مؤقتا انتظارا لما يتمخض عنه الحوار المبدئى الذى نرجو أن يشارك فيه أكبر عدد من الافراد .

تقارير الشهر

أكتوبر

١٩٧٤



■ جمهورية مصر العربية :

مناقشات حادة ..
واتجاهات محددة
احتفال بذكرى بابلو
نيرودا .. في القاهرة

■ فلسطين :

فلسطين أمام
العالم « الرسمي »

■ غينيا - موزمبيق - انجولا :

استقلال . حكومة
انتقالية .. انقسام

■ بودابست :

المؤتمر الاقتصادي
للعالم الثالث

■ بوخارست :

اتجاهان أساسيان
في مؤتمر السكان

■ تقرير خاص :
قضية المطران حداد

■ رسالة الجزائر

■ رسالة قبرص



حـــول أزمـــة « الكاتـــب »

عندما بدأت الازمة التى يراد بها ان تعصف عصفا بمجلة « الكاتب » شرعت أسرة تحـرير « الطليعة » تتابع بكل الاهتمام والقلق ، تطورات هذه الازمة ، يوما بعد يوم .

واذا كانت « الطليعة » قد أمسكت ، فى عددها الماضى الذى صدر فى أول سبتمبر ، عن التصدى للقضية ، وآثرت أن تتريث ، فقد فعلت ذلك أملا منها فى أن تنتهى المساعى بين وزير الثقافة وبين هيئة تحرير الكاتب الى نهاية ايجابية ، تتمكن معها الزميلة من أن تواصل مسيرتها النبيلة .

وليست هذه أول أزمة تتعرض لها « الكاتب » فقد بذلت من قبل محاولات استهدفت اغلاقها . واليوم ، يبدو أن الازمة الراهنة انما يراد منها اسكات صوتها الى الابد .

وهذا الاجراء الموجه ضد « الكاتب » يبدو غريبا ومتعسفا ، بل ونغمة نشاز فى جو يراد له أن يمتلىء بالحوار الجاد حول القضايا الداخلية والخارجية التى تشغل الوطن والمواطنين .

فبينما تطرح ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى قضية مسألة تعدد المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى كوسيلة عملية ، تمكن أصحاب الاراء المختلفة والمتصـارعة مـن التعبيـر عـن مـواقفهم وسياساتهم .. يأتى الاجراء الادارى الموجه ضد « الكاتب » من وزارة الثقافة ، ليشكل مـوقفا متناقضا وصارخا ضد فكرة جوهرية تطرحها ورقة التطوير .

وبينما يتابع الرأى العـام ـ باهتمـام كبير ـ اعمال لجنة الاستماع فى مجلس الشعب ، وهى اللجنة التى افسحت المجـال للاراء المتعارضـة والمناقضة لكى تعبر عن نفسها ، تأتى الاجهزة الادارية فى وزارة الثقافة وعلى رأسها الوزير ، ليقول ـ أو ليبرهن على ـ أن الاجراء الادارى والعلوى ، هو وحده الذى يحسم ، وانه مصدر السلطات الفعلية ، وانه يملك أن يمنح وأن يمنع ، وأن كل ما يقال عن توفير الضمانات للتعبير ـ بحرية ـ عن شتى الاراء انما هى رهن بمن يملك سلطة اصدار القرار ، حتى ولو جاء القـرار مصادرة عنيفة على حرية الفكر .

وعندما نتحدث عن إجراء ادارى فى مواجهة حرية التعبير المشروعة ، فنحن لا نريد أن نتجنى على وزارة الثقافة او ندخل معها فى مهاترات ، ذلك أن الوقائع نفسها أقوى من كل تضليل .

وخلاصة ما حدث ، أن وزير الثقـافة رأى أن يغير التشكيل الداخلى لهيئة تحرير « الكاتب » مستندا الى أن القانون يعطيه حق الولاية على المجلة ، باعتبارها احدى المجلات التى تصدر عن وزارة الثقافة . فطلب الوزير أن يعين رئيسا آخر للتحرير [ادوارد الخراط] الى جانب رئيس تحريرها الحالى أحمد عباس صالح . كما طلب الوزير أن يعين مديرا جديدا لتحرير المجلة [عبد العزيز صادق] وأن يضاف الى مجلس التحرير الدكتور يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور .

ومع احترامنا لكل الاسماء التى قدمتها وزارة الثقافه [فالمعركة ليست موجهة ضد أى واحد منهم بصفته الشخصية] الا أن هذا الاجـراء ـ فى جوهره ـ كان اشارة البدء بتغيير المجلة فكرا ومضمونا واتجاها .

ومع ذلك فقد تحلت هيئة تحرير « الكاتب » بكل المرونه اللازمة ، وبكل الحرص على استـمرار صدور المجلة ، واظهرت كل حسن النية ، عندما عبرت انهـا على استعداد لان تقبل فـى هيئـة تحريرها ـ كاعضاء ـ كلا من : سعد الدين وهبه [وكيل وزارة الثقافة] وصلاح عبد الصـبور [وكيل وزارة الثقافة] وعبد العزيز صادق . واضافت هيئة التحرير الى أنها تقبل أن يكون صلاح عبد الصبور حلقة الاتصال بين الوزير وبين المجلة ..

لكن هذا كله لم يقبل . واوضح الرفض ، من جانب الوزارة ، ان القضية أوسع من خلاف حول من يضم ولا يضم الى هيئة التحرير .

وعندما وجدت الوزارة أن من حق الرأى العام عليها أن تفسر موقفها ، اذاع الوزير بيانا ، حدد فيه أن أحد كتاب المجلة نشر مقالا احتوى — من وجهة نظر الوزير — على فكر يناقض الخط الوطنى ويتهجم على انجاز ٦ أكتوبر .. الخ ، الامر الذى لا يستطيع الوزير — معه — ان يتحمل مسئوليته أو يقبل باستمراره .

ولكن ، حتى اذا افترضنا أن الوزير قد وصل الى استنتاجات صحيحة من وجهة نظره — فيما يتعلق بالمقال المشار اليه ، فان اجراء الوزير كان يجب أن يأخذ — بعين الاعتبار — أن مقالا واحدا لا يمكن أن « يدين » المجلة بالانحراف « المستمر والكامل » عن الخط الـوطنى الثورى . ذلك أن « الكاتب » قد نشرت من المقالات الموضوعية التى مجدت انجاز اكتوبر ودور القيادة السياسية فيه ، ما يبدد اى شكوك حول مواقفها الوطنية . ومع ذلك ، فانه حتى اذا افترضنا — مرة أخرى — أن فى المقال المشار اليه « خطا أو انحرافا » فقد كان يكفى أن تتصدى وزارة الثقافة للرد على المقال وتفنيده . وكان على المجلة ان تنشر رد وزارة الثقافة . وفى اعتقادنا انها كانت ستنشر مثل هذا الرد بكل ترحيب .

لقد وضح أنها عملية مخططة وموجهة الى تصفية منبر صحفى من منابر الفكر التقدمى .

ولقد تزعم وزارة الثقافة أنها لا توجه الضربة الى « اليسار » او الى « الفكر اليسارى » بدليل انها شرعت تعرض على « عناصر يسارية » أخرى ان تشارك فى تحرير المجلة أو تشرف عليها .

لكن القضية ، مع ذلك ، ليست بهذه البساطة . فنحن وان كنا نربا باليسار على تعدد مواقفه واتجاهاته ، ان يسخر ليضرب بعضه بعضا فاننا نقول هذا من منطلق مبدئى هو : التمسك بحق كل المنابر الصحفية الوطنية والتقدمية ، وأيا كان موقعها من اليسار ، فى أن تبقى ، وتنمو وتزدهر بدون مصادرة على فكرها .

ومن باب أولى ، فنحن أشد حرصا — فى هذا الوقت — على مجلة مثل مجلة « الكاتب » لاسباب كثيرة :

اولا : ان مجلة « الكاتب » تصدر فيما تذيعه من فكر من منطلقات ثابتة ، وطنية ، وتقدمية ، وقومية . وانها تجعل مكانها بالتالى ، فى اطار المجلات الثقافية المناضلة .

ثانيا : وانها ، من هذه المنطلقات احتلت مكانها فى البلاد العربية ، وبين أوساطها المثقفة .

ثالثا : وانها ظلت تؤدى رسالتها الثقافية على مدى ١٤ عاما . وان مجرد استمرارها طوال هذه الفترة يضاعف من أهميتها ، ويحفز كل المثقفين لكى يهبوا للدفاع عنها ، وتأمين مسيرتها .

ثم ننتقل بعد ذلك ، من الخـــاص الى العام ، لنسأل وزير الثقافة عن مستقبل الثقافة فى مصر فى ظل سياسة اغلاق المجلات الثقافية ؟ ثم نسأله مرة أخرى : ما هى « المجلة الثقافية » التى تصدرها الوزارة ، ونستطيع أن نقرر — باطمئنان — أنها تحتل مكانة مرموقة فى العالم العربى ، وانها تبيض وجه مصر زعيمة العالم العربى . أن وزارة الثقافة لا تملك فى الواقع مثل هذه المجلة . لا لان الوزارة تغلق من المجلات أكثر مما تنشر فحسب ، بل لان « أقوى » ما تنشره الوزارة من المجلات الثقافية لا يستطيع ان يصمد ، من حيث الشكل أو المضمون فى ساحة المجلات الثقافية التى تصدر فى كثير من البلاد العربية .

القضية اذن ، تتعلق بوضع عام ، وبمحنة تمر بها الثقافة فى مصر ، وفى هذا ، قد يطول بنا الحديث . وانما نكتفى فى هذا المقام ، بالقول بأن الدفاع عن المجلات الثقافية الجادة هو واجب وطنى قبل كل شىء .

وعلى الرغم من أننا قد نتفق أحيانا ، ونختلف أحيانا اخرى مع آراء تنشر فى الزميلة « الكاتب » الا أننا أمام هذا الهول الذى يتمثل فى محاولة خنق هذه المجلة الجادة ، نقول ، ونتوجه بالقول الى جميع الكتاب والمفكرين الشرفاء ، على اختلاف عقائدهم السياسية والاجتماعية :

ايها الكتاب والمفكرون — فى كل مكان — دافعوا عن مجلة « الكاتب » .

ثم نقول للذين يسعون الى حجب « الـكاتب » :

ارفعوا أيديكم عن مجلة « الكاتب » .

الطليعـــة

■ جمهورية مصر العربية :

مناقشـات حـادة .. واتجاهات محـددة

فى ختام الاسبوع السادس للحوار حول ورقة تطوير الاتحادالاشتراكى العربى التى طرحها الرئيس **انور السادات** فى ٩ اغسطس الماضى ، وقع حادثان بارزان :

ففى محاولة لاعادة التوازن للجو العام الذى ساد الحوار الدائر حـول تطوير الاتحاد الاشتراكى ، اصدرت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى بيانا سياسيا جذب انتباه المراقبين بشكل ملحوظ .

لقد اكدت الامانة العامة فى بيانها على اهمية الحفاظ على الـوحدة الوطنية ، دعما لمعركتى التحرير والتقدم ، وتحقيق التطور الاجتماعى بطريق سلمى ، والاندفاع بالمجتمع دون تعريضه للتمزقات الدموية .

واكد بيان الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى على ان الشعب المصرى قد ارتضى طريق الاشتراكية لتحقيق اهداف ما زالت تحكم تحركنا الوطنى ـ وهى التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى لا يمكن تحقيقها بدون تخطيط ـ وقطـاع عام قوى وقادر على قيـادة الاقتصـاد الوطنى وتحقيق العدالة الاجتماعية .

وتناول بيان الامانة العامة قضية الانفتاح الاقتصادى مؤكداعلى ان العبرة ليست بمبدأ الانفتاح فى حد ذاته ـ بل بكيفية الاستفادة منه ـ وان القطاع العام لن يتقلص فى ظل الانفتاح ـ لان الانفتاح وضعت لهضوابط تحكم وتنظم اثره على الاقتصـاد القومى وتوجيه اكبر موارده لمؤسسـات وشركات القطاع العام .

وعن الموقف من الاتحاد السوفيتى ، اكدت الامانة فى بيـانها على ان الاتصالات بين مصر والاتحاد السوفيتى مستمرة والقنوات مفتوحة على الصعيدين الرسمى والشعبى ، وان مصر حريصة على الاتصـال وتبادل الاراء على اعلى مستوى مع القادة السوفيت ، وان مصر حريصة على ان يلعب الاتحاد السوفيتى دورا نشطا فى الجهود المبذولة للتوصل الىتسوية لازمة الشرق الاوسط .

وقد اصدرت الامانة العامة بيانها بعد ان استمعت لجنة الاستماع الى الاراء الحادة والقاطعة التى أبدتها القيـادات العمـالية ، التى كشفت عن مدى القلق الذى يشعر به العمال والفلاحون ، كرد فعل للهجوم الـواسع الذى شنته قوى اقصى اليمين وفلول بعض الاحزاب السابقة ذات التاريخ المشبوه على كل المكتسبات الثورية وأهم منجزات ثورة ٢٣ يوليو .

لقد اكدت القيادات العمالية خلال المناقشات الصاخبة على التمسـك بفكرة التحالف وبالاتحاد الاشتراكى ، وهاجمت القوى والعناصر التىتعمل على تصفية الثورة ، ومكتسبات العمال والفلاحين ، وجـذب مصر للوراء ، وفضحت العناصر ذات التاريخ المعروف فى العداء للديمقراطية والتى ترفع اليوم شعارات الحرية والديمقراطية .

والواقع لا يمكن فصل بيان الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى وموقف القيادات العمالية التى تحدثت عن الاجواء التى سادت الحوار ـ بل هما نتاج طبيعى لقصور الاسلوب الذى اتبعته الامانة العامة فى ادارة الحوار .

● ● ●

عندما طرح الرئيس **انور السادات** افكاره عن تطوير الاتحاد الاشتراكى، لم يكن لدى قيادة الاتحاد الاشتراكى تصور محدد لمهمتها خلال الحوار ، وكذلك لم تستطع ان تخطط لادارة الحوار بحيث يأتى بافضل النتائج .

كان هناك اكثر من اتجاه فى اللجنة التى شكلت من الامانة العامة ومن اللجنة الدائمة لمجلس الشعب .

■ شريط الاخبار ■

■ اعـدت الحكومـة اللبنانية مشروعا لعقـد صـفقات لشراء اسلحـة ومعـدات من الحكومـة الامريكية قيمتها ٢٥ مليون لـيرة . وتتضمن الصفقة طائرات هليوكوبتر واسلحة فردية متطورة ■

فبينما كان د. **فؤاد محيى الدين** يرى انه من غير المتصور ان تكون هناك محرمات لا تجوز مناقشتها اثناء الحوار حتى ولو كانت امورا مبدئية اكدها الدستور والمواثيق الاساسية ، كان الاستاذ **محمود ابو وافية** يرى انهناك فعلا موضوعات لا يتصور مناقشتها مثل فكرة التحالف ونسبة الخمسين فى المائة المخصصة للعمال والفلاحين .

وعندما اقترح د. **محمود القاضى** عضو مجلس الشعب عدم اشتراك القيادات السياسية الحالية فى هذا الحوار لانه ليس من صالحها اجراء اى تعديل او تغيير .. واقترح ان تقوم النقابات والتعاونيات بادارة الحوار داخلها بنفسها ودون تدخل من احد ، اكد الدكتور حافظ غانم ــ فى مقابل هذا على ان القيادات السياسية الحالية للاتحاد الاشتراكى تؤمن بما جاء فى ورقة التطوير وستدافع عنها .

وبادرت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى الى اصـــدار بيـــان لكى يكون دليلا للمناقشة ، ولم يكن البيان سوى اعادة للورقة مع بعض التبرير او التوسع فى التعبير عن نفس المعانى بدلا من تقديم مقترحات عملية نابعة من واقع العمل السياسى ــ تتحول بها المقترحات العامة الواردة فى ورقة التطـوير الى اجراءات عملية محددة ــ وكان ذلك ولا شك ســوف يثرى المناقشة ويطور آفاقها .

وبدلا من تقسيم ورقة العمل الى قضايا وموضوعات تناول كل منها فى فترة زمنية ثم الانتهاء الى نتائج محددة توضح اتجاه الاغلبية وتسجل الاراء المعارضة والمقترحات البديلة ، اتجهت **الامانة العامة** فى ادارتها للحوار حول ورقة التطوير الى اسلوب عقد المؤتمرات الموسعة ، وتشكيل لجان استماع للقوى والفئات الاجتماعية المختلفة ، واطلقت حرية الكلام فى كل النقاط الواردة فى الورقة والغير واردة ، حتى لم يبق شىء منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو لم تمسه المناقشة مهما كان اسياسيا وثابتا .

والذين تابعوا المناقشة عن قرب تبينوا بوضوح ان النقـــاط التى حظيت بالقدر الاكبر من النقاش والتىاحتدم حولها الجدل يمكن تقسيمها الى اربعة موضـــوعات :

ــ بقاء الاتحاد الاشتراكى كصيغة لتحالف قوى الشعب العاملة وتطويره ام حله ــ وانشاء منظمات حزبية .

٢ ــ العضوية الاختيارية والعضوية الجماعية .

٣ ــ قضية السلطة .

٤ ــ اقتراحات عديدة جديرة بالبحث ــ لتوفير قدر اكبر من الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى .

١ ــ اتحاد اشتراكى ام أحزاب

شهدت مؤتمرات وجلسات الاســـتماع التى حضرها اساتذة الجـــامعات واعضاء نقابات الاطباء والمحامين والمهندسين ــ هجوما واسعا ضد فكرة الاتحاد الاشتراكى وانهالت الاوصاف والتقييمات ، ومن بينها « تجربة الاتحاد الاشتراكى لم تكن موفقة فى نظر أكثر النـــاس تحمســـا لها » ، والاتحـــاد الاشتراكى صيغة فاشلة مهما حاولنا اصلاحه وهو تنظيم مصطنع ، وهو الذى يعزز مراكز القوى ــ وهو تنظيم ميت بالفعل ــ والعمل الســـياسى فيه تحول الى نوع من الارتزاق .

وذهب **مصطفى البرادعى** نقيب المحامين ــ الى ان الاتحاد الاشتراكى هو سبب كل البلاء الذى اصاب البلاد ــ وهو نظام دخيل على عقيدتنا .

واوضح د. **حلمى مراد** على ان دور الاتحاد الاشتراكى قد إنتهى الان ــ لانه أنشىء للاشراف على مرحلة التحول الاشتراكى ، ودعا الاســـتاذ أحمد القصبى محافظ الغربية الى تغيير اسم الاتحـــاد الاشـــتراكى الى اســـم [التحالف الوطنى العربى] ليصبح معبرا عن واقعه .

ومن ارضية سياسية مختلفة عما سبق تناول بعض المتحدثين الاتحـــاد الاشتراكى على اساس انه لم يستطع ان يحمى الحرية وهو لا يمكن ان

■ **شريط الاخبار** ■

■ **تقـــول احصـــائيات استهلاك البترول : أن الفـــرد الواحـــد فى بنجلاديش يستهلك فىالعام ٤ جـــالونات بينما يرتفـــع استهلاك الفرد فى اليابان الى ٦٠٠جالونوفى الولايات المتحدة ١١٠٠ جالون .** ■

■ **تبرعت الحـــكومـــة العراقية بـــ ٤٨٠ الفدينار عراقى لبنـــاء اثنى عشر مدرسة فى الجمهوريـــة العربية اليمنيـــة [اليمن الشمالى] . وكانتالحكومة العراقية قد اتمت بناء ست مدارس فى العام المـــاضى بلغت تكاليف انشائها ١٥٠ الف دينار** ■

يكون ضمانا لها .. بل انه لم يشارك فى اجراء التحولات الاجتماعية ، وان الاتحاد الاشتراكى لم يستطع تذويب الفوارق بين الطبقات ، بل نمت فى ظله طبقة جديدة تختفى وراء تعريف العامل والفلاح ، واصبحت نسبة الخمسين فى الماء مجرد شعار على الورق . وانتهوا الى نفس النتيجة ، وهى ضرورة انهاء وجود الاتحاد الاشتراكى ، واطلاق حق تشكيل الاحزاب .

وترددت الدعوة بشكل واسع فى صفوف اجتماعات المهتمين بضرورة اطلاق حرية تشكيل الاحزاب كضمان لحرية الرأى ولعدم عودة مراكز القوى وانهاء حالة الوصاية على الشعب . وترددت الدعوة لاجراء استفتاء شعبى حول قيام احزاب جديدة ، وبشرط عدم عودة الاحزاب القديمة .

غير ان المطالبين بالاحزاب لم يكونوا ينطلقون من ارضية سياسية متجانسة ، فاغلب الاتجاهات المحافظة واليمينية ، تدعو لتشكيل حزبين بعضهم دعا لان يتحول الاتحاد الاشتراكى الى حزب ثم يتشكل حزب آخر الى جانبه والبعض الاخر دعا الى تشكيل حزبين : احدهما يمثل المبادىء الاشتراكية والثانى يمثل الرأسمالية الوطنية .

الا ان الدعوة الى انشاء حزبين قد لقيت معارضة واسعة على اساس انه لا يوجد فى العالم كله شىء اسمه حزبان . وان الاحزاب يشكلها الناس ولا تفرضها السلطات وان الاصل هو اما ان تقوم الحزبية او لا تقوم . اما ان يسيطر حزبان على الحياة السياسية فى بلد فهذا يأتى نتيجة التطبيق الديمقراطى — وانتقد بشدة القول بأنه لن يسمح الا بوجود حزبين فقط على اساس انه اول خرق لاسس وقواعد النظام الديمقراطى .

اما الاتجاه فى صفوف الذين دعوا لتنظيم الاحزاب فقد اشترط قيام تحالف وطنى بين هذه الاحزاب على اساس برنامج حد ادنى اساسه طرد المحتل الاسرائيلى وتحقيق الديمقراطية والتنمية الاقتصادية على اساس خطة شاملة .

واقترح البعض ان ينشأ حزب للاخوان المسلمين وحزب للشيوعيين ، وحزب يضم رجال ثورة ٢٣ يوليو ، وحزب يضم الليبرالية من امثال الوفديين السابقين ، وأن ينشأ بين الجميع جبهة وطنية لانجاز مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

اما اصحاب الاتجاهات اليمينية والمحافظة الذين طالبوا بالغاء الاتحاد الاشتراكى وتشكيل احزاب او حزبين فقد طالبوا ايضا باطلاق حرية الانتخابات دون التقييد بنسبة الخمسين فى المائة المخصصة للعمال والفلاحين وطالبوا باعادة النظر فى هذه النسبة ، لانها تضع قيدا على الكفاءات التى قد تثرى العمل السياسى والفكرى معا وان العمال الذين دخلوا البرلمان — فى ظل هذا الضمان — لم يحققوا اى مكسب للعمال والفلاحين . كما قيل بعضهم لا يعرف القراءة والكتابة ، وان هذه النسبة تعنى ان يأتى أناس لا يريدهم الشعب فى مواقع المسئولية ، واننا فى مصر ليس لدينا اى صراع طبقي . ولم يكتف **فكرى اباظة** بالدعوة لاعادة النظر فى الخمسين فى المائة المخصصة للعمال والفلاحين بل دعا الى الغاء مجانية التعليم العالى وتغيير قانون الاصلاح الزراعى بعدان انتهى الاقطاع واصبح مستأجر الارض الزراعية هو المالك الحقيقى للارض والمالك يتمنى ان يكون مستأجرا .

واكتفى بعض اصحاب هذا الاتجاه بالدعوة الى تغيير تعريف العامل والفلاح .. فالفلاح هو الذى يملك ارضا زراعية تتراوح مساحتها من ٥ أفدنة الى ٥٠ فدانا ويعمل فى الحقل الزراعى — ودعا الى التوسع فى تعريف العامل لتشمل فئات المهنيين الذين يتصل نشاطهم بالانتاج مباشرة كالمهندس وان العامل هو المهندس ومساعد المهندس والفنى والعامل .

ولم يطالب احد التقدميين من الذين دعوا للاحزاب بالغاء نسبة الـ ٥٠٪ ولكن احدا منهم لم يقدم ايضا خلال المناقشة حلا لمشكلة هذا الضمان فى ظل ظروف موضوعية محددة تعيشها جماهير العمال والفلاحين .

اما مؤتمرات العمال والفلاحين والطلاب — بالاضافة الى بعض الاصوات

■ شريط الاخبار ■

■ وصل متوسط دخل الفرد خلال العام الحالى فى أبو ظبى من البترول وهى ٤٤ الف دولار ■

■ صرحت وزارة الخارجية البريطانية بان حكومة الاردن باعت اسلحة الى حكومة جنوب افريقيا ومن هذه الاسلحة دبابات سنتوريون وصواريخ أرض — جو ■

القليلة فى صفوف المثقفين — فقد اتخذت اتجاها مغايرا تماما وبشكل واضح للاتجاه السابق .

لقد ابدت هذه القوى الانتقادات التى وجهتها ورقة التطور للاتحاد الاشتراكى ، وركزت على ان عدم تطبيق اللائحة والتعريف الواسع للعامل والفلاح ، وبفرض التعيين بدلا من الانتخاب على كافة المستويات ، قد أوصلا الاتحاد الاشتراكى الى ما هو عليه .

واعلنت جماهير وقيادات العمال والفلاحين والطلاب تمسكهم بالاتحاد الاشتراكى كصيغة لتحالف قوى الشعب العامل على اساس ان تعدد الاحزاب يؤدى الى تفتيت الوحدة الوطنية ، وتشتيت جهود الشعب فى مرحلة نحن أحوج ما نكون فيها الى هذه الوحدة لتحرير الارض وبناء الاقتصاد . وأن صيغة الاتحاد تضمن نسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين ، وانه بغير هذه النسبة فلن تحتل الاغلبية .

وانه من مفاخر ثورة ٢٣ يوليو انها ردت للعامل والفلاح اعتبارهما ولكن اخشى ما يخشونه اليوم ، ان يتقمص [**الوجهاء الجدد**] شخصية العامل والفلاح بعد رد اعتباره فيجردون انجاز الثورة من محتواه . ذلك بان يكون المتربعون على مقاعد العمال هم المهندسون ومن فى مقامهم والمتربعون على مقاعد الفلاحين اغنياء الريف ملاك الخمسين فدانا .

وهاجم العمال بعنف ، « اولئك الذين عادوا للمسرح السياسى بعد ٢٠ عاما لينادوا بالاحزاب ويعرضوا بالثورة وبمكاسبها . وهاجم العمال من

■ شريط الاخبار ■

■ عرض ريتشارد نيكسون على دور النشر الامريكية ان يبيعها مذكراته لقاء مبلغ مليونى دولار . وقد رفضت دور النشر معلنة ان المذكرات لا تساوى هذا المبلغ ■

تعليق: حول المناقشات الدائرة عن الديمقراطية

يدور فى بلادنا اليوم حوار حول ورقة « تطوير الاتحاد الاشتراكى » التى طرحها الرئيس أنور السادات على الراى العام • وما زال هذا الحوار بعيدا عن مشاركة جماهير الشعب المصرى العريضة — العمال والفلاحون — رغم انهم اصحاب المصلحة الحقيقية فى استمرار المسار التقدمى لثورة ٢٣ يوليو •

وقد كشف الحوار القائم عن ظهور اتجاه يرى أن الديمقراطية هى الرجوع عن المنجزات « الديمقراطية » التى تحققت فى بلادنا منذ يوم ٢٣ يوليو • ويرى هذا الاتجاه ان كل السلبيات التى تعانى منها تجربة ٢٣ يوليو الثورية انما ترجع الى المسار التحررى الوطنى التقدمى لهذه التجربة وقد عبر عن هذا الاتجاه مجموعة من الكتاب والصحفيين امثال صالح جودت وفكرى اباظه وعلى امين ومصطفى امين . وان اتجاهات عديدة داخل الحوار تسقط من حسابها كلية قضية الصراع مع الاستعمار القديم والحديث والصهيونية ، ومع الرجعية المعادية لكل تقدم ثورى فى المنطقة •

انه من خلال هذا الحوار الدائر يجب على جميع القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية وعلى جميع العناصر الواعية بالمسار التقدمى لـ ٢٣ يوليو — أن ترى ان الصراع الدائر — اليوم — انما هو صراع بين مجموع الطبقات صاحبة المصلحة فى الثورة الوطنية الديمقراطية — العمال والفلاحون والمثقفون والرأسمالية الوطنية — وبين الشرائح البورجوازية والرأسمالية التى اثرت واتخمت ثراء نتيجة حياتها الطفيلية واستفادتها من سلبيات التجربة ، وبقايا الطبقات القديمة وممثليهم ، بكل ارتباطاتهم القديمة مع الدوائر الاستعمارية هو صراع بين قوى الثورة — الوطنية الديمقراطية — والقوى المضادة للثورة •

ومن هنا — فان مناقشة قضية الديمقراطية على اساس تقييم كل المرحلة الثورية الماضية من وجهة نظر رؤية السلبيات المتعلقة بقضية الحريات — يؤدى فى الواقع — وهذا ما يجب أن نحذر منه — الى انقضاض القوى المضادة لمسار ٢٣ يوليو التقدمى على كل المكتسبات الثورية ذات المحتوى الديمقراطى والتقدمى : الانقضاض على الاصلاح الزراعى ، على القطاع العام ، على مجانية التعليم ، على قوانين الاسكان ، على القوانين العمالية ، على تمثيل العمال والفلاحين ... الخ هذا داخليا ، وخارجيا أبعاد الحركة الوطنية المصرية عن أى ارتباط تحقق بينها وبين حركة التحرر العالمى المعادية للامبريالية والصهيونية ، ابعادها عن المسار التقدمى والثورى لحركة التحرر الوطنى العربية ، أبعادها عن الارتباط ببلدان حركة النضال ضد الامبريالية والاستعمار الحديث فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، ابعادها عن العلاقة مع المعسكر الاشتراكى ، ابعادها عن حركة الطبقات العمالية والكادحة داخل المعسكر الراسمالى والتى تكون احتياطيا هائلا لحركة التحرر الوطنى .

وهنا — يجب على كل عناصر التقدم ، الوطنية والديمقراطية والاشتراكية — بكل مشاربها — أن تحذر الفخ المنصوب ، بمهارة وذكاء شديدين ، من قبل القوى المضادة للثورة — تحت ستار ما يسمى بالدفاع عن الحريات • فهذه القوى المضادة تستخدم « قضية الحريات » لتدافع عن وجودها وعن انفرادها نهاية بالسلطة • ان قوى التقدم يجب أن تكون واضحة ومحددة : فهى تريد الحريات لقوى تحالف الشعب العامل ، تريد اوسع الحريات لهذه القوى ، وهى لا تريدها فى ذاتها — ولكنها تريدها من أجل :

اولا : تحقيق أفضل الظروف لاستمرار مسيرة النضال من اجل تحرير الارض المحتلة ، ولخوض المعارك الوطنية ضد الامبريالية والاستعمار الحديث والصهيونية .

اسموهم « دعاة حرية الصحافة الذين سبق ان ادانهم القضاء » وحددوا بالاسم الاستاذين **علي أمين ومصطفى أمين**، وأدان العمال بشدة محاولات التهجم على الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر** .
وطالب العمال بالبدء فورا، فى تطوير كل اجهزة الادارة والانتاج مع تطوير الاتحاد الاشتراكى، وأن تبدأ لجان تقصى الحقائق عملها لتحديد أسباب الانحرافات فى الشركات والمصانع .

وفى مؤتمرات الفلاحين كان هناك شبه اجماع على ان الفلاح هو من لا تزيد حيازته عن عشرة افدنة هو واسرته وان يكون عمله هو الزراعة وان يقيم فى القرية اقامة دائمة والزراعة هى مصدر رزقه الوحيد هو واسرته .
وطالب بعض العمال الى رفع النسبة الى ٧٥٪ وطالب البعض الاخر بتحديد النسبة بين الفلاحين والعمال داخل الخمسين فى المائة على اساس ٤ : ١ .
وطرحت فكرة ان يكون تعدد المنابر عن طريق ايجاد اندية سياسية ـ وكل ناد له نشرة يصدرها بآرائه فى اطار التحالف وباشراف الاتحاد الاشتراكى .
وكان هناك الحاح شديد على ضرورة ان يصدر قانون جديد للصحافة يسمح للافراد والهيئات باصدار جرائدها ومجلاتها المختلفة لتكون منابر يتحدث فيها اصحابها بآرائهم، لان الصحافة الحالية عبء على حرية الشعب وليست سندا لها .

■ شريط الاخبار ■

■ ارتفعت تكاليف المعيشة فى الكويت منذ مارس الماضى بنسبة ١٣ر٢ ٪ فقد ارتفع سعر الارز ٧٥ ٪ وزادت اسعار المواصلات بنسبة ١٤ر٢ ٪ والايجارات بنسبة ١٦٪ ■

ثانيا : من اجل دعم المسار التقدمى لثورة ٢٣ يوليو، ومن أجل مزيد من الاجراءات الديمقراطية الشعبية، ولاعلان الحرب على القوى البيروقراطية، والارهابية، وعلى الطبقات الطفيلية المستغلة . ومن اجل مزيد من الرفاهية للشعب، من اجل لقمة عيش كريمة ومسكن نظيف، ومدرسة لائقة .. الخ .
اى اننا يجب أن نناقش قضية الحريات ـ على اساس اننا نرى أن سلبيات الماضى هى فى الاساس تلك المواقف التى ادت الى حرمان الطبقات الاجتماعية [الديمقراطية والوطنية والثورية] من المشاركة فى بناء المجتمع المصرى على اسس وطنية وديمقراطية وتقدمية ـ [معادية للاستعمار والصهيونية والرجعية والرأسمالية] .

وعلى هذا الاساس ـ يجب أن تحدد اى تنظيمات سياسية يجب أن تقوم فى مصر لتعبر عن طموح وأهداف هذه الطبقات الاجتماعية . ولا شك أن ميثاق العمل الوطنى وبرنامج العمل الوطنى، هما وثيقتان من أهم وثائق ٢٣ يوليو التى عبرت عن هذه الاهداف وهذا الطموح .
ومن هنا فان الدعوة الى قيام الاحزاب القديمة والرجعية مرفوضة ـ لان هذه الاحزاب رفضها الشعب المصرى وهو يتقبل الاصلاح الزراعى، وهو يؤمم قناة السويس، وهو يخوض حرب السويس، وهو يمصر ممتلكاته، وهو يؤممها .. الخ .

وهنا يجب، ان نناقش الجانب الاخر الذى يرى انه يدعو لقيام أحزاب وطنية وديمقراطية، والداعى لقيام احزاب القوى المضادة لمسار ثورة ٢٣ يوليو التقدمى بلافتات ثورية وبراقة خداعة . فمثل هذه الاحزاب ستكون نتاج اى طبقة، وما مدى تعبيرها عن الطبقات الشعبية ـ ان ميثاق العمل الوطنى وبرنامج العمل الوطنى ما زالا يعبران بصدق عن أهداف المرحلة . وصيغة تحالف قوى الشعب العامل مجسدة داخل تنظيم سياسى يضم هذه القوى ما زالت هى الصيغة التى فى ظلها تحققت كل المنجزات الوطنية والديمقراطية والتى تريد القوى المضادة الانقضاض عليها وركيزتها فى الهجوم على هذه الصيغة تضخيم الجوانب السلبية وكانها كل شىء حدث فى بلادنا منذ عشرين عاما .
وهنا تبرز اهمية تطوير هذه الصيغة تنظيميا وعلى اسس ديمقراطية، لتمكن قوى الشعب العامل من اداء رسالتها الوطنية الديمقراطية والتقدمية . ولا شك أن الدعوة الى تعبير قوى التحالف الشعبى لثورة ٢٣ يوليو عن نفسها داخل الاتحاد الاشتراكى على أساس :

١ ـ تمايزها بوجود منابر لها .
٢ ـ ووحدتها حول المبادىء والاهداف التى جاءت فى ميثاق العمل الوطنى وبرنامج العمل الوطنى ـ هى دعوة مرفوضة من قبل القوى المضادة للثورة والتى ترفض المسار التقدمى لثورة ٢٣ يوليو .

وعليه فان كل مناقشة لتطوير صيغة التحالف، وتحقيق أكبر قدر من حرية الحركة للطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الثورة واستمرارها ـ يجب الا تكون طريقا للقوى المضادة التى تريد أن تنقض على كل ما تحقق خلال العشرين عاما الماضية من منجزات واجراءات وطنية وديمقراطية وثورية . والمهم هنا هو أن نناقش السلبيات ولكن نناقشها بحجمها الطبيعى، وأن نضع أيدينا بوضوح على هذه السلبيات ـ رأسمالية طفيلية فى مجالات التجارة والعقارات والخدمات، وفى مجال الحريات والقيود البيروقراطية والادارية المفروضة على حركة الطبقات الاجتماعية الشعبية
لنكون ثوريين حقيقيين ـ يجب الا نكون ورمانسيين ونحن نتحدث عن الحريات الديمقراطية . يجب أن نكون واقعيين ثوريين وأن نرى حركة الطبقات الشعبية ووضعها أولا وقبل اى شىء .

عبد المنعم الغزالى

٢ ــ العضوية الاختيارية والعضوية الجماعية

كان هناك شبه اجماع على الترحيب بفكرة العضوية الاختيارية كما كان هناك تحذير من ان يتم نقل العضوية الحالية بطريقة تجعلها مرة ثانية عضوية اجبارية .

وعلى الرغم من التأييد الواسع لعدم اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى لشغل المراكز العامة الا ان اشتراط العضوية فى المرشحين لمجلس الشعب كانت موضع جدل شديد بين المؤيدين الذين اعلنوا خشيتهم من وصول عناصر غير قابلة لفكرة التحالف الى المستويات القيادية فى الاتحاد عن طريق فوزهم فى انتخابات مجلس الشعب ، والخوف من ان يتشكل داخل المجلس حزبان حزب لاعضاء التنظيم وحزب لغير الاعضاء .

اما بالنسبة للعضوية الجماعية فقد اثارت الكثير من المخاوف ضررا من ان تؤدى الى انشاء مراكز قوى جديدة ، او ان تؤدى الى دخول عناصر قيادية غير مؤمنة بفكرة التحالف الى المستويات القيادية فى الاتحاد بحكم موقعها فى التنظيمات المساعدة .

واكد د . **حافظ غانم** و د . **فؤاد محيى الدين** على ان النقابة التى لن تنضم للاتحاد الاشتراكى لن يسمح لها بالعمل السياسى ، وسوف يقتصر نشاطها على القضايا الاقتصادية فقط وتعتبر قضية العضوية الجماعية من اكثر النقاط حاجة للايضاح وتحديد الضوابط لازالة البلبلة المحيطة بها .

٣ ــ قضية السلطة

انتقد الكثيرون ورقة التطوير لانها لم توضح حق الاتحاد الاشتراكى فى اتخاذ القرار السياسى واكدوا على أن تنظيما بلا سلطة ليس الا جمعية خيرية ولا داعى لوجوده . وطالب البعض بتعديل الدستور حتى يكون للاتحاد الاشتراكى حقه فى وضع السياسة العامة للدولة والرقابة الفعلية على أجهزة الدولة تأكيدا لما جاء فى الميثاق .

مقترحات لتطوير الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى

وخلال الحوار برزت مجموعة من المقترحات لتدعيم الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكى من بينها :

١ ــ فصل منصب رئيس الجمهورية عن منصب رئيس الاتحاد الاشتراكى .

٢ ــ اختيار رئيس الجمهورية بالانتخاب بدلا من الاستفتاء .

٣ ــ المطالبة بعدم الجمع بين اكثر من منصب قيادى واحد وعدم الجمع بين منصب سياسى وآخر تنفيذى .

٤ ــ عدم دستورية المؤتمر المشترك بين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب وضرورة اعادة السلطات الى المؤتمر القومى واللجنة المركزية .

٥ ــ يجب ان ينتخب اعضاء اللجنة المركزية انتخابا مباشرا بدلا من اختيارهم من ضعف العدد المطلوب وكذلك الامين العام ورئيس الاتحاد .

٦ ــ عدم صحة انتخاب لجان الوحدات الا بحضور ٥٠ ٪ من الاعضاء المقيدين .

٧ ــ عدم قبول الانضمام الجماعى للنقابات الا باغلبية اكثر من ٥٠ ٪ من اعضاء النقابة .

٨ ــ فصل المجالس الشعبية عن التنظيم السياسى وان تجرى لها انتخابات مستقلة .

٩ ــ الغاء نظام الانتساب .

ويرى المراقبون ، بعد ستة اسابيع من النقاش ، ان على الامانة العامة ان تقوم بجهد فكرى مكثف : خصوصا وان النقد الرئيسى الذى يوجه اليها هى انها لم تتابع ، يوما بعد يوم ، بالنقد والتفنيد ، والتصحيح الاراء التى اتجهت الى الطعن فى مشروعية النظام الذى اقامته ثورة يوليو ، والى كل الآراء التى تركت مناقشة قضية التطوير ركزت مدفعيتها الثقيلة على ثورة يوليو وانجازاتها .

■ شريط الاخبار ■

■ شرح جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية خلال كلمة القاها امام اللجنة الفرعية المنبثقة من مجلس النواب بأن بيع المفاعلات والوقود النووى لمصر واسرائيل بطريقة متوازنة ومنظمة هو الامر الذى تقرر خلال الجولة التى ... الرئيس السابق نيكسون للشرق الاوسط فى يونيو الماضى سيكون من نتائجه الوصول بالاخطار الى ادنى المستويات والتخفيف من حدة التوتر .

وجاء فى هذا الخبر الذى اذاعته وكالة و . ف ان سيسكو اكد انه سوف يتم ضمان وصول هذه المعدات التى لن تصلح للاستخدام فى العمليات قبل عام ١٩٨٠ بواسطة اتفاقيات تمنع استخدامها فى اجراء تفجيرات نووية سلمية وترغم الدولتين على اتخاذ اجراءات صارمة ضد احتمالات الخطف والاعتداءات الارهابية .

واضاف سيسكو انه اذا انتهكت هذه الضمانات فان الدولة المذنبة ستعرض نفسها لمشاكل خطيرة فى علاقاتها مع الولايات المتحدة ■

■ شريط الاخبار ■

■ قامت مظاهرةضخمة امام مقر الامم المتحدة فى نيويورك حيث تنعقد الدورة ٢٩ للجمعية العامة . وقد طالبت المظاهرة وضع حد للتدخل الاجنبى فى قبرص واستعادة استقلال وسيادة الدولة الشرعية .
وقد حمل المتظاهرون لافتات كتب عليها «فليرفع حلف الاطلنطى اياديه عن قبرص » ، « فلتنسحب كل القوات الاجنبية من قبرص» وكانوا يهتفون « لاتقسيم لجزيرة قبرص » . ■

لقاء على طريق النضال المشترك

تمثل زيارة ربيع على رئيس مجلس الرئاسة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الى جمهورية مصر العربية فى أوائل الشهر الماضى ، ولقائه بالرئيس **أنور السادات ، تطورا هاما فى العلاقات بين البلدين اللذين** تربطهما أواصر الكفاح المشترك ضد العدو الصهيونى الامبريالى .

وقد أتاحت هذه الزيارة الفرصة أمام البلدين لتتعرف كل منهما عن قرب على وجهة النظر الاخرى ، بشأن مختلف القضايا والمشاكل التى تواجه حركة التحرر الوطنى العربية ، والتى تعتبر قضية الشرق الاوسط محورها الرئيسى فى الوقت الحاضر . واهمية التنسيق بين دول المواجهة استعدادا لمؤتمر جنيف، واحتمالات الموقف فيما لو فشل مؤتمر جنيف فى تحقيق أى تقدم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ، وما يتطلبه مستقبل الصراع ضد العدو الصهيونى الامبريالى من تدعيم التضامن العربى الذى برزت آثاره الايجابية فى حركة أكتوبر .

وشغلت الجزء الاكبر من المباحثات والمشاكل الخاصة بين اليمن الديمقراطية وجاراتها العربيات . وفى مقدمتها : الخلاف بين اليمن الديمقراطية والمملكة السعودية ، والثورة المسلحة ضد الوجود الاستعمارى البريطانى والقوات الايرانية فى سلطنة عمان ، وقضية توحيد دولتى اليمن وفقا لميثاق القاهرة وطرابلس فى عام ١٩٧٢ . قد طرحت هذه القضايا بهدف تنقية الجو العربى والعمل على استبعاد الخلافات الجانبية بين الدول العربية ، واحترام حق كل دولة فى اختيار النظام السياسى والاجتماعى الذى يقرره شعبها ، بعيدا عن التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية الاخرى .

وكما هو معلوم ، فان الموقع الجغرافى لليمن الديمقراطية عند البوابة الجنوبية للبحر الاحمر . يجعل من اليمن موقعا استراتيجيا هاما فى الصراع العربى الاسرائيلى ، اذ يشكل تهديدا خطيرا للمصالح العسكرية والاقتصادية لاسرائيل ، وقد ظهرت آثاره الايجابية أثناء حرب أكتوبر ، عندما قامت اليمن الديمقراطية بقفل باب المندب ، وفرض الحصار البحرى على اسرائيل [والواقع أن الروابط الكفاحية بين مصر واليمن الديمقراطية قامت على قاعدتين : هما ثورة اليمن الديمقراطية التحررية وتضحياتها التى ساهمت بها بعد هزيمة يونيو .

فانتصار اليمن الديمقراطيـة بفضل ثورتها المسلحة ضـد الاستعمار البريطانى وقوى السلاطين الرجعية ، واعلان استقلالها فى نوفمبر ١٩٦٧ ، كان بمثابة رد عملى ، من جانب حركة التحرر الوطنى العربية على نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ . ذلك الانتصار الذى ساهمت فيه المساعدات المصرية للثورة فى اليمن الشمالية والجنوبية من قبل . وخلال الفترة التالية استطاعت الثورة فى اليمن الديمقراطية أن تشق طريقها عبر التحديات والمؤامرات الامبريالية والرجعية ، وان تكشف عن وجهها العربى التقدمى بما تحملته من تضحيات اقتصادية كبيرة ، من جراء توقف العمل فى ميناء عدن ، الذى يعد من مصادر الدخل الرئيسية للبلاد ، وذلك بعد اغلاق قناة السويس .

■ شريط الاخبار ■

وقد عبر الرئيس سالم ربيع عن هذه الرابطة الكفاحية بين مصر واليمن الشمالية والجنوبية ، والتأثير المتبادل بينهم بقوله : « ان مساهمتنا المتواضعة فى حرب أكتوبر لا يمكن أن تفى بدور مصر السابق فى اليمن دعما لثورتيها فى الشمال وفى الجنوب ، وأن محاولة تخطئة القـرار المصرى بالتدخل العسكرى لانقاذ ثورة الشمال اليمنى تعنى نكران الانجازات التى تحققت لصالح الشعب اليمنى ونكران المساهمة المتواضعة للشعب اليمنى فى نطاق حركة التحرير العربى . ولقد حصدت مصر خلال حرب اكتوبر فى الجنوب اليمنى موقفا مشتركا ما كان يمكن انجازه لو أن الثورة كانت قـد تهاوت هناك » .

وقد أظهرت المباحثات بين الرئيسين حرص اليمن الديمقراطية على أن تبقى أراضيها ساحة أساسية للنضال العربى فى مواجهة العدو الاسرائيلى . كما أظهرت أهمية تنمية وترسيخ التضامن العربى الذى تحقق بفعل حرب اكتوبر ، وأكدت على ضرورة استبعاد الخلافات الجانبية بين الدول العربية ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية الاخرى ، واحترام حق كل دولة فى اختيار النظام الاجتماعى الذى يخدم مصالح شعبها . وكذلك ضرورة العمل من أجل تدعيم وحدة الصف العربى واستثمارها فى اعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى .

وقد نفى الرئيس اليمنى ، فى تصريحاته للصحف المصرية ، الاتهامات التى توجه ضد بلاده ، بالعمل على تصدير الثورة فى الجزيرة العربية بقوله : ان التجارب أثبتت أن سياسة تصدير الثورة لا تحقق النتائج المرغوبه ، ذلك ان للثورة قوانينها وظروفها الموضوعية والذاتية ، ونحن نرفض تصـدير الثورات ، ولا نريد أن نكون أوصياء على أحد .. كما نفى الرئيس اليمنى كذلك وجود صراع حاليا مع اليمن الشمالية وقال : لقد جاهدنا من أجل خلق علاقات حسنة بين شطرى اليمن بعد المعركة المؤسفة فى سبتمبر ١٩٧٢ ، ونحن نحاول الان خلق الجو المناسب الذى يتيح الفرصة لاستمرار الحوار الاخوى ونتائج اتصالاتنا حتى الان تؤكد احتمالات اللقاء مع الوضع الراهن فى صنعاء .

وقد أكد البيان المشترك عن محادثات الرئيسين على أن قضية المصـير والتحديات التى تواجهها الامة العربية تتطلب استمرار التشاور والتنسيق داخل الاسرة العربية ، وبخاصة بين الاطراف العربية فى المواجهة مع العدو ، ووجوب اتمام التنسيق بين الاطراف العربية المشتركة فى مؤتمر جنيف فى أقرب وقت .. كما أكد الرئيسان تأييدهما للقرارات التى صدرت عن مؤتمر القمة العربى فى الجزائر ، وأعربا عن ثقتهما فى آن مؤتمر الرباط سوف يؤدى الى ترسيخ التضامن العربى ، وضمان تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، بما يمكنه من تقريره مصيره بنفسه ، وضمـان حق الشعب الفلسطينى فى المشاركة المستقلة فى أعمال مؤتمر جنيف ، ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وأشاد الرئيس السادات بالسياسة الايجـابية لجمهـورية اليمـن الديمقراطية ، الهادفة الى التقريب بينها وبين شقيقاتها العربية ، تدعيما للصف العربى ، كما أشاد بالانجازات والانتصارات التى حققتها جمهورية اليمن الديمقراطية .

ودعا الرئيسان الى استمرار الجهود الساعية لتحقيق الوحدة اليمنية فى ضوء اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس ، ومتابعة الحوار الاخوى بين شطرى اليمن لصالح الشعب اليمنى والامة العربية .

وقد اتفق الرئيسان على تنمية العلاقات بين مصر واليمن على أسس راسخة ومتنامية لصالح الشعبين ، وعلى تكثيف الاتصالات وتبادل الزيارات بين المؤسسات الرسمية والجماهيرية فى البلدين .

وأشاد الرئيس السادات بالمساهمة الفعالة التى قدمتها اليمن فى حرب التحرير ، والمجهود الذى قامت به لتأمين الجبهة العربية .

■ ذكرت صـحيفة البرافدا السوفيتية ، ان التعاون العسـكرى بين اسرائيل والحكومة العنصرية فى جنوب افريقيا قد ازداد فى الفترة الاخيرة ، حيث قامت اسرائيل بتصـدير كميات كبيرة من الاسـلحة الهجومية ، وذلك بهـدف تدخـل الحكومة العنصرية لعـرقلة الخطـوات التى تجـرى حاليـا لتحـرير المستعمرات البرتغالية .

وأبدى الرئيس **سالم ربيع** تقديره للدور الذى تقوم به المخابرات المصرية فى نطاق عمليات التطوير والتنمية فى اليمن . ووافق الرئيس السادات على تلبية احتياجات اليمن فى هذا المجال .

ويرى المراقبون أن زيارة **سالم ربيع على** انما تؤكد على الاهمية البالغة لدعم علاقات مصر ببلد عربى ، يمدن بمواصفه **وموقعه الاستراتيجى مركز نضال ، وجبهه متقدمه فى ساحة الصراع العربى الاسرائيلى ، الامر الذى يجعل من مباحثات الرئيسين المصرى واليمنى نقطه انطلاق فى مسيرة المعركة المشبوبة ضد الصهيونية والامبريالية** . ثم تزداد أهمية هذه الزيارة بتأكيد الرئيس اليمنى على انتهاج اليمن الديموقراطى لسياسة مبدأية وواقعية تخلق فى شبه الجزيرة العربية جوا صحيا تتبدد فيه كل الاتهامات التى تزعم بأن اليمن الديمقراطية تسير على نهج استفزازى يصدر الثورة الى البلدان المجاورة .

■ شريط الاخبار ■

■ اعلنت أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ، ان العناصر الرجعية فى الهند تتعاون مع القوى الاجنبية التى تملك امكانيات مادية للعمـــل على تفـــويض كبيرة ووســائل أخرى ، الاستقلال ، ووقف التطور وتحطيم النظام الديمقراطى فى الهند ، وذلك على نحو ماحدث فى شيلى من قبل .

الاحتفال بذكرى بابلو نيرودا .. فى القاهرة

فى ذكرى الانقلاب الدموى الذى أطاح بحكم الرئيس الليندى .. وفى الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد شاعر شيلى العظيم بابلو نيرودا عقدت السكرتارية الدائمة لمنظمة التضامن الاسيوى الافريقى بالاشتراك مع المجلس المصرى للسلام امسية سياسية وفنية فى نقابة الصحفيين .

وفى نهاية الامسية أصدر المجتمعون البيان التالى :

فى ذكرى مرور عام على رحيل الشاعر المناضل **بابلو نيرودا** ، الابن العظيم والبار لشعب شيلى والشاعر الخالد فى ذاكرة الانسانيه بدفاعه وفنائه للحرية والعدل والسلام فى هذه الذكرى الغالية على أنصار الحرية فى كل مكان يستعيد المحبون للشاعر بمشاعر الاجلال والتقدير كفاح شعب شيلى ومقاومته الباسلة للاستبداد والفاشية التى يفرضها عليه جنرالات الانقلاب العسكرى الذين أسقطوا بالارهاب وحمامات الدم الحكومة الشرعية للوحدة الشعبية وداسوا بجنازير الدبابات على الدستور وأبسط الحقوق الديمقراطية للمواطنين وأغرقوا الوطن المسالم فى بحور من الدم والإلم وكان قد ارتضى بارادة شعبه الصديق المعادى للاستغلال والامبريالية .

ان جراح شعب شيلى والالام المفروضة عليه لتثير فى كل وقت عند أنصار الحرية والوطنية اقسى مشاعر الحنق ضد الذين أوقفوا بشكل عابر ـ تحقيق أحلام الشيليين فى مجتمع عادل ويثير أيضا أقوى مشاعر التضامن مع أولئك الذين ما يزالون أوفياء مدافعين عن كل المثل النبيلة لشعبهم .

وفى ذكرى الشاعر الذى غنى للحرية والانسان فى كل أرض يستنكر المحتفلون بذكراه فى دار نقابة الصحفيين مع كل أنصار السلام والحرية والديمقراطية عمليات انتهاك الحقوق الاساسية للانسان، وأعمال القتل الجماعية واغتيال وتعذيب الناس بغير توجيه الإتهام اليهم وتحريم نشاط الاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والطلابية التى يقوم بها المجلس العسكرى فى شيلى ويطالبون بحزم بالافراج عن آلاف المعتقلين الذين يقاسون الويلات وينتظرهم الموت البطىء فى معتقل جزيرة دوســون بلا محاكم ولا تحقيق وقد

■ شريط الاخبار ■

مات أخيرا هوسون موا وزير الدفاع الوطنى فى حكومة الوحدة الشعبية بينما يهددالموت حياة الاف آخرين ، ولايحصل المعتقلون الا على جرعات قليلة من الماء فى اليوم .
وفى هذه الذكرى العزيزة والاليمة معا يطالب المجتمعون هنا :
١ — احترام الحقوق الاساسية والحريات الديمقراطية للمواطنين الشيليين .
٢ — تصفية مراكز الاعتقال .
٣ — وقف الحرب الداخلية فى شيلى .
عاش نضال الشعب الشيلى .

■ فلسطين

فلسطين .. أمام العالم « الرسمى »

محاولا أن يدفن رأسه فى الرمال ، تلفت شمعون بيريس وزير الدفاع الاسرائيلى متسائلا « أين هم الفلسطينيون « ؟ » وأضاف قائلا « ان كل من يعتقد ان بأستطاعته بدء نقاش وادارته بشكل محكم ، وتطعه فى نقطة معينة يخدع نفسه ، لذلك أؤيد التفاوض مع الاردن ، ويكرر « أؤيد التفاوض مع الاردن ، والحوار مع سكان المناطق » .. [دافار — ٢٣ — ٨ — ١٩٧٤] .

ومجلة « **جويش كرونيكل** » تشعر هى ايضا بالرغبة فى دفن الرأس فى الرمال معلنة « أنه لا يوجد حتى تعريف مقبول بصفة عامة لمن هو الفلسطينى » . ومعذلك فهى تضطر للاعتراف بأن« الوضع قد تغير واصبح من المسلم به بوجه عام فى يومنا هذا ان وعيا فلسطينيا قد برز الى الوجود » [٢ — ٩ — ١٩٧٤] .

وفى هذه الاثناء — وبرغم كل الالتواءات الاسرائيلية كان الفلسطينيون يقفزون بقضيتهم قفزة واسعة نحو الرأى العام العالمى .

وفى مجلس الجامعة العربية تولى عبد المحسن أبو ميزر وفاروق قدومى عرض وجهة النظر الفلسطينية التى تطالب بعرض قضية فلسطين على الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة . وأكدا على اصرار منظمة التحرير على عرض القضية باعتبارها « قضية تحرير وطنى وحق شعب فى تقرير مصيره ، والمطالبة بعودة الفلسطينيين الى أراضيهم » وأكدا أيضا على ضرورة « عرض القضية الفلسطينية فى جدول اعمال الجمعية العامة كبند مستقل عن أزمة الشرق الاوسط » [الانوار — ٢ — ٩ — ١٩٧٤] .

وبعد مناقشات طويلة ، وافق مجلس الجامعة : على طلب منظمة التحرير الفلسطينية . واذا نجحت الدول العربية فى ذلك فانها ستكون المرة الاولى التى تناقش فيها قضية فلسطين أمام ممثلى الرأى العام العالمى « الرسمى » كقضية شعب وارض ووطن وليس كما كانت تعرض فى السابق كقضية لاجئين .

والشيء المؤكد هو ان تصاعد المقاومة الفلسطينية فى الداخل ، ونجاح الحركة الفلسطينية عموما فى أن تكتسب مزيدا من التأييد والمساندة العالميين ، وقدرتها على التزام جانبمن اشكال « الكفاح المسلح » البعيد عن المزايدة وعلى انتهاج خطوات موحدة ، أو قريبة ، من التوحد تجاه القضايا

■ ادلى الجنرال بينوتشيت [شيلى] بحديث الى وكالة اسوشيتد برس طالب فيه بتصفية كل الاحزاب اليسارية وجعل صمت المقابر يسود البلاد وقال الجنرال الفاشى انه اذا تمت ازالة كل الاحزاب اليسارية فسينعدم النشاط السياسى فى شيلى لمدة سنتين على الاقل . واضاف ان شعب شيلى « غير ناضج للحرية السياسية »

وكانت وكالة انباء المانيا الديمقراطية قد اذاعت ان الزمرة العسكرية قد اعتقلت حتى نهاية شهر اغسطس ١٧٨٨ شخصا فى ثلاث مقاطعات من مجموع ٢٥ مقاطعة فى شيلى . وتضيف وكالة الانباء الكويتية ان عدد المعتقلين بلغ من ٢٠ يوليو الى ٢٠ اغسطس ١٦٣٩٤ شخصا ■

المصيرية ، كل ذلك بالاضافة الى نتائج حرب اكتوبر ؛ والى تصاعد العمليات بالارض المحتلة والى نجاح القوى السياسية المختلفة فى الاراضى المحتلة فى توحيد صفوفها فى « الجبهة الوطنية المتحدة » كل هذه العوامل قد « نقلت » القضية الفلسطينية الى مرحلة جديدة .

كذلك فان قرار الجماعة هذا يفتح الباب امام مزيد من التأكيد والتكريس لاعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى . وبالمثل فانه يقلب المائدة « الرسمية » على المخطط الاسرائيلى لضرب الحركة الفلسطينية . والاتفاق من خلف ظهرها . .

ان الهام والجوهرى هو ان عرض القضية الفلسطينية أمـام الجمعية العامة سوف يحشد كل القوى المناصرة والمؤيدة للحق العربى فى مظاهرة عالمية لمساندة الفلسطينيين وفى نفس الوقت ، سوف يفضـح ـــ وامام الجميع ـــ من هم الذين يساندون اسرائيل ، وبين من هم الذين يساندون العرب . .

ويفتح هذا القرار المجال واسعا امام جهود مضنية يتعين على الفلسطينيين والدول العربية جميعا ـــ القيام بها لكسب مزيد من التأييد والمساندة . ولضمان التأييد الدولى « الرسمى » للقضية . ذلك أن ضمان حصـول الفلسطينيين على تأييد ٨٤ فى المائة من اعضاء الجمعية العامة سوف يجعل الامم المتحدة ملزمة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وهى خطوة بالغة الاهمية ليس على النطاق العالمى فحسب وانما ـــ وايضا ـــ على النطاق العربى ذاته .

هذا ومن المعلوم ان الفلسطينيين يعدون الان مشروع قرار لتقديمه الى الجمعية العامة للامم المتحدة يتضمن النقاط الثلاث التالية :

- **ان قضية فلسطين هى قضية تحرر وطنى** ، وللشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره ، وحقه فى الاستقلال الوطنى على أرضه الوطنية .

- **ان النازحين الفلسطينيين حق العودة** الى ديارهم وممتلكاتهم حسب القرارات السابقة للامم المتحدة .

- **يحال هذا القرار الى المؤسسات** المعنية الاخرى داخل الامم المتحـدة والى المؤسسات الدولية الاخرى المعنية .

وتقول المصادر المطلعة ان عبارة « المؤسسات الدولية الاخرى المعنية » مقصود بها « مؤتمر جنيف » [الصياد ١٢ ـــ ٩ ـــ ١٩٧٤]

ويجىء لقاء القاهرة الثلاثى [مصر ـ سوريا ـ **منظمـة التحـرير الفلسطينية**] تعزيزا كبيرا وواضحا **للقفزة الفلسطينية الكبيرة نحو الطرح** العالمى الرسمى لجوهر القضية تحرر وليس كقضية لاجئين . .

ويتضمن البيان الثلاثى الصادر عن الاجتماع عدة تأكيدات بالغة الاهمية من بينها عدم قبول اية محاولة لتحقيق اية تسويات سياسية جزئية ـــ **وتعزيز** التضامن العربى ـــ وتأكيد اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية التى يتم **تحريرها** سياسيا او عسكريا ـ والاستمرار فى تقديم الدعم **لمنظمة التحرير الفلسطينية** بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

وفى نفس الوقت تنجح الدول العربية فعلا فى ادراج **القضية الفلسطينية** بدو تصويت وكان المعترض الوحيد هو **يوسف تيكواه** مندوب اسرائيل .

وهـكذا تقترب القضية الفلسطينية من اجتياز مرحلة حاسمة فى تاريخها الحافل ، وتخطو دوليا خطوات بعيدة الى الامام . لكنناـ ومع العرب جميعا ـ نضع ايدينا على قلوبنا ، فالتجارب الماضية تعلمنا انه فى مثل هذى اللحظات بالذات ، تكثر المؤامرات ومحاولات الاساءة التى لابد وان اسرائيل تعد لها وتعول عليها ، والتى لا بد وان بعضها قد يتخذ صورة اعمال غير محسوبة حسابا دقيقا ، وان ارتدت كالعادة ثياب « المزايدة » .

■ شريط الاخبار ■

■ صرح ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين ، بأن ١٨ الف وطنى فلسطينى يعيشون الان فى سجون اسرائيل ، وان ٨٠٠ فلسطينى قد تم اعتقالهم خـلال الشـهرين الماضيين فقط .

وكان عرفات يتحدث عن الجـرائم التى اقترفهـا المعتدون الاسرائيليون فى الاراضى الفلسـطينية .

وأضـاف عرفـات بأن اسرائيل قد حطمت ١٩ الف منزل يملكها فلسطينيون وذلك خلال السنوات السبع الماضية منذ ١٩٦٧ .

وقد أوضح ياسر عرفات انه على الرغم من ارهاب سلطات الاحتلال الاسرائيلى التى تحاول تحطيم ارادة المقاومة لـدى الفلسطينيين وتدمير شعب فلسطين نفسه فان قواه الثورية ستواصل شن نضالها باصرار حتى يتم تحرير واستقلال الوطن الفلسطينى . ■

■ شريط الاخبار ■

■ المغرب

المطالبـــة بتحـــرير الصـــحراء

استدعى **الملك الحسن** الثانى ملك المغرب يوم ١٦ سبتمبر الماضى ، ١٥٠ صحفيا من مختلف بلدان العالم ، ليعلن فيهم انه طلب تحكيم محكمة العدل الدولية فى لاهاى فى موضوع النزاع بين بلاده وبين أسبانيا حول الصحراء التى تحتلها هذه الاخيرة وتؤكد المغرب انها جزء من أراضيها . وقال الملك ان أسبانيا تزعم أن هذه الصحراء كانت أرضا بلا وريث وغير تابعة لاحد ، وانه لم تكن بها أية ادارة، ونزعم نحن العكس ونطالب المحكمة بابداء الرأى فى هذا . وأضاف الحسن قائلا أنه اذا رأت المحكمة أنها كانت بلا وريث ، فأنا فى هذه الحالة نقبل اجراء استفتاء مع كافة البلاد التى ترى انهـــا معنية .
واستطرد الملك فى المؤتمر الصحفى فأكد عدة نقاط منها :

■ اهتمامه بمواصلة الحوار مع اسبانيا .

■ **ضمان المصالح الاسبانية أو غيرها من المصالح ، التى تستثمر أموالها فى الصحراء الغربية اذا ما استردتها المغرب .**

■ احتمال وقوع صراع مع أسبانيا . وفى هذاأكد الملك تضامن الدول العربية من المحيط الى الخليج ،واستعداد ٢٠ دولةعربيةللمشاركة فى القتال .
وعن جيران المغرب ، الجزائر وموريتانيا ، ولكل منهما اهتمامات فى الصحراء وان كانت الاخيرة هى التى تطالب بضمها مثل المغرب قال **الملك الحسن :**

« انه راض عن موقف الجزائر التى أكدت رسميا ، أنه ليس لديها أى مطامع بالنسبة للصحراء ، وان **الرئيس بومدين** طلب منه حرفيا أن يخطره قبل أى عمل عسكرى بثمانى وأربعين ساعة لكى يتسنى له الوقوف الى جانب المغرب .

● كما بعث الحسن برسالة شفوية الى الرئيس **مختار ولد داده** قبل سفره الى بكين . وقد اصدر مجلس وزراء موريتانيا بيانا أكد فيه مرة أخرى تمسكه بمبدأ تقرير المصير بالنسبة للصحراء الغربية . وقد هاجمت الصحف المغربية موقف موريتانيا .

وكانت **وكالة أنباء الجزائر** قدأذاعت ، يوم أول سبتمبر ، بيانا بموقف الحكومة الجزائرية من القضية ، تساءلت فيه عن أسباب انفراد المغرب بالتحرك السياسى المفاجىء حول القضية ، فى حين ان كل الاجتماعات التى عقدت بين الجزائر والمغرب وموريتانيا والمتعلقة بدراسة أوضاع الصحراء ، كانت قد أجمعت على ضرورة التنسيق والعمل الجماعى بين البلاد الثلاث ، وافساح المجال للشعب الصحراوى ليقرر مصيره بنفسه . وأوضح البيان الجزائرى عدة أمور منها :

● ان الاوضاع الداخلية للدول قد تملى عليها فى كثير من الاحيان ، من اجل تهدئة الامور . وأن العزف على سيمفونية تحرير الارض المغتصبة من شأنه أن يسكت مؤقتا الاصوات المتذمرة .

وفى هذا ، استطاع **الملك الحسن** أن يجند حركة المعارضة من أجل قضية الصحراء . فأعلن انه سيجرى انتخابات فى ١٩٧٥ ويشرك احزاب المعارضة

■ من الاحصاءات التى تضمنتها الدراسات الاخيرة للبنك الدولى أن معـدلات النمـو فى الدول الغربيـة ستكون ٢ر٤٪ فى عام ١٩٧٤ ترتفع الى ٣ر٥٪ فى العام التالى و ٦٪ فى عام ١٩٨٠ .

وجاء فى هذه الاحصاءات أيضا ان المعـونات التى حصلت عليها الهند فيما بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٢كانت بمعدل ١ر٥ دولار لكل فرد من السكان فى العام و٧ر٢٩ دولار للفرد فى الاردن ■

■ شريط الاخبار ■

فى الحكم . كما بعث بممثلين له من هذه الاحزاب ، الى كثير من الرؤساء والدول لشرح حق المغرب فى الصحراء . بل ونظمت الاحزاب كلها مظاهرات تأييد لمطلب الملك .

● ان الجزائر تناصر قضية التحرير فى كل مكان . وموقفها من قضية الصحراء ، هو الموقف المتفق عليه فى لقاء الرؤساء الثلاثة فى المغرب وفى موريتانيا ، والذى أكدته هيئة الامم . وهو ايضا نفس موقفها من قضيـة مدينتى مليلة وسبته الخاضعتين حتى الان للاستعمار الاسبانى والتى لا يكاد واحد يسمع عنهما شيئا هذه الايام .

والواقع ، ان هذه الصحراء التى تطالب بها كل من المغرب وموريتانيا ، وتحتلها أسبانيا ، تضم أكبر مستودعات الفوسفات فى العالم وبكميات هائلة ، وبها كميات كبيرة أيضا من الحديد والنحاس ، فضلا عن أن بعثات التنقيب الامريكية التى تذرعها فى كل وقت ، تؤكد وجود منابع بترولية هامة : وقد بدأ استغلال الفوسفات بالتعاون مع الولايات المتحدة وألمانيا الغربية . ذلك علاوة على القيمة الاستراتيجية والعسكرية لهذه الصحراء .

وكانت البرتغال قد احتلها فى القرن الرابع عشر ، ثم أعقبتها بريطانيا . وعند اعادة تقسيم المستعمرات الذى تم نتيجة للحرب العالمية الاولى – والتى قامت من أجل هذا – أصبحت من نصيب أسبانيا . وقسمتها هذه الى ٣ مناطق هى طرفاية ووادى الذهب والساقية الحمراء ، واعلنت الحماية على المنطقتين الاولى والثانية ، وجعلت الساقية الحمراء مستعمرة أسبانية . والمطالب كلها منصبة على الاجزاء المحمية ، ولا حديث عن الجزء المستعمر رغم أهميته .

وكانت أسبانيا قد أعلنت ، أكثر من مرة عزمها على اجراء استفتاء فى الصحراء ، ليقرر سكانها مصيرهم . بل وصدر قرار من لجنة الوصاية فى الامم المتحدة فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٢ ، أكد الحق الثابت لشعبها فى تقـرير مصيره ، ودعا أسبانيا الى أن تتخذ بالتشاور مع دول المنطقة ، الاجراءات التنفيذية لهذا . وعقب المطالبة المغربية الاخيرة ، أعلن مندوب أسبانيا فى الامم المتحدة ، اعتزام أسبانيا اجراء استفتاء فى الصحراء فى الستة شهور الاولى من ١٩٧٥ ليقرر سكانها مصيرهم بأنفسهم . لكن **الملك الحسن** أعلن معارضته لمنح الاستقلال للاراضى التى تحتلها أسبانيا وتكوين دولة فيها ، وأكد انها جزء من أراضى بلاده .

وكانت مباحثات قد بدأت بين أسبانيا والمغرب فى ١٣ أغسطس الماضى . سافر ليجريها فى مدريد رئيس وزراء المغرب ووزير خارجيته . ولكن يبدو انها لم تفض لنتيجة . فقرر الملك تصعيد الموقف ، واللجوء لمحكمة العدل الدولية ، والتهديد باللجوء لوسائل أخرى ، وأنباء عن تحريك قوات المغرب لحدود الصحراء . وعلى ذكر الوسائل الاخرى ، كانت قد تكونت فى ١٩٧٢ « حركة الرجال الزرق » لتحرير الاراضى المحتلة : الصحراء ومدينتى سبته ومليلة ، وهما مستعمرتان ، وأعلن رئيسها واسمه « مهى » – وهو من الساقية الحمراء – الكفاح بكل الطرق والقيام بعمليات انتقامية من أعوان المحتلين فى المناطق الخاضعة لاسبانيا ، وعرقلت نشاطها الاقتصادى والادارى والعسكرى فيها . ولكن لم يسمع أحد عن نشاطها ، بعد اعلان التأسيس هذا .

وفى المرات التى أعلنت فيها أسبانيا اعتزامها استفتاء الاهالى ، وضعت المغرب لذلك شروطا ، هى أن يتم ذلك تحت رقابة دولية ، وأن تعود القبائل التى هاجرت من الصحراء الى مواقعها ، وأن تنسحب القوات الاسبانية .

ومع أن كثيرين من المراقبين الاجانب ، كانوا يتوقعون موقفا أكثر تشددا من المغرب فى مؤتمر الملك ، بل وان تبدأ اجراءات عملية لتصفية السيطرة الاسبانية ، الا انهم يرون رغم ذلك ، ان الموقف الذى بدأته المغرب لابد وأن

■ عقد مؤخرا فى داكار عاصمة السنغال المؤتمر الرابع لمنظمة المرأة الافريقية وقـد حضر المؤتمر وفـود نسائية من ٣٠ بلدا أفريقيا بالاضافة الى وفود تمثـل حركات التحرير الافريقية ■

■ اعلنت سفارة الهند فى القاهرة ان الحكومة الهنديـة قررت تقديم منح دراسيـة لعـدد مـن الفلسـطينيين فى العـام الدراسى ٧٥ – ١٩٧٦ . وتشمل هذه المنح على دراسات متخصصـة فى العلوم والتجـارة وادارة الاعمال والادارة الصناعية والهندسة والفنون ■

■ شريط الاخبار ■

■ صرح جـــير سلاسى وزير خارجية اثيوبيا الجديد بان حكومة بلاده ترغب بشدة فى حل مشكلة ارتيريا حلا سلميا وقال انه يمكن حل جميع المشاكل فى ظل الوحدة الوطنية التى ستسود اثيوبيا مستقبلا .

يتصاعد تدريجيا ، وأن الحركة لا يمكن السيطرة عليها هذه المرة وابقائها فى الحدود المرسومة والمحسوبة مقدما ، بل تذهب الاوبزرفر البريطانية الى حد ان النزاع الحالى . يحمل امكانية نشوب حرب واسعة فى المنطقة . بل ويؤكد البعض أن المغرب لو تشددت – شرط ان تنسق مع موريتانيا والجزائر وسكان الصحراء – فانها يمكن ان تفرض –رضيت اسبانيا أم لم ترض – تغييرا فى رضع الصحراء .

ويذهب آخرون . الى ان النزاع لو استطال واشتد واتخذ طابعا عنيفا ، فستكون له آثاره على اسبانيا ذاتها ، ونظام الحكم فيها . مثلما اثر نضال المستعمرات الافريقية على اوضاع البرتغال . ويطرح فريق آخر عدة اسئلة حول أثر دخول المغرب فى نزاع عنيف مع اسبانيا على الاوضاع الداخلية ، وفى هذه الحالة فان السؤال المطروح هو : ماهى خطوة المغرب القادمة ؟ هل سيقف بالنزاع عند حد محدود .

■ اثيوبيا :

بدايـــة مواجهـــة جـــديدة

تفيد التقارير الواردة من أديس أبابا ، أن اثيوبيا مقبلة على فترة من الاحداث الهامة لا تقل فى خطورتها عن التطورات الاخيرة التى أدت الى عزل الامبراطور هيلاسلاسى وتعيين ابنه اصفا واصن [٥٧ سنة] بدلا منه ، على أن تقوم لجنة التنسيق العسكرية [مجلس الثورة] بادارة البلاد لحين عودته من سويسرا حيث يعالج من شلل نصفى ميئوس منه .

ويعتقد المراقبون أن ما يحول دون انفجار جديد متوقع ، هو وجود اصفا واصن خارج البلاد مما يفرض فترة من تهادن التيارات المختلفة سواء داخل لجنة التنسيق والجيش بشكل عام أو فيما بين القوى المؤثرة على تطورات الحياة العامة .

ويبدو أن تحديد موقف نهائى – متوقع – من النظام الامبراطورى ، باعلان الجمهورية ، سوف يعنى بدأية مواجهة داخل صفوف مختلف القوى التى التفت حول العداء للامبراطور والنظام الامبراطورى ، وبداية موجة اخرى لتركة مثقلة الى حد مزعج . وقد كشفت الانباء الواردة من أديس أبابا ، عن وجود خلاف فى الرأى بين هذه القوى حول عدد من القضايا أهمها : الاكتفاء بعزل هيلاسلاسى أو محاكمته أيضا ؛ ثم الموقف من النظام الامبراطورى بتصفيته أو تحويله الى نظام ملكى دستورى، وكذلك قضية الاتجاه العام للبلاد اقتصاديا واجتماعيا فى المستقبل . فبالاضافة الى أن الصحف الغربية ، كالتايمز البريطانية ، تشير الى احتمالات « انقلاب » جديد ، تراجعت اذاعة أديس أبابا بعد ٢٤ ساعة فقط ، باذاعة « تصحيح » لخبر سابق حول تعيين الجنرال أمان عندوم رئيسا للجنة التنسيق الى جانب احتفاظه بمنصب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الدفاع ورئيسا للاركان . وجاء فى التصحيح أن الخبر ليس صحيحا ، وأنه أذيع خطأ ، وان الجنرال هو المتحدث بلسان اللجنة فقط . على أن اذاعة أديس أبابا عادت بعد ٢٤ ساعة اخرى لتذكر أن اللجنة سوف تحدد مناصب الجنرال .

■ شريط الاخبار ■

ومن الجدير بالذكر أن طلبة جامعة أديس أبابا قد عقدوا مؤتمرا سياسيا كبيرا [١٠ آلاف طالب] فى الجامعة . طالبوا فيه — أمام ممثلى لجنة التنسيق — بعودة الحكم الى المدنيين خلال ٦ شهور خوفا من استمرار الحكم العسكرى قائلين « اننا لا نريد أن نستبدل دكتاتورا بآخر من العسكريين » . كما طالبوا بحرية التظاهر والاجتماع . وقد شرح العسكريون للطلبة أسباب تشكيل حكومة عسكرية مؤقتة وأوضحوا أنه ليس فى نيتهم العمل بالسياسة . ومن الملاحظ أن لجنة التنسيق قد أعلنت انها ستختار عددا من المدنيين ذوى الخبرة لتقديم النصح للحكومة العسكرية .

وبينما كان رجال الامن يرابطون على أبواب الجامعة والمدينة الجامعية، كان اتحاد العمال الاثيوبيين — أهم مركز نقابى فى البلاد — يذيع بيانا احتج فيه على بعض القيود التى فرضتها لجنة التنسيق على الحريات الفردية ، ودعوا الى الغاء الملكية واباحة الاجتماعات والجمعيات والمظاهرات والاحزاب . ومن المعروف أن حظر التجول مازال مفروضا على البلاد منذ ستة أشهر ويبدأ من الحادية عشرة مساء حتى الخامسة صباحا .

ومن المعروف ان اقصاء هيلاسلاسى قد تم بعد حملة من الهجوم ضده أبرزت بوضوح أعمال الفساد والرشوة التى كان يؤيدها ويشارك فيها . ويتولى ادارة سياسة البلاد الان لجنة التنسيق التى يرأسها **أمان عندوم** الذى عين رئيسا للحكومة ووزيرا للدفاع ورئيسا للاركان . وكان مجلس الوزراء قد قرر تشكيل لجنة لادارة قصور الامبراطور ، وتحويلها الى « مدارس ومراكز طبية ومؤسسات شعبية » .

وتروج فى هذه الفترة داخل اثيوبيا . مجموعة من الاحاديث حول الاعداد لاصلاح زراعى وبرامج للصحة والخدمات الاجتماعية والنظر فى مشكلة اريتريا . ومن الجدير بالذكر أن هيلاسلاسى والاسرة المالكة والامراء يمتلكون ٥٠ فى المائة من المساحة الاجتماعية للارض الزراعية ، وتملك الكنيسة ٣٠ فى المائة منها . وبقية الارض الزراعية كان الامبراطور قد وزعها على كبار الموظفين المدنيين والعسكريين . ومعروف أن متوسط الدخل السنوى للفرد فى اثيوبيا [٦٠ دولارا أمريكيا] يعد أقل مستوى فى جميع دول العالم الثالث . وفى نفس الوقت وصلت المجاعة فى بعض مناطق البلاد ، كاقليم واللو ، الى الحد الذى دفع الحكومة الى اعلان الاقليم « منطقة كوارث ومجاعة » . وتبلغ الامية فى البلاد نسبة ٩٣٪ فى المائة تقريبا .

■ اعلنت مؤسسة «نوبل وغروسات» المصرفية التجارية الاسكتلندية انها تعرض ٩١ مليون جنيه استرلينى نقدا ثمنا الشركة « سانت مارتن » العقارية التى يقع مركزها فى لندن بالنيابة عن مكتب الاستثمارات التابع للكويت وقد ادى العرض الكويتى الى ارتفاع اسعار اسهمها فى سوق لندن ، فارتفع السهم بمقدار ٢٤ بنسا ليصبح ١٤٠ بنسا ، الامر الذى اضاف الى قيمة الشركة فى السوق ١٤ مليونا من الجنيهات الاسترلينية . كما ان الخطوة الكويتية ادت كذلك الى ارتفاع قيمة اسهم القطاع العقارى فى سوق الاسهم البريطانى ، والذى كان قد تأثر بسبب معدلات الفائدة العالية والنقص فى الاموال ■

■ غينيا — موزمبيق — انجولا

استقلال .. وحكومة انتقالية .. وانقسام

استقبل الرأى العام العالمى بارتياح ، الخطوات التى أقدمت عليها حكومة البرتغال ، فى الشهر الماضى ، لوضع شعار « استقلال المستعمرات » الذى رفعته منذ مجيئها الى السلطة فى ابريل الماضى ، موضع التطبيق .

ففى ١٠ سبتمبر وقع الرئيس دى سبينولا مرسوم استقلال غينيا بيساو التى حصلت على عضوية الامم المتحدة فى بداية دورة الجمعية العامة لهذا العام . وفى ٣١ أكتوبر الحالى، ترحل آخر قوات برتغالية غينيا بيساو ، وبذلك يتم تسليم

حزب الاستقلال الافريقى للسلطة فى البلاد بشكل كامل. ورغم أن هذه الخطوة تعد فى نظر المراقبين من قبيل تحصيل الحاصل . حيث كان حزب الاستقلال قد أعلن تأسيس الجمهورية المستقلة الجديدة فى ٢٤ سبتمبر من العام الماضى ، الا ان مهمة استقلال جزر الرأس الاخضر لا تزال مطروحة أمام الحزب . وتبدى دوائر الحزب القريبة من قيادته السياسية ، تفاؤلها الواضح فى هذا الصدد . وتفيد آخر الانباء عن انتقال عدد من الكوادر السياسية القيادية للحزب : الى الجزر لممارسة دورها تمهيدا لاجراء الانتخابات التى ستجرى قريبا ـ بمقتضى اتفاقية الاستقلال ـ والتى سيترتب عليها اعلان استقلال الجزر ثم تشكيل اتحاد بينها وبين غينيا بيساو . وتبدى قيادة حزب الاستقلال من الان ، اهتمامها البارز بتنظيم الدولة الجديدة ومواجهة مسئوليات بعث حياتها القومية . ومن المقدر ان تلعب الدولة الجديدة دوراً هاما فى تحسين العلاقات بين السنغال وغينيا وساحل العاج بعد أن شهدت السنوات الماضية بعض مظاهر التوتر والخلاف فيما بينها .

ومن جهة أخرى ، أسفرت المفاوضات التى جرت بين حكومة البرتغال وممثلى جبهة تحرير موزمبيق [الفريليمو] ، فى لوساكا ، عن تسليم البرتغال باعلان استقلال موزمبيق فى ٢٥ يونيو ١٩٧٥ لتنهى بذلك ٥٠٠ سنة من الحكم البرتغالى لموزمبيق . وتقضى اتفاقية لوساكا [من ١٩ نقطة] والتى وقعها عن الجبهة **ساموروا ماشيل** سكرتيرها العام ، بأن تتولى البرتغال تشكيل حكومة انتقالية من ٩ وزراء ٦ تعينهم الفريليمو و ٣ وزراء تعينهم حكومة البرتغال . ويتوقع المراقبون ان يتم تشكيل الحكومة الانتقالية برئاسة جواكيم شيسانو سكرتير الدفاع والامن وقائد منطقة تيت فى الفريليمو . أما ساموروا ماشيل فمن المتوقع أن يكون أول رئيس للدولة المستقلة . ومن المعروف أن الحكومة البرتغالية قد وافقت على الشروط الثلاثة للفريليمو فى مفاوضات لوساكا ، وهى : أن تعترف البرتغال بالحق الشرعى لشعب موزمبيق فى الاستقلال ، وأن يتم نقل السلطة لشعب موزمبيق ، وأن الفريليمو هى الممثل الشرعى لشعب موزمبيق . ومن جانب آخر وافقت الفريليمو على ان يشارك مندوب برتغالى فى الاشراف على الفترة الانتقالية ، كما أعلنت عن ترحيبها ببقاء ٢٥٠ ألف أبيض ضمن « المجتمع المختلط » فى موزمبيق . وتقضى الاتفاقية بتأسيس بنك مركزى تموله البرتغال لتسيير اقتصاد البلاد بعد الاستقلال .

وتفيد الدوائر المطلعة أن موافقة الفريليمو على تعيين ٣ وزراء من قبل الحكومة البرتغالية ، قد تم فى مقابل موافقة البرتغال على استقلال موزمبيق دون اجراء استفتاء عام . كما تفيد هذه الدوائر أن الفريليمو قد وافقت ـ فيما يبدو ـ على التزامات محددة بعدم المساس بسد كاربورا باسا الذى يعد مصدرا اساسيا للطاقة لكل من جنوب افريقيا وروديسيا ـ ومن الجدير بالذكر أن سد كاربورا باسا سوف يوفر فى عام ١٩٧٩ مايزيد على ٤ مليون كيلووات كهرباء تعد أرخص كهرباء فى العالم .

ولان موزمبيق تمثل منطقة استراتيجية هامة بالنسبة لجنوب افريقيا وروديسيا [منفذها الساحلى الوحيد من خلال موزمبيق] فقد أبدت حكومتا الدولتين العنصريتين تحفظا واضحا من حركة التمرد التى فجرها المتطرفون البيض ضد اتفاقية لوساكا . فقد قاموا باحتلال محطة الاذاعة وبرج المراقبة لمطار لورنزو ماركيز . وقد قاد هذا التمرد ما سمى « بحركة موزمبيق الحرة » التى عادت فسلمت الاذاعة وبرج المراقبة تحت ضغط القوات البرتغالية وقوات الفريليمو . ومن الجدير بالذكر أن أعمال الشغب والنهب التى يقوم بها المتطرفون البيض بين وقت وآخر تلقى مواجهة القوات البرتغالية بالتعاون مع قوات فريليمو . ويعتقد المراقبون أنه قد أصبح من المشكوك فيه أن تستطيع حركة موزمبيق الحرة « العودة بعجلة الاحداث الى الوراء » .

شريط الاخبار

■ صرح فالنتان هيرنا نديز وزير النفط الفنزويلى بانه مالم توقف الدول الصناعية التضخم فان اسعار النفط سترتفع تلقائيا بنسبة واحد بالمائة شهريا او بنسبة ٣ر٥٪ كل ثلاثة اشهر .

وقال هيرنا نديز لسوف ندرس بعناية التقارير التى تقول ان كميات النفط الفائضة فى الاسواق تتراوح بين ٥٠٠ر١ ٠٠٠ر٥٠٠ر١ برميل وثلاثة ملايين برميل فى اليوم الواحد .

وقال انه سبق لفنزويلا ان خفضت انتاجها من ٠٠٠ر٢٠٠ر٣ برميل فى اليوم الى ٠٠٠ر٩٠٠ر٢ برميل ■

■ شريط الاخبار ■

ويتصور المراقبون الافريقيون أن من المسائل الشائكة التى ستواجه الفريليمو بعد الاستقلال مسألة صياغة سياسة تضع فى الاعتبار وجود حكومتين عنصريتين على الحدود ترقبان بحذر وتربص ماسوف تسفر عنه الاحداث آخر الامر .

أما فى انجولا ، فقد أدى انقسام الحركة الوطنية فيها بشكل عام ، ثم انفجار الخلاف داخل الحركة الشعبية لتحرير انجولا [امبالا] فى الشهر الماضى الى تأخير احراز أى تقدم فى الوضع العام للمستعمرة . وكانت حكومة البرتغال قد دفعت بقواتها ضد محاولة التمرد التى أقدم عليها بعض المتطرفين البيض . ومن المعروف أن وضعية انجولا وثرواتها الضخمة ورءوس الاموال الاجنبية الكثيرة المستثمرة فيها ، تشكل جميعها أحد مقومات تحقيق استقلال البلاد .

■ بودابست

المؤتمــر الاقتصــادى للعالم الثــالث

انعقد فى بودابست فى الفترة ما بين ١٩ ــ ٢٤ أغسطس ١٩٧٤ المؤتمر الاقتصادى العالمى الرابع لاتحاد الاقتصاديين العالمى ، وكان موضوع النقاش التكامل الاقتصادى فى العالم بين التكتلات الاقتصادية وفى داخل الاقطار واشترك فى تنظيم المؤتمر اتحاد الاقتصاديين العالمى ، ومنظمة اليونسكو واللجنة الوطنية للاقتصاديين المجريين .

واستغرق التحضير لهذا المؤتمر ثلاث سنوات ، وكان المؤتمر الثالث قد انعقد قبل عشرة أعوام فى العاصمة الكندية مونتريال . وشارك فى أعمال المؤتمر الرابع ٢٠٠٠ اقتصادى ، من ثمانية وسبعين قطرا ، منهم ٢٥٠ اقتصاديا مجريا ، و ٧٥٠ اقتصاديا من البلدان الاشتراكية ، و ١٠٠٠ اقتصادى من بلدان العالم الراسمالى والعالم الثالث . وبتعبير المؤتمر لقد شارك فى اعماله ممثلون من الغرب والشرق والجنوب . وهو أول مؤتمر اقتصادى عالمى يعقد فى بلد اشتراكى جامعا بين الاقتصاديين من المعسكرين فى ظل بداية الانفراج الدولى . واشترك فى المؤتمر وفود عربية من مصر والجزائر والمغرب والسودان ولبنان والعراق وليبيا .

ولقد دار حوار غنى ومثمر ــ عن التكامل الاقتصادى بين اقتصاديى السوق الاوروبية المشتركة ومجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة . وقد قدمت مجموعة من الابحاث عن التكامل الاقتصادى بشكل عام ، والتكامل الاقتصادى فى ظروف التخطيط وظروف السوق الحرة والتى قدمها بروفيسور **بوجومولوف** من الاتحاد السوفيتى ، كما قدم الاستاذ **ريتشارد** كوبر من جامعة يال الامريكية بحثة عن « الحد الامثل لمناطق التكامل » ، وقدم البروفيسور **بوجنار** من المجر ورقة عن « المظاهر الاجتماعية

■ اعلن الاتحاد العام لملاك الاراضى فى ايطاليا ان مفاوضات السوق الاوروبية المشتركة مع عدد من بلدان البحر المتوسط لشراء الفاكهة والخضروات من هذه البلدان، تعد «تهديدا» لاقتصاديات الريف الايطالى

ويبدى معظم المنتجين الزراعيين قلقهم ومخاوفهم من ان تقوم بعض دول البحر المتوسط ببيع منتجاتها هذه باسعار منخفضة تفرض على المنتجات الايطالية المماثلة ضرورة منافستها بتخفيض اسعارها .

واضاف اتحاد الملاك الايطالى ، ان الاتفاقية المزمع عقدها بين السوق وهذه الدول ، سوف تخلق صعاب اخرى امام انتاج النبيذ الايطالى ، نظرا لان السوق الاوروبية ستشترى النبيذ الجزائرى ■

■ شريط الاخبار ■

■ يصل الى بروكسل أعداد كبيرة من اليهـود الذين كانوا قد هاجروا من الاتحـاد السـوفيتي الى اسرائيل ، بعد ان اجبرهم الصـعوبات التى واجهتهم على ترك اسرائيل . وقد صرح جوزيف كليبوت المكلف بشئون المهاجرين فى جمعية « كاريتاس كاثوليكا » : لقد وصل المعـدل اليومى لليهود من اصل سوفييتي الوافدين الى بلجيكا حوالى ٣٠ شخصا ■

والسياسية للتكامل الاقتصادى » ، وقدم البروفيسور جين وول بورك استاذ الاقتصاد بجامعة بروكسل ببلجيكا ورقته عن قياس درجة تطور التكامل الاقتصادى » . الى جانب ابحاث أخرى متنوعة من بينها الورقـة التى قدمها البروفيسور فيتنر ماشلوب رئيس الاتحاد ورئيس المؤتمر عن تاريخ التكامل الاقتصادى .

وبينما كان هناك اتفاق على ضرورة التـكامل الاقتصـــادى بـاشكاله المختلفة ـــ وهى ضرورة ناجمة عن تقدم الهائل لقوى الانتاج فى العالم ، ومن التقدم العلمي والتكنيكى ، بحيث لم يعد فى استطاعة بلد واحد بموارده وامكانياته وحده أن يساير هذا التقدم ـــ فان نقاط الخلاف الرئيسية التى دار حولها الحوار داخل المؤتمر تركزت حول طبيعة التكتلات الاقتصادية . فتكتل السوق الاوروبية المشتركة قائم على أساس مصلحة الاحتـكارات المتعددة القوميات ، وبالتالى فان التكامل يقوم بالنسبة لهم على أســاس الملكية الفردية لوسائل الانتاج . ومن ناحية أخرى فان التكامل الاقتصادى بين البلدان الاشتراكية قائم بين بلدان اشتراكية يحكمها التخطيط الامر الذى أدى الى قيام تكامل اقتصادى فى مجالات الانتاج الرئيسية والتوزيع ، وليس فى مجال التجارة فقط .

وعلى الرغم من الخلاف الرئيسى بين النظامين العالميين فان الاقتصاديين الاشتراكيين اعلنوا أنهم يرون ، امكانية التعايش بين النظامين ـــ وكما جاء فى ختام بحث البروفيسور بوجوملوف : « أن الواقع الاوربى متمثلا فى هذين الشكلين من التكامل من الممكن ان يتعايشا ويمكن ان يتنافسا ويقيما علاقات عمل بين بعضهما . ولكى تنجح هذه العلاقات لابد من ازالــة كل عوامل التفرقة واقامة علاقات على اساس الاحترام المتبادل بين الاطراف المتباينة » .

وناقش المؤتمر كذلك قضايا التكامل الاقتصادى فى البلدان المتخلفة وذات المستويات الاقتصادية المتفاوتة . ودار النقاش حول الاشــكال المختلفــة للتكامل الاقتصادى بين هذه البلدان وعن ظاهرة فشل التكتلات الاقتصادية التى قامت بينها فى آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا . وقد تباينت الآراء حول الاسباب الحقيقية لفشل مثل هذه التكتلات .

وقد اتفق اقتصاديو البلدان الاشتراكية والعالم الثالث على أن التكامل الاقتصادى بين هذه البلدان لا يعتبر هدفا فى حد ذاته وانما وسيلة مساعدة لهذه البلدان لتصفية التخلف وبناء اقتصاد وطنى مستقل . وعليــه يجب التفرقة بين نوعين من التكامل الاقتصادى فى هذه البلدان : نوع تخطط له وتنفذه الاحتكارات العالمية المتعددة القوميات ، والتى تنهج اسلوبا جديدا لاستمرار نفوذها وسيطرتها وذلك بالابقاء على تقسيم العمل الاجتماعى القديم الذى يخدم مصالح تلك الاحتكارات . وبين التكامل الاقتصادى الذى يساعد فعلا تلك البلدان على اقامة اقتصاد وطنى مستقل ومساعدتها فى تحقيق أمانى الشعوب .

وعلى ضوء هذه التفرقة ـــ ترى مجموعة اقتصاديي البلدان الاشتراكية والمتخلفة ، انه يجب الا ينظر الى التكامل الاقتصادى معزولا عن الاوضاع الاجتماعية والسياسية لتلك البلدان . وقد شـــارك فى هذا الحوار مندوب المغرب والسودان والاستاذ بن حاس من الجزائر الذى تقدم بورقة ركز فيها على : ١ ـــ التفرقة بين اتجاهى التكامل المشار اليها . ب ـــ وأنه يمكن قيام التكامل فى بلدان العالم الثالث بين نظم متشابهة . جـــ ـــ الصعوبات الموضوعة لاقامة التكامل الاقتصادى بين هـــذه البلدان ، مثـــل : ضعف الاسواق الداخلية لهذه البلدان ، وضعف البناء التحتى ، وسيطرة رأس المال الاجنبى على اقتصاديات بعض هذه البلدان .

■ شريط الاخبار ■

وبمبادرة من مندوبى المغرب والسودان ـ اجتمع اقتصاديو بلدان العالم الثالث .. من آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وناقشوا امكانية التعاون بينهم . وقد انتهوا الى الاتفاق على ضرورة اقامة اتحاد يضم اقتصاديى القارات الثلاث ، على ان يسبق ذلك اقامة الجمعيات الوطنية فى كل بلد . ثم تكوين لجنة تحضيرية تمهد لعقد هذا المؤتمر . كما أن اتحاد الاقتصاديين العالمى وافق على اقتراح مندوب السودان الداعى الى عقد مؤتمر عالمى يناقش مشاكل وقضايا العالم الثالث .

■ بوخارست

اتجـــاهان أســـاسيان فى مؤتمر السكان

انتهى المؤتمر العالمى للسكان الذى اختتم اعماله فى بوخارست فى ٣٠ اغسطس الماضى ، الى توصيات تتعلق فى معظمها بتنظيم التزايد السكانى والتحكم فى معدلات المواليد . فيما يعرف ببرامج تنظيم الاسرة . فقد تضمنت « خطة العمل » التى أقرها المؤتمر بعد اسبوعين من النقاش الذى شارك فيه ٥٠٠٠ مندوب جاءوا من ١٣٥ بلدا ، عددا من التوجيهات لحكومات العالم لاتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة خطر الانفجار السكانى ، وحل مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ومن هذه التوجيهات :

■ مطالبة الدول التى تعانى من زيادة المواليد بمعدلات عالية ، بخفض هذه المعدلات خلال السنوات العشر القادمة .

■ ان تعمل الدول النامية على رفع متوسط الاعمار من ٥٥ عاما حاليا ، الى ٦٢ عاما حتى ١٩٨٥ ثم الى ٧٤ سنة فى نهاية القرن .

■ الالتفات الى حقيقة انه لا يمكن ايجاد حل للمشكلة السكانية ، بدون الاسراع فى برامج التنمية .

■ ضمان حق الافراد والمتزوجين فى تلقى برامج تعليمية حول تنظيم الاسرة .

■ المطالبة بأن توفر الدول للنساء حقوقهم كاملة اسوة بالرجال فى جميع أوجه الحياة .

وقد اغفل المؤتمر امرين أساسيين هما :

● الاصرار على تقديم نسبة محددة من الدخول القومية للدول المتقدمة والغنية ، لمساعدة عمليات التنمية الاقتصادية فى دول العالم الثالث . على أن تحدد هذه النسبة بحيث تدر حصيلتها مبالغ كافية لدفع عجلة التنمية . ويمكن توزيع هذه الاموال حسب عدد سكان البلاد المستحقة .

● الاصرار على اقامة نظام اقتصادى ونقدى وتجارى دولى جديد ، يوقف استغلال الدول النامية من خلال العلاقات الدولية القائمة حاليا .

وقد برز فى المؤتمر اتجاهان أساسيان :

■ **اتجاه الدول الرأسمالية** ومفكريها ، ويطالب الدول النامية بالحد من عدد مواليدها بكل الطرق ، ويركز على سياسات ووسائل تنظيم الاسرة كحل

■ اكدت مصادر رسمية فى طوكيو ان اليابان قد تمكنت من الحصول على قرض بمبلغ الف مليون دولار من بلد عربى منتج للبترول لمواجهة النقص فى الدولارات اللازمة لشراء احتياجاتها من البترول ■

■ ادان مؤتمر اساقفة شيلى الذى انعقد فى مدينة بونتسادى برالكا الساحلية الصغيرة ـ واقر المؤتمر بيانا اسقفيا احتج بشدة على الحملة الظالمة والمنيفة التى قامت بها بعض وسائل الاعلام ضد رئيس المؤتمر الكاردينال راول سيلفا هنريكس . كما شجبوا السلوك المهين لصحافة تهين وتذل الوطن . وكان الكاردينال راول سيلفا هنريكس قد قال فى المؤتمر ان هدف الكنيسة الكاثوليكية فى شيلى هو « التوصل الى ان يسود السلام والحب والحرية الحقيقية فى وطننا » ■

وحيد للمشكلة . **فهؤلاء المالتسيون الجدد** ، يؤمنون بما قاله مالتس — رغم تحفظاتهم الظاهرية عليه — من « ان السبب الرئيسى للفقر الدائم لا صلة له بطريقة الحكم ، وبسوء توزيع الملكية ، فليس فى وسع الاغنياء تأمين العمل والغذاء للفقر . وليس للفقراء الحق فى مطالبتهم بالعمل والغذاء » .

■ **رأى دول العالم الثالث والبلاد الاشتراكية** ، وقد عبر عنه بصورة مركزة البحث الذى قدمه للمؤتمر الدكتور **اسماعيل صبرى** وزير التخطيط واكد فيه أن زيادة معدلات التنميه واقامه نظام اقتصادى دولى جديد ، هى اكثر الوسائل فاعلية لحل مشكلة السكان ، اما تنظيم الاسره فهو عامل مساعد فحسب .

وقد عقد المؤتمر ضمن برنامج « السنة الدولية للسكان » وهى سنة ١٩٧٤ ، الذى قررت الامم المتحدة فى مارس ١٩٧٢ . الاحتفال به بعقد ٤ ندوات ، عقدت واحدة منها بالقاهرة فى ١٩٧٣ ، وتنظيم دراسات وأبحاث وبرامج اعلامية وتدريبية لتحسين زياده الوعى والعلم بالحقائق المرتبطة بالاتجاهات السكانية ، وزيادة التوعيه الى الحد الاقصى بالمشكلات السكانية وزيادة درجة التقدير لها ، وتأكيد دور كل من الحكومات والمنظمات غير الحكوميه والعلمية تجاهها ، والوصول الى تعليم مؤثر عن السكان وحياة الأسرة ، وتدعيم المناقشات عن السياسات السكانيه واعطاء المشاكل السكانية مزيدا من الاهمية فى خطط التنمية ، وتوسيع التعاون الدولى فى ميدان السكان .

وفيما يتعلق بحدود هذا التعاون الدولى ، أنشىء صندوق خاص للنشاط السكانى فى ١٩٦٩ ، لتقديم معونات فنيه فى ٦٠٠ مشروع لتنظيم الاسرة فى ٧٨ دوله . وبلغ مجموع مساعدات الصندوق لهذه الدول ١٠٠ مليون دولار .

الحق أن الوعى بالمشاكل السكانية ، أو الفزع منها ، قد تزايد خاصة بعد نشر كتاب الامم المتحدة عن سكان العالم الصادر فى أوائل عام ١٩٧٤ ، واتضاح خطورة الارقام المتعلقة بالمشكلة . فقد جاء فيه أن سكان العالم بلغوا فى منتصف ١٩٧٣ ، نحو ٣٧٨٨ مليون نسمة بزيادة ٧٦ مليونا فى عام ، وأنه اذا استمر التزايد بمعدله الحالى وهو ٢ فى المائة سنويا ، هسيتضاعف العدد حتى عام ٢٠٠٧ ، اى خلال ٣٠ عاما . **وتوزيع السكان حسب القارات ورد فى الكتاب على النحو التالى** : ٢ مليار و ١٥٤ مليونا فى آسيا بنسبة ٥٦٫٨ فى المائة من سكان العالم ، و ٤٦٩ مليونا فى اوروبا بنسبة ١٢٫٤ فى المائة و٣٦٤ مليونا فى افريقيا بنسبة ٩٫٦ فى المائة ، و ٣٣٢ مليونا فى امريكيا الشمالية بنسبة ٨٫٨ فى المائة و ٢٤٨ مليونا فى الاتحاد السوفيتى بنسبة ٦٫٦ فى المائة و ٢٠١ مليونا فى امريكا الجنوبية بنسبة ٥٫٣ فى المائة ، و ٢٫٠ ٢٠ مليونا فى الاوقيانوسه بنسبة ٥ر فى المائة . ومن حيث **التوزيع على البلاد** ، فهو على النحو التالى كما جاء فى الكتاب : الصين ٨٠٠ مليون و ٧٢١ ألف نسمة ، والهند ٥٦٣ مليونا و ٦٩٤ الف نسمة، الاتحاد السوفيتى ٢٤٧ مليونا و ٤٥٩ الف نسمة ، الولايات المتحدة ٢٠٨ ملايين و ٨٤٢ الف نسمة، واندونيسيا ١٢١ مليونا و ٦٣٠ الفا ، واليابان ١٠٥ مليونا و ٩٩٤ الف نسمة ، والبرازيل ٩٨ مليونا و ٨٥٤ الف نسمة

صورة أخرى لاختلال التوزيع السكانى ، تتبدى فى اكتظاظ المدن وخلو الريف تدريجيا من القادرين على العمل . ففى شانغهاى يعيش عشرة ملايين و ٨٣٠ الفا ، وفى نيويورك ٧ ملايين و ٨٩٤ ، وفى بكين ٧ ملايين و ٥٧٠ الفا ، وفى لندن ٧ ملايين و ٤١٨ الفا ، وفى موسكو سبعة ملايين و ١٥١ الفا ، وفى مكسيكو ٦ ملايين و ٨٧٤ الفا .

وكما هو معروف ، فالمشكلة متفاقمة أساسا فى العالم الثالث ، حيث يعيش ثلثا السكان وتجىء ٥ أسداس الزيادة السكانية، ويبلغ معدل الزيادة ضعف معدل الزيادة فى الدول المتقدمة .

ومن هنا جاءت مقترحات خبراء الغرب ، المنصبة كلها على تنظيم « القدرات الانجابية » لسكان العالم الثالث ، والتى يطالب البعض بتنفيذها

■ **شريط الاخبار** ■

■ **تشكلت فى البرتغال بناء على مبادرة من المنظمات الجماهيرية، جمعية للصداقة بين البرتغال وغينيا بيساو هدفها تنمية التعاون بين البلدين من اجل تطور الدولة الجديدة .**

وتقوم الجمعية الان بدراسة اشكال العمل التى تحقق اهدافها . ومن ذلك مسالة ارسال مدرسين وصحفيين واطباء وفنيين لمساعدة الدولة الافريقية الجديدة .

■ شريط الاخبار ■

عنوة على هؤلاء . وقد بلغ بعض هذه المقترحات حدا من السخف ، يتضح من الاقتراح الذى طرح فى مؤتمر عقد فى لندن لمناقشة المشكلة ، ويطالب بتقصير قامة الإنسان الى متر واحد لتخفيض حاجاته من الطعام والملابس والمساكن .

وقد أكد فالدهايم أهمية مؤتمر بوخارست ، موضحا أنه أهم مؤتمر عقدته الهيئة الدولية . والواقع أن المؤتمر حقق بالفعل هدفين :

■ اولهما التوعية ، ليس فقط ، بأصل المشكلة ، وانمـا ايضا بأسبابها ونتائجها : أسبابها الناجمة أساسا عن التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، ومسئولية النهب الاستعمارى القديم والحديث فيه واضحة تماما . ونتائجها التى لا تهدد العالم النامى فحسب ، وانما تهدد الدول المتقدمة أيضا .

■ وضع وتأكيد حل جديد تماما ، يؤكد أن التنمية هى الدواء الوحيد للمشكلة . وان كل مرحلة من التطور الاقتصادى والاجتماعى يصحبها هيكل سكانى مطابق لها . وأن سلامة وكفاءة هذا الهيكل ، تتزايد بقدر ما يتزايد التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

ويرى المراقبون أن كلا من الاتجاهين اللذين ظهـرا فى المؤتمر انمـا يعكسان فى آخر الامر — فلسفتين اجتماعيتين متناقضتين . فالفلسـفة الاشتراكية تركز على الحل الرئيسى وهو التنمية . بينما يرفض المفكرون الرأسماليون أن يكون هذا حلا حاسما لادراكهم بأن التسليم به يهدد مصالح الدول الرأسمالية ، بحيث يكفل للدول النامية التقدم الصناعى والزراعى ويطرح على هذه الدول واجب المساهمة الفعلية فى احداث تنمية حقيقية فى بلدان العالم الثالث .

■ صوفيـــا :

٣٠ عاما من نجـاحات لا تتوقـف

فى ٩ سبتمبر ١٩٤٤ منذ ثلاثين عاما ، تمكن الشعب البلغارى وبقيادة الحزب الشيوعى البلغارى ، ومعونة الاتحاد السوفيتى ، وبعد تضحيات بطولية ، من انهاء حكم الرأسمالية والاستبداد الفاشى . وقامت جمهورية بلغاريا الديمقراطية الشعبية ، وبدأت فى بلغاريا مرحلة الانتقـال الى الاشتراكية .

وخلال ثلاثة أعوام من العمل الجاد من أجل اعادة بناء بلغاريا التى كانت من أكثر بلاد أوربا تخلفا تمكن الشعب البلغارى من انجاز الكثير الذى كان يحتاج انجازه الى قرون .

وتختلف صورة الحياة فى بلغاريا اليوم — فى ظل السلطة الشعبية — اختلافا جذريا فى كافة المجالات . ففى السنين الاولى للثورة تم الاجهاز على مخلفات الفاشية وقهرت مقاومة البورجوازية والرجعية . وجدد جهاز الدولة من القمة الى القاعدة . واعيد بناء الاقتصاد الوطنى الذى دمرته الحرب وبدأ

■ يقاطع عمال الموانى الايطالية كل السفن التى ترفع علم شيلى . وقـد اتخذ هذا القرار ، اتحاد نقابات منظمات عمال الموانى فى ايطاليا ، تضامنا مع شعب شيلى فى نضاله ضد دكتاتورية الانقـلاب الفاشى التى اطاحت بحكومة الوحدة الشـعبية واغتالت الرئيس سلفادور الليندى فى العام الماضى ■

الانتقال به وفق خطوط اشتراكية ، واخرجت البلاد من حالة العزلة الدولية التي فرضت عليها في ظل الحكومات الملكية الفاشية .

وخلال الاعوام الثلاثين الماضية ، شهدت بلغاريا تغييرات جذرية في بنية اقتصادها الوطني ، فبينما كان الاقتصاد الزراعي حتى قيام الثورة في ١٩٤٤ يسهم بـ ٦٥ في المائة من الدخل القومي ، أصبح الانتاج الصناعي يسهم بـ ٤٢ في المائة من الدخل القومي عام ١٩٧٣ لقد ازداد الانتاج الصناعي ٤٧ مرة بالمقارنة مع مستوى ما قبل الحرب العالمية الثانية وأدى هذا النمو الاقتصادي الى ازدياد الدخل القومي للبلاد ٤ر٧ مرات خلال الثلاثين عاما الماضية .

لقد قامت في بلغاريا مصانع ومناطق صناعية جديدة ، ونشأت مدن وقرى لم تكن موجودة واعيد بناء الزراعة من الاساس . فالاراضي الزراعية الـ ١٢ مليون قطعة أصبحت مجمعة في ١٦٢ مجمعا زراعيا ـ صناعيا كبيرا ، وسبعة مجمعات صناعية زراعية كبيرة . وهي مجمعات تمتلك وسائل مادية وتقنية حديثة وتستخدم التكنولوجيا العصرية ، وأساليب تنظيم الانتـاج العلمية ، وزادت غلة الفدان ٥ر٢ مرة عن انتاجيته في عام ١٩٣٩ ، باختصار : تقدم الاقتصاد البلغاري بخطى سريعة ومستقرة ، وتراوح معدل نموه السنوي بين ٩ في المائة و ١١ في المائة .

هكذا أصبحت بلغاريا ـ اليوم ـ في ظل الاشتراكية ، تصدر السفن والجرارات وآلات الحصاد ، والعقول الالكترونية ، والعربات الكهربائية والمحركات ، وآلات تشغيل المعادن ذات الحركة ، وغيرها من المنتجات الصناعية الحديثة .

وادت هذه التحولات الاقتصادية العميقة الى ايجـاد القاعدة الاساسية لانجاز سياسة اجتماعية تستهدف بناء الانسان المحرر من استغلال الانسان ، ولرفع مستوى معيشة الشعب البلغاري فقد ازداد نصيب الفرد الواحد من الدخل القومي ما يزيد على ٤ مرات عما كان عليه في ١٩٥٢ وكذلك ازداد استهلاك الفرد في نفس الفترة بنفس القدر ، وزاد الدخـل للفـرد بمقدار ٣٥ر٣ مرة خلال الفترة ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ .

وفي الريف ـ ارتفع مستوى معيشة الفلاحين ، فخلال الفترة من ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ زاد دخل الفلاحين ٣ مرات ، واقتربت من دخل العمال وأخذت الفوارق بين الريف والمدينة في التلاشي نتيجة تطوير القوى المنتجة واقامة الاقتصاد الزراعي على أساس صناعي .

وهكذا ، فانه خلال الثلاثين عاما الماضية ـ منذ انتصار الثورة ـ ارتفع مستوى معيشة الشعب ، وتضاعفت الخدمات التي تقدم له كما وكيفا في المجالات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية .. الخ .

وعلى النطاق الدولي ـ تدعمت خلال الثلاثين عاما الماضية علاقات التعاون والاخوة الاممية بين جمهورية بلغاريا الشعبية والبلاد الاشتراكية . وكما تدعمت علاقات بلغاريا مع بلدان التحرر الوطني المناضلة ضد الامبريالية والاستعمار الحديث . ولقد أكدت بلغاريا بالمواقف العملية والمبدأية مساندتها دائما للشعوب العربية في نضالها العادل ضد الامبريالية والصهيونية .

منذ أكثر من ثلاثين عاما وقبل عام ١٩٤٤ كانت النازية تزهو وهي تدوس مقدسات الشعب البلغاري ، وتظن أنها ستنهي حياة شعب من الوجود ، واليوم وبعد ثلاثين عاما لم يتخلص الشعب البلغاري فقط من النازية ، ولكنه يشق طريقه نحو بناء الاشتراكية الوضاءة في بلاده ـ حيث ينتهي استغلال الانسان لاخيه الانسان .

■ شريط الاخبار ■

■ يعقـد في العاصمة الفرنسية في ديسمبر ١٩٧٤ المؤتمر الثاني لنصرة شعب عمان . وتشارك في هذا المؤتمر اللجان الوطنيـة لمناصرة الشعب العماني في الدول العربية واوروبا الغربيـة والبلدان الاشتراكية . ويهدف المؤتمر الى تنظيم حملة واسـعة لدعم الشعب العماني في نضاله ضـد الاستعمار البريطاني والغزو الايراني لاراضيه ■



قضـــية المطـران حـداد

أو قضية فك الارتباط بين « المطلق » و « النسبى »

فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس الماضى صدر بيان من سينودس طائفة الروم الكاثوليك هذا نصه :

« عكف السينودس المقدس على البحث فى قضية **المطران غريغوار حداد** ، والمواقف العقائدية التى اتخذها وبعض المتعاونين معه فى تحرير مجلة « **آفاق** » . ونظرا الى اقتناع آباء السنودس إ جميع اساقفة الطائفة في الوطن والمهجر والرؤساء العامون للمؤسسات الرهبانية الطائفية إبأن بعض مواقف المطران غريغوار حداد تلقى الشك والارتياب على عقيدته الكاثوليكية . خصوصا أن اللاهوتيين أعضاء اللجنة التى سبق أن الفها السنودس مجمعون على وجود التباسات فى هذه المواقف ..

وبعد تبادل الاراء ، واصرار المطران غريغوار حداد على التمسك بمواقفه ، واقتناعه الشخصى بأنها لا تتنافى فى نظره مع الايمان الكاثوليكى ، وانطلاقا من المسئوليات الملقاة على عاتق السينودس المقدس .. من حيث الرعاية والحفاظ على وديعة الايمان والنظام الكنسى ، وتمشيا مع تقاليد الكنيسة فى الرجوع عند الحاجة الى الكرسى الرسولى الرومانى فى مايتعلق بالقضايا العقائدية العامة . **قرر السنودس المقدس ما يأتى :**

١ ــ رفع ملف قضية المطران غريغوار حداد الى المراجع الرومانية المختصة لدراستها والحكم فيها .

٢ ــ تحذير المؤمنين من المواقف العقائدية التى تقفها مجلة « آفاق » واعتبار هذه المجلة من النشرات التى تثير الشك والقلق ، لما تتضمنه من أضاليل والتباسات .. »

فمن هو المطران حداد ؟ وما هى قضيته

وفى السابع عشر من شهر سبتمبر اصدر البطريرك مكسيموس حكيم قرارا يقضى بتنحية المطران غريغوار حداد عن ابرشية بيروت لمدة شهرين .

فمن هو المطران حداد ؟ وما هى قضيته ؟ .

وما هى العلاقة بينه وبين مجلة « آفاق » ؟

فى صيف عام ١٩٦٥ انتخب سينودس الروم الكاثوليك المطران غريغوار حداد اسقفا معاونا للمطران فيلبس نبعة ، ثم اتيح له حضور آخر دورة من المجمع الفاتيكانى الثانى . وحين توفى المطران نبعه عام ١٩٦٧ تسلم المطران حداد المسئولية فى ابرشية بيروت . ولكنه قبل ذلك العام بسبعة عشر عاما أسس حركة تسمى « **الحركة الاجتماعية** » يقول عنها انها **حركة لاطائفية** تضم بعض الشبان من مختلف الطوائف للاسهام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبنان .

وابتداء من هذه الحركة والمطران حداد يقف بآرائه الدينية ضد الطائفية ومايلازمها من تزمت وتعصب ، ويستند فى تدعيمها الى المجمع الفاتيكانى الثانى الذى بدأ أعماله سنة ١٩٦٢ وأنهاها سنة ١٩٦٥ ، وكان أكبر عملية « **نقد ذاتى** » تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية **منذ العصور** الوسطى ، واوسع عملية « **تحديث** » و « عصرنة » .

يتبنى المطران حداد مسالة النقد الذاتى فيطرح جانبا لغة السلف ، ويتجه الى لغة العصر ، وهى لغة أيديولوجية . فقد لاحظ المطران حداد أن « كل موقف لهخلفيته الايديولوجية . وقد تكون ظاهرة وقد لا تكون ، وقد تكون على وعى بها وقد لا تكون . والافضل أن تكون الخلفيات واضحة ، ولو أحدثت اختلافات فى وجهات النظر ، وصراعا للوصول الى الحقيقة الاعمق ، لان مايظل خفيا فى اللاوعى ينشىء **صراعا أكثر عنفا ولا عقلانيا** .

والسؤال الهام اذن :

ماهى ايديولوجية المطران غريغوار حداد التى دفعت به الى التصادم مع السنورس المقدس وربما قدتدفع به الى التصادم مع الفاتيكان ؟

ان المطران يحاول أن يكون منطقيا فيما يدعو اليه ، أى أنه يضع المقدمات ثم يستنبط منها النتائج .

والمقدمات خمس :

● المسيح هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق هو الاول والاخر .

● والانسان هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق ، وهو الثانى الذى كالاول

● والمسيح والانسان معا ، متلازمين ، هما المقياسان المتكاملان المتفاعلان للوصول الى الحقيقة المتكاملة يوما بعد يوم ، والى الحياة الاوفر .

● وكل ما سوى المسيح والانسان هو لهما « كل شىء هو لكم

● ومن ثم كل ما سواهما يقاس بالنسبة اليهما . يعنى كل مايجعل المسيح مسيحيا للعالم ، وكل ما يجعل الانسان انسانا فى كل أبعاده وطاقاته ، هو المقبول به ، وكل مايشوه أو يقلص وجه المسيح الصحيح ، أو ماينقص من انسانية الانسان هو المرفوض .

واذا كانت هذه هى المقدمات فما هى النتائج اللازمة عنها ؟ :

فك الارتباط بين المسيح من حيث هو مطلق وبين ماهو نسبى . ومعنى ذلك « تحرير المسيح من الصور والايقونات التى رسمها الصوفيون وغير الصوفيين ، **بل تحريره من التصورات الخيالية الفكرية والعاطفية** بسبب عدم مطابقتها الكاملة ولاشك لوجه المسيح الحقيقى » .

ويزيد المطران حداد الامر ايضاحا : فيطالب بتحرير المسيح من الكنيسة من حيث هى مؤسسة . يقول : « **الكنيسة المؤسسة قد احتكرت المسيح ، كما تحتكر أى شركة رأسمالية صنفا من الاصناف ..** وأصبح من الواجب على الذين لايزال لديهم ايمان داخل الكنائس الاسهام فى « **معركة تحرير المسيح** » هذه ... »

ثم يذهب المطران حداد الى نهاية المطاف فى عملية تحرير المسيح فينادى بتحريره من المسيحية التاريخية . يقول : « لما كانت المسيحية التاريخية بسبب تعابيرها النسبية مشبوهة من تلك الحضارات والثقافات العصرية ، أو أقلة مرفوضة مسبقا دون النظر فى القيم التى تقدمها للبشرية ، ولما كان المسيح فى نظر المسيحية ضروريا لكل انسان ، صار من الاوليات تحرير المسيح من المسيحية ذاتها ، من كل تجسداتها وتعابيرها التاريخية ... ليصبح المسيح فى متناول يد كل انسان ، أى على مستوى كل حضارة وثقافة ولغة وشعب ودين والحاد وشك ، وليصبح من ثم المحور الصالح لكل انسان دون وسيط ودون مرور بأى اغتراب حضارى ثقافى » .

ثم يثنى المطران حداد بفك الارتباط بين الانسان من حيث هو مطلق ، وبين ما هو نسبى . ومعنى ذلك تحرير الانسان من العبودية ، لان كل عبودية هى خضوع من الانسان لما سواه وتنكر لقيمته المطلقة ، سواء كان هذا « السوى » نظاما أو مؤسسة أو جماعة أو مطلق آخر . اذ أن **المطلق الحقيقى لا يمكنه أن يستعبد غيره** . فان تبين أن الانسان مستعبد لما يسميه الله ، فهذا الله ليس الاله الحقيقى بل صنما من صنع مخيلة الانسان .

ويطرح المطران غريغوار حداد نماذج لعبودية الانسان من بينها عبودية الانسان للمال ، **وقد** ذكرها المسيح كثيرا فى تعليمه « لا يستطيع أحد أن يعبد ربين ، لانه ، اما أن يبغض الواحد ويحب الاخر ، أو يلازم الواحد ويرذل الاخر . لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال » .

ثم يتساءل المطران :

هل نحن متحررون من **الغنى والمقتنى** ، لا فقط على صعيد المبادىء والصعيد الفردى ، بل على الصعيد العملى والجماعى والمؤسسى ؟

هل « **كنوز الكنيسة** » ان كانت فى الفاتيكان أم فى المطرانيات ، أم فى الرهبانيات ، هى حقا لاجل الشهادة للمسيح ، ولاجل خدمة الانسان ؟

وهل من الصحيح أنه لا يمكن التحرر منها دون الحاق الضرر بهذه الخدمة وتلك الشهادة ؟

وكان جواب المطران على هذه الاسئلة عمليا وشخصيا . فقد باع سيارته الخاصة ، وتخلى عن امتيازاته فى الانتقال ، وفى الظهور تمشيا مع الايات الانجيلية . ورفض أن يكون عضوا فى طبقة أرستقراطية مميزة ، وباع صليبه الذهبى ووزع ثمنه على المحتاجين والفقراء .

بل انه ثار على بعض العادات الكهنوتية التى ترهق المواطنين المؤمنين فى مناسبات الزواج والموت . فأصدر تعليمات الى الكهنة بأن يمتنعوا عن تحميل الناس ــ وخاصة الفقراء ــ ما لا يستطيعون لان الاوقاف انما وجدت لمثل هذه الغاية .

هكذا يتحرر المطران نفسه ــ متفقا فى ذلك مع ما يدعو اليه ــ من قوالب التفكير الاقتصادى السائدة والرائجة والتى كانت ولا تزال تتحكم بتصرف الكثرة من بنى البشر . ولهذا آثارت دعوته ضجة كبيرة فى الاوساط الدينية لانه كشف النقاب عن خفايا الاستغلال .

ومن بين نماذج العبودية التى يطرحها المطران حداد عبودية الانسان للطائفة « اذا كان واحد يقول أنا لبولس ، وآخر أنا لابلس ، ألا تكونون بشريين ؟ فمن ذا أبلس ؟ ومن ذا بولس ؟ انهما خادمان آمنتم على أيديهما .. أنا غرست وأبلس سقى . لكن الله هو الذى أنمى . فليس الغارس اذن بشىء ولا الساقى بشىء ، بل المنمى هو الله » .

ثم يتساءل المطران غريغوار حداد :
لماذا اذن الطائفية ؟

انها ضد الايمان المسيحي اذا ما حللناها حسب المقياسين المطلقين : المسيح والانسان . فالطائفة ليست مطلقا ولا غاية فى ذاتها ، لانها سنة من الناس ، ولا تمثل جميع الناس . ثم ان مصلحة **الطائفة** لا يمكنها أن تكون فى ذاتها مقياسا كانيا ، لانها تتعارض مع مصالح الاخرين .

وهكذا يرفض المطران حداد الطائفية التى تنخر وجه لبنان وتمزقه وذلك من خلال فك الارتباط بين **المطلق والنسبى . فتبزغ من هذا الرفض ظاهرة** جديدة يمكن أن نطلق عليها « **علمانية يسارية** » . وهى ظاهرة تتبلور فى مجلة « آفاق » حيث ينشر فيها المطران آراءه الثورية . وهذا هو السبب الذى من أجله يربط السنودس المقدس بين المطران حداد ومجلة « آفاق » . فالملاحظ بالفعل لمن يتابع قراءة هذه المجلة أن المقالات السياسية المنشورة هى صدى لهذه الظاهرة الجديدة « **العلمانية اليسارية** » .

يقول رئيس تحرير هذه المجلة فى العدد الرابع الصادر فى ١٥ ابريل ١٩٧٤ :

« آفاق تنطلق من نظرة ايمانية مسيحية لا تفرضها عليها الظروف السياسية ، بل تفرض ذاتها هى على الظروف السياسية .

« من الطبيعى أن كل موقف ثقافى واقتصادى ودينى يفرز مواقف سياسية . ولكن الفرق شاسع بين نظرة دينية ــ ايمانية صرف تؤول الى التزام سياسى وبين نظرة دينية ــ سياسية تنبثق من موقف سياسى معين .

فالموقف الدينى الذى بنى على حتميات سياسية ، وأدخل فى عناصره الدينية النتائج العملية التى تفرضها تلك الحتميات السياسية ، هو موقف مشبوه ايمانيا ، لذلك فعند اعادة النظر الدينية ، والبحث ، والحوار ، لابد أن يؤول هذا الموقف الى مساومات وحلول متعددة [كالاعتبارات الطائفية واللبنانية والمسيحية والاقتصادية] وذلك باسم الايمان ، وقد يكون ذلك على حساب الايمان

« أما الموقف الدينى الذى ينطلق من الايمان وحده ، فانه لا يمكنه ان يؤول الى مساومات والى حلول ايمانية ــ متجسدة ــ تاريخيا ، متعددة . لذلك ، جاءت أبعاد هذه النظرة الايمانية ، فى الحقل السياسى ، ابعادا جذرية رسمها منطقها وعقلانيتها الروحية فقط وليست القوى السياسية الراهنة » .

والسؤال عندئذ هو :

ما هو الموقف الدينى الذى يتبناه أصحاب مجلة « آفاق » ؟ يقولون فى العدد الاول :

« ان ما نستخلصه من تاريخ الفكر حتى الان هو أن النظرة للانسان يمكن حصرها فى محاور ثلاثة :

● **المحور الاول** هو الذى ينظر الى الانسان ضمن خط يرتكز على الرؤيا « **الانسانوية** » المتطرفة ، كفلسفة قامت على مناهضة الفكر الدينى . فهى تفهم وجود الانسان وغايته وتفسر علاقاته بالاخرين ، وبالعالم على أساس التنافى بين الله والانسان . وبالتالى تخلص الى القول بأن وجود الله هو خطر على وجود الانسان وعلى ضمانة حريته واستقلاله .

● **المحور الثانى** هو الذى يرى الانسان ضمن خط يرتكز على **نظرة لاهوتية بحت** ، هذا النوع من الرؤيا يرتكز هو أيضا على قيمة الانسان وحريته . انما بناء الانسان وكماله لا يتم الا فى ربط الانسان بالله ، على أن يكون الثانى مغايرا بالكلية للاول ، وان يكون موجودا خارجا عنه . هكذا يصبح هذا الاله علة وغاية وجود الانسان .

« **نظرتنا نحن للانسان لا تتفق لا مع النظرة الاولى ولا مع الثانية . بل تحاول ان تكون رؤيا تحتفظ بالمتطلبات الاساسية للنظرة الاولى والثانية وتدخل هكذا فى محور ثالث ، هذا المحور الاخير هو تفتيش أو نوع من التعبير ينظر الى الانسان ضمن خط انتروبولوجى .**

فالله : فى رؤيا هذا الخط موجود . وذلك على خلاف ما تقرر به بعض الاتجاهات الانسانوية المتطرفة ــ لكن وجوده ليس وجودا فى الخارج كوجود شىء متميز بين الاشياء ، او كائن متميز بين الكائنات ، بل هو طاقة وجود او اقتصاء وجود يكمن فى الكائنات ــ وذلك على خلاف ما تقر به بعض الاتجاهات اللاهوتية » .

واضح هنا أن الموقف الدينى الذى يتبناه أصحاب مجلة « آفاق » هو **موقف ثالث** .

وواضح كذلك أن هذا الموقف الدينى الثالث من شأنه أن يفرز بالضرورة موقفا سياسيا . طبقا لمبدأ أصحاب هذه المجلة . واغلب الظن ، ان لم يكن كل الظن ان هذا الموقف السياسى هو أيضا وبالضرورة موقف **ثالث** .

والسؤال عندئذ هو :

هل هذا الموقف السياسى الثالث رمز على ما ينبغى أن يكون عليه موقف العالم الثالث ؟

واذا كان ذلك كذلك ..

فهل الموقف الدينى الثالث ينبغى أن يكون حجر الزاوية فى بناء مجتمعات العالم الثالث ؟ .

واذا كان ذلك كذلك .. فلا بد من ظهور « آفاق » عدة فى مجالات الاديان الاخرى المنتشرة فى **بلدان** العالم الثالث .

وبذلك يمكن **لهذا الموقف الثالث** [او ما أسميناه علمانية يسارية] أن يتحول الى **أيديولوجية ثورية** للعالم الثالث .

من اجل ذلك كله كان لابد من رفع أمر المطران غريغوار حـــداد وأمـر مجلـة « آفـاق » الى الفاتيكان . وقد تم ذلك بالفعل . فقد أرسل الى الفاتيكان تقرير لاهوتي اشترك في وضعه المطران ناوفيطوس ادلبي متروبوليت حلب وسـلوقية دفورش للروم الكاثوليك والاب آغناطيوس ديك من كهنـة ابرشية حلب للروم الكاثوليك ومسـتشار الامانة العامة لغير المؤمنين في روما .

والى هذا التقرير استند السينودس المقدس في المطالبة بايقاف المطران غريغوار حداد .

وامتثل المطران ولكن في دهشة من أمرما حدث وقد أعرب عن دهشته في حوار منشور في جريدة الانوار بتاريخ ٥ ــ ٩ ــ ١٩٧٤ اذ قال :

« في الكنيسـة اليوم تيارات عديدة على الصعيد اللاهوتي ، منها ما سبق المجمع الفاتيكاني الثاني بعشرات السنين ، ومنها ما انبثق عن هذا المجمع . وهناك حرية عند اللاهوتيين في التعبير عـن أفكارهم ومحاولاتهم وأبحاثهم ليست وليدة اليوم ، لكنها أصبحت بعد المجمع مألوفة ومعترفا بها ، بسبب حق التعددية الذي أطلقه المجمع في جميع الحقول الدينية ومنها اللاهوت ذاته . واذا ما قيست الابحاث الواردة في مقالات التيسارات التقـدمية في الغرب وقورنت بمقـالاتي . فان ما كتبته يمكن أن يصنف كلاسيكيا تقليديا اكثر منه تطوريا ثوريا » .

ومما لا شك فيه أن المطران غريغوار حداد يشير الى « علم اللاهوت الالحادي » الذي تأسس في المغرب في عام ١٩٦٠ على يد علماء اللاهوت ، وهو يدعو الى تأسيس مسيحية من غير الله .

والمطران حـــداد الان ليس وحيـــدا . فقضيته تجاوزت ذاته ــ فقد نشر كمال جنبلاط ــ رئيس جبهة النضال الوطني ــ مقالا في جريدة « الانباء » في ٧ ــ ٩ ــ ١٩٧٤ بعنوان « التلميذ البار للسيد المسيح » اختتمها قائلا :

« نحن مع غريغوار حداد في طريقه السالك مذهب الشهادة على المحبة والحقيقة .

» وهذه الجلجلة الصغيرة التي يصعد سلمها ، ترمي على الارض كلها ظل الصليب ، الحقيقي الداخلي الذي هو معراج كل نفس الى العودة الى نبعها وأصلها بعد أن تكون قد تزيت بالفقر الحقيقي أي بالتجرد عن جميع الاوصاف الملكوتيـة والدنيوية » .

وفي مطرانية بيروت الكاثوليكية قال النائب الاسقفي العـام الارشـمندريت اسبيريدون مطر المسئول المؤقت عن تصريف شئون الابرشية نيابة عن المطران غريغوار حداد :

« نتمنى أن يعود المطران غريغوار الى ممارسة مهامه في الابرشية التي أحبها وتحبه ، ونأمل ان تزول هـذه الصعوبة التي يمر بها ، والا تكون اكثر من غيمة عابرة » .

□□□□

رسالة الجزائر

مؤتمر طلاب فلسطين يرفع شعار :

لنشدد أيادينا على مقابض بنادقنا

كمال السيد

المؤتمر الوطني السابع لاتحاد طلاب فلسطين الذي عقد بالجزائر في الفترة من ١٦ الى ٢٢ اغسطس الماضي ، يعد علامة طريق ليس فقط في تاريخ طلاب فلسطين ، أو حتى في تاريخ حركة الشعب الفلسطيني ، وانما أيضا في تاريخ حركة التحرر العربي بأسرها . ذلـك ان المـؤتمر جاء ليكشف عن وجود وتكامل قوة ستؤكد الاحداث تزايد وزنها على مسيرة التطور في المنطقة كلها . فضلا عن أن المؤتمرين ، ومن يمثلهم هم في سن الرفض والمقاومة والثورة ، فانهم يمتلكون ــ كما عكست ذلك وثائقهم ــ وعيا وطنيا واجتمـاعيا راقيا ، ليس فقط على نطاق القضية الفلسطينية أو حتى القضية العربية وانما أيضا بالنسبة لقضية الثورة العالمية . كذلك أوضح المؤتمر أن طلاب فلسطين ينتشرون في نحو ٢٠ بلدا ، يتكلمون لغاتها . حتى اللغات الهندية والكورية ، ويعقدون أواصر الصداقة بشعوبها وبحركاتها الثورية ، الوطنية والاجتماعية . كما أنهم يـدرسون كل العلوم والمعارف الحديثة ــ ويواصلون هـذه الدراسة حتى يحصلون على أرقى الدرجـات

العلمية . ومن ثم فقد دانت لهم الرؤيا العلمية بكل مقوماتها .

وقد انعقد المؤتمر تحت شعار « **لنشدد أيدينا على مقابض بنادقنا ، لنمنع التسويات التي تستهدف اجهاض ثورتنا** » . أكد المؤتمر مواقف جماهير الطلاب من التطورات الاخيرة .

لقد أوضحت كلمة **لعي قمبرجي** رئيس الهيئة التنفيذية للاتحاد فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، المواقف التالية :

■ رفض قرارات الامم المتحدة متوجة بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لما يعنيه هذا القرار من طمس لحقوق شعب فلسطين فى تقرير مصيره على أرضه . ولما يعنيه من تثبيت الكيان الصهيونى على جزء من الارض المحتلة .

■ ان طريق التسويات عبر وضوح تجربة الماضى القريب ، لن يكون تقليصا لقوى العدوان ، بقدر ما هو استفحال للعدوان وتصاعد فى امكانياته . ويحمل فى ثناياه ضربة لحركة التحرر الوطنى العربى .

■ رفض مؤتمر جنيف وتسوياته .

■ الالتزام بالكفاح المسلح والايمان بأن طريق السلطة الوطنية الفلسطينية يمر عبر فوهات البنادق والالتحام بالجماهير والاصدقاء ، ولا يمر مطلقا بطريق جنيف خاصة فى ظل موازين القوى الحالية .

■ ان منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى .

■ ان النصر السياسى الذى حققته ثورة فلسطين ، نعمده بنادق الثوار فى اياديهم مستمرة على درب النضال والتحرير .

وأكد **لعي قمبرجي** أن الاتحاد ، بحكم انتمائه لنضال الشعب الفلسطينى ، هو بالضرورة ملتحم بالحركة الطلابية العربية ، بفصائلها الوطنية والتقدمية ، وهو بالضرورة جزء لا يتجزأ من الحركة الشبابية والطلابية التقدمية فى العالم .

ثم استمرت أعمال المؤتمر ليل نهار ، فى جلسات موسعة أو فى اللجان . وتميزت المناقشات بحيوية غير عادية . أكدت وجود اتجاهات سياسية مختلفة بين طلاب فلسطين . لكن الاتفاق بينهم تام حول القضايا الاساسية فى المشكلة الفلسطينية ، فهم مجمعون على عدد من الحقائق أهمها :

■ أن أحدا من غير الفلسطينيين لن يسمح له بالحديث باسمهم ، خصوصا النظام الاردنى . وان منظمة التحرير هى الممثل الشرعى الوحيد لكل الشعب الفلسطينى والمتحدث باسمه .

■ ان الكفاح المسلح والعمل العسكرى هو طريق الحل . وان التسويات السياسية ، لن تعيد لشعب فلسطين حقوقهم . وقد رفض المؤتمرون بشدة فك الارتباط على الجبهة الاردنية .

■ ان كفاح الشعب الفلسطينى جزء من كفاح الامة العربية التحررى . ومن الثورة العالمية للتحرر الوطنى والاجتماعى ، المعادية للامبريالية والعنصرية . وفى هذا الصدد ، أكد المؤتمرون طويلا على أهمية وقيمة العلاقات مع المعسكر الاشتراكى عموما . ومع الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة . وقد تجلى هذا فى أمرين :

■ الاستقبال العاصف الذى استقبل ممثلى البلاد الاشتراكية . والذى كان يعكس بصورة واضحة تماما ، تقدير المؤتمرين لموقفها فى مساندة كفاح شعب فلسطين وكفاح الشعب العربى عموما .

■ استقبال المندوب السوفيتى ، فقد كان حارا سواء قبل أو بعد كلمته . والتى جاء خطها الاساسى مناقضا للاتجاه الغالب للمؤتمر ، اذ أكد امكانية الحل السلمى للمشكلة ، واهمية مؤتمر جنيف اذا نظم جيدا لكفالة حقوق شعب فلسطين وانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية .

كذلك تحدث **أبو اياد** فى المؤتمر ، فأكد أهمية الكفاح المسلح . وقال ان كثيرين كانوا يأخذون علينا من قبل اننا لا نناضل فى سبيل القضية ، ويقولون اننا تحللنا وانتهينا ، ولكن عندما أكدنا وجودنا بقوة السلاح ، جاء البعض منهم يطلب منا القاء السلاح والبحث عن حلول سياسية .

وفى الجلسة الختامية للمؤتمر القى الرئيس **بومدين** خطابا استحوذ به فعلا على اعجاب كل الحاضرين لوضوحه وقوة منطقه ، ومن أبرز ما جاء فى هذا الخطاب :

■ ان حقوق الفلسطينيين تمر عبر فوهات البنادق . وان النضال المسلح هو الطريق الوحيد لاستخلاص حقوقهم المشروعة .

■ أن العالم لم يحس بالقضية الا عندما اشعره الفلسطينيون بها عن طريق أعمالهم المسلحة وفى المطارات والطائرات ومختلف الاعمال الفدائية .

■ ان الذى يقاتل هو الوحيد الذى من حقه اتخاذ القرار . كما أن أصحاب القضية هم أصحاب الرأى الاول والاخير فيها . ومن ثم فليس للجزائر رأى مستقل فى القضية ، وانما الرأى هو رأى الفلسطينيين والجزائر ستؤيده .

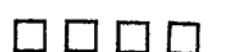
■ ان محاولة خلق دور للملك حسين محاولة مشبوهة لغرض فى نفس يعقوب ، ويعقوب هذا قد يكون كيسنجر أو غيره . ذلك ان حسين أخرج نفسه نهائيا من القضية بمذابح أيلول ، التى رفضت الجزائر حضور مؤتمر القاهرة الذى أعقبها لانها لم ترد تبييض صفحة الملك أو مصافحة أيادى ملوثة بالدماء .

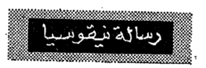
■ وبعد أن انتقد الرئيس بومدين دور الاردن وموادنه من الفدائيين ومن عدم اشتراكه فى حرب اكتوبر ، بحجة عدم وجود مظلة جوية تحميه . وأضاف ان النظام الاردنى لم يشترك فى حرب أكتوبر بحجة أن الضوء الاخضر لم يعط له ، وعندما أعطى له ، لم يحارب واكتفى بأن أرسل بعض جنوده لسوريا فى حين ترك الضفة الغربية محتلة . والنظام الاردنى - بهذا - استبعد نفسه تماما من الموضوع . وقال الرئيس بومدين أن الهدف من ذلك ، استبعاد فكرة قيام دولة فلسطينية .

■ أكد الرئيس بومدين ضرورة اشراك الاتحاد السوفيتى فى أى حل سياسى للازمة وقال ان انفراد أمريكا بالحل سيجعله حلا اسرائيليا صافيا . وركز الرئيس الجزائرى على الاهداف الاستعمارية للولايات المتحدة فى المنطقة ؟ وعدائها لشعوبها وللقومية العربية . وانفساق أهدافهـا الكامل مع أهداف اسرائيل .

■ كذلك طالب الرئيس بومدين الطلاب بأن يكونوا فلسطينيين فقط ، والا تمزقهم الانتماءات لمختلف الاحزاب والحركات الموجودة فى العالم العربى .

وعقب هذا ، انتخب المؤتمر هيئاته القيادية ، بعد تأجيل استمر ساعات طويلة لمحاولة الاتفاق على قائمة موحدة . لكن الاتفاق لم ينجح ومن ثم قرر التياران الرئيسيان بين المؤتمرين - وكلاهما ينتمى لفتح - ترك الحرية كاملة للاعضاء ينتخبون من يريدون . وجاءت النتيجة بممثلين لكل منهما ، كذلك أخذ أعضاء الاتجاهات السياسيه الاخرى أماكنهم فى قيادات الاتحاد .





تقسيم الجزيرة أصبح حقيقة واقعة

مجدى نصيف

الصوت الوحيد المدوى حتى الان ، معارضا تقسيم جزيرة قبرص ، هو صوت بطلها الوطنى الاسقف مكاريوس (*)

لقد اختلطت الاوراق الان الى درجة كبيرة ، حتى أن المتتبع لاحداث قبرص يتوه وسط الاخبار المتناقضة والمتناثرة ولكنى خلال زيارتى للجزيرة - وكانت بعد استيلاء الجيش التركى على منطقة كيرينيا ، وقبل استيلائه على فاما جوستا - حاولت جمع كل هذه التناقضات للخروج بخط عام ، يمكننا من القاء الاضواء على مايحدث .

ولنبدأ بحقيقة واضحة للجميع . من قبرص تقطع الطائرة الفانتوم المسافة الى اسرائيل فى ست دقائق ، والى قناة السويس فى ثمانى دقائق ، والى اللاذقية فى ثلاث دقائق لا [illegible]ثر . وهذا يزيد من الحاح مسألة الامن فى البحر الابيض المتوسط، فالازمة القبرصية الحالية توضح أن القوى الامبريالية تصر على مواصلة جهودها من أجل السيطرة على منطقة شرقى البحر الابيض بأسرها ، ومن أجل اقامة رأس جسر لشن هجوم ضد قوى التحرر الوطنى ، وخاصة التحرر العربى ، ومن أجل الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية عند ملتقى القارات الثلاث [آسيا واوربا وافريقيا] . وقد علقت الصحافة الغربية على عمليات حلف الاطلنطى للسيطرة على الجزيرة بقولها : « تمثل قبرص فى يد حلف الاطلنطى ، بندقية موجهة الى صدر العرب » ! وهنا يجب الا يغرب عن بالنا أن الطائرات البريطانية التى هاجمت مصر اثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ،

كانت تنطلق من قبرص واستنادا الى التقارير الصحفية الغربية ، فقد كانت الدوائر القيادية فى حلف الاطلنطى تفكر ، وهى تحضر لانقلاب قبرص — فى خطط محددة لاستخدام الجزيرة كقاعدة ، ولتحويلها الى حاملة طائرات ضخمة متمركزة فى منطقة شرقى البحر المتوسط .. وذكرت جريدة « شتوتجارت زايتونج » ان ادارة تدريب الاغراد التابعة لقيادة حلف الاطلنطى فى بروكسيل لديها خطة لتحويل قبرص الى مركز لتدريب الطيارين بدلا من المركز القائم الان فى سردينيا . وفى اليوم التالى للانقلاب مباشرة ، صدرت الاوامر لطيارى حلف الاطلنطى الذين ينتمون الى تسع أعضاء فى الحلف الاطلنطى بالاستعداد للتحرك من سردينيا الى قبرص . بل لقد بلغ الامر الى درجة ، أن أكدت قيادة القوات الجوية فى سردينيا ، للطيارين ، أنه خلال شهر أو شهرين سيكون فى مقدور عائلاتهم أن تلحق بهم فى قبرص .

وأشارت الجريدة نفسها ايضا — منذ وقت بعيد الى أن قيادة حلف الاطلنطى طلبت من الحكومة القبرصية السماح لها باستخدام مطارات القاعدة العسكرية البريطانية فى قبرص ، لتدريب طيارى حلف الاطلنطى ، **ولكن هذا الطلب قوبل بالرفض من حكومة مكاريوس** . ولم يفتح الانقلاب الذى وقع فى قبرص أمام حلف الاطلنطى الطريق لاستخدام الجزيرة لتدريب الطيارين فحسب ، وانما فتحها لاستخدامها فى أغراض أخرى شرحتها مجلة « ناتو — بريخت » فى فبراير الماضى بقولها : « ان القيادة العسكرية لحلف الاطلنطى تعتبر قبرص موقعا رائعا لبناء جسر بين حلف الاطلنطى واسرائيل » فالتعاون العسكرى بين الحلف والقوات المسلحة الاسرائيلية لم يعد سرا منذ وقت طويل ، خاصة بعد أن نشرت الصحف الغربية العديد من التقارير حول اشتراك المراقبين العسكريين الاسرائيليين فى مناورات حلف الاطلنطى ، **كما نشرت تقارير عن التعاون بين القوات الجوية الاسرائيلية وقيادة القوات الجوية والبحرية للحلف وقيادة طائرات الاستطلاع الجوى التابعة للحلف . كما تناولت هذه التقارير أيضا مسألة التنسيق بين أعمال القوات المسلحة الاسرائيلية ودور حلف الاطلنطى فى قبرص من أجل « مد الجناح الجنوبى للحلف الى مدى أعمق فى الشرق الاوسط » وعلى وجه الخصوص ، من أجل ضم اسرائيل الى شبكة الحلف** . وهذا التطوير للتعاون مع اسرائيل يبدو مسألة لا غنى عنها ، لان ثمة فكرة بأنه فى ظل ظروف الانفراج الدولى ، وعندما تتحسن العلاقات بين الدول الاوربية الاعضاء فى الحلف وبين الدول العربية ؛ وخاصة المنتجة منها للبترول ، ستقدم المساعدات لاسرائيل بطريقة غير مباشرة من خلال أجهزة الحلف .

مسألة ترتيب حلف الاطلنطى اذن للانقلاب الاول فى قبرص لا يناقشه أحد الان ، فهو حقيقة واضحة وكما تقول الجارديان البريطانية ، اليمينية بكل وضوح : « **كانت الولايات المتحدة تخشى ان يؤدى احتضان الاسقف مكاريوس لسياسة عدم الانحياز الى تطورات غير مرغوبة شرقى البحر الابيض المتوسط** » لذا دبرت انقلاب قبرص ووضعت عميلها سامبسون على رأس قبرص . وهو عميل للمخابرات الامريكية من طراز « جيمس بوند » كما صورته الصحف الغربية نفسها .

الخلاف فى المناقشات هو الى أى مدى كان التدخل الامريكى ؟ وبمعنى آخر الى أى مدى من الاحداث التى توالت بعد ذلك كان من ترتيب المخابرات الامريكية وأيها ضد ارادتها ؟

النتيجة النهائية

نقفز أولا الى النتيجة النهائية . **الحقيقة ، أنه اتضح بعد توالى الاحداث . أن تقسيم الجزيرة — مهما اتخذ من اسماء — أصبح شيئا لا مفر منه الان** . وقد أصدر الرئيس الامريكى جيرالدفورد بيانا دعا فيه الى وقف اطلاق النار فى قبرص ، وأن لم تضغط أمريكا على تركيا — وهى قادرة — لتحقيق هذا . ولكنها تمول تركيا بالسلاح الامريكى الذى يتدفق الان بكميات هائلة على القوات التركية التى غزت قبرص . ومعنى هذا أن الولايات المتحدة تبارك الدور الذى تقوم به تركيا فى قبرص . ثم ما لبث أن صدر تصريح من المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية جاء فيه ان « الحكم الذاتى قد يكون احدى الوسائل التى تحقق حماية الاقلية التركية » .

اذن فقد كان الفصل الاول من المسرحية اسقاط نظام مكاريوس والاحزاب التى تؤيده ، خاصة اليسار ، الذى حصل فى الانتخابات الاخيرة على ٤٠ فى المائة — وهى نسبة اتفقت أحزاب اليسار فيما بينها وبرضاها ألا يتعدوها ، خوفا من الاستفزاز الامريكى والتعجيل بانقلاب !

جزء واحد ، من الفصل الاول ، غير مفهوم حتى الان ، الا وهو فشل الانقلاب فى قتل مكاريوس . يقول المراقبون أن المخابرات البريطانية كانت على

علم بالانقلاب ، وانها أسرعت بتهريب مـكاريوس محققة بذلك شيئين على الطريقة البريطانية : **الاول** أنه ورقة فى يدها ضد « حليفتها » الولايات المتحدة التى « تكبس » على أنفاسها فى الجزيرة الان ، **والثانى** انها ، بسحبه ، حرمت القوى المساندة له من الاستمرار فى النضال المسلح ، خاصة رجاله الذين نظمهم **الدكتور فاسوس ليساريديس** طبيبه الخاص ورئيس حزب « اديك » [اليسارى غير الشيوعى] ورئيس تحرير جريدة « تونيون » اليسارية والسياسى المعروف فى التضامن الاسيوى الافريقى . **وقد كان ليسا ريديس يردد منذ فترة طويلة بالمخطط الامريكى ويحاول فضحه ، وكان يؤمن بأن الغرض من الانقلاب سيكون التدخل التركى الذى سيثير المرارة والاحقاد بين القبارصة الاتراك واليونانيين ، مما يؤدى الى تقسيم الجزيرة ، هنا تسمح تركيا للولايات المتحدة باقامة قاعدة بحرية ويسمح القسم اليونانى بالمثل بقاعدة جوية !**

لقد اصبحت اقامة هذه القاعدة فى شرقى البحر الابيض ، والقضاء على استقلال قبرص وتحويلها الى مركز قوى كرأس جسر بين حلف الاطلنطى واسرائيل » ، مسألة حيوية للغاية لدرجة أنهـا مستعدة للتضحية فى سبيلها ببعض المصـالح الاخرى ، وعلى وجه التحديد : التضحية بعلاقات حلف الاطلنطى والولايات المتحدة بالذات بالعصبة الفاشية من « الكولونيلات السود » .

التدخـل التركى

ثم نأتى الى الفصل الثانى من المسرحية ، وهو التدخل التركى على حلقات ، حتى يصبح التقسيم حقيقة لا مفر منها . لقد تمت التحركات العسكرية التركية فى الجنوب عند ميناء « فيرسينة » على البحر الابيض المتوسط ، والذى يبعد عن أطنة بعدة كيلومترات . وتركيا عضو فى الحلف الاطلنطى والولايات المتحدة الامريكية لها قواعد عسكرية فى تركيا . ليس من المعقول اذن أن تتم التحركات العسكرية التركية لغزو قبرص ولا تعلم عنهـا المخابرات الامريكية شيئا ، ولكن المنطقى انها تمت تحت سمعها وبصرها . من هنا ، يؤكد المراقبون أن هنالك اتفاقا حول التدخل التركى فى قبرص ، وحتى حول مدى هذا التدخل وتوقيته ، أى الى درجة تقسيم الجزيرة كأمر واقع لا مفر منه نتيجة الاحتلال العسكرى التركى لشمال الجـزيرة .

الشعور العام الذى يسود الرأى العام فى تركيا خلال زيارتى ـ قبل وبعد دخولى قبرص ـ هو الشعور القومى بالانتصار العسكرى ضد اليونان العدو التقليدى لتركيا منذ العشرينات . وفـى حديثى مع **بولينت ايجيفيت** رئيس وزراء تركيا صرح ـ وكان يصرح بهذا باستمرار ـ بأن « تركيا اليـوم ليست هى تركيـا الامس » ، و .. « لقد استيقظت تركيا بعـد خمســين عـــاما » . و ... « تركيا الان قوة يجب أن يحسب حسابها . **الملاحظة التى يجب أن نسوقها هنا أن تركيا قد بدأت بالفعل تلعب دورا هاما فى المنطقة ، وهذا الدور مرتبط ـ بطبيعة الحال ـ بقضية الشرق الاوسط . ان تركيا تصبح أكثر قوة وتلعب دورا أكثر فعالية ، وستلعب دورا أكثر أهمية منذ الان فى « الحلف الاطلنطى » .**

وتتمشى نتائج « الغزو التركى » لقبرص مع هذه الحسابات . فقد التف الشعب التركى حول حكومة **ايجيفيت** التى كانت تعانى من المشاكل . أما المؤكد فهو عودة العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة وربما لتصبح أقوى مما كانت عليه . فقد أصاب هذه العلاقات الفتور نتيجة « لحرب الافيون » بين الدولتين ، مما أدى الى أن تأخذ الولايات المتحدة قرارها عام ١٩٧١ بقطع المعونة عن تركيا [**رغم** استمرار المعونة العسكرية التى تشكل ٦٠ فى المائة ضمن الاتفاقيات العسكرية] .

ومما يؤكد هذا ، اشارة **ايجيفيت** فى حديث مع مراسل « النيويورك تايمز » الى التحول الذى طرأ على دور تركيا فى المنطقة بقوله : « **بعد التدخل العسكرى التركى فى قبرص ، ادرك الدكتـور كيسنجـر ، بسرعـة ، التغيرات التى طرأت فى الجزيرة وفى شرقى البحر الابيض المتـوسط ، فأجرى مشاوراته مع تركيا « بروح جديدة »** . وهكذا لم تتجدد أخطاء الماضى » . و ... « اذا كان انسحاب اليونان عسكريا من حلف الاطلنطى سيؤدى الى اضعاف الجناح الشرقى له ، فأعتقد ان فى وسع تركيا أن تعوض هذا الضرر بأفضل الطرق » !

الفصـل الثالث

بعد التدخل التركى فى قبرص الذى يشكل الفصل الثانى ، يأتى الفصل الثالث ، ومسرحه هنا .. أثينا : سقوط الحكم العسكرى الفاشى نتيجة لفشل **الاينوسيس** أو « وحدة قبرص مـــع

اليونان » . لقد خسر حلف الاطلنطى جولة ضم قبرص لليونان . وسرعان ما فضل الحلف ، وخاصة الولايات المتحدة التخلص من « الكولونيلات السود » وهم الذين سبق أن خدموا الحلف بكل « اخلاص » طوال سبع سنوات ، وحولوا اليونان كلها لتدريب قوات الحلف ، وبعد ان فشلت « الاينوسيس » أسرع الحلف يطالب بتقسيم الجزيرة .

لقد كانت الولايات المتحدة ، هى الوحيدة ، بين الدول الراسمالية التى تؤيد هذا الحكم الاسود المفضوح . وكان الحكم الفاشى يقوم بعمليات تطهير متتالية فى الجيش مما أدى الى ضعفه . من هنا ، أسرعت الولايات المتحدة الى التخلى عنه فى الوقت المناسب ، واصبح فى اثينا نظام «ديمقراطى» على الطراز الغربى على رأسه **كارامنليس**، المعادى لليسار ، والمؤيد للسياسة الامريكية واذا وضعنا فى الاعتبار ضعف القوى اليسارية والديموقراطية وانقسامها على نفسها نتيجة سنوات الحكم الفاشى ، أدركنا أنه من الصعوبة أن تحقق هذه القوى **الان** انتصارات حاسمة ، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من هذا الانتصار فى الانتخابات التى كانت ستجرى قبيل الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٧ ، فقد كان من المقدر أن يحصل اليسار على ٧٠ فى المائة من الاصوات ، وهذا ما عجل بالانقلاب ! ولكن القوى اليسارية والديموقراطية تجمع نفسها من أجل معركة حاسمة ، ومن المعتقد أنه سيحدث فى اليونان تغيرات عميقة الجذور لا يمكن ايقافها فى السنوات القليلة القادمة .

الخلاصة ، ان الولايات المتحدة تغير من مواقعها شرقى البحر الابيض المتوسط لتضمن مصالحها البترولية الواسعة فى المنطقة ، وهى تريد ان تتحرك بسرعة فى الجناح الجنوبى للحلف بعد أحداث البرتغال فى الجانب الغربى من أوربا ، وما يحمله المستقبل من تطورات قريبة هناك فى بالنسبة للولايات المتحدة !

لقد تحركت الولايات المتحدة بسرعة ، وتحقق لها ما أرادت فى الجزيرة الصغيرة ، وانتقلت هناك الى الجولة الثانية . وقد أصبحت مهمتها أكثر سهولة ، نتيجة للقرار الذى توصلت اليه كل من بريطانيا وتركيا واليونان فى جنيف من وراء ظهر الشعب القبرصى نفسه ، والذى لم يذكر كلمة واحدة عن انسحاب القوات الاجنبية من الجزيرة ، وانما انتهى عمليا الى استمرار الاحتلال باقامة « مناطق أمن » . فحلف الاطلنطى ـ كما يلاحظ المراقبون ـ يجرى حساباته على اساس بيان **جنيف** ، وذلك بعودة السيادة الى قبرص ، وفى نفس الوقت احتلال الجزيرة بواسطة الدول أعضاء حلف الاطلنطى ، مما يفتح الطريق لاستخدامها فى خطط الحلف !

شعب قبرص هو الذى يدفع الثمن

الشعب القبرصى [٦٥٠ الف نسمة] هو وحده الذى يدفع ثمن كل هذه «اللعبة الاطلنطية» . الارقام الرسمية التى اذاعتها الامم المتحدة تقول ان هناك ٣٢٠ الف لاجىء أى ثلث سكان الجزيرة . الاف الضحايا الذين لم يعرف عددهم بالضبط حتى الان وان كانت تكتشف كل يوم « قبور جماعية » من الارهاب . مدن بأكملها أصبحت لا تسكنها الا الاشباح ، توقف كامل للاعمال . فى الجانب اليونانى اضطرت ٥٠ الف عائلة الى ترك منازلها وأمتعتها [يقدر ثمنها بين ٥٠ الى ١٠٠ مليون استرلينى] وبناء على تقديرات المصادر القبرصية الرسمية بلغت الخسائر مئات الملايين من الجنيهات :

ـ تتحمل الجزيرة خسارة يومية تقدر بمليونى جنيه بسبب تعطل القوى العاملة .

ـ تقدر الخسائر التى لحقت بالموسم السياحى بأكثر من ١٠٠ مليون جنيه .

ـ تقدر الخسائر التى لحقت بالموسم السياحى مليون جنيه .

لقد أصبح تقسيم الجزيرة أمرا واقعا ، واذا حدث على « خط أتيلا » فان الجزء التركى وان كان يشكل حوالى ٣٥ فى المائة من اراضى الجزيرة ، الا ان به ٨٠ فى المائة من ثرواتها . وكما يقول الدكتور سارى مينيلاو مدير قسم الاحصائيات والبحوث التابع لوزارة المالية فى الحكومة القبرصية :

ـ ان كل ما سيمتلكه القبارصة اليونانيون هو العنب ! ان معنى هذا أن تركيا تجنى ثمار غزوها لقبرص . فشمال خط أتيلا هناك ١٤٤ الف يونانى و ٦٦ الف تركى وجنوبى الخط هناك ٣٧٠ الف يونانى و ٤٤ ألف تركى .

فمنذ استقلال قبرص سار نموها الاقتصادى بخطوات سريعة ، وازداد الدخل من ١٧٣٫٧ مليون جنيه قبرصى حتى أصبح ٢٤١٫٩ مليونا بين عامى ١٩٦٧ و١٩٧٢ وذلك بحساب أسعار عام ١٩٦٧ ، ومعنى هذا أنها حققت معدلا للنمو السنوى وصل

الى ٦ر٧ فى المائة كل عام . وفى نفس هذه الفترة ازداد الانتاج الداخلى بمعدل سنوى قدره ٥ر٦ فى المائة [الجنيه القبرصى أكبر من الاسترليني بـ ١٦ فى المائة قبيل الانقلاب الامريكى] وازدهر الاقتصاد القبرصى فى ثلاث اتجاهات بالترتيب هى : **الزراعة والسياحة** ثم **الصناعة** .

فى مجال **الزراعة** صدرت قبرص عام ١٩٧٢ بما قيمته ٦ر٧ مليون جنيه قبرصى من البرتقال وبما قيمته ٥ر٢ مليون جنيه من الليمون وربع هذه الكميات صدرت الى بريطانيا وحدها ! وكل مزارع الموالح شمالى خط أتيلا ويمتلكها اليونانيون ، أما الليمون فهو ينمو بدوره غرب كيرينيا . أما سهل ميسوريا الخصب فيقع غرب ميناء فاماجوستا وهو مركز انتاج الحبوب ، حيث ينمو أربعة أخماس القمح والشعير شمالى خط أتيلا . وشرقى نهاية الوادى نفسه يتركز انتاج البطاطس التى يصدر ٨٥ فى المائة منها ٨٧ فى المائة من هذه يذهب الى بريطانيا أيضا ! أما كل انتاج الجزر فى نفس المنطقة فيصدر بدوره الى بريطانيا !

أما القطاع الزراعى الوحيد الذى سيقع جنوبى خط أتيلا ويترك بذلك لليونانيين فهو العنب الذى ينتج منه النبيذ ، ويتركز فى جنوب غربى الجزيرة بين بافوس وايبوسكوبى . ويصدر بعض العنب الى بريطانيا أما الباقى فيستخدم فى الجزيرة لانتاج النبيذ والشيرى ، اللذين يصدر معظمهما الى بريطانيا .

ثم هناك الصناعة العظيمة الرائجة فى الجزيرة ، ألا وهى **السياحة** ويزداد دخلها بمعدل ٢٠ فى المائة كل عام ، وقد أكد خبراء السياحة أن هذا العام سيكون أكثر المواسم رواجا ، وأكدت هذا ، أرقام الشهور الستة الاولى من العام . ففى العام الماضى ، ذهب ٢٦٤ الف سائح الى قبرص كان دخل الجزيرة من ورائهم ٢٤ **مليونا** من الجنيهات . ويذهب ٩٠ فى المائة من السياح الى منطقتى كيرينيا وفاماجوستا اللتين ستكونان شمال خط اتيلا . ويذهب ٨٠ فى المائة من السياح الى فاماجوستا وحدها . وكانت ليماسول قد بدأت تنمو فى مجال السياحة ولكنها غير ذات أهمية حتى الان . ولهذا تتركز السياحة فى القطاع التركى .

ثم هناك **الصناعة** ، وهى المصدر الثالث لدخل الجزيرة ، وهى صناعات خفيفة تتركز فى انتاج الملابس الجاهزة والاقمشة والمعلبات والادوات المنزلية . والمركز الصناعى الرئيسى يقع فى أنحاء نيقوسيا العاصمة ، ولكن معظم المصانع دمرت أما تلك التى لم تدمر فهى تحت سيطرة القوات التركية .

وتصدر قبرص بما قيمته ٦ر٨ مليون جنيه من المعادن أساسا الاسبستوس [٦٤ر١ مليونا عام ١٩٧٢] والنحاس [٨ر٣ مليونا] والكروم [٣٥ ألفا] والحديد [٠٦ر١ مليونا] . ويقع منجم مافروفونى وهو أكبر منجم فى قبرص غربى مدينة لينكا فى القطاع التركى ، ولكن هناك بعض المناجم الاخرى جنوب خط أتيلا . ولكن **الدكتور مينيلاو** يقول أن المناجم فى قبرص تنضب وتصبح غير ذات أهمية بسبب استغلالها المكثف .

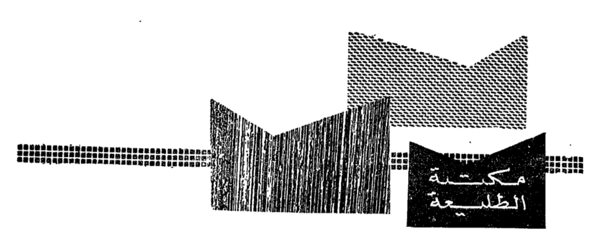
ثم هناك بعض المصانع فى القطاع اليونانى ، وأساسا مصانع الاسمنت بين ليماسول ولارينكا . ثم هناك صناعة التبغ فى كارباسيا ، وان كانت قيمة انتاجه ليست أكثر من نصف مليون من الجنيهات ، الا انه فى اقتصاد دولة صغيرة يمثل الكثير وهو أيضا فى القطاع التركى .

ويستولى الاتراك الان على الميناءين الكبيرين وهما فاماجوستا وكيرينيا اللذين تتم عن طريقهما كل عمليات الاستيراد والتصدير .

■

لقد تحقق — حتى الان — ما تريده الولايات المتحدة الامريكية من قبرص ، ولكن مازالت هناك جولات مقبلة خاصة بعد أن نجح الاتحاد السوفيتى فى أن يصبح طرفا فى الازمة القبرصية ، التى كانت فى البداية « صراعا أطلنطيا » . لكن أمام فشل إعضاء الحلف فى حل خلافاتهم ، وبعد انسحاب اليونان من الجناح العسكرى للحلف ، تقدم الاتحاد السوفييتى فى ٢٢ من أغسطس الماضى باقتراح عقد مؤتمر دولى لحل المشكلة القبرصية . وقد أيدت اليونان الاقتراح السوفييتى ورفضته تركيا ، بينما ترفض اليونان الذهاب الى جنيف وتؤيده تركيا ، وينذر دانكتاش زعيم الاقلية التركية باعلان « الجمهورية التركية » اذا رفض اليونانيين « الاتحاد الفيدرالى الجغرافى » كما يطلق عليه ، بينما يلوح جلافكوس كليديديس الرئيس القبرصى بالنيابة بحرب العصابات اذا أصر الجانب التركى على التقسيم . ومازال رجال « منظمة أيوكا » يسيطرون على الشارع فى الجانب اليونانى ويقومون بتصفية اليسار وكانت آخر محاولاتهم هى محاولة اغتيال ليساريديس .

فى وسط هذا كله يبدو حل المشكلة صعبا ، ولكن عقد « المؤتمر الدولى » هو بداية الخيط ، وان كان دون ذلك مشاكل عديدة ، وطريق طويل معقد .



تجربة اليمن الديموقراطية ١٩٥٠ – ١٩٧٢

■ تأليف :

د. أحمد عطية المصرى

■ عرض وتعليق :

د. رفعت السعيد

■ الناشر :

مطبعة المدنى – القاهرة

فى رحلة طويلة ، تبتدىء منذ أن باع أحد السلاطين فى يناير ١٨٣٨ مدينة عدن للمستعمرين الانجليز مقابل ٨٧٠٠ دولار سنويا ، وتمتد فى اسهاب ، مفيد وممتع معا ، عبر سبعمائة صفحة من القطع الكبير ، لتصل الى حصاد الثورة المسلحة ، وقيام السلطة الثورية فى دولة اليمن الديمقراطية ، بما توحيه تجربة قيام وممارسات هذه السلطة من تفرد وأصالة . عبر هذه الرحلة يقودنا د . أحمد عطية المصرى فى دراسة جادة ، كانت ضرورية لمكتبتنا .

فاليمن الديمقراطية ذات التفرد الاصيل فى تجربتها الثورية ، وفى قدرة العمل الثورى على الانطلاق فى مجابهة عوامل موضوعية للتخلف والقهر ، تكاد أن تكون عنصرا غائبا فى حصاد الكتابات والدراسات العربية .

وعدن ، تلك المدينة الباسلة التى شدت أنظار العالم بصراعها الصارم والشجاع ضد الاحتلال الانجليزى وضد السلاطين العملاء وضد المنحرفين عن مسار الثورة .. معا ودفعة واحدة .

عدن .. التى امتزجت المراحل فى ملحمتها الاسطورية ، مرحلة التحرر الوطنى بمراحل التقدم الاجتماعى ، والتى امتلكت الجرأة كى تتطلع من بين مضارب الخيام القبلية .. بعيدا .. بعيدا نحو آفاق الاشتراكية .

عدن .. هذه المدينة ، السابحة فى تيار ملىء بالتناقضات تخوض الغمار ، وحيدة ، صغيرة ، متحدية التخلف والقبلية والاقطاع والفقر وقلة الموارد والمؤامرات والدسائس ، بل ومتحدية التيار الجارف رافعة رأسها متطلعة عبر الموج الكاسح نحو الاشتراكية .

عدن .. التى كانت خلال معارك الكفاح المسلح الضارية ملء السمع والبصر فى كل مكان عربى ، نجدها ، وبعد ان انتصرت ، وبعد أن واصلت

انتصاراتها ، محققة تجربة ثورية غنية ، تقف اليوم وحيدة فى مجابهة التيار ، بل ومنسية من ذاكرة أصدقائها ، أو المفترض انهم أصدقاؤها .

.. ومن هنا تنبع أهمية الكتاب الذى بين أيدينا ، والذى برغم أن مؤلفه لا يخفى فى كل صفحة من صفحاته تعاطفه مع ثورة شعب اليمن الديمقراطية ، فانه ليس أنشودة غزل ، بل عمل علمى يكاد الجهد المضنى أن ينضح من كل سطر من سطوره ..

ولقد كان هذا الجهد ضروريا ، أدركة المؤلف منذ البداية وهو يتحدث فى المقدمة عن الكفاح المسلح « الذى تفجر من جبال ردفان فى عام ١٩٦٣ ، وقد استطاعت القيادة السياسية ان تقود هذا الكفاح من خلال واقع اتسم بالتجزئة والتمزق والتخلف الاقتصادى والاجتماعى ، وبالنعرات القبلية والدينية ، وسيطرة كاملة من الاستعمار البريطانى المتشبث بمواقعه وقاعدته العسكرية والبحرية .. وان نجاح الثورة فى قيام الكفاح المسلح فى اطار الظروف القاسية المشار اليها ، يثير الكثير من التساؤلات التى لا تحسمها الا دراسة علمية تتبع جذور الحركة الوطنية ، وتشرح أبعاد التجربة ، وتصل بنا الى صور حقيقية »[ص ١] .

كذلك فان التجربة قد اختارت « طريق الاشتراكية خلال سنوات الكفاح المسلح ، وهو اختيار تم عبر عملية جدل طويلة ، بالاضافة الى أن القيادة السياسية بعد الاستقلال ، لم تسقط هذا الاختيار ، بسبب وجود تيار نام داخل هذه القيادة ، يعمق باستمرار هذا الاختيار . ولذلك فان تتبع مسيرة هذا الاختيار واسلوب التطبيق نحو الاشتراكية فى ظل أوضاع اقتصادية واجتماعية متأخرة ، يعد من الاهمية بمكان للتجربة العربية كلها .. لذلك تصبح الدراسة العلمية بمثابة اسهام ولو بالنذر اليسير لانارة الطريق أمام التجربة النامية التى شقت طريقها بالحاج واصرار بحثا عن مسار محدد فى اطار ظروف داخلية وخارجية معاكسة ، وفى اطار روح العصر وحركة التحرر العربى .. » [ص ٣]

هكذا يلزم المؤلف نفسه بالطريق الصعب ، طريق البحث العلمى الجاد ، ومن خلاله ، ومن خلال « المعايشة » ـ وقد كانت لازمة وضرورية ـ استطاع ان يقدم للمكتبة العربية هذه الدراسة الجادة .

ويمكن القول ان هذه الدراسة التى تتكون من قسمين كبيرين وخاتمة تدور فى الاساس حول محور واحد هو تجربة الكفاح المسلح ـ خلفياتها ـ منطلقاتها ـ أساليبها ـ آثارها ـ . والقسم الاول عن جذور الكفاح المسلح ، ويتضمن تعريفا مفصلا بالتركيب الاقتصادى والاجتماعى لليمن الجنوبى بهدف التعرف على القاعدة المادية فى المجتمع وتاثيراتها وخاصة على شكل وتطور القوى الاجتماعية ، والتعرف أيضا على المصالح البريطانية والغربية والتى كانت تشكل قيدا رئيسيا على حركة القوى الاجتماعية والسياسية ، كذلك يتعرف القارىء على الحركة الوطنية وقيادة حزب الرابطة من أجل التعرف على البداية الحقيقية للاسلوب التقليدى فى الحركة الوطنية ، وكذا دور الحركة العمالية والتنظيمات السرية ، سعيا وراء التعرف على جذور التنظيمات التى قامت قبل وابان الكفاح المسلح وما أصابها من صراعات جانبية انهكت الكثير من قواها وهددت مصير الثورة ذاته فى بعض الاحيان .

اما القسم الثانى : فهو عن الكفاح المسلح ذاته . ويرى المؤلف ان الكفاح المسلح ليس فقط جوهر حركة التحرير الوطنى الديمقراطى فى الجنوب ، وانما هو بدايتها الحقيقية والفاعلة . ولكنه لا يدرس الكفاح المسلح بشكل مجرد وكتحرك عسكرى ثورى فى مواجهة بطش عسكرى استعمارى ، وانما ينظر دوما فى العمق السياسى والاجتماعى لهذا الكفاح . ومن ثم فانه يركز الكثير من جهده لدراسة اقامة الجبهة القومية ومسيرتها وتقييم حركتها والصراعات التى قامت بداخلها ، ثم هو يدرس الرافد الاخر جبهة التحرير ، والصراعات الدامية التى قامت بين التجمعين ، ويركز الضوء ايضا على التجمعات الاخرى وغيرها ، ويبذل جهدا ممتازا فى تقصى هذه التجمعات وبرامجها وأهدافها وأساليبها فى العمل . ثم يواكب الاحداث التى تلاطمت سريعا ، والتى انتهت باستيلاء الجبهة القومية على السلطة ، ويتابع بعد ذلك مسارها فى اطار السلطة .

وفى دراسته للسمات العامة للتركيب الاقتصادى فى اليمن الديموقراطى يلاحظ المؤلف أن تركيب الدخل القومى [٧٤ مليون جنيه استرلينى فى عام ١٩٦٥] تركيب غير صحى وغير متوازن ، ويتكون اساسا من الخدمات بأنواعها المختلفة . اما الزراعة والصناعة معا فانهما يشكلان فقط ٢٧ فى المائة من اجمالى الدخل القومى منها ١٠,٨ فى المائة للزراعة فى حين ان أكثر من ثلثى السكان يعتمدون فى حياتهم عليها [ص ٢٩] .

ولقد هيأ المستعمرون عدن كى تكون محطة لخدمة الملاحة ، الامر الذى أدى للتركيز على الخدمات .. والتركيز على انماء عدن واهمال الداخل ، كذلك فان هذا النمو قد اتخذ طابعا يجعل من عدن ميناء حرا مرتبطا بالسوق الرأسمالى الامر الذى يخلق تنافرا بين ذاتية هذا التركيب وبين طبيعة التوجه الاشتراكى للبلاد [ص ٢٨] .

.. وهكذا ينسحب الاستعمار تاركا وراءه ميراثا مثقلا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

ثم يركز المؤلف ، بعد ذلك ، حزمة مكثفة من الضوء على الظروف الموضوعية والذاتية لقيام

الثورة ، متناولا أزمة الحكم فى الجنوب قبيل الثورة ، وازدياد حرمان وبؤس الجماهير . وفشل الاسلوب السياسى ، ونجاح الثورة فى اليمن الشمالى ، والدور الذى لعبته القوات المصرية فى الشمال .. وما عناه كل ذلك من دعم مادى وسياسى وعسكرى للثورة فى الجنوب ومن دعم للتوجه التقدمى للحركة منذ بداياتها الاولى .. ومن التحليل العام تمضى صفحات الكتاب الى تحليل مكثف للمنظمات العشر التى تجمعت متحدة فى وعاء الجبهة القومية .

ثم يخصص المؤلف بعد ذلك فصلا كاملا لدراسة البناء التنظيمى والفكرى للجبهة القومية ولاسلوب عمل الجبهة والصراعات الداخلية التى دارت فيها . لكن الكاتب يحذرنا بأنه يتعين علينا « عندما نحاول الوصول الى تقييم عام للبناء الفكرى للجبهة القومية الا نفعل ذلك من خلال دراسة جامدة للنصوص الواردة فى ميثاق الجبهة القومية ، ولا يجب ان نهمل مجمل الظروف والاوضاع المؤثرة فى مسيرة الثورة والفاعلة بها ، وفى تقديرى فان الوصول الى تقييم عام للبناء الفكرى للجبهة القومية يمر عبر فهم كامل لطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى لليمن الجنوبى ، وخاصة طبيعة القوى المكونة لتحالف قوى الشعب العاملة ، والقوى القائدة منها ، وذلك أولا ـ وثانيا يجب أن يمر التقييم عبر فهم كامل للظروف العربية المحيطة » [ص ٢٧٧] ويلاحظ المؤلف ايضا انه « نظرا لان البورجوازية الصغيرة كانت القوى القائدة للتحالف داخل الجبهة القومية ، وكان تأثيرها التنظيمى والايديولوجى واضحا ومبكرا ، فان الميثاق جاء تعبيرا عن تصورات هذه الطبقة مع جذب واضح وملموس فى اتجاه القوى الاكثر كدحا داخل الجبهة » [ص ٢٧٩] ومع ذلك فهو يؤكد ان الميثاق وبرغم ما شابه من نواقص كان نقلة فكرية كاملة باتجاه التقدم .

ويشير المؤلف الى أنه « رغم نجاح الجبهة القومية فى تاكيد طريق الكفاح المسلح واعلان تفجير الثورة المسلحة من ردفان عام ١٩٦٣ ، وتحركها الفعال على الصعيدين العسكرى والسياسى ، وانفرادها بالعمل المسلح طوال الفترة من ١٩٦٣ الى اواخر ١٩٦٥ فقد تعرضت الجبهة لصراعات حولها ، سواء داخل الجبهة او من جانب القوى الموجودة خارجها . ومع رصده لهذه الصراعات فانه يحاول أيضا أن يرصد العوامل التى فجرتها ، ثم القضايا التى تفجر حولها الصراع وهى :

التصورات الايديولوجية للجبهة القومية والتى جرت فى مناخ استطاعت فيه القوى الاكثر تقدما ان تلعب دورا مؤثرا باتجاه تطوير البناء الفكرى للجبهة على أسس أكثر تقدمية واكثر ثورية ، وكذلك قضية تطوير الاوضاع التنظيمية بما يتلاءم ونمو الجبهة القومية وطبيعة الاوضاع الاجتماعية السائدة فى المنطقة ويتصل هذا التطوير بالقيادة واختيارها ، وايجاد علاقة واضحة بين الاعضاء وتاكيد مبدأ محاسبة الاعضاء والقيادات .

ثم يفرد المؤلف فصلا خاصا ايضا لمنظمة تحرير الجنوب المحتل والوحدة التى تمت مع الجبهة القومية .. واطار هذه الوحدة واسبابها ، ثم ما تلا الوحدة من خلافات . وهو ينتقل بعد ذلك الى تفاصيل الحمة المتلاحقة الاحداث التى بدأت بانتفاضة ٢٠ يونيو ١٩٦٧ التى اشعلتها الجبهة القومية بدعم من جيبها التنظيمى فى القوات المسلحة . ويقدم دراسة تفصيلية لنتائجها وابعادها .

واخيرا .. يصل المؤلف الى الخاتمة وهى وحدها مائة صفحة ليتحدث فيها عن عوامل انتصار الثورة بقيادة الجبهة القومية ، وعن الايجابى والسلبى فى التجربة ، وعن مصير التجربة فى اليمن الديمقراطية . وفى الحديث عن الايجابيات يركز المؤلف على دور اللجان الشعبية والجماهير الكادحة المنظمة تحت قيادة واعية ، واشتراكها المباشر فى هدم قواعد وأجهزة النظام القديم كخطوة اساسية وضرورية للبدء فى بناء نظام جديد يستهدف الحفاظ على الثورة ، وتطوير منجزاتها [ص ٥٩٥]

ويمضى المؤلف قائلا « وقد تبنت الثورة فى اطار هدفها لاسقاط النظام الاستعمارى السلاطينى ان الحرب ضد الاستعمار هى فى نفس الوقت حرب ضد الامبريالية وضد الاسلوب الراسمالى فى التنمية . ولذا وجدت الثورة من الضرورى بعد تسلم السلطة وتحقيق الاستقلال السياسى ان تستكمل التحرر بالقضاء على أسباب التخلف والتبعية ، حتى لا تقع فريسة للاستعمار الجديد وتتمكن من القضاء على عوامل الاستغلال فى المجتمع ، وان يكون للشعب دور فى ادارة انتاجه لمصلحته .

وهذا التصور لشكل المجتمع الجديد ولصالح الطبقات الاكثر كدحا ، ادى ـ بالضرورة ـ الى قيام التنظيم السياسى القائد بتحديد كنه القوى المنتجة صاحبة المصلحة الحقيقية فى التغيير . الامر الذى اعطى للثورة سمة جديدة بجانب انها ثورة مسلحة نجد أنها ثورة ديمقراطية شعبية [ص ٥٩٧] .

ومن الحديث عن مصير التجربة يتحدث المؤلف عن الحاجة الملحة الى ضرورة مساندة كل القوى التقدمية العربية وكل القوى الثورية فى العالم لهذه التجربة .. ومساعدتها على الصمود والنجاح .. »

ومهما استطال العرض فاننا لن نستطيع ان نوفى الكتاب حقه ، فما أصعب ان يعرض الانسان كتابا جيدا من سبعمائة صفحة .. كل فصل فيه يمثل جهدا ، ويعنى شيئا ..



الحزب

في القرن الثامن عشر ، عرف ادموند بيرك ، وهو مفكر سياسي انجليزي ، الحزب بقوله :

« الحزب ، مجموعة من اناس متحدين ، ليدعموا المصلحة الوطنية ، من خلال مساعيهم المشتركة ، وذلك على أساس مبدأ معين يتفقون جميعا بشأنه » .

وهذا التعريف ، وإن كان فيه قدرا من الصواب ، الا انه يظل شكليا . فقد وضعه بيرك ليدافع عن حزبه « الهويج » حزب النبلاء كبار ملاك الارض في مواجهة استئثار الملك بشكل السلطة . وقد صاغ بيرك هذا التعريف ، في زمن ، لم يكن فيه ، في انجلترا ، غير حزبين للطبقات المالكة هما : التوريز [المحافظون] والهويج [الاحرار . وكان من رأى بيرك أن مصالح « الامة » و « الوطن » تتطابق تماما مع مصالح طبقتي النبلاء والبورجوازيين .

ويظهر قصور التعريف السابق من واقع أن المجتمعات الاوروبيةالتي تشكلتبعد نجاحالثورات البورجوازيه فياوروبا، كانت تضم الى جانب البورجوازيه الكبيرة ، الطبقة العاملة والفلاحين والمراتب المتوسطة من سكان المدن والبورجوازية الصغيرة . وهي الطبقات والشرائح التي سعت الى تكوين « تنظيماتها » السياسية الخاصة بها ، أو الى الانضمام الى تنظيمات قائمة رأت انها تمثل مصالحها .

وعلى أساس هذا الواقع الاجتماعي يمكن أن يكون للحزب تعريف اكثر دقة وهو :

ان الحزب هو « أركان حرب » طبقة اجتماعية معينة تملك او لا تملك وسائل الانتاج . اي انه يمثل القسم الفعال والنشط من هذه الطبقة ، وهو طليعتها المعبرة عن مصالحها الاساسية ، والقائد لمعاركها السياسية والاجتماعية .

وقد يحدث أن يضم حزب ما في صفوفه شرائح وقوى من طبقات اجتماعية مختلفة . وعلى سبيل المثال ، فان حزب العمال البريطاني يضم المراتب الوسطى من البورجوازية ، كما يضم ايضا اقساما من الطبقة العاملة الانجليزية .

غير ان تمثيل اكثر من طبقة ومن شريحة اجتماعية داخل حزب ما ، لا ينفي جوهره الطبقي المحدد . فحزب المحافظين في انجلترا ، هو حزب البورجوازية الكبيرة ، أولا واخيرا ، رغم انه قد يضم عددا من العمال . وحزب العمال البريطاني ، يظل حزب الشرائح الوسطى بفلسفتها ومصالحها رغم انه يسمى باسم « حزب العمال » ، وحزب الوفد ظل باستمرار حزب البورجوازية ، بمناهجها وفكريتها وأهدافها الاجتماعية والاقتصادية ، على الرغم من انه كان يضم ويقود في وقت من الاوقات الاقسام الكبرى من البورجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين . ومن هنا تتحدد طبيعة حزب ما ، بتحليل الاصول الاجتماعية بقيادته الفعلية ، وشعارات هذه القيادة ، والكيفية التي تطبق بها الشعارات ، وقبل كل شيء بتحليل المصالح الاساسية والنهائية التي يدافع عنها الحزب .

اما كيف نفسر بأن مجموعة من الطبقات الشعبية تسير وراء حزب للاقطاع ، أو البورجوازية الكبيرة او المتوسطة ، فهذا راجع الى الظروف التاريخية والاجتماعية التي نشأ فيها هذا الحزب ، والى مستوى الوعي السياسي في صفوف الطبقات الشعبية . ففي البلدان التابعة والمستعمرة اكتسبت احزاب البورجوازية الوطنية نفوذها الشعبي من واقع انها كانت تقود النضال المعادي للامبريالية والاقطاع ، الامر الذي خلق أرضية مشتركة بين اهدافها المرحلية وبين أهداف وتطلعات الطبقات الشعبية التي كانت لها — هي ايضا — مصالح محققة في النضال الوطني المعادي للإمبريالية والاستعمار والحكم الاقطاعي وشبه الاقطاعي .

وقد طرأت على تركيب احزاب البورجوازية في بلدان الغرب الرأسمالية في البلدان التي كانت — فيما مضى — واقعة تحت التبعية الاستعمارية ، تطورات كثيرة ، ساعدت على تحديد وتوضيح قسماتها الطبقية والاجتماعية . وقد تمت هذه التطورات — بشكل خاص — في بلدان غرب أوروبا تحت تأثير تحول الراسمالية الى امبريالية ثم دخول الامبريالية أزمتها العامة . وفي البلدان التي كانت — فيما قبل — تابعة ومستعمرة تحددت القسمات الطبقية للاحزاب البورجوازية تحت تأثير المساومات بين البورجوازية وبين الاستعمار ، أو — احيانا تحت تأثير الخوف من الحركات الشعبية الثورية ، وخاصة الحركة الاشتراكية .

وفيما يتعلق بمجموعة البلدان الرأسمالية المتطورة في أوروبا وامريكا ، الاولى ، حدث استقطاب اجتماعي حاد ادى الى نشأة الاحزاب العمالية والشيوعية ، كأحزاب للطبقة العاملة بفلسفة متميزة واستراتيجية وتاكتيك محددين . وطرحت شعار السلطة للطبقة العاملة من خلال جبهة مع الطبقات الكادحة الاخرى . وكان فلاديمير لينين هو الذي صاغ ، بشكل حاسم ، نظرية ، ومبادىء تنظيم ، حزب الطبقة العاملة .

وبالنسبة للمجموعة الثانية من البلدان التي كانت تابعة ومستعمرة . فقد شهدت الاحزاب البورجوازية التي تصدت لقيادة الحركة الوطنية استقطابات في داخلها : على يمينها وعلى يسارها . فنشأت أحزاب أخرى تمثل أجنحة محددة والبورجوازية الصغيرة بجناحيها المحافظ والثوري . ولكن ،
والبورجوازية الصغيرة بجناحيها المحافظ والثوري . ولكن ،
بسبب عجز البورجوازية الوطنية عن قيادة الكفاح الوطني لاستخلاص السيادة القومية ، كاملة وبسبب ضعف وتشتت الحركات والتنظيمات السياسية المعبرة عن مصالح العمال والفلاحين والحرفيين والمثقفين الثوريين ، فقد ظهرت في عدد من البلدان الاسيوية والافريقية وفي أمريكا اللاتينية — في مجرى النضال المعادي للامبريالية والاقطاع عدد من التنظيمات التي اطلق عليها اسم « التنظيمات الديموقراطية الثورية » . وهذه التنظيمات كانت تمثل بشكل عام الاتحادات السياسية الجماهيرية التي تضم قطاعات متنوعة ومتمايزة المصالح من السكان : ابتداء من العمال والفلاحين وانتهاء بممثلي الجناح التقدمي من البورجوازية الوطنية . وتحت هذه التنظيمات يندرج « الاتحاد الاشتراكي العربي » في مصر ، وحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ، و « جبهة التحرر الوطني » بالجزائر ، والحزب الديمقراطي الغيني في غينيا ، وحزب العمل الكونغولي في جمهورية الكونغو الشعبية ، والاتحاد الافريقي الوطني بتنجانيقا في تنزانيا .

وترجع الصعوبات التي تلاقيها الان بعض هذه التنظيمات الى عوامل كثيرة داخلية وخارجية منها : محاولات البورجوازية الوطنية الاستئثار بالسلطة دون الطبقات الاخرى ، ومحاولة تغليب مصالحها الضيقة على مصالح مجموع الطبقات والشرائح الاخرى . كما ان قوى الاستعمار والاستعمار الجديد تعمل على جذب البورجوازية الى خط التنمية الرأسمالية ، بعيدا عن خط التنمية المستقلة والاشتراكية .



التضخم
INFLATION

اصطلاح اقتصادى ظهر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ثم انتشر استخدامه فى القرن العشرين ، ويعنى ارتفاع الاسعار الناتج عن زيادة كمية النقد المتداول بالنسبة الى كمية السلع والخدمات المتاحة للاستهلاك . اذ ينتج عن زيادة كمية النقود المتاحة للانفاق ارتفاع القدرة الشرائية ، فاذا ما حدث ذلك دون زيادة كمية السلع والخدمات المتاحة للاستهلاك بالنسبة نفسها ارتفعت أسعار السلع والخدمات نتيجة لزيادة الطلب على الكميات المعروضة منها . وتحدث هذه الزيادة فى كمية النقد المتداول عادة حينما تلجأ الدولة الى اصدار نقد جديد فى محاولة لتغطية عجز فى الميزانية ناتج عن زيادة مصروفاتها عن ايراداتها المحدودة . وينشأ التضخم عادة فى الفترات التى تضطر فيها الدولة الى زيادة انفاقها فى نفس الوقت الذى لا تسمح فيه مصادر ايراداتها بتغطية هذه الزيادة فى النفقات كفترات الحروب أو التسابق على التسلح أو الازمات الاقتصادية .

ويعتبر التضخم ظاهرة اقتصادية رأسمالية بمعنى أنها خاصة بالاقتصاديات الرأسمالية كنتاج طبيعى للقوانين الاقتصادية التى تحكم حركة هذه الاقتصاديات . ولقد لوحظ ظهور التضخم فى بلاد رأسمالية متفرقة فى فترات متفاوتة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى، الا أنه تحول بعد ذلك الى ظاهرة اقتصادية عامة ومنتظمة الحدوث فى الاقتصاديات الرأسمالية وما أزمة النقد الحالية سوى احدى مظاهرها المباشرة . أما فى الاقتصاديات الاشتراكية فلا يمكن أن يظهر التضخم ، وذلك لسبب علمى أساسى يكمن فى طبيعة بنية هذه الاقتصاديات ، والقوانين التى تحكم حركتها ، فسيطرة الدولة على عمليتى الانتاج والتوزيع نتيجة للملكية العامة لوسائل الانتاج يتيح لها السيطرة على العنصرين صانعى حلقة التضخم وهما الاجور والاسعار ، وهما يتحركان دائما فى الاقتصاد الاشتراكى بشكل متوازن ومتناسب ومخطط ، وبالتالى يستحيل أن يحدث السباق التضخمى بينهما .

وينتج التضخم تأثيرات سيئة على هيكل الاقتصاد القومى للبلاد التى تعانى منه يتمثل أولها فى الفروق الضخمة فى دخول الفروع الاقتصادية المختلفة مما يدفع الى النمو غير المتوازن لهذه الفروع . ويخلق التضخم جوا مثاليا للمضاربة على السلع بكل ما يترتب عليها من مضار اقتصادية ، ويفتح الباب على مصراعيه لنزوح رأس المال من عملية الانتاج [وهى العملية الاقتصادية الاساسية] الى عملية التبادل [وهى العملية الاقتصادية الثانوية بالمقارنة بالانتاج] نظرا للارباح الطائلة غير العادية التى تحققها المضاربة . وتتفاقم حدة التضخم حينما يدخل الاقتصاد القومى فى حلقته المفرغة حينما تبدأ الضغوط لرفع الاجور لمواجهة الزيادة فى الاسعار وتدفع الزيادة فى الاجور ـ باعتبارها زيادة فى كمية النقد المتداول أو فى القدرة الشرائية غير مصحوبة بزيادة فى السلع والخدمات المنتجة ـ الى ارتفاع الاسعار من جديد وهكذا يدخل الاقتصاد القومى فى دوامة التضخم بلا نهاية كذلك يؤدى التضخم الى ارتباك العلاقات الائتمانية بشكل يساعد على زيادة حدة التضخم اذ أن جموح الاسعار للارتفاع يؤدى الى انخفاض قيمة النقد ، مما يحفز أصحاب الودائع لدى المصارف الى سحبها ، واستخدامها فى شراء السلع خوفا من تدهور قيمتها ، وهذا الاندفاع نحو شراء السلع يدفع بدوره الاسعار الى الارتفاع .

ولا يقتصر تأثير التضخم على اخلال التوازن بين دخول الفروع الاقتصادية ، بل يمتد تأثيره الى اخلال التوازن بين دخول الطبقات المختلفة التى يتكون منها الهيكل الاجتماعى الرأسمالى . ويقع عبء التضخم الاساسى على عاتق الطبقات الكادحة محدودى الدخل الذين لا يمكن أن تتواءم الزيادة الطارئة على دخولهم المحدودة ـ بفرض حدوث الزيادة ـ مع الارتفاع الضخم والمستمر فى أسعار السلع والخدمات مما يعنى انخفاض دخلهم الحقيقى ، وتدهور قدرتهم الشرائية وبالتالى مستوى معشيتهم . أما البرجوازية الكبيرة فتعتبر أكثر الطبقات استفادة من التضخم خصوصا منها ما يتمتع بمراكز اقتصادية احتكارية مما يتيح لها حرية كبيرة فى رفع الاسعار بمعدلات عالية ، وتحقيق أرباح بمعدلات غير عادية . كذلك تستطيع اذا ما تفاقم التضخم فى الدولة أن تلجأ الى تسويق منتجاتها فى السوق العالمى ، وأن تتجنب تدهور قيمة العملة عن طريق تحويل جزء كبير من أموالها الى أوراق مالية وعملات أجنبية أو حتى الى ذهب ، وهى كلها أساليب يصعب على طبقة غير البرجوازية الكبيرة أن تستخدمها . أما أصحاب المشروعات الصغيرة والمتوسطة فغالبا ما يواجهون موقفا صعبا فى فترات التضخم نظرا لضعف رؤوس أموالهم مما يضطر معه الكثيرون منهم الى التوقف عن الانتاج ، وهنا تتاح للبرجوازية الكبيرة فرصة ذهبية لابتلاع هذه المشروعات وشرائها باثمان منخفضة مما يؤدى الى زيادة سيطرة المشروعات الكبيرة وتركز رأس المال فى الدولة .

لعل من المهم أن نذكر أن هناك عدة تدابير اقتصادية يمكن اتخاذها للحد من التضخم ، ومحاولة منع تطوره الى أبعاد خطيرة ، من أهم هذه التدابير :

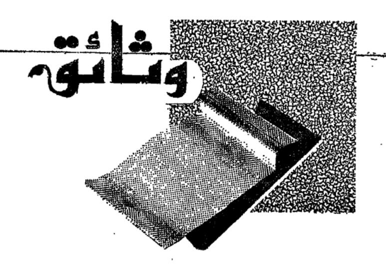
١ ـ وقف أو تقليل المشروعات العامة التى تقوم بتنفيذها الحكومة مما يخفض حجم الانفاق العام وبالتالى حجم النقد المتداول .

٢ ـ رفع الانتاجية باستخدام كافة الوسائل المتاحة حتى يمكن زيادة كمية السلع والخدمات المتاحة للاستهلاك لمواجهة الزيادة فى النقد المتداول .

٣ ـ امتصاص كمية النقد الزائدة عن طريق تقليل الاستهلاك وزيادة الادخار ، ويمكن أن يتم ذلك بوسائل حفز وترغيب مثل رفع سعر الفائدة أو اعفاء فوائد الاستثمارات من الضرائب أو الغاء التسهيلات الائتمانية لتملك السلع أو وسائل اجبار مثل تقييد الاستهلاك بحصص معينة أو رفع أسعار الضرائب أو الاكتتاب الاجبارى فى سندات تصدرها الدولة .

الا أن التجربة قد أثبتت أن كل هذه التدابير نجحت فقط فى تسكين بعض آثار التضخم لبعض الوقت . ولم تعالج ظاهرة التضخم . اذا ما رجعنا على سبيل المثال الى ارقام الناتج القومى والنقد المتداول عن الفترة من ١٩٦١ حتى ١٩٧٠ لوجدنا أنه بينما تضاعف الناتج القومى فى اليابان ٣ر٨ مرة [على أساس أسعار ثابتة] تضاعفت كمية النقد المتداول فى نفس الفترة ٥ر٥ مرة ، وفى ايطاليا تضاعف الناتج ٢ر٨ مرة والنقد ٣ر٨ مرة ، وفى الولايات المتحدة تضاعف الناتج ٢ر٥ مرة مقابل مضاعفة النقد المتداول ٢ر٧ مرة .

د. حلمى سلام



الحق فى العودة الى الوطن

بفضل نضال شعب فلسطين البطولى ، وبفضل نشاط منظمة التحرير الفلسطينية ، ونضالها على الجبهات العسكرية والسياسية والدبلوماسية ، يتزايد وعى الرأى العام العالمى بحق شعب فلسطين العربى فى تقرير مصيره على أرضه وبحقه فى العودة الى وطنه ٠

والوثائق التى ننشرها فى هذا العدد هى :

١ ـ رسالة رئيس « لجنة فلسطين الامريكية » ٠ الى هـ ٠ كيسنجر وزيرخارجية الولايات المتحدة

٢ ـ مقال نشرته صحيفة بورجو نيوز هيرالد يوضح موقف « لجنة فلسطين الامريكية » ٠



نص الرسالة التي بعث بها نورمان ف. داسي

رئيس اللجنة الأمريكية لشئون فلسطين الى

الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية

عزيزي السيد وزير الخارجية

صدر عدد ١٦ يوليو من صحيفة جيرو سالم بوست الاسبوعية تتصدره عنوان كبير لبرقية من مراسل الصحيفة في واشنطن يقول : « الولايات المتحدة ضد انشاء دولة فلسطينية جديدة » . ويؤكد المقال : ان « الولايات المتحدة قد ابلغت اسرائيل انه ليست لها مصلحة في ان تشهد قيام دولة فلسطينية مستقلة في الجليل والسامرية اذ انها ستصبح دون شك قاعدة يوجهها السوفييت في منطقة تود واشنطن ان تظل موالية للغرب .... وترى واشنطن ان « المشكلة الفلسطينية » ينبغي ان تحل في اطار تسوية بين اسرائيل والاردن ».

وقد وردت هذه التصريحات في سياق وصف مطول لاجتماع قيل انه قد تم في ١٢ يوليو بينكم وبين السفير الاسرائيلي سيمحا دينيتز ، وترك للقارىء ان يخرج بانطباع ان موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالدولة الفلسطينية كما ورد بعاليه قد ورد في تصريح من السفير ديفيز لمراسل جيروساليم بوست في اعقاب اجتماعه بكم .

ان لجنتنا تهتم اهتماما عميقا بعودة الشعب الفلسطيني الى وطنه . ولما كانت القصة سالفة الذكر لم تؤكدها الصحافة الامريكية ، فاننا بكل احترام نطلب اليكم ان تبينوا لنا مدى صحتها . وينبغي ان نضيف اننا كامريكيين نشعر بغير قليل من الخزي اذ نضطر الى البحث في الصحف الاسرائيلية عن مؤشرات الى سياسة بلادنا الخارجية .

ولقد أوصى قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بقيام دولة عربية مستقلة في جزء من فلسطين — اى قيام دولة فلسطينية مستقلة . وفي نهاية الحرب العالمية الاولى درست عصبة الامم مطالب الشعب الفلسطيني بالاستقلال واقرت بشرعيتها . ونصت المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم على ان الفلسطينيين شعب حر ، واعترفت بحقه في الاستقلال والحكم الذاتي . ولم يكن هناك في قرار ١٩٤٧ ما يشير الى نية الهيئة الدولية الى جعل الشعب الفلسطيني يفقد هويته ويصبح رعايا للمملكة الاردنية القائمة .

وانت يا سيادة الوزير — كمؤرخ لست بحاجة الى من يذكرك بالمناورات السياسية التي ادت الى تجريد الشعب الفلسطيني من حقوقه . ان سلطة الانتداب التي عهدت اليها العصبة بمهمة « الوصاية » على تدريبه على الحكم الذاتي ، خانت دون ما خجل ما خولته من ثقة ، فانتقصت من عدد المدارس ، واهملت شئون الصحة العامة ، ورفضت بعناد السماح بتطوير مؤسسات الحكم الذاتي . وسمحت — بدلا من ذلك — لنصف مليون من الغرباء بدخول البلاد وبأن يصبحوا من القوة في عام ١٩٤٧ بحيث استطاعوا ارهاب سلطة الانتداب ذاتها ، ودفعها الى التخلي عن انتدابها ، والى ان تطلب الى الامم المتحدة ان تقوم باخراجها من المأزق الذي وجدت فيه مهمتها المكلفة بها في اعداد الفلسطينيين لولاية الدولة .

وانت — كمؤرخ ايضا — تعرف بأي اجبار منعدم الضمير ، فرضت حكومة الولايات المتحدة على الاعضاء الاخرين في المجتمع الدولي التصويت لصالح تقسيم فلسطين في تجاهل كامل لميثاق الامم المتحدة وما يقدمه من ضمانات بأن يكون لكل الشعوب — بما في ذلك عرب فلسطين الذين كانوا يشكلون ٧٠٪ من سكان تلك البلاد — الحق في تقرير مصيرهم . وخص الصهيونيين الذين لم يكونوا يمثلون سوى ٣٠٪ من السكان ، ولا يملكون سوى ٥٫٦٧ ٪ من الاراضي ٥٫٦٧ ٪ من الارض الفلسطينية .. ولكي يلحق الصهيونيون المزيد من الاضرار بالعرب ، فقد سيطروا على ٧٧٪ من فلسطين ، نتيجة للعمليات العسكرية للقوات الصهيونية ، في الفترة بين اتخاذ قرار الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وبين التاريخ المحدد لقيام الدولتين اليهودية والعربية المستقلتين في ١٥ مايو ١٩٤٨ . واستولوا على بقية الاراضي الفلسطينية في حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ .

في ضوء هذا السجل من المظالم المستمرة للفلسطينيين ، كيف يمكن لحكومة الولايات المتحدة ، ياسيادة وزير الخارجية ، أن تعلن — الان — انها تؤيد المحاولات التي تنكر على الشعب الفلسطيني مجرد هذا الجزء الضئيل من ارضه الذي استحقه بمقتضى قرار التقسيم ؟ لقد صوتت الولايات المتحدة لصالح التقسيم ، ولصالح قيام دولتين مستقلتين . فهل تقترحون الان أن نتخلص من ذلك الجزء من القرار الذي صوتنا لصالحه ، والذي اعطى الفلسطينيين جزءا من حقوقهم التي يقول ميثاق الامم المتحدة بحقهم فيها ، بينما تؤيدون بحماس ذلك الجزء من القرار الذي منح جزءا كبيرا من ارث الفلسطينيين الذي يبلغ عمره ثلاثة آلاف عام الى قوم غرباء ٨٠ ٪ منهم ممن يقل اجل انتمائهم الى ذلك البلد عن ١٥ عاما ؟ وهل تقررون الان — من جانب واحد — بعد أن صوتم على قرار الامم المتحدة ، اى اجزاء هذا القرار تحترمونها وايها تنقضونها ؟ وهل تعتقدون ان هذا الموقف يمثل روح ميثاق الامم المتحدة ؟

ان « المشكلة الفلسطينية » هي ببساطة ، مسألة حق شعب في الحرية والاستقلال ، واعلان حكومتنا ان حلها « يكمن في نطاق تسوية اسرائيلية — اردنية» هو اهانة ليس للشعب الفلسطيني وحده — الذي هو غير أردني ولا يريد ان يكون اردنيا — بل لميثاق الامم المتحدة نفسه . انكم بذلك تدعون الى سياسة قوامها عدم الالتزام بالميثاق .

وقد رفضت عديد من الامم الاعتراف بدولة اسرائيل التي ظهرت الى الوجود نتيجة لقرار التقسيم . وسحبت ٤١ دولة من الدول التي اعترفت بها اعترافها ، مدفوعة الى ذلك بسلوك دولة اسرائيل . واتهم هذا البلد من جانب مجلس الامن

التابع للامم المتحدة وهيئة مراقبة الهدنة بأكثر من ٣٠٠ انتهاك لاتفاقيات جنيف ، وميثاق الامم المتحدة ، وقرارات الجمعية العامة ومجلس الامن . واتهمت لجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة اسرائيل رسميا بارتكاب « جرائم حرب » . وادانت « منظمة العفو الدولية » اسرائيل بالقيام — في معاملتها الفلسطينيين — باعمال يشمئز منها ضمير البشرية » . واتهمتها منظمة اليونسكو بتدنيس آثار القدس . واتهم الصليب الاحمر الدولي اسرائيل بعدم اتاحتها لممثليه فرصة الاتصال بالمعتقلين المدنيين ورفضها السماح لوكالة الغوث بنقل الادوية اللازمة لتوزيعها على سكان المناطق المحتلة . وهددت منظمة الصحة العالمية بايقاف حق اسرائيل في التصويت لتجاهلها للشئون الصحية لسكان المناطق المحتلة . وانهمت الرابطة الاسرائيلية للحقوق المدنية وحقوق الانسان الحكومة الاسرائيلية بالانتهاكات المستمرة الواسعة النطاق لحقوق الانسان فيما يتعلق بسكان هذه المناطق .

فلماذا ، يا سيادة وزير الخارجية ، نؤيد الدولة الصهيونية في ظل هذه الظروف ؟ إننا واسرائيل نقف الان بالفعل في الامم المتحدة ، وخارجها ، معزولين عن بقية العالم — وتشهد بذلك المضاعفات المؤسفة ، عندما طالبتم حلفاءنا في اكتوبر الماضي — في حلف شمال الاطلنطي بالانضمام الينا في تأييدنا لاسرائيل . اما الانذار النووي الذي اعلنه الرئيس على نحو غير مسئول بعد يومين من وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط ، فقد وضع امتنا على حافة معركة كبرى فاصلة . فاى تبرير يمكن أن يكون هناك للمقامرة بوجود أمتنا ؟ كله ببساطة لمجرد مساعدة دولة متمردة ادانها المجتمع الدولي للامم اكثر مما ادان اية دولة اخرى في التاريخ — دون استثناء حتى المانيا النازية .

***

ولقد اعلنت الجمعية العامة للامم المتحدة في قرارها رقم ٢٥٣٥ ب في ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ انها :

اعترافا منها بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب قد نشأت عن انكار حقوقهم غير القابلة للتحويل التي يقضي بها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان فانها [اى الجمعية العامة للامم المتحدة] يساورها قلق بالغ من ان انكار حقوقهم قد تفاقم من جراء ما تواترت به الانباء عن اعمال العقاب الجماعي ، والاعتقال التعسفي ، وحظر التجول ، وتدمير المساكن والممتلكات ، وابعاد المواطنين من ديارهم وغير ذلك من اعمال القمع التي تمارس ضد اللاجئين وغيرهم من سكان الاراضي المحتلة [وانها] تعاود تأكيد حقوق شعب فلسطين غير القابلة للتحويل .

ولقد اعترفت عصبة الامم بالفلسطينيين « كشعب » منذ سنوات طويلة . واعادت الامم المتحدة تأكيد هذا الاعتراف ، وقررت الجمعية العامة في قرارها رقم ٢٧٩٧ في ٦ ديسمبر ١٩٧١ انها :

تقر شرعية نضال الشعب من اجل تقرير مصيره والتحرر من السيطرة الاستعمارية والخضوع للاجانب ، كما يجري في جنوب افريقيا وبخاصة نضال شعوب زيمبابوي ، وناميبيا ، وانجولا ، وموزمبيق وغينيا ، كما تؤكد شرعية نضال الشعب الفلسطيني ، بكل الوسائل التي تتفق وميثاق الامم المتحدة .

وتؤكد الحق الاساسي للانسان في النضال من اجل تقرير مصير شعبه الواقع تحت السيطرة الاستعمارية او الاجنبية .

وتناشد كل الدول التي تخلص لمثل الحرية والسلام ان تقدم كل مساعداتها السياسية والمادية والمعنوية للشعوب التي تناضل ضد السيطرة الاستعمارية والاجنبية من اجل التحرر والاستقلال وتقرير المصير .

وبهذا القرار المذكور عاليه ، اكتسبت مقاومة الشعب الفلسطيني « ونضاله من اجل التحرير وتقرير المصير » وضعا شرعيا في القانون الدولي . واكد القرار ان حق النضال من اجل تقرير المصير هو حق « من الحقوق الاساسية للانسان » . ولعلكم تلاحظون ان القرار يناشد الدول « المخلصة لمثل الحرية والسلام » ان تقدم مساعداتها المادية والمعنوية للفلسطينيين . فهل نحن على حق في ان نفترض ان الولايات المتحدة الامريكية « مخلصة لمثل الحرية والسلام ؟ » واذا كانت على مثل هذا الاخلاص ، فهل تصرفت وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٧٨٧ وقدمت عونها السياسي والمادي والمعنوي للفلسطينيين الذين اعتبرهم المجتمع الدولي للامم مناضلين من اجل الحرية وتقرير المصير ؟ واذا كانت لم تفعل ، فهل يمكن ان نعرف لماذا ؟ وهل يمكن ان نفترض — ومعنا العالم كله — ان الولايات المتحدة تقبل — دون ما تأثر باجماع آراء المجتمع الدولي للامم في الواقع — ما يعجبها من قرارات الامم المتحدة وتسترشد بها — وترفض تلك القرارات التي لا تعجبها وتتجاهلها في ازدراء ؟ واذا كانت هذه ، في الحقيقة ، هي سياسة الولايات المتحدة ، ولو ان كل الدول الاخرى الاعضاء في الامم المتحدة تبنت هذه السياسة ، فما الذي سيئول اليه مستقبل المنظمة الدولية ؟

وقد كتب ونستون تشرشل في كتابه تاريخ الشعوب الناطقة بالانجليزية ان لكل انسان الحق في ان يناضل وان يموت من اجل طرد الغزاة من ارضه . والفلسطينيون لهم هذا الحق ، ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تعترف الامم المتحدة بأن لها « وصفية الشخصية الاعتبارية » هي « حركة مقاومة منظمة » بالمعنى الذي تضمنته معاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ . وتضفي المادة الرابعة من هذه المعاهدة ، التي وقعتها كل من الولايات المتحدة واسرائيل ، على « حركات المقاومة المنظمة » الحق الشرعي في القيام بعمليات حرب العصابات « سواء في داخل اراضيها او خارجها » . وقد حددت وضعهم ، اذا ما وقعوا في الاسر ، بانه مماثل لوضع الجندي في الجيش النظامي . ومن ثم فان حركة المقاومة الفلسطينية ليست قوة خارجة على القانون ، كما يزعم الاسرائيليون ، ولكنها في واقع الامر ، وفي غيبة وجود عسكري عربي رسمي في فلسطين الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . وجدير بالذكر ان محكمة العدل الدولية قد حكمت [في قضية ناميبيا] بأن الدول الاخرى غير ملزمة بتسليم الاشخاص المتهمين اذا كانوا ينتمون الى حركة مقاومة منظمة تعمل ضد القوى التي تنتهك سيادة شعب ما .

ومن الواضح ، أن تلك الامم التي تتصرف وفقا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٧٨٧ ، وتقدم للفلسطينيين « العون السياسي والمادي والمعنوي » الذي تطالب به الهيئة الدولية ، انما تتصرف على نحو سليم ، ولا يمكن اعتبار مسلكها هذا عملا من اعمال التدخل غير المشروع ، مهما بلغت جسدة الاسرائيليين في دمغه هذه الصفة . واذا كان هناك من يمكن اتهامه بالسلوك الخاطىء ، افلا يكون هو الولايات المتحدة التي تنتهك بقحة قرار الامم المتحدة ، فتقدم السلاح والدعم المالي لاولئك الذين ينكرون على الفلسطينيين حقهم في تقرير المصير ؟ لقد امطرت اسرائيل بوابل

نيرانها وانزلت الدمار والخراب بسكان لبنان المدنيين الابرياء واللاجئين الذين يلوذون بأرضه ، بينما اخذت تتملق الولايات المتحدة التى هزئت بالقرار . فهل تعتقدون يا سيادة وزير الخارجية اننا نقف فى هذا الامر فى جانب الملائكة؟

ولقد وجهت اسرائيل الضربات تلو الضربات الى الفلسطينيين ، زاعمة انه لبس من حقهم ان يحلموا بالعودة فى النهاية الى وطنهم — واقل من ذلك حقهم فى القيام بأعمال يعتقدون انها ستؤدى الى هذه العودة . ويبدو ان حكومة الولايات المتحدة تؤيد هذا الرأى وتؤيد الاسرائيليين فى ادانة اعمال الفلسطينيين التى تستهدف تحذير الصهيونيين من ان اى اسرائيلى ، فى اى مكان من العالم ، لن يكون بمأمن طالما بقى الشعب الفلسطينى فى المنفى . ونحن بتاييدنا غير المعقول للدولة المعتدية، مخالفين بذلك التزامنا بحكم ميثاق الامم المتحدة ازاء قضية حرية الانسان، وحقه فى تقرير المصير ، انما نفاقم من تدهور العلاقات بين الشعب الفلسطينى وبين الولايات المتحدة حتى ليصل الامر بهذا الشعب ، الى الاقتناع باننا عدوه اللدود. وقد ادى قتل الرجال والنساء والاطفال الفلسطينيين ، دون تمييز ، بادوات الموت التى توردها الولايات المتحدة مثل : النابالم الذى يتم اسقاطه من الطائرات الفانتوم الامريكية الصنع ، ادى بهذا الشعب المعذب ، المحبط الامال ، الى ان يدافع عن نفسه كلما وحيثما امكن ذلك . وانها لذروة النفاق ان يحاول المرء ان يختبىء وراء قناع من عدم الاشتراك الفعلى فى الحرب اذا ماكان فى الحقيقة تاجرا للموت .

والكثيرون فى حيرة من تاييد الولايات المتحدة لاسرائيل . ولقد ارسلنا الى وزارتكم صورة من تقرير منشور يفيد ان الولايات المتحدة قد التزمت كتابة بان ترسل الفتيان الامريكيين الى الشرق الاوسط للقتال فى جانب اسرائيل وطلبنا تاكيدا لمدى صحة هذا التقرير او عدم صحته . وعلى الرغم من اننا قد كررنا الطلب اكثر من مرة ، الا اننا لم نتلق ردا . ومن ثم فان تاييد بلادنا لاسرائيل قد يكون وفقا لمثل هذا الالتزام السرى. وربما كنتم تشعرون بانه طالما ان احد اسلافكم [هو على الارجح جون فوستر دلاس] قد تعهد بهذا الامر ، فان الشرف يقتضيكم الالتزام به . واذا صح هذا فاننا نذكركم بكل احترام بالمادة « ١٠٣ من ميثاق الامم المتحدة التى تنص على انه :

« فى حالة ما اذا كان هناك تناقض بين التزامات اعضاء الامم المتحدة فى ظل الميثاق الحالى وبين التزاماتهم فى ظل اى اتفاق دولى آخر ، فان السيادة تكون لالتزاماتهم طبقا للميثاق الحالى »

لقد قضت الامم المتحدة ، ياسيادة وزير الخارجية ، بتقديم العون للفلسطينيين . وقضت المادة ١٠٣ بان اى التزام بموجب اى معاهدة مع اسرائيل ينبغى ان يخضع للنتائج التى توصلت اليها الامم المتحدة . ولكنكم ربما تزعمون ان قرار الامم المتحدة ليس الا توصية غير ملزمة للاطراف المعنية . فهل انتم فى هذه الحالة على استعداد للاعتراف بأن مشروع الامم المتحدة للتقسيم فى ١٩٤٧ لم يكن الا توصية غير ملزمة للشعب الفلسطينى الذى كان فى ذلك الوقت يشكل ٧٠ ٪ من سكان فلسطين والذى يعارض على نحو يمكن فهمه وتقديره فى تقسيم اراضيه العريقة لايجاد دولة لمستعمرين غرباء حلوا بهذه الارض بطريقة غير مشروعة؟.

***

وتنص المادتان ٥٥ و٥٦ من ميثاق الامم المتحدة على ان كل الدول الاعضاء مطالبة بتشجيع واتخاذ الاجراءات لتحقيق « مراعاة الاحترام الكامل لحقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع دون تمييز بسبب العنصر او الجنس او اللغة او العقيدة الدينية » .

وهذا الذى ذكرناه بعاليه لايمكن تجاهله ببساطة بوصفه « قرارا » او «توصية». انه من صلب ميثاق الامم المتحدة وله قوة القانون الدولى . وانه لمن واجب حكومة الولايات المتحدة ان تخضع لهذا القانون ؛ والخضوع للقانون يعنى ان الولايات المتحدة يجب ان تساعد الفلسطينيين فى نضالهم من اجل تقرير المصير . وهو يعنى اننا ينبغى ان نكف عن مساعدة دولة اسرائيل المعتدية . وهذه اللجنة تناشدكم ان تدفعوا الولايات المتحدة الى الكف فورا عن انتهاكها الفاضح لميثاق الامم المتحدة . ونحن نهيب بكم ان تكفوا عن معارضة تحقيق الشعب الفلسطينى لتقرير مصيره . اننا نطالبكم بأن تعيدوا تاكيد احترام الولايات المتحدة لشروط قرار التقسيم الذى قضى بقيام دولة فلسطينية مستقلة . ونحن نطالبكم بسحب تاييدكم الضمنى للغارات الاسرائيلية التى تسمونها بـ « الهجمات الانتقامية » على شعب لبنان واراضيه ، ونطالبكم بمعاودة تاكيد مراعاة الولايات المتحدة لقرار الجمعية العامة رقم ٢٧٨٧ الذى يدعو الولايات المتحدة ، بوصفها احدى الدول الاعضاء ، الى تقديم كل « عون سياسى ومادى ومعنوى » للفلسطينيين .

واخيرا فاننا نطالبكم بان تحيطوا قادة الشعب الفلسطينى علما بان حكومتنا تقف على استعداد للترحيب بممثليهم فى الامم المتحدة ، بهدف تحقيق تسوية للمشكلة الفلسطينية عن طريق التفاوض ، بدلا من التسوية العسكرية .

وفى ديسمبر ١٩٦٨ ، بعد انتخاب ريتشارد نيكسون لرئاسة الجمهورية قبل تسلمه لمهام منصبه ، اخذنا على عاتقنا ، بالنيابة عن مجموعة من الشخصيات المسئولة والممثلة حقا لشعب فلسطين ان نقدم لمستر نيكسون اقتراحهم باعلان قيام جمهورية فلسطينية مستقلة ، وارسال وفد الى الامم المتحدة يتمتع برضا حكومة نيكسون ومباركتها الودية . وكانت هذه اولى محاولاتنا الاربعة من هذا النوع ، التى رفضت جميعا بازدراء من جانب مستر نيكسون ووزارة الخارجية الامريكية. ولو ان ايا من هذه المحاولات اخذ بها باخلاص وحسن نية لامكن تفادى التوترات التى هددت سلام العالم وعانيناها خلال الاعوام الخمسة الماضية ، ولكان الالاف من الاشخاص الذين قتلوا الان على قيد الحياة .

وقد ذكرت جيروساليم بوست فى مقالها الذى نقلنا عنه الفقرة الاولى عاليه ان حكومتنا تعارض قيام دولة فلسطينية فى الجليل والسامرية لانها « تود ان تظل المنطقة موالية للغرب » . فهل لنا ان نقترح ان فرضنا لارادتنا على العالم فى ١٩٤٧ عند بحثه عن حل عادل للمشكلة الفلسطينية يشكل وصمة كافية فى تاريخ بلادنا كبلد يدافع عن الشرف والعدالة ، وانه من الاوفق لنا ان نكف عن التدخل فى شئون الاخرين ، وان نذكر ان فلسطين بلد شرقى فى آسيا ، وان نكف عن محاولاتنا لجذبها الى الغرب واعادة تشكيلها كما نظن نحن انها ينبغى ان تكون .

مع خالص احترامى ..

نورمان ف داس

١٩٧٤/٧/٢٣

مجموعة فلسطين الأمريكية تطالب

بحكومة فلسطينية فى المنفى

يشكل استمرار اسرائيل فى نزع ملكية الاراضى العربية فى الارض المحتلة عائقا متزايدا فى طريق التسوية السلمية للمواجهة الطويلة الامد فى الشرق الاوسط [1] .

« ولجنة فلسطين الامريكية » ، التى تكرس نفسها لعودة الشعب الفلسطينى الى وطنه تناشد القيادة الفلسطينية مرة اخرى ان تتخذ خطوات عاجلة لاقامة حكومة مؤقتة فى المنفى لجمهورية فلسطينية مستقلة تستطيع ان تدعى لنفسها السلطة على فلسطين العربية ، وتقوم ايجابيا بمفاوضات تؤدى الى التعجيل بممارسة هذه السلطة . وتعتقد اللجنة انه قد حان الوقت للكف عن ندب سيادة فلسطين الضائعة والبدء فى تأكيد هذه السيادة على نحو شرعى .

وقد أعرب اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل عن معارضته للتفاوض مع « الارهابيين » فى جنيف . والحل البسيط لهذا هو اقامة حكومة فلسطينية لايستطيع ان يرفض التفاوض معها . ومثل هذا التفاوض لاينطوى على اعتراف بالشرعية تماما ، كما ان التفاوض من اجل اطلاق سراح ضحايا عمليات الخطف لايضفى اى احترام على شخص المختطف ، انه ببساطة وسيلة لتحقيق هدف بغير استخدام القوة والتفاوض طريقة مقبولة للتعامل مع المجرمين ومن ثم فانها ليست بالطريقة غير الملائمة لمعالجة هذا الموقف .

وينبغى ان يكون من اول اعمال الحكومة المؤقتة أن تقوم بتعيين محكمة عليا للجمهورية الفلسطينية ، فقد نص مشروع الامم المتحدة لتقسيم فلسطين فى ١٩٤٧ على انه لايجوز نزع ملكية الاراضى سواء فى الدولة العربية او اليهودية الا بشروط تقرها المحكمة العليا للدولة التى تقع فيها الملكية وبعد دفع تعويض مناسب للملاك .

ولو ان الدولة العربية المستقلة التى اصدرها مشروع التقسيم كانت قد قامت على الفور ، لامكن ان تكون محكمتها العليا حائلا فعالا دون نزع الغزاة لملكية الاراضى ، اذ أن أعمال نزع الملكية لم يكن من الممكن أن تتم دون موافقة تلك المحكمة .

وتحذر المادة ٥٤ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ على سلطات الاحتلال ان تتدخل فى اعمال المحاكم فى الاراضى المحتلة ، او ارغام قضاة مثل هذه المحاكم على التخلى عن اداء واجباتهم لاسباب تتعلق بضمائرهم .

ولقد كلف الاصرار الطويل للقيادة الفلسطينية على الا تبدو الا فى صورة العمل الفدائى وانتخابها لتحتفظ بطابع فين حكومى ، كلف اصحاب الاملاك فى الاراضى المحتلة غاليا ، سواء كانوا موجودين فى هذه الاراضى أو فى المنفى وعلى اية حال فقد حان الوقت لاقامة حائل قانونى دون عمليات نزع الملكية هذه يسمح بقيامه مشروع التقسيم .

ومنذ اكثر من خمس سنوات ولجنة فلسطين الامريكية ، ادراكا منها للمزايا التى يمكن ان تضفيها الولاية المعترف بها للدولة على الشعب الفلسطينى ، تدعو الى اقامة حكومة مؤقتة فى المنفى . وقد بدا مؤخرا ان الكثيرين من القادة الفلسطينيين الذين كانوا يعارضون هذه الفكرة فى وقت ما ، ويصرون على حل لمشكلة المنفيين الفلسطينيين يحقق « كل شىء والا فلا » بسبيلهم الى تغيير موقفهم بعض الشىء ، والاعتراف بأن اهم الحقوق الموضوعية هو الخروج بالشعب الفلسطينى من المعسكرات الى الاراضى الفلسطينية حيث يؤمل بمساعدات كبيرة من الحكومات العربية الغنية — ان يستطيعوا البدء فى بناء دولة عربية قابلة للحياة والنمو .

وحتى اولئك الذين ارتفعت اصواتهم بالمناقشة من اجل دولة علمانية تشمل فلسطين الانتداب ينبغى أن يعترفوا انه بعد ٢٦ عاما فى المنفى ، فان ايجاد دولة ذات سيادة يعترف بها كدولة فلسطينية على نحو لايمكن انكاره هو على الاقل بداية لرحلة العودة الطويلة الى الارض بالشكل الذى كانت عليه قبل ان يقسموها ونستون تشرشل لاول مرة « بجرة قلم بعد ظهر يوم من ايام الاحد فى القاهرة » .

وتعتبر لجنة فلسطين الامريكية ان اقامة القيادة الفلسطينية الان لحكومة مؤقتة للجمهورية الفلسطينية المستقلة سيكون خطوة هائلة نحو وضع ابنائهم لاقدامهم على طريق العودة الى ارض اجدادهم .

ان وقت الكلام قد مضى وانقضى .. والعدالة ينبغى ان تسود فى وقت ما وفى مكان ما . ..

ولتكن البداية فى ذلك الجزء من فلسطين الذى خصصته الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ للدولة العربية المستقلة التى تصورها مشروع التقسيم — ولكن هذه البداية الآن .

---

[1] نشر هذا المقال فى صحيفة Borger News-Herald بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٧٤.



ملحق الأدب والفن

- ٦ أكتوبر .. والقصة القصيرة
- ٦ أكتوبر .. والفيلم التسجيلي
- شيلي : من السينما الثورية الى سينما المقاومة

في هـذا العـدد :

٦ أكتوبر .. والقصة القصيرة

رضا الطويل

ما أكثر الدعوات التى وجهت بعد أكتوبر ، للارتقاء بالادب لمستوى حس الوعى بالمسئولية الذى تجلى فى السادس من أكتوبر ، ولكن أيا من هذه الدعوات لم تبين كيف يتمكن الادب من تحقيق هذه المهمة ، الا انه يصبح مفهوما أنها دعوة للادب للالتحام بالواقع ، وتناوله بجدية واخلاص العبور المظيم .

والادب أو الفن عموما — كما يؤكد ارنست فشر فى « ضرورة الفن » — بحاجة ماسة للادراك ، ليتوفر له ذلك الحد القاطع للحقيقة ، حتى لا يكبو فى مهاوى الاوهام ، فى عالم محتدم بالاحداث والظواهر المتعددة والمختلطة ، انه بحاجة لفهم العالم حتى يصل للواقع ، ويقتنص كبد الحقيقة ، وتصبح دعوة الادب لاحتضان الواقع ، دعوة للادب فى نفس الوقت لان يكون أدبا عقائديا ، تتوفر له النظرية التى تمكنه من تلمس محتوى الظاهرة المعاشة فى اختلافها وائتلافها مع غيرها من الظواهر . وتتأكد هذه الحقيقة على امتداد تناول هذه الدراسة لنماذج القصة القصيرة التى اتخذت من أكتوبر موضوعا لها .

حين تعرضت القصة المصرية القصيرة لحدث أكتوبر ، سارت فى اتجاهين واضحين ؟ الاتجاه الاول لم تتوفر له النظرة المتفهمة للواقع ، ولم يتمكن من بلورة إكتوبر كمحتوى تاريخى واجتماعى ، وارتبط بفشله فى تقصى الحقيقة فشله كابداع **فنى ، فتهاوت التجربة وتفتتت الوحدة الفنية وانهارت الشخصيات ، وافتقدت القصة معالم الواقعية . واستطاع الاتجاه الثانى بفهمه الجدى للحياة أن يميط اللثام عن وجه الحقيقة ، وبتكثيفه للمضمون والمحتوى ، بلور شكله الفنى ، موفرا للفن وللقصة عناصر الابداع الادبى فى أبهى اشكال الواقعية دلالة وجمالا .**

[أ]

يتناول الاتجاه الاول ظاهرة أكتوبر كظاهرة منعزلة ، ان العلاقة الوحيدة التى أبقى عليها هى علاقتها بهزيمة يونية ، متجاهلا أن يونية وأكتوبر جولتان فى تاريخ الصراع الطويل بين العرب والصهيونية ، بين العرب والامبريالية ، ولقد بدا كما لو كانت هزيمة يونية بداية للتاريخ ... وأن أكتوبر هو نهايته ، وأكتوبر بواقع هذه النظرة هو حرب الثأر ومحو العار ومحو الدم العالق بالرقبة ، وبتفريغ أكتوبر من محتواه التاريخى ، يقع التاريخ بين قبضات الافراد ، خاضعا فى مجراه للنوازع والاهواء الشخصية ، ورغبات الانتقام الفردية ، ان الافراد يلوحون أعتى من الواقع وفوقه ، وبتعاليهم على العام يزجون به فى نطاقه الشخصى ، فبدا أكتوبر كما لو كان حادثة انتقام فردى ، ففى « ٢٥ مكرر » لعاطف سعودى[1] ، يحمل محمدين ثأر سكينة زوجته التى قتلت فى احدى الغارات الجوية ، فيدمدم مدفعه بالثأر ، ولكن اذ ينتهى ثأر محمدين فهل ينتهى الصراع ؟، ينحوط عاطف سعودى فالتلميذ خضر محمدين يكتب على أولى صفحات الكراس : ثأر أمى عندى ٢٥ صهيونى ، الثأر يتكرر فيستمر التاريخ ويتصاعد . وهذا المفهوم يمثل أحدى خصائص هذا الاتجاه فى تناول ظاهرة أكتوبر .

ولعل أهم الخصائص التى تسم نماذج مجموعة القصص القصيرة فى اتجاهها **هذا هى تفريغ أكتوبر من محتواه الشعبى والجماهيرى** ، لقد أمعن هذا الاتجاه فى توضيح مسألة من قام بالحرب ؛ ومن تحمل أعباءها ؟ .

من الذى يمسك العصا السحرية

« **أيام من أكتوبر** » لاسماعيل ولى الدين [2] : تجرى القصة على لسان الراوية التقليدى ، وتكنيكيا تعتمد على محورين ، محور تتبعى أخبارى للمعارك الدائرة على الجبهة العسكرية ، ومحور يتصل بالحياة الداخلية ، وهو محور شبه درامى يتصل به تصارع وتقابل الشخصيات ، واستخدام راوية على هذا الاساس استخدام محير ، غريب .. ومريب ، فاذا كان اسماعيل ولى الدين قد اختار محورين لتقديم نظرة شاملة تعكس مجريات الواقع فى الميدان وأيضا فى الجبهة الداخلية ، فهو يرتد سريعا ليلزم الاحداث بمكان الراوى ، ويقيدنا بوجوده ، ويكتفى بهذا بمتابعة مانشتات الجرائد والبيانات العسكرية للاذاعة ، ويتزامن مع هذا السرد الاخبارى المجانب للفنية ، الخط الثانى الذى يتعايش مع مشكلة واهية ومتخلفة ، مطروقة وبالية ، بتعريض الشخصية الرئيسية لعناد أم ثرية تتشبث باختيار زوجة له ، لا يحبها ولا تحبه ، وينطلق محورا القصة بدون أن تتفاعل الشخصيات داخل المحور الاول ، الا بالتصفيق والتهليل ، لكل خبر أو لكل بيان ، وبدون أن يمد المحور الثانى فى عضد أكتوبر ، الا اذا بالغنا فى تقييم مشكلة الشخصية الرئيسية ، وأدرجناها قسرا تحت تصور ومفهوم مشكلة الحرية ، ومن ثم وعلى هذا الاساس من التصور المبالغ فيه وغير الحقيقى يمكن ربط محورى القصة بالوحدة العضوية للعمل الفنى .

يفصل اسماعيل ولى الدين مشاكل الجبهة والحرب الدائرة عن مجريات الامور العامة على الجبهة الداخلية ، مكتفيا بعبارات مبهمة عن عبور الجنود ، وتحطيم الدبابات ، واسقاط الطائرات والاستيلاء على خط « بارليف » ، ولنفى ظاهرة أكتوبر عن غيرها من الظواهر ، حافظ دائما على استقلال الحدث وحياده ، وتوعه خارج الوعى الانسانى لشخصياته ، ان سذاجة هذه الشخصيات هى سمتها الرئيسية ، فعم حنفى بائع الفول والطعمية أبله ومخوخ ومفرغ وطبيعى او عادى فى نفس الآن ، لا يدرى بما يجرى حوله ولا يعنيه هذا الا كما تعنيه مشاهدة

---

[1] ٢٥ مكرر — مجلة الهلال العدد الثالث مارس ١٩٧٤ .

[2] أيام من أكتوبر — التحرير ملحق أسبوعى لمجلة الثقافة العدد الثامن ٧٣/١٢/١٤ .

مباراة لكرة القدم ، فهو يتحمس ويصفق للانتصار تحمسه وتصفيقه لفريقه عندما يحرز هدفا ينقب الشبكة المعلقة بين العارضتين ، والوعى كقيمة انسانيةترتبط فى مفهوم اسماعيل ولى الدين بامتلاك الفيللا والسيارة ورأس المال ، هذه هى شروط الوعى والشخصية الواعية ، ومن ثم تواجه بطبقتين ، طبقة ترتبط بقوة العمل ، والعمل مصدر قيمتها وحياتها ، وطبقة تتعالى على هذه القيمة ، تحتقرها ولا تحتاجها ، والطبقة التى ترتبط بقوة العمل تفتقد مزية الادراك والوعى ، وبقدر ما تبتعدالطبقة الثانية عن الارتباط المهين بالعمل ، بقدر ما يتزايد حظها من الوعى وفهم الامور ، انكلا من احمد [الشخصية الرئيسية] وخليفة ، خريج كلية واحدة ، وزميل دراسة ، الا أن الوضع الطبقى لكل منهما يختلف ، فخليفة ابن اسره فقيرة ، تتدرج عنوة تحت احدى شرائح البورجوازية الصغيرة ، فى حين أن أحمد ينحدر من احدى هذه الاسر التى يحلو لاسماعيل ولى الدين أن يطلق عليها « **البيوتات العريقة** » ، وفى حين يبدو احمد متداخلا مع الواقع ، وملتحما بأحداثه ، منفعلا به ، وواعيا بمجرياته ، ينزوى خليفة سلبيا وخاملا وعاجزا عن الفهم ، عاجزا حتى عن فهم صديق عمره أحمد ، ان الواقع بالنسبة له معضلة قاسية ومبهمة ، انه كشخصية فنية شخصية يقع عليها تجن واضح ، لقد ابتثرت من الاحداث ، وهجرتها عناية الكاتب ، انه يطرح كشىء من الاشياء فى طريق أحمد ، ينتظره اذا غاب ، ويرد عليه اذا تكلم ، وخليفة فى صورته الممحاة هذه مثل باقى شباب « أيام من أكتوبر » شباب حى باب الخلق الفقير والشعبى ، لا يستحوذ على اهتمامه أو اهتمامهم غير التافه والغث ، غير متابعة أسرار بنات الجيران ، والتصدى لهن على النواصى .

لقد فرض تكنيك اسماعيل ولى الدين الغياب عن أرض المعركة ، وبدا هذا منطقيا ، فالحدث التزم بمكان الراوى ، ولكن يبدو أن هذا لم يكن عفويا ، ان غياب أرض المعركة هو غياب للقوى التى تصنع التاريخ ، والتى صنعت التاريخ ، انها تصلنا مبهمة ومبتورة ، أخبار جنود يفتقدون الهوية ، والبطاقة التى يحملونها هى بطاقة عسكرية ، وبتجريد الجنود من هويتهم الطبقية ، وبدفعهم تحت هذا التعميم فى نسيج القصة ، يستدير الكاتب فيما بعد ليدس فى صدورهم هوية مزورة . ولما كانت الحرب ليست هى المعركة ، انها أيضا شعب يعيش الحرب حتى النخاع ، شعب يفرض ذاته فى الحياة وفى الفن ، فلقد تحوط اسماعيل ولى الدين وانتزع الوعى من شخصياته الفنية ، توطئة لتقديم فرسان التاريخ .

الرواية سعيد السبتى » و يسى اسماعيل ولى الدين أن يلحق به صفة البكوية ، وعن حق ، ترك الخدمة العسكرية فى أعقاب حرب يونية ، أثر اصابته بعاهة مستديمة بمينه اليسرى ، أثناء الغارة الاسرائيلية الثانية على مدينة أسيوط ، فأعفى من الخدمة العسكرية مستوليا على معاش مجز ، فقرر فتح المكتبة بباب الخلق ، بالقرب من دار الكتب التى لم يعد أحد يرتادها ، لا طلبا للكسب ، فهو ليس بحاجة للعمل ، ولكن طلبا للتسلية وتزجية الوقت ، ومشاهده الناس ومتابعة تصرفاتهم . احمد ، الشخصية الرئيسية — شاب فى الثلاثين ، نحيف ، طويل القامة ، أبيض البشره ، حنو التقاطيع ، شديد الخجل ، سريع الغضب ، سريع الهدوء ، يعمل فى مركز البحوث ، متخرج من كلية العلوم ، يمتلك سيارة ، يسكن بمصر الجديدة بفيلا قامت ببنائها أمة الارملة الثرية ، التى تركها زوجها فى شرخ الشباب ، فقامت بمتابعه أعمال زوجها الراحل ، لترعى أموال ابنيها ، وتنمى لهما ثروته ، ويتأنى ولى الدين فى تصوير الفيللا ، فالمنزل بطبيعة الحال ينم عن الثراء ، بشارع هادىء تماما .. مكون من دورين حولهما حديقه واسعة ، قليل من العائلات تملك مثل هذه البيوت ، ومن الداخل أيضا تواجهنا مظاهر الارستقراطية « جاء كلبان كبيران من نوع الدنش ليجلسا معنا فى حجرة الصالون » .

ينصرف اهتمام اسماعيل ولى الدين لتقديم شخصياته الارستقراطية انصرافا لايدانيه الا اهتمامه بطمس المعالم الاساسية لباقى الشخصيات ، انها واضحة ومتماسكة وقوية ، ولقد هيا لها المناخ الفنى للظهور ، انها كطبقة هى التى ضحت وبذلت وقدمت ، واذا كان قد فصل بين أكتوبر كظاهرة ، ونظر اليها كجزئية مستقلة فى بحر الواقع المتلاطم ، فالعلاقة الوحيدة التى ظلت تربط بين الحرب والحياة العامة فى مجملها هى الاستشهاد ، ربما لان هذه العلاقه ليست بحاجة لعقل جدلى لاكتشافها ، ويتضح دور هذه الطبقة فى أنها الوحيدة التى قدمت الشهداء ، أولا : سعيد بك « الراوية » قدم زوجة وابنا وصديقا [الغارة الاسرائيلية على أسيوط] ، ثانيا : أحمد — والارملة الثرية ، أستشهد أخوه — ابنها — فى معارك يونيه ، ثالثا : فقدت وفاء — ابنة أخت سعيد بك — زوجها خالد الضابط بالقوات المسلحة فى معارك أكتوبر ، وقدم مديرها فى العمل ثلاثة أبناء يقومون بعبء القتال فى المعارك الدائرة ، أما عم حنفى فهو الوحيد من الكادحين الذى يحارب ابنه ، ولكن عم حنفى يجزم بأنه سيعود حتما فلا يمكن أن يلطخ بدمائه أرض أكتوبر ، **لقد احتكرت هذه الطبقة أكتوبر بالدم ، بعد أن احتكرت لنفسها التاريخ بالوعى** ، وأحمد بك وتسط مناخ مثقل بالسلبية وعدم الفهم يتقدم للتطوع ، فارضا برجولته ووطنيته دهشة عميقة فى عيون كل المحيطين به فيتعجبون ... أما كان أولى به أن يتمتع بشبابه !

اذا كان هذا هو مسلك هذه الشريحة الطبقية ، فهل يمكنها أن تقدم لنا نظرة موضوعية لاكتوبر ، تبرر تضحيتها وحساسيتها الوطنية المرتفعة ، وبمعنى آخر : كيف قدم الكاتب سيناء ؟ وما هو مفهوم تطوع احمد وبواعثه لاينظر اسماعيل ولى الدين الى سيناء كمجموعة من الذكريات العاطفية ، من سمك بير العبد وأشجار اللوز التى تظلل شاطىء العريش لقد تهاوت الواقعيه المدعاة لتتكشف عن احلام عاطفيه وفرديه ، ان المجتمعات لا تحارب من أجل الذكريات العزيزة ، ان أكتوبر بكل دلالاته القومية والدولية يتمخض عن فارقمىء ، أما أحمد فدوافع التطوع عنده ليست دوافع أيديولوجيه او وطنيه او اجتماعيه بأى معنى من المعانى ان الارض التى يقف عليها ليست أرضا وطنية او قوميه او عقائديه ، ان دوافع الحماسة هى دوافع المال . « ذهابى الى هناك افضل من ضياعى وسأمى هنا أريد ان انطلق من حدود نفسى » فدوافعه هى الاخرى مغرقه فى الذاتيه .

التناقض الذى تظهره شخصيات اسماعيل ولى الدين ، يعود اساسا لاعتباره الحرب مجهودا عسكريا بحتا ، وبالتالى لا يتدخل فى الشئون الحياتية لشخصياته ، ولا يتبادل معها الا علاقة وحيدة هى الاستشهاد ، وينسجم مع هذه النظرة اللا اكتراث الاجتماعى الذى تقع فيه هده الشخصيات ، التى أراد بها ان تكون واجهه لاكتوبر وصانعة له ، فاذا كان احمد بك الوطنى الغيور لايجد غضاضة فى الاندساس فى فراش « فتحية آه » المومس التى تجيد عملها وتحذقه وتبرع فيه وتبدع ، فى حمأة المعارك ، واذا كانت أسرته لم تشارك الاسر المصرية أحزانها وتشاطرها أشجانها فلم تتخل عن عاداتها السنوية فى صنع كعك العيد ، واذا كانت الموائد الرمضانية الفاخرة تقدم فى بيوتات هذه الاسر العريقة رغم المشاكل التموينية ، فكل هذه التناقضات التى تبعد الشخصيات عن المظهر الاجتماعى السائد ، هى فى مجملها راجعة الى النظرة غير الواقعية للحياة ، لا لاى اخلاص بذل من جانب الكاتب لتصوير وتقديم الواقع بأمانة .

ان أكتوبر بهذه الصفة الطبقية ، اتجاه لكثير من الكتاب ، وغير قاصر على اسماعيل ولى الدين ، ان احتواء أكتوبر طبقيا نزعة تكاد تكون عامة فى كل ماكتب للان عن حرب أكتوبر .

ان بطل نبيل راغب فى « عندما أطفأت

الشرارة نار المرارة »[٣] تراوده أفكار معمه على الاسحار ، خلف عجله قيادة سيارته ، لقد تعرض هو الاخر لمشكلة واهيه ، نمعبودته قد أقسمت أن هـذا آخر لقاء لهما ، كأنها تقرر نوع العشاء الذى سنتناوله ، وتعبير نبيل راغب عن المشكلة بحد ذاته تعبير منرف لا يسوع لبطله أن ننهبه كل الىخيلات الماسوشيه الى انتهيته ، من بـكاء الاقـارب على شبابه الغض ، وانتحار أصدقائه على مركزه المرموق ، ونساؤلات قراء الصحف من سبب انتحاره ، وقد منحته الدنيا كل شىء : الشباب والصحه والمكانة المرموقه والحياة الرغدة ، ثم يفاجأ بالمارشـات العسكرية متصاعدة من مذياع الراديو . وبأبناء العبور ، ويعود لغرفته وينظر الى المراة ويبتسم [!] ويطفىء النور ولكن النوم لم يزره تلك الليلة ، بينما تصلى امه أيضا فى الحجرة المجاورة وتدعـو لاخيه الضابط بسلاح المهندسين ، وفى الصباح الباكر يدهب ليسجل اسمه فى سجل المتطوعين . وهناك سمات مشتركه بينه وبين احمد « أيام من اكتوبر » ، ان تحمسه للمعركة ينبع أيضا من منطلقات ذاتية « ما أروع أن يجد الانسان حياته فى التضحية بها » ، كما أنه يتعرض لمشكلة خاصة لا تمثل لتخلفها وجه حياتنا الاجتماعية ، مشكلة بالية فنيا وغـير هامة ، يندفع بها الى حد التنكر للحياة ثم يصطدم بالصدفة بصخـرة أكتوبر . خلاصه الشخصى . فيستبدل بالانتحـار التطوع ، وبالنرجسية التضحية ، فى هذه الذاتيه نتبدى ظاهرة أكتوبر عارية مـن تاريخيتها ، ومفرغة من حقيقتها ، انهـا صدفة تفتقد الاصالة ، وحدث غيرمفهوم . أما الجماهير فهى أيضا جماهير اسماعيل ولى الدين : الملتفة حول المذياع ، تصفق بسذاجة ، وتهلل بسلبية .

ونتعرض قصـة « يوما سنلتقى ، لاحسان كمال [٤] لقضية تعمير مدن القناة . وهى قضية مفرغة من اكتوبر ، والحقيقه ان يوما سنلتقى فى هذا لها قصب السبق ، ولكنها أيضا لا تشذ من التيار المندفـع بقضايا واقعنا المعاصر ، فممدوح الصوفانى يعود من الولايات المتحدة الاميريكيه بعد انتهاء الحرب ، حيث كان يعد الدكتوراه فى الهندسة ، ويفتقد ممدوح وجه أخيه مختار بين وجوه مستقبليه فى المطـار فلا يجده ، ويصمم على البحث عنه ، ويحاول عزت بك زوج كبرى شقيقاته أن يثنيه عن عزمه ، مبينا له أنه قد أصبح دا مركز عال يخشى عليه من سمعة أخ فاسد ، ولكنه بعد أيام يسـافر الى السويس مسقط رأسه ، ويربط تطوعه فى معركة التعمير بمنفعة البحث عـن أخيـه .

ولا تلهينا علاقة الاخوة عن تبين العلاقة الاساسية التى تربط بين كل من ممدوح ومختار ، انهما وجها عملة لطبقة واحدة ، فمختار نموذج للارستقراطية المصرية قبل الثورة ، وممدوح ممثل الطبقة العليـا بعدها ، فمختار ابن رجل بالغ الثراء ، يقطن قصرا فاخرا ، مـملوءا بالرياش والتحف ، والخدم والحشم ، عدا المربية الاجنبية التى تصحبهم فى السـفر الى سويسرا كل عام للتصييف ، يأكل أطايب الطعام فى أدوات طليت بماء الذهب ، ومختار أيضا ابن هذه الطبقة البار بنظرته المتعالية الى العمل ، فيعتـبره عارا رهيبا ، ويثور ثورة عارمة على ممدوح عندما يطلب منه أن يعمل بعد أن أودت ظروف قدرية بالثروة ، وتغيرت الاحوال ، أما ممدوح فلقد تبصر مسبقا بقيم الحياة الجديدة ، وتغيراتها واتجاهاتها ، وعرف طريق التسلق للمناصب العليا وأبوابها ، وولج هذه الابواب باقتدار — رسالة الدكتوراه فى أمريكا وكرسى الاستاذية فى الجامعة — ، ورغم هذا التباين فالتعاطف يغمر قلب كل منهما نحو الاخر ، وينتهى تنقيب ممدوح وبحثه من مختار بالفشل ، الا أنه يلتقى بمحمود بك البرديسى ، صديق مختار وابن طبقته ، شبيهه فى الجاه ، وفى الانحدار وفقدان الثروة ، وصنوه فى أخلاقياته وتعاليه ، يصادفه ممدوح فى موقع التعمـير وأين ؟ فوق السقالات تحت الشمس اللاهبة ، ويبدى له ممدوح دهشته من قيامه بالعمل ، فيجيبه اجابته التبريرية الخالدة : انحرب أكتوبر غيرتنا جميعا ، لقد مست يـد التغيير كل مصرى بل وكل عربى ، هذه الطبقة بكل بساطة تاخذ جواز المـرور بالتمسح بالاخلاق كأنها انتفت من جذورها بعد أن مست عصا أكتوبر السحرية بناءها الاخـلاقى ، ويظـل السؤال الملح كيف توصلت عصا اكتوبر لاحداث هذا الانقلاب الشامل ، لا اجابة تقدمها يوما سنلتقى الا أنها عصا سحرية تحدث المعجزات ، وتمهر ببصمتها العريضة جوازات المرور لكل العناصر المتطفلة .

ملاحظة اخـيرة : ان البرديسى الذى صادفه ممدوح فوق السقالات فى موقع التعمير ، هو مقاول الانفار بالموقع !

وداخل الاطار الاسرى ، يقـدم حامد مربود فى رقصة الحـرب [٥] « القصة الفائزة فى مسابقة الزهور للقصة القصيرة » الفلاح والعـامل والبورجوازى ، أشقاء ثلاثة فى أسرة مصر المثخنة بالجـراح ، أمعن حامد مريود برشاقة فى تصـوير الفـلاح طيبـا صـلدا حكيما عاشـقا للارض نبيلا ، لا يعرف الخبث ولا المداورة ، ضحى بكل شىء فى سبيل الاخ الثالث — مهندس زراعى ، باع مصاغ زوجته ، وباع الماشية من أجله ، سقاه بعرقه ، وأطعمه لحم كتفيه ، ولكنه كفلاح وكعاشق للارض لا يحسن كرا أو فرا ، لا يجيد الحرب ولا يعرف تكتيكاتها أو استراتيجيتها لا يعرف غـير حب الارض والتفانى فى عشقها ، يخوض حرب يونيـة فينتهى بالهزيمة ، ويقتل — ويحمل المهندس الزراعى دمه ، ويرقص البورجـوازى رقصة الحرب فيقتنص انتصار أكتوبر ، أما العامل فلا يطفو على نسيج القصة ، حاضرا بالاسم وغائبا عن الاحـداث ، مشتركا فى التحالف ومتخلفا عن الحركة ، لم ينتشل الهزيمة من قبضة الفلاح الساذجة ، ولم يساهم فى صنع النصر مع قبضـة البورجوازية الماهرة ، وذكره بالاسـم وبالاشارة يؤكد الدلالة الطبقية لاسرة حامد مريود ، دلالة نتسع وتشمل مصر كلها ، حتى تنفى باتساعها أواصر العلاقة الاسرية التى تربطهم كفروع لاصل واحد . ان المهندس الزراعى فى رقصة الحرب بهذه الدلالة ليس هو جندى المؤهلات ابن الاسرة الفقيرة والذى كان عاملا من عوامل نجاح حرب أكتوبر ، ليس هو العنصر العلمى الذى طعم القوات المسلحة وأمدها بالدماء الجديدة ، انه يلتصق بالنصر التصـاقا اسماعيل ولى الدين ، ونبيـل راغب واحسان كمال ، انه يختلف تماما عـن بطل منير عامر فى «الزفاف الغريب» [٦] ، جندى منير عامر يستدعى من لندن للتجنيد ، فيقطع بعثة الحصول على الدكتوراه فى الهندسة ، ويعود ليثبت أن المصرى الذى كان اول من حول الانسانية من جامعـة للطعام الى منتجة له ، والذى كان أول من صمم المنازل وصنع السلاح وانتبه الى قيمة الزمن ، ما زال قـادرا على استخدام السـلاح وتصميم الخنادق ، ما زال قادرا على العطاء وحماية الانسانية بفهمه لتكنولوجيا العصر الحديث ، وتكتيكات الحرب الحديثة . وجندى منـير عامر بمشاكله اليومية وبافتقـاده الضرورات اللازمة للحياة ولتكوين أسرة ، يختـلف من نماذج أيام من أكتوبر أو يوما سنلتقى او رقصة الحرب .

ان تطفل هذه الطبقة على أكتوبر تطفل

---

[٣] عندما أطفات الشرارة نار المرارة — التحرير ملحق أسبوعى لمجلة الثقافة العدد ١٩ — ٧٤/٣/١ .
[٤] يوما سنلتقى — مجلة الثقافة العدد ١٠ — يولية ١٩٧٤
[٥] رقصـة الحرب — الزهور — ملحق الهلال العدد ٨ — اغسطس ٧٤
[٦] الزفاف الغريب — مجلة صباح الخير العدد ٩٣٧ — ٧٣/١٢/٢٠ .

ملحوظ ، رغم تزوير الواقع ، وللكاتب أساليبه المعدده للتجنى وللتمجيد ، وفى **«الوسام» لمحمد الخضرى عبد الحميد** [٧] ترتدى هده الطبقه زيا احمر ، انهــا لا تشترك فى البطولات العسكرية أو فى معارك التعمير ، ولكنها بكل بسـاطة تسلب البطوله وأوسمه الشجاعة عبر الدقة المنية والمرض الفنى .

يسهب الخضرى عبد الحميد فى تقـديم « علاء » بذكاء يبرز كوامن التعاطف مــع جندى عربى أحدث فى مدرعات العــدو خسائر فادحة، واختار الخضرى عبد الحميد للمفارقة لحظة حاسمه هى لحظه استلام علاء لوسام البطولة ، وعلاء رومانسى فى تخيلاته ، دو مشاعر مرهفة أرهاف حــد السكين ، ونتعايش من خلال رومانسيه وحساسيته المفرطه مع مأساته ، لقد فقد ساقا فى الحرب ، وعــلاء ذو الســاق الوحيده خطيب لشادية ابنة التاجــر الثرى ، ومن وجهة نظر علاء يتعرف على أبيها ، انه ينتمى الى فصيلة تختلف عن بقية الناس ، لا يفهم من شئون الحياة الا ما يتصل بالارقام والرزم والمساحات، اشتهر بأن البخل أحد ابرز صفاته ، رجل سوق ، تبادل المنافع وحــركة الكسب والخسارة حرفته، لعله فى خبيئة مشاعره لا يريد لابنته الوحيدة المدلله زوجا ذا ساق واحدة والثانيه خشبية » ، ومن خــلال مأساة علاء نواجه التاجر الثرى بعــداء بالغ ومقت دامغ ، أن الحسرة تتملكنا مع علاء الذى فرض على نفسه الحرمان من خطيبته ، مضحيا بسعادته من أجــل سعادتها ، لقد بدا أثر عودته الظافرة يعاملها بجفوة توطئة لفرقة لا تلبث أن تتم بارادته ، الا أن علاء كشخصية فنيه ما هو الا مدخل أحكمت صناعته للشخصيه الرئيسية ـــ التاجر الثرى ، فما يكاد حفل التكريم ينتهى ، حتى يتقدم التاجــر من علاء البطل الحزين، ويفاجئه بالعناق، وبنبرات نبيلة يحول الموقف ، وبكلمات قليلة يستحوذ على تقديرنا واحترامنا . ويستولى على البطولة والوسام والتقدير، ممزقا نياط القلوب أسفا ، خالقا موازنه جديدة لصالحه ، فعــلاء المظلوم نتبينه ظالما ، والثرى المتكبر بخلقه التجارى ذو قلب انسانى ، يمس الساق الخشبية بحنو وتقديس : « والله اننى لاود أن افقد كل ثروتى لقاء أن يكون لى وسام كوسامك ، ولو غارت فى بطن الرمل ساقاى وذراعاى جميعا » .

نادرا ما يصادفنا نموذج لشخصية نابعة مــن الطبقــات الادنـى ، كشخصية رئيسية فى أى من النماذج القصصية التى تندرج تحت هذا الاتجاه ، واذا حــدث هذا فانما نعرض عن طــريق التجــاوز للنمـــوذج الحى بملامحـــه الاجتماعيه والنفسية الى النمط الاسطورى أوالرمزى الذى يحوى الكل ويتخطى الحواجز الطبقية .

وحين يقدم **زهــير البيومى فى « الغربان والكتاكيت وخيال المآته » (٨)** الفلاحه التى فقدت ابنها المجند ، والتى دأبت على ان تحجز له فى كل موسم مــن العيد الصغير والعيد الكبير وراس السنه الهجرية وعاشوراء نصيبه من خيرات الله، والتى اعادت الاحتفاظ بملابســه بدون غسيل حتى يعود ، فهى حين تشم رائحه عرقه فى ملابسه تطمئن الى انه مازال موجودا على قيد الحياه ، وحين تتأكد من استشهاده تتجه الى المقابر لتدفــن اللحم [نصيبه من الخيرات] ، والى الحقول لتضع أحد قمصانه على عصــا وسط المزارع كخيال المآتة ، والى حظيره الدواجن لتصنع أحد قمصانه أيضا على عصا وسط الدواجن والكتاكيت ، وتوزع قمصانه الاخرى على المدارس لتوضــع على عصى كخيال المآتة حتى لا تقترب الغربان من الكتاكيت الصغيره . الفلاحه رمز مصر المستبسلة ، وابنها هو كل أبناء مصر رمز التضحيه والفــداء والبطولة ، وتتكاثف الرموز فى نسيج البناء لتخــلق أسطورة جديدة ، تتعالى على الواقع وتصل بالتعميم الى حد التجهيل .

من الخلق البطولى الى اللا اخلاقية :

تنفرد ظاهرة اكتوبر عن غيرهـا مــن الظواهر التى قد يعرض لهــا الادب بخصائصــها الاجتماعية التى هى مــن الوضوح بحيث لا يمكن تجاهلها ، انهــا ظاهرة جماعية ، تتشعب علاقتها وتضرب بذورها فى أرض الواقع المتعددة الوجوه، ولا يمكن لجهد فردى أن يمثل حقيقتها الا اذا كان ذا دلالة جماعية ، وذا مضمون اجتماعى ، وحين حاولت القصة القصيره فى اغلب النماذج التى قدمها الاتجاه الاول وسم شخصياتها بالبطولة ، انهــارت مقدرتها تحت معول نظرتهــا الفــرديه المحددة ، لقد بذلت جهدا مستميتا فى بناء الشخصية على أســاس النبــل النفسى بمفهوم أخلاقى ، وقد فاتها أن الاخــلاق نسبية ، وأن النبل النفسى ليس قيمــة مطلقة بل قيمة خاضعه بالصرورة للحياة، وأن التمايز الخلقى تضع أحكامه وشروطه الحياة العامة ، وأى مــن الشخصيات الفنية ـــ سواء أحمد « ولى الدين » أو ممدوح الصوفانى ، أو بطل نبيل راغب اللا مسمى لم يستطع أن يقدم نفسه بطلا، سلوك كل من احمد وشخصيه نبيل راغب اللا مسماة ذو جذور ذاتية بحتة ، أن سلوكها الايجابى قرار فردى يتخذ لتحقيق مصلحة شخصيه ، ان بطولتهما متوقفة على المنطلق الاجتماعى للسلوك ، وهو مالم يحدث ، وعلى هذا التباين فى دوافع الســلوك يتقــوض النموذج البطولى ، ويتناقض مع حس الواقع ومتطلباته ، ان النظرة الفردية حين تدفع بالشخصية فى الوسط الجماعى لا تحملها بمضامين الاخلاق البطولية ، بل تقدمها فى صورة لا أخلاقيه .

ويعد نموذج جبرييل فى « **البقعــة السوداء » لغبريال وهبة** »[٩] من النماذج النادرة لهذا النوع من الادب الذى ينتهى فيه تصوير البطولى الى تصوير لاأخلاقى. جبرييل مدرس ثانوى ينطلق بسيارته الفارهة مسافرا من القاهرة الى قرية عين غصين ـــ احدى القرى المتاخمه لمدينة الاسماعيليه ـــ وزمان السفر بعد أسبوعين من توقيع اتفاقية الفصل بين القوات [، وتأتى زيارة لقرية عين غصين كشجن لاشواق بعيدة ، اضطرمت بقلبه فثار حنينه للمنزل الذى كان يعيش فيه هو وزوجته كوثر التى استشهدت فى اليوم الخامس من يونية ١٩٦٧ ، خلال غارة جوية على المصــنع الذى تعمل به . وعندما يصل جبرييل ويتفقد البيت ، يصادف اليمازر ، جندى اسرائيلى يســتغل البيت كمأوى له ، ويبادره اليمازر بالسباب : خنزير، خنزير، فيستثار جبرييل ويحتدم الغضب بأعماقه، والى جانب الغضب تتوارد الى ذهنــه ذكريات كوثر فيحتدم الغضب وتتأجج نيران الرغبة فى الانتقام ، وتمتد يد جبرييل الملتهبة بالغضب لكرامته المهدرة، وبدوافع الانتقام الشخصى ، فيلتقط قضيبا حديديا كانت زوجته الكيمائية تستخدمه فى تذويب المحاليل والاصباغ ، ويهوى به على راس اليمازر فيقضى عليه ثم يركن للفرار السريع.

ومناقشة مغامرة جبرييل على أى من المستويين ، الواقع فى الحياة او الواقع فى الفن، ينفى عن المغامرة صفة البطولة، لانتفاء الدوافع الجماعية ، ان العملة التى يستخدمها غبريال وهبه عملة مزيفة ، مدسوسة على العملات الاجتماعية المتداولة، وتتبدى المغامرة بدوافعها الذاتية جريمة كاملة بأركانها القانونية التى ينص عليها قانون العقوبات .

ويتدارك غبريال وهبه المأزق الذى وضع جبرييل فيه ، فيحاول أن ينتشله مــن الوهدة التى تردى اليها ، فجبرييل المزمع على الفرار يتوقف فى الطريق ويستدير

---

[٧] **الوسام ـــ التحرير العدد** ١٩ ـــ ٧٤/٣/١ .
[٨] **الغربان والكتاكيت وخيال المآته ـــ الزهور العدد الخامس ـــ مايو ١٩٧٤**
[٩] **البقعة السوداء ـــ الهلال العدد ٧ ـــ يولية ١٩٧٤ .**

عائدا ، لقد خطر بباله أن مغبة ماقام به ستقع حتما على رأس حمية الذى يعيش وسط أملاكه الزراعية بالقريه المجاورة ، ولابد أنهم سينكلون به انتقاما لليعازر ، وبعودته يسلم باحتمال القبض عليه من جانب العسكريين الاسرائيليين ، لكنه يتقبل التضحية بنفسه فى سبيل الاخرين ، الا أن هذا المنحى الاخلاقى المتدارك لا ينقذ جبرييل ، فما كان قد صنعه باسم أكتوبر اسمى ، وما يقوم به يقع خارج هذا الاطار ، لقد افتقد فبريال وهبه التشخيص السليم للعمل البطولى ، فالمفاهيم الفردية لا تؤسس بناء بطوليا ، بل تقوض بسطحيتها صرح الاخلاق .

وتنزلق **اليفة رفعت** فى « **دبيب الحياة** »[10] الى نفس المهوى الذى تردى اليه فبريال وهبة ، بطلة دبيب الحياة زوجة لمدرس ثانوى أيضا ، لكنه مدرس تربية فنية ، وربما لهذا لم تسنح له فرصة الاستغلال ، فيمتلك سيارة مثل سيارة جبرييل ، ان مشكلة زوجة لطفى عبد الفتاح مشكلة جنسية فى جوهرها فهى قد تزوجت منه منذ خمس سنوات أو ست ، وتمشت برودة الروتين فى عروق حياتهما معا ، وغطى الجليد لياليها معه، لقد أصبحت صلتها الجنسية بزوجها صلة واهية واهنة ، باردة كئيبة ، ثم يهبط ملاك أكتوبر من السماء ، ويستيقظ الزوج من شبه السبات والخمول ويتطوع بالدفاع المدنى ، وتتطوع الزوجه بدورها فى الهلال الاحمر ، فتشترى معطفا وغطاء رأس جديدا ابيض فاخرا ، وحذاء أبيض ، وحقيبة بيضاء ، وتقص شعرها لتبدو فى هيئة جديدة ، وتغير طريقة تجميل وجهها حتى تبدو امرأة جديدة مع الحياة الجديدة، وتتوجه الى المستشفى لوجودها الحقيقى هناك، هكذا يبدو أن عصا أكتوبر السحريه قد مست أخلاقياتها ، أو مست مظهرها، ووجودها بالمستشفى بهذا الاسلوب نزهه لاشباع أهواء نسائية ، فهى تسير بين الجرحى غندورة مختالة بثوبها وشارتها الجديدين .. علامتى التغيير ، وتنتبه زوجة لطفى عبد الفتاح على صوت بطل ينادى حبيبته « نورا .. حبيبتى نورا ... تعالى يا نورا » وتقف أمام الملازم أول مدحت أمين فى لحظة احتضاره ، وبدون أن تخامرها أى مشاعر بالشفقة أو بالنبل، ومن قبيل الفندرة فقط تقترب منه وتمر بكفها بعد أن ملأته عطرا على جبهته ، وتهمس : «أنا يا حبيبى بجوارك فاهدأ» فيطوقها البطل المصاب فى معركة الدبابات بيديه المبتورتين المنسوفتين مع دبابته ، بصدره المحروق وظهره المكسور ، فلا تستطيع أن تقاومه ، ولا ندرى من المقاومة ما اذا كانت نفسية أو ماديه والارجح أنها لم تستطع أن تقاوم دراعى الذكر ، طوقها البطل « بساعده الملفوف بالاربطة فلم تقو على مقاومته والصق شفتيه فوق شفتيها ، وقبلها بكل الحب الذى يشعل أشواقه لحبيبته نورا ، ولايأسى على لسان الزوجه وصف لاية مشاعر نبيلة عن قيمة ما قدمته ، فهى لا تفكر بهذه الطريقة ، ولا تستطيع السمو على فرديتها وذاتيتها ، فالحماه الجسيه تندفع فى عروق الزوجة « قلبى ينتفض بنبضة حارة جديدة ، صحوت من سباتى وغفلتى الطويلة ، وقد تدفقت مشاعر وأشواق اندلعت واضطرمت شرارتها فى كيانى دفعة واحدة » ، وفى المساء راح زوجها يمر فى رحمة على أعضائها، يعيد بلمسته الحنون سريان الدماء بالراحة الى جسدها فألصقت شفتيها بشفتيه ، وحماة المشاعر الجنسيه التى استشعرتها فى قبلة بطل أكتوبر تنساب من شفتيها الى جسد الزوج فيشتعل . بأشواق حارة ويتحد نبض قلبيهما ويعزف لحنا منسجما واحدا ، اتسقت له رجفات جسديهما ، وبزغ فجر جنس جديد فى ظلمة حياتهما الجنسية الباردة .

ان عصا أكتوبر السحرية بريئة من دبيب الحياة ، وواقعة أكتوبر خلفية باهته لمشكلة زوجة لطفى عبد الفتاح التى كان من الممكن لاى رجل آخر غير مدحت أمين أن يقدم لها نفس الحل المبارك ، لقد تفوضت مفاهيم النبل : اذا كانت الزوجة حقا قد قصدتها — على صخرة الاسراف فى الذاتية .

ومن أهم النماذج التى تتعلق بمفهوم البطولى ، نموذج **الحارس** فى قصة بنفس العنوان **لمحمود البدوى**[11] ولا مجال هنا لمناقشة بناء القصة والتناقضات التى يسقط فيها الحدث ، من حيث مدى واقعيتها ، ومدى امكان حدوثها ، لتكن محاولة لينا جدعون المجندة الاسرائيلية التى سقطت من الطائرة بقرية من قرى أسيوط، والتى لا تجيد غير العبرية فى الهروب للقيام بالتجسس بدون استعداد وبدون وسائل اتصال وبدون تخطيط مسبق مسلمة من المسلمات ، وليكن قيام ضابط الامن [الحارس] بالسهر وحده لتسليمها أمرا جائزا ، ولنقتنع قصبا بكل هذا وبغيره ، فمجمل هذه الملاحظات هامشى، وما يستحق الاهتمام حقا هو تفاعل الحارس داخل اطار أكتوبر .

يزج محمود البدوى بأكتوبر — فى ديوان صغير مخصص للسيدات فى العربة الخلفية من قطار الركاب رقم ٧٧٧ رجلا وامرأة — ، الرجل هو الحارس ، ضابط أمن بمنطقة منفلوط ، والمرأة هى لينا جدعون بملابسها العسكرية ، ثنائى رومانسى فى اطار واقعى ، الا أن هذا الثنائى الذى حمل على كتفيه تقديم أكتوبر يظل محتفظا برومانسيته ، انهما موجودان بصفة انسانية والصراع بينهما يدور على محور العلاقة الخالدة بين الذكر والانثى، لينا جدعون « رشيقة الجسم وتعد جميلة فى النساء» و« بدأ لحمها من تحت القميص الاخضر متسخا كان به اثار جرح» أن التعابير الجنسية متعددة ومكثفة ، دامغة، والمحور الجنسى عند محمود البدوى هو الذى يطور الحدث وينميه، يتمدد الحدث وينتصب فى نسق البناء الفنى لينغرز فى اللحم ، وتتطاير حول محور الصراع الجنسى خلفيات غير هامة للبناء العضوى للقصة، فيتسطح الحوار ويرتفع طافيا مباشرا وهزيلا ، أحيانا ، حين يحاول البدوى تعميق اللحظة الفنية — أى مدينة فى مصر كنت تريدين تدميرها ؟ فشحب وجهها — لم نخرج لندمر ، كانت طائرتنا استطلاعية ... — لماذا سقطت ؟ ... — أصيبت بقذيفة « حوار ساذج أو يتساذج بين ضابط أمن ومجندة اسرائيلية ، ويتتابع الحوار: — هل ولدت فى اسرائيل ؟ .. — ولدت فى رومانيا ... — شاهدت فى مجلة اجنبية منذ اسبوع فقط صورة لاسرة رومانية تجلس فى حديقة بين الورود والرياحين ، أسرة وديعة مسالمة فلماذا تختلفون أنتم عن جميع البشر.. وتريدون تخريب العالم ؟ ويمضى الحوار على هذا المنوال متقطعا متنافرا لايضيف ولا يثرى.

وبطولة الحارس هى بطولة التعفف ، والامتناع عن مباشرة العمل الجنسى ، لقد قام بتفتيشها بدقة متناهية وهى تنظر بدلال ، أنه يصرح « لم أشعر بأية عاطفة نحوها .. كانت يداى تتحركان على تمثال من الشمع الجامد ، وربما كانت تتصور اننى أتلذذ من هذه الحركة لاننى فتشت الجيوب ، وقلبتها ، ولمست صدرها وفخذيها تحت القميص وفوقه ، وربما كانت تتصور أن فى الامر متعة لانها طالت ولكن احساسى كرجل كان يغطيه دخان الحرب ويغلفه » ، والتعفف الذى أبداه **حارس البدوى لم يكن نتيجة لدخان الحرب فالبدوى يتصور الجنس ضعفا له مضاعفاته فمعناه بمفهوم الحارس ضياعه كرجل ومن الضياع للسجن ، ان المسألة تمس جانبا شخصيا غاية فى الفردية بالنسبة للحارس ، ان التعفف الذى أبداه ليست له هذه الدلالة العميقة فى عدم امكان الاندماج الانسانى بين كيانين متصارعين، بينهما تاريخ رهيب وحواجز من الحروب المريرة ، لا يمكن تخطيها بسهولة ؟ ان** هذه الافكار وامثالها لاتخطر ببال الشخصية

---

[10] **دبيب الحياة — التحرير — العدد ٤٢ — ٩ اغسطس ١٩٧٤** .

[11] **الحارس — الهلال — يناير ١٩٧٤** .

الحارس الفارقة فى فرديتها ، ان المشكلة عنده ذات ملامح خاصة ، فهو يتخيل أن علاقة الجنس سلاح تشهره نحو ه للانتصار عليه وتطويعه لارادتها ، ولهذا فلقد قاوم فتنتها ، رافعا راية العفة عاليه شامخة أبية ، أن الاستسلام لها يعنى اطلاقها نعيث فى الارض فسادا !! وهو لا يخاف على الارض الا منطلقا من خوفه من العار والفضيحة والمحكمة والسجن .

لا يحمل الحارس أية مضامين اجتماعية، ونوهله للبطولة ، انه شخصية أحادية الجانب ذات بعد واحد ومشاعره الطافحة من الهلع تدينه ، الهلع على مصيره الشخصى لا مصير الوطن والمجتمع ، فالحارس لمحمود البدوى لا يهتم بغير مصيره الشخصى وحين تكون المسألة اختيار بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة فانه يتجه فورا لاختيار مصلحته الشخصية « كان معى جهاز أرسال لاسلكى ، ولكننى لم أستعمله ، ولم أطلب الاستعانة ولا النجدة خشية الفضيحة » .

لقد أفضت النزعة الفردية لمحمود البدوى مثله تماما مثل غبريال وهبة والينة رغمت للانحدار من الاخلاق للا اخلاقية ، أن المعضلة الاساسية لهذا النوع من الادب أن أكتوبر حدث تاريخى ذو دلالات اجتماعية بعيدة وعميقة ومتنوعة، ولايمكن للادب ان ينجح فى تقديمه اذا تجاهل هذه الصفة ، ولقد تحطمت على هذه الحقيقة شخصيات جبريل والزوجة والحارس .

[٢]

يمضى الاتجاه الثانى بالقصة المصرية القصيرة نحو عالم أكتوبر بقوة وترصد وعمق ويستطيع بمهارة فنية أن يلج هذا العالم ويكتشفه ويكشفه بحذق وبراعة، وبقصفات رقيقة نتلمس وجه الحقيقة الضائعة بين مسارب الحياة الزاخرة بالعلاقات ، ويتبدى جوهر أكتوبر بمحتواه التاريخى والشعبى كمضمون للتجربة القصصية ، لا كخلفية باهتة لمشاكل عاتية القدم بالية من طول الاستخدام ، لقد تصيد هذا الاتجاه أكتوبر وطرحه بفهم وادراك ، وقد مكن له هذا الادراك للظاهرة فى علاقاتها المتنامية المتداخلة مع غيرها أن يدفع القصة المصرية على درج التطور والنضج والاكتمال ، موفرا لها عناصر الابداع الفنى ، لقد انتشل التجربة القصصية من وهدة التخلف التى تردت اليها ، وأعاد لها حيوية الحياة المعاشة وعصريتها ، فتوهجت اللقطة الفنية بالحداثة والإبتكار، وتغير المحتوى وثراؤه وتعدد علاقاته طور بالتالى من الوعاء الفنى أو الشكل الفنى بناء وأسلوبا .

لقد ارتقى الاتجاه الثانى للقصة القصيرة بفهمه الايديولوجى للواقع ، وبما أنجزه من ابداع ، بالفن القصصى لمستوى ماحدث فى السادس من أكتوبر ، عابرا كل مهاوى الوهم لشمس الحقيقة ، مجتازا كل مزالق التخلف والانهيار، لعوالم الحداثة والجدية والتحضر .

فى « شئون عائلية » لمجيد طوبيا [١٢] يتدفق نهر الزمن بعيدا عن الصخب والافتعال ، حاملا خمسة وعشرين عاما او تزيد الى بناء القصة القصيرة، وتستقر الواقعية باتقان ، ويتعانق التاريخ العام بالتاريخ الشخصى للشخصيات فى وحدة التجربة العضوية بذكاء ومهارة ، ومخاطرة مجيد طوبيا فى رحلة الربع قرن فى نهر « شئون عائلية » مخاطرة جريئة واعية بالواقع وتشعبه ، وبطاقات الفن التى لا تحد .

ظاهرة أكتوبر فى شئون عائلية ظاهرة يحتويها تاريخ الصراع المرير بين العرب والصهيونية ــ يد الامبريالية العالمية فى منطقة الشرق الاوسط ، وترتد الظاهرة للخلف ربع قرن من الزمن الى بداية الصراع الدامى منذ حرب ١٩٤٨ الى العدوان الثلاثى الى حرب الايام الستة الى شرارة أكتوبر. وتندس فى هذا الصراع الامبريالية العالمية سواء انجلترا وفرنسا أو أمريكا.

ولا ينفصل هذا المحتوى التاريخى عن حياة الافراد والشخصيات الفنية ، وكما تدرك الام ان ما يحدث فى الخارج له علاقة بكيفية ما بما يحدث لافراد أسرتها، فالعالم الغريب الكبير المعقد يترابط فى لوحة بالغة الدلالة لاسرة شئون عائلية .

الجولة الاولى ، نبضة الزمن الاولى : دفقة الحرب يحسوها التوأمان الصغيران، وجه النحس المتعلق بمولدهما الغلاء وارتفاع الاسعار ، يجيد مجيد طوبيا اختيار اللحظات البسيطة العادية الغنية بالدلالات ، ويمتزج التوأمان وتنصهر شخصيتاهما فى شخصية التاريخ فى خفقة زمنية واحدة ، ويتوازن فى الجولة الاولى عبء الحرب بعاتق التوأمين الرخو ــ جيل الصراع . وتشتعل الشرارة فى جسد الواقع .

الجولة الثانية ، نبضة الزمن الثانية : تقتنص الحرب جزءا من حريتهما ، عندما تتحول أرض الملعب لمطار حربى ، تقترب الحرب أكثر من وجودهما وتمسها بشدة نسبية ، تتفتح عيون التوأمين على وجه الامبريالية السافر بالعدوان الثلاثى ، وتتأجج الشرارة .

الجولة الثالثة ، نبضة الزمن الثالثة : يتبلور القدر التاريخى للجيل ، وتتبلور الشخصيات ، تنضج الام والتوأمان من خلال الاحتكاك المباشر بالصراع الخارجى، عبء الحرب يتدخل مباشرة فى حياة الاسرة بوضوح ، يجند أصغر التوأمين ويزج به فى سيناء فى حرب الايام الستة ، ويحبط ارادة الام المنصرفة لاختيار زوجتين لهما برحيله ، يسفها انتظار ينقطع بعودة مخزية ، يتكثف الوعى : « ما ذنب أخى وقد وقع فى أيدى قادة ليسوا على مستوى المسئولية ... هناك أمور كثيرة يجب أن تتغير ، ووجوه عديدة يجب أن تختفى » ، لقد دخل الصراع من الباب ويضطرم تأجج الشرارة .

الجولة الرابعة ، نبضة الزمن الرابعة لا الاخيرة : تكتشف الام اصابع أمريكا ، وتبدو أكثر حكمة ببلوغها مرحلة الالتزام بكراهية عدو حقيقى . تتوحد الظواهر فى تيار الزمن المنساب وتلتف حول عنق الاسرة ، تدريبات البحرية والطيران الاسرائيلى فى مناورات الاسطول السادس .. حرق معامل البترول بالزيتية ، الاغارة على عمال أبى زعبل وأطفال مدرسة بحر البقر ، الغارات على سوريا ولبنان والاردن ، الاحتفال بمضى خمسين عاما على ثورة ١٩١٩ ، اكتشاف مقبرة ايمحوتب العالم الفرعونى ، الصعود للقمر ، ظهور المتطفلين فى الحياة الاقتصادية وانتشار الافلام الرديئة ، تتداعى الظواهر وتلتحم لتلتقط صورة أكتوبر الواقعى بانفجار الشرارة والعبور .

نقترب من أكتوبر أكثر فى « تعليقات من الحرب » لابراهيم عبد المجيد [١٣]، نواجه بالحرب وجها لوجه ، نعيش لحظة القتال بكثافة ، نلج لحظة أكتوبر كمعركة دائرة ، ونكاد نسمع دقات طبول الحرب خلف كل كلمة ، ووراء كل حرف يتواصل دقها ، **ان ابراهيم عبد المجيد بشاعرية القصاص استطاع أن يبث ايقاع الحرب كموسيقى تصويرية ذات نفس انسانى أسيان يقى خلف الحدث ويبهر النفس** ، يعزف ابراهيم عبدالمجيد على أوتار عدة ، فمن خلال اختياره لشخصية حازم الشاعر يوازن بين وحشية الحرب ورقة الشاعر الانسانية ، ويمزج

---

[١٢] شئون عائلية ــ الطليعة العدد ١١ ــ نوفمبر ١٩٧٣ .
[١٣] تعليقات من الحرب ــ الطليعة العدد ٢ ــ فبراير ١٩٧٤ .

مزيجا بين هذين العنصرين فى بناء القصة المتماسك ، ولقد اختار الكاتب ايضا لغة اقرب للشعر من لغة النثر ليصل بأكتوبر غورا للاعماق .

ولحظة أكتوبر فى تعليقات من الحرب، لحظة تمتد فى تاريخ يرتد بالصراع لجذوره الحقيقية ، الزمن ينجمع دفعة واحدة فى لحظة **الصراع** ، الماضى والحاضر ، العدوان الثلاثى وحرب الايام الستة وأكتوبر العظيم ، كما أن للحظة أكتوبر خصائصها التى تميزها كالتنسيق بين الجبهة المصرية والسورية ، وكالمساعدات الامريكية لاسرائيل المنهارة بعد أيام معدودة من بدء القتال ، وكمخلفات العدو الهارب اللائذ بالنجاة .. هذه اللقطات لقطات خاصة بأكتوبر ولايمكن الا ان تكون خاصة به ، انها ملامحه الواقعية شديدة الخصوصية يجمعها ابراهيم عبد المجيد فتتالق بها أجواء « تعليقات من الحرب » وللحظة أكتوبر أيضا نغمة كولية تتفرد بهما شاعرية القصاص فبالرغم من امتلاء الارض بالجثث والدم وقطع الحديد المنصهر والرمال المحترقة وبقايا الدانات والرصاص المتناثرة ، برغم الحرب الضروس بكل دمويتها فـ « الارض تستطيع أن تستوعب كل الشرور والا كانت خرجت عن مدارها يأسا » . والبطولة فى تعليقات من الحرب سلوك واخلاق ووعى ، ان الانسان يقع فى بطن الواقع لا خارجه ، يضع الواقع شروط السلوك بجبروت ، ويقدم الانسان الشجاعة ، ومنطلقات السلوك ودوافعه اجتماعية ، الا أن سمة السلوك تظل محتفظة بطابع الانسان كذات وكفرد ، فشبل يتعرض لقول الدبابات بعد أن يلف جسده بأحزمة الديناميت والقنابل اليدوية ، ويلقى بنفسه تحت الدبابة الاولى .. كان شبل مغامرا عظيما ووطنيا أعظم ، ان أمانته الوطنية التى دفعته للاشتراك فى مظاهرات عام ١٩٦٨ هى أساسا الدوافع التى تقف خلف تضحيته ونبله . ولرجال تعليقات من الحرب هذا المظهر الخشن الجافى الوحشى ، ولكن هذا المظهر يترقرق انسانية ، فأحمد يسرى يحمل حازم الجريح فوق كتفيه كالطفل تماما ، يجلسه على قفاه وساقاه تتدليان حول عنقه ويتسلل به ليلا بعد ان أديا مهمتهما خلف الخطوط ونفذت ذخيرتهما ، ويعلق أحمد يسرى ــ لو بقينا سنموت ببطء نحاول أن ننجو أو نهلك بسرعة .

اكتوبر فى تعليقات من الحرب أكتوبر غنى زاخر متعدد واقعى ، يوفر له ابراهيم عبد المجيد بناء متماسكا يقيم صرحه على السرد والحوار والذكريات والتأملات ، يعيش الحاضر ويتداعى الماضى بنقاء ، وتتبلور شخصيات تعليقات من الحرب وتندمج فى بناء القصة :

حازم الشاعر ، نبض الحب الانسانى فى الواقع الدامى ، موسيقى الشعر فى كل كلمة وايماءة مثقف ومقاتل ، يرى أن المنتفعين من الحرب فئتان الحيوانات والتجار ، « لو انتهت الحرب لجئت يوما بعد سنوات فلا تجد جثثا ، تظهر الحيوانات لا تدرى كيف ومن أين ؟ وكذلك صعاليك وتجار خردة ، تستطيع أن ترى الحيوانات اذا رأيت التجار » .

أحمد يسرى ، قال يوما انه بالذات لابد أن يعود ، لا يمكن أن يموت ، انه روح صافية تقاتل ، روح تحتضن الريف رغم أنها لا تراه ، رغم نبوءته يستشهد فى « ليلة الرابع والعشرين من اكتوبر بعد ايقاف اطلاق النار ، بعد أن أصاب أكثر من دبابة وقتل واسر وقام بأكثر من عملية انتحارية » هكذا مات احمد يسرى « غدرا لان العدو فشل فى قتله عندما حاربه وجها لوجه » احمد يسرى نذير بأن الصراع لم ينته وان انتهت الجولة الرابعة .

ومن خيوط الواقع المصرى ينسج محمد المنسى قنديل قصة « سنعيد ترتيب كل شىء » [١٤] وبالرغم من تباين الالوان والصور فى نسيج القصة، فما هى فى الحقيقة غير رسوم على قماش ثوب واحد ، ثوب يحاول الاجابة على سؤال من يقوم بالحرب ويتحمل باعبائها ، ومن يحاول الانتفاع منها واستغلالها ؟

ـ احمد الحوتى : جندى مؤهلات مغلول بالطين ، طين منية مياش كتلة العلمي والخضرة ، قرية من ريف مصر ، من آلاف القرى والنجوع الصغيرة، الترع وحقول القطن ، ومقابر الصدقة ومستنقعات الدلتا وقواقع البلهارسيا ، والبيوت الطينية ، قرية تعيش على حد الكفاف فى وحل المرض والجهل ، فى غياهب نسيان المدينة بعماراتها الشاهقة التى تقدر الشقة فيها بالالاف والالاف ، بسياراتها الفارهة التى تكتظ بها شوارعها الفسيحة ، وملاهيها حيث تبعثر مئات الجنيهات كل ليلة على موائدها بترفونزق وحماقةوارستقراطيه، يحمل احمد الحوتى حلم منية مياش فى البيت المشيد بالاجر ، فى محطة بالبلدة تقف عليها القطارات فتربطها بالحضارة والتمدن والرقى ، بالكهرباء بالمدرسة بالمستشفى .. ، يحمل الحوتى حلم منية مياش فى الحياة وفى الكرامة ، ويحمل ايضا السلاح ليعيد ترتيب كل شىء ويصلح الخلل ، **اكتوبر المنسى قنديل ظاهرة شعبية ودفاع عن المكتسبات والحقوق فى العدالة والحرية والاشتراكية .**

ـ بائع الجرائد ، المحارب القديم الذليل ، يقفز بساق خشبية فى ميدان باب الحديد ، يروج أخبارا غير هامة ويسأل عن أخبار الحرب ، خسر ساقا فى حرب خاسرة ، يجر ساقه الاخرى مشوها فى الطرق ، ويتطلع للتاريخ يسأله العوض .

ـ ياقوت ، فتاة المهجرين المعدمين ، دهمتها الحرب ، لم يبق لها شىء من الدنيا حتى الشرف ، تحول جسدها لنقود ، سلعة ساقطة ، يلتقطها حمودة تاجر البطاطين الجشع ـ الحشرة التى تقتات بدماء المعدمين ـ تنساق للضرورة بالضرورة ، فتاة من آلاف الاسر المعدمة، تتحمل بصبر بائس وبشجاعة فقيرة قدرا فرض عليها ولم يشاركها أحد فيه .

ـ ميمى ومرشدو وزارة الداخلية ، ومهربو العملات الصعبة ورؤساء مجالس الادارة والمنتج [ر] والمخرج [ح] وممثلات الصف الثانى .. [ويمكن أن نضم اليهم احمد [اسماعيل ولى الدين] .. جبرييل [قبريال وهبه] .. الى آخر كل الشخصيات التى طالعتنا] ، الطبقة العليا ، بكوات مصر من ورثة البكوات الذين الغيت القابهم ، ورثتهم فى الالقاب والمكانة ، الجاه والسلطة ، بعيدون من المعركة بالفعل والتفاعل ، بعيدون من المساهمة فى تحمل اعبائها وتكاليفها ، ليست بينهم ياقوت واحدة .. وليس بينهم من فقد ساقا كبائع الجرائد والمشوه ، اكتوبر بالنسبة لهم موضة كل شىء والانتصار ترف .. والعشاء تبجح وادعاء ، يحاولون بجهد صادق احتواء اكتوبر ، لتدعيم مصالحهم كطبقة ، خلقها الاستغلال ، وتعيش بالتطفل ، وكما احتست العرق ، تريد أن تحسو الدم .

[١٤] سنعيد ترتيب كل شىء ـ الطليعة العدد ٨ ـ اغسطس ١٩٧٤ م

٦ أكتوبر والفيلم التسجيلى

كمال رمزى

حاولت الافلام التسجيلية التى تعرضت لحرب اكتوبر أن تجيب على السؤال : من هو بطل اكتوبر ؟ هل هى القلة التى اعتادت ان تأخذ دون ان تعطى .. وتسارع الى سرقة الانتصار من اصحابه الحقيقيين .. أم انها الجماهير التى صنعت بدمها ولحمها ما حدث فى تلك الايام ؟

على طول هذا المحور .. تقدم الافلام اجاباتها .

كانت البداية غريبة حقا ، فبعد أيام قليلة من نشوب القتال ، اعلن التليفزيون أنه سيقدم فيلما تسجيليا عن عبور قواتنا وفى الوقت المحدد التفت الجماهير حول الاف الشاشات الصغيرة ، وتخيلت ــ بناء على البيانات وشهادات وكالات الانباء ــ ما ستشاهده من نيران ودبابات ومدافع واقتحام واشتباكات .. وبعد عرض الفيلم ، أصيب المشاهدون بدهشة لها ما يبررها ، ذلك أن الفيلم كان مسالما جدا ، لم يتضمن طلقة رصاص واحدة .. كل ما عرضه كان عبارة عن جسر خشبى وجندى مطمئن يسير فوقه ، ثم بعض العربات ، ثم الجندى يشير الى العربات نحو الطريق الذى يجب أن تسلكه !!! وقال الناس يومها : لايمكن أن تكون الحرب هكذا .. وبذلك أسقط الجمهور أول الافلام التسجيلية عن حرب أكتوبر !!

وتوالت الافلام على نفس المنوال : صور منظرية غير واضحة ، الدخان الكثيف من بعيد يغلف كل شىء ، وبعض النيران التى لاتستطيع أن تتبين ماذا كانت تندلع فى مواقعنا أو فى مواقع العدو .. وعلى عجل عرضت دور السينما فيلما قصيرا مفتعلا اسمه « ما اخذ بالقوة » من اخراج « حسين كمال » ، وفيه يقوم



الناس جميعا بالرقص والغناء عندما يذاع البيان الاول ويلوح الجنود الجرحى بأيديهم الملفوفة بالشاش والجبس مرددين مقاطع راقصة من أغنية « سعاد حسنى » « ما أخذ بالقوة » .

وبعد توقف القتال : عرضت ثلاثة افلام عن المعارك ، « الارادة » من اخراج « نبيل البيه » و «فى ٦ ساعات» من اخراج « خليل شوقى »و « الصمود» من اخراج « نبيل البيه » ، وهى أفلام طموحه ، لكنها لا تملك عوامل تحقيق طموحها ، فهى ترمى الى تصوير عنف القتال ، لكن قلة المادة الفيلمية التى تسجل المعارك دفعت القائمين على هذه الافلام الى اعادة تمثيل العديد من المواقف وقد أدت بعض الاخطاء الصغيرة المتناثرة فى تنفيذ هذه المواقف الى شرخ الاحساس بصدقها . ففى فيلم «الصمود» مثلا ، وهو أفضل هذه الافلام ، مشاهد عن المقاومة الشعبية داخل مدينة السويس ، ووسط مطاردة الرجال لدبابات العدو وزحفهم على البطون امتارا طويلة وتسلقهم لتلال الطوب تفاجأ بأن قميص أحدهم ناصع البياض وبالغ النظافة ويزداد الامر سوءا عندما تفاجأ بأن أحد الرجال لم يستطع أن يقاوم اغراء النظر فى عدسة الكاميرا ، فيتسبب بالتالى فى عدم الاقتناع بأن ما يعرض هو فيلم تسجيلى .. **ويبدو أن قلة المادة الفيلمية التى تسجل المعارك جعلت الافلام الثلاثة تستعير مشاهد كاملة من بعضها ، الشىء الذى يجعلك ــ اذا شاهدت هذه الافلام فى جلسة واحدة ــ تشعر انك لم تشاهد الا فيلما واحدا** .ومما يزيد هذا الشعور التعليق الموحد الذى تكاد كلماته المملة تتطابق مع بعضها ، ففى هذه الافلام لابد وأن تسمع تعبيرات من قبيل « فرت دبابات العدو من هول الصدام »وتحطمت أسطورة اسرائيل » و « تحدث العالم كله عن بطولة الجيش المصرى » و « لقنت قواتنا قوات العدو درسا لن تنساه » ، وهى كما ترى تعليقات انشائية ، تصبح عبئا على العمل السينمائى ، وليست عنصرا فنيا يضيف جديدا الى الفيلم .

واذا كانت فرصة تسجيل المعارك الحربية قد ضاعت فان آثار حرب أكتوبر قد أمدت السينمائيين التسجيليين بمادة

بالغة الغنى والخصوبة ، تكفى لصنع عشرات الافلام التسجيلية الجيدة . وكان أول هذه الاثار معرض الغنائم الذى عرضت فيه عشرات الدبابات والطائرات وعينات من كافة الاسلحة التى دمرت للعدو . وعلى الرغم من أن عدة أفلام قد اتخذت من المعرض مادة لها فان التوقف عند فلم «**أكتوبر المجيد**» من اخراج « **عبد الحميد الشاذلى** » و« **مبكى بلا حائط** » من اخراج « **هاشم النحاس** » يغنيان عن التعرض الى بقية الافلام .

يجمع « أكتوبر المجيد » أكبر كمية من الاخطاء التى يمكن أن تتواجد فى فيلم يتحدث عن أكتوبر ، ابتداء من الرؤية الفكرية التى تحكمه حتى اليد المضطربة التى تمسك بكاميرا بليدة لا تستطيع أن تنتقى شيئا جذابا من معرض يضم مئات القطع الحربية فضلا عن آلاف الرواد .

وقبل التعرض الى تفاصيل الفيلم نجد أن المخرج يساعدنا على تبين أفكاره عندما يقدم لنا « بفخر شديد » مايريد التعبير عنه فيقول أن الفيلم « يعرض لما قام به كل سلاح ابتداء من المخابرات العسكرية وما قامت به » . **وهنا يقع المخرج فى أحد الاخطاء التقليدية للفيلم التسجيلى المصرى ، وهو انتزاع أدوار البطولة من أصحابها الحقيقيين واسنادها الى مؤسسات وشركات وادارات ..** فاذا سألت « اكتوبر المجيد » عن سبب الانتصار فان المخرج يجيبك بأنه « دقة المعلومات التى جمعت من العدو » و « تكتم الخطة » واذا سألت عن الجماهير ودورها فان المخرج يجيبك بأن فلمه « يركز تركيزا شديداً على الفرحة الصاخبة للجماهير والانبهار لما حدث فى أكتوبر » ، ثم يسأل بدوره « ألا يعتبر تركيزى على رد فعل الجماهير الفرحة فرحا هستيريا .. وجهة نظر سياسية » ؟ «١»

انها فعلا وجهة نظر سياسية ، تتمشى مع الفيلم كله وليست دخيلة عليه .. ففى التعليق البالغ الطول — والذى يتضمن معلومات مكررة عن تكاليف خط برليف وادعاءات رجال الحرب الاسرائيليين — لا تجد كلمة واحدة عن الملايين الذين تحملوا عبء المعركة



كاملا ، قبلها واثناءها وبعدها ، لذلك فانه كان من الطبيعى أن تظهر الجماهير فى « أكتوبر المجيد » على النحو الذى ظهرت به : مجرد « قطيع » — غير انسانى — تنظر بانبهار الى كتل الحديد المحترقة كما لو كانت تشاهد أشياء من كوكب آخر .. ولكى يؤكد الفيلم وجهة نظره فى الجماهير « الصاخبة » و« الهيستيرية » يتعمد أن ينظر لها بالكاميرا من مكان مرتفع فتبدو كما لو كانت طوفانا « مندفعا » ، كتلة لاملامح لها ولا اتجاه .. ويبلغ الفيلم حداً كبيرا من التسوء عندما يقدم أحد جنود الصاعقة الابطال ، مبتور القدم ، وهو يرقص على قدم واحدة « بلا مبرر » ، رقصة عصبية!

اما فيلم «هاشم النحاس» « مبكى بلا حائط » ، فعلى الرغم من انه لا يتضمن لقطة واحدة أو تعليقا على عنف القتال فانه من أبلغ الافلام التى عبرت عن ضراوة المعارك وقسوتها ، والفيلم يبدأ بداية هادئة ، الكاميرا التى يحملها المصور الموهوب « **سعيد شيمى** » تتأمل احدى الدبابات الاسرائيلية الضخمة .. تدور حولها دورة ، وتبدو الدبابة هنا كما لوكانت احدى الوحوش الدموية الشريرة ، وتعطى اصاباتها وثقوبها احساسا دقيقا بمدى قسوة المعركة التى دخلتها .. ثم تتأمل الكاميرا مجموعة الدبابات التى تظهر كقطيع من الوحوش أيضا ، بالغة الشراسة ، بالغة القوة لكنها منهارة ومستسلمة ، وهى فى هذا الوضع تعبر بدقة عن القوة الاخرى التى واجهتها وقاتلتها وقهرتها وجعلتها فى النهاية « فرجة » لآلاف العيون . وتنظر الكاميرا فى جوف احدى الطائرات فتبدو الالات الدقيقة المحترقة والاسلاك المتداخلة كما لو كانت أمعاء حيوان مبقور البطن .. **ان الفيلم ، وهذه هى ميزته ، يحيل الاشياء الجامدة الى أشياء حية ، ويستنطق كتل الحديد وعشرات البنادق والخوذات لتروى فى صمت عن المشوار الطويل الذى خرجت فى بدايته من مصانع السلاح الامريكية لتستقر أخيرا مهزومة بأرض المعارض بالجزيرة** .. وينتهى الفيلم بمشهد واضح الدلالة، فثمة طائرة فانتوم ضخمة ، منطرحة بأجنحتها الكبيرة على الارض ، تحت أقدام آلاف الرواد ، كما لو كانت طائرا « خرافيا » تم صيده ، بينما الجماهير تدور حوله فى مشهد يكاد أن يكون مشهدا طقسيا .

ويقترب فيلم « **كرنفال** » الذى أخرجه «**أحمد فؤاد درويش** » من نفس المنطلقات التى يعتمد عليها « أكتوبر المجيد » وان كان يحاول أن يضفى على نفسه وقارا من الناحية الفكرية وابهارا من الناحية الفنية . ومنذ المشاهد الاولى من الفيلم نتبين أن حمولته من المعلومات — وليس الفكر — أكبر كثيرا من طاقته الفنية ، لذلك فانه يعطى انطباعا بأن المرء لايشاهد فيلما تسجيليا بقدر مايستمع الى معلومات كثيرة من العنف الاسرائيلى ، مدعمة بالصور .

والفيلم من الناحية الفنية يفتقر الى وحدة الاسلوب ، فهو يفتتح بحفلة راقصة تجمع شبابا من أنحاء العالم ، وفجأة يدعوهم شاب أسمر الى المشاركة فى القضية التى سيعرضها ، ويبدأ الفيلم فى حشد كل ما يعرفه عن اسرائيل ، وهى معلومات كثيرة حقا ، نشأتها ، وارتباطاتها بالاستعمار التقليدى ، ثم الامبريالى ، دورها فى المنطقة ، فلسفتها القائمة على العنف والارهاب ، وبهدف ابراز جرائم اسرائيل يلجأ الفيلم الى عرض مشاهد تسجيلية مأخوذة من افلام قديمة من اعتداءات اسرائيل على معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فى الاردن وسوريا ، ويدعم المشاهد بصور فوتوغرافية ، ثم يعرض أيضا لقطات ومشاهد من افلام قديمة من الاعتداءات

(١) نشرة نادي السينما ٧٤/٨/١٤

الاسرائيلية على مدن القناة ومدرسة « بحر البقر » وورش « أبو زعبل » ، ويلجأ الفيلم الى رسوم الكاريكاتير ليعبر عن الارتباطات الوثيقة بين الفكر العنصرى لرجال اسرائيل وبين رجال الانظمة العنصرية فى المانيا النازية تارة وجنوب أفريقيا تارة أخرى ، من طريق تبادل رأس كل منهم مع الاخرين ، وهم يسيرون فى موكب حربى واحد .. **والفيلم بهذا الشكل الفنى المتعدد المصادر والاساليب يعد فيلما تلفيقيا أكثر من كونه تسجيليا .**

ولكن أخطر ما فى الفيلم ، من الناحية الفكرية ، يتمثل فى الطريقة التى يتعرض بها لحرب اكتوبر ، فعندما يندلع القتال، ويتم العبور ، يقدم مشهداً طويلا لمياه القناة من خلال شباك عربة عسكرية تسير على ضفة القناة ، ومع بعض الجمل حول الحرب والانتصار : يتوالى ظهور جميع ملوك ورؤساء الدول العربية !! مجتمعين مرة ، ثم كلا منهم على انفراد.

هكذا ، كما انتزع « اكتوبر المجيد » البطولة من الجماهير « الفرحة فرحا هيستيريا » يتجه « كرنفال » نفس الاتجاه ، فهو لا يظهر الجماهير على طول الفيلم الا مضروبة ومهاجرة ومطاردة وعندما تحدث الحرب ويتم الانتصار فان « كرنفال » لا يعترف الا بالصور الملونة المتوالية لجميع ملوك ورؤساء الدول العربية ! .

ومن الامور السهلة والمغرية فى نفس الوقت ، عندما يتحدث الفيلم التسجيلى عن أكتوبر ، أن يقسم نفسه الى قسمين، فى القسم الاول يعرض مشاهد الدمار العديدة فى مدن القناة ، منازل منهارة ، جدران ممتلئة بالثقوب ، شوارع خربة، أبواب وشبابيك مخلوعة .. وتدلف الكاميرا الى داخل الجوامع والكنائس لتقدم لقطات متنوعة تبرز التخريب الذى حل بالعمدان والايقونات والمنابر والمذابح وزجاج النوافذ المهشم . ، واستكمالا لاغراء الطريق السهل يستخدم الفيلم اما الصمت المتوتر أو موسيقى يشوبها الكثير من الشجن أو صوت الرياح ، ولكن غالبا ما تستخدم مؤثرات صوتية واقعية ، ففى المدرسة المهجورة نسمع صوت المدرسة أو الاطفال ، وفى الجامع يتردد صوت الصلاة ، وغالبا صلاة العيد ، ومن الكنائس المخربة ينبعث صوت تراتيل دينية .

هذا من القسم الاول من الفيلم ، أما القسم الثانى فيتم أثناء وبعد الحرب ، أحد كبارى العبور ، مركبات حربية تمر فوقه ، مشهد مستعار لضرب دبابة للعدو نيران ودخان كثيف ، دبابات وجنود مصريين ، بعض المشاهد لخط بارليف المدمر ، وغالبا ما ينتهى الفيلم بدبابات اسرائيلية محترقة والاطفال يلعبون حولها وفوقها ، وفى هذا القسم يستخدم الفيلم اما شريطا صوتيا ممتلئا بأزيز الطائرات وطلقات المدافع أو تنويعات على لحن « بلادى بلادى » .. وقد كادت هذه « الكليشيهات » المكررة أن تفسد عددا من الافلام الطيبة مثل « **نهاية بارليف** » **لعبد القادر التلمسانى** ، و « **مدينة لن تموت** » **لحسين الطيب** و « **نزرع المداخن .. نحصد العدو** » **لصلاح التهامى** .

وبعيدا عن « كليشيهات » الطريق السهل يقدم « سمير عوف » فيلمه البسيط « مسافر الشمال مسافر الجنوب » ، وهو قائم على فكرة بديعة ، فثمةمهندسان شابان ، ابنا جيل واحد ، وجامعةواحدة بل كلية واحدة .. وفى وقت واحد يتجه أحدهما الى الشمال للمشاركة فى بناء أحد كبارى العبور ، ويتجه الاخر الى الجنوب للمشاركة فى بناء ستارة الصلب حول معابد « فيلة » .. وعلى طول الفيلم ، وعن طريق المونتاج المتوازى نشاهد المراحل المتوالية للعمليتين ، وينتهى الفيلم ببناء ستارة الصلب وتفريغ المياه حول المعبد العظيم،تمهيدا لانتشاله وفى المقابل يتم بناء المعبر حيث تمر فوقه طليعة الدبابات ، تمهيدا للعمل العظيم الذى بدأت اولى مراحله .



وحقق الافلام التسجيلية — التى تعتمد أسلوب « الريبورتاج » — مستوى جديدا فى السينما التسجيلية المصرية ، فأفلام مثل « صائد الدبابات » من اخراج **خيرى بشارة** و « **تحية للمقاتل المصرى** » من اخراج **صلاح التهامى** و « **الذين عبروا** » من اخراج **شادى عبد السلام** و « **أبطال من مصر** » من اخراج **أحمد راشد** ، تعطى حق الكلام للناس الذين ظلوا فترات طويلة فى الفيلم التسجيلى المصرى مجرد مادة للتعليق ، قد لا يظهرون على الاطلاق ، واذا ظهروا فغالبا فى الظل ، نراهم كأقزام الى جانب الجرارات والكبارى والسدود ، أو نراهم كبؤساء ، طالبى حاجات ، ويقوم المشروع الذى يتحدث عنه الفيلم بدور المنقذ الذى سينتشلهم من الهاوية ليضعهم فى عالم جديد ... **لذلك فاننا منذ البداية نحتفل بمولد هذه الافلام التى توضع فى مقابل أفلام الشركات والمؤسسات والمشروعات والملوك والرؤساء والوزراء والتى تعطى لصناع الحياة حرية التعبير — كاملة — عن آرائهم ومشاعرهم .**

فى فيلم « صائد الدبابات » يقدم «خيرى بشارة» البطل « **محمد عبد العاطى عطية شرف** » ، وهو الجندى الذى استطاع أن يدمر ثلاثة وعشرين دبابة اسرائيلية ، وحصل على أرفع أوسمة البطولة عن جدارة . والفيلم لاينزلق فى الخطأ التقليدى الذى يهدد أفلام البطولات ، خطأ تقديم البطل على انه حالة فردية مستقلة بذاتها، ولكن على العكس ، قدم الفيلم بطله فى دائرتين : الدائرة الاولى تتمثل فى مجموعة زملائه الذين عايشوا البطل لحظات الخطر والمجد ، وحقق كل منهم نصره الخاص ، وأتاحوا له ، بالتفافهم حوله، فرصة تدمير هذا العدد من الدبابات. والفيلم يبدأ بالبطل والى جانبه مجموعة الابطال .. ويبدو أن المخرج لم يهتم باللقطات الكبيرة لوجه بطله — على الرغم من مصريته وسحره الخاص — بهدف عدم اعطاء البطولة طابعا فرديا ، بل اعتمد أساسا على اللقطة العامة للبطل الى جانب زملائه بهدف اعطاء البطولة معنى جماعيا .. وتمشيا مع فكرة « جماعية البطولة » التى يؤكدها الفيلم. لم يقتصر الحديث على « عبد العاطى » فحسب ، ولكن أتيحت فرصة الكلام لكل من « عبد الفضيل » و « الخولى » و « بيومى » و « عوض » و «عبد الجبار»

أما الدائرة الثانية التى يظهر فيها البطل ، فهى قريته « **شيبة قش** » ، القرية التى لم يكتب اسمها واضعو الخرائط لكنها أنجبت وربت وقدمت «عبد العاطى»

الذى كانت بطولته سببا فى ترديد اسمها .. وفى القرية تتجول الكاميرا بألفة شديدة ، لا لتنقل ، بل لتعايش ، الحياة اليومية لاسرة البطل المكافحة ، ولتعايش أيضا حلم « عبد العاطى » الانسانى وهو يتحقق فى الاقتران بابنة عمه وانجاب أبطال جدد .

وفى « **تحية لمقاتل مصرى** » يتقدم « **صلاح التهامى** » « **سيد درويش** » ، أحد أبطال العمليات الخاصه التى تمت خلف خطوط العدو ٠٪ و «سيد درويش» الحائز على وسام نجمة سيناء يسترجع بذهنه وهو عائد من الجبهة تفاصيل من حياته العسكرية ، ويحاول « التهامى » أن يقدم مشاهد عديدة تبرز عناء التدريبات وقسوتها ، وتعد هذه المشاهد بحق من أهم الوثائق التى يفخر بها الجندى المصرى ذلك أنها تثبت أن نصر أكتوبر جاء نتيجه لجهد شاق وطويل ومرير ، ثم يتعرض الفيلم للعمليه العسكرية نفسها ، السيطرة على أحد الممرات أطول مدة ممكنة . وينجح « التهامى » فى ابراز التحدى المزدوج الذى يواجه المجموعة ، تحدى الطبيعة الوعرة المليئة بصخور حادة وقاسية ، وتحدى عدو شرس يصر على البقاء فى أرض مصرية مهما كان الثمن.. ان العدو فى « تحية لمقاتل مصرى » عدو دموى لا يرحم ، وهو لا « يفر من هول الصدام » ، لكنه يناور ويقاتل ، لذلك فان الانتصار عليه تطلب جهدا جادا وكبيرا . واذا كان الفيلم قد نجح فى ابراز ظروف الطبيعة القاسية التى تحرك فيها المقاتل المصرى ، من رمال ناعمة ، الى صخور مدببة ، فانه نتيجة لصعوبات عديدة ، أهمها قلة المادة الفيلمية التى تسجل المعارك ، لا يحقق نفس القدر من النجاح فى تصويره للعدو .. ان الفيلم يقدم العدو مرتين ، مرة من خلال صوت الطائرات الفانتوم وهى تبحث عن الهليكوبتر المصرية ، ومرة ثانية عندما تبدأ الدبابات الاسرائيلية فى المرور من خلال الممر الذى تسيطر عليه القوة المصرية ، ولكن نظرا لعدم توفر عدد الدبابات اللازم لتصوير المشهد اعتمد المخرج على دبابة اسرائيلية واحدة أمكن اصلاحها ، وتم تصويرها وهى تسير وتدمر ، من زوايا مختلفة ومرات عديدة ، وعن طريق المونتاج حاول « التهامى » اعطاء احساس بأن ثمة طابورا من الدبابات ، ولا شك أنه حقق جزءا كبيرا مما كان يهدف له ، لكن المشهد فى النهاية لا يرتقى فى صدقه واقناعه الى مستوى المشاهد الاولى التى تبرز عناء الجنود وكفاحهم ضد الطبيعة القاسية .

بعد فترة طويلة من التوقف ، يتقدم « **شادى عبد السلام** » فيلمه الجياش « **الذين عبروا** » ، والفيلم ليس عن حرب أكتوبر بقدر ما هو أنشودة فى الانسان المصرى ، والانشودة هنا ليست غزلا أو تعظيما ، ولكنها محاولة شاعرية لاكتشاف جوهره الذى ظهر ، وبجلاء ، فى الذين أتيح لهم شرف العبور .. والفيلم يتبعهم من السويس الى سيناء الى القاهرة ، فى أكثر من موقف ، ولاكثر من نصف ساعة ، وبنفس متدفق واحد .

ويدور الفيلم على ثلاثة محاور ، الاول مقابلات مع « الذين عبروا » ، والثانى حياة الجنود فى سيناء ، والثالث شعب مصر كله ، وتتفاعل المحاور الثلاثة مع بعضها لتقدم لنا فى النهاية وجه مصر الحقيقى .

يعتمد الفيلم فى أحاديثه مع « الذين عبروا » على اللقطة الكبيرة أساسا ، والفيلم يعد فى بعد من أبعاده قراءة فى الوجوه المصرية ، وهو يكشف لنا من خلال تأمله الطويل لعيون الجنود عنصرين : انهاك المعركة ، وقوة الروح . ولم تؤد اللقطات الكبيرة الى أى احساس بفردية البطولة ، ذلك أن كلا من الجنود يتحدث عن بطولة الاخرين أكثر من حديثه عن بطولته الخاصة ، ويزداد احساسنا بصلابة الشخصية المصرية عندما نكتشف أن أكثر من واحد من أصحاب العيون المنهكه ، القوية ، مصاب ، وباصابات بالغة .

فى سيناء يبدو الجندى متوحدا مع المكان ، مسيطرا عليه تمام السيطرة ، والفيلم يتعمد ألا يقدم جنديا بمفرده أو مجموعة جنود فى لقطة عامة وخلفهم الفضاء اللانهائى ، ولكنه يتعمد أن يملأ الكادر اما بأقدام الجنود القوية وهى تسابق داخل سيناء أو بالاجسام المقتحمة المندفعة من الجنوب الى الشمال .. ان قوة مصر تظهر واضحة فى هذه المشاهد من الفيلم .

وتظهر جماهير الشعب المصرى مرتين ، مرة من خلال الكلمات المحبة الصادقة التى يتحدث فيها أحد المصابين عن الحنان الفياض الذى أغدقه عليه الاخرون .. الشىء الذى أشعره بأن هذه الجماهير هى أسرته الحقيقية . والمرة الثانية فى المشاهد البديعة لمعرض الغنائم ، ففى هذه المشاهد تبدو قطع الدبابات الاسرائيلية الضخمة ضائعة وصغيرة الى جانب حشود الاطفال . وتركز الكاميرا على ثلاثة وجوه سمراء لرجال من الجنوب ، ثم تنتقل الى احدى الدبابات ، وتعود مرة أخرى لتقرأ القوة والوضوح والطيبة والصرامة فى الوجوه القادمة من مئات الكيلو مترات وآلاف السنوات ، وعندما نحرك الكاميرا لتدخل القطع الحربية فى الكادر ندرك تماما أن هذه الوجوه المصرية أكثر صلابة من حديد الدبابات .

أما فيلم « **أحمد راشد** » « **أبطال من مصر** » فهو قصيدة مليئة بالشجن ، مليئة بالقوة ، مليئة بالجمال . والحق أن الفيلم يبدأ من ثلثه الثانى ، ذلك أن الثلث الاول يبدو مقحما تماما ، وعموما فانك سرعان ما تنساه بعد مشاهدة الفيلم ، فهو يبدو باهتا اذا ما قورن بالمهابة التى تغلف بقية الفيلم ، وهو يقدم أحد أبطال الدفاع الجوى الذى يقوم بدوره بتقديم البطل الشهيد « **فتحى عبادة** »[٢] ، وتنتقل آلات التصوير الى قرية « **الملاحية البحرية** » حيث يبدأ الفيلم حقيقة .

ما أن تصل عربات التصوير حتى يسأل أحد أطفال القرية عما اذا كان القادمون سيقومون بادخال النور الى القرية ؟ وبنظرة سريعة من الكاميرا الى مدخل القرية والبيوت والناس والدواجن والحيوانات ندرك أننا فى واحدة من القرى التى لم يكتب اسمها واضحا فى الخرائط ، قرية فقيرة من آلاف القرى المتناثرة على طول الوادى ، ويبدأ الفيلم فى تقديم عالم البطل « **فتحى عبادة** » ، نقيب الاحتياط بسلاح المدفعية ، الذى استشهد بسينا فى ٣١–١–٧٤ .

ان كل شىء فى القرية يبدو من الخارج خشنا وحشا وفقيرا ، الاطفال حفاه ، والبيوت خالية من الاثاث ، والاجسام هزيله .. لكن الفيلم يكتشف أن هذا المظهر الخارجى يخفى نعومة وصلابة وثراء يتمثل فى التاريخ الكفاحى العظيم لاسرة الشهيد « فتحى عبادة » ، الاسرة التى ربت ابنها البكر كما تقول الام ، بحق ، « من اللحم الحى » .. وفى النهاية ، وبعد أن نتأمل مع الفيلم — من خلال شهادات الذين عايشوا البطل — المشوار الطويل والصعب الذى قطعته الاسرة لتتيح لابنها فرصة التعليم الجامعى ، وبعد أن يقدم حياته مدافعا عن مصر ، نؤمن مع الفيلم بأن أبطال أكتوبر الحقيقيين هم عامل الرش ، الاب « التهامى محمود احمد عبادة » ، والام العاملة بوزارة الصحة « كاملة محمد عبد التواب » ، والقرية التى لم يدخلها النور بعد ، ولكنها قدمت ، وبتماسك عظيم ، « دم ولحم » أغلى أبنائها .

« ٢ » راجع « **الشعب هو البطل** » **دراسة فى عائلة فتحى عبادة الطليعة ابريل ١٩٧٤.**

ســعيد العــدوى :

الشــــهاب الأخضر الـــــذى عـــبر



حين غاب عن عالمنا لم نتوقف أمام الفجيعة المباغتة الا قليلا ، ثم طوينا حزننا فى صمت ، فلم يكن الوقت وقت حزن ، كان الحدث الاكبر مخيما على الجميع ، سالبا الالباب ، ملصقا الاذان بأجهزة الراديو تلهث وراء آخر البلاغات العسكرية ... كان اليوم هو الثانى عشر من اكتوبر عام ٧٣ ، وكانت مصر فى سيناء تعانى آلام المخاض وتغتسل بدمائه ، ولم يكن « سعيد العـدوى » قد مرض ساعة واحدة بل كان — مثله مثل كل المصريين — يعيش معلقا على أعصابه ، ولم يحتمل قلبه كل هـذا الاهتياج المبرح ، فتوقف فجأة عن النبض ربما فى نفس اللحظة التى كان فيهـا عشرات الشهداء يغادرون عالمنا ، وكأنه كان معهم على موعد ..

... اذا كان سعيد قد غفر لنـا صمتنا عن ذكرة خلال العام الذى انقضى ، فان يغفر لنا اليوم ذلك ، ومن واجبنا ونحن نمجد ذكرى معارك سيناء ، أن نوفيه حقه من التكريم والتقييم ..

●●●

ونســت أغالى ان قلت أن ســعيد العدوى واحد من أخصب المواهب التى انجبتهـا مصر فى الفن التشــكيلى ، ليس فقط كرسام مصــور ، بل كطاقة متجـددة مــن العطــاء الانســانى ، والابداع الفنى أحد معطياتها .. كان يحمل مصر فى داخله حبا لا يخبو ، ويضعها فى لوحاته نبضا دافقا مع الاحبار والالوان والمســات .

رســـالة جيـــل :

ان قيمة سعيد ليست فى تفـرده عن ابناء جيله من الفنانين ، الجيـل الذى بدأ يشق مجـراه قبـل منتصف الستينات ، بل على العكس ، فهى فى أنه كان يحمل الامال الكبيرة لجيله ، ويجسد كل السمات الايجابية فيه : الاحساس بالمسئولية الباهظة لخلق فن مصرى حديث ، يجمع بين عراقة وثراء حضاراتنا الماضية ، وبين واقع بلدنا المعاصر ، وبين ديناميكية التطــور فى حركات الفن الحديث فى دول الغرب ... كل هذا من خلال تكوين ذاتى شـديد الخصوصية .. مسئولية التـزم بهـا مختارا ، وهو مدرك مقدما أنه لـن يجنى من ورائها فى حياته الخاصة غير المعاناة ماديا ومعنويا : ماديا لان انتاجه لن يرضى من يقدر على الشراء ، فلا هو فن صالونات منمق يحاكى الطبيعة أو يناســب قطع الاثاث فى البيــوت البرجوازية ، ولا هو فن سياحى يقتبل طابع الاعمال الاثرية أو طابع الاجواء الشعبية ، مما يستهوى الاجانب الباحثين عن تذكارات من البيئــة المصرية .. ومعنويا لانه سيصــطدم ، لســنوات طويلة ، بالعقلية الجاهلة المهيمنة على الفن فى مصر ، التى تملك وسائل ابراز أى فنان مصرى فى الداخل والخارج .

وقد ظل يعمل فى صمت ، منـذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية

اخبـــــار

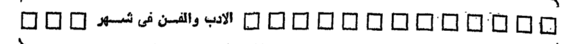
● مكتبة الفن ، التى تضم ستة آلاف كتاب من أندر كتب الفن فى العالم ، والتى نقلت من متحف الفن الحديث بميدان التحرير بعد هدمه الى مبنى عتيق فى بولاق .. تهدمت فى شهر فبراير الماضى بعد سقوط المبنى المتداعى .

أمر الدكتور محمود الشــنيطى رئيس هيئة الكتاب بتخزين كتب المكتبة .. ومنذ ذلك الوقت لم يتم الافراج عنها ولم يعد لها مكان آخر .

هكذا تعيش مصر بدون مكتبة فن واحدة

● صدر للدكتور عبد المنعم تليمة — الاستاذ المساعد للادب العربى بآداب القاهرة — كتاب بعنوان « مقدمة فى نظرية الادب » ينقسم الكتاب الى بابين رئيسيين : الاول بعنوان مصدر الادب ويضم ثلاثة فصول : التجريب والتجديد، الاغتراب عن الطبيعة: الاسطورة والواقع، الاغتراب فى المجتمع : الواقع أسطورة. والباب الثانى هو قوانين تطور الادب ويضم بدوره ثلاثة فصول : التطور : قانون الاشياء والاحياء، الانواع الادبية، المدارس الادبية .

فى تقديمه لكتابه يقول الدكتور عبد المنعم : « ويتحدد البحث النظرى فى الفن — منهجيا . شأنه فى ذلك شأن كل صيغ الفكر — بواحد من المنهجين الاساسيين فى تاريخ الفكر عامة : المنهج المثــالى والمنهــج العلمى . لايرد الفــكر المثالى قوانين الظواهر الثقافية التى يفسرهـا — ومنها الفن — الى مصدرها الموضوعى فى حركة التاريخ والمجتمع ، بل يجعل وراء هذه القوانين « أفكارا » أى أنه يفسر الفكر بالفكر أو يتعامل مع المفاهيم وبوضوح الفكر العلمى موضوعية العلاقة بين الانسان وعالمه كما يوضــح معنى



١٩٦٢ ، سواء فى مرسمه بالكلية ، حيث كان يعمل بالتدريس فيها منذ تخرجه ، أو فى مرسمه فى أتيليه الفنانين والكتاب ، حاملا تلك الرسالة مع الطلائع المتفتحة من أبناء جيله .

كان أحد ثلاثة فنانين سكندريين شعروا بالحاجة الى ايجاد اطار يعملون من خلاله لتحقيق رسالتهم ، فأقاموا عام ١٩٦٤ جماعة باسم « جماعة التجريبين » [تنادى برفض كل أعمال الفنانين السابقين ، لانها تنتمى الى مراحل استنفدت أغراضها ، وتسعى لخلق فن جديد متحرر تماما من الانماط السائدة ، يستفيد من الانجازات المعاصرة فى الاساليب الغربية [وكان هذا الفهم ذو البعد الواحد للمعاصرة أحد العوامل المبكرة فى تصدع الجماعة فيما بعد] .

قامت الجماعة منذ عام ١٩٦٥ حتى أوائل السبعينات — حين تصدعت — بحركة معارض واسعة لانتاجها فى الاسكندرية والقاهرة والاقاليم ، تحاول ، من خلال لغة أقرب الى التجريد ، البحث عن خصائص جديدة لفن مصرى ، وكان أعضاؤها الثلاثة يتفاوتون فى فهم تلك الخصائص ، فبينما كانت عند **عبد الله وعبد المعطى** أقرب الى العلاقات الهندسية المحكمة فى التصميم والالوان ، تتحرج من العاطفية ومن الاقتراب من الواقع ، كانت عند العدوى أميل الى التلقائية الشعبية والى الغنائية الزخرفية ، ولم يكن يتحرج من رسم الاشخاص مشحونين بالعاطفة ، وان كان تحليله للاشكال ينطوى على طاقة تدميرية هائلة ، حتى ليبدو الجسم البشرى كائنا مشوها ومحطما .. ولعل تلك المرحلة كانت مرحلة التأثر المباشر بالفنانين الغربيين مثل **لبجيه وبيكاسو** على وجه الخصوص ، لكننا نلمس فيها ارهاصات شخصيته الفنية التى ستتبلور فيما بعد : الروح الشرقية عموما والمصرية خاصة ، الولع بالحلول الزخرفية التى تتوالد من بعضها البعض فى وحدات شبه مكررة ، مثل الموزاييك والزجاج المعشق الاسلامى والسجاد الفارسى ، وقد تصل الى حد النمطية التى نجدها فى التراث الشعبى فى الريف والاحياء الشعبية بالمدن [الزخارف الجدارية ، الملابس ، السجاد ، الحصير ، الوشم ..] .

طفل يلهو :

الا أن أهم ما يميز شخصية سعيد وأسلوبه الفنى فى كل مراحله هو روح الطفل فيه .. حقا ان فى داخل كل فنان طفلا يختزن العديد من الخبرات التلقائية للطفولة ، بسذاجتها وعفوية اكتشافها للعالم ، بالخيال الجامح الذى يجنح الى التهويل والانبهار ، الا أن قليلين من الفنانين من يطلقون هذا الطفل من عقاله ، ولا يخجلون من ترك العنان له ليتأمل العالم ويندهش ويدرك الكائنات والاشكال بحواسه الفطرية ، ثم يصوغون تلك المدركات بنفس منطقه بعد تطويعها لخبرتهم العصرية ...

كان سعيد واحدا من هذه القلة ، ولعل هذا يفسر عدم اهتمامه بحبكة التكوين أو رصانة الحلول الهندسية ، ويفسر أيضا انجذابه مبكرا الى أعمال الفنان **ميرو** الذى استوحى فنون الطفل ، و**بيكاسو** الذى استفاد من الفنون البدائية . واستطيع أن أؤكد انه لم يكن يبدأ لوحته بتصميم مسبق ، أو حتى بخطة عامة ، بل لعله كان يبدأ بنقطة أو وحدة صغيرة فى مكان ما على المرحلة كانت مرحلة التأثر المباشر بالفنانين الانفعالية ومخزون الذكريات والاشكال والعناصر تنساب فى ليونة وتلقائية ، لكن هل يعنى ذلك انه لم تكن هناك سيطرة للوعى على هذا السيال ؟ .. لا .. فسعيد كان من أكثر أبناء جيله هضما للقيم التشكيلية — أكاديمية أو حديثة — انما أعنى أن وعيه كان يقوم بدور المنظم أكثر من دور القائد على

شاملا للواقع يتضمن المادى والانسانى ، أى يتضمن علاقة الانسان بالعالم ، وعلاقة الانسان بالانسان ، فتبدو الظواهر فى هذه الصياغة متشابكة ومتداخلة ومترابطة ومتبادلة التأثير والتأثر ..

ويهتدى هذا الكتاب فى تفسير مصدر الادب وقوانين تطوره بتلك الصياغة .

صدر الكتاب من **دار الثقافة بالقاهرة**.

● **« حكاية من المدينة القديمة » مجموعة قصص قصيرة للكاتب العراقى غانم الدباغ ، أصدرتها وزارة الاعلام العراقية . سبق أن صدر للكاتب رواية طويلة هى « ضجة فى الزقاق ، ١٩٧٢ » ، ومجموعة قصص قصيرة بعنوان « سوناتا فى ضوء القمر ، ١٩٧٠ » .**

يعد الكاتب للطبع الجزء الثانى من « ضجة فى الزقاق » ، ويدور الجزء الاول منها حول حياة شاب يعيش واقع العراق قبل تموز ١٩٥٨ .

● **« توفيق الحكيم الذى لانعرفه » كتاب جديد للدكتور رمسيس عوض ، يعرض فيه عددا من الاعمال الاولى للحكيم من بينها مسرحيات « أمنيوسا » ، « الضيف الثقيل » ، « العريس » ، « على بابا » ، « خاتم سليمان » ، « المرأة الجديدة » ، « أمام شباك التذاكر » .. الخ ، كما يثبت عددا من المقالات النقدية التى كتبت حين قدمت فرقة عكاشة بعض هذه الاعمال .**

بعد أن يحلل الدكتور عوض بعض هذه

سطح اللوحة ، محققا البلاغة التشكيلية للعناصر المتجاورة .

●●●

والى جانب الطفل ، كانت هنــاك بداخله شخصيةأخرى ، أعدها شخصية الفنان الشعبى الجوال . كان يعتقــد أن الفن نوع من « الفرجة » ، فرجــة غنيةبالمتعةوالدهشةوالابهار والاستعراض البهيج . لهذا كان يرى فى الحــاوى ولاعب الاراجوز ونقاش رسوم الحجاج ومشخصاتى الموالد ولاعب الســيرك والمداح وعازف الربابة ونساج الــكليم الشعبى مثله العليا ... كان يرى أن على الفنان أن يشبع حاجة الجمهــور الى المتعة ، حتى ولو كانت سخرية من واقعه مثل تمثيليات الاراجــوز ، أو غناء عازف الربابة من استشهاد الحسين .. وأظن أن هذا ما يفسر ميله الى فن الكاريكاتير ، وقد كانت لــه فى بداياته الفنية محاولات فيه ، تطورت فيما بعد حتى أصبحت روح الســخرية احدى سمات رسومه ، فالمرارة والالم وحتى الفاجعــة تــكتسى بالملهــاة .. [خاصة فى أعماله الاخيرة عن السيرك الشعبى والمسرح والاســواق .. التى يتخذ الاشخاص فيها شكل قطع الشطرنج والكائنات الخرافية] .

التفجير :

باى فلسفة فى الفن كان يدين سعيد ؟ .. فلسفة الشكل ، أم فلسفة اللهو ، أم فلسفة التطهير ؟ .. أعتقد أنه لم يعبأ فى حياته كثيرا بأن يسأل نفســه هذا السؤال . **كان أقرب الى أن يعيش الحياة أكثر من أن يفلسفها** .. لقــد مارس الفرح وعانى الحزن حتى الموت ، وكان يضع فى دفتر مذكراته علامات الطريق الذى قطعه ، لكنه كان يفضل دائما أن يبدأه من جديد ، لادراكه أنه لا يشرب من نفس النهر مرتين ، وأن الحياة كاللوحة مشروع غير مكتمل ، كلما تصورت أنك أكملتها أحسست بأن شيئا ما غير صحيح فتعود لتبدأها من جديد .

لكن هذه التجريبيــة فى الفن وفى الحياة لم تكن لتطمس فى داخله سؤالا ظل يقلقه : هل للفنان دور فى مجتمعه ؟ .. وما هو ؟ .

كان يمكننى أن أحس التناقض الذى كان يدور بداخله ، بين التــزام فنى أخضع نفسه لها مختارا ، يجعل لغة الشكل لغة مستقلة منبتة الصلة بالواقع ، لغة لا هدف لها غير احداث متعــة فى نفس المشاهد لذاتها وليس لتصويرها شيئا أو معنى ما ، ولو لجــأت فى ذلك الى عناصر الحياة الشعبية والتراث الفنى ، وبين احساسه العميق بواقع مصر الثقيل على كتفيه ، ورغبته فى التعبير عنه ، أو فى اتخاذ موقف ايجابى ازاءه ..

ولقد عاصرته منــذ عشر ســنوات بالاسكندرية حين كان هــذا التنــاقض خافتــا غير محســوس ، حيث كانت سطوة جماعة التجريبيين ـ التى كانت فى بداية نشأتها ـ على أشــدها ، جاعلة من لغة الشكل « تابــو » أو كهنوتا ، ومن اطارها التنظيمى سجنا على أعضائها ، حتى لقد حرمت قبول أى عضو رابع فيها ، أو اقامة أحــد أعضائها معرضا مستقلا أو حتى الاشتراك فى معرض عام بدون زميليه .. كانت فى الحقيقة نوعا من الارهاب الفــكرى يفرضه أحد أفرادها [محمود عبد الله] وان قبله سعيد مختارا ، فلانه لم يكن يملك بعد الثقة الــكاملة فى نفســه ليخرج برأى مستقل . واستطعت أن أكون أكثر اقتــرابا منــه قبل نهــاية تجربتى فى كفر الشيخ بقصر الثقــافة ١٩٦٨ ، حين رتبت لــه ولزميليه فى الجماعة دعوة من المحافظة للاقامة شهرا لاستيحاء الحياة فى كفر الشــيخ فى أعمال فنية ، كنت أقصد أن أتيح لهم فرصــة لمعايشــة واقع الريف المصرى بعيدا عن المدينة النظيفة الساكنة .. الاسكندرية ، التى ولدوا بها ولم يغادروها طوال حياتهم . كنت أعرف أننى بذلك ألمس وترا حساسا فى نفس ســعيد خاصــة ، لما أعــرفه من اخلاصــه للطبقات الشعبية وولعه بما تحمله من أصالة .. لكن تكوينه الوجدانى بشكل عام كان تكوين ابن الشواطىء الــذى لا يتيح البحر اللامتناهى وجو الميــناء المفتوح على العالم الخارجى مكانا كبيرا لهموم الصراع الاجتماعى فى نفسه .

ورغم أن نتيجة تلك التجربة لم تأت بتغيير فى جوهر أعمال سعيد ، اذ أن سيطرة العقــل الموحــد لجماعــة التجريبيين ظلت تحدد له مساره بشكليته الجامدة ، فاقتصرت رؤيته للحيــاة فى بيئة كفر الشيخ ـ وهى المحافظة التى يتجسد فيها البؤس الاجتماعى ويمــور داخلها بأعتى أشكال الصراع الطبقى ـ على المناظر الطبيعية الناعمة خاصة فى بلطيم ، مبتعدا تمــامــا عن البشر ومن الواقع المرير ، كخشية الوقوع فى المحظور ، وان كنا نجد أن لوحاته تلك قد حققت قيمة تعبيرية فريدة من نوع آخر .. فقد اكتســبت صــفاء وسكينة روحية عميقة .. وتحقق عشقه الصوفى لمصر فى ذلك الاتساق والاتحاد بين العناصر .. والاتســاع اللامتناهى ، سواء بالمساحات الرحبة ذات الالوان

أخبــــار

الاعمال يثبت رأيه فى توفيق الحكيم : « والرأى عندى أننا لا نستخدم الالفاظ على نحو دقيق حين نقول أن توفيق الحكيم فنان فكر . ولعله ليس مفكرا على الاطلاق . ولكنه فنان أصيل وكفى . من المؤكد أنه فنان متأمل ، ولكنه ليس فنانا مفكرا ، بل أنه كفنان يصيب بالحيرة كل من يريد أن يتتبع أفكاره بسبب ما يتردى فيه من تناقضات لا أول لها ولا آخر » ..

لمثل هذه الاراء يبدو أن الحكيم قــد يعترض على نشر الكتاب حين حولته اليه دار المعارف كى يبدى الرأى . ويثبت الدكتور رمسيس فى نهاية كتابه صورة خطية لاعتراض الحكيم الذى وصف الكتاب بانه « لا هو بالنقد الادبى الكامل ولا هو بالعمل الجامعى الجاد .. لكنه مجرد جمع ولمة من هنا وهناك حينما اتفق بقصد النشر السريع التجارى » !

صدر الكتاب عن دار الشعب .

● من منشورات « **الاتحــاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين** » صدرت مجموعة للشاعر **حافظ عليان** بعنــوان « **دفاعا عن الجملة الاعتراضية** » .

وتضم المجموعة تسع قصائد تواكب النضال الفلسطينى العربى وتغنى لشهدائه ، فى قصيدته « **بطاقة حب فى بريد الدم** » ـ الى الشهيد **غسان كنفانى** ـ يقــول الشاعر :

« يترجل حبك كل مساء
وأنا ما تساومت الشوق ولكنى
أوقفت قطار الغربة عند محطات الفقراء
وعبرت البوابات الممنوعة
للمنفيين أغنى موال الام
من كل شهيد يطلع من كتب الثورة
من كل حكاية حب ما تمت
من عشق الله ... »

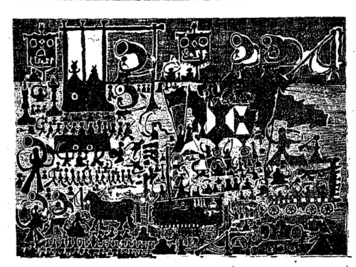
الهادئة أو الاشكال القليلة الساكنة المتباعدة .

الا أن تلك التجربة كشفت له عن عالم شديد الثراء والاثارة فنيا ، شديد البؤس اجتماعيا واقتصاديا ، وكم من مناقشات دارت بيننا حول موقف الفنان من هذا ، ورغم اختباره — حتى ذلك الوقت — لجانب ابتعاد الفنان عن أى موقف سياسى أو فكرى، أو التعبير عن أى واقع ملموس ، الا أننى كنت أحس أنه يتكلم بصوت الجماعة اكثر مما يتكلم بصوته المتميز ، بينما يكتم تناقضاته بداخله ، وقد أكدت الايام صدق هذا الاحساس ، فلم يمض وقت طويل حتى انفجر الصراع فى داخل الجماعة ، وكان هو أحد المفجرين له فيما أعلم ، على المستوى الفكرى والشخصى ، وادى الى حلها .

كانت هذه نقطة تحول جذرية فى حياته .. لقد انطلق منها يرسم بحرية كاملة ، تلك الاعمال الجريئة السريعة بالحبر الاسود ، كأنما يريد أن يلاحق بها التدفق الجديد الجارف لانفعالاته ومشاعره ورؤاه التى لا تسعفه فيهاخامة الزيت التى تحتاج الى معالجة متأنية بطيئة .. كان كمن نال حريته بعد زواج شقى سجن قدراته وانضب عواطفه سنوات طويلة ، فترك العنان لنفسه يمارس كل التجارب ، بل يسعى اليها بنفسه .. هكذا امتلأت لوحاته بزخم الحياة ونبضها وتوهجها وتوترها ، بعبثها ومأساويتها .. لم يعد يفكر فى اختزال الواقع الى عناصر ووحدات زخرفية ، بل صار يسعى الى الحشد ، والازدحام ، يريد أن يفرق بين الجموع .. فى الموالد .. والمظاهرات الوطنية .. والاحتفالات .. والجنازات .. والمسارح .. والسيرك .. تجمعات لا تحصى من البشر والحيوانات وعربات الكارو والكشرى والبطاطا والصيادين والمهرجين والنائحين والشموع والصبار ولمبات الجاز والازهار .. لم يكن الرسم تسجيلا لتلك المظاهر ، بل كان اعادة صياغة جذرية لها ، بمنطق الفنان البدائى الذى « يتقمص » و « يقتنع » فى نفس الوقت ، يتعامل مع الحياة الصاخبة بالرقص ، ويواجه المجهول والموت والشر والحظ بالقناع .

الاصالة .. المعاصرة :

كان أسلوبه قد نضج لاستيعاب التجربة الجديدة ، وقد سخر لها كل خبرته التكنيكية فى تحوير الشخصيات بأسلوب مبتكر اقرب الى شكل النباتات أو قطع الشطرنج ، وحل مسألة التكوين والمنظور والكتلة برؤية الطفل التلقائية المختزنة ، ونضج المستوعب للتراث الفنى فى ابداعنا الفلكلورى وحضاراتنا المتعاقبة خاصة القبطية والاسلامية ، حتى لنحس أحيانا أننا أمام قطع من الفسيفساء على ناقورة اسلامية ، أو نافذة قبطية من الزجاج الملون المعشق فى الجبس ، أو سجادة فارسية غنية بالوحدات النباتية .. وفوق ذلك كان تأثير الفنانين الغربيين مثل ميرو وبيكاسو وليجيه ومور قد أصبح فى خلفية وعيه البعيدة بعد أن كانت نصب عينيه .



هكذا حقق فى بساطة شديدة قيمته المعاصرة بشكلها الصحيح ، الذى يتضمن بداخله قيمة الاصالة ، وتخلص من مركب النقص الذى يعانى منه معظم الفنانين فى مصر والعالم الثالث عموما ، الذى يجعلهم يظنون أنه لن يتم الاعتراف بهم عالميا أو يقال انهم عصريون الا بمجاراة الاساليب الغربية فى الفن ، أو بالاحرى : مظاهرها الخارجية ، وأجاب فى نفس الوقت — دون أن يقصد — على ذلك السؤال عن موقف الفنان ودوره .

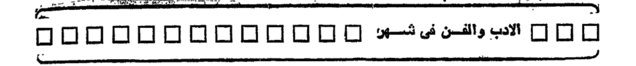
وقد وصل سعيد الى هذه القيمة بعد رحلة مضنية طولها عشر سنوات على الاقل ، سافر خلالها فى لغة الاشكال والالوان عبر شتى العوالم ، وفى أرض بلده — عشقه — حط الرحال ، فراح يجوبها من اقصى الشمال فى الاسكندرية الى اقصى الجنوب فى اسوان والنوبة ، باحثا عن العراقة والاصالة ، ومن ناحية أخرى محاولا الانتماء الى قيم التقدم فيها بقدر ما كان يتيح له وعيه التلقائى الصادق من جهة ، وجمود فكر « التجريبيين » من جهة ثانية .. مثل سفره مع زميليه فى الجماعة محمود عبد الله ومصطفى عبد المعطى فى ١٩٦٥ لمعايشة تجربة السد العالى ، كأعظم صرح يجسد ارادة الانسان المصرى ، وان جعلهم مفهومهم الضيق للفن فى ذلك الحين يبتعدون تماما من الوضوح — أو حتى التعبيرية — خشية الوقوع فى الدعائية وتصوروا أنهم يستطيعون بالتجريد أن يعبروا عن عظمة هذا الصرح ، فلم ينجحوا فى تجربتهم على ما أزعم ، لا على مستوى التجريد ، ولا على مستوى التعبير .

لكن .. ما أن بدأ سعيد يتجاوز خط الجماعة ، ويضع قدميه على بداية طريقه الحقيقى ، مستفيدا من كل ايجابيات وسلبيات رحلته ، ليعطى عطاءه الوفير ، الذى هيأته له موهبته واخلاصه ، حتى انقض عليه الطائر الاسود المفتوح العينين ، الملئ بحقد أزلى على الحياة ، الا ان انجازه الاخير الضخم — الذى ضمه معرضه قبل مماته بشهور فى القاهرة والاسكندرية — يهزم الموت فى الحقيقة .

ولكى لا تطمس اعمال سعيد ويطويها التجاهل البيروقراطى كما طوى اعمال كل شهداء الفن من الجزار حتى كمال خليفة ، يناضل أصدقاؤه وتلاميذه ومحبوه لكى يصدروا كتابا عنه يحوى صور أعماله على نفقتهم الخاصة ، بعد ان رفضت أى جهة رسمية بوزارة الثقافة أو غيرها أن تتبناه ، وهذا ليس غريبا بالطبع .

بهذا الكتاب سوف يوضع سعيد العدوى فى مكانه الصحيح ، كرائد من الطليعة الفنية لحركة الفن الجديد فى مصر ، وبه أيضا سوف يظل حيا .. أطول من عمر أى انسان ...

عز الدين نجيب



حاجز الوهم الذى منع العصفور

ثلاث محاولات فنية سينمائية تبذل قصاراها كى تقف فى وجه تيار كاسح من الافلام الهابطة فنيا وتجاريا ، يجتاح السينما المصرية هذه الايام أو السنوات .. لكنها جميعا واجهت من الصعوبات ومحاولات الارهاق ما كان قمينا بأن يوقف كل جهد فى دفعها الى شاشات العرض.. ومع ذلك نجح أولها فى الوصول الى العرض وهو فيلم « العصفور » ..والبقية ربما تأتى قريبا ..

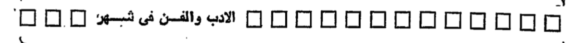
وبدأت الحكاية بـ « **زائر الفجر** » الذى مات عنه مخرجه وتركه — تحت الاقامة الجبرية داخل الرقابة ، ثم هو الان بين يدى المونتير ليهذبه رقابيا .. ويأتى بعده **صبحى شفيق وفيلم «التلاقى»** الذى شهدناه فى عرض خاص ثم اختفى بعد ذلك وقيل أنه منذ دخل دهاليز الرقابة لم يخرج بعد ، وربما بعد أن تقرر تغيير اسمها شكليا وليس جوهر وظيفتها .. أن تسمح للتلاقى بالخروج .. والمسألة فى هذا ليست بيروقراطية من جهاز الرقابة ولكنها موقف مقصود ، غير ناضج ومجاف للمواثيق الثورية والاشتراكية التى رشحتها التجربة المصرية طوال اثنين وعشرين عاما ..

وربما توافق الاجهزة المعنية على فيلم .. مثل **الظلال على الجانب الاخر ..** ثم يباع الى الموزع اللبنانى ويظن الرجل أنهم يريدون توزيعه فعلا ، فيقوم بعرضه فى بيروت قبل شهرين ، ونعجب جدا حينما تتجاهل الهيئة هذا الفيلم دون أن تحاول جادة تحديد موعد عرضه فى القاهرة التى انتجته ونسيته حتى فر مخرجه الى خارج مصر فربما نسى الفيلم ومشاكله واستطاع أن يجد تعبيرا أكبر وأنضج من ذاته فى غير هذا المكان ..

[●]

كل هذه الافلام تنطلق من تصور ديناميكى لعلاقات الواقع الاجتماعى وهى ترصد هذه العلاقات رصدا جدليا من منظور سياسى يضعها فى اطارها الصحيح من حتميات الصراع الاجتماعى .. وهكذا أمكن اعتبار « زائر الفجر » الذى كتبه د. رفيق الصبان وممدوح شكرى من هذا المنطلق ، أول فيلم سياسى على طريقة كوستاجا فراس ، وان كنا لا نستطيع اعتباره أول فيلم سياسى فى مصر ، اذا وضعنا تجارب أخرى فى الحساب ، أبرزها القضية ٦٨ لصلاح أبو سيف ، وان كان أميل الى المناقشة الاجتماعية السياسية منه الى الفيلم السياسى الصريح . ولعله أول عمل سينمائى ، فيما أذكر ، حاول التعرض لسلبيات الاتحاد الاشتراكى .. لكن تظل هذه الاعمال الملتزمة التى تعبر عن معاناة أصحابها وأشجان شعبهم قليلة قلة ملفتة للنظر وسط الركام الكثير من الافلام المتخلفة فى فكرها وبنيانها الفنى مما يجعلها مضادة لمسيرة هذا الشعب نحو البناء الاشتراكى وتحقيق الانتصار الكامل للارادة العربية على الارادة الصهيونية المدعمة بالقوى الاستعمارية، وأيضا مضادة للدعوة الى يقظة العقل العربى فى مواجهة تحديات حضارية كبرى تحيط به .

وهكذا تبدو الصورة العامة للسينما المصرية مأساوية أكثر من أى وقت مضى، فالانتاج السائد تجارى هابط رغم ذلك النجاح المادى الذى تلاقيه أفلام هذا الاتجاه .. والذى لا يعتبر مقياسا نهائيا لتوعية السينما التى يريدها المتلقى المصرى والعربى أيضا .. ذلك أنه من اليسير جدا استرجاع القيم الفنية والفكرية لافلام موجة الحرب العالمية الثانية لتحدث رواجا تجاريا له أسباب سياسية لدى المتفرج الذى كانت تحاصره ظروف نكسة عسكرية واختناق اقتصادى يدفعان به الى الهروب من سينما صنعت من أجل أن تحقق له هذا الهدف .. ولا شك أننا — وبعد أن حققنا عملا عسكريا فذا بعبور قناة السويس وكسر العدو الاسرائيلى ، نحتاج الى سينما أخرى تستشرف آفاق البناء الجديد ، سينما تناقش قضايا الواقع اليومى الذى يعانى منه الانسان ، ولاجدال فى أن المتفرج سوف يقبل اقبالا كبيرا على مثل هذه الافلام لو أنها عالجت هذه القضايا بصراحة كاملة وفى اطار بناء فنى جيد يحقق الامتاع الذى يبحث عنه المتفرج .. وليست تلك التسلية الرخيصة



التى توفرها أفلام حكايتى مع الزمان وبمبة كشر .. وامرأة للحب .. وفى الصيف لازم نحب !

[●]

من هذا المنطلق تأتى الاهمية الخاصة التى يتمتع بها فيلم « العصفور » فهو محاولة جادة وملتزمة سياسيا لرصد الواقع المصرى فى الفترة السابقة على خروج الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو لرفض منطق الانهزام وفرض ارادة التحرير والحرب ..

ويتنازع البناء الدرامى للفيلم خطان من البداية .. الاول : أبو خضر المجرم المعتصم بالجبل ومحاولات السلطة للتخلص منه وعلاقة ذلك بالفساد الاجتماعى والسياسى السائد وتنذاك ثم الخطر الثانى : وهو الاستعدادات العسكرية التى سبقت يونيو وانتهت بالهزيمة وخروج الجماهير رافضة وغاضبة ..

لكن التركيز الاساسى فى البناء الدرامى يذهب الى جانب الخط الاول .. مع اكتفاء — فى الخط الثانى — بلمسات غير مشبعة دراميا ..

ومنذ البداية يبدأ الفيلم فى تقديم كل ما لديه دفعة واحدة تجعلك تبذل جهدا فى ملاحقته أى متابعة التفاصيل لكى تستنتج منها الحدث الذى يرتكز عليه ..

ونحن نرى هذه التفاصيل من خلال ثلاث شخصيات : ضابط بوليس شاب [رؤوف] أوفدته السلطة الى أسيوط ليقوم بالقبض على المجرم أبو خضر وفى محاولاته اكتشاف مخبأ هذا المجرم يتعرف على الشيخ أحمد الذى يبحث هو الاخر عن أبو خضر لثأر شخصى معه والثالث هو الصحفى الذى جاء ليتابع تفاصيل هذه القضية المثيرة والتى يجهل أبعادها الحقيقية الضابط الشاب والشيخ أحمد . وتتكشف تدريجيا أبعاد المأساة السياسية التى يرتكز عليها وينطلق منها بناء الفيلم .. فأبو خضر هذا متورط مع السلطة فى تخريب المصنع المقام هناك منذ ست سنوات ولم يكتمل بعد وتورطه يأتى من أنه سهل مهمة نهب آلات المصنع الامر الذى ينسب دائما الى الخفراء لكى يوضعوا فى السجن .. حيث يلتقى بهم الصحفى فيتعرف بالتالى على حقيقة ما يحدث ، وتتأزم الامور ، ويتهدد المسئولين الكبار باكتشاف أمرهم فيصدر الامر بتجريد حملة كبيرة تستطيع أن تقوم بالقضاء على المجرم أبو خضر الذى كان مجرد أداة فى يدهم ، لكن ، ومع انكشاف أمر تورط بعض الاجهزة فى السلطة فى سرقة آلات المصنع ، يزداد اصرار الصحفى ومعه الضابط الشاب والشيخ أحمد فى معرفة أسرار هذه العملية .. التى يتمكنون بالفعل من الوقوف على تفاصيل حدوثها .. فيكتشفون السيارات التى تحمل آلات المصنع وتتجه ، من خلال البناء الدرامى ، الى طريق لم ينته ، حيث يتم تسليمها الى تجار القطاع الخاص ..

يتوازى مع هذا الحدث الدرامى الذى يكشف عن العلاقات المشبوهة التى ربطت بين الذين كانت قمة السلطة لهم فى ذلك الوقت داخل جهاز الامن وعناصر التنظيم السياسى ، والرأسمالية الوطنية ، ومشاركتها فى التخريب الاقتصادى والسياسى الذى ترتب عليه أن يظل مصنع تحت الانشاء لمدة ست سنوات تستورد آلاته ثم تباع الى القطاع الخاص .

يتوازى مع هذا الحدث الاساسى حدث آخر أو خط آخر ، هو استعدادات القتال التى اتخذت نتيجة تعاظم قوة الحركة المسلحة للمقاومة الفلسطينية لتحرير أراضيها المغتصبة ، ثم التهديدات الاسرائيلية بغزو البلاد العربية .

ويظل هذان الخطان متوازيين رابطهما الوحيد هو خطابات تصل من آن لآخر الى رؤوف من أخيه ضابط الجيش فى سيناء الى أن يلتحما فى خط واحد عند النهاية .. فتكشف بشكل قاطع من تعمل عصابة سرقة الآلات مع لحظة اعلان الرئيس الراحل عبد الناصر عن وقوع نكسة يونيو ٦٧ . وتندفع الجماهير فى الشوارع ترفض الاستقالة والهزيمة ، بينما تخترق صفوفها سيارات النقل الضخمة التى تحمل الالات المسروقة ..

وبقدر مافى هذا المشهد الاخير من سخرية درامية ، فهو فى بنائه الدينامى الجدلى ، يؤكد على حقيقة أساسية ، تسيطر على بناء الفيلم . وهى الخديعة التى وقعت فى براثنها هذه الجماهير النبيلة .. خرجت بأصالة ومراراة الانسان المصرى وصلابته تقول : لا .. بينما كانت خناجر تمزقها منذ زمن من الخلف ..

وليس من شك فى أن عفن السلطة هذا ، انما جاء من افتقاد الشعب لقدرته على رقابة ما يحدث ، وحبس المعلومات عنه ومنعه من ممارسة حقه الطبيعى فى المعرفة .. معرفة ما يجرى .. ولاشك فى أنه لو أمكن للانسان المصرى أن يخلق مؤسساته وأن يحقق سيادة القانون تحقيقا فعليا ، فان مثل هذه النكسة لم تكن لتحدث أبدا ..

ان « العصفور » يشير الى الاصرار على ضرورة متابعة البناء الذى بدأ ، والاصرار على المعرفة وكشف الحقائق من خلال شخصية ذلك الطفل القذر خفيف الظل والذى كان له حضور غير عادى .. سيد الطفل الصغير الذى بذل أقصى ما يستطيع كى يصل من الصعيد الى القاهرة تحقيقا لوصية يحترمها .

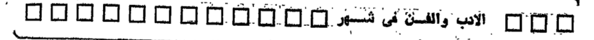
[●]

ان « العصفور » عمل فنى ملتزم بقضايا واقعه الفعلية ، حاول بكل الوضوح السياسى الممكن أن يكشف عن فساد العلاقات الذى أدى الى نكسة يونيو ثم التركيز على رفض الانسان عندنا لها .. لكنه لم يستطع أن يشبع الخطوط الدرامية التى عالج من خلالها قضيته ، خاصة فى الجزء الاول من الفيلم حيث لجأ الى اللمسات السريعة غير المشبعة دراميا . الى جانب تداخل الخطين الاساسيين على نحو يتيح المتابعة غير المجهدة لذهن المتفرج وهو مسئولية المونتاج فيما نعتقد .. ولم يتخل يوسف شاهين عن حسه القوى بالتكوين الجمالى الذى لم يكن دائما يؤدى وظيفته الدرامية خاصة فى مشاهد القرية ، كذلك لم تنل الشخصيات الاساسية : الشيخ أحمد ورؤوف والصحفى اهتماما كبيرا فى نسجها نسجا دراميا محكما يحكم علاقاتها بواقعها ويجعلها تعبيرا فعليا عنه .. وليست صدى للاحداث التى تجرى .. وأعنى أن قيمتها الفعلية تأتى من معاناتها الفعلية وليست من مشاهدتها لهذه المعاناة .. ومن هنا نلمس مدى الصدق فى شخصية الشيخ أحمد ومحسنة توفيق .

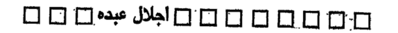
ولا جدال فى أن على الشريف قد أكد فى هذا الدور [الشيخ أحمد] موهبته الكبيرة كممثل قدير ..

ان العصفور اسهام ايجابى فى اثراء وجدان الانسان ومحاولة جادة لاستنهاض ايجابيته للمشاركة فى بناء واقعه مشاركة واعية مدركة حتى لا تحدث الاخطاء الجسام التى شكلت حاجز الوهم الذى منع العصفور من العرض فترة طويلة ..

فتحى فرج



حوار مع بلند الحيدري حول الشعر .. والتشكيل


اجلال عبده

● بلند الحيدري احد رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر . ارتبط اسمه باسماء بدر شاكر السياب وعبدالوهاب البياتي ونازك الملائكة ، فقد بدأت هذه المجموعة معا — منذ منتصف الاربعينات — الخروج على الاطار التقليدي للقصيدة العربية ، ومحاولة الارتفاع بها الى افق اكثر شمولا وقدرة على التعبير عن نبض العصر وهموم انسانه .. وجاءت مجموعته الاولى « خفقة الطين » علامة مميزة في هذا السبيل ، بعدها تتابعت إعماله : « اغاني المدينة الميتة » ، « خطوات في الغربة » « رحلة الحروف الصفر .. »

ولازال بلند الحيدري يواصل عطاءه حيث يقيم ويعمل في بيروت ..

وفي لقاء معه سألته :

□ اين تضع الشعر العراقي في حركة الشعر العربي المعاصر ؟

وأين تضع بلند الحيدري في هذه الحركة ؟

— لا يخفى عليك أن الشعر العربي الجديد ولد في العراق على يدي السياب ورهط من زملائه ابان الاربعينات من هذا القرن ، وقد استمدت تجربة الحداثة أصولها من ثلاثة اتجاهات رئيسية .. الاول منها هو اعتمادها التراث والتواصل به .. والثاني المعايشة الاصيلة للبيئة .. والثالث منها أستخدام عطاءات التجربة الشعرية المعاصرة .. عبر هذه الابعاد الثلاثة استطاع الشعر العراقي أن يحمل حداثته والتي يمكننا أن نلحظها بالمقارنة الى ما كان حاضرا في القصيدة الكلاسيكية بالنقاط التالية :

● كانت الموسيقى في القصيدة الكلاسيكية تشكل اطارا خارجيا للموضوع ولا تتعامل مع الموضوع الا بشكل بسيط فلو نظرنا الى قصيدة « ياليل الصب » بمعارضاتها الكثيرة ، ومع اختلاف كل منها من الاخرى لوجدنا أن النغم هو ذاته في كل هذه القصائد ينحدر بايقاعية ثابتة دون أى اهتمام بالانفعالات القائمة في القصيدة .. هذا بالاضافة الى أن نظام الشطرين في القصيدة الكلاسيكية استعان بشكل مستمر بالحشو الزائد بغية اتمام الايقاع الذى التزم به الشاعر القديم بينما راحت القصيدة الحديثة تعتمد على التفعيلة بحد ذاتها والتى أخذ الشاعر يوزعها كيفما يشاء ، على نحو متفاعل مع مضمون القصيدة ، وهكذا أصبحت الموسيقى عاملا مهما في تطوير العمل الشعرى تكثف التجربة وتعطيها عمقا اضافيا .

● والنقطة الثانية المهمة التى اخذ بها الشعراء المجددون هى ميلهم الى استخدام الكلمة الايحائية بدلا من الكلمة التقريرية ، بهدف خلق مشاركة بين الشاعر والقارىء ، فكلمة « سكينة » مثلا أكثر ايحائية من كلمة « مدية » فالاولى منهما تحمل شحنة ايحائية ناتجة من الاستخدام اليومى للكلمة ، هذا بالاضافة الى استخدام الرموز المختلفة والتى كان من نتائجها المباشرة أن القصيدة الحديثة تنطلق من شاعر معين الى قارىء معين يربط بينهما تكافؤ ثقافى بحيث تكون نصف القصيدة من الشاعر ونصفها الثانى من القارىء عبر هذا التكافؤ بين الاثنين .

● والنقطة الثالثة ذات الاهمية الكبيرة تقوم على أن شاعرنا الحديث حاول أن يقيم تجربته الشعرية على أساس من الوحدة العضوية في القصيدة بحيث تنمو القصيدة كلها نموا عضويا متكاملا بينما كانت القصيدة الكلاسيكية تعتمد أسلوب البيت الواحد ، فلكل بيت ذاتيته الخاصة .. كانت القصيدة الكلاسيكية تشبه العمارة من حيث كونها طابقا يقام على طابق وليس بين الطابقين من رابط غير الشكل الخارجى للعمارة وهو في القصيدة الوزن والقافية ..

هذه باختصار معطيات تجربة الشعر الحديث في العراق والذى صار أصلا لتجارب الشعراء الاخرين بعد ذلك ، وأنا — وأقول ذلك بتواضع كبير — واحدا من ثلاثة أقاموا هذه التجربة وهم بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وأنا وقد صدر ديوانى « خفقة الطين » عام ١٩٤٦ ، أعقبه ديوان بدر « أزهار ذابلة » ثم ديوان

نازك « عاشقة الليل » حيث أقيم منها جميعا أساس ومنطلق الحداثة الشعرية.

والاختلاف بين كل واحد من هؤلاء الثلاثة كبير فبدر يعتمد على الذاكرة العينية والتداعى فى الصور الخارجيه ويعتمد اللغة الكلاسيكية ومتانتها وعلى مستوى اقل فى الاداء نازك مع اغـراق فى العاطفية والرومانسية بينما اتجهت انا الى القصيدة القصيرة ذات الاسلوب البرقى والتى يكون لها أول ووسط وآخر كما يقول أرسطو .. اختلافات فى الجزئيات ، ولاشك كان من نتيجتها أن كان لتجربتى مريدوها ومثل ذلك لبدر ولنازك ، والحكم متروك للتاريخ والذى بلاشك يحتاج الى مسافة أبعد لاصدار أحكام قاطعة .

■ هل تؤمن بأن هناك أزمة شعر فى الثقافة الانسانية المعاصرة .. وبالتحديد فى الثقافة العربية ؟

ـ لاشك أن الحضارة الاوربية بصورة عامة تعانى من أزمة خانقة ، وقد أشار اليها من قبل « شبينجلر » وأشار اليها من المحدثين « كولن ولسن » ومازلنا نتلمسها فى هذه الفوضى التى نجدها فى الحركة الثقافية والفنية .. ونحن كبلدان متخلفة كثيرا ما نسقط فى رموز وشكليات البلدان المتقدمة بأسلوب اعتباطى فنقتبس الرمز والشكل دون كثير تفكير .. وهذا ما نجده اليوم من محاولات رسامينا الاستعانة بالتجارب التجريدية والسريالية والدادائية وبمحاكاةشكلية القصيدة عند « ت.س. اليوت » و « وجان دوس باسوس » ونقع ـ بالتالى ـ فى تزييف له طبيعة مزدوجة : الاولى هى أن تلك المحاولات لم تقم بعد على أرض صلبة مما يخولنا أن نأخذ بها ونترسم خطاها . والثانى ان فنانا وشاعرنا يسقط على هذه التجارب من الخارج اذ انه لم يعان ما عاناه الشاعر الاوربى وهذا السقوط تزييف لتجربته وبالتالى يشكل أزمة فى فكرنا العربى .

واعتقد أنه قد آن الاوان لاعادة النظر فى كل ذلك بحيث يستقيم لشاعرنا وفناننا ما قلنا به فى السابق وهو مراجعة التراث ومعايشة البيئة بصدق واستخدم الاساليب المعاصرة بقدر ما تسمح بذلك الاصالة المطلوبة دائما .

□ أعرف أنك من أكثر الشعراء اهتماما بالفن التشكيلى ومتابعةلتطوراته .. كيف ترى العلاقة بينه وبين الشعر ؟

ـ لقد أتيح لى أن أعايش فنانا كبيرا هو المرحوم جواد سليم النحات والرسام العراقى المعروف والذى لم يكن ليكف لحظة عن القراءة فى الشعر والموسيقى باعتقاد جازم منه بأن فى النحت وفى الرسم وموسيقى وشعراء، وأن تداخل الفنون هو من أبرز سمات الفن المعاصر ... وبالفعل كان يسعى دائما لاستخدام معطيات الشعراء ومعطيات الموسيقيين .. واذا كان الامر يبدو صعبا بالنسبة للرسم والنحت فاستخدام الفنون التشكيلية أسهل بالنسبة للشاعر وهذا ما اسهمت به .. أخذت من التشكيليين النسب بين الاحجام فى القصيدة والخروج عن التسطيح الذى كان يسود القصيدة الكلاسيكية ، فاستخدمت بالفعل البعد الثالث بمفهوم زمنى بحيث لم أدع القصيدة تصبح شكلا شبيها بالزخرفة الاسلامية التى لا عمق لها ، كذلك .. تأثرت بمحاولة النحات العالمى « هنرى مور » فى استخدام الفراغ فكانت لى عدة قصائدة أنسحت فيها مجالا للصمت كفراغ يكمل من خلال الايقاع الموجود فى احساس الشاعر.. كما استخدمت الالوان بمفهوم الانطباعيين فاعطيت لكل لون احساسا خاصا به فالاصفر يعنى البهتان والاسود يعنى الغموض والابيض يعنى انعدام الوضوح الى غير ذلك من الوان متدرجة ذات علاقات شخصية .

□ أعظم شعراء العصر هم أولئك الذين ارتبطوا بنضال شعوبهم : .. نيرودا .. ناظم حكمت .. بول ايلوار ، لويس أراجون .. هل ينطبق هذا على الشعر العربى ككل .. أم أنه يصدق فقط على شعراء المقاومة الفلسطينية ؟

ـ اذا أردنا أن نلزم أنفسنا بالدقة فثمة مقاييس مختلفة لتقدير عظمة الشعراء « ففاليرى ». فى نظرى شاعر كبير ولا يقل عظمة عن حكمت وأن لم يذكر هذا الشاعر شيئا عما كانت تعانيه أمته أثناء الحرب التى عاشها وعرفها من كثب الا أننا لا بد من أن نأخذ من الشاعر البطل والشاعر العقائدى هاتين الصفتين اضافة لوعيه الانسانى ... بهذا أنا لا أقدم ناظم حكمت كشاعر نحسب بل أقدمه كمناضل كبير التصق بالانسانية وسعى من أجل خيرها ولنا أن نقول أيضا أن التجربة الحياتية لهذا الشاعر قد عمقت تجربته الشعرية وضيرت بساطته أسلوبا رائعا فى الايصال ومن ثم فى التحريض والحث على تغيير المجتمع .... مثل هذه المقاييس تأخذ بعدين : الاول منهما حضارى أى يعتمد على ما لهذا الشاعر من امكانية أدائية وما له من حساسية وشاعرية والثانى منهما يعتمد الواقع الانى المتحرك ، فيوم أن كان محمود درويش شاعر الامة العربية بلا منازع اجتمعت فيه صفتا المناضل والشاعر الجيد وبمرور فترة قصيرة استغرقته الصفة الاولى لان الواقع الشخصى له قد تغير .. ومثل هذا القول وارد دائما ... ونحن نحتاج فى ظرفنا الحالى الى الشاعر بصفته الشاعر الذى لا يهين أدائيته وشكليته كما اننا بحاجة الى القائد الذى فيه .. والبطل الذى فيه .... وسنرفعه عاليا بكلتا الصفتين فى الاضافة ، ولكن لنا أن نقول أن فلانا من شعرائنا كبير وأن لم يكن على مستوى المسئولية التى نريد منه أن يحققها شعبه .. مثل ذلك نقوله فى التفريق بين « ماتيس » الجمالى الرائع و « بيكاسو » السياسى الكبير ، واظل أنا أقرب احساسنا « ببيكاسو » من خلال هذه الايحائية بانسانيته المرتبطة بالناس واحساسه بأنه مسئول عن كل العالم وفى كل مكان .

□ واخيرا : ما آخر اضافاتك الشعرية ؟

ـ آخر اسهاماتى كانت قصيدتى الطويلة التى نلت عليها جائزة الكتاب اللبنانى لعام ١٩٧٣ وهى « حوار عبر الابعاد الثلاثة » تقوم على محور الانسان فى الذات والانسان فى الموضوع والانسان فى المطلق وهى القيمة الفلسفية الكامنة فى التجربة ، أما شكلها الخارجى فيعتمد أسلوبا دراميا يقوم على فكرة قتل الاب بمعنى : الرغبة فى ابقاء التقاليد والعادات .. والابن حامل التجدد .. والمرأة رمز للحياة والاستمرارية .

وقد تعرضت هذه القصيدة الى رأيين مختلفين فمنهم من رأى فيها جهدا مهما فى تطوير تجربتى الشعرية ومنهم من أخذ عليها غموضها واعتبرها ايغالا فى الصوفية والامر ليس كذلك مطلقا .. بعد هذه القصيدة لم اكتب شيئا مماثلا واحاول أن أستريح فى محطات صغيرة ريثما أستجمع نفسى لتجربة أخرى .. قد تجىء وقد لا تجىء .. من يدرى ؟

حوار : اجلال عبده

شيلي :

من السينما الثورية الى سينما المقاومة ضد الفاشية

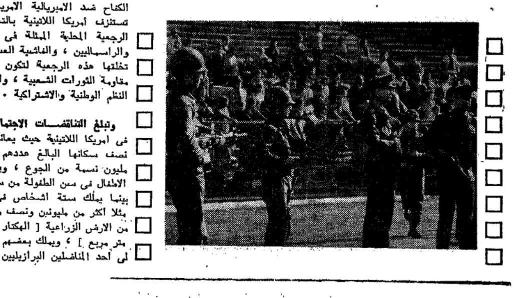
سمير فريد

تعتبر السينما النضالية فى امريكا اللاتينية من اهم الظواهر فى السينما المعاصرة . وعلى الرغم من تعدد اتجاهات هذه السينما التى ولدت فى الستينات الا انها اثبتت اصالتها العميقة فى كل اتجاهاتها . فهى من ناحية ترتبط بالواقع الثورى ارتباطا عضويا كاملا ، وتبتكر الحلول الخاصة سواء فى الانتاج ام فى التوزيع ام فى العرض كما قال فيرتون يوما ، وهو احد كبار منظرى السينما الثورية فى العالم ، وفى تاريخ السينما . كما انها تستلهم التراث الثقافى الشعبى من ناحية أخرى .

وامريكا اللاتينية تشمل جزءا كبيرا من امريكا الشمالية هو بلاد المكسيك وكل امريكا الوسطى ، وجزر البحر الكاريبى وقارة امريكا الجنوبية وتتكون من ٢٣ جمهورية ، و ٥ مستعمرات اوروبية ، ومنطقتا نفوذ للولايات المتحدة الامريكية :

وتختلف هذه الوحدات السياسية فيما بينها فى اللغة والتكوين البشرى والوضع السياسى واسلوب الحياة ، ولكن الغالبية منها واحدة تتكلم اللغة الاسبانية ، وهناك دولة واحدة تتكلم البرتغالية هى البرازيل التى تعدل مساحتها نصف مساحة امريكا الجنوبية [١]

ومنذ سيمون بوليفار فى اوائل القرن التاسع عشر ، وحتى **سلفادور الليندى** فى بداية السبعينات ، ومرورا **بكاسترو ثم جيفارا** [١٤ مايوم ١٩٢٨ — ٩ اكتوبر ١٩٦٧] والثورة لم تهدأ قط فى امريكا اللاتينية : من الكفاح ضد الاستعمار الايبرى [الاسبانى والبرتغالى] الى الكفاح ضد الامبريالية الامريكية التى تستنزف أمريكا اللاتينية بالتعاون مع الرجعية المحلية الممثلة فى الاقطاعيين والراسماليين ، والفاشية العسكرية التى تخلقها هذه الرجعية لتكون درعها فى مقاومة الثورات الشعبية ، والقضاء على النظم الوطنية والاشتراكية .



وتبلغ التناقضات الاجتماعية ذروتها فى امريكا اللاتينية حيث يعانى اكثر من نصف سكانها البالغ عددهم نحو ٣٠٠ مليون نسمة من الجوع ، ويموت نصف الاطفال فى سن الطفولة من سوء التغذية بينما يملك ستة اشخاص فى البرازيل مثلا اكثر من مليونين ونصف مليون هكتار من الارض الزراعية [الهكتار عشرة الاف متر مربع] ، ويملك بعضهم — كما قال لى أحد المناضلين البرازيليين — جيوشا

[١] أمريكا اللاتينية [د. حسين مؤنس عدد ١٢ مارس ١٩٧١ من جريدة الاهرام المصرية] .

خاصة لها بدمميتها وقواتها الجويسة لاستخدامها ضد العمال والفلاحين . واذا كانت ثورة كوبا قد صمدت بفضل العنف الثورى ، فان حكومة الليندى لم تصمد بسبب السلم الثورى اذا جاز التعبير ، او التغيير الاجتماعى القائم على الشرعية البرلمانية .

ولاشك ان انتصار ثورة كوبا عام ١٩٥٨ قد ساهم مساهمة فعالة فى ولادة السينما النضالية فى امريكا اللاتينية فى الستينات . فكوبا هى القلعة التى يلجأ اليها السينمائى المناضل فى امريكا اللاتينية لكى يصنع أفلامه ، أو يقوم بتركيبها وتحميضها واعدادها للعرض او على الاقل يقوم ببيعها وتوزيعها لكى يستطيع ان يواصل ، وكوبا ايضا هى القلعة التى يلجأ اليها عندما تطارده قوى الفاشية لكى تقضى على حياته .

وقد بدات السينما النضالية فى امريكا اللاتينية ، اى السينما التى تعمل خارج النظام ، وضده ، من خلال حركة السينما الجددة فى البرازيل ، وهى من أهم اتجاهات السينما النضالية الى جانب السينمائيين الاحرار فى الارجنتين ، والسينما السرية فى كولومبيا ، والسينما النضالية فى بوليفيا وغيرها من دول امريكا اللاتينية . والى جانب الهدف الواحد الذى يجمع بين هذه الاتجاهات والظروف الاجتماعية والسياسية المتقاربة فان ما يجمع بينها ايضا بالنسبة الى السينما سيطرة الاحتكارات الامريكية على صناعة السينما انتاجا وتوزيعا وعرضا على نحو لا مثيل له فى العالم كله . ولعل اوضح مايدل على ذلك ان شركات السينما الامريكية الاحتكارية فى هوليود انتجت فى الفترة من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٥ مع بداية السينما الناطقة ١١٣ فيلما روائيا طويلا تنطق باللغة الاسبانية اصلا خشية ضياع سوق امريكا اللاتينية [٢]

● شيلى : السينما النضالية

يذكر جورج سارول فى تاريخه العام للسينما ان اول فيلم شيلى هو الفيلم التسجيلى « **مائة عام على الاستقلال** » الذى تم انتاجه عام ١٩١٠ . وان اهم أفلام السينما الصامتة « **لعبة الموت** » اخراج **سلفادور جيامباستينى** »و«**الروح الشيلية** »و« **كل شىء للوطن** »و« **شارع الاكاسيا** » اخراج **ارتورو ماريو** .

واثناء الحرب العالمية الثانية انشأت الدولة شركة شيلى فيلم التى نهضت بالانتاج حتى وصل الى عشرة افلام كل عام ، ولكنها لم تلبث ان توقفت بعد نهاية الحرب ، ورغم اشهار افلاسها عام ١٩٤٧ ، الا انها ظلت باقية حتى اليوم تنشط حركتها او تخمد حسب سياسة كل حكومة . ومن اهم الافلام الشيليه فى الخمسينات « **الخليج المنسى** » الذى اخرجه «**برونو جيبل** » عام ١٩٥٧ [٣]

وبتأثير السينما الثورية فى كوبا ، والسينما الجديدة فى البرازيل ، ومن خلال معهد السينما التابع للجامعة الكاثوليكية ، وقسم السينما التجريبية التابع لمعهد الوسائل السمعية البصرية بجامعة شيلى ، وبفضل ازدهار حركة نوادى السينما التى بدات عام ١٩٦٢ ، ومجلة سينى فورو ، ومهرجان فينا ديل مار الذى اقيم للمرة الاولى عام ١٩٦٦ بدات السينما النضالية فى شيلى فى نهاية الستينات ، وكان لها دورها فى نجاح الليندى فى الانتخابات عام ١٩٧٠ وفى ازدهار السينما الثورية فى عهده حتى نهاية عام ١٩٧٣ .

كانت السينما فى شيلى قبل قيام جمهورية الليندى الاشتراكية خاضعة للاحتكارات الامريكية مثلها فى ذلك مثل كل الصناعات فى البلاد . كان الانتاج القومى منذ بداية السينما لا يتجاوز ١٥٠ فيلما روائيا طويلا اغلبها تكرار للنموذج الهوليودى ، و ١٥٠٠ فيلم تسجيلى قصير اغلبها من الافلام السياحية ، او الدعائية [٤] وكانت دور العرض البالغ عددها نحو ٣٠٠ دار تعرض كل عام ٤٠٠ فيلم اجنبى ، ٨٠٪ منها من انتاج شركات السينما الاحتكارية فى هوليود : وتتبع اكثر من ٨ ملايين تذكرة يعود الجزء الاكبر من قيمتها الى هذه الشركات [٥]

وفى ظل هذه الظروف بدات السينما النضالية مسيرتها من خلال الافلام التسجيلية التى ينتجها قسم السينما التجريبية بجامعة شيلى . وكان الفيلم الاول هو فيلم « **مسيرة كول** » الذى اخرجهمدير القسم **سيرجو برافو** عام ١٩٦٥ ، وتناول فيه اطول اضراب عمالى فى تاريخ شيلى ، وهو الاضراب الذى وقع اثناء حكومة **جورجى اليساندرى** [١٩٥٨ — ١٩٦٤] . ويقول المخرج الشيلى **الفارو راميرز** فى بحث له عن تاريخ السينما التسجيلية الشيلية ان سيرجو برافو اخرج بعد ذلك فيلمه الثانى « **اعلام الشعب** » عام ١٩٦٦ ، ثم اعتزل السينما ، وتولى ادارة القسم **بدور شاسكيل** . [٦]

وفى راى راميرز ان تولى شاسكيل لهذا القسم كان بداية مرحلة جديدة فى تاريخ السينما النضالية فى شيلى . ومن اهم افلام هذه المرحلة « **عملية** » اخراج **شاسكيل** ، و« **الجاهل** » اخراج **الفيو سوتو** ، و « **بلاد اجنبية** » اخراج **ميجيل ليتن** عام ١٩٦٦ ، و « **كان ياماكان** » اخراج **شاسكيل** و **هيكتور ريوس** عام ١٩٦٧ ، و « **عرض كهربائى** » اخراج **باترشيو جوزمان** عام ١٩٦٨ ، و «**سوء تغذية الاطفال** » اخراج **راميرز** . و« **هير منيدادى لافسكتوريا** » **اخراج دوجلاس هوبنز** عام ١٩٦٩ . وقد كان لهذه الافلام دورها فى مساندة الليندى حتى انتصاره فى الانتخابات .

ومن ناحية اخرى شهدت هذه المرحلة انتاج أولى الافلام النضالية الروائية الطويلة ، وأن لم يتيسر للغالبية منها أن تعرض الا بعد انتصار الليندى ، وهى « **كان هناك صبى ومقاتل وحصان** » اخراج **سوتو** عام ١٩٦٧ ، و « **نهاية اللعبة** » اخراج **لويس كورينجو** و « **النمور الثلاثة الحزينة** » اخراج **راؤل ريز** عام ١٩٦٨ ، ثم « **ابن اوى من ناهوليسترو** » اخراج **ليتين** ، و« **الملح الصخرى الدامى** » اخراج **سوتو** و « **فالباريزو حبى** » اخراج **الدوفرانسيا** عام ١٩٦٩ . وقد بدأ نضج السينما الشيلية النضالية فى مهرجان فينا ديل مار الثانى الذى اقيم عام ١٩٦٩ .

ومن اهم هذه الافلام الروائية ، وكلها

---

[٢] **افلام هوليود الناطقة بالاسبانية [الفونسو بينتو عدد اكتوبر ١٩٧٣ من مجلة فيلمز ان ريفيو الامريكية] .**
[٣] **تاريخ السينما فى العالم [جورج سادول ترجمة د. ابراهيم كيلانى وفايز نقش — دار عويدات ببيروت ١٩٧١] .**
[٤] **القيمة الثقافية للفيلم والتليفزيون فى امريكااللاتينية [لويس بيكو ودانييل هوبن — مطبوعات اليونسكو ١٩٦٨] .**
[٥] **دليل الفيلم الدولى [بيتر كادى بلندن ١٩٧٤] .**
[٦] **مختصر تاريخ السينما التسجيلية فى شيلى [الفارو راميرز — العددين الثالث والرابع من نشرة مهرجان ليبزج ١٩٧٢] .**

الافلام الطويلة الاولى لمخرجيها « ابن اوى من ناهولسنرو » اخراج ميجيل ليتين ، و « فالباريزو حبى » اخراج الدو فرانسيا ، وكلاهما يعتمد على حادثة قتل حقيقية يكشف من خلالها عن مأساة الفقر الذى يصل الى حد الجوع كما يكشف عن التناقض بين القوانين والعدالة فى المجتمع الطبقى . ففى الفيلم الاول « ابن آوى من ناهو لسترد » نرى الاب يقتل زوجته واولاده الستة ، وعندما يدخل السجن ويتعلم القراءة والكتابة ويأكل ويستريح يدرك خطأه ، ويتغير تماما ، وفى هذه اللحظة يكون قد حان موعد اعدامه . وفى الفيلم الثانى « فالباريزو حبى » نرى الاب يقتل احد ابنائه لكى يبيع له لحمه ، وعندما يحكم عليه بالسجن تكون النتيجة الوحيدة تحول ابنه الى لص سرعان مايلحق به فى السجن ، وتحول ابنته الى عاهرة . ويقول الدو فرانسيا فى حديث ادلى به عن فيلم « فالباريزو حبى » عام ١٩٦٩ « يصور الفيلم حياة الفقراء ، ويضع القانون فى قفص الاتهام . ان القانون فى شيلى ، كما فى كل امريكا اللاتينية وضع لكى يحمى البورجوازية ، وليس هناك اختيار حقيقى امام الفقراء . اننا نعرض فى الفيلم ماالذى يحدث للفقراء عندما يطبق عليهم هذا القانون ، ونسأل هل هذا العدد » [٧]

● شيلى : السينما الثورية

لم يكن من الممكن ان تلتزم الجمهورية الاشتراكية الصمت تجاه تبعية السينما للاحتكارات الامريكية فى شيلى ، ووقوفها ضد نمو السينما الوطنية فيها ، وكان من اولى القرارات الاشتراكية تأميم دور العرض ، وانشاء شركة وطنية لادارتها ، وانشاء مركز افلام الوحدة الشعبية ، ودعم شيلى فيلم ، واختيار ميجيل ليتين مديرا لها ، وتخويلها حق استيراد وتوزيع تلك الافلام الاجنبية الروائية الطويلة التى تقرر الا يزيد عددها عن ١٣٠ فيلم كل عام .

ولاول مرة فى تاريخ السينما الشيلية شاهد جمهور السينما عددا كبيرا من افلام الدول الاشتراكية ، وافلام السينما النضالية فى امريكا اللاتينية ، والسينما الثورية فى كوبا ، وغيرها من افلام دول العالم المختلفة .

وبالطبع لم تستسلم الشركات الاحتكارية فى هوليود ، وانما سعت الى تخريب السوق بمقاطعته فجأة ، وتعاونت مع القطاع الخاص الذى ظل مسموحا له ان يستورد ويوزع وينتج بحكم فلسفة التغيير الاجتماعى السلمى لاعاقة شيلى فيلم عن القيام بدورها . وقد استقال ليتين عام ١٩٧٢ لاسباب لم يحددها بوضوح ، وان كانت ترجع فى الغالب الى السماح للقطاع الخاص بالعمل ، وحل محله ادوارد باريديس وكان باريديس من اوائل المسئولين الذين اغتالهم الانقلاب الفاشى .

وفى سنوات الجمهورية الاشتراكية [١٩٧٠ — ١٩٧٣] استطاع مخرجو السينما النضالية ان يصنعوا السينما الثورية التى كافحوا من اجلها طويلا . وظهر الى جانبهم العديد من الشباب الذين وضعوا فنهم فى خدمة الثورة ، وجعلوا منه سلاحا ضد اعداء الثورة . وهم انفسهم الذين يقفون اليوم فى صفوف المقاومة ضد الحكم العسكرى الذى اعاد البلاد الى ايدى الاحتكاريين الامريكيين ، واعادهم مرة اخرى الى السينما النضالية سواء داخل او خارج شيلى حيث تعيش الغالبية منهم فى المنفى : فى كوبا والمكسيك وفرنسا .

اما عن السينما التسجيلية فقد اخرج شاسكيل « كولاج عن التناقضات » ، و « سننتصر » مع ريوس عام ١٩٧٠ ، واخرج عام ١٩٧١ « البرازيل : لاوقت للبكاء » مع البرتوسانز عن الوضع فى البرازيل منذ الانقلاب العسكرى عام ١٩٦٤ . واخرج باتريشيو جوزمان « السنة الاولى » عام ١٩٧١ عن السنة الاولى من حكم الليندى . واخرج راميرز « آخر مرة » عام ١٩٧٠ عن عمال الشمال ، وكون مع صامويل كارفال وليوناردو جدسبيديس مجموعة فنية اخرجت عام ١٩٧٠ ايضا « ميجيل انجلو انجويرا » عن اضراب وقع يوم ٨ يوليو ١٩٧٠ ، وكان العامل انجويرا من بين ضحاياه ، و « فرقة رامونابارا » عن مجموعة عمالية ثورية تطلق على نفسها اسم احد شهداء العمال . وقد اخرج جيتبيديس وحده بعد ذلك عام ١٩٧١ « الرسم مع الشعب » الذى يعبر عن دور الرسام فى الثورة [٨]

ومن المخرجين التسجيليين الذين ظهروا فى عهد الليندى كلوديو سابين الذى اخرج « سانت ماريا دى ايكويكى » عن اضراب عمال مناجم الملح الصخرى عام ١٩٠٧ الذى قمع بعنف ، وراح ضحيته ٢٥٠٠ عامل ، وينتهى الفيلم بخطاب الليندى الذى امم فيه هذه المناجم . وجوزية رومان « ريبورتاج فى لوتا » عن عمال مناجم النحاس التى اممت ايضا ، وسيرجو كاستيلا « ابنتى » عن دور المراة فى الثورة ، وفيرناندو بالماسيدا « الطفل المرح » عن العناية بالاطفال فى ظل الثورة ، ولويس البرتوسيان « اول مايو » عن اول احتفال بعيد العمال فى ظل الثورة ، والمخرجتان ماريولا مايتى « اميولامى » عن التأمين ، وانجيلا فاسكوز « عمال الشمال » عن تاريخ نضال العمال فى الشمال ، والمخرجان جلبرموكان ، وكارلوس فلوريس اللذين اخرجا معا « منزل او خراء » عن حياة الفلاحين فى القرى ، واضطرارهم الهجرة الى المدينة ، و « نريد ارضنا » عن استغلال الاقلية الهندية من قبل الراسمالية الاحتكارية ، ثم اخرج كان وحده « سنواصل طريقنا » عن مؤامرات اليمين ضد الليندى ، واخرج فلوريس مع كارفال « سوف نعود ببلادنا الى الوراء » عن نفس الموضوع . وكل هذه الافلام من انتاج عام ١٩٧١ .

واما عن الافلام الروائية الطويلة فقد اخرج سوتو « انتخاب + بندقية » عام ١٩٧٠ عن الصراع بين اليمين واليسار فى الانتخابات ، وكان على وشك الانتهاء من اعداد فيلمه الطويل الرابع « تغير ضابط البوليس السياسى » حين وقع الانقلاب العسكرى ، ويتناول الفيلم مؤامرات اليمين المتحالف مع الامبريالية الامريكية ضد حكومة الليندى . واخرج فرانسيا « الصلاة لم تعد تكفى » عام ١٩٧١ عن تحول قسيس الى مناضل فى صفوف الثورة [٩] واخرج ريز « لااحد يقول شيئا » عام ١٩٧١ الذى يناقش المثقفين ويحدد دورهم فى الثورة ، و « المصادرة » عام ١٩٧٢ الذى يتولى بضرورة الوعى السياسى عند الفلاحين ليقوموا بدورهم فى الثورة ، وذلك من

[٧] نشرة مركز افلام القارات الثلاثة بنيويورك ١٩٧١ .
[٨] شاهدت الفيلم فى برنامج السينما الثورية فى امريكا اللاتينية [مهرجان ليبزج ١٩٧٢] .
[٩] شاهدت الفيلم فى اسبوع النقاد [مهرجان كان ١٩٧١] .
[١٠] شاهدت الفيلم فى نصف شهر المخرجين [مهرجان كان ١٩٧٤] .

خلال واقعة حقيقية ، هي واقعة رفض بعض الفلاحين استلام الاراضي الموزعة عليهم على أساس أنهم لايعرفون كيف يديرون العمل بها [١٠] واخرج ليتين الفيلم التسجيلي الطويل « الرفيق الرئيس » عام ١٩٧١ عن الحوار بين الليندي والمفكر المناضل الفرنسي ريجيه دوبرية الذي كان خارجا من المعتقل في بوليفيا لتوه [١١] ، و« الارض الموعودة » عام ١٩٧٢ عن اول جمهورية اشتراكية في تاريخ الامريكتين : وهي جمهورية مارمما دوك جروفي التي قامت عام ١٩٧٢ لمدة ١٢ يوما ، وانتهت بمذبحة رانكيل المشهورة في تاريخ شيلي وقد استطاع ليتين من خلال هذا الفيلم ان يعبر عن الظرف التاريخي الذي كانت تعيش فيه بلاده ، والذي انتهى بمذبحة اخرى . [١٢]

ومن المخرجين الروائيين الذين ظهروا في عهد الليندي انريكي اورتيجا الذي اخرج « يجب قتل الجنرال » عام ١٩٧٢ عن مؤامرات اليمين ضد الليندي في فترة الستين يوما التي تلت انتخابه ، وسبقت تسلمه السلطة حسب الدستور ، وخاصة مؤامرة حكومة فيري لقتل الجنرال شنيدر القائد العام للقوات المسلحة حتى يقوم الجيش بالسيطرة على الحكم [١٣] . ويمكن القول ان السينما الشيلية قد شهدت عصرا ذهبيا في فترة السنوات الثلاث المجيدة في تاريخها المعاصر

٥ شيلي : السينما العالمية

كان نظام الوحدة الشعبية في شيلي وانتصار الليندي ، وقيامه بالثورة في اطار النظام البرلماني موضوعا للعديد من الافلام في مختلف دول العالم . ومن اهم هذه الافلام الفيلم التسجيلي الامريكي « عندما يستيقظ الشعب » الذي انتجه مركز افلام القارات الثلاث بنيويورك ، والفيلم التسجيلي الامريكي ايضا « كامبا مينتو » اخراج توم كوهين وريتشارد بيرس ، والفيلم التسجيلي الكوبي « والجنة اخذت بالقوة » اخراج سانتياجو الفاريس عن زيارة كاسترو لشيلي ، والفيلم الامريكي الشيلي الروائي الطويل « مالعمل » اخراج سول لانداو وثينا سيرانو ، والذي اشترك في اخراجه الشيلي راؤل ريز . ويكشف هذا الفيلم من خلال المونتاج المتوازي بين الاغاني والوثائق والدراما التي يعتمد عليها عن مؤامرات المخابرات الامريكية في شيلي قبل واثناء انتخابات عام ١٩٧٠ لمنع وصول الليندي الى الحكم . [١٤]

وربما يكون الفيلم السوفييتي التسجيلي الطويل « القارة الملتهبة » الذي اتمه رومان كارمن قبل اسابيع من الانقلاب العسكري في شيلي هو اهم فيلم صور عن جمهورية الليندي خارج شيلي ، ومن امريكا اللاتينية بوجه عام . يقول كارمن « هذا الفيلم مواصلة لذلك الفيلم الذي صنعناه في ارض كوبا الثورية منذ ١٢ عاما ، كنا انه ايضا مواصلة لافلامنا عن مدريد ، والدفاع عن موسكو ، ومعركة برلين ، وفيتنام . ان ابناء جيلنا يعرفون اى ثمن غال ــ حياة الملايين من الناس ــ دفعته البشرية في النضال من اجل العدالة . من اجل الانسان ، ومن اجل كرامته . وهذا النضال لا يزال يدور في ايامنا . لايزال يدور في ايرلندا وسهول افريقيا ، وفي البلاد العربية . ويدور ايضا في امريكا اللاتينية : في الارض التي يطلقون عليها القارة الملتهبة » .

ويجيء في التعليق في نهاية الفيلم « ٣٠٠ مليون ينابيلون في هذه القارة وهم مؤمنون ان النصر للخير والحقيقة ولحب الانسان والعدالة . ان شعوب امريكا اللاتينية تؤمن ان النصر للثورة » .

وقد شاهد الرئيس الليندي فيلم « القارة الملتهبة » ، وقال لمخرجه بعد العرض : انني كشيلي وكرئيس اقول انك ورفاقك انجزتم عملا نبيلا بتصويركم هذا الفيلم . ان اهمية الفيلم هائلة ، هذا عمل لا يقدر عليه غير من تجتمع فيه الموهبة الكبيرة والعقيدة السامية . واني اعرب لكم باسم شعب شيلي وباسم شعوب امريكا اللاتينية وباسمي عن الشكر العميق على هذا القسط الوافر الذي اسهمتم به في نضالنا » . [١٥]

● شيلي : سينما المقاومة

يقول المخرج الشيلي باتريشيو جوزمان الذي اعتقل في الايام الاولى للانقلاب الفاشي في شيلي « جاء الى منزلي ثمانية جنود ، اخذوا صورة الليندي وزوجته ، وكتاب كريس ماركر عن السينما الذي طبع في كوبا وهو الامر الذي لفت انظارهم اليه ، ثم قبضوا على ، وعندما سألتهم لماذا ؟ قالوا لي لقد كنت صديقا لمدير شيلي فيلم ادواردو باريديس » . ويستطرد جوزمان في حديثه قائلا « وهناك في الاستاد وقفت ٩ ساعات ووجهي الى الحائط وقدماي على الارض دون حذاء وبعد يومين لم نتناول خلالهما اى نوع من الطعام بداوا يقدمون لنا اكلة واحدة كل ٢٤ ساعة ، وبعد ١٥ يوما افرجوا عني ومن ٣٠٠ من المعتقلين في الاستاد وقد شاهدت من بين المعتقلين المغني انجل بارا والمخرج الارجنتيني ديجو بونا شيتا » [١٦] .

ويقول المخرج الشيلي الفارو راميرز عن شيلي فيلم في ظل الحكم العسكري « تولى ادارة الشركة كابتن من المشاة وفي اول اجتماع له مع العاملين في الشركة قال : انا لا املك اى فكرة عن صناعة الافلام ، ولم احب السينما ابدا ان كل علاقتي بالافلام هي ان اقطع تذكرة يوم الاحد ، واشاهد اى فيلم يعرض على الشاشة . والاوامر التي اصدرها الكابتن منذ ١١ سبتمبر حتى الان هي حسب ترتيب صدورها ، قص شعر كل العاملين في شيلي ــ فدم تناول طعام الغذاء عند الظهر ، لان الغذاء بالنسبة اليه يعني بالضرورة النوم بعده قليلا ، وقد كانت هذه الوجبة هي الرئيسية بالنسبة لكل العمال ــ منع استخدام الموسيقى الفلكورية » ويختتم راميرز حديثه قائلا « سوف نصور ، واذا لم نصور بالكاميرا السينمائية فبالكاميرا الفوتوغرافية ، وسوف نرسل ما نصوره الى رفاقنا خارج البلاد وسوف تستمر المقاومة » [١٧]

وادواردو باريديس ليس شهيد السينما الثورية الوحيد الذي صرعته قوى الفاشية فهناك ايضا جورجي ارافينا . وفي المعتقلات حتى الان السينمائيين :

مارشيليو رومو

جليرمو كان

اتريكو بريو

[١١] شاهدت الفيلم في اسبوع السينما السياسية [مهرجان كان ١٩٧٤] .
[١٢] شاهدت الفيلم في اسبوع النقاد [مهرجان كان ١٩٧٤] .
[١٣] شاهدت الفيلم في نصف شهر المخرجين [مهرجان كان ١٩٧٤] .
[١٤] شاهدت الفيلم في نصف شهر المخرجين [مهرجان كان ١٩٧٢] .
[١٥] مجلة الفيلم السوفييتي ١٩٧٣ .
[١٦] نشرة مهرجان ليبزج ١٩٧٣ [العدد الرابع] .
[١٧] نشرة مهرجان ليبزج ١٩٧٣ [العدد الرابع] .

إيفان تستان ماريّن
فرانشسكو مورالس
بدرو أيتاس
اليزا رودلفي
هوجو ميدينا .

وقد وقعت البيانات فى العديد من المهرجانات السينمائية الدولية تطالب بالافراج عنهم .

وسينما المقاومة ضد الفاشية فى شيلى بدات بعد ايام من الانقلاب العسكرى ، ولم تهدأ . وفى مهرجان ليزج فى نوفمبر ١٩٧٣ عرضت ٥ افلام هى الفيلم الكوبى « **النمر قفز وقتل** » اخراج **سانتياجو الفاريس** من المطرب الثورى **فيكتور هارا** الذى شنقه الخونة فى احد الميادين العامة والفيلم الالمانى من المانيا الديمقراطية « **بابلو نيرودا** » اخراج **أوى بيلز** عن شاعر امريكا اللاتينية المناضل العظيم الذى مات بعد ١٤ يوما من الانقلاب ، والفيلم الفرنسى « **سبتمبر شيلى** » اخراج **برونو مويل وثيو روبيش و فالبرى مايو** الذى يجمع بعض الوثائق عن احداث الانقلاب ، وتتضمن جنازة بابلو نيرودا ويصور المؤتمر الصحفى الذى عقدته ارملة الليندى فى باريس [١٨] ، والفيلم السويدى « **سانتياجو : مدينة مغتصبة** » اخراج يان ليند كويست عن شيلى الثورة ، وشيلى الفاشية ، والفيلم السوفييتى « **اضواء على الأحداث فى شيلى** » الذى اخرجه **رومان كارمن** واستعان فيه ببعض مما سبق ان صوره فى فيلم « القارة الملتهبة » .

يقول كارمن « **بعد سبتمبر** الدامى عدت انظر من جديد فى المواد التى صورتها فى شيلى قبل أسابيع قليلة : هذا عذبوه ، وهذا قتلوه ، وهذا اعدموه بالرصاص دون محاكمة ، هذا المغنى البارع حبيب الشعب فيكتور هارا انزلوا به العذاب الوحشى ، ثم شنقوه امام انظار مئات من الناس مع قيثارته . لقد تذكرت الرئيس الليندى وكلماته الرقيقة الى بعد ان شاهد « القارة الملتهبة » وقد وضعت فى فيلمى الجديد اللقطات التى تصور كيف حملوه من قصر الرئاسة ملفوفا بعناية — وباللرمز — بعباءة فلاح بسيط ! غير ان المقاومة سوف تستمر . اننى لن انسى ابدا تلك البرقية التى وصلتنى من بعض الطلبة فى لينجراد وكانت تقول :

يارفيق كارمن : نحن طلاب معهد الهندسة الكهربائية فى لينجراد غاضبون من مآثم الرجعية الشيلية . نريدان نذهب الى شيلى . اننا نطلب منك — أنت يامن شاركت فى معارك اسبانيا — ان تساعدنا على ذلك .

ان كل ساعة تمر لها ثمن !

ولقد بكيت بمرارة عندما قرات هذه البرقية » [١٩]

وفى الملتقى الدولى لسينما العالم الثالث الذى عقد بالجزائر فى ديسمبر ١٩٧٣ عرضت افلام « النمر قفز وقتل » و « سبتمبر شيلى » و « سانتياجو : مدينة مغتصبة » الى جانب الفيلم الامريكى « **عندما يستيقظ الشعب** » .

وفى مهرجان كان فى مايو ١٩٧٤ عرض فيلم « **الارض الموعودة** » فى اسبوع النقاد ، وفيلما « **الرفيق الرئيس** » و « **سبتمبر شيلى** » فى اسبوع السينما السياسية ، وفيلما « **المصادرة** » و « **يجب قتل الجنرال** » فى نصف شهر المخرجين الى جانب الفيلم المكسيكى « **ضد العقل ومع القوة** » الذى اخرجه **كارلوس تيجيدا** واشترك فى تصويره **الكسيس جريفاس** ، والذى يعتبر الفيلم الوحيد من افلام المقاومة الذى صور فى شيلى بعد الانقلاب .

لذا تمكنت المجموعة الفنة المناضلة التى صنعته من خديعة القوى الفاشية وإيهامها بانهم يصنعون فيلما دعائيا ، وراحوا يصورون بيت الليندى المحطم ، وبيت نيرودا الذى عبث فيه اللصوص ، ويجرون الاحاديث مع الزوجات والابناء والابناء الذين ينتظرون ذويهم عند مداخل الاستاد . ويقدم الفيلم تسجيلا كاملا لجنازة نيرودا بالصوت والصورة ، والشعب الشجاع الذى خرج يودع شاعره ويهتف باسمه وباسم الليندى ، ويغنى الانتر ناشيونالى ! [٢٠]

وقد صدر عن جبهة المقاومة فى السينما الشيلية البيان التالى فى مهرجان كان :

ان المقاومة الشيلية موجودة فى مهرجان كان لان حكومة الوحدة الشعبية قامت ببعث الثقافة ، وخاصة فى السينما اما اليوم فان الحكم الفاشى الذى يسيطر على شيلى لا يكتفى بازهاق ارواح الآف الرجال والنساء ، ولكن يقضى ايضا على كل مايمثل الثقافة وحرية الفكر وحرية الانسان .

اننا نطالب بتأييدنا فى كفاحنا .

اننا نطالب بالتضامن مع عمال السينما الشيلية المعتقلين ، والذين يواجهون خطر الموت .

اننا نطالب بالافراج عنهم ، وعن كل المعتقلين .

---

[١٨] شاهدت الفيلم فى أسبوع السينما السياسية [مهرجان كان ١٩٧٤] .
[١٩] مجلة الفيلم السوفيتى ١٩٧٤ .
[٢٠] شاهدت الفيلم فى نصف شهر المخرجين [مهرجان كان ١٩٧٤] .

قصـــــيدة

مأســـاة الوجـه الثـالث

أحمد عنتر مصطفى

●

باتساع المدينة حزنى ؟
بعمق الكهوف الحزينة جرحى ؟
ووجهى امتداد الغيـوم على الارض .. هـل
ترقصين معى رقصة النار ؟؟
هذا هو الكرنفال الاخير ؟؟
احكمى فوق عينيك هذا القناع اذن واتبعينى
هذه الشرفات المضاءة ، والسادة النبلاء الاماجد
كالانجم الزهر
تختال فى الليلة الصاخبة
سوف نطرق أبواب هذى القصور ..
قد يطاردنا الجند ، قد يطلبون الهوية ، قـــد
يطلقون الكلاب —
السياط وراء الظهور
أنت لا تجزعى — هكذا الموت يقدم — لاتخذلينى
[تضيق المسافات بين الرءوس ومطرقة الشرطة
الغاضبة]
احكمى فوق عينيك هذا القناع .. اذا عرفوك ..
يجن جنون الامير
لايريدك أن تخرجى طيلة الحفل ..
تبقين أنت — كما أنت — محظية للسرير..
فاتبعينى الى اللحظة الهاربة
أنصبى القامة الان ..
نجتاز باب الدخول لنروى الكثير الكثير
أنصبى القامة الان ننسل ..
حين يدوى النفير

... ...

●

الشـواء يراح ويفدى به [قلب طفل صـغير]
وسيدة فوق أخرى تميــل ، وتهمس فى
اذنها .. ضحكة فى الفضـاء تسيل ..
وكانت جموع الطواويس تختال فى الـكرنفال
الجليل
وفى السقف .. لم يلمح الخدم المشرفون على
القصر — رغم العطاء الجزيل —
ذلك العنكبوت الذى لاذ بالركن ينسج فيه الدليل

●

[القناع الذى فوق وجهى أتيت به من صحارى
الجزيرة
ومن زمن معتم الوجه تلمع فيه السيوف ..]
— ها أنا أمثل الان بين يديك .. ومن يتقلص..
وجهى تهـاجر منه الاسارير ، عيناى تنبطحان
على الارض جوعى
[ها هما هرتان تموءان] تذكر يا قيصر الروم
من زمن
حين جئتك اشكو اليك الجروح ..
واطلب ثأر أبى .. قلت : « ضيعنى فى البلاد
صغيرا ..
وحملنى ثأره والدماء كبيرا .. »
فالبستنى حلة الموت درعا ..
وعشرين موتا .. وعشرين عاما أسير وتنهش
قلبى القروح ..
... ...
... ...
— ليس فى الحفل هذا الهراء السخيف !!
— كاد أن يفسد الحفل هذا الجواد الجموح !!

... ...
... ...

●

[... القناع الذى فوق وجهى الغريب ...

والأمير الحصيف
ليس يفهم هذا التراث العجيب ..
فابحثي عن قناع جديد معي .. قد يثير اللهيب
في الكئوس التي امتلأت بالنزيف
ابحثي عن قناع معي
عن قناع جديد معي
قد يكون الصليب !! ..]

●

— ها أنا ماثل بينكم في العشاء الاخير
قد يكون النبيذ الذي تشربون دمي
والخبز هذا الذي تأكلون هنا جسدي
ليتكم تنظرون ذوي الاوجه الجامدة
فعلى هذه المائدة
بينكم خائن او أجير
سيسلمني للمصير !! ..

... ...
... ...
... ...

— جميل !! بهيج !!
— شهي !!
— لطيف !!
— تمجد هذا الاداء الجريح !!
— ترى من تكون ؟ !! ؟؟
— انها مريم المجدلية .. ما دام هذا المسيح !!

●

أنا لست عيسى ؟ ولست امرؤ القيس ، ليست
معي مريم المجدلية
وليست ثياب التنكر ما نلبس الان ..
هذا الذي نرتديه البقية ..
من المال والمقتني والمتاع ...
انني أول الفقراء .. وخلفي جموع من الناس
ترجف خارج هذى القصور
باتساع المدينة حزني ؟
بعمق الكهوف الحزينة جرحي ؟ وها أنا شاهد
حضر أجيء وأنت معي
فانزعي عن عيونك هذا القناع ..
وامسحي بقعة الضوء منك .. أزيلي الطلاء ..
المساحيق ..
عودي بوجهك هذا الذي شوهته البثور ..
وانبشي الذاكرة ..
سوف تلقين آهات ثكلى ، وأنات جرحى ،
وخوذات من

سقطوا في الصراع ..
انبشي الذاكرة ..
ما الذي تجدين سوى الموت ينشب في قاعها
المخلب الدامي النار
بين الصدور
انها اللحظة المشتهاة التي راودتني ..
دمي فوق كفيك ..
لو تستطيع القبور
لجاءتك واحتشدت في العراء تحييك يا قيصر
البسمة الماكرة ..
انها اللحظة المشتهاة أعريك فيها ، أعرى الوجوه
التي
موهتها ظلال الخداع
فاتبعيني انزعي الاقنعة ..
[... وينهال سيل الرصاص ..]
آه يغتالني الغدر .. لا الشط يدنو .. ولا الريح
تأتي بما يشتهيه الشراع ..
ها أنا أسقط الان .. فيم انتظارك ؟؟ هل
ترقصين على جثتي ؟؟
أم ترى تكملين طريقي ؟؟
أناديك من قاع موتى : « أفيقي ..
ولا تركبي الموج .. اخشي عليك الضياع ..
أناديك من قاع موتى : لا تشربي الكأس عودي
ولا تبهري
بالقصور المضاءة
ولا تسبحي في عطور البراءة
انهم يبتغون رءوسا جديدة
يديرون فيها الشراب ..
يحيط بها الجند أسوار تلك القصور
فتلمع فوق الاسنة .. فوق الحراب ..
أناديك لا تركبي الموج .. لا ... ...

. . . .
. . . .
. . . .

[.. كان صوت الرصاص يدوي ، كلاب الحراسة تنبح ، والعزف في القاعة الذهبية يعلو .. ويعلو ، ويرتطم الجسم بالارض ، كانت كئوس النبيذ تراق ، مع الضحكات تراق ، وكان النزيف على الارض خيطا يضيء ، صدى اللحن في القاعة الذهبية يعلو .. ويعلو .. ويشحب صوت القتيل .. ويشحب .. يشحب .. يشحب .. حتى يسود الظلام ...]

قصـــة قصـــيرة

زيطة .. صانع الأحلام

أحمد المحمدى صديق

الزمـــان : ١٩٤٧ ، وما بعدها .

المـــكان : سجن صاحب الجلالة ، ملك مصر والسودان .

الاصل التاريخى : ١ - زقاق المدق .. من أعمال الاستاذ نجيب محفوظ .

٢ - زيطة صانع العاهات .. دفاع بالغ الاهمية ، وذو مسحة صوفيه ، من انشاء الاستاذ يوسف الشـــارونى

رحلة الليل الطويل ، الى النهار

ويقولون ثلاثة ، ورابعهم كلبهم .

ويقولون خمسة ، وسادسهم كلبهم .

و ..

و ..

وفى الزنزانة ، التى ادخلوا زيطة اليها ، صار العدد - به - أربعة .

لم يكن كلبا ، أو روحا سماوية . فقط ، كان مجرد وافد جديد ، تعوزه الخبرة ، ويحتاج لدهر كامل من المران والتجريب ، من قبل تعميده واجدا من فرسان القاع ، وحملة البيارق فيه .

فهناك - فى قاع الزنزانة الثانية والعشرين - كان هؤلاء ، الذين سبقوه ، قد صاروا بالفعل ملوكا للعالم ! .. السوهاجى ، جاء منذ أزمان سحيقة . لا يذكر متى ، ولا كيف . فقط ، يعرف أنه جاء ، وأنه الاول ، وأنه حتم - على أولئك الذين يفدون من بعده - أن يركعوا بين يديه ، وأن يتقدموا اليه بجميع ما استطاعوا تهريبه من عطايا وممنوعات .

عبد العال أيوب .. فعل ذلك .

مصطفى المسلمانى .. فعل ذلك .

زيطة ، مع ذلك .. لم يفعل .

كانت علاقته - بالكون وبالناس - مشوبة بنوع غامض من اللامعقولية والتميع . كانت محاصرة بالليل ، والصعاليك ، وحسنية الفرانة ، وتلك الخرابة القديمة بزقاق المدق ، القاهرى .

وحين قبضوا عليه - تفسخت الروابط ، التى ما كانت أصيلة . فجاء الى السجن ، خالى الوفاض ، فقيرا الى كل شىء ، حتى أنه كان يرجو - ممن سيحل عليهم فى الزنزانة - أن يهبوه بعضا من الاشياء التي ادخروها لساعات النحس . او على الاقل ، يتركون له حق التقيب فى متاعهم ، فيأخذ لنفسه ما يحتاج اليه ، على أن يكون ذلك دينا مؤجلا ، وقابلا للسداد .

لكن هذه المزحة - هذه الامنية السخيفة ، كانت رديئة وغير واقعية . ففى القاع ، يصبح التفكير فى الغد ترفا ليس له ما يبرره - الا أن يكون النزيل حالما أو به جنة ، فيعطى بالاجل ، ويطمع فى صباح جديد .

وهكذا تحدد مصيره ، فلم يعد باقيا لديه غير أن يصير كلب الجماعة ، منذ الان ، والى ماشاء الله . لكن ذلك لم يحدث ، فما انقضت غير أسابيع قليلة ، حتى صار الوافد الجديد فارس المكان ، وصاحب البيرق الخفاق .. فيه .

- لكن متى حدث ذلك ، وكيف ؟ !

بالضبط ، لا أحد يعرف . ففى الايام الاولى ، انكمش زيطة على نفسه ، ترفص - وحيدا - فى الركن البعيد ، ثم راح يدور بعينيه هنا ، وهناك ، وفى كل مكان ! ..

كانت به رغبة حارقة فى استكناه تلك الاسرار الخبيئة التى ، لا شك ، تنبض بوهن تحت جلد الوجوه الثلاثة لرفاق القاع . كان يريد أن يتسلل الى إغوارهم السحيقة ، يضىء زواياها ، ويأخذ لنفسه ما يعوض به تلك الزراية المبهظة ، التى تبدت فى أعينهم ، لحظة أن لم يعثروا معه على شىء .

وهكذا ، كانت اللعبة :

هو ينظـر ؟ وهــم ـ أيضاً ـ ينظرون . هو فى جانب ، وهم ـ فى مواجهته ـ يترصدون . هو يكافح ويثرثر ويستدرج ، وهم ـ أبدا ـ صامتون .

كاد أن يؤمن بأنه لا جديد . فما يراه ـ الان ـ سبق أن عايشه من قبل : نفس الاعصاب المستوفزة . نفس المهانة ، والاسفاف ، وذلك الاحساس المدمر بافتقاد شيء ما .. ثم استلامه بالفعل .

لكن ، لا . جميع ما يراه ـ هنا ـ له طعم خاص ، ونكهة عبثية .

فى الميضة ، والحرم الحسينى ، وقصر الشوق ، وزقاق المدق ـ ، وآم الغلام ، وحارة اليهود ، فى كل حارة وزقاق ينتمى الى قاهرة الفاطميين ـ كان يستطيع ، بعينى الخبير ، أن يرى حرارة الحياة وهى تنهمر سيولا من عينى جميع الذين يلتقى بهم ! .. صحيح ، كانت الرموش ـ فى الاغلب الاعم ـ متكسرة ،كان قد تم اهمالها ، فلم تعد نفس المظلة الواقية لعيون هؤلاء القوم ، الذين شاهدهم ـ ذات أصيل ـ يحتسون الشاى فى أحد دكاكين شارع فؤاد . لكن الرموش ، مع ذلك ، كانت دوما ـ وبالفعل ـ تطرف فوق عيون يبهظها ذلك الشبق اللاعج للحياة .

هنا ـ فى هذه الزنزانة ـ يصير الحال مختلفا بدرجة فظيعة . فالعيون الخابية لا تأبه لشيء . لا تستقر على شيء ، ولا تمضى نحو غاية .

حتى ، حين تشرق الشمس ـ لم يكن رفاق القاع يأبهون لها ! .. كانت تأتى عبر الكوة الضيقة ، ومن خلال الصليب الحديدى الصدىء ـ المزروع فيها ! .. كان حسن السوهاجى ، وعبد العال أيوب ، ومصطفى المسلمانى .. يلتون اليها بنظرة ، يتأكدون ، أولا ، أنها جاءت . ثم يقررون أن الساعة قد صارت الثانية عشرة ودقيقتين .

ـ لا ! .. الثانية عشرة ، ودقيقة .

ـ ودقيقتين .

ـ ودقيقة .

ـ أنت تخالط !!

ـ وأنت ابن كلـ ...

ـ لم ؟ !

ـ بالامس ، كانت الثانية عشرة فقط . اليوم ، تضيف دقيقة ، فتصير الساعة ...

ويشعرون بالسخف .

يصمتون .

اذ ، ما الذى يهم ان كانت « ودقيقة » أو « ودقيقتين » ؟ ! .. سوف تأتى الشمس من خلال الكوة . يوميا ، سوف تأتى . ويوميا ، أيضا ، سوف يرونها وهم جلوس فى أماكنهم ، بينما العالم ـ فى الخارج ـ يمور بالضوء ، والزهور ، ولحم النساء البض .. الذى تعلقه رياح الكون المتداولة ، فتصير دافئة ، وتستكين .

ذلك هو العالم ، ودنيا الناس .

هنا ، فى هذه الزنزانة ، لا شيء ! .. تأتى الشمس . تسقط على الصليب الصدىء ، أولا . يومض الحديد ، بطريقته الداكنة . يأخذ الضوء فى التجمع . يتكاثف . ينسل ، الى حيث رطوبة الداخل . يسقط على الحوائط المسودة . يأكل الضوء مساحة أكبر . يغمض الرفاق أعينهم ، حذر الضوء الذى لم يعتادوه . تستمر الارض فى الدوران ، من حول الشمس . تنداح المساحة المظلمة ، وتتضاءل . يستمر الحال نصف ساعة . تقطع الكرة الارضية ، شوطا أكبر ، وهى لا تزال تدور من حول الشمس . تدريجيا ، ينسحب الضوء من الكوة . تدريجيا ، تعود العتمة الى الانبساط والتمطى . يلهث الجميع . (أعينهم مشدودة الى الصليب ، حيث تلك البصمة الضئيلة من النور الافل . يخبو الضوء ، تماما . يتدافعون نحو الكوة (ثم افتقاد نفس الشيء ، الذى يحتاجون اليه) . تطرف أعينهم بانبهار ، وهم ينظرون الى حيث تلك الرقعة ، المتبدية من سماء العالم . يطول السجن (آه) يتلمسون الطريق الى الحديد الصدىء . يمسونه بأطراف أصابعهم .يكتشـــــفون أس المتوالية : (صار الصليب باردا ، بعد أن فارقته حرارة المسيح ! .. المسيح يأتى مع الشمس . يذهبهما . يفد عليهم بالدفء ، والنور ، والعناء ، يذهب عنهم ، تاركا خلفه الوحدة ، والعتمة ، وبضعة أزواج من العيون الخابية ـ أضناها الحنين) .

هذه الكائنات ، السماوية :

أسبوع ،

اثنان ،

ثلاثة ،

... ، ثم يقع التحول .

كان زيطة قد أغفى بعد وجبة العشاء .

كان الوقت ضيقا ، وكانت الرطوبة تخنق المكان .

كان، وكان ، وكان. لكنه استيقظ ! .. رأى سماء الله الصغيرة ، من خلال الكون والصليب . ثبت عينيه هنـاك آه لو يأتى القمر) لكـن القمر لم يأت ، وبدلا عنه .. جاء المسيح .

وبنفس الطريقة ، التى تحدثت بها الكتب القديمة ، صعد « السيد » الى الصليب . جعل ظهره الى الحديد الصدىء ، واحتوى المكان بعينيه ! .. ولدة برهة ، التصق لسان زيطة بسقف حلقه (هو ، أم ليس هو ؟! (ليس هذا نفس الكائن الذى يأتى مع الشمس . هذا ـ الذى صلب نفسه بارادته ـ محزون ، ونظرته آسية .

ـ لوكنت أعرف !

ـ واذا عرفت يا ولدى ؟

ـ ارتاح .

ابتسم السيد ، ثم قرر :

ـ اذن ، فهو أنا ـ نفس الاتى مع الشمس ، وفى كل يوم .

ويرتجف زيطة . يشعر بأن أكوان الله ـ جميعا ـ تضغطه ، حتى لا يصير أكثر من هبوة . لكنه ، بالرغم من ذلك ، يسأل :

ـ جئت من أجل الخلاص ؟ .

ـ الخلاص ؟!

ـ كلهم . هنا ، وهناك ، وفى جميع البقاع .. يعرفون أنك تصعد الى الصليب من أجل هذا .

ومن جديد .. يبتسم « السيد » . تفتر ملامحه بعذوبة ، حتى وهو على الصليب . لكن زيطة يسأل :

ـ والان ؟ !

ـ سوف تحمل الرسائل من بعدى .

ـ أنا ؟!

ـ سوف تذهب الى كورنثة ، وانطاكية ، وسبعة أركان المعمورة .

ـ أنا ؟!

سوف تبشر ، وسوف تعمد .

ـ أنا ؟!

ـ وباسمى ، سوف تقول : العازر يصنعه ابن آدم . يعثر عليه فى داخله ، وفى جميع ما يقوم به .

ـ فقط ؟!

ـ وهل تحتاج كينونة ابن آدم الى تبرير ؟!

ـ ولكن ..

ـ ولدى الطيب. فى زقاق المدق كانوا يأتون اليك لتصنع لهم تبريرا لكسب لقمة العيش . كنت تكسر الذراع والساق وتفقأ العيون . كانوا يريدون أن يتسولوا ملا حفنة من الفتات ! .. اليوم ، يا ولدى الطيب ، سوف يأتون اليك ، وسوف تقول لهم : ابن الانسان قادم ، ليس من السماء ، ولكن من هذه البيوت والحوارى وجميع الازقة التى تفسخت فيها المشاعر ، وأبهظها الانتظار .

ـ ولكن ، أيها السيد ، أنت تعرف أننى هنا ، وأن الحبس ..

ويبتسم ذلك الرائع، الذى كان مدقوقا الى صليب من الحديد الصدىء :

ـ ولدى الطيب ، سوف تخرج .

ـ متى ؟!

استمر الصمت دهورا ، فابتدأ زيطة يصرخ :

ـ متى ، متى ، متى ؟!

رنا المسيح الى بعيد ، حيث ضوء القمر ينهمر فى الخارج ، وحيث ذلك العالم الذى صار رفاق القاع مبعدون عنه . لكنه ، فى النهاية ، تكلم :

ـ سمعت عن يوسف ؟!

ـ من ؟!

ـ ابن يعقوب ؟ .

ـ ذلك الذى راودته امرأة العزيز ؟؟

ـ بالضبط .

ـ واذن ؟!

ـ لا تجافيه .. حين يأتى الى هنا .

ـ الى الحبس ؟!

ـ الا تعرف القصة ؟!

- أعزتها ؟
- اذن ، لم تستغرب !! سوف يدخل اليكم ، وسوف تقتص عليه جميع ما تحلم به ، وسوف يفسره .
- جميع ما أحلم به ؟!
- جميع ما تحلم به .

ويهدر زيطة :

- أحلم بان تتعرى مملكة الليل ، وتصير مفضوحة . احلم بان يسود للعميان والكسحان جميع ما فقدوه . أحلم بلقمة عيش ، لهم ولى ، فلا أعود لمهنتى القديمة ، بل يكون لى أخرى ، تتناسب مع تلك الحياة الحيية التى فتحت
- أنت - عينى عليها .
- ولكن ، يا ولدى ، لست أنا الذى يفسر . أنا فقط .. أنا أبشر .
- مع ذلك يجب أن أعرف نوعية الاحلام التى سوف أحكى ليوسف عنها .
- كل الاحلام .
- ابتداء من الشمس المشرقة ؟!
- ابتداء من الشمس المشرقة
- الى البطون ، التى ماعاد يضنيها الجوع ؟!
- الى البطون ، التى ما عاد يضنيها الجوع .

وتنتظم أنفاس زيطة ، من بعد لهاث . ويبتسم بشفافية ، ثم يقول معاتبا :

- وتزعم انك لم تأت للعزاء ؟!
- ولكنى ، بالفعل ، لم آت للعزاء .
- وهذا ، الذى قلته من لحظة ؟!
- حقيقة ! .. سوف تحلم ، وتحلم ، وتحلم . وحين يبلغ الامر تمامه .. يأتى ذلك الذى أحدثك عنه . سوف يفسر الرؤى ، ويحل الالغاز . ولكن .. لا تقصص رؤياك على الاخرين .
- لماذا ؟!
- لئلا يكيدون لك .

و ..

وينتزع نفسه من على المصاليب الصدىء ، ثم يتجه الى حيث زيطة .

ويراقبه الرجل ، فيسمع خطواته وهى تصك بلاط الزنزانة ، فتزلزلها

- كنت أحسبك خفيفا ! .. الان ، العالم كله يرتج تحت قدميك .

لكن « السيد » لا يتكلم . فقط يمد يده ويمسح بها على رأس زيطة ، الذى قفز صارخا :

- ويدك .
- ماذا ؟!
- باردة ، كالثلج

ويبتسم السيد ، من قبل أن يتكلم :

- حين يأتى يوسف .. اسأله أن يفسر لك هذه ، أيضا .

... ، ثم يرحل الى بعيد .

قطع الطباشير :

كان زيطة يعرف أن السنين العجاف سبع ، وأن الحبس - ربما - لن يصل الى تمامه قبل انقضائها . وكان عليه - ما دام الحال هكذا - أن يمسك بتلابيب الزمن ، ولا يفلته . كان عليه - منذ اللحظة - أن يصنع تاريخا للأيام ، يحتسب به ما فات ، والذى هو باقى .

وهكذا ، حصل على قطعة الطباشير . وعلى الحائط المسود . وفوق نفس المساحة ، التى تفترشها الشمس كل يوم ، بدأ زيطة يضع علامات الايام .

فى أول يوم ، خط بالطباشير واحدا وعشرين خطا ، هى عدد المرات التى شاهد فيها الشمس تدخل الى الزنزانة ، وهى - أيضا - نفس المدة التى قضاها بها . لكنه فى اليوم التالى ، خط خطا واحدا . وفى اليوم ، الذى بعده ، خط آخر ، و ..

واستمرت الحال

كان رفاق - فى البداية - يحسبون انها لعبة جديدة ، أو نزوة طارئة ، فتركوه لحاله ، وتركهم . لكن الايام كانت تمضى ، وزيطة عاكف على خطوطه ، يضع خطا - واحدا - فى كل يوم ، بينما عينيه تشرقان بانبهار .

راقبه .. السوهاجى .
راقبه .. عبد العال أيوب .
راقبه مصطفى المسلمانى .

شاهدوه ، وهو يعتنى بخطوطه وينميها : يكشط الزائد من اطرافها . يهذب السميك منها . يعيد التأكيد على ما ليس واضحا فيها .

تبادلوا النظرات ، ثم حاصروه :

- ماذا تفعل ؟ !

رنا اليهم باستعلاء (برقت عيناه أكثر) ثم ، لم يتكلم !

- يا ابن الـ .. تكلم .

وفكر : هم سادة المكان ، وأنا التابع . لكن ، ما الذى سوف يصير اليه الحال لو كشفت لهم عما هو خبىء ؟ !

فتح فمه . ابتلع قدرا كافيا من الهواء ، ثم تكلم عن المسيح ، ويوسف ، وزمن الخروج .

كان ذلك خيانة . وكان فشلا ذريعا فى أول اختبار مقده « السيد » لواحد من حواريى القرن العشرين .

لكن ، من يقدر على الزعم بأن زيطة أخطأ ، وقد صارت أبصار الجميع معلقة الى تلك الخطوط البيضاء ، التى تسبح يوميا فوق حائط الزنزانة المسود ؟ !

- هل قلت أنه « السيد » ؟ !
- أقسم
- وقال أن الخطوط البيضاء هى العلامة ؟ !
- لا أكذب .
- اذن
- ماذا ؟ !
- دعنا نعاونك
- ولكن ..
- قد تنسى أن تضع خطا فى أحد الايام .
- ولكنها خطوطى أنا .
- زيطة ، لا تكن قاسيا الى هذا الحد .

...

أعراس :

بالشمس ، تشرق فى رابعة النهار ، تأتى من خلال أعواد الحديد . تنعكس على العيون . تزهو بألقها فوق الجلد ، والكلمات ، والمشاعر .

أى قوة غريبة ، تلك التى تبرق بها المآقى ؟ !

الشفاه المتمردة ، صارت راعشة . الايدى العصبية الضاغطة ، صارت حيية ، ومتانية ، وربما خجولة .

كل شىء لاحته الوجود ، وامسك بتلابيبه : الحوائط المسودة . الخطوط الطباشيرية . الصليب الصدىء . اللحى النابتة . وعاء البول . الحصير المثقوب . الباب المغلق . السجان . أرغفة الطعام . نثار الجير ، المختلف عن قطعة الطباشير . الكلمات ، الوشوشات . النظرات . الضراعة . اليقظة المفاجئة ، التى صارت - الان - تنثال من كل شىء .

كل شىء ، لا يفعل شيئا غير أن ينبض ، ويبتهل . بينما زيطة ، كاهن المكان - عماده ، يرنو بعينيه ، ولا يتكلم .

ذات يوم رفعوه عاليا : حمله السوهاجى فوق كتفيه ، وراح يدور به فى عالم الزنزانة ، الذى صار رحبا ! ..

لم يتخلف المسلمانى ، ولا ابن أيوب . رقص أحدهما ، بينما الاخر يصفق له برتابة حنون ، لا تعرف الملل .

وانطلقت الزغاريد ! .. تجاوبت أصداؤها من زنزانة الى أخرى ، وهم يشعرون بذلك الشوق اللاعج ، الذى تنضح به الزنزانة الثانية والعشرين .

فى ذلك اليوم ، حصل زيطة على نصف سيجارة ، تقدم به المسلمانى عن طيب خاطر قال له : هى لك بالكامل . وحدك تدخله ، ووحدك تستمع به .

وفعلها زيطة : تشرب الدخان ناعسا ، وحالما ، وصائما للامانى .

لكنها كانت فلتة . فحين انتهى العقب ، كما يحدث فى مثل هذه الحال دائما - يشعر الانسان بأنه كان أنانيا أكثر مما يجب . سامالا أكثر مما يجب . منهوما أكثر مما يجب ! .. مع ذلك ، أصلح زيطة الخطاء فى داخله : قرر أنه لم يكن على حق فيما فعل . وأن هذه هى المرة الاولى والاخيرة التى يأخذ لنفسه أكثر مما يأخذون .

ومن ثم .. بدأت الحياة .

يوما ، تشرق الشمس . ويوما آخر ، تشرق من جديد .

وما بين شروق وشروق ، تنمو الاحلام ، والامانى الربيعية ، وتشف العيون عن ابن مدم - الذى يحيا ، هناك ، فى تاج المقلتين : رقيقا ، وحانيا ، وسابحا فى النور .

و ..

وفى كل يوم حكاية ، وابتسامة ، وكلمة حنان .

ويحكى زيطة .

ـ تعرفون يا أولاد الـ ...

ويبتسم حييا ، وهو يبتسر تلك اللازمة الاساسية لكل من عاش فى القاع . يعتذر بعينيه ، ثم يقول :

ـ تعرفون أننى أحببت

وينصتون

عيونهم ، المشدودة اليه ، تنهل من ملامحه بقية الحكاية .

ـ وقد مسخ « السيد » على رأسى ، عينيه الجانبيتين عمدتانى . وأنا اليوم أبشر . وبهذه الخطوط البيضاء أسوق الحجة والبرهان .

ويتعرفون على الصدق فى جميع ما يقول به . ولم لا ؟ ! .. خطوطه البيضاء ، على الحوائط المسودة ، تثبت (بما لا يدع مجالا للشك) أن دنيا الناس فى انتظارهم ، حين يخرجون . خطوطه البيضاء تزداد خطا كل يوم . خطوطه البيضاء لا تعنى غير شىء واحد : « يوم الخلاص .. يدنو » !

وهكذا ، اختفت الشمس اللامبالية ، وحلت أخرى مكانها .

وهذه الشمس الجديدة تعرف أن لهم ـ معها ـ موعدا . وأنهم ينتظرون وصولها ـ اليهم ـ بشوق واشتياق . فحين تأتى ، تصبح الخطوط البيضاء مرئية . يصير فى الامكان عدها مرة واثنتين . يأخذ اليوم الموعود فى العدو اليهم . يلهث . يتدافع ، حتى يأخذهم الى أحضانه .

ومن ثم ، ينصتون .

الى زيطة ، ينصتون .

يربطون العيون الى حيث مربعات الضوء ، الذى تسبح الخطوط بداخلها ، وينصتون . ومن بعيد ـ ربما من نهاية الكون ، يسمعون جماعة الكائنات الالهية ـ وهم ينشدون :

زيطة ، كان له قلب .

زيطة ، لايزال له قلب .

زيطة ، عرف الحب .

زيطة ، عاش الحب .

زيطة .

زيطة .

ـ ثم ماذا ، يا زيطة ؟ !

ـ عن اليوم الموعود أحكى . عن بهائه أقول .

ويقول . ويقول . ويقول .

المهم أنه يقول . يحلم . يعطى ذاته للرفاق ، بينما هم ينصتون .

المهم أنهم .. ينصتون .

الجرذان ، لا تعرف القلق :

حدث التحول الثانى ، فعرفوا طعم القلق ولذوعته المدمرة .

قال السوهاجى :

ـ لم يأت يوسف .

ـ سوف يأتى .

لكن المسلمانى .. لاحق زيطة :

ـ كم صار عدد الخطوط البيضاء ؟ !

ـ أنت تعرف

ـ وأنت ؟ !

ـ وأنا

ـ وادن ؟ !

ـ سوف يأتى

وفى انتظار أن يصل ، بدأوا ينغلقون على أنفسهم ، ويأكلون أظافرهم ، ويتحاشون المواجهة .

وفى كل مرة اصطدمت ـ فيها ـ عينى أحدهم بعينى الاخر ـ شاهد العذاب ، والقلق ، وعدم اليقين .

(متى يأتى يوسف ، فتذهب سنين الجدب الى غير رجعة) .

بعد ما شاء الله ـ من الزمان ـ لكن ، لا . فليأتى وقتما يأتى ، وليظل بعيدا ، كيفما شاء . أما بالنسبة لهم ، فلن يستمروا أبدا فى ممارسة تلك اللعبة الهمجية ، ولن تعنيهم الخطوط البيضاء فى شىء .

سوف يمحونها .

سوف يكنسطون من حياتهم جميع مافات . ولن يجهدوا أنفسهم فى حساب ماهو قادم . فالماضى والمستقبل يشطران الانسان بينهما ، وبغير رحمة .

مع ذلك ، يجب بأن يتأكدوا ـ أولا :

ـ قلت أن يده ، حين مسح على رأسك ، كانت باردة ؟!

ـ تصورت ذلك .

ـ وقلت أن خطوه كان يزلزل الارض ، فترتج من تحت قدميك ؟!

ـ كنت خائفا . وفى مثل هذه اللحظة يتمو الوهم .

ـ ماذا قلت ؟!

ـ ماذا تقصد ؟!

ـ تلك الكلمة الاخيرة : الوهم .

ويسود الصمت وتستوتر المشاعر (يمضغون الكلمة أولا ، وببطء) ثم يهتف السوهاجى :

ـ لم يكن المسيح .

ـ ماذا ؟!

ـ كان الاخر .

ـ من ؟!

ـ ذلك الذى كان ، فى الزمن القديم ، رئيسا للملائكة .

(ثم وهو يصرخ ـ بعد أن تأكد له ماسبق أن فكر فيه)

ـ لبس الكلب ثياب « السيد » . تنكر فى هيئته ليغوينا بالانتظار . و ..

واغرق بزيطة ـ فى الضحك ، من قبل أن يتكلم .

ـ الانتظار ؟!

(ثم بعد برهة ، وهو تعس)

ـ من الذى يهتم بمثل هذه الاشياء ؟!

ـ نحن

لم تخسروا شيئا ! . على الاقل ، هذه الخطوط صنعت لكم تاريخنا .

... لكنهم ظلوا صامتين ! .

رحلة النهار الطويل الى الليل

يعرفون ـ جميعا الا أحدا منهم سوف يقدر عليه ، مالم تتوحد كلمتهم ، فلا تعود أمامه فرصه يقترضهم الواحد بعد الاخر .

مع ذلك .. اتخذوا قرارهم .

لا أحد يعرف ـ بالضبط ـ تلك الساعة التى بداوا فيها . ربما كانت الثانية عشرة . ربما الواحدة . ربما قبل هذه أو بعد تلك ! .. فقط ، كان مربع الضوء يلتمع فوق الخطوط البيضاء ـ القصيرة . كانت ، كالعادة ، زاهية ومميزة عن الهباب الاسود الذى يفترش امتداد الحائط .

وفى ذات اللحظة ، التى صارت فيها الخطوط البيضاء أكثر اشراقا لم يتحرك أى منهم ناحيته (ترى ، لماذا ؟!) نظراتهم صارت هجمية ، أكثر من ذى قبل . أنفاسهم المتدافعة تنبض فى الصمت ، بطريقة لاهثة . عضلات الوجوه مشدودة ، حتى آخرها ، وجامدة . اضراسهم تغرى شيئا مجهولا ، وان كان صلبا بما فيه الكفاية .

فلماذا ، لماذا ، لماذا ؟!

...

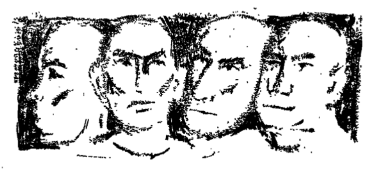
...

موسيقى خفية ، من مكان ما فى ذلك الكون الممدود بالخارج . كانت تصل اليه ، كانت بضع نقرات حارقة ، على طبلة ذات رق مشدود للغاية . وباحساسه الغرزى ، عرف زيطة أن رفاق القاع صاروا مبعدون عنه ، وأن كلماته الساحرة والمسحورة لن تحدى .

و .. و .. (صبرا جميلا ، والله المستعان)

لكنهم لم يصبروا !

انبرى السوهاجى هامسا ، وبصوت مشروخ .



- زيطة .
- ...
- زيطة ، هل أنت خائف ؟!
كانت الكلمة وخزة مباشرة فى صميم النخاع (زيطة يعلم ذلك ، بدليل صمته)
- زيطة ، الان تنهى بنفسك هذه الحال .
- ...
- هل سمعتنى جيدا ؟!
ثم ، بيسمة شاحبة)
- سوف تمحوها ، من أجل خاطرنا .
- لا .
- من أجل خاطرك .
- لا .
- سوف ينتهى بنا الحال الى الجنون ! كثرة التفكير فيها يسريك ، و ...

وراقبه زيطة أكثر : كان ما يفتا يبلل شفتيه بطرف لسانه ، بينما تفاحة آدم صاعدة هابطة ، فى كل مرة حاول فيها أن يدفع باللعاب نحو فتحة البلعوم . لكنه لم يتوقف .
- زيطة ، لا أتكلم من نفسى ! .. هذه الخطوط - جميعا - مثل العلق المتجاور . انها تمتص دم الحياة ببطء ولكن باصرار .
- ...

- ينام الواحدمنا ، وليس برأسه غير ذلك الخطوط الشوهاء يحصيها بمخيلته ، وهو مربوك . يعتقد أنها ناقصة . يبدأ العد ، من جديد . يجد انها لا تزال قليلة . يود لو ينهض فى الظلام ، ليتاكد من أنه أخطأ فى يوم أو اثنين يقربانه من لحظة العتق والشبع . يزداد توتره ولهاثه ، حين يدرك عقم المحاولة . (ثم بطريقة مباغتة) :

- آه ، لو أن هذه الخطوط كانت بارزة .
- كنت ستحبها أكثر .
- بالتأكيد .
- لماذا ؟!
- ...
- أقول : لماذا ؟!

- ربما ، لاننى حينذاك ، أستطيع أن احصيها وقتما اشاء .
- والان ؟!
- يجب أن تزول .
- يجل أن تبقى .
- سوف نرى .
- لن تجرؤ .
- اذن .. نجرب .

كان السوهاجى يرتعش ، حتى وهو ينطق عبارته الاخيرة . وتحت قدميه ، مباشرة ، كانت هناك بحيرة صغيرة آخذة فى التكون والانتشار . كان مصدرها هو تلك المساحة المتضائلة بين الفخذين . كان رفاق القاع يحلقون . كانوا يراقبون البحيرة وهى تتسع وتمتد ، الى أن صار عرضها ثلاثة أشبار .

فقط ، حينذاك ، عرف زيطة أن باستطاعته أن يناوش . قرنا بعينيه الى الارض المبلولة ، ثم الى السوهاجى ، وبعدها تكلم :
- أنت خائف ، ياسوهاجى .
- وأنت ابن كلب .
- أنظر الى ماتحت قدميك ، ياسوهاجى .
- لن أفعل .
- اذن فأنت تعرف ، ياسوهاجى .
- أعرف .
قالها بطريقة باترة ، ثم شرد بعينيه قليلا ، وأضاف :
- بعد أن تمحو الخطوط سوف أمصى ملابسى .
- ورائحة البول ، ياسوهاجى .
زام السوهاجى : كشر عن أنيابه ، وبدأ ضاريا - وهو يستطلع المحيطين به . وشاهدهم .

كانت هناك ثلاث بحيرات مماثلة ، واحدة تحت قدمى كل رجل منهم ، حتى زيطة ، وفى جميع زوايا المكان ، انتشر نوع من العفن الطازج - فعرفوا أن أحدهم ، على الاقل ، تجاوز مرحلة البول ، وتعداها .
وكان ذلك أكثر من أن يحتمل .

وكان ذلك مبدأ كل شىء . فما لبث طابور الرجال أن أخذ يتحرك ، صوب الحائط المسود الذى تتلوى - الخطوط - من فوقه بضراوة .

وفى الحال ، وكمحاولة أخيرة للدفاع من كل تراث الايام - استدار زيطة ليواجههم : جعل وجهه اليهم ، وظهره الى الحائط ، بينما عينيه تتابعان خطوهم البطىء المتقدم بغير هوادة .

لكن لهاثه ، وتوتره ، وارتعاش كيانه كان بغير فائدة . فما هى غير لحظات قليلة حتى ارغموه على ان يلتصق بظهره للحائط ، ثم بدأوا يلخسون جسمة هنا ، وهناك ، وفى كل مكان .
وكانت النتيجة معروفة ، فحين يحتك الظهر بالحائط تسيح الخطوط على بعضها وتتفك الايام من عقالها - الى أن تهرب نهائياء ولا يغود باقيا منها غير بقعة كالحة البياض فوق مساحة ممتدة من الهباب الإسود .

الكون والفساد :

صباح جديد . مساء جديد . أيام ، وأيام ، وأيام .
لكن من الذى بمقدوره أن يحصى هذه الايام ؟! .. السوهاجى ، وعيد العال أيوب ، ومصطفى المسلمانى - فى داخلهم - كانت بذرة جديدة قد نمت بالفعل ، وأثمرت زهورها .
عرفوا طعم الندم .
بعد القلق ، وشجاعة الفعل .. جاء الندم ، مواكبا للشروق والغروب ورائحة البول الطافية فى فراغ الزنزانة الثانية والعشرين .
وبالطبع - وربما بالتأكيد - كان ذلك هو التحول الثالث ، الذى - لابد - يعرفه رفاق القاع .
ذاقوه .
حركوه فى داخل الحلوق ، ولاكوه طويلا - فاحسوا به كاويا وهو يتسرب من جوار اللهاه الى أن يسرى ، متدافعا ، خلال الشرايين .
حتى زيطة ، قبع فى ركنه البعيد ، بعد أن قرش قطعة الطباشير بين أضراسه .
لم يكن حزينا ، ولم يكن واحدا . فقط كان ينزف - ليس بسبب الخطوط البيضاء ، وانما بسبب تلك الخدعة التى تعرض لها .
فهاهى الايام تثبت أن المسيح ليس هو الذى جاء وأن الصليب الحديدى كان صدئا أكثر مما يجب ، وأن الشمس كانت - دوما - هى هى لا تتغير ، و ..

(وبالتاكيد ، كنت مغفلا حين صدقت أن هذا هو أوان « السيد » ، أو أنه يتنازل ويأتى الى - الى أنا زيطة التعس ! .. لكن ، ماذا عن يوسف ؟! ... ماذا عن الاحلام ؟!)

مزامير داوود :

الشمس - التى ظلت تشرق فى رابعة النهار - لاتزال تشرق ، فى رابعة النهار الاربعة - الذين كانوا اربعة - لا يزالون أربعة ، فى الزنزانة . يوسف - الذى كان حلما ومفسرا للحلم - لا يزال حلما ، ووافدا لم يفد بعد .
- واذن ؟!
- اقذفوا بالحقيقة فى وجهه .
تحدثوا اليه برايكم فيه .
- وماذا نقول ؟ !
- ماذا نقول ؟! .. تقول مانشعر به . فقط ، مانشعر به .
وهكذا ، كان التحول الرابع .
و .. كانت مزامير داوود :
يوسف ، أيها الصديق : ضاع الامس ، وضاع اليوم ، وربما - بنفس الطريقة - غدا سوف يضيع .
يوسف ، أيها الصديق ، اغدنا فى رجل يحيا بغير مخاوف . يأكل حتى الشبع . ينام فى حضن زوجه ، ويظلل بجناحيه كل أطفاله .
يوسف : قلت أن سنين الجدب سبع ، وأن الخير قادم .
يوسف : الايام تهرول يلتهم بعضها بعضا ، ولا تزال سنين الجدب باقية .
لا تزال سنين الجدب باقية .
لا تزال سنين الجدب باقية .



التكعيبيـــــــــــة

تعتبر المدرسة التكعيبية من اكثر المدارس الفنية تأثيرا على الفنانين والحركات الفنية فى العصر الحديث حتى الان ، وكثير من المصورين قد لا يدركون هم انفسهم تأثرهم بها .

وهناك تصور شائع بأن التكعيبيةتعنى أن يعالج الفنان أشكاله على هيئة مكعبات ، ومما ساعد على شيوع هذا التصور ، خطاب من الفنان سيزان [الذى يعد الاب الروحى للفن الحديث] الى الفنان اميل برنار سنة ١٩٠٤ يقول فيه : « .. تعامل مع الطبيعة بواسطة الاسطوانة ، والدائرة ، والمخروط ، أو أى شىء ذى منظور معين،حتى يصبح كل جانب من الشىء متجها الى النقطة المركزية .. » . استخدمت هذه الجملة لتؤكد أن التكعيبيين قد بسطوا الاشكال فى الطبيعة الى أقرب الاشكال الهندسية لها قدر المستطاع ، لكن اختبار اى عمل تكعيبى لن يؤكد حتمية ذلك .

بالطبع هناك أبعاد لهذا الفهم فىكثير من أعمال التكعيبيين ، لكن الفكرة أشمل من ذلك . قد يتضح الامر أكثر لو عرفنا أنتلك الحركة كان يقودها بعض الشباب فى العشرينات من عمرهم فى أوائل هذا القرن بباريس ، كانوا يشعرون بعدم ارتياح عميق نحو ميراث القرن الـ ١٩ فى التصوير ، ويريدون شيئا مختلفا ، شيئا قادرا على التعبير عن العصر الجديد ليس أقصى طموحه أن يدخل المتاحف ،ويجلس بجوار الماضى فى أدب لا أعتراض عليه.. وكان هذا يعنىتحديا وهدما ، وارتيادا ، سبقته فى الحقيقة « هوجة » نظرية عن امكانيات الفنون غير الملتفت اليها ، مثل الفن الزنجى والبدائى ، وفن سيزان أيضا ، شأنها شأن النظريات الجديدة عن اللون ،الذى ظل طويلا بلا تحديد .

ورغمالتنوع الهائلفى لوحاتالتكعيبيين الا انهم يشتركون بدرجة ما فى احداث تشويهات distortionsللعالم الظاهرى وليستتجريدات مخترعة، انهملايستعملون المنظور التقليدى ، أو اللون الواقعى ، التصوير الناتج يمكنأن يتنوعمنمساحات صغيرة متداخلةأو سطوح مغلقةفىألوان كئيبة (مثل الرمادى » أو الاخضر أو البنى] — الى النماذج الجريئة لاشكال ضخمة فى ألوان قوية لا واقعية .. وللخامات المستعملة أهمية كبيرة ، حتى لنجدهم يلصقون على سطوح القماش قصاصات من الصحف بغير هدف غير احداث الصدمة والاثارة .. وان اخفى الشكل الانسانى من أعمالهم ، الا أن هذا لم يكن موقفا منالانسان بقدر ما كان تجنبا للقيمالادبية التىكانت تسودالاعمال السالفة . وبالرغم من أن قائمة الفنانين التكعيبيين تضم عددا ضخما، فان أهمهم فى تشكيل الافكاروالاساليب التىارتبطت بالحركة هما بيكاسو [١٨٨١—١٩٧٣]— وبراك [١٨٨٢ — ١٩٦٣] . أما جرى [١٨٨٧ — ١٩٢٧] وليجيه [١٨٨١— ١٩٥٥] فقد ارتادا الطرق التى كشفها بيكاسو وبراك . بينما كان ديلوناى ، ودو شامب ، وفيللون تكعيبيين فى بعض الخواص .

استمرت الحركة منذحوالى ١٩٠٨ الى بدايات الحرب العالمية الاولىسنة١٩١٤، بعد تلك الحرب عاد الفنانون الى باريس [وكان اغلبهم قد خدم فى الجيش] وبدأوا التصوير ثانيةبالاسلوب التكعيبى، لكن الالحاح الاصلى كان قد تلاشى ولم تعد الحركة الى الالتئام ، لكن أكثرهم أرتباطا ، كانا بيكاسو وبراك منذ سنة ١٩٠٩ حتىأن أعمالهما كانت تتشابه الى درجة يصعبعلى غيرالخبير التمييزبينها

وتعد لوحة بيكاسو « فتيات افنيون » سنة ١٩٠٧ تدشينا للحركة التكعيبية ، وتفجيرا للامكانيات العامة للتصوير ، وظهرت آثار ابتداعاتها فى معظم أعمال الحركة فيما بعد .

فى سنة١٩١٢ انتشرتالتكعيبية خارج فرنسا ، فقد مثل التكعيبيون فى معرض جماعة « الفارس الازرق » فى ميونخ وكولون وبرلين وزيورخوبرشلونهوموسكو ولندن .. وفى ذلك الوقت ظهر تأثير التكعيبية فى الحركات الفنية الاخرى الناشئة عبر أوروبا : المستقبليون فى ايطاليا،البنائيون فى روسيا ،التعبيريون فى المانيا .. وأصبح كل « الفرسان الزرق»مدينين بشىء ما للثورة التكعيبية.

ورغم أن بيكاسو — عبر تقدمه الفيزكى غير شخصية فئة مرار ، فانه كان يتجه الى التكعيبية احيانا ، أو يطور امكانياتها فى اتجاهاتلم تكن مرتادةبعد . أمابراك فقد كان ابطأ حركة ، وظل يستخدم التكعيبية ويستقصىامكانياتها فى تنويعات رقيقة .

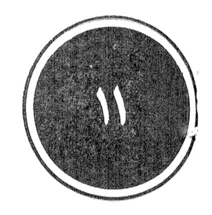
ويمكن القول فى النهاية أن التكعيبية استنفدت اغراضها بمدنجاحها فىأحداث تلك الهزة العميقة فى استقرارية الفن ، وذابت فى العديد من الحركات والتيارات اللاحقة .. لكنها ستظل أبكر ثورة أسلوبية فى الفن الحديث ، أو المعطف الذى خرجتمنه معظم المدارس المعاصرة.

مطابع الأهـــرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

السنة العاشرة
نوفمبر ١٩٧٤

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

□ اليمين المتخلف الذى "طفح" على جلد الأمة

مناقشة أفكار وزير الثقافة

□ صراع المصالح فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى

- الرد على ابو وافية: الماركسية "والاستيراد" "والالحاد"

الطليعة تستضيف الكاتب

□ الثورة الفلسطينية ماذا غيرت فى العالم تجاه القضية ؟

□ حوار حول التعليم

□ حول مفهوم الانفراج الدولى



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

ـ لسنة بالبريد العادى ج.م.ع ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

الفهرس

العدد الحادى عشر ـ السنة العاشرة ـ نوفمبر ١٩٧٤

د. محمــــد الخفيــف

شارك فى تاسيس الطليعـــة
واسـرة تحريرهـــا
يناير ١٩٦٩ ـ مارس ١٩٧٢

كلمـــة من « الطليعـــة »

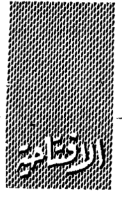
كلمتنا اليك ــ هذا العدد ــ خاصـــة وشخصية . لقد تلقينا طوال سـنوات صدور الطليعة ، كلماتك « البعيـــدة » . وكلماتك « البعيدة » هذه ، كانت أقرب الينا من انفسنا لانهـــا ترجمـــت موقفك العملى .

عندما حملت الينا ادارة التـــوزيع ، الارقام ، فهمنـــا رايك ونبض موقفك . واقرب هذه الارقام : زيادة توزيع «الطليعة» فى سبتمبر . اضيفت اليها زيادة اخرى فى اكتـــوبر . ونحن نرحب ــ معك ــ بذلك لانها فى نهاية الامر ثمرة من ثمرات موقفك العملى .

موقفك العملى ، عندما يتصاعد الى المشاركة فى المسئولية ، بالحوار والنقد والنقاش من خلال رسائلك التى نتلقاها ، هو اثمن ما نعتز به .

موقفك العملى ، يعنى ــ كما تعرف ــ موقفا من اشياء كثيرة . ويعنى بالنسبة لنا التزام جديد لالتزامنا الثابت : العمل معا من اجـــل مصر التحـــــرر الوطنى والاشتراكية .

اسمح لنا يا عزيزى القـــــارىء ان نحييك وان نهنئك فى نفس الوقت (*)



اليمــين المتخلــف

الذى «طفح» على «جلــد» الأمــة

الحوار الساخن الذى تفجر أخيرا فى المجتمع المصرى حول واقع ومستقبل الاتحاد الاشتراكي العربى بصفة خاصة ، والحياة السياسية بصفة عامة ، هو فى التحليل النهائى ظاهرة صحية .

ولا ينفى صحة هذه الظاهرة ، أن أصوات اليمين المتخلف قد فاجأت الجميع بما تتمتع به من قوة نسبية ، على العكس ، ان ظهور هذا اليمين بالذات ، على المسرح ، بهذا الوزن ، مفصلا لارائه واتجاهاته ، مستأسدا فى شق طريقه ورفع راياته الرثة بتيه وخيلاء ، هو بالدقة ، منبع الصحة فى هذه الظاهرة . فالصديد الذى كان متسربا وخافيا تحت الجلد ، تجمع وطفح على السطح فى صورة « دمل سياسى » له صحفه وأقلامه وزعاماته .

ومن هنا تكتسب هذه الظاهرة الصحية أهميتها القصوى فى هذه المرحلة الصعبة والمعقدة من تطور بلادنا .. **كيف ؟**

الواقع ان الحوار تخطى ــ نظريا وعمليا ــ الاتحاد الاشتراكى وورقة التطوير المطروحة للنقاش من الرئيس السادات ، الى نوع من التحديدات الفكرية والطبقية فى المجتمع على اختلاف اتجاهاتها ومنابعها ومصالحها . وذلك على نحو مكشوف ، يتسم بقدر ملحوظ من الشجاعة الذاتية والوضوح الموضوعى من قبل جميع الاطراف .. وتحت شعار الديمقراطية العام ، وباسم حرية التعبير ، أعيد طرح جميع القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع ، وحددت كل قوة ــ تقريبا ــ جوابها على السؤال المصيرى : **الى اين يجب أن تتجه مصر بعد حرب اكتوبر ؟ .. ماذا تبقى عليه من تراث ثورة يوليو الوطنية التقدمية ؟ .. وماذا تسقط منه ؟** .. بل لقد طرح البعض ، بجلاء ، ثورة يوليو ذاتها ، **وهل كانت نقلة الى الامام ام ارتدادا الى الخلف ؟**

ماذا يعني هذا كله ؟

انه يعني ان الحوار سلط نوعا من الاشعة على جسم المجتمع فانكشفت داخلياته وأحشاؤه ، وأمكن التعرف بوضوح على مواقف فكرية واجتماعية محددة التقسيمات ، حيث تتحصن ، بكل موقف ، خلايا شريحة اجتماعية ذات تيار فكرى يعبر عن مصالح سياسية واقتصادية محددة .

وهكذا ، جرت لاول مرة منذ سنوات طويلة ، داخل المجتمع المصرى المعاصر ، عملية فرز طبيعية وعميقة لجميع القوى الظاهرة والخفية فيه ، وذلك بصورة سافرة هتكت كل اقنعة التخفي والتزييف والترقيع .

ومن خلال عملية الفرز ، اصطدمنا بتجمع — على درجة معينة من التنظيم — لاقصى القوى رجعية وتخلفا فى تاريخ المجتمع المصري المعاصر ، ونقصد بها القوى التي تعبر — لا عن مصالح البورجوازية الوطنية — وانما عن مصالح الراسمالية الكبيرة وكبار الملاك الزراعيين .

قبل الحوار والفرز ، كانت ثمة قناعة سائدة بأن ثورة يوليو ، استطاعت منذ عام ١٩٦١ ، لصالح التطور الوطنى المستقل ، ان تقضي على هذه الطبقة وتصفي مواقعها الاقتصادية والاجتماعية ونفوذها السياسي. غير ان ذلك لم يكن صحيحا .. كان مجرد وهم . فقد تمكنت فلول هذه القوى ، بأسلوب « البيات الشتوى » ان تتماسك وتتجمع فى الوطن والمهجر على السواء ، وان تظل مستكنة وقابعة فى جيوب غير مرئية فحسب ، حتى اذا ما اتيحت لها الفرصة لمعاودة النشاط ، مستغلة مناخ الديمقراطية النسبى ، انطلقت من جحورها وأسرعت طيورها بالعودة من اعشاشها بالمهجر ، وتكاتفت فى شن حملة انتقامية من ثورة يوليو وانجازاتها ، ومن قوى الشعب العاملة ، بما فى ذلك البورجوازية الوطنية المنتجة ، المتفتحة على العصر والمنضوية تحت راية التحالف الوطنى .

وهكذا تبرز من بين الركام الاجتماعى ، احدى السلبيات الاساسية للتجربة الوطنية التقدمية التى عانينا وما نزال نعانى منها ، وها هى اعتى القوى تخلفا وجهالة ، بمعيار الواقع والعصر معا ، تنهض واقفة فى وجه ثورة يوليو ومسيرة المجتمع .. لا تحارب الاشتراكية والاشتراكيين فحسب ، وانما تحارب التحالف الوطنى والقطاع العام والاصلاح الزراعى ومجانية التعليم ومكاسب العمال والفلاحين التى لا تزيد فى الواقع عن مكاسب زملائهم فى اى مجتمع رأسمالى عصرى .

واللافت للانتباه ان ذلك كله يحدث بعد اكثر من اثنى عشر عاما من اختيار المجتمع وقيادته الوطنية لطريق التحول الاجتماعى والتطور الاقتصادى المستقل المناهض للاستعمار والاقطاع والراسمالية .

• • •

والسؤال الذى لا مهرب منه اليوم ، هو : **كيف وقعت ثورة يوليو فى براثن هذه السلبية الخطيرة ، التى تمكنت من الاختباء تحت جلدها وداخل مؤسساتها طوال هذه السنين ؟**

يبدو ان « الثورة » ظنت انه بمجرد مصادرة اراضى كبار الملاك والمصالح

الرأسمالية الكبيرة ، فان ذلك يعنى التصفية لطبقة النصف فى المائة المسيطرة والسائدة .. غير ان التصفية المادية للمصالح ، على الرغم من ضرورتها وأهميتها ، ليست كل شيء ، وانما يستلزم الامر ان يرتبط ذلك بتصفية اجتماعية تجتث جذور الطبقة - تقول الطبقة لا الافراد - من الحقل الاجتماعي والسياسي والفكري ، ويأتي ذلك من خلال حركة ديمقراطية شعبية واعية تمارس نشاطا سياسيا وفكريا مؤثرا وفعالا ، وتملك تنظيما سياسيا طليعيا يمثل فكر ومصالح القوى العاملة وتحالفها الوطنى التقدمى .

ان ما حدث هو ان الثورة اكتفت بالتعامل من فوق ، وبالقرارات الادارية العلوية ، مع حالات فردية من ابناء هذه الطبقة . وظل الاجراء الادارى ، وأحيانا البوليسى ، هو الذى يلجأ اليه استسهالا ، واهمل العمل السياسي والفكرى ، فكانت النتيجة ان الطبقة الرجعية خسرت مواقعها الاقتصادية ، وبعضا من نفوذها الاجتماعي ونفوذ عدد من شخصياتها وزعاماتها البارزة لكنها بقيت ، كقوة اجتماعية ، بقيمها الاستغلالية ونشاطها الطفيلى وعلاقاتها الاجتماعية ، حية كميكروب مستكن بالجسد .

وفى غياب بناء متكامل للقيم الثورية الجديدة المعادية للاستغلال .. وأمام ضعف وهزال العلاقات الاجتماعية الجديدة .. وازاء عدم الحسم فى قضايا دور ووزن الطبقة العاملة ، والفلاحين الفقراء والمعدمين ، والمثقفين الثوريين .. لم تستطع قوى التحالف الوطنى التقدمى : وعيا وحركة وتنظيما ، ان تحاصر الميكروب المستكن وتطهر الجسد منه .

بل ان هذا الميكروب ، تمكن من أن يكتسب بعض المناعة ، من خلال العلاقات المالية ، التى راح ينسجها مع « الطبقة الجديدة » التى نمت من خلال مراكزها وامتيازاتها البيروقراطية فى اجهزة الدولة والقطاع العام ، بل والمؤسسات السياسية .

ومن خلال هذا التزاوج الذى وقع بين بقايا طبقة كبار الملاك والرأسماليين قبل الثورة ، والطبقة الجديدة بعد الثورة ، تولدت الرأسمالية الطفيلية المعاصرة التى تتغذى بأعمال السمسرة والمضاربة والمتاجرة فى السوق السوداء ، وتكوم بمعدل سريع وفى زمن قياسى ، ثروات خيالية تمنحها ثقلا اجتماعيا ينعكس بدوره فى موقف سياسى محدد ، يخدم الاتجاه الرأسمالى الشره والمتخلف .

ومن ارضية هذا الموقف ، تعتقد هذه القوى أن فى قدرتها ، العودة بعقارب الساعة الى الوراء ، وذلك بالغاء وادانة ثورة يوليو ، والعودة الى مجتمع ما قبل عام ١٩٥٢ ، لا يسقطون منه شيئا سوى النظام الملكى ، ويظنون أنهم بهذا الأسقاط يخفون معالم هويتهم ومصالحهم .

ان هذا الموقف تجسيد « عبقرى » - اذا جاز التعبير - للغباء .. فضلا عن رجعيته السوداء وتخلفه الحضارى .

غير اننا نلاحظ - مع الفارق الموضوعى بين واقع وآخر - ان مصر - اليوم - لا تنفرد بوجود مثل هذه الشرائح الرجعية اجتماعيا ، الغبية فكرا .. ففى المانيا الاتحادية تنهض من جديد قوى اجتماعية نازية السلوك والاهداف .. وفى ايطاليا

اليوم حزب فاشستى جديد يرى أن بلاده واقعة تحت سيطرة الشيوعيين ، ولا امل فى الانقاذ الا بظهور موسولينى مرة أخرى . بل ما تزال فى المجتمع الفرنسى حركة من أحفاد النبلاء والملوك وفرسان المعبد المقدس يعملون من أجل عودة الملكية من جديد ، ومحاكمة وادانة الثورة الفرنسية . ولعل الرأسمالية العصرية — فى هذه البلاد — هى التى تتصدى بعنف لهذه الفئات المتخلفة منها ، وذلك باعتبار انها بجهالتها وضيق أفقها ، تهدد النظام الرأسمالى نفسه .

وربما يكون القاسم المشترك بين هذه الاتجاهات والحركات ، انها جميعا تسبح ضد تيار التاريخ والتقدم ، واذا كانت فى مجموعها — بالمجتمعات الاوربية — مابرحت على ولائها لملوكها وقياداتها من النازيين والفاشستيين ، الا ان طبقتنا الرجعية فى مصر تفتقد حتى الولاء لقيادة تاريخية . ومن هنا فهى تعمد اليوم الى افراز قيادة جديدة ، وذلك من خلال شخصيات وأسماء تقليدية تتمتع ببعض القدرات التكنيكية — وفقا لمعاييرها المتخلفة — فى دوائر الصحافة والفن والقانون والاقتصاد .

• • •

ماذا تريد هذه الطبقة — فى مجتمعنا — بالضبط ؟

الجواب على هذا السؤال يجب أن ينأى عن الحدس والتخمين ، وعليه انْ يعكس بأمانة آراء ممثليها ومواقفهم ، خلال الحوار الساخن . ولنقف عند بعض الامثلة :

● تباكوا على انسانية المواطن المصرى ، التى أهدرت خلال العشرين عاما الماضية ، ولكنهم لا يرون الاهدار ، الا فى عشاب وسجن كبار الملاك الذين وقفوا ضد تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى من أمثال « عدلى لملوم » .. وفى محاكمة واعتقال عدد من البشوات الذين سرقوا ونهبوا عرق الشعب وانزلوا ارهابهم وبطشهم بعمال كفر الدوار وفلاحى بهوت وكفور نجم .. وهم الذين هللوا ، باسم الحرية أيضا ، لاعدام العاملين خميس والبقرى ، خلال تصرف خاطىء وعصبى من الثورة فى بداية أيامها ، وظلوا يسبحون بحمد الثورة ، كلما وقعت فى تناقض مع القوى الشعبية ، وزجت فى السجون بالمثقفين الثوريين والعمال والطلبة .

ان الديمقراطية التى يطالبون بها — وهذا وعى طبقى منهم — هى الديمقراطية التى لا يتجاوز حدود مظلتها كبار الملاك والرأسماليين فحسب . وخارج هذه الحدود يطالبون — باسم التراث حينا ، وباسم معاداة الافكار المستوردة حينا آخرا — بعصا الدكتاتورية وسيفها .

● يتهمون ثورة يوليو بالاعتداء على حقوق الانسان ، وحقوق الانسان فى شرعهم هى أولا وأخيرا ، الملكية الخاصة لوسائل الانتاج التى تكونت على مدى أجيال من الاستغلال البشع لجهد الفلاحين والعمال والمثقفين ، وبالتالى فالتأميم — فى عرفهم — سرقة .. والاصلاح الزراعى — فى مفهومهم — عدوان على حقوق المواطن المصرى ومصادرة لمبادراته وملكاته الذاتية .

ومن هنا ، ارتفعت صيحاتهم ، بكل قحة ، مطالبين باعادة النظر فى التأميم وقانون الاصلاح الزراعى ، بطرق وصور مختلفة ، وذلك بهدف استعادة مراكزهم الاقتصادية المتميزة فى المجتمع .

● يرون فى تحرير التعليم والثقافة ،واقرار مجانية التعليم العام والجامعى ؟ سفه ، بل وفتنة اجتماعية ، ويطالبون بعدم أحقية أبناء غير القادرين من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، فى أن يكونوا مهندسين أو أطباء أو أساتذة فى الجامعات .

● يؤرقهم الى حد الجنون حصول الفلاحين والعمال على نسبة ٥٠ ٪ من مقاعد المؤسسات السياسية ، وذلك كضمان موضوعى — فى ظروفنا — لتمثيل القوى الشعبية ذات الاغلبية الساحقة ، ومشاركتها فى صنع القرارات ودفع عجلة التقدم . ويصرون على الغاء النسبة لمنافاتها — حسب زعمهم — للديمقراطية كما عرفوها عن المجتمعات الرأسمالية العريقة ولا يخجلون من أن يعلنوا — فى كثير من الاحيان — ان هذا النظام لم يعد له ما يبرره بعد أن « أصبحنا جميعا » — من يملك ومن لا يملك — عمالا وفلاحين ، ويتجاهلون الاتهامات الموضوعية عن تسربهم داخل الخمسين فى المائة من خلال تعريفات العامل والفلاح المطاطية القائمة .

● يهاجمون بشراسة القطاع العام ،الذى قاد عملية التنمية ، وكان أساس الصمود الاقتصادى والعسكرى فى معاركنا مع الامبريالية والصهيونية . ويرونه مصدر الفساد والبيروقراطية والمسئول عن كل أزمة اقتصادية تمر بها البلاد . ويقدمون أنفسهم — بصفاقة — بديلا عنه من خلال القطاع الخاص ، الذى يجب ان تتاح له دون ما قيود ، حرية العمل والنشاط واعادة سلطان قانون العرض والطلب الى السوق كاملا غير منقوص ، وذلك كى يتسنى لهم التحكم فى أقوات الشعب والاستبداد بلقمة عيشه .

● ينهالون ، بكل قوتهم ، هدما وتخريبا فى التحالف الوطنى التقدمى ، ويقاومون كل محاولة لتطويره وتطهيره من سلبياته وتحويله الى قوة ديناميكية حية .

ولا يطمئنهم ، بل يزعجهم الى اقصى حد ،وجود البورجوازية الوطنية المنتجة داخل التحالف ، ذلك أنهم يعتبرونها طبقة تدخانت المثل العليا للرأسمالية عندما قبلت الميثاق والعمل فى اطار التنمية المخططة .

وأمام فشل صياغات وأساليب الاتحاد الاشتراكى ، يقدمون بديلا يسمونه « عودة الاحزاب » .. أى أحزابهم هم وحدها ،دون أحزاب الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين ومثقفين .. وأحيانا يتمادون فى الحذر فيطالبون « بنظام — بدعة » هو نظام الحزبين ، يتقاسمون فيما بينهم أدوار السلطة والمعارضة من خلال حزب يحكم حينا ، وحزب آخر يعارض حينا .

واذا ما تكتلت القوى الوطنية التقدمية ضد مخططهم ، ونادت ، اما بتحويل التحالف وأداته السياسية الى كيان ديمقراطى متعدد المنابر ، واما اطلاق حرية تكوين الاحزاب — ليبراليا — على أن تتآلف الاحزاب الوطنية والتقدمية فى جبهة من حول برنامج مشترك ، صرخوا مذعورين : هذه شيوعية !

● ● ●

ولا نريد ان نسترسل أكثر من ذلك فى رصد وتعرية مواقف هذه الطبقة الرجعية المتخلفة التى تعيش ، بالفكر والمصلحة ، خارج حركة التاريخ ، وتنطلق من مواقعها

الاجتماعية التى لم تصف ، فى محاولة للزحف والاستيلاء على المراكز الاقتصادية والسياسية فى المجتمع .

وعلى الرغم من أننا على ثقة ، بأن الواقع سيلفظهم ، وان معركتهم خاسرة موضوعيا ، الا ان الخطر يظل كامنا فى مدى ما يملكونه وقتيا من عوامل تأثير وجذب نحو عناصر من البورجوازية الوطنية ،وتحويلها الى « طابور خامس » واحتياطى لقواها المخربة .

ولهذا فان المهمة الاساسية والعاجلة هى بناء وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية فى مجتمعنا ، على اختلاف المنابع الفكرية والاجتماعية ، سواء من خلال تحالف قومى او جبهة أحزاب ، والعمل على محاصرة « هذا الدمل السياسى ــ الاجتماعى » الذى طفح فوق الجلد ، وذلك بفقعه وتطهير الجسد من صديده ، لا بقرارات سلطة علوية ، وانما من خلال نضال سياسى ــ اجتماعى ــ فكرى شامل ، وبذلك نتخطى احدى السلبيات الجوهرية فى التجربة .

وهذا يتطلب ، فضلا عن التصدى السياسى اليومى الشجاع ، تقديم تحليل موضوعى لايجابيات وسلبيات تجربة يوليو من ناحية ، وتقديم البديل الوطنى والتقدمى من ناحية أخرى فى مجال الحلول العملية لمشاكل الديمقراطية والتقدم الاقتصادى والاجتماعى وتحرير الوطن من الاحتلال الاسرائيلى .

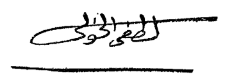
• • •

وبعد ...

اذا كان السكوت لم يعد ممكنا ...

فليس العمل هو أن نكيل فحسب الصاع صاعين لهذه القوى المتحجرة التى تتحرك فيها ذبالة الحياة لاخر مرة ، وانما هو ان نرد للجسم الوطنى التقدمى قوته وعافيته ومناعته ضد « دمامل » وبثور قد تطفح مرة أخرى على الجلد .

وهذه المهمة ، ليست مهمة اشتراكية ،بقدر ما هى مهمة وطنية استقلالية عصرية ، لا تخدم القوى الشعبية فحسب ، وانما تخدم فى المقام الاول مصالح ومستقبل الرأسمالية الوطنية المستنيرة .



صراع المصالح

فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى

احتدم الحوار حول ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ؟ وتفجرت اتجاهات عديدة ، لم تكن تعبر عن آرائها من قبل فى العلن ، ودفع بالقضية الرئيسية ـ تطوير الاتحاد الاشتراكى، وديمقراطية الشعب العامل الى الخلف . وعلت أصوات مطالبة بادانة المنجزات الوطنية والتقدمية ، وعودة أحزاب العهد القديم بديكور جديد ومسميات أخرى .

وتواصل « الطليعة » فى هذا العدد الحوار : فهى الى جانب الافتتاحية ، ومقال شوقى جلال ـ « الديمقراطية : المضمون أولا ثم الشكل ومقال قدابب جلاب ـ رد على محمود أبو وافية ـ عن الاشتراكية والماركسية والاستيراد والاقتصاد ـ تقدم ثلاث تعريفات للعامل والفلاح والرأسمالى الوطنى ـ لعبد المنعم الغزالى ، وفتحى عبد الفتاح ، وكمال السيد .

وتأمل الطليعة من استمرار الحوار الحر الديمقراطى النابع من موقف الدفاع عن جماهير الشعب العامل ـ العمال والفلاحون والجنود والمثقفون الوطنيون ـ أن يؤتى ثماره بهزيمة اتجاهات القوى المضادة لثورة ٢٣ يوليو ، وتدعيم الديمقراطية واقامتها من أجل بناء مصر « الشعب العامل » ، مصر الوطنية الديمقراطية المستشرفة آفاق الاشتراكية .

● الديمقراطية: المضمون أولا ثم الشكل

شوقى جلال

القول حكم يصدره المرء انطلاقا من فهم الواقع ، والحكم رهن بواقع الامور وسياق الاحداث ، ودور وعى الانسان تتحدد قيمته عند اصدار الحكم انطلاقا من فهم طبيعة هذا الواقع وقوانين حركته (والتى هى تمثل واستيعاب تاريخ الواقع وتناقضاته الداخلية) والهدف الذى ترمى اليه دون أن يكون اختيارنا لهذا الهدف اختيارا عشوائيا بل حتمية علمية . قد تكون هذه كلها بديهيات أولية ولكن يبدو أنها بديهيات نفتقر اليها أحيانا حين يحتدم الحوار فاذا ذواتنا أقرب الينا من واقعنا ، واذا انفعالاتنا أقوى سيطرة وسطوة من الفكر الموضوعى المتأنى ، وما أصعب على المرء أن يتقبل حديثا موضوعيا اذا كان مدخله الى رأسه القلب والعاطفة والهوى والمصلحة الذاتية ..

أقول هذا بمناسبة الحوار الذى يدور حول قضية من أخطر قضايا المصير ، مصير مصر ، مصر الثورة دون سواها ، ومسيرة هذه الثورة وآفاق مستقبلها ، وهو الحوار الذى أطلق شرارته فى جرأة وجسارة الرئيس أنور السادات ، ايمانا منه بأن ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى تمثل استجابة لحاجة ملحة من حاجات الشعب ، وشرط ضرورى لدفع المجتمع الى الحركة بعد طول جمود .. فكانت ورقة التطوير دعوة الى أن يفكر كل من أوتى قدرة على التفكير العلمى غير الذاتى ويدلى برأيه اسهاما فى تحديد المصير ، فكان وكأن حجرا ألقى فى بركة آسنة فتحركت ماؤها هادئة أول الامر ثم مالبث ان اضطرب السطح وعلته أمواج عاتية صاخبة . وارتفعت نداءات ومطالب ، وتجاوز الحوار العديد من القضايا المصيرية لينصب كله على الشكل دون المضمون ، منبر واحد أم منابر عديدة ، حزب واحد أم أحزاب متباينة الاهداف متنافرة المصالح ، وعمد البعض الى أن يروج شعار « الاحزاب كل الاحزاب » حتى وان كانت تدعو للعودة بمصر الى عهد الملكية وعصر الاقطاع ..

كل هذا تحت شعار الديمقراطية أو الليبرالية ! حقا أن الديمقراطية شرط ضرورى ، بل هى العلاج الوحيد لكل ما تعانى منه البلاد من شرور ويتهددها من أخطار وهى سبيلها للتقدم الحضارى على المستوى الفكرى والمادى ولكن أى ديمقراطية نريد ؟

ان التاريخ لم يعرف أبدا فى كل احقابه وعهوده السياسية ديمقراطية هلامية متعالية عن الواقع كتلك التى يدعو اليها البعض الا فى أوهام وخيالات الشعراء ورومانسية الطوباويين . فديمقراطية أثينا لم تعط الحرية للعبيد ، وكانت هذه حتمية التركيب الاجتماعى والمرحلة التاريخية فى اليونان القديمة . والديمقراطية البرجوازية أو الليبرالية فى عصر يقظة البرجوازية وفنونها لم تكن تعنى أبدا حرية الاقطاع ، أو الاعتراف بحقه فى العمل على تقويض دعائم الثورة البرجوازية .

ولهذا فأولى بكل من يتصدى للحديث عن مسار الثورة فى مصر ومصيرها أن لا يغفل حقبة تاريخية تكاد تبلغ ربع قرن من الزمان شهدت الكثير من الانجازات الايجابية ، وان شابتها أيضا أحداث سلبية كان لها خطرها أو أخطارها . ان مصر اليوم غير مصر منذ أكثر من عشرين عاما ، فقد تغير تركيبها اجتماعيا واقتصاديا ، وليس من الديمقراطية أبدا ، ولا من العلم فى شىء أن نغفل هذه الحقبة ونسقطها من حسابنا وننادى بالعودة الى الماضى والحرية كل الحرية حتى لاحزاب الاقطاع أو الملكية ، الا اذا كان صاحب هذا الرأى يؤمن بأنه لم تكن فى مصر ثورة ولم يحدث فى مصر أى تغيير ثورى وأن ما حدث طوال العشرين عاما لا يعدو أن يكون مؤامرة ضد الشعب .

ان الثورة ، بل اى ثورة ، حين تنتزع الارض من بين يدى كبار الملاك فانها تنتزع معها أيضا حريتهم فى تشكيل منابر خاصة بهم وهذه ديمقراطية وخطوة تقدمية ، ولهذا تصبح الثورة ثورة والا لما استطاعت أن تغير تركيب المجتمع . هناك أوجه نقص وسلبيات لا نعم ، ولكن ليس النقص هو حرمان هذه الطبقة من حق تكوين منبر مستقل للعمل على الاطاحة بالثورة . ونعرف أن القضاء على طبقة ما اقتصاديا أى انتزاع سلاحها الاقتصادى يسبق دائما القضاء عليها أيديولوجيا ولهذا فان رواج أيديولوجيتها ، التى كانت الأيديولوجية السائدة قبل الثورة ، ليس مبررا للمحافظة على منبرها المستقل ، بل هو حافز لاختيار أوفق الاساليب للعمل على سيادة الايديولوجية الثورية الجديدة بدلا من القديمة وليس التراجع امامها .

وقد يكون مفهوما أن ينادى أصحاب المصلحة الذاتية فى العودة الى الاقطاع أو فى العودة الى نظام الملكية أو نظام الجمل والناقة بتكوين أحزاب لهم . فهؤلاء لم تتم بعد تصفيتهم أيديولوجيا وهذه مهمة ثورية لم تنجز . ولكن غير مفهوم على الاطلاق ان نرى آخرين يناصبون الاقطاع العداء ومع ذلك ينادون بضرورة السماح له بتكوين الاحزاب ، السماح بكل الاحزاب حتى وان كانت رجعية .

ان منطق الرفض والتمرد على الواقع سهل يسير بل فيه اغراء وغواية ، ولكن الصعب هو اختيار الايجابى دعما لحركة المجتمع نحو مستقبل نريده بناء على اختيار علمى . ووجه الخطأ عندى أننا نتجاوز الواقع ونتعالى عليه . ونقفز الى البحث عن الشكل قبل المضمون والهدف .. بل ربما نقصر حديثنا على الشكل وحده دون المضمون كما هو حادث الان . ان الشكل والمضمون مترابطان وبينهما وحدة جدلية ، وفهم المضمون يقتضينا بداية العمل على تقديم تحديد علمى لطبيعة مكونات المجتمع المصرى فى حقبة بذاتها وطبيعة التناقضات بين هذه المكونات والعمليات الباطنية الاجتماعية .. ان المضمون هو أساس التقدم وقاعدته ويتميز بحركته الذاتية المتقدمة أبدا .. أما الشكل فهو أسلوب ومنهج أو نمط تنظيم العلاقة والتفاعل بين عناصر المضمون والعمليات الاجتماعية الداخلية ضمانا لاتخاذ المسار اللازم والمطلوب . والشكل رهن بالمضمون ومتوقف عليه وان كان يحده ويحدده ، واذا حدث ولم يتلاءم معه فانه يعوقه ويعرقله . وهنا يلعب الوعى الانسانى دوره الابداعى فى استيعاب قوانين تناقضات المضمون وفهم منطق حركته وتحديد الشكل الملائم للمضمون حيث أن كليهما يتغيران من خلال حركتهما المشتركة ، ويحدث التغير دائما وأبدا تلبية لوظيفة أو احتياج جديد تفرضه الحركة المطردة . والوحدة بينهما وحدة ذات طابع وقتى ، وحدة مرحلية ، وكلما تغير المضمون واكبه تغير فى الشكل ، أو هذا ما يجب أن يكون لتتحقق وحدة جديدة أو تلاؤما جديدا ييسر الحركة الى الامام .. واذا كان الشكل يتغير نتيجة واثر احتدام التناقض بين عناصر المضمون فيتغير تركيب المضمون أو التركيب الاجتماعى ، اذا فان عدم الاتساق بين الشكل وبين المضمون له مخاطره الشديدة ، حيث يكون الشكل متخلفا عن المضمون . ومن ثم فان أى محاولة تستهدف صوغ شكل لا يتسق مع مضمون حركة المجتمع هى محاولة تعسفية ضررها أشد من نفعها بل هى ضرر محض . وطبيعى أن أى تحول كيفى للمجتمع لابد وأن يلازمه تحول مواز فى الشكل . واختيار الشكل الاوفق هو خير ضمان لاطراد الحركة التقدمية للمضمون وصولا للاهداف المنشودة .

ومن الاهمية بمكان أن نعرف أن الاختيار الموفق للشكل وللمضمون المتسقين رهن بفهم طبيعة كل منهما ودرجة تطورهما والظروف التى يتطوران خلالها ، فاذا ما احسنا فهم هذا كله أمكن لنا اختيار الشكل الملائم . والاختيار هنا سوف يكون اختيارا للشكل فى ضوء المضمون لان هذا هو الاساس . ولكننا نبقى على الشكل القديم اذا ما كان لا يزال يلبى حاجة ما ولا تزال شروط ومقتضيات وجوده قائمة . والشكل الجديد عادة لا يكون مفروضا من خارج ، فضلا عن أنه لا يسود

دفعة واحدة ، أو بناء على اوامر أو ارادة ، بل يسود رويدا رويدا من خلال تفاعل عناصر المضمون كميا ، ثم يكون التحول الكيفى فى الاثنين معا .

واذا كان فهم المضمون على هذا النحو يعنى فهم حركة المجتمع ومستقبلها ، فانه يعنى أيضا ادراك لاهداف هذه الحركة على أساس علمى ، ماذا نريد وما هى أهدافنا ، ثم نحدد فى ضوء ذلك كيف نحقق ما نريد ، أى نحدد وسيلتنا ، أى الشكل المتسق مع المضمون والهدف .

واذا كان الحوار الدائر الان يستهدف تحديد مسار المجتمع المصرى مستقبلا والمهام الثورية الملقاة على عاتقه ، ويعنى من بين ما يعنيه الاعتراف بتناقض طال أمده بين الشكل وبين المضمون ، ويعنى كذلك أننا نختار النهج ، أو هكذا ينبغى أن يكون ، الذى يخرج بنا من مأزق نعانيه ، لتحقيق نقلة كيفية الى الامام ، أى تحول اجتماعى تقدمى . اذا صح هذا المنطلق ، فان الواجب يقتضينا أن نحدد أولا مضمون حركتنا الاجتماعية وأهدافها ، ثم بعد ذلك يكون تحديد الشكل المتسق مع هذا المضمون ، والذى يكفل بلوغ الهدف . والاتفاق بشأن المضمون والاهداف شرط أساسى وجوهرى ، اولا لانه المنهج العلمى ، ولانه ثانيا يعفينا من التورط فى أخطاء قد يجذبنا ظاهرها البراق ولكنها تودى بنا وتخسر مصر كل ما حققته من مكاسب . وبدون ذلك فاننا نكون قد عزلنا الفكر عن الواقع وتركنا المجال رحبا لامانى كاذبة ، ونضل طريقنا الذى نؤثر به أو نحقق به نتيجة أو تقدما .

وطبيعى أن الحوار بشأن المضمون والاهداف فى ظل هذه الديمقراطية المتاحة من شأنه أن يحقق نوعا من الاستقطاب وتتحدد الخريطة الطبقية وعناصر التناقض داخل المجتمع وطبيعة هذه العناصر ودور وثقل كل منها ، وأيها مع التقدم وأيها يرنو الى الماضى ويتمنى لو يعود اليه . وهنا يستطيع كل قطب بل كل فرد فى المجتمع ، أن يحدد موقعه وعلاقته بالاخرين ، وهل هى علاقة تحالف أم عداء ، وتستطيع قوى التحالف أن تعرف طريقها وتحدد برنامجها المشترك الذى تلتف حوله وتعمل على تحقيقه ويقطع السبيل أمام أى عامل من عوامل تفتيت الصف الوطنى . ولكن الخطر كل الخطر أن ندعو باسم الديمقراطية الى تكوين أحزاب أو منابر لكل القوى حتى ولو كانت احزابا لغلاة الرجعيين ، أو أحزابا استنفدت أغراضها تاريخيا وباتت بلا وظيفة اجتماعية ، أى أنها شكل بغير مضمون .

اننا لا نستطيع أن ننطلق من قواعد وشعارات جامدة ظنا منا أن الديمقراطية حرية بلا ضفاف ، حرية طليقة للجميع ، وهو أمر مستحيل موضوعيا . واذا كانت الديمقراطية لا تنفصل عن طبيعة التكوين الاجتماعى الاقتصادى وتخدم القوى صاحبة المصلحة فى التقدم الاجتماعى ، التى لم تستنفد بعد رسالتها الاجتماعية ، اذا ماننا نخطىء اذا حاولنا أن نفسح مكانا للقوى الرجعية التى استنفدت أغراضها ، ذلك لانها ستتحول الى عنصر أكثر نشاطا ، عما هى عليه فى الخفاء ، ووظيفتها الاساسية العمل بكل جهد ممكن ولو كان ذلك بالتعاون مع الاستعمار لتعود بمسيرة الثورة الى الوراء ، أى أننا نصبح كمن يساعد على خلق شكل لا يتسق مع المضمون ، خاصة وأننا نعانى من تفاوت بين التكوين الايديولوجى السائد وبين مضمون الحركة الاجتماعية ، وهو تفاوت يرجع أساسا الى غياب الديمقراطية . ولهذا فليكن نداء الديمقراطية دعوة الى أن تتوفر للقوى صاحبة المصلحة فى التقدم كل الامكانيات اللازمة للافادة من الحقوق الديمقراطية والمؤسسات تيسيرا لها للمساهمة بدورها الخلاق التقدمى فى بناء المجتمع . وليكن هذا النداء هو المقدمه نحو الاستقطاب الاجتماعى لقوى التحالف .

واذا كانت الديمقراطية الاشتراكية ليست فقط ديمقراطية سياسية ، بل اقتصادية أيضا فان هذا يستوجب بداية ألا نقصر حوارنا على الشكل ، بل نبدأ بالمضمون الذى يعنى الالتزام بمكاسب محددة ، محققة أو مستهدفة . **وجدير بالذكر أن شعار الديمقراطية العاطل من أى مضمون اجتماعى أو اقتصادى ، هو نفس الشعار الذى تطلقه القوى الرجعية والتى تعرف جيدا كيف تستخدمه ، بل انها برعت فى استخدامه ، وعرفت كيف تتذرع به للتنقض على مكاسب عديد من الشعوب فى بلدان العالم النامى . ومثل هذا الشعار الاجوف للديمقراطية شعار براق فى ظاهره ، ومضلل فى نفس الوقت ، بل ومصيدة للسذج والبسطاء ، ويلتقى عنده اليمين واليسار المتطرف .**

واذا ما ارتاب أحد فى صدق الاخطار التى تهدد الثورة وتوشك أن تجرف أمامها كل ما تحقق من مكاسب ، وتقضى على كل أمل فى تصحيح المسار ، فيكفيه ردا على ذلك أن يلقى نظرة الى حصاد جلسة من جلسات الاستماع التى انعقدت فى مجلس الشعب ، فقد كان حصادها برهانا ساطعا يؤكد أن المجتمع لا يزال يضم قوى تعمل جاهدة عن

وعى على هدم كل المنجزات الايجابية لثورة ٢٣ يوليو باسم الديمقراطية والحرية ، لقد تركزت مطالب احدى الجلسات فيما يلى :

١ - رفض كل مواثيق ثورة ٢٣ يوليو لان الشعب ، على حد زعم القائلين ، بات ينفر من كلمة « مواثيق » و « فى اطار » وكأنهم لا يضعون اطارا جديدا يحدد مسيرة المجتمع ، هذا بدلا من التحدث صراحة عن أوجه الاعتراض على المواثيق . والمعروف أن الالتزام بمواثيق الثورة يعني الحيلولة دون الرجوع الى الوراء .

٢ - الغاء نسبة الـ ٥٠ فى المائة من العمال والفلاحين ، وليس مراجعة وتعديل تعريف العامل والفلاح ليكون تعريفا دقيقا مطابقا للواقع ، مما يساعد على أن تؤدى هذه القوى دورها بصورة فعالة . بل رفض البعض فكرة أن العمال والفلاحين أصحاب مصالح اجتماعية متمايزة .

٣ - السماح بتكوين اى أحزاب ، وكان اليمين واعيا حين حدد على وجه الحصر نوع الاحزاب المطلوبة ، واشترط ألا تتجاوز الاحزاب الاشتراكية نظيرتها فى انجلترا والسويد ، وما عدا ذلك فهو مرفوض .

لهذا فان الدعوة الى الاحزاب أى احزاب يعنى تسليم الثورة الى أعدائها فى نهاية الامر وعودة الى الوراء قرابة الربع قرن وكأن تصحيح المسار هو الرجعى والانتكاس . ولهذا ينبغى ان يكون الحوار عن المضمون والاهداف مقدما على الحوار عن الشكل ، أو يكون هو المدخل المنطقى اليه . **واذا شئنا أن يكون للحوار قيمة ايجابية مثمرة يجب أن نخرج به عن اطار احاديث المثقفين التى تشبه احاديث الصالونات والمنتديات ليمتد ويشمل الجماهير فى المصانع والقرى ، وحيث توجد تجمعاتهم النقابية وغيرها ، حتى لا تكون حركة الموج حركة ظاهرية فوق السطح بل غائرة الى الاعماق** . فهؤلاء هم حقا الذين دأبوا دائما وأبدا على التطلع بأمل الى ثورة ٢٣ يوليو ، وأمل هؤلاء هو المستقبل ، والسير نحوه تقدم الى الامام ، وهم خير من يحدد مضمون حركة المجتمع والشكل المطلوب ، وهم أحق بالحوار . ويمكن للمثقفين هنا أن يؤدوا دورهم كقوة واعية ومن خلال هذا يمكن أن يتحدد برنامج العمل ومضمون التحالف وأهداف المستقبل ومدى التلاحم مع مواثيق الثورة ونقاط الالتقاء بين عناصر التحالف . معنى هذا أنه لابد وان يتحول الحوار الى حركة اجتماعية تشارك فيها الجماهير ليصبح قوة مؤثرة ويصبح صورة من صور الوعى ذات الدلالة المرتبطة بمصالح الشعب . وهذا هو السبيل الذى يحيل ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى الى قوة محركة حقا تثير دوامة من النشاط السياسى بين الناس ليسهموا بدور فعال ولتكون المنابر او الاحزاب قوى حقيقية أصيلة معبرة عن مصالح الجماهير وتعكس نشاطهم ودورهم ولتكن لهم ارادتهم .

ان الافكار تصبح قوة حيوية دافعة وخلاقة بشرط استيعابها للواقع وفهم محتواه ، وبشرط أن تكون تعبيرا صادقا عن الجماهير وأن يتمثلها هؤلاء ويؤمنوا بها عن وعى ويتحركوا من أجلها ، أما الحوار بمنأى عن الجماهير فهو فرع من الميتافيزيقا السياسية .

وليكن الحوار بشأن المضمون انطلاقا من الشعور بالمسئولية بعيدا عن المبارزات الكلامية والمطارحات اللفظية ، وكل ما يشبع هوى المثقفين المنفصمين عن واقع أرضهم وجماهيرهم مهما كان رنين كلامهم ضحايا ، ولكن بغير صدى فى نفوس القطاعات العريضة من الناس . وعلمية الحوار تعنى جدية البحث والدراسة لاستكمال أسس الرؤيا الاجتماعية الثورية لمصر ، والتى تمثل قصورا خطيرا نحس به جميعا . مثال ذلك أننا لا نستطيع أن نقدم فى اطمئنان رؤيا علمية بدون دراسة لطبيعة التركيب الاجتماعى والاقتصادى فى مصر وطبيعة الاتجاهات الايديولوجية وحركة هذه الاتجاهات ودوافعها وتجمعاتها ، أو ما يمكن أن نسميه المورفولوجيا الايديولوجية للمجتمع المصرى فضلا عن فهم امكانيات وحدود كل طبقة من طبقات المجتمع فى ضوء المرحلة التاريخية للتطور الاجتماعى وحاجات هذا التطور .

وطبيعى أن هذا لا يعنى وقف الحوار وتأجيل **اتخاذ قرار لحين استكمال الدراسة والبحث ، والا لكان معنى هذا عمليا التخلى عن قضية التطوير الاجتماعى شكلا ومضمونا كما وأنه من البديهيات أن لا دراسة أو بحث بدون ديمقراطية وضمانات لحرية الفكر حرية كاملة . ولكن عناصر المعادلة هى أن لا تقدم اجتماعى بدون رؤيا اجتماعية أساسها دراسة علمية ، ولا دراسة علمية صادقة بدون ديمقراطية وحرية كاملة للفكر ، ولابد من توافر هذه العناصر معا** . بيد أننا نستطيع فى واقعنا هذا ان نبدأ انطلاقا من فهم عام لطبيعة المرحلة والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التى تواجهنا اى تحديدا

عناصر المضمون لتحديد الشكل الملائم ومقتضياته .. فاذا كانت التنمية هى احدى القضايا الاساسية والاولية ، وهى كذلك بالفعل ، فاننا نحدد طبيعة التنمية ومجالاتها واتجاهاتها والقوى صاحبة المصلحة فيها والقوى المعادية لها ، وشروطها ومقوماتها ، وهل هى تنمية اقتصادية بحتة أم اقتصادية وفكرية ودلالة ذلك وانعكاساته فى مجالات نشاط المجتمع سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا ». واذا كان الصراع ضد الاستعمار قضية أساسية ومباشرة ومرتبطة بقضية التنمية ، وهى كذلك بالفعل ، فاننا نحدد طبيعة هذا الصراع والمؤثرات العالمية وطبيعة القوى الاجتماعية الداخلية ، وموقف كل منها من هذا الصراع واحتمالات المواجهة وامكانياتها والشروط التى تكفل النصر فى هذه المعركة وتدعم التطوير الحضارى للمجتمع ايضا .. الخ .. أقول أن التحديد العام لقضايا المجتمع والاتفاق عليها والالتزام بشأنها هو تحديد للرؤيا الاجتماعية واتفاق على المضمون واقرار للاهداف وفى ضوء ذلك يتحدد الشكل اللازم والملائم ».

ولنا هنا أن نتساءل مثلا : اذا كانت الديمقراطية بكل عناصرها شرطا ضروريا لضمان النصر فى معركتنا ضد الاستعمار وضد التخلف الفكرى والاجتماعى والاقتصادى ، وهى كذلك بالفعل ، فان لنا أن نتساءل بعد ذلك هل القوى الرجعية ، الاقطاع مثلا ، صاحبة مصلحة فى هذا كله أم هى معادية ، وعلى ضوء هذه الاجابة يتحدد الموقف صراحة وفى حسم ، أى أن الشكل هنا استجابة لمضمون متفق عليه وأى خروج عن ذلك يمثل خرقا لقاعدة منطقية بديهية وانسياقا لامانى طوباوية وشيزوفرينيا سياسية لها مخاطرها الفادحة ». ان شعار الديمقراطية المطلقة (الحرية ـ الاخاء ـ المساواة) بدون قيود وشروط ، شعار غير علمى وغير عملى ، نادت به البورجوازية على لسان رجال التنوير وقت أن كانت طبقة مقهورة تفكر فى أساليب الخلاص وتراودها أحلام الانطلاق ، ولكن ما أن تهيأت لها مقاليد الامور وانعقدت لها السلطة حتى أرادتها لنفسها واستأثرت بها . وهذه حقيقة تاريخية وعلمية ودرس مستفاد يعرفه الجميع وان غاب أحيانا عند التطبيق .

وقد يرى البعض أن الرجعية قوة موجودة وقائمة ، قد لا تكون قوة اقتصادية ولكنها قوة أيديولوجية ، ومن ثم يلزم عند منازلتها أن نتحلى بتقاليد الشهامة العربية فلا نصرع خصما وهو طريح الارض ، بل نمسك به ونعينه على الوقوف على قدميه ثم ننازله ، وهذه تخييلات لا تتفق الا واحلام البرجوازية الصغيرة وامتثالات على التفكير العلمى وذلك لاسباب عدة : اولا لم يحدث فى التاريخ أن منيت الطبقة الرجعية بهزيمة اقتصادية وسياسية وايديولوجية معا فى نفس الان واللحظة ، بل ان النزال الايديولوجى يبدأ قبل الثورة السياسية والاقتصادية ثم يستمر بعدها ولكنه يكون هنا أشد شراسة وضراوة واتساعا ـ ويتجلى هذا بوجه خاص فى عصر الامبريالية والتقدم العلمى حيث تمثل قوى الامبريالية عاملا شديد الخطورة يدعم الرجعية الداخلية ويغذيها ويساعدها على البقاء والصمود بكل الوسائل العلمية المتاحة أملا فى الاستعانة بها للانقضاض داخليا على أى نظام ثورى تقدمى . ولم يحدث أيضا أن سمحت ثورة من الثورات بعد نجاحها سياسيا باستمرار بقاء الاحزاب الرجعية المعادية لتصفيتها ايديولوجيا ». وسبب آخر ان التصفية الايديولوجية للرجعية لا تكون ابدا بأقامة احزاب لها ، وهو أمر مناقض لمنطق الاحداث ، بل بتغيير الواقع الذى يعيش فيه الناس وتحول الواقع الى قيم أى الى أيديولوجيا ». ذلك لان الايديولوجيا الرجعية (الاقطاعية مثلا) ليست قاصرة على رءوس الاقطاعيين وفكرهم وحدهم بل تتجاوزهم الى عامة الناس ، وهذا معنى سيادة أيديولوجيا الطبقة السائدة . ففى ظل سيادة حكم الاقطاع تسود ايديولوجية الاقطاع دون أن ينفى ذلك ميلاد ايديولوجيا ثورية . هذا فضلا عن أن الايديولوجيا انعكاس لواقع وليست فكرا معزولا عن الواقع ، أو وجودا مستقلا بذاته ». وكذلك فان تصفية الايديولوجية ليست حوارا ونزالا فكريا ، وهذه هى الصورة الاستعراضية التى تصادف هوى فى نفوس البرجوازية الصغيرة من المثقفين وتشبع احلامهم ،وتتفق وطبيعة تفكيرهم حيث الحوار متعة ولذة ، بل تصفية الايديولوجية رهن بتغير الواقع ، انها قضية بعدية ، اعنى انها تتحقق وتستكمل بعد الثورة أى بعد التصفية السياسية والاقتصادية . وفرق بين التصفية السياسية التى تتضمن فيما تتضمن تصفية الحزب الرجعى ، بين تصفية الايديولوجية ، فلكل فسحة زمانية وشروطا مختلفة . والسماح للقوى الرجعية باقامة حزب يعنى السماح لها بأن تتطلع الى السلطة فهذه هى الوظيفة الاصلية Par excellence للحزب ».

واذا كانت الايديولوجية الرجعية لاتزال تجد لها ركائز ممتدة فى طول البلاد وعرضها بمظاهرها المختلفة فأول أسباب ذلك المفارقة بين الشكل وبين المضمون فى البلاد طوال الاعوام العشرين الماضية

حيث كان الشكل التنظيمى السياسى للبلاد غير متسق مع مضمون حركة المجتمع ، ومن بين مظاهر تخلف الشكل السياسى غياب الديمقراطية أو عدم توفر مقومات الحرية للايديولوجيا الناهضة .

ونظرا لغياب المضمون ، فليس غريبا أن نلاحظ أن ما قدمه المتحاورون حتى الان لا يعدو أن يكون فى جوهره رفضا وبيانا سلبيا دون طرح أى ايجابيات . ولا أظن أن ورقة التطوير دعوة لادانة الواقع حاضره وماضيه ، خيره وشره على مدى عشرين عاما وأكثر قليلا لنلقى به الى سلة مهملات التاريخ أو ضمن ملفات جرائم التاريخ ، ولا هى أيضا دعوة للعودة الى ما قبل ١٩٥٢ أى العودة بمصر الى ما قبل ربع قرن مضى ، بل هى دعوة حرة جسورة لتحديد سلبيات تجربة ثورة ٢٣ يوليو وتفهمها واختيار نهج قويم يصل بنا الى أهداف تنشدها الطليعة الواعية للمجتمع ، أى هى اعتراف صريح بسلبيات قائمة وموروثة ، واعتراف بأن ثمة مهام ثورية تنتظرنا موصولة بمسيرة ثورة ٢٣ يوليو وان استهدفت نقلة كيفية ، واذا كان الشكل القائم للتنظيم السياسى ليس هو الشكل الملائم فان القضية المطروحة هى البحث عن الشكل الجديد الذى يتلاءم مع طبيعة المرحلة الراهنة والمهام الثورية المرتقبة . انها دعوة الى التصحيح ومواصلة المسيرة لا دعوة الى الهدم والعودة القهقرى وأن نهيل التراب على ربع قرن من الزمان ونشيعه باللعنات . ان أعداء الثورة لا تعنيهم مثلا الهوة الايديولوجية الفاصلة بين فكر الشعب وواقع حياته المادية وتطلعاته الحضارية ، بل كل ما يعنيهم هو الهوة الفاصلة بين واقعهم هم الاقتصادى وما كانوا عليه فى الماضى وما يأملون فى تحقيقه لذواتهم فى الحاضر وانعكاس ذلك فى المجال السياسى ، أى أن ما يعنيهم هو تحقيق التوازن بين مطامعهم وتكوينهم الايديولوجى وبين واقعهم المادى تحت شعار الديمقراطية . ودعوة أنور السادات أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو هى التحالف المتكافىء بين القوى أو المنابر أو الاحزاب الاجتماعية صاحبة المصلحة فى انطلاق المسيرة ، التحالف فى اطار مشترك متفق عليه ، تحالف ديمقراطى يحمل مسئولية التحول الاجتماعى بالبلاد .

لهذا فليكن حوارنا علميا وجماهيريا بقدر احساسنا بالمسئولية .

وليكن حوارنا عن المضمون أولا .. ثم الشكل .

● العامل :

هو العامل اليدوى

عبد المنعم الغزالى

من هو العامل ؟ سؤال تطرحه متطلبات التغيير الديمقراطى لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، باعتباره الوعاء التنظيمى لتحالف قوى الشعب العامل ــ وهو سؤال مطروح للاجابة عليه منذ بيان ٣٠ مارس . ولكن الاجابة عليه اليوم ــ وخاصة بعد الحوار الذى فتحت أبوابه ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، أصبحت ضرورة .

فمن ناحية طالبت قوى غريبة على طريق ثورة ٢٣ يوليو ، وقوى مضادة للثورة ــ بالغاء تمثيل العمال والفلاحين بما لا يقل عن ٥٠ فى المائة فى كافة المؤسسات الشعبية المنتخبة ، واعتبرت ان ذلك قيدا على الديمقراطية .

وفى نفس الوقت طالبت القوى صاحبة المصلحة فى استمرار الثورة وانطلاقها الى آفاق أرحب وتطورات أعمق بتمثيل حقيقى للعمال والفلاحين ــ تمثيل يعبر عن الواقع الاجتماعى والسياسى ، وعن حركة ديمقراطية حقيقية وثورية لجماهير الشعب .

ان ميثاق العمل الوطنى عندما نص على ان ٥٠ فى المائة على الاقل من أعضاء التنظيمات الشعبية السياسية بما فيها مجلس الامة ، تكون من الفلاحين والعمال - انما كان يريد ذلك لان الفلاحين والعمال - « هى القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها ، والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » .

ولقد اثبتت كل التجارب الماضية - منذ قيام الاتحاد الاشتراكى - انه لم يتحقق وجود حقيقى لقوى العمال التى **طال استغلالها ، والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة** ، وذلك لان تعريف لجنة المائة للعامل والذى كان : العامل كل من يحصل على أجر - كان تعريفا فضفاضا - تمكنت فى ظله عناصر وقوى أخرى ، رأسماليين ومثقفين ، محامين وأطباء ، وضباط .. الخ من أن تأخذ مكان العمال ، مدعية تمثيلهم والتعبير عنهم سياسيا .

واننا وعلى ضوء الواقع المعاصر لحياتنا السياسية والاجتماعية ، وعلى ضوء ما قصدته مواثيق الثورة بالقوى التى طال استغلالها وحرمانها واستبعادها من العمل السياسى - **يمكننا ان نحدد ان العامل اليدوى** .. فالعامل علميا - هو من لا يملك غير قوة عمله اليدوية - المنتجة لفائض القيمة أو المساعدة فى انتاج فائض القيمة . وهذا التعريف - وعلى ضوء ظروف المجتمع المصرى - يمكن ان يكون تعريفا كاشفا عن الطبقة العاملة كطبقة اجتماعية ناظرين اليها من خلال عملية انتاج القيم فى المجتمع ، وناظرين اليها بكل مراتبها وفئاتها وشرائحها وقطاعاتها - عمال صناعة ، وعمال تجارة - وعمال خدمات - وعمال زراعة ..

ولما كانت الديمقراطية - التى نريدها ونناضل من أجلها - هى ديمقراطية لتحالف قوى الشعب العامل ، فيجب وان تقدم كل قوة من قوى التحالف ممثليها الحقيقيين ، والا تحاول طبقة من الطبقات أن تستوعب التحالف وتلتهمه لصالحها . وبطبيعة الحال ليس فى امكان **العمل اليدوى** وما كان فى امكانه فى الماضى - ان يدعى تمثيل المثقفين - محامين وأطباء ومهندسين ، وموظفين ، أو ان يدعى تمثيل الرأسمالية الوطنية - ولكن الذى حدث ان هؤلاء هم الذين ادعوا انهم عمالا ، فاستوعبوا التحالف والتهموه ، وحولوه الى تنظيم يمثل الطبقة الوسطى . ولم يعد تمثيل القوى التى طال حرمانها .. الخ غير مجرد نص قانونى فى قانون الاتحاد الاشتراكى وتعبير سياسى فى مواثيق الثورة ، من ميثاق العمل الوطنى الى برنامج العمل الوطنى ..

هذا - وقد أدى استبعاد **العمل اليدوى** الى ضعف الديمقراطية الشعبية - والتى قصد بها ميثاق العمل الوطنى انها حركة الجماهير الشعبية لبناء المجتمع الجديد ، الوطنى الديمقراطى ، المستهدف آفاق الاشتراكية ، وليست حركة الطبقات التى تريد مزيدا من التملك للعقارات ووسائل الانتاج ، والحصول على مزيد من الامتيازات .

ان تعريف لجنة المائة أدى الى الحاق العمل السياسى للطبقة العاملة ، والذى عن طريقه يمكنها ان تكشف عن ذاتها الثورية الخلاقة سواء فى مجال النضال من أجل التحرر الوطنى أو البناء الوطنى التقدمى وانجاز خطط تنمية طموحة - ادى هذا الى الحاق هذا العمل السياسى - بالعمل النقابى الضيق ، والاقتصادى ، والقاصر أساسا على النضال اليومى من أجل تحسين ظروف العمل . وهو أمر ادى كذلك - الى تخلف العمل النقابى وعدم تطوره وارتقائه ليصبح - عملا طبقيا له دوره الطليعى والرائد فى بناء مجتمع « الوطنية الديمقراطية » ، المستشرف آفاق الاشتراكية . وهكذا فى ظل هذا الالحاق تحولت المؤسسة النقابية العمالية - التنظيم النقابى - الى مؤسسة بيروقراطية ، تعج باعداد من الانتهازيين والوصوليين والمرتزقة ، واصبح التنظيم النقابى العمالى فى حركته الغالبة قيدا على حرية حركة جماهير العمال ..

والامر الذى يسترعى الانتباه - ونحن نقدم تعريفنا اليوم للعامل - ان القوى التى عملت على ألا يكون هناك تمثيل حقيقى سياسى للطبقة العاملة ، والتى افسدت العمل النقابى ، وسعت للسيطرة عليه ، هى اليوم من بين القوى التى تطالب باستبعاد النص بضرورة تمثيل العمال والفلاحين بما لا يقل عن ٥٠ فى المائة فى كافة المؤسسات الشعبية .

ان هذه القوى فى الحقيقة انما تريد «الديمقراطية» لها ، وتحالف قوى الشعب العامل تنظيما خاصا بها ، والاستمرار فى حرمان القوى صاحبة المصلحة والتى هى : بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان ـ الاستمرار فى حرمانها من أن تاخذ مكانها الطليعى فى العملية الثورية .

اننا ـ عندما نقرر بتعريفنا للعامل بانه **العامل اليدوى** ـ انما نقدم الاساس للتفريق الكيفى بين قوى التحالف وحتى يكون هناك تمايز حقيقى بين هذه القوى ، هذا التمايز هو الذى يفرض قيام التحالف ، لانه لو انعدم التمايز ـ فلا حاجة بنا الى استخدام تعبير « التحالف » وصياغته .

وهكذا فانه ـ باقرار تعريفنا ـ للعامل ، بانه العامل اليدوى ، لن يتصدى ضابط بوليس أو موظفا من موظفى وزارة العمل ، او محاميا أو مهندسا ، أو طبيبا لادعاء التمثيل السياسى للعمال ، وسيؤدى ذلك الى الوجود الديمقراطى للعمال المتميز المستقل داخل التحالف ، وسيؤدى كذلك الى أحداث تغيير جذرى فى المؤسسة النقابية العمالية لصالح الطبقة العاملة ، ولصالح مجمل حركة التطور الوطنية الديمقراطية الهادفة الى الاشتراكية . وسيساعد كذلك فى النهاية على تخليص حركة الطبقة العاملة المصرية من استيعاب الطبقة الوسطى لها وسيطرتها عليها .

● الفلاح : مهنته العمل الزراعى

ولا تتجاوز ملكيته خمسة أفدنة

فتحى عبد الفتاح

من المفارقات الساخرة ، والتى تثير الحزن والالم فى واقع الامر ، ان تجرى مناقشة فى مصر حول : من هو الفلاح ؟ .. فى الوقت الذى يستخدم كثير من الكتاب الاوربيين والاجانب تعبير « فلاح » باعتباره نمطا مجسدا له دلالاته المميزة حتى عن كثير من الفلاحين والمزارعين فى العالم .. ولقد استخدم « **جوته** » الكاتب الالمانى الكبير كلمة « **فلاح** » وكلمة « **موجيك** » ، باعتبار ان الاول فى مصر والثانى فى روسيا القيصرية ، يعبران بحق عن نموذج الطبقات الفقيرة المسحوقة ...

ولكن البعض فى بلادنا ، عن عمد بالتأكيد وليس عن حسن نية ، يعمل لاغراقنا فى قضية محسومة شكلا وموضوعا ... وبات علينا أن نؤكد مرة أخرى بديهيات ، مثلما علينا فيما يبدو أن نؤكد ان الوادى هو انخفاض بين مرتفعين ، وأن الجبل هو نتوء يرتفع عن سطح الارض والبحر .

وفلاحنا المصرى ، والذى ما زال يمثل حتى الان أكثر من ٥٠ ٪ من القوى العاملة فى بلدنا هو ذلك الذى يعمل ويكد على الارض بيديه ، مستخلصا رزقه ورزق أولاده من طين الارض ... واقعا فى نفس الوقت تحت ضغط ظروف مادية واجتماعية وثقافية تقهره وتحد من امكانياته وقدراته ...

هكذا كان الفلاح قبل صدور قوانين الملكية الزراعية فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهكذا كان الفلاح بعد صدور هذه القوانين طوال النصف الاول من القرن العشرين ، وهكذا ظل الفلاح مع بعض الاصلاحات والقوانين التى جاءت بها ثورة ٢٣ يوليو .

وهناك بعض الحقائق التى يجب ان يعرفها من لا يعرفون ، أو من يعرفون ويتجاهلون .

أولا : ان مجموع القوى العاملة فى الزراعة تبلغ حوالى ٥ ملايين ، فى حين ان مجموع ملاك الاراضى الزراعية ، وفقا لاخر الاحصائيات ، لا يزيد عن ٣ر٥ مليون ، اى أن هناك حوالى ١ر٥ مليون عامل زراعى لا يملكون قيراطا واحدا على أقل تقدير .

ثانيا : ان خريطة الملكية توضح انه من بين ٣ر٥ مليون مالك للاراضى الزراعية ، هناك ٣ر٣ مليون يملكون خمسة أفدنة فأقل ، اى ما يوازى ٩٥ر٥ ٪ من مجموع الملاك . واذا دخلنا فى تحليل أعمق للملكية ، فسنجد انه من بين هؤلاء الذين يملكون خمسة افدنة ، هناك ٢ر٨ مليون يملكون فدانا فأقل ، أى ان ٨٠ ٪ من مجموع الملاك ، تتراوح ملكيتهم بين قيراطا وفدانا واحدا .

ثالثا : ان الملكية الغائبة كانت وما زالت احدى سمات الانتاج الزراعى فى مصر ، وخاصة بين فئات الملكية الكبيرة والوسطى .. ومعنى هذا ان هناك الكثير من الذين يوجدون على خريطة الملكية الزراعية ، فى حين انهم لا يعملون ولا يرتبطون بالانتاج الزراعى ، بل يشغلون فى الغالب اما مناصب ادارية ، أو وظيفية ، أو يقومون بأعمال تجارية أو مهنية ، وهذه الملكية الغائبة كانت وما زالت احدى الافات الاساسية فى الزراعة المصرية ، وترجع جذورها الى قوانين الملكية الزراعية ، حينما كانت تعطى الارض أو توهب للمقربين للسلطان أو الخديوى ، سواء كانوا من كبار الموظفين ، أو من الخدم والحاشية ، بالاضافة الى الذين كوفئوا بملكيات كبيرة نتيجة خدمات قدموها الى المحتل الاجنبى حين غزا مصر سنة ١٨٨٢ .

رابعا : انه ، ونتيجة الملكية الغائبة ، وهى فى حد ذاتها ملكية طفيلية ، ارتفعت مساحة الاراضى المؤجرة ، كما ارتفعت قيمة الايجارات .. وبالرغم من ان قوانين الاصلاح الزراعى وتحديد الايجارات قد أدت فى بداية الثورة الى الخفض من المساحة المؤجرة ، الا انها عادت لترتفع من جديد ، ولتحتل اليوم حوالى ٦٠ ٪ من مساحة الارض ، تؤجر بأشكال مختلفة ومتخلفة ، بما فيها الايجار العينى ، والذى يعتبر احدى بقايا العلاقات الاقطاعية فى الانتاج الزراعى .. وتأتى غالبية الاراضى المؤجرة من الملاك الذين يملكون من ٥ — ٥٠ فدانا ، ويمثلون ٤ر٥ ٪ من الملاك ويستحوذون على مساحة من الارض تبلغ حوالى ٤٢ ٪ من الاراضى الزراعية فى مصر .

خامسا : معنى هذا انه فى كل قرية مصرية [مجموع القرى حوالى ٤٤٠٠ قرية] ، هناك ٢٠ ٪ لا يملكون أرضا على الاطلاق ويعملون بالزراعة ، و ٧٩ ٪ يملكون من خمسة أفدنة الى قيراط ، و ١ ٪ يملكون أكثر من خمسة أفدنة .. وهذه النسب ، وان كانت تقريبية ، الا انها مطابقة لواقع واستنتاجات الاحصائيات الرسمية .. بل وهناك أكثر من ٥٠ ٪ من ملاك خمسة افدنة فأكثر لا يعملون بالزراعة ، ولا يتواجدون فى القرى .

سادسا : بالرغم من كل هذه الحقائق ، فلقد كان وما زال هناك من يصر على ان النصف فى المائة هو الذى يمثل الفلاح المصرى ، رغم ان هذا النصف فى المائة ، بحكم ملكيته ووضعيته الاجتماعية ، ينتمى الى كبار الملاك أو متوسطيهم فى أحسن الاحوال .. ولقد وجدنا ان الغالبية العظمى ممن كانوا يتحدثون باسم الفلاحين ، قد جاءوا من هذا النصف فى المائة ، مستغلين بالطبع ظروف الفلاحين وأوضاعهم التى لم تتح لهم حتى الان أن يبرزوا على المسرح كقوة أساسية من قوى التحالف ، وكقوة لها مكانتها الكبيرة ، سواء فى المجال البشرى أو الانتاجى .

وفى النهاية ، لقد تعمدت ان يكون كلامى علميا ، ومن واقع الظروف التى تعيشها قريتنا .

أما هؤلاء الذين لا يعرفون حتى الان من هو الفلاح ، وعلى رأسهم هؤلاء الذين يقولون ان الفلاح هو من يملك من فدان الى خمسين ، ومنهم السيد رئيس لجنة الاستماع بمجلس الشعب .. فنقول لهم ببساطة : أدرسوا واقع بلدكم ان كنتم جادين ، أو كفوا عن العبث والاستخفاف حين تناقشون مستقبل مصرنا .

أما فلاح مصر فهو ليس فى حاجة الى تعريف ، انه الكادح الذى يعمل بيديه ويعطى اكثر بكثير مما يأخذ ، ولا يملك مع التجاوز الشديد أكثر من خمسة أفدنة ، ولا يعرف له مهنة أخرى سوى الزراعة والعمل الزراعى .

اللهم فاشهد ...

الرأسمالى الوطنى :

ضد السيطرة الأجنبية ومع التنمية والخطة

كمال السيد

يمكن تعريف الرأسمالية الوطنية بأنها تضم « ملاك وسائل الانتاج المدافعين عن استقلال السوق القومى وتخليصه من كل سيطرة اجنبية بهدف الانفراد بممارسة نشاطهم الانتاجى فيه » . ولكن التعاريف الموجزة كما يقول لينين « وان كانت ملائمة لانها تلخص الامر الرئيسى ، لا تكفى مع ذلك ما دامت ثمة حاجة لتستخلص منها سمات فى منتهى الاهمية تصف الظاهرة التى ينبغى تعريفها . ولذلك فلا يجب أن ننسى ان جميع التعاريف بوجه عام هى ذات طابع شرطى نسبى وانها لا تستطيع أبدا ان تشمل جميع وجوه علاقات ظاهرة فى حالة تطورها الكامل » .

والتعريف يختلف فى تفاصيله حسب الزمان والمكان ، فالرأسمالية الوسطى فى البلدان المتقدمة غيرها فى البلدان النامية ، فهى تختلف مثلا من حيث حجمها واهدافها . ذلك ان حجم هذا القسم من الرأسمالية أكبر فى البلدان المتقدمة عنه فى النامية ، فضلا عن أن الهدف ...ون [فى البلد المتقدم] يتمثل فى التصدى لسحق الاحتكارات المحلية القومية له ، فى حين ان هدف النوع الثانى [فى البلاد النامية] يكمن فى مواجهة عنفوان الاحتكارات الاجنبية أساسا .

وفى البدء يجب التنبيه الى بعض الحقائق الاساسية المتعلقة بالرأسمالية كطبقة متميزة ، والتى تيسر فهم الموقف العام لهذه الطبقة ككل ، من هذه الحقائق :

■ ان الرأسمالية هى الانتاج السلعى فى مرحلة تطوره العليا التى تغدو فيها قوة العمل بضاعة ويتسع نطاق التبادل .

■ ان مبلغا من القيم لا يتحول الى رأسمال الا حين يستخدم فى خلق مزيد من القيم . اما القيم التى لاتستخدم فىذلك فليست رأسمالا .

■ ان رأس المال نفسه لا يخلق القيم الفائضة . فحيثما يملك قسم من المجتمع احتكار وسائل الانتاج ، فانه لابد للعامل الحر أو غير الحر من أن يضيف الى زمن العمل الضرورى من اجل بقائه الخاص ، زمنا اضافيا لانتاج وسائل المعيشة ـ بل التوسع ـ لمالكى وسائل الانتاج .

ومن ثم فان تعبير الراسمالية فى رأينا **يقتصر على العاملين فى الانتاج** ، وهو لا يشمل كل من حاز مبلغا من القيم وانما يشترط بالاضافة الى ذلك ان **يستخدم فى خلق القيم** ، وخلال ذلك ينشأ **الاستغلال** ، أو نهب جزء من عمل العاملين دون أجر مقابل بما يسد احتياجات اصحاب ملاك الانتاج ويشكل مصدر التراكم والتوسع ، وليس فقط اعادة الانتاج .

واذا كان من الميسور تعريف الرأسمالى على النحو السابق ، فان الامر البالغ الصعوبة هو تحديد معيار الوطنية فى حديثنا عن الرأسمالى الوطنى ، وذلك ناجم عن اعتبارات عملية معقدة على النحو التالى :

■ **الحجم** : يجمع الكتاب الاشتراكيون على ان الرأسمالية « الوطنية » هى الرأسمالية « الوسطى » . لكن ما يعد متوسطا فى هذا البلد ، قد يعد كبيرا أو صغيرا فى بلد آخر . كما ان ما يعد متوسطا فى مرحلة معينة من التطور الاقتصادى لبلد محدد، قد لايعتبر كذلك فى مرحلة أخرى من مراحل تطوره . كما أن ما

يعتبر متوسطا فى فرع اقتصادى معين فى بلد ما ، قد لا يكون كذلك فى فرع اقتصادى آخر فى نفس البلد . ثم ما هو معيار القياس : هل هو حجم رأس المال أو عدد العمال أو قيمة الانتاج أو القيمة المضافة التى يستحوذ عليها . ومن ثم فان تحديد ما هو متوسط لابد وان يخضع لدراسة اقتصادية واجتماعية وسياسية فى ضوء كل مرحلة تاريخية من تاريخ البلد الواحد . كما ان من يعد رأسماليا متوسطا اليوم ، لن يظل كذلك ابد الدهر ، فربما نما وكبر وتحول الى رأسمالية كبيرة ، أو حتى اكتسب أوضاعا احتكارية ، تجد من مصلحتها الارتباط بالمصالح الاجنبية ، ومن ثم لا يكون لصفة الوطنية معنى ؛ كما أنها قد تتدهور الى رأسمالية صغيرة أو يلحق بها الخراب كلية وتنضم لصفوف المعدمين ، وهنا تبقى لها صفة الوطنية لكنها تفقد وضعها الطبقى .

وهذا الموقف « الحرج » فى الزمان والمكان ، والذى ينجم تقلبه من قوانين النمو غير المتكافىء ومن أن رأس المال يولد كل يوم وكل ساعة كما يقولون رأسمالا جديدا ، يجعل القياس وتحديد ما هو متوسط مسألة متغيرة ومتجددة . لكن المعيار العام هو الا تكون كبيرة بدرجة تخضع كافة موارد البلاد لسيطرتها وتتحكم فى السوق الداخلى ، وتتشابك مع راس المال الاجنبى . عموما ان عملية « فرز » ما هو متوسط عما هو كبير او صغير عمليه مستمرة . بالطبع أن الرأسمالية الصغيرة وطنية هى الاخرى . وبعض الكتاب الاشتراكيين يجمع الرأسمالية الصغيرة والمتوسطة فى اطار « الرأسمالية الوطنية » ، لكن الشائع تعريف الرأسمالية الوطنية بأنها الرأسمالية الوسطى ، صاحبة الموقف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى المحدد الملامح والسمات .

■ قبول مقتضيات الاستقلال الاقتصادى : فقد طرأ تحول جذرى على مفهوم الاستقلال ووسائل تحقيقه فى ظل تعاظم الثورة العالمية ، بروافدها الاشتراكية والوطنية وحركة الطبقة العاملة فى البلاد الرأسمالية ، وبعد ان انقضى عصر سيطرة الامبريالية والرأسمالية العالمية .

فمن حيث القيادة لم تعد البورجوازية الوطنية هى قائدة معارك الاستقلال السياسى الاقتصادى ، كما لم يعد فى امكانها اقامة دولتها . على النقيض من ذلك ، تلعب الطلائع الثورية ـ وهى عادة من أصول بورجوازية صغيرة ـ الدور القيادى فى تحقيق استقلال السوق القومى ، وتشارك فى هذا الطبقة العاملة وجموع الفلاحين والرأسمالية الوطنية .

ومن حيث الاهداف لم يعد ممكنا الاقتصار على الاستقلال السياسى وافساح مجال للرأسمالية الوطنية للمشاركة بنصيب مع راس المال الكبير الاجنبى والمحلى بل الاقطاع [كما حدث فى ثورة ١٩١٩ مثلا] . بل أصبح الهدف هو الاستقلال الاقتصادى لضمان الاستقلال السياسى ، وارتبطت الاهداف الاجتماعية بالاهداف الوطنية ، ليس فقط الأهداف الاجتماعية للمالكين وانما ايضا ـ بل فى المحل الاول ـ أهداف المعدمين .

ومع أن كلمة رأسمالية تعنى فى المحل الاول حقيقتين هما :

أولا ملكية خاصة لوسائل الانتاج ، **وثانيا** استغلال فائض القيمة الناتج عن عمل العمال ، الا أن صفة الوطنية بالنسبة للرأسمالية خاصة فى العالم الثالث تقتضى منها الرضاء بأمور لا يسهل عليها التسليم بها من ذلك :

■ قبول فكرة المساس بالملكية الخاصة اذا تطلبت ذلك ضرورات الاستقلال والتنمية : فمثلا تأميم الملكيات الصناعية والماليه الكبيرة الاجنبية والمحلية والاصلاح الزراعى ومصادرة الاراضى بتعويض أو بغير تعويض . وقيام قطاع عام وملكية عامة فى الفروع الاساسية من الاقتصاد : الصناعات الثقيلة والبنوك ، الهيكل الانتاجية التجارة الخارجية . واستبعاد رأس المال الخاص من مجالات حيوية وقصرها على الدولة .

كل ذلك قد يتناقض مع مبدأ الرأسمالية صغيرة أو متوسطة او كبيرة ، ويصدم تطلعاتها فى التوسع والنمو والاستحواذ . لكنه شر لابد منه لاستقلال السوق القومى ، واكتسابها صفة الوطنية وهى ليست صفة أخلاقية بالنسبة لها ، وانما هى اداة اقتصادية للانفراد بسوق معين .

■ قبول فكرة تدخل الدولة وعلى نطاق واسع : فالرأسمالية المتوسطة مملكتها «الحرية الاقتصادية » وعدم تدخل الدولة . لكن الاستقلال بالسوق ، لا يمكن ضمانه بدون تدخل الدولة ، ليس فقط فى تملك بعض وسائل الانتاج ، وانما أيضا فى توجية مجموع الموارد ، واحلال اجراءاتها وخططها محل آليات السوق وقوانينه .

وحيث أن تحقيق الاستقلال الاقتصادى فى دول العالم الثالث ، يتطلب تنمية الموارد المحلية

وتوجيهها لتحقيق الاختيارات التى تكفل الاستقلال الحميفى - باقامه الصناعات والمشروعات الضامنة لذلك واجراء اعادة توزيع الدخول بما يكفل هذا ، وحيث أن التنمية لا تتحقق الا بخطة تحشد بها كل الجهود - بل الاموال - العامة والخاصة ، فان تفهم الرأسمالية الوطنية لضرورة الخطة واستعدادها للاسهام فى تنفيذها شرط اساسى لاكتسابها صفة الوطنية . وهذه الصفة ليست تفضلا منها ، بل ان مصلحتها محققة فيها . فلو انفتح الباب على مصراعيه ، وجاء رأس المال الاجنبى وتعاون مع ركائزه المحلية ، لكانت الرأسمالية الوسطى من أولى ضحاياه ، فلابد له من أن يسحق كل محاولات الحلول محل سلعه أو الاستيلاء على جزء من العمال يمكنه هو أن يستغلهم . وتاريخ رأس المال الاجنبى فى كل بلد حل فيه [قصص تحول سهول الهند الى اللون الابيض من عظام نساجى وحائكى المنسوجات الذين افقروا وماتوا جوعا] ، هذا التاريخ يبين أن الضربة الاولى من رأس المال الاجنبى ، ومن رأس المال المحلى الكبير انما توجه فى البدء للراسمالية المتوسطة .

لكن لهذه الطبقة طابع مزدوج فهى اذ يدفعها بحثها عن مكان لها فى السوق القومى - بل وطموح للانفراد به - تنضم لقوى الاستقلال والتحرر ، فان ارتباط الثورة الاجتماعية بالثورة الوطنية فى العصر الحديث وقيام الطبقات الواقعة الى يسارها - العمال والبرجوازية الصغيرة والفلاحون - بالدور القيادى يدفعها الى جانب القوى المضادة للثورة ، بحيث يغدو خفاظ هذه الطبقة على « استقلالها وتماسكها » مسأله مرهقة ، وتتفتت أجزاء متزايدة منها ، ينضم بعضها الى قوى الثورة وينضم البعض الاخر الى قوى الاعداء .

لكن يجب الالتفات الى عدة حقائق فى هذا الصدد : **أولهما** ان لهذه الطبقة دور تؤديه - وهو دور طويل المدى - سواء فى تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، أو فى انجاز التنمية خاصة فى بلدان العالم الثالث ، والحقيقة الثانية ، هى أن مساعدة هذه الطبقة سواء بافهامها لحقيقة الاوضاع [نتائج السيطرة الاجنبية ، طبيعة التطور فى العالم الثالث] أو باتاحة فرص مجزية لها للعمل والربح فى اطار تحقيق الاختيارات العامة ، ليست شيئا يعنيها هى فحسب ، وانما قضية تهم كل قوى التحالف ، وتستأهل جهدها جميعا .

● رد على مقال محمود أبو وافيه

عن الاشتراكية الماركسية و « الاستيراد » و « الالحاد »

فيليب جلاب

لم يكن السيد محمود أبو وافية موفقا فى المقال الذى نشره بجريدة أخبار اليوم فى ٢٨ سبتمبر الماضى ، من ملاحظاته حول مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى ، حتى لو نزع عن نفسه صفة رئيس لجنة الاستماع بمجلس الشعب وأبدى رأيه «كمواطن» كما قال .. لان المواطن الذى يتصدى للامور العامة مسئول أيضا ، ويجب أن يحرص على احترام الدستور ، ويجب أن يتحلى بالموضوعية واحترام الاصول المرعية فى ادارة الحوار أو الخصومة السياسية .

فاذا لجأ أبو وافية الى تجريم تيار سياسى معروف بتاريخه النضالى الوطنى والاجتماعى بكل حسناته وأخطائه ، كالتيار الماركسى المصرى ، فعليه ان يقدم الدليل قبل أن يصدر الحكم ، واذا

لجأ — ولو بشكل غير مباشر — الى الاسلوب المألوف باتهام خصومه أو من يتصور أنهم خصومه فى بعض الاراء والمواقف السياسية بأنهم ملحدون ، كما فعل وهو يقتبس من كلمة فكرى أباظة فى اغتباط واضح وصفه للشيوعيين « بالالحاد » ، رغم أن الاستاذ أبو وافية دافع عمن يرى الدفاع عنهم داخل لجنة الاستماع عندما هاجمهم خصومهم السياسيون على أساس وقائع ثابتة . ورغم أن المناقشات حول ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى لا تستهدف التفتيش فى قلوب الناس واجراء حصر للمؤمنين و« الملحدين » داخل وخارج التنظيم السياسى ! واذا لجأ الاستاذ أبو وافية الى هذا الاسلوب فعليه أن يعلم أن هذا الاسلوب لا يستهجن سياسيا وفكريا فقط ، بل دينيا أيضا .

فمن الذى يملك حق تكفير الاخرين ؟

قال أحدهم للرسول ان فلانا هذا ليس مسلما لانه لا يصنع صنيع المسلمين ولا يفعل أفعالهم ، فغضب الرسول من محدثه وعنفه وهو يسأله فى استنكار :

« هلا شققت عن قلبه » ؟!

ولعله فى هذا الشأن نزلت الآية الكريمة :

« **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة** » .

ولقد اراد الاستاذ « أبو وافية » أن يوحى للقارىء انه يقول الان رأيه بصراحة بعد ان اضطر الى الحياد أثناء رئاسته للجنة الاستماع بمجلس الشعب .. وحتى ذلك لم يكن صحيحا .. لقد كان أبعد الناس عن الحياد فى ادارة الجلسات وذلك كما يبدو على الاقل مما نشرته الصحف . ان الطريقة التى يقاطع بها المتحدثين ، ونوع الاسئلة التى يوجهها لهم تكشف عن عدم حياده ، الذى بلغ ذروته كما نشرت الصحف ، عندما طلب عضو مجلس الشعب **أحمد طه** أن يتكلم فرأى **أبو وافية** أن يقدمه بهذا السؤال الى المستمعين : ان أحمد طه من الماركسيين .. هل تريدون أن تسمعوه » ؟!

ومع ذلك ، فمن حق أبو وافية ان يكشف عن

نعيد نشر نص مقال الاستاذ محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب ورئيس لجنة الشكاوى والاقتراحات ، الذى ظهر بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ تحت عنوان :

اتجاهات ظهرت فى جلسات الاستماع

كان لى شرف رياسة لجنة الاستماع بمجلس الشعب التى عقدت ثمانى جلسات ، كانت بالنسبة لى ولزملائى النافذة العريضة التى من خلالها أطللنا على مصر كلها ، مفكرين وصحفيين ومهتمين وعمالا وفلاحين وجامعيين وشبابا وسيدات .

وكانت المحصلة النهائية لهذه الجلسات عديدا من الاراء ، منها ما يشبه الاجماع ومنها ما ينبعث من نوايا وطنية مصرية خالصة ومنها ما ينبعث من نوايا غامضة ذات اتجاه ماركسى ، ومع ذلك فقد استمعت اليها جميعا ، ومن حقى كمواطن أن أقول رأيى الان فقط .

أما الاراء التى قاربت الاجماع فهى آراء العمال والفلاحين الذين طالبوا بالابقاء على صيغة التحالف والمكاسب الاشتراكية لمصر والاحتفاظ بنسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين والحفاظ على مبادىء ثورة ٢٣ يوليو التى فجرها وقاد مسيرتها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، ولما كانت الناصرية هى مبادىء ثورة ٢٣ يوليو فان أنور السادات هو أول الناصريين لان عبد الناصر هو الذى استخلفه من بعده .

ولقد تحدث فى هذا الاتجاه عدد كبير من العمال والفلاحين أذكر منهم على سبيل المثال محمد بدر من النقابة العامة للعاملين فى الاخشاب ، فقال انه كان على رأس العمال فى فترة ما محمد فريد ثم عبد الرحمن فهمى ، ثم نكبوا بعباس حليم وهذا يفيد أن الكل يحاول أن يكسب اصحاب الصوت القوى .

ثم تحدث بعده جابر السباعى من النقابة العامة للنقل البحرى والجوى وهيئة قناة السويس فطالب بأن يكون للعمال والفلاحين ٧٥ فى المائة فى المجالس المنتخبة ، كما ندد بالذين ينادون بالحزبية لانهم يريدون القضاء على ثورة ٢٣ يوليو ، ولذلك نرفض الاحزاب .

ثم تحدث محمد محمود مختار العامل بمصنع ٦٣ حربى فقال ان من أهم سلبيات التنظيم السياسى أنه لم يقم بدوره فى مراقبة القطاع العام . وقال أن العمال هم الذين كانوا يعملون فى المظلات الرسمية من أجل مصر دون مقابل وقال اننا نحن العمال مطالبون بالثقافة الفكرية والقضاء على الامية الابجدية .

وفى نفس الاتجاه تحدث الفلاحون فقال السيد جاد الله خضر أنه يؤكد على حتمية التحالف ، وقال أن الاحزاب تفتيت لقوى الشعب وطالب بالابقاء على تعريف العامل والفلاح ..

وتحدث عبد الغنى أحمد حسين الفلاح من السويس . وقال أنه يرى أن يكون الفلاح من يحوز من فدان الى خمسة وعشرين فدانا !!

وقد سألت الحاضرين هل توافقون على أن يكون الفلاح هو من يمتلك خمسة أفدنة فاقل فقالوا لا ، قلت لهم هل توافقون على أن يكون الفلاح هو من يمتلك احد عشر فدانا فقالوا أيضا .. لا .

من هذه الامثلة المختصرة التى سقتها من واقع الكلمات يتضح أن الاجماع بين العمال والفلاحين على رفض الاحزاب

وجهات نظره ، ويعتنق ما يشاء من الاراء ، لكن ليس من حقه على الاطلاق ، وفقا للتقاليد المرعية ولنصوص الدستور ، ان يقسم الناس الى قسمين كماجاء فى مقاله : القسم الاول تنبعث اراؤهم من « نوايا وطنية مصرية خالصة » .. **والقسم الثانى من « نوايا غامضة ذات اتجاه ماركسى » ؟**

ثم يقول فى نفس المقال : « هذان مثالان لمن اعتبرهم طالبوا بالاحزاب من منطلق مصرى وطنى قومى ، ولكن هناك مجموعات أخرى طالبت بالاحزاب من منطلق ماركسى » .. ثم يكرر وهو يختتم مقاله : « ان عددا من المفكرين والاساتذة طالبوا بالاحزاب ، وكنت أحس بنبض قلوبهم مع الفلاحين والعمال .. وان عددا محدودا طالبوا بتعدد الاحزاب ولم يشعر احد فى القاعة بنبض قلوبهم مع العمال والفلاحين .. ولكنهم شعروا ان نبض قلوبهم يعمل لاسلكيا .. خارج الحدود »

●●●

لقد بدأ محمود أبو وافية بأن أعطى لنفسه القدرة على ادراك « النوايا » ، ثم محاسبة الناس على نواياهم داخل صدورهم ... وسبحان الله الذى خلق الانسان « **ونعلم ما توسوس به نفسه ...** » .

... ثم هو لديه القدرة على التمييز بين اثنين يقولان نفس الكلام ويقصدان نفس المعنى مع الاحزاب أو ضد الاحزاب ... لكن أحدهم ينبض قلبه مع العمال والفلاحين [خاصة اذا كان من كبار الملاك] ، أما الآخر فقلبه ينبض لاسلكيا خارج الحدود ... !

والمسألة لدى السيد أبو وافية لا تخضع لأى مقياس معروف ، فبعض الذين طالبوا بقيام الاحزاب « كأستاذنا الكبير فكرى اباظة » ، كما يقول من ذوى النوايا الطيبة ... لماذا ؟ .. لأنه قال : « ان الشيوعية أساسها الالحاد ، فكيف يكون بيننا شيوعيون ونحن نصلى ونصوم » ؟ .

وبعض الذين هاجموا فكرة تحالف قوى الشعب العاملة ، كالدكتور عز الدين فودة ، على أساس أنها مستوردة من يوغوسلافيا وغيرها ، كما يقول من ذوى النوايا الطيبة أيضا ، كما ذكر أبو وافية ... رغم ان الغالبية العظمى من أبناء الشعب ، كما يقول أيضا « يطالبون بالابقاء على صيغة التحالف » .. [المستوردة] !!

والتمسك بالتحالف ومكاسبهم الاشتراكية . وان الخلاف كان على تعريف العامل وتعريف الفلاح . وأما الاراء التى انبثقت عن نوايا طيبة أو غير طيبة فكانت تدور حول الاحزاب .

وساضرب مثلين من الذين تحدثوا عن الاحزاب بنوايا طيبة ، ثم اتحدث دون ذكر أسماء عن الذين طالبوا بالاحزاب لشىء فى نفس يعقوب .

أما الفئة الاولى فمنها مثلا أستاذنا الكبير فكرى اباظة حيث طالب بالحفاظ على نسبة ال ٥٠ فى المائة وسجل ملاحظة حول من تحايلوا بصفة العامل والفلاح للترشيح للمجالس المنتخبة .

وليس ما ندعو اليه هو عودة الاحزاب ولكن قيامها ، وقال ان الشيوعية أساسها الالحاد فكيف يكون بيننا شيوعيون ونحن نصلى ونصوم ؟

وممن تحدثوا فى هذا الاتجاه من أصحاب النوايا الطيبة الدكتور عز الدين فوده أستاذ المنظمات الدولية بجامعة القاهرة فقال ان لديه بعض التساؤلات :

١ — هل تقر الحرية السياسية بالوحدة الوطنية ؟ هل يسر اسرائيل ونحن نواجهها حضاريا وعسكريا أن نتمتع بالحرية ونواجهها بالاراء الحرة ؟ ان اسرائيل لن تكون سعيدة اذا بقيت الحرية فى مصر .

٢ — هل يحرم الدستور الحالى تكوين احزاب ؟ واجاب على ذلك بالنفى .

٣ — قال ان صيغة تحالف قوى الشعب مستوردة من يوغوسلافيا وغيرها ، وقال ان العامل هو الذى يعمل من أجل تحقيق مصالح العمال ، وكذلك الفلاح دون النظر الى الطبقة التى ينتمى اليها .

هذان مثالان لمن اعتبرهم طالبوا بالاحزاب من منطلق مصرى وطنى قومى . ولكن هناك مجموعات اخرى طالبت بالاحزاب من منطلق ماركسى .

اقترح أحدهم اما ايجاد منابر مختلفة داخل التحالف أو قيام عدة أحزاب داخل اطار الاتحاد الاشتراكى » وقال الخمس امامنا احد أمرين اما تعديل النظام الموجود او نأخذ بتعدد الاحزاب »

والخلاصة : ان الغالبية العظمى من أبناء الشعب يطالبون بالابقاء على صيغة التحالف مع كفالة حرية الرأى داخل التحالف ويطالبون بعدم المساس بالمكاسب الاشتراكية للشعب ولا بحقوق العمال والفلاحين فى ال ٥٠ فى المائة »

وان عددا من المفكرين والاساتذة طالبوا بالاحزاب — بقيامها وليس بعودتها — وكنت أحس بنبض قلوبهم مع الفلاحين والعمال .

وان عددا محدودا طالبوا بتعدد الاحزاب ولم يشعر احد فى القاعة بنبض قلوبهم مع العمال والفلاحين ، ولكنهم شعروا أن نبض قلوبهم يعمل لاسلكيا ... !! خارج الحدود .. وفى الختام فالرأى للامة كلها فى تقرير مصيرها »

لكن الذين قالوا مثلهم بالضبط من اليساريين «إما بايجاد منابر مختلفة داخل التحالف أو قيام عدة أحزاب داخل الاطار الاشتراكي .. أو تعديل النظام الموجود .. أو نأخذ بتعدد الاحزاب » ، فهم من ذوى النوايا غير الطيبة ، لانهم ماركسيون !!

كيف يمكن مناقشة مثل هــذا المنهج فى حوار سياسي يراد ان يكون مثمرا ؟ .. لقد اختلطت الامور على السيد أبو وافية ، فهو مع استيراد الافكار والمبادئ السياسية وضدها ، وهو مع الاحزاب وضدها ، وهو مع التحالف وضده .. الامر الوحيد الحاسم الذى يتخذ فيه موقفا واضحا متفجرا بالتعصب والكراهيــة ، هو الماركسية والماركسيون .. ومن هنا وقع فى أخطاء فادحة، ومنزلقات خطيرة ، لا تليق بمسئول او بمواطن .

انه يضع الماركسية المصرية أو الماركسيين المصريين فى مقابل الوطنية المصرية الخالصة .. أى أن الماركسيين فى نظره ليسوا وطنيين وليسوا مصريين .. وهــو يقــول ، دون موازنة ، أن الماركسيين يتلقون الوحى من الخارج .. حسنا !

.. قبل أن نناقش مسألة الوحى والاستيراد من الخارج ، علينــا ان نؤكد للسيد أبو وافية ، من واقع حديثه ومقاله ، انه ليس ضد الاستيراد من الخارج للافكار والمبادئ .. المهم لديه هو شخص المستورد ونوع الدولة او الجهة المصدرة .. بدليل أن ذوى النوايا المصرية الوطنية الخالصـــة ، وهم كل الذين تحـدثوا فى رأيه من غير الماركسيين ، ضموا فعلا وطنيين مخلصين واشتراكيين مخلصين .. لكنهم ، من واقع ما نشر من محـــاضر لجنــة الاستماع ، ضموا أيضا كبار مســتوردى الافكار والمبادئ الرجعية والراسمالية ، بل والاستعمارية .. ان من بينهم من كاد يطالب بعودة عهد الملك فاروق ونظـــام ما قبل الثـــورة ، ومن بينهم من طالبـــوا باستيراد « الاشتراكية » السويدية و «الاشتراكية» البريطانية ... التى يسميها أصـــحابها انفســـهم بالرأسمالية ... !

هؤلاء على العين والراس ، لان الاستيراد من الغرب الاستعمارى .. فالاستاذ ابو وافية يفترض أن الماركسية تستورد من الشرق ، وهـــذه هى المشكلة ؟

ما راى الاستاذ ابو وافية اذا تأكد ان الماركسية تستورد أيضا من الغرب ؟ .. هل يغير موقفه اذا عرف « جهة المنبع » كما يقول خبراء الجمارك ؟

لقد كان « **كارل ماركس** » و « **فريدريك انجلز** » مؤسسا الماركسية المانيين ، ولم تكن المــانيا فى ذلك الوقت « لحسن الحظ » تضم نظاما « شرقيا » أو « اشتراكيا » فى جزء منها ... كانت كلها فى «الايام الجميلة الماضية » « غربية » أو رأسمالية !

ان « **سولجنتسين** » الكاتب السوفيتي المعادى للماركسية ولبلاده ، يوجه نفس الاتهام لقيـــادته السياسية بسبب الماركســـية « التى هى ليست روسية ، بل هابطـــة علينــــا من الغرب » ، لكن سولجنتســـين ، بـــكل أوزاره ، أكثر منطقية فى تعصبه من غيره .. اذ انه يرفض أيضا ما يسمى بالديموقراطية الغربية ، حتى انه يدين التصـــنيع والحيـــاة المتحضرة ، او كمـــا يقول : « ان النمو الاقتصادى ليس عديم الفـــائدة فحسب ، بل انه مدمر أيضا » !!

انت مع الاستيراد اذن ، لكن بشرط ان تكون السلعة رأسمالية غير اشتراكية ، والا فهل كان النظام الاقطاعى اختراعا مصريا او عربيا ؟ .. وهل كانت الرأسمالية « منبثقة من واقعنــا » ، ولا تتناقض مع قيمنا الاخلاقية والدينية ؟!

• • •

ومع ذلك فالماركسيون المصريون وغير المصريين، يرفضون الافكار الفجة عن اســـتيراد المبـــادئ والافـــكار والثـــورات لا لســـبب الا لان الواقع والتجربة والماركسية نفسها تؤكد ان اســـتيراد الافكار لا يفيد .

ان هناك فرقا بين تفتح العقول لكل الافكار ، واعتناق مبادئ عامة ابتكرتها العقول الانسانية الممتازة لتوائمها مع الظروف المحلية الواقعية التى تتفق مع تقاليدنا وقيمنا وخصائصنا الذاتية ، وبين التقليد الاعمى لنظام هنـــا أو هناك .. والا فأى استيراد هذا ، عندما نقول ان هناك طبقات فى المجتمع [وبالمناسبة ليست قضية صراع الطبقات اكتشافا ماركســـيا] .. وان كل طبقة تكافح من أجل مصـالحها ، وان مصـــالح الطبقات العاملة ، وهى اغلبية اى مجتمع عدديا وانتاجيا ، يجب الا تبتلعها المصالح الانانية لكبار ملاك الارض وكبار أصحاب الثروات من الراسماليين ؟

ولعل ذلك كان ، ولا يزال ، احد أهـــداف ثورة ٢٣ يوليو .. والماركسية تقول بأن الصراع الطبقى على المدى الطويل سينتهى بأن يســود العــدل النهـــائى فى كل المجتمع .. ولا يبقى مكان لغير المنتجين بأيديهم وعقولهم .. أى القضـــاء على الاستغلال نهائيا ، وعلى المدى الطويل .. ولعلك تذكر ان « الميثـــاق » ، وهو يتحدث عن هدفنـــا النهائى ، وهو الاشتراكية العلمية ، يصـــل الى نفس الاستنتاج ، ويحدد الخلاف بين اشتراكيتنا العلمية وبين الماركسية فى مســـألتي الموقف من الدين ، ومن ديكتاتورية البروليتاريا .. لكن من قال ان الماركسيين جميعا يتفقون فى هذين الامرين

مع احترامنا « لاستاذنا الكبير » فكرى أباظة الذى يرى ان « الشيوعية أساسها الالحاد » ، بينما هو « يصلى ويصوم » ...

.. ان أحدا منا ، سواء كان مسلما أو مسيحيا ، لا يتمحك فى الدين .. فهذه من الامور الخاصة بين الانسان وربه .. وانت على كل الاحوال لست مسئولا عن منح شهادات بالوطنية أو بالايمان ، ولا احد يفكر فى ان يطلب هذه الشهادات منك أو من غيرك ، لكن أسلوبك فى ادارة الحوار فرض علينا — آسفين — اللجوء الى هذا الاسلوب فى الرد .

.. ان الماركسيين — أيها السيد رئيس لجنة الاستماع — لايوصفون بأنهم مؤمنون أو ملحدون كما ان الراسماليين والاقطاعيين لا يوصفون بأنهم مؤمنون او ملحدون .. فمن اولئك وهؤلاء من يؤمن بالله واليوم الاخر ، ومنهم من لا يؤمن .. بل أزعم أن المشكلة من الدين هى مشكلة أوربية وليست شرقية ، لاسباب تاريخية وسياسية معروفة .. وازعم ان كثيرا من الماركسيين المصريين ليسوا ملحدين ، وازعم أيضا أن هناك من مثقفى الراسمالية المصرية من لا يؤمنون بالله .. ان التيار الالحادى ليس اختراعا ماركسيا ، لكنه فكرة أو تيار نشأ مع البورجوازية الاوربية .. المسألة التى تهمك اذن هى ان يكون الانسان راسماليا ، ولا يهم بعد ذلك ان كان مؤمنا أو ملحدا ، بدليل انك لم تحاول ان تبحث عن « نوايا » الملحدين من غير الماركسيين ، ثم دمغت جميع الماركسيين دون استثناء بالالحاد ، دون بحث أو تحر ، أن كان من حقك ان تشق قلوب الناس لتتعرف نواياهم !

ان من بين اعظم الماركسيين فى العالم قسسا مؤمنين وشيوخا مسلمين اجلاء .. استمع الى رأى كبير أساقفة كانتربرى السابق « **دكتور هيوليت جونسون** » ، وهو يقول : « لو كان المسيح على الارض لكان الاشتراكى الاول » .. ثم وهو يقارن بين النظامين الاشتراكى والراسمالى فى علاقتهما بالمضمون الحقيقى للاديان .. يقول : « ان روسيا السوفيتية تطبق الدين ستة أيام فى الاسبوع دون ان تدعى ذلك ، أما بريطانيا الراسمالية فتعصى الله ستة أيام فى الاسبوع ثم تعبده صباح الاحد ، لتعصاه حتى نهاية الاسبوع القادم » ، والمغزى واضح طبعا !

• • •

انه من غير المقبول على الاطلاق ان يوجه السيد رئيس لجنة الاستماع [بوصفه مواطنا] اتهاما بالخيانة والعمالة والالحاد لتيار مصرى وطنى لا يختلف حول اخلاصه لمصر وطنيان ، أيا كانت نتائج اجتهاداته من حيث الخطأ والصواب .

ثم كيف يكون موقفك اذا اثبتنا لك ان من بين اهم المبادىء السياسية التى اكتشفها ودعا اليها كارل ماركس وفردريك انجلز مثلا ، مبادىء اكتشفها ودعا اليها لفيف من مفكرى وقادة هذه الامة قبل ان يولد ماركس وانجلز ، وقبل ان يخطر ببال احد ان روسيا ستعتنق الاشتراكية ؟ ..

خذ مثلا ما كتبه العلامة **ابن خلدون** فى مقدمته الشهيرة منذ أكثر من ستة قرون : الاخبار ، أخبار الناس لا الملوك .. [الفكرة الماركسية بعد ذلك تقول ان التاريخ هو جهد الناس للوصول الى أهدافهم وليس تاريخ الحكام] .

ويقول **ابن خلدون** : ان الانسان ابن بيئته ، وان البيئة المادية هى صاحبة الامر والنهى فى تشكيل أخلاق الناس ، وان حياة الناس تتأثر بالصنائع وعلاقات العمل .. ثم والاهم من هذا كله يقول : ان العمل هو قيمة كل سلعة .. أى العمل وليس استغلال جهد الاخرين للحصول على مكاسب طائلة .

ثم يستشهد بقول الرسول فى فصل فى المقدمة « فى حقيقة الرزق والكسب وشرحهما » : « **انما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت** » .

ثم يستنبط من هذا كله نفس موقف الماركسية من الاعمال التجارية الاستغلالية ، اذ يقول عن التجارة : « أما التجارة وان كانت طبيعية فى الكسب ، فالاكثر من طرقها ومذاهبها انما هى تحيلات [أى حيل] فى الحصول على ما بين القيمتين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ... »

أغلب الظن ان عبد الرحمن ابن خلدون لم يكن ليحظى بمرتبة « **ذوى النوايا الوطنية الخالصة** » ، لو قاده حظه للوقوف والحديث أمام لجنة الاستماع !!

• • •

وقبل ابن خلدون ، واهم منه فى التراث الاسلامى ، ما هو ثابت فى الاحاديث الصحيحة للرسول : « الناس شركاء فى ثلاثة .. **الماء والكلأ والنار** » .

ثم الفيصل الحقيقى [فى حديث آخر] بين المؤمن والكافر ، أو بين مدعى الايمان وبين المؤمن

الحقيقى : « لا يؤمن احدكم اذا بات شبعان وجاره طاو » . وهل هو ماركسى الذى قال : « عجبت لمن بات لا يجد قوت يومه ، واصبح لا يجد قوته ، ثم لا يخرج على الناس بسيفه » ؟ .

أيهما اقرب الى المبادىء الاساسية للاديان الاشتراكية الماركسية ، او الرأسمالية الغربية؟!

ومرة أخرى ، لسنا من المتفقهين فى شئون الدين الاسلامى او المسيحى ، ولسنا من انصار الزج بالامور الدينية فى الخلافات السياسية ، لكن الذين يأخذون أمور السياسة والدين بمثل هذا الاستخفاف ، ويعتقدون انهم قد القموا خصومهم حجرا ، لا يعرفون — للاسف — القدر الكافى من أمور السياسة ومن أمور الدين قبل التصدى للشئون العامة .

والذين يأخذون عن الدين وعن الاشتراكية الماركسية القشور السطحية ، يعتقدون ان الاشتراكية الماركسية تتعارض مع الدين ، لان الاشتراكية تطالب بالغاء الملكية الفردية . وهناك اكثر من مغالطة فى هذا الشأن .. فالاشتراكية من جانب لا تطالب بالغاء الملكية الفردية او الخاصة على اطلاقها .. انها تلغى الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، أو الملكية التى يستغل احد عن طريقها عرق وجهد شخص آخر .. أما فيما عدا ذلك فحق الملكية الفردية والتوريث ايضا مكفول تماما فى النظم الاشتراكية الماركسية .

ومن ناحية اخرى ، فان اركان الاسلام خمسة ليس من بينها النص على الملكية الفردية أو العامة .. ومثل هذه الامور وغيرها من شئون تنظيم المجتمع وفقا لظروفه الخاصة ، يجتهد فيها المسلمون وغير المسلمين [أنتم أعلم بشئون دنياكم] .

ولناخذ نموذجا للاجتهاد بين المسلمين حول هذه الامور من مثال الصحابى **أبى ذر الغفارى** ، الذى قال عنه الرسول : « ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر » .

كان أبو ذر يعنف معاوية ويقول له : « يا معاوية ... لقد أغنيت الغنى وأفقرت الفقير ! »

ويقول الاستاذ محمد عمارة فى كتابه : « مسلمون ثوار » : « ومضى أبو ذر يحدث الاغنياء من الناس عن ان جمعهم للمال وحجبه عن مصارفه ، انما هو كنز واحتكار ... واستمر فى دعايته واثارته هذه للفقراء ضد الاغنياء حتى تبلورت حركة جماهيرية عمادها الفقراء ، ثم استمر الامر فى التصاعد حتى أخذ هؤلاء الفقراء بزعامة أبى بكر ، ينفذون افكارهم وآراءهم بأيديهم .. ويذكر ابن الاثير ذلك بقوله : « ما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الاغنياء ، وشكا الاغنياء ما يلقون منهم » .

ثم يروى عن « مروج الذهب » حادثا آخر لابى ذر : « تصادف فى لقاء أبى ذر .. مع عثمان ان أحضرت الى عثمان أكياس النقود التى اخذت من تركة عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وكانت عظيمة ، بلغت من الكثرة حدا جعلها تحجب الرؤية بين عثمان وجلسائه .. ودار الحديث من حول هذه الثروة التى جمعها ابن عوف ومدى تطابق سلوكه هذا مع السلوك النموذجى لصحابة رسول الله ، .. وانحاز عثمان ومعه كعب الاحبار الى صف الدفاع عن عبد الرحمن بن عوف لانه كان يؤدى فريضة الزكاة « ومن أدى الفريضة فقد قضى ما عليه » .. واعترض أبو ذر على موقفهم هذا ، وعندما أمن كعب الاحبار على قول عثمان : ان الله قد أعطى لابن عوف خير الدنيا والاخرة ، فقال : « صدقت يا أمير المؤمنين » ، غضب ابو ذر وتحامل على آلامه ، ورفع عصاه فضرب بها رأس « كعب الاحبار » وقال له : « يا ابن اليهودى ! .. تقول لرجل مات وترك هذا المال : ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الاخرة ؟! .. وتتطع على الله بذلك ؟! .. وأنا سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ما يسرنى أن أموت وأدع ما يزن قيراطا » ؟!

... ان كل ما يدعو اليه الماركسيون المصريون فى كتاباتهم عن حقوق العمال والفلاحين ، وصراع الطبقات ، لا يصل الى مستوى الموقف النظرى والعملى الذى بلغه الصحابى أبى ذر الغفارى .

وبالمناسبة أيضا ، فقد لجأ أعداء أبى ذر من الاغنياء الى تجريحه ونسبوا موقف أبى ذر « الى مخطط يهودى كان ينفذه عبد الله بن سبأ » .. كأن شيئا لم يتغير فى أساليب أعداء الاشتراكية والعدالة الاجتماعية منذ معاوية ؟»

• • •

ثم استمع الى **جمال الدين الافغانى** وهو يحلل موقف أبى ذر الغفارى : « فى زمن قصير من خلافة عثمان ، تغيرت الحالة الروحية فى الامة تغيرا محسوسا .. واشد ما كان منها ظهورا فى سيرة وسير العمال [الولاة] والامراء وذوى القربى من الخليفة وأرباب الثروة ، بصورة صار يمكن معها الحس بوجود طبقة تدعى أمراء وطبقة أشراف ، وأخرى أهل ثروة وثراء وبذخ .. وكان اول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة الاسلامية ، الصحابى الجليل أبو ذر

الغفـــارى » [ص ٩٣ من الاعمـــال الـكاملة لجمال الدين الافغانى : محمد عمارة] .

أما رأى جمال الدين الافغانى فى الاشتراكية فلا يختلف كثيرا عن أشد الاشتراكيين الماركسيين تطرفا : « وهكذا دعوى الاشتراكية ... وان قل نصراؤها اليوم ، فلابد أن تسود فى العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان انه وأخاه من طين واحـــد او نسمة واحـــدة ، وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسعى للمجموع ».

ويقول أيضا عن الاغنياء : « ما أقعد الهمم عن النهوض الا أولئك المترفون يحرصون على طيب فى المطعم ولين فى المضجع وتطاول فى البنيان وتفاخر بالخـدم والخول ... أولئـك صاروا فى أعناق المسلمين سلاسل وأغلالا » .

وقال يوما للشاه الايرانى ناصر الـــدين « الفلاح والعامل والصانع فى المملكة يا حضرة الشاه أنفع من عظمتك ومن أمرائك » .

• • •

واذا عرجنا على كتابات مفكر عربى اسلامى آخر عملاق هو **عبد الرحمن الكواكبى** [١٨٥٤ — ١٩٠٢] أدهشنا اقترابه شبه الـكامل من المبادىء الاشـــتراكيـــة رغم انه لم يـكن عميـلا لاحد وكان من خيرة المؤمنين . يقول الكواكبى : « ان اهل الصنائع النفيسة والكمالية والتجـار الشرهين والمحتكرين وأمثال هـذه الطبقـة ، ويقدرون كذلك بواحد فى المائة يعيش أحدهم بمثل ما يعيش به العشرات أو المئات أو الالوف من الصناع أو الزراع وهذه القسمة جاء بهـا الاستبداد السياسى » .

ويقول : « الاشتراك [يعنى الاشـــتراكية] هو أعظم سر الكائنات ، به قيام كل شىء ما عدا الله وحده ، ... نعم الاشتراك هو السر كل السر فى نجاح الامم المتمدنة » .

ثم تأمل رأيه فى تصنيف الطبقات فى المجتمع : « الانسان الراقى قد يترفع عن الامارة لما فيها من معنى الكبر ، وعن التجارة لما فيها من التمويه والتبذل ، فيرى الشرف كل الشرف فى القلم ثم فى المحراث ثم فى المطرقة » .

لقد كان الكواكبى ، من وجهة النظر الطبقية ، أكثر تطرفا من الماركسيين فى بعض الامور ، فالنظم الاشـــتراكية تسـمح حتى الان بأنواع مختلفة من ملكية الارض . أما الكواكبى فيرفض « التضييق على حاجات الغير كاحتكار الضروريات أو مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء أو التغلب على المباحات مثل امتلاك الاراضى التى جعلها خالقها مسرحا لكافة مخلوقاته ... » .

ثم يصل الى تحديد ادق اذ يقول : « تركت الاسلامية معظم الاراضى الزراعية ملـكا لعامة الامة يستنبتها ويتمتع بخيراتها العاملون فيهـا فقط » .

ولسـنا نريد أن نثقـل على السيد محمود أبووافية بنماذج أخرى كثيرة من تراثنا الحضارى فـكل ما يعنينـا الان أن يعرف أن الاشتراكية الماركسية ليست بدعة أوروبية ، وان الحضارة العربية والاســلامية أنجبت مفكرين عبـاقرة توصـلوا الى الـكثير مما توصل اليـه مفكرو الاشتراكية العلمية الاوربيون . وان الافـكار الانسانية الاساسية فى مختلف العلوم والفنون ليست حكرا لاحد ، وأن تفاعل الافكار والاراء بين الامم جميعها ليس فيـه شبهة اسـتيراد وتصدير ، وأن الاوربيين ، أول من كشفوا عن الافكار النيرة لمفكرين مسلمين ، وأول من اعترفوا بفضل العرب على الحضارة الاوربية ، وليس فى هذا عيب لدى العلماء والمتحضرين . وان اليمين المصرى المعاصر او أعلى ممثليه صـوتا لا يستورد من « ملهميه » الاوربيين أفضل ما لديهم من تقاليد وسعة اطلاع . واحترام لاداب الحوار والصراع السياسى .

•••

انه من المؤسف أن نختلف مع السيد أبووافية مثلا حول أفضل الاساليب للتحـرير والتعمير والتنمية ورفع مستوى الغالبية العظمى لشعبنا ، وبدلا من أن يجتهد لدحض فكرة بأخرى يلجـأ الى الاتهام « بالعمالة » و « الالحاد » ، ثم يتولى توزيع شهادات « الوطنية » و « الايمان » بنفس البساطة التى توزع بها « شهادات الاستثمار » على الناجحين من أوائل الطلبة !

ليت السيد أبو وافية ، يعيد قراءة وثائقنـا الاساسية ابتداء من الميثاق وبرنامج ٣٠ مارس وانتهاء ببرنامج العمل الوطنى وورقة اكتوبر وورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى للرئيس السادات . ليته قرأ أيضا بتمعن خطب الرئيس السادات التى يتحدث فيها كثيرا عن قضايا التنمية والقطاع العام لصالح الاغلبية الكبرى من الفقراء . ليته سمع ماقاله السادات أيضا عن أولئك الـذين يعيشون بأجسامهم بيننـا وبعقولهم وقلوبهم فى المجتمعات الاوربية والرأسمالية ، ولا يعرفون شيئا عن تاريخ وواقع شعبنا !

الثورة الفلسطينية

ماذا غيرت في العالم تجاه القضية ؟

في ١٩٦٥ ، طرحت فلسطين نفسها من خلال فوهات البنادق فوق اكتاف المناضلين من ابنائها، على « عالم التقدم والثورة » . وطوال سنوات عشر ، حققت « فلسطين الكفاح المسلح » نجاحات متعاقبة فرضت نفسها على « العالم الرسمي » .

واذا كانت النتيجة الايجابية الهامة لتصويت الجمعية العامة للامم المتحدة بالموافقة على حضور وفد فلسطيني للمشاركة في مناقشة القضية .. نقول اذا كانت هذه النتيجة تعكس « اقتدار » الثورة الفلسطينية على الادارة التاكتيكية لمعاركها السياسية ، فانها تؤكد من جديد حقيقتين بارزتين :

● ان « الفصل » بين العمل السياسي وبين العمل العسكري في مجال تحرير الارض ، « فصل » مفتعل لا يمكن ان يفضي الى شيء في أي من المجالين . بل تؤكد ان لا نجاح سياسي بدون التحرك من « مركز قوة » له جذوره الراسخة في ميدان مقاتلة العدو . فالعالم لا يصغي باذنه السياسية الا بعد ان يسمع باذنه الاخرى طلقات الرصاص وقد استقرت في صدر العدو .

● ان العمل السياسي المؤثر — المستند الى « مركز قوة » — لا يكفي وحده لتحقيق النجاح المطلوب ، دون أن يحدد بوضوح جبهة حلفائه واصدقائه . وينسق حركته مع حركتهم بروح التحالف والصداقة . وان يحدد بوضوح — في نفس الوقت — جبهة اعدائه وخصومه ويكيف حركته في مواجهة حركتهم .

على أن نجاح التحرك على هذه الجبهات جميعا ، الذي مارسته فلسطين الثورة ، كانت له ضوابطه التي لا غنى لها : الالتزام بأسس مبدئية .

ان اعتراف « العالم الرسمي » بفلسطين الثورة ، يفتح امام حركة التحرر الوطني الفلسطينية — كجزء من حركة التحرر العربية — آفاقا جديدة ودروبا جديدة لابد وان تدرس حساباتها .

كيف اذن ترى اطراف « العالم المختلفة » فلسطين .. اليوم ؟

ذلك — في رأى الطليعة — المدخل الطبيعي لاجراء حسابات المستقبل لاهداف فلسطين الثورة على ضوء عناصر متعددة ومنها رؤية العالم لفلسطين اليوم ..

وتعرض الطليعة دراستها في هذا العدد ، في مقالاتها — بالتحليل — لرؤية مختلف جبهات الاعداء والاصدقاء .. للقضية الفلسطينية في الوقت الراهن .

وشأن كل القضايا الكبيرة ، تؤمن الطليعة بأن دراستها ، جزء من جهد اكبر مسئول ينبغي ان تشارك فيه كل القوى الوطنية والتقدمية في العمل المشترك من أجل انتصار فلسطين الثورة .



جســـر ينهى الحصـــار العـــربى

حســـين شــعلان

فى مايو من عام ١٩٤٤ ، أشارت صحيفة النيويورك تايمز الى ضرورة « أن يتحدد مستقبل فلسطين فى ضوء مصالح الاستثمارات الامريكية للبترول وفى ضوء المصالح الامريكية » .

ومن الوثائق التى نشرتها الولايات المتحـدة الامريكية فى ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٧٢ [١] ، عن العلاقات الخارجية الامريكية فى فترة ما بعـد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، كانت هناك وثيقة تناولت الاتصالات الامريكية فى عام ١٩٤٧ حول الموقف من المسألة الفلسطينية والشرق الاوسط . وقد تضمنت هذه الوثيقة رسالة كتبها روبرت لوفيت وزير الخارجية الامريكية بالنيابة ، فى ذلك الوقت ، بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٧ الى افـريل هاريمان وزير التجارة الامريكى وقتها ، ويقول فيها : « .. ان الشرق الاوسط هو اليوم المنطقة الوحيدة ، المنتجة للبترول فى العالم ، التى يوجد بها احتياطى كبير للمقدرة الانتاجية . ومـن الضرورى أن تبقى هذه المقدرة الانتاجية متاحة بمعدل متزايد ، اذا أريد تلبية الاحتياجات المتزايدة للولايات المتحدة وللعالم »

ظلت هاتان المقولتان ، ذات المضمون الواحد المتكامل ، تشكلان محور السياسة الامريكية سواء بالنسبة للشرق الاوسط ككل أو بالنسبة للمسألة الفلسطينية موضوع هذه السطور .

على أن هذا الخط العام ــ من حيث التفاصيل ــ تعرض لكثير من الاحداث ، فرضت عليه أن يتخذ اشكالا مختلفة فى المواقف السياسية الامريكية ، تباينت بين تجاهل المسألة الفلسطينية بشكل عام فى بعض الاحيان ، وبين الاعتراف بها كقضية متفجرة ينبغى ايجاد حل لها .. أخيرا .

واذا كان صحيحا أن هذا الخط العام « ظل « العمود الفقرى » للموقف الامريكى ، فانه من الصحيح أيضا أن نقول أن تفصيلات « بنيان » الموقف الامريكى قد حكمته ــ ولا تزال ــ إعتبارات

[١] الاهرام ــ ٢٦ نوفمبر ١٩٧٢

أخرى تتصل بالاطراف الرئيسية والموضوعية التي أحاطت بتعقيدات المسألة الفلسطينية وتشابكها ».

- وباختصار يتحدد الموقف الامريكي على ضوء اعتبارات خمسة هي : المصالح الامريكية في المنطقة كجزء من استراتيجية مصالحها العالمية العامة - أمن اسرائيل - علاقات القوى بين العرب واسرائيل - وضعية الفلسطينيين ومدى تأثيرهم في الموقف - مدى فعالية التحالف العربي السوفيتي المعادي للاستعمار ».

قد يبرز أحد هذه الاعتبارات في فترة على حساب الاعتبارات الاخرى .. وهكذا . الا أن الاعتبار الثابت من حيث مكانته الاولى - بداهة - هو المصالح الامريكية .هذا اذا جاز القول بامكانية فصل هذه الاعتبارات عن بعضها .

ضوابط .. لابد منها

قبل متابعة الموقف الامريكي على ضوء ما سبق من اعتبارات ، أعتقد بضرورة الاشارة الى عدد من الضوابط ، نرصدها - بالجملة - منذ البداية ، لنتجنب تكرارها بعد ذلك من جهة ، ولغرض ابرازها من جهة أخرى .

● ان كل موقف امريكي - بالدعم أو التأييد - من اسرائيل ، يعني وفق قانون « التناسب العكسي » ، موقفا من المسألة الفلسطينية على حسابها من جهة وتعطيلا لحلها من جهة أخرى . بمعنى أن موافقة امريكا - مثلا - على اجراء « تعديلات طفيفة في حدود ١٩٦٧ » - وفق التعبير الامريكي - فهو بالاضافة لما يعنيه من احتمال انتزاع اراضي « طفيفة » من دول عربية أخرى ، فانه يعني أصلا انتزاع أكبر من أراضي فلسطين لحساب اسرائيل . وبمعنى - أيضا - ان كل أعمال « الحقن » العسكري أو الاقتصادي الامريكي لاسرائيل ، لابد وان يعطل - على نحو ما - حل المسألة الفلسطينية ».

● ان جميع الادارات التي تعاقبت على حكم الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٨ ، حرصت على سلامة اسرائيل وشرعيتها واستمرار وجودها . وتلك حقيقة أساسية ينبغي الا تغيب عن ذهن العرب ، حيث تبدو اليوم بشكل ملح ضرورة لفظ الفهم المغالط القائل بأن اسرائيل تحرك أمريكا . فالواقع أن الادارة الامريكية لا تقدم مساعداتها الى اسرائيل نتيجة خطأ ارتكبه أحد رؤساء الجمهورية السابقين . فالموقف الامريكي من اسرائيل له حسابات أخرى مغايرة .

● رغم التسليم بوجود تيارات وأجنحة لها مصالح متضاربة أحيانا في دوائر السلطة للنظام الامريكي ، الا أن ذلك لا يعني التسليم « بدور خاص متمايز » للخارجية الامريكية في حل المسألة . لقد أثبتت التجربة الطويلة منذ أواخر الثلاثينات أن مهمة الخارجية الامريكية هي اثارة الدخان تمهيدا أو تغطيه لتصرف أمريكي رسمي بالهجوم أو بالتراجع . وفي هذا الصدد نرصد قول كروم الذي عينه ترومان في ١٩٤٦ عضوا في اللجنه الانجلو - أمريكيه الخاصةبفلسطين ، « ان كل وعد أعطي لليهود، عام ١٩٣٨ بشأن فلسطين، كان يتبعه في الحال تكذيب من الخارجيه الامريكية للعرب » [٢] .

● في مواجهة الفهم السائد لدى بعض الاوساط العربية بأن اسرائيل - لاكثر من اعتبار - هي التي تحرك أمريكا عن طريق الضغوط التي لولاها لاتخذت أمريكا - البريئة ! - موقفا مختلفا ، في مواجهة هذا الفهم ، برز فهم آخر يقول بأن أمريكا هي التي تحرك اسرائيل كلية . وبرغم تسليمنا بالوضع الخاص للتحالف الامريكي الاسرائيلي، وعوامله ، الا أن هذا التحالف فيه الاتفاق والتنسيق .. الخ ولكن فيه أيضا الاختلاف والتناقض ». هذا التعارض ، يبرز عندما تتجاوز اسرائيل - في حركتها - نقطة معينه لا ترى الولايات المتحدة أنها تتفق مع استراتيجيتها العليا في المنطقة .

● برغم مظاهر الموقف الموحد للعرب - مع الاعتراف بنسبيته المتباينة من وقت لآخر - ازاء بعض الاحداث المتعلقة بالمسألة الفلسطينية أو أزمة الشرق الاوسط عامة ، الا أن أمريكا لا تنظر للعرب كجبهة واحدة أو موحدة . فأمريكا تفرق في معاملاتها السياسية وغير السياسيةبين نظم عربية وأخرى ». وأية تسوية للمسألة الفلسطينية أو للازمة ككل ، سوف تضع في اعتبارها - من وجهة النظر الامريكية - معطيات التسوية وأثرها لا على علاقات القوى بين العرب واسرائيل فحسب ، بل

[٢] بين امريكا وفلسطين - فرانك إ. مانويل ترجمة يوسف حنا - الناشر وزارة الثقافة والاعلام الاردنية ١٩٦٧ - ص ١٨٢ .

وعلى علاقات القوى بين النظم العربية بما تمثله من اتجاهات اجتماعية متباينة .

أمريكا تتخلى عن قرار التقسيم

بعد سياسة العزلة التى انتهجتها بعد الحرب العالمية الاولى ، كانت الاستثمارات الامريكية تنتظر بصبر قلق فرصتها لكى تنطلق الى العالم الخارجى . وكان الشرق الاوسط واحدا من اهم المناطق التى تتطلع اليها وخاصة فى مجال الاستثمارات البترولية .

وكانت الولايات المتحدة تنظر فى بداية الامر الى مشروع اقامة اسرائيل ثم تقسيم فلسطين باعتباره « استثمارا » او مشروعا بريطانيا ، باعتبار العلاقات التقليدية القوية التى كانت قائمة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا من جهة ، وتخوفا من أن يكون هدف بريطانيا من التقسيم محاولة منها للاحتفاظ على الاقل بجزء من فلسطين تحت نفوذها من خلال حلفائها وعملائها من العرب فى ذلك الوقت .

وينعكس هذا الحذر فى البداية ، القرار الذى أصدره الكونجرس الامريكى فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ والذى نص فيه على ضروره أن تبذل أمريكا « مساعيها الحميدة لدى سلطات الانتداب لجعل ابواب فلسطين مفتوحة لدخول اليهود بحرية الى ذلك القطر الى أقصى قدرته الزراعية والاقتصادية ، وبناء فلسطين كوطن قومى لليهود بالاشتراك مع سائر عناصر السكان ، لجعل فلسطين **كومنولثا ديمقراطيا** حيث يكون الجميع ، بغض النظر عن الجنس والمذهب ، متساوين فى الحقوق » [٣] .

ويلقى الرئيس ترومان ضوءا أكثر على هذا الحذر حين يقول أنه لم يوافق فى البداية على مشروع التقسيم لولا الضغوط الضخمة التى مورست عليه . ولقد كانت بالفعل ـ كما يحكى فى مذكراته بالتفصيل ـ ضغوطا ضخمة . الا أنه يعود بعد ١١ سنة ليقول « أنا لم أكن فى البداية موافقا على التقسيم لاننى كنت أريد **كل** فلسطين لاسرائيل » .

والواقع أن سقوط الحذر الامريكى ، الذى انقلب بعد ذلك الى حماس بالغ ، قد تم استجابة للتعديل الذى أجرته الحركة الصهيونية فى خططها بعد الحرب الثانية بناء على تقديرها لاتجاه الاحداث، حيث نقلت ولاءها لامريكا . هنا حسم ترومان تردده بعد التأكد من أن الدولة الجديدة ستكون تحت سيطرة أمريكا .

فى هذا الصدد يجدر بنا أن نشير الى النداء ذى الدلالة الذى وجهته الحركة الصهيونية فى أكتوبر ١٩٤٧ [أى قبل صدور قرار التقسيم عن الامم المتحدة بشهر واحد] ، وتقول فيه « ان قيام دولة يهودية فى فلسطين ضرورى لاستقرار الملايين الذين لا يزالون فى مراكز التجمع فى المانيا وأوروبا . وحتى يبنى منهم **حائط امريكى فى الشرق الاوسط ، أن أمريكا لا يمكنها الاعتماد فى الايام القادمة على حليف حازم خير من دولة يهودية فى ذلك الجزء من العالم** » [٤] .

من أجل اقامة هذا « الحائط الامريكى » فى الشرق الاوسط ، مارست الولايات المتحدة ـ بكل أجهزتها ومؤسساتها ـ ضغوطا رهيبه على ١٣ دولة من دول أمريكا اللاتينية وغيرها لتمرير قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

وفى مارس ـ أبريل ١٩٤٩ ، نتيجة لرد فعل الغضب العربى ازاء الموقف الامريكى ، طرحت الولايات المتحدة مشروعا لوضع كل فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . وبينما مجلس الامن ينظر مشروع الوصاية الذى تقدمت به أمريكا ، أعلنت الولايات المتحدة اعترافها الرسمى بدوله اسرائيل بعد ١١ دقيقة فقط من اعلانها فى تل أبيب واعتراف أمريكا باسرائيل ، دولة غير محددة الحدود ، يعنى أن « الجزء الفلسطينى » من التقسيم ، قابل للنقصان والتآكل أمام التوسع الاسرائيلى بعد ذلك .

منذ ذلك الوقت أقامت أمريكا مخططها بالنسبة للشرق الاوسط ، فى اطار استراتيجيتها العامة لحصار الاتحاد السوفيتى ، ولم يدخل فى هذا المخطط بالطبع أى اعتبار للمسألة الفلسطينية حيث لم تكن واردة فى التفكير السياسى الامريكى . وتقدمت أمريكا ـ بعد أن ضمنت وجود اسرائيل بالتصريح الثلاثى الامريكى البريطانى الفرنسى ـ بمشروعها لاقامة أحلاف فى المنطقة ضد

---

(٣) الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ـ جامعة الدول العربية ـ ص ٣٤٦

(٤) وهكذا ضاع الشرق الاوسط ـ الفريد ليلنثال ـ سلسلة اخترنا لك ـ ص ٥١

أسمته « بالخطر الشيوعى » . ومن ثم كان الموقف الامريكى محددا على أساس ان « لا جولة جديدة » بين العرب واسرائيل . وبالتالى تجاهل المسألة الفلسطينية . اما الجولة التى كانت تعد لها امريكا وقتها ، فتقوم بين العرب [واسرائيل بشكل غير مباشر] وبين الشيوعية . ولما رفضت الحركة الوطنية العربية هذا المخطط الامريكى ، ووضح اتجاه الثورة المصرية برفضها مشروع حلف بغداد ، ثم احتمالات تجدد الصدام مع اسرائيل ، أبرزت الولايات المتحدة أنيابها واضحة عندما أعلن جون فوستر دالاس فى ديسمبر من عام ١٩٥٥ « **ان قرار التقسيم لم يعد يصلح أساسا للتسوية » بين العرب واسرائيل .**

وهكذا تخلت الولايات المتحدة دفعة واحده - والى الابد - عن القرار الذى مارست من اجل تمريره ضغوطا رهيبة .

•• وتسعى لنزع « الفتيل »

بفشل ضرب حركة التحرر الوطنى [١٩٥٦] ، بدت أهداف حركة التحرر العربى فى دعم الاستقلال الاقتصادى وبناء التقدم والوحدة ، تتعارض بشكل تام مع مصالح الولايات المتحدة التى وجدت نفسها - بالتالى - فى صراع محتوم لا يمكن تجنبه ضد القوى السياسية والاجتماعية التى تتبنى هذه الاهداف والتى تتزايد فى نفس الوقت [وحدة مصر سوريا - ثورة العراق] .

ومن زاوية موضوعنا ، كانت المسألة الفلسطينية هى « فتيل » التأزم والصدام بين حركة التحرر العربى من جهة واسرائيل والاستعمار الجديد من جهه اخرى . وفى ذلك الصراع وقتها ، حاولت السياسة الأمريكية محاصرة أعدائها وتقليل اسباب التوتر ضد المصالح والنفوذ الامريكيين فى المنطقة . لهذا سعت أمريكا فى هذه الفترة الى « نزع الفتيل » بدفن آثار جريمة ١٩٤٨ التى تزيد من أشعال العداء ضد المصالح الامريكية . وتكمن اهمية نزع الفتيل ايضا ، من وجهة النظر الامريكية ، ان انفجاراته المحتملة دائما لا تجذب القوى التقدمية العربية وحدها فحسب ، ولكنه يجذب أيضا - وبنسب مختلفة - عناصر ودوائر وقوى تسعى السياسة الامريكية الى كسبها والتحالف معها .

من هنا جرت المحاولات الامريكية لانهاء المسألة الفلسطينية على اساس انها **قضية لاجئين** . وفى نوفمبر ١٩٦٠ ، أطلقت الصحافةالامريكية «بالونا» لجس النبض . فنشرتالنيويورك تايمز فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٠ ، مشروعامن ثلاث نقاط . **اولا** : أن نساهم أمريكا بالجزءالاكبر [٥٠٠ مليون دولار] فى قرض دولىلتوطين ١٠٠ ألف او ٢٠٠ الفلاجىءفلسطينى فى ديارهم وتوطين ٩٠٠ ألف آخرين فى الدول العربية . **ثانيا** : أن تساهم أمريكا فى تمويل وتنفيذ مشروع رى وادى نهر الاردن لصالح العرب واسرائيل . **ثالثا** : ضمان الحدود العربية الاسرائيلية بعد تخطيطها واتفاق الطرفين عليها .

كان ذلك هو جوهر المشروع الذى سمى بعد ذلك [مارس ١٩٦١] بمشروع جونسون [نسبة الى ليندون جونسون نائب الرئيس كيندى ثم رئيس الولايات المتحدة بعد ذلك] . وفى نفس الوقت كانت الصحافة الامريكية تتناول قضيه الحدود العربية الاسرائيلية بمفهوم أمريكى يرى ان قرار التقسيم يعنى تمزيق شمل دولة اسرائيل [٥] .

ويؤكد مساعى الولايات المتحدة لتصفية المسألة الفلسطينية على أساس أنها مسألة لاجئين ينبغى أن يتم استيعابهم فى الدول العربية ، موقفها الرسمى فى الامم المتحدة حين رفضت [فى دورة ١٩٦١] مشروع القرار الذى تقدم به العرب والخاص بفلسطين ، بايجاد مكتب للحراسة على اموال وممتلكات الفلسطينيين يتبع المنظمة الدولية .

ومع حجم الهزيمة الضخم الذى أنزلته اسرائيل بالعرب فى يونيو ١٩٦٧ ، تصورت أمريكا مع اسرائيل - من زاوية موضوعنا - ان « الفتيل » قد انزع بالحرب ولم يعد أمام العرب الا الس... ، لا عن المساله الفلسطينية فحسب ، بل وعن جزء من الاراضى السورية والمصرية تحت شعار ضرورة اجراء « تعديلات طفيفة فى الحدود » تضمن أمن اسرائيل وعدم تجدد القتال مرة اخرى . وظلت الولايات المتحدة تقف فى وجه كل محاوله فى الامم المتحدة ، تنص على أن أى سلام فى الشرق الاوسط لابد وأن يضع فى اعتباره مصالح شعب فلسطين .

وعلى عكس حسابات أمريكا واسرائيل ، كانت حركه المقاومة الفلسطينية التى بدأت فى شكل جنينى منظم عام ١٩٦٥ ، قد طرحت نفسها على مسرح أحداث « أزمة الشرق الاوسط » كعنصر لا يمكن تجاهله .

---

(٥) نيويورك تايمز - مارس ١٩٦١ .

والخطر الاعظم الذى كانت تمثله حركة المقاومة الفلسطينية ، فى ذلك الوقت ، لم يكن يقاس بحجم عملياتها وانما فى اطار الاثار التى يمكن ان تترتب على ما تطرحه من أفكار تضعها فى التطبيق العملى ، « كحرب التحرير » و « الحروب الشعبية » .

ولمحاصرة حركة المقاومة ـ الوليدة ـ والقضاء عليها فى بداياتها الاولى ، أمدت أمريكا اسرائيل بخبرائها فى مواجهة « حرب العصابات » فى فيتنام . وجدير أن نذكر هنا بعثة دايان التى زارت فيتنام الجنوبية فى ١٩٦٤ ، وما تلاها من بعثات ، لدراسة نظم مواجهة حرب العصابات من جهة ثم لتحديد واختيار نوع الاسلحة الامريكيه التى تحتاجها اسرائيل وتلائمها لمواجهة هذا الخطر . وقد أعدت اسرائيل لتصفيته فى ١٩٦٨ [معركة الكرامة] ولكنها فشلت . ولهذا كانت الولايات المتحدة تتابع ، بقلق وتحفز ، تطورات مذابح سبتمبر ١٩٧٠ فى الاردن . ولم تخف أمريكا نواياها بوضوح حين أعلنت انه فى حالة اتجاه الاحداث لصالح المقاومة ، فان احتمالات تدخلها المباشر احتمال ليس ببعيد . وفى اطار محاولات العمل على تصفية العمل الفدائى الفلسطينى وقيادته ، تولت أمريكا عن طريق ج . ب . اوكنايل سكرتير سفارتها فى عمان وج . ميكواين سيفير موظف سفارتها فى بيروت ، التنسيق مع المخبرات الاسرائيلية وغيرها ، لتخطيط وتنفيذ عمليات اغتيال قادة المقاومة الفلسطينية وارسال الطرود المتفجرة للمناضلين الفلسطينيين [٦] .

ومن الغريب أن الولايات المتحدة الامريكية التى كانت تربط بين حل مشكلة « اللاجئين » وبين أن يوقف العرب « نشاطهم العدوانى ! » ضد اسرائيل وانهاء حالة الحرب معها كشرط لذلك ، أصبحت بعد أن فرضت المقاومة الفلسطينية نفسها على خريطة مشكلة الشرق الاوسط ، أصبحت أمريكا تربط حل مشكلة « الاراضى العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ » بايقاف نشاط المقاومة كواحد من الشروط .

ولم تلبث أمريكا أن طرحت فى وضوح أن تخلى العرب عن الفلسطينيين ، يمكن أن يوفر فرصا أفضل لحل مشكلة الشرق الاوسط . فقد أصدر البيت الابيض تقريرا صحفيا نشرته النيويورك تايمز ، جاء فيه « أن الولايات المتحده لا ترى أية فرصة للتوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط ، ما دامت الدول العربية تصر على اعادة ١ر٣ مليون لاجىء الى [اراضيهم] . فى حين أن اسرائيل تبدو غير مقتنعة باعادة هذا العدد الكبير من اللاجئين ، لان ذلك يهدد جوهر الشخصية اليهودية لدوله اسرائيل » [٧] . وهنا يتضح ارتباط الموقف الامريكى تماما بأهداف الحركة الصهيونية فى الحفاظ على شخصية يهودية لدولة اسرائيل .

جسرا لاسرائيل .. لا « جسرا للعودة »

فى عام ١٩٧٢ ، وقعت الولايات المتحدة الامريكية ـ لاول مرة ـ بيانا مشتركا عن محادثات القمة الامريكية السوفيتية فى واشنطن ، يقر بضرورة أن يراعى أى حل لازمة الشرق الاوسط « المصالح الوطنية للشعب الفلسطينى » .

وبرغم التحفظ الذى يمكن أن نوضعه حول مدى اقتراب أو ابتعاد صياغات البيانات المشتركة لاية دولتين عن التعبير بدقة عن الموقف الحقيقى لكل دولة ، الا أن ورود هذا التعبير فوق توقيع رئيس الولايات المتحدة ، كان يعنى ـ بدون شك ـ أن المسألة الفلسطينية لم تعد قضية لاجئين . وهذا بالطبع تغير هام تكمن وراءه حقيقتان :

● ان الثورة الوطنية الفلسطينية المتصاعدة ، قد أصبحت ـ بنشاطها على الحدود وداخل اسرائيل وفى المجال الدولى ـ تشكيل خطرا حقيقيا على الحياة اليومية سواء داخل المجتمع الاسرائيلى ، أو على المصالح الامريكية ، وهيبة أمريكا فى المنطقة [حوادث خطف الطائرات وقتل السفير الامريكى فى الخرطوم .. الخ] .

● ان الثورة الفلسطينية ، بدعم علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى ونتائج ذلك المادية والعسكرية ، قد فتحت أمام أمريكا « بابا جديدا » لمشاكل ظنت الولايات المتحدة أنها كادت أن تتضاءل نتيجة للازمة التى شهدتها العلاقات العربية السوفيتية فى صيف ١٩٧٢ .

فهل يعنى ذلك أن أمريكا أصبحت تعترف بشكل من أشكال « الوجود الفلسطينى » ؟

نعم انه يعنى هذا ، وان أخذ هذا الاعتراف شكلا أوضح فى البيان المشترك الصادر عن

[٦] الطليعة ـ عدد سبتمبر ١٩٧٣ ـ ص ٩٦ ، مخطط اجهزة المخابرات الامبريالية لتصفية المقاومة الفلسطينية .
[٧] نيويورك تايمز ـ ١٧ أغسطس ١٩٧٠ .

محادثات القمة السوفيتية الامريكية فى موسكو فى ١٩٧٤ ، حين أكد البيان أن أية تسوية سلمية عادلة ووطيدة « يجب أن تأخذ بعين الاعتبار المصالح المشروعة لجميع شعوب الشرق الاوسط بما فى ذلك الشعب الفلسطينى وحق كافة دول المنطقة فى الوجود » . والجديد الهام الذى أضافه هـذا البيان ، انه فتح الطريق أمام مشاركة الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف [٨] .

ما الذى دفع أمريكا – أو فرض عليها – أن تعترف بالوجود الفلسطينى فى مثل هذه الدرجة من الوضوح ، وعلى عكس كل مواقفها السابقة ؟

لقد أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حين حرمت اسرائيل لاول مرة من احراز انتصار بل وحين حقق العرب نجاحات عسكرية ايجابية لاول مرة أيضا ، نقول أن حرب أكتوبر أثبتت أن استمرار المشكلة بلا حل يهدد بأخطار حقيقية يمكن أن تؤدى الى كوارث للاستراتيجية العليا الامريكية فـى المنطقة ، والى اختلال فى علاقات القوى فى المنطقة لصالح قوى التحرر الوطنى العربية والاتحـاد السوفيتى معا وضد الولايات المتحدة . ولهذا لم يكن أمام أمريكا الا أن تعيد حساباتها على وجه السرعة اذا أرادت الا تفقد الكثير . وفى هذا المجال ، برزت النقطة التى يمكن أن يحدث عندها تعارض بين المصالح الاسرائيلية : فى المخاطرة من أجل تحقيق أطماعها التوسعية ، وبين المصالح الامريكية التى لا تتفق مع المخاطرة الاسرائيلية حين يصبح الموقف مهددا بانفجار يقف فيه العرب جميعا موقفا موحدا وليس القوى الوطنيـة والتقدمية وحدها .

وبرغم اتجاه امريكا الى ايجاد حل ما للشعب الفلسطينى ، سعيا الى منع – أو تجميـد – احتمالات تجدد الصراع المسلح من منبعه ، الا أن الغموض ما زال يكتنف الموقف الامريكى حول هذه المسألة . ففى ديسمبر ١٩٧٣ ، عرض **هنـرى كيسنجر** – مهندس الموقف الامريكى من المشكلة فى أعقاب الحرب – للخطوط العريضة للسياسة الامريكية بالنسبة لمؤتمر السلام ، فيقـول « ان المؤتمر سيبحث الشروط المحددة لتسوية المسألة الفلسطينية على أساس الارتباط الذى اعترفت به الولايات المتحدة فى وثائق دولية متعددة ، بين حقوق الفلسطينيين وبين قدرة المناطق الفلسطينية التى كانت تحت الانتداب على الاستيعاب » . وتعد هذه هى المرة الاولى التى ترد فيها الاشارة الى ارتباط حل القضيه الفلسطينية بقدرة فلسطين على الاستيعاب أى استيعاب مزيد من السكان . وربما كان قصده أن حل مشكلة النازحين الفلسطينيين مرهون بقدرة الضفة الغربية وقطاع غزة على استيعاب المزيد من السكان . ومن المعروف أن هذه القدرة ضعيفة .

وفى الوقت الذى كانت تتردد فيه الانبـاء عن اتجاه أمريكا الى اقامة حوار مباشر مـع الفلسطينيين قبل مؤتمر جنيف ، خرجت الصحف الاسرائيلية تشير الى أن « الولايات المتحدة قد أبلغت اسرائيل أنه ليست لها مصلحة فى أن تشهد قيام دولة فلسطينية مستقلة فـى الجليـل والسامرية . اذ أنها ستصبح دون شك قاعدة يوجهها السوفيت فى منطقة تود واشنطن أن تظل موالية للغرب . وترى واشنطن ان المشكلـة الفلسطينية ينبغى أن تحل فى اطار تسوية بين اسرائيل والاردن » [٩] .

ما هو اذن الشكل أو الاطار الذى يمكن تصوره للموقف الامريكى بشأن الوجود الفلسطينى ؟

يمكن القول بأن الولايات المتحدة سوف تعمل على « توطين اللاجئين » فى أى أرض خـارج اسرائيل . وتمنع – بكل الطرق – اعادة أى عدد من الفلسطينيين الى اسرائيل . وستسعى لان يتم تسليم السلطة لهذا « الكيان » الى عناصر معتدلة ومحافظة بل وكومبرادورية . ولكن هذا التصور يمكن أن يتضمن موافقتها امكانية مشاركة نسبية ضعيفة للقوى الوطنية ، بمخطط العمل على تصفية هذه النسبة الضعيفة بعد ذلك . على أن الاهم هو أن تضمن امريكا أن يكون « الكيان الفلسطينى » الجديد ، غير قادر على استمرار النضال ، ولا يملك مقومات التطور حتى لا يصبح قوة تهدد اسرائيل خلال الزمن المرئى . « كيان » لدولة تكون بحكم كيانها ، سوقا مستهلكا للمنتجات الاسرائيلية ومصدرا للايدى العاملة العربية الرخيصة وجسرا لهذه المنتجات الى الاسواق العربية تنافس الانتاج الوطنى وتحطم استمرار الحصار الاقتصادى حول اسرائيل .

(٨) انظر الطليعة – عدد اغسطس ١٩٧٤ – ص ١٣٠ « خمس اتفاقيات فى اللقاء الثالث » .

(٩) جيروساليم بوست – ١٦ يوليو ١٩٧٤ .

البحث عن دور فى الشرق الأوسط

أحمد حسين حسانين

من الواضح أن اتجاه دول غرب أوربا الى اتخاذ موقف موحد حيال المشاكل العالمية ـ ويهمنا فى هذا المجال القضية الفلسطينية ـ قد يضيف بعدا جديدا الى القوى العالمية التى تؤثر فى حل هذه المشكلة أوتعقيدها .ومنذ نكبة ١٩٤٨، كان لاوربا الغربية مواقف تباينت حسب تطور مراحل النزاع وتصاعده ، اقتربت أو ابتعدت عن مواقف الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى دون اتخاذ سياسة واضحة الملامح محددة القسمات . ويمكن رد ذلك الى أن أوربا الغربية لم تبرز فى هذه الفترة كقوة موحدة . يؤيد ذلك تلك الدراسة التى قام بها عالم السياسة الامريكى « كارل دويتش » عن غرب أوربا تحت عنوان «فرنسا والمانيا والتحالف الاوربى» ووصل الى نتيجة مؤداها أن عملية التكامل الاوربى قد توقفت نهائيا عام ١٩٥٨ . ثم ان مجموعة السوق ، كقوة دولية ، وان أصبحت حقيقة واقعة صار لها من النفوذ مايفوق نفوذ الاعضاء المكونين لها . فقد ظلت تنقصها حتى وقت قريب وحدة التصور ووحدة الراى بالنسبة للمشكلات الدولية الراهنة ومنها الشرق الاوسط . وهى المشكلات التى عانى منها السوق طويلا بسبب اختلاف وجهات النظر لقادة المانيا الغربية وقادة فرنسا : اذ بينما لعبت المانيا دور المستسلم للسيطرة الامريكية ، لعبت فرنسا دور المقاوم لكلا المعسكرين المتصادمين . ثم يأتى دور النفوذ الصهيونى فى أوربا الغربية والذى ساعد عليه طبيعة النظام الاجتماعى السائدة فى كل أقطار أوربا الغربية والذى تمثل فى جعلها مرتعا خصبا للتنافس المادى مهما اختلفت الاشكال الظاهرية لهذا التنافس ، وليس صعبا فى هذا الجو المستند الى الاغراء المادى أن تنشب الصهيونية أظافرها فى الاحزاب السياسية والاحزاب الاشتراكية واجهزة الاعلام بفضل ماتملكه من أموال ضخمة ، وسنحاول أن نعرض لموقف أوربا الغربية من القضية الفلسطينية أمام منعطفين أساسيين مرا بمنطقة الشرق الاوسط وهما عدوان ١٩٦٧ ، وحرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الموقف الاوربى من القضية وعدوان ١٩٦٧

عند مناقشة موقف أوربا الغربية من القضية الفلسطينية عقب عدوان ١٩٦٧ ، نجد أننا فى الواقع لا نستطيع الحديث عن « موقف أوربى » تجاه الازمة قبل ١٤ مايو ١٩٧١ ، حين صدر البيان الاوربى الذى سمى وقتها بوثيقة السوق الاوربية المشتركة والذى تضمن التدويل الادارى لمدينة القدس وان القضية الفلسطينية يتوقف حلها على الارادة الحرة للسكان المعنيين ، وعلى مواقف الدول العربية المعنية ، وحسب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، كما يجب أن تضمن لجنة منح اللاجئين امكان العودة الى البلاد أو تعويضهم ، والاستيطان فى بلاد أخرى ، وعند عودة اللاجئين الى اسرائيل يجب تنظيم مراقبة ودفع تعويضات موازية للاضرار مهما كان البديل الذى يختاره اللاجىء . وقبل هذا البيان لم يكن هناك اجماع أوربى على موقف موحد ومدروس باستثناء تصويت جميع الدول الاوربية ـ

غدا فرنسا واسبانيا واليونان - على مشروع القرار اللاتيني في الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة في يوليو ١٩٦٧ ، وهو المشروع الذى كان يعكس وجهة نظر اسرائيل أكثر مما كان يعكس وجهة النظر العربية .. وما كان موجودا قبل وثيقة السوق المشتركة هو درجات مختلفة من مواقف الدول الاوربية بعضها عبر عن نفسه بوضوح الى جانب الحق العربي مثل فرنسا ، وبعضها عبر أيضا عن نفسه بوضوح ولكنه في جانب اسرائيل ، مثل هولندا التى اصدرت وزارة دفاعها يوم وقوع العدوان بيانا رسميا تقول فيه ان طائرات عسكرية اسرائيلية قد نقلت عتادا حربيا من قاعدة هولندية الى اسرائيل ، وما بين التأييد الواضح والانحياز السافر تفاوتت الظلال ، وان كانت الدول الاوربية قد وجدت بموافقتها على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ [البريطاني الاصل] القشة التى تعلقت بها باعتباره أساسا مقبولا من الدول العربية يعفى أوربا من تحديد مواقف تفصيلية معلنة

ولقد اتسم الموقف الاوربى بالتباعد نوعا وبالتدريج عن موقف التأييد لاسرائيل ، بل كان لفرنسا موقفا أكثر موضوعية سرعان ما اصطدم بالحواجز الحاكمة فى اسرائيل ، على الرغم من ان فرنسا كانت شريكة اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ويرتكز الموقف الفرنسي على موقف الجنرال الراحل ديجول وقراره بصدده ، ويبدو أن موقف الحكومة الفرنسية ينسجم تماما مع الخط الذى يرسمه الرئيس الفرنسى الا أن هناك أصواتا داخل التحالف الحكومى تنطلق من اجل تعديل الموقف الفرنسى ليكون أكثر حيادا ، وهم بهذا يعدون أكثر ميلا نحو اسرائيل وأقل ميلا نحو العرب ، وعلى صعيد المعارضة ، نجد المعارضة اليسارية وتنقسم الى اتحاد اليسار الديمقراطى الاشتراكى وموقفه المؤيد لاسرائيل ، وان كان هناك بعض الشخصيات التي تناصر القضية الفلسطينية وتدعو الي اتخاذ مواقف موضوعية ومناصرة جانب الحق والعدل ، ثم الحزب الشيوعى وموقفه دائما التأييد للعرب .

أما المانيا الغربية والتى اشتهرت بعدائها للسامية ، فان الاحداث السياسية الداخلية والخارجية التي وقعت فى سنوات ماقبل العدوان قد تركت اثرا ملموسا على الموقف السياسى فى المانيا الغربية ، ففى مجال السياسةالخارجية أثمرت محاولات التقرب مع دول أوربا الشرقية فى اقامة علاقات دبلوماسية مع رومانيا واعادة العلاقات مع يوغوسلافيا ، أما فى المجال الداخلى فقد كانت الاضطرابات الدامية التى قامت بها منظمة الطلبة الاشتراكيين المنشقة عن الحزب الاشتراكى فى كثير من المدن الالمانية من أبرز الاحداث على الصعيد الداخلى ، ولاشك ان هذه المشاكل الضخمة كان لها اثرها فى موقف المانيا الغربية من القضية الفلسطينية ، فقد ادت الى شبه تجمد فى العلاقات الالمانية العربية ، وان كان « برانت » قد صرح بأن موقف الحكومة الفيدرالية هو اتخاذ نفس الموقف الذى ينص عليه قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وأشار فى شرحه لهذه الفقرة الى أن سياسة الحكومة الالمانية تقضى بانه « يجب الا تكون هناك تعديلات فى المناطق من طرف واحد نتيجة للعمل العسكرى » ولم يكن هناك تغير محسوس فى اتجاه الرأى العام الالمانى حايل القضيةالفلسطينيةسوىقطاعصغيرظلمحتفظابرأيه أمام طوفان الدعاية الصهيونية الجارفة التى حالت بين الراى العام وحقيقة القضيةوأغرقته فى طوفان من الاكاذيب ، حتى استطاعت بعض المنظمات المؤيدة للعرب أن تشرح القضية وتبدى اهتماما واضحا مما أحدث بعض التغير في الراى العام الالمانى وقد ساعد على هذا التغيير :

- الاثر السيء الذى تركته تصريحات زعماء اسرائيل عن تمسكها بالاراضي العربية المحتلة .
- مهاجمتها للامم المتحدة وقراراتها .
- موقفها اللا انسانى من اللاجئين العرب .

وقد كانت مجلة « دير شبيجل » الالمانية الواسعة الانتشار هى أول من عبر عن هذا التحول فى مقال شهير لها ادانت فيه اسرائيل واوضحت بجلاء انها دولة عنصرية عدوانية تقوم على سياسة الغزو والتوسع .

اما فى بريطانيا ودورها التاريخي المؤيد لاسرائيل معروف ، فان القضية الفلسطينية بعد عدوان ١٩٦٧ لم تحظ بالاهتمام الذى تستحقه بسبب المشاكل العديدة التى تواجه البريطانيين ، وفى مقدمتها الازمة الاقتصادية الخانقة ، والخلافات الداخلية ليس بين الحزبين الرئيسيين، وانما داخل حزب العمال ذاته ، وان كانت بريطانيا قد واصلت محاولاتها لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ [البريطاني الاصل] فان محاولاتها في هذا الصدد اتسمت بالغموض كما هو شأنها دائما بل واحيانا بالتناقض ، من هذا ما صرح به وزير خارجيتها « مايكل سيتوارت » فى ٢١ مايو ١٩٦٨، عن قيام بريطانيا ببحث مشروع جديد يستهدف اقامة نظام للوصاية تابع للامم المتحدة فى المناطق التي احتلتها اسرائيل من فلسطين العربيه فى العام الماضى ، مع بذل جهود خاصة لحل مشكلة اللاجئين العرب يقوم على توطين هؤلاء اللاجئين فيما كان يسمى بفلسطين العربية وذلك بهدف اعادة تشكيل

حياتهم فى شكل مجتمع ، على أن توفر للاجئين الفرصة ليقرروا فى استفتاء يجرى عند انقضاء فترة الوصايه فى شكل المستقبل الذى يريدونه وهل هو اقامة دوله مستقله ، أم الانضمام الى دوله اخرى ، ومن هذا التناقض مع ظاهرة التغير المحسوس لصالح العرب ماذكرته صحيفه « الجارديان » فى مقال لها عن المقاومة الفلسطينية فى ٢ مايو ١٩٦٨ جاء فيه « إن حركة فتح تهدف الى تحرير فلسطين وتعبئه الفلسطينيين لهذا الهدف وهى تلتزم بمبدا الكفاح المسلح لتحرير فلسطين وليس فقط لازالة آثار العدوان • وترى ان حربا كلاسيكية لا تجدى بالنسبة لاسرائيل » ، بينما تمضى صحيفة « الديلى تلجراف » فى مقالاتها العدائية للعرب فتنشر فى ١٦ ابريل ١٩٦٨ مقالا يدعى فيه كاتبه « بان دافع اسرائيل الاساسى ليس التوسع وانما الحفاظ على أمنها » ، ويعلق على المقاومة الفلسطينية فيقول « ان النشاط الفدائى العربى يضر بالاردن اكثر مما يضر باسرائيل » . هذا بينما تطالعنا صحيفه « التايمز » اللندنية فى مقال لها بتاريخ ١٣ مايو ١٩٦٨ « بانه مطلوب وعد بلفور آخر لاقامة وطن قومى للمليون ونصف لاجىء عربى فلسطينى » نجد انها فى عددها الصادر فى ٤ يونيو ١٩٦٨ تنشر ملحقا خاصا عن اسرائيل تمجد فيه جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية فيها .

اما ايطاليا والتى تربطها بالدول العربية علاقات حضاريه سابقه باعتبارها من دول البحر المتوسط فإن سياسة الحزبيه فيها ذات تأثير بالغ فى المجتمع السياسى الايطالى ، وفى الرأى العام ، فمن المعروف أن هناك ثمانيه احزاب سياسية أهمها الحزب الاشتراكى المتحد وينظر هذا الحزب الى النزاع العربى الاسرائيلى من زاوية واحدة تتركز فى تهيئة وطن قومى لليهود يحميهم من الاضطهادات والمذابح التى تعرضوا لها على مر القرون — وذلك على حساب فلسطين العربية — نظرا للصلات الوثيقه التى تربط هذا الحزب ببعض الاحزاب الاسرائيلية مثل الماباى والمابام . وثانى تلك الاحزاب هو الحزب الليبرالى الذى تموله رءوس الاموال الاحتكارية الضخمة التى ترتبط بدورها ارتباطا وثيقا بالرأسمالية الصهيونية فى الولايات المتحدة ، ثم الحزب الشيوعى الذى يعترف بحق اسرائيل فى الوجود ولا يرى ان هذا الاعتراف يمثل عقبة امام الحزب فى تأييده استقلال وتقدم الشعوب العربيه ضد أية محاولة للتقليل من قيمة النظم التقدمية العربية وحركة التحرر فى العالم العربى . ومن ثم فقد تميز الموقف الايطالى تجاه القضية الفلسطينية بشىء من التناقض ، فبينما

اجمعت الصحف الايطالية كلها على ادانة اسرائيل لاجراء العرض العسكرى فى القدس رغم قرار مجلس الامن بالغائه ، نرى معظمها — ولا سيما الكورييرى وديلاسيرا — تمضى فى المديح والثناء على اسرائيل بمناسبة انقضاء عشرين عاما على قيامها والدفاع عن حقها المزعوم بحجه ما قاساه اليهود من اضطهاد ، بينما فى نفس الوقت نجد أن مجلة « لقاءات البحر الابيض المتوسط » تنظم اجتماعا فى روما اسمته « يوم التضامن مع فلسطين » دعت اليه كبريات الصحف الايطالية ومندوبون عن البعثات السياسية العربية فى ايطاليا الى جانب الاذاعة والتليفزيون ووكالات الانباء وقد صدر عن هذا الاجتماع البيان التالى :

- ان القضية الفلسطينية تقوم كواقع قومى بالاضافة الى كونها واقعا انسانيا .
- أن هناك كفاحا يقوم به الفدائيون الفلسطينيون ضد الصهيونية التى تساندها الامبرياليه الامريكية .
- ان الفدائيين الفلسطينيين يكونون الان قوة سياسية عسكرية قائمة بذاتها ومستقلة عن الحكومات العربية .
- ان هؤلاء الفدائيين هم الواقع الجديد الناتج عن حرب يونيو ١٩٦٧ خلافا لتوقعات اسرائيل .
- ان القوى الديمقراطية يجب ان تساند الشعب الفلسطينى فى كفاحه البطولى ضد الصهيونية .
- يجدر بالفدائيين الفلسطينيين أن يزيدوا من جهودهم الاعلامية فى الخارج لاعلام الرأى العام العالمى بشرعية كفاحهم التحريرى .

الموقف الاوروبى من القضية

وحرب أكتوبر ١٩٧٣

لم يكن اندلاع الحرب فى الشرق الاوسط هو المفاجأه الوحيدة لاوربا وانما كانت المفاجأة الاكبر والاخطر هى استخدام الدول العربيه لاول مرة لسلاح البترول من خلال موقف جماعى متصاعد فى ظل أزمة طاقة عالمية مستحكمة تمسك بخناق اوربا بالذات التى تحصل على ٨٠ فى المائة من احتياجاتها من المنطقة ، فلقد كانت الازمه الحقيقية التى عاشتها اوربا هى انها اكتشفت أنها ليست شريكا فى تطورات عالمية تمس صميم امنها ومصالحها الحيوية ، خصوصا عندما اقتربت هذه التطورات بالعالم كله الى حافة الهاويه بعد اعلان حالة التأهب فى القوات الضاربة الامريكية ، هذه هى صورة الازمة التى عاشتها اوربا بعد اندلاع الحرب والتى عبر عنها الرئيس الفرنسى الراحل

بومبيدو فى رسائله التى بعث بها الى رؤساء دول السوق التسع يحثهم فيها على عقد مؤتمر قمة لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط وبعض المشاكل السياسية الاخرى ، وذكر ان الهدف الرئيسى من هذا المؤتمر هو التنسيق بين موقف الدول الاوربية فى معالجة مشكلة الشرق الاوسط ، واضاف ان فشل أوربا فى الاحداث التى أدت الى الترتيبات الخاصة بوقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط قد خلق موقفا خطيرا ، لان التجربة أثبتت أن « وجود تفاهم خاص بين الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد يخدم الوفاق ولكنه قد يؤدى الى مواجهة عامة » . وقال : ان الدول الاوربيةيجب أن تلعب دورا فى معالجةأزمة الشرق الاوسط ما دامت تولى تلك المنطقة اهتماما خاصا من خلال الروابط التاريخية والجغرافية ، لا شك أن هذا التحول الذى حدث فى موقف أوربا الغربية من القضية له مبرراته ، ذلك أن حكومات أوربا الغربية تذهب الى :

● ان أوربا الغربيـة لم تـكن تريـد أن تترك الساحة العربية مفتوحة للدول الكبرى وحدها ، ولم تكن تريد أن تبدو هذه الدول الكبرى كأنها وحدها التى تقف فى الصف العربى .

● ان لاوربا الغربية مصالح معينة معطلة أو مهددة بسبب أزمة الشرق الاوسط ـ فلها مصلحة فى التعجيل بفتح قناة السويس كشريان حيوى لمصالحها الاقتصادية فى آسيا والشرق الاقصى .

● ان البحر المتوسط وهو الذى يشكل الحد الجنوبى للقارة الاوربية أصبح ساحة مواجهة بين الاسطولين الامريكى والسوفيتى ـ وذلك أمر يزيد بعدا جديدا الى الاخطار التى تهدد أمنها .

● ان أوربا الغربية أكبر مستهلك للبترول العربى بما فى ذلك البترول المستخرج من الدول العربية التى لا تطل على البحر المتوسط .

● رغبة أوربا الغربية فى استخدام البحر المتوسط كمعبر لها تنفتح به على شمال أفريقيا والقارة الافريقية عموما وليس كحاجز يعزلها جنوبا ولهذه الرغبة ابعادا اقتصادية وسياسية وجغرافية وأيديولوجية .

● ان أوربا الغربية كوحدة متجانسة العناصر تدرك أنهـا قادرة على النهوض بدور له سماته المميزة والمستقلة فى العالم الى جانب العملاقين الكبيرين الامريكى والسوفيتى . لقـد حدث بعـد السادس من أكتوبر تحولات هامة أثرت وسوف تؤثر على سياسة أوربا تجاه القضية ، فالتحالف الاوربى الامريكى لم يعد فى نفس القوة ، فبينما عارضت بريطانيا السماح للطائرات المتجهة الى اسرائيل بالطيران فوق أراضيها أو الهبوط عندها ، نجد ان المانيا الغربية لم تستنكف عن المجاهرة بسخطها على الملا ضد شحن أسلحة امريكية من القواعد الامريكية فى المانيا الغربية ، وطالبت بوقف هذه الشحنات من وعلى الاراضى الالمانية ، بل يمكن القول بأن التحالف الاوربى الامريكى قد تعرض للتصدع مما دفع « الصنداى تايمز » الى القول بأن هذا التحالف لم يقض مطلقا بأن الانتماء اليه يعنى ضرورة مساندة الدول الاوربية للمطالب الصهيونية التى تثقل كاهل الرؤساء الامريكيين ، وأكثر من ذلك كان موقف أوربا الغربية واضحا وأكثر تحديدا عن عام ١٩٦٧ رغم المواقف الشاذة لبعض الدول الاوربية كهولندا والدنمارك ، الا أن أوربا كمجموعة استطاعت ان تتجاوز ذلك بالقرار الذى أصدره وزراء خارجية دول السوق التسع فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، وطالبوا فيه بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتنفيذ قرارات مجلس الامن الخاصة بانسحاب القوات المتحاربة الى خطوط ٢٢ أكتوبر ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

ان هذا التحول فى الموقف الاوربى يؤيده ما صرح به ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا فى حديث له نشرته صحيفة « الجارديان » فى ٢ نوفمبر ١٩٧٣ أوضح فيه أن أوربا ترغب الان فى أن تلعبدورا نحو البحث عن تسوية عاجلة ودائمة للصراع فى الشرق الاوسط ، كما أعرب عن أمله فى أن يستطيع الاوربيون الاسهام فى ضمان اقرار تسوية دائمة لهذا الصراع . وفى ١١ ديسمبر ١٩٧٣ أكد المجلس الوزارى لحلف الاطلنطى فى البيان الختامى لدورته السنوية تأييد دول الحلف للتوصل الى حل عادل ودائم فى الشرق الاوسط ، كما أكد البيان تأييد وزراء الخارجية لقرارات مجلس الامن الخاصة بالازمة وعقد مؤتمر السلام فى جنيف ـ ويعد هذا أول بيان يصدره حلف الاطلنطى بهذا المعنى بشأن الشرق الاوسط .

وثمة شواهد تشير الى أن أوربا الغربية كانت تريد أن تقوم بدور فى أزمة الشرق الاوسط ، ربما أكثر مما تقدر أن تقوم به ـ يثبت ذلك الجهود التى بذلتها دولا مختلفة من أوربا الغربية ـ وان لم تكن قادرة على بلوغ نتائج ملموسة فى تحريك الموقف بصورة يمكن ان تبرز فيها أوربا الغربية كعنصر فاصـل فى اخراج ازمة الشرق الاوسـط من عثرتها .

دولــة ديمقراطيـــة ثوريـــة

خيرى عزيز

يشمل هذا التناول الذى نقدمه هنا ، موجزا تاريخيا لموقف الاتحاد السوفيتى من القضية الفلسطينية ثم عرضا لموقفه الراهن ، وللرؤية السوفيتية لافاق تطور هذه القضية ، مع الاشارة الى مواقف البلاد الاشتراكية الاخرى ، التى خرجت رومانيا على اجماعها ، واخيرا تقديم الموقف والرؤية الصينية للقضية الفلسطينية .

وفيما يتعلق بالخط السوفيتى بالنسبة للقضية الفلسطينية ، نقول أن هذا الخط اتسم **بالتصاعد المضطرد عامة** ، للمساندة السوفيتية لنضال الشعب الفلسطينى منذ تأسيس الدولة السوفيتية وحتى الان . وقد توجت هذه المساندة أخيرا بموافقة الاتحاد السوفيتى على اقامة تمثيل رسمى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى موسكو ، الامر الذى يعتبر بمثابة اعتراف رسمى من الاتحاد السوفيتى بالمنظمة ، وحصول **ياسر عرفات** رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة على ضمان من الاتحاد السوفيتى **بدعم مساندته السياسية والدبلوماسية والعسكرية** ، للمنظمة .

موجز تاريخى : المرحلة الاولى من ١٩١٧ الى ١٩٣٥

والواقع ، أن تصاعد المساندة السوفيتية لنضال الشعب الفلسطينى قد بدأ مع بداية وتطور الثورة البلشفية نفسها سنة ١٩١٧ . ولكن الاهتمام بالقضية الفلسطينية فى ذلك الوقت المبكر من حياة الاتحاد السوفيتى ، قد جاء بشكل غير مباشر ، عن طريق **شجب الحركة الصهيونية** ، حتى على أيدى العناصر اليهودية القيادية فى الحزب الشيوعى الروسى . ففى يونيو ١٩١٩ اتخذت بعض فروع الحزب التى تتسم بأغلبية يهودية قرارا ينص على أن الصهيونيين فى سياستهم نحو فلسطين ، يعتبرون « **اداة للامبريالية المتحالفة التى تحارب الثورة البروليتارية** » . وفى سنة ١٩٢٠ أصدر « **المؤتمر الثانى للكومنترن** » قرارا **بشجب النشاط الصهيونى فى فلسطين** . وفى هذا المؤتمر هاجمت الزعيمة اليهودية « **استير فرومكين** » الحركة الصهيونية ، ووصفتها بأنها « **أكذوبة لا مثيل لها فى التاريخ** » .

وعندما اندلعت انتفاضة سنة ١٩٢٩ فى فلسطين ايدتها موسكو واعتبرتها حركة تقدمية لانها « **حركة زراعية عظيمة تعكس الصراع الطبقى الحاد فى القرية العربية ، وانها قد وجهت ضد اليهود ، لكونهم أقلية تتمتع بامتيازات ضخمة ، وان تلك الحركة المعادية لليهود ستكتسب طابعها المعادى للاستعمار والاقطاع والحكومة** » [١] . واكمل الاتحاد السوفيتى حل كافة التنظيمات الصهيونية الموجودة فيه ، ومنع وجود أى منها ، وحاكم فى سنة ١٩٢٤ مجموعة من الصهاينة بتهمة **التآمر على النظام السوفيتى** ، كما **حل النادى العمالى اليهودى** . وفى عام ١٩٣٤ ، خصص الاتحاد السوفيتى منطقة **بيرو بيدجان** لكى تكون منطقة مستقلة لليهود ، كوسيلة لحل مشكلة مطالبتهم بوطن قومى .

المرحلة الثانية من ١٩٣٥ الى ١٩٤٨

واذا كان يمكن اعتبار الفترة من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٣٥ ، المرحلة الاولى من مراحل تطور الموقف السوفيتى تجاه القضية الفلسطينية ،

[١] الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط [والتر لاكور] ـ المكتب التجارى للطباعة والنشر ـ بيروت ص ٥٣ .

فانه يمكن اعتبار الفترة من سنة ١٩٣٥ التى شهدت نمو وتعاظم خطر الفاشية فى أوروبا والعالم ، الى سنة ١٩٤٨ التى شهدت قيام الدولة الصهيونية فى فلسطين ، **المرحلة الثانية** من مراحل تطور هذا الموقف .

وقد اتسم موقف الاتحاد السوفيتى الذى كان يخوض حربا ضروسا خلال تلك الفترة ضد عدوان الفاشية الالمانية والمحور الايطالى — اليابانى المتعاونين معها ، بحساسية خاصة تجاه الشخصيات والحركات التى ناضلت ضد العدوان الفاشى ، أو التى تعاطفت مع المحور .

الا أن الملاحظ بوضوح فى بداية هذه المرحلة ، وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، أن الاتحاد السوفيتى ، **أيد تماما ثورة ١٩٣٦ فى فلسطين** ، ودعا **الكومنترن** الى : « **تأييد الانتفاضة العربية الباسلة ، حيث أن اليهود قد خربوا الصناعات العربية . أكثر من ذلك ، فقد طالب الاتحاد السوفيتى بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وباحتفاظ فلسطين بعروبتها** ، **كما انه عندما أثيرت مسالة تقسيم فلسطين لاول مرة سنة ١٩٣٦** ، **اعترض الاتحاد السوفيتى عليها على أساس ان العرب سيفقدون بالتقسيم أفضل أراضيهم ، كما أن انشاء دولة يهودية سيوجه ضربة الى الحركة الثورية العربية بجانب أن مثل هذه الدولة لن يستفيد منها سوى البرجوازيين اليهود** » .

الا أن الموقف المتعاطف من جانب بعض العناصر القيادية العربية مع المحور أدى الى الحاق الاضرار والخسائر بالقضية العربية ، بعد ذلك ، فقد اتخذت موسكو موقفا معاديا فى تلك الفترة من مثل هؤلاء القادة العرب ، وخاصة عندما أحست بالاتصالات بين بعض هؤلاء القادة وعلى راسهم الحاج **أمين الحسينى** مفتى فلسطين ، وبين الد أعدائها : ألمانيا وايطاليا الفاشيتين .

ومن المعروف ، أنه فى المرحلة الاولى من بحث القضية الفلسطينية فى الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، **ايد الاتحاد السوفيتى تكوين دولة عربية يهودية** يتمتع الطرفان فيها بحقوق متساوية . فلما تعذر هذا الحل ايد مشروع **القرار الخاص بتقسيم فلسطين** فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ ، « باعتباره أكثر الحلول انصافا » ، حينذاك على حد قول **أندريه جروميكو** فى مايو ١٩٤٨ .

ونجد بعد ذلك أنه فى حين كان الجناح « اليسارى » فى الحركة الصهيونية ، يحاول ايهام الاتحاد السوفيتى بأنه يسيطر على الحكم فى اسرائيل ويوجهه توجيها « يساريا » ، كان مندوبو الدول العربية فى الامم المتحدة ، ينفرون من مندوبى البلاد الشيوعية ، ويرفضون التفاهم معهم ، وبرغم التأييد التام من جانب الاتحاد السوفيتى للدول العربية وتضامنه الكلى معها فى مساعيها من أجل الاستقلال ، وهو ما اتضح تماما فى مواقفه فى الجمعية العامة ومجلس الامن فى ١٩٤٦ خاصة ، نجد أن الحكومة المصرية مثلا تصدر تعليماتها الى رئيس وفدها فى الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ برفض أى تعامل مع الوفد السوفيتى فى الامم المتحدة .

وأخيرا فان هذه الفترة شهدت تبادل العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل على مستوى **المفوضية** ، بعد اعتراف الاتحاد السوفيتى باسرائيل .

المرحلة الثالثة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٥

اما **المرحلة الثالثة** فى تطور الموقف السوفيتى فتمتد ما بين قيام دولة اسرائيل فى ١٩٤٨ ، وعقد **صفقة الاسلحة التشيكية مع مصر** سنة ١٩٥٥ ، وترجع أهمية هذه المرحلة الى انها شهدت بداية تحول السياسة السوفيتية تحولا كبيرا ، نحو التأييد الفعال والدعم العملى للموقف العربى . فقد بدأ الفتور يصيب العلاقات السوفيتية الاسرائيلية منذ أوائل الخمسينات بعد قضية « **الاطباء اليهود** » فى موسكو الذين اتهموا بمحاولة قتل بعض كبار القادة السوفيت بالاتفاق مع بعض المنظمات اليهودية الامريكية ، واتهام بعضهم بالولاء لاسرائيل وللصهيونية . وقد تلا ذلك قيام مظاهرات معادية للاتحاد السوفيتى فى اسرائيل ، واحراق المكتبة السوفيتية فى القدس ، والقاء قنبلة على مقر البعثة الدبلوماسية السوفيتية فى تل أبيب ، مما دعا الاتحاد السوفيتى الى التنديد باسرائيل فى مذكرة الى السفير الاسرائيلى فى موسكو سنة ١٩٥٣ ، وردت اسرائيل على ذلك باتهام الاتحاد السوفيتى بمعاداة السامية ، مما دعا جريدة الجيش الاحمر لان ترد قائلة : « **ان النضال ضد الصهيونية لا يرتبط اطلاقا بمعاداة السامية** ، ولا شك لدى السوفيت فى أن **اسرائيل هى مجرد دولة رأسمالية تعتمد على واشنطن** »[٢] ، كما وصفت «**البرافدا**» القادة الاسرائيليون بأنهم « **مجموعة من الكلاب المتعطشة الى الدماء** »

[٢] لوبيس ازاجون — تاريخ الاتحاد السوفيتى — لندن سنة ١٩٦٢ ص ٥٢٤ .

ووصفت الاسرائيليون بأنهم « **أناس يبيعون وطنهم وأهلهم وشرفهم من أجل الدولار** » وقد بلغ التوتر في العلاقات بين البلدين قمته سنة ١٩٥٣ بقطع العلاقات الدبلوماسية من جانب الاتحاد السوفيتي في يناير ١٩٥٣ ، ولكنها استؤنفت في نفس العام ، بعد أن قدمت اسرائيل تعهدات بأنها لن تنضم الى أى حلف أو ميثاق يهدف الى الاعتداء على الاتحاد السوفيتى .

المرحلة الرابعة من ١٩٥٥ حتى الآن

اما **المرحلة الرابعة** من سنة ١٩٥٥ وحتى الان فتتميز بالتحول **العدائى الصريح** فى العلاقات السوفيتية الإسرائيلية ، وباكتساب الموقف السوفيتى ازاء القضية الفلسطينية طابعا أكثر تحديدا . وقد تأكد هذا الاتجاه تدريجيا فى موقف الاتحاد السوفيتى من الموضوعات المتفرعة عن القضية الفلسطينية فى الامم المتحدة ، فأصبح يقف وخاصة منذ ١٩٥٤ بجانب الدول العربية ، بعد أن كان يكتفى قبل ذلك بالامتناع عن التصويت على القرارات التى تتخذ بشأن القضية ، كذلك فان موقف الاتحاد السوفيتى اثناء العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ معروف ، حيث وجه بولجانين انذارا حازما الى بنجوريون فى نوفمبر ١٩٥٦ حذره فيه من أن « **كيان اسرائيل فى حد ذاته قد أصبح محل شك كبير** » وذلك لردع الاسرائيليين ووقف العدوان على مصر . وفى ١٩٦٣ صوت الاتحاد السوفيتى مع الدول العربية ضد مشروع القرار الذى يدعو الى المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل مما أدى الى اسقاط المشروع . وتأكد تقييم الاتحاد السوفيتى لاسرائيل باعتبارها آلة لوول ستريت « **وبلدا رأسماليا رجعيا تضطهد فيه الاقلية العربية والجماهير الشعبية وتستغل** » .

وفى تلك الفترة تحدد موقف الاتحاد السوفيتى فى تأييده « **للحقوق المشروعة لعرب فلسطين** » . والمقصود بها حقوقهم بمقتضى قرارات الامم المتحدة المتعلقة **بالسماح للاجئين الراغبين فى العودة الى ديارهم بأن يفعلوا ذلك فى أقرب وقت ممكن ، وتعويض الذين لا يرغبون فى العودة حسب قواعد القانون الدولى** . وقد جاء هذا الموقف فى عديد من البيانات والخطب السوفيتية . البيان المشترك فى ١٥ مايو ١٩٥٨ عقب زيارة **عبد الناصر** للاتحاد السوفيتى : « بحثت الحكومتان قضية العرب الفلسطينيين وطردهم من منازلهم ، كما بحثنا ما يترتب على انكار حقوق الانسان من تهديد السلام والامن فى هذه المنطقة ، وتعيدا تأكيد **تأييدهما التام للحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين** » . وتأكد ذلك الموقف فى البيان المشترك مع وفد جبهة التحرير الجزائرية فى مايو ١٩٦٥ ، وعقب زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٦٥ ، وزيارة رئيس وزراء سوريا لموسكو فى ابريل ١٩٦٦ ، كما تأكد فى خطاب **كوسيجين رئيس** وزراء الاتحاد السوفيتى فى القاهرة فى مايو ١٩٦٦ ، وفى البيان المشترك الصادر عقب محادثاته والذى اعلن فيه « **تأييد الجانب السوفيتى التام للحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى ، كاملة لا تتجزأ** » . وتأكد نفس الموقف السوفيتى فى العديد من البيانات الاخرى بعد ذلك . وفى ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، طالب الاتحاد السوفيتى على لسان **جاكوب ماليك** ، باقرار السلام فى الشرق الاوسط على أساس **انسحاب اسرائيل من الاراضى « التى احتلتها خارج نطاق قرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧** عن الجمعية العامة للامم المتحدة » .

ويسهم الموقف السوفيتى اسهاما واضحا فى خدمة القضية الفلسطينية على المستوى العالمى بشكل غير مباشر ، وذلك عن طريق ايضاح حقيقة اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، ومن اهم الامثلة على ذلك **اقتراح ممثل الاتحاد السوفيتى ادانة الصهيونية** عند مناقشة اللجنة الاجتماعية والانسانية والثقافية التابعة للامم المتحدة لمسودة معاهدة ترمى الى ازالة التمييز العنصرى بكافة صوره واشكاله . وكذلك موافقة الوفد السوفيتى فى مؤتمر تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية سنة ١٩٦٦ على قرار ينص على اعتبار الصهيونية « **حركة استعمارية بطبيعتها وهويتها ، عدوانية توسعية بأهدافها ، عنصرية فى تركيبها ، وفاشية فى أساليبها ووسائلها** » ، فضلا عن اعلان الاتحاد السوفيتى مرات عديدة تأييده للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلى على أساس ان لكل شعب يعانى من العدوان « **الحق الكامل فى أن يقاوم المعتدين ، وأن يحرر أرضه** » .

ولا تغيب عن الذهن ايضا الاتصالات التى أجراها الاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٧٠ من أجل الوقف العاجل للمذابح ضد المقاومة والشعب الفلسطينى فى الاردن ، وتحذيره للولايات المتحدة فى تلك الفترة ، بسبب تحركات الاسطول السادس ، فقد أعلن **بريجنيف** فى باكو فى ذلك الوقت « **اننا قد تطلعنا لتقديم كل ما نستطيع من عون للتوصل الى وقف نهائى للصراع الذى يقتل فيه الاخ أخاه فى الاردن ، بما فى ذلك وقف الهجمات على فصائل حركة المقاومة الفلسطينية . لقد اعتبرنا وما زلنا نعتبر أن التدخل العسكرى الاجنبى كائنا ما كان فى الاحداث الدائرة فى الاردن ، هو أمر غير مسموح به قطعيا ... ان مثل هذه التلاعبات الفاضحة بمصائر الدول المستقلة وشعوبها قد اصبحت خطيرة فى زمننا**

هذا ، ذلك انها يمكن أن تحرق أصابع القائمين بها ، بل تصيب أيديهم بالشلل » .

كذلك لا ينسى أيضا دور الاتحاد السوفيتي لصالح القضية الفلسطينية فى لقاءات القمة الامريكية — السوفيتية ، فقد أشار البيان المشترك لاجتماع موسكو [١٩٧٢] **لاول مرة** الى حقوق عرب فلسطين ، وقد اعرب قادة الشعب الفلسطينى وعلى رأسهم « **ياسر عرفات** » ، عن تقديرهم وامتنانهم لهذا الموقف من جانب الاتحاد السوفيتى ، اذ أعلن فى برلين الشرقية فى أغسطس ١٩٧٣ « لقد ثمنا تثمينا عاليا ما بذله الرفيق بريجنيف ، مع الرئيس نيكسون **من أجل تثبيت حقوق الشعب العربى الفلسطينى** فى البيان السوفيتى — الامريكى المشترك ، ونحن نعتبر هذا **خطوة كبيرة على طريق كفاحنا الطويل** » .

وفى اجتماع واشنطون [يونيو ١٩٧٣] بين **بريجنيف ونيكسون** ، تمكن الزعيم السوفيتى من انتزاع توقيع الرئيس الامريكى على بيان رسمى يتحدث عن **الشعب الفلسطينى ، وحقوقه المشروعة** ، وتعبير الشعب الفلسطينى هنا ، يختلف عن تعبير الفلسطينيين الذى كان المسئولون الامريكيون يتداولونه عادة بصفة دائمة . كذلك فسر المراقبون عدم ورود اشارة للقرار ٢٤٢ فى البيان المشترك الصادر عن اجتماع القمة فى موسكو [١٩٧٤] والاشارة الى تسوية المشكلة على أساس القرار ٣٣٨ ، فسروا ذلك على أساس أن المقصود به هو **فتح الطريق أمام مشاركة الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف** ، خاصة وأنهم يرفضون القرار ٢٤٢ كأساس لتسوية مشكلتهم الوطنية .

الموقف السوفيتى الراهن

أما فيما يتعلق بالموقف السوفيتى الراهن من القضية الفلسطينية ورؤية الاتحاد السوفيتى لافاق تطور هذه القضية ، فان زيارة **ياسر عرفات** الاخيرة للاتحاد السوفيتى ، انما تعتبر أبرز الاحداث ذات الدلالة فى مضمار تطور العلاقات السوفيتية — الفلسطينية ، كما تعكس بدلالاتها آخر تطورات الموقف السوفيتى تجاه هذه القضية .

وقد اجتمع ياسر عرفات والوفد المرافق له مع **بوريس بونوماريف** سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والعضو الاحتياطى بالمكتب السياسى ، **وفاسيلى كوزينتسوف** النائب الاول لوزير خارجية الاتحاد السوفيتى وروبستيسلاف اوليانوفسكى مساعد مدير القسم الدولى التابع للجنة المركزية للحزب .

وقد علقت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » على المحادثات السوفيتية الفلسطينية بأنها « **كانت ذات أهمية كبيرة جدا** ، **وتوصلت الى النتائج الايجابية المأمولة** ، خاصة بعد اقامة تمثيل رسمى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى موسكو . وقد ركز السوفيت بصفة خاصة فى المحادثات على ضرورة اشتراك وفد فلسطينى مستقل فى مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الاوسط . وجاء فى البيان الذى اذاعته وكالة **تاس** فى ٨/٣ الماضى عن محادثات ياسر عرفات فى موسكو : « **ان الاتحاد السوفيتى يؤيد اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مؤتمر جنيف بنفس الحقوق التى تتمتع بها الاطراف الاخرى** » . وأكد البيان أنه لا سلام دائم فى الشرق الاوسط بدون « **استعادة الشعب العربى الفلسطينى لحقوقه القومية الشرعية** » . ويفسر عديد من المراقبين السياسيين اصطحاب ياسر عرفات ، **لاسحق الخطيب** [الفلسطينى] وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاردنى ، الى موسكو ، بمثابة **تأكيد على تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية لكل الفلسطينيين سواء غربى النهر او شرقيه** . ومن الامور الجزئية ولكن ذات الدلالة أيضا ماأشارت اليه وكالات الانباء العالمية من أن السوفيت استقبلوا ياسر عرفات هذه المرة بتكريم أكبر ، وترحيب فياض ، وانزلوه لاول مرة فى أحد القصور المخصصة لكبار ضيوف الكرملين ، والتى تقع على تلال لينين . كما كان فى استقباله ممثلو الحكومة السوفيتية واللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، ولجنة التضامن الافروآسيوى .

وعلى أية حال ، فان ابرز ما يجسد الموقف السوفيتى الراهن من القضية الفلسطينية هو البيان المصرى — السوفيتى المشترك الذى صدر أثر زيارة وزير الخارجية المصرية والوفد المرافق له للاتحاد السوفيتى فى اكتوبر الماضى .

وقد تم فيه الاتفاق بين الجانبين المصرى والسوفيتى على أن التسوية السياسية النهائية والشاملة التى يجب التوصل اليها فى مؤتمر جنيف لاقرار السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط ، لا يمكن تحقيقها بغير تأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى ، ولا سيما حقه فى انشاء كيانه الوطنى .

كما عبر الجانبان عن ارتياحهما للقرار الذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها التاسعة والعشرين ، حول توجيه الدعوة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بوصفها ممثل الشعب الفلسطينى ، لتشارك فى مناقشات الجمعية العامة اثناء مناقشة قضية فلسطين ، واعتبر هذا القرار اعترافا دوليا على جانب كبير من الاهمية ، ويعكس الاهمية السياسية التى اتخذتها القضية الفلسطينية .

وقد أشارت بعض الصحف وثيقة الصلة بالمقاومة الفلسطينية في بيروت الى أن الاتحاد السوفيتي قد يقدم أسلحة حديثة ومتطورة الى المقاومة الفلسطينية وبصفة خاصة **الاسلحة المضادة للدبابات ، والاسلحة اللازمة للدفاع الجوى** . ويبدو أن هذه الانباء تؤخذ على محمل الجد فعلا لان **البير مخيبر** وزير الدولة اللبنانى علق عليها بقوله فى ٨/٣ الماضى « **ان الاتحاد السوفيتى حر فى ارسال أسلحة حديثة معقدة للمقاومة الفلسطينية . ولكن هناك شىء مؤكد هو أن هذه الاسلحة لن تدخل لبنان** » وقال ان لبنان اتخذ موقفا واضحا فى اجتماع مجلس الدفاع العربى الاخير فى ٣ يوليو الماضى فى القاهرة « **برفض أى تسليح لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين** فى الاراضى اللبنانية لان الدولة مسئولة عن كل مايوجد فى أراضيها » .

وفى الواقع ، يرى عديد من المعلقين السياسيين فى تقييمهم للموقف الراهن للاتحاد السوفيتى من الفلسطينيين والثورة الفلسطينية ، **أن الاتحاد السوفيتى ردا منه على موجة الهجوم الامبريالى المتزايدة فى شرقى البحر الابيض المتوسط ، والتى أحرزت مكسبا فى الاونة الاخيرة باقصاء الاسقف مكاريوس من قبرص ، واحتواء قوات حلف الاطلنطى للجزيرة ، وردا منه على المحاولات الماكرة من جانب قوى الامبريالية العالمية لاحتواء البلاد العربية واعادتها الى حظيرة النفوذ الامبريالى ، فانه أى الاتحاد السوفيتى يوحد قواه أكثر فأكثر مع أشد القوى ثورية وراديكالية فى المنطقة العربية ، أعنى بها الثورة الفلسطينية التى تعكس مصالح الشعب العربى الاكثر تعرضا ومعاناة من القمع الامبريالى الصهيونى ، والاكثر اخلاصا ووفاء بالتالى للمبادىء الثورية العربية فى النضال ضد الامبريالية والصهيونية .**

التقييم والرؤية السوفيتية

وتقوم الرؤية السوفيتية للنضال الفلسطينى الان على أساس أنه « **على الرغم من أن حركة المقاومة الفلسطينية قد أصبحت بالفعل عاملا سياسيا جوهريا ، الا أنها لا تزال تجد نفسها فى وضع صعب** ، ولذا فان القوى الرجعية تعمل على تمزيقها وافسادها ، وتقسيم صفوفها ، بأمل الاستفادة من ذلك فى المدى الطويل » .

ضرورة تحديد الاهداف التكتيكية جيدا

والواقع أن المقال الذى نشرته صحيفة « ازفستيا » السوفيتية فى ٢٩ يوليو الماضى بقلم **ليوتولكونوف** رئيس تحريرها ، والذى يعتبره أغلب المراقبين السياسيين ، أهم مقال نشر فى موسكو منذ عامين عن الفلسطينيين ، انما يعكس الى حد كبير ، التصور السوفيتى للنضال الفلسطينى الراهن، ولافاق تطوره ، والضرورات التى ينبغى توفيرها من الان ، لضمان سير هذا التطور ايجابيا .

وقد أوضح تولكونوف فى مقاله أن « الحركة الفلسطينية تحتاج فى المرحلة الراهنة ،وبالاضافة الى الاهداف الاستراتيجية ، الى **ضرورة تحديد الاهداف التكتيكية تحديدا جيدا** ، وبمعنى آخر ، يتعين عليها ان تضع برنامجا يمكن ان يتلاءم مع الجهود الدولية المبذولة من أجل تسوية مشكلة الشرق الاوسط على أساس عادل » .

كما أشار الى ضرورة أن تربط الحركة الفلسطينية « **بين مهمتها التحريرية ، ومهمتها الاجتماعية والثورية** سواء بين الفلسطينيين الذين يعانون من نير الاحتلال الاسرائيلى ، أو الذين يعيشون فى المنفى » .

وقد استنكر الاتحاد السوفيتى على صفحات أزفستيا ، محاولات أولئك الذين يسعون الى « تملك » الدولة الفلسطينية ، اذا هى تمثلت فى قطاع غزة والضفة الغربية للاردن بأمل تحقيق ما يسمى **بالحكم الذاتى الفلسطينى فى اطار المملكة الاردنية** .

وفيما يتعلق بالتطور فى المستقبل ، **يأمل الاتحاد السوفيتى أن يؤول النضال الفلسطينى الى دولة ديموقراطية ثورية على أقل تقدير ، لا دولة تتولى فيها البرجوازية الفلسطينية مقاليد الامور** . وبهذا الصدد « انتقدت « أزفستيا » **المحاولات التى تستهدف خنق الروح الثورية لدى الفلسطينيين ، ووضع البرجوازية على رأس الدولة المقبلة عندما تنشأ ، تلك البرجوازية التى ستتعاون تعاونا وثيقا مع الرجعية العربية ، والامبريالية ، والانظمة التى تتبع سياسة موالية للامبريالية فى الشرق الاوسط** » .

كذلك يركز الاتحاد السوفيتى على ضرورة تعاون الحركة الفلسطينية مع القوى التقدمية الاخرى فى العالم العربى ، وهو يرى « **أن هذه الحركة تعتبر أحد عوامل التطور الثورى الكامنة فى العالم العربى اليوم ، ومن ثم فان تعاونها مع القوى التقدمية الاخرى ، سيعود بفائدة كبرى على مجمل تطور حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى ، وبالتالى على النضال ضد النفوذ الامبريالى ، والنشاط الهدام الذى تقوم به الرجعية العربية** » .

ضرورة توحيد المنظمات والبرنامج الواحد

ويرى الاتحاد السوفيتى فى تقييمه لحركة المقاومة الفلسطينية الان ، ان **الاتجاهات الواقعية**

داخل الحركة تزداد تدعما أكثر فأكثر ، على **أساس** أن كافة المنظمات الفلسطينية تقريبا **تتخذ موقفا** أكثر واقعية من ذى قبل ، لا عن طريق رفع شعار تدمير اسرائيل ، وانما « **لان كثيرا من هذه المنظمات ترى أنه ، فى حالة انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية للاردن ومن قطاع غزة ، فانه يمكن اقامة دولة فلسطينية فى هذه المناطق** » ومن هنا تتضح مساندة الاتحاد السوفيتى لفكرة قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك على النحو الذى تراه منظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطينى .

ويرى السوفييت فى تقييمهم للحركة الفلسطينية « **انها ليست متجانسة من الوجهة الطبقية** [٣] . **فالى جوار القوى التى تتجه نحو التطور التقدمى وهذه القوى — هى التى تشكل نواة الحركة — هناك الرجعيون والمتطرفون ، وهناك أيضا الناس البسطاء الذين لا يدركون العلاقات الحقيقية المتبادلة بين القوى ، والذين لا يضعون فى اعتبارهم خصائص الصراع ، ولا يعرفون كيف يختارون التكتيكات السليمة . وفى هذا الجو تبذل الرجعية العربية أقصى جهودها لكى لا تسمح لهذه الحركة بتلاحم صفوفها تلاحما قويا ، وباقامة علاقات وثيقة قوية بالقوى التقدمية فى العالم العربى ، وبتوطيد تعاونها مع الدول الاشتراكية** » .

وفى الختام يرى السوفيت [٤] « **أنه تتوفر لحركة المقاومة الفلسطينية فرص كثيرة للتغلب على المصاعب القائمة ، وذلك بالكفاح لتوحيد المنظمات ، ووضع برنامج واحد محدد ، وبدعم التعاون مع الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى ، وتوثيق الاتصال بحركات التحرير ، وخاصة فى منطقة الخليج الفارسى** » .

الدول الاشتراكية الاخرى : المساندة والتأييد

وفيما يتعلق بالدول الاشتراكية الاخرى فى شرق أوروبا ، فانها تتخذ نفس موقف التضامن والتأييد والمساندة لقضية الشعب الفلسطينى ، والذى يتخذه الاتحاد السوفيتى . وتبرز بهذا الصدد مواقف **جمهورية المانيا الديموقراطية** التى امتنعت من قبل ، عن دفع أى تعويضات مالية لاسرائيل أو المنظمات الصهيونية الاخرى ، والتى سمحت منذ حوالى عام بافتتاح **أول مكتب لمنظمة** التحرير الفلسطينية فى الدول الاشتراكية الاوروبية . وكذلك موقف **بولندا** التى سمحت أخيرا بافتتاح مكتب للمنظمة فى وارسو ، وتتخذ موقف التضامن القوى أيضا **بلغاريا** ، وغيرها من الدول الاشتراكية الاخرى فى شرق أوروبا ، والتى لا يقف دعمها للشعب الفلسطينى ونضاله عند حدود التأييد المعنوى فحسب ، وانما يتخطاه الى التأييد المادى الملموس الكفيل بدعم حركة التحرير الفلسطينية وتحقيق قوتها ومنعتها .

حول موقف رومانيا

أما **رومانيا** فكانت الدولة الشيوعية الوحيدة التى خرجت على اجماع المعسكر الاشتراكى كله ، فيما يتعلق بادانة عدوان ١٩٦٧ ، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . بل على العكس من ذلك ، حدثت بعد ١٩٦٧ ، سلسلة من اللقاءات الرومانية الاسرائيلية على شكل تبادل للوفود السياسية والتجارية . وبينما كانت الدول الاشتراكية تقاطع اسرائيل اقتصاديا ، كان حجم التبادل التجارى بين رومانيا واسرائيل ، ينمو باضطراد فازدادت الصادرات الاسرائيلية لرومانيا من ٥ر٥ مليون دولار سنة ١٩٦٧ الى ٩ر١٤ مليون دولار سنة ١٩٦٩ ، والواردات الاسرائيلية من رومانيا من ٥ر٩ مليون دولار سنة ١٩٦٧ الى ٦ر١٧ مليون دولار سنة ١٩٦٩ . ورفعت درجة العلاقات بين البلدين من مرتبة مفوضية الى مرتبة سفارة سنة ١٩٦٩ .

ومع ذلك نجد أن كافة البيانات الرومانية وخاصة ابتداء من سنة ١٩٦٩ ، كانت تؤكد فى الواقع وقوف رومانيا الى جانب نضال الشعوب العربية ، وتعارض سياسة الاحتلال والضم الاسرائيلية لمناطق عربية ، وتطالب بحل قضية الشرق الاوسط طبقا للقرار ٢٤٢ .

لكن رومانيا على أى حال اتاحت لاسرائيل ، بزيارة **جولدا مائير** لبوخارست فى ١٩٧٢ ، فرصة لاختراق ستار العزلة الذى كانت تعانى منه فى مجال علاقاتها بالدول الاشتراكية واليسار العالمى كما اتاحت لاسرائيل فرصة التوجه من على منبر رومانيا الى اليهود فى الدول الاشتراكية ، وذلك على الرغم من أن رومانيا ، طالبت اسرائيل خلال هذه الزيارة بالانسحاب من المناطق المحتلة ،

[٣] ازفستيا : ليوتولكونوف — حول مصاعب ومهام حركة المقاومة الفلسطينية — ٣٠ يوليو سنة ١٩٧٤ .
[٤] نفس المرجع السابق .

واكدت ضرورة حل أزمة الشرق الاسط عن طريق تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى ايه حال فان ابرز مواقف رومانيا الاخيرة من القضية الفلسطينية يتضحمما اعرب عنه الزعيم الروماني **نيكولاى تشاوتسيسكو** لمراسل صحيفة **«معاريف»** الاسرائيلية فى بوخارست ، حين اعلن تأييده **لاقامة دولة مستقلة للشعب فلسطين** على اساس أن **اقامة هذه الدولة ستسهم فى حل أزمة الشرق الاوسط** » .

الصين « تعزيز الوحدة والحرب الشعبية طويلة الامد »

اما **الصين الشعبية** ، فيعتبر من ابرز ايجابيات سياستها الخارجية عامة ، تأييدها القوي الحاسم للمقاومة الفلسطينية ، منذ وقت مبكر ، ومنذ بداية النضال الفلسطيني المسلح الذى كانت حركة التحرر الوطني الفلسطيني «فتح» طليعته .

ومن المعروف أن اسرائيل حاولت منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ ، اقامة علاقات دبلوماسية معها ، فبادرت فى ٩ يناير سنة ١٩٥٠ الى الاعتراف بالصين الشعبية اعترافا قانونيا كاملا ، وعلى الرغم من انها كانت **أول دولة فى الشرق الاوسط تعترف بالصين الشعبية** ، وثامن دولة غير شيوعية فى العالم تعترف بها ، **الا أن الصين رفضت الاعتراف باسرائيل** .

وقد كان **موقف اسرائيل من الحرب الكورية** عاملا اضافيا على مزيد من التشدد الصيني تجاهها ، فقد قدمت اسرائيل معدات طبية الى قوات العدوان فى كوريا التى حاربت تحت أعلام الامم المتحدة ، ضد قوات كوريا الشمالية والقوات الصينية ، وأيدت اسرائيل فى الامم المتحدة ، قرار اعطاء القوات المحاربة تحت علم الامم المتحدة ، سلطة عبور خط عرض ٣٨ لاعادة توحيد كوريا بالقوة .

كذلك فقد كان للمناقشات التىاجراها الرئيس **جمال عبد الناصر** فى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ مع **شواين لاى** رئيس وزراء الصين أثرها فى المزيد من ادراك الصين لطبيعة القضية الفلسطينية . ففى مناقشات اللجنة المختصة بقضية فلسطين ، طالب **شواين لاى** بصياغة أقوى من مشروع القرار الافغاني الذى أيدته الدول العربية . واقترح توجيه **نداء عالمى** بشأن **اللاجئين العرب** بدلا من الاعتماد على بحث قرارات الامم المتحدة . وفى الخطاب الذى القاه فى الاجتماع الختامى لمؤتمر باندونج أعلن « ان الشعب الصيني يشمل بعطفه الكامل وتأييده ، نضال الشعب العربى فى فلسطين من أجل الحقوق الانسانية » .

وقد استمر تأييد الصين للدول العربية فى نضالها ضد الامبريالية ، وللشعب الفلسطيني من اجل حقوقه المشروعة ، طوال فترة نضاله السياسى السابق على بدء الكفاح المسلح ، وعندما بدأت طلائع حركة التحرر الوطني الفلسطيني « فتح » تخطط للكفاح المسلح ، فانها وجدت فى الصين الشعبية كل عون ادبى ومادى ، حيث تلقت بعض عناصر فتح تدريبها العسكرى فى الصين الشعبية التى قامت بالاضافة الى ذلك بتزويد الحركة بالاسلحة الخفيفة والمتوسطة والذخائر .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت عبارة « الحقوق المشروعة للعرب ، بصدد القضية الفلسطينية » تعنى فى المفهوم الصيني « **حق الشعب الفلسطيني فى العودة الى وطنه** » وقد اكتسب هذا المفهوم بعدا ثانيا لدى الصينيين أساسه **المطالبة بتصفية الكيان العنصرى الاسرائيلى** . وقد أوضح مصدر رسمى صيني موقف بلاده بصفة عامة فقال : « ان موقفنا واضح صريح ، لا نسال فيه عما اذا كنا سنعترف باسرائيل أم لا نعترف بها ، بل عما اذا كانت اسرائيل ستبقى أم لا تبقى ، **لاننا لا نريد لها البقاء ، ولن ندخر وسعا فى القضاء عليها** » . كما صرح شواين لاى « **أن اسرائيل قاعدة للاستعمار يجب العمل على تصفيتها ولو بالقوة** » .

وعندما أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٥ ، اعترفت بها الصين كممثلة للشعب الفلسطيني ، **وافتتح مكتب للمنظمة فى بكين فى مايو ١٩٦٥** .

وتقوم الرؤية الصينية للقضية الفلسطينية على اساس **أن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني لا يمكن بلوغها ، الا عن طريق النضال الثورى الشعبى المسلح** . وقد أوضحت مجلة « الشعب » الصينية : « **أن الشعب الصيني يرى أن النضال المسلح هو الطريق الصحيح لعودة الشعب الفلسطيني** » .

وانطلاقا من هذا المفهوم قدمت الصين الشعبية المساعدات المادية والمسلحة والمواد الطبية والملابس والاجهزة الزراعية للعمل الفدائى الفلسطيني . وكرر شواين لاى أثناء زيارة **ياسر عرفات** لبكين تأييده « بأن الصين الشعبية مع المقاومة بلا حدود وحتى النهاية » .

على أن اسرائيل لم تدخر وسعا فى سبيل اقامة أى نوع من العلاقات مع الصين الشعبية ، وعرضت عشرات المرات ، ايفاد وفود — على أى مستوى — لزيارة الصين ، والبحث فى

انشاء علاقات اقتصادية ، او ثقافية او فنية ، أو صناعية ، أو حتى رياضية معها ، ورفضت الصين ذلك ، وعرضت اسرائيل لقاءات خارج الصين ، بين بعض سياسييها وبين الدبلوماسيين الصينيين ، لكن الصين رفضت العرض . ووقفت اسرائيل مؤيدة للصين فى بعض المحافل الدولية ، ولم تكترث الصين بهذا التأييد ، مثلما حدث عندما أيدت اسرائيل دخول الصين الامم المتحدة ، وسارعت بالابراق مهنئة بعد نجاح الصين . ورفضت الصين برقية التهنئة الاسرائيلية — بأن اعادتها — دون مجرد فتحها . وحاولت اسرائيل الاتصال بالصين عن طريق سفيرها فى وارسو ، وأعلنت عن استعدادها لقطع كل صلة لها بحكومة « **شانج كاى شيك** » اذا كانت الصين مستعدة لان تبادلها الاعتراف ، وان تدخل معها فى مفاوضات تجارية ، ولكن الصين رفضت حتى مجرد الرد . ورفضت محاولات **ابا ايبان** الاتصال بممثلى الصين خلال زيارته لبعض الدول الاسيوية .

ولم تجد ، ايضا ، محاولات استخدام اسرائيل لبعض الساسة المتعاطفين معها فى هذا السبيل مثل **منديس فرانس** رئيس وزراء فرنسا الاسبق ، الذى طالب فى اجتماعه **بشواين لاى** فى العام الماضى أن تكون المسئوليات الدولية الجديدة للصين التى ترتبت على عودتها للامم المتحدة حافزا على فتح صفحة جديدة من « التفاهم الموضوعى » مع اسرائيل . ولكن منديس فرانس لم يلمس « أى استعداد لتحول أو تبدل فى موقف الصين من اسرائيل » .

وفشلت كافة المحاولات الاسرائيلية الاخرى فى اثناء الصين عن موقفها ، مثل ايفاد الصحفيين اليهود والصهيونيين الى الصين ليكونوا ابواقا لها ، وضم مجموعة من العناصر الموالية لها فى الوفد الرسمى الذى رافق الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون أثناء زيارته للصين ، ممن اختلقوا المناسبات للحديث عن اسرائيل . ومطالبة اسرائيل لبعض الدول المسايرة لها بتعيين يهود بين أعضاء سفاراتها فى بكين لمحاولة اقناع المسئولين الصينيين بتغيير موقفهم من اسرائيل ، واقناعها بعض رجال الاعمال اليهود ، بحضور المعارض الصينية الدولية التى تقام فى « **كانتون** » فى الربيع والخريف ، لمحاولة اقناع المسئولين عن التجارة فى الصين بتغيير موقفها من اسرائيل ، الا أن كل هذه المحاولات جميعا اخفقت فى احداث اى تغيير فى موقف الصين .

وفضلا عن كافة ألوان التأييد المادى ، قدمت الصين كذلك تأييدها المعنوى للثورة الفلسطينية ، فرئيس بعثة منظمة التحرير ، يعامل فى بكين معاملة السفراء بالكامل . ورئيس منظمة التحرير ، يعامل معاملة رؤساء الدول ، بالاضافة الى مساندة الصين للوفود الفلسطينية فى جميع المحافل الدولية التى تشترك فيها ، واسهامها فى الكثير من النفقات التى ترتبت على خروج الشخصية الفلسطينية الى المجال الدولى .

وفى الختام ، فأن الصين ، تعارض تماما مشروع المملكة العربية المتحدة الذى ترفع الاردن لواءه ، وتعتبره الصين بمثابة « تصفية للقضية الفلسطينية » . وقد أوضح مصدر صينى مؤخرا « **أن الفلسطينيين لم يصلوا بعد الى تحديد برنامج واضح ، وأنه توجد بينهم خلافات كبيرة فى وجهات النظر** » الا أن نفس المصدر أوضح « **اننا نحترم دائما آراء أصحاب المشكلة ومواقفهم . ولا يمكن أن نسمح لانفسنا بتحديد شروط ومطالب بعيدا عن أصحاب القضية الاساسية** » .

وفيما يتعلق بالرؤية الصينية لمستقبل تطور القضية الفلسطينية ، فان الصين الشعبية تعلق أكبر الآمال على قدرة الشعب الفلسطينى ، على المثابرة على **الحرب الشعبية طويلة الامد** ضد اسرائيل ومن ورائها الامبريالية الامريكية فى الشرق الاوسط ، وفى تقييمها لتطور الحركة الفلسطينية ترى الصين : « **أن الشعب الفلسطينى قد نما من قوة صغيرة وضعيفة الى قوة كبيرة وقوية . واستطاع أن يخلق بالبنادق وضعا ثوريا فى ظروف عسيرة** . وفى الوقت الحاضر ، قد نمت الوحدات الفدائية الفلسطينية ، حتى أصبحت قوة صدامية هامة معادية للامبريالية فى حركة التحرر الوطنى العربية ، **قوة تشكل عقبة كبيرة تحول دون تنفيذ الامبريالية الامريكية وشريكتها ، لمؤامرة مبوئيخ الشرق الاوسط**» [٥]

وفى الختام يحدد الصينيون رؤيتهم لمستقبل حركة التحرر الفلسطينية على أساس [٦] « اننا على يقين راسخ ، بأنه رغم ظروف الشعب الفلسطينى الشاقة نسبيا فى نضاله الحالى ، الا انه يستطيع حتما أن يطور وينمى **قوته** باستمرار فى النضال ، ويذلل شتى المصاعب فى طريق تقدمه ، ويحرز انتصارات متتالية **طالما يعزز وحدته ، ويثابر على الحرب الشعبية طويلة الامد** » .

---

[٥] كلمة وو ده نائب رئيس اللجنة الثورية لبلدية بكين فى تكريم وفد منظمة التحرير الفلسطينية — مايو سنة ١٩٧١ — بكين .

[٦] افتتاحية صحيفة الشعب — ٣ مايو سنة ١٩٧١ .

مكانة فيتنام هل تحتلها قضية فلسطين ؟

كمال السيد

٧٢ دولة معظمها من دول العالم الثالث الى جانب الدول العربية والاشتراكية ، تقدمت الى الامم المتحدة (مجموع أعضائها ١٣٨ دولة) بطلب اشراك مندوب منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، فى مناقشة القضية الفلسطينية فى الجمعية العامة للامم المتحدة · وهذا الطلب فى حد ذاته علامة طريق فى تطور الثورة الفلسطينية ، تؤكد بجلاء أن احساس العالم بالمشكلة قد وصل الى المرحلة التى جعلته مقتنعا بضرورة بحثها على النطاق الدولى ، وفى حضور أصحاب الشأن ، الامر الذى يختلف كثيرا عن المرات السابقة حيث تولى الدفاع عن القضية الاشقاء العرب أو الدول الصديقة ، وحيث كانت القضية تبحث كجزء من أزمة الشرق الاوسط — وليس كبند مستقل فى جدول الاعمال كما حدث فى الدورة الحالية — بطلب من هؤلاء أو من الدول الكبرى · أما فى المرة الحالية ، فقد أدرجت القضية بطلب من الفلسطينيين أنفسهم — عن طريق الدول العربية ، وكان نجاحهم فى جعل العالم « يحس » بمشكلتهم ، هو ضمان الاستجابة لطلب ادراج القضية ولطلب حضورهم بأنفسهم للمشاركة فى النقاش من قبل هذا العدد الكبير من الدول ·

والواقع أنه على مدار تاريخ الهيئة الدولية ، لم يشترك ممثلو اى من الثورات فى مناقشاتها الا عندما توافر لهم أمران : احساس العالم كله بمشكلتهم المتفجرة ، ونشوء الظروف الموضوعية التى تخلق امكانية « انتزاع » هؤلاء الثوار لحقوقهم فى مستقبل قريب ، وأهمها فى المحل الاول قوتهم وقدرتهم الذاتية على ذلك · وذلك هو الخط الذى يسير فيه الفلسطينيون بالفعل ·

فقد نجحوا أساسا عن طريق العمل العسكرى الذى بدأوه فى ١٩٦٥ ، متأخرا ١٧ عاما عن موعده (عن ١٩٤٨ عندما قامت دولة اسرائيل) وبمختلف الاعمال الفدائية فى الداخل والخارج وفى البلاد الاجنبية وفى الطائرات والمدارس وفى مباريات الالعاب — وبغض النظر عن اختلاف البعض فى تقييم بعض هذه الاعمال — نجحوا فى اجبار العالم على أن يحس بمشكلتهم · فبعض الدول — وبالذات الدول الامبريالية — لم يكن ليتحرك الا لاحساسه بأن أذى هذه الاعمال قد يطوله فى أرضه هو أو قد يذهب بمصالحه فى منطقة النزاع · لقد كانت هذه الدول الامبريالية من قبل مستريحة النفس قريرة العين ، الى علاج المشكلة المتمثل فى قيام اسرائيل بسحق كل محاولة للاحتجاج من قبل أصحاب الحق أو أشقائهم العرب · لكن بقاء الحال من المحال ·

فعندما بدأ العمل الفلسطينى المسلح وتكاتف مع النظم التقدمية فى مصر وسوريا ، ونما وتزايد ، لجأت اسرائيل الى البطش المعهود وعلى نطاق أوسع كثيرا مما درجت عليه من قبل ، لكن ذلك لم ينجح ، لان الظروف كانت قد تغيرت بفعل حقيقتين : الاولى أن عاملا جديدا ظهر فى الصورة ، وهو المقاومة الفلسطينية التى كانت تعبيرا عن رفض هذا الشعب للمصير الذى أريد له ، وذلك بغض النظر عن حجم وقوة وتأثير وفاعلية هذه المقاومة ، مقارنة بقوة اسرائيل أو من هم وراءها ، أو بالاوضاع المعوقة فى البلاد العربية ، المهم أن هذه المقاومة قد أكدت للجميع أن الجسد الفلسطينى حى ينبض مهما كان هذا النبض ضعيفا واهنا وخافتا · أما الحقيقة الثانية فهى أن « بطشة » ١٩٦٧ ، لم تجعل العرب يركعون والى الابد كما كان يحلم من أوصوا بمثل هذه الكمية من العنف ، على النقيض من ذلك ، فقد تزايد الحقد والسخط على اسرائيل ومن تعمل لحسابهم ، حتى غدا ثأرا شخصيا لدى كل عربى ، خصوصا مواطنى دول المواجهة ·

ومع تزايد عمليات المقاومة الفلسطينية ، واكتسابها مزيدا من الانصار ، سواء داخل

صفوف الجماعات المسلحة (فى اليابان ، المانيا الغربية، تركيا ، الخ) أو داخل الرأى العام العالمى ، وفى هذا لعبت الحركات اليسارية فى مختلف بلدان العالم دورا لا يقدر فى تنوير شعوبها بالحق الفلسطينى والاغتصاب الاسرائيلى ، مع تزايد عمليات المقاومة هذه نما الاحساس العالمى بالقضية وخطورتها ، وساعد على هذا كثيرا ، افتضاح الاطماع الاسرائيلية وتكشف مدى تعنتها ، ليس فقط فى مواجهة أصحاب الحق المباشر ، أى الفلسطينيين الذين نهبت أرضهم ، وانما أيضا فى مواجهة الجيران العرب ٠

القضيــة والعــالم الثالث

هذا على نطاق الاحساس العالمى بقضية فلسطين ، أما احساس بلدان العالم الثالث بحقوق شعب فلسطين ، فقد حكمته فى الواقع عدة اعتبارات ، أدت فى نهاية المطاف الى ايمان كثير من هذه البلدان بعدالة حقوق الفلسطينيين ، بعد أن كانت تعتقد بعكس ذلك ، أو فى أحسن الاحوال لا تلتفت الى المشكلة برمتها ، أو لا تدرك حقيقة أبعادها ٠ ومن أهم هذه العوامل التى أسهمت فى تطور موقف العالم الثالث :

■ **تطور موقفه أصلا من الاستعمار** ، فكثير من هذه البلدان كان خاضعا على الرغم من استقلاله الرسمى ، للسيطرة الاستعمارية خاصة سيطرة الولايات المتحدة التى كانت مثلا تهيمن على قارة بأكملها هى أمريكا اللاتينية ٠ ومن ثم كان موقف هذه الدول متأثرا بموقف البلدان الاستعمارية من القضية ، بفعل عملية التجهيل التى مارستها هذه الدول الاخيرة على الرأى العام فى البلدان الخاضعة للسيطرة والزامها لحكوماتها التابعة لها على تبنى نفس مواقفها ٠ لكن مع ظهور وتنامى الاتجاهات التحررية فى هذه الدولة ، لم يقتصر سعيها على تحرير شئونها الداخلية ، وانما شمل أيضا السعى لتحرير المواقف الخارجية ٠

■ ارتبط بهذا ودعمه ، افتضاح محــاولات اسرائيل للتقارب مع هذه الدول ، تحت مختلف الدعاوى من ذلك أنها ــ أى اسرائيل ــ دولــة صغيرة من العالم الثالث تتبنى خطا اشتراكيـا ، وتجاهد ضد اعتداءات جيرانها للحفاظ على مجرد وجودها ٠ فقد اتضح بجـلاء أن تقارب اسرائيل لحركات التحرر فى افريقيا ، مجرد تضــليل وخداع ، وتكشف أنها كانت تعاون الانفصاليين فى حركة انزانيا فى جنوب السودان ، والمنشقين فى بيافرا ، وتورد أسلحة من انتاجها للقــوات البرتغالية التى كانت تحاول ابادة ثوار أنجـولا وموزمبيق وغينيا بيساو ٠

كما أكد تطور الاحداث أن مساعدتها الفنية والاقتصادية لدول العالم الثالث ، ليست سوى رأس رمح للمشاريع الامبريالية ٠ وافتضح أن مناوئتها الشكلية للنظم العنصرية فى افريقيا هى مجرد مظاهر ، وأن العلاقات الاقتصادية متينة تماما بين اسرائيل وهذه النظم ٠ خاصة جنوب افريقيا الذى يصدر ماسه لتصنيعه فى اسرائيل ، ويستقبل ديان بعد هزيمته فى ١٩٧٣ ، استقبــال الابطال ٠

■ **فى الجانب المقــابل ، اكتسبت المقــاومة الفلسطينية تدريجيا ، مقومات حركة التحـرر الوطنى ، المعــادى للاســتعمار والامــبريالية والعنصرية** ٠ فالى جانب اثبات وجودها فى ميدان العمل المسلح والفدائى ، اســتكملت خطهــا وبرنامجها السياسى ، واستطاعت بطرحها شــعار الدول الديمقراطية الثنائية القومية ، أن تحدد لنفسها هدفا يجعل الاخرين يدركون غايات الحركة الفلسطينية ويعرفون ماذا تريد ، ومن ثم يحددون موقفهم من هذا والمدى الذى يذهبــون اليه فى تأييده ٠

وقد نجح الفلسطينيون عن طريق كشفهم للطابع العنصرى للدولة الاسرائيلية وتأكيد حقهم فــى العودة الى أرضهم ، فى استقطاب تأييد القارة الافريقية التى عانت كثيراً من التفرقة العنصرية والتى تدرك أكثر من غيرها آلام من يتعرضون لمهانتها وتسخط كثيرا على النظم التى تمارسها ٠ كذلك نجح الفلسطينيون بطرح شعار الدولــة الثنائية القومية ، فى اكتساب القوى الديمقراطية فى قارة أمريكا اللاتينية ، **ودحر أى دعاوى تتهم الفلسطينيين بالرغبة فى ابادة اليهود ٠ كمــا استقطبت المقاومة الفلسطينية بعملها المســلح ، قسما آخرا من القوى الثورية فى هذه القارة ، يؤمن بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيــد لاستعادة الحقوق ، بل انه لايحترم الامن يدافعون عن الحق بالسلاح** ٠أماآسيا فقد كانت منذ وقت مبكر ، أكثر تفهما لحقوق الفلسطينيين ، لاسباب عدة : منها أن الوعى المعادى للاستعمار والنظم العميلة أكثر ارتفاعا ، وأن المشكلة واقعــة فى اطارها من الناحية الجغرافية ، فضلا عن متانة روابطها النضالية مع الدول العربية ومن ثم تزايد احساسها بضرورة التضامن مع الحقوق العربية ، ويتضح هذا بجلاء من مواقف الهند والصين بالذات فى الامم المتحدة ابان الاعتــداءات الاسرائيلية ٠

كذلك كسبت القضية الفلسطينية الكثير من تعاطف قوى العالم الثالث فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية على حد سواء، عندما أكد أصحابها أن حركتهم جزء لا يتجزأ من الحركة العالمية المعادية للاستعمار، تستهدف التحرر الوطني والاجتماعي على حد سواء، وترى فى التضامن مع المناضلين فى بلدان العالم الثالث، خطا استراتيجيا فى عملها من أجل استعادة حقوقها •

■ **أما العامل الراجح والمؤثر على موقف بعض حكومات العالم الثالث من الحق الفلسطيني نفسه، فقد تمثل فى العمل العسكرى لمصر وسوريا فى أكتوبر ١٩٧٣، واستخدام العرب لسلاح البترول بمهارة** • فبهذا أكدت مصر وسوريا والعرب انهم الجانب الاقوى المؤثر، القادر على العمل والحركة، وان اسرائيل ليست بهذه السطوة والقدرة التى بهرت بها البعض واستحوذت على اعجابهم بل تأييدهم • ولا يعنى هذا القول بأن تلك الحكومات تنحاز تلقائيا الى جانب الاقوى • وانما يعنى أن ما حدث فى أكتوبر، قد أكد أن ضخامة العمل العربى والتضحيات العسكرية، لا يمكن أن يصدر الا عن أصحاب حق يسترخصون كل شىء فى سبيله، وانهم على استعداد لعمل أى شىء من أجل الدفاع عنه • وقد جعل هذا العمل، مضافا الى افتضاح العناد الاسرائيلى ورفضه كل محاولات التسوية حتى التى قامت بها بلدان العالم الثالث- مثل لجنة حكماء افريقيا ـ جعل الكثيرين يراجعون مواقفهم ويبحثون القضية بصورة شاملة، بحيث لا يقتصر موقفهم على مجرد التضامن مع الدول الافريقية العربية المعتدى على أراضيها، مثلما يفعل أعضاء منظمة الوحدة الافريقية، **وانما مضت هذه البلاد بل الحكومات للبحث فى أصل المشكلة، وآمنت بضرورة اتخاذ موقف من السبب الجذرى لهذا النزاع**، وبذا أدركت بصورة متزايدة عدالة الحق الفلسطيني وضرورة الاعتراف به، طريقا وحيدا لحل المشكلة •

صحيح أن تضامن دول العالم الثالث ـ خاصة الافريقية ـ قد تزايد كثيرا بعد حرب اكتوبر، الى جانب الدول العربية المحتلة أراضيها، حتى أن موقف بعض هذه الدول، بالذات فى أمريكا اللاتينية وفى افريقيا، قد انقلب رأسا على عقب، ووقفت الى جانب العرب بعد أن كانت تنحاز كلية الى اسرائيل وتعارض بعنف ادانة عدوانها فى ١٩٦٧، لكن التضامن مع الدول العربية كان موجودا من قبل حرب اكتوبر مهما كان نطاقه، والجديد الذى جاءت به هذه الحرب، هو « اكتشاف » الحق الفلسطيني باعتباره أصل ومفجر الحروب فى المنطقة •

جانب أساسى آخر لحرب أكتوبر ١٩٧٣، أكد أن آثار النزاع لا تقتصر على المنطقة فحسب، أو حتى على الدول الكبرى التى تناصر أحد طرفيه، وانما تمتد هذه الآثار لتشمل العالم كله، بل وتكون أشد تأثيرا فى العالم الثالث • وهذا الجانب هو استخدام سلاح البترول • فمهما كانت دوافع من لجأوا الى استخدام هذا السلاح فى زيادة دخولهم، وحتى أن باركته الولايات المتحدة التى تعد شركاتها من أكثر المستفيدين منه باعتبارها هى التى تستغل نفط المنطقة، ومهما كانت سلامة القول بأن الدول التى أضيرت هى فى الاساس دول صديقة ـ خاصة الدول النامية وتلك حقيقة لا تمارى ـ فان الواقع الموضوعى يؤكد ان اهتمام من أضيروا قد تزايد فيما يتعلق بسبب المشكلة، وهو حقوق الفلسطينيين • وأن من أضيروا أكثر، اهتموا بهذا أكثر •

من قبل أضيرت دول العالم كله، ومن بينها بلدان العالم الثالث، من جراء اغلاق قناة السويس وارتفاع تكاليف الشحن • لكن يبدو ان ذلك لم يكن مؤثرا بالدرجة الكافية التى تلزم الجميع بالبحث عن سبب الداء • لكن استخدام سلاح البترول ـ رغم أى تحفظات ـ دفع الكثيرين للبحث عن مصدر العلة • ويعد هذا من بين أروع انجازات اكتوبر ١٩٧٣، اذ استطاع بالاضافة الى نجاح العمل العسكرى المصرى السورى، تحويل موقف كثيرين من « أصل الحكاية »، الامر الذى أدى مع « رفع الفلسطينيين لصوتهم » بأعمالهم الفدائية والعسكرية وبتكثيف نشاطهم السياسى، الى تزايد « القبول الدولى » للحق الفلسطينى، وجعل معالجات دول العالم الثالث للقضية لا تقتصر على مطالبة اسرائيل باحترام حقوق وأراضى الدول العربية، وانما أيضا بحقوق بل وأرض الفلسطينيين •

■ **ساعد على هذا ودعمه، اهتمام الدول العربية بكسب دول العالم الثالث الى صف الحق العربى**، وتركيزها سواء على مستوى مؤتمرات القمة الافريقية ومنظمة الوحدة الافريقية، أو على مستوى مؤتمرات عدم الانحياز، أو مؤتمرات تضامن القارات الثلاث، على شرح سبب المشكلة والطريق الى حلها • وأخذت الجامعة العربية، والدول العربية المتقدمة خاصة دول المواجهة، تضع خططا لمقاومة التسلل الاسرائيلى الى دول العالم الثالث •

كما لعب الفلسطينيون دورا كبيرا فى هذا الصدد ، فقد تعددت مكاتبهم وبعثاتهم الدائمة والمؤقتة الى دول العالم الثالث ، تدعو لحقهم وتنبه لحقيقة المشكلة • كذلك دعمت المقاومة الفلسطينية روابطها مع حركات التحرر والقوى التقدمية ، فى دول العالم الثالث وحرصت على حضور مؤتمراتها ، ودعوة وفود منها لحضور مختلف مؤتمرات المقاومة •

نهاية حرب فيتنام

تزيد فرص الفلسطينيين

ومع النهاية الظافرة للحرب فى فيتنام ، استفادت حركة المقاومة الفلسطينية كثيرا من هذا من زاويتين :

● ان حرب فيتنام قد أكدت لدى الكثيرين ممن كانوا يستصغرون قوة حركة التحرر عامة ، ويستقلون امكانيات الثورة الفلسطينية خاصة بالمقارنة مع العدو ، ان شعبا صمم على استعادة حقه واستعد لبذل التضحيات اللازمة لذلك ، قادر على هزيمة اعتى القوى العدوانية ، ليس فقط اسرائيل ، وانما الولايات المتحدة ذاتها بكل ما تملكه من معدات القتل والابادة الجماعية المتطورة •

■ **ان حرب فيتنام كانت تستحوذ على انتباه واهتمام وتفكير كل القوى السياسية ، تقدمية كانت أو رجعية فى العالم ، بحيث لا يبقى الكثير للمناضلين الاخرين •** ومع انتهاء هذه الحرب بانتصار قوى الثورة فى فيتنام ، تصبح القضية الفلسطينية هى المرشحة بحكم وزنها وأهميتها وسخونتها لاحتلال مكانها فى اهتمام العالم وتفكيره ، شرط أن يعمل أصحابها على جعلها قضية متفجرة ساخنة تستحق الانتباه والتركيز •

- وفى نفس المستوى ، فان تصفية الحكم الاستعمارى البرتغالى فى افريقيا بعد الاطاحة بالنظام الفاشستى الاستعمارى فى لشبونه ، تجعل القضية الفلسطينية هى القضية الاولى فى مجال معركة التحرر الوطنى • **وفى هذا تتوافر للقضية الفلسطينية عناصر تزيد كثيرا من أهميتها فى هذا الصدد ، فهى تضم علاوة على كونها قضية تحرير الشعب الفلسطينى لارضه ، قضية تحرير أراضى البلاد العربية التى اغتصبتها اسرائيل ، بالتحديد تحرير أراضى مصر وسوريا ودورهما ومكانتهما كبيرتان لدى حركة التقدم العالمية** •كل ذلك يرشح القضية المركز الاول من اهتمام العالم • لكن لذلك شروط ، أهمها استمرار أصحابها فى العمل **بكل الطرق** فى سبيلها وقدرتهم على الربط الماهر بين العمل السياسى والعمل العسكرى واختيار المكان والوقت المناسب لكل نوع منهما ، مع الحرص الشديد على صفتها كجزء من حركة الثورة العالمية ، ومن ثم تدعيم **تلاحمها وروابطها العضوية** مع الروافد الاساسية الاخرى لهذه الحركة ، وهى ثورات التحرر الوطنى الاخرى المماثلة ، وحركة الاشتراكية العالمية ، وحركات القوى الديمقراطية والعمالية واليسارية فى البلدان الراسمالية • وهناك بالطبع بديهية تفوق ذلك كله أهمية ، وهى ضرورة حرص الفلسطينيين على تلاحمهم مع القوى والدول العربية التقدمية خاصة فى مصر وسوريا • **وللفلسطينيين دور لا يدانى فى الابقاء على حيوية قضيتهم ، ولن يكلفهم هذا سوى الاصرار على التمسك بالحق ، ورفض أى تسويات تتعارض مع هذا** • ذلك انه لو اجتمع العالم كله ، ورضيت الأطراف جميعها ، بتسوية للمشكلة وعبأت كل امكانياتها ومواردها لفرضها ، لما استطاعت ذلك دون موافقة الفلسطينيين ، مهما كان الوزن الفعلى لقوة هؤلاء الاخيرين بالقياس الى وزن القوى التى قد تريد حلا لا يرضاه اصحاب المشكلة • ان مجرد « لا » الفلسطينية قادرة على وقف أى مشروعات تستهدف التسوية **النهائية** للمشكلة اذا ما رأى الفلسطينيون انها غير مرضية لهم • لكن لذلك مخاطره ان لم يتم بمهارة وحنكة وان لم يكن له ما يبرره من الحق التاريخى والواقع الموضوعى ، أو أن صدر عن مجرد تشدد غير واقعى • **اذ يتعين على قوى الثورة الفلسطينية ان تتمسك بالحق لا تتنازل عنه ولا تساوم ، وان تحتفظ فى الوقت نفسه بتضامن وتكاتف الاشقاء والاصدقاء والمتعاطفين بل استعداد الاعداء المعقولين للحل المعقول** • وتلك معادلة صعبة للغاية ، وان كانت مواجهة الفلسطينيين لها حتى الان مواجهة رشيدة • ذلك انهم لم يعارضوا خطط البلاد العربية ، فى ازالة العدوان على أراضيها ، وحرصوا على التنسيق معها لتحقيق هذا •

لكل هذا وكثير غيره ، بدأ الحق الفلسطينى يتضح بصورة متزايدة لدى شعوب وحكومات العالم الثالث ، وبدأت تتهاوى النتائج السابقة لجهود اسرائيل للتغطية على هذا الحق فى تلك الدول والترويج لحقها/هى ، وبدأت تضعف فاعلية الاهتمام المرسوم للسياسة الخارجية بكسب هذه الدول والذى تجلت معالمه فى :

١ ـ اقامة علاقات دبلوماسية مع معظم بلدان العالم الثالث ، عدا موريتانيا والصومال

وافغانستان وباكستان واندونيسيا وفيتنام الديمقراطية وكوريا الديمقراطية والصين • بل لقد دأبت اسرائيل على التقرب من الدول المؤيدة للعرب ، وحرصت على الا تنتقد القادة الناقدين لها •

ب ـ تقديم صورة البلد المناضل الذى يجاهد من أجل استقلاله وحماية اراضيه من العدوان ، واقامة تجربة اجتماعية تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية والتقدم • فبجانب صورة « داوود الصغير الذى يناطح جوليات » سعت اسرائيل لاضفاء طابع اشتراكى على الحياة فيها ، بل كانت تصوت فى بعض لجان الامم المتحدة ضد سياسة التمييز العنصرى ووقفت الى جانب دخول الصين للامم المتحدة رغم عنف موقف هذه الاخيرة منها ، كما أنها لم تقم علاقات مع البرتغال احتجاجا على موقفها فى المستعمرات البرتغالية واشتركت فى المقاطعة الرسمية لحكومة روديسيا العنصرية ، بل أسرفت فى استضافة قادة حركات التحرر فى جنوب افريقيا وانجولا وموزمبيق وروديسيا • كذلك سعت اسرائيل للتقارب مع الحركات السياسية فى العالم الثالث ، مستغلة فى ذلك ان حزبها الحاكم عضو فى الاشتراكية الدولية ، وتمكنت من حضور مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الاسيوية فى رانجون فى ١٩٥٣ •

و ـ تقديم مساعدات اقتصادية وفنية وعسكرية وتعليمية لهذه الدول ، سواء بصورة مستقلة أو بتعاون مع الخطط والامكانيات الامبريالية •

وقد مكن اسرائيل من هذا ضعف العمل العربى لمواجهة مخطط اسرائيل فى العالم الثالث ، والناجم عن تدهور الاوضاع فى البلاد العربية وتناحرها ، أو انشغالها بقضاياها المباشرة ، أو حتى بالنزاع مع اسرائيل وحسب ، دون اهتمام بكسب الرأى العام العالمى • وفاقم من هذا الوضع تأخر بروز العمل الفلسطينى المستقل الى الساحة ، مما جعل القضية لفترة طويلة فى ايدى الانظمة الرجعية العربية ، التى عجزت بحكم طبيعتها وجوهرها عن اكتساب تعاطف العالم الثالث معها ، ورسبت فى المقارنة بينها وبين اسرائيل •

٣ مجالات للتحول

ورغم كل هذا ، فان بروز العمل الفلسطينى ، والاصرار العربى على التحرير وتحمل تبعات ذلك بل والقدرة عليه كما اتضحت فى حرب اكتوبر ، بالاضافة الى التعنت الاسرائيلى ، قد ساهم فى تحول مواقف كثير من هذه الدول •

وكان عام ١٩٦٧ مميزا فى تحول عدد من العالم الثالث من تأييد اسرائيل ـ بمختلف الدرجات ـ الى مناصرة الحق العربى ايضا بدرجات مختلفة . صحيح ان بعض هذه الدول استمر فى مناصرة اسرائيل على استحياء ، لكن عددا آخر امتنع ـ على الاقل ـ عن تأييدها ، كما ان عددا آخر أجبر على ادانتها وتأييد العرب على استحياء أو حتى وهو كاره ـ تحت ضغط الرأى العام فيه • ويمكن رصد التحول فى ثلاث مجالات : **مواقف الدول فى مجلس الامن والامم المتحدة ، مؤتمرات دول عدم الانحياز ، مؤتمرات القمة الافريقية • أما مؤتمرات الشعوب ، كالتضامن الاسيوى الافريقى واجتماعات الكتاب وغيرها ، فقد كانت على الدوام متفهمة لحقوق الشعب الفلسطينى ، ومؤيدة لاستعادة أرضه ووطنه •**

فى الامم المتحدة

وفى البدء كانت هناك ٢٤ دولة آسيوية وافريقية معادية لقرار مجلس الامن بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أو امتنعت عن الموافقة عليه • فقد صوتت ضده الفلبين ومدغشقر وتوجو وبتسوانا وجامبيا وغانا وليسوتو وليبريا وملاوى ، وامتنعت عن الموافقة عليه ـ وهو موقف لا يختلف كثيرا عن معارضة القرار ـ كل من افريقيا الوسطى وتشاد وداهومى وساحل العاج ونيجيريا وفولتا العليا ورواندا وسيراليون وكينيا واثيوبيا وفورموزا ولاوس ونيبال وسنغافورة وتايلاند •

أما دول أمريكا اللاتينية ، فقد ساندت اسرائيل فى كافة المعارك الدبلوماسية منذ ١٩٤٧ • ويرجع الكتاب السنوى عن القضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٧ هذا الى أسباب عدة منها النزعة الحقوقية التى يتميز بها الفكر السياسى فى هذه القارة ، والعمل الصهيونى الكثيف فى كافة المجالات فيها ونفوذ الولايات المتحدة • بل لقد كان من بين الاثنتين وعشرين دولة الاول فى الاعتراف باسرائيل ، ١١ دولة من امريكا اللاتينية • وكانت جواتيمالا هى ثانى دولة فى الاعتراف بعد الولايات المتحدة [الثالثة ليبريا] • ان مندوب كولومبيا لم يتورع ان يصرح عند مناقشة عدوان ١٩٦٧ فى مجلس الامن عن ان يصرح بأن التنكر المستمر لوجود اسرائيل كدولة يضعف التعايش السلمى فى الشرق الاوسط • واستطرد قائلا ان عدم الاعتراف باسرائيل من جانب العرب « عمل عدوانى » • وان سبب المشكلة ليس قيام اسرائيل وانما التنكر العنيد وغير المجدى لوجودها • بل ان ١٠ دول أمريكية

لاتينية كانت من بين الاثنتين وعشرين دولة التى نقلت سفاراتها من تل ابيب الى القدس بعد عدوان ١٩٦٧ ، وهى بوليفيا وشيلى وكولومبيا وكوستاريكا والدومينيكان واكوادور وجواتيمالا وبنما وأورجواى وفنزويلا . بل وسافر متطوعون من الارجنتين الى اسرائيل للحرب الى جانبها فى ١٩٦٧ .

لقد تقدمت ٣ قرارات فى ١٩٦٧ : أولها من الهند ويوجوسلافيا – وهو ماسمى بمشروع عدم الانحياز – ويدعو للانسحاب الاسرائيلى غير المشروط . وصوتت ضده الفلبين و ٩ دول افريقية هى مالاجاش وتوجو وغانا وبتسوانا وجامبيا وليسوتو وليبريا واثيوبيا ومالاوى ، وامتنعت ١٤ دولة هى سنغافورة وتايلاند ولاوس ونيبال وافريقيا الوسطى وتشاد وداهومى وساحل العاج والنيجر وفولتا العليا وسيراليون وكينيا . ومع ذلك فان المعارضين لقرار الانسحاب صراحة من دول عدم الانحياز البالغ عددها ٦٣ دولة كان عشر دول فحسب . أما المشروع الثانى فكان أمريكيا لاتينيا ، يشرط الانسحاب بانهاء العرب لحالة العداء مع اسرائيل . واقر المشروع الثالث الذى يؤكد عدم شرعية ضم الاراضى بالقوة .

لقد أوضح التصويت على القرار كما يقول الكتاب السنوى عن القضية السالف الذكر انه هناك ٣ مجموعات من الدول :

● دول غير مساعدة للعرب هى بورما وكمبوديا وايران وتركيا واليابان ونيجيريا وسيراليون والكاميرون وكينيا .

● دول غير صديقة هى لاوس ونيبال وسنغافورة وفورموزا وتايلاند والنيجر وتشاد وساحل العاج .

● ودول غير صديقة ابدا : وهى الفلبين وبتسوانا واثيوبيا وجامبيا وغانا وليسوتو ومالاجاش وجابون .

● ودول عدائية بصورة ايجابية هى افريقيا الوسطى وكينيا ورواندا وداهومى وماليزيا ومالاى . لقد بين التصويت ان دول آسيا اكثر ودا نحو العرب وان دول افريقيا منقسمة حول هذا ، وان دول امريكا اللاتينية هى الاشد عداء .

لكن مع مرور الزمن ، وتكشف العسف الاسرائيلى واتضاح نيتها فى الضم والالحاق تحت ستار الدفاع عن النفس ومقاومة العدوان . الى جانب حقيقة ان الهزيمة كانت دافعا لاصلاح اساليب العرب فى العمل الدعائى والدبلوماسى ، علاوة على بروز المقاومة الفلسطينية الى الساحة وقيامها بعدة اعمال نبهت العالم بعنف الى مشكلة شعب بأسره ، مع كل هذا بدأ التحول فى مواقف كثير من دول العالم الثالث . ففى افريقيا مثلا توالى قطع العلاقات مع اسرائيل . ففى يونيو ١٩٦٧ قطعت غينيا العلاقات الدبلوماسية . وفى ١٩٧٢ قطعتها أوغندا وتشاد والكونغو الشعبية . وتوالى هذا ، حتى بلغت الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ٢٨ دولة ، ولم يبق لاسرائيل علاقات الا بخمسة دول هى ليسوتو ومالاوى وموريشس وسوازيلاند وجنوب افريقيا .

لقد قطعت حكومات كانت مؤيدة لاسرائيل فى ١٩٦٧ مثل فولتا ورواندا ومالاجاش وأفريقيا الوسطى والحبشة علاقاتها باسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ . وصوتت الى جانب انسحابها فى أكتوبر ١٩٧٣ ، فى حين كانت من قبل فى ١٩٦٧ ، لا تؤيد هذا .

لقد صوتت الى جانب قرار مجلس الامن الصادر فى ١٩٧٣ بانسحاب اسرائيل ، عدة دول من التى كانت من قبل موالية لاسرائيل . فغالبية الدول الافريقية ساندت الحق العربى ، كذلك فعل الاسيويون ، بل ان عددا من دول أمريكا اللاتينية شارك فى هذا .

وبعد ذلك وبناء على طلب الفلسطينيين تقدمت ٤٢ دولة بطلب ادراج « القضية الفلسطينية » كبند مستقل فى جدول أعمال الامم المتحدة فى الدورة ٢٩ . ووافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على ذلك ، لاول مرة منذ ١٩٤٧ ، وكان الوحيد الذى اعترض على ذلك هو مندوب اسرائيل .

ثم تقدمت ٧٢ دولة بطلب اشراك الفلسطينيين فى المناقشة ، وذلك من بين مجموع الاعضاء البالغ عددهم ١٣٨ عضوا ، وبذا يكون الطلب موافقا عليه بالاجماع ، لكن الدول العربية أصرت على اجراء التصويت حتى تحدد كل دولة موقفها بوضوح . ويبلغ عدد الدول الاشتراكية والدول العربية من بين الـ ٧٢ دولة التى نادت باشراك الفلسطينيين ، ١٠ دول اشتراكية و ١٧ دولة عربية والباقى وعددهم ٤٥ دولة من دول العالم الثالث . ويبين هذا مدى التقدم الذى أحرزه الحق الفلسطينى فى هذا المجال ، وحدث التصويت على اشراك الفلسطينيين ووافقت عليه ١٠٥ دولة [منها فرنسا] وعارضت ٤ دول هى اسرائيل والولايات المتحدة ودولتين من توابعها وامتنعت ٢٠ دولة .

مؤتمرات عدم الانحياز

أما مؤتمرات عدم الانحياز ، فقد تطورت نظرتها الى القضية بما يؤكد – تدريجيا – حق الشعب

الفلسطيني في وطنه وفي الكفاح لاستعادته . ففي مؤتمر كولومبو التحضيري لمؤتمر باندونج (في ١٩٥٤) وفي مؤتمر باندونج نفسه (١٩٥٥) ركزت القرارات على قضية اللاجئين كمشكلة انسانية ، وطالبت بتطبيق قرارات الامم المتحدة والتسوية السلمية للمسألة الفلسطينية ، وفي مؤتمر عدم الانحياز الاول الذي عقد في بلجراد في ١٩٦١ ، والثاني الذي عقد في القاهرة في ١٩٦٤ ، ورد كل مايتعلق بالقضية الفلسطينية من قرارات ضمن ما اصدره المؤتمران من قرارات حول الشرق الاوسط ، وفي المؤتمر الثالث لعدم الانحياز الذي عقد في ١٩٧٠ في لوزاكا وردت القرارات المتعلقة بالقضية ضمن قراراته عن « ازمة الشرق الاوسط » . لكن في مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٧٣ ، وردت قرارات القضية بين القرارات الصادرة عن « الوضع في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية » .

والواقع أن مؤتمرات القمة لدول عدم الانحياز ، ونظرا لدور مصر والهند ويوجوسلافيا فيها ، كانت منذ المؤتمر الاول واضحة تماما في تأكيد الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وضرورة اعادتها اليه كاملة غير منقوصة ، وفقا لميثاق وقرارات الامم المتحدة كما اكد المؤتمر الاول الذي ربط هذا الاعتراف بقرارات الامم المتحدة . أما المؤتمر الثاني ، فقد نادى للمرة الاولى بدعم الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية . أما المؤتمرات التحضيرية (بلجراد ١٩٦٩ ، ودار السلام ١٩٧٠) ومؤتمر لوزاكا الثالث والتي عقدت بعد عدوان ١٩٦٧ ، فقد رددت نفس الافكار ، وان ركزت على الانسحاب من الاراضي المحتلة وتطبيق القرار ٢٤٢ . لكن مؤتمر الجزائر ١٩٧٣ ، كان هو الاوضح والاكثر تفصيلا فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين وذلك على النحو التالي :

■ أكد المؤتمرون في قرارهم شرعية نضال شعب فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية ، لاسترجاع حقوقه الوطنية كاملة غير منقوصة . وأوضح أن المقاومة الفلسطينية جزء من حركة التحرر العالمية .

■ دعت قرارات المؤتمر دول عدم الانحياز الى الالتزام بمساندته في نضاله لاستعادة حقوقه . وجاء هذا قرارا منفصلا عن تأييد الدول العربية ، ومركزا على الحقوق القومية للفلسطينيين ، بل ذهبت القرارات الى حد مطالبة دول عدم الانحياز الالتزام بقرارات المؤتمر عند مناقشة القضية في الامم المتحدة .

■ أكد المؤتمر أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني .

ان بعض الكتاب يرى أن مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة في يناير ١٩٦٩ ، قد فتح باب العمل امام المنظمة في أوربا وأمريكا بعد أن طرحت فيه شعار وبرنامج الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، وأن مهرجان برلين في أغسطس ١٩٧٣ فتح باب العمل أمامها في الدول الاشتراكية ، وأن مؤتمر الجزائر فتح باب افريقيا ودول عدم الانحياز عامة للعمل الفلسطيني .

ويرجع السبب في تقدم موقف دول ومؤتمرات عدم الانحياز من القضية الفلسطينية ، الى دور عبد الناصر وتيتو ونهرو ، والى الوزن العددي للدول الاسيوية المؤيدة للعرب ، والى ثقل وزن الدول العربية في هذا التجمع باعتبارها دولا غير منحازة .

منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمراتها

أما مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية على مستوى القمة ، فقد ظلت حتى مؤتمر ١٩٦٧ ، تتجنب الحديث عن القضية الفلسطينية تماما رغم أنها كانت تضم كثيرا من الموضوعات في جداول أعمالها (ضم جدول مؤتمر أكرا ١٩٦٥ ، ١٤ موضوعا) . وكان عبد الناصر يكتفي باثارة الموضوع في خطبه في المؤتمرات التي حضرها ، ايمانا بأن التركيب العضوي للمنظمة لا يسمح بمطالبتها باتخاذ موقف . فقد ذهب الامر الى حد أن البعض اعترض في المؤتمر الرابع في ١٩٦٦ على عدم دعوة سفير اسرائيل لحضور احتفالات المؤتمر .

لقد كان كل ما يمكن الحصول عليه في مؤتمرات ٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ ، هو الدعوة لاحترام الحدود القائمة . بل ان المؤتمرات الثلاث الاولى صمتت تماما عن كل ما له علاقة بالمشكلة ولم تلتزم بأدنى شيء . وبعد العدوان تحركت الامور قليلا . فقد أكد مؤتمر ١٩٦٧ التعاطف مع مصر باعتبارها دولة افريقية ، أما القضية فلم تستحق من المؤتمر قرارا . وطالب مؤتمر ١٩٦٨ ، بانسحاب اسرائيل . وأدرجت الازمة في مؤتمر ١٩٦٩ للمرة الاولى ، وطالب قرار للمؤتمرين بالانسحاب . وتكرر الامر في مؤتمري ٧١ و٧٢ . وجاء المؤتمر العاشر في أديس أبابا في مايو ١٩٧٣ ليكون أول مؤتمر يطالب باحترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وجاء تتويج الموقف الافريقي في ٢١ نوفمبر

١٩٧٣ ، أى بعد التحرك العسكرى العربى والذى جعل كثيرين يراجعون مواقفهم وحساباتهم ، عندما أدان مؤتمر وزراء خارجية افريقيا اسرائيل كدولة عنصرية استعمارية واعترف بشرعية نضال شعب فلسطين العربى لاستعادة حقوقه القومية كاملة ، بكل الوسائل التى يملكها ، وطالب بمعاملة اسرائيل معاملة النظم العنصرية ، وأشاد المؤتمر بالقوات العربية وبمكاسب مصر وانتصاراتها •

خلاصة القول

ان الحقائق السابقة كلها تؤكد ما يلى :

● ان دور الفلسطينيين - وبالتحديد دورهم المسلح - عامل حاسم وأساسى فى جعل العالم عامة والعالم الثالث خاصة ، يحس بالمشكلة ويتعاطف معها • وان هذا النضال المسلح يزداد فاعلية ، اذا ارتبط بالنضال السياسى والدعائى فى صيغة سليمة ، بحيث لا يغنى الواحد منها عن الاخر •

● ان العمل العسكرى العربى الناجح فى اكتوبر ١٩٧٣ ، ووحدة العرب ، واستخدامهم للبترول ، قد جعل كثيرين يراجعون مواقفهم • يكفى ان نحو ٢٠ دولة افريقية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل بعد أكتوبر • بل ان شاه ايران - رغم علاقاته الاقتصادية (النفط) والفنية ، بل العسكرية ، قد اضطر لادانتها ومطالبتها بالانسحاب ، ونفس الامر فعلته تركيا •

لذلك فان القضية الفلسطينية مرشحة لان تحتل المكانة الاولى فى حركة التحرر ومناواة الاستعمار ، باعتبارها امتدادا لمعارك فيتنام وغيرها ، وبؤرة معاداة الامبريالية والعنصرية فى مرحلتنا الراهنة • لكن ذلك يتوقف على تشديد نضالية كتائب الثورة الفلسطينية ، واستخدامها لكافة وسائل الكفاح والنضال - وأساسا المسلح - والاستمرار فى هذا حتى يتحقق الحل النهائى للمشكلة • وذلك لن يتناقض بحال مع خطط ووسائل الدول العربية التى تلعب دورا أساسيا فى المواجهة • وقد أصبحت الفرص أكثر مواتاة لكل هذا بعد أكتوبر •

■ اسرائيل وفلسطين ■

موقف استراتيجى واحد .. وخلاف فى التكتيك

ابراهيم كروان

بمقدور أى متتبع للتطورات الاخيرة فى الشرق الاوسط ، ان يلحظ اهتماما متزايدا بطرح القضية الفلسطينية وكيفية معالجتها فى اطار ترتيبات التسوية السياسية للازمة ، وقد كان من الطبيعى ان تسهم اسرائيل فى هذه الظاهرة ، ولكن فى الحدود التى تخدم مصالحها ورؤية قيادتها لما أصبح معروفا « بالسلام الاسرائيلى » بل لقد تعمدت السياسة الاسرائيلية أن تغرق المراقبين السياسيين - ناهيك عن المواطن العادى الذى لا يخترف السياسة - بطوفان من التصريحات والتوضيحات والقرارات والافكار بشأن القضية الفلسطينية خلال الشهرين الماضيين بصفة خاصة ، وبعض هذه الاشياء متناقض مع بعضه الاخر ، على نحو اثار حيرة كثير من المحللين السياسيين فى العالم . وليس هناك من مثال قريب على هذا أكثر من تصريح **أهارون ياريف** وزير الاعلام فى حكومة **رابين** يوم ١٢ - ٧ - ١٩٧٤ بان « اسرائيل ستكون مستعدة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية اذا ما اعترفت المنظمة بوجود الدولة اليهودية وانهت نشاطها الفدائى ضد اسرائيل » وجاءت تصريحات لاحقة لرابين بعد ساعات فقط من صدور تصريحات ياريف التى تناقلتها وكالات الانباء العالمية لتنفى كل ما قد يفهم منها ولتحمل « الدول العربية مسئولية حل أوضاع ومشاكل اللاجئين الراهنة » .. بل يستطيع من يمعن النظر فى نفس تصريح ياريف الذى أثار

الضجة الكبرى أن يلحظ مقدار المبالغة فيما أعطى من اهتمام اعلامى ودعائى له حيث أردف ياريف عقب عبارته الاولى مباشرة قائلا : « انه من المنطقى أن نناقش مصير الضفة الغربية لنهر الاردن والشعب الفلسطينى مع الاردن طالما أن الفلسطينيين يتمتعون بالجنسية الاردنية » .

على أية حال ينبغى بكل الشجاعة والموضوعية الاعتراف بأن اسرائيل قد نجحت من خلال هذا التضارب ومن خلال الضجة الاعلامية المبالغ فيها عن خلافات داخل الوزارة الاسرائيلية حول « المسألة الفلسطينية » فى أن تفرض على عدد من الصحف العالمية الكبرى ومحطات الاذاعة والتليفزيون فى أوربا وأمريكا خاصة اثارة التساؤل التالى : هل يوجد حقا ثمة تغير فى الموقف الاسرائيلى ازاء القضية الفلسطينية ؟

لماذا تبدو الاجابة صعبة ؟

تنطق الاجابات التى قدمت من مختلف المصادر على هذا السؤال البسيط بوجود تباين واضح يعكس نوعا من الحيرة، بل لقد رغب البعض فى التعرف على مادار داخل مجلس الوزراء الاسرائيلى كى يكون بمقدورهم الحكم بدقة عما اذا كان تغيرا حقيقيا قد حدث أم لا بهذا الخصوص [١]

ودون دخول فى تفصيلات جزئية يمكن القول أن الصعوبة التى يواجهها المراقب الخارجى فى الاجابة عن هذا السؤال تعود الى عدد من العوامل :

من ناحية السياسة الاسرائيلية تواجه دول العالم باختلاف درجة صداقتها أو عدائها لاسرائيل بأسلوب متميز يعرف « بدبلوماسية الجوقة » ويكفى فى هذا الصدد أن نتذكر كيف استقبلت اسرائيل روجرز **وكيسنجر** ، وما هى الاراء المتباينة التى طرحت أمام كل منهما برغم تسليمنا باختلاف الظروف التى تمت فيها كل زيارة .

من ناحية ثانية فان بعض مايصدر عن اسرائيل من تصريحات سياسية حول مسائل ذات أهمية خاصة انما يرتبط بتغير محدد فى سياسات احدى الدول العظمى ازاء المسألة موضع المناقشة وليس بنا حاجة الى التذكير بان تضارب التصريحات الاسرائيلية الرسمية قد جاء فى أعقاب تصريح أدلى به متحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية عن احتمال حدوث اتصال أمريكى مع منظمات المقاومة الفلسطينية وهو الامر الذى اثار انزعاجا واضحا فى الصحافة الاسرائيلية . وبصرف النظر عن النوايا الامريكية من وراء هذا الاتصال فى حالة اتمامه كما أن هذه التصريحات قد جاءت قبيل توجه وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى موسكو لاجراء مباحثات أجمعت كل التقديرات وقتها على أنها ستنجح فى التوصل الى تفاهم فلسطينى سوفيتى أكبر وفى اصدار الاتحاد السوفيتى اعترافا رسميا بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى وهو الامر الذى حدث بالفعل .

من ناحية ثالثة فان « دبلوماسية الجوقة » لا يجب أن تتحول الى شعار نردده ويخفى عن انظارنا اختلاف وتعدد وجهات نظر القوى السياسية فى اسرائيل ازاء المسألة الفلسطينية وهو اختلاف له خلفيته الاجتماعية - مفهومه باوسع معانى كلمة اجتماعية لتشمل أيضا ثقافية وجيلية Generational - غير أن **هذا الاختلاف بين أعضاء النخبة الحاكمة انما يتم فى اطار الصهيونية وحول مدى المواءمة بين « مبادىء الايديولوجية » و « ضرورات البراجماتية » أو بين « الاستراتيجية » و «التكتيك» وهذا يوقع المراقب الخارجى فى حيرة غالبا ماتكون مبررة وعلينا أن نتحرك لتبديدها بدلا من الاكتفاء بادانتها .**

من ناحية رابعة فان اثار حرب أكتوبر على المجتمع الاسرائيلى وقياداته السياسية لم تصل الى منتهاها بعد بحكم طبيعة الظاهرة الاجتماعية ذاتها وبرغم مشاركة المقاومة الفلسطينية فى حرب أكتوبر الا أن هناك عوامل متعددة تفرض تأخر بلورة مواقف اسرائيلية متمايزة وقاطعة بصدد القضية الفلسطينية فى هذه المرحلة علينا أن نتناولها فى اطار يجمع بين الالتزام القومى والدقة العلمية .

(١) أحد النماذج المثالية المعبرة عن هذه الحيرة مقالة كتبها المعلق السياسى ايجورمان فى صحيفة لاستمبا الايطالية بتاريخ ١٩٧٤/٨/٢ تحت عنوان « تحول فى سياسة اسرائيل »انظر جريدة الجرائد العالمية يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ وانظر ايضا مقالة فيكتور سليجمان فى عدد يوليو ١٩٧٤ من « لوموند ديلوماتيك » تحت عنوان فرص الانفتاح فى اسرائيل .

لكل هذا قد يكون من المناسب لفهم مختلف أبعاد الموقف الاسرائيلى من القضية الفلسطينية أن نعود الى عام ١٩٦٧ لمتابعة هذا الموقف فى تطوره التاريخى :

أولا : اسرائيل والقضية الفلسطينية

يونيو ١٩٦٧ ــ أكتوبر ١٩٧٣

من الصعب أيضا حتى فى هذه الفترة التمييز الدقيق بين الدعاية والخط الرسمى فيما يتعلق بموقف اسرائيل من القضية الفلسطينية بل أن مايبدو انه « دراسات علمية أكاديمية » يشارك فى جانب منه فى هذا الخلط ويستخدم نفس منطق ومصطلحات السياسة الرسمية الاسرائيلية وقد كان هذا هو الحال دائما وليس فى هذه الفترة فقط ، وليس أدل على هذا مما قاله ف.د. **سيجر** الأستاذ المساعد للعلوم السياسية فى جامعة حيفا والذى كان يعمل من قبل خبيرا فى وزارة الخارجية الاسرائيلية من أن « الفلسطينيين مازالوا حتى بعد عام ١٩٦٧ الحجة الاساسية للحكومات العربية لمحاربة اسرائيل » ، « وان الحكومات العربية قد فقدت كل القدرة على التحكم فى الفلسطينيين » (٢) ، واخيرا مااسماه « الحوار الفلسطينى الاسرائيلى » الذى قال **سيجر** أنه مستمر برغم « الاحتلال العسكرى والارهاب والأعمال الانتقامية وذلك من خلال العلاقات الانسانية اليومية والتأثير الثقافى المتبادل ! » ويستطيع من يلقى نظرة عابرة على تصريحات **ايبان** وأفكار ديان **وآلون** حول سياسة الجسور المفتوحة أن يلمس مدى التطابق بينها وبين أفكار « العالم الاسرائيلى »

ويمكننا تناول الموقف الاسرائيلى من القضية الفلسطينية خلال الفترة من يونيو ٦٧ حتى أكتوبر ٧٣ من زاويتين اثنتين :

١ ــ **الاصطدام بالواقع الفلسطينى** : يمكن القول أن الوعى الجماعى الاسرائيلى قد واجه عقب حرب ٦٧ مايمكن تسميته « الصدمة الفلسطينية » فبرغم وجود عدد من الاصوات المتناثرة هنا وهناك داخل اسرائيل التى أثارت قبل ذلك مسألة الوجود الفلسطينى الا انها تعرضت لعملية تعتيم بالغه . وجاءت سنة ١٩٦٧ وماارتبط بهذه السنه من نكسه عربية ومن خضوع مئات الالاف من الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة للاحتلال الاسرائيلى ، وماصاحب هذا كله من تصاعد المقاومة المسلحة كتجسيد لتحدى الشعب الفلسطينى للاحتلال الاسرائيلى . وزيادة الاهتمام الدولى بالقضية الفلسطينية ليس فقط باعتبارها قضيه انسانية لمجموعة من اللاجئين يقطنون المخيمات ولكن باعتبارها قضية شعب طرد من أرضه واغتصبت حقوقه الوطنية ، ثم تزايد وزن جيل « سابرا ماقبل الدولة » فى اسرائيل الجيل الذى ولد على أرض فلسطين ولم يهاجر اليها مع « الرواد الصهاينة » أو « الحالوتزيم » وهو جيل عرف ببراجماتية المتزايدة .

ونتيجة لكل هذه التغيرات حدثت « الصدمة الفلسطينية » فى المجتمع الاسرائيلى لاعضاء النخبة السياسية ثم للاسرائيليين العاديين « رجل الشارع » وقد أكد هذا أحد علماء السياسة الاسرائيليين « **شلوموافنيرى** » حين قال ان « احد النتائج البارزة لحرب يونيو .. على الجانب الاسرائيلى ادراك أن الفلسطينيين العرب هم قوة سياسية برغم ضعفها العسكرى وطبيعة أنشطتها الارهابيه يجب أن تؤخذ بجدية ، فعقب هزيمتهم عام ٤٨ ــ ١٩٤٩ اختفى الفلسطينيون كطرف مستقل وفعال من على المسرح وبرغم استمرار مشكلة اللاجئين فقد كان ينظر اليها من جانب الاسرائيليين والوكالات الانسانية الغربية كمشلة رفاهة انسانية واعادة بناء اجتماعى Social Reconstruction أكثر من كونها مشكلة وعى سياسى » [٣]

الا ان ابرز اعضاء النخبة الصهيونية الحاكمة الذين أثارت آراؤهم بهذا الصدد ضجة كبيرة داخل اسرائيل كان **آرى الياف** السكرتير السابق لحزب العمل الحاكم فقد كان هو الذى قال : « تمثل علاقتنا مع الفلسطينيين العرب العنصر الاكثر اهمية فى علاقاتنا مع العالم العربى ككل ففيها يكمن مفتاح حل المشكلة الكلية لعلاقاتنا مع دول المنطقة ولهذا فان الجدل الدائر بيننا حول ما اذا

---

(٢) V.D. Segre : «Israel, A society in transition» LONDON Oxford Univ. press 1971. PP. 209 — 210.

(٣) Shlomo Avineri Ed: «Israel and the Palestinians. Reflections on the clash of Two National Movements» N.Y. St. Martin's Press 1971 P. XIII.

كانت توجد أمة فلسطينية أم لا هو أمر غير ذى مغزى » [٤]

أما على مستوى الرأى العام الاسرائيلى فقد طرحت القضية بالحاح بسبب المناقشات التى امتلأت بها الصحف حولها وتصريحات الساسة ثم عمليات استطلاع الرأى العام التى قامت بها معاهد اسرائيلية متخصصة مثل « يورى » و « داحاف » وقد أعلن المعهد الاخير يوم ٢٦ - ٣ - ١٩٧١ نتائج استطلاع للرأى العام الاسرائيلى حول السؤال التالى : « هل انت على استعداد للاعتراف بدولة فلسطينية » ؟ وتضمنت النتائج التى نشرت أن ٢٤،٩ فى المائة قد وافقوا تماما وان ١٩ فى المائه قد وافقوا ببعض التحفظات [٥] . ولكن من الواضح هنا أن صياغة السؤال المتضمنه لمصطلح « دولة فلسطينية » كانت لابد وأن تقود لهذه النتيجة ونستطيع أن نلمس صحة هذا التحليل اذا ما عرفنا أن استطلاعا آخر للرأى العام الاسرائيلى تم اجراؤه فى نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧٠ قد أظهر أن ٦٨٪ فى المائة من أفراد العينة المستجوبة يعتقدون انه ليس بالامكان تحقيق السلام دون التوصل الى حل من نوع معين للتطلعات القومية للفلسطينيين ، وقد نشرت النتائج فى صحيفة هاآرتس يوم ١٤ فبراير ١٩٧١ [٦] .

٢ - ثلاثة اتجاهات داخل معسكرين : فى مواجهة « الصدمة الفلسطينية » كان لابد من ردود فعل متباينة داخل اسرائيل . واذا كان لنا أن نتجاوز مسميات « اليمين و « اليسار » و « الصقور والحمائم » لعدم صلاحيتها لتفسير الواقع الاسرائيلى المتفرد فينبغى الاشارة الى أن ردود الفعل هذه قد اختلفت فى المعسكرين الصهيونى و « غير الصهيونى » بين القوى السياسية الاسرائيلية فضمت ثلاثة اتجاهات :

أ - فى المعسكر الصهيونى نستطيع أن نلمس اتجاهين : «التجاهل» و «الاحتواء» وهما كما سنرى يدوران فى اطار أنسب الوسائل للتعامل مع الواقع الفلسطينى . أما عن منطق التجاهل فقد حاولت الحفاظ عليه القيادات المتبقية من « الحرس القديم » والتى استمر تأثيرها فى كافة جوانب الحياة قائما وملحوظا . والمثل التقليدى على هذا جولدا مائير التى أصرت دائما على انكار وجود«شعبفلسطينى»وقالت ذات مرة : « ان كيانا بهذا الاسم لا وجود له . ان فلسطين قد قسمت منذ سنة ١٩٤٧ الى دولة يهودية وأخرى عربية . . غير انه لم يكن بهذه الارض شعب عربى فلسطينى اذ لا فرق هناك بين العرب الذين يعيشون فى عمان والعرب الذين يسكنون نابلس » الا أن منطق الانكار والتجاهل هذا سرعان ما يقع فى التناقض والفوضى ، فتصرح مائير أيضا بأن « الحقائق السياسية والقومية فى الشرق الاوسط تقضى ألا يكون هناك سوى دولتين ما بين البحر المتوسط والصحراء الشرقية دولة يهودية وأخرى عربية وسوف يجد الفلسطينيون التعبير عن كيانهم الوطنى فى هذه الدولة العربية [٧] ، وهو ما يعنى ضمنا اعترافا بالوجود الفلسطينى والاصرار على أن يتم التعبير عنه من خلال دولة عربية أخرى ، أيضا من أهم الاشكال التى عبر بها منطق التجاهل عن ذاته النظر للقضية الفلسطينية كقضية مخيمات يجب استبدالها بظروف معيشية أفضل .فمفهوم التجاهل ينصرف بالاساس الى انكار الطبيعة القومية لقضية الشعب الفلسطينى . وعلى هذا الضوء يمكن أن نفهم الاوهام التى راودت بعض اعضاء النخبة الاسرائيلية من أثر سياسة « الجسور المفتوحة » . وارتفاع مستوى الاجور التى تقدمها اسرائيل للايدى العاملة الفلسطينية فى تصفية قضية الشعب الفلسطينى [٨] ، وكمثال على هذا نشير الى تصريحات ليوسف الموجى وزير العمل فى حكومة مائير السابقة تضمنت ان « ارتباط الفلسطينيين العرب بالاقتصاد الاسرائيلى سيؤدى الى ترشيد سلوكهم وأفكارهم واكتفائهم فقط بطلب الاستقلال الذاتى أو حرية أكبر فى تكوين المجالس البلدية » !! [٩]

---

(٤) Arie Eliav: «New Targets for Israel. «IN S. Avineri ed : op. cit. p. 60.

(٥) وكالة الانباء الفرنسية - تل أبيب ١٩٧١/٣/٢٦ .

(٦) Shlomo Avineri Ed. op. ut. P. XVII.

(٧) محمد فيصل عبد المنعم ، ابراهيم كروان : « التوسع الاسرائيلى عرض وتحليل مشروعات السلام الاسرائيلى » يونيو ٦٧ - أكتوبر ٧٣ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الاهرام . بدون تاريخ ص ١٥ .

(٨) Daniel Heradstveit. Arab and Israeli Elite Perceptions: N.Y. Humanities Press. 1974. PP. 63 — 64.

(٩) Dan Balir: «Israel Struggles to overcome Domestic Difficulties» New Middle East. October 1971. P. 18.

أما منطق الاحتواء فله ممثلون عديدون من جيل « سابرا ما قبل الدولة » أساسا وهو يكل تأكيد الاتجاه الاكثر خطورة على النضال الفلسطيني . هناك على سبيل المثال مقترحات بيرين التى يتحدث فيها عن « تقسيم الحكم بدلا من تقسيم الارض » اى ــ وفقا لمنطقه ــ يكون هناك على مستوى أول خاص بدولة اسرائيل حكم فيدرالى ، وعلى مستوى ثان حكم محلى للفلسطينيين [١٠] . وهناك مقترحات الجنرال الاحتياط ميتياهوبيليد بصدد « اقامة دولة عربية مستقلة كحليف لاسرائيل تتعاون معها فى اطار من الامن والترتيبات الاقتصادية والسياسية » وما أشار اليه بعد ذلك من أن « مجرد الامل الحقيقى فى الحصول على الاستقلال السياسى والقومى سيدعم الاستعداد الفلسطينى للتوصل الى حل وسط فيما يتعلق بنطاق الاقليم الذى يرغبون فيه » [١١] . وهناك افكار مماثلة لالياف الذى أشرنا اليه من قبل . أما عن مزايا هذا المنطق بالنسبة لاسرائيل فهى عديدة وأهمها انه يتضمن الخلاص من المقاومة المسلحة ومنظمة التحرير بالاضافة الى انه يسمح بتحول هذا الكيسان الفلسطينى الوهمى الذى يقترحه بعض ساسة اسرائيل الان الى « جسر » بين اسرائيل والعالم العربى . وهو ما يحقق لها مكاسب سياسية واقتصادية .

ب ــ فى المعسكر غير الصهيونى : وزن هذا المعسكر مازال هامشيا على المسرح السياسى الاسرائيلى وان كان نشاطه الدعائى يفوق وزنه العملى فى السياسة الاسرائيلية ، ويلتقى المنتمون اليه بصدد القضية الفلسطينية على خطوط عريضة أهمها الاعتراف بالطبيعة القومية للقضية الفلسطينية ، وبالتالى حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره والسماح له اما بالعودة ، او التعويض عن ممتلكاته كما يوجد ثمة تباين شديد فى وجهات النظر الخاصة بالقوى غير الصهيونية حول عدة مسائل اخرى ابرزها الموقف من حركة المقاومة ، وان كان يجدر ذكر ان الماتسبن « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية » تؤيد الكفاح المسلح لشعب الفلسطينى ، وقد اجرت حوارا مع احدى المنظمات الفدائيه وهى الجبهه الشعبيه الديموقراطيه التى يتزعمها نايف حواتمه [١٢] ولكن المنظمه لا تمث برنامجا محددا وقابلا للتنفيذ لحل القضية الفلسطينية كما أن راكاح « الحزب الشيوعى الاسرائيلى » يعترف بحق الشعب الفلسطينى فى الكفاح المسلح وان كان يتحفظ على بعض ممارسات حركة المقاومة .

ثانيا : اسرائيل والقضية الفلسطينية

بعد أكتوبر ١٩٧٣

سبق ان تناولنا ظاهرة تضارب التصريحات الاسرائيلية الرسمية بصدد القضية الفلسطينية خلال الفترة التى انقضت بعد حرب اكتوبر وبصفة خاصة خلال الشهرين الماضيين ولكن من الواضح ان اسرائيل لم تتعامل مع القضية الفلسطينية بالتصريحات فقط خلال هذه الفترة فقد شنت اسرائيل غارات كثيفة وقامت بقصف مدفعى عنيف ضد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان وأعلنت عن تكوين قوة « غير رسمية » من المتطوعين لما أسمى مكافحة الارهاب والقيام« بردع جسيم » للفدائيين على الحدود اللبنانية وذلك كما قال رابين بنفسه يوم ١٦ ــ ٧ ــ ١٩٧٤ بهدف اغلاق الحدود اللبنانية نهائيا فى وجه المقاومة واثارة صدام مباشر بين المقاومة والسلطات اللبنانية اى لمحاولة تكرار احداث الاردن فى سبتمبر ١٩٧٠ مرة أخرى .

وبرغم كل الاقتراحات التى طرحت فى اسرائيل عن الكيان الفلسطينى فقد أعادت السياسة الرسمية الاسرائيلية تأكيد خط الحرس القديم واستمرت فى رفض قيام السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة واصرت على أن فهم اسرائيل للسلام مشروط بوجود دولتين اثنتين فقط

(١٠) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملحق العدد ١٨ السنة الثانية ١٦ سبتمبر ١٩٧٣ ص ٥٩٢ .

(١١) Mattityahu Peled. «Palestinian or Jordanian Entity» in S. Avineri Ed. op. cit. PP. 47 — 48.

(١٢) H. Honegbi, M. Machover, A. Orr : «The Class Nature of Israeli Society», New Left Review. No. 65. Jan. — Feb. 1971. P. 25.

هذا وكان نايف حواتمة قد اكد هذا فى تصريح له قال فيه : « لقد تابعنا باهتمام تطور موقف هذه المنظمة وقد بدات الجبهة عملية حوار ونقاش مع منظمة الماتسبن فى اكثر من بلد أوربى » نقلا عن : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ الجامعة اللبنانية : «الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩ » بيروت ١٩٧١ ص ٤٥٨ .

هما : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة أردنية فلسطينية يتم تخطيط حدودها من خلال مفاوضات اردنية اسرائيلية . كما قال **رابين وآلون** أكثر من مرة .

وقد حاولت القيادة الاسرائيلية الجديدة ان تكون أكثر حنكة من القيادة السابقة . فأرادت أن تبرر موقفها هذا بأسباب مختلفة قام بعرضها **آلون** وزير الخارجية فى حكومة رابين فى تصريحاته يوم ٢٦ ـ ٧ تحت دعوى أن « اقامة دولة فلسطينية مستقلة سيكون معناه فصل الجماعة الواحدة ذات العلاقة الاسرية والتاريخية الوثيقة على ضفتى النهر . وأن هذه الدولة ستكون فى حالة انشائها بؤرة للتطرف والعدوان ازاء الاردن واسرائيل وستكون قاعدة للتغلغل السوفيتى فى المنطقة وان انشاءها يعنى تنفيذ سياسة لتصفية اسرائيل على مراحل وحرمانها من الحدود الامنة والقابلة للدفاع عنها » ونشرت الصحف الاسرائيلية أنباء عن موقف أمريكى مماثل اعرب عنه **كيسنجر** حينما قابل **سمحا دينتز** سفير اسرائيل فى واشنطن فى الاسبوع الثانى من يوليو الماضى وخلال مباحثاته مع رابين فى سبتمبر .

واذا كان رفض الدولة الفلسطينية المستقلة هو المقوم الاول فى سياسة اسرائيل ازاء القضيه الفلسطينية فى هذه المرحلة ، فان رفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للشعب الفلسطينى هو المقوم الثانى وفى هذا الصدد يؤكد قادة اسرائيل مرارا انهم لن يدخلوا فى مفاوضات مع من أسماهم رابين « أولئك الذين يجعلون تدمير اسرائيل هدفهم » ومن الواضح أيضا ان اسرائيل تفضل من تسميهم « المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم » . وبرغم هذا فهناك بعض الاصوات من داخل النخبة الصهيونية تدعو الى ما يبدو ظاهريا انه عكس هذا فقد دعا **يهوشفاط هاركابى** ـ أحد الذين يسمون فى اسرائيل بالمستشرقين أى المتخصصين فى دراسة المجتمعات العربية وكان قبل ذلك من القيادات البارزة فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الحكومة ـ الى التفاوض مع الفلسطينيين وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية وذلك فى مقال له فى صحيفة معاريف يوم ١٩ ـ ٤ ـ ١٩٧٤ بعنوان « حساب النفس القومى » وبرر ذلك بعدة أسباب أهمها :

١ ـ اعتقاده بعدم واقعية الموقف الاسرائيلى الحالى نظرا ـ على حد قوله ـ لاعتراف حوالى مائة دولة بمنظمة التحرير ويضيف « ينبغى علينا أن لا نلعب تجاه هذه القضية لعبة النعامة ، أن اشتراكها فى المفاوضات لا ينطوى على اعترافنا بها كممثلة وحيدة للفلسطينيين » .

٢ ـ يرى **هاركابى** أن منظمة التحرير قد أصبحت تتبنى موقفا يصفه بانه اكثر اعتدالا ومرونة وغموضا فى نفس الوقت تجاه الكيان الاسرائيلى مما يستدعى أن تقوم اسرائيل بمناورة سياسية ما .

٣ ـ ان السياسة الاسرائيلية تستطيع كما يرى **هاركابى** أن تلعب على التناقض بين المقاومة والاردن من خلال الاعتراف بأى صورة بمنظمة التحرير وفى هذا يقول **هاركابى** « ان الشروع فى مفاوضات مع الفلسطينيين ينطوى على قيمة بالنسبة لموقفنا تجاه الاردن ، ذلك ان امكانية المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ستمنحنا ورقة ضد الاردن الذى لم يتخوف حتى الان من منافس . يوجد لدينا هنا امكانية للعب بين الاردن والفلسطينيين ليست متوفرة بالنسبة للعلاقات مع دول عربية أخرى . [١٣]

أما المقوم الثالث للموقف الاسرائيلى بعد أكتوبر فهو تأجيل طرح القضية الفلسطينية . فبرغم اشارة تصريحات المسئولين الاسرائيليين ، وآخرهم **آلون** فى خطابه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة الى اهمية تسوية المشكلة الفلسطينية لضمان التوصل الى تسوية أشمل قابلة للاستقرار فى المنطقة الا أن القيادة الاسرائيلية تدعو الى تسوية الازمة مع الدول العربية فى البداية تسوية ثنائية على كل جبهة . **فرابين** يصرح يوم ٢٦ ـ ٧ لصحيفة يديعوت احرونوت بأن « ما تسمى بالمشكلة الفلسطينية ليست هى صميم الصراع فى الشرق الاوسط وانما صميم المشكلة هى العلاقات بين اسرائيل والدول العربية .. واذا أمكن تنظيم هذه العلاقات يمكن عندئذ حل المشكلة الفلسطينية دون صعوبات » . ونستطيع أن ندرك الابعاد الحقيقية لهذا الحل اذا ما لاحظنا ما تحدث عنه الساسة الاسرائيليون باستمرار خلال الشهرين الماضيين عن « اتاحة الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن

---

(١٣) عبد الحفيظ محارب ، الفلسطينيون كما يبدون فى الذهنية الاسرائيلية » مجلة شئون فلسطينية ؟ العدد ٣٥ يوليو ١٩٧٤ ص ١٨٩ .

شخصيتهم داخل اطار الدولة الاردنية الفلسطينية » .

وهكذا يبدو لنا مجمل الموقف الاسرائيلي بعد حرب أكتوبر من القضية الفلسطينية : رفض للدولة الفلسطينية المستقلة ، ورفض لتمثيل الشعب الفلسطيني بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية ومحاولة للتسويف بشأن القضية حتى تغير اسرائيل طبيعة المناخ السائد في المنطقة ، على نحو تأمل أن يتيح لها القضاء على حركة المقاومة المسلحة للشعب الفلسطيني أو تطويقها على الاقل .

واذا ما عدنا بذاكرتنا الى تصريحات « الرباعي القديم » : **مائير ، وآلون ، وايبان ، وديان** قبل حرب أكتوبر وبعدها مباشرة وقارنا بينها وبين تلك التى صدرت عن الرباعي الجديد **رابين ، آلون ، بيريز وياريف** فهل نجد تغييرا حقيقيا قد حدث فى الموقف الاسرائيلي من القضية الفلسطينية ؟ هذا هو السؤال الذى طرحناه فى البداية .

محاولة للاجابة

يمكن للمرء أن يقرر من خلال الشواهد العديدة السابقة سواء على مستوى الافعال او الاقوال انه لا يوجد تغير جوهرى ، أو ذو قيمة فى الموقف الاسرائيلي من القضية الفلسطينية عقب التغير فى تشكيل النخبة الاسرائيلية الحاكمة . بل على العكس فان عناصر « الاستمرار » كانت هى الغالبة واقتصرت نواحى الخلاف بهذا الصدد حول وسيلة احتواء القضية الفلسطينية أو عزلها . يكفى لاثبات هذه المقولة أن نتأمل معا تلك الصورة البالغة الدلالة التى قدمتها صحيفة هاآرتس يوم ٢٢ ـ ٧ ـ ٧٤ حول انقسام أعضاء الحكومة الاسرائيلية بشأن مسألة التفاوض مع الفلسطينيين الى ثلاثة اتجاهات : اتجاه بزعامة رابين وبيريز يرفض التفاوض الا مع الدول العربيـة . واتجاه آخر بزعامة آلون وياريف يؤيد قيام « تعبير سياسى » عن الفلسطينيين فى الضفة الغربية مع رفض التفاوض مع منظمة التحرير .واتجاه ثالث بزعامة **كول وشمطوف** يقترح أن تعلن اسرائيل عن استعدادها للتفاوض مع المنظمات الفلسطينية بشرط أن تعترف باسرائيل وتوقف ما أسمى بأعمال الارهاب . من الواضح من هذه الصورة الوحدة الشديدة فى « الموقف الاستراتيجى » التى تستتر وراء التعدد الشديد فى « المواقف التكتيكية » وليس ادل على هذا مما قاله الوزير **فيكتور شمطوف** بعدئذ فى الاذاعة الاسرئيلية من أن اقتراحه كان يستهدف « وضع المنظمات الفلسطينية التى ترفض الاعتراف باسرائيل فى وضع صعب وعزلها فى الخارج » .

اذا أردنا تفسيرا لهذا الموقف الاسرائيلي من القضية الفلسطينية فسنجد أنه يعود أساسا الى عاملين : **العامل الداخلى** يتمثل فى سيطرة « الوعى الزائف » على النخبة الصهيونية حيث يقف العقل الصهيونى أمام مقولات جامدة ويدور من حول الحقائق دون النفاذ اليها مباشرة ، بل ويحاول احتواءها وتجميد حركة التاريخ . [١٤] . وقد كانت هذه احدى خصائص الاستعمار الاستيطانى دائما ولكنها فى تجارب أخرى قد خضعت لاعادة نظر فى ظروف معينة [المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر ـ المستعمرات البرتغالية فى افريقيا أخيرا] . ولكن درجة التحجر الفكرى للمؤسسة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل فريدة تفرد الكيان الصهيونى ذاته كما أن هذا الوعى الزائف ليس مقولة منفصلة عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى داخل الكيان الصهيونى بل هو عنصر يدخل فى علاقة جدلية معها .

العامل الخارجى ويتمثل فى تلك المساعدات الهائلة التى تقدم لاسرائيل من جانب الامبريالية العالمية كى تجعل منها ترسانة مدججة بالسلاح فى مواجهة الاطار العربى المحيط بها لاهداف باتت معروفة تماما . وهو الامر الذى لا يخدم الامبريالية فقط ولكنه يقنع القيادة الصهيونية بأن استخدام السلاح فى القمع هو أفضل وسيلة للتعامل مع الواقع العربى عامة ، والفلسطينى بصفة خاصة .

من كل ما سبق يمكن القول أن أى تغيرات فى الموقف الاسرائيلي كانت حتى الان تغيرات فى التكتيك . ومثلما انتقل الموقف الاسرائيلي الرسمى من تجاهل المشكلة الفلسطينية وانكار وجود الفلسطينيين فى ظل الحرس القديم الى الاعتراف بما يسمى فى المصطلحات الاسرائيلية « المسألة

[١٤] حول مفهوم الوعى الزائف ـ انظر : د. عبد الوهاب المسيرى : نهاية التاريخ مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيونى . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية . الاهرام . بدون تاريخ . ص ٦٦ ـ ٧٥ .

« الفلسطينية » يمكن أن نشهد تغيرات أخرى في الموقف الاسرائيلي من بعض المسائل المرتبطة بالقضية الفلسطينية . واذا كان يتوجب علينا اليقظة والتحليل الدقيق لها فيجب علينا أيضا عدم تجاهل هذه التغيرات من جانب آخر ، فهي دليل على تصاعد وزن حركة المقاومة الفلسطينية ومزيد من عزلة اسرائيل السياسية وحدوث بعض التغيرات في تركيبة النخبة الحاكمة فيها ومن هنا يمكن أن ترغم اسرائيل على مزيد من التراجعات أمام الحركة العسكرية والسياسية الواعية والحاسمة والموحدة من جانب حركة المقاومة ، وأمام تصعيد الدعم العربي والتفهم والتأييد العالميين لاهداف نضالها .

وأخيرا لا يجب علينا أن نتجاهل أن القيادة الاسرائيلية برغم « الوعي الزائف » المسيطر عليها لا تستسلم أمام الواقع غير المواتي لرؤاها بسهولة بل انها تحاول دائما أن تغير خصائص المناخ الجديد على نحو ملائم لمصالح الكيان الصهيوني ومتفق مع طبيعة رؤيتها لهذه المصالح . ولذا يجب علينا أن نتفادى بعد أكتوبر العظيم ارتكاب الخطأ الذي وقعت فيه اسرائيل عقب حرب سنة ١٩٦٧ حين تصورت أن يونيو كان نهاية المطاف في صراع تنطق أبسط بديهياته ، بأنه صراع طويل تتعدد مراحله وأدواته حتى يتم تحقيق السلام العادل والدائم في المنطقة .

الفلسطينيون وفلسطين

الكفـــاح من أجل الهـــوية

وجيه ضياء الدين

التأكيد على أن ادراج « المشكلة الفلسطينية » بندا مستقلا ضمن جدول أعمال الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة يعد كسبا هاما وانجازا مؤكدا للشعب الفلسطيني وثورته ، سواء في ظل دبلوماسية الحرب أو دبلوماسية السلام ، ليس قفزا الى النتائج ولا هو من باب التمني . فهذه الخطوة تأكيد لشرعية المطالب القومية الفلسطينية من حيث أنها رد حاسم على محاولات تشكيك سافرة تارة — وضمنية تارة أخرى — لكنها مستمرة دوما ، فضلا عن كونها دحض لمزاعم أخرى ظلت حتى عام مضى تردد — وبكل الصلف وبمنطق جيتوى — اسئلة من نوع وأين هم الفلسطينيون ؟ !

على أن هذا لا ينفي ، من جانب آخر ، أن التقييم الدقيق لمثل هذا التطور لابد وأن يتم في اطار تتبع الدور الفلسطيني في مسار الصراع حول فلسطين ، ذلك أن رصد المنعطفات الهامة من خلال منظور تاريخي هو الضمان لتلافي الرؤية المبتسرة أو العاطفية وهو الاسلوب الكفيل بتحديد الحجم الحقيقي للانتصارات والهزائم وخاصة حينما يحاول المرء أن يصدر في رؤيته عن رغبة في فهم منطق الاحداث وليس مجرد تقديم « فواتير » للحساب » .

صدمة المنفى

فحتى الجولة الاولى تمثلت حركيات الصراع حول فلسطين في الاستيطان الصهيوني الدخيل المدعوم بقواعد تأييده من الدول الامبريالية التقليدية والجديدة على حد سواء ، ورد الفعل الدفاعي من جانب المجتمع الفلسطيني تسانده الدول العربية . وبانهيار المقاومة الفلسطينية خلال شتاء ١٩٤٧ — ١٩٤٨ تولت الحكومات العربية الدور الرئيسي في الدفاع عن فلسطين . وبهزيمتها قام وضع جديد . فتحولت المشكلة الفلسطينية الى نزاع بين دول . وكاد العامل الفلسطيني أن يفقد مكانه على خريطة الصراع .

فقد خرج الشعب الفلسطيني من حرب ١٩٤٨ ليجد نفسه موزعا بين « المنفى » و « المخيم » . أما أبناء المخيمات فقد قدموا أبطالهم التراجيديين ، تلك الاسماء العديدة المجهولة التي تحدت « الامر الواقع » آنذاك ، وراحت تبحث عن الموت . لكن غارات اسرائيل

التى أطلقت عليها امعانا فى الامتهان « الغارات التأديبية » ظلت تتكرر على القرى والمناطق المجاورة لخطوط الهدنة . وتحت وطأة ذلك ، وفى ظل العجز عن الرد ، تدهورت الثقة فى القدرة على الدفاع عن الارض والنفس وكاد أبناء المخيمات يقتنعون بأن ارضهم تأكل فدائيوها [١] » .

أما خارج المخيمات فقد راح أبناء جيل النكبة يشاركون فى الحياة السياسية العربية وهكذا انتمى الفلسطينيون من الناحية العملية لكل الحركات والمنظمات السياسية العربية ، وهو ما كان يعنى — فى نفس الوقت — الدخول فى دوامة ما بين هذه الحركات والمنظمات من صدامات ومعارك .

لكنه ما أن تأتى الستينات حتى يشهد المسرح الفلسطينى تطورا له مغزاه . فبالتدريج يتزايد اتفاق الفلسطينيين على خطورة ترك معالجة القضية للحكومات العربية .

فهؤلاء الذين عولوا على الوحدة العربية كطريق لتحرير فلسطين سيأتى الانفصال عام ١٩٦١ ليؤكد عدم واقعية أو على الاقل صعوبة ذلك . أما هؤلاء الذين تحفظوا على جدوى وفاعلية الحرب الشعبية فسيأتى استقلال الجزائر فى نفس العام ليقدم الاجابة الحاسمة . ويثور السؤال : لماذا والى متى الانتظار ؟

وتفرز المرحلة تطورين هامين آخرين يجعلان السؤال أكثر خطورة والحاحا . فمن جانب انتهت اسرائيل ، عام ١٩٦٣ ، من تنفيذ مشروعها بتحويل مياه نهر الاردن . ومن جانب آخر بدأت المعلومات تتسرب عن نشاط نووى اسرائيلى . وهكذا وجد الفلسطينيون أنفسهم ازاء موقف تترسخ فيه امكانية استمرار بقاء اسرائيل كحقيقة قائمة بل ومستمرة النمو ، ومن ثم تشكلت نواة فتح فى الخليج العربى عام ١٩٦٣ .

على أن فتح لم تكن أول منظمة فلسطينية . فلقد سبقها فى مطلع الستينات أبطال العودة والثار والعاصفة [٢] ، ولقد ظلت المنظمات الفلسطينية تعمل بمعزل عن بعضها البعض الى أن توصلت — فى أوائل عام ١٩٦٤ — الى ضرورة طرح حل فلسطينى للقضية ، أى من خلال الجماهير الفلسطينية والكفاح المسلح ، وبالتالى سعت لاقامة منظمة واحدة تستطيع توحيد طاقات الجماهير وتنسيق الجهود والبرامج .

واستجابت الحكومات العربية لذلك حيث كانت قد باتت هى الاخرى ترى ضرورة ابراز العامل الفلسطينى ، فتقرر فى مؤتمر القمة العربى الاول فى يناير ١٩٦٤ انشاء منظمة التحرير الفلسطينية . وفى ٢٨ مايو عقد أول مجلس وطنى فلسطينى . وبذلك دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطينى مرحلة جديدة . أما على مستوى الكفاح المسلح ، فعلى أساس افتراض التعادل العسكرى بين اسرائيل والدول العربية ، وبما ان الوقت أصبح لا يعمل لصالح الطرف الفلسطينى ، رأت فتح أن من واجبها التحول الى عامل ايجابى ، وشنت العاصفة أول هجوم لها فى يناير ١٩٦٥ .

طرف فاعل فى الصراع

على أن فاعلية العمل الفلسطينى ستظل ، حتى يونيو ١٩٦٧ ، محكومة باعتبارات عديدة . فالتأييد الشعبى الذى تمتعت به المقاومة الفلسطينية ظل محدودا وهو ما يعزى الى استمرار تسليم الجماهير العربية بأن الحكومات هى المسئول الاول عن التحرير ، كذلك ظلت المقاومة تفتقر للطاقة البشرية [٣] ، أضف الى ذلك أن

[١] للتعرف على آثار ميكانزم حالة شبه الحرب المستمرة من جانب اسرائيل على نفسية اللاجئين الفلسطينيين ومؤسساتهم الاجتماعية يمكن الرجوع الى دراسة جمال ابو حمدان : الخروج الثانى — نزوح ١٩٦٧ ، بيروت ، مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — سلسلة فلسطينيات ، المجموعة الثانية ، ١٩٦٦ صفحة ١٦٥ وما بعدها .

[٢] لعل هذا دليل على ان الشعب الفلسطينى وان كان قد تحول الى لاجئين فانه لم يتحول الى شظايا والا فكيف نفسر ظهور منظمات تسعى لتحرير فلسطين ، وليس مجرد ردود فعل هامشية من حيث الفعالية ، بعد مضى حوالى العقد الواحد على النكبة . ومن هنا يتحفظ المرء ازاء المسلمة الشائعة القائلة بأن المجتمع الفلسطينى قد انهار فعلا عام ١٩٤٨ ، ولربما يكون الاكثر دقة أن نقول ان مجتمعا عربيا فلسطينيا ظل بعد عام ١٩٤٨ وان كان مبعثرا . انظر
Hourani Albert, Palestine and Israel, in Laquer, Walter (Ed), The Israeli Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, (London: The Citadel Press, 1968), pp. 373 — 380.

[٣] Quandt, William B., Political and Military Dimensions of Contemporary Palestinian Nationalizm, in Jabber, Fuad (et al), The Politics of Palestinian Nationalizm, (Berkely: University of Caleformia Press, 1972), p. 45.

اعتماد المقاومة على النظم العربية جعلها طرفا فى الحرب الباردة العربية ، بل انها ظلت تتـــأثر بالاوضاع الداخلية لبعض النظم العربية ، فقـــد ارتبطت موافقـــة بعض الحكومات العربيـــة على السماح للمقاومة بالعمل مـــن اراضيهـــا علـــى الاوضاع والظروف الداخلية لهذه الحكومات .

رغم هذا فلابد من تسجيل أن المقاومة نجحت ، ومنذ البداية ، فى طرح أمكانية بل ونجاح بدائل أخرى غير العمل من خلال المؤسسات الحكومية العربية . وقد تمثل نجاحها هنا فى استمرار اجتذابها للمزيد من الفلسطينيين ، ومن ابناء الدول العربية نحو هذا البديل ، ثم أنها نجحت فى جعل القضية الفلسطينية القضية المحورية فى السياسة العربية .

وفى خضم حرب يونيو ١٩٦٧ زاد اقتنـــاع الفلسطينيين بضرورة الاعتماد على أنفســـهم بالدرجة الاولى اذا أرادوا انجاز المهمة . فلقد كشفت الحرب أن الدول العربية ليست أكثر قدرة على حماية نفسها مما كان عليه الفلسطينيون أنفسهم عام ١٩٤٨ . أما على مستوى المقاومة فقد جاءت الحرب لتوفر لها قوة دفع جديدة . فاذا كانت المقاومة قد عانت قبلها من العنصر البشرى فان وقوع المزيد من الجماهير تحت وطأة الاحتلال وفر للحركة رصيدا ضخما للتجنيد ، كذلك فان توسع الاحتلال جغرافيا جعل حدود العدو أكثر اتساعا وبالتالى تزايدت فرص النيل منه . كذلك فان عجز الجيوش العربية عن العمل الفعال وقتها جعل المقاومة تتمتع برصيد لا حدود له من التأييد الشعبى .

أما التطور الذى لا يقل أهمية عن حرب يونيو فكان معركة الكرامة فى مارس ١٩٦٨ . فقد جاءت الكرامة لتثبت للفلسطينيين ، بالدرجة الاولى ، أنهم يستطيعون مواجهة العسكرية الصـــهيونية (٤) . فابتداء من الكرامة سيكون الانسان الفلسطينى قد استعاد الاحساس بالجدارة والندية بعد أن نجح فى تطبيق حرب العصابات . وهكذا كرســـت استراتيجية الحرب الشعبية طويلة الامد .

وهكذا ففيما بين النصف الثانى من عام ١٩٦٩ والنصف الاول من عام ١٩٧٠ كانت منجزات المقاومة الفلسطينية فى قمتها وهو ما تجلى فى حجم وعدد عملياتها ضد اسرائيل وفى الاراضى المحتلة وحجم الانضمام لصفوفها ومدى الدعم والتأييد الذى حصلت عليه من الجماهير العربية والقوى التحررية والدول الصديقة .

وقد انعكس هذا كله عـــلى ميزانية الدفـــاع الاسرائيلية . فقد ارتفعت خلال العام ١٩٦٩ بمايوازى ٣٠ ٪ ، أما فى عام ١٩٧٠ فانها كانت قد تضاعفت . وهكذا ما ان توشك الستينات على الانتهاء حتى تكون بنية من التنظيم والقيادة والاتصال والموارد قد تأسست . ورغم ان هذه البنية لم تكن قد وصـــلت للتكامل التام الا انه اصبح بمقدورها تجميع الطاقة والموارد وتسييرها الى اعمال مرســـومة (٥) . وبذلك اصبح الفلسطينيين – ولاول مره منذ عـــام ١٩٤٨ – طرفا فاعلا ومؤثرا فى الصراع .

هل هزمت المقاومة

وجربت اسرائيل عمليات التعقب الســـاخنة وحرب العصابات المضادة ، ولم تتوقف المقاومة الفلسطينية ، لكن ما فشلت اسرائيل فى تحقيقه انجز بوسائل أخرى بحلول ســـبتمبر ١٩٧٠ . وخرجت المقاومة من التجربة بأن الثـــورة الفلسطينية لا يمكن أن تكون محبوبة من الجميع ، ولا يمـــكن ان تكون انتصارات دائما . وبدأت أدبيات الثورة فى تقييم أسباب الانحســـار ؛ وكشفت النظرات المتأنية عن أنه وان كانت حركة التحرير الفلسطينية قد دخلت بالانحسار مرحلة جديدة ، فانها استنفدت مرحلة معينة من مراحل تطورها ، حصيلتها المباشرة والانية مرة الثمار . لقد انهزمت حركة المقاومة الفلسطينية لان حركة التحرر العربية الاعم والاشمل كانت قد انهزمت فى يونيو ١٩٦٧ ، وبما أن الاصل قد انهزم فلابد للامتداد أن يصطدم بنفس المصير ولو بعد فترة من الزمن (٦) .

---

(٤) على مستوى الطاقة البشرية المتاحة كان تاثير معركة الكرامة حاسما حتى ان احد مشاكل منظمة فتح بعدها كانت توفير المدربين . انظر هشـــام شرابى ، الفـــدائيون الفلسطينيـــون : صدقهم وفاعليتهم ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٠ ، صفحة ٤٦ .

(٥) د. طـــارق اسماعيل ، حركة التحرير الفلسطينى : مداها وابعادها ، شئون فلسطينية ، العدد ٢ مايو ١٩٧١ صفحة ٣١ – ٣٧ .

(٦) د. صادق جلال العظم ، نقـــد فـــكر المقاومة ، بيروت ، دار العـــودة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ صفحة ٤٦ – ٤٧

وكشفت التجربة أيضا عن سلبيات تعــدد منظمات المقاومة . فلقد أدى ذلك الى تفتيت طاقة الشعب الفلسطيني ، وتبديد قواه ، خاصة وأن العديد منهذه المنظمات لاتعدو أن تكون منظمات كربونية [٧] ، وبحكم أن الحرص فى ظل التعدد يكون على اشتقاق الفوارق لتبرير الوجود ، فان المحصلة النهائية هى الغموض والبلبلة ، فضلا عن اتاحة الفرصة لكل القوى صاحبة المصلحة لضرب المقاومة كلها ثم الادعاء بأنها كانت ضد هذه أو تلك فقط من المنظمات وبحجة أنها غير مسئولة [٨] .

وتحولت المقاومة للعمل السرى ، لكن المراهنات على عجزها بـدأت ، وبدأت معهـا القيـادات التقليدية فى التحرك ، لقد سقطت المقاومة ، هكذا طرحت القضية ، ولم تعد هناك اذا سوى حلول المساومة . وتحت دعوى أن أبناء الاراضى المحتلة يريدون شيئا عمليا ، طرحت العـديد مـن التصورات :

● طرح البعض (حمدى التاجى الفـاروقى ومحمد أبو شلباية) اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، واذا أمكن بعض الاراضى التى أقرها للعرب قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ على أن تعترف الدولة الجـديدة باسرائيل وتقيم معها العلاقات على أساس « حسن الجوار » و « التعاون » بل وليس هناك ما يحول دون قيام اتحاد فيدرالي معها .

● وطرح آخرون (عزيز شحادة) قيام دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة وأية اراض أخرى تتنازل عنهـا اسرائيل من تقسـيم ١٩٤٧ ، على أن تكون هذه الدولة تحت وصاية الامم المتحدة والدول الكبرى ثم تعترف باسرائيل وتتعاون معها .

● ومثل محمد على الجعبرى عمدة الخليل اتجاه آخر ، طالب بوضع الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية لمدة خمس سنوات تحت وصاية دولة محايدة ، على أن يجرى بعد ذلك استفتاء حول المستقبل يقرر فيه أبناؤها ما يرون .

● أما الاتجاه الاخير (رشاد الشوا وأنور الخطيب) فيرى اقامة دولة فلسطينية ثم يتم تغيير الدستور الاردنى لاقامة وحدة اندماجية بيـن الدولتين يتمتع الفلسطينيون فى ظلها بكافة حقوق وواجبات الاردنيين .

ولقد كان لكثافة الحصار حول المقاومة أثره الهام فى تسهيل طرح مثل هذه الحلول والمشاريع وغيرها . فلقد تصور أصحابها أن القيود التى تكبلها تجعلها عاجزة عن المواجهة والتصدى . لقد كانت المراهنة على تحول المقاومة الفلسطينيـة الى « احتياطى ثورة » هى أخطر فرضيات هذه المرحلة فى المسيرة الفلسطينية ، فهل هـزمت المقاومة ؟

مع العام ١٩٧١ بدأت المقاومة مرحلة التكيف مع الظروف . وتوصلت المقاومه الى أنه اذا كان الامل قد ضعف فى توجيه ضربات مـؤثرة لاسرائيل ، فمن المهم الحفاظ على وضع عـدم الاستقرار ، ذلك أن ميل المجتمع الدولى لقبول أو رفض الوضع الراهن انما يتناسب طرديا مع مستوى عـدم الاستقرار ، ففى ظل الاســتقرار سيكون من العبث الحديث عن حقوق فلسطينية ، أما عدم الاستقرار فانه يدفع دائما نحو مناقشة الخلافات ، ومن ثم تبرز المصالح الفلسطينية فى الاعتبار . من جانب آخر لم تهمل المقاومة أهمية وتأثير الدبلوماسية . وهـكذا ففى الوقت الذى اتجهت فيه بعض المنظمات لعمليات اختطـاف الطائرات والطرود الملغومة ، كانت المقاومة تحصل على قرارات مـن الامم المتحـدة تؤيـد الحـق الفلسطينى فى الكفاح المسلح ، ولقد كان نجاحها فى ادارة الصراع على هذا النحو نجـاحا استراتيجيا [٩] .

وابتـداء من عملية مطار اللد [مايو ١٩٧٢] لوحظ أن الفرق الانتحارية لا تضم الفلسطينيين وحدهم ، فقد شارك فيها الشباب السـورى والعراقى والمصرى ، بل وحتى حرب السادس من أكتوبر كان الشـهداء الفلسطينيون فى هـذه العمليات هم نصف شهدائها فقط . وهكذا ظلت الثورة الفلسطينية ساحة من ساحات النضال فى المنطقة العربية . وقد جاء المؤتمر الشعبى العربى فى بيـروت [نوفمـبر ١٩٧٢] ومـا تمخـض عنه (جبهة المشاركة فى كفاح الشعب العربى الفلسطينى) علامة بارزة فى هذا المجال .

---

[٧] هشـام شرابى ، المقـاومة الفلسطينية فى وجه اسرائيل وأمـريكا ترجمة انعام رعد ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٠ صفحة ٢٢٥ .

[٨] د. سعد الدين ابراهيم ، فى سوسيولوجية الصراع العربى الاسرائيلى بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحة ٢٠٢ — ٢٠٣ .

[٩] Daniel, Heradstviet, A Profile of Palestine Gurillas, Cooperation and Conflict, Nordic Journal of International Politics, No. 1, 1972, pp. 12 — 36.

وفى الاراضى المحتلة ، وفى الوقت الذى كان أعيان الضفة الغربية وغزة يتداعون لعقد ثانى اجتماع لهم للنظر فى مسألة تمثيل الشعب الفلسطينى ، كان أبناء الاراضى المحتلة يؤكدون من خلال قيادات وطنية ، وعبر رسائلهم المتتالية لرئيس مجلس الامن والسكرتير العام للامم المتحدة ، رفضهم للاحتلال الاسرائيلى ، وحقهم فى تقرير مصيرهم وسيادتهم على اراضيهم . وقد تمخض ذلك ، اثر الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى فى يناير ١٩٧٣ عن قيام أول جبهة وطنية داخل الاراضى المحتلة ، وقد اعتبرت الجبهة نفسها جزءا لا يتجزأ من منظمة التحرير الفلسطينية التى تعتبرها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

الجبهة الثالثة والقرار الفلسطينى

وفور بدء عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وجه ياسر عرفات نداء عكس مدى ادراك المقاومة الفلسطينية لماهية هذه الحرب وآفاقها . فقد اعتبر أبو عمار أن تلك « لحظات حاسمة فى تاريخ شعبنا وأمتنا » . **وقامت المقاومة بدور ينسجم مع متطلبات حرب كبيرة تتطاحن فيها الجيوش النظامية ، فشاركت من خلال عمليات الجيوش خلف خطوط الجيش الاسرائيلى ، وخاصة الجبهة السورية ، ثم من خلال الجنوب اللبنانى ، ثم داخل اسرائيل نفسها . ورغم الموقف المعروف الذى اتخذه الاعلام الاسرائيلى أثناء العمليات الحربية بصفة عامة ، لم يجد حاييم هرتزوج غير ان يصرح قائلا « فى هذه الليلة (مساء ١٠ أكتوبر) فتحت جبهة جديدة » وهو ما اتفق المراقبون العسكريون على تسميته بالجبهة الثالثة .**

وأثر صدور قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار أعلنت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أن « الثورة الفلسطينية ليست معنية بهذا القرار » . كان الاعلان منسجما مع استراتيجية الثورة الفلسطينية ، لكن وقف اطلاق النار لم يكن مجرد قرار عسكرى بحت ، بل كان جزءا من تصور سياسى أوسع يشمل صلب القضية الفلسطينية نفسها باعتباره خطوة أولى نحو تسوية شاملة لاقامة سلام فى المنطقة بناء على القرار ٢٤٢ .

وكان واضحا أن الامر أكبر من أن يتحمله فريق واحد . وهكذا انعقد المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية ثم اللجنة التنفيذية الى جانب لقاءات عديدة أجرتها قيادات المقاومة على المستويين العربى والدولى . وتبلور أكثر من رأى حول أكثر من قضية :

● ففيما يتعلق باحتمال التسوية السياسية نفسها ، برز رأى يؤكد أن هذا الاحتمال مطروح بقوة . فالحرب خلقت حقائق جديدة على الجانب الاسرائيلى (اهتزاز فرضيات الامن الاسرائيلى) وعلى الجانب العربى (قرار القتال فى حد ذاته ثم سلاح البترول) ومن ثم هناك احتمال تحول السياسة الاسرائيلية نحو التخفيف من التعنت . وعلى المستوى الدولى هناك أثر سياسة الوفاق ممثلا فى ضرورة ايجاد حل يمنع عودة الانفجار فى المنطقة . ومن المتصور أيضا أن يلقى الاتحاد السوفيتى بثقله للوصول الى حل نتيجة لمواقفه المبدئية وبسبب حرصه على علاقاته مع الدول العربية . من جانب آخر فان كون الحرب أثبتت أن اسرائيل قابلة للهزيمة ، وغير قادرة على تأمين مصالح الغرب ، سيسفر عن هامش من التعارض بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .

وكان هناك أيضا تحليل مناقض لذلك ينطلق من فهمه لطبيعة الكيان الصهيونى . وهو يبدأ من مسلمة أن التنازلات تشكل الاستثناء فى تاريخ الكيان والحركة الصهيونية ، وأن هذه الحالات الاستثنائية تمت أيضا فى ظروف استثنائية ، وهو ما لا ينطبق على نتائج الحرب . فاسرائيل لم تهزم كلية ومن ثم فهى ليست مجبرة على تقديم تنازلات . بل يذهب أنصار هذا الرأى الى أن العناصر الاكثر شوفينية هى التى قد تتدعم فى اسرائيل فى المستقبل المنظور . أما الضغط الامريكى فهو حصان خاسر لا يراهن عليه ، فهامش التعارض بين أمريكا واسرائيل ليس من الاتساع ليسمح بتحول الخلاف – ان وجد – الى تناقض .

● وقاد الحوار حول سؤال امكانية التسوية من عدمه الى السؤال الاهم .. أين الشعب الفلسطينى والثورة الفلسطينية والوطن الفلسطينى . هنا أيضا طرح أكثر من رأى :

ففريق يرى أنه بناء على ملامح المرحلة التى دخلت حيز التنفيذ ، فان التسوية ستكون أمريكية السمات . ومن ثم فعلى الارادة الفلسطينية ألا تشارك فيها وعليها أن تعيد ترتيب أوضاعها الداخلية ، وتحالفاتها لتكون قادرة على مواجهة الظروف الجديدة التى سوف تخلقها مثل هذه التسوية .

أما الفريق الاخر فيضغط على أن شكل التسوية سوف يأتي متفقا مع العوامل المشاركة في الصراع مباشرة أو بشكل غير مباشر . وبالتالي ، على المقاومة أن تكون هي العامل الفلسطيني بين العوامل التي ستنتج محصلة الحل . وعلى أي حال فان المعزوف عن ذلك لن يؤدي الا لاحد بديلين : أن يتم الحل من وراء ظهر المقاومة ، أو أن يحل النظام الهاشمي أو وجهاء وأعيان الضفة الغربية محلها . ويطرح أصحاب هذا الرأى صيغة الدولة الفلسطينية في الاراضي المحررة حلا مرحليا للنضال الفلسطيني بحيث تكون قاعدة لمواصلة هذا النضال المتوجه نحو الحل النهائي المتمثل في نزع الصبغة الصهيونية عن فلسطين ، واقامة الدولة العلمانية الديموقراطية على كل ترابها .

وبدا واضحا ـ ابتداء من ديسمبر الماضي ـ ان قضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، أو بعبارة أدق تثبيت حق الثورة الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني على مستوى الاراضي المحتلة ، أصبحت قضية محورية وحاسمة بالنسبة للثورة الفلسطينية ولخصومها على حد سواء . وقد وصلت المسألة ذروتها بقرار مؤتمر القمة العربي بالجزائر باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

ومن الواضح الان مدى أهمية وفاعلية التنسيق بل التلاحم بين الجبهة الوطنية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية . فعلى حين ظل الجعبري ـ مثلا ـ ولفترة يكرر أنه لا يحق للمنظمات أن تكون المتحدث الوحيد باسم الشعب الفلسطيني كله ، اذ به ينكمش الى حجمه الحقيقي وتصبح اجابته المعهودة ، كلما سئل عن رأيه في مستقبل الضفة الغربية ، قوله « انا عمدة الخليل، اما الامور التي تتعلق بالسياسة فاسئلوا عنها ياسر عرفات » والجعبري ليس هو الوحيد الذي يقول بذلك الان ، بل مجمل القيادات التقليدية في الضفة والقطاع .

وعلى أي حال فقد استمر الحوار الذي أجرته قيادات المقاومة حتى عشية المؤتمر الثاني عشر للمجلس الوطني الفلسطيني ، فطوال المدة من ٨ الى ١١ مايو استمر الحوار ، وبأسلوب ديمقراطي ، للوصول الى أرضية مشتركة ، وقد ظهر شبه اجماع على ضرورة قيام السلطة الوطنية الفلسطينية على مايتم تحريره من التراب الفلسطيني مع استمرار رفض القرار رقم ٢٤٢ ورفض حضور مؤتمر جنيف اذا كان حضوره سيبنى على هذا القرار .

ولقد جاء قرار المجلس الوطني فيما بعد ، وهو ما عرف بالنقاط العشر ، صادرا عن التأكيد على أهمية استثمار الثورة الفلسطينية لنتائج حرب أكتوبر ، فالثورة شاركت في صنع النصر . شاركت بأن حملت عن الامة العربية أعباء النضال خلال أكثر من ست سنوات وأبقت جذوة النضال العربي متقدة في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تعيد بناء نفسها وتهيء لجولة أخرى ، كما أنها شاركت في صنع النصر بفتحها جبهة ثالثة في قلب العدو وعلى جبهته الشمالية . وبذلك فاذا كانت الثورة الفلسطينية قد تعاملت رفضا ومعاناة مع سلبيات يونيو ١٩٦٧ فمن حقها ومن واجبها ان تتعامل مع ايجابيات أكتوبر ١٩٧٣ فتغتنم فرصة اختلال ميزان القوى نسبيا لغير صالح اسرائيل لتحقيق مكاسب تتناسب مع حجم الاختلال النسبي .

المعادلة المحصلة

وهكذا تأتي خطوة عرض القضية الفلسطينية بندا مستقلا على الجمعية العامة للامم المتحدة ـ بناء على مبادرة من منظمة التحرير الفلسطينية ـ حلقة ضمن سلسلة ممتدة تمثل المسيرة التي قطعها الشعب الفلسطيني ، أو « الهنود الحمر العرب » على حد قول ذوي الاحكام الواقعية على مرارتها . ومن ثم يبرز السؤال : أين يقف الان هذا الشعب وطليعته المقاومة ؟

لطالما نعت الشعب الفلسطيني بتعميمات تمسح مطلقوها بمسوح التنظير الاكاديمي من نوع « عقلية الرحيل » و « العقلية السلفية » و « الذهنية الرومانتيكية » بينما تكشف مسيرته أنه لم يكد يفيق من صدمة النفي حتى راح يبحث عن « حل فلسطيني » للصراع (١٠) .

[١٠] أنظر في الرد على هذه المزاعم Barakat, Halim and Dodd, Peter, Palestine Refuges: Two surveys of uprootedness, in Hammond, Paul Y., and Alexander S., (Ed), Political Dynamics in The Middle East (New York: Elsevier Publishing Company 1972), pp. 325 — 350.

وقد نشر لهذه الدراسة ملخص باللغة العربية بعنوان : النازحون اقتلاع ونفي ، دراسة اجتماعية علمية ، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٦٨ .

كذلك تثبت هذه المسيرة سرابية الفكر الصهيوني وعجزه عن فهم منطق الصراع • ان التاريخ الحديث لا يعرف حالات أخرى جرى فيها استبدال كامل للسكان الاصليين بعناصر دخيلة فى غضون مدة لا تتجاوز الجيلين غير ما جرى تطبيقه فى فلسطين منذ بداية القرن العشرين ولقد كانت هذه الحقيقة هى أحد محاور التفاؤل الصهيوني سواء قبل قيام الدولة الاسرائيلية أو بعده . فهى تفترض ان يتزايد نسبة اليهود المولودين فى اسرائيل تتعمق جذور « القومية اليهودية الصهيونية » فى « أرض الميعاد » وفى نفس الوقت فان اضطراد اقتلاع الفلسطينيين من جذورهم يعنى اختفاء الشخصية الفلسطينية بذوبان الشعب الفلسطيني أينما استقر • ولكن النتائج جاءت مختلفة •

فبعد عشرين عاما على قيام اسرائيل كان عدد الفلسطينيين الذين يسكنونها هى نفسها لا يقل عنه فى عام النكبة (١١) ، ثم هم متمسكون تماما بجذورهم . أما « جيل النقمة » فقد وجد ــ ومن قبل ذلك ــ هويته فى الكلاشينكوف ، ذلك أن العلاقة بين أطراف أى صراع ليست علاقة آلية أو ميكانيكية •

كذلك تثبت مسيرة هذا الشعب أنه قادر حتى وهو تحت الاحتلال ، ففى كل مرة كانت تمتد يد فرق القتل الاسرائيلية لتغتال زعيما أو قائدا من قيادات المقاومة كان رد فعل أبناء الضفة الغربية وغزة يتحدد موضوعا أول على جدول أعمال الوزارة الاسرائيلية •

أما المقاومة الفلسطينية فقد تمكنت ، ولا تزال ، من فرض الوجود الفلسطيني على الحياة العامة والخاصة واليومية لاسرائيل نتيجة كفاحها المسلح • ثم أنها طرحت بديلا جديدا فى استراتيجية التحرر الوطنى على الجماهير العربية • وكان نجاحها هنا أيضا بلا حدود حتى أن الملك حسين نفسه وقف فى مؤتمر القمة العربى بالرباط عام ١٩٦٩ ليقول « كلنا فدائيون » ويكفى انها ، وهى فى وقت انحسارها ، كانت الرمز الذى يحول دون الدوران فى دائرة مفرغة •

ويبقى فى النهاية أن لدى المقاومة الفلسطينية الان ما تستطيع أن تراهن عليه ، لديها المعادلة الفلسطينية التى وحدت بين « اللاجىء » و « الهوية النضالية الفلسطينية » منذ منتصف الستينات وهذا هو ماتكشف عنه الدراسات الحديثة على مختلف منطلقاتها • ففى الوقت الذى انهارت فيه مكانة القيادات الاخرى سواء الوجهاء الذين يستمدون شرعيتهم من مكانتهم الاجتماعية والسياسية السابقة ، أو زعماء العائلات الكبيرة وزعماء القرى ، تتدعم مكانة القادة الفدائيين ، وذلك بعد أن تغيرت هوية الشباب من لاجئين الى فلسطينيين [١٢] نفس الحقيقة تصدق على من جرت معهم محاولات اعادة التوطين ، فاعادة التوطين لم تكشف عن قلة الاهتمام بفلسطين أو التخلى عن الهوية [١٣] أما الاجيال الصاعدة فهى الاكثر تمسكا بفلسطينيتها من الفريقين [١٤] . على أن هذا كله لا ينفى أن الشوط لايزال طويلا • ذلك انه اذا جاز التسليم بأن الكيان الصهيوني بديناميكيته القائمة على التوسع والغزو الاخلالى ، وعقليته التى لا تزال تحمل سمات الذهنية الجيتوية ، يحمل بذور فنائه بدليل أن المراحل التى تلقت فيها المقاومة الفلسطينية دفعاتها هى نفسها مراحل الإنتصارات العسكرية لاسرائيل ، نقول اذا جاز ذلك ، فمن الواجب الا نتجاهل ان الشوط لايزال طويلا حتى يفسح منطق القوة المجال أمام قوة المنطق .

[١١] جانيت ابو لغد ، التحول الديموجرافى لفلسطين ، فى د. ابراهيم ابو لغد (أعداد) تهويد فلسطين : ترجمة د. أسعد رزوق ، بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٧٢ صفحة ١٥٥ .

[١٢] باسم سرحان : مخيمات الفلسطينيين : نظرة سوسيولوجية ، شئون فلسطين ، العدد ٣٦ ، اغسطس ١٩٧٤ ص ٤٧ ــ ٧٢ .

[١٣] Sutcliffe, Claud R., The East Ghor Canal Projet: A case study of Refugee Resettlement, 1961 — 1966, in The Middle East Journal, Vol. 27, No. 4, Autuman, 1973, pp. 471 — 482.

[١٤] Kuroda Yasumasa, Young Palestinian Commandos in Political Socialization Perspective, in The Middle East Journal, Vol. 26, No. 3, Summer 1972, pp. 253 — 270.



القضــــية الفلســــطينية .. الى أيـن ؟

حــوار مع خــالد الحســن

أجرى احسان بكر حوارا مع خالد الحسن ـ أبو السعيد ـ عضو اللجنة المركـزية لفتح ـ حـول التســاؤلات المطروحة الان : القضية الفلسطينية الى أين ؟

وتنشر الطليعة نص الحوار ، كوجهة نظر فلسطينيـــة ، عن القضـــــية الفلسطينيـــة ، وحقـــوق الشـعب الفلسطيني .

سؤال : الذى لا شك فيه أن متغيرات السياسة نتجت عن حرب أكتوبر . ما هو فى تحليلكم أبعاد المرحلة الراهنة التى تمر بها القضية الفلسطينية ؟

□ فى اعتقادى أن حرب رمضان بنتائجهـــا كانت نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة جديدة . فقــد انتهت حالة اللاســـلم واللاحــرب وانتهت حالة الجمود الدولى بالنسبة للقضية الفلسطينية وما تفرع عنها من احتلال سيناء والجولان وتحولت دولة العدو الصهيونى فى نظر الرأى العام العالمى والدولى من دولة معتدى عليها الى دولة عدوانية .

فاذا أضفنا الى ذلك مرحلة السنوات العشر الاخيرة من النضال الفلسطينى والتى كان لحرب رمضان تأثير كبير فى ابراز نتائج هذا النضال المتمثل بالعــودة الحية للشــعب الفلسطينى ، كشـعب صاحب قضية اعترف بوجوده وبقضيته وبقيادته وبضرورة اعتباره أساسا فى أى موقف دولى يتصل بمنطقة الشرق الاوســـــط وبأن له حقوقا لابد من التجاوب معها .

هذه المكاسب التى تبلورت فى العالم من خلال النضال الفلسطينى المسلح والنتائج التى أحدثتها حرب رمضان خلقت مرحلة جديدة فى المنطقـــة تنطلق من منطلق **تحريك القضية الفلســطينية تحريكا جزئيا لا كليا** بسبب موازين القوى الدولية وعلاقتها بميزان القوى بين العــرب والعــدو الصهيونى .

هذا التحريك الجزئى يتجسد فيما يلى :

١ ـ لا يمكن ان يتم أى سلام مؤقت فى المنطقة الا برضاء الشعب الفلسطينى ، ولا يمكن أن يتم سلام دائم فى المنطقة الا بتحقيق جميع الحقـــوق الوطنية للشعب الفلسطينى .. أى اقامة الدولة الفلســـطينية الديمقراطيـــة على كامل التراب الفلسطينى .

٢ ـ حقق الشعب الفلسطينى من خلال ثورته وقيـــادته [اعترافا نضاليا ومعنـــويا بوجـــوده وبحقوقه] الامر الذى يتطلب تجسيد هذه الحقوق بعد تحويل هـــذا الاعتراف الى « اعتراف دولى وقانونى » .

٣ ـ أثار مشكلة الاراضى الفلســـطينية التى سيجلو عنها الاحتلال الصهيونى فى الوقت الذى ادت فيه نتائج حرب رمضان والنضال الفلسطينى المسلح الى وصول العالم الى قناعة بانه لابد من خلق كيان فلسطينى

٤ ـ بدأت سلسلة من المناورات لتمويل الكيان الفلسطينى الى جسد فاقد الروح من خلال مشروع

المملكة العربية المتحدة الذى رفضه الشعب الفلسطينى وتتبناه دولة العدو الصهيونى والولايات المتحدة .

سؤال : معنى ذلك ان المرحلة القادمة تحمل تحديا كبيرا يواجه النضال الفلسطينى؟

□ بلا شك فان المرحلة القادمة تحمل فى أحشائها أخطارا تحيط بالنضال المسلح بشكل يراد به أن يجعل من هذه المرحلة القادمة مرحلة « صقيع مسلح » وهذا يعنى أن السؤال الاساسى المطروح الان على الثورة الفلسطينية هو :

□ كيف يستمر النضال الفلسطينى المسلح باتجاه التحرير ؟

□ الافادة الكاملة من معطيات مرحلة حرب رمضان ونتائجها ومعطيات النضال الفلسطينى المسلح ونتائجه بحيث تخدم هذه الافادة استمرار النضال الفلسطينى المسلح والمحافظة على البندقية الفلسطينية .

سؤال : ان النتيجة الحتمية المرحلية النضال الفلسطينى ولحرب رمضان هى تسليم العالم بأنه لابد أن يكون للشعب الفلسطينى كيان سياسى . لكن هذا الكيان محل خلافات عميقة الان . ما هو تفسيركم ؟

□ نظرا لاختلاف الدوافع السياسية عند صانعى السياسة الدولية والمؤثرين فيها . فان هناك مشاريع متعددة .. هناك من يطمع فى أن يكون هذا الكيان الفلسطينى وسيلة لامتصاص النضال وانهاء الثورة واقفال ملف القضية الفلسطينية . وهؤلاء هم الذين يتبنون مشروع المملكة العربية المتحدة . وهناك من يرى فى مثل هذا الكيان بؤرة ثورية جديدة تسهم فى الصراع العام ضد الامبريالية العالمية .. وهناك من يرى ان مثل هذا الكيان — اذا توافرت له الشروط الموضوعية اللازمة سيكون نقطة انطلاق جديدة النضالية المتجهة نحو تحرير فلسطين .

سؤال : وأين تقف الثورة الفلسطينية من هذه المشاريع ؟

□ بالطبع لا حل الا فى اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على الارض التى يجلو عنها الاحتلال الصهيونى ، هذا هو قرار الشعب الفلسطينى ، وعلى القيادات العربية الوطنية أن تتعامل مع هذه النتيجة بما يحقق استمرار النضال الفلسطينى .

سؤال : وكيف يكون التجسيد المادى والقانونى للمكاسب الفلسطينية ؟

□ التجسيد المادى هو الخطوة الاخيرة وهى بولادة الارادة الفلسطينية الشعبية المستقلة على شكل سلطة وطنية على الارض الفلسطينية . اما التجسيد القانونى فهو فى عصرنا الحالى يتمثل فى اعتراف الامم المتحدة اعترف به الراى العام العالمى والدولى .

سؤال : اذن ما هو الهدف السياسى للنضال الفلسطينى المسلح فى المستقبل المنظور ؟

□ ان الشعب الفلسطينى قد حقق انتصارا فى عودته الى الوجود الحى من خلال اعتراف العالم بوجوده وبقيادته الوطنية وبأن له قضية شرعية وبأن له حقوق . اى اننا نلاحظ :

١ — ان نوعية هذا الانتصار نوعية استراتيجية لانه يتناقض جذريا مع أحد الاهداف الاستراتيجية للعدو الصهيونى والقاضى بالغاء وجود الشعب الفلسطينى وتوطينه فى مختلف مناطق شتاته لاقفال القضية الفلسطينية بشكل نهائى .

٢ — لقد توحد مفهوم العالم بالنسبة لوجود هذا الشعب ولقيادته ولشرعية نضاله . ولكن لم يتوحد بعد مفهوم العالم بالنسبة لمعنى الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى كما يراها هذا الشعب . ولذلك فان الهدف الاساسى المرحلى للنضال فى المرحلة القادمة المنظورة لابد أن يتمركز لتوحيد المفهوم العالمى لهذه الحقوق .. أى بانشاء الدولة الفلسطينية الديمقراطية على كل أرض فلسطين المحررة .

٣ — الربط النضالى بين الهدف السياسى الخاص بتوحيد المفهوم العالمى للحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى وبين استثمار نتائج حرب رمضان باتجاه تحقيق السلطة الوطنية الفلسطينية على الارض التى يجلو عنها الاحتلال .

سؤال : هل يعتبر قيام السلطة الوطنية أو الكيان الفلسطيني نهاية للثورة الفلسطينية وللكفاح المسلح أم أن قيام السلطة هو مجرد مرحلة من المراحل ؟

□ الثورة أصلا هى رفض للواقع ويمارس هذا الرفض بالتمرد عليه لتغييره تغييرا جذريا بواقع آخر يكون هو هدف الثورة . وبالنسبة لنا فاننا ثرنا على واقع الاحتلال الصهيونى لفلسطين ووجود الشعب الفلسطينى خارج وطنه بهدف احلال واقع جديد هو عودة الشعب الى وطنه المحرر وانشاء دولته الديمقراطية الفلسطينية عليه . هذا هدف استراتيجى لا يمكن أن تتخلى عنه القيادة الفلسطينية . ومن هنا يظهر أن الثورة تمثل فى حقيقتها صراعا عنيفا بين الظالم والمظلوم وحلفائهما . وبالتالى فان ساحة الصراع تمثل فى الحقيقة صراعا بين ارادات المتصارعين .

ونتيجة للنضال الفلسطينى المرير ولحرب رمضان أصبح العالم يؤمن بضرورة قيام كيان فلسطينى . ولكن صراع الارادات لا يتوقف . فهناك ارادة العدو التى وان فرض عليها بالقوة التسليم بضرورة الاعتراف بالشعب الفلسطينى الا أن العدو يحاول الانحراف بهذا الاعتراف لافقاده من مضمونه وجعله شكلا اجوف ، يمتص النضال الوطنى الفلسطينى من خلال اعادة هذا الشعب الى حكم الملك حسين بتنفيذ مشروع المملكة العربية المتحدة .

وبناء على ذلك فانه اذا سلمنا بأن العدو الصهيونى مدعوما بمعسكر حلفائه يعمل لان يكون الكيان الفلسطينى وسيلة لامتصاص الروح النضالية الفلسطينية . فاننا يجب ان نسلم أيضا بأن الشعب الفلسطينى الذى كاد ان يختفى من مسرح العمل السياسى التقليدى والثورى عاد فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ليفجر ثورة جديدة من ثوراته المتتالية ليصل بعد عشر سنوات من الكفاح المسلح الى نتيجة تمكنه من العودة النضالية كشعب موجود متماسك الى المسرح السياسى رغم ارادة العدو ورغم مؤامراته وخططه . فحيثما توجد ارادة لا يوجد المستحيل ويوجد النصر وان طال موعد حدوثه .

وهذا هو ما يفسر شعارنا الذى رفعناه وهو الحرب الشعبية طويلة المدى لان الشعب يفهم أن موازين القوى العالمية والعربية فى المرحلة الراهنة لا يمكن أن تحقق الانتصار الحاسم فورا .

فاذا كان هذا صحيحا فان السؤال فى هذا المجال يجب ان يتركز حول ما اذا كان الشعب الفلسطينى سيتخلى عن وحدته الوطنية أم لا ؟ لان ارادته هى العنصر الحاسم على المدى الطويل وبعودة سريعة الى تاريخ هذا الشعب فانها تؤكد ان ارادة الشعب الفلسطينى لا يمكن أن تنثنى امام اى اغراء او معطيات . وبالتالى فان السلطة الوطنية لا يمكن الا وان تكون بداية مرحلة نضالية أكثر قوة وصلابة باتجاه الانتصار الشامل .

سؤال : اسرائيل ضد بحث قضية فلسطين فى الامم المتحدة وضد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية .. ما هو تفسيركم ؟

□ قبل الاجابة لابد من ذكر بعض الحقائق الذاتية الخاصة بالعلاقة الجدلية بين الوجود الصهيونى فى فلسطين المحتلة وبين الشعب الفلسطينى . فأساس الوجود الصهيونى فى فلسطين هو أساس عدوانى توسعى . وشعار الوجود والتوسع الصهيونى هو أرض بلا شعب وهذا يعنى القضاء على الشعب صاحب الارض . ثم ان العدو الصهيونى يقوم أساسا على « شرعية القوة » وليس على « قوة الشرعية » وهذا يتناقض مع المرحلة الحالية من الموقف الدولى الذى يرفض العدوان .

فاذا كانت هذه الاسس صحيحة — وهى فى اعتقادى صحيحة — فان زوال الشعب الفلسطينى هو أحد الاهداف الاستراتيجية للعدو الصهيونى لان هذا يعنى زوال الشعب الذى يطالب بوطنه . فاذا علمنا بأن الفهم الدولى للواقع العربى لاينطلق من المفهوم الحقيقى للقومية العربية وللامة العربية وبالتالى لا يستطيع أن يفهم حق المواطن العربى فى رأس الخيمة وفى النضال من أجل تحرير فلسطين على نفس المستوى الذى يتمتع به الانسان الفلسطينى ، ادركنا لماذا قامت الخطة الاسرائيلية الاعلامية مدعومة بالاستعمار العالمى بتصوير النزاع فى المنطقة على أنه نزاع بين دولة اسرائيل الصغيرة وعشرين دولة عربية ، وبالتالى تحويل الصراع الى صراع بين دول وهذا يعنى وقوف القوى الدولية الى جانب الوجود الصهيونى فى فلسطين بعيدا عن كل ما له علاقة بالشعب الفلسطينى .

ومن هنا نستطيع أن نفهم ما كتبه **ابا ايبان** فى كتابه « بلادى My Country » بأن العبقرية الفلسطينية كانت فى تحويل الفهم العالمى للصراع من صراع بين الدول العربية واسرائيل الى صراع بين الشعب الفلسطينى والصهيونية العالمية ، وبالتالى تحول العطف العالمى بعد ١٩٦٧ لصالح

الشعب الفلسطيني بينما كان في الماضي لصالح دولة العـــــدو .

ومن هنا أيضا نستطيع أن نفهم قيمة الانتصار الفلسطيني في عـــودة الشعب الفلسطيني الى الوجود كشعب مناضل من أجـل قضـيته التي اعترف العالم بعدالتها .

ومن هنا كان لابد للعـــدو أن يعتمد على عامل الزمن على أمل أن تتولد ظروف جـديدة تدفـــع بالنضال الفلسطيني الى التقهقر الفعلي وبالتالي الى انخفاض قيمة الاعتراف بالشعب الفلسطيني وقضيته ونضــاله .

العدو الصهيوني اذن يعارض طـرح القضية في الامم المتحدة ويعارض السلطة الوطنية خشية من الامور التــالية :

١ ــ ظهور الشرعية القانونية الدولية لوجود منظمة التحرير الفلسطينية وللنضال الفلسطيني اي تكريس قانوني دولي لوجود الشعب الفلسطيني ولحقوقه الوطنية وبذلك تظهر الشرعية القانونية الدولية المتناقضة مع الوجود الصهيوني والبديل له على المــدى الطويل .

٢ ــ كما أن تجسيد الاعتراف المعنوي العالمي والاعتراف القانوني الدولي بالشعب الفلسطيني بسلطة وطنية فلسطينية على أرض فلسطينيـــة يمثل تجسيدا ماديا لشرعية الوجــود للشـــعب الفلسطيني من خلال وجوده فعـــلا على شـــكل كيان سياسي معترف به دوليا . وهـــذا بدوره يقفز بالنضال الفلسطيني من شرعية النضـــال في نظر الراي العام العالمي الى شرعية النضال في نظر الموقف القانوني الدولي ويعطي سلاحا جديدا الى جانب الكفاح المسلح للنضال من اجل عودة الشعب الفلسطيني الى وطنه ثم استعادة بقيـــة هـــذا الوطن .

سؤال : السؤال المثار الان هـــو مدى قدرة هذه السلطة الوطنية على الوجــود والاستمرار في مواجهـــة دولة العـــــدو الصـــهيوني عسكريا .

□ نضـــــال الشعب الفلسطيني يعتمد على فهمه للحقائق التــالية :

١ ــ الارادة الفلسطينية المرتبطة ارتباطـــا غير قـــابل للانفكاك من استمرار النضـــال حتى النـــصر .

٢ ــ القناعة الـكاملة التي لا تقبل النقاش بأن هذا النضال وهذه القضية يقومان على عدل لم يتوفر في قضية أخرى .

٣ ــ ان الوجـــود الصهيوني ، العـــدواني بطبيعته ، العنصرية بتكوينه ، التوسعي بمنطلقه الاستعماري بعقيدته سيكون باستمرار عامل تفجر في المنطقة بحيث ستبقى المنطقة في صراع مرير ومستمر الى أن يتحقق النصر الحاسم لاحــــد الطرفين المتصارعين .

٤ ــ ان الجماهـــير العربية تقف في نفس الموقف الذي يقفه الشعب الفلسطيني من خلال رفضها للوجود الصهيوني .

٥ ــ ان القضية الفلسطينية قضية جماهيرية بالغة العمق من التأثير ، وتمثل اهم عنصر محرك من عناصر التضامن العربي وبالتالي فان مثـــل هذه القضية لا يمكن الا وان تبقى عامل تحـــريك ثوري في المنطقة حتى يتحقق النصر النهائي على العــــــدو .

٦ ــ ان الصهيونية تقوم على شرعية القوة وبالتالي فان ضرب هذه القوة انهاء لوجــــود أصحابها . بينما النضال الفلسطيني والعـــربي يقوم على قوة الشرعية » وبالتالي فان هزائمـــه تكون حافزا للنضال من جديد حتى يتحقق النصر .

٧ ــ ان الحركة الصهيونية ممثلة بالوجود الصهيوني في فلسطين يسير عكس تيار التاريخ وقد ادرك القادة الصهاينة بعد حرب رمضــــان هذه الحقيقة حيث قال **جـــولدمان** في مقـــالات أربعة كتبت في ها آرتس : أن استمرار الحروب يعني نهاية « دولة اسرائيل » .

من خلال ذلك كله استطيع ان اقول ان قدرة السلطة الوطنية الفلسطينية لا تكمن في عـــدد الاشخاص وفي مساحة الارض فحسب ، وانما تتجاوز ذلك كله الى القيمة الحقيقية للقضـــية الفلسطينية وتأثيرهـــا المفجر على الجماهـــير العربية من ناحية وفهمنا لطبيعة العدو ومواطن قوته وضعفه من ناحية ثانية ، وادراكنا لمسار التاريخ وعلاقته بالقضايا العـــادلة للشعوب من ناحية ثالثة وقدرة العقـــل الفلسطيني والارادة الفلسطينية على استثمار ذلك كله من خـــلال القوى العربية والقومية للابقـــاء على استمرار النضال والسير به باتجاه الانتصار الاخير .

ســـؤال : الا تعتقد ان المعركة الســـياسية القائمة تتطلب انشاء حكومة ثورية مؤقتة ؟

□ ان المرحلة بشـــكلها العام ، والمســـتوى الذي وصل اليه النضال الفلسطيني ، عربيـــا وعالميـــا بشكل خاص ، يتطلب قيام مثل هذه الحكومة .. ولكنني اتصور أن التوقيت المحدد لها هو بعد قبول

منظمة التحرير الفلسطينية للدفاع عن قضية الشعب الفلسطيني في الامم المتحدة .

سؤال : أنتم قادة ثورة .. والتحول الى حكومة سيؤدى الى تغييرات .. ما هو تصورك ؟

□ لابد أن يكون واضحا **ان قيام حكومة فلسطينية مؤقتة لا يعني الغاء منظمة التحرير الفلسطينية أو اللجنة التنفيذية للمنظمة .. بل يجب ابقاء المنظمة ولجنتها التنفيذية** ، وعند تأليف الحكومة ، لابد وان تؤلف — في رأيي — من غالبية من خارج قيادات فصائل حركة المقاومة .. **وان تكون اللجنة التنفيذية بمثابة مجلس قيادة ثورة الشعب الفلسطيني ، تشرف على سير الحكومة المؤقتة ، بما يضمن استمرار فاعلية الثورة وعدم حدوث التناقض الذى يحدث عادة بين الثورة والحكومة .**

سؤال : هل يعنى كل ذلك ان قيام السلطة الوطنية الفلسطينية أصبح أمرا منظورا ؟.. هل أنت متفائل ؟

□ انني لا اتصور اطلاقا بأن الانسحاب الصهيوني أصبح قريبا .. فمراجعة بسيطة لما جرى منذ حرب رمضان حتى الان نلاحظ ما يلى :

❶ البطء وعدم القدرة على استثمار نتائج حرب رمضان بالحجم المطلوب نوعا وزمنا ، الامر الذى أعطى ويعطى العدو فرصة زمنية ذهبية لالتقاط انفاسه واعادة تنظيم اموره تمكنه من المماطلة والمناورة ، بحيث يتمكن من العودة بالواقع الى حالة اللاحرب واللاسلم أو حالة اللاانتصار واللاهزيمة .

❷ ان حرب رمضان — فى اعتقادى — أوقفت البداية الصهيونية ، بمعنى انها كانت بنتائجها تمثل « **نهاية البداية** » للعدو الصهيوني .. وحتى تتحول نتائج الحرب الى « **بداية النهاية** » ، لابد من عمل عربى تضامنى ، يقوم أساسا على القوة المسلحة الى جانب سلاح النفط ورؤوس الاموال العربية من خلال عمل جماعى منظم .

❸ نظرا لان العدو الصهيوني يعتمد فى وجوده وديناميكيته وحركته على شرعية القوة وليس على قوة الشرعية .. ونظرا لان حرب رمضان قد وجهت ضربة قوية الى فك عدونا ، الامر الذى نتج عنه اهتزاز أساسى فى بنيانه المجتمعى على مستوى الفلسفة والافكار والمؤسسات والاحزاب والقيادات الصهيونية .. نظرا لكل ذلك فتحليلنا يقوم على أساس أن العدو لا يمكن الا وان يعمل ما فى وسعه لاعادة بناء قوته العسكرية لتوجيه ضربة عنيفة خاطفة على الاقل اذا لم تسمح له الظروف الدولية بشن معركة جديدة حتى يتمكن من العودة الى المسرح الدولى من منطلق النصر بعيدا عن هزيمة رمضان .

كل هذه الاسباب تدفعنا الى القول بأن موضوع السلطة الوطنية لا يزال مجرد شعار يحتاج الى نضال طويل ومرير على كافة اشكاله الفكرية والسياسية ، ومربوط باستمرار بوحدة الموقف العربى واستمرار التضامن والتنسيق فى استعمال كافة الاسلحة التى نمتلكها .

سؤال : وماذا عن الموقف من الاردن ؟

□ ان الموضوع الاساسى هو من يتحدث باسم الشعب الفلسطيني فى المجتمع الدولى ؟ .. وهذا يعنى من الذى يملك حق تمثيل الفلسطينيين ، وحق التمثيل عادة لا يكفيه قرار من الخارج ، وانما يتطلب معرفة حقيقة موقف الشعب نفسه من هذا السؤال .

فاذا أعلن الشعب الفلسطيني ان الذى يمثله هو منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد سقط أى قول آخر من خارج هذا الشعب مهما كان صاحبه . ولقد حاول **الملك حسين** محاولات متعددة : من خلال الاقناع بالحوار ، ومن خلال المال .. من خلال التهديد ، ومن خلال الترغيب ، ان يجد صوتا واحدا يرتفع فى الضفة الشرقية أو فى الضفة الغربية لا يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو يعلن عدم اعترافه بها كممثل شرعى للشعب الفلسطيني ، ولكنه فشل فى ذلك .

العدو الصهيوني حاول ايضا معرفة موقف أهلنا فى الارض المحتلة ، وكان الجواب دائما بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى لكل الشعب الفلسطيني وفى كافة مناطق تواجده .

معلوماتنا أيضا تقرر ان سفراء الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا وانجلترا ، أجروا اتصالات بزعماء الضفة الغربية واهلنا فى الارض المحتلة ، وتلقوا نفس الاجابة : منظمة التحرير .

اذا اضفنا الى كل ذلك اعتراف مؤتمر القمة العربى الاخير بالجزائر ، ومؤتمرات القمة الافريقية والاسلامية ودول عدم الانحياز ، والبيان المصرى — الرومانى ، والبيان المصرى — البلغارى

والبيانات الفلسطينية المشتركة مع دول شرق أوربا ، وكلها تعترف بأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، لادركنا حقيقة الموقف .

ان المشكلة فى موقف **الملك حسين** انه يطرح الموضوع على مستوى الافراد ، فيقول ما هو مصير الفلسطينى الموظف فى مؤسسات ووزارات الاردن ؟ .. ما هو مصير الفلسطينى فى الضفة الغربية ، الذى يمتلك عقارات ومصالح فى الضفة الشرقية ؟ .. بل وما هو مصير الفلسطينى المتزوج من أردنية والاردنى المتزوج من فلسطينية ؟

ان مثل هذه الامثلة والتساؤلات التى تطرحها السلطة العميلة فى عمان ، هى هروب من السؤال الاساسى للتضليل ، لان هذه الاسئلة تنطبق على الفلسطينى المقيم فى كل البلاد العربية وغير العربية .. واذا سلكنا مثل هذا المنهج المخادع فى التفكير وقبلنا مجرد البحث ، فان النتيجة الطبيعية لذلك هى الغاء منظمة التحرير ، والغاء الشعب الفلسطينى بالمعنى النضالى الثورى الذى عاد الى الوجود عبر آلاف الشهداء والجرحى .

ان مثل هذه الاسئلة سابقة لاوانها وموعد بحثها هو بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة وليس قبلها .

ان الحقيقة الموضوعية فى مناورات **الملك حسين** هى انه لا يريد وجود الشعب الفلسطينى ويريد العودة ليس الى الضفة الغربية فقط ، بل والى غزة أيضا ، ليبقى السجان المحترف للشعب الفلسطينى ، ونيابة عن العدو الصهيونى .

ونحن نقولها للملك عمان ، ان هذه المرحلة قد اسقطتها تماما ثورة الشعب الفلسطينى المسلحة والتى تفجرت فى الفاتح من يناير سنة ١٩٦٥ .

وكما قال الاخ **أبو عمار** : اذا أراد **الملك حسين** ان يثبت حسن نواياه فعليه ان يوافق على عودة الفدائيين للعمل من الاردن ، وعليه الالتزام بتوقيعاته التى وقعها مع الملوك والرؤساء العرب

سؤال : وما هو موقفكم من الراى الذى أعلنه الملك حسين عن استعداده لاجراء استفتاء حول مستقبل الضفة الغربية ؟

□ غريب هذا الامر .. فلم يسبق فى التاريخ أن استفتى شعب على هويته .. استفتاء **الملك حسين** مرفوض من شعبنا تماما ، سواء أراد أن يجريه ـ كما يزعم ـ عن طريق الامم المتحدة أو الجامعة العربية .. على الاردن اذا كان مخلصا ـ كما يزعم لقضية فلسطين ـ ان يلتزم بمقررات قمة الجزائر .. على الاردن أن يعود الى الصف العربى .

سؤال : لقد مرت العلاقة بين القاهرة ومنظمة التحرير الفلسطينية بنوع من الفتور الطارىء .. بعضهم قال هناك أزمة .. ثم حسم الموضوع فى البيان الثلاثى : المصرى ـ السورى ـ الفلسطينى ..

ما هو الموقف الان ؟

خالد الحسن : لابد أولا من التأكيد بأن المصلحة القومية العليا لمصر ولفلسطين ، بل وللقضية العربية كلها ، تفرض التماسك القوى بين مصر وبين القضية الفلسطينية ، وهذا أمر قائم لا يحتاج الى نقاش أو تأكيد .

لكن المشكلة التى تعانى منها القيادة الفلسطينية هى فقدان استمرار الاتصال والتنسيق المسبق لمواجهة الاحداث المشتركة .. وما لم يتحقق مثل ذلك ، فستقع أخطاء قد تتحول الى أزمات ، ولكنها ستكون أزمات عابرة لا تلبث أن تزول ، لان هناك فرق كبير بين اجتهاد الاخ المخلص وبين تعمد ارتكاب الخطيئة من العدو المكشوف أو المغطى .

ونحن نعتبر البيان الثلاثى : المصرى ـ السورى ـ الفلسطينى ، قد وضع الامور فى نصابها ، ويبقى التنفيذ الثورى لكل نصوص البيان وبشكل خاص الفقرة التى تنص على استمرار التنسيق والتشاور .

ان وحدة الموقف المصرى ـ السورى ـ الفلسطينى ، ضرورة من ضرورات المرحلة القادمة والمراحل التى تليها ، حتى يتحقق النصر الكامل .

وينتهى الحوار مع خالد الحسن بتأكيد أخير :

مهما كانت أشكال المرحلة المقبلة .. وايا كانت التحركات والمشاريع المطروحة ، فالامر الذى لا يقبل الجدل والنقاش هو ان الثورة الفلسطينية سوف تستمر فى نضالها المسلح والسياسى وكافة اشكال النضال حتى تتحقق اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية فوق كل أرض فلسطين .. فهذا موقف استراتيجى لن تتخلى عنه الثورة وكرسته أرواح آلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين .

حــــول
مفهـــوم
الانفـــــــــراج الـــدولى

محمـــد ســـيد أحمـــد

شاع الاعتقاد فى مصر قبل حرب اكتوبر بأن مناخ « الانفراج الدولى » يمثل خطرا ينال من قدرتنا على حل قضيتنا ، واسترداد ارضـــنا وحقوقنا . ووجد هذا التهيب تعبيرا عنه فى وصف مناخ « الانفراج الدولى » بأنه « **وفاق** بين الدولتين الاعظم » ، بل « **عناق** بين الدولتين الاعظم » .. وكأنما كان يعنى هذا « الانفراج » **زوال** التناقضات الدولية الكبرى ، واحلال التوافق والتـــكامل محلها .. على حسابنا .

وقد ثبت ــ بعد حرب اكتوبر ــ ان هذه النظرة لم تكن صحيحة ، بل نزعم ان التمسك بها اليوم ، او عدم تصفية كل رواسب مثل هذا التفكير ، لابد أن يلحق بمصالحنا الحيوية اضرارا جسيمة .

ليس الجهد الدولى الذى بذل لاحلال الانفراج الدولى والتعايش السلمى محل الحرب الباردة ، **هو** جهد يستهدف **القضــاء على التناقضـــات الدولية** . ذلك ان التناقضات الدولية بين نظم اجتماعية متعارضة المصالح الطبقية ، ومتعارضة الايديولوجية الطبقية ، **لا تقبل الالغاء** . بل هو جهد واع ومتعمد بذل من قيـــادة « العالمين المتعارضين » قيادة العالم الراسمالى ، متمثلة فى الولايات المتحدة ، وقيادة العالم الاشـــتراكى ، متمثلة فى الاتحاد السوفيتى ، « **لاعادة ترتيب التناقضات الدولية** » ولتجنب استمرار تفـــاقم وتصاعد تلك التناقضات بالذات ، **الاكثر ضررا لكافة الاطراف المعنية منها فائدة لاى طرف منها** ، ولمحاولة احلال تناقضات أخرى ، يمكن لمختلف الاطراف استثمارها بفائدة ، محل هذه التناقضات التى تنطوى على ضرر مطلق فقط ، على أن تحتل هذه التناقضات الجديدة مكان الصدارة والاولوية فى العلاقات الدولية .

على ســـبيل المثـــال .. احـــلال « **التنـــافس الاقتصادى** » محل « **سباق التسلح** » هو نموذج ناطق عما اوردناه . ان سباق التسلح ، بما ينطوى عليه من أخطار فى العصر النووى ، تهدد بافناء البشرية كلها ، هو ممارسة لتناقض لا يجنى أى طرف فائدة منه . أما « التنافس الاقتصادى » ، فانه لا ينطوى على ازالة التناقض ، ولكن تجرى ممارسته على نحو يفسح للاطراف المتنافسة جميعها الفرصة لجنى ثمارها ، ويترك للاطراف المتنافسة جميعها فرصة لتنطلق فى هذا المسار ، مدفوعة بالاعتقاد أنها سوف تربح منه أكثر من غيرها .. والعبرة بعد ذلك بسلامة « النظام الاقتصادى » وقدرته فى التطبيق على اثبات تفوقه فى هذا المضمار .

مثل آخر .. ان احلال التعاون مع التنافس فى مجال العلم والتكنولوجيا ، محل التنافس الاعمى المحاط باخفاء أسرار المكتشفات الجديدة ، هو سبيل لاستثمار هذه المكتشفات لصالح البشرية كلها ، ولتعزيز السلام العالمى ، ولزيادة رفاهية الشعوب ، بدلا من تعريض شعوب العالم لاخطار **التلوث** ، الناجمة عن خوف كل طرف من أن يكون متخلفا فى اكتشافاته عن الاطراف المضادة ، فلا يتردد عن الاقدام على تجارب يمكن لها فى العصر

النووى أن تصيب البشرية كلها بأضرار لا رجعة فيها .

التعايش اذن ضرورة ، بمـا يقتضيـه من « انفراج » فى العلاقات الدولية ، ومن قضاء على الاستقطاب الدولى الحاد ، والتكتل فى كتل دولية متربصة بعضها البعض ، وهذا التعايش ضرورة **لن تتحقق تلقائيا . بل لابد كى تتحقق ان تنجز ضد** الغرائز والانفعالات التلقائية ، **بجهد واع ومتعمد** ، الدافع اليه هو ضرورة الالتزام أولا بمصالح البشرية ككل ، كشرط لا غنى عنـه لاستمرار حياة الانسان فوق كوكبنا ، وتغليب المصالح الكلية لشعوب العالم فى تسخير العلم والتكنولوجيا لتحقيق تقدمها ورفاهيتها ، عـلى المصالح الجزئية لاطراف دولية قوية ، تملك مقاليد السلطةفىدولقوية،وهىترجح مصالحها الخاصة على هذه المصالح الكلية انما تهدد البشرية كلها بعواقب مدمرة .

الانفـراج .. وانتعـاش

مظاهـر جـديدة للصـراع

الانفراج الـدولى اذن هو جهـد مبـذول بـوعى « لاعادة تـرتيب التنـاقضات » ، لا لالغائها .. ولكن ما القصد من « اعادة ترتيب التناقضات » ؟ وماهى الاثار المترتبة على ذلك ؟

تنطلق فكرة « اعادة ترتيب التناقضات » من افتراض امكانية « تحديد » و « عزل » تلـك التناقضات بالذات **التى تمثل ضررا مطلقا لجميع الاطراف الدولية [الحرب النووية الشـاملة ـ التلوث .. الخ ..] عن بقية التناقضات على المسرح الدولى** . ويجرى « عزل » و « تجميد » تلك النوعية الخاصة من التناقضات **باتفاقات** تبرمها الاطراف المعنية كالاتفاق الخاص بالحد مـن الاسلحة الاستراتيجية ، أو وقف التجـارب النووية ، او الحد من سباق التسلح ، او ايجاد مناطق منزوعة السلاح النووى ، الخ .. والملاحظ بوجه عام أن هذا **القيد** على انطلاق الصراع الاجتماعى والايديولوجى على اتساع كوكبنـا فرضته انجازات العلم والتكنولوجيا العصرية ، وخلقها أدوات قادرة على افناء البشرية بأسرها ، لا فى صورة « **سلاح** » بالغ القـدرة التدميرية فحسب ، بل أيضا فى صورة « **منتجات صناعية** » تحمل عوامل فتاكة هى الاخرى للبشر حتى فى ظروف السلم [**التلوث**] .

هذا « التجميد » لممارسة نوعية محددة من التناقضات **لا يعنى انهاء ظاهرة التناقض** ، ولا ان الفرصة قد أصبحت متاحة للاتسـاع بدائرة التناقضات القابلة لان « تجمد » ، على حسـاب دائرة التناقضات التى لا تقبل « التجميد » .. بل على العكس . ذلك انه يقابل « تجميد » نوعية معينة من التناقضات باتفاقات يجرى ابرامها بين أطراف دولية مختلفة ــ **انتعاش أشكال أخرى من التناقض ، واكتسابها دورا أكثر بروزا فى الحياة الدولية** . وتكشف هذه التناقضات التى زادت انتعاشا ، وانتقلت الى مقدمة المسرح السياسى الدولى ، **عن مدى صمود هذا النظام الاجتمـاعى الدولى ، او ذاك لمناخ « الانفراج الدولى »** ، **ومدى** قابلية هذا النظام او ذاك **للتكيف** لعلاقات دولية جديدة ، برزت فيها « الحاجة » لوضع « ضوابط » و« قيود » على الانطلاق الاعمى للتناقضات ..

وثمة ظواهر جديرة بأن تستوقف النظر فى هذا الصدد .

كان الانطلاق « الاعمى » للتناقضات فى فترة الحرب الباردة يفضى الى **الاستقطاب الـدولى الحاد** ، وانقسام العالم الى كتل دولية متنابذة واضحة المعالم .

كان الاتجـاه العام فى ظل هذا الاستقطاب الدولى الحاد هو التقليل من عدد الاطراف التى تمارس دورا **مستقلا** فى النزاعات الدوليـة ، واستيعاب اطراف عديدة أخرى داخل اطار نمط للمواجهات الدولية يتسم بالوضوح وبالبساطة ..

كانت الولايات المتحدة قدبرزت كالقوة القياديةفى المعسكر الرأسمالى العالمى . ولم يكن هناك متسع كى تبرز دول أوروبا ، أو اليابان ، ارادتها المستقلة المتميزة . وفى مواجهة تكتل العالم الغربى ضد المعسكر الاشتراكى ، اتسم هذا الاخر بانضباط صارم أيضا ، وكان يجد هذا « الانضباط » تعبيره فى المبدأ القائل بضرورة « تغليب التناقض الرئيسى مع الاستعمار على كل تناقض آخر » ..

كان يسفر هذا الاستقطاب الدولى الحاد عن امكانية رد خريطة الصراعات الدولية الاكثر حدة الى خريطة **جغرافية** ، **وتعريف ابرز القـوى** المتصارعة بالموقع الجغـرافى الذى تنتمـى اليه : « الشرق » فى مواجهة « الغرب » ..

أما وقد برزت الان « الحاجة » **لضبط وتقييد** هـذا الانطـلاق « الاعمى » للتنـاقضات .. وهذا « التقييد » يلبى « حاجة » لـدى جميـع الاطـراف المتصـارعة [استمرار تصـاعد الصراع « الاعمـى » يهـدد الجميـع بـالفناء الشامل] . **فلم يعد من الممكن على نحو مماثل رد** خريطة **أبرز الصراعات الدولية الى خـريطة** جغرافية بسيطة ، **ذات المعالم المحددة الواضحة** .

لم يعد واردا كذلك هذا « الاستقطاب الدولى الحاد » ، وانقسام العالم الى كتل متنابذة منغلقة على نفسها . بل نشأت ظروف اقتضت من شتى الاطراف الدولية الانفتاح على غيرها ، ولم يعد من الممكن رد أبرز الاطراف التى تمارس دورا مستقلا فى شتى النزاعات الى عدد محدود فقط ، بل زادت الاطراف ذات « الشخصية المتميزة » عددا وتنوعا . وهذا من أبرز المحركات لانتعاش أشكال جديدة من التناقض على المسرح الدولى .

تقييمات متضاربة لمعنى «الانفراج الدولى»

وجدير بنا هنا أن نتوقف لحظة عند تقييم أبرز الاطراف الدولية لما يعنيه مناخ « الانفراج الدولى »

أتيحت لى فرصة أن أسمع تقييم **شواين لاى** ، فى زيارة **للصين** مع وفد « الاهرام » فى بداية عام ١٩٧٣ . وصف « الانفراج الدولى » بأنه « فترة انتقالية » تتسم فيها العلاقات الدولية بصفة « الفوضى الشاملة » . « فترة انتقالية » من مرحلة اتسمت فيها العلاقات الدولية بخواص يمكن تحديدها ، الى مرحلة اخرى لم تكتسب ملامحها بعد .

والارجح ان شواين لاى كان يقصد بهذه « الفترة الانتقالية » الفترة التى بدأ يتخلى الاتحاد السوفيتى [فى نظره] عن مركزه كقوة قيادية فى المعسكر الاشتراكى ، وسوف تنتهى بانتفاء كل لبس حول ارتمائه نهائيا وكلية فى المعسكر الاستعمارى . بعبارة أخرى ، ينطلق منطق شواين لاى من فرضية أن « الانفراج الدولى » الذى يعمل من اجله القادة السوفييت ماهو الا « وفاق » و « عناق » بين « الدولتين الاعظم »، واتجاهه فعلا هو اختفاء كل تناقض أساسي بينهما ، على حساب حركة الثورة العالمية .

أما **كيسنجر** ، فقد أبدى أخيرا رأيا عن ملامح العالم فى الوقت الراهن . وحذر هو الاخر من خطر « **الفوضى الشاملة** » نتيجة بروز أزمات مختلفة ، كخطر التضخم فى العالم الغربى ، وخطر انتشار المجاعات فى العالم النامى ، وخطر زيادة تعثر مصادر الطاقة . ووصف المرحلة الراهنة بأنها تتسم **بتوازن بالغ الدقة** . وما لم يحافظ على هذا التوازن ، فان العالم معرض فعلا لخطر « الفوضى الشاملة »

أما منطق **الاتحاد السوفيتى** فى هذا الصدد ، فهو أن استبعاد خطر الحرب النووية الشاملة ، وفرض التعايش بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، هو السبيل لاختبار مقدار صلابة كل نظام ، ومدى قدرته على منافسة غيره من النظم الاجتماعية فى مباراة سلمية ، وهو سبيل لازالة غشاوة « الاستقطاب » التى تحول دون اظهار حقيقة التناقضات الكامنة داخل النظام الرأسمالى ، وليس المستفيد من هذا « الاستقطاب » سوى الذين لهم مصلحة فى كبت التناقضات الاجتماعية ، منعا لانطلاق القوى الثورية .

فان « الانفراج الدولى » فى نظر الاتحاد السوفيتى ليس هو « فوضى شاملة » . كما لا يعنى نهاية الصراعات الاجتماعية ، **بل زيادة الصراع الطبقى انفتاحا واحتداما** . ولا يبدو الانفراج الدولى « كفوضى شاملة » الا فى نظر الذين أصبحوا يدركون أن مناخ « الانفراج » لم يفض الى زيادة أحكام سيطرتهم على مجريات التطور ، بل أفضى على العكس الى « انفلات » قوى مختلفة ، وبروز ظواهر جديدة لم تكن فى الحسبان على المسرح مع اضعاف قبضة القوى القادرة على كبت الصراع الطبقى ، محتمية بدعاوى « الاستقطاب » .

مفارقات كان يستحيل تصورها منذ وقت قريب فقط

من كان يتصور منذ عدد محدود فقط من السنوات أن تملك الدول العربية المنتجة للبترول ان ترفع فى وقت وجيز للغاية أسعار البترول أربعة أضعاف دون أن تتعرض من قبل الدول الاستعمارية التقليدية ، المستهلكة لهذا البترول **لاجراء حاسم** يلزمها بالتخلى تماما عن هذه المحاولة ؟

يتعرض الغرب لازمة اقتصادية طاحنة ، **والتضخم** ظاهرة تمسك بخناق كل دول الغرب ، وتحمل هذه الدول الغربية الدول المنتجة للبترول مسئولية تعريضها لهذه الازمة ، برفع اسعار الطاقة . وسواء كان الاتهام صحيحا أو غير صحيح ، صحيحا على اطلاقه ، أو صحيحا بشكل جزئى فقط ، **فان الامر المؤكد ان هذه الدول الغربية تقف أمام الخطر الذى يتهددها مكتوفة الايدى ، عاجزة عن الاتفاق على أسلوب ترد به التحدى ، وتسترد سيطرتها على اقتصادياتها** .

ونجد فى هذه الايام الصحف الامريكية تتحدث عن ضرورة التدخل ضد الدول المنتجة للبترول ، سواء بخوض **حرب نفسية** شعواء ضدها ، أو باطلاق « عمليات خاصة » تدبرها وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، **مسترشدة بأساليب الفدائيين الفلسطينيين** ، لضرب شيوخ البترول « المتعنتين » فى رفض التعاون وخفض الاسعار . وارتفعت

اصوات تطالب حتى **بالتدخل العسكرى** ؟ بشكل مباشر او غير مباشر ، أى : بقوات امريكية خالصة ، او بقوات حليفة لامريكا فى المنطقة كاسرائيل مثلا ، او غير اسرائيل .

ولكن اوروبا تعارض هذا التدخل بقوة وبحسم ، ذلك ان اوروبا هى المعتمدة الان بنسبة ٨٠ فى المائة على البترول العربى . واعتماد امريكا ـ حاليا ـ على البترول العربى لا يتجاوز نسبة ١٢ فى المائة . فلو قررت الدول المنتجة وقف ضخ البترول تماما ، أو نسف انابيب البترول وتعطيلها ولو لفترة محدودة ، فان ذلك يعرض اقتصاديات اوروبا لاختلال بالغ الخطورة ، وقد يطلق الازمة الاقتصادية على نحو يتعذر بعد ذلك استعادة السيطرة عليها .

من المستفيد من الملامح الجديدة للعالم ؟

كان هناك تصور فى بادىء الامر **أن أمريكا هى المستفيدة الاولى من سياسية « الانفراج الدولى »** . وكانت دبلوماسية كيسنجر هى الصانعة الاولى لملامح هذه السياسة ، ولانجازاتها فى التطبيق . وكان هذا « التطبيق » لمصلحة أمريكا قبل أى طرف آخر .

وكان هناك من يقول ان الاتحاد السوفيتى ، وان كان دائما ينادى بالتعايش السلمى والانفراج الدولى ، الا أنه استجاب لمنهج واسلوب دبلوماسية كيسنجر فى **تطبيق** هذه المبادىء ، تحت ضغط دواعى اقتصادية ، ولحاجته الماسة الى التكنولوجيا الامريكية ، والى صفقات القمح ، الى غير ذلك من الحجج التى صورت الاتحاد السوفيتى فى موقع « رد الفعل » لا « الفعل » .

وليس من شك فى أن أمريكا استثمرت « دبلوماسية كيسنجر » لاحلال الانفراج الدولى محل الحرب الباردة لاغراض تخدم مصالح السياسة الامريكية ، واهدافها التى لم تتغير فى دعم مركزها كدولة عظمى تحاول السيطرة على مقدرات السياسة الدولية ، وترد كل تهديد يمس هذا الطموح .

كان استرداد غرب اوروبا واليابان كيانهما الاقتصادى بعد انقضاء ربع قرن على نهاية الحرب العالمية الثانية ، تهديدا لسيطرة أمريكا التى لا ينازعها منازع على مقدرات العالم الرأسمالى . وكان من مصلحة أمريكا أن تستعيد مكانتها على رأس المعسكر الغربى بأن تستبدل سياستها السابقة حيال المعسكر الاشتراكى بسياسة جديدة قوامها محاولة استثمار التناقضات داخل هذا المعسكر . وخاصة النزاع الصينى السوفيتى ، بدلا من تجاهل هذا التناقض لممارسة العداء المستحكم للدول الاشتراكية ككل . ومن هنا كان « انفتاحها » فى وقت واحد على الصين والاتحاد السوفيتى ، والجهد الذى بذلته لسحب القوات الامريكية من فيتنام .

نفس المحاولة تحاولها الدبلوماسية الامريكية الان بعد ان اتاحت حرب اكتوبر فرصة ان يستخدم العرب سلاح البترول . أرادت امريكا اقتناص الفرصة ولم تستسلم لسلاح البترول **باعتباره سلاحا موجها ضدها** ، بل تدخلت بدبلوماسية نشيطة حيال الازمة اكسبتها فرصة **تحويل هذا السلاح ضد اطراف دولية أخرى ، وفق مايلبى مصالح اساسية لديها** ، كان ارتفاع اسعار البترول فرصة ذهبية لشركات البترول الامريكية كى تجنى وراءها ارباحا تفوق كل ما حققته من قبل ، وكان لارتفاع الاسعار أثره فى رفع سعر المنتجات الصناعية فى اوروبا واليابان على نحو قلل من قدرة هذه المنتجات على أن تنافس المنتجات المقابلة الامريكية التى تتحمل تكلفة الاجور المرتفعة فى الولايات المتحدة . كما كان لارتفاع اسعار البترول اثره على **تعميق هوة العجز فى الميزان التجارى** لدول السوق المشتركة ولليابان على نحو يعرض اقتصادياتها لاختلال كبير ، ويعمق من حدة أزماتها النقدية . وكان كذلك لارتفاع اسعار البترول اثره فى **زيادة التباين داخل نطاق الدول المنسوبة الى العالم الثالث** ، بين تلك التى تختزن أرضها مستودعات من البترول وتلك التى لا تملك هذه المستودعات ومن هنا توافرت لامريكا فرصة اكبر لتسريب « **حصان طروادة** » الى العالم الثالث ، على أن تحاول من داخله التحكم فى ظروفه الجديدة ، باستثمار العلاقة الجديدة التى تربط الدول الصناعية المستهلكة للبترول بدول العالم الثالث المنتجة له ، وفيض **رؤوس الاموال** التى ستنتقل من الدول المستهلكة الى الدول المنتجة ، **لتكون هذه الدول المنتجة « وكلاء » لمخططات أمريكا على اتساع العالم الثالث .**

ولكن كشفت حرب البترول عن اضطرابات فى العالم الغربى ، لم يعد من الممكن احتواءها بهذه البساطة داخل مخططات أمريكا . لم يكن التضخم الذى يجتاح حاليا العالم الغربى سببه الاصلى هو رفع أسعار البترول . انه يعود الى أسباب أعمق وكان للرفع **المفاجىء** فى أسعار البترول الفضل فى اطلاق عنانه بشكل عارم . وأصبح الان التضخم ظاهرة لم يعد من السهل ايجاد الحلول المناسبة للسيطرة عليها ، ولم يعد من السهل ايجاد حلول لها تتفق عليها مختلف الدول الغربية ، مما يزيد من التناقضات بينها . ولم تبرز هذه التناقضات فقط فى علاقات أمريكا باليابان او بالسوق الاوروبية المشتركة باعتبار هذه الاخيرة كتلة من

الدول ؟ بل برزت التناقضات كذلك **داخل** السوق الاوروبية نتيجة تباين قدرة دول السوق على درء اخطار التضخم ، وتحمل اضعف حلقات السوق آثاره ومضاعفاته اكثر من غيرها . ومن المؤشرات ذات الدلالة فى هذا الصدد احتمال ان تنسحب بريطانيا من السوق بعد فوز حزب العمال فى الانتخابات الاخيرة .

كذلك هذا الخلاف الناشب الان بين أمريكا من جانب وأوربا من الجانب الاخر فى تحديد الاسلوب المناسب لمواجهة الدول المنتجة للبترول وسياسة رفع أسعاره تعبير بارز آخر عن هذه التناقضات . **ان امريكا تطالب أوربا بأن تنصاع لمخططاتها فى مواجهه الازمة الاقتصادية الطاحنة التى أصبحت تعم العالم الغربى بأسره ، تماما كما هى تطالب أوربا بأن تلتزم بمخططات أمريكا فيما يتعلق بالتحالف الغربى وبحلف الاطلنطى ، حتى فى الظروف التى تتصرف فيها أمريكا وحدها ، دون حتى استشارة حلفائها ، كما فعلت أثر حرب اكتوبر مباشرة ، وقت أن أعلنت حالة الطوارىء فى حلف الاطلنطى يوم ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٧٣ دون حتى الرجوع الى هؤلاء الحلفاء .**

واليوم لا تتورع أمريكا عن أن تطرح كاحتمال وارد **التدخل العسكرى** كوسيلة لاستعادة سيطرة الغرب على مصادر انتاج البترول ، رغم ما قد يعنى ذلك من آثار بالغة الخطورة على اقتصاديات الدول الاوروبية فى حالة وقف الضخ أو نسف الانابيب .

وفى مقابل تصريحات واشنطن التى تنادى بالتشدد حيال الدول المنتجة للبترول ، ترتفع أصوات فى اوربا لا تتردد هى الاخرى عن أن تعلن أن لاوربا استراتيجيتين على قدم المساواة تماما من حيث الاهمية : استراتيجية أمن سياسية ، أساسها التحالف الغربى داخل اطار حلف الاطلنطى ، واستراتيجية أمن اقتصادية قوامها ايجاد تكامل أوروبى عربى لضمان توفير أوربا بمصادر الطاقة اللازمة لها ، دون أن تتعرض أوروبا لخطر أن تنقطع ، ودون أن ترتفع أسعار الطاقة فوق حد يعرض الاقتصاد الاوروبى لاختلال ينال من صميم مكوناته .

ان ابرز المفارقات فى هذا الصدد أن الدول العربية المنتجة للبترول **قد أصبحت تملك فى يدها « أوراقا » لم يكن من الممكن فى الماضى مجرد تصورها . تعرف « هذه الاوراق »** بسلاح « البترول العربى » أو « بسلاح المال العربى ». أصبح للقرارات العربية داخل اطار الاوبك أو « الاوبك » العربية ، ذات أثر أكيد على اقتصاديات العالم الغربى . أصبحنا الان نرى شواهد لم يكن من الممكن ان تخطر على بال ،كشراء العرب — او ايران — أنصبة كبيرة فى مؤسسات صناعية أوروبية كبرى كشركة « كروب » الالمانية ، أو العرض المطروح الان لان يبتاع كونسورسيوم عربى شركة آى . بى . ام . لصنع الحاسبات والعقول الالكترونية . وهذه لاشك قدرات كامنة اصبح يملكها العرب ، ولم تكن مطروحة اصلا منذ عدد محدود من السنوات فقط . يكفى أن نتذكر أن اليابان قد قررت خوض الحرب العالمية الثانية لنقص تعرضت له وتتذاك فى مصادر طاقتها ، يقل كثيرا عما تتعرض له الان من نقص فى مصادر الطاقة ، ذلك لو أرادت الاستمرار بمعدلات نموها المرتفعة التى استقرت عليها طوال عدة سنوات ماضية . وليست اليابان سوى دولة واحدة من الدول الصناعية الكبرى التى تعانى من هذه المشكلة . **ولكن خوض الحرب بهذه الصورة لم يعد واردا ، لا لمجرد خوف دول غرب أوروبا من عواقب مثل هذه المغامرة ، ولكن أيضا للتوازن الدولى الجديد بين الدول الرأسمالية من جانب ، والعالم الاشتراكى من الجانب الاخر ، وللاخطار التى سوف تترتب على مثل هذه المغامرة ، وهى أخطار لن تنال فقط من انجازات الانفراج الدولى فحسب ، بل تطرح خطر حرب عالمية نووية شاملة .**

ومع ذلك ينبغى **أن نحذر** مما قد تنطوى عليه مظاهر « القوة العربية الجديدة » من جوانب **مخادعة** ولا نقصد بذلك فقط حقيقة أن قوة البترول كسلاح قادر على التسبب فى ازمة طاقة واسعة شىء وارد **لعدد محدود فقط من السنوات** ، ذلك ان ارتفاع أسعار البترول يدفع الدول المستهلكة الى البحث عن مصادر طاقة بديلة أصبح استغلالها مقبولا من الوجهة الاقتصادية فى ضوء المنسوب الراهن لاسعار البترول ، وكذلك فان رفع الاسعار **حافز لتنشيط البحث العلمى** حول مصادر طاقة لا تعتمد على البترول أصلا .

ان ماينبغى ان نحذر منه أيضا ، هو ما قد يحيط سلاح المال العربى من جوانب خداع ، ذلك أن اشتراك العرب فى ملكية مؤسسات صناعية كبرى متوطنة فى دول الغرب ليس بالامر الذى يزيد من قبضة الدول العربية على مقدرات الصناعة الغربية أو على اقتصاديات دول الغرب ، بقدر ماهو وسيلة تستطيع به الدول الغربية الحد من تدفق انتقال رؤوس أموالها الى الدول المنتجة للبترول ، « واعادة استيعابها » داخل **اقتصادها** . وذلك عنصر تقوية لا عنصر اضعاف لها . بل يعتبر ذلك وسيلة **لزيادة ربط المال العربى بالمشروعات الصناعية الغربية الكبرى** ، وزيادة دعم صفة الدول المنتجة للبترول « كحصان طروادة » فى خدمة مصالح الغرب داخل العالم الثالث . **لا ينبغى التهوين مما أصبح تكتسبه الدول المنتجة للبترول من قدرة على التأثير فى اقتصاديات**

الغرب ؟ ولكن من المبالغة الاعتقاد بأن هذا التأثير وقف على مجرد اندماج رأس مال يملكه العرب فى داخل مخططات ترضى عنها الدول الغربية ، وتلبى مصالحها . ومالم توضع **خطه محكمه** لاستثمار مايمكن ترتيبه على ارتفاع أسعار البترول لتصنيع العالم العربى ولمواجهة مشاكل التخلف والتنمية ولدعم قدراتها الدفاعية ، فالامر المؤكد ان سلاح المال العربى **لن يحتفظ بصفته « كسلاح » الا « اسما » فقط .**

مقولات خاطئة

لذلك مهما قيل فى الغرب عن أن الاتحاد السوفيتى قد استجاب للمخطط الامريكى فى اقامة علاقة مباشرة معه بسبب حاجته الى التكنولوجيا الامريكية فى مجالات تخصص مختلفة ، أو بسبب حاجته الى القمح أو الى مواد غذائية ، **فلم يعد الغرب يخفى اليوم ان ماأسفر عنه مناخ الانفراج الدولى انما كشف عن أزمات جديدة أصبحت تلاحق الغرب ، وعن اشتعال تناقضات جديدة داخل كيانه برزت بقوة على مسرح السياسة الدولية .** وفى مواجهة هذه الازمات بصورها المتنوعة : ازمة الطاقة ، التضخم ، الازمة النقدية ، الازمة الناجمة عن ارتفاع اسعار المواد الخام الاستراتيجية واثرها على التضخم وعلى زيادة ارتفاع المنتجات الصناعية ، بل وأثر ذلك كله على استقرار اقتصاديات الغرب بوجه عام ، وخطر تعرضها لازمة اقتصادية شاملة ، فى مواجهة هذا الاضطراب **تبرز اقتصاديات الدول الاشتراكية مؤمنة ضد هذه الاخطار ، وقادرة على استثمار مناخ التعايش السلمى والانفراج الدولى لزيادة دعم مركز الاشتراكية دوليا ، تطبيقا للقاعدة القائلة بأن فرص السلام وانجاز التعايش السلمى ،** سلاح يخدم فى التحليل الاخير قوى التحرر والتقدم عالميا . وما مظاهر « الفوضى » الشائعة فى عالم اليوم الا تعبير عن مظاهر الاضطراب التى تواجه بناء العالم الرأسمالى بعد حلول الانفراج الدولى .

الانفراج الدولى .. وأزمة الشرق الاوسط

ربما كانت أزمة الشرق الاوسط قبل حرب أكتوبر هى الموقع الاخير فى العالم الذى احتفظ بالسمات والقواعد التى اتصفت بها النزاعات وميزتها طوال فترة الحرب الباردة . اتسم النزاع بصفة **الاستقطاب الحاد وبصفة استحكام التعثر فيه .** وكان بعد حل مشكلة فيتنام أبرز النزاعات الدولية التى **قاومت** وبعناد - أساليب التعامل التى اصبحت تناسب مناخ الانفراج الدولى .

حرب أكتوبر وفرت **الظروف التى سمحت بعلاج أزمة الشرق الاوسط استنادا الى هذه القواعد الجديدة التى أصبح من المتاح اللجوء اليها فى المناخ الدولى الجديد .** ولذلك ينطوى لفظ او رفض هذه القواعد على **خطأ جسيم .** بل ليس هناك سبيل لتخطى الازمة واستعادة الارض العربية والحق العربى فى أى مستقبل منظور ، **الا عن طريق استثمار هذه القواعد ، بناء على أوضح ادراك لها .** ولم يعد يشك أحد فى أن العرب قد استطاعوا بالفعل أن يحققوا الكثير استنادا الى هذه القواعد . ولكن بالقدر الذى تتيح فيه الظروف الجديدة فرصا اكيدة للخروج من المأزق السابق وتحقيق الاهداف العربية ، **بنفس القدر ينبغى الحذر من خطر الوقوع فى افخاخ جديدة تبطل كل مفعول انجازاتهم .**

ليس سبيل التمييز بين ما وفره مناخ الانفراج الدولى بقواعده الجديدة من عوامل قوة للعرب وما ليس هو الا **مظاهر قوة مخادعة** ، ان نتجاهل هذه القواعد الجديدة أو أن تغفل حقيقة حركتها .

لم تعد أزمة الشرق الاوسط أزمة مقصورة على منطقة الشرق الاوسط فقط ، بل أصبحت موقعا بالغ الحساسية فى أزمة أصبحت تضم قطاعا واسعا من العالم ، وبالذات العالم الرأسمالى بعد استخدام سلاح البترول ، لاثاره على ازمة الطاقة والازمة النقدية والازمة الناجمة عن ارتفاع أسعار المنتجات الصناعية نتيجة ارتفاع أسعار الطاقة وذلك فى وقت ينبىء فيه التضخم بأزمة اقتصادية شاملة . هذا كله يوفر للعرب بالتأكيد اسلحة يملكون استخدامها ، **ولكن ستظل هذه الاسلحة مشهرة ضدنا وضد عملية التحرر الوطنى والاقتصادى العربى لو استسلم العرب لمخطط الغرب فى « احتواء » هذه الاسلحة الجديدة ولو لم تحتفظ حركة التحرر العربية بعلاقاتها التقليدية مع حركات التحرر والدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى بالذات .** لا لمجرد دعم القدرة العسكرية العربية فحسب ولكن أيضا **للتأمين** التنمية الاقتصادية العربية ضد اخطار التضخم والازمة الاقتصادية .

لا يعنى الانفراج الدولى أن العلاقات التى تطورت خلال ربع القرن الاخير بين حركة التحرر العربية وحركة الاشتراكية العالمية قد فقدت مبرراتها ، بل على العكس ، فان لكلتا الحركتين آفاق تعامل جديدة ، تقتضيها الفرصة المتاحة الان من انفتاح على الغرب ، والانتقال بالمواجهة الى عقر دار الاستعمار ، فى ظروف تتسم فيها العلاقات الدولية بتشابك وتعقيد لم يسبق أن شهد العالم مايماثله من قبل .



« الطليعة »

فى الصداقة المصرية السوفيتية

عندما

وقعت خلافات فى الرأى ، وهذا طبيعى وصحى ، بين مصر والاتحاد السوفيتى .. ومرت علاقات الصداقة المصرية السوفيتية بفترة دقيقة ، كانت الطليعة تؤمن أن هذه الخلافات وتلك الفترة ، ظاهرة مؤقتة فى تاريخ أنضج وأثرى علاقات التحرر الوطنى والاشتراكية العالمية . وكانت الطليعة تؤمن أيضا بأن أيا من الطرفين لن يسمح بتطورات يفيد منها أعداء هذه الصداقة الراسخة . من هنا كان فهمنا لقول السادات بأن « الوقفة مع الصديق » .. « لن نسمح فيها بالصيد فى الماء العكر » .

ولم يكن مصدر ايمان الطليعة هذا ، مجرد الامانى أو المثاليات ، وانما الادراك الوطنى المسئول بأن الصداقة المصرية السوفيتية ، ضرورة وطنية لقضايا شعبنا ، ونضاله المشروع من أجل تحرير الارض وطموحه لبناء وطن اشتراكى فى المستقبل .

كنا ندرك أن السد العالى ومجمع الحديد والصلب والترسانة البحرية وصناعاتنا الحديثة وكهربة الريف ومجمع الالومنيوم .. الخ ، هى بلغة الثورة وبلغة شعبنا ، مرادف للصداقة المصرية السوفيتية . وان تمسك جماهير شعبنا والقيادة الوطنية للرئيس السادات ، بهذه المنجزات ، يعنى فى نفس الوقت التمسك بهذه الصداقة بل والعمل على تطويرها .

من هنا كان ادراكنا – مع جماهير شعبنا – أن الهجوم المباشر وغير المباشر على السد العالى أو الصناعة المصرية .. الخ كان مدخل الرجعية لهجوم على الصداقة المصرية السوفيتية . كما أن العكس صحيح . بمعنى أن الهجوم على هذه الصداقة ، كان فى أحيان أخرى مدخل للهجوم على هذه المنجزات وتشويهها .

والذين تصوروا أن حديث القيادة الوطنية المصرية – سواء فى حكم الرئيس عبد الناصر أو فى حكم الرئيس السادات – عن الصداقة المصرية السوفيتية باعتبارها « علاقة استراتيجية وليست مرحلية » ، نقول أن الذين تصوروا هذه الاحاديث على أنها « مجرد مناورة » أو « تاكتيك » ، أخطأوا – عن قصد – سواء فى فهم القيادة الوطنية ، أو فى فهم ابعاد هذه العلاقة وضرورتها الوطنية ، أو فى فهم المواقف المبدئية للاتحاد السوفيتى . وهذه الاخطاء جميعها تتم – بدون شك – لغير صالح قضايا الشعب المصرى الوطنية والتقدمية .

ولا زالت الطليعة تؤمن ان الاختلاف فى الرأى أو تقدير موقف ما ، قضية واردة باستمرار ، سواء داخل صفوف قوى الثورة الوطنية التقدمية المصرية ، أو فى داخل صفوف قوى التحرر العربى ، أو داخل صفوف الجبهة العالمية المعادية للاستعمار ، أو بين أطراف الصداقة السوفيتية المصرية . لكن القضية الدائمة هى فى : كيف يمكن – بل يجب – تجاوز هذه الاختلافات ومعالجتها ؟ .

ولاننا هنا فى صدد الحديث عن الصداقة المصرية السوفيتية ، فاننا نقول أن الطريق الصحيح والمبدئى فى هذا المجال – كما فى غيره – هو ادراك أن التناقض بين أطراف هذه الصداقة – كعلاقة استراتيجية – تناقض ثانوى . الطريق هو معالجة هذه التناقضات الثانوية فى اطار الصداقة وبروحها . وهو اطار يختلف بالضرورة عن اطار التناقض الرئيسى بين وطننا وشعبنا ، وبين الاستعمار العالمى بقيادة الولايات المتحدة وأداتها – فى المنطقة – اسرائيل .

والمباحثات التى جرت أخيرا فى موسكو ، والتى انعكس فيها حرص القيادة

المصرية والقيادة السوفيتية ، على هذه الصداقة ، دليل واضح على صحة تلك المقولة ٠

واذا كان صحيحا القول بأن الموقف من الصداقة المصرية السوفيتية ، مقياس اساسى من مقاييس الاستقلال والوطنية فى مصر والعالم العربى ، فانه صحيح أيضا أن الموقف من دعم حركة التحرر الوطنى المصرية ـ كمركز ثقل لحركة التحرر العربية ـ مقياس أساسى من المقاييس المبدئية فى السياسة السوفيتية ٠

على أن تجربة الفترة القليلة الماضية ، تثير « ضرورة عامة » ، تقضى بدراسة أسباب الخلافات والاخطاء المتبادلة على الجانبين لتداركها من جهة وتجاوزها من جهة اخرى .

لكن هذه التجربة أيضا ، تثير « ضرورة خاصة » ، تقضى بدراسة وتقصى حقيقة دوافع بعض القوى التى حاولت « القاء الوقود على النار » ، ودفع الامور فى محاولة للوصول الى « قطيعة » ٠ وقد انعكس ذلك فى كتاباتهم مرات وفى مواقفهم العملية فى مرات أخرى ٠

لكن هؤلاء لم يعدموا الحيلة وأساليب الخداع ـ ولن يعدموها ـ فيحاول بعضهم اليوم الالتفاف حول نفسه ١٨٠ درجة ، « ليلحسوا » كل ما قالوه فى المقالات والكتب والندوات والاحاديث ٠٠ الخ ويقولون عكسه تماما ٠ وينتقلون من كلمات الهجوم المضلل ، الى كلمات النفاق المثير للاشمئزاز والتقزز ٠ ويحاول البعض الاخر ـ الاشد خبثا ـ الاسراع بالحديث عن العلاقات المصرية السوفيتية فى توازن تام مع العلاقات المصرية الامريكية ٠ وهم فى ذلك يظلمون شعب مصر وقيادة مصر ، ويظلمون الصداقة المصرية السوفيتية ٠

فك الاشتباك مع امريكا ، ضرورة وتلبية لحاجات الواقع ٠ لكن حديث الرئيس السادات عن فك الاشتباك مع أمريكا شىء ، وحديثهم عن (الصداقة المصرية الامريكية !) شىء آخر ٠ واذا كان هؤلاء يتصورون أنهم أذكياء ، فنحن نقول لهم أن جماهير الشعب المصرى من عمال وفلاحين وجنود ومثقفين ، أذكى منهم بكثير ، لو يعلمون ٠

ان شعراء وكتاب كل تطور ـ فى أى اتجاه ـ هم حارقوا بخور معبد كل سلطة وحتى اشعار أى سلطة جديدة ٠

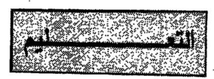
لقد كان شعبنا المصرى يتابع بقلق تطورات الاحداث من حول الصداقة المصرية السوفيتية ، يشفق عليها من « نهش البوم » الذى خرج من أكفانه معتقدا ان مصر اليوم هى نفس مصر ما قبل ثورة يوليو ٠ لكن حرص القيادتين فى مصر وفى الاتحاد السوفيتى على الصداقة ، بدد هذا القلق الوطنى ٠

الصداقة المصرية السوفيتية والحرص عليها ، كانت فى الواقع مطلب وشعار للحركة الوطنية فى مصر منذ الاربعينات ، وبينما كان البعض يقف فى صف « صاحب الجلالة فاروق » يتحدث عن « تبرعاته الوطنية لفدائيى الاسماعيلية والسويس » ويدبج النثر والشعر فى « المليك المفدى » .

والصداقة المصرية السوفيتية والحرص عليها ، لا زالت فى الواقع واحدة من ضرورات المصالح الوطنية العليا لشعبنا المصرى والعربى .

« الطليعة »





فى العدد الماضى من « الطليعة » وجه د. رشدى لبيب « دعوة الى حوار حول التعليم » . وقال د. رشدى لبيب فى الورقة التى قدمها كورقة عمل لهذا الحوار : « ونحن نعتقد ان نقطة البدء لمواجهة قضية التعليم ، فى مجتمعنا ، باعتبارها قضية قومية تحتاج الى مواجهة شاملة ، هو اتاحة الفرصة للحوار الديمقراطى الذى يحس فيه كل مواطن انه مسئول عن هذا التعليم ، وبالتالى فهو ملتزم بتطويره ، ان لم يكن بطريق مباشر ، فعن طريق خلق راى عام يساند هذا التطوير ويدفعه الى الامام ».

وتبدأ الطليعة فى هذا العدد بنشر الاراء التى وصلتها ، للمساهمة فى هذا الحوار . والذى تامل الطليعة ان يشارك فيه اكبر عدد ممكن ، باعتبار ان قضية التعليم قضية قومية فى المقام الاول ، وتحتاج الى تكتيل اكبر قدر من الجهود الحكومية والشعبية .

وتنشر « الطليعة » المساهمات التى وصلتها من : دكتور محمد الهادى عفيفى ، ودكتور نظمى لوقا ، ودكتور احمد اللقانى ، والاستاذ حسان محمد حسان .

التجديد فى التعليم كمطلب قومى

د. محمد الهادى عفيفى *

١ ـ أهمية الدعوة لمناقشة أمور التعليم

الدعوة الى مناقشة أمور التعليم ومراجعتها ، مستمرة موصولة فى كل زمان ومكان ، وهى تشتد الحاحا ووضوحا عقب الحروب وفى أثناء الازمات والثورات، وذلك لاهمية التعليم وخطره فى تشكيل الإفراد وفى التأثير على مصير الجماعة ومستقبل الدولة كلها .

١ ـ ١ ـ فمن المسلم به أن التعليم قد أصبح جزءا من حياة الناس اليومية والقومية ، ينفعل بأهدافهم ، وبطرائق معيشتهم ، وبآمالهم ومشكلاتهم وامكاناتهم ، وبمستوى ثقافتهم ، وان كان طموحهم وتطلعاتهم تحمله فى كثير من الاحيان آمالا كثيرة سرعان ما تجعله موضع النقد والمناقشة .

١ ـ ٢ ـ وهو ينصب على الانسان ، وعلى أهم ما يعنيه الانسان فى حياته وهو المستقبل ، مهما كانت صورة هذا المستقبل ، ومهما كانت درجة الوعى بهذه الصورة . فالتعليم بطبيعته مستقبلى ، يتصل بنمو الانسان وبتكوين شخصيته ، وبنظرته الى نفسه والى غيره ، والى الحياة كلها .

١ ـ ٢ ـ وهو لذلك يرتبط بخصائص الحياة الانسانية ، فعلاقاته عضوية متشابكة مع كل ما يشغل الانسان ويهتم به ، فهو متصل ومنفعل

[*] عميد كلية التربية بجامعة عين شمس وأستاذ ورئيس قسم اصول التربية

بالسياسة والاقتصاد والعلم والقيم ، وهو متغير لان الحياة بطبيعتها متغيرة ، وهو معقد ومستمر لان حياة الانسان معقدة ومستمرة .

٢ ـ مفهوم التجديد فى التعليم

وهذه الدعوة التى وجهها الزميل الاستاذ الدكتور رشدى لبيب فى العدد السابق من الطليعة تتضمن هذه المسلمات ، وينطلق منها الى نظرة مثلثة الاركان .. فهى تعتبر التعليم عملا قوميا تتوسل به الامة الى بناء مستقبلها ومن ثم ينبغى أن تجتمع عليه اهتمامات جميع الاطراف من مفكرين ومتخصصين وآباء وأبناء . وتؤكد انه بهذه الصفة القومية ينبغى معالجته بصورة شاملة حيث انكل جانب منه ينفعل بالجوانب الاخرى كما يؤثر فيها ، وبهذه النظرة الشاملة ، لا بد أن يتركز على المنهج العلمى حتى يتجنب الذبذبة والاضطراب والغموض فى حركته وتطوره ..

ومن هذا المنظور تبرز لنا حاجة التعليم فى بلادنا الى عملية تجديد تخلصه من مشكلاته ، وتمكنه من مواجهة التحديات المختلفة المتزاحمة عليه ، وتدفعه الى أن يقوم بدوره فى التنمية الشاملة ..

٢ ـ ١ والتجديد عملية معقدة ، تأخذ معانى عديدة فى المواقف المختلفة ، وتعنى فى جملتها المحاولات المقصودة للتغيير فى النظام التعليمى والموجهة نحو تحسينه والارتقاء به . وقد لا يكون التجديد هو الجديد فى كل الاحوال . وانما هو أساسا ما تعنيه عند تحريك الموقف الى أفضل ، وتحوله من سكون الى حركة ، ومن حركة غير هادفة أو غامضة الى حركة هادفة ، يتسع مداها لاحداث أكبر قدر من التغيير الملموس . وهو وسيلتنا فى نفس الوقت لمواجهة التغيرات الحاصلة من حولنا ، فهو لا يمكن أن يكون لذاته ، حيث أن العلاقة بين التربية والمجتمع ، علاقة عضوية ، وحيث أن حاجات ومطالب الافراد فى تغير مستمر . وحيث أن هذا التغير يأتى دائما نتيجة طبيعية للتفاعل بين ما يسعى اليه المجتمع بأفراده من مثل وآمال وأهداف وبين الواقع الذى يعيشونه ، وحيث أن هذا التفاعل يولد تحديات ، تتغير فى حجمها وفى مضمونها مما يترتب عليه تغيير فى آراء وأهداف الافراد مما يكون له أثر أيضا فى تغيير اتجاهاتهم ومواقفهم من العمل التربوى .

٢ ـ ٢ والتجديد بهذا المعنى عملية ماسة فى وقت تتزايد فيه الفجوة بين الامال المعقودة على التربية من ناحية وبين واقع التربية ذاتها من ناحية أخرى . على أن التجديد لابد أن تتوافر له شروط معينة ليكون سبيلا علميا فى مواجهة المطالب الملقاة على النظام التعليمى ..

٢ ـ ٢ ـ ١ فلا بد أن يقوم على البحث العلمى حتى يمكن ادارته ومعالجته وتوجيهه بصورة تبعده عن أن يكون مجرد مشروعات متفرقة أو جهود مبعثرة ، أو جزئيات متناثرة ، وحتى يتولد بدلا عن ذلك نظرية واضحة بشأن العمل التربوى .. ووظيفة هذه النظرية تعميق البصر فى المشكلات المرتبطة بالتغيرات المنتظمة الحاصلة فى التعليم ومن حوله بارجاعها الى أسبابها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وربط بعضها ببعض ، وترتيبها فى أولويات .. ونحن نعرف أهمية هذا الشرط للجهود المبذولة من أجل تجديد تعليمنا .. فلاشك انه كان هناك ومازال جهود فى هذا السبيل . ولكنها كانت جهود متفرقة ، مبعثرة ، تتسم بالسرعة ، وقلما تستند الى بحث واستقصاء .. ومن ذلك على سبيل المثال المحاولات المبذولة لاصلاح المناهج وتأليف الكتب المدرسية ، فقد كان معظمها يتم بطريقة مكتبية بل وديوانية ، وفى لجان مناقشة لا فى دوائر بحث وتجريب وتقويم . ومن ثم كان ما يتم يأخذ شكل التجديد لا مضمونه ، وسرعان ما يعتدى عليه بالنقد والالغاء ، وهكذا .

٢ ـ ٢ ـ ٢ وبهذا الشرط يرتبط شرط آخر ، وهو أن يرتكز التغير فى التعليم على المعرفة المتوفرة عن طريقة اذاعة نتائج الانشطة المتجددة فى أوسع دائرة . وهذا يتطلب بصرا نافذا وحادا بشأن عملية التغيير وبحثا فى طرق نقل هذه النتائج ونشرها والافادة منها ؛ ذلك ان اختيار طريقة نقل نتائج التجارب من العوامل الاساسية فى نجاحها أو فشلها . فكثيرا ما تعثرت تجارب تربوية ، وقل تأثيرها وفعلها نتيجة عدم اختيار الطريقة المناسبة لاذاعتها بين المعلمين والمدارس . ولهذا فان عملية التجديد ترتبط بصورة أساسية بالبحث فى الوسائل والامكانات فضلا عن البحث فى جميع البدائل والاحتمالات ..

٢ ـ ٢ ـ ٣ وثمة شرط ثالث لعملية التجديد وهو أنها لا بد أن تنبع من الاحساس بضرورة التغيير والحاجة اليه ، الامر الذى يتطلب اتصالا

وتفاعلا بين الجماعات والمؤسسات المختلفة ؟ فتفاعل معاهد التعليم بالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والمنظمات الشعبية ، وتفاعل الكبار مع الصغار ، واتصال الجماهير بمؤسسات التعليم ومعاهده ، كلها تكون نقطة رئيسية فى الكشف عن هذا الاحساس وبلورته . ويترتب على ذلك ضرورة تنظيم قنوات واضحة لجريان المعلومات ونتائج البحث بين مختلف الجماعات والاطراف ، مما يكون له أثر واضح ومباشر على عمليات التخطيط والابداع ، وهى عمليات يتضمنها التجديد بمعناه العلمى .

٢ ــ ٣ وبهذه الشروط يتجاوز التجديد الاتجاهات التقليدية ، سواء هذه التى تؤكد الكم على الكيف ولو مرحليا ، أو تلك التى تعنى تحسين القائم من أوضاع تعليمية بصرف النظر عن المتغيرات المحيطة بها . ان التجديد ــ بهذا المعنى السابق ــ يعنى جودة للتعليم عن طريق تعبئة ما يتوافر له من امكانات واستغلالها كمدخلات تستثمر بأفضل الوسائل ليتحول التعليم كله ونتاجه الى قوة فى التغيير الاجتماعى . وقد تعنى جودة التعليم وتجديده مخصصات مالية أكبر ، لكنها مخصصات لابد أن تدخل فى باب الاستثمارات التى سرعان ما تتضمن انتاجا افضل عن طريق صيغ وتقنيات تربوية جديدة .

٢ ــ ٤ وارتباط التجديد بالجودة والتجويد يتضمن بعدا أساسيا من أبعاده ، وهو الخروج عن التقليد والمألوف من أجل مواجهة الحاجات المتغيرة للافراد والمجتمع ، وما يترتب عليها من تحديات محلية وقومية ، اجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولا يكون ذلك الا بتصميم نماذج جديدة ، وصيغ جديدة ووسائل جديدة يحكم الاختيار من بينها استراتيجية واضحة الاهداف ، وبدائل مدروسة فى مضمونها وكلفتها وفاعليتها . ذلك أن التعليم ظل زمنا طويلا أسير مفاهيم ونماذج تقليدية ، متوارثة ، مما أدى الى عجزه عن مواكبة الجديد فى المجتمع ، وتخلفه عن مضمون وظيفته ، وزعزعة الثقة فيه بالنسبة لدوره فى التغيير والتطوير . ومن ذلك على سبيل المثال استمرار تعليمنا فى التركيز على تعليم الصغار دون الكبار ، والاخذ بالمفهوم الضيق لتعليم الكبار فى وقت تشتد فيه حاجة التنمية الى راشدين مؤهلين ومدربين ، ومن ذلك أيضا الاستمرار فى الاخذ بنظام المدرسة الابتدائية ، ذات السنوات الست فى وقت تضغط فيه الاعداد المتزايدة من الاطفال على التعليم الابتدائى نتيجة التزايد المستمر فى نسبة المواليد .

٣ ــ اعتبارات أساسية تفرض التجديد فى التعليم

والتجديد كمطلب فى تعليمنا تفرضه الان اعتبارات هامة وأساسية ، بعضها عام والبعض الاخر يتصل بظروفنا فى مصر .

٣ ــ ١ والاعتبارات العامة نابعة من الشواهد والتجارب المتعددة ، والتى أخذت تؤكد حقائق جديدة وتلح فى اتجاهات جديدة :

٣ ــ ١ ــ ١ فلاول مرة فى التاريخ التربوى تبدو التربية وكأنها قادرة على قيادة التغيير والتطوير ، وعلى أن تسبق فى تطورها التنمية الاقتصادية . وقد استطاعت ذلك عن طريق ما وضع لها من سياسات واستراتيجيات جريئة كما حدث فى اليابان والاتحاد السوفيتى وبعض البلاد النامية . وهكذا تغيرت النظرة الى التربية ، فبعد أن كانت تابعة للتطور الاقتصادى ، أصبحت قائدة له وحليفة .

٣ ــ ١ ــ ٢ ولاول مرة أيضا تخرج التربية عن دائرتها المغلقة من حيث ارتباطها بالماضى وبالتراث من أجل المحافظة عليه تحقيقا للاستقرار ، لتربط نفسها بالمستقبل وبالتغير المتسارع للمجتمع المعاصر ، وبقوى التطور . انها لا تستطيع الان أن تصب الناشئين فى قوالب ثابتة محددة ، أنها ملزمة لان تعد الاطفال والشباب والكبار للحياة فى مستقبل لا نعرفه ، ولعلاقات اجتماعية متحركة ، ولقيم جديدة ولادوار جديدة . ولهذا ، فان طبيعة الامور تفرض أن يكون هدفها هو التفكير فى المستقبل ، ورسم صورته كما نريدها أن تكون .

٣ ــ ١ ــ ٣ وترتيبا على ذلك ، آخذت النظم التعليمية بصورتها التقليدية تواجه لاول مرة أزمة عنيفة زعزعت الثقة فى أهدافها وبرامجها وفى بنائها كله . فقد اتسعت الفجوة بين ما تخرجه من قوة بشرية وبين ما يحتاج اليه المجتمع ، واختل التوازن بين ما تقدمه من معارف ومفاهيم ومهارات وقيم وبين حاجات ومطالب المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المجتمع ، فزاد رفض هذه المؤسسات لانتاج هذه النظم ، وزاد تمرد الشباب على هذه وتلك ، وعلت الصيحات مطالبة بتغييرات جذرية فى البنيات التعليمية .

٣ ــ ١ ــ ٤ ويتصل بهذا كله اعتبار رابع وهو أنه لاول مرة تظهر الديموقراطية فى ارتباطها

الوثيق بالتربية . فلم يعد أحد من الناس يقنع عن طواعية واختيار بما كان يقنع به الاولون الذين اعتادوا الاستسلام للمقدور ، والاذعان لاوضاع طبقية ومستويات معيشية متوارثة . فهناك قناعة عامة استقرت فى عقول الناس وهى أن التعليم هو السلاح الوحيد للانطلاق واللحاق بالركب فى المجال الاقتصادى والعلمى ، وأصبحت مشكلة الديموقراطية بالتالى هى أن كل الشعوب تطمح الى التمتع بها ، بغض النظر عن دخلها القومى وعن مستوياتها المعيشية . فهى بالنسبة للجميع الوسيلة الوحيدة التى تحفظ للانسان كرامته حتى يكون قادرا على الانتاج الفكرى ، والتى تجعله قادرا على النهوض بالمسئوليات ، ورفع الظلم عنه . ومن ناحية أخرى ، فان الديموقراطية بدون تربية سليمة تفقد مضمونها ، لان المساواة الحقيقية لا تتحقق ولا يمكن أن تتحقق اذا كانت الطبقات متفاوتة من حيث المستوى الثقافى ، واذا كان العلم احتكارا للقلة ، ولهذا فان تعديل موضوع التربية ومضمونها يرتبط بالخصائص الجديدة للديموقراطية .

٣ ـ ٢ والى جانب هذه الاعتبارات العامة ، يجد تعليمنا نفسه أمام اعتبارات خاصة نابعة من واقعنا ومن ظروفنا القومية ، وهى تضع التعليم كله وسط تحديات ، وتطالبه بمواجهتها بفكر جديد ووسائل وبدائل جديدة .

٣ ـ ٢ ـ ١ الاعتبار الاول ، هو أننا أخذنا بالاشتراكية اتجاها ونظاما ، وبذلنا من أجل ذلك الكثير من الجهد وأحدثنا الكثير من التحولات ، غير أن تعليمنا لم يقوم فى ضوء هذه التجربة التى استغرقت حتى الان ما يقرب من خمس عشرة عاما ، اذ يبدو أن ما أصاب التعليم من هذا الاتجاه لم يتجاوز التوسع الكمى ، دون الوصول الى الغاية منه ، ولم يتجاوز أيضا بعض التعديلات فى المناهج دون التعمق فى مضمونها . فمازالت المشكلة أمامنا فى قدرة الناس على توفير الفرصة التعليمية للافادة منها اذا أتيحت لهم . ان غالبية سكان مصر يسكنون الريف ، ويعيشون على دخل متواضع لا يكاد يصل الى ما يساوى ثلاثين دولارا للفرد الواحد سنويا . وهذا يؤثر بشكل واضح سلبا على القبول فى التعليم والاستمرار فيه . بل يمكن القول أن هذا من أسباب «الهدر فى التعليم» على أساس أن الاشتراكية اليوم ينبغى أن تقاس فاعليتها ونجاحها على ضوء معيار هام وهو أن تكافؤ الفرصة التعليمية لا تعنى مجرد التحاق المواطن بالتعليم وانما تعنى فى الاصل والاساس تمكينه من اتمام التعليم أو مرحلة معقولة منه . ومعنى هذا أن نظامنا التعليمى مطالب اليوم لا أن يستوعب أكبر قدر من الناشئين والكبار فيه ، بل انه مطالب بنفس القدر ان يكون قادرا على الاحتفاظ بأكبر قدر منهم ، أطول مدة ممكنة دون تسرب أو انقطاع من جانبهم .

٣ ـ ٢ ـ ٢ والاعتبار الثانى ، أن مصر الثورة حاولت منذ البداية أن تخلص اقتصادها من الطابع التقليدى ليكون لها اقتصاد عريض تتنوع فيه قطاعات الانتاج وتتوازن فى نموها . فهى تسعى الى رفع مستوى القطاع الزراعى وهو القطاع الذى ما زال رئيسا فيها ، ولكنها تعمل جاهدة على التوسع فى القاعدة الصناعية للاقتصاد ، وتنوع فى هذه القاعدة . وقد صحب هذا ازدياد الطلب الاجتماعى على التعليم وتحقيق انجازات تعليمية ملحوظة . غير أنه من المنتظر آن يزداد ضغط هذا الطلب على جميع مراحل التعليم وبخاصة التعليمين الثانوى والعالى ، ولهذا فان تحقيق التطور الاقتصادى المتوازن يعنى فى المرتبة الاولى نظرة جديدة الى هذين النوعين من التعليم ، بل ان الاسراع فى التنمية الشاملة يتطلب تغييرا جذريا فى مفاهيم التعليم وأهدافه وفى برامجه وفى كلفته وادارته . ذلك أن تعليمنا ما زال — على الرغم مما دخل عليه من تطورات — متأثرا بمفاهيم المجتمع الزراعى التقليدى ، وبأوضاعه البائدة . ومن ذلك على سبيل المثال ، انه حضرى النزعة والاتجاه ، وأنه مازال يخضع لسلطان أهل الحضر من حيث نسبة المنتظمين فيه والقادرين عليه وعلى الاستمرار فيه ، ومن حيث لون برامجه وادارته وهكذا .

٣ ـ ٢ ـ ٣ والاعتبار الثالث ، الانتماء العربى الذى يحدد مصير مصر واتجاهاتها الثقافية والسياسية والاقتصادية . فمن المعروف أن مصر قلب الامة العربية ، مما يحملها التزامات عديدة ومركبة ، وفى مقدمة هذه الالتزامات أن تكون قوة فى خلق احتمالات التغيير فى أكثر من مكان فى الارض العربية ، وتدعيم ما يحدث منها ، وتغذية القطاعات المختلفة بما تحتاجه من قوى بشرية . ومصر مطالبة بذلك بحكم سبقها الى التطور فى الماضى وانعكاسه على مستواها الثقافى العام فى الحاضر ، وبحكم وفرة القوة البشرية فيها وقدرتها على مساعدة غيرها بتقديم الخبراء والعاملين المؤهلين والمدربين ، وبحكم تجاربها فى مجالات العمل والانتاج والادارة والتنظيم مما يجعلها مصدرا لنماذج مختلفة فى هذا كله . ووسط هذا كله تجد مصر نفسها ملزمة بتوجيه تعليمها لا وفق احتياجاتها الخاصة فقط ، بل كذلك وفق مطالب التطور فى البلاد العربية ، حيث أصبح المصير واحدا والاهداف واحدة . وهذا يدعو الى مراجعة مستمرة لنظم التعليم وأهدافها وبرامجها ، كما

يدعو الى اختيار النماذج المناسبة ، والطرق السليمة لنقلها والافادة منها ، وهنا لابد من فكر جديد ، متجدد ، يحرك التعليم ، ويدفعه الى مستويات أفضل .

٣ ـ ٢ ـ ٣ والاعتبار الرابع ، هذا التحول الجذرى والعميق الذى أحدثته حرب أكتوبر فى رؤيتنا للحاضر والمستقبل ولمشكلاتنا ، ولكاناننا فى المنطقة العربية وفى العالم ، ولامكاناتنا . ففضلا عما تحقق بهذه الحرب ، من تضامن عربى ، وتجميع للطاقات العربية ، وتفجير لها ، ونصر على عدو مغرور ، فقد أبرزت هذه الحرب حقيقة مؤداها ، قدرة الانسان المصرى على استيعاب منجزات العلم ومبتكراته على الرغم مما يحيطه من عوامل التخلف . فقد كان من بين علامات الاستفهام التى بدت فى آراء بعض الكتاب والمعلقين ، هى كيف تمكنت قوة مصرية من استيعاب الفنون الحديثة للحرب وما يرتبط بها من علوم ونظريات وسط بحر من الامية وكثير من عوامل التخلف . ولهذا فان من أهم ما ينبغى أن نتعلمه من هذه الحرب ضرورة التعليم وضرورة توجيهه بحيث يحول المجتمع المصرى كله الى مجتمع معلم ، متعلم .

٤ ـ بعض المسائل التى ينبغى مواجهتها فى تعليمنا

ان هذه الاعتبارات تتضمن فى جملتها الدعوة الى التجديد والحاجة اليه حتى يمس كل جانب من جوانب تعليمنا . وتكفى الاشارة الى بعض هذه الجوانب فى صورة مسائل تحتاج الى بحث ومناقشة .

٤ ـ ١ فأمامنا مسألة عجز النظام التعليمى الحالى عن استيعاب كل الاطفال والشباب الذين هم فى سن التعليم . اذ تشير الارقام الى أن نسبة المسجلين فى التعليم الابتدائى الى جملة الاطفال الذين هم فى سن هذا التعليم كانت على التوالى ٦٦ فى المائة و ٧٤ فى المائة و ٧٠ فى المائة فى أعوام ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ . ونسبة الشباب المسجلين فى التعليم الثانوى الى جملة أعداد الشباب فى سن هذا التعليم فى السنوات ذاتها كانت على التوالى ١٠ فى المائة و١٥ فى المائة و٢٢ فى المائة ، وهكذا كانت نسبة المسجلين فى التعليم العالى والجامعى فى هذه السنوات نفسها ٤ر٧ فى المائة و٨ر٦ فى المائة و٤ر٧ فى المائة من جملة الشباب الذين هم فى سن هذا التعليم . والسؤال الاساسى ، فى هذا المجال ، هل يستمر النظام التعليمى بوصفه القائم ، وبتمويله الحالى ، وبأهدافه وبرامجه ، امام هذه المشكلة ، أم أنه لابد من احداث تغيرات جذرية فيه ـ حتى يستوعب أعدادا متزايدة من الاطفال والشباب مع مراعاة الامكانات المادية والبشرية ؟ ومعنى هذا ، هل هناك صيغ جديدة لبنى تعليمية تستطيع بها مواجهة هذه المشكلة التى تزداد تعقيدا نتيجة الزيادة السكانية البالغة حوالى ٣ فى المائة سنويا .

ان مراجعة هذا النظام لابد أن يكون فى ضوء مبدأين أساسيين وهما :

ـ ان نظام التعليم ، اى نظام ، لا يمكن أن يكون مغلقا وكاملا ، فى عصر تتزايد فيه وسائل التربية ومؤسساتها بحيث أصبحت المدرسة وسيلة من بين وسائل عديدة .

ـ ان التربية لم تعد عملية منتهية عند نقطة معينة ، وانما هى مستمرة بطبيعتها وبالضرورة فى عصر من أهم خصائصه التغير ، والتغير السريع .

٤ ـ ٢ وهناك مسألة تعليم الكبار ، فقد درج النظام التعليمى فى بلادنا على اعتبار وظيفته محصورة فى تعليم الصغار دون الكبار ، وكان سند هذا النظام تفكير دارج أيضا مؤداه ان تعليم الكبار مرادف لمحو الامية ، وان الامية لابد أن يكون لها برامجها الخاصة ، وهكذا تحولت هذه البرامج الى هوامش حول التعليم النظامى ، ولم تؤد وظيفتها بدليل تكرار صور منها ، مع بقاء نسبة الامية مرتفعة . غير أن هذا الاتجاه لابد أن يتغير ليكون للكبار حظ وافر كما هو للصغار ، وحتى يكون مفهوم تكافؤ الفرص وظيفيا ومتفقا مع مفاهيم الاشتراكية ، ان مطالب الانتاج اليوم ، وحاجة التنمية الشاملة تؤكد أهمية تعليم الكبار وضرورته ، فهم القوة المنتجة حاليا والى عدد كبير من السنين فى المستقبل . وهم الذين يتحملون عبء التغيير والتوجيه ، وهم فى التحليل النهائى صانعو المناخ الذى يعيش فيه الصغار ، ويتشكلون فى سياقه ، ومن هنا لابد من صيغ جديدة أيضا توفر فرصا أرحب وأجدى للكبار على اختلاف انواعهم ومستوياتهم ومواقعهم فى العمل القومى . ويكون الهدف منها تحويلهم الى قوة فى التغيير الاجتماعى فى أقصر مدة ممكنة . وتمكينهم من مساعدة انفسهم بأنفسهم للاستمرار فى عملية التعلم .

ان النتائج التى اسفرت عنها حرب اكتوبر ينبغى أن تكون موضع الدرس فى هذا المجال ، فان التركيز على تعليم الكبار ـ دون الاقلال من تعليم

الناشئين ـ هو الاتجاه الحديث الى مـواجهة المشكلات التى يعانى منها مجتمعنا وفى مقدمتها التخلف بصوره المختلفة .

٤ ـ ٣ ومسألة تربية المعلم واعـــــــداده وتوفيره . من اهم المسائل التى ينبغى ان نتصدى لها بالتجديد القائم على البحث والتخطيط ، فمن البديهيات الان ، ان المعلم هو المحدد لنوعية التعليم واذاعته فى أقل مدة ، وان جميـع المبتكرات والوسائل المستحدثة فى مجال التربية تزيد من دوره تعقيدا ، وان اعتبار التربية عملية مستديمة بهدف خلق المجتمع المتعلم المعلم ، يضيف الى دوره التقليدى فى نقل المعرفة ادوارا جديدة بل لابد ان يغير من مفهوم اعداده . ولهذا فان معاهد وكليات التربية لابد أن تراجع نفسها فى ضوء ثلاثة أمور هى : السرعة التى تتغير بها المعرفة الان وتتزايد بصورة لم يسبق لها مثيل وذلك فى جميـع المجالات ، وسائل التعليم والتاثير الجديدة التى ظهرت بجانب الوسائل التقليدية ، فلم يعد التعليم يعتمد فقط على المدرس والكتاب وحدهما ، الادوار والمسئوليات الجديدة التى يفرضها المفهوم الشامل للتربية على المعلم نفسه .

ومن هذا المنظور لابد من اسقاط الفكر التقليدى الذى كان يجرى وراء الاعداد الرخيص للمعلم ، حيث ان المعلم الرخيص لابد أن يطرح تعليما « رخيصا » كما ينبغى أن يحل مكان هذا الفكر فكرا جديدا يؤكد اهمية الاستثمار فى مجال اعداد المعلم حيث ان هذا الاستثمار لابد أن يكون له مردود بالغ الاثر على الاجيال المقبلة . ان تخطيط التعليم وشده الى أمام عددا من السنين ، وكما نقول الى عام ألفين ، لابد أن يبدأ من اليوم بالمعلم ذاته . ومن هنا لابد أن يبدأ التجديد فى التربية .

٤ ـ ٤ وثمة مسألة اخـــــرى وهى مضمون التعليم ومفهومه ، فقد ظل النظام التعليمى يعانى زمنا طويلا من مشكلات ناجمة عن مفاهيم موروثة ولدتها اوضـــاع وظروف اجتماعية واقتصـــادية قديمة ، ومن أهم هذه المفاهيم ، مايسمى بالتعليم الاكاديمى والتعليم الفنى ، وما يسمى بالتعليم الادبى والتعليم العلمى ، والعقلية الادبية والعقلية العلمية ، ومن ثم ظهرت الثنائيات داخل نظام التعليم كما تعددت واختلفت اتجاهات الناس حول أنواع التعليم ، ونشأ من هذا كله مشكلات عديدة تبدو واضحة فى علاقة التعليم كله بحركة المجتمع ومطالبه وحاجاته ومستقبله . ومن ذلك ظهور مشكلة خريجى الاقسام الادبية والكليات الادبية فى سوق العمل ، بل وعدم اقبال الشباب عليها ، ومشكلة تزاحم الشباب على الكليات العملية حتى كادت تفيض بعدد الخريجين بالنسبة لسـوق العمل ، ومن ذلك أيضا الانقسام حول التعليم الاكاديمى والتعليم الفنى ، وعزوف الشباب عن الثانى امام اغراء الاول ، وما تولد عن ذلك من فقر البلاد فى الكوادر الفنية الوسطى بالنسبة لكثرة الكوادر الفنية العليا .

وهكذا لابد أن تراجع هذه المفاهيم فى ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية التى تمت فى مجتمعنا والمنتظر احداثها فى المستقبل . ان تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وما يترتب عليه من فك الاوضاع الطبقية التى أثرت على التعليم فى الماضى ، تعنى معانى جديدة لما نسميه بالعلمى والفنى والادبى ، وتكفى الاشارة الى أن هذا العصر الذى يؤمن بالعلم والمنهج العلمى ، يطالبنا بأن يكون كل عمل من أعمالنا علميا بمعنى ان يبتعد عن الارتجال والصدفة والهوى ، وان يلتزم الفكر بالمنهج العلمى سواء كان هذا الفكر فى ميدان الاجتماع او السياسة او الدين أو الفن ليكون شأنها فى ذلك شأن العلوم الطبيعية .

٥ ـ الحاجة الى استراتيجية تربوية

أن هذه المسائل وغيرها يمكن مواجهتها عن طريق استراتيجية واضحة الاهداف ، تتخذ من البدائل مما يكون مختارا على أساس ما يتوافر وما ينتظر من امكانات النمو الاقتصـــادى والاجتماعى ، وعلى أساس نظرة اوسع الى العمل التربوى فى مصر من حيث انه يؤثر ويتأثر بمطالب التطور فى البلاد العربية وهذا يعنى :

ـ بلورة الاهداف التربوية فى ضوء حركة المجتمع المصرى فى علاقاته العضوية مع الامة العربية كلها .

ـ اختيار البدائل المناسبة فى ضوء استراتيجية مرنة توجهها هذه الاهداف التربوية .

ـ حساب العوامل الايجابية والسلبية فى التجارب الماضية ، والافادة منها فى وضـع هذه الاستراتيجية .

ـ البحث عن وسائل التغيير والتجديد حتى يأتى بصورة علمية وظيفية لا بصورة شكلية سطحية .

وكل هذا ما ينبغى أن يكون موضع بحث من المربين والاجهزة التعليمية كلها .

وقفــة مع النفس :

٥ كلمــة عابــرة حــول مشــكلات التعــليم

د. نظــمي لوقا *

يبغى المفكر النظرى بهذه « الوقفــة مــع النفس » أن يلقى نظرة على « الاصوليات » التى تتفرع منها « وظيفة اجتماعية » هى التعليم . فبغير هذه « الاصوليات » تكون النظرة جزئية ، تفصل الاعراض عن الجرثومة التى أنشأتها ، وتبحث عن العلاج بدون تصور كلى لمفهوم الصحة فى الكيان المتكامل ، وهى الغاية من كل علاج رشيد .

والكلام فى « الاصوليات » الكلية يسبق — ويرتفع فوق — التخصيصات الزمانيه والمكانية ، لان « الاصوليات » الكلية نظرية مطلقة بحكم كليتها ، وحاكمة لكل ما هو مندرج تحتها ، ذلك أن هذه الاصوليات قيم ، والقيم مطلقة بطبعها ، وهى المعيار لكل ما هو نسبى معين . وبدون القيم تنعدم معايير الصواب والخطأ ، وينعدم الرشد ، وتنبهم الاتجاهات .

و « الاصوليات » أيضا — ولهذا السبب — ترتفع فوق الجهات الاصلية جمعاء ، من يسار ويمين وغير ذلك ، لانها المرجع ، واليها الانتماء الاصلى للانسان بما هو انسان ، قبل كل انتماء لاتاليم المذاهب ، أو اقاليم العمران ...

• • •

ونبدأ بمعنى التعليم وعلاقته بالانسان على وجه التحديد ، لان ثمة تعليما لا يختص به الانسان ، بل هو قسط مشترك بينه وبين كثير من الحيوان . فاكتساب كثير من المهارات مشاع بينه وبينها ، والتعليم فى الحالتين وسيلة لغنم ذاتى عندما يطلبه الفرد عن رغبة ، أو وسيلة لدفع مكروه حين يطلبه الفرد عن رهبة وارغام . ويصدق هذا على الانسان والحيوان بغير اختلاف .

أما التعليم الذى يختص به الانسان ، فهو ذلك التعليم الذى يتفق وخاصته المتميزة فى الفعل بوجه عام . وهذه الخاصة هى ما نسميه خاصة الفعل الخلقى .

ولسنا نعنى بالفعل الخلقى فى هذا المقام أى مجموعة من الاوامر والنواهى الملاة ، بل نعنى به ما تعنيه « الفلسفة التعبيرية » التى ينادى بها . وبمقتضى ذلك يكون فعلا خلقيا كل فعل صدر عن مبدأ كلى موضوعى . فهو يتجاوز الذات ورغائبها أو مصالحها . ويستبعد خارج نطاقه جميع المغانم الذاتية ، مادية كانت أو معنوية . وكل فعل بشرى ليس على هــذه الشاكلة فهو فعل لا خلقى — حيث الخلقى هو الموضوعى دون سواه — وهو بالتالى ليس فعلا انسانيا ، وان كان فعلا بشريا ، أى أنه لا يرقى الى المستوى الانسانى فى البشر . فالانسان بمعنى الكلمة هو الكائن الخلقى ، وهو انسان بقدر موضوعية سلوكه .

ومن هنا يتمايز التعليم الانسانى من التعليم غير الانسانى تمايزا حاسما ، فلا يكون التعليم

---

[*] أستاذ الفلسفة بكلية التربيــة بجامعة عين شمس .

الانسانى الحق وسيلة لتحصيل المغانم الفردية . فى سبق تناحرى ينزل بالسلوك الانسانى فى آخر المطاف الى السلوك « السمكى » و « البرغوثى » . فبالنفع الكلى الموضوع الى اقصى حد ممكن ترتبط قيمة الفرد ، ولا قيمة له ـ بالمعنى الانسانى ـ غير هذه القيمة على وجه الحصر والتحديد .

وبدون وجود « السلوكية الانسانية » الحقة دافعا أساسيا وراء طلب التعليم باعتباره الوسيلة لاكتساب المهارات النظرية والعملية ، لن تكون هذه المهارات جديرة بالانسان ، بل يكون التمكن منها ارتقاء ولكن الى أسفل ، وتدليا فى صورة الترقى .

ومرة إخرى ـ ولن نمل القول ! ـ نؤكد حقيقة أولية : ان الانسان ليس حيوانا اذكى من سواه ، ولا أبرع من سواه ، وانما الانسان الانسان حقا من يبتغى الموضوعية فى سلوكه ويعمل لتحقيقها ما وجد الى ذلك سبيلا ، لا لان الموضوعية وسيلة الى مغنم ، بل لان الموضوعية موضوع حياته بما هو انسان .

فالفيصل اذن ـ كى يكون أى تعليم انسانيا حقا ـ وبصرف النظر عن برامج هذا التعليم واوعيته ، أن يكون مطلبا لتحقيق الموضوعية فى الحياة ، تلك الموضوعية التى تتبدى فى اطار النفع الكلى . وبغير ذلك يكون التعليم ـ كما ارتقوا به تقنيا ـ أداة امعان فى الهبوط بالإنسان الى المستوى السمكى والبرغوثى ، وضربا من « التسولية » مهما كانت المظاهر فخمة براقة تزيغ الابصار ...

ان قيمة كل امرىء ما يحسنه . وهذا هو مضمون القيمة الموضوعية . أما أن تكون قيمة كل امرىء ما يمتلكه أو يلبسه أو يركبه أو يمتصه . فتلك هى المظهرية التى تفضى الى التناحر على الاغتنام ، فتوطأ المنفعة الكلية بالاقدام فى معترك هذا الزحام .

وأكتفى بمثل واحد ، يغنى عن الاستطراد :

ما هذا التكالب التناحرى على التعليم الطبى عندنا ؟ ان الدافع اليه ـ غالبا ـ ليس خلقيا بمعنى الرغبة الخالصة فى النفع الكلى دون نظر الى المغانم الذاتية ، والا فما هذا السلوك البرغوثى فى كثير من الوحدات الصحية الريفية والمستشفيات وما اليها ؟

ان الفيصل هنا أن نتساءل : كم من هؤلاء المتناحرين على مهنة الطب كانوا يتكالبون عليها لو كان العائد المادى منها أقل من غيره ، أو فى مستوى غيره من المهن ، كالتدريس مثلا ؟

أن من يحرص على تعلم الطب وممارسته ، وان شح رزقه منه عن غيره من المهن ، لهو صنو الفنان الذى يستمسك بفنه وان تضور بسببه جوعا . والطب فى هذه الحالة « رسالة » حياته وغايتها الحقيقية ، وليس وسيلة برغوثية للغنم والاغتنام .

ولن تختفى هذه « الوصولية » فى التعليم ، وتستقيم أموره ، الا اذا استقام « جدول » القيم فى المجتمع كله أساسا ، لان التعليم انما هو وظيفة اجتماعية ، وهيهات يصح العضو والكيان مريض !

أما كيف يتم تغيير « جدول » القيم لتصير قيما انسانية تقوم على الكلى الموضوعى دون سواه ، فليس هذا شأن المفكر النظرى المستقل : فلهذا التغيير طرائق تختلف فيها المذاهب أيما اختلاف ، وكل كيان اجتماعى حر تمام الحرية فى انتهاج الطريقة التى تلائمه ـ أو التى يستطيعها ـ والامر الوحيد ذو الاهمية حقا فى هذا المقام أن تكون الغاية الانسانية الحقيقية واضحة ومنشودة ـ وباصرار ! من وراء اى تغيير يقع عليه الاختيار ..

صححوا القيم لتصح الغايات . أما الوسيلة التعليمية بكل أوعيتها ومناهجها فتأتى أهميتها بعد ذلك . ورهن ذلك لان أبرع الوسائل لا تكون فاضلة بذاتها بل بمقدار تأديتها الى غاية فاضلة . والغاية الفاضلة الوحيدة اللائقة بالانسان هى النفع الكلى لا الانتفاع ، أو « التسلقية » التى تفضى الى ذلك السلوك «السمكى » و « البرغوثى » .. » .

هذا أيها الناس أو نكون خارج دائرة الانسانية الحقة .

هذا أو يكون كل اجتهاد يقوم به « الجهابذة » لاصلاح البرامج اجتهادا فى تدعيم السلوك « السمكى » و « البرغوثى » .

وأخشى أن أكون قد أثقلت ...

ولكن مكره أخاك ... !

○ السلم التعليمى بين الجمود والحركة

د. أحمد اللقانى *

أصبح السلم التعليمى فى صورته الراهنة يبدو كما لو كان امرا مسلما به لا يقبل المناقشة أو المراجعة بأى حال من الاحوال . ولعل هذا الاتجاه يرجع الى التصور الخاطىء لمعنى ومجال التعليم والتعلم ، بمعنى أنه – وفق هذا التصور – لم يعد من الممكن التعليم والتعلم الا فى الاطار المدرسى التقليدى بما يحتويه من مقاعد وسبورات وكتب مدرسية ومعلم وناقوس ولوائح ونشرات ادارية وتنظيمية وغير ذلك من مقومات الجو المدرسى المألوف ، وعندئذ يصبح اجتياز المتعلم لصف أو مرحلة مؤشرا لتعلمه فى حدود المعنى الضيق للتعلم وهو مجرد اكتساب قدر من المعرفة فى مجال أو آخر .

ومن خلال هذا التصور الضيق ثارت مشكلات عديدة نعرض لبعضها ثم نقدم تصورا للاجراءات التى يمكن اتخاذها فى سبيل ايجاد حلول لها :

أولا : ان المرحلة الابتدائية الالزامية هى قاعدة السلم التعليمى (ومدتها ست سنوات) تبدأ من سن السادسة حتى الثانية عشرة ، فهل سن السادسة هو أفضل سن لبدء التعليم أم ينبغى تأجيل أو تبكير تلك البداية ؟ هناك اتجاهان فى هذا الشأن ، الاتجاه الاول ينادى بضرورة تأجيل اخضاع الطفل للتربية المدرسية الى ما بعد سن السادسة انطلاقا من أن الام هى أفضل مدرسة ومن ثم يجب اتاحة الفرصة كاملة للطفل للتعلم فى الاطار الاسرى . والاتجاه الثانى ينادى بالاهتمام بالتربية المدرسية للطفل فيما قبل سن السادسة ، ولكل من الاتجاهين مبرراته الاقتصادية والاجتماعيه والعلمية ، فأصحاب الاتجاه الاول ينظرون بعين الاعتبار لوظيفية الكيان الاسرى الذى يضم والدين على قدر من الثقافة ، كما أن أصحاب الاتجاه الثانى ينطلقون من أن الطفل يستطيع أن يتعلم اى شىء قبل سن السادسة ، وهو الامر الذى يتعارض مع ما أثبتته دراسات وبحوث علم النفس وظل سائدا لفترة طويلة ، ومن ثم فان اصحاب الاتجاه الثانى ينظرون الى سنوات ما قبل المدرسة على أنها فترة هامة فى حياة الطفل يجب ألا تمر دون جهد تربوى مقصود .

والقضية الاساسية التى يواجهها نظامنا التعليمى فى هذا المجال هى أين البداية ؟

ان بداية التعليم يجب أن تكون قبل سن السادسة بصورة أو بأخرى ، بمعنى أن الطفل يجب ان يخضع لنوع من التربية المدرسية فى سن مبكرة بحيث نقلل من تأثره بجو أسرى لا زال يعانى من داء الامية ، الا أنه قد يثور اعتراض على هذا الرأى مؤداه أن قلة الامكانات ومصادر التمويل تحول دون ذلك ، ولكن اذا كان لنا حقيقة أن نبنى مجتمعا عصريا على أسس راسخة ومتينة فان الاهتمام يجب أن يتجه أولا وقبل كل شىء الى صناعة الانسان بنفس الدرجة من التضحية والحماسة المبذولة فى مجالات التصنيع وبناء ودعم القوات المسلحة . ولعلنا نذكر قول **فردريك وليم الثالث** ملك بروسيا حينما انحدرت بلاده امام جيوش نابليون بونابرت حيث قال : « مع أننا خسرنا فى الحرب مساحات شاسعة من الاراضى ، ومع أن بلادنا فقدت سلطانها الخارجى وقوتها ولكننا سنربح سلطانا وقوة داخليين ، ولهذا فان هدفى أن نركز أقصى جهودنا على شئون التعليم ... على بروسيا أن تستعيد ما فقدته من قوة مادية عن طريق الربح الفكرى والروحى » .

ثانيا : ان فترة السنوات الست التى يقضيها الفرد بين جدران المدرسة الابتدائية لم تعد

[*] مدرس بكلية التربية بجامعة عين شمس .

كافية كحد أدنى لبناء المواطن العصرى ، ذلك أن هناك مطالب جديدة ومتنوعة يفرضها ذلك العصر ، ومن ثم فانه يصعب القول بأن المدرسة الابتدائية - بصورتها الراهنة ومحتواها الحالى قادرة بالفعل على بناء مواطن له من المواصفات ما يؤهله لممارسة الحياة فى مجتمع يتطلع لمسايرة العصر . ان خريج المدرسة الابتدائية - فى أحسن الاحوال - لا يتقن سوى بعض مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، فهل هذا يعد كافيا للتفاعل مع الاحداث والانفعال بها ؟ وهل هذا يكفى فى عصر يقل فيه الاعتماد على الايدى العاملة ويزداد فيه الاعتماد على الالة والحسابات الالكترونية ؟ ان ما يجب أن يتجه اليه التعليم فى هذه المرحلة هو تعمير العقول ، بمعنى اكساب الفرد مهارات عقلية هو أحوج ما يكون اليها لممارسة الحياة الجديدة . وليس المقصود بالمهارات العقلية هنا مجرد تذكر واسترجاع كل ما يقدم له من معرفة ، وانما المقصود هو اعمال الفكر والاستنتاج والمقارنة والتحليل وابداء الرأى والنقد لكل ما يقرأ ويسمع . ان التعليم فى هذه المرحلة يتضمن كثيرا من المعارف التى لا يدرك الفرد معنى أو قيمة حقيقية لها ، ومن ثم فانه يجب مراجعة كل ذلك بحيث لا يبقى سوى ما لا يمكن الاستغناء عنه فى بناء العقول وتكوين الاتجاهات والقيم والميول والمهارات المرغوب فيها ، على اننا لا نقصد بذلك أن المعرفة خطأ يجب تفاديه وانما هى جانب أساسى من جوانب التعليم لا يمكن الاستغناء عنه ومن ثم فان الخطأ كل الخطأ هو أن نقتصر على مجرد المعرفة . **وعلى ذلك فانه اذا كان على معظم خريجى المدرسة الابتدائية الخروج الى الحياة العلمية فلابد ان يكون اعدادهم على نحو يؤهلهم لتلك الحياة بحيث يتولون مسئولية أدوار انتاجية فضلا عن مقدرتهم على ممارسة تعليم الذات ، مما يقتضى قيام المؤسسات الاجتماعية الاخرى - غير المدرسة - بدورها فى هذا المجال .**

ثالثا : أن تدفق الخريجين من مرحلة تعليمية الى أخرى هو أقرب ما يكون الى سباق الحواجز أو عملية « الغربلة » بمعنى أن من يفشل فى اجتياز امتحان المرحلة يترك حلقة التعليم ، ومن ينجح يصعد درجة فى سلم التعليم . وهذا يعنى أن وظيفة كل مراحل التعليم واحدة ، أى أن كلا منها تعد الفرد للمرحلة التالية ، وبذلك يكون لدينا نوعان من الافراد ، **نوع** يخرج الى معترك الحياة سرعان ما يدرك عدم الاتساق بين ما تعلمه وما تتطلبه مجالات العمل والانتاج ، ومن ثم تبرز العزلة بين التعليم وهيكل العمالة ويكون عليه أن يتعلم تعلما جديدا عن طريق المحاولة والخطأ ، وبالتالى تشكل سنوات التعليم السابقة فاقدا كان من الممكن تلافيه ، فضلا عن أنه لا تتاح له الفرصة لاستكمال التعليم فى أى مرحلة تالية من سنى حياته ، فقد ثبت - من وجهة النظر الرسمية - أنه غير قابل للتعلم اكثر من ذلك !!

والنوع الثانى هو الذى يتدرج فى مراحل التعليم حتى نهاية التعليم الجامعى ، وفى النهاية يخرج الى الحياة أيضا بمواصفات (معارف - مهارات - قيم - اتجاهات .. الخ) لا تتفق ومتطلبات هيكل العمالة ، ولعل الشكوى المتكررة من مستويات كفاءة خريجى الجامعات تعد دليلا على ذلك . وهنا نجد أولئك الخريجين يمارسون نوعا من التعلم الجديد عن طريق المحاولة والخطأ أيضا . ان النهاية اذن واحدة بالنسبة لهذين النوعين من الافراد ، فكلاهما ينضم الى هيكل العمالة ، وكلاهما يشعر بعدم وظيفية التعليم والعزلة بين مؤسسات التعليم ومؤسسات الانتاج .

ان البداية يجب أن تكون مواصفات الفرد وأداءاته ، بمعنى أنه يجب تحديد تلك المواصفات والاداءات أولا بالاشتراك مع قطاعات الانتاج والمؤسسات الاجتماعية الاخرى ، وفى ضوء ذلك تتحدد وظيفة التعليم وأهدافه ومحتواه وأساليبه وطرائقه .

رابعا : ان مراحل التعليم لا زالت مغلقة أمام نسبة كبيرة من الافراد ، فالتعليم الابتدائى لم يستوعب جميع الاطفال فى سن الالزام حتى الان ، كما أن النسبة الغالبة من خريجى هذا التعليم لا يواصلون التعليم فى المرحلة الاعدادية وهكذا حتى التعليم العالى ، وكذلك التعليم الفنى بأنواعه المختلفة يعد طريقا مسدودا ، حيث أن القواعد المحددة لا تسمح الا لنسبة ضئيلة منهم باستكمال التعليم العالى وكذلك الامر بالنسبة لخريجى دور المعلمين والمعلمات . ان هؤلاء جميعا يجب أن تتاح لهم فرص التعليم وفق ظروفهم وامكاناتهم مما يتفق مع قيم المجتمع الاشتراكى ، **فلا يجوز أن يحرم فرد من التعليم فى أى مرحلة من مراحل حياته ، أليس من الممكن أن يكون خريج المدرسة الثانوية الزراعية أكثر استعدادا من خريج الثانوية العامة لمواصلة التعليم فى كلية الزراعة ؟ أليس من الممكن أن يكون الامر كذلك بالنسبة لخريجى الثانوية الصناعية بكليات الهندسة والمعاهد الصناعية وبالنسبة لخريجى الثانوية التجارية بكليات التجارة والمعاهد التجارية وبالنسبة**

لخريجي دور المعلمين والمعلمات بكليات التربية ؟

ان من حق الفرد أن يتعلم طالما هو على قيد الحياة ، وهذا يعنى أنه حينما ينقطع عن التعليم بارادته أو رغما عن ارادته فان من حقه أن يتعلم من جديد ومن حقه أن يتعلم أى شىء وبأى هدف ولكن دون أن يضطرب الانتاج . **ان التعليم النظامى بصورته الراهنة لا يمكن أن يتحمل تلك المسئولية وانما يقتضى ذلك البحث عن صيغ تعليمية جديدة تعمل فى تعاون واتساق مع النظام التعليمى القائم أو منفردة لمواجهة الطلب المتزايد على التعليم .**

خامسا : يقضى الفرد معظم سنوات طفولته وشبابه فى التعليم ، ومن ثم فان النظام التعليمى يهتم بتعليم الطفل والشباب ، ولا موضع هنا لمن نطلق عليهم لفظ الكبار . ان من يجتاز مرحلة تعليمية يعد صالحا — من وجهة النظر الرسمية — لعمل أو مجموعة من الاعمال . وفى هذا تناقض مع متطلبات العصر . فالمعرفة فى تزايد بل وتضاعف سريع بصورة لم يألفها العالم من قبل ، وهياكل المهارات فى تجدد وتطور مستمرين ، والمفاهيم والادوار فى تغير دائم ، فكيف يستطيع التعليم الحالى أن يعد الفرد لذلك المستقبل المجهول ؟؟ ان الفرد فى هذا العصر فى حاجة دائمة الى النمو العلمى والمهنى ، **ومن ثم لا تقتصر مسئولية المؤسسات الاجتماعية على مجرد الانتاج ، وانما تصبح لها وظيفة أخرى وهى التعليم ، أى تعليم العاملين وضمان مستوى عال من الثقافة والاداء المهنى من خلال التعليم والتدريب فى اثناء المهنة ، ان هذه المسئولية لا يمكن أن نلقيها على كاهل الدولة بمفردها ، ولكنها مسئولية المؤسسات ومسئولية الدولة ومسئولية المسرح والسينما . والاذاعة والتليفزيون والنادى والنقابة والمسجد والكنيسة ، ثم هى مسئولية الفرد ذاته .**

سادسا : ان البحث فى كيفية تجديد نوع التعليم يعتمد أساسا على التحديد الواضح لوظيفة كل مرحلة وأهدافها ، اذ أنه من الملاحظ أن ما حدد من أهداف لكل مرحلة يتسم بالعمومية والغموض الى حد كبير ، وبذلك أصبح من العسير ترجمة تلك الاهداف الى محتوى تعليمى ملائم ، بل وكثيرا ما يؤدى ذلك الى نوع من « الغشاوة المهنية » . ان غموض الاهداف أدى — ولا يزال — الى تركيز الاهتمام كله على التزويد بالمعلومات التى لا يعتبر التمكن منها مؤشرا أو دليلا على السلوك بمقتضاها ، فالفردحينما يسرد قواعد المرور فان ذلك لا يستقيم دليلا على تقيده بها حينما يتجول فى شوارع المدينة وحينما يذكر واجباته نحو الملكية العامة فان ذلك لا يعد ضمانا أكيدا لممارسة تلك الواجبات حينما يتعامل مع رأس المال العام عن قرب وهكذا .. ومعنى ذلك أن الفرد لا يكتسب الاداء المطلوب ولكنه يكتسب معرفة جوفاء لا قيمة ولا وظيفة لها .

ان ما يبذل من جهد علمى يجب أن يتجه الى الجوهر دون الانحراف الى مناقشات جانبية وشكلية عن تبعية كليات التربية لوزارة التعليم العالى أو للتربية والتعليم وما أشبه ذلك ، وهذا يعنى أن البحث فى الجوهر يقتضى البحث عن كيفية تحقيق أفضل تعلم لاكبر عدد ممكن فى أقل وقت ممكن وبأقل جهد ونفقات ممكنة .

وبعد فان التحليل والعرض السابق يشير الى أهمية التغير فى بعض المفاهيم الاساسية فى هذا المجال مثل :

— **النجاح والفشل :** فليس من الضرورى أن يكون المتفوق فى ناحية ما متفوقا فى جميع مجالات الدراسة ، كما أن من يفشل فى مجال ما ليس بالضرورة أن يكون فاشلا فى كل شىء بحيث يوصم بخاتم الفشل طوال حياته ، أليس من الممكن أن يكون أحد الذين لم يوفقوا فى اجتياز حاجز امتحان نهاية مرحلة قادرا على أن يكون رساما أو موسيقيا بارعا أو لاعب كرة من الطراز الاول ، أليس من الممكن أن يفشل من تخطى هذا الحاجز فى استكمال مراحل التعليم التالية وأن يفشل فى كثير من مجالات الحياة اليومية ؟؟

— **التقويم :** ان الامتحانات بصورتها الحالية لا تدل على شىء ذى قيمة حقيقية ، وبالتالى فهى لا تعطى صورة حقيقية عن الفرد . ان اعطاء صورة حقيقية عن الفرد تتطلب تقويما شاملا ومستمرا ومتكاملا بحيث تأتى الصورة فى النهاية واقعية مشيرة الى ما تحقق من الاهداف وما لم يتحقق منها ، والمعوقات التى حالت دون ذلك ، وبالتالى يصبح من اليسير توجيه الفرد الى ما يناسبه من أعمال ومهن ونوعيات مختلفة من التعليم .

— **الاداء :** أى أن يتم تحديد مجموعة الاداءات (معلومات — ميول — مهارات — اتجاهات .. الخ) التى يجب توافرها لدى خريجى كل مرحلة تعليمية ، وبالتالى تتحدد الوظيفة والاهداف تحديدا واضحا يمكن أن

يؤدى الى محتوى أفضل ، وعندئذ يصبح معيار النجاح هو التمكن من تلك الاداءات كلها دون الاقتصار على الجانب المعرفى منها .

– التربية الدائمة : أى أن التربية أصبحت حقا للجميع فى أى وقت يشاءون ، وبالقدر المناسب لهم مما يقتضى صيغا تعليمية جديدة موازية للسلم التعليمى النظامى ، على أن تتنوع مجالات التربية فى هذا الاطار بحيث تشمل التربية لشغل أوقات الفراغ والتربية للشيخوخة والتدريب فى اثناء المهنة ، والتربية الاسرية ، والتربية الحياتية ، وتعليم الكبار وغير ذلك .

– تربية المعلم : ان المعلم الكفء يجب ان يتوافر له الاعداد داخل اطار الجامعة ، سواء معلم المرحلة الابتدائية ، أو أى مرحلة أخرى ، حتى يتوافر له قدر مناسب من الاعداد العلمى والثقافى والمهنى يؤهله لممارسة المهنة على أفضل وجه ممكن (٥) ويرتبط بذلك ضرورة مراجعة سياسة القبول فى معاهد وكليات التربية على ان تتضمن تلك المراجعة تحديدا علميا للمواصفات التى يجب توافرها فى معلم المستقبل ، وهنا يصبح شرف المجموع الكلى للدرجات غير ذى معنى .

– العلاقة بين التعليم النظرى والفنى : ان العصر الحديث يتطلب نوعا من التكامل بين هذين النوعين ، فلم يعد من المقبول ذلك الانفصال الصناعى ، ومن ثم لابد من توافر قنوات اتصال بين الاثنين بحيث يكون كل منهما أداة لدعم واثراء الاخر .

وبعد فاننا يجب أن نواجه أنفسنا بصراحة مطلقة وعقلية منفتحة ، وأن نعترف بالسلبيات وهنا تكون بداية البداية .



تعليم الكثرة بمنطق القلة : قضية للحوار

حسان محمد حسان (*)

الدعوة الى « حوار حول التعليم » مطلب أساسى اعتقد – مع كثيرين – انه ضرورة تفرضها متطلبات العصر وتطلعات المستقبل بحكم ان حاضرنا الثقافى التعليمى ملىء بالتناقضات التى تحتاج الى معالجة جذرية ، ومستقبلنا يحتاج الى تغيير كثير مما بداخلنا وحولنا .

والدعوة الى « ديموقراطية وقومية » هذا الحوار شرعية بحكم ان التعليم قضية كل بيت فهو يضم بين مؤسساته ما يزيد عن ٧ مليون مصرى من جهة ، ثم هو استثمار ضخم تأثيره لا يقتصر على حاضر محدود بل يمتد للمستقبل البعيد من جهة أخرى .

ونحن نعلم ان التعليم كنظام ومؤسسة يختلف عن غيره فى أمور عديدة منها :

– ان قضاياه ليست كقضايا الرياضة والطبيعة يعمل بها الاختصاصيون – ولكنها قضية كل مواطن وكل بيت .

– ان انتاجه – ليس كانتاج المصنع أو الحقل تختص به مؤسسة بعينها – ولكنه عامل مشترك فى كل القطاعات والمؤسسات (١) .

– ان تأثيره – ليس كتأثير المنتجات المختلفة يمتد لسنة أو سنوات – ولكنه يمتد لآماد طويلة تحكم عمل المواطن لسنوات عدة (٢) .

(*) مدرس مساعد بكلية التربية جامعة عين شمس .

تأسيسا على ذلك ، فانشغال القطاعات المختلفة بخطط – أو حتى بمجرد مبادىء – التجديد والتقدم والعصرية ، والاصلاح والتطوير والتقدمية ، حراثة فى البحر طالما أن فلسفة التعليم ونظامه ساكنان كما هما .

ولكن هل صحيح أننا أهملنا النظر فى تعليمنا بحيث يصدق اتهام فلسفته ونظامه بالسكون ؟

واقع الامر أننا لم نهمل اعادة النظر فى تعليمنا ، بل اننا نعيد النظر فيه كل عام ، بيد اننا نسير فى طريق مسدود . ففى كل عام تغيير ، بيد أنه محصور فى دائرة المناهج ، ودائرة المناهج تكاد تكون محصورة فى الكتاب المدرسى نحذف منه فصلا ونضيف آخر ، وقد ننزع صفحة ونلصق أخرى . من هنا أزعم اننا نسير فى طريق مسدود ، وما قد يؤكد زعمى الاعتبارات التسعة التالية :

١ – طالما أننا ننظر الى التعليم على انه خدمات ، فستظل النظرة اليه والى ميزانيته كما هى ، رغم أنه أداة أساسية وراء التحرير والتعمير .

٢ – وطالما ان تعليمنا مثقل بمواد واجزاء لا فعالية لها ، سيظل طلابنا غارقين فى برامج نظرية تنقصهم المهارات العملية والقدرة على مواجهة المواقف الحياتية .

٣ – وطالما اننا ننظر الى التقويم النهائى على انه درجات ، سيظل طلابنا ومدرسينا أسرى طرق تدريس تقليدية تنقصها وتنقصهم القدرات الابتكارية .

٤ – وطالما أننا نحترم الدراسة النظرية ، سيظل تعليمنا الفنى – المتوسط والعالى – مثار استهجان قد يصل من البعض الى حد الاحتقار .

٥ – وطالما أننا نقوم الوظائف ورواتبها بالشهادات ، سيظل الاقبال على التعليم العام أكثر من طاقته واكبر من طاقة بعض الملتحقين به .

٦ – وطالما ان الجامعات شبه معزولة عن المؤسسات المجتمعية الموظفة لخريجيها ، سيظل عملها الغالب عليه الاكاديمية الكلاسيكية .

٧ – وطالما ان وزارة التربية والتعليم شبه معزولة عن الجامعات وكليات التربية ، سيظل كل منهما ينتج بضاعة غير مطلوبة كل الطلب .

٨ – وطالما ان كليات التربية منغمسة فى الاعداد المهنى بدون بحث جاد لفلسفة التعليم وموقعها منه ، سيظل عملها تقليديا أو نمطيا .

٩ – وطالما ان كم المتعلمين غالبا ما يؤثر تأثيرا سلبيا على كيفهم ، ستظل قدرة المتعلمين محدودة ومشكوك فى مستواها ومحتواها .

وهكذا عشرات من الاسئلة والقضايا داخل تعليمنا وخارجه تحتاج الى استراتيجية شاملة مسلحة بمناهج وتقنيات عديدة للدراسة : الدراسة العميقة التى يشترك فيها مئات وقد تستمر سنوات ، تبحث موقع التعليم وموقفه وسط سائر القوى والمؤسسات ، وتعالجه من كل الزوايا والابعاد . فلم يعد مقبولا اليوم تناول مناهج التعليم بدون فحص فلسفته ، ولم يعد مقبولا فحص فلسفته بدون تحليل اقتصادياته ، ولم يعد مقبولا تحليل اقتصادياته بدون تقدير مطالب المجتمع واحتياجاته . ولم يعد مقبولا تقدير هذه الاحتياجات بدون تطلع للمستقبل ، ولمطالب العصر وتجاربه الناجحة ، وأخيرا لم يعد مقبولا نقل هذه التجارب بدون تجريب وفحص لها ثم زراعتها فى الموضع السليم .

ومحال فى تعليق موجز كهذا تناول قضايا عديدة ، ومن ثم سأقتصر على واحدة تتبلور فى الشكوى الدائمة من ضغط الكم على الكيف بحيث ان من يقع عليهم فعل التعليم والعاملين فيه والمتعاملين معه يشكون دوما من ان الكم الضخم فى كل المراحل أثر تأثيرا سلبيا واضحا على كيف المتعلمين . مثل هذه الشكوى تحس بها وتسمعها ابتداء من كل مدرسة ابتدائية حتى آخر مرحلة عالية . يشكو مدرس الابتدائى من ضخامة عدد التلاميذ داخل فصله ، ويشكو الاستاذ الجامعى من ضغط عدد طلاب الدراسات العليا العاملين معه . وفى نفس الوقت : يشكو مدرس الابتدائى من ضعف تلاميذه فى أبسط المهارات الاساسية اللازمة لمرحلتهم ، ويشكو الاستاذ الجامعى من ضعف طلابه فى أبسط المهارات الاساسية اللازمة لبحوثهم .. وهكذا ندور فى حلقة مفرغة من الشكوى ، اقترح لها عددا من البدائل :

● **البديل الاول** أن نخفف هذا الكم الهائل بحيث ننتقى الاجود من كل مرحلة لمواصلة المراحل التالية وبهذا نضمن ارتفاع مستوى الكيف .

بيد ان هذا الحل تواجهه عشرات الاعتراضات :

١ – فهل نستطيع وقف الزيادة السكانية الهائلة التى تصل الى مليون طفل سنويا بواقع

طفل كل ٤٠ ثانية على مستوى القطر ? يخص القاهرة منها طفل كل ٣ دقائق ؟

٢ ـ وهل نستطيع تعديل هرمنا السكانى المتميز بقاعدته العريضة من الاطفال والشباب بحيث وصلت نسبة الفئة العمرية من [صفر ـ ١٤ سنة] الى ٤٢ر٧٦ فى المائة من اجمالى السكان ، وهى من أعلى النسب فى العالم ؟

٣ ـ هل نستطيع مواجهة الزيادة الطبيعية فى التدفق بين المراحل ، بحيث وصلت خلال عقد الستينات من ١٦ فى المائة الى ٣٣ فى المائة فى التعليم الثانوى ، وبحيث ارتفع عدد الناجحين فى الثانوية العامة خلال الخمس سنوات الماضية بنسبة ١٥٧ فى المائة ؟

٤ ـ وهل نستطيع الوقوف أمام الطلب الاجتماعى السياسى الاقتصادى على التعليم الذى أصبح حقا قوميا وعالميا من حقوق كل مواطن فى أى مجتمع لا يحرص فقط على مجرد تعليم مواطنيه بل يحرص بالدرجة الاولى على مستقبل وحاضر المجتمع ذاته ؟

٥ ـ وهل نستطيع اغلاق الباب أمام آلاف من الفنيين والاختصاصيين يحتاج وسوف يحتاج اليهم الوطن والامة بأسرها ؟

٦ ـ وهل تستطيع وسائل الانتقاء السيكولوجى التربوى أن تتخلص من تحيزها وتشبعها بثقافة صاحبها وطبقته مهما حاولنا تحييدها وتجريدها ؟

٧ ـ وهل انتقاء المجاميع الاعلى تحل القضية ؟ لقد ارتفع هذا العام الحد الادنى لالتحاق طلبة القسم العلمى بالجامعة ٩ر٤ فى المائة عن العام الماضى مباشرة ، فهل بدأنا فى طريق الحل أم أننا زدنا هستيريا الدروس الخصوصية اشتعالا ، وجعلنا التلميذ ومعلمه وأسرته يندفعون جميعا فى تيار حفظ الكتاب الخارجى باعتباره أقصر طريق للتفوق ؟

ان مثل هذه الاعتراضات ـ وغيرها كثير ـ تجعل البديل الاول مزيلا لا يقدم حلولا جذرية فقد يحرمنا من طاقات هائلة ، وقد يجمد الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية كما هى . من هنا لا بد من بحث عن بديل آخر .

● **البديل الثانى** يحاول المحافظة على تعليم الجماهير كل الجماهير ، وفى نفس الوقت يسعى لرفع كيف هذا التعليم ، ويحمى استثماراته ، ويقلل من نسب الاهدار الكمى والكيفى فيه ، ويجعله اكثر ملاءمة لمطالب المجتمع واحتياجاته . وهذا البديل يهدف الى المحافظة على تعليم الكثرة ، وفى نفس الوقت يشجب الطرق والوسائل الحالية اذ هى وسائل تعليم القلة . بعبارة اخرى ، يفترض أن الكثير من الاختناقات التعليمية التى أشرنا اليها نتيجة ضغط الكم على الكيف واردة من أننا انطلقنا فى تعليم الكثرة بنفس منطق ووسائل تعليم القلة ، ومن هنا حدث الشرخ الذى يتسع يوما عن يوم .

لقد أقبلنا على تعليم الكثرة بنفس منطق ووسائل تعليم القلة : مدرس ، تلميذ ، القاء ، كتاب ، فصل ، صف ، مدرسة ، مرحلة ، امتحان ، شهادة .. الخ . وهكذا تستمر الحلقة ويزداد التناقض .

من هنا فان هذا البديل لا يضحى بتعليم الجماهير كقضية سياسية اجتماعية سكانية ، وفى ذات الوقت لا يضحى بمستوى تعليم الجماهير كقضية اقتصادية تربوية .. بل انه لا يجد تصادما حقيقيا بين الطرفين ، ويفترض ان الصدام ورد عندما غيرنا الجسم الخارجى ولم نغير الالات المحركة والتقنيات الموجودة داخل هذا الجسم ومن ثم حدث القصور الذى نعانى منه .

واذا كان هذا الافتراض سليما فيجب ان نحافظ على فلسفة تعليم الجماهير ، وجزء أساسى من هذه المحافظة ان ندعم ميزانيته وأن نغير من تقنياته ، وان نعدد من مناهجه وطرقه ، وان نعيد تدريب القوى العاملة فيه ، وان نفتح الحلقات بين مراحله ، وان نفتح البيئة عليه ونفتحه على البيئة .

وقد يبدو هذا البديل بديهيا بالنسبة لكثير من الاختصاصيين ، بيد أنه قد غاب بالفعل اثناء حركة تعليمنا ، بحيث اندفعنا بوسائل تقدمية فى معركة غير متكافئة مع الاعداد الضخمة .

هذه النقطة اعتقد أنها تحتاج من كثير من الاختصاصيين فى فروع مختلفة الوقوف عندها ومعالجتها اقتصاديا وهندسيا ونفسيا واجتماعيا وتربويا بحيث يتوصلون للبدائل المناسبة .

كيف نعيد استراتيجية تعليم الكثرة بمنطق يتفق معها يعلم الجماهير كل الجماهير ، وفى نفس الوقت يرفع من كيف هذا التعليم ، ومن ثم يرفع من كيف هذه الجماهير ؟ .

● جمهورية مصر العربية

وزارة جـــــديـدة
وخطــة جـديدة للتنميـــة

● فلســـطين

ضـــرورة تحـديد قــرارات
الامـــــم المتحـــدة

● البرتغـــال

الجمـــاهير تســد الطــريق
أمـــام الثـــورة المضـــادة

● الاتحاد السوفيتى

الموقــف من الثورة الروســية
بعد الموقف من الثورة الفرنسية

●●●

■ تقرير خاص :

الدوافــع الحقيقيــة وراء التهــــديدات
الامريكيــة لــدول البتــــرول العــربى

●●●

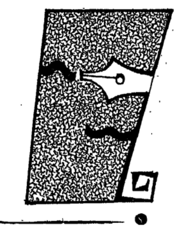
■ رســالة العراق :

أجتمـــــاع أول مجــلس
تشـــريعى فى كردســـتان

■ رســالة تركيا :

حكــومة ائتلافيـــــة .. أم
أنفـــرادبالســـــلطة ؟

تقارير الشهر



نوفمبر
١٩٧٤

■ جمهورية مصر العربية

حديث الســــــــادات والشـــباب عن عبدالناصـــر

لم يغب عن احد من المراقبين ، المغزى العميق الذى قصده الرئيس أنور السادات بخطابه فى الذكرى الرابعة لرحيل جمال عبد الناصر .

« لقد كان عبد الناصر هو المخطط والمفجر لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وطالما بقيت ثورة ٢٣ يوليو ـ وطالما بقيت بذورها التى اثمرت فى أرض بلادنا ـ وطالما ظل عطاؤها والمبادىء التى قامت من أجلها راسخة فى قلوب الجماهير جيلا بعد جيل ـ سوف تبقى ذكرى جمال عبد الناصر حية فى ضمير جماهير هذا الشعب الواعى والوفى ، مهما تعرضت له من محاولات التشويه والحقد » ..

وأعلن الرئيس السادات فى خطابه ان الاختيارات التى اقدمت عليها الثورة ـ واقدم عليها عبدالناصر ـ قد انطلقت من مؤشرات ـ هى الاستقلال والكرامة الوطنية وهى القضاء على الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية ورفض الدخول فى دوائر نفوذ اجنبية مهما ارتدت من ثياب جديدة وان تكون تجربة ثورية وطنية على دراية بكل تجارب العالم .

واكد الرئيس أنور السادات على ان عبد الناصر حين استخدم فى الميثاق تعبير « التطبيق العربى للاشتراكية » لم يكن يستخدم كلمة انشائية بليغة ، بل كان يقصدها حرفيا ـ ان هناك القوانين العامة للاشتراكية التى غايتها الكفاية والعدل وتذويب الفوارق بين الطبقات والقضاء على الامتيازات وصور الاستغلال ـ لكن هناك أسلوبا خاصا بنا فى تطبيقها يستلهم ظروفنا وتراثنا ومصالحنا وموقفنا على خريطة العروبة وخريطة العالم .

واكد الرئيس السادات ان الاتحاد الاشتراكى الذى كان التعبير السياسى عن صيغة التحالف التى ابتكرها جمال عبد الناصر فى اطار تنظيم سياسى واحد مفتوح ـ قد نجح رغم كل السلبيات فى المهمة الاساسية وتم التحول الاجتماعى دون صدام واحد عنيف كما اكد الرئيس أنور السادات ان الظروف الخاصة التى تمر بها بلادنا اليوم مازالت فى حاجة الى هذا التحالف وما يمثله من وحدة وطنية ـ نحتاج اليها الان اكثر من أى وقت مضى .

وقال الرئيس السادات ان تطلعات الجماهير قد زادت بعد انتصار اكتوبر وان من حقها المشروع أن تزيد وان تطالب بحريات أوسع ولذلك يتعين تطوير الاتحاد الاشتراكى ودفعه على طريق الديمقراطية خطوات اخرى جديدة .

واكد الرئيس عزمه على ان تتسع سبل الحرية امام جماهير شعبنا يوما بعد يوم ولا تضيق ـ واعلن عن عزمه ان يظل مسئولا ان لا يكبت رأى ولا يقهر فكر طالما كان التعبير عنه من خلال المؤسسة الشرعية فى اطار من سيادة القانون .

وانتقد الرئيس السادات اسلوب الحوار حول تطوير الاتحاد الاشتراكى والذى بدا فيه ان ورقة الحوار لم تكن محور النقاش وان القضايا المطروحة فى الورقة مثل قضية تعدد المنابر والاتجاهات داخل اطار التحالف وبالتالى حق كل الاراء فى التعبير عن نفسها بوضوح ـ مثل هذه القضايا لم يتناولها الحوار ولم يقدم شيئا حول اساليب وضعها فى التطبيق .

● ● ● ●

واحتفالا بالذكرى الرابعة للزعيم الراحل . كان اتحاد طلاب جامعة عين شمس قد نظم « **لقاء ناصر الفكرى الرابع** » . واشترك فى اجتماعاته وندواته نحو ثلاثة الاف طالب الى جانب وفود طلابية من البلدان العربية .

■ شريط الاخبار ■

■ اصدرت نقابة العاملين فى مجال البترول بالكويت ، بيانا ردت فيه على مزاعم واكاذيب شركة البترول الامريكية البريطانية جاء فيه : ان الشركة قامت بامتصاص عرق وجهود العمال منذ تشوئها وحتى ظهور الحركة النقابية فى نهاية ١٩٦٤ . وهى لاتعترف بحقوق العمال او تمنحهم زيادة الامرغمة وبقوة العمال وتضامنهم . كما ان الشركة ترتكب مخالفات خطيرة بالتغاضى عن تطبيق القوانين التى تشرعها الدولة . مثل موضوع العلاوة الاجتماعية التى صدر الامر بصرفها فى ابريل ١٩٦٧ ، ولم تنفذها الشركة الا فى عام ١٩٧٣ ، وايضا الزيادة العامة التى امرت الدولة بها ولم تنفذ الا بعد تهديد العمال بالاضراب .

وقال البيان : اننا نتوجه لجميع العاملين بالشركة مذكرين اياهم بحقنا فى العلاوة الكاملة ، وسنبقى جميعا حريصين على هذا الحل متضامنين لتحصيله . فالى مزيد من الوعى والتضامن ندعوكم .

■ شريط الاخبار ■

■ قررت اللجنة الوطنية التى أمر الرئيس بومدين بتشكيلها فى الجزائر الغاء كافة الانظمة والتشريعات القانونية منذ عهد الاستعمار الفرنسى والمطبقة حاليا فى الجزائر ، وتعكف اللجنة حاليا على اعداد قوانين وأنظمة وتشريعات ولوائح جديدة تتلاءم مع روح الثورة الجزائرية .

وتضمن جدول اعمال اللقا ء أربعة ندوات رئيسية حول القضايا التالية :

١ — مستقبل تحالف قوى الشعب العامل والاتحاد الاشتراكى .
٢ — مستقبل التحول الاشتراكى فى ضوء سياسة الانفتاح .
٣ — مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى بعد ٦ اكتوبر .
٤ — دور الشباب فى ثورة ٢٣ يوليو .

وقدم النادى السياسى والثقافى لطلاب جامعة عين شمس — مجموعة دراسات عن القضايا المطروحة — كما اعدت لكل قضية ورقة نقاش — واشترك فى الندوات الطلابية الامين الاول للاتحاد الاشتراكى ووزير الاعلام وبعض الوزراء ونائب وزير الشباب . واشتركوا فى اعمال اللقاء واجابوا على اسئلة الطلاب حول الموضوعات المثارة .

■ مجلس الشعب

لا عودة .. لحالة اللاسلم واللاحرب

فى خطابه أمام مجلس الشعب ، اعلن الرئيس **أنور السادات** فى ذكرى مرور سنة على العملية العسكرية « بدر » — مرور سنة على العبور — مرور سنة على حرب اكتوبر المجيد .. سوف تظل أبد الدهر أعز ما حفل به تاريخنا من ذكريات » .

وأعلن الرئيس أنور السادات انه لم يكن الاهم فى الحسابات التى وضعناها للمعركة رسم كيلومتر من الارض نحررها — **كان تحطيم نظرية الامن الاسرائيلية أهم من تحطيم خط بارليف** — وكان اجتياز عدم ثقة العالم بنا وبكلامنا وبقدرتنا على العمل ، أهم من اجتياز القناة !!

وبعد أن عدد الرئيس السادات النتائج السياسية والعسكرية والاقتصادية لحرب اكتوبر — ركز على نقطتين أولهما تضاعف دخول الدول العربية البترولية عدة مرات وتغير وضعنا الدولى كله وفضح الحملة الشرسة التى تقودها الامبريالية والتى تحاول أن تجعل قضية المال العربى هى السبب فى كل ما يواجهه العالم من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية .

وثانيهما أن القضية الفلسطينية بوصفها جوهر المشكلة قد أخذت مسارا جديدا — وقد صار هناك لاول مرة اعتراف واقعى عالمى بأن هناك شعبا فلسطينيا له حقوق مشروعة لابد من تلبيتها — كذلك صار هناك ما يشبه الاعتراف الواقعى فى العالم بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى التجسيد الحى للشعب الفلسطينى . وهى المعبرة عن ارادته .

وأعلن الرئيس السادات فى خطابه « نحن نريد سلاما عادلا فى المنطقة وهو أمر لابد له من الانسحاب الكامل من كافة الاراضى العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . اننا نصبر ونصابر — ولكن **لا عودة مطلقا** لما كان قبل اكتوبر من حالة اللاسلم واللا حرب » .

ووسط حشد من مئات الالوف من الجماهير جرى عرض عسكرى كبير ظهرت فيه أنواع عديدة من الاسلحة من بينها أحدث أنواع الصواريخ وأعقدها — صواريخ أرض جو — والصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ البحرية وصواريخ الدفاع الجوى والصواريخ أرض — أرض عابرة سينا الى جانب عشرات من الطائرات — كما ظهر فى العرض ١٠٧ دبابة ومدرعة للعدو من التى استولت عليها قواتنا المسلحة خلال معارك اكتوبر .

وأعلن المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة — جزءا من الوثيقة التى أصدرها الرئيس السادات جاء فيه « أن الهدف الاستراتيجى الذى أتحمل المسئولية السياسية فى اعطائه للقوات المسلحة

المصرية على أساس كل ما سمعت وعرفت من أوضاع الاستعداد تتلخص فيما يلي : تحدى نظرية الامن الاسرائيلي وذلك عن طريق عمل عسكرى حسب امكانيات القوات المسلحة يكون هدفه الحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو واقناعه بان مواصلة احتلاله لاراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه .
واذا استطعنا بنجاح أن نتحدى نظرية الامن الاسرائيلي فان ذلك سوف يؤدى الى نتائج محققة فى المدى القريب والمدى البعيد » .
واعلن المشير أحمد اسماعيل : « لقد بدانا منذ أول يوم لايقاف اطلاق النار فى تطوير قواتنا المسلحة مستفيدين من دروس معارك اكتوبر ومن الخبرات القتالية التى تحققت أثناءها .
واكد المشير أحمد اسماعيل أن القوات المسلحة أصبحت الان أكثر قدرة واستعدادا عما كانت عليه قبلحرب أكتوبر . ونحن اليوم على ثقة أشد وايمان أعظم بقدرتنا على تحقيق نظر أعظم واضخم اذا ما تقرر استئناف القتال » .
وفى كل المحافظات جرت مهرجانات فنية وادبية ومواكب زهور احتفالا بالذكرى المجيدة — كان أبرزها مهرجان شباب مصر باستاد ناصر الذى اشترك فيه نحو ٨٢ الف شاب وفتاة يمثلون العمال والفلاحين والشرطة والقوات المسلحة والطلبة والكشافة والمرشدات . وشهد لحظة افتتاحه وصول نحو ألف شعلة كان قد بدأت مسيرتها فى مختلف المحافظات الى الاستاد .
وقد عبرت الرسوم واللوحات الخلفية والحركية عن ملاحم القتال والعمل والبناء تطبيقا لشعار « يد تبنى ويد تمسك السلاح » .

المعركة لم تنته

افتتح مجلس الشعب دورته الجديدة فى الثالث والعشرين من اكتوبر حيث انتخب المهندس **سيد مرعى** رئيسا لمجلس الشعب بأغلبية ٢٧٨ صوتا فى مقابل ٣٣ صوتا لمنافسه الدكتور محمود القاضى . وأعيد انتخاب الوكيلين الدكتور جمال العطيفى [فئات] والدكتور السيد على السيد [عمال] .
وأمام مجلس الشعب القى **الرئيس أنور السادات** خطابا هاما ، اكد فيه على : « ان المعركة مازالت قائمة . وهذه هى الحقيقة الاولى والكبرى التى لابد ان نذكرها دائما ونحن نعالج كل أمر من امورنا » .
وقد أعلن **الرئيس السادات** فىخطابه أن العبء الاكبر فى معركة العرب المصيرية مازالت مصر تتحمله : « ... **فالسلاح لا يتساقط مطرا علينا ، واذا كان الاخوة العرب يساعدون فى هذا المجال مشكورين ، الا انه يجب أن نعلم ويعلم أيضا اخواننا العرب ، ان الجزء الاكبر من العبء مازلنا ندفعه نحن من عرقنا وكدحنا وحرماننا بما يعادل ثلث الدخل القومى للبلاد . واننا نفعل ذلك اداء لواجب اسمى نحو انفسنا ونحو الامة العربية جميعا** » .
ووضع الرئيس امام الحكومة برنامجا من ست نقاط :
« **أولا** : ان لا تكف الوزارة عن وضع مرافق الدولة ووضع المواطنين فى موضع الاستعداد المستمر للقتال ، لان المعركة لم تنته بعد وان يكون هذا فى حساب الدولة والشعب على الدوام » .
« **ثانيا** : ان تعمل الوزارة بهدى من ورقة اكتوبر التى اقرها الشعب فى استفتاء عام والتى حددت معالم الطريق للعمل الوطنى فى المرحلة المقبلة .
« **ثالثا** : ان نركز على تنفيذ خطة العبور الثانى خطة التنمية القصيرة الاجل بعد اقرارها من مجلس الشعب وفى المواعيد المحددة لها دون تأخير .
« **رابعا** : ان تضع الوزارة سياسة الانفتاح كاملة موضع التطبيق دون قيد سوى ان يؤدى المواطن للدولة حقها الذى تنص عليها القوانين فيقترن توفير الحافز باقرار الواجب المترتب عليه .

« خامسا : ان تهتم الوزارة الى جانب توفير متطلبات المعــركة بتجنيب شعبنا قدر الطاقة موجة الغلاء العالمية .

« سادسا : اننا ونحن نطلق الحريات وندعو الى الانفتاح لابد ان يكون للقانون هيبته، وللمال العام حرمته، وللمرافق والخدمات نزاهتها ، وهذا يتطلب من الوزارة ان تؤكد دائما على الطهارة الثورية شرطا لتحمــل المسئوليــة ومزاولة اى نشاط ، فلا يكون هناك انحراف او استغلال غير مشروع . وذلك بترشيد الاجهزة ، وتوحيد جهات الرقابة .والاخذ بالسرعة والحزم فى الثواب والعقاب معا » .

وفى حديثه عن الاستقرار الســياسي ــ قال الرئيــس : « ان لدينـــا تحالف قوى الشعب العاملة ، والافكار التى طرحتها فى ورقة التطوير ،ولدينا المؤسسات الدستورية الاخرى من مجلسكم الموقر اى الاتحاد الاشتراكى الى النقابات العمالية والمهنية ، الى الاتحادات الطلابية وغيرها .. لدينا هــذه المجالات كلها لاجراء الحوار ومناقشة هموم البلاد فيها بغير قيد ، الا عدم تخطى هذه المؤسسات او الغاء دورها » .

واختتم الرئيس حديثه ــ معلنا ــ ان مصر وهى تذهب الى مؤتمر القمة: « لن ننزل عن مستوى مسئوليتنا القومية فى بعدها الشامل والنهائي. ولكننا لن ننكص عن حركة تدفع قضيتنا القومية الى الامام . هذا هو المنطق الذى تحركنا به وثبتت صحته وهو ما ننوى المضى فيه . وسلاحنا دائما معنا ، لن نلقيه حتى تسترد الحقوق كافة » .

واضاف قائلا : « سنذهب الى القمة حاملين سلاحنا وتضحياتنا وانجازاتنا .. حاملين جهدنا الدائب لوحدة الصف العربي ولتحقيق هدف قومية المواجهة بعد قومية المعركة .. حاملين صراحتنا الكاملة ازاء موقف لا يحتمل المناورات أو الانشغال بالقضايا الجزئية ، وحاملين قلبا مفتوحا للجميع ، ومؤمنا بالحق العربى فى شموله ، وواثقا فى المستقبل العربى وقدرته على تجاوز الصغائر والخلافات » .

وزارة جـــديدة وخطــة جديدة للتنمية

انتهت الحكومة من اعداد الخطة الانتقالية للتنمية ــ لمدة ثمانيــة عشر شهرا تنتهى فى نهاية عام ١٩٧٥ ــ وهى الخطــة التى دعا الرئيــس أنور الســادات لان تكون خطة عبور اقتصادى .

ووصف الدكتور « **اسماعيل صبرى عبد الله** » وزير التخطيط ، الخطــة الانتقالية التى تم وضعها ــ بأنها خطة انتقال من اقتصاد حكمتــه ظــروف معركة التحرير، الى اقتصاد تحكمه فى الاساس معركة التنمية والبناء ، مع عدم اهمال حقيقة ان المعركة لم تنته ، وان تجدد القتال قائم .

واوضح وزير التخطيط ان الهدف من وضع الخطة الانتقالية هو تهيئــة الاقتصاد المصرى فى افضل صورة ممكنة يدخل بهـــا الى الخطـــة الخمسية الشاملة [١٩٧٦ ــ ١٩٨٠] ــ الى جانب الحاجة الماسة لهــذه الفترة من الوقت لوضع الخطة الخمسية نفســـها ــ التى بدأت الاجهــزة المختلفة فى الاعداد لهـــا .

وعلى ضوء هذا فان اعتمادات الطوارىء بقيت عند الحدود القصــوى لعام ١٩٧٤ أن لم تزد قليلا ، بينما بلغت الاســتثمارات المخصصــة للتعمير نحو ٢٣٠ مليون جنيه ، وهو ما يعادل ٢٦ ٪ من استثمارات عام ١٩٧٥ . ــ ذلك لان الخطة تنظر الى تعمير منطقة قناة السـويس على انه ليس اعادة

بناء لما تهدم او ترميم ما اصيب — وانما هو تعمير للمنطقة التى تحملت اكثر من غيرها نتائج العدوان الاسرائيلي — ولذلك فان البنـاء سيكون اقتصاديا واجتماعيا ، وسيمتد من المساكن الى المرافق الى المصالح والمنشـآت الاقتصادية اللازمة لحل مشكلة مليون مهجر يتعين عودتهم الى مواطنهم .

وتهتم الخطة الانتقالية ، بالانتاج ، باعتباره الحل الاساسى لمشاكلنا مع عدم اغفال الخدمات ، والاولويات التى حكمت الخطة تتضمن العمل على استكمال المشروعات التى قطعت شوطا كبيرا فى التنفيذ — والقيام بعمليات الاحلال والتجديد وتشغيل الطاقات العاطلة بالاضافة الىتوجيه الاستثمارات الى المشروعات الجديدة ذات الطبيعة الاستراتيجية التى يتوفر لها اعتمادات من النقد الاجنبى .

وقد تم حصر جميع المشروعات الجديدة وبلغ مجموعها ۲۱۰ مشروعا — وتمت دراسة كل مشروع من حيث تكلفته الكلية وما تم تنفيذه حتى نهاية عام ۱۹۷۳ ، والمتوقع تنفيذه حتى آخـر عام ۷٤ ، والاستـثمارات المطلوبة لنهاية عام ۱۹۷٥ والنتائج المتوقعـة لهـذا الاسـتثمار حتى تعطى الاولوية للمشروعات التى ستحقق انتاجا مؤكدا ومؤثرا فى نهاية عام ۱۹۷٥ او اوائل عام ۷٦ على الاكثر .

وقد اعلن ان اجمالى الاستثمارات فى خطـة التنمية الانتقاليـة تبلغ ۱٦۳۰ مليون جنيه وذلك لمدة ثمانية عشر شهرا ابتداء من يوليو ۱۹۷٤ وحتى ديسمبر ۱۹۷٥ بمتوسط انفاق استثمارى شهرى يبلغ ۹۰ مليون جنيه ، وتبلغ جملة الاستثمارات المخصصة للستة شهور الثانية فى عام ۱۹۷٤ [يوليـو ديسمبر] تبلغ ٤٥۰ مليون جنيه ، مقابل ۳٦۰ مليون جنيه للنصف الاول من عام ۱۹۷٤ .

وتبلغ اجمالى الاستثمارات المخصصة لعام ۱۹۷٥ مبلغ ۱۱۸۰ مليـون جنيه منها الف مليون استثمارات للقطاع العام ، والباقى استثمارات قطـاع خاص مصرية وعربية واجنبية .

واعلن وزير التخطيط ان حجم الاستثمارات لعـام ۱۹۷٥ سيؤدى الى انتاج قومى قيمته ۷۹۰۰ مليون جنيه مقابل ۷۰۸۱ مليـونا فى عام ۱۹۷٤، بزيادة قدرها ۱۱٫۷ فى المائة بالاسعار الجارية — كما سيبلغ الناتج المحلى ۲۹۰۰ مليون جنيه ، مقابل ۲٦۰۰ مليون فى عام ۱۹۷٤ بمعدل نمو قدره ۹٪ بالاسعار الجارية .

ويتضح من بعض الارقام المتاحة ان استثمارات الاسكان مقدرة بنحـو مائة مليون جنيه منها ٦۰ مليونا للقطاع العام ، وكان له فى العام الحالى ۳۰ مليونا أى بزيادة قدرها ۱۰۰ ٪ ، وللقطاع الخاص ٤۰ مليونا بدلا من ۳۰ مليونا . وارتفعت استثمارات البترول الى ۱٦۰ مليونا بسبب اقبال الشركات العالمية على الاستثمار فى هذا القطاع فى بلادنا ، ويحظى قطـاع الصناعة بمبلغ ۱٦۰ مليونا ، أما القطاع الزراعى واستصلاح الاراضى فاستثماراته بلغت ۸٦ مليون جنيه .

واستثمارات القطاع الخاص تصل الى ۱۰٤ ملايين منهـا ٥٤ مليونا استثمارات اجنبية مستقلة بمشروعاتها ، و ۲۲٫٥ مليون استثمارات اجنبية تمثل الاشتراك برأس المال الاجنبى مع رأس المال المصرى ، او قطـاع عام مصرى ،ومعظمها يدور فىمجالات الاسكان والسياحة والصناعاتالصغيرة.

وسوف تتيح الخطة الانتقالية ۳٥۰ الف فرصة عمل جديدة ، وينتظر ان يزيد خلالها حجم الاجور الموزعة بمقدار ۱۹٦ مليون جنيه .

هذا وقد ارتبط الانتاج من اعداد الخطة بشكلها النهائى بتشكيل حكومة جديدة برئاسة الدكتور **عبد العزيز حجازى** بعد ان كان الرئيس السـادات يتولى بنفسه رئاسة الحكومة لعدة سنوات .

وقد كان تكليف الدكتور حجازى بتشكيل الحكومة الجديدة « بعد أن من الله علينا بالنصر فى حرب اكتوبر وعرفنا طريقنا الى حل قضية العـدوان

■ شريط الاخبار ■

■ طالب عبد الله الطريقى الخبير البترولى العربى مؤخرا بانشاء صندوق عربى دولى للتنمية والبناء من الفائض النقدى العربى . وقال أن الهدف منه يجب ان يكون بنـاء الوطن العربى ، وتنمية موارده الطبيعية واقترح تخصيص ½ الايرادات لمساعدة الدول الاسلامية و ½ آخر يستثمرفىصندوق النقد الدولى من اجل مساعدة الدول النامية والفقيرة .

وأوضح الطريقى انه لا يعتبر الاستثمارات العربية التى تقدر بـ ۱٥ مليار دولار فيهامن لو استثمرت فى مشروعات صناعية أو فى عملية شراء عقارات فى الولايات المتحدة واوربا الغربية ، اذ يستطيع الغرب ايجاد أو اختلاق الحجج لفرض الحراسةعلى رؤوس الاموال العربية أو تجميدها .

وأبرز اهمية تنمية الزراعة فى مصر وسوريا والعراق والجزائر والمغرب وعالدها مما سوف يتيح الفرصة ليس فقط لتغطية احتياجات الدول العربية، ولكن أيضا المساهمة فى التخفيف من النقص العالمى فى المنتجات الغذائية ، ودعا الى ابقاء سعر البترول على مستواه الحالى حتى تخفض الولايـات المتحدة أسعار منتجاتها الزراعية .

بالسلم أو الحرب وبعد ان اقر الشعب ورقة اكتوبر التى حـددت اهدافـه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ـ وبعد ان بدأنا فى تطبيق سياسـة الانفتاح الاقتصادى فى اطار مبادئنا السياسية الاساسية من جهة ،وادراكنا للمتغيرات الدولية من جهة اخرى ، وبعد أن تم وضع الخطة العاجلة للتنمية وبدأنا بالفعل مهمات التغيير الكبرى » .

كما حدد الرئيس أنور السـادات فى خطاب التكليف بتشكيل الوزارة ـ ستة أهداف أمام الحكومة الجديدة وطالبها بالعمل على تحقيقها :

١ ـ عدم الكف عن وضع مرافق البلاد والمواطنين فى موضع الاستعداد المستمر للقتال ، ـ فالمعركة لم تنته بعد ـ وان تراعى هذه المسألة فى كل الظروف وعند اتخاذ أى قرار .

٢ ـ ان تعمل الوزارة بهدى من ورقة اكتوبر التى اقرهـا الشعب فى استفتاء عام .

٣ ـ التركيز على تنفيذ خطة التنمية القصيرة الاجل التى تم وضعها بعد اقرارها من مجلس الشعب وازالة المعوقات الادارية والمحاسبة بحزم عن أى تقصير .

٤ ـ وضع سياسة الانفتاح كاملة موضع التطبيق .

٥ ـ الى جانب توفير متطلبات المعركة ، فلابد من العمل على تجنيب الشعب قدر الطاقة وطأة موجة الغلاء العالمية .

٦ ـ الحرص على هيبة القانون ، وحرمة المال العام ، ونزاهة المرافق والخدمات ، والتأكيد على الطهارة الثورية ، وجعلها شرطا لتحمل المسئولية ومزاولة أى نشـاط .

وتعهد الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء فى خطابه للرئيـس السادات ،بالالتزام بالاهداف التىحددتها وثيقة اكتوبر مناجل التقدموالبناء.

وأكد الدكتور حجازى على ان الوزارة تعى تماما ان الخطة الانتقاليـة هى بمثابة تعاقد بين الوزارة وبين الرئيس السـادات وبين الشعب ، وان تنفيذ هذه الخطة بكل الدقة وبكل الاستشعار بالمسئولية أمام الرئيس وامام الشعب ـ لهو التحدى الاساسى امام هذه الوزارة .

وعبر رئيس الوزراء عن ادراكه بأن الموجة العاتية من ارتفاع الاسعار التى تجتاح العالم وترهق الشعوب كلها ارهاقا شديدا ـ قد اصابت بدورها شعبنا الصابر الذى ارهقته السنون الطويلة » .

وأكد الدكتور حجازى على ان الوزارة ستبذل قصارى الجهد والطاقة من أجل كسر حدة هذه الموجة العاتية من التضخم وارتفاع الاسعار وان الحكومة لن تألوا جهدا فى هذا السبيل ـ ولن تترك فرصة لمتلاعب باقوات الشعب أو محاولا لاستغلاله ـ ولن تأخذنا بواحد رحمة أو شفقة .

● ● ● ●

وبالرغم من أن اربعة أسـابيع فترة غير كافية للحـكم الا أن المراقبين قد لاحظوا مؤشرات هامة فى عمل الوزارة :

١ ـ التحرك الواسـع لرئيس الوزراء الدكتور عبد العزيز حجازى فى اتجاه المشاركة فى المؤتمرات السياسـية للشـباب والطـلاب والعمـال والصحفيين ، وتوجيهه أحاديث للمواطنين بواسطة أجهزة الاعلام .

وخلال مشاركته فى الحوار ورده على الاسئلة ، كانت آراؤه واضحة ومحددة فى الدفاع عن ثورة ٢٣ يوليو ومنجزاتها ، والاصرار على التمسـك بمكتسبات العمال والفلاحين ـ ورفض كل المحاولات التى تحاول النفاذ من خلال اثارة قضايا الديمقراطية والانفتاح ـ الى الاطاحة بثورة ٢٣ يوليـو نفسها .

ومن ناحية اخرى استخدم رئيس الوزراء اسلوب طرح المشاكلبابعادها ـ أمام المواطنين وتبصيرهم بالصعوبات ومساءلتهم عن المساهمة فى انجاح الحلول المقترحة وبشكل خاص ترشيد الاستهلاك .

■ شريط الاخبار ■

وقد ادى هذا الاسلوب بشقيه الى التخفيف من حالة البلبلة السائدة فى صفوف الجماهير .

٢ – تكشف الجهود التي تبذلها الحكومة واتجاه عملها – على ان الحكومة تدرك أن التحدى الاكبر لها يكمن فى مشكلة الغلاء وتخفيف أعباء المعيشة عن المواطنين .

وقد اكد الدكتور حجازى أمام مجلس الشعب ان الحكومة – ادراكا منها لما يعانيه الكادحون من ابناء الشعب والتزاما بخطاب تكليفها تعطى الاولوية الاولى لقضية التخفيف من وطأة الغلاء العالمى على أبناء الشعب ، وخاصة محدودى الدخل – بحيث تتوافر السلع الاساسية والغذائية بالذات بشكل يكسر حدة الغلاء ويحول دون الارتفاع .

وانطلاقا من هذا الاتجاه – بدأت فور تشكيل الحكومة الجديدة دراسة شاملة لاسعار السلع – بهدف تثبيت اسعار بعضها ، وتخفيض البعض الاخر الذى ارتفع بشكل مصطنع .

كما تجرى أيضا دراسة لمحاولة اعادة تنظيم مصادر انتاج المواد الغذائية والتموينية وتنظيم توزيعها ، للقضاء على الاختناقات والوسطاء ، وبحيث تصل من المصنع للمستهلك ، وقد أعلن فعلا عن تخفيض ١٠ ٪ من أسعار الاحذية وكذلك الامر بالنسبة للملابس الشعبية .

وتم التعاقد على استيراد سلع تموينية قيمتها ٢٠٠ مليون دولار لتكوين مخزون استراتيجى – يغطى احتياجات الدولة من السلع الرئيسية وقد بدأ وصول كميات منها بالفعل .

وعلى ضوء خبرة السنوات الماضية ، فان كل الاجراءات التى يمكن ان تتخذ لتخفيف حدة الغلاء – لن تؤتى ثمارها وفعاليتها ما لم تتم وباصرار ، انجاز اهداف خطة التنمية الانتقالية ومضاعفة الجهد لتعويض الفترة التى مضت قبل اقرارها .

□□□

■ فلسطين

ضرورة تحديد قرارات الامم المتحدة

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة فى الرابع عشر من اكتوبر الماضي باغلبية ١٠٥ أصوات ضد ٤ أصوات هى اسرائيل والولايات المتحدة وبوليفيا والدومينيكان على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، للاشتراك فى مناقشة القضية الفلسطينية أمام المنظمة الدولية .

وكانت مجموعة الدول العربية والدول الاشتراكية وبعض دول عدم الانحياز . من بينها **كوبا والهند ويوغوسلافيا** ، قد تقدمت الى الجمعية العامة للامم المتحدة فى شهر سبتمبر الماضي ، بطلب ادراج مناقشة القضية الفلسطينية أمام الامم المتحدة فى الدورة الحالية التاسعة والعشرين ، بصفة مستقلة عن أزمة الشرق الاوسط . وقد وافقت الجمعية العامة على طلب الادراج فيما عدا اسرائيل ، واعتبر الطلب الذى تقدمت به الـ ٥٥ دولة كاف لادراج القضية دون حاجة الى أخذ الاصوات .. وقد شجع قبول ادراج القضية فى جدول أعمال الجمعية العامة للامم المتحدة الدول العربية والصديقة على التقدم بعد ذلك باقتراح دعوة منظمة تحرير فلسطين كممثل شرعى

■ وجه ياسر عسكرى عضو القيادة القومية لحزب البعث السورى رسالة الى سكرتير عام مجلس السلام العالمى باسم اللجنة التنفيذية لمجلس أنصار السلام فى سوريا قال فيها : ان الاسقف هيلاريون كابوتشى مطران القدس يعيش فى ظروف غير انسانية فى السجن لان جريمته الوحيدة هى معارضة الاحتلال وتهويد المدينة المقدسة .

ووجه ياسر عسكرى فى رسالته انتباه قوى السلام وحركات التحرر فى العالم الى الاساليب النازية التى تستخدمها السلطات الصهيونية ضد الاسقف كابوتشى وحث هذه القوى على اتخاذ الاجراءات اللازمة لاطلاق سراح الاسقف على الفور وصيانة كرامته الدينية .

وحيد للشعب الفلسطيني للاشتراك في مناقشة القضية أمام المنظمة الدولية.
وقد كشفت تطورات عرض القضية الفلسطينية على المنظمة الدولية ،عن دور الولايات المتحدة المزدوج ، والتظاهر أمام مجموعة البلدان العربية بالموافقة على ادخال منظمة التحرير الفلسطينية الى الامم المتحدة دون التصويت على مشروع القرار ، بينما عمدت من ناحية اخرى الى ممارسة الضغوط على البلدان الاخرى ، لمنع اصدار قرار أو لتأجيل عرض القضية الفلسطينية الى العام القادم . وقد فطنت مجموعة الدول العربية وبخاصة مصر وسوريا الى ذلك ، ووضعت خطة مضادة للمناورة الامريكية ، واصرت على أن يأتي قرار الجمعية العامة بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية عن طريق التصويت .

وقد جاءت نتيجة التصويت على مشروع القرار هزيمة كبيرة لدبلوماسية اسرائيل والولايات المتحدة ، وفشلهما في منع اشتراك المثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني في أية تسوية للازمة ، كما كانت بمثابة نصر سياسي واعتراف من المنظمة العالمية بكفاح الشعب الفلسطيني من أجل استرداد حقوقه المشروعة .

واليوم تعود قضية فلسطين الى الجمعية العامة للامم المتحدة ، بعد غياب حوالي ٢٥ عاما ، كان ينظر خلالها اليها كقضية لاجئين ، لا كقضية سياسية . قضية تحرر وطني وحق تقرير مصير لشعب مطرود من وطنه . كما تعود الى الامم المتحدة بعد ان تغير ميزان القوى الدولية في غير صالح اسرائيل والولايات المتحدة والدول الغربية .

ان عرض القضية الفلسطينية في هذه المرحلة له مغزاه السياسي ،بعد ان اكتسبت القضية الفلسطينية مكانة مرموقة على الصعيد العالمي ، وتزايد التضامن مع الشعب الفلسطيني في معظم انحاء العالم وتحقق اعتراف عالمي واسع بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . كما يعود الفضل في هذه المكانة التي تحتلها القضية الفلسطينية ، الى الفلسطينيين انفسهم ، الذين حملوا السلاح وناضلوا في سبيل حقوقهم المغتصبة .

ان الغرض الاساسي من عرض القضية الفلسطينية على الامم المتحدة كما يراه القادة الفلسطينيون في منظمة التحرير الفلسطينية ، **هو استخدام منبر المنظمة الدولية من اجل الحصول على تفسير جديد أكثر تحديدا لقرارات الامم المتحدة السابقة ، بشأن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، واجلاء الغموض الذي علق بالقرار رقم ٢٤٢ ، وحق الشعب الفلسطيني الشرعي في تقرير مصيره بنفسه وعلى أرضه .** وهذا الحق ينص عليه وتتضمنه كل مواثيق الامم المتحدة والمعاهدات الدولية ، واوضح القادة الفلسطينيون ايضا ان القوة التنفيذية القادرة سوف تظل في ايدي العرب طالما كانوا جادين في سعيهم لفرض الحقائق السياسية في منطقة الشرق الاوسط .

وليس هناك ثمة خلاف بين المراقبين ، حول اهمية الانتصار السياسي الذي حققته القضية الفلسطينية ، واضفاء الشرعية الدولية على كفاح الشعب الفلسطيني ، وهم لا يعتبرون هذا الكسب سوى بداية لمرحلة شاقة وعنيفة تنتظر النضال الفلسطيني، بعد ماأخذت تتضح الان ولاول مرة منذ ما يزيد على ربع قرن امكانية حقيقية لتسوية المشكلة الفلسطينية بما يتفق مع مصالح الشعب الفلسطيني . ويرى عديد من المراقبين التقدميين العرب انه ينبغي من اجل تحقيق الهدف تدعيم وحدة الشعب الفلسطيني نفسه ، وتدعيم التحالف بين حركة المقاومة الفلسطينية وحركة نضال الشعوب العربية ، وتحالفه مع البلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، الحليف الاستراتيجي لحركة التحرر الوطني العربية .

■ شريط الاخبار ■

■ اعترفت صحيفة « يديعوت أحرونوت » الاسرائيلية ، أن عدد المعتقلين الفلسطينيين في سجون اسرائيل بلغ ٣٤٣٤ منهم ٢٤٧٤ اعتقلوا في المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، والباقي من الفلسطينيين في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .

■ بريطـــانيا

■شريط الاخبـار ■

حزب العمال .. بين الطريق المسدود وتخطى الأزمـــة الاقتصـــادية

اسفرت الانتخابات التى أجريت فىبريطانيا فى ١٠ أكتوبر الماضى عن فوز حزب العمال بالاغلبية المطلقة للمقاعد فى مجلس العموم ٠ ولئن كانت تلك النتيجة قد حولت حكومة العمال من حكومة اقلية لا تستند على أغلبية الاصوات التى كان يملكها تحالف المحافظين والاحرار والاحزاب الاخرى الصغيرة فى البرلمان السابق ، الا أن الاغلبية المحدودة التى حصلت عليها والتى تتعدى الاغلبية المطلقة بالكاد ، لا تساعد على اتاحة الفرصة لحكم ثابت مستقر يساعد الحكومة العمالية على تنفيذ برنامجهاالانتخابى ،ويتيح لها مساندة مستقرة فى البرلمان ، وهو ما كانت تصبو اليه حكومة العمال من اجراء الانتخابات ٠ فمازالت المعارضة تتمتع بثقل كبير داخل البرلمان مما يسمح لها بعرقلة سياسة حكومة **هارولد ويلسون** الامر الذى يجبر حكومة العمال على أن تتحرك وهى تضع فى اعتبارها الاغلبية المحدودة للغاية التى تستند اليها ، وهى تواجه مهاما صعبة ومعقدة لاثار أخطر أزمة واجهت اقتصاد بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وخلال السنوات العشر الماضية لم يستطع المحافظون أو العمال وقف زحف الازمة الاقتصادية وتفاقم التضخم بصورة خطيرة : فالاسعار ترتفع بمعدل يبلغ ١٨ فى المائة سنويا ، وتواجه البلاد عجزا فى ميزان المدفوعات يبلغ ٤٠٠٠ مليون جنيه استرلينى ، وتتزايد البطالة ليقترب عدد العاطلين من المليون ، كما أعلنت حوالى ٣٠٠٠ شركة افلاسها خلال العام الاخير ٠

وترجع الصعوبات الاقتصادية التى تعانى منها بريطانيا اليوم والتى تؤثر فى المحل الاول على مستوى معيشةالجماهير الىالعمليات الموضوعية التى تجرى فى العالم الرأسمالى من ناحية ، والى اصرار الدوائر الاحتكارية الحاكمة فى بريطانيا على « مطامحها العالمية » المرتبطة بالنزعة الفيكتورية٠ وتنعكس تلك المطامح فى محاولاتها اليائسة للاحتفاظ بمراكزها السياسية والعسكرية السابقة فى عالم متغير والاحتفاظ بالمستعمرات السابقة فى فلكها ، مما يؤدى الى تبديد أموال ضخمة لهذه الاغراض ٠

وأحد الاسباب الاخرى لهذه المصاعب الاقتصادية يرجع الى القاعدة الصناعية الضيقة نسبيا للبلاد ، كميراث لتلك الايام التى كانت فيها بريطانيا تتجه أساسا الى الاسواق الاستعمارية ٠ ان امكانية الثراء على حساب المستعمرات وعن طريق دخول الاستثمارات الخارجيةقد علق التحولات الهامة فى الصناعة ، وأدى الى استخدام التراكم الرأسمالى فى الاساس لتوسيع قطاعات التجارة والمال والخدمات وتصدير رأس المال ٠

وقد انعكست الازمة الاقتصادية الحادة التى واجهت بريطانيا وتفاقمت بشكل خطير خلال السنوات العشر الماضية فى أزمة سياسية حادة ٠ ورغم أن مدة البرلمان العادية فى بريطانيا خمس سنوات ، كانت انتخابات اكتوبر الاخيرة خامس انتخابات تجرى فى بريطانيا خلال السنوات العشر الاخيرة مما يدل بوضوح على فشل الحزبين الرئيسيين العمال والمحافظين فى الاحتفاظ بشعبيتهما فى وجه المصاعب الاقتصادية المتزايدة ٠

وفى اوائل هذا العام اضطرت حكومة المحافظين ازاء تفاقم الازمة الىاجراء انتخابات عامة فى فبراير تمخضت عن توزيع متقارب للمقاعد حصل فيه حزب العمال على أكبر عدد من المقاعد ، لكنه ظل يمثل الاقلية فى وجه تحالف المعارضة التى تشكلت من تحالف المحافظين والاحرار ٠ لقد حصل العمال فى

■ تفيد الانباء الواردة من بريطانيا ، الى تزايد نفوذ القوى اليسارية فى انتخابات المجلس العـام للمؤتمر السنوى للنقابات البريطانية فقد تم انتخاب « كينيث جيل » السكرتير العاملنقابات الفنيين التابعة لنقابة عمال التعدين،وينتمى كينيث جيل الـى الحـزب الشيوعى البريطانى . كما انتخب لعضـوية المجلس العام « كلابن جنيكين » السـكرتير العـام لعمـال وموظفى مؤسسات البحوث العلمية . وهو من ممثلى القوى اليسارية فى الحركة العمالية .

شريط الاخبــار

■ ذكـرت صـــحيفة « نايس ليرى » القبرصية الاسـبوعية : ان وكالة المخـــابرات المركزيـــة الامريكيـــة انفقت ســتين مليون جنيه استرلينى على النشاط المعادى لاســقاط الرئيس القبرصى الاسـقف مكاريوس .

وقالت الصحيفة : ان وكالة المخـابرات المركزية الامريكية كـانت تمـول المنظمات والصحف المعادية لمكاريــوس عــن طــريق الشركـــات البريطانيـــة والهولنـدية واليونانيـــة واليابانية العاملة فى جزيرة قبرص .

انتخابات فبراير على ٣٠١ مقعد من مجموع المقاعد البالغ عددها ٦٣٥ ، بينما حصل المحافظون على ٢٩٦ مقعدا . وساعد حصول العمال على أكبر عدد من المقاعد هارولد ويلسون على تشكيل الحكومة ، لكن ذلك لم يعط لحكومة العمال القوة الكافية ، اذ لم يكن له داخل المجلس الاغلبية التى تضمن له تنفيذ سياسته . وتمكن المحافظون اما بالتعاون مع الاحرار ، أو مع الاحزاب الاخرى الصغيرة من أن يعرقلوا نشاط العمال وأن يمنعوا صدور أى قوانين هامة مرة بعد أخرى ، وبذلك حرموا الحكومة العمالية من امكانية ادارة شئون البلاد بما يتمشى وبرنامجها الذى أعلنته قبل الانتخابات . **ولم يستمر برلمان فبراير سوى ١٩٩ يوما ، وتعتبر تلك أقصر فترة عمل لبرلمان فى بريطانيا طوال التسعين عاما الاخيرة** . ورغم ذلك فقد سعت حكومة العمال خلال هذه الفترة القصيرة الى محاولة تنفيذ برنامجها الانتخابى الذى أقره مؤتمر الحــزب والنقـــابات . واتخذت عددا من الاجراءات التى تتفق مع مطالب الحركة العمالية العريضة مثل العمل على رفض قانون العلاقات الصناعية المعادى للعمال ، وزيادة المعاشات والمنح وتجميد الايجارات حتى نهاية العام ، والتوسع فى الاعتمادات الحكومية لمنع ارتفاع أسعار المواد الغذائية الضرورية . ورغم أن حكومة العمال أستمرت فى الحكم ما يزيد قليلا عن ستة شهور كحكومة أغلبية ، الا انها تمكنت من اصدار أكثر من ٣٠ تشريعا فى صالح الجماهير العمالية ، وكان ذلك دون شك أحد العوامل التى ساعدتها فى الحصول على مزيد من المقاعد فى انتخابات اكتوبر الاخيرة .

وقد وصل الارتفاع فى أسعار التجزئة فى الشهر السابق لاجراء انتخابات اكتوبر الاخيرة ١ر٠ فى المائة ويعتبر ذلك أقل ارتفاع شهرى فى الاسعار خلال السنوات الثلاث الاخيرة . وفيما يتعلق بالبطالة انخفض عدد العاطلين فى شهر سبتمبر ٤٠٠٠ شخصا بالمقارنة مع شهر اغسطس رغم أن مجموع العاطلين يزيد على ٠٠٠ر٧٠٠ شخص .

ومع ذلك فان قسما كبيرا من الجماهير العمالية فى بريطانيا لم يكن راضيا عن سياسة حكومة العمال لانها لم تتخذ الخطوات الفعالة لتأميم الشركات الكبرى فى القطاعات الاساسية كما وعدت فى برنامجها الانتخابى . واتسعت داخل صفوف الحركة العمالية فى الفترة الاخيرة الدعوة لمطالبة الحكومة العمالية بالالتزام بمقررات الحزب والنقابات وبمراعاة تعهداتها الانتخابية من أجل السير بالبلاد فى طريق التغلب على الازمة .

وازاء المصاعب الاقتصادية المتفاقمة والازمة السياسية المستحكمة وعجز حكومة العمال عن المضى فى سياستها ، أصدرت حكومة العمال قرارها فى ١٨ سبتمبر باجراء انتخابات جديدة فى ١٠ اكتوبر الماضى ، ودارت الحملة الانتخابية بضراوة ، اذ كان المحافظون يأملون فى الاحتفاظ بالتوازن القائم داخل البرلمان لتأكيد فكرتهم بضرورة اقامة حكومة ائتلافية كالمخرج الوحيد من الازمة السياسية التى تواجهها البلاد .

وعلقت الزعامة العمالية آمالها فى تحقيق نجاح أكبر خلال المعركة الانتخابية على التفاهم الذى توصلت اليه مع النقابات وقد وافق مؤتمر النقابات البريطانية الذى عقد فى أوائل سبتمبر على ما يسمى « **بالعقد الاجتماعى** » وهو خط متفق عليه لعمل حزب العمال والنقابات فى مجال السياسة الاجتماعية الاقتصادية . وبعد الاعلان عن قرار انتخابات اكتوبر ، أصدر مؤتمر النقابات لاول مرة منذ ١٥ عاما نداء الى اعضائه البالغ عددهم عشرة ملايين للتصويت الى جانب حزب العمال .

وأجمعت كل البرامج الانتخابية على أن بريطانيا تواجه اخطر ازمة يمر بها اقتصادها فيما بعد الحرب العالمية الثانية . ويقول الاقتصـاديون ان الايام العصيبة مازالت تنتظر بريطانيا . وكتبت « **الئيوستيتسمان** » الاسبوعية تقول ان البلاد تواجه مشكلتين : أولهما ان هناك ازمة ضخمة تقترب ، وثانيهما ، هل يمكن

تجنب تلك الازمة ؟ ولم يكن فى ذلك أية مبالغة فالاسعار فى واجهات المحلات تصدم الناس الذين يعرفون أسعار الشهور القريبة ، والبلاد غارقة فى الديون والمشكلة الرئيسية هى من الذى سيتحمل مسئولية خروج البلاد من المأزق الذى تواجهه ؟

ولم يقدم اى من الاحزاب البورجوازية أي حل جذرى للازمة • فكلهم اجمعوا على أنه من الضرورى حسب زعمهم الحد من الاستهلاك وهم لا يختلفون الا فى حدود وتدابير هذا الحد من الاستهلاك • ويعتمد حزب العمال على تحقيق « العقد الاجتماعى » اى موافقة النقابات على تأجيل مطالبها بزيادة الاجور لفترة غير محددة • بينما يرى المحافظون اتخاذ اجراءات أشد ، ورغم هزيمتهم فى انتخابات فبراير أصروا على « كبح جماح النقابات غير المسئولة » وركز حزب العمال فى المعركة الانتخابية على التوسع فى اتجاه تأميم الصناعات الاساسية • اما المحافظون فقد أيدوابصراحة حرية النشاط الفردى الصناعى والمالى • ولا يختلف برنامج الاحرار كثيرا عن برنامج المحافظين وقد أطلق عليهم خلال المعركة الانتخابية اسم « **المحافظين الصغار** » أما **الحزب الشيوعي البريطانى** فقد اقترح تدابير اقتصادية محددة للخروج بالبلاد من الازمة الاقتصادية وتشمل تلك التدابير **الحدمن تحكم الاحتكارات ، وتأميم القطاعات الاساسية فى الاقتصاد ، وتخفيض النفقات العسكرية ، والانسحاب من المجموعة الاقتصادية الاوروبية ، وفرض السيطرة على صادرات رأس المال** •

ان فوز حزب العمال باغلبية مطلقة قد يعطى لحكومة العمال فرصة أكبر لتنفيذ سياستها التى تعهدت بها فى برنامجها الانتخابى ويوفر افاقا يمكن فى ظلها اتاحة فرصة أكبر لنضال الشعب البريطانى من أجل مصالحه • وعلى أية حال فسيكون على حكومة العمال ، اما ان تراعى بصورة جادة القوة المتزايدة للطبقة العاملة ونقاباتها وجميع القوى التقدمية التى تطالب بأن توضع مصالحها فى الاعتبار عند معالجة القضايا المعقدة لسياسة بريطانيا الداخلية والخارجية ، واما ان تتعقد الازمة الاقتصادية والسياسية لتواجه بريطانيا طريقا مسدودا •

□□□

■ البرتغال

الجماهير تسد الطريق أمام الثورة المضادة

يعتقد المعلقون السياسيون الذين يتابعون تطورات الاحداث فى البرتغال عن قرب ، ان الجولة التى خسرتها قوى اليمين باستقالة الجنرال دى سبينولا ، لا تعنى انه « قد تم القضاء على الرجعية » . ذلك لان هذه القوى مازال « لديها موارد كثيرة كما يدعمها سادة اقوياء » . وترى الدوائر التقدمية فى البرتغال انه ما لم يدعم التقدميون انتصارهم ، فان الرجعية ستبدأ هجوما جديدا بعد مرور فترة قصيرة . وفى ضوء هذا الفهم يتابع المراقبون دعوة الدوائر التقدمية البرتغالية الى « الاستمرار فى تطهير الاداة الحكومية ولان يوضح الشعب موقفه ، وضع الاحزاب لا المؤسسات الفاشية والقضاء على منظمات الثورة المضادة السرية » .

وقد جاءت استقالة الجنرال دى سبينولا من رئاسة الجمهورية ومن مجلس الانقاذ القومى [فى ٣٠ سبتمبر الماضى] ، بعد نهاية اسبوع ساده التوتر الذى بلغ مداه فى ٢٨ سبتمبر عندما حاولت القوى الرجعية اثارة صدامات مسلحة فى لشبونه [العاصمة] للاستيلاء على محطة الاذاعة كمقدمة « للتخلص من الانجازات الديمقراطية التى تمت فى البلاد بعد ٢٥ ابريل » كما يقول المراقبون .

■ شريط الاخبار ■

■ اكد فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا فى ١٨ اكتوبر الماضى ان استثمارات الدول المنتجة للبترول فى الولايات المتحدة الامريكية تصبح فى واقع الامر فى خدمة الامبريالية ، ونصح الدول المنتجة للبترول بأن تستخدم دولاراتها لمساعدة الدول النامية .

وقد القى كاسترو هذا الخطاب فى الجلسة الختامية لاجتماعات المجلس العام الخامس والعشرين للاتحاد العالمى للنقابات . واضاف كاسترو ان استراتيجية الامبريالية تتمثل فى وضع الدول الراسمالية المتقدمة تحت سيطرة الولايات المتحدة الامريكية وتقسيم العالم الثالث .

■ شريط الاخبار ■

■ قامت حكومة سرى لانكا بتوزيع نصف مليون فدان من الاراضى المستولى عليها على الفلاحين ، وذلك بهدف النهوض بالحالة الزراعية وبالوضع الاقتصادى فى البلاد ، وتحقيق العدالة الاجتماعية .

والمعروف ان القوى اليمينية قد نشطت خلال الايام العشرة الاخيرة من سبتمبر الماضى ، فى محاولة لاعادة تنظيم صفوفها . فقامت بتغطية جدران شوارع العاصمة بملصقات تدعو الى الاشتراك فى « مظاهرة الاكثرية الصامتة » وهو الشعار الذى صاغه دى سبينولا فى محاولة منه لمواجهة قوى التقدم الداعية الى احداث تغييرات أعمق فى البلاد . وتقول وكالات الانباء الغربية ان الشوارع كانت قد امتلات بمنشورات تدعو الى المشاركة فى هذه المظاهرة . والملاحظ انه قد ظهر فى خلال تلك الايام تنظيم يمينى متطرف باسم « الحزب الوطنى البرتغالى » واعلنت الحكومة منعه من ممارسة نشاطه فى يوم اعلان تشكيله . وقد وجدت بين اوراقه التى صودرت فى مقره ، مذكرة موجهة الى عدة أحزاب يمينية تدعوها الى قيام تحالف يضمها جميعا استعدادا لخوض معركة الانتخابات العامة المقرر اجراؤها فى ربيع ١٩٧٥ . ولم تخف المذكرة تأييدها الصريح للجنرال سبينولا الذى زعمت انه « مستاء لما بدا له من انحراف شديد نحو اليسار » . وقد زاد من حدة التوتر ما تردد من معلومات عن ان قوى اليمين أخذت تسلح نفسها .

وفى مواجهة هذه التطورات التى تؤدى الى صدام عنيف ، عقدت الحكومة المؤقتة اجتماعين عاجلين صدر عنهما بيان جاء فيه « نظرا للشغب الذى جرى صباح اليوم [٢٨ سبتمبر] فان رئيس الجمهورية يعتبر المظاهرة غير ذات موضوع » . ولكن ما لبثت وحدة رجال المظلات ان استولت على محطة الاذاعة لاذاعة بيان من الجنرال «**جلفاو دى ميلو**» الذى ايد المظاهرة . ومن المعتقد انه احد قادة محاولة الانقلاب ضد الحكومة الحالية . وازاء هذا وجه الحزب الشيوعى البرتغالى نداء الى جماهيره الشعبية لاغلاق الطرق على المظاهرة المراد بها التمهيد للانقلاب . واستجابة لذلك قامت مظاهرة شعبية ضخمة من جانب القوى الديمقراطية لتأييد الحكومة ومساندة حركة القوات المسلحة .

ومن الجدير بالذكر ان **ماريو سواريز** وزير خارجية البرتغال وزعيم الحزب الاشتراكى ، قد صرح بان « التغلب على هذه المحاولة سيدفع التطور الديمقراطى الى الامام » . ثم أكد انه لا يقول بأن الازمة قد انتهت واعرب عن اعتقاده بأن الامور تسير على ما يرام لصالح الديمقراطيين التقدميين البرتغاليين . اما من يدعون أنفسهم بالاغلبية الصامتة ، فما هم الا اقلية مهزومة لا تجرؤ على ان تسمى نفسها باسمها الحقيقى » . وفى نهاية ذلك اليوم أعلن ان حوالى ٣٠٠ فرد قد تم أعتقالهم وان « ضربة قاصمة وجهت للرجعية . ان الرجعية لن تمر وسيرد على عنف الثورة المضادة بالعنف الثورى » .

وجدير بالذكر ان مراسل الوكالة الفرنسية فى لشبونة قد نقل برقية جاء فيها ان الحزب الشيوعى البرتغالى قد قطع الطريق على محاولة الانقلاب . وان هذا العمل « قد لعب دور الاسمنت الذى يدعم التحالف بين حركة القوات المسلحة والحزب الشيوعى الذى اظهر نفسه كأفضل القوى السياسية تنظيما فى البلاد » .

وكان **فاسكو جونكالفيس** رئيس الوزراء قد ناشد شعب البرتغال — قبل استقالة دى سبينولا — « تجنب قيام حرب أهلية بأى ثمن » . واعلن عزم الحكومة على تنفيذ برنامج حركة القوات المسلحة . ودافع جونكالفيس عن الانجازات التى حققتها حركة القوات المسلحة وخاصة فى اتفاقيتى استقلال غينيا بيساو والتمهيد لاستقلال موزمبيق . ودعا الى ضرورة مواصلة طريق « حق شعوب المستعمرات فى تقرير مصيرهم » .

وجدير بالذكر ان مجلس الانقاذ القومى [ويتكون من سبعة ضباط كبار] قد عين الجنرال **فرانسيسكو داكوستاجوفير** الذى كان يشغل منصب رئيس الاركان ، رئيسا للجمهورية خلفا لسبينولا ، وأعاد تكليف جونكالفيس بتشكيل الوزارة .

■ الاتحاد السوفيتي

■ شريط الاخبار ■

خريف ١٩٧٤ : بداية ربيع جديد للعلاقات المصرية السوفيتية

اتسمت المحادثات التى اجراها الوفد المصرى برئاسة **اسماعيل فهمى** وزير الخارجية المصرية مع الرفيق **ليونيد بريجينيف** سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى بأهميتها غير العادة فى تطور العلاقات بن البلدين ،لانها اتت بصفة خاصة بعد حوالى عام من تجمد العلاقات بين البلدين ، وفى فترة لم يتم فيها بعد التوصل الى حلول جذرية لمشكلة الشرق الاوسط عامة ، والمشكلة الفلسطينية خاصة .

ولما كان الجزء الاغلب من سيناء ، والجولان ، فضلا عن الضفة الغربية والقدس لم تتحرر بعد من نير الاحتلال الاسرائيلى ، لذا كان الاهتمام فى مصر كبيرا بشأن مستقبل علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى ، نظرا للدور الاساسى الذى يلعبه فى الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى لمصر ، خاصة بعد التشدد الاسرائيلى الذى بدا مرة اخرى بهدف الاحتفاظ بالاراضى المحتلة ، وتزايد حاجة مصر الى المساندة الاقتصادية الفعالة لتطوير خطط التنمية القادمة . ولذا يرى عديد من المراقبين السياسيين **انهم لم يلمسوا من قبل اهتماما فى مصر بنتائج مباحثات دارت فى موسكو ، كما حدث بالنسبة لهذه المباحثات .**

وفى الواقع ، فلقد مهدت القاهرة قبل سفر وزير الخارجية المصرية الى موسكو ، لتحسين مناخ العلاقات بالاتحاد السوفيتى ، وذلك عن طريق عدد من تصريحات **الرئيس السادات** التى اشاد فيها بدور الاتحاد السوفيتى ، وخطاب **اسماعيل فهمى** فى الجمعية العامة للامم المتحدة الذى تضمن فقرة قيم فيها بايجابية وموضوعية ، واشاد بدور الاتحاد السوفيتى فى مساندة قضايانا ودعمنا ، فضلا عن منح الجنرال السوفيتى **بيتر سيماكودسكى** كبير الخبراء السوفيت فى مصر ، وسام « **النجمة العسكرية** » المصرية تقديرا لما قام به من أعمال ممتازة فى خدمة قواتنا المسلحة .

والحقيقة التى يشير اليها أغلب المراقبين السياسيين أن الاتحاد السوفيتى ممثلا فى سكرتير عام حزبه الشيوعى ، الرفيق **ليونيد بريجينيف** قد احتضن المبادرة المصرية الايجابية التىشدته مؤخرا ،وذلك بموافقة **بريجينيف** على زيارة مصر فى يناير ١٩٧٥ ، وعقد لقاء قمة مصرى — سوفيتى بينه وبين الرئيس **أنور السادات** .

وتعتبر الموافقة علىهذه الزيارة من اهم النتائج التىحققها الوفد المصرى بزيارته لموسكو ، خاصة وتدل الملابسات التى تحيط بها بوضوح على انها ستكون بداية لمرحلة اوسع واشمل للتعاون بين البلدين ، كما انها اول زيارة يقوم بها **بريجينيف** للشرق الاوسط بعد عشر سنوات من توليه السكرتارية العامة للحزب الشيوعى السوفيتى ، وبعد موافقة الامم المتحدة على دعوة الفلسطينيين لحضور اجتماعاتها ، ومناقشة حقهم فى تقرير مصيرهم ، كذلك فانها تتم فى مرحلة اعداد سياسى وعسكرى مصرى لمواجهة المتطلبات الجديدة للموقف فى الشرق الاوسط بعد ان اعلن الجانبان المصرىوالسوفيتى ان السلام لن يتحقق الا بانسحاب اسرائيل الكامل من كل الاراضى العربية، واستعادة شعب فلسطين العربى لحقوقه .

وفى الواقع ، فلم يكن الهدف المباشر من زيارة وفد مصر لموسكو هو العمل مباشرة على عقد اتفاقيات جديدة فى مجال التصنيع أو تخفيض الديون أو تأخير سدادها أو فى مجال التسليح وانما هو الاستجابة لرغبة الاتحاد

■ ابرزت صحيفة « برافدا » فى ٢٠ اكتوبر الماضى اهمية وضرورة عقد مؤتمر يضم كافة الاحزاب الشيوعية الاوربية .

واوضحت انالاجتماع الاستشارى للاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد فى وارسو قد توج باتفاق عام بشان اهمية وضرورة الاعمال التحضيرية لمثل هذا المؤتمر ، وضرورةعقده حوالى منتصف ١٩٧٥لبحث الموضوعات التالية : النضال من أجل السلام والامن والتعاون والتقدم الاجتماعى فى أوربا .

وقالت الصحيفة انه لن الطبيعى أن يحدث مثل هذا الصدى فى المجال الدولى للانباء الخاصة بالزيارة التى سيقوم بها بريجنيف قريبا الى فرنسا وبالمحادثات التى سيجريها على اعلى مستوى فى القاهرة فى يناير ١٩٧٥ وبزيارة المستشار هيلموت شميدت للاتحاد السوفيتى، وقالت « برافدا » انه مما لاشك فيه ان هذه اللقاءات والمباحثات ستسهم بنجاح فى دعم الامن وستعطى للوفاق دفعة جديدة قوية .

■ **شريط الاخبار** ■

■ **اذاعت وكالات الانباء ان امراة عاملة من جمهورية اذربيجان السوفيتية عمرها ١١٤ عاما وتعمل فى صناعة السجاد، قد حصلت على اعلى جائزة عمالية فى الاتحاد السوفيتى . وكانت قد صنعت اول سجادة لها قبل ١٠٠ عام، ومازال تعمل فى صناعة السجاد حتى الان .**

السوفيتي فى بحث اسس العلاقات وطابعها بين البلدين ، وتسليط الاضواء الواضحة على حاضر ومستقبل التعاون بين البلدين فى مختلف المجالات ،وفى جو يقوم على ثقة جديدة من الجانبين ، وعلى تفهم كل طرف لظروف الطرف الاخر . ومن ثم فقد كان هدف هذه الزيارة لوفد مصر هو الاعداد لمؤتمر القمة القادم بين السادات وبريجينيف ، وتمهيد كافة الجوانب ، والتحضير لكل شيء يخص الجوانب المذكورة سالفا بما فيها الاتفاقيات الجديدة ، حتى يمكن فى اجتماع القمة ، اتخاذ القرارات بهذا الصدد . وقد صدرت التعليمات من الجانبين بالفعل للاعداد لهذا الاجتماع ، وانجاحه في جميع القطاعات ، واتفق **جروميكو** ، **واسماعيل فهمى** على أن تبدأ الاجهزة المختصة من الجانبين فى العمل فورا لتحقيق ذلك .

والهدف الاساسى من كل ذلك هو تقييم العلاقات المصرية ــ السوفيتية ووضعها فى اطار جديد اكثر تدعيما بحيث تكون اقل عرضة فى المستقبل للهزات ، ومن اجل التوصل الى تنسيق حقيقى فى المواقف والتشاور بين مصر والاتحاد السوفيتي لصالح البلدين ،بحيث لا يصبح الاتحاد السوفيتي الصديق مجرد مورد للسلاح بالنسبة لمصر .

وجدير بالذكر أنه جرى حديث طويل خلال الزيارة بين **بريجينيف واسماعيل فهمى** حول موضوع اعادة جدولة الديون، وكان حوارا صريحا وواضحا كما اوضحت الدوائر الصحفية المصرية ، وسوف تجرى مباحثات مشتركة بين المختصين فى البلدين ، لكى يوضع ملف كامل يسجل النتائج امام **الرئيس السادات والرفيق بريجينيف** فى اجتماع القمة المقبل .. كذلك فقد أشار الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** وزير التخطيط وعضو الوفد المصرى الى موسكو الى **أن انباء هامة عن القمح ستذاع خلال زيارة بريجينيف ، وان المحادثات الاقتصادية مع المسئولين السوفيت تناولت التعاون لانشاء مجمع جديد للحديد والصلب قرب الاسكندرية بطاقة انتاجية قدرها ٣ ملايين طن سنويا :بالاضافة الى استغلال الكميات الكبيرة من الفوسفات فى ابو طرطور، وكذلك أمكانية التعاون فى المجال النووى رغم مشغولية الاتحاد السوفيتى لمدة خمس سنوات قادمة فى تنفيذ التزامات توريد نووية الى فنلندا وبلغاريا والمانيا الديموقراطية .**

هذا ومن الملحوظ ان البيان المشترك المصرى ــ السوفيتى قد تركز على القضية الفلسطينية ومؤتمر جنيف . وحدد البيان **اتفاق الجانبين المصرى والسوفيتى على ان اى تسوية شاملة لا يمكن تحقيقها ، بغير تأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، ولا سيما حقه فى انشاء كيانه الوطنى ، وعلى ضرورة اشتراك ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية ، بصفة مستقلة فى مؤتمر جنيف للسلام ، واعتبار قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى مناقشات قضية فلسطين بالجمعية العامة، اعترافا دوليا على جانب كبير من الاهمية ، يعكس الاهمية السياسية التى اتخذتها القضية الفلسطينية** . وقد اشارت الدوائر الصحفية المصرية المرافقة لوفد مصر الى أن **السوفيت ركزوا باسهاب خلال المحادثات على انعقاد مؤتمر جنيف باسرع ما يمكن** ، واعربوا عن رغبتهم فى التعرف على حقيقة رؤية مصر الكاملة لدور الاتحاد السوفيتى فى مراحل التسوية ، وهو ما اوضحه **اسماعيل فهمى** على اساس المزيد من التعاون والتفاهم والتنسيق ، حتى ينعقد مؤتمر جنيف لبحث التسوية الشاملة .

كذلك فقد اتسم الاجتماعان اللذان عقدهما الفريق **محمد عبد الغنى الجمسى** رئيس اركان حرب الجيش المصرى ، مع رئيس الاركان السوفيتى بطابعهما الودى حيث اعرب السوفيت عن سعادتهم بانتصار اكتوبر ، وتهنئتهم الحارة للعسكرية المصرية فى الوقت الذى اعطى فيه الفريق الجمسى للسلاح السوفيتى حقه من التقدير . ودرست ملفات الجانبين فى هذا المجال تمهيدا لاتخاذ القرارات المقبلة .

لذا يرى أغلب المراقبين السياسيين أن محادثات وفد مصر في موسكو كانت نجاحا مصريا ـ سوفيتيا مشتركا ، وانها ستساهم كما قال وزير الخارجية المصرية « في تطوير العلاقات المصرية ـ السوفيتية المبنية على الاسس الراسخة للصداقة والتعاون » • بحيث يمكننا القول حقا ان محادثات وفد مصر في خريف ١٩٧٤ في موسكو انما هي بداية ربيع جديد للعلاقات المصرية ـ السوفيتية •

الموقف من الثورة الروسية بعد الموقف من الثورة الفرنسية

في السابع من هذا الشهر تحتفل شعوب الاتحاد السوفيتي بالعيد السابع والخمسين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وهي تواصل مسيرتها الظافرة في طريق تطوير اقتصادها وتعزيز مكانتها الدولية • ويفرض عليها ذلك عديدا من المهام التي يتطلب انجازها استقرار السلام والعمل الخلاق • فالعمل في ظل السلام هو وحده القادر على أن يوفر للجماهير العاملة فرصة بناء الاشكال الارقى من الحياة الاجتماعية •

لقد كانت ثورة أكتوبر نقطة تحول في تاريخ البشرية اذ انها بدأت عصرا جديدا هو عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وبشرت بعالم جديد متحرر من الاستغلال ومن القهر القومي والاجتماعي • « **واذا كان الواجب الرئيسي للمفكر في القرن التاسع عشر** » ، كما يقول المؤرخ البورجوازي الامريكي ج. بيلنجتون « **هو أن يحدد موقفه من الثورة الفرنسية** ، **فان الواجب الأساسي بالنسبة لرجل العصر يتمثل في تقديره للثورة الروسية** • **فاليوم يقول ما يقرب من ألف مليون انسان في العالم انهم ورثة الثورة الروسية وحماتها** » •

في أكتوبر ١٩١٧ قامت الثورة الاشتراكية في روسيا • واليوم وبعد ٥٧ عاما من قيام تلك الثورة نرى الاشتراكية وقد تحولت الى نظام عالمي يضم ثلث سكان العالم ويقدم ٤٠ في المائة من الانتاج الصناعي العالمي ، ويقف على رأسه الاتحاد السوفيتي الدولة التي أصبحت تلعب دورا حاسما في التأثير على مسار وتشكيل العلاقات الدولية • ومع تعاظم قوة الاشتراكية العالمية اضطر الامبرياليون أن يعملوا لها الف حساب ، بل لقد أجبروا على قبول مبدأ التعايش السلمي معها كأساس للعلاقات الدولية في عالمنا الذي يجمع النظامين الاجتماعيين المتعارضين الاشتراكي والرأسمالي •

بعد ثورة أكتوبر ، كان الهدف الاستراتيجي للتعايش السلمي هو تأمين الظروف الخارجية المواتية لتدعيم وتطور الاشتراكية داخل الاتحاد السوفيتي • وكان ذلك أمرا ذا مغزى عالمي •

أما الان وبعد أن تحولت الاشتراكية الى نظام عالمي وتغير توازن القوى لصالح الاشتراكية ، فقد أصبح الهدف الاستراتيجي للتعايش السلمي هو تأمين الظروف المواتية لانتصار الاشتراكية على نطاق العالم •

ولقد برهنت الاشتراكية خلال سبع وخمسين عاما من وجودها على افضليتها وميزتها على الرأسمالية • واليوم تبدو الفوارق بين النظامين صارخة للغاية • ففي العالم الرأسمالي ، لم تتمكن الرأسمالية من التخلص من أزماتها ، وانما ازدادت تلك الازمات عمقا وتعقيدا • ويعاني العالم الرأسمالي من أزمة تضخم حادة تكاد تهدد كل كيانه الاقتصادي ، ومن ارتفاع جنوني في الاسعار ، وتفشي البطالة وتدهور في مستوى معيشة الجماهير كما يواجه أزمة مالية وأزمة طاقة وغيرها من الازمات • وتقيم الرأسمالية العالمية علاقاتها مع بلدان العالم الثالث على أساس غير متكافىء وتعمل على استغلال الموارد الاقتصادية لتلك البلدان

■ شريط الاخبار ■

■ اكد الاتحاد العالمي للنقابات في بيان صحفي دعمه الكامل للطبقة العاملة وشعب بنما ضد استغلال الاحتكارات الامبريالية الذي يتعرضون له • ودعا البيان نقابات العمال في العالم للوقوف الى جانب النضال الذي يقوده شعب بنما •

وقال البيان ان شركة شيروكي لاند الامريكية التي كانت تعرف من قبل بشركة الفواكه المتحدة ، قد امتنعت عن حصاد وتصدير الموز ، كنوع من التهديد والابتزاز بهدف تجنب دفع الضرائب • وقد ادى هذا الموقف الى حرمان اكثر من « ١٥٠٠٠ » عامل من اجورهم ، فضلا عن الاضرار التي لحقت باقتصاد البلد •

وقد اتخذت حكومة بنما موقفا متشددا تجاه الشركة الاحتكارية ، تساندها في ذلك جميع نقابات عمال زراعة الموز والهيئات الوطنية والجماهيرية ، وقدم الاف العمال اجرة يوم واحد للعمال الذين تأثروا باجراءات الشركة •

واعربت سكرتارية الاتحاد العالمي للنقابات عن تضامنها مع الطبقة العاملة وشعب بنما • كما حيا البيان هذه الحركة الايجابية للوحدة الوطنية في بنما في مواجهة استفزازات الشركة الامريكية •

ونهبها وتستخدم كافة وسائل التهديد والابتزاز ومساندة القوى الرجعية لتحقيق تلك الاهداف ٠

شريط الاخبار

أما الاشتراكية فقدتمكنت من التخلص نهائيا من الازمات الاقتصادية ، وقضت نهائيا على البطالة ، وطورت اقتصادها على أساس من الاستقلال والسيادة والتكامل والمنفعة المتبادلة وتحقيق مصالح الشعب واشباع حاجياته المادية والثقافية ٠ واقامت علاقاتها الدولية على أساس من التعايش السلمى مع الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، والتعاون القائم على المنفعة المتبادلة ٠ وهى تمثل اليوم سندا قويا لحركة التحرر الوطنى ولبلدان العالم الثالث فى نضالها دفاعا عن استقلالها وضد مؤامرات الاستعمار وفى سعيها من أجل بناء وتطوير اقتصادياتها المستقلة . ان التعاون الواسع النطاق بين الاشتراكية العالمية ، وبشكل خاص مع بلد ثورة أكتوبر وبين بلدان العالم الثالث يتطور ويتدعم ويعطى نموذجا حقيقيا لما يجب أن تكون عليه العلاقات الدولية فى عصرنا ٠

لقد ترتب على انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التحام الثورة الاشتراكية العالمية بثورات التحرر الوطنى مما فتح آفاقا رحبة أمام التحرر القومى والاجتماعى للامم المضطهدة . ومنذ الايام الاولى لوجوده وقف الاتحاد السوفيتى الى جانب الامم والشعوب المضطهدة من أجل حقها فى تقرير مصيرها وفى التطور الحر ٠ وبدات السلطة السوفيتية بأن الغت كل المعاهدات الظالمة التى فرضتها أو شاركت فيها الحكومة القيصرية على شعوب الشرق ، وأقامت علاقات متساوية معها ، ووجهت بذلك ضربة قوية الى أسس الامبريالية والى نظامها الاستعمارى ٠

وانطلاقا من تعاليم ثورة أكتوبر ، يقف الاتحاد السوفيتى وأسرة البلدان الاشتراكية اليوم سندا قويا لنضال بلدان العالم الثالث ضد الاستعمار ومن أجل بناء وتطوير اقتصادياتها وتحقيق الرخاء الاجتماعى لشعوبها ٠ وتقدم أسرة البلدان الاشتراكية مساعدات فعالة لبلدان العالم الثالث ويتسع التعاون معها يوما بعد يوم ٠ **ولقد تم بالفعل بناء أكثر من ٧٠٠ مؤسسة ومشروع اقتصادى فى بلدان العالم الثالث بالمساعدات السوفيتية ، ووقعت ٤٥ بلدا من البلدان النامية اتفاقيات طويلة الاجل مع الاتحاد السوفيتى للتعاون الاقتصادى والثقافى ٠ وخلال السنوات العشر الاخيرة تضاعفت تجارة الاتحاد السوفيتى مع هذه البلدان ٢٫٥ مرة ٠ كما قام الاتحاد السوفيتى بتدريب أكثر من مائتى ألف اخصائى لهذه البلدان خلال السنوات الاخيرة ٠**

وأصبحت أفكار ثورة أكتوبر قوة ضخمة ساعدت على تفكك النظام الاستعمارى ، وكانت دافعا قويا لتحرير شعوب بلدان العالم الثالث ٠ ولقد وقف الاتحاد السوفيتى بثبات الى جانب كل الذين يناضلون ضد الامبريالية والاستعمار ومن أجل تدعيم الاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى لبلادهم ٠ ولعبت مساندة الاتحاد السوفيتى للنضال المعادى للامبريالية ، دورا حاسما فى تحقيق انتصارات ضخمة ساعدت شعوب العالم بالتعاون مع بلدان المعسكر الاشتراكى على فرض ارادتها على العلاقات الدولية ، واعادة تشكيلها فى اتجاه جديد ٠ والمساعدة والتأييد التى يقدمها الاتحاد السوفيتى ، للبلدان العربية فى نضالها العادل من أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلى واقامة سلام عادل فى الشرق الاوسط ، تلعب دورا حاسما فى مساعدة شعوبنا على التصدى لمؤامرات الامبريالية والصهيونية والدفاع عن استقلالها وكرامتها . وكل ذلك يشير الى أن ثورة أكتوبر قد فتحت عهدا جديدا من العلاقات الدولية يرتكز على المساواة والتعاون القائم على المنفعة المتبادلة ووحدة كل الشعوب فى النضال ضد كافة أشكال القهر والاستغلال .

■ **وصل الجنرال كارلوس الكوريسا رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى بوليفيا الى اسرائيل فى ٢٠ اكتوبر الماضى تلبية لدعوة من وزارة الدفاع الاسرائيلية يجرى خلالها مباحثات مع الجنرال موردخاى جور رئيس الاركان الاسرائيلى وعدد من كبار الضباط الاسرائيليين كما سيزور عدة منشآت عسكرية ومنشآت خاصة بالامن فى اسرائيل.**



الدوافع الحقيقية وراء التهديدات الأمريكية لدول البترول العربى

من الواضح تماما فى الفترة الاخيرة ان الولايات المتحدة الامريكية تحاول استغلال أزمة التضخم فى العالم الراسمالى الغربى من اجل محاولة احكام سيطرتها على هذا العالم عامة ، وعلى غرب اوروبا بصفة خاصة . وهى تعمد فى سبيل تحقيق هذا المخطط الى القاء تبعة هذا التضخم على عاتق الدول المنتجة للبترول عامة ، والدول العربية بصفة خاصة ، وتأمل من هذه الناحية تحقيق هدفين ، **الاول** : هو الايقاع بين اوروبا الغربية والعرب ، عن طريق تصوير الاخيرين بانهم السبب فيما تعانيه أوروبا الغربية من متاعب اقتصادية اليوم بسبب رفعهم لاسعار النفط ، **والثانى** : هو محاولة عزل العرب عن قواعدهم العريضة بين دول العالم الثالث الفقيرة التى تعانى هى الاخرى من المتاعب الاقتصادية بسبب زيادة الغرب الراسمالى لاسعار السلع المصنوعة بوجه عام .

وفى الواقع ، فان تلويح امريكا باستخدام سياسة « **العصا الغليظة** » انما يأتى مصداقا لتحليل الكتاب التقدميين من قبل بشأن التحول الذى سيحدث فى امريكا بعد اقصاء الرئيس الامريكى السابق **ريتشارد نيكسون** وتولى **جيرالد فورد** الحكم . ذلك ان التهديد بغزو منابع النفط العربى فى السعودية او غيرها ، والتهديد باغتيال بعض الحكام العرب فى دول النفط لارهاب أقرانهم ، انما هو **نغمة جديدة ملموسة فى سياسة ما بعد نيكسون فى الولايات المتحدة** . وهى على أية حال ، وسواء نفذت ام لم تنفذ ، تعكس الخط الاكثر رجعية وتطرفا للتجمع العسكرى — الصناعى الامريكى .

والغرض الذى تريد امريكا تحقيقه من وراء تهديداتها واثارتها لمشكلة النفط ، هو تعزيز الحواجز التى تفصل اوروبا الغربية عن بقية العالم ، ودعم الروابط الاطلنطية لاوروبا الغربية ، وضرب الحوار الذى كانت أوروبا الغربية قد شرعت فى اجرائه مع العالم العربى ، وتذكير **الرأى العام الغربى** قاطبة بان امريكا هى حامية مصالح الغرب عامة ، وصاحبة الكلمة الاولى فى العالم غير الاشتراكى .

وليس صدفة ان تهديدات فورد وكيسنجر جاءت عقب مؤتمر البرلمانيين العرب والاوروبيين فى دمشق الذى رسم طريق واهداف الحوار العربى — الاوروبى ، ذلك لان امريكا تخشى ان تتوصل الدول الاوروبية والعربية الى اتفاق بشأن البترول يرضى الطرفين بعيدا عن وساطة واشنطن . من هنا نقول ان **هدف فورد هو اعطاء المطالبين بتخفيض اسعار البترول قوة ردع امريكية ، حتى اذا ما تحقق ذلك ، حقق فورد زعامته التامة على العالم الغربى ، واضعف الاتجاهات الاستقلالية فى أوروبا الغربية ، وقطع الطريق كما اوضحنا على امكانية نجاح الحوار الاوروبى العربى .**

ويرى عديد من المراقبين السياسيين ان عددا من التحركات الامريكية الاخيرة يؤكد وجهات النظر السالفة ومنها ان **ريتشارد هيلمز** الرئيس السابق لوكالة المخابرات المركزية الامريكية والسفير الامريكى الحالى فى طهران عقد فى اواخر سبتمبر الماضى ، اجتماعا طارئا فى العاصمة الايرانية حضره سفراء امريكا المعتمدون فى عواصم الشرق الاوسط ، وحضره ايضا عدد من « خبراء » وكالة المخابرات المركزية الذين ينشطون فى المنطقة ، ولم يكشف النقاب بالطبع عن المداولات التى تمت فى هذا الاجتماع . ولكن توقيت انعقاده جاء متفقا مع الحملة المستترة التى تقوم بها أمريكا حول امكان لجوئها ، عند اللزوم ، واذا اقتضى الامر الى احداث انقلابات فى الدول المنتجة للبترول ، والى تنصيب زعامات جديدة تكون اكثر استعدادا لتفهم مطالب واشنطون وتنفيذ ارادتها .

بل ويرى عدد من المراقبين ايضا ان **وليام كولبى** الرئيس الحالى لوكالة المخابرات المركزية الامريكية لم يقدم منذ عدة اسابيع على الادلاء باعترافات حول دور المخابرات المركزية فى انقلاب شيلى فى سبتمبر ١٩٧٣ ، الا من قبيل التذكير

بان عين « الشرطي » الامريكي الساهرة ترصد كل تحرك يتعارض مع المصالح الامريكية وان السلطة الرسمية والشرعية فى امريكا تتبنى عمليات العقاب التى تنزلها وكالة المخابرات المركزية بمثل هذه التحركات . وقد دافع الرئيس **فورد** علنا عن دور الوكالة فى شيلى ووصفه بانه دفاع عن الديموقراطية .

واحد أسباب التحركات الامريكية الاخيرة التى اشرنا إليها وخاصة بصدد اوروبا الغربية ، هو ان امريكا تخشى ان تسعى بعض البلاد الاوروبية الى معالجة التوتر الاجتماعى الناجم عن التضخم النقدى والركود الاقتصادى ، باشراك القوى اليسارية فى الحكم ، فامريكا لا تخشى طبعا من صعود الفاشية فى اوروبا فهى قابلة للتكيف معها بل ربما تسعى هى الي قيامها وانما هى ترفض التواجد مع ايديولوجية اليسار . وهذا الخطر قائم فى الواقع ، فى **ايطاليا** حيث ازداد نفوذ الحزب الشيوعى الذى ينتظر ان يشارك فى الحكم ، وفى **فرنسا** حيث بدأت الصحف تلوح بامكان تكليف **فرانسوا ميتران** مرشح اليسار فى الانتخابات الاخيرة ، بتشكيل الحكومة الفرنسية المقبلة ، وقائم ايضا فى **البرتغال** حيث اصبحت قوى اليسار محور النظام الجديد، ومركز ثقله ، بعد استقالة الجنرال سبينولا ، وقائم فى **اليونان** حيث ظفرت قوى اليسار بالشرعية وبحقها فى ممارسة نشاطها علنا ، وخوض معركة الانتخابات النيابية القادمة .

والواقع ان امريكا توجه تهديداتها هذه الى العالم العربى ، والتى تستهدف منها تحقيق اهداف سياسية ، فى الوقت الذى استفادت فيه اقتصاديا من رفع اسعار البترول ، فهى تنال نصيب الاسد من ارباح البترول ، اذ زادت ارباح شركات البترول العالمية ومعظمها امريكى زيادة خرافية وصلت الى ٣٠٠٪ ، كذلك فانها تنال نصيب الاسد من عودة الاموال البترولية اليها . وهكذا تحاول امريكا تحقيق هدف مزدوج من وراء اثارة قضية اسعار البترول ، هدف سياسى فى السيطرة على اوروبا الغربية مكمل لارباحها الاقتصادية .

ويرى عديد من الخبراء الاقتصاديين الموضوعيين **ان الازمة ليست فى اسعار البترول ، وانما هى فى داخل هيكل النظام الرأسمالى نفسه فالولايات المتحدة لم تتأثر حتى الان برفع اسعار البترول نظرا لقلة وارداتها منه** ، وانما ترجع مشاكل امريكا الاقتصادية الى زيادة النفقات الامريكية فى حرب فيتنام والتى كلفت امريكا خلال عهد **جونسون** ٢٠٠ مليار دولار [أى ما يعادل ثمن البترول الذى تشتريه الولايات المتحدة فى ٥٠ عام] . كما ترجع الى انفاق امريكا للملايين من الدولارات للاطاحة بالحكومات التقدمية مثل شيلى وغيرها . والى تمويلها للانظمة العميلة ، والى **رفعها لفائدة الودائع فى مصارفها** حتى بلغت نسبة ١٠٪ بهدف اجتذاب الودائع الاجنبية بما فيها العربية ، الامر الذى كان له مضاعفات سلبية بسبب هذه السياسة المصرفية التى تقوم على **استقطاب الاموال العالمية على حساب مراكز المال التقليدية فى أوروبا** . وهذا جانب آخر من جوانب الاضرار التى تلحقها امريكا بأوروبا ، فى حين تحاول الظهور بعكس ذلك .

والواقع ان الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية **تتحدث دائما عن « فائض » المال العربى، وليس عن « فائض » ارباح شركات البترول الاحتكارية الغربية** . ويريد المجتمع الغربى الذى اسرف فى الاستهلاك ،وفى رفع مستوى معيشته وفى ترفه وبذخه ، فى الدول النامية أن تدفع الثمن له فى أزماته ، كما تدفعه فى أوقات رخائه وازدهاره ، فى الوقت الذى تحملت فيه الدول النامية ، تلك الكارثة التى تتمثل فى سلب ثرواتها الطبيعية ، ودفعت بما فيه الكفاية ، ضريبة التضخم النقدى الذى يعانى منه العالم المتقدم ، لانه بينما كان العالم النامى يشترى منتجات الغرب بأسعار ترتفع باطراد ، فانه كان يبيع مواده الاولية بأسعار تنخفض هى الاخرى باطراد . لذا **فقد آن الاوان لاقامة توازن بين القيمة الفعلية للمواد الاولية المصدرة ، والمواد المصنعة المصدرة** . ولا يحتاج المجتمع الغربى لحل مشاكله الا لبعض التقشف، خاصة وانه مهما تقشف سيظل فى ظروف ممتازة اذا قيس الى بلدان العالم النامى . وقد أوضح الرئيس **السادات** فى خطابه فى ٢٨ سبتمبر الماضى « **ان الذين اخترعوا قوانين السوق والعرض والطلب ليس من حقهم أن يتذمروا اذا دارت عجلة هذا القانون مرة لغير صالحهم ، والذين تركوا المسافة تتسع بينهم وبين دول العالم النامية ، بل وشعوبه الجائعة ، ليس من حقهم اليوم أن يتحدثوا عن المساعدة والانقاذ . والعرب لا يريدون ان يدمروا قواعد الاستقرار الاقتصادى فى العالم ، ولكنهم يريدون فقط حقوقهم . انهم يدركون واجبهم نحو المجتمع الدولى ، ولكن على المجتمع الدولى ان يدرك أيضا واجبه نحونا وان يشاركنا فى رفع المظالم التى ارتكبت ضدنا** » .

أما فيما يتعلق بمواجهة التهديدات الامريكية فانه يتعين على العرب امام احتمالات مصادرة أموالهم ، ان يبادروا بسحبها واستثمارها فى داخل بلادهم ، ولتطوير صناعاتهم وزراعتهم وصولا الى الاكتفاء الذاتى الذى يحميهم من

مشاريع الضغط والحصار والحرمان والتجويع؟ ويجب عليهم بصفة مباشرة اليقظة تجاه نشـاط عملاء وكالات المخابرات الاجنبية ، لمواجهـة أعمال الارهاب والاغتيال التى قد يتم التدبير لها، وبغض النظر عن مدى جدية هـذه التهديدات ، كذلك يتعين عليهم فى مواجهة تلك التهـديدات بغزو هذا البلد ، أو ذاك ، ان يحققوا درجة أكبر من التنسيق العسكرى ، بل وان يوحدوا قواهم العسكرية ، فضلا عن اتجاههم لتصنيع اسلحتهم بانفسهم ، ويكمل كل ذلك ضرورة توثيق العرب، لعرى التحالف مع اصدقائهم الحقيقيين سـواء فى العالم الثالث او الدول الاشتراكية .

أما اموال البترول العربى فيتعين وضع خطة رشيدة لتحقيق أقصى استفادة عربية منهـا على اساس وضع خطة تنمية متكاملة ذات منطلقات أربع :

١ ـ **خطة تنمية لمنطقة الخليج** تستوعب اقصى ما يمكن استيعابه من احتياطيات الاموال العربية الناجمة عن تصدير البترول .

٢ ـ **خطة تنمية عربية** تتكامل مع خطة تنمية الخليج وذلك لتأمين التقدم الاقتصادى العـام لسائر البلدان العربية .

٣ ـ **خطة لمساعدة الدول النامية** فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وخاصة تلك التى ساندت الحق العربى سياسيا واعـلاميا فى المعركة ضد اسرائيل .

٤ ـ **استثمار ما يتبقى من احتياطيات نقدية فى النظام النقدى العالمى** ، وفق مخطط متكامل رشيد ، هدفه النهائى تحقيق اكبر قدر من مصالح البلدان والشعوب العربية . ويمكن البدء عمليا بالسير فى هذا الاتجاه بعقد **مؤتمر خاص لوزراء الاقتصاد والمال العرب** لدراسة كافة هذه القضايا تمهيدا لعقد **مؤتمر قمة عربى** لتحديد موقف عربى متكامل من هذه القضية التى يتوقف عليها الى حد كبير ، رخاء وازدهار البلاد العربية فى المستقبل القريب والبعيد معا .

خيرى عزيز

رسالة من شمال العراق

اجتمـاع أول مجلـس تشـريعى فى كردسـتان

أربيل : من مصـطفى سـامى

كان القتال يدور عنيفا فى الشـمال ، طوال الاسابيع الخمسة الماضية ، وبعد عدة معـارك احتلت قوات الجيش العراقى سـهل رواندوز ، وارغم طابور الدبابات العراقى الاكراد ـ الذين يتودهم **الملا مصطفى البرزانى** ـ على الانسحاب الى مرتفعات الجبال ، وشـق طابور الدبابات طريقه الى تلك المنطقة الحادة الانحدار ، وأعاد فتح طريق « **جالى على بك** » الشهير والمؤدى الى رواندوز وطريق **هاملتون** الذى انشأه البريطانيون .. ثم بدأت القوات العراقيـة سـلسلة من الهجمات بهدف اخراج قوات « البيشمرجة » من المرتفعات التى تسيطر عليها ، وسقط فى هـذه المعارك العشرات من الجانبان .. والمستفيد من هذه المعارك ، وهذه الدماء كما يعرف الجميع هم مجموعة الصفوة الكردية او ممن يجلسون على القمة الكردية فى العراق ، ممن ارتبطت مصالحهم بمصالح الاستعمار وعمـلائه فى المنطقة ، ولا تربطهم بمصالح الجماهير الكردية اية خيوط ..

كانت انباء المعارك البرزانية العراقية تغطى جميع محافظات ومدن كردستان العراق ، يتابعها الجانبان بلهفة وحزن عميق ، لانه ليس فيهـا منتصر . وعلى بعد عشرات الاميال من طلقـات المدافع ، كانت الجمـاهير الكردية والعـراقية تعيش فرحة الاحتفال بأول تطبيق لقانون الحـكم الذاتى فى منطقة كردستان ، وهو افتتاح المجلس التشريعى الاول لمنطقة الحكم الذاتى يوم السبت ٥ اكتوبر .

وفى [باريز كاى هه ولير] وتعنى بالكردية ، محافظة أربيل وهى عاصمة منطقة الحكم الذاتى كان يجرى الاحتفال بالحدث الكبير ، والذى دعت الحكومة العراقية اكثر من مائة صـحفى عربى وأجنبى لتغطيته ، لقد وقع الاختيار على أربيل التى يبلغ عدد سكانها ٥٥٠ الف نسمة ٩٠٪ منهم اكراد ـ والباقون تركمان وعرب ـ لانها تتوسط محافظات منطقة الحكم الذاتى ، وهى **السليمانية ودهوك** ، ومعظم ما يدور بين الناس فى هـذه المدينة من احاديث باللغة الكردية حول هذا الحدث ومغزاه .. فى مبنى المحافظة ، فى المـدارس والمقاهى حتى فى الاسواق .. وفى اعـدادية أربيل سيكون المقر المؤقت للمجلسين التشريعى والتنفيذى حتى ينتهى بناء المبنى الجديد الضخم فى الشهر القادم .

واجتماع المجلس التشريعى الاول الذى احتفلت به العراق ، هو احـد الجوانب التطبيقيـة من

قانون الحكم الذاتي الذي صدر من أجل حل المشكلة الكردية في العراق ، والواقع أن الثورة العراقية وجهت اهتمامها منذ البداية لحل هـذه المشكلة التي استغرقت أكثر من عشر سنوات ، وسبق أن عولجت بأساليب زادتها تعقيدا وأدت الى ما يشبه الانفصال والعداء في بعض الفترات بين العـرب والاكراد . لقد نص البيـان الذي أصـدره مجلس الثـورة العراقي في ١١ آزار [مارس] على أن واجب الثورة « تحقيق الوحدة الوطنية للشعب العراقي دون أي تفريق بسبب الجنس أو اللغة أو الدين أو المنشأ الاجتماعي .. ولقد كان حل المســألة الكردية في العراق في مقدمة المشـكلات التي واجهتها الثورة ، وخاصة أن العهود السابقة فشلت في محاولات حلهــا سلميا أو حتى تفهمها » .

وأكد المؤتمر على أن قضية المطـامح القومية للاكراد في العراق تقع في مقدمة المســائل التي تواجه حركة الثورة العربية .. لذلك فان الثورة تلتزم بمبــادىء الحزب وقــراراته التي أقرت للمواطنين الاكراد بحق التمتع بحقوقهم القومية وتطوير خصــائصهم القومية في اطــار وحــدة الشعب والوطن والنظام الدستوري ، **والاساس الاول للوحدة الوطنية العربية الكردية في العراق هو أن الحركة القومية الكردية كالحركة القومية العربية ديموقراطية موجهة ضد القوى الرجعية ، يشدها في العراق الى الحركة التحررية العربية وحدة الكفاح ضد الامبريالية والقوى الرجعيــة الاخرى الحليفة والتابعة لها .**

بعد ذلك أعلن الرئيس أحمد حسن البكر قرار مجلس قيادة الثورة بتطبيق الحــكم الذاتي في منطقة كردسـتان في البيان الذي ألقاه في ١١ آزار [مارس] ١٩٧٤ .. وقــد جــاء في المادة العاشرة من القانون : أن المجلس التشريعي هو الهيئة التشريعية المنتخبة في المنطقة ، ويقوم المجلس باتخــاذ القرارات التشريعيــة اللازمة لتطوير المنطقة والنهوض بمرافقها الاجتمــاعية والثقافية والعمرانية والاقتصادية ذات الطــابع المحلي في حدود السياسة العامة للدولة .

من هنا جاءت أهمية هذا المجلس الذي يعتبر النص على انشائه وافتتاحه أول اعتراف بالاكراد كقومية لها طابعها الثقافي وتقاليدها الخاصة في اطار الوطن العراقي ، وهو أول ثمرات النضال الكردي في العراق ، وهو ما لم يحـدث في أي وطن آخـر يعيش فيه الاكراد ، لقــد عــانت الشــخصية الكردية طــوال تاريخهــا من أجل الاعتراف بها وراح ضحية نضالها عشرات الالاف من الاكراد ، ففي تركيــا حيث يعيش حــوالي خمسة ملايين كردي ــ أي نصف الاكراد جميعا ــ حذفت كلمة « كردي » تماما من اللغة التركية ، وهنــاك قاموس « علمي » ! تركي يعتبر الاكراد أتراكا يسكنون الجبال ، وقد نسوا لغتهم الاصلية وهي التركية !

والمثقفون هنا في أربيل يذكرون المذابح التي جرت لاخوانهم في تركيا عام ١٩٣٠ ، والتي أعلن بعدها « **عصمت اينونو** » زعيم الحزب الجمهوري الشعبي قائلا : « ان التمرد الذي لا يزال مستمرا في مقاطعاتنا الشرقية [أي في كردستان التركية] منذ خمس سنوات ، قد فقد حتى الان نصف قوته .. ان للامة التركية وحدها أن تطالب في هــذا البلد بالحقوق العنصرية واللغوية ، وليس لعنصر آخر أي حق في ذلك » .

وفي نفس العام ، قال وزير العــدل التركي وهو يتحــدث عن الاكراد في كلمة القــاها في النــاخبين : « اننا نعيش في تركيــا أكثر بلدان العالم حرية ، والتركي هو الحاكم الأوحد والسيد الوحيد في هذا البلد ، أما الذين لا ينتمون الى العنصر التركي النقي فان لهم عندنا حقا واحــدا لا غير ، وهو حقهم في أن يكونوا خدما ، حقهم في أن يكونوا عبيدا » !!

واللغة الكردية محرمة في تركيا وايران ، فلا توجد مدارس كردية ، ويجري التعليم ، بل حتى المرافعات القضائية باللغات التركية والفارسية .

وقد عالج قانون الحكم الذاتي هذه المشكلة ، فقد جاء في مادته الثانية أن اللغة الكردية تكون لغة رسمية الى جانب العربية في منطقة كردستان وتــكون اللغة الكردية لغـــة التعليم للاكراد في المنطقة ويكون تدريس اللغة العربية الزاميا في جميع مراحل التعليم ومرافقه .

من هنا كانت فرحة الجماهير الكردية في أربيل بتطبيــق الحــكم الذاتي حيث افتتح المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي ، كما أعلن عن قيام المجلس التنفيذي ، وهو الهيئة التنفيذية لادارة الحكم الذاتي في المنطقــة ، ويتولى رئاسـتــه ــ طبقا للقانون ــ أحد أعضاء المجلس التشريعي الذي يقوم باختيــار أعضــائه ونائبا له حسب شروط العضوية فيه . يقول « **هاشم عقراوي** » وزير البلديات ــ واحــد الوزراء الاكراد الخمســة في الوزارة ــ بعد اختيــاره رئيســا للمجلس التنفيذي :

« قيام مؤسسـات الحكم الذاتي يعني تحقيق المطامح القومية المشروعة لشــعبنا الكردي في اطار الوطن الواحد ، وذلك ما ناضل الشــعب الكردي من أجله طويلا دون أن يتحقق نتيجــة السياسات الشوفينية التي مارستها الحكومات العراقية السابقة ، الى أن جاءت الثورة فتصدت للمشكلة الكردية لحلها سلميا وديموقراطيا » .

وقال : « ان قيام مؤسسات الحكم الذاتى ، يعنى ارساء الاخوة الكردية العربية والوحدة الوطنية على أسس راسخة من التفاهم والمسئولية المشتركة بين أبناء الوطن ، ويعنى وضع حد لكل المفاهيم والعناصر التى استغلت القضية الكردية لمصالحها الخاصة ومصالح أسيادها من الامبرياليين والصهاينة والرجعيين ، فقيام هذه المؤسسات أسقط الى الابد كل هذه المفاهيم المستندة الى مصالح أعداء الشعب ، وأخيرا يعنى قيام هذه المؤسسات فتح آفاق واسعة أمام جماهير الشعب للقيام بنهضة اقتصادية واجتماعية فى منطقة الحكم الذاتى وصولا الى الاشتراكية » .

وحول مهام المجلس التنفيذى قال : « يتولى هذا المجلس ادارة شئون منطقة الحكم الذاتى وفق التشريعات والنظم التى يقرها المجلس التشريعى ، ويشمل ذلك كل النواحى التى لها علاقة مباشرة بالمواطنين فى المنطقة والتى تأخذ طابعا محليا » .

أما محافظ اربيل **سيروان عبد الله الجاف** — سيروان هو اسم احد الانهار التى تجرى فى أربيل — وقد التقيت به فى مكتبه بالمحافظة فيقول : « ان قانون الحكم الذاتى ، هو أمل كل كردى ، وهو مكسب كبير لشعبنا وتطبيقه سيجعل كردستان العراق أجمل مناطق العالم وسيرفع من المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى لابنائها لانه سيؤمن الحياة الكريمة العادلة لجميع افراد الشعب ويؤمن لهم حقوقهم القومية وتراثهم الثقافى » .

وحول مجموعة الملا البرزانى المنشقة قال لى المحافظ : « معظم الاكراد الذين انضموا الى الذمرة لا يعلمون شيئا عن قانون الحكم الذاتى ، لقد خدعوهم بأن قالوا لهم أن الحكومة ستذبحكم ، لكن المئات من الاكراد عادت الى الوطن بعد أن تكشفت حقيقة المؤامرة واعلنوا ولاءهم لوطنهم ، وكشفوا حقيقة البرزانى ودوافع من يساعدونه .. ان ما سلكته هذه القيادة اليمينية هو طريق الخيانة ، ولا يخدم مصلحة الشعب الكردى ، لانهم عرفوا ان هذه القيادة تتحرك بأوامر من الاستعمار والرجعية الايرانية لخلق المشاكل أمام الحكم الوطنى والقضاء على المكاسب والمنجزات التى حققتها الثورة التقدمية » .

وختم المحافظ حديثه متسائلا : « اذا كانت ايران مخلصة للاكراد وتقف الى جانب تضحيتهم ، لماذا لا تمنح عشر الحقوق المعطاة هنا للاكراد الذين يعيشون فى ايران ، والذين يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة ؟ » .

ان الفرحة التى ترتسم على الوجوه فى أربيل وفى بقية محافظات كردستان العراق تعنى أن الجماهير الكردية تستقبل أول تطبيق لقانون الحكم الذاتى بالامل والتفاؤل بعد الاعتراف بالشخصية الكردية ، وبعد تحقيق العدالة الاجتماعية التى ناضلت الجماهير الكردية طويلا من أجلها ، ان القانون الجديد يحقق للجماهير الكردية التى تصل نسبة الامية بينها ٩٠٪ رخاء وقدرا من الامن الى جانب أعوانهم العرب ، سيعيش افراد القوميتان وسيتعلم ابناءهما ويحصلون على نفس الحقوق داخل نظام يرفض اى تمييز بين أبناء الشعب على اى أساس كان ، عنصريا أو دينيا أو طبقيا .

واخيرا تعنى هذه الفرحة التى تملا شوارع كردستان ، رفض الجماهير الكردية للمؤامرة الامبريالية والرجعية التى تتخذ الملا البرزانى وبطانته ستارا لمصالحها وأهدافها فى المنطقة .

رسالة من تركيا

حكومة ائتلافية .. أم انفراد بالسلطة ؟

أنقرة : من مجدى نصيف

منذ انقلاب سامبسون الامريكى فى قبرص ، والاحداث السياسية فى تركيا تتأثر بأحداث قبرص بشكل يكاد يكون مباشرا . والشعور العام الذى كان يسود الرأى العام خلال زيارتى لتركيا بعد غزوها لقبرص ، وحتى الان — هو الشعور القومى بالانتصار والقوة ، الانتصار العسكرى ضد اليونان العدو التقليدى منذ العشرينات ، والقوة التى بدأت تشعر بها بل وتمارسها لاول مرة منذ خمسين عاما . حتى أنه بعد اجتماع مجلس الوزراء التركى يوم ٢٤ يولية الماضى [بعد غزو قبرص بأربعة أيام] قال **الرئيس التركى فخرى كوروتوك** :

— « **اننا كأمة ، قلبنا صحة مصيرية فى تاريخ تركيا ، بل وفى تاريخ الشرق الاوسط ، وتاريخ العالم** » .

واصبحت أقوال مثل : « **تركيا اليوم ليست هي تركيا الامس** » ... و « **لقد استيقظت تركيا بعد خمسين عاما** » ..و « **تركيا الان قوة يجب أن يحسب حسابها** » ، أصبحت مثل هذه الاقوال على لسان **بولينت ايجيفيت** رئيس الوزراء - انذاك - أقوالا تتكرر باستمرار .

ومن الناحية الشكلية ، انهار التحالف الحكومى بسبب الخلاف بين الحزبين ، أساسا حول المشكله القبرصية . ولكن من الواضح أن **بولينت ايجيفيت** كان يدفع الاحداث فى اتجاه التخلص من « حزب الخلاص » فعند زيارته للدول الاسكندينافية كان من المفروض أن يعين نائبه وهو من « حزب الخلاص » رئيسا بالنيابة ، ولكنه تخطاه فعين أحد وزراء حزبه بدلا منه ، وكان على « حزب الخلاص » أن يختار بين أن يحنى رأسه ويخضع « للحزب الشعبى » فى هذه المساله وفى المسائل الاخرى ، وبين أن يقبل التحدى ويعلن فك التحالف ، فاختار الطريق الثانى وبدأت الازمة .

وتقول صحيفة « **باريس** » التركية أن الائتلاف كان محكوما عليه بالفشل منذ مدة طويلة ، وأن مصيره قد تقرر الى درجة كبيرة منذ البداية بسبب الخلاف البين بين خطى الحزب . **فحزب الخلاص القومى » حزب يمينى دينى ، بينما حزب الشعب الجمهورى أسسه كمال أتاتورك ويتمسك بالشعارات الاشتراكية الديمقراطية** . ولقد أثر هذا الخلاف على سير البرامج الحكومية ذاتها . فمعظم الوزارات التى سيطر عليها « حزب الخلاص » عجزت عن القيام بالاستثمارات الضرورية فى الاقتصاد واتخذت فى الواقع طريق أحباط برنامج الاصلاحات الذى وضعته الحكومة .

وفى الواقع فأن المراقبين يجمعون على أن الصفحة القديمة - فى تركيا - قد قلبت ، نتيجه التحرك العسكرى التركى فى قبرص ، وأن صفحة جديدة تقلب . والسؤال الان **ماهى صورة الصفحة المقبلة ؟ وماهى العلاقات التى ستربط بالعالم القريب منها والبعيد ؟**

لقد اتجهت تركيا الى الغرب واشتركت فى حلفين هما : « **حلف الاطلنطى** » و « **حلف السنتو** » [حلف بغداد سابقا] ووقعت حكومة مندريس التى ارتبطت بالولايات المتحدة عنى هذا ، ولكن حين طلبت من الجيش أن يضرب الجماهير التركية التى خرجت الى الشوارع ، رفض الجيش وقام بقيادة الضباط « الليبراليين » وعلى رأسهم **جمال جورسيل** تلميذ أتاتورك ورفيقه فى السلاح بانقلاب عام ١٩٦٠ ، واتهموا عهد مندريس بالديكتاتورية .

وعاد الجيش الى الثكنات وحقق حزب الشعب الجمهورى نجاحا ساحقا فى انتخابات عام ١٩٦١ . كان « حزب الشعب » آنذاك يقوده **عصمت اينونو** وهو الرجل الثانى فى تاريخ الثورة التركية بعد كمال أتاتورك . وكانت سياسته أكثر ادراكا لحقائق العصر . **حاول أن يكون لتركيا دورها وأن تستقل فى علاقاتها الدولية بانفتاح تدريجى على جارتها فى الشمال - الاتحاد السوفيتى - لتعود الى علاقات الصداقة الطيبة التى كانت تربط بين البلدين وبين الزعيمين لينين وأتاتورك مؤسس تركيا الحديثة** . وفى هذه الفترة بدأ اليسار التركى يقوى بشكل عام ، ولم يأت عام ١٩٦٣ الا وكان الصراع بين اليمين واليسار ساخنا بعد أن كان النشاط اليسارى ممنوعا فى عهد مندريس .

فى هذه الفترة ساءت العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية ، خاصة حول المسألة القبرصية ، ففى عام ١٩٦٤ نشبت أزمة حادة بين اليونان وتركيا اثر مصادمات بين الطائفتين فى قبرص ، وتحرك الاسطول التركى نحو الجزيرة . هنا أرسل « **ليندون جونسون** » رئيس الولايات المتحدة الامريكية رسالة الى الرئيس التركى عصمت اينونو يحذره فيها من القيام بأى عمل عسكرى فى قبرص . ووصف المعلقون هذه الرسالة بأنها كانت مصاغة بأسلوب « رعاة البقر » فى تكساس وتضمنت تهديدا صريحا بالتخلى عن تركيا . ومنذ ذلك التاريخ بدأت تركيا تعيد حساباتها وعلاقاتها فى حلف الاطلنطى ، ومع الولايات المتحدة الامريكية .

لقد اكتشف الاتراك أنهم لا يزيدون عن كونهم « رقما » بالنسبة للغرب ، وللولايات المتحدة الامريكية فى سلسلة « أرقام » المصالح الامريكية ، وأن ما يهم الولايات المتحدة الامريكيه فى الواقع ليست المصالح « الوطنيه » التركيـة ، ولكن « المصالح الامريكية » بالدرجة الاولى . وان حلف الاطلنطى لن يقوم بحل مشاكل تركيا وأنها ليست أكثر من قاعدة من قواعد حلف الاطلنطى والولايات المتحدة ، والموجهة ضد جاراتها الكبرى فى الشمال ، كما أنها موجهة ضد الدول العربية والافريقيه وحركات التحرر الوطنى فيها .

فى تلك الاثناء خرج « حزب الشعب الجمهورى » من السلطة بعد هزيمته فى الانتخابات ، وجاء « حزب العدالة » فى أكتوبر ١٩٦٥ الى السلطة بزعامة **ديميريل** ، ورغم ذلك ونتيجة للسياسة السوفييتية المرنة غاية المرونة وصل **بودجورنى وجروميكو** عام ١٩٦٥ الى أنقرة فى زيارة رسمية ، ثم رئيس الوزراء السوفييتى **اليكس كوسيجين** فى زيارة أخرى عام ١٩٦٦ .

وزار مندريس موسكو فى سبتمبر ١٩٦٧ . وبدأ الاتحاد السوفييتى فى منح تركيا قروضا انمائية طويله الآجل بفوائد رمزيه لتاخد مقابلها منتجات زراعية رفضت الاسواق الغربية استيعابها ، كذلك قام الاتحاد السوفييتى بتنفيذ بعض المشروعات الصناعية . كان الاقتصاد التركى قد أصابه الكساح رغم « الحقن » التى أخذها لعقود طويلة من السنين فى شكل مساعدات من الغرب ضاعت معظمها فى رشاوى عهد مندريس .

وبعد العدوان الاسرائيلى على الدول العربية فى عام ١٩٦٧ ، وجدت تركيا ١٦٧ قطعة بحرية من الاسطول السوفييتى قد عبرت « مضايقها » متخطيه « اسوار » حلف الاطلنطى ، و « حلف السنتو » لتنفذ الى مياه البحر الابيض المتوسط الى جوار الاسطول السادس الامريكى ، لم تعد البحار اذن حكرا على الاساطيل الامبريالية ! ثم جاء الدليل بعد ذلك فى الحرب الهندية ـ الباكستانية ، عندما لم تحرك الولايات المتحدة ساكنا لتأييد حليفتها الباكستان وزميلتها فى أحد الاحلاف .

وكان « حزب الشعب الجمهورى » قد وصل الى السلطه ولكنه اضطر أن يتحالف مع « حزب الخلاص القومى » اليمينى ،ولكن الحكومه اتخذت خطوات هامه على طريق الديموقراطيه فاصدرت عفوا عاما عن مئات اليساريين فى السجون وعاد بعضهم الى وظائفه وهوجم « حزب الشعب » من اجل هذا فقد ادت هذه الاجراءات الى تاسيس اول « حزب اشتراكى » علنى فى تاريخ تركيا ، ثم استمر الانفتاح على الاتحاد السوفييتى ، وفى نفس الوقت استمرت السياسة الاستقلالية عن الولايات المتحدة وخاصة فى حرب « الافيون » مما أدى الى قرار قطع المعونة عن تركيا عام ١٩٧١ [المعونه المدنية التى تشكل ٤٠ فى المائة] .

هنا يأتى قرار ايجيفيت بالتدخل فى قبرص ، فيشتد الخلاف بين الحزبين المؤتلفين ، وكانت الصعوبات الاقتصادية الحادة التى أصبحت مزمنة فى السنوات الاخيرة قد أدت الى اشتداد حدة هذا الخلاف ، فالتضخم يزداد ، والاقتصاد القومى يعانى من عجز الاستثمارات ، والتخفيض الجديد فى الاستثمارات قد يضيف ٢٠٠ الف عاطل جديد الى عدد العاطلين الاخرين مع نهاية العام ، هذا بينما زادت من حدة الصعوبات المالية القائمة ، المصروفات الفادحة التى يتطلبها بقاء القوات التركية فى قبرص ، وقد قال **دينيز بايكال** وزير المالية أن عملية الهجوم الاولى وحدها كلفت الخزينة التركية ٥٠٠٠ مليون ليرة تركية [٣٥٧ مليون دولار] ، ثم زادت المصروفات بعد العملية العسكرية الثانية التى استهدفت توسيع المساحة التى تسيطر عليها القوات التركية التى تامت بتقسيم الجزيزة من الناحية العملية حتى « خط اتيلا » . كما طلبت تركيا على مائدة مفاوضات جنيف . والامل معقود على تغطية هذه المصروفات بواسطة سندات « عملية السلام » التى تصدرها الحكومة بفائدة قدرها ١١ فى المائة . ولكن خبراء الاقتصاد يعتقدون أن هذا الحل سراب .

انهيار التحالف

من هنا انتهز **ايجيفيت** الفرصة وكان معول هدم الائتلاف ، وكما تقول « الديلى تلجراف » اللندنية : « ان ايجيفيت عندما قدم استقالته كان يقامر .. دون أن يخاطر كثيرا بالخسارة . وفى رأى « **لومانيتيه** » الفرنسية أنه كان يهدف الى تكوين حكومة من حزبه هو وحده » ، أى أنه يريد أن يجنى ثمار نجاحه فى « عملية قبرص » كما يطلق عليها الاتراك ، بعد أن أصبح رجل تركيا القوى . أنه يريد أن يجنى ثمرة انتصاره فى قبرص وبسرعة قبل أن تهدأ المشاعر القومية المتعصبة فى تركيا . لكنه بعد عدة مشاورات عجز عن تشكيل حكومة مع « الحزب الديموقراطى » . فطلب الرئيس **كوروتورك** من **سليمان ديميريل** زعيم حزب العدالة أن يشكل الحكومة ففشل أيضا ، ولكنه فشل فى تكوين ائتلاف يمينى . فكلف ايجيفيت مرة أخرى .

لقد اراد ايجيفيت أن يوجه الاحداث نحو اجراء انتخابات جديدة مبكرة عن موعدها لايمانه بأن حزب الشعب الجمهورى سيحصل على اغلبية مطلقة أكثر من الانتخابات السابقة [١٨٥ مقعدا من ٤٥٠] التى أجريت فى العام الماضى . ولكن البرلمان يجب أن يصوت على حل نفسه قبل اجراء الانتخابات المبكرة ، وأحزاب المعارضة اليمينية لا تريد ان تعطى فرصة النجاح السهل والمؤكد لايجيفيت .

من هنا قد يعود ايجيفيت مرة أخرى الى مناقشة « **ايرباكان** » زعيم « حزب الخلاص القومى » وقد يفشل معه . ولكن المؤكد بعد ذلك أنه أصبح بطل تركيا الوطنى فى الاونة الراهنة .

بسبب ضيق المساحة ، اضطرت « الطليعة » ـ هذا العدد ـ الى تأجيل « مكتبة الطليعة » و « مناقشات مفتوحة » الى العدد القادم



حزب العمال البريطانى

تأسس حزب العمال البريطانى فى عام ١٩٠٠ ، تحت اسم « لجنة تمثيل العمال » Labour Representation Committee (L.R.C.) فى شكل اتحاد من الجمعيات الأشتراكية ونقابات العمال والهيئات المحلية للناخبين من العمال ، وذلك بهدف ايجاد تمثيل مستقل للعمال فى مجلس العموم وكذلك فى هيئات الحكم المحلى . وقد دعيت الحركة التعاونية للاشتراك فى هذا الاتحاد ، ولكنها رفضت ، ولم تدخل التعاونيات مجال السياسة الا فى عام ١٩١٧ ، عن طريق تشكيل حزب تعاونى مستقل ، عمل بعد ذلك فى تحالف وثيق مع حزب العمال ، كما انضمت اليه فى الانتخابات ، واشتركت فى الحكومات العمالية التى تلت ذلك . أما أقدم هيئة اشتراكية فى بريطانيا ، وهى الاتحاد الاشتراكى البريطانى الذى كان ذا أساس ماركسى ، وشكل بعد عدة تقلبات « الحزب الشيوعى البريطانى » فى عام ١٩٢٠ ، فقد حضر المؤتمر الافتتاحى « للجنة تمثيل العمال » ولكنه انسحب منه بعد قليل .

ولقد مهدت الطريق « للجنة تمثيل العمال » مجموعة كير هاردى التى تشكلت فى برادفورد فى عام ١٨٩٣ ، تحت اسم « **حزب العمال المستقل** » **ILR** ولم تتم هذه اللجنة كحزب اشتراكى صراحة ، ولا هى أعلنت بشكل مميز فى الفترة ١٩٠٦ — ١٩١٤ اية أهداف اشتراكية ، على الرغم من أن المؤتمرات السنوية كانت تتخذ بعض القرارات الاشتراكية ، وطوال تلك الفترة كان الحزب — على الرغم من استقلاله الرسمى — يعمل كحليف لحزب الاحرار الذي كان أكبر الاحزاب البريطانية فى ذلك الوقت . وفى عام ١٩١٣ صدر قانون نقابات العمال ، وبفضله أعيدت للنقابات حرية محدودة فى ممارسة النشاط اليسارى وتأييد حزب العمال .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولي لم يكن الحزب قد تعدى كثيرا مرحلة المجموعة . ولكن نفوذه فى أثناء الحرب بفضل تزايد قوة نقابات العمال ، فحصل على دور أكبر فى ائتلاف **لويد جورج** وكانت الهيئة الرئيسية لحزب العمال تؤيد الحرب ، بيد أن عنصره الاشتراكى الرئيسى — حزب العمال المستقل — كان يتخذ خطا معاديا للحرب . وفى عام ١٩١٤ استقال **رمزى ماكدونالد** — الذى كان قد حل محل **كير هاردى** — من زعامة الحزب ، وأصبح **آرثر هندرسون** هو الممثل العمالى الرئيسى فى ائتلاف **هربرت اسكويث ولويد جورج** . وفى عام ١٩١٧ طرد **هندرسون** من الوزارة بسبب تأييده لمساعى السلام ، ولكن الحزب ظل فى الإئتلاف . ومع تطور مشاعر الطبقة العاملة البريطانية تجاه اجراء مفاوضات للسلام عمد **هندرسون** الى اعادة صياغة حزب العمال ، بحيث أصبح له برنامج اشتراكى محدد ، وان يكن معتدلا . وبسبب الانشقاق الذى حدث فى حزب الاحرار أصبح حزب العمال هو الحزب الرئيسى الذى يرفع راية يسارية فى بريطانيا . وتقدم الحزب فى انتخابات عام ١٩١٨ بمرشحين فى اغلبية الدوائر ، ولكن لم يلق نجاحا كبيرا [٦١ مقعدا فقط] بسبب الائتلاف القوى الذى كان يعمل ضده .

ونما الحزب سريعا فى السنوات التالية . وفى عام ١٩٢١ شكل **رمزى ماكدونالد** — بتأييد من حزب الاحرار — اول حكومة عمالية ، ولكنها كانت حكومة قصيرة العمر ، ولم تكن فى وضع يسمح لها باتخاذ اية اجراءات اشتراكية ، واقتصر نشاطها على بعض جوانب الاصلاح الاجتماعى .

وفى عام ١٩٢٩ شكل **ماكدونالد** الحكومة العمالية الثانية [وهى الوزارة التى اقتصر دورها هى الاخرى على الاصلاح الاجتماعى وبعض الاجراءات فى مجال السياسة الخارجية] ولكن مع بداية الكساد الاقتصادى فى عام ١٩٣١ انحاز **رمزى ماكدونالد** — الاب الروحى لحزب العمال — الي جانب المحافظين والعمال فى القاء عبء الازمة الاقتصادية على عاتق الشعب العامل ، فتدهورت شعبية الحزب ، وفى الانتخابات التى أجريت فى ذلك الوقت هبط تمثيل الحزب فى مجلس العموم من ٢٨٩ مقعدا الى ٤٦ مقعدا ، كما سقط جميع الوزراء البارزين ، فيما عدا جورج لانسبرى وكليمنت اتلى .

ومع مقدم الفاشية فى الثلاثينات نشأت خلافات حادة فى داخل الحزب ، فثمة قطاع بزعامة **لانسبرى** كان يدعو الى مهادنة الفاشية ، ولكن أغلبية الحزب تبلورت فى الجانب الاخر ، واستقال **لانسبرى** ، وحل محله **اتلى** فى إكتوبر ١٩٣٥ وفى عام ١٩٣٨ عارض الحزب استلام ميونيخ ، وأعطى الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية تأييده الكامل ، كما قام فى عام ١٩٤٠ بدور رئيسى فى الاطاحة

بحكومة **نيفل تشمبرلين** ، وفى مجىء **ونستون تشرشل** الى السلطة . وشغل قادة بارزون من الحزب — مثل **أرنست بيفن وهربرت موريسون وكلمنت اتلى** — مناصب بارزة فى حكومة تشرشل طوال الحـــرب .

وقد وضع الحـــزب فى عام ١٦٢٦ « برنامجا عاجلا » كان بمثابة دفعة أولى للتقدم نحو « الاشتراكية » ، ثم عـــاد النظر فى هذا البرنامج وطوره فى خلال الحرب ، وعلى أساسه وضع البرنامج القصير الامد **Let face the future** الذى قدمه للناخبين فى انتخابات عام ١٩٤٥ حيث حصل فيها على اغلبية كبيرة من مقاعد مجلس العموم . وفى الحكومة العمالية لمـــا بعد الحرب قام الحـــزب بعمليات التأميم الاساسية التى شهدها تاريخه كله ، فأمم بنك انجلترا ومناجم الفحم والنقل الداخلى والكهرباء والغاز والطيران المدنى والمواصلات الســـلكية واللاسلكية ، كما وعد بتأميم صناعـــة الحديد والصلب .

وفى انتخابات فبراير ١٩٥٠ كانت مكانة الحزب قد اهتزت فى أعين جماهيره من العمال بعد أن أخفق فى تحقيق وعوده الانتخابية ، وظهرت حقيقة برامجـــه الاشتراكية ، فهبطت أغلبيته كثيرا فى مجلس العموم ، ولكنه ظل فى السلطة حتى انتخابات عام ١٩٥١ ، حيث تضاءل تمثيله فى مجلس العموم الى ٢٩٥ مقعدا وتولى المحافظون الحكم ، وظلوا فيـــه ثلاثة عشر عاما كاملة ، حتى اكتوبر ١٩٦٤ ، عندما عاد العمال الى الحكم على أســـاس الامال التى راودت من جديد أقساما واسعة من الطبقة العاملة بأن تتغير سياسة بريطانيا فى الداخل والخارج على يد الحزب . وكانت سمعة **هارولد ولسن** نفسه كعضو يسارى فى الحزب تبرر الاعتقاد بأن الحكومة العمالية الجديدة يمكن أن تنتهج سياسة أكثر تقدمية ، وأكثر تجاوبا مع مصالح الشعب البريطانى .. والتطورات الجـــديدة فى التطور العالمى ...

وكان يبدو أن باستطاعة الحزب أن يفعل الكثير ، فيده كانت طليقـــة ، وأغلبيته كبيرة ، ومع ذلك بدأ **ولسن** تسلمه السلطة بالحج الى واشنطن ، حيث حاول اقناع الرئيس الامريكى بان حكومته لن تدخـــل أية تغييرات على العلاقات الانجليزية — الامريكية ، وهى العلاقات التى سرعان ما تحولت الى تبعية للولايات المتحدة فى مختلف مجالات السياسة الخارجية ، مثل تأييد العدوان الامريكى فى فيتنـــام ، ودعـــم حلف الاطلنطى ، ولو من غير فرنسا ، بالتعاون مع ألمانيا الغربيـــة ، وتمكين الولايات المتحدة من زيادة هيمنتها على الحلف ، اى على أوربا الغربية باسرها .

ومع تفاقم الازمة الاقتصـــادية فى بريطانيا ، وتزايد العجـــز فى ميزان المدفوعات ، لم يبحث العمال عن مخرج عن طريق ازالة الاسباب الحقيقية ، بل بانتهاج المسلك نفسه الذى اتبعـــه المحافظون . واتخذت عـــدة اجراءات لمكافحة التضخم من شأنها أن تؤدى حتما الى زيادة البطالة ، كما جمدت الاجور ، وصدر تشريع يفرض قيودا شديدة على حق العمال فى الاضراب ، فأعاد ذلك الى الاذهان موقف **رمزى ماكدونالد** من الازمة الاقتصادية فى الثلاثينات . وهكذا بينما شنت حكومة العمال هجوما عنيفا على المستويات المعيشية للشعب البريطانى لم تمس أرباح الاحتكارات ، ولم تحد من الموجة المتصاعدة لتصدير رأس المال الى الخارج ، ولم تخفض من نفقات التسليح ، واصرت على سياسة بنـــاء قوة مستقلة « للردع النووى » . ولقـــد ظفرت الميزانية الجديدة لحزب العمـــال ببركات أصحاب المصارف الدولية ، وجاء تخفيض قيمة الجنيه الاسترلينى تحقيقـــا لمصالح دوائر الاعمال الامريكية .

وجاء كل ذلك دليلا جديدا على استسلام حكومة العمال للاحتكارات البريطـــانية والدولية ، ومصداقا لقول **لينين** منـــذ وقت مبكر وقبل أن تتضح الطبيعة الحقيقية لقادة الحزب وهم فى قمة السلطة ، فى المؤتمر الثانى للكومنترن فى أغسطس ١٩٢٠ ، عند تقويمه لحزب العمال ، من أن الحزب — على الرغم من أنه يتكون من عمال ، فان قيادته من الرجعية بل من أسوأ نمط من الرجعيين الذين يعملون بروح البورجوازية ، « بل ان **لينين** كان يعتبر — حزب العمال حزبا بورجوازيا تماما » .

وحزب العمال البريطانى ليس كيانا متجانســـا من الناحيتين الســـياسية والاجتماعية ، فهو يضم جناحا يساريا وجناحا يمينيا ، وان كان اليمين هو صاحب الكلمة الاخيرة فى الحزب ، اى انه يتكون من عدة عناصر رئيسية ذات مواقف متفاوتة . فهناك «مؤتمر الحزب» وهو ينعقد سنويا فى الخريف ، ويمثل فيه قيادة الحزب ومندوبى قاعدته ، بما فيها نقابات العمال ، وهو ينقسم بدوره الى معسكرين ، يمين ويسار ، ولكن الاتجاه العام لقرارات المؤتمر تكون دائما الى يسار سياسة الحزب والحكومة **وهناك مؤتمر نقابات العمال** **TUC** وهو ينعقد بدوره سنويا فى خريف كل عام ، ويمثل فيه مندوبو نقابات العمال بحسب عدد العمال المنضمين لكل نقابة ولذلك يكون للنقابات والاتحادات النقابية الكبيرة تأثير حاسم فى قرارات المؤتمر وقد بدأ مؤتمر نقابات العمال يمارس فى السنوات الاخيرة عنصر ضغط متزايد القوة على سياسة الحزب ، واخذ التباين يتسع بين قراراته السياسية الفعليـــة للحزب . ومن الامور البالغة الدلالة أنه قد انعقد فى كرويدون فى ٥ يونيو ١٩٦٩ اجتماع استثنائى للمؤتمر لمناقشة خطط مناهضة التشريع المضاد للعمال ، وذلك اجراء نادر لم يلجأ اليه المؤتمر منـــذ أكثر من خمسين عاما ، ويشير الى مزيد من تفاقم التناقضات بين النقابات وقادة الحزب .

وهناك حـــزب العمـــال البرلماني
Partiamentery Labour Party
وهو الهيئة البرلمانية للحزب ، وتجىء كلمة حزب هنا لتأكيد ما لهذه الهيئـــة من استقلالية ، فمن المعروف أن قرارات مؤتمر الحزب ، ومؤتمر نقابات العمـــال ليست ملزمة للحزب البرلمانى ، أى للهيئة البرلمانية التى تعتبر ، وبخاصة عندما تتمتع بالاغلبية ووجود حزب العمال فى الحكم ، صاحبة الكلمـــة الاخيرة فى القرارات التى تنفذ بالفعل . ولذلك يكون من الضرورى عندما يتحدث الناس عن حزب العمال البريطانى معرفة ما يقصدون على وجه التحديد ، هل هو حكومة العمال الممثلة لقيادة الحزب ، أم الحزب البرلمانى ، أم الحزب بمؤتمراته السنوية الاكثر تمثيلا لقاعدته ، أم مؤتمر نقابات العمال .

وتوضح مؤتمرات الحزب ومؤتمرات نقابات العمال الفجوة التى تفصل قيادة الحزب من قاعدته فى تقويم القضـــايا الرئيسية لسياسة بريطانيا الداخليـــة والخارجية . وقد كان الطابع الرئيسى لهذه القرارات فى السنوات الاخيرة هو ادانة مواقف الحكومة العمالية أو قيادة الحزب ، أو التصويت ضد القوانين التى تتقدم بها ، وبخاصة ما يتعلق منهـــا بمكافحة الاضرابات أو تجميد الاجور .

ان ثمة خطين ملحوظين فى سياسة حزب العمال اليوم ، احدهما خط قبول « قواعد اللعبة » التى تمارسها الحكومة والثانى الرغبة فى ضمان تغيير حقيقى فى سياسة الحزب بأسرها . وسيشكل النزاع بين هذين الخطين نواة الصراع السياسى المقبل سواء فى داخل الحزب أم فى حركة الطبقة العاملة البريطانية بأسرها .

احمد فؤاد بلبع



التخطيـــــط القـــــومى

Natinoal Planing

التخطيط القومى هو عملية توزيــع الموارد القومية المتاحة ، وتنظيــم استخدامها على أفضل وجه ممكن على المدى الطويل لتحقيق أهداف قومية يتفق على الوصول اليها على المدى الطويل أيضا . ويعـــــرفه شارك بتلهيم بأنه « تخطيط شامل ينتظم جميع مجالات التنمية الاقتصادية ، ولا يقتصر على مشروعات اقتصادية محـــــدودة ، وانما يتضمن ويستلزم ترابط وتنسيق قطاعات الاقتصاد القومى مما يستدعى دراسة على نطاق عام وشامل للتأكد من أن المجتمع سوف ينمو بصورة منتظمة ومتسقة ، وبأقصى سرعة ممكنة ، وذلك مع التبصر بجميع الاحوال ، والظروف الاقتصادية السائدة والسيطرة عليها ضمانا للنتائج المرغوبة من الخطة » .

وعلى ذلك يمكن القول أن التخطيط القومى يتضمن ثلاث عمليات رئيسية :

أ ــ حصر الموارد والامكانيات القومية: وتحديد استخداماتها البديلة ، وتعبئتها والتعرف على امكانيات تحريكها لتحقيق أهداف المجتمع القومية ، وكلما كانت هذه الموارد محدودة بالمقارنة بالاهداف المرجو تحقيقها فى أية فترة زمنية كلما زادت الحاجة الى تخطيط قومى طــويل الاجل يحدد أولويات تحقيق الاهـــداف وفقا لحجم الموارد المحدودة المتاحة .

ب ــ تحديد الاهداف القومية طويلة الاجل : التى يتقرر تحقيقها ، وترتيبها وفقا لاولوياتها النسبية ، وبالطبع كلما تعددت الاهداف وتشابكت ، كلما أصبحت العملية التخطيطية أكثر ضرورة . ويساعد ترتيب تلك الاهـداف والمطالب حسب أهميتها النسبية على حســن تخصيص الموارد لتحقيقها على مراحل زمنية متتابعة ولعل من المهم أن نؤكد على أهمية اختيار مجموعات من الاهداف المتناسقة والمتكاملة وغير المتعارضة ، اذ قد تتعارض بعض الاهداف مع البعض الاخر فى خـــلال فترة زمنية معينة .

جـ ــ اختيار أفضل البرامج والمشروعات والاجراءات : عن طريق المقارنة بين المشروعات والبرامج البديلة واختيــار أفضلها فى تحقيق الاهداف بأقصى كفاءة ممكنة [أى بأقل تكلفة ممكنة مقابل أكبر منفعة ممكنة] .

لعل ما سبق يوضـح الاهمية الكبرى للتخطيط القومى بالنسبة الى الاقتصاديات المتخلفة حيث تعظم وتتعدد الاهـــداف والامال القومية المرجو تحقيقها ، وتقصر الموارد المحدودة المتاحة عن انجازها ،

وهنا يبرز دور التخطيط القومى حيث يجزء تحقيق الاهداف على مراحل زمنيـة متتالية لتتناسب الاحتياجات المطلوبة مع الموارد المتاحة فى كل مرحلة .

غير ان أسلوب التخطيط القومى بالمعنى السابق لا يمكن استخدامه الا فى ظل اقتصاد اشتراكي أو على الاقل فى فترة التحول الى الاشتراكية . وتتضح هذه الحقيقة من الاجابة على تساؤلين : أولهما **ــ هل يمكن لاقتصاد اشتراكي أن يسير بدون تخطيط ؟** من المستحيل بالطبـع تصور اقتصاد اشتراكى يقوم ويعمل بدون تخطيط قومى .

وثانيهما **ــ هل يتسنى للتخطيط القومى أن يكون فعالا بدون اشتراكيـة ؟** من المستحيل أيضا تصور تخطيط قومى علمى فعال يقوم على اقتصاد رأسمالى ، ذلك أن التخطيط القومى يتطلب سيطرة كاملة على موارد المجتمع المادية والبشرية ، وهنا سوف تصطدم فلســـفة التخطيط القومى بالملكيات الخاصة الهادفة الى تعظيم الربح ، قد يقال انه يمكن لاجهزة التخطيط الاعتماد على الحوافز فى توجيه واجتذاب الموارد الاقتصادية الى تحقيق أهداف الخطة ، غير أن اسلوب الحوافز لا يمكن أن يمثل ضمانا كافيا لتحقيق أهداف الخطة **بالسرعة المطلوبة ، وبالكثافة المرغوبة** . كذلك فان توزيع عوائد الانتاج فى اقتصاد رأسمالى لابد وأن يميل الى أن تطغى عوائد حقوق الملكية على الاجور بمقدار « فائض القيمة » الذى يمثل فى جوهره استغلالا من جانب من يمتلكون وسائل الانتاج لجانب من يمتلكون قوة العمل ، وذلك يتضارب أساسا مــع ما يهدف اليه التخطيط من توزيع عادل ومتوازن للدخل القومى على من يسهمون فى الانتاج .

ولذلك نجـــــد أوسكار لانج يعتبر « التخطيط القــومى ســـــمة أساسية للاشتراكية » ، بل يذهب لودفيج فون مايزمس الى أن « اصطلاح التخطيط القومى يستخدم فى معظم الاحـــوال كمرادف للاشتراكية » . أما ما طلق عليـه فى الاقتصاديات الرأســـمالية « تخطيطا » فهو لا يعدو أن يكون مجـرد « برمجة رأسمالية » أو كما يسميه البعض « تخطيطا تأشيريا » أو مجـرد « توجيه اقتصادى » ، اذ انه لايستطيع أن يعدل جوهريا هياكل الانتاج والتوزيع لانها لا تمس علاقات الانتاج ، وبالتالى لا تمس علاقات الملكية . على ذلك يمكن أن يعدل جوهريا هياكل الانتاج والتوزيع

الخاصية الاساسية التى تكفل الوحدة الاقتصادية والتنظيمية للاقتصاد القومى ، وبالتالى امكانية **الادارة الموحدة** لاجزائه المتعددة وتنميتها وفقا للخطة الموضوعة.

وينقسم التخطيط القومى الى نوعين متكاملين : تخطيط طـــويل الاجـــل **Long-term Planing** وتخطيط قصير الاجل **Short-term Planing**

وتعتبر الخطـــة طويلة الاجل الخطـــة الاستراتيجية لتنمية المجتمـــع اقتصـــاديا واجتماعيا ، وهى تعد عادة لفترة طويلة [٥ــ٧ سنوات وأكثر] ، أما الخطط قصيرة الاجل [الجارية] فهى عبارة من خطة تكتيكية أو برنامج عملى معين للاهداف الواجب انجازها خلال فترة أقصر [سنة أو ثلاثة أشهر أو شـــهر واحد] .

ويمكن تحديد أهم **المبادىء العامـــة للتخطيط القـــومى** فى الاقتصــــــادات الاشتراكية بالمبادىء التالية :

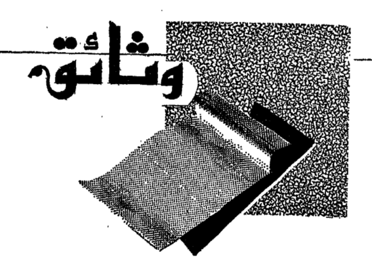
١ ــ مبدأ التوافق السياسى والاقتصادي للخطة : بمعنى أن يكون التوافق كاملا ، والاتساق تاما بين البرنامج السياسى الذى ينتهجه الحزب الحاكم ، وبين خطة تنمية الاقتصاد القومى فى مرحلة زمنية معينة من حيث الاهداف والسياسات والاجراءات .

٢ ــ مبدأ علمية التخطيط : ويعنى أن يتم وضع الخطط القومية بمراعاة مقتضيات القـــــوانين الموضوعية الاقتصـــــادية للاشتراكية ، ويضمن هذا المبدأ عـــدم التضخيم الذى لا مبرر له فى أهـــــداف الخطة ومهامها من ناحية ، وعــــــدم المبالغة فى تخفيض هذه الاهداف من ناحية أخرى .

٣ ــ مبدأ المركزية الديمقراطيـــة : ويقصد بهذا المبدأ الجمع العضوى فى نسيج واحد بين المركزية ، وبين الاستقلال الاقتصادى للوحدات الاقتصـــــادية ، وتتجسد ديمقراطية التخطيط من خلال مبدأ المشاركة الجماعية عن طريق مناقشة الخطة قبل وضعها ، ثم وضع البرامج التفصيلية بعد اقرار الخطة .

٤ ــ مبدأ استمرار العملية التخطيطية وتناسق الخطط قصيرة الاجل مع الخطط طويلة الاجل : ويقضى هذا المبدأ بالجمع العضوى بين الخطط القصيرة ، والطويلة الاجل فى هيكل واحد بحيث تشكل الخطة السنوية جزءا عضويا من الخطة طويلة الاجل مما يؤدى الى استمرار العمليـــة التخطيطية دون انقطاع ، والى امتداد المؤشرات التخطيطية من سنة لاخرى

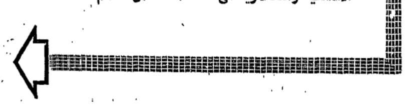
د. حلمى سلام



التعـــذيب والأرهـــاب
داخــل الأرض المحتـلة

تنشر الطليعة فى هذا العدد ، وثائق وتقـارير ومعلومات عن حملة الاعتقالات ، والارهاب ، والتعذيب التى مارستها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، على الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية والارض المحتلة عامة ، فى النصف الاول من هذا العام .

وتأمل « الطليعة » بنشر هذه الوثيقة التى بعث بها اليها ، مجلس السلم العالمى أن تلقى مزيدا من الضوء على أعمال العسف والقمع والارهاب التى يقوم بها العدو الصهيونى . كما تأمل أيضا أن تساهم فى كشف الادعاءات الاسرائيلية عن تمثيل اسرائيل للقيم الانسانية والحضارية فى هذه المنطقة من العالم .



وثائق ومعلومات عمايجري في الارض العربية المحتلة

قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلية بحملة اعتقالات واسعة خلال الشهرين الماضيين في الارض العربية المحتلة ، ولقى المعتقلون الوانا من التعذيب وواجهوا ارهابا مستمرا .

وتستهدف الحملة حرمان شعب فلسطين وممثليه الحقيقيين من ممارسة عملهم ونضالهم من اجل توفير الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . انها جزء من مخطط واسع لتصفية قضية شعب فلسطين .

وفي هذا العدد ننشر وثائق وتقارير ومعلومات من حملة الاعتقالات والارهاب والتعذيب .

ومجلس السلم العالمي يهيب بكل الديمقراطيين في العالم أن يقفوا ضد انتهاك مبادىء الديمقراطية وحقوق الانسان وفي صف الحقوق المشروعة لشعب فلسطين حتى يتوفر للشرق الاوسط سلام عادل .

ويرجو المجلس ان تلقى هذه الوثائق والمعلومات طريقها الى مختلف وسائل الاعلام .

كما انه عازم على تقديم كل مايصل اليه من وثائق ومعلومات لتضاف الى هذا العدد الخاص بالمعتقلين في الاراضي العربية المحتلة .

عقدت عصبة حقوق الانسان والمواطن في اسرائيل مؤتمرا صحفيا في تل أبيب في يوم الثلاثاء ١٨ يونيو سنة ١٩٧٤ ذكر خلاله البروفسور شاحاك رئيس العصبة أن عدد المعتقلين من أبناء الاراضي المحتلة منذ حملة الاعتقالات التي بدات في أبريل الماضي « تبلغ حوالى ٤٠٠ شخص ، وأضاف أنه لم توجه اليهم اية تهمة محددة .

وقال المحامي حنا نقار أن القوانين التي بمقتضاها يعتقل ويعذب خصوم الاحتلال السياسيين هي قوانين الانتداب البريطاني [الذي ابطل النظام الاردني مفعولها منذ عام ١٩٥١ واستبدلها بقانون الدفاع المدني] .. ويقضي ميثاق جنيف ان تعمل الدولة المحتلة في الاراضي التي احتلتها بقوانين الدولة التي احتلت اراضيها .. ان حكومة اسرائيل بما تفعله انما تشجب ميثاق جنيف باستهتار .

وبعد ذلك تحدثت المحامية فيليسيا لانجر عن التعذيب الوحشي الذي يعاني منه المعتقلون .. واضافت : ان مكتبها يعالج قضايا ٤٠ او ٥٠ معتقلا حسب قانون «خاص» تعتقل بواسطته السلطات من تشاء دون اية تهمة ولمجرد الشك

في امرة .. ثم قالت انها تلقى مصاعب جمة في العثور على مكان اعتقال موكليها ، سلطات سجون اسرائيل غالبا ما تدعي انه لا يوجد لديها معتقلون .

وحين سألها مراسل وكالة الانباء الاسرائيلية الرسمية « عتيم » عن رد فعل قضاة المحاكم الاسرائيلية ازاء قضايا التعذيب .. اجابت : القاضي يضحك ملء شدقيه .. أو يقول « هذه فنطازية عربية » .. او « هذا خيال شرقي » .

تقول المادة ٣٢ من ميثاق جنيف « توافق السلطات العليا للاطراف المتعاهدة على انه محظور على اي منهم اتخاذ اية اجراءات قد تؤدي الى تعذيب جسدي أو ابناء ناس تحت حمايتهم » .

وتقول المادة ٣٣ « .. يحظر كل انواع العقوبات الجماعية وكذلك كل أساليب الارهاب والتخويف » .

وفي سجون نابلس والخليل ورام الله وكفر يونا ومخيم صرفند وسجن المسكوبية بالقدس وفي عدد آخر من المعتقلات العسكرية الاسرائيلية يقبع حوالى ٤٠٠ فلسطيني من ابناء الارض المحتلة اعتقلوا خلال الشهرين الماضيين .. فماذا يحدث لهم ؟

في سجون اسرائيل

في الاسبوع الاول من شهر يونيو شرت لجنة حقوق الانسان والمواطن اعلانا مدفوعا في عديد من صحف اسرائيل حول الاعتقالات الادارية وتعذيب المعتقلين جاء فيه :

« في الثاني والعشرين من نيسان العام الجاري ابتدىء بحملة اعتقالات في القدس الشرقية والضفة الغربية ، المعتقلون هم شخصيات شعبية ، عمال ، قادة النقابات المهنية ، مثقفة وطلبة ، وجميعهم شخصيات معروفة بين الجمهور الفلسطيني » .

وقال البيان « منعت السلطات لمدة طويلة أفراد عائلات المعتقلين ومحاميهم من مقابلتهم ورؤيتهم في السجن ، ولم يسمح بزيارة قسم منهم الا بعد التوجه الى المحكمة » .

« ولقد روى المعتقلون في أحاديثهم الى محاميهم وابناء عائلاتهم انهم عذبوا بقسوة بالغة » .

« يا مواطني اسرائيل ! لا يمكن السكوت على ذلك ! » .

ووزعت لجنة حقوق الانسان الاسرائيلية تقريرا عن اعمال التعذيب على الصحفيين كما نشرت عدة صحف ديمقراطية عددا من التقارير عن الارهاب والتعذيب وفي مقدمتها صحيفة « الاتحاد » الصادرة في حيفا .

تقرير من سجن نابلس

في يوم الثلاثاء ٧٤/٦/٣ تمكن المحاميان حنا نقار وعلى رافع من مقابلة عدد من المعتقلين في سجن نابلس وفرض على المحاميان ان تتم مقابلة ثلاثة منهم في حضور رجل الامن الاسرائيلي

المعتقلون الثلاثة هم : محمد حجازي عضو اتحاد النقابات في الضفة الغربية — عمره ٣٨ سنة — متزوج وله ٣ اولاد اعتقل في ٢٢ ابريل الماضي .

محمد عباس عبد الحق المهندس في بلدية نابلس وخريج جامعتي القاهرة وبرلين الديمقراطية — عمره ٣٧ سنة — متزوج وله ٣ اولاد .

جمال يوسف فريتخ عامل البناء — عمره ٤١ سنة — متزوج وله ثلاثة اولاد .

رواية محمد حجازي :

يروى المحاميان أن محمد حجازي قال لهما « ان المحققين انهالوا بالضرب المبرح عليه منذ اللحظات الاولى من اعتقاله في عمارة الحاكم العسكري الاسرائيلي ، ضربوه بالعصا على اعضائه التناسلية وبقية اعضاء جسمه » .

« بعد ثلاثة ايام من التعذيب القاسي الذي لم يجد نفعا ، نقلوه الى مركز الحاكم العسكري في رام الله حيث وصل في المساء ، وعلى الفور علقوه في بكرة من يديه وضربوه طيلة الليل ، واستمر التعذيب حتى الصباح ... وعندما يغمى عليه ، كانوا يخرجونه الى باحة صغيرة امام غرفة التعذيب ويرشون جسمه بالماء البارد » .

« قال له المحققون : لقد قتلنا فريز الطشطوش في سجن نابلس ونحن على استعداد لان نقتلك مثله اذا لم تعترف نستطيع ان نقتلك او نجعلك مجنونا مدى الحياة او نطردك الى الاردن .. »

ثم يروى المحاميان نقلا عنه انهم « نقلوه من رام الله في سيارة شرطة وعيناه معصوبتان بخرقة سوداء ورأسه مغطى بكيس الى حد الاختناق . وطيلة الطريق ظل جنود الاحتلال الاسرائيليين يركلونه بأرجلهم ويضربونه بقبضاتهم حتى وصل الى سجن المسكوبية في القدس » .

وذكر خليل حجازي «أن السجانين كانوا يمنعون عنه ماء الشرب في سجن المسكوبيه وانهم وضعوه بين معتقلين من الحشاشين الاسرائيليين الذين كانوا يحرمونه من السويعات القليلة التي يستريح فيها من التعذيب ، وذلك بأن كانوا يضعون

لفائف الشعابين بين رجليه ويحرقونها » .

وبعد ذلك نقلوه الى سجن نابلس حيث ظل فى غرفة انفرادية حتى نقلوه بعد ذلك الى جحيم التعذيب فى احدى المعتقلات [نشرت الصحف بعد ذلك انه معتقل صرفند] ، وهناك زجوه فى غرفة بحجم الثلاجة مرصوفة بالحصى الناثر مثل الابر وقد ارغموه على خلع ملابسه ونعليه وطلبوا اليه ان ينام على الحصى ، ولم يقدموا له الا فتات الخبز ، كما ارغموه على حمل كرسى ويداه مقيدتان بالحديد وطلبوا منه ان يقف على رجل واحدة ، ثم ينهالوا عليه بالضرب الوحشى » .

« ثم اعادوه بعد ذلك الى سجن نابلس حتى تمت المقابلة يوم الثلاثاء » .

رواية المهندس

محمد عباس عبد الحق

يروى المحاميان عنه أن حظه من التعذيب لم يقل من حظ محمد حجازى وانهما شاهدا بأعينهما آثارا بارزة بسبب اطفاء السجائر فى جسمه وانه اصيب بأمراض بسبب التعذيب وان ادارة السجن ترفض عرضه على الطبيب

وقال لهما « نقلونى من نابلس الى معتقل عسكرى وهناك جعلونى ازحف على حجارة نافرة كالسكاكين ، وكان الجنود يركبون على اكتافى ويضربوننى وانا احمل الكرسى ، كما علقونى بفلقة وضربونى بعصا غليظة ، وقالوا انت حمار وعليك ان تسير على اربعة » .

ويقول المحاميان « ان المهندس عبد الحق يقبع الان فى زنزانة ضيقة يستحيل النوم فيها ويداه مكبلتان » .

ولا تخرج رواية جمال فريتخ عن رواية المعتقلين الفلسطينيين السابقين .

تقرير من سجن المسكوبية بالقدس

فى يوم ١٩٧٤/٥/٨ تمكن المحاميان وليد الفاهوم وفيلتسيا لانجر من مقابلة حسن عبد المجيد ابو خضير الطالب فى جامعة بيروت ومن سكان القدس العربية وكانت سلطات الاحتلال قد اعتقلته فى ١٩٧٤/٤/٢٢

وقد روى لهما انه بعد ستة ايام من الاعتقال بدا التحقيق « قدمت لى كأسين من الملح المركز واضطررت قسرا الى شربهما ثم بدأت الاسئلة » :

— « قل انك شيوعى وعضو فى الجبهة الوطنية » .

— « انا لست عضوا فى شىء » لم يحصل لى الشرف » .

— « اذن اخلع ملابسك » .

ويقول المحاميان نقلا عنه « ان حسن وقف عاريا امام المحقق ثم بدأت العلامة على الجانب الايمن من خده تتضخم ثم تضمحل ، ثم خيم الظلام .. حسن ابو خضير لا يعى شيئا ... لقد ضربه المحقق على عضوه التناسلى بعصا غليظة بيضاء اللون » .

« ويمر يوم ويعود المحقق ... امك .. ابوك .. كل المبادىء ... اخلع ثيابك سوف .. !! ثم الضرب بقسوة .. ثم يجبرونه على أن يزمر ويمشى مثل السيارة « بيب .. بيب » .. لقد ارادوا عبثا تحطيمه » .

ثم يروى المحاميان انهما قابلا فى نفس اليوم الطالب عمر محمود مسودة وهو من سكان القدس العربية ويطلب العلم فى جامعة بيروت — وعمره ٢٤ عاما .

يقول .. أخذ المحققون فى الضرب بعصا غليظة على الرأس ضربات متواصلة تكرر ذلك خمس مرات .. ثم بعصا اصفر بنية اللون ، وكان الضرب هذه المرة على الانامل مضمومة .. ثم امرونى أن اتمدد عاريا على الارض ، ووضعوا مادة على العضو الجنسى ، قالوا سوف تسبب له الحساسية . واذا لم تعترف فسنستخدم الصدمات الكهربائية »..

ويضيف فى الاسبوع الاول « لم استطع المشى من جراء الرفس فى البطن واجبارى على النط بشكل متواصل » .

وقد علما منه انهم يحققون معه بالنسبة لابن عمه يعقوب العبيدى الذى لا يعرف مكان وجوده ، وبالنسبة لاخيه عبد الرحمن الذى يعتقدون انه عنصر فى الجبهة الشعبية .

اما هو فتهمته انه عضو فى منظمة معادية ، لا يدرى منها شيئا ، كما ان المحققين لم يحددوها له .

ويقول المحاميان « انهما كانا قد قابلاه من قبل بعد ستة ايام من اعتقاله فى ٧٤/٤/٢٢ ، وكان ابهامه أزرقا متورما ونظراته شاردة ومع ذلك فقد استمر التعذيب واشتد رغم مقابلة المحامى للمتهم !! »

تقرير من خديجة أبو عرقوب

خديجة ابو عرقوب من اهالى «دورا» اعتقلت فى ٦ مايو الماضى ، طلبت المحامية فيلتسيا لانجر مقابلتها فكانت الاجابة « لا توجد معتقلة بهذا الاسم فى السجون الواقعة ضمن صلاحياتنا » .

بعد حملة احتجاجات تمكنت المحامية من مقابلتها فى ١٣ يونيو سنة ١٩٧٤ .

قالت خديجة « أمتى فقط جىء بى من سجن غزة الذى بقيت فى احدى زنزاناته مدة أسبوع ولم يفد قولى لهم اننى مصابة بالروماتزم ، فقد ضربونى على اجزاء جسمى ضربا مبرحا شرسا»

وتقول المحامية لانجر ان خديجة كشفت عن مواضع فى جسدها فيها علامات الضرب المبرح وقد منعها الشرطى الاسرائيلى الذى حضر المقابلة ان تواصل الكشف عن آثار التعذيب .

وقالت « ان الفتيات فى السجن شاهدوا جسدى الازرق من شدة الضرب . لقد حقق معى « يونى » الذى أجرى معى تحقيقا سابقا ، وكان يضربنى وهو يقول !! حتى .. محاميا لن يساعدوك وانت فى ايدينا .. زوجى انت ومحاميك الى روسيا » .

واضافت « امام سبعة محققين يحملقون جردونى من ملابسى ، وفى اللحظة الاخيرة ابقوا الملابس الداخلية وكانوا يتوعدون وهم يطلبون ان ادلى اليهم بمعلومات عن الجبهة الوطنية الفلسطينية فى الضفة الغربية .. ولكن لم اكن اعرف شيئا » .

تقرير من سجن رام الله

فى يوم ٢٩ مايو وبعد حملة احتجاجات واسعة قابلت المحامية فيلتسيا لانجر احد القادة السياسيين فى الضفة الغربية وهو سليمان رشيد النجاب ، وكان قد اعتقل فى ٣٠ يونيو .. عمره ٤٠ عاما .

تقول المحامية « كانت يداه مقيدتين بالاصفاد ، وعلامات التعذيب المروع بادية عليه ، وقد حاولوا تحطيمه بدنيا ، روى لى : الضرب حتى درجة الاغماء ، صب الماء البارد ، قيد قصير ملازم يكبل الرجلين ليل نهار ، الضرب على الاعضاء التناسلية ، المحققون يتناوبون التعذيب مرات ومرات ... » .

وفى يوم ١٩٧٤/٦/١٤ قابلته مرة اخرى وعلمت منه « انه نقل بعد المقابلة الاولى الى معسكر التعذيب الرهيب « صرفند » حيث تعرض لابشع انواع الضرب والتعذيب » .

تقول المحامية فيلتسيا انهم يتهمونه بأنه « المسئول الاول عن التنظيم الشيوعى فى الضفة الغربية والمسئول الثانى فى الجبهة الوطنية الفلسطينية

ويزعمون انه مسئول عن تنظيم متسلح .. ولكن كل مايعرفون عنه لايزيد عما ورد في بطاقته الشخصية » .

وتروي المحامية الوانا من التعذيب نقلا عن المعتقلين :

احمدمحمد سمارة المعتقلمنذ٧٤/٤/٢٢ كانت انفه قد اصيبت في حادث قبل الاعتقال ، فأخذوا يضربونه على الانف حتى كسروها .

عادل البرغوثيالذين اخفوا ابناءه عدة اسابيع حتى قابل محاميته بعد ان تلقى كل صنوف التعذيب .

مايد عبد الله نمر « ١٩ سنة » عذبوه بفرك اعضائه التناسلية وثدييه حتى سال الدم ، كما تناوب ستة محققين على ضربه وتعذيبه .

حمدان مايد الذي خلع ملابسه امام أمين الحاكم العسكري لبلده رام الله ، فظهرت آثار الضرب والتعذيبعلى جسمه كله .

وعشرات من المعتقلين الاخرين الذين يشرف على تعذيبهم رجال « الشين بيت » .

ثم هناك معتقلون لم يتمكن المحامون من مقابلتهم .

يروي المعتقلون في سجن رام الله « نقط » ان عبد الله البعيرات الذي تنكر ادارة السجون اي معرفة به ، قد ظل منفردا في زنزانة مدة أسبوعين ثم اخذوه الى مكان مجهول ، ويقول زملاؤه انه فقد حاسة السمع لشدة الضرب على الاذن .

ويروون ان محمد خرما قد اصيب بالطرش في اذنه اليمنى بسبب الضرب.

وحاولت المحامية لانجر أن تقابل المعتقل محمد شقيرات ، فقال لها المسئولون في سجن رام الله انه في القدس ، ولما ذهبت الى سجن القدس قالوا لها انه في رام الله .. اما زملاء الشقيرات فيقولون للمحامية انه عذب بقسوة بالغة وانه سجين وان التحقيق معه مكثف .

فما سبب ذلك كله ؟ !

لماذا الاعتقال والتعذيب ؟ !

في يوم ١٩٧٤/٦/١٢ وقف«ماير فلنر» في البرلمان الاسرائيلي « الكنيست » يقول « اود ان اورد حقيقة واحدة — انا مستعد ان اقدم حقائق اخرى امام رئيس الحكومة ، امام وزير الدفاع ووزير القضاء ، امام رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست — ولكن اورد حقيقة واحدة عن معتقل اداري دون أية تهمة ودون محاكمة ، جيء به مكبلا بالحديد ليرى محاميه ، لقد ضربوه طوال ايام اعتقاله حتى اغمي عليه بينما كانت يداه وساقاه مكبلات ، ثم ايقظوه بالماء البارد ، ليعودوا الى ضربه على اعضائه التناسلية وصدره .ثم ضربوه بالفلقة على أخمص قدميه — وهي اداة للضرب متوارثة عن العصور الوسطى — اورد هذه الحقيقة المتعلقة بالمعتقل سليمان رشيد نجاب الذي حققوا معه حول امر واحد : هل هو زعيم الحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية ، وهل هو احد زعماء الجبهة الوطنية الفلسطينية .. هذه الجبهة التي عبرت عن تأييدها لقرار مجلس الامن ولمؤتمر جنيف .. » .

ذلك هو سبب الاعتقال والتعذيب .

في يوم الثلاثاء ١٩٧٤/٥/١٤ نشرت صحيفة « دافار » الاسرائيلية مقالا اخباريا عن حملة الاعتقالات الاخيرة في الاراضي العربية المحتلة بقلم « ايهود يعاري » اعترفت فيه أن هذه الاعتقالات هي « اعتقالات سياسية » وموجهة ضد « الجبهة الوطنيةالفلسطينية »» واعترفت دافار انه لاتوجد اية تهمة «ضد المعتقلين» ولكنها عادت تقول أن الاعتقالات جرت«ان الشك تبادر الى اذهان السلطات ان الشيوعيين ، في الجبهة الوطنية الفلسطينية ربما سينتقلوا من « العمل السياسي الى العمل العسكري » .

ولكن ١١١ من الرجال والنساء من اقارب المعتقلين والمعتقلات أصدروا نداء الى الرأي العام الاسرائيلي وزع على الصحف ومختلف الهيئات جاء فيه « تحاول سلطات الحاكم العسكري ايهام الرأي العام الاسرائيلي ، تبريرا لتصرفاتها التعسفية ، أن هؤلاء المعتقلين «يشكلون منظمات تخريبية » ، وهو تعبير تستخدمه هذه السلطات بدون تمييز »،

« اما الحقيقة فان هؤلاء المعتقلين كما تعرف سلطات الحاكم العسكري ذاتها ، وكما تعلم الاوساط الديمقراطية في اسرائيل ، هم من أنصار السلام العادل ومن المكافحين المثابرين ضد مختلف مظاهر التعصب القومي حينماوجد .. ومن المؤيدين بثبات لحل نزاع الشرق الاوسط على اساس القرارات الدولية واحترام حق جميع شعوب المنطقة بالعيش ضمن حدود آمنة ... » .

ووجه المحامون في بلدة الناصرة بيانا الى رئيس الحكومة ووزراء العدل والدفاع والشرطة وصفوا فيه هذه الاجراءات بالارهاب السياسي «ضد الجبهةالفلسطينية ومؤيديها بهدف منع اشتراك ممثلين حقيقيين للشعب العربي الفلسطيني في مؤتمر جنيف ومنع اقامةالسلطةالفلسطينية على الارض الفلسطينية بعد انسحاب القوات الاسرائيلية » .

وبعثت ستيدات واخوات وبنات المعتقلين في نابلس برقية احتجاج الى الحاكم العسكري جاء فيها « في هذه الفترة التاريخية التي تمر بها شعوب المنطقة ، وفي نفس الوقت الذي تسعى فيه شعوب هذه المنطقة لاجل السلام القائم على العدل واعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها ، وفي الوقت الذي يعترف فيه العالم بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، في هذا الوقت بالذات تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلي بحملة اعتقالات ضمت اعدادا كبيرة من مختلف قطاعات شعبنا المحتل »

وكتبت صحيفة « الاتحاد » الصادرة في اسرائيل ، في يوم ١٩٧٤/٥/٣ ، تقول « لم يعد سرا ان حملة الاعتقالات الجديدة هي حملة بوليسية بسياسة واضحة هدفها « كما يتوهم اصحابها » هو ضرب اوسع تنظيم شعبي سياسي في المناطق المحتلة — ضرب الجبهة الوطنية الفلسطينية التي من المضحك تسميتها « شبكة » بينما هي تضم جميع الهيئات والمنظمات والشخصيات الوطنية في المناطق المحتلة ، وهي القائد السياسي المعترف للشعب العربي الفلسطيني في المناطق المحتلة » .

« وليس من قبيل الصدفة ابدا ان حملة الاعتقالات البوليسية هذه جاءت في الاسبوع نفسه الذي اصدرت فيه الجبهة صحيفتها « فلسطين » وجددت فيه الاعلان عن اهداف الجبهة التي تتلخص في رفض الاحتلال الاسرائيلي وفي رفض عودة الحكم الهاشمي وفي الاصرار على ممارسة السيادة القومية الفلسطينية على الاراضي التي تحرر من الاحتلال الاسرائيلي .

سبب الاعتقال اذن ، هو القضاء على التنظيم السياسي لشعب فلسطين في الاراضي المحتلة ، هو تصفية الممثلين الحقيقيين لشعب فلسطين في هذه المناطق ، ثم هو القضاء على مشروع اقامة « السلطة الوطنية » في الاراضي المحررة ، والذي أعلنت عنه « منظمة التحرير الفلسطينية » ، التي تشكل الجبهة الفلسطينية قطاعا سياسيا هاما من قطاعاتها .

أن في سجون اسرائيل الآلاف من المعتقلين والمسجونين الفلسطينيين ، ولا يعرف العدد بالدقة ، غير أن مصادر اسرائيل تقول انه حوالي خمسة آلاف، وأن كانت مصادر أخرى تقدره بأكثر من ١٥ ألفا .

ومن بين هؤلاء من كان يحمل سلاحه لتحرير أرضه،وهذا حق اقرته الامم المتحدة نفسها ، وكذلك من بين هؤلاء العديد من المناضلين سياسيا .

ومن المعلوم أن الذين يناضلون بالسلاح ضد الاحتلال يلقون تعذيبا وحشيا عند القبض عليهم ، وكذلك يفعل المحتل الاسرائيلي بالقادة السياسيين .. اذ لابد من البحث عن تهمة تبرر القبض عليهم .. فليتم، اذن ، ارهابهم وتعذيبهم والصاق تهم غريبة بهم .

ذكرت صحيفة « هارتس » الاسرائيلية في عددها الصادر يوم ٢٨ ابريل الماضي أن «أذرع الامن اعتقلت في الاسبوع الماضي في القدس الشرقية وضواحيها ما يزيد على أربعين شابا انتظموا في شبكة اقامها الحزب الشيوعي بأسم الجبهة الوطنية الفلسطينية » .

وأضافت هارتس تتحدث عن هذه الشبكة قائلة أن البوليس مدوا اعتقال الصحفي غسان طهبوب والشابان زياد الحموري وماهر القدومي لعشرة أيام اضافية بتهمة اغتيال سائق التاكسي المقدس « صميون ابرجيل »، وكان الثلاثة قد اعتقلوا في ٢٤ ابريل ضمن حملة الاعتقالات الاخيرة .

ثم قالت « ان زياد الحموري هو ابن تهمي الحموري الذي توفي مؤخرا وكان واحدا من قادة الحزب الشيوعي في الضفة الغربية » .

ولكن بعد شهرين من هذا الكلام أطلق البوليس سراح الشبان الثلاثة بعد أن عجز عن اسناد اية تهمة ضدهم .. وسكتت « هارتس » عن الكلام .

من أجل هذا تشدد قوات الاحتلال من ارهابها حتى انها أخذت تعتقل عائلات بأسرها .. كما حدث حين اعتقلت في « الجليل » أربعة اشقاء هم محمد وخليل ورشيد ويعقوب عبد الرحيم الطويل ثم قريب لهم هو عزمي محمد الطويل .

وكما حدث حين اعتقلت الرجل العجوز موسى شحاده [٧٥ عاما] لانه لم يبلغ البوليس الاسرائيلي عن أولاده الثلاثة !!

مواجهة الارهاب

« هدده المحققون بهدم داره ولم يتورعوا عن تهديده بجعل زوجته تمارس البغاء ، ولكنه أجابهم أن زوجتي شريفة وأشرف مما تظنون ، ولن تستطيعوا تنفيذ مآربكم » .

« وبعد يومين حضر رجال الشرطة وقالوا له : هل تريد أن ترى زوجتك ؟ فأجاب : لا يهمني ذلك ابدا . فطلبوا اليه أن يلبس ملابسه، وكان عاريا يواجه همجيتهم وآلتهم الوحشية .. وقالوا : ها نحن أحضرنا زوجتك لكى تراها ثم نبعث بها مع أربعة جنود ليفعلوا بها ما يشاءون » .

« وحين ذهب لرؤيتها ، وكانت جالسة بقرب جندية ، اراد أن يصافحها . ولكنهم أخرجوه في الحال من الغرفة ».

«أسمها سميرة حجازي » [الاتحاد الصادرة في اسرائيل ٧٤/٦/٧] .

وتحدثت الزوجة سميرة الى مراسل نفس الصحيفة تقول : «قابلني أربعة أشخاص ومجندة ، وسألوني ان كنت أرغب في مقابلة زوجي ، فقلت لهم : هذا أمر طبيعي .. عندها أنشق الباب ودخل زوجي ، ولكني لم استطع حتى السلام عليه ، لانهم في أقل من دقيقة سحبوه من ظهره وأغلقوا الباب وراءه، واستطعت أن الاحظ آثار التعذيب الشديد على وجهه » .

« وبعد ذلك قال الاربعة : انصحك بان تطلقي زوجك ، لانه سيمضي فترة طويلة في السجن .. لا لانه شيوعي بل لانه مخرب .. قلت لهم : زوجي أعز علي من كل مالكم » .

« قالوا : انه لن يصبح حرا ابدا ».
« قالت : سيصبح حرا وسنتحرر منكم »
[الاتحاد ٧٤/٦/٢٤] .

وتقول الصحيفة في نفس العدد « أن سليمان نجاب مصاب بالسرطان .. أن محمد عبد الغفور غريبة مريض بالسل .. أن السجناء اليهود يعتدون على المعتقلين العرب على مرأى من الحرس الاسرائيلي» .

ولكن المقاومة تتزايد .

فقد صدر بيان الى الرأى العام العالمي والاسرائيلي من امهات وأهالي المعتقلين الذين أعتصموا في القدس يوم ٧٤/٦/٢١ جاء فيه « أن شعبنا في هذا الجزء المحتل من الوطن يتعرض منذ الاحتلال وحتى اليوم لموجة من القمع تهدف الى طمس الشخصية الفلسطينية وتمرير الحلول التي يريدها الاستعمار » وطالب البيان هيئة الصليب الاحمر الدولي بتشكيل لجنة للتحقيق في اوضاع المعتقلين .

أرسل الاطباء والمهندسون والمعلمون والمحامون في الناصرة رسائل احتجاج واستنكار الى رئيس الحكومة ووزراء الدفاع والشرطة والعدل وطالبوا الافراج عن العناصر الوطنية من مواطني الارض المحتلة ، كما قامت مظاهرة في المدينة والقرى المحيطة بها يوم السبت ٧٤/٦/١٥ احتجاجا على اجراءات القمع والارهاب في الارض المحتلة .

اجتمع رئيس بلدية نابلس بالحاكم العسكري واحتج باسم المواطنين على استمرار سجن المعتقلين وتعرضهم للامراض وبينهم مثقفون وفتيات .

ووجهت الهيئة الاسلامية بالقدس بيانا يوم الاحد ٧٤/٦/١٦ الى الرئيس نيكسون اثناء زيارته لاسرائيل طالبت فيها بالانسحاب الكامل .. عن جميع الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس العربية ووقف الاعتداء على الحريات العامة وزج الشباب في السجون بمجرد الاشتباه وابقائهم فيها مدة طويلة دون محاكمة او تحقيق .. والافراج عن آلاف السجناء العرب الذين مازالوا يرزحون في السجون الاسرائيلية منذ احتلال البلاد » .

وفي يوم الاثنين ٧٤/٥/١٣ ، وعلى اثر انعقاد محكمة العدل العليا في القدس خرج نساء وأخوات وأمهات المعتقلين ، مصحوبات بممثلات المنظمات النسائية وقادة منظمات العمال والاباء الروحيين في مظاهرة في شوارع القدس العبرية، وهي تهتف بالعربية : العدالة ! العدالة !

وفي يوم السبت ٧٤/٥/١١ اعتصم اقارب المعتقلين في مجلس بلدية رام الله وتقدموا برسالة احتجاج على اعتقال المواطنين وقد توجه وفد من المجلس متضامنا الى الحاكم العسكري وقدم اليه الرسالة .

وفي يوم الخميس ٧٤/٥/٩ قامت مظاهرة في مجدل الشمس احتجاجا على الاعتقالات واجهها البوليس بعنف .

وفي يوم الاحد ٧٤/٥/١٢ أعتصم المواطنون في نابلس في المجلس البلدي وبعثوا برسالة احتجاج الى الحاكم العسكري .

ووجه الاتحاد العام لعمال فلسطين نداء الى عمال العالم والى جميع القوى الديمقراطية داعيا الى استنكار حملة الاعتقالات الاخيرة في الارض المحتلة .

ووجه اتحاد العمال في الضفة الغربية بيانا يحتج فيه بشدة على الارهاب والتعذيب والاعتقال .

وأصدرت نقابات واتحادات الاطباء والمهندسين والمعلمين والطلبة بيانات متشابهة .

وتشكلت في الاردن لجنة للتضامن مع شعب فلسطين في الارض المحتلة برئاسة سليمان النابلسي وأصدرت بيانا تحتج فيه على اعتقال القادة السياسيين .

وفى يوم ٧٤/٥/١٧ ذكرت صحيفة « هاآرتس » الاسرائيلية أن الشعارات الوطنية الفلسطينية ظهرت على الجدران فى وقت واحد وفى عدة مدن من بينها القدس ورام الله والبيرة، ومن الشعارات « شعب فلسطين باق » و « عاش نضال الشعب العربى الفلسطينى » .

ويرسم المحامى عبد الحفيظ دراوشة صورة للاحداث نقلا من جلسات احدى المحاكم فيذكر أن المدعى العسكرى الاسرائيلي وجه يضحك عندما تحدث عن « الشبكة التخريبية » .. فتوجه القاضى الى المحامى حنا نقاره قائلا « قل لى ، يا استاذ نقاره ، ما الذى يضحكك ؟؟ » .

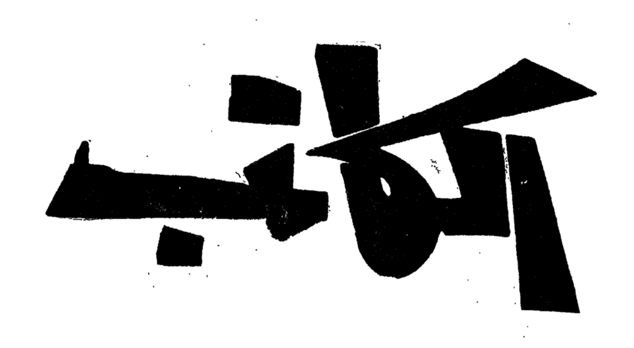
فأجاب الاستاذ نقاره « اذا اراد المدعى العسكرى الدقة فى لائحة الاتهام فعليه أن يدخل فى الشبكة جميع اهالى المناطق المحتلة . أليس كذلك ؟ ومتى كانت مقاومة الاحتلال تهمة ؟ أو ليست التهمة هى عدم مقاومة الاحتلال .. ؟ فهل جميع اهالى المناطق المحتلة ينتمون الى شبكة ؟ واين هذه الشبكة التى تتسع لهم ؟ » [الاتحاد ٧٤/٥/٣١] .

نعم .. أن جميع الشعب فى الارض المحتلة مع قادته المعتقلين فمن هم ؟

أسماء المعتقلين فى الحملة الاخيرة

من الصعب معرفة كل أسماء المعتقلين، ومع ذلك امكن تجميع عدد من الاسماء من استقراء المعلومات الواردة فى الصحف الصادرة فى اسرائيل وفى الارض المحتلة :

- سليمان رشيد نجاب [٤٠ عاما - اعتقل ٣٠ - ٥ - ٧٤
- محمد عباس بكر عبد الحق [مهندس من نابلس - اعتقل ٤ - ٥ - ٧٤
- خلدون بكر عبد الحق [مقاول - من نابلس [اعتقل ٢٢ - ٤ - ٧٤
- محمد عبد الغفور ابو غريبة - نابلس
- عرفان ناصر ابو الليل [دكتور - نابلس - اعتقل ٢٢ - ٤ - ٧٤
- عادل محمد البرغوثى .
- غسان نصيف حرب [من رام الله] .
- تيسير رجب العروري [مدرس من رام الله] .
- عدنان محمود داغر [نقابى من رام الله] .
- حسين محمد فرج الطويل [من رام الله] .
- راغب حمدان البرغوثى .
- صلاح على زهران
- خضر العالم [اعتقل ٢٧ - ٤ - ٧٤
- بهجت الشعبى [اعتقل ٢٧-٤-٧٤
- ميسره الشعبى [اعتقل ٢٧-٤-٧٤ وكلاهما من دير غسان
- محمود خرما [من كفر عين] .
- عبد الله سليمان عبد الله البعيرات [من رام الله] .
- محمود شقيرات [القدس]
- حسنى حداد [مهندس - من بيت لحم]
- عطاالله الرشماوى [من بيت ساحور] .
- احمد محمد سمارة [من رام الله - اعتقل ٢٢ - ٤ - ٧٤] .
- عايد عبد الله نمر [من رام الله]
- جمال يوسف فريتخ [عامل ٤/٢٢] .
- محمد عبد الرحمن الطويل [من الخليل]
- خليل عبد الرحمن الطويل [من الخليل]
- رشيد عبد الرحمن الطويل [من الخليل]
- يعقوب عبد الرحمن الطويل [من الخليل]
- عزمى محمد الطويل [من الخليل]
- موسى شحادة [٧٥ عاما - من شفاط]
- يحيى الجولانى
- سعيد القاق
- عبد الجابر البيطار
- عرابى البيطار
- أحمد موسى شحادة [من شفاط]
- محمود موسى شحادة [من شفاط]
- محمد موسى شحادة [من شفاط]
- محمد يوسف بغدادى [من قليقلة اعتقل ٢٢-٤]
- احمد الشيخ ديب [من سلفيت اعتقل ٢٢ - ٤]
- حسن عبد المجيد أبو خضير [طالب - من القدس اعتقل ٢٢ - ٤] .
- عمر محمود عودة [طالب من القدس اعتقل ٢٢ - ٤]
- عمر محمود عودة [طالب - من القدس]
- يعقوب العبيدى [من القدس]
- عبد الرحمن محمد عودة [من القدس]
- عبد الله عبد المجيد [من بيت لحم]
- عبد الباسط الخياط [من نابلس - اعتقل ٢٢ - ٤]
- لبيب قحواش [من سلفيت - اعتقل ٧٤/٤/٢٢] .
- عبد المجيد حمدان [مدرس من بيت لحم]
- عادل قحواش [اعتقل ٤ - ٥ - من نابلس] .
- حمدان عايد [من رام الله]
- عبد الله السريانى [من رام الله]
- غسان عبد الوهاب الخطيب [اعتقل ٢٢ - ٤ - ١٩٧٤] .
- نبيل هاشم قحواش [طالب - من نابلس] .
- راجح احمد سالم أبو غنيم
- بسمان أبو رجيلة [القدس]
- كريم حمدان [القدس]
- عبد الكريم الشلودى [القدس]
- ماجد سور [القدس]
- محمد طاهر جلودى [القدس]
- يحيى أبو شريف [القدس]
- عمر الشريانى [القدس]
- حسين أبو غريبة [القدس]
- يعقوب فراج [القدس]
- فاروق السلفيتى [القدس] .
- خليل توما [القدس]
- ماجد ابو سرية [القدس]
- طاهر عرفة [القدس]
- ابراهيم الجولانى [القدس]
- عادل سعيد الزغا [طالب - اعتقل ٤ - ٥]
- جمال فريتش [من نابلس]
- اسعد سقرط [القدس]
- عادل الرجبى [القدس]



مرحبا

بكل اعزاز وتقدير للمسئولية ، تفتح أسرة تحرير « **الطليعة** » أذرعتها بترحاب أمام أسرة تحرير « **الكاتب** » ، كى تشاركها منبرها •

وهذا أضعف الايمان •

نحن و « الكاتب » ، نقف جنبا الى جنب على أرض الوطن التقدمية والقومية • من موقع كل منا ومنهاجه فى الرؤية والتحليل ، نختلف حينا ونتفق حينا آخر • لكن يجمعنا فى النهاية مصير واحد • **مهنيا** : الجدية والموضوعية • **فكريا وسياسيا** : الولاء لقضايا العمال والفلاحين والجنود والمثقفين فى مصرنا ووطننا العربى • سواء فيما يتعلق بالنضال ضد الامبريالية والصهيونية • او ما يتعلق بالتغيير الاجتماعى الذى يعادى استغلال الانسان للانسان • أو ما يتعلق بقضية الديموقراطية وحرية التعبير لجميع القوى الوطنية والتقدمية دون استثناء •

من هنا كان من حقنا وواجبنا معا ، ان نرى فى العدوان غير المشروع على أسرة تحرير « الكاتب » وحرمانهسا بتعسف من منبرها ، عدوان على « الطليعة » وأسرة تحريرها فى نفس الوقت • وبالتالى ليس لنا من خيار الا التضامن ، فعلا وقولا مع « الكاتب » • وقد ترجمنا هذا التضامن باستضافة « الاقلام المطاردة » فى بيتنا .

ونود أن نكون واضحين ومحددين فنضيف :

ليس بين « الطليعة » و « وزارة الثقافة » ، خصومة شخصية أو عداء ذاتيا . بل لعل أواصر الصداقة والاحترام المتبادل كانا دائما ــ ولايزالان ــ يجمعان بين الاستاذ « يوسف السباعى » كاتبا ووزيرا ، وبين رئيس تحرير الطليعة •

غير أن الطليعة ، من منطلق فكرى وسياسى ، يختلف موضوعيا عن منطلق الاستاذ السباعى كاتبا ووزيرا ، ترى أن وزارة الثقافة قد أساءت استخدام سلطتها تجاه « الكاتب وأسرة تحريرها » . وذلك بالخروج على الخط الرئيسى للتحالف الوطنى الذى يقوم على تعدد المنابر والاراء والاتجاهات ، وكفالة حرية التعبير المسئول لها جميعا •

ولا نستطيع ان نقبل ــ أمانة وصدقا ــ الاسباب الرسمية التى قدمتها الوزارة تأييدا لتصرفها • ذلك انها جميعا مستمدة من وقائع تالية فى التاريخ على تاريخ أزمة الكاتب مع الوزارة • ولا نريد هنا أن نكرر رأينا فى الاسباب نفسها ، فقد نشرناه بالعدد الماضى من الطليعة •

ترى •• هل نطرق ، بلا جدوى ، بابا موصدا غير قابل للانفتاح ؟ اذا طالبنا وزارة الثقافة ــ باسم ديمقراطية التحالف الوطنى ــ أن تعيد النظر فى موقفها وترد « الكاتب » الى أهله ؟

اذا كنا لا نملك فى هذا المجال غير السؤال ، فاننا نملك ــ فى حدود قدراتنا واحساسنا بالمسئولية وممارستنا الديمقراطية التحالف كاشتراكيين ــ فتح باب بيتنا المتواضع أمام زملائنا أعضاء أسرة تحرير الكاتب ونقول لهم بفرحة آسية : مرحبا •• قاسمونا لقمة العيش ومنبر التعبير ومسئولية الدفاع عن الديمقراطية وقضايا الشعب •

وذات صباح ، يصيح ديك سقراط ، ويشرق « الكاتب » من جديد •

« لطفى الخولى »

الكاتب .. والطليعة !

على الصفحات المحدودة التالية خصصت « الطليعة » جزءا منها لاسرة تحرير « الكاتب » ، كرمز على التضامن بين كافة المنابر الوطنية والثورية ، والدفاع عن حقها فى التواجد والاستمرار ٠

وهذه المبادرة الكريمة من أسرة تحرير « الطليعة » التى قبلتها « الكاتب » شاكرة ، هى تتويج لاهتمام عريض أحاطبالحب والتشجيع أسرة « الكاتب » فى موقفها من كافة المثقفين الوطنيين والتقدميين على امتداد الوطن العربى الكبير ٠

لسنوات طويلة كانت « الكاتب » و « الطليعة » رفيقتا درب واحد ، مع تنوع فى الاجتهاد ، فقد دافعتا دائما وبقوة عن التوق العارم لجماهير الشعوب العربية الكادحة فى مزيد من العدل والحرية والتقدم ٠ وتعرضتا فى ظروف متعددة لنفس الحملات ومن نفس الاعداء ٠

والامتنان الذى تشعر به أسرة « الكاتب » « للطليعة » وأسرة تحريرها ، ينطلق من وعى بأن هذه الصفحات لن تكون بديلا عن « الكاتب » فهى مجرد رمز على الاستمرار ، لكن « الكاتب » و « الطليعة » معا توقنان بأن تعدد المنابر الثورية والوطنية ضرورى وحتمى ، من هنا فان حق اسرة « الكاتب » فى اصدار منبرها أمر تتمسك به اسرتا تحرير المجلتين ، والصفحات التالية هى رمزه المؤقت ، الى أن تتمكن اسرة تحرير « الكاتب » من اعادة اصدار منبرها الخاص ٠٠ وهو ما سيحدث قريبا ٠٠

ان موقف « الطليعة » يتميز فى هذه الظروف بنضج وطنى وثورى ، تشعر أسرة « الكاتب » أنه تعبير عن أوضاع ايجابية فى ساحة الفكر والثقافة فى بلادنا ، وتتأكد معه حتمية هزيمة كل محاولات حصار الفكر الثورى والتقدمى ٠

« أسرة الكاتب »

رئيس التحرير :

احمد عباس صالح

سكرتيرو التحرير :

حسن سليمان
احمد القصير
حسنين كروم

مجلس التحرير

كمال الدين رفعت
لطفى واكد
د٠ محمد أنيس
د٠ يوسف أدريس
رجاء النقاش
صلاح عيسى

وحدة القوى التقدمية

كمال الدين رفعت

لم يكن تاريخ مصر جامدا فى يوم من الايام ،بل كان يتسم دائما بالحركة الدائبة تحركها الجماهير نتيجة نزوعها الى الحرية والتحرر من كافة القيود التي تحد من انطلاقها .

ولم يتخلف الشعب المصرى عن بذل الجهد والعرق والدم كى يحافظ على كيانه ويعزز من قدراته النضالية لتحقيق حياة أفضل لملايين الكادحين من أبنائه . وبرغم النكسات التى أصابت كفاح الشعب فى فترات من تاريخه ، الا أنه بحيويته وصموده وايمانه العميق أمكنه أن يتخطى هذه النكسات وأن تكون له الغلبة فى النهاية ، لا ينسى من أساءوا اليه ويكرم من عملوا وضحوا من أجله . هذا هو تاريخ شعبنا ، وهو مستقبله أيضا .

لقد استطاعت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ أن تعبر فترة من نكسات شعبنا حيث كان يتحكم فيها الاستعمار والاقطاع والرأسمالية الاجنبية والمستغلة . ورغم أن مصر كانت تعتبر دولة مستقلة حسب القانون الدولى — الا أنها فى الواقع كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة ، تسيطر على سياستها — رغم مظاهر الديموقراطية التى كانت قائمة — القوى الاجنبية التى تدعمها قوات الاحتلال الاجنبى . وتسيطر على العقول مفاهيم ثقافية بالية شتتت أفكار الجماهير وآمالها بحيث استطاع البعض أن يطلق بعض الشعارات مثل « الزواج الكاثوليكى بين مصر وبريطانيا » « وعدم امكانية الاستغناء عن بريطانيا » .. الخ . علاوة على سيطرة الاحتكارات والرأسمالية الاجنبية على الحياة الاقتصادية فى البلاد ، تسيرها وفق مخططاتها وأهدافها ، متعاونة فى ذلك مع طبقة من الاقطاعيين والرأسماليين المستغلين (مجتمع النصف فى المائة) . وحيث كانت الرأسمالية الوطنية الحقيقية مضروبة من قبل رأس المال الاجنبى ، الذى لم يمكن لها أن تمارس دورها التقليدى فى بناء اقتصاديات المجتمع . وحول معظمها الى رأسمالية طفيلية (السماسرة والوسطاء ووكلاء الشركات الاجنبية) تقتات على جهد وعرق العمال والفلاحين المنتجين الحقيقيين فى المجتمع . واذا كانت الرأسمالية الوطنية قد استطاعت فى فترات ضعف الرأسمالية الاجنبية أثناء الحرب العالمية الاولى وفى أعقابها وأثناء الازمة العالمية سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٠ أن ترسى دعائمها باقامة بنك مصر وشركاته . الا أن الرأسمالية الاجنبية لم تسمح لها بالانتشار الا فى حدود صناعات الغزل والنسيج التقليدية ، مما حدا ببنك مصر أن يوجه استثماراته الى بعض قطاعات الخدمات مثل السينما والسياحة والطيران .. الخ . ولم يتطرق الى فروع أخرى من قطاعات الانتاج . اللهم الا بعض الشركات التى أقامها « عبود باشا » مشاركا فى ذلك رأس المال الاجنبى وأهمها شركات السماد والسكر والتى لها ارتباط باقتصاديات المجتمع الزراعى . وبمعنى آخر كانت الرأسمالية الاجنبية تتحكم فى اقتصاديات البلاد بهدف منع قيام المجتمع

الصناعى وما يرتبط ذلك بتطور سياسى وثقافى واجتماعى فى المجتمع ، والابقاء على المجتمع الزراعى وما يمثله من تخلف حضارى .

واذا كان المجال هنا لا يتسع لسرد الانجازات الضخمة لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، فان من أهم انجازاتها الضخمة فى هذا المجال هو انهاءسيطرة رأس المال الاجنبى على اقتصاديات البلاد وما كان يستتبع ذلك من نفوذ سياسى . وتحرير رأس المال المصرى من هذه السيطرة وتصفية الممتلكات الاجنبية فى قطاعاتالصناعة والزراعة والتجارة والتشييد والمال ، وارساء دعائم القاعدة الصناعية فى المجتمع ،حيث دخلت الصناعة فى مصر مجالات جديدة لم تكن تستطيع ان تطرقها من قبل . وظهرتالطبقة العاملة كعنصر أساسى فى بناء المجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

وجاءت حرب سنة ١٩٦٧ التى دبر لهاباحكام فى نطاق سلسلة المؤامرات الامبريالية التى أطاحت بحكم نكروما فى غانا وسوكارنوفى اندونيسيا والانقلاب العسكرى فى اليونان فى ابريل سنة ١٩٦٧ ، بهدف تحطيم ارادة الشعب المصرى واثنائه عن عزمه فى استمرار ثورته التحررية الكبرى . وبالرغم من الهزيمة العسكرية التى منينا بها فى هذه الحرب ، فان الشعب المصرى لم يستسلم ولم يرضخ لشروط الامبريالية والصهيونية ، وأصر على الصمود ، وتحمل الكثير معنويا واقتصاديا طيلة سبع سنوات ، لم يفقد فيها ايمانه بنفسه وبقدراته . كما لم تفقد قواتنا المسلحة معنوياتها وارادتها لتحقيق النصر . فلم تكن السنوات السبع الا آتون صهرت فيه هذه القوات بـكافة فروعهاوتشكيلاتها المقاتلة . ولـم يكن النصر الذى حققته فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ وليد اليـوم السادس من هذا الشهر ، كما لم يأت صدفة أو بضربة حظ ، بل انه انتزع بالجهد والعرق والدم عن طريق النضال الطويل الشاق .

فمعارك رأس العش وساحل خليج السويس والجزيرة الخضراء وجزيرة شدوان وغارات سلاح الطيران المصرى على مواقع العـدو واستحكاماته ، وتدمير ٨٠ فى المائة من خط بارليف الاول فى حرب الاستنزاف وعمليات عبور القوات الخاصة الى الضفة الشرقيـة للقناة وعمليات الضفادع البشرية فى ميناء ايلات واغراق المدمرة ايلات . كل ذلك كان تمهيدا لمعارك أكتوبر سنة ١٩٧٣ المجيدة التى كانت لها آثار سياسية وعسكرية بعيدة المدى على المستويات المحلية والعربية والدولية . الا أن أهم ما تمخضت عنه هذه الحرب ، أن الانسان المصرى والعربى قد استطاع أن يكتشف ذاته وحقيقة جوهر معدنه . ولعل أبلغ ما قيل فى هذا المجال ما ذكرته مجلة «نيوزويك» الامريـكية فـى عـددها الصـادر فـى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ « أن كثيرين نسـوا أنالمقاتلين العرب استطاعوا يوما ما أن ينشروا رسالة الاسلام فى ربوع نصف العالم المتمدين فى ذلك الوقت » . كما أوردت المجلة قول أحد المراقبين أنه لا يمكن ايقاف العرب اذا ماتنسموا رائحة النصر .

ان هذا التعليق من المجلة الامريكية فيه كل الحقيقة عن العرب وتاريخهم . ولكنه فى نفس الوقت يحمل معنى التحذير من يقظة العالم العربى والروح الجـديدة التـى ارتبطت

د. محمد انيس

خلال سنوات طويلة شارك الاستاذ الدكتور محمـد أنيس فى مسيرة الكاتب بالكثير ..
كان ايمانه الذى لا حد له بالدور الذى تقوم به منابر الفكر التقدمى فى بلادنا يجعله يمنح « الكاتب » جهدا مستمرا ، وبطاقة تفوق التصور ، وقد بلغ هذا الجهدقمته فى الشهور الثلاث الاخيرة ، التى شارك خلالها الدكتور انيس فى اصدار « الكاتب » وفى الدفاع عن حقها فى الاستمرار بعمل يومى ، وبجهد لا يعرف الكلال ، وحماس لا يفتر .
ومنذ عامين ، وثلاث من اكبر جامعات العالم العربى تلح على الاستاذ الدكتور محمد انيس ان يعمل بها ، تقديرا منها لرئيس قسم التاريخ فى أعرق جامعة فى الشرق الاوسط ، واعترافا بالجهد الذى اعطاه لوطنه المصرى وأمته العربية التى ينتشر تلاميذه فيها من الخليج الى المحيط .. وبرغم ذلك طال تردد محمد انيس ، الى ان قبل اخيرا أن يعمل بجامعة بغداد .. وسافر اليها مع بداية العام الدراسى الحالى .
وأسرة « الكاتب » تفتقد فى د. محمد انيس علمه وفضله وشجاعته واستشارته ، تفتقد عالما عظيما ارتبط وجدانه وجهده ، فيما يعلم فى الجامعة ، وفيما يعلم خارج الجامعة ، بقضية تحرر وتقدم مصر وأمتها العربية لكنها تدرك أن الرجل سيعطى فى بغداد ما كان يعطى فى القاهرة ، خاصة وقد وعد أن يكتب « للكاتب » دراساته وابحاثه ومقالاته من هناك .

« الكـــاتب »

بانتصارات اكتوبر . ثم جاء هنرى كيسنجروزير خارجية امريكا الى القاهرة ليحذر من القضاء على الجيب الاسرائيلى غرب القناة ويحقق اتفاق فك الارتباط بين القوات الذى عبر عنه الرئيس أنور السادات انه كان فك ارتباطمع امريكا نفسها . هذا وفى نفس الوقت أخذت المساعدات العسكرية الامريكية تتدفق على اسرائيل والتى حددت بموجب اتفاق أخير بينهما لمدة خمس سنوات بما يعادل ٥ر١ بليون دولار سنويا .*.

ان الارتباط بين امريكا واسرائيل معروف وهو ارتباط مصير قبل أن يكون ارتباط مصالح الامبريالية والحركة الصهيونية . وكما عبرت بعض المصادر الامريكية من أن مجرد القضاء على وهزيمة الجيش الاسرائيلى فيه قضاء على المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط . وهذا يوضح مدى الارتباط بين السياسة الامريكية واتجاهات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية التى توجه سياسة اسرائيل . والتى تهدف إلى تحطيم الارادة العربية والارادة المصرية على وجه الخصوص والتى استطاعت أن تقضى على خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر .

الا أنه من الامور التى تثير العجب بل الريبة والشكوك أن ترتفع بعض الاصوات فى هذه الايام من وراء القبور وزوايا النسيان ، تحاول أن تتاجر بانتصارات أكتوبر المجيدة وبأرواح ودماء الشهداء الذين سقطوا دفاعا عن تراب وطنهم وحفاظا على كرامة أمتهم . تقول بعض هذه الاصوات أن الاشتراكية هى سبب هزيمة سنة ١٩٦٧ . وهم يتناسون أن الذين قاتلوا وانتصروا فى أكتوبر سنة ٧٣ هم جيل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ الاشتراكية . وأنه لولا مبادىء هذه الثورة التى تهدف الى اذابة الفوارق بين الطبقات لما قاتل العامل والفلاح بجانب المثقف والطالب تحت علم واحد وشعار واحد . ومن أجل هدف واحد .

وتأتى أصوات أخرى معروفة بعمالتها وبعضها كان يذيع من محطات اذاعات الاستعمار فى فترة من فترات كفاح شعبنا ،لتدعى البطولة ولتحاول فرض وصايتها على أفكار الشعب مرة أخرى بعد أن لفظها ولفظ أفكارها ومبادئها . وبعضها يحاول خداع الجماهير لتنسى قضيتها الاساسية وهى قضية التحرر من الفقر والحاجة والتخلف لتبنى لها أوهاما وقصورا من الرمال وأن السماء ستمطرهم ذهبا ودولارات وهم ساكنون وتناسوا أن الله عز وجل قال فى كتابه الكريم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » *.

ويعمل البعض على التسبيح بقيم المجتمع الراسمالى فى الوقت الذى ينحسر فيه هذا النظام عن مجتمعات كثيرة . ولعل الازمة التى يواجهها هذا النظام فى بريطانيا لابلغ دليل على ذلك ، مما حدا بحكومة العمال البريطانية التى فازت أخيرا فى الانتخابات ، الى السير حثيثا فى طريق الاشتراكية والتأميم لانقاذ ما يمكن انقاذه . وحينما تجد بعض هذه العناصر أنها غير قادرة على مواجهة الواقع أو الوقوف ضد تيار التقدم والمنادين به ، فانها تتهمهم تارة بأنهم ماركسيون أو ملحدون ، وأن أفكارهم يستوردونها من وراء الحدود .

ولقد اثبتت المناقشات التى جرت أخيرا بشأن تطوير الاتحاد الاشتراكى مدى عمق ايمان الجماهير بمستقبل وطنها وأمتها ، وأنها هى فى النهاية التى ستقرر مصيرها ومستقبل حياتها ، ولن تترك هذا الامر للقلة التى استغلت وأثرت فى الماضى وتريد أن تستغل وتثرى فى المستقبل .

واذا كانت القوى الرجعية تحاول اليوم أن تستعيد مواقعها التى أقصاها عنها الشعب فى مسيرته الثورية ، وتحاول أن تؤثر على بعض المترددين والجامدين فى تفكيرهم بما تملك من وسائل وأساليب ، وتزين لهم المستقبل حسبما تريد وتشتهى ، فان القوى التقدمية فى مجتمعنا بكافة عناصرها واتجاهاتها ومنابعها الفكرية ،بتحالفها مع العمال والفلاحين والمثقفين وقوى الرأسمالية الوطنية الحقيقية التى تعى ما يدبر لها ، والعناصر الدينية المستنيرة التى تؤمن بأن الدين رسالة حق وايمان وثورة انسانية واجتماعية ضد الظلم والاستغلال والطغيان ، كل هذه القوى مطالبة اليوم أن توحد صفوفها لتقف سدا منيعا ضد محاولات العودة بنا الى عهود السيطرة الطبقية والاستعمارية ومواجهة الاخطار الامبريالية الواردة من الخارج بأشكالها المختلفة ، مثل المؤامرة الامبريالية على قبرص ، والانقلاب الفاشى فى شيلى ، ومواجهة أخطار قوى الثورة المضادة التى كشفت عن نواياها العدوانية ضد حركة الحرية والتقدم .

حرب الردة فى الثقافة المصرية

احمد عباس صالح

لا مفر من وقفة موضوعية لتأمل الوضع الذى آلت اليه الثقافة فى بلادنا . والامر على الرغم من كل ما فيه من جوانب غير موضوعية ، لن يفهم على حقيقته الا بشىء كثير من التجرد ، وقد يكون التجرد مؤلما جدا بفضل تراكم الانفعالات وتشابكها فى تلك الحرب الضروس غير الموضوعية التى شنت على الثقافة ولكنه أمر ضرورى ويستحق كل المعاناة مهما تكن مبهظة للنفس !

ان مجتمعنا انتقل بثورة ٢٣ يوليو الى وضع جديد ، وضع منحاز للجماهير فى مجمله ، تمثل فى تحقق المجابهة السافرة مع الاستعمار . لم تعد الافكار القديمة المتداولة عن التحالف مع الاستعمار او الصداقة أو الزواج الكاثوليكى مطروحة .. انتهت تماما .. ولم تعد السلطة السياسية منفصلة عن الجماهير أو مترددة فى مجابهتها مع الاستعمار .. كان تطابق الارادة السياسية للقيادة مع غالبية الجماهير ، ومع التراث الفكرى للشعب المصرى عن الاستقلال والحرية فى لحظة من اللحظات التاريخية النادرة التى مرت بهذه الامة ..

ولم تكن هذه المطابقة ممكنة دون ثورة ، دون هدم التركيب الطبقى القديم ، بدءا من النظام الملكى الاوتوقراطى الذى حول الدستورية الليبرالية الى شكل دون مضمون ، الى الاقطاع والراسمالية الكبرى المتعاونة مع الاستعمار .

صفيت الافكار التى ترددت كثيرا عن الملك العادل ، الملك الذى أفسدته بطانة السوء .. وحلت أفكار جديدة ـ كانت موجودة حقا قبل الثورة ولكنها سادت المجتمع بعدها ـ تدرك ان النظام الملكى بطبيعته معاد للجماهير ، ومتواطىء مع القوى الخارجية ، ومع الطبقات المستغلة ..

وكما سقط النظام القديم سقطت معه الافكار المعبرة عنه وبرزت افكار جديدة كانت مرفوضة وكان معاقبا عليها فى ظل النظام القديم .

والنظام يسقط ، ولكن جذوره تبقى للمقاومة ، وكذلك الافكار . وهذه قصة صراع ثورة ٢٣ يوليو وفكرها فى كل المسالك والدروب التى كان عليها أن تمر بها . ان ثورة مركبة ومعقدة مثل ثورة ٢٣ يوليو لم تكن تحارب نظاما اجتماعيا متخلفا فحسب ، كانت تحارب نظاما دوليا ، من موقع صغير ، هو موقع دولة صغيرة محدودة الامكانيات ، وكانت دوائر الصراع متعددة ، تبلغ أقصى اتساعها عندما تواجه النظام الامبريالى بكل ثقله الدولى وبكل قدراته الى الدائرة الاجتماعية حيث تتشابك الثورة المضادة محليا وعربيا ودوليا ، فضلا عن الاعباء الطبيعية الناتجة عن قلة الموارد وعن الاخفاقات الحقيقية والاختناقات المفتعلة .

وهذا التركيب المعقد الذى يمتد فيه تيار الثورة المضادة من الطبقات الرجعية الى الرجعية العربية الى الامبريالية العالمية ، له مضمونه الثقافى الذى قاتلت ضده الثقافة الثورية الجديدة قتالا مريرا .

ولم يكن الامر سهلا .. كانت الاهداف واضحة ، ولكن الطريق كان مليئا بالشباك والكمائن ، وكانت المهام الفكرية المطروحة على الثورة عديدة ومعقدة ، ولم تكن التجارب الثورية الاخرى تسعف فى اعطاء الاجابة ، وكانت هناك مشاكل ثقافية نابعة من ظروف الثورة نفسها ، ولم يمكن الوصول الى دليل عمل فكرى للثورة قبل مضى عشر سنوات ، وبعد قرارات ثورية جذرية هى قرارات التأميم .. وخلال هذه السنوات كانت « التجربة والخطأ » هى الوسيلة المعتمدة لاكتشاف الطريق ، وقبل أن تبلور الثورة فكرها كانت الثورة المضادة تتحرك فى اوسع الدوائر ، فى الدائرة الامبريالية ، لتضرب الثورة بالحرب المباشرة فى يونيو ١٩٦٧ ، وبذلك امكن خلخلة الحركة الاجتماعية والثقافية على السواء .

وفى خلال عشرين عاما فقط اضطرت الثورة أن تدخل ثلاث حروب ، وهى ليست حرب تحرير فقط كما يجب أن يسميها البعض ، بل هى حروب تدخل فى الدرجة الاولى تهدف الى اسقاط نظام يهم الدائرة الاستعمارية كما يهم طبقات الثورة المضادة فى الداخل .. ومن هنا فان المواجهة فى الواقع بين الثورة وعناصرها ، والثورة المضادة وعناصرها ، من أضيق دوائرها فى الداخل ، مرورا بعناصرها العربية ، الى أوسع دوائرها وهى الدائرة الامبريالية .

ومن هنا أيضا تجد الثورة امتدادها ، بدءا من طبقات الثورة محليا لها مثيلاتها عربيا ، الى حركة التحرر الوطنى عالميا ، الى الدول الاشتراكية .

ومسار الثقافة يتفق مع مسار الثورة . فعلى كل منعطف فى الحركة السياسية كان هناك منعطف ثقافى . والمتتبع للرسم البيانى لدالة التحول الثقافى يلاحظ صعودا مضطردا للثقافة الثورية على حساب ثقافة الثورة المضادة . وكان ابرز ملامح الثقافة الثورية هو عمق المنحى العلمى والتجريبى ، بدءا من البحث فى الفلكور باعتباره المنطلق الاساسى لاى ثقافة تتحرك من القاعدة العريضة الى الابداعات الثورية فى المسرح والرواية والقصة والشعر والموسيقى والفنون التشكيلية . مع تصاعد ونمو الحركة النقدية والدراسات الاجتماعية وسيادة مناهج البحث الحديثة فى مختلف الفروع .

حقائق

- قبل أن تنضم الكاتب لوزارة الثقافة وعلى مدار ثلاث سنوات ابتداء من أواخر سنة ١٩٦٤ الى اوائل سنة ١٩٦٧ كانت «الكاتب» تطبع اثنى عشر الف نسخة .
- يطرح فى مصر ثلاثة آلاف نسخة توزع منها ٢٩٠٠ نسخة .
- يطرح فى العراق خمسة آلاف نسخة عن طريق الموزع الحر تباع جميعا !
- يطرح فى البلاد العربية الاخرى اربعة آلاف نسخة تباع جميعها .

ومنذ هـزيمة ١٩٦٧ والثـورة المضادة تزحف فكريا منتهزة فرصة الانتكاسة لتشن حربا من حروب الردة الضارية ضد الثقافة الثورية . ومن يستعرض الانتاج الثقافى فى الفترة ما بين ٥ يونيو ١٩٦٧ و ٦ اكتوبر ١٩٧٣ يلاحظ صعودا لتيار الثورة المضادة على حساب تيار الثورة ، وبدلا من أن تنقد الثورة نفسها نقداذاتيا ، تولت الثورة المضادة هـذا النقد ، ولم تمكن الثورة من أن تلتقط انفاسها وتعيد تأمل ذاتها .. وكان النقد المضـــاد لا يقصد ـــ بطبيعة الحال ـ الا الهدم الكامل ..

على أن الثورة كانت امتدادا شعبيا شاملا على المستوى الافقى ، وامتدادا معمقا على المستوى الرأسى ، وكانت المقاومة الثورية تتحرك بـالضمير الشعبى العام ، تتحرك عناصرها فى كل اتجاه ، وتصـفى من المـواقع الاساسية العناصر غير القادرة على المواجهة والعناصر التى اغـرقتها الثورة المضادة .

ومنذ قيادة الرئيس انور السادات وقضية التصحيح كانت واضـحة . كانت ضرورية . كانت مطلبا ثوريا ، ونجحت خطة التصحيح ولكن قوى الثورة المضادة ـــ وبمهارة الخبث ــ ارادت ان تحتوى حركة التصحيح وتحولها من تصحيح الى رفض مطلق للثورة والانفلات الى الثورة المضادة بأبعادها السياسية والثقافية .

ولكن تعثرت حرب الردة الثقافية المستترة وراء حركة التصحيح فى حقيقة أساسية ، وهى أن القـوى الامبريالية وقد ضربت الثورة بحرب يونيو ١٩٦٧ لم تتوقع ان رد الفعل هو مزيد من تضامن قوى الثورة ، وأن الهزيمة قد ألقت على عاتق المجتمع ككل عبئا ثوريا بطبيعته وهو تحرير الأرض .

ووقعت الامبـريالية وعنـاصرها المختلفة فى مأزق ، وهو أن الهزيمة العسكرية لم تحقق نتائجها وهـو السقوط التام للنظام الثورى ، وكانت مظاهرات ٩ و ١٠ يونيو من بيـن الظواهر المفاجئة التى ستظل موضع دراسة لفلاسفة الثورة المضـــادة . وبدلا من أن تفتح الهزيمة الابواب أمام الثورة المضادة ، خلقت حالة ثورية أشد توترا مما كانت عليه قبل الهزيمة .

وكان الحل السلمى هو الهدية التى تقدمها الامبريالية باعتبارها قـائدة الثورة المضادة لعنـاصرها فـى الداخل ، ولكن هذه العناصر منحتها الجماهير فى اليوم الاول من أيام الهزيمة ، وبقيت القيادة الثورية فى مكانها .. مهزومة حقا ، ساعية للحل السلمى ، ولكن هذا الحل سيقـوى الثورة ولا يضعفها . ومن هنا كان على الامبريالية وعلى عناصرها فى الداخل ، أن يعريا هذه القيـادة شعبيا . وبدأت ضربات العمـق ، وكوارث مدرسة بحر البقر ومصانع أبى زعبل وغيرها .. وحينما كانت تسقط قنابل الاعداء على الشعب المصرى ، كانت مقولات ثقافة الثورة المضادة تتساقط على عقول الشعب المصرى فـى قاعات المسرح ودور السينما وفى كل مجال ممكن .

وسيذكر التاريخ مواقف الصبر الرهيب ، وقوة الاحتمال التى وقفها الشعب المصرى ، ولم يتخل عـن موقفه ، وربما كان هـذا ضربا من جنون المقاومة الذى يتميز به الشعب المصرى . وهو نفس الموقف الملهم فى حرب أكتوبر عندما رفضت القيادة الانسحاب من شرق القناة لتطويق الثغرة فى الغرب ، بينما المنطق السطحى كان يقتضى انسحابا سياسيا

حقـــــائق

☐ حرمت مجلة الكاتب من اية مكافأة للتحرير مدة ثلاثة عشر شهرا .

☐ لمدة ثلاثة شهور متوالية لم تتسلم شركات التوزيع نسخة واحدة من مجلة الكاتب .

☐ غير مصرح للكاتب الا باعلان واحد ليوم واحد فى جريدة الاهرام مساحته ١٠ سم × ١٠ سم .

☐ تبين ان نسخ الكاتب تخرج من المطبعة الى المخـــازن مباشرة .

من مواقع الثورة لتظفر بالحل السلمى ، وانسحابا عسكريا من الشرق الى الغرب لتجهز على الثغرة !

ومنذ اليوم الاول لقيادة الرئيس السادات وقوى الثورة المضادة تحاول احتواءه ، ولكن الاخفاقات المتتالية كانت نتيجة هذه المحاولة .. وتركت الامبريالية لعوامل التفسخ الطبيعية أن تعمل عملها لاسقاط نظام مهزوم عسكريا .

وكانت حرب أكتوبر مفاجئة تماما لا بالمعنى العسكرى فحسب ، بل بالمعنى الاجتماعى والثقافى . فالحرب الثقافية التى شنت على العقل المصرى ، لم تستطع أن تزعزع ثقة هذا العقل فى احكامه ولا فى أهدافه ، فى وقت بدا للكثير أن التفسخ الثقافى قد وصل الى أقصى مدى له على شاشات السينما والتليفزيون وأجهزة الاذاعة .

وكما حاولت الثورة المضادة التستر وراء حركة التصحيح لتصفية الثقافة الثورية ، حاولت أيضا التستر وراء انتصار ٦ أكتوبر لتزعم أن الذى حقق انتصار أكتوبر هو التمثيليات الرديئة والتشنجات المتخلفة على شاشة التليفزيون ، والاغانى المخنثة ، وأشباه الرجال الذين فرضوهم فرضا ليخلخلوا رجولة الشباب الجوى .

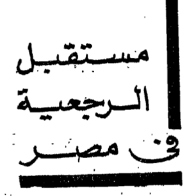
ولكن الذى انتصر هو الشباب الذى كونته ثقافة ثورة ٢٣ يوليو ، وقيادات ضباط حصلوا من العلم العسكرى أرقاه ، وتكونت ثقافتهم العامة من تراث الوطنية الثورية الذى عاشته مصر فى عصرها الحديث ، والذى بلورته ثورة ٢٣ يوليو فى نضالها المجيد ضد الرجعية الفكرية .

وحرب الردة الثقافية مستمرة وبضراوة .. وقد خلت الساحة الثقافية الا من الاعمال الهابطة ، ولكن ثقافة الثورة تفرض نفسها وتشق طريقها ، لان الثورة لم تعد فكرا أو أملا ، بل حقيقة واقعة تضرب جذورها فى نظم الانتاج الزراعى ، وفى نظم الانتاج الصناعى ، وفى المصالح الطبقية لغالبية شعبنا الكادح ، وهذه النظم تعكس ثقافتها ، وتعكس طريقة تفكيرها ، وهو أمر لا تستطيع ثقافة الثورة المضادة أن تخلعه من جذوره مهما يبدو لها أنه شىء ممكن .

وفى التحليل الاخير فان حرب الردة الثقافية فقدت الكثير من المواقع ، ولم يبق لها الا القليل تعلم تماما انها متخلية عنه لا محالة . وربما كان هـذا هو السر وراء ضراوتها وحماقة تصرفاتها .

حقـــائق

- ☐ طلب الموزعون فى الجزائر وليبيا وسوريا زيادة عدد النسخ التى ترسل الى هذه الاسواق من الكاتب ، ورفضت الهيئة الاستجابة الى هذه الطلبات .
- ☐ كشف هذا التلاعب الخطير ورفع أمره الى الدكتور محمود الشنيطى رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب فاجرى تحقيقا وفصل الموظف المسئول !
- ☐ محروم على مجلة الكاتب أن يعلن عنها فى التليفزيون مثل سائر مجلات وزارة الثقافة .



مستقبل الرجعية في مصر

صلاح عيسى

المتابعة الواعية لما جرى فى بلادنا خلال الشهور القليلة الماضية ، تؤكد مقولة نصها البسيط : لا مستقبل للرجعية فى مصر !

وهذه المقولة هى الحصيلة الطبيعية للاشكال المعقدة والمتنوعة لعمليات الجدل الاجتماعى فى مختلف أصعدتها الاقتصادية والاجتماعية ،وبرغم ذلك فهى تشكل مفاجأة لقوى التقدم ، كما أنها تشكل مفاجأة أيضا لقوى الردة ، فى نفس الوقت ولنفس السبب ، ذلك أن قوى التقدم ظنت نفسها لفترة أضعف وأقل تأثيرا على مجريات الامور مما هى بالفعل ، وبسبب سيادة مناخ تعودت معه قوى الثورة أن تحسب نفسها بعدد الذين يكتبون ، أو يديرون دفاف الامور ، فقد عجزت هذه القوى أن تتنبه للحجم الهائل للقوى الاجتماعية التى تحمى الانطلاق الى الامام لانه يحقق لها مصالحها الاجتماعية والاقتصادية ،وحجم القوى السياسية التى أفرزتها الحلقات المتتالية من ثورة التحرر الوطنى ـ وخاصة حلقتها المستمرة التى بدأت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ وقدرة هذه القوى على التأثير فى اتجاه التقدم .

الا أن قوى الردة كانت أكثر غباء مما يظن أشرس أعدائها ، وهكذا فقدت كل حصافة سياسية ، وكشفت عن نفسها بشكل فضحها تماما ، اذ راهنت على سلبيات ثوره ٢٣ يوليو رهان من يظن أن الوعى بالسلبيات الحقيقية مفتقد لدى الجماهير ، التى سرعان ما ميزت الفروق الواضحة بين الذين ينقدون الثورة من اجل مزيد من « الثورة » ، وبين الذين ينقدونها من أجل مزيد من « الثروة » ، بين الذين يطالبون بديمقراطية واسعة للقوى والطبقات الوطنية التى افرزتها مسيرة الثورة ، والتغيير الذى أحدثه فى الخريطة الاجتماعية للواقع المصرى ، والخريطة السياسية لعالم العربى ،وبين الذين خرجوا بأكفانهم من قبور الماضى ، يتصورون أن السلبيات فى ثورة ٢٣ يوليو هو أنها كانت « ثورة » !!

ولقد كانت قضية الديمقراطية هى محور الصراع طوال الشهور التى مضت ، وقد حرصت قوى الردة على مناقشة القضية فى المطلق ، بحيث تبدو قضية نظرية محضة ، الا

إن جوهر المطالبات الرجعية لم يخف على الذين كانوا يتابعون ما يجرى على جبهة الصراع الطبقى فى بلادنا ، اذ أن هذه المطالبات قدرتبت فى بناء فكرى يبدو مفككا لمن لا ينظر اليه فى شموله ، لكنه يضم رؤية منطقية متكاملة اذا نفذنا اليه بنظرة أعمق رؤية تقوم على اللعب بورقة الديمقراطية لتهيئة أوضاع اقتصادية واجتماعية لمصلحة الاستغلال الرأسمالى فى أقبح صور ، من جانب ، والتبعية الاقتصادية والسياسية للسوق الامبريالى فى الجانب الاخر .

■ فالقوى الرجعية تفهم سياسة الانفتاح باعتبارها نقيضة لسياسة استقلال السوق المصرى عن التبعية للسوق الامبريالى ، لذلك يزداد الحاحها وضغطها لكى لا تكون هناك أى ضوابط على هذه السياسة ، ولا أية أهداف وطنية تحددها ، وفى سبيل ذلك روجت بالحاح المقولات أصحاب الملايين الذين يقفون فى الطابور لكى يستثمروا أموالهم فى مصر ، فتطالبهم الدولة ببعض الشروط . وهاجمت أى محاولة تبذلها أجهزة الاقتصاد والتخطيط المصرى لضمان جدية عروض الاستثمار ، أو فائدتها .. وبالغت فى تصوير « البشاعات » التى حدثت نتيجة للسياسة القائمة على استقلال السوق وتنميتها ، بدعوى أن هذه السياسة هى التى أدت الى مشاكل مصر الاقتصادية .

■ وهذه القوى تفهم الديمقراطية بمعنى ضيق شديد الضيق ، لذلك يقوم تشهيرها بالظروف اللاديمقراطية التى سادت مصر طوال العشرين عاما السابقة على بعض الظواهر الجزئية ، التى لا يمكن أن نعتبرها — من حيث الجوهر — عملا غير ديمقراطى ، فهى تدافع عن حريات الاقطاعيين والمتعاونين مع المخابرات الاجنبية ، ومع الاحلاف الغربية ، وتعتبر أن هذا هو الدليل على العصف بالحريات ، بينما لا تهتم ، بل وتبرر ، كل الاجراءات غير الديمقراطية التى اتخذت فى ظروف معقدة ضد قوى وطنية وديمقراطية واشتراكية . ومن هنا يبدو دفاعها عن الديمقراطية دعوة لاطلاق حرية التجسس والخيانة والعمالة ضد مصالح مجموع الطبقات الوطنية للشعب المصرى .

■ ومن الواضح أن الرجعية المصرية قدراهنت على علاقات مصر العربية ، ضد منطق الوحدة التى تزعم هذه القوى لنفسها السعى لتأكيدها ، فقد شنت حملة تشهير واسعة ، هادفة لتوسيع شقة الخلاف بين مصر وبين قوى الثورة فى العالم العربى بهدف تهيئة مناخ تصعب معه امكانية اللقاء بين الانظمة التقدمية والمعادية للامبريالية فى المنطقة ، وخلقت مجموعة من ردود الافعال المعقدة ، وضعت بمقتضاها الاختلاف فى الاجتهادات السياسية فى مستوى العداء الكامل ، بهدف عزل هذه القوى عن التفاعل الايجابى والتأثير البناء فى الساحة السياسية — الرسمية والشعبية — لمصلحة وحدة الشعوب العربية ضد الصهيونية والامبريالية .

■ وكانت قمة هذا الهرم من التحركات والافكار ، اصرار الرجعية المصرية على التحريض على ضرب وتصفية كل علاقة لمصر بمعسكر قوى التقدم والتحرر على المستوى العالمى ، فتعرضت العلاقات المصرية السوفيتية لحملة تهدف الى نسفها نسفا كاملا ، وفى حين كانت هناك نقاط للخلافات تستحق جهدا مشتركا من الطرفين لتلافيها ، فان قوى الردة

احصاءات

☐ تطبع الكاتب عشرة الاف نسخة توزع كالاتى :

☐ خمسة الاف نسخة فى العراق

☐ ٢٥٠٠ نسخة فى البلاد العربية الاخرى .

☐ ٣٠٠ نسخة اشتراكات .

☐ باقى النسخ توزع فى السوق المصرى .

☐ المجموع فى المتوسط ٨٨٠٠ نسخة .

☐ كل ما تسمح الهيئة العامة للكتاب بطرحه فى السوق المصرى من نسخ الكاتب هو ١٥٠٠ نسخة تبيع منه فى المتوسط حوالى الف نسخة !

صورت الامر على عكسه تماما ، بحيث أصبح الاتحاد السوفييتى هو العدو الذى أضاع مصر ، وتسبب فى احتلال اراضيها ، وروجت الرجعية لمجموعة من الاكاذيب سعيا لتوسيع شقة الخلاف ، وأعطت اسرائيل فرصة عمرها لتحقيق الهدف الذى تسعى اليه منذ سنوات : تصفية العلاقات بين مصر والمعسكر الاشتراكى تمهيدا لان تصبح البلدان فى نفس الموقع : دولتين تدوران فى فلك السياسة الامريكية وتشكلان احتياطيا لقوى العدوان فى العالم .

من خلال هذا البناء المتكامل تحركت الرجعية المصرية خلال الشهور القليلة الماضية ، ومن الحق ان نقول أن ظروفا متعددة جعلت صوتها أعلى من حجمها ، كما أن الفرص الديمقراطية التى أتيحت أخيرا قد مكنتها من أن تروج لافكارها أكثر مما مكنت غيرها ..

ومما زاد فى تعقيد الموقف أن قوى التقدم والثورة قد انزعجت انزعاجا بالغا بحكم أن الظروف فى السنوات السابقة كانت قد ارست تقليد الحكم على الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من خلال الابنية الفوقية وحدها ، حيث يصبح الصوت الواحد مكبرا عشرات الملايين من المرات ، لذلك ظنت قوى الثورة حجم الهجمة الرجعية بالغ القوة ، وخلخل هذا من قدرتها على التصدى ، كما انها لم تكتشف ضرورة توحدها والتفاعل بين فصائلها على أسس مبدئيه ، يتجاوز سلبيات تجربتها السابقة التى كانت تقوم على « وصاية » واحد من فصائل قوى الثورة على كل قواها ، واصراره على تفويضه وحده بالقيام بكل مهامها ، ثم تسلسل هذا التفويض من هذا الفيصل الى أوليجاركيه محدودة فى قمة العمل السياسى .

ولا جدال فى أن هذا الانزعاج من قوى الثورة ، قد أعطى قوة دفع محدودة للرجعية المصرية ، لكنها من خلال توهمها بقوتها كشفت نفسها تماما أمام القوى الجديدة التى أصبحت تمثل حيوية مصر الثورة الان ، فعلى الرغم من أن كل فصائل قوى الثورة ، تعى سلبيات المرحله السابقة وبالاخص : عدم توفر الظروف الديمقراطية للجماهير الشعبية وللقوى السياسية الساعية الى التقدم ، فهى ترفض اعتبار « الثورة » نفسها عمل سلبى ، تحت ستار المشروعية ، كما أن هذه القوى — على اختلاف فى الاجتهاد — لا تنكر أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى حلقة من حلقات الثورة الوطنية المعادية للامبريالية ، بل انها أكثر حلقات هذه الثورة عداء للامبريالية ، كما أنها بالقطع متقدمة فى رؤيتها الاجتماعية ونزوعها الراديكالى بما لا يقاس بالنسبة للحلقات السابقة عليها .

ومن هنا فان الفرق واضح وصريح بين الهجمة الرجعية على ثورة ٢٣ يوليو ، والتى تستهدف اقتلاع وتصفية كل القوى الثورية المصرية ، واعادة مصر الى التبعية للسوق الامبريالية ، والدوران فى فلك القوى الاستعمارية ، وبين نقد « الثوريين » لثورة يوليو ، اذ أن هذا النقد كان يهدف الى مزيد من السياسة الوطنية المعادية للامبريالية ، والى مزيد من الحريات الديمقراطية للقوى الاجتماعية الجديدة الكفيلة وحدها بحماية ما تم من منجزات ، والدخول فى أفق المنجزات الاكثر تقدما على الصعيدين الوطنى والاجتماعى .

وقد كشفت الرجعية المصرية نفسها عندما راهنت على قضية الديمقراطية ، اذ اتضح حجمها الحقيقى من خلال الحوار حول هذه القضية ، وتبينت رأى الاغلبية العظمى من

احصاءات

- طبعت الكاتب عشرة آلاف نسخة فى آخر عدد لها والذى صدر فى أول سبتمبر ١٩٧٤ .
- طرحت فى مصر ٢١٧١ نسخة نفدت بعد ٤٨ ساعة .
- عادت الكاتب فطرحت ١٥٠٠ نسخة بناء على طلب شركة الاخبار للتوزيع فنفدت جميعا .
- مجموع ما بيع من الكاتب فى شهر سبتمبر داخل مصر ٣٦٧١ نسخة !
- ووزع الباقى فى العالم العربى .

القوى الشعبية فيما روجت له من أفكار تخريبية ، وانتهى الامر بها أن تدرك ان الديمقراطية لن تكون فى مصلحتها ، اذ ذاك تحولت الى نزعات فاشية واضحة ، تستعدى السلطة على كل قوى الثورة بنفس الفزاعات القديمة : الاتهام بالالحاد واستيراد الافكار والعمالة لمراكز القوى ، بل وصل بها الخرق الى الاتهام بالخروج عن « وثائق الثورة » هذه الوثائق التى اشبعتها هى نفسها طعناء تجريحا وتلويثا .

ببساطة خانت الرجعية شعارات الديمقراطية التى رفعتها بأعلى الاصوات ، لانها أدركت ان الديمقراطية تعنى رأى القاعدة الشعبية العريضة ، وهذه القاعدة الشعبية ثورية بحكم مصالحها الاقتصادية والمكتسبات التى تحققت لها خلال الاعوام العشرين السابقة ، انها ليست ضد ما حدث فى الاعوام العشرين السابقة ، لكنها تريد مزيدا منه !!

ان الحكم على طبيعة الصراع السياسى والاجتماعى فى مصر من خلال متابعة المنابر الممثلة للقوى الرجعية خطأ ينبغى أن تعدل قوى الثورة ، ذلك أن الواقع الاجتماعي يمور بقوى صلبة ، قد يكون وعيها أقل مما ينبغى ، ولكنها فى مسار النضال ستتصلب عودا ، وتزداد وعيا ، والاهم من هذا وذاك ان هذه القوى هى كل الشعب المصرى ، فقد نقدت الرجعية المصرية مبررات وجودها منذ سنوات طويلة ، منذ فقدت أرضيتها الاجتماعية ... وما يعطيها هذه القدرة المؤقتة على التعملق انما هو العجز - حتى الان - عن تفجير المجتمع المصرى بمناخ ديمقراطى حقيقى ، سيكون بالقطع لمصلحة قوى الثورة .

فى مصر لا مستقبل للرجعية .. لكن مستقبل الثورة رهين بمستقبل الديمقراطية !



■ **فى آخر أعدادها [سبتمبر ١٩٧٤] قالت « الكاتب » :**

■ « ... وقد كنا وما زلنا نرى ان أدب الحوار هو جزء لا ينفصل من الديمقراطية بل هو جوهرها .
ونحن نقدر ان ظروفنا عديدة حولت معارك الرأى فى بلادنا الى نوع من مشاجرات الطريق ، تنحدر الى مبازل التشهير الشخصى ، وتتحول الى ارهاب سياسى وتستعدى فيها السلطة وتحرض على أصحاب الرأى المخالف ، لذلك فنحن نحرص على موضوعية الحوار ، وعلى عفة اللفظ ، وعلى الاخلاص للقضايا والمبادىء وليس التمجيد أو التشهير بالاشخاص والمؤسسات .. وهى تعادى وتهاجم الذين لا يتقنون الا توزيع الاتهامات والذين يخفون اطماعهم الشخصية فى أردية سياسية مهما بدت متألقة وعظيمة » .

وعندما تفجرت ازمة « الكاتب » ، تدافع كثيرون للدفاع عن اجراءات وزارة الثقافة ، فحاوروا الكاتب والتيار الذى تنتمى اليه بأسلوب نقتطع منه الفقرات التالية ، كوثائق لمن يريد أن يحكم على خصوم الكاتب من جهة ، وكتدليل على أن هذه الاتهامات لا تخيفنا ولا ترهبنا كما ظنوا .

□□

■ « ... هم الذين كانوا لا يرضون بأن يكتب فى عهدهم من لا يتملق وهواهم ؟ ثاروا ثورة كبرى لان يوسف السباعى وزير الثقافة وضع فى منصب مدير تحرير المجلة زميلا يدير تحرير أكبر مجلات أفريقيا وآسيا انتشارا وتنمية .. وضم الى عضوية مجلس التحرير أديبا هم أنفسهم يعترفون بمكانته . ماذا عليهم لو تقبلوه ؟ . كلا اجتمعوا وانكروا على الوزير أن يراقب ما تقوله مجلة تمولها الوزارة مع أن له عليها هذا الحق البديهى وهو أن تكتب ماليس ضد مصر ، والا تحتقر جيش مصر وقد علمت أن عددا من السفارات الاجنبية تلقى هذه الشكوى الجماعية فما شأن السفارات بقضية داخلية ؟ ولعلى اتساءل متى تأخذون القضية الى مجلس الامن ، بل متى تتحرك من أجلها الاساطيل ؟

□□

■ « ... النغمة الكاتبية سمعناها من اذاعات ما بعد منتصف الليل ، وقرأناها فى صحف بيروت الممولة من الحاقدين على انتصار مصر ؟ والنغمة الكاتبية فضلا عن سوء النية نشاز لا ينبغى أن يدس فى أنغام مصر » .

« فوميل لبيب »
المصور — ١٩٧٤/٩/٢٧

□□

■ « وعندما وقعت هزيمة ٥ يونيو المنكرة ظن اليسار المصرى أن هذه هى فرصة العمر لاثبات أن

اتحاد مصر لن يأتى الا بالسير فى موكب الابتداع والذيول وخاصة ان مصدر السلاح الرئيسى يشترط تصديره مع المبادىء والافكار » .

« نبيـل راغب »
المصـور ١٩٧٤/٩/٢٧

■ « ••• من اخطر الظواهر المرضـية التى رضت لها حياتنا الثقافية والفكرية طوال عقـد الستينات ، عقد الهزيمة اللعين ، ظاهرة التزييف الادبى والفكرى بعد تلك الحملة الضارية على كل قيمنا الفكرية والروحية التى قام بها ترامطة الفكر وزبانية الثقافة ولهؤلاء قصة ساورويها بعد ذلك ولكنى اليوم ساسلى القـارىء بشخصية اسمها الدكتور محمد انيس ••• » .

« اما تابعه قفـه ـ يقصد الكاتب هنا الزميل صلاح عيسى ـ ذلك الصبى التعيس الذى عين فى الصحافة على قصاصة ورق من شعراوى جمعه ، فامره غريب وله قصص كقصص الف ليلة سترويها لنا شهر زاد فى نفس الميعاد •• ولكنى لن اكتبها حتى القى اللوم على الاخ العزيز مصطفى بهجت بدوى الذى يحيرنى موقفه الظاهر ، والذى يسمح لمحمد انيس وتابعه قفه باتهام الشرفاء بالـكذب على صفحات كاملة من جريدة الجمهورية » .

« عبد العزيز الدسوقى »
مجلة الحرية ـ ١٩٧٤/١٠/٧

« واحـول فى عينيـه شـرق ومغـرب ... يقـولان عنـه انـه لمـذبذب »
« عـدو لـدود للعـروبة ينعـب ... واى غـراب للبلابل يطـرب »
« لـه كلمـات كالبثـور بوجهـه ... وفى كـل معنى كلمـة منـه أجرب »
« وتعجب منـه وهـو مسخ مشـوه ... بهـا انه من قبحهـا يتطيـب »
« اذا ذكـر الشـعر العمودى ظنه ... عمودا حـديديا به سـوف يضرب »
« يـدل انزواء الضـاد فى آخر اسمه ... على انه فيـه غـريب ومتعب »

« الشاعر كامل امين »
مجلة الثقافة الاسبوعية ـ ١٩٧٤/٩/٢٦

[●] ملحوظة من « الكاتب » : من الواضح ان المقصود بذلك هو الاستاذ الدكتور لويس عوض .

■ « ان من يكون ماركسيا لا يمكن ان يكون مصريا •• فالماركسى مجبول على الالحاد بينما المصرى مجبول على الايمان •• واذا اراد العامل والفلاح المصريان ان يعرفا حقيقة اخوان ماركس دعـاة ديكتاتورية البروليتاريا وادعياء الدفاع عن الفقراء ، فانى قمين بأن أولهما على الفيلات الفاخرة التى يعيش فيها اخوان ماركس •• والسيارات الفارهة التى يركبونها والعمـارات الشاهقة التى يملـكها الكثـيرون منهم » .

« صالح جودت »
المصور ـ ١٩٧٤/١٠/٤

الطليعة



مناقشة أفكار وزير الثقافة
حول المسرح والسينما والفن التشكيلي

في هـذا العـدد :

وزير الثقافة



مناقشة أفكار

حول ◻ المسرح
◻ السينما
◻ الفن التشكيلي

على طول أربع اعداد متوالية من «روز اليوسف»
[من ٩/٢ الى ٩/٢٣] أدلى الاستاذ يوسف السباعي
بحديث طويل تناول فيه سياسة وزارته بشكل عام ،
ثم تناول بالتخصيص سياسة الوزارة في قطاعات
المسرح والسينما والنشر والفنون التشكيلية على
التوالى .
وكان أبرز ما جاء في الحديث الاول للاستاذ
السباعي أنه « ليس خصما لليسار » ودلل على ذلك
بشيئين : الاول أنه لن يغلق مجلة « الكاتب » ، والثاني
أن الكاتب المسرحي الفريد فرج أرسل اليه مسرحية
جديدة من الجزائر حيث يقيم ، وأن هذه المسرحية
« ما كادت تصل حتى أمرت باعدادها للعرض فورا »
واستثناء من أية اجراءات روتينية » .
ومن حقنا أن نقول الآن — بعد شهرين من حديث
الوزير — أن مجلة « الكاتب » قد أغلقت بالفعل ،
وأن مسرحية الفريد لازالت متعثرة بين لجان القراءة!
وفي أحاديثه الثلاثة التالية فصل الاستاذ السباعي
ما اجمله :
وفيما يلي تقدم « الطليعة » مناقشة لما جاء بهذه
الاحاديث الثلاثة عن السينما والمسرح والفنون
التشكيلية .
و « الطليعة » في هذا تصدر عن حقها في الحوار،
خاصة وان السيد الوزير لا يدلي بآرائه هذه بصفته
مسرحيا أو سينمائيا أو كاتبا ، لكنه يدلي بها بصفته
المسئول الاول عن الاجهزة الثقافية في هذه المرحلة .

رســـالة وزيـر الثقـــافة على المســـرح

فريدة النقاش

فى احاديثه المتصلة طيلة شهر كامل على صفحات مجلة روز اليوسف يتحدث يوسف السباعى وزير الثقافة بثقـة مطلقة عن اتجاه الوزارة بكل مؤسساتها ورجالها ومشروعاتهاالى تحقيق «رسالتها الثقافية » وفى ميدان المسرح يصرح بان « وزارة الثقافة تقدم الرسـالة على التجارة . وهى كما يقول سؤالك قـد قامت من اجل هـذه الرسـالة ، وعملا بواجبات اداء الرسالة شكلت لجـان القراءة والرقـابة .. واعلنت عـن المسابقات فى كل الفنون .. الخ » .

ونحن نتفق مع السيد الوزير فى ان ما يقوم به الان فى مجال المسرح هـو تادية لرسالته على خير وجه ، ولكن اى رسالة تلك ؟

كانت هناك وما زالت وسـوف تظل الى مدى طويل مدرستان فىفهم دور الثقـافة وتنـاول انتـاجها وابداعه ، والمسرح بالطبع احد انشطتها الهامة. المدرسة الاولى ترى فى الثقافة لهوا وعبثا وتزجية لاوقات الفراغ الزائـدة ، وهىفى ارقىحالاتها واشكالها المتماسكة تجسد عدم الثقة فى قدرات الانسـان والتشاؤم الكامل بخصـوص مستقبله ومصيره ، وتعد مواصفاتها بوعىكامل لتخدم اغراضا محددة ، فهى اما ان تلعـب دور المهضم ــ ونحن نستخدم كلمات الوزير نفسها ــ الذى يساعد المتخمين على هضم الطعام خوفا عليهم من التلبك المعـوى ، او انهـا لغير المتخمين ــ هؤلاء الذين يعيشون بالكاد فانها تلهيهم ببراعة عن واقعهم ، او تدفعهم الى اليأس الكامل وفقـدان الثقة فى مستقبل الانسـان ، ومن ثم للتعلق بالاوهام والغيبيات او فى احسن الحالات الى التأقلم وتقبل المصير المعد سلفا من قبل المتخمين ولا فكاك منه .

اما المدرسة الاخرى فى الثقافة فهى تلك التى تؤمن ايمانا لايحـد بطـاقات الانسان وقدرته على تحسين واقعـه حين تقيم صلة عميقة متوغلة فى حياة الشعب ، لا على السطح وانما فىاعمق الاعماق ، تلك ثقافة تشد النـاس بالتدريج الى عالم القيم الانسانيةالراقية والنبيلة ، فتضىء وجدان الانسان وتفتح قلبه لكل ما فى العالم من ابداع وجمال ورقى وتشحذ أعظم ما فيه من منـابع الصلابة الروحية والاخلاقية . تخاطب كل النـاس على ارضيـة انسانيتهم وانتماءاتهم الوطنية والقومية فى جانبها الانسانى العام ، وتشحذ روح القتـال فى المظلومين على كل المستويات فى جانبها الثورى المناضل . انها بجانبيها تدعو الانسان الى ان يتغير دائما الى الافضل بتذوقه المستمر لمظاهر الجمال فى اى صورة يتبدى فيها سـواء فى الطبيعة او الابداع الفنى مسرحا وادباء وكتابا وفيلما ولوحة ، لذلك هـو ما يخلق الانسان الجديد الذى لا يتقبل السلبيات ، ويكون دائما اهلا لمصيره ، قادرا على صنعه .

ووزير الثقافة المصرى واحد من اشد المؤمنين بالمدرسة الاولى ، بصرف النظر عما يستخدمه من كلمات وشعارات مثل « والفن كما قلت لك انفعال بالمجتمع وتعبير عنه ومحاولة تغيير واقعـه الى ما هو افضل .. الى آخره ، » وهى فى الحقيقة اجابة رد بها على كل الاسئلة .

هو اذن جاد جدا فى تادية رسالته على افضل وجه مستخدما فى ذلك كل الوسائل والشخصيات المناسبة .

كان المسرح المصرى بعد ثورة ٥٢ نبتا جديدا يعتمد على تراث حديثنسبيا فى هذا الميدان لكنه استطاع خـلال سنوات ازدهاره الخصبة حقا والتىيمكن حصرها فى الفترة من ٥٨ الى ٦٦ وهى بالتحديد سنوات التحول الاجتمـاعى والطموح التقدمى لثورة يوليو ان يرسى الكثير من القواعد والتقـاليد ، ويربى جمهورا متذوقا يزداد اتساعا ، ويرفد حركة سينمائية طمـوحة « فلا تزدهر سينما حقيقية بدون أزدهار المسرح » ، وجاءت سنوات الاعـداد للهزيمـة ثم الهزيمة نفسها لتلقى بالحياة الثقافيـة كلها فى حالة من التخبط والفـوضى الشديدة ، وكان المسرح اول ضحاياها .

ولا احـد ينكر ان وزير الثقافة قـد تسلم المسرح فى حالة خراب .

والواقع ان القضية لاتكمن فىتفاصيل

مايقدمه الوزير أو ما يخفيه ولـكنها في المغزى العام لما يجريه بالفعل ، وأحيانا ما يرجع بعض الكتاب سبب التدهور الى التغيير الادارى المستمر ، الا ان التغيير الذى اجراه وزير الثقافة لا يمكن ابدا ان ينفصل عن خطته العامة ورسالته النابعة من فهمه السابق لدور الثقافة ومضمونها ، فهو حين يزكى ويدعم قيادة متخلفة فكريا وثقافيا ، تقود العمل المسرحى ويجرى ما يشاء من تغييرات فى ادارة المسارح والفرق وفى توزيع فنانيها وفنييها وفى اختيار نصوصها واتجاهاتها بالصورة التى يتم بها ذلك فاننا لا نستطيع بعد ان نقول ان المشكلة هى فى التغييرات الادارية !

وكانت نتيجة هذا العمل « الادارى » المحكم الذى يبدو ساذجا وعاديا فى شكله ان تشتت ابرز فنانى المسرح اللامعين الواعدين وتبددت مواهبهم الكبيرة فى « كباريهات » القطاع الخاص أو فى اروقة التليفزيون والاذاعة او استديوهات السينما بحثا عن تحقق ما يقدم لهم الحد الادنى من الوجود العام ، وهم هناك ، ــ ويا للاسى ــ لا يستطيعون ان يقدموا أعمالا أفضل، ويتعرضون للضياع المعنوى الكامل .

ثم يأتى بعد ذلك دور الرقابة على المصنفات الفنية ، وتتدعم بلجان قراءة اما انها لا تعمل او تسقط فى ايدى تلك القيادات المتخلفة نفسها ، وهذا النمط من القيادات التى تصعب مناقشتها او رفضها لانها تتسق تماما مع فهمها للثقافة وللمسرح ولرسالة الوزير التى تنفذها بدقة بالغة ، وهناك فى اروقة الرقابة تمارس عمليات المنع والحيلولة دون وصول النصوص الجيدة ، وسوف نذكر على سبيل المثال ثلاثة عروض جادة صودرت فى ليلة افتتاحها . انسان طيب وباب الفتوح لمحمود دياب ، ثأر الله لعبد الرحمن الشرقاوى ، وتمت عملية الحيلولة هذه المرة بتهمة الشيوعية ، ضد نص اخير لمحمود دياب « رسول من قرية تميره للاستفهام عن مسألة الحرب والسلام » .. وهذه مجرد نماذج يربط بينها جميعا شىء واحد انها تطرح المشكلات الحقيقية بجدية ، تحترم عقل القارىء والمتفرج ، وتحترم فن المسرح وتجيده ، وهو ما يوجع قلب كل غير الموهوبين وغير القادرين أو المؤمنين بشىء الذين أطلقهم الوزير ــ بنصوصهم وسلطانهم على الحياة المسرحية من داخلها ، أو من داخل الوزارة .

ولان المسرح التجارى بكل ما يقدمه من اشكال وافكار وقيم قد راج ــ خاصة بعد ٦٧ ــ وبعد الرواج الاجتماعى لمموليه وجمهوره كان على مسرح الدولة بعد ان اخمدت كل جدوة حقيقية فيه تأليفا واخراجا واداء وخدمة ان يحاول اللحاق بركب التجار « والمعلمين » وفى هذه الحمى ولانه مسرح جاد ــ كما هو مفترض فيه لم يستطع أن يسرق مباشرة اعمال برودواى الامريكى والبوليفار الفرنسى كما يفعل المسرح التجارى ، فقامت عملية تمصير لكل النصوص الجادة من شكسبير الى لوركا وبيتر فايس .

وكانت هذه العملية تؤدى غرضين فى نفس الوقت ، اتساقا ايضا مع فهم الوزير ورجاله لدور الثقافة ــ الاول هو عزل المثقف المصرى والمتفرج المصرى من الاصول الحقيقية للاعمال الكبرى فى المسرح وعن ملابساتها والظروف التاريخية التى ولدتها ونظريات الثقافة والابداع التى تلهمها وتنفذها فلا يصبح هناك ثمة شىء حقيقى يمكن متابعته والاستفادة منه مما يقطع الطريق ــ بصورة تبدو ذكية ــ على ولادة مدرسة أو مدارس فى الحياة المسرحية المصرية تتأثر بتلك الاعمال الكبيرة او تستلهمها .

اما الغرض الثانى ــ وقد نجحت فيه تماما ــ فهو قطع الطريق على نمو الكوميديا المصرية المحلية ، تلك المهمة التى كان المسرح الكوميدى ــ فى ظل القيادات التى يمقتها الوزير ــ قد اخذ ينجزها ببطء ونجاح ، فالكوميديا المحلية سلاح خطر فى ايدى شعب اكتسب حساسية عميقة عبر شقاء طويل مارسته ضده قوى مختلفة وعرف كيف يكشفها ويعريها ، والكوميديا الحقيقية الكاشفة للواقع والشاملة سوف ترسى اسسا جديدة الناقدة له فى رصدها للتغيرات الجزئية تستقطب جمهورا من كافة المستويات ليكون على المسرح التجارى المزدهر بالجنس والقفشات اما ان يجاريها بغير من رسالته وهو ما لا يتفق مع الهدف منه واما ان يغلق أبوابه ، امام نمو ونجاح الكوميديا الحقيقية ولعلنا نتذكر فى هذا الصدد الحماس الجارف الذى لاقى به رجال المسرح التجارى عملية تصفية المسرح الكوميدى وتشتيت فرقته .

وهكذا اتصلت عملية تقليد المسرح التجارى واللهاث وراء مثله وأساليبه فى تفريغ كل قضية حقيقية من أى مضمون ومصادرة امكانية النقاش الجاد ، وتقديم المسرح بالتالى بديلا « لتزغزة اللب » « ومص القصب » أو فى أحسن الحالات منوعات غنائية راقصة أذا ارتقت فانها تصل الى مستوى ما يقدم فى الفنادق الكبرى للسياح الاجانب ، وفى أحيان اخرى تقدم نماذج من نوع الافراح والسهرات اللاهية ، دون مضمون حقيقى .

ولاينسى الوزير فى اطار هذه الحركة التى تسمى مسرحية ان يقدم لنفسه ــ ثلاث مسرحيات خلال عامين « وليست مسلسلات الاذاعة والتليفزيون والسينما والنشر هى مجالنا الان » وان يصبح هو ووكلاؤه متعهدى تقديم مسرح اكتوبر ، وعلى هذا فيمكننا ان نتوقع فى العام القادم موسما مسرحيا لديرى العموم !

« شر البلية ما يضحك » ، ولكن هل يكتفى المسرحيون الجادون الان بتوصيف الظواهر ورصدها والموت الما وضياعا امامها أم ان عليهم ان يبادروا الى خلق مسرح جديد ، جاد مناقض لكل ما يراه الوزير ورجاله من دور للمسرح وفنونه ؟!

فى سنوات التحول الجادة ازدهر المسرح ، وناقش مع أو ضد ، وولدت حياة ثقافية فنية ، واتسعت دائرة الجدل على المسرح كفن جماعى فريد ، وعندما رجحت كفة التجار والمقاولين والسماسرة فى الحياة الاجتماعية ظل النقيض يموج تحت السطح الذى يبدو ساكنا ومتماسكا ، وعلى كل الذين يؤمنون بفن مسرحى حقيقى للناس ان طرقوا لا تحسب ابواب التجريب واعمال الهواة وهو اسلوب واعد ومبشر ، وانما عليهم ان يطلقوا لجرأة خيالهم العنان ، وان يخرجوا من تلك الاعماق الفوارة فنونها واشكالها . ان هذا هو واجبهم الان وعليهم ان ينتزعوا مبادرتهم من ايدى الاخرين .. من اجل مسرح جاد ومتقدم .

سـينما هضم الطعـام
وسـينما التلبك المعـوى

سمير فريد

اســتقر الحــوار على ان السينما نوعان ، واحدة لهضم الطعــام يؤيدها وزير الثقافة ، وأخرى للتلبك المعــوى يؤيدها الصــحفى ، ومن يمثــلهم فى سـؤاله .

وقال الوزير انه « يلفتح » على كل الاتجاهات،وضرب من امثلة سينما التلبك المعوى « **العصفور** » و « **زائر الفجر** »

ومن القطاع العام قال ان خسـائر السينما توقفت مع توقف القطاع العامعن الانتاج ، وان الوزارة لم تتخل عن مسئوليتها بمشاركتها فى مراقبة الانتاج الخاص الممول بضمان منها منذ ان يكون الفيلم فكرة حتى يعرض على الشاشة . وان الافلام التسجيلية والقصيرة تمر بفترة ازدهار هذه الايام .

ومن انتشار دور العرض فى مصر قال وزير الثقافة ان الوزارة فى انتظار تنفيذ اتفاقها مع السوفيت لاستيراد نحو ٥٠٠ آلة عرض من مختلف المقاسات لانشاء دور عرض جديدة فى المدن الصغيرة وفى القرى . ومن اتاحة الفرصة للشباب قال انه فرض على كل فيلم ان يكون ٢٠٪ من العاملين فيهمن خريجىمعهدالسينما .

واخيرا الرقابة ، وهنا قال الوزير انه لم يحدث ان وقفت الرقابة تناقش افكار المؤلفين،ووجهات نظرهم الاجتماعية والسياسية . وانها رقابة موظفين حقـا ولكنهم موظفون مثقفون .

فهل هذه هى الحقيقة ؟

ان السينما فى الواقع لاعلاقة لها بهضم الطعام ، ولاعدم هضمه . غير ان التشبيه يعكس مدى كراهية الوزير ــ ومن ثم الوزارة ــ للسينما الملتزمة . وموقف الـوزير من الالتزام فى الادب والفن موقف قـديم من قبـل ان يتولى الوزارة . غـير ان الـواجب على اى وزير للثقـافة ان يتيح الفرصة لازدهـار كل الاتجـاهات الفـكرية فى بلاده ، وليس الاتجاه الذى يؤمن به شخصيا . والربط بين الوزير والوزارة قائم فى اغلب الدول النامية على اية حال وهو من سمات التخلف المرعبة .

ووزارة الاستاذ يوسف السباعى لم تنتج « العصفور » ولا « زائر الفجر » ولا غيرهما من الافلام الملتزمة التى شاهدناها هذا العام ، او التى سوف نشاهدها خلال الفترة الباقية من العام على الاقل . ولا يعنى هذا انه لم يتم انتاج اى فيلم له قيمه ، ولكن هذه الوزارة كما ستثبت من خـلال ظروف السينما المصرية الراهنة لاتنفتح على كل الاتجاهات ، وانما تؤيد اتجاها واحدا فقط هو اتجاه السينما التجارية المتخلفة.

دور الدولة
فى الانتــاج والتوزيع والعرض

جاء يوسف السباعى ليجمد انتاج القطاع العام متوقفا منذ اكتوبر عام ١٩٧١ ، ولكنه عندما يقول ان خسائر السينما توقفت مع توقف انتاج القطاع العام ، بوضوح القرار الذى صدر فى اكتوبر عام ١٩٧١ ، والذى قال حسن رمزى مخرج العاطفة والجسد فى التليفزيون ورئيس غرفة صناعة السينما انه الذى اوحى به الى الدكتور حاتم عندما كان وزيرا للثقافة .

ونحن لاندافع عن تجربة القطاع العام فى السينما المصرية ، فقد قامت دون سند من تأميمات واضحة ، ودون توفر الكوادر التى تديرها عن ايمان حقيقى ، ولكن هذه التجربة كانت لها ايجابياتها ايضا . ولم يكن حل مشكلة اللصوص هو التوقف عن الانتاج ، وانما كان ببساطة محاكمة اللصوص . ومن هنا يمكن القول ان قرار التوقف كان لصالح اللصوص .

واننا نسأل : لحساب من حفظت القضية ؟ ! وهل دور الدولة فى الانتاج السينمائى يقتصر على ضمان القطـاع الخاص لدى البنوك ؟ هل دور الدولة ان توزع بعض الافلام فى بعض دور العرض مثلها مثل اى شركة خاصة ؟ ام ان هناك دورا آخر للدولة فى الانتاج والتوزيع والعرض ؟ .

لاشك ان هناك دورا آخر للدولة ، وخاصة فى بلاد مثل بلادنا ، وبعد تجربة القطاع العام التى غيرت موازين السوق وبالتالى موازين القوى الفكرية .

وقد كنا قبل وانشاء القطاع العام نطالب بالسير حتى نهاية الشـوط ، وتأمين السينما ـ ولا يزال هذا هو الحل الامثل مع اعداد الكوادر اللازمة لادارة السينما ـ غير اننا الان نطالب باقل القليل ، وهو ان تقوم وزارة الثقـافة بالمساعدة على انتاج بعض الافلام على غرار مايحدث فى بعض الدول الرأسمالية وليس الاشتراكية . وذلك لتقوم بدورها فى اتاحة الفرصة للمخرجين الذين يريدون مقاومة السينما السائدة .

ونطالب وزارة الثقافة ان تكف من ضمان الشركات لدى البنوك ، فهـذا ليس من عملها مهما كانت الرقابة التى تفرضها . وفضلا عن ان لجنة القراءة بالهيئة العامة للسينما والمسرح والموسيقى لم توافق الا على الافلام التجارية ، فالواقع انه ليس من حقها ان تفرض على هذه الشركة او تلك اية مواصفات طالما ان دور وزارة الثقافة يقتصر على ضمان الشركات لدى البنوك .

اما مسالة الـ ٢٠٪ من العاملين فى كل فيلم من خريجى معهد السينما فهذا مايحدث فعلا ، ومنذ زمن طويل .

اما من ازدهار الافلام التسـجيلية والقصيرة ، فالامر يرجع الى الاحتفال بمرور عام على عبور قناة السويس ، وليس لوجود أى خطة للنهوض بها .

وفى التوزيع ايضا نطالب وزارة الثقافة باقل القليل ، وهو ان تختلف الافلام التى توزعها عن الافلام التى توزعها الشركات الخاصة . ومن المعروف ان مصر الان لاتشاهد ولا ٥٪ من الافلام الجيدة التى تنتج فى العالم ، ولا تشاهد الافـلام التى تنتج فى البلاد العربية ، ولم تشاهد قط اى فيلم من دول شرق اوربا وامريكا اللاتينية .

وفى العرض نطالب ثالثا باقل القليل ، وهو أن يكون لوزارة الثقافة دور للعرض تختلف عن الدور التى تملكها الشركات الخاصة . ليس كما فى اوربا وامريكا فقط ، وانما كما فى تونس ودمشق وبيروت . ومن شأن وجود هذه الدور التى تتميز بصغر الحجم والسعر الموحد ان يتاح للمصريين مشاهدة العديد من الافلام التى لايمكن أن تعرض فى دور العرض الكبيرة .

كما نطالب بالجدية فى تنفيذ الاتفاق الخاص بالات العرض مع الاتحاد السوفيتى ولو ان حكاية البطء السوفيتى ليست بالمبرر الكافى. فلو جاءت هذه الالات غدا لن نعرف وزارة الثقافة اين تستخدمها ، اذ لم يتم بناء دور العرض التى سوف يتم تركيب هذه الالات داخلها .

باختصار نطالب وزارة الثقافة ان تكون وزارة للثقافة ، والا تتحول الى فرع من فروع الشئون الاجتماعية لرعاية مصالح الشركات الخاصة . والشركات الخاصة على اية حال تعرف كيف تحمى مصالحها جيدا .

الرقابة الكريمة ومسالة الموظفين المثقفين

يقول الاستاذ يوسف السباعى وزير الثقافة انه لم يحدث ان وقفت الرقابة تناقش افكار المؤلفين ، ووجهات نظرهم الاجتماعية والسياسية ، وانها رقـابة موظفين حقا ، ولكنهم موظفون مثقفون . ولست ادرى ماذا تفعل الرقابة اذا لم تكن تناقش افكار المؤلفين ، ووجهـات نظرهم الاجتماعية والسياسية .

وقضية الرقابة فى مصر ليست قضية الموظفين الذين يتولون المنع والاباحة فقط ومهما كانت درجة ثقافاتهم ، وانما هى قضية قانون الرقابة المتخلف ، وملحقاته السرية ، وتعدد الاجهزة التى تستطيع ان توجه الرقابه شفويا او تحريريا . وقد اعترفت وزارة الثقافة بالقصور فى ادارة الرقابة، وشكلت لجنة عليا يحتكم اليها ، ولكن هذه اللجنة تضم ايضا نفس العناصر الوزارية ذات الاتجاه الواحد .

وزارة الثقـافة وزارة النشاط الثقافى السينمائى

والحوار الذى دار مع وزير الثقافة لم يتضمن اية اسئلة حول الثقافة السينمائية بينما يمكن القول ان الثقافة هى مهمة وزارة الثقافة .

فماذا من الثقافة السينمائية فى وزارة يوسف السباعي ؟ ان الثقافة السينمائية لها عدة وسائل هى الكلمة المطبوعة ، ونوادى السينما ، وجمعيات الهواة ، والاسابيع السينمائية ، والمهـرجانات السينمائية القومية والدولية . كما ان من مهام وزارة الثقافة رعاية الاتحادات الاهلية لنوادى السينما ، وللهواة ، وللنقاد ، ومعهد السينما ، والارشيف القومى ، والمركز الثقافى المسمى بالمركز الفنى للصور المرئية .

اصدرت وزارة الثقـافة معجم الفن السينمائى وكتاب التكنولوجيا السينمائية فقط ، وهما من الاعمال التى اتفق عليها منذ سنوات طويلة . واصدرت وزارة الثقافة مجلة للسينما والمسرح لاتختلف كثيرا من مجلة الكواكب ، وتتولاها ايضا نفس العناصر الوزارية التى نراها فى لجنة القراءة ولجنة الرقابة ، والتى لاتؤيد غير الاتجاه الوحيد الذى يجب ان ترفضه وزارة الثقافة .

ولم تعمل وزارة الثقافة على زيادة عدد النوادى او الجمعيات ، او انشاء اتحاد لهذه او لتلك ، ولاتتجاوز الاسابيع السينمائية عدد اصابع اليد الواحدة كل عام ، والغى المهرجان القومى للافلام الروائية الطويلة لان النتائج لم تعجب الوزير رغم تدخله فى تشكيل لجنة التحكيم واستبعاده بعض الاسماء واضافته بعض عناصره الوزارية . وفى مقابل الغاء المهرجان القومى اقامت وزارة الثقافة مسابقة لمن يتقدم ، وليس على الصعيد القومى ، كانت نتائجه فوز فيلم **دمى ودموعى وابتسامتى** بـ ١١ جائزة ، وفوز فيلم **نساء الليل** بـ ٧ جوائز . وهكذا قدمت وزارة الثقافة الافلام التجـارية كنماذج تحتذى بواسطة نفس العناصر الوزارية فى لجنة التحكيم .

وبدلا من رعاية الاتحاد الاهلى لنقاد السينما ، وتطوير معهد السـينما ، والارشيف ، والمركز الفنى ، عمل وزير الثقافة بنفسه على انشاء اتحاد آخر لنقاد السينما باسم كتاب ونقاد السينما لكى تتحول العناصر الوزارية السائدة فى كل اللجان الى جمعية رسمية يتولى رئاستها الفخرية . وقد اعلنت وزارة الثقافة عن عزمها اقامة مهرجان دولى للسينما ، وكذلك اعلنت جمعية كتاب ونقاد السينما ، واختلط الامر ، ولم يعد من الممكن عمليا ان نفرق بين الوزارة وبين هذه الجمعية .

ولا يقتصر نشاط العناصر الوزارية اعضاء جمعية كتاب ونقاد السينما على لجان القراءة والرقابة والتحكيم ومجلة السينما والمسرح فقط وانما يمتد ايضا الى العالم الخـارجى بواسـطة لجنة المهرجانات التى تتولى اختيار الافلام التى تمثل مصر فى الخارج ، والتى يمكن ان نطلق عليها لجنة الفضائح الدوليـة المتكررة . ويتم كل عام توزيع السفريات بالعدل على هذه العناصر بانتظام . □

الفـــن بيـن الواجهـــــة والضــــــرورة

عز الدين نجيب

فى نهاية حلقات الحوار الذى ادارته « روز اليوسف » مع وزير الثقافة حول القضايا المتعلقـة بالثقافة فى مصر ، كدست المجلة فى سلة واحدة ثلاث قضايا خطيرة هى : التبادل الثقافى ، الآثار والمتاحف ، الفنون التشكيلية .

وفى اسطر قليلة اجاب الوزير مثبتا ان كل شىء على مايرام ، واذا كان هناك قصور فهو فى الاعتمادات المالية بسبب «الظروف الاقتصادية والعسكرية» .

وسـوف احاول هنا مناقشة الجزء الخاص بالفنون التشكيلية الذى جاء فى حديث سيادته ، وهو المجال الذى اعرفه اكثر من سواه ..

اولا : يستهل السيد الوزير حديثه من الفنون التشـكيلية قائلا بأنها تلقى عناية تتزايد بقدر ما تسمح الاعتمادات المالية .

واود أن ارى مظاهر هذه العنـاية المتزايدة فان الواقع الذى نعشه يقول العكس .. فلم يظهر منذ سنوات طويلة مشروع واحد جديد ، وكل المشروعات القائمة موجودة منذ الستينات ، مثـل التفرغ والمقتنيات والمعرض العام ومراكز الانتاج الفنى وبيوت الابداع .. حسنا.. فلننظر ماذا اصابها من تطور فى عهـد وزارة الاستاذ يوسف السباعى :

● **نظام التفرغ** : بعد ان كان هذا المشروع دافعا للفنانين التشكيليين للانتاج والابداع حتى تحققت من خلاله انجازات فنية رائدة فى سنواته الاولى ، تحول فى النهاية الى عائق لهم ، يتركهم ينتظرون على أعتاب ادارته شـهورا قد تصل الى العام ، كأنهم فى انتظار صدقة ، وفى النهاية تعطى لبعضهم منح تصل الى ثلاثة اشهر ، مما جعل البعض يرفضونها مفضلين ظروف عملهم الشاقة ! «مقال : ارفضه احتراما لنفسى .. للفنان سمير تادرس ..المساء ١١-٦-٧٤ » .

● **نظام المقتنيات** : من الذى يتحكم فيه ؟ لجنة بيروقراطية تتمتع بقدر من الكراهية والسخط من جميع الفنانين يكفى لادخالها التاريخ من أوسع أبوابه !.. وتل ماشئت عن نوازع الهوى والمصالح الشخصية وضيق الافق مما توصف به تلك اللجنة علنا ، سواء فى ندوات اوفى مقالات منشورة ، وكلما ازداد الهجوم عليها ازداد المسئولون فى الوزارة - الذين قاموا بتعيينهم - استمساكا بهم وتحديا لجمهور الفنانين ، ولعلنا نرى نتيجة ذلك فى مقاطعة عدد كبير منهم للمعرض العام الحالى للفنون التشكيلية .

ومـع ذلك .. فكم وصـلت ميزانية المقتنيات لهذا العام ؟ .. سبعة آلاف جنيه ، بينما وصلت فى ١٩٦٤ الى ١٤ الف جنيه .. سبعة آلاف جنيه تشرىء بها الدولة ذمتها من ٣٠٠ فنان يعرضون كل سنة فى المعرض العـام للفنـون التشكيلية ، وتدفعها ثمنا لاعمالهم الفنية التى ستعرض « فى سفاراتنا فى الخارج وفى الاماكن العامة والوزارات المختلفة بالداخل » كما يشير السيد الوزير . وقبـل ان يرتفـع فى وجهى .« فيتو » الظروف الاقتصادية والعسكرية ، اسارع فأذكر ان السيد الوزير وزع بنفسه منذ ايام حوالى ١٨ الف جنيــه كجـوائز للسينمائيين الذين قاموا بعمل افلام مثل: نساء الليل ، حكايتى مع الزمان .. ولن اتحدث عن المساعدات الاخرى الخيالية التى تعطيها الوزارة للسـينمائيين فى القطاع الخاص لينتجوا افلاما ادنى بكثير من تلك ، والتى تكفى مسـاعدة فيلم واحـد منهـا لتقيم على ربوع الوادى نهضة تشكيلية لم يسبق لها مثيل .

● **مراكز الانتاج الفنى وبيوت الابداع:** انشئت هذه المراكز فى الفسطاط ووكالة الغورى وبيت السنارى وقصر المسافرخانة لتحقيق رسالة قومية كبيرة ، هى الحفاظ على تقاليد تراثنا الفنى خاصة الاسلامى والشعبى من الانقراض ، فى مجـالات الخزف والخشب الخروط والتطعيم بالصدف والزجاج والفسيفساء ، والزخرفة على النحاس وتماشر الخيام والحلى .. الخ، ومحاولة احيائها وترويجها بين المواطنين بشـتى السـبل ، كما أنشـئت بقصر المسافرخانة مراسم للفنانين بمثابة نواة لبيوت الابداع الفنى ، تهدف من خلال معايشـة الفنـانين للقيم الجمالية التى يحويها هذا الاثر العريق والبيئة الشعبية الصميمة التى يوجد بها الى امتزاج الحضارتين العريقة والمعاصرة فى انتاجهم .

فماذا حدث من تطور فى هذا المجال ؟ لقد تدهورت - اوكادت - الحرف التقليدية فى مراكز الانتاج الفنى ، هرب منهـا الصناع المهرة الى اعمال اخرى اكثر فائدة ، بل هرب منها حتى الصبية الذين كان المفروض أن يتعلموا أصول الحـرف ليكونوا جيلا جديدا يرث تلك التقاليد ، وانكمش الانتاج بشكل ملحوظ ، واصبح

النشاط فيها مجرد نشاط رمزى أوروتينى. والسبب هو العجز المخيف فى الامكانيات التى تعطى لهذه المراكز ، والتعويق المتعمد ، بل الحرب الضروس ، التى تشنها هيئة الفنون على الادارة العامة للفنون الجميلة والمتاحف المشرفة على هذه المراكز بعرقلة اوراقها وسحب المكافآت المخصصة للصناع لتنفق على الاداريين بها ، والاصرار على المركزية الشديدة من أعلى الهيئة فى ادارتها ، الى حد الاطاحة بالمدير العام للادارة المذكورة عن منصبه حين أصر على تولى اختصاصاته بشكل مستقل ، سواء بالنسبة لهذا المجال ، او مجال المعارض الدولية ، فى مواجهة سلبيات لجنة الفنون التشكيلية .

أما مراسم المسافرخانة ، فقد أعدت الوزارة مشروعا لتأجيرها — مع عدد من البيوت الاثرية العتيدة — لمحلات أهلية أو اجنبية ،كأماكن للمتعة السياحية.

ثانيا : يقول السيد الوزير : « اذا كان متحف الفن الحديث قد هدم منذ سنوات لاعتبارات أملتها الظروف فقداقيم متحف مؤقت للفن الحديث يضم خلاصة الاعمال المقتناة » .

اننى كفنان ، وكمواطن مصرى ،أشعر بالخزى والاهانة عندما ادخل ذلك البيت المنغير فى الدقى والذى يحمل على بابه لافتة مكتوب عليها «متحف الفن الحديث» يضم عشرات من اللوحات موزعة على عدة حجرات صغيرة وسلالم وأقبية مظلمة رطبة ، بينما آلاف اللوحات من انتاج الفنانين المصريين والعالميين التى كان يحتويها من قبل متحف الفن الحديث قبل هدمه — تتكدس فى مخازن لاترى النور.

والنتيجة : هى انقطاع الجماهير فى مصر عن ابداع أبنائها — خاصة من توفى منهم — ومن ابداع عشرات الفنانين العالميين الذين كنا نفخر بامتلاكنا لاعمالهم .

واذا كان « فيتو » الظروف الاقتصادية والعسكرية يجعل من الصعب المطالبة ببناء متحف جديد بدل المتحف الذى هدم « لاعتبارات املتها الظروف » أفليس من حقنا أن نسأل عن هذه الظروف التى تسمح بارتكاب تلك الجريمة طالماتصدى السيد الوزير لتبرير ذلك باستخدام كلمة الظروف ؟ .. انها فى الحقيقة ليست جريمة واحدة بل جريمتان قوميتان بمعول واحد .. الاولى هى هدم قصر هدى شعراوى الذى كان يعد ثروة قوميةنادرة بطرازه الاسلامى ، وبقيمته كجزء من تاريخ مصر وكفاحها الوطنى ، وكان استخدامه كمتحف للفن احسن تكريم له وحفاظ عليه . والثانية هى هدم المتحف الوحيد للفن الحديث فى مصر والقاء محتوياته فى المخازن ، حتى لو كان المبنى لاقيمة له ، لتقام محله لوكاندة سياحية ، ثم يصبح مميزه حاليا موقفا للسيارات .

ولسنا نأمل — بعد — فى محاكمة المسئول عن ارتكاب تلك الجريمةالقومية المزدوجة ، لكننا فقط نسأل : ماذا فعلت او ستفعلوزارة الثقافة لمحو هذا الخزى

ثالثا : يقول السيد الوزير : « أما قاعة اخناتون فقد عارضنا فى تسليمها للقطاع الخاص ولكنهم تسلموها فى النهاية ، وهناك مالا يقل عن ١٥ قاعة فى وسط القاهرة معدة لعروض الفنون التشكيلية » .

لم يكن بودى أن افتح ملف قضية اخناتون ، بل اننى لست فى حاجة الى فتحه .. فالكل يعرف محتواه ، الكل يعرف أن هيئة الفنون هى التى وافقت على تسليم القاعة لاخوان جعفر ، دون مقاومة لتستغل كملهى ليلى فى مقابل مبلغ من المال تسلمته الهيئة ، والكل يعرف أن الفنانين والمثقفين هم الذين قاوموا اتمام هذا الامر وصعدوه الى مجلس الشعب وتم بناء على ذلك اجتماع بين بعض الفنانين والنقاد واثنين من اعضاء المجلس مع السيد الوزير فى ٦–٦–٧٤ حتى وعد سيادته برفض التسليم ، ومع ذلك استمرت المناورات من جانب هيئة الفنون لعدم اتمام التسليم والالتفاف حول قرار الوزير ، والكل يعرف اخيرا أن القانون برىء من كل هذا بدليل انه — ممثلا فى المحامى العام — امر باعادتها الى الوزارة وتفاصيل هذا كله منشورة فى الصحف « جريدة المساء ١١ يونية ، ١٠ سبتمبر ٧٤ » .. ومع ذلك فقد مر اكثر من شهر على قرار المحامى العام ولم يتم استلام الوزارة لها ، فمن المرجح أن الفنانين لن يستفيدوا منها خلال هذا الموسم ، نظرا للتعديل المعمارى الذى احدثه فيها إخوان جعفر عقب استلامهم لها ، حتى صارت كأسيرة حرب منتهكة.

أما الحديث عن وجود ١٥ قاعة فى وسط القاهرة معدة للعروض التشكيلية، فكلها اماكن لا تصلح الا لعروض من نوع خاص ، يحقق اغراض المنتفعين بها ، مثل الجمعيات الفنية الاهلية او كلية الفنون الجميلة بالزمالك أو قصور الثقافة فضلاً عن تفرقها فى احياء بعيدة عن وسط القاهرة مما يصعب التعود على ارتيادها .. وبالاضافة الى هذا هناك قاعات ضخمة مثل قاعة الاتحاد الاشتراكى وقاعة باب اللوق ، لاتصلح الا للمعارض الجماعية الكبيرة او المعارض الاجنبية ، « مقال : حول قاعات العرض بالقاهرة صبحى الشارونى — المساء ٢–٧–٧٤».

بهذا يظل مؤكدا ان وزارة الثقافة لاتملك فعلا قاعة واحدة تصلح لاقامة معرض لفنان واحد ، وقد كان اولى بهيئة الفنون — بدلا من انفاق المبالغ الطائلة على اعداد قاعة فى جراج مبناها فى الهرم ، حيث لن يرتادها على احسن الفروض الا اصحاب السيارات، كان اولى بها ان تنفق هذه المبالغ فى اعداد قاعة بوسط القاهرة ، حتى ولو كانت جراج إحدى العمارات التى تبنى كل يوم .

رابعا : يقول السيد الوزير : «مسألة سفر الفنانين التشكيليين الى الخارج ليست قاصرة على أربعة او خمسة فنانين، إنما هى قاصرة بسبب الاعتمادات المالية » .

والمسألة أصلا ليست فى عدد من يسافرون ، انما فى نوعيتهم وفى الاسس التى يتقرر على أساسها سفرهم ، وهذا يثير بالضرورة — مرةأخرى — قضيةلجنة الفنون التشكيلية ، التى تستأثر لنفسها بهذه الفرص عملا بمبدأ « زيتنا فى دقيقنا » أو « شيلنى واشيلك ».. وليست ببعيدة عنا فضيحة الترشيح لبينالى فينسيا ، فقد إختصت اللجنة اثنين من إعضائها بتمثيل مصر فى ذلك المعرض ، مما ادى الى هياج الرأى العام للفنانين والى تصدع اللجنة من داخلها وانسحاب البعض منها او اعلانهم التبرؤ من اعمالها فى احاديث منشورة فى الصحف ، وكان اولهم مقرر اللجنة الفنان عبد الجميد حمدى .

واظن ان السيد الوزير يوافقنى على ان هذا لايدخل فى « تصور الاعتمادات المالية » او « الظروف الاقتصادية والعسكرية » !

وقد كان الجميع ينتظرون بعد تلك

الفضيحة - ان يعيد الوزير النظر فى تشكيل لجنة الفنون التشكيلية ، لكنه لم يفعل ، ضاربا عرض الحائط بكل مشاعر ومصالح المئات من الفنانين ، تماما كما فعل بالنسبة للمسئولين عن فضيحة قاعة اختاتون !

قد يقال : وما الضمان لالا تنحرف اللجنة الجديدة فيما لو قرر الوزير تشكيلها ؟ وأسلم بانه لاضمان لذلك ، فان اى لجنة مشكلة من أعلى ، مهما كانت نزاهتها ، لن تكون منزهة عن الهوى ، اذا لم تكن هناك رقابة فعليه عليها ، والرقابة ليست هى رقابة المناصب العليا ، انما هى رقابة القاعدة العريضة صاحبة المصلحة الحقيقية .. لهذا فلا بديل من ان يحترم الوزير ارادة تلك القاعدة من الفنانين ، ويعطى لها الحق فى اختيار اللجنة المعبرة عنها بالطرق التى تراها .

بالاضافة الى ماتقدم ، هناك مسائل اخرى لم تردفى حديث السيد الوزير ..

● **مكتبة الفن** ، وهى المكتبة الوحيدة للفن فى مصر وتضم ٦ آلاف كتاب من اهم الكتب العالمية فى الفن — ظلت مشردة بعد هدم متحف الفن الحديث الى ان وضعوها فى مبنى عتيق فى بولاق ، حتى سقط سقفه عليها فى فبراير الماضى وعادت الكتب مرة اخرى الى المخازن ، دون ان تسعى هيئة الكتاب الى نقلها الى مبنى آخر .. ما الذى فعله السيد الوزير لانقاذ هذه المكتبة ؟ ..

● **قانون الـ ٢٪** ، الذى يقضى بتخصيص تلك النسبة من تكاليف المبانى العامة للاعمال التشكيلية والذى قدم منذ عشر سنوات لدراسته فى المجلس الاعلى للفنون والاداب واعداده للحصول على تشريع من مجلس الشعب لاقراره ، ماذا فعل السيد الوزير من اجله وقد كان المشروع فى مكتبه بالمجلس الاعلى قبل تكليفه بالوزارة ؟

● **مشروع المستنسخات الفنية** ، الذى يعد أسهل وسيلة عصرية لترويج الفن جماهيريا ، بطبع العمل الفنى طباعة جيدة بالالوان فى حجم مناسب وبيعه بأسعار شعبية .. لقد بح صوت الفنانين والنقاد من المطالبة بتنفيذه ، وهو لا يحتاج لاكثر من مطبعة ، وهيئة الكتاب تملكها فيما أظن .. ماذا فعلت الوزارة من اجله ؟ .. وأى انعاش للفن والفنانين يمكن ان يحققه !

● **مشروع الجمعية التعاونية لخامات الفنانين** ، التى ترحمهم من استغلال السوق السوداء نظرا لعدم استيراد الدولة لتلك الخامات الا للطلبة ، كم نادى الفنانون بانشاء هذه الجمعية التى تحظى بتسهيلات استيراد تلك الخدمات لبيعها لهم بأسعار لا استغلال فيها .. ماذا فعلت الوزارة من اجل هذا المشروع ؟

● **مجلة « الفنون »** التى كانت تصدر قبل سنوات وتعنى بتقديم الفنون المصرية والعالمية على نطاق جماهيرى ، وبتعميق المسائل النظرية والجمالية — ثم اغلقت دون ان يدرى احد لماذا اغلقت .. ومازال مكانها فارغا .. ماذا فعلت الوزارة لسد هذا الفراغ ؟ ..

لا شىء ! .. لا شىء ! .. لا شىء !

وهكذا أصبحت الحركة الفنية فى عزلة كاملة عن وزارة الثقافة ، لقد اقتنع الفنانون فى النهاية بأنها لا تمثلهم .. وقد تبدى ذلك فى ظاهرتين أخيرتين :

الاولى : مقاطعة نسبة كبيرة من الفنانين الجادين للمعرض العام الحالى .. كما ذكرنا — رغم ما فيه من اغراء بشراء بعض انتاجهم ، وهم المحتاجون دائما .

الثانية : مقاطعة معظم الفنانين الكبار والجادين للمسابقات القومية الاخيرة تحت شعار « من وحى المعركة » رغم ارتفاع قيمة جوائزها ، مما ادى الى فشلها الذريع وحجب معظم الجوائز لانخفاض مستوى الاعمال المقدمة . ولا اظن أن احجام هؤلاء الفنانين عن الاشتراك فى المسابقة يرجع الى ضعف شعورهم الوطنى أو رؤيتهم الابداعية ، انما يرجع الى اقتناعهم بعدم جدوى اى مشاركة فى ظل الاوضاع القائمة فى الحركة الفنية والثقافية ..

ان أهمية كل تلك المسائل التى أثرناها فى هذه الكلمة لا تغير من كونها ظواهر لمسألة أولى بالبحث وهى : « فلسفة » وزارة الثقافة ازاء الحركة الفنية .. هل تنظر الى الفن كضرورة جماهيرية ؟ .. أم كنشاط ثانوى يعنى استكمال الواجهة ؟

لو كان الفن ضرورة للجماهير شأنه شأن الخدمات العامة أو درجة من درجاتها ، فانه ككل ضرورة يتحقق بثلاثة أطراف رئيسية : منتج ومستهلك ووسيط يوصل بينهما .. أعنى الفنان والجمهور والاجهزة التى تقوم بتوصيل الانتاج الى الجمهور ..

والمنهج العلمى يتطلب دراسة الاطراف الثلاثة دراسة متكاملة ، من حيث مشاكلها واحتياجاتها الفعلية ووضع التخطيط الشامل لتلبية تلك الاحتياجات فى شكل برنامج ذى مراحل .

فهل تمت فى عهد السيد الوزير دراسة لواقع الفنون التشكيلية بأطرافها الثلاثة ؟ وهل وضع التخطيط أو البرنامج الذى يلبى الاحتياجات فى الحاضر والمستقبل ؟

وبأى رؤية ينظر الى دور الفن ؟ .. أن يسعى الى الترفيه عن الانسان .. ام أن يسعى الى بناء الانسان ؟

لو كانت الاولى : فلا مجال للحديث عن « الضرورة » ازاء ضرورات أكثر اهمية للمواطن .

ولو كانت الثانية : فان هذا يجعل من مسئولية الوزير أن يكافح للحصول على الدعم الضرورى من الدولة لتنفيذ برنامجه ، من زاوية أنه لا يقل اهمية عن بقية برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

فان بناء متحف للفن امر لا يقل أهمية عن بناء مصنع أو مدرسة .

وان انشاء قاعة للمعارض امر لا يقل اهمية عن انشاء فندق سياحى .

وان اقامة مكتبة أو مسرح امر لا يقل اهمية من امداد قرية بالكهرباء ..

وان اعداد بيت للابداع الفنى امر لا يقل اهمية عن عشر بعثات لدراسة التكنولوجيا .

هكذا ادركت كل الامم المتحضرة أو الساعية الى التقدم ، شرقا أو غربا ، ولم تقف دون ذلك الظروف الاقتصادية ، أو حتى العسكرية ..

فما بالنا لو كان المطروح هو الاختيار بين ، بيت للابداع الفنى ، أو ملهى سياحى !

مرة أخرى نطرح السؤال :

هل الفن عندنا ضرورة جماهيرية .. ام نشاط ثانوى يعنى استكمال الواجهة ؟

■ فى العدد الماضى قدمت « الطليعة » تناولا نقديا للقصص القصيرة والافلام التسجيلية التى قدمت عن ٦ أكتوبر .. وفى هذا العدد تواصل « الطليعة » ما بدأته ، فتقدم تناولا نقديا للمسرحيات والافلام الروائية التى قدمت عن هذا الحدث الكبير ■



سعد الدين وهبة

مسرح أكتوبر

كيف يروى ماحدث ؟

فاروق عبد القادر

وانقضى عام على اكتوبر ١٩٧٣ .. كان لابد أن تسقط خلاله دعاوى الكسالى والذين لم «ينفعلوا» ، والمطالبين بألا تكون الاعمال الفنية مجهضة ، بل لابد أن تتخلق مكتملة موفورة .

وفى العام الماضى ، حين عرضنا لما قدمه المسرح المصرى فى اكتوبر ، عنه. وبعده [انظر : الطليعة ، يناير ١٩٧٤] ، **كان الرد — المعد سلفا — ان انتظروا لتروا ، وانهمرت علينا — من ذلك الحين اخبار عن مسرحيات تعد : و« مواويل للنصر » تفدق عليها الاموال لتقدم فى الاحتفال الاول باكتوبر ٧٣ ، وقلنا ليس غدا ببعيد ، ورغم هذا كله .. فلم الق مخرجا أو مسرحيا ممن اشتركوا فى تقديم الاعمال التى رأيناها الا وشكا من قلة الوقت المتاح . كأنهم لم يكونوا يعرفون اين يقع هذا الشهر بين شهور العام !**

وستقتصر المناقشة التالية على العروض الاربعة التى قدمتها هيئة المسرح ، وافتتحها السيد وزير الثقافة رسميا ، بل وشارك السيد رئيس الوزراء فى حضور العرض الاول منها. هذه العروض هى : «الحرب والسلام» قصة **يوسف السباعى** ، اعداد **عبد الرحمن شبوقى** ، اخراج اثنين من المخرجين هما محمود رضا [للجانب الاستعراضى من العرض] ، **ومحمد صبحى** [للمشاهد الدرامية] ، ثم « **ياحبيبتى يا مصر** » من تأليف **سعد الدين وهبة** وأخراج **سعد أردش** ، و « **رأس العش** » **لنفس المؤلف ونفس المخرج**، **وأخيرا « محاكمة هم احمد الفلاح »** من تأليف **رشاد رشدى** واخراج **فاروق الدمرداش** .

وقبل أن نعرض لهذه العروض نود أن نسوق بين يديها بعض الملاحظات :

● **الاولى هى أنها فى معظمها من اعمال « المسؤولين الرسميين » عن الثقافة** ، فالاول من تأليف الوزير ، والثانى والثالث لوكيل الوزارة ، والرابع لرشاد رشدى ، الذى يشغل **اكثر من منصب فى الوزارة** نفسها ، عميدا لمعهد الفنون المسرحية ورئيسا لتحرير احدى مجلتيها ، وقد لقيت مسرحيته حفاوة خاصة ، فنشرت مسلسلة فى مجلة « الجديد » التى يرأس تحريرها ، ثم صدرت فى طبعة مستقلة هى العمل الاول فى مسلسلة بعنوان « مختارات الجديد » . . .

واذا اضفنا لهذا كله مسرحية خامسة لوكيل آخر من وكلاء وزارة الثقافة هو **الاستاذ حسن عبد المنعم** ، الذى اغدق عليه الله — فجأة — موهبة التأليف فى القصة القصيرة والرواية والنقد السينمائى إيضا ، لايقنا أن من السذاجة تفسير هذا الحشد كله من أعمال المسؤولين الرسميين بالصدفة المحض ، او بأنها هى — فقط — الاعمال التى كانت متاحة وجديرة بالتقديم .

إن اثنين من هذه الاعمال أعدا من قصتين ، أى لم يكتبا اصلا للمسرح ، فهل يمكننا أن نعتبر هاتين القصتين أفضل ما كان يمكن اعداده ؟ .. هذه واحدة ، والاخرى هى اننى اعرف — ويعرف غيرى — ان لدى عديد من الكتاب المسرحيين اعمالا من اكتوبر ، وأن هذه الاعمال لا تجد طريقها للتقديم .

فماذا يعنى هذا الموقف كله ؟

اننى أرفض التفسير السهل الذى يرى أن هؤلاء جميعا مسؤولون وجدوا انفسهم فى قيادة عمل ثقافى : فهم حريصون — كل الحرص — على الافادة من مواقعهم ماديا وادبيا . اننى اميل لانى أفسر الامر تفسيرا آخر : انه لون من الحساسية المفرطة تجاه أن يقدم خلال قنوات وزارة الثقافة فكر غير فكرهم ، بعبارة أخرى : لون من الردة الى اختيار احد جانبى هذا التناقض الزائف الذى أضر بحياتنا الفكرية — بل وبمسيرتنا الثورية كلها — بين « اهل الثقة » و « اهل الخبرة » ، وأضيف : اذا أمكن تبرير اختيار احد هذين الجانبين بظروف موضوعية تحتمها مرحلة من مراحل النضال الوطنى .. فكيف يمكن تبريره فى أمور الفن والابداع ؟ .. السنا نقف بهذا على ابواب « جدانوفيه » جديدة فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى أن تتفتح كل الزهور وتثمر ، وأن تجد كل فنون الابداع طريقها الى الناس ، ثم يقوم النقد الجاد والحوار المسئول ، بفرز غثها من سمينها ؟

● **الملاحظة الثانية خاصة بالاغداق** على هذه العروض ، بلا استثناء ، تحشد لها امكانيات وزارة الثقافة ، وتجتلب لها النجوم من خارجها أيضا .. تأمل فى عرض « حبيبتى يا مصر » : فرقة البالية المصرية + الفرقة القومية للفنون الشعبية + موسيقى بليغ



سعد أردش

رشاد رشدى

حمدى + محمد عبد المطلب وشريفة فاضل وماهر العطار ، بل ووجد سيد الملاح أيضا مكانا مرموقا ، الى جانب عدد من الممثلين من فرق الهيئة وخارجها ، كذلك كان الامر فى «الحرب والسلام» ، وبدرجة أقل فى « رأس العش » و « عم أحمد الفلاح » .

اعرف الرد الجاهز : من حقنا أن نفرح ونبتهج ، هذا صحيح ، لكن الصحيح ايضا أن من واجبنا الا نكون كالسفية الذى وجد بين يديه ثروة فانطلق يبعثرها يمينا وشمالا بغير حساب ، ومن حقنا أن نتساءل : كم تكلفت هذه العروض وكم تدر من ايراد .. ليس هذا منطقنا بطبيعة الحال ، لكنه المنطق الذى يتعللون به دائما كلما طالبهم مطالب بأن يقدموا اعمالا جادة تثرى وجدان الناس وتضيف شيئا الى ما يعرفون .

● **ملاحظة ثالثة** لا اقوى على كتمانها ولست ادرى كيف اصوغها : **ان الذى قام باعداد مسرحية وزير الثقافة هو الاستاذ عبد الرحمن شوقى**، وقد عرفه جمهور المسرح معدا لبعض الاعمال ذات الطابع الاستعراضى زمنا ما ، لكننا نعرفه أكثر من خلال مسلسلاته المشهورة: « عكاشة عماشة » و « المعلم رضا » واخيرا « الليالى الملاح » التى أوقفت قبل عرض اعداده لمسرحية الوزير بأيام قلائل ، لانها تصور جماهير المصريين على نحو مبتذل ومسف ومهين . ترى كيف يستطيع من يقدم مثل هذا اللون من الاعمال ان يقدم لونا آخر مختلفا عنه ؟ وهل فى جعبة الاستاذ شوقى ما يستطيع ان يقدم به « عكاشة والليالى الملاح حينا ، و «الحرب والسلام » حينا آخر .. أم أن للامر تفسيرا لانعرفه ؟

[●]

بعد هذه الملاحظات اعرض للاعمال نفسها ، وستنرى على أى شىء تتفق .

وابدأ بمسرحية « رأس العش » . فهى أكثر الاعمال التى قدمت طموحا ورغبة فى ان تقول شيئا محددا .

ومنذ الوهلة الاولى ستحس بأنك فى قلب عالم سعد وهبة المألوف ، وان الشخصيات التى تعرض عليك تضرب بجذورها الى « جاليرى » شخصياته القديمة . نحن فى مساحة عزبة على حدود محافظة الشرقية فى مواجهة مدينة القنطرة . والوقت يوم السبت ٦ اكتوبر ٧٣ ، وزمن المسرحية يقارب زمن عرضها على المسرح تقطعها مرتان ذكريات مستعادة فى صورة « فلاش باك » ، والحدث الرئيسى هو سقوط طائرة اسرائيلية وأسر قائدها .

من حول هذا الحدث يعرض الكاتب شخصياته . وسنجد انها تنقسم — كالعادة — معسكرين متواجهين : الاول يضم عبد الجواد « كان مجندا فى حرب ٤٨ » ، وعطية « الذى فقد ذراعه فى حرب ٥٦ » وفريد « الذى سنكتشف فيما بعد انه كان ضابطا اشترك فى حرب ٦٧ وفقد الذاكرة نتيجة الاسر والتعذيب اللذين تعرض لهما » وآمنة « امرأة سعد وهبة المشهورة ، تتسمى حينا فاطمة وحينا خضرة ، لكنها هى هى دائما : الواقفة على التخوم الفاصلة بين الواقع والرمز وتكتشف فى اللحظات الاخيرة انها بالطبع رمز لمصر » ، وعلى هامش هذا المعسكر بعض الشخصيات المسحوقة تحت وطأة قسوة الواقع : الشيخ رجب « صاحب محل بقالة صغير » ، ومرزوق « الفتى المهجر الذى فقد اسرته كلها فى ٦٧ » ، وحسنية « بغى القرية » وآخرون .

المعسكر الاخر يقف فيه رشاد « الذى كان فلاحا واصبح من الاعيان» وشحاته « السمسار الجوال الذى يأتى القرية ليتفاوض مع اهلها حول شراء بركة من الارض السبخة على حدودها » ومحمد ابو فرقلة « خفير القرية واحد الشخصيات التى يبرع سعد دائما فى تقديمها » ، وبسيونى « ممرض الوحدة المجمعة » وجمعة « امين الجمعية التعاونية » ، وعلى هامشه يقف جميل « حلاق القرية ودافن موتاها » .

ويفجر نشوب الحرب الصراع بين المعسكرين ، أو بالاحرى يزيد من بلورة ملامحه ، هذا الصراع يجسده الحوار الذى يدور بين رشاد وعطية ، رشاد يرى انه لا أمل الا فى حل سلمى «نصطلح .. نتفاهم معاهم ونخلص نفسنا ، ولما نبقى قادرين عليهم تبقى نخلص حقنا » ، وعطية يرى انه لا حل سوى الحرب« ما هو لو استنينا كده الناس هتطق من الغيظ وتموت ، وموتة بموتة نموت هناك احسن » ، كذلك الحوار الذى يدور بين محمد خفير القرية والشيخ رجب صاحب الدكان الصغير بها : الاول يحرض الثانى على اخفاء تموين الاهالى ثم بيعه بعد ذلك بالسعر الذى يريده ، والثانى يرفض دون مراجعة : « الناس مش قادرة تصلب طولها ، بعتوا رجالتهم فى الحرب .. اليهود هيستلموا الرجالة هناك واحنا نستلم الولايا والعيال هنا .. هم هيلاقوها منين ولا منين ؟ .. »

وتأتى مواجهة الاسير الاسرائيلى مثيرا لرواية تاريخ الصراع المصرى — الاسرائيلى منذ ٤٨ ، انما لهذا اختار سعد شخصياته هادفا لرواية هذا الصراع : **حكى عبد الجواد من ٤٨** : « كانت الجيوش العربية كل جيش ماشى فى سكته ، ويوم ١١ يونيه كان الجيش العراقى على بعد ٣٠ كيلو من تل ابيب ، والجيش الاردنى فى اللد والرملة على بعد ٢٤ كيلو ، والجيش المصرى على بعد ٢٥ كيلو ، والجيش السورى فى طبرية والجيش اللبنانى قريب من عكا ، كانت خلاص تل ابيب اتحوطت من كل ناحية وكلها يوم ولا اتنين .. وفجأة اعلنت الهدنة .. والحكومة مضت عليها ، وفى الهدنة حصل اللى حصل ، اليهود جاهم السلاح من كل الدول ، واحنا جالنا سلاح فاسد اشتروه سماسرة مولانا ، وخلصت الهدنة

ورجعنا نحارب ونموت بسلاح اليهود وبسلاحنا احنا ، وجت هدنة تانيه وسلموا اللد والرملة ورجعنا من فلسطين .. »

هذه شهادة عن ٤٨ ، واخرى عن ٥٦ يقدمها عطية : « فى سنة ٥٦ ماهزموناش أنا كنت فى شرم الشيخ .. وصدرت الاوامر للقائد بتاعنا بالانسحاب ، رجعنا وعرفنا الامر وقلنا لا كلنا مش عاوزين ننسحب ، اذا انسحبنا هيموتونا فى السكة ، تبقى نموت رجالة واحنا بندافع عن شرم الشيخ . وتانى يوم ابتدا الهجوم علينا .. وتعدنا احنا ندافع .. وساعة ما دخلوا شرم الشيخ كنا كلنا يا اما شهدا يا اما جرحى ، ما كانش فينا واحد سليم واقف على رجليه .. آدى حرب ٥٦ » .

وتقدم آمنة شهادة عما رأته فى ٦٧ :
« فى يوم صحيت على ضرب المدافع ، وقفت على الشط أنادى وأنا عارفة ان ماحدش سامعنى ، أخرج وأقول اضربوا يا رجالة .. وفى يوم اسود ما انسهوش كان فات يومين على الضرب لقيتهم راجعين .. صرخت فيهم ايه اللى حصل .. ايه اللى جرى .. واللى حصل حصل ليه .. عملتوا ايه .. رحتوا ليه .. عملتوا كدة ليه فى نفسكم وفينا وفى اللى ماتوا وفى اللى لسة جايين — وهم نفسهم ماكانوش عارفين راحوا ليه وما كانوش عارفين رجعوا ليه ، كانوا فاهمين أنهم رايحين يحاربوا .. ولما جم يحاربوا قالوا لهم ارجعوا .. » .

واذا تجاوزنا التناقض القائم بين وعى الشخصيات وما تقوله ، تبقى رواية سعد وهبة لهذه المراحل من الصراع صحيحة فى مجملها ، على أن أخطر ما يقوله ليس هنا وانما هو فى المشهد الاخير من مسرحيته : بعد أن يفد الى القرية اثنان من ابنائها المجندين فى مهمة سريعة ، ويحكيان بعض الحكايات المترددة والمكرورة عما فعلاه ورأياه تتغير القرية كلها : يتمرد الفلاحون على أمين الجمعية الذى يسرق أنصبتهم ، ويحاصرون ممرض الوحدة الذى يسرق الدواء ويبيعه لهم ، بل ويخرجون جميعا — الرجال منهم والنساء — لردم البركة القائمة على أطراف القرية .

يقول سعد وهبة : ان ماحدث فى اكتوبر قد غير الناس جميعا : فكشفوا الاقنعة عن وجوه الانتهازيين والسماسرة والوسطاء ، وانقضوا على قاهريهم ومستغليهم وانتزعوا منهم حقوقهم ، وبادروا بأنفسهم الى حل مشكلاتهم التى كانوا يتصورون من قبل انها تتجاوز امكانياتهم الذاتية .. فهل هذا كله صحيح ؟ هل دانت ثمار النصر فقطفناها ونعمنا بها ؟ أخطر شىء .. ومعركة التحرير لازالت فى أولها .. أن نحقق الانتصار فى الوهم أو على المسرح ، وأن نستنيم الى ما حققناه فنقع فى الوهم من جديد !

[●]

من الناحية الاخرى فان مسرحية رشاد رشدى « محاكمة عم أحمد الفلاح » تهوى الى عدد من المزالق الفكرية الخطيرة ، مردها جميعا افتعال ثورية زائفة ، ومحاولة تملق الانسان أو الفلاح المصرى [هو الذى كان يتعالى على النماذج التى تمثل جماهير الشعب وينفر من غلظتها وفظاظتها فى أعماله السابقة] ، ويكشف عن معرفة ساذجة وضحلة بالعدو ، لا تتجاوز سطورا من بعض اساطيرهم الى جانب عدد من الثرثرات الشائعة [فهم يقطعون أصابع الاطفال كى لا يحاربوهم ، ويستأصلون غدد الفتيات كى لا ينجبن أطفالا !] ، هذا كله الى جانب ذلك المنزلق السهل الذى يمثل انهيار كبار ضباطهم ، واعترافهم بأنهم عاشوا حياتهم كلها على الاكاذيب .

وفى الجانب المقابل يكتفى رشاد رشدى — فى تملقه للانسان المصرى ، أو العربى — بأن يصرف النظر عن واقعه تماما ويروح يتغنى بانه قهر الصحراء ، وأقام فجر الحضارة ، وهو يتغزل فيه على نحو ساذج ومضحك : « عم أحمد لحمه دهب ، عضمه فضة ، شعره من نور السما ، جذوره فى الارض الطيبة .. صيف وشتا .. سنة بعد سنة ، رواها .. وروته ، ولدها .. وولدته ، ما اقدرش أقول انه ابنها وابها امه ، اللى أعرفه انه دمها وهى دمه .. الخ » .

ثم هو يميع القضية تماما ، فيردد دائما انها « الحكاية يا اخوان مش حكاية حرب وسلام ، دى حكاية أهم وأعم ، حكاية الانسان مع الشيطان .. » ، ويسوق تلك الحكاية الساذجة عن اللص وصاحب المنزل ، الذى آواه فاحتل بيته ، دون أن يقدم أى بعد آخر لحقيقة هذا الاستعمار الاستيطانى : أسبابه وأهدافه والوسائل التى تمكن الشعوب من قهره ..

وهو يصور معارك المصريين فى سينا تصويرا ساذجا وفكها ، يحمل فى داخله الاستخفاف والهزء .. أنظر مثلا الى هذا المشهد : يلتقى عم احمد [رمز المقاتل المصرى] فى الصحراء باسرائيلى جريح فيحمله على كتفه ، لكن الاسرائيلى — لانه نذل بلا خلق — يطلق النار على المصرى فيقطع احدى رجليه ، رغم هذا ولان أحمد رجل نبيل على خلق فهو يلتقى فى اليوم التالى بطيار اسرائيلى أعزل .

[عم أحمد والطيار الاسرائيلى وجها لوجه فى سيناء] .

عم أحمد : هيه .. اعمل فيك ايه دلوقتى .. أعمل ايه ؟

الطيار [يرفع يديه مستسلما] : ماعنديش سلاح ، أنا فى عرضك يا بيه !

عم أحمد : فى عرضى ؟ ! لا قول لى انتم بتحاربونا ليه ؟

الطيار [لا يرد] .

عم أحمد : ماتتكلم .. خرست ليه ؟

الطيار : ها قول ايه ؟

عم أحمد : السؤال ده صعب عليك ؟ نسأل سؤال تانى .. الاسطورة راحت فين ؟

الطيار : الاسطورة ؟

عم أحمد : أيوه .. أسطورة الجيش الذى لا يقهر .. مش دا اللى كنتم بتقولوه ؟

[الطيار يفكر قليلا ثم يشير الى جعبة السلاح التى يحملها عم أحمد] .

عم أحمد [محتجا] : غرضك تقول اننا غلبناكم بالسلاح ؟

الطيار : ايوه

عم أحمد [حانقا] : بالسلاح بس ؟

[الطيار يهز رأسه موافقا]

عم أحمد [أشد غضبا وهو يرمى بالسلاح بعيدا] : طب آدى السلاح اهو .. تعالى

الطيار [خائفا لا يدرك] : آجى فين ؟

عم أحمد : ادخل لى ، احنا الاثنين اهه من غير سلاح .. ادخل لى

الطيار [يزداد خوفه] : دقيقة واحدة أفكر ..

عم احمد : تفكر فى ايه ؟ انت مش راجل ؟ يا الله [يتقدم نحوه مشمرا عن ساعديه] واحد .. إثنين ..

الطيار [فجأة يجرى مذعورا وهو يصيح] : مصرى .. مصرى .. مصرى .

اعتذر عن ايراد هذا المشهد الطويل ، ولا تعقيب لى سوى شىء واحد : ان أرواح الشهداء وجراح الجرحى وعرق

الرجال وتضحيات الشعب المصرى كله أكرم على نفوسنا من هذا الهذر والسخف !

ومـاذا يمكنك ان تقول لكاتب **لا يعرف عن دولة الاعداء شيئا سوى أنها دولة « عيال » وأنها « اصلاحية أحداث » ، ولا يعرف عن الشعب الذى ينتمى اليه سوى أن « شعره دهب وعضمه فضة وشعره من نور السما »؟!**

ولان ثوريته زائفة ومدماة فهو يقع فى المزلق السهل ، فيدخل الى المحاكمة نفرا كلهم يريد أن يحاكم : أحدهم لانه هرب من الجيش لانه كان يعول والده العاجز ، لكنه حين رأى الحرب دائرة « خطف أحد الرشاشات وقفز فوق دبابة وقتل جميع من فيها » ، وشحاذا أصبح غنيا ولن يمد يده للناس بعد ، وأراجوزا وحاويا و « أبو لسان » وهذان الاخيران هما اللذان ضللا الشعب ، وهما يطلبان لنفسيهما الحكم بالاعدام !

ان مسرحية رشاد رشدى عمل هابط على مستوى الفكر ، ركيك على مستوى الصياغة الفنية ، يستهين بما قدمه الشعب المصرى كى يجعل ما حدث فى اكتوبر ممكن الحدوث . يميع القضايا الرئيسية ، ويحرفها الى قضايا فرعية ، يخلط الاوراق وأطراف الصراع عن عمد ولا يبقى لك فى النهاية الا تلك الصياغات التى مججناها فى مسرح رشاد رشدى ، هذا السجع السخيف المفتعل الذى نشى بفقره الروحى والفنى جميعا .

واخيرا : من الذى يحاكم الفلاح المصرى ويتهمه بالكسل والفقر والجهل؟ أغلب الظن أنهم هؤلاء أساتذة رشاد رشدى واصدقاؤه الذين يقدم لنا سخافاتهم كل شهر مرتين فى المجلة التى يرأس تحريرها ، وأغلب الظن كذلك أنه أخذ عنهم تلك الفكرة المغلوطة التى أقام عليها بناء مسرحيته .

[■]

ويقوم عرض « **حبيبتى يا مصر** » على فكرة أن جماعة من المثالين قد فاجأهم خبر عبور قواتنا المسلحة الى سيناء ، وهم حائرون لا يعرفون كيف يشاركون فى هذا الحدث الكبير .. ثم يفاجأون كذلك باعلان الدولة عن مسابقة لاقامة تمثال الجندى المجهول .. فمن يكون هذا الجندى المجهول ؟

من خلال هذا السؤال يقدم العرض لوحات للحظات الانتصار والهزيمة فى التاريخ المصرى ، ويمكنك أن تتوقع سلفا أنها انتصار احمس على الهكسوس ، وانتصار صلاح الدين على الصليبيين ، ثم هزيمة المصريين أمام السلطان سليم ، وهزيمة المصريين فى ٦٧ .

ثم يحاول كذلك محاولة طموحا : أن يقدم دور مصر الحضارى ، وسبقها الى الاديان والعلوم والفنون ، بل والى الحب ايضا !

ويمكنك ان تتوقع كذلك كيف يمكن ان ينتهى . يحار الفنانون ويسقط فى أيديهم : ايقيمون تمثالا للجندى ؟ .. ولكن أى جندى ؟ أهو جندى المشاة أم المدفعية أم .. أم .. ، ثم : هل الجندى فقط هو الذى بنى مصر ؟ ، وبعد أن يحاروا تماما ولا يصلون لشىء يقررون استشارة أستاذهم ، ويرى هذا أن فيما صنعه كل واحد منهم شيئا من الحقيقة لكنه ليس كل الحقيقة ، والتمثال الذى يجب أن يقام هو امتزاج هذا كله : هو العامل والفلاح والجندى..هو باختصار مايسمى « تحالف قوى الشعب العامل » !

غير ان المهم فى هذا العرض انه اختلاط — لا أقول امتزاج — بين فنون مختلفة : فثمة آغانى فردية [يؤديها السادة عبد المطلب وشريفة فاضل والعطار على طريقة أغانى الصالات والافراح] ، **واغانى جماعية** [لعلها أكثر التحاما بنسيج العرض كله] **ورقصات جماعية** [تميزت منها عدة رقصات أشير بوجه خاص الى رقصة الحرفيين ورقصة الهزيمة] **ولوحات من الباليه** [من الانصاف أن نقول لعلها اثمن وأجمل ما فى العرض كله ، على اتضاح علاقة بعضها بفكرة العرض وغموض علاقة بعضها الاخر] **ومشاهد درامية** [ولان العرض كان اختلاطا فقد كان هذا الخيط الدرامى يبرق ويختفى ، ولعل المتفرج كان يفاجأ بظهور هذه المجموعة من المثالين الحائرين بين اللوحات الغنائية والراقصة] **وموسيقى** [لعلها كانت أكثر اتضاحا فى الاغانى منها فى بقية عناصر العرض ، وطبيعى أن هذا ما يعرفه بليغ حمدى أكثر من غيره] **ومونولوجات** أيضا [فى الحقيقة لعل الاستاذ سيد الملاح كان أضعف عناصر العرض وأكثرها غلظة وبذاءة ، وليست هذه مسئوليته قدر ما هى مسئولية الذين أشركوه فى العرض ليقدم لوحتين احداهما عن السلطان سليم فى صورة التركى النموذجى التى لا يخلو منها عرض من هذا النوع ، ثم يقدم « خنفس » الذى خان عرابى فى صورة رجل مخنث لا يكف عن هز ردفيه واطلاق الضحكات الماجنة، وما كان أجدر العرض بالتخلص من هذه البذاءات !] .

[■]

ويقوم عرض « الحرب والسلام » — قصة يوسف السباعى واعداد عبد الرحمن شوقى — على فكرة بالغة التشوش والسذاجة : من خلال عائلة فى حى شعبى يحاول العرض أن يقدم تاريخ الثورة المصرية من ٥٢ الى ٧٣ .

« نعم وطنى » — هكذا بوضوح وبلا مواربة — يمتلك بعض العقارات فى هذا الحى ، لكنه طيب القلب ، ينفعل بالاحداث ويعلق عليها تعليقات انفعالية ساذجة ، يغازل نساء الحى أحيانا ويسقيهم « الشربات » أحيانا ، ويتنازل عن ايجار عقاراته ان حدث حدث وطنى طرب له . وأخوه [عبد الحفيظ] يملك العقارات أيضا لكنه استغلالى جشع ، يأخذ وجهة النظر المعادية لاخيه ومشاعر أبناء الحى [لكن الاحداث تثبت صحة وجهة نظره فى معظم الاحيان !] ، وأخته التى لا نراها لكننا نرى اثنين من أبنائها : أحدهما ضابط فى الجبهة تحبه ابنة عبد الحفيظ وهو يحبها ، والثانى فتى لا هم له سوى قيادة فتيان فى مثل سنه والحديث بكلام غير مفهوم [برع عبد الرحمن شوقى فى صياغة مثله دائما] يزعم انه من الميثاق ، فالفتى — كما نعرف — من منظمة الشباب ! ، وبعد ٦٧ يفقد الفتى كل ايمانه — وهل كان يؤمن بشىء ؟ — ويندفع الى الرقص والعربدة ، ليس هو فقط الذى يفعل هذا لكن الفتاة سنية التى تحبه تقرر أن تومس ، فتغير زيها وتتراكم لديها الثياب الفاخرة والهدايا الثمينة ، ويظل عم وطنى حائرا ممزقا . ومن حول هذه العائلة فتى كان حلاقا فقيرا لكنه اندفع — بتأثير ٦٧ أيضا — الى الاثراء السريع بالاتجار فى الشنطة وفى أشياء أخرى ، وهو يريد أن يتزوج ابنة عبد الحفيظ كى يدشن صعوده الطبقى .

فجأة .. لا نعرف كيف أو لماذا يتغير هؤلاء من النقيض للنقيض ، تتخلى سنية عن سلوكها وتقرر أن تصبح ممرضة ، ويتخلى الفتى عن رقصه وعربدته ويصبح جنديا فى الجيش ، ثم يأتى أكتوبر ..

ويصور العرض مشاهد الحرب على نحو أكثر استخفافا وزراية مما رأينا فى « عم أحمد الفلاح » ، وينتهى الأمر كما تصور : يتزوج بفتاته بعد أن يعود ، وتتزوج ابنـــة عبد الحفيظ من حبيبها الضابط .. ويفرح مع وطنى وتصدح الموسيقى !

من المؤسف حقا أن يوضع اسم وزير الثقافة على شىء مثل هذا .. أين هى القصة التى كتبها ؟ .. والى أى مدى نستطيع أن نعتبره مسؤولا عما فى العرض من هذر وسخف وتصوير مستخف لما حدث فى أكتوبر ؟ أفهم أن يقدم عبدالرحمن شوقى شيئا كهذا — فقد قدم ويقدم ماهو أسوأ — أما أن يوضع اسم وزير الثقافة قبل اسمه فشىء يثير الدهشة والاسى .

[■]

هذا ما قدموه لنا من مسرح عن أكتوبر بعد عام من حدوثه سيتوجب على الاعتذار لاننى لم أشهد عرض « سقوط بارليف » من تأليف هارون هاشم رشيد واخراج سناء شافع ، فقد عرض أياما قليلة ثم طورد الى خارج العاصمة كى يخلى مكانه لمسرحية الوزير — نستطيع أن نتلمس خطوطه العامة : ان ما حدث قبل ٧٣ كان شرا كله ، وكان سوءا كله وهكذا يصبح ما حدث فى أكتوبر عملا معزولا عن سياقه التاريخى والانسانى ، وان هذا الذى حدث فى أكتوبر قد أشار بعصا سحرية فاذا كل فاسد قد سقط ، واذا كل شر قد أزيح ، ولم يبق لنا الا أن نجلس لنجتر أحلام يقظتنا ، ورغم عظمة ما حدث فان « مسرح أكتوبر » يقدمه لنا فى صورة مثيرة للاستخفاف والزراية ، ثم هو يميع أطراف القضية ، فلا نعود نعرف من الذى يحاكم ومن الذى يحاكم .. ويقول أحد هذه العروض بتبجح نادر ان القضية ليست قضية الحـــرب والسلام لكنها قضية الصراع بين الانسان والشيطان !

ترى .. هل هذا هو الفكر الرسمى لوزارة الثقافة ؟ ■

٦ أكتـــوبر والفيلـــم الـــروائى

كمـــال رمـــزى

بعد ٦ أكتوبر ، صـدرت عشرات التصريحات الطيبة من قبل مخرجى السينما المصرية ، تقـول بان رياح المعـارك العظيمة ستغير حتما من طبيعـة الفيلم المصرى ، وأن الاف البطولات سـتمد القصص السينمائية بموضوعات ستحتل بالضرورة مكان الموضوعات التقليـدية التى لا يمل الفيلم المصرى تكرارها ، وقيل أن سينما ما بعد أكتوبر ستبعد عن عالم « الارستقراطى الحائر » فى مجتمع خال من الاخلاق ، كما ستبتعد عن عالم « الزوج والزوجة والعشيق » و « الكاراتيه » و « الفوازى » ، ذلك أنها ستهتم بهؤلاء الذين أضاءوا بدمائهم ظلام حياتنا فحولوا اليأس الى أمل ، وحددوا لنا ببطولاتهم طريق المستقبل .

لكن فى الناحية الاخرى ، أخذ هذا الكلام بتشكك كبير ، فقيل أنـه طالما أن هيكل الانتاج السينمائى لم يتغيـر ، وطالما أن الوجوه السينمائية من كتـاب سيناريو الى منتجين ومخرجين وممثلين وموزعين باقية كما هى ، فان شـيئا بالتالى لن يتغير . ولم ينبه هذا الرأى الى أن انتاج أفلام « الارستقراطى الحائر » و« الزوج والزوجة والعشيق » و « الفوازى » سيستمر فحسب ، ولكن أكتوبر نفسه سيستغل كزينة وكحادث مثير فى أفلام تتضمن رقصات خليعـة وقبلات محمومة وفيلات أنيقة والحان .. الى بقية العناصر التى تصنع توليفـة الفيلم المصرى .

وبعد مرور عام على الحرب ، نجد أن الزمن قد اثبت صحة وجهة النظـر الثانية ، فبينما كانت دور السينما — خلال أكتوبر ٧٣ — تعرض أو تتهيـأ لعرض افلام من نوع « أبنـاء للبيع » و « خلى بالك من زوزو » و « الشياطين والكورة » فان دور السينما — خـلال أكتوبر ٧٤ — تعرض أو تتهيأ لعـرض افلام من نفس السلالة : « عجـايب يا زمن » و « بمبه كشر » و « شياطين الى الابد » .. ان الحقيقة تكشف أن العالم الذى قدمته السينما المصرية خلال عام ، بعد المعارك ، وبعد الوعود ، لا يزال كما كان من قبل ، فالبطـل الارسـتقراطى لا يزال هـو القاسـم المشترك الاكبر فى الافلام ، وأن المغريات الفارهة والملابس الثمينـة والخيـانات

الزوجية واللحم العارى هى البضاعة التى تبيعها السينما لجمهور ليس أمامه حرية الاختيار ، ذلك أن معظم دور السينما لا تقدم الا نفس البضاعة ، قد تكون مختلفة الاسماء والالوان ،لكن معدنها فى النهاية هو هو !

هذا بالنسبة للافلام التى لا تتعرض لاكتوبر بشكل مباشر ، أما الافلام التى يظهر فيها اكتوبر فقد عرض منها ثلاثة افلام : « **الوفاء العظيم** » و « **بدور** » و « **الرصاصة لا تزال فى جيبى** » .

كتب « **فيصل ندا** » سيناريو «**الوفاء العظيم** » ، وهو السيناريست الذى كتب عددا كبيرا جدا من الافلام التى لم يعد يذكرها احد مثل « **برىء فى المشنقة** » و «**الحب المحرم**» و «**عصابة الشيطان**»، وقام باخراج الفيلم « **حلمى رفله** » الذى لا تعترف افلامه عموما الا ببطل واحد ، هو الصدفة ، والصدفة وحدها .

منذ البداية نجد انفسنا فى قلب عالم « حلمى رفله » ، فثمة حفل زفاف فخم، الفيلا الانيقة تحيط بها البساتين من الجهات الاربعة ، العريس والعروس فى سعادة غامرة ، الراقصة ضخمة الجثة تتمايل بلا رشاقة ، الصديق المخلص، خفيف الظل ، سريع التأثر ، دامع العينين ، فى طريقه الى الحفل ، وفى الطريق يمر على الصديق الشرير الذى يعب الخمر فى جوفه ، ويشد شعره المنكوش وانفعاله العدوانى بأنه قد بيت أمرا رهيبا ، ويقول — طبعا الصديق الشرير — ان من يأخذ منى حبيبتى سأقتله ، ونفهم أنه يقصد العريس . ويحاول الصديق الطيب ان يثنيه عن عزمه ، ويذكره بزوجته وابنه، لكن بلا فائدة .. ويحاول الصديق الطيب أن يحذر العريس ، وفجأة تحدث غارة جوية فنكتشف أن الزفاف الميمون يتم فى أوج حرب « ٥٦ » ! وعندما تطفأ الانوار ويتشتت الجمع يقول الصديق المخلص جملة واحدة ، تعكس موقف طبقته واحساسها بالاعتداء الثلاثى : اما كان يستطيع هؤلاء الكلاب أن يؤجلوا الغارة حتى يتم الفرح » ؟ وفى الظلام يتسلل الشرير حيث يطلق رصاصة على العروس فترديها قتيلة .

وتبدأ أولى حلقات الوفاء ، فالعريس المحزون يقرر عدم الخروج الى الحياة ، وعدم مزاولة العمل ، على الرغم من أن صديقه الطيب يحدثه عن عرض مغر من احدى الشركات الاجنبية ليصبح وكيلا لها ، لكن وفاء العريس يقعده فى فيلته متأملا صورة الفقيدة . والفيلم بتعليق الصديق الطيب على حرب « ٥٦ » والعمل الذى يقترحه على الصديق المكلوم يكون قد حدد الطبقة التى سيتحدث عنها ، والتى سيحاول ان يلصق بها كافة الشمائل الطيبة .



« بدور »

وتنتهى حرب « ٥٦ » ، ويحضر الصديق الطيب طفلة يتيمة ، فقدت أسرتها فى بور سعيد حيث يتبناها الصديق المحزون ، وتبدأ الطفلة فى ادخال البهجة الى القلب الوحيد .. وبقفزة زمن واحدة نجد أنفسنا فى الشهور السابقة على أكتوبر ٧٣ .. لقد كبرت اليتيمة وأصبحت احدى طالبات المعهد العالى للموسيقى ، وكبر ابن الصديق الطيب ، الذى يخفق قلبه بحب اليتيمة ، ويقوم بالدور « سمير صبرى » الذى يتهيأ للالتحاق بالكلية الحربية ! وفجأة يظهر ابن الصديق الشرير الذى يقطن الفيلا المجاورة لفيلا الفتاة اليتيمة ، ضابطا كبيرا فى القوات المسلحة « محمود ياسين » . وبالمصادفة تصطدم به الفتاة وهى تطارد قطتها ، ويخفق قلبها له خفقانا عنيفا ، هكذا من النظرة الاولى ، وبتوالى اللقاءات تتأجج العواطف فيتقدم لخطبتها ، وعندما يقابله والدها بالتبنى يعرف حقيقته فيطرده من البيت شر طردة .

وهنا نصبح أمام احدى العقد التقليدية فى الفيلم المصري ، فواحد يحب واحدة بينما قلبها مرتبط بشخص آخر .والوالد المحبوب يرفض زواجها بمن تحب ويحتم عليها الزواج بمن يختاره هو .

ونظرا لان اليتيمة تشربت روح الوفاء والتضحية بالذات ، فانها تقبل الزواج من ابن الصديق الطيب « سمير صبرى »،

ولكن لان قلبها لا يزال مع شخص آخر « محمود ياسين » ، فانها لا تسلم جسدها لزوجها ، وفى الصباح يطلب الزوج الى الجيش .. وفى مثل هذا النوع من الافلام غالبا ما يتم وقوع مصادفة غريبة أو حادث كبير، يجمع الابطال كلهم فى موقف واحد ، ويقوم كل منهم بفعل نبيل تجاه الاخر ،وينتهى الفيلم باقتران الفتاة بمن تهواه نفسها.

وفى « الوفاء العظيم » تقوم حرب اكتوبر بدور « المصادفة الغريبة » و « الحادث الكبير » ، فهى تجمع ابن الصديق الطيب وابن الصديق الشرير فى كتيبة واحدة ، تكلف بالقضاء على عملية التسلل .. ويصاب الزوج اثناء التراشق مع العدو ، وعندما يضع الحبيب كفه على موضع الترك يخرج صورة حبيبتهما المشتركة ، وبينما هو ينقذ زميله يصاب بعدة أعيرة نارية .

وفى المستشفى يتجمع الابطال جميعا، الزوج الذى يتماثل سريعا للشفاء ، والحبيب الذى فقد احدى ساقيه ، والزوجة التى جاءت مع بنات معهد الموسيقى لتوزيع الحلوى على المصابين .. وبعد عدد لا بأس به من المفارقات يتنازل الزوج — بدافع الوفاء — من الزوجة الى الرجل الذى انقذه من الموت ! ويقول أنه اكتشف أن مشاعره تجاهها لم تكن سوى مشاعر أخوية خالصة ! وينتهى الفيلم بالسعادة تغمر الجميع .

هكذا ينكمش « أكتوبر » فى « الوفاء العظيم » ، يجىء فى الفيلم بلا أبعاد سياسية أو تاريخية ، فهو هنا مفرغ من المعنى تماما ، لذلك فانه يبدو « كحادث كبير » — شأنه شأن الاحداث الكبيرة التى تكتظ بها أفلام « حلمى رفله » — والتى تتيح بوقوعها المفاجىء فرصة تأكيد أشياء لا يمكن اثباتها بأحداث الحياة المنطقية ، وبالتالى تتيح للفيلم امكانية تغيير مصائر ابطاله والاتجاه بهم الى حيث يشاء .. واذا افترضنا أنه لم تقع حرب أكتوبر فان الفيلم كان سيعرض بنفس الطريقة التى عرض بها ، كل ما كان سيفعله هو استبدال حرب أكتوبر بحادث آخر من قبيل اندلاع النيران فى فيلا الحبيبة واندفاع الحبيب الى البيت لانقاذ من فيه ! أو وقوع الابن فريسة مرض عضال حيث يقوم الحبيب بانقاذه من المرض ، وفى هذه الحالة كان المخرج سيجعله يرتدى معطف الاطباء الابيض بدلا من البذلة الكاكى ، أو أن يفلس الاب ويتعرض مستقبله للعواصف فيتقدم الحبيب ، المغضوب عليه ، لانتشاله من ضائقته المالية .. ان المسالة هنا لا تعدو التغنى بخصال طبقة تعرف كيف تتآزر مع بعضها ، خاصة فى لحظات الخطر . ولكن طالما أن حرب أكتوبر قد حدثت فعلا ، فلا بأس من أن ينتهز الفيلم هذه الفرصة ليضع على رؤوس أبناء هذه الطبقة اكاليل البطولة العسكرية بعد أن يحرق البخور لقيمها الاخلاقية التى يتجلى فيها دائما ذلك « الوفاء العظيم » .

[●]

يختلف « نادر جلال » ، من الناحية الحرفية ، من « حلمى رفله » ، وان كان كل منهما لا يتجاوز الحدود الفنية للسينما التقليدية ، فبينما يعانى « الوفاء العظيم » من البطء الممل ، سواء فى أداء الممثلين او حركة الكاميرا فضلا عن خشونة النقلات والتقطيع والاعتماد الدائم على اللقطة العامة التى تظهر الممثل وحوله مجموعة زينات من قبيل « فازات » أنيقة او لوحات لرسوم طبيعية أو تماثيل فخمة فان « بدور » يتميز بالسلاسة والمقدرة على تنويع اللقطات ، والمحافظة على ايقاع الفيلم، وحركة الكاميرا تبدو ناعمة ، تقترب من وجه الممثل فى الوقت الملائم ، ومن زوايا طيبة ، لكن هل يستطيع التمكن الحرفى أن يرتفع بفيلم يحمل أفكارا مثل التى يتضمنها « بدور » الى مستوى يستطيع أحد أن يدافع عنه ؟

ان الفيلم يبدو من الخارج كما لو كان بعيدا كل البعد عن عالم الفيلات المحاطة بالبساتين والعربات الانيقة ووكلاء الشركات الاجنبية ، فهو يدور فى حارة شعبية ، اذا خرجت الكاميرا منها فلكى تذهب اما الى زقاق اكثر شعبية واما الى الحرب .. وفى الفيلم أكثر من مقهى ومنازل ذات مشربيات وبائعين متجولين ومعلمة تدخن « الشيشة » وعدد كبير من لابسى الجلاليب و « محمد رضا » ، أى معظم العناصر التى تعطى للعمل طابعا شعبيا ، لكن ما هى وجهة النظر التى تقدم بها هذه العناصر؟ أهي شعبية حقا ؟!

عندما تنظر الى الاعمال التى يزاولها أبطال الفيلم الشعبيون ستفاجأ بأنها تتمثل فى المهن التالية : النشل .. ويقوم به ثلث المجموعة التى تظهر فى الفيلم ، وهى تقطن الزقاق « الاكثر شعبية » وهى مجموعة ترأسها معلمة « تدخن الشيشة » .

ومن أعضائها بطلة الفيلم « نجلاء فتحى » و « هاله فاخر » وممثل جديد موهوب « مجدى وهبه » وآخرين يطلق الفيلم عليهم أسماء « المقص » و « ملقاط » و ... أما الثلث الثانى من أبطال الفيلم « الشعبيين » فمعظمهم من النساء ، بل هم مجموعة النساء الوحيدة التى تظهر فى الفيلم ، وهى مجموعة « غوازى » ، على رأسهن « هدى سلطان » يقضين طوال النهار فى الرقص والغناء وتعرية أجزاء كبيرة من لحمهن « كبروفات » للعمل الليلى الذى يقمن به .. أما الثلث الاخير فيتكون من مجموعة متعطلين لا يبارحون المقهى على الاطلاق .. الرجل الوحيد الذى يأكل عيشه من عرق شريف لا تنتقى له الفيلم الا مهنة « عامل مجارى » .

من هنا نتبين أن الفيلم وان كان لا يقدم الفيلا المعزولة عن جماهير الشعب ببساتين تحيط بها من كل جانب ، الا أنه يطل من احدى شرفات الفيلا المعزولة ليقدم لنا الحارة والزقاق والناس من وجهة نظر أرستقراطية تماما . وهو يتظاهر بالاعجاب بأخلاقيات سكان الحارة والزقاق ، لكنه اعجاب أرستقراطى مترفع ، فالناس هنا يتميزون بالتحسس والطيبة والظرف والشهامة واجادة الشجار والميل الى المرح — فى الوقت الذى يحرمهم فيه من قيمتهم الانسانية الوحيدة كسواعد عاملة منتجة ، وكعرق طاهر شريف .

أما تركيبة قصة الفيلم ، فهى نفس الحدوته التقليدية التى تطالعك فى عدد كبير من الافلام المصرية ، والتى نجدها واضحة فى « الوفاء العظيم » ، ففى « بدور » ثمة نشالة « هالة فاخر » تحب نشالا « مجدى وهبة » ، بينما قلبه مشغول بنشالة أخرى « نجلاء فتحى » وهذه بدورها تحب عامل المجارى « محمود ياسين » .

وكما قامت حرب « أكتوبر » بتجميع أبطال « الوفاء العظيم » تقوم مرة أخرى بتجميع أبطال فيلم « بدور » !

ففى الضفة الثانية من القناة يلتقى النشال بعامل المجارى ، هكذا مصادفة ويكلفان - مع آخرين - بالقضاء على مجموعة من جنود العدو .. وعلى طريقة « الوفاء العظيم » يصاب أحدهما « النشال » فيقوم « عامل المجارى » بانقاذه وتغطية ظهره .. وبعد توقف القتال يعود النشال الى الحارة حيث يستقبل مع بقية الجنود استقبال الابطال ، ويقيم المعلم المتحمس ليلة كبيرة « مرحة » كما لو كان كل شيء قد انتهى ! لكن غياب « عامل المجارى » يفسد سعادة الجميع ، ويشفق المخرج على دموع بطلته « بدور » التى تطلب من الله أن يعيد لها حبيبها فلا يلبث أن يستجيب ، ويظهر « عامل المجارى » وقد لف يده بالجبس ، وينتهى الفيلم بالسعادة تغمر الجميع ، فكل فتاة تلقى بنفسها فى أحضان من تحبه .

هكذا ينكمش « اكتوبر » مرة أخرى ، ويبدو « كحادث كبير » مفرغ تماما من المعنى ، ولا مجال هنا لان تسأل أية أسئلة جادة من قبيل ما هى أبعاد هذه الحرب ؟ أو من هم الاعداء ؟ أو لماذا يحاربوننا ؟ أو من الذى يقف وراءهم ومن الذى يقف الى جانبنا ؟ .. فهذه الامور كلها بعيدة تماما من اهتمامات « بدور » و « الوفاء العظيم » ، وحتى أخبار الوطن نفسها وتطور الاحداث المتعلقة بالصراع والقتال لا نعرفها فى الفيلمين الا من طريق عناوين الجرائد التى تظهر بعرض الشاشة بين الحين والحين .

واذا كان « بدور » يحاول أن يتخفف قليلا من تصوره المترفع لسكان الحارة والزقاق « النشالين » و « الغوازى » و « المتعطلين » فيقدمهم كتائبين خلال حرب اكتوبر - يهجر النشالون مهنتهم ، وتتحول « الغوازى » من الرقص الى حياكة جلابيب المصابين - فان الفيلم لا يفوته هنا أن يحيى على لسان المعلم « رضا » طبقة أثرياء التجار عندما يعلن عن وصول كمية ضخمة من قطع القماش ، من تاجر كبير فى الموسكى ، كتبرع للمصابين !

والان ، فى التحليل النهائى ، « لبدور » ، وعلى الرغم من الفارق الحرفى بينه وبين « الوفاء العظيم » وعلى الرغم من ان « الوفاء .. » يتجه بالتحية لسكان القصور والعيلات بشكل مباشر ، بينما يتظاهر « بدور » بالاهتمام والاعجاب بسكان الحوارى والازقة ، فانه يمكنك أن تضع الفيلمين فى سلة واحدة ، تدمغ بعنوان « الارستقراطية تعبر عن احساسها بحرب أكتوبر » .



الرصاصة لا تزال فى جيبى

[●]

اخيرا يأتى دور «الرصاصة لا تزال فى جيبى » ، وهو أكثر الافلام التى تتعرض لاكتوبر طموحا ، يريد أن يقدم صورة شاملة ودقيقة ، ليس لوقائع حرب أكتوبر فحسب ، بل لما حدث فى يونيو ٦٧ ، ونتائجه ، وحرب الاستنزاف وتعليقات عليها ، وتدريبات القوات المسلحة ، كما يريد فى الوقت نفسه أن ينقد ما يراه سلبيا فى الجبهة الداخلية ، ويقدم قصة حب ، يغلفها أحيانا ببعض الرموز ، وينتقل مع أبطاله من القرية الى المدينة الى الجبهة ، ونظرا لتعدد اهتمامات ومجالات الفيلم فانه يستعين بعدد كبير من الفنيين وبأكثر من كاتب سيناريو وأكثر من مصور وعدد من الطليان قيل أنهم متخصصون فى اخراج المعارك الحربية .

ولا شك أن هذا الطموح يعد مغامرة محفوفة بالمخاطر ، فالافلام الحربية التى انتجتها استوديوهات الشعوب المحاربة ، والتى أتيحت لنا فرصة مشاهدتها ، لم نر منها فيلما واحدا يحاول أن يحقق ما يريد « الرصاصة » أن يحققه .. فهذه الافلام اما أن تهتم بتصوير معركة أو حركة عسكرية واحدة واما أن تركز اهتمامها على حياة ومشاعر وتجربة جندى فى الحرب .. وفى الحالة الاولى ينصب الاهتمام الاساسى للفيلم على حركة الجموع ، لذلك فانه غالبا ما يكون ملحمى الطابع ، الصراع فيه خارجى ، بين كتلة بشرية وكتلة أخرى ، وهنا تذوب الملامح الفردية والبطولات الخارقة والمشاكل الخاصة ، ذلك أن الجميع ينصهرون فى بطل معنوى واحد ، له آلاف الرؤوس والاذرع والاقدام ، يواجه عدوا آخر ، له نفس الابعاد ، وكلما كان العدو قويا كلما كانت الملحمة أكثر جلالا .. أما أفلام « الانسان فى الحرب » فان اهتمامها ينصب أساسا على مشاعر ووجدان وتجربة فرد واحد ، حياته العاطفية والروحية والاجتماعية ، ماضيه وآماله ومستقبله .. وفى هذا النوع من الافلام لا تكتسب المعارك الحربية أهمية فى حد ذاتها ، ولكنها تستمد أهميتها من خلال تأثيرها ودورها فى حياة الانسان الخاصة .

وعند تصنيف فيلم « الرصاصة » لابد وأن يصاب المرء بالحيرة ، فالفيلم يبدو أحيانا كما لو كان من نوع « الانسان فى الحرب » ، وأحيانا أخرى يبدو من نوع « الجموع فى الحرب » ، وأحيانا ثالثة يبدو تاريخيا ، يرمى الى تسجيل كل من حربى ٦٧ و ٧٣ ،

وأحيانا رابعة يأخذ طابعا انتقاديا حيث تتناثر فيه التلميحات والغمزات السياسية بين مشهد وآخر ، ونظرا الى ان الفيلم لم يستطع ان يجدل من خطوطه المتعددة ضفيرة واحدة متماسكة ومترابطة فان المتفرج يخرج من دار العرض بانطباع غريب : أنه شاهد عدة أفلام متنوعة وليس فيلما واحدا .

يبدأ الفيلم بمشاهد عن حرب ٦٧ مجموعة جنود ضائعة فى الصحراء بينما طائرة هليكوبتر اسرائيلية تطاردهم .. بطل الفيلم — محمود ياسين أيضا — هو الوحيد الذى يظل على قيد الحياة وبعد شهور يعود من العريش الى أرض الوطن متسللا .. وفى القرية يستقبله الصديق المخلص اياه ، الذى قابلنا من قبل ، فى «الوفاء العظيم» ، خفيف الظل ، سريع التأثر ، دامع العينين ، ونعرف من خلال حديثه البالغ الطول مع الجندى العائد أخبار القرية ، وسنستمر نسمع منه أخبار القرية على طول الفيلم ، فهو الواسطة الوحيدة بيننا وبينها ، ذلك أننا لا نرى من القرية الا بيتا أو بيتين ثم حقولا مترامية الاطراف . ونعرف منه أن « عباس بك » مدير الجمعية الزراعية يقوم بنهب الفلاحين بمساعدة عدد من أغنياء القرية وعلى رأسهم عم الجندى العائد ، والفيلم لا يهتم باظهار تفاصيل هذه العمليات التى نسمع عنها فقط ، لكنه يركز اهتمامه على كيفية اغتصاب «عباس بك» لابنة عم الجندى العائد . فحسب تقاليد السينما المصرية لابد أن يقوم المستغل بفض بكارة احدى العذارى !

ويحاول الفيلم أن يعطى لهذا الخط الانتقادى ايحاءات ودلالات أكثر مما يتحمله ، فيقول مثلا ان « عباس بك » يرتبط بمصالح بعض الكبراء فى مصر ، وأنه يعيش فى القرية محميا بنفوذهم ، لكن الفيلم — كعادته — لا يظهر لنا طبيعة هذه الارتباطات ولا شكل هذه الحماية ، فنحن لا نرى ولا نعرف شيئا من طريق الصورة — أداة التعبير الرئيسية فى السينما — ولكن كل شىء يأتى من طريق الاذن ! وعندما يسأل الجندى العائد عما فعله « عباس بك » بعد النكسة يجيبه صديقه الوفى بأنه جمع بعض الاعوان وسافر بهم الى القاهرة فى مظاهرة كبيرة . ويصح لك أن تتساءل : هل المظاهرة موضوع الحديث هى مظاهرة ٩ و ١٠ يونيو ؟ وهل حقا أن الذى كان يقودها هو « عباس بك » وأعوانه ؟ .. الحق أن الفيلم يتعمد أن يكون فى خطه الانتقادى تلميحيا غامضا ، لا يقول مايريده بشكل واضح وصريح ، لذلك فهو يبدو مترددا وخائفا ، ويترك انطباعا بأنه ناقص الشجاعة .

وبعيدا من هذا الخط الانتقادى المضطرب ، وبعيدا من بطل الفيلم الغريب ، الذى دخل الجيش — واشترك فى حربين — لكى يتعلم كيف يقتل ولكى يستبقى فى جيبه رصاصة يطلقها على « عباس بك » ، سنجد أن المعارك الحربية فى «الرصاصة» أفضل كثيرا من « الوفاء العظيم » و « بدور » ، ففى « الوفاء العظيم » تأتى المعارك متواضعة جدا ، شرذمة من الجنود المصريين تقاتل جنود العدو الذى يظهر واضحا أن عدد أفراده أكثر تواضعا من عدد المصريين . وقد حاول « الوفاء » أن يصبغ نفسه بالطلاء العسكرى ، لكن عبثا ، فبينما كان الجمهور يتوقع مشاهدة معارك كبيرة ، يقدم له الفيلم حفل تخرج دفعة من طلبة الكلية الحربية وتدريبات بعض القوات المسلحة وأشياء من هذا القبيل . أما « بدور » فعلى الرغم من أنه لم يصور معارك كبيرة الا أن رقعة القتال الصغيرة التى قدمها تميزت بقدر من الحيوية .

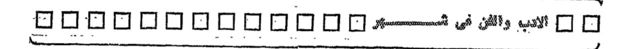
تستغرق مشاهد القتال فى «الرصاصة» زمنيا حوالي نصف ساعة ، وقد اشترك فيها فعلا آلاف الجنود كما تقول الافيشات ، لكن ليس مجرد اشتراك آلاف الجنود كفيل بانجاح المعارك ، ذلك أن الفيلم يقع فى أخطاء فادحة قللت كثيرا من صدق المشاهد الحربية وقوتها ، وأول هذه الاخطاء غياب الطرف الثانى فى القتال ، فاذا كنا نرى آلاف المصريين يستعدون للعبور ، ثم يعبرون ، ثم يقتحمون خط بارليف ، ثم يحررون مدينة القنطرة ، فاننا لا نكاد نرى لجيش العدو أثرا الا قلولا هنا وهناك ، الشىء الذى يجعلك تتساءل : طالما أن المسألة كذلك ، فلماذا كل هذا العدد من المصريين ؟

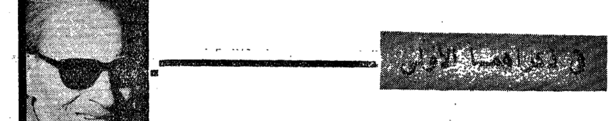
واذا كانت هذه الملاحظة تنطبق على مشاهد المشاه الى حد كبير فانها تنطبق تماما على المشاهد الخاصة بالطيران ، ذلك أن الفيلم يصور أسراب الطائرات المصرية وهى تقلع من أرض المطارات مرات عديدة ، ثم وهى تنطلق فى الفضاء ، ثم وهى تلقى بحمولتها من قنابل وصواريخ في صحراء ليس بها مواقع أو جنود للعدو ، كل ماتفعله أنها تقلب الرمال وتحدث دويا عنيفا وغبارا كثيفا .. ان الفيلم فى تجاهله لقوة العدو نجح فى ابراز ضخامة الجيش المصرى وقوته ، لكنه لم يستطع أن يبرز بطولته .

ولان الفيلم لم يستطع أن يجدل من خطوطه المتعددة ضفيرة واحدة ، بل ظل كل خط من الخطوط منفصلا عن الاخر ، فان الفيلم بالتالى ينتهى بثلاث نهايات متوالية ، كل نهاية تختص بأحد الخطوط ، فعندما يتهيأ المتفرجون للقيام من مقاعدهم بعد رفع العلم المصرى فوق تبة عالية بمدينة القنطرة ، وهذه كانت النهاية النموذجية ، يفاجأون ببطل الفيلم وهو يركب القطار فى طريقه الى قريته ، فلابد أن يظهر الفيلم بطله وقد عاد الى القرية . ويهم المتفرجون مرة أخرى بمغادرة كراسيهم عندما يستقبل أهل القرية بطل « الرصاصة » ويحملونه على الاعناق فى مشهد هزيل ، لكنهم يفاجأون به ينزل من فوق الاعناق وينطلق فى الحقول ليلتقى بابنة عمه حاضنا مبتسما مقبلا طبقا لقواعد الفيلم الروائى المصرى من ناحية ، وأيضا لوضع نهاية لقصة الحب التى يتضمنها الفيلم .

[●]

هكذا نجد أن الافلام التى تعرضت لاكتوبر لا تعد انعطافة أو نتوءا فى الانتاج السينمائى المصرى ، فهى تحمل نفس القيم والسمات الفنية ، فمن طريق مفردات السينما التقليدية تتجه بالتحية لساكنى القصور والفيلات ، وكلاء الشركات الاجنبية ، أو تتظاهر بحب ساكنى الحوارى والازقة فى الوقت الذى قدمهم فيه على أنهم « غوازى » و « متعطلين » و « نشالين » ! . وقد كان من الممكن أن يكون لفيلم « الرصاصة لا تزال فى جيبى » قيمة ما ، خاصة اذا قورن « بالوفاء العظيم » و « بدور » ولكن..





طه حسين

فى مثل هذه الايام من العام الماضى رحلا عن عالمنا

أما أولهما فقد كان — حتى فى صمته واعتكافه .. ملء السـمع والبصر ، فرض ظله الوارف على الحيـاة الفكرية والادبية والسـياسية أكثر من أربعين عاما ، واهم من هذا كله فقد كانت حياة **طه حسين** وفكره وسلوكه شيئا واحدا وكلا متكاملا لا انفصـام بين عناصره ، اذا اقتنع بشيىء دعا اليه ، وان دعا الى شىء مضى نحو تنفيذه غير هياب ، وما أكثر ما لقى الرجل من جمود الجامدين ، وحقد الموتورين وعداء الرجعيين والسلفيين .

وقد اجتمعت فى الرجل صورة مضيئة لعصره كله : عرف الثقـافة العربية الاصـولية فى مظانها ، وعرف أدب اليونان والرومان والفرنسيين والفكـر الاوروبى فى مظانهـا كذلك ، وكسـب للادب العربى والثقافة العربية والتاريخ العربى أفكارا ومناهج ، وأصبح طـه حسين نقطة بدء لا يمكن اغفالها فى النقد والتـأريخ الادبيين ، وفى التاريـخ الاسلامى ، وفى الثقافتين اليونانيـة القديمة والاوروبية الحديثـة ، وفى الرواية والمقال الاجتماعى والترجمـة والتعريف .

وحين أصبح أستاذا ومسئولا جامعيا ووزيرا جاهدفى أن يضع ما اقتنع بـه موضع التطبيق ، ولم يمارس ترفخبانة ما آمن به ، وفى كل عقل مصرى مضىء قبس من الرجل العظيم : طه حسين .

تحية له فى ذكراه الاولى ، وعهدا بمواصـلة الطريق ، شاقا محفوفـا بالاخطار والمكاره ، لكن فى نهـايته المعرفة الحقة .. والذكرى الباقية ..

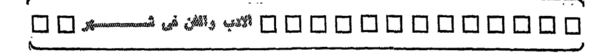
●

وفى مثل هـذه الايام أيضـا رحل **ميخائيل رومان ..**

رحل الكاتب العصبى المتفجركجمرة ، صاحب المسرح الوحشى المقتحم المستفز، الرقيق — مع ذلك — كزهرة فى الجليد !

فى أعماله كلها لم يعرض ميخائيـل الا لموضوع واحد : القهر ، الاحساس به ، الاسـتجابة له ، سواء وجدت أسبابه فى الواقع الموضوعى او فى « الوضع البشرى » ذاته . فى بعض هذه الاعمال يتحرك الابطال فى عالم قاس بلا قلب تسوده الالات والاجهزة والنظم التى تستخدم كل قوى القمع والكبت ، وعلى هؤلاء الابطال الفى عبء ثقيل : أن يؤكدوا حريتهم الفردية فى وجه هذا العالم ، ولانه راسخ كالقدر القديم .. فلا تنتهى محاولاتهم الا الى الموت ، حرية وحيدة أخيرة فى عالم طاغ ساحق .

أما « حمدى » بطله المفضـل فى أعماله التى تنحو نحو الواقعية فيواجه قهرا آخر : فى « الدخان » و « المعار والمأجور » و « العرضحالجى » يواجه




ميخائيل رومان

كليشيهات البورجوازيــة الزائفـــة ، ومحاولات التسلل التى يقوم بها أصحاب التطلع والامتياز لوراثة مراكز السيادة فى المجتمع ، وفشل محاولات التنظيم السياسى ، ومئات التناقضات التى طبعت وجه المرحلة : نستورد القمح ونتفق الملايين على المظاهر الفارغة ، نرفــع شعارات عظيمة رائعة ونتخفى وراءها كى نمارس سوء نوايانا ، نبــدو أمام الناس نظاف الايدى طاهرى القلب ونحن نبطن العفن والتحلل ، حقيقتنا لا تهم أحدا .. لكن مظهرنا هو كل شىء !

ولان ما قدم أو نشر لميخائيل لايتجاوز حجم قطعة الثلج الطافية فوق الماء ، ولان معظم أعماله ضـــاع فى مكاتب المخرجين أو مكتبات الاصدقاء ، فنحن ننشر قائمة كاملة بما نعرف من أعماله ، وندعو أصدقاءه والمهتمين بمسرحه الى مراجعتها :

[١] **الدخان** [١٩٦٢] — قدمت على المسرح — منشورة .

[٢] **الحصار** [١٩٦٤] — قدمت على المسرح — غير منشورة .

[٣] **الوافد** [١٩٦٥] — قدمت على المسرح ليلة واحدة ثم أوقفتهـا الرقابة — منشورة .

[٤] **الليلة نضحك** [١٩٦٥] — قدمتها على المسرح فرقة اقليمية فى ١٩٦٩ — منشورة .

[٥] **الخطاب** [١٩٦٥] — لم تقدم على المسرح — منشورة .

[٦] **المعار والمأجور** [١٩٦٦] لم تنشر ولم تقدم على المسرح .

[٧] **المزاد** [١٩٦٦] — لم تنشر ولم تقدم على المسرح .

[٨] **حامل الاثقال** [١٩٦٧] — لم تنشر ولم تقدم على المسرح .

[٩] **عزيزى رجب** [١٩٦٧] — لم تنشر ولم تقدم على المسرح .

[١٠] **العرضحالجى أو الزجاج** [١٩٦٨] — منشورة — قدمت على المسرح .

[١١] **ليلة مصرع جيفارا** [١٩٦٩] — منشورة — قدمت على المسرح .

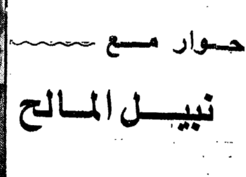
[١٢] **كوم الضبع** [١٩٦٩] — لم تنشر ولم تقدم على المسرح .

[١٣] **القاهرة ٢٨ سبتمبر** [١٩٧٠] — فصل واحد ، قدمت على المسرح — غير منشورة .

[١٤] **هوليود الجديدة** [١٩٧٢] — قدمت على المسرح — غير منشورة .

فى ذكــراه الاولى ، هل يبـــادر المسئولون بتقديم ونشر شىء من أعماله .. أم سنتركه للقهـر يعانيه حيـا وميتـــا ؟ □

((الطليعـــة))





● فى دمشق والقاهرة .. السينما الجديدة مأساة !
● المؤسسات القائمة تنسخ وتكرر القيم القديمة ..
● السينمائى فى نضال سياسى دائم ..

فتحى فرج

سألته أن أرى الفيلم .. قال : .. ستكون اول من يراه .

كان ذلك بعدما التقيت به فى دمشق، اثر عودته من بيروت بعد ان انتهى من تصوير فيلمه الاخير « **السيد التقدمى** » وكان مشغولا به فى قاعات تسجيل الصوت حيث يجرى تنفيذ الدوبلاج .. ومرت ايام من يوليوولم ينته الفيلم، وكانت المؤسسة العامة للسينما فى دمشق تستشرف تغييرا اداريا .. والفيلم قابع فى استديو الصوت ..قلت له : لنجلس اذن الى أسئلتى ثم عد أنت بعد ذلك لمسألة الانتهاء من الفيلم فثمة عقبات تبدو فى الافق ..

قال نبيل المالح : لست ادرى كيف أجيب على هذه الاسئلة ، منفصلة فأنا اراها جوانب لظاهرة واحدة تدور حول موقف الفنان السينمائى فى سياق التحولات الراهنة ووظيفة الفن السينمائى وكانت اسئلتى تقول :

— تجرى على الساحة السينمائية العربية فى مصر وسورية ولبنان .. وغيرها .. مناقشة او اعادة مناقشة لمسميات طرحت حول **السينما الجديدة** فى مصر **والسينما البديلة** فى دمشق ثم قالوا بها فى بيروت وآخرون قالوا **بسينما موازية** ، فالى اى حد ترى من خلال ما هو مطروح من **بيانات واعمال فنية** ان هذه المسميات حققت خطوة نحو تجاوز قيم الفيلم التجارى المصرى الذى تقلده كل البلدان العربية تقريبا .. ثم لمن يتوجه الفنـان بعمله الفنى ؟ لماذا ؟ وكيف ؟

نبيل المالح :

لست ادرى كيف اناقش هذه المسميات : جديدة .. بديلة او موازية. وهى تعانى من الانعطاف الحاد الذى فرضته المتغيرات السياسية فى المنطقة العربية .. ولكنى سوف **اطرح رؤيتى الخاصة فى الاوضاع القائمة** .. واعنى الاوضاع السينمائية .. ان العالم المعاصر ، عالم سمعى بصرى ، ليس عالم قراءة او أفكار مجردة .. يعنى ان السيطرة الفعلية على الجماهير ترتد الى اجهزة الاعلام : اذاعة تليفزيون.. سينما .. وهذه حقيقة لا مفر منها لان عالم اليوم أو وسائل الاتصال فى عالم اليوم هى ابن شرعى للثورة العلمية التقنية التى لا يمكن التراجع فيهـا، لانها مسألة تطور تاريخى وحتمى ،ومن ثم يجب على الفنانين والكتاب فى المنطقة ان يدركوا ويستوعبوا مقولة اساسية تتحكم فى بنية المنطقة العربية . وهى « **ان الانسان فى تكوينه فكريا وسياسيا واجتماعيا مشروط ببيئته** » ، والبيئة الان هى ووسائل الاتصال وشبكاتها .. التى تنقل صيغ علاقة الانسان بالانسان والقيم الاجتماعية المطلوبة من خلال مفاهيم المؤسسات السياسية المهيمنة ، وضمن فهمنا للتكوين الخاص لهذه المؤسسات ، تتبدى لنا خطورة هذه البيئة وتتضح أيضا أهمية الموقف الثورى حيال وسائل التأثير فى الجماهير ..

وضرورة الموقف الواعي من الفنانين السينمائيين في محاولة لتطويع هذه البيئة التي هي وسائل الاتصال مثل السينما لتكون معبرة بصدق عن معاناة الانسان البسيط وموقفه لانضاج وعيه.. ومن ناحية اخرى ، فإن الفنان السينمائي الفرد يعمل بالضرورة في نطاق ماتتيحه المؤسسات وليس لديه امكانية السيطرة على وسائل الاتصال والانتاج هذه ، « كيف اذن يمكن أن تحمله المسئولية التي تلقيها عليه اسئلتك ؟!

ومع ذلك وضمن كل وسائل القهر والاحباط التي أعيش فيها كواحد من نتاج هذا الوطن العربي .. فانني لم آمن في لحظة أن أكون مولودا في مكان آخر .. وعندي أن هنا لك وسيلتين لتجاوز هذا الوضع الجديد الزاحف والذي يلوح انه سيكون ساحقا لامكانية نضوج فني يعبر عن قضايا البسطاء والكادحين ، قضايا الناس الذين خرجنا من اصلابهم ونعيش بينهم ونعاني معاناتهم .. يعني فن صادق لا يزيف أو يخدر أو يزايد ..

● لا اريدك ان تنسى الوسيلتين لتجاوز هذا الواقع ؟

نبيل المالح :

كلا .. تحت ضرورات اساسية ضمن التركيب العام للمؤسسات تدفعنا الى اعتصار كل ما هو ممكن تحقيقا للمواثيق الثورية المعلنة كاهداف ، هي في الواقع تعبير مرحلي ، يستشرف تطورا أكيدا.. ومن هنا فان قناعتي الشخصية هي اولا: ان نعمل في اطار هذه المؤسسات على تطوير الوعي وتنميته لدى الصفوة من الفنانين بحيث يصنعون بانجازهم الفني رسوخا لا يمكن زحزحته أو استبداله بانتاج آلي لفنانين بديلين .

ثانيا : انه صار ضروريا ، مع الجزر الواضح الان ، والذي يتيح مدا للقطاع الخاص الذي يحمل كل أرث السينما المصرية ومنطقها المتخلف ، أن نعمل خارج هذه المؤسسات من خلال تكوين جماعات ممولة تمويلا جماعيا ، تستطيع أن تفرض وجودها الفني .

● وانشغل نبيل المالح بمشكلات فيلمه مع استديو الصوت ومحاولات انجازه في وقت مبكر .. وتركته على وعد ان يحاول اتاحة عرض خاص لهذا الفليم بالقاهرة على أن يكون هو معه ... وجاء بالفعل الى القاهرة ليحضر اجتماعات « لجنة الخبراء لدراسة انتاج أفلام ثقافية عن القضية الفلسطينية » التي دعت اليها منظمة التربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية : وكان معه فيلمان قصيران : ايقاع ونابالم .. وسألته بعد الندوة التي عرض فيها الفيلمان .. اين « السيد التقدمي » .

نبيل المالح :

لم ينته بعد .. ولست أدري ان كان سينتهي أم لا .. لقد سألوني ، أعني سألني احدهم ، من هو هذا « السيد التقدمي » ؟ المسألة كلها تحت المراجعة الشاملة .

نبيل المالح

— ولد في دمشق ١٩٣٨ ..
— درس السينما ، بعد تخرجه من الجامعة ، في تشيكوسلوفاكيا وانتهى من الدراسة عام ١٩٦١ .
— التحق للعمل بالمؤسسة العامة للسينما بدمشق ثم تركها ليعمل من الخارج بعد أن رسخت أقدامه كمخرج .

أفلامه :

— لون وحياة .. تسجيلي ١٩٦٦
— اكليل الشوك .. روائي قصير ١٩٦٩
— ايقاع دمشقي .. تسجيلي ١٩٧٠
— نابالم .. تسجيلي ١٩٧٠
— المخاض .. روائي متوسط الطول ١٩٧١
— الفهد .. روائي طويل ١٩٧٢
— غوار جيمس بوند .. روائي طويل ١٩٧٣
— السيد التقدمي .. روائي طويل لم يعرض بعد

فاز فيلم الفهد بالجائزة الاولى في مهرجان كارلو فيفاري في ندوة دول العالم الثالث
نابالم فاز بجائزة الفيلم القصير في مهرجان طولون ..

● أراك فقدت تفاؤلك ... وكان ثمة عقبات لم تكن في الحساب .. ولست أتصور امكانية أن تتراجع المؤسسة العامة للسينما عندكم عن انجازاتها الايجابية التي حققتها في أفلامك وأفلام عمر أميرالاي ومحمد شاهين ومروان مؤذن وقيس الزبيدي .. وغيرهم .. ان التجربة السورية في السينما ايجابية تماما .. ولست أدري تحت أي ظرف من الظروف يمكن لمؤسسة ناجحة أن تجد عقبات تدفعها الى المراجعة الشاملة .. وهل هذه المراجعة ، برغم ايجابيات التجربة ، ترجع الى سلبيات ظهرت وهل هناك امكانية للاستمرار ، أم أن ثمة مطلبا يدعو الى اعادة النظر ؟

نبيل المالح :

هنالك اعتقاد سائد وخاطيء بالنسبة للسينما السورية يتداوله المثقفون والنقاد وهو أن السينما السورية بما انجزت خلال السنوات الخمس الماضية ، هو انتاج حتمي وعظيم ، يحمل جميع مبررات وجوده .. واستمراره ، هذا الخطأ يكمن في عدم رؤية الموضوع بمنظور استراتيجي وعدم رؤيته بمنظور أبعاده الحقيقية وما هو موجود ، ان السينما السورية ظاهرة فردية متميزة لا تملك أي سبب من أسباب وجودها وهي أيضا ليست مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية في سورية . هذا هو العنصر الرئيسي .. انها ظاهرة تكتل بها ومن خلالها عدد من السينمائيين الذين كانت لديهم رؤى سياسية وفكرية وفنية .. واستطاعوا ، ضمن ظرف معين وملائم ، أن يبدأوا الطريق ويسيروا فيه بضع خطوات .. ولكن الخطأ الذي وقعت فيه السينما السورية في هذه السنوات الخمس هو تأكيد فكرة أن هذا مظهر فكري وثقافي سيستمر ، مهما كانت الظروف ومهما عصفت به الاتجاهات الخارجية ، وهذه بطبيعة الحال قراءة غير دقيقة واستقراء قصير النظر ، لحقيقة الوضع الثقافي السينمائي في الوطن العربي السوري وفي الوطن العربي كافة .. فهنالك جميع الظروف والتركيبات الادارية والبيروقراطية والسياسية والنظم ، تقول بأن مثل هذه الاتجاهات يجب الا تستمر ، فاذا وجدت فهي ظاهرة محكوم عليها بالموت بما لم يوجد ما يدعمها ذاتيا ، والآن فان السينما السورية ، تبدو على منعطف خطير في مسيرتها على اعتبار أن اتجاها ما كان سائدا في المؤسسة

وتشيير الظروف الى أن هذا المنعطف ربما كان من قبيل الوقفة القصيرة ثم الاستمرار فى نفس المنهج ، أو نفس المنحى .. وقد يكون انعطافا نحو اتجاه آخر تماما فى ادارة أو فهم مهمات السينما السورية أو السينمائيين السوريين ..

● تقول بأن ثمة منعطفا نحو الايجاب او السلب فى السينما السورية أعنى المؤسسة العامة للسينما .. وهى حقيقة طالما أنها أمر يقع الان .. لكن المثير للتساؤل أن هذه المؤسسات السينمائية انشئت بقرارات تنص صراحة على أن دورها هو تدعيم القيم الايجابية فى الثقافة السورية أو العربية .. والمنطلقة من المواثيق الثورية لبلادنا .. لكن الغريب أن نرى تراجعا عن هذه الاهداف التى حددتها القرارات ، تراجعا يجعل الثقافة السائدة هى افلام حسن الامام وغيره ممن يحذون حذوه ، وربما نجد من يعتبر فى افلام هذا أو ذاك من صانعى الافلام التجارية المزيفة للواقع وللقيم الجادة فى حياتنا ثقافة .. أو لعلها هى الثقافة المطلوبة .. **ألا ترى معى أن القطاع العام السينمائى كان يفتقد الى الوضوح التام فكريا وفنيا وسياسيا عند انشائه ؟**

نبيل المالح :

أعتقد أن الامر واضح كل الوضوح ، فالعمل الثقافى الفكرى الفنى فى هذا الوطن العربى .. وفى العالم الثالث عامة ، هو نقيض مباشر لانظمة الحكم القائمة فى العالم الثالث حاليا ، ان الثقافة والفن ، هما تعبير أتفق عليه عند الاجهزة المعينة بأن يكون جزءا من جهاز تابع ، هو بشكل ما أو بتعبير أوضح ، اعادة أو تكرار للاشكال السبقة المسيمحة ، او اعادة نسخ معطيات وتقاليد وأفكار مكررة ومخيرة .. وعندما أصبح للفن او للفكر فيم أكثر تعمقا ، صار هناك اعتقاد بأن هذا الفن يمكن ، ولابد ان يكون وسيلة من وسائلها الاعلاميه ، اى أن يصبح الفنان هو شاعر البلاط أو مهرج الخليفة بشكل أو بآخر وعلى نحو عصرى .. هذا التصور يبقى باعتقادى قائما حتى عند أكثر المسئولين احساسا بالانفتاح الثقافى المتقدم .. ان النظرة الاساسية التى تقوم على أن الفنان هو طليعة متقدمة ذو رؤى تستطيع أن تتجاوز كل المعطيات الحالية وان تنبر طريقا وتحرض على ما هو أكثر ايجابية ، هذه النظرة مرفوضة اساسا .. ولذلك لا يمكن لنا أن نتصور امكانية استمرار مثل هذه المؤسسات السينمائية التى استطاعت أن تتجاوز فى فترة قصيرة ومن خلال الممارسة ، القصور الفكرى والفنى الذى عانى منه ومازال الانتاج الخاص .. ولكن يبقى سلاح انها مؤسسات اقتصادية ، والذى يشهر عند اللزوم .. وانا لا نريد اعلاما لا سنى الجماهير .. ولنا أن نؤكد بأنه ليس هناك فيلم يمكن أن يخسر ، وهذه حقيقة أكيدة ، ولذلك تعود المؤسسات الى مسألة التسلية ، الى اعادة الفنان ليكون شاعر بلاط أو مهرج خليفة عصره ..

● ● **هناك سؤال ملح بالنسبة لى .. وربما بالنسبة لك وهو عن القطاع الخاص السينمائى بالذات .. ان القطاع** الخاص فى مجالات أخرى غير الثقافية، يمكن الافادة منه فى حدود التخطيط الاقتصادى المحدد سياسيا .. لكن بالنسبة للقطاع الخاص الثقافى السينمائى بالذات .. مانه وفى الغالبيه الساحقة من اعماله الفنية ، يتعارض مع ما هو مفترض من مهام ثقافية تقوم بها السينما بالنسبة للجماهير وهو انضاج وعيها فى اتجاه ايقاظ ايجابية الانسان للمشاركة فى تحقيق الاهداف الوطنية التحررية لمجتمعاتنا .. فماذا ترى أنت ؟

نبيل المالح :

فى رأيى انه لا يوجد أى تناقض بين أى قطاع خاص ثقافى وبين الاجهزة الثقافية الرسمية .. فالقطاع الخاص الثقافى مهمته استمرار اعادة نسخ القيم الثقافية والفنية الفكريه والفنيه الدرامية والتشكيلية ..اعادة نسخها وتكرارها .. وهذا يمثل موقفا محافظا ، ويعبر عن ذكاء ضمنى خاص ، ليس متبادلا بين الجهاز الثقافى والقطاع الخاص .. وانما يؤديه القطاع الخاص على نحو غير واع بحكم طبيعته المحافظة والفنية فى آن واحد ..

ان الفارق الوحيد بين الفنان المفكر المؤمن بالقيم التقدمية الوطنية التى تتبناها مجتمعاتنا والقطاع الخاص .. هو أننى .. كفنان .. ليس نبيل المالح .. وانما اى فنان أمتلك الرؤية المستشرفة لافق ابعد والاشارة الى المستقبلية الى ثغرات فى التطبيق ، تفيد بلا جدال فى تنمية وتطوير القيم التى تؤمن بقيادة مجتمعاتنا نحو التطور التاريخى الحتمى . انها باختصار ثورة الفنان المفكر على أن يرى أبعد قليلا ، وأن يرى أصول الاشياء أو الظواهر

تم تكوين لجنة تضم عددا من أصدقاء الشاعر والفنان المسرحى **نجيب سرور** ، دعت الى تحرك سريع لانقاذه من الحالة الصحية المتدهورة التى يعانيها منذ أكثر من ست سنوات .

ان نجيب سرور — ومهما اختلف البعض حول تقييم أعماله — قيمة مضيئة فى مسرحنا وأدبنا ، ومن حقه علينا — وهو ممتحن فى صحته وأمنه النفسى — أن نبادر فيقدم كل ما يستطيعه من أجله .

وقد قبل الاستاذ توفيق **الحكيم** أن يرأس هذه **اللجنة** ، وهى تضم الان بين أعضائها عددا من الكتاب والفنانين .

ووعد الاستاذ سعدالدين وهبه الاتصال بالسيد وزير **الثقافة** لتوفير الرعاية له.

غير أن الجهد الرسمى وحده لن يكفى ، فهل يستطيع أصدقاؤه أن يقوموا بعمل شيء قبل أن يقولوا : لقد كان بوسعنا أن نفعل ثم نكصنا .

ان مأساة نجيب سرور هى مأساتنا جميعا.. ومن حقه علينا أن نتحرك لانقاذه



وكاقتراح محدد تتقدم به هذه اللجنة عن اعادة طبع أعماله — المسرحية والشعرية — يمكن أن تكون بداية طيبة ، كذلك فقد انتهى من كتابة مسرحية جديدة — لعلها فى حوزة الاستاذ كرم مطاوع — ونظنها أولى بالتقديم على المسرح فى هذه الاونة .

هل نأمل فى أن تكون خطواتنا أسبق اليه من خطوات المرض الجسدى والدمار الروحى ؟

ويستخلص منها منطقا موحدا نابعا من منطق التطور الذى تنشده مجتمعاتنا ..

● اذن وفى اطار هذه الظروف .. فما هى توقعاتك لمستقبل الفنانين السينمائيين الذين لا يمكن أن يتعاملوا مع القطاع الخاص .. هل هو نظام المجموعات الفنية المتجانسة يمكن أن يكون بديلا .. أم ماذا ترى ؟

نبيل المالح :

لقد وصلنا الآن الى طلاق كامل مع القطاع الخاص ، لاننا نسير فى خط يتعارض معه .. ومع ذلك فلقد وصلنا من ناحية أخرى ، انا وبعض الزملاء من غير المعينين فى المؤسسة ، الى نقطة تقول لنا المؤسسة عندها انا آسفة .. ليس عندى لكم مجال .. لدى موظفون يجب أن يعملوا .. ولهم أسبقية وربما يكون لهذا الامر وجاهته لكننا نظل اصحاب أحقية فنحن لا نحمل المؤسسة رواتب ونعمل بنظام القطعة وهذا أكثر فائدة لها ، على أن هذه النقطة بالذات هى مأخذى الوحيد على ادارة المؤسسة السابقة اذ كان بامكانها أن تؤكد بنسا اتجاها سينمائيا ناضجا ومتقدما وواعيا لو انها وفرت لنا تدعيما اقتصاديا مثل بقية الزملاء فهذا يقينا جعلنا نقف على رمال متحركة لا ندرى الى اين نتجه ..

● ربما يدعونى هذا الى طرح سؤال سبق أن أجبت عليه فى دمشق فى بداية هذا الحديث وهو القيمة الحقيقية لما أنجزته الاتجاهات الداعية الى التجديد فى السينما العربية .. أعنى السينما الجديدة والبديلة .. الخ .. الخ . ؟

نبيل المالح :

الدافع أن نظرتى الى القوى التجديدية والتقدمية فى الوطن الآن .. صارت أكثر مأساوية أو هى بالفعل مأساوية ، اذ أنها استنامت الى أوضاع ظنت انها ثابتة ومن ثم فانها امام اية محاولة كسر من هذا النوع الذى يحدث الان .. تقف عاجزة .. وغير جاهزة للتصدى .. لأننا فى الواقع أصبحت أتيم تجربة التجديد هذه بأنها تعانى من عملية بعثرة وامكان شطب أية موهبة بجرة قلم ، ومع ذلك فان بارقة ضياء تكمن فى الجهود الخاصة لنا جميعا تمكننا من أن نتساعد ونتكاتف من أجل الانتاج الذى يعتمد فى تمويله على مصادر أخرى غير المؤسسات الرسمية ، حتى تصبح لنا القيمة الفكرية والفنية الضاغطة التى تجعل لنا وزنا له مكانته .. ولقد حاولت أنا شخصيا أن احصل على قرض لعمل أفلام تسجيلية ساعدنا فيه وليد شميط .. لكن يبقى فى النهاية أنه مطلوب منا أن نتعاون جميعا .. ويجب أن نذكر فى النهاية أن الذين أعطونا الفرصة فى البداية جعلونا من الفقر بحيث يصبح كل منا أعزل ماديا .. لكن يبقى علينا الا نستسلم لهذا الوضع المأساوى .. فالسينمائى منا فى وضع نضال سياسى دائم .

لقطة من فيلم السيد التقدمى

● تعقد فى بيروت من ٤ الى ٦ نوفمبر « ندوة المجلات الادبية فى آسيا وافريقيا » ، دعت الى عقد الندوة منظمة كتاب آسيا وافريقيا ، ويشترك فيها رؤساء تحرير ٣٧ مجلة ادبية فى القارتين .

تناقش الندوة ثلاثة موضوعات رئيسية :

اولا : دور المجلات الادبية فى آسيا وافريقيا فى حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ثانيا : دور هذه المجلات فى حركة الابداع الادبى ، **ثالثا** : الصعوبات التى تعترض المجلات الادبية والثقافية فى القارتين ، وسبل التغلب عليها .

جائزة نوبل لكاتبين لا يعرفهما أحد

● **منحت جائزة نوبل فى الادب هذا العام لكاتبين سويديين هما اثفيد جونسون وهارى مارتنسون ، العضوين فى الاكاديمية السويدية نفسها :**

وقد اجمعت كل الاوساط الادبية على عدم أحقية هذين الكاتبين بالجائزة ، وجاءت فى برقيات وكالات الانباء بعض المعلومات منهما : **اثفيد جونسون** ولد عام ١٩٠٠ ، وترك الدراسة فى مرحلته الابتدائية ، بدأ يكتب منذ عام ١٩٢١ ، له اكثر من ٤٤ عملا روائيا ، لم تترجم له سوى اعمال قليلة . وصفه **مراسل اليونايتدبرس** بأنه غير معروف فى اوربا نفسها ، فما بالك بالعالم كله !

هارى مارتنسون لم يذكر اسمه فى اية موسوعة ادبية ، ولد عام ١٩٠٤ ، وله اعمال نقدية وروائية غير متميزة .

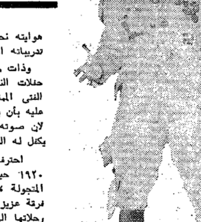
وهكذا تمعن الاكاديمية السويدية اكثر واكثر فى بعدها عن الموضوعية والامانة فى منح الجوائز !

حسن البارودى

ستون عاما في خدمة المسرح

فى سبتمبر الماضى انطفأت حياة الممثل الكبير **حسن البارودى** [٨٠ سنة]، صاحب الصوت المميز الشجى الذى لا نخطؤه اذن ، الذى قدم على خشبة المسرح طائفة من اروع الادوار أداء والقاء : ثابت افندى فى « **القضية** » ، رضوان فى « **سكة السلامة** » الشاعر **فى جسر أرتا** ، بهذه الادوار وغيرها، استطاع البارودى ان يزاحم على البطولة بالقائه المقنع المؤثر الفريد .

بدأ البارودى حياته الفنية اثناء الحرب الاولى هاويا بنادى المعارف للتمثيل ، الذى كان يعد من اهم محافل هواة التمثيل فى اوائل هذا القرن ، والذى تدرب وتمرس من خلال عروضه رواد كثيرو ن. ظل البارودى يمارس



هوايته نحو اربع سنوات ، وكان يتلقى تدريباته احيانا على يد عزيز عيد .

وذات مرة شاهد سعد زغلول احدى حفلات النادى ، فجذب انتباهه صوت الفتى الممثل حسن البارودى ، فأشار عليه بأن يتم دراساته ليتخرج محاميا ، لان صوته مؤثر ومقنع وقوى ، مما يكفل له النجاح فى هذه المهنة !

احترف البارودى التمثيل فى عام ١٩٢٠ حين التحق بفرقة حافظ نجيب المتجولة ، وفى العام التالى انضم الى فرقة عزيز عيد ، وسافر معها فى احدى رحلاتها الى الشام . وعندما افتتح مسرح رمسيس ابوابه فى مارس ١٩٢٣ ، عين ملقنا للفرقة ، وذات ليلة لاحت له اول فرصة للظهور على المنصة ليؤدى دور



● « **المجموعة رقم ٧٧٨** » عنوان رواية تسجيلية للقاص الفلسطينى **توفيق فياض** ، تصدر قريبا ، وتدور حول اول مجموعة فدائية تشكلت داخل الارض المحتلة .

صدر لتوفيق فياض من قبل رواية « **المشوهون** » ومجموعة قصص «**الشارع الاصفر** » ، ومسرحية « **بين الجفون** »

● «**ذكرى طه حسين**» كتاب **للدكتورة سهير القلماوى** ، صدر فى الذكرى الاولى لعميد الادب الراحل ، يضم الكتاب مقدمة وثلاثة فصول : الاول عن احلام شهر زاد ، والثانى بعنوان طه حسين وآفته ، والثالث بعنوان بين المؤرخ والروائى ، بالاضافة لخاتمة وثبت بالاعمال الكاملة للعميد الراحل .

● « **بيت أخضر ذو سقف قرمدى** » مجموعة قصصية جديدة للقاص الفلسطينى **رشاد ابو شاور** ، صدرت عن **دار العودة** ببيروت . بعنوان «**منشورسرى الى القراء**» يقول الكاتب : « هاأيذا فى روما القديمة ربطونى بقيد ثخين ، وضعوا امام وجههى رغيفا ، نشدون الرغيف ، ازحف خلفه ، ازحف خلفه ، خلفت تمردى ورائى » .

استيفان روستي في مسرحية **غـادة الكاميليا** ، لتنبيه المفاجيء عن الحقل، واستطاع البارودي ان يؤكد ، عرضا بعد عرض ، موهبته كممثل متميز الصوت يأسر الاسماع بنبراته الحلوه المتميزة. واشترك في تمثيل عشرات المسرحيات خلال عشرين عاما امضاها بفرقة يوسف وهبي ، منها : **ملك الحديد** ، **الكوكايين** ، **القاتل** ، **العدالة** ، **السارق**، **الزعيم** ، **توسكا** ، **البؤساء** ، **الكونت دي مونت كريستو** ، **قهوة الذوات** ، **نجم هوى** ، **بريد ليون** ، **أولاد الذوات** ، **اولاد الفقراء** ، **صندوق الدنيا** ، **هوانم اسبور** ، **عطيل** ، **الحظر** ، **العقاب** ، **فاجعة على المسرح** ، **مجنون ليلى** ، **الذبائح** ، **رجل الساعة** ، **العقاب** ، **المظلوم** ...

ولم تقتصر جهود البـارودي على التمثيل حيث رسخت اقدامه بنجـاح واقتدار ، بل تجـاوزه الى اعـداد واقتباس العديد من مسرحيـات فرقة يوسف وهبي نذكر منها : **القناع الازرق**، **اكسير الحياة** ، **صاحبة الملايين** ، **الجناية** ، **الشرك** ، **عمة شـارل** ، **المظلوم** ، **التفاهم بالاشارة** ، **بيومي افنـدي** ، **عريس في علبه** ، **بنت ذوات** .

وفي عام ١٩٣٤ ، انضم البارودي الى فرقة **اتحـاد الممثلين** التي الفتها الدولة في ذلك الوقت انقاذا للمسرح من الازمة الطاحنة التي ادت الى توقف الفرق الدرامية الكبرى : فرقة فاطمـة رشدي ، فرقة يوسف وهبي ، وفرقة جورج ابيض . لكن المشاحنات وسـوء الادارة ادت الى ترنح المشروع بعـد بدايته بأشهر قلائل ، فاستقال حسن البارودي ومعه فتوح نشـاطي وزينب صدقي ، وانحل الاتحاد في اواخـر ١٩٣٤ .

واعاد يوسف وهبي تكوين فرقته التي أحيت موسم ١٩٣٥/٣٤ ، ثم توقفت كعادتها في نهاية الموسم الشتوي . لكن حسن البارودي لم يهدأ له بال ، فشرع في تكوين فرقة جديدة في ابريل ١٩٣٥ من ١٨ عضوا ، منهم : عبد المجيـد شكري ، عبد العزيز أحمد ، محمود المليجي ، عباس فارس ، سرينا ابراهيم ، نجمة ابراهيم ، أليس ، سيد سليمان ، احمد عبد الله ، المطرب سيد فوزي ، وراقصة واوركسترا .

وقامت الفرقة برحلة فنية الى السودان في ٢٤ ابريل ١٩٣٥ ، ولعلها اول فرقة مسرحية مصرية تنتقـل الى جنـوب الوادي . وهناك مثلت بنجاح مسرحيات: **عاصفة في بيـت** ، **الموت المدني** ، **عبد الستار افندي** ، **دخول الحمام مش زي خروجه** ، **الحلاق الفيلسوف** ، **غادة الكاميليا** .

وحل البارودي فرقته بعد عودتهـا الى مصر ، وانضم مرة اخرى الى فرقة يوسف وهبي ، وانتظم في عمله بهـا حتى منتصف ١٩٤٤ ، عنـدما قرر صاحبها حلها على أثر الخسائر المادية التي مني بها بعد ان استنفذ امكانياته الفنيـة في عـروض الميـلودراما والجرانجينول .

وانضم حسن البارودي وأمينة رزق وسائر اعضاء فرقة وهبي الى الفـرقة المصرية ، وظهر في عشرات المسرحيات التي قدمتها الفرقة منها : **مرتفعـات ويزرنج** ، **شارع البهلوان** ، **قيس ولبنى**، **العباسة** ، **الصهيوني** ، **الصحـراء** ، **شـهر زاد** ، **رنين الذهب** ، **مصرع كليوباترا** ، **بداية ونهاية** ، **صنف الحريم**، **الخال فانيا** ، **السبنسة** .... الخ .

ظل حسن البارودي يظهر على خشبة المسرح القومي ، حتى فوجيء في اواخر ١٩٦٥ بخطاب احالته على المعاش ، وكان قد تجاوز وقتذاك السبعين بقليل، لكنه كان لا يزال قادرا على العطـاء والامتاع ، ليس في المسرح وحده بل وفي السينما والاذاعة . والفنان كمـا كان يردد لا يجوز الحجز على فنـه في سن معين بورقة المعاش القاتلة لانهـا تعني حرمان الجمهور من فنه وحرمان الفنان نفسه من اكسير حياته : ممارسة الفن .

كان يقول عندما احيل الى المعـاش بنبرات مؤثرة : كرموني في حيـاتي ، لا تضعوا الزهور على قبري . اجعلوني أعيش واكمل رسالتي ، فما زال الطريق أمامي طويلا ، يقولون انني رجل عجوز، والحقيقة انني أعمل كفنان في العشرين، الحياة فيها الفتى وفيها الشيخ العجوز، وأنا أعلم ان أيامي قليـلـة ، لكنني حريص عليها وسوف أحيـاها . ان صورة الفنـان حسن البـارودي لاتزال ماثلة امام كل من شاهده في الستينات وطربوا لصوته المميز الذي يمس المشاعر وينفذ الى القلب ويهز الوجدان ، في أدوار معدودة بين الادوار الخالدة في المسرح المصري الحديث ...دور الموظف البسيط فريد افندي في مسرحية بداية ونهاية ، ثابت افندي الموظف بالمعاش الغلبان الحافظ في القضية ، عبد الاحد الجالس في انتظار عبـد الموجود في كوبري الناموس ، رضوان حارس القبور في سكة السلامة . دور المعلم في زيارة السيدة العجوز الذي استطاع ان يلون الاحساس التراجيدي في شخصيته ، عازف القيثارة الذي يحكي قصة الكفاح المضني الذي صاحب بناء الجسر ، في مسرحية جسر ارتا ...

وسيظل عشـاق المسرح يذكرون للبارودي صـوته وأداءه المتميز .. واخلاصه العميق لفن المسرح . □

● نشـرت في موسكو للمرة الاولى مجموعة من الاعمال النثرية للشـاعر الشيلي **بابلو نيرودا** .

ويضم الكتاب الذي يحمـل عنوان « **حول الشعر والحياة** » ماكتبه الشاعر في الفترة مابين عام ١٩٣١ و ١٩٧١ ، مقدما صورا من حياته وعددا من القصص والطرائف ، كما يصف طفولته وشبابه وحبه الاول .■

● يواصل **الدكتور رفعت السعيد** تاريخه لحركة اليسار المصري ، فيقدم كتابه الجديد « **الصحافة اليسارية في مصر** ، ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨ » ، وفيه يعرض الكاتب لمجلات اليسار بدءا بمجـلـة « **الحساب** » التي صدرت في ١٩٢٥ ، وانتهاء بمجلة « **الجماهير** » التي توقفت عن الصدور في ١٩٤٨ ، مرورا بمجلات « **روح العصر** » و « **شبرا** » و « **التطور** » و « **الفجر الجديد** » و « **الضمير** » .

وهو في دراسته لهذه المجلات لا يكتفي بعرض أهم ماجاء فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، بل يحاول ايضا ان يبحث عن « **الحدث التاريخي** » الذي ادى لصدور كل منها ، وربط ذلك كله بحركة اليسار المصري .

صدر الكتاب عن دار الطليعة . بيروت

حول جوائز السينما

من صدمة الوعى الى حلقة الحاوى



الجائزة :

من الخطأ والخطر معا أن تقصر هذه المناقشة ذاتها على موضوع جوائز الدولة للسينما .. وحده ..

ومن الخطأ والخطر معا أن مناقشته وحده سوف تفضى الى تحليل ونتائج .. والى « فهم » له بالتالى .. ذلك لانه لا يمكن أن يقوم بمعزل عن الظاهرة السينمائية ككل [والتى هى فى الواقع لا يمكن أن تقوم بمعزل من التركيب الاجتماعى وعناصره المكونة له ..... أيديولوجية واقتصادية] ..

ولذا فانه غير مجد أن نتحدث من تشكيل لجنة التحكيم [التى هوجمت ــ عن حق ــ بأنها لا تمت بصلة للسينما] أو أن نتحدث عن **الغرض** من هذه الجوائز [كما بينه المشرف على الصحافة والاعلام بوزارة الثقافة بأنه : تشجيع الانتاج السينمائى الذى لا يعوض تجاريا ، وتشجيع العاملين فى السينما على التجديد الفنى] أو أن نتحدث **عن قواعد التسابق** [التى تبتعد كلية لسبب غريب عن القواعد المعروفة فى أرجاء الدنيا من تصفية شاملة لكل ما أنتج فى بلد ما فى فترة زمنية معينة ومن منح التقدير الادبى والمادى لافضل الافلام والفنانين والفنيين] وغير مجد ايضا أن نورد **أسماء** من « فازوا » أو من تقدموا للفوز ..

ولعل الاصح هو أن أسعى الى تحديد هوية الافكار والمعتقدات التى تحكم الاجهزة السينمائية فى مجملها والتى يمثل أعضاء لجنة التحكيم « جانبا » منها . واذا كانت نتيجة المسابقة قد قضت بسيادة **الاتجاه « القشاص »** [**« دمى ودموعى وابتسامتى »** و **« نساء الليل »** و **« حكايتى مع الزمان »** فان غالبية أعضاء اللجنة بهذا قد باركوا سينما **الوضع الراهن** بحكم انتماءاتهم الوظيفية والمصلحية والبيروقراطية ... وبذا فهم يصدرون عن مزاج تابع للمزاج المهيمن ...

ولعله صحيح أيضا الا اتعرض بالتعليق المسهب على تصريح المسئول الكبير باعلام الوزارة والذى قال أن هدف الجائزة هو : تشجيع الانتاج السينمائى **الذى لا يعوض تجاريا** [« دمى ودموعى وابتسامتى » ــ وابتسامتى » ــ صافى ايرادات الاسابيع الستة الاولى ١٥٠٢٠ جنيها ــ « نساء الليل » ــ صافى التسعة أسابيع الاولى ٢٨١٨٣ جنيها ــ « حكايتى مع الزمان » ــ ٣٩ أسبوعا أولى ورقم ما !!] وتشجيع **التجديد الفنى** [لماذا لم ترحل هذه الافلام للمهرجانات العالمية ما دامت حافلة بالتجديد ورئيس لجنة المهرجانات وبعض أعضائها من بين أعضاء اللجنة ؟] .

ولعله صحيح أخيرا ألا اتعرض بشىء لقواعد التسابق المهنية والتى تقضى بأن يتقدم ويدفع من يريد الفوز وعليه أن ينتظر درجات اللجنة الناظرة التى لا يتقن معظم أعضائها القراءة والكتابة !

غير مجد ــ فى ملتى واعتقادى ــ أن نناقش هذا الموضوع وحده بأى مقياس لانه ببساطة ملمح من ملامح الظاهرة . والامر كله مهلهل وخطير ثم ماذا يبقى فى التحليل النهائى .. يبقى أن المثل الاعلى للافلام التى تشجعها « **الدولة** » بالتقدير الرسمى والمالى هى سينما حلقة الحاوى .. وتبقى الحاجة الحقيقية الى السينما وفقد الامل بعد نجاح «الاحتواء» ــ المكلل بالنجاح ــ للقطاع العام السينمائى منذ انشائه حتى سقوطه الاكيد مع مطلع عام ١٩٧٢ .....

والنتيجة النهائية أنه يتعين علينا أن نؤمن – بعد أن شاهدنا في الواقع منذ زمن طويل – بامكانية الاستغناء عن سينما صدمة الوعي تمهيدا للانتقال الى حلقة الحاوى بعد تقديرها ... سينما [الحاوى وخرجه الحافل بالمشهيات . دماء ودموع ونساء وليالى وحكايات] انتقالا حتميا بالطبيعة وبالضرورة ! .

خطوط متوازنة :

وعلى طريقة البناء الروندو فى الموسيقى تدفقت تصريحات المسؤولين عن « تشجيع التجديد » لتؤكد كلها فى الدعم الشامل حتمية هذا الانتقال : **من صدمة الوعي الى حلقة الحاوى !**

فى حديث **صلاح حافظ** [روزا اليوسف ١٩٧٤/٩/١٦] صرح **وزير الثقافة** ردا على القول بأن سينما الوعى – سينما السياسة وسينما القضية الاجتماعية وأزمة الانسان قد صارت سينما العالم كله .. وان السينما المصرية لم تتخلف عن ذلك وحسب بل أنها تراجعت الى ما قبل « العزيمة » و « لاشين » و « الحل الاخير » و « السوق السوداء » عند مستوى هضم الطعام . « أليس هذا شللا لبلاد فيها وزارة الثقافة تغذى بأموالها الانتاج السينمائى الراهن ؟ » رد الوزير : ... أنت تقول أن سينما العصر أصبحت سينما السياسة و ... ثم تزعم أن السينما المصرية تخلفت .. وأنت بذلك تظلم تيارك الذى تقول أنى لا أثق فيه ... ومن آخر أفلامه الذى لا أظنك يمكن أن تطلق عليها سينما الهضم .. « العصفور » وزائر الفجر » لقد منعنا الكاراتيه ووضعنا مزيدا من الحظر على مشاهد الجنس . **هل تريد أن تضع حظرا على كل شيء عدا السياسة » .**

وجوائز السينما التى وزعها الوزير بنفسه تفوق بالطبع على مالا علاقة له بالسياسة – باعتبارها من سينما التلبك المعوى على حد تعبيره – ولتحجب نتائج المهرجان القومى الثالث الاخير لان بعضا منها وفى مقدمتها – يرحب بسينما صدمة الوعى !

وهل يبشر ذلك باستمرار القطاع العام – الجديد ! – الذى احتلت مراكزه الكوادر القديمة المعادية على طول الخط لسينما الوعى ... لكى يظل يرقص على دقات دف القطاع الخاص التجارى ... وما دام الامر يلقى العناية الرسمية فى ظل تراجع « **الدولة** » كلية عن توجيه أخطر وسائل العصر . تصريح آخر للوزير : توقفت خسائر السينما بتوقف القطاع العام السينمائى عن الانتاج ، واتبع أسلوب جديد فى انتاج الافلام بضمان البنوك – باعتبار أن صناعة السينما هى مجموع أعمال فنية وصناعية وتجارية ، أى أنها تحتوى على تشغيل فنانين وفنيين ومجموعات ضخمة من العمال الفنيين الذين يرتزقون من هذه الصناعة ونحن فى مجتمع اشتراكى يكفل العيش للجميع !

وهكذا أو نتيجة لانعدام **الفهم الاجتماعي لدور السينما** والذى صار من بديهيات المعرفة تخلت الدولة – فى المجتمع الاشتراكى – عن دورها بحجة الاشتراكية . والغريب أن من تابع نشاط « **لجنة النشاط غير الامريكى** » المكارثية فى عام ١٩٤٧ وفعلها فى المجتمع الحر ، سوف يبهت لهذا التدخل من قبل الكونجرس والحكومة فى نوعية الانتاج السينمائى فى هوليوود . ولقد اعلنت اللجنة صراحة انها تهدف الى فرض رقابة سياسية على الافلام .. وبلغ عسفها درجة جعلت من **ايليا كازان** يتطوع – كمن غسل مخه – بتقديم اقرار كتابى عجيب يذكر فيه خمسة وعشرين رواية وفيلما كل منها مصحوب بمذكرة تبريرية : « **لا سياسة** » .. أو « **أعجب كل شخص تقريبا ما عدا الشيوعيين** » « **على الضد تماما مما تقوله الشيوعية عن امريكا** » .. « **بعيد عن السياسة** » **الخ** ..... »

ومن أمثلة سياسية «**الوضع الراهن**» ان الرقابة لا تمرر سوى أفلام الحاوى – اعنى افلام الجوائز – فى مؤامرة بالصمت عن كل ما يمكن ان يغير .. أو يسمح بامكانية ذلك من مستقبل السينما فى مصر . فمنع عرض « **العصفور** » و « **التلاقى** » و « **وزائر الفجر** » عن الجمهور الذى وجهت اليه أفلام الوعى أصلا .. وباسم الحرية صرح بعرضها ولكن فى التوقيت الميت . **الآن** . وعلى حد تعبير **المسؤول الاول عن الرقابة فى مصر** فى عدد ابريل من مجلة السينما ١٩٧٤ « ذلك ان العبور الذى تحقق بنا وتحقق لنا فى السادس من أكتوبر هو عبور من اليأس الى الرجاء .. ومن الامس الى الغد المشرق باذن الله » ولم يتقدم « العصفور » بالطبع لنيل «**الجائزة**» .. وبدلا من أن تأتى هذه الافلام – فى حينها – لكى تسهم فى خلق رقابة شعبية نحن أحوج ما نكون لها .. تلقى .. لكى تبتعد عن ساحة المعركة احدا من فنانى الوعى لن يسمح لنفسه الاشتراك فيها بشروطها العجيبة .

لم يبتدع نظام الجوائز الفريد هذا لان ليس بمستغرب اذن ان يكون هذا هو حال « **الجائزة** » فى بلادنا حيث تنتقل **الرقابة من رقابة « الاخلاق والاداب العامة »** – حسب القانون – **الى رقابة الراى** ، وحيث يدور كلام اليوم عن « **الدور الخاص** » للثقافة ... تتعرض به السينما الجادة لضغوط عنيفة لكى تتلاءم مع مفاهيم الموظفين الكبار والديماجوجيين ودعاة الوضع الراهن وحسب مقتضيات الحال وحيث يجرى ترويج اعتقاد قديم بأن السينما « تسلية » يقصد بها الترويح عن الناس لرفع انتاجيتهم !

كتب عضو كبير جدا بلجنة تحكيم الجائزة يقول : رغم معارك أكتوبر المجيد لم تتوقف الاستوديوهات المصرية عن العمل ... بل انتاج مستمر . « يد تبنى ويد تحمل السلاح » وخلال المعارك كانت استوديوهات ومعامل السينما يجرى فيها العمل فى أفلام : دنيا – زائر الفجر – [انتج قبل الحرب بمدة ٥ شهور] – رحلة العمر – المخدوع ! الاحضان الدافئة – حبيبة غيرى – المطلقات – الهارب – طريق بلا نهاية – الزواج السعيد – الرداء الابيض – لا تتركنى وحدى – العذاب فوق شفاة تبتسم – حلوة وفقيرة وشقية – الانثى والذئاب – لن أبكى أبدا – غابة من السيقان – جفت الدموع – قصر على النيل – حبى وأشواقى – العمر لحظة – فيفا زالأطا . » .

ويمضى العضو الكبير جدا باللجنة فى سرده للافلام ببراءة نادرة .

هل تعنى قبعة أكتوبر المتعددة الالوان شيئا هنا ، وهل تعنى شيئا مع توزيع الجوائز الرسمية فى الاحتفالات الاولى بالعبور الكبير ... هل يعنى هذا أن سينما الجوائز هذه هى سينما مجتمع أكتوبر التى تحتاجها الجماهير الكادحة فى مدننا وقرانا وهل هذا هو نوع السينما المطلوب من الشبان أن يحتذوا حذوها مع الايمان بالاشتراكية وبالثورة

هل تبقى هذه السينما الجوائزية المباركة من أجهزة الثقافة الرسمية منتحلة صفة ليست فيها ومتمتعة برعاية الدولة – الممثلة لجماهير الشعب – وهل يفكر الفنانون الشرفاء دون انتظار « للمرحلة الجاية » فيما يتعين عليهم أن يفعلوه بعيدا عن تناقضاتهم الثانوية .

أقول هذا باختصار برغم أن «الجائزة» موضوع يتصل بالبنية الفكرية لاجهزة الثقافة الفوقية والتحتية كلها – أقوله حتى لا تبقى نبوءة جوركى التى أطلقها عام ١٨٩٦ عن مستقبل السينما فى المجتمعات الاستهلاكية : « بدلا من أن تخدم العلم وتساهم فى أسعاد الانسان ستخدم الرجعية وتساعد فى نشر الدعارة والفجور .. حتى لا تبقى آثار هذه النزوة فى بلادنا الى الابد ☐

الفاروق عبد العزيز


سميح القاسم

« تجريح »

ثمة ضجة اعلامية تشهدها أوساط الشعراء الفلسطينيين وتعكسها صحف بيروت هذه الايام ، أثارها ، بداية ، البيان الذى نشرته صحيفة « الاتحاد » داخل فلسطين المحتلة ووقعه كتاب عرب ويهود دعوا فيه لوقف الاحتراب ووقف اعمال العنف بين الطرفين ولاعتراف شعوب المنطقة وحكوماتها ببعضها البعض خدمة للسلام .

وكان من الطبيعى أن يواجه هذا البيان بما يستحقه من استنكار شديد وشجب فورى من قبل كل الشعراء والمفكرين والمناضلين الفلسطينيين ، خصوصا وهو يحمل تواقيع عدد من شعرائنا وكتابنا الذين نحترمهم ونقدر تاريخهم النضالى المشرف داخل الوطن المحتل ومنهم سميح القاسم .

وقد تصدى للرد على هذا البيان الغريب كل من محمود درويش ومعين بسيسو . وكانا محقين تماما فى التعبير عن شجبهما لهذا البيان الذى يساوى بين العنف الثورى الفلسطينى وبين العنف الاسرائيلى الذى هو منشأ كل عنف فى المنطقة اصلا . ولا شك أن البيان فى مجمله هو ضد المقاومة الفلسطينية وضد آمال الشعب الفلسطينى وفكره الثورى .

غير أن سميح القاسم سارع بنفى أنه وقع البيان وأشار اليه بالقول « ذلك البيان المشئوم الذى حمل أسماءنا خطأ والذى أعلنا براءتنا منه ثلاث مرات » ويضيف « نحن لم نوقع ذلك البيان ونحن براء منه . وقد التزم الكتاب اليهود بتجميده على أية حال . نحن جميعا ملزمون بمتابعة ابطال مفعوله فى كل مكان وزمان » .

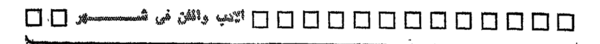
وقد ورد هذا النفى فى رسالة مفتوحة وجهها سميح القاسم من على صفحات جريدة « الفجر » التى تصدر فى الوطن المحتل ، بعنوان : « من سميح القاسم — فى شارع العباس — حيفا — الى معين بسيسو ومحمود درويش — فى شارع الحمراء — بيروت » .

وكان من الممكن للمسألة أن تنتهى عند هذا الحد . فسواء أن سميح تورط فعلا فى التوقيع على البيان ثم أدرك خطأه فتراجع ، أو أنه لم يوقع عليه أصلا . اذ أنه فى الحالتين كان على منتقديه أن يرحبوا بتراجعه أو بنفيه . ويبدو أن هذا ما فعله محمود درويش . غير أن معين بسيسو أرادها حربا بينه وبين سميح . فاذا به ينشر رسالة مفتوحة فى صحيفة لبنانية ويعنونها بالعنوان التالى :

« الى الجاويش الاسرائيلى السابق — سميح القاسم » .

والواقع أن هذه الرسالة استفزت القارىء بشكل صارخ ، مما دفع بعدد من الكتاب ، الفلسطينيين وغير الفلسطينيين ، الى الرد عليها ، ومحاولة وضع المسألة فى حجمها الحقيقى ، بعيدا عن التجريح والتشهير برموز المقاومة الفلسطينية وطلائعها المثقفة . واعترف أن رسالة معين بسيسو استفزتنى شخصيا ودفعتنى الى الاسراع بكتابة هذه الكلمة محاولا تحديد عدة نقاط :

اولا : أن الحرب الدائرة بين الشعراء الفلسطينيين لا تخدم أحدا . وتجريح كل منهم للاخر هو اساءة للمقاومة الفلسطينية كلها .



ثانيا : أنه اذا كنا نشترك جميعا في شجب ذلك البيان الخطير ، واذا كنا نشارك محمود درويش في قوله : «نحن لا نريد الا أن نأمل أن تواقيع شعراء المقاومة على بيان الدفاع عن السياسة الاسرائيلية كانت عملية ابتزاز ، وننتظر تراجعهم عن هذا الخطأ — الخطيئة ، الذى لا يبرره طموحهم الى العمل المشترك مع بعض أنصار السلام الاسرائيليين ».

ثالثا ، وبعد أن نفى سميح القاسم بالفعل مسئوليته عن ذلك البيان وأعلن نفيه « ثلاث مرات » ، فقد كان يجب علينا جميعا أن نرحب بهذا النفى [أو حتى التراجع] وأن نعلن على الملأ هذا النفى ونعممه بمقدار ما نستطيع ، وذلك خدمة للقضية وعزلا لكل المتاجرين والمتاهبين لاية فرصة لتسميم الفكر الفلسطينى والعبث بالضمير الفلسطينى من خلال اشعال نار الحرب بين رموزه المثقفة .

ثالثا : ان معين بسيسو ، بدلا من أن يرحب بنفى سميح ويعلن عن ارتياحه لذلك ، وصف ذلك النفى بأنه تنصل فاضح .

رابعا : ان معين بسيسو استغل رده على رسالة سميح كفرصة للتجريح والتشهير . وعمل على ترويج واقعة أن سميح رضخ للتجنيد الاجبارى فى الجيش الاسرائيلى وعمل ممرضا فى مستشفياته العسكرية ، وصور سميح القاسم امام القارىء العربى بأنه كان « يحمل جرادل بول الجنود الاسرائيليين المرضى » .

وقال « حينما كتب سميح القاسم رسالته ضدى وضد محمود درويش ، كان حبره هو بول ذلك الجندى الاسرائيلى»

ومعين بسيسو هنا يتجاهل عن عمد ويخفى عن القارىء حقيقة يعلمها هو جيدا . وهى أن سميح ينتمى لطائفة الدروز ، التى فرض عليها الاحتلال الاسرائيلى — كجزء من مؤامرة التفريق بين الطوائف العربية — أن تخضع للتجنيد الاجبارى فى جيش الاحتلال . ومعين بسيسو يتجاهل عن عمد ويخفى عن القارىء أيضا أن سميح القاسم ، وغيره كثيرون ، لم يرضخ لهذا الامر وكأنسه فعل القضاء الذى لا راد له » وانما كان يطبع المناشير ويوزعها ضد تجنيد شباب الدروز بل انه ، وهذا أيضا تعمد معين بسيسو اخفاءه ، قاتل ضد تجنيده بالكلمة وبالفعل ، ووصل به الامر حد حز شرايين يديه فى محاولة منه لارغام سلطات الاحتلال على اعفائه من قضاء التجنيد الاجبارى ولم يكن ممكنا له أمام كل ضغوط المحتلين الا أن يستبدل ذلك العمل كممرض فى مستشفى اسرائيلى .

ومن هنا ، فان ما يلوح به معين من أنه كان يستطيع نشر صورة سميح بالزى العسكرى الاسرائيلى ، مجرد محاولة للتشهير الشخصى وليس خدمة لاية قضية .

خامسا : يقول معين فى رسالته المفتوحة :

« معذرة للقراء ، فحينما كان سميح القاسم يقوم بأعمال الدورية ، كمجند برتبة جاويش فى جيش الدفاع الاسرائيلى وبرنامج التدريب للمجندين الاسرائيليين يقضى بأن يقوموا بجولات استطلاعية على الحدود المصرية — السورية — اللبنانية ، فمن الان يستطيع أن يقدم الضمان أن سميح القاسم لم يطلق رصاصة بندقيته ضد دورية استطلاع مصرية أو سورية أو فلسطينيه ؟ »

وليس بوسعى أن أصف كلمات معين هذه الا بأنها سيف صدىء يحاول أن يطيح رأس سميح القاسم من خلال اتهامه بالخيانة السافرة للعرب جميعا .. حفظ الله « للشاعر » معين بسيسو هذا الخيال !

واخيرا ،

ليست هذه الكلمة دفاعا مطلقا عن سميح ، فقد يخطىء كما يخطىء كل منا ، وكما يخطىء منتقدوه أنفسهم .

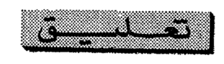
ولقد أثلج صدرى كل ما كتب شجبا للبيان الذى قيل انه وقعه ، وأثلج صدرى كذلك أنه نفى مسئوليته عنه وأعلن استنكاره الواضح له . ولكن عندما أصبح ذلك منفذا اصطناعيا لتحطيم الرجل ، وفرصة لتصيد الاخطاء والخطايا وعندما انزلقت بعض الردود عليه الى هذا المستوى الشخصى المتدهور ، ناسخة بجرة قلم كل تاريخه النضالى الطويل من خلال الشعر والعمل السياسى المنظم ، فقد أصبح الموضوع يستحق أن يعود الى حجمه الطبيعى .

وهذه الكلمة من جانبى ، هى محاولة لتوضيح حقائق تعمد معين بسيسو اخفاءها عن القراء ، فاذا كان للمواطن العربى أن يرى الصورة ، فليرها كاملة ومن جميع زواياها .

مريد البرغوثى — شاعر فلسطينى


محمود درويش


معين بسيسو



● جاءتنا الرسالة التالية فى بريد « ملحق الادب والفن » ، ننشرها كما هى ، ايمانا بحق صاحبها فى التعبير

رؤية سياسية للعصفور

فى تاريخ الشعوب أشياء فنية تقام تطرح انعكاس واقع هذه الشعوب من خلال رؤية يراها الفنانون الذين يفرخهم هذا الواقع ·· ومعروف ان الفن بمعناه الشامل يعكس الفئة المسيطرة طبقيا على واقع هذا المجتمع وهذا الشعب الذى يعيش الذى يخدم هذه الفئة فى النهاية أو بمعنى أدق هذه الطبقة ضد بقية الطبقات الاخرى· فالفن لا ينفصل عن الطبقة بل يعكس رؤيتها للناس من محاولات تضليلهم ودخولهم فى غياهب الجب الفكرى والميتافيزيقيا الفنية وواقع زوزو — فى الصيف لازم نحب — بمبة كشر وغيرها من افلام الابتذال والاستهتار بعقول الجماهير والضحك عليهم وابتزاز أموالهم القليلة ليدخل للتمتع بأجسام تعرض على الشاشة ووسط هذا الجو الملىء بالبعد عن واقع الجماهير الكادحة يجىء العصفور كفيلم وكفن من أهم الفنون الدعائية التى تؤثر فى الناس — السينما — وكعمل درامى يطرح قضية للنقاش ورؤية سياسية تعكس واقع الشعب المصرى فى فترة تاريخية من اكثر فترات حياته وأعمقها تاريخيا ·· وأن لطفى الخولى ويوسف شاهين عندما يطرحان هذه الرؤية على الشاشة فان السؤال الذى يتبادر الى الذهن ما هو الفرق بين عمل سينمائى يشترك فيه نجيب محفوظ وحسن الامام وعمل آخر ليوسف شاهين ولطفى الخولى ! الفرق أن المشاهد يرى فى الاول عملا دراميا مكتملا مهما كان يطرح من الاستغلال السىء للقصة نفسها ··

أما الرؤية التى يطرحها لطفى الخولى ويوسف شاهين فانها تطرح أبعادا مختلفة رغم اعتبارها عملا دراميا شبه مكتمل وان النسبية بين الاكتمال هنا أو هناك تحددها عدة أشياء للمشاهد نفسه ··

القضية التى يتناولها العصفور أو الرؤية بمعنى أدق هى مصر وتبسيط تعقيد هذه الرؤية هى مهمة من طرحوها ولا تكون هذه الرؤية للضحك على الناس او لتفريغ شحنة من الانفعال يترك بعدها المشاهد الصالة وكأن شيئا لم يكن انها تحصيل حاصل ، رؤية لفترة مضت يراها المشاهد على شريط سينمائى متقطع بل ومحذوف منه ٩ ك و ٣٨ مشهدا ويا للعجب لقبول أصحاب الرؤيا ان تعرض هذه الرؤية بمثل هذا الشكل المهترىء والذى يكون ضحيته فى النهاية هو المشاهد [التى لا تفرق الضحية هنا بين ابتذال افلام الجنس وتشويه أفلام الواقع] .



لطفى الخولى

ان عرض الرؤية لفئات الشعب من البرجوازية الكبيرة والصغيرة وشخصيات غير محددة ادعاء على مصر ورؤية من خلال رجل برجوازى يطرحها من خلال أناس برجوازيين فى الواقع المصرى لا ينتمون لهذا الواقع بصلة . فمن الملاحظ أن لطفى الخولى متأثر تأثيرا شديدا بنضال الصالونات والمقاهى [ريش والفيشاوى] والنضال بالمعنى [المرحرح] . أن شخصيات الرؤية

[صحفى — ضابط — امرأة مصريــةبسيطة — سكيرـسفتاة مصريةانجليزية]
فى معسكر ، والمعسكر الاخر هملصوص هده الجماهير الكادحة كما يقول الصحفى
[اللصوص الكبار] البرجوازية الكبيرةمتمثلة فى [اللواء — فؤاد بيه — وممثل
المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى] هذان المعسكران المتضادان المعســكر
المتعاطف برؤية اصلاحية مع الجماهيروالمعسكر الاخر المتماسك والمتشــابك
المصالح من رأس مالى الى بوليس الىعميل سياسى •• هذه الاصــلاحية هى
رؤية البرجوازى الصــغير كما يطرحهالطفى الخولى تجاه قضايا اســاسية
قضايا الكادحين ومن هنا يطرح الفيـلمبالكامل رؤية سياسية اصلاحية للقطاع
العام وانه أمل الكادحين مع أن هناكواعتقد أن من كتب الرؤيا يدرك تلك
جيدا أناسا من الرأسماليين يحرصــونكامل الحرص على بقاء القطاع العــام
كشعار ••

وان النظرة التقدمية لشيخ متمرد على اســلوب حياته فنزاه يمارس الجنس
ويتلقى تعاليم الازهر •• تناقض غريبيحاول الكاتب أن يظهره بشكل طبيعى••
ان الفروق الطبقية التى يحاول المخرجأن يظهرها بين حجرة الشــيخ احمــد
والصحفى يوسف مع انهم يعيشون فىبيت واحد ويلتقون على قضية واحدة
بل ويناقشونها وكأنه يعزل بشــــكلواضح بين طبيعة الحياة البشرية وبين
من يحملون قضية ويدافعون عنها ••
ان الرؤية الحقيقية الملتزمة والغيــرمدعية بمصالح الجماهير وبالاشــتراكية
ان كانت تطــرح الاشـــتراكية كمنهجللجماهير اشتراكية غير مشوشةوليست
اصلاحية « بين البنين » •

ان قضية الشعب ومن يسرقونه التىيوضحها الفيلم قضية التضليل الفكرى
والارهاب البوليسى ويساندهم تنظيمهم السياسى هى فى النهاية عناصر الدولة
البرجوازية ضد جماهير الكادحين •

وان ترك يوسف شاهين للطفىالخولىبعد واثناء الخطاب ليتحـرك بالكاميرا
ليوضح واقع وآلام الجماهير هى اكثرالصور تجسيدا حيا للشــعب المصرى
ولم يخضع هنا المصور الجيد مصطفىامام لاى قاعدة جمالية سوى الجمال
فى تصوير الخراب الذى حل بالبــلاد على أيدى سارقيها • وأستطيع أن أقول
أن البعد السياسى للعصفور كان متمثلا فى عدة نقاط أولها أن هناك معسكرين
فى الدولة البرجوازية •• جماهيــــر الكادحين والرأسماليين ومستغليهم •

ثانيهــا الكبت والتضــليل والارهاب الفكرى والبوليسى الــذى يمارس على
الناس • ثالثها وهو الرد الطبيعى على ثانيها بشكل عفوى والذى جعل احساس
المشاهد الجالس فى الصالة الواحد من هؤلاء الذين خرجوا ليقولوا [حنحارب
— نموت وتحيا مصر] يبكى وان الرد العفوى على الكبت والارهاب والتضليل
من الجماهير كان طبيعيا ان يتراجع أمامه [لواء البوليس — والرأسماليين] وان
الخروج الذى صوره مصطفى امام بشكل محترم وجيد للغاية لم يكن من أجل
عبد الناصر ولكنه كان تعبيرا ســاميا من الجماهير لرفض الهزيمة ومن صنعوها
بعزلهم للجماهير عــن كافة القضــايا السياسية فى البلاد ••
بقيت عدة استفسارات وعلىأصحاب الرؤية أن يجيبوا عليها ••
لماذا كان العصــفور مرفوضــا قبل ذلك ؟ !
وما هو الهدف من عرضه الان ؟ !

ولماذا قبل أصحاب الرؤية الاصلاحية عرضه بهذا الشكل المشوه ؟ !
وهل هذه تعنى المبـدئية بل وهــل هذه تعنى ثورية السينما او الســينما
الثورية أم ان هناك انفصاما فىشخصيةمن يصنعون الفيلم وبين واقعهم والذى
يجعلهم حتميا وبالضرورة فى صــفوفضد الجماهير وفى صــفوف تضــليلها
وتشويهها والضحك عليها ليس بالجنس ولكن باستقراء واقعها بشكل انتهازى••
انها تتحول فى النهاية الى ســينماتجارية وليست كما تدعون ســينما
ثورية ! •

اسامه خليل


يوسف شاهين



فطين عبدالوهاب
(١٩١٣ - ١٩٧٢)

تخرج ضابطا من الكلية الحربية ١٩٣٩ ولكنه احترف الاخراج ، واستقال من الجيش ١٩٥٤ . بدأ حياته الفنية مساعدا شقيق المخرج حسن عبد الوهاب ، والممثل سرج منير ، تزوج المطربة ليلى مراد نجمة الاربعينات ، وأنجب منها ولدا واحدا : ثم طلقها : وتزوج ثانية فى السنوات الاخيرة من حياته .

افلامه القصيرة : مشروعات الثورة ٤٧ - الذرة ٦٠ - توت عنخ آمون ٦٣ البنات والصيف [جزء من فيلم] ٦٠-٣ لصوص [جزء من فيلم] ٦٦ .

افلامه الطويلة : نادية ٤٩ - جوز الاربعة ٥٠ - بيت الاشباح ٥١ - الاستاذة فاطمة ٥٢ - عبيد المال ٥٢ - كلمة الحق ٥٣ - حكم قراقوش ٥٣ - الانسة حنفى ٥٤ - نهارك سعيد ، اسماعيل يس فى الجيش ٥٥ - وهبتك حياتى [مع زهير بكير] ، الغريب [مع كمال الشيخ] ، اسماعيل يس فى البوليس ٥٦ - نساء فى حياتى ، طاهرة ، اسماعيل يس فى الاسطول ٥٧ - امسك حرامى ، ساحر النساء ، اسماعيل يس بوليس حربى ، الاخ الكبير ٥٨ - العتبة الخضراء ، اسماعيل يس فى الطيران ٥٩ - حايجنونى ، حلاق السيدات ، الفانوس السحرى ، اشاعة حب ، وعاد الحب ٦٠ - الضوء الخافت ٦١ - الزوجة رقم ١٣ ، الفرسان الثلاثة ، آه من حواء ٦٢ - عائلة زيزى ، عروس النيل ، صاحب الجلالة ٦٣ - أنا وهو وهى ، اعترافات زوج ، العائلة الكريمة ٦٤ - المدير الفنى ، طريق الفردوس ٦٥ - مراتى مديرعام ، تفاحة آدم ، ٦٦ - عندما نحب ، كرامة زوجتى ، ٦٧ - عفريت مراتى ، ارض النفاق ٦٨ - ٧ أيام فى الجنة ، نص ساعة جواز ، أكاذيب حواء ٦٩ - حياتى ، فرقة المرح ٧٠ - خطيب ماما ، رحلة لذيذة ، فندق السعادة [فى لبنان] ٧١ - اضواء المدينة ٧٢ .

تقييم نقدى :

بدأ تميز كوميديات فطين عبد الوهاب عن الكوميديات السائدة فى «حكم قراقوش» ٥٣ الذى سخر فيه من الملكية الراحلة بعد قيام ثورة ٥٢ باقل من عام واحد وتدمرت الكوميديا عند فطين عبدالوهاب بمرحلتين: المرحلة الاولى فى الخمسينات حيث اخرج مسلسلة من الافلام للممثل الكوميدى الاشهر اسماعيل يس وعددها ٥ أفلام من « اسماعيل يس فى الجيش» ٥٥ الى « اسماعيل يس فى الطيران » ٥٩ مرورا به فى البوليس والاسطول والبوليس الحربى ، وفيهما انعكس مفهوم اسماعيل يس للكوميديا ، وهو يخلو من المضمون الاجتماعى ، كما انعكست تجربة فطين عبد الوهاب فى الجيش الذى كان قد استقال منه لتوه . والمرحلة الثانية فى الستينات حيث تحرر من اسماعيل ياسين ، وعبر عن مفهومه الاجتماعى الناضج للكوميديا ، ومن الاعمال الادبية الاوربية أخرج فطين عبد الوهاب مع كمال الشيخ رواية أميل برونتى مرتفعات وذرنج فى «الغريب» ٥٦ ، ومسرحية شكسبير ترويض النمره فى « آه من حواء » غير أنه فى الفيلم الثانى كان أقرب الى عالم الكوميديا الذى عشقه ويعتبر هذا الفيلم من أفضل الافلام المصرة عن الادب الاوروبى فى السينما المصرية .

كمال الشيخ (١٩١٩)

لم يستكمل تعليمه العالى . التحق بقسم المونتاج فى ستديو مصر ١٩٣٩ وبدأ العمل كونتير ١٩٤٣ . تزوج من المونتيرية أميره فايد وانجب ولدا تخرج من كلية الهندسة ، وبنتا تخرجت من كلية الاداب . له دور بارز فى لجان تطوير السينما ، وقد شارك فى عدة لجان تحكيم قومية ودولية .

افلامه القصيرة : سادة المعارك ٥٣ معاهدة الجلاء ٥٤ - هذه سوريا ٥٨ - ٣ لصوص [جزء من فيلم] ٦٦ - حوار ٧٢ .

افلامه الطويلة : المنزل رقم ١٣ - ٥٢ - مؤامرة ٥٣ - حياة أو موت ٥٤ حب ودموع ٥٥ - الغريب [مع فطين عبد الوهاب] ، حب واعدام ٥٦ - أرض السلام ، أرض الاحلام ، تجار الموت ، ٥٧ - الملاك الصغير ، سيدة القصر ، ٥٨ - من أجل امرأة ، قلب يحترق ، من أجل حبى ٥٩ - ملاك وشيطان ، حبى الوحيد ٦٠ لن اعترف ٦١ - اللص والكلاب ٦٢ - الشيطان الصغير ، الليلة الاخيرة ٦٣ - الخائنة ٦٥ - المخربون ٦٧ الرجل الذى فقد ظله ٦٨ - غروب الشمس ٧٠ - شئ فى صدرى ٧١ .

تقييم نقـدى :

والاحرى بنا أن نقول أن كمال الشيخ ينتمى الى ذلك الاتجاه الذى يحاول اضافة البعد الاجتماعى الى ما يسمى بالافلام البوليسية فى اطار التقسيم التجارى للافلام الى « أنواع » كان « المنزل رقم ١٣ » ٥٢ هو البداية ، وكذلك فيلمه الثانى « مؤامرة » ٥٣ الذى قام فيه ببعض التجارب الشكلية فى الاضاءة والمونتاج ، ولكن أهم أفلام كمال الشيخ فى الخمسينات هو بلا شك « حياة أو موت » ٥٤ الذى كان أول فيلم مصرى يصور باكمله فى شوارع القاهرة متأثرا فى ذلك بالواقعية الجديدة فى ايطاليا ، ولكن دون الموقف الاجتماعى النقدى والذى تميزت به .

وقد حاول كمال الشيخ أن يعالج قضية فلسطين فى « أرض السلام » ٥٧ ولكنه تناول موضوعا سياسيا دون أن يعالجه معالجة سياسية ، كما حاول عدة مرات أن يضيف البعد الاجتماعى الى أفلامه « البوليسية » وخاصة فى ... تجار الموت ، ولكنه لم يوفق فى ذلك قدر توفيقه فى أفلامه « الاجتماعية » .

ويمكن من ناحية أخرى أن نعتبر الستينات بداية مرحلة جديدة فى أفلام كمال الشيخ اعتمد فيها لاول مرة على الاعمال الادبية . أما فى تيلمية عن روايتى نجيب محفوظ « اللص والكلاب » ٦٢ و «ميرامار » ٦٩ فقد كان فى الاول مخرج الافلام البوليسية » بقدر ما كان فى الثانى مخرج الافلام « الاجتماعية » ولكن من موقع فكرى مختلف لاتكاد تربطه بالرواية الاصلية علاقة ما . وفى « شئ فى صدرى » ٧١ عن رواية احسان عبد القدوس عاد الى مفاسد الماضى قبل ثورة ٥٢ من خلال أزمة ضمير رأسمالى وكان الفيلم على الرغم من براعته الحرفية اجترارا لنفس المعالجة التى قدمتها السينما التجارية للواقع قبل الثورة .

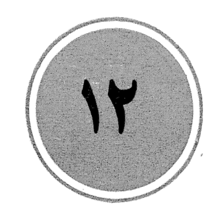


الثمن ١٠ قروش

السنة العاشرة
ديسمبر ١٩٧٤

عدد خاص

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

« الطليعة » تفتح مع توفيق الحكيم « ملف التجربة »

[رسالتان متبادلتان بين توفيق الحكيم ولطفى الخولى]

الغلاء : الأسباب الداخلية والأسباب الخارجية

الرأى .. والرأى الآخر

- نظام المدعى العام الاشتراكى .. هل يتفق وسيادة القانون ؟
- ماركسيون .. ولكن مسلمون !
- رسالة مفتوحة الى رئيس الوزراء
- صحافة مصر .. فى حاجة الى ثورة ثقافية

وثائق : اليسار المصرى وقضية فلسطين

□ ملحق الفلسفة والعلم

الكاتب

□ ملحق الادب والفن

أزمة الثقافة فى مصر



مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحرير :

لطفى الخـــولى

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفـــاعل الاراء الحرة على اختلافهـــا هـــو وحـــده الذى يستطيع ان يبـــلور ويستخلص وحدة فـــكرية اصيلة .

من هـــذا المفهـــوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنـــة بشـــعار الحرية المجيـــد الذى اطلقه مولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معـــك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..



عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام — شارع الجـــلاء القـــاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠م٠ع — دول اتحاد البريد العربى ودول الـبدار البيضاء ١٢٠ قرشـــا

الفهـــرس

العـــدد الثـــانى عشر — السنة العاشره — ديسمبر ١٩٧٤

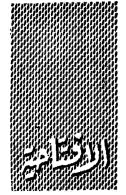
د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

كلمة من «الطليعة»

عندما يصدر هذا العدد تكون « الطليعة » قد اتمت عشر سنوات منذ صدور أول اعدادها في يناير ١٩٦٥ . وقد عقدت اسرة تحرير « الطليعة » عددا من الاجتماعات تناقش فيها الطليعة وما كانت عليه خلال هذه السنوات العشر ، وما ستكون عليه عام ١٩٧٥ .

ورأت اسرة تحرير الطليعة انه يجب ان تقدم ابتداء من عدد يناير ١٩٧٤ نقدا للعدد الاول من حياتها - بقلم أعضاء هيئة تحريرها ، وباقلام اصدقائها وكتابها . وتأمل «الطليعة» أن تستمر في تأدية رسالتها ، وان تحسن من عملها وتعالج النقائض التي تمسها او تعاني منها ، وأن تكثف من جهودها - أهدافها - لمصلحة اوسع الجماهير الشعبية ، نضالا ضد الاستعمار القديم والحديث وضد الصهيونية وعدوانها ومن أجل الديمقراطية والتقدم ونشر الفكر الاشتراكي العالمي نظرية وتطبيقا .

« الطليعة »



«الطليعة» تفتح مع توفيق الحكيم

ملف التجـــربة

لم يكن توفيق الحكيم بالنسبة لمصر مجرد كاتب كبير ، ولم يكن كذلك بالنسبة لليسار المصرى .

واليسار وهو يضع على كاهله عبء الدفاع عن كل ما هو مخلص وشريف في أرض هذا الوطن ، ظل وعلى الدوام يعتبر توفيق الحكيم واحدا من اهم الطلائع المستنيرة فى سماء هذا الوطن .

ومن موقع الاحساس بالمسئولية ، ومن موقع الحرص على كل القوى الوطنية والتقدمية ، ومن موقع الايمان العميق بضرورة توحيد كل هذه القوى فقد حرصت أسرة « الطليعة » ، وحرص توفيق الحكيم على عدم اتاحة الفرصة أمام اليمين المتخلف كى يسعى لتفريق صفوف القوى الوطنية والتقدمية . ومن ثم فقد توجهت أسرة الطليعة فى حوار متصل مع توفيق الحكيم أثمر تبادلا لرسالتين ستكونان بداية لحوار جديد . وقد حرصت الرسالتان على أن تحددا معالمه الاساسية . ونحن نثق أن هذا الحوار لن يكون مجرد نقاش أو جدل بين مجلة وأديب ، لكنه سيكون قطعة من النبض الحى الدافق دوما لهذا الوطن والذى ظل توفيق الحكيم جزءا عزيزا منه .

وايمانا من أسرة « الطليعة » باهمية الحوار مع توفيق الحكيم كرمز أو كبداية لحوار مثمر متصل بين كل الفصائل الوطنية والتقدمية فانهـا تستضيف هاتين الرسالتين على الصفحات المخصصة لافتتاحيتها ..

والحوار المنتظر مـع توفيق الحكيم هــو بداية لفتح ملف التجربة ، وبداية لحوار يشمل كل القوى الوطنية والتقدمية فى هذا الوطن ..

ومع رسالته الى « الطليعة » ، ارفق توفيق الحكيم ، مقالا بعنوان « اشتراكيتى » ننشره أيضا باعتباره تحـديدا لملامح موقعه الفـكرى والاجتماعى منذ الثلاثينيات من هذا القرن .

١

رسالة لطفي الخولى

الى

توفيق الحكيم

استاذنا الجليل توفيق الحكيم

تحية طيبة وبعد .

يدفعنى الى كتابة هذه الرسالة عوامل كثيرة ومتداخلة . لا أشك فى انك وقفت عليها وتلمست نوعيتها خلال المناقشات ـ الحلوة المرة ـ التى دارت بيننا ، سواء فى مكتبك أم فى بيوت بعض الاصدقاء والزملاء .

ولقد داخلنى الاحساس ، اننا ـ انت وانا ـ رغم ما هناك من اختلاف فى منهج الرؤية وسنى العمر ، اقرب الى بعضنا البعض فى الاتجاه والموقف ، من تربك الى أولئك الذين يحلو لهم ، من وقت لاخر، وضع « بريهك » على رءوسهم والاتكاء على « عصاتك » . ثم يقولون فى الاشتراكية واليسار وعبد الناصر والتجربة ، ما قاله مالك فى الخمر ..

ومع ذلك فما زلت محتاجا الى اختبار حقيقة هذا الاحساس وصدقه ، خارج الذات .

ان كل المناقشات التى دارت بيننا ، حتى اليوم ، اتسمت بالعفوية والارتجال غير المنظم . واحيانا مرت مرورا عابرا بأسئلة وقضايا هامة وحيوية . وكثيرا ما انقطع خيط المناقشة نتيجة تدخلات « الغير » من الاصدقاء وغير الاصدقاء ، اكثر من مرة . فلم اتمكن من تحديد دقيق لابعاد الرأى أو الموقف الذى تتبنونه وتدعون اليه . باختصار ، لم نصل ـ رغم حرص كل منا ـ الى نتيجة محددة بعد ، عن نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف حول المسألة المركزية فى كل القضايا : الى أين تتجه مصر بعد حرب اكتوبر ؟

استاذنا الحكيم

لعل فى مقدمة ما تعلمناه عنك ، أن الحوار بين الافكار ، يجب أن يحفر عميقا ، حتى يلتقى بالجذور ، لنتفهم بعد ذلك هوية التفريعات المختلفة ومناحى مساراتها .



وأظنني لست في حاجة الى أن أؤكدلك – بادىء ذي بدء – أن توفيق الحكيم « الانسان والفنان والمفكر » كان ولا يزال ، هو « حكيمنا » ، الذى أنار لنا منذ أن شرعنا نفك طلاسم اللغة ، طريقنا الى معانقة الواقع واخضابه والتعامل مع تناقضاته ، بهدف تغييره لصالح الانسان .

ومذ طرقت بروحك وفكرك وفنك أبواب وجداناتنا وعقولنا ، كنت « كالمتنبى » عندما نزل بمصر ، فملأ الدنيا وشغل الناس .

« بعودة الروح » ملأت دنيانا . و « بعودة الوعى » شغلت الناس ، وبين عودة الروح وعودة الوعى تاريخ متصل الحلقات ، غنى بالمواقف والابداع ، لا يستطيع المرء أن يجتزىء منه حقبة أوموقفا أو عملا ابداعيا واحدا ، ويدعى بأمانة موضوعية أن هذا هو توفيق الحكيم .

فى مفهومنا ، نحن الاشتراكيين المصريين ، أن توفيق الحكيم « ظاهرة اجتماعية تاريخية » ، الانسان المبدع فيهاهو « بطلها » الذى يخوض صراعا دائما ومتجددا مع واقعه وعصره . وأن هذاالصراع يتخذ مواقف متعددة ، تتراوح بين الثورة والتمرد والنقد الاصلاحى واحيانا المساومة التكتيكية وغير التكتيكية . و « بطل » الظاهرة ، يجسد هذا كله فىصور فنية من أعمال مسرحية وروائية ومسروائية وانطباعات .الخ ..

وبالتالى فاذا كان « توفيق الحكيم » ليس هو « عودة الروح » فقط . فهو أيضا ليس « عودة الوعى » وحسب . والا فأين يذهب عصفور من الشرق ، والسلطان الحائر ، وطالع الشجرة ، ونائب الارياف ... وذلك المفكر الذى جلس ذات ليلة من عام ١٩٣٧ « تحت شمس الفكر » يكتب بشجاعة : « أن الشعب اليوم قد تغير فى نظرى ، وأن عقليته قد تكونت واصبحت له رغبات حيوية تمس صميم غذائه اليومى وحياته المادية .. انه يطالب اليوم أن يعيش . لا معنويا فقط كما كنا ننادى بالأمس . ولكن ماديا أيضا ، عن طريق اللقمة المتوافرة للملايين من المحرومين ...»

على انه ينبغى لنا مع ذلك أن نتساءل : الى متى نظل فى مصر ، ونحن نملك فيها نظاما ديمقراطيا ، نعتقد أن اصلاح شئون الطبقة الفقيرة ، معناه التصدق والاحسان ؟ والى متى ، ونحن لدينا برلمان ، لا نجد فيه ممثلين لملايين الطبقات الفقيرة ، يدافعون عما تراه هذه الطبقات منهضا لها مصلحا لحالها .. » .

استاذنا ..

والحديث ذو شجون . اليست « **عصا الحكيم** » التى رفعتها فى عام ١٩٤٧ فى وجه برجوازية الحرب المصرية الشرهة المستغلة ، هى نفس العصا التى تدب بها اليوم على أرض الواقع المعاصر . قلت يومها : « .. أن مصر تحولت فى السنوات العشرين الماضية تحولا اقتصاديا ملحوظا، كان من نتيجته اثراء طبقة من الناس اثراء سريعا أدى الى نشر مثل عليا جديدة فى المجتمع .. أو على الاصح مثل ليست عليا ، لانها بذرت فى النفوس بذور المادية والوصولية والاستهتار .. » .

لو أنك رفعت العصا اليوم فى نهاية ١٩٧٤ فى وجه البرجوازية الجديدة المتجمدة على قيم البرجوازية القديمة ، لرجمك بالحجارة واتهمك بالالحاد واستيراد الافكار ، أولئك الذين يذرفون ، اليوم ، دموع التماسيح وهم يقرأون ، من السطح ، كتاب عودة الوعى .

ماعلينا ..

ان « توفيق الحكيم » ــ فى مفهومنا أيضا ــ ليس كلماته على الورق ، منفصلا عن حركته فى المجتمع خلال مراحل تطوره المختلفة .

« **الشيخ** » توفيق الحكيم فى سجن العمر ، وجه لذات الانسان الذى يطالعنا بوجه « **الشاب** » توفيق الحكيم ، وهو يتأجج حماسا لحركة الشباب فى السبعينيات ضد الهزيمة وعفنها ، يحاورها ويستلهم منها ويخصبها .

وتوفيق الحكيم الذى يدين ، بنفسه ، صمته وغياب وعيه فى « عودة الوعى » ، هو نوع من « البورتريه الساخر » لصورة أخرى لتوفيق الحكيم ، أعرفها عن قرب ، عندما ضاق بالقيود على حرية التعبير فى عام ١٩٧٠ فكتب رسالة شخصية صادقة وشجاعة الى جمال عبد الناصر .

باختصار .. توفيق الحكيم هو « **كل** » توفيق الحكيم . وقيمته الموضوعية تستمد من الطابع العام للظاهرة الاجتماعية التاريخية . وهو طابع وطنى تقدمى . مستقبلى النظرة . عدو للتخلف والجهالة والظلمة والقيود . ولعلنى لا أغامر اذا قلت أنه ليس بينه وبين اليمين الغبى الفة أو عمار .

لماذا أكتب لك هذا كله ؟

لأكثر من سبب . لكن لعل أهم هذه الاسباب ، هو التصدى لتلك التيارات التى تنصبك ــ رغما عنك فيما اعتقد ــ قيادة لها فى حربها الشرسة الضروس ضد التقدم والحرية والانسان فى بلادنا . ومن هنا كانت محاولتى لتحديد « موقعك » بالنسبة لواقعنا على خريطة مجتمعنا المعاصر . وبيان أن الارضية العامة الواسعة ، التى بذلت طوال نصف قرن ، الجهد فى حرثها وزرعها بقيم سيادة الانسان على مصيره ــ وذلك من خلال ابداعه الفكرى ونضاله العملى ، معرفته العقلية ووعيه الوجدانى ــ هى ذات الارضية التى نواصل ، بكل العزم والتضحية والامل ، الحرث والزرع فيها .

لماذا الحرص على تحديد المواقع اليوم ؟
أصدقك القول وأجيب : لامرين اثنين :
الامر الاول : هـو ان اليمين المتخلف الذى طفح على جلد الأمة ، بجهله النشيط ورعونته العمياء ، يحاول اليوم أن يصنع من كتابك « عودة الوعى » وما تضمنه من انطباعات سريعة ورؤية ذاتية لبعض السلبيات فى تجربة العشرين عاما الماضية مدفعا ثقيل العيار ضد حركة التقدم .
الامر الثانى : هـو رسالتك المفعمة بالصدق والاخلاص التى وجهتها على صفحات « روز اليوسف » الى اليسار المصرى وذلك من منطلق أنه « أيا كانت مثالياتى ، اعتبر نفسى من المسئولين عن الاشتراكية المصرية » .
فى هذه الرسالة أثرت العديد من النقاط الهامة ، حول موقف اليسار من الناصرية وعن أن خوفه من استثمار الرجعية لنقد انجازات عبد الناصر يكاد يوقعه فى موقف رجعى ، فضلا عن قضايا التكتيك والاستراتيجية والموقف التبريرى لليسار الخ ...

أستاذنا الحكيم

أنت اذن ، فى هذه الرسالة ، تحدد موقعك بوضوح داخل نفس الارضية التى ترتكز عليها مواقعنا .
وليس هناك — عندك أو عندنا — تجربة مقدسة أو شخص مقدس . وليس هناك أيضا — عندك أو عندنا — هدف الا مواصلة حركة التقدم ، ماديا وروحيا ، لجماهير شعبنا ، نحو اشتراكية حقيقية .
اذن لماذا لا نتحاور — يا سيدى — حوارا جادا منظما ومسئولا ، بهدف الوصول الى تشخيص موضوعى للتجربة والواقع بهدف فرز الايجابيات عن السلبيات ، واستشراف طريق المستقبل : معطياته ، احتمالاته ، مخاطره ، ضماناته .
لقد طالبت ، أنت شخصيا ، أكثر من مرة بفتح ملف التجربة جماعيا وبحرية .
وقد هالك أن يتخذ كتيب « عودة الوعى » قميص عثمان بين المتصارعين . بعضهم يتدثر به ليخفى عوراته . وبعضهم الاخر يتسرع فى خطأ اعتباره الكلمة الاخيرة « لتوفيق الحكيم » تجب كل كلام سبقه أو كلام يلحقه .
وأنت على حق فى طلبك .
ولقد سمحت لنفسى أن أبحث هذا الامر مع زملائى فى أسرة تحرير الطليعة . وعرضت عليهم مناقشاتى معك . وانه ليسعدنى أن أكتب اليك برغبة الطليعة — التى تعرف تقديرها الكبير لفنك — أن تفتح معك هذا الملف من خلال حوار جماعى منظم ومسئول .
وكلنا أمل أن تستجيب لنا ونتلقى منك كلمة القبول .
واذا كان ردك بالأيجاب ، فاننا نطمع فى أن لا تبخل علينا باقتراح ، أبعاد الاطار ، التى تراها جوهرية لهذا الحوار .
مع عميق التقدير وصادق الحب والاعزاز .

القاهرة فى ١٩٧٤/١١/١٦

لطفى الخولى

٢

رسالة توفيق الحكيم

الى

لطفى الخولى

عزيزى الاستاذ لطفى الخولى

اشكر لك رسالتك المفعمة بالمودة والمصارحة ، كما اشكر لك ولزملائك فى اسرة تحرير الطليعة دعوتكم الى حوار جماعى منظم ومسئول حول تلك القضايا التى ذكرتها فى رسالتك . وهى دعوة تسرنى وتسعدنى .

فالحوار المنظم الخصب ، ضرورى اليوم لتوضيح الرؤية وكشف الطريق . وربما ذهب الحوار الى مناقشة اهم قضية يمكن أن تطرح الساعة للبحث ، وهى « **مستقبل الاشتراكية فى مصر** » . وقد يرتبط بهذا البحث مناقشة وثيقة الصلة به حول : « **وضع اليسار المصرى ونموه وتطوره فى المستقبل** » . وقد تصل بنا الامال الى حد التطلع الى توحيد اليسار المصرى بمختلف اتجاهاته الشاردة وتكتلاته المتباعدة فى « **مؤتمر عام** » يجعل منه قوة فكرية ضخمة تقوم على منهج محدد مدروس ، يستطيع أن يقيم الاشتراكية فى بلادنا على دعائم متينة قادرة على التوجيه العام ، حتى ننتقل بذلك من مرحلة الاشتراكية العلوية ، التى تهبط من يد الحاكم وقراراته ، الى مرحلة الاشتراكية الحقيقية التى تنبعث من الفكر الثورى الحر المستوحى من الشعب ومطالبه .

قد يدهش كثيرون لهذه الاهتمامات من شيخ فى أواخر مراحل العمر .. وقد يتساءلون : ماذا جرى له اليوم ؟ فهم لا يعرفون عنى سوى الفنان ذى البيريه والعصا ، وتلك الصور والحكايات التى يصطنعها الناس عادة للفنانين .. وربما كنت أنت الوحيد بين الاشتراكيين الحقيقيين الذى لن يدهش . لانك أنت نفسك فنان .. ثم أنك أنت أيضا بدأت حياتك فى القانون . وهى سمات وظروف مماثلة لسماتى وظروفى . ومن هنا جاء التقارب بيننا فى الاتجاه والموقف كما تقول .

والحق انه على الرغم من اختلافنافى منهج الرؤية وتباعدنا فى السن ، فانى لم اشعر قط بالغربة معك ، بل كان شعورى دائما أننا نقف معا على أرض واحدة .. ولكن اكثر الاخرين ـ ولهم الحق ـ فى حاجة الى اجابة على سؤالهم المستغرب : ما له ولكل هذا اليوم ؟! من أجل هؤلاء رأيت أن أعود الى كتبى القديمة أبحث عن جذورى المتصلة بالاشتراكية فانا ارفض دائما أن أزرع زرعا فى أرض ليست لى فيها جذور طبيعية ، سواء فى الفن أو فى الفكر أو فى المبادىء أو فى العقائد ... ولقد استخرجت على عجل هذه الصفحات من كتاباتى المنشورة فى الثلاثينيات والاربعينيات مما يمكن أن اسميه « اشـستراكيتى » لترفق برسالتى هذه اليك .

وهى دلالات على ميول واتجاهات لم يفطن اليها كثيرون ، لان أنظارهم كانت متجهة الى صورتى الفنية وحدها . ولان الفن كان هو الميدان الذى كتب على أن أخوض مشكلاته ، وتلقى على كاهلى واجباته . الى ان انتهت مسئولياتى فيه بظهور المواهب التى حملت عنى أعباءه . واقترب عمرى من النهاية ، وأصبحت مجرد مواطن لا يشغله شاغل غير تلك الامال التى يريد أن تتحقق لوطنه . ولقد استبد بى هذا الشاغل الى حد العنف فى السؤال : ماذا كسبنا وماذا خسرنا ؟ حتى نستطيع أن نبصر الطريق الواضح الذى يجب أن نسير فيه الى حسن المصير ...

وها أنت ذا تتيح لنا الفرصة لنبحث كل ذلك .. ونناقش كل ذلك فى اطار الحوار المنظم المسئول ..

وليس عندى من اقتراح فى هذا الصدد غير الدعوة الى اجراء هذا الحوار بين من تختارهم أنت من صفوة المفكرين الاشتراكيين الاحرار ، على أن تنشر محاضر هذا الحوار ، لتكون نواة لمنهج واضح للفكر الاشتراكى الحر فى بلادنا ..

اكرر الشكر لك وللزملاء من أسرة تحرير الطليعة .. وتقبل مودتى ومحبتى وتقديرى .

القاهرة فى ١٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ .

توفيق الحكيم

٣

مقال توفيق الحكيم

المرفق بالرسالة

اشتراكيتي ..

[من واقع كتاباتي المنشورة في الثلاثينيات والاربعينيات]

فى طريق التحرر

لاأمل في اصلاح العالم الا اذا عولج شقاء الملايين فى كل أمة من الأمم . من اجل ذلك لم يستطع حتى الزعماء المروضين [الدكتاتوريين] انفسهم ان يعتمدوا على كلمة « الوطنية » وحدها فى التأثير على الجموع فقرنوها بكلمة «الاشتراكية».

■

لا ريب اذن فى ان الاشتراكية هى جوهر لابد ان يدخل فى تركيب كل نظام سياسى حديث . وكما استطاعت الدكتاتورية اختراع « الوطنية الاشتراكية » فما أيسر على الديموقراطيات انشاء « الديموقراطية الاشتراكية » .

ما اسميه هنا «الديمقراطية الاشتراكية » أن هو الا هذه النظم الاشتراكية التى قامت اليوم داخل اطار الديموقراطية [انجلترا وفرنسا] كما ظهرت من قبل بعض مظاهر تلك النظم داخل اطار الوطنية الدكتاتورية [المانيا النازية وايطاليا الفاشية] .

نحن اليوم اذن امام حرب « الوطنية الاشتراكية » و « الديموقراطية الاشتراكية » .

■

الديموقراطية الاشتراكية هى من غير شك صياغة مقبولة لجوهرين متلائمين . لكن « الديموقراطية » شيء و « الدولية » شيء آخر. ان جوهر « الاشتراكية » السليم لا يمكن أن يقترن الا بفكرة « الدولية » .

اذا كانت كل ثمرات العالم الجديد بعد ابادة الدكتاتوريات هى تعميم « الديموقراطيات الاشتراكية » لكان هذا جميلا . لكنه ليس كل ما يصبو اليه التقدم الانسانى . ذلك ان « الديموقراطية الاشتراكية » ليست هى ايضا اكثر من « نظام داخلى » لكل دولة من الدول . وان كل دولة « ديموقراطية اشتراكية » [المقصود بها هنا وفى ذلك الوقت ١٩٤١ دول مثل فرنسا وانجلترا] تستطيع ان تنشىء لنفسها مطامع استعمارية وسياسة قومية تقوم على السيادة

الخارجية . وبهذا تستأنف الحروب الاقتصادية والدموية بين الدول « الديموقراطية الاشتراكية» بعضها ضد بعض .

كانت فكرتى منذ اعوام ان « الاشتراكيــة » ينبغى ان تأتى من الخارج الى الداخل . اى ان تسود بين الدول قبل ان تقر بين الافراد .

[**ملحوظة** : وهذا ما حدث فعلا بعد نشر هذه الكلمات بسنوات ، اذ تكونت بعدئذ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مجموعةالدول الاشتراكية فى أوروبا الشرقية ...]

الاشتراكية بين الدول فى الانتاج والتــوزيع والقانون والنظام . اذا تم ذلك فقد تم كل شىء تبعا لذلك .

[**ملحوظة** : هذه النظرة التنبؤية قد تحققت أيضا بعدئذ فيما يشبه نظام « الكوميكون » بين الدول الاشتراكية الشرقيةبعد تكوين مجموعتها ..]

[**من كتاب « سلطان الظلام » طبعة ١٩٤١**]

■ ■ ■

لست شيوعيا ولكن

فلاترك هذا الحديث العام ، ولاعرض ما اراه صالحا لبــلادى .. ولا تعنينى الان الاســماء ولا الصفات ولا التعاريف .. ولا افكر الان وانا اتكلم برأسمالية او اشتراكية او شيوعية .. انما انا ابسط ما اتمناه لاهل بلدى مــن اصــــلاح دون تقيد بمبدأ او بمذهب .. فليس اخطر على أمة ناشئة من ان تلبسها مذهب أمة أخرى دون نظر الى طبيعتها وحاجتها وحجمها وذوقهـــا وروحها .

اريد ان تتحقق فى بلادى ثلاثة اشياء :

الاول ــ ان يكون كل ولد يولد ، وكل مواطن يوجد ، ملكا لنفســه وملكا للوطن فى آن .. كما ان الخلية فى الجسم ملك لنفسها وملك للجسم .. فالوطن مسئول عن الصحة الجثمانية والذهنية لكل مولود وموجود . **فالتطبيب بالمجان والتعليم بالمجان** .. ان لم يتحقق هذا فلا قيمة لوجـود الوطن .. كما لا قيمة لوجود الجسم اذا تخلى عن مصائر الخلايا .. كذلك ما يملكه الفرد فى ارض الوطن هو ملك للفرد وملك **للوطن فى آن** .. لان قطعـــة الارض قطعـــة من لحم الوطن فلا يجوز للفرد ان يسىء استغلالها او ان يعجزا باهماله او جهله عن استخراج كنوزها وتعطيل نفعها .. فعلى الوطن ان يقسم ارضه او لحمه **الى مناطق تعاونية** .. يجرى فيها البذر والزرع والحرث والسماد والحصـــاد والدراس بآلات حديثة وخبرة علمية لتنتــج اكثر ما يمــكن من محصول ، هو ثروة للوطن وثروة **للفرد فى آن** ..

الثانى ــ ان تمتد يد الضرائب التصــاعدية بقوة الى رقاص ساعة العيش ، فلا يتطــرف من نهاية الثراء الى نهاية الفقر .. ليهــدأ فى الوضع المقبول الذى **يقارب ويجانس بين ابنــاء الوطن** .. وان يكون لحكومة الوطن رقابة دقيقة على شركات المرافق العــامة كالميــاه والنــور والمواصلات الخ حتى لا يكون لها **غير ربح زهيد لا يبهظ افقر الناس** ... فاذا تولت **الحــكومة ادارتها** مبالغة فى الحرص على مصالح الكافة كان ذلك افضل وأتم . يضاف الى ذلك واجب آخر على حكومة الوطن : توفير السكن الصالح وتدبير **العمل للعاطل وفرض الحد الادنى للاجر** الذى يصون للاجير كرامته الادمية ، ويكفل له كمواطن كيانه الداعم **لكيان الوطن** .

الثالث ــ العلاقة بين راس المال والعمل .. وهو جوهر الخلاف بين المذهبين المتصـــادمين : احدهما يقول ان راس المال يستغل العمـــل ويربح كل كده ويجرع جميع عرقه .. والثــانى يقول ان راس المال هو الذى يجازف فله وحده ثمرة جسارته . والحقيقة التى **أراها فى طريق** البلور عندنا الان : هى أن لا نطالب الان بالقضاء التام على الرأسمالية ولا أن نتركها تمرح وحدها فى ثمرة الاستغلال .. ولكن نجعل **فى رأيى الان** للعمل شعارا يواجه به رأس المال .. « **أستغلنى وأشركنى فى الربـــح** » ..

هذا تخطيط عملي بسيط فيما أراه الآن في هذا الامر .. لست احفل الآن بما يمكن أن يسمى بين المذاهب ، حسبي انه اتجاه اراه الآن نافعا ميسور التنفيذ ، آمل أن يرى ضوء الشمس في بلادنا ذات يوم ..

[من كتاب : تأملات في السياسة]

■ ■ ■

[ملحوظة : جاءت بعد ذلك بخمس سنوات ثورة ١٩٥٢ فعلى الدارس والفاحص النظر في مدى ما نفذ وما تحقق من هذا التخطيط ...]

البرنامج أولا

... ان كل النهضات التى قامت بها الحكومات الحديثة في بلادها ، خصوصا بعد الحرب [العالمية الاولى] قد تمت وفق منهج مرسوم وتحدد لتنفيذها زمن معلوم ، فقالوا هذا « نظام خمسي » وهذا « نظام عشري » تبعا لعدد السنوات التى قرر الاخصائيون انها لازمة لظهور المشروعات . فأين نحن من هذا ؟ أتستطيع مثلا ان تقول لي هل وضع نظام ثابت لمحو الامية من البلاد في ظرف سنوات معلومة ؟ ... حتى

من توفيق الحكيم الى اليسار المصرى

[*] نعيد نشر نص الخطاب المفتوح الذى وجهه توفيق الحكيم الى اليسار المصرى على صفحات مجلة روز اليوسف في عددها الصادر في ١٩٧٤/١٠/٢١.

لم أنقد لحساب الماضي وانما لحساب المستقبل

بعد الصدمة الاولى لـ « عودة الوعي » ، وبعد كل ما أثار هذا الكتاب من تشكيلات وسطحيات في المواقف والمشاعر ، خاصة في بعض البلاد العربية التى تسود فيها ناصرية تجارية .. أعتقد أنه آن الأوان للدخول في صميم القضية التى أثرتها ، ومناقشة جوهر الموضوع بعيدا من الاشخاص والشخصيات .

وأنا أقصد في حديثي هنا مخاطبة اليسار . لأنني — أيا كانت مثاليتي — أعتبر نفسي من المسئولين عن الاشتراكية المصرية .

وأنا أدرك جيدا موقف اليسار الحالى ، والناصرى بوجه خاص ، وخوفه من استثمار الرجعية لنقد انجازات عبد الناصر . ولكن خوف اليسار هذا يكاد يوقعه في موقف رجعي ! فهو ينسى أزمة الديمقراطية التى وقعت في سنوات ١٩٥٣ — ١٩٥٤ . وينسى موقفه من رفض النظام الشمولى الذى ساد في هذه السنوات ، صحيح أن موقف الثورة واتجاهها اختلفا منذ قرارات التأميم .

ولكن على اليسار أن يتخفف قليلا من تزيين وتجميل تجربتنا في الاشتراكية ، وتصويرها في صورة الاشتراكية المثلى ولعل عذر اليسار في هذا الموقف خوفه من الردة الى الوراء والى الاسوأ . فهو اذن موقف تكتيكى دعت اليه ضرورات الظروف الحاضرة ، وليس بالموقف الاستراتيجى السليم الصالح للبقاء والاستمرار . ذلك أن القول بأن الناصرية هى الاشتراكية الحقيقية تزييف على الواقع والتاريخ ولا مفر ، ككل تزييف ، من أن يسقط وينكشف . وسيؤدى هذا حتما الى ظهور يسار صادق مع نفسه ومع الحقيقة ، يبنى مذهبه وكفاحه على المذهب الاشتراكى الحقيقى دون استعارة أردية مرقعة .

وهذا هو ما يجب التنبيه اليه من الآن ، حرصا على مستقبل اليسار في مصر ، قبل أن يظهر زيف الموقف التكتيكى الحالى الوقت امام اعين الاشتراكيين المخلصين .

انني بما كتبت لم أكن اتجنى على عبد الناصر كما يقولون ، انني على العكس احبه ، واقدره لكنني اضع اجتهاداته في موقعها ، واعتبر أن مشكلات الديمقراطية والاشتراكية في بلادنا مازالت — بعد عبد الناصر — في حاجة الى حلول أخرى ثورية وديمقراطية .

نرتب على هذا الحدث نتائج اجتماعية واقتصادية وسياسية نواجه بها هذه النهضة القادمة ؟ ايمكنك ان تقول لى هل هنالك مشروعات اقتصادية درسها الخبراء وقرروا لها زمنا تتم فيه وتخرج البلاد فى نهايته وسيلة جديدة من وسائل الانتاج تزيد الثروة الاهلية الزيادة التى تتعادل مع نمو عدد السكان وتسد الحاجات المنتظرة والمطالب المستقبلة ؟ وهل فى مقدورك ان تقول لى هل درس الباحثون سياسة ثابتة للتعليم الجامعى وخطة واضحة لتوجيه الثقافة العامة فى نهضتنا؟ والى اى مدى ننحو نحو الحضارات القائمة او اننا سنبقى حيارى فى حدائق المعرفة لاندرى ماذا نأخذ وماذا ندع ؟ ! فانت ترى انه لم يوضع شيء بعد — حتى على الورق — لتحديد العمل والزمن الذى يقتضيه التنفيذ لمختلف فروع نهضتنا ، بل انه لم ينظر الى الان حتى فيما يجب البدء به حالا من هذه المرافق المختلفة تبعا لحاجة البلاد حتى لا يضيع علينا الوقت ...

[من كتاب تحت شمس الفكر]

■ ■ ■

فساد الدولاب

حتى على فرض فراغنا من رسم الخطط

اننى لا انقد لحساب الماضى . وانما انقد لحساب المستقبل .

— حاولت نقد ما رفضت من سلبيات ايام عبد الناصر ، بل ايام السادات ايضا .

ان ميولى التقدمية كانت دائما واضحة ومنذ ما قبل الثورة ويكفى كتاب « سلطان الظلام » الذى كان يحارب النازية منذ اربعين عاما .

اما تعاطفى مع الماركسية التى كنت ادرسها فى العشرينات ، عندما كان عمر الثورة الروسية أقل من سبع سنوات ، فشيء معروف . وكنا أيامها نرقب انشاء حزب أو اتجاه اشتراكى واضح فى مصر.

ولكل ذلك اعتبر من حقى أن اتكلم اليوم عن الاشتراكية فى مصر . ومن حقى أن أعمل على وضعها على أساس سليم. وأن اخاف على اليسار المصرى وأحافظ عليه وعلى مستقبله .

وانا الوم هذا اليسار لانه يتناقض الان مع نفسه الى حد ما ولانه فى حالة ردة عن الجوهر الحقيقى للاشتراكية ، لاهتمامه بالتكتيك المؤقت على حساب البرنامج الاشتراكى الحقيقى ، وعلى حساب الاستقلال بمنير يميزه داخل صيغة التحالف التى خدمت الانتهازية اكثر مما خدمت العمال والمثقفين والفلاحين .

ان خوف اليسار من عودة الرجعية القديمة يجعله يقع — كما قلت — فى خدمة الرجعية الجديدة .

وفى اعتقادى ان اليسار يجب ان ينقد السلبيات الكثيرة التى عانينا منها . لان هذا واجبه . ولان هذا لن يخدم اليمين . وانما سيحرمه من الاستفادة من الموقف التبريرى لليسار .

ثم ان تناقض اليسار مع نفسه يتضاعف عندما نرى القيادة الحاضرة تعلن انها شريك مسئول للقيادة الماضية . عن اى شيء يدافع اذن ؟ وضد أى شيء ؟ وماذا ينكر وماذا يتبنى ؟

ان قصة « عودة الوعى » ببساطة هى اننى فى عام ١٩٧٢، وفى مناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاما على ثورة يوليو ، وجدت نفسى فى ازمة قاسية . فى لحظة استرجاع لعمرى الفكرى ، الذى هو عمر مصر الحديثة أيضا . مصر التى كانت كل كتاباتى ودراساتى ورحلة عمرى تدور حولها . وكان شبابنا فى تلك الايام لايكف عن الثورة والغضب . فتساءلت : لماذا يصطدم جيل الثورة بالثورة ؟

وجوابا على هذا السؤال كتبت انطباعاتى فى «عودة الوعى» ، واوصيت بالا تنشر الا بعد ان اودع الحياة .

وما يهمنى الان هو ان أؤكد وان يفهم اليسار المصرى ، ان جوهر « عودة الوعى » انه نقد لعهد بعد أن صار جزءا من التاريخ . وأن هذا التاريخ لا تزال مجهولة تفاصيله وحقائقه وخباياه ومستنداته . ومن الخطا ، فى حالة كهذه ، التعجل فى اصدار الاحكام المطلقة ذات اليمين او ذات اليسار .

ووضع البرامج ؟ فالباقى بعد ذلك كثير ؟ بل ان مجرد السير الآن فى طريق العمل عسير اذ بمن نعمل ؟ ان الايدى العاملة قد لحقها الفساد ، فهى مثل تروس الساعة المختلة تدور فى غير حدود ، فيد الوزير احيانا تمتد الى الانظمة والاوضاع تقلبها رأسا على عقب دون ان تصغى الى كلام اصحاب الاختصاصات من المرءوسين ، وان الموظف مهما يكبر ومهما ينبغ لا يعدو ان يكون تابعا يتلقى امر رئيسه ويؤمن على رغباته وان علم ان فيها الضرر لمصلحة البلاد . وهكذا اهدرت الشجاعة الادبية وجبنت النفوس عن تحمل المسئولية . بل انه ليحدث اكثر من ذلك . فان المسألة الفنية لتعرض احيانا على لجان من الاخصائيين يبحثونها فى شهور فيأتى وزير يضرب بنتيجة البحث الطويل عرض الحائط ويؤشر بقلمه الاحمر مناقضا ما جاءت به اللجنة ، كأنما هو يتحدى تلك العقول ليظهر ان رأيه « المرتجل » لساعته خير واحكم من آراء المختصين بعد درس شهور . ولكن الادهى والامر أنه يجد فى اكثر الاحيان من بين موظفي وزارته ومن بين هؤلاء الاخصائيين انفسهم من يقول « آمين آمين » .. فهل بمثل هذا الدولاب الحكومي نستطيع ان نسير فى تنفيذ خطة او برنامج ؟ فالى ان يعلم الوزير كيف يحترم رأى موظفيه المختصين ، والى ان يفهم هؤلاء الموظفون كيف يحترمون آراءهم ، الى ان توزع الاعباء والمسئوليات بين الوزير ومعاونيه ، ويحل النظام محل الفوضى فى علاقة الرئيس بالمرؤوس ، فلن تكون الاداة الحكومية صالحة بعد للسير الجدى فى تنفيذ مشروع من المشروعات ..

[من كتاب تحت شمس الفكر]

■ ■ ■

الاحـزاب والشـعب

ان المفروض فى ممثلى الشعب ان يتقدموا الى المقاعد النيابية ببرامج ثابتة واضحة ، محدد فيها بالدقة ، الخطط ووسائل التنفيذ لمطالب طبقات الشعب المختلفة التي يمثلونها .... ولكن الذى يحدث اليوم هو غير ذلك ، فان كل مشروع حيوى يهم الشعب ، انما يصدر عن جهات اخرى غير ممثلى الشعب ! .. ولم نعد ندرى فيم يمثل هؤلاء الممثلون الامة ؟ ! .

ان الشعب اليوم قد تغير فى نظرى ، وان عقليته قد تكونت ، واصبحت له رغبات حيوية تمس صميم غذائه اليومى وحياته المادية .. انه يطالب اليوم ان يعيش . لا معنويا فقط ، كما كنا ننادى بالامس . ولكن ماديا ايضا ، عن طريق اللقمة المتوفرة للملايين من المحرومين ... على انه ينبغى لنا مع ذلك ان نتساءل : الى متى نظل فى مصر ، ونحن نملك فيها نظاما ديموقراطيا ، نعتقد ان اصلاح شئون الطبقة الفقيرة .. معناه التصدق والاحسان ؟ والى متى ، ونحن لدينا برلمان ، لا نجد فيه ممثلين لملايين الطبقات الفقيرة ، يدافعون عما تراه هذه الطبقات منهضا لها مصلحا لحالها ؟ ! ما معنى الديموقراطية اذا لم تكن هى تمكين طبقات الشعب كلها على اختلاف مراتبها ومطالبها من الدفاع عن نفسها بنفسها تحت قباب المجالس النيابية .. ما من برلمان فى اى بلد ديموقراطى فى العالم يعرف هذا الوضع الذي نحن عليه لانه ما من احزاب فى العالم تكونت هذا التكوين الشخصى المرتجل كأحزابنا المصرية ذات الصبغة الشخصية الواحدة المتشابهة ! .. فى البلاد الاخرى احزاب ذات مبادىء مقررة ، كل منها يدافع عن حقوق طبقة من طبقات الامة ، على نحو يكفل التوازن بين المصالح ، بينما احزابنا ، على تعددها وكثرتها ، لا تمثل فى حقيقة الامر ، غير طبقة واحدة : هى طبقة الملاك .. هى التي نسمع صوتها فى البرلمان . وهى التى اتخذت لنفسها صفة القوامة على الطبقات الاخرى . وهي التى تستطيع ان تمنع وتحرم الطبقات الاخرى ، حتى من حق الاعتراف بنقاباتها التى تنظم شئونها وتدافع عن حقوقها ! .

ويحضرنى هنا مثل أحب أن اذكره : فقد وجدت فى حانوت حلاقة ذات مرة حلاقين احدهما

يعمل الى جانب الاخر ويتقاضيان اجرين متساويين ، الاول مصرى والثانى يونانى . فعلمت شيئا عجيبا : فقد قال لى العامل المصرى انه وهو فى بلاده لا يستطيع ان يعلم ابناءه بالمجان ، ولا ان يستشفى بالمجان ، وانه لا يجد احدا ولا هيئة تعينه على تكاليف العيش . بينما زميله اليونانى يعلم اولاده كلهم بالمجان ، فى المدارس اليونانية ، ويستشفى هو وعائلته بالمجان فى المستشفيات اليونانية ، لان هناك هيئات ونقابات يونانية تعنى اتم العناية بمساعدة العمال والاجراء اليونانيين ! .. وقد روى لى هذا العامل المصرى ايضا انه ذهب بابنته الصغيرة يوما الى مدرستنا الاولية ، فوجد عاملا مصريا آخر قد عجز عن دفع مصروفات ابنته على ضآلتها « عشرة قروش شهريا » فاضطر الى العودة بها الى البيت مما حز فى نفس زميله فاخرج اجره اليومى من جيبه ودفعه من اجله ... لا شك ان اكثر الناس يوافقوننى على ان هذا الوضع للاشياء يجب ان يتغير ...

[من كتاب تحت شمس الفكر]

■ ■ ■

الفكر والشعب

سألتنى مجلة سياسية عن دور الكتاب الاجتماعيين فى حركة الاصلاح الاجتماعى فاجبت بقولى : « نعم الكتاب والمفكرون هم قادة الاصلاح ، وهم واضعو اسسه وخططه فى كل زمان ومكان ... ولئن كانت حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر قد تأخرت حتى اليوم فذلك سببه تقصير الكتاب والادباء ... انى اتهم بملء فمى الادب المصرى بهذا الجرم . ان الادب فى مصر لم يكن الى عهود قريبة غير حلية عاطلة فى معاصم الادباء . لقد كان يعيش هؤلاء الكتاب لا فقط على هامش المجتمع ، بل على هامش حياة الاخرين من اصحاب الجاه او الثراء . لم يكن الادب فى مصر اذن اداة تسجيل وتوجيه لشئون المجتمع ، ولم تكن اقلام الكتاب ابواقا توقظ النائمين ، ولكنها كانت معازف ينعس على انغامها المترفون . واذا كان هؤلاء هم كتاب أمة وهذا هو ادبهم فلا عجب اذا ظلت حال المجتمع المصرى على ما نراه اليوم ... على أن الامر بالضرورة قد تغير الان [١٩٤١] . وانك تستطيع ان تقول ان الادب فى مصر يتجه فى الطريق الصحيح ، وان كثيرا من الكتاب المعاصرين نشروا كتبا وافكارا تتصل بصميم المجتمع ، وان آراءهم تسمع وتحترم وتؤثر احيانا فى اتجاهات الحياة العامة .. » وهنا ذكرتنى تلك المجلة السياسية بانى كنت اول من اقترح منذ عامين [١٩٣٨] انشاء وزارة للشئون الاجتماعية فى حديث لى نقدت فيه النظام البرلمانى كان له ضجة وعوقبت بسببه وكدت اطرد من الحكومة او احال الى مجلس تأديب ، ولكن المسئولين تراجعوا واكتفوا بخصم خمسة عشر يوما من مرتبى . ولكن وزارة الشئون الاجتماعية التى اقترحتها انشئت فعلا فى عام ١٩٣٩ ... « وكان فى مجرد وجود هذا الهيكل الرسمى المخصص للمسألة الاجتماعية اقوى دعاية لهذه المسألة فى انحاء البلاد ، مما جعل الشعب كله يهتم بالمسألة الاجتماعية بعض اهتمامه بالسياسة ، واصبحت تثار فى البرلمان قضايا الفلاح والعامل وحقهما فى حياة انسانية معقولة ، وحصة الفقير وحقه فى معونة الغنى ، واصبحنا نسمع كبار الامة يتحدثون عن ضرورة الرقى بمستوى حياة الشعب . وكثرت المحاضرات فى كل مكان وتكونت جمعيات الاصلاح وارتفعت اصوات الرحمة من القلوب وكلمات العدالة والانصاف من الافواه كلها مجمعة على **انه ينبغى وضع حد لما نراه من استئثار مئات من اهل هذه البلاد بالخيرات وترك الملايين فى جوع وعرى كالسائمات** . ولكنى اقول باعتبارى كاتبا ان الامر لم يعد فى حاجة الى توجيه ، فان حال الشعب الان لا يختلف فيه اثنان ، وان قادة الرأى ورجال الامة ومفكريها يعرفون علل الشعب اتم معرفة ويوضحونها ويصفون لها العلاج ، وفى كل يوم يزداد عدد هؤلاء المفكرين والدعاة وتتسع دائرة المصغين الى رسالتهم ، الى ان يأتى اليوم الذى تصبح فيه المسألة الاجتماعية هى المسألة الاولى فى الدولة ، لها صحافتها ولها ساستها ، وعلى اساسها تتقدم الاحزاب الى الحكم ، ويكون النجاح او

الاخفاق فى تحقيق برامجها هو الذى يبقى الوزارات أو يسقطها .. فها انت ذا ترى مارمى اليه : ان المسألة الاجتماعية عندنا هى فى طور « الهواية » ولن تدخل فى طور « العمل الجدى » الا اذا طالب بها الشعب نفسه ... فالى ان تصبح اذن المسألة الاجتماعية فى مصر ذات تأثير مباشر فى أداة الحكم ، كالمسألة السياسية سواء بسواء ، فليس لنا أن نقول ان فى مصر مسألة اجتماعية على الاطلاق ...»

[من كتاب تحت شمس الفكر طبعة ١٩٤٢]

■ ■ ■

فى أسوان

« ... كان اسماعيل صدقى باشا [احد قادة الاقتصاد على المنهج الرأسمالى] من نزلاء كتراكت ، فضمتنا الشرفة ، ودار بيننا الحديث فى جمال النيل وجلاله .. ثم فى كنوزه الاقتصادية ايضا ، بل كنوز تلك المنطقة من ارض مصر . فقال صدقى : ان الحديد الذى يمكن استخراجه من هنا ، كما جاء فى بعض التقارير ، يكفى حاجتنا مئات الاعوام ، وهو من اجود انواع الحديد ، وربما استطعنا ان نصدر الحديد كما نصدر القطن . اما البترول الابيض الكامن فى ماء النيل ، واعنى به القوة التى يمكن استخراجها من كهربة خزان اسوان واثرها فى خلق مصر صناعة وحضارة فلا خلاف فيه بين احد اليوم » فقلت له : « اذن ما الذى يقعدنا عن الانتفاع بهذه الكنوز ؟ » . قال « الاغراض السياسية » ... قلت : « داخليا وخارجيا ، هذا صحيح . واذا استطعنا التغلب على التيارات الخارجية ، والضغط الاجنبى ، فهنالك آفتنا الداخلية الكبرى : السياسة للسياسة ، أو على الاصح « السياسة للحكم » . ان العقلية المصرية [بفعل الظلم الطويل] لم تتغير منذ اجيال ، سواء فى الحكام أو المحكومين . فالهدف الرئيسى للحكم هو السيطرة . ولعل الاحتفاظ التقليدى بوزارة الداخلية اى البوليس والادارة والضبط والربط فى يد رئيس الحكومة هو مظهر ورمز لهذه الفكرة [كان رئيس الوزراء فى ذلك العهد هو دائما فى نفس الوقت وزير الداخلية] . لذلك يمكن فى رأيى تلخيص شعور الفرد العادى [لاعتياده الظلم] فى هذه العبارة : « من لا يستطيع أن يحبسنى ليس له عندى اعتبار ! » فضحك صدقى باشا وقال : « هذا بالضبط هو الواقع » . فقلت : « ومتى اذن نستطيع ان نرى الفرد العادى فى بلادنا يقول : « من لا يستطيع ان يحسن حالتى ليس له عندى اعتبار » . اظن انه لو حدث هذا لتغير الوضع فى الحال ولم تصبح لنا السياسة للحكم أو السياسة للسياسة ، بل السياسة للاقتصاد » .»

« .. قال لى بعض مهندسى الخزان [خزان اسوان] ان وزير روسيا المفوض [يظهر انه لم يكن لروسيا وقتذاك ١٩٤٥ ممثل فى درجة سفير] عندما جاء اسوان التف حوله بعض شباب الموظفين يسألونه عن البلشفية ، فقال لهم وهو ينظر الى تلك المساقط المائية الجبارة : « **لا تهتموا هكذا بالسياسة ، التفتوا الى اقتصاديات بلادكم !** » ...

[**من كتاب تأملات فى السياسة**]

■ ■ ■

ملحوظة — من العجيب ان خروشوف بعد ما يقرب من عشرين عاما قال نفس هذه العبارة . فقد جاء فى رسالة من خروشوف الى جمال عبد الناصر ، وردت فى الصفحة ٢٠١ من كتاب «عبد الناصر والعالم» لمحمد حسنين هيكل [دار النهار — بيروت] نصها : « تذكرون انكم فى احدى محادثاتنا ، اثناء زيارتكم الاخيرة لموسكو ، اعربتم عن الاستياء من حكومات الاقطار العربية المجاورة وسألتنى عما يجب عمله لتغيير الوضع الداخلى فى تلك الاقطار التى تقف موقف العداء من الجمهورية العربية المتحدة وعن المعونة التى يمكن الاتحاد السوفيتى ان يقدمها اليكم فى هذا الصدد . وكما تذكرون فقد اجبتكم بانه يجب اظهار التسامح والامتناع عن التدخل فى شئون الدول الاخرى . **انما يجب التأثير فى تلك الاقطار عن طريق القدوة الصالحة والمثل الطيب من جانب الجمهورية**

العربية المتحدة وذلك برفع مستوى اقتصـاد شعب جمهوريتكم ومستوى ثقافته ورفاهيتـه وانشاء نظام من شانه تمكين كل القوى الوطنية ضمن الجمهورية من اظهار مبادأتهـا .. ولكن يبدو اننى اخفقت فى اقناعكم .. الخ الخ »] ..

■ ■ ■

منشـآت العمـال

« ... هل ارتفاع الاجور يكفى وحده لرفـع مستوى المعيشة بين طبقة العمال ؟ لا اظن .. والدليل ان اجر العامل اليوم قد ارتفع فى مصر عما كان عليه من قبل ، ولكن مستوى معيشته لم يرتفع بهذه النسبة ... لم تزل اسرة العامـل وسكنها وطعامها على الحال القديم ... والحل لهذه المشكلة هو ان تنشأ **مصلحة أو وزارة باسم « منشآت العمال »** تقوم باستقطاع جزء من اجر كل عامل ، وتجعل حصيلته فى صندوق خاص ، تغذيه الحكومة واصحاب العمل بمبلغ كافويوجه هـذا المال الى انشـاء المشروعات التى ترفع مستوى العمال مباشرة ، كبناء المساكن الصحية ، والحوانيت التعاونية والاحياء والنوادى العمالية الخ الخ ...

[**من كتاب عصا الحكيم ١٩٤٧**]

■ ■ ■

خـزان آخـر

« ... ان مصر قد تحولت فى السـنوات العشرين الماضية تحولا اقتصاديا ملحوظا ، كان من نتيجته اثراء طبقة من الناس اثراء سريعـا ادى الى نشر مثل عليا جديدة فى المجتمع ... أو على الاصح **مثل ليست** عليا .. لانها بذرت فى النفوس بذور المادية والوصولية والاستهتار .. ولكن هذا الامر ليس بوقف على مصروحدها .. كل بلاد العالم حدث فيها مثل ذلك ، يوم تمت فيها هذه التحولات الاقتصـادية ، مع هـذا الفارق : وهو ان تلك البلاد الاخرى كان فيهـا مثل عليا حقيقية قوية قبل ان تغـزوها المثـل الدخيلة غير العليا ، فلم يستطع هذا الغـزو ان ينال كثيرا من التقاليد المغروسـة فى العلم والخلق والفكر والفن .. اما مصر فلم تكن قـد تهيأت بعد لمثل هذا الغزو المادى ... العـلاج الان هو ان نبادر باقامة خزان آخر الى جـوار خزان اسوان ... خزان للمثل العليا ...

[**من كتـاب عصا الحكيم**]

■ ■ ■

دواء الغـلاء

« ... لا حديث للناس اليوم الا عن الغـلاء ... هذا الداء المستعصى الذى تعبت الرؤوس وكلت الهمم فى البحث عن علاجه ... الا ترى له من دواء ؟ .. فلنبحث اولا عن اصل هـذا المرض ، بعيدا عن نظريات العلماء والخبراء .. فمهما يكن من قوة الاسباب الاقتصادية او غيرها مما يؤثر فى السوق ويرفع الاسعار فان السبب الاكبر هو فى ايدينا نحن ، بل فى بطوننـا ... فمواد الطعام من لحم وفاكهـة وارز لن ينخفض سعرها كثيرا فى اى يوم مادمنا نريد ان نضعها على مـوائدنا فى كل يوم . ان **شراهـة المنتج والبائع انما تنبع من شراهة المشترى والمستهلك** [**مجتمع الاستهلاك**] ... واليكم تجربة تثبت ذلك بالدليل ... قوموا معشر المستهلكين بحملة واسعة النطـاق ، واستخدموا فيهـا الصحف والاذاعة وكافة طرق النشر لتحـديد الاصنـاف وتنظيم الوان الطعـام لكل قـادر ولكل بيت ، محـذرين من اكل الفـاكهة اكثر من مرتين فى الاسبوع واللحم اكثر من ثلاث مرات والارز اكثر من مرتين او ثلاث ، واحملوا حملة شعواء على الاسراف والتبـذير والترف فى المأكل والملبس ، وروجوا للقناعة والبساطة ... افعلوا ذلك بكل وسـيلة وانتم ترون العجـب : ان الكروش ستختفى وينقص الترهل ومرض السكر وضغط الدم ، وتنقص الاسعار وتعمر الجيوب ويطعم الفقير والغنى ... لا فائدة من علاج الغـلاء قبل ان نعالج بطوننا وترفنا ... لا شىء يقتـل البائع الطامع غير المشترى القانع ...

[**من كتاب عصا الحكيم**]

هذه بعض آراء واتجاهات متصلة بالروح الاشتراكية مما أمكن استخراجه على وجه السرعة من الكتابات المنشورة قبل ١٩٥٢ . وهى الكتابات المباشرة ، الخارجة عن نطاق المؤلفات الفنية فى الرواية والقصة والمسرحية . ذلك ان الكتابات المباشرة هى التى يعتمد لبها فى تحديد الموقف الاجتماعى للكاتب . أما العمل الفنى فقد يختلط فيه موقف الكاتب بمواقف اشخاص روايته او قصته أو مسرحيته . وهذا ما جعلنى استبعد هنا كل اعمالى الفنية ، ولا اعتمد الا على الكتابات المباشرة وحدها . حتى وان كانت بعض الاعمال الفنية تعالج بالفعل بعض النواحى الاجتماعية ، وكان لها من التأثير ما ظهرت نتائجه .

وبعد ... فما هو الموقف الان ؟ وخاصة بالنسبة الى شيخ مثلى فى المرحلة الاخيرة من العمر ؟ هل اسكن الى الراحة ولى الحق فيها الان ؟ أو أبذل ما بقى لى من عمر وانفاس فى المشاركة بالجهد الضئيل فيما اتوقع مجيئه من احداث ؟.. نعم ان بلادنا مقبلة على تغييرات اجتماعية لابد منها للسير فى طريق التطور الحتمى . وان ما اخشاه هو ان تضيع فرصة التقدم الحقيقى مرة اخرى فى متاهات تغوص فيها الاقدام ، وان يفشل اصحاب النوايا الطيبة فى غرس اشتراكية حقيقية ، بعيدة عن الشعارات الكلامية ، تنفع الشعب حقا وتحمى حقوق الملايين من الكادحين والمحرومين ، وترتفع بمستوى اقتصاد شعبنا [كما نصحنا خروشوف] ومستوى ثقافته ورفاهيته الخ .. انى اضع يدى فى يد من يسير بنا فى هذا الطريق .. وتحت تصرفه أودع رصيدى الباقى من الطاقة القليلة والصحة الضعيفة ... **لقد حقق عبد الناصر شيئا من الاشتراكية ، وكان من الطبيعى والمنطقى ان انوه بذلك واضخمه . انا بالذات لانه كان يعلن أنه قرأنى وتأثر بى الى حد وصفته بعض الكتب الاجنبية بانه تلميذ افكارى . وكان من مصلحتى الشخصية اذن ان استغل هذه الصفة واضخمها بتضخيم منجزاته . ولكن مصلحة مصر المتجددة هى فى أن لا تقنع وتتجمد على هذه الاشتراكية الهزيلة وان تعلم انه قد ضيعت عليها فرصة الاشتراكية الحقيقية حتى تهب مرة اخرى تطالب بها ...**

توفيق الحكيم

الغـــــلاء : الأسباب الداخلية والأسباب الخارجية

الدراسة التى تقدمها الطليعة فى هذا العدد عن الغلاء والتضخم

وهى دراسة عن الغلاء والتضخم فى مصر . فهى ليست مجرد دراسة نظرية ؟ كما أنه ليس من هدفها أن تطلق مجموعة من الشعارات . ذلك اننا نواجه قضيـة خطيرة تتمثل فى انفجار الاسعار بما يترتب على ذلك من تدهور فى الدخول الحقيقية للغالبية الساحقة من المواطنين . والواقع أن هذا الامر لم يعد يشغل بال الطبقات الشعبية فحسب «العمال والفلاحين» ولكن أيضا يمس وبعمق حياة كل العاملين بأجر فى الدولة والقطاع العام والقطاع الخاص .

وتحاول هذه الدراسة أن تشخص وترصد أسباب الغلاء والتضخم من منظور علمى يدرس الظاهرة ويحللها من كافـة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . مع اهتمام مستمر — فى هذا المقال أو ذاك — وخاص بالجانب الاجتماعى .

وفى الوقت نفسه فان الدراسة لم تهمل أيضا بعض الجوانب الفنية للقضية .

ثم تحاول الدراسة — أيضا — وبكيفية علمية أن تقدم الحلول .

وفى هذا أيضا ، تتجنب الدراسة الحلول الجزئية والسطحية والافكار القيمة التى تطلق لمجرد الاثارة والاستعراض . وانما تركز الدراسة على طائفتين من الحلول : بعضها عاجل وبعضها آجل .

ولقد كتب هذه الدراسة عدد من العلماء المشتغلين بالشئون الاقتصادية والمالية .

ولقد اتيح لهم أن يتناقشوا فيما بينهم — قبل أن يكتبوا — وتبادلوا الراى ووضعوا العامة للمقالات والدراسات المقدمة .

وتجيب الدراسة على أسئلة حيوية ومطروحة .

فهل التضخم قدر مفروض علينا من الخارج ؟

واذا لم يكن الامر كذلك . فمـا هى الاســباب الحقيقية للغلاء ؟

وهل انفجار الاسعار فى الداخل مجرد امتداد لظاهرة عالمية ؟ أم أن هناك أيضا أسباب داخلية تنفخ فى الاسعار وهى أسباب كامنة فى السياسات الاقتصادية المطبقة — هذه السياسات التى تعانى من الثغرات وأوجه القصور ؟

على هذه الاسباب وغيرها يجيب :

د. فؤاد مرسى فى مقاله :
— الغلاء المستورد

د. ابراهيم العيسوى فى مقاله :
— الاسباب الحقيقية للغلاء فى مصر

د. محمود عبد الرؤف فى مقاله :
— السياسات الزراعية ومسئوليتها عن الغلاء

د. محمد رضا العدلى فى مقاله :
— على الموازنة العامة أن تضبط الاسعار

الاستاذ محمود الزهار فى مقاله :
— السياسة النقدية والغلاء فى مصر

د. محمد أبو مندور الديب فى مقاله :
— مواجهة الغلاء : كيف والى أين ؟

د. حلمى سلام فى مقاله :
— التضخم ظاهرة رأسمالية

د. كمال السعيد فى مقاله :
— التضخم وارتفاع الاسعار فى العالم الثالث



○ الغـــلاء المســـتورد

د. فؤاد مرسى

الى اي مدي يمكن ان يعتبر الغـــلاء الذى نعانى منه فى مصر غـــلاء مستوردا معمانستورد من الخارج مـــن سلع وخـــدمات ؟ السؤال مطروح منذ بعض الوقت ، وتوجد عليه اجابتان .

اجابة سطحية تحاول ان ترد كل الغلاء الحالى الى اسباب خارجية ، فهو غلاء مستورد . وتزيد الاجابة فتحاول أن تعقد المقارنة بين مستويات الاسعار فىمصر ومستويات الاسعار فى الخارج ، ونخلص من المقارنة الى هـذه النتيجة وهى انه على الرغم من الغلاء المستورد فما زالت اسعار السلع الواحدة اقل فى مصر منها فى الخارج . وهى نتيجة مضللة لاكثر من سبب ، وبكل بساطة لان المقارنة السليمة تستدعى الى جانب مقارنة مستويات الاسعار مقارنة مستويات الدخول فى كل من مصر والخارج ، او تستدعى على الاقـل مقارنة مستويات الاسعار بمستويات الدخـــول فى كل من مصر والخارج .

تلك اجابة اولى . اما الاجابة الاخـــرى فهى التى نحاولها فى هذا المقال . **فالخارج ليس عالما واحدا بل عالمان ، احدهما رأسمالى والاخـــر اشـــتراكى** . ولكل من العـــالمين الراســـمالى والاشتراكى قـــواعد معـــروفة فى التعـــامل الاقتصادى الدولى . وهى قـــواعد تختلف فيمـــا بينهما الى حد كبير ، نتيجـــة لاختـــلاف اسلوب الانتاج الرأسمالى عن أسلوب الانتاج الاشتراكى . وباختصار ، فان ما يعنينا من هذا الاختلاف — فى موضوعنا — هو انه بينما يعانى العـــالم الرأسمالى من ازمة تضخم حادة ، فان العـــالم الاشتراكى يكاد ألا يعرف عنها شيئا . وعلى الاقل فان المواطنين فى العالم الاشتراكى لا يلمسون اثر هـــذه الازمة الحـــادة في الاســـعار التى يتعاملون بها فى حياتهم اليومية .

فى العالم الراسمالى ازمة اقتصادية حادة ، تتمثل فى النهاية فى صورة تضخم منطلق يقلب ميزان كل الاشياء داخل البلدان الراســـمالية . والازمة فى اصلها أزمة اقتصـــادية ، ترجع الى انخفاض معدلات زيادة الانتاج .

فى عام ١٩٧١ مثلا ، زاد الانتاج الصناعى فى البلدان الاشتراكية بنسبة ٧ر٨٪ ، بينما لم يزد فى العالم الرأسمالى عن ١٪ ، بما فىذلك زيادة تبلغ ٦ر٢٪ فى بلدان السوق الاوروبيةالمشتركة، وزيادة تبلغ ١٪ فى الولايات المتحدة . وكان معدل زيادة الانتـــاج الصنـــاعى الامريكى ٣ر٤٪ فى العام السابق ، ومتوسطها فىالستينات ٥ر٧٪ . وهكذا يتضح النمو المتزايد لعدم الاستقرار من النمو الضئيل للانتاج وانتشار مظاهر الازمـــة والانكماش ، من بطالة متزايدة ونزاع اجتمـــاعى متفاقم ، وتقلبات نقدية ومالـــية ، وصراعـــات جوهرية فيما بين البلدان الراسمالية الكبرى . وعلى الرغم من ان الازمة كانت يجب أن تدفع نحو انهيار الأسعار بصفة عامة ، الا ان الحرص من جانب الاحتـــكارات الكبرى ، والمجمـــوعة الصناعية العسكرية ذات الســـطوة فى البلدان الراســـمالية على زيادة الانفاق ، تجعلنـــا أمام هـــذه الصورة وهى انفجـــارات متوالية للازمة مع اتجاه مستمر نحو ارتفاع الاســـعار . وهى ظاهرة اقتصادية جديدة تدرس حاليا تحت اسم: **التضخم الركودى** .

ازاء هذه الازمة الاقتصادية النقدية المالية ، يحاول رأس المال الاحتكارى فى كل بلد من بلاد العالم الرأسمالى ان يضمن لنفســـه مصالحـــه الخاصة . اوروبا الغربية ازاء الولايات المتحدة،

وداخل المجموعة الاوروبية فرنساء ازاء المانيسة الغربية . وكل هذا مصدر للخلاف والانقسام الدائم والنزاع بين الحكومات . وينعكس هذا كله على الاضراب العام فى النظام النقدى الرأسمالى ، وبالذات أزمة الدولار . **وتبدو أنسا خطورة الرأى الذى يبديه هابرلر** الاقتصادى الامريكى الكبير ، **وهو أن التضخم فى الولايات المتحدة هو الذى يرسم خطى التضخم فى العالم كله** ، ابتداء بالعملات المرتبطة بالدولار والقابلة للتحويل اليه ، وانتهاء بالعملات التى لا صلة لها بالدولار . الا الشراء من السوق الرأسمالية العالمية . فجميع العملات فى السوق الرأسمالية العالمية تتأثر بدرجة كبيرة او صغيرة بالتضخم الامريكى الراكد .

وتحاول البلدان الرأسمالية الكبرى ، ومعها الاحتكارات الدولية ، نقل العبء الناشيء عن عدم الاستقرار الموجود فى السوق الرأسمالية العالمية الى كاهل البلدان النامية . وتجرى العملية طبقا لاليات السوق الرأسمالية العالمية نفسها ، أى من خلال مفعول قوانين العرض والطلب ، منخلال الشراء من البلدان الرأسمالية والبيع لها .

والواقع انه من خلال آليات النهب الاحتكارى، اى من خلال سيطرة الاحتكارات الدوليةالكبرى، وبخاصة الشركات المتعددة القومية ، على الانتاج وعلى تجارة الجملة والتجزئة فى عديد من السلع الاساسية ، ومن خلال سيطرتها على عمليات النقل الداخلى والخارجى ، وعلى عمليات التأمين والبنوك ، وعلى الاجهزة المالية المتفرعة ، فان هذه الاحتكارات تستحوذ على ارباح اضافية فى كل مرحلة من مراحل انتاج أو تسويق السلع ، فارضة بذلك اتاوة خاصة على شعوب البلدان النامية . وآخر الامثلة الحاضرة لدينا هو مثل البترول ، وكيف تبدأ الاحتكارات البترولية بتحميل العرب مسئولية ارتفاع أسعاره لتنتهى بأن تزيد ارباحها اضعافا مضاعفة عما كانت قبل رفع الاسعار . **فهل العرب مسئولون فعلا عن التضخم فى السوق الرأسمالية العالمية؟**

الواقع ان اسعار السلع الصناعيسة ، التى ينتجها الغرب ، قد ارتفعت بنسبة ٤٧٤ ٪ خلال الحقبة من ١٩٥٠ الى ١٩٧٣ ، بينما نعم العالم بطاقة رخيصة طوال تلك الحقبة ، اذ بقى سعر النفط ثابتا بما يعادل ١.٧٥ دولار لكل برميل لفترة ٢١ عاما من ١٩٥٠ الى ١٩٧١ . لقد شمل الارتفاع خلال الخمس السنوات الماضية وحدها معظم المواد الاولية والسلع الاستهلاكية . فارتفع القمح مثلا ثلاثة اضعاف ، والذهب خمسة اضعاف ، والارز ضعفين ، والسكر اربعة اضعاف ، والصوف ضعفين ونصفا ، والحديد اربعة اضعاف ، والخشب ضعفين ونصفا ، ان الحقيقة واضحة ، وهى ان التضخم ظاهرة متوطنة فى السوق الرأسمالية العالمية ، تحاول الاحتكارات العالمية نقل عبئها باستمرار الى عاتق الشعوب النامية .

وفى مصر كانت لنا دائما وسائلنا للحد من وطأة التضخم المستورد . كان ذلك اولا : منذ ان تفتحنا على حقيقة وجود العالم الاشتراكى الى جانب العالم الرأسمالى . فقد كان التعاون مع البلدان الاشتراكية ، وما زال يتيح للبلدان النامية فرصة الحد من التأثير السلبى لتقلبات السوق الرأسمالية العالمية فالمعروف ان التجارة الخارجية فى البلدان الاشتراكية مخططة وان الاسعار مستقرة فى التبادل التجارى المتعاقد عليه . وكان من شأن ذلك ان تصبح العلاقات الاقتصادية الدولية مع العالم الاشتراكى أداة لبناء الاقتصاد الوطنى المتحرر .

ولم يكن معنى التحرر ان تتخلص البلدان النامية من قبضة السوق الرأسمالية العالمية ، وانما كان معناه أنها — وعلى الرغم من كونها جزءا من السوق الرأسمالية العالمية — تسعى ، لان تكسر طوق التبعية الاقتصادية الاجنبية ، وان تحاول بناء اقتصاد وطنى متحرر يستطيع بهياكله وأدواته أن يحد من الاثر السلبى للسوق الرأسمالية العالمية . وكان ذلك يتم من خلال ادوات معينة هى : **أولا ، تصفية المواقع الاقتصادية لرأس المال الاجنبى ، ثانيا ، تأميم واحتكار الدولة للتجارة الخارجية تصديرا واستيرادا وللعملات الاجنبية الناجمة عنها ، ثالثا : تأميم الوكالات التجارية الاجنبية ، رابعا ، الاخذ بأسلوب التخطيط لضمان النمو المتوازن للاقتصاد القومى فى مجموعه ، خامسا ، اتخاذ الاجراءات لموازنة الاسعار فيما بين الخارج والداخل واعتماد أسلوب الدعم لضمان استقرار السلع الضرورية لاغلبية المواطنين ، سادسا ، وجود القطاع العام فى الانتاج وفى التجارة الداخلية وبخاصة فى تجارة الجملة** .

وبالفعل أحس المواطنون دائما بأن هناك محاولة محمودة لعزل السوق الداخلية عن التأثيرات السلبية والضارة للسوق الخارجية . ونعمت البلاد بمستويات أسعار داخلية بعيدة الى حد كبير عن تقلبات الاسعار العالمية . .

وانما فى السنوات الاخيرة ، وابتداء من الاخذ بنظام السماح بالاستيراد بدون تحويل عملة ، بدأت قضية الدولة تتراخى على التجارة الخارجية ، واخذت الاسعار الداخلية تعكس بدرجة متزايدة تقلبات الاسعار فى السوق الرأسمالية العالمية . لم يعد الاستيراد احتكارا

كاملا للدولة . وزاد دور الوسطاء فى التجارة الخارجية والتجارة الداخلية وزادت اهمية التهريب فى تزويد السوق الداخلية بكثير من السلع المستوردة . ونمت رأسمالية تجارية طفيلية مرتبطة بالسوق الخارجية . ومع زيادة الدخول بأيدى الفئات الطفيلية والرأسمالية النامية ، زادت التطلعات الاستهلاكية ، ونمت قيم ضارة بالنسبة للانفاق الاستهلاكى .

ولقد جاءت الاجراءات الاخيرة الخاصة باباحة الاستيراد للقطاع الخاص لكافة السلع من مستلزمات الانتاج والسلع الاستهلاكية ، والتراجع عن مبدأ احتكار الدولة للعملة الاجنبية — وهو المبدأ الذى تقرر منذ عام ١٩٤٧ — ، واقرار مبدأ تخفيض الجنيه المصرى تخفيضا فعليا من خلال السوق الموازية ، جاء كل ذلك ليزيل كل حائل بين السوق الداخلية وتأثيرات السوق العالمية . ان ادوات السلع المختلفة — من مستلزمات انتاج وسلع استهلاك — صارت تشترى من الخارج بسعرين للعملة ، رسمى وتشجيعى . والفرق بينهما يبلغ ٥٥٪ . وتأثير الفرق على تكاليف الانتاج واضح لا مراء فيه . ولابد من توحيد البيع فى السوق بالسعر المرتفع لا بالسعر المنخفض . ونفس السلع يتم استيرادها بواسطة القطاع العام ، وهو مقيد بالتسعيرة ونظم تسعير السلع . ولابد ان يحاول مجاراة القطاع الخاص فى البيع بالاسعار المرتفعة . ومن هنا مشروعية السوق السوداء، ومشروعية الغاء نظام التسعيرة .

ان السوق المصرية مفتوحة الان بالكامل على السوق الرأسمالية العالمية ، تنقل الى الداخل كل ما يجرى من تضخم فى الخارج . ولم تعد تجدى سياسة الدعم والاعانة للمحافظة على اسعار بعض السلع فى الداخل . فارتفاع اعتمادات الدعم الى اكثر من ٦٥٠ مليون فى السنة ، يجب أن يحمل على ان نعيد النظر فى هذه السياسة التى فقدت علتها وصارت غير ذى موضوع ، فلمصلحة من تدفع هذه الملايين ؟ ولاى جدوى ، مادامت السوق مفتوحة على مصراعيها تتلقى صدمات الخارج بلا مقاومة ؟

ان استيراد التضخم ليس قدرا محتوما علينا، وباستطاعتنا دائما ان نقف فى وجهه ، بسواء بعزل اقتصادنا القومى تماما عن تأثيرات السوق الرأسمالية العالمية ، أو بالحد من تأثيراتها السلبية والضارة على اقتصادنا القومى . وهذا ما يفعله كثير غيرنا فى البلاد الاشتراكية والبلاد النامية . وهو ما كنا نفعله بنجاح كبير فيما مضى.

□ □ □

○ الأسباب الحقيقية للغلاء في مصر

د. ابراهيم حسن العيسوى*

ماهى الاسباب الجذرية لهذا الاتجاه التصاعدى الملموس والمستمر فى أسعار كافة السلع والخدمات فى مصر .

فى تقديرى أنه يمكن حصر هذه الاسباب وتصنيفها فى عشر مجموعات على النحو التالى :

١ — طبيعة عملية التنمية الاقتصادية . ٢ — بطء النمو الاقتصادى . ٣ — سوء تخطيط التنمية . ٤ — الانفاق العسكرى الذى تفرضه معركة التحرير . ٥ — تضخم الجهاز البيروقراطى . ٦ — النمط الخاص بتمويل العجز فى ميزانية الدولة . ٧ — نمط توزيع الدخل والسلوك الاقتصادى المتميز للرأسمالية المصرية . ٨ — ارتفاع تكلفة الانتاج ٩ — النمو غير المتكافىء للاجور والانتاجية . ١٠ — النمو السريع للسكان .

* مدرس اقتصاد بقسم الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة جامعة الازهر

وهى أسباب ليست منفصلة ولا منعزلة بعضها عن بعض ، وانما هى أسباب متداخلة ومتشابكة الى حد كبير .

ولعله من المفيد قبل الخوض فى تفاصيل هذه الاسباب ــ أن نذكر حقيقة هامة نأمل أن يساعد العرض التالى على توضيحها بما لا يدع مجالا للشك . وهى حقيقة يساعد ادراكها على التعرف على المدخل السليم لعلاج أزمة التضخم فى المدى القصير والطويل على حد سواء ، وهــى : **ان ظاهرة التضخم التى يعانى منها الاقتصـاد والمجتمع المصرى ، وأن كان لها جوانبها النقدية والمالية التى لا يمكن انكارها ، الا أنها فى الاصل ظاهرة اجتماعية تاريخية بالدرجة الاولى ــ تعكس من بين ما تعكس ظروف التطور الاقتصادى للبلد، وحالة الاقتصاد المصرى ككل : ومقدرته علـى الاستجابة لحاجات الجماهير المتزايدة : كما أنها تعكس الظروف والعلاقات الاجتماعية التى تصنع للاقتصاد والمجتمع فى مصر مسارا متميزا .**

والان الى قائمة الاسباب ندرسها بندا بندا :

١ ــ **طبيعة عملية التنمية** . من المعـروف اقتصاديا أنه لا مفر من قدر معين من ارتفاع الاسعار فى بلد يحاول تنمية موارده الاقتصادية ، والارتفاع بمعدلاتها . وقد يختلف مدى ارتفاع الاسعار ، كما قد تختلف طبيعته من حيث كونه ارتفاعا صريحا أو ارتفاعا مكبوتا ، وذلك من بلد الى آخر ، حسب الحالة الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد . وبالذات حسب كون هذا الاقتصاد يسير على أسس رأسمالية واضحة ، أو يسير على نمط الاقتصاد المختلط ، أو يأخذ بأسلوب التخطيـط القومى الشامل . لكن لا جدال فى أن هـذه الاختلافات من بلد لاخر ، لا تنفى خطر ارتفاع الاسعار فى ظل التنمية والتى يمكن ارجاعها الى التالى :

● **طول فترة التفريخ لمعظم المشروعـات الانتاجية** . اى ضرورة انقضاء فترة من الزمن يتم فيها دفع أجور وانفاق من غير تحقق أى انتاج مقابل ، وذلك ريثما يتم تشييد المصانع وتجهيزها بالمعدات والادوات الضرورية للانتاج ، أو ريثما يتم الانتهاء من بعض المشروعات الحيوية كاقـامة السدود والخزانات واستصلاح الاراضى والتى تستغرق فى العادة وقتا طويلا حتى تظهر آثارها على الانتاج .

● **ضخامة نسبة الاستثمارات التى تـوجه لقطاع التشييد** . (٥٠ فى المائة تقريبا) وهنا يتم أيضا رفع أجور وانفاق دون ظهور انتاج مادى فى صورة سلع وخدمات يمكن استهلاكها . والملاحظ فى معظم البلدان المختلفة ان هناك قدرا لا بأس به من التشييدات لا ضرورة له فى الواقع ، أو على الاقل يمكن تأجيله للمراحل المستقبلة للنمو كما يلاحظ ان هناك نوعا من الاسراف والبذخ فى اقامة المبانى العامة وتجهيزها . والدافع هنا مظهرى بحت ، بمعنى أن الدولة تتعجل اظهار نتـائج أعمالها ، وتحاول أن تخلق أشياء يشار اليها كعلامات للانجاز والتقدم ، حتى وان كانت مظاهر جوفاء للانجاز والتقدم (كبناء مبنى ضخم وفخم لوزارة التخطيط ، حتى وان لم يكن هناك تخطيط فعال ولا خطة حقيقية تنفذ فعلا) .

● **ضرورة استيراد قدر كبير من السلع الاستثمارية والوسيطة لفترة طويلة** ، قبـل أن تتحقق زيادة فى الانتاج تمكن من زيادة الصادرات بمعدل معقول . واذا أخذنا بعين الاعتبار تدهور نسب التبادل الخارجى للدولة المتخلفة ، أى ارتفاع أسعار وارداتها بمعدل أكبر مـن ارتفـاع صادراتها ، لاتضح لنا أن عملية التنمية تحمل فى طياتها فى ظل الاوضاع الراهنة استيرادا صافيا لارتفاع الاسعار .

٢ ــ **بطء النمو الاقتصادى** . فالتضخم يعنى أن الطلب يزيد بمعدل يفوق معدل نمو العرض ، أى أنه يعنى وجود « فائض طلب » . أو ، بعبارة أخرى ، **فان حالة التضخم هى تعبير عن عجز الجهاز الانتاجى للدولة عن الـوفاء بحـاجات الجماهير ، وعدم مقدرة الانتاج على النمو بمعدل متكافىء مع معدل نمو الطلب** . واذا أخذنا معدل نمو الدخل القومى كمؤشر ، فاننا نجد أنه خلال عقد الستينات كان متوسط هذا المعدل حوالى ٤ر٨ فى المائة ، وحتى لو استبعدنا السنتين ٦٦ ــ ٦٧ و٦٧ ــ ٦٨ ، فان هذا المعدل لا يرتفع لاكثر من ٢ر٦ فى المائة . ولكن متوسط معدل النمو يخفى حقيقة لها اهميتها ، وهى أن هذا المعدل شهد هبوطا فى النصف الثانى من الستينات ، بالمقارنة بنصفه الاول ، فقد كان هذا المعدل خلال **النصف الاول** وهو فترة الخطة الخمسية الاولى حوالى ٥ر٦ فى المائة ، بينما لم يزد عن ١ر٣ فى المائة خلال النصف الثانى . وفى رأى البعض أن معدل النمو الفعلى خلال السنوات الاخيرة قد لا يزيد كثيرا على معدل نمو السكان (٥ر٢ فى المائة ــ ٩ر٢ فى المائة) ان لم يقل عنه .

ولتباطؤ النمو فى مصر أسباب عـديدة أهمها : « ١ » ضآلة الفائض الاقتصادى المتحقق

والممكن توجيهه بالتنمية بالرغم من أن الفائض الممكن تحقيقه أكبر بكثير مما يتحقق فعلا — **ب — انخفاض المدخرات القومية** بشكل عام ، والتراخى فى بذل جهد كاف بتجميع المدخرات القومية وتوفير القنوات الادخارية المناسبة خاصة لمتوسطى وصغار المدخرين . **جـ — عدم نمو الانتاجية بشكل يذكر فى القطاعات الانتاجية** ، وخاصة فى قطاع الزراعة وقطاع الصناعة ، حيث **تتدهور** الانتاجية فى الاول بمعدل ٤٥ر. فى المائة سنويا ، وتتزايد فى الثانى بمعدل ٢١ر. فى المائة سنويا ، وفقا للتقديرات المتاحة عن السنوات الاخيرة . د — **سوء تخطيط النمو** بحيث لا يتحقق أكبر ناتج كلى ممكن من تخصيص الموارد المتاحة للاقتصاد المصرى ، كما سيأتى ذكره فى [٣] . هـ — **انخفاض مستوى الكفاءة** فى الإقتصاد القومى ، وفى القطاع العام بوجه خاص . وأخيرا — و — **عجز الإطار التنظيمى والمؤسساتى القائم** (علاقات الانتاج) عن توفير الجو المناسب لانطلاق قوى الانتاج وتطورها .

٣ — **سوء تخطيط التنمية** . فبالرغم من وجود وزارة ولجان واجهزة عديدة ومعهد للتخطيط، الا أنه لا يمكن القول حتى الان بأن هناك تخطيط فعال للتنمية فى مصر . ولا شك أن بعض أوجه القصور فى العملية التخطيطية يرجع الى نواح فنية ، والى عدم توفر بيانات كافية وبمستوى الجودة الذى يمكن من اعداد خطط يوثق بها . لكن البعض الاخر من أوجه القصور يرجع بلا شك الى أمور اخطر شأنامثل عدم وجود ترتيب واضح للحاجات والأولويات ، وعدم وجود معايير حاسمة يستند اليها فى المفاضلة بين السياسات والمشروعات ، وكذا الى غياب تصور واضح لاستراتيجية النمو على المدى الطويل . يضاف الى ذلك مسلك القيادة السياسية فى مصر الخاص باتخاذ قرارات واجراءات اقتصادية فجائية — لاسباب سياسية فى غالب الاحوال — غير عابئة بما هو موضوع من خطط وغير مكترثة باستبيان الاثار وردود الفعل المختلفة لهذه القرارات والاجراءات على الحياة الاقتصادية .

ويهمنا أن نركز بوجه خاص على ثلاث نقاط نعتقد أنها توضح مسئولية القصور التخطيطى عن التضخم :

● **الإعتماد على سياسة احلال السلع المحلية محل الواردات** . وقد انصب ذلك بشكل واضح وفى حالات عديدةعلى السلع الجاهزةالتى يتطلب انتاجها محليا استيراد مستلزمات انتاج عديدة ، وأيضا على سلع ليست هى بأية حال مما يدخل فى قائمة الطلب الشعبى مثل السيارات الخاصه والثلاجات والتيفزيونات وما الى ذلك . وتحول الامر الى تزايد ضخم فى وارداتنا من مستلزمات الانتاج بعد أن كنا نستورد السلع الجاهزة ، مما حمل ميزان المدفوعات أعباء شديدة . وجدير بالذكر أن لهذه السياسة آثار خطيرة فضلا عن عبء ميزان المدفوعات ، فهى مسئولة الى حد كبير عن الطاقات العاطلة فى القطاع الصناعى وغيره من القطاعات والتى تترتب على عدم توفر النقد الاجنبى اللازم لاستيراد مستلزمات الانتاج . واذا كان عدم استيراد السلعة جاهزة فى الماضى ، يعنى عدم توفرها فى السوق ، فان الوضع الان صار أخطر ، لان عدم استيراد مستلزمات انتاج هذه السلعة يعنى تعطل جزء كبير من الجهاز الانتاجى . ويعنى استمرار دفع أجور عمال وموظفين والانفاق على جهاز ادارة ضخم دون تحقق أى انتاج أو دون تحقق انتاج مناسب لهذا الانفاق . ولهذا الامر علاقته الواضحة بالتضخم . كذلك بينما كان الامر مقتصرا على استيراد سلعة جاهزة فى الماضى ، وكان محاولة تجنب آثار الارتفاع العالمى فى أسعارها لا يقتضى أكثر من مجرد الحد من استيرادها أو ايقافه ، فان ذلك لم يعد متيسرا الان لان الامتناع عن استيراد مستلزمات الانتاج يعنى توقف مصانع وتعطل أكثر من عجلة من عجلات الانتاج . **وهكذا أدت هذه السياسة الى خلق قنوات عديدة لاستيراد التضخم** .

● **غياب تخطيط فعال للطلب** . وذلك عن طريق سياسات واضحة للاسعار والدخول والضرائب يمكن بواسطتها ضبط الطلب ، والحد من تزايده على بعض السلع . ذلك أنه جزء ضرورى من أية خطة سليمة ، أن نوازن بين المعروض أو المتوقع عرضه من السلع ، وبين المطلوب أو المتوقع طلبه من هذه السلع ، حتى لا يفلت الزمام ، ويؤدى الى أزمات نقص فى السلع يتفجر فى صورة ارتفاع فى الاسعار على النحو المشاهد حاليا فى مصر .

● **غياب تخطيط مالى يواكب التخطيط العينى** . أن تنفيذ أية خطة يتطلب تدبير التمويل اللازم لها ، ولابد لكى يكون التخطيط مثمرا وفعالا ، أن نضمن تناسب الموارد التمويلية مع الموارد الحقيقية ، بحيث لا يؤدى العجز فى الاولى الى قصور عن تحقيق أهداف الخطة ، وبحيث لا يؤدى الفائض فيها الى أن يطارد قدر كبير من

النقود قدرا قليلا من السلع فيحدث تضخم . ولا شك أنه من الملاحظ حاليا وجود سيولة فائضة فى البنوك ، وأيضا فى أيدى بعض قطاعات المجتمع ، الامر الذى يدفع البنوك الى التساهل فى منح القروض للاغراض الاستهلاكية ولغير أغراض الانتاج ، كما يدفع بالقطاعات المذكورة الى زيادة انفاقها الاستهلاكى . وهذا يؤدى فى ظل عجز الانتاج وبطء نموه الى ارتفاع الاسعار كما هو مشاهد حاليا ولا شك فى أن ذلك راجع الى غياب سياسة مالية ونقدية رشيدة . كما أنه يرجع الى غياب سياسة ادخارية سليمة خاصة بالنسبة لصغار ومتوسطى المدخرين ، الذين يتجمع فى أيديهم قدر لا يستهان به من الدخل القومى ، ولا يهابون شبح التأميم أو المصادرة مثل كبار الرأسماليين ، أو على الاقل لا يتخوفون منه بنفس الدرجة .

● **تضخم الانفاق العسكرى من أجل معركة التحرير** . الانفاق الحربى برغم ضرورته فى معركتنا ــ كما هو معروف ليس واحدا من الانشطة الانتاجية . وهذا معناه أن الانفاق العسكرى هو انفاق لا يقابله ناتج مادى حقيقى يمكن استهلاكه أو استخدامه فى العمليات الانتاجية التى تولد ناتجا بدورها . اذن **الانفاق العسكرى يؤدى حتما الى شىء من ارتفاع الاسعار (الا فى حالات الركود الاقتصادى)** . أضف الى ذلك أن زيادة الجيش تنطوى على سحب قوى عاملة مدربة من القطاعات المنتجة ، وتحويلها الى قطاع غيرمنتج اقتصاديا ، ولهذا أثره على الانتاج ، حتى ولو أمكن تعويض هذا السحب بقوى عاملة جديدة .

ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة تضخم الانفاق العسكرى لا ترجع فقط الى السنوات الاخيرة ، وتضخم الانفاق العسكرى والحرب يؤديان للتضخم من ثلاث طرق على الاقل لها آثارها التضخمية وهى :

● **تزويد الجيش بالمعدات والسلاح** ، وهذا يأتى معظمه من الخارج عن طريق القروض الاجنبية . وهذه القروض لابد وأن تدفع بالطبع ان عاجلا أو آجلا . واذا تغاضينا عن ترتيبات السداد وطرقه المختلفة ، فان السداد لا يعدو فى جوهره أن يكون تحويلا لجزء من انتاج البلد الى الخارج ، أى فى صورة زيادة فى الصادرات . وهذا بالطبع يكون على حساب انتقاص المتاح من السلع للاستخدام والاستهلاك المحلى ، أو حتى للتصدير فى مقابل واردات من السلع الاستهلاكية أو الانتاجية .

● **الانفاق العسكرى المحلى** ، فى صورة مرتبات ومكافآت ومعاشات وتعويضات وانشاءات ومؤن . وهذا الانفاق يمثل استخداما لموارد كان من الممكن استخدامها فى اغراض انتاجية لخدمة التنمية . **وثانيا** أن توسع الجيش فى العدد ينطوى على زيادة مباشرة فى الاستهلاك . فالفلاح الذى يستدعى للخدمة العسكرية يستهلك من السلع الغذائية والملابس ما يزيد بكثير على مستوى استهلاكه السابق منها ، كما وكيفا . . هذه الزيادة فى الاستهلاك فى ظروف عدم تزايد الانتاج بمعدلات معقولة . لابد وأن تتم على حساب نقص المتاح من السلع للاستهلاك المدنى ، الامر الذى يزيد من الضغط التصاعدى على الاسعار .

● **الاثار التدميرية للحرب** . فقد أدت العمليات الحربية الى دمار جزء من الموارد والقوى الانتاجية للبلد ، الامر الذى ترك بصماته على بعض فروع الانتاج ، وعلى مقدرة الجهاز الانتاجى على الاستجابة لحاجات الجماهير . لقد ترتب على الحرب ــ مثلا ــ تعطيل القطاعات المنتجة بمنطقة القناة ، وكذلك توقف انتاج البترول والمنجنيز والجبس والكاولين ورمل الزجاج والفحم من سيناء .

● **تضخم الجهاز البيروقراطى والانفاق العام غير المنتج** . لقد شهدت مصر نموا سرطانيا خطيرا فى أجهزة الادارة الحكومية من مصالح ووزارات وهيئات ومؤسسات عامة ، وكذلك فى الاجهزة واللجان المشرفة على القطاع العام وعلى توجيه السياسة القومية فى مجالاتها المختلفة . كما شهدت نموا هائلا فى عدد الدرجات الوظيفية فى المستويات العليا ، كدرجات الوزراء ووكلاء الوزارات ومديرى العموم ، فضلا عن تزايد عدد مستشارى رئيس الجمهورية بصورة لافتة للنظر فى الفترة الاخيرة . وقد ترتب على ذلك تضخم وأضخم في الانفاق الحكومى لا يقابله انتاج مادى ، أو حتى غير مادى يعتد به على الاقل فى الاجل القصير . أضف الى ذلك ما يتسم به الانفاق الحكومى فى مصر من اسراف وغياب للرشد الاقتصادى، سواء فى مجالات الانفاق الداخلية أو الخارجية . هذا فضلا عن التبديد والسلب والنهب وغير ذلك من صور الفساد التى تتم تحت سمع

وبصر القانون أحيانا ، وفى غفلة منه أحيانا أخرى .

واذا كانت الاصوات تتعالى منددة بما آل اليه أمر الاستهلاك فى مصر ، فانه من المفيد أن نذكر — ونتذكر دائما — **ان الانفاق العام مسئول بدرجة متزايدة عن ضخامة النسبة التى يبتلعها الاستهلاك من الدخل القومى** . والتى بلغت حوالى ٩٣٫٤ فى عام ٦٩ — ١٩٧٠ بأسعار السوق الثابتة لسنة ٦٤ — ١٩٦٥ فالواقع ان نسبة استهلاك الافراد الى الناتج القومى الاجمالى بالاسعار الثابتة لسنة ٦٤ — ١٩٦٥ ظلت فى حدود ٦٥ فى المائة — ٦٧ فى المائة وذلك منذ عام ٦٤ — ١٩٦٥ حتى ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . بينما أن نسبة الاستهلاك العام [المدنى والحربى] كانت آخذة فى التزايد باستمرار خلال تلك الفترة ، اذ أنها ارتفعت من حوالى ٢٠ فى المائة فى ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ٢٧ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى فى ٦٩ — ١٩٧٠ .

وهذا النمو فى الجهاز البيروقراطى فى مصر ظاهرة لها جذور تاريخية ضاربة فى الماضى البعيد . فمنذ أقدم العصور ، حرصت مصر دائما على تكوين جهاز ادارى مركزى ضخم ، وذلك بقصد التحكم فى نهر النيل وترشيد استخدام مياهه لخدمة الزراعة المصرية . لكن اذا تأملنا الفترة المعاصرة ، فاننا نجد أن هناك أسبابا أخرى لهذه الظاهرة ، لعل اهمها هو الخلفية الفكرية للبيروقراطية فى مصر ، وما تؤدى اليه من تصور امكان حل أى مشكلة بأمر أو قرار أو بتكوين لجنة أو جهاز أو ادارة أو وزارة جديدة . أضف الى ذلك التوسع فى انشاء الوظائف والدرجات المدنية لمراضاة من استبعدوا أو انتهت مدة خدمتهم فى اجهزة الدولة المختلفة . ولا يفوتنا أن نذكر أن توسع التدخل الحكومى فى المسائل الاقتصادية والاجتماعية — خاصة بعد حركة التأميمات الكبرى فى أوائل الستينات — قد استتبعه قيام جهاز ادارى ضخم .

وأخيرا ينبغى أن نذكر حقيقتين على درجة كبرى من الاهمية : **الاولى أن المناخ السياسى الذى ساد مصر منذ قيام الثورة ، وما تميز به من قلة الجدل العام والنقد العلنى ، لم يكن مساعدا بأية حال على خلق أى نوع من الضوابط على النمو البيروقراطى فى مصر ، ولا حتى على الارتفاع بكفاءة الاداء فيه . والثانية . أن هناك مصلحة ذاتية للعاملين فى القطاع الحكومى والقطاع العام على ضمان التوسع المستمر للجهاز الادارى للدولة والمؤسسات الاشرافية على القطاع العام ، كوسيلة لتوفر فرص متجددة للترقى المادى والادبى .**

٦ — **الافراط فى استخدام أسلوب التمويل بالعجز** . يرجع البعض بداية ظهور التضخم فى مصر الى أواسط الخمسينات ، عندما بدأت الحكومة فى اتباع اسلوب تمويل العجز فى ميزانية الدولة عن طريق زيادة الاصدار النقدى والقروض المصرفية . وقد ظل هذا الاسلوب ساريا حتى الان ، ربما بمعدلات متزايدة . لقد زاد حجم وسائل الدفع ما بين يونيو ٦٩ — ١٩٧٠ ويونيو ١٩٧٢ مثلا بنسبة تقرب من ١٠ فى المائة ، كما زادت قيمة أذونات الخزانة بنسبة تقرب من ١٤ فى المائة سنويا . وفى السنة المنتهية يونيو ١٩٧٢ ، بلغت نسبة الزيادة فى وسائل الدفع ما يقرب من ١٢ فى المائة ، وذلك فى حين أن نسبة زيادة الناتج الحقيقى خلال نفس الفترة لم تزد عن ٤ فى المائة ، على أحسن الافتراضات . وهذا تجسيد واضح للتعريف الذى يستخدمه بعض الاقتصاديين للتضخم وهو أن **كمية كبيرة من النقود تطارد كمية صغيرة من السلع** .

ومجرد استخدام هذا الاسلوب ، فى تمويل عجز الميزانية ، يشكل ظاهرة عجيبة حقا فى اقتصاد يقال انه مخطط ! بل ان اتباع هذا الاسلوب عاما بعد عام ، دون الاكتراث بعواقبه الوخيمة على الاسعار ، يعد تجاهلا لدور التخطيط فى التنسيق بين الموارد المالية والموارد العينية . وهذا ما يعود بنا الى تكرار التأكيد على خطورة غياب تخطيط مالى يواكب التخطيط العينى .

والامر الذى ينبغى الا يفوتنا ذكره ، هنا ، هو **أن الاعتماد على أسلوب التمويل بالعجز عن طريق التوسع النقدى والائتمانى لم يكن بأية حال ضرورة حتمية لا مهرب منها ، وانما كان اختيارا له مضمون اجتماعى وسياسى محدد** . ذلك لانه يوجد أمام السلطة واضعى السياسة دائما بديلان :
أما زيادة الموارد العامة وخاصة عن طريق الضرائب .

واما الاقتراض من الجهاز المصرفى والتوسع فى الاصدار النقدى .

ولكل من هذين البديلين آثاره الاقتصادية وايضا تكلفته الاجتماعية المميزة . ويهمنا هنا ايضاح المضمون الاجتماعى للبديلين بوجه خاص . فزيادة الضرائب تعنى بالدرجة الاولى وضع العبء على الفئات القادرة والطبقات الغنية ، فى حين ان زيادة الاقتراض المصرفى

والاصدار النقدى ، وما يستتبعها من زيادة فى الاسعار ، تعنى تحميل العبء لفئات ذات الدخل المحدود والطبقات الفقيرة . ذلك لان الاغنياء يستطيعون دائما تجنب آثار التضخم ، بل وجنى بعض الربح من خلال حركة تصاعد الاسعار . **وهكذا فاختيار البديل الاخير ، لم يكن خيارا اقتصاديا خالصا ، وانما كان خيارا اجتماعيا بالدرجة الاولى ، وعلى حسب البديل المختار ، تتضح نوعية الفئات والطبقات التى تنحاز السلطة لمصالحها .**

٧ ـ **نمط توزيع الدخل والسلوك الاقتصادى للرأسمالية المصرية** . برغم التغيرات الاجتماعية العديدة التى حدثت فى مصر ابتداء من الاصلاح الزراعى حتى عمليات التأميم ، فان طبقة ملاك وسائل الانتاج ما زالت تستحوذ على نصيب ضخم من الدخل الكلى . لقد بلغت نسبة عوائد حقوق التملك الى الدخل المحلى الاجمالى (بالاسعار الجارية) حوالى ٥٤ فى المائة بينما كانت نسبة الاجور ٤٦ فى المائة . وقد ظلت هذه النسب ثابتة تقريبا خلال النصف الثانى من الستينات المتاح أمامى بياناته . وليس من شك ، فى أن التطورات الاخيرة فى الاقتصاد والمجتمع المصرى قد زادت من نصيب عوائد حقوق التملك على حساب نصيب الاجور فى الدخل . وضخامة نسبة عوائد حقوق التملك ليست غريبة حقا ، اذا علمنا أن القطاع الخاص ما زال مسئولا حتى الان عن ٤٧ فى المائة من الانتاج القومى ، أى ما يقرب من نصف الانتاج القومى . وحتى فى غياب احصاءات دقيقة عن توزيع الدخل على الطبقات ، فان نمط الاستهلاك المشاهد حاليا يكفى للتدليل على وجود فئات تستحوذ على دخول غاية فى الارتفاع ، ولا تنال منها مصلحة الضرائب شيئا يذكر ، مثل المقاولون والتجار والمضاربون وبعض أصحاب المهن الحرة والمستفيدون بغير وجه حق من القطاع العام .

واذا كان القطاع الخاص يستحوذ على مثل هذه النسبة الضخمة ـ الناتج القومى ، فقد كان من المتوقع أن تزداد مدخراته ويزداد اقباله على استثمار هذه المدخرات فيما يعود على الاقتصاد القومى بالخير . ذلك لانه من المعروف تاريخيا ، أن الطبقة الرأسمالية هى طبقة مدخرة أساسا ، بمعنى أن ميلها للاستهلاك منخفض وميلها للادخار مرتفع عن بقية الفئات والطبقات الاجتماعية . **لكن الملاحظ فى مصر هو أن الرأسمالية طبقة مستهلكة** . كذلك من المعروف تاريخيا أن الرأسمالية طبقة مستثمرة ، وانها المسئولة عن **تطور الانتاج فى البلدان الرأسمالية بمعدلات** كبيرة . **ولكن الملاحظ أيضا فى مصر أن الطبقة الرأسمالية كانت عازفة باستمرار عن الاضطلاع بمهام تنمية الاقتصاد المصرى ، وانها فضلت دائما الاستثمار غير المنتج على الاستثمار المنتج** . وحتى اذا التمسنا للرأسمالية بعض العذر فى الفترة الاخيرة نظرا لتخوفها من التأميم وعدم وضوح المجالات المصرح فيها للرأسمال الخاص بالعمل فى ظل اليقين والامان ، الا اننا نلاحظ أن هذا المسلك من جانب الرأسمالية كان موجودا ايضا حتى فى أوائل سنوات الثورة ، بل انه كان فى حقيقة الامر أحد الاسباب الرئيسية التى اضطرت السلطة فى النهاية الى الاضطلاع بمهام التنمية ، ومحاولة توفير الموارد لها ، والتحكم فى مسارها عن طريق التأميم وانشاء القطاع العام .

ويهمنا فى هذا الصدد ابراز ثلاث نقاط لها صلة وثيقة بحالة التضخم التى تشهدها البلاد ، وهى :

● ان تزايد الميل للاستهلاك لدى الطبقات الوسطى والغنية ، وعزوفها عن زيادة مدخراتها وتثميرها ، يعنى زيادة الاستهلاك الكلى دون تحقيق زيادة مناسبة فى الانتاج الكلى من جانبها ، وهذا مما يؤدى الى شىء من ارتفاع الاسعار . **ويستدل على أن الطبقات الوسطى والغنية هى المسئولة بدرجة كبرى عن ارتفاع الاسعار بأن الارقام القياسية التى سجلت أعلى ارتفاع فى الاسعار كانت تلك الخاصة بمجموعات سلعية مستهلكها الرئيسى هو الطبقات الموسرة** . والملاحظ أن الدولة قد وفرت لهذه الطبقات خدمات كثيرة بالمجان مثل التعليم والتأمين الصحى ، وكان المتوقع أن يُقابل ذلك تزايد فى المدخرات الاختيارية لها . لكن هذا لم يتحقق بدرجة تستحق الذكر ، بل تمادت هذه الطبقات فى تحسين مستوى معيشتها وزيادة انفاقها الاستهلاكى . لكن للانصاف ينبغى أن نذكر أن مجانية بعض الخدمات قد انتفت من الناحية العملية نتيجة لتدهور مستوى هذه الخدمات واضطرار القادرين على شراء هذه الخدمات عن طريق التعليم الخاص والدروس الخصوصية والعلاج الخاص) . وربما يكون من أسباب ارتفاع الميل لاستهلاك الطبقات الوسطى والغنية وجود بعض الرواسب الاجتماعية وتأثر هذه الطبقات بعادات وأسلوب الحياة الاقطاعى الذى يعتبر الانفاق والبذخ مظهرا من مظاهر المكانة الاجتماعية . هذا فضلا عن تأثر هذه الطبقات بالانماط الاستهلاكية الشائعة فى المجتمعات المتقدمة « مجتمعات الاستهلاك العالى » ، بفضل تسهيلات السفر للخارج ، وانتشار وسائل الاتصال ، وأخيرا ربما يرجع ذلك الى عدم نجاح الدولة فى توفير قنوات ادخارية مناسبة

خاصة للمدخر الصغير والمتوسط ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

● ان الطبقات الرأسمالية ، العليا والمتوسطة ، **هى التى تصنع للمجتمع نمطه الاستهلاكى** ، وتحدد لباقى الطبقات مجال تطلعاته الاستهلاكية . واذا كانت الطبقة الوسطى بالذات تقبل على الاستهلاك وتتهافت على ألوان معينة منه ، فانه بذلك تضرب المثل للطبقات الادنى . فتحاول الاخيرة رغم ضيق ذات يدها محاكاتها ، مما يضع ضغوطا اضافية على الموارد المتاحة ، ويؤدى الى مزيد من الاعوجاج فى نمط تخصيص الموارد ، بمعنى دفعه أكثر فأكثر فى اتجاه الصناعات الاستهلاكية المعمرة وغير المعمرة ، على حساب نمو الصناعات الانتاجية . ولهذا أثره الخطير على النمو فى المدى الطويل .

● **ان اقبال الرأسمالية على توظيف أموالها فى مجالات النشاط الاقتصادى غير المنتج ، بل والانشطة التى تعد بمثابة أنشطة طفيلية ، كأعمال المضاربات وبعض أعمال المقاولات وتاجير الشقق المفروشة ، وشراء العمارات بقصد اعادة بيعها ، والتهريب والاتجار فى السوق السوداء ، هو عامل من العوامل ذات الشأن الاكبر فى العمل على ارتفاع الاسعار دون مبرر حقيقى** . مثلا توسع أعمال الوساطة يعنى مرور السلعة بعدد كبير من المراحل أثناء رحلتها من المنتج الى المستهلك ، مما يضيف فى كل مرحلة الى تكاليفها ، ويرفع فى النهاية من أسعارها . **والغريب فى مصر ، هو أن عمليات الوساطة تتدخل بشكل صارخ حتى بين الاجزاء المختلفة للقطاع العام . وهو ما لا ينبغى أن يكون اذا اردنا للقطاع العام ان يكون حقا فى خدمة الجماهير ، وليس فى خدمة حفنة من الوسطاء والموردين والمتعهدين** . ومن الغريب حقا فى « دولة المؤسسات » و « سيادة القانون » ان تستشرى عمليات الرأسمالية الطفيلية ، ضد قوانين الدولة أو خارج هذه القوانين ، وأن تفلت من الاعباء الضرورية التى لا يستطيع أصحاب الدخول الصغيرة والثابتة الافلات منها . ومن العبث بالطبع أن ينادى البعض بضرورة اخضاع الدخول الطفيلية لضرائب وتحميلها جزء من أعباء المعركة . ذلك أن هذه الاعمال تتم فى معظم الاحوال خارج نطاق القوانين الموضوعة ، وكان الاجدى هو المطالبة باجتثاث الظاهرة من جذورها بحظر مثل هذه الانشطة وتصفية الطبقة التى تمارسها .

٨ ـ **ارتفاع تكلفة الانتاج** . من ضمن الاسباب المسئولة عن ارتفاع الاسعار فى مصر ، الزيادة المطردة فى تكاليف الانتاج . وبعض هذه الزيادة ناتج بالطبع من **أسباب خارجية** ، نتيجة للارتفاع العالمى فى أسعار معظم السلع التى نستوردها ، سواء كانت سلعا استهلاكية او مستلزمات انتاج او سلعا رأسمالية . لكن هناك أيضا **أسباب محلية** لهذا الارتفاع الملحوظ فى التكاليف ، لعل أهمها التالى :

انخفاض مستوى الاداء فى القطاعات الانتاجية ، وعدم ارتفاع الانتاجية بمعدل معقول ، وعدم تطور أساليب الانتاج ، وازدياد النشاط الخدمى غير المنتج ، وانتشار الطاقات العاطلة فى القطاع الصناعى وغيره من القطاعات ، والانفاق على مشاريع عديدة دون استكمال جميع مرافقها مما يؤدى الى عدم تحقق ناتج معقول منها ، وتحمل أجهزة عديدة بعمالة فائضة نتيجة لسياسة توظيف الخريجين التى تتبعها الدولة ، وتوسع الاجهزة الادارية والاشرافية دون مبرر حقيقى نابع من حاجات الانتاج ، والتعقيدات الروتينية ، وايضا عمليات التخريب والسلب والنهب وغيرها من صور الفساد التى استشرت ـ بشكل خطير ـ فى كافة أجهزة القطاع العام والحكومة . هذا بالاضافة الى ارتفاع التكلفة الناتج عن نمو النشاط الرأسمالى الطفيلى والذى سبقت الاشارة اليه .

ولا شك أن بعض هذه الاسباب يعكس نواحى قصور فنية يمكن معالجتها ، ولكن من المهم أيضا أن نذكر أن بعضها يرجع الى أسباب تاريخية اجتماعية ، مثل عمليات تخريب القطاع العام ومحاولة اثبات فشله أمام الجماهير ، ذلك كرد فعل لحركة التاميمات الكبرى من جانب الطبقات التى أضيرت من التاميم ، وكذلك من جانب الفئات التى حاولت تحسين أوضاعها على حساب الصالح العام للجماهير . **ولا شك فى أن الحال ماكانت تتدهور الى ما آلت اليه لو كان يساند السلطة تنظيمات سياسية وجماهيرية ناضجة تدافع عن مصالح الجماهير ، ولو كان هناك مناخ ملائم يشجع على النقد ويدعم الرقابة القانونية والشعبية على الاموال العامة** .

٩ ـ **النمو غير المتكافىء للاجور والانتاجية** . التضخم عملة ذات وجهين . واذا كان أحد وجهيها هو ما أشرنا اليه سابقا من عدم التكافؤ بين كمية النقود المتداولة وكمية السلع والخدمات المتاحة فى الاسواق ، فان وجهها الاخر هو عدم التكافؤ بين

الزيادة فى الاجور والزيادة فى الانتاجية . على سبيل المثال نجد فى خطة ١٩٧٤ أن الزيادة المستهدفة فى متوسط الانتاجية هى ٧ر٤ فى المائة فى المتوسط ، فى حين أن الزيادة المستهدفة فى متوسط الاجر هى ٦ر٤ فى المائة . وكمتوسط عام للسنوات الاخيرة نجد أن معدل زيادة الانتاجية كان ٢٣ر. فى المائة سنويا فى حين أن معدل زيادة الاجور ٤٣ر٤ فى المائة سنويا . بعبارة أخرى فان **الانتاجية ثابتة تقريبا من عام لآخر ، فى حين تتزايد الاجور بمعدل ضخم .**

على أن هذه المقارنة بين المتوسط العام للزيادة فى الاجور والمتوسط العام لزيادة الانتاجية هى مقارنة غير دقيقة ، بل ان الاعتماد عليها على هذا المستوى من التعميم ربما يوقعنا فى أخطاء فادحة ونحن بصدد وصف علاج للازمة . فتلك الارقام تخفى فى طياتها بعض الحقائق التفصيلية الهامة . وبشىء من التفاصيل نجد لدينا الصورة التالية :

الاجور تزيد بمعدل أقل من معدل زيادة الانتاجية فى قطاع التشييد (أجور ٨٢ر٢ فى المائة ، انتاجية ٩٨ر٢ فى المائة) وفى قطاع الكهرباء (أجور ٦٥ر٤ فى المائة ، انتاجية ٩٤ر٦ فى المائة) ، بينما يزيد معدل زيادة الاجور عن معدل زيادة الانتاجية فى باقى القطاعات . فى قطاع الزراعة ، نجد أن الاجور تزيد بمعدل ٩١ر٤ فى المائة فى حين أن الانتاجية سجلت تدهورا بنسبة ٤٥ر. فى المائة سنويا ، وهذا يعكس بجلاء مأزق النمو الذى تمر به الزراعة المصرية . وفى قطاع الصناعة تزايد الاجور بمعدل ١٣ر٢ فى المائة فى حين لا تتزايد الانتاجية سوى بنسبة ٢١ر. فى المائة ، وهذا أيضا يعكس مأزق النمو الصناعى ، ومأزق تدهور مستوى الاداء ومأزق الفساد الذى يهدد قطاع الصناعة . أما فى قطاع الخدمات ، فان الفجوة تبدو شديدة الاتساع ، حيث تتزايد الاجور بمعدل ٤٨ر٥ فى المائة بينما تتزايد الانتاجية بمعدل ٦٥ر١ فى المائة سنويا فى المتوسط ، وذلك خلال الفترة الاخيرة .

١٠ ـ **النمو السكانى السريع** . من الافكار الشائعة أن أحد أسباب التضخم فى مصر ، بل وربما أول هذه الاسباب ، هو الزيادة السريعة فى عدد السكان . لكننا نختلف مع هذه الفكرة ، ولذا رأينا أن يأتى عامل الزيادة السكانية فى آخر قائمة أسباب التضخم . لماذا ؟ **لان الزيادة السكانية لا تؤدى فى حد ذاتها الى وجود فائض طلب فعلى ، أى الى زيادة الطلب بمعدل أعلى من زيادة العرض ، الا اذا كانت هذه الزيادة السكانية مصحوبة بزيادة فى الدخل الممكن التصرف فيه أيضا . واذا سلمنا بأن المسئول الاكبر عن الزيادة السكانية هو الطبقات الفقيرة نسبيا ، واذا سلمنا أيضا بأن هذه الطبقات هى أيضا الطبقات التى لم تطرأ على دخولها أية زيادة كبرى فى الدخل ، لكان منطقيا أن نستنتج أن الجزء الاكبر من الزيادة السكانية لا يرافقها زيادة تذكر فى الدخول ، ومن ثم لا يصحبها زيادة تذكر فى الطلب الفعال تؤدى الى رفع الاسعار .**

اذن الزيادة السكانية على النحو المشاهد فى مصر لا تنطوى على زيادة فعلية فى الطلب ، بقدر ما تنطوى على زيادة احتمالية فى الطلب ، وزيادة فى الرغبات لا تسندها قوة شرائية مناسبة . واذا كان من الشائع أيضا الاعتقاد بأن الزيادة السكانية تضع على كاهل الدولة أعباء اضافية خاصة فيما يتعلق بتوفير الخدمات الصحية والتعليمية للاعداد المتزايدة ، فان ذلك قول ينطوى على مبالغة شديدة بالنسبة للظروف المصرية . لماذا ؟ لان الملاحظ فى مصر أن هذه القطاعات بالذات لا تنمو بمعدل كبير جدا . بل كما أشرنا سابقا ، ان القطاعات الخدمية غير التعليم والصحة هى التى تحظى بالزيادة الكبرى فى معدلات نموها . ونحن بالطبع لا نبغى من هذه المناقشة نفى العلاقة بين النمو السكانى والتضخم تماما . ولكن هدفنا فقط هو اظهار وجه المبالغة فى الافكار الشائعة ، والتى تميل الى القاء المسئولية الكبرى فى ارتفاع الاسعار على « شماعة » الزيادة السكانية .

وختاما :

لعله قد اتضح من العرض السابق أن **مشكلة الغلاء فى مصر ليست مشكلة نقدية أو مالية بحتة وانما هى مشكلة لها أسباب وثيقة الصلة بقضية التنمية والتخطيط فى مصر ، وبالتطورات الاجتماعية التى شهدتها وما زالت تشهدها البلاد ، وخاصة نمو الرأسمالية الطفيلية والمسلك غير الرشيد للرأسمالية المصرية عموما ، وأيضا بنوعية الاختيارات التى تراها السلطات السياسية فى المسائل الاقتصادية ، والتى تعكس تفضيلات وانحيازات طبقية محددة .** وهذه أمور لابد وأن تؤخذ بعين الاعتبار عند التصدى لمعالجة مشكلة الغلاء فى مصر معالجة جذرية .

○ السياسة الزراعية ومسئوليتها عن الغلاء

د. محمود عبد الرؤوف

فى هذه المقالة تقييم سياسة التنمية الزراعية ، من وجهة مساهمتها فى ظاهرة الغلاء فى مصر . ولقد يبدو ، للوهلة الاولى ، أن هذه العلاقة تنعكس بشكل بسيط على أسعار السلع الغذائية . الا أن مثل هذا التقييم يجب أن يتم بتحليل العلاقة بين سياسة التنمية الزراعة وبين :

١ ـ التضخم الاقتصادى بشكل عام ، وما تضمنه ذلك من علاقات متشابكة بين سياسة التنمية الزراعية وسياسة التنمية الاقتصادية ، والسياسات السعرية وسياسات الاجور والعمالة والعلاقة بين الزراعة والصناعة .. الخ ..

٢ ـ سياسة توزيع الدخول فى القطاع الريفى وما يترتب عنها من تمايز اجتماعى وآثار مباشرة على الانتاجية .

٣ ـ مستوى معيشة الطبقات الفقيرة وعلى الاخص عمال الزراعة وفقراء الفلاحين .

وبالطبع ، فان السياسة الاقتصادية ـ بشكل عام ـ كانت بها أيضا أوجه قصور أدت الى اختناقات انعكست فى بعض مظاهر التضخم والغلاء مثل : بعض الاختلالات الهيكلية التى صاحبت سياسة الاكتفاء الذاتى والاختلال بين فجوتى الادخار ـ الاستثمار والواردات الصادرات . ولقد أدى غياب التطبيق المتكامل لمفهوم التخطيط القومى الشامل ـ بما فى ذلك ـ غياب سياسات مالية وسعرية وقوى عاملة وانتاجية ـ الى ما نراه الان من مظاهر انفجار سعرى وتهديد لمستويات الدخل الحقيقى للطبقات الدنيا . ويجب أن نضيف ـ أيضا ـ غياب أهداف اجتماعية اقتصادية للاجال الطويلة ، أو قصور وتناقض السياسات المنفذة بالفعل فى الوصول الى الاستراتيجيات التى أعلنت بين حين وآخر .

وسوف نحاول فى هذا المقام تحليل العلاقة بين سياسة التنمية الزراعية فى مصر وظاهرة الغلاء آملين أن نضع أيدينا على بعض مظاهر ضعف السياسة الزراعية حتى يمكن تلافيها عند وضع سياسة لتنمية الزراعة مستقبلا مما يحد من ظاهرة الغلاء وعلى الاخص فى السلع الغذائية ووقعها السىء على جماهير الشعب ذوى الدخول المحدودة .

السياسة الاستثمارية فى المشروعات الزراعية

بلغت اجمالى المصروفات الاستثمارية فى قطاع الزراعة والرى والصرف خلال الفترة من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٢ حوالى ٩٧٠ مليون جنيه ، خص القطاع العام منها حوالى ٩٤٠ مليون جنيه انفقت على مشروعات خاصة بالتوسع الافقى والراسى . فى حين خص القطاع الخاص حوالى ٣٠ مليون جنيه بنسبة تصل الى ٣ فى المائة من

اجمالى الاستثمارات ، فى حين أنه قطاع يتسم بسيادة الملكية الخاصة لوسائل الانتـاج .

واذا ميزنا بين هذه الاستثمارات فسوف نجد فيها حوالى ٥٤٠ مليون جنيه صرفت على مشروعات التوسع الافقى [ولن نتعرض لها هنا ، آملين أن تتاح الفرصة لتحليل أوضاع استصلاح الاراضى ضمن اطار السياسة الزراعية] . فالباقى وهو حوالى ٤٣٠ مليون جنيه صرفت على استثمارات التوسع الرأسى أى على محاولة رفع انتاجية الاراضى الزراعية . منها ٤٠٠ مليون جنيه صرفتها الدولة من ميزانيتها على مشروعات تميزت فى اجمالها بأنها مشروعات بحوث واكثار تقاوى وشتلات وتدريب بهدف خدمة قطاع الزراعة ككل ورفع الكفاءة الانتاجية للموارد الزراعية . فى حين استثمر القطاع الخاص حوالى ٣٠ مليون جنيه بنسبة تصل الى ٧ فى المائة من اجمالى استثمارات التوسع الرأسى على الرغم من أن هذا القطاع يملك ٩٥ فى المائة من اجمالى الموارد الزراعية . وقد اتجهت هذه الاستثمارات الخاصة والتى صرفت من كبار الزراع الى محاولة تجويد القاعدة المادية التكنيكية فى مزارعهم ، حيث اتجهوا الى شراء الالات والجرارات وماكينات الرى ورشاشات المبيدات وغيرها . وبينما وقع العبء الاكبر فى تطوير الزراعة على كاهل ميزانية الدولة ـ وكانت عملية تمويله من الخزانة العامة ـ فان الاستفادة من هذا التطوير كانت ـ بالدرجة الاولى ـ للقادرين على الاستفادة منه وهم كبار الزراع [أكثر من ٢٠ فدانا] حيث ان وجود مياه الرى فى مجارى الرى الحكومية لا يعنى أن جميع الزراع يحصلون عليها بنسب تكفى حاجة زراعاتهم . ولكن من يملك وسائل رفع المياه هو الذى يحصل عليها . كذلك ، فان وجود المصارف العمومية لا يستفيد منها الا القادر على شق المصارف الخاصـة ، كما أن نتـائج البحـوث الزراعية لا يعلم عنها ، ولا يستفيد منها الا من له القدرة على المعرفة والاطلاع وامكانية الاستثمار فى مستحدثات هذه التجارب والابحاث .

ولقد ترتب على هذه السياسة الاستثمارية التى لم ترتبط بمحاولات جاده لتمكين فقراء ومتوسطى الفلاحين [من يحوزون أقل من ٢٠ فدان] من الاستفادة من نتائج هذه السياسة ، ان استفاد كبار الزراع ـ بدرجة اكبر ـ من الجهد الذى يبذلونه لتطوير الزراعة . ولما كان رائدهم الحصول على أكبر ربح ممكن ، فانه فى ظل الظروف الموجودة فى الزراعة المصرية من وفرة الايدى العاملة ورخصها ، فان الحصول على أكبر ربح ممكن يمكن أن يتم دون تطوير جدى فى الزراعة . ومن ثم ، اصبح لدى كبار الزراع فائض نقدى للتصرف فيه مع ضآلة دخول الغالبية العظمى من العاملين فى الزراعة .

ولقد ترتب على هذه السياسة الاستثمارية ، وتنفيذ مشروعاتها ، نمو فى انتاج وانتاجية الحاصلات الزراعية الرئيسية خلال الفترة من ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ يمكن توضيح معدلات نموها فيما يلى :

المحصول	المعدل السنوى لنمو الغلة الفدانية	المعدل السنوى لنمو الانتاج
القطن	١ر٤ ٪	١ر٩ ٪
القمح	١ر٨ ٪	ـ ٢ر٠ ٪
الارز	١ر٢ ٪	٧ر٦ ٪
الذرة الشامية	٣ر٦ ٪	٢ر٤ ٪
البصل الشتوى	ـ ١ر٠ ٪	٢ر٤ ٪
القصـــب	٠ر٦ ٪	٢ر٣ ٪

ومن هذه الارقام يتضح أن :

ـ معدل نمو الانتاج والانتاجية كان فى معظم المحاصيل اقل من معدل نمو السكان مما ادى الى خفض نصيب الفرد من هذه المحاصيل المنتجة .

ـ ان نمو الانتاج كان يتم على حساب التوسع فى المساحة المنزرعة بدرجة أكبر فى حين كان يجب أن يتم على حساب ارتفاع الجدارة الانتاجية حتى تؤدى الاستثمارات فائدتها ويمكن زراعة محاصيل جديدة وتنويع الانتاج .

ومن ثم ، لم تتمكن الزراعة من الوفاء بالاهداف القومية المطروحة امامها مما أدى الى زيادة كمية الواردات الزراعية لتغطية حاجة الاستهلاك المحلى . وهذا أثر ـ بدوره ـ اذ نقل جزء من التضخم العالمى الى السوق المحلية المصرية ورفع اسعار المنتجات الغذائية بشكل واضح .

ولقـد ارتبطت بهذه السـياسة الاستـثمارية مجموعة أخرى من السياسات بهدف احكام السيطرة على القطاع الزراعى وتوجيهه لخدمة أغراض التنمية الزراعية وعلى الاخص زيادة الانتاج وزياده مساهمة الزراعة فى اعباء التنمية الاقتصادية العامة . ومن الامثلة على هـذه السياسات ما يلى :

سياسة الضرائب الزراعية ، والتسليم الاجبارى للمحاصيل ، وسياسة التمـويل الزراعـى ، والتجميع والدورة الزراعية .

الضرائب الزراعية :

تميز نظام الضرائب الزراعية بفرض ضريبة موحده عى وحدة الارض [الفدان] تبعا لانتاجيتها . وهذا يعنى ان من يمتلك فدانا يدفع نسبيا ما يوازى من يمتلك خمسين فدانا . وبمقارنه حجم الفائض الاقتصادى المتواجد لدى كل الحائزين فانه يتضح مدى الغبن الواقع على صغار الحائزين [هذا رغم اعفاء من يحوزون ثلاثه افدنه فاقل من كثير من الضرائب] حيث لا يجد الاول ما يقوم بحاجته المعيشيه الضروريه فى حين يتوفر لدى الثانى حجم من السيوله النقديه ـ تزيد على احتياجاته بكثير ـ يمكن استخدامها فى السوق . هذا بصرف النظر عن نوع الاستغلال الزراعى الذى يمارسه كلا من الحائزين حيث لا يستطيع صغار الحائزين ان يزرعوا الا المحاصيل التقليديه ذات العائد البسيط ، لتخصصهم فيها ، ولعدم توافر الموارد الاستثمارية اللازمه التى تمكنهم من زراعة المحاصيل غير التقليدية . فى حين يتجه كبار الزراع ـ اكثر فأكثر ـ نحو الزراعة الكثيفة للمحاصيل غير التقليدية ذات العائد المرتفع ، مما يزيد من الموارد المالية لديهم ، ويزيد من كمية الاموال السائلة فى أيديهم . وحتى الان لم توضع ضريبة على الاستغلال الزراعى والدخول الزراعية وهو الامر الذى يقلل من الدخل المحتمل للخزانة العامة .

التسليم الاجبارى للمحاصيل :

اتسمت هذه السياسة ، بتحديد نسبة واحدة للتوريد على الوحدة الارضية لكل من يزرع فدانا من محصول ما ومن يزرع الحد الاقصى للحيازة او الملكية من هذا المحصول . وفى المحاصيل الغذائية ، حيث يزيد الطلب على العرض القمح ـ الارز ـ الذرة ـ السكر ـ العدس ـ الفول .. الخ] فان ما يفيض لصغار الزراع بعد تسليم حصة الحكومة لا يكفى لسد احتياجات أسرهم . فى حين يتوفر لدى كبار الزراع كميات كبيرة من هذه المحاصيل تتم التجارة فيها فى السوق السوداء داخل القرية ، وبأسعار خيالية ومشترو هذه السلع هم فقراء ومتوسطو الفلاحين وعمال الزراعة . وهذا يعنى اعادة توزيع للدخول داخل القطاع الزراعى لصالح كبار الزراع ، الامر الذى يزيد من كمية النقود لديهم ، ويزيد من افقار فئات العمال الزراعيين وصغار ومتوسطى الفلاحين مما يدفعهم للتهرب من التسليم . وهذا يقلل من دخول الدولة من فائض قطاع الزراعة .

التمويل الزراعى :

تميزت سياسه التمويل الزراعى بالتركيز على السلف المحصوليه قصيره الاجل مع اعطاء تيسيرات لكبار الزراع فى الحصول على قروض متوسطه الاجل من اجل الميكنة الزراعية وتربية الحيوان والنحل .. الخ واستصلاح الاراضى أيضا . وبالتركيز على السلف المحصولية قصيرة الاجل ، نجد أن اعطاء هذه السلف عينيا وماليا يتم على أساس وحدة الفدا ن. وعلى هذا يحصل جميع الحائزين دون استثناء على هده السلف : كلا حسب حجم حيازته . ومع ضآلة حجم هذه القروض المخصصة لوحدة الفدان ، ومع التسليم بأن كفاءة الحيازات الكبيرة فى استخدام مستلزمات الانتاج أكبر من كفاءة الحيازات الصغيرة ، فان الفلاح الصغير والمتوسط يحصل على قرض غير كاف لاتقان عملياته الزراعية ، وزيادة انتاجه وانتاجيته . هذا بجانب اضطراره للجور على الجانب المالى من هذا القرض للصرف منه على معيشته لضآلة موارده المالية الاخرى . فى حين ان كبار الزراع ، وهم من يستطيعون تمويل عملياتهم الانتاجيه ذاتيا ، يحصلون على نفس النسبة من القروض مما يؤدى الى توفير أموالهم ومدخراتهم الخاصة للعمل بها خارج نطاق الانتاج الزراعى .

وسياسة القروض المتوسطة الاجل والطويلة الاجل والتى يمكن عن طريقها زيادة المقدرة الانتاجية للزراع تعتمد ـ الى حد كبير ـ على الضمان لرد هذه القروض . ومن ثم يستطيع أن يحصل عليها كبار الزراع دون صغارهم . ومن ذلك ، نجد أن سياسة منح القروض تعطى الفرصة لزيادة المقدرة الانتاجية لكبار الزراع أكبر من صغارهم كما انها تعطى لكبار الزراع قروضا أكبر على وحدة الفدان نتيجة لاختصاصهم بالقروض المتوسطة والطويلة وتساويهم مع صغار الزراع فى القروض القصيرة . وهذا كله أدى الى زيادة المقدرة المالية والسيولة النقدية لدى كبار الزراع . وعلى العكس من ذلك ، اى انه اذا تصورنا امكانية وضع سياسة المنح بحيث تعطى من هم فى حاجة الى التمويل دون الاخرين فان حجم القروض سوف يقل ، وبالتالى ، يتوفر فائضا فى الخزانة العامة . كذلك فانه يمكن اعطاء صغار الزراع حاجتهم لحسن أداء العملية الانتاجية . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فقد تميزت سياسة تحصيل هذه القروض ـ أيضا بدرجة من التسيب ترتب عليها تراكم المديونيات على الزراع ، بدرجة تهدد

نشاط مؤسسة الائتمان الزراعى بالشلل التام ، بل وبالتوقف والعجز عن القيام بوظائفها . ومن تحليل المديونية وجد ان كبار الزراع لديهم أكبر قدر من المديونية عن وحدة الفدان ففى عام ١٩٧٢ كانت مديونيه الفدان لدى كبار الزراع هى ٤ر٤ جنيه فى حين ان صغار الزراع ٥ر٢ جنيه وهذا أمر منطقى لزيادة حجم القروض عن وحدة الفدان . كما ان سياسة التيسيرات التى تصدر لتخفيف عبء هذه الديون أو تقسيطها تصدر أيضا دون مراعاة للحالة المالية للزراع ، فيتم تنفيذها باسلوب العدالة المطلقه يستفيد منها الجميع ، والحقيقة ان كبار الزراع هم المستفيدون - أكثر - لان لديهم المقدرة على الدفع ، ولا يدفعون . وهذه السياسة تشجعهم على المماطلة فى الدفع أملا فى تيسيرات أخرى . فى حين أن صغار الزراع غير قادرين على الدفع لضآلة دخولهم . ومع ذلك فان نسبة التحصيل منهم اعلى من نسبة التحصيل من كبار الزراع . وذلك لاضطرار صغار الزراع الى الدفع حتى يمكنهم الحصول على قروض جديدة . فى حين أن فى امكان كبار الزراع عدم الدفع أو التحايل على التقسيط ، وهم يعلمون أنهم قادرون على تمويل أنفسهم ذاتيا بلا خوف من عدم منحهم قروض فى السنة القادمة .

هذه السياسة التمويلية قد ترتب عنها زيادة القدرة المالية لكبار الزراع وزيادة كمية النقود لديهم لاستخدامها فى اغراض غير زراعية . وهذا كله يضيع أموالا كثيرة على الخزانة العامة .

التجميع الزراعى والدورة الزراعية

لقد وضع هذا النظام بهدف زيادة خصوبة الاراضى الزراعية ، والاستفادة بخصائص التربة والمناخ فى انتاج أنسب المحاصيل ، بجانب خلق المزرعة المجمعة التى تتيح استخدام أفضل لعناصر الانتاج الزراعى . وكان يمكن لهذا النظام ان يتطور لكى يكون قاعدة لتطوير الزراعة المصرية عن طريق تحديث الانتاج الزراعى باستخدام منجزات العلم الحديث وخلق المزرعة المجمعة التى يمكن معها زيادة كفاءة استخدام هذا التكنيك الحديث . ولكن حدثت بعض التشويهات لهذا النظام وقع عبؤها - فى الاساس - على صغار ومتوسطى الفلاحين وهى :

- نظرا لزيادة حاجة المدن والمراكز الصناعية الى الخضر والفاكهة ، وكذلك الحاجة الى تصدير هذه المحصولات ، ان تم تخصيص المناطق المحيطة بالمدن لانتاج هذه المحصولات . وبالتالى قلت المساحة التى يتم تنفيذ الدورة الزراعية المحددة فيها وفقا لحاجات الاقتصاد القومى من الحاصلات الاخرى .

- تمشيا مع تشجيع زيادة الانتاج من محاصيل الخضر والفاكهة تم السماح للزراع الذين يزرعون الخضر والفاكهة فى مساحات مجمعة الخروج من نطاق الدورة الزراعية .

- انه لم يتم اعادة النظر فى التكوين المحصولى ، وعلى الاخص فى مساحات القطن والقمح والارز . وعلى هذا وجب زراعة نفس المساحات فيما تبقى من المساحة المنزرعة .

ولقد ترتب على هذه السياسة ، ومع العائد المجزى لزراعة الخضر والفاكهة ، ومع المقدرة الفنية والتمويلية لكبار الزراع ، أن اتجه هؤلاء - وبنسبة كبيرة منهم - الى زراعة اجزاء كبيرة من اراضيهم بهذه المحاصيل . ومن ثم وقع عبء انتاج المحاصيل التقليدية ذات العائد المخفض وذات نسب للتسليم الاجبارى والتى تشكل الدخل الاساسى للدولة سواء فى التجارة الداخلية أو الخارجية [القطن ، القمح ، الارز] نقول وقع العبء على عاتق صغار وفقراء الزراع وهرب منها كبار الزراع بشكل اساسى . لكن هذا أغرى صغار وفقراء الفلاحين الى محاولة التهرب من الدورة الزراعية والتجميع أو مخالفتها بما فى ذلك المخالفة فى التسليم الاجبارى لمحاصيل الغذاء ، وعلى الاخص القمح والارز . ولقد أدت هذه السياسة الى حصول كبار الزراع على عوائد أكبر مما زاد من المقدرة المالية لهم والسيولة النقدية فى أيديهم .

السياسة المصرية الزراعية

ان الهدف من وضع سياسة سعرية زراعية هو تحقيق استقرار فى دخول المزارعين عند حد معين يضمن لهم العيش الكريم وتحقيق عائد يدفعهم الى الاستمرار بحماس فى مجال الانتاج الزراعى ، بجانب ضمان حصول المدن والصناعة على المواد الغذائية والخامات الزراعية بأسعار معقولة ، واذا نظرنا الى طريقة تحديد أسعار المنتج للحاصلات الزراعية فان هناك طريقتين هما :

- سعر المنتج يساوى تكاليف الانتاج زائد ضعف القيمة الايجارية القانونية .

- سعر المنتج يساوى تكاليف الانتاج زائد ثلاثة أمثال القيمة الايجارية القانونية .

وبالنظر الى الاسعار الحقيقية فى السوق لهذه المحاصيل نجدها تغطى السعر المقدر بالطريقة الاولى فى بعض المحاصيل ولكنها تقل او تزيد عن السعر المقدر بالطريقة الثانية .

واذا افترضنا أن السعر الثانى هو الاكثر عدلا ، اذ يعطى المنتج تكاليف الانتاج مضافا اليها ايجار الارض زائد ضعف الايجار كعائد فى مقابل مزاولة المهنه ، فلماذا تزيد الاسعار الفعلية في السوق عن هذا السعر المقدر ؟ ان السبب يكمن فى تقدير القيمة الايجارية ، حيث جرت العادة ان تحتسب القيمة الايجارية القانونية [٧ امثال الضريبة العقارية على الارض عند تقدير السعر . وفى الحقيقة فان القيمة الايجارية الفعلية تزيد عن ثلاثة أمثال القيمة الايجارية القانونية . ومن ثم يصبح السعر المقدر فى هذه الحالة غير مجز للمنتج . كما أن التباين بين السعر المقدر والسعر الفعلى أكبر بدرجة كبيرة فى حالة المحاصيل البقولية كالفول والعدس ومحاصيل الزيوت كالسمسم والفول السودانى واقل فى حالة المحاصيل التقليدية كالقطن والقمح والذرة الشامية . كما أنه فى دراسات عديدة لوحظ ان ارتفاع التكاليف كان أكبر من ارتفاع الاسعار المقدرة فى المحصيل التقليدية كالقطن والقمح والذرة مما يقلل من ربحيتها ، فى حين كان ارتفاع الاسعار اكبر من ارتفاع التكاليف فى محاصيل البقول والزيوت كالفول والعدس والسمسم والفول السودانى .

ومن هذه الظواهر يمكن استنتاج ما يلي :

– أن الريع العقارى المترتب على زياده القيمة الايجارية الفعلية عن القانونية والذى يذهب جزء كبير منه الى من يحوزون أكبر من ٢٠ فدانا [٥ر١ فى المائة من عدد الملاك يملك ٥ر٣٢ فى المائة من المساحة المنزرعة] يؤدي الى ارتفاع تكلفة انتاج المحاصيل ، وهذا يعطى مبررا لارتفاع الاسعار المستمر ومن ثم زيادة اثراء كبار الزراع – بشكل مستمر – والى زيادة السيولة النقدية لديهم .

– عندما يرتفع السعر المقدر لاى محصول [السعر الرسمي للتسليم الاجبارى] مع معرفة أن الكمية القابلة للتسويق خارج نطاق التسليم الاجبارى من المحاصيل وخاصة الغذائية منها تنتج من مزارع كبار الزراع ، فان عائد رفع هذه الاسعار سوف يدخل جيوب طبقة كبار الزراع . وفى ظل ظروف عدم كفاية الانتاج للاستهلاك المحلى من هذه المحاصيل ووجود اكثر من ٤ مليون عامل زراعى لا يملكون ارضا ومثلهم فقراء فلاحون يدخلون السوق كمشترين لهذه المحاصيل من سوق القرية فانه تنتشر ظاهرة السوق السوداء ، ومن ثم فان رفع السعر الرسمى سوف يتبعه رفع سعر السوق السوداء ، وفى هذا زيادة عبء المعيشة على فقراء الفلاحين وعمال الزراعة وزياده حدة مشكله السوق السوداء واثراء كبار الزراع وتجار الحبوب فى القرى .

فاذا قيل انه لابد من رفع سعر التسليم الاجبارى لترغيب الزراع فى زراعة هذه المحاصيل فلابد ان يرتبط بسياسةالتسليم الاجبارى العمل لاتاحةتعبئة اكبر قدر من هذه المحاصيل من طبقة كبار الزراع مع اعفاء صغار الحائزين من نسب التوريد المقررة ، مع العمل على ضمان تطبيق الدورة الزراعيه فى هده المحاصيل وذلك تفاديا لتهرب كبار الزراع .

– أن ارتفاع الاسعار الفعليه لمحاصيل الغذائيه كالفول والسمسم والعدس والفول السوداني عن الاسعار المقدرة ، كذلك كان معدل ارتفاع هذه الاسعار اكبر من معدل ارتفاع التكاليف لهذه المحاصيل . وهذه المحاصيل خارجه عن نطاق التسليم الاجبارى مما يعطى الفرصة لتجار الحبوب لاستغلال ظروف السوق السوداء فى تجاره هذه المحاصيل . فى حين انه فى حالة القمح والذره لا ترتفع الاسعار بهده النسبه حيث تتدخل الدولة بالتسليم الاجبارى وبتغطيه العجز عن طريق الاستيراد . أما فى محصول الارز ، حيث الحاجة الى تصديره كبيرة ، فانه يواجه مثل حاله المحاصيل البقوليه والزيتية . وهذه الظروف تتيح لتجارة السوق السوداء فى المحاصيل الزراعية فرصة للازدهار على حساب المستهلكين فى الريف والمدينة على السواء .

من كل هذا ، نستنتج ان سياسة التنمية الزراعية وما صاحبها من سياسات تكميلية للزراعة قد ادت – فى النهاية – الى نوع من التمايز لكبار الزراع وزيادة المقدرة المالية لهم ، وزيادة كمية النقود فى أيديهم . فماذا فعل كبار الزراع بهذه النقود ؟ لقد اتجه كبار الزراع الى العمل فى مجالات أدت الى رفع الاسعار الزراعية وزيادة تكلفة اعباء المعيشة على كل من سكان الريف والمدن . وهكذا نجدهم قد اتجهوا الى مجالات النشاط التالية :

١ – الاتجار فى المحاصيل الزراعية حيث أمامهم سوق واسعة من المستهلكين لهذه المواد . وأصبحت التجارة فيما ينتجونه أو يتسوقونه من غيرهم ظاهرة واضحة وهى مربحة للغاية لظروف السوق من جهة ، ولدورةراس المال السريعة فيها ، من جهة اخرى مما زاد من ظاهرة ارتفاع الاسعار بشكل واضح .

٢ ـ المضاربة فى أسعار الاراضى الزراعية مما أدى الى ارتفاع سعرها بشكل جنونى فى السنوات الاخيرة . وهذا لا يعنى زيادة فى الثروة القوميه بقدر ما هو زيادة فى قيمة هذه الثروة واعادة توزيعها لصالحهم ، مما يزيد من عملية التركز للاراضى فى حوزتهم ، بدلا من الاستثمار فى مجالات زيادة الانتاج الزراعى او فى خارج قطاع الزراعة .

٣ ـ شراء مستلزمات الانتاج الحديثة والجرارات الزراعية لخدمة مزارعهم والتجارة فيها مع فقراء وصغار الزراع . ان هذه الشريحة الاجتماعية التى تحوز ٣٢ر٥ فى المائة من المساحة المنزرعة تحوز ٧٤ فى المائة من الجرارات الزراعية ، ٥٠ فى المائة من اجمالى ماكينات الرى الثابتة والنقالى وموتورات الرش الموجودة فى الزراعة . وهذه اكبر بكثير من حاجة مزارعهم حيث يتم تأجيرها لغيرهم من صغار الزراع وزيادة دخولهم بشكل كبير .

٤ ـ الاستثمار خارج قطاع الزراعة اما فى شراء العقارات بالمدن ، او القيام باعمال التسويق للحاصلات الزراعية الى أسواق المدن مما يدر عليهم أرباح عالية .

العلاقة بين الاسعار الزراعية والصناعية

ان سياسة التنمية الزراعية هذه ـ التى كانت فيها معدلات نمو الانتاج والانتاجية اقل من معدلات نمو السكان بصفة عامة ـ مع السياسات الاخرى المكملة ، ترتب عليها ظهور حالة من عدم التوازن بين الاسعار الزراعية والصناعية ظهرت فى الاحصاءات الرسمية على شكل ارتفاع مستمر ، وحاد فى الارقام القياسية لاسعار التجزئة والجملة للسلع الغذائية بدرجة اكبر بكثير من الارقام القياسية للسلع الصناعية . وهذا يعنى ، اذا نظرنا الى الامور نظرة سطحية ، أن الزراعة تبيع باسعار مرتفعة للصناعة [أى أن الريف يبيع بسعر مرتفع للمدن ويحصل على حاجاته من الصناعة بسعر منخفض . وهذه ليست هى الحقيقة ، فالحقيقة أن سعر المنتج الزراعى المقدر من الحكومة غير مجز كما سبق توضيحه ، وسعر السوق السوداء تدخل حصيلته الى جيوب كبار الزراع . كما ان سعر الصناعة محدد لانه من انتاج القطاع العام . ولكن السلع الغذائية تصل بسعر مرتفع الى مستهلك المدينه والقرية على السوداء فان هذه النسبة ترتفع الى ٨٦ فى المائة ، اجمالها من القطاع العام . وهذا يوضح دور الوسيط الذى يثرى من هذه الطريقة . ويمكن تخيل مدى خطورة هذا الوسيط من تتبع الارقام التالية التى يحصل عليها كنسبة من سعر المنتج والمستهلك فى بعض المحاصيل الزراعية .

ـ بالنسبة للقمح ، فان بيع دقيق القمح بالاسعار الجبرية يحقق ربحا صافيا قدره ٢٣ر٢ فى المائة من سعر المنتج ، ١٩ر٢ فى المائة من سعر المستهلك . الا انه فى حالة البيع فى السوق السوداء فان هذه النسبة ترتفع الى ٨٦ فى المائة، ٧٠ فى المائة على الترتيب .

ـ بالنسبة للذرة حيث أن مجال استهلاكه الرئيسى فى القرى ، فان ثمن الكيلة يتراوح ما بين ٧٠ قرشا عند ظهور المحصول فى اغسطس وسبتمبر ، ويصل الى ١٠٠ قرش قبل ظهور المحصول الجديد بزيادة تصل عن ٢٢٨ فى المائة عن السعر الجبرى للمحصول .

ـ بالنسبة لمحصول الارز نجد نسبة الارباح الصافية للوسيط فى حالة البيع بالسعر الجبرى تصل الى ٢٤ر٣ فى المائة بالنسبة لسعر المنتج ، ١٧ فى المائة بالنسبة لسعر المستهلك . ولكن اذا عرفنا أن سعر الضريبة من الارز فى التسويق التعاونى هو ٢٧ جنيها فى حين يصل هذا السعر فى السوق الحر الى ٣٢ ـ ٣٤ جنيها فى بداية الموسم ٣٤ ـ ٣٩ جنيها فى منتصف المواسم ، ٤٢ ـ ٤٥ جنيها قبل ظهور المحصول الجديد ، يمكن أن نتبين مقدار ما يحصل عليه الوسيط فى محصول الارز .

ـ بالنسبة لمحصول الفول نجد أن ٥١ر٦ فى المائة من ما يدفعه المستهلك يذهب الى المنتج ، ٤٨ر٤ فى المائة يذهب الى الوسيط وهو يشكل ٩٤ فى المائة من سعر المنتج .

ـ فى محصول العدس نجد أن ما يحصل عليه المنتج هو ٦٩ فى المائة من سعر المستهلك وأن التكاليف التسويقية للوسيط تقدر بحوالى ٤٤ فى المائة من سعر المنتج .

ـ فى محصول البصل يحصل الوسطاء على ١٧٩ فى المائة من سعر المنتج ، وما يقدر بحوالى ٦٨ فى المائة من سعر المستهلك نظير توصيلهم السلعة الى المستهلك .

سياسة العمالة والاجور والانتاجية

من المفروض ان يكون من أهداف السياسة الزراعية هى الربط بين الاجور والانتاج داخل القطاع الزراعى . وتعطى أرقام السنوات الاخيرة معدلا سنويا لنمو العمالة قدره ١٢ر١ فى المائة بجانب معدل سنوى لنمو الاجور قدره ٩١ر٤ فى المائة . وهذا لا يعنى فى حد ذاته ارتفاعا فى

الانتاجية ، حيث أن معدل نمو الانتاجية كان بالسالب وقدره ٤٥ر. فى المائة ويعنى اعطاء اجور لا يقابلها زيادة فى الانتاجية اتجاها تضخميا واضحا . ان نفقات المعيشة فى الريف قد ارتفعت بحيث لا يقبل أى عامل زراعى العمل بأجر أقل من المستوى الذى تم دفعه له ، ولم ينعكس هذا على زيادة الدخل الحقيقى للعامل الزراعى ، حيث أن أى زيادة فى الاجر قد التهمتها الزيادة فى تكاليف المعيشة والتى تشترى معظم موادها من تجار الريف وكبار الزراع ومما يؤكد هذا أن الدخل الحقيقى للعامل فى قطاع الزراعة قد انخفض من ٣٣ر٦٣ جنيه عام ١٩٥٩ — ٦٠ الى ٥٧ر١٥٧ جنيه عام ٦٩ — ٧٠ بأسعار عام ٥٩ — ٦٠ .

مما تقدم يلاحظ من السياسة الزراعية بكل ملابساتها قد أدت الى اثراء كبار الزراع وتركت فى أيديهم موارد مالية ضخمة دون محاولة لنقل هذا الفائض لاعادة استثماره فى القطاعات الانتاجية الاساسية ، مما ترتب عليه زيادة السيولة النقدية واتجاههم الى نشاط غير منتج من الاساس بجانب نشاطهم الزراعى الهدف منه زيادة الاثراء . ولقد ترتب على ذلك أن ارتفعت اسعار المحاصيل الزراعية فى المدن والريف على السواء وذلك لزيادة الطلب عن العرض ومن ثم تفاقم ظاهرة الغلاء بشكل واضح فى السلع الزراعية الغذائية وزيادة أعباء المتوسطين والفقراء بالريف بجانب عدم زيادة الانتاج بالشكل الذى يقلل من خطر ظاهرة الغلاء . كما أن عبء تحقيق الاهداف القومية الزراعية [مثل انتاج قطن وأرز للتصدير ، وقمح للاستهلاك المحلى] كانت ترحل على كاهل صغار الزراع بشكل رئيسى مما زاد من عبء التنمية عليهم . ■

□ □ □

○ على الموازنة العامة أن تضبط الأسعار

د. محمد رضا العدل *

١ — عجز الموازنة العامة وارتفاع الاسعار

هناك علاقة محددة بين الموازنة العامة وبين عمليات تكوين الاسعار وحركتها صعودا أو هبوطا . ومن الشائع بين الاقتصاديين ، أن زيادة الانفاق العام [أى الذى تقوم به الحكومة] تؤدى — مع ثبات الانتاج القومى أو زيادته بنسبة اقل — الى ارتفاع فى الاسعار . ويزداد هذا الارتفاع حدة فى حالة زيادة الانفاق العام على الايرادات العامة العادية للدولة ، أى فى حالة حدوث عجز فى الموازنة العامة . ومن هنا ذهب الكثيرون الى أن عجز الموازنة العامة ينطوى — وبالذات فى ظروف البلاد النامية — على ارتفاع فى الاسعار .

وفى مصر ، يلاحظ اطراد نمو عجز الموازنة العامة . فقد شكل هذا العجز بالاسعار الجارية ٥ر١٠ مليون جنيه عام ٥٢ — ١٩٥٣ . وفى ٥٣ — ٥٤ بلغ ٧ر٢٠ مليون جنيه ، ثم ٥ر٤٧ مليون جنيه عام ٥٥ — ١٩٥٦ . ثم ارتفع بشكل حاد بعد ذلك الى ٨ر٨١ مليون جنيه عام ٥٦ — ١٩٥٧ ثم انخفض فى السنتين التاليتين . ثم عاد مرة أخرى الى الارتفاع حتى وصل ٦ر١٥٩ مليون جنيه عام ٦٠ — ١٩٦١ . ثم تضاعف فى السنوات الاربع التالية ، غير أنه سجل ميلا نحو الانخفاض فى عامى ٦٥ — ١٩٦٦ و ٦٦ — ١٩٦٧ . ثم عاد مرة اخرى مسجلا ٩ر٣٣٧ مليون جنيه عام ٦٨ — ١٩٦٩ ، ولا توجد ارقام واضحة يعتمد عليها عن عجز الموازنة العامة فى الاعوام الاخيرة الامر الذى نبهت اليه **لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب** [انظر مضبطة الجلسة الثالثة عشرة ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣] . وعادة يمول هذا العجز بالاقتراض الداخلى بما فى ذلك الاعتماد على النظام المصرفى والاقتراض الخارجى . **ويؤدى هذا العجز — حتما — الى ارتفاع الاسعار اذا لم**

[*] مدرس الاقتصاد بكلية التجارة جامعة عين شمس .

يصاحبه زيادة فى الانتاج ناتجة عن تشغيل طاقات عاطلة أو استثمارات جديدة ، الامر الذى يفسر احدى العوامل العامة التى تكمن خلف التضخم الذى يعانى منه الاقتصاد المصرى فـى الوقت الحاضر .

٢ ـ هــــل يمكن اســـــتخدام الموازنة العامة فى ضبط الاسعار ؟

تقرر لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب فى تقريرها عن مشروع الموازنة العامة لعام ١٩٧٤ « ان الاجراءات التمويلية بالخزانة العامة تتضمن اجراءات تؤثر فى وسائل الدفع وكلنا نعلم اهمية وسائل الدفع فى انضباط الاسعار ، وكنا نعلم أن **حجم ونمو وسائل الدفع لابد وأن ترتبط بحجم ونمو الناتج** [التأكيد من عندى ـ م . ر .] . وتمضى اللجنة فترى تضييق الاعتماد على الجهاز المصرفى فى تمويل الخزانة العامة ، انما تبغى ـ أى اللجنة ـ استقرار الاسعار وعلى الاخص فى الفترة الحالية ، حيث يهمنا جميعا المحافظة على الجبهة الداخلية . واستقرار الاسعار من اهـم العوامل التى تهم المواطنين . وانــه اذا كان استقرار الاسعار ظاهرة مرغوبة فى أوقـات السلم ، فانها تصبح هدفا أساسيا واستراتيجيا فى وقت الحرب .. ان حدوث اختلال فى الاسعار فى هذا الوقت قد يؤدى الى أسوأ النتائج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » .

وتقترح اللجنة ـ كبديل ـ للاعتماد على النظام المصرفى فى تمويل الخزانة العامة ـ الاستحواذ على المواطن المصرى والعربى والحصول على معاونته فى تمويل الحرب والتنمية تمويلا اقتصاديا ، عن طريق تعبئة المدخرات الخاصة المحلية ، وتيسير حركة دخول راس المال العربى . **ونحن لا نقلل من فعالية هذه القنوات فى تمويل الخزانة العامة ولن نناقشها هنا ، وما يهمنا هو أن نشير الى أن هذه القنوات ربما تسهم فى تضييق فجوة التمويل بالعجز لكنها لن تلغيها . ويبدو لنا أن الاعتماد على النظام المصرفى سيظل والى أمد غير قصير أمرا لا مندوحة عنه وسوف تقلل من آثاره التضخمية على الاسعار أن يجرى داخل الحدود الثلاثة الاتية :**

الحد الاول : ألا يكون التمويل بالعجز متصلا وبلا هدف . فهناك وقت يمضى بين اصدار النقود للتداول وبين رد الفعل حيالها من جانب الاسعار . وبالتـالى . فان على الاجهـزة المركزية ألا تقرر اجراء « حقن اصدار » تال قبل ان تنكشف لها نتائج « حقن الاصدار » السابق . ومن جهــة أخرى ، يجب أن يرتبط التمويل بالعجز بضرورة التقدير المتقن والدقيق لاثاره على التنميـة الاقتصادية .

الحد الثانى : فى جميع الاحوال يجب الا يزيد معدل ارتفاع الاسعار الناتج بسبب الاعتماد على النظام المصرفى عن معدل نمو وسائل الدفع التى يصدرها لتمويل العجز . اى أنه يجب قياس العلاقة بين معدل الاسعار ومعدل نمو الاصدار النقدى . وفى ذلك يمكن التمييز بين ثلاث مراحل لهذه العلاقة ،

أ ـ معدل ارتفاع الاسعار أقل من معدل نمو الاصدار .

ب ـ معدل ارتفاع الاسعار يساوى معدل نمو الاصدار .

ج ـ معدل ارتفاع الاسعار أكبر من معدل نمو الاصدار .

وباستخدام مصطلحات اشارات المرور يمكن القول : ان المرحلة الاولى تعنى أن الضوء اخضر ، والثانية . تشير الى أن الضوء أصفر ، أما الثالثة فتقرر أنه احمر . وعبور الشارع عند الضوء الاصفر ممكن لكنه خطر . فتعادل معدل ارتفاع الاسعار مع معدل نمو الاصدار النقدى يعنى أن الاقتصاد القومى يقترب من نقطة الخطر ، وبالتالى علينا أن « **ندوس** » على فرامل الاصدار النقدى .

الحد الثالث : يجب أن يوجه القسط الاكبر من التمويل بالعجز نمو الاستثمارات ذات العـائد السريع ، أى الى انتاج السلع الاستهلاكية . اذ أنه كلما قلت الفترة اللازمة لنضوج الاســتثمارات المولة تضخميا ودنت قطوفها كبر حيز الامكان لاستخدام الاصدار النقدى . وعليه فان اختيار المشروعات يجرى أن يجرى على أساس الدراسة العميقة لتأثيرها المتعدد الجوانب على الاقتصاد القومى .

٣ ـ صـعوبة التخطيـط المــالى بدون ربطــه بالتخطيــط القومى :

ومما سبق ، يتضح انه لابد من التنسيق بين كل من الخزانة العامة والنظام المصرفى من جهة وبين باقى مكونات النظام الاقتصادى ، من جهة اخرى . أى انه لابد من تخطيط النظام المالى [الخزانة العامة والنظام المصرفى] كجزء مكون فى تخطيط النظام الاقتصادى ككل .

ان أحد الاسباب التى تكمن خلف ارتفــاع الاسعار هى قصور تخطيط الاقتصاد القومى . والتخطيط هنا لا يعنى مجرد رسم خطط وطبعها فى

مجلدات بل يعنى فى الاساس نظام التحكم المبرمج من جانب الدولة فى النظام الاقتصادى . وهو الامر الذى لم يتحقق حتى الان فى مصر . ان هذا التحكم المبرمج كفيل ــ بخصوص موضوع الاسعار الذى نحن بصدده ــ بتحقيق ما يلى :

١ ــ تقليل الاثار التضخمية للسوق العالمية على الاقتصاد القومى .

٢ ــ وضع نظام رشيد لتكوين الاسعار مرتبط ارتباطا عضويا بخطط الانتاج .

٣ ــ تحقيق التناسق بين الجانب المالى وبين الجانب الانتاجى فى الاقتصاد القومى ، وعلى مدار الزمن .

٤ ــ تحقيق الاهداف العامة والجزئية للقطاع العام ووحداته فى تقديم أقصى مساهمة ممكنة فى التنمية الاقتصادية . وتحقيق أهداف القطاع الخاص فى تحقيق أقصى ربح ممكن داخل اطار التنمية الاقتصادية .

٥ ــ التقليل من آثار تطورات الاسعار على نظام اعادة توزيع الدخل القومى ، وبالتالى المحافظة ــ ما أمكن ــ على التوازن الاجتماعى بين « تحالف قوى الشعب العاملة » .

ويمكن أن نطلق على هذا « التحكم المبرمج » نظام الادارة الرشيدة للاقتصاد القومى . وجلى ، أن هذا النظام لا يمكن ان يتحقق بين عشية وضحاها . بل يستلزم فترة انتقالية ، يمكن ــ خلالها ــ ادارة الاقتصاد القومى استرشادا بمبادئه ، وفى نفس الوقت ، المضى فى وضع لبناته واحدة فوق الاخرى ، ليكون جاهزا لدينا عند ــ انتهاء هذه الفترة ــ ذلك النظام الرشيد لادارة الاقتصاد القومى . ■

□ □ □

○ السياسة النقدية والغلاء فى مصر

محمد حامد الزهار

نلاحظ فى الاونة الاخيرة اشتدت موجة الغلاء فى مصر بصورة لم تشهدها البلاد من قبل، فقد سجلت أسعار مختلف السلع ارتفاعا ملموسا ، وان كان الارتفاع فى بعضها قد فاق كل حد معقول .

والمتتبع لظاهرة الغلاء فى مصر ، يجد ان هذه الظاهرة ، وان كانت تمتد جذورها الى سنوات الحرب العالمية الثانية والى السنوات التى أعقبتها ، حيث خيمت على الاقتصاد المصرى خلالها ضغوط تضخمية تبحث عن اغراق الاسواق المصرية بتيار مستمر من النقود ادى الى حدوث زيادة طائلة فى الطلب على السلع والخدمات بقدر فاق المعروض منها للبيع فى الاسواق ، الا أنها لم تظهر فى الافق كمشكلة متجسمة ملموسة تتزايد وطأتها عاما بعد آخر الا فى أعقاب العدوان

الثلاثى فى عام ١٩٥٦ . اذ نجم عن الانفاق الكبير الذى ترتب على هذا العدوان ، والتجاء الحكومة الى اتباع سياسة التمويل بالعجز فى ميزانية الدولة ، بل التوسع فى انتهاج هذه السياسة عند تمويل مشروعات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى بدىء فى تنفيذها فى شهر يوليو عام ١٩٦٠ لقصور معدل الادخار المحلى الاجمالى عن مقابلة معدل الاستثمار المحلى الاجمالى نتج عن ذلك زيادة الدين العام المصرفى ، ومن ثم زيادة كمية وسائل الدفع مع ما صاحبها من ارتفاع نسبة السيولة النقدية فى المجتمع ، وتزايد الانفاق القومى بقدر تجاوز الامكانيات المتاحة لزيادة الانتاج . ولقد كانت محصلة ذلك حدوث ارتفاع فى المستوى العام للاسعار انعكس أثره على اختفاء كثير من السلع من الاسواق ، وانتشار السوق السوداء بالنسبة لعدد من السلع المتداولة وانتشار عمليات التهريب السلعى والنقدى .

ولا جدال فى أن هذه الظواهر التضخمية قد تفاقمت حدتها منذ النكسة العسكرية في عام ١٩٦٧ وما نجم عنها من فقدان العديد من وحدات الانتاج ، وضعف القوى الانتاجية ، وتزايد الانفاق العسكرى والانفاق العام لاعادة بناء القوات المسلحة وتدعيم الجبهة الداخلية . بل لقد استمر هذا التيار التضخمي بشكل أكثر حدة بعد حرب اكتوبر نظرا لما تتطلبه اعادة التعمير والتنمية واعداد القوات المسلحة — لتكون على أهبة الاستعداد لمواجهة اية مغامرة عسكرية قد يقدم عليها العدو الاسرائيلي — من التوسع المتزايد فى الانفاق العسكرى والانفاق العام .

ونستطيع القول أن الاختلال النقدى الذى ظل يعانى منه الاقتصاد القومى خلال الخمسينات والذى تمثل فى تضخم هيكل الائتمان ، وزيادة التداول النقدى وسيولة الجهاز المصرفى السالفة بالاضافة الى الارتفاع المتواصل فى الأسعار ومن ثم الانخفاض المستمر فى قيمة العملة الوطنية ، وهبوط قوتها الشرائية فى الداخل والخارج ، فضلا عن اضطراب العلاقات الاقتصادية بين الافراد وطبقات المجتمع ، واعادة توزيع الثروة والدخل لصالح اصحاب الدخول المتغيرة ، ويمثلهم القلة من افراد المجتمع الاغنياء ، على حساب أصحاب الدخول الثابتة ، ويمثلهم سواد الشعب وفقراؤه — ان هذا الاختلال النقدى قد استمر وبشكل أكثر حدة خلال الستينات ، بل لقد تزايدت درجة حدته فى الفترة الاخيرة . ولعل هذا ما تعكسه المؤشرات الاحصائية التى تبين تطور كمية وسائل الدفع ونسبة السيولة فى المجتمع [معبرا عنها بنسبة وسائل الدفع الى الدخل المحلى] ومستوى الاسعار [معبرا عنه بالرقم القياسى لاسعار الجملة] خلال السنوات من ١٩٥٩/١٩٦٠ ، الى ١٩٧٠/١٩٧١ . اذ نجد أن الزيادة التى سجلتها كمية وسائل الدفع والتى بلغت نسبتها خلال هذه الفترة ١٠٣ ٪ قد صاحبها ارتفاع فى نسبة السيولة النقدية فى المجتمع من ٢٧ ٪ الى ٣٢ ٪ . وأدت الى ارتفاع فى مستوى الاسعار بنسبة ٣٠ ٪ .

ولما كان تحقيق الاستقرار النقدى يعد أهم أهداف السياسة الاقتصادية فى الاجل القصير وهو الهدف الذى يجب أن يتمشى مع هدفها فى الاجل الطويل ، وهو تحقيق معدل متزايد للنمو الاقتصاد القومى فى ظل استقرار نسبى للاسعار لذلك فقد كان من المأمول أن تلعب السياسة النقدية — باعتبارها احدى الادوات الهامة للسياسة الاقتصادية — وبتعاونها مع السياسات الاخرى المالية والسعرية ، دورا ملموسا للقضاء على التضخم وتحقيق الاستقرار لمستويات الاسعار ، أو على الاقل الحد من اتجاهاتها نحو الزيادة المستمرة .

ونظرا لعدم وحدة المسئولية فى وضع وتنفيذ السياسة النقدية فى مصر حيث أنها — كانت وما زالت موزعة بين البنك المركزى المصرى وبين السلطات النقدية الحكومية ، ممثلة فى وزارة المالية ، لذا يصبح من المنطقى أن نلقى الضوء على موقف البنك المركزى من السياسة النقدية ، والتعرض بشىء من الاجمال لدور السلطات الحكومية فى هذا المجال .

موقف البنك المركزى :

ان سياسة البنك المركزى فى الميدان النقدى قد جانبها الصواب . فلم يقتصر البنك على وقوفه مكتوف اليدين ازاء المشكلات النقدية القائمة ، بل ادت بعض الاساليب النقدية التوسعية — التى وضعها البنك موضع التنفيذ — الى تفاقم المشكلات النقدية ، وزيادة حدة العوامل التضخمية فى الاقتصاد المصرى . ولعل هذا ما نستبينه من استخدام البنك للاسلحة التى خولت له بمقتضى القانونين رقم ٥٧ لسنة ١٩٥١ ورقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ والتى تتمثل فى نسبة الاحتياطى النقدى القانونى ، ونسبة السيولة ، وسعر الخصم ، وعمليات السوق المفتوحة ، لتنظيم النقد والائتمان ومن ثم التأثير فى مجريات السياسة النقدية .

فمن ناحية نجد أن البنك المركزى لم يلجأ قط الى استخدام سلاح رفع نسبة الاحتياطى النقدى القانونى ، الذى تحتفظ به البنوك التجارية لدى البنك المركزى ، لامتصاص قدر من السيولة المصرفية الزائدة ، ومن ثم تخفيف حدة السيولة العامة للمجتمع ، عن طريق رفع هذه النسبة الى الحد الذى يؤدى الى امتصاص الاحتياطيات الزائدة، لدى البنوك التجارية لكونها أحد العوامل الرئيسية المتسببة فى زيادة درجة السيولة العامة فى المجتمع ، وتغييرها موسميا فى أضيق الحدود حسب مقتضيات تمويل محصول القطن . بل عكس ذلك كان يحدث حيث لجأ البنك المركزى — فى كل مرة — يرفع فيها نسبة الاحتياطى النقدى القانونى الى اتخاذ اجراءات تقلل وتزيل من فاعلية أثر هذا الرفع فى نسبة الاحتياطى ، كتعديل الاساس الذى تحتسب عليه نسبة الاحتياطى بالاقتصار على استيفاء النسبة القانونية فى المتوسط خلال كل شهر بعد أن كانت البنوك التجارية تلتزم بمراعاة النسبة فى جميع أيام الشهر ، واحتساب مقابل العملات الاجنبية المباعة للبنك المركزى ودائع لدى البنك الاخير منذ قيدها لحساب البنك التجارى فى دفاتر المراسل الاجنبى واعتبارها داخله فى حساب نسبة الاحتياطى منذ اجراء هذا القيد ، وزيادة معدل تخفيض النسبة خلال موسم القطن حيث أصبحت النسبة تنخفض ابتداء من أغسطس عام ١٩٦١ من ٥ر١٧٪ الى ٥ر١٢٪ ثم من ٢٠٪ الى ١٥٪ ابتداء من اغسطس عام ١٩٦٦ بعد أن كانت تنخفض بنسبة قليلة من ٥ر١٢٪ الى ١٠٪ ، وزيادة القروض التى كان يقدمها البنك المركزى للبنوك التجارية عند كل زيادة فى نسبة الاحتياطى القانونى [لتتمكن هذه البنوك من مقابلة الارتفاع فى نسبة الاحتياطى] حتى اصبحت هذه القروض تزيد عن مقادير الاحتياطى القانونى المحتفظ بها لدى البنك المركزى فى بعض السنوات ، واصبح الاحتياطى النقدى الفعلى سالبا منذ عام ١٩٦٣ أى ليس له وجود حقيقى . ولا يخفى أن هذه الاجراءات الغت كل أثر لزيادة نسبة الاحتياطى القانونى ، وجعلت هذه النسبة لا تستخدم على الوجه الذى كان مرجوا منها . بل ونستطيع القول أن رفع هذه النسبة كان يزيد من قوى التضخم القائمة بدلا من الحد منها .

ومن ناحية أخرى ، نلاحظ أن نسبة السيولة النقدية التى تحتفظ بها البنوك التجارية ، والتى خول قانون البنوك والائتمان رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ للبنك المركزى سلطة تحديدها لكى يستخدمها كأسلوب من أساليب الرقابة على الائتمان ، ومن ثم توجيه السياسة النقدية ، لم تستخدم بقصد الحد من سيولة البنوك التجارية، ومن ثم تضييق حجم الائتمان الذى تمنحه هذه البنوك ، بل ان استخدامها فى الواقع كان فى معظمه لزيادة سيولة البنوك التجارية التى كانت تقل لديها درجة السيولة عن الحد الادنى المقرر قانونا ، ولاحداث بعض التغييرات فى هيكل الاصول المصرفية لخلق الظروف المناسبة أمام البنوك التجارية للاسهام بقدر متزايد من مواردها لتمويل مشروعات التنمية .

ولعل خير مصداق على ذلك ، قيام البنك المركزى باجراءين خطيرين هما : تحديد نسبة السيولة القانونية وفقا للمتوسط العام لدرجة السيولة المتبعة فعليا بواسطة البنوك التجارية، ولم يتم تحديدها على اساس الدراسة الواقعية لما يجب أن تكون عليه نسبة السيولة القانونية فى الظروف المحلية السائدة، واحتساب السندات الحكومية وشبه الحكومية الطويلة الاجل — التى تتميز أصلا بعدم سيولتها — بين مكونات بسط النسبة وهو اجراء لجأ اليه البنك المركزى بهدف تشجيع البنوك التجارية على اقتناء مقادير متزايدة منها كوسيلة مساعدة لتمويل مشروعات التنمية التى كانت الحومة والقطاع العام يتوليان القيام بها قبل يوليو عام ١٩٦١ دون أن تخشى من هبوط نسبة السيولة عن الحد المقرر قانونا .

وليس بخاف أن العوامل السابقة كلها ، قد انعكس أثرها على نسبة السيولة الفعلية ، حيث نجدها قد مكنت البنوك من المحافظة ، بصفة مستمرة ، على نسبة سيولة أعلى بكثير من نسبة السيولة القانونية التى حددها البنك المركزى . حيث نجد أن النسبة الفعلية قد تراوحت خلال السنوات من عام ١٩٥٨ الى ١٩٧٣ بين ٣٦٪ ، ١ر٥٠٪ فى قمة موسم الرواج أى فى نهاية شهر ديسمبر من كل عام ، وبين ٤١٪ ، ٣٩٪ فى قاع فترة الكساد اى فى آخر اغسطس [وآخر سبتمبر منذ عام ١٩٦٤] من كل عام ، بينما كانت النسبة القانونية محددة عند ٣٠٪ . لذا فاننا نستطيع القول بأن تركيب نسبة السيولة قد تم بطريقة اقتصر أثرها على تمكين البنوك من تعبئة أقصى قدر ممكن من طاقة الجهاز المصرفى لتمويل الخطة — بعد أن أصبح هذا الجهاز المصرفى من أهم المولين لها — بغض النظر عن اى قصد آخر .

والحقيقة أن تمسك البنك المركزى بضرورة مراعاة البنوك التجارية لنسبة السيولة القانونية

لم يكن راجعا الى رغبة البنك فى استخدامها كأداة من ادوات السياسة النقدية عن طريق رقابته على الائتمان والتحكم فى حجمه لتحقيق الاستقرار النقدى المنشود ، بل كان الهدف هو استخدام هذه النسبة لتمكين البنوك التجارية من الاسهام بقدر متزايد من مواردها فى تمويل مشروعات الخطة .

ومن جهة ثالثة نجد انه بالرغم من أن القانون رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ قد خول البنك المركزى — صراحة — امكانية استخدام سعر الخصم ومن ثم أسعار الفائدة لتنظيم الائتمان ، وللتأثير فى سيولة الاقتصاد القومى ، فان البنك المركزى لم يلجأ الى استخدامه لامتصاص السيولة الزائدة فى المجتمع . فقد ظل سعر الخصم على ما هو عليه عند ٣٪ دون تغير ، حتى تم رفعه فى أواخر الموسم القطنى ١٩٥٩/١٩٦٠ بالاتفاق مع الاتحاد العام للبنوك التجارية . اذ تقرران يصبح السعر ٣ر٪ ، ٤ر٥٪ على قروض البنك المركزى الممنوحة للبنوك التجارية والتى تزيد فى أول مارس وأول ابريل عام ١٩٦٠ على التوالى على مستواها فى التاريخ نفسه خلال عام ١٩٥٩ .

وبالمثل لم يطرأ تغير يذكر على هيكل اسعار الفائدة الدائنة والمدينة ، حيث بقيت الاسعار التى كانت سائدة قبل صدور القانون سالف الذكر كما هى .

والحقيقة اننا نجد ان سياسة النقد الرخيص هى التى ظلت متبعة ، حتى مايو عام ١٩٦٢ ، عندما اضطر البنك المركزى لرفع سعر الخصم الى ٥٪ ومن ثم رفع هيكل اسعار الفائدة الدائنة والمدينة طبقا لبرنامج التثبيت الاقتصادى ، الذى نفذته السلطات النقدية ، وفقا لاتفاق المعونة مع صندوق النقد الدولى . حيث رفع أسعار الفائدة المدينة من ٥ر٥٪ ، وهى المتوسط السائد قبل تطبيق برنامج التثبيت ، الى ٦ر٥٪ ، كما رفعت أسعار الفائدة الدائنة حيث اصبحت تتراوح بين ٢٪ ، ٤٪ بعد برنامج التثبيت ، بعد أن كانت تتراوح بين ١ر٥٪ ، ٣٪ قبله ، يضاف الى ذلك رفع سعر الفائدة على الودائع بصناديق التوفير من ٢ر٥٪ الى ٣٪ فى حين الغيت الفائدة على الحسابات الجارية وكان الحد الاقصى المقرر لها قبل برنامج التثبيت ١ر٢٥ ٪ .

ويمكننا القول : انه بالرغم من ارتفاع كل من سعر الخصم وهيكل اسعار الفائدة . فقد تضاءلت فاعليتها فى التأثير على سيولة الاقتصاد القومى بل وكادت تنعدم ، خاصة فيما يتعلق بنشاط القطاع العام . ويرجع ذلك الى أن مشروعات القطاع العام [وهو الذى يضطلع بأكثر من ٨٥ ٪ من اجمالى الاستثمارات المقررة فى الخطة] أصبحت تعتمد فى تمويلها ، على فائض الميزانية العامة للدولة ، وموارد هيئة التأمين والمعاشات ومؤسسة التأمينات الاجتماعية بدرجة اكبر من اعتمادها على الجهاز المصرفى . كما يرجع من ناحية اخرى الى ان اثر التغيرات الهيكلية المستمرة التى تعرض لها الاقتصاد القومى منذ قوانين يوليو الاشتراكية ، قد فاقت فى فاعليتها أثر تغير سعر الخصم ، وما صاحبه من تغير فى هيكل اسعار الفائدة . واذا اضفنا الى ذلك أن رفع سعر الخصم ، لم يكن له اثر يذكر على القروض والتسهيلات الممنوحة من البنك المركزى للبنوك التجارية والمتخصصة ، حيث ظلت البنوك التجارية والمتخصصة تزيد من المبالغ التى تقترضها من البنك المركزى ، ليتسنى لها مقابلة جميع المطالب الحقيقية لتمويل النشاط الاقتصادى لاتضح لنا أن ارتفاع سعر الخصم واسعار الفائدة المدينة فى عام ١٩٦٢ قد اقتصر أثره على سيولة منشآت القطاع الخاص وسيولة القطاع العائلى .

ومن جهة رابعة ، نلاحظ انه ولو أن قانون البنوك والائتمان قد اجاز — لاول مرة رسميا — للبنك المركزى سلطة التعامل فى سوق الاوراق المالية — عن طريق القيام بشراء وبيع الاوراق الحكومية المصرية ، والاوراق المضمونة من الحكومة ، والسندات التى يعينها مجلس ادارته والكمبيالات والسندات الاذنية ، وغيرها من الاوراق التجارية ، وعلى ان يكون قيامه بهذه العمليات بقصد التأثير على الاموال التى تتداولها البنوك التجارية أو غيرها ، وفقا لمتطلبات السياسة النقدية ، فان البنك المركزى لم يلجأ الى استخدام سياسة السوق المفتوحة الا فيما ندر . وان قيامه بعمليات الشراء والبيع فى سوق الاوراق المالية لم يكن فى اغلب الاحيان الا من قبيل الاستثمار لبعض موارده . والواقع ان عدم لجوء البنك المركزى الى استخدام سياسة السوق المفتوحة كأسلوب من اساليب السياسة النقدية ، وان كان يرجع الى ضيق وقلة التعامل فى سوق الاوراق المالية من ناحية ، وزيادة نسبة الاوراق المالية الحكومية الى مجموع الاوراق المالية المتداولة فى سوق المال من ناحية أخرى — مما كان يعرض قيمة هذه الاوراق المالية لتقلبات عنيفة اذا قامت محاولات للبيع والشراء على نطاق واسع — نظرا لحرص الحكومة الدائم على المحافظة على استقرار اسعار اوراقها المالية ، وكذلك لما كان البنك المركزى يتجنب التعرض لاى

خسائر قد تنجم عن تدخله فى السوق المالية بالبيع والشراء على نطاق واسع ، اذا فقد بقى تدخله فى سوق المال قليلا ومحصورا فى نطاق ضيق ، لا يسمح باستخدام سياسة السوق المفتوحة كسلاح فعال من اسلحة السياسة النقدية .

من كل ذلك يتبين ان البنك المركزى المصرى لم يقم باستخدام سياسة السوق المفتوحة بغية التأثير على سيولة الجهاز المصرفى ، ومن ثم تحقيق الاستقرار النقدى فى المجتمع . واذا كان هذا هو حال سياسة السوق المفتوحة قبل اصدار قوانين تأميم البنوك والشركات، فانها قد اصبحت سلاحا عديم الجدوى ، حتى فى التأثير على سيولة القطاع الخاص منذ اصدار القوانين الاشتراكية فى يوليو عام ١٩٦١ وما تبعها من اجراءات ادت الى التصفية العملية لسوق الأوراق المالية فى مصر .

موقف السلطات النقدية الحكومية :

ان المتتبع لموقف السلطات الحكومية من السياسة النقدية ليكشف عن تخبطها فى هذا المجال ، ويظهر ذلك من التطورات التى طرأت على الاجراءات التى اتخذتها فى الميدان النقدى . اذ نجد أنه على الرغم من التدابير التى اتخذتها فى الاتجاه الصحيح عندما قررت فى مستهل عام ١٩٥٩ فرض قيود على طريقة توزيع ارباح الشركات المساهمة وما أدى اليه ذلك من زيادة مدخرات القطاع الخاص ، ثم الاقلال من معدل تزايد درجة السيولة العامة فى المجتمع ، واحكام الرقابة على المدفوعات الاجنبية ، وبخاصة منذ سبتمبر عام ١٩٦١ ، فاننا نلاحظ أن التسهيلات الائتمانية [بما قيمته ٥٠٠٠ جنيه لكل فرد على الاكثر]التى أجيز منحها لحاملى سندات التعويض عن الممتلكات المؤممة فى يوليو عام ١٩٦١ ، وما ترتب عليها من تمكين الكثيرين من التخلص من قدر مما فى حوزتهم من سندات ، عن طريق الاقتراض من البنك بضمانها ، قد ادت الى عكس ذلك ، حيث كانت من العوامل التى ساعدت على زيادة السيولة بصورة غير مخططة فى المجتمع . ويبدو أن السلطات الحكومية قد تنبهت الى أن هذا الاسلوب لم يكن يتفق ومقتضيات الظروف النقدية السائدة . ولذا نجدها قد عزفت عن الالتجاء اليه مرة أخرى ، فيما يتعلق بأصحاب السندات التى أصدرت نتيجة لعمليات التأميم التالية ، كما منعت تداول سندات الاصلاح الزراعى قبل الغائها أو الاقتراض بضمانها . ولا يخفى أن ذلك كان من نتيجته ، تجميد قدر هائل من الاصول التى كان يمكن ان تزيد من درجة السيولة العامة . ويمكن القول بوجه عام ، أن مختلف التدابير التى لجأت اليها السلطات الحكومية ، والتى كان بعضها يقلل من فاعلية بعضها الاخر ، قد اقتصر أثرها على الحد من تزايد درجة السيولة العامة ، دون التأثير فى درجة السيولة القائمة . ولم تتنبه هذه السلطات الى ضرورة التدخل المباشر لعلاج بعض مظاهر الخلل النقدى ، الا فى أواخر عام ١٩٦٤ عندما تقرر وقف عمليات البيع بالتقسيط تماما ، وما صاحب ذلك من رفع الاسعار المحددة لكثير من السلع بنسبة عالية . ويبدو أن مشكلة تصريف الانتاج من السلع المعمرة فى السوق المحلية ، وما لها من أولوية على مشكلة الاختلال النقدى، سرعان ما فرضت نفسها على السلطات الحكومية التى اضطرت ازاء ذلك الى السماح بالعودة الى نظام بيع هذه السلع بالتقسيط ..

والحقيقة أن اتباع هذه السياسة النقدية غير الملائمة قد أدى الى تطور وتفاقم العوامل التضخمية بشكل حاد .

مما تقدم يتبين لنا أن السياسة النقدية التى اتبعت خلال السنوات الطويلة الماضية قد ركزت كل جهودها لتيسير تمويل برامج وخطة التنمية الاقتصادية وغضت النظر عن تحقيق الاستقرار النقدى للمجتمع . ولذلك يمكن القول : انه بينما نجحت السياسة النقدية فى تيسير تمويل برامج وخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد أخفقت فى تحقيق الثبات والاستقرار لمستويات الاسعار وهو ما كان يمكن أن تقوم السياسة النقدية بدور فعال وايجابى لبلوغه وكان هذا فى الواقع أن تقوم السلطات النقدية باعادة النظر فى الاساليب النقدية التقليدية التى تستخدمها ، وأن تقوم بتطوير هذه الاساليب أو تعديلها واستخدام أدوات نقدية جديدة تتناسب والتغييرات التى طرأت على مختلف العلاقات الائتمانية القائمة ، والتحول البعيد المدى الذى طرأ على أساليب السياسة الاقتصادية العامة منذ يوليو عام ١٩٦١ ، والتغير الهيكلى الذى ترتب على تطبيق قوانين يوليو الاشتراكية ولو كانت فعلت لكانت قد تمكنت من التخفيف من حدة الاتجاهات التضخمية القائمة من ناحية ، ومن اثر الزيادة المتوقعة فى الانفاق العام اللازم للتنمية على سيولة القطاع الخاص من ناحية أخرى . □

○ مواجهـــــة الغـــــلاء

كيف والى .. أين ؟

د. محمد أبو مندور الديب

بعد ان تعرضت المقالات والدراسات السابقة لتحديد ظاهرة الغلاء ، او التضخم ، فى مصر ، يصبح من الضرورى التفكير فى مواجهتها ، بهدف القضاء عليها أو الحد من تفاقمها ، قدر المستطاع . وقبل أن ندخل فى تحديد امكانيات مواجهة الغلاء ، فانه يتحتم علينا القاء الضوء — وبايجاز شديد — على أهم العـــوامل الرئيسية التى ساعدت فى تفاقم المشكلة وذلك من خلال ما قـــدمه الدارسون لجوانب المشـــكلة ، ومن زواياها المختلفة . وعليه فانه يمكن القول بأن الغلاء فى مصر بدأ منذ منتصف الخمسينات ثم تفاقم منذ بداية الستينات وحتى الان كمحصـــلة لمجموعة العوامل الرئيسية التالية :

١ — سوء تخطيط التنمية ، والتمويل بشكل اساسى من خلال العجز .

٢ — الانفاق العسكرى المتزايد والذى يكاد يستوعب ثلث الدخل القومى : منذ سنة ١٩٦٧ وحتى الان .

٣ — الزيادة السـنوية الـكبيرة فى عـــدد السكان .

٤ — سوء تخطيط الطلب .

٥ — سوء توزيع الدخول .

٦ — التطلعـــــات الاســـتهلاكية المتزايدة وارتباطها بتســـهيلات ائتمانية ودعاية موجهــــة ساعدت على نمو الميل الحدى للاستهلاك لدى جميع الطبقات بلا استثناء .

٧ — سياسات التصدير والاستيراد التى لم ترتبط فى معظم جوانبها بخطة سليمة ورشيدة .

٨ — انخفاض معدل نمو الناتج القومى .

٩ — نمو قطاعات الخدمات استثمارا وعمالة واجورا .

١٠ — الاســـعار العـــالمية ودخول آثارها التضخمية على الاقتصاد المصرى لاعتماده عليها استيرادا اكثر منه تصديرا .

١١ — التحولات الاقتصـــادية والاجتماعيــة الموجهة وخاصة منذ قوانين يوليو ١٩٦١ ، هذه التحولات التى كانت بمثابة الضوء الاحمر للقطاع الخاص المنتج فى مصر والتى جعلته غير واثق بمستقبله الاقتصادى ، الامر الذى انعكس فى عزوفه عن الانتـــاج ، واتجاهه نحـــو النشاط التجارى الطفيلى والبعيد نســـبيا عن محاولة الحصر والتقنين .

واذا كانت هذه العوامل مجتمعة وبتشابكاتها وتفاعلاتها قـــد ساهمت وما زالت تســـاهم فى تصاعد الغلاء فانه يصبح من الضرورى مواجهة هـــذه الازمة باجراءات معاكســـة للاســـباب والمسببات المذكورة .

ان الفكر الاقتصادى البرجوازى يحـــدد ثلاثة جوانب رئيسية تساعد فى القضاء على ظاهرة التضخم وهى :

أولا : العمل على زيادة كمية الانتـــــاج من السلع والخدمات وذلك يرتكز — وبشكل أساسى — على زيادة الانتاجية من المؤسسات والوحدات الانتاجية الموجودة بهدف زيادة كمية الانتاج الكلى من السلع والخدمات لكى تتواءم مع المتاح من كمية النقود المتداولة .

ثانيا : الحد من الانفاق العام والذى يمثـــل أحد قنوات زيادة كمية النقود المتداولة . وعلى ذلك ، فان على الدولة أن تحد من انفاقها فى المجالات المختلفة .

ثالثا : العمل على امتصاص الكمية الزائدة من النقد المتداول وذلك بطرق ووسائل متعددة من اهمها تشجيع الادخار الاختيارى برفع معدلات الفائدة ، وضع سياسة للادخار الاجبارى ، تقييد الاستهلاك من السلع والخدمات الرئيسية بوضع حد اقصى لـــلكميات المستهلكة فيهـــا . ويعتبر

أسلوب التوزيع بالحصص [البطاقات] أحد هذه الوسائل ووضع سياسة ضريبية يمكن أن تمتص أكبر قدر ممكن من النقود المتداولة .

وبنظرة فاحصة الى تلك الوسائل الرئيسية ، ومناقشتها موضوعيا — على أرضية الواقع المصرى — بهدف تحديد أبعادها وممكناتها ، نطرح سؤالا أوليا :

هل يمكن القضاء على ظاهرة **الغلاء فى مصر فى المدى القصير أو حتى المتوسط [فى السنوات الخمس القادمة مثلا]** ؟ . وقبل الدخول فى الوسائل التفصيلية المختلفة المدى الزمنى ، فانه لا بد من أن نصارح الرأى العام بأن الغلاء ظاهرة موجودة ، وستستمر فى السنوات المقبلة للاسباب الرئيسية التالية :

١ — استمرار المعركة والمواجهة العسكرية وما تحتاجه من انفاق ضخم يمثل أحد عناصر وجود الغلاء وزيادة حدته .

٢ — وحتى اذا ما انتهت المواجهة العسكرية فى المستقبل القريب ، فان المشكلة التى لن يقل أثرها عن أثر الانفاق العسكرى هى مشكلة التعمير وما يحتاجه من تقديرات أولية تصل الى حوالى ٣٥٠٠ مليون جنيه . وهى فى معظمها انفاق راكد لن يكون له أثر انتاجى .

٣ — تركيز التنمية الاقتصادية فى السنوات الخمس المقبلة على الصناعات الاستراتيجية مثل الصناعات الثقيلة والمتوسطة [الحديد والصلب ، البتروكيماويات ، الالكترونات وغيرها] ذات العائد المتأخر . فهذه الصناعات تحتاج الى انفاق ضخم يساعد فى زيادة النقود المتداولة قبل وصول هذه المشروعات الى مرحلة الانتاج الاقتصادى الامر الذى ينعكس اثره فى زيادة حدة الغلاء .

٤ — اعتماد مصر فى استيرادها على كثير من حاجياتها الاستهلاكية وخاصة فى مجال المنتجات الغذائية ، مثل القمح على الدول الرأسمالية نظرا لتوفر فائض القمح وبشكل أساسى فى هذه الدول وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية واحتكارها لاسعاره ، وتأثر هذه الاسعار بظاهرة التضخم التى يعانى منها المجتمع الرأسمالى بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص .

٥ — سيطرة القطاع الخاص على التجارة الداخلية ، بشكل أساسى ، ونمو مكانته فى التجارة الخارجية وهو الامر الذى يساعده على احداث كثير من الاختناقات الناجمة عن تخزين السلع والتلاعب فى أسعارها وخاصة السلع الضرورية . وقد يقول البعض ، بأن هذه الظاهرة يمكن القضاء عليها بسهولة . الا أن جوانبها كثيرة ومتعددة ، ولسوف تظل احدى مكونات ظاهرة الغلاء طالما كان المناخ السياسى لم يحس بخطورتها بهدف القضاء على دورها التخريبى فى الاقتصاد القومى . ومن ثم ، فان هذه القضية يمكن ان تتفاقم من مشكلة الغلاء خاصة اذا ما سمح للقطاع الخاص باحتلال كثير من المواقع الفوقية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . وعلى العكس من ذلك ، فان مواجهتها يمكن أن تصبح ميسورة فى ضوء مجموعة من الظروف والشروط أهمها ابعاد القطاع الخاص عن الانفراد باتخاذ القرارات فى الاجهزة السياسية والشعبية والتنفيذية ، وهى مهمة شاقة نسبيا .

تلك هى المبررات الموضوعية التى تجعلنا نؤكد بأن ظاهرة الغلاء أو التضخم فى مصر ستبقى ظاهرة ملازمة للاقتصاد المصرى فى السنوات القادمة .

ان اعترافنا باستمرار ظاهرة التضخم فى مصر لا يعنى بأى حال من الاحوال تركها بالشكل الذى يسير بنا نحو مرحلة كساد كبير يدمر اقتصادنا القومى كما حدث لاقتصاد البلاد الرأسمالية ومعظم بلدان العالم الثالث بحكم تبعيتها الاقتصادية فى أواخر العشرينات وحتى منتصف الثلاثينات تقريبا . وعلى ذلك فأن التفكير فى مواجهة الغلاء يرتبط بمجموعة من الطرق والاساليب والخطط والسياسات التى يمكن أن نجد بها من آثار هذه الظاهرة . وهذا كله يرتبط باتجاهين متلازمين ومتكاملين وهما :

أولا : مواجهة الغلاء فى المدى القصير :

يمكن مواجهة الغلاء فى المدى القصير من خلال مجموعة الوسائل والخطط والسياسات التالية :

١ — القضاء على نشاط التجار الطفيليين : هذا النشاط الذى نما — بشكل واضح — فى السنوات الاخيرة ، وأصبحت السمة المميزة لنشاطهم الاقتصادى العمل فى سوق التوزيع والتبادل وخاصة فى تجارة السوق السوداء والذين نزحوا من مواقعهم الانتاجية الى الانشطة غير المنتجة ذات العائد السريع والمربح يمارسون فيها عمليات التهريب والتخزين والمضاربة . وفى تصورنا فأن نشاط هذه الفئة على الرغم من اعترافنا مسبقا بصعوبة الحد من آثارها — فجأة

وبصورة حاسمة — الا أن هذا يعنى ضرورة البدء الفورى فى مواجهة هذه الفئة والتى تعمل وبشكل اساسى فى المجالات الثلاثة الرئيسيـــيه التالية :

● مجال السلع الاستهلاكية الاساسية مثل المواد الغذائية والاقمشة الشـــعبية والصابون .. الخ من السلع الضرورية .

● مجال السلع الوسيطة والسلع المنتجة مثل الحديد والاخشاب والجلود والاسمنت وعنـــاصر الانتاج الاخرى ذات الندرة النسبية .

● مجال السلع المستوردة والتى يمارسون من وراء تجـــارتها مختلف عمليـــات التهـــريب والمقاصات . يبيعون من خلالها السلع بأسعار خيالية مستفيدين ببعض التسهيلات الأخيرة فى مجال الاستيراد من ناحية وتفوق معظم منتجات هـــذه الســـلع على المنتج منها محليـــا [نظرا للاستفادة بعوامل التقدم التكنولوجى المتلاحقـــة التى تنعكس فى انتاج الجودة النسبية للسلع المستوردة فى مثيلاتها من السلع المصرية من ناحية أخرى] .

ان مواجهة نشاط هذه الفئـــة والوقوف أمام استغلالها للظروف الاقتصادية المصرية يجعلنـــا ننادى بضرورة العمل الجدى والحازم للقضـــاء على نشاطها ، من خلال سن القوانين التى تقترن بعقوبة رادعة تحول دون استمرار هذه الفئة فى ممارسة نشاطها التخريبى .

لكن سن القوانين ، وتوفير الضمانات الكافية لتنفيذه ليس وحده بالاداة الكافية . اذ يجب أن ترتبط بوضع مكملات اخرى لهذه الضمانات من أهمها :

عدالة توزيع السلع المتاحة — حسن استخدام المتاح من السلع الاساسية والضرورية اللازمة للانتاج والاستهلاك ، الامر الذى يعطى للقطاع العام دوره الاساسى مرة أخرى فى مجال تجارة الجملة والتجزئة — عدم السماح لتجـــار التجـــزئة فى القطاع الخاص بتداول هـــذه السلع الضرورية اللهم الا اذا كانت من سلع البطاقات — التوسع النسبى فى مجال التوزيع بالبطاقات — التوزيع الجغرافى السليم للســـلع الضرورية وشـــبه الضرورية — القيام بالدراسات العلمية لتحديد الاحتياجات الفعلية اللازمة للافراد من هـــذه السلع — العمل على القضاء وبشكل جاد ، على انحرافات التوزيع فى القطاع العام — التوزيع العادل للسلع الضرورية ذات السعر المنخفض وفقا لجدول الاجور فى الدولة فمثلا تزداد كمية الشاى أو السكر الموزع بالبطاقات [بالســـعر المنخفض] لذوى الدخول المحدودة عنه بالنسبة لمتوسطى الدخول وكبارهم نظرا لقـــدرة الفئتين الاخيرتين على الشراء بأسعار مرتفعة .

وننادى فى هذا المجال بضرورة انشاء مجالس شعبية محلية تشرف على التوزيع حتى نضمن سلامة وصول السلع الى المستحقين الحقيقيين ، وحتى لا يستفيد منها السماسرة والمضاربون .

٢ — تعديل الهيكل العام للاجور والمرتبات فى مصر الذى يعكس زيادة الهوة بين اقل دخل أو أجر واعلى دخل أو أجر .. فمن المعروف أن هناك قاعدة عريضة من ذوى الدخـــول أو الاجور المحدودة لا تستطيع مواجهـــة استمرار الغلاء أو التضخم . كما أن هذه الفئـــة أيضـــا لا تســـتطيع أن تتحمل أعباء ضريبيـــة أخرى أو ادخارا اجباريا . وهذه القاعدة الاجتماعية تتمثل فى العمال وصغار الفـــلاحين [ممن يملـــكون خمسة أفدنة فأقل] وصغار الموظفين وعليه فان هذه القوى فى حاجة أكثر الى زيادة دخولها — كما نتصور — حتى تستطيع أن تواجه الازمة دون ما صراع غير منتج أو شريف من أجـــل مواجهة الحياة . ولا بد من الاشارة هنا الى أن الامر الذى قد يعقد مشكلة التضخم فى مصر هو أن هذا الاتجاه [وهـــو الحرص على عـــدم انقاص دخول الطبقات الشعبية بل وزيادته] انما يتعارض مع الوسائل الكلاسيكية لمواجهـــة التضخم . الا أنه يمكن القول بأن هذه الوسائل يمكن قبولها — من الناحيـــة الاقتصادية — فى اطار ممكن واحد فقط وهو : الحد من الهوة الكبيرة بين طبقة ذوى الدخول المرتفعة وبين هـــذه الطبقات الشعبية . ويتم ذلـــك بتقليل الحـــد الاقصى للدخول ووضع نظام للضرائب التصاعدية يسمح بالاستفادة من عوائد هذه الضرائب فى زيادة دخول الطبقات ذات الدخول المحدودة من غير زيادة فى كمية النقد المتداول .

وقد يقف البعض معارضا لهذا الاقتراح بحجة أن حجم ما يمكن أن نحصل عليه من فئات كبار ومتوسطى الدخـــول يعتبر محدودا ولا يســـمح بزيادة حقيقية فى دخل الفئات الدنيا . غير أن المدقق فى تضخم الوظائف ذات الدخل المرتفع فى مصر ، وتهرب قطاع كبير جـــدا من ذوى الدخول المرتفعـــة من دفع الضرائب ، يستطيع التنبؤ بما يمكن أن نحصل عليه من كمية نقود ضخمة ستساهم — وبشكل واضح — فى زيادة دخول الطبقات الصغيرة .

٣ ــ اعادة النظر في بعض جوانب سياسة الانفتاح الاقتصادى الحالية والخاصة بتشجيع رأس المال المحلى والعربى والاجنبى فى الدخول فى مشاريع غير منتجة والسماح لهــا فقط باستثمار أموالهــا فى مشاريع انتــاجية تلتزم بالخطة القومية وتكون ذات عائد قومى واجتماعى مناسب »

٤ ــ اعــادة سيطرة الــدولة على قطــاع الاســتيراد والتصدير بحيث تــكون الدولة هى الموجهة والمخططة له . وهذا لا يمنع بالقطع من حركة رأس المال المحلى أو العربى أو الأجنبى فى مزاولة نشاطه فى التنمية الاقتصادية الا أن سيطرة الدولة ستضمن تحقيق مزايا كثيرة من اهمها ارتباط الكمية المصدرة والمستوردة بالخطة القومية الشاملة . وهو الأمر الذى لا تعيه معظم وحدات القطاع الخاص . كما أن القطاع العام يتمتع بامكانيــات مادية وبشرية تســـمح له بالاستفادة من مزايا النقــل الكبير . وبالتـــالى خفض تكاليف النقل أو الشحن الى اقل حـــد ممكن . كذلك ، فانه تتوفر للقطاع العام امكانية أكبر لدراسة الاسواق وحركة الأسعار بالدرجة التى تمكنه من الحصول على الكميات اللازمة بأقل الاسعار وتصدير الانتاج بأعلى سعر ممكن كما انه أكثر استفادة من الأرباح وتوجيهها الى مشاريع التنمية القومية . هذا بالاضافة الى ان القطاع العام يهتم فى نفس الوقت بتوفير الكميات اللازمة للسوق الداخلى . بينما نجد القطــاع الخاص على النقيض من ذلك من ناحية الاهداف التى يبغى تحقيقها . فهو يسعى الى الحصول على أقصى ربح ممكن دون ما نظر الى الاهداف القومية ، بقصد أو بدون قصد ، كما أن هذا الربح ينحصر فى أيدى فئة محدودة ولا يوجه الى خدمة الاقتصاد القومى بشكل أساسى .

٥ ــ البــدء فورا فى وضــع السياســات والدراسات والاجراءات الخاصة بترشيد الانفاق العام وخفضه الى اقل حد ممكن بحيث يرتبط هذا الانفاق فى الحد من الانفاق غير الضرورى والخدمى .

٦ ــ وضع نظام سليم للاجور يرتبط بنظــام فعال للحوافز ، وكــذلك بنظم فعــالة للادارة والتنظيم والمراقبــة تضمن تــكافؤ الفرص بين العاملين فى الدولة بقطاعاتها المختلفة وداخــل كل قطاع على حــدة بحيث تسمح هــذه النظم بتوفير جو نفسى ملائم للعاملين بالدولة للعمل على مزيد من الانتاج فى مجــالات الاقتصــاد القــومى المختلفة وبالتالى نحقق مبــدأ من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله .

٧ ــ التــأكيد على الاستفادة الــكاملة من الطاقات الانتاجية المعطلة من التى تحتاج الى استثمارات كبيرة ، بهــدف زيادة الانتــاج من السلع والخدمات المختلفة للمواجهة ، ولو من الناحية النسبية ، من الفارق بين كمية الانتاج وبين كمية النقود المتداولة ».

٨ ــ وضـع سياسة سعرية سليمة ومتوازنة تأخذ فى اعتبارها الاهمية النسبية للسلع بالنسبة للمستهلك ، والكمية المتاحــة والكمية المطلوبــة وتكاليف الانتاج بحيث تساهم هذه السياسة فى احداث التوازن الاقتصادى بين قطاعات الاقتصاد القومى وفروعه وبين الطبقات المختلفة . وهى بذلك ، يجب أن ترتبط بصناديق لــدعم السلع الضرورية تتحمــل العبء الاكبر من حصيلتهــا الضرائب المأخوذة على السلع الكمالية وشــبه الكمالية .

ان اهم الجوانب التى يجب أن ترتبط بنجاح مثل هذه السياسة السعرية هو مقدار تدخــل الدولة بالاساليب والقوانين التى تحــول دون انحرافها ، خاصـــة بالنسبة للسلع الضرورية والمحدودة الكمية والمنخفضة الاسعار ، فالدولة مثلا لا يمكن أن تتحمل مئات الملايين من الجنيهات بهدف تقديم رغيف الخــبز للمواطن بخمســة مليمات فى نفس الوقت الذى لا يستفيد من هذا الدعم وبشكل أساسى الا اصحاب المخابز الذين يتلاعبون فى مواصفات الرغيف من ناحية الوزن والنوع . من هنا ، فان الرقابة الحازمة تعتبر أحد مقومات هذه السياسة حتى لا تستفيد منها القلة على حساب الكثرة وهو الهدف الذى من اجله خرجت سياسة الدعم الحكومى .

تلك هى أهم الجوانب الرئيسية التى يمكن من خلالها مواجهة تفاقم ظاهرة الغــلاء فى مصر والتى يجب أن تتــكامل بحيث لا يمكن الاخــذ بمجموعة منهــا وترك الاخرى والا فان دائرة المواجهة أو الحد من الغلاء لن تكتمل .

ثانيا : مواجهـــة الغـــلاء

فى المدى المتوسط والطويل

ان مواجهة الغلاء ، فى المــدى المتوســط والطويل ، تتطلب اجراءات وتغييرات تحتاج الى مدى زمنى أطول وقد لا يظهر مفعولها فى المدى القصير . الا أن نتائجها الايجابية ــ مع ذلك ــ ستكون مؤكدة فى المدى المتوســط والطويل ويمكن ايجاز أهم هــذه الجوانب على النحــو التالى :

١ ــ الاخــذ بالتخطيط القومى الشامل :

فالتخطيط القومى الشامل ظهر تاريخيا فى المجتمعات الاشتراكية ليواجه مشكلة بطء النمو وسوء التوزيع ، وبالتالى ، ليضمن اقصى كفاءة ممكنة فى استخدام الموارد الاقتصادية ومن هنا فان التأكيد على دور التخطيط القومى الشامل ذو ارتباط واضح بالحد من ظاهرة الغــلاء او التضخم للاسباب الموضوعية التالية :

● ان الدول التى اخــذت بالتخطيط القومى الشامل فى اطار سيطرة الدولة على عناصر الانتاج — كما هو الحال فى الدول الاشتراكية — لم تواجه أزمات تضخمية واضــحة . وعلى النقيض من ذلك فان الدول التى ما زالت تتغنى بالحرية الفردية او سيادة الاحتكار وهى مجموعة الدول الرأسمالية هى التى تعانى من آثار هذه الازمة .

● ان التخطيط القومى الشامل هو اقــدر الاساليب على تعبئة الموارد المادية والبشرية فى فترات محددة بهدف زيادة معــدل نمو النــاتج القومى بشكل عام والانتاجية بشكل خاص وهو بذلك يقدم حلا لاهم وسائل مواجهة التضــخم فيما يتعلق بوسيلة زيادة الانتاج والانتاجية .

● ان التخطيط القومى الشامل فى اطــار من سيطرة الدولة على سوق الانتاج والتوزيع او مراقبتها له هو اقدر الاســاليب على عــدم حدوث اختناقات فى مجالات الانتاج والتسويق والتوزيع . وهو ، بذلك ، سيحول دون استغلال السوق من جــانب المضاربين وتجــار السوق السوداء وهم من شرائح الرأسمالية الطفيلية الذين يقترن نشاطهم بظاهرة التضخم .

● ان التخطيط القــومى الشــــامل يرتبط بالضرورة بتخطيط مالى ايضا يضع فى اعتباره التوازن المستمر بين كمية النقود المتداولة وكمية الانتاج من السلع والخدمات المتداولة .

● ان التخطيط القــومى الشامل يملك من وسائل البحث والدراســة والتقييم والتقــويم المستمر والسريع زمنيا وجغرافيا ما يمكنه من مواجهة الاختناقات التى يمكن أن تحدث بين كل من الانتاج والاستهلاك وكمية النقود المتاحة .

● ان التخطيط القــومى الشامل باعتبــاره مطلبــا اقتصاديا واجتماعيا هــو ايضا عمــل سياسى من الدرجة الاولى تسعى الدولة — من خلاله — الى حفز الملايين من المنتجين والمستهلكين والعاملين فى مجالات التبادل والتوزيع لتحقيق أهداف الخطة الاقتصادية باعتبارها هدفا وطنيا يجب تحقيقه وتجاوزه لصالح الانتاج والاستهلاك كما أن الدولة تستطيع الاســتفادة من الحركة الجماهيرية المنظمــة والواعيــة فى مواجهــة الانحرافات الفردية أو الجماعية فى كل مؤسسات الدولة من خلال كشفها وتقويمها .

● ان التخطيط القومى الشامل يوفر المجال الخصب لملاحقة التقدم المتلاحق فى مجال العلم والتكنولوجيا واستخدامهما فى قطاعات الاقتصاد القومى المختلفة بسرعة أكبر منه اذا ما ترك لكل منتج استيعاب هذه المنتجات او عدم استيعابها وفقــا للظروف الذاتية التى تواجه كل وحــدة انتاجية او تسويقية . وعلى ذلك فانه يســمح بمزيد من كفاءة اســتخدام منجزاتها فى زيادة الانتاج والانتاجية .

● ان التخطيط القومى الشامل يساعد فى الحد من استيراد التضخم من الدول الذى تعانى منه الى الدول المخططة ، وذلك عن طريق عمل صناديق موازنة أو دعم تبعد وتحد — من خلالها — آثار الانتقال من الخارج الى الداخل .

● ان التخطيط القومى الشامل اقــدر من غيره من الاساليب الاقتصادية غير المتكاملة على وضع نظام سليم للاجور والدخول يحقق أقصى عدالة ممكنة . وبالتالى ، يحــول دون تفــاقم ظاهرة سوء توزيع الدخول واستفادة طبقــات على حساب طبقات اخرى وبالتالى فهو يقــدم حلا لاحدى جوانب الظاهرة .

والتخطيط القومى الشامل ، بمزاياه السابقة لا يعطى نتائجه الايجابية الا بتغييرات هيكلية فى الاقتصاد القومى بحيث تتوفر الظروف الموضوعية والذاتيــة لنجاح النظــام . وتعتبر الاجراءات قصيرة المدى مدخــلا اساسيا لهذا النــوع من التخطيط . الا أنها لا توفر — وحدها — هــذه الظروف دون ما بداية جادة ، وحركة واسعة فى اجراء مزيد من التحولات ، متوسطة وطويلة المدى ، تتعلق بتطوير علاقات وقوى الانتاج .

ففى القطــاع الزراعى لا يمكن قيــام خطة قومية شاملة ينخرط فيها عدة ملايين من المنتجين الفرادى ، لكل طريقته فى الانتاج ، واختيــار المحاصيل بصورة نسبية وامكانياته الخاصة ، مما يصعب معه وضــع خطة شاملة لتوجيــه الانتاج للوصول به الى اهداف محددة . وعلى ذلك فان هذا القطاع اكثر القطاعات بعدا عن توفير الظروف الملائمة داخله للتخطيط الشامل وعليه فانه يعتبر اكثر القطاعات حاجة الى مزيد من الدراسة الجادة والعلمية . وكذلك العمل الشعبى والسياسى والتنفيذى بهدف ضم هــذه المساحات القزمية داخل جمعيات تعاونية انتاجية لهــا شخصيتها الاعتبارية ، وتساهم بشــكل

أساسي في وضع خطة لها ضمن اطار الخطة القومية الشاملة . وذلك دون ما مساس على الاطلاق بملكية الارض الزراعية ، الا أن هذه الجمعيات التي تبلغ أعدادها الان حوالى ٥٠٠٠ جمعية تعاونية زراعية ستكون أداة هامة من أدوات التخطيط الزراعى ، ضمن الخطة القومية الشاملة ، وستحل محل المنتج فى ادارة الانتاج وتنظيمه ومراقبته ، مستخدمة أحدث وسائل الانتاج فى اطار من تكثيف وتركيز الانتاج وهما أساس الزراعة المتقدمة .

وبالنسبة للقطاع الصناعى ، فان التجربة قد أثبتت نجاح تجربة القطاع العام ، من الناحية النسبية ، فى المساعدة على الادارة المخططة والواعية . وعلى ذلك ، فان التركيز على التوسع فى القطاع العام ونشر التعاونيات المنتجة بين صغار المنتجين يعتبران مدخلا ضروريا لتكامل كل من القطاع الصناعى والزراعى ويوفران الضمانات لوضع خطة متوازنة .

٢ ــ وضع استراتيجية شاملة للتحول الاقتصادى والاجتماعى تتصف بالوضوح والموضوعية وفقا لظروفنا وامكانياتنا بحيث تعطى للقطاع الخاص مكانه فى الحركة المنتجة، وبالتالى ، فانه يصبح من الضرورى اعطاؤه قدرا كبيرا من اليقين الاقتصادى والسياسى بحيث يعطى ضمانات الحركة فى اطار معين من سلع الانتاج وبكميات تحول دون استغلاله ، حيث أن تجربة الفترة الماضية مازالت تلقى ظلالها فى حركته المشوبة بالشكوك حول المستقبل ومن ثم فهو يتباعد عن كل عمل من شأنه أن يضيف الى الانتاج وبصورة مستقرة . كما انه يتلاعب فى مجال التجارة الداخلية فى أعمال السمسرة والمضاربة والاتجار بالسوق السوداء كما سبق أن ذكرنا .

٣ ــ العمل الدعائى المكثف من قبل الاجهزة السياسية والشعبية والتنفيذية بهدف تغيير النمط الاستهلاكى لقطاعات عريضة من أفراد الشعب التى ازدادت تطلعاتها الاستهلاكية فى السنوات الاخيرة . من هنا يتعين أن تزداد الدعوة الى مواجهة مشاكل الاسكان بتوفير الشقق ذات العدد المحدود من الحجرات [حجرة وحجرتين وثلاثة على الاكثر] وعدم السماح ببناء المساكن الحكومية والخاصة الا فى هذا الاطار ، تغيير الاتجاهات الاستهلاكية فيما يتعلق بالانفاق الكبير فى المناسبات المختلفة [شهر رمضان والاعياد
فى المناسبات المختلفة [شهر رمضان والاعياد]
المحافظة على المال العام وصيانته والاقتصاد فى نفقاته حيث أن المال العام ما زال ينظر اليه على انه مال « سايب » ينظر اليه الفرد نظرة معاكسة لنظرته لماله الخاص الامر الذى يستوجب توضيح أهمية المحافظة عليه باعتبار أن الحد من الانفاق فيه هو جزء من وسائل مواجهة التضخم .

٥ ــ العمل الجدى من اجل تكامل اقتصادى عربى حقيقى يسمح باستخدام الموارد المادية والبشرية فى العالم العربى بأحسن صورة ممكنة لكى يعطى أقصى عائد قومى ممكن . ومن المعروف أن العالم العربى يملك ، الان ، وقبل أكثر من سنة بقليل موارد نقدية هائلة بالاضافة الى امتلاكه لموارد أرضية وبشرية لم تستغل بعد بكفاءة ، وبالدرجة التى يمكن أن تستخدم فيها هذه الامكانيات النقدية فى مشاريع انتاجية يمكن أن تزيح شبح الغلاء عن كثير من الدول العربية . غير أن التقارير والصحف والمجلات تطالعنا بين الحين والحين بانتقال مئات بل وآلاف الملايين من الدولارات العربية الى السوق الرأسمالى هكذا أصبح [السوق الرأسمالى] ــ بدوره ــ أحد مصادر السيطرة على فوائض النقود العربية ذاتها ، يستخدمها لمواجهة أزمته ويريد نقلها لنا بشروطه وأوضاعه التضخمية ، وهذا فى تصورنا يعكس خللا بين ما نطلقه من شعارات حول بناء أمة عربية قادرة ومستقلة تستطيع مواجهة قضايا التخلف بها وبين ما نسمعه حول هجرة الاموال العربية الى قبضة الاسواق الاحتكارية العالمية صانعة ومصدرة التضخم .

واذا كان هذا الجانب فى حاجة الى حوار طويل حول أسس التكامل الموضوعية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية فان الذى لا جدال فيه الان هو انه لا مكان لمجتمع متخلف فى الصراعات السياسية والاقتصادية كما أن عوامل التقدم ــ ذاتها ، وكما أثبتت التجربة التاريخية ــ لا يمكن أن تأتى من دول العالم الرأسمالى . فهى تبغى بل وتسعى الى ربط الدول المتخلفة بها فى اطار من التبعية السياسية والاقتصادية على حساب زيادة الهوة بيننا وبينها. ان ادراكنا لاهمية هذا الجانب يجب أن يحفزنا الى الاستفادة من الموارد العربية الضخمة لصالح التقدم الاقتصادى والاجتماعى . ومن ثم ، فاننا نستطيع ــ ومن خلال التكامل ــ ضمان حرية انتقال عناصر الانتاج فيما عدا عنصر الارض بين الدول العربية بهدف الحصول على أقصى عائد قومى ممكن للموارد المتاحة والمرتقبة، وبهذا النوع من التكامل نستطيع ابعاد شبح الغلاء عن دولة أو مجموعة من الدول العربية ولصالح جميع الدول العربية .

٥ ــ دعم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع مجموعة دول المعسكر الاشتراكى التى لا تعانى

من التضخم وتملك من وسائل التقدم التكنولوجي ما يمكننا من الحصول عليه بلا أى مخاطر حقيقية فمثلا دخول مصر كعضـو مراقب فى السـوق الاشتراكية [سوق الكوميكون] يمكننا من الاستفادة بكثير من الامتيازات التى تعطيها هـذه السوق لدولها فيما يتعلق بتبادل المعلومات عن التقـدم الفنى والعلمى ، خفض أسعار السلع المستوردة، دعم اقتصاديات الـدول محدودة النمو بالـدول المتقدمة ، التكامل والتخصص فى انتـاج السلع والخدمات على أساس من الميزة النسبية فى الانتاج كما أن هذا التعاون يمكن من خلاله الاعتماد ، وفى أضيق الحدود ، على السوق الراسمالى . اللهم الا بالنسبة لبعض السلع والخدمات غير المتاحة لدى المجموعة الاشتراكية وعلى ذلك فأن تقوية العلاقات الاقتصادية يمكن أن تؤدى دورا هاما فى الحد من استيراد التضخم وتقليله الى اقل حد ممكن من السوق الراسمالى .

□ □ □

○ التضـــخم .. ظاهـــرة رأســـمالية

د. حلـمى سـلام

لعل من المعروف ان التضخم ظاهرة اقتصادية تنتج عن زيادة كمية النقد المتـداول بالنسـبة الى كمية السلع والخدمات المتـاحة للاستهلاك فى نظام اقتصادى معين [1] . اذ ينتج عن زيادة كمية النقود المتاحة للانفـاق ارتفـاع القـدرة الشرائية لدى المستهلكين ، فاذا ماحدث ذلك دون زيادة كمية السلع والخدمات المتاحة للاستهلاك بالنسبة نفسها ارتفعت اسعار السلع والخدمات نتيجة لزيادة الطلب على الكميـات المعروضـة منهـا . وعلى ذلك يعتبر التضخم اختـلالا فى العلاقة الاقتصادية الأساسية «النقود ــ السلع» يترتب عليه سباقا تضخميا بين الاجور والاسعار ، اذ ان ارتفاع الاسعار سوف يدفع العاملين بأجر الى الضغط لرفع الاجور لمواجهـة الزيادة فى الاسعار ، فاذا ما نجحت فى ذلك فسوف تدفع الزيادة فى الاجور ــ باعتبارها زيادة فى كمية النقد المتداول أو فى القدرة الشرائية للمستهلكين غير مصحوبة بزيادة فى السلع والخدمات المنتجة ــ الى ارتفاع الاسعار من جديد .

والتضخم ، بذلك ، يعتبر ظاهرة اقتصـادية رأسمالية ، بمعنى انها خاصـة بالاقتصـاديات الراسمالية . وهى ظاهرة تعتبر نتاجا طبيعيـا للقوانين الاقتصادية التى تحكم حركة هـذه الاقتصاديات وتحكم علاقة « النقود ــ السلع » . ومن المتصور أن التضخم لم تعرفه اقتصاديات المقايضة ، حيث لم تسـتخدم النقود كوسـيط بين عمليات التبادل السلعى ، بل كانت تتم عملية التبادل مباشرة فى شكل مقايضة السلع ببعضها البعض حيث كان « كل بيـع شراء ، وكل شراء بيع » ، وحيث دورة السلع تتضمن توازن المبيعات والمشتريات بالضرورة » [2] .

وبدخول النقود كوسيط فى عملية التبـادل السلعى ظهرت امكانيات اختلال التوازن نتيجة للزيادة او النقص فى حجم النقود المتـاحة عن حجم السلع والخدمات المنتجة . ولعل الرواد الاوائل من الاقتصاديين لـ « النظرية الكميه فى النقود » فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كانوا أول من اكتشف العلاقة بين كمية النقـد

---

(1) د. حلمى سلام « التضخم » ــ قاموس العصر ، الطليعة ، اكتوبر 1974 صفحة 141 .
(2) كارل ماركس « رأس المال » ، الجزء الاول .

المتداول وأسعار السلع حينما لاحظوا العلاقة بين زيادة المتداول من الذهب فى أوروبا نتيجة لاكتشاف مناجم جديدة للذهب فى القرن السادس عشر ، وبين الزيادة فى اسعار السلع . ان زيادة كمية الذهب المتداول (النقود) غير المصحوبة بزيادة كمية السلع المتاحة للاستهلاك أدت الى زيادة القوة الشرائية للمستهلكين ، ووفقا لقوانين العرض والطلب المعروفة أدت الى زيادة اسعار السلع .

ولقد لوحظ ظهور التضخم فى بلاد رأسمالية متفرقة فى فترات متفاوتة فى القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر ، واوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى ، غير انه تحول بعد ذلك الى ظاهرة اقتصادية عامة تعانى منهما كافة الاقتصاديات الرأسمالية ، كذلك تحول التضخم الى ظاهرة منتظمة الحدوث . وتشكل ظاهرتا التضخم والكساد معا ما يعرف بالدورة الاقتصادية التى أصبحت ملازمة للاقتصاد الرأسمالى وأحد معالمه المميزة .

وكثيرا ما يثور التساؤل لماذا يقتصر ظهور هذه الأزمات الاقتصادية على الاقتصاديات الرأسمالية ؟ لماذا لا تظهر ايضا فى الاقتصاديات الاشتراكية ؟ لقد اصبحت الازمات فى الاقتصاد الرأسمالى حتمية الحدوث ، ذلك انها النتيجة المنطقية لتناقضات القوانين التى تحكم حركة الاقتصاديات الرأسمالية . ان التناقض الاساسى للرأسمالية والذى تتفرع منه كافة التناقضات الاخرى هو « **التناقض بين من يملكون وسائل الانتاج وبين من لا يملكون سوى قوة عملهم** » . ان هذا التناقض الاساسى الكامن فى طبيعة بنيان الاقتصاد الرأسمالى ، والذى يتمثل فى التناقض القائم بين الطابع الاجتماعى للعملية الانتاجية وشكل الملكية الفردية لوسائل الانتاج ينعكس مباشرة فى شكل تناقض بين **الاسعار والاجور** مما يسبب فى أغلب الاوقات عدم توازنهما . وجدير بالذكر انه بمجرد أن يبدأ السباق بين هذين المتغيرين صعودا أو هبوطا ، يبدأ دخول المجتمع فى دوامة التضخم أو الكساد على التوالى . ان هذا التناقض الاساسى فى البنيان الاقتصادى الرأسمالى بين الملاك والعمال هو الذى يؤدى الى وجود **الدورة الاقتصادية الرأسمالية** والتى أصبحت من مسلمات الاقتصاد الرأسمالى . فعندما يرتفع الطلب على السلع ترتفع بالتالى أسعارها ، وبمجرد ارتفاع اسعار السلع فى السوق ينخفض الاجر الحقيقى للاجراء ، أو بعبارة اخرى تنخفض كمية السلع التى يمكن أن يحصل عليها كل عامل باجر مقابل انفاق دخلهم النقدى الثابت ، وهنا يلجأ هؤلاء الى المطالبة بزيادة الاجور فى محاولة لاسترداد مستواهم الاستهلاكى السابق . فاذا ما نجحوا فى ذلك وحصلوا على زيادة فى الاجور ، تنعكس هذه الزيادة فى شكل ارتفاع جديد فى الاسعار وفقا لقوانين العرض والطلب على النحو الذى سبق ان بيناه . ويظل الحال على ذلك حتى تدخل وحدات انتاجية جديدة السوق ـ يدفعهما فى ذلك اغراء الارباح الهائلة التى تحققها الوحدات القديمة من جراء رفع الاسعار ـ فتزيد بذلك من السلع المعروضة فى الاسواق فتتوازن كميات السلع المتاحة للاستهلاك مع حجم النقد المتداول. غير أن هذا التوازن الاقتصادى لا يلبث ان ينهار لان عملية دخول منتجين جدد الى السوق عملية غير مخططة ، بل هى متروكة لقرارات المستثمرين الافراد ، ولذلك عادة ما يستمر دخول منتجين جدد الى السوق ، فيتزايد بذلك تراكم السلع المتاحة للاستهلاك عن حجم النقد المتداول. وتبدأ أسعار السلع فى الانخفاض وفقا لقوانين العرض والطلب . وكلما زاد تراكم السلع وانخفاض الاسعار كلما خفض المنتجين حجم الانتاج ، وبالتالى حجم القوى العاملة ، وحجم الاجور المدفوعة مما يؤدى الى انخفاض كمية النقد المتداول . ويؤدى هذا بدوره الى انخفاض جديد فى الاسعار ينعكس مرة اخرى على الاجور ، فيدخل الاقتصاد الرأسمالى فى حلقة الكساد المفرغة . وتتكرر هذه الدورة بدورية معينة لدرجة أصبحت معها الازمات الاقتصادية تضخما او كسادا سمة مميزة للاقتصاديات الرأسمالية المعاصرة ، اذ ان فترات التوازن الاقتصادى أصبحت محدودة للغاية .

وهكذا ، يتضح من التحليل السابق أن التضخم ظاهرة اقتصادية حتمية الوقوع فى الاقتصاديات الرأسمالية . وهى ايضا ظاهرة يستحيل علاجها فى هذه الاقتصاديات لسبب بسيط هو أن سبب وقوع التضخم كامن فى البنيان الاقتصادى الرأسمالى نفسه ، وان العلاج الحقيقى للتضخم لن يتأتى الا بالغاء التناقضات بين اصحاب العمل وبين العمال ، او بين الاسعار والاجور ، وهو ما لا يمكن عمله فى أى اقتصاد رأسمالى لانه يعنى ببساطة انهيار الاقتصاد الرأسمالى نفسه وتحوله الى اقتصاد اشتراكى .

أما فى الاقتصاديات الاشتراكية فلا يوجد هذا التناقض الرأسمالى بين الطابع الاجتماعى لعملية الانتاج وبين شكل الملكية الفردية لوسائل الانتاج أو بين ملاك وسائل الانتاج والعمال .

وبالتالي فلا يمكن ان يظهر التضخم في الاقتصاديات الاشتراكية وذلك لسبب علمي أساسي يكمن في طبيعة بنية هذه الاقتصاديات ، وطبيعة القوانين التي تحكم حركتها . فسيطرة المجتمع على عمليتي الانتاج والتوزيع نتيجة **للملكية العامة لوسائل الانتاج** ــ يتيح له السيطرة على العنصرين صانعي حلقة التضخم وهما الاجور والاسعار . هذا عن انتفاء التناقض . ومن ناحية أخرى يحكم تطور الاقتصاد الاشتراكي ويحد حركته **التخطيط القومي** العلمي ، وبالتالي فان الاجور والاسعار في الاقتصاديات الاشتراكية يتحركان دائما بشكل متوازن ، ومتناسب ، محسوب ، ومخطط ، وبالتالي يستحيل ان يحدث السباق التضخمي بينهما .

ويقدم الفكر الاقتصادي الرأسمالي عدة تدابير اقتصادية ، في محاولة لمنع التضخم ودرء اخطاره ، من اهمها :

١ ــ امتصاص كمية النقد الزائدة عن طريق تقليل الاستهلاك ، وزيادة الادخار . ويمكن أن يتم ذلك بوسائل **حفز وترغيب** مثل رفع سعر الفائدة المصرفية على المدخرات ، او اعفاء فوائد الاستثمارات من الضرائب ، او الغاء التسهيلات الائتمانية لتملك السلع ، او وسائل **اجبار** مثل تقييد الاستهلاك بحصص معينة ، أو رفع أسعار الضرائب ، او الاكتتاب الاجباري في سندات الدولة .

٢ ــ خفض الانفاق الحكومي عن طريق وقف أو تقليل المشروعات العامة التي تقوم بتنفيذها الحكومة مما يخفض حجم الانفاق العام ، وبالتالي حجم النقد المتداول .

٣ ــ رفع الانتاجية باستخدام كافة الوسائل المتاحة حتى يمكن زيادة كمية السلع والخدمات المتاحة للاستهلاك لتتوازن مع حجم النقد المتداول .

وغالبا ما تصاحب هذه التدابير الاقتصادية باجراءات نقدية مثل خفض قيمة العملة أو تغيير العملة القديمة باصدار عملة جديدة ذات قيمة مختلفة . ان منظري الاقتصاد الرأسمالي قد قدموا هذه التدابير على اعتبار انها الحلول الناجعة لظاهرة التضخم . غير ان التجربة العملية قد اثبتت ان هذه كلها اجراءات مؤقتة تؤدي الى تسكين بعض آثار التضخم لبعض الوقت . وتدلنا الاحصاءات على سبيل المثال انه بينما تضاعف الناتج القومي في اليابان ٨ر٣ مرة في الفترة من ١٩٦١ حتى ١٩٧٠ تضاعفت كمية النقد المتداول في نفس الفترة ٥ر٥ مرة ، وفي ايطاليا تضاعف الناتج ٨ر٢ مرة والنقد ٨ر٣ مرة ، بينما تضاعف الناتج ٥ر٢ مرة مقابل مضاعفة النقد المتداول ٧ر٢ مرة في الولايات المتحدة [١] .

كذلك شهدت كل الدول الراسمالية في اعقاب الحرب العالمية الثانية اجراءات وتدابير نقدية في محاولة لمعالجة ازمة التضخم دون جدوى ، وقد تركزت كل هذه التدابير ومازالت اما في تخفيض قيمة العملة او استبدال العملة القديمة بعملة جديدة .

ومن المعروف أن التضخم ينتج تأثيرات سيئة على هيكل الاقتصاد القومي للبلاد التي تعاني منه تتمثل في الفروق الضخمة في دخول الفروع الاقتصادية المختلفة مما يدفع الى النمو غير المتوازن لهذه الفروع ، وخلق جو مثالي للمضاربة على السلع بكل ما يترتب على المضاربة من آثار اقتصادية ، ونزوح راس المال من عملية الانتاج [وهي العملية الاقتصادية الاساسية] الى عملية التوزيع [وهي العملية الاقتصادية الثانوية] . كذلك يؤدي التضخم في الاقتصاديات الرأسمالية ــ وهذا هو الاهم ــ الى اختلال التوازن بين دخول الطبقات المختلفة التي يتكون منها الهيكل الاجتماعي الراسمالي . فيقع عبء التضخم الاساسي على عاتق الطبقات الكادحة ذات الدخل المحدود الذين لا يمكن ان تتواءم الزيادة الطارئة على دخولهم المحدودة ــ بفرض حدوث الزيادة ــ مع الارتفاع الضخم والمستمر في أسعار السلع والخدمات مما يعني تدهور مستوى معيشتهم نظرا لانخفاض دخلهم الحقيقي . أما البرجوازية الكبيرة فتعتبر أكثر الطبقات استفادة من التضخم خصوصا منها ما يتمتع بمراكز اقتصادية احتكارية مما يتيح لها حرية كبيرة في رفع الاسعار بمعدلات عالية ، وتحقيق معدلات ربح غير عادية .

مرة اخرى ان التضخم ظاهرة اقتصادية ينبغي أن تعالج على انها حتمية الحدوث في الاقتصاديات الرأسمالية بحكم طبيعة التناقض الكامن في بنيان هذه الاقتصاديات ، وطبيعة القوانين التي تحكم حركتها ، ولا علاج جذري للتضخم الا بالغاء هذا التناقض اي انهيار الاقتصاديات الرأسمالية ، وحلول الاقتصاديات الاشتراكية محلها .

[١] دائرة المعارف السوفيتية ، الجزء العاشر ، ١٩٧٣ .

التضخم – خطورة الظاهرة وحيويتها في العالم الثالث

كمال السيد

التضخم وارتفاع الاسعار، لا ينغص الحياة على العاملين بأجر واحدهم . صحيح انه يفعل هذا بصفة دائمة ومطلقة بالنسبة لهذه الفئة، لكن **اضراره تمتد لتصيب ملاك رأس المال الذين يحتفظون به في شكل نقدى**، حتى لو كانوا يودعونه في مصارف مقابل فوائد، فعادة تقل هذه الفوائد عن الخسارة الناجمة عن تدهور قيمة النقد وانحطاط قدرته الشرائية . ومن أشد المصابين بالاضرار في هذا المجال، الدولة التي تنخفض القيمة الفعلية لارصدتها النقدية من العملات المحلية والاجنبية والتي تجنبها في حسابات خاصة للصرف منها في آجال متفاوتة على مشاريع طويلة الامد، فتفاجىء عند التنفيذ بأن اموالها لا تكفي لشراء السلع والخدمات والمستلزمات الضرورية من جراء ارتفاع أسعار هذه الاخيرة، فترتبك حساباتها . وهنا تتعطل خططها، وقد لا تجد أمامها من سبيل لتدارك الامر الا باللجوء الى وسائل تمويلية هي بطبيعتها وسائل تضخمية، الامر الذي يطلق – بدوره – العنان لحركة الاسعار ويجعلها مستعصية على أي سيطرة أو تحكم فيها .

والتضخم في واقع الامر **نوعان أحدهما** : يمكن التحكم فيه واعتباره ظاهرة موقوتة وعارضة مصيرها الى زوال . **والثاني** : لا يمكن التحكم فيه ويكتسب صفة الديمومة والاستمرار ما بقيت الهياكل الاجتماعية والاقتصادية التي تفرزه، فهو لصيق الصلة بها ونتاج طبيعي لعلاقات الانتاج السائدة فيها .

وينشأ النوع الاول عن استثمار قدر من موارد المجتمع في بناء الهياكل السفلية للانتاج، أو في اقامة المشروعات التي تغل عوائدها بعد اجل . فيعد هذا تجميدا لجانب من أصول وسلع المجتمع في هذه المشروعات، في حين يظل التعبير النقدى عنها، أو القدر من النقود المقابل لها، طليقا متداولا، فيحدث الاختلال بين حجم السلع المتاح للتداول وبين حجم الاموال المطروحة . لكنه اختلال مؤقت الى حين يبدأ انتاج هذه المشروعات . كذلك ينشأ النوع الاول من التضخم عن الاستيراد من الخارج، وبالذات من البلاد الرأسمالية التى تصدر التضخم ضمن ما تصدره من سلع .

أما النوع الثانى من التضخم، فيرتبط بعدم سيطرة الدولة – في هذا البعد أو ذاك – على وسائل الانتاج والتداول الاساسية كلها، وسيادة الملكية الخاصة في هذا القطاع أو ذاك من القطاعات الاقتصادية، وعدم رغبة السلطة القائمة في نقل ملكية وسائل الانتاج كاملة الى الدولة الممثلة لمجموع السكان في نفس الوقت الذى تنفذ فيه خطط للتنمية والعدالة الاجتماعية . فيترتب على ذلك نتيجتان :

■ أن الوسائل التى تتبعها السلطات الاقتصادية في تنفيذ خططها وتحقيق اهدافها، تكون بطبيعتها وسائل تضخمية .

■ أن الطبقة المالكة تجد في التضخم ورفع الاسعار، وسيلة مجزية لاجتناء أرباح سريعة، يتضاءل الى جانبها ما تحصل عليه من مكاسب لقاء الاستيلاء على « فائض القيمة » وهو الامر الذى يفترض اسهامها في عمليات انتاجية . في حين أن لعبة التضخم والتلاعب في الاسعار تجنبها مخاطر المشاركة في الانتاج ومواجهة العمال، وتحقق لرأسمالها دورات طفيلية سريعة، تدر عوائد خرافية ويتأتى لها ذلك في المحل الاول عن طريق سلسلة من الاضافات الى السعر الحقيقى لاى سلعة دونما أدنى اضافة حقيقية مقابلة الى قيمة هذه السلعة أو حتى الى منفعتها المكانية والزمانية وذلك على حد قول الذين يبررون أرباح التجار بأنهم ينقلون السلع الى الاماكن التى تحتاجها فيضيفون لها منفعة مكانية، وأنهم يخزنونها ليطرحوها في وقت الحاجة اليها، فيضيفون لها منفعة زمانية . وفي نهاية المطاف يشترى المستهلك نفس السلع – بكل المنافع التى

خلقها الله لها وكل المنافع التي افتعلها لها عباده من التجار – بقدر من النقود يزيد مرتين أو أكثر عما كان يدفعه فيها أولا .

والواقع أن التضخم هو « البالوعة » التي تنزح كل اضافات لحصة جماهير العاملين ، مما يؤدي الى بقاء وضعها على ما هو عليه .

خطورة التضخم عند التمويل

لا يكفي لتحقيق تحسن ملموس في مستوى معيشة الجماهير في بلدان العالم الثالث ، تخصيص حجم من الموارد لخطط التنمية يكفل لمعدلاتها ان تسبق أو تساير وتائر التزايد السكانى . كذلك لا يغنى عن الامر شيئا ، أن تحدد السلطة القائمة – بالقوانين والقرارات أو حتى بقوة الاجهزة – نظاما رسميا « لتوزيع » عوائد التنمية يستهدف تقليل « الفجوات » بين الطبقات .

ذلك ان بعض « الاليات » الاقتصادية ، والتى تعد انعكاسا مباشرا وفوريا وامينا لعلاقات الانتاج القائمة ، قد تفسد أي خطط أو قوانين ، وتأخذ باليمين ما اعطى باليسار أو ما يزيد . ومن اخطر هذه « الاليات » الطبقية ، التضخم الذي تنصب آثاره في المحل الاول على الثمن المدفوع لقاء شراء قوة عمل ذوى الاجور ، ثم الوحيدون غير القادرين – كلية – على تعويض التدهور في القوة الشرائية لاجورهم .

ان التضخم كرفيق دائم لسيطرة علاقات الملكية الخاصة ، أخطبوط تتشعب اطرافه لتكبل عملية التنمية من بدايتها الى نهايتها ، ابتداء من تخصيص الموارد الى توزيع العوائد ، بما يكرس الاوضاع الاجتماعية الجائرة ويفسد كل خطى العدالة الاجتماعية التي تستهدفها الدولة .

فعند تعبئة الموارد ، لابد من الاختيار بين وضع الملكية الخاصة كلها وتجنيدها في خدمة اختيارات المجتمع كله ، أو تركها لتصرف قلة من المالكين تخدم بها اغراضها وحدها . فاذا اخذ بالاختيار الاول وهو الملكية العامة ، توافرت للمجتمع الموارد الكافية من جانب وتفادى الوسائل التضخمية من جانب آخر ، اما الاختيار الثاني فيؤدى الى انتهاج أساليب تضخمية بطبعها لتعبئة الموارد منها :

■ **التمويل بالعجز** ، وطبع كميات اضافية من العملات الورقية التي لا تقابل قدرا من الانتاج .. حتى انتاجا مؤجلا كما يحدث في حالة الصرف على المشروعات التي تدر عائدها بعد أجل . وتكمن خطورة ذلك الاسلوب في انه يخلق « اختلالا دائما » بين كمية النقود المتداولة وبين كمية السلع المتاحة ، لا سبيل الى اصلاحه في وقت لاحق بزيادة هذه الاخيرة ، كما يحدث عند تجنيب قدر من « الاصول السلعيه » في مشروعات طويلة الاجل مع ترك « التعبير النقدي » عنها ، أو كمية النقود التي تمثلها على ما هي عليه . ومن ثم تزيد النقود – مؤقتا – عن السلع الى أن يبدأ انتاج تلك المشروعات ، فتكون هناك فرصة لاعادة التوازن بين كمية النقود وكمية السلع . ولا علاج للاختلال الدائم بين الكميتين السابقتين سوى رفع الاسعار ، حتى يكون الحجم الاكبر من النقود تعبيرا عن حجم أصغر من السلع . وهذا الاسلوب بالذات هو « كعب اخيل » أو مقتل التنمية في العالم الثالث . وتهتم به الدوائر الاقتصادية الاستعمارية ودوائر المخابرات الاجنبية في حربها ضد دول هذا العالم .

وطبع النقود أسهل أسلوب سائغ لحل المشاكل في العالم الثالث فمثلا . اذا كانت هناك ضغوط اجتماعية من اجل المطالبة بالعمل خاصة لخريجى الكليات والمعاهد والمدارس ، وهم وذووهم هم الاعلى صوتا في هذه البلدان ، فما أسهل توظيفهم اعداد هائلة قد لا يحتاجها – في الاجهزة الادارية للحكومة – العمل ولا يتطلبها الانتاج . ان انشاء الوظائف لا يقتضى توفير معدات انتاجية حديثة يعملون عليها ، كل ما هو مطلوب كرسى ومكتب لجلوس الخريج – لا يتوافران دائما – وطبع مبلغ من النقود يساوى أجره . ويظل هذا « العاطل فعلا » يتقاضى اعانة شهرية من حساب المنتجين لانه يتقاسمهم السلع المتاحة لهم ، ومن ثم سيتم تخفيض استهلاك هؤلاء ، لحساب هذا الذى يتقاضى راتبا شهريا دون أن يسهم ولو بخردلة في زيادة الثروات المادية للمجتمع . هذه الثروة التي يفترض أن تكون النقود المتداولة فيه هي التعبير والمقياس الدقيق لها . ومن ثم يضطرد الاختلال بين حجم السلع وحجم النقود .

وفى الشركات العامة تحمل أجور هؤلاء غير المنتجين ، وأجر الواحد منهم يزيد كثيرا عن أجر العامل المنتج ، على تكاليف . ومن ثم على اسعار السلع التي تنتجها هذه الشركات – والتى تنفرد بالسوق عادة لمنع الاستيراد – وعلى من شاء الشراء أن يدفع السعر الذى تحدده له ، لانه لن يجد لها بديلا .

كذلك يسهم ذلك الحشد من الاجهزة والمؤسسات البيروقراطية للدولة التى تمتاز بكثرة من الموظفين الكبار فيها تنتج شيئا ، فى زيادة الضغط على البعرو المتاح من السلع وتضاعف بالقدر الكبير من النقود الذى يدفع رواتب لموظفيها ، ولتنفيذ مشروعاتها من الطلب على العرض المحدود أصلا من السلع ، فتتفاقم أزمة التضخم وتشتد .

■ أما الاسلوب الثانى للتمويل وهو تضخمى بطبيعه ويتبع أيضا ـ فى بعض البلاد ـ عن الاصل الاجتماعى لمتخذى القرارات الاقتصادية ، وهو أصل برجوازى صغير [فى أحسن الاحوال] يقدس الملكية بدوره ، فيتجنب تعبئة التراكمات والاصول الموجودة لدى الطبقات المالكة ، سواء بمصادرتها أو حتى بفرض استقطاعات جدية على الاصول الموجودة لديهم ، أو على ما تدره من دخول .. ومن ثم يلجأ الى الاستقطاعات المباشرة من العاملين أساسا عن طريق رفع اسعار سلع الاستهلاك الضرورى ، وتمس هذه ـ بالدرجة الاولى ـ ذوى الاجور والمعاشات والرواتب وكافة ذوى الدخول غير الراسمالية . وبعد استقطاع كلما يمكن استقطاعه من ذوى الاجور ، والوسيلة الاساسية لذلك هى انقاص استهلاكهم الى اقصى حد من السلع والخدمات عن طريق رفع أسعارها بما يدهور القوة الشرائية لدخولهم ، ويجعلهم يبتاعون بنفس القدر من النقود ـ أو حتى بقدر أكبر ـ كمية متناقصة دوما من السلع والخدمات . بعد هذا تسعى السلطات الاقتصادية الى الاقتراض من الخارج . ومع أهمية الاقتراض من الخارج بالنسبة لبلدان العالم الثالث ، الا أن اللجوء اليه لا يكون بعد استنفاد فرص تعبئة الموارد الداخلية ـ خاصة المعطلة لدى المالكين والتى يحجبونها مناواة لخطط السلطة ورغبة فى افسادها ـ وانما تلجأ اليه قبل ذلك .

ووسيلة السداد لهذه القروض معروفة ، اذ يتم تجنيب جزء من الانتاج القومى ، أيضا بتخفيض استهلاك ذوى الاجور ، عن طريق رفع أسعار السلع والخدمات المقدمة لهم .

على أن هذا المسلك لا تكمن أخطاره ـ فحسب ـ فى أنه يفاقم الصراعات الطبقية ، ويناقض سياسة تقليل « الهوة » أو « الفوارق » بين الطبقات التى تستهدفها السلطة ، وانما هناك خطرا آخر لهذا الاسلوب ، يتمثل فى أنه يجعل المجال محدودا فيما يتعلق بتعبئة الموارد . ذلك انه يعتمد ـ فى الاساس ـ على الاستقطاع من نصيب العمل فى الدخل القومى ، ويترك نصيب رأس المال فى هذا الدخل . ناهيك عن أنه لا يمس رأس المال نفسه . ونصيب العمل من الدخل القومى ـ فى ظل سيطرة الملكية الخاصة ـ قليل بطبعه . كما أنه متناقص بصورة مستمرة سرعان ما تستنفذ فرص الاقتطاع منه ، على النقيض من نصيب رأس المال الذى يتزايد ـ خاصة مع ارتفاع الاسعار والتضخم ـ على حساب الجزء الاول . فالمسألة مسألة قسمة ، اذا قل هذا النصيب زاد الاخر ، والعكس صحيح . لذلك فان اختيار مصدر الحصول على التراكم اللازم للتنمية ، وهو اختيار يتوقف أولا واخيرا على الموقف الطبقى والاجتماعى لمن يختار وموقفه من الملكية العامة والخاصة ، نقول أن هذا الاختيار يحدد ما اذا كان أسلوب تعبئة الموارد اسلوبا تضخميا بطبيعته . فالاستقطاع من دخول العمل لا بد وأن يتخذ من التضخم أداة له ، أما تجنيد رأس المال الخاص ، المعطل والمبدد والمستخدم بصورة غير رشيدة اقتصاديا ، فلا يعانى من نفس الاثار التضخمية .

خطورة التضخم على التوزيع الرسمى للعوائد

وعند توزيع عوائد التنمية ، لا يصمد طويلا النظام الرسمى للتوزيع ، والذى تحاول به الدولة تحقيق قدر من العدل فى تفريق الدخول ، فطالما بقيت الملكية الخاصة مسيطرة فى قطاعات بأكملها ، كالزراعة والتجارة مثلا ، وظل جزء أساسى من انتاج وتداول السلع ـ خاصة سلع الاستهلاك والغذاء على وجه التحديد والتى يذهب اليها الجزء الاساسى من دخول الاجراء ـ فى يد القطاع الخاص ، زادت فرص هذا الاخير « لتحريف » التعبير النقدى عن قيمة السلع التى تتحكم فيها ، أو بعبارة أخرى زادت الفرصة فى التلاعب فى السعر ... طبعا برفعه لا بخفضه ، وذلك بهدف اعادة قسمة الناتج القومى ، أى بتقليل نصيب ذوى الاجور منه وزيادة نصيب ذوى « الاصول » عن طريق خفض القوة الشرائية للنقود ، التى باع بها الاولون قوة عملهم . وهذا الامر يشكل ـ فى نهاية المطاف ـ تعديلا فى معدل تبادل قوة العمل التى يبيعها الاجراء بالنسبة للسلع والخدمات التى يمتلكها أصحاب الدخول الراسمالية ـ بحكم ملكيتهم الخاصة .

أن الاسعار فى ظل الملكية الخاصة هى الانعكاس أو التعبير النقدى المحرف عن القيمة التبادلية للسلع . وترك جزء من الانتاج والتداول بعيدا عن سيطرة الدولة ، يزيد فرص التحريف أو التفاوت بين التعبير النقدى وبين قيمة السلع

التبادلية ، برفع الاسعار والتضخم وخلق « ربح اضافى » لمالكى السلع . واذا كان الرأسمالى يستحوذ على « فائض القيمة » بألا يدفع للعامل ما يقابل كل عمله ، وانما يعطيه ما يساوى جزءا منه فقط ويستحوذ على الجزء الاخر مجانا ، فان رفع الاسعار يمثل استقطاعا اخر لمزيد من فائض القيمة او زيادة للجزء المجانى من العمل . وارتفاع الاسعار لا يعبر - بالضرورة - عن حدوث اختلال فى التوازن بين العرض والطلب ، بنقص الاول عن الثاني . ومن ثم يكون ارتفاع السعر طريقا لاعادة التوازن . فقد يكون العرض والطلب متوازيين عن سعر معين ، ومع ذلك يتلاعب البعض في حجم العرض بتقليله لزيادة السعر ومن ثم ارباحهم .

والاستطراد في بيان الطابع التضخمي للوسائل الاقتصادية المستخدمة من قبل سلطات العالم الثالث ، امر لا ينتهى بيانه . خلاصة القول :

ان وقف التضخم نهائيا والسيطرة عليه منذ البدء ، يقتضي - في الوضع الامثل - السيطرة الكاملة للدولة على كافة وسائل الانتاج والتداول . وهو اختيار سياسى اجتماعي اقتصادى ، يتحدد فى الموقف من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . والنضال الحقيقى ضد التضخم ، لا يتطلب فقط اجراءات ذات طابع اقتصادى وانما يتطلب - فى المحل الاول - اجراءات ذات طابع سياسي . انه اختيار سياسي يكفل الوصول الي النظام الذى يتيح السيطرة الكاملة علي انتاج وتوزيع الدخول ، وتوجيهها وفق خطة محددة تكفل مصالح الغالبية وتضمن تطوير الاقتصاد القومي في مجموعه في اطار العلاقات الدولية الراهنة .

نقطة اخيرة يجب التنبيه اليها : وهى ان الاجراءات التى تتخذها سلطات العالم الثالث لمصلحة الجماهير ، برفع الاجور والمرتبات والمعاشات وتقديم الخدمات وتخفيض ساعات العمل ، الخ ، لا تؤدي الي التضخم في حد ذاتها ، لانها تزيد من الطلب الفعال علي السلع المتاحه بما تضعه في أيدى الجماهير من دخول نقدية لم تكن تعرف اليها سبيلا من قبل ، لكن يشترط لضمان ذلك ان تكون زيادة نصيب العمل علي حساب الاقلال من نصيب راس المال وعوائد التملك . لان العلاقة بين النصيبين عكسية . **اما الرغبة فى الابقاء على نصيب رأس المال كما هو ، مع التطلع لزيادة نصيب العمل فليس له من طريق سوى التمويل بالعجز أو الاقتراض من الخارج ، او رفع الاسعار مباشرة ، وكلها اجراءات تصيب المتعيشين من عملهم لوحدهم . وما جعل الله لامرىء من قلبين فى جوفه ، فاما خدمة الاولين أو خدمة الاخرين .**



عندما دار الحوار حول ورقة « تطوير الاتحاد الاشتراكى » فى اطار أهداف « ورقة اكتوبر » تصور البعض — خطأ — أن المطروح هو مصادرة طريق ثورة يوليو ومنجزاتها الوطنية والاجتماعية . بينما كان المطروح ، هو كيفية تطوير التنظيم السياسى كأداة لمواصلة مسيرة ثورة يوليو وحماية وتدعيم المكاسب التى حققتها للشعب المصرى .

وعندما قالت جماهير تحالف قوى الشعب العامل، كلمتها الحاسمة : الدفاع عن منجزات ثورة يوليو ومواصلة تقدم مسيرتها وتصدت لاعدائها ، أدرك ذلك البعض أين يقف خارج معسكر الجماهير الشعبية وفى مواجهته ، لكن البعض — ايضا — تصور أنه ، بعد فشله الاول ، يستطيع أن يلتف من حول قوى التحالف ، ليفتح معارك أخرى ربما تعينه على اعادة ترتيب صفوفه . لكنه أخطأ هذه المرة أيضا .

ولعل مصدر خطئه الرئيسى — فى الحالتين — يكمن فى حقيقة أنه ما زال يعيش « بعقلية ما قبل ثورة يوليو » وبالتحديد بعقلية ما قبل «مصر ١٩٦١» وهنا مكمن أزمته الحقيقية حيث يستمد محاولات اعادة وجوده من ماضى يزيد على ٢٢ عاما .

لقد تمادى هذا البعض ، الى حد أنه راح يصدر « فرمانات » الوطنية ليمنحها لمن يشاء ويسحبها عمن يشاء ، وتناسى أن الفيصل هنا هى جماهير الشعب المصرى نفسها ولا أحد غيرها . تناسى أن فى « ملفات » الجميع وأرشيفات الصحف ماهو كاف — وكاف جدا — لان تصدر الجماهير حكمها لانها تعرف من وقف معها ومن وقف فى معسكر اعدائها ابتداء من « القصر » وحتى مختلف الدوائر التى كانت تساند « القصر » وتحميه أو تلك التى حاولت أن ترث « القصر » وتحتوى المستقبل .

على أن بعضا آخرا ، حاول « لوى » عنق اتجاه الحوار و « اسقاط » رؤيته الذاتية من خلال ادارته للحوار أو عرضه له بعد ذلك .

وثار جدل كبير من حول الحوار وبعده ، حول قضايا الحريات والديمقراطية وبعض المشاكل اليومية للمجتمع المصرى .

وعلى الصفحات القادمة تواصل الطليعة مشاركتها فى الحوار فتنشر :

(١) دراسة للدكتور محمد عصفور حول دور المدعى الاشتراكى وموقعه فى الحياة الديمقراطية للمجتمع المصرى .

(٢) نص مقال الدكتور أحمد بدران ردا على الاستاذ فيليب جلاب ثم خطاب رئيس تحرير الطليعة الى رئيس تحرير الاخبار ، يعقبه تعليق فيليب جلاب ثم تعليق حول نفس القضية للاستاذ فاروق منصور رئيس قسم التراث الاسلامى بدار أخبار اليوم .

(٣) رسائل وصلت الطليعة :
— رسالة من متولى حسين الجندى الى السيد رئيس الوزراء .
— رسالة من جمعة عبده قاسم عن التحالف
— رسالة من مدحت مصطفى عن التحالف والاحزاب .

(٤) مقال الاستاذ محمد سيد أحمد حول حرية الصحافة .



١

ثغـــرات فى ســـيادة القـــانون

د. محمد عصفور [*]

[يكتب هذا المقال « الطليعة » — من وجهة نظره — الدكتور محمد عصفور المحامى .
والمقال من قسمين : يتناول القسم الاول فيه واقعة التحقيق مع الرسام صلاح جاهين بينما يتناول القسم الثانى نظام المدعى العام الاشتراكى وسيادة القانون .]

● ماالذى تعنيه سيادة القانون ؟

الان وقد هدأت الاعصاب المتوترة ، وسكنت النفوس الثائرة بعد أن انتهت العاصفة التى آثارها البلاغ الذى قدمه **المدعى العام الاشتراكى (ضد الرسام صلاح جاهين)** بسحب هذا البلاغ ، فان ملف القضية الجنائية يكون قد اغلق . ولكن ملفا آخر أكثر أهمية يكون قد فتح .. هو ملف « القضية الدستورية » التى فجرها النزاع الذى احتدم بين أحد فروع السلطة وبين حرية الصحافة » .. وقد كان محور هذا النزاع مبدأ « سيادة القانون » الذى فسره طرفا النزاع تفسيرين مختلفين غاية الاختلاف :

● **ففى جانب وقف المدعى العام الاشتراكى** لا يدعى لنفسه فحسب صفة جديدة — لم ترد فى الدستور — هى أنه حارس من حراس سيادة القانون . ولكنه يطلب الحماية لنفسه ولتصرفاته كسلطة عامة سما يعتبر جريمة اهانة وارهابا لسلطات التحقيق بوجه عام . وهو يستندفى ذلك الى نصوص قائمة فى قانون العقوبات لا تضع حدودا فاصلة وقاطعة بين ما يعد ممارسة مشروعة لحرية الرأى متمثلة فى حق النقد ، وبين ما يعد جريمة جنائية أيا كانت التسمية التى تطلق عليها أهى « اهانة » أو « تطاول » ..

● **وفى الجانب الاخر وقفت الصحافة** لا تستنكر فحسب التضييق على ما اعتبرته حقا للنقد المباح ، وانما تنازع فى صفة المدعى العام الاشتراكى كسلطة تحقيق جنائية بالمعنى الصحيح ، وانما هو شخص سياسى عام مسئول عن تصرفاته جميعا أمام مجلس الشعب ، كما تشكك فى شرعية الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى ، لما ينطوى عليه هذا الجمع من مخالفة لمبدأ سيادة القانون الذى لا يتصور أن يكون الشخص الواحد (مهما بلغت درجة تجرده وارتفاعه على عواطفه الشخصية) سلطة اتهام ومشرفا على شئون القضاء فى نفس الوقت . والذى اعتقده أنه حتى بعد أن انتهى الموضوع الخاص بالرسام صلاح جاهين — بسحب المدعى العام الاشتراكى بلاغه — فانه لاتزال مطروحة على بساط البحث مشكلة « سيادة القانون » من حيث اتصالها بالحريات من جهة واتصالها بالمدعى العام الاشتراكى واختصاصاته من جهة أخرى .. إن التساؤلات العديدة التى طرحت بقيت — للاسف — دون مواجهة أو جواب صحيح :

ما الذى تعنيه سيادة القانون .. ؟ وهل تكون السيادة لقانون غابر مضيع للحريات وضع فى

---

[*] د. محمد عصفور . دكتوراه فى القانون العام . مؤلف : « فى الحريات » — « سيادة القانون » — « استقلال السلطة القضائية » — « البوليس والدولة » .

عهد الاحتلال أو في ظل الحكومات الانقلابية ؟ أم أن مثل هذا القانون يمثل ثغرة فى جدار سيادة القانون الذى يحمى حريات المواطنين ؟ وهل يتفق سيادة القانون أن يجمع الى صفته كمدع اشتراكى ، صفة أخرى هى صفة وزير العدل؟ وما هو دور المدعى الاشتراكى فى استتباب سيادة القانون . أهو حقيقة ودستوريا حارس من حراس سيادة القانون وبأى معنى. وتثير هذه الجزئية مشكلة أخرى لا تقل خطورة عما سبقها هى مشكلة وظيفة المدعى العام الاشتراكى نفسها وأبعادها الدستورية ، وما اذا كانت تتواءم أو تتنافر مع نظامنا القانونى ، وما الذى كانت تدعو او لا تدعو اليها ضرورة على الاطلاق ؟ واذا كانت الضرورة تقتضيها فعلى أى نحو تتحدد اختصاصاته ؟

ماالذي تعنيه سيادة القانون ؟

لا أبالغ اذا قلت ان أهم ما حققته حركة التصحيح هو اشعار المواطنين بالامان اذ أعلنت مبدأ سيادة القانون ، وقد أكدت هذا المبدأ باصرار فى دستور سنة ١٩٧١ معتبرة اياه واحدا من أهم دعامات نظامنا الدستورى .. غير أنه لا يكفى الاعلان عن هذا المبدأ العظيم وانما أهم منه طريقة فهمه ، والأمانة فى تطبيقه . فلا جدال فى ان مبدأ سيادة القانون لم يكن مجهولا قبل حركة التصحيح ، فقد أشار اليه الميثاق وتصريحات رسمية متتالية ، ثم برز فى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ بوصفه سدا فى مواجهة مراكز القوى .. ومع ذلك فان احدا لا يستطيع أن ينسى كيف اعطى القانون اجازة طويلة ، فضلا عن صدور قوانين واجراءات استثنائية رهيبة ومرعبة ، وعجزت أجهزة الرقابة الشعبية والقانونية عن أن توفر أية حماية جدية للمواطنين بل ولنفسها ، حتى أن القضاء نفسه - الحامى الاول للحريات وسيادة القانون - تعرض لاكبر مذبحة فى تاريخه . وهذه المفارقة المذهلة بين تأكيد سيادة القانون وبين ما جرى فى التطبيق من اهدار كامل للحريات وللامان القانونى ، لا يمكن أن يكون مصدرها الوحيد نية شريرة مبيتة تتخفى وراء اعلان شعار مقصود به الخداع ، وانما هناك أسباب عديدة لكل ما حدث وربما كان من أهمها فهم خاطىء أو منحرف لمعنى سيادة القانون ، وقيام مراكز قوى غير مسئولة تتزود بسلطات على خلاف الدستور ، وقد أفسح المجال لقيامها جوا من الخوف ولده انعدام الرقابة واستئصال حق النقد .

ولهذا فان من واجبنا أن ننبه الى أن حركة التصحيح لن تحقق غايتها - بل لن تأمن على نفسها - ما لم تحل دون قيام ذات الاسباب التى تعرضت فى الماضى لمبدأ سيادة القانون ويكون ذلك بأمرين جوهريين :

الامر الاول تحديد واضح لابعاد سيادة القانون - فلا يمكن الفصل بين مبدأ سيادة القانون وبين حريات المواطنين ، فأى قانون يغتال هذه الحريات لا يمكن أن تكون له سيادة .. وأكثر من ذلك فان سيادة حقيقية للقانون لا يمكن أن تعنى فرض الطاعة لاى قانون ظالم أو استبدادى لا يفعل أكثر من تقنين رغبات السلطة أو تتقلد بها .. وفى عبارة أخرى أن سيادة القانون لا يمكن ان تعنى احياء شريعة الغاب .. وأخيرا فان سيادة القانون تكون هباء اذا هى تمحضت عن فرض الطاعة على المواطنين للقانون دون أن تفرض هذه الطاعة على سلطات الدولة ، بل ان المعنى الديمقراطى لسيادة القانون ، هو أن يكون الحاكم قدوة للمواطنين فى احترام القانون ، وأن تلتزم كافة السلطات - قبل المواطنين - بأحكام القانون بحيث لا تملك التحلل من أى حكم من هذه الاحكام بقرار تصدره ، أو عن طريق وضع استثناء يخل بمبدأ المساواة ، أو تذرعا بحماية الثورة أو النظام أو ما شابه ذلك من تعبيرات غير محددة .. وفى كلمة ، فان سلطة التشريع نفسها - حتى ولو كانت منتخبة - لا يمكن أن تكون مطلقة ، تفرض على المواطنين ما تشاء من أحكام أقرب الى شريعة الغاب منها الى الضوابط السليمة للسلوك الاجتماعى والتنظيم الاجتماعى .

ولا تعنى سيادة القانون التزام سلطات الدولة بالقانون والحرية فحسب ، وانما هى تعنى كذلك أن لا تتغول سلطة على اخرى أو تغتصب سلطة من السلطات اختصاصات سلطة أخرى .. فلقد اعترف بيان ٣٠ مارس بأن تركيز السلطات وقيام مراكز القوى كان واحدا من أخطر نكسات الثورة .. ولا يمكن أن تقصر هذه الظاهرة الخطيرة على تجمع السلطات فى يد الحكام السياسيين . وانما لابد وأن تتسع لكل استحصال لسلطة من السلطات صفات ليست لها أو مارستها لاكثر من سلطة : وكأن تمارس السلطة التنفيذية ولاية التشريع اما غصبا أو بطريق التفويض الدائم ، أو أن تقوم جهة الادارة بمهام القضاء ووظائفه أو التدخل فى هذه المهام ، أو اقامة جهات قضاء خاصة تشذ عن نظامنا القضائى القائم .

واذا فهم مبدأ سيادة القانون على هذا النحو ، وتحددت أبعاده فى اطار تلك المبادىء الجوهرية ، فان من واجبنا أن نسأل هل تم التصرف فى قضية تلوث المياه بما يتفق مع سيادة القانون . ؟

لقد قيل دفاعا عن تصرف المدعى الاشتراكى أنه لم يفعل أكثر من ان يلجأ - كأى مواطن عادى - الى

حماية قانون العقوبات بابلاغ النيابة العامة عن تصرف اعتبره جريمة تاركا للنيابة الحرية ، وأن القضاء المستقل هو الحكم النهائى فى المسألة .. فأية سيادة للقانون أكثر من ذلك : وهل تنكر على المدعى الاشتراكى الحماية أو الحقوق التى يكفلها القانون لاقل المواطنين شأنا ؟

ولكن نظرة فاحصة لا تقنع بالاشكال أو المظاهر لابد وأن تتبين مسألتين :

الاولى - هل يتفق مع سيادة القانون أن يجمع شخص واحد بين سلطتين متباينتين متنافرتين كسلطة وزير العدل وسلطة المدعى العام الاشتراكى « ونترك هذا الموضوع لمقال تال .

والمسألة الثانية - هل يجوز الادعاء بسيادة القانون بتحريك قوانين عتيقة تهدر أخطر الحريات شأنا ، وصارت تناهض روح نظامنا المنادى بالديمقراطية .. والمؤكد لحق المشاركة الشعبية فى الامور السياسية ؟

بين محنة النظام القانونى

وتهديد حريــات المواطنين

لم يعتبر المدعى العام الاشتراكى « الكاريكاتير » - الذى نشره **الاهرام** عن واقعة تلوث مياه الشرب - مجرد تعبير مشروع عن رأى أو ممارسة لحرية النقد . وانما صوره على انه مظهر لاشتداد شهوة النقد والتجريح ، - وانطلاق لحرية الصحافة بغير قيود الى حد « حرية الاهانة » بل لقد اعتبر المدعى الاشتراكى (فى مقال تال) أن الموضوع المطروح ليس موضوع التحقيق مع صحفى ، وانما هــو موضوع مصر كلها ، وهو موضوع حرية المواطن وأمنه . فلقد أصبحت حريات المواطنين (فــى نظره) مهددة بالضياع إلى أقصى حد « نتيجة اهانة الصحفيين سلطات التحقيق وارهابها حتى لاتقول الحقيقة كما تكشف عنها أدلة التحقيق بل تقول ما يرضى عنه بعض رسامى الكاريكاتير ويخلص المدعى الاشتراكى من هذه المقدمات الى أن النظام القانونى فى مصر - وفى عهد الحرية قد وصل الى أكبر محنة يمر بها فى تاريخه كله !

هكذا تصور أعلى سلطة ادارية (مشرفة على الجانب الادارى للقضاء) السلطة أو من يشغلون مراكز القيادة فيها فى مركز متواضع وتصور النظام القانونى فى حالة من العجز وعدم القدرة على رد العدوان أو كبح شهوة التجريح . وكان غريبا أن تجسم الامور على هذا النحو . فيعتبر النقد الموجه الى تقرير أصدره المدعى العـام الاشتراكى تهديدا لحريات المواطنين وأكبر محنة للنظام القانونى ! وقد كان يمكن الحديث عن ذلك لو أن المدعى العام الاشتراكى لم يبعث الحياة فى نصوص عتيقة ويستعدى القضاء الجنائى على الصحافة التى تجرأت ومارست حقها - بل واجبها - فى النقد وصورته على أنه اهانة لسلطة عامة . ولكن الغريب أن يتحدث المدعى الاشتراكى من موقع السلطة ومركزها الممتاز (وبعد أن أبلغ النيابة العامة عما اعتبره جريمة) عن محنة النظام القانونى ، هذا النظام الذى لم يبخل على المدعى العام الاشتراكى فيحرمه من حماية مظلته ، لا بوصفه أقل المواطنين شأنا ، وانما بوصفه صاحب سلطة ثالثة بل ويجمع أكثر من سلطة ثالثة الاهانة ومع ذلك فنحن مع الرأى القائل بأن فيما حدث تهديدا لحريات المواطنين ومحنة للنظــام القانونى .

وما كان الكاريكاتير الذى رسمه صلاح جاهين هو الذى حدد حريات المواطنين وانما التجهم الشديد لحرية النقد - هو مصدر أكبر تهديد لحرية الصحافة وهى أخطر الحريات المواطنين شأنا وحتى مع التسليم بأن هناك تجاوزا أو اسرافا فى شهوة النقد والتجريح لتصرفات سلطة عامة لا يمكن أن يبلغ فى خطره قمع حرية الصحافة »

ونحن أيضا مع الرأى القائل أن نظامنا القانونى قد وصل فعلا الى أكبر محنة فى تاريخه كله ، ولكن ليس بسبب ارتكاب صحفى جريمة الاهانة وانما بسبب محاولة احدى السلطات العامة - فى عهد الحرية - احياء جرائم عتيقة لا تتفق مع روح النظام وما أعلنه من مبادىء فى الحريات وسيادة القانون . ان المحنة الحقيقية للنظام القانونى فى مصر هو أنه لايزال يبقى فى مجموعاته القانونية ، على نصوص عتيقة تضفى القداسة ، والعصمة على السلطة ومتقلديها وتحميهم من الكلمة أو الرأى أو النقد .

جــرائم الــرأى ثغــرة فى ســيادة

القــانون وتهــديد خطــير للديمقراطية

اننى اعتقد أن قضية تلوث المياه أو طريقة التصرف فيها ليست مجرد مشكلة عارضة وانما هى تسلط الضوء على المشكلة الاساسية وهى مشكلة أشباح القانون الجنائى المكان لما يسمى بجرائم الرأى ، فطالما بقيت هذه الجرائم فسوف تواجه حريتا النقد والصحافة بمحن دائمة ومستمرة أو تضييق

خانق وسيظل مصير المفكر أو الكاتب أو الصحفى معلقا على محض الصدفة فى تحديد أين ينتهى النقد وأين يبدأ التطاول او التهجم أو الاهانة !!

والمحنة الحقيقية لنظامنا القانونى انه لاتزال تسيطر عليه فى مجال الحريات بالذات تشريعات صدرت فى ظل الاحتلال البريطانى او فى عهود الانقلاب : فلقد كان الاحتلال هو الحاكم بامره فى هذه البلاد منذ سنة ١٨٨٢ وكان طبيعيا أن تحرص سلطات الاحتلال على أن تحيط أدوات الحكم بهالة من التقديس . ولما كان هم الاستعمار البريطانى منذ أن دخل مصر أن يقيم نظما ترتبط أشد الارتباط بمصالحه فقد حرص على حماية هذه النظم وأشخاص القائمين بأمرها من كل نقد حماية فى النهاية لسياسته التى يطبقها .. ولهذا كان طبيعيا أن يقتبس المشرع المصرى كثيراً من الجرائم عن بعض القوانين التى كان يطبقها الانجليز فى مستعمرات التاج وقتئذ كالهند . ليس هذا فحسب بل ان حيث لم تكن تسعفه قوانين المستعمرات كان يقتبس من التشريع الفرنسى أشد الاحكام رجعية وقد أشار عميد الفقه الجنائى المرحوم أحمد بك أمين الى ذلك مقررا أن بعض الجرائم القائمة على ابداء الرأى والاعتقاد (وهى إثر من آثار التضييق على حرية الفكر) وقد استمد المشرع المصرى أحكامها من القوانين الفرنسية السابقة على قانون الصحافة الصادر فى سنة ١٨٨١ ! وأعتقد ان سيادة القانون لا يمكن أن تستقيم مع بقاء هذه القوانين التى تخلفت كثيرا عن تطور الافكار السياسية وركب الديمقراطية والحرية ، وهذا هو عين ما دفع الديمقراطيات الى الغائها :

فلقد الغت فرنسا من قوانينها - التى كانت مصدر جرائم الرأى عندنا - جرائم الرأى كلها باستثناء نظرى - وحيد خاص بالعقاب على الدعاية الفوضوية . وقد قيل ان منطق الجمهورية الذى أعتنقته فرنسا الديمقراطية هو الذى أملى على مشرعها أن يلغى الحماية الجنائية الخاصة التى كانت تضفى على الذات الملكية لرئيس الدولة وأن يتساوى فى الحماية الجنائية المواطن الفرنسى الاول (- رئيس الجمهورية) وأقل المواطنين الفرنسى شأنا **وفى انجلترا** ذات النظام الملكى لاتوجد جرائم رأى . والامر الوحيد الذى يعاقب عليه القانون هو جريمة التحريض على الثورة (القذف الثورى) Seditious libel التى تتطلب أستعمال كلمات صريحة تحرض على استعمال العنف وتكون مصاغة بقصد أحداث النتيجة التى وقعت .

والحقيقة أن تعبير جرائم الراى تعبير ينطوى بذاته على التناقض اذ أى رأى يجوز منطقيا تجريمه فالمفهوم ان يعاقب الانسان عن فعل اجرامى لما يحدثه هذا الفعل المجرد الابعاد من أثر مادى ملموس ، أما أن يعاقب الانسان على كلمات منشورة يمكن أن تؤول شتى التاويدت تبعا . مستويات الفهم والادراك فانه مصادرة حق دستورى بل وحق طبيعى هو حرية الرأى وهذا ما دعا الفقهاء عندنا الى التنديد منذ زمن بعيد بالعقاب على جرائم الرأى « لانها جرائم غامضة وغير محددة بحدود معينة كسائر الجرائم التى يتناولها القانون بالعقاب فهى فى ركنيها المادى والادبى خاضعة لتقدير القاضى وهذا ما قد يؤدى الى التعسف فى التطبيق ..... » ومع اجلالنا الكبير لقضائنا فانه لا يوجد معيار واضح لرسم الحدود القاطعة والدقيقة بين ما يعد نقدا . وبين مايعد جريمة من جرائم الرأى الغامضة . ولقد أفاد الدكتور أبوزيد كثيرا من هذه الثغرة .. ولهذا قال فى اطمئنان ردا على الاستاذ بهاء الدين « ماهو النقد المباح ؟ وماهى الاهانة ؟ ان القانون قد أباح النقد وعاقب على اهانة السلطات العامة هذا هو صميم المشكلة ، والمختص بالفصل فيه هو محكمة الجنايات .. ولسوف أدعى بالحق المدنى فيكون لى وجود قانونى فى كل مايعرض على المحكمة من نقاط .. » هاهنا ثغرة فى جدران سيادة القانون يمكن أن تتسلل السلطة من خلالها فتنال من معارضيها بحجة ارتكابهم جريمة من جرائم الرأى !

ان احياء جريمة الاهانة والجرائم المماثلة من شأنه أن يجعل السلطة العامة فوق المناقشة والنقد فيجعل نظام الحكم الديمقراطى الى نظام غير مسئول ، ويعود بنا الى الوراء حيث كانت جريمة العيب فى الذات الملكية السلاح الذى استخدمته السراى من قبل للتنكيل بالرأى الحر ... ولو ان كل وزير أو مسئول أتبع أسلوب التحقيق بمعرفة المدعى العام الاشتراكى أملاً فى التحصن بقرار محصن أو معصوم - لاختفى تماما حق النقد ، ذلك أن الصحفى أو الكاتب ليس فدائيا حتى يعرض نفسه اختيارا لمحنة التحقيق ، ومحنة انتظار المحاكمة بمناسبة كل نقد ومحنة ادعاء متقلد السلطة العامة بالحق المدنى امام محكمة الجنايات ! لقد ندد الفقهاء بالعقاب على ماهو أخطر من جريمة الاهانة ونعنى بذلك جريمة تعريض نظام الحكم كله للازدراء .

فلقد نبه الفقيه الفرنسى « البيرشيرون » الى خطورة امثال هذه النصوص فى القانون الجنائى التى تعاقب على تعريض نظام الحكم للازدراء فقال « انه اذا روعيت تنفيذ هذه المادة فانها تجعل مركز الصحافة المعارضة لسيسه الحكومة

حرجا . والا فكيف يتصور أن تنتقد الحكومة وتنتقد احدى النظارات ، أو احدى الهيئات اذا لم يسمح للمنتقد أن يثير انفعال الرأى العام أى كراهية للافعال الظالمة أو الاستبدادية ! . واذا لم يسمح له بأن يدعو الجمهور الى احتقار ادارة عاجزة وسياسة خرفاء ؟ أنه لا يمكن لأحد ان يطعن على الحكومة ما لم يظهر أنها جديرة بالكراهية والاحتقار أو متصفة بالعجز .. ولما كانت المادة ١٥١ (تقابل المادة ١٧٤ ع) لا تشير الى انتقاد الاشخاص الى انتقاد أعمال الحكومة فكان من الواجب الغاء هذه المادة » .

فأين هذا كله من مجرد التساؤل « بالكاريكاتير » عن المسئولين الحقيقيين عن أخطاء فادحة فى أمور عامة خطيرة ؟ ان قضية تلوث المياه لابد وأن تشد الانتباه الى خطورة الابقاء على نصوص تهدم ركنا ركينا فى النظام الديمقراطى ونعنى به حريتى النقد والصحافة ... فسوف يكون الحديث عن الديمقراطية فى مصر سخرية عريضة إذا لم تكن هناك مشاركة شعبية فى سياسة الدولة وادارة أمورها .. وأضعف الايمان فى هذه المشاركة ـ بل هو وجهها السلبى فحسب ـ اباحة نقد السياسات والامور العامة ، فلو أننا سلمنا بوجود جرائم الرأى لقضينا على هذا الجانب الضئيل من المشاركة السياسية عن طريق الرأى الناقد والصحيفة الحرة ... ولا جدوى بعد ذلك من قيام قضاء مستقل ومحايد ، لانه مقيد بقانون استبدادى .. بل ولا جدوى فى اقامة حراس اضافيين على سيادة القانون اذا هم فهموا أن سيادة القانون هى سيادة أى قانون مهما كان استبداديا وطاغيا .. !

نظام المدعى العام الاشتراكى .. هل يتفق وسيادة القانون ؟

كان أخطر ما لفت نظرى (فى المقالات التى نشرها وزير العدل) ما قرره من أنه كوزير للعدل هو الحارس الاول لسيادة القانون بعد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وينطوى هذا التقرير على خطأ دستورى كبير ذلك انه لا يوجد نظام من النظم الديمقراطية فى الغرب والشرق رغم التباين الجوهرى فى اسسها ومبادئها) يقر أن تكون السلطة التنفيذية (أو أحد فروعها أو توابعها) هى الحارسة لسيادة القانون وانما هذه النظم اما أن تعتبر القضاء « أو المشرع » أو « سلطة أخرى مستقلة عنها » . ملاذ الحريات والقانون .

ففى الولايات المتحدة الامريكية تعتبر المحكمة الاتحادية العليا ملاذ المواطن الامريكى فى حماية حرياته وسيادة القانون ، لانها العين اليقظة والحارسة على الدستور التى تلزم المشرع والحكومة الحدود الدستورية .

وكذلك فان **القضاء الفرنسى** (بفرعيه الادارى والعادى) هو درع الشرعية والحرية للمواطن الفرنسى .

أما النظام الانجليزى فعلى الرغم مما يتمتع به القضاء من مهابة كبيرة وتقاليد عريقة فى حماية الحريات ، الا أنه لا يستطيع أن يحول دون طغيان نظرى محتمل من جانب البرلمان ـ السلطة التشريعية المنتخبة ـ الذى يملك سلطة تكاد تكون مطلقة ، ومع ذلك فان هذا البرلمان ينظر اليه على انه راعى الشرعية فهو أمل الامة والمواطن فى أشد الازمات . واذا كان البرلمان يمنح الحكومة فى أوقات الازمات سلطات استثنائية (تهدد بالخطر سيادة القانون والحريات) فان المحاكم قضت فى كثير من أحكامها بأن مسئولية اعطاء هذه السلطات ليست مسئولية القضاء وانما هى مسئولية اعضاء البرلمان الذين يسألون أمام الشعب . واذا كان القضاء الانجليزى لا يسمح بانتهاك أو الغاء حقوق جوهرية من جانب التشريعات التى تتم بطريقة التفويض فان شيخا من شيوخ القضاء ـ وهو اللورد « رايت » ـ قد أشار الى أن ضمان الحرية البريطانية هو ادراك الشعب السليم وكذلك النظام النامى للحكومة النيابية والمسئولة . ويؤيد الفقهون من رجال القضاء هذا النظر . فهذا هو القاضى الامريكى « هاند » يعجب من هؤلاء الذين يعلقون آمالا كبيرة على الدساتير وعلى القوانين وعلى المحاكم : « صدقونى أن هذه آمال زائفة بالتاكيد فالحرية تكمن فى قلوب الرجال والنساء ، وهى عندما تموت هناك ، فانه ليس باستطاعة دستور أو قانون أو محكمة أن تنقذها بل انه ليس حتى باستطاعة دستور أو قانون أو محكمة أن تفعل كثيرا من أجل مساعدتها » .

ونظم الكتلة الشرقية هى الاخرى لا تتصور أن تكون السلطة التنفيذية راعية للشرعية الاشتراكية . والنظام السوفيتى بالذات ـ الذى كان بدون شك موضع إعتبارنا . عند استعدادات

وظيفة المدعى العام الاشتراكى ـ قد وضع أصولا محددة لنظام المدعى العام (وهيئة مكتبه وتسمى « البروكوراتورا ») تؤكد استقلاله التام عن السلطة التنفيذية بل وعن جميع السلطات بالدولة بالقدر الذى يحقق الهدف من وضع هذا النظام . ومع هذا الاستقلال الكامل يجوز للنظام السوفيتى أن يعتبر المدعى العام ـ وهو واحد من أكبر شخصيات الدولة ـ حامى الشرعية فى البلاد ، فهو ليس واحدا من رجال السلطة التنفيذية ولا هو تابع أو خاضع لها ، وانما هو جهاز رقابة مستقل تماما لا يملك فحسب رقابة تصرفات السلطة التنفيذية ، وانما يملك بجانب ذلك رقابة أحكام القضاء نفسها (فيما عدا أحكام المحكمة الاتحادية العليا) وهذا هو ما دعى فيشينسكى أن يفخر بأنه « لا توجد فى أية دولة ـ سوى فى الاتحاد السوفيتى ـ نيابة عامة يعينها البرلمان وتستقل عن الادارة والبوليس » (٥)

فأين هذا الاستقلال الكامل الذى كفل للمدعى العام فى النظام السوفيتى (لكى يكون راعيا لسيادة القانون) ، من التبعية الكاملة للمدعى العام الاشتراكى للسلطة التنفيذية واعتباره وزيرا من الوزراء (حتى لو لم يجمع الى منصبه منصب وزير العدل) ، يخضع فى مهام وظيفته لرئيس مجلس الوزراء على نحو ما يخضع سائر الوزراء ، ويقدم الحساب ـ على نحو ما يقدم الوزراء الحساب ـ أمام مجلس الشعب ؟

أو ليس من التجاوز البعيد بعد ذلك أن يوصف المدعى الاشتراكى أو وزير العدل ـ وهو واحد من رجال السلطة التنفيذية ـ أنه الحارس الاول لسيادة القانون ؟

ان ادعاء وزير العدل أو المدعى الاشتراكى بحراسة سيادة القانون لا يعيبه خطؤه الدستورى فحسب ، وانما يعيبه أكثر من ذلك خطره الكبير على سيادة القانون والحريات اذ من شأن هذا الفهم أو الوهم أن يخلق مركزا من مراكز القوة المطلقة تغرى صاحب المنصب على ان ينحرف بسلطاته المحددة بما يجاوزها ويتغول بذلك على سلطات القضاء ـ وهى الراعية والحارسة الحقيقية لسيادة القانون ـ أو بالاقل يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر فى القضايا المطروحة بما قد يصل اليه من فهم خاص لسيادة القانون يكون متأثرا باعتبارات شخصية بحتة ، كان يتصور ان مناقشة تصرفاته تعد اهانة .. ونلمس هذا التأثر فى عبارات التفخيم والتضخيم التى أضيفت على المدعى العام الاشتراكى فى معرض حديث عنه عندما يباشر أحد التحقيقات ـ حيث يستنكر التعقيب على قراره بسبب تلك الهالة من التقديس التى تحكى عنها عبارات « بكل ما جعله له الدستور من هيبة ومكانة »! وهكذا نخرج من نطاق الوظيفة العامة باختصاصاتها المحددة ومسئولياتها المرسومة الى بحار السلطات المهيبة ذات القداسة !! ومن هنا كانت الضرورة الملحة لفهم حقيقة وضع المدعى العام الاشتراكى ، والابعاد الصحيحة لهذه الوظيفة ، والتزام شاغلها بتقديم حساب عن تصرفاته أمام مجلس الشعب بوصفها تصرفات عامة خاضعة للنقد الذى يبلغ حد الهجوم .. ولو أن هذه الحقائق وضعت فى الاعتبار ، لما اعتبر النقد اهانة ، ومناقشة تصرفات أو قرارات المدعى الاشتراكى تطاولا على مهابة سلطة . ومن هنا كان الخطر فى تصور المدعى الاشتراكى ان السلطة التى يمارسها تجعل منه رقيبا على القانون لا خادما للقانون ، وأنها تضفى على شخصه وتقديره حصانة خلافا لنص الدستور نفسه الذى أنشأ الوظيفة (دون ان يحدد تحديدا دقيقا اختصاصاتها !) وأخضع ممارستها لرقابة نواب الشعب .. وبالتالى لنقد افراد الشعب العاديين لانهم هم المصدر الحقيقى للسيادة وهم الاصلاء ونواب الشعب مجرد وكلاء .. فليس المدعى الاشتراكى سوى موظف عام يمارس قدرا من السلطة ، فكان لزاما أن تتعرض هذه الممارسة فى نتائجها أو تقديراتها لكل صنوف النقد ، لانها ملك للناس جميعا وتصرف فى شئونهم العامة فكان حقا لهم ـ أو واجبا عليهم ـ أن يتناولوها بالتدقيق والتمحيص .. أو بأية صورة من صور النقد .

واذا كان الامر حسبما قدمنا ـ فمن أين استقى وزير العدل رأيه عن صلة المدعى العام الاشتراكى بسيادة القانون ، وأنه فى نظام اشتراكى بالذات أحد حراس الشرعية ؟

يبدو أن مصدر هذا الرأى هو نظام المدعى العام فى الدول الاشتراكية .. ولكن هل اقتبسنا فعلا هذا النظام من تلك الدول بخصائصه المميزة ؟ بل وهل كان من المكن هذا الاقتباس بما يتفق مع نظامنا الدستورى ؟ فلنذكر بايجاز خصائص المدعى العام فى الاتحاد السوفيتى لكى نصل الى اجابة صحيحة ودقيقة .

نظـام المدعى العـام

فى الاتحاد السوفيتى

● ان أول ما يتميز به نظام المدعى العام فى الاتحاد السوفيتى أنه نظام محدد تحديدادقيقافى الدستور ، فالمواد ١١٣ ـ ١١٧ تحدد تحديدا قاطعا اختصاصات المدعى العام وطريقة تعيينه ،

وهو أمر جوهرى بالنسبة لاحدى المؤسسات الدستورية التى لابد وأن يكون الدستور نفسه (هو شهادة ميلادها) بما تحتويه هذه الشهادة من بيانات جوهرية ..

● ونظام المدعى العام ليس نظاما دخيلا هناك وانما هو نظام سوفيتى نابع من تقاليد الحياة القانونية الروسية اذ تمتد جذوره التاريخية العزيقة فى أعماق النظام القانونى الروسى وتكون جزءا من التراث الحضارى الروسى الذى يمتد قرونا الى الوراء ، ولم يكن ابتداعا شاذا غير مألوف ، ولكن الجديد الذى استحدثه النظام السوفيتى أنه طور الفكرة لكى تحقق الشرعية على نحو ما وبالصورة التى تتفق مع الفهم السياسى الخاص للدولة السوفيتية . حتى لقد اعتبر الفقيه الفرنسى « دافيد » ان هذا النظام يعيد التوازن الذى كان يهدد بتدميره اختفاء مبدأ الفصل بين السلطات .

● ان نظام المدعى العام نظام موحد لا ازدواجية فيه من حيث الهيئات . حيث **يقوم المدعى العام ومكتبه بدورين أساسيين :** أولهما - دوره كنيابة عامة باختصاصاتها التقليدية . وثانيهما دوره كجهة رقابة على كافة المرافق فى الدولة (فيما عدا الحزب) وأحكام القضاء (فيما عدا أحكام المحكمة الاتحادية العليا) بقصد الزامها جميعا حدود الدستور والقانون .. وهو يمارس مهامه فى الرقابة اما من تلقاء نفسه أو بناء على شكاوى يرفعها اليه المواطنون العاديون ..

والمدعى العام ومكتبه يكون هيئة مستقلة استقلالا تاما عن كافة سلطات الدولة :

فهى ليست مستقلة فحسب عن وزارة العدل (اذ يدخل فى اختصاصها رقابة تصرفات وزارة العدل نفسها) بل وعن الجهات القضائية التابعة لها (حيث لا يختار رجال المدعى العام من بين القضاة) كما يستقل مكتبه عن خدمات القضاة ! ولا يتحدد اختصاص كل عضو من اعضاء مكتبه بمحكمة بعينها وانما باقليم أو منطقة أو حى) كما وأن المدعى العام بمكتبه لا يستقل فحسب عن الجهة الادارية استقلالا تاما ، بل وهو يستقل تماما عن الحكومة فلا يعين مجلس الوزراء المدعى العام وانما يعينه مجلس السوفيت الاعلى لمدة سبع سنوات كاملة ، وهى فترة عادية فى الاتحاد السوفيتى حيث لا ينتخب مجلس السوفيت الاعلى ولا الوزراء الا لمدة أربع سنوات .

والخصائص السابقة كلها التى تميز وظيفة المدعى العام فى النظام السوفيتى وتجعل منه نظاما مستقلا صالحا للرقابة على الشرعية لا أثر لها فى المدعى العام الاشتراكى فى مصر :

فاختصاصاته غير محددة دستوريا .

وهو يمثل إزدواجا فى الاختصاصات .

ولا يتمتع باستقلال ما حيال جهة الادارة ، لانه جزء منها وفرع من فروعها .

ماهو الوضع الدستورى للمدعى العام الاشتراكى ؟

على الرغم من افراد عنوان مستقل فى الدستور عن المدعى العام الاشتراكى فان المادة ١٧٩ (وهى المادة الوحيدة تحت هذا العنوان) تترك الناس فى حيرة من أمر هذه الوظيفة الغامضة .. فالمادة توهم صياغتها بانها قد حددت اختصاصات الوظيفة المستحدثة ، وأنها تركت القانون تحديد اختصاصاتها الاخرى . ولكن أية اختصاصات تلك التى تحدثت عنها المادة ؟ انها تقول ان المدعى الاشتراكى يكون « مسئولا عن اتخاذ الاجراءات التى تكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ونظامه السياسى والحفاظ على المكاسب الاشتراكية والتزام السلوك الاشتراكى !

عبارات انشائية .. « واجراءات » غير محددة !

والا فأية « **اجراءات** » يملك المدعى العام الاشتراكى اتخاذها - حتى وفقا لنص الدستور - دون أن تكون هناك نصوص قانونية محددة توضح ماهية الاجراءات التى يمكن اتخاذها ، ولو كان الامر غير ذلك لكان معناه ان النص يعطى المدعى العام الاشتراكى سلطات تماثل - ان لم تفق - سلطات المشرع والقضاء والادارة . أو فى عبارة أخرى يعطى لشخص واحد من السلطات مجتمعة ما تتمتع به متفرقة المؤسسات الدستورية كلها للدولة .. وهذا أمر غير معقول ولا يمكن حتى تصوره .. ولذلك ليست للمدعى العام الاشتراكى الان سوى اختصاصات محدودة هى تلك التى نص عليها القانون الاستثنائى الخاص بالحراسة .

بل ان الغايات التى قصد الدستور الى تحقيقها من انشاء وظيفة المدعى العام الاشتراكى غايات غير محددة دستوريا ، ذلك أن عبارات « حقوق الشعب » و « سلامة المجتمع » و « المكاسب الاشتراكية » و « السلوك الاشتراكى » كلها أقرب الى العبارات الوصفية أو الانشائية لا يمكن أن ينفرد المدعى الاشتراكى بتفسيرها حسبما يريد ، وانما لابد من ترجمتها قانونا الى معان محددة حتى توضع موضع التنفيذ .

والنتيجة أن وظيفة المدعى العام الاشتراكى - أكثر من غيرها من الوظائف - فى حاجة الى صدور قانون يرسم أبعادها ، ويحدد اختصاصاتها وأهدافها تحديدا دقيقا وهو ما يترك المجال فسيحا

للسلطة التشريعية فى أن تضيق أو توسع الى أقصى حد من مدى هذه الوظيفة المستحدثة .. ويبدو أن هذه النتيجة أثر محتوم لتفاوت وجهات النظر - عند وضع مشروع الدستور - فى ضرورة استحداث هذه الوظيفة أو عدم جدواها أو حتى عدم ائتلافها مع نظامنا القانونى المستقر ... والسؤال الذى يطرح على الفور هو : هل كان هناك مقتض لانشاء هذه الوظيفة ؟ واذا كان الامر كذلك فعلى أى نحو تتحدد اختصاصاتها ؟

لقد قيل ان ظروف البناء القانونى والقضائى فى مصر يحتم أن يجمع وزير العدل بين منصبه وبين منصب المدعى العام الاشتراكى وأن دور **المدعى العام الاشتراكى يعطى لدور وزير العدل حجمه الطبيعى ويحدد له مهمته الاصلية فى المجتمع الاشتراكى : وهى كفالة سيادة القانون فى المجتمع** الاشتراكى . وهذا التعلل بالطبيعة الخاصة للمجتمع الاشتراكى لا يمكن أن يبرر انشاء هذه الوظيفة التى يمكن أن تضطلع النيابة العامة باختصاصاتها المستحدثة لو أن الامر اقتضى استحداث اختصاصات ما فما كانت سيادة القانون مفتقدة فى مصر بسبب عدم وجود منصب المدعى العام الاشتراكى ، وانما كانت مفتقدة لان نظام الحكم - قبل حركة التصحيح - كان يسىء فهم معنى سيادة القانون فضلا عن أنه كان لا يطبق سيادة القانون .. وحتى مع وجود محكمة دستورية عليا ، ومحكمة ادارية عليا فى ظل نظام قضائى راسخ (المفروض أنه هو الحارس لسيادة القانون) فقد عصف نظام الحكم برجال القضاء غير عابىء بالحصانة التى يضفيها عليهم انتماؤهم الى سلطة قضائية مستقلة دستوريا .. فانشاء وظيفة المدعى العام الاشتراكى لن تقدم أو تؤخر فى نظام لا يؤمن فى قرارة نفسه بسيادة القانون . فنحن نعتقد أن ادخال نظام المدعى الاشتراكى أو نظام شبيه منه أو صورة مشوهة أو محرفة له ، هو محاولة ادخال شىء غريب ليست له أصول تاريخية بل وهو يتنافر مع أوضاعنا القانونية ، فضلا عن أنه لا تدعو اليه الحاجة التى دعت الى انشائه أو تطويره كجهاز رقابة فى الاتحاد السوفيتى ، فحيث يرتكز نظامنا الدستورى على مبدأ واضح للفصل بين السلطات ، وحيث توجد أجهزة رقابية قضائية وادارية على تصرفات الادارة العامة (تتمثل فى مجلس الدولة وفى الرقابة الادارية وغيرها] فانه لا تكون هناك حاجة البتة الى وظيفة المدعى العام الاشتراكى أو بالاقل الى اعتبارها وظيفة مستقلة عن النيابة العامة ، أو اضفاء اختصاصات واسعة عليها تجعلها تتغول على ما عداها من سلطات ..

فحتى لو قصد انشاء وظيفة ذات اختصاصات جديدة تتجاوز اختصاصات النيابة العامة فانه بالامكان تزويد النائب العام أو أحد كبار نوابه (من المحامين العامين) بتلك الاختصاصات وتنشأ بذلك شعبة متخصصة فى النيابة العامة على غرار نيابة الاموال العامة مثلا ، خاضعة لهيمنة النائب العام ومندمجة فى نظامنا القضائى .. تفاديا من هذه الازدواجية المعيبة فى الهيئات والوظائف ، ومن الواضح أنه لا يوجد فى النظام السوفيتى هذا الازدواج المعيب فى الهيئات القائم فى نظامنا القانونى بالنسبة للنيابة العامة ومكتب المدعى العام الاشتراكى ، فلقد رأينا أن المدعى العام ومكتبه هيئة واحدة تمارس اختصاصات متميزة فى الرقابة على الشرعية بجانب ممارسة اختصاصات النيابة العامة التقليدية . أما الازدواجية القائمة فى نظام الادعاء العام فقد أثارت كثيرا من الجدل والاختلافات حول حدود كل من النيابة العامة ومكتب المدعى العام الاشتراكى ، وهى ازدواجية دفعت المتخصصين - بل وأفراد الشعب العاديين - على التساؤل عما اذا كانت تسمية المدعى العام بوصف الاشتراكى تجرد النائب العام - وهو قانونا مدع عام كذلك - من هذا الوصف وتجعل من جهاز للادعاء اشتراكيا ومن الاخر جهازا غير اشتراكى ؟ ! واذا كانت هذه الازدواجية المعيبة قد اختفت ظاهريا بالجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى الا أنه سرعان ما ظهرت مخاطر هذا الجمع وعدم ملاءمته .

فى الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى

اذا كان الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى لم يثر - فى أول الامر - الا اعتراضا فقهيا ، فانه بعد قضية تلوث المياه قد كشف فى الواقع العملى عن تنافر أو تناقض جوهرى فى اختصاصات الوظيفتين على نحو لا يجيز جمعهما فى يد واحدة .. وتمثل ذلك بصفة خاصة فى القانون الوحيد الذى يزود حاليا المدعى العام الاشتراكى ببعض اختصاصات خطيرة ، تتعارض مع الاختصاصات المسندة بالقانون الى وزير العدل .

فوفقا لقانون الحراسات يتولى المدعى العام الاشتراكى التحقيق واتخاذ الاجراءات التحفظية وتحريك - الدعوى أمام محكمة الحراسات - فهو بدون شك سلطة إتهام .

ووفقا لقانون الحراسات يتولى وزير العدل

اختيار اعضاء الهيئة الخاصة التى تتولى نظر الدعوى .. وهنا يمارس وزير العدل ولاية قضائية بالمعنى الصحيح لانه يشكل المحكمة حتى وان كانت جهة قضاء خاصة ولا شك انه مما يجافى المبادىء الاولية فى العدالة والتقاضى ان يجمع شخص او جهاز - مهما بلغت قوة تجرده - بين سلطتى الاتهام والقضاء ..

وقد استشهد - ردا على هذا الاعتراض - بحكم صادر من محكمة الحراسة وتأمين سلامة الشعب فى الدعوى رقم ١١ لسنة ٧٣ بجلسة ٢٩ من يونيه سنة ١٩٧٤ من انه ليس فى نصوص الدستور أو القانون سالف الذكر وهو القانون المنظم لفرض الحراسة وتأمين سلامة الشعب - ما يحرم الجمع بين وظيفتى وزير العدل - والمدعى العام الاشتراكى ، ومن ثم يجوز لرئيس الجمهورية ان يكلف وزير العدل بمباشرة مهام المدعى العام الاشتراكى ، دون أن يكون فى ذلك مخالفة للدستور » .

وفضلا عن ان هذا الحكم لا يجدى فى تغطية التنافر الواضح بين المنصبين أو الصفتين على الاقل فى صدد قانون الحراسات فانه يلاحظ امران جوهريان : -

اولهما - ان محكمة الحراسة وتأمين سلامة الشعب هى جهة خاصة وليست جهة قضاء بالمعنى الصحيح مندرجة فى تشكيل الجهات القضائية التى ينص عليها قانون السلطة القضائية . والتى تتمتع وحدها بوصف المحاكم القضائية فهى ليست محكمة جنائية بل وليست محكمة جنايات اذ ان محاكم الجنايات تتكون من ثلاثة مستشارين من محاكم الاستئناف فى حين ان هذه الجهة الخاصة تشكل من نائب رئيس محكمة النقض ومستشارين من محاكم الاستئناف وثلاثة من الافراد العاديين - ولا يمكن ان يوصف تشكيلها المختلط هذا تفخيما لها بانها اكبر فى تشكيلها من المحكمة التى توقع عقوبة الاعدام ! بل ان هذا التشكيل المختلط ينأى بها بعيدا عن روح نظامنا القضائى المستقر بضوابطه المعروفة والمحددة .

والامر الثانى - ان حكم محكمة الحراسة لا حجية له فيما فصل فيه ، ذلك ان تصدى الدستور به التصرف المطعون فيه بعدم الدستورية وهو امر يخرج حتما عن اختصاص تلك المحكمة التى اصدرته ، اذ تختص المحكمة الدستورية العليا وحدها بالفصل فى الطعن .

فلنطرح جانبا هذا الحكم الذى لا حجية له لنقاش الحجج الاخرى التى سيقت لتبرير الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى .. ونلاحظ على الفور أنه قد تنقل بنا من نظام الى نظام مستندا مرة الى النظام الامريكى ومرة أخرى الى النظام الاشتراكى . وكأنما تقوم حجة فى هذا الشأن « نتفة » أو مظهر من هذا النظام أو ذاك دون الالتفات الى الروح العامة لكل نظام فى صورته المتكاملة !

« أما أن وزير العدل هو أيضا المدعى العام - أو شىء شبيه بذلك - يوجد فى الولايات المتحدة الامريكية حيث يحمل وزير العدل اسم المدعى العام وزير العدل .. فليس فيه غرابة حيث تنفصل النيابة العامة عن القضاء . فليس هناك منصب لوزير العدل يرأس النظام القضائى كما هو الحال فى فرنسا مثلا . وانما يرأس النظام القضائى المحكمة الاتحادية العليا دون أن تكون لها ولاية فى شئون محاكم الولايات ، حيث يعين القضاة عن طريق حاكم الولاية أو ينتخبون حسب النظام الذى تتبعه كل ولاية . فالقياس على النظام الامريكى قياس فاسد ، وهو ايضا قياس مع الفارق البعيد .

اذ لا يوجد فى هذا النظام سوى نيابة عامة واحدة على رأسها المدعى العام (وهو يقابل عندنا النائب العام) ولا توجد بجانب هذه النيابة العامة نيابة أخرى حتى يقال ان وزير العدل يجمع بين صفتين أو يرأس جهتين !

ولقد قيل أن مهنة المدعى العام الاشتراكى هى الامتداد الطبيعى لمهمة وزير العدل فى المجتمع الاشتراكى . وهذا التعلل بالاشتراكية والنظام الاشتراكى لتبرير الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى غير سديد . فاذا كانت مهمة المدعى العام الاشتراكى هى امتداد لمهمة وزير العدل (أو اذا تجاوزنا فى التعبير وقلنا ان مهام المنصبين واحدة أو متطابقة - وهى كفالة سيادة القانون فى كل المجالات وفى جميع مرافق الدولة) فاننا لا نفهم معنى لوجود منصب المدعى العام الاشتراكى مع وجود وزير العدل لانه لن يعدو أن يكون نافلة أو زائدة أو على أحسن الفروض ازدواج لا مبرر له .

الحقيقة انه لا يمكن دستوريا - وعدالة - الدفاع عن الجمع بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى .. وتبرز خطورة هذا الجمع ، عندما يجرى التعرف باحدى الصفتين ، على نحو ما حدث فى قضية تلوث المياه .

٢

الحوار مستمر حول الماركسية .. والاستيراد .. والالحاد

تبدأ هذه القصة – القصيرة ولكن ذات الدلالة – بجريدة « أخبار اليوم » وتنتهى بجريدة « الاخبار » . وبين البداية والنهاية ، تضيع على صفحات الجريدتين معنى « الحرية » و « الديمقراطية » اللتين تلحان عليهما فى الشكل وتصادرهما من حيث المضمون .

تبدأ القصة ، حين نشرت « أخبار اليوم » بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ ، مقالا للاستاذ محمود أبو وافية ، عضو مجلس الشعب ورئيس لجنة الشكاوى والاقتراحات ، تحت عنوان « اتجاهات ظهرت فى جلسات الاستماع » . وقد عرض الاستاذ أبو وافية لما دار فى هذه الجلسات ، على نحو أثار حوله اعتراض الكثيرين ، لمجافاته الموضوعية التى ينبغى أن يلتزم بها باعتباره رئيسا لجلسات الاستماع ومديرها . وقد عبر عن هذا الرأى الاستاذ فيليب جلاب المحرر بدار « أخبار اليوم » ، ونشر ردا على مقال الاستاذ أبو وافية ، فى العدد الماضى من « الطليعة » تحت عنوان « عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد » .
[وقد حرصت « الطليعة » على أن تعيد معه نشر نص مقال الاستاذ أبو وافية] .

وفى ٨ نوفمبر بعث الدكتور أحمد بدران بمقال يرد فيه على مقال الاستاذ فيليب جلاب . والتزاما من « الطليعة » بالتقاليد الديمقراطية للصحافة ، قررت نشره فى العدد الحالى [ديسمبر] مع تعليق للاستاذ جلاب وفقا للتقاليد الصحفية التى ينبغى التمسك بها .

ثم فوجئت « الطليعة » بالمقال الذى وصلها من الدكتور أحمد بدران منشورا بجريدة « الاخبار » يوم ١٣ نوفمبر . وجدير بالذكر هنا أن الاستاذ فيليب جلاب كان قد سافر الى الهند فى يوم ١٢ نوفمبر بعد أن سلم « الطليعة » تعليقه على الرد . وبعثت « الطليعة » بالتعليق الى رئيس تحرير الاخبار مصحوبا برسالة تدعوه فيها الى العمل بالتقاليد الصحفية ونشر التعليق خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أنه لاحد محررى دار أخبار اليوم نفسها .

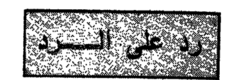
وحتى تاريخ مثول عدد « الطليعة » للطبع [٢٢ نوفمبر] ، لم تنشر « الاخبار » التعليق . وجدير بالذكر هنا :

١ – ان « الاخبار » اهتمت بنشر تعليق الدكتور بدران على مقال فيليب جلاب الذى لم ينشر « بالاخبار » ، ودون أن تعيد نشره كما فعلت « الطليعة » مع مقال الاستاذ أبو وافية .

٢ – ان « الاخبار » فضلت نشر تعليق الدكتور بدران – بعد أن حذفت منه فقرات – وهو من خارج أسرة تحريرها بينما لم تنشر تعليق فيليب جلاب وهو واحد من أسرة تحرير « الاخبار » وله – بالتالى – حق منطقى ومشروع فى نشر تعليقه .

.. وتبقى للقصة بقية . فقد كتب « للطليعة » الاستاذ فاروق منصور – رئيس قسم التراث الاسلامى بدار أخبار اليوم – تعليقا على ذلك الحوار ، ننشره فى هذا العدد .

.. تلك هى وقائع القصة بدون تعليق ، ونكتفى بدلالاتها التى لن تخفى على القارىء . وكنا نظن أن « أخبار اليوم » ، وهى تحتفل بذكرى تأسيسها الثلاثين التى دافعت فيها عن الحريات كما تقول – وتلك قصة أخرى – ، سوف تبرهن على صدق ما تقول بالدليل العملى .



السيد الاستاذ مدير تحرير الطليعة
تحية طيبة — وبعد
تذكرون أن الطليعة هى الفكر المفتوح وأنك تدافع عن حق غيرك فى أن يبـدى رأيه ولو خالف رأيك .
أرجو نشر هذا المقال .
مع خالص شكرى
د. أحمد بدران

عن الاشـتراكية الماركسـية والاستيراد والالحاد

نشرت مجلة الطليعـة فى عددها الاخيرمقالا بعنوان: رد [على مقال محمود أبو وافية] عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد بعد أن نشرت صورة من هذا المقال الـذى نشره الاستاذ ابو وافية فى أخبار اليوم فى ٢٨ سـبتمبر المـاضى عن ملاحظاته حـول مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى .

ورغم أن ابو وافية لم يلجأ كما يدعى المقال الى « تجريم تيار سياسى كالتيار المـاركسى المصرى» ولم يصدر أحكاما أو اتهامات، **وانما الظاهر من مقاله** الذى أعادت الطليعة نشره أنه كان ينقل صورة لما حدث فى لجنة الاستماع بمجلس الشعب ناسبا الاراء الى أصحابها ، فاننى لا أقصد بهذا الـدفاع عن الاسـتاذ أبو وافية ، وهو أقدر على ذلك لو أراد ، لكن المقال قد امتلا بالمغالطات التى أصبحت تتردد فى كل كتابات الذين يدينون بهذا المبدأ الماركسى أملا فى أن يؤدى كثرة ترددها الى انطلائها على عقول الناس .

أول هذه المغالطات هى الايهام بأن « التيار الالحـادى ليس اختراعـا ماركسيا » وأن الماركسى ليس بالضرورة ملحـدا وأنه ليس هناك تلازم بين الماركسية والالحاد . وهذه المغالطة مفضوحة ، لان السيد كاتب المقال الماركسى يعلم تمام العلم قبل غيره أن هناك تعارضا جذريا بين المبدأ الماركسى والاعتراف بالاديان ، وقد ذكر لينين عام ١٩٠٥ كأساس من أسس دعـوته : « **أن الدين هـو أفيون الشعوب** . ان الدين نوع من الخمر الروحية يغرق فيها عبيد الرأسمالية صورتهم الانسانية ودعواهم الى حياة انسانية كريمة » ... كما ورد فى تعليمات الحزب الرسمية عام ١٩٤٩ الى المعـلمين فى جميـع أنحاء الاتحـاد السوفيتى : « ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشىء لا يمكنه ، ولا يجب أن يكون محايدا فى موقفه من الدين ، ان عليه لا أن يتخلص من الايمان فحسب ، بل أن يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى عدم الايمان بوجود اله ، وأن يكون داعية متحمسا الى الالحاد » ...

ومالنا نذهب بعيدا ... والكتاب الرسمى « اسس الماركسية اللينية » [الطبعة الثانية بالانجليزية . موسكو ١٩٦٤ صفحة ١٦] يؤكد بما لا يدع مجالا للشك : « ان الماركسية

اللينينية لاتعترف بوجود أي قوى فوق الطبيعة **ولا أي خالق** . انهـا تحرر الانسانية ، مرة واحـدة والى الابد من الخرافات والعبودية الروحية . ان الماركسية اللينينية تنظر الى العـالم كما هـو قائم **دون أن تضيف اليـه مخترعات الجنة والنار** » ...

الا يكفى هذا لان يكون القول بالتلازم بين الماركسية والالحاد قائما على أساس بعيـد عن التجنى والاتهام ، وأن يجعل كل ما تحاول المجلة والكتاب الماركسيون المصريون الايهام به من أن اتهام الماركسية بأنها لا دينية يعتمد على ما تدعو اليه من الغاء الملكية الفردية أو الملكية المستغلة « ظاهر الخبث والتواء مفضوح ؟ » الا يصبح الحديث بعد ذلك عن أبى ذر الغفارى وجمال الدين الافغانى من قبيل المهاترات ومحاولة التمويه على الحقائق.

ونأتى بعد ذلك الى النقطة الثانية وهى مناقشة ما زعموا ان محمود أبو وافية قد قاله من أن « الماركسيين فى نظره ليسـوا وطنيين وأنهم يتلقون الوحى من الخارج » . وأن مبادئهم مستوردة . ولقد كان من **صالح الاخوة الماركسيين الا يثيروا هـذا الموضوع** ويحاولوا بعد ذلك التمويه والمغالطة لان اتهام المـاركسى بالعمالة ! وقـد لا يعـلم بعض الماركسيين ذلك بالاسف الشديد ! نابع **أيضا من أسس العقيدة الماركسية اللينينية التى اعلنها مؤتمر ١٩٤٨** بأن « الدفاع عن الاتحاد السوفيتى وهـو الوطن الام للاشـتراكية والبروليتاريا فى العالم **هو واجب مقدس على كل مؤمن بالماركسية فى أى مكان** وليس على المقيمين فى الاتحاد السوفيتى وحدهم » ...

ولا نذهب بعيدا وهناك نص فى « المانيفستو الشيوعى » الذى هو انجيل الشيوعية يقول « **ان الطبقة العاملة لا وطن لها** » .

ولا نود ، ونحن فى هذه الايام المجيدة التى نسعى فيها جميعا الى توطيد دعائم الوحدة الوطنية أن نعيد ما قاله خروشوف عند زيارته لاسوان عن العـامل المصرى والعـامل الاسرائيلى ، ولا أن نتحدث عن مواقف **الاحزاب الشيوعية فى البـلاد العربية من الوحـدة العربية ومن الدعوة الى القومية فما تزال هذه ماثلة فى الاذهان** .

ونأتى فى النهاية الى المغالطة الكبرى وهى محاولة الحديث عن الماركسية والاشتراكية على انها شىء واحد ، وتحديد الالفاظ هنـا واجب أساسى لان الماركسية هى « الاشتراكية الثورية لماركس وانجلز التى تجعل **الصراع الطبقى أهم القوى** فى تاريخ البشرية وتؤكد وجود الطبقة **المفضلة أو البروليتاريا ، وحتمية الصراع الطبقى والملـكية العامة لوسـائل الانتاج** ، وتحقيق الثورة عن طريق القـوة والعنف ، ودكتاتورية البروليتاريا واعتبـار الاتحاد السوفيتى هو الوطن الاب » .

وهناك فلسفات كثيرة للاشتراكية بمعناها الواسع من العمل على تحقق مجتمع الكفاية والعدل بأساليب متباينة ، فالدعوة الغابية فى انجلترا يمكن اعتبارها فلسفة اشـتراكية ، **والنظام المطبق فى الدول الاسكندنافية نظام اشتراكى فى جوهره** ، ومبادىء حزب العمال البريطانى من **المبادىء الاشتراكية** ، وهنـاك أحزاب اشـتراكية **مسـيحية فى البـلدان الاوروبية** ، وقد اخترنا نحن سبيل الاشتراكية المستمدة من واقعنا وقيمنا وديننا لنا مبدءا ، ولكن الخلط المتعمد بين الاشتراكية والماركسية فى هذه المرحلة بالذات يهدف **الى أمور خبيثة** « معناه ليست لنا عقول » !!!

ومن هنا فان الحديث عن الاشتراكية فى الاسلام لا يمكن ان يخدم أهداف الماركسية ، وليس هناك مجال للخلاف فى أن الاسلام قد دعا الى الاشتراكية بمعناها الكريم العظيم من التآخى والتعـاون والعدالة الاجتماعيـة والقضاء على الظلم والاستغلال مع الاحتفاظ بحرية الفرد وكرامته وقيمه الدينية وقوميته ، ولكن هذه الاشتراكية شىء والماركسية شىء آخر مختلف تماما ودعونا نكف عن الخداع .

هل يمكن أن تكون ماركسيا ولكنك تؤمن بالدين ، ولا تتمسك بنظرية صراع الطبقات وتجعل ولاءك لمصر وتقف ضد أى دولة ولو كانت الدولة الام اذا تعارضت مصالح بلادك ومصالحها ، ولا تؤمن بالعنف ؟ هل يمكن أن تكون **مسلما وتعتقد بوجود آلهة عدة ، ولا تصدق أن محمدا قد بعث ، ولا أن الفرائض واجبة ؟** واستغفر الله العظيم .



● مـن حقـك أن تدافـع
لكن ...
مـن واجبـك أن تقـرأ !

فيليب جلاب

العبارة الوحيدة فى « **رد على الرد** » التى لا تتضمن خطأ فى المعلومات التاريخية ولا تحمل مغالطات ساذجة فى الاستقراء والاستنتاج تقول : « فاننى لا اقصد بهذا الدفاع عن الاستاذ ابو وافية ، وهو اقدر على ذلك لو أراد » .

ومن قال انه يقصد الدفاع ؟ ان من يقرأ رده يفاجأ بأنه بدأ « دفاعه » بتكذيب من أراد « الدفاع » عنه ! أو هو « دفاع » خير منه الهجوم !!

فقد قال الاستاذ أبو وافية بصراحة فى بداية مقاله ، « **ومن حقى كمواطن أن أقول رأيى الان فقط** » ثم عبر فعلا عن رأيه المتكامل الذى توليت الرد عليه . ولكن السيد الدكتور « المدافع » يقول رغم هذا « ان ابو وافية لم يلجأ الى تجريم تيار سياسى كالتيار الماركسى المصرى ولم يصدر احكاما أو اتهامات ، وانما **الظاهر** من مقاله الذى اعادت الطليعة نشره انه كان ينقل صورة لما حدث ... ناسبا الاراء الى أصحابها » ...

« الظاهر » أن السيد الطبيب لم يقرأ المقال ولم يقرأ الرد .. أو أنه تخيل ان هناك مقالات يجب ان تقرأ « من الظاهر » فقط تجنبا لاضرارها ! لكن المقالات أيها السيد الدكتور ليست كبعض الادوية [وان كان بعضها يقتل أنها تقرأ « من الظاهر » و « الباطن » معا وفى كل الاحوال .. خصوصا اذا كانت كمقال الاستاذ أبو وافية لا فرق بين ظاهره وباطنه . ان من حقك تماما ان تدافع ، لكن من واجبك قبل ذلك ان تقرأ جيدا . ومع ذلك أو رغم ذلك استخدم السيد الدكتور مجموعة من الالفاظ « المنتقاة متهما لنا بالمغالطة » و « الخبث » و « الالتواء المفضوح » !

وأول المغالطات فى رأيه هى قولنا ان « التيار الالحادى ليس اختراعا ماركسيا » وأن الماركسى ليس بالضرورة ملحدا . وعندما تصل الامور الى الجهل بأوليات المسائل ، وبالمعلومات العامة التى لا خلاف حولها ، نشعر بأن المناقشة غير متكافئة أو لا جدوى منها . فأغلب الذين يقراون ويكتبون يعرفون أن الالحاد كتيار فلسفى سبق ولادة كارل ماركس نفسه . وأن عددا لا يحصى من الفلاسفة غير الماركسيين ينادون بالالحاد . وان أهم فلاسفة وقادة الثورة الفرنسية [البورجوازية] كانوا ملحدين ، وموقفهم من الكنيسة الفرنسية معروف خاصة بعد أن وقفت مع اسرة « البوربون » ضد الثورة .

ثم ينسب السيد الدكتور «عبـــارة ماركس الشـهيرة» عن الـدين الى «لينين». وان كان الفيلسوف الفرنسى المعاصر «روجيه جارودى» قد ذكر فى إحدى محاضراته التى ألقاها بمؤسسة الاهرام فى القاهرة، ان عبارة ماركس تلك قالها فى صدر شبابه عندما كان عمره لا يتجاوز ١٨ عاما، وأنه لم يكررها بعد ذلك. ومع ذلك فقضية الدين لها أبعاد خاصة فى اوربا تختلف تماما عن مسألة الدين فى الشرق، واذا كان من حق الماركسى فى أوربا أن يتخذ الموقف الذى يراه من الدين لاسبابه السياسية والتاريخية والنفســية فان من حق الماركسى فى الشرق أن يتخذ موقفا مخالفا للماركسى الغربى بل أن السيد الطبيب لا يزال يعيش على آثار الدعايات الاستعمارية السوداء

عزيزى الاستاذ موسى صبرى
رئيس تحرير الاخبار
تحية طيبة وبعد .
أرى من واجبى ووفاء للتقاليد الصحفية ان احيطكم علما بما يلى :
١ — كتب الزميل الاستاذ فيليب جـــلاب مقالا بالطليعة (عدد أول نوفمبر ١٩٧٤) تحت عنوان عن « الماركسية والاستيراد والالحاد » يرد فيه على مقال للاستاذ محمود ابو وافية عضو مجلس الشعب نشر بجريدة اخبار اليوم فى ١٩٧٤/١١/١٣
٢ — وفى الثامن من شهر نوفمبر ١٩٧٤ وصلنى خطاب من السيد الدكتور احمد بدران مرفقا به مقالا بعنوان عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد يعقب فيه على مقال الزميل فيليب جلاب .
٣ — واعددنا مقـــال السيد الدكتور احمد بدران للنشر بالطليعة فى العدد القــــادم الصادر فى أول ديسمبر ١٩٧٤ مع تعليق للزميل جلاب وذلك احتراما للتقاليد الصحفية والتزاما منا بحرية الحوار .
٤ — فوجئنا عند قراءتى للعدد رقم ٦٩٨٩ الصادر فى ١٩٧٤/١١/١٣ بمقال الدكتور احمد بدران منشورا على أساس أنه رد على إحدى المجلات دون ذكر اسم الطليعة .
٥ — أمام هذا الوضع فقد رأيت، خاصـــة وان الاستاذ فيليب جلاب يعمــــل أساسا محررا بجريدة الاخبار، أن أبعث اليكم بتعقيبه على مقال الدكتور بدران لنشره بالاخبار. وذلك احتراما للتقاليد الصحفية ومبدأ حرية الحوار وحقوق الزميل كمحرر بالصحيفة .
٦ — واذ آمل أن تتفضلوا بنشر تعقيب الزميل جلاب المرفق، أرجو أن تقبلوا تمنياتى واحترامى .
لطفى الخولى
رئيس تحرير الطليعة

ضد الماركسية والموجهة أساسا لشعوب الشرق، دون أن يكلف نفه بمتابعة ما يجرى من تطورات فى أوربا نفسها . هل تعلم مثلا ان الحـزب الشيوعى الايطالى — وهو أكبر الاحزاب الشيوعية الاوربية — لا يضع أى قيد على المعتقدات الدينية لاعضائها، وليس هناك ما يمنع اى كاثوليكى مؤمن من الوصول الى المراكز القيـــادية للحــزب مادام يوافق على الخط العام الذى يتعلق بـالموقف الاجتماعى والاقتصادى والسياسى أولا واخيرا .

هل سمعت عن القسس والرهبان الذى يناضلون فى صـــفوف الماركسيين فى امريكا اللاتينيـــة وفيتنام ؟ هل سمعت عن الراهب « **كاميلو توزيز** » الذى كان قائدا بين الثوار الماركسيين، واستشهد وهو يقاتل ضد الظلم ؟

ومع ذلك نحن لا نستبعد طبعا أن يكون هناك ماركسيون ملحدون . وقد قلت فى مقالى الاول أن الماركسى كأى انسان ذى اتجاه سياسى يمكن أن يكون مؤمنا أو ملحدا، وهذا أمر بينه وبين ربه . . ولكن ما يجمع الماركسيين هو الالتقاء حول منهج لتفسير وتغيير المجتمعات الى الافضل من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية والانسانية، أما أن الحزب السوفيتى أو غيره فى أوربا له رأى آخر فى الدين فليس هذا اكتشافا . لكن الغريب أن السيد كاتب الرد، ومن يرى رأيه لا يثيرون مسألة الالحاد عند التعامل مع الاجانب، الا اذا كان الموقف يتعلق بدولة اشتراكية تقف الى جانب بلادنا فى كل قضاياها .

أما ما يأتى من الغرب فهو مقبول تماما حتى لو كان الحادا !

والا فهل تعلم أن الثورة الفرنسية هى التى ضربت الدين ونفوذ الكنيسة فى فرنسا ؟ وهل تعلم أن أهم قادتها لا يؤمنـــون بالدين ؟ ومع ذلك فنحن نتحدث كثيرا عن مبادىء الثورة الفرنسية العظيمة دون أن نلقى بالا الى مسألة الالحاد .

ثم ما رأيك فى قادة بريطانيا العظمى الذين اذلوا مصر باحتلال دام إكثر من ٨٠ عاما . . هل هم مؤمنون فى رأيك ؟

ومــــاذا ترى فى قادة الولايات المتحـدة الذين يتشدقون « بالايمان » وهم أبعد الناس عنه فيما

يتعلق بشعوبنا وموقفهم من قضايانا الحيوية على الاقل ؟

ان الذى يعنينا فى الاساس هو موقف اى دولة من قضايانا الحيوية ، لاننا فى النهاية لسنا فى حاجة الى استيراد « الايمان » أو « الالحاد » من أحد .. وهى أمور غير قابلة للتصدير على اى حال .

ثم يصل السيد الدكتور الى « الذروة » عندما يثير مسألة « الوطنية والوحى من الخارج » .

وأعتقد أن الرد الواضح على هذا الحديث المعاد هو ما نراه من مواقف للماركسيين والشيوعيين فى العالم . فاذا كان من الطبيعى ان يتعاطف الماركسيون مع اى دولة اشتراكية أو تقدمية فى أى وقت الا ان المصالح الوطنية هى نقطة البدء فى هذا التعاطف والتضامن الاممى : أو كما يقول « لينين » « **لا يمكن أن تكون أمميا ما لم تكن وطنيا** » وهذه أمور قد يعثر فهمها على الذين يعتقدون أن تضامن الشعوب ضد الاستعمار « عمالة » و « العمالة » للاستعمار ضد الشعوب « تضامنا » . !

ان الماركسيين فى العالم كله ، كما يعلم الخاص والعام ، يهاجمون وينتقدون بعضهم البعض ، ولعل الصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى يفسد كل ما قصد السيد الطبيب اليه من عبارته . ولا يقتصر الامر على هذا الصراع لكن لم يعد مثالك حزب شيوعى يتطابق فى موقفه مع حزب آخر فيما يتعلق بكثير من المواقف ، فمن الممكن أن تكون ماركسيا وتنتقد الاتحاد السوفيتى ، أو أن تكون ماركسيا وتنتقد الصين ، وتكون ماركسيا أيضا وتنتقد الصين والاتحاد السوفيتى وغيرهما .. الخ .

أما عبارة أن الطبقة العاملة لا وطن لها ، « - وهى عبارة أطلقها ماركس - فانها لا تعنى ما فهمه السيد كاتب الرد ، وكل من قرأ هذه العبارة فى سياقها يعلم أنها تعنى أن العمال يتضامنون ويتساندون معا فى اى مكان ضد الاستغلال والظلم الواقع عليهم من الراسمالية الاحتكارية الاستعماريه ، والتى يقول عنها ماركس ايضا أنها لا وطن لها .

أما ما زعمه حول الدعوة الى تضامن العامل الاسرائيلى والعامل المصرى [وهى جملة وردت فى نص مقال السيد كاتب الرد ولم تنشر بجريدة الاخبار] فلعله لا يدرى أيضا ما قاله لينين عن أنه « ليس هناك شعب حر يضطهد شعبا آخر » والمعنى رغم وضوحه يستدعى بعض التفاصيل . ان استعمار واحتلال دوله لاخرى يجب أن يلقى مقاومة من شعب وعمال الدولة الاستعمارية نفسها . فاذا حدث غير هذا نتيجة تضليل الطبقات الحاكمة لشعوبها فهذا يعنى أن شعوبها غير حرة . هذا هو المبدأ العام . وبالنسبة لمسألة اسرائيل بالذات فلنا فيها رأى محدد . وهى أنها ظاهرة استعمارية مصطنعة ومفروضة بالقوة على أرض الشعب الفلسطينى بجميع أديانه ومعتقداته .

ومن هنا فحتى مسألة التضامن المزعوم بين العمل العربى والعامل الاسرائيلى غير مطروحة بسبب شذوذ الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية الاسرائيلية .

ثم ينتقل السيد كاتب الرد الى أحاديث « الصالونات » الاثيرة لدى الرجعيين المصريين عن « الاشتراكية » السويدية و « الاشتراكية » الانجليزية و « الاشتراكية المسيحية » فى أوربا .. أما الاشتراكية الماركسية فى رأيه فهى ليست اشتراكية .. لماذا ؟ لانها **من بين ما تدعو اليه « حتمية الصراع الطبقى » « والملكية العامة لوسائل الانتاج** ! ! وليته يعرف مرة أخرى أن حتمية الصراع الطبقى ليست اكتشافا ماركسيا وان الصراع الطبقى والسيطرة العامة على وسائل الانتاج يعترف بهما الميثاق رغم أن الاشتراكية التى يهدف اليها ليست ماركسية .. **فهذه بديهيات** يعرفها المثقفون وكل من يؤمن بالاشتراكية باختلاف درجاتها . ومن بينهم - بالمناسبة - اشتراكيو السويد وبريطانيا أيضا !

وأخيرا أثار السيد الطبيب قبل أن يختتم رده وفى آخر عباراته مسألة لم تكن نعتقد أن هناك مصريا وطنيا ، أيا كان موقفه من الاشتراكية والراسمالية يلجأ اليها . فمثل هذه الامور الكريهة من أهم بقايا « التراث » الاستعمارى البريطانى فى بلادنا ، وهو « تراث » أو « آثار » يعمل كل الوطنيين الماركسيين وغير الماركسيين على استئصالها . أن التعريض بعقائد الاخرين لا يرتكبه مؤمن بدين أو وطن . لكنه استدرك فى النهاية « واستغفر الله العظيم » .. فلعل الله ان يقبل توبته ..!

ماركسيون .. ولكنهم مسلمون !

فاروق منصور

كتب هذا المقال الاستاذ فاروق منصور ، يناقش فيه الاراء التى وردت فى مقالات الاساتذة أبو وافية وفيليب جلاب والدكتور أحمد بدران .
وفاروق منصور هو رئيس قسم التراث بمؤسسة أخبار اليوم . وله العديد من الدراسات والابحاث فى التراث الاسلامى صدر منها « الله . فضائل القرآن . آداب القرآن . الصلاة على النبى . الاسلام نعم .. الكهانة لا » . وقد نشرت فى عدة مجلات بمصر والكويت والسعودية . وترجم بعضها الى الانجليزية والفرنسية والاردية والفارسية والاندونيسية .

تبدأ القضية من نقطة ادعاء الدفاع عن الدين فما هو الدين ؟ لقد أورد الفلاسفة وعلماء اللغة العديد من التعاريف له فهو فى أقوال الاسلاميين : « وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال ، والفلاح فى المآل » . أو هو بحق كما قال المرحوم د . محمد عبد الله دراز « وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات » .

فالدين الى جانب كونه الايمان بالله ورسله وكتبه ، طريق الحق ، ومنهاج الخير والفضيلة ، وهو دعوة للسلوك الحميد ، والتعايش الكريم مع الاخرين .

وأقوال غير المسلمين كثيرة منها مثلا ما قاله ميشيل مايير : « الدين هو جملة العقائد والوصايا التى يجب أن توجهنا فى سلوكنا مع الله ومع الناس وفى حق أنفسنا » [١] .

ويقول اميل برنوف : « الدين هو العبادة ، والعبادة عمل مزدوج فهى عمل عقلى يعترف به الانسان بقوة سامية وعمل قلبى أو انعطاف محبة يتوجه به الى رحمة تلك القوة [٢] .

أما القرآن فيحدد الدين بأنه الاسلام . يقول تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » [٣] . « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » [٤] . ويقول تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » [٥] .

فاذا كان الاسلام هو الدين فهل يحق للاستاذ فكرى أباظه أن يصدر حكما على فريق من المسلمين

---

[١] Michel Mayer, Instructions Morales et relig ions 1ère leçon.
[٢] Emile Burnouf, Science des Religions, ch. XII.
[٣] سورة آل عمران آية ١٩
[٤] سورة آل عمران آية ٨٥
(٥) سورة المائدة آية ٤

بالكفر لانهم مع ايمانهم بالله يؤمنون بنظرية سياسية او اقتصادية أو يدبرون بعض أمورهم وفق مناهج ونظريات جاءتهم مع الزمن ؟

الاسلام كما جاءت الاحاديث تؤكده ، وكما جاءت الايات القرآنية قبل الاحاديث تدعو اليه يتمثل فى عبادات ومعاملات . وهو دين يعطى لكل ذى حق حقه فلا يترك لفريق من الناس الحق فى الحكم بالكفر على الاخرين او اصدار حكم على العباد فيما بينهم وبين ربهم من علاقة .

لقد قام الاسلام على مبادىء خمسة وأسس على التقوى . وما قام عليه الاسلام معروف لا يجوز لكائن بشرى مهما كان أن ينقص منه ، أو يزيد عليه . نقف أمام الاثر الذى يذكر كيف أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فحدده له فى الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة فقال الرجل لا أزيد عليها ولا أنقص .. فقال رسول الله : « دخل الجنة وأبيه أن صدق » .

وما رواه **ابن عمر** رضى الله عنهما « بنى الاسلام على خمس على أن يوحد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان والحج . فقال رجل لابن عمر : الحج وصيام رمضان ؟ فقال : لا صيام رمضان والحج هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » [٦] .

فيوضح الحديث أن هناك اسسا لابد من التزامها . وهناك تكاليف محدده لا يجوز التزود عليها ، أو التقديم والتأخير فيها .

اجتهد فأخطأ

ويحاول الاستاذ « **أبو وافية** » أن يجتهد ليخدم الوطن والدين كما يظن فيخطىء اذ نسى ، وهو يحاول الدفاع عن عقيدته ان الاسلام لا يعطى لاى انسان أن يحكم على الاخرين بنواياهم . فالنية مكانها القلب والله وحده هو الذى يعلم ما تخفى الصدور . ولو فتحنا الباب ليحكم الناس بعضهم على بعض وفقا لتحليل ما يظن كل منهم انه فى قلوب الاخرين : لفسد كل الناس ، ولهدم الدين كل ما جاء يبنيه من قيم ، وماجاء يدعو اليه من فضائل .

أما الاستاذ « **فليب جلاب** » فقد وقع فى خطأ جسيم عندما ذكر رأيا هو ليس من ابتكاره ولكنه رضى بترديده وهو قوله « أن الدين من الامور الخاصة بين الانسان وربه »

ان الدين يا أخ « فليب » فى مفهومنا كمسلمين غير ذلك واعتقد أن المسيحيين يتفقون مع المسلمين فى فهمهم لان القول المنسوب للمسيح « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » لا يراد به - فى نظرى - الفصل بين الدين والدولة أو بين السلطتين الدينية والدنيوية . ولكن يراد به اعطاء كل ذى حق حقه وأن يوفى الانسان التزامه فى كل حال . ولابد انك ، تذكر كما أتذكر ، أن ماجاء فى انجيل متى يؤيد ذلك . اذ ينسب للمسيح أنه أوصى بأن يصالح الانسان اخاه ويعمل على الفوز بمحبته قبل أن يتقدم للرب قربانه . أى أن الدين لا يمكن أن يكون من الامور الخاصة بين الانسان وربه . ولان الدين نظام حياة وليس مجرد عبادات وتعاليم اخلاقية .

الحق أحق أن يتبع

أما صاحب الرد على الرد [الدكتور بدران فاسلاته متحمسا للدين بلا ضوابط ، وانفعاله بلا سبب ، قاده الى الوقوع فى خطأ كنا نود له الا يقع فيه . وكان بمقدوره أن يخدم دينه اكثر لو التزم بقواعد دينه واساليبه فى النقاش ، بدلا من تكفير الناس . ولا ندرى ما الذى يمنع من وجهة نظر الاسلام أن يكون الانسان ماركسيا ومسلما فى وقت واحد ؟ ثم ما الذى يفيد الاسلام من اصرارنا على أن نعتبر كل الماركسيين ملاحدة ؟

واذا كنا ندعو الى الاسلام او نؤمن به فلماذا نخالفه ؟ لماذا نحاول أن ننتصر للاسلام ولو بالباطل . ولماذا نزج بالاسلام فيما لا يحتاج أن يدخل فيه ؟ هل يخدم الاسلام أن نحارب الناس كل الناس باسمه ؟ هل يتفق مع تعاليم الاسلام أن نقسم المسلمين اقساما نمجد فريقا منهم ونسب فريقا ؟ ثم هل من تعاليم الاسلام أن نبخس الناس اشياءهم ونصف بالسوء كل من خالفنا .

لقد عاشت اقليات كثيرة فى ظل الاسلام ، وعاش تحت حكم المسلمين من لا يؤمن بالاسلام ، بل من

[٦] راجع مختصر صحيح مسلم للمنذرى .

يشرك بالله ؟ فما تعرض لهم بالسوء أحد ، ولا نبخسهم حقهم . بل ان كتب الفقه الاسلامي تمتلىء بالكثير من الاقوال التي تحمي حقوق غير المسلمين فما بالكم بالمسلمين انفسهم !.

الماركسية والالحاد

اننا لا نناقش علاقة الماركسية بالالحاد لاننا لا نناقش النظرية الماركسية فنضطر للوقوف عند المادية التاريخية . بل نناقش — او أدت بنا المناقشة الى الوقوف أمام طرفه في الموضوع هم الماركسيون العرب . وهم اخوة لنا في الدين والوطن ، لهم معتقداتهم السياسية والاقتصادية والفلسفية ولهم سلوكهم وكتاباتهم ، نحكم لهم أو عليهم من خلال ذلك ، وليس من خلال تحليل نواياهم والكشف عما أخفته قلوبهم ».

يقول الاستاذ فليب جلاب — وهو صادق فيما يقول أن الالحاد قد سبق الماركسية . وانه يعرف — كما نعرف — من الماركسيين من يؤمن بالله ويصوم ويصلي . أي أنه يعرف كما نعرفه أن هناك من الماركسيين من يؤمن يشهد بأن لا اله الا الله .

ويقول الاستاذ فليب جلاب أن بعض مفكرينا قد سبق ما نادى به ماركس وانجلز — وهذا حق — ونزيد عليه اننا لو حللنا الماركسية لوجدنا فيها الكثير من الاقوال والتطبيقات التي بنيت على أساس اسلامي ، ويعتبر الاسلام مصدرا للكثير من روافد الماركسية .

ويقول صاحب الرد على الرد **الدكتور بدران** أن الحديث عن **أبي ذر والافغاني من قبيل المهاترات** . ولاندرى لماذا وكيف حكم بذلك . ثم ينكر على الانسان ان يكون ماركسيا ومؤمنا بالدين فما الذى يمنع ؟ **وهل المانع من وجهة نظره أم وجهة نظر الاسلام ؟**

لا نعتقد أن هناك ما يمنع الانسان من الجمع بين المناهج الماركسية والايمان بالدين لان ذلك موجود فعلا . أما اذا كان للمعترض على ذلك وجهة نظر فانها غير ملزمة الا لصاحبها . فالاسلام نفسه لا يمنع الانسان من اختيار الماركسية كمنهج سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو فلسفة . بل يمنع الانسان أن يشرك بالله أو ينكر البعث أو يكذب برسالات الانبياء .

تكفير المسلم اثم كبير

ان الاسلام يمنع المسلم من أن يكفر مسلما ، ويجعل سمعة المسلم وعرضه وشرفه حراما على الاخرين فلا يتناوله بالسوء والا أثموا . يقول صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرىء قال لاخيه كافر فقد باء بها أحدهما »

وقال محمد « لا ينبغي لاحد من أهل الاسلام أن يشهد على رجل من أهل الاسلام بذنب اذنبه بكفر وان عظم جرمه ، وهو قول ابي حنيفة والعامة من فقهائها » [٧]

وعندما يهم مسلم بانتقاص أخيه مقللا من شأنه لانه متبع للمناهج الماركسية ، يكون بهذا مخالفا لما أمر به الاسلام . لانه يأتى غيبة ويرتكب بهتانا لما أورده **الامام مالك** في الموطأ « أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع ، قال يارسول الله وأن كان حقا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا قلت باطلا فذلك البهتان » [٨]

وينهى الاسلام إتباعه عن محاولة تحقيق المغانم عن طريق الدس للمسلمين . أو أن ينافق المسلم ويضحي بأخيه من أجل منفعة خاصة أو أن يشوه سمعة مسلم لكي يحقق مكسبا رخيصا . لقد أورد الحاكم في صحيحه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل بمسلم اكلة أطعمه الله بها اكلة من نار جهنم يوم القيامة ، ومن قام بمسلم مقام سمعة اقامه الله يوم القيامة مقام رياء وسمعة ، ومن اكتسى بمسلم ثوبا كساه الله ثوبا من نار جهنم يوم القيامة » .

وقد علق **الامام ابن القيم** على هذا الحديث فاعتبر أن قيام المسلم بمثل هذا العمل من الكبائر [٩] ولم يقل احد بتكفير المسلم الا الخوارج يقول أن الالحاد قد سبق الماركسية . وانه يعرف — يرون أنه كافر نعمة لا كافر ايمان [١٠] ويقول الامام ابو حنيفة : « لا نكفر احدا بذنب ، المذنبون كلهم مسلمون » .

[٧] موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني . باب الخصومة في الدين .
[٨] موطأ مالك — باب الغيبة والبهتان .
[٩] انظر اعلام الموقعين للامام ابن القيم ج ٤ عود الى الكبائر .
[١٠] انظر الاستاذ المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة — مالك ص ١٨٥ .

ويتقدم القرآن على كل قول ، عندما تأتى آيات الله البينات لتحرم علينا الطعن فى ايمان من حيانا بتحية الاسلام ، وقدم لنا الامان . يقول تعالى « **ولا تقولوا لمن اليكم السلام لست مؤمنا** » [١١] .

الشـــهادة والاســـلام

اذا كان الايمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل أو النطق باللسان واستشعار القلب ومتابعة ذلك بالعمل ، فان الاسلام يتحدد بأن يقر الانسان بوجود اله متفرد بالعبادة مستحق الحمد لذاته . فمن شهد بأن لا اله الا الله فلا سلطان لاحد عليه . ولا يكون بمقدور أى مسلم ان يشكك فى اسلامه . لقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقـــولو لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » .

ويذهب **المقداد بن الاسود** يوما ليسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر رجل من الكفار لقيه فى الحرب وضرب أحد يديه بالسيف وقطعها ثم هرب منه خلفه ولما وجده قال : أسلمت لله هل يحق له ان يقتله بعد نطقه بذلك ؟ فقال له لا تقتله فقال يارسول الله انه قطع يدى ثم قال ذلك بعد ان قطعها أفاقتله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل ان تقتله وانك بمنزلته قبل ان يقول كلمته التى قال .

لـــم قتلتـــه ؟

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر **اسامة بن زيد** على ما فعله عندما قتل واحدا من الكفار كان يحاربه فنطق بالشهادة قبل أن يقتله . ويسأله الرسول معاتبا ومنكرا عليه عمله ويلومه لوما شديدا : لم قتلته ؟ فيجيب اسامة بأن الرجل قتل بعض المسلمين فى المعركة ولم ينطق بالشهادة الا خوفا من السيف . فيقول له الرسول اقتلته ؟ يقول نعم ، فيقول : فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة اى مظهرا بشاعة الجرم

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » وقال : « اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » .

وقال : « من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » .

وقال **سفيان الثقفى** : قلت يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه احدا بعدك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم » .

من هنا ندرك أنه لا يحق لمسلم أن يحكم على مسلم بالكفر . وأن الاســـلام لا يعرف صكوك الغفران فمن خالف ذلك فليس من حقه ان ينسب قوله الى الاسلام او يحاول ايهام الاخرين بأنه وحده المدافع عن الاسلام .

ان من يتصدى للدفاع عن الاسلام أو يحاول حتى التعريف به ، يجب عليه ان يعرف أولا ما هو الاسلام . كما يجب عليه أن يلتزم المنـــاهج الاسلامية . اما أن يجعل الاسلام سيفا مسلطا على رقاب الاخرين فهذا ما لا يرضى الاسلام ولا يفيده فى شىء . وعلى من يريد الكلام فى أى شأن من شئون الاسلام ان يكون صادقا مع نفسه ، صادقا مع الاخرين ، متبعا ما آمر الله به ، حتى لا يكون ممن قال الله عنهم منددا بعملهم « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » [١٢]

أتهـــام بـــلا دليـــل

ولقد حدد الكرام الكاتبون اتهامهم للماركسيين بأنهم غير مسلمين ولم نعرف ما هى حيثيات هذا الادعاء ؟ وماهى المصلحة فى تكفير بعض المسلمين .

ان المصلحة المرسلة كما حددها الفقهاء المسلمون تنقسم الى ثلاثة اقسام : مصـــالح معتبرة ، اى قام الدليل الشرعى على اعتبارها ، ومصـــالح تحســـينية أى ان نأخذ بمحـــاسن العادات واستهداف الكمال الاخلاقى ، ومصالح حاجية أى يحتاج اليها الناس فى رفع الحرج عنهم . والمحافظة على الدين – اذا لم يكن مخلوها للكرام الكاتبين – من المصالح المعتبرة لان الدليل الشرعى دل على اعتبارها . اذ أوجب الله على المكلفين القادرين محاربة الاعداء محافظة منه على دينه الحنيف ولتكون كلمة الله هى العليا [١٣] .

---

(١١) سورة النساء آية ٩٤

[١٢] سورة البقرة آية ٤٤

[١٣] الأستاذ الشيخ محمد زكريا البرديسى – أصول الفقه – الطبعة الرابعة ص ٢٣١ وما بعدها .

فهل يمكن أن يكون هناك ثمة مصلحة في ايذاء بعض المسلمين بالقول والفعل واتهامهم بعدم الايمان ومحاولة تكفيرهم ؟ لا يستطيع احد أن يقول ذلك والاحكام لا تصدر على الناس اعتباطا ولكن وفق ما حدده الفقهاء واشترطوه في الاجتهاد بأنواعه الثلاثة البياني والقياسي والاستصلاحي [١٤].

حكم بلا حيثيات

هل رجع الكرام الكاتبون الى الفقه الاسلامي وهم يستنبطون حكمهم ؟

لا أعتقد لانهم لو بحثوا في الادلة الشرعية لادركوا انها « قسمان ، نصوص وغير نصوص » والادلة التى لا تعتبر نصوصا كالقياس والاستحسان هي ذاتها مستنبطة من النصوص ومشتقة منها ومعتمدة عليها ، ولابد من أن يعرف الفقيه طرق الاستنباط من النصوص [١٥] .

لقد القوا الحكم دون حيثيات ، وجاءوا به بلا سند . وقاموا بتجريم اناس وهم أبرياء ، وبدلا من تحري الدقة غالوا في الاتهام وتحاملوا على الاخرين . لقد كان بمقدورهم أن يدركوا عن طريق البحث أنهم في أحسن الحالات عندما يتشككون في اسلام الماركسي يكون الامر مشكوكا فيه ونكون أمام شبهة ، والشبهة مسقطة للحدود كما نعرف سواء في القانون الوضعي أو في الشريعة الاسلامية . لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود بالشبهات فان كان له مخرج فخلوا سبيله ، فان الامام ان اخطأ في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة » .

وأوردت كتب الفقه الشبهات المسقطة للحدود أو التي تؤثر في لزوم العقوبات في أربعة اقسام أصيلة أولها ما يتعلق بركن الجريمة ، والثاني يتعلق بالجهل النافي للقصد الجنائي في الارتكاب ، والثالث يتعلق بالاثبات ، والرابع يتعلق بتطبيق النصوص على الجزئيات [١٦] .

الحكمة والموعظة الحسنة

وعندما نسلم بأن في هذه الدعوة الجديدة محاولة للدفاع عن الاسلام بالدعوة الى تفتيش قلوب الناس وعقولهم للحكم عليهم .. وعندما يكون ما هدف اليه أصحابها هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يكون الامر قد دخل فيما عرفه الفقه الاسلامي من أعمال الحسبة ووضعه ضمن واجبات المحتسب . وحتى ذلك لا يخول لفريق من المسلمين أن يحكم على الاخرين بالاثم ويوصمهم بالخروج من الاسلام ، فالحسبة « أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله [١٧] وواجبات المحتسب « أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل الى انكارها ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ليأمر باقامته » [١٨] .

اذا كان الأمر يستهدف الدعوة الى الاسلام فليس بالعصبية تكون الدعوة ولا بالاحقاد . لان التمسك بالدين لا يتفق وكراهية الاخرين ، يقول **ابن خلدون** : الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى في أهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق ، فاذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم » [١٩] .

أما اذا كانت محاولة لوضع شريعة جديدة فهذا لا يملكه في الاسلام الا الله وحده » [٢٠] وليس اجتهادا لان الاجتهاد هو بذل الجهد في الوصول الى حكم شرعي من دليل من الادلة الشرعية » [٢١]

اذا كنا جادين في خدمة الاسلام ، او جادين في معرفته فالحلال بين والحرام بين . واذا كنا نبقى حياة اسلامية فانها لا تتحقق بالاخذ بالجزئيات واهمال الكليات . او الايمان بأمور وترك امور من ديننا ، ولكن لابد من التكامل . واذا كنا جادين في معرفة الاسلام فان الماركسية لا تمنعنا من هذه الجدية ولا تقف حائلا بيننا وبينه .

---

[١٤] راجع في كتب « أصول الفقه » للمرحوم عبد الوهاب خلاف والشيخ محمدأبو زهرة ومحمد عبد الباقي سرور . وراجعه في « المدخل الى اصول الفقه » للدكتورمعروف الدواليبى الابواب : الثانيوالثالثوالرابع ص ٣٩٢ وما بعدها .

[١٥] المرحوم الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة — أصول الفقه ص ١١٠

[١٦] المرحوم الشيخ محمد أبو زهرةالعقوبة ص ٢٢٣

[١٧] ، [١٨] أنظر الاحكام السلطانية لابى يعلى الفراء . فصل أحكام الحسبة ص ٢٨٤ وانظر ايضا الاحكام السلطانية للماوردى ورسالةالحسبة للامام ابن تيمية .

[١٩] مقدمة ابن خلدون — فصل « الدعوة الدينية تزيد الدولة فىاصلها »

[٢٠ ، ٢١] المرحوم عبد الوهابخلاف — كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع . طبعة أولي ص ١٧٩.

٣

مقــالات من بــريد « الطليعــة »

فى بريد « الطليعة » هذا الشهر رسائل عديدة ومقالات تحاول أن تشترك بقدر جهدها فى الحــوار الدائر الان ، وتحاول أن تؤكد أن ثمة أصواتا تعبر عن ارادة حقيقية لقوى واسعة تحاول ان تجد لنفسها صدى فوق منابر الحوار ..

ومن هذه الرسائل العديدة تنتقى « **الطليعــة** » ثلاثة موضوعات الاول منها رسالة من المواطن **متولى حسين الجندى** من السبع آبار الشرقية عزبة أبو عامر مركز الاسماعيلية موجهة الى رئيس الوزراء .. وقد أرفق المواطن **متولى** رسالته هذه بخطاب للطليعة يقول فيه « هذا رأى مواطن بسيط لا يحمل رخصا علمية ولا مال يضفى عليه بريقا ، ولا يسعى لهذا ولا لذاك » .

والموضوع الثانى تساؤل « هل التحالف قائم .. حتى نحكم له أو عليه » وكاتبه **جمعه عبده قاسم** معروف لقراء الطليعة عندما كتب لهم الكثير على صفحاتها خلال معارك اكتوبر التى شارك فيها جنديا فى معارك سيناء .

أما الموضوع الثالث « أحزاب .. ولكن » فهو **لمدحت مصطفى** المعيد بقسم الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة وهو يحاول فيه أن يشرح وجهة نظر متكاملة حول موضوع الاحزاب

وفى نهاية الامر فان الموضوعات الثلاثة ليست سوى مجرد نماذج من كثير من الكتابات والرسائل تعتذر « الطليعة » عن قدرتها لاسباب فنية عن نشرها جميعا .

● رسالة مفتوحة الى السيد رئيس الوزراء

السيد الدكتور عبد العزيز حجــازى رئيس الوزراء .

بعد التحية .

ان حرية الراى مكفولة لكل مواطن . وهى حق مقدس فى جميع الاديان والقوانين .. ومن هذا المنطلق أكتب لسيادتكم رسالتى هذه .. للاسباب الاتية :

اولا : لقــد عهدناك من خيرة الذين عملوا لخدمة الامة بأمانة وشرف . ومازلت تعمل بنفس القدر وأكثر ..

ثانيا : ان هذه المرحلة التى تمر بها تعد من أحرج المراحل فى تاريخ الامم مهما كان نظامها .. أو عقيدتها ..

ثالثا : هناك ظاهرة غريبة نمت الان وهى من أخطر الامراض التى تصيب أى مجتمع من المجتمعات •• وهى ظاهرة السلبية والتسيب وعدم المبالاة •• بكل أمر • وكل شىء •• ونمت الخفافيش فى ظلام الارهاب •• تحاول قطع كل خيوط النور ••

أغلب الشركات تخسر ، لا لانها تخسر فعلا ••ولكن هناك خطة لتخريب القطاع العام ، هناك الرجعية بكل قوتها فى كل مكان •• رجعيـة الفكر •• والفقر •• والاستغلال •• والذكاء •

الفكر : مازال هنـاك بعض الذين يحاولون أن يستعبدوا عقـول الجمـاهير بطقـوس مـن الضوضاء •• والصراخ فى هـذا الموضوع أوذاك وفق ما يتناسب مع هواهم لا مع الحقيقة •• مستغلين الامية الابجدية •• والفكرية على حد سواء ••

الفقر : إن الجوع هو العدو الاول للعقل •• لان الجوعان لا يستطيع أن يحلم بغير الطعام •• والفقر هو السوط الذى يلهب النفوس •

الاستغلال : بعد الفقر يأتى الاستغلال لان الانسان عبد الحاجة •• ولهذا يحرص كل مستغل أن يظل المستغلون فقراء •• العقل •• والبطون معا •• ولقد حاولت الثورة ملء البطون •• ولكنها لم تحاول ملء العقول •• لانها جاءت بالبطون أولا •• وكان يجب ان تضع العقول أولا •• ولكنها فعلت ما فيه الكفاية وفقا للظروف والاحداث ••

الذكاء : كل اللصوص أذكياء •• أو على الاقل كبار اللصوص هذا ما يقوله العلم •• ولهذا فلهم أكثر من طريق • وأكثر من لغة • وأكثر من لون •• ومن أجل هذا وقفت مذهولا اليوم أمام حديث سيادتك لاعضاء مجلس الشعب • نواب الامة •• أمام عدة أسئلة • منها ••

سؤال عن الصرف والرى للفلاحين •• من العضو **عطية الفيومى** عن مصدر رى لـ ٨٠٠ فدان ومطلوب مبلغ ٢٠٠٠ جنيه ••

قلت سيادتك على الاهالى حل المشكلة بالجهود الذاتية • أو تقوم الدولة بالحل على حساب الفلاحين •• وهنا لى سؤال :

كيف سيكون هذا ؟؟ هل ستتكون شركات تقوم على تشغيل الانسان والعمل علـى راحـة الكراكات •• والرافعات ••

وهل ستحصل ضريبة على هذه الارض •• أم لا •• ؟؟

وماذا سيكون مصير الملكية الصغيرة من قيراط حتى فدان وهى ٢٫٨ مليون بنسبة ٨٠ فى المائة من مجموع الملاك فى مصر ••

واذا كان الفلاحين لا يملكون الالات التى لدى وزارة الرى •• فكيف يقومون بعملها •• ولماذا تبقى هذه الوزارة •• بعد ذلك ••

هل يعنى هذا أن القادر والغنى يحييان ، والفقير يتلاشى ليترك له مكانا من الارض أرحب من مكانه الذى هو فيه ••

وهل سنسمع غدا أن على العمال أن يحلوا مشاكل الاسكان بالجهود الذاتية ••؟؟ •• ألسنا نعيش فى ظل اقتصاد اشتراكى موجه مـن الدولة •• ولا يعنى هذا بأى حال من الاحوال هذا المفهوم •• الذى هو غير واضح على الاطلاق ••أن هنـاك عشرات بل ملايين الجنيهات التى تذهب نارا على موائد الشيطان •• هناك مشاريع نقوم بانشائها ثم نعدل عنها بعد أن ننفق آلاف الجنيهات بل عشرات الالاف •• ولا حساب لاحد •• لان اللصوص أذكياء •• !!

هناك الحرائق .. التى أصبح لها موسمين .. ولكننا لم نسمع عن واحد حكم عليه بالاعدام أو السجن اللهم الا خبر الحريق ،وتشكيل لجنة فحص وبعدها يلتهم الماس السكين .. والقدر البرىء ..

ومع هذا نستمر فى صرف بدل تمثيل ..وبدل .. وبدل .. وكثيرون يمتصون دم الفلاح بغير رحمة .. من الدرس الخصوصى حتى العيادة الخارجية .. حتى مشرف الجمعية .. حتى .. حتى .. وبعد هذا تقول له أحفر الترع والمصارف وازرع واعرق ومت جوعا لكى يعيش السادة فى مكاتب مكيفة الهواء .. ويركبون عربات مستوردة .. ويتكلمون عنك وبك .. كيف هذا والى متى .. ؟؟ وماذا يعنى هذا .. ؟؟

وسؤال آخر من العضو عبد الحليم الجندى : بنى سويف .. وهو يطلب انشاء فرع لمصنع سيماف بالمدينة . وجاء فى رد سيادتك أن المصنع متعطل .. ولا يجب انشاء فرع له ..

وسؤالى : هو لماذا تعطل مصنع سيماف .. ؟؟

لقد سمعنا فى الجرائد أن هيئة السكة الحديد لاتقوم بشراء انتاج المصنع من عربات السكة الحديد .. وتفضل عليها الاستيراد من الخارج رغم أن المصنع منشأ لهذا الغرض .

لماذا ؟؟ هل لان المستورد أفضل من انتاج المصنع .. أم ماذا ؟ أنا كمواطن عادى : أقول ان السبب هو أن فى الخارج بدل سفر .. وبدل انتقال .. وعمولة .. وفسحة .. والاوراق كلها سليمة ..

وفى الحديث عن هيئة النقل العام .. قلت سيادتك أن الدولة تدفع للهيئة عشرة ملايين من الجنيهات كل عام أى عشرة آلاف جنيه عن الاتوبيس الواحد ..

كيف هذا .. ؟؟ أنا كرجل عادى لا أعرف كيف تدفع الدولة هذا المبلغ .. ولا لماذا تدفعه .. ؟ ولماذا لا تشترى به عربات جديدة كل عام .. ؟؟

هل لان الهيئة تخسر هذا المبلغ .. وكيف تخسر هذا المبلغ .. ؟؟ هل مصاريف لجان المشتريات . وهى بالعشرات .. وانتقال السادة المديرين الى المصايف .. وبذلهم العرق فى السفر للخارج للبحث عن العربات ، هو الذى يجعل البيئة تخسر هذا المبلغ .. ؟؟

سيدى : متى يكون كل الناس عند مستوى المسئولية .. ؟

متى يكون القانون نورا لكل صاحب حق .. ونارا على كل مستغل مهما كان مركزه .. ؟؟ متى نتخلص من جنون العظمة عند بعض المسئولين .. ويعرفوا أن الفلاح والعامل هو الذى يدفع لهم مرتبهم . وهو الذى يدفع ثمن العربة . والطيارة والمدفع .. ؟؟ متى نعمل .. ونعمل بضمير .. ونكف عن الكلام والطبل فى مولد الجوع ..

من هذا المفهوم كتبت رسالتى هذه . راجيا بهاوجه الله والحق .. متحملا فى سبيله ما تحمله من سالت دماؤهم على رمال سيناء ... من اجيل بقائه .. وهذه أمانة فى عنق كل مصرى .. وكفى صمتا ، فلسنا أمواتا !!

متولى حسين الجندى
السبع آبار الشرقية .. عزبة
ابوعامر — مركز الاسماعيلية

● السـؤال هـل التحـالف قـائم حتى نحـكم له أو عليـه

طرح الرئيس أنور السادات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي للمناقشة الشعبية حول ايجاد الحلول لمشاكل التنظيم السياسي في مصر ٠٠ وبالتالي مشاكل الممارسة الديمقراطية للشعب بعد انتصارات أكتوبر العظيم ٠

ونريد مبدئيا أن نلفت النظر الى ان المناقشة التى تتم اليوم لورقة التطوير « **مناقشة مغلوطة** » . ذلك أن الورقة طرحت القضية للمناقشة داخل اطارات محددة وواضحة ٠٠ ذلك ان ورقة التطوير حددت ما يلي :

اولا : ان الشعب قد ارتضى نظام التحالف اطارا لحياته السياسية ٠٠ واننا في معركة البناء والتقدم لاحوج ما نكون لهذا التجمع ٠٠ ومن ثم فانه يرفض اى دعوى الى تفتيت وحدته الوطنية بشكل مصطنع عن طريق تكوين الاحزاب .

ثانيا : ان السند الحقيقي لاستمرار الثورة في مرحلة البناء والتقدم هو التمسك بفكرة التحالف على اساس انه صورة مثلى لوحدة القوى الوطنية في هذه الظروف المحددة لنضال الشعب المصرى ٠

ثالثا : ان حتمية الطريق الاشتراكي لحل قضية التنمية في مجتمعنا ، يستلزم بالضرورة أن يسيطر الشعب على وسائل الانتاج ٠٠ وبالتالي تصبح سيطرة قوى الشعب العاملة على الحياة السياسية ضرورة لاستمرار الطريق الاشتراكي ٠

رابعا : ان الفلاحين والعمال هم الاغلبية الكبرى من ابناء هذا الشعب ٠ وهم الذين طال حرمانهم قبل الثورة ٠ وهم أصحاب مصلحة اكيدة في تقدمها ٠ وان مبدأ ضرورة ان يكون لممثلى الفلاحين والعمال ٥٠ في المائة على الاقل في كل مستويات الاتحاد الاشتراكي ٠ تطبيق صادق للديمقراطية ٠ لان الفلاحين والعمال يمثلون عدديا النسبة الكبرى من السكان ٠ وهو ضرورة اجتماعية يمليها الحرص على الوحدة الوطنية وحماية البلاد من صراع طبقي دموى عنيف .

هذه هي الاطارات العامة التى حددتها ورقة التطوير لتتم المناقشة من خلالها ٠ **الا اننا فوجئنا ان المناقشة خرجت « بقدرة قادر » عن هذه الاطارات لتطرح للمناقشة صيغة التحالف ذاتها ومدى جدوى الاستمرار بها** ، بل مدى جدوى الاستمرار بنهج الخط الاشتراكي كأسلوب للتنمية ٠٠ وذلك يعني وببساطة شديدة طرح كل مواثيقنا الثورية والدستورية للمناقشة بدءا من الميثاق ومرورا ببيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطني حتى ورقة أكتوبر ٠

واذا كانت المشكلة في الاساس هي أسلوب ممارسة الديمقراطية للفئات الواسعة من الشعب فاننا لابد أن نخرج عن ذلك التعريف الاكاديمي الفضفاض لها باعتبارها حكم الشعب بالشعب الى التركيز على المضمون الاجتماعي العظيم لها ٠ وهو ان تعطى الجماهير حق تغيير ماتريد ان تغيره وبنفسها . وهذا بالتالي يطرح سؤالا آخر : ماهو المطلوب تغييره ؟ ولصالح من ؟ وبمن ؟

واذا كانت ورقة أكتوبر قد عبرت عن مهام المرحلة المقبلة وحددت الهدف الاستراتيجي لها وهو بناء الدولة العصرية ٠٠ فان هذا الهدف بالحتم لايتم لصالح طبقة .. **وعليه فان القوى صاحبة المصلحة في هذا التغيير هي التى يجب ان يكون لها الدور الاول في احداثه والاستمرار به ٠٠ واصحاب المصلحة دون شك هم الفلاحون والعمال باعتبارهم يمثلون السواد الاعظم من الشعب والذى يجب ان يتجه اى تغيير لصالحهم ٠٠ فضلا عن انه يستحيل ان يتم بدونهم ٠٠**

وهذا ما يعطى صيغة التحالف ٠٠ باعتبارها تجربة مصرية خالصة ورائدة معناها الحقيقي .

ولكن يبقى السؤال .. هل طوال فترات التجربة حدث تحالف بالفعل ؟ هل فشل الفلاحون والعمال في قيادة العمل السياسي بعد ان اعطوا الفرصة له ؟ الاجابة الامينة تقول ٠ اننا اذا حكمنا على التحالف بالفشل ٠ فاننا بذلك نحكم على شيء لم يوجد بعد ٠٠ لان تطبيق صيغة التحالف لم يتم مطلقا ٠

وعندما وضعت ثورة يوليو العظيمة ذلك الاساس لم تكن تطمع فى ان يتم تطبيقه وتتم المشاركة غداة اقرارها ، لكنها كانت تعى جيداً أن هناك قوى لم يكن من صالحها هذا التغيير وأنها ستتجمع لتعمل على ضربه وتفريغه من أى مضمون ولقد كان هذا ما حدث بالفعل .. تسلق الى الاتحاد الاشتراكى بعض القوى باسم الفلاحين والعمال .. لم تكن تمس لهم بصلة فقط بل وبعضها كان معاديا لها ومعاديا للمكاسب الثورية التى حصلوا عليها .. وجاءت هزيمة ١٩٦٧ لتعطى لهؤلاء الفرصة لمزيد من السيطرة والتسلط • حتى جاءت حركة التصحيح لتعيد التوازن مرة أخرى .. الا ان سيطرة هذه القوى ظل قائما ـ وان كان متواريا ـ حتى افقد الجماهير ثقتها فى تنظيمها السياسى •

وبعد أكتوبر العظيم • وبعد ان دخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل نضالها حاولت تلك القوى بما تملكه وما تسيطر عليه من امكانيات اقتصادية واعلامية . ان تستغل بطء نمو الوعى لدى الفلاحين والعمال • وتعمل على ان يفقدوا الثقة ليس فى تنظيمهم السياسى فحسب ، بل وفى أنفسهم •

لا أريد ان استرسل فى ذلك الرد لانه معروف • لكن المطلوب اليوم وبالتحديد ان نحافظ على صيغة التحالف ونستمر بها شرط ان يعطى العمال والفلاحون حقهم العادل والشرعى عطاء حقيقيا . وهذا لن يتاتى الا بما يلى :

- تعريف دقيق للفلاح والعامل • يوقف الرشح الدائم بين الفئات وهذا التعريف ليس معضلة اذا كنا مخلصين بالفعل فيما نريد أن نفعله .
- توفير المناخ الديمقراطى السليم والكامل الذى يعمل فيه هؤلاء دون وصاية أو مصادرة •
- تحديد دور محدد للتنظيم السياسى فى المرحلة المقبلة يحاسب عليه وتحديد علاقته بالسلطة تحديدا يغرى على الانضمام اليه ، ويمكن قياس ايجابياته وسلبياته •

بعد ذلك يمكن ان نحكم له أو عليه •

وتبقى كلمة لكل من يريدون ان يحولوا انتصارات اكتوبر لصالح فئة . ان الذى صنع اكتوبر واعطاه معناه هم الفلاحون وهم العمال بقطاعهم العام وهم وحدهم الذين يجب ان يعود عليهم نتائجه •

ياسادتى .. ياسادتى .. دماء شهدائنا فى سيناء لم تجف بعد .

جمعة عبده قاسم
ماجستير فى الاقتصاد
شارك كمقاتل فى معارك اكتوبر

أحـــزاب .. ولـــكن !!

طرحت ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى العربى العديد من التساؤلات حول قضية الديمقراطية فى مصر • ومع ان الورقة لمست العديد من أوجه القصور فى التنظيم السياسى الوحيد للدولة ، بداية من العضوية الاجبارية الى كبت الاراء المعارضة ومصادرة الحريات حتى داخل التنظيم نفسه ، الا أنها لم تحاول أن تناقش جوهر الصيغة الاساسية للتنظيم الا وهى صيغة تحالف قوى الشعب العامل داخل تنظيم سياسى واحد •

فالاتحاد الاشتراكى ليس حزبا ، ولو كان حزبا لما كانت هناك مشكلة • وذلك لان الحزب انما يمثل جماهير طبقة أو فئة معينة من فئات الشعب تؤمن بمجموعة من المبادىء والافكار تعبر عن الخط الايديولوجى لتلك الجماهير • وهو بالتالى سيكون الحزب الحاكم والمسيطر لانه الحزب الوحيد فى المجتمع كما أن الاتحاد الاشتراكى العربى ليس تحالفا بين مجموعات من الجماهير يضمها عدد من الاحزاب يمثل كل منها فكر ومبادىء طبقة أو فئة معينة من فئات الشعب • بل هو تنظيم يضم كافة أفراد المجتمع بصفتهم الفردية وليس بصفتهم الانتمائية الطبقية ، وذلك لان تقسيم المجتمع الى ما أصطلح عليه قوى الشعب العامل ، لا يمكن اعتباره تقسيما طبقيا بأى حال من الاحوال ، وهو بذلك انما يتجاهل بديهية وجود الطبقات فى المجتمع المصرى وبالتالى يتجاهل حتمية الصراع بين هذه الطبقات ، أى أنه يحاول تأميم ذلك الصراع مخالفا بذلك احد القوانين الطبيعية •

وبما أن طبيعة المرحلة التى يمر بها المجتمع المصرى لاتزال حتى الان مرحلة « التحرر الوطنى »

فان المطلب الرئيسى لهذه المرحلة انما يكمن فى المزيد من الديمقراطية والمزيد من الحرية لجماهير الشعب ، عن طريق السماح لها بتنظيم قواها فى أحزاب سياسية على أن يشكل تحالف جبهوى بعد ذلك بين هذه الاحزاب حيث أنه لا جدال فى أن طبيعة المرحلة تقتضى مثل هذا التحالف .

واننا لنعجب من الطرح المقدم من البعض فى مصر الان مطالبا السلطة بانشاء حزبين أحدهما حاكم والاخر معارض . بينما يطالب البعض الاخر بانشاء أحزاب ثلاثة . ويتناسى هؤلاء جميعا أنه من الاسباب الرئيسية لانعدام فعالية الاتحاد الاشتراكى العربى انه كان تنظيما تابعا للسلطة ، فالسلطة تصدر قرارا بتشكيله ، والسلطة تصدر قرارا باعادة تشكيله والسلطة تصدر قرارا بتطويره . وهكذا ، فاذا ما أصدرت السلطة ايضا قرارا بأنشاء حزبين او ثلاثة، وقرارا آخر بتشكيل أمانات مؤقتة لهذه الاحزاب فانه من المؤكد الحكم عليهم مسبقا بالفشل . وذلك لان هذه التنظيمات ستكون من صنع السلطة ، وبالتالى فانها تصبح تنظيمات تابعة ، وليست تنظيمات مستقلة، وحتى اذا كانت هناك بعد ذلك اختلافات فى الاراء بين هذه التنظيمات ، اى ما اصطلح على تسميته بالمعارضة فانها ستكون مجرد تمثيلية وخداع للجماهير وتزوير للديمقراطية الحقة .

من ذلك نصل الى أنه لابد من السماح لكافة طبقات وفئات المجتمع بأن تقوم بتنظيم نفسها فى أحزاب مستقلة مع عدم مصادرة حق اى طبقة أو فئة من فئات المجتمع فى تشكيل حزب سياسى لها حتى وإن كانت هذه الطبقة أو الفئة تشكل أقلية فى المجتمع ، وذلك لانه اذا لم يسمح لهذه الاقليات بتشكيل أحزاب لها فاننا بذلك نعطيها تصريحا منطقيا بأن تمارس نشاطها فى الخفاء وتشكل تنظيمات سرية لها .

ناتى بعد ذلك لنقطة « التحالف الجبهوى » حيث انه كما ذكرنا يعد ضرورة فى هذه المرحلة التى يمر بها مجتمعنا المصرى . وحيث من المفروض أنه ستكون فى الساحة المصرية تنظيمات حزبية عديدة لكل منها افكارها وآراؤها المستقلة فانه لابد من اجراء لقاءات فكرية حوارية بين هذه التنظيمات تطرح خلالها المبادىء الاساسية التى تشكل ركيزة « التحالف الجبهوى » والذى سيمثل القيادة الفعلية لجماهير الشعب المصرى . وبالتالى يدخل هذا التحالف كافة الاحزاب التى ستوافق على تلك المبادىء الاساسية ، اما اذا كانت هناك احزاب أخرى لم توافق على هذه المبادىء وبالتالى لن تشترك فى التحالف المذكور فانه يجب أن تعطى الحق فى ممارسة نشاطها الحزبى ، وذلك لانه قد تنضم هذه الاحزاب بعد ذلك للتحالف أو قد تنفض عنها جماهيرها بعد أن تجد نفسها فى عزلة عن المجتمع ، أو قد تتمكن تلك التنظيمات من اقامة جبهة أخرى معارضة .

اما بالنسبة للمبادىء الاساسية التى ستقرها جبهة التحالف فاننا نعتقد أنها لن تنحرف كثيرا عن المبادىء الاربعة التالية والتى تأخذ نفس درجة الاهمية وهى :

(١) الالتزام بتسخير الطاقات لتحرير كافة الاراضى المصرية والعربية المحتلة .

(٢) الالتزام بالتأييد المطلق لكافة فصائل الثورة الفلسطينية الى أن يتم ايجاد الحل العادل للقضية الفلسطينية .

[٣] الالتزام بالتأكيد على مبدأ سيادة القانون واطلاق الحريات .

(٤) الالتزام باتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق المبادىء الاشتراكية .

وعن كيفية التطبيق واجراء التحول نحو ذلك النظام الديمقراطى الحر فانه من الثابت أن الاتحاد الاشتراكى العربى موجود كهيكل تنظيمى غير فعال فى المجتمع وبالتالى فانه من السهل اصدار قرار بحل الاتحاد الاشتراكى العربى ثم تقرير فترة انتقال ولتكن لمدة عام تدعى خلالها كافة طبقات وفئات المجتمع الى تنظيم نفسها واعداد كوادرها حتى تتقدم بعد ذلك للتصريح لها بممارسة نشاطها الحزبى الرسمى .

وأخيرا فانى أعتقد أن تلك هى الصورة للديمقراطية الحقيقية والتى يجب أن نكون عليها اذا ما كانت هناك رغبة حقيقية لتدعيم الديمقراطية فى مصر .

مدحت مصطفى

معيد بقسم الاقتصاد الزراعى بكلية
الزراعة بشبين الكوم

٤

صحافة مصر في حاجة الى ثورة ثقافية

محمد سيد أحمد

« .. وحرية الصحافة ، واحدة من القضايا الهامة التى دار حولها الحوار فى المجتمع المصرى ، فى هذا المقال يتناول محمد سيد احمد مفهوم حرية الصحافة ووظيفتها والصيغ التطبيقية المطروحة حولها ، لتوفير « صحافة وجهتها المستقبل لا الماضى . صحافة قادرة على ارتياد العصر بمتغيراته وبلغته » .

قضية حرية الصحافة .. لم تستقر بعد على بر .

مازالت تثير زوابع . لم يتحدد لها بعد « تعريف » .. أو « مفهوم » يسلم كل من يعنيه الامر بانه مقبول .

كان التحقيق الذى طلب المدعى العام الاشتراكى اجراءه مع صلاح جاهين ، مؤشرا واضحا عن الحساسيات التى مازالت عالقة « بقضية » حرية الصحافة ، على الاقل فيما يتعلق بجهات معينة ، ذات مركز ، ونفوذ ، وسلطة .

قليلون هؤلاء الذين رأوا فى كاريكاتور صلاح جاهين الخاص بالتحقيق فى قضية « تلوث المياه » ، ما ينم عن اهانة لجهة قضائية . كان الكاريكاتور منصبا على موضوع يشغل بالتأكيد الرأى العام ، واثار استياء الناس . ارادوا ان يروا له حلا شافيا مرضيا . واحسوا بان الاقرار بانه لم يكن يوجد مسئول عن « الكارثة » [على حد تعبير المدعى الاشتراكى] ، انما هو ليس مما يساعد على التوصل الى هذا الحل الشافى ، بل بدا لهم التقرير وكأنما يعكس اتجاها — هناك احساس عام به — بان كثيرا من « الاختناقات » التى يعانى منها الناس فى حياتهم اليومية ، والتى اصبحت تصل الى حد يصعب احتماله ، وتهدد بعواقب يصعب تداركها ، هذه « الاختناقات » « مطلوب » ان تسلم الناس بها وكانما هى « قضاء وقدر » . ولم يجدوا فى التقرير ما يدل على وجود عزم جازم على وضع حد لهذه الاختناقات ، ايا كانت مبررات حدوثها ، او الصعاب التى تعترض ايجاد الحلول الشافية لها .

ومما يؤكد هذا الاحسان ، تعدد الشواهد التى تناولتها الصحافة بالفعل عن احداث وقعت وتستدعى الفضح ، من استغلال نفوذ ، الى اختلاسات ، الى حالات « فساد » تمس شخصيات مسئولة [مثل القيام بالعمرة على حساب المال العام] وفى وسط هذا المناخ ، وقع التصدى للصحافة ، بقصد ادانتها لانها سخرت من تبرئة الجميع فى « قضية تلوث المياه » [وهى « كارثة » يصعب تصور وقوعها دون وجود « مسئول » عنها] .

● **لا نقصد** بما نقوله هنا اعادة فتح الدوسيه **بعد ان انتهى** موضوع كاريكاتور صلاح جاهين **برضاء جميع** أطرافه . ولا نقصد بالقطع تناول **ما انطوى** عليه الموضوع من مساس بجـوانب **قانونية** بالذات . ولكن نستشهد بهذا الحـدث فقط لسؤال لا نملك اغماض اعيننا عنـه خاص **بقضية حرية الصحافة** على وجه التحديد : **هل للصحافة الحق في ان تعالج بكل حرية ما هو من شانه المساس « بوتر حساس » لدى الجماهير، ام ينبغي عليها ان تبتعد عن هذه الموضـوعات « الملتهبة » ، او ان تعالجها فقط « برفق » ، وبما لا يستثير مشاعر احد ـ ايا كان ـ ممن بيـده سلطة او نفوذ ؟** بعبارة اخرى ، هل للصحـافة الحق في علاج هذه الموضوعات **بما يطرح وجهة نظر الجماهير ـ لا السلطة ـ دون حساسيات او قيود ؟** او عليها ان تسلم بمنطق **وجود «رقيب»**، حتى لو لم يكن هذا « الرقيب » مجسما في شخص ينوب عن وزارة الاعلام ؟ وله مقعده كل ليلة في صالات التحرير ؟

من هنا تكمن اهمية ان يتقرر لحرية الصحافة « تعريف » و « مفهوم » يجرى تأصيله .

ان « حرية الصحافة » ـ كسائر الحريات ـ **ليست حرية « مجردة »** . ذلك انه لا توجد حرية « مجردة » . ان الحرية تمارس دائمـا داخـل حيز زماني ومكاني محدد ، ازاء واقع اجتماعي محدد ، ومن اجل اهداف محددة .

ان الصيغة التي يمكن ان نتوخاها لحـرية الصحافة ليست بالصيغة التي تقبل «الاستيراد» اذا صح التعبير ! . ليست قضيتنا ان نحـاكي حرية الصحافة في الغرب ، ولا هي ان نأخـذ بصيغة الصحافة ، وبمفهوم حريتها كما هو قائم ـ مثلا ـ في الاتحاد السوفيتي ، او في الصين، او في اي بلد آخر . ليست حرية الصحافة ان نقترب من صحافة تعتبر في نظر البعض «نموذجا» للصحافة الحرة على حساب « الوان » اخرى من الصحافة يجرى جزافا تقرير انها ليست «حرة».

للصحافة « وظيفـة » اجتماعيـة عليهـا ان تباشرها . وهي « حرة » بمقدار ممارستها لهذه « الوظيفة » باقتدار وفعاليـة ، وفـق متطلبات مجتمع ما . **ومؤشر قد يكون صالحا لقياس هذه الفعالية ، هو الا تزاحم الصحافة « المعتمـدة » صحافة موازية . اي الا تبرز « حاجة » الى ظهور « ازدواجية » في الصحافة** . وعلينا ان نسلم بان صور « الازدواجية » في صحافتنا قائمة ، وهي متعددة ، نذكر منها على سبيل المثال ، صحـافة « الحائط » في الجامعات ، او ظاهرة هجـرة صحفيينا للالتحاق بصحف بيروت .

لقد اثيرت قضية حرية الصحافة بقوة وبصخب خلال العام الماضي . في الفترة التي اعقبت حرب اكتوبر .

طرحت قضية حرية الصحافة مرتكزة على قرار **برفع الرقابة على الصحف** . طرحت وكانما لم تكن توجد حرية صحافة في مصر على الاطلاق قبـل صدور هذا القرار .

لذلك يجدر بنا ان نتساءل : **هل كانت صحافة مصر منعدمة الحرية قبل صدور قرار الغاء الرقابة على الصحف ؟ وهل افتقادها الى الحرية وقتذاك، أعجزها عن مباشرة « الوظيفة » التي كان يتعين عليها مباشرتها ؟ وهل اكتسبت الصحافة المصرية بعد صدور قرار الحرية المنشودة ؟**

بوجه عام ، عكست الصحافة المصرية منـذ الثورة ، القسمات الرئيسية التي ميزت البنـاء الاجتماعي ، وما انتابه من ارادة تحول خـلال طريق كثرت فيه الدهاليز والمنعطفات .

ان كل ثورة تطرح ابعادا جديدة للحرية . انها بالتأكيد تحجر على حرية قوى اجتماعية معينة، ولكنها في نفس الوقت تطلق حرية قوى اجتماعية اخرى .

ولم تعد الصحافة المصرية ، بعد ان تبلورت قسمات الثورة ، تعكس مصالح الفئات الاجتماعية التي كانت قبل الثورة مسـيطرة على مقاليـد السلطة . لم تعد لسان حال المصالح الاستعمارية، او الاقطاعية ، او الرأسمالية المتعاونة مع كليهما. لم تعد لسان حال الاحزاب القديمة ، ولا لسان حال اقطاب الحزبية في ذاك الوقت ، ولا لسان حال الذين اكتسبوا مركزهم الاجتماعي بفضـل علاقاتهم بالقصر . كل ذلك قد تغير . والتغيير الذي جرى لم يكن يعني ان «قوى الشعب العاملة» بالطبقات الاجتماعية التي تشكلها هي **وحدهـا** التي كانت تملك حـرية التعبير عن مشـاكلها ومصالحها وتطلعاتها من خلال الصحافة المصرية. **لاشك ان طبقات استغلالية جديدة قد نشـأت من خلال عملية التحول الاجتماعي** . لا شك في ان قوى اجتماعية قد استغلت ضرب المصـالح الاستغلالية التقليدية لتتسرب الى مواقع قوة ، وتحل محلها ، على حساب « قـوى الشـعب العاملة » ، بمحتوى هذا المصطلح الذي قصده الميثاق . هذه القوى الاستغلالية الجديدة ـ التي كثيرا ما عرفت « **بالطبقة الجديدة** » ـ لا شك في انها وجدت طريقهـا الى الصحـافة المصرية ، ووجدت الفرصة لحماية مصالحها ، والتعبير عن رؤيتها على صفحات الصحف . هذه القـوى قد حاولت في اكثر من مناسبة ، ولم تكف عـن محاولة **الاستئثار بحرية التعبير** .

ولكن هذه الحقيقة لا تلغى حقيقة ان صحافة مصر قد عبرت بعد الثورة عن بروز **قوى اجتماعية جديدة فى مقدمة المسرح السياسى والاجتماعى**، قوى لم تكن تملك حقها فى التعبير قبل الثورة، قوى لا يجوز ادراجها تحت باب « المنتفعين بالسلطة » ، أيا كانت هذه السلطة . وطرحت هذه القوى مفاهيم للحرية تحمل معانى كانت محظورة من قبل .

ومن هنا ، فان تصوير صحافة مصر بعد الثورة على انها كانت منعدمة الحرية تماما لا يمكن الا ان يكون من منطلق تلك القوى الاجتماعية — الرجعية — التى حجرت الثورة مصالحها وحريتها بالفعل . **وهى القوى الاجتماعية المعادية للثورة بطبيعتها وبمصالحها** . وما انتقادها لاوجه الاستغلال التى باشرتها قوى استغلالية جديدة، من منطلق الادانة لعملية الاستغلال فى كل صورها ، ولا لنصرة هؤلاء الذين عانوا من كبت وظلم القوى الاستغلالية ، ولكن من منطلق ان هذه القوى الاستغلالية الجديدة قد زاحمت مصالحها هى فى مباشرة عملية الاستغلال ، ضد مصلحة قوى الشعب العاملة فى الغاء كل اشكال الاستغلال ، ايا كان مصدرها .

لقد ميزت الثورة بين نوعين من الحرية : « الحرية السياسية » و « الحرية الاجتماعية » .

قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لم تكن قضية « الحرية الاجتماعية » مطروحة أصلا . كان المفهوم المتداول عن الحرية هو ما عرفته الثورة « بالحرية السياسية » : حرية **الفرد** ، حرية **المواطن** ، **ان** الحقوق **السياسية** المكفولة للمواطن بمقتضى الدستور ، منها حرية النشر وحرية التعبير . ولكن تحت ستار « المساواة » فى هذه الحقوق التى ينبغى ان يتمتع بها جميع المواطنين ، لم تكن هذه الحقوق مكفولة فعلا الا **للقلة القادرة** على ايجاد طريقها الى النشر والتعبير ، طريقها الى الصحف ، المملوكة بدورها ملكية خاصة لافراد قادرين . من هنا ، كان لابد ان تسبغ « الحرية السياسية » بالمفهومات التى تلبى **مصالح الطبقة المالكة وحدها** .

ادخلت الثورة مفهوم « الحرية الاجتماعية » . اى ارادت ان تكفل بذلك لغير القادرين ، لغير طبقة الملاك وحدهم ، حق التعبير وحق النشر . أرادت ان توسع من دائرة القوى التى تجد مصالحها معبرا عنها فى الصحف ، وان تكسب الحرية بعدا لا يكون قصرا على الحريات التى ينبغى ان يستمتع بها « المواطن الفرد » بوصفه مواطنا فردا فقط ، **ذلك ان حرية « المواطن الفرد » ما هى الا حرية « المواطن المالك » القادر على تأكيد فرديته ، والذى يملك الادوات المادية لابراز هويته .**

لاينطوى اقرار مفهوم « الحرية الاجتماعية » على مزيد من الحرية للافراد بوصفهم افرادا فقط ، **بل قد يقتضى التضحية بالمصالح الفردية المحضة للطبقات المالكة والثرية** ، ولكنه يفسح لطبقات بأسرها كانت معدومة الحرية من قبل فرصة التعبير عن مصالحها ككيانات اجتماعية ، كشرائح من المجتمع ، كقوى فيه ذات دور بارز فى الانتاج والتنمية ، وبناء الثروة القومية والذود عنها ، ولاتقابل هذه الاعباء حقوق لها متكافئة معها .

هناك — لا شك — تجاوزات حدثت فى استغلال فكرة « الحرية الاجتماعية » على غير ما كان ينبغى ان يكون . هناك من خول نفسه صفة تمثيل قوى اجتماعية اعترف لها لاول مرة بحق التعبير عن نفسها ، لكى يستغل هذا التحول لا لحساب هذه القوى الاجتماعية حقيقة ، بل لاغراض خاصة ، « فردية » . **هذه صورة من صور الاستغلال التى مارستها « الطبقة الجديدة » المنتفعة بالثورة** . ولكن لا ينبغى ان يرتب على ذلك ادانة فكرة « الحرية الاجتماعية » . وليس معنى ذلك ايضا ان « الحرية السياسية » قد اختفت تماما فى ظل الثورة .

لقد كان من قسمات البناء السياسى والاجتماعى بعد الثورة ، اتسام هذا البناء بطابع شديد التجانس . لم يكن هناك غير تنظيم سياسى واحد . اصبحت الصحف كلها مملوكة لهذا التنظيم . ولم يكن هذا التنظيم يقوم — من ناحية المبدأ — على فكرة « تعدد المنابر » ، رغم انه تنظيم يريد لنفسه ان يمثل مختلف القوى المنضوية تحت لواء الثورة ، وهى قوى ذات مصالح طبقية خاصة متباينة ، وحتى متعارضة ، حتى لو التقت مصالحها عامة فى تأييد الثورة .

هذا التجانس فى شكل التنظيم وجد تعبيرا عنه فى شكل اخراج الصحف . كثيرا ماوجدنا نفس المادة الصحفية فى كل الصحف . لقد وصل التشابه ، وحتى التطابق ، الى حد التطابق فى صياغة بعض الانباء . ولكن لم تكن الصحف مع ذلك متطابقة تماما من كل الوجوه .

كان لكل صحيفة « دور » ما ، « وظيفة » ما ، داخل اطار التحالف . اكتسبت هذه « الوظيفة » **بالممارسة** ، ان لم يكن بتدبير سابق وترتيب . اى اتسم « تجانس » الصحف بقدر من « المرونة » ، تلبية لدواعى تماسك البناء السياسى والاجتماعى . ذلك ان الصحافة كان عليها ان تحتفظ بقدرتها وفعاليتها فى مباشرة الحوار مع قوى متباينة المصالح داخل اطار التحالف . وكان عليها ان تجد اللغة المناسبة المتسمة بقدر من التنوع والتنغيم ،

المخاطبة هذه القوى المتباينة بما يحفظ باب الحوار مفتوحا . فى كافة الاتجاهات وفى آن واحد .

ولتوضيح مانقصده ، نستشهد بالاحكام العامة التالية :

□ كانت « **الجمهورية** » مثلا — وهى الجريدة التى أنشأتها الثورة — اميل الى التعبير عن خطها المعلن ، أميل الى التعبير عن الاتحاد الاشتراكى وعن وجهة نظر قياداته ، أميل الى أن تكون لسان حال التنظيم السياسى ، واكثر الصحف « انضباطا » فى احترام قرار تأميم الصحف وملكيتها او تبعيتها للتنظيم السياسى . كانت « الجمهورية » — بهذا المعنى — أكثر الصحف اليومية ابرازا لمفهوم «**الحرية الاجتماعية**» ولضرورتها ، ولو بطريق « الشعار » ، ولو كان تصورها عن « الحرية الاجتماعية » بالقدر الذى وجدت هذه الحرية تجسيما لها فى نشاط التنظيم السياسى وممارساته . وبوجه عام ، كانت « الجمهورية » أكثر الصحف المصرية اليومية جنوحا الى « اليسار » .

□ اما « **الاهرام** » ، فقد كان له مركز متميز و « وظيفة » خاصة . لم يكن فقط — كما شاع عنه — الجريدة المصرية «الرسمية» او « شبه الرسمية » ، بمعنى انه اصبح فى نظر كل من كان يراقب السياسة المصرية ، لسان حال **جمال عبد الناصر** شخصيا ، لا بصفته قائدا للثورة فحسب ، بل بصفته **رئيسا للدولة** ايضا . كان للاهرام « وظيفة » اخرى فوق ذلك ، أو علاوة على ذلك ، وظيفة **مكملة** لهذا الدور **وليست متعارضة** معه .

لبى « الاهرام » دواعى « **الحرية السياسية** » فى ظل الملابسات **الخاصة** التى ميزت حريات حركة الثورة . كان « للاهرام » مهمة خاصة **فى التوفيق بين تجانس شكل التنظيم السياسى، وعدم تجانس محتوى الواقع الاجتماعى ،وتعرضه لاختلال متجدد مع انجاز كل تحول جديد** . كان « الاهرام » بهذا المعنى يمارس « خط الدفاع الثانى » عن الثورة ، بعد « خط الدفاع الاول » الذى كانت تضطلع به أجهزة الاعلام الأخرى .

لم تكن الثورة المصرية أبدا فى حالة « استاتيكية » جامدة ، بل كانت فى حركة « ديناميكية » دائمة . وهذه الحركة عرضت هيكل البناء الاجتماعى والسياسى فى مصر لتغييرات واهتزازات متواصلة ، ومن خلال عملية التغيير وجدت الثورة نفسها فى صدام — فى هذه اللحظة أو تلك — بقوى الى « يسارها » او الى «يمينها». كان الاعلام « الرسمى » يتعرض لهذه القوى بالهجوم ، بينما كان « الاهرام » يحتفظ لنفسه بدور أجراء الحوار معها ،ومناقشتها ،لا لانتهاجه خطا معارضا لخط الاعلام المصرى عموما ، ولكن تلبية لضرورة ، ولممارسته « وظيفة » كانت هناك « حاجة » موضوعية اليها ، وظيفة مشروعة تماما من وجهة نظر مصلحة قيادة الثورة ، هى استيعاب « المعارضات » وكسر شوكتها .

□ أما مؤسسة «**الاخبار**» ،فقد كانت التغييرات المتلاحقة التى صادفت رياسة تحريرها ، أحد المؤشرات « الحساسة » عن التغيرات التى عاشتها الثورة فى حلقاتها المتعاقبة ، وعن التغيير فى التوازنات الداخلية ، بتعيين رؤساء تحرير للمؤسسة ، او رئيس لمجلس ادارة المؤسسة ينتسب الى « اليسار » فى بعض الفترات ، تخللتها فترات اخرى عادت فيها السلطة داخل المؤسسة الى طاقم « اخبار اليوم » التقليدى . ولم تكن هذه التغييرات فى مؤسسة « الاخبار » قصرا فى دلالتها على المؤسسة وحدها ،بل مست « التنغيم » وعموم التوازن داخل الصحافة المصرية ككل .

وهذا « التوزيع للادوار » الذى انسحب على الصحافة اليومية ، انسحب بقدر مماثل على المجلات الاسبوعية والشهرية ، وعلى شتى الوان الاعلام المصرى .

ولو كان لنا أن نتوقف لحظة لتأمل هذا « النمط الوظيفى » للصحافة ، أو هذا النمط « لحرية الصحافة » منذ الثورة ، علينا ان نسجل ملحوظتين :

□ **الملحوظة الاولى** : هى ان هذا « النمط » قد استقر **بغض النظر عن ارادة الافراد** ،العاملين منهم فى حقل الصحافة ، او المتولين دورا فى قيادات التنظيم السياسى . لقد استقر النمط فى المقام الاول لانه كان يلبى « **وظيفة موضوعية** » للصحافة بعد الثورة ، وهذه « ضرورة » كانت تتخطى ارادة هذا الفرد او ذاك . ولكن لم يكن يعنى ذلك ان الافراد وخاصة العاملين فى حقل الصحافة ، لم يكن لهم دور ، ولو فى تجسيم النمط ، وابتداع افضل صيغ له تلبى هذه « الضرورة الموضوعية » ، وفى وضع « النمط » موضع التنفيذ .

لم يكن المركز الخاص الذى اكتسبه «الاهرام» على سبيل المثال مجرد «شىء نشأ من تلقاء نفسه»، بل كان بالتأكيد **لمحمد حسنين هيكل** دورا

فى ابتداع الصيغة وفرضها فى وجه معارضات شتى داخل وخارج التنظيم السياسى . وقد نجح ، لان الصيغة التى ابتدعها ومارسها باقتدار كانت تلبى هى الاخرى « وظيفة موضوعية » ؛ وكان النظام بعد الثورة فى حاجة اليها .

□ **الملحوظة الثانية** : ان صيغة الصحافة التى استقرت بعد الثورة كانت فى جوهرها « **صيغة علوية** » ، اى **صيغة وضعتها السلطة « من أعلى »** .

ان السلطة ـ بمعناها الواسع ـ هى التى قررت شكل صحافة . خاصة بعد ان اصبحت مملوكة للتنظيم السياسى . ولكن وضعت السلطة هذه الصيغة ، **لا لمواجهة قوى اجتماعية تنبثق « من قاعدة » المجتمع وتقف الى « يسار الثورة » بقدر ما وضعت هذه الصيغة لمواجهة قوى الى « يمين الثورة » وتعارض منطلقات الثورة من مواقعها « على قمة » المجتمع** ، مواقع الطبقات المالكة والمستغلة ، المتعاونة مع الاستعمار والمنتمية الى الاقطاع والبرجوازية الكبيرة الرجعية ، والمعادية لحركة الثورة .

كانت صيغة الصحافة « علوية » و « فوقية » بمعنى انها كانت « سلطوية » . ولكنها لم تكن « فوقية » بمعنى انها كانت تمثل مصالح الطبقات « الفوقية » . بل اتسمت بهذا الطابع « الفوقى » لمحاربة الطبقات « الفوقية » ، وقهر مقاومتها وأهدافها الاستغلالية . وبقدر نجاحها فى انجاز هذه المهمة ، فى مباشرة هذه « الوظيفة » ، كانت تنطوى صيغة الصحافة على عنصر « الحرية » .

هذه الصيغة هى المستهدفة ، وهى المدانة ، فى كثير مما يجرى ترديده الان باسم « حرية الصحافة » .

ولكن ما هى الصيغة البديلة المطروحة ؟

صحيح أن « الحرية الاجتماعية » كما عبرت عنها الصحافة المصرية قد اجهضت ، وقد تحولت الى مجرد « شعارات » بلا محتوى فعلى ، لوقوع الصحافة فى مناسبات عديدة فريسة قوى انتهازية متسلقة ، قوى منتفعة بالثورة ، هى التى اسميناها « بالطبقة الجديدة » . **ولكن لم تلغ الثورة فى أى وقت ، مفهوم « الحرية الاجتماعية » من ناحية المبدأ** . ولم يتعرض هذا المفهوم لخطر المطالبة بطرحه جانبا ، او استبعاده ، او الغائه تماما كما هو وارد الان فى بعض الصيغ المطروحة كصيغ بديلة لحرية الصحافة .

تلتقى هذه الصيغ المعروضة فى مفهوم « ليبرالى » عن حرية الصحافة يركز فقط على « الحرية السياسية » ، حرية المواطن الفرد ، وضمان حقوقه السياسية المكفولة دستوريا . ولا ينطوى ذلك فى حد ذاته على عيب . ولكن يبرز العيب لو طرحت « الحرية السياسية » للفرد **بصفة مطلقة** ، على حساب « الحريات الاجتماعية » لمجموع العاملين ، وعلى حساب مكتسبات الجماهير العاملة خلال سنوات الثورة . لو طرحت « الحرية السياسية » **فى مواجهة** « الحرية الاجتماعية » ولا باعتبارها **استكمالا** « للحرية الاجتماعية » . **ذلك** ان « الحرية السياسية » المطلوب استعادتها استنادا الى هذا المنطق ، سوف تصبح « الحرية السياسية » للافراد الذين الحق بهم ضرر بسبب اكتساب الجماهير العاملة حريتها الاجتماعية ، سوف تصبح « الحرية السياسية » للقوى الاجتماعية المعادية بطبيعتها وبمصالحها للثورة ، **سوف تصبح الحرية السياسية للبرجوازية ، بايديولوجية وفلسفة ومفهومات البرجوازية** ، وتطبيق هذه الفلسفة فى مجال الصحافة ، وفى مفهومها عن « الحرية » ، كما **يجرى تطبيقها فى** مجالات اخرى شتى .

هذا المفهوم الليبرالى عن « **حرية الصحافة** » أميل الى ان ينظر الى الصحافة والى الصحف باعتبارها « **سلعة** » ، او باعتبارها « **خدمة سلعية** » ، بدلا من النظر اليها « **كوظيفة** » **تلبى ضرورات اجتماعية** .

وباعتبار الصحف فى المقام الاول « **سلعة** » و « تجارة » ، عليها ان « تستثير » وعليها ان « تشوق » قبل ان تحرص على **تأدية دور سياسى** وتلبية مصالح اجتماعية بعينها .

هى صيغة اكثر حرصا على « الخبر المشوق » منها حرصا على « الخبر الصحيح » ، **المصاغ** صيغة علمية دقيقة ، وعلى ابراز **الخبر اثيمته المجردة** كسلعة تباع ، منها حرصا على ابراز الخبر لما ينطوى عليه من معنى **توجيهى** لبناء المجتمع ، ودعم قوى اجتماعية بعينها فيه ، وعلاج ما يتعرض له المجتمع من « اختناقات » .

هذه الصيغة لحرية الصحافة لا تنطوى على حرية بالفعل .

الاخبار المثيرة التى تطرحها عن **شتى انواع** « الاختناقات » ، بمثل هذه الصيغة ، **لو كان لها** اثر اجتماعى ، **فيقتصر** على « **التنفيس** » أو

« **الالهـــاء** » ، ولا يرتقى ابدا الى الاســـهام فى « العلاج » .

هذا اللون من الصحافة قد يستقبل باستحسان فى الغرب ، قد يحظى بتأييده وتشجيعه ، بدعوى أنه صيغة للصحافة يحررها من تبعيتها للحاكم ، ومن صحافة تخضـــع للتعليمات الملاة « مـــن أعلى » ، وتنشر فقط ما يرضى عنه الحاكم .

ولكن الامر المحقق أن مثل هذه الصيغــــة للصحافة لا تتحدث فى ظروف مصر بلســــان « المحكوم » فى مواجهة « الحاكم » . هى صيغة قد تلبى مصلحة « القلة القادرة » التى جردتهــا الثورة من « حقوقها » وامتيازاتها ، وتطلعها الى استرداد مكان لها فى ظل « دولة المؤسسات » و « سيادة القانون » ، ولكنها صيغة لا تلبى بالقطع حاجات جماهير الشعب الغفيرة التى تعــــانى من « اختناقات » شتى ، ولا سبيل لها لاقتحام طريقها الى « الحـــرية » الا عن طـــريق معبر « الحرية الاجتماعية » .

وفى ظل نظام « دولة المؤسسات » القـــائم على منطق ان الحاجة الى اجراءات استثنائية لم تعد واردة ، ولجميع المواطنين ، ايا كانت انتماءاتهم الطبقية ، حقوق متساوية يكفلها الدســـــتور ولا يجوز اهدارها . فى ظل هذا النظام ، انتفت مبررات ومقومات اقامة البناء السـياسى على نظام هرمى شديد التجانس صامد فى وجه ما فى المجتمع من واقع شديد التبـاين ، بمصــــالح اجتماعية وطبقية متعارضة . وقد اعترفت ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى رسميا بانتفاء هـــذه الحاجة الى نظام شديد التجانس ، باطلاقها حرية « تعدد الاتجاهات » أو « تعدد المنابر » داخـــل التنظيم الواحد . **ولا مفر اذن من تطوير صيغة الصحافة مع تطوير صيغة التنظيم الســـياسى الذى تنتمى اليه .**

ان جوهر التطوير المنشود للصحـــافة الذى يلبى احتياجات الجمـــاهير ويعكس تطلعاتها ، ويواصل خط الثورة ويزيدها عمقا ، ويتخطى سلبياتها وانحرافاتها ، **هو أن تكون الصحـــافة فعلا منبرا لحـــرية الجمـــاهير « السياســـية » و « الاجتماعية » فى آن واحد .. بتعبير أوضح : الا ينوب عن « حرية الجمــاهير الاجتماعيـــة » أفراد أو هيئات تخول نفسها صفة تمثيل الجماهير ، وألا يجرى قصر « الحرية السياسية » على مفهوم ليبرالى لا يلبى سوى مصالح الشرائح « العليا » من المجتمع فقط ـــ بذلك تكون الصحافة قد خطت خطوة هامة فى قهر سيطرة مفهومات الاستغلاليين القدامى والجدد معا ، لصالح تحالف قوى الشعب العاملة فعلا .**

ليس المطلوب تقديم انباء وتعليقات « **مجردة** » ، بدعوى أن الصحافة « خدمة » تقدم النبأ منزها من أى غرض ، بل المطلوب تقديم انباء وتعليقات « **منحـــازة** » ، منحـــازة الى جانب الجماهـــير ومصالحها الاجتماعية ضـــد القـــوى المعـــادية لحركتها الثورية . ليس فى اعلان « انحياز النبأ » و « انحياز التعليق » عيب ، ذلك أن النبأ والتعليق دائما منحازان . هناك انحياز فى انتقاء النبـــأ ، وفى ابراز النبأ وفى صـــياغة النبـــأ . وهناك بالبـــداهة انحيـــاز فى التعـــليق عليـــه ، ذلك أن كل هـــــذه العمليــــات يحكمها تقـــدير كاتب النبـــأ والتعليق ومخـــرج الصحيفـــة ، وهذا التقدير هو فى التحليل الاخير « سياسى » ، حتى لو لم يكن النبـــأ أو التعليق ســـياسيين . والدعوى الليبرالية أن النبأ يمكن عرضه بشكل « موضوعى مطلق » ، هى الا انحيـــاز مستتر ، تجرى ممارسته دون اعلان .

وليس المطلوب صحافة **للترفيه فقط او للتسلية فقط** ، صحافة لا تركز على السياسة ، صحافة اثارة او صحافة تنفيس أو صحافة الهاء . بل المطلوب **تأكيد الصفة السياسية للمادة الصحفية** ، حتى لو لم تكن هذه المادة تعـــالج موضـــوعات سياسية مباشرة . وتسييس الصحافة لا يعنى تجـــريدها من عنصر التشـــويق ، او من عنصر الاثارة ، ولا يعنى القضاء على جاذبية الصحف ، ولا يعنى ترجمة هذا « التسييس » الى مجموعة شعارات جوفاء فقدت مدلولاتها عند الجماهير . ولكن تسييس الصحافة يعنى مقاومة الاتجـــاه الى طرح القضايا المثيرة لمجرد التنفيس او الالهاء ، ويعنى مقاومة الاتجاه الى تسريب مفهـــــومات سياسية لا يجرؤ مقدموها على طرحها أمـــام الجماهير صراحة ، وبصياغة واضحة لا يكتنفها لبس او ابهام .

المطلوب صحافة تثقف وصحـــــافة تبصر . **صحافة وجهتها المستقبل لا الماضى .** صحـــافة قادرة على **ارتياد العصر بمتغيراته ، وبلغته .** صحافة لا تظل قيد منطق القرون الوسطى الذى يفرض صك حرمان على التفكير والاجتهاد بمقدار ما هو مفروض من صكوك حرمان على القـــول والتعبير . صحـــافة لا تظل قيـــد المنطلقـــات والاجتهادات والشعارات التقليدية ، وانمـــاط التفكير التقليدية ، والاحتكام فقط الى نقاط بدء

تقليدية ، بل صحافة لا تتردد عن اثارة كل محظور ، وتناوله بالبحث والتمحيص ، وخوض القضايا الحساسة دون عقد ، وعدم الانصراف عنها لمجرد انها حساسة ، أو تعرض طارحها لمساءلة ذوى سلطة او نفوذ .

لا توجد موضوعات صحفية يمكن تبرير حظر التعرض لها واخفائها عن الجماهير ابتداء ، ذلك لو استثنينا الاسرار العسكرية ، لان مصر مازالت فى حالة حرب . ولا يمكن ان يوجد عيب فى نشر اى خبر ، انما يكمن العيب فى ان يصاغ الخبر على نحو يضلل الجماهير ، او على نحو يستهدف الهدم لا البناء ، وخدمة اغراض ومصالح تتعارض مع اهداف الثورة والتحرر ، وتعارض حشد الطاقات الوطنية ، واطلاق مبادرات الجماهير وطاقاتها الابداعية .

لا ينبغى ان يكون هناك عيب **فى طرح اى اجتهاد** ، حتى لو خالف راى الدولة ، حتى لو مس صميم قضايانا المصيرية ، بشرط ان يكون هذا الاجتهاد من منطلق مصالح الجماهير ، ومن منطلق اهداف التحرر ، وبشرط الا ينطوى على خداع الجماهير بأى شكل كان ، كالايحاء مثلا بأن هذا الاجتهاد يعكس رايا رسميا ، ولا يعبر عن تيار سياسى بعينه فقط ، او عن مجرد صاحب الاجتهاد ، وبشرط أن تزيل الدولة كل لبس حول أن الصحافة فى مصر لا تنشر سوى ما هو مصرح به رسميا . وذلك وحده هو سبيل الغاء الرقيب ، لا شكلا فحسب ، بل محتوى كذلك .

بعد اختفاء مبررات قيام بناء سياسى محكم التجانس فى مصر ، لم يعد من مصلحة الدوله ان يعتبر كل ما ينشر فى الصحف منسوبا اليها ، يعكس وجهات نظرها فقط . بل تقتضى مصلحة الدولة — على عكس ذلك — أن تطرح الصحف ما هو ليس منسوبا اليها ، وما قد يخالف رايها ، وأن تتوسع الصحف دون حرج فى طرح ما تتطلع الجماهير الى أن يجد طريقه الى الصحافة ، لا لمجرد ان ذلك هو شرط انطلاق حرية الصحافة حقيقة فى ظروف مصر اليوم ، ولكن كذلك حتى تستطيع الدوله أن تستشف ما تتطلع اليه الجماهير ، وأن تتلمس مواطن الخطر ، بل مواطن الانفجار فى القضايا التى تشغل الجماهير ، وتستبد بحياتها اليومية وحتى تستطيع الدولة أن تحدد سياساتها وهى على بينة .

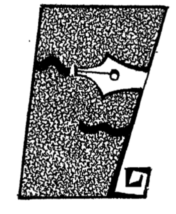
والصحافة لن تسترد حريتها ، وان ترتاد القرن العشرين ، بل سوف تظل أسيرة عقلية القرون الوسطى ، لو كان « **تملق الحكام** » هو سبيل تسريب ما قد يبدو مخالفا « للرأى الرسمى » ، أو كوسيلة للضغط من أجل طرح معانى بعينها . وأجهزة الدولة لن تحتفظ بحرية حركتها لو استمرت فى عدم اجازة نشر ما قد يكشف عن أوجه خلل لديها ، وتمسكت بان كل ما ينشر لابد من النظر اليه على انه مرخص نشره بعد موافقتها . **على الصحافة فيما تطرحه ان تستقل تماما عن الدولة ، وان تحاط بضمانات تكفل لها هذا الاستقلال ، وأن تزيل كل لبس حول ان ما تنشره هو بايحاء من الدولة .**

ثم .. لا يتسق ان يؤخذ بمبدأ « تعدد الاتجاهات » ، « وتعدد المنابر » فى الاتحاد الاشتراكى ، والا يجد هذا المبدأ تطبيقا له فى مجال الصحافة ، المملوكة للاتحاد الاشتراكى . آن الاوان ان يترجم هذا التعدد ، وان يجد بلورة له ، داخل الصحافة . على ان يكون « توزيع الادوار » فيها ، لا بقرار من الدولة ، لا بفرمان من أعلى ، ولكن كنتاج مبادرات « من ادنى » ، من خلال **ممارسة** الحوار الاجتماعى ، من خلال بلورة عملية تعدد المنابر والاتجاهات فعلا .

ثم .. لا يعقل ان تقتصر الاقلام والافكار والعقليات فى الصحافة على تلك التى لمعت قبل الثورة ، او خلال سنوات الثورة ، دون تجديد ، ودون ان يثب الى مواقع المسئولية دم جديد وفكر جديد منبثق من صنع العصر ومن نسيجه ، يعيش مزاجه ومناخه وتطلعاته ، ويتعمق ابعاده ويستكشف افاقه متحررا من قيود الاوضاع السابقة ، ومتحللا من ترسبات الماضى . **آن الاوان أن تعيش صحافة مصر ثورة ثقافية ، لتنفض عن نفسها غبار البيروقراطيات القديمة والجديدة ، لتزيح جانبا العقليات البالية ، لتتاح لها فرصة الانطلاق فى كشف صور الاستغلال على تنوعها ،** صورها القديمة بمخلفاتها من قبل الثورة ، وصورها الجديدة التى نمت متسلقة فى ظل الثورة ، وكلها يشترك فى حجب رؤية الجماهير ، وحجب قدرتها على ان تحدد مواطىء اقدامها وان تعى بحقيقة مصالحها ، وان تنفتح بجراة وبثقة على الحاضر والمستقبل .

ذلك هو التحدى الذى يواجه اللجنة التى شكلت بتكليف من رئيس الجمهورية لتطوير الصحافة . فهل تقبض على قضية حرية الصحافة بقوة ، وتفتح لها الافاق الكفيلة بان تمكنها من ملاقاة التحدى ؟

تقارير الشهر



ديسمبر

١٩٧٤

● جمهورية مصر العربية

تأسيس أول اتحاد للشباب العربى

● لبنان

نصف قرن من حياة الحزب الشيوعى

● الجزائر

لمحات من منجزات الثورة

● ايطاليا

مؤتمر الغذاء العالمى وأزمة العالم الثالث

● كوبا

كسر طوق الحصار مستمر

■ تقرير خاص

• • وخاطب أبو عمار العالم

[نص خطاب عرفات فى الامم المتحدة]

■ رسالة من العراق

ـ ندوة مثمرة ودراسات هامة

■ جمهورية مصر العربية

تأسيس أول اتحاد للشباب العربي

اجتمع بالقاهرة خلال الفترة من ٢٢-٢٧ اكتوبر الماضي ممثلو احدى عشرة منظمة شبابية عربية في شكل مؤتمر تأسيسي لمناقشة واقرار الوثائق الخاصة باعلان قيام أول اتحاد لمنظمات الشباب العربي .

وكانت البداية حينما اتفق وزراء الشباب العربي اثناء اجتماعهم في اطار الجامعة العربية عام ١٩٧٢ على ضرورة التنسيق الفعال بين جهود الشباب العربي ،وقرروا أن تشكيل اتحاد شعبي يضم منظمات الشباب في مختلف الاقطار العربية] هو الاسلوب المناسب للاقتراب الجاد من هذه المهمة القومية .

وأسفرت الاتصالات بين منظمات الشباب العربي بعد ذلك عن تشكيل لجنة تحضيرية للاتحاد اجتمعت بالجزائر في يوليو وأغسطس ١٩٧٤ ، وقررت توجيه الدعوة الى اثنتي عشرة منظمة شبابية لحضور المؤتمر التأسيسي من كل من مصر - سوريا - الجزائر - العراق - اليمن الديمقراطي - الصومال - ليبيا تونس - المغرب - موريتانيا - واتحاد طلاب فلسطين ، وشبيبة جبهة تحرير عمان ، كما قررت تشكيل لجنتين لتقصى الحقائق في لبنان والسودان والبت في كيفية تمثيل شباب البلدين .

ولم يكن اعتذار تونس عن عدم الاشتراك في المؤتمر ، وكذلك غياب لبنان والسودان بعد اخفاق لجنتي تقصى الحقائق في الانعقاد لبحث المهمة الموكولة لكل منهما هو المفاجأة ،وانما جاءت - المفاجأة حقا - من داخل المؤتمر التأسيسي نفسه حينما قررت وفود **العراق والصومال واليمن الديمقراطي واتحاد طلاب فلسطين وشبيبة جبهة تحرير عمان** الانسحاب من المؤتمر في جلسته الختامية ليخرج بيان أعلان قيام اتحاد الشباب العربي حاملا توقيعات المنظمات الستة الباقية فقط . وتقول مصادر منظمة الشباب الاشتراكي المصرية أن الخلافات التي ادت الى انسحاب الوفود الخمسة من جلسة المؤتمر لم تكن خلافات تمس جوهر التضامن بين الشباب العربي لان الجميع متفقون تماما كمنظمات شبابية تقدمية على **موقف العداء الثابت للامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية العربية** . ولعل ذلك هو الذي مكن من تدارك الموقف حيث أسفرت المناقشات الواسعة التي جرت عقب انتهاء المؤتمر عن الاتفاق على دعوة اللجنة التنفيذية للاتحاد الى الانعقاد في أوائل ديسمبر الحالي بما فيها وفود المنظمات الخمسة كمنظمات مؤسسة باعتبار أن الانسحاب كان من الجلسة الختامية للمؤتمر فقط وليس من عضوية الاتحاد .

وجدير بالذكر - رغم اى شواهد سلبية - ان الوثائق الاساسية لاتحاد الشباب العربي من الميثاق التوجيهي ، الى النظام الاساسي للاتحاد ، وبرنامج عمله الى البيان السياسي الختامي قد صيغت جميعا من واقع رؤية تقدمية لمشاكل منطقتنا وعالمنا الراهن - ويمكن التنوية اجمالا الى الملاحظات التالية .

أولا : أن الوثائق قد أعلنت قيام اتحاد الشباب العربي **منظمة عربية ديمقراطية ثورية** تستهدف الاسهام في تحقيق الاستقلال الاقتصادي والتطور الاجتماعي والثقافي المستقل للامة العربية الموحدة وتدعو اعضاءها الى تدعيم نضالات الجماهير في كل قطر عربي وتعبئتها وتعميق وعيها ضد الاستعمار والصهيونية والامبريالية والرجعية والعمل على **اطلاق الحريات السياسية والديموقراطية والنقابية وصيانتها** .

■ شريط الاخبار ■

■ بلغت أرباح شركة رويال روتش شل للبترول العاملة في البلدان العربية خلال شهر يوليو واغسطس وسبتمبر من العام الحالي ٣٠٤ مليون جنيه استرليني

■ القت السلطات الكويتية القبض على ١٧٥ شخصا من المتسللين الايرانيين . وتعد هذه أكبر دفعة من المتسللين الايرانيين يتم القبض عليها في الفترة الاخيرة .

وقد حذرت القوى الوطنية في الخليج العربي ، من الاخطار الكامنة وراء عمليات التسلل الايراني الى دول الخليج، والتي أخذت تتزايد وتتسع في السنوات الاخيرة بصورة خطيرة ، وهي تعيد الى الاذهان عمليات الغزو الصهيوني لفلسطين قبل عام ١٩٤٨

وتذكر المصادر الوطنية في الخليج : ان الجاليات الايرانية تشكل حاليا نسبة عالية جدا بالنسبة لتعداد المواطنين العرب في كثير من دول الخليج ، كما تسيطر على المواقع الإقتصادية والاجهزة الادارية والمراكز الحساسة في اجهزة الامن والجيش في عدد من دول الخليج العربي

■ شريط الاخبـار ■

ثانيا : ان الوثائق قد أعلنت ادانة الشباب لكل محاولات اجهاض النضال العربى من اجل السلام العادل فى منطقتنا ورفضه لمطق التهديد الذى تحاول به الولايات المتحدة الامريكية والدول الامبريالية ـ تحت ستار أزمة الطاقة ـ فرض وصايتها على حق الشعوب فى استخدام ثرواتها لصالح مستقبلها .

ثالثا : تأكيد التضامن الكامل مع الشعب الفلسطينى وثورته المسلحة وكفاحه السياسى من اجل استرداد كل حقوقه الوطنية المشروعة وتوسيع التضامن مع حركات التحرير فى عمان ووادى الذهب والساقية الحمراء وارتيريا وادانة المؤامرات الرجعية والامبريالية ضد عروبة الخليج ووحدة اراضى العراق .

رابعا : مساندة القضايا العادلة للشعوب وحركات التحرير الوطنى فى مختلف انحاء العالم فى فيتنام ولاوس وكمبودياوكوريا وغينيا بيساووانجولا وموزمبيق وزيمبابوى وافريقيا الجنوبية وناميبيا وتشيلى وجزر القمر وسيشل وقبرص

خامسا : اقامة أوثق العلاقات مع المنظمات الشبابية التقدمية العالمية والوطنية التى تؤيد نضالات جماهيرنا والمشاركة بفاعلية فى نشاطاتها وفى هذا الصدد فقد حظيت قضية العلاقة مع اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى باهتمام خاص واتفق على الاحتفاظ لكل منظمة عضو فى الاتحاد العربى بحقها فى اختيار شكل العلاقة مع الاتحاد الديمقراطى بما فيه حـق الانضـــمام الى عضويته ■

وعموما فان الطريقة التى سيتبعها الاتحاد العربى الوليد فى منقاشة وحسم القضايا المعلقة أمامه خلال اجتماعلجنته التنفيذية هذا الشهر لمارسنهوكذلك أسلوب ممارسته للمسئوليات التىالزم نفسهبها فىوثائقه سوف يحدد انمدى قدرته على أن يكون بحق منظمة ديمقراطية ثورية للشباب العربى ■

◇◇◇

■ لبنـــــــــــان

نصف قرن من حياة الحزب الشـيوعى

احتفل الحزب الشيوعى اللبنانى بذكرى مرور خمسين عاما على تأسيسه ، وقد اقيمت بهذه المناسبة مهرجانات شعبية ضخمة فى لبنان أستمرت عدة ايام ، واشترك فيها ممثلون عن الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية فى لبنان وفى مقدمتهم كمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكى التقدمى ، كما حضره ممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية والاحزاب الشيوعية العربية ، من بينهم ابراهيم زكريا سكرتير الاتحاد العالمى للنقابات ممثلا عن الحزب الشيوعى السودانى ، كما حضره ممثلون عن الاحزاب الشيوعية فى الدول الاشتراكية والدولالرأسمالية والبلدان النامية . كما حضره خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس القومى للسلام فى مصر .

وقد حيا نقولا الشاوى الامين العام للحزب الشيوعى اللبنانى فى كلمته ، جميع القوى الوطنية التقدمية فى لبنان وعلى امتداد الارض العربية ، الذين نذروا أنفسهم على اختلاف مذاهبهم الفكرية واتجاهاتهم السياسية لخدمة قضية استقلال الشعوب العربية وكرامة الانسان العربى .

وقال : ان الحزب الشيوعى اللبنانى كفصيل من حركة التحرر الوطنى العربية يشعر باعتزاز عميق لما أنجبته بذور الكفاح الطويلمن اتساع فى مجراها العام وأصالة روافدها الثورية العالمية بالاتحاد السوفيتى وسائر بلدان المعسكر الاشتراكى .

■ قررت هيئة رئاسة مجلس السوفيت الاعلى ، منح وسام الصداقة بـين الشــعوب لعزيز محمـد السكرتير العام للحـــزب الشيوعى العراقى اعترافا بدوره فى الحركة الشيوعية وفى نضال التحرر الوطنى المعـــادى للامبرياليــة ومساهمتــه فى تدعيم الصداقة بين شعبىالعراق والاتحاد السوفيتى ، وذلك بمناسبة عيـــد ميـلاده الخمسين .

■ طالب عـدد كبير من أعضاء الكنيستمن الحكومة الاسرائيلية ، طرد الشاعر الفلسطينى توفيق زياد المقيم فى الارض المحتلة ، ذلك بسبب قصيدته « العبور » التى يمجد فيها حرب اكتوبر عام ١٩٧٣

■ تســافر فى الايام القادمة بعثة عسكرية لبنانية الى العاصمة السوفيتية ، بدعوة من الاتحاد السوفيتى فى مهمة تتعـلق بشـئون الدفاع والتسليح .
والمعروف ان الاتحـاد الســوفيتى كان قد اعلن استعداده من قبل ، لبيع السلاح الى لبنان بشروط سـهلة ، لكى يتمكن من الدفاع عن أراضية ضـد الاعتداءات الاسرائيلية .

وقد أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعى اللبنانى فى [٢٤-١٠-١٩٢٤] ، وكان يعرف فى البداية باسم « **الحزب الشيوعى السورى** » ، وذلك أثناء الاحتلال الفرنسى البريطانى لمنطقة الشرق الاوسط عقب الحرب العالمية الاولى ، وتأكيدا لنهج الحزب الوحدوى فى مواجهة التجزئة الاستعمارية .

وخاض الحزب الشيوعى اللبنانى منذ البداية نضالا عنيفا من اجل حرية واستقلال لبنان من الاستعمار الفرنسى ، والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين والدروز ، وتعرض فى سبيل ذلك لشتى صنوف الارهاب والبطش على ايدى سلطات الاحتلال الفرنسى .. وكانت فى مقدمة القرارات التى أصدرها المندوب السامى الفرنسى فى مايو ١٩٢٦ قرارا بتحريم نشاط الحزب الشيوعى ، واعتبار نشاطه جريمة ضد « السلامة العامة » . والقى القبض على عدد كبير من قادة الحزب وكوادره ، ولم يفرج عنهم الا فى شهر يناير عام ١٩٢٨ ، وذلك بعدأن تمكنت سلطات الاحتلال الفرنسى بالتعاون مع القيادات الاقطاعية والراسمالية من اخماد الثورة السورية المسلحة ، بعد أن اغرقتها فى بحر من الدماء .

ومع بداية الثلاثينات اخذ نشاط الحزب يتزايد وتتسع قاعدته فى صفوف الطبقة العاملة والجماهير الشعبية والمثقفين ، وبالتالى زيادة تأثيره وفاعليته داخل الحركة الوطنية اللبنانية ، والتى بلغت ذروتها فى أكتوبر ١٩٤٣ ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث كان الحزب الشيوعى اللبنانى فى طليعة الجماهير المناضلة ضد الاستعمار الفرنسى .

وقد حدد الحزب أهدافه فى المذكرة التى بعث بها « **الشهيد** » **فرج الله الحلو** الى الحاكم العسكرى الفرنسى فى **منتصف اكتوبر** ١٩٤٣ ، وأعلن فيها ضرورة الابتعاد بلبنان عن المغامرات بين الدول الاستعمارية الطامعة فى لبنان ، وان ما تزعمه الاوساط الرجعية عن الحركة الوطنية ، التى تشترك فيها أوسع الجماهير اللبنانية على اختلاف أديانها ، من انها تريد أن تستبدل الاستعمار الفرنسى باستعمار خر ، ليس سوى محض افتراء ، وان جميع الوطنيين ليس لهم سوى هدف واحد هو استقلال لبنان وحريته وكرامته » .

ولم يتوان الحزب عن فضح المؤامرة الامبريالية ، التى تمثلت فى الاتفاقية التى وقعتها فرنسا وبريطانيا فى عام ١٩٤٦ ، والتى تهدف الى ابقاء لبنان وسوريا تحت السيطرة الامبريالية ، بتأييد من القوى الاقطاعية والراسمالية العميلة فى الداخل كما لم يتوان عن خوض المعارك الطاحنة المريرة الى جانب حركة التحرر الوطنى العربية فى مواجهة الاحلاف والمشاريع الامبريالية ، والتى تكللت بهزيمة حلف بغداد أو فى مواجهة الهجمات الاستعمارية والصهيونية والرجعية بعد ذلك .

وفى المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى اللبنانى فى عام ١٩٧٢ ، اكد الحزب من جديد موقفه المبدئى من القضية الفلسطينية ، بوصفها قضية تحرر وطنى لشعب شرد من وطنه واغتصب أرضه ، ومنع بالقوة والعنف من ممارسة حقه الطبيعى والمشروع فى تقرير مصيره بنفسه ، باعتبار نضال الشعب الفلسطينى جزءا من حركة التحرر الوطنى العربية المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية .

وأكد المؤتمر الثالث للحزب : « ان الشيوعيين اللبنانيين سيواصلون الوقوف جنبا الى جنب مع المناضلين فى فصائل حركة التحرر الوطنى الفلسطينى بوجه الامبريالية والصهيونية والرجعية ، باسم المصالح العليا المشتركة لحركة التحرر الوطنى العربية والحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى » .

والجدير بالذكر أن **الحزب الشيوعى السورى** ، قد احتفل فى نفس الوقت بالذكرى الخمسين لتأسيسه ، وأقيم بهذه المناسبة مهرجان كبير فى مدينة دمشق ، اشترك فيه ممثلون عن الاحزاب الوطنية التقدمية المتحالفة مع الحزب الشيوعى السورى فى تنظيم الجبهة الوطنية التقدمية .

شريط الاخبار

■ تقرر فى روديسيا ، تكوين فرقة خاصة من رجال البوليس قوتها ١٠٠٠٠ رجل لتجوب المدن الرئيسية ليلا لحمايتها من « الحوادث » وسيخصص حوالى ٨٠٪ من هذه القوة لحماية شوارع العاصمة سالسبورى ومدينة لولا وايو .

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الوطنية فى روديسيا تعيد الان ترتيب صفوفها لمواصلة الكفاح المسلح الذى بدأته فى عام ١٩٦٧

■ صدر البيان المشترك عن المؤتمر الدولى لازالة القواعد العسكرية الاجنبية الذى عقد فى دلهى فى منتصف نوفمبر الماضى . وجاء فيه « ان الامبريالية تحاول الان ايقاف الموجة القوية من حركات التحرر الوطنى فى البلدان الواقعة على المحيط الهندى » . ويضيف « بأن المحيط الهندى يمكن أن يصبح منطقة سلام نتيجة لجهود الدول الساحلية ولجهود كل القوى المحبة للسلام فى العالم ، منطقة خالية من السلاح النووى . وقد يصبح ـ ويجب أن يصبح ـ منطقة لتخفيف التوتر » .

ودعا المؤتمر الى تخصيص اسبوع عالمى للاحتجاج على اقامة القواعد العسكرية فى المحيط الهندى فى الفترة من ١٦ الى ٢٣ فبراير ١٩٧٥ .

لمحـــات من منجـــزات الثـــورة

احتفلت الجزائر فى أول نوفمبر المـــاضى بالعيـــد العشرين لثورة ١٩٥٤ المسلحة ، وقد شارك الشعب الجزائرى ومجلس قيـــادة الثورة والحكومة احتفالهم ، وفود ١٢٢ دولة عربية وأجنبية وعـــدد كبير من رؤســـاء الدول العربية والاجنبية

وقد القى الرئيس هوارى بومدين ـ رئيس مجلس قيادة الثورة الجزائرية ورئيس الحكومة خطابا أكد فيهعلى وحدة الجزائر العربية ومساندتها لقضايا العالم المصيرية ونوه بأمل الشعب الجزائرى فى استرداد كل الاراضى العربية التى أحتلت فى عام ١٩٦٧ وعودة حقوق شعب فلسطين اليه .

وقد اعتبر عديد من المراقبين السياسيين هذه المناسبة فرصـة لتعـداد الانجازات والتطبيقات الخاصة التى حققتهـــا الثورة الجزائرية فى مختلف الميادين ، فهناك مثلا تجربتها الخاصة فى مجال :

أ ـ وظائف الجيش الشعبى ،ونموذج له ماقام به نادى المجاهد عام ١٩٦٠ من تكوين لقطاعات زراعية [مساحتها ١٣٢ الف هكتار] نظمها الجيش فى شكل تعاونيات منها مشاريع مثل مشاريع الحزام الاخضر ، تهدف الى اطعام قوات الجيش .

وقد تولت اللجنة الوطنية للثورة الزراعية هذه المشاريع بالمتابعة ، وقام الجيش ايضا بانشاءات كثيرة فى مجال البناء المعمارى علاوة على القيام بمشروعات صناعية لسد حاجات الجيش من الادوات الاستهلاكية .

ب ـ التسيير الذاتى فى ميدان الزراعة .. فمنذ عام ١٩٦٢ وضعت الاراضى التى تركها المستوطنون الفرنسيون [٣ مليون هكتار] تحت ايدى الحكوم فسيرتها ذاتيا وفق ميثاق الثورة الزراعية الذى يهدف الى الغاء الملكية الكبيرة والملكية المستغلة التى قامت على اكتاف الفلاحين ومن دماء الشعب وكنتيجة حتمية للاوضاع الفاسدة من رشوة ومحسوبية ومضاربة .. وقد وضعت هذه الارض وغيرها تحت قيادة الصندوق الوطنى للاصلاح الزراعى .

وقد بدأت الثورة الزراعية بصفة مخططة فى سبتمبر عام ٩١٧١ ، وفتح باب التطوع أمامطلاب الجامعات ،وهنالك خطة لبناء الف قرية اشتراكية حتىسنة ١٩٨٠ وهدف هذا المشروع الاستراتيجى هو التغلب نهائيا على استعمار المدينة للريف فى الجزائر .. وترجع فكرة المشروع الى ايام الاستعمار الفرنسى عندما أعلن استعداده للعمل من أجل قيام الف قرية للمستقبل ولكن مع الفارق فى المضمون طبعا ..

وحاليا تغطى ادارات التسيير الذاتى ٨٠ فى المائة من المساحة الزراعية ويشكل انتاجها ٣٠ فى المائة من الدخل القومى وقد ساهم التسيير الذاتى فى تحرير عمال التراحيل وادى الى تحقيق اللامركزية الادارية وفقا للمادة ١٦ من رسوم مارس ١٩٦٣ مرسومى ١٦ ،١٩ [صادر ٢٥ ـ٢ ـ١٩٦٩] .

هذا ووفق مرسوم ١٥ فبراير ١٩٦٩ تقود الاجهزة الشعبية كل منطقة فى شكل مستقل وتمول ماديا من البنك المركزى الجزائرى ، والديوان الوطنى للالات الزراعية لضمان المتابعة .

جـ ـ مشكلة التعريب والتعليم : وتعانى الجزائر منهذه المشكلة كما تعانى منها كل دول المغرب العربى ولكن بدرجات متفاوتة ، وتوجه الجزائر سنويا أكثر من ربع ميزانيتها لمعالجة هذه المشكلة ، وقد بدأت مع المخطط الانمائى الكافى [١٩٧٤ ـ١٩٧٧] خطة لتنوير التعليم ويشمل التطوير انشاء المـدارس

■ اغلقت حكومة كوريا الجنوبية ولاجل غير محدد ٢٤ معهدا عاليا وعشرات الكليات ، وذلك فى محاولة لاخماد المظاهرات العنيفة التى قام بها الطلاب ، ضد حكم باك جونج مى الموالى للولايات المتحدة .

■ تعد الان سـلطات الاحتلال الاسرائيلى لمصادرة مساحات واســـعة من الاراضى الفلســطينية فى منطقة القدس ، وذلك ضمن برنامج للاسـكان اعـدته السـلطات الصـــهيونية للسنوات الخمس القادمة ، والذى يشمل اقامة ٣١٠ وحدة سكنية ، جديدة .

■ ترك ٩٠من المحاضرين فى جامعة « لورنزو ماركيز» فى موزمبيق ، وجميعهم من البيض ، تركوا مناصبهم فى الجامعة ضمن مخطط يهدف الى شـل مختلف نواحى الحياة فى البلاد .

ويمثل هذا العـدد ثلث مجموع هيئـة التدريس فى الجامعة وعدد افرادها ٢٩٣ أستاذا وقد غادر موزمبيق منذ قيـام انقلاب البرتغال حتى الان حوالى ٧٠٠٠٠ من البيض يمثلون ثلث عدد السكان البيض فى موزمبيق.

الاساسية [٩ سنوات] والمدارس الثانوية الشاملة والمتخصصة هذا وقد وصلت الاقسام المصرية فى كل المؤسسات التعليمية الى ٨٤ فى المائة .

د ـ الالتزام فى القضايا الثقافية والفنية .. ويكفى كمثال حول هذا الموضوع حقل السينما الذى يلعب دورا هاما فى نقل الفكر التقدمى للشعب ، والسينما الجزائرية ملتزمة الى حد كبير بواقع الجماهير ، ولعل اهم الافلام منذ انتفاضة ١٩٦٥ ، فيلم **معركة الجزائر** ـ ١٩٦٦ اخراج جيلو بونتكو رفو ـ ويتعرض لكفاح حى القصبة الشهير ، اما فيلم **الخارجون على القانون** ـ ١٩٦٩ اخراج **توفيق فارس** ـ فيتعرض لموقف المواطن من خرق القانون ويبيح هذا الخرق فى حالة اذا كان القانون استعماريا ولا يخدم القضية الوطنية أو كان طبقيا ويمثل الاستغلال . ويرى فيلم **اليزا أو الحياة الحقيقية** ـ ١٩٧١ ـ ان مشكلتى الرجل الابيض فى الجزائر والرجل الاسمر فى فرنسا تتفاقمان بعد الاستقلال ، اما فيلم [**سافارى** ـ او **ستعود**] ـ ١٩٧٢ اخراج **سليم رياض** فيصر على ان فوهة البندقية هى الطريق الى فلسطين ، ويرى فيلم **ديسمبر** للاخضر حامينا ـ ١٩٧٢ أن التعذيب فى المستعمرات الفرنسية والمعتقلات قد فاق كل حو ابان الاحتلال . وفيلم **الفحام** [١٩٧٣] اخراج **محمد بن عمارى** يتكلم عن مشاكل البناء بعد الاستقلال ، ويجدر بنا ان نذكر ان فيلم **العصفور** ـ اخراج **يوسف شاهين** نموذج للسينما المشتركة ـ

هـ ـ اما عن قضايا التحرر العالمى .. فترى الجزائر ان بعد المسافة بين موقفها وارض النزاع ليس عائقا أمام المهمة القومية والتحررية للجزائر . وتطرح الجزائر المساندة الدائمة لمنظمة التحرير وتعارض أى محاولة من جانب الاردن من أجل عرقلة الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعى ووحيد لكل الاراضى الفلسطينية ولكل الشعب الفلسطينى وهذا ما أقره مؤتمر القمة فى الجزائر ١٩٧٣ ومؤتمر القمة فى الرباط ١٩٧٤ وترى الجزائر ان المقاومة الفلسطينية يمكنها ان تستفيد من التجربة الجزائرية بشأن الحكومة المؤقتة والنضال المسلح الذى ترى الحكومة الجزائرية أنه أساس ولازم قبل الحل السلمى أو العمل الدبلوماسى او الاقتصادى ، وتؤيد الجزائر ذهاب العرب الى مؤتمر جنيف رغم انها كانت من القوى المعارضة للقرار رقم ٢٤٢ الا أنها حاليا ترى أن اسرائيل والولايات المتحدة لن تستطيعا تقديم أى حل عملى للمشكلة ، ولذا فلا خوف من هذه الجولة ، وترى الجزائر أيضا ان قضية مساندة الاتحاد السوفيتى لقضايا العرب وكذلك موقف الصين من القضية العربية لا مجال للشك أو للتشكيك فيهما .



□ ايطاليـــــا

مؤتمر الغذاء العالمى وأزمة العالم الثالث

عقد فى روما فى الفترة من ٥ الى ١٦ نوفمبر « مؤتمر الغذاء العالمى » الذى تولى المهندس « **سيد مرعى** » سكرتاريته العامة بناء على اختيار كورت فالدهايم سكرتير عام الامم المتحدة . واشتركت فى المؤتمر ١٣٢ دولة . وفى هذا الاجتماع انضمت الى عضوية « منظمة الاغذية والزراعة » أكبر دولة فى العالم من ناحية عدد السكان وهى الصين [٧٥٠ مليون نسمة] ودولة الامارات العربية [٢٢٦ ألف نسمة] .

والواقع أن موقف الدول الغربية فى هذا المؤتمر كان غريبا غاية الغرابة، حيال مشكلة الغذاء العالمية . فقد كانت النغمة السائدة بين علماء الاقتصاد والاجتماع البورجوازيين تتضمن الموت جوعا لاعداد ضخمة من الناس فى آسيا

■ شريط الاخبار ■

■ قرر الحزب الشيوعى الايطالى تشكيل لجان لناصرة ثورة عمان فى ايطاليا .

جاء ذلك فى تصريح لمسئول عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، عقب الاتصالات التى تمت مؤخرا بين مندوب الجبهة فى ميلانو وبين السنيور سيراتى عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الايطالى .

■ أعلن ماريو سواريز وزير خارجية البرتغال عن ترحيب بلاده لافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى البرتغال ، اذا طلبت المنظمة ذلك ، كما ندد سواريز بشدة السياسة التوسعية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط .

وقال وزير خارجية البرتغال : ان بلاده مصممة على تصفية المستعمرات البرتغالية فى افريقيا ، واشاعة الروح الديمقراطية فى كافة مجالات الحياة الوطنية فى البرتغال .

■ من المقدر ان يصل عدد العاطلين فى دول السوق الاوربية المشتركة التسع الى أكثر من اربعة ملايين شخصا فى شهر ابريل ١٩٧٥ ، بينما يقدر عدد العاطلين حاليا فى دول السوق ٣٫٢ مليون شخص .

جاء ذلك فى دراسة أعدها الخبراء فى السوق المشتركة .

■ شريط الاخبار ■

وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ثم بدأت « الثورة الخضراء » [التى تتلخص فى ادخال بعض سلالات من الحاصلات المرتفعة الغلة ، واستخدام المخصبات الزراعية ومبيدات الحشرات ووسائل الزراعة الحديثة] كبديل للاصلاح الزراعى الديموقراطى ، والتى هللت لها وسائل الاعلام الغربيـــة بحيث أن **النيويورك تايمز** كتبت تقول « ان كثيرين من الخبراء كانوا أكثر قلقا نحو « شبح الوفرة » عنهم حيال «شبح المجاعة » ! الا ان التشاؤم سرعان ما عاد مرة أخرى بين الخبراء ، الذين أخذ بعضهم يفسرون الازمة الحالية بأسباب مخالفة بعيدة كل البعد عن الاسباب الحقيقية ، ولعل أخبث هذه النغمات السائدة الان هو القول بأن رفع أسعار البترول هو سبب أزمة الغذاء فى العالم ، والحقيقة أن الازمة موجودة منذ سنين عدة . ولكن هذه النغمة تسود الان لتخويف الشعوب الاوربية وشعوب العالم الثالث من العرب ، لمنع التقارب بينهما خاصة بعد عرض القضية الفلسطينية فى الامم المتحدة .

واذا أخذنا الارقام التى تقدمها « منظمة الاغذية والزراعة » عن الاعوام من ٦١ ــ ١٩٦٥ على أنها الرقم القياسى ، فان الانتاج فى الدول الغربية وصل عام ١٩٧٣ الى ١٢٦ وفى العالم الثالث الى ١٣١ . معنى ذلك ببساطة أن معدلات النمو فى العالم الثالث لم تكن أقل منها فى الدول الغربية على العكس كانت تفوقها .

ولكن المشكلة هناهى أن معدلات الزيادة فى انتاج الغذاء فى الدول النامية غير كافية ، اذا ما قورنت بالنمو السكانى ، مما يجعل شعوبها تعيش فى شبه مجاعة . صحيح أن « الثورة الخضراء » قد أدت الى توسع ملحوظ فى انتاج عدد من مناطق العالم وخاصة فى جنوب آسيا وجنوب شرقها ، الا أنها لم تعد كافية حتى لقد ذكر أ . **بويرما** المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة : « ان التفاؤل الذى ولدته « الثورة الخضراء » يجب أن يؤخذ بحذر » .

ثم جاءت موجة التضخم التى اجتاحت العالم الرأسمالى وموجة ارتفاع الاسعار بشكل لم يسبق له مثيل ، وأدى نقص الغذاء الى ارتفاع جنونى فى أسعار الحبوب ، وحتى فى البلاد التى لا تعانى نقصا فى الغذاء ، لا يستطيع الناس شراء ما يكفى منه ، بسبب الانخفاض الشديد فى القوة الشرائيـــة . وتقول الارقام أنه نتيجة لهذا كله أصبح ٢٠ فى المائة من سكان الدول النامية [اى حوالى ٤٠٠ مليون] يعـــانون من نقص البروتينات . وتؤكـــد احصائيات « منظمة الاغذية والزراعة » أن هذا التقدير أولى ، ومعنى هذا أن الرقم الحقيقى أكبر من هذا . والمفهوم بطبيعة الحال أن أفقر قطاعات السكان هم ضحايا المجاعة التى تجتاح العالم .

وحتى ندرك مدى ارتفاع الاسعار نقول أن سعر القمح الامريكى وصل الى ٢٢٠ دولارا للطن ، أى أربعة أمثال سعره فى يونية ١٩٧٢ . وفى نفس الوقت ازدادت حاجة الدول النامية الى الاغذية فازدادت وارداتها منها . ففى الفترة بين ٤٩ــ١٩٥١ الى ٦٦ــ١٩٦٨ زادت وارداتها من الحبوب من ٤ر١٢ مليونا الى ٤ر٣٤ مليونا من الاطنان سنويا ، وتشكل الحبوب حوالى ٦٠ فى المائة من الاغذية . وتقول تقديرات المنظمة أنها وصلت فى عام ٧٣ــ١٩٧٤ الى حوالى ٦٠ مليونا من الاطنان ، ويقدر ثمنها بحوالى ١١ الف مليون دولار بعد أن كان هذا الرقم فى عام ٧١ــ١٩٧٢ لا يزيد عن ٣٠٠٠ مليون دولار .

ولقد كان اتجاه الولايات المتحدة الامريكية الذى ظهر من خلال خطاب وزير خارجيتها **الدكتور هنرى كيسنجر** هو محاولة تكوين منظمة دولية جديدة تتحكم فى الغذاء العالمى وتوزيعه واستخدامه ، واقترح تقديم الاستثمارات اللازمة عن طريق الدول الاعضاء ، وخاصة الدول المنتجة للبترول فى محاولة لايهام الناس بمسئوليتها اعن الازمة .

هنا سارعت الدول النامية الى فضح محاولة كيسنجر ورفضت هذه الخطة لانها تبعد المسئوليات فى الازمة الغذائية الحالية عن الولايات المتحدة احدى

■ بلــغ العجـــز فى الميزان التجـارى اليابانى لهذا العـام حوالى ٥٠٠ مليون دولار .

جاء ذلك فى التقرير الذى اعـده المجلس اليـابانى للتجارة الخارجية .

واوضح التقرير : ان اسباب هذا العجز ترجـــع الى ارتفاع أسـعار النفط الخام والمـواد الغذائيـة والخـامات وانخفـــاض الصادرات اليابانية نتيجة التضـــخم فى البـــلدان الرأسمالية الغربية .

■ بلغ عـــدد طــلاب الجامعات والمعاهد العليـا الذين فصــلتهم الحـكومة الفاشية العسكرية فى شيلى فى الفترة الاخيرة ٢٥ ألف طالب ، كما قامت بطــرد حوالى ٤ الاف من هيئات التدريس بالجامعات والمعاهد العليا .

وتقوم الحكومة العسكرية حـاليا بتغيير المنــاهج الدراسية فى الجامعات ، بما يتفق مــع ســـياسة وايديولوجية النظام الفاشى فى البلاد .

وكانت الجمعية العـــامة للامم المتحـدة قد اتخـذت قرارا فى دورتها الحالية ، تطالب فيه الحكومة العسكرية بالكف عن عمليـات تعذيب المعتقلين الســياسيين ، واطلاق سراح آلاف المعتقلين والمسجونين السياسيين ، واعادة الحريات الديمقراطية المصادرة الى شيلى .

الدول الاساسية المنتجة للبترول ؟ ومحاولة القاء التبعية على الدول المنتجة للبترول وهاجمت آوربا الغربية [فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا الخ] تكوين أى منظمة دولية جديدة . وفى نفس الوقت قدمت الدول النامية اقتراحات عديدة بأن تعوضها الدول الغربية عما نهبته منها الدول الاستعمارية وشركاتها وخاصة الشركات المتعددة القوميات .

وقد شن رئيس المكسيك **لويس ايشيفيريا** على سبيل المثال ، هجوما مركزا ضد محاولات الدول الكبرى المنتجة للحبوب لانتهازها فرصة نقص الغذاء ، واستخدام القمح كسلاح للضغط على الدول النامية التى تعانى من الازمة الغذائية وقال : « ان دول السوق الاوربية المشتركة ـ أو بعضها على الاقل ـ الى جانب الولايات المتحدة ، قد اشتركت كلها فى صنع الازمة الغذائية التى تجتاح العالم الثالث اليوم ، وهى تضع المراقيل فى طريق تطور دولة . ولقد عانت معظم هذه الدول من القوى الاستعمارية ، ومن نهب الاحتكارات المتعددة القوميات » .

أما وفود الدول الاشتراكية فقد ركزت على المشاكل الخاصة بالزراعة الحديثة وخاصة مشاكل الاصلاح الزراعى ، وركزت على أن الطريق الوحيد لمكافحة الجوع وسوء التغذية لا يأتى الا من خلال التنمية الاقتصادية الكاملة الشاملة الطويلة المدى والتى لا تتوقف ، تلك التنمية التى يتأتى من خلالها زيادة الانتاج الزراعى عن طريق اصلاح زراعى ديموقراطى .

وركز الوفد السوفييتى ـ الى جانب هذا ـ على حل مشاكل الغذاء العالمية فى جو الانفراج الدولى . فوجه النقد الى النظريات غير العلمية التى تقدمها الدول الرأسمالية لتفسير نقص الغذاء فى العالم . وقال الوفد أن الاسباب الرئيسية لتفاقم مشكلة الغذاء لا تكمن أساسا فى الكوارث الطبيعية والاسباب المرتبطة بها ، ولا تكمن كذلك فى التغيرات التى تجتاح أسواق الحبوب ، ولكنها ـ وفوق كل شىء ـ تكمن فى المجالات الاجتماعية ـ الاقتصادية ، والاجتماعية ـ السياسية . ان حل مشكلة الغذاء ، والتنمية الاقتصادية بشكل عام ، يعتمد على السلام والامن فى العالم أجمع . ان نزع السلاح وخفض الميزانيات العسكرية هو الطريق ، فالعالم كله يصرف سنويا حوالى **٢٥٠ ألف مليون دولار** على التسليح ، وبطبيعة الحال سيؤدى نزع السلاح وايقاف سباق التسلح بين الدول الى زرع الثقة بينها وخلق مناخ سياسى صحى يؤدى بالتالى الى زيادة الميزانيات التى تصرف على المشروعات الانتاجية العالمية ، وعلى الحرب ضد الجوع وسوء التغذية .

وقد عالجت الدول النامية المشكلة من خلال ثلاثة جوانب رئيسية :

أولا : زيادة الانتاج الغذائى فى البلاد النامية .
ثانيا : تحسين معدلات وأنماط استهلاك الغذاء الحاليةفى العالم وتحسين نوعية التغذية .
ثالثا : تدعيم الامن الغذائى فى العالم ، وهو الاتجاه الذى تركزت عليـــه المناقشات والصراعات بين الاتجاهات المختلفة .

ولكن « مؤتمر الغذاء العالمى » الذى استمر ١٢ يوما انتهى بوعود لملايين الجياع فى العالم ، ولكن بقليل مما يملا البطون ، فقد كانت أهم القرارات هى تلك التى تعمدت فيها الدول الغنية بمضاعفة معونة الغذاء الحالية على مدى السنوات الثلاث القادمة لتصل الى ١٠ ملايين طن سنويا . وفى الوقت نفسه رفضت الولايات المتحدة الامريكية منح مليون طن اضافية من الحبوب فورا للتخفيف من الازمة الغذائية التى تعانى منها الان الهند وبنجلاديش بشكل حاد و ٣٠ دولة أخرى .

لقد تركزت معظم القرارات على زيادة الجهد لزيادة الغذاء وقال **المهندس سيد مرعى** سكرتير عام المؤتمر أن القرارات التى اتخذها المؤتمر هى الاولى من نوعها فى العالم وأن مسئولية تنفيذها تقع على عاتق الدول النامية نفسها .

شريط الاخبار

■ ذكرت الانبـــاء ان الولايات المتحدة تقوم حاليا بانشاء محطة لرصد الاقمار الصناعية فـوق الاراضى الايرانية . وان الغرض من هذه المحطة ، هو نقل المعـلومات عن الاقمـــار الامريكية التى تقوم بمهمة التجسس أثناء تحليقهافوق اراضى البلدان العربية ، لتســتفيد منها المخــابرات الامريكية . وان الهدف من انشاء هــذه المحطة ليس للاغراض العلمية والسلمية كما زعمت الصحف الامريكية مؤخرا .

وتضيف الانبــاء ، ان ريتشـــارد هيلمز ســـفير الولايات المتحــدة فى ايران والرئيس الســابق لوكالة المخابرات المركزية الامريكية كان وراء انشاء هذه المحطة فى ايران .

■ نفت اللجنة الفرنسية التى شكلها البرلمان الفرنسى مزاعم الولايات المتحدة عن مســئولية الدول العربيــة المنتجة للبترول عن أزمـــة التضخم المــالى وارتفـــاع الاســــعار فى الـــبلدان الرأسمالية الغربية .

وكان جـورج مارشـيه عضو البرلـــان وســـكرتير الحزب الشـــيوعى الفرنسى قد طالب بتشــكيل هـــذه اللجنة ، للنظر فى الارباح الــكبيرة لشركات البـــترول الفرنسية ، التى تجنيها من وراء تحميلها فرق الاسعار للمستهلك الفرنسى .

■ شريط الاخبـار ■

■ أعلن ممثـل لوزارة الخارجية الامريكية ، أن بيرو طلبـت من الولايات المتحدة سحب ١٣٧ عضوا من اعضاء هيئـات السلام الامريكى الموجودين بهـا الان • وقد أخبرت حكومة بيرو سفارة أمريكا فى ليما بأنه على أعضاء هيئـات السلام الامريكى أن يغادروا البلاد فى أسرع وقت ممكن• ومن المعروف أنه ليست هذه هى المرة الاولى التى تطرد فيها هيئات السـلام الامريكية وموظفـو مختلف الهيئـات التمثيلية للولايات المتحدة من بـلدان أمريكا اللاتينية •

■ قدم الصليب الاحمر السـوفيتى مسـاعداته للسودانيين الـذين اغرق الفيضان مناطقهم • فقـد أرسل الصليب الاحمـر السوفيتى هدية من الادوية والاقمشة والمنسوجات •

■ كوبـــا

كسر طوق الحصار .. مستمر

لم يحصل الاقتراح الذى تقدمت به **كولومبيا وكوستاريكا ، وفنزويلا** لمؤتمر وزراء خارجية منظمه الدول الامريكية فى كويتو من اجل رفع العقوبات من كوبا على أغلبية الثلثين اللازمة ، فمن بين ٢١ صوتا هى الدول الاعضاء فى المنظمة • أيدت رفع العقوبات عن كوبا ١٢ دولة هى **الارجنتين ، وكولومبيا وكوستاريكا ، واكوادور ، وسلفادور ، وهندوراس ، والمكسيك ، وبنما وبيرو والدومينيكان ، وترينداد ــ توباجو ، وفنزويلا** ، بينمـا كان المطلوب لفـوز الاقتراح ١٤ صوتا ، وامتنعت عن التصويت ٦ دول هى **الولايات المتحدة والبرازيل ، وجواتيمالا ، وبوليفيا ، ونيكاراجوا ، وهاييتى** ، وعارضت ثلاث دول ، رفع العقوبات عن كوبا وهى **أوروجواى ، وباروجواى ، وشيلى** • كذلك فعلى الرغم من أن **البربادوس** ، وجامايكا عضـوان بمنظمة الـدول الامريكية الا انهما لم تدليا بصوتهما لانهما لم ينضما الى المعاهدة الامريكية للمساعدة المتبادلة •

واثر انتهاء المؤتمر ، وفتحت الدول التى تؤيد رفع العقوبات عن كوبا وثيقة تدين نتيجة مؤتمر كويتو باعتبارها « **اهانة خطيرة للمعاهدة الاولية للمساعدة المتبادلة** » أكدت فيها أن هذه النتيجة « **ليست هزيمة لنا ولكنها هزيمة للمعاهدة الامريكية للمساعدات المتبادلة** ! وأوضحت أن الدول الـ ١٢ التى تؤيد رفع العقوبات كانت تستهدف تدعيم النظام القائم بين الدول الامريكية ، **وتدين عدم فاعلية العقوبات ، وتؤكد أن ابقاء اجراءات العقوبة تجاه كوبا « يوسع الهوة بين الدول الامريكية » وسوف تكون له « آثار سلبية فى المدى القريب »** وقد وقعت بربادوس وجامايكا هذه الوثيقة أيضا •

وعلى أية حال ، فعلى الرغم من أن المؤتمر لم يتخذ من الناحية العملية قرارا برفع العقوبات من كوبا ، الا أن هذا المؤتمر وما تلاه على الفور ، يسجل المزيد من نجاح كوبا فى كسر الحصار العدائى المفروض حولها فى سقف الكرة الغربى • فبعد فترة قصيرة من رفض منظمة الدول الامريكية رفع العقوبات عن كوبا ، **اتخذت كولومبيا ، وكوستاريكا وفنزويلا قرارا باعادة العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع كوبا** • كما تفجرت مظاهرات عنيفـة فى كويتو حيث عقد المؤتمر ، ووقعت اشتباكات عديدة بين الطلبة ورجال الشرطة ، كان الشباب يرددون فيها الشعارات الودية تجاه كوبا ويعربون من سخطهم على قرار المنظمة •

وفيما يتعلق بكوبا نفسها ، فانها شهدت فى حوالى منتصف نوفمبر الماضى اللقاء الثانى بين **كاسترو وياسر عرفات** ، بعد لقائهما الاول فى ديسمبر ١٩٧٣ فى الجزائر بمناسبة مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز ، والذى قطع كاسترو علاقته باسرائيل بعده بيومين • وفى هذا اللقاء الثانى استقبلت كوبا الزعيم الفلسطينى كرئيس دولة ، وصدر بيان مشترك من الزيارة طالب فيه الجانبان بالوقف العاجل للهجمات الاجرامية التى ترتكبها القوات الصهيونية ضد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين العزل ، وضد القرى اللبنانية ، وأعربا فيه من ادانتهما لضغوط الامبريالية الامريكية على البلـدان المنتجة للبترول ، وخاصة البلدان العربية والح الجانبان أيضا على ضرورة دعم وحدة العمل بين كافة البلدان النامية فى اطار مجموعة الدول غير المنحازة ، وبمساعدة وتضامن البلاد الاشتراكية ، وحق البلدان النامية الذى لا ينكر فى استخدام ثرواتها الطبيعية بما فيها البترول ، كسلاح سياسى من أجل الدفاع عـن استقلالها ، وسيادتها القومية فى مواجهة الضغوط والاعتداءات الامبريالية ».





.. وخـــاطب أبو عمـــار العـــالم

كيف يمكن حساب المسافة بين مغارة فـى السلط ، أو كهف فى الاغوار ، أو مخيم فى جنوب لبنان ، وبين منصة الجمعية العامة للامم المتحدة ؟

البعض يقيسها « جغرافيا » بضعة آلاف من الكيلو مترات ، والبعض الاخر يقيسها « زمنيا » ، عدة ساعات من الطيران ، لكنها كانت بالنسبة **لابو عمار** رحلة من النضالات المستمرة لسنين عديدة ، وثلاثين الف شهيد ، .. ولا يزال الرجل والقضية التى يمثلها فى منتصف الطريق بعد ..

ولقد كان ذهاب **ياسر عرفات** الى نيويورك قلعة الطابور الصهيونى فى أمريكا ، واستقباله فى مقر الامم المتحدة استقبال الرؤساء ، والتصفيق الحاد الذى استقبل به خطابه فى الجمعية العامة للامـم المتحدة هو مجرد الشكل فى الموضوع أما الجوهر فهو ان وقوف **ابو عمار** على منصة الجمعية العامة للامم المتحدة ليخاطب العالم كان تتويجا لمعركة كان النضال فيها ضد العدو الصهيونى هو « الجهـاد الاصغر » أما « جهادها الاكبر » فكان على الصعيد العربى والفلسطينى على السواء .

فاذا كان النضال المسلح الثابر والدؤوب ، والعمل السياسى الواعى قد استطاع ـ الى حد كبير ـ أن يهزم الاحساس الفلسطينى بالخوف والعزلة فان مزيدا من النضال لايزال مطلوبا حتى يمكن هـزيمة المتـاجرين بالشـعارات البراقة والعاجزين عن رؤية الواقع الموضوعى والامكانيات المتاحة ..

ومنذ مؤتمر القمة بالجزائر عندما اتفق على أن تكون منظمة التحرير هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب العربى الفلسطينى .. خضع هـذا « الاتفاق » العربى للعديد من المنـاورات .. حسمتها فى النهاية صلابة وحدة القوى الفاعلة فى العمل الفلسطينى وقدرة القوى الثورية فى الضفة الغربية وقطاع غزة على حشد أوسع الجماهير تأييدا لمنظمة التحرير والاعتراف بها كممثل شرعى ووحيد لهم .

وكانت هناك أيضا معارك عديدة .. ارتفعت حولها شعارات عديدة وتكونت من أجلها جبهات للقبول وجبهات للرفض منها قضية اقامة السلطة الفلسطينية على أية أرض فلسطينية تتحرر من الاحتلال الاسرائيلى ، ومنها قضية الحكومـة الفلسطينية فى المنفى ، ومنها أسلوب التـوجه الفلسطينى للرأى العام العالمى .. ومن خـلال الممارسة النضالية الواعية بحقيقة التنـاقضات العربية وعمقها وحقيقة الاوضاع العالمية وتأثيرها وتأثرها بأزمة الشرق الاوسط ، ومن خـلال استخلاص لنتائج حرب أكتوبر ولحجمها الحقيقى وحجم تأثيرها فى مستقبل الصراع بالمنطقة ، من خلال النجاح فى ذلك كله استطاعت الثـورة الفلسطينية أن تشق طريقها من الاغوار ، ومن المخيمات لتحتل مكانها كجزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنى العالمية المناهضة لـلاستعمار والامبريالية .

والحقيقة أن قرارات « الرباط » كانت خطوة حاسمة فى هذا الطريق وان كانت ولما يجف مدادها بعد قد تعرضت لبعض التفسيرات والتأويلات ، والحقيقة التى لا شك فيها أن النظام الاردنى قد قبل بعد تردد طويل وتحت ضغوط عربية اجماعية ومكثفة بقرارات الرباط ، وقيل انه قد قبلها « بفهم خاص » لكنه كان أيضا للفلسطينيين فهمهم الخاص لقرارات « الربط » ، وتعلق « فلسطين الثورة » الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى افتتحية لها على قرارات الرباط قائلة « ان فرح الشعب الفلسطينى يوم صدرت قرارات مؤتمر قمة الربط يعود فى الاساس الى ان الاشقاء قد أقروا حقيقـة بنى شـعبنا صرحهـا بدمائه ثـم تمضى « فلسطين الثورة » قائلة « واذا صدقت النوايا فان من حق المقاتل الفلسطينى أن ينطلق من أية أرض عربية ، ويقاتل العدو المحتل ، وراءه ارادة أمته تدعم نضاله وتوفر له أسباب النضال والصمود » (فلسطين الثورة ٣٠ تشرين ثانى (نـوفمبر) ١٩٧٤) ولابد أن الجميع يتذكرون وهم يحللون موقف الاردن ان **ارنو بورجراف** المراسل السياسى لمجلة نيوزويك الامريكية والرجل الشهير بصلاته العميقة بالدوائر الامريكية ذات النفوذ كان يحمل ودون حرج من أحد بطاقة عضوية كاملة فى الوفد الاردنى فى الرباط .

الحذر .. قبل الفرح

ولعل اهم ما يميز الموقف الفلسطيني تتويجا لهذه النجاحات هو الحذر الشديد وعدم الانسياق في تيار التفاؤل ، وقبل مغادرته بيروت في طريقه الى الامم المتحدة تحدث أبو عمار قائلا « يتوجب على ، من موقعي في المسئولية وسط هذا الضجيج ووسط هذه الافراح والانتصارات أن أضع أمتي العربية أمام حقيقة ان اسرائيل تعد للحرب ، وتصر على أن تكون المبادأة لها فيها . وينكشف البعد الاخر لهذا الكلام اذا ما عدنا الى كلام الرئيس الامريكي فورد ، والذي قال فيه « ان اسرائيل هي امتداد للحضارة الامريكية في الشرق الاوسط » ويمضي عرفات محذرا « ليس من قبيل المصادفات اننا في الوقت الذي نعيش « عرسا فلسطينيا » ننتظر ونتوقع حربا خامسة ، بعيدا عن الابتسامات والتهاني ، بعيدا عن الضجيج ، بعيدا عن الفرح بما حققته القضية لابد أن نذكر ، وأن نتذكر ما يصدر عن عدونا ، وبالتحديد ما يصدر عن جنرالات اسرائيل وهي ذئاب جريحة بعد حرب رمضان » (السفير ١٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٤) .

ويصل ياسر عرفات الى نيويورك وكما أن الرحلة من الاغوار الى منصة الامم المتحدة شاقة وصعبة كانت البدائل التي طرحتها امريكا امام الوفد الفلسطيني صعبة أيضا وطالبوا بتحديد عدد اعضاء الوفد وبتحديد اقامتهم وتحديد تحركاتهم ، ورفض الفلسطينيون ووضعوا النظام الامريكي في مأزق التوفيق بين استضافة مقر الامم المتحدة وبين استضافة النفوذ الصهيوني ، وبعد ضغوط أبلغت أمريكا الفلسطينيين عن طريق القاهرة انهم احرار في تحديد عدد الوفد واختيار مكان اقامته « يونيتد برس — ١٠-١١-١٩٧٤ » .

ويصل أيضا الرئيس اللبناني فرنجية بقرار من مؤتمر الرباط ويعلن فرنجية في مطار كينيدي «باسم العرب .. جئت لاشرح القضية الفلسطينية .. وانني أؤمن أن الدفاع عن القضية الفلسطينية دفاعا عن مبادىء الامم المتحدة نفسها » [ا . ش . ا — ١٠ — ١١ — ١٩٧٤] .

وينصت العالم ..

ويفتح الباب المخصص لدخول رؤساء الدول، ويدخل فدائي فلسطيني يضع « الحطه » الفلسطينية فوق رأسه ، ويسير خلفه رئيس البروتوكول في الامم المتحدة ويقف ممثلو العالم مصفقين .



ياسر عرفات

ولم تكن كل هذه المراسم سوى تتويج لسلسلة من النتائج .

● اولها نجاح الفلسطينيين في أن يصلوا بقضيتهم الى مواقع التاثير الفاعل في الراى العام العالمي بحيث أصبحت قضيتهم تشد بالفعل الاهتمام العالمي .

● فشل السياسة الصهيونية في الاستمرار في فرض طابع اللاجئين وطابع المشكلة الانسانية على «الشعب الفلسطيني » وعلى « القضية الوطنية» .

● بروز تناقض ما بين النفوذ الصهيوني في نيويورك والولايات المتحدة عموما وبين المسئوليات الامريكية الخالصة ولعل ابرز دليل على ذلك هو تصريحات الجنرال جورج براون رئيس الهيئة المشتركة لرؤساء الاركان الامريكيين . ورغم أن الامريكيين حاولوا احتواء هذه التصريحات وقيل « ان الرئيس فورد استدعى براون وانبه على أقواله » (الانوار ١٦ تشرين ثاني ١٩٧٤) الا أن الامر يظل ذو دلالة تستوجب الاهتمام والفحص المتواصل .

● فشل السياسة الامريكية تجاه قضية الشرق الاوسط والتي تمثلت اساسا في محاولات كيسنجر الدؤوبة لسلخ قضايا المواجهات العربية مع اسرائيل بعيدا عن بعضها البعض والتلويح لكل بلد على حده بتسوية جزئية مشروطة ، ولعل اكبر دليل على فشل هذه السياسة هو تصريحات كيسنجر نفسه ضد نتائج الرباط ، وتصريحات كورت فالدهايم سكرتير الامم المتحدة عن « فشل خطة كيسنجر في الحل خطوة خطوة » (الاهرام ١٩ — ١١ — ١٩٧٤] ولعل فالدهايم كان يقصد « خطة كيسنجر للحل بلدا بلدا » .

● فشل بعض المخططات العربية التي ارادت تأجيل طرح القضية الفلسطينية تحقيقا لاهداف خاصة .

● فشل بعض المخططات الفلسطينية التى حاولت من خلال نهج يسارى شديد التطرف ، الالتقاء مع بعض قوى اليمين فى استهدافه تأجيل البروز الفلسطينى الى سطح الاحداث ..

ومن هنا فقد كانت خطوات الفدائى ذو « الحطة » الفلسطينية أمام الجمعية العامة تجسيدا لانتصارات هامة وبداية لمرحلة حاسمة فى القضية الفلسطينية .

ويقف الفدائى اللافسطينى مخاطبا العالم « اتيتكم وغصن الزيتون فى يدى» ملوحا فى نفس الوقت بالبندقية ، لكنه لم يقف ليقدم شكوى المظلوم أمام محكمة بل وقف كممثل لحركة تحرر وطنى يعلن أهداف وبرنامج وتاريخ نضال ومستقبل أمة .

وقف ليضع القضية الفلسطينية وضعها الصحيح كجزء من حركة التحرر الوطنى العالمية المناهضة للاستعمار والامبريالية . وليحدد مواقف حاسمة من قضايا الاستعمار ونزع السلاح والتسلح النووى ، وباختصار وقف شامخا شموخ شعب مصمم على الانتصار متيقن تمام اليقين منه . ولعل ذلك الموقف التقدمى هو أحد المشكلات الاساسية التى تواجه الصهيونية العالمية . ويؤكد ذلك المعلق السوفيتى **كوفالدين** عندما يقول « ويثير الطابع التقدمى المعادى للامبريالية للحركة الفلسطينية الغضب فى الدوائر الصهيونية المسئولة عن ظهور المشكلة الفلسطينية ، وفى الدوائر الامبريالية الرجعية فى الغرب » (نوفوستى ـ ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) .

ولقد كان النجاح الاساسى لخطاب **عرفات** أمام الجمعية العامة للامم المتحدة ذلك الخطاب الذى وصف بأنه «اصاب أسرائيل بالحزن ومنح العرب افراحا كثيرة » (هيرالد تريبيون انترناشيونال ١٥ نوفمبر ١٩٧٤) انه وبقدر كبير من الحكمة السياسية استطاع أن يحقق توازنا متسقا بين عديد من المواقف والبدائل التى كان الكثيرون يتصورون أنه يصعب التوجه اليها معا .

.. وفرنجية يتحدث

ولقد كان اختيار الرئيس **فرنجية** ليتحدث أمام الجمعية العامة باسم الرؤساء العرب اختيارا موفقا أيضا ، ذلك أنه اشهار وتوثيق رسمى وعالمى للالتزام اللبنانى تجاه الفلسطينيين ، « فعندما وقف لبنان الى جانب الشعب الفلسطينى المشرد من أرضه ووطنه انما فعل ذلك بدافع اسمى ودافع العقل والقلب ، بدافع الاخوة العربية والتضامن الانسانى » (النهار ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) .

ومع بروز القضية الفلسطينية بهذا الشكل الصحيح والصحى معا أمام المجتمع العالمى ، يتفجر الشعب فى الضفة الغربية معلنا التمرد على الاحتلال ، وتخرج ألوف الطلاب والشباب فى القدس تهتف فى وجه الدبابات الاسرائيلية « **عرفات . عرفات** » (الاهرام ١٩ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) ويبدو الامر واضحا تماما على النطاق العالمى والعربى والفلسطينى ، فلسطين تكسب ـ والصهيونية تخسر .

وكان لابد للكيان الصهيونى أن يهتز . وأن يحاول اجهاض كل شىء بضربة عسكرية فيها من اليأس أكثر مما فيها من التحدى . فالازمة الاقتصادية الطاحنة التى انتهت بتخفيض سعر الليرة الاسرائيلية وبالتلويح « بأزمة بطالة حادة » (جيروزاليم بوست ـ الاسرائيلية ـ ٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) والعزلة السياسية والاثار الخانقة لحرب أكتوبر والانتصار الفلسطينى الحاسم كل ذلك وضع أمام القادة الاسرائيليين وأمام العالم احتمال الاشتعال السريع للحرب الخامسة ويصل الامر بكيسنجر الى الاعلان « لدينا خطط جاهزة اذا نشب القتال بالشرق الاوسط » (الانوار ١٦ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) .

ويتبادل الرئيس **السادات** رسائل هامة مع **بريجنيف** ويوجه رسالة **لفورد** وتجرى اتصالات واسعة مع سوريا وتؤكد بعض الدوائر « أن الرئيس **السادات** أبلغ الرئيس **الاسد** بأنه فى حالة نشوب قتال على الجبهة السورية فان الجيش المصرى سيقاتل الى جانب الجيش السورى كما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ » (الانوار ـ ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) .

وبينما يستمر التلويح بالحرب والتهديد بالحرب المضادة ، وبينما ينفجر الشعب الفلسطينى غضبا فى الضفة الغربية هاتفا « **عرفات . عرفات** » تستمر الجمعية العامة فى مناقشة القضية الفلسطينية . **يوسف تيكواه** المندوب الاسرائيلى يخطب فى قاعة شبه خالية ، بعد أن انسحبت معظم الوفود قائلا « ان منظمة التحرير الفلسطينية ستظل كما هى .. خارجة عن القانون وعن فلسطين معا » (انترناشيونال هيرالد تريبيون ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٤) . ويحاول **تيكواه** أن يثير زوبعة طالبا بحق الرد كل يوم ويمنعه بوتفليقة مستندا الى اللائحة والى أغلبية الجمعية العامة وباختصار تبدو اسرائيل خلال المناقشات فى عزلة يائسة .

ثم يصدر القرار وباغلبية كبيرة ويتضمن نقاطا هامة واساسية تقف بالقضية الفلسطينية تجـاه المجتمع الدولى موقف المشروعية الكاملة ، وتعطى منظمةالتحرير الفلسطينية ، الصفةالقانونية الكاملة فى التحدث باسم الشعب الفلسطينى واذا كان ذلك انتصار كبير بغير ما شكللقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير وللاتجاه السياسى الذى تمثله ويمثله رئيسها **ياسر عرفات** فانه ــ وبغير ما شك ايضا ــ يمثل ــ وبصورة اكبر ــ اكبر ضربة استراتيجية وجهت فى مجال « الرأى العام العالمى » للفكر الصهيونى ولمنطلقاته وبالخصـــوص فيما يتعلق بالشعب الفلسطينى وقضيته وقيادته ..

وباختصار نحن نكسب وهم يخسرون ولقد يهز ذلك الكثيرين بالفرح الغامر لكن **ابو عمار** يلوح باصبعهمحذرا «احذروا الذئابالصهيونيةالجائعة»

د. رفعت السعيد

نص خطاب عـرفات
فى الأمـــم المتحـــدة

تمثل موافقة الامم المتحدة على اشتراك وفد منظمـــة التحـــرير الفلسطينية فى مناقشات الجمعية العامة بشأن فلســـطين علامة تاريخية بارزة فى تطور كفاح الشعب الفلسطينى . فانتقال المجال الذى تطرح فيه هذه القضية من مجرد مغارات السلط ، وكهوف الاغوار ، ومخيمات جنوب لبنان الى منصة الجمعية العامة للامم المتحدة ، انما يعكس ــ على مستوى الشعب الفلسطينى ــ حجم النضال الذى بدأته حركة التحرر الوطنى الفلسطينى [فتح] فى ١٩٦٥ ، وواصلته سائر فصائل حركة المقاومة من بعد ، وحجم التضحيات التى بذلها الشعب الفلسطينى كطليعة مقاتلة للكفـــاح العربى ضد الصهيونية والامبريالية .

• سيدى الرئيس :

اشكر لكم دعوتكم منظمة التحـــرير الفلسطينية لتشارك فى هذه الدورة من دورات الجمعية العمومية لهيئـــة الامم المتحدة . واشكر كل الاعضاء المحترمين فى هيئة الامم المتحدة الذين ساهموا فى تقرير ادراج قضية فلسطين فى جدول اعمال هذه الجمعية فى اصـــدار قرار بدعوتنا الى عرض قضية فلسطين .

انها لمناسبة مهمة أن يعـــود بحث قضية فلسطين الى هيئة الامم المتحدة . واننا نعتبر هذه الخطوة انتصارا للمنظمة الدولية كما هو انتصار لقضية شعبنا . وأن ذلك يشكل مؤشرا جديدا على ان هيئـــة الامم اليـــوم ليست هيئـــة الامم بالامس ، ذلك لان عالم اليوم ليس هو عالم الامس .

فقد أصبحت هيئة الامم اليوم تمثل ١٣٨ دولة وأصبحت تعكس بصورة نسبية اوضح ارادة المجموعة الدولية ، ومن ثم فقد أصبحت أكثر قدرة على تطبيق ميثاقها مبادىء الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وأكثر قدرة على نصرة قضايا العـــدل والسلام .

وهذا ما بدأ يلمسه شعبنا وتلمســـه شعوب آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية ، الامر الذى اخذ يعلى مكانة هذه المنظمة الدولية فى عيون شعبنا وعيون بقيـــة الشعوب ، ويزيد من الامال التى تعلقها شعوب العالم على مساهمة هيئة الامم المتحدة فى نصرة قضايا السلم والعدل والحرية والاستقلال ، وتشييد عالم خال من الاستعمار والامبريالية والاســـتعمار الجديد والعنصرية بكل اشكالها بما فيها الصهيونية .

سيدى الرئيس :

اننا نعيش فى عالم يطمح الى السلام والعدل والمساواة والحرية ، يطمح الى أن يرى الامم المظلومة الرازحة تحـت الاستعمار والاضـــطهاد العنصرى وهى تمارس حريتها وحقها فى تقرير المصير، يطمح الى أن يرى العلاقات الدولية بين كل الدول تقوم على أساس المســـاواة والتعايش السلمى وعدم التـــدخل فى الشئون الداخلية ،وتأمين السيادةالوطنية والاستقلال ووحدة الاراضى الاقليمية لكل دولة ، واقامة علاقات اقتصادية على أساس العدل والتكافؤ والمنافع المتبادلة، يطمح الى أن تصب الجهود الانسانيةعلى مكافحة الفقر والمجاعةوالامراض والكوارث الطبيعية ، على تطوير القدرات الانتاجية والعلمية والتقنية للبشر لزيادة الثروات وتضييق الفوارق بين الدولالنامية والدول المتطورة ، لكن ذلك كله يصطدم بواقع عالمى مازال يسوده الاضطراب والظلم والاضطهاد والاستغلال ، ومازال مهددا بالكوارث الاقتصادية والحروب والازمات

ما زالت شعوب كثيرة ، منها زمبابوى وناميبيا وجنوب افريقيا وفلسطين وغيرها، ضحية للعدوان والقهر والبطش ، وتشهد تلك المناطق من العالم صراعا مسلحا فرضته قوى الاستعمار والتمييز العنصرى ظلما وارهابا فاضطرت الشعوب المضطهدة الى التصدى له ، وكان تصديها عادلا ومشروعا .

لابد ، ياحضرة الرئيس ، من أن تساهم المجموعة الدولية فى دعم هذه الشعوب ومساعدتها على انتصار قضاياها العادلة ونيلها حقها فى تقرير المصير .

وما زالت شعوب الهند الصينية تتعرض للعدوان وتواجه المؤامرات لمنعها من احلال السلام على أرضها وتحقيق أهدافها . فاذا كانت شعوب العالم رحبت بالاتفاق فى لاوس وباتفاق السلام فى جنوب فيتنام الذى مازال بعيدا عن أن يكون سلاما حقيقيا لان القوى التى شنت العدوان تصر على بقاء فيتنام فى فى الاضطراب والحرب . كذلك ما زال الشعب الكمبودى يواجه عدوانا عسكريا .. لابد ، حضره الرئيس ، أن تساهم المجموعة الدولية فى دعم هذه الشعوب واستنكار المعتدين ومعكرى السلام .

وما زالت القضية الكورية بعيدة عن أن تحل حلا عادلا وسلميا ، رغم الموقف الايجابى السلمى الذى عبرت عنه المقترحات المقدمة من جمهورية كوريا الديموقراطية .

ولقد عشنا قبل شهور تفجر المشكلة القبرصية . وشاركنا فى تحمل همومها شعوب العالم أجمع ، ولابد لهيئة الامم المتحدة ان تتابع جهودها للتوصل الى حل عادل للمشكل يجنب الشعب القبرصى أهوال الحرب ويحفظ استقلاله . ولاشك فى أن المشكلة القبرصية تدخل فى هذا الاطار من هموم بلدان الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط .

وما زالت دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تواجه اعتداءات ضارية على نضالها من أجل تغيير النظام الاقتصادى العالمى الحالى بنظام اقتصادى عالمى جديد أكثر معقولية منطقية ، وقد عبرت هذه البلدان عن ذلك فى مؤتمر «المواد الاولية والتنمية» حيث لابد من أن يوضع حد لعمليات النهب والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة وعرقلة جهودها من أجل التنمية والسيطرة على ثرواتها ورفع الحيف عن أسعار موادها الاولية .

كذلك فان هذه الدول ما زالت تواجه مراقيل أمام مطالبها العادلة المعبرة عنها فى مؤتمر البحار فى كراكاس ، ومؤتمر السكان ، ومؤتمر التغذية ، ولابد للهيئة الدولية من أن تقف بحزم الى جانب النضال من أجل احداث تغييرات جذرية فى النظام الاقتصادى العالمى لان ذلك وحده يتيح للشعوب المتخلفة امكان التقدم بسرعة .

ولابد لهذه الهيئة من ان تقف بحزم ضد القوى التى تحاول تحميل مسؤلية التضخم المالى على كاهل البلدان النامية، خصوصا البلدان المنتجة للنفط وان تستنكر التهديدات التى تتعرض لها هذه البلدان بسبب مطالبها العادلة .

سباق التسلح

سيدى الرئيس :

ما زال السباق على التسلح على أشده فى العالم ، الامر الذى يهدد العالم بضياع ثرواته وتبديد جهوده على هذا السباق ، فضلا عن ابقائه فى خطر انفجارات مسلحة خطرة . ان الحد من السباق على التسلح ، وصولا الى تدمير الاسلحة النووية وتخصيص ما يصرف من مبالغ طائلة على مجالات التقنيات العسكرية فى ميدان تقدم العلوم وزيادة الانتاج وتحقيق الرفاه للعالم ، هذا ما تتوقع الشعوب أن تعمل هيئة الامم المتحدة فى اتجاهه . وما زال الاضطراب على أشده فى منطقتنا .. فالكيان الصهيونى متشبث بالاراضى العربية التى احتلها ويتابع عدوانه علينا الى جانب استعداداته العسكرية المحمومة بشن حرب عدوانية جديدة ستكون الخامسة من سلسلة حروبه العدوانية ولنا أن نتحسب مع ما يصدر من اشارات عنه من أن تكون حربا نووية تحمل الفناء والدمار .

سيدى الرئيس :

ان العالم فى حاجة الى أقصى الجهود من اجل تحقيق مطامحه فى السلم والحرية والعدل والمساواة والتنمية وفى مكافحة الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكل أشكالها بما فيها الصهيونية لان هذا هو الطريق الوحيد الى تحقيق آمال الشعوب كافة بما فى ذلك شعوب الدول التى تعارض هذا الطريق . انه طريق لتكريس مبادىء ميثاق هيئة الامم المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان . اما بقاء الوضع الحالى فلن يفعل اكثر من أن يبقى العالم معرضا لاخطر الصراعات المسلحة للكوارث الاقتصادية والانسانية والطبيعية .

سيدى الرئيس :

رغم هذا الوضع المتأزم الذى يسود العالم ورغم ما فى عالمنا من قوى ظلام وتأخر ، فان عالمنا اليوم يعيش اياما مجيدة . انه يشهد انهيار العالم القديم، عالم الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكل أشكالها وأبرزها الصهيونية ، ويشهد الاتجاه التاريخى العظيم لشعوب العالم نحو الميثاق عالم جديد تنتصر فيه القضايا العادلة ، واننا واثقون من انتصار هذه القضايا .

قضية فلسطين

سيدى الرئيس :

ان قضية فلسطين تدخل كجزء مهم بين القضايا العادلة التى تناضل فى سبيلها الشعوب التى تعانى الاستعمار والاضطهاد واذا كانت الفرصة أتيحت لى ان أعرضها امامكم فلن انسى أن مثل هذه الفرصة يجب أن تتاح لكل حركات التحرر المناضلة ضد العنصرية والاستعمار . ولهذا فاننى باسم هؤلاء المناضلين من أجل الحرية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، أدعوكم الى أن تعيروا قضاياهم ، كما قضيتنا ، من همومكم واهتمامكم الاولية ذاتها مما يشكل مرتكزا أساسيا لحماية السلم فى العالم وتكريس عالم جديد تعيش الشعوب فى ظلالة بعيدا عن الاضطهاد والظلم والخوف والاستغلال . لهذا فاننى سأعرض قضيتنا ضمن هذا الاطار وفى سبيل هذا الهدف .

واننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولى فان ذلك تعبير فى حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسى والديبلوماسى مكملا معززا لنضالنا المسلح وتعبير عن تقديرنا للدور الذى يمكن الامم المتحدة ان تقوم به فى حل المشكلات العالمية بعدما تغيرت بنيتها فى مصلحة أمانى الشعوب وفى حل مشكلتنا التى تتحمل فيها هذه المؤسسة الدولية مسئولية خاصة .

ان شعبنا يتكلم وهو يتطلع الى المستقبل اكثر مما هو مقيد بمآسى الماضى واغلال الحاضر . واذا كنا ونحن نتحدث عن الحاضر نعود الى الماضى فلاننا نريد ان نوضح بداية الطريق الذى نشقه الى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم عموما وحركات التحرير خصوصا . واذا كنا نعود الى جذور قضيتنا فلانه ما زال بين الحاضرين هنا من يحتل بيوتنا ويرتع فى حقولنا ويقطف ثمار اشجارنا ويدعى اننا اشباح لا وجود لها ولا تراث ولا مستقبل . ولان هنالك من كان يتصور الى وقت قريب وربما حتى الان أن مشكلتنا هى مشكلة لاجئين او ان مشكلة الشرق الاوسط هى مشكلة خلاف على حدود بين الدول العربية والكيان الصهيونى او يتصور ان شعبنا يدعى حقوقا ليست له ويقاتل من دون سبب معقول ومشروع الا الرغبة فى تعكير السلام وارهاب الاخرين . ولان هنالك بينكم واعنى الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من يمون عدونا بطائراته وقنابله وكل ادوات الفتك والتدمير ويقف منا موقف العداء ويعمد الى تشويه حقيقة المشكلة كل ذلك على حساب الشعب الامريكى وعلى حساب

رفاهيته وعلى حساب الصداقة التى نتطلع اليها مع هذا الشعب العظيم الذى نكن له ولتجاربه فى النضال من اجل حريته ووحدة اراضيه كل تقدير .

نداء الى الامريكيين

واننى لانتهز هذه المناسبة لاتوجه الى الشعب الامريكى واخاطبه من مكانى هنا ان يقف مع شعبنا الشجاع المناضل ان يقف مع الحق والعدالة ان يتذكر بطله جورج واشنطن الذى ناضل لاستقلال امريكا وحريتها ويتذكر ابراهام لنكولن الذى وقف مع المحرومين والمعذبين ويتذكر وصايا ولسون الاربع عشرة والتى يتبناها ايمانا بهذه المبادىء الانسانية العظيمة .

واتوجه الى الشعب الامريكى واتساءل : هل هذه التظاهرات المعادية التى تنطلق فى الخارج هى وجهه الحقيقى ؟ وما هى الجريمة التى ارتكبها شعبنا ضد الشعب الامريكى ؟

لماذا هذا الوجه المعادى ؟ هل هو لمصلحة امريكا ؟ هل هو لمصلحة الجماهير الامريكية ؟ حتما لا . وارجو ان يتذكر الشعب الامريكى ان صداقته مع امتنا العربية اهم وابقى وانفع .

الجذور

سيدى الرئيس ..

ان شرحنا لجذور قضيتنا نابع من ايماننا بان العودة الى اصول القضايا التى تشغل العالم امر ضرورى عند تلمس الحلول لها . وهذا منهج نطرحه على السياسة الدولية لتاخذ به بعدما عانت الكثير وعانت الشعوب معها من محاولات تجاهل الاصول والقفز عليها أو انكارها رضوخا واستسلاما للامر الواقع .

ترجع جذور المشكلة الفلسطينية الى اواخر القرن التاسع عشر او بكلمات اخرى الى ذلك العهد الذى كان يسمى عصر الاستعمار والاستيطان وبداية الانتقال الى عصر الامبريالية حيث بدأ التخطيط الصهيونى ــ الاستعمارى لغزو ارض فلسطين بمهاجرين من يهود اوربا كما كان الحال بالنسبة الى الغزو الاستيطانى لافريقيا . فى تلك الحقبة التى توطدت فيها سطوة عتاة الاستعمار القادمين من الغرب الى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية للاستيطان واقامة المستعمرات وممارسة اشد اشكال الاستغلال والاضطهاد والنهب لشعوب القارات الثلاث . انها الحقبة التى ما زلنا نشهد اثارها العنصرية البشعة فى الجنوب الافريقى كذلك فى فلسطين .

وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون افكار « التمدين والتحضير » لتبرير الغزو والنهب والعدوان فى افريقيا وغيرها كذلك استخدمت هذه الذرائع لغزو فلسطين بموجات المهاجرين الصهاينة وكما استخدم الاستعمار والمستوطنون الدين واللون والعرق واللغة لتمرير عملية استغلال الشعوب واخضاعها بالتمييز والتفرقة والارهاب فى افريقيا كذلك استخدمت هذه الاساليب لاغتصاب الوطن الفلسطينى واضطهاد شعبه ومن ثم تشريده . وكما استخدم الاستعمار وقتئذ المحرومين والفقراء والمستغلين كوقود لنار عدوانه ومرتكزات للاستيطان كذلك استخدم الاستعمار العالمى والقادة الصهاينة اليهود المحرومين والمضطهدين فى اوروبا كوقود للعدوان ومرتكزات للاستيطان والتمييز العنصرى . ان الايديولوجية الصهيونية التى استخدمت ضد شعبنا لاستيطان فلسطين بالغزاة الوافدين من الغرب استخدمت فى الوقت ذاته لاقتلاع اليهود من جذورهم فى اوطانهم المختلفة ولتغريبهم عن الامم .

انها ايديولوجية استعمارية استيطانية عنصرية تمييزية رجعية تلتقى مع اللاسامية فى منطلقاتها بل هى الوجه الاخر للعملة نفسها . فعندما نقول ان تابعى دين معين هو اليهودية ايا يكن وطنهم لاينتسبون الى ذلك الوطن ولا يمكنهم ان يعيشوا كمواطنين متساوين مع بقية المواطنين من الطوائف الاخرى فان ذلك التقاء مباشر مع دعاة اللاسامية . وعندما يقولون ان الحل الوحيد لمشكلتهم هو ان ينفصلوا عن الامم والمجتمعات التى هم جزء منها عبر تاريخ طويل ثم يهاجرون ليستوطنوا ارض شعب آخر ويحلوا محله بالقوة والارهاب يأخذون من غيرهم الموقف نفسه الذى اخذه دعاة اللاسامية منهم .

ومن هنا نلاحظ مثلا العلاقة الوثقى بين رودس وهو يوسط استعماره الاستيطانى فى جنوب شرق القارة الافريقية وهرتزل الذى راح يخطط ويصمم لاستعماره الاستيطانى فى ارض فلسطين . وعندما حصل هرتزل على شهادة حسن سلوك استعمارى استيطانى من رودس قدمها الى الحكومة البريطانية ليستصدر منها قرار التاييد والدعم فى مقابل ان يبنى على ارض فلسطين قاعدة للاستعمار تؤمن مصالحه فى اهم النقاط الاستيراتيجية فى الشرق الاوسط .

وهكذا باشرت الحركة الصهيونية متحالفة مع الاستعمار العالمى غزوتها لبلادنا . واسمحوا لى ان اوجز بعض الحقائق الاتية حولها :

● كان عدد سكان فلسطين عند بداية الغزوة عام ١٨٨١ وقبل قدوم اول موجة استيطان نحو نصف مليون نسمة كلهم من العرب مسلمين ومسيحيين ومنهم نحو ٢٠ الفا من يهود فلسطين يعيشون جميعا فى كنف التسامح الدينى الذى اشتهرت به حضارتنا .

● وكانت فلسطين ارضا خضراء معمورة بشعبها العربى الذى يبنى الحياة فى وطنه ويغنى ثقافته .

● وعمدت الحركة الصهيونية الى تهجير نحو خمسين الف يهودى اوروبى بين عامى ١٨٨٢ و ١٩١٧ لاجئة الى شتى اساليب الاحتيال لتغرسهم فى ارضنا . ونجحت فى الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا فجسد التصريح حقيقة التحالف الصهيونى الاستعمارى وعبر هذا التصريح عن مدى ظلم الاستعمار للشعوب حيث اعطت بريطانيا وهى لاتملك وعدا للحركة الصهيونية وهى لا تستحق . وخذلت عصبة الامم بتركيبها القديم شعبنا العربى وتبخرت وعود ولسون ومبادئه فى الهواء وفرضت علينا قسرا الاستعمار البريطانى بصورة الانتداب . وتعهد صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الامم المتحدة صراحة بالتمكين للغزوة الصهيونية من ارضنا .

● فى مدى ٣٠ عاما بعد صدور تصريح بلفور نجحت الحركة الصهيونية مع حليفها الاستعمارى فى تهجير المزيد من يهود اوروبا واغتصاب اراضى عرب فلسطين . وهكذا اصبح عدد اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٧ نحو ٦٠٠ الف يملكون اقل من ٦ فى المئة من اراضى فلسطين الخصبة بينما كان تعداد عرب فلسطين نحو مليون وربع مليون نسمة .

● وبفعل تواطؤ الدولة المنتدبة مع الحركة الصهيونية ودعم الولايات المتحدة لهما صدرت عن هذه الجمعية وهى فى بداية عهدها التوصية بتقسيم وطننا فلسطين فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٤٧ وسط تحركات مريبة وضغوط شديدة فقسمت ما لا يجوز لها ان تقسم : ارض الوطن الواحد . وحين رفضنا ذلك القرار فلاننا مثل ام الطفل الحقيقية التى رفضت ان يقسم سليمان طفلها حين نازعتها عليه امرأة اخرى . ومع ذلك فقد منح قرار التقسيم المستوطنين الاستعماريين ٥٤ فى المئة من ارض فلسطين كان ذلك لم يكن كافيا بالنسبة اليهم فشنوا حربا ارهابية ضد السكان المدنيين العرب واحتلوا ٨١ فى المئة من مجموع مساحة فلسطين وشردوا مليون عربى مغتصبين بذلك ٥٢٤ قرية ومدينة عربية دمروا منها ٣٨٥ مدينة وقرية تدميرا كاملا محاها من الوجود وحيث فعلوا ذلك اقاموا مستوطناتهم ومستعمراتهم فوق الانقاض وبين بساتيننا وحقولنا .

الحروب

ومن هنا يبدأ جذر المشكلة الفلسطينية ان هذا يعنى ان اساس المشكلة ليس

خلافا دينيا او قوميا بين دينين او قوميين وليس نزاعا على حدود بين دول مجاورة انه قضية شعب اغتصب وطنه وشرد من ارضه لتعيش غالبيته فى المنافى والخيام .

وقد استطاع هذا الكيان الصهيونى بدعم من دول الاستعمار والامبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ان يتحايل على هيئة الامم لقبوله فى عضويتها ومن ثم على شطب قضية فلسطين من جدول اعمالها وتضليل الرأى العام العالمى بتصوير المشكلة كمشكلة لاجئين فى حاجة الى عطف المحسنين او اعادة توطينهم فى بلاد الاخرين .

على ان هذه الدولة العنصرية التى قامت على اساس الاستعمار الاستيطانى لم تكتف بكل ذلك اذ جعلت من نفسها قاعدة للامبريالية وراحت تتحول الى ترسانة من الاسلحة لاكمال مهمتها فى اخضاع الشعوب العربية والعدوان عليها طمعا فى المزيد من التوسع على الارض الفلسطينية والاراضى العربية .

فالى جانب عشرات الاعتداءات التى شنتها هذه الدولة ضد البلاد العربية قامت بحربين توسعيتين كبيرتين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ عرضت خلالهما السلم العالمى لخطر حقيقى .

فقد كان من نتائج العدوان الصهيونى فى حزيران ١٩٦٧ آن احتل العدو سيناء المصرية الى مشارف قناة السويس ، واحتل الجولان السورية فضلا عن احتلاله الارض الفلسطينية حتى نهر الاردن ، الامر الذى شكل وضعا جديدا فى منطقتنا وخلق ما يسمى مشكلة الشرق الاوسط .

ومما جعل الوضع يتفاقم اكثر اصرار العدو على استمرار الاحتلال وتكريسه ، مشكلا رأس حربة للاستعمار العالمى ضد امتنا العربية ، وقد ضرب عرض الحائط بكل قرارات مجلس الامن ونداءات الرأى العام العالمى للانسحاب من الاراضى التى احتلها بعد حزيران . ولم تجد كل المساعى السلمية والديبلوماسية لردعه عن هذه السياسة التوسعية ، فما كان أمام امتنا العربية وفى مقدمها دولتا مصر وسوريا الا آن تبذل الجهود المضنية فى الاستعداد العسكرى من أجل الصمود أولا فى وجه هذه الغزوة الهمجية المسلحة بالقوة ، وثانيا من أجل تحرير تلك الاراضى واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى بعد استنفاد كل الوسائل السلمية . وضمن هذا الاطار اندلعت الحرب الرابعة ، حرب تشرين ، لتؤكد للعدو الصهيونى عقم سياسته الاحتلالية التوسعية واعتماده على شريعة القوة العسكرية .

ولكن رغم ذلك فان قادة الكيان الصهيونى مازالوا بعيدين عن الاتعاظ بهذه الدروس ، فهم يعدون العدة للحرب الخامسة ليعودوا من جديد الى سياسة مخاطبة العرب بلغة التفوق العسكرى ، سياسة العدوان والارهاب والاخضاع والحرب .

سجل العدو

سيدى الرئيس ،

لشد ما يتالم شعبنا حين يسمع تلك الدعايات التى تقول ان اراضيه كانت صحراء فعمرها المستوطنون الاجانب ، وان وطنه كان خاليا من السكان وانه لم يتضرر احد من بنى البشر نتيجة قيام هذا الكيان الاستيطانى ، لا ، ياسيدى الرئيس يجب آن تدحض هذه الاكاذيب من على هذا المنبر العالمى ، ويجب ان يعرف الجميع ان فلسطين كانت مهدا لاقدم الحضارات والثقافات واستمر شعبها العربى ينشر الخضرة والبناء والحضارة والثقافة فى ربوعها طوال آلاف السنين ويرفع لواء التسامح الدينى ضاربا المثل على حرية العقيدة وحارسا أمينا على مقدسات كل الاديان فى وطنه . واننى كاحد ابناء بيت المقدس احتفظ لنفسى ولشعبى بذكريات جميلة وصور رائعة عن مظاهر التآخى الدينى التى كانت تتألق فى مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة بها . ولم ينقطع شعبنا عن ذلك الا بعد تمكن الغزوة الصهيونية الهمجية من اقامة دولة اسرائيل وتشريده . لكنه مازال مصمما على الاستمرار فى اداء دوره الحضارى والانسانى على ارض فلسطين ، ولا يسمح بأن تتحول هذه الاراضى الى بؤرة للعدوان على الشعوب والى معسكر عنصرى ضد الحضارة والثقافة والتقدم والسلام . ولهذا فان شعبنا لا يستطيع الا ان يواصل تراث اجداده فى الكفاح ضد الغزاة ، وان يحمل شرف المسئولية فى الدفاع عن وطنه وعن أمته العربية وعن الثقافة والحضارة ومهد الديانات السماوية . وتكفينا نظرة سريعة الى مواقف اسرائيل العنصرية

بعض ملامح التجربة اليوجوسلافية

زار يوغسلافيا — أخيرا — أبو سيف يوسف ، المحرر بالطليعة ، فى رحلة استغرقت أسبوعين ، وقد أتيح له أن يقابل عددا كبيرا من الشخصيات فى رابطة الشيوعيين اليوغسلاف وفى الدولة ، وفى اتحاد النقابات ، ومن المسئولين فى الصحف ، ومن أساتذة الجامعات ، ومديرى بعض المؤسسات الزراعية ، وفى الوقت نفسه ، أتيحت له أن يزور جمهوريتين من الجمهوريات الداخلة فى الاتحاد اليوغسلافى هما مكدونيا وسلوفنيا .

وفى خلال الزيارة لهذا البلد الصديق طرحت أسئلة صريحة وقدمت اجابات صريحة .

أما حصيلة هذا كله فسوف تقدمها الطليعة الى قرائها فى العدد القادم .

عندما دعمت منظمة الجيش السرية فى الجزائر ، وفى دعمها المستعمرين فى افريقيا ســواء فى الكونغــو وانغــولا وموزمبيق وزمبابوى وروديسيا وجنوب افريقيا وفى وقوفها الى جانب حكومة فيتنام ضد الثورة الفيتنامية ، فضلا عن مواقفها المتابعة فى هذا السياق الى جانب الاستعماريين والعسكريين فى كل مـكان وعرقلتهـا عمل لجنــة تصـفية الاستعمار ورفضها التصــويت لمصلحة استقلال بلدان افريقيا ووقوفها ضــد مطالب بلدان آسـيا وافريقيا واميركا اللاتينية وبلدان عدة أخرى فى مؤتمرات « المواد الاولية والتنمية » و « قانون البحار » و « السكان » و « التغذية » كل ذلك يعطى دليلا اضافيا على صورة العدو الذى اغتصب بلادنا ، ويكشف عن شرف النضال الذى نخوضه ضده . اننا ندافع عن حلم المستقبل . وهو يدافع عن اساطير الماضى .

السيد الرئيس :

ان لهذا العدو الذى نواجهه سجلا حافلا ضد اليهود انفسهم . فهناك داخل الكيان الصهيونى تمييز عنصرى بشع ضد اليهود الشرقيين . واذا كنا ندين بكل ما اوتينا من قوة مذابح اليهود تحت الحكم النازى ، فان ألقادة الصهاينة كان يبدو ان همهم الاكبر حينذاك هو استغلالها لتحقيق الهجرة الى فلسطين .

اليهودية والصهيونية

سيدى الرئيس

لو كان تهجيرهم الى فلسطين بهدف العيش كمواطنين متســاوين معنــا فى الحقوق والواجبات لكنا افسحنا فى المجال لهم ضمن امكانات وطننا ، كما حدث مع عشرات الالاف من الارمن والشركس الذين مازالوا بيننا اخوة مواطنين مثلنا تماما . اما ان يكون هدف ذلك اغتصاب ارضنا وتشريدنا وتحويلنــا الى مواطنين من الدرجة الثانية وانزال المعاملة نفسها بنا فهذا ما لايمكن ان ينصحنا احد بالقبول به أو الاذعان له . ولهذا فان ثورتنا منذ البداية لا تقوم على اسس عرقية أو دينية عنصرية ، وليست موجهة الى الانسان اليهودية من حيث كونه انسانا انما هى موجهة ضد العنصرية الصهيونية وضد العدوان . وبهذا المعنى فأن ثورتنا هى أيضا من أجل الانسان اليهودى . اننا نناضــل من أجــل ان يعيش اليهــود والمسيحيون والمسلمون فى مساواة فى الحقوق والواجبات وبلا تمييز عنصرى أو دينى . [تصفيق] .

أ ـــ اننا اذا ، ياسيادة الرئيس ، نفرق بين اليهودية والصهيونية . وفى الوقت الذى نعادى الحركة الصــهيونية الاستعمارية ، فاننا نحترم الدين اليهودى ونحذر اليوم وبعد قرابة قرن من بروز هذه الحركة العنصرية ، من ان خطرها يتزايد ضد اليهود فى العالم ، وضد شعبنا العربى وضد امن العالم وسلامته فالصهيونية لاتزال متمسكة بتهجير اليهود من أوطانهم واصطناع قومية لهم يبدلون بها قومياتهم الاصلية . ان الصــهيونية تتابع نشاطها التخريبى هذا على رغم ظهور فشل الحل الذى قدمته وان ظاهرة النزوح من التجمع الاسرائيلى المستمرة منذ قيامه والتى ستقوى مع سقوط قلاع الاســتعمار الاســتيطانى العنصرى فى العالم ، لدليل على هذا الفشل .

ب ـــ اننا ندعــو جميع الشــعوب والحــكومات الى مجابهــة مخططــــات الصهيونية الرامية الى تهجير مزيد من يهود العالم من أوطانهم ليغتصبوا وطننا وندعوهم فى الوقت نفسه الى الوقوف فى وجه اى اضطهاد للانسان بسبب دينه أو جنسه أو لونه .

ج ـــ اننى اتساءل ياسيادة الرئيس، لماذا يتحمل شعبنا ووطننا مسئولية مشكلة الهجرة اليهودية اذا كانت مازالت مثل هذه المشكلة فى مخيلة البعض ؟ واتساءل لماذا لا يتحمل المتحمسون لهذه المشكلة ، ان وجدت ، المسئولية فيفتحوا بلادهم الكبيرة الرقعة والقادرة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم ؟

السيد الرئيس

ان الذين ينعتون ثورتنا بالارهاب انما يفعلون ذلك ليضللوا الرأى العام العالمى من رؤية الحقائق ، عن رؤية وجهنا الذى يمثل جانب العدل والدفاع عن النفس ووجههم الذى يمثل جانب الظلم والارهاب

ان الجانب الذى يقف فيه حامل السلاح هو الذى يميز بين الثائر والارهابى ، فمن يقف فى جانب قضية عادلة ومن يقاتل من اجل حرية وطنه واستقلاله ضد الغزو والاحتلال والاستعمار لايمكن أن تنطبق عليه فى أى شكل من الاشكال صفة ارهابى ، والا اعتبر الشعب الامريكى حين حمل الســلاح ضــد الاســتعمار البريطانى ارهابيا ، واعتبرت المقاومة الاوروبية ضد النازية ارهابا ، واعتبر نضال شعوب آسيا وافريقيــا وامريكا اللاتينية ارهابا . لا ياسيدى الرئيس ان هذا هو الكفاح العــادل والمشروع والذى يكرسه ميثاق هيئة الامم والاعلان العالمى لحقوق الانسان . اما الذى يحمل السلاح ضد القضايا العادلة ، الذى يشن الحرب لاحتلال اوطان الاخرين ونهبهم واســتغلالهم واستعمارهم ، فذلك هو الارهابى واعماله هى التى يجب أن تدان وينسحب عليه لقب مجرم حرب ذلك ان عدالة القضية هى التى تقرر عدالة السلاح

حتى شجرة الزيتون

السيد الرئيس

ان الارهاب الصهيونى الذى ارتكب فى حق الشعب الفلسطينى لاجلائه من وطنه واقتلاعه من ارضه مدون لديكم فى وثائق رسمية وزعت فى الامم المتحدة لقد ذبح الالاف من ابناء شعبنا فى قراهم ومدنهم واجبر عشرات الالاف تحت نار البندقية وقصف المدافع والطائرات ان يتركوا بيــوتهم وما زرعــوا فى ارض اجدادهم . وكم من مسيرة أجبر فيها ابناء من شعبنا نساء واطفالا وشيوخا على الخروج من دون زاد أو ماء وارغموا على تسلق الجبال والتيه فى الصحراء ـــ ان الكوارث التى حلت عام ١٩٤٨ باهالى المئات من القــرى والمدن فى الســهل والجبل ، فى القدس ويافا واللد والرملة والجليل ، لم ولن ينســاها من عانى أهوالها لحظة رغم التعتيم الاعلامى العالمى الذى نجح فى اخفاء هذه الاهوال كما أخفى اثر ٣٨٥ قرية ومدينة فلسطينية دمرت فى حينه وازيلت من الوجود . ان نسف ١٩ ألف منزل فى مدى السنوات السبع الاخيرة اى ما يساوى تدمير ٢٠٠ قرية فلســطينية اخرى تدميرا كامــلا والاعداد الضخمة من مشوهى الارهاب والتعذيب ومن فى السجون لايمكن أن يطمسه التعتيم الاعلامى . لقد وصل ارهابهم الى الحقــد حتى على شجرة الزيتون فى بلادى التى اعتبروها علما شامخا يذكرهم بسكان البلاد الاصليين ، يصرخ أن الارض فلسطينية ، فراحوا يعملون على اقتلاعها او قتلها بالاهمال والتحطيب . ماذا يمكن ان يسمى تصريح جولدا مائير عندما عبرت عن «قلقها من الاطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل صباح ». انهم يرون فى الطفل الفلسطينى والشجرة الفلسطينية عدوا يجب التخلص منه . ياسيادة الرئيس ، طوال عشرات السنين وهم يتعقبون قيادات شعبنا الثقافية والسياسية والاجتماعية والفنية بالارهاب والتقتيل والاغتيال والتشريد . لقد سرقوا تراثنا الحضارى وفولكلورنا الشعبى وادعوهما لهم ومــدوا ارهابهم الى مقدساتنا فى مدينة السلام القدس الحبيبة وعمــدوا الى افقــادها طابعها العربى المسيحى ـــ الاسلامى من خلال تهجير سكانها وضمها الى دولتهم . ولا حاجة أن نسترسل فى ذكر احراق المسجد الاقصى وسرقة ثروات كنيســة القيامة والتشويه الذى لحق بعمرانها وطابعها الحضارى . فالقدس بروعتها وبالعبق التاريخى المسيطر عليها تشهد لاجيالنا المتعاقبة التى مرت عليها تاركة فى كل ركن من أركانها اثرا خالدا وبصمة حنونا ولمسة حضارية ونبضة انسانية .

وليس غريبا ان تتعانق فى تسامحها الرسالات السماوية الثلاث وتتهادى فى ركبها وافاقها تنير للبشرية طريق جلجلتها وهى تحمل اشـواكها والامها لترسم مستقبلها بكل ما فيه من آمال وأمان ومعطيات . [تصفيق] .

السيد الرئيس ،

ان العـــدد القليـل من العـــرب الفلسطينيين الذين لم يسـتطع العـدو تهجيرهم من ارضهم عام ١٩٤٨ هم الان لاجئون على ارضهم وقد عومـلوا فى القانون الاسرائيلى كمواطنين من الدرجة الثانية ، بل الثالثة باعتبار ان اليهود الشرقيين هم مواطنو الدرجة الثانية ، ومورست ضـدهم كل اشـكال التمييز العنصرى والارهاب وصودرت اراضيهم وممتلكاتهم وتعرضوا لمذابح دامية كما حدث فى قرية كفر قاسم ، وهجروا من قراهم وحرموا من العودة اليها كما حدث لاهالى قريتى كفر برعم واقرط . كما ان أهلنا عاشوا هناك ٢٦ عاما تحت الحكم العرفى لا يحق لهم الانتقال من مكان الى مكان مجاور من دون اذن مسبق من الحاكم العسكرى . تصور ، يا سيادة الرئيس ، فى الوقت الذى يسن المشرع الاسرائيلى قانونا يعطى حقا تلقائيا فى المواطنية لاى يهودى يهاجر الى أرضنا فور ان يطاها ، يسن قانونا آخر يعتبر الفلسطينيين الذين بقوا فى فلسطين ولم يكونوا فى قراهم او مدنهم ساعة احتلالها محرومين من المواطنية .

جنـــوب لبنـــان

السيد الرئيس ،

ان سجل حكام اسرائيل الحافل بجرائم الارهاب يمتد ليشمل عددا من ابناء امتنا العربية الذين بقوا تحت الاحتـلال فى سيناء والجولان ، كما أن ذكرى جريمة قصف مدرسة بحر البقر ومصنع أبوزعبل فى مصر وتدمير الطائرة الليبية المدنية مازالت ماثلة للاذهان . اما تدمير مدينة القنيطرة السورية فمازال شاهدا لكل من يريد أن يرى ما يفعله الارهاب . واذا فتح سجل الارهاب الصهيونى على جنوب لبنان ، وهو الارهــاب الذى مــازال مستمرا ، فسوف تقشعر الابدان من هـول ما يرتكب من اعمال القرصـنة والقصف والعدوان ، بما فى ذلك تهجير المدنيين وتدمـير بيوتهم وخطفهم وحرق مزارعهم الى جانب الاعتداءات المستمرة على سيادة الدولة اللبنانية ، والاعداد لسرقة مياه نهر الليطانى . واذكر فى هذا المجال بالمقررات العدة التى صدرت عن هذه المنظمة ، والتى تدين اسرائيل بارتكاب الاعتداءات ضد الدول العربية

وبالاعتداء على حقوق الانسان ، وفى مايتعلق بضم القـدس وتغيير وضـعها السابق للاحتلال وادانها لمخالفات متعددة لبنود اتفاقات جنيف فى حالة الحرب .

السيد الرئيس ،

ان التامل فى كل هذه الاعمال لايمكن ان يطلق عليــه من وصف غير وصف الارهاب الهمجى ، ومع ذلك يتجرأ أولئك الارهابيون الغزاة العنصريون على تسمية نضالات شعبنا العادلة اعمالا ارهابية هل ثمة تجرؤ على الباطل والتزييف أشد من هذا ؟ اننا نقول ان على اولئك الذين اغتصبوا ارضـنا وارتكبوا من جرائم الارهاب والتمييز العنصرى اكثر مما فعل ويفعل العنصريون فى جنوب افريقيا ، ان يتذكروا قرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحـدة الذى أعلن طرد جنوب افريقيا من عضويتها ، لان ذلك هو المصير المحتوم لكل الدول العنصرية التى تطبق شريعة الغــاب وتغتصب وطن الاخرين وتضطهدهم .

السيد الرئيس ،

لقد قاوم شعبنا الفلسطينى خلال ٣٠ عاما تحت الاحتلال البريطــانى والغزو الصهيونى كل محاولات انتزاع ارضه ، وناضل فى ثورات ست ، ومن خلال عشرات الانتفاضات الشعبية ومن اجل احباط المؤامرة لبيقى على ارضه وفوق تراب وطنــه ، قدم فى ســـبيل ذلك الى غاية ١٩٤٨ ، ٣٠ الف شهيدا [أى ما يوازى ٦ ملايين امريكى بالنسبة الى عدد السكان اليوم] .

وعندما اقتلعت غالبيتــه من الارض الفلسطينية التى احتلت عام ١٩٤٨ ظل يقاوم فى ظروف صعبة محاولات افنائه . وحاول شــعبنا بكل الطرق اســتمرار نضاله السياسى من اجل حقوقه من دون جدوى .وناضل للحفاظ على وجوده فتعلم ابناؤه فى النزوح والشتات وكدحوا فى أصعب الظروف ليستطيعوا الاستمرار ، واصبح لدى الشعب الفلسطينى الاف الاطباء والمهندسين والاساتذة والعلماء وتوجهوا بعملهم وامكاناتهم الى الاقطار العربيــة المحيطـــة بوطنهم المغتصب فساهموا فى البناء والتعمير والتطوير وحصلوا على دخل استخدموه لمساعدة اقربائهم الصغار والعجائز الذين استحال عليهم مغادرة مخيمات النزوح . علم الاخ اخاه واخته وحافظ على والديه ورعى اولاده لكنه ظـل يحـلم فى قلب ذاته بالعودة الى فلسطين . ظل فلسـطينيا متمسكا بوطنه لا يهتز ولاؤه لها ولا تهن عزيمته ولا تفتر حماسته . لم يغره شىء للتخلى عن فلسطينيته ووطنه فلسطين . لا ولم ينســه الزمن اباها كما توقـــع المتوقعون . [تصفيق] .

الشـــــهداء

وعنــدما خابت آمال شـــعبنا بالاسرة الدولية التى نسيته وتغافلت عن حقوقه وثبت لشعبنا عجز النضال الســـياسى وحده عن استعادة شبر أرض من وطنه ، لجا شـــعبنا الى الثـورة الفلســـطينية واعطاها كل امكاناته المادية والبشرية وخيرة شبابه ، وواجه شعبنا ببسالة ارهابا اسرائيليا لا يتخيله بشر ليثنيه عن طريق النضال .

لقد قدم شـــعبنا فى السنين العشر الاخيرة من نضـــاله الاف الشـــــهداء واضـــعافهم من الجـــرحى والمشــوهين والاسرى والمعتقلين من أجل الا نفنى اويذوب ومن اجل انتزاع حقه فى تقرير مصيره على وطنه وفى عودته الى ترابه وتعيش جماهير شـــعبنا الان تحت الاحتلال الصهيونى ، تقاوم بكل الكبرياء المتاصلة فيها ، بكل الشموخ الثورى الملازم لها ، سواء من زج منها فى السجون والمعتقلات او من يعيش داخل الســجن الكبير فى قفص الاحتـــلال ، يقاومون من أجل البقــاء والوجــود ، يناضلون من أجل ان تبقى الارض عربية ويكافحــون الطغيان والظلم والارهاب بشتى صوره المأساوية الخطرة .

ومن خلال ثورة شـــعبنا المســـلحة تبلورت قيـــادته الســـياسية وترسخت مؤسساته الوطنية وبنيت حركة التحرير الوطنية التى تضم كل فصائله وتنظيماته وقدراته التى جســـدتها منظمة التحرير الفلسطينية .

منظمـــة التحـــرير

ومن خلال حركة التحرير الوطنيــة الفلسطينية المناضلة نضج نضال شعبنا وتعددت اساليبه فشمل النضال السياسى والاجتماعى بالاضافة الى النضال المسلح واندفعت منظمتنا تساهم فى بناء الانسان الفلســـطينى المؤهــل لبنـــاء المســـتقبل الفلسطينى وليس فقط لتعبئته لمواجهة تحديات الحاضر .

وتعتز منظمة التحرير الفلسطينية دائما وهى تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الارهاب الصهيونى ، قامت بمآثر متعـــددة حضـــارية وثقـــافية فشـــكلت مؤســـسات البحث العلمى والتطـــــوير الزراعى والرعاية الصحية واحياء التراث الحضارى لشـــعبنا وتطـــوير الفولكلور الشعبى ، وخرج من صفوفها عدد من الشــــعراء والفنـــانين والكتـــاب الذين يساهمون فى تطور الثقافة العربية ، وربما امتد ذلك الى الثقافة العالمية ، وكان المحتــوى لكل ذلك يحمــل طابعا انسانيا عميقا آثار اعجاب كل الاصدقاء الذين اطلعوا عليه وكنا بذلك النقيض

لعدونا الذى قام على هدم الحضارة والثقـافة بـترويج الافـكار العنصرية والاستعمارية وكل ما هو معاد للشعوب والتقدم والعدل والديمقراطية والسلام .

السيد الرئيس :

لقد اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية شرعيتها من طليعتها فى التضحية ومن قيادتها للنضال بكل اشكاله ، واكتسبتها من الجماهير الفلسطينية التى اولتها قيادة العمل واستجابت لتوجيهها ، واكتسبتها من تمثيل كل فصيل ونقـابة وتجمـع وكفاية فلسطينية فى مجلسها الوطنى ومؤسساتها الجماهيرية . وقد تدعمت هذه الشرعية بمؤازرة الامة العربية كلها لها ، كما تكرس هذا الدعم فى مؤتمر القمة العربى الاخير بتاكيد حق منظمة التحرير الفلسطينية فى اقامة السلطة الوطنية المستقلة

على كل الاراضى الفلسطينية التى يتم تحريرها بصفتها الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطينى [تصفيق] .

كما ان شرعيتها تعمقت من خلال دعم الاخوة فى حركات التحرر ودول العالم الصديقة المناصرة التى وقفت الى جانب المنظمة تدعمها وتشد أزرها فى نضالها من اجل حقوق الشعب الفلسطينى .

وهنا لابد ان اعلن بكل اعتزاز شكر ثوارنا وشعبنا للمـواقف المشرفة التى وقفتها مع نضال شعبنا دول عدم الانحياز والدول الاشـتراكية والدول الاسـلامية والدول الافريقية والدول الصـديقة فى اوروبا كذلك الاصدقاء فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . [تصفيق] .

سيادة الرئيس :

أن منظمة التحرير الفلسـطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وهى بهذه الصفة المعبرة عن رغبات هذا الشعب وامانيه ، وهى بهذه الصـفة تنقل اليكم تلك الرغبات والامانى وتحملكم مسـئولية تاريخية كبيرة تجـاه قضيتنا العـادلة .

سيادة الرئيس :

لقد تعرض شعبنا لويلات الحرب والدمار والتشريد سنين طويلة ، ودفع شعبنا من دماء ابنائه وارواحهم مالا يعوض بثمن وعانى من الاحتلال والتشريد والنزوح والارهاب ما لم يعان منه شعب آخر ، لكن ذلك كله لايجعل شعبنا حاقدا يحلم بالإنتقام ، كما انه لا يجعلنا ياسـيادة الرئيس ، نقع فى سقطة عدونا العنصرية او نفقد الرؤية الحقيقيـة فى تحـديد أعدائنا واصدقائنا .

اننا ندين كل الجرائم التى ارتكبت ضد اليهود وكل انواع التمييز الصريح والمقنع الذى عانى منه معتنقو اليهودية .

ثائر من أجل الحرية

سيادة الرئيس :

اننى ثائر من اجل الحرية . واعرف أن كثيرين من الجالسين فى هذه القاعة كانوا فى مثل المواقع النضالية التى اقاتل منها الان . واستطاعوا من خلال نضالهم ان يحولوا احلامهم الى حقائق . انهم شركائى فى الحلم اذا . من هنا اسالهم ان نمضى فى تحويل الحلم المشـترك بمستقبل السلام فى هذه الارض الفلسطينية المقدسة الى حقائق ساطعة .

لقد وقف المناضل اليهودى أهود اديف فى المحكمة العسكرية الاسرائيلية قائلا: « انا لست مخربا . انا مـن المؤمنين باقامة الدولة الديمقراطيـة على هـذه الارض » . انه الان فى غياهب سجون الزمرة العسكرية الصهيونية مع زملاء له واسمحوا لى ان ارسـل اليهم تحيتى من هذا المنبر ، اليهم فى سجنهم .

ويمثل الان ، امام هذه المحاكم ذاتها امير شجاع من امراء الكنيسة المسيحية هو المطران كابوتشى . انه يرفع اصابعه بعلامة النصر — شعار ثوارنا — ويقول: « اننى اعمل من اجل السلام فى فلسطين ليعيش الجميع على ارض السلام بسلام» وسيلقى هذا الامير الراهب المصير ذاته فى غياهب السجون . اسمحوا لى ان ارسل اليه تحيتى القلبية من هنا فى سجنه المظلم .

فلماذا لا احلم ، سيادة الرئيس ، وآمل ، والثورة فى صناعة تحقيق الاحلام والامال ؟ فلنعمـــل معـــا على تحقيق الحلم فى أن أعود مع شعبى من منفاى لاعيش مع هذا المناضل اليهودى ورفاقه ، ومع هذا المناضـل الراهب المسـيحى واخـوانه ، فى ظـل دولة واحـدة ديموقراطية يعيش فيها المسيحى واليهودى والمسلم فى كنف المساواة والعدل والاخاء

الا يستحق هذا الهدف الانسـانى النبيل أن أنـاضل من اجل تحقيقـه مع كل الشرفاء فى العـالم ؟ ولعـل اروع ما فى هذا الهدف العظيـم هو أنه من أجل فلسطين ، أرض القداسة والسلام : ارض الاستشهاد والبطولة والتاريخ . [تصفيق حاد] .

لقد ناضل اليهود ، ياسيادة الرئيس فى اوروبا وهنا فى امريكا من اجل اوطان لا طائفية تنفصل فيها الدول عن الكنيسة وقاتلوا ضد التمييز على اساس الدين ، فكيف يمكنهم ان يرفضوا هذا النموذج الانسانى المشرف على الارض المقدسـة ارض السلام والمساواة ؟ وكيف يمكنهم ان يستمروا فى دعم اكثر دول العالم انغلاقا وتمييزا وتعصبا ؟

دعوة الى اليهود

اننى اعلن امامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد الثورة الفلسطينية اننا عندما نتحدث عن امالنا ونعمل من اجل فلسطين الغد فنحن نشـمل فى تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الان فى فلسطين ويقبلون العيش معنا فى سلام ومن دون تمييز على ارض فلسطين .

اننى بصفتى رئيسـا لمنظمه التحرير وقائدا لقوات الثورة الفلسطينية ادعو اليهود فردا فردا الى ان يعيدوا النظر فى طريق الهاوية الـذى تقـودهم اليه الصهيونية والقيادات الاسرائيلية وهى التى لم تقدم لهم غير النزف الدموى الدائم والاسـتمرار فى خوض الحروب واستخدامهم كوقود دائم لها .

اننا ندعوكم الى الخروج الى مجال الاختيـار الرحب بعيدا عـن محاولات قيادتكم لغرس عقدة الماسادة وجعلها قدرا لكم .

اننا نقدم لكم اكرم دعوة ، ان نعيش معا فى اطار السلام العادل فى فلسطيننا الديمقراطية . [تصفيق] .

اننى كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية اعلن هنا اننا لانريد اراقة نقطة دم يهودية او عربية ، ولا نستعذب استمرار القتال دقيقة واحدة اذا حل السلام العادل المبنى على حقوق شعبنا القومية وتطلعاته وأمانيه .

اننى كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكقائد للثورة الفلسطينية اتوجه اليكم ان تقفوا مع نضال شعبنا من أجل تطبيق حقه فى تقرير مصيره ، هذا الحق الذى كرسه ميثاق منظمتكم واقـرته جمعيتكم الموقرة فى مناسبات عدة ، واننى اتوجه اليكم أيضا ان تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجبارى الذى رفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ليعيش فى وطنه ودياره وتحت ظلال اشجاره حرا سيدا متمتعا بكل حقوقه القومية ليشاركوا فى ركب الحضارة البشرية وفى مجالات الابداع الانسانى بكل ما فيه من امكانات وطاقات وليحمى قدسه الحبيبة كما فعل دائما عبر التاريخ ويجعلها قبلة حرة لكل الاديان بعيدا عن الارهاب والقهر كما فعل عبر القرون الطويلة .

كما اتوجه اليكم بان تمكنوا شعبنا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطنى على ارضه .

لقد جئتكم اليوم ، يا سيادة الرئيس ، بغصن الزيتون فى يد ، وبندقية الثائر فى يد ، فلا تسقطوا الغصن الاخضر من يدى ، لا تسـقطوا الغصن الاخضر من يدى . لاتسـقطوا الغصن الاخضر من يدى . [تصفيق حاد] .

سيادة الرئيس :

الحرب تندلع من فلسطين ، والسلم يبدأ من فلسطين وشكرا .

[تصفيق حـــاد وطويل]



نـدوة مثمـرة ودراسـات هامـة

شهدت **بغداد** فى مطلع الشهر الماضى ، فى الايام الاربعة الاولى منه ، حدثا دوليا بارزا استرعى أنظار المحافل التقدمية فى جميع انحاء العالم . ذلك هو انعقاد « **ندوة بغداد العالمية الثانية . النفط والمواد الاولية** » . وقد تولت الدعوة لهذه الندوة ، والاعداد لها ، ثلاث هيئات هى : « منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية » ، « مجلس السلام العالمى » ، « المجلس الوطنى للسلم والتضامن » بالعراق .

وقد انعقدت ندوة بغداد الاولى فى الفترة نفسها منذ عامين ،

وقد وجهت الدعوة للاشتراك فى الندوة ، والتقدم بالبحوث ، لعدد كبير من أبرز علماء الاقتصاد والسياسة والقانون التقدميين فى العالم أجمع . وحفلت الندوة بأكثر من خمسين بحثا عالى القيمة تناولت مختلف جوانب مشكلة النفط . وكان من ابرز البحوث التى قدمت للندوة تلك التى قدمها بعض العلماء العرب ، مثل : الدكاترة **فؤاد مرسى وابراهيم سعدالدين وفوزى منصور وعلى لطفى ومحمد على الماشطة وعصام الزعيم وعباس النصراوى والاستاذ نعيم الاشهب** ، وكذلك ابحاث د . **أفاكوف** ، و . **اندرسيان** من الاتحاد السوفيتى ، **بول بوكارا** من فرنسا ، **ايجون ليمينيس** من المجر ، والدكتور **جنتر بارثل** من المانيا الديمقراطية ، **وفيكتور بيرلو ، وميشيل تانزر ، وتشارلس بورتر** ، من الولايات المتحدة ، **وآيت شالال** رئيس شعبة الادارة بمنظمة الاوبك .

وقد خصص صباح اليوم الاول من الندوة للجلسة الافتتاحية ، حيث القيت الكلمات ، وقرئت رسائل التحية التى وردت من كثير من زعماء العالم . وكان فى مقدمة المتحدثين فى هذه الجلسة السيد **يوسف السباعى** السكرتير العام لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيويه ، السيد **عزيز الشريف** رئيس المجلس الوطنى للسلم والتضامن بالعراق ، **روميش شاندرا** رئيس مجلس السلام العالمى .

دور النفط فى دعم الاستقلال الاقتصادي وتمويل التنمية الاقتصادية

● **أكدت البحوث ، ان ايرادات النفط المتزايدة يجب ان توجه الى عمليات التنمية الاقتصادية ، ورفع المستويات المعيشية ، وتنفيذ اصلاحات اجتماعية جذرية .**

● **وتشير البحوث ، الى أن النفط مصدر مؤقت للايرادات** ، واحتمالات نفاده قائمة ، ولذلك فان ايراداته يجب ان تستخدم لتحقيق دفعة من النمو الاقتصادى تؤدى فى غضون فترة زمنية قصيرة نسبيا — فى اطار حياة جيل واحد — الى الاستقلال الاقتصادى الكامل ، والى الاستقلال عن النفط نفسه ، وان بدا فى ذلك بعض المفارقة . **وعلى البلاد المصدرة للنفط أن تصل فى غضون هذه الفترة الى مستوى التطور ، وأساسا الى بنيان اقتصادى ، يمكنها من ان تواصل تقدمها دون الايرادات القائمة على النفط .**

● وتؤكد البحوث على اهمية تجاوز عمليات استخراج النفط الى تنمية الصناعات المتكاملة لتكرير النفط والمنتجات البتروكيماوية ، وتصدير المنتجات التامة الصنع ، وذلك على سفن ، ومن خلال خطوط انابيب ، مملوكة للدول المنتجة .

بين المشاركة والتأميم

ان الخط الرئيسى فى البلاد المصدرة للنفط يجب أن يتجه الى التأميم . وقد اكتسبت عملية التأميم بالفعل قوة دافعة لايمكن مقاومتها . ويعد التأميم الكامل امرا حاسما ، اذ ان التأميم الجزئى يترك لشركات النفط موضعا لقدمها ، ويثير الاخطار امام كل تطور لاحق . ومثل هذا التأميم لا يمكن أن تضطلع به الا النظم التقدمية وحدها ، كما أنه هو وحده الذى يسمح باستخدام النفط كسلاح سياسى واقتصادى رئيسى فى معارك التحرير . كما أن التأميم لا يمكن أن تتحقق مزاياه الدائمة ما لم يكن مقترنا باصلاحات جذرية تجعل الجماهير الرابح الاساسى منه .

وعرضت البحوث لمشروعات التأميم في فنزويلا وبيرو والارجنتين ، ولخبرات التأميم في البلاد الاشتراكية الاوروبية ، وفي العراق والجزائر وليبيا ، وما يمكن استخلاصه من دروس قابلة للتطبيق بشكل عام واشارت الى

ان الخطر الامبريالي المباشر الان على الثورات الوطنية في مرحلة النضال من أجل الاستقلال الاقتصادي هو خطر الاستعمار الجديد . واساليب هذا النوع من الاستعمار متعددة ومتنوعة ، وتعد المشاركة أحد أساليبه الجديدة بالدراسة المتأنية ، نظرا لانه الاسلوب الذي يطرح عادة على البلاد العربية المصدرة للنفط .

ان كل أسلوب للمشاركة قد لا يكون بالضرورة أسلوبا للاستعمار الجديد ، الا ان الاستعمار يحاول أن يجعله أسلوبه لمواصلة اهدافه ، وبخاصة عندما يضع المشاركة في مواجهة التأميم وبديلا له . وهنا يتوقف الامر على الظروف الموضوعية ، وعلى يقظة القوى الوطنية وقدرتها على افساد المخططات الامبريالية الرامية الى الالتفاف حول نضالها المشروع من أجل الاستقلال الاقتصادي .

الامبريالية تحاول استعادة المواقع المفقودة

تشير البحوث الى أن شركات النفط لم تتخل قط عن مخططاتها للاحتفاظ بسيطرتها على آبار النفط في داخل البلاد المصدرة ، وهي تسعى جاهدة الى اعادة السيطرة — وان يكن بشروط جديدة — على ما فقدته من مواقع . انها تسعى بكل السبل الى اقرار السيطرة من جديد على انتاج النفط حيث تم تأميمه ، أو تأخير عملية التأميم ، حيث مازالت هذه العملية ماضية في الطريق ، أو لم تبدأ بعد .

ان هدفها الحقيقي لم يعد في المقام الاول تخفيض سعر النفط ، وانما التحكم في احتياطياته العالمية ، وخاصة وان الزيادة المثيرة في أسعار النفط الخام لا تمثل مع ذلك الا جانبا تافها من الفرق الهائل بين سعر النفط الخام في ميناء التصدير [راس تنورة على سبيل المثال] وبين السعر النهائي للنفط ، أي السعر الذي يشتريه به المستهلك الاخير في البلاد الرأسمالية المتطورة المستهلكة للنفط .

وحدة البلاد المصدرة للنفط ضد الاحتكارات

أبرزت البحوث بعض الحقائق الهامة ، وفي مقدمتها وحدة المصلحة بين البلاد النامية والاشتراكية والرأسمالية في النضال ضد احتكارات النفط الدولية ، ومن أجل التأميم والتنمية الاقتصادية . كما أن الشعب العامل في البلاد الرأسمالية المتطورة والبلاد النامية المستهلكة للنفط يعاني من ابتزاز الشركات المتعددة الجنسية ، ومن أزمات النظام الرأسمالي المتلاحقة .

وهنا يتضح ان من واجب الشعب العامل والمنظمات المناهضة للاحتكار في البلاد الرأسمالية المتطورة مساندة نضال البلاد النامية من أجل الاستقلال الاقتصادي الكامل . ان مصلحة الجانبين هي في ايجاد أشكال للتعاون بينهما ، مثل اقامة علاقات مباشرة بينهما خارج سيطرة شركات الكارتل الدولي . وبيع البلاد المصدرة لنفطها لشركات دولة تعاونية تدار بطريقة ديمقراطية في داخل البلاد المستهلكة ، مع **تصفية دور الاحتكارات كوسيط يقف بين الطرفين ينتزع الاتاوة من كل من المنتجين والمستهلكين .**

وأشادت البحوث باستخدام النفط سلاحا سياسيا واقتصاديا في حرب أكتوبر . وأكدت أن أهمية هذا القرار البالغة تنبع من انه جاء نتيجة لوحدة الشعوب العربية ، وأنه قد تم الاعداد له من خلال تعزيز الروابط بينها في خلال المعارك السياسية السابقة . ورأت بعض البحوث ان استخدام هذا السلاح كان يجب أن يستمر الى ان تتأكد حقوق الشعوب العربية ، وفي مقدمتها شعب فلسطين . ومع ذلك فهناك آثار ايجابية ترتبت على الاستخدام الجزئي المؤقت لذلك السلاح .

الامبريالية تلقي التبعة على البلدان المصدرة

تناولت البحوث في شيء من التفصيل مشكلات التضخم والبطالة وميزان المدفوعات في البلاد الرأسمالية المتطورة ، وأكدت أنها كانت قد وصلت بالفعل الى درجة بالغة من الحدة قبل ارتفاع أسعار النفط . كما اكدت انه لا يوجد في الحقيقة عجز مادي في الطاقة ، وان أزمة الطاقة لا ينبغي أن تفهم بهذا المعنى . ان أزمة الطاقة لا يمكن فهمها على نحو سليم الا اذا وضعت في اطار المرحلة الجديدة للازمة العامة للرأسمالية .

وتحاول الامبريالية ، احداث الوقيعة بين شعوب بلادها وشعوب البلاد المصدرة للنفط ، بالقاء تبعة هذه المشكلات على عاتق البلاد المصدرة التي اقدمت على رفع أسعار النفط ،

مستهدفة جر عمال بلادها الى المغامرات والاعمال العنصرية . كما تحاول شق صفوف العالم الثالث باحداث الوقيعة بين البلاد النامية المصدرة للنفط والبلاد النامية المستهلكة له التى اصبحت تدفع بالفعل جانبا جوهريا من رصيدها من العملات الاجنبية ثمنا للنفط الذى تحصل عليه. كما تحاول الاحتكارات — فى الوقت نفسه — التلاعب بنسب المبادلة بين السلع المختلفة لمضاعفة استغلال الشعوب المنتجة للمواد الاولية ، والقضاء على المزايا التى حققتها البلاد المصدرة للنفط من ارتفاع أسعاره . وتسعى الاحتكارات — أيضا — الى ارهاب الجماهير فى بلادها بتهديدها بالعجز فى الطاقة وبالكارثة « الوشيكة » حتى تسلم بتقديم تضحيات جديدة.

الهجمة الامبريالية الاخيرة

تواجه البلاد المصدرة للنفط حملة ضارية من جانب البلاد الراسمالية المتطورة لحملها على تخفيض اسعار النفط من جانب واحد ، على حين لا تفعل هى شيئا لتخفيض الاسعار المتضاعفة للاغذية والمواد الاولية الزراعية والفحم ومختلف المنتجات التى يصدرها بلد كالولايات المتحدة . ان علاقات التبادل العادلة لا يمكن ان تقوم الا على أساس التعديل المتبادل لاسعار السلع التى تتحرك فى التجارة الدولية .

ان على البلاد المنتجة للنفط — باعتبار النفط سلعة قابلة للنفاذ — الا تنتج وفق أوامر الاحتكارات ، وانما وفقا لاحتياجاتها الخاصة والاحتياجات العالمية الحقيقية ، ولتوفير الايرادات اللازمة لتمويل متطلبات الاستيراد الخاصة ببرامج التنمية ورفع المستويات المعيشية .

كما أن أسعار النفط يجب أن تتحدد وفقا لرغبات شركات النفط ، وانما وفقا لعدد من العوامل الموضوعية ، فى مقدمتها ظروف العرض والطلب ، والتضخم العام ، وانخفاض قيمة العملات ، وبخاصة تلك التى يباع بها النفط ، وسعر الذهب ، وظروف منتجات الطاقة الاخرى ، والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد المصدرة ، والعلاقة بين أسعار النفط وأسعار المواد الغذائية والمنتجات اللازمة للتنمية .

التعاون بين البلاد المصدرة والبلاد النامية والاشتراكية

ركزت البحوث على اهمية التعاون بين هذه المجموعات الثلاث من البلاد . واشكال هذا التعاون يمكن أن تتضمن اتفاقيات لمبادلة النفط بالمواد الاولية والغذائية والسلع الصناعية ، ومخططات صناعية تعاونية لتقسيم العمل ، والدفع المؤجل وتقديم القروض بشروط ميسرة فى حالات الضرورة والطوارىء ، وبخاصة عندما تعانى البلاد النامية المستهلكة للنفط من الاسعار المتضاعفة للنفط المستورد والاطعمة المستوردة ، دون زيادات مقابلة فى أسعار صادراتها ، ويصبح من المتعذر عليها تفادى العجز فى ميزان المدفوعات .

كما ركزت البحوث على أهمية التعاون مع البلاد الاشتراكية . فالصناعات التى تقام بمساعدتها تظل ملكا للبلاد النامية ، التى تحتفظ أيضا بسيطرتها الكاملة على المعادن التى تكتشف وتستخرج بمساعدة البلاد الاشتراكية ، التى باستطاعتها أيضا تقديم المعدات الحديثة والمعارف التقنية المتقدمة للبلاد النامية ، وتدريب كوادرها.

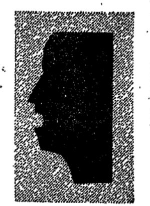
تكدس أيرادات النفط فى البنوك الغربية

تسعى الشركات الصناعية والمصرفية المتعددة الجنسية الى وضع يدها على العائدات المتزايدة للبلاد المنتجة للنفط ، لاقامة نوع جديد من أبنية الاستعمار الجديد فى هذه البلاد ، وتشويه التطور الاقتصادى والاجتماعى فيها لتحقيق أرباح أكبر .

وقد شجبت البحوث ايداع المتحصلات من بيع النفط فى البنوك الامبريالية ، وفى غير ذلك من أشكال الاستثمار فى الشركات الامبريالية ، والاستثمار فى مجال الملكية العقارية . فبسبب الارتباط بين البنوك وشركات النفط فان هذا الامر يكاد يرقى الى حد تقديم النفط لهذه الشركات دون مقابل ويتضح هذا — خاصة — على ضوء التدهور المستمر فى قيمة الدولار . ان هذا الايداع يضع عشرات المليارات من الدولارات رهينة فى خدمة الاهداف السياسية للامبريالية ، ويزودها بسلاح للابتزاز من خلال التهديد بمصادرة هذه الودائع ، اذا ما انتهجت هذه البلاد سياسات تتعارض مع مصالح الامبرياليين ، كما يعزز مواقع القوى المضادة المرتبطة باحتكارات النفط .

ان النظم التقدمية العربية تضع الامكانيات الجديدة التى كسبتها فى خدمة شعوب آسيا وافريقيا التى تسعى الى الافلات من السيطرة الامبريالية الاسرائيلية . وقد أصبحت هذه النظم فى موقع يمكنها من تفجير التناقضات بين القوى الامبريالية المستندة كما يمكنها من دعم البلاد العربية فى النضال ضد العدوان الاسرائيلى ، ومساعدة حركات التحرر الوطنى العربية .

بغداد : احمد فؤاد بلبع



مناقشات مفتوحة

رسالتان نقديتان الى « الطليعة »

تنشر « الطليعة » رسالتين من قارئين من قرائها .. الرسالة الاولى تحيى الكتابات الاخيرة فى «الطليعة» ، التى تصدت للفكر الرجعى ، وفى نفس الوقت توجه نقدا للطليعة وكتابها وتطالبهم بأن يستخدموا لغة بسيطة وسهلة .. والرسالة الثانية تتوجه ايضا بالنقد الى الطليعة ، ويرى كاتبها أن الطليعة لم تلتزم شعارها : « طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر » .

الرسالة الأولى

رئيس التحرير

تحية طيبة

وبعد ...

لقد عزمت قبل أن أنزل صباحا لشراء عدد « **الطليعة** » الجديد ـ عدد نوفمبر ـ أن أكتب الى سيادتكم ـ عن ملاحظاتى على عددى سبتمبر واكتوبر ـ من اننى رأيت فيهما منبرا تقدميا مباشرا يتصدى للدفاع ضد الهجمات الشرسة التى شنها اليمين على نضال بلادنا الوطنى والاجتماعى منذ حركة ٢٣ يوليو وحتى الان .

واذ بى أجد ان الطليعة قد لمست ـ وبصدق ـ اقبال القارىء على أعداد الشهرين المذكورين ، وتأكد عندئذ ان حركة الرصد لايجابية تطور الطليعة باضطلاعها بمهامها الحقيقية فى نشر الفكر الثورى والدفاع عن قضايا الكادحين ، كانت عند كلينا نحن القراء وأنتم المحررون .

وبعد ...

أريد أن أدير مع سيادتكم حوارا مخلصا وصادقا حول دور « الطليعة » [أو بمعنى أدق دور وسائل الاعلام الثورية فى مجتمعنا] .

واقولها صراحة ان الدوريات الشهرية ـ وهى الوحيدة فى السوق ـ باستثناء روز اليوسف الاسبوعية [وهى لا تشفى الغليل] .

أقول أن لغة التعامل مع الجماهير فى هذه الدوريات مفقودة — وأنهـا دوريات للمثقفين فقط — ستردون وتذكرون أن الطليعة أصدرت الاعداد أرقام كذا وكذا ، وانها نشرت مقابلات ميدانية مع شرائح من الجماهير ».

معكم فى ذلك .

ولكن لغة الجمـاهير التى أعنيها هنا هى اللغة البسيطة الاسـلوب ، والتى تحمل اكثر المعانى والمفاهيم عمقـا وثورية ، ويسـتطيع العامل والطالب و [البرجوازى الصغير] ان يقرأوها ويستوعبوها ، ولا أذكر الفلاح ، لان فلاح مصر أمى لا يقرأ .

اننـا نفتقد المنبر الثورى الشـعبى الذى يسـتطيع ان يتصـدى لكل حملات الافتراء والتزييف والتخدير الذى يتعرض له المواطن المصرى البسيط .

أنظر سيادتكم قصة احسان عبد القدوس ، فى عدد الاهرام بتـاريخ أول نوفمبر سـنة ١٩٧٤ ، وفيهـا يتبـاكى الروائى المحنك على الارستقراطية المضروبة من حركة سنة ١٩٥٢ .. وهى مثال واضـح لقوة تأثير الطبقـات القديمة فى الدفاع عن نفسها ، ونذكر أيضـا فى هذا العدد ريبورتاجات أخبار اليوم أيضاقضية [مذبحة القضاء] ، وبالاخص عدد أخبار اليوم الصـادر فى ٢ نوفمبر سـنة ١٩٧٤ ، والدفاع عن عائلة الفتى المظلومة المعذبة !!! .. وهـذه مجـرد أمثلة ، وانتم أدرى وأعلم بالباقى .. ان ترك الميدان خاليا للاخوين على ومصطفى أمين ، وخفافيش الجمهورية ، أمثال على الدالى وصالح جودت ، وأمثال ابراهيم سعدة ، يعتبر جريمة فى حق شعبنا .

اننى أطلب منكم ، باسـم مستقبل قضـية التحول الاشتراكى فى وطننا ، وباسم قضايا التخلف والفقر والاستغلال التى تواجهنا ، أن تفكروا فى كيفية اخـراج منبر شـعبى ثورى للجماهير ، تستطيع ان تجد فيه ما يروى ظمأها نحو الثقافة الثورية الخالصة ، والتى تستطيع ان تضع الحصانة فى عقول المواطنين ضـد الثقافة الصفراء التى تحـاصرهم فى كـل مكان .

لقد بعثت برد للاستاذ مصطفى أمين حول مقالته [عن صوت من وراء الحدود] ، والتى يتهم فيها الشـبان الشـيوعيين بالتباكى على المعتقلات والاعتقـالات [وهـذه نغمة غريبة يحاول فيهـا اليمين المتخلف ان ينسـب كل الاخطاء التى وقعت فيهـا حركة ٢٣ يوليو الى الماركسـية] ، ذكرت له فى ردى بأن كلامه ذو منطق معكوس ، وان الشـيوعيين كانوا وقودا للمعتقلات قبل سنة ١٩٥٢ وبعد ٥٢ وكيف توفى الشهيد شهدى عطية الشافعى فى السجن — وهلم جرا — ولكن رجل الديمقراطية صاحب لهـا — لم ينشر الرد — مما فضح منطقه وانفصام شخصيته ككاتب لكل العصور — ذو اغراض معينة — أذكر هـذا المثل لادلل على غياب المنابر الثورية الشعبية القادرة على الرد الفورى والحاسـم على حملات الاكاذيب والتشويه والتخدير التى يحاصرون بها شعبنا ، لدرجـة انهم افسـدوا ذوقه وانحرفوا بقيمه ومفاهيمه [وهذه حقائق لا تقبل المغالطة] .

لابد ان نتكاتف معـا ، أنتم طـلائع الكتاب والصحفيين الثوريين والشرفاء ، ونحن القراء على أن نخلق المنبر الشـعبى الثـورى الذى يفضح الخفافيش وتجـار الافيون الفـكرى ، ويتبنى قضايا الجماهير ويرتفع بمستوى وعيها ويحدد لها معالم طريقهـا النضـالى لتحقيق أهدافها التاريخية التى نسعى جميعا لتحقيقها .

وأخيرا .. اخـاف مرة أخرى ان نفقد لغة التعامل مع هؤلاء الذين نحمل افكار ومبادىء نضالهم ، والتى اضبحت قضاياهم هى قدرنا ومصيرنا ، وتحدينا الاكبر فى رحلة الحياة ».

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

صلاح الدين سـليمان محمود
جندى مؤهلات عليا — مستجد
عابدين — القاهرة

هـل الطليعـة حقـا .. طـريق المناضـلين ؟!!

« ملاحظات نقـدية حـول ماهو كائن . . ومايجب أن يكون »

ــ تتميز « الطليعــة » عن ســائر المجلات الاخرى : (١) بالالتزام الثورى فى اقصى درجاته (٢) بالعمق فى الإسلوب حين تعبر عن المضمون الذى تعتقده (٣) بدراسة الواقع وتحليل مساره وتطوره بأسلوب علمى فذ !!

ــ ولقد لخصت الطليعة سياستها التحريرية في العبارة التى نطالعها فى الصفحة الاولى من كل عدد [طريق المناضــلين الى الفكر الثورى المعاصر] !!

● فالى اى مدى التزمت بهــذا الشــعار الكبير ؟ !!

ــ نسال هذا السؤال لاحسابسنا بأن كتاب الطليعة القائمون قد انحرفوا عن الاستراتيجية التى اقرها الكتاب المؤسسون !!

ــ وحتى لا يتســم حكمنا بالجزافيــة ، أويوسم بالتجنى .. نقوم فى الســطور التالية ببيان الادلة وتقديم البراهين على ذلك ، ومن واقع الطليعة نفسها !! .. ولنبدأ ببيان المفهوم العام لهذا الشعار ، باعتباره محور كلامنا ..

● **أولا** : حين يقــال ان الطليعة [طــريق المناضلين] ، فـ ذا يعنى انهــا طريق الكادحين .. والمكافحين !! .. وهذا يشمل قوى الشعب العاملة فى المصانع والحقول ، وسائر مجالات الانتـــاج الاخــرى ، فى المجتمعين المحــلى والقومى ..

● **ثانيــا** : تعرف الثورة بأنهــا علم تغيير المجتمع .. تغييره لما هو افضل !! .. وبذلك يكون نتاج التفكير الذى يبنى الجانب النظرى لمنهــاج التغيير فكرا ثوريا !! .. وهــذا هو مضمون الشق الثانى من الشعار [الى الفكر الثورى المعاصر] ..

● ● ●

لقــد التزمت الطليعــة ان تكون طــريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر !!

والدقة فى التفنيد توجب التمييز بين ثلاث :

(١) الرغبــة فى أن تكون (٢) ما هــو كائن (٣) ما يجب أن يكون .

● لقــد أرادت الطليعــة ان تكون طريق المناضلين !!

● وكانت بالفعل وبدراسة ما هو كائن .. مقارنا بما تنشره الصــحف الاخرى .. كانت طريق المناضلين !!

● ولكن .. هل كانت طريقهم الحقيقى ؟ .. هل قدمت الطليعة ما يجب ان يقدم حتى تكون ــ بحق ــ طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر ؟ !!

احقاقا للحق ، اقرر بأن الطليعة لم تستطع حتى الان ان تكون الطريق الحقيقى للمناضلين !! .. اقــول ذلك وفى يقينى ان بلوغ ذلك ليس بالمستحيل على الطليعة ، وبنفس امكانيــاتها القائمة من كتاب ومفكرين !!

● ● ●

وفى طــريق النقد البنــاء .. اعرض فى السطور التالية للسلبيات التى أصــادفها فى الطليعة :

أولا : التركيز على دراسة الواقع المحلى :

يلاحظ ان الطليعة تركز على دراسة الواقع [ظواهره السلبية ـ مشاكله ـ تطوره] ؟ وذلك على حساب بناء الفكر الثورى !!

وأبدى فى هذا الصدد الملاحظات التالية :

١ ـ ان الواقع المحلى ليس بالجانب القليل الاهمية بحيث تتهم الطليعة بالصغار للنزول لمستواه !! .. ولكننا نحاسب الطليعة على أساس انها أعلنت التزامها بمنهاج معين ، وهو ان تكون [طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر ، هذا الطريق الذى التزمت به اسما وحادت عنه فعلا !! .. فالواقع الراهن للمنهج التفكيرى لمقالات الطليعة يجعلها طريق المناضلين لمتابعة الواقع الثورى المعاصر .. وليست طريقهم للفكر الثورى المعاصر !!

٢ ـ ولاطرح سؤالا !! .. « هل كل ما يفرزه الواقع من أحداث وظواهر ابان تطوره ، جدير بالدراسة ؟ .. «انالاجابة التىيفرضها المنهج العلمى هى النفى !! .. فضرورى أن نميز بين الافراز الاساسى والافراز الثانوى .. المؤثر فى الواقع وضعيف التأثير .. الدائم والطارىء !!

● ● ●

● ولقد وقعت الطليعة فى خطأ عدم التمييز بين المكونات الدائمة والمكونات العارضة لتطور الواقع المحلى !!

● وحتى لا نتوه مع الواقع أو تتوهنا أحداثه يلزمنا معيار نستهدى به فى وزن الاحداث .. لننتقى منها الاساسى ونترك الثانوى .. وليكن معيارنا هو [مدى تأثير الحدث أو الظاهرة أو المشكلة فى الاستراتيجية الكبرى للمجتمع .. استراتيجية بناء الدولة الاشتراكية] !!

٣ ـ لتعلم الطليعة ان ثمة ضرر يلحق الواقع الثورى من جراء تكريس جهدها الفكرى لدراسة الواقع - وعلى حساب بناء الفكر للواقع ، وذلك لعدة أسباب منها : ان عددا لا يحصى من الصحف يقوم بهذه المهمة .. ومنها أيضا ان الاضافات المبتكرة لعدد من أعداد الطليعة فى ظل المنهج الواقعى يمكن تركيزها فى مقال أو مقالين .. ولتخصص المساحة الباقية لبناء الفكر الثورى !!

٤ ـ ان الطليعة حين تمنح الواقع هذه الاهمية ، فانما تقنع بما هو كائن !! .. ولن يتحقق التقدم الاجتماعى اذا كنا من القانعين بالواقع .. فالمنهاج الثورى الذى التزمنا به يوجب علينا ان نكون من الطامحين ، وهذا يفرض على الطليعة ان تضيف لتكتيكاتها العقائدية تكتيك بناء الواقع المستقبل .. الواقع الذى يجب ان يكون ، انطلاقا مما هو كائن .. بأسلوب ايديولوجى ينتمى للفكر الثورى !!

٥ ـ وحين تفكر الطليعة فى تصحيح منهجها لتركز على بناء الفكر الثورى [الجانب النظرى للثورية المعاصرة] ، فان هذا لا يؤدى حتما لاغفال الجانب الواقعى !! .. فقط سيتغير موقعه .. اذ سيتحول الى مجرد اداة للتأهيل النظرى ، وبعد ان كان يحتل موقع الهدف منه [فالتأهيل كما نعلم لا ينبع من فراغ] !!

٦ ـ ان المنطق يفرض ان يقود الفكر الثورى الواقع ، ويرسم له طريق العمل السياسى والاجتماعى !! .. والذى حدث هو ان الطليعة [منبر الفكر الثورى] قد انقادت للواقع !!

● ● ●

ثانيا : مفهوم المناضل :

من هو العامل ؟ .. من هو الفلاح ؟ .. تم تحديد هذه المفاهيم فى بداية التطور الثورى ، والآن تعلو أصوات تنادى بضرورة تغييرها .. لماذا ؟ .. لان الواقع المتغير يفرض ذلك !!

● من هذا المنطلق اتساءل عن مفهوم المناضل فى عرف الطليعة ؟ !! [هذا الذى اعتبرت نفسها طريقه للفكر الثورى] ..

● واذا كان الكتاب المؤسسون قد حددوه ضمنا فى البدء ، وتوجهوا له بالكتابة .. أتساءل .. ألم يتغير مفهوم المناضل بعد مضى هذه الحقبة ؟ .. أو انه من المفاهيم الثابتة التى لا تتأثر بقانون التطور !!

ثالثا : الموقف من الاشتراكية :

١ ـ سؤال كبير اوجهه لكتاب الطليعة .. [اذا كانت الطليعة طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر .. فتجاه تحقيق اية غاية ؟!] .. بمعنى آخر ، ما هو الهدف النهائى الذى تبغياه الطليعة على المدى البعيد ؟ .. ماهى الاستراتيجية التى تسعى لتحقيقها ؟!

● بكل الاسف أقول بأن الطليعة تكتب بدون استراتيجية محددة !! .. والجدير بها ـ اليوم قبل الغد ـ ان تحدد لنفسها استراتيجية !!

أولا : لتضمن عـدم الانحراف الى متاهات فكرية تبـدد الطـاقات الذهنية التى يجب ان تستخدم لتحقيق الايجابى دائما !!

ثانيـا : حتى تكون ـ بحـق ـ طـريق المناضلين .. كل المناضلين !!

● وأى استراتيجية أحق بالاعتناق من بناء الاشتراكية [بناء نظرية الاشتراكية العربية] ؟!

● ان بناء الاشتراكية ليس بالهدف الضئيل ليكون اسـتراتيجية منهجية .. فالاشـتراكية بشـقيها [النظرية والتطبيق] تتغلغل فى كافة مجـالات المجتمع .. سـياسية واقتصـادية وحضارية ، وبذلك فان انتهاج بنائها يعنى استهداف تأسيس البناء الاجتمـاعى للمجتمع بأسره !!

٢ ـ تعالج الطليعة من حين لاخر الجـانب النظرى لبناء الاشتراكية !! .. ولكن ان تعالجه باعتباره موضوعا يتساوى مع غيره ، يختلف عن معالجته باعتباره قضية الاساس فى تحقيق التطور الاجتماعى !!

٣ ـ تصدر الطليعة فى مصر .. ليقرأها شـعب مصر ، ولتقرأها القوى التقدميـة فى الوطن العربى !! .. والقضية المحورية لهؤلاء جميعا هى تحقيق الاشتراكية .. فماذا قالت وماذا قـدمت الطليعة للفـكر الاشـتراكى العربى ؟ !!

● لقد كنـا ننتظر ان تتحـدث الطليعة عن الاشتراكية فى كل صفحة من صفحاتها !! .. ولكنها اهملتهـا الى غيرها من الموضـوعات الثانوية لمبرر واهى ، وهى انها تشغل الرأى العام .. لانها قضية الواقع الراهن !!

● ان الطليعـة مطـالبة بالكتـابة عن الاشتراكية وقضاياها الفكرية بواقع ٨٠ ٪ من صفحات كل عدد ، حتى تكون ـ بحق ـ طريق المناضلين للفكر الثورى المعاصر !!

٤ ـ ان الفكر الثورى المعاصر ، ليعانى من الضحالة ومن الفقر الفكرى والجمود !!

● ومن أجدر من الطليعة ـ بحكم الالتزام العقائدى ، والاستعداد الفكرى بانجاز مهمة ارساء البناء النظرى للفكر الثورى الاشتراكى !! .. اننا ننتظر اليوم الذى تطـور فيه الطليعة شعارها .. من [طريق المناضـلين الى الفكر الثورى المعاصر] .. الى [طريق المناضـلين لبناء الدولة العربية الاشـتراكية الواحدة] !! .. وبالفكر الثورى !!

● ● ●

رابعا : أسلوب الكتابة :

(١) ـ يلاحظ ان كتـاب الطليعـة لا يكتبون جميعـا بنفس المسـتوى من الثورية ، عند تعرضهم بالدراسة لظاهرة سلبية من ظواهر الواقع الاجتماعى !!

● واقصـد بالكتـابة الثورية ... تلك التى تتميز بالاسلوب الساخن الذى يشد القارىء ، بكشفه للسلبيات فى شـجاعة ، وبأسـلوب غير متردد وصريح !!

● ان تقصى الاعداد الصادرة فى عام ١٩٧٤ ليبين لنا ان نسبة المقالات المكتوبة بالاسـلوب الثورى تكون ٢٠ ـ ٣٠ ٪ من مجموع مقالات كل عدد !! .. وهذه النسبة الضئيلة تجعلنا نقرر بأن طريق المناضلين للفكر الثورى قد تخلت عن اللهجـة الثورية ، الى لهجة غير ثورية تدنيها من الاسـلوب الروتينى الذى تنتهجه بعض صحفنا !!

٢ ـ يجب ان تهتم الطليعة بالشـكل الذى تقدم فيه مقالاتها ودراساتها !! .. ولتغير من الاسـاليب النمطية فى الكتابة ، حتى تقـدم لقرائها مادة يتسق فيها الشـكل الصحفى مع المضمون الثورى ..

● أن الاسلوب الثورى المتقد فى الكتابة ليحقق هذا الغرض .. بينما الاساليب الفاترة الضعيفة لتبتعد عن تحقيقه !!

● ● ●

خامسا : سلبيات رئيس التحرير :

وماذا عن رئيس التحرير !! [القائد الفكرى للمجلة] ... ؟

● بكل الصدق أقول انه قد شارك بنصيب فى الانحراف عن المسار الطبيعى لسياسة تحرير الطليعة !!

● فاذا تعرضنا لنوعية المقالات التى يبدابها عدد الشهر [الافتتاحية] ، لوجدناه يركز على موضوعات [التطبيق الثورى] ، ويبتعد عن المطلوب ، وهو موضوعات [الفكر الثورى] !!

● ولنسأل السيد رئيس التحرير .. كم مقالا كتب عن الاشتراكية ، باعتبارها المحور الاساسى للفكر الثورى المعاصر ، وبالمقارنة بعدد المقالات التى كتبها فى الموضوعات الاخرى ؟!

● لقد كنا ننتظر من رئيس التحرير ان يكتب مقالات تهز الفكر الثورى من أعماقه .. تزلزل القيم الضعيفة فيه وتؤسس قيم جديدة تثريه وتعلى بناءه !!

● ● ●

ان الطليعة مطالبة .. وحتى تكون — بحق — طريق المناضلين للفكر الثورى المعاصر :

● ان لا تتيح المجال لمقال لا يخدم قضية بناء الاشتراكية ، مباشرة أو غير مباشرة ، ليحتل جزءا من صفحاتها !!

● ان لا تسمح لمقال توفر له هذا الشرط ، بالاستغراق فى سرد مقومات ومظاهر ومكونات الواقع .. دون ان ينتهى بتأهيل نظرى ، يفيد فى دعم رصيد الفكر الثورى المعاصر ، وان يحتل هذا التأهيل الجزء الاكبر من المقال .

● ان تركز على الدراسات والمقالات النظرية .. فالواقع المتغير يحتاج لتنظيم مساره أكثر من حاجته لوصف هذا المسار والتعليق عليه !!

● ● ●

وبعد .. ان الطليعة ، بأسلوبها ومنهجها ، لظاهرة صحفية وسياسية قيمة !!

● ويبقى ان لدى الطليعة من القدرات الكامنة ما يجعلها اكثر قيمة ، وابعد اثرا .. لو استطاعت التمييز بين ما تقدمه .. وما تعتقد انها لا تستطيع تقديمه !!

ابراهيم المغربى
باحث قانونى بالهيئة العامة
للتأمين والمعاشات

تعليق من « الطليعة »

تشكر « **الطليعة** » كاتبى الرسالتين ، وتناشد قراءها المزيد من ابداء الرأى فيما تنشر ، الامر الذى سيعين « **الطليعة** » كثيرا على تبين طريقها ، وتصحيح خطى مسارها .

والرسالة الاولى : التى كتبها « **صلاح الدين سليمان** » ، تناقش قضية أسلوب التعبير ، وهى تعتبر لغة الطليعة أصعب من أن تفهمها الجماهير التى تهمها متابعة القضايا التى تثيرها الطليعة وتعرض لها .. وهى قضية طالما ناقشتها أسرة تحرير الطليعة ، وكتابها — فى محاولة للبعد عن الكلمات الصعبة والاساليب المعقدة — ولا شك ان « الطليعة » ستضع هذا النقد أمامها وستفيد

منه ؟ حتى تكون ــ بحق ــ منبرا معبرا عن أوسع الجماهير .

وفي الرسالة الثانية : طرح « **ابراهيم المغربي** » العديد من القضايا ، وهي قضايا نختلف معه في أغلبها .. ومن اهم القضايا التي طرحها ، قضية العلاقة بين الواقع والفكر الثوري .. وقد نعى على الطليعة انها تهتم بدراسة الواقع على حساب ما يسميه بناء الفكر الثوري ، وليسمح لنا ان نعارض رأيه هذا ، **فأولا** : لا توجد نظرية ثورية في « المطلق » معزولة عن الواقع .. **ثانيا** : انه لا نظرية ثورية بدون تطبيق ثوري ، دون معالجة للواقع ، وهي تفقد علميتها كلما بعد بها اصحابها عن حركة الواقع .. **ثالثا** : ان التطبيق الثوري لاى نظرية يولد ويغني نظرية ثورية ، وهكذا ترتبط النظرية الثورية الهادفة الى تغيير المجتمع بواقع محدد ، لا يمكن ان تتنكر له ولا ان تحلم ببديله ، بل يجب وان ترتبط به ، وان ترى حركته الصراعية ، وان تكتشف من هذه الحركة الصراعية التناقض الرئيسي الذي ان تمكنت من حله ، حصلت على المجتمع الجديد الذي تنشده .. **رابعا** : ان النظرية الثورية ــ ونقصد بها هنا الاشتراكية العلمية ــ ليست عقيدة جامدة تقصد لذاتها ، انها ليست أكثر من مرشد للمناضلين وهم يناضلون من أجل تغيير مجتمعاتهم ، ومن أجل بناء المجتمع الذي لا يستغل فيه الانسان أخيه الانسان .

ونود أن نؤكد كذلك ان الطليعة على غير ما رأى الاستاذ المغربي ــ بأنها محدودة بالواقع المحلي ــ فهي خلال عشر سنوات أعطت ثورة العالم الثالث ، ثورة التحرر الوطني ، وخاصة الثورة العربية ، والقضية الفلسطينية كل اهتمام ، سواء بالدراسة أو المقال أو التحقيق الصحفي ، وبالتقرير والتعليق والافتتاحية ، والى جانب ذلك أعطت العمل المنظم من اجل تحقيق وحدة الفكر العربي الثوري بمجمل حركة التحرر .. وليذكر الصديق ، ندوة الاشتراكيين العرب في الجزائر سنة ١٩٦٧ ، والملتقى الفكري بالخرطوم سنة ١٩٧٠ .. وفي مجال الاهتمام بدراسة الحركة العامة للثورة الافريقية ، نظمت الطليعة مع مجلة السلم والاشتراكية ، ندوة أفريقيا سنة ١٩٦٦ .

ولقد ناقشت « الطليعة » ، وطرحت للحوار كل القضايا التي تهم الفكر الثوري ، بالدراسة والشهادة الواقعية والدراسة الميدانية وبالتقرير وبالتعليق وبالوثيقة .. وهي في مجال تأدية خدمات **ثقافية** و **فكرية** اكثر لقرائها ، وللمناضلين ، تنشر كل شهر ملحقا أدبيا متخصصا ، وابتداء من عام ١٩٧٤ ، تنشر ملحق الفلسفة والعلم .

كما يهم الطليعة ان توضح للصديق الكاتب ، ان ما نعاه على الطليعة بأنها لا تهتم الا بالتكتيك ، هو ميزة للطليعة ، فمن السهل جدا لاى انسان ان يحدد هدفه الاستراتيجي ، ولكن الصعب ، والصعب دائما هو صياغة التكتيك الثوري ، اى أسلوب النضال والحركة ، وهو الذي يتغير دائما كل فترة ، بل كل يوم ، واحيانا كل ساعة .. وهنا تكون اهمية استخدام النظرية كمرشد في العمل ، وتكون ضرورة التعرف على الواقع وحركته اليومية والالتصاق به ، والا انحرف الثوري الى يسار أو يمين ، ان خط التطور الثوري ليس خطا مستقيما ، هو ليس كالافق ، انما هو خط « حلزوني » متعرج ، يصعد ويهبط ، والثوري الحق هو الذي يعرف دائما كيف يواجه الصعاب ويتغلب عليها ، لا ان يقفز فوقها ، أو يعبرها طائرا بأجنحة ملائكية ، فالمناضل بشر ، والبشر دائما معرضين للخطأ والصواب ، وليس هناك خطأ أو صواب ان لم يكن هناك عمل ، وعمل يومي لا يتوقف .. والطليعة نتاج جهد بشري ، ولذا فهي معرضة للخطأ والصواب ، وهذا ما كنا نرجو من « ابراهيم المغربي » ان يراه .

والطليعة .. كذلك ترى ان الاستاذ المغربي ، عندما أصدر حكمه على رئيس تحريرها ، بأنه في افتتاحيات الطليعة ، شارك ، بصفته رئيس تحريرها ، في انحرافها الى الواقع المحلي ، انما قد أخطأ ، لانه يريد منا ان نعزل الطليعة عن المتابعة **الفكرية** و **العلمية** للاحداث التي لا يمكن للثوري ان يتجاهلها ، ويتقوقع داخل مجموعة من الصيغ النظرية .

وان « **الطليعة** » ، وقد أتمت بعد ديسمبر سنة ١٩٧٤ ، عشر سنوات من عمرها ، وتستقبل في يناير سنة ١٩٧٥ ، عامها الحادي عشر ، توجه النداء الى قرائها لبدء حوار نقدي للطليعة ، فنحن بقرائنا سنكون خطوة من خطوات النضال من أجل تحرير وطننا العربي من الامبريالية والصهيونية ، ومن أجل بناء المجتمع الاشتراكي ، وليشاركنا كل الاصدقاء العمل من اجل ان تكون « **الطليعة** » ــ بحق ــ منبرا للاشتراكية العلمية .



اليسـار المصـرى وقضـية فلسـطين

حول موقف اليسار المصرى والعربى من القضية الفلسطينية قيل كلام كثير .. اغلبه غير دقيق وغير مستند الى الوقائع . ومن ثم فقد كان من الضرورى ، الآن ، اعادة فحص ملف موقف اليسار المصرى من القضية الفلسطينية من اجل تحديد اكثر دقة للمواقف وتقييم اكثر علمية لها ، وعلى أساس الاستناد الى الوثائق والوقائع التاريخية الثابتة ، التى نعتقد أن مرور الزمن لم يزد ما تتضمنه من مواقف الا صحة وتألقا .

وقد قام بتجميع هذه الوثائق والتعليق عليها د . رفعت السعيد ضمن محـاولة شـاملة لتقديم وتقييم موقف اليسـار المصرى ـ على امتـداد تاريخه ـ من القضية الفلسطينية .

ان هذه « الوثائق » تكتسب الان اهمية تاريخية خاصة فى الوقت الذى يصل الكفاح الفلسطينى الجاد بالقضية الفلسطينية الى سطح الأحداث ، والذى تتأصل فيه الاتجاهات لتوشك أن تصبح موقفا فلسطينيا محددا .

فلسـطين ومنـاورات الاسـتعمار

صـادق سـعد

عن اسرة تحرير الفجر الجديد *

يريد الاستعمار البريطـانى أن يبقى قبضته الحديدية على فلسطين بأى ثمن، حتى تضمن له هذه القبضـة ارباحه الاحتكارية الطـائلة وسـيطرته على الشعوب المستعمرة المستعبدة فى الشرق الاوسط والهند والشرق الاقصى ؛ وحتى يحول فلسطين الى مركز وثوب ضـد شعوب شرق البحر الابيض المتوسط وشعوب الاتحاد السوفيتى . على انه ليس من السهل عليه ان يقوم بهـذا كله مكشوفا امام الرأى العام العربى وامـام الرأى العـام العـمالى الحر الديمقـراطى . وليس من السهل على الاستعمار البريطانى ان يعتـذر عـن احتلاله فلسطين باحتياجات طبقـاته

* القى هذا البحث فى الندوة التى عقدتها دار الابحـاث العلمية . وكانت دار الابحاث العلمية احـدى الواجهات العلنية لمنظمة «الشرارة» [ايسكرا] . وقد دعت دار الابحاث العلميـة ممثلى مختلف التجمعات الماركسـية الى ندوة عقدت فى مقرها لتـدارس المشـكلة الفلسطينية وتحديد موقف موحد تجاهها . وجرى بعد ذلك تجميع الدراسات التى قدمت للندوة فى كتيب صغير . وفى هذا البحث يقدم صادق سعد وجهة نظر جماعة الفجر الجديد كمنبر صحفى وكتيار سياسى ايضا .

الاحتكارية الاثانية . فاذا قالت الحكومة البريطانية اليوم انها تصر على احتلالها لفلسطين حتى تضمن قبضتها الاستبدادية على شعوب الشرق العربي وغير العربي، قامت ضدها شعوب العالم كله — بما فيها الشعب البريطاني الكادح ذاته — واصبحت في مركز حرج ليس بعده من حرج ، اذن فلابد من عذر للاستعمار البريطاني حتى يبقى سيطرته الفولاذية على البلد العربي الشقيق ، عذر معقد يدخل فيه اعتبارات انسانية — عاطفية واعتبارات سياسية تبدو معقولة مثل ضرورة الدفاع عن شعوب لا جيش لها، عذر معقد يخلقه الاستعمار بيده ويزيد من تعقداته بيده ثم يعلن ضرورة الحيلولة دون الحكم المستقل الديمقراطي في فلسطين حتى تحل هذه العقدة . اما العقدة فهي ان تكون فلسطين مركزا للاضطرابات الدينية والعنصرية . والسبيل الى ذلك هو تقديم فلسطين لقمة سائغة للاستعمار الصهيوني . وفعلا ماذا حدث منذ ان احتلت الجيوش البريطانية تلك البلاد الشقيقة سنة ١٩١٧؟ صدر تصريح بلفور فى ، وبدأ تدفق الراسمال الاجنبي على فلسطين ، فانتقل جزء كبير من ارضها الى ايدى المستعمرين وطردت آلاف العائلات الفلاحية العربية من الارض التى كانوا يزرعونها . واستولت رؤوس الاموال الاحتكارية على قوى فلسطين الطبيعية ومرافقها، وحرم الاستعمار البريطاني عرب فلسطين من الحكم الديموقراطي ، فكانت حكومته فى فلسطين ديكتاتورية لا تعبر عن احتياجات الشعب ومصالحه بل وتعمل على تدفق الارباح فى ايدى المستعمرين والاحتكاريين ، حكومة لا تفكر فى مصالح الطبقات الشعبية الجوهرية انما تعمل بشكل منظم على حرمانه من التعليم وعلى حرمانه من وسائل الصحة الاولية ، وعلى تخفيض مستواه المادي والثقافي تخفيضا مستمرا . وقابلت حكومة فلسطين الاستعمارية جميع محاولات العرب ، ومساعيهم المشروعة للتحرر والانعتاق ، بارهاب بوليسي وعسكري منظم : بفرض الاحكام العرفية ، بالزج بالوطنيين العرب فى السجون دون محاكمة وباعدامهم بعد حكم سريع كان الاستعمار فيه قاضيا وناثبا عموميا . واثارت — الصهيونية — متضامنة مع الاستعمار — الثورات والفتن الدينية البغيضة . وقسمت الجماهير الكادحة الى قسمين — عربي ويهودي — بارهابهم المنظم على يهود فلسطين . والاستعمار البريطاني فى ذلك كله يتخذ منصب الحكم المحايد ، يشير الى الاضطرابات الدينية التى خلقها بيديه فيقول : « يستحيل ان يوجد حكم ديموقراطي فى هذه القلاقل ، ولا ان تمنح فلسطين الاستقلال وفيها هذه الفتن »، لان ذلك يعني ترك العرب يفتكون باليهود فتكا . لا العرب ولا اليهود يستحقون حكما شعبيا ، لانهم لا يعرفون كيف يستعملونه!»

والاستعمار يجد لهذا كله اعوانا اقوياء فى الرجعيين من العرب ، هؤلاء الذين يرهبون الحكم الشعبي الديموقراطي كما يرهبه الاستعمار ذاته، هؤلاء الذين يخافون على ارباحهم الطائلة التى اعتصروها من الشعب كما يخاف الاستعمار على ارباحه الطائلة التى اعتصرها من الشعب : هؤلاء الرجعيون من العرب هم الذين يثنون على صداقة بريطانيا التقليدية لانهم يحتاجون الى قواتها المسلحة كى تحميهم من كفاح الشعب وضغط الشعب وغضب الشعب. هم يخدمون الاغراض الاستعمارية بان يحاولوا ان يوجهوا كفاح العرب التحريري ضد الاستعمار واعوانه نحو كفاح اليهود كطائفة دينية فى فلسطين والبلاد العربية الاخرى . ألم تر فلسطين نوري السعيد ينصح عربها سنة ١٩٣٦ بان يتخلوا من حركتهم الوطنية قبل ان يتراجع الاستعمار قيد انملة ؟ ألم ير العرب جميعا نوري السعيد يقترح انشاء سوريا الكبرى ويعمل لها ويضمن هذا مشروع تقسيم فلسطين الى قسمين : احدهما عربي والاخر يهودي ؟ ألم تثر الهيئات الفاشية المصرية الاضطرابات الدينية فى القاهرة والاسكندرية فى ٢ نوفمبر الماضي — فى ذكرى وعد بلفور — بدلا من ان تطالب بتحرير فلسطين من الاستعمار ؟ اننا لا نعجب لهذا كله ، فالرجعية والفاشية — عربية كانت أم انجليزية أم عالمية — الرجعية والفاشية حليفتا الاستعمار فى كل مناسبة من المناسبات التحريرية ، فى كل مناسبة من مناسبات الكفاح الوطني العربي المجيد .

واليوم تتكرر مناورات الاستعمار ، ولكن بشكل اشمل وعلى نطاق اوسع ذلك لان — القضاء العسكري على الفاشية فى اوروبا قد حرر الجماهير اليهودية الاوروبية من الاضطهاد العنصري الحكومي المنظم فهدد بقطع المعين الذى يغذى الصهيونية بالرجال والقوى المعنوية . والحرب التحريرية الاخيرة قد ايقظت قوى شعبية هائلة فى كل مكان ، فكانت الحركة الوطنية العربية من الحركات الشعبية التى نمت وازدهرت فى الايام الاخيرة . وان الاستعمار البريطاني ليواجه هذه الحركات جميعا ويقاوم النهضات الوطنية جميعا ، تلك النهضات الوطنية التحريرية التى تكيل له الضربة تلو الضربة فى اندونيسيا والملايو والهند وايران والعراق والمشرق ومصر. تلك الحركات العادلة السليمة التى تتوثق الروابط بينها يوما بعد يوم ، تلك الحركات الشعبية التى قد دفعت بحكوماتها دفعا الى ميدان التعاون الدولي والتى ضغطت عليها ضغطا الى ان انشئت منظمة الامم المتحدة . يواجه الاستعمار العالمي كل هذا ، فلابد ان يقوم — مرة اخرى — بمناوراته الجديدة القديمة التى اعتادها ليخدع الشعوب . فان كان الاستعمار البريطاني يستعمل الاسلحة الفتاكة جهارا ضد الشعب الاندونيسي الا انه لا يستطيع ان يقمع الحركة الوطنية فى الشرق العربي بذات الشكل المكشوف . فلا سبيل امامه الا ان يلبس اغراضه الاستعمارية ثوب الشرعية . والحق انه يعلم تمام العلم ماهية القضية الفلسطينية . ولكنا نراه اليوم يرسل مع زميله الاستعمار الامريكي لجنة مشتركة للتحقيق فى قضية فلسطين . مهمة لجنة التحقيق الرسمية ان تبحث وتفحص وتستمع الى الشهادات الرسمية وغير الرسمية ، الشهادات العلنية والسرية . ولكن الغرض الحقيقي من ايفادها هو اثارة الفتن والاضطرابات الدينية والعنصرية فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد العربية . فان كانت هناك مشكلة فى فلسطين كان على المسئولين عن الانتداب ان يعرضوها على منظمة الامم المتحدة او على مجلس الامن . وان كان الانتداب البريطاني قد اظهر فشله التام فى حل المشكلة الفلسطينية ، فعلى مجلس الوصاية ان يأخذ المسالة فى يديه فيحرر الشعب الفلسطيني من الحكم الاستعماري ويتركه يبني منشآته الديموقراطية الذاتية. ولكن الاستعمارين البريطاني والامريكي قد انكرا سلطة منظمة الامم المتحدة ، والاستعماران الانجليزي والامريكي قد عينا لجنة التحقيق فى حين انهما خصم فى المشكلة فكيف يلعبان دور الحكم ؟ اليس الاستعمار البريطاني هو الذى وعد أن تصبح فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين؟ اليس هو الذى حرم العرب من الحكم الديمقراطي المستقل ؟ اذن فهو سند الصهيونية الرئيسي ، فكيف يعطى له حق الفصل فى النزاع بين العرب والصهيونيين ؟ وقل نفس الشيء عن حكومة الولايات المتحدة التى تطالب الان بادخال ١٠٠٫٠٠٠ مهاجر جديد فى فلسطين . هذان الاستعماران كلفا اللجنة بالتحقيق فى مسألة فلسطين ، فى حين ان هذه المسألة لا تحتاج الى تحقيق جديد بعد التحقيقات السبعة عشر التى عرفتها فلسطين منذ الاحتلال البريطاني هل تحتاج قضية شعب يهدف الى التحرر والديمقراطية الى تحقيق ومن الذى يحقق ؟ مستعبدوه ومستغلوه ! ان قضية الشعب الفلسطيني هى قضية تقرير المصير التى وقعت هذه الحرب باسمها ، فليس أوضح ولا اعدل من ان يطبق هذا المبدأ على فلسطين .

نحن نرى للجنة التحقيق غرضا مزدوجا اولا ان تربط قضية فلسطين بقضية اليهود المضطهدين او المشردين فى أوروبا .

فتشريد اليهود فى اوروبا وبقايا الاضطهاد العنصري التى تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطية فى اوروبا،

لا بالاحتفاظ بالقوات النازية فى المانيا كما تفعل كل من انجلترا وامريكا الان . وان لم يكن بد من ايواء اليهود المشردين فى بلاد غير اوروبا نفسها ، فلم لا تقبلها انجلترا أو الولايات المتحدة وارضها واسعة شاسعة ؟ الا ان الاستعمارين البريطانى والامريكى لايريدان فى الحقيقة ان يقوما بعمل انسانى — بمساعدة اليهود المشردين — وانما يريدان ان يدخل مهاجرون فى فلسطين، أو على الاقل ان يهددا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسالة الهجرة لا مسألة الحكم الديموقراطى المستقل لفلسطين ، والاستعمار يرمى من هذه المناورة الى تشويه قضية فلسطين امام الرأى العام العالمى « اذ ان العرب سوف يرفضون كل هجرة جديدة — لان كل هجرة جديدة معناها تقوية الغزو الصهيونى — وعندئذ سيظهر الاستعمار بالحركة الوطنية فى فلسطين كحركة وطنية متعصبة ، حركة اناس لا احساس لهم ولا مشاعر انسانية عندهم .

والاستعمار بهذه المناورة لا يرمى فقط الى تشويه قضية فلسطين فى نظر الرأى العام العالمى ، وانما يرمى ايضا الى تشويهها فى نظر العرب انفسهم ، فقضية الهجرة الصهيونية ما هى الا قضية ثانوية فرعية بالنسبة الى القضية الرئيسية الجوهرية ، قضية التحرر من الاستعمار البريطانى تحررا كاملا ، فالهجرة الصهيونية الى فلسطين قد تمت تحت الحكم البريطانى دون سواه والقوانين واللوائح التى وضعها هذا الحكم فى فلسطين هى التى تنظم الهجرة الصهيونية . ووجود القوات المسلحة البريطانية فى فلسطين هو الذى يجعل من الهجرة اليهودية البها غزوا احنبيا. ونظام الاحتكارات فى ايدى الماليين الكبار ، ذلك النظام الذى اوجدته بريطانيا فى فلسطين والذى تحميه بريطانيا بجيوشها ودباباتها وطائراتها ؟ هذا النظام يجعل من الهجرة اليهودية غزوا اجنبيا واحتلالا اقتصاديا . ووجود نظام حكم ديكتاتورى غير تمثيلى او ديموقراطى حكم فى يد الحكومة البريطانية الاستعمارية ، هذا الذى يجعل من الهجرة غزوا سياسيا ويوجد الارهاب الفاشى فى صفوف اليهود فى فلسطين وهو الذى يسلح هؤلاء اليهود ضد العرب ، ويسلح افرادا من العرب الفاشيين ضد اليهود .

اذن ، فقضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ان هى الا قضية ثانوية فرعية، فى حين ان قضية تحرير فلسطين من الاستعمار وايجاد حكم ديموقراطى فيها، هذه هى القضية الرئيسية الجوهرية ، ولذلك علينا ان نعتبر تقديم المسألة الفرعية الثانوية الى المقام الاول مناورة من الاستعماريين البريطانى والامريكى ، مناورة لكسب الوقت والتهرب من الالتزامات الدولية ، مناورة لتشويه القضية الفلسطينية ، وتحويل الكفاح الوطنى فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد العربية من كفاح موجه ضد الاستعمار ، الى كفاح موجه ضد اليهود الى كفاح دينى عنصرى ، مصيره الفشل المحتوم .

وكان الوطنيون العرب المخلصون قد رأوا هذا كله ، فنادوا بمقاطعة لجنة التحقيق حتى تحبط مساعى الاستعمار، ولكن الساسة العرب الرسميين ابوا الا المثول امام اللجنة فماذا كانت نتيجة التحقيق ؟ جاء تقرير اللجنة مطابقا تماما لما توقعه الوطنيون العرب المخلصون ابان الانتداب ، أى حرم الشعب الفلسطينى من الحكم الديموقراطى المستقل الذى يبغيه ، وافسح المجال امام الغزو الصهيونى ، اذ طالب باباحة بيع الاراضى الى الصهيونيين اباحة تامة ، وطالب بتوثيق التعاون بين حكومة فلسطين الانجليزية وبين الوكالة اليهودية وحبذ هذا التصريح بشكل غير مباشر استمرار التوتر الدينى والعنصرى ، بل كأنه يطالب فعلا بتوسيع مداره الى اقصى الدرجات اذ أوصى بادخال ١٠٠٫٠٠٠ مهاجر يهودى جديد الى فلسطين ، وهو ، اذ يؤكد ضرورة هذه الهجرة الجديدة ، انما يصرح — فى الوقت ذاته — انها لن تحل مشكلة اليهود المشردين فى اوروبا ، اذن فلماذا يطالب التقرير بها ؟ واضح انه يريد ان تتحول الحركة الوطنية العربية فى فلسطين وغير فلسطين من مهاجمة الاستعمار البريطانى الى كفاح ضد الهجرة والى مهاجمة اليهود ، الى كفاح دينى وعنصرى خاطىء ، لا أمل له فى النجاح ..

وقد اثار هذا التقرير موجة واسعة عميقة من الضجة والاحتجاجات والاضرابات فى الشرق العربى كله ، فارهبت الاستعماريين الانجليزى والامريكى اللذين لم يجرآ على تطبيق توصيات التقرير مباشرة ، بل جعلا يبحثان عن طريقة يخدعان بها العرب واخيرا قالا :

« نريد ان نستشير زعماء العرب فى هذا التقرير » . كأنما قضية فلسطين لا تزال غامضة ، وكأنما أهل فلسطين لا حق لهم فى ان يقرروا مصيرهم هم بأنفسهم ، ولا حق لمنظمة الامم المتحدة فى ترتيب العلاقات بين اهل فلسطين والاستعمار . ان هذه اللعبة الجديدة استمرار للمناورات الاستعمارية السابقة لانها تحتفظ للاستعمار بسلطة تقرير مصير فلسطين ، نعم ان استشارة العرب مناورة وليدة ولكنها ليست جديدة فقد عرف الشعب العربى مثيلاتها وخبر فشلها والتوائها ولقد صحت اليوم الدعوة التى علا بها صوت الديمقراطيين العرب بأن تحطم الحلقة الفولاذية الاستعمارية فتعرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة .

لــن تمــروا ...

بقلم الزميل خيرى محمود *

هى الكلمة التى صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩٣٦ .. يوم انهجمت عليهم الفاشية العالمية بدباباتها وأسلحتها، وأموالها النازية والموسولينية، وجنرالها فرانكو. هى الكلمة التى تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية فى وجه الصهيونية . صيحة واحدة ترددها الشعوب الحرة فى نضالها ضد الاستعمار والاستغلال ، ضد التضليل والتدجيل . ان الفاشية والصهيونية من طبنة واحدة — الاستعمار، الاستغلال الجشع .. فالفاشية أداة

---

* الضمير ١٧ — ١٠ — ١٩٤٥ . والضمير هى الشقيقة العمالية لمجلة الفجر الجديد ، وامتدادها الصحفى والسياسى والتنظيمى فى صفوف العمال، وخيرى محمود هو الاسم المستعار ليوسف درويش المحامى .

الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدجيل والارهاب لتستمر في استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية أداة الاستعمارية العالمية لجأت للتدجيل على شعوب العالم والكادحين اليهود ، وتلجأ اليوم للارهاب واستعبادا للشعوب العربية .

ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود في البلاد التي ساد فيها حكم الارهاب . فهي والفاشية مرتبطان ارتباطا وثيقا لا يحله الا النضال ضد اسباب الاضطهاد والتعسف ، والدفاع عن الحريات الديموقراطية ..

ان الصهيونية لا تحل بالمرة مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزا من نضال الشعوب كافة على اختلاف اديانها في سبيل حريتها وديموقراطيتها ..

[عصبة مكافحة الصهيونية ــ العراق]

ان الشعوب العربية لما أيقنت ان الصهيونية ليست فقط خطرا على فلسطين ، ولكن ايضا على الشرق الاوسط ، على الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان ، اسرعت في تنظيم النضال .. فهناك شعب لبنان انتقل من الاحتجاج على الصحف والكتب والمنشورات بالتظاهر في الشوارع واعلان استيائه بالاضراب .. وذاك العراق قد انبأتنا البرقيات ان شبابه الاسرائيلي [اليهودى] الحركون [عصبة مكافحة الصهيونية] . وفي مصر اجمعت الاحزاب وعلى رأسها اللجنة التحضيرية لمندوبي نقابات العمال المصرية في مؤتمر باريس [ولجنة العمال للتحرير القومي] على استنكار الصهيونية ووجوب محاربتها ..

ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديموقراطية الاخرى أن توقف خطر الصهيونية الداهم .

واذا كانت « جامعة الدول العربية » لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذي كان يطلب منها في هذا الامر ، فان الشعوب العربية ممثلة في وفود العمال العرب في مؤتمر نقابات العمال العالمي بباريس امكنها باتفاقها ان تشعر عمال العالم بخطر الصهيونية على الانسانية .. وأمكنها أن تمنع دخول مندوب العمال الصهيونيين في لجنة الاتحاد التنفيذية..

والشعوب العربية ممثلة في نقابات العمال لها كبير الامل ، بعد أن نالت هذا الفوز ، وبعد ان وضعت القضية الفلسطينية على بساط البحث امام ممثلي عمال العالم ، ان تنال فوزا آخر في مؤتمر النقابات العالمي ــ استنكار الصهيونية ومناصرة فلسطين المستقلة الديموقراطية الحرة .

● ضد الصهيونية .. في صالح اليهود .. في صالح مصر

بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ⁕

القاهرة ــ يونيو ١٩٤٧

نشأت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة الصهيونية ، هذه المشكلة القديمة الاليمة . ومؤسسو الرابطة لا يجهلون المصاعب والعقبات المختلفة التي ستعترض بدون شك طريقهم وهم ماضون في كفاحهم من أجل الطائفة الاسرائيلية المصرية بل من اجل الطائفة الاسرائيلية المصرية بل من اجل يهود العالم اجمع .

انهم يعلمون جيدا الوسائل الخطيرة والماكرة التي يلجأ اليها الساسة الصهيونيون ، كما يلجأ اليها اولئك الذين يستعملون الصهيونية كأداة لخدمة سياستهم الاستعمارية في الشرق الاوسط وهم لا يقللون من مدى تغلغل الاوهام والاحلام الخطيرة التي تبثها الدعاية الصهيونية في اذهان اليهود .

فمؤسسو الرابطة المميزون منذ بدء كفاحهم ضد الصهيونية في مصر .. بين الضحايا المخدوعين الذين ضللتهم الدعاية الصهيونية ، وبين تلك الجماعة من الساسة والمأجورين الذين يجعلون من المشكلة اليهودية وسيلة يستغلونها لتحقيق اغراضهم ومطامعهم الانانية .

ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزا من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية .

أ ــ المشكلة اليهودية ونواحيها المختلفة

يشهد رماد ستة ملايين من اليهود ، ممن ذهبوا ضحية لتوحش الفاشيين ابان سيطرة النازيين على أوروبا ، بوجود مشكلة يهودية وليس العداء لليهودية ــ كما يدعي العنصريون ــ ظاهرة يرجع سببها الى صفات خاصة باليهود . ولا كما يدعي الصهيونيون الى صفات خاصة بغير اليهود . انها ظاهرة ــ شأنها شأن الازمات الاقتصادية والحروب متولدة من اعماق هيكلنا الاجتماعي وهي دليل مثلهما على عدم توازن وخلل في مجتمعنا . فلان هناك عيوبا ومظالم في مجتمعنا ، ولان هناك

⁕ تأسست الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية كمنبر علني يساري يضم عددا من اليهود من اعضاء « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » ، كمحاولة لمقاومة النشاط الصهيوني المتزايد في صفوف اليهود المقيمين بمصر ، وضد الحملة الصهيونية لحث اليهود المقيمين بمصر على الهجرة الى فلسطين .

وقد استقبل تكوين هذه الرابطة بفزع شديد من الدوائر الصهيونية التي استخدمت نفوذها وبالتحديد نفوذ عدد من قادتها امثال شيكوريل واوفاديا سالم في حث السلطات المصرية على حل هذه الرابطة ومطاردة اعضائها . وذلك في الوقت الذي كانت فيه السلطات تتغاضى عن النشاط الصهيوني المتزايد في مصر .

اناسا مضطهدون ومستغلون نرى المسئولين عن هذا الاستغلال والاضطهاد يحاولون — وكثيرا للاسف ما ينجحون — فى تحويل كفاح ضحاياهم الذين يزداد خطرا عليهم ، نحو الذين خصصهم التاريخ للقيام بدور كبش الفداء الا وهم اليهود . فالعداء لليهودية — وهو السلاح المفضل لدى الرجعية الفاشية — ليس موجها ضد اليهود فحسب بل هو موجه ايضا ضد الجماهير اليهودية ، التى ترمى الفاشيون لتحويل كفاحها ، اى ابقائها فى اغلال العبودية .

فالمشكلة اليهودية لا تهم فقط اليهود الذين يحملهم اعداؤهم جميع عيوب مجتمعنا ، بل تهم ايضا الجماهير الشعبية ضحية هذه العيوب ولهذا نجد الحركات الديمقراطية فى جميع انحاء العالم تحارب العداء باعتباره سلاحا فى يد اعداء التقدم والحرية .

وهذا التضامن فى المصالح وهذا التحالف الواقعى بين الجماهير اليهودية والقوى الديمقراطية العالمية هو خير ضمان لحل هذه المشكلة القديمة حلا نهائيا حاسما .

فنحن على عكس الصهيونيين الذين يعتبرون العداء لليهودية ظاهرة أبدية لا يمكن تجنبها نثق ثقة تامة بالانسانية ونثق بقوى التقدم ونتفاءل بالمستقبل الدانى اننا نؤمن بقرب انشاء عالم لا يكون فيه البؤس والحرب والعداء لليهودية وكل فظائع الحاضر المخجلة سوى ذكرى اليمة لماضى بغيض .

ان المشكلة اليهودية قد تفرعت اليوم فأصبحت ذات ثلاثة جوانب متمايزة الواحد عن الاخر :

توجد اولا مشكلة الاقليات اليهودية التى تعيش فى اغلب انحاء العالم وهذه هى الناحية الرئيسية للمشكلة اليهودية اذ تمس مباشرة الاغلبية الساحقة من اليهود .

وهناك ثانيا ، مشكلة يهود فلسطين ويريد الصهيونيون اظهارها على انها المشكلة اليهودية باسرها .

وتوجد اخيرا ، مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات المشردين فى أوروبا الغربية .

هذه هى النواحى العالية للمشكلة اليهودية التاريخية .

ب — مشكلة الاقليات اليهودية

شاء التاريخ ان يعيش اليهود متفرقين منذ قرون فى جميع القارات وفى معظم انحاء العالم وان يكونوا فيها اقليات تعيش جنبا الى جنب مع اغلبية السكان تشاركهم اعمالهم وآلامهم وآمالهم ولكن — وهنا تبدأ المشكلة اليهودية — تنتهز العناصر المعادية للديمقراطية فى المجتمع وجود عدد من اليهود بين المسئولين عن بؤس الجماهير لاثارة الشعب ضد الاقلية اليهودية باجمعها ، فتشيع الارتباك بين صفوف الجماهير الشعبية وتحول كفاحها التحريرى الوطنى الاجتماعى الى كفاح عقيم ضد « الجنس اليهودى » .

ويدعى الصهيونيون ان الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو جمع اليهود فى فلسطين وانشاء دولة يهودية على غرار الدولة الاخرى . ونحن نعلن اننا لا نعترض من ناحية المبدأ على فكرة تكوين قومية يهودية فى جهة ما من العالم ، ولكنا نراه امرا خياليا ومستحيلا من الوجهة العلمية فى ظروف العالم الحاضرة أن تتكون قومية تضم جميع اليهود او اغلبيتهم او حتى قسما هاما منهم ، كما اننا ننكر ان تكون فلسطين هى البلد الذى سيتوقع ان يتجمع فيه عدد من اليهود يسمح بحل المشكلة اليهودية .

وما نعيبه على الصهيونيين هو انهم يريدون جذب اليهود أى فلسطين بالرغم من معارضة سكانها من العرب وبمساعدة القوات الاستعمارية الظالمة .

فالصهيونية بدلا من ان تحل المشكلة اليهودية تؤدى بالعكس الى تعقيدها وزيادتها حدة ، فلا توجد بلد على سطح الارض يعيش فيها اليهود وسط عداء اغلبية السكان وفى ظل نظام استعمارى ظالم كفلسطين .

والصهيونية تساعد الان على قلب العالم العربى المشهور بصداقته التقليدية نحو اليهود الى ارض خصبة للحركات المعادية لهم . وليس ادل على فشل الصهيونية فى حل القضية اليهودية من انه قد ذبح ستة ملايين من اليهود بعد نصف قرن من نشاط صهيونى عالمى وبعد ربع قرن من نشاط صهيونى فى فلسطين . ان الصهيونية التى ولدت فى الاحياء اليهودية القديمة كأمل عاطفى ، ليست اليوم الا اداة بين ايدى القوى الاستعمارية العالمية التى تريد استخدام اليهود لتأكيد سيطرتها على الشرق الاوسط .

اننا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم فى آخر الامر مصالح اجنبية وضارة بهم .

ونحن نعلن ان الطريق الوحيد الذى يجب على اليهود ان يسلكوه هو الاشتراك الصريح المخلص فى الحياة القومية للبلد الذى يعيشون فيه . اننا لا نطلب اندماج اليهود الكامل — اى ذوبانهم — فى الاغلبية المحيطة بهم ، اذ دلت التجارب على أن ذلك ليس ممكنا فى كل مكان ولكننا نؤكد ان اشتراك اليهود الفعلى فى الحركة هو الوسيلة الوحيدة لعرقلة نشاط اعدائهم ولتقريب اليوم الذى توضع فيه عداوة اليهود الى الابد فى متحف التاريخ .

لا يتقدم العداء لليهودية الا حيث تتراجع الديمقراطية ، فالفاشية هى العدو الرئيسى لليهود وعلى هذا فمن الواجب علينا ان نكافح بكل قوتنا للقضاء على جميع بقايا الفاشية ، وعلى جميع المحاولات التى تبذل لاحيائها من جديد ، اننا نتهم الصهيونيين بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوهم الاول — الا وهو الفاشية ، بل اكثر من هذا نتهم الساسة الصهيونيين بالتعاون المتزايد مع عناصر مشهورة بنزعاتها الفاشية وفى ذلك فانه لا تغتفر القضية اليهودية ، هذه القضية التى لا يمكن فصلها عن قضية الشعوب العامة .

ان سلام الاقليات اليهودية لن يكفل الا بالتحالف مع القوى الديمقراطية ، التى بتحقيقها للحرية والرفاهية لكافة الشعب ستحقق الحرية والرفاهية لليهود .

ج — المشكلة الفلسطينية

ليس معنى معارضتنا للصهيونية التى تدعى امكان حل المشكلة اليهودية بجمع اليهود فى فلسطين ، اننا لا نهتم بالمشكلة الفلسطينية المتصلة بمصير يهود فلسطين الذين بلغ عددهم الان ثلث سكان تلك البلاد . لا تمنعنا معارضتنا للصهيونية عن التشهير بجميع المحاولات التى ترمى الى طرد السكان اليهود من فلسطين او عدم الاعتراف بهم بكامل حقوق المواطنين ، ونحن فخورون بما حققه اخواننا فى فلسطين فى الميدان التعاونى والمادى بل اننا نريد المحافظة على هذه الاعمال وضمان نموها وبهذا فاننا نفضح الصهيونية ونكافحها .

ان الصهيونية تجعل بقاء اليهود فى فلسطين فى خطر فهى بتعاونها الخطير مع القوى الاستعمارية التى تسيطر على فلسطين ، او تحاول أن تسيطر عليها ، وبالتفرقة المصطنعة التى تساعد على ايجادها بين الجماهير اليهودية والعربية ، تعمل على جعل اليهود آلة طيعة فى أيدى الاستعمار ، وتضعهم فى وجه الحركة التحريرية العربية ، وتفصلهم عن حلفائهم الطبيعيين ، القوى الديمقراطية العالمية .

ولكن وعى الجماهير اليهودية فى فلسطين يزداد باستمرار ، كما يزداد احساسها بخطر السياسة الصهيونية الاجرامية . ان النظام البوليسى الاستبدادى الذى يكبل اليوم فلسطين التى حولت الى قلعة عسكرية يبين بوضوح الاغراض الانانية للاستعمار الذى لا يعتبر فلسطين ، لا كقاعدة للسيطرة على الشرق الاوسط وللدفاع عن مصالح احتكارات البترول . ان

المشكلة الفلسطينية هى اساسا مشكلة تحرير فلسطين من الاضطهاد والاستعمار والطريق الوحيد الذى يجب ان يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم لتحرير فلسطين من نير الاستعمار ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هى الوحيدة التى تستطيع ان تضمن للسكان اليهود حياة رغدة حرة ومثمرة .

اما عن الاشكال الدستورية التى ستتخذها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى ان هذه المسألة يجب ان تترك للفلسطينيين انفسهم عربا ويهودا ليحلوها كيفما شاءوا .

ويعارض الساسة الصهيونيون فى فزع امر استقلال فلسطين فالمشكلة الفلسطينية فى نظرهم ليست سوى مشكلة الهجرة اليهودية وهذه النظرة لا تخدم سوى الاستعمار لانها تستر سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية ولانها تتيح له ان يلعب دور « الحكم » باشعال نار الخلاف بين العرب واليهود .

اننا نرفض تأييد سياسة الهجرة تعارضها اغلبية سكان فلسطين وتؤدى عمليا الى نتائج تتعارض مع الاغراض الانسانية المزعومة اننا لسنا فى حاجة الى هجرة تؤدى باخواننا اليهود الى أن يعيشوا فى جو حرب اهلية فى فلسطين، ان لم تؤد بهم الى معسكرات قبرص المشئومة وراء الاسلاك الشائكة . ولكننا واثقون أن فلسطين الحرة المستقلة ستشترك عن طيب خاطر مع الدول الديمقراطية الاخرى فى ايواء اليهود المشردين .

اننا نتهم الارهاب اليهودى فى فلسطين بانه حركة فاشية موجهة اساسا ضد الجماهير اليهودية ولا تخدم فى الواقع سوى المستعمرين الذين وجدوا فى الحركات الارهابية تحت ستار المحافظة على الامن حجة قانونية فى الظاهر لتحويل فلسطين الى معسكر مسلح فى خدمة مشروعاتهم العدوانية وتبريرا ادبيا فى الظاهر لاخضاع السكان الى نظام اضطهاد واستبداد دائم .

اننا نحمل الصهيونيين مسئولية الافكار والوسائل الفاشية بين اليهود ، اذ ليست الحركات الارهابية سوى نتيجة منطقية للسياسة الصهيونية المغامرة .

ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحريرية العربية فى سبيل فلسطين حرة مستقلة ديمقراطية ، هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية فى فلسطين .

د ــ مشكلة المشردين

اننا واثقون ان كل انسان جدير بانسانيته مهما كان دينه ، ومهما كانت جنسيته ، لا يمكن الا ان يشعر باشمئزاز رهيب امام الجرائم الفظيعة التى ارتكبها المجرمون الفاشيون فى معسكرات الموت كما انه ولابد ان يحيى ذكرى هؤلاء البؤساء الذين ذهبوا ضحية البربرية الهتلرية ولكن مئات الالاف ممن نجوا من هذه المعسكرات لا يزالون الى الان ــ بعد اكثر من سنتين من انتهاء الحرب ــ مسجونين فى معسكرات المهاجرين فى اوروبا الغربية .

اننا نعيب على الصهيونيين عدم اهتمامهم بهؤلاء اليهود المشردين الا فى حدود مصالحهم الضيقة الانانية ، اذ يرفض الصهيونيون التفكير فى اى حل لهؤلاء التعساء سوى الذهاب الى فلسطين ، وبذلك يطيلون عذابهم ليتمكنوا من استغلاله فى حدود مصالح السياسة الصهيونية .

اننا نعتبر مشكلة اخواننا فى معسكرات المشردين كمشكلة انسانية تهم الضمير العالمى . ولذلك نوجه نداءنا الى جميع احرار العالم ليجدوا حلا لهذه المشكلة الاليمة .

ونحن نرى انه من الواجب ضمان امكانية فى الحال لليهود المشردين فى معسكرات المانيا والنمسا للرجوع الى البلاد التى طردتهم منها الفاشية ويزيد هذا الحل اليوم سهولة ان اغلبية المشردين كانوا يعيشون فى بلاد شرق اوروبا المحررة التى تعاقب الان بعقوبات صارمة قد تذهب الى حد الاعدام ــ جريمة العداء لليهود . اما الذين يريدون لاسباب نفسانية بدء حياة جديدة بعيدا عن ذكريات الماضى المحزنة فاننا نرى انه من واجب جميع البلاد ولاسيما الواسعة منها استقبال هؤلاء المشردين ومساعدتهم على التوطن فيها .

هـ ــ الطائفة اليهودية فى مصر

عاشت الطائفة اليهودية المصرية العريقة فى القدم منذ قرون طويلة جنبا الى جنب فى مودة واخاء مع بقية سكان مصر . ويكفى ان نذكر اسماء فيلون الاسكندرى وسعد بن يوسف الفيومى وموسى بن ميمون كدليل على حرية الفكر اليهودى فى مصر .

ولكن منذ بضع سنوات وجد يهود مصر انفسهم تحت ضغط وتاثير دعاية مركزة صهيونية واسعة النطاق تحاول ان تثبت فيهم افكارا عنصرية شوفينية تحول كل اهتمامهم ونشاطهم نحو تكوين ما يسمونه دولة يهودية فى فلسطين . ان الازمة الاقتصادية التى تسير الان اخذت تمس اليهود بازدياد ، اذ ان اغلبيتهم ينتمون الى الطبقات المتوسطة فصاحب الحرفة اليهودية والتاجر الصغير والمستخدم الذين يقاسون شظف العيش كثيرا ما يقعون فريسة للدعاية الصهيونية التى تجعلهم يحلمون بالهرب من حياتهم الصعبة ليعيشوا فى فلسطين الفلاحين على الارض فى الهواء الطلق وبدون أن يهتموا بقوت الغد ، انها اكاذيب الدعاية الصهيونية لصالح بعض أصحاب الاعمال الصهيونيين أو المحبذين للصهيونية .

اننا نعادى فى صراحة وسائل الدعاية الصهيونية فى مصر التى ترمى الى عزل الطائفة اليهودية عن الشعب المصرى عزلا خطيرا . واننا لمصممون بكل قوتنا على مكافحة عملاء الصهيونية فى مصر ، الذين يخونون المصالح الحقيقية لليهود المصريين لخدمة مصالح متعارضة كل التعارض مع مصالح اليهود ومصالح الشعب المصرى باجمعه . اننا نراه واجبا مقدسا على يهود مصر أن يعلنوا حربا لا هوادة فيها ولا رحمة على الافكار الصهيونية وعلى من يقومون بالدعاية لها . يجب أن نخلص الشباب اليهودى فى مصر من سموم الصهيونية

ونحن نعلن أن السبيل الوحيد ليهود مصر هو الانضمام الى الحركة الوطنية المصرية والتضامن التام معها فى سبيل تحقيق جميع أهدافها .

اذ لا تختلف مصالح الجماهير اليهودية بتاتا عن مصالح الشعب المصرى العامة ، ولا يمكن أن يعيش يهود مصر متساوين مساواة أخوية مع مجموع السكان الا اذا كانت مصر مستقلة حرة ديمقراطية .

والرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية تعلم انها بكفاحها ضد النفوذ الصهيونى الضار انما تخدم مصالح الطائفة اليهودية كما أنها تخدم مصالح الوطن المصرى .

و ــ أغراض الرابطة

ان اغراض الرابطة تتفق وخطتها السلبية لحل المشكلة اليهودية فى نواحيها المختلفة فلان الصهيونية ترمى الى زج يهود العالم كله الى مأزق حرج أو لانها تعرض للخطر مصير يهود فلسطين ، كما انها تستغل لاغراض انانية ما يعانيه المهاجرون من بؤس ، ولانها تحاول اخيرا عزل الطائفة اليهودية المصرية عزلا خطيرا عن مجموع الشعب المصرى ، لهذا تعتبر الرابطة ان الصهيونية هى أخطر حركة ظهرت فى تاريخ اليهود ، وأنها عقبة فى طريق حل المشكلة اليهودية .

والكفاح ضد الصهيونية واجب مقدس على كل يهودي ويهودية ، خاصة وانا نقدم القوات الديمقراطية فى العالم يفتح أمامنا امكانيات حل قريب للمشكلة اليهودية العتيقة .

وفي الوقت الذى تكافح فيه الرابطة ضد الصهيونية تناضل من اجل جميع العناصر الايجابية التى تسهل من حل المشكلة اليهودية . واغراض الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية هى :

١ ـ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب .

٢ ـ الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصرى فى الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية .

٣ ـ العمل على التقريب بين اليهود والعرب فى فلسطين .

٤ ـ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين .

وقد اقتصرت الرابطة الاسرائيلية بمكافحة الصهيونية على قبول اليهود دون غيرهم كأعضاء عاملين فيها ، لانها تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل أساسا بين الجماهير اليهودية .

وبمناهضتها للصهيونية تخدم المصالح الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية وبالرغم من استقلالها عن جميع الاحزاب السياسية فالرابطة تعلن استعدادها للتعاون مع جميع الذين يؤيدونها باخلاص فى كفاحها لتحقيق أغراضها . وبمقدار نجاح الرابطة فى كفاحها ضد الصهيونية وبمقدار نجاحها فى جذب الجماهير اليهودية نحو الحركة الوطنية الشعبية المصرية تعلم الرابطة انها فى خدمة مصر ومصلحتها وهى فخورة بذلك والرابطة واثقة فى عدالة دعواها . واثقة من نتيجة الكفاح الذى تخوضه وواثقة من تأييد الرأى العام الديمقراطى لها ـ تشن نضالها ضد الصهيونية أداة الاستعمار وعدوة اليهود تحت شعار :

ضد الصهيونية ! ... فى صالح اليهود ! ... فى صالح مصر ! ...

الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية

القاهرة يونيو ١٩٤٧ .

الجامعة العربية تؤيد تقسيم فلسطين على شرط ابقاء الاستعمار فيها [١]

بقلم : د . ع

لقد علمنا أن السبب الذى من أجله حضر نورى السعيد باشا الى القاهرة وحضوره ـ جلسات مجلس الجامعة العربية [٢] ، هو محاولة اقناع زعماء الجامعة بالموافقة على مشروع موريسون كأساس لحل مشكلة فلسطين ، وقد علمنا أن الجامعة العربية قد وافقت على عرض الموضوع على مجلس الامن على أساس هذا المشروع ..

فما هو سر هذه المؤامرة الخطيرة ؟ .. منذ أمد قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين على أساس جلاء القوات البريطانية واعلان استقلال الدولتين [العربية واليهودية] ، والجامعة العربية تقوم بدعايتها الواسعة على رفضها لهذا المشروع وتمسكها « بوحدة فلسطين » .

وقد كتبت « الجماهير » منذ اللحظة الاولى التى تقرر فيها مشروع التقسيم ان ـ الجامعة العربية ليست « ضد التقسيم » بل انها تؤيد التقسيم اذا أدى الى بقاء الجنود البريطانيين فى فلسطين. فسياسة الجامعة العربية ومحاولتها اثارة حرب دينية بين العرب واليهود تدل بكل وضوح على عدم اخلاصها لوحدة فلسطين . فقد بينا فى اعداد سابقة انسياسة اثارة الحرب الدينية والعنصرية لن يؤدى الا الى اقناع الراى العالم العالمى بضرورة التقسيم ، وانها تهدف أولا وقبل كل شيء الى اثارة الاضطرابات فى فلسطين فتعرقل بذلك انسحاب الاستعمار البريطانى وتؤخر استقلال فلسطين .

مؤامرة جديدة :

وها هى مؤامرة جديدة تطبخ فى محاولة الجامعة العربية لاثارة قضية احدى الدول العربية والمرجح انها سوريا] وانتهاز فرصة مناقشة المجلس لقرار هيئة الامم المتحدة الخاص بها ، لمحاولة حل القضية على أساس « مشروع موريسون » الذى وضعته الحكومة البريطانية كحل للقضية الفلسطينية .

ماهو مشروع موريسون ؟

طبقا لهذا المشروع ، تتكون منطقة عربية لتشغل ٣٨ ٪ من مساحة فلسطين ومنطقة يهودية تشغل ١٧ ٪ ، والباقى بما فيه النجف والقدس يبقى تحت ادارة فلسطين أمام مجلس الامن [من طريق بريطانية مباشرة .

وليس معنى هذا المشروع تكوين دولة عربية مستقلة أو دولة يهودية مستقلة ،

[١] الجماهير ١٩٤٧/١٢/٢٨

[٢] غنى عن الذكر أن الاشارة الى الجامعة العربية هنا تعنى الاوضاع التى كانت سائدة فى الجامعة العربية عام ١٩٤٧ من حيث أن غالبية الدول التى كانت عضوا فيها لم تكن قد تحررت بعد .

بلّ تتكون حكومة مركزية لفلسطين تعينها بريطانيا ، أى ابقاء السلطات الحقيقية فى أيدى الحكومة البريطانية المركزية ، ومعنى ذلك اعطاء سلطات جديدة للمندوب السامى البريطانى ، فضلا عن اشرافه على المناطق التى ستبقى تحت السيطرة المباشرة للبريطانيين سوف يعطيه من السلطات ما يسمح له بالتدخل فى كافة اعمال المناطق المستقلة استقلالا ذاتيا شكليا ، عربية كانت أم يهودية .

ويشير المشروع الى أن الجيش والبوليس والمحاكم والشئون الخارجية والضرائب ووسائل المواصلات كل هذه المرافق ستبقى بين أيدى الحكومة المركزية البريطانية . وهذا هو « مشروع موريسون » الذى لا يغير فى الوضع فى فلسطين من ناحية السيطرة البريطانية والحكم الاستعمارى ، ويمكن أن يضيف متاعب جديدة ومناوشات حادة بين العرب واليهود عندما يحدد الاستعماريون حدود المنطقتين العربية واليهودية . .

ولكن بالرغم من ذلك ، وبالرغم من ابرام هذا المشروع الذى يرمى الى ابقاء فلسطين مستعمرة بريطانية يستغل الاستعمار مواردها وسكانها وينهب خيراتها ويحولها الى قاعدة حربية له يرسل منها جيوشه وعتاده لتحطيم الحركات الوطنية فى الشرق ، بالرغم من كل هذا يصلنا أن الجامعة العربية توافق عليه كأساس لحل مشكلة فلسطين !.

الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ولكن

ومعنى هذا أن الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ، فموافقتها على « مشروع موريسون » اكبر دليل على تأييدها للتقسيم ..

ولكن الجامعة العربية ضد انسحاب الجنود البريطانيين ، أى ضد استقلال فلسطين ، فمشروع موريسون الذى تنوى أخذه كأساس لحل القضية ، أساسه بقاء السيطرة البريطانية على فلسطين واخضاع سكانها للاستبداد والاستغلال .

اوقفوا هذه المؤامرة :

ان على الشعوب العربية التى تكافح للحرية والاستقلال ترفض بقوة وعنف هذه المؤامرة ، فهذه الشعوب التواقة لحرية والاستقلال ترفض بقوة وعنف مشروعا لا يؤدى الى حرية فلسطين واستقلالها .

وعلى هذه الشعوب أن تقف جبهة واحدة وصفا واحدا لتحطيم مشاريع الاستعمار ومؤامراته وتطهير فلسطين من أعوانه واذنابه وتحقيق الديمقراطية والاستقلال لكافة الشعوب العربية .

● حول القضية الفلسطينية *

بقلم : بدوى **

تستهدف الرجعية العربية الان الاحتفاظ بفلسطين مستعمرة بريطانية .. ويدل على هذا موقفهم المشابه تماما لموقف الاستعمار البريطانى ، ذلك الموقف الذى يعطى الرجعية العربية فرصة الظهور بمظهر المدافع عن وحدة فلسطين ، والواقع أن موقف الرجعية العربية المعادى لليهود ، هو الذى أدى الى حل التقسيم كالحل الوحيد للوصول الى استقلال فلسطين . فالاتحاد السوفيتى والدول الديمقراطية قد أيدت قيام دولة موحدة ثنائية مستقلة فى فلسطين . وتركزت هذه المسألة للعرب واليهود ليصلوا الى اتفاق بشأنها . فان كانت الرجعية العربية ترمى الى وحدة فلسطين لرسمت سياسة تعاون مع اليهود ، الا أن تتبع الطريق الذى سلكته والذى يؤدى الى حرب أهلية لا يفيد منها سوى المستعمر .

خطاب هيكل باشا :

وقد وضح فى خطاب هيكل باشا الاتجاه العنصرى المعادى لليهود ، بل اننا نقرأ بين سطور هذا الخطاب تهديدا واضحا لليهود المصريين ، فقد قال « اننا لا نتبع سياسة مقاومة الظلم بالظلم ، ولكن كثيرا ما تطغى جحافل الشعب الهائج على قوات النظام وسيكون من الصعب فيما بعد اخماد الكراهية لليهود » .

ومعنى هذا الكلام أن الشعب المصرى سيقوم من تلقاء نفسه بالهياج ضد يهود مصر .. وهذا ما نستبعده كل الاستبعاد ، فالشعب المصرى شعب ناضج يدرك من هم أعداؤه ، ويعرف أن أعداءه ليسوا يهود مصر ، بل ان عدوه الاول هو المستعمر وأذنابه ..

ولكن خطاب هيكل باشا بمثابة تمهيد للرجعية المصرية لتحويل انظار الشعب المصرى عن قضيته الوطنية ، والزج به فى حرب دينية لا حرب تحريرية ضد الاستعمار .

كما أن خطاب هيكل باشا تمهيد للرجعية المصرية للقيام بحملة ضد الشيوعيين تحت ستار أنهم يأتمرون بأوامر اليهود ، بل انه تمهيد للقيام بحملة ضد اليهود الاحرار أنفسهم .

انذار :

اننا ننذر الشعب المصرى بأن يتنبه للمؤامرة التى تحيكها الرجعية العربية ضده ، وضد حقوقه وحرياته ، وضد قضيته الوطنية .

ولتعلم الرجعية أن الشعب المصرى بكافة قواته يرنو الى اليوم الذى يجند فيه للحرب ضد المستعمر وتطهير البلاد من آثاره .

[*] الجماهير — ١٩٤٧/١١/٣٠ .
[**] بدوى : اسم مستعار .



الاستعمار الاستيطانى

الاستعمار الاستيطانى استعمار ذو طابع خاص يتخذ دائما شكل هجرة مئات الالاف من الاوربيين الى ارض اجنبية يسيطرون عليها ، اما تحت حماية القوة المسلحة للبلد الام ، أو فى حماية قوتهم الخاصة .

والاستعمار فى مجمله نظام للاستغلال والقهر والعنف يفرض على البلاد المستعمرة والتابعة . وقد تعرضت شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لنير الاستعمار الخالى من الرحمة ، والمعوق لتطورها . وجلب الاستعمار معه الجوع الى بلاد غنية بثرواتها الطبيعية ولسكانها الكادحين .

وقد عرف الاستعمار ، وعرفت المستعمرات ، حتى قبل أن توجد الراسمالية . بيد أن أهمية المستعمرات زادت بعد أن أصبحت الراسمالية هى النظام السائد فى أوروبا ، ثم أصبح لها أهمية حاسمة بعد أن انتقلت الراسمالية الى مرحلتها العليا والاخيرة ، وهى الامبريالية .

وقد وصلت الراسمالية الى مرحلة الامبريالية عندما بلغ تمركز راس المال وتركزه درجة اصبحت معها الاحتكارات تقوم بالدور الفاصل فى الحياة الاقتصادية ، وعندما اندمج رأس المال الصناعى مع رأس المال المصرفى ، ونشأت الاوليجاركية المالية على أساس رأس المال المالى ، وعندما اكتسب تصدير رأس المال ، خلافا لتصدير السلع ، اهمية بالغة الخطورة ، وعندما تشكلت اتحادات راسمالية احتكارية تسعى الى اقتسام العالم فيما بينها .

وفى مرحلة الامبريالية كان قد تم تقسيم العالم الى مستعمرات فيما بين الدول الراسمالية الكبرى ، وأصبح للمستعمرات دور عظيم الشأن فى الحياة الإقتصادية لهذه الدول . فقد غدت ملحقا لانتاج المواد الاولية — زراعية ومعدنية — اللازمة للصناعة الغربية ولغذاء شعوب الدول الغربية ، وسوقا لتصدير رأس المال والسلع التامة الصنع .

وقد جاء الاستعمار ، اما تحت حماية القوة المسلحة المجردة ، أو تحت حماية هذه القوة مقترنة بهجرة مئات الالاف من الاوروبيين الذين وفدوا الى المستعمرات عبر عشرات السنين ، فاستوطنوا خيرة اراضيها ، وأقاموا حياتهم على أساس اعتبار المستعمرات وطنا ثانيا لهم ،

وقد عرف هذا النوع من الاستعمار بالاستعمار الاستيطانى .

واتخذ الاستعمار الاستيطانى هذا اشكالا شتى ، نذكر منها نموذج الولايات المتحدة أو استراليا ، ونموذج المستعمرات الافريقية ، وأخيرا نموذج اسرائيل .

ففى الولايات المتحدة جاء المهاجرون الاوروبيون فى موجات عارمة حتى بلغ تعدادهم فى نهاية الامر اكثر من عشرة ملايين . وكان شاغلهم الرئيسى هو التخلص من الهنود الحمر ، سكان البلاد الاصليين ، بل انهم لم يحاولوا الاستفادة من هؤلاء كقوة عمل رخيصة الثمن . وعندما لمسوا الحاجة الى توفير أيد عاملة بأبخس الاثمان ، لجأوا إلى استيراد الرقيق من أفريقيا ، ونظموا النخاسة على أوسع نطاق عرفه التاريخ .

ولم يختلف الامر كثيرا فى استراليا ، وان كانت النخاسة لم تعرف طريقها الى هناك على هذه الصورة البشعة .

وفى أفريقيا وفد المهاجرون الاوروبيون الى المستعمرات المختلفة فى أعداد متفاوتة ، حتى تراوحوا بين الثلاثة ملايين ونصف المليون فى جنوب أفريقيا ، والمليون فى الجزائر ، وبضع مئات الالاف أو عشراتها فى بلاد أخرى . وهناك استوطنوا خيرة الاراضى ، وأقاموا المزارع الواسعة الحديثة ، ودفعوا بأهل البلاد الاصليين الى ما سمى « بالمعازل » ، حيث الاراضى أقل خصوبة بكثير ، وظروف الحياة أكثر مشقة . . ومن ثم أصبحوا تحت رحمة الاوروبيين ، ولم يعد هناك من مصدر لمعاشهم غير العمل لديهم بأبخس الاجور ، وفى ظل اكثر ظروف العمل بشاعة وقسوة .

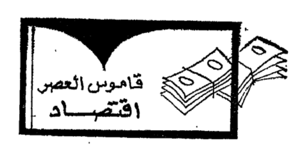
وهكذا كان السكان الاصليون ، الذين يعيشون فى المعازل ، عماد الاقتصاد الغربى واقتصاد المستوطنين الوافدين . وأصبحت المستعمرات بالنسبة لهؤلاء المستوطنين عماد الحياة وكل آفاق المستقبل ، وشكلوا من انفسهم — الى جانب القوة المسلحة للبلد الام — قوة الحماية اللازمة لضمان استمرار سيطرتهم على اقتصاد المستعمرات . وكانوا فى الدفاع عن استمرار الاستعمار أكثر شراسة وعنادا وتصميما من الدولة الام نفسها .

وقد قدم لنا التاريخ معادلة حسابية بسيطة : هى أنه كلما زاد عدد المستوطنين البيض ، كان تقدم شعب المستعمرة نحو الاستقلال أكثر بطئا ومشقة .

فقد حصلت تنجانيقا — التى لم يكن عدد الاوروبيين فيها يتجاوز ٢٨,٠٠٠ — على الاستقلال بأسهل مما حصلت عليه كينيا التى بلغ عددهم فيها ٥٨,٠٠٠ . وملاوى التى لم يتجاوز عدد الاوروبيين فيها سبعة آلاف كانت اقرب الى الاستقلال من زامبيا [روديسيا الشمالية] التى بلغ عددهم فيها ٦٦,٠٠٠ ، والتى سلكت بدورها طريقا الى الاستقلال أخف وطأة وأقل دموية من ذلك الذى مازالت تسلكه زيمبابوى [روديسيا الجنوبية] التى يتجاوز عدد الاوروبيين فيها ربع المليون .

وحتى فى المناطق التى مازال يسيطر عليها الحكم البرتغالى ، فان ظروف الكفاح من موزمبيق ، التى يبلغ عدد مستوطنيها البيض ٦٦,٠٠٠ ، اخف وطأة منها فى انجولا ، حيث يعيش ٢٠٠,٠٠٠ مستوطن .

وتعد اسرائيل نموذجا آخر من نماذج الاستعمار الاستيطانى . فهى امتداد عنصرى للغرب الاستعمارى فى قلب الوطن العربى ، وآخر محاولات الاستعمار الاستيطانى التى قام بها الغرب . وحقيقة اسرائيل كاستعمار استيطانى لا يجب أن تقودنا مثلا الى القياس على أحداث بلد كالجزائر . اذ بينما قدم المستوطنون الى الجزائر من بلد واحد هو فرنسا ، قدم المستوطنون الى اسرائيل من بلدان شتى ، وبالتالى ليس لهم « وطن أم » يفكرون فى العودة اليه اذا ما ضاقت أمامهم سبل الحياة فى فلسطين . . ولهذا يسود بينهم الشعور — وهو ما تغذيه الدعاية الصهيونية — بأنهم يقاتلون وظهورهم الى البحر ، كذلك لم ينتشر الاستيطان العنصرى الصهيونى فى بلد اغلبية سكانه من قومية اخرى ، كما كان الحال فى المستعمرات الافريقية . بل فرض هذا الاستيطان خططا مرحلية ليحل محل الاغلبية العربية الواضحة ، وجمع المستوطنون الصهاينة بين التوسع الاقليمى وبين طرد السكان العرب بغية أن تكون الارض خالصة لهم بعد ذلك . ☐



الجهاز المصرفي

يقصد بالجهاز المصرفي مجموعة البنوك العاملة في بلد معين . ويقوم الجهاز المصرفي عن طريق وحداته المختلفة [البنوك] يلعب دور بالغ الاهمية في الاقتصاد القومي يتمثل في تنظيم استخدام الموارد المالية المتاحة في الاقتصاد القومي ، ولقد أجاد التعبير عن هذا الدور أحد الاقتصاديين حينما شبه ما يقوم به الجهاز المصرفي في الاقتصاد القومي بما يقوم به جهاز الري والصرف في اقتصاد زراعي يستند أساسا على الري ، حيث تنساب الموارد المائية الى جهاز الري ، ومن ثم ينظم جريانها عن طريق السدود والخزانات والقناطر التي يشملها هذا الجهاز بما يكفل حسن استخدامها ، فضلا عن امتصاص المياه الزائدة عن الحاجة عن طريق وسائل الصرف المختلفة . وبالمثل فان الموارد المالية تنساب الى الجهاز المصرفي الذي يملك بدوره من الوسائل ما يمكنه من تنظيم استخدامها في شتى مجالات الاقتصاد القومي بما يكفل له التقدم والنمو المتوازن ، في ظل استقرار منشود . كما يملك الجهاز المصرفي من الوسائل ما يستطيع به التقليل من آثار الاتجاهات التضخمية بامتصاص كميات النقد المتداولة الزائدة من حجم السلع المتاحة للاستهلاك .

وتنقسم البنوك التي يتكون منها الجهاز المصرفي الى عدة أنواع :

١ ـ البنك المركزي أو بنك الاصدار ، ويشغل مكان الصدارة في النظام المصرفي ، اذ يعتبر المسئول عن نظام الائتمان والرقابة على وحدات الجهاز المصرفي كله . ويتولى وظائف أهمها : اصدار أوراق البنكنوت ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لمكافحة الاضطرابات الاقتصادية أو النقدية المحلية والعالمية ، والتأثير في توجيه الائتمان ، وادارة احتياطيات الدولة من الذهب والنقد الاجنبي .

٢ ـ البنوك التجارية ، ويطلق عليها في بعض الاحيان « بنوك الودائع » ، وتقوم بتجميع المدخرات ، وتقديم القروض المصرفية ، وشراء وبيع الاوراق المالية ، وتحصيل وخصم الأوراق التجارية ، والقيام بعمليات الاعتمادات المستندية ، واصدار خطابات الضمان ، وغيرها من العمليات المصرفية .

٣ ـ بنوك الاعمال ، وكثيرا ما يطلق عليها « بنوك الاستثمار » ، وتقوم بتقديم القروض متوسطة وطويلة الاجل ، واصدار الاوراق المالية للشركات والسندات الحكومية ، والاشتراك في تأسيس مشروعات جديدة .

٤ ـ بنوك الائتمان الزراعي ، وهي بنوك متخصصة في امداد المزارعين بالاسمدة والتقاوي والقروض وغيرها من المستلزمات الضرورية للانتاج الزراعي ، ويتم الاقراض عادة بضمان المحصول .

٥ ـ بنوك الائتمان العقاري ، تتخصص في عمليات منح الائتمان بضمان الممتلكات العقارية لاغراض التشييد والاسكان والمرافق ، وبالطبع تكون أغلب التسهيلات الائتمانية الممنوحة من هذه البنوك طويلة الاجل نسبيا ، وبمعدلات فائدة مرتفعة .

٦ ـ بنوك الائتمان الصناعي ، تتخصص في منح تسهيلات ائتمانية [قروض] طويلة الاجل لتمويل انشاء صناعات جديدة أو تمويل توسعات جديدة في المشروعات الصناعية القائمة. السائد في الدولة بأهدافه ، وعلاقاته ، ونظمه . من هنا يمكن أن نستنتج أن الدور الذي يلعبه الجهاز المصرفي يتوقف بالدرجة الاولى على الهيكل الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي يتواجد فيه ، ومن هنا أيضا تبرز الفروق بين دور الجهاز المصرفي في الاقتصاديات الرأسمالية ، ودوره في الاقتصاديات الاشتراكية . قد تتشابه ـ وغالبا ما تتشابه ـ بالطبع مجموعة الوسائل التكنيكية البنكية Technical Tools المستخدمة ، غير أن ذلك لا يعني تشابه الدور الذي يلعبه الجهاز المصرفي في كل من هذه الاقتصاديات .

الجهاز المصرفي في الاقتصاديات الرأسمالية يتكون من وحدات عديدة [بنوك] مملوكة ملكية خاصة تهدف الى تحقيق أقصى ربح ممكن Economical Structure من وراء أداء النشاط المصرفي يشرف عليها البنك المركزي . ويقوم الجهاز المصرفي في الاقتصاديات الرأسمالية بأداء الوظائف التقليدية التي سبق ذكرها بالوسائل والاساليب المصرفية التقليدية المعروفة . ويمكن تحديد الملامح الاساسية للجهاز المصرفي في هذه الاقتصاديات في : **التعدد** ، حيث يحوي الاقتصاد الرأسمالي عادة على عدد كبير جدا من البنوك تتنافس فيما بينها في أداء الخدمة المصرفية والاستحواذ على أكبر جزء من سوق المال والائتمان ، **عدم التخصص** ، حيث تنتشر في تلك الاقتصاديات البنوك غير المتخصصة ، وحيث لكل مشروع حق التعامل مع أكثر من بنك ، ولكل بنك حق التعامل مع أي مشروع ، **عدم الانتشار** ، حيث تتركز الوحدات المصرفية في أهم المناطق الصناعية والتجارية التي تضمن للبنك حجم عمل يحقق له مستوى الربح المنشود .

الجهاز المصرفي في الاقتصاديات الاشتراكية يتولى الى جانب دوره التقليدي في الائتمان والتمويل دورا آخر في غاية الاهمية ، ونعني به « الرقابة المصرفية على تحقيق الخطة » . ولكي يتمكن الجهاز المصرفي من أداء هذا الدور الاساسي الجديد لا يكفي فقط مجرد تأميم البنوك في الاقتصاديات الاشتراكية بل يتطلب الامر تغييرا جذريا في هيكل علاقات البنوك بالوحدات الاقتصادية ، وفي نظم التمويل والائتمان والنقد يكرس كله من أجل التمهيد لكي تلعب البنوك دورها المطلوب كجهاز موحد للمحاسبة والرقابة على انجاز الخطة . ولعل من الممكن تحديد ثلاث ملامح أساسية مشتركة تميز الجهاز المصرفي في هذه الاقتصاديات .

التركز ، اذ تتركز المؤسسات المصرفية في عدد محدود جدا من البنوك بشكل لا يسمح بوجود أكثر من بنك واحد يمارس وظيفة واحدة .

التخصص ، اذ يتخصص عادة كل بنك في تمويل قطاع معين من القطاعات الاقتصادية بحيث لا يتنافس أكثر من بنك في تمويل قطاع معين ، وبحيث لا يصبح من حق الوحدة الاقتصادية التعامل مع أكثر من بنك .

الانتشار ، تتميز البنوك في الاقتصاديات الاشتراكية بالانتشار الكبير على خريطة الدولة مما يعطي الجهاز المصرفي قوة كبيرة لانجاز مهامه ، ويكفي أن نذكر على سبيل المثال أن بنك الدولة في الاتحاد السوفيتي كان له في عام ١٩٦٨ ـ ٤٢٢٥ فرعا ، وأن فروع بنك الادخار قد وصلت في نفس العام الى ٧٦٠٤٨ فرعا . □



مسئولية الوزير

احمد عباس صالح

ثار غبار كثيف حول مجلة الكاتب من اقلام صغيرة كثيرة ، كان واضحا فيهـا التلفيق والتلفيق ، وقد قدمنا نماذج مـن بعضها فى الجزء المخصص لنا من مجـلة « الطليعة » فى العدد الماضى تحت عنوان « **نماذج من أدب الحوار** » . ولكن هـذا الغبار لم يستطع ان يغطى على جوهـر القضية ، وهى انه وسط مظاهر الاتجـاه نحو حرية الصحافة وتعدد المنابر يصفى منبر الكاتب من الفـكر الاشـتراكى بكل ما يمثله من بعد وطنى وقومى .

وبصرف النظر عن كل ما يقصد الكاتب ، فان الاجراء الذى حدث ضد المجلة يعتبر طعنا فى الصميم للدعوة لحرية الصحافة ولتعدد المنابر .

ولذلك طرح وزير الثقافة فكرة مسئولية الوزير ، وهى فى رأيى القضية الاساسية التى تحتاج لمناقشـة . فقد احتج الوزير بأنه كيف يكون الوزير ممنوعا من ان يعيد تشكيل مجلس تحرير احدى المجلات التى تتبعه ، ويضيف الى ذلك انه لم يلغ المجلس بل اضاف اليه شخص أو عدة اشخاص ، وبالتالى فاذا جرد الوزير من هـذا الحق ماذا يبقى له من سلطات ؟

وواضـح تمـاما ان هـذا طرح شكلى للموضوع ، ذلك ان احدا لا يعترض على سلطات الوزير فى هذا الشأن ، بل على مضمون استعمال هذه السلطة . ويتسع الامر لمناقشة وظيفة وزارة الثقافة نفسها ، وهى مهمة شديدة الحساسية لانها تمس موضوعات ونشاطات لا يمكن ان تزدهر دون حرية ودون مسئولية كاملة للمنتجين فى حقلها . ومن هنا تتحدد سلطة وزارة الثقافة فى التنسيق بين الانشطة الثقافية وفى تهيئة الجو الملائم للابداعات الفنيـة والفكرية ، كانشاء معاهد الفنون والمجالس الثقافية والاجهزة المختلفة التى تساعد على نمو الحركة الثقافية .

وفى المجال السياسى فان وزارة الثقافة في دولة اختارت طريقا معاديا للرأسمالية متجهة الى الاشتراكية ، فان السياسة العامة التى ينبغى ان تتبعها هى سياسة منحازة للتحولات الاشتراكية ، ومنحازة للقيم الاشتراكية . بل ان مهمة الوزارة في هذا الشأن تكون مهمة ثورية لانها مطالبة بتنقية الجو الثقافى من العادات والمفاهيم والسلوكات المعادية للاشتراكية .

ولذلك فان السياسة الثقافية التي تعمل وزارة الثقافة لتحقيقها هى السياسة العامة للدولة التى يقوم جوهر نظامها على تصفية الطبقات الاستغلالية كالاقطاع والراسمالية المستغلة ، وعلى تحالف بين قوى بعينها لا يتسم نشاطها الاقتصادى بطابع الاستغلال ، وتسعى جميعها الى الاشتراكية . ولهذا فان اعلى نسبة فى التمثيل السياسى هى للعمال والفلاحين باعتبارهما القوة الاجتماعية الاساسية صاحبة المصلحة فى الاشتراكية .

وبالتطبيق الامين لهذه المواثيق فان مسئولية وزارة الثقافة تتحدد في تنمية هذه السياسة وفى تعميمها .

وفعلا اتجه تكوين مؤسسات وزارة الثقافة هذا الاتجاه ، واصبحت الثقافة الجماهيرية على سبيل المثال هى حجر الزاوية فيه . واتيحت للثقافة كل الفرص من انشاء اكاديمية الفنون والمجلس الاعلى للفنون والاداب ، وتأميم الجزء الاكبر فى صناعة السينما وسيطرة الدولة على قطاع المسرح وقطاع النشر ، حتى لا تقع هذه الاجهزة الهامة والوثيقة الاتصال بالعمل السياسى العام ، تحت سيطرة الاتجار بالثقافة كسلعة استهلاكية ، أو تحت سيطرة عناصر الثورة المضادة والحرب الثقافية للاستعمار العالمى .

وفى هذا الاطار تتحدد مهمة وزارة الثقافة ، وبالتالى فان قرارات وزير الثقافة ينبغى ان تتضمن تدعيم هذه السياسة لا نقضها او تصفيتها .

ومشكلة التجربة الثورية عندنا هى أن النظام الشكلي لمؤسساتنا يتفق مع الغاية الاشتراكية ، ولكن مضمونه يفتقر الى التنظيم السليم الذى يملا هذه الاشكال بالمضمون الثوري والاشتراكي ، وهو الامر الذى دفع السلطة العليا اكثر من مرة لطرح فكرة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، باعتباره المؤسسة الام لكل مؤسساتنا الاخرى .

وقد أثبتت التجربة أن عناصر الثورة المضادة لم تندفع فقط لتملا الاشكال الثورية لتسييرها فى غير مسارها ، بل عمدت ايضا الى تحطيم هذه الاشكال ، وظهر هذا فى الهجوم الضارى على الاتحاد الاشتراكي بل وعلى ثورة ٢٣ يوليو على اعتبار انها فترة ظلام كامل ، للعودة بالمجتمع الى ما قبل الثورة .

وعلى الرغم من ان مجلة الكاتب — منذ انشائها — كانت تعانى دائما من تسلط ومؤامرات القوى المعادية للاشتراكية الا انها كانت تجد فى اغلب الاحيان وزراء للثقافة يفهمون دور الوزارة ويساندونها ويفسدون المحاولات المتكررة لاغلاقها او لحصر نشاطها . وكان هذا يتمشى مع الطابع العام لثورة ٢٣ يوليو التى تعمد الى التوازن بين الطبقات ، ولكنها فى نفس الوقت تتجه بطريقة ما فى خط تصاعدى الى الانحياز لفكر ومصالح الطبقات الثورية .

ولكن أزمة مجلة الكاتب الحالية ، تختلف عن الازمات السابقة ، ذلك انه على الرغم من المضمون الثورى لانتصارات ٦ اكتوبر ، الا ان القوى الرجعية ارادت الزعم بانها كانت وراء هذه الانتصارات ، وعلى الرغم من الضحك الذي يثيره هذا الزعم ، الا ان حملة منسقة اتجهت الى السيطرة على المجال الثقافى والاعلامى ، فى هجمة بربرية متخلفة تريد تنقية اجهزة الاتصال الجماهيرى من فكر الثورة ، تحت مزاعم وشعارات تثير السخرية ولا ترتقى حتى الى مرتبة التصديق او عدم التصديق لانها ظاهرة البطلان .

ومس هذا الزحف المتخلف كل الاجهزة الثقافية ، وتهاوت الحركة المسرحية كما هو ظاهر للجميع ، وانتشرت الافلام الهابطة ، والكتب الهزيلة ، وتوقف النشاط

الثقافى لمصر فى الداخـل والخـارج ؟ وانفضت جماهيرنا العربية فى كل الوطن العربى عن انتاجنا الثقافى الرسـمى ، واعتزلنا المثقفون العرب واصبحنا نهاجم فى كل المؤتمرات الثقافية فى البـلاد العربية المختلفة .

وكانت الاجراءات التى اتخـذها السيد وزير الثقافة من مجلة الكاتب متصلة بهذا الاتجاه العام ، وبالتـالى فان الموضـوع لا يمس مسئولية الوزير ومداها فحسب ، بل يمس الوظيفة الاساسية للوزارة والتى تصدر جميع القرارات فى ظلها ولتحقيقها .

والمسألة اذن ليسـت نزاعا اداريا او قانونيا . وليست متعلقة بحق الوزير فى اصدار قرار ما ، بل فى مضمون هـذا القرار وفى مخالفتـه للسياسـة العامة للثقافة .

والواقـع ان الكاتب لم تعترض على سلطة الوزير فى اصدار القرارات ، انما اعترضت على مضمون القرار الذى يهدف الى تغيير المسار الفـكرى للمجلة وفقـا لخطة شاملة وضحت فى كل الاتجـاهات الثقافية ، وهى تعميم خط فكرى واحـد لا يوافق عليـه كل المثقفين ، بل يعتبره الكثير منهم مخالفا للسياسة العامة للثورة والامال ومستقبل هذه الامة . فضلا عن انه خط لا يمثل افضل ما فى وطننا من انجـاز ثقافى ، بل لعله بلا مـوارية يمثـل ردة ثقافية حتى لو استبعدنا المعيار السياسى فى التقدير .

ولكل هذه الاسباب ينبغى الا تعتبر ازمة مجلة الكاتب مجرد خلاف فى الرأى ، او اعتراض على سلطة وزير من الوزراء فى اصـدار القـرارات ، بل مسـألة تمس السياسة العامة للثقافة فى بلادنا ، وتطالب أسرة المجـلة ، السلطة السـياسية والمجلس الشعبى والاتحـاد الاشـتراكى والمثقفين بالتحقيق فى الموضوع واتخـاذ قرار بشأنه ، واسرة المجلة مستعدة لتحمل نتائج التحقيق مهما تكن هذه النتـائج ، لانها تثق ثقة مطلقة فى ان الحـق فى جانبها ، وان القضية اوسع كثيرا مـن ابعاد مجموعة من الكتـاب عن منبر من منابر الرأى ، ومتصلة اتصالا وثيقا بمـا ينبغى ان تكون عليه السياسة الثقافية لهذا الوطن . والحرية والمسئوليـة التى تحتاج لمعايير قاطعة لا يكون عليها خلاف .

مجلس التحـرير :

كمال الدين رفعت
لطـفى واكـد
د . محمـد أنيـس
د . يوسف أدريس
رجـاء النقاش
صـلاح عيسى

رئيس التحـرير :

أحمد عباس صالح

سكرتيرو التحرير :

حسن سليمـان
أحمـد القصيـر
حسنين كـروم

السنة الرابعة عشرة

ديسـمبر ١٩٧٤

رئاسة تحرير الكاتب الأميرية

عرضت رئاسة تحرير مجلة الكاتب الاميرية قبل ذلك على الاساتذة : الدكتور عبد العزيز الاهوانى والدكتور عز الدين فودة وفتحى خليل واحمد الرفاعى ، وقد رفضوها على أساس ان قبولهم هذا المنصب يعنى ادانتهم لموقف اسرة تحرير الكاتب المنسحبة . واكدوا انه مادامت الوزارة كما تقول لا تعادى التيار التقدمى واليسارى فى الثقافة المصرية فما هو مبرر الصدام مع أسرة تحرير الكاتب ؟

وكان كثيرون من المثقفين والكتاب قد رفضوا عروضا بالكتابة أو العمل فيها على اساس ان استدعاء كاتب يسارى ليتولى رئاسة تحريرها او الكتابة فيها انما هى محاولة تلجأ اليها اجهزة وزارة الثقافة لتتغلب على المقاومة التى فوجئت بها ، وان فى النية تسليم المجلة الى « اليمين » كبقية مجلات ومؤسسات الوزارة ، وان المطلوب الان الحصول على وجه يسارى يقبل ان يكون قنطرة من الوضعين حتى تهدأ حملة الغضب على قرار وزارة الثقافة .

وقد رفض كل من الكتاب التقدميين التعامل مع الكاتب الاميرية بعد ابعاد اسرة تحريرها . ومع ذلك يبذل الشاعر صلاح عبد الصبور وكيل وزارة الثقافة ورئيس تحرير « الكاتب الاميرية » ، والاستاذ عبدالعزيز صادق مدير تحرير المجلة ومساعد السيد وزير الثقافة فى عمله بالمؤتمر الاسيوى ، والقصاص ادوارد الخراط مساعد الوزير فى عمل آخر ، جهودا ضخما الحصول على ما يملاون به صفحات المجلة من مواد « تقدمية » .

رسالة مفتوحة

من الأصوات الشعرية الجديدة
إلى الشاعر صلاح عبد الصبور
رئيس تحرير مجلة «الكاتب الأميرية»
التي تواصل مسيرتها التقدمية !

في عدد نوفمبر ١٩٧٤ من مجلة «الكاتب الاميرية» التي تصدرها وزارة الثقافة في القاهرة نشر الشاعر صلاح عبد الصبور — الذي أعلنت المجلة الاميرية أنها ستواصل مسيرتها التقدمية برئاسة تحريره لها — مقالا قدم فيه لعدد من الشعراء الشبان ، ونشر بعض قصائدهم وقد دهشت جماهير المثقفين التقدميين في مصر ، لان هذه الاصوات قد قبلت أن تتعامل مع « المجلة الاميرية » بعد أن انسحبت أسرة تحرير الكاتب مسجلة على الوزارة خنقها للحقوق الديمقراطية للمثقفين التقدميين واليساريين والوطنيين في مصر . الامر الذي ساندها فيه كل الكتاب والمثقفين الجادين الذين يرون أن الكاتب — والشاعر — ليس بائع كلمات يعرضها على أي منبر وفي أي ظروف ، دون اعتبار لمن يساندهم بما يفعله ، ومن يروج لعملهم بما ينشط في سبيله ، من هنا قاطع كل المثقفين الحقيقيين من أجيال مختلفة ومدارس مختلفة « الكاتب الاميرية » حرصا على التقاليد الديمقراطية وارساء لها .

لكن هذه الدهشة سرعان ما زالت عندما أرسل ثلاثة من هؤلاء الشعراء هم محمد يوسف ومحمد محمد الشهاوي وحسن النجار هذه الرسالة المفتوحة الى الشاعر صلاح عبد الصبور رئيس تحرير « مجلة الكاتب الاميرية التي تواصل مسيرتها التقدمية ! » .

وهذا هو نص الرسالة :

السيد صلاح عبد الصبور

لم نفاجأ بالسقطة التي هويت فيها بقبولك رئاسة تحرير مجلة « الكاتب الاميرية » ، مشكلا عنصرا من عناصر الضعف في موقفها الدفاعي خلال معركة الديمقراطية التي تخوضها فصائل الشرفاء ضد أعداء الثقافة والمستقبل ، لم نفاجأ ولم نفجع فيك ، فقد وقفت نفس الموقف في كل تاريخك ومواقعك التي حاربت وحاصرت من خلالها كل ما يزدهر في مصر وينفتح . لتبقى الاكذوبة الشعرية التي تمثلها رائجة ومطلقة في الساحة تلتهم كل بشائر الحساسية الجديدة وتسد الطريق أمام جيل كامل باصطناعك ورعايتك للمواهب الهزيلة ، وما حدث في العدد الاخير من مجلة « الكاتب الاميرية » تجسيد لكل هذه المواقف المبتذلة .

ان حديثك الغث عن المواهب والاصوات الشعرية الجديدة ومحاولات الاستقطاب والتظاهر بالتعاطف الزائف مع شعراء أنت أحد قاتليهم يدفعنا لتوضيح المسألة للقراء حتى لا يظنوا أننا يمكن أن نسقط الى هذا الحد فى أوحال المواقف اللاديمقراطية والانتهازية العارية من الشرف .

أولا : أننا نرفض تقديمك لنا بهذه الصورة اللاأخلاقية لتعلن على الملأ رضاك عنا . اننا لا نطالبك بالرضا ، فلسنا فى حاجة الى رضاك ، بل نطالبك بالغضب علينا .

ثانيا : اننا نرفض تحقيق اى مكسب مهما كان عن طريق الوقوف ضد الديمقراطية ، وحرية الرأى تلك التى تتباكى على موتها وبيدك خنجرك المسموم الذى يتوغل فى قلبها .

ويكفي أن نذكر القصة المضحكة وراء نشر هذه القصائد ، فبالنسبة لقصيدة الشاعر : محمد يوسف « بانتومايم » فيانها كانت فى حوزة سكرتير مكتبك السابق حسن توفيق من عام ١٩٧١ م لتنشر بمجلة الشعر .

أما قصيدة الشاعر : محمد محمد الشهاوى « معزوفة متداخلة على شطآن السقوط » فقد اعطيت لك — هى الاخرى — ضمن مجموعة من قصائده لتنشر فى مجلة الشعر — أيضا — .

وبالنسبة لقصيدة الشاعر : حسن النجار « المدخل الى التراجيديا الريفية » فقد أرسلها قبل عام ١٩٧٠ م لتنشر بمجلة « الكاتب » قبل أن تجهض .

وبناء عليه فان نشر هذه الاعمال الشعرية فى هذه الفترة يمثل اغتصابا مبتذلا لهذه الاصوات التى ترفض التعامل بهذا الاسلوب واستيلاء غير مشروع على ابداع هو فى الحقيقة فوق مستوى الكلام والمهاترات التى وردت فى تعليقكم الذى يتظاهر بالتعاطف الزائف والذى هو استمرار لسياسة القتل لحساسية شعرية تتجاوز مقدرتكم على استقطابها . أو محاولتكم لتشويهها وطمس ملامحها .

محمد يوسف ، محمد محمد الشهاوى ، حسن النجار

"يا للانسان الورقة"!

مختارات من شعر صلاح عبد الصبور

قد كنت فيما فات من أيام
يافتنتى محاربا صلبا وفارسا همام
من قبل أن تدوس فى فؤادى الاقدام
من قبل أن تجلدنى الشموس والصقيع
كى تذل كبريائى الرفيع
كنت أعيش فى ربيع خالد أى ربيع
وكنت ان بكيت هزنى البكاء
وكنت عندما أحس بالرثاء
للبؤساء الضعفاء
أود لو أطعمتهم من قلبى الوجيع
وكنت عندما أرى المحيرين الضائعين
التائهين فى الظلام
أود لو يحرقني ضياعهم .. أود لو أضىء
وكنت ان ضحكت صافيا كأننى غدير
يفتر عن ظل النجوم وجهه المضىء
ماذا جرى للفارس الهمام ؟
انخلع القلب وولى هاربا بلا زمام
وانكسرت قوادم الاحلام
يا من يدل خطوتى على طريق الدمعة البريئة
يا من يدل خطوتى على طريق الضحكة البريئة
لك السلام
لك السلام

[احلام الفارس القديم ١٩٦٤]

●●●

فى شهرين سقطت .. يا للانسان الورقة

[ليلى والمجنون ١٩٧٠]

قانون العسف

فوجئت بأن عـدد اكتوبر ١٩٧٤ قد تضمن عرضـا لـكتاب « الماركسية والشعر » ، كان قد سبق لى أن كتبت منذ أكثر من خمس سنوات ، بتكليف من الاستاذ جـلال العشرى لنشره فى مجلة الفكر المعاصر التى كان يتولى سكرتارية تحريرها فى ذلك الوقت ، لكن المقال لم ينشر لتوقف المجلة عن الصدور .

ورغم أن تقاليد النشر لا تسمح لاحد أن يتصرف فيما كتبـه غيره ، أو يدفع به الى منبر قد لا يرضى عنه ، أو لا يوافق على التعامل معه ، فانه يبدو أن كل التقاليد والادبيات قد عصف بها ، لدرجة أن ينشر مقالى دون علمى .

واذا كان لى أن اضيف شيئا ، فهو اننى أرفض أن أساند وزارة الثقافة فى موقفها من أسرة تحرير الكاتب ، وموقفى ككاتب ، هو مساندة حق كل المثقفين التقدميين والوطنيين والديمقراطيين فى التعبير عن نفسهم دون حجر او وصاية ، لهذا أرفض أستيلاء مجلة الكاتب الرسمية على مقالى القديم ذلك ونشرها له ، مسجلا عليها أنها لا تعصف فقط بحق الكتاب فى التعبير عن أنفسهم ، ولكنها تريد أن تضم لها أنصارا ليسوا معها بالقوة والعسف ، اذ يبدو أن العسف أصبح قانونها !

سمير كرم

ارفعوا أيديكم عن سميح القاسم

رجاء النقاش

فى الاسابيع الاخيرة ثارت عاصفة من الاتهام والنقد العنيف ضد شاعر المقاومة المقيم فى الارض المحتلة **سميح القاسم**، وكان من اقسى الذين هاجموا سميح القاسم واشدهم عنفا الشاعر الفلسطينى المعروف **معين بسيسو**، وقد وجه معين بسيسو اتهامات بالغة الخطورة الى سميح القاسم وزملائه من أدباء الارض المحتلة، فقد اتهمهم على سبيل المثال بأن اسرائيل قد ساهمت فى ابراز أسمائهم لتستغلهم وتستخدمهم بعد ذلك فى معركتها ضد العرب وضد فلسطين على وجه الخصوص واتهامات معين بسيسو تعنى بكلمات اخرى أن سميح القاسم هو وزملاؤه ليسوا سوى عملاء لاسرائيل ... فهى التى صنعت شهرتهم وروجت لهم لتستخدمهم بعد ذلك لمصلحتها وضد المصلحة العربية.

ولست ادرى كيف استباح معين بسيسو لنفسه أن يلقى بمثل هذه الاتهامات المسمومة بهذه السهولة فى وجه سميح القاسم وزملائه ادباء الارض المحتلة.

ان معين بسيسو شاعر وكاتب لامع ومعروف وهو من ناحية أخرى فنان له مواقفه النضالية التى لا شك فيها. ولكن هذا كله لا يبيح له أن يمسك بخنجر يمزق به أجساد الاخرين دون أن تقوم حملته على أى أساس من الدقة أو الموضوعية أو التقدير الصحيح للامور.

ونعود الى القصة الاساسية التى من اجلها شن معين بسيسو هجومه الظالم على سميح القاسم وزملائه.

فقد نشرت جريدة « **الاتحاد** » العربية اليسارية التى تصدر فى الارض المحتلة فى ٧ يونية سنة ١٩٧٤ نداء وقعه سميح القاسم وعدد من زملائه وكان هذا النداء يحمل عنوانا طويلا هو « نداء من ادباء يهود وعرب لوقف الاحتراب وللاعتراف بحقوق الشعبين » وجاء فى مقدمة النداء أنه « موجه الى شعوب المنطقة والعالم، الى حكوماتها والى الكتاب والمفكرين فى المنطقة والعالم وضد الارهاب حيثما كان ومهما كان، ضد الاعتداء على النساء والاطفال، ضد نيل الاهداف السياسية بالعنف، من أجل اعتراف شعوب المنطقة وحكوماتها بعضها ببعض، من أجل نشاط الكتاب والمفكرين فى خدمة قضايا السلام فى هذه المنطقة وفى العالم اجمع ».

هذا بعض ما جاء فى البيان أو النداء الذى حمل توقيع سميح القاسم — الذى انكر فيما بعد توقيعه على البيان — كما حمل البيان توقيع عدد آخر من أدباء الارض المحتلة.

واذا قرانا نص البيان بأكمله بعد ذلك فسوف نخرج بنتيجة واحدة لا شك فيها

وهى أن البيان يمثل وجهة نظر مناقضة لوجهة النظر التى يمثلها الاتجاه الأساسى لحركة النضال العربى منذ سنة ١٩٤٨ الى اليوم ، حيث يدعو هذا البيان الى الاعتراف باسرائيل ، ويدعو الى المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل ، ويهاجم النشاط المسلح للمنظمات الفدائية الفلسطينية ويطلق اسم الارهاب «على نشاط الفدائيين». ويقول البيان بالنص : «ان استعمال طرق الارهاب ، الشخصية أو الجماعية ، فى المنطقة أو فى العالم ، لنيل أهداف أيا كان نوعها يسقط عن صاحبه حق تمثيل المصالح القومية والسياسية والدولية والاقليمية » ثم يقول البيان بعد ذلك « انه لا يمكن لأية قضية من قضايا المنطقة ان تحل عن طريق العنف أو القتال . وأن المنظمات المسلحة والحكومات مناشدة بهذا أن تتخلى عن كل استعمال للعنف ضد المدنيين وأن تتهيأ لمحادثات سياسية وبعد أن تحقق المنظمات والحكومات هذا الشرط ، فان الاطراف مدعوة الى الاعتراف أحدها بالآخر ولابتدار محادثات سلام » .

هذه فقرات من البيان ، وهى فقرات تكشف الأساس الخاطىء الذى يقوم عليه هذا البيان ، انه بيان يرفضه كل عربى يؤمن بحقوق العرب فى فلسطين ويؤمن بعدالة هذه القضية .

وعندما قرأت هذا البيان وقرأت توقيع سميح القاسم وزملائه عليه ، شعرت بأن فى الأمر خطأ كبيرا ، وكان احساسى هو أن الواجب على الجميع أن ينبهوا شعراء الارض المحتلة وأدباءها الى هذا الخطأ الفادح الذى وقعوا فيه ، على أن يأخذ هذا التنبيه الى الخطأ شكلا موضوعيا دون أن ينحرف الى التجريح والهدم والتشنج والاتهامات المسمومة .

كان علينا أن نناقش شعراء الأرض المحتلة وأدباءها وأن ندعوهم الى مراجعة أنفسهم والى أن يسحبوا توقيعاتهم من هذا البيان ، وأن نساعدهم على أن يقفوا على أقدامهم من جديد اذا كانوا قد سقطوا فى مصيدة مؤامرة اعلامية صغيرة من مؤامرات اسرائيل .

ان تاريخ هؤلاء الشعراء والادباء هو تاريخ نضال وصبر على المكاره والعذاب والاضطهاد ، وليس فى تاريخ هؤلاء الادباء ما يدفعنا الى اتهامهم بالخيانة لوطنهم وقضيتهم أو بالعمالة لاسرائيل أو ببيع أنفسهم للحركة الصهيونية .

ولنقف لحظة أمام سميح القاسم على اعتبار انه ألمع الاسماء التى وقعت هذا البيان المنحرف الخاطىء .

ان سميح القاسم شاعر عربى «درزى» ، ومن المعروف أن بين العرب المقيمين فى الارض المحتلة نسبة كبيرة من الدروز ، «يبلغ تعدادهم الأخير حوالى خمسين الفا » وقد حاولت اسرائيل منذ البداية أن تفصل بين العرب والدروز ، وركزت جهدها الكبير على اقناع الدروز بأنهم يمثلون قومية أخرى مستقلة عن القومية العربية ، وجعلت للدروز مدارس خاصة ، وأعدت لهم كتبا خاصة يدرسونها فى هذه المدارس وسمحت لأبناء الدروز وحدهم من بين سائر أبناء العرب فى الارض المحتلة أن يدخلوا الجيش الاسرائيلى ، وقد نجحت سياسة التفرقة بين العرب والدروز فى اسرائيل نجاحا جزئيا . وكان على الشباب العربى الدرزى أن يتحمل العبء الاكبر فى هدم التفرقة المفتعلة بين العرب والدروز ، فالدروز فرقة اسلامية قديمة ، وهم فى نشأتهم الاصلية عرب لا شك فى عروبتهم ومهما كان هناك من الاختلافات العقائدية بين بقية المسلمين وبين الدروز ، فان الدروز فى آخر الامر لا يخرجون عن الدائرة العربية الاسلامية .

وقد برز سميح القاسم فى هذه المعركة كمدافع عن عروبة الدروز ، وكواحد من الرافضين بعنف وقوة مسألة التفرقة بين العرب والدروز ، يقول سميح القاسم فى حديث بينه وبين الاديب اللبنانى **المعروف محمد دكروب :**

« ... التمييز الطائفى الذى تمارسه السلطات الاسرائيلية بين الدروز وغيرهم من العرب مارس تأثيرا سلبيا على شعرى من الناحية الفنية : كان لابد أن أكتب شعرا مباشرا ضد هذه الظاهرة ، وأطرح شعارات كثيرة ، وأصرخ ... ان ظاهرة الطائفية هذه كانت عبئا آخر فى المعركة الى جانب أعباء المعركة القومية والاجتماعية فكنت أجد نفسى ملزما بكتابة هذا النوع من الشعر اليومى » .

وهذا الذى يقوله سميح القاسم يكشف لنا عن حقيقة هامة هى أن سميح القاسم كان يخوض المعركة فى الارض المحتلة مرتين ... مرة كعربى يناضل ضد الاضطهاد الصهيونى ومرة أخرى كدرزى يناهض التفرقة بين الدروز والعرب ، وهذه قضية فى منتهى الاهمية بالنسبة للنضال العربى داخل اسرائيل . وكل تاريخ سميح القاسم يكشف بقوة عن صدق نضاله فى المعركتين الكبيرتين . لقد تعرض سميح القاسم للسجن ، وصودرت أشعاره ، وطرد من عمله ، ورفض الاستفادة من اى امتياز تعودت اسرائيل ان تمنحه للدروز أملا فى ان يعتبروا أنفسهم قومية مستقلة عن العرب .

واذا راجعنا اشعار سميح القاسم فاننا نجدها مليئة بالروح النضالية الاصيلة التى لا شك فيها ، حتى لقد أصبح اسم سميح القاسم علما خفاقا على نضال العرب داخل الارض المحتلة ، وخاصة بعد أن خرج الشاعر اللامع **محمود درويش** من الارض المحتلة عندما ضاق بظروف القهر التى يتعرض لها هناك ، وبعد أن رأى أن هناك فرصة أفضل للعمل خارج اسوار الارهاب الصهيونى ، رغم أن محمود درويش قد تعرض لهجوم عنيف بسبب خروجه من الارض المحتلة ، وقد دافعت عن موقف محمود درويش ، وكان رايى دائما هو أن الانسان لا ينبغى أن يحاكم الا على اساس مواقفه ، سواء أقام فى الارض المحتلة او خارجها ، المهم ... ماذا يفعل فى الارض المحتلة وماذا يفعل فى الخارج .

على ان الذى لا شك فيه بصورة عامة أن ظروف النضال فى الارض المحتلة اكثر قسوة ومرارة من ظروف النضال فى أى موقع آخر .

ولست فى حاجة الى أن اقدم نماذج من شعر سميح القاسم فى هذا المقال ، فشعره منشور ومعروف ، ودراسة فنه وادبه لها مجال آخر ، ولكننى أود — وخاصة بالنسبة للقارىء فى مصر — أن اقدم هنا بلا تعليق هذه القصيدة القصيرة لسميح والتى تكشف لنا عن روحه العربية الاصيلة حيث يقول :

مثلما تغرس فى الصحراء نخلة
مثلما تطبع أمى فى جبينى الجهم قبلة
مثلما يلقى أبى عنه العباءة
ويهجى لاخى درس القراءة
مثلما تطرح عنها خوذة الحرب كتيبة
مثلما تنهض ساق القمح فى الارض الجديبة
مثلما تبسم للعاشق نجمة
مثلما تمسح وجه العامل المجهد نسمة
مثلما يشمخ بين الغيم مصنع
مثلما ينشر بعض السحب مطلع
مثلما يبسم فى ود غريب لغريب
مثلما يرجع عصفور الى العش الحبيب
مثلما يحمل تلميذ حقيبة
مثلما تعرف صحراء خصوبة
هكذا تنبض فى قلبى العروبة

هذه هى روح سميح القاسم الشامخة الاصيلة . ومن هنا كان علينا أن نساعده على ان يتخلص من الخطأ الذى سقط فيه بتوقيع ذلك البيان السيء على أن نضع فى حسابنا تاريخ هذا الشاعر وتاريخ نضاله وان نضع أمامنا أيضا معظم شعره الذى يعبر بصدق عن روح النضال العربى الاصيل .

على أن سميح القاسم لم يتركنا لمدة طويلة فى حيرة وارتباك فقد أصدر سميح القاسم وزملاؤه بيانا أنكروا فيه توقيعهم على البيان السابق وقال سميح بالنص : « **... نحن لم نوقع ذلك البيان ، ونحن براء منه ... وقد أعلنا براءتنا من هذا البيان ثلاث مرات** » .

وهكذا فعل سميح القاسم هو وزملاؤه ما كنا ننتظره منهم ؟ وتبين بوضوح أن سميح القاسم برىء من الاتهامات المتسرعة الظالمة التى وجهها اليه معين بسيسو بل ومن اتهامات أقل منها بكثير . فسميح القاسم ليس عميلا ولا خائنا كما اتهمه معين بسيسو .

وحتى لو كان قد وقع البياء فعلا فقد كان على معين بسيسو أن يتحفظ كثيرا فى اتهام سميح القاسم بالخيانة والعمالة . كان عليه أن يناقشه ويخطئه ويدعوه لتعديل موقفه لا أن يطعنه بهذا الخنجر المسموم ... خنجر العمالة والخيانة .

اننا لو فتشنا فى تاريخ معين بسيسو وفى كتاباته لوجدنا أخطاء يمكن محاسبته عليها ، ولكننا لن نسمح لانفسنا ولا يجوز أن نسمح لغيرنا بالخلط بين الخطأ والجريمة ، بين التعثر الذى يمكن أن يقع فيه أى فنان أو مفكر وبين سوء النية والتعمد والخيانة . لقد بذل أعداؤنا جهودا ضخمة لتمزيق صفوف المقاومة وبذر بذور الشقاق بين المنظمات الفدائية، وهم الان يحاولون تمزيق صفوف الشعراء والمفكرين من أبناء المقاومة الفلسطينية فى داخل الارض المحتلة وخارجها . وهذا ما يجب الا نسمح به أبدا . والواقع أنه مما يثير الدهشة والالم أن الحملة ما تزال مستمرة ضد سميح القاسم رغم ما اوضحه من أنه هو وزملاؤه أبرياء من هذا البيان . ومثل هذه الحملة لا تتصف بأى انصاف أو عدالة بل هى حملة ظالمة وضارة منذ بدايتها حتى الان .

وليس أمامنا الا أن نقول هنا !!

ارفعوا أيديكم عن سميح القاسم .

أغمدوا السيوف التى تشهرونها يا أدباء فلسطين فى وجوه بعضكم البعض .

فالعدو ليس على الابواب .

انه فى قلب الدار .

□□□

الكاتب المجلة والكاتب الموقف

يوسف ادريس

أحس وأنا أعود للكتابة فى الكاتب ؟ وحتى فى موقفها وموقفى الحالى ؟ كالضيف على ضيفه ، بتيارات شتى من العواطف والافكار تكر فى شريط متصل طويل ، ربما لا يدرك طوله سواى ، وسوى نفر قليل ممن أتيح لهم أن يعيشوا فى قلب الموقد الوطنى خلال السنين الكثيرة الماضية . كانت الكاتب أول حبى للكتابة وأول حبر للنشر ، وكانت أيامها كابنة السادسة عشر هى الاخرى فى سن الحب الاول ؟ أسبوعية رقيقة فى ثمانى صفحات [أى أربعة بحجم الجريدة] يرأس تحريرها ذلك

الصديق الرائع العظيم المرحوم يوسف حلمي ؟ ونحن نعمل بها كتابا ومحررين ونقادا وعمال جمع وتوضيب وباعة أيضا ،كنا [شلة الغد] نفسها ولكن فى حجمها الاسبوعى ورقتها السلامية وعنفوانها الثورى . هناك كان معنا صلاح حافظ وسعد كامل وصلاح جاهين وعبد الرحمن الشرقاوى ولطفى الخولى والشاعر كمال عبد الحليم وابراهيم عبد الحليم وفتحى خليل وعبد المنعم الغزالى وعشرات غيرهم كثيرون . نكافح من أجل السلام العالمى ونقاتل مع حركة الكفاح المسلح فى القنال، ونخطىء ونصيب ، ونندفع ونبعد عن الخط ونعود ، ونولد ببداية كل عدد ومن فرط السعادة نموت حين تحين اللحظة ونحمل الثمانى [كرتونات] المعدة للمطبعة فى بولاق وقد انتهت مهمتنا كمصدرين للجريدة أيام ، لا بد لها من عودة جارفة ، ولكن هنا أتابع هذا الخط الصاعد أبدا لحياة [الكاتب] فهى ، مثل الثورة الشعبية المصرية ، كانت عرضة دائما للبطش ، ومع حريق القاهرة اختفت الكاتب ، وعادت للظهور المتقطع بعد الثورة ، ثم جمعت نفسها وأصبحت شهرية برأس تحريرها العزيز أحمد حمروش ثم صديقنا الدكتور لويس عوض وأخيرا ناقد جيلنا أحمد عباس صالح .

هذه الكلمة لا أقصد بها شيئا محددا ،ربما كنت أقصد بها فى الحقيقة معنى قد يبدو لي — حتى على المستوى الشخصي — تافه لا يستحق الذكر ، ولكنى أكتبها لاقول : يا كتاب الطليعة والكاتب أنا معكم الى آخر مدى ، معكم لانى أردت دائما أن أقف مع الحق والعدل والعلم والامن ،مع الحرية والسلام ، مع الاشتراكية والثورة ، والثورة الى آخر المدى أيضا .

انى لاتساءل ، كيف لا يكون الجميع معنا ومعكم ، أقصد كل كتاب هذا البلد ومثقفيه ، وثمة مجلة تخنق ، وثمة معركة رهيبة دائرة لا يمكن أن يقف لها انسان ؟ فما بالك كاتب على الحياد ، كيف يحايد الانسان فى موقف اما تحدث فيه الكلمة وحق الكلمة أو يسلب ، أين كتابنا حملة الدعاوى العريضة للحرية وللديمقراطية ؟ أين مفكرونا الاحرار ، أين محامونا الذين خاضوا المعارك دفاعا عن حرية الشعب وحقه فى الحرية ، أين تكتل المثقفين الواجب ضد هذا الاسلوب التترى فى معاملة الثقافة والمثقفين .

اللهم اذا كانت الكاتب ستقتل هكذا أمام أعيننا ونحن لا نملك الا مصمصة الشفاه أو جبر الخواطر فلا كان كتاب هذا البلد ولا كانت قياداته الفكرية فان خنق الكاتب ليس امتحانا لليسار انه امتحان أولا وأخيرا لشرف الثقافة والمثقفين ؟ وشرف الكتاب والكتابة ، وما فائدة أن تكتب بعد هذا أو نسمح لانفسنا بشرف حمل القلم وقد انتهك على أيدينا وفى عصرنا شرف الكلمة وشرف الثقافة . ان الثقافة قبل أن تكون علما وتجربة وسعة اطلاع وموقف من الحياة والاحياء أساسا موقف أخلاقى واضح وصريح مع الصدق،مع الحق ، وضد أى ظلم يحيق بأى انسان .

ولا فائدة أبدا أيها السادة من حركة ثقافية وثقافة وحركة كتابية وكتابيين دون موقف أخلاقى بالاساس . انكم تصبحون حينئذ تجارا للبقالة والمانيفاتورة ، بل انى لاحترم تجارا كهؤلاء أكثر ، فهم على الاقل يبيعون ما لديهم دون غش بينما أنتم تبيعون لهم ثقافة اما مسمومة أو محرومة من أهم ميزات الثقافة ، روحها الاخلاقى .

ان الكاتب ليس مجلة تخنق أو تغلق .

انها مبدأ

انها موقف .

والان ... حدد ... أين أنت ؟



الرصاصة وكيف ضلت؟

مصطفى درويش

شنت قرطاجة العظيمة حروبا ثلاث .. وقد ظلت رغم الحرب الاولى عزيزة قوية .. ورغم الحرب الثانية مسكونة غنية أما بعد الحرب الثالثة .. فلم يبق منها سوى اطلال .

وقريبا من هذه الاطلال .. ومنذ سنوات ثمان لا تزيد ـ عاد اسم قرطاجة حيا من جديد بفضل « **الطاهر شريعة** »

فقد أراد هذا الناقد الجاد ان يكون للسينما العربية والافريقية مهرجانها . فكان ان اختار عاصمة وطنه تونس على مشارف الاطلال المتبقية من قرطاجة العظيمة .. فجعل منها ملتقى لسينمائيي الدول العربية والافريقية يحجون اليها بما صنعوا من افلام مرة كل عامين لتعرض على المهتمين بفن السينما فيشاهدونها ويدرسون من خلالها مشاكل هذا الفن في قارتنا الافريقية ووطننا العربي يقول المخرج السينغالي « **عثمان سمبينا** » وهو أحد رواد السينما الافريقية « ان بناء السينما في افريقيا مثل بناء المستشفيات والمدارس وتأمين القوت للشعب يجب أن تكون لنا سينما خاصة بنا .. ننظر بها الى انفسنا .. ونفهم من خلالها انفسنا » .

ولعل أهم ميزة للايام السينمائية بقرطاجة انها لعبت دورا كبيرا في التوعية بأنه لا خلاص للشعوب الافريقية والعربية من تأثير السينما الاستعمارية الا في الاستقلال السينمائي .. اى ببناء سينما خاصة بهم .

ولعلي لست مبالغا اذا ما قلت ان كثيرا مما نادى به سينمائيو البلاد الافريقية والعربية منذ المهرجان الاول الذى انعقدت ايامه السينمائية خلال عام ١٩٦٦ قد تحقق . فلا يوجد الان بلد افريقي او عربي الا وله سينما وطنية خاصة به تحاول ان تعبر بالصورة عن تأثير ما يدور من أحداث على نفس الرجل الافريقي أو العربي ايجابا وسلبا .

وكنتيجة لهذا الدور الذى لعبه مهرجان قرطاجة بأيامه السينمائية حاولت بعض الدوائر التى يهمها الا يكون لكل شعب من الشعوب الافريقية والعربية لغة سينمائية خاصة به الا تقوم للمهرجان قائمة هذا العام .. ولكن جميع محاولاتها باءت



حسام الدين مصطفى

محمود ياسين

بالفشل ، وانعقدت الدورة الخامسة له في الموعد المقرر لها من قبل بقرطاجة فى الفترة من ٢٦ من اكتوبر حتى ٢ من نوفمبر سنة ١٩٧٤ .

ولما كان من أهداف المهرجان اتاحة الفرصة لتقديم ونشر روائع الفن السينمائى التى من شأنها المساعدة على تحقيق التحام افضل بين الثقافات ، فقد عرضت افلام خارج المسابقة من دول غير افريقية او عربية كالصين الشعبية والهند وكندا وفرنسا والمجر والمكسيك والبرتغال والاتحاد السوفيتى .. وكثير من هذه الافلام جديد فى تناوله للموضوع جرىء فى اسلوب معالجته له .. واذكر منها على سبيل المثال فيلم « ١٧٨٩ » لصاحبته المخرجه « **اريان منوشكين** » وهو عن الثورة الفرنسية من خلال رؤية جديدة غريبة من رؤية **بيتر فايس** لها فى مسرحيته « **مارا ـ صاد** » وفيلم « **كلكتا** » لصاحبه المخرج **لويس مال** وهو عن عاصمة البنجال ، تلك المدينة الهندية المعذبة بالفقر الذل والمرض المحط للشعوب وفيلم « **قصر الطهر** » لصاحبه المخرج المكسيكى « **ارتورو ربشتين** » واحداثه تدور حول رجل يرى الحياة من حوله شرا فى شر وفسادا فى فساد فحبس زوجته واولاده الثلاث فى قصر متداع بعيدا عن الناس ليحفظ لهم نقاءهم وطهارتهم .

واذا ما انتقلنا الى افلام المسابقة لوجدنا المهرجان فقيرا فيها غاية الفقر سواء من ناحية الكم او الكيف .

فمنذ البداية قاطع « **العراق** » المهرجان لغير ما سبب معروف .. ورغم ان **الجزائر** كانت قد وعدت بالمشاركة بفيلمين روائيين طويلين هما « حرب التحرير » و « الارث » غير أنها لم توف بالوعد ولم ترسل ايا منهما الى ادارة المهرجان مما كان سببا فى احلال فيلم « **العصفور** » لصاحبه المخرج يوسف شاهين محلهما وعرضه فى زمن افلام المسابقة رغم انه لا يدخل فى عداد الافلام المتسابقة .

ومما استرعى الانتباه ان افلاما ما يطلق عليها افريقيا السوداء التى عرضت فى المسابقة كانت مسرفة فى البساطة .. وليس من شأنها ان ترتفع الى حيث تكون سينما ينتجها الفن الرفيع .

وان الافلام العربية ٧ انقسمت الى نوعين أولهما نوع علا الى المستوى الفنى الذى يتمناه كل وطنى للسينما المتكلمة بلساننا كفيلم « **كفر قاسم** » **لصاحبه المخرج اللبنانى** « **برهان علوية** » وهو مذبحة من تلك المذابح التى اشتهر بارتكابها الجيش الاسرائيلى ضد الجماهير الكادحة الفلسطينية .. وقعت احداثها الدامية قبيل العدوان الثلاثى بساعات معدودات .

وفيلم « **عمال عبيد – جيرانكم** » لصاحبه المخرج الموريتانى « **محمد هندو** » وهو من افلام السينما السياسية .. جرىء فى كل شىء .. جرىء فى موضوعه جرىء فى اسلوبه بل قل فى اساليبه .

وفيلم « **رسائل من سجنان** » لصاحبه المخرج التونسى « **عبد اللطيف بن عمار** » وهو يدور حول مأساة طالب يترك المدرسة اثر اغتيال ابيه برصاص عصابة اليد الحمراء الفرنسية ليعمل بمطبعة حيث يكتسب الوعى فيختار طريق النضال العمالى ويموت مستشهدا فى سبيل تونس اما النوع الثانى من الافلام العربية فقد اتسم بالغلو فى سذاجته وتفاهته على وجه من شأنه ان ينحط بفن السينما الى أسفل سافلين .

ومن هذا النوع الافلام الروائية الطويلة التى ارسلتها مؤسسة السينما السورية وبخاصة « **مغامره رأس المملوك جابر** » لصاحبه **المخرج محمد شاهين** وهو شبيه بافلام محمد سالم عندنا .. والفيلم الذى اخطات هيئة السينما المصرية بارساله الى ترطاجة وهو « **الرصاصة لا تزال فى جيبى** » فهذا الفيلم التجارى المتأثر بطريقة هوليود فى صنع الافلام ليس مكانه مهجان ترطاجة الذى من بين اهدافه محاربة العقلية التى ترى ان السينما ليست من الفن وتجنح الى اعتبار الفيلم سلعة تباع وتشترى كالصابون ومبيدات الحشرات ، وما الى ذلك من سلع الاستهلاك اليومى .

وعلى كل فقد كان من اثر هذا الخطأ ان افتضح امر السينما التجارية فى مصر ... كم هى ضحلة .. مستهترة .. مستخفة بعقل الجمهور مصدقة لما اعتادت ان تنشر من أكاذيب .. وقد كشفت عن كل ذلك الندوة التى انعقدت لمناقشة فيلم « الرصاصة » فى اليوم التالى لعرضه .. استهلها **حسام الدين مصطفى** مخرج الفيلم بالقول بأنه اراد بالرصاصة أن يؤرخ لفترة تبدأ من هزيمة الخامس من يونية الى انتصار السادس من اكتوبر .. فلما صدقه الملا من النقاد وبدأت المناقشة تدور حول « الرصاصة » باعتباره فيلما سياسيا تاريخيا اذا بصاحب الفيلم يتراجع فى هلع عما قال ، ويحتمى بالفن والفن من فيلمه براء .. واذا يتخبط كالوطواط المذعور ويلقى بمسئولية الهزيمة على الشعب المصرى .

وحاول « **محمود ياسين** » نجم « الرصاصة » أن يصحح للمخرج اخطاءه فاذا به يحمل الجيش المصرى مسئولية الهزيمة بدلا من الشعب وينعته بالنازية وهو نعت لم نسمع به من قبل ، وأولى ان ينعت به الجيش الاسرائيلى صاحب مذابح دير ياسين وكفر قاسم .

ولم ينقذ الموقف الا **محسنة توفيق** حين عقبت على لغو المخرج ونجمه فبرأت الشعب المصرى من مسئولية الهزيمة وبرأت جيشنا الوطنى من تهمة النازية .

وختاما فلعله من أهم ايجابيات المهرجان العربى الكبير انه كشف عن وجود صنفين من السينما .. سينما تعمل من أجل المستقبل لان افلامها تلتزم بقضايا الجماهير الكادحة « ككفر قاسم » و « عمال عبيد » و « رسائل من سجنان » وسينما أخرى ترتد بنا الى الماضى لان اصحابها مرتزقة لا تلتزم افلامهم الا بخدمة قضايا اعداء الغد المغرد .]

ملحق الأدب والفن

صفحة ١٤٧


حامد عبد الله

- أزمة الثقافة فى مصر
- أسبوع الثقافة العراقى
- عن الطيور المهاجرة




جون ديوى

- التتارية والفكر المستورد
- التكنولوجيا .. والفقراء
- علم النفس السوفييتى المعاصر

فى هـذا العـدد

ندوة « الطليعة »
حول
أزمة الثقافة المصرية

شارك فى الندوة [حسب الترتيب الابجدى] :

- أحمد عباس صالح
- السيد ياسين
- د. عبدالمنعم تليمة
- لطفى الخولى
- محمد عفيفى مطر
- محمود دياب
- مصطفى درويش
- نعمان عاشور

اعد ورقة الحوار وادار الندوة :

فاروق عبد القادر

أحمد عباس صالح

كاتب سياسى ، ناقد ادبى كتب كتابه « اليمين واليسار فى الاسلام » فأثار جدلا واسعا رئيس تحرير مجلة « الكاتب » من يناير ٦٤ الى ديسمبر ٧٤

السيد ياسين

رئيس وحدة بحوث الجريمة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية ، يعمل بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . من كتبه المنشورة : « التحليل الاجتماعى للادب »، « الشخصية العربية بين المفهوم العربى والمفهوم الاسرائيلى » .

د . عبد المنعم تليمة

استاذ مساعد للنقد الادبى بجامعة القاهرة . من كتبه المنشورة مقدمة فى نظرية الادب له دراسات أدبية ونقدية عديدة

لطفى الخولى

كاتب سياسى ، مسرحى وقصاص وسينمائى ، من اعماله المنشورة مسرحيتيا « القضية » و« الارانب » فى ومجموعتا القصص : « رجال وحديد » و « ياقوت مطحون » .. رئيس تحرير مجلة « الطليعة » منذ صدورها فى يناير ١٩٦٥ .

محمد عفيفى مطر

من اهم الاصوات الشعرية الشابة فى العالم العربى ، له خمس مجموعات منشورة من بينها « ملامح الوجه الانبا دوقليس» و «كتاب الارض والدم » ، « شهادة البكاء فى زمن الضحك » .

محمود دياب

مسرحى وروائى وقصاص ، من اعماله المنشورة مسرحيات « الزوبعة »، « ليالى الحصاد »، « باب الفتوح » ، ومن قصصه القصيرة « خطاب من قبلى »، ومن رواياته : « الظلال فى الجانب الاخر » و « احزان مدينة » .

مصطفى درويش

ناقد وكاتب سينمائى ، محرر السينما بمجلة « الكاتب » حتى سبتمبر ١٩٧٤ ، شغل حينا منصب مدير الرقابة على المصنفات الفنية .

نعمان عاشور

مسرحى وكاتب ، قاد موجة كاملة من كتاب المسرح المصرى منذ منتصف الخمسينيات ، من اهم أعماله المسرحية : « الناس اللى تحت » ، « الناس اللى فوق » ، « عيلة الدوغرى » ، « بلاد برة » ، « سر الكون »، وآخر أعماله « رفاعة الطهطاوى أو بشير التقدم » .

دعت « الطليعة » الى ندوة لمناقشة الازمة التى تجتازها الثقافة المصرية فى المرحلة الراهنة ، وقـد حرصت « الطليعة » على دعوة أكبر عدد من المفكرين والكتاب الذين يمثلون مواقف فكرية متباينة ، اعتذر البعض عن المشاركة ، ووضـع البعض شروطـا لا يمكن تلبيتها ، وتعلل البعض الثالث بأعذار طارئة .

وكانت ورقة الحوار المقدمة للندوة كما يلى :

« ان الثقافة المصرية تجتاز ازمة حقيقية فى المرحلة الراهنة ، ويمكننا تلمس ملامح هذه الازمة من خلال جوانب متعددة تشير كلها الى العمـل على تسييد اتجاه واحد فى فهم الثقـافة ، تزدهـر فى ظله قيم واتجاهات متخلفة فى معظمها ، ولا تلائم طبيعـة المرحلة . ولا تجد الاصوات الداعية لقيم واتجاهات أخرى منابر ملائمة للتعبير عن وجهات نظرها ، ذلك لان « قنوات التوصيل » الثقافية ـ من المبدع الى المتلقى ، بل وتوصيل الثقافة العصرية والملائمة للمبدع نفسه ـ ، هذه القنوات تحت سيطرة العاملين على تسييد هذا الاتجاه الواحد .

« ويمكننا أن نضرب الامثلة فى عديد من وجـوه الانشطة الثقافية :

« اولا : بالنسبة للنشر : الملاحظ ان دار النشر الوحيدة التابعة لوزارة الثقافة مقلة فيما تنشر ان قارناه بما كانت الهيئة نفسها تنشره خلال سنوات الستينيات ، كما أن الاسعار التى تحـددها لمعظم انتاجها يجعله فوق متناول القارىء متوسط الدخل ، وبصفة عامة فان اسعار منشورات الهيئة ـ عدا بعض السلاسل والدوريات ـ فى ارتفاع مطرد وبنسب كبيرة .

وبالنسبة للسلاسل والدوريات ، فقد كانت الهيئة تنشر سلاسل متعددة فى التـاريخ والمسرح والعلم والثقافة المبسطة فى غير ذلك ، توقفت هذه السلاسل أو لم تعد منتظمة الصدور ، تقلص ما يقدم منهـا بالاضافة لارتفاع اثمانها كذلك .

وفيما يتعلق بالمجلات الثقافية فان قضيتها معروفة التفاصيل : لم تعد وزارة الثقـافة تصـدر الان من المجلات سوى « الثقافة » ويرأس تحـريرها وزير الثقافة نفسه حتى عددها الاخير الذى صدر باسم نائبه فى تحريرها من قبل ، وقد أصدرت المجلة ملحقا باسم « التحرير » تحول لمجلة اسبوعيـة . برأس تحريرها أحد وكلاء الوزير ، بالاضافة لرئيس تحرير « الثقافة » المشار اليه ، و « الجـديد » التى يرأس تحريرها ـ منذ البداية ـ الدكتور رشاد رشدى ، وتصدر سلاسل متعددة باسم كتاب الجديد ومختارات الجديد وغيرها ، بالاضافة لمجلة « الكاتب » بعـد تصفية هيئة تحريرها ، وقد صدر العددان الاخيران منها بغير رئيس تحرير معروف ، ويضمهـان خليطا غير متجانس من المواد الفكرية والادبيـة ، ومجلة للمسرح والسينما لا تتجاوز ـ مضمونا وشكلا ـ اى مجلة أسبوعية مصورة تهتم بأخبار النجوم ، وتدافع عما تقدمه الوزارة فى هذين المجالين .

« هذا فقط ما تقدمه وزارة الثقـافة من دوريات ومجلات ، تتضح فيه محاولة فرض هذا الاتجـاه الواحد ذى القيم المتخلفة ، ويشرف على اصدارها هؤلاء المعروفون بولائهم الشخصى أولا ، واتجاهاتهم الفكرية المعادية للتقدم ثانيا .

« ثانيا : بالنسبة للمسرح : الواضح ان المسرح التجارى — بكل قيمه واساليبه — هو السائد تماما. والاعمال التى تقدمها هيئة المسرح لا تختلف عن هذا المسرح فى شىء ، ومن المتفق عليه — بين المسرحيين على وجه العموم — ان الهيئة لا تقدم افضل الاعمال التى تقدم اليها ، وان رغبات المسئولين ونزواتهم — وكلهم من دعاة هذا الاتجاه الذى اشرنا اليه — هى المرجع الاخير ، بالاضافة لدور الرقابة والترهل الادارى للهيئة ، وعدم وجود تخطيط لما تقدمه .. الخ .

« ثالثا : بالنسبة للسينما : سيادة السينما التجارية ، أيضا ، بكل قيمها ، ودعم وزارة الثقافة لهذه السينما ، وتكريسها مثلا أعلى للانتاج المطلوب، بالاضافة لتعثر محاولات التجريب ، وحصار الافلام التى تقدم اتجاها يحمل قيما مختلفة عن قيم السينما التجارية .

« رابعا : بالنسبة للفنون التشكيلية : من الواضح أن هناك اهمالا كاملا لهذا الجانب ، بل ومحاولات لانتزاع المكاسب القليلة التى تحققت للفنانين والجمهور : قاعات العرض ،نظام التفرغ ،المقتنيات، توفير الخامات والمواد الضرورية ... الخ .

« خامسا : بالنسبة لتوفير المراجع — من كتب ودوريات ومجلات — للباحثين والمتخصصين من ناحية ،والقراء المهتمين من الناحية الاخرى فان هناك تقصيرا ملموسا بهذا الصدد ، وان الباحثين والقراء يجدون كل العناء فى الحصول على ما يريدون ،ولعل معظمهم لا يبلغ من ذلك شيئا ، فيبقى على ما هو عليه ، دون قدرة على متابعة الجديد فى موضوع تخصصه او اهتمامه ، فى الوقت الذى تمتلىء فيه محلات القاهرة وأرصفتها بكل مستورد من الثياب والعطور والخمور ... الخ .

ويمكننا أن نضيف هنا تعثر الخدمة فى دار الكتب الموزعة بين مقريها : القديم الذى أصبح غير نادر ، والجديد الذى لم يكتمل بعد .

« سادسا : انخفاض مستوى خريجى المعاهد الفنية ، بنتيجة سوء ادارتها ، وتخلف مناهجها على وجه العموم ، صحيح ان هذا وجه من وجوه مشكلة التعليم كلها ، والتعليم الجامعى بوجه خاص ، غير أن هذه المعاهد تقدم النموذج الاسوأ فى الادارة واختيار القائمين على التدريس واعداد المناهج ، بالاضافة لما يلقاه الخريجون — المبعدون فى معظمهم عن ممارسة الاعمال التى أعدوا لممارستها .

« سابعا : اذا نظرنا نحو الاذاعة والتليفزيون ، فسنلاحظ بشكل عام تخلف البرامج وتكريسها لقيم هذا الاتجاه نفسه ، ونشير اساسا الى البرامج الثقافية أو التى تطمح لأن تكون كذلك، تقلصت هذه البرامج فى الاذاعة والتليفزيون معا ، واصبحت البرامج ذات الطابع الخفيف والتصير واحاديث النجوم هى السائدة ، والاقوى تأثيرا فى تشكيل الرأى العام ، وترسيخ قيم خاصة فى وجدانه .

هذه القيم — فى معظمها — لا تلائم المرحلة التى نعيشها ، ولا تعد جماهير الشعب لتحمل أعبائها .

« ثامنا : خنق كل محاولات اقامة اتحاد ديموقراطى للكتاب والفنانين ، ووضع العقبات امامها ، بحيث لا يبقى لهم دور فى وضع سياسة الحياة الثقافية وادارتها ، فليس ثم غير جمعية هزيلة للادباء ، يتولى سكرتيريتها وزير الثقافة نفسه ،وتظل سياسة الحياة الثقافية تحددها « قرارات فوقية » يصدرها الداعون لسيادة هذا الاتجاه الواحد ، ويظل الكتاب والفنانون مشرذمين ومبعثرين لا تظلهم مظلة ما ، خاصة هؤلاء غير المنتمين لنقابات مهنية أخرى .

« تاسعا : فقدان جسور التواصل — الى حد كبير — بين الكتاب والفنانين فى مصر ، ورفاقهم فى بقية بلاد العالم ، والثالث بوجه خاص ، مما يفقدهم الافادة من خبرات هؤلاء فى مواجهتهم لقضايا متشابهة وهموم مشتركة ، واهم اسباب هذا الفقدان أن المنح الدراسية والرحلات والزيارات والدعوات ... الخ هى بين أيدى المسئولين عن هذا الاتجاه نفسه ، والموالين لهم ، وهى بالتالى من نصيبهم .

« عاشرا : عدم فاعلية الاجهزة الاخرى المتصلة بالثقافة خارج نطاق الوزارة ، ونشير بشكل خاص الى « المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية » ، ففيما عدا منح الجوائز — وهذه يثور حولها الخلاف معظم الاحيان — فهو لا يكاد يقوم بشىء فى التخطيط للاحتياجات الثقافية والعمل على تلبيتها .

. ولعلّ هذه الوجوه العشرة ان تكون كاشفة عن أبرز جوانب الازمة التى تمر بها الثقافة المصرية فى المرحلة الراهنة .

ويقتضينا الانصاف أن نقول بأن هذه الازمة ليست بنت اليوم ، لكنها حصاد سنوات طويلة من احتقار العمل الثقافى ومحاولة حصاره .

والمطروح للمناقشة هو :

أولا : اذا كان هذا التشخيص صحيحا ، فما السبيل للخروج من هذه الازمة ؟

ثانيا : كيف يمكن ان يلعب الكتاب والمثقفون دورهم فى توجيه الحياة الثقافية ، وتحقيق نوع من الرقابة على القرارات التى تتخذ بشأنها ؟

ثالثا : ما تصوركم لنوعية الثقافة التى نحن بحاجة اليها فى هذه المرحلة ؟

رابعا : أية اضافات اخرى تتناول الظاهرة العامة أو وجها من وجوهها » .

□ □ □

● **محمود دياب** : اقترح اضافة نقطة خاصة بالثقافة الجماهيرية ، فهذا الجهاز يمكن ان يلعب دورا من أخطر الادوار فى الحياة الثقافية .

● **د . عبد المنعم تليمة** : المهم أن نأتى للحركة العامة وسياقها الاساسى ، هناك اجماع على ان الثقافة المصرية فقدت وجهها الوطنى والديموقراطى ودورها بالتالى .. فما السبب ؟ يتبدى فى كل وجوه النشاط الثقافى تسييد اتجاه واحد ، فما ظروفه التاريخية وما ملابساته ؟ .. ثم ما السبيل نحو الخروج الى التنوع والتمايز ؟

● **السيد يسن** : واضح ان هناك تركيزا على الانشطة الثقافية المختلفة ، فهل هذه هى القضية المطروحة .. أم ان المطلوب تأصيل الحوار حول هذه الازمة وجوانبها المختلفة ؟

● **لطفى الخولى** : حددت ورقة العمل المقدمة من زميلنا فاروق عبد القادر ثلاث نقاط : الاولى هى تحديد نوعية هذه الازمة والسبيل الى الخروج منها ، الثانية هى تصوركم للثقافة التى نحن بحاجة اليها .. أى طرح البديل ، الثالثة هى دور المثقفين .. أى كيف تكون المواجهة الان . ونبدأ بالنقطة الاولى .

● **د . تليمة** : فى تقديرى أن الازمة الثقافية لا يمكن ان تناقش فى تحديدها الموضوعى الا فى ضوء مجمل الحركة العامة ، واذا كنا بصدد تحديد الازمة التى استمرت حوالى ربع قرن فالاساس هو طريقة ادارة الحياة العامة سياسيا ، أعنى الشمولية وتحكم طبقة واحدة من الطبقات الوطنية وفرض ظلها فى ميدان الثقافة ، بحيث ابتعدت أو عزلت كافة الاتجاهات الاخرى الوطنية والديموقراطية والثورية وحرمت من التفاعل والمشاركة واعداد الجماهير لصد العدوان والتخلف .

ان بلادنا تخوض معركة تحرر وطنى فى اطار الثورة الوطنية البورجوازية ، وقد حدث تأصيل لقيادة العمل الوطنى اقترب من الحكم المطلق وعبادة الفرد ، وأدى هذا — فى المجال الاجتماعى والوطنى — لانجازات لا يمكن انكارها ، لكننى أفرق بين هذه الانجازات وفكر ثورة ٢٣ يوليو ، اضع هذا الفكر فى اطار الاجتهادات الوطنية لكننى أقول ان ثمة قوى اخرى لم تشارك ، ولم توضع ابداعاتها فى مجال الثقافة ، فانفراد البورجوازية بالسلطة وتسييد فكرها الوطنى الذى يعزل الاتجاهات والمدارس والتيارات الاخرى .

● **لطفى الخولى** : هذه التيارات التى عزلت بعد ٢٣ يوليو كانت قائمة قبلها .. فكيف عزلت ؟

● **د . تليمة** : قادت ثورة يوليو المجتمع لانجازات ووضعت مواثيق ، لكن تأميم الصحف وملكية النشر لم يكن تأميما بقدر ما كان امتلاكا للرأى ، وانا كأستاذ جامعى لن ينشر لى شىء لو لم أكن مؤمنا بفكر ٢٣ يوليو وهكذا حيل بين أى فكريات اخرى نتيجة هذا التأميم .

● **عفيفى مطر** : الحقيقة ان الحركة الاجتماعية والثقافية بحاجة الى توصيفها توصيفا علميا لم يتم خلال العشرين سنة الماضية ، وطبيعى انه لم يحدث قبل ذلك نتيجة الاستعمار والقوى الاجتماعية المسيطرة ، ولكن حتى الان لم يتم توصيف الحياة الاجتماعية وفرز الطبقات ، ان الفكر العلمى قد أخذ بمنحى عاطفى ومخلص ثورياً لكن الدراسة العلمية للمجتمع المصرى لم تحدث ، فلست أعرف دراسة علمية بهذا المعنى لقرية مصرية واحدة ، من هنا نشأت أزمات داخل الثقافة بحكم أن لها قوانينها الخاصة وان كانت خاضعة للقوانين العامة ، فساد الاضطراب فى استخدام المصطلح ، ان الفكر العلمى لم يقدم انجازا يضاهى عظمة المنهج ، أى لم يستخدم هذا المنهج لدراسة الواقع المصرى .

● **عباس صالح** : قبل يوليو كانت الثقافة السائدة انعكاسا للسلطة الرأسمالية الاقطاعية التى تحكم البلاد بطريقة متخلفة ، وكان يسودها فكر يمثل مصالح هذا النظام ، وفى الجانب الاخر كانت محاولات الطبقات المضادة للتعبير بوسائل مختلفة ، ويقال أن الطابع العام لهذه المرحلة كان ليبراليا ، لكننى اعتقد ان هذا خطأ ، كان هناك تيار ليبرالى ، لكن التيار السائد كان متخلفا بوجه عام ، ولم تكن الليبرالية ممثلة للمصالح العليا

للشراى والاقطاع ... الخ ، وكانت الثقافة الاشتراكية تجد طريقها معبرة عن الفلاحين والعمال وفقراء المثقفين فى مواجهة الظلم والقهر . وحين جاءت ثورة يوليو كان المفروض انها استخلصت فكرها من مقاومة السلطة القائمة ، والثورة الثقافية ظاهرة مصاحبة للثورة الاجتماعية ، وقد قامت ثورة ثقافية فى الحدود التى تسمح بها مفاهيم ٢٣ يوليو التى تخدم البورجوازية الصغيرة ، وبقدر اجتهادها ، فرفض الفكر الاقطاعى والراسمالى والمتطلع للغرب دون تمييز ، واذا رجعنا الى السنوات من ٥٢ الى ٦٠ فسنجد ان فكر الطبقة العاملة والفكر الاشتراكى بوجه عام لم تكن تتاح له فرصة كافية ، ومنذ التأميمات وجد هذا الفكر مدا انعكس على الاجهزة الثقافية . ان ثورة يوليو هى التى انشأت وزارة الثقافة ، ومجلس الفنون ، والمعاهد الفنية ، واهتمت بدراسة الفلكلور وتطويره ، واذا نظرنا الى خطها البيانى عموما فسنجد ان الثقافة الاشتراكية كانت فى تصاعد رغم القلاقل الاجتماعية والسياسية .

غير اننا نلاحظ الان ان كثيرا من القوى الاجتماعية — نرى انها قوى متخلفة ومعادية للاشتراكية — تتحرك لضرب ثورة يوليو نفسها والانتكاس بانجازاتها الاجتماعية والثقافية ، ان العدوان على الثقافة الان مرتبط بالهجوم على ثورة يوليو نفسها ، والازمة الراهنة يمكن تاريخها بتلك النزعة المفاجئة التى ظهرت لدى التيار اليمينى الرجعى للهجوم على نظام يوليو والدعوة لهدمه ، ولابد ان يهدم بالتالى ثقافة هذا النظام أيا ماكان رأينا فيها . تاريخ الازمة اذن لا يرجع لخمسة وعشرين عاما ، فموضوعيا كانت الثقافة متقدمة بشكل عام ، وتلائم احتياجات مجتمع فى طريقه للنمو ، هذه الثقافة تقمع الان ، فالرجعية التى وثبت لمقاعد السلطة فى المجال الثقافى وغيره تريد ان تستأصل كل شىء ، وهى ذات ثقافة متخلفة ، والتصدى لها يجب ان يضع فى اعتباره انها محاولة لصد التقدم المصرى حتى بصرف النظر عن الطابع الطبقى ، فهى لا تقدم قيما ثقافية تمثل يمينا مستنيرا ، لكنها تقدم فكرا منحطا حتى على مستوى الشكل الفنى ، وقد بدا هذا كله منذ اعتقدت هذه الفئات أنها تستطيع أن تعود بمصر الى ما قبل ٢٣ يوليو . هذا فى رأيى هو اطار الازمة والتصدى لها .

● **محمود دياب :** يتحدد الموضوع فى رأيى بافتراض وجود أنشطة ثقافية متعددة ومتنوعة كانت فى تصاعد ثم أوقفت ، واعتقد ان سيطرة مسئولين ذوى فكر معين على وزارة الثقافة هو سبب النكسة ، هذا الفكر مرتبط بما قبل ٢٣ يوليو كما قال عباس صالح ، ويمكننا ان نحدد بداية الانحدار بسنة ٦٧ ، وقبلها كانت الثقافة تمثل الحد الادنى من معطيات ٢٣ يوليو ومنجزاتها ، فقد انشأت وزارة الثقافة بهدف الوصول الى جماهير [التحالف] ، وقبل ٦٧ كانت هناك ثقافة بها جانب اشتراكى ، وكانت هناك محاولات للوصول بها الى الجماهير ، لكن هذه المحاولات توقفت ثم انتكست ، وأضرب مثالا : ان الثقافة الجماهيرية كانت تقدم زادا حقيقيا للجماهير ، ثم توقف هذا حتى انعدم تقريبا . اذا اعتبرنا ان مهمة وزارة الثقافة ذات جانبين هما تبنى قضايا الجماهير ، ثم العمل على الوصول لهذه الجماهير ، فسنجد الان ان هذه الوزارة قد أصبحت بلا مبرر وجود ، فلا هى تتبنى قضايا الجماهير ، نتيجة خضوعها لفكر رجعى متخلف ولا هى تعمل للوصول الى هذه الجماهير : المسرح بلا جمهور لانه ليس مرتبطا فى الاصل بقضايا الجمهور ، انهم يستوردون له القضايا ويمصرون له أحط المسرحيات الناجحة فى برودواى أو البوليفار ، كذلك لم يعد يعنيهم ان يكون بلا جمهور كما هو حادث الان ، وكذلك الامر بالنسبة للكتاب : فأسعاره ترتفع لتحقيق نفس الهدف ، ولو كانت وزارة الثقافة تؤمن بالجمهور حقا لعملت على توفير الكتاب بثمن معقول ، وكذلك فى السينما : لانها انفصلت عن الجماهير وقضاياها اقتصرت على القيام بدور المنتج أو الموزع للقطاع الخاص الذى يقدم ما يشاء . باختصار : ان وزارة الثقافة لم تعد تلعب دورها ، وتخلت عن الجماهير ، لان المسئولين عنها يعتقدون ان المسار الاشتراكى ليس هو المسار الحقيقى أو المطلوب الان .

● **نعمان عاشور :** أبرز منجزات ثورة يوليو فى هذا المجال انها أنشأت وزارة للثقافة ، وكان هذا يعنى أن الدولة ستلعب دورها من خلال القطاع العام فى المسرح والسينما والنشر .. الخ ، وكان هذا يتفق تماما مع التطور الاجتماعى واحتياجات مجتمع يحاول ان يجد لنفسه صياغة جديدة ، لم تكن القضية ثقافة اشتراكية أو غير اشتراكية ، لكنها كانت ان الدولة بدأت تعى دور الثقافة كعصب للنضال السياسى والبناء الاقتصادى ، ولابد ان تتلاءم مع الابنية الجديدة [التأميم — القضاء على الاقطاع .. الخ] ، وقد حملت الدولة عبء هذا الدور لمراحل بعيدة خلال الفترات الماضية . أما الان فقد تعثر هذا الدور أو اوقف . هل تخلت الدولة عن مبادئها ؟ هل تراجعت عن مبادىء ٢٣ يوليو ؟ .. لا ، فما زالت تعلن أنها ملتزمة بجميع مواثيقها ، قد نتفق حول بعض القضايا وقد نختلف ، لكن هناك وضعا قائما لا خلاف عليه يتمثل فى أن كل المؤسسات الثقافية التى وجدت ، ومن خلالها أوجدت حاجة لثقافة جديدة ، بدأت الان تلعب دورا آخر يتمثل إما فى ايقاف الخدمة التى تقدمها للجماهير أو خدمة المسيطرين عليها من الافراد ، وتحولت حرية التعبير الى حق التعبير ، واصبح هذا الحق قاصرا على من بيده الاجهزة الثقافية ، ومن بيده هذه الاجهزة يعادى الثقافة الجادة التى تخدم مصالح الجماهير ونضالها الوطنى ، وهذا يتمثل فى كل شىء : مسرح ، سينما ، نشر ... الى آخر ما جاء فى ورقة العمل التى اتفق معها كل الاتفاق .

● **السيد يسن :** أود ان أعلق على نقطة فى حديث مليجى مطر لا علاقة لها بالتيار السائد فى الثقافة او غيره ، لكنها متعلقة بما يمكن تسميته ضعف الفكر الاجتماعى وعجزه عن تشخيص واقع هذا المجتمع ، وهذا شىء ورثناه عما قبل ٥٢ ، (ولعلنا نذكر هنا أن بعض الاعمال مثل كتاب صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية ، وبعض اعمال خالد محمد خالد التى ظهرت قبل ٥٢ حاولت الاقتراب من هذه النقطة ، على نحو غير دقيق ، لكنها لفتت النظر لجسامة الخلل فى المجتمع المصرى) بعد ٥٢ لم يحدث استمرار للفكر النقدى الاجتماعى ، ولهذا أسباب متعددة تتجاوز غلبة تيار واحد ، من بينها نمو المعارف العلمية وأجيال الاساتذة الذين تعلموا على النهج الغربى [. والامريكى بوجه خاص :

الذى يقوم على جمع البيانات وتحليلها ، وينفر من التنظير] ، ونجد أعمالهم اما كتابات تأملية تفتقر للمنهج الخلاق واما تجريبية فجة تقوم على تجميع بيانات جزئية يعجز الباحث عن استخلاص نتائجها الكلية . وخارج الاطار الاكاديمى فالكتابات التى نجدها أيضا اما انها تأملية انطباعية أو اكاديمية عقيمة . حتى احتياجات الجماهير لم يتم قياسها ...

● **محمود دياب** : كانت هناك محاولات لهذا القياس فى الثقافة الجماهيرية لكنها اجهضت .

● **السيد يسن** : ونحن كمثقفين ننطلق من اضطراب فى المصطلح ، ننطلق ، مثلا تعميمات عن البورجوازية دون ان نحدد تماما مدلولاتها وتجسداتها فى الفكر والتطبيق .

النقطة الثانية أثارها عباس صالح حول أن كل ثورة لابد ان تصاحبها ثورة ثقافية . وأنا أطرح السؤال : **لماذا لم تقم ثورة ثقافية بعد يوليو ؟** قد يكون السبب كامنا فى الصيغة التى اختارتها ثورة يوليو نفسها ، هذه الصيغة التى تقوم على التوازن دون الصراع ، او تأميم الصراع وضبطه بيد السلطة من خلال اجهزة بيروقراطية لا رقابة شعبية ، انعكس هذا ايضا فى محاولة ايجاد توازن بين الفكر الرجعى والفكر الثورى فى الاجهزة الثقافية [وفى لجان المجلس الاعلى بالذات تسيطر بعض الوجوه الرجعية على اللجان وتمكن رسميا من أدانة الابداع الجديد] .

النقطة الثالثة هى الانفصال بين الصفوة والجماهير ، فكثير من وجوه الابداع الثقافى القائم استهلاك لاقلية ضئيلة ، فكيف نسد الفجوة بين الصفوة وأكثر من ثلاثين مليونا لا يدركون أبعاد هذه « الثورة الثقافية » ، اننى لا اتعرض هنا لمشكلة الامية فقط ، لكننى اقول ان كل ما نناقشه ونتحدث منه يظل بلا قيمة ان لم نخرج لهذا الانسان المصرى بأوسع الابعاد . ترتبط بهذا قضية اخرى هى ما تعرف بالاصالة والمعاصرة ، فبعد كل المناقشات التى دارت وتدور حول هذه القضية لدى انطباع بأن هذا جدل فوقى لاعلاقة له بالجدل القائم على مستوى السلوك الاجتماعى ، والذى تحسمه ممارسات الفئات الاجتماعية دون مناقشة بيزنطية .

نقطة اخيرة : **ان أحد انجازات ثورة يوليو هو وجهها العربى الصريح** ، أى الالتحام والالتزام بالحركة الثورية العربية ، هذا الالتزام لم يصحبه اهتمام واضح بالفكر العربى ككل ، فما زال الاديب أو المفكر العربى مغتربا فى مصر ، وقد بدا تحسن نسبى فى السنوات الاخيرة نتيجة اهتمام بعض النقاد الشبان ، لكن هذا كله يعكس عجز الحركة الثقافية عن مواكبة الصيغة السياسية التى وضعتها ثورة يوليو .

● **مصطفى درويش** : ما اثاره الاستاذ يسن كان موجودا منذ بداية ٢٣ يوليو ، ولا تستطيع اعتباره بداية لازمة ، فقد كان يمكن ان يكون دافعا للتخلص من هذه العيوب ، والنقطة الاخيرة التى اثارها بوجه خاص قد لاحظت فى مهرجان قرطاج السينمائى الذى عقد فى الشهر الماضى ان هناك شبه رقابة على مستويات مختلفة لفرض ثقافة مصرية والحيلولة دون ثقافات عربية أخرى أن تصل لمصر . لكن من الواضح أن المسألة تنتكس هنا وفى كل مجال آخر حتى محو الامية ، وقد قرأنا أخيرا لاحد المحافظين بأنه من مصلحتنا ان تظل الاغلبيه امية ، اذن هناك فئات لها مصالح فى استمرار الامية والنكسة الثقافية الراهنة .

غير ان القول بان هناك ثقافة اشتراكية مهددة قول فيه مغالطة ، ان المهدد بالفعل هو الثقافة الوطنية التى نحاول انقاذها من ردة دفعت بمسؤول كبير لمنع عرض فيلم لانه ضد المخابرات المركزية الامريكية ، وأعتقد أنه لم تكن هناك ثقافة اشتراكية فى مصر يوما ما ، وجوهر القضية فى هذه الندوة هو حماية الثقافة الوطنية من ردة غير وطنية ، والبداية مع نكسة ٦٧ لا تنفصل عنها ، فهذه لم تكن مجرد هزيمة عسكرية ، لكنها كانت هزيمة فى جميع المجالات : اقتصادى واجتماعى وثقافى ، الى جانب التمهيد لنكسات اخرى ، فالرجعية والقوى المعادية تبدأ بالثقافة دائما ، والخط البيانى من ٦٧ فى نزول مستمر الى حالة أدت بنا لحضور مثل هذه الندوة لمناقشة الازمة ، وهذا فى رأيى تمهيد لكارثة قادمة ، خاصة اننا فى مواجهة خطيرة مع العدو الصهيونى والامريكى ، ويجب أن تكون الثقافة على مستوى المعركة ، لكن المسئولين عن هذه الردة يصفون الان كل العناصر التى يمكن أن تدفع الثقافة لخدمة القضية الوطنية ، وهذا يعكسه الان ما يحدث فى مجالى السينما والمسرح وغيرهما : فى السينما صفى القطاع العام تقريبا وسلم لرجال القطاع الخاص ، الممثلين الطبيعيين للفئة التى يهمها تصفية هذا القطاع فى مجال الصناعة أيضا ، أعنى أنه تمهيد واضح لتصفيته فى القطاعات المؤممة الاخرى ، والمشرفون على ما تبقى من هيئة السينما يعملون لحساب القطاع الخاص ، نكسة السينما اذن مرتبطة بتصفية القطاع العام ، لهذا لا أوافق على كلام د . تليمة الذى يرفض وجود تيار تقدمى ، فقبل ٦٧ كان هناك تيار ثقافى وطنى يعبر عن كل الفئات ويقدم نفسه على المسرح وفى أفلام تقدمية ، وكانت هناك امكانيات لتصاعده ، هذا التيار هو ما انتكس فى ٦٧ ولازال منتكسا ، والحلقة الرئيسية الان هى الدفاع عن القطاع العام فى المسرح والسينما والمجالات الاخرى ، وتأميم صناعة السينما تأميما شاملا انتاجا وتوزيعا .

● **لطفى الخولى** : تعبير الازمة تعبير غير دقيق ، فالثقافة ليست كالانتاج المادى لانها تتصل بأمور معنوية من حيث هى انتاج روحى ، هى انعكاس للواقع الاجتماعى وحوار معه ، وهذا هو الجدل بين الواقع والثقافة ، من هنا فموقف المثقف نقدى حتى لو كان يمينيا فى مجتمع يمينى [بلزاك كاتب يمينى فى مجتمع يمينى ، لكن موقفه النقدى جعل لينين يصفه بأنه أعظم الكتاب الواقعيين ، كذلك تولستوى ... الخ ، نفس الشىء عندنا يصدق على طه حسين أو الحكيم أو على عبد الرازق ... الخ] ، هذا الجدل يجعل فئة المثقفين — النابعين من طبقات اجتماعية مختلفة — فى ازمة مع الواقع ، وهذه ظاهرة صحية ومنبع للابداع ، لكن ما نحن فيه ، **وما نسميه ازمة انما هو ناتج عن شىء آخر : عن محاولة تطويع كل**

النشاط الثقافي لخدمة اتجاه واحد يمثل الردة اليمينية في مصر . ودون دخول في التفاصيل التي اثارها الزملاء يمكن القول بأن هناك ثلاث تيارات متميزة في الثقافة والتفكير : اليميني الذي يرى انه لابد من العودة لقيم السلف الصالح ، ويرى ان ما هو قائم كفر او استيراد مبادىء او تقليد .. الخ ، والمحافظ الذي يرى ويوافق على ما تم انجازه ، ويعتبر انه ليس في الامكان ابدع مما كان ، فلا خطوة للامام ، ولاخطوة للوراء ، ثم التقدمي الذي يرى ان ما هو قائم ليس الا حلقة لها غد اكثر تقدما ،وهؤلاء اصحاب النظرة العلمية الجدلية الشاملة ، والازمة الان هي انه نتيجة للقضية الوطنية وتعقيداتها ، وعدم مصاحبة التحولات المادية بحركة ديموقراطية واسعة تضمها الجماهير صاحبة المصلحة في التحول وتدفعها للامام ، **ان قوى الردة – مستغلة الازمة الاقتصادية** وقضية التحرر الوطني ، وبعض اخطائنا نحن كيسار، وما صاحب تجربة يوليو من الخطاء والتهاك لبعض القيم الانسانية — كي تقول : اننا هزمنا لاننا ابتعدنا عن الله ، او خرجنا عن اطار السلف الصالح ، او استوردنا المبادىء ... الخ ، وفي غياب الحركة الشعبية الديموقراطية القوية استطاعت ان تصبح لها اليد العليا في بعض امور الثقافة وان تستدرج لوقعها قوى وطنية ، خصوصا انه في المجتمع الذى صاغته ٢٣ يوليو ـ وفي العالم الثالث على وجه العموم — تلعب الدولة والسلطة دورا رئيسيا في الحركة الثقافية ، لكن هنالك قوى المثقفين انفسهم ، وفي مصر كانت هذه القوى — التقدمية منها بوجه خاص — ولا زالت — بتضحيات جسيمة وببطولات فردية احيانا — تشق الطريق او الطرق للخروج من هذه الازمة ، حتى ان قوى الردة الان تعتبر المحافظين — اى قوى البورجوازية الوطنية — خائنين وترفضهم .

من هنا نأتي للنقطة التي اثارها عباس صالح : أن البورجوازية الوطنية قد انسلخت منها قوى اكثر رجعية وتخلفا لعلها الان لا ترضى بكتاب على عبد الرازق [الاسلام واصول الحكم] أو الشعر الجاهلي أو مستقبل الثقافة في مصر [لطه حسين] أو اعمال بيرم التونسي ، بل لعلها لا تقبل افكار الطهطاوي ومحمد عبده ، ورجال السينما لا يملون « العزيمة » لكمال سليم ، وتكشف المقارنة ان هذه القوى متخلفة كل التخلف عما بلغه المجتمع المصرى والعربي من تطور ، وهي تريد ان ترجع الى ما قبل القرن العشرين ، بل ولن يسكنها او يرضيها سوى العودة لعصر المماليك من الناحية الثقافية ، وانا مع د . تليمة في أن مصر لم تكن أبدا بلدا ذا ثقافة اشتراكية ، يمكن الحديث عن مثقفين اشتراكيين ، بيد انه لا يمكن الحديث عن حركة ثقافية اشتراكية في مجتمع اشتراكي ، وفي كثير من مراحل ٢٣ يوليو كان هناك تفتح لقبول المثقفين الاشتراكيين واسهامهم في المشاركة والحوار ، وهذا ما نفتقده الان .

والذي حدث هو أن حركة الثقافة في مصر وتيارها العام لم ينتكس ، وانما الذى انتكس هو بعض اجهزة الثقافة ، بدليل أن تأثير الثقافة المبعدة عن الاجهزة الثقافية أكبر تأثيرا في الواقع المصري مما يقدم عن طريق هذه الاجهزة ، وبقدر ما حدث من تطور مادى — التنمية الوطنية المستقلة لخلق اسس تمكن من استشراف الطريق الاشتراكي — انعكس هذا القدر على الحياة الثقافية ، لا اكثر . والذى اثار الخلل هو أن نفس الاسلوب الفردى وغير الديموقراطي الذى تمت به — في معظم الاحيان — عمليات التحول المادى ، اعتمد ايضا في المجال الثقافي ، وكلام د . تليمة هنا صحيح ، لكنني اختلف معه في انه لم يحدث تطور ، والا .. فبماذا نفسر ازدهار الفكر العلمى بدرجة لم تكن قائمة من قبل ، وازدهار المسرح منذ اواخر الخمسينات ومعظم الستينيات ، والمدارس الفكرية والمجلات الثقافية والحوار الواسع ، وان حركة النقد الادبى والفنى أصبحت اكثر عمقا وتأثيرا في المجال الثقافى عنه فيما قبل ؟

من هنا فان الازمة في الحقيقة هي ان الكيان القائم الان للثقافة في مصر قد ضاق عن حركة الثقافة، ولهذا نقول ان قوى اليمين تحاول ان تجعل من نفسها الاتجاه الواحد والوحيد ، متخذة اشكالا مختلفة ، عاملة — بقوة القانون الادارى والسيطرة من فوق — على واد تيارات الابداع الحقيقي .. ولكن : هل تستطيع ؟ الاجابة بلا تردد هي : لا ، فعشرات المبدعين يظهرون ، وكل يوم تنشر اعمال جديدة . ويتحدثون الان عن امكانيات قيام سينما عربية ومسرح عربى ، وهذا مفيد ، ولكن المهم ان لا تضرب مصر ككل ثقافي في العالم العربى . من يواجه هذه المسئولية ؟ المثقفون والادارة الثقافية التى تحاول عزل مصر عن العالم العربي وكل قوى الابداع . القضية ليست قضية اشخاص ، لكننا عندما ننقد احدا نخوف بسلطة الدولة وبأننا ضد الدولة وضد ٦ اكتوبر .. كانهم هم وحدهم الدولة و ٦ اكتوبر والامناء على مصر .. وكأننا نحن العرب في اسرائيل!

ما موقفنا نحن ؟ يجب أن نتسم بسعة الافق لابعد حد ، نريد الدخول معهم في حوار مكشوف وشجاع ، من مواقعنا ومواقعهم ، ونريد الا يكون الحوار الديموقراطى قاصرا على الفئة المتحكمة بأجهزة الثقافة، وان تتاح الفرصة متكافئة لجميع التيارات .

النقطة الاخيرة : نحن لا نطرح للخروج من هذه الازمة ان يصبح المجتمع اشتراكيا بين يوم وليلة ، لسنا على هذا القدر من الغفلة ، لكننا نطرح ان يكون تطويرا لثورة يوليو في اطار التنمية الوطنية التى تستجيب للقوى والجماهير المطحونة وتفتح الطريق امام امكانية تطور اشتراكى ، لكنهم ، هم ، الان الذين يتصورون ان هنالك اشتراكية بالفعل ، وان الخارج عليها انما ينتمى لاتجاهات معينة يفتقدون الشجاعة لتحديدها ، لكننا ،نحن ،نمتلك كل الشجاعة كى نقول لهم : أنتم يمين متخلف ، عن العصر ،ورغم ذلك فنحن على استعداد للحوار معكم .

● د. تليمة : اقترب الزملاء لطفى ومصطفى درويش والسيد ياسين من نقطة العلاج ، واود ان اضع امرين كبداية لتشخيص شامل : **اولا : استراتيجية المرحلة** ، ثورة وطنية أم اشتراكية ؟ فهذا يساعدنا على تشخيص الثقافة ، هل نحن بازاء ثقافة وطنية ديموقراطية أم اشتراكية ؟ اننا بحاجة لاحياء تقاليدنا الوطنية ومواصلة الصالح منها وتطويره، والنضال الديموقراطى

من أجل حق كل مواطن وكل اتجاه فى الساحة المصرية . **الامر الثانى : هو اننا عالجنا الثقافة فى الانشطة الثقافية وليس فى الفكر الفلسفى أو الجمالى ... الخ** ، واتفق مع لطفى على ثلاثه أشياء : **الاول** : نوعية الثقافة واستقلالها النسبى ، وهذا لا يتجافى مع طبيعتها الطبقية ، الثانى : أننا لسنا بصدد تجريم أشخاص ، والثالث : هو ضرورة الحوار المسئول والديموقراطى والشجاع مع كل التيارات ، نتصدى لها واعين بمسئوليتنا تجاه جماهيرنا وثورتنا .

وانا لم اقل ان ثورة يوليو لم تنجز شيئا فى مجال الثقافة ، لقد أنجزت ، وتحمل شعبنا تكاليف هذه الانجازات ، لكننى قلت انها قد صاغت لقيادتها للمجتمع وجهة نظر ، نضعها فى سياق فكرنا . **الفكر فكر طبقة ، والانجازات انجازات شعب** . وأنا افرق بين انتقالتين فى مسيرة ثورة يوليو : سنوات **الخمسينات** حين كان قادتها يبحثون عن اطار نظرى لهم ، وسنوات الستينات حين صاغوا فكرا محددا أصبح يرادفه بين المواطنة المصرية والايمان بهذا الفكر ، واذا حاولت التخريج أصادر على الفور ، هذا الفكر وطنى ونضالى وقد أدى دورا بارزا ، لكنه مردود لصياغة طبقية ، أما أنا — المنحاز الى فكر الطبقة العاملة — فأقول ان هذه الطبقة لم تأخذ دورها فى المشاركة فى النضال الوطنى . والواقع أنه منذ سنوات الستينات واكتمال الاجتهاد النظرى لثورة يوليو أصبح الفكر المصرى مسيرا فى اتجاه واحد ووحيد ، انعزل المثقف أوفر بنفسه ، وتخلقت — بدل التيارات والمدارس — الجماعات والشلل ، أصبح المثقف يعيش فى برودة منعزلة ، أو مسايرا فقد فكره وتبنى فكر الاخرين .

واليوم .. تحتدم المسألة الوطنية والصراع الاجتماعى معا ، وهما يوجهان كل المفكرين الى ضرورة مشاركة كل القوى فى ادارة البلاد ، ومشاركة كل قوى تعبيرها فى ادارة الثقافة ، بحيث تتكون لدينا ادبيات للحوار ، وتتسع الصحف والمجلات والندوات لكل الاتجاهات دون ردع أو مصادرة .

● **عفيفى مطر : فى غيبة التنظيمات السياسية استطاعت السلطة اقامة التوازن ، هذا التوازن يجب دراسته مرة أخرى لمحاولة السلطة تليين واخضاع وترويض كل القوى المعارضة لها ، أحدث هذا التوازن** ما أسميه **ثنائية الجدل** ، ولم يحدث الجدل الثلاثى الذى يتخطى ويتجاوز هذه الثنائية حجبت الجدل الاجتماعى عند حد أن السلطة تستخدم الثقافة لتبرير سلوكها ، وحصرت التفكير بين نقيضتين : الحذف والاستبعاد فى مقابل الضم والاستئلاف ، اما الحوار فلم يحدث ، لم يكن جدلا ثلاثيا حقيقيا وحيا ، لهذا فقد الجميع مواقعهم فى قلوب الناس وتأثيرهم على فكرهم ، ولابد ان يقوم المثقفون المصريون بعملية نقد ذاتى كبيرة وواسعة ، فكل الانظمة وجدت من بعض المثقفين الثوريين من يبرر وينظر ما تقوله ، وأصبحت كل علاقتهم بالثقافة هى الشرح والتحليل والتبرير . هذا الجو يحول دون الحوار ، وسيظل يحول دونه طالما ظل المثقفون يستدرجون لعملية التوازن .

● **عباس صالح** : لى تعقيب على ما قاله د. تليمة وعفيفى مطر ، وجوهر خلافى هو أن ثورة يوليو قامت بلا حزب ، وليست لها جماهير واضحة ، وخضعت لمؤثرات كثيرة ، بدأت أميل الى اليمين أو بلا فكر واضح — فمبادئها الستة كانت غامضة جدا — وأصبحت نهبا للفكر اليمينى والاشتراكى ، والمشاكل الوطنية والاجتماعية ، وانا لا اقول انها ثورة اشتراكية ، لكننى اقول ان صحت العبارة بأن انقلابات العالم الثالث تتميز بصفة « الحياد الطبقى » والقابلية للتأثر بالتيارات الديموقراطية والاشتراكية ، وقد قامت بالتأميمات التى قامت بها استجابة لضغوط اجتماعية وثقافية ، وكان الفكر الاشتراكى ينمو عاكسا الصراعات الطبقية رغم الخطأ الاكبر لهذه الثورة وهو غياب التنظيم .

والان ... هناك صراع حقيقى بين قوى رجعية متخلفة لها منابرها ، وهناك الفكر الاخر الذى يمثل جماهير الشعب ، وهو محاصر ومضيق عليه ، ولكن هل يستطيع هذا الاتجاه الاول ان يقهر شعبا ؟ ان هذه القيادات المتخلفة فى العمل الثقافى لابد أن تسقط وتحل محلها قيادات قوى الشعب ، وهذا ما يحدث دائما فى كل صراع من هذا النوع ، وانا لا أعتقد أن المثقفين مشتتون وغير مؤثرين ، فكل كلمة صادقة قيلت وصلت جمهورها ، ومع أن ٣٠ مليونا لا يقرأون الا ان ما حدث فى ٩ و ١٠ يونيو وفى ٦ اكتوبر وفى مناقشات العمال والطلبة لورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى .. كل هذا كان منطلقا من المفاهيم التى نادى بها المثقفون ، ولابد من اكتشاف طريقة عملية وديموقراطية لاستمرار الفكر التقدمى الثورى فى الساحة معبرا عن الجماهير صاحبة المصلحة فى الديموقراطية والاشتراكية .

واخيرا .. انا اختلف مع د . تليمة فى التفرقة بين التحرر الوطنى والتحول الاشتراكى ، فهما عمليتان تتمان معا ، ولا يمكن تأجيل احداهما حتى تتحقق الاخرى .

● **لطفى الخولى** : فيما يتعلق بالنقطة الثانية من مناقشتنا أود أن أوضح شيئين : **الاول : أن وزارة الثقافة يجب أن تعرف أنها ليست بديلا عن الحركة الثقافية ؛ لكنها فى خدمة كل قوى التحالف للتعبير ، الثانى : هو ان هذه الوزارة يجب أن تفهم أنه لم يعد هناك جمهور واحد للثقافة** ، فمع تطور أحدثته ثورة يوليو ، من حيث المستوى العلمى والثقافى العام فى الجامعات والمدارس ، واتساع ساحة المهتمين بالعمل الثقافى أصبح هناك جمهوران : التقليدى والصاعد ، خصوصا بين قوى الشباب ، الاول تقل أهميته حجما ونوعا ، فى حين تزداد القوى الجديدة ، وهى حين لا تجد غذاءها الثقافى من الممكن أن تتحول لاتجاهات فوضوية ثقافيا واجتماعيا ، وهذا مصدر ما يقال عن اتجاهات يسارية طفولية بين بعض فئات الشباب . ان هذه القوى الثقافية لا تلعب دورها فى تطوير المجتمع ، فليست مجلة « الثقافة » هى منبر هذه القوى الجديدة وقد لا تكون « الطليعة » أيضا منبرها ، بل هى تريد ما هو أكثر ، وضرورى أن يكون هذا موجودا ، لكن شرط وجوده أن تتم **دمقرطة الحركة الثقافية** ، فلا تكون هناك جمعية أدباء واحدة او جماعة مسرحية واحدة ، بل يجب أن ينفتح المجتمع لقيام المثقفين بانشاء جمعياتهم الحرة النابعة عنهم : أدبية —

فلسفية - فنية .. الخ) تحد حرية التعبير من خلال منابرها الخاصة ، وأي ملقى - لا المنع والمصادرة والاستعداء - ولكن المساعدة والتشجيع . مرة أخرى من حق يوسف السباعي ان يعبر عن رأيه على الا يكون بمعزل عن القوى الاخرى التي لها حق التعبير . وبدون هذا الجدل لا فائدة ، لكننا لا نريد أن يكون ذلك على حساب الاشخاص ، **فليس هناك عداء شخصي أو خصومة شخصية** (انني اقدر يوسف السباعي ككاتب لكنني أختلف معه) . لكننا لو استعرضنا ثقافة واتجاهات غالبية المسيطرين على المجال الثقافي فسنجدهم في اتجاه واحد ، بل اننا سنجد علامات استفهام كثيرة حول القدرات الثقافية للكثيرين منهم (مديري عموم في السينما والمسرح .. الخ) ، وما نقوله هو أن وزارة الثقافة يجب أن تتفتح أمام كل قوى التحالف بما فيها البورجوازية الوطنية ، فنحن ندافع عن حق هذه الطبقة أيضا في التعبير ، ولا تملك أي قوة اجتماعية مصادرة بناء له جذوره في المجتمع ، أما اذا ظلت وزارة الثقافة هكذا فهي تسعى للمستحيل ، وتثير أزمات ليست حقيقية .

دور المثقفين في تقديري أن ينشئوا جمعياتهم ومنابرهم المستقلة المعبرة عن رأيهم وبيوتهم الفنية ، المتفاعلة جدليا مع حركة الواقع والتطور ، فهي السبيل الوحيد لبناء مدارس فكرية بعيدا عن منطق الشلل التي نرفضها سواء كانت في اليمين أو في اليسار .

- محمود دياب : **الثقافة المصرية لا ينقصها المبدعون لكن ينقصها أسلوب الوصول أو الجهاز أو الموصل** ، والاجهزة القائمة يصادر القائمون عليها اي فكر غير فكرهم ، وبالتالي لابد أن تكون هناك أجهزة بديلة متمثلة في الجمعيات : فجمعية للمسرح وأخرى للنشر .. وهكذا .

- **لطفي الخولي** : وأضيف أن على المثقف التقدمي أن يكون مستعدا لدفع ثمن كلمته ، لست أعني ، فقط ، السجن في سبيلها اذا استلزم الامر ، لكنني أعني ألا يعطى عملا في الاذاعة أو التلفزيون ، أو ترفض له مسرحية أو فيلم ، أو لا يمكن من النشر ، واذا تكررت هذه التضحيات فهي تخلق رأيا عاما ضد هذا كله .

- **السيد ياسين** : نقطتان أود أن أقف عندهما : الاولى **خاصة بمسئولية المثقفين المصريين وواجبهم . هي فكرة الحوار** . في الاول انطلق مما قاله عباس صالح من اننا دولة نامية تنتمي للعالم الثالث . وهذا يمس كل مشكلاتنا ؛ واعتقد ان من اهم الواجبات التي تواجه المثقف الان هي النقد الجذري للنظرية الاجتماعية الغربية في الفكر السياسي والاجتماعي والثقافي . الى جانب نقد سلبيات وانحرافات التطبيق في الدول الاشتراكية بلا مواربة او اخفاء للحقائق ، ثم ضرورة غزو الواقع الاجتماعي ومسحه والتعرف عليه . وبالنسبة للنقطة الخاصة بالحوار فأريد ان اقول ان الحوار يقتضي حصر المشكلات الخلافية ، فما هي المشكلات الخلافية في الثقافة والسياسة .. الخ ، ثم وجود المنابر المستقلة التي يجتمع من حولها المثقفون . على أن يكون لكل رأي واتجاه الحق في التعبير عن نفسه .

- **عفيفي مطر** : وبغير هذا التحديد لا يمكن معرفة أرضية الخلاف والارضية المشتركة بشكل علمي ، حتى يمكن أن تكون هناك حركة نقدية ، وحركة بناء نشترك فيها كل الفصائل الوطنية والتقدمية . وربما يستبعد هذا اذا اعتمد على الحركة التلقائية والحرة لجماهير المثقفين دون انتظار فتح الابواب من قبل أجهزة وزارة الثقافة .

- **عباس صالح** : عن المثقفين بوجه عام - وسط سيطرة اتجاه واحد قد يكون في رأينا متخلفا - أن يقاوموا هذا الاتجاه بالدرجة الاولى ، لكن الاهم - باعتبار الثقافة انجازا وطنيا عاما يمس مستقبل الامة كلها بصرف النظر عن اتجاهات فئاتها - هو وجود تجمع ثقافي ، وهو ما اسماه محمود دياب خلق البدائل ، وأوافقه تماما ، لابد من انشاء حركة مسرح مستقلة ، وحركة نشر مستقلة يساهم فيها الادباء بأموالهم القليلة ولابد من قيام جمعيات أدبية وثقافية يدور فيها وبينها حوار جاد ، ولا بد أن يرعى المثقفون الكتاب الجدد على نحو منظم ، واتاحة الفرصة أمام أعمال الفنانين الخالقين للظهور في المسرح والسينما .. الخ ، ومهما تكن السلطة الادارية التي يملكها القائمون على اجهزة الثقافة فهي لا تستطيع على الاطلاق حجب ذلك الاتصال الطبيعي والحتمي بين المثقف والشعب الذي خرج منه ويتوجه اليه .

- **مصطفى درويش** : **اختلف مع عباس صالح في ان وزارة الثقافة لا تستطيع حجب الثقافة التقدمية عن الشعب ، يغيب عنا ان في يدها جهازا خطيرا هو الجهاز الرقابي** ، وواضح من استقراء نشاطه في الشهور الاخيرة انه يعمل بمثابرة ضد اي عمل فني وتقدمي في المسرح والسينما ، ولو استطعنا تكوين جمعيات سينمائية او مسرحية ، وتحاول احدى الجمعيات تقديم فيلم او مسرحية من هذا النوع فسيمنع طبعا ، وخلال الشهر الاخير فقط منع الفيلمان السوريان « الحياة اليومية في قرية سورية » و « اليازرلي » [وقد عرض الاثنان في مهرجان طولون وحصل الاول منهما على جائزة المهرجان الاولى ، وهي أول مرة يحصل عليها فيلم عربي] ، بحجة ان الفيلم الاول شيوعي والثاني جنسي ، ويترك المجال فسيحا للكاراتيه وحسن الامام ... الخ ، باختصار اعتقد ان البدائل اساسية ، لا لتكون بديلة عن وزارة الثقافة ولكن لهزها كي تكون تقدمية وفي خدمة الثقافة .

- **د. تليمة** : عن دور المثقفين أنا لا أكتفي بالتشخيص بأننا دولة نامية او متخلفة ، هذه يمكن ان يقولها اليونسكو ، **لكنني اقول ان الثورة ثورتان : بورجوازية واشتراكية ، ولكل استراتيجية . وبلادنا في مرحلة الثورة الوطنية البورجوازية أمامها مهمتان : تصفية التخلف ومواجهة العدوان وهزيمته ، في اطار المرحلة وحدود تشخيصي تبدو مهمة المثقف** . هاتان المهمتان لا يمكن انجازهما الا بتحالف حقيقي بين كل القوى الاجتماعية والطبقات الوطنية في الحياة السياسية عن طريق احزابها المستقلة المكونة لجبهة وطنية ديموقراطية ، ومشاركة هذه القوى في الحياة الثقافية بافكارها المتميزة ومنابرها المستقلة ومؤسساتها المتنوعة . ودور المثقف يتحدد بالنضال الديموقراطي في اتجاهين : الاول نقد

ثقافة البرجوازية وطريقتها فى ادارة حياتنا الثقافية، والثانى هو الدعاية الثورية الدءوب للنظرية العلمية والفكر العلمى من زاوية مصالح جماهيرنا المصرية والعربية ، ولن يكون هذا الا بتنظيم جديد للحياة الثقافية ينهض على اتحادات ديموقراطية قوية ومستقلة للكتاب والفنانين والمثقفين ، تصدر منابرها صحفا ومجلات ودور نشر ونوادى ثقافية وجمعيات مستقلة عن الاجهزة الرسمية ، وفى هذا ما يعصم من ان تتحكم المكاتب فى الكتاب والمناصب فى المثقفين .

على كافة الفنانين والكتاب الوطنيين والديموقراطيين والثوريين ان يشنوا نضالا ديموقراطيا صابرا ومطردا فى سبيل تمايز الاتجاهات الفكرية والمدارس العلمية والفنية ، ويصلوا من خلال هذا التمايز الى جبهة ثقافية عريضة ، تنتظم كل هذه الاتجاهات والتيارات وقوفا فى وجه ثقافة مناوئة لمصالح شعبنا ونضاله ، واعدادا لجماهيرنا فى معاركها القادمة .

● **عباس صالح** : فيما يتعلق بالنقطة الثالثة والاخيرة ، وهى تصورنا للثقافة التى نحن بحاجة اليها فىهذه المرحلة، فنحن نتصور — ان صح وصف الثقافة بالعصرية ، بانها ثقافة عصرية ، **فهذا العصر طابعه الاساسى انه علمانى وعقلانى ، وبالتالى لابد أن تكون منطلقات ثقافتنا علمانية وعقلانية ، ومجرد الانطلاق من هذه المنطلقات سيؤدى بنا الى المضمون الاشتراكى** ، فكثير من المفكرين فى عصرنا — داخل الوطن العربى وخارجه — يوافقون — بصورة او باخرى — على أن الاشتراكية ، كمنهج فى التفكير والبحث ، هى اهم منجزات هذا العصر ، وعلى اى حال ، فمن النادر ان لم يكن من المعدوم تماما فى العالم المتحضر اليوم من يبحث فى الثقافة او ينتجها من زاوية الخرافة والتعميمات والغيبيات وغير ذلك من المنطلقات التى انتهت من عالم اليوم ، والتى تقدمت الامم منذ تخلت عنها ، بصرف النظر عما اذا كانت اشتراكية أو راسمالية .

● **مصطفى درويش** : اقصر اجابتى هنا على قضية السينما التى اعرفها اكثر من غيرها ،وارى ان السينما هى اهم مجالات الثقافة فى عصرنا على الاطلاق ، وبالنسبة لما نريده نحن ، فاعتقد أنها سينما وطنية فى شكلها ، انسانية فى مضمونها ، ولن يتأتى هذا — بوضع مصر الان باعتبارها فى معركة ضد الاحتلال الصهيونى والتخلف الا بالتأميم الشامل ، وارى ان التأميم يخدم فى المرحلة الراهنة مصالح الرأسمالية الوطنية ، **وبدون تاميم شامل لن تكون هناك نهضة ثقافية فى اى مجال .**

● **محمود دياب** : تصورى للثقافة ان تكون **ثقافة ملتزمة ترتبط بحتمية التغيير الاجتماعى فى المجتمع العربى ،** ذات طابع قومى وشعبى فى الوقت نفسه ، **ترتبط** بجماهير الشعب باعتبارها موضوعا ، وترتبط بها باعتبارها هدفها النهائى .

● **السيد ياسين** : ان اجاباتنا يمكن ان تكون نوعا من الاسقاط من جانب عدد من مثقفى المدينة على جماهير الشعب ، هذه الجماهير لها ثقافتها وفنونها ، وثمة فجوة قائمة لا سبيل الى تجاوزها الان ، واتساءل : عروض الاوبرا مثلا ماعلاقتها بجماهير الشعب المصرى؟ ان للجماهير فنونها التى تؤثر فيها وتثير وجدانها ، والقضية هى : كيف يمكن ان نفهم مقومات وجدان الشعب المصرى ؟ ، ثم كيف يمكن بناء ثقافة مصرية تشارك فى صنعها والاستمتاع بها جماهير الشعب المصرى ؟ ، وهذه قضية لازالت بحاجة الى دراسة.

● **نعمان عاشور** : ارى ان الثقافة سلاح من اسلحة البناء الوطنى والاجتماعى ، والصراع من اجل بناء حياة جديدة ، وادعو الى ثقافة مستقبلية هادفة الى التطور بالحاضر ،والاستفادة من كل ايجابيات الماضى وسلبياته لخدمة المستقبل .

● **د . تليمة** : أرى **اننا كمثقفين مسئولين مطالبون بالدعوة الى ثقافة ذات مضمون وطنى وديمقراطى ، تتجه الى العصرية والمستقبلية** ، وتكون غذاء روحيا مسعدا وموجها للجماهير ، تستلهم حقائق حياتهما وتعكسها وتقودها ، هذه الثقافة الوطنية الديموقراطية لا يمكن ان تنهض الا بابراز الجوانب الشعبية والديموقراطية فى تراثنا الوطنى القريب ، وابراز العناصر المتقدمة العلمية والمادية والتجريبية فى تراثنا الوطنى والقومى، وباستيعابها واحتوائها للجوانب المتواصلة من الثقافة الانسانية قديمها وحديثها ، وعندى ان ذلك كفيل بوضع البذور الاولى لنظرية وطنية فى الثقافة ، تعد الانسان المصرى لمواجهة القرن الحادى والعشرين ، مرورا بالتعبير من قضايا التغيير الاجتماعى والتحرير الوطنى، كذلك فان هذه الثقافه لن تنهض — من حيث تنظيمها — الا على اساس المنابر المتعددة والمؤسسات الجماهيرية المستقلة ، والاتجاهات الفكرية والفنية والعلمية التى تتمايز لتتحد فى أوسع جبهة ثقافية مشاركة فى نضال شعبنا .

هذا هو الطريق ، ولا طريق سواه .

«... أن هــذا الحــدث الفنى الفريد ، الا وهــو لقاء فن حامد عبد اللــه الاصيل ، يحتم علينـــا أن نقيس لوحـــاته بمقيـــاس جديد غير ذلك الذى نلجأ اليه محليا ، ذلك لاننـــا نواجه الان موهبـــة ذات علامات خاصة وخيال لونى خارج على المألوف ، وفنان متمكن من ناحية فنه ومادته ، صافحت التقاليد الفنية فى عمله العقلية الحديثة..»

موللـه ليبمان ــ الناقد الفنى لجريدة فوتر تيونده بالدنمارك فى ٥٩/٦/١٥

عــن الطيـــور المهـــاجرة

حـــامد عبد الله

الفنـــــان والهــــوية

عز الدين نجيب

هذه كلمات قليلة اخترتها من بين عشرات المقاولات والتعليقـــات عن فن حامد عبد الله نشرت فى العديد من الصحف الاوربية والعربية ــ وكلهـــا تشيد به ــ على مدار ما يقرب من عشرين عاما ، هى فترة اغترابه عن مصر ، او على حد تعبير الفنان نفسه :«تشرده فى انحاء العالم ، يدفعه الى ذلك ايمانه بواجبه الفنى ــ الوطنى ــ الانسانى». وكما يلاحظ الناقد الفرنسى فلدمر جورج حينما قدم معرضه « اشارات مصرية » فى باريس ١٩٥٦ بقوله :

« ان عمل هذا الفنان رسالة ، ووجوده كذلك ، فانه لا يمكن للمثقفين من العاملين الشرقى والغربى ان ينكروا قيمته فى المساهمة فى خلق تفاهم متبادل ، بل لعله يكون نقطة البدء نحو اتحاد روحى بين الشعوب .. » .

● اول الطيور المهاجرة .

لعل حامد عبد الله بهذا يعد اول فنان عربى حديث ــ بعد مختار ــ يحظى بهذه المكانة العالمية ، ولعله ايضا أول الطيور المهاجرة من الفنانين المصريين ، فى ذلك الوقت المبكر من اوائل الخمسينات حيث كان مجرد السفر الى اوربا بالنسبة لابناء الطبقات الشعبية التى خرج منها ، حلما نائيا ، بـــل مغامرة ، فما بالك بالاستقرار والانتاج فيها ، بلا سند غير موهبة .. وارادة ! ..

حين فكرت فى كتابة هذا المقـــال كنت اريد ان اتعرض لتجربة حامد عبد الله فى اطار قضية اغتراب الفنانين المصريين عن وطنهم « وتشردهم فى انحاء العالم » سواء باختيارهم او مرغمين ، وتأثير ذلك على فنهم وبلدهم ، خاصة وانها توشك أن تــكون ظاهرة تستهوى الــكثير من الفنانين خاصة الشباب منهم مثل : **عبد الغفار شديد** [المـــانيا] **وعبد الله محمد عبد الله** [السويد] **ونبيل تاج** [سويسرا] **ومحمد عثمان** [فنلندا] وأخيرا **احمد مرسى** [أمريكا].

الا أننى رأيت أن تجربة حامد عبدالله لهـــا من الذاتية ما يجعلها لا تنـــاقش الا فى اطارها الخاص ، فضلا من انها تجربة تؤكد الجانب الايجابى فى قضية اغتراب الفنان عن بلاده .. هى اولا مكسب هام لمصر ، اذ انه يقوم فى الخارج بـــدور مؤسسة كاملة لاعـــلاء اسمها والتبشير بنهضتها الحـــديثة كاستمرار لحضاراتها العريقة ، ولعل عطاءه لها اعظم بكثير مما لو كان قد بقى فيهـــا حيث يلازم الفنان عادة شعورا بالاحباط وعدم التحقق ، نتيجة للتحكم البيروقراطى وجو اللاحرية ، والانكار الفظ وعـــدم التقدير من بنى وطنه .. وهى ثانيـــا مكسب بالنســـبة له على المســتوى الشخصى : **فقد امدته الغربـــة بفيض متجدد من الحنين الى مصر ومن الذكريات فيها .. انه لم يتركها فى الحقيقة ، بل حملها معه شجرة حب لا ينقطع لها ثمر ، ثمر مضىء ولاهب ، يهديه ، يلهمه ، يذكى عشقه ، يذكره دائمـــا برسالته ومسئوليته نحوها . كما كان اغترابه طريقا مرق منه الى آفاق الفن العالمى فى الغرب ، فأخذ منه بقـــدر ما اعطاه ، اخذ منه الخبرة التكنيكية ، والقدرة على تطويع الخامة بشتى انواعها ، وديناميكية العصر الحديث ، واعـــطاه روح الشرق ، وعبـــق التاريخ ، ودفء العاطفة المختزنة فى صدور المصريين ، واصالة اكتشافهم لجوهر الحياة منـــذ الاف السنين ، ومن ثم : اتاه اعتراف العالم به من اوسع الابواب .**

اما الخسارة الحقيقية بدون شـــك خلال تلك السنوات ، فكانت من نصيب الحركة الفنية المصرية ، والاجيال الفنية التى تعاقبت منذ ترك مصر نهائيا ١٩٥٦ دون أن تتعلم منه أو تعرف عنه شيئا يذكر ، نتيجة لغياب حركة نقدية حقيقية ،

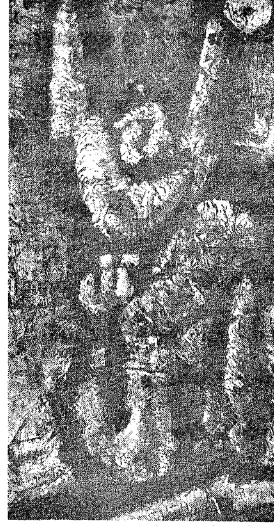
ولافتقار القائمين على الفن الى روح المسئولية ، هذا بينما كان يدرس على يديه فى اوربا اجيال من الفنانين الغربيين لمعت من بينهم اسماء حصلت على جوائز عالمية ... وفى الوقت الذى عرضت اعماله فى شتى بلدان العالم الغربى والعربى بدعوة من حكوماتها وهيئاتها الفنية ، وكان معرضه فى كل بلد يعد ظاهرة فنية تدرس وتقيم ، لم يتلق دعوة واحدة من مصر لاقامة معرضيها ، ولوعيه بأن وزارة الثقافة او الهيئات الفنية فى مصر ليست هى مصر ، فقد حزم يوما ما — فى اوائل ١٩٧٢ — لوحاته وجاء بها الى القاهرة ليلتقى بمواطنيه الذين عاش عمره مهموما بهم ومعبرا عنهم ، وزملائه وتلاميذه فى الحركة الفنية .. (١) وحاول ان يقيم معرضا لانتاجه فقيل له ان القاعة التى تتسع لمعرضه مشغولة ، وبروح سمحة — بعد انقضاء اسابيع على بقائه فى مصر — ترك لوحاته لدى اصدقائه من الفنانين على امل ان يعدوا له المعرض بعد سفره حين تخلو القاعة ، ويبدو ان القاعة لم تخل حتى الان (!)

● الابداع ابن الواقع •

من هو اذن حامد عبد الله ؟

ولد سنة ١٩١٧ بحى المنيل ، حين كان منطقة ريفية على هامش مجتمع المدينة ، ان لوحاته فى مراحله الاولى شهادات على ثقل همومه الاجتماعية : .. رجال يعانون تحت وطأة الغبن بينما يسعون الى اليقظة ، وعائلات تعمل فى الحقول ، وبيوت قديمة عند آفاق الصحراء ، وقصور ملكية مازالت تقوم على اسسها فى بلادة وجمود ، ونساء واطفال ، وعشاق بين النخيل .. الخ»(٢) بالطبع ليس حتما ان يكون قد عانى هو شخصيا تحت وطأة هذا الواقع ، لكن استمرار تأثيره فى رؤيته الابداعية طوال مراحله الفنية حتى المرحلة الاخيرة التى لجأ فيها الى استخدام حروف الكتابة العربية ، محولا اياها الى اشكال حية ديناميكية تعبر عن الصراع الاجتماعى [مثل لوحة الخادمة] او الصراع من اجل الحرية فى مجموعة لوحاته التى تحمل هذا الاسم .. اقول ان هذا الاستمرار يؤكد عمق همومه بهذا الواقع ، او بعبارة اخرى : العمق السياسى لرؤيته الفنية .

درس حامد عبد الله بمدرسة الفنون والصناعات الزخرفية ، لكنها لم تشبع طموحه الفنى فسعى الى مراسم بعض



الحرية

الفنانين الاجانب يتعلم منهم ويطلع على الكتب الفنية ويتعرف على اساليب الاساتذة العالميين ، ومنذ اقام معرضه الاول ١٩٤٠ بقاعة هورس [بميدان سليمان باشا] — لفت اليه الانظار : « ... وظل اسم حامد عبد الله يمثل فى الاربعينات والخمسينات فنانا طليعيا تعمق تراث بلاده التصويرى وكشف عن قيم تشكيلية هامة وربط هذه القيم بلغة التشكيل الحديث ، تلك التى استوعبها من خلال دراساته الخاصة وسياحاته واضفى عليها ذكاؤه مسحة خاصة»(٣) .

اثار دهشتى عدم انتماء حامد عبد الله رغم طليعيته والتزامه ، باحدى الجماعات الفنية التى نشأت فى هذين العقدين [الاربعينات والخمسينات] مثل : الفن والحرية والفن الحديث والفن المعاصر الخ . وكان معظم الفنانين الطليعيين فنا وفكرا ، بمقاييس ذلك العهد ، منتظمين فى تلك الجماعات يشاركون من خلالها فى خلق تيارات فنية وثقافية بروح ثورية كان يسمح بها جو الحرية الليبرالية فى ذلك الوقت ، الى حد جعل الناقد الفنى ايميه عازار حين ألف كتابه عن فن التصوير المصرى المعاصر يضع العدد القليل من الفنانين الذين ظلوا غير منتمين لاحدى تلك الجماعات ، فى فصل خاص باسم « المستقلين » ، وكان عبد الله من بينهم .

كتبت الى الفنان استفسر عن هذه المسألة ، فكان رده دبلوماسيا ، اذ كتب لى : « ان موقفى من جميع الفنانين كان موقف الزميل الذى يحترم الزمالة بصرف النظر عن الاعتبارات الاخرى ، فاننى قد بدأت طريقى الفنى عام ٣٣ دون التفكير فى الارتباط بهذا الفنى او ذاك ، قديما او حديثا ، ودون التفكير فى البحث عن الشخصية القومية هنا ولا هناك ،

---

(١) كان من بين تلاميذه : « تحية حليم وانجى افلاطون وجاذبية سرى وكنعان وزينب عبد الحميد » [استاذى حامد عبد الله — جورج البهجورى — مجلة صباح الخير فى ٦٩/١٢/١١

(٢) فرانكو جراسو — جريدة لونيتاه روما — ٥٧/٣/٢٨

(٣) بدر الدين ابو غازى — مجلة المجلة — يوليو ١٩٦٨.

ذلك لان العمل الفنى لا يتحدد الا من ضرورة باطنية ، وهكذا يكون معبرا عن مخيلة النفس كما هى .. انه تجربة معاشة ... »

● الفنان لا يخفى هويته .

اننى لا اجد تناقضا بين ان يصدر العمل الفنى عن ضرورة باطنية وبين ان يسعى الى شخصية قومية ، بل ان هذه هى السمة الاساسية فى فن عبد الله عبر كل مراحل تطوره ، اعنى اتصاله الوثيق بجذور الحضارات العريقة فى مصر والامة العربية،وكذلك بالهموم الاجتماعية المعاصرة فى بلده ، وبروز تلك الروح القومية فيه مع وضوح شخصيته الفردية المتميزة كانتا أول ما لفت أنظار الجمهور الاجنبى ، وقد ركزت كل تعليقات النقاد الاجانب والعرب على هذه المسألة .. مثل قول ناقد جريدة فيبورج الدنمركية فى ١٩/١١/٥٨ « .. ومن الواضح ان عبد الله صاحب فن لا يخفى جنسيته وقوميته ، اذ ان جهوده الفنية تنبع من نفس الروح الوطنية التى بعثت الفن المصرى فى العصور الماضية .. »

اغلب الظن ان حامد عبد الله يقدس استقلاليته ويكره ان يصنف تحت شعار او مدرسة ، ولعل هذا ما جعله بالامس يحجم عن الانضمام الى اى جماعة أو اتجاه معين ، وما يجعله اليوم ينفى عن نفسه مجرد التفكير فى البحث عن الشخصية القومية .. وهو حرص اقره عليه تماما اذا كان هذا الارتباط او البحث مفروضا من الخارج او تقليدا زائفا ، ارضاء لتيار سياسى او « لموضة » شائعة .. اما اذا كان نابعا من الحاح ذاتى يصل الى درجة « الضرورة الباطنية » التى اشار اليها الفنان ، فلا ضرر هناك وحامد عبد الله نفسه اكد اكثر من مرة على هذا المعنى فى احاديث منشورة .

● ● ●

بدأ اتصال عبد الله بأوربا فى أوائل الخمسينات ، بجولات بين العديد من الدول الاوربية ، خاصة حول حوض البحر الابيض مثل ايطاليا وفرنسا ، لكنه فى ١٩٥٦ خرج من مصر الخروج الكبير ، فبعد ان حقق بمعارضه الاولى فى فرنسا وايطاليا والمانيا من ٥٦ الى ٥٨ نجاحا احدث دويا فى الاوساط الفنية العالمية ، اتجه الى الشمال ، الى الدنمرك ، حيث استقر وتزوج وعمل استاذا فى اكاديمية الفنون الجميلة بها.

كانت اعماله التى جلبت له الشهرة حتى ذلك الوقت هى اللوحات التى تعكس بشكل اساسى واقع وروح البيئة المصرية، فى مجموعات سميت « ضمير الارض » و « اشارات مصرية » و « سمات عربية» ولم يكن تصويره لها من خلال رؤية سياحية « تزويقية » ، ولا من خلال رؤية « شوفينية » ضيقة ، وانما كان تصوير الانسان المصرى ، بكفاحه وأشواقه وارتباطه الحميم بالارض ، هو منطلقه الى الانسان فى كل مكان ، والى فهم جوهر علاقته بالارض والوجود .

اما اسلوب تصويره لاعمال تلك المرحلة فاننا نجد ان « .. الهدوء والصفاء والبساطة هى سمات جوهرية تطبع تكوين عمله الفنى ، واشخاصه يمثلون ازاء المتأمل اما مواجهة صريحة و مجانية تماما ، وقد استغرقوا فى وقار وجلال واستقرت مثاقيلهم على صفحة الصورة ، بينما تجاهل الفنان سلم المنظور ، كما تجاهله الفنان الشرقى القديم ، وحرص على ترتيب عناصر الصورة رأسيا وأفقيا ، فبدت لوحاته وكأنها الفسيفساء الحيرة ، انتظمت بمساحات لونية دافئة بحيوية تفوق الوصف ، واللون عنده له مدلول رمزى دون شك ، لون عميق القيمة انضجته الشمس .. » . وقد استعرت هنا كلمات الناقد موللة ليمان لسبب بسيط: هو اننى لم اشاهد من اعمال تلك المرحلة الا بعض الصور الفوتوغرافية لها ، لان كل أصولها أو معظمها قد بيعت قبل أن أسمع عن حامد عبدالله!

ان هذه الخصائص تتشابه بصفة عامة مع الاعمال التعبيرية المبكرة للفنانين المصريين فى الاربعينات والخمسينات ، وخاصة أعمال عبدالهادى الجزار وحامد ندا ، فقد كانا يختاران شخوصهما أيضا من واقع البيئات الشعبية والريفية البائسة ، وكانت صفات الوقار والجلال واستقرار مثاقيلهم من صفاتهم كذلك ، الا أن هناك اختلافين أساسيين بين عبد الله وبين الجزار وندا فى مرحلتهما خلال تلك الحقبة .. الاول حول المضمون : فبينما كانت أعمال الجزار تبحث فى الرؤية الغيبية والاسطورية المخيمة على الانسان المصرى من المجهول ومن سر وجوده أو عذابه أو خلوده ، وبينما كان القهر الاجتماعى يتمثل كواهل فقراء ندا ومجاذيبه ويدلى رؤوسهم فوق صدورهم وهم أقرب الى الاستسلام واليأس ، نجد انسان عبد الله لا يكاد يتوقف عن العمل والحركة والمقاومة . أما الثانى فهو حول الاسلوب ، فعلى حين يعالج


حرف [فى] على قطعة قماش

الجـزار وندا أشـكالهما وأجواءهما المحيطة باستخدام عنصرى التجسيم [بالظل والنور] والمنظور [البعـد الثالث] فان عبد الله قد ألغاهما واعتبر اللوحـة سـطحا ذا بعدين اثنين ، مستفيدا من رؤية الفنان المصرى القديم والفنان الشعبى والاسـلامى ، والفن الشرقى عموما .. وبينما يحتل اللون مرتبة ثانية بعد التكوين فى أعمـال الجزار وندا وتخيم عليها الالوان القاتمة او الشاحبة أو الباردة ، مثل البنى أو الاخضر أو الرمادى ، نجد اللون عند عبد الله يحتـل المرتبة الاولى ، حيث يتبدى فى « مساحات لونية دافقة بحيوية تفوق الوصف » .. وبينما نجد التكوين عند الجزار وندا مستقرا راسخا سكونيا ـ بما يتلاءم مع المضمون ـ فانه عند عبد الله ملىء بالحركة والديناميكية ، تتقابل فيه العناصر راسيا وأفقيا فبدت « وكأنها الفسيفساء المحيرة » ... ولعل هذه السمات الخاصة لدى الفنانين الثلاثة قد تطورت فى المراحل التالية لتؤكد العالم الخاص لكل منهم ، فانتهت بالجزار الى السريالية ثم الصوفية ، وانتهت بندا الى التقولب فى أنمـاط جامدة من الوحدات السـاكنة المتأثرة بالفرعونية والشعبية والزنجية ، وان اقتحمتهـا عنـاصر زخرفيـة انعطفت بالمضـمون الى نوع مـن الفنتازيا أو السياحية .. بينما استمرت عند عبدالله لتؤكد ديناميكية العناصر الحرة ، حتى وصلت به الى تخوم التجريد ، وان لم يتخل مطلقـا عـن الغـاية التعبيرية أو الرمزية .

● الكلمات : كائنات حية ●

كان البحث عن لغة جديدة للتشكيل هو القضية الاساسية التى شغلت عبد الله طوال سنوات الستينات ، فلم تعد المؤثرات القـديمة من التراث المصرى قديمه وحديثه ، ومن تجارب حياته فى مصر تشبع تشوقه الى خلق قاموسه اللغوى الخاص فى الفن ، من هنا انطلق يجرب شتى الطرق ويسـتخدم مختلف الخامات فوق أسطح لوحاته : الخشب ـ المتمع ـ القار ـ أملاح الفضة ـ الوان الدوكو على الزجاج ـ الحصير حتى الحصى المغطى بطبقة لونية معدنية .. وكان المصب الطبيعى لكل هـذه الروافد هو التجريد .. وان كان التجريد الخالص هو أصفى وأعلى درجات الابداع الفنى التشكيلى فى النهاية ، الا ان هذا ـ رغم اشباعه لطموحه الفنى ـ كان يصطدم بمشـاعر انتمائه الوطنى والاجتمـاعى ، لانه نوع مـن الترف واللامسئولية ، فى الوقت الذى يعانى وطنه ذل الاحتلال وفظاظة التخلف .. كان يؤرقه البحث عن شـكل يجعـل به لوحاته سلاحا يحارب ، وابداعا جديرا بأن يعيش فى نفس الوقت ، بعد أن تنتهى القضية التى يحارب من أجلها أو ضدها [كالصـهيونية مثلا] .. شكل يشبع حاجته الى التجريد الصافى والمشاركة الوطنية فى نفس الوقت .

من هنا اهتدى الى الكلمات ..

ان حروف اللغة العربية من أكثر حروف لغات العالم ثراء من النـاحية الجمالية ، وطواعية للتحوير والتشكيل ، وقد كانت فى العمارة والزخرفة الاسلامية عنصرا جماليا لا غنى عنه ، بل كانت فى الحقيقة بديلا عن المشـخصات ، طوعها الفنان العربى لمقتضيات التصميم الهندسى ولتحقيق ذروة الوصول الصوفى باندماج كافة الكائنات فى ذات الخالق. بهذا كان التعبير هو التجريد فى نفس الوقت ، والعكس صحيح أيضا .

وبدأ عبد الله يجرب فى الحروف ، فى البداية استخدمها بلا مدلول مباشر ، انما أراد اقتناص التعبير الناجم عن تجاورها واتصالها ببعضها البعض لتحدث تأثيرا شبيها بالسحر ، وقد سمى لوحات هذه المرحلة « طلاسم » حيث اتسـمت بالانسيابية والتداخل والغموض ، ثم بدأ يركب من الحروف كلمات ذات مدلولات معينة ، وفى نفس الوقت تتخذ شـكل الحالة التى يريد التعبير عنها .. فكلمة « الحرية » مثلا تتشكل بواسطة الحروف الممتدة رأسيا فى شكل قريب من انسان يحاول الخلاص من قوة تكبله ، وكلمة « الخادمة » تعبر بالحـروف المنحنية والمنطوية الى الداخل عن القهر ، وكلمة « صهيونية » تمتد حروفها أفقيا بانحناء دليل ينبىء بهزيمتها .

قد تبدو المسألة ساذجة اذا نظرنا اليها من هـذه الزاوية الموضـوعية السطحية ، فضلا عن أنها سوف تكون بلا قيمة موضوعية بالنسبة للمشـاهد الذى لا يعرف اللغة العربية ، لكن علينا ان نذكر أن الحـروف تسـتخدم هنا كأشكال تجريدية قبل أى شىء . أشكال تتحقق لها مرونة الخطوط القادرة على تكوين مسـطحات ، وبلاغـة التكوين الديناميكى .. وهى مع العناصر التشكيلية الاخرى من ألوان وخامات متنوعة تنتج سطوحا ذات ملمس خاص غنى ـ تخلق نسيجا مدهشا بثرائه التشـكيلى ينفذ تأثيره الى وجدان المشاهد ، وهنا فقط ـ وليس قبل ذلك ـ يستطيع المعنى التعبيرى أن يجد طريقه الى وعيه .

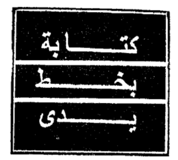
ان الكلمة هنا هى فى ذات الوقت دلالتها ، هى الوعاء والمحتوى معا .. وعلى هذا لا يمكن فصل احداهما عن الاخرى ، ومن أجل ذلك يعطى الفنان لنفسه حرية كاملة فى تحوير شـكل الحروف ، وليس مهما لديه على الاطلاق أن تقرأ ، بل المهم هو دلالتها التشكيلية والتعبيرية .

وفكرة استخدام حروف الكتابة ليست فى الحقيقة من ابتكار حامد عبد اللـه أو غيره من الفنانين العرب ، لقد سبقه اليها التكعيبيون فى فرنسا فى أوائل هذا القرن ، وان اسـتخدمت كعنصر يضاف الى بقية العناصر التجريدية فى اللوحة ، بل ان الفنان السويسرى بول كلى استخدم الحروف العربية فى تشكيلات تجريدية تنحو نحو الزخرفية ، بعـد زيارته لتونس ١٩١٦ وانبهاره بالعمارة والزخرفة الاسلامية التى تتضمن الكتابة العربية ، وفى الستينات من هذا القرن نشأت حركة عريضة فى الفن العربى ، خاصة فى العراق ومصر ، لاستخدام الحروف العربية [يوسف سيده وعمر النجدى وغيرهما فى مصر ـ شاكر آل سعيد وضياء العزاوى وهاشم السمرجى فى العـراق ، وأمين نخله فى لبنـان ... الخ] .. وان كنت أشك فى أن أحدهم قد سـبق حامد عبد الله الى استخدامها ، حيث أن تجاربه فيها بدأت ١٩٥٨ على ما أعلم .. فضلا عن أن منهجهم مختلف تماما عن منهجه ، فما يسـعون اليه هـو تفجير الامكانيات التجريدية للحرف ، بينما يسعى هو الى تفجير الامكانيات التعبيرية فيه .

ان لوحات عبد الله تقوم ـ بالاضافة الى الدور الحضـارى بابراز نهضـة مصر الحديثة عن طريق الفن ـ تقوم ايضا بدور سياسى هام ، خاصة لوحاته التى يكشف فيها الصهيونية والاستعمار ، مما يجلب عليه كثيرا من المتاعب حتى التهديد بالقتل من المتطرفين الصهيونيين بالخـارج ، لكنه كما قال عنه فلدمر جورج « ان عمل هذا الفنان رسالة ، ووجوده كذلك » .. لا يستطيع أن يتنكب الطريق الذى اختاره لتحقيق رسالته ، مهما كلفه الامر .

ومع كل ذلك فان المسـئولين عن الثقافة فى مصر لا يريدون أن يستفيدوا منه ، وهو الذى ظل يعرض عليهم طوال عشرين عاما وبلا كلل ، رغبته فى القيام بأى دور يطلب منه ، بل ويقدم اليهم الاقتراحـات والمشروعـات ، دون أن تصافحه يد أو يصله رد .. وهو الذى لم يطلب مقابلا من أى نوع ، فهـو ليس فى حاجة الى شىء .

عجبـا لك يا مصر .. ما بين أبناء يأخذون منك كل شىء ويجحدونك ، وبين أبنـاء يعطونك بلا حسـاب فتتنكرين لهم ! ■



محمد خليفة : من مواليد ١٩٤٨ ، فلاح من الحواويش ، محافظة سوهاج ، اتم تعليمه الابتدائى ، متزوج وله ولد واحد هو رجب ، وبنت هى سامية ، خاض حرب الاستنزاف ودفع دمه مع شهداء الجيش الثالث فى ٢٣ اكتوبر ١٩٧٣ .

فوق شاهدة المقـــاتل « محمد خليفـــة »

شعر : أحمد الحوتى

هى الحرب .. ؟
تخطف منك رغيف السواقى
وتلقى الى الماء آخر اسم
وتفصح عن موسم للبلاغة ..
هذا أوان غريب عليك .
وفوق المعابر
تضيق المسافة بين الوجوه
تصير الخرائط وجها واسما
وأنت تصيب زمانا ثقيلا
وموتا تحرش بالعمر دهرا ،
كأنك .. كنت صنعت الهزيمة !!
وجاءتك فرصتك الدموية ..
ليست تضيع
وليست تصير الثوانى .. غريما
يخاتل منك المدى ، والملامح تهوى
وتسقط من افرع الذاكرة ،
ويبقى الرصاص ..
سماط لما قد تبقى من العمر ..
تسقط حكمته فى يديك
يصير الرصـــاص .. خطى .
والطريق
يلوذ الى فوهة البندقية
[وأنت تزف الى النار عشقا
تعلمته فى حقول الطفـــولة
حين عشقت القرى والنخيل]
وكنت رغيفا
وصرت شظية .

هى الحرب .. ؟
تشعل ثوب الهزيمة فوق المعابر
وشكل الرغيف ــ الحقول ــ
السواقى
وشكل الشجر
جميعا .. تسافر
وترحل .. ، تعرف ..
أنك تعشق تلك الرمال
وتعشق مصر
وتعشق فيها انفراط الضفيرة .
تصير أميرا
وسيناء ــ فى حضنك القروى ــ
تصير أميرة ..
فتأخذ سيناء .. فى حضنك القروى .
وتعدو بها .. فى جبال الصعيد
تريها العشيرة ، كيف تدانت
وكيف تبادلتما الحلم ، والامنيات
وكيف تصير النجوم شظايا
وطعم الرصاص ــ على شفتيك ــ
يصير سنابل ــ سنابل حنطة
فتطعم كل الوجوه الفقيرة .



•••

هى الحرب .. ؟
خاتم عرسك
.. لوح وأمية ..
تجرب ــ ولو مرة ــ .

كيف تفضى عروقكَ للنهر .. قلعا
بذات السفينة
وأنت تجاوز حلمكَ .
شىء جديد .
تحس بأن المدى لقمة للجميع

هنالكَ .. كان « رجب »
يخط بكراسة الرسم ..
شكل البنادق
ويرسم طائرة ، وانفجارا
ويفرح .. يفرح
حين يصور وجها كبيرا
يقولُ انا أبى
فتقفز بنتك .. تدنو من الرسم
كيما تراكَ
ويعلو الصياح ..
يصير شجارا !
وحين تكل الوجوه الصغيرة
تطيب خاطرهم أمهم . ينـام
« رجب »
ينام على موعد باللقاء .
[ولا يفصح الشوق ..
لاينطق اللؤلؤ — الجمر — حد

الدماء — الخيول — القطارات
— كل البحار الخطيرة]
ينام على موعد باللقاء
ينام .. وفى حضنه ،
تنام الكراريس ، والامنيات الفقيرة
فهل أنت — حقا — هجرت السواقى
وطوحت آخر عشق لديك ؟!
وصورة أمك ؟
ماذا تقول الرصاصة عنها ..
] وأمك تقرأ نجمك — كل مساء —
تصلى
وتلقاكَ فى الحلم .. تخلع عنك
رداءك
تحكى ...
وخيرا : تقول

[رأيت محمدا يركب مهـــرة
ويجرى بها وسط غيط القصب]
وأمك تحكى ...

[ولا يعرف الحلم معنى الكذب]
فكل البلاغات تجهل اسمك
وصوت المذيع يردد أشياء . شتى
واسمك؟ اليس المذيع يردد اسمك
وأمك تحمل جرتها .. وتغيب
تعد القطارات . والمركبات تمـر
سريعا
وتلمح وجهكَ فيها جميعا
وأنت تسافر ..
أنت تقاتل ..
أنت تغيب .

[ياعزيز عينى ...
ياعزيز عينى ...]
وأمكَ تحمل جرتها .. وتعود .
فماذا تقول الرصاصة عنها .
تفر بعيدا عن القلب ..
تخجل من وجهها المستقر على
رئتيك
وتصنع جرحا بشكل الرغيف
وشكل السواقى
وتعطيك اسما جديدا
ووشما جديدا .

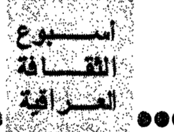
●●●

هى الحرب .. ؟
سلطانها .. خوذة فوق قبرك
وقبرك .. شاهدة — فوقها
كتبت حروفا بخط يدى :

[محمد .. انت مقاتل
.. وانت شهيد

واشهد : انك والرمل والبندقية
على موعد ..

فى بلاد الصعيد] .



■ « أتاح الاسبوع الثقافى العراقى » الفرصة لجماهير القاهرة والاسكندرية كي يروا مظاهرمتنوعة منالثقافة العراقية . فبالاضافة للمسرح والسينما والفن التشكيلى ، قدم العراقين عرضا للفرقة القومية للفنون الشعبية ، ومجموعة من المحاضرات عن تاريخ العراق وواقعه المعاصر ، وعرضا للازياء ..

البيك والسائق :
متعة مسرحية كاملة !

فى اطار الاسبوع الثقافى العراقى عرضت مسرحية « البك والسائق » للفرقة القومية للتمثيل ، والمسرحية هى مسرحية بريخت « **بونتيلا وتابعه ماتى** » ، نقلها الى اللهجة العراقية الدارجة **صادق الصائغ** ، واخرجها **ابراهيم جلال** .

وقد استطاعت الفرقة العراقية أن تقدم عرضا متميزا وممتازا ، يفخر به الفن المسرحى لا فى العراق وحدها بل فى الامة العربية ككل .

وربما لم تكن مسرحية « بونتيلا وتابعه ماتى » من أنضج مسرحيات بريخت ولا من أغناها ، ولا من أكثرها تركيبا واستيعابا لفلسفة المؤلف المادية الجدلية . غير أن هذه المسرحية تشكل محاولة ناجحة من جانب بريخت لكتابة المسرحية الشعبية فى اطار الشكل الملحمى ، ولذلك تعتمد على التبسيط دون أن تنزل الى مستوى التسطيح ، وعلى اخضاع الشكل الذى ينتهى فى بساطته للمضمون ، وعلى تطويع اللغة المسرحية للغة الشعبية ، وشحنها بالوجدان الشعبى ممثلا فى الحواديت والامثال والحكم الشعبية ، وعلى الارتفاع بالواقع اليومى للانسان الكادح ، بكل غناه وتنوعه ، بكل تعاساته وسخريته ، بكل ألمه وصبره ، بكل حكمته وضحكاته الى مرتبة الشعر ، أو أعلى مراتب الشعر .

ونحن نجد أنفسنا ازاء مجموعة من المشاهد واللوحات المتتالية تقدم لنا ما يحدث للاقطاعى بونتيلا ، وهو فى معرض تزويج ابنته ايفا من ملحق دبلوماسى ، وتعرض لنا هذه المشاهد وفى ذات الوقت ، ومن خلال التناقض ، حياة القرية التى يملكها بونتيلا ، أو ربما حياة فنلندا بأكملها التى تقع فيها أحداث المسرحية . ففى نهاية المسرحية يقف بونتيلا على جبل هاتيلما يشرف على فنلندا ، وفى هذه اللحظة الرمزية يتوقف بونتيلا عن أن يكون اقطاعيا واحدا ، بل يكتسب من الرمز ما يهيىء له أن يكون كل الاقطاعيين الذين يتحكمون فى فنلندا أو الاقطاع الذى يتحكم فى مصائر شعب فنلندا [كتبت المسرحية حوالى سنة ١٩٤٠] . ويسهل علينا كمتفرجين أن نتأمل الوضع أو أن نفكر فيه ، فالمسرحية شأنها شأن كل مسرحيات بريخت دعوة الى التفكير ، ويتأتى لنا والامر كذلك كمشاهدين ان نسقط هذا الوضع على أوضاعنا نحن ..

ولان بريخت كاتب مسرحى عظيم فهو لا يسقط أبدا فى التسطيح ، وهو لا يعادل بونتيلا الاقطاعى ، أو الحيوان المنقرض كما يسميه ، بشخصية ماتى التابع أو السائق ، وبالعشرات من الشخصيات التى تمثل الكادحين ، بل يعادله أيضا ببونتيلا ذاته ، ومن ثم ينجح فى خلق شخصية ديناميكية سريعة التغيير متعددة الالوان وفائقة الغنى من الناحية الفنية . فبونتيلا الاقطاعى ذو القلب والعقل الالى فى حالات صحوه يتحول فى حالات السكر الى ما يشبه الانسان . وهو حين يسكر ينفلت من القفص الحديدى الذى انحبس فيه ، قفص الخوف والشك والعزلة والكراهية الى ابذاخ الانسانى متلمسا كما يتلمس الانسان ، للدفء الانسانى والرفعة والافضاء ، حالما كما يحلم الانسان بامكانية تحقيق الاشتراكية والاخاء والمساواة وبونتيلا حين يفلت من قفصه الحديدى المفروض عليه بحكم دوره كالسيد الاقطاعى الجبار يفلت من الضوابط التى تؤيد سلوكه فى هذا الدور وينقلب الى حيوان حى نهم الى الطعام ، ونهم الى الشراب ، ونهم الى النساء ، وخصوصا نساء الكادحين . وهذا النهم الحسى هو الوجه الاخر للنهم المادى ، فما يسعى اليه بونتلا فى الواقع هو امتلاك الحياة فى كليتها ماديا وحسيا .

وفى مواجهة بونتيلا يقف ماتى ، التابع

او السائق ، يسجل فى سخرية باردة ومتحفظة حالات بونتيلا المتغيرة فى صحوته وسكره ،جبروته وتودده الرخيص للكادحين ، تشوته المتناهية ورقته المتعلة ، اكباره للمناضلين من الكادحين واحتقاره الكامل واضطهاده البشع لهم وفى حيدة كاملة يرتفع ماتى على تعالى بونتيلا فى صحوه ، وعلى استجدائه للفهم والحب فى أثناء سكره ، وبنفس الاعتداد والتباعد يلاقى ماتى ويرفض بلا تردد محاولات ايفا ابنة الاقطاعى الزواج منه ، ويستبعد بسخرية هذه الفكرة التى تلح على بونتيلا الحاحا متكررا كلما غاب فى السكر ، وراودته فكرة تزويج ابنته بانسان بدلا من هذا الملحق الدبلوماسى . وما اكثر ما يغيب بونتيلا فى السكر أثناء العرض ، وما أكثر ما يقترب من مستوى الانسان فى هذه الفترة .

ومن البداية يحدد ماتى موقعه من الاقطاعى فحين يسأله بونتيلا مخمورا « أنت صديقى يا ماتى ، أليس كذلك » . ينكر ماتى فى نهائية امكانية قيام صداقة بين التابع والسيد ، بين العامل وصاحب العمل ، بين الكادح والمستغل ، وربما كانت الرواية فى جانب من جوانبها تدليلا عمليا على هذه الاستحالة . فالصداقة التى يسبغها بونتيلا على العمال فى ساعات سكره تستحيل الى عملية بيع وشراء أثناء صحوه ، والاعجاب والتمجيد الذى يقدمه للعامل الاشتراكى « سوركا لا » تستحيل الى اضطهاد يمتد الى آخر الارض وآخر الدهر ، والود الذى يبديه الاقطاعى لماتى يستحيل الى تهديد بالرمى فى السجن ، الى رفض لكتابة شهادة توفر فرصة عمل مستقبل ، على اساسين ، اما لان ماتى انسان ، واما لان ماتى اشتراكى . والحب الذى يسبغه الاقطاعى على نساء كورجيلا الاربع ، مهربة الخمور ، وعاملة التليفون ، وعاملة الصيدلية ، وراعية الاغنام ، والذى ينتهى فى حالة من حالات النشوة بخاتم الخطوبة ينتهى فى ساعة الصحوة بطرد النساء الاربع خارج أسوار القصر شر طردة والماء لا يذوب أبدا فى الزيت ، والاوان قد آن لكى يترك الاتباع اسيادهم والسيد الطيب أكذوبة لم ولن تتحقق ، الا حين يصبح الانسان سيد نفسه كما يخبرنا ماتى فى نهاية المسرحية .

وقد أخرج ابراهيم جلال النص البريختى اخراجا ممتازا ومتميزا . والاخراج ممتاز من حيث هو يكشف عن فهم كامل لمقتضيات المسرح البريختى ، ومن حيث يشكل قدرة فائقة على تمثل الواقع والى نقله الى المتفرج فى صورة شعر . والاخراج متميز من حيث هو يضفى على النص البريختى رؤية عربية متميزة تخدم مقتضيات الواقع العربى الفنية والسياسية .

ان ابراهيم جلال يقابل مقتضيات المسرح الملحمى من حيث الغاء عنصر الايهام ، فى الاداء التمثيلى والميزانسين والاضاءة ، بغية التوصل الى عقل المتفرج ، وتوظيف الفن فى الوظيفة التى يستهدفها بريخت ، وهى دعوة المتفرج الى التفكير والتغيير . ولعل ابراهيم جلال قد تجاوز بريخت فى تبسيط النص والاخراج فى محاولة للتوصل الى عقل المتفرج العربى ، فهو يختصر من النص مالا يحمل دلالة على الواقع العربى ، وهويلغى من الديكور والاحداث مالايطيقه امكانيات المسرح العربى المادية والفنية [منظر اصطدام سيارة بونتيلا بعمود النور مثلا] وهو يقابل مقتضيات المسرح الملحمى من حيث ضبط ايقاع اللغة الشاعرية والايقاع المسرحى بحيث تندرج المشاهد المتتالية فى كل ذى دلالة شعرية رمزية . وما أندر المخرج الذى يستطيع ان يفى بهذه المقتضيات الشاعرية لمسرح بريخت !

ويضيف ابراهيم جلال اضافة حقيقية وفعالة حين يحقق مقتضيات المسرح الشعبى معتمدا على نص ترجمه ترجمة جيدة « **صادق صائغ** » الى اللهجة العامية العراقية اذ أن النص ذاته وطريقة الاخراج تحتم ابراز كل ما هو شعبى أصيل فى اللهجة والنبرة والحركة والانطلاقة الشعبية عامة ، وقد حرص ابراهيم جلال على تعميق هذا الجانب من المسرح الشعبى فى اخراجه . وتتضح قدرته على هذا التعميق أكثر مما تتضح فى أغانى الطاهية والرواية [**فاطمة الربيعى**] التى تعلق على المشاهد مشهدا بعد مشهد ، وفى مشهد خطيبات السيد بونتيلا الاربع عقب طردهن من القصر .

ان شيئا ما فى أغانى وموسيقى خالد ابراهيم ، وفى اداء فاطمة الربيعى لهذه الاغانى يربطنا بالارض وبكادحى الارض ، ان فاطمة الربيعي وهى تغنى تذكرنى ببنت البلد « الجدعة » شىء ما فى سخريتها اللاذعة ، فى سوقيتها الشاعرية ، فى وحشيتها الناعمة ، فى تعاليها كما ترى ، فى ثباتها ثبات الصخر : باقية هى وكل شىء يمضى ، ضاحكة هى وكل شىء يبكى صابرة هى وكل شىء يضجر ، يجعلها النموذج الحى لبنت البلد ، أيا كانت البلد ، وللراوية او المعلقة على مايجرى من أحداث عجب .

وسيبقى المشهد الذى أدته خطيبات السيد بونتيلا ، أو نساء كورجيلا ، فى الذاكرة طويلا . فاتيك النسوة من بنات العراق الكادحات وبنات بلدى ، فهكذا تسلك بنت البلد على السليقة ، الضحكة عالية ومن القلب ، الحركة ديناميكية وعريضة بلا حدود ، النبرة عالية لاينال منها اى تشذيب ، الحيوية هى حيوية الوردة البرية ، فثلة هى الوردة وجميلة ، لم يجرؤ أحد أن يشذبها قط ، ولم يجرؤ أحد أن يحبسها فى نمط سلوكى قط . منطلقة هى حيوية هاتيك النسوة الشعبيات انطلاقة الحياة ذاتها التى لا يملك أحد أن يقهرها أو ينتقص منها او يحبسها فى أنماط حديدية .

ويتمخض هذا المشهد الذى ينطوى على ما قد يعتبره البعض سوقية وفظاظة عن رقة متناهية متوصلا الى أعلى مراتب الشعر حين تبدأ كل الفتيات تحكى حكاية من حكايات الاستغلال ، ربما فى فنلندا ، وربما فى كل مكان على الارض حيث يوجد مستغلون ومستغلون . وتجيد اجادة فائقة كل من **عواطف نعيم** [عاملة التليفون ، **وزهرة الربيعى** [عاملة الصيدلية] **وافراح نباس** [راعية الغنم] وكل تعاود أمامنا تمثيل الحكاية التى تحكيها . وتبلغ « **سليمة خضير** » فى دور المهربة القمة وهى تحكى حكايتها ان حكاية سليمة خضير تاتى فى نهاية حكايات الاستغلال البشع لانها تنبىء ببداية النهاية للاستغلال البشع . ونحن نتتبع سليمة خضير وهى تحكى حكاية أم عجوز قطعت ثمانين كيلو مترا لتزور ابنها المحبوس فى معتقل الاشتراكيين ، حاملة اليه هدية عبارة عن سمكة وقطعة زبد زودتها بها مخدومتها . والام العجوز تحكى حكاية ابنها المعتقل فى سجن الاشتراكيين لكل من تلقاه على طول الطريق ولصاحب السيارة الذى يحملها جانبا من الطريق ليسقطها غاضبا حين يسمع الحكاية ، ولكن الام تستمر على قدميها تحكى حكايتها للغسالات اللاتى يغسلن الملابس على شاطىء البحيرة . حين تصل الام الى المعتقل تجد أرض المعتقل جرداء من العشب الذى ينمو خارجه ، وتجد ابنها ضعيفا ومنهوكا ، فعشب الارض هو القوت الذى يعيش عليه المعتقلون الاشتراكيون .. و « آتى » ابن العجوز الاشتراكى يرحب بالام ولكنه يرفض الهدية التى استجدتها من مخدومتها . فالشاب يفضل أن يجوع على أن يأكل من طعام أسياد أمه وأعدائه الذين ألقوا به الى المعتقل . وتعود الام تقطع الطريق الطويل ، وعلى لسانها حكاية جديدة ، حكاية الابن الذى فضل الجوع عن الاكل من فضلات المستغلين . وسليمة خضير ، هذه الممثلة العظيمة تحكى الحكاية وهى تتمثل دور

المهرية التى تلعبه ، وتقلد دور الام العجوز ودور صاحب السيارة . ودور الغسالات ، وكل هذه الادوار مجمنمة دون ان تنسى او نسيبا لحظة انها سليمة خضير ، الممثلة التى تحكى لنا حكايه لا تستهدف منها حملنا الى عالم الخيال بل دعوتنا الى تمثل الواقع وتغييره . وتنهى سليمة خضير المشهد والطريق طويل وليس هو بطريق الام العجوز ولاطريق الكادحات الاربع فحسب ، ولكنه طريق كل الكادحين . ولكن ماكان طريق الام الطويل عبثا فقد سمع كل من على الطريق قصة « آتى » الاشتراكى وامثاله من المكافحين ، وسمعنا نحن القصة ووعيناها ، وربما لاننا فعلنا لن يكون امثال « آتى » نادرين فى المدى البعيد.

ان العناصر الشعبيه التى يستخدمها ابراهيم جلال عناصر عربية نتعرف عليها . كل عربى فى بلده . وهى عناصر مستمدة من واقعنا ومن مقومات شخصيتنا العربية ، وهى لذلك تضرب بجذورها فى واقعنا العربى. ان المسرحية تبدا وتنتهى والاقطاعى يقف شامخا معزولا يعب زجاجة من الخمر ، وماتى التابع ينفلت من بين صفوفنا كمتفرجين ليعرض علينا قصة بونتيلا ، ويعود الى صفوفنا والعرض ينتهى ، وهو قد اعلن ان الاوان قد آن ليدير الاتباع ظهورهم للاقطاعيين ، وان الانسان لن يجد السيد الطيب الا حين يصبح هو سيد نفسه . واضافة ابراهيم جلال هذه الاضافة فى الاخراج اضافة ذات دلالة .

وإذا ما انتقلنا الى التمثيل نجد ان الاداء فى هذا العرض كان اداء جماعيا وان كل ممثل وممثلة ، قد نعاون مخلصا وفاهما مع المجموعة لاخراج هذا العرض الناجح ، ولكن يتأتى علينا ان نتوقف عند اثنين من الممثلين وهما ضيفا الشرف على الفرقة ، الفنان يوسف **العانى** ، والفنان **قاسم محمد** . ويقوم الاول بدور السيد بونتيلا والثانى بدور تابعه ماتى.

ودور بونتيلا فى مسرح بريخت هو مثل دور هاملت فى مسرح شكسبير ، الدور الذى يتمنى القيام به كل ممثل عظيم . وشخصية بونتيلا مثل شخصية هاملت ، شخصية غنية متعددة الاوجه متتابعة الحركة والتغير فى المشاعر والاحاسيس ولكن شخصية بونتيلا اصعب فى التمثيل من شخصية هاملت . اذ يتأتى على من يقوم بشخصية بونتيلا ان يقوم بالدور دون ان يندمج فيه ، وجزء منه خارج عن الدور ، جزء يحذرنا باستمرار من عملية الاندماج ، سواء اكان الاندماج تعاطفا ام كراهية ، ويذكرنا باستمرار ان الامر **لايخرج عن مجرد تمثيل ، وان علينا ان نعمل عقولنا ، لا قلوبنا** ، وان نفكر فيما يقال ولا نأخذ كل مايقال مأخذ التصديق

وقد سمعت الكثير عن الاستاذ يوسف العانى ، وعن جهاده الطويل والرائد فى المسرح العراقى ، وان لم يتأت لى أن أراه على خشبة المسرح الا فى ليلتين من العرض الذى قدمته الفرقة العراقيه على مسرح القاهرة ، **واشهد انه واحد من أعظم الممثلين المسرحيين العالميين الذين شاهدتهم فى حياتى** . ان حيويه يوسف العانى حيوية عاتية . وهو يشحن المسرح بمجرد وجوده على خشبة المسرح ، ويملك من التكنيك المسرحى ، ومن الموهبة مايجعله قادرا على تطويع هذا الوجود تطويعا سريعا ومتتاليا فى عشرات من الحالات الشعورية المتضاربة المتناقضة والمتغايرة ، وهو اذ يتراوح مابين الصحوة والسكرة ، مابين الانسان الالى والشاعر الحالم يسيطر على آلاف الظلال التى تكمن بين النقيضين ، وهو اذ يتمثل كل ظل من هذه الظلال ، يبقى فى كل حالة خارجا عنها ببعض الشيء ، وهو يندمج ولا يندمج فى دور الاقطاعى الصارم الالى ، وهو يحقق هذه الحالة من الاندماج وعدم الاندماج معا بالمبالغة الكاريكاتيرية الطفيفة التى لاتكاد تحس، ونحن اذ نشعر انه صارم اكثر مما يلزم قليلا ، وآلى اكثر مما يتأتى قليلا ننفصل عنه لنتفرج عليه وهو يمثل دور الاقطاعى ، ولنعمل فكرنا فى تصرفات هذا الاقطاعى وغيره من الاقطاعيين .

ويتأتى على من يمثل دور بونتيلا ، ان يسكر ، ولايمثل دور السكير ، بل دور من يتغير من طور الالية الى طور الانسانية حتى يصل الى مرتبة الانسان الحالم ، ويوسف العانى لا يترنح تطوحا على المسرح وهو مخمور ، ان ايقاعه يسرع ، ونهم اللذة يتضاعف وانطلاقاته الحركية والشعورية والحسية تسع دوائر فوق دوائر ، وكأنما هو تمثال حجرى يرقص رقصا ايقاعيا احتفاء بالحياة التى دبت فى جسده بعد ان زالت عنه اللعنة ولكى لايسجنا يوسف العانى معه فى رقصته العانية وحتى لايضيعنا فى الاندماج الدرامى فى توبته الكاذبة ، وحتى لاينسينا انه مجرد ممثل يؤدى دورا ، يندمج فى نفس الوقت الذى لايندمج فيه وربما ساعده المكياج فى لحظات السكر او التوبة هذه ، ولكن مامن مكياج او قناع بكاف لرسم هذا الخط الفاصل والدقيق بين الاندماج وعدم الاندماج . ان النص يمد الممثل بمفتاح الخروج من هذا المأزق حين يجعل عاطفية بونتيلا عاطفية رخيصة مبالغا فيها وممجوجة ، فبونتيلا مخمورا يكاد يزحف كالحشرة استجداء لعواطف الاخرين . ويوسف العانى يستخدم هذا المفتاح ويضيف اليه من عندياته ، **ان شيئا ما فى ادائه شيء يصعب تحديد ماهيته يقول لنا ، لاتنخدعوا ولا تصدقونى ، ان هذا الاقطاعى الذى امثل انا يوسف العانى دوره هو فى الحقيقة مهرج ، ولن يبلغ ابدا مرتبة الانسان .**

وقد تمكن **قاسم محمد** ، فى دور ماتى من مطاولة يوسف العانى فى الاداء التمثيلى واثبت تملكا لقدرة تمثيلية فائقة وموهبة نادرة ، وفهما عميقا للنص يعز على الكثير من الممثلين. ان اضافة قاسم محمد لاتكمن فحسب فى قدرته على التلون وفقا لمقتضيات الموقف ، وقدرته على استيعاب لحظات السخرية والحنان ، والصبر ، والحلم والسيادة والتبعية التى يتطلبها دوره ، ولاحتى فى قدرته على تمثيل دور الرجل العادى. وهو دور صعب فى العادة ، وانما تتمثل ايضا فى التحكم فى المشاهدين طوال العرض وقد كان قاسم محمد اشبه بالمايسترو الذى يوجه عقول المتفرجين . ولم يخرج عن الحيدة والتباعد اللذين يتطلبهما بريخت من ممثليه . كان مجرد راو يحكى لنا حكاية يعيشها وهو يحكيها ، وكان يندمج مع بقية الممثلين حينا ، ويخرج الى مقدمة المسرح ليوجه الينا الخطاب حينا آخر ، ولكنه لم يدع مسار عقولنا يفلت تط من قبضة يده .

أن ماتى ليس بطلا ، ولكنه الانسان العادى ، فالابطال لايظهرون فى مسرحيات بريخت الا لماما او بالسماع [سركولا العامل الاشتراكى وآتى الاشتراكى المعتقل) ولانه الرجل العادى العاقل الفاهم الواعى العارف المتقبل جزئيا والرافض جزئيا والمستسلم اولا والثائر اخيرا فكل شيء يتحلق حوله فى هذا العالم المسرحى النهم المختل المدمر ، والمدمر ، المستغل والمستغل . وقاسم محمد يتمتع بالوعى وبالفهم الذى يجعله يفهم طبيعة دوره ، ومايتطلبه هذا الدور من توجيه لمسار التفكير عند المشاهدين، وقد نجح فعلا فى هذا التوجيه .

وقاسم محمد يتمتع بالحضور المسرحى وبالشخصية وبالملامح الجسدية الموحية بالثقه وبالقوة التى تؤهله ليكون القطب الذى تتحلق حوله عناصر المسرحية، وهو يتمتع ايضا بالموهبة وبالحرفية المسرحية التى تؤهله لان يقوم بدور شديد التعقيد يعتمد عليه نجاح المسرحية من عدمه .

وقد قلت يوم شاهدت العرض ، هذه متعة لم تتح لنا فى المسرح المصرى منذ سنين ولا أعتقد ان الصواب جانبنى . ■

د . لطيفة الزيات .



صورة شخصية

قاسم محمد

[معد ومخرج وممثل مسرحي . مدرس المسرح بأكاديمية الفنون]

● حسب نص عثر عليه اخيرا — ويحوى ثلاث مسرحيات على هوامشها تعليمات الاخراج — يرجح ان النشاط المسرحى فى العراق قد بدأ سنة ١٨٨٠ فى اديرة الموصل ، كان القسس والرهبان على اتصال بالثقافة الفرنسية ، لذا ترى تأثير المسرح الكلاسيكى الفرنسى — **راسين وكورنى** بوجه خاص — فى تقسيم المشاهد وتكنيك الكتابة على وجه العموم .

● **والمسرح العراقى منذ بدايته مرتبط بالانتفاضات الشعبية والحركات الجماهيرية** ، لهذا .. فهو مسرح تقدمى منذ البداية ، وفى ثورة ١٩٢٠ ظهر عدد من الاعمال المسرحية كان مرتبطا بالمناخ الثورى وداعيا له ومعبرا عنه « اشير بوجه خاص الى اعمال **محمد مهدى البصير** » وكان طبيعيا — بعد احباط الثورة — ان تحبط الحركة المسرحية . وفى الثلاثينيات بدأت الحركة من جديد خاصة بعد زيارة الفرق المصرية « عزيز عيد — فاطمة رشدى — يوسف وهبى » وقد عمل مع هده الفرق رائد المسرح العراقى **حقى الشبلى** — الذى جاء الى القاهرة وقضى بها حوالى العام ثم رجع ليؤسس فرقة مسرحية ضمت عددا من رواد المسرح : **يحيى فائق، عبدالله عزاوى فاضل عباس** ، **موسى الشهبندر** الذى كتب اول مسرحية واقعية عراقية باسم « **وحيدة** » ومرة اخرى . . ادت الاضطرابات السياسية الى احباط الحركة المسرحية فى نهاية الثلاثينيات .

● ويشهد المسرح العراقى العلمية لاول مرة بعد تأسيس معهد الفنون الجميلة وبالذات قسم المسرح فى ١٩٤٠ ، هنا تدخل الموجات الاولى من الجيل المسرحى الثانى : **جاسم العبودى** ، **ابراهيم جلال يوسف العانى** ، وآخرون ، وتنهى المجموعة الاولى دراستها فى ١٩٤٥ ، ويسافر جاسم الى امريكا لاستكمال دراسته وحتى هذه الفترة كان التدريس فى المعهد — والطابع العام للمسرح بالتالى — متأثرا بأنماط وقوانين المسرح الفرنسى الكلاسيكى على وجه الخصوص وفى هذه الفترة ايضا اسست « **الفرقة الشعبية للتمثيل — ١٩٤٧** » ، وقدمت اعمالا مرتبطة برؤى الجماهير وتطلعاتها الثورية . من مؤسسى هذه الفرقة ، **ابراهيم جلال — جعفر السعدى — خليل شوقى** .. وآخرين .

● **الخطوة العلمية الثانية والتطور الحاسم الذى حدث هو تكوين اول مجموعة مسرحية** ، فى هذه الفترة كان هناك اسم مسرحى بارز هو المرحوم **شهاب القصب** ، كان يعتمد فى نصوصه على الحياة اليومية لبسطاء الناس فى بغداد ، ومعاناتهم وتطلعاتهم على نحو يذكرنا ببعض اعمال الريحانى ، وفى ١٣ ابريل ١٩٥٢ تكونت فرقة المسرح الحديث من : **سامى عبد الحميد — يوسف العانى — ابراهيم جلال — يعقوب الامين — شكرى العقيدى — مجيد العزاوى** .. وآخرين من مثقفى العراق، وتقدم الفرقة فصلا من عطيل وفصلا من **موليير** ، وكان هذا يعنى انهم لم يكونوا يبحثون عن النص المحلى ، وكتب يوسف العانى مسرحيتين من فصل واحد هما « **تؤمر بيك** » و « **ماكو شغل** » . وفى هذه الفترة ايضا عاد ابراهيم جلال من بعثته فى أمريكا وكان أول من ادخل تعاليم **ستانسلافسكى** الى المسرح العراقى ، واول من بشر باهميتها وبدأ فى تطبيقها باخراج هذين النصين فى هذه الفترة ايضا سافر **ابراهيم جلال** الى ايطاليا ، وبدأت الفرقة تصبح محل اهتمام الانتلجنسيا والناس فى فترة من الفترات العصيبة فى تاريخ العراق « ٥٣ — ١٩٥٥ » حيث كان ثمة صراع حاد بين السلطة العميلة والقوى الوطنية وتعرضت الفرقة للعنت والاضطهاد ومختلف ضروب الملاحقة ، حتى أنها لم تستطع أن تقدم عملاً جديدا سوى فى شباط ١٩٥٦ حين قدمت « **ست دراهم** من تأليف يوسف العانى ، **واغنية التم** لتشيكوف من اخراج ابراهيم جلال » لكن اجازة الفرقة سحبت بعد ذلك فانتقلت لتقدم بعض عروضها فى كليات بغداد ونواديها .

● **التطور الهائل فى المسرح العراقى حدث بعد ١٤ تموز** . اسست فرق عديدة وشهدت خشبات المسرح فى كل ليلة أكثر من عرض للهواة والمحترفين ، واطلقت كل الطاقات للتعبير من مرحلة الثورة ، ويمر المسرح بفترة المخاض المرتبط بفترة الصراع السياسى « ٥٩ — ١٩٦٣ » ، وفى ٦٣ سحبت اجازات الفرق المسرحية حتى ٦٦، وقضى العراق ثلاث سنوات كاملة دون عرض مسرحى واحد، وفى ٦٦ اعيد تأسيس لفرق : فرقة المسرح الفنى الحديث ، قدمت اول عروضها فى نهاية ٦٧ باسم « **صورة جديدة** » من تأليف يوسف العانى واخراج سامى **عبد الحميد** ، وكانت الفرقة قد اسست على ايدى **خليل شوقى — ابراهيم جلال — كريم عواد — سامى**

تيلا وآخرين ، وقدمت عادل كاظم لاول مرة فى مسرحية شعبية باسم « عقدة حمار » ، وطه سالم فى « فوانيس » — من اخراج ابراهيم جلال ، بعدها قدمت مسرحية مجرية اخرجها العائد من موسكو محسن السعدون ، ثم بعود يوسف العانى من بيروت وتقدم الفرقة اهم مسرحياته « المفتاح » من اخراج سامى عبد الحميد ، ويبدأ المسرح من هذه الفترة تطورا آخر حاسما فى شكله وموضوعه وطريقة الاداء المختلفة جذريا عما كان .

● هنا أكون قد عدت من موسكو ، ويشهد المسرح الفنى الحديث مدرسة تمثيلية ومسرحية جـديدة هى « المسرح الافتراضى » المتأثر بفختانجوف الروسى من ناحية ، مارا بيريشت من الناحية الاخرى وفى مسرحيتى ذات الفصل الواحد « حكاية الرجل الذى صار كلبا » يطلع الممثل والمشاهد على طريقة جديدة .. كأن يكون الممثل هو الممثل والديكور فى وقت واحد ، يقدم المسرح « الخضلة والجيران » لغائب طعمة فرمان (من اعدادى واخراجى) ، بعدها مسرحية يوسف العانى « الخرابة » وهى الجزء الثانى من « المفتاح » — اخـراجى بالاشتراك مع سامى عبد الحميد ، هذه الفترة — نهاية الســتينات وبداية السبعينات — شهدت ميلاد فرق تقدمية جديدة : « مسرح اليوم » ، « اتحـاد الفنانين » ، وبعاد تشكيل فرقة المسرح الشعبى : ويبلغ عدد الفرق العاملة حوالى ٢٠ فرقة ، غير أن الفرق التى تقـدم اضافة حقيقية هى فرقتا المسرح الحديث والمسرح القومى ، قد لعب هذا الاخير دورا بارزا منذ اسسه سامى عبدالحميد ، وقدم عددا من اعمال المسرح العالمى : «تاجر البنـدقية » ، « أنتيجـون » ، « هواية الحيوانات الزجاجيـة » ، « النسر له رأسـان » .. الخ . وفى السنوات الثلاثة الاخيرة يبدأ الاتجـاه بالبحث عن النص العراقى ووضعه على خشبة المسرح .

وتمر فترة البحث هـذه بمرحـلة « العربق » ويدان هذا الاتجـاه على أساس أنه يجهض حركة التأليف ، لكنها كانت مرحلة هامة على أى حال .

● عنى شخصيا : ولدت فى ١٩٣٦ ، درست فى معهد الفنون الجميلة قسـم المسرح على يدى جاسم العبودى وابراهيم جلال — أنهيت دراستى فى ٦٢ ، سافرت الى موسـكو حيث قضـيت سـت سنوات ، عدت الى العراق فى ٦٨ ، من ٦٨ الى ٧٤ قدمت ١٥ عرضا : اخراجا واعدادا وتمثيـلا فى المسرح الحديث والقومى .

● اننى لا أفرق بين رسالة المسرح فى أى مكان أو زمان عنها فى مكان أو زمان آخر ، ليس هناك مسرح للحـرب وآخر للسلام ، يبقى المسرح دائما يعكس حياة الانسان ونضاله وتطلعاته ، فيمكن الحديث عن الحـرب فى زمن السلم والعكس ، لابد أن يواكب المسرح حركة الحياة مواكبة جدلية ، وهنا أعتقد بصحة مقولة فاختـانجوف « ان المسرح هو السلعة الاولى : والحياة هى السلعة الثانية » يعنى : أن فنان المسرح نبى ومتأمل وواعظ وناصح ومبشر .. ، هذا هو المسرح ، صحيح هناك مراحل تفرض نوعا معينا من المسرح لكن هذا لا يعنى أن يتحول المسرح لمسرح مناسبات .

● هناك ناحية تقلقنى شخصيا هى البحث عن مصادر للعرض المسرحى غير النص المكتوب ، ولهذا أقدم عروضى التى أكتبها أنا بعد بحثى عن مصادر مسرحية مهملة أو غير مطروقة ، هكذا حاولت فى « انها أمريكا » و « بغداد الازل » ، كذلك الرواية والقصة « ضمير المتكلم » من أشعار المقاومة وكتابات بريشت ، أنضج ما قدمت بهذا الصدد عمل منشور لكنه لم يقدم على المسرح بعنـوان « مساء التأمل » ، وهو يضم الحسين وهاملت والحلاج وجيفارا وصاحب ثورة الزنج من حيث هم جميعا حلقـات فى سلسلة واحدة ، ولا زلت أبحـث فى الالعاب والاغانى والحكايات الشـعبية عن مضمون وشكل يميزان المسرح المحلى، مع الاستعانة بالتجارب العالميـة التى نساعدنا فى هذا المجال ، ويبقى التراث هو المعين الذى يزودنا بمادة كثير مـن العروض التى نسعى لتقديمها .

● المشكلة الاساسية التى تواجهنا الان هى عدم وجود معهـد مسرحى متخصص ، لدينا معهد للفنون وأكاديمية لكن هذين المرفقين عاجزان عن تقديم أو تربية كادر مسرحى معاصر ومثقف ،وهذه هى الخطوة الاولى الضرورية .

● لا أستطيع أن أعتبر ما هو موجود الان ممثلا للمسرح المصرى ، أستطيع أن اتحدث عن ماضيه ، أو مستقبله ، ولكن ليس عما هو قائم الان .. فلنتطلع معا الى المستقبل

□ □ □

الفيـلم العـراقى :
الايمـان بالعـلم والعمـل

وفى مجال السينما ، عرض فيلمان روائيان « سعيد افندى » ١٩٥٧ و « الظامئون » ١٩٧٢ .. والجدية هى أقل ما يوصف به هذان الفيلمان ، وذلك أنهما يهتمان أساسا بمواضيع تمس الشعب العراقى ومستقبله ، ويطرحان هذه المواضيع من وجهة نظر متقدمة ، تؤمن تماما بالعلم والعمل .. ومن ناحية اللغة السينمائية ، يصمد الفيلمان للمناقشة والنقد والدراسة .

«سعيد افندى » .. فيلم تشيكوفى الروح . واقعيته مغلفة برقة المشـاعر وانســانية الاحاسـيس . والفيلم منذ البداية يؤمن بالعلم ، لذلك فانه يقدم تفاصيل الحياة اليومية لاحد المدرسين ، نعلى حد تعبير « كاميران حسـنى » مخرج الفيلم « المدرس هو نقطة البدء فى نمو أى بلد نام مثل العراق » .. وبهذم السيناريو الذى كتبه « يوسف العانى » من قصة « ادمون صبرى » « شجار » برســم الابعاد الاجتماعية والنفسـية والاخلاقية لشخصية « سعيد افندى » على نحـو دقيق وبديع ، فمن الناحية الاجتماعية يبدو « سعيد افندى » — شأنه شأن أى موظف صغير — محترم المظهر فى غير افتعال أو مبالغة ، البذلة القديمة التى يرتديها لاتزال تقاوم الزمن ، والحذاء يذهب للتصليح أكثر

من مرة وان كان لم يهترىء بعد . وهو يضطر للانتقال من مسكن الى آخرايجاره أقل .. ان دخله يكفيه بالكاد ، ومع هذا فانه لا يتشكى طوال الفيلم بلمواجه الحياة بجدية وشجاعة ، ويحيط أولاده بطاقة من الحب لا تحدها حدود ، ليس أولاده فقط ، بل أولاد الاخرين .. وهو يؤمن بالمستقبل ، بشرط أن يكون مدعما بالعلم ، لذلك فان أكثر ما يستفزه أن يجد ولدا صغيرا تمتهن طفولته بعدم الذهاب الى المدرسة . ويؤكد الفيلم هذه النقطة أكثر من مرة عندما يجعل بطله يناقش أكثر من أب في ضرورة ارسال الابن الى المدرسة .. وجدية « سعيد افندى » ليست جدية صارمة بقدر ما هى جدية انسانية ، فهو يتصرف في كل موقف تصرفا مسئولا وانسانيا في نفس الوقت ، فعندما يقع جاره الاسكافى فريسة المرض ، ينحى خلافاتهما جانبا ويتولى رعايته كما لو كان هذا التصرف هو السلوك الوحيد المطروح أمامه ، **لذلك فان الفيلم فى بعد من أبعاده يلح على فكرة الوحدة الوطنية وضرورة التماسك لمواجهة كافة مصاعب الحياة .**

وعلى طريقة **الواقعية الايطالية** تنطلق الكاميرات في الشوارع لتصور الاطفال والمقاهى وحركة الحياة اليومية، ويتميز الفيلم بهدوء الايقاع واتزانه ، والمؤثرات الصوتية فيه من ضجيج الشارع الى صوت المذياع الى صفير القطار تبلغ درجةعالية من الصدقوالمقدرة على تدعيم الاحساس بالمكان .. ويحسب للمخرج اهتمامه بالتفاصيل ، سواء فى العلاقات الانسانية ، أو داخل الكادر .. فمن ناحية تفاصيل العلاقات ثمة العلاقة الحميمة بين «سعيد افندى» وصديقه المدرس الذى يرافقه عندمايبحث من سكن يناسب دخله . وعندما يسافر الصديق يودعه « سعيد افندى » وداعا حارا تكاد تبلله الدموع .. وفى مشهد رقيق يقرأ « سعيد افندى » لزوجته وأولاده أحد الخطابات المحببة الاتية من الصديق الغائب . وهناك العلاقةالناعمة التى تربط بين ابنةالاسكافى الخرساء وأصغر أبناء « سعيد افندى» وأيضا ذلك الحنان الدافق الذى يحسه بطل الفيلم أمام كل طفل . وعندمايقسل « سعيد افندى » وجهه بعد عودته من العمل تقف زوجته ممسكة بالمنشفة الى جانبه فى مشهد يمتلىء بالدفء والمحبة .. ان الفيلم ينسج من هذه العلاقات حياة مبهجة وغنية برغم قسوتها وفقرها .. والى جانب الاهتمام بتفاصيل العلاقات يهتم المخرج بالتفاصيل في كل مشهد وداخل كل كادر . ففى مشهد المشاجرة بين الاطفال والتى يشج فيها رأس أصغر أبناء « سعيد افندى » تنتقل الكاميرا بسرعة واضطراب كما لو كانت مذعورة من وجه الفتاة الخرساء الى حركة الشجار المحتدم والحى الى وجه الفتى الغاضب الى الحجر وهو يرتطم برأس الطفل الصغير . وفى مشهد الحانةالتى يدخلها « سعيد افندى » ليقتل الوقت المتبل الذى ينتظر فيه نتيجة العملية الجراحية التى تجرى لاصغر أبنائه تنتقل الكاميرا بليونة من وجه منهك الى آخر بينما صوت المغنى ينطلق باغنية مليئة بالشجن .

ويبلغ التمثيل عموما حدا كبيرا من الجودة ، خاصة « **يوسف العانى** » الذى قام بدور « سعيد افندى » بمقدرة فائقة ، فهو ينقل أحاسيسه المتعددة والمتنوعة بدرجاتها المتفاوتة بصدق وبساطة لا يتوافران الا لممثل كبير . وحتى فى المشاهد التى كادت أن تقرب الفيلم من الميلودراما لا ينغمس فى المبالغات — على طريقة يوسف وهبى — ولكنه يضع حدودا للانفعال والتعبير .

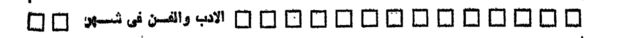
وفيلم « سعيد افندى » ليس أول محاولة في السينما العراقية ، ذلك أن النشرات والتقارير تقول بأن أولى هذه المحاولات بدأت مع نهايات الحرب العالمية الثانية .. ومن أولى الافلام العراقية « **القاهرة — بغداد** » من اخراج « **نيازى مصطفى** » وتمثيل « **حقنى الشافعى** » « **وابراهيم جلال** » و « **عفيفة اسكندر** » و **مديحةيسرى** » ثم « **ابن الشرق** » من اخراج « **نيازى مصطفى** » أيضا وتمثيل « **عادل عبد الوهاب** » و « **مديحة يسرى** » و « **بشارة واكيم** » . وفى عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ تم انشاء ستوديو بغداد الذى كان من الممكن أنينطلق بصناعة السينما خطوات الى الامام لولا الضربات التى وجهت له من طريق بعض الصحف التى شككت فى دوافع تأسيسه ، معبرة فى هذه الادعاءات عن مصالح شركات التوزيع المسيطرة على سوق العراق .. وظل الانتاج السينمائىمضطرباوعاجزا ، يعانى من هزال المواضيع الى جانب ضعف الحرفية .

وفى عام ١٩٥٦ التقت مجموعة من الفنانين لتكون « **شركة اتحاد الفنانين** » بدعوة من « **كاميران حسنى** » ، وبرأس مال صغير وبفهم وايمان لدور السينما وما تستطيع أن تحققه — قدمت الشركة فيلمها الكبير « سعيد افندى » الذى يعد مراقى الروح والدم والقضية .. وتقول النشرات والتقارير أن تجربة « سعيد أفندى » لم تتكرر لسنوات طويلة تالية . فمعظم الافلام التى تذكرها القوائم تدور حول محورين رئيسيين ، الاول تمثله أفلام « **أرزه وقمر** » و « **ظاهر وزهرة** » و « **فتنة وحسن** » و « **عليا وعصام** » ، وهى أفلام تدور حول محور الحبيبين الذين يتعرضان لقوى شريرة تعمل على التفريق بينهما ، لكنهما ينصران ويلتقيان فى النهاية بمساعدة القوى الخيرة . أما المحور الثانى فتمثله أفلام تدلملخصاتها وعناوينها على اتجاهها الميلودرامى الاخلاقى التجارى « **ارحمونى** » « **الندم** » « **أوبئة الحياة** » « **طريق الظلام** » « **طريق الشر** » .

وبعد أكثر من عشر سنوات على انتاج « سعيد افندى » ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٨ قدم « **خليل شوقى** » فيلمه « **الحارس** » ، الفائز باحدىجوائز مهرجان قرطاج ١٩٦٨ ، وذلك لما تميز به من « **بساطة الموضوع وانسانيته** ، **ولكون الشباب الذين صنعوه يخوضون التجربة لاول مرة فى بلد يفتقر الى الامكانيات التكنيكية السينمائية** » كما تقول لجنة تحكيم المهرجان .

وفى عام ١٩٧٢ يقدم « **محمد شكرى جميل** » فيلمه « **الظامئون** » ، وفيه يناقش واحدة من القضايا التى لا تهم العراق فحسب ، ولكنها تهم بلدان العالم الثالث عموما ، ذلك أنه يتعرض للفكر الغيبى والاعتماد على ما تجود به الطبيعة فى مقابل الفكر العلمى والاعتماد على العمل الانسانى الخلاق الذى لا يحده حدود . وقد نجح « الظامئون » فى مناقشة هذه القضية العامة والمجردة من خلال قصة واقعية ممتلئة بالحياة والحيوية .

يبدأ الفيلم بمشهد عام لقرية تكاد تكون ضائعة فى الصحراء ، وتتوالى مشاهد الجفاف والقحط معبرة عن الكارثة المحدقة بالقرية التى تنتظر هطول المطر بلا فائدة . وفى المساء يجتمع الرجال الحائرون لمناقشةالامر ، ويقترح معظمهم الهجرة الى المدينة حيث الماء والنور . لكن أقلية تقترح الاستمساك بالارض وحفر بئر يكون بديلا مضمونا للطبيعة غير المأمونة . وبينما يبدأ « الزاير » أو « الحاج » مع ابنه فى حفر البئر



ينهمك الاخسرون فى اهالة أكواخهم بسواتر الرمال لحمايتها من المطر اذا انهمر . لكن السحب المتجمعة فى السماء سرعان ما تختفى ، ويقول الزاير جملة ذات دلالة « ان الجهد الذى بذله الاهالى فى اقامة هذه السواتر كان يكفى لحفر بئر فى أقل من يوم » .. وتتوالى مشاهد حفر البئر لتنتهى بضربة تاسية ، فعندما تظهر المياه ويتجمع أهل القرية عند حافة البئر ، يرتشف «الزاير» رشفات قليلة فيفاجأ بأن الماء مالح ومر ، .. واذ تبدأ بعض أسر القرية فى الهجرة الى المدينة يصر « الزاير » وابنه على مواصلة العمل وحفر بئر أخرى . وبالفعل يبدأ العمل الشاق من جديد ، وينتهى الفيلم بظهور الماء ، عذبا وطيبا هذه المرة ، وعندما يهطل المطر يقول « الزاير » خرج ماء البئر ولا يهم ان جاء المطر او تخلف » .

هذا هو الخط العام للفيلم ، وهو خط واضح وصريح وصائب . لكن الفيلم يحتوى مجموعة من القصص الجانبية التى لم تعالج بتضج كاف ، لعل أكثرها خطورة تلك القصة الميلودرامية لارملة يعاشرها رجل فى الظلام فتحمل منه سفاحا وتضطر للانتحار فى النهاية ؛ فهذه القصة التى تعد من مخلفات الافلام التجارية الهندية او الباكستانية او المصرية كادت تهدد بغلظتها وافتعالها خط الفيلم الرئيسى ، اضف الى هذا ما وقع فيه السيناريو من خطأ تقسيم الناس الى اشرار تماما وخيرين تماما .

ويحقق الفيلم ، من الناحية التقنية ، مستوى طيبا . حقا قد نتذكر صورة « عطيل » السوفيتى المهتزة فى ماء النافورة ونحن نشاهد صورة « الزاير » المضطربة فى ماء البئر المر ، وقد نتذكر عشرات الافلام التى استخدمت « المرآة المكسورة » تعكس بها صورة الوجه المضطرب والنفس المشوشة ونحن نشاهد الارملة تتزين فى انتظار عشيقها الشرير ، وقد نتذكر جمال تكوينات « بركات » فى « الحرام » وتعدد المستويات داخل الكادر الواحد ونحن نشاهد العديد من مشاهد « الظامئون » .. وقد تكون فى « الظامئون » استفادات واضحة من افلام أخرى ، لكنها فى النهاية تصطبغ بأسلوب المخرج الذى يظل بروحه الفيلم كله . وفى النهاية يظل عالقا بالذهن ذلك المشهد البديع الذى ينظر فيه الكاميرا من قاع البئر الى جسد « الزاير » العملاق وهو يضع قدمه على حافة الجاروف بينما يظل جبينه مرتفعا وشامخا وقويا وواثقا ، رمزا للايمان بالعمل كما كان « سعيد افندى » رمزا للايمان بالعلم . ☐

☐☐☐

معرض الفن التشكيلى : حيوية وتدفق

فى عرض تشكيلى متدفق بالحيوية ، قدمت العراق فى قاعة باب اللوق ضمن اسبوعها الثقافى ، صورة مصغرة للحركة الفنية التشكيلية المعاصرة بها ، وذلك من خلال ما يقرب من ثمانين عملا بين تصوير ونحت ، وهى مختارات من مقتنيات المتحف الوطنى للفن الحديث ببغداد .

ومن الجولة الاولى بالمعرض يشعر المرء بأنه امام حركة فنية خصبة وعميقة الجذور ، شديدة الارتباط بالواقع وبالمكونات الحضارية المحلية ، وفى نفس الوقت يتوق الى اللحاق بالعصر وبانجازاته الابداعية . ورغم كل ما يمكن أن يقال عن تعثر كثير من المحاولات فى هذا السبيل ، من افتقاد الاتزان بين قطبى الجذب — الاصالة ، والمعاصرة — أو من لا تسنده صياغة تشكيلية ناضجة فى بعض الاعمال ... رغم كل ذلك فان الشىء المؤكد والمثير للاعجاب هو الحرارة التى تشع من أغلب الاعمال ، والجدية التى تتسم بها كل المحاولات حتى ما كان منها غير مرتبط بموضوع أو فكرة ، وانما كل همه البحث عن لغة تشكيلية خاصة ... ان المرء ليشعر أمام هذه الاعمال انها انتجت بحب كبير للعراق وللانسان ، وانها ولدت فى وسط حركة تتنفس بحرية .

والمعرض باتجاهاته المختلفة يعكس مراحل تطور الفن العراقى الحديث ، من الاكاديمية التى ابتدأت بها الحركة الفنية منذ أواخر الثلاثينيات ، الى التاثيرية والتعبيرية والتكعيبية التى دخلت العراق مع بدايات اتصال فنانيه بحركة الفن الحديث فى الغرب فى الاربعينات عن طريق البعثات مثل الفنانين **جواد سليم وفائق حسن وحافظ الدروبى وعطا صبرى وأكرم شكرى** ، والتى نمت مع تكوين الجماعات الفنية فى الخمسينيات مثل جماعة « **الرواد** » ١٩٥٠ و «**بغداد للفن الحديث**» ١٩٥٢ وما خلقته من حوار وديناميكية حولها .

وكان لجواد سليم بصفة خاصة مكانة هامة فى زيادة تلك الحركة ، اذ كان أول من نبه الى الاستفادة من مدارس الفن الحديث مع ابراز أهمية الاستفادة من فنون مابين الرافدين القديمة والاسلامية ، والبحث عن منابع جديدة فى الاحياء الشعبية العراقية .

ولعل محاولات جواد سليم كانت اولى الخطوات لخلق تيار فن عراقى قومى بمفهوم متطور ، فقد سار على نهجه عدد كبير من الفنانين العراقيين ، واكتسبت أعمالهم بعدا جديدا هو البعد الاجتماعى ، حيث لم يكتفوا بالدراسات التكنيكية المعنية بالقيم الجمالية الخالصة ، وانما كذلك بالتعبير عن هموم الواقع وبالنقد له ، وقد عمق قيام ثورة ٥٨ من هذا الاتجاه .

وقد ساعدت الدولة بالعراق بشكل

فعال على ازدهار الحركة الفنية فيه، دون أى تدخل منها لتسويد اتجاه على آخر ، وكان اهم شكلين لهذه المساندة هما : سن قانون انشاء نقابة الفنانين ، وتخصيص معاش لهم عند تقاعدهم ... هذا فضلا عن التشجيع المادى الكبير باقتناء أعمالهم بمبالغ تكفيهم ليعيشوا حياة لائقة بهم وعرض هذه الاعمال فى المتحف الوطنى وطبع مستنسخات منها بالالوان وعرضها للبيع بأسعار زهيدة يصل سعر النسخة منها الى ما يساوى قرشا واحدا [!] .. وبهذا يكتسب العمل الفنى شعبية ويرتفع الوعى الجمالى لدى الجماهير .. وكان منطلق الدولة فى هذا هو فهمها الصحيح لدور الفن واهمية الفنان فى بناء الحضارة والتقدم ، ومن هنا كان حرصها الشديد على أن يظل مناخ الفن مشبعا بالحرية والديمقراطية . لكن لعل الشرط الاساسى الذى كان توفره سببا فى أن يكون تحقيق كل ذلك ممكنا هو نضوج الحركة الفنية ذاتها وتماسك قاعدة فنانيها .

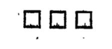
وجولة ثانية بالمعرض توضح سيادة اتجاهين فنيين على بقية الاتجاهات : الاول هو ما يمكن تسميته بالتعبيرية الرمزية ، ويعنى بمعالجة قضايا اجتماعية او سياسية أو فكرية ، من موقف متقدم أو ثورى ، بصياغات تشكيلية مستحدثة مثل : الارض والانسان [لسلمان البصرى] وثوانى الغضب [لشاكر الشاوى] ويوم جديد لادم [لصالح الجميعى] واغتيال وائل الطيب [لغرار القدو] وتعذيب ثم تعذيب ثم قتل [لمحمد مهر الدين] والجيل المثمر [لمحمد على شاكر] ونزهة [لاردش كاكافيان] .

اما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه التجريدى والزخرفى ، وهو اما يقوم على محاكاة لبعض الأساليب الغربية فى هذا الاتجاه ، أو يتخذ من التراث القومى والابداع الشعبى والخط العربى ينابيع ينهل منها .. مثل : ضياء العزاوى [تشكيل زخرفى] وتعويذة العذارى [رافع الناصرى] وفؤاد جهاد [زوجان] وحسين عبيد علوان [شناشيل] .

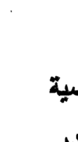
وتتميز اعمال النحت بحضور قوى فى المعرض ، بصرحيتها وتعبيريتها الحديثة ، مثل اعمال اسماعيل فتاح واتحاد كريم وصادق ربيع ونداء كاظم .

ان معرض الفن العراقى بالقاهرة كان خطوة ايجابية هامة لالتقاء الفنان المصرى بشقيقه العراقى ، واطلاع الجمهور المصرى على نموذج للابداع الحقيقى الذى هو ثمرة للتخطيط الواعى والايمان بدور الفن .. نأمل ان تتلوها خطوات .

هل نأمل أن نستفيد منه شيئا !! □



صورة شخصية



كاظم حيدر

[رسام ومصور — رئيس قسم الرسم بأكاديمية الفنون]

● **تاريخيا .. بدأ الفن التشكيلى المعاصر فى العراق مع بدايات هذا القرن** ، على أيدى الجيل الاول من الرسامين : **محمد صالح زكى** ، **عبد القادر رسام** وآخرين ، غير ان بدايته الحقيقية كانت حول منتصف الثلاثينات حين بدأ ارسال البعثات الفنية الى اوربا كان من بين هؤلاء **أكرم شكرى وفائق حسن** وآخرون ، وفى ١٩٤٠ أنشىء **معهد الفنون الجميلة** ، وبدأت الجمعيات الفنية فى الظهور : **اصدقاء الفن — الرواد — جماعة بغداد** وغيرها ، وفى ١٩٥٦ انشئت **جمعية الفنانين العراقيين** ، وانشئت **أكاديمية الفنون الجميلة** فى ١٩٦١ ، والحقت بالجامعة فى ١٩٦٧ .

واليوم .. تموج بغداد بجماعات فنية كثيرة تعمل كلها بنشاط : تقام المعارض سنويا فى المتحف الوطنى وجمعية

الفنانين ، بالاضافة للمعارض الخارجية التى تقام فى العواصم الاوربية المختلفة : موسكو — بلغراد — صوفيا — باريس — لندن — روما — اثينا ، وقد حصل عدد كبير من الفنانين العراقيين على جوائز فى المعارض المختلفة .

● **بدأ الفن العراقى على النحو الشعبى المتصل اتصالا وثيقا بالحياة الشعبية** فى القرية والمدينة ، ثم تحول إلى السياسة ، واختلطت المسائل الشعبية بالمنحى التاريخى ، وبدأ الفنانون البحث عن المفردات الموجودة فى الفنون الاشورية والسومرية والبابلية والاسلامية ، وظهرت شخصية جديدة للفن العراقى من حيث الشكل ، وتحول هذا الشكل بعطاء مفردات رمزية من الحالة السياسية القائمة وقتذاك ، ثم ظهرت المؤثرات الغربية المعاصرة ، وكان وجه الغرابة أن معظم الفنانين قد درسوا فى اوربا ، لكنهم لم يتأثروا بالفن الاوربى منذ البداية .

● **فى الوقت الحالى نجد تعبيرا عن خليط من المؤثرات الاوربية والتاريخية والمعاصرة** ، وهذا يدفعنا لايجاد شخصية جديدة للفن العراقى ، ليس هذا تفكيرا مسبقا ، **لكن الحركة التشكيلية تتجه هذا** الاتجاه ، والشىء الجديد هو أن الحكم الحاضر ينحو منحى اشتراكيا . وقد بدأ هذا يؤثر على شكل ووضعية الفن العراقى ويعطيه معانى جديدة ، ولاشك فى أن الحركة السياسية فى العالم العربى — والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص — تشغل حيزا كبيرا من اهتمامات الفنانين .

● درست الفن الاكاديمى الصرف ، **ودرست عناصر التشكيلية العراقية القديمة ، وقد حاولت المزج بين هاتين الدراستين فى مرحلتى الاولى ، ثم** وجدت انه شىء مطروق ، فبدأت دراسات أكثر حداثة للعناصر القديمة فى الفن العراقى ، والفكر الاسلامى ، وبعض وحدات الفن المعاصر ، وحاولت المزج بين هذا كله لاجد منحى جديدا ، واعتبرت هذا أيضا غير كاف ، وظل هذا حتى ٥٤ — ١٩٥٥ على وجه التقريب .

● **وضعت نفسى بعد ذلك بالتفكير السياسى — الاجتماعى ، ولازلت كذلك.** واود ان اضيف أن جانبا كبيرا من الفنانين العراقيين بدأ يدخل هذه المرحلة ، **كان الانسان عندى — فى المرحلة الاولى — هو المهم فى البحث ، بعد ذلك ظهر الانسان وأدوانه وعلاقاته بالاشياء المحيطة به ، ثم ظهرت الاداة بشكل متفرد ، وتضاءل الانسان ،** أقمت معرضا انضح به هذا كله فى ١٩٦٢ .

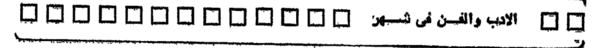
● بدأت منذ ١٩٦٥ معرضا آخرا اسميته « **ملحمة الشهيد** » ، وهى شعر مصور لاثنتين وثلاثين قصيدة من قصائدى ، بين اللوحات نوع من التتابع المنطقى ، وموضوعها « معنى الشهادة فى الواقع المعاصر » .

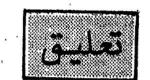
● فى ١٩٦٧ أقمت معرضا يضم أعمالا فى مواضيع شتى ، تدور حول **تمزق الانسان المعاصر** ، وكان بهذه الاعمال نوع من الاهتمام بالتكنيك أكثر من المضمون ، وقد عرض جزء من هذه اللوحات فى بيروت واليونان .. الخ ، وكان هذا قبل يونيو مباشرة .

● وبعد يونيو ٦٧ ظللت سنتين لا أفعل شيئا على الاطلاق ، كنت مستجيبا لنوع من القلق اعتقد انه اصاب معظم الفنانين العرب ، بعد هاتين السنتين خرجت بمجموعة اعمال تدور كلها حول **القضية الفلسطينية** ، انجزت لوحة يبلغ طولها ٢٥ مترا ، عرضت فى معرضى **الاخير بعنوان « القضية الفلسطينية »** وكان عنوان اللوحة : « **فلسطين : ماساة وكفاح** » .

● **بدأت الاهتمام بالمسرح فى ١٩٥١** ، وقد كتبت مسرحيات عديدة ، **ودفعنى اهتمامى وحبى القديم للمسرح الى الاهتمام بالديكور المسرحى** ، من حيث هو وسيلتى للربط بين رؤيتين : احداهما تفكر بأجزاء او افعال من الحياة على نحو شامل ، والاخرى تأخذ منحى صغيرا وتحاول نعمته ، **الديكور عندى يخدم المسرحية ، لكن له عالمه الخاص** ، وقد بدأ هذا الحس بالاستقلال يتكون الان فى اوربا

● **أتمنى للفنانين العرب على وجه العموم أن يرجعوا مرة اخرى لمحاسبة انفسهم عن طريق مؤتمر عام ، ويبدأوا طرح انفسهم بشكل واضح وصريح ،** ورأيى أن حركة الفن التشكيلى فى البلاد العربية تنحو مناحى مختلفة ، معظمها اكثر تشبثا بالفنون الاوربية المعاصرة ، صحيح ان الفن قد أصبحت له صيغة عالمية ، لكن كل شعب من الشعوب له رؤيته الخاصة ومعاناته الخاصة .. **عن طريق هذا المؤتمر ارجو ان يجد الفنانون العرب طريقهم ، الموحدة بالمعنى العام ، والمختلفة والمتنوعة مع ذلك .**





من المسئول عن هذا الحصار ؟

يأتى « دليل السينما ١٩٧٣ » ليتحدث عن الافلام التى عرضت خلال عام ١٩٧٢ » أ « فى آخر عام ١٩٧٤ .. ويبرر الأستاذ / احمد الحضرى ، مدير المركز الفنى للصور المرئية ، فى تقديمه للدليل ، اختفاء بعض الابواب الهامة التى تقلل بلاشك من قيمة الدليل بسبب « ظروف الطباعة » ! ولكن الامر لايتوقف عند حد اختفاء باب « الكتب السينمائية » التى صدرت خلال عام ٧٢ ، أو الاشارة الى « المواهب الجديدة » أو فكر الافلام التى انتجت فى الوطن العربى أو اية مقالات تقييمية ، بل يمتد ايضا ليشمل طريقة عرض الافلام التى تصل فى قلة سطورها حد الاختزال المخل .

لكن لاباس .. فبرغم تأخر صدور الدليل ، وبرغم ابتعاده التام من اى موقف تقييمى ، وبرغم عدم شموله ، فانه فى النهاية جهد تسجيلى يعطى للقارئ المدقق دلالات على قدر كبير من الخطورة .

الافلام الاجنبية التى لانراها :

لا شك أن الافلام الاجنبية التى فازت وتفوز فى المهرجانات الدولية ، مهما كانت المجاملات ، تحتوى على حد أدنى من القيمة الفكرية والفنية ، يجعلها فى مرتبة أعلى من آلاف الافلام التجارية الصغيرة التى لايجرؤ أصحابها على التقدم بها الى هذه المهرجانات ، أو على الاقل تفشل فى انتزاع اعتراف ما بقيمتها . ولعل الافلام التى شاهدها الجمهور المصرى خلال السنوات الماضية ، والتى فازت بجوائز عالمية مثل « راعى بقر منتصف الليل » و « ربيع عانس » و « الملك لير » تؤكد هذا المعنى ، فهذه الافلام لايمكن أن نقارن بها أفلاما من قبيل « الكل أعدائى » أو « المرأة الخائنة » أو « العمالقة » ، وهى أفلام اجنبية عرضت خلال عام ١٩٧٢ ولم يعد يذكرها احد ، فلك أنها لاتحتوى على مايغرى بالتذكر ، لا من ناحية موقفها من العالم أو من ناحية لغتها السينمائية .

ويحتوى الدليل على فصل هام يتابع الافلام الفائزة بالجوائز الاولى فى المهرجانات العالمية ، ويتضمن الفصل أسماء « ١٥٠ » فيلما طويلا ، فاز فائزوها بجوائز مهرجانات كان وطهران وساريبو وكراكوف وبرلين وكارلو فيفارى ولوكارنو وفينسيا والاوسكار وقرطاج ودمشق الدولى .

واول ماتلاحظه بعد قراءة اسماء هذه الافلام أن الجمهور المصرى لم يشاهد منها خلال عام ١٩٧٢ والاعوام التالية له سوى بضعة أفلام فقط ، منهم فيلمان لم يعرضا جماهيريا بالرغم من أن أحدهما « قضية ماتى » يفضح الاساليب الإجرامية التى تتبعها شركات البترول الامبريالية لتصفية أعدائها ، وهو الفيلم الفائز بالجائزة الكبرى فى مهرجان كان ، بينما يكشف الفيلم الثانى « انتهى التحقيق المبدئى .. انسياه » التواطؤ التالى بين الشركات الرأسمالية وجهاز البوليس وعصابات المافيا ضد العمال والشرفاء ، وهو الفيلم الذى فاز مخرجه « دميانو دميانى » بجائزة الاخراج فى مهرجان طهران الدولى .. وباستبعاد هذين الفيلمين يصبح نسبة ماشاهده الجمهور المصرى من الافلام الاجنبية التى اعترفت المهرجانات العالمية بقيمتها لايتجاوز ٣ر٣٪ فى الوقت الذى عرض فيه « ١٦٧ » فيلما أجنبيا يندرج معظمها اما فى باب « المغامرات » أو « الجاسوسية » أو « العنف » أو « الميلودراما » أو « الكوميديا الخفيفة » .

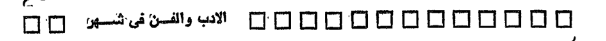
واذا كان للمرء أن يحتفظ بهدوئه وهو يراجع اسماء الـ « ١٥٠ » فيلما الفائزة بالجوائز الاولى فى المهرجانات العالمية والتى لم يشاهد منها أكثر من خمسة افلام فانه لن يستطيع أن يحتفظ بهدوئه عندما يقرأ أسماء الافلام العربية التى استطاعت أن تنتزع لنفسها مكانا بين الافلام الاجنبية الكبيرة ، فمن الدليل نعرف انه يوجد فيلم اسمه « عندما تنادى الارض » لمخرج عراقى اسمه « محمد شكرى جميل » فاز بجائزة الاتحاد العالمى للنقابات ، و « .. غدا » لمخرج تونسى اسمه « ابراهيم باباى » ، فاز باحدى جوائز مهرجان كارلو ـ فيفارى ، ومن سوريا يفوز فيلم « الفهد » الذى أخرجه نبيل المالح بجوائز فى مهرجان لوكارنو وكارلوفي فارى ودمشق الدولى .

من هنا نتبين مدى العزلة الموحشة التى نعانيها ، والتى تحرمنا من مشاهدة الاعمال السينمائية التى يصفق لها العالم .. ومن هنا ايضا يبرز بالضرورة السؤال التالى : من المسئول عن حصارنا ؟

شركات التوزيع والافلام الاجنبية التى نراها

تسيطر على استيراد الافلام الاجنبية فى مصر « ٢٤ » شركة ، « ١٠ » منها أجنبية ، معظمها أمريكى الجنسية ، أشهرها واكثرها نشاطا ونفوذا « مترو جولدين ماير » التى وزعت خلال عام « ٧٢ » « ١٤ » فيلما ، و « بارامونت » « ١٣ » فيلما ، و « اخوان وارنر » «١٢» فيلما ، و « فوكس » «١٢» فيلما .. وشركة سوفيتية واحدة «سوفكسبورت فيلم » «٢٠» فيلما .. و «١٣» شركة توزيع مصرية .. وهناك ايضا « هيئة السينما والمسرح » التابعة لوزارة الثقافة والتى استوردت وحدها «٣١» فيلما خلال عام ١٩٧٢

وتعكس قائمة الافلام الاجنبية ، من خلال الدليل ، سيطرة الفيلم الامريكى ـ والافلام التى تنسج على منواله ـ على دور السينما سيطرة تكاد أن تكون تامة . فمن الولايات المتحدة وحدها يعرض «٥٢» فيلما من «١٦٧» فيلما ، أى حوالى ثلث الافلام الاجنبية خلال عام ٧٢ ، والواقع أن هذه النسبة تبدو أصغر من حقيقتها عندما ننتبه الى عشرات الافلام الامريكية الروح والاتجاه والاسلوب والتى تختفى فى جنسيات أخرى . فماذا تقول عن أمثال فيلم « انتقام الرجل الذهبى » « المتعدد الجنسيات » والذى تروى قصته كيف « تتمكن عملية للمخابرات الامريكية



من احباط خطة وضعتها منظمة اجرامية بهدف نسف الصواريخ عابرة القارات التى تطلق من قاعدة كيب كيندى الامريكية .. على الرغم من أن الفيلم يدعى أنه ليس أمريكيا ولكن جنسيته « ايطالى — أسبانى » !

واذا كان الدليل يقول بان عدد الافلام السوفيتية التى عرضت فى نفس العام « ٢٠ » فيلما ، فانه يجب ان ننتبه الى ان الافلام السوفيتية لاتعرض الا فى دار عرض واحدة بينما الافلام الاخرى تعرض فى جميع دور سينما الاقاليم والدرجة الثانية .

وربما كان من السذاجة ان نطالب شركات السادة « مترو جولدين ماير » أو « اخوان وارنر » أو « بارامونت » او « فوكس » بأن تستورد وتعرض الافلام التى تنتجها ستوديوهات العالم الاشتراكى « تشيكوسلوفاكيا » أو « رومانيا » أو « المجر » أو يوغسلافيا » ، ذلك ان هذه الافلام تتناقض بالضرورة مع ماتمثله وما تؤمن به هذه الشركات ، ولكن من المعقول أن نطالب شركات التوزيع المصرية « الوطنية » بهذا المطلب ، وأن نبحث من الفروق التى تميزها عن الشركات الامريكية .

عند تبويب الافلام التى استوردتها وعرضتها شركات التوزيع المصرية « الوطنية » خلال ٧٢ ستجد انها فى مجملها لن تخرج عن النماذج الاربعة التالية : « **عصابة الميني جيب** » انتاج : أمريكى — ١٩٦٨ ، التوزيع : أفلام ماجدة الموضوع : « تقرر زعيمة عصابة من الفتيات الانتقام من صديقتها الذى تخلى منها وتستعين فى تنفيذ خطتها بأفراد عصابتها » .. أما افلام « جمال الليثى » فتستورد « **بندهان** » ، انتاج : هندى ، النوع : ميلودراما ، الموضوع : « يتهم شاب بقتل أبيه السكير وأثناء المحاكمة يتضح أن الرجل انما مات عند وقوعه على خنجر اثناء محاولته اغتصاب خطيبة ابنه » .. ومن الافلام « المتعددة الجنسيات » ، تعرض « الافلام المتحدة « **جسر الرعب** » — باسانترا — النوع : بوليسى ، الانتاج : فرنسى — ايطالى — المانى ، الموضوع : « يتصدى صاحب احدى المزارع لعصابة تتاجر فى المخدرات تريد الانتقام لمقتل احد افرادها على يد صاحب المزرعة » .. ولا تنسى هذه الشركات استيراد بعض الافلام العربية فتجلب « أفلام السلام » « **انت عمرى** » ، النوع : كوميدى ، الانتاج : لبنانى ، الموضوع : «يساعد رجل أعمال ثرى شقيق فتاة فقيرة وقع فى غرامها فى اعماله الاستعراضية دون علم الفتاة .. وعندما تكتشف الاخيرة الامر توافق على الزواج به » .

ولكى تزداد الصورة دقة يجب أن نتذكر ان « مترو جولدين ماير » هى التى وزعت « **العسكرى الازرق** » وان « اخوان وارنر » قامت بتوزيع « **منتهى الشجاعة** » أو « **وصمة عار أخرى** » ان « بارامونت» هى التى وزعت « **الخيمة الحمراء** » وان « فوكس » قدمت « ماش » . وبهذا نتبين أن شركات التوزيع الامريكية تحاول ان تقدم وسط طوفان أفلام « المغامرات » و « رعاة البقر » و « الجاسوسية » و « العنف » أفلاما تحتوى على « قيمة» بينما تتسابق شركات التوزيع المصرية «الوطنية» على استيراد الافلام الامريكية الفاشلة « والميلودرامات » الهندية ، والافلام المريبة ، « متعددة الجنسيات » والافلام العربية التى تقلد أسوأ الافلام المصرية .

يبقى بعد الشركات الامريكية والشركات المصرية « الخاصة » « هيئة السينما والمسرح » التابعة لوزارة الثقافة ،وبعيدا عن الحديث المعاد حول الدور النموذجى الذى كان يجب أن تقوم به من ناحية ضرورة انفتاحها على سينما العالم الاشتراكى أو العالم الثالث أو على الاقل استيراد الافلام الشجاعة التى ينتجها شباب أوروبا أو الافلام الفائزة فى المهرجانات العالمية ، الامر الذى كان سيميزها حتما عن شركات التوزيع الامريكية من جهة وشركات التوزيع المصرية الخاصة من جهة اخرى .. بعيدا عن هذا كله فلننظر الى نوعيات الافلام التى استوردتها الهيئة فعلا ، وعرضتها خلال عام ٧٢ ، والتى بلغ عددها «٣١» فيلما .

نصف أفلام الهيئة تتحلى بالجنسية الايطالية ، ومع هذا لن تجد اسم فلليني او دى سيكا أو بازوليني أو روسلليني أو فرانشسكوروزى ، بل ستطالعك أسماء لمخرجين تجاريين لاشهرة لهم ، يقدمون أعمالا من نوع « العمالقة » : رعاة بقر ، انتاج : ١٩٦٨ وفيه « يقرر احد اللصوص التصدى لزميلين له سيشتركان فى احدى عمليات السطو بعد أن نشأت علاقة صداقة بينه وبين الشاب ضحية عملية السطو » .. والى جانب أفلام « رعاة البقر » المصنوعة على الطريقة الامريكية تستورد الهيئة — من ايطاليا أيضا — كوميديات خفيفة من نوع ، سامحنى سأقتلك « انتاج : ١٩٦٨ حيث « يحاول زعيم احدى العصابات استرداد شحنة من الذهب سرقها اثنان من المغفلين دون ادراك قيمتها الحقيقية »

ومن العالم الثالث لا تستورد الهيئة الا فيلمين هنديين ، وبدلا من أن يكون أحدهما فيلم « **سيمابادوا** » الذى أخرجه فنان الهند العظيم « **ساتياجيت راى** » ، والذى فاز بجائزة اتحاد الصحافة السينمائية الدولية عندما عرض فى مهرجان فينسيا ١٩٧٢ ، تستورد الهيئة ميلودرامتين سخيفتين « **بوراب باشليم** » و « **جوان محبات** » الذى يروى كيف « يتورط طبيب مشهور على علاقة براقصة فى قضية لا ينجو منها الا بفضل مساعدة شقيقه » .

وتقدم الهيئة خمسة أفلام امريكية ليس بينها فيلم واحد فى مستوى « العسكرى الازرق » أو « ماش » ، ولكن معظمها من نوع « الملعون » الذى تدور قصته حول « شاب يعمل خادما لدى كونتيسة تمتلك قصرا فى بافاريا — يجد نفسه مضطرا الى الزواج بابنة الكونتيسة الدميمة لتحقيق حلمه بامتلاك القصر » .

وبدلا من أن تستقدم الهيئة فيلم«الفهد» من سوريا تجلب عملا كوميديا هزيلا « **واحد زائد واحد** » الذى يتحدث « عن محاولات رجل للتخلص من عشيقته التى جاءته من القاهرة مع ابنها بعد ان وقع الطلاق بينها وبين زوجها » ..

والان .. هل يوجد مايميز « هيئة السينما والمسرح » التابعة لوزارة الثقافة من شركات التوزيع الخاصة التى تتسابق على استيراد الافلام الامريكية الفاشلة أو التى تنسج على منوالها ، « والميلودرامات » الهندية ، والافلام المريبة ، « متعددة الجنسيات » .

والافلام العربية التى تقلد أسوأ الافلام المصرية ؟

الافلام المصرية وضرب الوعى من الداخل

من الشجاعة أن نعترف بأن شركات التوزيع الامريكية والمصرية الخاصة وهيئة السينما والمسرح نجحت جميعها فى فرض حصار محكم وفعال ، منعت به المتفرج المصرى من مشاهدة الافلام التى من الممكن أن تدعم وعيه وتعمقه ، أفلام العالم الاشتراكى ، أو أمريكا اللاتينية ، أو اليسار الاوروبى ، أو تلك التى صفق لها العالم فى المهرجانات الدولية .. وهذا الحصار القاسى هو الشرط الاول والمقدمة الضرورية لازدهار الافلام المصرية المضادة للوعى ، أفلام «جنون المراهقات» و « امتثال » و « بنت بديعة » و « الشيطان امرأة » و « وكر الاشرار » وهى الافلام التى تعمل سمومها فى نفوس المتفرجين فتجعلها مهيأة مرة أخرى لتقبل البضاعة الفاسدة التى تستوردها شركات التوزيع التى لا ترحم ، سواء أمريكية أو مصرية خاصة أو عامة .

كمال رمزى



الانسان والوحش وقيمة التمثيلية التليفزيونية

● جاءت التمثيلية التليفزيونية « الانسان والوحش » [سهرة الثلاثاء ١٢ نوفمبر الماضى] لتقلب الصورة ، وتعيد الامور الى ميزانها الصحيح الذى يوجب على التليفزيون كجهاز سياسى وثقافى بالدرجة الاولى أن يقدم فنا جيدا وليس اى شىء ، وكل شىء .. وهو ماتعودنا عليه مما اتاح لبعض الاقلام الفرصة للتندر كل يوم على أعمال التليفزيون الدرامية ، وخاصة سهرة الثلاثاء ، مما كون تيارا عاما ضدها تضيع فى وسطه الاعمال الجيدة فى ركام الغثاثة ، وبدون محاولة التصدى لرصد الاسباب الحقيقية التى تقف وراء سوء مستوى الاعمال التى يقدمها التليفزيون ، ومنها الرقابة التى منعت هذا العمل لمدة تقرب من العام ، ومنعت غيره من الوصول الى المشاهد لاسباب غير واضحة ، وغير مقنعة ..

تدور احداث الانسان .. والوحش [قصة سعد مكاوى ، سيناريو وحوار جلال الغزالى واخراج اسماعيل عبد الحافظ] حول شاب يخترع جهازا يستطيع ان يغير موجات تفكير البشر وينقلها من بعضهم للاخر فماذا يحدث للناس ؟ هذا هو الملخص السطحى جدا للعمل ، لكن من هم الذين استخدم الجهاز تجاههم ، وماذا كانوا يفعلون قبل استخدامه ثم ما حدث لهم بعد ذلك وكيف فكر كل منهم فى استغلال الاختراع .. هذا ما تجيب عنه التمثيلية التى تشحذ ذهننا منذ اللحظة الاولى وتدفعنا للتحفز ولا تتركنا الا بعد ان يصل الينا المعنى كاملا .. أو بعضا منه ، وهذا لا ينتقص من قيمتها لانها تقدم اكثر من بعد على المستويين الواقعى والرمزى ، وتبرز هذا الوحش الذى يعيش بداخل كل منا على المستوى الفردى والاجتماعى ، والاخلاقى والسياسى ، ومن أى نقطة يبدأ ضعف الانسان وانهياره ، وهل يصمد الادعاء وينتصر الباطل عندما ينتشر كالوباء بين البشر ؟

ففى التمثيلية نرى الشاب الذى اخترع الجهاز وهو موقف خيالى محتمل — يضيع امله ويموت على يد اختراعه فى اللحظة التى يلعب فيها الجانب الشرير فى داخله دوره من أجل استخدام الجهاز لتعويض احباطاته فى بداية حياته حيث كان يحب الفتاة [مشيرة] التى يحبها زملاؤه الاربعة فى السكن والكلية [عمر ، توفيق ، محمود ، ممدوح] وكيف عجز عن الوصول اليها ، وعن التواصل مع الاصدقاء أيضا بدافع من شخصيته الضعيفة واحساسه بالعجز امامهم مما ابعده عن دراسته الاكاديمية فى كلية الهندسة ، وعن المجموعة منساقا وراء التجارب والشطط العلمى ، ولذلك فان اختراعه للجهاز لم يكن لهدف انسانى نبيل بقدر ما كان محاولة لاثبات الذات أمام هؤلاء الذين سخروا منه فى الماضى ، وامام هذه الفتاة التى لم ينلها وتزوجها احدهم ؟ .. وما ان يتأكد من نجاح اختراعه عن طريق تجربته على الصديق الذى احتضنه وقاسمه حياته — وهو شاعر شاب لاتتناقض شاعريته مع مبادئه الانسانية والتقدمية — حتى يسكره النجاح فينطلق الى فريسته الحقيقى .. أصدقاء الدراسة الذين جمعتهم زمالة العمل أيضا مهندسين فى شركة واحدة ، وتكون محاولته اثبات الذات امامهم سببا فى القضاء عليه حينما يتمكن اثنان منهم [ممدوح — محمود] من سرقة الجهاز من أجل تخليص انفسهم من ورطة وقعوا فيها من خلال عمليات بناء غير دقيقة المواصفات حصلوا على ثمنها ، ولكن رائحتها فاحت وقضت على زميلهم عمر [المهندس التنفيذى] بالانتحار ... ويصبح من السهولة ان يوجه الاختراع الى صاحبه ليقتله ، وان يوجه الى المهندس توفيق [زميل الدراسة

والعمل الرابع [الخارج عن اللعبة والذى يتحرك ليكشف حقيقة ما يحدث بنهم .. وهكذا يمضى الجهاز فى تصفية المجموعة كلها ، وينجح احد الاثنين الباقيين [ممدوح] فى قتل محمود العقل المفكر لكل ماجمعهم من طموحات غير مشروعة [أنا أريد ان اسرق مثلما يفعل الاخرون فى كل مكان] .. وفى اللحظة التى يعتقد فيها ان كل شيء قد دان له ولم يبق الا الحصول على «مشيرة» تكون نهايته هو الاخر على يدها حيث تحضر معها الشاعر الذى ادرك خطورة الاختراع منذ بدايته ، وحذر منه ، وتابعه ، وقاوم استخدامه ، وعرف كل ماحدث لصديقه والاخرين ولكن دون ان تكون لديه الادله ، وفى اللحظة الحاسمة يستخدم الشاعر مسدسه عندما لا يصبح هناك مفر لتدمير الجهاز .. وبالتالى يدمر ممدوح نفسه ذوه.

وهكذا تبدو التمثيلية مركبة ، متشابكة ، تقدم شخصياتها بقوة شديدة ، ولكل منها عالمها الخاص الذى يبحث عن ذاته من خلال طموحاته ومبادئه المشروعة وغير المشروعة ، حيث تصب هذه الخطوط فى الموقف الاصلى ، وهو اختراع الجهاز ، الذى يفجر الازمة فى داخل المجموعة ، ويتحول ببطء الى الهدف سواء بالحصول عليه أو بتدميره بحيث يمر موت صاحبه ومخترعه نفسه مرور الكرام ، وبحيث يتحول الجهاز نفسه الى رمز للقوة التى يحاول ان يركبها كل واحد للقضاء على منافسيه ، وتحقيق كل مطامعه ، وعلى هذا النحو نجح الكاتب والمعد فى ان ينبها الى ما ينهش فى واقعنا من رشوة وسرقة ونفوس ضعيفة تعيش فى وسط هذا المجتمع ، تأكل خيرانه وتدمر كل شيء فى طريقها بلا رحمة من أجل مصالحها الشخصية .

ان هذه التمثيلية الجيدة برغم بعض ما فيها من طول ، وايقاع بطيء ، واخطاء بسيطة فى التنفيذ ، وسوء الفيديو وامكانياته المحدودة ، قد لمست بشكل ذكى وحاد كل شيء فى واقعنا ، وكشفت كيف ينمو الوحش الذى يأكل لحم الاخرين ، ويبنى العمارات ، ويعيث فسادا كأنه (مافيا) أخرى ... وكشفت أيضا مدى قوة الانسان اذا استطاع ان يعرفها ويستخدمها .. واين موقف الحق الانسانى المشروع ، هل يكتفى بالمقاومة السلبية والاستجداء ، وقد طرحت الاجابة لا كشعار ، وانما كواقع حقيقى يبرز فى عالمنا على كل المستويات من أصغر الامور الفردية الى قضية فلسطين .. فالمقاومة بقوة هى العمل الوحيد ، وعلى الشاعر ان يستخدم المسدس اذا كانت تلك وسيلته الوحيدة أمام كل أعداء الانسان . □

ماجدة موريس

اكتشـاف ممثل

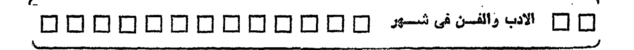


محيى اسماعيل

تقدم « محيى اسماعيل » [٢٩ عاما] فى فيلم «الاخوة الاعداء» دورا يستحق الانتباه وأعنى بهذا ان هذا الممثل يتم اكتشافه للمرة الاولى من خلال ادائه لهذا الدور بعد أن قام بأداء عدة أدوار — لا يهم صغيرة أو كبيرة — فرضت عليه « تيب » النابلسى قسرا وحرمته من فرصة ابراز قدراته الادائية كاملة. غير أن هذا لا يعنى ايضا أن دور حمزه ابن عزيزة الهابلة الذى اداه محيى — عن سمردياكوف دوستويفسكى فى « الاخوة كارامازوف » المأخوذ عنها الفيلم المصرى — هو دور كامل التأثير لأن القاعدة — كما يذهب ستانسلافسكى — هى أن « لعب ممثل واحد يمكن أن يحقق تأثيرا أكبر ولكن من خلال لعب الفرقة كاملة » والتأثير متبادل بين الفرد والمجموعة . وقد استطاع محيى — فى هذه الحدود وفى ظل ظروف السينما المصرية الحالية — ان يؤكد لنا أنه يستطيع أن يدفع بالعلاقات الباطنية الكامنة بين الكلام أو الصمت وبين الانفعال الى الوجه واليد وحركة الجسم كله وثقله أو خفته فى هذا الاتجاه أو ذاك كما أمكنه من بين مجموعة «تيبات» أن يشير الى مزايا دراسة الدور وفهم العملية التمثيلية على أنها سلوك انسانى يتحرك من خلال معطيات الكاميرا ... ومن المؤكد أنه غير مسئول عن مستوى الاضاءة أو الماكياج أو الديكور أو الملابس أو الاخراج فى النهاية . على أن الانطباع العام يبقى فى المحصلة النهائية الى جانب تقدير قدرات ممثل يكتشف الان هو محيى اسماعيل .

بقى أن أشير الى تساؤل مؤكد : هل سيستطيع محيى اسماعيل أن يستمر ويتطور فى ظل سينما الوضع الراهن ؟ أن لنا أن نفخر حقيقة بأن فى بلادنا الان ما يسمى « بفنان الموقف » كالفنانة محسنة توفيق والفنان على الشريف . وكان هناك أحمد مرعى بعد الفيلم الكلاسيكى العظيم « المومياء » ... و « الفلاح الفصيح » ... وكان هناك محمد لطفى بعد « الظلال فى الجانب الاخر » ... ولكن هل يا ترى تسمح سينما الوضع الراهن بالاستمرار — لا فى الموقف فحسب ولكن على الاقل — فى الاداء التمثيلى الجيد .. ؟ □

الفاروق عبد العزيز



مهرجـــان طـــه حســـين

بكليـــة آداب المنيـــا

فى الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٨٨٩ ولد باحدى قرى المنيا عميد الادب العربى الدكتور طه حسين . وقد اقامت كلية آداب المنيا بالاشتراك مع المحافظة والاتحاد الاشتراكى بها مهرجانا ثقافيا فى الفترة من ١٦ الى ٢٠ نوفمبر .

وقد دعى الى هذا المهرجان لفيف طيب من الادباء والاساتذة الجامعيين للاسهام بمحاضراتهم وذكرياتهم وكلماتهم عن ادب طه حسين وكفاحه وقد افتتح المهرجان السادة الاساتذة محافظ المنيا المستشار **عبد القادر حشمت جادو** ونائب رئيس جامعة اسيوط الدكتور **رمضان صادق** ورئيس قسم اللغة العربية الدكتور **مصطفى مندور** الذى حمل على عاتقه عبء الاعداد لهذا المهرجان .

وقد تحدث فى أيام المهرجان الخمس **الدكتور حسين نصار** رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة عن مذهب طه حسين ومآثره وتلاه الدكتور **طه الحاجرى** الاستاذ بآداب الاسكندرية فتحدث عن المكونات الاولى فى فكر طه حسين كما تحدث الاستاذ **رشدى صالح** عن طه حسين ودوره فى الصحافة أما الدكتور **حسين ظاظا** الاستاذ بآداب الاسكندرية فقد تحدث عن ذكرياته مع طه حسين كما تحدث عن دور الثقافة الفرنسية فى التكوين الفكرى لطه حسين ثم تحدث الاستاذ **فاروق شوشة** عن طه حسين ولغتنا الجميلة كما تحدث الدكتور **أحمد كمال زكى** رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات عن تجربته الشخصية مع طه حسين ثم تحدث الدكتور **محمد زغلول سلام** رئيس قسم اللغة العربية بآداب الاسكندرية عن بعض المعارك الادبية لطه حسين .

وقد لبت أسرة عميد الادب العربى دعوة كلية آداب المنيا فحضرت السيدة **سوزان طه حسين والدكتور محمد حسن الزيات** مستشار السيد رئيس الجمهورية والسيدة حرمه ابنة الدكتور طه حسين والمهندس **عبد المجيد حسين** شقيق الدكتور طه حسين . وقد بعث وجود اسرة فقيد الادب العربى دفعا انسانيا خاصا فى المهرجان وقد القى الدكتور الزيات كلمة أبرز فيها فضل المنيا على أدب طه حسين مسترشدا فى ذلك بفقرات عديدة من « الايام » و «المعذبون فى الارض » وغيرهما من الاعمال .

وقد دعا رئيس جامعة اسيوط الدكتور حمدى النشار أسرة طه حسين لزيارة الجامعة الام التى كان لطه حسين فضل كبير فى انشائها .

وقد كان من النتائج الثقافية ذات الدلالة التى كشف عنها « مهرجان طه حسين بالمنيا » انه وان كان مجهودا بدأ كفكرة فى اطار الجامعة ، الا أنه أبان عن وجود وعى ثقافى لدى الجماهير العريضة التى غرست فى أرضها كلية آداب المنيا ففى أمسية الاربعاء ١٩ نوفمبر التى حضرتها اسرة طه حسين ضاقت بمن حضروا المهرجان قاعة الاحتفالات الكبرى التى اصبحت تتشرف الان باسم طه حسين .

ان عمل مهرجان ثقافى فى قلب الصعيد بهذا النجاح من شأنه أن يعيد شيئا من التوازن الى الميزان الثقافى بحيث لاتكون كفته راجحة على الدوام فى العاصمة وتكون هى المحتكرة لكل الانشطة الثقافية والفنية . وقد كان هذا مطلبا عزيزا من مطالب الجماهير . ومن أجله اختطت سياسة الادارة المحلية . بذلك تضرب جامعة اسيوط [كلية آداب المنيا] مثلا طيبا لما يمكن أن تحققه الجامعات الاقليمية من ازدهار فكرى وحضارى



التعبير عن الانتماء فى معرض الفنان عز الدين نجيب

■ يفتتح فى ٢ ديسمبر القادم معرض الفنان **عز الدين نجيب** فى المركز الثقافى السوفيتى . ويضم مجموعتين أساسيتين: مجموعة اللوحات المنفذة بالالوان الزيتية ، ومجموعة أخرى منفذة بألوان الصمغات المائية مع الشمع .. ويقول الناقد **الدكتور نعيم عطية** فى تقديمه لكتالوج المعرض : « .. وعز الدين نجيب ، شأنه شأن سائر رفاقه من « **التعبيريين الاجتماعيين** » يمضى باحثا من داخل مجتمعه عن رموز تصلح للتعبير عن الانتماء الى أرض مصر واصالتها ، محاولا الا ينسى على أى حال دروس المعاصرين ، ويجد ضالته فى الشجر .. شجر مصر .. وتتحول رموزه من الطائر الى النبات ، ويوفق الفنان أشد التوفيق عندما يضع يده على « شجرة الصبار » .. ففيها صلاحيات كبيرة للايماء الى هذا البلد الصامد الصبور الذى يقاوم كل عوامل الجدب ، ويمضى محتفظا بأصالته عبر زمن جائر شحيح .. » .

يستمر المعرض حتى يوم ١٢ ديسمبر ثم ينتقل ليعرض بعد ذلك فى الاسكندرية

فرقة اقليمية فرنسية في القاهرة







الرياح عبر اشجار الساسافراس

قدمت فرقة المركز المسرحي لمقاطعة الليموزين عرضا ناجحا على مسرح يوسف وهبى بالقاهرة • وقد تضمن العرض مسرحيتين هما : « رياح عبر أغصان الساسافراس » لاوبالديا ثم مسرحية « الثعلب » وهى من التراث العالمى •

واذا استثنينا تقديم مسرحية قصيرة على مسرح المركز الثقافى الفرنسى فان القاهرة لم تشاهد أوبالديا من قبل وكان هذا العرض فرصة مناسبة لتعريف المشاهد المصرى بفن أوبالديا المسرحى • ولكن لنا ان نتساءل هل جاء اختيار النص موفقا ؟ ومن الذى يختار النصوص عندما تأتي الينا فرقة أجنبية تنفيذا لمتطلبات التبادل الثقافى ؟ • فمن الواضح ان مسرحية « رياح عبر اغصان الساسافرا » من النوع الساخر الذى يثير ما نسميه « بالضحك الاسود » فالمسرحية تقدم لنا اسرة امريكية مفككة هي اسرة روكفلر ، تحلم بالثروة التى يوحى بها الاسم الذى تحمله ولكنها تعيش منعزلة في كوخ فقير فى منطقة نائية لا يسمع فيها سوى صفير رياح الساسافرا وهى اشجار برية صغيرة تنمو فى أمريكا •

ان المسرحية تسخر من المجتمع الامريكي وتحاول تعريته ، كما انها تقدم لنا صورة الهنود الحمر على انهم همجيون متوحشون يهاجمون الناس الامنين .. ولنا ان نتساءل هل هذا هو الوقت المناسب لتقديم مثل هذه الموضوعات ؟ ان التبادل الثقافى يمكن ان يتيح لنا فرصة جادة لمشاهدة اعمال أجنبية نحن بحاجة الى التعرف عليها وعلى التيارات الفنية والفكرية التى تستند اليها ، واذا راعينا قلة ما يفد الينا من فرق مسرحية كبيرة فان التبادل الثقافى اذا قام على سياسة مدروسة من جانب اجهزتنا الثقافية يمكن ان يروى ظما جمهورنا الى اعمال الفن المسرحى الرفيع •

ان ادب اوبالديا المسرحي يكاد يكون غير معروف فى مصر في حين أنه يكتب للمسرح منذ عام ١٩٤٩ فقد ولد اوبالديا عام ١٩١٨ في هونج كونج من اب بنمى وام فرنسية وكتب الشعر والرواية والمسرح • ومن اهم اعماله المسرحية مسرحية « الفقيد » و « تضحية الجلاد » و « جينودى » و « ادوار واجريبين » . و « القائد المجهول » •

اما المسرحية الثانية « الثعلب » التى قدمتها فرقة الليموزين فهى ترجع الى القرن الثانى عشر فقد كانت حكايات الثعلب تروى بهدف التسلية وتناقلها الرواة حتى جمعها أحد رجال الدين وصاغها شعرا باللغة اللاتينية • وفى عام ١١٨٠ كتب شاعر المانى هو هنرى لى جليزار قصيدة طويلة اسماها « الثعلب » وخلال القرن الثالث عشر اضيفت لحكاية الثعلب اضافات عديدة واتسع نطاقها فتناولها عدد كبير من الشعراء ، فاضيفت الفروع للفروع » لكن الاصل بقى كما هو • وليس مثل هذه الحكايات بالغريب عن تراثنا الشرقي فان حكايات كليلة ودمنة ذات قرابة وطيدة بحكايات الثعلب ورفاقه •

تتكون القصة من سبع وعشرين حكاية صغيرة عن الثعلب والاعيبه والطريف في هذه الحكايات ان الذهن سريعا ما يربط ـ كما هو الحال بالنسبة لحكايات لافونتين ـ بين ما يحدث فى عالم الحيوان وما يحدث فى عالمنا الانسانى بحيث نرى حياتنا وراء تلك الاقنعة التى يرتديها الحيوانات التى تروى حكاياتها • انه عالم بأسره ، يذكرنا بعالمنا الانسانى •

ان نص « الثعلب » وماحققه من نجاح يتمثل فى مخاطبة العقل والوجدان بعمق غلف ببراءة الطفولة وحكمتها ايضا ، تلك الحكمة التى تتعدى احيانا حكمة الكبار ، ان هذا النص قد كشف عن

الافاق البعيدة التى يمكن للمسرح ان يحققها كخدمة اجتماعية وتربوية .

وقد كان كل من العرضين اللذين قدمتهما فرقة الليموزين مليئا بالحركة والانسجام بين الممثلين ، كما كان الديكور بسيطا وقادرا على الايحاء بالعالم الخارجى الرحيب .

ان الدرس الذى يستقى من تجربة فرقة الليموزين هو وجوب الاهتمام ببث الحركة المسرحية فى الاقاليم دون تركيزها على العاصمة .. فقد كانت هذه الفرقة دليلا قويا على امكان انبات مسرح اقليمى وطيد .. فقد كان عدد الفرق المسرحية فى باريس عقب الحرب العالمية الثانية وفى عام ١٩٤٨ على وجه التحديد ٥٤ فرقة مسرحية بينما كان عددها فى بقية فرنسا ٥١ فرقة مسرحية ، وبموالاة الاهتمام بالمسرح الاقليمى ، أعيد التوازن الى الحياة المسرحية فى فرنسا وهو ما نرجوه لحركتنا المسرحية أيضا ■

د. نادية كامل



أحمد بدرخـــان [١٩٠٩ – ١٩٦٩]

كان عضوا فى أول بعثة ارسلها طلعت حرب الى باريس للاطلاع والتدريب ١٩٣٤ . أصدر اول كتاب عن السينما ١٩٣٦ . بدأ حياته الفنية ناقدا ، ثم مساعدا للاخراج . كان نقيبا للسينمائيين ولاتحاد النقابات الفنية وعميدا للمعهد العالى للسينما ومستشارا لمؤسسة السينما . تزوج من الممثلة سلوى علام وانجب بنتا وولدا تخرج من المعهد العالى للسينما .

افلامه القصيرة : الى عرفات الله ، بور سعيد ٦٣ .

افلامه الطويلة : نشيد الامل ٣٧ – شىء من لاشىء ٣٨ – حياة الظلام ، دنانير ٤٠ – انتصار الشباب – عاصفة على الريف ٤١ – على مسرح الحياة ، عايدة ٤٢ – من الجانى ، الابرياء ٤٤ – قبلة فى لبنان ، الجيل الجديد ، تاكسى حنطور ، شهر العسل ٤٥ – ما اقدرش ، مجد ودموع ، النفخة الكدابة ، عودة القافلة ٤٦ – القاهرة – بغداد [انتاج مصرى عراقى مشترك] ، قبلنى يا أبى ، فاطمة ٤٧ – أحبك انت ٤٩ – انا وانت ، آخر كدبه ٥٠ – ليلة غرام ، الشرف غالى ٥١ ، الايمان ، عايزه اتجوز ، مصطفى كامل ٥٢ – لحن حبى ٥٣ ، عشان عيونك ، وعد ٥٤ – مهد الهوى ، الله معنا ٥٥ – ازاى انساك ، العروسة الصغيرة ٥٦ – غريبة ٥٨ – سيد درويش ٦٦ – النصف الاخر ٦٧ – افراح ٦٨ – نادية ٦٩ .

من اقواله : « لوحظ ان السيناريو الذى يدور فى أوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين يكون نجاحه محدودا لان السينما قبل كل شىء مبنية على المناظر . المطلوب منافسة غرامية بين رجلين يحبان امرأة أو امرأتين تتنازعان حول رجل وهذا خير ما يمكن أن تصوره السينما » [من كتاب السينما ٣٦] .

تقييم نقدى : تعتبر الافلام الغنائية التى قدمها احمد بدرخان فى الاربعينات من أهم الافلام الغنائية المصرية واكثرها تطورا من الناحية الحرفية والفنية . وقد تميزت أفلام أحمد بدرخان دائما سواء التجارية منها أم غير التجارية بالابتعاد عن الاسفاف والابتذال . وأهم أفلام احمد بدرخان فى الخمسينات هى « مصطفى كامل » ٥٢ و « الله معنا » ٥٥ و « سيد درويش » ٦٦ ، فى الفيلم الاول عبر عن حياة الزعيم السياسى المعروف فى بداية القرن ، وكان الفيلم الاول من نوعه ، وفى الفيلم الثانى قدم أول دراما عن ثورة ٥٢ ، والفساد السياسى قبل الثورة ، وفى الفيلم الثالث تناول حياة الموسيقار الذى يعتبر اهم موسيقار مصرى فى القرن . وفى الافلام الثلاثة لم يتخل احمد بدرخان عن نظرته الرومانتيكية للفن والحياة . □

التتـــارية

والفكر المســـتورد

ثمة ظاهرة طافية على سطح مجتمعنا المصرى على التخصيص ومجتمعنا العربى على الاطلاق ، فى حاجة الى تحليل وتأويل .

وهى ظاهرة ثنائية البعد :

بعد اقتصادى .

وبعد ايديولوجى .

البعد الاقتصادى يتمثل فى بزوغ مايسمى **بالرأسمالية الطفيلية** . من دلائلها تجار الخلسة فى سوق الاستهلاك ، والوسطاء الذين يغرقون الامة بسلع الترف **المستوردة** بالمشروع وبغير المشروع ، وان شئنا الدقة اكتفينا بغير المشروع .

والبعد الايديولوجى يدور على خطر تداول ما يسمى **بالفكر المستورد** بدعوى الحفاظ على القيم والتقاليد وما ورثناه عن الاقدمين

ومحصلة البعدين تتارية بالضرورة .ونقصد **بالتتارية ما هو ماثور عن التتار انهم - بقيادة جينكزخان - التزموا أمرا واحدا : تدمير حضارة الانسان .**

وثمة سؤال لابد أن يثار :

وما مبرر بزوغ التتارية ؟

افلاس البورجوازية المتخلفة عن عصرها فى مواجهة القوة الدافعة للفكر الاشتراكى فى مسار التطور الاجتماعى فأخلت الطريق للراسمالية الطفيلية لعلها تكون سدا عاليا يضعف من هذه القوة الدافعة .

ولكل بعد اقتصادى ، بعد ايديولوجى يواكبه فى تلاحم عضوى .

وتطبيق هذه القاعدة يلزم منه مواكبة التتارية للراسمالية الطفيلية بحكم السمة المشتركة بينهما وهى شهوة اقتلاع الحضارة من جذورها .

وشعار هذه المواكبة حظر استيراد الفكر .

وهذا الحظر بدعة لم تألفها مصر - بهذه القوة - منذ عصر محمد على ، عصر الانفتاح على الحضارة الرأسمالية الغربية فى شتى أبعادها بلا استثناء . فقد اندفع مفكرو مصر الى ترجمة الفكر البورجوازى بما ينطوى عليه من علمانية وعقلانية حتى انتهى بهم المطاف - أثناء ثورة يوليو ١٩٥٢ - الى احتضان تيارين **فلسفيين** يتسمان بالسيطرة على البورجوازية المعاصرة ، أعنى بهما :

الوضعية المنطقية ، والبرجماتية المتطورة عند جون ديوى .

والغريب فى امر هذا الاحتضان أن الوضعية المنطقية تنكر أى مجاوزة للطبيعة والانسان ، تنكر ما هو فائق للطبيعة بدعوى أنه خرافة . والبرجماتية المتطورة عند جون ديوى تنكر الصراع الطبقى وتحذف الايديولوجيا وتكتفى بالتكنولوجيا كقوة دافعة للتغير الاجتماعى . .

والغريب كذلك فى أمر هذا الاحتضان أن أحدا لم يقل :

هذا فكر مستورد فاحذروه .

ولكن حين إنفتحنا على العالم الجديد بماينطوى عليه من فكر اشتراكى علمى ارتفعت اصوات تندد بهذا الفكر وتحذر من استيراده .

ولم ترتفع هذه الاصوات الا فى ظل بزوغ رأسمالية طفيلية محكومة بنزعة تتارية ■

د . مراد وهبه

د . رشدى لبيب
● استاذ المناهج وطرق التدريس بتربية عين شمس .
● أسهم بأبحاث فى المؤتمرات التربوية .
● من أهم مؤلفاته :
تاريخ ونظام التعليم فى مصر ، ١٩٧٢ .
دراسات فى المناهج ١٩٧٣ .
معلم العلوم ١٩٧٤ م

★

نظـــرة اجتمـــاعية مصـــرية لفلســـفة جون ديوى الـــــتربوية

د. رشدى لبيب

بدأت مدرسة جون ديوى التربوية تضمحل فى الفكر التربوى المعاصر حتى فى الولايات المتحدة حيث نشأت هذه المدرسة . ومع ذلك فان اراء كثير من رجال التربية فى مصر وغيرها من البلاد العربيـــة ــ كما تعبر عنهـــا دراساتهم وكتبهم وأحاديثهم ــ مازالت تستمد أصولها من فكريات هذه المدرسة . ولهذا فقد يكون من الضرورى فى هذه المرحلة التى نحاول فيها مراجعـــة فلسفتنا وأساليبنا التربوية من اجل بناء نظـــام قـــومى للتربية ، ان نبدأ بدراسة الاصول التى ترجـــع اليها افكارنا التربوية الحالية لتتضح لنا سلبيات وايجابيات هذه الافكار . وهـــذا المقال محاولة لفحص فلسفة جون ديوى التربوية من خـــلال نظرة اجتماعية مصرية تنشـــد تأسيس مجتمـــع تقدمى عصرى . ونقصد بالتقدمية كل ما يدفـــع عجلة التقدم الاجتماعى لصالح الجماهير .

ينظر ديوى للانسان على انه كائن حى يحتاج لكى تستمر حياته إلى تفاعل مع البيئة . الا أن الانسان كشخصية يختلف عن الحيوان من حيث القدرة على تكوين اهداف واعية واختيار الوسائل فى ضوء النتائج المتوقعة . ومن خـــلال هـــذا تظهر الشخصية ذاتيتها . فالطفل يكون فى نشاط دائم ، وهو منتبه لشىء ما ، فاذا كان الدافع للعمل قوياً بدرجة كافية ، والظروف المحيطة به جديدة ، فانه سوف يختار فى ضوء اعتباراته الخاصة شيئا يتقبله [على الاقل وقتيا] كغرض ذى هدف ، وبهذا يعبر عن ذاته . وبهـــذا يربط ديوى بين الميـــل والنشاط . فالميل عنده موجود اذا وجد هـــدف صاحبه شعور بالحماس كعامل موجـــه لانتباهه ومؤثر فى هدفه ، ويأتى النشاط الذى يبذله الطفل ليتغلب على العوائق ، ويصل الى هدفه .

وهذه النظرة التى تربط بين الميل والنشاط ، ترفض اى دافع للطفل الى العمل . فالطفل نشط بطبيعته ، يتحرك أولا فطريا ، ثم ــ بعد أن تتكون ذاتيته ــ يتحرك وفقا لاختيـــاره الواعى لـــما يتوقع أن يشبع حاجته . والميل عند ديوى أساس لمواجهة العالم الخارجى لكى يختار طريقه السليم .

ومن هذه النظرة ، ينبثق راى ديوى فى الارادة من حيث هى المثابرة على خطة معينة لتحقيـــق أهداف الفرد ، وهى تعتمد على عنصرين : أولهما ترقب النتائج ، والاخر مقدار ما لهذه النتائج المرغوبة من قدرة على الاخذ بمعاقد الفرد [١] .

(١) الديمقراطية والتربية ص ١٣٤ .

والضبط عند ديوى فى ضوء هذا ، يعنى تملك الانسان للقوة وسيطرته على ما بين يديه من وسائط من أجل تنفيذ مشروع . وهو يتطلب معرفة الانسان بما يريد عمله ، وقيامه به بسرعة ونفاذ ، مستعينا بالوسائل الميسورة لذلك ، وبهذا يصبح الضبط عملا ايجابيا ، ومرة اخرى ، نلاحظ أن الميل والضبط امران مرتبطان عند ديوى .

ولعل من الواضح ، ان أى مجتمع ديمقراطى لابد وأن يؤيد آراء ديوى فى هذا المجال ،من حيث ضرورة وجود الدافع الى العمل ،ووضوح الاهداف لدى الافراد ، وأسبقية الضبط الداخلى على الاجبار والاكراه . ولكن التعارض ينشأ حينما نبدأ البحث عن ماهية اهداف الافراد وميولهم ونشأتها ومدى اتفاقها او ابتعادها . فديوى يرى [٢] « ان مواقف الفرد ووجهة نظره ليست الا رجوعا [استجابة] لما يحدث فى الوضع الذى هى جزء منه ، كما ان نجاحها او اخفاقها فى العمل يتوقف على تفاعلها مع التبدلات الاخرى التى تحدث فى المحيط » ، ومن ثم فهى « لا تدلنا على وجود عالم شخصى ذاتى بحت منفصل عن العالم اللاشخصى ، بل تدلنا بالعكس على بطلان وجود مثل هذا العالم المنفصل ، بل ان فيها أدلة مقنعة على ان التغييرات الطارئة على الإشياء ليست غريبة عن فعاليات الذات ، وان مستقبل هذه الذات وخيرها مرتبطان بحركة الاشياء والاشخاص . واذن فمعنى الولع والاهتمام هو أن ذات الفرد والعالم متلاحمان فى وضع مطرد التقدم » .

ومع أن هذا الراى يشير الى عدم الثبات المطلق للميول والاهداف ، الا ان ربطهما بالواقع الاجتماعى الحاضر فحسب يعنى التوافق الاستاتيكى بين الفرد وبيئته، ويغفل العلاقة الجدلية بينهما . وبالتالى فهو ينفى القدرة على احداث تطور ثورى فى كليهما ، اذ انه على احسن الاحوال يترك هذا للتطور البطىء التدريجى . ومن ثم ، فنحن لا ندرى كيف يمكن — تحت ظل هذا الربط الجامد بين ميول الافراد واهدافهم والواقع الذى يعيشون فيه — ان تحدث التربية تقدما اجتماعيا — الامر الذى كان يدعو اليه ديوى واتباعه !!

لقد هاجم ديوى بكل قسوة الثنائيات ، كالتعارض بين المعرفة التجريبية ، والمعرفة العقلية العليا ، والتفرقة بين الكلى والجزئى ، وبين الفكر والعاطفة ، وبين المعرفة من حيث هى خارجية أو موضوعية والمعرفة من حيث هى داخلية ذاتية نفسية ... الخ . وهو يعتقد ان كل هذه التعارضات تجتمع فى تعارض واحد هو التعارض بين المعرفة والعمل ، أو النظر والتطبيق .

وفى الحق ، أن التفسير الذى يقدمه ديوى لهذه الثنائيات تفسير تقدمى الى ابعد حد . فهو يرى أن مصدر هذه الثنائيات هو انقسام المجتمع الى طبقة تعمل بعضلاتها ابتغاء الحصول على لقمة القوت تتبلغ بها ، وطبقة محررة من الضغط الاقتصادى تقف نفسها على فنون التعبير عن النفس وادارة المجتمع . ثم يوضح بعد ذلك ، الاخطاء العلمية لهذه الثنائيات معتمدا فى ذلك على ابحاث علوم الفسيولوجيا والسيكلوجيا والمغزى الفلسفى لنظرية النشوء والارتقاء ونمو الطريقة العلمية [٣] .

ومن الواضح ، أن هجوم ديوى على هذه التفرقة بين العمل والفكر يعد موقفا تقدميا سليما ، وبالتالى آراؤه التربوية التى تحاول اتخاذ السبل نحو التفاعل بين الفكر والعمل صالحة تماما بالنسبة للتربية فى مجتمع اشتراكى يتخذ من العمل أساسات لانطلاقه الاقتصادى والفكرى [٤] . ولعل الخطأ الاساسى الذى وقع فيه ديوى هنا ، هو تصوره امكانية القضاء على هذه الثنائية من خلال التجربة الديمقراطية المرتكزة على التبادل الحر والاضطراد الاجتماعى فحسب ، فبالرغم من وعيه الاجتماعى لنشأة هذه الثنائيات الا انه يكتفى باثبات عدم صحتها من الناحية العلمية دون توضيح العلاقة بين النظريات العلمية والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

وينظر ديوى الى التربية من زاويتين غير منفصلتين ، الزاوية السيكولوجية الفردية والزاوية الاجتماعية . وتتحدد نظرته الاجتماعية فى اربعة خطوط :

١ — الذات هى تركيب اجتماعى ،وليس هناك

---

(٢) المرجع السابق ص ١٣١

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٣٤٧

(٤) ولعل هذه الاراء التى دعت الاتحاد السوفيتى الى دعوة جون ديوى لزيارته فى العشرينات ، للاخذ بتعمق افكاره واساليبه فى المدارس السوفيتية الجديدة .

فى الانســان ما يمكن أن يتمتى سلوكا ترتبا بحتا ، وحتى التفكير التأملى للفرد مرتبط بطبيعة المعنى الاجتماعى ، وتكتسب المثل الاخلاقيــة معناها من الاوضاع الاجتماعية .

٢ ـ الحياة هى عمل اجتماعى . فلتحيا يعنى انك تحيا مع الاخرين ، وان تتعلم لترتقى بحيانك يعنى أن تتعلم كيف تشارك الاخـرين افكارهم وأحاسيسهم وميــولهم . وهذا هو الذى يعطى ـ فى رأى ديوى ـ الديمقراطية افضل معانيها حيث انها « أكثر من أن تكون نظاما للحكم ، بل هى أولا طريقة للحياة التعاونية » . وهو يضــع محكين أساسيين لقياس أى صــورة من صــور الحياة الاجتماعية : أولهما ، مدى اشتراك جميع افراد الجماعة فى مصالحها . وثانيهما ، مبلغ الحرية والكمال اللذان تتبادل بهما الجماعة العمل مع غيرها من الجماعات [٥] .

٣ ـ انتقدم المدنيةعند ديوىمرهون بالسيطرة على القوى الطبيعية « ففقدان الســيطرة على قوى الطبيعة معناه ضآلة عدد الاشياء الطبيعية التى تدخل فى السلوك الاجتماعى ... اما تقدم المدنية فمعناه ان كثيرا من قوى الطبيعةقد تحولت الى ذرائع للاعمال ووسائل لبلوغ الغايات » ، كذلك يرى « ان الادوات الفنية تقيم حول البشرية سياجا يقيها شر الانتكاس والردة الى معتقدات الاولين الخرافية » .

٤ ـ يؤكد ديوى فى كثير من كتاباته مسئولية التربية فى التغير الاجتماعى ، بل يعتقد انهــا الطريقة الاساسية للتقدم والتنظيم الاجتماعى . فالتربية ، فى نظره نظــام لعملية الاندماج فى المشــاركة فى الاحســاس الاجتماعى ، و « تكيف نشاط الفرد على اساس الاحساس الاجتماعى هو الطريقة المؤكدة الوحيــدة لاعادة البنـــاء الاجتماعى » .

ولا شك ان هذه الخطوط الاربعة تؤكد وعى ديوى بالمجتمع وضرورة اصلاحه ، كما اننا نلمح أحيانا فى ثنايا كتاباته وعيا بالعيوب الاساســية فى المجتمع الرأسمالى . اذن ، ماهو الخطأفى نظرته الاجتماعية ؟

يبــدو أن هــذا الخطأ لم يـكن فــى عملية التشـخيص ، بل فى العلاج الذى يقدمه ديوى للعيوب التى يراها . لقد تصور ديوى ، كمــا يتصور بعض من يتبعونه من المربين العرب ، أن المناداة ببعض الافكار التربوية التقدميــة هــو الطريق الوحيد نحو الاصلاح الاجتماعى . حقــا لقد قال ديوى «لا يكفينا أن نسهر على الا تستعمل التربية اداة فعالة لتيسير استغلال طبقةلاخرى، بل ينبغى ان نعد اكفا الوسائل المدرسية واوسعها لكى نزيل بالفعــل لا بالاسم تاثير التفـــاوت الاقتصادى ونكفل لجميــع الذين هم فى رعاية الامة التهيؤ لحياتهم وعملهم فى المســتقبل على قدم المساواة» .فهو هنا يدعو الى عدم الاستغلال، ولكنه يتناسى ان هذا الاســتغلال لا يرجع الى التربية ،بل الى طبيعة النظام الاقتصادى للمجتمع . وهو يتناسى ايضا ان التربية عمليــة مقصــودة ومحكومة بالقوى المسيطرة على المجتمع ، وان اتجاهاتها تتغير بتغير تلك القوى . وللاسف ، لم يعش ديوى ليرى كيف فصل آلاف المعلمين فى الولايات المتحدة ـ أيام تحقيقات مكارثى ـ لانهم كان يقومون بتدريس نظرية النشوء والارتقاء أو النظريات الاقتصادية المختلفــة ، وغيرهــا من المعارف الانسانية ، لمجرد الشبهة فى انها افكار يسارية . لقد غــرق ديوى [سواء عن وعى أو غير وعى] فى خيالات ومثاليات الديمقراطيــة التقليدية ، ولا نريد لانفسنا ان نغرق معه فى هذه الخيالات والمثاليات .

والآن نستطيع فى ضوء عرضنــا لمقــومات فلسفة ديوى التربوية ونظرته الاجتماعيــة ، أن نناقش الخطوط العامة للتربية عند ديوى :

١ ـ لعل أهم نقطـــة فى تربية ديوى هى ما ذكره فى كتاب « عقيــدتى فى التربيـــة » ان « التربية هى عملية الحياة وليست الاعداد للحياة المقبلة » ومن ثم « فلابد للمدرسة من أن تمثـل الحياة الواقعية » ولذلك فان المدرسة « كحياة اجتماعية بسيطة يجب ان تنبع تدريجيا من الحياة المنزلية » ، وتبعا لهذا يجب على المدرســـة ان « تأخذ النشاط الذى اعتاد عليه الطفل فى المنزل وتستمر فيه » . ونحن مع ادراكنا التام لاهميــة هذه الاراء فى الربط بين التربية والحياة ، الا اننا لا نستطيع الموافقة تماما على ان الحياة المدرسية تمثل الحياة الواقعية تمثيلا استاتيكيا ، وان تأخذ النشاط الذى اعتاده الطفل فى منزله وتستمر فيه ، لان هذا يعنى ان تصبح وظيفة التربية هى ال

(٥) الديمقراطية والتربية ص ١٥٥

مساعدة الأفراد على التكيف البسيط مع الحياة بواقعها الحالى . ونحن لا ندرى كيف يتفق هذا مع الدعوة لقيادة التربية للتغير الاجتماعى . واذا كان هذا يصلح للمجتمعات المستقرة والمتقدمة، فهل يصلح لمجتمعات الدول النامية التى لا ترضى عن واقعها ، ولا عن اساليب الحياة فيها ، وترغب فى احداث تغيير فى القيم والمبادىء وأوجه الثقافة الاخرى السائدة فيها ؟

٢ ـ تقوم النظرية التربوية لجون ديوى على أن الانسان يولد وهو مزود باستعدادات وقدرات، وأن مكوناته النفسية والعقلية تخضع ـ كما يخضع الجسم ـ لقوانين نموه . ومن هنا تصبح مهمة التربية هى خلق الوسط الملائم لنمو هذه المكونات والقدرات واكتساب المهارات المناسبة وفقا للقوانين العلمية التى تخضع لها . وكما نعمل على المحافظة على نمو الجسم ـ خلال قوانينه الحيوية ـ كذلك علينا أن نعمل على المحافظة على نمو الاجهزة النفسية والعقلية من خلال قوانينها الخاصة . ويعبر ديوى عن هذا بقوله « ان التوجيه الخارجى البحت ممتنع كل الامتناع، وأن أقصى ما فى وسع البيئة هو توفير المنبهات التى تثير الاستجابات ، على أن مصدر هذه الاستجابات هو الميول التى سبق وجودها فى حوزة الفرد ـ فالتوجيه الذى يحسب حساب ما تقدمه لنا غرائز الافراد وعاداتهم توجيه حكيم لا اسراف فيه [٧] .

وهذه النظرية وان بدت فى ظاهرها ديمقراطية من حيث انها تتيح للانسان فرصة النمو الحر ، وتبعد عن اساليب الضغط والاجبار فى عملية التربية ، الا انها تعنى فى جوهرها الابتعاد كلية عن عمليات التطويع الاجتماعى لمستقبل نطمع فيه . حقا ان ديوى يدرك تأثير البيئة والمجتمع فى عملية النمو ، ولكن يبدو ان ترك عملية التأثر والتأثير بين الفرد والمجتمع دون توجيه مقصود للمستقبل يعنى أن التربية غير قادرة الا على اعداد الافراد للواقع الذى يعيشونه ، وهذا بالتالى يؤدى فى رأينا الى تجميد هذا الواقع .

٣ ـ عملية التعلم [وهى عملية تكوين البصائر] هى عملية تفاعل متبادل بين الكائن والبيئة . وملاحظتنا لما ينتج عن عمل ما هى التى تحيل هذا العمل الى خبرة أى تجعله موجها لعملية التعلم ، وبهذا فليس صحيحا أننا نتعلم عن طريق العمل فحسب ، كما لانتعلم بالتأمل وحده دون العمل ، بل نتناول بالتطبيق فكرة وننظر فى نتائجها ثم نسأل الطبيعة « هل لنا أن نؤمن بها أم لا ؟ وترد الطبيعة بالايجاب أو النفى .

وواضح ان نظرة ديوى لعملية التعلم تتفق تماما مع اسس فلسفة البرجماتية المتطورة ، وهى تؤدى الى ان يخرج الفرد من عملية التعلم، بفكرته عن الطبيعة ، التى قد تطابق الواقع المادى الموضوعى او لا تطابقه وفقا لوجهة نظره، وهذه هى قمة الفردية التى تتفق مع فلسفة النظام فى المجتمع الامريكى ، ولكنها لا يمكن ان تناسب مجتمعا اشتراكيا .

٤ ـ يرتبط بمعنى الخبرة عند ديوى ، امر رئيسى آخر الا وهو اعتباره الميل قوة محركة فى اى خبرة ذات غرض . ومن هذه النقطة التى يحتل فيها الميل مكانا رئيسيا فى تنشيط التربية والنمو ، يبدأ ديوى فى النظر الى الاطفال من حيث هم افراد ذوو استعدادات وحاجات ورغبات خاصة ، لا ينبغى ان يفرض عليهم ان يعملوا على نحو واحد ذلك لان مواقف الاطفال والطرق التى يتناولون بها الاشياء تترتب حسب ما للمادة عينها من تاثير خاص على كل منهم . وهذا التأثير يختلف باختلاف قابليات الافراد الفطرية وخبراتهم السابقة وخططهم فى الحياة .. الى غير ذلك . ومن هنا تصبح مشكلة التعليم ، ايجاد المواد التى تستثير فى الفرد الرغبة فى مزاولة اعمال معينة .

ومن الواضح أن هذه النظرة تتفق تماما مع مبدأ الحرية الفردية ، وهو المبدأ الاساسى فى الديمقراطية الامريكية ، وتاتى التربية لتؤكده . ولكنه لا يتفق مع مجتمع اشتراكى يؤمن بالمصالح المشتركة للجماهير ، كما انه لا يتفق مع مجتمع ثورى يريد أحداث تغيير فى ضوء مخططات قومية ، لا رغبات فردية .

٥ ـ ونتيجة لرأى ديوى فى العلاقة بين الميل والنشاط ، وجب على المدرسة فى رأيه أن تبدأ بالطفل [مهما كان وأيا كانت ميوله الحاضرة] وتحاول أن تساعده على بناء ذاته بصورة مقبولة، مخضعة المادة الدراسية لنموه . والطفل ، وفقا لهذا الرأى ، يتعلم عن طريق الخبرة واثناء محاولاته لاشباع رغباته ، ما ينبغى وما لا ينبغى عمله . ووظيفة المدرسة فى هذه الحالة مساعدة الطفل على ان يحيا حياة واقعية ، ولكن على مستوى افضل ، وذلك عن طريق تشجيعه على ابتكار أشياء أحسن وأجود .

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٨

ومع اننا لا نعترض على هذا الاسلوب فى انماء اشخاص ايجابيين مبتكرين ، الا ان عدم وجود اطار اجتماعى وفلسفة اجتماعية محددة لاتجاه الخبرة ، يعنى الفردية فى ابلغ صورها ، ويعنى عدم وجود اهداف للعملية التربوية اللهم الا اشباع رغبات الافراد وانماء ميولهم .

٦ ـ ليس صحيحا ان ديوى يهمل المعرفة الانسانية (كما تعبر عنها المواد الدراسية) ولكنه يرى البدء « بالاحداث والاعمال الحية التى لها مصدر ونفع اجتماعيان » [٨] .

ومع تسليمنا بأهمية الربط بين المواد الدراسية والواقع الحاضر ، الا ان الاقتصار على هذا قد يؤدى الى امرين : اولا ، عدم فهم الطلاب بتطور الفكر الانسانى فى صورة شاملة تكشف عن قوانين هذا التطور ومساره ووحدته . ثانيا ، اختيار المادة التعليمية التى ترتبط بمواقف جزئية ، دون الاهتمام باساسيات المعرفة الانسانية التى تمكنه من تفسير المواقف الجزئية الحاضرة والمستقبلة . وفى الحق ، ان موقف ديوى من المادة الدراسية هو الذى دعا كثيرا من المربين المعاصرين ، حتى داخل امريكا نفسها ، الى الهجوم على مدرسته . فليس هناك جدل حول أن جميع المعارف الانسانية ذات القيمة هى تلك التى ترتبط بحياة الانسان ومشكلاته ، ولكن هذه المعارف ليست وليدة خبرات فردية ، بل هى نتاج خبرات متعددة اكثر اتساعا وشمولا من تلك المواقف الجزئية والوقتية التى يتعرض لها الطفل .

٧ ـ من رأى ديوى فى الوحدة بين الفكر والعمل ، انبثقت دعوته الى الجمع بين التربية المهنية والتربية الحرة فى اطار واحد ، و « اعادة صوغ المواد والاساليب المدرسية على نحو يمكن من استغلال ضروب مختلفة من الاشغال الممثلة للمهن الاجتماعية مما يجعل محتوياتها الفكرية والخلقية واضحة جلية » . ولكن ديوى يحذر من التفسير الخاطىء لهذا الاتجاه المهنى ، بحيث تعتبر التربية المهنية ، تربية حرفية ، اى وسيلة تبتغى لتدريب الطالب على الاعمال المتخصصة المقبلة ؟ « وحينئذ تصبح التربية اداة لتخليد النظام الحاضر فى المجتمع الصناعى من دون تغيير ، بدل ان تكون وسيلة عاملة على تبديله [٩] » ولكن مرة اخرى يواجه ديوى هذه المشكلة بصورة فجة بقوله « ان اعظم نقص يعترى النظام القائم ليس ما ينجم عنه من فقر وآلام ، بل اضطراره كثيرا من الناس الى العمل فى مهن لا يرغبون فيها فيمتهنونها لما تدره عليهم من المال لا غير [١٠] » ، وتصل مواعظه العجيبة الى قمتها حين يقول « اذا نظرنا الى من يتمتعون كثيرا بمتاع الدنيا ، ويسيطرون الى جانب ذلك سيطرة فائقة بل احتكارية على اعمال الاخرين ، نجد انهم قد حرموا المساواة والاتصال الاجتماعى ، فيطلقون لانفسهم العنان فى الملذات وحب الظهور ، ملتمسين التعويض عن بعد المسافة التى تحجزهم عن الاخرين بالايحاء الى الناس انهم اقوياء متفوقون بمالهم المحدود ومتاعهم الذى يتمتعون به من دونهم » ونحن لا ندرى كيف تتسق هذه النظرة الوعظية مع قوله « ان كل خطة للتربية تبدأ بالنظام الاقتصادى القائم انما تجنح الى التسليم بما فى هذا النظام من الفرقة ونواحى الضعف فتخلدها ، وبذلك تغدو آلة لتنفيذ بدعة القدرة الاجتماعية المنحدرة الينا من عهد الاقطاع » .

ومع ذلك فنحن لا نريد أن نتهم ديوى بالتضليل ، ولكن نقول فقط أن رأيه فى التربية المهنية صحيح تماما ، بشرط ان يحتل العمل الانسانى مكان الصدارة فى المجتمع .

والان ، وبعد هذه الجولة القصيرة مع آراء ديوى التربوية ، لن نقول عنه الا انه كان مخلصا للنظام الاقتصادى والاجتماعى للولايات المتحدة ، وانه استوعب كثيرا من الاراء التقدمية ، ولكنه اخضعها لمصالح هذا النظام .

وعلينا نحن المربين العرب ، أن نعى هذا تماما . قد نستفيد من بعض آرائه فى النواحى الفنية لعملية التعليم ، ولكن بشرط ان توضع فى اطار اجتماعى تربوى يتفق مع فلسفة مجتمعنا ومطالبه التربوية .

---

(٨) الديمقراطية والتربية ص ٢٠٢ .
(٩) المرجع السابق ص ٣٢٨
(١٠) المرجع السابق ص ٣٢٩

د . مشيل فرح

● أستاذ ورئيس قسم الكيمياء بهيئة الطاقة الذرية .

● اشترك فى ندوة الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن المخلفات المشعة [موسكو ١٩٦٨] .

● اشترك فى المؤتمرين الثالث والرابع للاستخدامات السلمية للطاقة الذرية [جنيف ١٩٦٤ - ١٩٧١] .

● اشترك فى المؤتمر الثانى للمسيحيين من أجل فلسطين [كنتربرى ١٩٧٢] .

التكنولوجيا .. والفقراء

د. ميشيل فرح

على مدى اشهر قليلة ، انعقدت من مايو الى نوفمبر ١٩٧٤ مؤتمرات دولية خاصة بالتكنولوجيا والفقراء تناولت المواد الخام ، انفجار السكان ، الغذاء والجوع والجفاف... وما اكثر ماالستعمل فيها تعبير « التنمية » او الانماء ، لاستكشاف الحلول العادلة للنهوض بعالم المعوزين .

وكثيرا ما كان حديث التنمية يطرح حتمية ملاحقة الفقراء لموكب العلم والتكنولوجيا لعل فى ذلك شفاء المجتمع من السقم . ومن ثم ان التكنولوجيا هى المفتاح السحرى الذى يخصص له فى العالم المقتدر نسبة محسوبة من الدخل القومى للانفاق على ما يستوجب من بحث وتطوير : R & D **فالبحث والتطوير** يرتبطان بالتنمية تماما كما تلتحم مكافحة أمية الكبار بالتعليم النظامى للاحداث والشباب . وكلما خصصت نسبة عالية من ميزانية الدول لهذا البند ، تعجل انتقالها الى رغد العيش ، والاستنارة ، والسعادة .

ولكن اذا كان علما الفيزياء والكيمياء النووية قد كشفا لنا بعد المادة وجسيماتها الاساسية ، عن المزيد من المكونات والعناصر ، بل حتى ما يسمى « بالمادة المضادة » anti-matter ، فكذلك يبدو أن البحث والتنمية أيضا تحمل فى طياتها علاقة جدلية من المعنى و « اللامعنى » ، اى المعنى النقيض فى نفس الوقت - بدا اذن أن التنمية هى حتمية دخول الى عتبة الحضارة وعبور فوقها ، ولكنها - أيضا - تحمل تحديا « لا معقولا » ، خصوصا عندما يهتم باستخدامها الفقراء بالفكر أو بالروح .

أين اذن حد المعقول من اللامعقول فى تمتع الفقراء بالتكنولوجيا ؟ وهل للباحث العلمى فى العالم النامى اى دور ملموس ؟ وهل يقوى على مصارعة التحدى أو أن تياره قد يصعقه ؟

لا شك أن اسهامه مطلوب فى حوار الحضارات ، بسبب تكامل الثقافات والمنجزات. « وما تاريخ الانسانية » كما قال الفقيد « **هومى بابا** » مؤسس الطاقة الذرية الهندية السابق : سوى اضافات الى حضارات مصر وآشور والهند والصين ... وهى اليوم بلاد فقراء » ، « ذلك أن الغرب اضاف واستضاف ، ونقل استخدام النار ، وترويض الحيوان ، والزراعة ، والرى ، والنسيج ، والفخار ، والسبك والكتابة والحساب ، والبارود والعديد من

التكنولوجيا عن البلاد التى نسميها اليوم **متخلفة** » [١] . فهل للعالم الثالث بعد أن انحسر عنه شبح الاستعمار أن ينزل الى المعمعة ، وهل يهضم العلم المعاصر ، **هل يعود الخلق والابداع اليه ، أو أن المسألة لا رجعة فيها ؟**.

لا شك أن ملاحقة العصر تحد صعب . لكنه ضرورى. لذلك لابد أن نروض العلموالتكنولوجيا خصوصا اذا كانت الاستكانة معناها العدم تماماء انه العبور الثانى الى الحضارة من أجل أولادنا ... رجال عام ٢٠٠٠ ، الذى يأمل الجميع ضرورة تغييرهم الى أحسن واعادة صياغة الحياة من أجل اسعادهم . فالحياة اذن واجبة التغيير وواجبة الانفتاح بالفكر والعقل « والفلسفة والعلم » ... ولذلك صدر ملحق **الطليعة هذا** دعوة تأصيل وتعميق للفكر . والحياة واجبة التغيير ليس فقط لانها تتفجر بالسكان ، وتنكمش بالجوع والقحط ، بل لانها تعج أيضا بالظلم والتضخم ، وهذا هو صراع البقاء للاصلح من أجل تطلع الانسان الى بعث جديد .

●●●

واذا دققنا النظر من حولنا ، نجد أن التقدم التكنولوجى الصناعى قد حمل للعالم فى مرحلة أولى : رغد العيش ، وتقهقر الموت ، كما انه أمد الحياة بأسلحة أنجع لمقاومة احتياجاتها وواجباتها وهمومها . ولكنه ـــ فى مرحلة ثانية وبعد أن اتسعت لمسات التكنولوجيا وطفراتها ـــ عاد فحمل فى طياته شبكة من المصالح والحتميات والهواجس العشوائية التى روجت لقيم ممسوخة وضغطتبقيود جديدةلامعقولةعلى الانسانالمتحضر بهكذا عرفرجل العلمقوةجديدة أورثتالاغتراب والسخرة والتبعية . وبدأ الاستغلال الهادف لرفع الانتاجية بأى ثمن : فالاحتكارات متعددة الجنسيات تتكاثر حاملة انماط حياة ونماذج سلع تطالب هى ـــ أيضا ـــ بمكاسب فى الكم ، وأرباح ونسب عائدات ... وبدأ الانسان يعرف الحشر فى مبانى المجمعات ، ويقنن بواسطة الحاسبات ... **فهل نضج وعيه مع هذه التكنولوجيا ؟**

يقول خبراء التغذية بمناسبة **المؤتمر الدولى للغذاء** المنعقد منذ أيام فى روما : « ان المعرفة وحدها لا تكفى ـــ فالجوع من الميادين التى خدم فيها العلم ولكن العائد كان محدودا للغاية ، فلولا المصالح الطفيلية وانشغال السلطة بنفوذها ، **لامكن توفير خير أكبر للانسانية** » ، « فالمعروف أن فصائل القمح التى حملت «الثورة الخضراء » كانت معروفة منذ ربع قرن ، ثم أن وجهة ونوعية المحاصيل تؤدى الى القضاء على الملكيات الصغيرة ، فليس من قبيل الصدفة فقط ان **مؤسسة روكفلر** دفعت الابحاث على القمح ـــ وهو محصول الملكيات الواسعة للاغنياء ـــ ولم تبدأ ببذور الذرة ، وهو عماد غذاء الفقراء . بل ان الحبوب الخصيبة من القمح ، ذات المحصول الوفير ، شجعت **على اعادة شراء الاغنياء لمزارع الفقراء** فى الهند وباكستان والفلبين وتونس والمكسيك . وتحولت العمالة الزراعية الى « عزب الصفيح » فى ضواحى المدن الصناعية ، بحثا عن الرزق ـــ **ان التقدم التكنولوجى للاغنياء لم يؤد اذن الى انفراج الجوع عند الفقراء** » [٢]

ويلاحظ ، بخلاف ذلك ، ان حركات الاستقلال فى العالم الثالث بدأت تورث تبعيات اقتصادية خفية ، قد أحسن اخفاؤها عن العيان ، مثل التسابق على التسليح ، والاستعانة بالخبراء وصنوف المعونات والقروض .. **بذلك بدت الحياة معقدة من جديد** ، وبدا للفقراء ضرورة اعادة الحسابات واعادة تقييم المعايير .. فحتى التعبيرات والالفاظ فى حوار الاغنياء والفقراء لم تعد تشير الى نفس الشيء .. لم يعد « الدخل الفردى » مثلا قابلا للمقارنة بسبب هبوط أو تعويم العملات او تفاوت ساعات العمل ، أو القوة الشرائية . وظهرت تعبيرات شائعة فى الدوريات والمراجع مختصرة ، لدرجة التضليل ، مثل «أوبك» بالانجليزية ، و « اوبيب » بالفرنسية للدلالة على نفس « منظمة بلاد مصدرى البترول » ، وبدأت الفاظ « بيرد » و « فاو » و « سييك » وغيرها ، وغيرها ، تعم وتتكاثر ، وكلها تحتاج لتفسير [صندوق النقد ، مؤسسة الغذاء والزراعة ، اتحاد منتجى النحاس ... الخ] . وبدا كأن آلة صماء كبيرة بمثابة « مخ كونى آلى » تحاول تنظيم كل شيء ، ولكنها تعجز ـــ مثلا ـــ عن دفع غول الغلاء عن التفشى فى جسم الكرة الارضية .

● ● ●

ومع كل ذلك ، ظلت « التنمية » هى اللازمة

---

(١) P.M.S. Blackett «Technology and World Advancement» in «The Advancement of Science VX», 1975, London.

(٢) G. Myrda' : Le défi du monde favoré, Gallimard, 1971 & René Dumont : Paysanneries aux abois, Seuil, 1972.

الثابتة ؟ المحرك الاول بعناصره الديناميكية الثلاثة : [أ] حتمية حيازة مواد خام [ب] تمويل [ج] عمالة قادرة عازمة .. ثم اتضح ان وراء هذا المحرك منوال متتابع يتكون من ثلاثية جديدة هي : [أ] تزاوج العلم والتكنولوجيا [ب] رفع مستوى الانتاج الصناعي [ج] نفقات الخدمات من ادارة ونقل وتسويق ... الخ .. وبدا أن خلفية هذا المنوال الثاني الجديد ، هي مقدار المخصص للانفاق على « البحث والتطوير » من الميزانية أو الدخل القومي .

ولكن ، عندما بحث تطبيق هذا المنوال ، على البلد النامي ، اتضح ان أداء هذه العوامل الثلاثة الجديدة لا يتجاوب مع هذا التسلسل المترابط ، حتى تزاوج « العلم والتكنولوجيا » ، بدا غير مستقيم ، تحد منه الامية وانفجار السكان وسوء التغذية وقلة المعرفة الفنية . فحتى اذا نجحت تجارب من البحث المعملي فليس من الحتمي ان تدخل عالم التطبيق بسبب عجز الميزانيات أو نقص في حسابات التكلفة . كذلك اتضح استغلال الدولة المساونة التي تطالب العميل نظير براءة الاختراع المتاحة بعوائد رهيبة . لذلك بدأت مطالبة الباحث العلمي — في البلد النامي — بتخصصات ومهارات متعددة أقرب الى عدم التخصص . فكان عليه ان يدبر ، ويتنازل ، ويختصر ، ويتقشف ، ويكتفي باطلاع محدود ، وتجهيز بدائي ، وراتب متواضع . ثم كان عليه ان يدرب كوادر مساعدة ، ويعمل على تفتيح مبادراتها ، بحيث تتحمس وتبتعد عن القدرية والجمود . **كان لابد من تأهيل الفريق البحثي ، والتأهيل الحقيقي للمسئولية ، بدلا من التهافت على الارباح التي تغري في الاعارات أو الهجرة العقولية أو الحرفية** .. كان لابد من توسيع دائرة البحث المفتت — أو النظري — وربط جزء أساسي منه بالخام الفقير ، واستصلاح الارض ، وازالة ملوحة ماء البحر ، وتحسين مسكن الفلاح بدراسة خصائص الطمي والطين وبدائلهما ، وتحسين الاقمشة وتلوينها بحيث تعمر طويلا وتبقى زاهية ولا تحتاج لكي ، كل ذلك بالتشعيع . كذلك صناعة المرشحات للماء وحفظ الغذاء وتعقيم الدواء بنفس الطرق المستحدثة .. وفي كل ذلك كان لابد من **تخطيط دبلوماسية تجذب الخبرة ، وتضغط للحصول على معونات غير مستغلة لخلق مناخ جديد مقدر للانسان والباحث المصري بمزيد من العدالة والصراحة .. لاننا نريد تعاونا فعليا من العالم بعضه مع البعض ، تعاون يتغلب على التحايل القديم لاحتفاظ كل بثرائه وتقدمه ، أي بأنانيته .. باختصار يتعين علينا من أجل هذا أن نصبح صانعي فلسفة من نوع آخر** ، نهضمها فتتجانس مع استعداداتنا ولا تبقى هلامية غير مهضومة ، **ذلك لان الفقراء أيضا أغنياء** ، كما ان الانسان ليس وحيد المقياس أو الاتجاه كما يقول **هربرت ماركوز** .

ولكن : كيف نصبح صانعي فلسفة علم وتكنولوجيا ملائمة لنا ؟

الفلسفة المعقولة للفقراء ، لابد ان تكون مدبرة غير منقولة عن الاغنياء ، مبقية على الابداع ، طوق نجاة المغترب ضد الضياع في المجمع الذي يحكمه التكنوقراط ، وذات طابع انساني تحمي من بدع الاستهلاكية ، اي تبقى على بعد العدالة التوزيعية المتواضعة ولا تغرق في طوفان الاعلان والتوزيع والتغليف والتسويق أو البيروقراطية التي ترفع التكاليف .

ولكن لماذا تكون فلسفتنا كذلك ؟ .. للرد على الماذيات التي رددها كتاب العدد الاول من ملحق الفلسفة والعلم في أبريل الماضي .. هل ستزداد الفجوة الحضارية بين العالم الغني والفقير ؟ .. وهل الفقراء محكوم عليهم دائما بأن يلهثوا ليلحقوا بالتقدم العلمي ؟ .. وهل البحاث من أهل الكهف ؟ [**د . ميلاد حنا**] .. أو هذه الاسئلة الجذرية التي طرحها أيضا صاحب مقال : غياب الفلسفة واخفاق الوصول [**د . أحمد العريان**] : **متى تأخذ** الاشياء والموضوعات والافكار والجهود والاعمال مواضعها الصحيحة في مجتمعنا لاجل التنمية الشاملة ؟ .. يا لها من أسئلة مصيرية تدعو الى الحوار والاضافة .. ولكنها لم تستهو الا من طالب باغلاق الملحق وكل اجتهاد ، وكأنه من الامور غير المعقولة أو التي لا تثار .

ثمة اضافة اذن مطلوبة في تلمس فلسفتنا للبحث والتكنولوجيا ، ولا شك ان قطاعا عريضا من البحاث سيثير القضية الاولى الخاصة بتخصيص نسبة من الدخل القومي للجامعات والمراكز البحثية ، وهي قضية جذرية وأساسية دون شك ، فهناك نسبة حرجة للدخول في أبحاث الثروة المعدنية أو اقامة محطات طاقة أو صناعة سماد أو أبحاث فضاء وكمبيوتر ، ولابد من تعيينها أولا ، **لذلك قد يكون من المعقول المطالبة بنسبة ١ ٪ أو أكثر** ، ولكن هناك أيضا حدا لا يتعدى ٣ ٪ طالب الشعب الامريكي عدم تعديه رغم التسابق في أبحاث الفضاء . وعندما نقول ٥ر١ ٪ مثلا لايستوجب ذلك خروجه من صندوق الدولة فقط . فمشكلة الرغيف والاوتوبيس والمياه لا تقبل الامهال ، ولكن البحث يحتمل الانتظار اكثر .. **المهم ان المال وحده للفقراء يصبح اللامعقول** ، بدون الاسلوب العلمي والطريقة الموضوعية والمكاتب والمراجع وعملية النقل .. المال هو الحاجة النسبية لا المطلقة لان الفلسفة فلسفة

تحدى تحول الفقر غير المعقول الى التدبير المعقول وتحول النكسة الى « عبور » حصل عسكريا ، ولابد ان يتكرر علميا ، ما دام العبور كان بجيش الكفاءات .

ليس معنى ذلك ان المال غير ضرورى ، ولكن هناك ضروريات أخرى تعويضية . وهنا يتبادر الى الذهن الاستعانة بالتجمعات الاقليمية العربية أو الخبرة والمعونة الاجنبية . ولكن التأهب يستدعى تدبير المتفاوضين عن دراية مع المتحدث الاجنبي لتدارك النقاط الحساسة أو العروض الكمالية . **فالمطلوب معرفة دقيقة لما نطلب ، وممن ، وفيما** ، والالحاح لضمان تأهيل الكوادر وعدم الارتباط الازلى بتبعيات جديدة .. فمرحبا بالمعونات لتقوية وتطوير الانتاج وتحسين الاداء ، دون الوقوع فى البدع أو التقاليع أو الاساليب الاستهلاكية .. لابد اذن ان نعد لذلك الحوار بدراسة البحوث الدعامية ونساندها ، وعدم تكرارها وتعميق نتائج وتفسيرات بحوثنا ، وتهيئة المساعدين فى مخطط مطمئن يقينى ، لا يتعرض لذبذبات اعادة التنظيم او الملل أو التطلع .

ان فلسفة العلم للفقراء ينبغى ايضا فى تدبيرها ومعقوليتها ان تتذرع **بالذكاء لتفهم تحول العالم وسياسته وفكره والاطلاع المستميت** : رغم ان مكاتب الجامعات خاوية ولا تجدد اشتراكاتها فى الدوريات ، وهذا تحد يتطلب التخطيط مع هيئة الكتاب لاعادة طبع كتب الجامعات والبحوث طبعات طلابية بثمن معقول ، ومطالبة **اليونسكو** وغيرها ، ودور النشر الجامعية بالخارج بالمعاونة فى ذلك .. لابد ان تصبح الرؤيا شمولية مستقبلية لان الفقير هنا يبحث ليتقدم ويشترط ويلح ، **ولابد من كفاءة التعبير ، واتقان عرض ميزة البحث حتى نستهوى مال الحكام ، ومال القادرين من ارباب الصناعات العربية وعوائد ارباحها التى كثر الكلام عنها فى هذه الايام** .. ولابد من التدرج فى كل هذا فى حوار العلم والادارة حتى لا تضغط البيروقراطية بوزنها على هيكل القاعدة التحتية للبحث بالمعامل والتجهيز .

وعندما نقول ان فلسفة البحث بالنسبة للفقراء ينبغى ان تكون غير مبددة ؛ بل مدبرة ؛ لا نعنى التيئيس ، بل **واقعية الامل دون عشوائية الحساب : فلسفة أكثر موضوعية** .. فعلى المبعوث العائد ان يغربل بحنكة ماذا يطلب ادراجه فى ميزانية قسمه ، بدلا من ان يطالب بنقل صورة المعمل الذى كان يعمل فيه بالخارج بحذافيره وحذلقته . وهذا التدبير من الامور الصعبة التى تحتاج الى تفكير وتعميق للاقتناع بها . فالحوار بين الصناعة والجامعات فى ايطاليا — مثلا — باستثناء مؤسسة « اينى » ، حوار متعثر ، ولكن التقدم العلمى يسير قدما ، مستعينا بقدرة التحايل والابداع ، ثم ان حكومة زامبيا تنفق — مثلا — ٢ر٦ ٪ على البحث العلمى ، فى حين تكتفى فرنسا بنسبة ٠ر٢ ٪ ، ومع ذلك فهل من مقارنة يمكن ان تعمل عن العلم فى البلدين ؟ .. ان ٧٥ ٪ من ميزانية البحث العلمى فى المانيا الغربية وسويسرا من الصناعة ، **فهل فكر القطاع الصناعى المصرى والعربى عموما بانه مطالب بالانفاق مثل — او أكثر — من الحكومات فى البحث** ؟ .. أليس أحسن استغلال لارباح البترول فى توجيهه لمصادر طاقة المستقبل كالذرة والطاقة الشمسية والجيوحرارية ، وايضا لدفع الثروات المعدنية للفوسفات والنحاس وخبرات اعماق البحار ؟ .. **ألا يصبح بسبب ذلك التعويض وكسب الوقت مضاعفا كالتفاعل المسلسل** ؟

بقيت كلمة لشباب البحاث :

نأمل فى مزيد من الحمية ، عدوى التفكير ، تأصيل الموضوعية ، تقدير لتعلم اللغات ، لانكم مصر عام ٢٠٠٠ ، مصر بالقلب والعقل المفتوح ، بالبحث كالماء والهواء ، لتحاشى الجهالة **والتتارية** .. يدنا فى يدكم من اجل علم يؤمن الغد المشرق .. يدنا فى يد الحرفيين .. **فالبحث أيضا عمل يدوى** .. يدنا فى يدكم من أجل سعادة أولادنا جميعا فى فلسفة علمية متواضعة ، على غرار فن رمسيس ويصا واصف — رحمه الله — الذى أبدع فى الحورانية مع الاميين ، وعلى غرار حسن فتحى — أطال الله بقاءه — الذى اكتشف بيوت اللبن الرخيصة والجميلة لتهجير الفقراء ، فكانت تحديا للعالم المتحضر ، وهمزة وصل وبعث للفقراء .

د . نظمى لوقا

- أستاذ الفلسفة بتربية عين شمس
- صاحب « الفلسفة التعبيرية » .
- له مؤلفات فى شتى مجالات المعرفة الانسانية . احدثها « الله . القيمة . الانسان » ١٩٧٣ .

نحو مفهوم انسانى للانسان :

المنهـــج والقضـــية

د. نظمى لوقا

المقصود بالمفهوم — عامة — الصفات المكونة مع ابراز **السمة الحاسمة المميزة للكينونة المعينة،** والتى بدونها تختلط هذه الكينونة فلا تفيد تفردها عن غيرها من الكينونات .

وبذلك يكون مفهوم الانسان منصبا — بالدرجة الاولى — على تلك السمة الحاسمة المميزة لكينونته عن غيره من الكائنات المعروفة لنا ، والتى بغيابها لا يكون الكائن انسانا بالمعنى الصحيح للكلمة ، بل شيئا قد يشبه الانسان ولكنه ليس هو ، وقد يكون كينونة مزيفة للانسان ، تخدع الغر أو الجاهل ، وبذلك تدخل الخلط على التفكير والعمل الانسانيين على السواء .

وكيما يكون هذا المفهوم الخاص بالانسان مفهوما انسانيا خالصا ، فلا مناص من ان تكون السمة الحاسمة المميزة للانسان غير ناتجة الا عن شيء واحد انسانى محض ، هو الملاحظة الانسانية الموضوعية الخالصة .

وهذا هو المنهج الانسانى .

وهذا المنهج الانسانى فى حد ذاته قضية واجبة النظر ابتداء ، ولابد من الفصل فيها قبل تطبيق المنهج نفسه ، كى تتأسس شرعية هذا المنهج ، بل حتميته التى لابديل لها فى كل القضايا الانسانية [ولا نقول قضايا الانسان ؟ لانه من المكن النظر فى قضايا الانسان بمنهج — او من منطلق — غير انسانى] .

ولباب مقتضيات هذا المنهج الانسانى قيامه على الملاحظة الموضوعية . فما البديل للملاحظة — أيا كانت — منطلقا للبحث الانسانى ؟

البديل هو الانطلاق من مسلمة غير انسانية؟ أى مفروضة من خارج الانسان ، وليست حصيلة أو نتيجة بحثه وملاحظته ، وبذلك يكون المبتدأ أو المنطلق غريبا عن الطاقة الانسانية التى لاجلها ولصلحتها يدور البحث . فكيف يتسنى ان يكون منطلقه غريبا عن معدنه ، بحيث يقسره قسرا ؟ ولا يقنعه اقناعا ؟

مثل هذا المنطلق التسليمى قيد على العقل ؟ وغشاوة على بصيرته منذ البداية ، ولا مفر من أن تأتى نتائجه من جنسه ، أى مزيدا من القيد والغشاوة .

فالملاحظة الانسانية اذن منطلق لا بديل له كى يكون المفهوم انسانيا خالصا ، ولكى تأتى ثمرات الفهم انسانية خالصة ، فالثمرة رهن بشجرتها

التى انتجتها ؟ والشجرة رهن بالبذرة التى انبتتها . وعلينا — اذا أردنا أن نضمن سلامة فهمنا من حيث هو انسانى ، وصواب مفهومنا من حيث هو انسانى — أن ننطلق من داخل الفهم لا من خارجه ، وأن نرفض كل مسلمة ليست ثمرة الفهم وملاحظته الخاصة به .

ان المسلمات المفروضة على الفهمابتداء غريبة عن طبيعته الخاصة ، فهى لذلك فى وضع مقلوب : فالوضع الطبيعى ان الحقائق يجب أن تكون النتيجة الختامية للملاحظة ، لا ان تكون مبتدأ أو منطلقا للملاحظة ، فهى الثمرة وليست البذرة من عملية الفهم او البحث عن المفهوم . وان كانت الثمرة — على نحو ما يجرى فىزراعة النباتات — بعد الحصول عليها بطريقة طبيعية سوية تصلح أن تغدو بذرة صحيحة لاستنبات البذرة فىهذه الحالة ليست مفروضة منالخارج، بل هى نتاج طبيعى ثابت الشرعية .

ولا يكون المفهوم الانسانى على هذا النحو شيئا سوى الالتزام بمنهج انسانى محض ، من البداية الى المنتهى .

ولكن ليس معنى هذا انه لا وجود الا للمفهوم الانسانى . كلا ! فمن الممكن ان يكون ثمة مفهوم آخر [أو مفهومات] يتخذ التسليم ابتداء أو منطلقا ، وينتج نتائجه المعقولة [من حيث هى مستخرجه من المسلمة عن طريق عمليات عقلية] ولكن النتائج فى هذه الحالة لا تكون ثمرات خالصة للفهم الانسانى ، لان منطلقها أو بذرتها [وهو فى هذه الحالة مسلمتها] ليست اساسا من صنع الانسان ، وانما هو قد تقبلها تقبلا ، أو اعتنقها اعتناقا بغير برهانأو استدلال ،**والبرهان أو الاستدلال هو طريقة الانتاج الوحيدة للمعانى الانسانية الحقيقية** . اما تلك المعانى « الجاهزة » — أيا كان مصدرها — فهى شىء غير انسانى [ولا ينفى هذه الصفة عنه انه قد يكون « **فوق** » الانسانى] .

وهذه المعانى اللاانسانية قابلة أن تكون منطلقا ، وبذرة ، ومثار انتاج [قد يكون غزيرا ضخما] فى فكر الانسان ، ولكنه يأتى انتاجا غير انسانى . **وهو طريق لا اعتراض لنا عليه فىحد ذاته ، ولا جناحعلى منشاء — فىنظرنا — ان يسلكه كيفما شاء** . ولكن الذى يعنينا انتقوله انه مباين تمام المباينة للطريق الانسانى المحض، فهو طريق غير طريق الفلسفة الانسانية بعامة ، وغير طريق « **الفلسفة التعبيرية** » التى ننادى بها على وجه التخصص .

فالملاحظة هىالمنطلق ،وهى ملاحظة**موضوعية** بالضرورة ، لان الموضوعية ضمان النزاهة والاستقلال الحيادى الصحيحين .

ويلزم من الموضوعية ان النتائج — أو الثمار الطبيعية لعملية الملاحظة — تفرض نفسها بنفسها ، وانها حائزة — بسبب طريقة انتاجها — لكل اركان الشرعية الانسانية . **وليس منحق الانسان ان يتجاهلها أو يرفضها** ، كما انه ليس للام أن تتجاهل أو ترفض ثمرة احشائها الطبيعية أيا كانت صفات وليدها أو نوعه !

فليس لنا ان نرفض **سلفا** نتائج بعينها ، كما انه ليس لنا ان **نتعمد** الوصول سلفا الى نتائج بعينها ، فالانحياز والتحيز اهواء ذاتية يأباها المنهج الموضوعى ، وعلينا ان نقبل الثمرات الطبيعية لملاحظتنا الموضوعية كما هى ، ونتخذها منطلقا ، [أى بذرة لاستنبات ثمراتاكثر تقدما على طريق حقيقة انسانية ، ليس لها — كي تكون انسانية حقا — من طريق سوى هذا الطريق..

د. فرج أحمد فرج

● مدرس علم النفس ـ آداب عين شمس .

● اشترك : فى ترجمةنظريات الشخصية [١٩٦٨] وقضايا علم الاجتماع ١٩٦٩ فى مؤتمر علم الاجتماع الريفى ـ القاهرة [١٩٦٩] والندوة الدولية لتعاطى المخدرات ـ [١٩٧١] .

الانســـــان المصــــــرى فى ضــــوء تغيـــــير الانســـــان

د. فرج أحمد فرج

قديما قال الفيلسوف اليوناني : « انك لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فان مياها جديدة تجرى من حولك » على أن الذى يتجدد ويتغير دائما ليس المياه وحدها ، وانما الانسان الذى ينزل هذا النهر ، فهو اليوم أكبر سنا وأكثر شيخوخة واقرب الى قبره من أمسه ، كما أنه فى غده أكبر سنا وأكثر شيخوخة وأقرب الى قبره من يومه ، وهكذا فالحركة دائمة والتغير مستمر والتحول دائم لا يتوقف ، وحقيقة الحقائق الانسانية اننا نولد ثم نكبر ثم نموت ليولد من بعدنا غيرنا ثم يكبرون ثم فى النهاية يموتون وهكذا .

واذا كان الانسان فى فجر تاريخه وفى بداية نموه العقلى ينظر الى الاشياء من حوله مادية كانت أو اجتماعية او انسانية بوصفها ظاهرات تتميز بالثبات والبقاء وعدم التغير فتلك نظرة سطحية يستوقفها المظهر الخداع ، دون القدرة على تتبع الاشياء فى حركتها الشاملة وتحولها الدائم الذى لا يعرف التوقف أو الثبـــات . ان **النظرة الدينامية وليست النظرة الاستاتيكية [أى النظرة الى الأشياء فى صيرورتها وتحولاتها فى مقابل النظر الى الاشياء فى ثباتها وجمودها] ، هى التى تميز طبيعة الفكر والنظر العلمى فى عصرنا على اختلاف المذاهب والمدارس** . فالظاهرات الكونية الفلكية ظـاهرة قـانونها الحـركة ، والظاهرات الذرية قانونها أيضا هو الحركة ، وعلى هذا فالكون الاكبر شأنه شأن الكون الاصغر [اى الذرة] فى حركة وتحول ، والامر بالمثل فى ظاهرات الحياة من الحيوانات وحيدة الخلية حتى الانسان . وكذلك ايضا الظاهرات الانسانية فهى ظاهرات تاريخية ، أى ظاهرات فى حركة وتحول وتغير .

ولعل ابسط ما يمكن أن نصف به الانسان هو أن نسارع فنقول أنه ظاهرة تاريخية ، واذا كان هذا الوصف ينطبق على جميع أنواع الظاهرات فلكية وطبيعية وحيوية الا أن سرعة ايقاع التحـول التـاريخى بالنسـبة للانسان أمر أكثر وضـوحا وجلاء ، صحيح ان قشرة الارض تغير من شكلها لكن ذلك يستغرق حقبا بالغة الطول ، أما التحولات التاريخية فقد تستغرق وقتا بالغ القصر ، كما فى الحروب والثورات الاجتماعية مثلا .

ولكن ما بال الكثيرون يتحـدثون عن طبيعـة الاشياء ، ويتحدثون بخاصة عن طبيعة الانسان ، وكاننا بازاء امور ثابتة دائمة عصبية على كل تغيير أو تحول . ذلك أمر يعرفه المشتغلون بالعلـوم الانسانية وبخاصة الدارسون لتـاريخ الفكر الانسانى عبر العصور ، فمثل هذه النظرة تعاود

الظهور دائما فى فترات التحولات الحاسمة ، أعنى فى تلك الفترات التى يبلغ فيها القديم شيخوخة تنذر بموته ويبلغ فيها الجديد أيضا يفاعة واشتداد ينم عن قرب نضجه . ويتمسك بهذه النظرة دعاة القديم وأصحاب المصلحة فى بقائه ، فهو بالنسبة لهم الطبيعى والثابت الذى لا وجود ولا استقامة بغيره للاشياء . انه هو طبيعة الاشياء ، وهم ينسون دائما ان هذاالذى يبدو لهم وكأنه طبيعة الاشياء ، كان فيما سبق جديدا يصارع قديما كان أصحابه بدورهم يرون أنه طبيعة الاشياء .

ولعلنا نخلص من هذا بانه **اذا كان ثمة طبيعة ثابتة للاشياء فهى تحولها الدائم وصيرورتها المستمرة .** هذا التحول الدائم وهذه الصيرورة المستمرة هى قانون القوانين وحقيقة الحقائق . بعبارة أخرى يمكننا أن نتبين مبلغ عمق ونفاذ فكر هيجل عندما يؤكد لنا أن السلب هو الجوهر وان الايجاب هو المظهر الخادع . اى أن شكل الاشياء مظهر لا يلبث ان يخلى السبيل لنقيضه ، فاذا بهذا النقيض هو جوهر هذه الاشياء وحقيقتها الاعمق والاكثر شمولا .

ايقاع التغيير

التغير هذه حقيقة الوجود ذاته ، ويختلف ايقاع هذا التغير باختلاف الظاهرات ، فالظاهرات الفزيائية [الكونى والطبيعة] أكثر الظاهرات بطئا فى تغيرها ، والظاهرات الحيوية أكثر سرعة فى تغيرها بالقياس الى الظاهرات الفيزيائية لكن الظاهرات الانسانية [التاريخ والمجتمع] أكثر الجميع سرعة . بل أن تطور الانسان وصل الى الحد الذى جعل منه عاملا يساهم فى زيادة سرعة تغير النوعين الاخرين من الظاهرات ، انه تغير من الطبيعة المادية بالعلم والتكنولوجيا [كما فى بناء السدود وتغيير مجارى الانهار والامطار الصناعية] كما أنه تغيير من الطبيعة الحية لتطوير الزراعة والحياة الحيوانية وتهجينها واستنباط الانواع الجديدة مثلا] وعلى هذا فزيادة سرعة ايقاع التغيير الانسانى لم يلبث ان أدى الى زيادة سرعة ايقاع التغيير غير الانسانى . بل أنه أصبح من الممكن النظر الى الانسان وتعريفه بوصفة ذلك الكائن القادر — بما هو انسان — على تغيير الوسط المحيط به . هذا ما يذهب اليه هيجل وما يذهب اليه أصحاب الفكر المادى ، على أن الامر لم يعد موقفا فلسفيا أو عقائديا ، بل انه ابراز لماهية الانسان وحقيقته وهويته موجودا فى العالم من حيث هو مغير لهذا العالم .

ان نظرة سريعة الى مؤلف « كوجيف » « **مدخل الى قراءة هيجل** » [ص ١٢ — ١٣] توضح كيف ان الانسان عنده هو ذلك الكائن الذى يقيم بالعالم **علاقة سالبة** ، بمعنى ان الانسان يسلب معطيات هذا العالم الصورة الموضوعية الواقعية التى يوجد عليها ويحولها الى أشياء ذاتية ، فهو يأكل ما يصلح من معطيات هذا العالم للاكل انه يدمر هذا الذى يؤكله ويقضى على وجوده المادى القائم بذاته ويخرجه عما هو عليه ويحوله الى مواد غذائية يصبح جزءا من كيانه هو . النشاط الانسانى اذن فى علاقته بالعالم المادى نشاط سالب لهذا العالم مدمر له قاض عليه من حيث هو وجود موضوعى قائم بذاته .

وهذا هو نفس الموقف الذى نجده عند **انجلز** فى مقاله الشهير عن **دور العمل** فى تطوير الانسان وانتقاله من مستوى القردة العليا الى مستوى الانسان . والعمل فى نهاية الامر سلب لما توجد عليه الاشياء . انه تحويل معطيات هذا العمل الى أشياء قابلة للافادة والاستخدام من قبل الانسان .

ان الانسان يخلق بالعمل عالما انسانيا اجتماعيا تاريخيا . فهو بعمل مع الاخرين ومن ثمة فهو يخلق عالما اجتماعيا ، كما أن أشكال هذا العمل وأنماطه تتحول وتتطور مرحلة اثر أخرى ، ومن ثمة ايضا فهو يخلق عالما تاريخيا .

والان شىء من التأمل المتعمق ، ما كنه هذا النفى أو السلب المدمر للاشياء ، هل هو قضاء عليها يتضمن افنائها ؟

انه ليس كذلك بالطبع فنحن نعلم ان القانون العلمى يؤكد لنا « ان المادة لا تفنى ولا تستحدث وانما تتحول من حالة الى حالة » وعلى هذا فهذا السلب **هو العملية التى بمقتضاها تتحول الاشياء من صورتها السابقة الى صورة أخرى كامنة فى داخلها** ، فتحول الطعام الى مركبات الغذاء التقليدية ثم الى دم ، ثم بنائه للجسم البشرى ، هذا كله كامن فى المادة الغذائية . كما أن تحول الاشجار فى الغابات الى أثاث لا يعدو ان يكون الغاء للصورة الظاهرية للشجرة وبعث للاشكال الاخرى التى تكمن فى ثناياها . لكن ان الموقف لا يقتصر على معطيات الطبيعة وانما يشمل الانسان ايضا فى علاقة جدلية تبادلية بالغة الثراء والتشابك . الانسان يغير من هذا العالم بواسطة العمل الاجتماعى المنتج ، ولكن هل يقتصر الامر على تغير العالم وحده دون تغير مقابل يطرأ على الانسان ؟

الاجابة بالنفى قطعا . **فالانسان والعالم المحيط به طرفى وحدة جدلية تبادلية . انه فى العالم** Being-in-the-World ، **أى أن هويته وكينونته لا تنفصل عن هذا العالم الذى يوجد فيه وينتمى اليه ويتخلق وعيه بذاته من خلال علاقاته به .** بعبارة اخرى نحن نعرف أن الوعى بالذات لا

يكون الا من خلال علاقته بالعالم الخارجي وتعرف أيضا أن غياب المنبهات يؤدى الى توقف الجهاز العصبى عن القيام بوظائفه الادراكية ، أى لابد من موضوعات للادراك حتى يتم الادراك ، مثل ذلك مثل نشاط المعدة ، اذ لابد من الطعام حتى تنشط المعدة . فالانسان يدرك ذاته ويتحقق له الوعى بها منخلال العالم الخارجى . ويتطور وعى الانسان بذاته من خلال تطور نشاطه وعلاقته بالعالم الخارجى . وعلى هذا فالانسان اذ يغير من عالمه يغير كذلك من نفسه . انه اذ يسلب مظاهر هذا العالم يسلب كذلك بعض مظاهر وعيه ووجوده العقلى والنفسى . مثال ذلك علاقة الانسان بالحيوان ، ولنختار الحيوانات المفترسة ، تلك الحيوانات التى كان الانسان يخشاها ويفر منها فى فجر تاريخه لعجزه عن مواجهتها ، كان وعيه بنفسه فى هذه الفترة — كما تجسد فى ديانات البدائية الطوطمية — أنه عاجز عن مواجهة هذه الكائنات خارقة القدرة ، ومن ثمة عليه أن يعبدها ويسترضيها . ومع تطور صناعة الادوات وتطور التنظيم الاجتماعى ، أصبح الانسان قادرا على قهر واخضاع هذه الحيوانات الخطرة ، أنه وقد سلب خطر هذه الحيوانات المادى قد سلب كذلك مشاعر العجز والاستسلام .

ان الانسان يغير من نفسه بقدر ما يغير من عالمه المادى المحيط به . أنه اذ يفجر امكانيات العالم المادى حقبة اثر حقبة ، يفجر كذلك ويطور امكانياته الانسانية هى الاخرى حقبة اثر حقبة . عندما تطور الانسان الادوات التى قهر بها عدوه من الحيوان طور فى نفس الوقت ثقته فى مقدرته وكفاءته فى مواجهة هذا الحيوان .

ويستغرق علماء الانثروبولوجيا [أى علم الانسان وهو فرع من فروع العلوم الاجتماعية] فى دراسة ما تتميز به المجتمعات القديمة والبدائية بخاصة من خصائص نفسية واجتماعية تعكس ما يتميز به مجتمعهم من تطور مادى تكنولوجى . ولقد تصدى ذلك المبحث من التحليل النفسى والمسمى بالاتجاه الثقافى أو الحضارى لدراسة العلاقات بين تكوين الشخصية — أى بناء الانسان النفسى — والدور الانتاجى الاجتماعى للفرد ، وأوضح لنا رواد هذا الاتجاه العلاقة الجدلية الوثيقة بين الشخصية والدور الاجتماعى الانتاجى ، فهناك مثلا خصائص شخصية محددة تميز صيادى الجاموس السرى فى قبيلة بعينها من قبائل الهنود الحمر مثلا ، كما ان هذه الخصائص تتخلق وتتكون لدى أصحابها بفضل أسلوب محدد ومميز فى التربية ابتداء من الرضاعة فى الطفولة المبكرة . بعبارة محددة نستطيع القول بأن مقتضيات دور انتاجى اجتماعى معين تتطلب خصائص نفسية معينة لازمة لاداء هذا الدور على الوجه الامثل ، ويكتسب الفرد ابتداء من طفولته ومن خلال أسلوب محدد فى التربية والتدريب خصائص هذا الدور .

ونوضح ذلك بأمثلة مختلفة ، فالفلاح مثلا يقوم بدور يختلف عن الدور الذى يقوم به الصانع ، ولابد من اعداد الفلاح وتربيته ، وكذلك اعداد الصانع وتربيته بما يكفل لكل منهما القيام بدوره على الوجه الامثل ، ويتم تربية الفلاح بما يؤدى الى ارتباطه ارتباطا وثيقا بالارض والاسرة بمعناها القبلى الواسع ، كما يتم اعداد الصانع وتربيته بما يؤدى الى نوع من الاستقلال الفردى والارتباط بالعمل المنتج .

كذلك يتم تربية الفتاة تربية تمكنها وتعدها للدور النوعى الذى ستقوم به فى مجتمعها ، فالفتاة القروية المصرية أو الهندية تقوم فى رشدها بدور يختلف عن دور الفتاة الحضرية الامريكية ، وبالتالى يختلف أسلوب تربية كل منهما . المصرية والهندية تربى على احترام سلطة الكبار دون مناقشة ، والامريكية تربى على الاستقلال عن هذه السلطة وتحديها والتمرد عليها .

ضرورات التغير

اذا كان **التغير** هو حقيقة الحقائق فى جميع ظاهرات الوجود ، فان هذا التغير لا يتم تلقائيا وبصورة آلية ، **انه عملية قوامها الصراع** ، صراع بين الشكل القديم الذى يقاوم هذا التغير ، والشكل الجديد الذى يدفع عجلة هذا التغير . وبالرغم من أن الصراع يستخدم بصفة خاصة فى مجال الظاهرات الانسانية ، اجتماعية كانت أو عقائدية أو نفسية ، الا أن الصراع بين القوى المختلفة هو فى حقيقة الامر وجه آخر من وجوه التغيير . وان كان شكل الصراع واحتمالاته المختلفة هو الذى يختلف باختلاف الظاهرات ، فالصراع الاقتصادى له أشكاله الخاصة به ، أو بعبارة منهجية له طبيعته النوعية الخاصة به ، تماما كما للصراع النفسى أشكاله الخاصة به ، أو طبيعته النوعية الخاصة به ، ويعنينا هنا الصراع فى مجال الظاهرات الانسانية ، وبخاصة فى المجال النفسى بمعناه الواسع للغاية . أى الصراع فى مجال موقف الانسان من نفسه ومن عالمه ومن علاقته بهذا العالم بعامة .

موقف الانسان من نفسه ومن عالمه ، ومن علاقته بهذا العالم ، نتاج للمرحلة التاريخية التى ينتمى اليها هذا الانسان فى علاقاته تلك بعالمه وبنفسه . ونوضح ذلك فنقول أن الانسان الذى ينتمى الى عصور ما قبل التاريخ ، أو يعيش مجتمعا معاصرا لكنه حضاريا ينتمى من حيث البناء الاجتماعى

والاقتصادى – الى مجتمعات ما قبل التاريخ – هذا الانسان له علاقة محددة المعالم بنفسه وبعالمه ، علاقة قوامها العجز ازاء قوى سحرية شيطانية غير قابلة للفهم او الارضاء ، الا بالقرابين والضحايا البشرية . لذلك لم يكن عرضا أو مصادفة أن نجد مثل هذا البناء الفكرى العقائدى الواحد بين أبناء القبائل البدائية .

وعلى هـذا **فالبناء النفسى للانسان يتخلق ويتشكل من خلال ضروب النشاط الاجتماعى الذى يمارسه الانسان فى عالمه المادى** ، انه بهذا النشاط يتعرف على ذاته خالقا لهـا محققا لجوانب من امكانياتها تحقيقا له طابعه التاريخى . فلقد حقق الانسان فى المجتمع الزراعى لجوانب وجدانية وعاطفيةتمثلتفىالاستقرارالاسرى ، وفىممارسة قدرات خلاقة كما فى الحضارة الفرعونية مثلا ، حيث تفتحت قدرات الانسان فى مجالات المعمار والهندسة والطب والرياضة والكيمياء الخ . كذلك حقق الانسان فى المجتمع اليونانى القدرة على التامل الفلسفى العميق والمنظم ، كما فتح الباب أمام تطور العقل والمعرفة المنطقية المنظمة .

ولعل **أعظم انجازات الانسان تتمثل فى عصر النهضة عصر العقلانية** من جانب المعرفة العلمية التجريدية المنظمة من جانب آخر ، وجدير بالذكر أن هذه الانجازات قد حال بين مصر وبين الاسهام فيها ظروف تاريخية معقدة ليس هذا مجـال تناولها .

ولـكن الذى يهمنـا هنا هو **انعزال مصر عن مواكبة هذا التطور البشرى الهائل** الى أن بدأ التقاؤها به مع الحملة الفرنسية ، وتعمق تعرضها له والاخذ بأسبابه ابتداء من عصر محمد على .

وأصبحت الحاجة الحيوية الأولى أمام أبناء هذا الوطن هو **الافادة** البشرية من هذا الانجاز الهائل ، وأعنى بذلك انعكاس هذا الانجاز على بناء الانسان نفسه بما هو انسان ، أى أن يكون هذا الانجاز مناخ يحقق من خلاله الانسان امكانياته الانسانية مطورا لها متجاوزا بها آفاقها السابقة ، أى أن يترجم هذا الانجاز الى بناء نفسى عقلانى تضرب جذوره فى موقف الانسان من نفسه وفى علاقته بعالمه وفى ادراكه لهذا العالم وفى تعامله معه . بعبارة سيكولوجية فلسفية أصبح لابد من يتجاوز « **الانا** » حالته أو حالاته السابقة ، متعاليا عليها متخطيا لها بنوع من السلب بالمعنى الهيجلى الواسع والعميق .

ولكى يتضح لنا ذلك علينا أن نقارن ما كان عليه **الانسان الاوربى** فى العصور الوسطى بما صار عليه نفس هذا الانسان وقد فتح أمامه عصر النهضة طريق **التحول من مجتمع زراعى تسلطى الى مجتمع صناعى ليبرالى** ، حلت فيه **سلطة العقل والتجربة والممارسة محل سلطة الكنيسة والاقطاع والسلف** ، أو بعبارة أخرى حلت سلطة الممارسة والبرهان محل سلطة النقل والتلقين . ولقد انعكس ذلك كله على وعى الانسان بحيث صارت التجربة والعقل هما الفيصل **فى كل أمور الحياة فى هذا المجتمع** . أى صارت انسانية الانسان من حيث هى سلب لما يبدو عليه العالم ولما تبدو عليه الامور . لقد حل بيكون محل أرسطو ، وحلت التجربة المعاشة محل النص الموروث .

وهكذا تطور وعى الانسان وفكره وتفتحت ثقته بالعقل الى ما غير حدود وبالممارسة بغير عائق ، حتى أصبحت الشروط الانسانية خصبة ومتوفرة للاندفاع الى قفزات هائلة فى **تغيير العالم المادى** تمثلت فى المخترعات والعلوم والفنون ، كما تمثلت فى ممارسات اجتماعية ، وفى ميلاد علوم انسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصـاد .

وهكذا تعمقت الروابط الجدلية بين الانسـان وممارساته ، أو بعبارة أبسط بين الصناعة والعلم من جانب والعقلية العلمية العملية الخالقة للعلم والصناعة .

ويقودنا هذا الى مشكلة **العالم الثالث** ومن بينها مصر . لقد حيل بين دول العالم الثالث وبين الاسهام فى تلك القفزة الهائلة – الثورة الصناعية والعقلية والاجتماعية جميعا – ثم كانت الصحوة ، فى ظل حتمية تاريخية ، تسعى الى اللحـاق والتعويض . وكان الانبهار بالجانب المـادى التكنولوجى والرغبة فى سرعة الاخذ به أخذا يقوم فى معظمه على النقل . على أن علينا ألا نغفل عن ان هذا الجانب التكنولوجى لا ينفصل عن الانسان صانع هذا الجانب وخالقه **وان نقل المنجزات المادية الى غير خلفيتها الانسانية – الخلفية العقلانية العلمية الليبرالية – أشبه بغرس ثمرة فى غير التربة والمناخ المناسب لنموها** ، بل هـو بالفعل كذلك . بل ان الخلفية الاجتماعية بجميع أبعادها وبخاصة تلك التىتخلقت وتفتحت فىظلها ، مخالف لما كان سائدا فيما قبل ، تلك الجوانب من الخلفية منـاخ لابد منـه لبقـاء وتطوير هـذا الجـانب التكنولوجى ، لا يمكن مثلا الابقاء على سلطة غير سلطة البرهان والممارسة كما كان الشأن فـى المجتمع الاوربى الاقطاعى . **لا يمكن كذلك الابقاء** على التعامل الفضفاض مع الزمان والمكان وهو ضرب من التعامل نشأت فى رحم المجتمع الزراعى البطىء الاقطاع ، لا يمكن الابقاء عليه فى عصر الاجهزة الالكترونية والاقمار الصناعية ، لا يمكن أيضا ان يظل نصف المجتمع – المرأة – فى معزل

عن هذا التطور الهائل فهو تطور ينعم به الانسان رجالا ونساء ، لذلك لم يكن مصادفة أن يكون بداية تحرر المرأة مع بداية ميلاد الصناعة في مصر في عصر محمد علي ، متمثلا في فتح مدارس للبنات ، كما لم تكن الدعوة الى تحرير المرأة بعد ذلك على يد أحمد أمين مصادفة وانما هي لا تنفصل عن بداية نمو الصناعة ووقوفها على قدميها بعد نكسة ليست بالقصيرة . أن تحرر المرأة تحرر للانسان ذاته فكرا وعقلا وممارسة وحياة اجتماعية .

والجدير بالذكر أن المرأة في مصر لم تتخلف عن الخدمة الاجتماعية ابتداء من العصر الفرعوني الى وقتنا هذا ونظرة الى الريف المصري كفيلة باثبات ذلك ، ولعل تخلفها عن واجباتها الاجتماعية لم يتجاوز عصورا محدودة ، ولعله كذلك لم يتجاوز حدود المدن الكبرى وربما ظل داخلها قاصرا على بعض قطاعات الطبقة المتوسطة والعليا ، لقد ظلت المرأة المصرية في الريف تشارك الرجل جميع أعمال الزراعة .

الانسان المصري بين الثبات والتغيير

تجمع جميع المصادر التاريخية على أن الحضارة المصرية القديمة هي أقدم الحضارات وجدير بالذكر أن عالم المصريات الأمريكي برستد يرى أن الحياة ظهرت في وادي النيل منذ فترة قد تمتد الى ما يزيد على نصف مليون عام ، وان الجزء المسجل منها تاريخيا هو الحلقة الاخيرة في تطور هائل وبالغ الطول . وجدير بالذكر ان هذا العالم المنصف يرى أن مصر كانت مهد ميلاد الضمير الانساني متمثلا في بناء الاسرة المصرية [ارجع الى فجر الضمير : ترجمة حسن سليم] . وفي علاقة الابناء والاباء ببعضهم البعض . أي أن هناك رصيدا انسانيا هائلا قد استوعبته الشخصية المصرية . ولكننا نعلم ان الشخصية الانسانية رغم قدرتها الهائلة على النمو والتطور ، يمكن أن يصيبها ما يشبه الثبات أو أنها شاركت في صنع النصر بفتحها جهة ثالثة في البيات الشتوي الحضاري الطويل ، وان اليقظة تقتضي اتاحة مجموعة من الشروط الانسانية المواتية التي تتميز بالتعقيد والتشابك ولكنها في النهاية الشرط الضروري لبعث هذه الخصائص وتطويرها . ان اللب الانساني في الشخصية المصرية والذي يتمثل في الضمير ، من حيث هو حلول الحق الانساني محل القوة البدنية الغاشمة ، كما أوضحه برستد يمكننا ترجمته سيكولوجيا بوصفة الايمان بالاخر ، وبحقه في الوجود بوصفه آخرا مخالفا مغايرا فيما يريده وفيما يراه وفيما يسعى اليه ، عن الذات . الضمير هنا ، بوصفة قمة الرقي الانساني ، هو الاعتراف بحق الاخر في الوجود ، والوجود هنا فكرا وعملا ، في مقابل الذات فكرا وعملا .

وجدير بالذكر أن هذا الاخر المخالف هو الشرط الضروري سيكولوجيا لميلاد الذات .

ان الانسان لا يصبح كذلك الا بقدر ما يستطيع أن يرى الاخر غاية في ذاته ، وليس وسيلة .

قد يبدو مثل هذا الفكر دعوة الى أقصى درجات الفرديه الى حد الفوضوية الشاملة ، لكن الامر ليس كذلك ، فنحن نعرف معرفة علمية يقينية أن الموضوع لا يتحقق الا من خلال نقيضه . وان الذات لا تولد بفضل الاخر ، وان المعرفة العلمية لا تحقق الا من خلال الخلاف وان الاتفاق هو سمة الاسطورة حيث الاجماع دون مخالفة ، أو طلب للاثبات والبرهان . ان الوجود اختلاف وتحول وتغير وكثرة ، وان الوحدة الحقة هي وحدة بفضل الاختلاف وبسببه . وان التناقص والسلب هو جوهر الاشياء ووجودها ومبعث تطورها ونموها .

بقدر ما يكون الاخر مخالفا لي بقدر ما يكون حواري معه ، ولقائي به حوارا حقيقيا وخلاقا ، بمعنى أنه يساعدني على تطوير جوانب كامنة في انتظار مثل هذا الحوار والامر بالمثل لدى الاخر .

وعلى هذا فالضمير الذي يجب علينا تطويره وفتح الطريق امامه هو احترام الاخر من حيث هو مغاير مخالف ، ولكنه يشكل مع الذات وحدة ذات قطبين .

ولعلنا أحوج ما نكون الى مثل هذا الموقف بالنسبة لدور المرأة المصرية في المجتمع المصري ، ولقد نصت ورقة أكتوبر ومن قبلها الدستور ومن قبله الميثاق على حقوق المرأة في العلم والعمل .

ولابد من تعميق هذه الحقوق وازالة جميع العوائق التي تعترض طريقها ، والزعم بعجز المرأة عن مجاراة الرجل زعم لا سند له من خبرة وطنية أو عالمية ؛ أو من برهان علمي . ان مظاهر التخلف والقصور التي تسم المرأة هي نتيجة للمعوقات التي وضعت في طريقها عصور متعاقبة . ولعل في خروج الاعداد الهائلة من الفتيات الى طلب العلم والعمل في الربع الاخير من هذا القرن دليل عملي على ثورة لا رجوع فيها ولا ردة عنها ، ثورة في المجتمع على ابعاد المرأة عن بناء الحياة . ان ايزيس تبعث من جديد لترد الى حورس الحياة بعد أن حرمه منها سف اله الشر ، المرأة المصرية تلم شمل الوطن وتحفظ وحدته وتحمي تراثه الانساني الحضاري الرفيع وتلقي الى غير رجعة بأغلال التخلف .

ان هذه الثورة لابد أن تمس جميع جوانب الحياة الانسانية وأن تعيد خلق المجتمع باعث روحه الواحدة بين جميع أبنائه رجالا ونساء . فلا حرية لرجل دون حرية للمرأة .

د . سليمان الخضرى الشيخ

● دكتوراة فى علم النفس من جامعة موسكو ١٩٧٣ .

● مدرس علم النفس بتربية عين شمس .

علـم النفـــس الســـوفيتى المعاصـــر

د. سليمان الخضرى الشيخ

فى عالم اليوم الذى يرتبط بعضـه بالبعض الاخر ارتباط وثيقا ، نتيجة للثـورة العلميـة والتكنولوجية ،اصبح الانفتاح على الفكر الانسانى بمختلف تياراته واتجاهاته ، وفى مختلف فروعه وميادينه ، ضرورة ملحة تفرضها طبيعة العصر الذى نعيش فيه . وفى هذا الوقت الذى تتجـه فيه الشعوب العربيـة الى الاخذ بمبـادىء الاشتراكية كأسـاس لحياتهـا الاقتصـادية والاجتماعية ، لا يمـكن ان يظل الدارسـون والمتخصصون فى العلوم الانسانية ، وفى مقدمتها علم النفس مغفلين ما حققه هذا العلم من تقدم ، فى فهم الانسان وطبيعته ، فى بيئات ثقافيـة ، تختلف عن تلك التى نشأت وتطورت فيها معظم النظريات السيكلوجية المعروفة فى العالم العربى ، واعنى بهذه البيئات الثقافية مجمـوعة الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السـوفيتى . فعلى الرغم من ان علم النفس فى الاتحـاد السوفيتى قد قطع شوطا بعيـدا فى نمـوه وتطوره ، فانه مازال غير معروف بدرجة كافية خارج الدول الاشتراكية . وقد يرجع ذلك الى أسباب عديدة أهمها :

١ ـ عدم انتشار اللغة الروسية بين دراسى هذا الفرع من فروع العلم ، خارج مجموعـة الدول الاشتراكية .

٢ ـ قلة أو ندرة ما كتب عنه باللغات الاخرى .

٣ ـ انشغال علماء النفس السوفييت انفسهم باعادة بناء علمهم ورسم الطريق لنموه وتطوره ، لفترة طويلة بعد الثورة الاشتراكية الكبرى ، مما شغلهم عن ترجمة نظرياتهم وتصـوراتهم الى اللغات الاخرى ، أو الدعوة لها على نطاق واسع خارج الاتحاد السـوفيتى ومجمـوعة الدول الاشتراكية .

ويحاول الباحث فى هذا المقـال ان يقدم للمهتمين بالدراسات النفسـية فى مصر فكـرة عن علم النفس السوفيتى وتطوره ، بعـد ان عايشه فى وطنه خمس سنوات .

وتسهيلا للعرض ، يمكن تقسيم تطـور علم النفس السوفيتى الى اربع مراحل رئيسية :

أولا : مرحلة ماقبل الثورة

لم يكن بناء علم النفس السوفيتى بعد الثورة الاشتراكية الكبرى عام ١٩١٧ فى روسـيا يتم فى فراغ ، وانما كان اعادة بناء وتشكيل لعلم النفس فى روسيا القيصرية . فقد ورث من هذا العلم اتجاهات نظرية متعددة ومتعارضة فى فهم الظاهرة النفسية ، ومنهج دراستها . كما ورث الى جانب ذلك عديدا من الوقائع التجريبيـة التى أسفرت عنها بحوث عدد من الاساتذة المـاديين امثال **ا.م.ستشينوف** ، **ف.م.بختريف** وغيرهما .

ولم يكن علم النفس فى روسيا القيصرية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

بمعزل عن المدارس السيكلوجية التى سادت أوروبا فى ذلك الوقت ، كما لا يمكن النظر الى البحوث التى اجريت فى روسيا والنظريات أو التصورات التى تبناها علماء النفس فيها بمعزل عن اعمال وتصورات علماء النفس فى اوروبا ، الذين تفاعلوا معهم ، وكانوا على اتصال وثيق بهم . ولعله من المعروف فى تاريخ علم النفس أن كثيرا من علماء ذلك الوقت تخرجوا فى معمل فونت ، أو اتصلوا به بطريقة او باخرى ،وكانت أفكارهم ومدارسهم السيكلوجية التى بدأت فى التبلور فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، امتدادا لتصورات فونت نفسه أو ردود فعل لنواحى خاصة منها . وقد سار علم النفس الروسى قبل الثورة فى هذا الاتجاه ذاته .

الا ان علم النفس فى روسيا ، حتى فى هذه الفترة ، كان له بعض الملامح العامة التى ميزته عن غيره فى البلاد الاوروبية الاخرى . وقد ساعد على ذلك عدة عوامل ، لعل من اهمها ، تزايد نمو الفلسفة المادية الجدلية فى مؤلفات **لينين** فى روسيا بالذات ، تلك الفلسفة التى اصبحت فيما بعد اساسا نظريا لعلم النفس السوفيتى بعد الثورة . فقد انتقد لينين فى كتاباته الاتجاهات الميتافيزيقية التأملية فى علم النفس، تلك الاتجاهات التى تحاول ان تتحدث عن النفس او الروح . كما ساعدت على ذلك ايضا ،التقاليد المادية التى استمدت اصولها من الافكار الفلسفية والنفسية التى تضمنتها مؤلفات عدد من الاساتذة والمفكرين امثال **م . ف . لامانوسف** ، **أ . جيرتسن** **ن.ج. تشرنيشفسكى** ، والتى نميت وطورت فى اعمال أ.م. ستشينوف . هذا بالاضافة الى مجموعة من الاحداث التى كان لها اثرها المباشر فى تطور علم النفس فى روسيا قبيل الثورة وربما بعدها أيضا . فقد انشأ ف . بختريف اول معمل لعلم النفس فى روسيا عام ١٨٨٥ ، اى بعد ست سنوات من انشاء معمل فونت فى ليبزج ، كما بدأت تظهر مؤلفات **أ.بافلوف** عن الجهاز العصبى والنشاط العصبى الراقى والارتباط الشرطى ، وكان لها تأثيرها الضخم على سير التفكير السيكولوجى فى هذه الفترة ،وكذلك تم انشاء معهد علم النفس فى جامعة موسكو عام ١٩١٢ ، وكان له دوره الهام فى تطوير العلم فيما بعد .

ومهما يكن ، فانه فى هذه الفترة ، ونتيجة للازمة المنهجية التى سادت علم النفس — لا فى روسيا وحدها ، ولكن فى العالم اجمع — ظهرت تناقضات واضحة بين الافكار والنظريات السيكلوجية ، وتشعبت الاراء والتصورات حول علم النفس وموضوعه ، وكذلك حول مناهجه وأساليب دراسته . وبرزت فى تلك **الفترة ثلاثة**

اتجاهات نظرية رئيسية فى علم النفس الروسى يعارض كل منها الاخر ، وينقسم كل منها بدوره الى فروع متعددة . هذه الاتجاهات الثلاثة هى :

١ — الاتجاه الطبيعى :

لا شك ان اهم هذه الاتجاهات ، لما كان له من اثر فى تطور علم النفس السوفيتى بعد الثورة، هو ما يعرف عند مؤرخى العلم بالاتجاه الطبيعى فى علم النفس . وعلى الرغم من الاختلافات الشاسعة بين اتجاهاته الفرعية المتعددة ، فانه اتسم بثلاثة خصائص رئيسية ، أولها ارتباطه الوثيق بالعلوم الطبيعية المتقدمة وممثليها الذين فهموا العالم فهما ماديا . ونتيجة لذلك حاول اصحاب هذا الاتجاه نقل المادية العلمية من العلوم الطبيعية الى مشكلات علم النفس ، مما خلق ظروفا ملائمة لمحاربة التصورات المثالية التأملية، وأدى الى تجميع معلومات موثوق بها وصحيحة عن الحياة النفسية . كما اتسم هذا الاتجاه أيضا بعدائه الشديد لعلم النفس الاستبطانى والميتافيزيقى ، وتبنيه لبعض الافكار الاجتماعية التقدمية . ويرى معظم المؤرخين ان مؤسس هذا الاتجاه هو **أ.م. ستشينوف** ، وكان **أ. بافلوف** احد العلماء البارزين الذين أثروا تأثيرا كبيرا فى تطوره . ففى اعمال ستشينوف ابتداء من عام ١٨٦٣ أخذ يتبلور فهم مادى للنشاط النفسى ، وكانت افكاره محور الصراع بين الاتجاهات المادية والمثالية فى علم النفس حتى قيام الثورة . كما أن منهج بافلوف فى الارتباط الشرطى استخدم على نطاق واسع ، فى بحوث بختريف ومعاونيه، واستخدمت دراساته فى محاولات تقديم تفسير فسيولوجى للعواطف ، كما انه اثر بشكل مباشر فى تفكير ن.ن. لانج الذى يعتبر من أهم ممثلى الاتجاه الطبيعى فى علم النفس فى تلك الفترة .

نشر لانج فى كتابه « **علم النفس** » قبل الثورة مباشرة ، وجمع فيه حصيلة نمو هذه الاتجاهات التجريبية فى علم النفس الروسى . وقد أبرز فى كتابه هذا الفكرة الارتقائية للظاهرة النفسية ، وكيف أن الظاهرة النفسية تمثل نتاج تطور ظروف الحياة وتكيف الانسان معها . وقد اعتبر الظاهرة النفسية عند الانسان تطورا لها عند الحيوان ، وانها تخضع أيضا لقوانين التطور ، شأنها فى ذلك شأن الظواهر البيولوجية . وكان لانج يمثل بصفة عامة نظرية التطور لدارون ، وما أحتوته من افكار تتعلق بالصراع من اجل البقاء ، مطبقا لها على الظواهر النفسية الانسانية ، وموحدا فى ذلك بين جانبيها الذاتى والموضوعى ، الداخلى والخارجى . كما هاجم الاستبطان والملاحظة الذاتية ، وأنكر جدواهما فى دراسة الظاهرة النفسية . فالحياة النفسية لدى كل فرد ، تجرى كمجموعة من الخبرات الذاتية ، الا انها فى نفس

الوقت ، تعتبر حقيقة موضوعية ، عملية واقعية تؤدى الى حدوث تغيرات فى الاستجابات الحيوية للانسان ، وتنمو — كما يقول لانج — كاسلوب خاص لتكيف الكائن مع البيئة ، يساعده فى الصراع من أجل البقاء . وهكذا يوحد لانج بين الجانبين الذاتى والموضوعى للظاهرة النفسية ، ويرى أن السبيل الوحيد لدراستها هو ذلك الجانب المادى الفيزيقى . فالخبرات الذاتية للفرد لا تكون موضوعا لعلم النفس الا عندما يتناولها شخص آخر ، ملاحظ خارجى ، هو عالم النفس .

ب — الاتجاه التأملى :

وفى الطرف المقابل لهذا الاتجاه الطبيعى فى فهم الظاهرة النفسية وجد الاتجاه التأملى الذى رأى أن علم النفس ما هو الا علم روحى تأملى . وكان انصاره من الفلاسفة التأمليين الذين عارضوا كل محاولة ، حتى ولو بسيطة ، لدراسة الظاهرة النفسية دراسة تجريبية . وقد استغل اصحاب هذا الاتجاه وظائف الاستاذية التى شغلوها والاقسام التى راسوها ، للدعاية لافكارهم وتصوراتهم عن طبيعة النفس وجوهرها ، ومحاربة المادية فى العلم بمختلف صورها واشكالها . ورغم انهم كانوا ينتمون الى مدارس فلسفية مختلفة ويختلفون فيما بينهم فى افكارهم الفلسفية ، الا انهم اجتمعوا حول هدف واحد ، هو محاربة التجريب فى ميدان علم النفس . وكان أوضح تعبير عن هذا الاتجاه ما قاله احدهم عند افتتاح اول معهد لعلم النفس فى موسكو وفى روسيا كلها عام ١٩١٢ ، من انه ينبغى الا ينسى الباحثون عند توسيع وتنمية معارفهم أو معلوماتهم السيكلوجية ، أن النفس أو الروح كجوهر ، لايمكن ان تخضع للتجريب والقياس ، وان هناك حدودا لمعرفة النفس لا ينبغي أن يتعداها الدارسون ، وعليهم أن يقتصروا على ذلك الجزء من النفس ، الذى ينتمى الى العالم الخارجى .

جـ — الاتجاه الامبيريقى :

وبين هذين النقيضين وقف اتجاه ثالث سمى بالاتجاه الامبيريقى ، وقد استمد افكاره من التجريبيين والفلسفة الارتباطية ، التى عرفت فى علم النفس الغربى ومهد لها **توماس هوبز وجون لوك** ، ووجدت عرضا منظما لها عند هارتلى ، حيث قام بتنظيم وترتيب افكار سابقيه وصاغها فى نسق ارتباطى متماسك ، ووصلت الى قمتها عند الفيلسوف جون ستيوارت ميل فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وكان من اكثر ممثليها شهرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الكسندر بين وهربرت سبنسر . ومن ابرز علماء النفس الذين انتسبوا الى هذا الاتجاه فى روسيا القيصرية قبيل الثورة **أ . ب . نتشايف و ج . تشيلبانوف** وكثيرون غيرهم . وقد فسر هذا الاتجاه ظواهر الشعور على أساس الارتباطات بين العناصر الحسية البسيطة ، واعتبر الاحساسات المادة الاولية للعقل ، كما اعتبر ان المدركات او الافكار ما هى الا عمليات مشتقة او مركبة من هذه العناصر الاولية ، او ما هى الا تكرار لنظام الاحساسات وترابطها ، وان هذا النظام بدوره يملى بواسطة المؤثرات الخارجية . وقد تميز هذا الاتجاه باستخدام الطرق التجريبية فى دراسة الظواهر النفسية ، ومحاولة كثير من ممثليه تحويل علم النفس الى علم مرتبط بالحياة ، ذى صبغة تطبيقية ، مما ساعد على تكوين فروع مستقلة لعلم النفس التطبيقى مثل علم النفس التربوى وعلم نفس الطفل وعلم النفس المرضى . وعلى الرغم من ان انصار هذا الاتجاه كانوا ينكرون ضرورة التمعن النظرى او الفلسفى فى الوقائع التجريبية التى جمعوها ، فانهم كانوا يميلون فى تحليلهم الفلسفى للمشكلات النفسية نحو المفاهيم المثالية فى علم النفس . وقد اتاح لهم هذا الموقف تجنب الصدام مع الايديولوجية المثالية الرسمية السائدة فى ذلك الوقت ، والاحتفاظ بعلاقة حياد معها من ناحية ، واتخاذ مظهر موضوعية البحث العلمى ونقائه من ناحية اخرى . على ان انسحابهم هذا من الصراع بين المادية والمثالية أدى بهم الى ان يصبحوا موضعا للنقد العنيف من كلا الجانبين : اليمين واليسار — الاتجاه المثالى التأملى ، والاتجاه الطبيعى فى علم النفس .

تلك هى الاتجاهات الرئيسية الثلاثة التى سادت علم النفس فى روسيا القيصرية قبيل الثورة . وعلى الرغم من تميزها عن بعضها بشكل واضح ، فان تصنيف علماء النفس الذين عاصروا تلك الفترة تصنيفا حادا بين هذه الاتجاهات لا يمكن تحقيقه . فكثيرا ما وجدت ثنائية لدى كثير من العلماء ، وكثيرا ما اقترب اصحاب الاتجاه الطبيعى فى تفكيرهم من الاتجاه الامبيريقى . بل لقد جمع بعضهم ، مثل تشيلبانوف ، بين علم النفس الامبيريقى وعلم النفس التأملى الميتافيزيقى . وقد تشكل مصير هذه الاتجاهات فيما بعد بطرق مختلفة . فقد انتهى علم النفس التأملى مع قيام الثورة وانهيار البناء الاجتماعى الذى ساندته . وترك علم النفس الامبيريقى للاجيال التالية فى الميدان ابحاثا وحقائق مشوقة ، والى جانبها ركاما من الاخطاء الخطيرة التى احتاج التغلب عليها الى سنوات عديدة من جهد علماء النفس السوفيت . اما الاتجاه الطبيعى فمع انه لم يستطع الخروج بعلم النفس من ازمته المنهجية ، فانه بقى كخط واضح فى علم النفس بعد الثورة ، تفاعل مع غيره من الاتجاهات الاخرى الجديدة ، وكان له اثره فى نمو علم النفس السوفيتى وتطوره .

ثانيا : مرحلة اعادة البناء

الاولى لعلم النفس

قامت الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا عام ١٩١٧ ، فأحدثت تحولا خطيرا فى الفكر الفلسفي والسيكلوجى ، تقرر على اثره اعادة بناء جذرى لعلم النفس على اساس المادية الجدلية، وتوجيهه الى خدمة البناء الاشتراكى الجديد . فقد اصبح واضحا لعلماء النفس التقدميين حينئذ أن علم النفس التأملي الميتافيزيقي الذى سيطر على العلم الرسمى قبل الثورة ، استهلك نفسه . وبدأ صراع فكري حاد بين علماء النفس الماديين ، وانصار علم النفس التأملي ، الذين سرعان ما تحول بعضهم الى علم النفس الامبيريقى ، متخذين اساليب للصراع اكثر حذقا من الدعاية المكشوفة للروحانية والتأمل فى علم النفس . وكان على رأس هؤلاء تشيلبانوف ، الذى سبقت الاشارة اليه ، والذى كان مديرا لمعهد علم النفس بموسكو فى ذلك الوقت . وفى الجناح المقابل ، الذى وقف بحزم ضد افكاره ، يفند ويعارض ، كان تلاميذه انفسهم ، وعلى رأسهم **ب.ب.بلونسكى و ك.ن.كارنيلوف** الاستاذان المساعدان بالمعهد فى نفس الوقت .

ويكشف نشاط بلونسكى ومؤلفاته — كما يشير ا.ف.بتروفسكى — عن تلك التغيرات العميقة التى احدثتها الثورة فى وعي العلماء واتجاه تفكيرهم . وكان موضوع الجدل الرئيسى فى تلك الفترة يتعلق بطبيعة الظاهرة النفسية وطرق دراستها . وقد تضمنت مؤلفات بلونسكى افكارا جريئة ومحاولات جادة ، كما امتلأت فى نفس الوقت بتناقضات حادة ، تكشف طبيعة الصراع الذى ساد تلك الفترة ، وتمثل مرآة تعكس ما سادها من تيارات فى علم النفس . والواقع ان بلونسكى ، حتى قبل ثورة اكتوبر ، عبر عن عدم رضائه عن حالة علم النفس ، واخذ فى اعماله المبكرة يؤكد مبادىء علم النفس «السلوكى» أو « الموضوعى » ، وكان يرى أن علم النفس ينبغي ان يتوفر على دراسة الحركات والانفعال، [أى سلوك الكائن الحى] فى ارتباطها الوظيفى بالشروط المختلفة . وقد أصدر بلونسكى كتابه « اصلاح العلم » عام ١٩٢٠ ، وكان يمثل وثيقة واضحة لتلك الفترة الحادة من الصراع ، اعلن فيه الثورة على الفلسفة المثالية ،ودعا الى اصلاح علم النفس اصلاحا جذريا . ولاول مرة فى تاريخ علم النفس السوفيتى ، كانت دعوة بلونسكى فى كتابه هذا ، الى اقامة علم النفس على اساس الفلسفة الماركسية ، على الرغم من انه لم يستطع تحديد الطريق الى ذلك . فظل فى مؤلفاته التالية يؤكد مبادىء علم النفس « السلوكى » أو « الموضوعى » . ومع ذلك فقد تنبه الى بضع قضايا هامة ، تتعلق بالطبيعة الاجتماعية للانسان ، وتشير الى ان تفسير سلوكه لا يمكن ان يتم بمعزل عن الحياة الاجتماعية والمجتمع . وقد لعبت افكاره دورا هاما فى ذلك الوقت ، فقد ادخل المدخل المادى فى فهم الظواهر النفسية ، ودعا الى استخدام المناهج الموضوعية فى البحث ، مما كان له اثره الواضح على نمو علم النفس السوفيتى فيما بعد.

وقد تميزت تلك الفترة ايضا بظهور بعض المشكلات العملية التطبيقية ، الخاصة بالتربية والتعليم ، والمتعلقة بالانتاج والعمل ، وكانت عاملا فى دفع علماء النفس الى الاهتمام بالفروع التطبيقية . كما برز ميل واضح الى توسيع العلاقات بين علم النفس والعلوم الاخرى ، أو التقريب بينها ، وتمثل ذلك بوضوح فى اتجاهين رئيسيين : **أولا** فى السعى للكشف عن الاسس الفسيولوجية للنشاط النفسى مما دفع علماء النفس الى الاهتمام باعمال **ا.بافلوف ، ا.ا. أختومسكى** وغيرهما . **وثانيا** : فى الميل لادخال ذخيرة الافكار الداروينية فى علم النفس ، وتمثل ذلك عند **ف.ا.فاجنر ، أ.ن.سيفيرتسوف** .

ويتضح هذان الاتجاهان من المؤلفات التي نشرت عامى ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ومن اهمها « تجربة عشرين عاما للدراسة الموضوعية للنشاط العصبى الراقى لدى الحيوانات » لبافلوف عام ١٩٢٣ ، « السيطرة كمبدأ عامل للمراكز العصبية » لاختومسكى عام ١٩٢٣ ، « التطور والظاهرة النفسية » لسيفيرتسوف ١٩٢٢ ، « البيوسيكلوجيا والعلوم المتصلة » لفاجنر عام ١٩٢٣ . ومع أن اصحاب هذه المؤلفات لم يكونوا علماء نفس اصلا ، فان كل مؤلف منها اصبح حدثا فريدا من نوعه بالنسبة لعلم النفس ، وتمتد اهميته ابعد بكثير من حدود الفترة التى نعالجها . فلا شك ان مؤلف بافلوف « تجربة عشرين عاما » على سبيل المثال ، كان له دور فذ فى نمو علم النفس والفسيولوجيا والطب العقلى .

على أن اهم الاتجاهات التى سادت بعد الثورة مباشرة ، هو محاولة تقريب علم النفس من نظرية التطور ، او بصورة أدق ، ادخال الافكار التطورية فى علم النفس . وقد ارتبط هذا الاتجاه بمؤلفات عالمى البيولوجيا المشهورين سيفيرتسوف وفاجنر ، وكانت المشكلة الرئيسية أمامهما تفسير الظاهرة النفسية لا فى تطور الحياة الفردية للكائن الحى فحسب ، وانما فى تطور الحيوانات ايضا .لذلك حاول سيفيرتسوف فى كتابه « التطور والظاهرة النفسية » تحليل اشكال تكيف الكائن الحى مع البيئة ، تلك التى اسماها باسلوب التكيف عن طريق تغير سلوك الحيوانات دون تغير تكوينها . وقد قاده هذا

الى دراسة الانماط المختلفة للنشاط النفسى لدى الحيوانات بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، وكان رأيه ان هذا ييسر امكانية تفسير تطور السلوك فى اكثر خصائصه جوهرية . وقد أشار سيفيرتسوف الى ان هذا التطور قد سار فى طريقين رئيسيين فى النوعين الرئيسيين من المملكة الحيوانية . ففى الحيوانات اللافقرية تطورت وثبتت ميكانيزمات السلوك مثل « الغرائز » بالوراثة . الا ان هذا النظام الكامل والمعقد للنشاط الغريزى يعتبر مع ذلك نظاما جامدا الى حد بعيد ، فالحيوان لا يمكنه التوافق مع التغيرات البيئية السريعة . اما لدى الفقريات ، فقد سار التطور بطريق آخر ، لم يصل النشاط الغرزيزى الى ذلك المستوى العالى ، وفى مقابل ذلك اخذ التكيف عن طريق التغير الفردى ينمو بشكل مستمر ، وفى صوره الراقية ادى الى زيادة مرونة الكائن الحى ، مما ساعد على خلق نظام كامل من ميكانيزمات السلوك الفردية ، تمبناؤه على القدرة الوراثية على التكيف . وقد حقق هذا النظام المتكامل من الميكانيزمات السلوكية الفردية اعلى درجات نموه عند الانسان ، واصبح الانسان بفضله كائنا يمكنه التكيف مع اى ظروف فى البيئة الخارجية .

وقد سار **فاجنر** فى ذات الاتجاه مشاركا سيفيرتسوف فى مميزات المدخل البيولوجى واخطائه عند معالجة الظواهر النفسية الانسانية . واسهم كذلك فى تقديم بعض الافكار التقدمية ، حيث اقترح ان تسير الدراسة العلمية للظاهرة النفسية فى تطورها من البسيط الى المعقد ، من الحيوان الى الانسان ، وليس العكس . كما كان يرى أن علم نفس الانسان ينبغى أن يدخل فى ميدان بحث علم النفس المقارن ، وان تتم دراسة علم نفس الحيوان على اساس المنهج الموضوعى التجريبى ، الذى يستخدم فى العلوم الطبيعية الدقيقة . وبذلك ساعد هذا المدخل البيولوجى على التغلب على بعض الافكار التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، والتى كانت تنظر الى الظاهرة النفسية باعتبارها ظاهرة سطحية او ظاهرة مصاحبة للنشاط الحيوى أو السلوك . الا انه مع ذلك لم يستطع ، من وجهة نظر العلماء الحاليين ، ان ينظر نظرة صحيحة الى نمو الظاهرة النفسية الانسانية ، اذ بوضعه علم النفس وسط العلوم البيولوجية عجز عن رؤية نتاج التاريخ فى الانسان .

لذلك تطلبت عملية اعادة بناء علم النفس على اساس الماركسية مزيدا من نقد القديم وابراز اخطائه . وقد كان هذا النقد والنقد الذاتى عاملا حاسما فى تطور العلم ، وفى ظهور اتجاهين متمايزين او شكلين اخرين لاعادة بناء علم النفس: الرفلسكالوجيا او **علم الافعال المنعكسة والرأكتالوجيا أو علم الارجاع .**

وقد أسس ف.م. بختريف علم الافعال المنعكسة فى روسيا القيصرية فى بداية القرن العشرين ، وكان لافكار ستشينوف عن الطبيعة الانعكاسية للنشاط النفسى تأثير كبير على نشأة هذه النظرية . وقد سعى بختريف ومعاونوه الى استخدام المناهج الموضوعية فى البحث والوصول الى الاستنتاجات العلمية التى تربط بين المثيرات الخارجية والافعال المنعكسة للكائن الحى . وعلى نقيض الاتجاه المثالى التأملى الذى كان يفصل بين العمليات النفسية ونشاط المخ ، كانت هذه النظرية تنظر الى النشاط النفسى فى علاقته بالعمليات العصبية . وقد ساهم فى تنمية هذا الاتجاه مجموعة ضخمة من العلماء الذين عملوا فى مدينتى لينينجراد وخاركوف وغيرهما . وعلى الرغم من ان هذه النظرية اعتبرت تقدمية بالمقارنة بعلم النفس المثالى فى ذلك الوقت ، فانها — كما يرى العلماء الحاليون — لم تستطع ان تتغلب على التفسير الميكانيكى للعمليات النفسية ، واعتبرت العمليات العقلية من نوع العمليات المصاحبة او الظواهر المضافة epiphenomena ، اما الوجود الحقيقى فهو للعمليات العصبية للمخ . كما انها بتجاهلها مشكلات الوعى اغلقت على نفسها باب دراسة العمليات المعقدة مثل مشكلات التفكير والعمليات المعرفية بصفة عامة . ومع انها اثرت تأثيرا كبيرا فى علم النفس التربوى فى العشرينات ، فقد تعرضت مع بداية الثلاثينات لنقد ماركسى عنيف ، مما دعا انصارها الى اعادة النظر فى افكارهم وتصوراتهم ، وبدأت عملية نقد ذاتى واضح بينهم .

على ان المحاولة الرئيسية لاعادة بناء علم النفس فى تلك الفترة قد ارتبطت بنشاط **ك.ن.كارنيلوف** ومجموعة من العلماء الشبان الذين تعاونوا معه واسسوا الاتجاه الثانى **وهو علم الارجاع او الرأكتالوجيا** reactology ففى مؤتمر علم النفس العصبى ، الذى عقد فى يناير عام ١٩٢٣ ، **قدم كارنيلوف مطلب تطبيق الماركسية على ميدان الدراسات النفسية** ، ونادى بعلم الإرجاع كطريق لتحقيق هذا المطلب . وعلم الارجاع ، مثل علم الافعال المنعكسة ، فسر علم النفس على انه علم عن سلوك الكائنات الحية ، ومن بينها الانسان . وقد شكل « الرجع » المفهوم الرئيسى لهذه النظرية ، واعتبرت الارجاع ظاهرة عامة بالنسبة لجميع الكائنات الحية ، وهى تتضمن جميع الحركات الاستجابية للكائنات بما فيها الكائنات وحيدة الخلية . وهى تختلف عن الافعال المنعكسة فى انها استجابات الكائن الحى ككل ، فهى ليست مجرد انعكاسات فسيولوجية ، او مجرد خبرات شعورية منعزلة ، وانما تشملها معا . فمفهوم الرجع فى نظرهم يتميز عن الفعل المنعكس بثلاث **مميزات رئيسية هى : أ — الشمول** من حيث ان الرجع يتضمن جميع الحركات الاستجابة

للكائنات جميعها بما فيها الكائنات وحيدة الخلية . ب — انها استجابة كلية للكائن الحى ، لا لعضو واحد منه . جـ — وجود ناحية نفسية ذاتية عند الحيوانات العليا فى سلم الترقى السلسلة الحيوانية .

ويرى علماء النفس السوفييت ان كارنيلوف بتقديمه هذه المبادىء ، قد اقترب من الماركسية [رغم عدم استيعابها] ، وخاصة فيما يتعلق بتخليصه علم النفس من المادية الساذجة والاتجاه الامبيريقى . ونتج من ذلك تدعيم بعض المبادىء الاساسية فى علم النفس السوفيتى ، تبناها العلماء فيما بعد ، ومن اهمها : المادية فى فهم الظاهرة النفسية ،ومبدأ الحتمية ،والنظر الى الظاهرة النفسية على انها خاصية من خصائص نوع خاص من المادة ، بلغ مستوى عاليا من التنظيم ، وهو المخ .

ومهما يكن الامر ، فان علم الارجاع او نظرية الراكتالوجيا ، الذى ورث الاتجاه الطبيعى الموضوعى فى علم النفس قبل الثورة ، احتفظ بنواحى ضعفه الى جانب مظاهر قوته . فقد بقيت سمات الميكانيكية واللاسيكلوجية — اذا صح هذا التعبير — سائدة فيه . ومن ثم عجز عن تطبيق مبادئه فى تفسير الشخصية والوعى الانسانى والظواهر النفسية الاجتماعية ، وظل فهم الظاهرة النفسية باعتبارها ظاهرة مصاحبة او مضافة كامنا فى تصوراته . اذ ان اعادة معالجة مفهوم « الفعل المنعكس » وتوسيعه فى شكل «الرجع» الذىدعا اليه كارنيلوفومعاونوه، لم يساعد على التاليف الديالكتيكى بينعلم النفس الاستيطانى الذى يتناول الظواهر الذاتية ويتجاهل السلوك وما يتضمنه من حركات ، وعلم النفس الموضوعى الذى يتجاهل الظاهرة النفسية الحقيقية ،منشغلا عنها بدراسةالحركات الخارجية فقط .

وبهذا بقيت المشكلة الرئيسية — مشكلة موضوع علم النفس — دون حل مرضى . اذ ان مشكلة علاقة الظاهرة النفسية بما يحيط بها لم يكن حلها ممكنا لا على اساس نظرية الافعال المنعكسة ولا على نظرية الارجاع . وحدد موضوع علم النفس فى معظم المؤلفات والكتب المدرسية التى نشرت فى تلك الفترة بانه سلوك الكائنات الحية ومن بينها الانسان ، وعرف السلوك بانه جماع التفاعلات بين الكائن الحى والبيئة . ونظر الى الظاهرة النفسية على انها ناحية ذاتية داخلية للعمليات الفسيولوجية الموضوعية . وقد بدا هذا الفهم للعلماء فيما بعد فى تناقض مع التفسير الماركسى للظاهرة النفسية ،كما عجز عن انيساير سعىالماركسيين نحو كشف الدور الفعال الذى يقوم به الانسان كبناء للمجتمع الجديد ، وسط بيئة اجتماعية متغيرة ، وفى ظل المجتمع الاشتراكى . ومن ثم اخذت هذه الاتجاهات ، التى اتخذت السلوك موضوعا لعلم النفس تترنح امام النقد العنيف الذى وجه اليها . وبرزت تناقضاتها فى المناقشات الشهيرة التى اثيرت فى بداية الثلاثينات ، والتى مهدت للمحاولة الثانية لاعادة بناء علم النفس على اساس المادية الجدلية .

وقبل ان ننتقل الى المرحلة التالية من تطور علم النفس السوفيتى يجدر بنا ان نشير الى بعض النقاط التى تتعلق بعلاقة هذا الاتجاه السلوكى فى علم النفس السوفيتى بالسلوكية المعروفة فى تاريخ علم النفس الغربى ، والتى كانت صورتها الاولى قد اكتملت فى ذلك الوقت على يدى واطسن ، وكذلك الى تاثير المدارس السيكلوجية الغربية الاخرى على هذه الفترة من تاريخ العلم . الواقع انه على الرغم من ان السلوكية السوفيتية [علم الافعال المنعكسة وعلم الارجاع] كانت مستقلة فى نشأتها والعوامل التى اسهمت فى تكوينها عن سلوكية واطسن ، فانه من المعروف ان ثمة تفاعلات وتأثيرات متبادلة وجدت بين النظريتين . فقد تأثر كثير من علماء النفس الروس بسلوكية واطسن ، كما تأثرت السلوكية الغربية بأعمال المدارس العلمية الروسية وخاصة مؤلفات بافلوف وبختريف . هذا بالاضافة الى ما يوجد من اوجه شبه كبيرة بين النظريتين فيما يتعلق باعتبار السلوك موضوعا لعلم النفس وتطرفات نظرية الافعال المنعكسة . ومع ذلك فقد تميزت السلوكية فى الاتحاد السوفيتى بخاصتين اساسيتين : اولاهما تتمثل فى انها كانت محاولة لاعادة بناء علم النفس على اساس الماركسية ومن ثم اعتبرت الظاهرة النفسية خاصية مميزة لمادة عالية التنظيم ، وثانيتهما ، محاولتها الكشف عن الدور الفعال للانسان فى المجتمع الجديد . وقد اتسمت هذه الفترة ايضا — منتصف العشرينات — بانجذاب بعض علماء النفس السوفيت نحو بعض الاتجاهات الاخرى فى علم النفس الغربى ، اثناء محاولتهم لاعادة بناء العلم ، وكان من اهم هذه الاتجاهات مدرسة الجشطلت . فقد اجتذب ما اعلنته هذه المدرسة من نقد للمفاهيم السلوكية وتحليل السلوك الى عناصره البسيطة بعض العلماء . الا ان هذا الانجذاب لم يتحول الى اتجاه مستقل فى تطور علم النفس السوفيتى . فحاول البعض استعارة مبدأ « الكلية » واعتباره احد الفروض العاملة فى بناء علم نفس ماركسى ، وحاولوا تفسيره على انه ذو طبيعة ديالكتيكية ، ولكنها عفوية . ومع ذلك لم يعمر ذلك طويلا نتيجة للنقد العنيف الذى وجهه اليهم ل.س فيجوتسكى وبافلوف فى بداية الثلاثينيات . كما كان لنظرية التحليل النفسى ، التى بلغت آنذاك اقصى قوتها فى الغرب اثر فى اجتذاب بعض الانظار . وقد

كانت هذه النظرية معروفة قبل الثورة ، اذ ابتداء من عام ١٩١٠ اخذ بعض العاملين يترجمون مؤلفات فرويد . ومع ذلك لم تثر النظرية قبل الثورة اهتماما ملحوظا بين الدوائر العلمية . ويفسر بعض المؤرخين عدم انتشار التحليل النفسي فى روسيا القيصرية قبيل الثورة ، برد ذلك الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية لروسيا فى ذلك الوقت ، والى التقاليد المادية التى كانت قد تأصلت فى العلوم الروسية . الا انه — كما اشار بتروفسكى — لا يوجد اى نقد معروف للفرويدية قبل عام ١٩١٧ ، يمكن ان يؤيد ذلك . هذا بالاضافة الى ان الاتجاه السلبى نحو التحليل النفسي لم يكن قاصرا على روسيا وحدها ، وانما كان سائدا بين معظم المدارس النفسية تقريبا فى العقدين الاولين من هذا القرن . اما فى روسيا السوفيتية ، فقد كان اول الداعين للفرويدية اعضاء جمعية التحليل النفسي برئاسة **ا. يرماكوف** ، وهى احد فروع الجمعية الدولية للتحليل النفسى ، وقد تأسست عام ١٩١٠ ، وقامت بتوثيق العلاقات بينها وبين جمعيات التحليل النفسى فى الدول الاخرى ، وانشأت لها فروعا فى عدد من المدن الروسية ، وترجمت كثيرا من مؤلفات التحليل النفسي . ولم يقتصر اثر الفرويدية على هذه الجمعية ، وانما تعداه الى بعض علماء النفس والفلاسفة ، الذين ابدوا اهتماما ملحوظا بالنظرية فى العشرينات . وقد يرجع ذلك الى عدم الرضا الذى ساد بين كثير من علماء تلك الفترة عن وضع علم النفس وانتشار الافكار السلوكية . ومن ثم بدأت تظهر مجموعة من المقالات والكتب ابتداء من عام ١٩٢٣ ، تعرض فى شكل مبسط نظرية التحليل النفسى وتناقش امكانية التوفيق بينها وبين الماركسية ، اعتمادا من مؤلفيها على التشابه الظاهرى بين بعض الافكار الماركسية وتلك التى نادت بها نظرية فرويد . فقد حاولوا مثلا ان يوحدوا بين الفكرة الماركسية التى تقول بأن الظروف المادية التى تؤثر فى وعى الناس وتحدد مسار حركته ، تظل غير معروفة بالنسبة لهم ، أو غير واعين بها ، وبين فكرة التحليل النفسى عن اللاشعور . وتصوروا كما لو كان التحليل النفسى امتدادا للمادية الجدلية فى دراسة النشاط الانسانى ، أى امتدادا لها فى اتجاه سيكلوجى . الا انه سرعان ما وجهت الانتقادات الى هذه المحاولات ، وبدا واضحا بعد عام ١٩٢٧ ان اتجاه التحليل النفسى فى علم النفس السوفيتى فقد مواقعه واهميته الى الابد . وبدأ المدافعون عن الفرويدية انفسهم يعيدون النظر فى افكارهم ، واخضعوا اخطاءهم السابقة للنقد الذاتى . ولسنا بمعرض الحديث عن الانتقادات التى وجهت للتحليل النفسى ، وانما يكفى ان نشير الى انها انصبت اساسا على نظرية فرويد عن محتوى سيكلوجية الفرد ، وما تضمنته من افكار حول المكونات الوراثية الغريزية ، التى تتمثل اساسا فى الغريزة الجنسية . كما انصب النقد ايضا على منهج التحليل النفسى وعجزه عن الوصول الى حقائق علمية موضوعية عن الحياة النفسية . وقد كان لهذا النقد العنيف اثره الضار فيما بعد ، اذ صرف علماء النفس فى الفترة التى تلت ذلك مباشرة عن دراسة موضوعات نفسية هامة ، لمجرد انها ارتبطت باسم فرويد ، مثل مشكلات الدوافع والحاجات . كذلك اجتذب علم النفس الفردى لادلر بعض العلماء وانعكس ذلك فى كتابات تلك الفترة ، كما كان له اثر على معالجة بعض المشكلات النظرية ، الا ان افكاره لم تنل ذلك الحظ من الانتشار الذى نالته نظرية فرويد . كذلك كان الحال فيما يتعلق بنظريات بعض تلاميذ فرويد مثل يونج ، فقد كانت اعمالهم معروفة فى الاتحاد السوفيتى ، الا انهم لم يجدوا اتباعا او تأييدا .

تلك هى الملامح العامة التى تميز بها علم النفس السوفيتى فى مرحلة ما بعد الثورة — مرحلة اعادة البناء الاولى . وقد استمرت هذه المرحلة حتى نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات ، حيث بدأت مرحلة جديدة من تطور علم النفس السوفيتى ، سعت الى اعادة بناء شامل له ، على اساس المادية الجدلية ، وارست مبادىء اساسية لازالت حتى يومنا هذا منطلقا للبحوث النفسية .

ثالثا : مرحلة اعادة البناء الثانية :

فى نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات بدأ نقد حاسم للسلوكية [نظرية الافعال المنعكسة ، ونظرية الارجاع] وغيرها من الاتجاهات التى سادت فى تلك الفترة ، باعتبارها اتجاهات ميكانيكية فى تفسير الظاهرة النفسية . وقد ادى هذا النقد الذى وجه من مواقع الفلسفة الماركسية الى تغيرات واضحة فى آراء انصار هذه الاتجاهات وتصوراتهم ، حتى ان المؤتمر الذى عقد عام ١٩٣٠ تحت اسم « **المؤتمر السلوكى** » كان اعلانا لبداية النهاية لفترة السلوكية فى علم النفس السوفيتى . فقبيل المؤتمر ناقش علماء الفسيولوجيا وعلماء النفس نظرية الارتباط الشرطى ، وانتهت مناقشاتهم الى أن منهج الارتباط الشرطى له اهمية كبرى فى دراسة النشاط العصبى الراقى ، ولكن دراسة سلوك الانسان لايمكن أن تستغرق بواسطة المناهج الفسيولوجية فقط ، كما لايمكن رد هذا السلوك الى القوانين الفسيولوجية وحدها ، كما حاولت ان تفعل ذلك نظرية الافعال المنعكسة . وقد قام القسم المنهجى الذى انشىء عام ١٩٢٨ فى لينينجراد كفرع لجمعية علم الافعال المنعكسة وعلم الاعصاب بدور هام فى

اعادة النظر فى الأسس النظرية لنظرية الافعال المنعكسة . اذ وضع هذا القسم برنامجا منهجيا لاعادة بناء هذه النظرية على اساس المادية — الجدلية من ناحية ، والتعاون الوثيق والعلاقات المتبادلة بينها وبين العلوم الاخرى المتصلة من ناحيـــة أخرى . وتمثل التقارير التسع التى قدمها تلاميذ معروفون لبختريف للندوة التى عقدت تحت اسم « علم الافعال المنعكسة أم علم النفس » عـــام ١٩٢٩ ، وثيقة هامة لهذه المحاولة لاعادة بنـــاء النظرية . وقد اكدوا فى تقاريرهم ان الظاهرة النفسية ، بظهورها عند مستوى معين من تطور المادة الحية ، لا يمكن ان ترد الى ما هو مادى ؛ وانما هى تمثل خاصية جديدة لصورة خاصة من المادة عـالية التنظيـم . وتشـهد سلسـلة المقالات التى صـــدرت عن النـــدوة وباسمها على عملية اعادة نظر شـــاملة لمواقف نظـــرية الافعـــال المنعكسة الرئيســـية ، بل وعلى رفـــض معظم المبـــادىء النـــرية لهـــا — على ان الخطـــأ الرئيسى — كمـــا يشـــير علمـــاء النفـــس الحاليون — هو اعتقاد المشتركين بأنه يمـــكن تطوير نظرية الافعال المنعكسة بحيث يمكن اقامتها على أسس ماركسية . فالنظـــرية كانت وبقيت أحد الاتجاهات السلوكية فى علم النفس .

فى يناير عام ١٩٣٠ عقد مؤتمر عموم الاتحاد السوفيتى الاول لدراسة سلوك الانسان . وقد برز فى كلمات المتحدثين فهم واضح لمشكلة العلاقة بين العلم النفسى والفسيولوجى : فعلى نقيض المثالين الذين ينتزعون الظاهرة النفسية من العمليـــات الفسيولوجية ، والسلوكيين الذين يوحدون بينهما ، كان من الضرورى تقرير « **الوحدة فى الاختلاف** » وهى الفكرة التى تتلخص فى أن الظاهرة النفسية ما هى الانتاج لتطور المادة ، او بعبارة اخرى ، هى صورة لتطور النشاط الخيوى وخاصـــيته الجديدة . ولذلك استنكر معـــظم المتحدثين فى المؤتمر محاولات النـــظر الى الســـلوك نـــظرة فسيولوجية بحتة ، كما استنكروا فى نفس الوقت التفسير الاجتماعى ذا الجانب الواحد ، للظاهرة النفسية . ومن ثم برزت الحدود التى تفصـــل بين عـــلم النفس وكل من علمى الفسيولوجيـــا والاجتماع . والى جانب معالجة هذه المشكلات المنهجية العامة ، أصدر المؤتمر عدة توصـــيات تنظيمية تتعلق بعمل المؤسسات العلمية المختلفة وتعاونها ، خاصة فى ميدان علم النفس ودراسات الجهاز العصبى والنقابات المهنية . كما ان الاهتمام الذى أظهره المجتمع السوفيتى نحـــو مشكلات التربية والتعليم والعلاج النفسى وتعديل الشخصية آثار استجابة العلماء المشتركين فى المؤتمر ، الذين فطنوا الى أن مشكلة الشخصية فى ظروف المجتمع الجديد ، تتحول باطراد الى مشكلة كائن جديد ، واعداد كوادر تستطيع ان تســـاهم فى البنـــاء الاشتراكى ؟ أى انها تتحول الى مشكلة اجتماعية اشتراكية .

وعلى الرغم من هذه الانجازات التى حققهـــا المؤتمر فى النواحى المنهجية والنظرية ، فان علماء النفس راوا ان المؤتمر لم يستطع تنـــاول جميع المشكلات المتعلقة باعادة بناء العلم على اساس المـــادية الجدلية ، والتغلب على عزلـــته عـــن متطلبات الحياة العملية . ومن ثم فان المؤتمـــر لم يصبح نقطة التحول المرجوة ، والتى كان يمكن ان يكونها . وقد كان هذا مصدرا للمناقشـــات الشهيرة فى تاريخ علم النفس السوفيتى ، والتى اثيرت عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، وسميت بالمناقشة الراكتالوجية [نسبة الى الراكتالوجيا أى عـــلم الارجاع] . وقد تعرض علم الارجاع فى هـــذه المناقشة لنقـــد عنيف ، كشف التناقضـــات التى تضمنتها هذه النظرية ، وخرجت اهمية المناقشة بعيدا فيما وراء الحدود التى رسمها لها مبتدئوها ، واصبح الجميع على وعى بالاخطاء المنهجية التى دافع عنها أصحاب نظرية الافعال المنعكسة ونظرية الارجاع . ومن ثم كانت تلك المناقشة بمثابـــة الضربة الاخـــيرة التى قضت على الاتجـــاهات السلوكية تماما فى علم النفس السوفيتى .

وفى المقالات النظرية التى نشرت عامى ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، تقرر « **الوعى** » كموضوع لعلم النفس الماركسي ، وضمن العلماء مصطلحى « **الظاهرة النفسية** » والوعى ، معانى جديدة ، معتمدين فى ذلك على مؤلفات كارل ماركس . كما وضـــع هؤلاء العلماء أمام انفسهم برنامجـــا يهدف الى تحرير جميع المفاهيم النفسية مما علق بها مـــن اوصاف أو معانى مثالية ، وتصحيح هذه المفاهيم على ضـــوء نظريـــة الانعكاس . ومن ثم فهمت الظاهرة النفسية على انها انعكاس ايجابى للواقع الموضوعى ، الذى يباشر تأثيره على الـــكائن ؛ ذلك الانعكاس الذى ظهر عند مستوى محـــدد من تطور المادة الحية ، ثم أخذ فى الترقى والنمو حتى وصل أعلى صورة له عند الانسان . وقد ارتبط هذا الفهم الجديد لموضـــوع علم النفس بنشاط عالم شـــاب ، برز فى تلك الفترة هـــو **س. فيجوتسكى** ومع أن نشاطه العلمى فى ميدان الدراسات النفسية لم يستمر أكثر من ثمانيـــة اعوام نتيجة وفاته المبكرة عام ١٩٣٤ وهـــو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، فان الذخـــيرة التى تركها من الافكار اثرت فى تـــطور عـــلم النفس السوفيتى تأثيرا بعيدا . وقد حدد نضـــاله من اجل « الوعى » كموضوع لعلم النفس الاتجـــاه الرئيسى لافكاره ، وكان مركز أبحاثه ومؤلفاتـــه يدور حول موضوع الوظائف العقلية العليـــا . ونتيجة للافكار التى قدمها ممثلة فى نظريته التى عرفت **بالنظرية الثقافية التاريخية** ، تشكل المدخل التاريخى فى دراسة الظاهرة النفسية الانسانية ؛ ذلك المدخل الذى يكمن فى أساسه **فرضان علميان**

رئيسيان : أولهما عن الطبيعة غير المباشرة للظاهرة النفسية ، وثانيهما عن نشأة النشاط النفسى . وقد وجدت هذه النظرية الثقافية التاريخية نموا لها فى مؤلفات **أ.ن . ليونتييف** ومعاونيه ، الذين تصوروا النشاط النفسى على أنه صورة خاصة لنشاط الانسان ، وأنه نتاج للنشاط المبادى الخارجى ، حيث يتطور ويعاد تشكيله فى صورة نشاط داخلى أثناء سير التطور الاجتماعى ـ التاريخى . ولازال هذا المدخل الاجتماعى التاريخى فى دراسة الظاهرة النفسية يمثل المنطلق الرئيسى لمعظم البحوث النفسية فى علم النفس السوفيتى .

وهكذا ابتداء من عام ١٩٣١/١٩٣٢ اخذ علم النفس السوفيتى يتمسك بفهم جديد لموضوعه : فموضوع علم النفس هو الظاهرة النفسية أو « **الوعى** » باعتباره خاصية لمادة على درجة عالية من التنظيم ـ المخ ، ويعتبر انعكاسا للواقع الموضوعى الخارجى . وقد أصبح هذا الفهم لموضوع علم النفس ممكنا فقط بعد التغلب على جميع أشكال علم النفس السلوكى ، التى تعبر عن مظاهر متنوعة للمادية الميكانيكية فى فهم الظاهرة النفسية. ومع هذا الفهم الجديد ،تحددت بعض المواقف الرئيسية ورسخت فى علم النفس السوفيتى قبل نهاية الثلاثينات وهى :

أولا : استقر رأى العلماء فى تلك الفترة على أن النشاط النفسى يتحدد بشكل الحياة المادية ويتغير بتغيره . فتطور سيكلوجية الحيوان يتحدد بقانون الانتقاء الطبيعى البيولوجى . أما نشأة الوعى الانسانى ونموه فتحددها قوانين تطور أساليب الانتاج فى الحياة المادية للمجتمع . وكان فهم الطبيعة الاجتماعية ـ التاريخية للوعى الانسانى أو الظاهرة النفسية الانسانية ، يمثل نتيجة منطقية لهذا الموقف العام . ونتيجة لذلك تقدمت مشكلة الشخصية الانسانية غيرها من مشكلات البحث النفسى . ونظر الى الشخصية [باعتبارها نتاجا لتطور الظروف الاجتماعية ـ التاريخية] على أنها عنصر ايجابى ، وليست مجرد موضوع سلبى للمؤثرات الخارجية . واعتمد العلماء فى تفسيرهم لهذه النظرية الايجابية للشخصية على الافكار الماركسية ـ اللينينية عن الطبيعة الايجابية للانعكاس ، وعن حقيقة الشخصية باعتبارها تمثل جماع العلاقات الاجتماعية وعن دور الحاجات فى نمو الفرد .. وغيرها .

ثانيا : ولما كانت الظاهرة النفسية والوعى الانسانى محدودين بالظروف المادية للحياة وشكلها ، ويتطوران بتطورها ، فانه لايمكن فهمهما الا اذا نظرنا اليهما ودرسناهما فى تطورهما . ومن هنا ، ولاول مرة فى تاريخ علم النفس السوفيتى ، ظهر ما يعرف بالمنهج النشوئى أو الارتقائى فى دراسة الظاهرة النفسية : اصبح نمو السيكلوجية لا مجرد ميدان للدراسة فحسب ؟ وانما تحول الى مبدأ ومنهج رئيسى للبحوث النفسية وفى هذا الاتجاه بالذات اخذت تنمو التصورات عن نمو العمليات العقلية العليا وتطورها فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وهى تلك التصورات التى صيغت فى مؤلفات بلونبسكى وليونتييف وغيرهما .

ثالثا : اما المبدأ الثالث الذى استقر فى هذه الفترة فى علم النفس السوفيتى فهو النظر الى النشاط والوعى كوحدة ، أو الاقرار بوحدة الوعى والنشاط . ويرجع الفضل فى وضع هذا المبدأ الى **س.ل.روبنشتين** الذى قدم هذا المبدأ الديالكتيكى ، فى مقابل التصور الثنائى الذى يقابل بين الوعى والنشاط الخارجى ، وكذلك كنقيض لتصور المثاليين ، الذين تجاهلوا النشاط الخارجى وركزوا اهتمامهم على محتويات الوعى أو الشعور فقط ، من ناحية ، وتصور السلوكيين الذين حولوا كل عمليات الوعى الى مكونات النشاط المادى من حركات وافعال منعكسة ، من ناحية أخرى. فالوعى والنشاط ـ أكد روبنشتين ـ ليسا ناحيتين مختلفتين أو وجهين مختلفين لشىء واحد ، وانما يشكلان كلا عضويا ، لا تطابقا وانما وحدة . وقد أتاح هذا الفهم لروبنشتين امكانية تقرير حقيقة أن الدراسة الموضوعية للظاهرة النفسية لا يمكن أن تتم الا عن طريق نشاط الانسان ـ فعن طريق نشاط الفرد تصبح سيكلوجيته مفهومة للاخرين .

ولما كان الوعى قد اعتبر صورة عليا لتطور الظاهرة النفسية ، واعتبر مفهوم « الظاهرة النفسية » بذلك أوسع من مفهوم « الوعى » ، فقد ظهر كنتيجة منطقية ميدان اللاوعى أو ماتحت الوعى كموضوع للدراسة . ومع ذلك ـ كما يشير المؤرخون للعلم ـ لم تجد مشكلة العلاقة بين الوعى واللاوعى ، بين الشعور وما تحت الشعور ، حلا ملموسا لها فى ذلك الوقت . الا أنه قد تكونت مجموعة فروض نظرية وتجريبية لحل هذه المشكلة ، تجلت فى النقد الواسع للتصور الفرويدى عن اللاشعور وفيما قدم من تفسير علمى للغريزة كوحدة ديالكتيكية بين المتناقضات: الفطرى والمكتسب، النمطى والمتغير، خارجى النشأة وداخلى النشأة ، والذى ساعد عليه أعمال بافلوف وفاجنر وغيرهما .

وهكذا كانت نهاية الثلاثينات وبداية الاربعينات فترة حاسمة فى تاريخ علم النفس السوفيتى . ففى هذه الفترة بالذات تم انجاز المشكلة الرئيسية التى استمرت لسنوات عديدة محور التفكير السيكلوجى النظرى بدءا من عام ١٩٢٣ ، حينما

دعا كارنيلوف لاول مرة الى بناء علم النفس على اساس الفلسفة الماركسية . ففى هذه الدعوة بالذات تمثل المخطط النظرى لعلماء النفس السوفيت : للتغلب على اثار الازمة المنهجية التى ورثها العلم من تاريخه السابق . وكانت المشكلة المحورية هى اعادة بناء جذرى لعلم النفس على اساس المادية الجدلية ورسم الطريق السليم نحو حل المشكلات النفسية الرئيسية . وفى بداية الاربعينات كانت هذه المشكلة قد حلت ، على الاقل فى خطوطها العريضة .

رابعا : مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد أن تم ارساء الاساس النظرى لعلم النفس السوفيتى والذى تمثل فى نظرية الانعكاس اللينينية ، وتبنى المنهج الارتقائي فى دراسة الظواهر النفسية ، تحول هدف العلماء الى محاولة ايجاد او خلق نظام متكامل من المعارف والحقائق العلمية ، يتم فى داخله التناسق بين الظواهر الجزئية الخاصة وبين تلك المبادىء العامة التى تم ارساؤها . ومن ثم ظهرت الحاجة الى اجراء بحوث تجريبية رصينة ، بهدف الكشف عن القوانين الموضوعية التى تخضع لها الظاهرة النفسية فى جوانبها المختلفة . ومن هنا بدا التركيز يتجه نحو البحوث التجريبية فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد امتدت هذه البحوث لتشمل مختلف فروع علم النفس النظرية والتطبيقية ، مثل علم النفس التربوى وعلم النفس الحربى وسيكلوجية العمل وعلم نفس الطفل وعلم النفس الجنائى وعلم النفس المرضى وغيرها .

على ان هذا لا يعنى انه فى تلك الفترة التى شملت نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات قد اغلق الباب أمام التفكير النظرى والمنهجى . اذ انه الى جانب اجراء البحوث التجريبية فى مختلف الميادين ، اتصفت هذه الفترة ايضا بمناقشات نظرية واسعة ، دارت حول جميع المشكلات الرئيسية فى علم النفس . وفى هذه الفترة بالذات اخذت تنمو مدارس وتيارات علمية متنوعة فى المراكز الرئيسية للبحوث النفسية بالاتحاد السوفيتى . ولعل اهم هذه المدارس او الاتجاهات : مجموعة العلماء التى ارتبطت وعملت مع أ.ن.ليونتييف ، وقد عالجت مشكلات علم النفس من وجهة نظر المدخل التاريخى الارتقائى ، ومجموعة من معاونى وتلاميذ **د.ن. أوزنادز** فى جمهورية جورجيا السوفيتية ، الذين نموا بأبحاثهم **نظريته فى الاستعداد او التأهب** (Set) ثم **أ.ج. كافالييف** ، **ف.ن. ميسيشيف** ومجموعة من علماء النفس الاخرين ، الذين عملوا فى لينجراد وعالجوا مشكلات سيكلوجية الشخصية فى ضوء فكرة «الاتجاهات» ثم مجموعة **ن.ف.دوبرينين** الذين اهتموا بدراسة سيكلوجية الشخصية . والواقع انه رغم ان هذه المدارس تختلف فيما بينها فى النواحى التى تهتم بها ومداخلها المتميزة الى دراسة الظواهر النفسية الخاصة او الجزئية ، الا انها لا تمثل مدارس فكرية او مذاهب مختلفة تماما ، فهى جميعها تنبع من اساس واحد مشترك هو المادية الجدلية ونظرية الانعكاس اللينينية .

والى جانب هذا الاتجاه العام الذى احتوى تلك المدارس انطلاقا من نظرية الانعكاس اللينينية ، التى تعتبر ان الوعى او الظاهرة النفسية انعكاس للواقع الخارجى ، وانه وظيفة للمادة عالية التنظيم — وهى المخ ، وجد اتجاه اخر نبع من نفس النظرية ولكن فى ناحية خاصة . اذ سعى هذا الاتجاه الى كشف الميكانيزمات الفسيولوجية للنشاط العصبى للمخ ، وهو يمثل بشكل عام مجالا للبحث يقع بين الفسيولوجيا وعلم النفس ، ويحاول الربط بينهما . ومن اشهر العلماء السوفيت الذين سازوا بابحاثهم فى هذا الاتجاه **ب.ك. انوخين** الذى كتب عن عملية هى فى صميمها عملية التغذية الرجعية عام ١٩٣٢ ، اى قبل ان تظهر السيبرناطيقا بفترة طويلة . ومنهم ايضا **أ.ر.لوريا** ، **أ.ن. سكالوف** ، **ن.أ. برنشتين** وقد استمر الوضع العام للمشكلات والمبادىء النظرية لعلم النفس السوفيتى على هذه الحالة حتى وجد دفعة قوية اخرى فى نهاية الخمسينات ، تمثلت بصفة اساسية فى عدة مؤلفات نظرية لروبنشتين وكتاب ليونتييف الذى جمع فيه خلاصة عمله لسنوات طويلة . فقد ظهرت ثلاثة كتب لروبنشتين هى : « الوجود والوعى » عام ١٩٥٧ ، « عن التفكير وطرق بحثه » عام ١٩٥٨ ، « اسس وطرق نمو علم النفس » عام ١٩٥٩ . وكان روبنشتين احد المنظرين الثلاثة فى علم النفس السوفيتى . وعلى الرغم من انه لم يجر بحوثا تجريبية بنفسه ، فانه اخذ على عاتقه عملية تجميع حصيلة البحوث التجريبية وخاصة فى ميدان التفكير ، ومركزا على استخلاص المبادىء النظرية والمنهجية العامة . وقد وجدت الظاهرة النفسية وطبيعتها فى مؤلفاته توضيحا ابعد ، ابرز مكانها وسط العالم المادى المتشابك . وقد نادى روبنشتين بمبدأ الحتمية فى علم النفس ، اذ نظر الى الظاهرة النفسية باعتبارها محتومة ومحدودة بشروط الحياة المادية ومواقفها . وهى بدورها تحدد سلوك الفرد وتوجهه . كما ادخل روبنشتين مبدأ اساسيا فى علم النفس السوفيتى هو مبدأ « وحدة » النشاط والوعى ، ذلك المبدأ الذى تلقى تنمية اكثر فى اعمال ليونتييف ومعاونيه . ويقوم تلاميذ روبنشتين فى الوقت

الحالي بتنمية ابعد لارائه وافكاره النظرية ؟ خاصة في ميداني سيكلوجية التفكير وسيكلوجية الشخصية .

وفي عام ١٩٥٩ ظهر كتاب **ليونتييف** «**مشكلات نمو الظاهرة النفسية**» تناول فيه المؤلف ثلاث نواحي للنمو النفسي : مشكلة ظهور الاحساسات كصور اولية او بدائية للظاهرة النفسية ، ومشكلة العلاقة بين التطور البيولوجي والتطور التاريخي للظاهرة النفسية ، ثم مشكلة النمو الفردي للسيكلوجية . وقد حقق ليونتييف في كتابه هذا مبادىء المدخل التاريخي — الاجتماعي في معالجة المشكلات النفسية ، وهو ذلك المدخل الذي يمثل الاطار النظري العام لمعظم البحوث الحالية في علم النفس السوفيتي وفروعه المختلفة .

ولا شك ان **ب.م. تبلوف** قد اسهم ايضا بقسط في التنظير لعلم النفس السوفيتي . فقد ظهر كتابه « **مشكلة الفروق الفردية** » **عام ١٩٦١** يمثل خلاصة عمل ضخم للعالم السوفيتي البارز ومعاونيه . فقد بدأ بدراسة الشخصية بالطرق القديمة ، ثم وفق في تقديم تفسير ديالكتيكي هام بالنسبة لعلم النفس التربوي يتعلق بمشكلة القدرات ، أوضح فيه ان القدرة عبارة عن مفهوم ديناميكي ، لا توجد الا في النمو والتطور . والقدرة لهذا لا يمكن ان تظهر الا في النشاط المعين المناسب ، وفي النشاط لا تظهر القدرات فحسب ، وانما تتكون ايضا .

وفي هذه الفترة ايضا ، ساهم عدد كبير من علماء السوفيت في تنمية الاسس والمفاهيم النظرية ، وذلك بتركيزهم على اجراء البحوث التجريبية وتجميعها وتحليلها ، مثل **أ.ر. لوريا** ودراساته في الوظائف اللحائية العليا للانسان ، **ب.ج.أنانييف** وابحاثه عن سيكلوجية المعرفة الحسية ، **أ.ف. زباروجتس** وتجاربه في نمو الحركات الارادية ، **أ.ج كافالييف** وسيكلوجية الشخصية ، **د.ب.الكونين** وابحاثه في سيكلوجية الطفل ، **ب.ى.جالبيرن** ودراساته عن تكوين الافعال العقلية ، **ب.ف.زيجارنك** وابحاثها في علم النفس المرضي .

وفي عام ١٩٦٢ عقد في موسكو مؤتمر المشكلات الفلسفية لعلم النفس وفسيولوجيا النشاط العصبي الراقي . وقد ظهر في المؤتمر اهتمام واضح بدراسة بافلوف عن فسيولوجيا النشاط العصبي الراقي ، واحتلت مشكلات المعنى الرمزي للمثيرات ، والتفاعل الرمزي المتبادل بين الكائن والبيئة ، خاصة ذلك الذي يتم باستخدام الالفاظ ، مركز اهتمام العلماء . وتبين نتيجة لاعمال المؤتمر تهافت محاولات بعض العلماء ، التي ظهرت من قبل ، لاحلال الفسيولوجيا محل علم النفس ، واستخدام المفاهيم الفسيولوجية باعتبارها المفسرات الوحيدة في البحث النفسي . واوضح المؤتمر ان كل حدث نفسي رغم ان له اساسه الفسيولوجي الا ان له بيئته المعقدة ، التي لا تقتصر على المكونات الفسيولوجية والتي لا يمكن ان تفسر في عباراتها . كذلك نوقشت مشكلات نظرية هامة في مؤتمرين اخرين لعلم النفس عقدا عامي ١٩٥٩ ، ١٩٦٣ ، ثم في المؤتمر الدولي الثامن عشر ، الذي عقد في موسكو عام ١٩٦٦ ، وساهم فيه علماء بارزون من مختلف انحاء العالم .

ويتميز علم النفس السوفيتي في مرحلته الحالية بنمو ملحوظ في الفروع التي ترتبط بالحاجات العملية للبناء الاشتراكي ، خاصة فيما يتعلق بأبحاث علم النفس الهندسي وعلم النفس التربوي وعلم النفس الحربي ، وعلم نفس الفضاء ... وغيرها . فثمة تغيرات جوهرية تأخذ مجراها في مجال سيكلوجية العمل ، وظهرت فيه فروع جديدة الى جانب فروعه التقليدية . ففرع علم النفس الهندسي ، اخذ يحقق نموا ملحوظا في السنوات الاخيرة . اذ ان النمو السريع لتكنولوجيا الصناعة ووسائل الاتصال والسيبرناطيقا ، يضع امام هذا الفرع من العلم مشكلات متجددة ، تدور حول مشكلة « الانسان والاله » . كما ان غزو الفضاء وما لازمه من مشكلات ادى الى نشأة فرع جديد في سيكلوجية العمل ، هو ما يمكن ان يعرف بعلم نفس الفضاء . وقد امتص هذا الفرع انجازات مجموعة من الفروع الاخرى مثل علم النفس العام ، وعلم النفس الهندسي ، ودراسات النشاط العصبي الراقي .. وغيرها . كذلك الحال فيما يتعلق بعلم النفس التربوي ، وهو من اقدم الفروع في تاريخ علم النفس السوفيتي . فقد تم فيه اعادة بناء جذري ، استجابة لمطالب الحزب الشيوعي في تربية الانسان الجديد . ويلاحظ في هذا الفرع من العلم ظهور محاولات مستمرة لابتكار مدخل تربوي — نفسي متكامل في دراسة ظواهر التعلم والتربية والنمو . ومن امثلة العلماء الذين يكرسون جهودهم لمثل هذه المحاولات ، **ب.ى.جالبيرن** ، **د.ب. الكونين** ، **ف.ف. دافيدف** ، **ن.ف. تاليزينا** وكثيرون غيرهم . وقد ارتبط بهذه المحاولات دراسات التعليم المبرمج ومشكلاته ، وتطبيق مبادىء السيبرناطيقا في ضبط عملية التعلم وتوجيهها داخل المدرسة . كذلك بدأ علم النفس الاجتماعي يحقق تقدما ، بعد ان توقف نموه لفترة طويلة ، واخذ يهتم بمشكلات الشخصية وتربيتها في المجتمع الشيوعي ، متخذا الجماعات وسيكلوجيتها كمحور للدراسة .

الدراســــات الاجتمـــــاعية في يوجوســـلافيا

أبو سيف يوسف

اتيح لى اثناء الرحلة التى قمت بها الى يوغسلافيا أن أقوم بزيارة الى **«معهد الفلسفة وعلم الاجتماع»** التابع لجامعة **لوبليانا** عاصمة جمهورية سلوفينيا. وفى لقاء مع **د . ستان ساكسيدا** مدير البحـــوث فى المعهد ، علمت ان المعهد وان كان قد ســـمى عند انشائه منذ ١٥ عاما بمعهـــد الفلسفة وعلم الاجتماع الا انه اخذ يركز عمله فى الســنوات الاخيرة فى ميدان علم الاجتمـــاع ، ويهتم بكيفية أخص ، بعلم الاجتماع الامبريقى .

وبوجه عام ، يمكن القول بأن البحوث الاجتماعية التى تدخل فى دائرة عمل المعهد تندرج — اساسا — تحت بابين من ابواب السوسيولوجيا هما :

— الترتيب الطبقى [أو التدرج الاجتماعى].

— والتنقل او الحراك الاجتماعى .

وفى هذا المجال ، تمت دراسة عدد من القضايا ، منها ، على سبيل المثال :

— نظام القيم عند السلوفينيين .

— الثقافة وعلم الاجتماع [مع اهتمام خاص بسوسيولوجيا المسرح] .

— دراسات عن الحكم الذاتى .

— مشكلات التخطيط التكاملى [ويتألف مـــن التخطيط الاجتماعى والتخطيط الاقتصادى] .

— نظرية علم الاجتماع .

— مشكلات المنهج فى علم الاجتماع .

وفى المعهد ٤٠ من العاملين ، منهم ٢٤ باحثا . وبالمعهد مكتبة متخصصة تضم ٨٠٠٠ كتـــاب . ويشترك المعهد فى ٢٧٠ مجلة دورية من جميـــع انحاء العالم . وفى المعهد مركز توثيـــق يقـــوم

اولا بأول — باعداد ملخصات مفهرسة لجميع البحوث والدراسات التى تنشرها تلك الدوريات .

ويقوم تنظيم العمل داخل المعهد على نوع من تقسيم العمل ، الهدف منه انجاز المهام المطلوبة منه فى أقصر وقت . ومن ثم فلا يطلب من باحث فرد ان يغطى كل مراحل البحث . وانمـــا يقسم البحث فى العادة الى ثلاث مراحل :

— مرحلة اولى ، وفيها يتم جمع مادة البحث واستيفائها حيثما كانت .

ـ مرحلة ثانيـة ؟ ويتم فيها وضـع تعميم البحث .

ـ مرحلة ثالثة ، ويتم فيها اعداد البحث .

وكل مرحلة من هذه المراحل يختص بها احد العاملين [أو اكثر] فى المعهد . كما انه يجرى ـ فى العادة ـ استخدام الحاسب الالكترونى فى هذه المرحلة او تلك من مراحل البحث .

وقد ضرب د . ساكسيدا امثلة على بعـض البحوث التى تضمنتها خطة العمل لعام ١٩٧٤ :

ـ دراسة مقارنة بين جمهـورية سلوفينيـا [وهى اكبر جمهوريات يوغسلافيا تطورا] وبين جمهورية ماكدونيا [وهى اقل جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى تطورا] .

ـ نظام القيم فى مجتمع يقوم فيه الحكم الذاتى .

ـ الانماط الخاصة بنظام القيم .

ـ دراسات عن المشاركة الاجتماعية لاعضاء فى رابطة الشيوعيين اليوغسلاف وفى التحالف الاشتراكى ومقارنتها بالمشاركة الاجتماعيـة لغير الاعضاء .

ـ الجانب الاجتماعى لمشكلة السكان منظورا اليه على ضوء نظام القيم .

ـ تطبيق مناهج البيولوجيا والجيولوجيا فى علم الاجتماع (Numerical and Mothematic & Taxonomy)
ويتعـاون المعهد فى هذا المجـال مع علمـاء الاجتماع السوفييت ، ويتم التعاون فى ثلاثة من المعامل الخاصة فى الاتحاد السوفيتى .

ـ الابتداع والتقليد .

ـ مشكلات تلوث البيئة .

ـ دراسة مدينتين خلال مائة عام [وهو تحليل الاحصاءات الخاصة بالمدينتين على مدى ١٠٠ عام لمعرفة نشأة الطبقات الاجتماعية فيها ، وحركتها واصل السكان ومن اين نزحوا ... الخ] .

وقد ساهم الباحثون فى المعهد ـ جنبا الى جنب مع زملائهم الاخرين من علماء الاجتمـاع اليوغسلاف ـ فى اعمال المؤتمر الثـامن لعلم الاجتماع وهو المؤتمر العـالمى الذى عقـد فى اغسطس الماضى بمدينة تورنتو [كندا] . وتمثلت مساهمة الباحثين بالمعهد فى تقـديم عـدد من الاوراق ، التى ترجم المعهـد جانبا منهـا الى الانجليزية ونشره تحت عنوان :

[بعض اوراق يوغسلافية مقدمة الى المؤتمر الثـامن لعلم الاجتماع ـ اغسطس ١٩٧٤] .

ومن بين الموضوعات التى يضمها هذا الكتاب:

ـ النزاعات فى المؤسسات الصناعيـة فى يوغسلافيا .

ـ الحدث كوسط للتفاوت الاجتماعى [وهى ورقة عن سوسيولوجية التعليم] .

ـ الجوانب العسكرية لعدم الانحياز .

ـ نمـوذج بحث فى الهجـرة : العمـال اليوغسلاف فى جمهورية المانيا الاتحادية .

ـ التدرج الاجتماعى والحراك فى المجتمع اليوغسلافى .

والواقع ان اهتمامنا بايراد اكثر من مثـل عن اتجاهات البحوث السيوسيولوجية فى جمهورية يقل عدد سكانها عن مليونين انمـا يهـدف الى التأكيد على الاهمية المتزايدة للدراسات الاجتماعية وربطها باهداف المجتمع ، كل ذلك ـ على ضـوء أحدث المناهج والاساليب التكنولوجية ـ وهذا الاهتمام العميق بتطوير الدراسات الاجتماعيـة هو الذى يفسر لـماذا يهتم علماء الاجتمـاع اليوغسـلاف بالتحضير للمؤتمـر الثـالث لعلم الاجتماع اليوغسلافى ، وهو المؤتمر الذى ينتظر ان يعقد فى غضون عام ١٩٧٥ .



إعادة صياغة الانسان

العلامة الفرنسى الشهير لوى لى برنس رانجيه زار لبنان فى الشهر الماضى وهو خليفة كورى فى الكوليج دى فرنس وعضو الاكاديمية العلمية والاكاديمية الفرنسية معا . وهو رئيس مركز بحوث « سيرن » الاوروبى فى جنيف . وقد أجرت « النهار » حوارا مع العالم الفذ نقتطف منه ما يهم ملحق الفلسفة والعلم : —

الانسان الجديد .. هل يحضر فى المعمل ؟

سيتغير الكائن البشرى بواسطة البيولوجيا لاننا توصلنا الان الى معرفة نشـــاط الخلية البشرية بطريقة مذهلة . آخر الذين نالوا جائزة نوبل فى علم وظائف الاعضاء وهم من أصل بلجيكى قاموا بدراسة عميقة داخل الخلية وتبينت امكانات عظيمة **منها احداث تغيير كبير فى السلوك الانسانى.** ولكى يكون الانسان قادرا على معايشـــة عالم الغد ينبغى أن يمارس أعمال البحث المستمرة — كل عمل بحث كفيل بابعادك عن الروتين . والعلم المستقبلى يتطور فى مجالات غير متوقعة مما يجعله يخطىء — جميل أن يتحلى المرء بروح البحث والخلق وتقبل الحقيقة الجديدة . وهذه الروح ينبغى انماؤها وتكوينها . ولكن ذلك لن يتم فقط فى المختبر [المعمل] **فينبغى أن نحترس فى التربية من تعليم الناس أشياء محددة ونهائية** محاولين ترسيخ الاعتقاد لديهم أن الحياة تتطور تدريجيا **بل عليهم أن يحتفظوا بهذا النوع من التعطش الدائم الى المعـرفة .** وهذا التعطش نفسه متوافر فى البحث ويجب نقله الى الحياة اليومية . **ينبغى تكريس نصف الوقت لمتابعة ما يستجد** ، باستعمال المنهج العقلانى المسئول ، ليس فقط عن الاشياء المادية فى الوجود ، بل عن وضع الحياة الحديثة لانه يتعدى الحياة المـادية الى التفكير . هنـــاك تفكير عقلانى . الانســـان الجديد نتيجة عوامل بيولوجيـة وسوسيولوجية معا — فالسياسة والوراثة تعملان معا .

مارتن هيدجر فى عيده الخامس والثمانين

احتفل معهد جوته الثقافى الالمانى ببيروت بميلاد الفيلسوف المعاصر هيـدجر الخامس والثمانين . وبهذه المناسبة وجه الى المؤتمرين الرسالة التالية : —

أود أن أشكركم على تنظيم هذه الندوة فى عيد ميلادى وأرجو أن اضيف الى برنامج محاضراتكم الايضاح الاتى :

ان الحضارة التكنولوجية فى عالمنا تخفى خطرا متزايدا ، هو فى كون الشعر والفن والتفكير ما عادت تمارس فى حقيقتها المعبرة . لقد تحولت الى مجرد أدوات فى مصنع الحضارة ، ولغتنا المنطوية على ذاتها اختفت فى خضم الاعلام المسيطر عليها ، والذى يفتقر الى القوة المؤثرة .

ان المطلوب هو نوع من التفكير يعمل على حل المسائل الاساسية القديمة التى تعكر سلام البشر فى عالمهم . فالخلاف بين طبيعتنا والميتافيزيائيات ، مع احترامنا للنظريات حول الله والعالم والانسان ، ليس أمرا قديما .. انه مردود الى **رؤية واعية لميزات الاساس الانطولوجى فى حضارة العالم العلمى التكنولوجى** . ومن هذه الوجهة ، فان قيام التكنولوجيا الحديثة ليس نتيجة انجاز للعلم المعاصر فحسب

فليسوف قادم من أمريكـا

زار مصر فى الاسبوع الاخير من شهر أكتوبر فيلسوف أمريكى يدعى رودرك هندرى بهدف التعرف على التيارات الاخلاقية والدينية .

وقد نشر ثلاث مقالات فى عام ١٩٧٣ الفكرة المحورية فيها الحاجة الملحة الى تأسيس **اخلاق دينية مقارنة** . وقد نشأت هذه الحاجة الملحة من حدة الصراع الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، وهى حدة مردودة الى حدة الخلاف الاخلاقى حول القيم والمعايير .

وعـلاج الامـر متروك لامكان تأسيس « **أخلاق مشتركة** » يتفق عليها أصحاب العقائد والثقافات المتباينــة .

وفى لقاء معه اتضح أنه يتعاطف مع الفكر الاشتراكى عامة . وقد سجل كلمة هذا نصها :

« **ان ملاحظة الفقر والتوزيع غير المتكافىء للسلع فى المـدن الاسيوية وحتى فى المدن الامريكية لا تسمح لبعض فلاسفة أمريكا** ، وأنا من بينهم ، بفهم كيفية امكان **معالجة هذه الازمة الاجتمـاعية والاقتصـادية الراهنة مـن غير الالتفات الى الاشتراكية .**

وأولى انطباع لى عن الحياة فى المدن الاسيوية هو ان الغالبية العظمى من البشر تمضى حياتها فى انتاج سلع الترف وبيعها ، وتعجز عن انتاج الحاجات الاســاسية للحياة » .

الا تؤدى الاكتشافات الحديثة الى خلل فى التفكير ؟

فى البلاد الغنية حيث يسود قانون النهب والتبديد هنـــاك ردة فعل فى الشبيبة تعلن استنكارها وتمردها ضد التســابق العلمى . فاذن طرح الحياة وتغييرها أوصلهم الى العودة الى الطبيعة وتشكيل حياة بدائية فى السهول والجبـال هربا من التكنولوجيا . ردة الفعل هذه سليمة شبه دينية هى أزمة نمو ، **ولكن لا يمكننا أن ندير ظهورنا هذا بكل بساطة للتقدم لان نمو العلم والتكنولوجيا سيستمر** . فاذا كان لابد من تغيير الحيــاة فالسؤال الاول : ما هى الحياة ؟ وما السبب لى وجودنا فى العالم ؟ وهناك ازدياد فى التساؤل يفوق ما كان منذ نصف قرن لاكتشاف معنى الحياة . **كنا من قبل ندخل لعبة الحضارة الصناعية دون أن نطرحها للشك ..** القضية مطروحة فى بعض البلدان ، فى حين لا تزال تتسابق دول أخرى فى الطمـوح الصناعى — ان تطبيق الاكتشاف يثير قضـيـة هل من فائدة للانسانية ؟ والعلماء ليسوا السلطة بل للبحث . **ولكن ينبغى يقولوا كلمتهم** ، **وهم نادرا ما يستشارون** . الحل اذن سياسى لمشاكل الجوع والكثافة السكانية لا تعالج على حدة — ينبغى أن يكون بين البشر ضمير وتعاطف ، والشعور بالاخوة أساسى والاخلاص لا يشبه دائما الخط المستقيم .



تحليل نفسي

عندما ذهبت الانسة « آنا » وهو اسم مصطنع — للعلاج عند **جوزيف بروير** الطبيب فى مدينة فينيا عام ١٨٨١ ، كان **سيجموند فرويد** شابا له من العمر خمسة وعشرون عاما على وشك الانتهاء من دراسة الطب . وكان هو وبروير صديقين منذ عدة سنوات . وعندما ابلغ بروير صديقه فرويد بتلك الحالة اخبره أن الفتاة استطاعت بمساعدة لا تكاد تذكر من قبله أن تشفى نفسها بالكلام ، وبالكلام شفت نفسها من تقلصات الشلل وفقدان الحس ومن اضطرابات البصر والنطق والسمع . وكان لحالة « **آنا** » وقع كبير فى نفس فرويد ، فمن خلال علاجها أوجد فرويد وسيلة جديدة لاكتشاف النفس البشرية .. هى ما أصبح يعرف بعد ذلك بالتحليل النفسى .

لقد قام فرويد خلال السنوات العشر التالية بمعالجة المصابين بالامراض العقلية وفق الطرق المقبولة فى ذلك الزمن كالعلاج بالماء والكهرباء وجرب التنويم المغناطيسى من حين لاخر . ولقد لجأ منذ حالة «**آنا**» الى استخدام « **علاج التكلم** » وهو الذى سماه بروير « **طريقة التطهر** » . وشجعه نجاحه فى الاعتماد على هذه الطريقة فى معالجة الحالات الهستيرية على اقناع بروير بالاشتراك معه فى دراسة عن الهستيريا ظهرت عام ١٨٩٥ فى كتاب « **دراسات فى الهستيريا** » ويشكل هذا الكتاب نقطة البداية فى التحليل النفسى .

أما الخطوة التى أدت الى بداية التحليل النفسى بالذات فكانت أدراك فرويد لمقاومة المرض لتذكر حوادث وأحاسيس معينة من ماضيه . ولقد تعلم أن يعلل هذه المقاومة — لا كعناد يتوجب التغلب عليه بواسطة أرادة المريض — بل كمفتاح لاكتشاف تجارب وانفعالات سابقة فى حياة المريض أزيلت من درب الذاكرة الواعية لسبب وجيه .

لقد تطلب الامر رجلا ذا ثقة كبيرة بفاعلية المعرفة البشرية ، يضاف اليها تسامح وعطف تجاه الاخفاق البشرى — وهذا مزيج نادر — لكى يرى فى هذه العقبة فرصة للشفاء .

وهكذا تخلى فرويد من التنويم المغناطيسى حين جعل من مجال مقاومة المريض نقطة المحور فى استقصائه واستعاض عنه بطريقة « **التداعى الحر** » حيث يشجع المريض على « **التفكير بصوت مرتفع** » للادلاء بكل ما يخطر بباله مهما تكن الافكار سخيفه او تافهه او محرجة . وأدرك فرويد بكل وضوح ان ذلك ليس بالامر الهين . فهناك رقابة اندمجت فى الفرد منذ طفولته وهى الاعراف الاجتماعية فى التفكير والسلوك ، هذه الرقابة هى التى تتبه من اطلاق النزوات التى تعرض سلامته للخطر ، تلك السلامة التى حددت الحضارة أبعادها . وهذه الرقابة هى التى كان على فرويد أن يتغلب عليها حين يقود مرضاه الى طريق « التداعى الحر » .

وما أن الف فرويد النتاج — غير المعقول غالبا — للتداعى الحر لدى مرضاه ، حتى ادرك أهمية الاحلام كمصدر للمعلومات عن الدوافع والمنازعات الخفية داخل الفرد وفى سنة ١٩٠٠ أصدر كتابه « **تفسير الاحلام** » الذى يعتبره المؤرخون خير ما كتب فرويد وأكثر مؤلفاته أصالة . وانها لحقيقة جديرة بالتأمل ، أن تشغل مسألة الاحلام الانسانية بأسرها ، ثم تبقى مع هذا دون حل حاسم حتى يناهز القرن التاسع عشر نهايته ويظهر سيجموند فرويد فيحل « **اللغز الذائع الصيت** » .. الا الاجابة على هذه "الاشكال توجد فى الكتاب نفسه .. فالحلم ليس أمرا مستقلا عن سائر أحوال النفس — فى يقظتها — بل هو يتصل بها أوثق الاتصال ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية ، ويزيد خطورته أنه يعبر عن أمور لايسعنا حتى مجرد الاحساس بها أثناء اليقظة ويحيط بما عفى عليه الزمان من الاحداث والخبرات الاولى فيبعثها أمام ناظرنا فتتضح الصلة بين ماضى الانسان وحاضره **ولذا استحق الحلم وصف فرويد له بأنه «الطريق الامثل الى أعماق النفس »** بل ان الحلم ايضا نافذة تطل على أعماق النفس يترامى البصر منها الى آفاق تصل الى طفولة الانسان ، فنحن نتبين فى الحلم سمات آثار قديمة ترجع الى عهود غابرة من تاريخ الانسانية فضلا عن انها تجمع فى أفق واحد بين العقل والجنون من حيث أن الحلم خبرة من خبرات الانسان الصحيح العقل . ولكن طبيعته الهلوسية لاتختلف عن هلوسة المجنون . ومعنى ذلك أن الكشف **من طبيعة الحلم انما يكشف عن طبيعة العقل والجنون جميعا** .

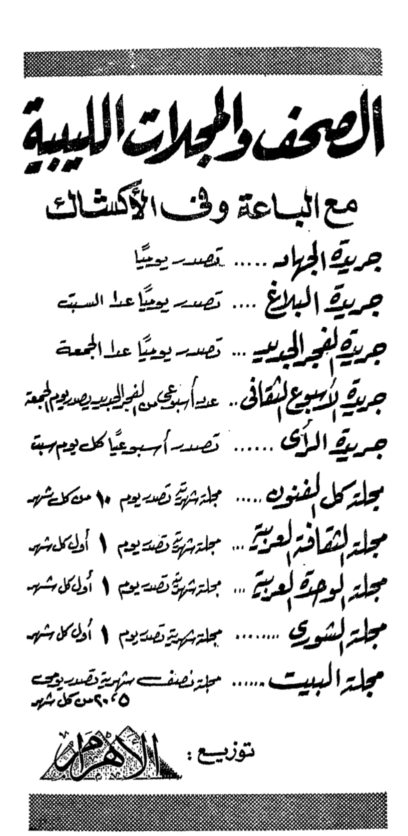
من هذا ندرك أن صفحات « تفسير الاحلام » اشتملت على الاسس التى قامت عليها دراسات فرويد اللاحقة فى شتى نواحى الحياة الانسانية .. وهى التى وضحت فى كتبه التى تلت تفسير الاحلام مثل « **علم النفس المرضى فى الحياة اليومية** » و « **الطوطم والتابو** » الذى ارسى فيه قواعد علم الانثروبولوجيا الحديثة ، ثم كتابه المشهور « **ثلاث مقالات فى النظرية الجنسية** » الذى عالج فيه العلاقة بين اضطرابات النمو النفسى الجنسى اثناء الطفولة وبين ما يلم بالراشد من أمراض وانحرافات نفسية . وأهم من هذا كله **اكتشاف فرويد لمعنى الاحلام مكنه من أن يخضع ذاته للتحليل النفسى فتوصل بواسطة تفسير أحلامه الى تفهم يندر مثيله فى تاريخ محاولات الناس لتفحص أنفسهم** .

ان قضايا التحليل النفسى ، التى أشرنا اليها لا تقتصر على كونها اضافات الى التراث العلمى وانما تحمل فى ثناياها — فضلا عن ذلك — انقلابا فى التصور وتطورا بعيد المدى فى مذاهب البحث فى أحوال الانسان . لقد نشأ التحليل النفسى فى أحضان الطب فكانت نشأته ايذانا بثورة على المفاهيم الطبية التى كان يعتنقها الاطباء حينذاك بصدد طائفة من الامراض وكان ميلاده بمثابة تعديل جوهرى فى فلسفة البحث فى أخطر ما يلم بالانسان. وعلى الرغم من أن التحليل النفسى كان ثورة على المفاهيم الفسيولوجية فى ميدان الطب النفسى الا انه ظل مخلصا لمبادىء المنهج العلمى ملتزما مبدأ الحتمية ، مصطنعا أساليب الملاحظة العلمية . لقد طبق فرويد على النفس البشرية مبدأ «بقاء الطاقة » الذى يقول باستحالة فناء اى مقدار من الطاقة ، ولهذا كان مصير الحوافز غير المقبولة هو التحول لا الفناء وبهذا تكون السيكولوجيا تحت تأثير فرويد قد عدت دراسة لديناميات ، أى حركة الطاقة النفسية .

وهكذا فان التحليل النفسى الذى بدأ كاسلوب فى علاج الامراض النفسية تطور الى ان يكون نظرة واسعة الى الانسان فى مجمله .

رغم ان فرويد قد أشتهر بمبتكراته فى السيكولوجيا ، الا أنه يشكل شخصية فذة فى العلوم الاجتماعية . وقد الف خمسة كتب رئيسية فى هذا المجال هى «**الطوطم والتابو**» ، «**سيكولوجيا الجماعة وتحليل الانا** » ، « **مستقبل وهم** » « **كور فى الحضارة** » ، «**موسى والتوحيد**» والميزة الاساسية لتأثير التحليل النفسى فى العلوم الاجتماعية هى وضع الانسان فى المكان المحورى لاهتمام هذه العلوم *

لطفى فطيم





الثمن ١٠ قروش

